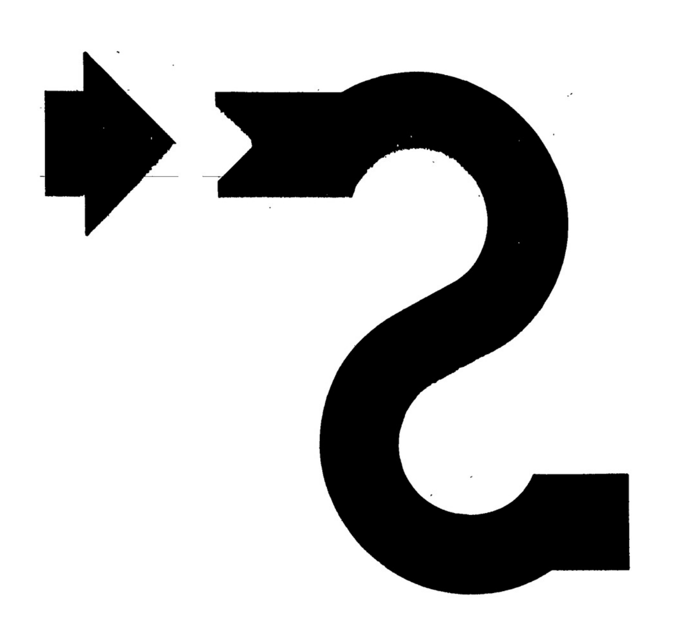
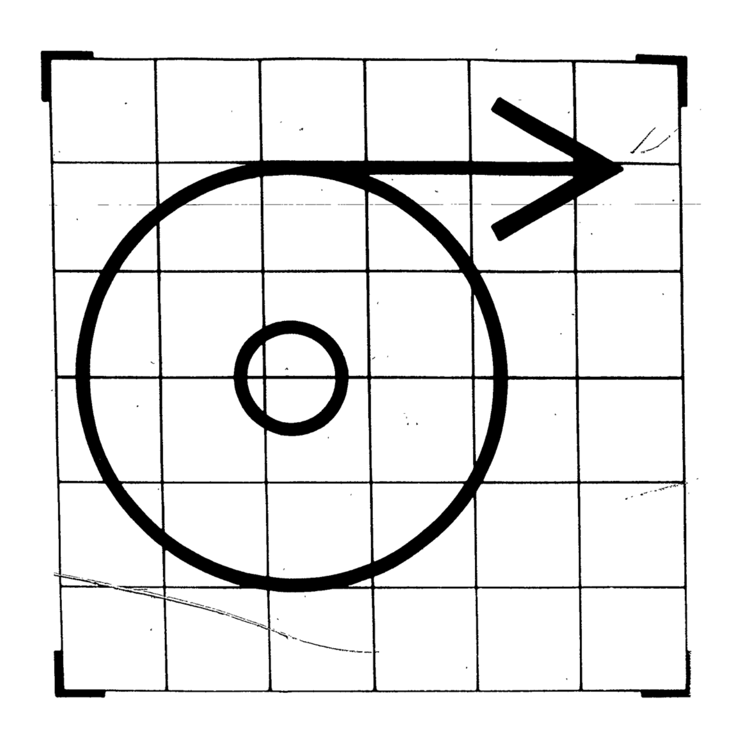


Suite d'une autre bobine

NF Z 43-120-7



Début de bobine

NF Z 43-120 1



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

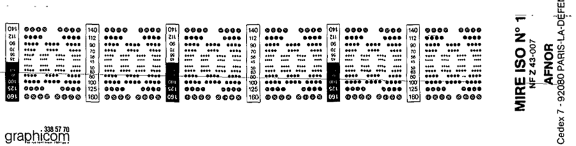
الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

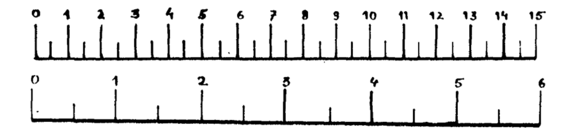
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

1939
2 janvier - 26 juin
(n° 287-312)



ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx11

A.C.R.P.P

7me Année No. 287

Lundi - 2 - 1 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
صـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٨٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ٢ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

الرسالة
فى عامها السابع

بلغت الرسالة — والحمد لله على تأييده وتسديده — سنتها السابعة . والسبعة فى عقيدة الشرقيين عدد يدل على الكمال واليمن والكثرة . وله فى الفلك والرياضة والأساطير والدين مزايا وخواص . وهو فى عمر الإنسان سن التمييز وأول الفتوة . فاذا بدت على الرسالة اليوم مظاهر النشاط ودلائل الاغتباط ومصاديق التجدد ، كان ذلك جارياً على سَنن الطبيعة . فان الحى ينمو ، والنامى يتطوَّر ، والمتطوِّر يخضع لضرورة الوجود وحاجة الموجود ، فلا يكون إلا ما ترضاه الحياة وتريده الخليقة . والرسالة وليدة الفكر المستقل فى نهضتنا الحديثة ؛ تخلَّقت من أمشاجه ، وتغذت على إنتاجه ، ورقِّتْ على أسباب رقيه . فلو أنها كانت للعامة لقتلها مللها ، أو كانت للسياسة لأصابها فشلها ؛ ولكنها كانت للفكرة الحرة التى ترُود ثم تقود ثم تهيمن ؛ فإن شئت قلت هى الروحية فى هيكل الوطن ، وإن شئت قلت هى الإنسانية فى معنى الأمة

من أجل ذلك عاشتِ الرسالة . ولكنها تعيش كما يعيش

المجد ، وتمشى كما يمشى الحق . والمجد يعيش متزايلاً ولكنه ينال ؛ والحق يمشى متثاقلاً ولكنه يصل

* * *

لقد أصبحت الرسالة بفضل ما مكن الله لها فى النفوس القريبة والبعيدة عنواناً من عناوين المجد القومى الخالد ، وفصلاً من فصول الأدب العربى الحديث . فإذا وجدت على جنبات النيل مصر العاملة المدبرة ، وجدت على صفحات الرسالة مصر الشاعرة المفكرة . وشتان بين يد تعمل فى التراب ، وفكر يجول مع السحاب ، فيومض فى كل نفس ، ويمطر فى كل بلد ! وإذا فنى أثر اليد مع الإنسان، بقى أثر الروح سرمداً مع الله . فمن ذا الذى يستكثر على الرسالة منا أن نُسهر لها العيون حتى تَعشى ، ونُرهف لها العزم حتى يكل ، ونحبس عليها القلب حتى يقف ؟؟ أليست هى كما ذكرنا وكررنا ديوان العرب المشترك ، جمعت فيه الأشتات إلى الأشتات ، ووفَّقت بين الأصوات والأصوات ، ثم ألَّفت من هــذه الآلات المنفردة جوقة موسيقية متحدة تسكب فى مسامع الوجود أناشيد الخلود ؟

يتساءل الذين اكتنهوا حرفة الأدب وكابدوا بلاء النفس فيها : كيف تسنى للرسالة أن تعيش على خفض الاشتراك ونقص المورد من الإعلان ؟ ونحن نقول عن عقيدة وخبرة : إن وفرة المال لا تضمن النجاح ، كما أن كثرة الجيوش لا تكفل النصر . إنما القوة الروحية هى المدد الإلهى الذى يهبه الله للمجاهدين متى شاء أن تدول دولة ، أو تعلو كلمة ، أو تبلغ رسالة . وتبليغ الرسالة جهاد . والمجاهد عتاده الإيمان وزاده الصبر ؛ ومن وجد فى العمل منجاه من الهم وملاذه من الناس فقد وجد الثواب عليه فيه

على أن الرسالة مع ذلك شيدت داراً وأنشأت مطبعة . وهى ترجو فى عامها الجديد أن يظاهر الله عليها المعونة حتى تقوم بإنجاز ما وعدت من توسيع الخطو وتنويع العرض وتوفير العُدة

نعم وعدت الرسالة ! وكان من طبعها ألا تمالق الرغبات بالتمنية ، وألا تستميل الشهوات بالوعد ؛ كما كان من عقيدتها أن العمل الصامت أنطق الأدلة على توخى الحق ، والماضى الواضح أضمن الوثائق للمستقبل المبهم ؛ ولكنها فى ميعة النشاط ونشوة الأمل تطيع سورة الشباب ، فتطمح إلى الكمال مفضية عن العجز ، وتثب إلى الغاية مستخفة بالعوائق . وما وعدُها اليوم إلا فيض من الرجاء طفح مما تسر على ما « تعلن » !

* * *

شكونا من الحكومة أنها تهمل الأدب ، وعتبنا على القراء أنهم يعزفون عن الجد ، فما نفعت الشكوى ولا أجدى العتاب . ذلك لأن الحال التى نحن عليها اليوم من اضطراب الحكم بين رغبات الأمة وحملات المعارضة ، وتوزُّع الرأى المثقف بين الأهواء المتعارضة فى السياسة ، لا تزال تبعدنا عن حياة الأمن والاستقرار التى تعود إلى الناس فيها لذة التفكير وشهوة القراءة . فليس لنا من سبيل إلا أن نؤدى واجبنا ونسكت ، أو نقول كلمتنا على رأى المسيح ونمضى . والأديب مكتوب عليه أن يجاهد ويضحى ، لا يستمد العون إلا من ربه ، ولا يلتمس العزاء إلا من قلبه ، ولا يبتغى الثواب إلا من سلطان ضميره

وقد ظهر فى العالم الأدبى مع هذا العام الجديد مجلتان محترمتان هما « العصور » و « الثقافة » ، وسيكون لصوتهما مع صوت الرسالة دوى شديد يفتح العيون الوسنى على الصحائف المكتوبة بعصارة الأذهان ومهج القلوب، فيهتز الأدب الذاوى، وتنشط العقول الفاترة

* * *

اللهم إن كنا أسرفنا فى الرجاء فذلك لحسن الظن بك وقوة الأمل فيك ؛ فهب لنا من لدنك ولياً يكفكف نزوات النفس ، ونصيراً يكفينا عوادى القدر ، ومرشداً يجنبنا مزالق الرأى ، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس

احمد حسن الزيات

سبيل الصحافة

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

فرغت من عملي ، فوضعت القلم ، ونهضت عن المكتب ورحت أتمشى ، فلقيني زميل فسألني :

« كيف ترى الخبر الفلاني ؟ »

قلت : « عظيم . وقد جعلته موضوع مقالي اليوم »

قال : « أنا جئت به »

قلت : « أهنئك . فمن أعطاكه ؟ »

قال : « قد والله سرقته ! »

فضحكت وقلت : « اللص الشريف ! »

وهممت بالانصراف عنه ، بعد أن أثنيت عليه بالذي هو أهله . فقال : « بودي أن أعرف رأي الوزير فيما صنعتُ ، وما أظن إلا أنه مغيظ محنق »

فقلت : « إن الخبر للنشر على كل حال ، والخلاف بينك وبين الوزير على موعد النشر ، وليس هذا الخلاف بالذي يثير الغضب »

وأقبل في هذه اللحظة زميل آخر فألقيت إليه خلاصة الحديث وقلت :

إن الجريمة ليست في ارتكابها ، بل في افتضاحها . ونحن اليوم نحرم السرقة ، وتقول قوانيننا إنها محظورة ، وإن عقابها كيت وكيت، ولكن (ليكرغ) في إسبارطة القديمة كان يذهب مذهباً آخر فيقول بأن لك أن تسرق على ألا ينكشف أمرك ، فإذا انكشف كان عقابك صارماً . والنتيجة واحدة ، فان السارق الذي يستطيع أن يستر فعلته لا يصيبه شيء ، وما يعاقب إلا الذي يعجز عن إخفاء ما صنع ، ويثبت عليه ارتكاب الفعل

ووجه آخر للمسألة : زميلنا هذا قد سرق شيئاً — لم يسرق خبزاً ليأكل ، ولا مالاً لينفق على نفسه وعلى عياله، أو ليوسع رزقه ، ولكنه مع ذلك سرق شيئاً في سبيل رزقه ، فإن رزقه يتطلب منه أن يوافي الجريدة بطائفة صالحة من الأخبار التي تمنى القراء ، وصاحب الجريدة لا يكلفه السرقة ، ولو فعل لكان هذا منه شططاً غير مقبول ، وأمراً لا يطاع ، ولكن الزميل مع ذلك رأى أن قيامه بواجبه يبيح له استقاء الأخبار بهذه الطريقة العوجاء ، وهو — كما تعلم — سني متدين ، غير أن كونه سنيًّا ومتديناً لم يمنعه أن يقدم على سرقة صريحة لا سبيل إلى المكابرة فيها ، من أجل الرزق . ولو أنه كان قد سرق رغيفاً أو بيضة لكان جزاؤه ما يبينه قانون العقوبات . وعذر الذي يسرق الرغيف ليسكت « معدة تعلها لاحسٌ ، وتارة أرنها ضاغبُ » كما يقول ابن الرومي في قصيدته المشهورة لابن الحاجب ، أوضح ممن يسرق ولا جوع به ولا خلة ، وإنما يريد أن يستديم الرضى من صاحب عمله . ولو جئت بسارق الرغيف ، وسارق المذكرة من الوزير أو أعوانه وسقتهما إلى القضاء، لكان المحقق أن يحكم على سارق الرغيف ، وأن يبرىء سارق المذكرة . وقد يرى القاضي أن الفاقة « طرف مخفف » — كما يقول رجال القانون — ولكن لن يكون عنده « طرفاً مبرئاً »

وسارق المذكرة يستطيع وهو آمن أن يباهي بعمله ، وأن يتخذ من قدرته على مثله شهادة مزكية له ، ووسيلة للرفع من شأنه . وكل صاحب جريدة يسمع بجريمته يتمنى لو أن أخانا المجرم كان يعمل له ، بل يتمنى لو كان كل من يعمل في جريدته على مثاله . ولكن سارق الرغيف بماذا يباهي ؟ أبفقره ؟ أم بعجزه عن الكسب ؟ أم بما وصمه به القانون ؟ أم بما نزل به من السجن ؟ وكل صاحب عمل يزهد فيه ويخاف منه ويتقي أن يكون عنده مثله ؛ وقد يدركه عليه العطف ، ولكنه لا يطمئن إليه . وإنه ليعلم أنه ما أغراه بالسرقة إلا الجوع وقلة الحيلة وانقطاع الوسيلة ؛ وإنه ما كان ليفعل ما فعل لولا ذاك ؛ ولكن الشكوك مع ذلك تظل تساوره وتقاوم شعور العطف وتغالب رحمة القلب ، بل منطق العقل

وأحسب أن الصحافة مدرسة لتعليم هذا الضرب من السرقة ولست أعرف صحفيًّا واحداً أتيحت له فرصة سرقة وأحجم عنها أو تردد . وما أبرئ نفسي ولا أنا أستثنيها . هذا وليس عملي في الصحافة — ولا كان قط — أن أستقي الأخبار ، ولكن

كل عمل فى الصحافة رهن بالأخبار، فصلته بها أوثق مما يبدو للمرء ، وإن خيلت غير ذلك . وإنك لترى الصحفى « حنبليًا » فى كل شىء إلا حين يحتاج إلى الوقوف على خبر ، وإذا بالذمة تتسع ، وإذا كل شىء جائز فى سبيل الوصول إلى هـذا المستور أو المكتوم ؛ ثم لا أسف ولا ندم ولا توبة . وأكبر الظن أن تسقط الأخبار فى الطباع ، وأن الإنسان فضولى بفطرته . فإذا كان هـذا هكذا فإن الصحافة لا تصنع أكثر من تنظيم الأمر وتوجيهه وجهـة المصلحة العامة لخير الجماعة . والصحافة من ثمرات الحضارة، فهى تصنع كالحضارة — أعنى أنها تعمد إلى الغرائز والفطر الساذجة فتصقلها وتهذبها وتنظمها وتجريها فى مجار معينة ، فيصلح أمر الجماعة ويستقيم حالها . مثال ذلك أن الرجل كان يخطف المرأة التى كانت تروقه أو يسبيها، ثم يحتازها ما دام راغباً فيها ويحارب دونها ؛ وهو الآن يتزوجها ، ولا يحتاج إلى الخطف أو الحرب دونها ، وإن كان ربما احتاج أن يعانى متاعب المنافسة من الخاطبيها ، أو الراغبين فيها غيره ومثاله أيضاً أن الأثرة والأنانية قد اتخذا مظهر الوطنية أو القومية ، ولم تذهب الأثرة ولم يبرأ منها الفرد ، ولكن المدنية استطاعت أن تنتفع بروحها فى الفرد وتسخرها لخير الجماعة

كذلك تفعل الصحافة، حين تستغل فضول الإنسان فتتولى جمع ما يعنيه وتنشره على الناس. وقد خرج الأمر عن أصـله ، حتى لصار يبدو كأنه منقطع الصلة به . ومن الذى يجرؤ أن يقول : إن الصحافة لا هم لها إلا إرضاء فضول الإنسان بعد أن أصبحت تسمى « السلطة الرابعة ؟ » . ومن ذا الذى يذمها من أجـل أنها تصل إلى أخبارها بمـا يسع رجالها من حيـل ، ويدخل فى طوقهم من وسائل وإن كان بينها السرقة . بل شراء الذمم بكل ما تشترى به من طيب وذميم — أى بالخداع ، والملق ، والمدح ، والصـداقة ، وتبادل المنافع ، لا بالمال وحده كما قد يتوهم البعض ؛ فإن الرشوة الصريحة وسيلة يندر الالتجاء إليها ...

وهكذا جعلت الصحافة من السرقة عملاً محموداً ، ومن مرتكبها لصًّا شريفاً ! ولا عجب فإن خدمة الأمة تكلف أبناءها تعاطى ما يعـده العرف رذائل وآثاماً ، وتحمـد منهم ذلك ، وتجزيهم عليه أحسن الجزاء

ابرهيم عبد القادر المازنى

من برجنا العاجى

هأنذا أهبط إلى برجى العاجى مع الشتاء ، فى الوقت الذى يهبط فيه «الأب نويل» مع عيد الميلاد . إنى أرى لحيته الطويلة البيضاء تمتد لتلتف حول الـكوكب الأرضى . لقد كان طرفها بالأمس فى بلاد الجليد، فإذا هى اليوم فى بلاد الشمس والهلال. لقد طفت بالمدينة فرأيت عجباً . لقد انقلبت القاهرة رأساً على عقب. أنوار وأعلام، وزينات وأفراح، والناس جميعاً مشغولون بإعداد سهرات العيد . الشرقيون قبل الغربيين يتسابقون إلى الاحتفال بعيد ليس عيدهم ، ولـكنهم يريدون تقليد الأجانب . بل إنى لأعرف بيوتاً وأسراً شرقيـة مسلمة تقيم فى منازلها « شجرة الميلاد » أسوة بالأوربيين . نعم . لقد ذهبت أعياد الشرق فلم يعبأ أحد يأبه لعيد الأضحى أو الهجرة أو ليالى رمضان . إن أعيادنا تقبل علينا فلا نبسم لها ولا نخرج لاستقبالها . إنما نحبس أنفسنا فى بيوتنا كأننا نخجل منها ومن أنفسنا . فإذا جاءت أعياد الأجانب أسرعنا نخرجنا لها باشين مهللين . نحن فى بلادنا نشارك الأجنبى فى أعياده، وهو على أرضنا. لا يشاركنا فى أعيادنا. وبذلك أفهمناه وعلمنا آلنا وأطفالنا منذ الصغر ازدراء ماهو شرقى واحترام ماهو غربى . وهكذا أثبتنا للعالم أن مجرد وطء أقدام الأوربى أرضنا كاف أن يزلزل حصوننا المعنوية . نعم ما كان الغربى يتصور أن الشرق ينبذ من أجله حتى أفراحه التاريخية العريقة بألوانها الزاهية وطابعها الأصيل . إنى ليخيل إلى أن الغربى ذاته ، ذلك الضنين بتقاليده ، الحريص على تجميل خرافاته ، يدهش لرؤيته وجه الشرق قد انطمست ملامحه بهذه السهولة، وضاعت معالمه من الرؤوس والنفوس، وزال رسمه الحقيق إلا من تلك الصفحات الرائعات التى سطرها أمثال بيير لوتى وجيراردى نرفال من الأوربيين أنفسهم الذين أعجبوا بالشرق يوم كان الشرق يحتفظ برداء شخصيته فلا يخلعه ليجرى عارياً كالشحاذ خلف الغرب . إنى لم أر قط باعتنا المتجولين يصيحون « بعرائس مولد النبى » فى الطرقات ولـكنهم صاحوا البارحة بنداء شق الفضاء : « الأب نويل بقرش ابيض ! الأب نويل بقرش ابيض ! » . وبهذا تم لذى اللحية البيضاء غزو الشرق

توفيق الحـكيم

الشـــريف الرضى

وخصائص شعره

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

الشريف الرضى لا يضارع ابن الرومى فى تحليله المعنى وتقصيه إياه ، ذلك التقصى الذى ساعد ابن الرومى على إجادة الوصف سواء أكان وصفاً لهمسات النفس وخطراتها أو لأوجه الطبيعة والمرثيات. ولا يضارع الشريف أبا تمام فيما يتقنه من فلتات الصنعة النادرة التى تأتى بالأبيات الفـذة الخالبة الآخذة بمجامع القلوب والتى تستهوى القلوب وتشمل الخيال . ولا يضارع الشريف المتنبى وأبا العلاء المعرى ، ولا سيما المعرى فى التفكير فى النفس والحياة ، وأخلاق الناس . ولكن للشريف نصيباً لا يستهان به من هذه الميزات ؛ وهو مع ذلك قد اختص بالشعر الوجدانى . ولهؤلاء الشعراء جميعاً ولغيرهم شعر وجدانى ، ولكنى أحسب أن الشريف بزهم جميعاً فى هـذا الضرب من الشعر . وهو قد أمن ما يعتور ابن الرومى فى بعض الأحايين من الفتور بسبب ما قد يبدر منه من الإفراط فى التقصى والتحليل وتتبع الجزئيات ؛ وأمن الشريف زلل المبالغة فى الصنعة الذى قد يقع فيه أبو تمام إذا أفرط فى حبه للاختراع والتوليد وإتيان ما لم يأت به أحد من التشبيه أو غيره من صيغ الصنعة؛ وأمن الشريف المبالغة غير المقبولة والمماظلة كما فى بعض شعر المتنبى؛ وأمن أيضاً ماقد ترى فى ديوان سقط الزند للمعرى من مبالغات المتأخرين التى لا تعبر عن وجدان صادق. ولو قارنت بين شعر الشريف وشعر معاصريه لوجدت فرقاً كبيراً فى الأسلوب والذوق ، فإن الصنعة كانت قد انتشرت فى عصره وغالى الشعراء فيها من إبعاد فى التشبيه ومغالاة فى المعنى من غير سـيل دافق من العاطفة والوجدان يلبسها لباس صدق الإحساس ، ومن ألاعيب لفظية ومعنوية . وحسبك أن حكيم الشعر العربى المعرى التزم ما لا يلزم فى لزومياته مجاراة لصنعة عصره ، ويولع أحياناً بالجناس وغيره من المحسنات اللفظية التى لا تناسب ما هو فيـه من التفكير والحكمة والجد . ولا عبرة بمـا يقوله بعض المطلعين على الشعر الأوربى من أن الشاعر العـالمى الإنجليزى شكسبير يفعل ذلك ويغرى أحياناً بتلك الألاعيب اللفظية ، فإن شكسبير يفعل ذلك فى غير موضع الجد المؤثر ، وعلى لسان أناس من طوائف خاصة ، أولهم صفات خاصة . والشريف يترفع عن أساليب هذا التلاعب بالألفاظ . ولعل هذا هو ما ينبغى أن يكون ، لأن الشريف شاعر الوجدان ، والتلاعب بالألفاظ يتلف أثر الشعر الوجدانى فى النفس إذ لا يستقيم معه . وإن أطرب التلاعب باللفظ بعض الناس طرباً سطحياً إلا أنه ليس طرب الوجدان والعاطفة . وهذه الألاعيب اللفظية هى نزهة ولعب يلهو به الذكاء فى استنباطها واختراعها ومقارنة معانيها ؛ والذكاء من العقل ، فلا غرو إذا قبله المعرى شاعر العقل لأنه كان سائداً فى عصره ، وإن كان هذا الهزل ضد جده . ولا عبرة بما يقول القائل من أنه أراد أن يلفت بعبثه هذا الناس عن حرية القول والفكر والعقيدة فى بعض شعره كما فعل رابليه الـكاتب الفرنسى فى تغطيته نقده لعقائد رجال الدين فى قصصه بالعبث الصاخب ، وإن كان عبث رابليه مجوناً لا يطيقه المعرى . ولا عبرة بقول من يقول إن المعرى أحس من مرارة نفسه أن الحياة والخليقة وإن كانت مقدسة تدعو من أجـل قداستها إلى مرارة النقد ، إلا أنها مهزلة أيضاً ؛ فهى مهزلة مقدسة كما سماها دانتى الشاعر الإيطالى ، ومن أجل أنها مهزلة أباح هزل الألاعيب اللفظية فى أثناء جد الفكر

ومن أجل أن الشريف شاعر الوجدان كان أقرب شعراء عصره إلى الأقدمين. وكان بدوى النزعة وإن كان قد أخذ بنصيب من الصنعة البيانية لإعظام أثر المناجاة أو النداء أو الاستفهام أو النفى الوجدانى فى شعره ، فإنه يستخدم هذه الصيغ البيانية ويتعرف وسائل الصنعة فى تكرارها وموقعها . ولكنها صنعة طبيعية لا تحس أنها صنعة. وهى لا تنافس الوجدان بل تقوى أثره. وإذا قرأ القارئ له غزله أو رثاءه أو إخوانياته أو تحسره على انحسار الشباب أو مناجاته الديار ظهرت للقارئ آثار هذه الصيغ فى إشباع الوجدان وإقناعه ، فإن الشريف الرضى يشبع الوجدان ويقنعه ويطربه ويستميله بالنداء الوجدانى ، أو الاستفهام والسؤال ، أو النفى أو الإخبار بصيغة التحقيق والتأكيد ، أو الأمر أو المناجاة بأساليب أخرى.. ويفعل الشريف كل ذلك حتى ليخيل إلى القارئ أن لأدوات هذه الصيغ فى شعره معنى ليس لها فى شعر غيره؛ وهو

إذا رأى تلك الأدوات والحروف مثل (يا) أو (الهمزة) للاستفهام أو النداء أو (أين) أو (كيف) أو (لن) أو (قد) عرف أنه يجيد استخدامها لأغراض الشعر الوجداني أكثر من إجادة غيره استخدامها ، فني رثاء أحبابه وأودائه ينادى الدهر فيقول :

(يا) دهر رشقاً بكل نائبة
(قد) انتهى العتب وانقضى العجب
(ردَّ) يدى مااستطعتَ عن أربى (لم) يبق لى بعد موتهم أرب

فنى هذين البيتين استخدم النداء والإخبار بالتحقيق والأمر والنفى كلها بصيغة وجدانية تؤثر فى النفس. فهذه هى الصنعة اللفظية المحمودة لا الجناس والألاعيب اللفظية التى أولع بها معاصروه .

ويخاطب وينادى النظرة ويسأل مع النفى فى قوله :

ذكرتكمُ ذكر الصبا بعد عهده قضى وطرا منه وليس بعائد
(فيا) نظرة لا تملك العين أختها إلى الدار من رملى اللوى المتقاود
(أما) فارق الأحباب قبلى مفارق ولا شيَّع الأظعان مثلى واجد؟

فنى هذه الأبيات استخدم الإخبار ثم النداء ثم الاستفهام المنفى، وهذه صيغ لفظية وصنعة لفظية لا يحس القارئ أنها صنعة؛ وهى صنعة الطبع التى تُقنع الوجدان ، ويتفنن الشريف ويفتن فى مناجاته ومناداته الوجدانية فينادى وقفة الأحباب فيقول : (يا وقفة بوراء الليل أعهدها الخ) وينادى بؤس القرب القصير من الأحباب الذى يعقبه الفراق الطويل فيقول :

فيابؤس للقرب الذى لا نذوقه
سوى ساعة ثم الفراق مدى الدهر

وينادى نفسه ويشجعها على تحمل آلام الحياة ومتاعبها فيقول:

يا نفس لا تهلكى يأساً ولا تدعى
كَوْكَ الشكائم حتى ينقضى العُمُرُ

وينادى الشباب فيقول :

فمن يك ناسياً عهداً فانى لِعَهدِكَ ياشبابىَ غير ناسى
فإن العيش بعدك غير عيش وإن الناس بعدك غير ناس[1]

وينادى بؤس نفسه فى الغزل فيقول :

يا بؤس مقتنص الغزال طاعة ذهب الغزال بلب ذاك القانص
كالدرة البيضاء حان ضياعها من بعد ماملأت يمين الغائص
ما كان قربك غير برق لامع وَلّى النهار به وظل قالص
أغدو على أمل لحبك زائد وأروح عن حظ كوصلك ناقص

(١) أسقطنا أبياتا بين هذين البيتين وهى أبيات مطربة ولكنا أردنا الاختصار

وينادى الحبيب صاحب القلب الصحيح الخالى من الهوى فيقول :

ياصاحب القلب الصحيح أمااشتفى ألم الجوى من قلبىَ المصدوع

ولاحظ أنه لم يكتف بصيغة النداء فى (يا) بل قرن إليها صيغة الاستفهام النفى فى قوله (أما) . وهى ألفاظ إذا جاءت فى كتب النحو كانت ميتة ، ولكنها هنا تثبت حياة كالسمك عند إخراجه من الماء . ويخاطب الشريف السرحة ويرمز بها إلى من يحب فيقول :

إسلمى يا سرحة الحــى وإن كنت سحيقَهْ
أتمنَّى لك أن تبـــقىْ على النأى وريقَهْ
ثمرٌ حَرَّمَ واشيـــكِ علينا أن نذوقَهْ

وينادى بالهمزة فى قصيدته المطربة فيقول :

أمعينى على بلوغ الأمانى وشفائى من غلتى واشتياقى

وينادى طائر البان فى قصيدته المشهورة فيقول :

يا طائر البان غرِّيداً على فنن ما هاج نوحك لى يا طائر البان!
(هل أنت مُبْلغُ من هام الفؤاد به ... الخ)

فانظر إلى أثر (يا) و (ما) و (هل) ، وإلى تلك الصنعة اللفظية التى تقنع الوجدان كل الإقناع . وقد يُقْنع الوجدان أيضاً بالمناجاة من غير أدوات النداء فيناجى الموطن والدار فيقول :

سكنتُكِ والأيام بيض كأنها من الطيب فى أثوابنا تتقلَّبُ
ويُعجبنى منك النسيمُ إذا سرَى
ألا كلُّ ما سَرَّى عن القلب مُعْجِبُ

ويقول :

كأنك قدمةَ الأمل المرجّى علَىَّ وطلعة الفرج القريب

ويقول :

وأهجركم هجر الخــلىِّ وأنتمُ أعزُّ على عينىَّ من طارق الكرى

ويقول :

وإنى لأقوى ما أكون طماعةً إذا كذبت فيك المنى والمطامع

ويقول فى قصيدة مطربة :

فإنْ لم تكن عندى كسمعى وناظرى
فلا نظرت عينى ولا سمعت أذنى

وإنك أحلى فى فؤادى من الكرى
وأعـذب طعماً فى فؤادى من الأمن

ويناجى أيضاً مناجاة وجدانية فيقول :

أنت الكرى مؤنساً طرفى وبعضهم
مثل القذى مانعاً عينى من الوسن

ويقول :

فقلت نعم لم تسمع الأذن دعوة   بَلَى إن قلبى سامع وجنانى

وتراه يستخدم الاستفهام استخداماً وجدانياً مطرباً كاطراب ندائه الوجدانى فيقول :

هل تذكر الزمنَ الأنيقَ وعيشنا   يحلو على مُتَأَمَّل ومذاقِ ؟
وليالىَ الصبوات وهى قصائر   خطف الوميض بعارض مبراق؟

ويستفهم بأين ويناجى فى قصيدته فى ديار الحيرة ، وهى من الوصف الوجدانى المؤثر ، ومن الشعر الذى ينبغى أن يختار له كلما اختير له شعر وجدانى ويقول فى مطلعها :

أين بانوك أيها الحيرة البيـ   ـضاء والموطنون تلك الديارا؟

(المقال بقية)   عبد الرحمن شكرى

لمَ الفرار إلى هنالك ؟

للدكتور بشر فارس

لست بسليم أية سلامة حتى إنى أُعرض عن الاستشفاء ، ولكنى لا أرحل صيف كل سنةٍ إلى أوربة رغبة فى معالجة كبد أو مراقبة قلب . ولست ممن يهوى الحر والسَّموم ، ولكنى لا أرحل طرباً إلى « النسيم العليل » (متى يموت هذا التعبير وأخواته ، يأيها الناس ؟ !) . ولست من يحب أن يقال فيه : « هذا رجل يعود من أوربة »

ولكنى أرحل إليها ... بل أفر إليها .

مما وممن ؟

أتصافينى فأصارحك ؟

أفر من مصر ثم منى ... ومنك .

أفر من مصر لأنَّ لهـا من نفسى موضعاً عزيزاً . ألم يتفق لك (أعانك الله على مصاحبة النساء !) أن تمل صحبة المرأة التى تخصها بوثبات ودك ، وترعاها بلفتات طرفك ، وتحيطها بنبضات قلبك (ولعله باقٍ على خفقانه) ؟ نهاية الحب بنغض أو عياك . ولا بدَّ من القطيعة لصيانة الشوق ؛ والشوق نشاط ، والنشاط حياة

بينى وبين مصر مغاضبة . أريدها أن تقدم رجلاً عازمة إذا مضت قُدُماً وهى تأبى إلا أن ترتاب فى قدر الخطوة التى جرؤت عليها ، كأن الموضع الذى تخطته فردوس (ملتن) . وكثيراً ما تنتقم من الرجل التى تقدمت بالاستواء فى وقفتها أو (معاذ الله !) بالإدبار : نُصب ماثل فى عُرض الطريق والخلق من خلفه يتأملون وأعينهم يُدَغْدِغها النعاس !

لا نزال نحن المصريين نركب قطاراً يذهب بنا ويجئ من موضع منظور إلى آخر معلوم ، فتارة يمهل فى محطة قائمة فى أول « الخط » وأخرى فى محطة فى آخره أو منتصفه . وأما الذى يلى الموضعين شمالاً وجنوباً فغير واقع بعد فى دليل « السكة الحديدية » .

* * *

هذا الصداع الذى بين التوثب والتقبض يفتح باباً عريضاً لأسباب المناقضة والتمزق ، وألوان التناوأة والتشيع ، ثم يروّج البضاعة الخفيفة على صنوفها ويُدخل الغرور فى أنفس أصحابها . فتضيع الموازين وتفتر العزائم الصادقة ويزيغ حكم الجمهور .

وحى الثقافة مثل على ذلك .

الثقافة هنالك (إلا فى البلدان التى يسوسها حاكم بأمره متحمس) واحدة ، لأن برنامج التعليم مجرًى على منهاج واحد . فلا فرق بين قيس وزنديق من حيث القابلية الذهنية ، أعنى من حيث إدراك الأمور . أما تأويل الأمور وحكاية رفضها وقبولها فما يرجع إلى وجهة النظر وميل النفس . ثم لا فرق بين صانع لم يأخذ من العلم إلا طرفاً ، وكاتب كشفت له الثقافة عن أدق أسرارها ، سوى أن هذا ذهب فى التحصيل أبعد من ذاك .

ثقافة معينة أسبابها ، واضحة معالمها ، تتسع الحين بعد الحين باتساع مجال العلم ، ثم مرسومة على قدّ أذهان أهلها .

ومن نتائج هذه الثقافة أن الفكر يظفر بحرية لا تعرف القيد وأن القلم يجرى على هواه . فإذا أصاب المنشئ عيباً عالج به ، وإذا

رأى رأيا بثه غير هياب . فلا تراه يداور فى الكتابة أو يتنصل مما كتب . وإذا انتهى العالم ببحثه إلى حقيقة تصرع القضايا المألوفة جهر بها مطمئن الجانب . وإذا بدا لناقد أن يقول قولاً فى كتاب أو عمل متصل بشئون التهذيب دونه من دون أن يرقب الرضى أو يخشى السخط .

وتعليل ذلك أن الثقافة هنالك منفصلة من الدين ومنزهة عن السياسة. الثقافة مدارها العقل ، أما الدين فأمر إيمان ، وأما السياسة فمسئلة هوى . وكلما بطشت السياسة بالثقافة ألجمتها؛ وكلما مشى إليها الدين حولها إلى مجراه وأرساها عند شطئه .

ومن نتائج هـذه الثقافة أن برنامج التعليم يقصد إلى تهذيب ملكة التفكير لا إلى حشو خلايا الذهن . فالتأدب هنالك يطلب القراءة المفيدة لا القراءة المسلّية ؛ والمنجذب إلى المسرح حقاً يرغب فى المسرحيات التى تقوم عنده مقام غذاء لا تلك التى تهز أعصابه كأنها صورة من الصور المتحركة ؛ والدائب على قراءة النقد ينتظر حكماً معتدلاً يبذل له شيئا من الأمر حتى يستوى له رأى لا إطراء مفرطاً أو ذماً مقيتاً ؛ وطالب العلم إنما يأخذ أساليب التحصيل والاجتهاد رجاء أن يكب على البحث فيا يأتى من الزمان وهو جد عارف أن « مائدة الثقافة لا تقبل طفيلياً » .

ومن خصائص هذه الثقافة أن كل فرد من أهل الأدب يعرف ما له وما عليه . فلا ترى المطلع يهجم على الإنشاء والنقد ، ولا القصصى يقبل على كتابة الرسائل الفلسفية ، ولا الصحافى يتعرض لنقـد المسارح ومعارض الصور ، ولا الدعى يغير على مؤلفات غيره فينتحلها أو يسلخها أو يمسخها ؛ ثم لا ترى الناقد المتزن بصناعته الوفى لها يهمل الكتب الخارجة من المطابع لأن أصحابها من المحدثين، أو لأنهم غير متعصبين له، أو لأنهم أتوا بشىء لم يتوقعه .

ومن خصائص هذه الثقافة أنها تنشىء مثلاً عليا . فالشاعر — مثلاً — يكرم قريحته أن تفيض بما قاله غيره سواء من باب السطو أو من باب التقليد ؛ ثم إنه — إلا فى النادر النادر — يعف عن النظم لرغبة أو رهبة ؛ ثم إنه يحاول ما استطاع أن يميز شعره من شعر أصحابه ، ولا يبلغ ذلك إلا إذا استخرج من وليجة نفسه كنوزها فلا تهويل ولا جلجلة !

تلك أمثال من صدق الثقافة هنالك . وإنما صدقها يرجع إلى وحدتها واستقرارها وسهر أصحاب الأمر عليها . ومن الأمثلة على سهر القوم عليها أن الجوائز والمكافآت الموقوفة عليها إنما تجرى على طريقة مرضية . وقصة ذلك أنها مبذولة للمنشئين الحق ولا سيما المحدثين منهم على أن يؤلفوا كتباً لها شأنها لا لموظفين بينهم وبين الأدب المحض شقاق على الغالب، ولا لأصدقاء وأعوان، وأنها بين أيدى حكام لهم — على الأقل ! — دراية بما يفصلون فيه .

وإليك مثلاً آخر : إن شؤون الثقافة العامة لا تقضى بين جدران وزارة المعارف وفى بهو الجامعة فقط (كأنما الفطنة حصرت فى عقول فئة من الموظفين ، والعلم جمع فى صدور نفر من الأساتذة) . إن حق الأدباء والمنشئين وأصحاب المجلات الرفيعة فى معالجة شؤون الثقافة العامة ليس دون حق أولئك الأساتذة والموظفين .

بقى أن القوم يضعون صاحب الشأن فى موضعه، ويستثمرون ما يجب استثماره، ثم ينبذون من يتوسل بغير الكفاية ويستهزئون بورم الألقاب وطنين الأسماء .

* * *

تلك صبغة الثقافة هنالك . وليس معنى هذا أنها صافية كل الصفاء ، فالخلق هنالك بشر . إلا أن مبادئها سليمة ومجدية

بشر فارس

أغرب ما رأيت في حياتي

للدكتور زكي مبارك

أنا متهمٌ بالعقل ومتهمٌ بالجنون . فمن وصفني بالعقل فهو متلطف ، ومن وصفني بالجنون فهو مسرف . لأني في حقيقة أمرى إنسانٌ يعيش بثورة العواطف فوق ما يعيش بقوة العقل ، وهي حالة تجعل أمرى وسطاً بين العقل والجنون

والتوفيق الذي ظفرت به في حياتي العلمية مدينٌ لحياتي الوجدانية ؛ فقوة الوجدان هي التي حملتني على أن أستقتل في الدراسات الأدبية والفلسفية . وقد يأتي يوم أعترف فيه بالأسباب الوجدانية التي جعلت عقلي يتفوق إلى أبعد حدود التفوق في مثل كتاب النثر الفني أو كتاب التصوف الإسلامي

وهذه الغرابة في تكوين عقلي وقلبي هي التي تحملني على الجرأة في تدوين هذا الحديث ، وهو حديث كنت أفتضح به أشنع افتضاح لو نشرتُه قبل سنتين أو ثلاث ، يوم كان لي خصوم يسرهم أن تحاط حياتي بالأقاويل والأراجيف

أما اليوم وقد قل خصومي بحيث لا يزيدون عن ألف أو ألفين ، فأنا أنشر هذا الحديث بلا تهيب ولا تخوف ، وليقل من شاء ما شاء

* * *

كنت حين انتسبت إلى جامعة باريس أقضي أربعة أشهر من كل سنة في مدينة النور ، ثم أعود إلى وطني لأجمع من الصحافة والتدريس ما أستطيع به الرجوع إلى باريس من جديد . ودام ذلك بضع سنين ، ثم عرفت أني لن أصل إلى غرضي إلا إذا قررت بطريقة حاسمة ألا أفارق باريس إلا في أحد حالين : النصر أو الموت

وكانت الإقامة الدائمة في باريس تبدو من المستحيلات ، لأن أبي رحمه الله لم يكن يقدر على إمدادي بكل ما أحتاج إليه . وكان ما ورثته عن أمي طيب الله ثراها لا يزيد عن بضعة قراريط . وكانت زوجتي أفقر مني ؛ ولم يكن لي في الحكومة المصرية عمٌ ولا خال وفي تلك الظلمات استطعت أن أتفق مع الأستاذ عبد القادر حمزة على مراسلة البلاغ من باريس بمرتب قدره خمسة عشر جنيها ، فتوكلت على الله وقررت الاعتكاف بالقبلة القديمة في السوربون

ولكن مراسلة البلاغ من باريس لم تكن عملاً ينفع إلا في حال واحد : هو أن يشعر صاحب البلاغ بأني أقدم إليه محصولاً أدبياً ينقل القراء من حال إلى أحوال ، فقد كان الأستاذ عبد القادر حمزة اشتهر بين أصحاب الجرائد بأنه يحسن الاعتذار إلى من يريد الاستغناء عنهم من المحررين والمخبرين والمراسلين ؛ وكنت جربت اعتذاراته الرقيقة قبل ذلك حين كنت أحرر في البلاغ الأسبوعي سنة ١٩٢٦ . ولكن اعتذاراته في ذلك الوقت لم تكن تؤذيني لأني كنت مدرساً في الجامعة المصرية ، وكنت بفضل تلك الوظيفة من المياسير

* * *

ماذا أصنع في مراسلة البلاغ من باريس ؟

كنت أستطيع أن أرسل إليه مقالات في الأدب العربي ، وأنا من أقطابه بلا جدال ، ولكن إرسال مقالات عن الأدب العربي من باريس كان ضرباً من السخف يقترفه من يراسل البلاغ من باريس . وهل يعيش الأديب في باريس ليحدث الناس عن ابن المقفع وابن العميد ؟ !

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع لأنجو من تسلُّم خطاب رقيق من خطابات الاعتذار التي يجيدها صاحب البلاغ ؟ ماذا أصنع لأظفر بخمسة عشر جنيهاً أضيفها إلى المبالغ الضئيلة التي أكسبها من الدروس الخصوصية التي أعطيها للطلبة الضعاف في اللغة الفرنسية من أعضاء البعثات ، والنقود التافهة التي آخذها في مقابل المساعدة التي أؤديها لبعض المستشرقين الذين يهمهم أن ينقلوا النصوص العربية إلى اللغة الفرنسية ؟

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟

لم يكن أمامي إلا مسلكٌ واحد : هو الاندماج المطلق في باريس لأحدث قراء البلاغ بأحاديث منتزعة من الحياة الواقعية في باريس

وما هي إلا أسابيع حتى عرف صاحب البلاغ أنه لن يكتب إلى رجل مثلي خطاب اعتذار ، وحتى عرف قراء البلاغ أني أحدثهم بما لم يألفوه ، وأن البلاغ لن يستغني أبداً عن صاحب « الحديث ذو شجون »

* * *

ولكن الانتصار فى هذا الميدان له تكاليف

كان لا بد من الاتصال الدائم بأساتذة السوربون ومدرسة اللغات الشرقية لأظفر بما تساميت إليه من الألقاب العلمية

وكان لابد من معاقرة الحياة فى باريس لأنجح فى مراسلة البلاغ

أما الأساتذة فالظفر بثقتهم سهل ، لأنى فى الواقع من أصلح الناس لفهم ما أسمع من الخطب والمحاضرات ، ولأنى كنت بالفعل شاباً ناضجاً له فى الأدب والفلسفة مذاهب وآراء

الصعوبة كل الصعوبة ، والعسر كل العسر ، هو فى افتراع باريس لأصل إلى أوهام وحقائق أقيّد بها أذواق قراء البلاغ

وكيف أصل إلى هذا الغرض الجليل ؟

هدتنى الفطرة إلى قضاء أوقات الفراغ فى الملاهى والملاعب والمراقص والقهوات ، فكنت أقضى فى هذه النزهة الطريفة ساعات من النهار وساعات من الليل

كنتُ شاباً ، ورحمة الله على شبابى ، الشباب الذى بددته فى طلب الحب والمجد

كنت أذرع باريس بقدمى لأخلق لمقالاتى جوًّا من الحقيقة لا من الخيال

وأعاننى على ما أسمو إليه لسان مرن فى اللغة الفرنسية مرونة عجيبة تقدر على جذب من أحاور من أسراب الظباء

والفرنسيون يغفرون للرجل جميع الذنوب إذا أمدته العناية الإلهية بلسان فصيح

وكان لى فى باريس ثلاث قهوات : قهوة صغيرة جداً فى بوليش بجوار (قهوة الرحيل) التى كان يجلس فيها الدكتور طه حسين يوم كان طالباً فى جامعة باريس

وكانت هذه القهوة الصغيرة مخصصة للمواعيد الغرامية ، والتأملات الفلسفية ، فكيف صارت اليوم ؟ ليتنى أعرف !

أما القهوتان الأخريان فهما الروتوند والدُّوم فى حى مونبارناس

***

كيف كنتُ أصطبح وأغتبق بهاتين القهوتين ؟

كان مفهوماً عندى أن لا سبيل إلى معاقرة الحياة إلا فى مونبارناس

وإنما كان ذلك لأنى كنت أتهيب مونمارتر تهيباً يصل إلى الفزع والرعب ، فقد تشاجرت فيها مع أحد الشبان الفجار فى سنة ١٩٢٧ وكاد اسمى يقيد فى سجلات البوليس لولا لطف الله. وكانت هذه التجربة القاسية كافيةً لأن أقنع بالضلال فى حى مونبارناس

وفى قهوة الدوم وقعت المأساة أو الملهاة التى أدونها فى هذا الحديث :

دخلت ذات صباح فوجدت سيدة تطالع سِفر الوجود بعينين زرقاوين يندر أن يكون لها شبيه أو مثيل

وجلستُ بالقرب من تلك السيدة عسانى أنهب منها نظرة أو نظرتين أستعين بهما على إتمام بعض الفصول من كتاب (سحر العيون) الذى أرجو أن يظهر بعد قليل

وما هى إلا دقائق حتى تلاحظنا برفق وعطف

ثم أشارت بأن أقترب فاقتربت

رباه ! متى تعود أيامى ؟

وبعد أن دار كأس الحديث نحو عشرين دقيقة عرفت أنها من البغايا

أعوذ بالله ، أعوذ بالله ، أعوذ بالله !!!

أمثل هذا الحسن يكون من نصيب الفَجَرة الأوباش ؟

أتكون هذه الحسناء الفتانةُ شبيهةً بالشمس ينعم بضوئها من يشاء ولو كان من الخفافيش ؟

أتكون هذه التحفة الفنية شبيهةً بكرائم الأنهار يشرب منها البهائم والدواب ؟

أتكون هذه العيون السواحر من نصيب من يساعده القدر المخبول فيملأ جيبه بالدراهم ولو كان من الأغبياء ؟

أتكون هذه الدُّمية شبيهةً بالحجر الأصم الذى تسجل عليه حوادث الأفّاقين ؟

ليتنى مت قبل أن أشهد ذلك المنظر الأليم !

ليتنى مت قبل أن أعرف أن مثل ذلك الحسن يباع !

ألك يارباه حكمة فى إذلال هذه الروائع الفنية التى زينت بها الوجود ؟

ارفع الحجاب مرة واحدة ، يارباه ، لأعرف أسرار السياسة العالية التى تسوس بها مخلوقاتك !

وهجمتُ على تلك السيدة الجميلة بعنف فقالت :

اسمع أيها السيد ، ليست الغواية من همى ولا من مناى . أنا امرأة شقية خدعها شاب مثلك باسم الحب ، وكانت ثمرة الحب طفلا هو اليوم تلميذ بمدرسة (. . .) وقد هجرنى الحبيبُ والدُ الطفل وتركنى وحدى أربيه وأرعاه ، فأنا أتسول باسم الحب لأنفق على ذلك الطفل المسكين ، إلى أن يظهر أبوه ، إلى أن يظهر ذلك الوغد الذى هجر معشوقته وطفله منذ سبع سنين . فإن كنت تدعى الرجولة الصحيحة فتقدم لحمايتى ورعاية طفلى ، وسترى كيف أجزيك عطفاً بعطف وإخلاصاً بإخلاص

وما كدت أسمع هذا القول حتى دارت الأرض تحت قدمى

ومن أين أنفق على هـــذه السيدة وعلى طفلها وليس لى من جريدة البلاغ ومن الدروس الخصوصية إلا مبلغ ضئيل من المال لا يزيد على ثلاثة آلاف من الفرنكات ، والحياة قاسية أشد القسوة على الغرباء فى باريس ؟

ثم نظرت فرأيت هذه المرأة تعرض مشروعاً نبيلاً قد رفع روحى بعد إسفاف . فصوبت بصرى إليها وقلت : وكيف أضمن أن تتوبى عن حياة الرجس ؟

فقالت فى استحياء : إن لغرفتى مفتاحين !

فقلت : وما معنى ذلك ؟

فقالت : لك مفتاح ولى مفتاح ، فخذنى لنفسك وراقبنى كيف تشاء ، فإن استطعت أن تشهد علىّ ما يريب بعد اليوم فاقتلنى . والمهم أيها السيد أن ينجو طفلى من الجهل ومن الجوع

وفى تلك اللحظة تذكرت عبد المجيد فغلبنى الدمع

تذكرت أنى تركت فى مصر الجديدة أطفالاً منهم عبد المجيد الذى كان يزعزع كيانى حين يقول (بابا)

— وما اسم ابنك ياسيدة ؟

— اسمه موريس

— هلم بنا إلى التسليم على موريس !

***

قد أنسى كل شئ ، ولكنى لن أنسى طلمة موريس

قد ينسينى الموت جميع ما حفظت من اللغة الفرنسية ، ولكنى سأذكر فى قبرى عبارة باقية فى اللغة الفرنسية حين طلع موريس فقالت له أمه : Embrasse papa

وتوهم الطفل أنى أبوه فقبلنى بحرارة والدموع فى عينيه

— Papa !

— Mon petit !

واستأذنا مدير المدرسة فسلم إلينا الطفل ليقضى معنا ليلة فى مباهج باريس

وسألنى الطفل : أين كنت ؟ فأخبرته أنى توجهت إلى الشرق لزيارة القاهرة وبغداد وبيروت ، واخترعت له أقاصيص تعجبه وتلهيه ، ولم يفتنى أن أحدثه عن أخبار الجن والعفاريت .

وفى تلك الليلة هجر الطفل صدر أمه وسكن إلى صدرى لينام نوم السعداء

وفى تلك الليلة شعرت أن روحى ارتفع إلى أجواز السماء

كان موريس ورث عن أمه الفرنسية صفرة الشعر وزرقة العينين ، وكان ورث عن أبيه الهولندى شمائل من السجاحة واللطف ، وكان فى جملته وتفصيله تحفة من تحف الوجود . وقد وجد من عطفى وحنانى كل ما يتمناه ويشتهيه ، فانطلق يحدث أترابه فى المدرسة بالنعيم الذى يلقاه فى يومى الأحد والخميس

وفرحت مرجريت بما صارت إليه من راحة البال وصفاء النفس بعد الهيام الأثيم بأحياء باريس

ومضت تقترح ما تشاء من المغامرات فعلمتنى الرقص وطوفت بى على المكنونات من صناديق الليل

وبفضل مرجريت عرفت من خبايا باريس ما لا يعرف الشياطين

ولم نكتف بذلك ، بل نقلتنى إلى رُوَان والهافر وأطلعتنى على المستور من شواطئ المانش ، وأقامت معى فى الضواحى النائية أسابيع

والله وحده يعلم كيف عاشرتُ تلك الحسناء ، فلو أنى قلت إنى كنت فى حبها من الأطهار لما صدقنى مخلوق ، لأن سمعتى تعرضت لأخطار كثيرة بسبب التهالك على أخبار الملاح ، ولكن الواقع أنى كنت فى صحبة تلك السيدة رجلاً نبيلاً . وأجمل ما نلتُ منها لم يزد عن قُبلة شهية طبعتها على جبينى حين أخبرتها أنى

متأهل ولى أبناء . وقد قهرتنى على قبول هدية من العطر «الكريم» لأرسلها إلى ابنتى أو زوجتى ، وقد قبلت الهدية ثم ألقيتها خفية فى نهر السين

***

كانت مرجريت متعبة إلى أبعد الحدود

قالت ذات يوم : أنت يا دكتور معرض للسمنة لكثرة ما تشرب من البيرة

فقلت : هذا حق !

فقالت : ما رأيك فى سياحة على الأقدام إلى ليون ؟

فقلت : وفى كم يوماً نصل على الأقدام إلى ليون ؟

فقالت : فى نحو أسبوع

فحملنا أثقالنا واتجهنا نحو ليون ماشيين

وبعد يوم واحد تعبت ، فحملتها على الرجوع بالقطار إلى باريس لیتنی أطعت مرجريت وذهبت ماشياً إلى ليون لأعرف كيف يعيش الناس فى الأقاليم الفرنسية ، ولأجد الأنس بصحبة مرجريت يوم همنا على وجوهنا فى الحقول النورمندية !

كانت مرجريت ضجرت من حياة الفتون

وكنت ضجرت من حياة الفتون

وكنا نشتهى أن نعرف معنى التصوف فى الحب ، وكيف لا نتصوف فى الحب وقلوبنا معمورة بحب الطفل العزيز موريس ؟

***

وبعد أن دام هذا النعيم النبيل خمسة عشر شهراً وصلت إلى ما أريد فى امتحانات مدرسة اللغات الشرقية وامتحانات السوربون ، وصممت على الرجوع إلى أهلى وأبنائى ، ولم يكن بد من توديع مرجريت وموريس

وأى توديع ؟ !

كان من الواجب أن أرد المفتاح إلى مرجريت ، فرفضت والدمع فى عينيها الزرقاوين ، وقالت : احفظ هذا المفتاح فقد تصل على حين غفلة إلى باريس

وكانت مرجريت لا تزال معرضة للفقر والبؤس فوعدتها بإرسال سبعمائة فرنك فى كل شهر لتستطيع الإنفاق على نفسها وعلى ابنها الغالى ، وأنا أفى إذا وعدت

***

كانت الدنيا فى ذلك العهد لا تخيفنى ، وهل يخاف من يرجع مزوداً بأعظم الألقاب من باريس ؟

ولكنى لم أكد أصل إلى مصر حتى عطلت جريدة البلاغ فأرسلت إلى مرجريت أستعفيها مما وعدت ، فكتبت تصفح عنى وتسأل الله أن يفتح لى أبواب الرزق

وما هى إلا مدة قصيرة حتى استجاب الله لدعوة مرجريت فكنت آخذ من الجامعة الأمريكية ثمانية وعشرين جنيهاً ، ومن الليسيه اثنين وعشرين جنيهاً ، ومن البلاغ خمسة عشر جنيهاً بغض النظر عما كنت آخذه من المكتبة التجارية ومن مجلة الهلال

ورأيت أن أزيد مرتب مرجريت فكنت أرسل إليها فى كل شهر ألف فرنك

وعرف موريس فضل « أبيه » فكان يرسل إلى فى كل أسبوع خطابين

حرسك الله ياموريس وكتب لك التوفيق !

***

وفى سنة ١٩٣٣ ذهبت إلى باريس لأحضر مؤتمر (الليسيون لايك) نائباً عن أساتذة اللغة العربية بمعهد الليسيه . ذهبت ومعى المفتاح لأزور مرجريت ولكنى استكبرت عن زيارة مرجريت ، وهل يفكر الأساتذة الكبار فى العطف على امرأة نكستها المقادير؟

ولما رجعت من المؤتمر نقصت مرتب مرجريت من ألف فرنك إلى سبعمائة فرنك ، واعتذرت بأن مواردى نقصت وأنى لم أعد أملك غير التدريس بالليسيه والتحرير فى البلاغ

فكتبت مرجريت تقول إنها ترضى منى بأن أعترف أنها استطاعت مرة واحدة أن تدخل النور إلى حياتى

أعترف يامرجريت بأنك بددت الظلمات فى حياتى

طال العهد على لقاء مرجريت ، وطال العهد على لقاء موريس وحملنى لؤم الطبع على التخلص من مرجريت وموريس ، وهل كانت مرجريت زوجتى ؟ وهل كان موريس ابنى ؟ وهل كنت أول شاب أطاع الغواية فى باريس ؟ يجب أن أقطع المرتب الذى خصصته لمرجريت وموريس ، ولكن كيف ؟

لذلك تاريخ ستراه فى الأسبوع المقبل

« مصر الجديدة » زكى مبارك

وِرد الصباح

للدكتور عبد الوهاب عزام

تنفس الصبح فى غسق الليل ، ولاحت غرته فى جنح السّحَر ، والنور يسيل من ربى الشرق قليلاً قليلاً . ويولد اليوم الجديد

رب فأضىء عقلى بالهدى ، ورغّب نفسى فى الحق والخير ، واملأ قلبى بالأمل ، وقوّ يدى على العمل . اشرح صدرى ، واشدد أزرى ، واشحذ عزمى لليوم الجديد

ربّ ! قد طُويت من عمرى صفحات ونشرت اليوم صفحة ، فاجعل صفحتى هذه أوعى للخير وأحلى من الشر ، وزيّنها بالحق ، وبرئها من الباطل ، واجعل فاتحتها وخاتمتها الإخلاص لك ، والعمل لوجهك

***

ربّ ! إن عقلى يُخدع بالوهم ، ويقنع بالظن ، ويلبس الحق بالباطل . اللهم فاهدنى وثبتنى ، واجعل البرهان الواضح حجتى ، والحق المبين عقيدتى . سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب

ربّ ! إن قلبى يشوبه الهوى ، ويستهويه الباطل ، فخلص اللهم قلبى من الأهواء ، واملأه بحب الحق إنك أنت الحق المبين

رب ! إن نفسى تنزع إلى أن تتزيّد فيما لها ، وتبخس ما لغيرها ، وتُحمد بما لم تفعل ، وتغمط غيرها ما فعل . اللهم فاجعل حق غيرى أحبّ إلىّ من باطلى ، ورضاك آثر عندى من كل شيء

رب ، إن الناس يركنون إلى الدعة ، ويُعذرون فى الواجب ، فاجعلنى دائباً على العمل لا أملّ ، قوّاماً بالواجب لا أعتلّ

رب ، إن الناس ينزعون إلى الظلم ، ويجنحون إلى المحاباة ، ويرضون أنفسهم بباطل يزينونه وحق ينكرونه . اللهم فبغض إلىّ الظلم والمحاباة ، واجعل العدل والحق ملء نفسى وقلبى وقولى وفعلى

رب ، إن نفسى تنزع إلى إرضاء الأقوياء والاستهانة بالضعفاء . اللهم فاجعل الناس سواسية عندى ، واجعلنى حرباً على الأقوياء المبطلين ، نصيراً للضعفاء المحقين ، لا تستطيبنى فى الحق رغبة ولا رهبة ، ولا يأخذنى فى الصدق خوف ولا رجاء

اللهم إن الناس استهوتهم الشهوات وعبّدتهم المطامع ؛ تضلهم الكبرياء ، فيصدفون عن الحق ، وتصرعهم الذلة فيخنعون للباطل . فاجعلنى اللهم متواضعاً لا تزهونى نخوة ، وقوياً لا تأسرنى شهوة ، وحراً لا يعبّدنى مطمع . واملأ قلبى كبراً على السفاسف ، وأنفة من الدنايا

اللهم وقد اشتعلت القلوب أحقاداً ، وامتلأت النفوس ضغائن ، وتقطعت بين الناس الأواصر ، وفرّق بينهم الحسد ، فاملأ قلبى محبة ومودة . وبرئنى من الحسد والحقد . واجعلنى أطهر من أن أحقد وأكرم من أن أحسد

اللهم إن القلوب قست ، والنفوس أجدبت ، والوجوه وقحت ، فاملأ قلبى رحمة لكل إنسان ، ونفسى شفقة على كل حيوان ، وأدبنى بأدبك ، واجعل فكرى وقولى وفعلى براً ورحمة وإحساناً

اللهم واجعلنى طماحاً همّاماً لا تحد طموحى فى الحق غاية ، ولا ينوء بهمتى فى الخير مطلب

اللهم واجعلنى فى الحق جريئاً لا أخاف ، ومقداماً لا أحجم ، ومحارباً لا أجبن ، واجعلنى عدواً للباطل جريئاً عليه ، محباً للحق خاضعاً له

اللهم اجعل لى من ذكرك قرباً وأنساً ورجاء وثباتاً . اللهم إنى أستقبل يومى مؤمناً بك متوكلا عليك ، مخلصاً لك ، مجاهداً فيك ، راغباً إليك مستمداً منك

فأضىء عقلى بالهدى ، واملأ قلبى بالأمل ، ورغّب نفسى فى الحق والخير ، واشرح صدرى ، واشدد أزرى واشحذ عزمى لليوم الجديد

سبحانك لا إله إلا أنت الحق المبين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

عبد الوهاب عزام

رد على نقد

القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

أحس أن على ديناً لقراء الرسالة يجب الوفاء به ، فقد كنت وعدت إذا زال الحائل الذى كان يحول بينى وبين الكتابة أن أعود فأفصل ما أجملت فى خطابى الذى نشرته الرسالة وتقيدت فيه بذلك الوعد . وما أجملته هناك وأريد الآن تفصيله ، هو أن ما فهمه الأستاذ (قارئ) من بعض كلامى ، وانتقده فى مقالاته « الدين والأخلاق بين الجديد والقديم »(1) شىء آخر غير ما أردته بما كتبته ، وأزيد الآن أنه شىء آخر غير ما تفيده تلك الكلمات

وليس الذى يدعونى إلى الكرة بعد تلك الفترة مجرد حب الوفاء ، ولا مجرد الرغبة فى أن أبين أنى أصبت ولم أخطئ ، فالإنسان يخطئ ويصيب ، ولا غضاضة على المخطئ ما دام يخلص النية ويبتغى وجه الحق . إنما أكبر ما يجعلنى أحرص على الرد هو الرغبة فى تصفية مسألة القديم والجديد مرة أخرى — فقد صفيتها قبل ذلك فى بعض فصول كتابى النقد التحليلى — ليتبين وجه الحق فيها عسى ألا يعود أحد ينخدع بما بين لفظى القديم والجديد من تفاوت ، فيؤثر فى المعنويات الجديد لجدته على القديم لقدمه ، كما تعود أن يؤثر فى الماديات الجديد على القديم فى المأكل والمسكن واللباس

والنقد الذى كتبه الأستاذ (قارئ) ، وصدر فيه عن أدب جم موجه إلى كلمتين اثنتين من كلامى : إلى الكلمة الأولى التى قدمتها بين يدى ما كنت أريد من كتابة حول أدب الرافعى ، وإلى بعض الكلمة السابعة التى جعلتها خاتمة تلك الكلمات . ويظهر أن الأستاذ حين بدأ يكتب ، كتب عفو الساعة من غير أن يرجع إلى الكلمة المنقودة وإلى أخواتها إن لزم ليستوثق من أن المعنى الذى فى ذاكرته هو حقا المعنى المقصود بالكلام المنقود ، فقد كان مر على الكلمة الأولى المنقودة بضعة أسابيع حين كتب الأستاذ

ثم يظهر أن تلك الكلمة الأولى من كلماتى صورت مسألة القديم والجديد صورة غير مألوفة . فلم تقصرها على ميدان الأدب ولكن عدتها إلى ميدان الاجتماع ، ثم جعلت من الميدانين ميداناً واحداً ، ومن حركة النزوع إلى الجديد فى كل منهما حركة واحدة تشملهما جميعاً هى حركة الانصراف إلى جديد الغرب ولو استلزم ذلك الانصراف عن قديم القرآن

لكن هذا التصور أقرب إلى صميم الأمر وإن كان تصوراً غير مألوف . غير أن قربه من الحق لا يتبين حتى تتبين حدود تينك الحركتين الأدبية والاجتماعية اللتين رُكّبتا معاً فى حركة واحدة حين صُوّرنا ذلك التصور

وأول هذه الحدود وأوضحها أن تكون الحركة العلمية أو الصناعية غير داخلة فى تينك الحركتين ، فإن الأدب والاجتماع غير العلم والصناعة بالبداهة . وإذن فلا محل للرجوع بحركة الجديد إلى عهد محمد على كما يريد الأستاذ (قارئ) لأن عهد محمد على فيما نعرف لم يأخذ عن الغرب إلا علمه وصناعته ، ولم يمس النظم الإسلامية الاجتماعية فى كثير ولا قليل

وحد آخر من حدود حركة الجديد التى أردناها : أن روحها يخالف روح الإسلام فى الصميم . من أجل ذلك أخرجنا منها حركة التجديد التى قام بها الإمامان جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده كما هو صريح مقالنا الأول الذى نقده الأستاذ من الذاكرة من غير رجوع إليه . وهذا الحد الثانى كاف وحده فى إخراج عهد محمد على مرة أخرى من نطاق البحث ، وإخراج كل حركة جديدة تتفق مع الدين

وحد ثالث من حدود حركة الجديد التى أرخنا لها : أنها حركة أفراد لا حركة حكومات ، اللهم إلا أن تكون حركة الحكومة نتيجة من نتائج انتشار حركة الأفراد كما حمل أصحاب الحركة النسوية مثلا الحكومة المصرية على تحديد سن الزواج . ولم يخطر ببالنا أن ننبه بهذا الفارق حين كتبنا ما كتبنا ، لأننا أولا لم نكن بصدد التاريخ للجديد على إطلاقه ، ولكن كنا بصدد الكلام على حركة صارت بعد مذهبا اعتنقه أفراد دعوا إليه وثاروا على دعوتهم حتى انتشرت وصار لها من السلطان ما لها اليوم — ثانيا — كان واضحا من سياق ما كتبنا ومن الظرف الذى دعا إلى الكتابة ومن بعض عبارات فيها مثل : « ومسألة القديم والجديد عمرها لا يكاد يزيد على ثلاثين عاماً آثارها فى الناس نفر تثقفوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأكثرهم من الثقافة الاسلامية نصيب مذكور .

---

(1) انظر الأعداد ١١٤٣ ، ١١٨٤ ، ١٢٩٧ ، ١٢٦٧ ، ١٢٢٨ ، ١٣٤١ ، ١٤٤٧ (من الرسالة)

وهذا ، وغيره لا يدع مجالا للشك فى أن المقصود هو مسألة القديم والجديد التى ثارت بين الناس والتى لا تزال موجودة بيننا فهذا الحد الثالث كاف هو أيضا لأن يخرج من نطاق البحث كل حركة لم يقم بها فرد أو أفراد ولم يعتنقها جمهور من الناس . وإذن فالحركة التى قصدنا بالنقد والتى قدرنا عمرها بثلاثين عاما هى حركة قائمة بيننا الآن لا ترجع إلى عهد نابليون فى مصر ولا إلى عهد محمد على ولا إلى عهد اسماعيل ، ولكن ترجع فى رأينا من الناحية الأدبية إلى العهد الذى كان هيكل وأمثاله يكتبون فيه فى « الجريدة » ، ومن الناحية الاجتماعية إلى العهد الذى كتب فيه قاسم أمين وأصدر فيه كتابيه « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة »

والعهدان فى الحقيقة عهد واحد يظلهما زمن واحد هو زمن اشتداد الحركة الوطنية الأولى حوالى ١٩٠٨ أو قبلها بقليل . ومن هنا أمكن تقدير عمر واحد للحركتين اللتين بدأتا فى الأدب والاجتماع حوالى ذلك التاريخ ، واللتين جعلنا منهما حركة جديدة واحدة عمرها بالطبع عمرهما ، وهو تقدير طبيعى كما ترى لا عوج ولا تكلف فيه

والأستاذ قارئ لم يأخذ علينا مخالفة للواقع فيما يتعلق بالحركة الأدبية من تقديرنا ذلك، فهو يوافقنا فيه وإن كان بعض ما كتب فى مقاله الخامس[1] يدل على أنه يميل إلى جعل عمر حركة الجديد فى الأدب أقل من ثلاثين . أما من الناحية الاجتماعية فإن التأريخ لحركة الجديد فيها بظهور كتابى قاسم أمين أمر معقول . فقبل قاسم لم يَدع مسلم فى عصرنا الحديث إلى جديد فى هذا الميدان ، ولم يحاول مسلمٌ أن يدعو الناس فى ميدان الاجتماع إلى مخالفة ما جرى عليه العمل فى زمن الرسول صلوات الله عليه فى مسألة الحجاب مثلاً والسفور . وإذا كان هناك من المسلمين أو غير المسلمين من سبق قاسماً إلى مثل ما دعا إليه فإنه لم يترك أثراً فى الناس فى مصر كما ترك قاسم ، ولم يستهو نفراً إلى مذهبه كما استهوى ، ولم يبدأ حركة كبرت بعده حتى جاوزت كل ما كان يدور له فى حسبان . فقاسم أولى الناس بأن يُبدأ بكتبه تاريخ حركة الجديد مما يخالف الإسلام فى ميدان الاجتماع

والحركة التى بدأها قاسم لم تكن لتبلغ ما بلغت وتستشرى كما استشرت لو لم تجد من الحركة الجديدة فى الأدب مؤيداً وظهيراً . فإنك إذا تتبعت الحركتين وجدتهما سائرتين جنباً لجنب تأخذ إحداهما بيد أختها تقيها العثرة وتثبتها فى المترك ، وإنك لواجد أن الصحف التى ظاهرت إحدى الحركتين هى نفس الصحف التى ظاهرت الأخرى ، وأن أنصار الجديد فى الأدب كانوا ولا يزالون هم أنفسهم أنصار السفور من قبل وأنصار الاختلاط وما إليه اليوم. كانت الجريدة فى مبدأ الحركتين لسان الدفاع عن كلتيهما والدعوة إليهما، ثم كانت جريدة «السفور»، ثم «السياسة»، ثم «السياسة الأسبوعية » وغزا أنصارها الصحف الأخرى وخلا لهم الجو لما غاب « المؤيد » و « اللواء » ، وصارت الدعوى الجديدة هى البدع و « الموضة » فمن لم يقل بها عن نية واعتقاد قال بها كيلا يوصف بالرجعية والجمود . وليس يهم الآن تعليل ذلك ، إنما المهم توكيد ما كان بين الحركتين من اتصال وتلاقح وتعاون، فالحركة الجديدة فى ميدان الاجتماع أعقبت لوناً جديداً من الأدب لم يكن موجوداً قبلها يصح أن يسمى بأدب السفور ، والحركة الجديدة فى ميدان الأدب مهما يكن أصل نشأتها . قد امتزجت بعد بالحركة الاجتماعية الجديدة التفاقة واستوحت منها أكثر وحيها لأن روح كل منهما مستمدة فى صميمها من روح الغرب لا من روح الإسلام . ومن يكن فى شك من هذا فليرجع مثلاً إلى مجلدات « السياسة » و « السياسة الأسبوعية » قبل ظهور كتاب « حياة محمد » ، فسيتجلى له المذهب الجديد فى الأدب والمذهب الجديد فى الاجتماع قد اتحدا فى حركة واحدة شاملة تنبض بروح الخلاف للاسلام ، لأن أصحابها لجهل أكثرهم بالإسلام صدّقوا ما زعمه لهم الغرب من أن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين

وإذا كان من رجال الحركة الجديدة فى الأدب من لم يناوئ الإسلام مع الغرب ومشايعيه من أهل الحركة الجديدة فى الاجتماع فلم يتخذ من وحيها وحيه فى كتاباته ، ولم يجر معها إلى آخر الشوط الذى جرت وتجرى إليه ، فإن هؤلاء نفر جد قليل . والناظر إلى صميم الأمر لا يستطيع أن يحكم على حركة إلا بما يغلب عليها ، وسيجعل لذلك القليل مخرجاً إن أمكنه ولو بتقسيم آخر . ونظن أننا فعلنا ذلك بالحد الثانى من الحدود التى فصلناها آنفاً ، وبما سنبينه إن شاء الله فى مقال تال

محمد أحمد الغمراوى

---

(١) نشير إلى قوله « ولو أنا رجعنا إلى ما ألف من المقالات والكتب منذ ثلاثين سنة ما وجدنا أثرا لهذا الاصطلاح : أعنى اصطلاح تقسيم الأدب إلى جديد وقديم ، وإنما كان الشعراء الذين يسمون الآن أدباء المذهب الجديد يدعون إلى نبذ شعر الغزل المتكلف الخ »

تحيـــة الرسالة

في عامهـا السـابع

للأستاذ محمود الخفيف

أشهى منَ الوَرْدِ ومن نشرِه   ولمحةِ الفِرْدَوْس من سِحْرِه
ومن رُواء الكون مُستشرِقاً   لرائعِ المنهلّ من فجْرِه
ومن جبين الصُّبح في مهْدِه   وذائبِ الطَّلّ على ثغرِه
تجاوبُ الأنفسُ مسحورةً   سواجعَ الأبكار من طيْرِه
ومن رؤى الحلمِ وأطيافِه   ويقظةِ الرُّوح على ذِكْرِه
ومن بسمات العيد في صحوةٍ   تزيدُه بِشْراً على بِشرِه
صحيفةُ المشرق في جلوةٍ   تُريك معنى البَهْر من سِرِّه
رسالةُ الجيل على ومضها   يستقبلُ النابهَ من عصرِه
صباحُها اللمّاحُ يُوحي له   فينشقُ الآمالَ في عطرِه
يلتفتُ الشرقُ إلى عيدها   فيستثيرُ العيدُ من فخرِه
تهزُّه من أمسِه لمحةٌ   تبتعثُ الذاهبَ من كِبْرِه
ويزدهيه المجدُ في يومِه   ووثبةُ المُفلتِ من أسرِه
يسابقُ العصرَ إلى غايةٍ   تُنسيه ما يلقاه في سيرِه
سيري عروسَ الشرق مَوْموقةً   على هُدى السالفِ من دهرِه
ثوري على الجهلِ وأسبابه   وحرِّري الأعناقَ من نيرِه
وجنّبي المشرقَ ما غرَّه   من زُخرُفِ العصرِ ومن زُورِه
ومن سرابٍ ظنّه كوثراً   لو لم يكنْ صدْيانَ لم يغرِه
ومزّقي الوهمَ فكم مسّه   فباتَ مغلوباً على أمرِه
ما كانَ لولا الذُّلُّ يرضى بما   أسدلَه الباطلُ من سِترِه
هاتي من الشرقِ أحاديثَهُ   وأيقظي الذاهلَ من سُكرِه
قصّي عليه الحقَّ كيف انجلتْ   آيتُه الكبرى لدى بدرِه
وحدِّثي الغافلَ عن مجدِه   عن (خالد) الشرقِ وعن (عَمْرِه)
ويُمنِ (هارون) وإقبالِه   ومُلكِ هارون على بُترِه
مآذنُه الحقّ على صوتِها   لم يبقَ ذو وَقْرٍ على وَقْرِه
ترنُّ في المشرقِ أصداؤها   من أربُعِ الهند إلى مِصْرِه
بغدادُ لا تنفكُّ تهفو لها   كما هفا الرَّوضُ إلى قَطْرِه
كم أطلعتْ آفاقُها أنجُماً   هم في سماء الشرقِ من زُهْرِه
وجارةُ الوادي تصوغُ الهوى   عِقداً يغارُ الزهرُ من طُهرِه
شبابُها الأحرارُ كم بينهم   من عُدّةِ الجيل ومن ذُخرِه
صحيفةُ الشرقِ قد ألفتْ   أشبالَه الغُرَّ على نصرِه
دعامةُ الفصحى وبرهانُها   تدعو إلى الله على أمرِه
ما نسيَ الشرقُ لها عزمَها   في حُلوِ ما تلقى وفي مُرِّه
ما حفلتْ يوماً بغير العلى   ولم تُجِبْ غِرّاً على هُجْرِه
كم نابهٍ مدَّ لها كفَّه   بالرائقِ السلسال من فكرِه
وناهضٍ لولا أيادٍ لها   مرَّ به العصرُ ولم يدرِه
وساجعٍ في ظلّها رقرقتْ   روائعَ الآياتِ من شِعرِه
وناثرٍ بنانُه ساحرٌ   ترى بديعَ الوشيِ في نثرِه
ومُبدعٍ في الفنّ هشّتْ له   فجاء بالمُعجِبِ من بِكرِه
ومُلهَمٍ يحكي عهودَ الهوى   فتسكرُ الألبابُ من خمرِه
صحيفةٌ يبسُطها أروعٌ   في سرِّه الصدقُ وفي جهرِه
ألقت له الفصحى مقاليدَها   فجاء بالمُعجزِ من دُرِّه
كم غايةٍ في الفنّ دانتْ له   طوعاً وقد عزّتْ على غيرِه
لا تبلغُ الأحقادُ من نفسِه   ولا ينالُ الغدرُ من صبرِه
لا عُسرُه يثنيه عن قصدِه   ولا يُسيغُ الزهوَ في يُسرِه
حياؤه أجملُ أوصافِه   ولا يدقُّ المكرُ عن مكرِه
بيانُه سمحٌ إذا ساقه   لا ينفذُ الغِلُّ إلى صدرِه
يبني على الأخلاقِ من مجدِه   ما تعجزُ الأحداثُ عن قهرِه
لا زال يُوليه الهدى نورَه   وترفعُ الأيامُ من قدرِه

الخفيف

وحي العام الجديد

إلى أين نسير
بين التفاؤل والتشاؤم
الأستاذ محمد حسن ظاظا

« أم ترى نحن هنا — كما يقول غرورنا — لنلعب على مسرح الحياة دورنا الخالد ؟ » جوفروى

انتهى عام وبدأ عام جديد ، وانتهت من قبل أعوام وبدأت أعوام جديدة ، وستنتهى غداً أعوام لتبدأ من بعدها أعوام جديدة ؛ فإلى أين نسير وإلى أى مصير ؟ أترى ندور فى حلقة مفرغة يتصل أولها بآخرها وآخرها بأولها ، فلا يمضى عام إلا ويتلوه عام آخر ، ولا ينقضى خلق إلا ويخلفه خلق آخر ؟

لشد ما يحار الإنسان عند ما يسأل نفسه هذا السؤال فى مطلع كل عام ! ولشد ما يجد الحياة حوله لغزاً معضلاً يستعصى على الحل ، ولا ينفرج فى ناحية إلا ليتعقد ويضيق فى النواحى الأخرى !

ولقد وقف هذا الموقف بالأمس الأستاذ Jouffroy فراح يتساءل أمام تلاميذه « بالسربون[1] » عن الغرض من حياتنا تحت الشمس ، وعن معنى الدور الذى نلعبه على مسرح العالم . وراح يعدد الظروف التى تستثير فى نفوسنا هـذا الموضوع ، والنظرات التى تلقيه على مسامعنا ؛ ونحن نورد لك اليوم موجزاً لأقواله ، ثم نعقب عليه بما نريد

يقول[2] : « لا يكاد يصل الإنسان إلى هذا السؤال إلا أخيراً ، ولكن مشاغل الحياة لا تلبث مع ذلك أن تصرفه عن التفكير فيه ؛ والناس حياله سواء ، عالمهم وجاهلهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وسعيدهم وشقيهم ؛ فليس من واحد منهم يصدمه حادث أليم إلا ويغيم على ذهنه ذلك السؤال المحزن « لماذا نحن هنا ؟ وما معنى هذا الدور الذى نلعبه ؟ »

ثم نحن ندخل الدنيا ونفوسنا مليئة بالآمال والشهوات والرغبات ، وتدفعنا هذه النفوس النهمة الجائعة إلى تحقيق إرادتها وسعادتها ، فيقف العالم أمامنا ليحارب تلك الإرادة بكل مايستطيع ومن هنا نقاسى ألم الحرمان ونسخط على حياة وجدنا فيها نهمين نريد أن نشبع وتريد الأقدار أن نجوع !! ولكنا نميل مع ذلك إلى اتهام أنفسنا فنتحلى ونتخلق بالصبر والقناعة والرضى إلى أن تنحط علينا كارثة هائلة ، فنفتح أعيننا من جديد لنرى آمالنا المتلاشية ، ولنصرخ من أعماق قلوبنا المجروحة ، وعقولنا المتزلزلة ، ولنتساءل فى لوعة وأنين : « ترى لمَ نحن هنا على ظهر الأرض ! »

وليس لمآسى الحياة وحدها الإصبع الأكبر فى ذلك السؤال ، فإن لسعادتها أيضاً إصبعاً بل أصابع كثيرة . ذلك أنا نسعد فى المبدأ عند ما نحقق رغبة من رغباتنا ، ولكن إذا ظلت سعادتنا وقتاً طويلاً — وقلما يحدث هذا — فسرعان ما تخبو نارها ، وتنمحى روعتها ، ويقل شعورنا بها شيئاً فشيئاً ، وينقلب على مر الأيام إلى كره فتورة وسخط ، لأنا لا نجدها حينذاك كافية لمطامعنا ومحققة لجميع آمالنا ، ومن ثمّ نرى الحياة عاجزة عن إشباع رغبة السعادة فينا ، فنشعر بأن مسراتنا أوهام ، ورغباتنا فخاخ نحن أول من يقع فيها . ولا نستطيع أن نتهم أنفسنا هنا كما نتهمها أمام المآسى لأن السعادة بين أيدينا ؟ !

ثم نحن نبدو فى المدن كأعظم المخلوقات فنمتلئ شجاعة وثقة وغروراً ، ولكن عند ما نخرج إلى الطبيعة المكشوفة ، ونجد أنفسنا وحيدين أمام سماء لا نهائية ، وأفق تتلوه آفاق ، وجبال شامخة هائلة ، ونجوم عديدة لا تحصى ، وقرى تختفى فى غابات ، وغابات تختفى فى فضاء الطبيعة ، بل وعند ما نرى أن هـذه الدنيا تسبح فى هواء الكون مع عوالم أخرى كثيرة ونحن حيالها لا شيء ، ألا ننسى حينذاك سعادتنا وشقاءنا ، ونروح متسائلين : « أين نحن من العالم وما دورنا فيه ؟ »

وحينما ننظر فى تاريخ البشرية ، ونعرف أنها جاءت عارية

(١) عاش الأستاذ جوفروى من سنة ١٧٩٦ إلى سنة ١٨٤٢ م وقد افتتح منهج الأخلاق بالسربون فى عام ١٨٣٠ — ١٨٣١ بالمحاضرة التى نوجزها ونعلق عليها فى ذلك المقال . أنظر « قضية المصير الانسانى » فى الكتاب الفرنسى « لالاند » واسمه « مطالعات فى فلسفة العلوم »

(٢) لقد حاولنا أن نبسط آراءه موجزة ونتناسى طابعها الأصيل بقدر المستطاع .

أو شبه عارية ، ثم قامت منها شعوب ، وقام بين هذه الشعوب نزاع فساد الفرس أولاً ثم الأغريق ، ثم الرومان ، ثم البرابرة ؛ بل وحينما نذهب إلى الأصقاع المجهولة فى شمال آسيا وأواسط أفريقيا وأمريكا ، وجزر المحيط ، لنجد فيها قوماً يختلفون فى اللغة والفكر ولا يعرفون مثلنا لماذا خلقوا ولا من أين أتوا ؛ عند ما ننظر فى ذلك التاريخ البشرى بليله البهيم، وفى الأجناس كفاحها وصراعها، ألا نشعر بغموض هائل يكتنفنا من كل ناحية ؟ أما هذه الإنسانية التى نحن جزء منها ؟ من أين أتت ؟ وأيان تذهب ؟ أترى هى كأعشاب الأرض وأشجار الغابات تخرج من التراب وإليه تعود ؟ أم ترى هى هنا — كما يقول غرورها — لتلعب على مسرح الحياة دورها الخالد المحتوم ؟ وأى دور ذاك وما عسى أن يكون ؟ لقد سقطت المدنية الشرقية تحت أقدام المدنية اليونانية ، كما سقطت المدنية اليونانية تحت أقدام المدنية الرومانية ، وكما سقطت هـذه الأخيرة تحت أقدام المدنية الجرمانية ، فترى أى مصير سيكون لهذه الأخيرة ؟ أهو الانتصار المحتوم ثم السقوط كما حدث لسابقتها؟ وماذا يكون دور الإنسانية إذاً ؟ أهو الدوران فى حلقة مفرغة ؟ أم هو الترقى والتقدم ؟ وأين الترقى والتقدم من وحشية الحروب وفظاعتها ؟ وهكذا يحار الإنسان كثيراً وسط هذه الغيوم فيتساءل عبثاً عن القانون الذى يسوق قطيع البشرية بهراوته من أصل مجهول إلى مصير مجهول !

ثم « العلم » بماذا يحدثنا ؟ إنه يقول إننا مجرد حلقة فى سلسلة المخلوقات ! ؛ فالأرض قد استعمرت فى المبدأ بالنباتات الضخمة التى لا تقارن بها نباتاتنا ، والتى لم تكن لتظل بأوراقها الواسعة العريضة كائناً ما ! ، ثم جاءت ثورة جارفة هدمت تلك الخليقة الأولى كما لو كان خلقها عبثاً ، وأحلت محلها خليقة أخرى هى الزواحف والأسماك ! ! ثم جاءت من بعـد هذه خليقة ذوات الأربع الهائلة فمهدت الطريق للانسان الذى طفا أخيراً على السطح كحلقة فى سلسلة سابقة ! وقد عاشت كل خليقة من هـذه الخلائق السابقة على الأرض كما نعيش الآن ، فلم لا يأتى يوم ننقرض فيه وتصبح عظامنا أمام الخلائق الجديدة مجرد حفريات ضخمة شائهة تحويها المتاحف وتعجب منها العقول ؟ ؟ إننا حلقة بين حلقات مجهولة ناقصة ، وقد خرجت هذه الحلقة لتتحطم بدورها كما تحطمت أخوات لهـا من قبل ، فمن نحن إذاً ؟ وأى حق لنا فى الأمل والغرور ؟ ؟

فى كل مكان إذاً حدود . وفى كل مكان ظلام وعجز وألغاز تتلو ألغازاً ! ونحن نجد أنفسنا متسائلين وحائرين كلما وقعنا تحت تأثير هذه الظروف ، وكم منا قد انتحر إزاء هذا المشكل الكبير!، وكم منا قد لجأ للعقائد التقليدية ليقنع بما فيها من أقوال ووعود ، ولكن خيط حياتنا لا يفتأ يهتز ويتذبذب كما تساءلنا فى حزن وأسى عن أصلنا ودورنا ومصيرنا المحتوم ! !

ولكن الأمر يبدو بالرغم من ذلك كله أهون مما ظن ! وذلك لأن الحياة والموت . والسعادة والشقاء ، وعظم الخليقة وظلام التاريخ ؛ كل ذلك وإن أحزن القلب والعقل والضمير فهو يتحدث إلينا بألف لسان ليثير ثورة جرفة تصد اليأس ، وتذود النوم ، وتدفع الإنسانية إلى البحث الشاق الطويل[1] !!.

* * *

إلى البحث الشاق الطويل ؟ أجل إلى البحث الشاق الطويل ! وإذا كانت الأديان قد وفرت علينا مشقة الحل فما ينبغى لعقولنا النورانية أن تقف عند حد أو أن تقنع بالقليل . ولن يضيرنا أن نكون حلقة فى سلسلة مجهولة الأطراف . فحسبنا أننا نعيش لنلعب دورنا المحتوم فى الحلقة التى نعيش فيها ، ولن يضيرنا أن نتعرض فى حياتنا للكوارث والآلام، فحسبنا أن نعلم أن قانون الحياة صارم على الجميع وأن مجدنا وعظمتنا فى التحمل والكفاح والصراع أكثر مما هما فى الدعة والسرور واللين . ومهما يكن شأننا ضئيلاً فى الكون الهائل المخيف فلا شك أننا نستطيع أن نسمو بعقولنا وقلوبنا إلى عليين ، وأن ندرك كل عام من أسرار الحياة والوجود ما يقيم لنا وزناً فى العالم المجهول . وإذا كان العلم يشير إلى سلسلة متدرجة مترقية فى المخلوقات فلنسأل أين كالنا نحن البشر وما عسى أن يكون دورنا الحق فى الوجود ؟ وإذا كانت ميزتنا الكبرى قائمة فى « العقل » كما يقول أرسطو فلا مندوحة لنا من جعله يمتد بأشعته إلى سر الحياة والكون

(١) نهاية موجز الأستاذ جونروى

ليأتينا منه كل عام بجديد فى نواحى ذلك الثالوث المقدس، ثالوث الحق والخير والجمال . ومهما يكن من شأن النكوص العارض فى خط السير فلا شك أننا تقدم جميعا تلك الخطوات الهائلة التى قطعتها الانسانية منذ فجر التاريخ إلى اليوم نحو التقدم والمدنية والنور . فاليوم علم بعد جهل ، وديموقراطية بعد عبودية واستبداد ، وسلام بعد حروب وغارات ! أقول « سلام » وأعلم تماما ما سوف تقول ! وأين السلام من تلك الشعوب المتناصرة المتنابذة التى يحفر كل منها للآخر هوة سحيقة للموت الداهم الفظيع ؟ ولكن رويدك فالفكرة موجودة ، وتزداد بحرارة الخطر اختمارا ، حتى إذا انفجر البركان وأصاب الإنسانية منه أقصى سعير استوت على عرشها وسادت سيادة أنجح وأضمن كما سادت بالأمس القريب فكرة تحرير الرقيق بعد قرون الذل والعبودية والانحطاط !

إلى الكمال إذاً نحن نسير ! إلى كمال الحق والخير والجمال ؛ ولا تفاضل بين الأجيال إلا على ذلك الأساس . ولا ينبغى أن تكون لنا غاية غير هذه الغاية ! ولا يجوز أن نقيس حياتنا أفراداً وجماعات إلا بهذا المقياس . ولئن كان مقدراً للأجيال ألا تبلغ ذلك الكمال المثل فإنما شاء الله ذلك لكيما تبقى للانسانية غاية تعيش من أجلها وفى سبيلها تموت . فلننظر إذاً أى قدر من ذلك الكمال قد تركته لنا الخلائق والأجيال الماضية تراثا ثمينا مجيدا ، ولنعرف كيف نصونه ونحافظ عليه ونسلمه لأبنائنا وديعة كريمة جميلة ؛ ثم نفكر فى ماذا عسانا نستطيع أن نزيد عليه من الحق والخير والجمال كما فعلت الأجيال السابقة ليبقى ما نزيده ناطقا باسمه على مر الدهور والأجيال

أجل يجب أن نفكر فى ذلك ونسعى فى تحقيقه ونحاسب أنفسنا بصدده عند مطلع كل عام جديد

ويجب على هذا الأساس أن نرحب بالعام وأن نتفاءل بمقدمه ، وأن نرجو الله داعين منيبين أن يكشف فيه للانسانية عن درجات أخرى من سلم ذلك الكمال المنشود

محمد حسنى ظاظا

مدرس الفلسفة بمدرسة الخديو اسماعيل الثانوية الأميرية

قلت لنفسى ...

إن مبدأ الإسلام ، إقرارُ السلام ؛ ومع ذلك لجأ إلى القوة وأخذ بنظام التسلح ، فشرع القتال ثم قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... » ومن قبلُ جاءت المسيحية عزوفة النفس زهيدة العين تسل المفوعن الجارم ، وتبيح الخدين للاطم ، وتترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؛ ومع ذلك قال المسيح : « ما جئت لألقى سلاماً بل حرباً »

فهل معنى ذلك إلا أن القوة هى شريعة الله يحفظ بها سلام العالم ، ويقر عليها نظام الحياة ، ويدفع بها بعض الناس عن بعض حتى لا تفسد الأرض ؟

لقد جأرت أوربا كلها ليلة عيد الميلاد بنشيد المسيحية الشرقية : « وعلى الأرض السلام » حتى جفّت الشفاه ، وبحت الحناجر ، ثم أصبح الناس فإذا إيطاليا بلد البابا تحشد الجيوش إلى حدود الصومال ، وفرنسا تجيب على التحدى بجنود السنغال ، وهتلر وجون بول يقفان متحفزين متلاحظين : هذا من وراء الديمقراطية ، وذاك من وراء الدكتاتورية !!

فهل يحسب الذين يثبطون مصر عن إرصاد الأهبة وإعداد القوة، بحجة ما تكلف من المال، وتجشم من الأعمال، أنهم يطيعون الله ويخدمون الوطن ؟

ابن عبد الملك

للتاريخ السياسي

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

كان يوم الجمعة ٣٠ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٨ يوما تاريخيا هاما مغيراً تغييراً رئيسيا لوضعية أوروبا الدولية، ولاتجاه السياسة الغربية، إذ به تم اتفاق الدول الأربع (في مونيخ) على حل المشكلة التشيكوسلوفاكية حلا لم يتوقعه أحد قبل أيام من ذلك التاريخ، فجزأ هذا الحل تشيكوسلوفاكيا وأثر تأثيراً عظيما وسيئا على حياتها الاقتصادية والسياسية. وأهم من ذلك أنه أدى إلى نتائج دولية خطيرة، تتصل بعلاقات ألمانيا مع دول جنوب شرقي أوروبا والشرق الأدنى من جهة، وبوضعية دول أوروبا الكبرى من جهة ثانية.

انتصرت فرنسا عام ١٩١٨، فعمل ساستها ورجالاتها على تأمين سلامتها، وإبعاد خطر الغزو الجرماني عنها. إذ ذاقت فرنسا مرارته مرتين في مدة أقل من نصف قرن. واستخدموا لذلك وسائل تأمين السلامة المعهودة قبل الحرب العالمية: المعاهدات والمبادئ التي تولدت عن الحرب الكبرى، والضمان المشترك ضمن نطاق عصبة الأمم

عملت فرنسا عام ١٩١٨ على تطويق ألمانيا من الجهة الشرقية بدول معادية فأوجدت بولندا وتشيكوسلوفاكيا، وربطتهما بباريس بمعاهدات دفاعية. ولتقوية مركز تشيكوسلوفاكيا الدولي، ولإيجاد كتلة قوية أمام ألمانيا في جنوب شرقي أوروبا، ساعدت فرنسا في تكوين التحالف الصغير بين تشيكوسلوفاكيا، ورومانيا ويوغوسلافيا، وربطت هذا التحالف بنفسها بروابط ودية متينة. وفي عام ١٩٣٥ وقعت فرنسا على معاهدة دفاع متبادل بينها وبين الروسيا، وتوسطت إلى إيجاد مثل هذه المعاهدة بين صديقتها تشيكوسلوفاكيا وبلاد السوفيت. ظنت الدوائر السياسية أن هذه الروابط الدولية جعلت مكان تشيكوسلوفاكيا الدولي متينا لا يتزعزع، ويحول دون أي تفكير في الاعتداء على جمهورية مزاريك، واعتقدت هذه الدوائر أيضاً أن القوى المناهضة لألمانيا في أوروبا الوسطى والشرقية قوية إلى درجة لا تجعل حكومة برلين تفكر في اختراق النطاق الذي يحيط بها في تلك الجهة

لم تكتف فرنسا بإيجاد ربيبتها تشيكوسلوفاكيا وتقوية مركزها الدولي، بل عملت على تحصين الحدود التشيكوسلوفاكية الألمانية، وتنظيم الجيش التشيكوسلوفاكي وتقويته، لتتمكن من صد أي هجوم حربي ألماني عنها. لهذا أقرضت باريس براغ المليارات من الفرنكات وأرسلت لها المهندسين الحربيين الاخصائيين لإنشاء حصون هائلة على الحدود الألمانية، فأنشىء «خط ماجينو التشيكوسلوفاكي» وصرف عليه ثمانون مليوناً من الجنيهات. ثم أرسلت فرنسا البعثات الحربية لتدريب الجيش التشيكوسلوفاكي وتنظيمه، فأصبح من أعظم الجيوش الأوروبية وأهمها. وزيادة على ذلك، فإن دخول تشيكوسلوفاكيا الجغرافي في قلب ألمانيا يساعد على جعل هذه البلاد مركزاً لقوة طيران عظيمة تستطيع هدم كبريات المدن الألمانية الواقعة في الجهات المختلفة. وقد ساهمت فرنسا في تقوية قوى الطيران التشيكوسلوفاكي. واعتمدت كثيراً على موقع تشيكوسلوفاكيا الجغرافي، لهذه الغية، فكان في إمكان القوى الجوية المتجمعة في تشيكوسلوفاكيا. تهديد المدن الألمانية بسهولة وفي وقت قصير. فظنت الدوائر السياسية، بعد هذا التحصن وإيجاد هذه القوى، أن لا فائدة لألمانيا من محاولة الهجوم على ربيبة فرنسا. كما أنها ظنت أن لا أمل يرجى لألمانيا من مهاجمة فرنسا لوجود «خط ماجينو» الذي تتحصن فيه عند الحاجة الجيوش الفرنسية، وجيوش دول معاهدة لوكارنو، ولوجود القوى الهائلة المحالفة لفرنسا في أوروبا الوسطى والشرقية، التي في إمكانها الانقضاض على ألمانيا من الجهة الشرقية بسرعة وسهولة

خلافاً لهذه القوى التي هي في حد ذاتها قوى فعالة لا يستهان بها إن عرف استخدامها، فإن فرنسا استعملت في تأمين سلامتها من الخط الجرماني، مبدأ «الضمان المشترك» ضمن نطاق عصبة الأمم. فكانت من أقوى أنصار عصبة الأمم ومن العاملين على تنظيم الضمان المشترك وتنفيذه ومن أشد الغيورين عليه والراجين منه سلاماً. فهل منعت المعاهدات والضمان المشترك ألمانيا عن اجتياز السور الذي أقيم حولها؟ وبعبارة أخرى، هل أوصلت السياسة التي تبعتها فرنسا خلال العشرين سنة الماضية الشعب

الفرنسى إلى ما يبغيه من سلام وطمأنينة ؟

لم تنفذ المعاهدات ، ولم يعمل بموجب الضمان المشترك . وتمكنت ألمانيا من رفض القيام بما قبلت من واجبات ومن السير بخطى واسعات للوصول إلى ما تبغى وتطمح

وكان أول ما قامت به ألمانيا امتناعها عن دفع التعويض للحلفاء ، فلم ترغم على دفعه ، ثم قرارها بإلغاء القيود العسكرية فى معاهدة فرساى وإعادتها التجنيد الإجبارى ، وتجديد معامل الأسلحة والذخيرة فى بلادها ، وبناؤها أسطولاً جوياً هائلاً ، فلم يردها الحلفاء السابقون والحاليون عن هذه الأعمال ، ثم احتلالها لمنطقة الرين التى تقضى معاهدة فرساى ببقائها مجردة من كل صبغة عسكرية . فلم تتخذ الدول المتعاقدة فى لوكارنو الإجراءات العسكرية التى تقضى بها معاهدة لوكارنو لإعادة منطقة الرين إلى حالتها السابقة . ثم ضمت ألمانيا دولة قديمة برمتها إليها ، فلم تحرك الدول ساكناً

أما عصبة الأمم فلم تأت بعمل فعال ضد الإجراءات الألمانية ، كما أنها لم تنفذ قانونها حين احتلال منشوريا ، والحرب الحبشية ، والحرب الأسبانية ، والحرب الصينية . تلك الحروب التى هى وليدة أنانية الدول الكبرى ، وضعف عصبة الأمم المستعمرة ووجود الضمان المشترك بين طيات الأوراق فقط .

وتلا هذه الأزمات والحروب الأزمة التشيكوسلوفاكية . وبعد محادثات اتفقت فرنسا وبريطانيا العظمى على حل النزاع الألمانى التشيكوسلوفاكى عن طريق سلمى ، فعقد مؤتمر مونيخ وسلمت بريطانيا وفرنسا فيه بمطالب الهر هتلر ، وخرج زعيم ألمانيا منه منتصراً من غير حرب .

* * *

فى مونيخ تم هدم ما بنت السياسة الفرنسية خلال العشرين سنة الفائتة . واتفاق مونيخ كان « ضربة الرحمة » (أى الضربة القاضية) لعصبة الأمم ولمبدأ الضمان المشترك . إذ فى مونيخ مزقت تشيكوسلوفاكيا دون أن تعلم عصبة الأمم بذلك ، ودون أن يأتى أحد من حلفائها لنجدتها ، حتى أن والدتها وافقت على هذا التمزيق .

وتمزيق تشيكوسلوفاكيا أزال قوتها العسكرية والدولية . إذ خسرت تشيكوسلوفاكيا ما يزيد على أربعة ملايين من سكانها وفقدت حصونها وقلاعها التى وضعت فيها قوتها وأموالها كما أنها فقدت أيضاً كثيراً من مواردها الاقتصادية ، وأصبحت تحت رحمة جارتها القوية .

أما نفوذها الدولى فقد زال ، لزوال مصادره ، إذ كانت تشيكوسلوفاكيا تستمد قوتها الدولية من تحالفها مع فرنسا والروسيا ودول التحالف الصغير . فجاء اتفاق مونيخ فألغى تحالفها مع فرنسا والروسيا ، وأبطل عملياً وجود التحالف الصغير . لأن دول هذا التحالف لم تأت بحركة قبل مؤتمر مونيخ للدلالة على وجود التحالف . وهى بالطبع لا تستطيع وضع تحالفها موضع العمل بعد اتفاق مونيخ الذى سلمت فيه الدول الكبرى لمشيئة الهر هتلر . فتحالفها هذا زالت أهميته عملياً ، ولم يبق له وجود فى السياسة الدولية .

« للمقال بقية » يوسف هيكل

من الأدب الإنجليزي

دفاع الشيخ عن عرضه

للكاتب الإنجليزي سير جون وارد

للأستاذ محمد لطفي جمعة

جلس لورد آشلي أوف بلاكبوري كاسل وهيلدا بريكفيلد وارثة بارون أوف كليرمونت ، ينظران إلى الشفق ، وقد توارت الشمس بالحجاب ، وقد هبط عليهما وحي الحب ، وسرت فيهما نشوة الغرام، إذ رآهما الشفق ضحيتي لذة وصبوة ، وكان لكل منهما ما ذكره بماضي مباهج الحياة . وكانا مجتمعين خلسة في غيبة والدها بارون أوف كليرمونت الذي كان يعارض في زواجها من حبيبها لورد آشلي ، الشاب الذي قضى معظم شبابه في المغامرات والفروسية ، ومناصرة الملك شارل على وليليام أوف أورانج ، الذي غزا البلاد ، واغتصب العرش والتاج . وإذ كانت الفتاة والفتى يرتشفان كأس السعادة في تلك الخلوة التي كانت حلماً من الأحلام، فزعت واستيقظت من غفوة الهناء، على غير انتظار . وماذا رأت ؟ ويا هول ما رأت ! أي عينين هاتان البراقتان ؟ هاحقاً هينا أبيها البارون الشيخ نصير وليليام أوف أورانج ، وأحد أبطال الموقعة الحاسمة التي خضبت دماء هاستنجز بالدماء ، وأقصت الملك الشرعي عن البلاد ... ثم صرخت اللادي الشابة ناهضة وخرّت صارخة وقد تنازعها الحزن والفرح، وتوزعها الخوف والرجاء؛ وإنها على فرط حبها أباها لم تملك أن شعرت عند رؤيته بفزع ورعب منه وهو يراها بين ذراعي حبيبها الذي يبغضه ويمقته ويتربص به الدوائر ، بعد أن أقصاها عنه وحرم عليها اللقاء ، فثار لورد آشلي لصيحة حبيبته وأمسكها ساقطة ثم عمد إلى الجدار ، فتناول حسامه بأسرع من اللمح ليحمل على الذي سبب كل ذلك الرعب. وكأن البارون للسن والشيخ الهم لا يزال صامتاً ، فلما رأى الفتى يجرد حسامه ويستعد لنزاله ابتسم هازئاً وقال :

« إن يأذن لي مسمع مني ألوفاً يحملون البيض المشرفية ، والسمر السمهرية ، فضع سيفك يافتى ، ولا تكن غراً أحمق ! »

وتشبثت اللادي هيلدا بآشلي وصاحت : « إنه أبي ... فاركع له معي ، لعله يغفر لنا ويصفح عنا — وكانت هذه علة رجائها — نعم ! ما أراه إلا فاعلاً ذلك ... نعم سيغفر لنا ويصفح عنا ... » ثم استدارت نحو الشيخ النبيل وقالت له :

— « أبتاه ! أخليق بك أن تجعل للخوف والشك في صدر ابنتك موضعاً ومجالاً ؟ أخليق بك أن تدع الرعب يلاطم الأمل في فؤادي ، وتترك الريب يزاحم الثقة في قلبي ؟ أبتاه ! اصنع بابنتك ما تشاء، واعف عن هذا الغلام ، فأنا التي أمنته وشجعته على هذا اللقاء ! »

ولكن البارون الشيخ وقف ثابت الركن شامخ الأنف ، أصيد مهيباً ، وقور الجانب ، محصن النفس من كل ما عساه يهجم على القلب من دواعي الحنان وعوامل الرحمة . وكان عدا ذلك الظهر قوي الصوت ، سديد النظر ، ساكن الأوصال — وهي علائم ضمير ليس بالساكن ولا الهادئ — وكذلك جعل يرنو إلى ابنته ولا يجيبها ، ثم التفت إلى آشلي وكان الدم في وجنة الفتى يذهب ويجيء ، وقد قام متأهباً للحملة على من عسى يلبي دعوة الشيخ من خوله وجنوده وعسسه وأحراسه . وكانوا جميعاً أشداء ذوي بأس وأسر متين

وقال البارون كرة أخرى: ضع سيفك ياغلام، فقال الفتى : لا! ما دام هذا الساعد مطلقاً ! فابيضت وجنة الشيخ ، لا رهبة ولا فزعاً ، ثم استخرج من نطاقه مسدساً فقال : « على رأسك إذن دمك ! » ثم أقبل يتأمل الزناد فألفاه صالحاً حديث العهد بالقدح ... وبعد ذلك أقبل يهيئه للرمية القاضية . . . وكان لتلك التهيئة صليل يخشى وقعه في الأذن وهو نذير الردى . تهيأ الشيخ للإطلاق، ولو أطلق لوقف شيئين معاً: حياة اللورد الشاب عاشق كريمته، ويراعة المؤرخ، كاتب هذه الأسطر[1]، ولختم شيئين معاً: عمر الفتى وقصتنا التاريخية ، ولكن هيلدا وهي أشد من أبيها عناداً وأنفذ صرامة وأصعب شكيمة ، ألقت بنفسها دون الغلام وصاحت :

(١) أي المؤلف سير جون وارد

« إذن إلى كبدى فلتسددن سهمك أو قذيفتك النارية ، فتلتقى جذوتان ![1] . فإنها خطيئتى لا خطيئته ، وما كان مجيئه هذا القصر عمداً ، وإنما طوح به إليه القدر ، بعد المعركة التى خرجت منها ظافراً ، وأوردته صروف الزمان . وقد أعطيته ذمتى وعهدى ، وما كنت قط للعهد بخافرة ولا للوعد بمخلفة . وإنى لأحبه فوق ذلك ، وأفديه بنفسى وأقيه بمهجتى ... إننى يا والدى أعرف صرامتك ، وأردت أن أعرفك صرامة ابنتك ، وإن وراثتنا لا تكذب ، والدم الذى يجرى فى عروقك وعروقى لا يخون ! »

لقد كانت الفتاة منذ لحظة كلها رحمة ورقة ولين وطفولة بريئة ونعومة طاهرة ، ساجية الطرف ، خافقة الأحشاء ، فإذا هى كلها جرأة وإقدام ، راسخة الوطأة ، سامية النظر ، كأنها قدت من الصخر الأصم أو هى الطود الأشم !

وكانت هيلدا بريكفيلد بارونس أوف كليرمونت مديدة القامة ، فأتلعت وتطاولت تعالياً وخيلاء ... وصادمت لحاظ أبيها من لحظاتها بما هو أشد وأقسى ، ولكنها لم تمد يداً لمنع الشيخ مما ظل يحاول ، لأنها لم تخف عادية الردى ، كأنها ترتاح لطارق الموت وتهش للأجل التاح ، وجعل الوالد ومن ولد يتبادلان النظر . فما كان أعجب قرب الشبه بينهما ، يا لهما من أسد وفلذة كبده !

وتوقف البارون برهة ، ثم رد سلاحه إلى نطاقه ، ولكنه وقف يقذفها بنظراته كأنما يريد أن يفضى ببصره إلى مخبآت ضميرها ثم قال :

ما أنا[2] من أراد بهذا الغلام سوءاً ، وما أنا من جلب ما قد ترينه الآن من الشر والأذى ، وقد يندر من يصاب بمثل ما نالنى من انتهاك الحرمة والغدر فلا يسفك دماً ولا يزهق نفساً بيد أنى سأفعل الواجب وإن أخللت أنت به وأشأت أداءه . فليلقين حسامه وإلا ورأس أمك لأدعن رأسه على هذه الأرض تثب وتتدحرج وتصبغ الصخر باللون القرمزى[3]

ثم رفع البارون بوقه إلى فمه فنفخ فيه ، وإذا ببوق يجيبه من خارج القصر ودخل عشرون رجلاً مدججاً يعدون مسرعين على رأسهم قائد وصاح البارون « اقبضوا على الغلام أو اذبحوه .

واجتذب الشيخ الفتاة إليه بأسرع من لمح البصر وحال الجند بينها وبين حبيبها فجاهدت عبثاً أن تتملص من قبضة أبيها . وكيف وقد كان التفاف ذراعيه حولها كالتفافة الأفعوان؟ وشد الجند على لورد آشلى شدة فارس واحد . ولكن آشلى حمل بالسيف على أولهم فشق كتفه وألقاه يتخبط فى دمه ، وعلى الثانى فشج وجنته . أما الثالث وكان سيافاً حاذقاً فقد جعل يروغ من ضربات قرنه اللورد الشاب حتى أصاب غرة منه فضربه فجندله صريعاً ينضح دماء من طعنتين إحداهما فى الذراع والثانية فى الرأس ، ثم غلوه حيث خر وأخذوه من الحجرة وأومأ لهم البارون الموتور أن امضوا به إلى الساحل حيث كانت سفن ترحل وتمخر فأودعوه زورقاً وأعملوا المجاذيف حتى بلغوا السفن ، وكانت منضودة صفاً فوضعوه فى إحداها . أما الفتاة بعد أن رأت حبيبها جريحاً أسيراً ، فقد غشى عليها ، وما زالت فى ذبول ونحول اثنتى عشرة ليلة ثم أسلمت الروح بلا أنة ولا زفرة .

محمد لطفى جمعه

(١) جذوة كبدها ونار الرصاص .
(٢) فى الأصل Not I Who
(٣) لون الدم

فى الأقصر

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

لا أظننى أسترسل فى عزة تأخذنى بالباطل إذا قلت : إن الأقصر يجب أن تعد بحق فى طليعة المشاتى العالمية العظمى ، فسماؤها دائمة الزرقة ، وشمسها الساطعة التى تضفى على الأجسام أبراد الصحة والحياة ، ونسماتها المنعشة المحيية ، وزروعها الخضراء التى لا يكفى الخريف نضرتها بصفرته الذابلة ، ونيلها السعيد المنساب فى أحشائها يوزع عليها هدايا الخصب والبركة ، ووادبها الحافل بمقابر الملوك والملكات والأمراء والنبلاء ، ومقابرها التذكارية التى تجلى الانسانية فى مثلها العليا ومبادئها السامية ، وأطلال هياكلها الأثرية ، بل قصورها الخالدة التى تقوم إلى اليوم وسط مبانيها الفخمة والمتواضعة ، وتتيح لها اتخاذ اسمها الحاضر الأقصر (القصور) — كل هذا أو بعض هذا يجعلها محط رجال أهل الفضل والثقافة والنبل ، يسعون إليها من مختلف الأقطار على أخف من جناح الطير . ولقد تسنى لى فى الأسبوع الماضى أن أتعرف إلى نخبة من هؤلاء الأعلام ، وأن أضع جانباً من وقتى واهتمامى بين يدى فتاة غربية نابهة تعنى بدراسة أحوال هذه البلاد وتتغنى بأمجاد تاريخها وبدائعها ... على أن أروع الصور وأوقعها فى النفوس لا تكاد تستغنى فى استتمام جلالها عن الظلال القاتمة والألوان الغدافية ، التى تمس أوتار الألم المتنبهة أبداً فينا ، فقد عرض لى أثناء تجوالى مع هذه الرفيقة الفضلى ما ضاقت له نفسى، من شؤون دعتنى إلى تحريك قلمى اليوم للفت نظر من بيدهم الأمر رجاء معالجتها استكمالاً لأسباب المجد الجدير بهذا المشتى عرض الأثرى الخالد كيلا يشيح عنه قاصدوه ، ويروا أن ما عانوه فى سبيل الوصول إليه كان ضرباً من العبث المبين والجهد المستطير ، وتنزيهاً لنا عن الانحطاط الذى رسخت نسبته إلينا فى أذهان أهل الغرب ولا يصح أن نبقى فيه متورطين ، ولا سيما بعد أن أبدت صاحبتى إعجابها بمظاهرنا كلها التى تشهد بأننا قوم غمسنا فى الترف ، وحظينا بالنعم ، ونهجنا الصراط السوى فى التضامن والتكافل والكرم ، بفضل ما تدره علينا بلادنا الخصبة . وقد سألتنى يوماً عن أحياء الرعاع عندنا : هل فيها من مظاهر العوز ما تطير لمرآه القلوب ، ويرسل فى نواحى النفس جميعها لدغاً مؤلماً مسرفاً فى الإيلام ؟ فلم أخف عنها أن بالأقصر أحياء فقيرة كغيرها من بلاد الله، وإن كنت قد ذكرت لها أنها لا تخلو من جماعات أهلية وحكومية ، تنظم الخير ، وترعى المعوزين ، وتعلم صغارهم تعليما إلزامياً وصناعياً بالمجان ؛ وذكرت لها فى غير تبجح ، أن قلوب أهل هذه الربوع الوادعة التى لا تزال محتفظة بغرارة الفطرة السمحة المتآخية هى منازل للرحمة ومواطن للسخاء . ثم سألتنى عن التسول وعما إذا كان مباحاً، فوجمتُ وقد أسرع إلينا أصحاب الأجسام المشوهة ، والعيون الذابلة القذرة ، والثياب الرثة المهلهلة . وأشهد الحق أنى ما كدت أراهم حتى ذبت خجلاً ، إذ كانت العربة قد وقفت بنا فى تلك اللحظة أمام معبد الأقصر الأزلى ، القائم على شاطئ النيل فى أجمل أحياء المدينة وأغناها ؛ وغضضت بصرى وخشيت أن أرفعه نحو صاحبتى وهى لا ترى تجاه العظمة الماثلة أمام أعيننا ، سوى تلك الأيدى الممتدة بذل السؤال لتنقض ما شاهده القوم من مكرمات . ولو كنتُ من أرباب السيادة والسلطان لاتخذتُ كل الطرق الفعالة للقضاء على التكفف، ولكن قلة عدتى تضيق على دائرة نفوذى، وإن كانت لا تمنعنى التوجه إلى أولى الشأن بالحاحى أن تمزز القوات لمعاونة أولئك الشحاذين المساكين ، فإنا لو ذكرنا أن رقى المجموع إنما يحسب بقدر تعدد مطالب الفرد، لرأينا أننا أبعد الأمم عن الرقى الصحيح . ولا ينتشر التسول فى محيط إلا كان دليلاً على أثرة الأقوياء الأثرياء ، ومقياساً لخسة مطالب الفقراء التى لا تتعدى ما تجد العجاوات فى طلابه لسد الرمق . وإنها لإحدى الكبر أن يسجل أهل تلدى التطوفون الأسخياء على ذواتهم ما تستتبعه غفلة إهمالهم ، وهذه طلائعه تظهر فى الجهة الواحدة بؤسا وفناء وتقلصاً وتهديماً، وفى الجهة الأخرى نمواً وازدهاراً وانبساطاً فى رحاب النعم ، فلا يكمل سناء هذا إلا باستكمال تضاؤل تلك

ثراء وبؤس كيف يلتقيان؟ مقيلاهما فى القلب مختلفان

فليسمحوا لى أن أنبههم إلى تدارك هذا الأمر الخطير ، وليعلموا أنى بالحاحى فى وجوب السهر على منع الشحاذين من الانتشار فى أحياء المدينة لا أبغى أن يحرموا عطفاً يخولهم إياه

بؤسهم . وبأى حق يحرمونه والأزمة عضود ، والأيام جديبة ، وأولئك المفلوكون أحوج للعون وأجدر بالمساعدة ؟ ولكنى أرجو أن يتوسلوا إلى ذلك برشاد الرأى واستخدامه لوضع كل شىء فى موضعه . وليعلموا أن خير وجوه الإحسان زيادة البذل من المال فى سبيل تخفيف الألم العام وتنمية روح الحق والصلاح والتهذيب ، وتوجيه النفوس إلى حياة العزة والكرامة ، فلا تعيش للكسل والخمول اتكالا على كرم المحسنين

هذا ولا بدّ لى هنا من الإشارة إلى ما حدث فى اليوم التالى حين رافقت صاحبتى إلى « وادى الملوك » فقد تجمهر حولنا صغار السائلين المتفنين وتتبعوا خطواتنا ، وكادوا يلزموننا أن نعطيهم شيئاً من النقود . ولعمر الحق أن دموعى تنهمر غزيرة إذ أذكر أولئك الأطفال المحرومين متاع الطفولة المقيمين فى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الجهل ، ويقطن الذل فى جوار القنوط ، الذين يعيشون على الجانب الأيسر من النيل ، فى تلك الأكواخ الحقيرة ، المنثورة حول مدافن الملوك الغر الميامين ، كجراح عميقة فى جسم كياننا الاقتصادى والعمرانى ، ويموتون مهملين . لهف قلبى على تلك الزهرات الأنيسة التى تذبل فى ظلام الحاجة والجوع والإهمال ! ونحن نمرُّ بها على الجانب الأيمن ، الجانب المعمور بمدارسه دون أن نعيرهم التفاتاً . ومَنْ ذا الذى يَسْتطيع أن يدرك كنه القوى الكامنة فيهم ، التى لا تدركها النجدة والثقافة لتبرزها إلى الوجود عظمة ومجداً وفضلاً ونبلاً

إن أيديهم التى تبسط اليوم فى ذل السؤال ، ستبسط فى الغد للسطو والنهب ، إذا لم يسعفها التهذيب الصحيح ، ويجعلها أمينة للغد ، نشيطة عاملة لرقى البلاد . ولقد جابهتنى صاحبتى ببؤس هؤلاء الصغار ، وتدفقت فى الدفاع عن حقوقهم ، ودهشت كيف تتقاعد الحكومة عن رعايتهم اللازمة ، وقالت : إن الأطفال فى جميع بلاد الله يقطعون مرحلة التعليم الأولى مجاناً ، ولو ذهبت تلك البلاد فى أحضان العزلة والريف . وإنى وإن كنت أضم صوتى إلى صوتها فى وضع احتياج أولئك الصغار أمام من بيدهم الأمر ، لا أقصد رجال الحكومة فقط . ومن السفه أن نوجه نظرنا إلى الحكومة فى كل شئ ، ونطلب منها أن تخلق خلقاً جديداً . وليس من شأن الحكومات أن تفسح للناس القادرين سبل العمل ، فيسعون بكل وسيلة صحيحة لرفع الصغار والفقراء ، إلى مستوى يتعاضد فيه الجميع ويتناشدون ، متعاونين على حب الحياة ، ومراعاة المنفعة العامة

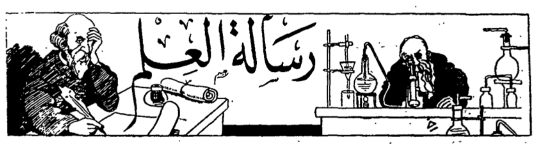
بقى أنى لا أستطيع أن أختم كلمتى اليوم قبل أن أضمها أمرين تفزعت لهما صاحبتى . أولهما الصياح الذى اختص به باعة التحف الحديثة التى يصوغونها على طراز العاديات الأثرية ، وإلحاحهم فى عرضها علينا ، وإمعانهم فى إظهار ما كانوا يظنونه فى أنفسهم من القدرة على أن يبتزوا منا ثمنها ...

أما الأمر الثانى فالقسوة التى يبديها بعض حوذية المركبات فى إعنات خيلهم وانهيالهم عليها بسياطهم ، حتى لقد حسبت أن بلادنا ينقصها فرع لجمعية الرفق بالحيوان ، وسألتنى إن كانت الحكومة تشرف على أعمال هذه الجمعية ، فأجبتها بالايجاب ، ودللتها على المكان الذى تدار فيه شؤونها ، وعلى مناهل الماء التى أعدتها لتخفيف وطأة الظمأ على السائمة وتكليف رجال البوليس بحمايتها من القساة الذين لا يكثر وجودهم بين الزارعين المرابعين المشهورين بعطفهم على ماشيتهم ، وتعلقهم بها تعلق الوالد بأولاده المحبوبين .

فسرى عنها وقالت وفى عينيها بريق اللجاجة والحنان : « ولكن رجائى إليك أن تحمسى رجال البوليس للتشديد على الحوذية الذين يضربون خيولهم العزيزة المسكينة بغيرمسوغ » .

وإنى لعلى ثقة بأن الخير الذى وعدتها به ستحققه همة أولى الشأن من الحازمين

الزهرة



العالم اليوم

للدكتور محمد محمود غالى

تقدم الرسالة إلى قرائها الدكتور محمد محمود غالى محررها العلمى ، وهو يحمل ألقابا شتى فى الطبيعة والرياضة ، أهمها دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية بأعلى درجات الشرف من السوربون، وهى أسمى ألقاب الامتياز العلمية التى تمنحها جامعة باريس . وهذه الدرجة لكلية العلوم كالاجريجاسيون لكلية الحقوق ؛ والدكتور غالى أول مصرى نال هذه الدرجة . وله أبحاث قيمة أنفقت عليها السوربون ومعهد باستور مبالغ طائلة ، ولعلنا نعود إلى شرحها فى فرصة أخرى . وهو يرسم إلى قرائه فى مقال هذا العدد المنهاج الذى سيسير عليه فى عرض الحقائق العلمية والتطورات الفكرية . والرسالة وقراؤها يغتبطون كل الاغتباط بانضمام هذه الثروة العلمية المطبية إلى ثرواتها الأخرى التى تنتجها العقول الجبارة فى كل باب
(المحرر)

يا ترى هل نستطيع أن نرجع بخيالنا إلى أول عهود الإنسان لنتصوره فى حالته الفطرية وحياته البدائية ؟ — إن القردة اليوم لا تحاول فى غاباتها أن توقد ناراً ، وهى مع ذلك تتناسل وتستنشق الهواء الصافى وتمرح بين الغدران والجداول تطفئ ظمأها ، وتختار من صنوف الطعام ما يشبع جوعها ، ومع ذلك فإن لنا أن نتصور أننا كنا مخلوقات لا تفوقها فى الإدراك ولا تزيد عليها فى المعرفة. ومهما رجعنا إلى التاريخ المنقوش على الحجر الصلد أو المسطور على أوراق البردى، فمن البدهى أننا لا نصل إلى تحديد الزمن أو الحالة التى كان عليها هـذا الإنسان البعيد ، بل نصل إلى تاريخ قريب لا يتجاوز مائة من القرون ، فنرى إنساناً قديماً فى مداركه عريقاً فى معارفه ، وأن الطوبة وقد اخترعها أمحوتب مهندس زوسر بانى هرم سقارة (إذا كان هو مخترعها حقاً) تدعو للإعجاب . وكيف لا نعجب له حين عرف أن يشيد من اللبن أو الحجارة أشكالاً منتظمة وأشكالاً ذات طول وعرض وارتفاع فيها كل هندسة أقليدس ؛ أشكالاً استعملها فى بناء سقيفة من الطوب أو حجرة تقيه الشمس إذا اشتدت ، والبرد إذا قرس ، والمطر إذا انهمر

إذا رجعنا بالخيال إلى هذا الحد ، ووصلنا بالتفكير فى هـذا النوع من الإنسان مهما بعد فى الزمن ، نستطيع أن نعتبر أن اكتشافه للنار واستعماله إياها كان خطوة واسعة فى سبيل تغيره وتقدمه ككائن بات يختلف يوماً بعد يوم عن الحيوان ؛ فهو إن شابهه فى أنه مخلوق له جسم يقاربه وحواس تشبهه ، يولد ويعيش ويموت، ولكنه يمتاز عنه بشيء كثير من الروية والاستفادة بتفكيره

إذا رجعنا بخيالنا إلى هذا المدى علمنا أن اكتشافه هذا كان خطوة هامة فى سبيل المدنية ومقدمة لسلسلة من الاكتشافات التى نعتبرها اليوم ميراثنا العلمى ، هـذا الميراث الذى ساعد اختراع المصريين للكتابة على الإفادة منه على مر السنين، والذى تضخم باختراع الأوربيين للطباعة حديثاً والصينيين قديماً حتى بلغ العلم من الاتساع والتقدم حداً أصبح من الصعب معه على كائن أن يستوعب ناحية واحدة منـه ، هذا الميراث العلمى عظيم إلى درجة يبعد معها أن تقضى عليه الحروب بين البشر

لقد حاولنا فى السنين الأخيرة أن نستعرض هـذا الميراث العلمى وندرس نواحيه ونقف على ما حدث فيه من تطورات لنعرف مداها ونستخلص انهم فيها ونستنتج من تتبع هذه النواحى شيئاً عن آمالنا فى المستقبل ، ولعل هناك أمراً واضحاً نتفق عليه وهو الدور الخطير الذى لعبته العلوم الطبيعية فى التطور نحو النور والمعرفة؛ فبينما سارت العلوم الزراعية والجيولوجية والطبية والبيولوجية وغيرها بخطوات متزنة معقولة ، إذ بالعلوم الطبيعية قد طفرت فى نصف القرن الأخير طفرات جديرة بالإعجاب . ولو أن أحد أسلافنا دبت فيه الحياة مرة أخرى فدخل أحد منازلنا فربما لا يبلغ تعجبه

من تنسيق حديقة المنزل أو ما به من أثاث كما لا يعجب مثلاً بنوع الفاكهة التى تقدم إليه ، بقدر تعجبه من الراديو أو التليفزيون لأن تميل الزهرة إلى الحمرة أو الخضرة ، وأن يكون لها العبير الذى نعرفه أو لا يكون ، فلا يخرجها كثيرا عن عهده بها

ولأن يكون المقعد من الخشب أو معدن الكروم أو من الحجارة أو من المواد الجديدة فى الصناعة التى تشبه الزجاج وتفوقه بقابليتها للانحناء والالتواء لا يخرج لنا فى النهاية سوى مقعد للجلوس قد لا يفوق مقعد توت عنخ أمون الذى يشعر نفوسنا حين نراه الآن فى المتحف المصرى بما كان يشعر به النفوس منذ آلاف السنين من التنسيق والجمال والجلال

أما أن ننتقل من مصابيح النفط والشمع إلى الكهرباء ، ومن الخيل والحمير إلى القطار ، ومن القطار إلى السيارة — أما أن تعلونا طائرة ونسمع فى مصر أوبرا من فينا وموسيقى من باريس ، أما أن نرى قريباً ونحن فى القاهرة شقيقاً بالأسكندرية أو بأقاصى الصعيد فإن هذا يدعو إلى الدهشة ويدفع بنا للتأمل

هذه الخطوات وغيرها نتيجة للعلوم الطبيعية التى بدأت فى الماضى عهداً مجيداً باكتشاف النار . وفى الحاضر عهداً جديداً باكتشاف تهدم المادة (Desintearation) وتحولها إلى طاقة أو إشعاع

وإنما نوهت بهذين الأمرين : اكتشاف النار قديماً ، وتهدم المادة وتحول العناصر بعضها إلى بعض حديثاً ، لأنى أريد أن ألفت النظر إلى أن اكتشاف بكارل فى سنة ١٨٩٦ لخواص الإيرانيوم الإشعاعية ، واكتشاف مدام كورى وقرينها بيير كيرى فى سنة ١٨٩٨ لخواص الراديوم ، يعدان اليوم فى التفكير الحديث خطوة لها من الأهمية بالنسبة للانسان القادم ما لاكتشاف النار للانسان الأول ومعرفته لاستعمالها .

وعند ما يتاح للبشر الانتفاع أكثر مما ينتفع اليوم بالظواهر الجديدة الخاصة بتهدم المادة يتغير استعمالنا للأشياء ، فلا يقتصر استعمالنا للخشب أو الحديد على صنع المقاعد أو بناء القناطر بل يتعدى ذلك بكثير ، وعندئذ يظل اسما بكارل وكورى على رأس العهد الجديد مثلا أعلى فى أقصى ما وصل إليه الإنسان فى المعرفة .

هذه المقدمة تبين للقارئ شيئاً عن اتجاه الكلمات التى تتفضل الرسالة بنشرها لى فى هذا العام ، فهى ستتناول ناحية العلوم الطبيعية واتصالها بالتفكير والتقدم . وقد وقعت أول الأمر فى نوع من الحيرة ، بخصوص اختيار الطريق الذى أسلكه لأجتذب عدداً كبيراً من أهل الشرق إلى تتبع هذه الكلمات ، عسى أن يجدوا فيها شيئاً من الفائدة والتجديد ، وللقيام بهذه المهمة طريقان . إما أن نتكلم عن الاتجاهات العلمية الحديثة التى سيكون لها أثر فى أعمال الإنسان ، وأعنى بها الاتجاهات الطبيعية والفلسفية ؛ وإما أن نتكلم عن النتائج الفعلية والعملية التى كانت نتيجة للاتجاهات العلمية الجديدة . ولا شك أنه حسب اختيار إحدى الطريقتين يتغير كلية نوع الأحاديث . ولقد انتهيت إلى ضرورة التحدث فى الأمرين معاً ، فترانى فى الوقت الذى أصبحت النظريات الطبيعية الحديثة تمشى بخطوات سريعة ، وتسيطر على شتى العلوم والمعارف ، أصور فى هذه الكلمات الموجزة أهم هذه الحوادث ، وأصف — حسب فهمى — الكون الذى نعيش فيه ، وأقدم لتناول قراء العربية تقريراً عن المهم من الوقائع العلمية الحديثة ، مستعرضاً الحقائق الرئيسية فى العلوم الطبيعية وما يتصل بها من الانتصارات التى قلبت اليوم أوضاع العلم والمعرفة

وفى الوقت الذى أطمع فيه أن أستعرض من صورة العالم معالمه الرئيسية أرجو أن يسمح لى بذكر كلمة عن غرضى ، وعن الفكرة التى أوحت إلى بهذه المقالات ، وعن الخطة التى سأتبعها لكى نتصل معاً بأهم ما يشغل العلماء اليوم

إن الأبحاث العلمية وما يتم فيها كل يوم لا يمكن أن تكون موضع عناية الناس عامة كما يعنى بها العلماء الذين يهبون أوقاتهم للبحث العلمى . فالعالم يعنيه ما يستجد كل يوم من إضافة ، إذ أن هذه الاضافة يتوقف عليها توجيه الأعمال التى يرجو الوصول إلى نتائج جديدة فيها . أما الآخرون فإن أوقاتهم مقسمة طول اليوم بين عملهم البعيد جدا عن المسائل العلمية ، وبين فترات من الراحة لتجديد نشاطهم فى المنزل بين ذويهم أو فى الخارج بين إخوانهم . فالطالب فى كليته ، والمدرس فى مدرسته ، والعامل بين الدينامو والموتور فى مصنعه ، والمحامى بين المحكمة ومكتبه ، وساعى البريد انتهى من عمله وخلع محفظته والموظف والتاجر والضابط والقاضى وكل أصحاب الأعمال والمهن يصعب عليهم أن يجدوا متسعاً

من الوقت لتتبع الحوادث العلمية وما يجد فى طياتها من تغيرات .

ماذا يقدم العلم لهؤلاء الذين تمتصهم الأعمال المـادية حتى يصبحوا جزءاً منها ، والذين لم تواتهم الفرصة للتعود على التفكير العلمى الحديث وتنسم أخباره ؟

فى كل هؤلاء فكرت وتساءلت : هل نستطيع أن نُعبِّد لهم سبيل الارتياح لهـذه العلوم ؟ وهل من الممكن أن نشرح نظاماً مثل الذى أصبحت عليه العلوم الطبيعية الحديثة ؟ هذه العلوم الغارقة فى الرموز الرياضية التى بلغ التوسع والتسلسل فيها مبلغاً أصبح معه تتبعها عسيراً حتى على الاخصائيين ؟ هل من السهل تبسيط العلوم الطبيعية التى أصبحت اليوم المفتاح لمعظم التطورات العلمية وما يتصل بهـا من توجيه جديد لفكر البشر ؟ هل من الجائز أن نشرح هذا لاخواننا الشرقيين فى سلسلة مقالات بالرسالة فنشترك معا فى أعظم ما وصل إليه الإنسان ؟ إنى لأرجو أن يكون النجاح حليفى فى ذلك ؛ وإنى لأشعر بشئ من السعادة والحماسة فى القيام به

أولا : لأننى أميل لهذا النوع من الدراسة الخاصة بالعلوم فن الطبيعى أن أستطيع أن أحمل فريقاً كبيراً من القراء ليتتبعوها ويميلوا إليها

ثانياً : إننى سعيد أن أوفر على القارئ عناء كبيراً فى مطالعة موضوع بات من أصعب الموضـوعات العلميـة وبات رموزه للشخص غير المشتغل بهـذه العلوم كالحروف الهيرغليفية لمن لا يعرفها

ثالثاً : إن تمرين الفكر على مسائل صعبة وتتبع هذا النوع من التبسيط له أثر آخر فى تكييف حياة الإنسان وتفكيره فى المسائل الأخرى التى لا تتصل بالعلم وتتصل بحياة الفردية

رابعاً : إننى بذكر بعض التطبيقات العملية للعـلوم الطبيعية قد أفيد الكثير ممن يلجأون لهذه التطبيقات لنفعتهم الشخصية . خذ مثلاً ما يمكن أن تحدثه العين الكهربائية اليوم من التفـنن فى وسائل الإعلانات التجارية مما لم يُطبق لهـذه الأغراض فى مصر ولا يعرفه أصحاب المحلات التجارية حتى الآن فى الشرق عامة ...

خامساً : إننى قد أصل إلى حمل بعض المشتغلين بالعلوم القديمة وبالطرق العتيقة على العدول عن طرائقهم ؛ مثال ذلك أولئك الذين يضيعون أوقاتهم سدى فى طلب تحويل الرصاص إلى ذهب والذين يؤملون مثلاً إيجاد نوع من الحركة الدائمة

أما غايتى الأساسية فهى الثقافة العامة . غايتى أن أجمل من التفكير فى ناحية الفلسفة الطبيعية تأثيراً فى حياة الناس الخاصة ، أجملك تقف على علوم أنت لا تعرفهـا وليس من السهل بمفردك أن تعرفها ، ولا تكفيك السنون الطويلة الباقية من العمر لتستوعبها ، أجملك تتعلق بمسائل غريبة عنك فلا تجدها صعبة عليك كما تجدها اليوم ؛ أوفر عليك الوقت فى أمور أصبحت أهم أمور العالم العلمى فأصبحت بهذا لازمة لك ؛ أزيد فى ثقافتك وذهنك وقدرتك على فهم العالم الذى يحيط بك

محمد محمود غالى

(الرساله) جاء مقال الدكتور الأول فى ست صفحات فاضطررنا إلى تأجيل نصفه إلى العدد القادم



تاريخ الفـــن

للدكتور احمد موسى

— ١ —

لم يقتصر مجهود الجامعات والعلماء على تسجيل الحضارات عن طريق كتب التاريخ القديمة والحديثة بل وجدوا أنه لا بد لهم من الاستعانة بالإنتاج الفني فى مختلف العصور ، إذ أنه المرآة الصادقة التى بها يمكن الوصول إلى نتائج حاسمة فى تاريخ الحضارات والمدنيـات

ولذلك كانت مهمة تاريخ الفن هى الاستعراض العلمى لتطوره على أساس التاريخ العام مع مراعاة أصول علوم أخرى أهمها علم الآثار Archaeologie وعلم قراءة المخطوطات والنقوش القديمة Balaeographie وفن الدراهم والمسكوكات Numismatik وعلم وصف التماثيل والأيقونات القديمة Phonographie وفن علامات وإشارات الأنساب القديمة Horaldik وغير ذلك مما لا يستند فقط إلى السرد أو التاريخ الذى قد يكون متحيزاً أحيـاناً إلى مبادئ معينة أو غايات مقصودة حيث تدعو الحاجة إلى صبغه بصبغة قومية أو سياسية بذاتها ، مما لا يفطن إليه إلا العارف الباحث فى أصوله

وإذا كان المسلك العلمى فى التاريخ العام هو تقسيمه إلى قديم ومتوسط وحديث ؛ فإن تأريخ الفن يرجع إلى نفس القاعدة رجوعاً كاملاً ، لما لها من فائدة التبسيط وإيجاد الرابطة بين التاريخ العام وتاريخ الفن

ويتناول تاريخ الفن القديم استعراض فن البناء (العمارة) وفن التمثيل (النحت) وفن الصناعات الدقيقة (الحلى وأدوات الزينة الرفيعة) استعراضاً يرجع فى أساسه إلى التقسيم الجغرافى فيأخذ فن كل قطر على حدة ويتبع فى ذلك أقدمية الحضارة .

وعليه فأول الفنون جميعاً الفن المصرى ويليه البابلى الآشورى والفارسى والهندى والصينى. هذا فى الشرق الأدنى والأقصى . ثم يأتى بعد ذلك الفن الإغريقى الهائل[١] ثم الفن الأتروسكى[٢] والفن الرومانى والفن الإسكندرى

أما تاريخ الفن المتوسط فيتناول الفن المسيحى القديم والفن البيزنطى الذى كان له أثر ملحوظ فى كل البلاد الأوربية التمدينة التى وجد فيها أثر للفن الرومانى والقوطى

هذا إلى جانب ناحية هامة فى تاريخ الفن المتوسط وهى ناحية الفن الإسلامى الذى ظهر فى أقطار متباينة وكان ولا يزال محافظاً على طابعه المميز

أما تاريخ الفن الحديث فهو كثير التشعب صعب التقسيم لتقارب الشعوب واتصالها الذى ترتب عليه انتقال الثقافة من أمة إلى أخرى وتأثير مدنية فى غيرها، ولاسيما فى الفن الألمانى فى عهد النهضة من أوله إلى آخره (القرن الرابع عشر (إيطاليا) والخامس عشر والسادس عشر) وما كان للفن فى تلك المرحلة من طرز مختلفة الوضع متشابهة الروح كما أن انقسام الفن إلى باروك Barock وإلى روكوك Rokok كان له أثره الهام فى الفن الحديث .

والإنتاج الفنى بعدئذ هو ما يمكن تسميته بالفن المعاصر

---

(١) راجع فى ذلك كله مجلدات الرسالة للسنة الرابعة والخامسة فقد بسطنا هنالك الكلام ووفينا البحث

(٢) الفن الأتروسكى هو فن الشعب الذي استوطن شمال ووسط إيطاليا قديما ، وقد ظهر هذا الفن حوالى عام ١٠٠٠ ق . م وازدهر بين القرنين الثامن والرابع ق . م

أو إن شئت فقل هو الفن الذى أدى إلى ما نلمسه الآن من الفنون المعاصرة ، سواء ما كان منها مدرسياً أو سائراً على الأسس المدرسية ، وسواء ما كان منها متجهاً إلى ما يسمونه الفن الرمزى والفن الوصفى والطابعى والاقتباسى .

وكان التقسيم المتبع فى الفن الفرنسى والفن الإنجليزى هو أن ينظر إليهما تبعاً للمراحل التى مرا بهما ، ومميزات كل مرحلة منذ القرن السادس عشر ؛ ولاسيما أن هذه المراحل كانت تسمى بأسماء الملوك والحاكمين ، وهذه ظاهرة اختص بها هذان الفنان دون غيرهما.

وإلى جانب هذه الفنون الحديثة فنون شرقية حديثة أيضاً سارت فى طريقها بعض الشئ وتطورت تطوراً مخالفاً لسابق فنونها ، ولكنها مع هذا ظلت محافظة على طابعها الشرقى المميز . هذه الفنون هى الفن الهندى والفن اليابانى والفن الصينى ، التى لم يكن المؤرخ الفنى يعنى بدراستها دراسة علمية إلا فى العصر الحالى

أما مهمة تأريخ الفن نحو هذه الفنون جميعاً فهى تكاد تكون نفس الدراسة المرتكزة على قواعد مشابهة لتلك التى اتبعت فى تأريخ الأدب فى العصر الأخير . وبذلك أصبح التأريخ الفنى والنقد الفنى والتسجيل الفنى علوماً قائمة بذاتها لها أصولها وقواعدها .

ولتاريخ الفن قصته ككل علم آخر . فقد شملت كتب القدماء ما يهم المؤرخ الفنى إلى حد كبير ، فكتاب التاريخ الطبيعى لبلينيوس[1] Plinius وكتاب الرحلة لبوزانياس[2] Pausanias اشتملا على بيانات وإيضاحات كثيرة وأوصاف مسهبة عن الفن فى العصر القديم ، ولكنها كانت أقرب إلى مجرد الرد مع اشتمالها على أسماء الفنانين ووصف ماتم عمله على أيديهم دون نقد فنى

(١) بلينيوس الكبير للتفرقة بينه وبين ابن أخته : كاتب رومانى ولد سنة ١٣ بعد المسيح فى كرمون ومات سنة ٧٩ عند ثورة بركان فيزوف وكل ما ألفه فى التاريخ والبلاغة والأجرومية فقد . ولم يبق له سوى كتاب على هيئة دائرة معارف فى ٣٧ جزءاً Historia Naturalis ويشتمل على معلومات مستقاة من كثير من كتب الاغريق واللاتين فى التاريخ الطبيعى وفى غيره من المعلومات التى تهم المشتغلين بالعلم .

وهو إلى جانب ما فى كتبه من الفوائد الهائلة يعد المرجع القديم فى تاريخ الفن — راجع Kalkwann Die Quellen der Vunstgeschichte des Plinius Berlin 1898

(٢) بوزانياس الكاتب الاغريقى من مغنيسا بآسيا الصغرى سافر أيام هدريان والأنطونيين إلى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى وسوريا ومصر وليبيا وإيطاليا وألف كتابه الشامل لعشرة أجزاء بين سنة ١٦٠ — ١٨٠ بعد المسيح لجزء من هذه الرحلة Periegesis Hellados وأهم ما كتب فى هذه الكتب وصف القطع الفنية الرائعة وهو إلى جانب بلينيوس أهم من كتب عن الفن — راجع Siebelis und Reichardt, Puasanias 9 Vols., Stuttgart 1827-28

أو دراسة ذات غاية ، كما خلت من بيان شاف لتطور الفن فى أية مدرسة أو مرحلة زمنية معينة .

ولوحظ أن هذا المسلك فى التأليف كان الغالب أيضاً فى العصر المتوسط ، فكل ما كتب فى شأن الفن وتأريخه لم يخرج عن وصف عام للمبانى الرائعة وما استنفده تشييدها من مجهود .

أما التأريخ الفنى بمعناه الحديث فلم يكن ميسوراً لأولئك ولا لهؤلاء بحال . ومنذ ذلك الحين بدأت الجهود الفردية تظهر فى الأفق رويداً رويداً ، ولا سيما بعد ما التفت المسافرون الراغبون فى المشاهدة والمعرفة ، وكذلك غيرهم ممن اشتغل بدرس اللغات القديمة ، إلى وجوب معرفة آثار الأقدمين والغاية من إقامتها وما تدل عليه وعلاقتها بالحضارة ، واتخاذها وسائل قيمة للتدليل على اتجاه معين فى الدرس والفحص

هنا بدأ تاريخ الفن فى الظهور والتطور العلمى . وكان أول أثر لذلك هو إيضاح ما كتبه الأقدمون وما تدل عليه كتاباتهم عن الآثار التى لم يكن الكثير منها موجوداً حيث كان القدم والإهمال وعدم الرعاية والتغيرات الجوية والمدنية قد طغى كل هذا على معظمها فكانت أثراً بعد عين

فاشتغل فريق من علماء تاريخ الفن بتفسير ما كتبه فيتروفيوس[1] Vitruvius على حين اشتغل فريق آخر بنبش القديم وتفسير الكتابات والنقوش التى وجدت على كثير من الآثار

هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى فقد قام فريق آخر بمعاينة آثار روما وبعمل رسومات هندسية ومساحية دقيقة عنها

ومهما يكن نوع هذه المجهودات والكيفية التى سار عليها أصحابها ، فإنه لا يمكننا أن نرجع المحاولات الصائبة فى مضمار تأريخ الفن إلى أبعد من القرن السادس عشر . ولعل أول من نعتبره فى مرتبة مؤرخى الفن هو فاسارى Vasari بكتابه القيم الشامل لتراجم هامة لرجال الفن فى إيطاليا Vite dé pin eccellente pittori, architetti e scultori italiana

وجاء بعده كارل فان ماندر بكتابه المدهش « المشاهدات » Schilderboek المطبوع فى هارلم سنة ١٦٠٤ وفى أمستردام سنة ١٦١٨ ، وكان أقل أثر يذكر له الدعاية للفن ولتاريخه ولتعريف الراغبين بعض الشئ عنه

(١) فيتروفيوس الكاتب اللاتينى والبناء الحربى فى حكم قيصر أوغسطس ، ألف عشرة كتب مهداة إلى أغسطس أوضح فيها كل شئ عن المهارة . راجع : loit nrnaV vus,Rode,-2 Vols., Berlin 1800

وجاء هولاندي آخر هو آرنولد هوبرا كن بكتابه « الواصف الكبير » Groote Schuburgh في ثلاثة أجزاء ، طبعت في أمستردام أيضاً سنة ١٧٢٨ ، والتي كانت أساس دراسة الفن في هولاندا كلها



معركة النور والظلام

أما في ألمانيا فقد ألف المؤرخ يواخيم فون ساندرت كتابه الباهر « أكاديمية العمارة والنحت والتصوير » المطبوع في نومبرج سنة ١٦٧٥ — ١٦٧٩ ثمرة الأولى . والذي كتب عنه كل المشتغلين بالفن من معاصريه كتابة ذات صفة علمية

على أنه من الضروري أن نقول بأن الاشتغال بالتأريخ الفني كان خلال القرن السابع عشر قاصراً في الغالب على دراسة الفن القديم . هذا إلى جانب وجوب التنويه بأن بعض المشتغلين بتأريخ الفن وجهوا اهتمامهم إلى ناحية الفنون الصغرى الدقيقة كأشغال المعادن وما إليها من أدوات التحلية ؛ وقد ظهر في هذا المجال كتاب قيم لبرناردي مونفا كون ، وهو مكون من خمسة عشر جزءاً طبع في باريس سنة ١٧١٩ — ١٧٢٤ L'antiquité expliquée et représentée en figures طبعاً رائعاً وشمل الكثير من الصور الجيدة، وهو من دون نزاع أول مؤلف أوضح في جلاء كل المخلفات في العصر القديم ، والتي كانت ظاهرة للعيان في تلك الأيام

وكان الفضل في انتشار هذا المؤلف ورواجه راجعاً إلى كتاب آخر ألفه النبيل كالوس[1] Caylus وفيه أشاد بذكر هذا المؤلف في كتابه Recueil d'antiquités (سبعة أجزاء طبع باريس ١٧٥٢ — ١٧٦٧)

وظل الحال في ألمانيا على ما هو عليه منذ ساندرت إلى القرن الثامن عشر عند ما أخرج يوهان فردرش كرست وزميله جينز مؤلفهما العلمي عن الفن القديم . هنا انضم إليهما أهل العلم والفضل من مدينة درسدن الذين كانوا عاكفين على كتب الفرنسيين لأنها كانت الكتب التي يمكن الرجوع إليها في ذلك الحين لعدم وجود غيرها

(له بقية) أحمد موسى



الاتساق ...

(١) كالوس أثري فرنسي مولود في ٣١ أكتوبر سنه ١٦٩٢ سافر إلى القسطنطينية سنة ١٧١٦ ومنها إلى بلاد الأغريق وإيطاليا والمناطق البحرية من لافنتا وعاد إلى باريس ١٧١٧ حيث بدأ تنظيم مجموعة تحفه وتفرغ لدراسة التاريخ القديم وعلم الآثار القديمة وأوقف نفسه على خدمة الفن والمشتغلين به من اساتذتهم

وكان عضو الأكاديمية للتصوير والنحت منذ سنة ١٧٣١ وأكاديمية المكتوبات القديمة منذ سنة ١٧٤٢ ، ولما أوقف جائزتين خاصتين بكل منهما مات في ٥ سبتمبر سنة ١٧٦٥ في باريس



المـــــرأة اليونانية

للآنسة زينب الحكيم

عنـد ما تفضل الأستاذ صاحب الرسالة الغراء بفتح « باب المرأة » في الرسالة ، حدث لحضرته هذا الصنيع الجميل ، واعتبرت هذه الرسالة عامها السابع المبارك إن شاء الله فألا حسنا بالنسبة لعالم المرأة — الشرقية عامة والمصرية خاصة —

وسيكون ما يكتب في هذا الباب ، رسالة عالية تمس حياة المرأة من شتى نواحيها ، وفق ما تقدره وتفهمه من الحياة المرأة المثقفة التي نالت قسطاً عظيماً من التعليم العالي ، وتلك التي تؤهلها مواهبها الطبيعية ، واستعدادها الفطري للمبدأ ذاته . كما تجد فيه ما قد تتوق إلى قراءته في سرعة : من أدب رفيع ، وعلم مستساغ ، وشئون تمس حياتها ، بحيث لا يشغل كل هذا إلا جزءاً وجيزاً من وقتها الثمين

هذا ونرجو ألا يحرم ميدان المرأة هذا في مجلة الرسالة التي امتازت من يوم أن أنشئت بالأسلوب الراقي ، والأدب الرفيع ، من جولات سيدات مصر المثقفات ، حتى يبرهن أن في مصر كاتبات عالمات مثقفات

المحررة

كان من بين البلاد التي زرتها في رحلتي هذا العـام : بلاد اليونان . فإذا تحدثت عنها اليوم ، فإنما أتحدث عن بعض ما شهدته وخبرته بنفسي

فأول ما لفت انتباهي عند ما وصلت أثينا الشوارع الفسيحة المنظمة ، والأوتوبيس الكبير الطويل الأصفر اللون ، وكثرة الحركة في هدوء ، فترى الترام وأنواع المركبات القديمة والحديثة ، والسيارات ذات الأجرة أو الخاصة ، والناس — كل يتخذ اتجاهه في يقظة وهدوء ، ولا تزعجك أصوات السيارات ، ولا أصوات الباعة المتجولين ، ولا مشاغبات أولاد الشارع

وباعة الجرائد والمجلات ، والحلى الزائفة ونظارات التراب الخ لهم أكشاك خشبية نظيفة لطيفة ؛ موضوعة على مسافات متباعدة على الأفاريز

ومن أهم ما أعجبت به رجال البوليس باليونان ، ولا سيما الموجودون منهم في مدينة أثينا : هندام مرتب (بذلة رصاصية اللون ، وزلك من الجلد الأسود حول الساقين) يعنون أشد العناية بالقيام بواجباتهم ، ويلحظون الزوار الأجانب باهتمام ورفق

استفسرت عن السر في هذا من وزارة السياحة ، فأخبرت أن رجال البوليس الذين في العاصمة ، والذين هم في أماكن الاصطياف منتقون من أحسن الرجال وأحسن العائلات ، وهم متعلمون ، وأغلبهم يتكلمون لغات أجنبية (كالإنجليزية والفرنسية والطليانية) لقنوا كثيراً من الآداب العامة ، ويحسنون تطبيقها عملياً في معاملة السياح والناس عموماً . تصدر إليهم أوامر وتعليمات مشددة من رئيس البوليس ، وهو رجل مشهود له بالكفاية متمرن على هذا العمل من زمن طويل ، واشتغل في سراي جلالة الملك مدة

استطلعت رأى بعض السيدات في مقدار إقبال الأم اليونانية على إرسال أولادها إلى مدارس البوليس والتجنيد ، فعلمت أنهن يفخرن أن يقوم أولادهن بهذا العمل الشريف . والإقبال على الكشافة عظيم ؛ ولقد يسر المرأة المصرية أن تعلم أن ليس باليونان أولاد متسكعون في الشوارع ، فإن المسيو متكساس رئيس الحكومة اليونانية أمر بانضمام جميع الأولاد المتعطلين والمتشردين إلى فرق الكشافة ، وهم يتعلمون بذلك النظافة والنظام ، وقضاء مصالحهم بأنفسهم ، وفي الوقت نفسه يكونون جيشاً يسير في سبيل النظام وحماية وطنه

الفتيات اليونانيات والكشافة

للفتيات فرق منظمة ، وزيهن هو الزى الكحلى اللون مع حزام أبيض رفيع وأربطة رقبة بيضاء ، وأغطية الرأس نوع يشبه

الفيصلية العراقية كلية اللون عليها دبوس ذهبي من الأمام

أما الأحذية فكانت صيفية منوعة . وحركات الفتيات والفتيان ليست على جانب كبير من الخفة والأناقة ، عكس ما اتصف به رياضيو اليونان القدماء



أثينا : معناها « آلهة السلام وحامية العذارى » وقد أشير إلى هذا برمز فوق الاكروبول ، على شكل غصن زيتون . وقد صاغ تمثال أثينا « فيداس » من العاج والذهب الخالص . وقد وضع هذا التمثال الثمين في معبد بارثينون « Parthenon » على ربوة الأكروبول المقدسة

لا يمكن لزائر بلاد اليونان التغاضي عما يلحظه من سمات الجد على وجوه الناس هناك ، وتقدير الوقت ، حتى لقد يظهر على أجسامهم نوع من الإجهاد البدني والفكري في سبيل العيش …

إذا سار الرجل في الشارع لا يحمل عصا من أي نوع في يده وإنما يحمل بعضهم السبح ، ولم يقع نظري لا في الصباح ولا في المساء على سيدة يونانية تسير وتصحب كلباً أو يتبعها كلب ، وإنما يذهبن مجدات إلى محال أعمالهن ، ويعدن نشيطات إلى بيوتهن .. قلما رأيت واحدة تلبس حذاء بكعب مرتفع في الطريق ، أو تتساهل في ارتداء ملابس لا تتناسب وكل وقت من اليوم ؛ ولم يقع نظري على واحدة منهن تساهلت في طلاء وجهها بإسراف ، وكثرة النساء اليونانيات ضنينات على العموم بأن يظهرن بمظهر الدمى أو الخلاعة

والمجتمع اليوناني المشترك هادئ ولا (يلعبون) النرد ولا غيره من ألعاب التسلية المزعجة في الأماكن العامة . وطريقة تحدثهم لطيفة ، يستخدمون أيديهم للتعبير أحياناً ، ولكن بخفة وهدوء ، وقلما يخلو الحديث أو النقاش من نكتة مستحبة مضحكة ، ويقرأون الجرائد الخاصة وهم جلوس على المقاهي أو المطاعم أو في الحدائق العامة ، ولا يتطفل أحد منهم على جرائد الغير أو ممتلكاته

المرأة في حدائق زبيون

حدائق زابيون عبارة عن بساتين فسيحة تقسمها شوارع مرصوفة نظيفة ، وبها مطاعم ومقاه كبيرة ، وتحتوي على « سراي زابيو » نسبة إلى الأخوين زاباس اللذين وهباها للشعب بعد تأسيسها من خمس وخمسين سنة مضت . وبهذه السراي معرض دائم للصناعات اليونانية ، من صناعات خزفية وزجاجية منقوشة وملونة باليد ، وأقمشة حريرية وصوفية ، وأحذية وصور زيتية وخرائط بارزة وغيرها . وبالجملة يعطي هذا المعرض فكرة تامة عن صناعات اليونان الداخلية . وتقوم بالشرح فيه سيدة يونانية

لحظت أن رواد هذه الحدائق ، والذين يجلسون على مطاعمها ومقاهيها لاستماع الموسيقى من طبقة أرقى ، فالجمهور المشترك مرتب الهيئة ، مهذب العادات إلى حد كبير ، تجلس السيدات إلى جانب الرجال من أسرهن في وقار ، ويلفت أنظارهن جميعاً مرور الزوار الأجانب ولكن نظرتهم إليهم نظرة صداقة وارتياح .

والمجتمع كله هادئ لطيف المعاملة جداً ، بشوش الوجه ، قوي النكتة ، يغلب على أفراده اللون القمحي ، وتختلف الأنوف عن طراز الأنف اليوناني القديم ، بينما الذقن والفم ، والمنظر الجانبي للوجه لا تزال كلها تحتفظ بالطابع اليوناني الأصيل

وحركات هاته الفئة من السيدات وملابسهن أنيقة للغاية ، والملابس غالية الثمن جداً على بساطة نسيجها وزيها ، وكذلك القبعات والأحذية مرتفعة الثمن ؛ وبالاستفسار علمت أن سبب ذلك هو استيراد هذه الضروريات من الخارج ولاسيما من ألمانيا ، لأن المعامل الأهلية قليلة ، والصناعات الوطنية لا تزال بدائية فى الوقت الحاضر .

وصف هندام سيدة جلست أمامى

تلبس قبعة حمراء اللون من القش الدنتلا ، على شكل هالة من الأمام ، فى أذنيها قرط مستدير أحمر كلون القبعة ، وفى يدها اليسرى سوار ذهبي عريض به فصوص حمراء كبيرة أقتم قليلاً من لون القرط والقبعة

ثيابها من الحرير الجرسيه الأبيض السكرى ، متقن الصنع جداً . وحلى صدره زران ، أحدهما مستدير كالقرط ، والذى تحته لونه كحلى قاتم ، ويحلى أحد أصابع يدها اليمنى خاتم من لون الزر ؛ وحزام الفستان أحمر من لون فصوص السوار . وحذاؤها أبيض مخرم ، وقفازها من الدنتلة البيضاء ، وشعرها كستنائى يصل إلى خلف أذنيها

زينة وجهها بسيطة ومعتدلة للغاية ، فلا تعدو قليلا من الصباغ الأحمر على شفتيها (يضاهى لون القرط) وقليلا من البودرة على وجهها . وهى ربة منزل من أسرة كريمة ، يجلس تجاهها زوجها ، وهو أيضا أنيق الهندام ، يلبس بذلة سكرية اللون (يشبه السكروته الفاتحة) وحذاؤه أبيض مع بنى . ورباط رقبته أزرق سماوى فاتح جدا وبه نقوش بسيطة من الأحمر الفاتح والبنى الفاتح .

أسود الشعر عريض الحاجبين ، صغير الشارب حليق اللحية .

يكون منظرهما حول المنضدة صورة متناسقة مهذبة .



أحد الأزياء اليونانية القديمة

فاذا صح أن هذا نموذج للأسرة اليونانية الموفقة فلا ريب فيه أنهما يتعاونان على الحياة المشتركة فى سلام واطمئنان دل عليهما ما دار بينهما من محادثات خاصة وعامة ، أثناء تناولهما القهوة ، والإصغاء إلى الموسيقى

« الحديث بقية » زينب الحكيم



مهداة الى الأستاذ توفيق الحكيم

الجائزة

للأستاذ محمد سعيد العريان

« فى القرن الثالث الميلادى ، فى عصر الملك (دقيانوس) الوثنى الطاغية ، خرج من مدينة (طرسوس) فى بلاد الروم ، بضعة نفر من المسيحيين المؤمنين ، فراراً إلى الله بدينهم من بطش الملك ، ثم لم يظهروا ولم يعلم عنهم شىء . . . وكان منهم وزير الملك . . . ! »

(أهل الكهف)

... ومضت ثلاثمائة سنة ، ومات دقيانوس ، وقامت دولة على أنقاض دولة ؛ ورفرف السلام على المدينة التى تخضب ثراها بدماء الشهداء فى عصر الطاغية دقيانوس ، وعاد الناس أحراراً فى دينهم وفى شعائرهم ؛ وعاش المسيحى إلى جانب اليهودى إلى جانب الوثنى فى طرسوس ، إخواناً متحابين ، لا يسأل أحدٌ أحداً عن دينه ولا يجادله فى مذهبه ؛ وانصرف كل لشأنه وحاجته

وجلس « صهيون بن يهوذا » إلى مكتبه ذات صباح بجانب النافذة من غرفته الواسعة المشرفة على الطريق وبين جنبيه همٌّ يعالجه ...

لقد كان صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى طرسوس ، ولكن شئون طائفته لم تكن تشغله يوماً عن شئون نفسه ؛ وكان مؤمناً مسموعاً بالتقوى والفضيلة ، عالماً مشهوراً بالاطلاع وسعة المعرفة ، مؤرخاً يروى عن السلف ويحفظ أيام الأمم ويقص ماضى التاريخ ؛ ولكنه كان إلى كل أولئك يهودياً من بنى إسرائيل ، يحب المال ويحسن تثميره وتربيته ... ومن ذلك كان أكثر همه حين يخلو إلى نفسه ؛

... وطال به الوقت وهو جالس إلى مكتبه يحسب ويعدّ ، ويقبض أصابعه ويبسطها فى حسبة لا تنتهى ، ويحصى ما معه من الدراهم وما سوف يأتيه ؛ ثم ابتسم راضياً ، ونهض عن كرسيه لحظة، ثم عاد بكتاب مخطوط فبسطه تحت عينيه وجلس يقرأ ...

ذلك كتاب قديم لم يقرأه أحد قبل صهيون إلا كاتبه نفسه ؛ وقد عثر به منذ أيام عند يهودىّ هرم من سدنة المعبد فاشتراه بنصف درهم ...

وأخذ يقلّب الكتاب صفحة صفحة وهو يقرأ عجلان غير متريث ؛ ثم وقع فجأة على خبر استرعى انتباهه ، وأيقظ شيئاً فى نفسه ، وأخذ يقرأ :

« ... وكان (مشلينيا) وزير الملك الوثنى الطاغية (دقيانوس) مسيحيًّا مؤمناً ، ولكنه كان لا يجهر بدينه عند مولاه ، وقد اتخذ فى داره معبداً لا يعرف الطريق إليه إلا صديقه (مرنوش) حيث يلتقيان كل مساء لعبادة الرب الأعظم ! »

وهز صهيون رأسه مبتسماً وهو يقول : « ما أبدع هذا ! » ثم عاد يقرأ :

« ... ووقف دقيانوس على سر ميشلينيا وصاحبه ، فثارت ثائرته ... : »

وخفق قلب صهيون بعنف ، إشفاقاً على الفتيين من ثورة الملك الذى لا يرحم ، واستمر يقرأ :

« ... وتوعد الملك وزيره بأقصى العقاب ، وضرب له أجلاً يفىء فيه إلى نفسه قبل أن يمضى فيه أمر الملك ويحل عقابه ...! »

وازدادت خفقات قلب الكاهن عنفاً وشدة ، وحضره ما يذكر من سيرة هذا الملك المتأله الذى خضب أرض طرسوس بدماء المؤمنين من رعيته كبرياء على الله ، فى غير رحمة ولا إحسان

ثم عاد الكاهن يقرأ :

« ... ولكن يد دقيانوس لم تنل ميشيلينيا وصحبه ، فقد

استطاعوا الفرار من بطش الملك الجبار إلى مكان لا يعلمه أحد ... "كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة ..."»

وشاع السرور فى نفس صهيون حين بلغ هذا الموضع من قصة أهل الكهف، وتمتم صلاة خافتة يشكر الله؛ ولكنه استمر يقرأ :

« ... وبلغ دقيانوس نبأ فرار ميشلينيا وصحبه فغلى غليانه، وسمى جائزة : مائة ألف درهم لمن يأتيه بميشلينيا حياً ... ! »

وبلع صهيون ريقه وأفلت الكتاب من يده؛ مائة ألف درهم! يا لها من ثروة ! ليته كان فى عهد دقيانوس، إذن لفعل كل ما يقدر عليه ليظفر بالجائزة ... الوثنية اليهودية، المسيحية : ما كل أولئك بإزاء مائة ألف درهم ؟ ... الله، المسيح، دقيانوس، ميشلينيا ؛ ماذا يعنيه من كل هؤلاء لو كان يملك مائة ألف درهم ؟ ...

وسبح صهيون فى أحلامه؛ وهو يقبض أصابعه ويبسطها، بحسب ما يمكن أن تغل عليه مائة ألف درهم، لو ... لو أنه كان فى عهد دقيانوس ... !

وسمع فى الشارع زياطاً وضجة فأطل من النافذة ينظر ... ثم لم يلبث أن هبط مسرعاً إلى الشارع ليرى ويسمع ...

يالله : ما أسرع ما وقعت المعجزة !...

ولم يصدق أذنيه أول ما سمع ... وعاد يسأل عن سر هذا الزحام والضوضاء؛ وأجابه محدثه : « يامولاى، إنهم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة ... لقد عثر بهم رجل فى كهف على حدود الصحراء ... إنهم الفتية المؤمنون الذين يتحدث التاريخ أنهم ... منذ ثلاثمائة سنة ... »

ولم يصبر صهيون حتى يستمع إلى بقية النبأ، لقد كان يعرف ما سيقول محدثه قبل أن ينطق؛ إنهم آية البعث لمن لا يؤمن؛ لقد ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عدداً، ثم بعثهم آية ...، ولكن ماذا يعنى صهيون من ذلك ؟... لقد كان الأمر يعنيه لو أن الله الذى بعث أهل الكهف قد بعث معهم دقيانوس، ليسعى إليه فى طلب الجائزة التى سمَّاها منذ ثلاثمائة سنة لمن يأتيه بميشلينيا حيا؛ فها هو ذا ميشلينيا، ولكن أين هو دقيانوس ؟

وبرقت له بارقة : وماذا يمنعه أن يطلب الجائزة اليوم من ملك طرسوس ؟ لقد مات دقيانوس، ولكن حقه فى الجائزة لا يضيِّعه موت دقيانوس ! ومن قال إن الملوك الذين خلفوا دقيانوس قد أبطلوا الجائزة التى سماها دقيانوس لمن يدل على ميشلينيا حيا ؟ إنها ما تزال حقًّا شرعياً لمن يسبق إلى بلاغ النبأ، لا يبطله أن دقيانوس قد مات ومضىَ على موته قرون !

ولم يتلبث صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى مدينة طرسوس، خلَّف الزحام وراءه ومضى مسرعاً إلى قصر الملك ...

« مولاى ! »

وكان وزراء الملك من حوله، فنظروا إلى صهيون يستمعون ما يقول؛ واستمر الكاهن فى حديثه :

« ... سأدلك يا مولاى على ميشلينيا، ميشلينيا وزير الملك دقيانوس الذى فر من طرسوس منذ ثلاثمائة سنة، سآتيك به حياً، والجائزة لى ... ! »

ونظر الملك إلى وزرائه . ونظر الوزراء بعضهم إلى بعض، ثم توجهوا جميعاً بأنظارهم إلى الكاهن يسألونه بيان أمره؛ ومضى الكاهن فى حديثه ... ...

وقال وزير من وزراء الملك : « يا مولاى، إنه أمر ذو بال؛ لا أعنى حديثه عن الجائزة التى يطلب، ولكن حديث الفتية الذين ناموا ثلاثمائة سنين ثم عادوا إلى الحياة؛ إنها عظة الأجيال، وآية البعث . ويقظة التاريخ الذى طوته القرون . والرأى عندى أن يطلب مولاى إلى الكاهن صهيون أن يدعو هؤلاء الفتية لنراهم رأى العين أحياء يتنفسون، ونستمع إلى حديثهم وما كان من أمرهم ... »

قال صهيون : « والجائزة ! »

قال الملك : « وتكون الجائزة لك ! »

* * *

وخرج الكاهن اليهودى مسرعاً إلى الطريق يسعى إلى الأمل لا يرى بينه وبين أن يبلغه غير خطوات معدودة، ولا يشغله من أمرٍ شيءٌ إلا الثروة التى يمنى نفسه بأن تكون بين يديه بعدقليل. ومضى فى طريقه لا يحيى أحداً ولا ينظر إلى أحد؛ فلما بلغ حيث

كان الزحام ، وجد الطريق خالية ليس فيها سائل ولا مجيب ؛ وأغذ السير يتبع آثار الجماعة إلى خارج المدينة وهم يثيرون الغبار وراءهم على مبعدة ؛ فأدركهم بعد عناء ...

وبدا له على مرمى قريب جبل قائم يشتد الزحام عند سفحه ، من كثرة يموج بعضهم في بعض ، ويتطاولون بأعناقهم ليروا شيئاً لا يتبينه حيث يقف ؛ فاستجمع عزمه وراح يشق الزحام بكتفي جبار ، وفي نفسه شعور غامض يوحي بالحيرة والقلق ...

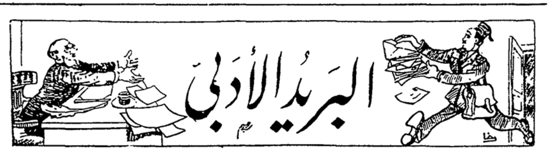
وبلغ سفح الجبل ، فرأى وسمع وعرف ؛ هذا كهف الرقيم حيث يرقد ميشلينيا وصحبه ، وحيث كانوا يرقدون منذ ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ؛ ضرب الله على آذانهم فناموا ما ناموا ، حتى إذا أراد الله أن يظهر آيته أيقظهم فترة من الزمن ليكونوا رسالة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، وحقيقة من التاريخ تنطق بالعبرة ، وموعظة ناطقة تتحدث بما كان وبما يكون . فلما بلغ الله بهم ما أراد من بيان قدرته ، ردهم إلى التاريخ ليكونوا خبراً من خبره تتحدث به الأجيال .

* * *

وأطرق صهيون بن يهوذا لحظة يتفكر ؛ ثم لوى عنانه عائداً يشق الزحام وفي نفسه حسرة وألم ...

وعاد الناس جميعاً مطرقين برءوسهم يتفكرون؛ ولكن الخواطر التي كانت تصطرع في رأس صهيون، كانت تعدل مايصطرع في رءوس الناس جميعاً أو تزيد . كانوا جميعاً يفكرون في البعث والنشور والآخرة ، وكان هو وحده من دونهم يفكر في الجائزة التي لا يجد سبيلاً إليها وكانت على مدّ يمينه ، لأنه لا يجد سبيلاً بعد إلى أن يصحب ميشلينيا حياً إلى قصر الملك !

« شبرا » محمد سعيد العريان



دراسة عن شوقي بالفرنسية

في القاهرة تصدر مجلة رفيعة باللغة الفرنسية يديرها محمد ذو الفقار بك ويشترك في تحريرها نخبة من الكتاب المصريين والفرنسيين ، وهي في سنتها الأولى ، واسمها « مجلة القاهرة » La Revue du Caire . وفي عدد ديسمبر من هذه المجلة مقالة نفيسة للأستاذ إدجار جلاد صاحب (الجورنال ديجبت) ، تناول فيها شاعرية احمد شوقي . فذكر طرفاً من تاريخه وبسط أسلوبه الاتباعي وأشار إلى جزالة لفظه ، ثم نقل إلى الفرنسية قصيدة من غزلياته . وخاصية المقالة ما جاء فيها من الكلام على استلهام شوقي لجهاد مصر الوطني ونهضة فكرة الإسلام والاضطراب العمراني في الشرق

اتصال المصريين لهذا العهد بأجدادهم

نشر المستشرق الألماني الأستاذ (رودي پَرت R. Paret) في « مجلة العلوم الدينية » (عدد ٣٥ ج ١و٢) البارزة باللغة الألمانية في مدينة ليبتسج مقالاً لطيفاً يبحث في استمرار الحضارة المصرية ، ولا سيما في مصر العليا على تعاقب العصور ، في الناحية المادية (مثل أدوات المأكل والمشرب والغزل والحرث) واللغوية (مثل إخراج حرف القاف) والدينية (نحو إقامة الأعياد) والاجتماعية (كالعادات والعقائد الخاصة بالمولد والموت والزواج والدفن) . وذلك بالرغم من هجوم الحضارات الأجنبية كالإغريقية والرومانية والعربية والنوبية والسودانية . واعتماد صاحب المقال على كتابين : الأول بالإنجليزية وعنوانه « فلاحو مصر العليا » من تأليف فنفرد بلاكمان ، والثاني بالألمانية وعنوانه « التراث الشعبي في مصر » لصاحبه فنكلر

حديث عن المسرح الباريسي

أفضى الدكتور بشر فارس إلى صحيفة (الجورنال ديجبت) الصادرة في القاهرة باللغة الفرنسية عند وصوله إلى ميناء الإسكندرية عائداً من باريس بحديث عن المسرح الباريسي في هذا الخريف . ويستخلص من هذا الحديث أن التأليف المسرحي هنالك آخذ في التأخر لتغلب فن الإخراج على إبراز النص ، ولانجذاب المؤلفين إلى الموضوعات الفاسقة مثل حب أم لابنها ، وغرام رجل بآخر . ولشغلهم بالمشكلات السياسية فيستهزئون بالحكم المطلق وينادون بحقوق المرأة ، ويندون بالضرائب ، ويقاومون الميل إلى الحرب والفتك ، ثم لانصراف عامة الجمهور عن المسرحيات الناهضة على التفكير والتأثر الدفين والإيحاء إلى المسرحيات السهلة التناول ، الزاخرة بالعواطف المفرطة ، الفياضة بالجمل « الظريفة » أو الألفاظ الساقطة والمبتذلة

الأسس التجريبية للنظريات الكهربائية الحديثة

ألقى الأستاذ ألبير دره عضو المعهد الأمريكي للمهندسين الكهربائيين محاضرة في ٢٧ ديسمبر الماضي في قاعة معهد أنشئ حديثاً في القاهرة للدراسات الرياضية والطبيعية، استعرض فيها أهم الخواص الكهربائية والمغناطيسية للمادة التي كانت أساس النظريات المعروفة في أواخر القرن الماضي، وذكر ما طرأ عليها من اكتشافات حديثة تطورت بسببها أغلب النظريات الخاصة بتكوين المادة

وكانت هذه المحاضرة تمهيداً لتوزيع العمل بين أعضاء اللجنة التي أنشئت في هذا المعهد لدراسة تطورات هذه النظريات وما بنيت عليه من وقائع تجريبية

فابتدأ المحاضر كلامه عن ظاهرة الكهرباء التي كان القدماء يعلمون بعض خواصها البسيطة والتي تقدمت العلوم المتعلقة بها تقدماً

سريعاً فى خلال القرن الثامن عشر بعد أن برهن العالم الفرنسى كولومب بواسطة تجارب دقيقة أن القانون الذى تخضع له القوات بين الجسيمات المكهربة هو نفس قانون نيوتون للجاذبية بين المادة. ثم استنتج من هذا القانون أهم خواص الأجسام المكهربة وبين ما هو الفرق بين الأجسام الموصلة والأجسام العازلة

ثم تناول المحاضر بعد ذلك ظاهرة المغناطيس التى كانت أيضاً معروفة للعلماء منذ قديم الزمن، والتى تخضع لقانون كولومب غير أنها رغم وجود نوعين من الكتل المغناطيسية لا يمكن الفصل بينهما مهما جزئ الجسم المغنطس، بخلاف الكهرباء التى يمكن عزل أحد نوعيها عن الآخر بسهولة ؛ وهذا الفرق فى الخواص جوهرى بعث العلماء على الأخذ بنظرية أمبير التى تعتبر أن المغناطيس لا يظهر فى المادة إلا بسبب حركة الجسيمات الكهربائية فى باطنها

وأخذ المحاضر يشرح خواص الكهرباء إذا تحركت وأنتجت تياراً يترتب على مروره فى الأجسام الموصلة ظواهر حرارية وكيميائية ومغناطيسية وتدرج من ذلك إلى ذكر قوانين فراداى وأمبير المشهورة وقانون لنز (Lenz) الذى يلخص جميع قوانين التأثير المغناطيسى بأنها ظاهرة من ظواهر مقاومة المادة لتغير حالتها الكهربائية أو المغناطيسية . وإذا عممت هذه القوانين على المادة العازلة يمكن كما وضح ذلك مكسويل فى معادلاته المشهورة البرهان على أن هناك تموجات كهربائية تنتشر فى المادة وفى الفضاء بسرعة الضوء، بل على أن الضوء نفسه ما هو إلا نوع خاص من هذه التموجات ، وقد شرح المحاضر الحسابات الرياضية الخاصة بذلك . ولقد كان العالم هرتز أول من اكتشف هذه التموجات فى تجاربه المعروفة ، فانتشر استعمالها فى الوقت الحاضر بسبب التقدم المدهش الذى تم فى فن الراديو منذ أوائل القرن الحالى

وختمت المحاضرة بذكر الاكتشافات المدنية التى تمت منذ أواخر القرن الماضى، والتى مكنت الطبيعيين من أن يستخرجوا من المادة جسيمات مكهربة وأخرى خالية من الكهرباء ، وتموجات مختلفة دلت على أنها مركبة من عناصر غاية فى الصغر لا يمكن إدراك طبيعتها وتفسير تأثير بعضها على بعض إلا إذا أخذ المرء بترك ما عودته حواسه على تصوره عن العالم حوله وتبع فطاحل علماء الطبيعة الحاليين مثل إينشتين وبلانك وبوهر ودى بروجلى وهيزنبرج وشرودينجر وديراك فى عالم تفكيرهم الجديد

م م غ

الحلقة المفقودة

تلك هى حلقة العلماء الذين عرفوا الإسلام وأصوله ، وعرفوا روح العصر وعلومه . ولقد كتبت مرة فى افتقارنا إليها ، وفقداننا إياها ، فلما رأيت (الكلية الشرعية فى بيروت) ودرّست فيها قوى فى نفسى الأمل بوجود هذه الحلقة المفقودة . فلما قرأت ما تفضل صاحب الرسالة فكتب عن الكلية ورحلة مديرها الفاضل صديق الأستاذ محمد عمر منيمنة أحببت أن أطمئن إخواننا بأن ظهور هذه الحلقة المفقودة لم يبق أملاً وإنما صار حقيقة تلمس باليد . وأدلة تحقق الأمل هذه (الكلية الشرعية فى بيروت) التى أقامها من العدم سماحة الأستاذ التقى المخلص مفتى الجمهورية اللبنانية محمد توفيق خالد ، والتى يديرها وينهض بها الأستاذ منيمنة والأستاذ العامل الشيخ صلاح الدين الزعيم ، ويدرس فيها جماعة من الفحول كالمحدث الجليل الشيخ محمد العربى ، والأديب الكبير الشاعر الشيخ عبد الرحمن سلام . ومن الأدلة (المدرسة الشرعية) فى دمشق التى أنشأها من ماله الأستاذ الزعيم المعروف الشيخ محمد كامل القصاب رئيس جماعة العلماء ، والتى يدرس فيها طائفة من أكابر علماء دمشق ، كالعلامة الشيخ محمد بهجة البيطار ، والأستاذ دهمان . وآخر الأدلة وأظهرها (دار العلوم الشرعية فى بغداد) التى أعاد سعادة الأستاذ الكبير حسن رضا بك مدير الأوقاف العام تأسيسها ، وجعلها مدرسة عالية كالحقوق ؛ والتى يديرها الأستاذ العلامة الحاج حمدى الأعظمى، ويدرس فيها الأستاذ الشيخ قاسم القيسى ، والأستاذ الأديب الشيخ محمد بهجة الأثرى وأضرابهم

وهذه المدارس كلها تجمع بين الثقافة الإسلامية ، وبين علوم العصر وثقافته ، وذلك ما نحتاج إليه ونتمناه . فجزى الله القائمين عليها ، والساعين إليها ، وإلى أمثالها أحسن الجزاء ، وحقق الله بها الأمل

« بغداد » ع ط

حول مقال

أستاذنا الكبير صاحب الرسالة الكريمة

فى المقال الأخير من « الحقائق العليا فى الحياة » للأستاذ النابغ المحقق عبد المنعم خلاف وردت تلك الجملة : « ولذلك حينما وصف الإسلام لنيتشه أو شو بنهاور — لا أذكر — قال لمحدثه : « إذا كان الإسلام كما وصفت فنحن كلنا مسلمون ! » مع أنه كان ملحداً منكراً لعقيدة الجماهير »

والصحيح يا سيدى أن تلك الكلمة التى أوردها الأستاذ فى معرض الكلام عن الإيمان والعلم لم يقلها هذا ولا ذاك ، وإنما الذى قالها هو « جوته » الفيلسوف الألمانى بعد أن أوقفه محدثه على حقيقة الإسلام .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

عبد العليم عيسى
كلية اللغة

مشروع لاحياء أدب الرافعى

إلى الأستاذ محمد سعيد العريان .

لقد كان فى تقريرك أن بين أدب الرافعى « وبين الأكثرين من ناشئة المتأدبين حجاباً كثيفاً يمنعهم أن ينفذوا إليه أو يتأثروا به» للأسباب التى ذكرتها فى عدد الرسالة ٢٨٥ ، تعميم قد يكون فيه تجن على الحقيقة ، وقد يصدق على القليلين الذين لا ذنب للرافعى — رضوان الله عليه — فى أن تكون على بصائرهم غشاوة فلا يفقهون . والذى أعرفه — ويعرفه كل أديب ومتأدب فى الأقطار الشقيقة — أن الكثرة المطلقة من هؤلاء مدينة لأدب الرافعى فى توجيهها إلى طريق الأدب الصحيح ، وأن الناس هنا ليتزلون الرافعى من نفوسهم منزلة الأولياء والصالحين . وليس أدب الرافعى من السهولة بالقدار الذى توهمه بعض المدرسين عندكم ، فظنوا أن فى إمكانهم هدمه بوسائلهم البسيطة التى تقدموا بهـا ، بل هو أدب خالد سيكون له شأن عظيم عند الأجيال المقبلة فى التاريخ

وإن كل عربى وكل مسلم فى الأقطار الشقيقة ووراء بحر الظلمات فى الأمريكتين ، ليحس بأثقل من التبعات التى تحس بثقلها على عاتقك ، ويود من أعماق شعوره أن يجد وسيلة عملية يعبر بها عن وفائه للرافعى رضوان الله عليـه ؛ وإننى لأشعر بأننى أعبر عن آراء الجماهير المتأدبة فى الأقطار الشقيقة ، حينما أقترح عليك أن تتفق مع إحدى دور النشر الكبرى فى عاصمة الفاروق على إعادة طبع جميع مؤلفات الرافعى التى نفدت طبعاتها الأولى من دكاكين الوراقين ، وأن تحضر للطبع أيضاً المؤلفات الأخرى التى لما تطبع ، وأن تبادر إلى الإعلان عن ذلك لتسديد نفقات الطبع عن طريق الاشتراك ، بعد أن يذكر اسم كل كتاب ومقدار الاشتراك فيه ، فى مجلة الرسالة التى لا أشك فى أن الأستاذ الزيات سوف لا يضن بفراغ فى بعض صفحاتها لذلك الاعلان مدة طويلة ، وأنا كفيل أنك ستجد الوفاء عملياً كيف يكون . وانتظاراً لما ستقوم به فى هـذه الناحية العملية ، أسأل الله أن تكلأك عنايته وأن يمدك بروح من عنده .

« فلسطين » — سعيد عوده

دراسة المخطوطات العربية فى جامعة برنستون بأمريكا

تعنى جامعة برنستون عناية خاصة بدراسة اللغات السامية وآدابها وتاريخها وبنوع أخص اللغة العربيـة وأدبها وتاريخها . ولقد بذلت الجامعة فى هذه الدراسة مجهوداً عظيما، فقد قام الدكتور فيليب حتى أستاذ الآداب السامية فيها ومن معه من الأساتذة بنشر دراسات قيمة لنواح متعددة من تاريخ العرب وثقافتهم . وقد نالت هذه الدراسات شهرة عالية لأنها تعتبر فى المرتبة الأولى من المراجع الممتازة

وقد درس الدكتور فيليب حتى والدكتور نبيه أمين فارس والدكتور بطرس عبد الملك مجموعة المخطوطات العربية التى يملكها المستر روبرت جرت من بلتيمور وهى المحفوظة فى خزانة مكتبة جامعة برنستون دراسة نقدية دقيقة. وها هم أولاء ينشرون هذه الدراسة باللغة الانكليزية لتكون فى متناول العلماء والطلاب وجميع من يهتمون بهذه الدراسات

وقد اطلعنا على مقدمة هذا الكتاب فوجدناه على جانب كبير من الأهمية لمن يدرسون آداب العرب وعلومهم . ولعلنـا نترجم هذه المقدمة فى عدد قادم زيادة فى التعريف بهذا الكتاب

وهو يطلب من المطبعة الأمريكية ببيروت

المسابقة الأدبية والرسائل التي قدمت

تقرر تأليف لجنة من حضرات الأساتذة محمد صادق جوهر بك مراقب الامتحانات ، والدكتور على مصطفى مشرفه بك عميد كلية العلوم ، ومحمد شفيق غربال بك وكيل كلية الآداب ، واحمد أمين أستاذ الأدب العربي ، واسماعيل القباني بمعهد التربية للبنين يعهد إليها فحص الرسائل التي قدمت للوزارة في مباراة الانتاج الفكري بين رجال التعليم وأساتذة المدارس . وقد جعل من حقها أن تستعين بمن ترى الاستعانة بهم من الاخصائيين في المواد المختلفة .

وقد تقدمت الرسائل التالية :

في الأدب : رسالة الأدب المصري في عهد الأسرة المحمدية العلوية لسيد نور الدين هلال . والبارودى لفخرى أبو السعود

وفي التربية وعلم النفس : رسالة في الشباب والمراهقة لرياض محمد عسكر . وتحليل النفس لمحمود محمد محمود . والتربية في طرق القصص لإيزيس حبيب . ورياضة النفس لفهمى اسحاق

وفي التاريخ : رسالة في « تاريخ الثورة الفرنسية » لعباس الخردلى . ومصير الحضارة في ضوء تفسير التاريخ وتطبيقه لابراهيم مسلم والخلافة والسياسة لفخرى أبو السعود . وجامعة الأسكندرية لابراهيم ابراهيم جمعه .

وفي الطبيعة والكيمياء : رسالة في قصص العلماء والمخترعين في الكهرباء واللاسلكي لعاطف البرقوقى ، وعجائب الفيزيقيا لأحمد فهمى أبو الخير ، والكيمياء ومسائل الحياة اليومية لحسن عبد السلام ، والحسن ابن الهيثم وجهوده في علم الضوء لعبد الحميد حمدى مرسى ، وحياة النبات ومبدأ التناظر لعبد الحليم منتصر

وفي الرياضة : رسالة في التحويلات الهندسية لحسن رضوان

وفي الجغرافيا : رسالة موضوعها مصر بين الزراعة والصناعة للويس اسكندر

وفي الفلسفة : رسالة عن أحلام الفلاسفة في المدينة الفاضلة لزكى نجيب محمود ، وما كان وما يكون لابراهيم السيد اسماعيل

وفي الاجتماع : رسالة في روح القومية مقدمة الإصلاح الاجتماعي لأحمد خاكى ، وسر النجاح في العصر الحاضر لأحمد حمدى

الأمير شكيب أرسلان في دمشق

كانت وزارة المعارف السورية قد أصدرت مرسوماً بتعيين الأمير شكيب أرسلان المقيم في سويسرا رئيساً للمجمع العلمي العربي في دمشق ، وقد قبل الأمير هذا التعيين، وتقول صحف دمشق إنه ينتظر وصوله إلى سوريا في الأسبوع القادم لتسلم منصبه العلمي

تنظيم مجمع اللغة

انتهى معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف من دراسة المشروع الجديد لتنظيم مجمع « فؤاد الأول » للغة العربية . وهو الذي وضع بعد سحب المشروع القديم من مجلس الشيوخ

وقد أرسل المشروع الجديد إلى قلم قضايا الحكومة لوضعه في الصيغة القانونية توطئة لعرضه على مجلس الوزراء فالبرلمان

أستاذ في جامعة فينا يزور مصر في مهمة علمية

وصل إلى القاهرة أول من أمس البارون فون ورش أستاذ أمراض الرئة في جامعة فينا ، تلبية للدعوة التي وجهت إليه ، لإلقاء ثلاث محاضرات في « أمراض الرئة » في الجمعية الطبية المصرية ، وذلك في أيام ٢ و ٤ و ٧ يناير

الثقافة

غداً يصدر العدد الأول من مجلة الثقافة ؛ والثقافة مجلة أسبوعية تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ ولجنة التأليف والترجمة والنشر تاريخها معروف في نشر المعرفة لدى القراء والأدباء منذ ربع قرن ، فلا يمكن أن يصدر عنها إلا كل جليل ونبيل . والرسالة ترحب بالثقافة ترحيب الشقيقة بالشقيقة ، لأن بينهما من صلة الروح والدم والفكر والغاية ما لا يؤثر فيه اختلاف الدار ولا تباين المظهر . وهى ترجو الله مخلصة أن يوفق الثقافة بمقدار نيتها في صدق الجهاد وإخلاص العمل وتوخى الحق

عالم سويسرى يزور مصر

اعتزم العالم الكبير فريير أستاذ علم التربية بجامعة سويسرا زيارة البلاد المصرية في شتاء هذا العام . وقد انتهزت وزارة المعارف هذه الفرصة ودعته لإلقاء محاضرات في علم التربية الحديثة

استدراك

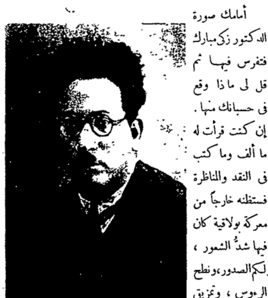
فاتنا أن نقول إن الصورتين المنشورتين في صفحة ٣١ وهما معركة النور والظلام ، والانسان هما من تصوير الدكتور أحمد موسى ، وقد تكلمنا عنهما في العدد الماضى في باب البريد الأدبي



التصوف الاسـلامى

فى الأدب والأخلاق

تأليف الدكتور زكى مبارك



أمامك صورة الدكتور زكى مبارك فتفرس فيها ثم قل لى ماذا وقع فى حسبانك منها. إن كنت قرأت له ما ألف وما كتب فى النقد والمناظرة فستظنه خارجاً من معركة بولاقية كان فيها شدُّ الشعور، ولكم الصدور، ونطح الرءوس، وتمزيق الملابس. وما هذا الرواء البادى على وجهه وهندامه إلا خداع النظر أو فن المصور

وإن كنت قرأت له التصوف الإسلامى فستتخيله لا يزال فى سنتريس (مريداً) للشيخ الطاوى الشاذلى يعكف على الأوراد ويشارك فى الإنشاد، ويحمل الإبريق، وينقر الدف؛ فهو أشعث أغبر ضاوٍ من أثر الذكر والصوم والعبادة

وإن كنت قرأت له هذا وذاك غلب على ظنك أن الرجل قامت به حال نفسية جديدة دل عليها هذا المظهر الجديد؛ فإن إرسال الشعر وتشعيثه من سمات الفلسفة والتصوف والفن. وأنت واجد فى كتاب التصوف الإسلامى صفات وخطرات من كل أولئك جميعاً. وفى رأينا أن هذا الكتاب يؤرخ طوراً جديداً من حياة صديقنا الدكتور، هو طور التأمل والتعمق والنفوذ إلى صميم الجد فى الموضوع. وهو خليق بأن يسبل على ما تقدمه من مناصراته الجريئة فى الرأى والفعل ستاراً من الصفح الجميل. وإذا كان الله قد عود الشعراء والأدباء أنه يغفر لهم من ذنوبهم ما تقدم وما تأخر ببيت من الشعر أو خاطرة من الرأى فما أحرى زكي مبارك أن يدخل معه الجنة على حساب كتابه ألفاً من الأدباء المحرومين!

الحق أن كتاب التصوف الإسـلامى بناء شامخ الذرى فى تاريخ الأدب. وأقوى ما يروعك منه الجهد والاطلاع والفهم. وهذه الخصائص الثلاث هى ميزة الكتاب الجليل والبحث الجامع. وإذا كان المؤلف قد نجح فى « إبراز الملامح الأدبية والخلقية للنزعة الصوفية » فانه نجح كذلك فى كشف ناحية من الأدب العربى والفكر الإسـلامى كان الأدباء المؤرخون يمرون عليها معرضين، كما يمر السائح الغفلان على منجم الذهب فلا يرى إلا صخوراً وحجارة. والصوفية هى النزعة الوجدانية الصافية فى الفطر السليمة، ولها فى الأدب والخلق والفلسفة والحياة إشعاع هادٍ كإشعاع الحق، وكان لابد لهذا العنصر الباهر المجهول من (مدام كورى) فى زيّ زكى مبارك تنهك الجسم والعصب، وتنفق الوقت والذهب، فى سبيل كشفه

لا أريد أن أعرض لك الكتاب ولا أطيق الآن أن أحلله وأنقده، فهو يقع فى نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير؛ وعرضه وتحليله لا يغنيانك عن مطالعته شيئاً. وكل ما أقوله لك إنك ستجد زكى مبارك فيه رجلاً آخر غير الشاب الذى عرفته فى سائر كتبه.

فيض الخـــاطر

مجموع مقالات أدبية واجتماعية للأستاذ أحمد أمين

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه مقالات بعضها نشر في مجلة « الرسالة » وبعضها نشر في مجلة « الهلال » ، والبعض الأخير لم ينشر في هذه ولا تلك ؛ جمعها كاتبها أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، في كتاب إجابة لدافع غريزة حب البقاء ، لأنها — مجموعة — أدل منها متفرقة ، وفي كتاب أبين منها في أعداد

والأستاذ أحمد أمين من كبار المؤرخين المعاصرين في العربية ، يدين له تاريخ الحياة العقلية في القرنين الأول والثاني للهجرة بأحسن ما كتب في دراسته من سبل التحقيق في التاريخ . غير أن كتابة الرجل وإن ظهرت عليها مسحة من التدبر العلمي في استقصاء الأسباب وربط النتائج لها كمظهر تحليلي . فإن التقرير دون التحليل هو طابع دراساته . ولكن تقرير الحوادث والوقائع عنده خاضع لمحكمة النقد العليا التي تستنزل أولياتها من المنطق التاريخي ، ومن هنا جاء ما لدراسات الرجل من قيمة

والرجل يمتاز بكل سمات العالم في بحثه ، من سلامة النظر وسعة الاطلاع والنزاهة وهدوء الطبع . غير أنه ينقصه التحليل في عمقه . وطابع التقرير يوقفه كثيراً عند ظواهر الأشياء دون أن يستجلي بواطنها . ولا أدل على ذلك من نظرة سريعة لموضوعات مقالاته التي نشرها بعنوان « فيض الخاطر » ؛ فهو في المقال الأول يتكلم عن « الرأي والعقيدة » ، ويرى الرأي شيئاً والعقيدة شيئاً آخر ، وهو يذهب في كلامه مولياً وجهة من النظر تذكرنا بوجهة الفنان توفيق الحكيم في المقال الأول من كتابه « تحت شمس الفكر »

يرى الأستاذ أحمد أمين مكان الرأي الدماغ؛ أما العقيدة فمكانها القلب . والواقع أن هذه التفرقة اعتبارية محض ، فضلاً عن أن القسمة غامضة ، فنحن لا نعرف من القلب معنى غير الشعور والإحساس الباطني ، ومثل هذا الشعور والإحساس الباطني ليس الرأي ببعيد عنه . وكم من رأي هو وليد الشعور الباطن والإحساس الداخلي

وفي هذا المقال يرى الكاتب أن الإيمان بالشيء يستتبع العمل على وفقه لا محالة ؛ غير أننا نلاحظ أن الإيمان شيء والعمل شيء آخر ، وليس الإيمان بالشجاعة أو الكرم من الأسباب التي تجعل المرء كريماً أو شجاعاً ؛ فالكرم عادة وخلة تغلب على الطبع ، والشجاعة قوة للتغلب على المكاره مردها النفس ، وليس للعقيدة دخل فيها ، وإن كانت العقيدة تتلون بها

وفي المقال الثاني يتكلم الكاتب عن « الكيف والكم » ويقدر أن تقدير الأشياء بالكم شيء يرتبط بالطفل في نشأته والأمة في طفولتها . ولما كان كل إنسان مر في طور الطفولة ، والأمم جميعها مرت بهذا الطور ، لهذا علق بالذهن الإنساني تقدير الأشياء بكمها . وهذا كلام صحيح ولكن يغلب عليه التقرير دون التحليل ، لأن التحليل يستلزم النظر في أسباب ارتباط تقدير الأشياء بكمها بطور الطفولة عند الإنسان

وفي المقال الثالث عن « صديق » نجد الكاتب يولي وجهة من التقرير للأمور ، فيبدع في عرضه وتصويره ، ولكنه لا يتناول

وزكي مبارك — إن أردت فيه كلمة الحق — مجاهد باسل من المجاهدين القلال الذين شقوا طريقهم في الحياة بالقوة ، وأخذوا نصيبهم من المعرفة بالكد ، وأحلوا أنفسهم محلهم اللائق بالصراع . وهو أحد الأدباء الذين لم يقم مجدهم الأدبي على الظروف والحظ . وإذا كان الحظ قد وقع في حياته فهو الحظ النكود . لأنه نعم بكدح قلمه ، وتقدم بفضل جهاده ، ثم كانت الظروف التي تساعد غيره تلح عليه بالنكران والحرمان من غير هوادة

ومن أثر ذلك كان هذا الإعلان المستمر عن نفسه وعن عمله . وهي صفة لا تتفق كثيراً مع وقار العلم وجلال الخلق . ولكنها آتية إليه من وراء الوهي على ظن أن الناس ينكرون عليه فضله وينفسون عليه مكانه

ولو استطاع زكي مبارك أن يتملق الظروف ويصانع السلطان ويحذق شيئاً من فن الحياة (Savoir-vivre) لاتقى كثيراً مما جرته عليه بداوة الطبع وجفاوة الصراحة . ولكن هذه الأعراض النفسية ستفنى فيه وفي الناس ، ويبقى ذلك المجهود العلمي الضخم الذي قدمه إلى الأدب العربي في شتى مناحيه شاهداً على صدق خدمته للأدب ورفيع مكانته في النهضة . الزيات

يحثه وجه تحطم صديقه من التناقض الذى فى نفسه . هذا . . .
وهل يمكن أن يوجد إنسان ليس له وحدته النفسية إلاّ ويكون منحلاً شخصية إلى شخصيات ، وإذن كان الوجه التحليلى فى هذا الموضوع أن يتناول الكاتب بحثه تداخل الشخصيات التى انحل إليها شخص صديقه ، ويبين أثر هذا التدخل فى إيجاد الاضطراب فى نفسه حتى انتهى إلى تحطيمه

وفى المقال الرابع كلام عن « أدب القوة وأدب الضعف » ظاهره جميل ، ولكن أدب الضعف الذى يلمسه الكاتب فى الأدب العربى أليس صورة صادقة من الحياة العربية ؟ إذن ماذا يطلب الكاتب ؟ أيريد من الخراف أن تلبس جلد الأسود ؟ هذا يخرج بالمسألة عن الصدق ، والصدق أساس الأدب عند الكاتب ...

أظن هذه أمثلة وإن كانت سريعة موجزة خطوطها إلا أنها كافية لتثبت أن الكاتب يقف عند حدّ التقرير فيما يكتب . لكن سلامة النظر وسعة الاطلاع وهدوء الطبع تجعل التقريرات التى يقررها الكاتب تتسم بميسم الصدق والواقع فى العموم . وهذا لا يمنع أن يتسرب فى بعض الأحيان بعض الخطأ إلى تقريرات الكاتب ، غير أنها قليلة فى المجموعة ، نذكر منها قوله إن العالم خاضع للمنطق ، وأن له غرضاً يسير إليه وليس يسير حسبما اتفق ، وأنه محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير

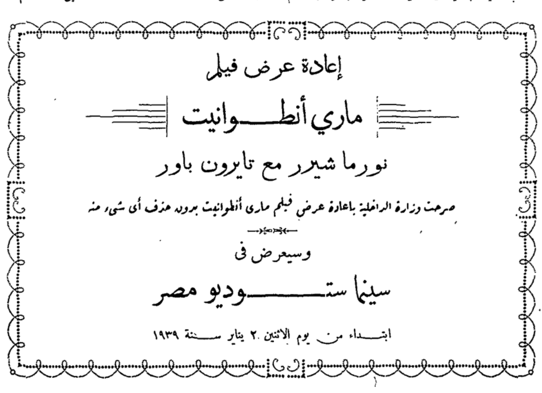
أما كون العالم محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير فهذا صحيح ، وكونه خاضعاً للمنطق صحيح ؛ أما أن يستخلص من ذلك أن العالم له غرض يسير إليه وليس يسير حسبما اتفق - فهذا مما لا نوافق الكاتب عليه . فيصح أن يكون العالم سائراً حسبما اتفق وليس له غرض ، ومع ذلك تراه خاضعاً للمنطق محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير

أما بيان ذلك فقد استوفيناه فى بحث سابق منشور بعدد أغسطس سنة ١٩٣٧ من مجلة (الإمام) وفى مقال كتبناه بعدد مارس سنة ١٩٣٨ من مجلة (المقتطف)

والكاتب يمتاز أسلوبه بإشراق الديباجة ودقة التعبير ، غير أن أسلوبه ينقصه السرعة والهزة التى تجذب النفس ، فمن هنا لا يمكن اعتباره أسلوباً أدبياً

والكاتب فى المجموع دراسات قيمة تمتاز بوجه عرضها للموضوع الذى يبلغ به الكاتب أحياناً منزلة الجودة الفنيّة ، نذكر من هذه الموضوعات « سلطة الآباء » و « من غير عنوان » و « منطق اللغة »

« أبو قير » اسماعيل أحمد أدهم





شارع عماد الدين والمسرح

كانوا قديماً يسمون شارع عماد الدين شارع الفن، وكان البعيد عنه يحسب أن فيه الفن حقاً . وما زالت تلك الصفة ملقاة عليه معروفة عنه حتى لأهله الذين يعرفون كل ما فيه . وقد كان جائزاً فيما قبل أن يسمى شارع الفن لأنه كان يضم بين جنبيه فرقتين أو أكثر تعملان وتجاهدان

أما اليوم فماذا فى شارع عماد الدين ؟ فيه أربعة مراقص تلبس الانسانية فيها أقبح الأردية . إى والله لم يعد فيه إلا المراقص تنمو وتتكاثر ويرتادها الناس وعلى المسرح السلام ..

الجمهور المثقف الذى يفهم أهمية المسرح ويقدرها قد جرى مع غيره فى مجرى واحد من حيث جحود التمثيل وعدم المبالاة باحتضاره؛ وأصبح يجد فى (الصالات) ما يكفل له تمضية السهرات دون حنين إلى المسرح المقهور أو شفقة عليه ؛ حتى أصبح شارع عماد الدين وما حوله بقعة مجردة من الحياء ، بعيدة عن روحانية الفن بعد الأرض عن السماء ...

فهل انتهى بذلك تاريخ المسرح المصرى؟ وهل انصرف أبطاله كل الانصراف إلى السينما حيث المجال المادى المربح ؟ . نرى هذا، ولكنا نأمل ألا يستمر ؛ لأن للمسرح الحقيقى المثقف تأثيره فى النفوس، والسينما قد تستطيع أن تحل محله، ولكنها لا تستطيع أن تكفى عنه كل الكفاية . فهو إذن ضرورى ، وهو لو نهض نهضة حقة سيقف إلى جانب السينما وتحلعها ، وسيعيش وسيكون له شأن .

وأبطال المسرح المصرى لا يزالون أحياء ولا تزال فى نفوسهم الرغبة إلى محاولة الجهاد فى سبيل النهوض به ، ولكن يعجزهم المال ، فيظلون فرادى لا جامع لكلمتهم ولا مستغل لمواهبهم .

وحسب وزارة المعارف أن تهيئ (تكية) وتقيمها فى دار (الأوبرا) شهراً أو شهرين من العام ، وهذا عندها هو تشجيع التمثيل .

اجمعوا الجهود وقسموها إلى وحدات ، هذه للدرام وهذه للكوميدى وهذه للتراجيدى ، تخلقوا جواً شريفاً لمنافسة وتروا نهضة جديدة للمسرح . . . وإلا فقد انتهى أمر التمثيل المسرحى حقاً ، وأصبح (شارع الفن) بقعة موبوءة تظل تنحط وتنحط حتى لا يكون فيها موطئ لقدم شريف

أخيراً تزوجت

ولعل الأمل الباقى فى حياة المسرح المصرى منوط بعنق جمعية أنصار التمثيل والسينما ، وهى وإن كانت مقلة فى إنتاجها ما تزال تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من بناء المسرح المنهار . وكان آخر ما قدمته الجمعية بدقة بلغت حد الإعجاب رواية « أخيراً تزوجت » فى حفلة الجمعية الخيرية الإسلامية بدار الأوبرا فى الأسبوع الماضى . وإنا لنتمنى لهذه الجمعية أن تواصل نشاطها حتى تكون هى الرمق الحى الذى نرتجى من ورائه للمسرح المصرى بعض الخير

وها هى ذى الفرقة القومية لا تكاد تقضى شهراً فى عمل، حتى تقضى مثله أو أمثاله فى كسل . ها هى ذى تنهى دورتها الأولى بعد فترة لم تنتج فيها جديداً يذكر لتعود إلى نومها المعتاد. وهنيئاً لأفرادها هذا الجو الناعم !

فارس الميدان

فرقة الريحانى هى الفرقة التمثيلية الدائمة التى تبرهن على أن التمثيل الكوميدى لما ينعدم بعد . والريحانى يشكر على هذه المثابرة. غير أننا نأخذ عليه اعتقاده بأنه هو وحده الآن فارس الميدان ، وذلك ما جعله يسير الهوينا حتى لا يخرج طوال الموسم كله أكثر من أربع روايات . وذلك إنتاج لا يفى بالحاجة ؟

التـــــأليف

هو علة انهيار المسرح المصرى وسقوط الفيلم المصرى

ينادى المهتمون بشئون السينما والمسرح فى مصر بأن المسرح هنا قد اندثر أو كاد ، وأن الفيلم المصرى لم يظهر بعد فى الثوب الفاتن الذى يجب أن يظهر فيه حتى يستطيع أن يقف إلى جانب الأفلام الأجنبية ولو فى السوق المصرى وحده ، ويؤولون لذلك أسباباً كثيرة مبنية تارة على أساس وتارة على غير أساس ، وتفكر وزارة المعارف وهى القائمة على أمر التمثيل كأداة من أدوات التثقيف تفكر فى مصيره المظلم ، وتجتمع اللجان وتقرر القرارات وترصد الإعانات وتبذل النفقات فى سخاء ويؤتى بالأجانب لإنقاذ ما يمكن إنقاذه !!

ولكن أحداً من هؤلاء لم يفكر فى العلة الحقيقية لانهيار المسرح المصرى وسقوط الفيلم المصرى ... العلة هى التأليف ولاشئ غيره . فالممثلون الناجحون موجودون فى مصر والمخرجون البارعون موجودون فى مصر ، وجمهور المتفرجين موجود فى مصر ولكن هناك عنصراً واحداً يكمل هذه العناصر بل يوجهها غير موجود ... هو التأليف

وليس معنى هذا أن مصر بلد لا ينجب المؤلفين ، فالمؤلفون موجودون ولكن كأن لا وجود لهم ... لدينا مؤلفون موهوبون فى طوقهم أن يسدوا حاجة المسرح وزيادة ، وهم مع الأسف يجافون التأليف وينصرفون إلى غيره من شئون القلم لأن التأليف فن ظلمه المتصرفون فى أمره ولم يقدروه قدره أو بعض قدره فأصبح كالصناعة الآلية التى لا يقودها الإبداع الفنى

أصحاب الشركات السينمائية المصرية ومديروها يريدون من المؤلف أن يكتب الرواية الكاملة دون أن يأخذ لها ثمناً وحسبه أن يظهر اسمه على الشاشة فى ذلك ما يكفل له الطعام وكل لوازم الحياة ... وإلا فليأخذ بضعة جنيهات ولا لزوم لاسمه ولينسب تأليف الرواية إلى مدير الشركة أو مخرجها ...

وأصحاب الفرق المسرحية يدعون لأنفسهم القدرة على التأليف فإذا ما قدم مؤلف رواية إلى أحدهم ردها إليه بعد أن يلم بأطراف فكرتها ليكتبها بعد ذلك كيفما اتفق ...

فلماذا إذن يؤلف المؤلف الموهوب ؟ وأين ما يغريه ويشجعه على التأليف ؟ إن اعتزازه بفنه يأبى عليه أن يؤلف ليكون هذا مصير ما يؤلفه ، ومن هنا تتحطم الأقلام وتنزوى المواهب تاركة الميدان — إذا كان هناك ثمة ميدان — لقوم صناعين لا يكلفهم التأليف عناء الموهبة وشقاء الفن ، فهم يكتبون ويبيعون غير آسفين على بضاعتهم لأنهم كتبوا بعقولهم لا بأرواحهم

أولئك هم الذين يسمون اليوم بالمؤلفين وبكبار المؤلفين ولا أقصد بالمؤلفين هؤلاء النفر الذين يؤلفون (للصالات) فليس هذا تأليفاً وإنما هو هراء قوامه النكتة البذيئة والكلمة الجارحة والوضع المقلوب . اللهم إلا القليل منه ...

وبين هؤلاء الذين يكتبون للمراقص كتابة صبيانية ، وأولئك الذين يكتبون للسينما والمسرح كتابة تجارية ، يضيع المؤلف الموهوب الفنان الذى يكتب للفن . . . فالأولى إذن أن يعيش بعيداً عن التأليف

هذا ما كان حتى اليوم وهذا ما سيكون ونظل نراه مادام التقدير الحق معدوماً وما دامت الشركات السينمائية والفرق المسرحية تقدر التأليف آخر ما تقدر وتعتبره عنصراً هيناً قليل الخطر بينما هو أحق من كل شىء بالعناية والاهتمام والبذل

لذلك ترى الفرقة القومية وهى تسمى (قومية) تلجأ إلى الروايات المترجمة وفوق ، ما فى ذلك من معرة قومية فإنه يصرف الجمهور عنها لأن الجمهور مصرى ويريد أن يرى شيئاً مصرياً

وقد تحتج تلك الفرقة القومية أو تلك المهزلة القومية بأن هذا هو ما يقدم لها وصلح أما غيره فقد كان هزيلاً . . . ولكن هل بحثت الفرقة — وهذا من شأنها — بين الموهوبين حقاً من غير أصحاب الأسماء ؟ لا . . . وهل تركت الغايات والميول جانباً وراعت الحق فى الاختيار ؟ ... لا ... إذن فمن أين يأتيها المؤلف الفنان المغمور الذى لا عم ولا خال ...

أما مسألة المباراة فإنها لمهزلة تتكرر وما من ورائها فائدة حتى لو روعى فيها جانب الحياد والحق ... وهيهات ...

أما الطريقة العملية لتشجيع التأليف بل لخلق التأليف وإيجاد المؤلفين فهى أن تقدر وزارة المعارف ثمناً معيناً للرواية السينمائية وثمناً للقصة المسرحية وتشرف هيئة محترمة لا تعرف غير الحق إشرافاً فعلياً على طريقة اختيار الشركات لرواياتها وطريقة دفع الثمن ، أو تقوم هى بعملية الأخذ والاختيار والإعطاء بين المؤلفين والشركات أو المسارح . ثم تقدر من عندها فوق ذلك مكافأة مالية لكل رواية تظهر على الشاشة أو على المسرح وبذلك تكون هى المشرف النزيه فتضمن للمؤلف حقه وفوقه مكافأة فينتج ويبدع ويكون فى مصر تأليف ومؤلفون

(ز)

7me Année No. 288

Lundi - 9 - 1 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ٩ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

من مآسى الحياة

فتـــون وجنون ...

إلى الآنسة « أ . ش . ف »

نعم يا آنستى العزيزة ! لشدَّ ما لاع القلبَ وراع الضميرَ ما قصصتُ من مآسى الحياة ! ولا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب ما هو أمضُّ لوعة وأشد روعة

وعدتنى أن تقصى علىَّ أنباء من تعرفين من طرائد البؤس وأنضاء الهم ، وأنا أقص عليك هذه القصة ربما تنجزين هذا الوعد :

فى المنصورة بلد المال والجمال والشعر كانت تعيش أسرة من أسر الريف الغنية السرية عيش اللهو والزهو والمرح . وكانت قبل ذلك تعيش فى مزارعها الواسعة فى قرى مركز « شربين » تستغل أراضيها الخصبة استغلال الدءوب اليقظ ؛ حتى أبطرها الغنى ، فرأت طرق الحقول التّرِبة لا تلائم المركبة الفخمة ، والبيتَ القروى العتيق لا يوائم الأثاث الأنيق ، والقريةَ كلها لا تصلح مجالاً للعظمة ولا مجتلى للشهرة ؛ فتركت ضياعها وزروعها فى ذمة النُّظار والخُوّل ، وأسلمت قيادها للبذخ والسرف : تَرَبّع بالمنصورة ، وتصطاف بالاسكندرية ، وتُشتى بالقاهرة . وتظاهر على رب هذه الأسرة الجهلُ والطيش والفراغ

والغنى والعُجب ، فقلبته بين الحانات والمواخير تَفاً لوجه ، حتى ركبه الدين والمرض ، فباع الأرض لبنك « خوريمى » ، والصحة لبار « أنسطاسى » . وكبر عليه أن يعود إلى قريته ذليلاً بعد العز ، فقيراً بعد الغنى ، فظل فى المدينة ولكن فى بيت غير البيت ، ومظهر غير المظهر ...

تتألف هذه الأسرة من الوالدين ومن ست بنات وابن واحد . وفى هذا الصبى الواحد انحصر مستقبلها وأملها ، فأرصدت ما بقى للأم من موروث الرزق على تربيته وتعليمه . فلعله يكون كابن فلان باشا : ينال (الليسانس) ، ويعين وكيلاً للنيابة فقاضياً فستشاراً فوكيلاً للوزارة . ويومئذ يرجع المال الذاهب ، ويعود المجد الضاع ، وتندم الشماتة الحاقدة . وكان الفتى نحيل البدن ولكنه ذكى مجد ، فلم يتخلف فى سنة، ولم يرسب فى شهادة، حتى نال إجازة الحقوق . وكان فى مدة دراسته الطويلة شغل الأسرة الشاغل : فالوالدان همهما تدبير المال له وتوفير الصحة عليه ؛ والبنات الست عملهن غسل ثيابه وكى بذلته وتصفيف شعره وتهيئة أكله وتهدئة نومه . وإذا فاتهن اليومَ أن يأكلن الهنىء ، ويلبسن الناعم ، ويجلون حسنهن للأتراب والخطاب فى شارع البحر بالمنصورة ، فسيعوضهن الله غداً بفضل أخيهن الموظف خيراً من كل أولئك فى القاهرة

وكانت الأم تبيع فى كل سنة من سِنِى دراسة ولدها فداناً من أرضها ، تنفق نصفه على المدرسة ونصفه على البيت حتى خرج هو من كلية « حقوقه » ، وخرجت هى من كل حقوقها

أصبحت الأسرة الفقيرة مُعدمة: فلا فى الأرض ولا فى البيت ولا فى اليد . فهى تعيش على ما يبقى من مرتب أملها وكاسبها « فؤاد » ، فقد وظف بأحد مراكز طنطا وعاش وحده . وظل الأبوان الشيخان والبنات النواهد فى المنصورة على ضيق وقلق ينتظرون اتساع الرزق وامتداد الجاه فيجتمع الشمل ويرفه العيش

أتدرين يا آنستى بماذا أجاب القدر دعاء هذه الأسرة ، وعمَّ أسفر الأمل فى هذا الولد ؟

كان فؤاد رقيق البدن والشعور والعقل، فأغرم بالأدب، وفُتن بالجمال، وكلف بالرُّواء. وحياة الأقاليم لا تقضى حاجة النفس النزاعة الرغيبة من كل ذلك. فكان فى مكان عمله بالنهار، وفى مجالى القاهرة بالليل، حتى افتتن بمطربة معروفة ، فاضطرب أمره وانتكس حاله

كان فؤاد عُذرى الهوى ، لأن حياءه أقوى من طموحه ، وشاعريته أشد من شهوته . وهو إلى ذلك فقير ، ومعبودته من ذوات الثراء والمجد، فلا يدخل قصرها إلا غنى أوفنان أو مهرج. فكان يقنع بالجلوس أمام تختها إذا غنت ، وبالطواف حول بيتها إذا استراحت ، حتى خبّله العشق وأضناه السهر . وبان أثر ذلك فى عمله ، فغاب طويلاً عن مكتبه ، وأخطأ كثيراً فى تصرفه ، واختلف دائماً مع رئيسه ؛ فانتهى الأمر وهو لا يزال فى عهد التجربة بفصله !

لم يشعر فؤاد بهذه الصدمة الصاعقة كما شعر بها أهله ؛ فإن حياته كانت فى الحب ، وحياة أهله كانت فى الوظيفة . فلما انجلت غشاوة الهوى قليلاً عن عينيه رأى نفسه خالياً من العمل والأمل ، يُزجى فراغه الثقيل الذليل بالهيام فى الطرقات، والنظر فى (الفترينات)، والاختلاف إلى (الصالونات)، والوقوف بباب المطربة أكثر النهار والليل ، يحادث الخدم ، ويرقب الزوار ، ويرصد السيارة الحبيبة حين تذهب وحين تؤوب

وأسرع إليه أبوه على كبره ووهنه يستكشف سر النكبة ويعالج مقطوع الرجاء ، فوجده نفساً يتهافت فى جسد ضارع وهيئة زرية ؛ فما زال يتلطف به ويداويه حتى كشفه عن أمره ، وعاد به إلى الأسرة المفجوعة فى ولدها الوحيد ، وأملها الفرد ، وملجئها الأخير ، وشرفها الباقى ...

ليس فى طاقتى يا آنستى أن أقص عليك خاتمة هذه المأساة . ولو كان وصفها فى إمكانى ، لما كان استماعه فى إمكانك . فإنى أعرف رقة قلبك ووهن جَلدك فى مثل هذه الحال ... وليس من العسير على فطنتك استنتاج ما حدث . فالفتى من تباريح الجوى أصيب بالسل فرَّق رئتيه وشفَّ جسمه، فهو فى السرير عظم هامد ينتظر النهاية المحتومة . والأم من هول النكبة أخذها الفالج ؛ فهى سطيحة على الفراش لا تُمر ولا تُحلى . والأب من فقد الرجاء اعتراه الخبال فمات قتيلاً فى حادث محزن .

والبنات؟ البنات بقين بعد المخبول والمسلول مع الأم الكسيحة لا كاسبٌ ولا خاطب . فتصورى يا آنستى كيف يعشن.! لو كان للاسلام أديرة صوفية لدخلن فى حمى الدين ؛ ولو كان للحكومة مدارس خيرية لاعتصمن بقوة العلم؛ ولو كان للأوقاف ملاجئ نسوية لعشن فى ظلال الخير . ولكنهن يا آنستى يعشن العيش الكريه الضنك على فضلات الأقارب الأباعد . ومثل هذا العيش لا يثبت عليه إيمان ولا أمان . والبيت البائس إذا لم يدخله الملك دخله الشيطان ...

احمد حسن الزيات

الفكاهة والطغيـــان

للأستاذ عباس محمود العقاد

ملكة الفكاهة نعمة من نعم الحياة ، وخاصة من خواص الإنسان ، وعلامة من علامات الارتقاء . ولكنها خليقة أن تعدّ فى النقم إذا هى سوغت ما لا يساغ وأباحت ما لا يباح ، كالإذعان لحكم طغيان ، والاجتراء على حقوق أو حرمات

سمعت من سعد زغلول رحمه الله أن « أحمد زيور » فى الوزارة أخطر من عبد الخالق ثروت ومَن على طرازه ، لأن احمد زيور لا يثير الغضب فى المصريين بل يحفز فيهم ملكة الفكاهة ويقلب الأمر من جد إلى مزاح ؛ وهم لا يكرهون ذلك، وقد يستمرئونه ويمضون فيه ، فيقبلون على يديه ما لم يقبلوه على أيدى الآخرين ، ويأتى الخطر من هذا الباب

وذكرت هـذا وأنا أقرأ الفكاهات التى يرويها الرحالون والناقدون الاجتماعيون عن الألمان والروس والطليان وسائر الأمم التى يحكمها أصحاب السلطان المطلق فى هذه الأيام

فينبغى أن نعلم أن هذه الأمم تصنع ما يصنعه المصريون أحياناً من مقابلة الطغيان بالفكاهة ، ومن مجازاة السطوة بالنكتة ، فيصول عليها الحاكم وهى تضحك منه ، وتتفكه بالأحاديث عنه ، وتظن أنها أخذت منه بمقدار ما أخذ منها ، فتستريح إلى هذا القصاص!

قيل إن القائد جورنج يحب النكتة البارعة، ويطرب للفكاهة الجيدة ، ويود لو يسمع ما يتداوله الناس من أقاويل السخر والمزاح عن الحكومة الحاضرة فى البلاد الألمانية ، ولكنه لا يصل إليها لخوف الناس من كتابتها أو الجهر بها ، فاتفق وسائق سيارته على أن ينقلها إليه كلما سمع شيئاً منها ، وله خمسة قروش على كل نكتة مقبولة

قال الراوى : فطاب المورد للسائق المحروم وحرص على احتكار البضاعة كلها فى هذه السوق . ثم جاء إلى القائد يوماً بحفنة صالحة من النوادر اللاذعة ، فداخل القـائد شىء من الغيظ وأشفق من ذيوع هذا الضرب الأليم من التنكيت ، وقال كأنما يحدث نفسه : « ليضحكوا ما شاءوا ... إنهم لا ينسون على كل حال أنهم أعطونا تسعة وتسعين فى المـائة من أصواتهم فى الانتخابات الأخيرة ...! »

فصاح به السائق وقد خاف على مورده المحتكر :

سيدى القائد ! من الذى باعك هذه النكتة ؟ !

وروى الراوون أيضاً أن زوجة شابة انتظم زوجها فى إحدى الفرق العسكرية الحديثة فطال غيابه عن المنزل وامتدت ساعات التدريب إلى ما بعد الهزيع الأول من الليل ، حتى تعودت أن تنام ولا تنتظر أوبته حين يؤوب. وتمادى على ذلك فترة طويلة، فأحبت أن تنبهه بعض التنبيه عسى أن يحتال للخلاص من هذا التدريب أو من تلك المواعيد ، فتركت على الموضع الخالى من السرير ورقة كبيرة أشبه شىء باللوحة التى تكتب للتذكار، على بعض الأنصاب والآثار ، وكتبت عليها : « هنا ! ... حيث كان يرقد زوجى قبل التحاقه بالفرقة العسكرية » ... فضحك حين رآها . وسمع الجيران بالخبر فضحكوا وتناقلوا الورقة بينهم بضعة أيام ... وسرى الخبر إلى مكتب الاستطلاع فضحك أيضاً ولكنه اعتقل الزوجة أياماً فى معتقل التأديب أو العقاب »

أما فى الروسيا فالفكاهات التى يخترعها الظرفاء للضحك من النظام القائم فيها لا تحصى، ولا تقل فى الرواج عن الفكاهات الألمانية

قيل إن مندوباً من مندوبى الحكومة أراد أن يستطلع طِلْع الفلاحين الذين يطوفون أو يساقون إلى الطواف بضريح لينين وهو معروض فيه مكشوفاً للأنظار

فسأل واحداً منهم : ما رأيك فيه ..؟ أى فى الزعيم لينين .

فأجاب على البديهة : حاله مثل حالنا ... ميت ولكنه لا يدفن !

ووقف فلاح على مقربة من آلة المذياع وهم يركبونها ، فسمع المهندس يقول : إن كل كلمة تلفظ هنا تدوى فى جوانب العالم كله . فهل منكم من يريد أن يقول « كلمة واحدة » باسم الروسيين ؟ فأومأ الفلاح أن نعم ... وتقدم إلى بوق المذياع فصاح : « النجدة ! »

وقفزت جماعة من الأرانب من الحـدود الروسية إلى الحدود البولونية، فدهش الحراس البولونيون لكثرتها وسألوها: ما الخبر؟ فقال واحد منها : إن مكتب الاستطلاع قد أصـدر أمراً بالقبض على جميع الزرافى التى فى الأقطار الروسية ... قال الحارس :

وما شأنكم أنتم وأنتم أرانب ولستم بزرافى ؟! فقال الأرنب : « صحيح ! ولكن هل لك أن تثبت ذلك لمكتب الإستطلاع ؟! »

وعمت الشكوى من مكتب الاستطلاع هـذا فأشاع الظرفاء الروسيون أن الزعيم ستالين قد أمر بتسريحه وشدد على رجاله أن يتلطفوا إلى الناس غاية التلطف لينسوهم فظاعة ماضيه .

إلا أن الفلاحين المساكين لم يسمعوا بهذا الذى أشاعه الظرفاء البلديون ، فبينما كانت طائفة منهم فى مركبة كبيرة إذ عطس أحدهم عطسة عنيفة سمعها من فى الطريق ، فأطل واحد من رجال مكتب الاستطلاع فى المركبة وسأل : من الذى عطس هذه العطسة ؟

فاضطرب الركب وسرى فيهم الرعب وطفقوا يلكزون العاطس المتوارى أن يبرز نفسه ويحمل وحده وزر عمله ولا يجور على أصحابه جميعاً بجريرة عطاسه ، فلم يسع الرجل إلا أن يعترف بالحقيقة ويقول فى كثير من الوجل والتلعثم : أنا ...!

قال الراوى : فانحنى مندوب مكتب الاستطلاع تنفيذا لأمر الزعيم ستالين وقال : يرحمك الله !

ويروى الظرفاء الروسيون أن طوفانا من السباب والتبكيت والتعزير سمع ذات يوم فى الحجرة المجاورة لمكتب الرفيق ستالين . فانتظر الحجاب حتى يفرغ الزعيم من حديثه ، ثم فتحوا الباب ليسحبوا منه الرجل المنكود الذى وقعت على رأسه كل هذه الشتائم والقذعات ، فما راعهم إلا أن يبصروا المكتب خاليا وليس فيه أحد غير الزعيم

— أين الرجل المنكود الذى كنت تشتمه ؟

— فأجاب الزعيم : أنا هو ... وقد فرغت الساعة من حصة المناجاة !

***

عرضت هذه النوادر و « القفشات » وعرضت معها نوادر المصريين وقفشاتهم للرومان والترك وقره قوش وسائر الحاكمين الذين نالوا من المصريين بالقسوة ، ونال منهم المصريون بالنكتة ، فورد على خاطرى هذا السؤال العجيب : لو كنت حاكما طاغيا ماذا أصنع لهؤلاء الساخرين ؟ هل أطلق لهم العنان يرسلون النكات والقفشات حيث يشاؤون ؟ أو أحسب حسابا لعواقب هذه النكات والقفشات فأحجر على أصحابها ومذيعيها وأتعقبهم بالمصادرة والجزاء ؟

إن النكتة تلطف وطأة الظلم وتوهم المظلوم أنه ينتقم لنفسه بعض الانتقام فتهون عليه الشدائد وتروضه على الصبر والانتظار ، فهى من ثم معين للحكام على المحكومين

إلا أن النكتة قد تزرى بالمهابة وتعصف بالرهبة وتجعل الحاكم المخيف أضحوكة فى الأفواه ومهزلة للساخرين ؛ فهى من ثم مضعف لسلطانه ومجرئ على مقامه ومحرض على الثورة والانتقاض

هى بلسم للمظلومين فهى مقبولة

وهى سلاح للمظلومين فهى مرهوبة

فماذا يحسن بالحاكم المستبد أن يصنع مع هؤلاء المازحين ؟

ليس لهذا السؤال جواب فاصل فيما أحسب . ولكنى أقرر الحقيقة إذا قلت إن المحكومين لا يحاربون الظلم بالفكاهات والنكات إلا إذا كان للصبر بقية ، وفى قوس الاحتمال منزع كما يقولون ، وإن الحاكمين لا يتسمحون فى قبول الفكاهات والنكات إلا إذا كان للقوة بقية وللثقة بدواء السلطان مجال فسيح

أما إذا ضاقت الصدور ونفدت الحيل فالمحكومون لا يعتصمون بالفكاهة والتنكيت بل يغضبون ويثورون

وكذلك إذا ضاعت ثقة الحاكم بدوام سلطانه لم يصبر على السخرية والمزاح ، وعالج الحجر عليها عسى أن يستعيد شيئا من المهابة والامتناع

وبعد هذا وذاك يجب علينا أن نفرق بين الفكاهات ، وأن نفرق كذلك بين الطبائع التى تتخذها وسيلة لحرب الحكومات

فالفكاهة التى قوامها تلفيق الجناسات اللفظية والملاحظات الشكلية لا تخيف أحداً من العقلاء . أما الفكاهة المخيفة حقاً فهى تلك التى تنفذ إلى العظم وتسرى إلى قرارة الأمور ، ولا ينطبع على هذه الفكاهة إلا أناس يعملون حين يتفكهون ، ويجترئون حين يسخرون .

عباس محمود العقاد

الشــــريف الرضى
وخصائص شعره
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

على أن الوجدان يفيض فى شعر الشريف حتى من غير الاستعانة بهذه الصيغ البيانية . أنظر إلى وصفه حبيبته فى قوله :

تُحبِّبُ أيامَ الحياةِ وإنها لأعذبُ من طعم الخلود لطاعم

وتراه يستجمع أساليبه البيانية كلها فى قصائده الطويلة المشهورة كرثائه للصابى وللصاحب فى قصيدتيه التى يقول فى مطلع واحدة :

أعلمت مَنْ حملوا على الأعواد أرأيتَ كيف خبا ضياء النادى ؟

وفى مطلع الأخرى :

أكذا المنون تُقَطِّرُ الأبطالا

أكذا الزمان يضعضع الأجْبالاَ ؟

وهاتان القصيدتان من أفخم قصائده فى الرثاء وإن كان الحنين فيهما أقل منه فى قصائده فى رثاء أهل بيته . وله فى رثاء الصابى قصائد أقل فخامة وإن كانت أكثر حرقة . ومن أكثر قصائد الشريف فى الرثاء وجداناً قصيدته العينية المشهورة التى يقول فيها :

لله نفرة وجد لست أملكها إلا تذكرتُ إخوان الصفاء معى

وفيها يقول :

الآن نعلم أن العيش مُختَلَسٌ وأننا نقطع الأيام بالخُدَعِ

أُخىَّ لا رغبت عينى ولا أذنى

من بعد يومك فى مَرْأًى ومُستَمَعِ

وقصيدته التى يقول فى مطلعها :

قف موقف الشك لا يأس ولا طمع

وغالط العيش لا صبر ولا جزع

وهى فى نظرى من أكثر قصائده فى الرثاء وجداناً . ومن قصائده الوجدانية فى الرثاء قصيدته فى آل المسيَّب العينية التى يقول فيها :

وفارقنى مثل النعيم مفارقاً وودَّعَنى مثل الشباب مودِّعا

ومن قصائده الجيدة فى الرثاء قصيدته فى رثاء أمه وهى أكثر وجداناً من قصيدة المتنبى فى رثاء جدته التى يقول فيها :

وإنْ لم تكونى بنتَ أكرم والد لكان أباكِ الضخمَ كونكِ لى أُمّا

وللمعرى قصيدته الطويلة الفخمة فى سقط الزند فى رثاء أمه التى يقول فيها :

مضتْ وقد اكتهلتُ فخلتُ أنى رضيع ما بلغتُ مدى الفِطام

ويقول :

سألتُ متى اللقاء فقيل حتى يقوم الهامدون من الرجام

فليتَ أذينَ يوم الحشر نادى فأجهشت الرمام إلى الرمام

ولكن قصيدة الشريف أسهل وأسلس وأكثر وجداناً وهى التى مطلعها :

أبكيك لو نقع الغليل بكائى وأقول لو ذهب المقال بدائى

وهى كلها ألصق بالموضوع من بعض أجزاء قصيدة المعرى.

ولابن نباتة السعدى قصيدة تستجاد فى رثاء أمه يقول فيها :

فَقدتُ كبيراً برّاً أم حفيَّة كافقد الثدىَ الملَّل مُرضعُ

تُبادرُ نحوى تبتنى أن تسرنى ولم تدرِ أنى بالسرور أُروَّعُ

إلى أن قال :

إلى أى تعليل وأى مَبَرَّةٍ وود نصيح بعد ودك أرجع

ولأمرٍ ما تذكرنى قصيدة الشريف بقصيدة كوبر الشاعر الإنجليزى فى رثاء أمه ؛ ولعل الذكرى لأثرهما فى الوجدان فحسب لا لشبه كبير

وللشريف قصيدة فى التعزية تستحب للتلطف فى التعزية تلطفاً يجيده الشاعر الوجدانى وهى التى مطلعها : (لو رأيت الغرام يبلغ عذراً) .

وقصائد الشريف فى رثاء جده الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه مشهورة جيدة فخمة ، ولكنها فى نظرى من حيث هى شعر وجدانى أقل مما ذكرت من القصائد . وربما أكون مخطئاً ، وهى لا ينقصها التحرق والتأسف ولكن قيمة الشعر الوجدانى ليست بالتحرق والتلدد فحسب ، ولا بالفخامة ولا بدقة المنطق ولا بعكسه ، وقد يكون الشعر الوجدانى عكس المنطق إذا كان العكس يعبر عن صدق للعاطفة، فقول الشريف فى تشتت قومه وآله :

ما كان ضر الليالى لو نفسن بهم
على النوائب واستثناهم القدر

ليس من منطق العقل ولا هو عكس المنطق الناشئ من مبالغات أهل الصنعة المزيفة بل هو منطق الوجدان الذى يعبر عن النفس؛ فإن كل نفس فى الحياة تطلب أن تستثنى من آلام الحياة وصروفها ومنطق عقل صاحبها يعلم أن هذا طلب محال. فالشعر الوجدانى توفيق ويصادف هوى النفس ومنطقها حتى لكأنه يخلق لها سمعاً يصغى إليه وقلباً يطرب له. وقد يكون البيت الواحد منه ألصق بالنفس وأثمن من قصيدة فخمة سواء أكانت من شعر التلدد، أو من الشعر التعليمى المحض المستقل عن العاطفة، أو من شعر الزخارف والألاعيب الذكاء فى تبذله ولهوه. أنظر مثلاً إلى أبيات الشريف التى يذكر فيها كيف أنه يدافع الهموم بذكرى النعيم الزائل بينما غيره يدفعها بالخمر أو سماع الأغانى ولكنه يفيق من نشوة الذكرى كما يفيق غيره من نشوة الخمر؛ وهى الأبيات التى أولها:

إذا ضافنى هم أمل طروقه
ببعض الليالى أو أضيق به صبرا

إلى أن يقول بعد صحوه من الذكرى:

من برجنا العاجى

أمس خرجت من برجى العاجى إلى البرج الدائر. والبرج الدائر هو مرصد حلوان. دعانى إلى زيارته مديره الأستاذ مدور. وهيأ لى المنظار الكبير مسدداً إلى القمر. فذهبت يدفعنى الشوق إلى استجلاء سر هذا الكوكب الجميل، الذى نظم فيه شعراء الأرض نصف شعرهم، ودان له عشاق الأرض بنصف هنائهم. ورفعت عينى إلى تلك العين الذهبية التى طالما رعت بنورها نصف حياتنا، وسهرت على مسراتنا، وسكنت من أحزاننا. نظرت، وإذا أنا أتراجع أسفاً وألماً. لا أحب أن أصف ما رأيت. ولكنى أحب أن أسجد لله شكراً إذ جعل لنا عيوناً لا تبصر إلا بمقدار. إن كل الجمال المحيط بنا إنما هو من صنع عيوننا القاصرة. والويل لنا إذا أبصرت أعيننا الآدمية أكثر مما ينبغى لها أن تبصر

ذلك شأن القمر باعث الجمال على الأرض. وكذلك شأن الشمس باعثة الحياة على الأرض. إنها تشرف علينا من مكان معين بمقدار. فإذا اقتربت منا أنملة هلكنا حرقاً، وإذا ابتعدت عنا أنملة متنا برداً. إن يد الحكمة الأزلية قد وضعتها فى الموضع الذى لا بد لها فيه من أن ترسل إلينا الدفء والخير والسلام

ما أدق هندسة الكون! اللهم إنى أعود إلى برجى وأنا شديد الأيمان بك، قريب الفهم لك، مدرك بعض الإدراك لمشيئتك فى خلق الإنسان، مطمئن كل الاطمئنان إلى مراميك فى إنشاء حواسنا الآدمية على هذا الضعف. إن ما اعتدنا أن نسميه ضعفاً وقصوراً فى إدراكنا حقيقة الأشياء ليس إلا السياج الذى يحمى سعادتنا البشرية. فإذا خرجنا عن نطاق هذا السياج فقد انقلبنا مخلوقات أخرى لا تتصل بالأرض ولا بجمالها ولا عواطفها. مخلوقات ليست آدمية، فقد ترى غير ما يرى الآدميون. وقد ترى أبعد مما يرون. ولكننا لن نكون من أجل ذلك أسعد ولا أسمى ولا أنبل.

اللهم إنك مع قصورنا قد صنعتنا على خير حال، ومع جهلنا قد هيأت لنا أحسن مآل.

توفيق الحكيم

فما كان إلا خلسة ثم إننى
رأيت يدى مما علقت به صفرا

وهى أبيات ليس فيها خيال غريب ولكن قيمتها فى صدق وصف حالة للنفس ووسائلها فى تعللها. وللشريف قصائد شهيرة فى الإخوانيات قلما تتفق لشاعر آخر فى صدق قولها وبساطتها وقربها من النفس وفى مظاهر الوجدان فيها مثل قصيدته فى مودة الحب، وهو موضوع قلما يطرقه شعراء العربية عند وصف الحب فى أشعارهم، أنظر إلى قوله فيها:

أينعت بيننا المودة حتى
جللتنا والدهر بالأوراق

أو قوله فيها:

فى جبين الزمان منك ومنى
غرة كوكبية الائتلاق

ومن قصائده المشهورة قصيدته التى يقول فيها لصديقه:

كأنك قدمة الأمل المرجى
على وطلعة الفرج القريب

والقصيدة التى يقول فيها:

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه
أبى بعد طول الغمز أن يتقوما

وهى من قصائده التى ترد كثيراً فى كتب المختارات، وحق لها أن تختار. والشريف إذا جوفى عبر عن شعوره بقوله:

ويظهر لى قوم بمادا وجفوة
وما علموا أنى بذلك أفرح

فيكون هو المعز المكرم بقوله هذا . وانظر إلى الوجدان في قوله :

يُحَبِّبُ أيام الحيـاة وإنها لأعذب من طعم الخلود لطاعم

وهو لا يفحش فى هجائه كما يفعل الشعراء ولكنه مع ذلك يدمغ خصومه ، أنظر إلى قوله :

من كل وجه نقاب العار نقبته كالعر مر عليه القار . والقطر
يَصْدَى من اللؤم حتى لو تعاوده أيدى القيون زماناً لا انجلى الأثر

وهى مبالغة ضرورية لأنها نكتة يراد بها السخر . وانظر إلى قوله :

تمسكوا بوصايا اللؤم تحسبهم تتلى عليهم بها الآيات والسور

وقوله :

لو عِيْدَ من داء الفهاهة واحد عادوه من عى إذا حضر الندى

وأشعاره فى الشيب كأشعار أخيه المرتضى مشهورة ، وقد عنى بشعرهما فى الشيب صاحب كتاب (الشهاب فى الشيب والشباب) وهو باب من الشعر الوجدانى أيضاً . وهذه النظرة فى ديوان الشريف تثبت ما قدمناه فى أول المقال من أنه أكثر نصيباً من شعر الوجدان ولكن ليس له فى وصف الطبيعة كقصيدة أبى تمام التى أولها (رقت حواشى الدهر فهى تمرمر) أو كقصيدة البحترى التى يقول فيها (وجاء الربيع الطلق يختال ضاحكا) أو (شقائق يحملن الندى فكأنه) أو وصف بركة المتوكل أو وصفه آثار الفرس وغيرها من شعر الوصف التصويرى . وليس له كوصف ابن الرومى غروب الشمس فى قوله (وقد رنقت شمس الأصيل الخ) ولم يسر شعره فى الأمثال كما سار بعض شعر المتنبى، ولم يولع بالبحث فى الحياة والكون كما يفعل المعرى ، ولكنه مع ذلك قد أمن زلل المبالغات والتشبيهات البعيدة المرفوضة ، وأمن الفتور وأمن المماظلة والتواء القول وأمن الألاعيب اللفظية . وشعر الوجدان ليس بأقل منزلة ولا أقل أثراً فى النفس من أبواب القول الأخرى التى بزه فيها منافسوه ، فهو إذاً أقل منهم منزلة وله مع ذلك نظرات صائبة تدل على عقل وذكاء وذوق فى اختيار ما يقول ورفض ما لا يجمل به أن يقول . أنظر إلى قوله فى وصف لذة القسوة المركبة فى بعض الطبائع :

يهش للمرء تغريه أظـافره كما تهش سباع الطير للجيف
إذا نجا من يديه غير منعقر أفنى أنامله عضاً من الأسف

وقوله :

يصل الذليل إلى العزيز بكيده والشمس تُظلِمُ من دخان الموقد

وقوله فى أثر الأفذاذ فى حياة الناس وتاريخهم :

ولولا نفوس فى الأقل عزيزة لَغَـطّى جميع العالمين خمول

وقوله :

رب نعيم زال ريعـــانه بلسعة من عقرب الحاسد

وقوله :

كفى بقوم هجاء أن مادحهم يهدى الثناء إلى أعراضهم فَرَقاً

وكل هذه نظرات صائبة فى النفس ، وله أشياء كثيرة من أمثالها ، ولا غرابة أن تكون للشاعر الوجدانى نظرات صائبة فى النفوس . وله أيضاً وصف بديع كما قال فى وصف الفرس :

إذا تَوَجَّسَ كان القلبُ ناظرَهُ والقلب ينظر ما لا ينظر البصر

وقال فى وصف تردد الجميل فى النعيم وتشبيهه بتردد القُرْط الجميل فى اهتزازه على جانب الوجه الجميل بعد تشبيه تردد الحبيب فى النعيم بتردد النسيم ولعبه بالأغصان :

ينأى ويدنو على خضراء مورقة لعب النُعامَى بأوراق وأغصان[1]
كالقُرْطِ عُلِّقَ فى ذِفْرَى مُبَتَّلَةٍ بين العقائل قُرْطَاهَا قليقان

وهذا الوصف إذا تُؤُمِّل وجد وصفاً مطرباً[2]

عبد الرحمن شكرى

(١) النعامى بالياء ريح بليلة

(٢) ضاق المقال عن الكلام فى النغمة الموسيقية فى شعر الشريف وسنتكلم عنها فى مقال عن تلميذه مهيار الديلمى ونشير إلى مقدرتهما فى الوصف

تنبيه : فى المقال السابق حرف بيت للشريف وصحته : (فانك أحلى فى جفونى من الكرى) ومتأمل بفتح الميم المشددة الثانية لا بكسرها

أغرب ما رأيت في حياتي

للدكتور زكي مبارك

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

كيف أقطع مرتب مرجريت ؟

وكيف أدخل البؤس إلى صدر موريس ؟

كيف ؟ كيف ؟

المسألة في ذاتها هينة ، ولكنها مع ذلك بدت لي في غاية من التعقيد ، لأن اتصالي بمرجريت كان أثار حول اسمي شبهات أذاعها فريق من أهل الفضول في باريس ، وأظن — وبعض الظن إثم وبعضه غير إثم — أن ابنة صاحب البيت الذي كنت أقيم فيه كان لها دخلٌ في إذاعة الشبهات التي آلمتني في باريس

كان ناس من المصريين يسألون عني من حين إلى حين فكانت تلك البنت تلقاهم بابتسامة خبيثة ، ثم تقول : المسيو مبارك رجل لطيف ، فهو لا يُلزم الخدم بترتيب غرفته غير مرة أو مرتين في الأسبوع !

ومعنى ذلك أني أبيت ليالي كثيرة في مكان مجهول

وكان لي مع هذه البنت تاريخ جميل يغريها بأن تلقي عليّ حقودها حين أغيب

وكان المصريون في باريس يتعتّبون ويتلومون كلما رأوني ، ويحبون أن يعرفوا أين أقضي أوقات الفراغ

وكانت حجتي حاضرة ، ولكنها لم تكن تُقنع إلا من يريد أن يقتنع . كنت أقول إني تركت في مصر خمسة عشر مليوناً وما يهمني أن أراهم مرة ثانية في باريس

والواقع أني أحسنت كل الإحسان في هذا المسلك ، فلم يكن لي أيّ نفع من تزجيــة أوقات الفراغ مع المصريين المقيمين في باريس ، فأكثر كلامنا حين كنا نلتقي لم يكن إلا ثرثرة سخيفة باللغة العربية حول السياسة المصرية ، وربما كنت المصري الوحيد الذي عاش في باريس ولم يعرف مكان السفارة المصرية في باريس

والواقع أيضاً أن صلتي بمرجريت لم يعرفها أحد قبل اليوم غير شخص واحد هو الدكتور أمين بقطر الذي كلفته في إحدى السنين أن يمر على مرجريت ليحدثها عن أشياء لا يمكن أن تكتب في خطاب ، ومع خطورة هذه المهمة فرّط الدكتور بقطر في زيارة مرجريت ...

وهكذا يكون الإخوان في هذا الزمان !

والحاصل — كما يعبر أهل بغداد — أني كنت أحب أن أتخلص بصفة نهائية من مرجريت ، لأني كنت أخشى أن أفتضح في الأندية المصرية ، ويحق عليّ لعنة خصومي ، الخصوم الذين كانوا يعرفون كيف يلطخون سمعتي بالسواد بلا تعفف ولا استحياء

كان يجب أن أقطع صلتي بمرجريت ، وهل بقيت بيننا صلة غير مئات الفرنكات التي أجود بها في كل شهر لأنقذ موريس من الجهل ومن الجوع ؟

كان هذا المرتب ثقيلاً جداً ، وكان إرساله يضيع علي في كل شهر يوماً أو بعض يوم ، وقد اضطرني مرة إلى أن أصرخ بالفرنسية ! Je m'ennuie

وكنت في كل مرة أتعرض لمكاره كثيرة من التحليلات النفسية ، كنت أقول إن لي قرابات كثيرة تعاني الضر والبؤس . وهي أولى بكرمي إن كنت من الكرماء

وكنت أقول إن مرجريت آوتْ روحي وقلبي خمسة عشر شهراً ، وأمكنتني من أن أصير أباً كريماً لطفل جميل

وكنت أقول إن لمرجريت فضلاً عظيماً في مرونة لساني باللغة الفرنسية ، المرونة التي أمكنتني من أن أحاور هيئة الامتحان في مدرسة اللغات الشرقية خمس ساعات ، والتي أمكنتني من أن أصاول هيئة الامتحان بالسوربون ثلاث ساعات ، وذلك مغنمٌ ليس بالقليل

كنت أقول إن مرجريت هي التي عرّفتني بدقائق الحياة في باريس

كنت أقول إني لم أحسن الأكل بالشوكة والسكين إلا بفضل مرجريت

كنت أقول إن مرجريت بكت مرة وأبكتني يوم زرنا معاً مصانع سترون ، حين وقفنا ننظر إلى فتاة تطرق الحديد وهيَ أرق من الزهر وأكثر إشراقاً من الصباح

قالت مرجريت : ما رأيك يا محبوبي في هذه الفتاة ؟

فتلعثمت

فقالت : قل الحق ، ماذا تدفع من الأموال لحديث ليلة مع هذه الحسناء التي تطرق الحديد ؟

فقلت : وهل هي أجمل من مرجريت ؟

فقالت : دع هذا الأدب المصقول وأجبني

فقلت : أقدم حياتي ثمناً للسمر ليلة مع هذه الفتاة

فقالت : وهل تعرف كيف زهدت هذه الفتاة في فتنة باريس لتلهو بطرق الحديد ؟

فقلت : أحب أن أعرف

فقالت : هذه فتاة تستعد لتكون ربة بيت ، فهي تطرق الحديد لتجمع من الأموال ما يمكنها من أن تكون زوجةً لرجل شريف مثل المسيو مبارك

ثم استغرقتْ في البكاء والنشيج

بكيتُ يومئذ لبكاء مرجريت بكيتُ بكاء لو شهدته الملائكة لأضافت اسمي إلى أسماء الشهداء والصدِّيقين

وفي تلك اللحظة جذبتُ يد مرجريت بعنف وقلت : لن نفترق يا مرجريت

فقالت : وكيف ؟

فقلت : سأنقلك إلى مصر ، إن كان لي إلى مصر مَعاد

فقالت : وماذا أصنع في مصر ؟ هل تراني أصلحُ لمعاونة مَدام مبارك على ترقيع الجوارب ؟

فقلت : إن مَدام مبارك لا ترقِّع الجوارب

فقالت : كيف تقول هذا وأنت أبخل من اليهود ؟!

وضحكنا ضحكاً صنع بالدموع ما تصنع الشمس بآثار الغيث

***

ذكريات مرجريت كلها لطيفة ، ولكن يظهر حقاً أن فيّ شيئاً من أخلاق اليهود ، لأني عانيت في حياتي ما يعاني اليهود ، وهل يبخل اليهود بالطبع ولهم جدٌّ اسمه السموأل ؟

إنما يبخل اليهود بسبب الاضطهاد ، وأنا أبخل بسبب الاضطهاد

كان أجدادي من أغنى أهل المنوفية فحملتهم النخوة العربية على التبذير والإسراف إلى أن صافحوا الإفلاس

فأنا أجمع القرش إلى القرش لأصير من الأغنياء

وهل يتفق هذا مع الإنفاق على امرأة جميلة في باريس ؟

يجب أن أقطع مرتب مرجريت

ولكن كيف ؟

أحب أن أعرف كيف أتخلص من مرجريت

***

كانت مرجريت تكتب إليّ في كل أسبوع خطابين ، وكانت تخاطبني بالكاف ، وكنت أبخل عليها بالمخاطبة بالكاف ، لأني كنت أخشى أن يكون في المخاطبة بالكاف ما يشهد بأني كنت مع تلك المرأة على صلات غرامية[1]

وكانت مرجريت تتألم من ألا أخاطبها بالكاف وتقول : إن بخلك عليّ بالمخاطبة بالكاف يوجب أن أخفي رسائلك عن موريس ، وهي كل ما في حياة هذا الطفل المسكين من عزاء .

حرسك الله يا موريس وبارك في حياتك الغالية !

وكانت مرجريت تتحدث في رسائلها عن أشياء دقيقة لا تذكر إلا في رسائل العشاق

وكنت أتغافل عن تلك الأشياء حين أكتب الجواب

وكان هذا يؤذيها أبلغ إيذاء ، فكانت تتهمني بالقسوة والعنف

والله وحده يعلم كيف كنت أسيء الأدب في مراسلة مرجريت ، فأنا أعيش في القاهرة وهي تعيش في باريس ، أنا أحترس تخوفاً من بطش خصومي ، وهي تترسل بلا تخوف لأنها تعيش بين قوم يرون صيانة الحب من الشرائع

وهل تعلم مرجريت أن محبوبها الغالي يحيا في القاهرة بلا ناصر ولا معين ؟

هل تعلم مرجريت أن محبوبها يشتغل بالتدريس وهو عمل تكدره الشبهات ؟

هل تعلم مرجريت أني لا أصلح أبداً لما صلح له فيكتور كوزان الذي كان أعظم أستاذ للفلسفة في باريس ولم يكن له زوجة وإنما كانت له خليلة تحرسه وترعاه ؟

إن مرجريت لا تفهم أني مصريٌّ يعيش في مدينة لها تقاليد غير تقاليد باريس

يجب أن أقطع مرتب مرجريت وأن أتخلص من مرجريت

***

وفي أثناء تلك الأزمة النفسية وقع حادث عجيب لم يهتزّ

(١) المخاطبة بالكاف تعبير عربي أصيل وهو يماثل الـ Tutoiement في الفرنسية

له فى القاهرة قلب غير قلبى ، وقع حادثٌ لا يصدقه أحدٌ فى الشرق ولكنه زعزع كيانى

وقع حادث لم يعلق عليه كاتب مثل المازنى أو العقاد أو الزيات ، ولم يلتفت إليه مصطفى عبد الرازق ولا منصور فهمى ولا طه حسين ولكنه زلزل قدمى وهدّ بنيانى

وهل يقع فى الدنيا حادث أغرب وأعجب من أن يجيء المسيو ميللران رئيس الجمهورية الفرنسية الأسبق ليطالب فى المحكمة المختلطة بالقاهرة عن حق إحدى الغوانى بالميراث فى تركة أحد الأمراء ؟

قد أنسى كل شئ ، ولكنى لا أنسى أنى اعتذرت عن دروسى بالجامعة المصرية لأشهد دفاع المسيو ميللران

وماذا قال المسيو ميللران فى ذلك اليوم ؟

قال إن موكلته امرأة شريفة

وما كاد ينطق بهذه الكلمة حتى صُعِقتُ ، فقد فهمتُ أن المرأة من حقها أن تحب ، وقد أحبتنى مرجريت فمن حقها أن تطالبنى بالنفقة الشرعية حين تشاء

وماذا أملك حتى تطالبنى مرجريت ؟

أملك سمعتى ، وهى كل شئ ، وبفضل تلك السمعة أتسامى لمنصب الأستاذية فى الجامعة المصرية

وقد آن أن أعترف بالخطر الذى كان يهددنى فى جميع أطوار حياتى ، فأنا رجل من كبار العلماء ، وستمرّ أجيال وأجيال قبل أن يوجد لى فى البحث والاطلاع شبيه أو مثيل[1] ولكنى وا أسفاه مولعٌ بدرس سرائر النفس الإنسانية . وأغرانى بذلك أنى كنت أول دكتور فى الفلسفة من الجامعة المصرية ، وهذا المعنى هو الذى حملنى على الصراحة فيما أسجّل وأقيّد من الأفكار والمعانى ، وأغلب الظن أنى سأكون أشرف ضحية للدراسات الفلسفية ، ولا يغرينى إلا شئ واحد هو الشعور بأنى أنقذ الأدب العربى من كابوس الرياء والنفاق ، ولكن الأدب العربى يحيا لأموت

والحاصل — مرةً ثانية — أنى عرفتُ وتيقنتُ أنى لا أملك قطع مرتب مرجريت

وهل أستطيع الوقوف بالمحكمة المختلطة بالقاهرة أمام محام ذلق اللسان يطالبنى بحقوق مرجريت ؟

وما هو مبلغ السبعمائة فرنك حتى أهرب من وجه مرجريت ؟

إن أصغر مبلغ أتقاضاه على المقالة الواحدة لا يقل عن جنيهين ، فما الذى يمنع من أن أنفق على مرجريت مما أتقاضاه من مقالاتى فى مثل مجلة الرسالة أو مجلة الهلال ؟

وما الذى يمنع من أن أنقذ سمعتى بمبلغ ضئيل هو مئات من الفرنكات ؟

ولى مع ذلك تعزية صغيرة هى شعور موريس بأن له أباً هو المسيو مبارك الذى استأنف سياحاته فى مصر والشام والعراق

ولى تعزية ثانية هى رسائل مرجريت التى تحدثنى عن غرائب الأشياء فى باريس

ولى تعزية ثالثة هى الشعور بأن لى غرفة فى باريس أدخلها على غير موعد حين أشاء

ولكنى مع الأسف الموجع كنت أشعر بأنى قد نزلت إلى أسفل دركات الانحطاط ، لأنى كنت أقدم المرتب إلى مرجريت بفضل الخوف لا بفضل الوفاء

وفى صيف سنة ١٩٣٧ كانت لى فرصة لزيارة باريس بمناسبة المعرض ، وكانت مرجريت تلح فى أن أزور ذلك المعرض لأراها وترانى ، وقد شجعنى سعادة الأستاذ محمد المشماوى بك على زيارة المعرض لأكتب عنه مقالة أو مقالتين ، ولكنى رفضت

رفضتُ فراراً من مرجريت

فماذا صنعت مرجريت ؟

ماذا صنعتْ مرجريت ؟

كتبت خطاباً تقول فيه :

« عزيزى مبارك

يسرنى أن أخبرك أن موريس نال إجازة الدراسة الثانوية وقد وجد عملاً بمكتبة ... بمرتب قدره ثمانمائة فرنك . وبعد أيام سأقف مع المسيو ... بكنيسة المادلين لأداء مراسيم الزواج . فأرجوك أن تبقى المبلغ الذى تتفضل به شهرياً ، فقد ينفعك فى تربية أبنائك ، ويهمنى أن تعرف أنك أشرف رجل عرفته فى حياتى ، وأن تثق بأن خطيبى لا يغار منك ، فقد صارحته بكل شيء ، وهو فى غاية الدهشة من أدبك العالى ، وكل ما نرجوه أن ترسل عبد المجيد لنتولى تثقيفه فى باريس »

صديقتك العزيزة جداً

مرجريت

حاشية :

« أنا أقرأ خطاباتك مع زوجى . فهل تقرأ خطاباتى مع زوجتك ؟ »

(١) مع الاعتذار لقراء الرسالة عن هذا الاسراف الذى علله الأستاذ الزيات أحسن تعليل

من رحلة الحجاز

حديث الحج
في المدينة المنورة
للدكتور عبد الوهاب عزام

فصلنا من جُدَّة مغرب الثلاثاء خامس عشر ذى الحجة ، متوجهين تلقاء المدينة ، وهى مسافة تقطعها قوافل الإبل فى ١٤ يوماً . وبعد مسير سبع ساعات فى طريق سهلة على مقربة من البحر بلغنا رابغا . وهى قرية ذات نخل على مسير ساعة من البحر للراجل ، تجتمع فيها طرق بين جدة ومكة والمدينة ، وإذا حاذاها الحجاج القادمون من الشمال فى البحر الأحمر أحرموا للحج ، وليست هى ميقات للاحرام ولكن الميقات الجحفة على عشرة أميال إلى الجنوب منها

واستأنفنا السير ضحى الخميس آملين أن نبلغ طيبة عشية اليوم ولكن الرمال عوّقت بعض السيارات فبتنا فى أبيار بن حصان . ثم غدونا سائرين ونزلنا بالمسيجيد بعد ثلاث ساعات . واستأنفنا السير حتى العصر فلاح لنا النخل أخضر يانعاً يبشر باقتراب الغاية؛ ونزلنا آبار على وهى ذو الحليفة ميقات أهل المدينه . ومنه أحرم النبى صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع . ثم سرنا فلاحت لنا بعد قليل المدينة المنورة تتوجها القبة الخضراء ، كأنما تباهى على صغرها السماء ... أهذه نضرة الإيمان فى هذه البقعة ، أم ازدهار الآمال فى هذه الساحة ؛ أم كما قال عاكف بك : واحة نزلت من السماء لتأوى إليها الأرواح المتحرقة فى البيداء ؟

ودخلنا المدينة من الباب الشامىّ حيث محطة سكة الحديد الحجازية . وحططنا رحالنا فى المدرسة السعودية وقد أعدّت لنزولنا . ثم سارعنا نتأهب للموقف الجليل ، للساعة التى تعرج فيها الروح من الأرض إلى السماء . ذلكم المسجد النبوى فى بهجة النور والإيمان ، يدوّى بالمصلين والداعين والقارئين ؛ ولكن الواقف إزاء الحجرة النبوية لا يرى من هذا الجمع أحداً ولا يحس من هذا الدوىّ همساً . لا يرى إلا هذا الجلال ولا يسمع إلا هذا الوحى . وإنما هى وقفة يمّحى فيها الزمان والمكان فيتصل الأزل بالأبد والسماء بالأرض

يا لك بقعة صغيرة لا يدرك العقل مداها ، ولا يبلغ الفكر منتهاها ! يا لك حجرة يظل الفكر مسافراً فى أرجائها ، محلّقاً فى أجوائها ، فيتطوّف فى أرجاء التاريخ ، ويحلق فى أقطار السماء والأرض ؛ وكأنما طوى الزمان ، وزُويت الأرض ، واجتمعت الإنسانية ، وحشر البرّ والحق وكل خلق طيب فى هذا الضريح . يا لك بقعة كالكوكب المضىء تناله الأعين فى لمحة وتحيط أشعته بالعوالم العظيمة ! يا لك بقعة كنبع النهر العظيم ، متدفق بالحياة فياض بالبركة مدّاد بالخير يحيى الأجيال بعد الأجيال

يا حيرة الوصف ، وعجمة البيان ! أهى عنوان كتاب انطوى على الحق والصدق ، والخير والبر ، والإحسان والرحمة ، يقرؤه القارئ جملة ثم لا يزال تروعه منه الصفحة بعد الصفحة ؟ أم هى تاريخ لا يزال الدهر يكتب صفحاته وإنما أوله وحى الله وآخره غيب الله ؟

أترى هؤلاء المصلين لا يفترون ، وهؤلاء المرتلين القرآن لا يصمتون ، وهؤلاء الداعين لا ينقطعون ، أتسمع هذا الآذان وهذا السلام وما يحدث به المسلم أخاه ، وما يفضى به فى علانيته ونجواه ؟ ليس فيما ترى إلا أناسىّ هداهم محمد، وأفعال علّمها محمد،

آمنت بالله والحب !

لقد أنقذتنى مرجريت من العذاب الأليم

وفرتُ سبعمائة فرنك قبل رحيلى إلى العراق ، وفرتُها وأنا لئيمٌ بخيل

وفرتُ سبعمائة فرنك لأحرم نفسى وقلبى من أبوّة موريس

وفرت سبعمائة فرنك لأرجع إنساناً سخيفاً لا يعرف الهيام بأودية المعانى .

مرجريت ! مرجريت !

أذكرينى بالشعر يوم أموت

هل الله عاف عن ذنوب تسلّفت أم الله إن لم يعفُ عنها يعيدها

« مصر الجديدة » زكى مبارك

وكلات أملاها محمد ، بل كل صوت يرتفع إلى الله فى أقطار الإسلام ، وكل عبارة فى وضح النهار أو جنح الظلام ، وكل لسان يدعو إلى الخير وكل يد تمتد بالبر ، وكل كلة حق ودعوة صدق ، وكل نية محمودة وسعى مشكور، فهنا منبعه، ومن هذه البقعة وحيه؛ بل كل نزعة فى المسلمين إلى سؤدد ، وكل طموح إلى علاء ، وكل سلطان فيهم قائم بالحق ، وكل شرع نافذ بالعدل ، وكل دعوة إلى حرية وثورة على ظلم، وانتصار للحق ، وتمرد على الباطل — كل أولئك شعاع من هذا النور ، أو قطرة من هذا الينبوع

ولست تتمثل هنا مجداً ولا سلطاناً ولا سؤدداً ولا علواً إلا تمثلته تواضعاً للحق ، وبراً بالخلق ، ورأيته سؤدد المساكين وسلطان المستضعفين . السلطان الذى يجمع الناس على شريعة من العدل والرحمة والمودة والسلام

موقف يتضاءل فى جلاله كل جلال ، ويصغو فى جماله كل جمال . لمحات تطهر فيها النفس من أرجاسها ، وتبرأ من أهوائها ، وتسمو على شهواتها ، وتخلص من أغلالها ، فتستمد الخير والحق والعلاء والتقوى والحب والسلام وتسع السماء والأرض وكأنما تخلق خلقاً جديداً وتفتح فى أعمالها صفحات جديدة . خسر من لم يطهره هذا الموقف ، وخاب من لم ترفع نفسه هذه الساعة . هنا النفس المطهرة . هنا محمد بن عبد الله . هنا رسول الله . هنا خاتم النبيين . ثم هنا اثنان من صحبه وخلفائه : أبو بكر وعمر

* * *

المسجد النبوى فى شكله الحاضر بناء السلطان عبد المجيد العثمانى ، استغرقت عمارته ١٢ سنة بين سنة ١٢٦٥ وسنة ١٢٧٧ ولم تبق من الأبنية القديمة إلا قليلا؛ وهو جميل النظر حسن الهندسة فى سقفه قباب صغيرة منيرة مزينة تحملها عمد متقاربة صبغت لوناً أحمر وزينت بالتذهيب

كان المسجد حين بناه الرسول سبعين ذراعا فى ستين وجدرانه من اللبن وسقفه من الجريد وعمده جذوع النخل ، ثم وسعه الرسول فجعله مائة ذراع فى مثلها ثم توالى التوسيع والتعمير فى أيام الخلفاء الراشدين فمن بعدهم حتى انتهى إلى شكله الحاضر . ولكن حدود المسجد القديمة معلمة بالعمد كما حددت الروضة النبوية بين القبر والمنبر .

ولا ينظر الإنسان نظرة فى هذا المسجد المبارك إلا وقعت على ذكرى كريمة من رسول الله وأصحابه . فهناك سارية عائشة ، وسارية أبى لبابة الصحابى التى ربط نفسه بها ، وآلى ألا يبرح حتى يتوب الله عليه ، وخوخة أبى بكر .

وحول المسجد مواقع الدور التاريخية : دار أبى بكر ، ودار عثمان وغيرها

وفى المدينة مشاهد كثيرة عظيمة لا يتسع المقام لتعدادها . وحسبى أن أذكر ما شهدت فى يوم واحد يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من ذى الحجة: خرجنا إلى جبل أحد وهو شمالى المدينة قريب منها فررنا بجبل سلع وسرنا حتى شهدنا مكان موقعة أحد ورأينا قبر حمزة أسد الله رابضا فى العراء وعلى مقربة منه جدار يحيط بمدفن شهداء أحد رضى الله عنهم .

وفى اليوم نفسه توجهنا شطر الجنوب إلى مسجد قباء وهو أول مسجد أسس فى الاسلام بناه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما هاجر من مكة فنزل فى قباء على مقربة من المدينة فى بنى عمرو ابن عوف . وهو المسجد الذى ذكر فى القرآن : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا . والله يحب المتطهرين » والمسجد كما يرى اليوم حسن المنظر عالى الجدران تتجلى فيه البساطة والنظافة وقد توالى عليه التعمير حتى انتهى إلى بنائه الحاضر . وفى صحن المسجد مكان يقال إنه مبرك ناقة الرسول صلوات الله عليه ، وقد قرأت عليه بيتين باللغة التركية

وعلى مقربة من المسجد بئر أريس . وهى بئر عميقة ماؤها عذب غزير صاف وهى التى سقط فيها خاتم النبى من يد عثمان بن عفان أيام خلافته . ويستخرج الماء منها ومن آبار المدينة كلها بالسوانى . ترى بكرات على البئر معلقة بها غروب كبيرة وتجر حبالها الدواب من الإبل أو البقر أو الحمير. وقد تجتمع الثلاثة معاً، تسير الدابة نحو البئر فيتدلى الغرب [1] حتى يمتلىء ثم ترجع البئر حتى يرتفع الغرب . فإذا علا الحوض جذبته الحبال فينصب ماؤه فى الحوض ، فتسير الدابة أو السانية فى طريق مستقيمة ذهاباً وجيئة

* * *

(١) الغروب جمع غرب وهى آله

والمدينة جيدة الهواء فى الصيف معتدلة فى الشتاء ، وأرضها خصبة وآبارها غزيرة وبساتينها كثيرة ، وفيها النخل والكرم والرمان والبرتقال والخوخ والموز والبطيخ وفواكه أخرى . وتمرها جيد جداً وأصنافه لا تعد

ولكن الأرض فى وقتنا هذا ليست مستغلة كل الاستغلال ، ولا تفى بحاجات أهلها ، ويعيش كثير منهم على التجارة ، ويعوّل فقراؤهم على حدوى المسلمين

ويظهر على دور المدينة وساحاتها الفقر . وفى ذمة المسلمين أن يروا جيران رسول الله وأن يعمروا دار رسول الله . عليهم أن يغدقوا الخيرات ، ويعدوا أيديهم للأعمال الدائمة المنظمة من بناء المستشفيات والملاجئ والمصانع والمدارس . وظنى أنه إذا استثمرت أموال المسلمين فى أرض المدينة وغلاتها ، زادت خيراتها أضعافاً مضاعفة ووفت بحاجات سكانها أو كادت .

***

إن الحرم المدنى والمدينة كلها أهلها ودورها ومساجدها وطرقها وساحاتها ، كل أولئك يدعو المسلمين إلى التعاون على الخير والاجتماع على العمل الصالح الذى يجعل طيبة بلداً معموراً آهلاً ، منسّق الدور والطرق ، ميسّر الطعام والشراب ، موفور وسائل الصحة والعمل الصالح الذي يجعلها مثابة علم يؤمها بعض الطلاب من أرجاء الأقطار الإسلامية لتؤلف بينهم الثقافة الإسلامية المشتركة ، أو تحفزهم إلى خير الإسلام والمسلمين الآراء المتداولة ، ويدرسوا تاريخ الإسلام فى مواقعه . وليت المدينة تصير مقصد المسلمين من أقطار الأرض يفرون إليها فى الحين بعد الحين ليجدوا سلام أنفسهم وطمأنينة قلوبهم وصحة أبدانهم ، فيذهب إليها أغنياؤهم وأمراؤهم كلما ملكوا الفرصة للاستراحة قليلاً من ضوضاء الحياة ومفاسدها

لن يبر المسلمون دينهم ورسولهم وأنفسهم حتى تسخو أيديهم بالمال وتجتمع عقولهم وأعمالهم على الإصلاح . والله يهيئ لهم من أمرهم رشداً ويهديهم للتى هى أقوم

عبد الوهاب عزام

قلت لنفسى ...

حضر الأصمعى يوماً مجلس الفضل بن الربيع وقبالته فرس مطهم . فقال الوزير لصاحب كتاب الخيل : قم يا أصمعى وأمسك كل عضو من أعضاء هذا الفرس وسمّه ، فإذا سميتها أخذته . فقام وأمسك بناصية الفرس وجعل يسميه عضواً عضواً ويشد ما قالت العرب فيه إلى أن فرغ منه فأعطاه إياه . فهى يا نفس أن الجود والرق لم يُرفعا من الأرض ، وأنى دخلت يوماً على أمير من الأمراء البهاليل وبين يديه جارية من الغيد الحسان ، ترفل فى دِمَقس شِكوريل وسمعان ، وقال لى هذا الأمير الأديب : إذا سميت ما على هذه الجارية من اللباس ، ووصفت ما فى هذه الدار من الأثاث ، نزلت لك عن الجارية والدار ، وردتك عليهما ألف دينار ! فماذا تريبى يا نفس فاعلاً ، وأنا الذى لا تعزب عنه مادة فى اللغة ، ولا قاعدة فى النحو ، ولا نكتة فى البلاغة ؟ ماذا أسمى هذا المائل على الفَوْد الأيسر ، أو هذا المائل على الجبين الأزهر ؟ وماذا أقول فى هذا المزرّر على الصدر المشرق ، وهذا المُدار تحت الثدى الناتئ ، وهذا المرسل على الكشح الهضيم ، وهذا المفصّل على القدم اللطيفة ؟ أنا لا أعرف من غطاء الرأس إلا القناع والخمار ، ولا من لباس الجسم غير الملاءة والإزار ، ولا من وقاء الرجل غير الحذاء والنعل ! فهل تنطبق هذه الأسماء على هذه الأشياء . أم تكون دلالتها عليها كدلالة الأثاث والرياش على كل (موبليات) البيت ، والورد والريحان على جميع أزهار الحديقة ، والجهل والعُجمة على كل أدوات السيارة ؟!

لا جرم أنى سأعجز على أى حال ، وسأطلب من رفعت باشا الجارية والدار والمال !

ابن عبد الملك

في مطلع العام الجديد

بين يـــدى الله !

للأستاذ علي الطنطاوي

الآن استهل العام الجديد

لقد أوشك فجره الأول أن يطلّ على الدنيا ، وأنا حانٍ على مكتبي — أفكر منذ ساعات في أشياء لا أستطيع أن أصفها أو أعبر عنها أو أحصيها — والليل ساكن تتردد بين جوانحه أنفاس السحر وأنا أنظر من غرفتي إلى صحن المسجد (مسجد أبي حنيفة في الأعظمية) فأراه مشرقاً بالنور ، مترعاً بالجلال ، ولكنه خال من الناس . وأنظر إلى صحن المدرسة (دار العلوم الشرعية) وحديقتها الخالية ، الحالية بأشجار الموز والنخل والورد والنرفة بينهما لها إلى كل من الصحنين باب ... أريد أن أكتب (مقالة العام الجديد) فلا تواتيني الأفكار ، ولا تتوارد على الكلم ، وصدري أغنى بالمعاني منه في الأوقات كلها ، ولكن ازدحام المعاني على الفكر ، وتكاثر الصور في الصدر ، يعيق المرء عن الكتابة كما تعيقه قلّتها ، كالذي يريد أن يملأ الكأس من (السبيل) إن كان جافاً أو نزراً قليلاً لم تمتلىء الكأس ؛ وإن كان الماء يهدر وينحدر بقوة ويتدفق من فم الأنبوب مندفعاً ، تطاير الماء إلى كل جانب ، ولكنه لا يستقر في الكأس منه شيء — لأن كل قطرة تطرد أختها — كما تزيح كل فكرة في رأسي الفكرة التي قبلها لتحلّ في مكانها ...

***

ولقد طالما وقفت هذا الموقف، ففكرت في الزمان وتفلسفت، وعدت إلى ماضيّ فحزنت ، وفكرت في المستقبل فأيست ، ثم رأيت ذلك باطلاً كلّه ، كأنه باطل ! لا الماضي يعود ولا الحاضر يدوم ، ولا المستقبل يأتي . تفنى اللذاذات وتذهب الأحزان ، وتمرّ الأيام بنا في طريق القبر حتى نبلغه ، فتكون خاتمة المطاف هذه الآلام التي نودّع بها الدنيا ، والتي تنسينا كل لذة ، وكل متعة استمتعنا بها ...

ويا ليت الموت هو الغاية !!

إن الموت بداية لذة لا آخر لها ، أو ألم ماله من نهاية ...

فأين نحن ؟ وفي أي وادٍ من أودية الضلال نتخبط ؟

اللهم إني أتوجه إليك في هذه الساعة لتصلني بك ، وتدلني على الطريق إليك ، حتى أعرفك فلقد عرفت أن كل شيء سواك باطل !

***

ما الحياة ، ما هذه الفترة القصيرة من الزمان السرمدي ؟ وما الزمان في جنب الله الباقي ؟ وما الجمال الدنيوي ، وما الحب الأرضي ؟ وما العلم ؟ أليس العلم كلّه إدراك سطر واحد من سفر الوجود ؟ وكشف حفنة واحدة من رمال الصحراء ؟ فما أجهل العلم إذن بالوجود ! وما أحمق العلم حين يرفع رأسه ليتكلم في الموجد وقد خرس عما أوجد ، ولينظر إلى الخالق الباقي ، وقد عمي عن المخلوقات الفانية !

وهل عرف العلم من نحن ؟ ومن أين جئنا ؟ وإلى أين نسير ؟

***

وفكرت في نفسي ، وقديماً قال سقراط ، وكتبت مقولته على باب المعبد في أثينا : « أيها الإنسان اعرف نفسك » وجاء في الأثر : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وقال الله جلّ من قائل : « وفي أنفسكم ، أفلا تبصرون ؟ » نظرت في نفسي ، فإذا هي قد كانت قبل أن أكون أنا، فلم أعرف أولها؛ وكل ما أعلم عنها أني أفقت يوماً من النوم فوجدت طفلاً — أبصرته في المرآة — فإذا أنا أحبه أكثر من أبي وأمي ، وإذا أنا لا أفارقه أبداً ، فسألت : من هذا ؟ فضحكوا وقالوا : هذا أنت ، هل أنت مجنون !

وكبر هذا الطفل ، أو هذا الذي سمّوه (أنا) ، ونظرت فإذا أنا لا أدرى من أين جاء ، فقلت لعلّي صنعته أنا وأنا لا أعلم ، ولكن هذا (الأنا) ليس كما أريد أن يكون ، لو صنعته أنا لجعلته أبرع جمالاً ، وأشد قوة ، وأحدّ ذكاء ، وأوسع عقلاً ؛ ثم إنه قد وجد قبل أن أكون أنا ، وقبل أن أعرفه ، وعاش مرحلة في حياته في بقعة لا أعلم شيئاً عنها ، ولا أصدق أني كنت فيها ، أأنا عشت تسعة أشهر في بطن أمي ؟ مستحيل !

فمن أين جاء إذن ؟ هل خلق من غير شيء ؟

ونظرت حولى أفتش عن هذا الخالق ، فرأيت ناساً مثلى ، وما هؤلاء بخالقين لأنهم يحتاجون إلى من يخلقهم ، وحالهم كحالى ، ورأيت جبالاً وبحاراً وكواكب ، ولكن ذلك كله جامد لا حياة فيه . فهل يمنحنى الحياة وهو لا يملكها ؟ هذه هى الطبيعة فهل تخلق الطبيعة شيئاً ؟ ثم إن معنى (الطبيعة) — كما تعلمت بعد — أنها (مطبوعة) فأين الطابع ؟

فتشت عنه فإذا الإيمان به فى أعماق نفسى ، لا أدرى من أين دخل إليها ، ولعله من وضع الخالق الذى وضع السمع والبصر فى الوجه ، والقلب فى الصدر ، والعقل فى الرأس ؟ ووجدتنى أعود فى ساعات الشدة إلى الخالق — الذى يَرى ولا يُرى — أرجوه وأخافه ، وأسأله وأعوذ به ، ووجدتنى أعتقد أنه لا يشبه شيئاً مما أرى ، ولا يحدّه مكان ولا زمان ، لأن الزمان والمكان مخلوقات هو خالقها ، وأنه قديم باق متصف بكل كمال مطلق ، منزه عن النقائص كلها

فآمنت به إيماناً لا يزعزعه (بحمد الله) شك :

* * *

ولكنى لبثت أسأل نفسى :

لماذا خلقت ؟ وهل الحياة (تكليف) علىّ أن أحمله ، أو أن لى الحق بالتخلى عنها وطرحها ؟ فقالت النفس : بل عليك أن تحملها . إنك لست مالك نفسك ولا أنت موجدها ، وإنما هى وديعة فى يدك ، يكافئك صاحبها إن استعملتها فى الذى خلقها له ، ويعاقبك إن اتخذتها وسيلة إلى لذتك ، وأطعت فيها هواك ، وحدت بها عن سبيلها

قلت : فما هى الغاية من الحياة ، أهى الأكل والشرب واللذة؟

قالت النفس : كلا . هذه أسباب الحياة بها تقوم وتبقى ، وليست هى الغاية منها

قلت : أخدمة الناس ونفع البشر ، وأن أتخذ فيهم حسناً ، وأبقى فيهم ذكراً ، هى غاية الحياة ؟

قالت : كلا . إن الناس لا يمكن أن يحيوا للناس ، وما خدمة البشر إلا عرضٌ من أعراض الحياة وليست بجوهرها . إن المسافر يحرص على راحته فى سفره ، فيتخذ خير المركبات ، ويبتغى أطايب الزاد ، ويصحب خير الرفاق ، ولكن للمسافر وراء ذلك كله غاية من سفره ، والحياة سفر فإلى أين المسير ؟

قلت : لا أدرى !

قالت : أعوذ بالله ! وهل يتميز الإنسان عن الحيوان إلا بأنه يدرك غاية الحياة ؟ أما من يأكل كما تأكل الأنعام ، ويشرب كما تشرب ، ويلد كما تلد ، فهو مثلها أو أضل منها سبيلاً ، وإن عاش فى باريز أو نيويورك !

قلت : نخبرينى أنت ما هى الغاية ؟

قالت : لو سألت الجنين فى بطن أمه وكان قادراً على الفهم والإجابة : ما هى دنياك ، وما هى حياتك ، وما غاية الحياة ، لقال لك إن دنياه هذه الأحشاء الضيقة ، وهذه الظلمة المستمرة ، وإن حياته هذه الجلسة المتعبة ، وهذا السكون الدائم ، وإن غايته .... ليس يدرى ما غايته !

ولو أفهمت هذا الجنين أن هنا دنيا واسعة ، فيها شمس وقمر ، وفضاء رحب ، وبحر وسماء ، وأن غايته أن يبلغها ، وأنه سيعرفها ويراها حقاً ...

لو أفهمته هذا لكذبك وأعرض عنك ، لأنه لا يستطيع أن يتخيل إلا ما هو فيه ، ولا يقدر أن يتصور ماذا يكون البحر والشمس والقمر ؟

فإذا جاء إلى الدنيا وصار رجلاً ، نسى حياته الأولى وكذب بها وقال : إن هى إلا دنيا فيها نموت ونحيا ... فإذا خبره الرسل أن هناك حياة أخرى : حياة ثالثة ، وأنها هى دار البقاء ، وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأن غايته بلوغ تلك الحياة فى طاعة الله وعبادته ...

إذا خبر بهذا كذب به كما كذب ذلك الجنين ...

أفتكذب أنت بذلك ؟

قلت : لا

قالت : « فتلك إذن غاية الحياة » أن تتصل بالله وتعبده ، وإن تعد نفسك لحياة الخلود

* * *

وعادت النفس تقول :

أن غاية الحياة تتحقق كلها فى الصلاة . فالصلاة اتصال بالله ، واستعداد لحياة الخلود . ثم إنها لذة لا تعدلها إذا أقيمت على وجهها لذة من لذائذ الدنيا ، ولذلك عدّها النبى صلى الله عليه وسلم حين عدد اللذائذ : الطيب والنساء والصلاة ، ليدل الناس على أنها

من جنسها ، وأنها راحة للنفس ومتعة ، وليست تكليفاً شاقاً ، ولا (مهمة) صعبة ، وليست الصلاة ركوعاً وسجوداً ، ورياضة فان ذلك جسمها ، والجسم لا يقوم إلا بالروح، فاذا خلت منها الصلاة كانت صلاة ميتة ، لا تنهى عن فحشاء ولا منكر ، ولا تشعر بلذة . أما روح الصلاة فهي أنك إذا طهرت أعضاءك بالماء ، طهرت نفسك بالتوبة ، وذلك هو الوضوء الحق ؛ وإذا قمت إلى الصلاة وقلت : الله أكبر ، خرجت من دنياك ، وارتفعت عنها كمن يرتفع في طيارة ، حتى تراها — كما هي في الحقيقة — ذرة صغيرة تافهة ... ولم تخش عدواً ، ولا شغلك حب حبيب ولا ملأ نفسك هم ولا غم ، ولا لذة ولا متعة ، لأنك تتوجه إلى الله ، والله أكبر من ذلك كله ، وبيده كل شيء ، فأنت كمن يتصل بالوزير أو الحاكم المطلق ، (ولله المثل الأعلى) فهل يفكر بين يديه بحاجة له عند موظف صغير . ويشتغل بذلك عن حديث الحاكم أو الوزير ؟

فالصلاة تحقيق لغاية الحياة، وحياة لحظات في (الحياة الأخرى)، ولكن هي اللذة التي لا يقدر لغات البشر على وصفها . ولكن الناس يرون منها بروقاً خاطفة في ساعة من ساعات السحر ، ولحظة من لحظات العبادة ، أو ... أو سكرة من سكرات الحب ، أو عند ما يسمعون نغمة ، أو يقرءون شعراً . هذه اللحظات هي التي تدلنا على ذلك العالم . هي أشعة ضئيلة من ذلك النور الباهر ، تذيق النفس حلاوة الآخرة في الدنيا لتسمى لها ، وترغب فيها .

قابل بين هذه اللذائذ الروحية وبين اللذاذات المادية ... الطعام والشراب ... إنك لتشبع فتصير لذة الطعام في نظرك صفراً ، والنساء ... إنك لتتصل بهن حتى تأتي عليك ساعات ، ولهن أبغض إليك من كل شيء . على أن هذه الصلة لا تروى غليلاً ، ولا تشبع للنفس جوعاً . إن المحب ليحس وهو يعانق من يحب ويشد عليها بذراعيه أن بينه وبينها بعد المشرقين ، وأنه ليس في الدنيا صلة مادية تطفئ غليل المحب. فيابؤس من قنع بالحياة المادية ، وحرم من لذائذ الروح !

وياويح من يكفر بما وراء المادة ، وما بعد الحس ، يا ويحه ! أليس في أثناء نفسه ذكرى ؟ أما فيها أمل ؟ أليس بين جنبيه روح ؟ فكيف ينكر روحه وأمله وذكراه؟ أيجحد ما دليله في نفسه (أفلا تبصرون ؟)

وكان الفجر يؤذن ، فخرجت إلى المسجد ، وللمسجد في ساعة الفجر روعة وجلال وأثر في النفس لا يدركه البيان . ولمسجد أبي حنيفة أوفر نصيب من ذلك ، وأشهد أني لم أجد في بغداد كلها مكاناً أحس فيه الاطمئنان وأشعر فيه بالخشوع والتجلي كهذا المسجد ، لا لمكان أبي حنيفة منه ، فان أبا حنيفة لا يضر ولا ينفع ، ولا يكون مؤمناً من يرى فيه ذلك ، أو يتخذ من قبره صنماً يعبده ويتمسح به ، ولكن الله قد خص هذا المسجد بهذه الروح لإخلاص أبي حنيفة الإمام الأعظم ، وعلمه وأثره في الفقه الإسلامي ، وإجماع المسلمين على محبته وإجلاله !

هنالك عرفت الحقيقة الكبرى في الحياة ، فلن أسأل بعد اليوم : لماذا خلقت ؟ ولن أعيش في حيرة ، فيارب لا تنسني هذه الحقيقة بترهات العيش ، وأحلام الأدب ، وضلالات العلم . إن هذه الحقيقة شمس ساطعة ، ولكن سحابة صغيرة قد تحجب الشمس عن عيني الضعيفتين . اللهم إني قد فرغت (أو كدت) من شهوة الغنى ، وتلك الشهوة الأخرى ، فهب لي الخلاص من شهوة الأدب ، وحب الشهرة ، وغرور الفكر فان ذلك أشد علي ...

اللهم لك الحمد ، وإليك المآب ، وأنت الحي الباقي ، فصلنا بك ، ودلنا على الطريق إليك !

بغداد (الأعظمية) — علي الطنطاوي

قصة الرافعي العاشق (*)

تعقيب

للأستاذ محمد سعيد العريان

... هذه قصة الرافعي وفلانة ، كما رواها لي ، وكما يعرفها كثير من خاصته . وإني لأعلم أن كثيراً ممن يعرفونها ويعرفونه سيدهشون إذ يقرءون قصة هذا الحب ، وسيتناولونها بالريبة والشك ، وسيقول قائل ، وسيدعى مدع ، وسيحاول محاول أن يفلسف ويعلل ؛ ولا عليَّ من كل أولئك ما دمت أروى القصة التي أعرفها ، والتي كان لها في حياة الرافعي الأدبية تأثير أيّ تأثير يُرَدُّ إليه أكثر أدبه من بعد . وحسبه أنه كان الوحي الذي استمد منه الرافعي فلسفة الحب والجمال في كتبه الثلاثة : رسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد . وحسبي أني قدمت الوسيلة لمن يريد أن يدرس هذه الكتب الثلاثة على أسلوب من العلم جديد !

على أني مسئول أن أبرئ نفسي أمام قدس الحق ؛ فأعترف هنا بأن ما رويت من هذه القصة كان مصدره الرافعي نفسه ؛ مما حدثني به وحدّث أصحابه ، أو مما جاء في رسائل أصحابه إليه ممن كانوا يعرفون قصته ؛ وما بي شك فيما روى من هذا الحديث ؛ فما جربت عليه الكذب ، ولا كان هناك ما يدعوه إلى الاختراع والتزيد كما يزعم من يزعم ؛ ولكنها حقيقة أثبتها للتاريخ ، لعل باحثاً مدققاً يوفق في غد إلى إثبات ما أعجز اليوم عن التعليل له

على أن الرافعي قد أقرأني رسالة أو رسالتين بخط (فلانة) إليه ؛ وهما وإن لم تدلا دلالة صريحة على حقيقة ما رويت من قصة هذا الحب ، لا تنفيانها كذلك، بل لعلهما أقرب إلى الإثبات منهما إلى النفي ؛ والحذر طبيعة المرأة

ثم إن الرافعي لم يخصّني وحدي برواية هذه الحادثة ؛ فإن عشرات من الأدباء في مصر قد سمعوها منه ؛ ومنهم من يعرف (فلانة) معرفة الرأي والنظر ، ومنهم من كان يغشى مجلسها لا يتخلف عنه مرة ؛ ومنهم من كان الرافعي يقصد بالحديث إليه أن يكون بريداً بينهما ينقل إليها حديثه شفةً إلى شفة . وفي الناس بُرُدٌ إن لم تَزِد على ما سمعتْ من حديث الحب لم تنقص منه شيئاً !

فلو أن الرافعي كان يتزيّد فيما روى لي ولأصحابي من حديث هذا الحب لخشي مغبّة أمره ؛ وإن (فلانة) يومئذ ذات جاه وسلطان !

وثمة برهان آخر لا يتناوله الشك ؛ هو رسالة من رسائلها نقلها الرافعي من كتاب من كتبها المعروفة لا أسميه ، إلى كتابه أوراق الورد[1] ؛ يزعم أنها رسالة منها إليه في كتاب ، جواباً على رسالة بعث بها إليها — وكانت هذه بعضَ وسائلهما في المراسلة كما رويتُ من قبل[2] — وأوراق الورد معروف مشهور ، وكتابها معروف مشهور كذلك . ومما لا يحتمل الشك أن تكون (فلانة) لم تقرأ هذه الرسالة في كتاب الرافعي ولم ينبهها أحد إليها . وأبعد من الشك أن تكون قد قرأت هذه الرسالة المنشورة قبل ذلك في كتاب يحمل اسمها ثم لم تفهم ما يعنيه الرافعي ؛ ولا شيء وراء ذلك إلا أن تكون قرأتْ ، وفهمتْ ، وسكتتْ ؛ ولا شيء بعدُ إلا أن يكون بينهما شيء يؤيد ما رواه الرافعي من قصة هذا الحب . . . !

* * *

على أن اعتراضات ثلاثة توجّهتْ إلى ما رويت من هذه القصة لا بد من التنبيه إليها : أما أحدها فمن الأستاذ الأديب جورج إبرهيم ؛ فهو ينكر عليّ أن أستند إلى هذه الرواية ، ويروى لي أنه صحب الرافعي في أولى زياراته لفلانة ، وشهد ما كان من تأثر الرافعي وانفعاله وجذبته ؛ ولكنه إلى ذلك ينكر أن يكون بين الرافعي وفلانة صلة بعد هذه الزَّورة . ويصحح ما رويته عن الرافعي — وكان من سامعيه — بأنه حبٌّ من طَرَف واحد ، اختلطت فيه مذاهب الفكر ومذاهب النظر فشُبّه للرافعي ما شُبّه ؛ فما يحكيه هو صورة ما في نفسه لا صورة ما كان في الحقيقة !

فالرافعي عند الأستاذ جورج إبرهيم لم يكذب ولكنه أخطأ التقدير والنظر . وعندنا أن عدم علم الأستاذ جورج بأن صلةً ما كانت بين الرافعي وفلانة بعد الزَّورة الأولى ، لا ينفي أن هذه الصلة كانت حقيقةً ولم يعلم بها ؛ فحديثه من ثَمّ لا ينفي شيئاً

(١) أوراق الورد ص ١٤٣ — ١٥٠ ، وتقرأ فقرات منها في هذا الكتاب ص ٩٤ - ٩٦

(٢) ص ٨٣ من هذا الكتاب

(*) « من كتاب (حياة الرافعي) الذي يصدر قريبا »

ولا يثبته ، ويبقى بعد ذلك ما يستنبط من الرأى على هامش القصة

وقريب مما يرويه الأستاذ جورج ، ما تستنبطه جريدة المكشوف فى بيروت ، فى حديث تناولت به بعض ما نشرنا من قصة حب الرافعى

* * *

وتعقيب ثان توجه به صديقنا الأستاذ فؤاد صروف — محرر المقتطف — على ما رويناه ، قال :

« لقد سمعت هذه القصة من الرافعى كما رويتها ؛ فما أشك فى صحة ما تكتب ، ولكنى أسأل : هل كانت (فلانة) تبادل الرافعى الحب ؟ . . .

« هاك خبراً يدعوك معى إلى هذا السؤال :

« فى يناير من سنة ١٩٣٤ (أو ١٩٣٥) دعتنى فلانة إلى مقابلتها ؛ فلما شخصتُ إليها رأيت فى وجهها لوناً من الغضب فدفعتْ إلىّ رسالتين من رسائل الحب بعث بهما الرافعى إليها لأرى رأيى فيهما ؛ ثم قالت : ماذا ترانى أفعل لأذود عن نفسى ؟ أترانى أتقدم فى ذلك إلى القضاء ؟

قال الأستاذ صروف : « فاعتصمت بالصمت من لا ونعم ، وتركت لها أن تستشير غيرى ؛ ولست أدرى ما كان بعد ذلك ! »

قلت : وهذه رواية جديرة بأن تذكر — ومعذرة من ذكرها إلى الأستاذ صروف — على أنها لا تدل على شىء فى هذا المقام أكثر من أن فلانة لم يكن يروقها فى سنة ١٩٣٤ أن يتحبّب إليها الرافعى ؛ فماذا كان أمره وأمرها معه قبل ذلك بعشر سنين ؟

أيكون لهاتين الرسالتين اللتين يتحدث عنهما الأستاذ صروف — صلة بما كان فى نفس الرافعى من يقين بأنه سوف يلقى فلانة ليصل ما انقطع من حبال الود بعد عشر سنين من يوم القطيعة[1] »

أعنى : هل حاول الرافعى — بعد عشر سنين من القطيعة — أن يعيد ما كان بهاتين الرسالتين فلم يصادف قلباً يستجيب لدعائه ؟

على أن هذا الخبر — أيضاً — لا ينفى شيئاً ولا يثبته ؛ ولكنه يفتح باباً إلى الاستنباط والرأى

ولكنه مما لا شك فيه أن الرافعى لم يكن يعلم شيئاً عن وقع هاتين الرسالتين فى نفس صاحبته ؛ ولا أحسبها صنعت شيئاً يدل الرافعى على مبلغ استيائها من هاتين الرسالتين ، وإلا لما ظل يتعلق بالأمل فى لقائها إلى شتاء سنة ١٩٣٥ ، وكنت معه لما همّ بزيارتها[1]

وثمة اعتراض ثالث يعترضه الدكتور زكى مبارك ؛ وما كان لى أن أثبته هنا لولا أن أثبته هو فى كتاب من كتبه نشره على الناس منذ قريب ، ولولا أن أشار إليه فى مقالات نشرها فى مصر وفى العراق وفى بيروت !

والدكتور زكى مبارك أديب مشهور ، ولكن آفته — ولكل أديب آفة — أنه يدسّ أنفه فيما يعنيه وما لا يعنيه ؛ وهو قد شاء أن يحشر نفسه فى هذه القصة التى لا يهمه منها إلا أن يعلن للناس — والإعلان عن نفسه بعض خصائصه الأدبية — أنه كان يجلس إلى (فلانة) جنباً لجنب فى الجامعة المصرية بضع سنين !

وليس يهمنا أن يجلس الدكتور زكى مبارك جنباً لجنب إلى فلانة أو إلى نساء الأرض جميعاً — كما يريد أن يتعالم عنه الناس فى أكثر ما يكتب — ولكنه يزعم أن ما كتبنا عما كان بين الرافعى وفلانة ليس من الحقيقة فى شىء ، لأنه كان يجلس مع فلانة جنباً إلى جنب فى الجامعة بضع سنين فلم تحدثه يوماً أن حباً كان بينها وبين الرافعى ... ... ! !

فمن شاء أن يقرأ مثلاً للحجة الواضحة فى أدب الدكتور زكى مبارك ، فليقرأ هذه الحجة البالغة ؛ على شرط أن يكون مؤمناً بأن الدكتور زكى مبارك لا يجلس إلى (فلانات) ولا يجلس إليه (فلاناتٌ) إلا ليحدثنه عما كان لهن من جولات فى ميادين الحب ويسألنه الرأى والمعونة !

وليدعْ القارىءُ بعد ذلك حديث الدكتور عن العرى والعراة ، وعن (الأديب العريان ...) الذى روى هذه القصة

وعفا الله عن أهل الأدب !

* * *

هذا كل ما تلقيت من اعتراض المعترضين ، من أهل الأدب أو من أهل الدعوى ؛ وعلى أى الوجوه انتهى رأى الأدباء فى تحقيق هذه القصة ، فإنه مما لا شك فيه أن الرافعى كان يحب (فلانة) ؛ وهذا حسبى ؛ فما يعنينى من هذا التاريخ إلا إثبات المؤثرات التى كانت تعمل فى نفس الرافعى فتلهمه الشعر والبيان ؛ أما هى وما كان منها وحقيقة عواطفها ، فشىء يتصل بتاريخها هى بعد عمر مديد !

محمد سعيد العريان

---

(١) اقرأ ص ٩٠ — ٩١ من هذا الكتاب

(١) أنظر ص ٨٤ من هذا الكتاب

للتاريخ السياسي

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

رأت دول وسط وشرق أوربا ، بعد أن زالت السياسة التي بنيت عليها العلاقات الدولية ، أن تبني علاقاتها الدولية على أسس جديدة . فأخذت تلتف حول الريخ طلباً لوده واتقاء لنقمته . لأنه ظهر لها أن لا وجود مطلقاً للضمان المشترك ، ولا فائدة ترجى من التحالف مع الدول المقاومة لهر هتلر . لأن هذه الدول لا تقوى على مد يد المساعدة لحليفتها . والدول القائلة بهذا القول تضرب مثل تشيكوسلوفاكيا لإثبات صحته

وفي الواقع أن تشيكوسلوفاكيا نفسها قد غيرت سياستها الخارجية وأخذت تتقرب من ألمانيا . فأدلى الجنرال سيروفي رئيس حكومة براغ تصريحاً قال فيه : « إن مبادئ سياستنا الخارجية واضحة جلية ، وهي أن تكون علاقاتنا ودية مع جميع العالم لا سيما مع جيراننا . ويجب علينا التعاون معهم إذا أردنا أن نعيش بسلام وطمأنينة » . وقد ذهبت إحدى الجرائد التشيكية إلى أبعد من ذلك قائلة : « إن أوربا الوسطى أزيلت من الوجود ، وإنه يجب علينا حتى في علاقاتنا التجارية نفسها ألا نعمل مع أية كتلة تضعنا ضد ألمانيا ، أو أن ندرك أن الهر هتلر والسنيور موسوليني أقوى من فرنسا وبريطانيا ، فالهر هتلر يكسب المعارك معركة بعد معركة طبقاً للنظرية الواردة في كتابه كفاحي »

ولتحقيق سياسة التقرب مع ألمانيا ، وتنفيذاً لرغبة الهر هتلر ، استقال الدكتور بنيش من رياسة الجمهورية التشيكوسلوفاكية في أكتوبر (تشرين أول) ؛ وألغي تدريس اللغة الفرنسية في مدارسها كلغة إجبارية ، واستعيض عنها باللغة الألمانية . فرحبت ألمانيا بذلك ، وأخذت تساعد على إيجاد علاقات ودية بين الحكومتين

وانتشار نفوذ ألمانيا في تشيكوسلوفاكيا يضع في يدها مفتاح باب الدانوب ، ويفتح أمامها باب أوربا الشرقية والشرق الأدنى . وقد قال في ٤ أكتوبر (تشرين أول) إرشيبالد سنكلر زعيم الأحرار المعارضين « إننا سنعيش حتى نبكي اليوم الذي باعت بريطانيا فيه الحرية في أوربا الوسطى ، وفتحت طريق توغل ألمانيا في أوروبا الشرقية »

وعملياً أخذت ألمانيا تنشر نفوذها في أوربا الشرقية وفي الشرق الأدنى ، فزار الدكتور فونك وزير الشؤون الاقتصادية الألمانية بلغراد وأنقرة وسوفيا . فعقد مع حكومة يوغوسلافيا اتفاقية تجارية جديدة ، وقال بصددها إن ألمانيا في وضعية تمكنها من شراء نصف منتوج يوغوسلافيا ، ومن مساعدتها على إكثار منتوجها بتقديم الآلات والمال لاستثمار المعادن . وبالإضافة إلى ذلك فإن في إمكان ألمانيا دفع أسعار مرتفعة لما تبتاعه ، والمحافظة على مستوى هذه الأسعار ، لأن نظامها الاقتصادي أقيم بصورة لا تؤثر عليه الأزمات . وقد أكد الدكتور فونك أن ألمانيا الآن أعظم بلاد العالم إنتاجاً بفضل نظامها السياسي . وأضاف قائلاً أن ليس في الإمكان تفريق السياسة الاقتصادية عن العامة

وقد لقي الدكتور فونك استقبالا حارا في أنقرة ، ونجح فيها نجاحاً باهراً ، إذ عقد اتفاقاً مع الحكومة التركية أقرضتها ألمانيا بمقتضاه ١٥٠ مليون مارك (ما يقرب من ١٣ مليون جنيه انجليزي) لشراء الآلات الصناعية والأدوات الحربية ، على أن تسدد بعد عشر سنوات . وقد أدهش ذلك الاتفاق الدوائر الدبلوماسية ، لأنه في مايو السابق فقط اقترضت الحكومة التركية ستة عشر مليوناً من الجنيهات من الحكومة البريطانية

وبعد تركيا زار الدكتور فونك بلغاريا وتباحث مع حكومتها للوصول إلى تحسين العلاقات الألمانية البلغارية التجارية . وقد قبل دعوة رومانيا واليونان لزيارة بلادها ، وفي نيته زيارة إيران وافغانستان ، غير أنه أرجأ ذلك إلى وقت آخر . ودول البلقان ترحب بتحسين علاقاتها التجارية مع الريخ ، لأنها تعتقد أن تجزئة تشيكوسلوفيا كيا أزالت كل مقاومة للمصالح الألمانية في أوربا الشرقية . والعلاقات التجارية المنيمة تولد الصداقة السياسية ، والنفوذ الاقتصادي يوجد النفوذ السياسي

وقد صرح الهر فونك في حديث له مع مندوب جريدة « برلين تسيتونغ » « أن في جنوب أوربا الشرق وآسيا الصغرى كل شيء تحتاج إليه ألمانيا تقريباً . ولهذا لا يمكن أن توجد دولة

أخرى قادرة على أن تشترى منها ما تشتريه ألمانيا . ونظراً لأهمية نهر الدانوب لجنوب أوربا الشرقى ، يجعل من هذه البلاد منطقة اقتصادية ممتدة من بحر الشمال إلى البحر الأسود ، والدول القائمة فيها تستطيع أن تكون متممة إحداها للأخرى » . وهذا التصريح يرمى إلى تحقيق الحلم الألمانى السابق للحرب العالمية ؛ حلم « همبرك — بغداد »

وتقول جريدة (اسن ناشونال زيتيبغ) فى عددها الصادر فى ١٣ أكتوبر (تشرين أول) إنه « إذا أصرت انكلترا وفرنسا على مواصلة جهودها للاستيلاء على جانب من التجارة تعده ألمانيا بحق أنه من نصيبها فإنها ستكون بعد عام أو عامين ، أى بعد أن تتم تحصيناتها على الحدود الغربية ، فى مركز يساعدها على أن تعلن أنها وحدها صاحبة النفوذ الاقتصادى فى جنوب شرقى أوربا »

* * *

هذا . ولا تنحصر نتائج اتفاق مونيخ فى علاقة ألمانيا مع دول جنوب شرقى أوربا ، بل تتعداها إلى وضعية الدول الكبرى ومجرى سياستها

وفى مونيخ تلاشت عصبة الأمم ، وذهبت البقية الباقية مما كان لها من تدخل فى الأزمات الدولية ؛ وتحققت فكرة السنيور موسولينى من حل المشاكل الدولية بواسطة « مؤتمر رباعى » ؛ تلك الفكرة التى لم توافق عليها بريطانيا وفرنسا عام ١٩٣٣ ، بل أصرتا حينئذ على وجوب حل الخلافات الدولية ضمن دائرة عصبة الأمم . وفى مونيخ عقد المؤتمر الرباعى لحل المشكلة التشيكوسلوفاكية ، دون إعلام عصبة الأمم به ، ودون اشتراك الروسيا فيه ، فكان ذلك نصراً أدبياً سياسياً للسنيور موسولينى اتخذ منه دليل كبير على بعد نظر زعيم إيطاليا وعلى قدرته السياسية فى إيجاد الأسس لتسوية المشاكل الأوربية

وفى ذلك المؤتمر تحققت رغبة هتلر وموسولينى فى عزل الروسيا عن شؤون أوربا فأصبحت الروسيا فى عزلة سياسية لها نتائجها السيئة فى أوربا . لأن من شأن هذه العزلة إضعاف موقف فرنسا الدولى ، وبالتالى إضعاف مركز بريطانيا العظمى ، مما يشجع الهر هتلر على السير فى تحقيق مطامعه الواسعة

وفى مونيخ انهارت سياسة سلامة فرنسا . فزالت قوتها فى تشيكوسلوفاكيا وخسرت حلفاءها وأصدقاءها فى بلاد البلقان وشرقى أوربا . فكانت فرنسا الدولة الأولى التى تكبدت أكبر الخسائر ولحق بها أعظم الأضرار من جراء اتفاق مونيخ . وكأن هذا الاتفاق كان موجهاً ضدها . وزيادة على ذلك فقد حاول الهر هتلر فى مونيخ تحقيق أعز آماله عليه ، وهو إبعاد بريطانيا عن فرنسا لتتم عزلتها وزوال سلطانها الدولى . وهو لم يواجه هذه المسألة وجهاً لوجه ، بل أتاها من طريق غير مباشر ، فوقع المستر تشمبرلين تصريحاً مفاده : « إنهما ينظران إلى اتفاق مونيخ وإلى الاتفاق الإنكليزى الألمانى البحرى ، كرمز إلى رغبة شعبيهما بألا يحارب قط الواحد الآخر . وإنهما متأكدان من أن التشاور سيكون الطريقة المتبعة فى حل المسائل الأخرى التى تتعلق ببلادهما» وتقوية لهذه السياسة ألقى السير توماس أنسكيب . وزير الدفاع الوطنى خطبة فى ١٢ اكتوبر (تشرين أول) قال فيها : « إننى أعتقد أننا سائرون فى الطريق المؤدية إلى إنشاء علائق ودية مع الشعب الألمانى العظيم فى وسط أوربا . وأثمن هدية نستطيع تقديمها إلى عالم متزعزع أهوج هو السلام بيننا وبين ألمانيا » .

ومن شأن هذه السياسة تمكين الهر هتلر من تحقيق مطامعه . لأن القوة الوحيدة فى أوربا التى تجعل الهر هتلر يفكر قبل العمل على تحقيق مطامعه الواسعة هى جيش فرنسا العظيم تسنده القوى البريطانية ، وتفريق هاتين القوتين بعضهما عن بعض يعوق الجيش الفرنسى عن العمل ، ويمكن الهر هتلر من تحقيق ما يريد

وما يريده الهر هتلر أمر عظيم خطير ، يشرحه « كتاب النازى المقدس » ويجمله جملة منه إذ يقول زعيم ألمانيا « إنه ليس من الضرورى ، مهما كانت النتائج ، اللجوء إلى الحرب، إذا أريد حقا الوصول إلى السلام . وفى الحقيقة أن الفكرة الإنسانية والانشائية ربما تكون جيدة فى اليوم الذى يقهر فيه الرجل المتفوق على الجميع ، العالم ويسود ويصبح وحده سيد الدنيا . الحرب أولا وربما بعدها السلام » .

وهذه الجملة واضحة جلية ، ترى أن الهر هتلر يطمح إلى سيادة العالم سيادة أوربا فقط . وقد مكن اتفاق مونيخ الذى كان أعظم نصر حازه الهر هتلر زعيم ألمانيا من أن يكون الرجل

من صاحب العصور إلى صاحب الرسالة

أخى الأستاذ الزيات :

السلام عليك ورحمة الله ، وبعد فإنى أحمد الله إليك وأستعينه وأسأله لك التوفيق والسَّداد . أبيت أيها الرجل إلاّ كرَماً من جميع نواحيك ، فما كدت تستقبل العـام السابع من عمر « الرسالة » حتى عُدتَ علىّ بفضل من ثنائك وحسن ظنك ، فذكرت « العصور » ثم أثنيت فأغنيت

لقد وافتنى كلمتك ، وأنا بعد أنفض عن يدىّ غبار « العصور » وأتخفف من أثقالها التى حملتها راضياً غير كاره ، لأنقلب إلى هذه الغرف العزيزة التى نشأت فى حجور الشيوخ من سكانها أستخبرهم علم ما أجهل ، وأستنبئهم أخبار ما مضى ، لأستوحىَ الظن فيما يستقبل ، وأجدد بعادىّ قوتهم قوة النفس التى لا تهدأ ولا تنام

لا بد من كلمة — أيها الشيخ الجليل — وقد كان الصمت أولى بى وأحبّ إلىّ . لا بدّ من كلمة أعتذر بها للذين استقبلونى بفرحة المحبّ أمتع باللقاء على غير ميعاد . فأنت تعلم أنى يوم عزمت على إصدار « العصور » لم أكن قد أعددت لها من مال إلا ما ادخرته فى نفسى من جهد أعوام طالت فى معاناة العلم والأدب ، وبقية من خلق ضننت بها أن تذيع فى أطرافها ونواحيها مبزعات العصر الحديث التى صرّفت الأخلاق فى وجوه البغى والضلال ، وأطلقت دنيات الغرائز من عقال الشرائع ، وأرسلتها ترعى حمى أبى الله ورسوله أن يكون مرعى لمن آمن بالله واليوم الآخر

ولكن لا بد من مال مسكوك معترف به ، مصدّق على الاعتراف به من « محافظ البنك الأهلى » ، وإن قليل ما عندى من هذا المال لا يغنى غناءه فى عمل أوله استهلاك بغير نتاج وأنت أخبر بهذا الأمر . فلم يبق إلا الصديق الذى يعين على نوائب الحق ... فبدأنا إصدار « العصور » يمولها الجد من قبلى ، والعون من قبل الأصدقاء الكتاب من أصحاب مذهبنا ، والمدد من « جيب » الصديق الذى أبدى بشاشته ، واستظهرها بعاجل البر ، وسرنا على اسم الله . فما كان إلا كلا ولا حتى قلت كما قال الأول :

سمعتْ نوَب الأيام بينى وبينهُ فأقلعن مِنَّا عن ظلوم وصارخ
فإنى وإعدادى لدهرى « محمداً » كلتمس إطفاء نار بنافخ

وأبيتُ أن أخفض عن نفسى أو أرُدّ غلواءها ، فرددتُ المـالَ إلى صاحبه غير منقوص ولا مهتضم . وقلتُ إنّ أمراً قضاهُ الله لا بُدّ له من تمام وأجلٍ ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكنْ . وخيرُ الأمر أن ألجأ إلى الله ثم أستعين بمـا عندى على قضاء الحق الذى يقتضيه ما أقررت به على نفسى ، وما أقررتها عليه فى كلمة العدد الأول من « العصور » . فلم أبخل ولم أتراجع ، وأقدمتُ على إصدار العدد الثانى مستبشراً مؤملاً راجياً معتمداً على ثقتى بالله ، ثم ثقتى بحسنِ التقدير الذى لقيته . فلم يلبث أن لقىَ العدد الثانى من « العصور » حفاوة الناس فى كثير من بلاد العربية ؛ ولكن هذه الحفاوة المستبينة فى بيع مجلة — تكاليفها أكثر من دخلها بهذا البيع — لا يمكن أن تكونَ هى الرُّقية التى تجذب إلى رقاب المال من كهوف « البنك » فأجوبها وأروضها وأتصرّف فيها تصرُّف الناس فيما هُمْ به « ناس » ! !

وقلت : عسى أن يقضى الله لأمر ضاق بالفرج ، وتوجهت بقلبى إلى الله ، وبوجهى إلى من أتوسم فيه سمة « الخزانة » المعدة لاحتجان المال . ولكنى وجدت القفل بعد القفل على الخزانة ، وافتقدت المفتاح الذى يتسنى له كل مغلق . إن هذا المفتاح ليس عندى ، ولستُ أملكه ، وما أحسبنى أرتضى — بعد أن جرّبتُ — أن أملكه أو أحوزه . إنه لا يملكه إلا من قدّم رهينةً ، والخُلُق لا يُعترف به فى باب الرّهائن ، ولستُ أملكُ غيره ؛ فلا رهينةَ ، أى لا قرْضَ ولا معونة . وإنه لا يملك المفتاح بعـدُ إلا اللصُّ الذى يلين له ما أعضل من قُفْل غَلِق

الأول فى أوربا والمتفوق على جميع ساستها ؛ ومن أن يبدأ فى نشر نفوذه عليها وسيادته لها .

* * *

يستغرب المرء تسليم فرنسا وبريطانيا العظمى فى ميونيخ ، ويجعله يتساءل كيف سلمت فرنسا بمعقلها فى وسط أوربا ، ولنفوذها السياسى فى جنوبى أوربا وشرقيها ؟ فهدمت بذلك ما بنت خلال العشرين سنة الماضية ، وخسرت حلفاء وأصدقاء ، وسهلت وضعهم تحت النفوذ الألمـانى ! وكيف قبلت بريطانيا اختلال التوازن الدولى ؟ ذلك التوازن الذى كانت دائما وأبدا تبذل الجهود وتدخل الحروب فى سبيل المحافظة عليه .

هذا ما نبينه فى المقال المقبل . **يوسف هيكل**

كلمـــات لهوجو (*)

للأستاذ عبد الكريم الناصري

— ١ —

* البراءة أعلى من الفضيلة . البراءة جهل مقدس
* في استطاعة الأسنان أن تبصر ، كاستطاعة العيون أن تعض
* للطيش حقوقه ، ولكن له حدوده أيضاً
* قد تدل الابتسامة على الموافقة ... ولكن الضحكة — في الغالب — رفض

* في بعض الأحايين تكون الثانوية أصعب من الأولية . وهي حينئذ تقتضي عبقرية أقل وشجاعة أكثر . فالأول قد تُسكره الجِدَّة غير المنتظرة ، وتبلبل فكره وتهيج حماسته ـ فيجتاز الهوة وهو جاهل بالخطر ؛ ولكن الثاني يرى الهوة ويندفع نحوها
* ما التاريخ ؟ صدى من الماضي في المستقبل ؛ إنعكاس من المستقبل على الماضي
* البخيل أعمى ، فهو يرى الذهب ولا يرى الثروة . المتلاف أعمى ، فهو يرى البداية ولا يرى النهاية. المستهترة في الحب عمياء، فهي لا ترى الخطوط والغضون . العالم أعمى ، فهو لا يرى جهله . الشريف أعمى ، فهو لا يرى اللص . اللص أعمى ، فهو لا يرى الله
* ما البتولة إلا الأمل في الأمومة
* للخوف درجة ينقلب فيها الإنسان رهيباً يملأ القلوب رعباً . إن الذي يخاف كل شيء لا يخاف شيئاً . مثله حقيق بأن يضرب « الاسفنكس (١) » حقيق بأن يتهدد « المجهول » ويتحداه
* الحسد مادة صالحة لصنع الجواسيس . فإن بين تلك العاطفة الطبيعية ـ الحسد ـ وبين تلك الوظيفة الاجتماعية ـ الجاسوسية ـ لشبهاً عظيماً . غير أن الجاسوس يصطاد لغيره ، كالكلب . أما الحسود فيصطاد لنفسه ، كالقط

— ٢ —

* إن للدور لأرواحاً
* الفنُّ هو فرع الطبيعة الثاني
* الفنُّ طبيعيٌّ كالطبيعة
* الطبيعة ، منضافةً إليها الإنسانية ، مرفوعةً إلى القوة الثانية ، تنتج الفن
* الجلال هو المساواة . الفكر الإنساني هو المكن الذي لاحد له

(*) جمل وسطور منتقاة — في أغراض شتى — من كتب فكتور هوجو التالية : بأمر الملك ، شكسبير ، البؤساء ، ثلاثة وتسعون

(١) الاسفنكس — في الميثولوجيا اليونانية — هولة في رأس امرأة وجسد لبوة ؛ تعترض المسافرين وتوجه إليهم ألغازاً وأحجية ، وإذا عجز المسافر عن حلها ، أمسكت برقبته وخنقته

وأنا بحمد الله لم أُخلَق على طبيعة السارق بل بسُوِّيتُ على هيئة المسروق : كلٌّ من شاء أن يأكلني أكلني ؛ قد رضيتُ أن أحوطَ جوهري بالعَرَض المضيَّع

ومع ذلك فقد أعددت العدد الثالث للطَّبْع ، وتصرَّفتُ في وجوه التدبير ، ثم وُفِّقت إلى من أرضى عنه ويرضى عني ... ولكن أبي خُلُق الدُّنيا مني أن يتم جميل تستودعنيه ، أو معروف تُرَبّيه عندي ، فرجعت عَودي على بدئي راضياً عن الله شاكراً لله واثقاً بالله ، أستعينه وأستحفظه ، وأشكره ولا أكفره

لا أقول الله يظلمني كيف أشكو غير مُتَّهم

وأنا لا أزال أقول : يَصنَعُ الله ، يَصنَعُ الله ، إن لله تدبيراً يصرِّفنا به كيف شاء إلى مواقع علمه ومنازل حكمته . وأنا مذ كنت ، كنت مطية القدر حيثما وجّهني استقبلتُ المضيقَ والطريقَ بنَفس مسلمة وجهَها لله ، بأن الزِّمامَ في يد الله فإن تسأليني ، كيف أنتَ ! فإنني

صبورٌ على ريب الزمان صليبُ
يعزُّ عليَّ أن تُرى بي كآبةٌ فيشمتَ عادٍ أو يُساء حبيبُ

وعلى ذلك فأنا مُنتظِرٌ ، و « العصور » إلى جانبي تنتظِر !
وشكر الله لك ، وجزاك خيراً من صديق **محمود محمد شاكر**

(الرسالة) تألم الرسالة أشد الألم أن يثبط هذا القلم البارع وهذا الفكر الرشيد مثبطات المادة ، وتدعو الله مخلصة أن يلهم أهل المال معونة أهل العلم حتى لا تتخلف « العصور » عن صفها في الجهاد إلا ريثما تواتيها المدة . وعسى أن يعني القراء بهذه الثروة الأدبية على الضياع فيعينوها على الصدور بإسلاف الاشتراك .

* للفكر الإنسانىّ ذروة . هذه الذروة هى المثل الأعلى . اللهُ يهبط إليها ، والإنسان يرتفع ...

* « أنا » الإنسان الواحد أوسعُ وأعمقُ من « أنا » شعبٍ بأسره

* المثل الأعلى — مطبقاً على الحقائق الواقعة — هو الدنية

* من ميزات العبقرية اتحاد الملكات المتباعدة أشد التباعد فيها

* فى الدنيا شىء يُقال له : غَضَبُ الوضاعة

— ٣ —

* الموتُ من شأن الله وحده . وبأىّ حقّ يَمَسُّ الناسُ ذلك الشىء المجهول ؟

* المجتمعُ يغلق بابه — فى غير رحمة — دون طبقتين من الناس : الطبقة التى تهاجمه ، والطبقة التى تدافع عنه

* ليس الموت بشىء . إنما المخيفُ ألاّ نعيش

* إذن فلنهجمْ

لنهجم ، ولكن لنميز أولاً . إن صفةَ الحقيقة المميزة أنها لاتعرفُ الإسراف أبداً . وما حاجتها إلى الغلو والإسراف ؟ هنالك أمورٌ يجب هدمُها ، وأمورٌ أخرى يجب تبيُّنها وفحصها فحسب ، فما ينبغى لنا — إذن — أن نحمل اللهب حيث يكفى الضوء وحده

* ليس أخرقَ من طلاب النصر والغلبة ؛ إنما المجد الحق فى الإقناع

* كل شىء قابل للنجاح ، حتى النحو والصرف !

* الفرح انعكاس الرُّعب

— ٤ —

* لا بد لكل فكرة من غطاء منظور . لا بد لكل مبدأ من سكن ومأوى ؛ فالكنيسة هى الله بين أربعة جدران ؛ لا بد لكل مذهب من معبد(١)

* أنا كالأقيانوس ؛ لى مدى وجزرى ؛ ففى الجزر تبين مواضى الضحلة ، وفى المد ترى أواذى وأثباجى

* المجتمع هو الطبيعة فى حلة من الجلال

* حرية الفرد تنتهى حيث تبدأ حرية فرد آخر ، وفى هذا السطر ينطوى قانون المجتمع البشرى كله

* التفريق بين الهياج المنبعث عن الطمع ، وبين الهياج المنبعث عن المبادئ ، ومحاربة الأول ومساعدة الثانى : فى ذلك تستقر عبقرية كبار القادة الثوريين ، وقوتهم وسلطانهم

* إن للنفس عقيدة فى النور

* أريد الحرية فى الفكر ، والمساواة فى القلب ، والأخوة فى الروح . كفى ! كفانا عبودية ورقاً ! ما خلق الإنسان ليجرر السلاسل ، وإنما خلق لينشر أجنحته ...

« بغداد » عبد الكريم الناصرى

(١) مثال لاسراف هوجو فى حب الألفاظ وإكثاره من التلاعب بها

استخبار صحفي (ريبورتاج)

أبو الهـــول يتكلم!

اكتشافات أثرية هامة

(لمخبر الرسالة)

للأستاذ الأثري سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار اكتشافات كبيرة القيمة من الناحية الفنية والتاريخية فهو الذي أماط اللثام عن سر أبي الهول كما كشف كثيراً من الآثار التي وضحت لنا النواحي الاجتماعية في عصر الأسرتين الرابعة والخامسة. وقد زرناه في بيته الصحراوي بجوار أهرام الجيزة فوجدناه منهمكاً في إعداد كتاب قد تزيد صفحاته على خمسائة صفحة عن حصر الفرعونية.

وقد سمح لنا أن نشاهد حفرياته الحديثة، وتقدم إلى قراء الرسالة أخبار هذه المكتشفات التي غيرت كثيراً من النظريات التاريخية

خرافة الكتابة

« كانت هناك خرافة تقول بأن أهرام ملوك الأسرة الرابعة خالية من النقوش والكتابات، وقد ظلت هذه الخرافة قائمة إلى سنة ١٩٣٨ إذ ثبت خطأها في ٢٨ نوفمبر الماضي فقد وجدنا صورة الملك خوفو باني الهرم الأكبر منقوشة بالحفر البارز على أحد أحجار معبد الهرم الجنائزي كما وجدنا رسوماً ونقوشاً أخرى».

بهذه العبارة أعلن سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار عن اكتشافاته العظيمة القيمة التاريخية والفنية

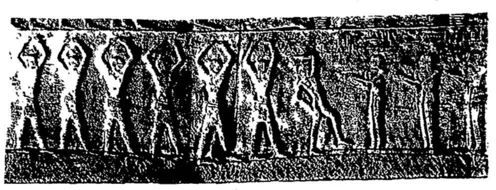
وبهذه العبارة وهذا الاكتشاف هدم كثيراً من النظريات، كما قضى على كثير من المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والتحليل. فقد لاحظ علماء الآثار خلو أهرام ملوك الأسرة الرابعة من النقوش والكتابات، مخالفة بذلك مقابر أشراف الأسرة وكهنتها الذين ذكروا كثيراً من حوادث عصرهم وعادات قومهم. فاستنتجوا أن ملوك هذه الأسرة توخوا في مقابرهم أن تكون من العظمة والضخامة بحيث تنطق بجلائل أعمالهم وتتحدث عن حالة الرخاء في عهودهم. ولذلك ظهرت الأهرام بضخامتها التي ما زالت حديث العالم دون أن يظهر على جدرانها نقش واحد يدل على أسماء أصحابها



صورة الملك خوفو منقوشة نقشاً بارزاً وهو يلبس تاج الوجه البحري وكانت العين مصنوعة من معدن آخر ولكن اللصوص سرقوها

الحلقة المفقودة

ولكن هذا المنطق لم يرق لسليم بك، إذ كيف يذكر اسم الملك في مقابر الحاشية ولا يذكر في مقبرته هو؟ أضف إلى ذلك ما ذكره المؤرخ اليوناني هيرودوت، فقد قال إنه زار الأهرام ورأى نقوشاً على مبانيها؛ وبذلك تأكد لعالمنا المصري أن حلقة أثرية ما زالت مفقودة، وأن كثيراً من أسرار الهرم في الرمال مطمورة ...



لأول مرة نجد موجين من الراقصين والراقصات وفي وسطهما امرأة عارية تقودهما

وبحث ونقب فوجد أن كل هرم له معبدان أحدهما جنائزى وهو إلى جوار الهرم من الناحية الشرقية، والثانى معبد الوادى وهو يبعد عادة عن المعبد الجنائزى بطريق طويل . وعلى هذا الأساس بدأ أبحاثه فتوصل إلى الدليل القاطع بعد أن نقل رمال الصحراء من منطقة تزيد مساحتها على مائتى فدان . فى الجانب الشرق للهرم الأكبر وجد فى معبده الجنائزى فى ٢٨ نوفمبر قطعة من الحجر الجيرى الأبيض نقش عليها رسم الملك خوفو وهو يلبس تاج الوجه البحرى ؛ كما عثر على قطعة أخرى عليها رسم الملك وهو جالس على عرشه يحتفل بمرور ثلاثين عاماً على توليه العرش . وبهذه الأدلة القاطعة هدم النظرية القائلة بعدم وجود نقوش .

ويتكون المعبد الجنائزى من مساحة واسعة تقع شرق الهرم الأكبر وأرضها من حجر البازلت الأسود الذى أحضره الملك من الفيوم . وقد نحت إلى جوار المعبد ثلاثة مراكب رمزية يستعملها الملك بعد موته عندما يتمثل بإله الشمس فى طوافه حول الأرض، واثنتان منها توازيان الهرم وطول إحداها ٥٥ مترا وطول الثانية ٥٠ مترا ، ويختلف المركب الثالث عن سابقيه وهو فريد فى نوعه ، لأن الوصول إلى قاعه يكون بدرجات كثيرة مما لم يشاهد فى المراكب الأخرى . وقد كانت جدران هذه المراكب مغطاة بالحجر الجيرى الأبيض الذى وجدت آثاره فى المنطقة . وينتظر أن يكشف رفع الرمال التى تغطى تلك المنطقة عن كثير من المعلومات والآثار . ويطمع علماء الآثار أن يجدوا تمثالا للملك خوفو الذى لا يوجد له تمثال فى كل متاحف العالم غير التمثال الصغير الذى وجد فى العرابة؛ وقد وجدت تماثيل ولكنها محطمة .

كيف رفعوا أحجار الهرم

وهناك اكتشاف آخر يكشف عن كثير من مقدرة قدماء المصريين ، فإن كثيرين يظنون أنهم كانو يرفعون الأحجار الضخمة إلى مواضعها بجرها على مستويات مائلة . وكلما تم بناء طبقة رفع



العمال يرفعون الرمال والأتربة من أحد المراكب الثلاثة المنحوتة فى الصخر التى وجدت قرب الهرم الأكبر

المستوى المائل إلى أن يتم البناء كله فيزال ما حوله من مستويات . وقد عثر سليم بك على بكر ضخم مصنوع من الجرانيت الغزض منه رفع الأثقال ونقلها ، وهذا يدل على أنهم كانوا يستعملون الآلة الرافعة كما نفعل الآن

سر أبى الهول

وأدت الحفريات الحديثة شرق الهرم الثانى إلى كشف كثير من غموض أبى الهول حتى أصبح فى حكم المقرر أن الملك خفرع



« أوركسترا » كاملة تتكون من ستة أزواج من اللاعبين ويلاحظ أن أحد الزوجين يصفق



الملك «خوفو» بانى الهرم الأكبر يحتفل بعيد «الحب سيج» لمرور ثلاثين عاماً على توليه العرش

بانى الهرم الثانى هو الذى أمر بنحته فى الصخر . وذلك لما يشاهد من اتفاق فن البناء فى معبد أبى الهول والهرم . وقد وجدت حول أبى الهول أكثر من ٢٠٠ لوحة أهداها إليه كبار الزوار عندما كانوا يحجون إليه مما يدل على ما كان له من مكانة مقدسة

وكلمة «أبو الهول» محرفة عن كلمة «بوحول» وهى لفظة إسرائيلية معناها «مكان حول» و «حول» إله محلى فى فلسطين . فلما نزل الإسرائيليون بأرض مصر أقاموا فى جوار أبى الهول وعبدوه بدلا من أحد آلهتهم لما بينهما من تشابه . وبمضى الأعوام صحف لفظ «بوحول» فأصبح «أبو الهول» . أما اسمه الفرعونى تبعاً لنصوص أقدمها يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة فهو «حر أم آخت» ومعناها «هوراس الذى فى الأفق» . وحرفه اليونان إلى حرماخيس. ويقول سليم بك «إن الإسرائيليين أقاموا فى تلك المنطقة مدة طويلة ، وأنهم تركوا مصر إلى الشام من طريق بجوار الأهرام ، وما زالت قرية الحرونية تحتفظ باسم الهرم إلى الآن»

فن القدماء

وبكشف مقابر كبار موظفى الأسرتين : الرابعة والخامسة . أميط اللثام عن كثير من غوامض التاريخ، فمن مقبرة «نتربو» يمكننا أن نعرف ترتيب ملوك الأسرة الرابعة . كما بينت المقابر الأخرى أن أولاد خفرع ليسوا أربعة فقط بل هم خمسة عشر ولداً وبنتاً

أما من جهة الفن فقد وجدت فى هذه المنطقة تماثيل كثيرة حافظ فيها الفنان على تصوير وجه صاحبه بكل ما فيه من عيوب، لأن المصريين اعتقدوا بخلود الروح والحياة الأخرى ، كما اعتقدوا أن الروح تزور جثتها . ولذلك وجب حفظها بالتحنيط ، وزيادة فى الاحتياط رأى المصرى القديم أن يلجأ إلى مادة أصلب وأقوى على مقاومة الدهر وعبث الأيدى بدلاً من جثته الهشة فنحت التماثيل لتزورها الروح إذا فقدت الجثة أو تلفت . ولذلك وجب أن تكون الصورة صورة أصلية من صاحبها حتى لا تضل الروح عنها إذا أرادت زيارتها

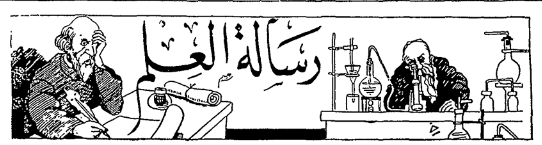
وكثرة هذه التماثيل أو قلتها ترجع لسطوة الميت وغناه ؛ ففى مقبرة «رع ور» مثلاً وجدت بقايا ١٢٠ تمثالاً . ويلاحظ أن تماثيل الأغنياء كانت دائماً تمثل الترف بأجلى صوره، فإذا كانت لصانع دقق الفنان فى إبراز التفاصيل فيبدو كل شىء على طبيعته، فترى آثار الجهد على وجه الخباز أو العجان حتى أصبحت تلك التماثيل قطعاً حية تقود الفنان الحديث

زيارة الأحياء للموتى

وليست زيارة الأحياء للموتى بنت اليوم ؛ ففى مقبرة الكاهن «فيفى» سرداب به حجرة لها نافذة صغيرة أعدت ليطل منها الناس فيرون تمثال الكاهن وإلى جانبيه زوجته وابنه وابنته فترى فى عينيه نظرة الاطمئنان وكأنه ينظر إليك . كما ترى جلد الذكور ملوناً بلون أحمر بينما جلد الإناث أبيض . وحتى الملابس والعقود لم ينس المثال أن يصبغها بألوانها الطبيعية التى ما زالت ثابتة إلى الآن . فإذا زرت التمثال فقد زرت أصحابه . وليست هذه المقبرة هى الفريدة فى نوعها بل إن الحفريات كشفت عن ثلاث مقابر بها هذه الظاهرة

ومن كشف مقابر الأشراف فى تلك المنطقة عرفنا كثيراً من عادات القدماء وحياتهم الاجتماعية من سمر وغناء ورقص ، ففى مقبرة «كاجوا» كاهن الملك خفرع نجد «أركسترا» كاملاً مكوناً من ستة أزواج من الموسيقيين ، ويتكون كل زوج من شخص يلعب على آلة موسيقية كالزمار أو النــاى أو القيثار وشخص آخر يصفق له تلك التصفيقة التى ما زلنا حتى الآن نصفقها إذا حركت إحساسنا أوتار الموسيقى البلدية

ولأول مرة نجد فوجين من الراقصين والراقصات تتوسطهم راقصة عارية ، وهى ظاهرة لم تعرف من قبل فى النقوش الفرعونية .



لماذا أحاول تصوير العالم وفق الآراء الحديثة

للدكتور محمد محمود غالى

صحيح أن كل أفعالنا وحركاتنا الخاصة بحياتنا اليومية أو اتجاهاتنا الشخصية متعلقة بأحكام لا يمكن للعلم أن يكون الأساس المباشر للتصرف فيها . فإن العلوم كما يقول ريشنباخ لا تجيب أبداً على السؤال الآتى : « ماذا يجب أن أفعل ؟ » ومع ذلك فإن هناك اتصالاً بسيكولوجيا بين درجة معرفة الرجل للعلوم وموقفه إزاء المشاكل التى تعترضه فى الحياة وتقديره لبعض المسائل ، وإننا نلاحظ أن كل المذاهب الفلسفية أو علم الأخلاق تبدأ بنظريات فى العلوم ذاتها ، نظريات تتعلق فى العادة بصورة من صور العالم ، والتأمل يجد علاقة بين الاكتشافات العلمية الكبرى وأعمالنا أو نوع تفكيرنا . خذ مثلا انقلابنا فى التفكير العلمى من جراء اكتشاف كوبرنيك لدورة الأرض حول الشمس ، هذا الاكتشاف الذى يذكر الأستاذ محمد مختار عبد الله فى إحدى مقالاته الممتعة بجريدة الأهرام فى العام المنصرم أنها اكتشافات بدأت من أيام العرب . ولست بصدد أن أناقش أصل الاكتشاف ونصيب كل عهد فيه ولا التحديد من موجة الرجوع عندنا بكل شىء لعهد العرب ، وإنما أذكر أن الفكرة فى ذاتها خارجة وغريبة عن أعمالنا اليومية — عن علاقتنا سواء بالأشياء أو الرجال أو مظاهر الحياة .

أن تدور الأرض حول الشمس ، أو تدور الشمس حول الأرض ، فإن هذا قد يُظن من موضوعات الفلك أو من موضوعات الترف فى المعرفة . ولكن لنا أن نتأمل الناحية الفلسفية ونتأمل النتائج المترتبة عليها ؛ وأولى هذه النتائج أن الأرض ليست هى جوهر العالم وما هى إلا سيار صغير جداً بين كثير من السيارات تدور كغيرها حول الشمس ، وهذه الأخيرة أى الشمس ماهى إلا إحدى ملايين الشموس المماثلة وليست من أكبرها ؛ وهذه الملايين تكون عالما . وهنالك الملايين من ملايين العوالم المماثلة يتكون منها الكون . هنا وقف المرء مخذولا فى تفوقه أمام الظواهر الطبيعية ؛ وهنا يتضح له شىء من العلاقة الدقيقة بين الإنسان وبين الأرض التى تحويه وبين الوجود ، فالمعرفة العلمية لها أثرها على مشاعرنا وتصرفاتنا ، وهذا هو الذى يحدو بالقارىء إلى تتبع مثل هذه المقالات . إن التفصيلات العلمية بعيدة عن حياتنا اليومية ولكن لمعرفة النتائج والإلمام بالصعوبات التى اعترضت العلماء — أثرها فى حياتنا الشخصية .

لذلك لم يتأخر علماء أعلام مثل فابرى Fabrie أستاذ الطبيعة بالسوربون وعضو المجمع العلمى الفرنسى وريشنباخ وغيرهما أن يكتبوا سلسلة من المقالات فى المجلات الأسبوعية أو الشهرية أو فى الكتب المبسطة . والأخير من كبار الأساتذة السابقين

وهكذا لم يترك الفراعنة شيئاً إلا وضعوا هم بذوره ليتبعهم العالم الحديث فى جده ولهوه

ولم يكن كشف هذه الآثار والوصول إلى هذه الحقائق من الأمور الهينة فقد احتاج إلى عزيمة قوية وصبر طويل ومجهود جبار . فقد استمرت الحفريات برياسة سليم بك عدة سنوات نقلوا خلالها مقادير كبيرة من الرمال ، ففى كل يوم كانت العمال تنقل ألف متر مكعب أو أكثر من الرمال ، فإذا عرفنا أن العمل كان يستمر ثمانية أشهر فى كل سنة قدرنا كم من المجهود احتاج إخراج هذه الآثار إلى عالم المرئيات

وإنه لمن شقاء مصر أن تطغى الأعمال المكتبية على كل شىء وتفسد على العلم كثيراً من الجهود الناجحة حتى يقول سليم بك حسن : « إن أكبر خطأ ارتكبته فى حياتى هو أنى قبلت منصب وكيل مصلحة الآثار »

(الشتوى)

فى ألمانيا الذين تنتفع الآن بمعلوماتهم جامعة « اسطنبول » وبحويهم تركيا الجديدة التى اقتنعت أن بين الذين شتتهم الظروف السياسية فى العالم اليوم مواهب يمكن الاستفادة منها .

صحيح أن الشخص العادى لا يعنيه معرفة الظروف التى حدت بباستير إلى اكتشاف ميكروبات الأمراض المختلفة مثل الكلب والحمى الفحمية بقدر ما يعنيه المصل أو الطريقة المعدة للعلاج؛ وقصة اكتشاف كالمت (Calmette) لعلاج الدفتيريا لا تهم الجمهور بقدر ثقتهم اليوم بأن للدفتيريا مصلاً للوقاية منها ، بل إن الشخص العادى لا يهمه دوران الألكترون حول نفسه وحول مركز الذرة بقدر ما يهمه النتائج والانتصارات الفعلية للكهرباء .

ولو أن العالم صورة صادقة لما نراه فى حياتنا اليومية . ولو أن مجموعة المعارف التى نطبقها تمثل لنا صورة صحيحة لهذا العالم لما كان إلا شيئاً كالأشياء المادية التى تحيط بنا ، أشياء تتأثر بالقوانين الطبيعية البسيطة التى درسها معظمنا فى المدارس الثانوية أو العالية كانتشار الضوء فى خط مستقيم وغير ذلك . فالمواد فى هذا العالم البسيط حديد وخشب وحجارة نستخدمها لعمل الأدوات والآلات ، ونجد أن المادة فى هذا العالم البسيط تكون صلبة أو سائلة أو غازية كما أننا نجد فيه الحرارة والبرودة والصوت، بل نجد أيضاً الكهرباء التى لا نراها ولكنها تدخل فى الكثير من حاجاتنا . هذه الظاهرة ينسى الكثيرون أن يحاولوا تصورها، وكل ما نعلمه أنها تتولد من آلات خاصة وأنه من الممكن نقلها بالأسلاك . وفى هذا العالم البسيط يجرى ترام وأمنيبوس ، ويقهر الأرض فيه قطرة وتحلق طائرة وتتعالى أصوات الآلات فى المصانع، وتتدافع الأشخاص بالمناكب فى مدن مكتظة، وتزدهر الحقول بفعل الفلاح وفعل الجو والماء، وتجرى الأنهار وتقام عليها الجسور ، وغير هذا على هذه الأرض السيارة والتى نشعر بما فيها وعليها بحواسنا الخمس : السمع والبصر واللمس والذوق والشم ويهيمن عليها وعى وتدبير يطلقون عليهما العقل ، وفى هذا العالم البسيط تعلونا سماء زرقاء فى مصر ملبدة بالغيوم فى غيرها ، حيث تجرى الكواكب فى مجراها، وكل هذا العالم غارق فى بحرين كبيرين: الزمن والحيز، هذان البحران أصبحا موضع عناية الباحثين والعلماء المدققين . الزمن والحيز ، عاملان نعتقد أننا جميعاً نعرفهما أو هما فى غير حاجة لدراسة معينة فقد ألم بأمرهما كل من أتيحت له الفرصة أن يجلس على مقعد بالمدرسة

هذه الصورة البسيطة للعالم والتى عللها العلماء لنا بقوانين بسيطة سواء فى الميكانيكا أو الطبيعة أو الكيمياء لم تعد بسيطة كما عهدناها

ففى جو التفكير العلمى انقلاب شديد لم يشعر به الرجل البعيد عن الجامعات ومعامل البحث. وشعر به العلماء والجامعيون المشتغلون، والواقع أننا لو انحرفنا قليلاً عن الأوضاع البسيطة التى ذكرناها والأوصاف التى قدمناها وأردنا أن نعرف للعالم صورة أدق من الأولى صورة تنطبق على الآراء العلمية الحديثة ، فلا مادة حسب التفكير الأول البسيط ، بل إن المادة جسيمات صغيرة جداً فى حركة دائمة ، وهذه الكوبة المملوءة بعصير البرتقال مثلاً أو الماء الصافى تمثل مجموعة من ملايين الأجسام المتحركة ، فهى شبه مجموعة من النحل حول خليتها فى حركة دائمة، فكما أنه ليس هناك سطح معين لمجموعات النحل حول الخلية ، فإنه لا سطح معيناً للماء فى الكوبة بل مجموعات من الجسيمات هنا وهناك تعد بالملايين .

وفى هذا العالم الذى نعيش فيه والمملوء من هذه الجسيمات المتحركة لا ضوء هناك ولا لون ولا صوت ، فكل هذه مظاهر لا تختلف إلا بعدد فى الذبذبات والتردد؛ فالذى نسميه مادة أو ضوء ما هو إلا كهرباء، بل لا فارق بين الطاقة والمادة، ويمكن القول اليوم أن الإثنين شىء واحد ، بل المادة نفسها كهرباء والكهرباء مادة

على أن قوانين هذا العالم المضطرب تختلف حسب صورته الجديدة اختلافاً كبيراً عن الأشياء التى تعودناها فى حياتنا اليومية والتى لم تظهر القوانين التى نعهدها صحيحة لنا إلا لأنها متوسطات للقوانين الحقيقية للعالم على صورته الجديدة

هذا الاختلاف فى صورة العالم ومظاهره قد تعدى كل شىء حتى إن القوانين العادية الخاصة بالزمن والمسافة التى تحكم هذا العالم تختلف اختلافاً مبيناً عن التى تعلمناها فى المدارس ، فالحيز الذى اعتدنا أن نتصور فيه طوبة أحوتب ، هذه الطوبة التى نستعملها اليوم لبناء منازلنا ، هذه الطوبة ذات الطول والعرض والارتفاع ، هو حيز معوج ؛ والمثلث الذى اعتدنا أن نعتبر مجموع زواياه تساوى قائمتين ، هو فى الواقع ليس كذلك ؛ والخط الذى اعتدناه مستقيماً يلتف فى النهاية حول نفسه، بل إن الزمن ذاته يحمل فى طياته أغرب القضايا بعدم التعين أو المعرفة ، ويتبين لنا ذلك إذا حاولنا أن نحدد زمنيًّا حادثين بعيدين الواحد عن الآخر

فتبيان هذه الموضوعات وسرد قصة العالم بالتقرب ما أمكن من حقيقته تكون اليوم مجموعة من المعلومات الثقافية ذات الأثر

فى تكوين الفرد وتفكيره وحكمه على الأشياء.

هذه المجموعة الجديدة تختلف كل الاختلاف عن الصورة التى عهدها القارئ لهذا العالم التى ترتسم فى ذهننا بما نراه وما اعتدناه وتعلمناه . على أن المهم فى ذلك أن هذه التطورات العلمية الأخيرة التى تلزمنا كما سنرى أن نعامل الأشياء بقوانين مختلفة، كان لها تأثير فى عالم الاكتشاف والاختراع مما سيكون له أثر على الجيل القادم

ليس من السهل أن نطالب كل امرئ بتصديق كل هذه التطورات العلمية الجديدة دفعة واحدة وبدون سابق شرح ، لهذا عمدت إلى هذه المقدمة التى نوهت فيها على قدر الإمكان ببعض الموضوعات التى سأتناولها

وكأنى أشعر بالقارئ يسائل نفسه كيف وصل العلم لمثل هذه القضايا والتفسيرات الجديدة التى تجعله يتشكك فى أبسط الأشياء ، فى الخط المستقيم الذى اعتاد اعتباره كذلك ، فى فضاء أقليدس ومحاوره الثلاثة ، الذى كان نتيجة طبيعية لتصوره . كيف وصل العلم لهذه التفسيرات الجديدة التى ظاهرها غريب شاذ ولا تدل عليه أعمالنا اليومية ؟ ألا تكون ضرباً من التخمين والاجتهاد العلمى (Speculation) الذى يراد به تفسير بعض الظواهر ولن يلبث العلماء حتى يعودوا إلى النظريات القديمة ؟ ألا تكون الحال كالصور الحديثة عند ما زهد الفنانون فى إخراج صورة خالدة مثل « الجيوكوندا » من عمل « ليونارد دى فنسى » فمثلوا لنا وجه المرأة بدائرة داخلها نقطتان ، والشجرة بخط أو خطين

ولكنى أجيب القارئ أن الأمر ليس كذلك ، فليس الذى يدفع بالعلماء لهذه النظريات الجديدة هو حبهم للتخمين ، رغبة فى جديد وهجر لقديم ؛ وبينما يعرف الفنان أن الاقبال على فنه موقوف إلى حدما على التغيير وترك القديم للحديث، فليس هذا شأن العالم ، إذ أنه مثل الرجل العادى على حد سواء يسعى دائماً لتبسيط المسائل وليس له مصلحة فى التعقيد . والواقع أنه إذا كان قد وصل الآن إلى مثل هذه الصورة المعقدة للعالم فان ذلك لأنه أراد أن يعرف للعالم حقيقته ويتوغل نحو المعرفة لأقصى الحدود

على أنه فى هذا المجهود الذى يقترب فيه رويداً رويداً من حقيقة الكون وسر الوجود والذى يرسم لنا فيه صورة للعالم أكثر انسجاماً من صورته الأولى ، يعمل لتقدمنا إلى الأمام كجنس سوف يختلف فيه الإنسان القادم عن الحالى ، كما اختلف الإنسان الحالى عن القردة

ألم نكشف النار وظلت تجهلها القردة ؟ ألم نصنع لأنفسنا طوبة المحوتب وظلت فى الكهوف ؟ ألم نكتشف أخيراً الكهرباء وإشعاع المادة وتهدم الذرة؟ ألم نعرف القاطرة والطائرة ، والتلفون والتلغراف ، والمصباح وأنبوبة النيون ، والراديو والتليفزيون ؟

لقد كلفتنى هذه المقدمة والتفكير فى المقالات التى تليها قراءة عشرات الكتب وحضور الكثير من المحاضرات فطالعت دى بروى وبران وفابرى (Fabrie) ومليكان وسودى وإدنجتون وجنز ومارسل بون وريشنباخ وغيرهم ممن حاولوا بجانب أعمالهم العلمية أن يقوموا بدور تبسيط العلوم . وقد اعتزمت أن تكون مقالاتى أكثر فى التبسيط من هؤلاء ، ولكنى أرجو ألا أذهب فى التبسيط إلى الحد الذى تقتل فيه الموضوعات وتتهدم فيه فائدة القراء . ولا أدرى ماذا كان وقع هذه الكلمات على القراء ، فهم أدرى بها منى. وهم الذين يقدرون إن كان هذا التبسيط كافياً. ولا تظن بعد ذلك أنى سأتحدث فى المقال القادم فى أول درس فى الزمن حسب ما يراه إينشتاين ، أو الحيز حسب ما يفهمه ريمن، أو أحدثك عن كون يتمدد وفق آراء « دى ستير » وملاحظات هبل (Hubble) أو أدخل بك فى الذرة وتهدمها اليوم تحت معاول العلماء مما سيكون موضوع أحاديثى القادمة ؛ ولكنى أرجو أن تسمح لى أن أتم هذه المقدمة التى آمل أن يكون منها فائدة ، فأتحدث أولاً عن الطريقة التى يشتغل بها العلماء . ما هى منابعهم ؟ ما هى طرائق العلم الحديث ؟ فأفرق بين العلم النظرى والعلم التجريبى

وفى هذا سأنتزع كل ما أمامى من الكتب والمؤلفات فأدعها جانباً لأنى وقد قضيت زهرة العمر فى المعامل ، وفى معامل البحث يصح أن أتحدث عن الوسائل الحديثة التجريبية ، وأفرق بين عالم التخمين وعالم الحقيقة ، وأدل القارئ — كيف يسيطر العلماء اليوم على حالة التقدم

فإذا انتهيت من هذا فى المرة القادمة يصح أن نجول معاً بعد ذلك فى الكلام عن الحيز ثم الكلام عن الزمن فنكون قد اشتركنا معاً فى أول درس حقيقى من دروس الفلسفة الطبيعية

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

هجـــرة الأسماك

بقلم رضوان محمد رضوان

الهجرة ظاهرة غريبة تشاهد فى المملكة الحيوانية على وجه العموم، وهى ترى بوضوح فى الأسماك، وكذلك فى الطيور

وتهاجر الأسماك لغرض التناسل، فنها ما يهاجر من النهر إلى المحيط للبحث عن مكان تبيض فيه، والمثل المعروف لهذا النوع من المهاجرة هو ثعبان السمك.

فن المشاهدات العديدة، وجد أن ثعابين السمك لا تتكاثر أصلاً فى الأنهار التى تعيش فيها كبقية الأسماك النهرية، إلا أنه بالرغم من ذلك توجد منها كميات كبيرة لا تقل فى سنة عن أخرى، وكذلك توجد منها أفراد كبيرة وأخرى صغيرة؛ وشوهد فى نفس الوقت أن الثعابين الصغيرة تصعد من المحيط إلى النهر. أما الكبيرة فترحل من النهر إلى المحيط

وعلى ذلك اتجه الرأى إلى أن الثعابين ترحل من النهر إلى المحيط للتناسل، وفعلاً أثبتت المشاهدات أنه لا يتم نمو الثعابين — ويكون ذلك فى سن الخامسة أو السادسة — حتى تتحين وقت الخريف، وتترك النهر فى جماعات هائلة متجهة إلى مصبه، فإذا أمسى الليل، وكان البحر هائجاً، تنزل إليه وتعوم بنشاط عجيب، وتبتدئ بذلك رحلتها القريبة، فتمر من بوغاز جبل طارق إلى المحيط الأطلنطى، وتعبره إلى جزائر برمود شمالى بحر السرجاس والتى تبعد عن شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية بنحو ألف كيلومتر

وقد اصطيدت حيوانات مختلفة فى مناطق متعددة أثناء هذه الرحلة الطويلة، فوجد أن الغدد التناسلية تكون أقرب إلى البلوغ والنضج كلما قربت الحيوانات من بحر السرجاس مما يدل على نموها طول فترة السياحة

تقطع إذاً الثعابين آلاف الكيلومترات لكى تصل إلى جزائر البرمود بسرعة ٢٠ — ٣٠ كيلومترا فى اليوم، فإذا ما انتهت إلى مكانها المقصود، تبيض الأنثى كمية كبيرة من البيض تبلغ المليون، وقد تزيد على ذلك، ثم تفرغ الذكور الحيوانات المنوية فى الماء، وبهذه الطريقة يتم إخصاب البيض

وحين يفقس البيض وتخرج منه اليرقات، تبدأ سياحتها راجعة فى نفس الطريق الذى سلكه أبواها من قبل، وتتغذى فى طريقها بالحيوانات المائية الدقيقة

أما مصير الأبوين بعد وضع البيض وتلقيحه فأمر مجهول تماماً إلا أن بعض العلماء يرجح موتها كما هى العادة عند بعض الحيوانات

وعند ما تعبر اليرقات المحيط إلى النهر تصل إليه فى أوائل الشتاء ويعيش جزء منها بقرب مصبه، وهذه تكون فى غالب الأحايين ذكور المستقبل والتى تعيش فى أعالى النهر تكون الأناث. وتستغرق الثعابين فى رحلتها هذه حوالى العامين

وهناك نوع من الأسماك يهاجر من البحر إلى النهر مثل السمك الأوربى المعروف باسم «حوت سليمان» فهو يهاجر فى جماعات كثيرة العدد فينزل البحر الذى يعيش فيه فى أواخر الخريف وأوائل الشتاء ويتجه نحو النهر مفترساً ما يصادفه من الأسماك الأخرى، وله مقدرة غريبة على السباحة فى النهر ضد التيار، كما أن لديه القدرة على القفز متخطياً بذلك أى انحدار يصادفه فى مجرى الماء، وقد وصلت إحدى قفزاته إلى ارتفاع ثلاثة أمتار فوق الماء

وفى الأنهار التى بها سدود تعترض طريقه، والتى يتعذر عليه أن يقفز من أسفلها إلى أعلاها، فكر كثير من العلماء فى إنشاء بناء مائل على هيئة السلم بجانب السد ينحدر عليه الماء من أعلى السد إلى أسفله، وبذلك يتاح لحوت سليمان أن يتابع سيره بدون أدنى صعوبة

فإذا ما وصل إلى مصب النهر يصوم عن غذائه وحينئذ تبتدئ الغدد التناسلية فى التضخم والنضج

ولقد شوهد أن الحيوان يختار فى رحلته هذه الأنهر السريعة الجريان المتدفقة المياه، ولذلك فهو يفضل دائماً أن يرحل إلى الأنهر الأوربية فى أوائل الشتاء حيث تهطل الأمطار بشدة وتزداد سرعة المياه فى الأنهار لدرجة كبيرة

وتبين أن الحكمة فى هذا الاختيار هو أن ماء الأنهر البريعة الجريانً يحتوى على كية كبيرة من غاز الأكسجين المذاب، فإذا ما احتوى اللتر من ماء المحيط على ٦ س و ٣ م من الأكسجين المذاب نجد أنه دائماً يتجه إلى الأنهار التى يحتوى اللتر من مائها على ٨ س و ٣ م أو أكثر من غاز الأكسجين، كما أنه فى أثناء صعوده النهر يتخير دائماً الأفرع الغنية بالأكسجين إذ أنه شديد الحساسية لهذا الغاز

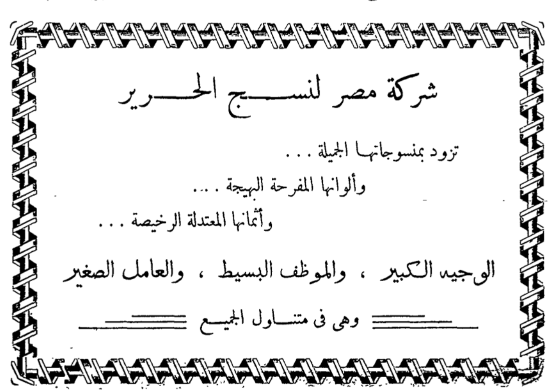
فإذا ما وصل إلى منبع النهر تكون الغدد التناسلية قد تم نضجها فتبيض الأنثى عدداً عظيما من البيض ثم يلقح الذكر البيض وبذا يتم إخصابه

وبعـد ثلاثة أشهر يفقس البيض برقت تتطور وتنمو كل واحدة منها إلى سمكة صغيرة تعيش فى مكان أبويها مدة تقرب من السنتين ثم تهاجر من مكانها من النهر إلى المحيط حيث كان مقر أبويها من قبل وهى تسلك فى ذلك نفس الطريق الذى سلكه الأبوان فى رحلتهما الأولى

تلك كلمة موجزة عن رحلة بعض أنواع السمك، يتساءل الإنسان بعدها ما الحكمة أو ما الدافع الذى يحدو هذه الحيوانات أن تترك موطنها وتهاجر فى رحلة شاقة معرضة لأشد الأخطار وكان الأحرى بها أن تبقى حيث نشأت فتتناسل وتتكاثر فى أمان

لم يعثر العلم بعد على تفسيرات شافية لهذه التنقلات العجيبة، وكل فرض قيل فى هـذا الباب هو من قبيل التخمين ليس إلا؛ فلا زال الإنسان يعترف بجهله أمام هذه الظاهرة الغريبة، إلا أن العلم قد أثبت بصفة لا تحتمل الشك أن هذه الهجرة صفة وراثية يكتسبها الأبناء عن الآباء، يدل على ذلك أنه عند قيام الثعابين السمك الأمريكية التامة النمو بسياحتها من الأنهار إلى المحيط فإن يرقاتها لا ترجع إلا إلى الأنهار الأمريكية التى تربى فيها أبواها فلا يوجد ثعبان السمك الأمريكى فى أنهار أوربا ولا فى أنهار أفريقيا؛ وكذلك الحال مع الثعبان الأوربى والأفريقى، كل يسلك سبيلاً مرسوماً لا يحيد عنه قيد أنملة، هو السبيل الذى سلكه أبواه من قبل

رضوان محمد رضوان
بكالوريوس فى العلوم الزراعية





تاريخ الفن

للدكتور أحمد موسى

٢

وعند ما ظهر مؤلف فردرش كرست وزميله جيزنر عن الفن القديم ، كان مكان اجتماعهما أشبه شيء بأكاديمية للفن التي فيها الكثيرون من أهل العلم والفضل من أولئك الذين كانوا يقرؤون كتب الفرنسيين منذ ساندرت لعدم وجود غيرها من المؤلفات القيمة (والحديثة نسبياً) بغير اللغة الفرنسية

وعلى رأس هؤلاء الأفاضل يوهان يواخيم فنكلمان Winckel-mann[1] الذي إليه يرجع الفضل الأكبر في توجيه العقل الألماني إلى وجوب معرفة الحضارات القديمة ودراستها ، إذ بها وحدها يمكن إيجاد أسس النهوض ووسائل التوجيه المنتج وتحسين الموجود وإمكان الابتكار ، كما كان له فضل عظيم في إيجاد الدراسات الجامعية المنظمة لعلم الآثار وتاريخ الفن

وإلى جانب هذا الرجل يجب التنويه برجلين هما هيني وليبرت كما نذكر فون هاجدورن وهاينكن وفون شتوخ ، الذين عملوا جميعاً على ازدهار هذا العلم بدافع من أنفسهم في كل إخلاص وصدق

ومن أهم ما نذكره في مضمار تاريخ الفن القديم على وجه الخصوص تلك الحفريات الموفقة التي أجريت في بومبي Pompeyi بالقرب من نابولي في أواخر القرن الثامن عشر وفي هركولانوم Herculanum[1] وكذلك الأعمال الأثرية الماحية التي قامت بها البعثة الإنجليزية في أثينا برياسة ستيوارت وريويت والتي ترتب على النتائج الباهرة التي وصلت إليها وما أوجدته من روائع الفن خلال الحفر أن تحول الميل من البحث في روما إلى البحث في بلاد الإغريق عن كل ما تحويه أرضها من كنوز تزداد الإعجاب بها والولوع بدرسها كلما ازداد العثور على شيء من محيطها الهائل . فأصبح ميل العلماء شديداً ، كل في مادة تخصصه ، إلى الهيلينزم أو الثروة الإغريقية في منطقة هيلاز

عندئذ ولكثرة ما عثر عليه بدأ الأفراد العارفون يجمعون التحف ، وبدأت الحكومات تشجع على أعمال الحفر وتشرف عليها وتأخذ نصيبها مما وجد ، وكان ذلك النواة الأولى لإيجاد المتاحف العامة .

ونحن وإن كنا نعلم تمام العلم أن باريس كانت القلب النابض للآثار وتجارة العاديات بالنظر إلى ما جلبه نابليون ؛ إلا أن ظهور نتائج الحفريات في روما وفي بلاد الأغريق ووصول أهم ما وجد في أثينا على مرتفع أكروبوليس من أعظم ما رأت العين من نحت الرخام وأعمال التصوير والحفر التي جمعها البارون إلجين[2] والمجموعة

(١) يعتبر فنكلمان مؤسس علم الاركيولوجيا وتاريخ الفن القديم ، وله آراء محترمة في تعريف الجمال الفني والجمال المثلي وله نظريات مأخوذ بها في علم تاريخ الفن ، كما تدين له الدراسات الفنية بالطريقة المسلسكية من حيث ترتيب الطبقة والنوع والتكوين والمميزات . ولد في ٩ ديسمبر سنة ١٧١٧ بأستندال في آلتمارك وتوفي في تريستا يوم ٨ يونيو سنة ١٧٦٨

راجع : Justi; Winckelmann, sein Leben, seine Werke und sein Zeitgenossen. 3 Vols. Leipzig 1898.

(١) تعتبر هركولانوم ثالثة المدن المهمة في التاريخ القديم الخاص بمنطقة كامبانيا بعد نابولي وكابوا تقع بين نابولي وبومبي على الساحل ، سكنها الاغريق الذين رحلوا من جنوب إطاليا ، وأصبحت مدينة رومانية منذ سنة ٣٠٧ ق م وقد دمرتها الزلازل سنة ٦٣ بعد الميلاد ، كما كستحها حمم بركان فيزوف وغطتها ففقدت معالمها وبنى فوقها جزء من مدينة رسينا ، وقد عثر على حامات مجاورة لهركولانوم في سنة ١٨٨٠ غاية في الروعة وحسن التنسيق

راجع : Furchheims , Bibliograhia di Pompei , Ircolano e Stabia. Napoli 1891.

(٢) Elgin Marbles هي تلك المجموعة الفريدة التي جمعها توماس بروك إلجين في أوائل القرن التاسع عشر بتصريح من الحكومة التركية التي كانت تستخدم هذا المرتفع كقلعة حصينة وتمكن بروك بهذا التصريح

الرائعة التى تمثل الفن الأجينى Aeginic Art إلى مونيخ ، ومجموعة منحوتات أفاريز معبد برجامون التى تمثل الفن البرجامونى أحسن تمثيل إلى برلين Pergamen Sculptures كل هذا قاسم عظمة باريس وجعل من هذه المدن مدارس للفن ولدراسته العليا

وبتأسيس المعهد الأركيولوجى فى روما (١٨٢٩) ، وما قام على تأسيسه من إنتاج هائل ونشاط بديع ، وبإيجاد معاهد أركيولوجية لبلدان أخرى — إلى جانب الأكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٦٦٦ — فإن هذا مما ساعد كثيراً على إيجاد المواد العلمية لتاريخ الفن الذى لا يقتصر على ما هو قديم ؛ بل يتناول كل إنتاج فنى أياً كان عصره ، إلا أن الطريقة التى يسلكها و التسجيل والنقد والتقدير والتأريخ للقديم لا يمكن أن تكون مشابهة لتلك التى يستخدمها للفن المعاصر الذى شوهه ذوو الأغراض والعجزة المدعون بمن يمنمدون على تشجيع غير الدارسين ، وعلى دعاية الصحافة التى تدعى حرية الفكر والعمل ، لأسباب جوهرية سنذكرها فى مقال خاص بفلسفة الفن الحديث

ولقد ظهر بعض الصور المحفور أصلها على لوحات من النحاس Copper Engr.,ving مثّلت روائع العمارة ، وأول هذه على ما نذكر ، ما أخرجه جون فيليبيا Felibien فى كتابه Recueil historique de la vie des ouvrages des plus célèbres architectes. Paris 1687 . وكذلك أندريه فيليبيا فى كتابه : Entretie s sur les vies et sur 'es vies et sur les ouvrages des plus excellents pein'res. 4 Vols. London 1705 اللذان سلكا فيهما مسلكاً نقدياً علمياً للإنتاج الفنى الحديث ، وكان للكتاب الأول صدى مهد السبيل لترجمته إلى اللغة الألمانية (طبع بهامبورج سنة ١٧١١)

أما تأريخ الفن المتوسط ، ولاسيا فن البناء، فقد ظهر الاهتمام به فى انجلترا أولاً وكان هذا فى أواخر القرن الثامن عشر

وفى ألمانيا اشتغل فريق من العلماء بتأريخ فن التصوير الألمانى القديم (نسبيًا) على رأسهم فواسيريه وفون كوانت وفرانس كوجلر وهيدلوف ؛ وكان لإنتاجهم ونقدهم صوت مسموع ، جعل من الفنانين تلامذة يقدرون الفن القديم (نسبيًا) ويقتبسون منه ويسيرون على ضوئه ويعملون على إحياء ما بلى منه ؛ فظهر أثر الفن المتوسط لا سيا الفن الرومانتيكى

وظهر فى فرنسا مثل هذا الاتجاه على أيد فاضلة نسجل بعضها كفواليه لى دوك ولابورد وشابوى ودوسوميرار ودالى وبالوستر ، وظهر فى أسبانيا كافيدا ، وفى انجلترا ستريت وبوجين وجوتر وفرجسون . وكانت النتيجة لهذا المجهود الشامل أن تأرخ الفن الوسيط تأريخاً جامعاً كاملاً . وهنا استطاع المؤرخ الفنى المستقل أن يربط بين هذه التآريخ بعد التمهيد لها وتم الأمر فى النهاية بوضع تاريخ الفن المتوسط على الأسس الحديثة

ولتأريخ الفن الإيطالى فى عصر النهضة قصة ، فجو إيطاليا حبب الرحيل إليها ، وجمال الفن الإيطالى لفت النظر إليه ، هذا إلى جانب قيمة استقلال البلاد مما يبعد عنها الدهماء من الأجانب فلا يلتقى فيها سوى أهل العلم والفضل من مختلف الأمم ؛ فاهتم فريق منهم بتأريخ فن عصر النهضة الإيطالى ، ولا نزال نذكر جوتييه وبرسيه وفونتان وليتاروبلى . وكتاب « أبحاث إيطالية » لمؤلفه رومور (طبع برلين فى ثلاثة أجزاء ١٨٢٧ — ٣١) من خير ما ألف لهذا العصر ، ففيه تناول المؤلف طريقة النقد الفلسفى للفن . وعلى منواله نسج كل من بورشاردت الألمانى ولانسى وكفالكاسيل وموريللى الإيطاليين وكروا الإنجليزى ، وهؤلاء جميعاً ولا شك أئمة مؤرخى الفن المحدثين

وفى نفس المرحلة الزمنية كان قد بدأ فريق من علماء هولاندا بالاشتغال بتأريخ الفن أمثال شابس وإبرتسيل وغيرهما ؛ على حين اشتغل باسافان وفاجين بمشاهدة التراث الفنى وتأريخه على أساس

= من أخذ جميع ماوقع عليه بصره من كنوز ذكرت وصورت فى مجلدات ضخمة ، كما قام بأعمال قياسية ومساحية دقيقة انتهى منها بعد أن ترك الدار تبكى من بناها .

وترتب على شراهة بروك التى لا نظير لها ورغبته فى نقل كل ما يمكن نقله إلى انجلترا أن تشوهت مبانى أكروبوليس ونقصت نقصاً معيباً ليس له مثيل فى تاريخ أعمال الحفر ، لا سيا فى أفاريز وحليات وزخارف وتصاوير بارتنون (راجع مقالنا بالرسالة سنة ١٩٣٨) ، ومنها تلك المنحوتات نصف البارزة التى يخيل إلينا أنه لا يمكن إبداع خير منها على الرخام ، ومنها بعض الرءوس وبعض التفاصيل البنائية من معبد إرشتايون (راجع المقال الخاص به فى الرسالة سنة ١٩٣٨) وغير ذلك كتمثال ديونيزوس المشهور والذى لا يزال المتحف الأغريقى بلندن (Brit. Mus.) يفخر به ويضعه فى أبرز مكان . هذا إلى جانب مجموعة الأحجار الأثرية المكتوبة والمنقوشة التى أرسلها إلى لندن داخل صناديق بلغت المائتين .

راجع : Ellis, The Elgin Marbles in the British Museum

النقد المقارن ، واجتهدا فى إيجاد صلات وروابط فنية بين إنتاج الأمم المختلفة وطناً المتشابهة إنتاجاً ، نتيجة لتشابه الموقع الجغرافى العـام وتشابه الوسط الأوربى والعقلية والثقافة التى كانت تحيط بها العقيدة الدينية إحاطة كاملة

إلى هذه اللحظة لم تكن المؤلفات الحديثة عن تأريخ الفن العام قد ظهرت بعد ، ولم يكن بد من العمل على إيجادها ، فتكاتف لحسن الحظ فريق من علماء الألمـان — كسابق تكاتفهم فى مضمار تأريخ الفلسفة — على إخراج مؤلف شامل ؛ فظهر فى الأفق كتاب « شنازه » وبعده بقليل كتاب « لوبكه » وبعده الـكتاب القيم « لأنطون شبرنجر » وقسمت الـكتب إلى عصور والعصور إلى مراحل والمراحل إلى شعوب فكان منها تاريخ الفن القديم بما فيه تاريخ فن ما قبل التاريخ ، وتاريخ الفن المتوسط وتاريخ الفن الحديث ، هذا فضلاً عن تقسيم الإنتاج الفنى نفسه إلى عمارة ونحت وتصوير وفنون رفيعة وموسيقى وغيرها

وكان للتصوير الفوتوغرافى قيمة فى المساعدة على إخراج الـكتب مزوّدة بصور الإيضاح التى يعتمد عليها تاريخ الفن كل الاعتماد والتى بدونها يفقد المؤرخ الفنى أهم مادة من مواد درسه ، حتى لنرى بعض الجامعات تشترط على طالب تاريخ الفن والآثار الدراية التامة بالتصوير الفوتوغرافى الذى بدونه لا يتم له العمل

وظهرت معاجم ودوائر معارف للدراسات الفنية والآثار تنعم بها ، فضلاً عن المجلات الخاصة وعن تقارير أعمال الحفر والاستكشاف الخ

وكان للتقدم الباهر فى علم الجيولوجيا قيمته وأثره فى تاريخ الفن وعلم الآثار كما كان لتقدم دراسـة الأنتروبولوجيا أكبر الأثر فى تحديد الإنتاج الفنى لـكل شعب

من كل هذا نرى أن تاريخ الفن والـكتابة فيه وتناوله بالنقد ليس بالأمر اليسير وليس ممـا يباح فى البلاد المحترمة لغير المتخصصين

أحمد موسى



المـــرأة اليونانية

الآنسة زينب الحكيم

المرأة اليونانية الحديثة المتعلمة

زرت إحدى دور الآثار « National Museum » يوم الجمعة ٥ من أغسطس سنة ٩٣٨ . والدخول إليها بأجور مرتفعة للأجانب وزهيدة جدا للأهالي .

بناء الدار فخم ، أمامه حديقة كبيرة منسقة . رتبت محتوياتها وجلها من التماثيل الكبيرة والصغيرة ، والآنية الخزفية ، والفازات المنوعة الأشكال والمادة ، وكذلك الحلي ، رتب كل هذا بنظام علمي تاريخي وفني ملحوظ ، مما يجعل الزائر يشعر بعد تركه الدار أنه استفاد شيئا قيما . فإن بساطة مظاهر الحجرات إنما رفع القيمة العلمية التي امتازت بها درجات .

لا يوجد بالدار عمال كثيرون، ولا موظفون؛ والذين يتولون الشرح للزوار علماء وعالمات بالعاديات .

وكان يلتف حول كل شارح وشارحة جماعة يفهمون اللغة التي يشرح بها ، فرأيت جماعة من الألمان ، وجماعة من الانجليز انضممت إليهم ، وجماعة أخرى يشرح لها بالفرنسية ، وجماعة رابعة تشرح لهم سيدة يونانية باللغة اليونانية .

كان صوت هذه السيدة مرتفعاً إلى حد مزعج ، شوش على جميع المتفرجين ، كما ظهرت عليها سمات الغرور ، وعدم المبالاة مع أنها فتاة في ريعان الشباب أنيقة الهندام جميلة الوجه ، عالمة بدليل أنها تتولى الشرح لعاديات بلادها . إذن كان من أول واجباتها أن تكون أيضاً مثقفة مهذبة بمعنى أن تتذكر تطبيق ما تعلمته من آداب الحديث والاجتماع عمليا وهي في طور اليقظة وإلاّ فمن شب على شيء شاب عليه . على أن هذه الناحية من النقص قد لحظتها بين كثيرات من السيدات اليونانيات المتعلمات .



ثلاث الفتيات الجليلات كريمات المرحوم نيكولاس اليوناني اعتبرن منذ طفولتهن من أجل أميرات أوربا ، وجمالهن الآن يشمل ثلاثة بلاد . فالأميرة الحا إلى اليسار هي زوج البرنس بول الوصي على عرش يوجسلافيا، والأميرة الربة في الوسط زوجة الكونت شارلز ببافاريا، والأميرة مربنا إلى اليمين وهي دتشس كنت ، وثلاثتهن يتحلين بأكرم الأخلاق التي ورثتها عن جنسيتي والديهما (الأم روسية والأب دناركي) يضاف إلى ذلك سحرهن الشخصي الذي لا يحاكى . وثلاثتهن حقا زينة الأسر الملوكية في أوربا الحديثة

المرأة اليونانية في بيتها

زرت بعض الأسرات اليونانية الكريمة في بيوتها ، وكان من بين هذه الأسر ، أسرة كاتب شهير ، وكذلك زوجه كاتبة ذائعة الصيت

زرتها أول مرة ، فلم تكن السيدة موجودة لارتباطها بموعد سابق ، فقابلني زوجها في حجرة مكتبه — وقد تبينت أنه رجل مهذب ، يمتاز بسجايا الرجل الجنتلمان . أطنب كثيراً في مدح زوجته؛

مما دل على حسن تقديره لها واعتماده عليها ، إذ قال : إنها ذراعه اليمنى فى إخراج المراجع التى يحتاجها من المكتبة

قدم لى تحية الزيارة ... قهوة ، ولكن وضع معها على الصينية صحنا به مربى ، وحوله ثلاثة أكواب بها ماء مثلج ، ووضعت على كل كوب ملعقة صغيرة . استفسرت منه عن كيفية السلوك الذى يجب أن أسلكه ؟ !

قال : هذه عادة يونانية . يؤكل جزء من المربى ويشرب بعض الماء البارد ثم تشرب القهوة . بعد قليل ودعت الرجل وانصرفت على أن أحظى برؤية زوجه فى الزيارة الثانية

فى اليوم الذى سبق تحديده ذهبت لزيارة هذه الأسرة ثانية ، وجلسنا هذه المرة فى حجرة مكتب السيدة الزوجة ، وبعد التعارف وحضور سمى الزوج أيضاً ، قالت الزوجة : تريدين معرفة شىء عن الحركة الاجتماعية فى اليونان ؟ قلت : نعم ، وأريد أن أعرف كذلك شيئاً عن الحركة التعليمية بالنسبة للمرأة اليونانية ، ويهمنى كثيراً أن أصل إلى معلومات صحيحة . فقاطعتها أمها قائلة : إن نسبة المتعلمات من السيدات ٦٠٪ ، والرجال بين ٧٠،٨٠٪

وعادت الزوجة وأخبرتنى بنتف غير واضحة عن جملة أشياء مما أردت ، وقاطعتها أمها مرات ، وقاطعتها هى بدورها مرات ، ونسيتا نفسيهما فارتفع صوتهما ، وكثرت حركات أيديهما

وسألت عن اسم سيدة أخرى من شهيرات نساء اليونان ، فذكر الزوج اسم سيدة ، فقلت تفضل بكتابته لى بغير الأحرف اليونانية حتى تسهل على قراءته ونطقه صحيحاً .

قام الرجل وبحث عن قصاصة من الورق على مكتب زوجته ، وما كاد يرفعها ويأتى بها إلى مقعده حتى انقضت عليه الزوجة معنفة بحالة شرسة ، وأعصاب ثائرة ، وغضب شديد ، لجرأته على التعدى على منضدة كتابتها ، وأخذ تلك القصاصة المشئومة . قابلها الرجل بابتسام ورحابة صدر ، وسلك سلوك الرجل السميدع الذى صمم على ستر الموقف مهما كلفه ذلك . لكن الحقيقة التى لا يمكن الهروب من ذكرها ، هو أن سلوك الزوجة ذلك ، إن دل على شىء فلا يدل على أكثر من التربية الناقصة ، والغرور الفاضح بمعلومات واهية لا تسمن ولا تغنى إذا كان هذا هو تأثيرها فى نفس تلك السيدة الجميلة الوجه الأنيقة الهندام الشرسة الطباع المغالية فى تشويه جمالها الطبيعى بإسرافها فى استعمال الأصباغ.

على أنى أهيب بالقارئة الكريمة ألا تستخلص من هذا أن جميع سيدات اليونان المتعلمات كهذه الأمثلة التى اتفق أن رأيتها.

إن من بينهن مثقفات أنيقات بحق عالمات بصدق . ولعل ذلك يتجلى فى الشقيقات الثلاث الموجودة صورهن بين هذه الصفحات .



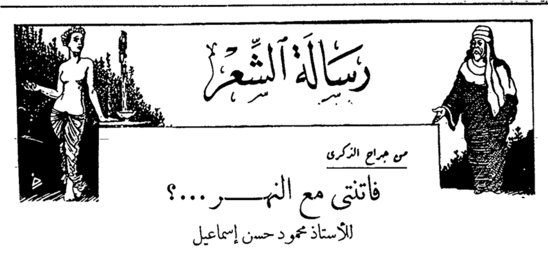
أزياء يونانية قديمة لا يزل يرتديها الملاح اليوناني حتى الآن ، وبعض حراس المعارض ، ودور الآثار

وإن أنس لا أنس أبداً مناظر السيدات اليونانيات اللاتى اشتركن فى الاحتفال بعيد الانقاذ القومى فى ٤ من أغسطس ١٩٣٨

لقد أتت من أجله السيدات اليونانيات من جميع أطراف بلادهن من الجزائر ومن القرى ، كل فريق له طابع خاص وشخصية مميزة ، ويتفق الجميع فى الحسن والرقة ، وحسن ذوق الأزياء التى ارتداها ممثلو وممثلات نحو مائة مكان باليونان .

وكلها يقصر دونها الوصف ويعجز عن شمولها الخيال ، منها ما مثل اليونان القديمة ، ومنها ما يزال يستعمل إلى الآن من تلك الأجيال السحيقة . فدعانى هذا إلى التفتيش فى التاريخ اليونانى القديم ، ليتسنى للقارئات استخلاص موازنة لأنفسهن بين المرأة اليونانية الحديثة والمرأة اليونانية القديمة . وموعدنا الأسبوع القادم إن شاء الله .

زينب الحكيم



من جراح الذكرى

فاتنتي مع النهـــر ...؟

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَرَّتْ عَلَى النهْرِ . . فقَالَتْ لَهُ ... وَمَوْجُهُ فى خَشْعَةِ السَّاجِدِ :

يا نَهْرُ قاسِمْنِي الْأَسَى مَرَّةً ... وهاتِ أَخْبَارَكَ عَنْ عَابِدِى !

نَبِيُّ أَحْلامى ، وشَادِى الْهَوَى ... بِمُعْجِزَاتِ النَّغَمِ الخَـــالِدِ

طالَ عَلَيَّ الشَّجْوُ مِنْ بُعْدِهِ ... والصَّمْتُ مِنْ قيثارِهِ الزَّاهِدِ

أضاقَتِ الدُّنْيَـا بِتَغْرِيدِهِ ... فَطَارَ عَنْ مَوْطِنِهِ الْجَاحِدِ ؟

أَمْ رَاحَ يُلْقِيهِ ، فَيَمْضِي كَمَا ... مَرَّ الصَّدَى بِالْكَفَنِ الْهَامِدِ ؟

يا نَهْرُ أَسْمِعْنِي حَدِيثَ الْهَوَى ... وَهَاتِ عَنْ بُلْبُلِيَ الشَّارِدِ ..

* * *

فَغَمْغَمَ النَّهْرُ . . وَقَامَتْ لهـا ... أَمْوَاجُهُ تُلْقِي صَلَاةَ الْحَنِينْ

وَالشَّمْسُ فَوْقَ الشَّطِّ غَرْبِيَّةٌ ... صَفْرَاء كَالشَّكِّ بِوَادِى الْيَقِينْ

وَقَالَ : يا عَذْرَاء عِنْدِى لَهُ ... أَسْمَارُ دَمْعٍ ، وَمَغَانِي أَنِينْ !

كَمْ مَرَّ بِى ، تَحْمِلُ أَقْدَامَهُ ... شُجُونُ أَزْمَانٍ ، وَبَلْوَى سِنِينْ

أَنْغَامُهُ مُرْتَعِشَاتُ الصَّدَى ... وَالنَّايُ مَفْجُوعُ التَّغَنِّى حَزِينْ

لَمْ تَتْرُكِ الدُّنْيَا لَهُ فَرْحَةً ... يَنْقِلُهَا مَوْجِيَ لِلْعَاشِقِينْ

كَأَنَّمَا ذَوَّبَ أَيَّامَـــهُ ... وَعَبَّ مِنْهَا سَكَرَاتِ الْجُنُونْ

* * *

سَأَلْتُهُ : يا ابْنَ الأسى رَحْمَةً ... فَالنَّوْحُ لا يُطْرِبُ سَمْعَ الصَّبَاحْ !

فَجْرُكَ رَفْرَافُ السَّنَا ، والْمُنَى ... فَوْقَكَ طَيْرٌ عَبْقَرِيُّ الْجَنَاحْ

مَالَكَ لَا تُلْهِمُ غَيْرَ الْأَسَى ... وَلَا تُغَنِّى غَيْرَ نَارِ الْجِرَاحْ !

فَقَالَ : يَوْمًا سَتُلَاقِى هُنَا ... بَيْضَاء مِنْ حُورِ السَّمَاءِ الْمِلَاحْ

تَبْحَثُ عَنِّى .. فَأَجِبْهَا : مَضَى ... صَبُّكِ فِي الدُّنْيَا شَرِيدَ النُّوَاحْ

أَنْتِ الَّتِي أَسْلَمْتِهِ زَوْرَقًا ... فِي لُجَّةِ الدُّنْيَا لِهُوجِ الرِّيَاحْ

فَمَرَّ كَالنِّسْيَانِ بِى .. وَانْطَوَى ... صَبَاحُهُ عَنِّى شَقِيًّا .. وَرَاحْ !

* * *

فَاتِنَتِي ! سِرُّ الْهَوَى سَابِحٌ ... فِي نُورِ عَيْنَيْكِ .. فَلَا تَسْأَلِي !

فِي زَهْرَةِ الْمَرْجِ شَذًى نَائِمٌ ... أَخْشَى عَلَيْهِ يَقْظَةَ الْمِنْجَلِ ...

محمود حسن اسماعيل

في شتاء النفس

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

لم يعد من بعد ما ضيعتني مؤنس لي غير شعري ودموعي
كلما هاج الجوى واشتعلت لوعة هوجاء ما بين الضلوع
صحت: يا قلبي المعنّي غنني
واشف ما بي من جوى مرّ وجيع
في شتاء النفس غني مثلما كنت يا قلبي تغني في الربيع
غنني: واغسل جراحي بالدموع
واسكب السلوى على العاني الصديع
غنني: وارقص على وقع الأسى كلما حطم درعاً من دروعي
غنني: ما طال ليلي: غنني
وادعُ فجري — أين فجري؟ — للطلوع
غنني: جفّت أزاهير المنى
فادعُ صيفي — أين صيفي؟ — للرجوع
غنني: حتى هجوعي ربما برئت نفسي من بعد الهجوع!
غنني: بل لا تغني، زدتني
حسرةً. واهتجت يا قلبي ولوعي!!

عبد الحميد السنوسي

شهيد الزنبقة

للأستاذ ناجي القشطيني

نفحات زنبقة أنيقه هبّت عليّ من الحديقه
ولفيحها مال الفؤا د كأنها جذبت عروقه
فوقفت أرمقها بعيـ ـني عاشق لاقى عشيقه
وأردت أهصرها بعطـ ـف من معاطفها الرشيقه
فسمعت نغمة بلبل يدعو لزنبقتي رفيقه

* * *

خليتها وخبأت نفـ ـسي بين أغصان وريقه
وبقيت أنظره وأعـ ـجب من شمائله الرقيقه
فهوى يقبلها وأطـ ـفأ في رحيقتها حريقه
ودعا إليه صديقه والحر لا ينسى صديقه

* * *

بينا يغني وهو نشـ ـوان بخمرته العتيقه
إذ فاجأته يد المنو ن فيبّست في الحال ريقه
وغدا صريعاً حيث نا م ونومة الموتى عميقه
فرثيت مرتاعاً وكا ن رفيقه أبدى شهيقه
ملأ الحديقة بالنوا ح وكيف لا يبكي شقيقه

* * *

ابن الطبيعة مادها ك وأمّك الأم الشفيقه
ماذا تحاول من حيا ة كنت تحسبها دقيقه
عبثاً يحاول من يفتـ ـش في الحياة عن الحقيقه

«بغداد» ناجي القشطيني



فى نهاية الطريق

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

أخرج الساعة من جيبه ، ونظر إليها للمرة العشرين فى مدة لا تتجاوز بضع دقائق ، ثم أعادها إلى جيبه وأوثق عرى سترته بأنامل تدل حركاتها على الغضب . ثم مشى فى الطريق الحالى المؤدى إلى البراح الريفى ، وقال فى نفسه وهو حانق :

« إن هذا لا يطاق ! إنها وعدت بالمجىء فى الساعة الحادية عشرة والنصف ، والآن مضت سبع دقائق بعد الثانية عشرة ولم يبد منها أثر ! »

ثم دار بلحظه فى الفضاء ، وكانت الريح تعصف باردة ، فالتف بمعطفه وقال : « إذا لم تأت بعد خمس دقائق فإنى سأعود »

ونظر فى ساعته فوجد عقربها لم يتقدم غير دقيقتين ، فقال : « ها قد مضت أربعون دقيقة ولم تأت لوسى »

وترك الساعة فى يده وأخذ يمشى ذهاباً وجيئة ، وهو يخال أن دقات الساعة ضحكات سخرية واستهزاء به ؛ ثم مضت المدة التى عينها للانتظار ، فوضع الساعة فى جيبه وعقد عرى المعطف وأصر على أن يعود ، فسمع صوت طائر يغنى فقال : « أزعجتنى بصوتك يا طائر الجحيم »

ثم مشى مغضباً إلى منزله

* * *

بعد يومين من هذا المساء تلقى هذا الخطاب :

« عزيزى هيوبرت . لا بد أن يكون عذرك قوياً فى إخلاف موعدى مساء الثلاثاء . ولكن بما أنك وجدتنى لا أستحق أن تكتب إلىّ على أثر ذلك فإنى أبعث إليك بهذا طالبة إليك أن توضح لى أسباب غيابك وعدم كتابتك مشفوعة بالاعتذار . وإلا فإنى أعتبر خطبتنا مفسوخة وأنا أعنى ذلك وأصر عليه »

« لوسى »

غضب هيوبرت أشد الغضب عند ما قرأ هذه الرسالة ولم يعرف كيف يمكن أن يطالب بالاعتذار مع قصانه ساعة ينتظر فى البرد القارس

وفى الصباح التالى كان يفكر فيما إذا كان يكتب أو لا يكتب، فوصل إليه غلاف مسجل من البريد وبه خاتم الخطبة .

وكان هيوبرت رجلاً كثير الفضائل، ولكن المرونة لم تكن من بين فضائله ؛ فقال فى نفسه عند ما تسلم الخاتم : « هذا حسن جداً ! إذا لم تبدأ لوسى بالكتابة وبالاعتذار فإنى لن أكلمها بعد : نعم لن أكلمها »

* * *

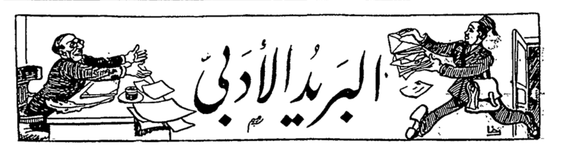
مضى على هـذا اليوم ثلاثون عاماً . وكان هيوبرت يمشى فى حديقة جميـلة فى حى مونتفورد . وكان اليوم صائفاً من أيام شهر أغسطس، فالتقى فجأة بسيدة فى منتصف العمر. وكان هو أيضاً قد قارب الشيخوخة ، فوقف الرجل الأشيب أمام السيدة وقال : « لماذا لم تأتى فى موعدك ؟ »

فقالت : « لقد مضت أعوام كثيرة أظنها ثلاثين ، ولكن لـماذا لم تأت أنت يا مستر هيوبرت ؟ »

قال : « يظهر أنك نسيت الموعد فأرسلت إلى خطابك الذى ادعيت فيه أنك جئت ، وهل تذكرين ؟ »

فقالت : « نعم أذكر وكنت فى الساعة الحادية عشرة والنصف فى المكان ولكنك لم تأت »

قال هيوبرت : « إنك لم تكونى هناك » فتحرجت لوسى



مقدمة ابن خلدون

صدر الجزء الثالث والأخير من مقدمة ابن خلدون باللغة الفرنسية عند الناشر الباريسي (جوتنر) Les Prolégomènes d'Ibn Khaldoun Editions Geuthner, Paris

وكان قد نقل المقدمة إلى اللغة الفرنسية المستشرق (دى سلان) ونشرها فى باريس سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٨ . فوقعت موقعاً حسناً عند أهل العلم والاستشراق حتى إن نسخها نفدت . فأخرجها مرة ثانية ذلك الناشر الباريسى من طريق التصوير الآلى للطبعة الأولى ، وكلف المستشرق (جاستون بوتول) بالوقوف على الإخراج وبكتابة مقدمة لها ، وبالتعليق عليها وشرح طائفة من الألفاظ الفنية ، وتدوين فهرس شامل للفصول والموضوعات ، وأسماء الأعلام والبلدان

ومثل هذا العمل يدل على مكانة ابن خلدون وقدر مقدمته . وهل يغيب عن أحد من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن ابن خلدون سبق نفراً من فلاسفة الغرب إلى آراء سديدة أو طريفة أو قلابة للمألوف ؟ ومن ذلك حديثه قبل (مكيا فللي) عن سياسة الملك ، وقبل (فيكو) عن فلسفة التاريخ ، وقبل (أوجست كونت) عن البحث فى الظواهر الاجتماعية ، وقبل (دروين) عن مسئلة تأثير البيئة . وكل هذا مسلم به متعارف

وعندى أنه — فوق هذا — سبق (بيكون) حيث قال : بنبذ « التشيمات » للآراء Notiones vulgares و (روسو) إذ فضل أهل البدو على أهل الحضر أى أهل الفطرة والخشونة على أهل المدنية والرفاهية ، وسبق الفلاسفة « الدهريين » للقرن التاسع عشر أمثال (كارل ماركس) و (سبنسر) و (جوبينو) و (تارد) و (دركايم) حين قال « إن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذى هو فيه » (ص ١٧٥ ، طبعة بيروت سنة ١٩٠٠) . أما (كارل ماركس) منشىء مذهب الاشتراكية المعروف — فقد سبقه ابن خلدون حيث قال « إنما اختلاف الأجيال فى أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم فى المعاش » (ص ١٢٠) . وأما (سبنسر) فقد سبقه ابن خلدون فى إثبات مبدأين ، أولهما : أن العصبية

وقالت : « لقد كنت تحت شجرة السرو »

قال : « ليس فى هذا المكان شجرة سرو »

فاستدركت لوسي وقالت : « يظهر أنك كنت فى الطرف الآخر من الطريق » وأدرك هيوبرت خطأه فقال : « ولكن الخطأ كان منك ؛ لأن المكان الذى وقفت فيه هو الذى اتفقنا عليه »

ثم ابتسم كلاهما ، وقال هيوبرت : « هل تأذنين أن أقدمك إلى زوجتى فهى معى الآن فى الحديقة ؟ » فقالت : « نعم وسأقدمك إلى زوجى فهو هنا أيضاً »

ومشيا معاً فى الحديقة فتعرفت لوسى بزوجة هيوبرت وتعرف الأخير بزوج الأولى . ثم أشار هيوبرت إلى شاب يلعب « التنيس » مع فتاة وقال : « هذا ابنى جون »

فابتسمت لوسى ابتسامة سرور وقالت : « وهذه الفتاة التى تلعب معه هى بنتى نانسى »

— صحيح ؟

— نعم

فتبادلا الابتسامات ، ثم قالت لوسى : « أرى بينهما مودة وأظن ... »

قال مقاطعاً : « وأظن ذلك أيضاً »

قالت : « إننى سأوعز إليها ... ولكنى سأنصح لها بأنهما إذا اتفقا على مكان يلتقيان فيه فيجب أن يعينا بالدقة فى أى طرف من الطريق يلتقيان »

ثم ابتسمت ، فابتسم هيوبرت

عبد اللطيف النشار

ثم التعاون على المعاش من الأسباب الأولى للاجتماع البشرى؛ والثانى: أن هرم الدولة من الدعة والترف.

وأما (جوبينو) فقد سبقه ابن خلدون حيث أشار إلى تأثير خصائص أجيال الخلق فى الحروب والفتوحات. وأما (تارد) — الفيلسوف الفرنسى — فقد سبقه ابن خلدون إذ أعلن «أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده» (ص ١٤٧). وأما (دركايم) — مؤسس «مدرسة» علم الاجتماع لهذا العهد فى فرنسا — فقد سبقه ابن خلدون حين عد وجود الجماعات أمراً واقعاً ملموساً وبصر بالصلة التى بين عدد الجماعة وغنى القطر، وحين ضخم تأثير التعاون والتماسك Solidarité (ارجع لهذه اللفظة إلى مقالى فى مجلة مجمع اللغة العربية الملكى. ج ٢) وتقسيم العمل ورأى أن البحث الاجتماعى تنبسط أطرافه — من ناحية التاريخ — على جميع أحوال الأمة «مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال» (ص ٣٥). ثم إن بين ابن خلدون و (دركايم) وجها آخر من الشبه لا يستخف به، ذلك أن (دركايم) نزه مذهب (أوجست كونت) عن التشيعات للآراء وخلصه من وجوه الاستنباط المحض، وكلنا يعلم أن ابن خلدون عالم موضوعى كما يقولون Objectif أى عالم يتدرج من المحسات إلى النظر، ومن الخارجيات إلى الرأى.

بشر فارس

مكتب النشر العربى بدمشق

إلى جانب الجماعات التى تعنى فى دمشق بالشؤون الاجتماعية والعلمية، عصبة من الشباب قامت منذ أعوام خمسة بتأسيس مكتب لنشر الثقافة والعلم أسمته «مكتب النشر العربى»؛ وتأسيس مكتب ليس له من غاية إلا خدمة الثقافة والعلم، ونشرها بين الأوساط بأقوم الطرق وأكثرها فائدة ومنفعة، عمل شاق وعسير، فى بلد الثقافة فيه ضائعة حقوقها بين الذين يدعونها والذين يهملون شأنها، ويتجاهلون وجودها.

ولقد قام المكتب منذ تأسيسه إلى الآن، بنشر آثار ودراسات مختلفة لطائفة من المفكرين والأدباء سواء المتقدمون منهم والمعاصرون، فنشط بعمله هذا الحركة الفكرية فى المدينة، وبرهن على أن الثقافة قيمتها عالية لا تبخس، وقدرها محفوظ لا يذل، مهما بلغ من إهمال الناس شأنها، وجور الظروف عليها.

لست أريد إسرافاً فى المديح خشية الوقوع فى غلو أو مبالغة، ولا أريد أيضاً الاقتصاد فيه خوفاً من هضم بعض ما لهذا المكتب من حقوق علينا، ولكن ما أريده هو إيفائه حقه كاملاً غير منقوص، ورفعه إلى المرتبة التى تستحقها جهود مؤسسيه ومساعيهم، فإن عملاً كعملهم لا يكافأ بجزاء غير راحة الضمير، ولا يقابل بتشجيع غير تشجيع الخلق القوى الرصين، ثم لا تستفزه حوافز غير حافز النفس ورغبتها فى خدمة العلم لتعزز شأنه ورفع مستواه، لعمل جدير حقاً بالإعجاب وأهل للتقدير.

ومن الآثار الفلسفية والعلمية التى قام المكتب بطبعها ونشرها، هذه الآتية: المنقذ من الضلال للغزالى، حى بن يقظان لابن طفيل، وقد قدم لهذين الكتابين بمقدمة ضافية مع شرح لآرائهما الدكتوران جميل صليبا وكامل عياد. ثم مجموعة من المحاضرات كان قد أذاعها فى الراديو الدكتور طه حسين بمصر، فجمعها المكتب وطبعها تحت اسم: الحياة الأدبية فى جزيرة العرب. ثم من أفلاطون إلى ابن سينا، ودرس وتحليل ابن سينا مع منتخبات من فلسفته للدكتور صليبا أيضا، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمى، ثم أصول المحاكمات وعلم المالية للعلامة فارس الخورى، وغير هذه كثير منه ما هو مطبوع ومنه ما هو قيد الطبع.

فلك طرزى

توثيق الصلات الثقافية بين مصر وأمم الشرق

اجتمعت فى الأسبوع الماضى لجنة توثيق الصلات الثقافية بين مصر وأمم الشرق برياسة صاحب العزة وكيل وزارة المعارف، وقد عرض على اللجنة خلاصة آراء الحكومات التى قبلت الفكرة، عدا السودان وتونس والجزائر، فلم تصل منها ردود بعد، وأشار إلى أن بعض الحكومات تساءلت عن معنى توحيد الثقافة، وهل يقصد منه فرض ثقافة معينة على بقية الأمم، وما هى المسائل التى تبحث فى المؤتمر المزمع عقده

وبعد أن درست اللجنة الفكرة العامة، قررت تأليف لجنة

فرعية قوامها : محمد فهيم بك مراقب التعليم الثانوى المساعد ، ومحمد قاسم بك عميد دار العلوم ، والأستاذ على الجارم بك المفتش الأول للغة العربية ، والأستاذ نجيب حتاتة مراقب التعليم الأولى المساعد، والدكتور أحمد عبد السلام الكردانى بك ناظر معهد التربية

وعهد إلى تلك اللجنة فحص ردود الحكومات والإحاطة بمشاكل التعليم العامة فى مصر وفى البلدان الشرقية ، وأن تعد برنامجاً لهذه الدراسات يقوم على تفصيل أغراض المؤتمر ، واقتراح بإنشاء مكتب دائم على غرار مكاتب المؤتمرات الدولية

ويظهر أن الفكرة الغالبة هى عقد المؤتمر فى فترات متباعدة إلا إذا دعت الظروف والمشاكل التعليمية فيعقد سنوياً

وقد استقر الرأى على أن يطلق على اللجنة اسم « لجنة بحث وسائل توثيق الصلات الثقافية بين البلاد الشرقية ودراسة أهم مشكلات التعليم فيها »

ولعل فى هذه التسمية ما يوضح الغرض الذى يرمى إليه المشروع

تأبين الأستاذين السكندرى ونللينو فى مجمع اللغة

يقيم مجمع فؤاد الأول للغة العربية حفلة تأبين للأستاذين المرحومين الشيخ أحمد السكندرى والسنيور نللينو ، فى الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الجمعة ١٣ من الشهر الحاضر بدار الأوبرا الملكية

وسيشهد الحفلة مندوب من قبل صاحب الجلالة الملك ويخطب فيها الدكتور هيكل باشا وزير المعارف ورئيس المجمع الأعلى والدكتور توفيق رفعت باشا رئيس المجمع والدكتور منصور فهمى بك ، والأستاذ ليتمان ثم ينشد الأستاذ على الجارم بك قصيدة

ويرد عليهم الأستاذ عمر الاسكندرى بكلمة شكر ، ويعقبه وزير إيطاليا المفوض وتنتهى الحفلة فى الساعة السابعة مساء

انشاء أكاديمية علمية فى كابل

من أنباء كابل أن المعارف العامة فى أفغانستان أخذت تخطو خطوات واسعة بفضل الجهود التى تبذلها حكومتها وبحسن الإرشادات التى يقدمها الملك محمد ظاهر شاه الذى يبذل كثيراً من الجهود لنشر الثقافة الإسلامية والعلوم العصرية فى البلاد ، وبفضل أعمال السردار محمد نعيم خان وزير المعارف الذى عرف بجده ونشاطه

ولقد فكرت وزارة المعارف فى تخريج جيل صحيح ينهض بمهام البلاد السياسية والاقتصادية المقبلة، وذلك بتعليمهم وتثقيفهم وفق برنامج خاص فى أكاديمية خاصة . وها هى ذى الأكاديمية قد افتتحت باسم « أكاديمية العلوم السياسية » وحضر حفلة الافتتاح الوزراء وكبار الموظفين وعلى رأسهم صاحب المعالى الفيلد مارشال السردار شاه محمود خان وزير الحربية

وأعضاء الأكاديمية هم من المتطوعين من طبقة الشباب المثقفين ، والأمل وطيد فى نجاح هذه الأكاديمية فى إعداد شبان أكفاء لإدارة شئون البلاد السياسية والاقتصادية فى المستقبل

تمثال للنبى موسى

من أخبار لندن أن الأستاذ فرويد اليهودى النمساوى الذى أخرج من ألمانيا والموجود الآن فى لندن، طلب النحات اليهودى المنجارى لبادا لمهمة هى صنع تمثال نصفى للنبى موسى الذى قام الأستاذ فرويد كما يقال بدرس شخصيته درساً دقيقاً على قواعده السيكولوجية . وقد وصل هذا الأستاذ بعلمه أن شكل موسى عليه السلام يجب أن يكون مصرياً ، وعلى هذا الشكل سيعمل لبادا التمثال

ونحن وإن كنا نعلم أن هذه ليست أول مرة يعمل فيها تمثال للنبى موسى، إلا أننا نعجب للاتجاه الجديد الذى نحاه الأستاذ فرويد من وجوب تمصير هذا التمثال . والمعروف أن موسى كليم الله ولد فى مصر وكانت مهمته منذ ولادته تحرير قومه الذين أذلهم المصريون وعملوا على تشتيتهم

وما كان أجدر بالأستاذ فرويد من أن يواصل أبحاثه فى علم النفس ليصلح ما أثبتت التجاريب خطأ الكثير منها ولا سيما فيما يتعلق بنظرية الفضيلة والرذيلة

الذهب من رمال البحر

غادر سويسرا نهائيًّا الكيماوى المعروف الأستاذ دونيكوفسكى الذى يدعى أنه اخترع طريقة لاستخراج الذهب من رمال البحر . ويتجه بنظره الآن إلى جزر الفيليبين حيث يؤسس شركة رأس مالها أربعون ألف فرنك لاستخراج الذهب من رمال البحر بالرغم

مما صادفه من الحظ العاثر فى فرنسا وبلجيكا قبل سويسرا

والمعروف أن العرب اشتغلوا كثيراً بالكيمياء وحاولوا مراراً تحويل المادن ، ومع كونهم فشلوا فى هـذا المضمار فإن آخر التجارب الكيميائية أثبتت صدق نظريتهم فى إمكان تحويل المعادن بصرف النظر عما يتكلفه هذا العمل من التكاليف

أما استخراج الذهب من رمال البحر فهذه مسألة أشبه بحلم قد يشابه حلم العرب وقد لا يشابهه ، لأن الذهب إذا وجد بشكل عروق فى الصخر والحجر فى مناطق دون أخرى فإن العثور عليه كذرات رفيعة فى الرمال لا يحتاج إلى المصاعب الهائلة التى يصادفها الباحثون عن الذهب فى باطن الأرض

ومن الغريب أن المصريين الأقدمين عرفوا كيف يبحثون عنه وكيف يستخرجونه ، ولا تزال مناجمهم القديمة موضع إعجاب الجيولوجيين من أبناء هذا الجيل

ولعلنا نسمع من الأستاذ الدكتور حسن صادق بك المدير العام لمصلحة المساحة كلمة فى هذا الموضوع

اكتشاف مدافن أثرية مهمة

اكتشفت أخيراً مدافن واقعة على طول الطريق بين روما والمعرض الدولى الذى سيقام فى وبكاستلفوزانو بالقرب من أوسينا حيث توجد آثار كركالا

ويعود تاريخ هذه المدافن إلى القرن الأول بعد المسيح ، وقد وجدت فيه جملة زهريات من الصفرة وجانب كبير من العملة الفضية وعقود ودبابيس وأدوات للزينة من بينها عقد ثمين من الزبرجد واللؤلؤ والذهب

ووجود مثل هذه المجموعة القيمة يساعد كثيراً على تاريخ العصر الذى وجدت فيه فضلاً عن قيمتها الأثرية

جماعة الفقيرية وبوغا بالهند

وصل فى أواخر ديسمبر الماضى إلى بمباى الضابط الفرنسى الدكتور بينيه موفداً من الحكومة الفرنسية للقيام بتحقيق علمى فى الأسس والأصول التى قامت عليها أعمال جماعة الفقيرية وبوغا

والأمل معقود على أن هذا التحقيق العلمى سيكون أوفى ما تم إجراؤه حتى الآن فتتكشف لنا الأسرار العجيبة التى يجريها « الفقراء » كالسير على اللهب ، وأنواع الرقص والرياضة البدنية الخارقة التى تقوم بها جماعة بوغا والتى يقال إنهم يتعلمونها فى معبد خاص فى بمباى لا يسمح بالدخول إليه إلا لأفراد هذه الجماعة

فى أكاديمية الفنون والآداب الأمريكية

انتخب الكاتب الألمانى توماس مان عضواً فخرياً فى أكاديمية الفنون والآداب فى أمريكا .

وقد قال فان ديك بروكس المؤلف المعروف الذى اقترح هذا الانتخاب : « إن توماس مان ربما كان أكبر مدافع فى الوقت الحاضر عن الأفكار التى تقوم عليها أسس حضارتنا »

فى كلية الآداب بالإسكندرية

تألفت فى كلية الآداب فرع الإسكندرية جماعة أدبية بإشراف الأستاذ أحمد الشايب أستاذ الأدب العربى بالكلية ، ونظمى لوقا افندى وكيلاً ، وحنفى محمود افندى سكرتيراً ، ومحمد أحمد الطويل افندى أميناً للصندوق ، وعبد العليم ناصر افندى ، والآنسة سميرة ياقوت والسيد يعقوب بكر افندى أعضاء . وهم يكونون اللجنة الإدارية

والغرض من هذه الجماعة العناية بالثقافة الأدبية بطرق الخطابة والمحاضرات والمناظرة والمسابقات الأدبية والتمثيل والموسيقى الخ

والمحاضرة الأولى ألقيت أمس ، فى منتصف الساعة الخامسة بعد الظهر بدار الكلية باستانلى . وكان موضوعها : (بين دانت وملتون وأبى العلاء) لنظمى لوقا جرجس افندى وكيل الجماعة

التاريخ فى سير أبطاله

ننشر ابتداء من العدد القادم للأستاذ محمود الخفيف طائفة من التراجم لعظماء التاريخ قديمة وحديثة فى الشرق والغرب ؛ وسيتوخى فى هذه التراجم أن تلم بالتاريخ وتعنى بإبراز حوادثه ، جرياً على المذهب الحديث مذهب دراسة التاريخ فى سير أبطاله ، كما ستكون تلك التراجم بحيث لا تعدو الواحدة ثلاث مقالات أو أربعاً ... وسنبدأ بتقديم ترجمة محمد شريف باشا بطل الحركة القومية والدستورية فى مصر الحديثة

وفاة عالم طبيب

من أخبار لندن أن الدكتور باردسول الذى اشتغل بمرض التدرن الرئوى ومن الذين مهدوا السبيل إلى مكافحته مات فى أواخر ديسمبر الفائت

يوم طرابلس في العراق

بناء على عزم إيطاليا على إسكان الإيطاليين في طرابلس الغرب وبناء على ما يعانيه السكان العرب هناك من ظلم الاستعمار وقسوته قرر نادي المثنى في العاصمة إقامة حفلة كبرى يوم الجمعة القادم الموافق ٣٠ الجاري في الساعة السابعة مساء يخصها بنصرة طرابلس الغرب

إلى العالم الإسلامي كافة وإلى المصريين خاصة

لا تزال دول الاستعمار مسترسلة في سياستها الظالمة نحو البلاد العربية والإسلامية ، مستخفة بشعور المسلمين غير حاسبة لهم حساباً ، فتعتدى على حقوقهم ، وتغتصب ديارهم ، وتهين شعائرهم

ولا يكاد ينقضي وقت دون أن نسمع بنكبة نزلت ببلد إسلامي، فبينما نحن نعالج قضية فلسطين المقدسة التي طغى فيها الاستعمار إذا نكبة أخرى قد انقضت على طرابلس الغرب، إذ يريد الطليان بعد أن حرقوا الأخضر واليابس فيها، ودوّخوا أهلها وأفقروهم واستعبدوهم وأذلوهم ، يريدون أن يجهزوا عليهم فيجعلوا من بلادهم جزءاً من الوطن الطلياني ، ولا يزال يطن بآذاننا ما نشروه على العالم في خطب ساستهم ، وبكل الطرق من أن إيطاليا أصبحت صديقة المسلمين والعرب وأنها تحميهم وتحمى ديارهم ومقدساتهم

ولقد كانت مصر ولا تزال تبنى سياسة دفاعها القومى عن حدودها الغربية على اعتبار أن ما وراء هذه الحدود مسكون بقبائل عربية لها في داخل حدودنا المصرية بنو عمومة وخئولة من نفس هذه القبائل أو من عصباتها ، وأن الإسلام يوثق أواصر السكان بين البلدين وإن اختلفت تبعيتهما . فالدفاع الذي ترى كل أمة من أول واجباتها الاستعداد له في زمن السلم من جميع الوجوه ، وعلى كل ما يتوقع من الاحتمالات ، إنما كان ينظر إليه في مصر من جهة حدودها الغربية من الجهة العسكرية فقط . أما وقد صدر أخيراً القانون الإيطالي بجعل ولايات لوبيا الأربع جزءاً لا يتجزأ من مملكة إيطاليا ، فقد أصبح واجباً علينا أن ننظر إلى ذلك من الوجهة الجغرافية والجنسية أيضاً ، ولا سيما أن الإيطاليين قد وجهوا عنايتهم إلى إنشاء مستعمرات لهم — حتى في الأجزاء الفقيرة التربة من لوبيا — فلم يبق عند أحد شك في أن هنالك برنامجاً عسكرياً له علاقة كبيرة بما وراء طرابلس وبرقة شرقاً وغرباً

إن البواخر الإيطالية حملت إلى القطر الطرابلسي الشقيق في أواخر أكتوبر الماضي ألفاً وثمانمائة أسرة إيطالية تقدر نفوسها بعشرين ألفاً . فأسكنت الحكومة منهم ألفاً ومائتي عائلة في جهة طرابلس وستمائة عائلة في جهة برقة . وهذه أول دفعة من خمسة ملايين نسمة إيطالية تقرر نقلها إلى طرابلس الغرب . وقد خصصت حكومة روما لهذه الهجرة في ميزانية وزارة أفريقية مائة مليون فرنك في كل سنة لبناء القرى واستنباط المياه وإصلاح الأراضي للإيطاليين . وكان في طرابلس قبل مجيء هؤلاء نحو مائة ألف عائلة إيطالية غير الجنود ومن ينضم إلى سلك الحكومة ، وهؤلاء وأولئك تحميهم الحكومة بقوتها . وقد أخذت لهم ١٤٧ ألف فدان من أفضل أراضي لوبيا دون ثمن، وأجلت العرب عن أراضيهم الخصبة في برقة الحمراء ، ونقلتهم إلى الأراضي المجدبة الممتدة إلى الوادي الفارغ جنوباً وإلى المرج شرقاً وإلى شاطئ البحر شمالاً وهي أرض قليلة الآبار تزرع على المطر . أما برقة الحمراء التي تمتد من شطوط مدينة بنى غازى إلى ما وراء المرج في الجنوب وتشمل الجبل الأخضر كله إلى ما وراء مدينة درنة في الجهة الشرقية ، فانتزعت من أيدى أصحابها الشرعيين وهم العرب وأعطيت للمغتصبين من المستعمرين الذين جيء بهم من إيطاليا ليكونوا جيران مصر إلى الأبد ، وليتاخموها في السلم والحرب ، وأصبح الجبل الأخضر والأراضي الخصبة جميعاً محرّماً دخولها على أبناء العرب .

وقد أصبح المصريون متاخمين لجهات ليست من أوطان إخوانهم عرب برقة الذين يشتركون معهم في اللغة والدين ، بل لجهات ستكون عما قريب مسكونة كلها بإيطاليين ، وعليهم من الآن أن ينظروا إليها كما ينظر الفرنسي إلى حدوده الألمانية والألماني إلى حدوده الفرنسية

وإذا كانت إيطاليا لا تتورع عن إزعاج العالم الإسلامي بهذه المظالم وهي تمد عينيها إلى تونس ، فماذا يكون حالها مع المسلمين إذا جاء وقت لا يهمها فيه أن تنشر دعايتها الاستعمارية بينهم عن طريق محطات إذاعاتها اللاسلكية وما إلى ذلك

لذلك نهيب بالمصريين وحكومتهم خاصة وبالعالم الإسلامي كافة أن يفكروا في مصير طرابلس الغرب التي يوشك أن يجلى عنها جميع أهلها العرب إلى أراضي الجنوب المحرقة حيث يقضي عليهم فيها كما قضى على ستين ألفاً من سكان الجبل الأخضر لاقوا حتفهم في الصحراء قبل بضع سنوات ، هذا فضلاً عما يلحق كرامة الإسلام بسلب هذا الوطن من حظيرته وتحويله إلى بقعة إيطالية

الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين

الدكتور عبد الحميد سعيد



ديوان صبري باشا

تحقيق الأستاذ أحمد الزين

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

في الشعر العربي كثير من الشعراء الذين استبدت بشعرهم عوادي الزمن ومحن الأيام . فضاعت آثارهم في أجواء العصور الخالية ، وذهبت دواوينهم بين سمع الأرض وبصرها . ولعل الذي ضاع من الشعر العربي أكثر من الذي بقي . ولعل الأيام لو أسعدتنا ببقاء هذه الثروة كاملة لكان للأدب العربي وجهة غير وجهته ، ووضع غير الوضع الذي هو عليه اليوم . وإذا كان للقدماء العذر في ذلك من صعوبة التدوين ، وندرة الكتابة ، ومشقة الرحلة ، فما عذرنا نحن إذا ما فرطنا في آثارنا الطيبة وتركنا نتاج أدبائنا البارزين نهب الضياع ، على حين قد أصبح التدوين سهلاً ميسوراً تؤديه الآلات ، ويتم بأيسر النفقات ! إننا لا شك أمة جاحدة لا تقدر أدباءها ، جامدة لا تحترم فنها ، قاصرة إذ تفرط في الجيل النافع ، بينما يذيع فيها القبيح التافه !

هذا ما كنت أقوله لنفسي إذ يجري على لساني بيت من أبيات صبري باشا السائرة ؛ أو أستمع إلى مغن يغرد بأغرودة من أغاريده الخالدة ، أو يرتفع صوت في الندىّ بأسماء الشعراء الذين نهضوا بنا في الأدب ، وحفظوا علينا في الشعر كرامة النسب إلى العرب . ولقد كان الأسى يتملكني إذ أرى شعر ذلك الشاعر الممتاز في شاعريته وفي مصريته مشتتاً لا يجمعه ديوان ، مهملاً لا يني بطبعه صديق ، مفقوداً لا يهزج به الأبناء ولا يدريه إلا الخاصة من المعمرين . وأخيراً وبعد خمسة عشر عاماً مضت على وفاة الشاعر سمحت الأقدار ، ففزع لجمع ديوانه صهره الكريم صاحب العزة حسن رفعت بك ، ونهض لتصحيحه وضبطه وشرحه وترتيبه صديقه وملازمه الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين ، فكان في ذلك وفاء للشاعر ، وتقدير للأدب ، وإنصاف للتاريخ ، ودفع للعار الذي حق علينا بتفريطنا في حق ذلك الشاعر ، وفي حق الأجيال المقبلة !

لقد كان صبري رحمه الله بين معاصريه « أستاذ الشعراء وشيخهم » في الصناعة ومراعاة الدقة في الربط بين المعنى وبين لبوسه من اللفظ ، ولكنه كان أيقاً مترفاً لا يقول إلا بدافع النفس ورغبة القول ؛ ثم لم يكن يعنى بتدوين كل ما يقول . ومن ثم لم يبلغ ديوانه في الحجم مبلغ دواوين رصفائه مثل البارودي وشوقي وحافظ ومطران وعبد المطلب . على أنه قد راد كل أبواب الشعر التي كانت مطروقة في أيامه ، فقال في المديح والتهاني والتقاريظ وهي أكثر من ثلث الديوان ، وقال في الهجاء وهو لا يتجاوز الصفحتين ، وقال في الفكاهات وفي الغزل والذكرى والتشوق وفي ذلك كل عبقرية صبري وشاعريته ، وقال في الوصف والاجتماعيات والسياسيات والألهيات والمراثي والأناشيد ، وعلى هذا الوضع جرى الأستاذ الزين في تبويب الديوان . وقد عني بترتيب القصائد في كل باب ترتيباً تاريخياً مع بيان المناسبات والدواعي التي قيلت فيها كل مقطوعة ، وهذا في الواقع ترتيب جميل ، إذ به نستطيع — كما يقول الدكتور طه — أن نتتبع النشأة الفنية لهذا الشاعر ، وأن نتبين ما احتلف على شعره من الأطوار في غير مشقة ولا عناء ، وهو من هذه الناحية درس قيّم لنشأة الفن الشعري عند شاعر ممتاز ، ومن الخير أن يعرض هذا الدرس على الشباب

ولا شك أن الأستاذ الزين قد وفق كل التوفيق في إخراج

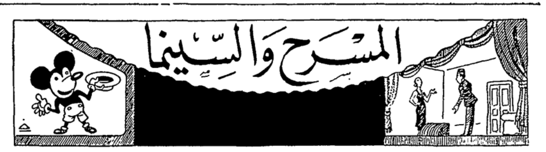
هذا الديوان الجليل ، فضبطه وشرحه على أتم وجه وأكمله . ولقد جهدت أن أحصي شيئاً على صديقنا الزين أغيظه به، فناظني هو ببراعته وقدرته ، وإني لأقر بذلك في غبطة وسرور . وإنما وفق الزين إلى هذا الحد، لأنه — كما يقول الأستاذ أحمد أمين – قد عاشر الشاعر وصادقه سنين طويلة ، فسمع منه ، وحقق الطريقة القديمة القوية في الرواية عنه والمشافهة له، فمكنه ذلك من إيضاح ما غمض ، ومعرفته الصحيحة بجو القصائد وأسبابها وبواعثها . ثم كان من مخالطته للشاعر ووقوفه على دقائق نفسه وما يوائمها وما لا يوائمها ، ما ألهمه الصواب في الشرح ، والتوفيق في الترجيح ، إذا تعددت المسالك وكثرت الاحتمالات . هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإن الأمر كما يقولون : لا يفهم الشاعر إلا شاعر ، والزين شاعر من طراز صبري ومن مدرسته كما يعبرون ، فكان بهذا خير من يفهم صاحبه وقريبه ، وخير من يرعى شعره هذه الرعاية الجيدة ، ويشرحه هذا الشرح الدقيق الموفق !

قد تقول : وماذا يكون في شرح شعر صبري من العناء ، وشعره ليس بغريب اللفظ ، ولا بعيد المعنى كما هو شعر حبيب وأبي الطيب والمعري وأضرابهم ، بل الرجل ظاهر في ألفاظه ، واضح في معانيــه ، ففي مكنة كل إنسان أن يتولى بسطه ، وأن يؤدي شرحه . والواقع أن العناء ليس في الشرح والبسط ، وإنما العناء في النهج الذي نهجه الزين . ذلك لأن شعر صبري دقيق اللفظ ، مستفيض المعنى ، كثير الإشارات ، بعيد المرامي ، فكان لا بد في شرحه من طول اللفظ واتساع التعبير حتى يمكن أن يستوفي ما فيه ، ولكن الزين وقف عند قولهم «البلاغة الإيجاز» فهو يؤدي ما في البيت من معنى كبير بلفظ موجز موثق ، قد لا يتجاوز به ألفاظ البيت في كثير من الأحيان ، ومن هنا كان العناء الذي لا يضطلع بعبئه إلا الزين ، لأنه كما قلنا يفهم صبري حق الفهم ، ولأنه قد حذق ذلك بالتدريب والمران

والديوان مصدر بمقدمات : الأولى للدكتور طه حسين وقد ضمنها رأيه في شعر صبري ومميزاته ؛ والثانية للأستاذ أحمد أمين وصف فيها « شعوره بشعر الشاعر وتذوقه لأدبه » ؛ والثالثة للأستاذ أنطون الجميل عن « العوامل الشعرية في نظم إسماعيل صبري » ؛ والرابعة للأستاذ الزين نفسه ، وقد تكلم فيها عن أخلاق الشاعر ووطنيته وشاعريته وما اتبعه في تصحيح ديوانه . وإنما جمع الأستاذ بين كل هذه المقدمات لأنه — كما يقول — أراد أن يجمع للقارئ بين الاستفادة من شعره ، وتلك الدراسة الواسعة المستوعبة لكثير من نواحيه . وأنا شخصياً لا يهمني كثيراً ما كتبه أولئك الأساتذة عن صبري الشاعر ، فإن شعر الرجل خير من يفصح عنه ويدل عليه ، وإن ميزات الرجل في شعره لواضحة جلية لا يختلف في تقديرها أحد ، كما لم يختلف في تقديرها الأساتذة الفضلاء ، ولكني لا شك معجب بما كتبه الزين عن صبري الرجل ، وما ذكره من أخلاقه ووطنيته . ويا حبذا لو مدّ القول في ذلك فرسم لنا صورة كاملة لشخصية صبري تقوم إلى جانب شاعريته الكاملة ، فإن فهم شخصية الشاعر أساس لفهم شاعريته ، وعلى هذا تقوم الدراسات الحديثة . والمناهج الرشيدة عند علماء النقد

وأما بعد ، فإذا كان شعر صبري آية الجمال في تصوير الجمال ، فإن ديوانه قد خرج للناس آية الكمال في تقدير الكمال . فهو كالروض الأنف جمع أطيب الزهر ، وتم له حسن الموقع وبهاء التنسيق ، وما أحسبه يقل في تنسيقه وترتيبه عن ديوان حافظ الذي تولته وزارة المعارف ، ولا عن ديوان شوقي الذي خرج برعايته ، بل إني لأراه يفوقهما روعة ودقة . وإنه لجهد مشكور ذلك الذي أداه الأستاذ الزين في خدمة هذا الديوان ، ولو قدر لصبري أن يرى ديوانه لاغتبط بهذا الصنيع ، ولشكر لصديقه وفاءه ، وحمد له عناءه ، وإنه لمشكور من الأدباء في جميع الأمصار ، من أبناء العربية في سائر الأقطار

محمد فهمي عبد اللطيف



في الفرقة القومية

دكتاتورية المدير

سل من شئت من الناس من هو مدير الفرقة القومية ، فيجيبك الأول على التو بأنه مثال حيّ للقداسة وطيب السريرة ، ويشيد الثاني بأريحيته ونخوته، ويثني الأكثرون على أدبه وطول باعه في ميدان الشعر الذي لا يجلي فيه سوى إنسان عرف الحياة وأدرك كوامن أسرارها

ويقيني أن هذه الخصال والسجايا هي بعض نحيزته الموهوبة المكتسبة ؛ فلو سوّلت البداوات لأديب أن يترجم لحياة مدير الفرقة فهو لا بد مأخوذ بتلك السجايا ، لا محيد له عن التقيد بها لأنها لازمته طوال حياته ، ولكنها عافته منذ تولى زمام الإدارة ، وزايلته يوم توهم أنه صار من أخدان الموظفين البيرقراطيين وأقران الحاكمين ، ويوم تخيل فخال أنها فرقة حكومية لها نفوذ البوليس ، وسلطان مأمور القسم !

ليس في تصدينا لبحث الناحية التي طرأت على حياة مدير الفرقة ما يبعدنا عن صميم موضوع حياة الفرقة ، لاعتقادنا أنها مرتبطة بحياته السابقة ، تلك الحياة التي كانت متوشحة بوشاح القداسة قد أخذت الآن تنزع عنها رمز قدسيتها ، لا للطهور بفطرتها ، بل لإظهار الناحية الأخرى لتلك القداسة

كان لمدير الفرقة أصدقاء عديدون بحكم ماله على بعضهم من أياد بيضاء ، أو شفاعة لا تنسى ، أو سعي مشكور ، أو بحكم راحة النفس إلى آدابه الرفيعة ، وفنه الشعري السامي

تقدم هؤلاء الأصدقاء يمدون أيديهم تساند الأديب الكبير ، مدير الفرقة القومية للتمثيل العربي ، رمز النهضة ، وعنوان الثقافة، وتنير له السبيل الوعر الذي سلكه للفن المسرحي ، وهو ما كاد يصافحهم ويحتضنهم بعض الوقت حتى أقصاهم عنه إقصاء لا عودة بعده

ثم تلفت المدير يمنة ويسرة ، فإذا به يرى شرذمة من ممثلات وممثلين ، وطغمة من عاملات وعاملين ، وفلولاً من فسا كل الصحافيين والمتأدبين ، تحيط به إحاطة ممثل أدوار الكوميديا بموضوعه ، فيهم « السادي » وفيهن « المسودية » وبالعكس ، ولكنهم جميعاً يعرفون التملق بمعناه ومبناه . لا يصدهم عن الارتماء على أقدام « سعادة المدير » سوى اكتفائه بمد راحته للتقبيل

أوعز سعادة المدير إلى ناقد معروف أن يحمل على أعضاء لجنة القراءة ، وحدث أن لقي ذلك الناقد صدفة في مجتمع كان فيه أحد الحكوميين المشرفين إشرافاً أدبياً على أعمال الفرقة، فوجه إليه عتاباً هو مزيج من الحلاوة والطعم المر على حملته على أعضاء لجنة القراءة الذين هم « الصفوة المختارة من رجالات الأدب » وسواهم نوافل !! وقال : هل في وسعك أن تدلني على خمسة أدباء يفضلونهم أو يضارعونهم والبلد على ما هو عليه من قحط في الرجال ؟

قال الناقد : أعرف خمسة بل عشرة من الرجال لهم أوفر اطلاع على فن المسرح وأدب الرواية لا يجاريهم في ذلك أحد من الأدباء الذي أعرفهم . وإذ ذكرت اسم الأول منهم قال :

أعوذ بالله من هذا الذي لا يرضيه إلا أن يكون مديراً للفرقة بدلاً مني ، وهو على كل حال مغضوب عليه من الحكومة التي تمثل أكثرية الأمة

قال الناقد : الأدب لا يعرف الحزبية يا أستاذ

فأجابه : الأدب الذي تعنيه لا وجود له في مصر

حول الناقد دفة الحديث قائلاً: هل ثمة من اعتراض على فلان؟ وذكر اسمه فأجاب : هذا شاعر لا شأن له بغير الشعر. قال : أنت

شاعر أيضاً ، قال : أنسيت أن لى مؤلفات روائية ؟ قال الناقد : لسنا الآن فى موقف مقارنة وموازنة ومفاضلة ، أنا أعرف أن لهذا الشاعر معرفة واسعة بفن الرواية كما أعرف له اطلاعه الكبير على تطورها وتحولها منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحالى ، وعلى أحدث ما ظهر من روايات وعلى أقوال النقاد فيها

قال مدير الفرقة : أنا أعرفه أكثر منك . إنه كسول خواف لا يصلح أن يكون عضواً فى لجنة القراءة

قال الناقد : ألا تعرف . . . فلاناً وهو مؤلف روائى غذى المسرح أكثر من ربع قرن ؟ فأجاب :

اسمع يا صديقى : أوثر أن تذكر لى أسماء كبار موظفين فى الحكومة تكون لهم مهابة الحاكمين وعلم وأدب العلماء والأدباء

ابتسم الناقد وقال : إن من ذكرتهم هم موظفون حكوميون وفى وسعى أن أذكر عشرة أسماء من الموظفين الأكفاء إذا كان لا يرضيك من الأدباء غير الموظفين الحكوميين

وقبل ارفضاض هذه الجلسة المرتجلة التى تكلم فيها الناقد كعادته فى وصف الأدباء ونقد أعمالهم قال له « سعادة المدير » : أنت شاب يا بنى ، فلا بد لحياة الفرقة القومية ، وهى مصلحة حكومية ، من تؤدة الشيوخ وحكمتهم . فأجابه الناقد على نصيحته الغالية هذه قائلاً : « أطال الله عمر السلحفاة وعوضنا عن نشاط الشباب عوض الصالحين »

رميت من وراء هذا التصوير لحالة مدير الفرقة إلى التدليل على نفسيته التى انتقلت من البوهيمية المرحة الجوالة فى آفاق الحياة إلى قيود الوظيفة التى أحاط نفسه بأغلالها ليكون له روح طاغية ، وشهوة دكتاتور ، وأى دكتاتور فى الأدب والفن ؟

ابن عساكر

اخبـــار سينمائية

بولو

عرضت سينما رويال فى الأسبوع الماضى فيلم « بولو » الذى تدور حوادثه فى الأدغال والأحراج وهو من انتاج شركة برامونت

الآنسة مانون المجنونة

هذا اسم الفيلم الذى عرض فى الأسبوع الماضى على ستار سينما ديانا ولقى نجاحاً كبيراً وهو من إنتاج شركة مترو جلدوين ماير

أجازة

فيلم كوميدى من نوع طريف لشركة راديو وقد عرض ونجح على ستار سينما متروبول

* تمثل نورماشيرر مع كلارك جيبل فى فيلم (مرح أبله) الذى يظهر فى الموسم القادم

* يلاقى فيلم (فتش عن المرأة) للسيدة آسيا نجاحاً لا بأس به على ستار سينما كوزمو

* انتهى إخوان لاما من تصوير فيلم (ليالى القاهرة) الذى وضع قصته وأغانيه السيد زياده وسيعرض فى عيد الأضحى

* أعد استديو مصر فيلم (الدكتور) للعرض بعد أيام قليلة

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 289

Lundi - 16 - 1 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

بين الفقـــير والغنى

«يا صاحب السعادة ، لِمَ ترضى أن أكون صاحب الشقاء؟ أنا وأنت نبعتان من دوحة آدم نمتا فى ثرى النيل ؛ ولكن مغرسك لحسن حظك كان أقرب إلى الماء ، ومغرسى لسوء حظى كان أقرب إلى الصحراء ، فشبعت أنت وارتويت ، على قدر ما هزلت أنا وذويت ؛ لأن الماء والغذاء يطلبانك وأنت ضاجع وادع ، وأنا أطلبهما بالكدح والمتح فما أنال غير الجفاف أو النّطاف !

فماذا يضير المجدودَ أن ينضح المكدود برَشّ مما يسبح فيه من فيض هذا الوادى ، وهو لهما كلبن الأم للتوأمين ، لكل منهما شطره بحكم الحياة والأمومة والطبيعة ؟

لقد ضمن الله لك حق الملك لصلاح الدنيا ، ولكنه فرض عليك بإزاء ذلك الزكاة تحقيقاً لهذا الصلاح . فإذا خشيت أن تمتد عينى إلى مالك بالحسد والشهوة ، ويدى إلى نفسك بالعنف والقسوة، فاكسر نظرتى وحدّنى عنك بأداء ما جعل الله لى عندك ؛ وإلا كان من الانصاف فى رأيي على الأقل أن يكون اعترافى بالحق لك، معادلاً لاعترافك بالواجب عليك»

ذلك ما يقوله فى مصر كل فلاح لكل باشا . ولكن

أغنياءنا غلاظ الأجساد والأكباد فلا يصيخون لمثل هذا العتاب الهامس ! وهم إلى ذلك يعلمون أن الله الذى أعان الفقراء بالزكاة على الفقر ، أعانهم عليه أيضاً بالقناعة والصبر . فهم يثقون بالله ، ويؤمنون بالقدر ، ويعتقدون أن نصيبهم المقسوم فى السماء سيهبط عليهم فى الأرض ، أو يصعدون إليه فى الجنة . وفى ضمان هذه الأخلاق السمحة والنفوس المطمئنة ، مشى الغنى متأبهاً متألهاً يحاول أن يخرق الأرض ويطول الجبل ويملك على عباد الله حق الحياة والموت . ثم ينظر إليه الكادح المحروم وهو يخور من السِّمن ، ويختال من البطر ، ويغوص فى الحرير ، ويخوض فى الذهب ، فيقول بلهجة المؤمن الراضى :

« آمنت بالله ! لو لم يستحق ما هو فيه ، لما كان الله يعطيه ! »

وأقسم ما أعطاه الله ، ولكنه هو الذى أخذ . وما كان ليستقيم فى ميزان العدل أن يُعطى إنسان حتى يطفح ، ويمنع إنسان حتى يجف !

أعرف فى مركز (ط) عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ومن الغرب باشا ، فليس لأحد من الأهلين فيها شبر أرض ولا جذع شجرة . إنما هم أجراء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة لرجلين كسائر الرجال، ليس لبطنيهما سعة البحر ، ولا لعزمهما قوة الدهر ، ولا لنفسيهما عظمة الله . إنما هما فمان تملأهما المضغة ، ومعدتان تكظهما الوجبة ؛ ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ ، ونفسين كجوف الرمل لا ترتوى ؛ فهما يمصران من أجساد هذه الألوف الجاهدة ذهباً يكتنز ، وقصوراً تُشاد، وسلطاناً يُرهب، وقطعاناً تسعى، ومراكب تطير، ورغائب تبتغى، ولذاذات تنال، وأوسمة تناط، وألقاباً تكتسب. ثم لا تدركهما بهؤلاء العبيد رحمة الخالق بالخلق ولا عناية الصانع بالآلة . فصاحب الآلة يوفر لها الشحم والوقود ، ومالك البقرة يهيئ لها الحظيرة والعلف ، وهما لا يتركان لفلاحيهما إلا ما يمسك الروح ويستر البدن ، ثم يلزمانهم أن يؤدوا أجرة الأرض ونفقة الإدارة قبل أن يأكلوا. فإذا أوف الزرع أو رخص السعر وعجزوا عن الوفاء ، سلطا عليهم النظار والمحضرين فأخذوا الدور التى يأوون إليها ، والبهائم التى يزرعون عليها ، وخلفوهم فرائس للمرض والفاقة ، لا يجدون وسيلة الطب ولا حيلة للجوع . فإذا فزعوا إلى فضل الأمير أو الباشا زَمَّ بأنفه واستكبر أن يفتح عينيه على هذا الهوان والقذر ، ولعله ساعتئذ كان يمسح خرطوم كلبه أو يرجِّل عُرْف جواده !

* * *

سكان هذه القرى العشرين يعيشون هم وماشيتهم فى أكواخ من اللَّبِن لا تدخلها بهجة الطبيعة ولا تعودها رحمة الله . تقوم على أقذار البرك وفوق سباخ الأرض وعلى ظهورها المراحيض وفى بطونها المزابل . والمالكان المدللان يَغُطَّان بين الحرير والذهب ، فى قصور تطاول السماء ، ورياض تنافس الجنة ، ثم لا يتفضل أحدهما فيحمل الحكومة بجاهه ونفوذه على أن تجفف لهؤلاء البائسين بركة، أو تنشئ لأطفالهم الضاوين مدرسة. وعلة حب الباشا للمستنقعات أن نفقة ردمها على حسابه ، وحجة بغضه المدارس أنها تصرف الأطفال عن العمل فى أرضه

* * *

ارجعوا يا قوم إلى الله فقد طبَّ لهذه الأدواء واحتاط لهذه الفواجع . إن هذا الأمير وذلك الباشا يملك كل منهما مليوناً من المال الذى تحول عليه الأحوال فيزيد ولا ينقص . فلو أنهما يؤديان زكاته كما فرض الله لكان ما يدفعانه خمسين ألف جنيه فى كل سنة . ولو حبسنا هذا المال الوفر على هذه القرى العشرين لما بقى فيها فقير ولا مريض ولا جاهل . وإذن تشفى الصدور من الغل ، وتبرأ النفوس من الوهن ، فتكثر الأيدي ، وتشتد السواعد، ويزيد الإنتاج، ويزكو الريع، ويردُّ عليه ما أقرض الله أضعافاً مضاعفة . ولكن أغنياءنا أبطرتهم نعمة الله فاستغنوا بجبروتهم عن رحمته ، وبملكوتهم عن جنته ، وبعبادهم عن عباده ؛ وكأنهم أصبحوا يرون سعادتهم فى شقاء الوطن ، وعزتهم فى مذلة الناس !

احمد حسن الزيات

عجـــوة ببيض

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

— بابا . هات خمسة قروش !

— يا أخى ، قل صباح الخير أولاً

— آه ، صحيح ، طيب صباح الخير ، هات بقى !

— سبحان الله العظيم ! ألا تنتظر حتى أرد عليك هـذا التصبيح بالخير ؟

— طيب ، ردّ

فأتلكأ — أهز رأسى أسفاً ، وأمصمص بشفتى متعجباً ، وأقلب كفى ، ولـكن هذا كله له آخر فيعود اللعين إلى المطالبة بالقروش الخمسة ، فأسأله : « هل يليق أن تصبح أباك — على الريق — بطلب فلوس ؟ »

فيتعجب لى كيف أقول إن هذا غير لائق . ولا يستطيع أن يفهم أن ابتداء يوم جديد بإنفاق من المرجح أنه فى غير محله ، صعب على النفس جداً ، فأقول له : « إنتظر ، حتى تكبر وتعرف بالتجربة »

فيصيح : « يا خبر أبيض ! انتظر حتى أكبر ؟ لا يابابا ، أنا مستعجل ، وقد وبخنى المعلم أمس »

فأسأله السؤال الذى كان ينبغى أن ألقيه عليه فى بداية الحوار :

— لمـاذا تريد خمسة قروش ؟ ماذا يمكن أن يصنع طفل مثلك بخمسة قروش ؟

فيقول : « أشترى بها كتاب المطالعة الانجليزية »

فأسأله مرة أخرى : « أو لم تعطك المدرسة كتاباً ؟ »

فيقول : « تقطع ولم يبق صالحاً للاستعمال »

— ولمـاذا تقطعه ؟

— لست أقطعه ، هو تقطع !

— تكلم بعقل ، كيف يقطع الكتاب نفسه ؟

— لم يقطع نفسه ، ولـكن المعلم يأمرنا أن نطويه ، فيبلى ، ويتخرق ، ويتمزق

— هل تعلم أنى كنت تلميذاً مثلك ؟

— لا ...

— لا ؟ كيف تقول لا ؟

— طيب أعلم — إنما عنيت أنى لم أرك ولم أكن معك — هات بقى ثمن الـكتاب

— وأنا إنمـا أعنى أنى لم أحتج فى حياتى المدرسية كلها أن أشترى كتاباً مدرسيـاً لأن كتبى لم تكن تتقطع وكانت لا تبلى أبداً

فيضحك الخنزير ويقول : « لا مؤاخذة يابابا ، ولـكن يظهر أنك كنت تلميذاً كسلان »

فأضحك مثله وأزعم أنها نكتة ، ولـكن الواقع أنها أصابت المحز ، ووقعت على المفصل ، فما أعرف من زملائى فى عهد الدرس والتحصيل من كان أبلد منى أو أشد كسلاً . ولا أدرى كيف كنت أنتقل من فرقة إلى فرقة ، وأحسبهم كانوا يؤثرون أن يجبروا خاطرى ويترفقوا بضعفى . ولما أتممت التعليم — أى فرغت من المدارس — وجدت عندى صفوفاً من كتب الدراسة نسجت عليها العناكب بيوتاً وقصوراً ، وقد أخذها منى صديق ، وأعطانى بدلاً منها كتاب (الشعر والشعراء) أو (طبقات الشعراء) لابن قتيبة ، طبعة ليدن . وقد بعت هذه أيضاً بثمن غير بخس فى جملة ما بعت من الـكتب

***

ويدخل اللعين الثانى أو الأكبر فيقول بلا تمهيد . ولا تصبيح « اكتب هذه البيانات المطلوبة هنا على هذه الورقة ، وسآخذ من جيبك ستة قروش ، ثلاثة لرحلة إلى الهرم ، وواحداً يبقى معى ، ونصف قرش هو مصروفى ، وقرشاً ونصف قرش ثمن برجل وعلبة ألوان »

فأصيح به « تأخذ من جيبى ؟ من أدبك هذا الأدب ؟ ماما ؟ »

فيقول « لا ، إنما أريد ألا أحوجك إلى النهوض من السرير فإن الجو بارد »

فأقول « متشكر ، يا سيدى ، ولـكن ما هذه البيانات الجديدة التى يطلبونها ؟ شئ بارد ! »

وتدخل « ماما » فى هـذه اللحظة ، فتسأل عن هذا الشيء البارد ماذا عسى أن يكون ؟ فأقول

« صباح الخير أولاً يا ماما ، يانور العين ، ثم إنى أرى كل شيء

بارداً فى هذا اليوم المبارك إن شاء الله — لا أحد يصبحنى بالخير ، وكل من يدخل علىّ يقول هات ، ولم يكن ناقصاً إلا أن تسألنى المدرسة عن عمرى ، كأنى تلميذ فيها ، ولست أستغرب أن تسألك غداً عن سنك يا امرأة ، فانتظرى ، وأعدى الجواب من الآن ، وقد أعذر من أنذر ! »

وأرفض أن أعطى الولد نفقات الرحلة قبل أوانها بثلاثة أيام ، وأرفض أن أذكر للمدرسة عمرى — لا حرصاً منى على كتمان ذلك — بل لسببين أولهما أنى لست تلميذاً بها ، فلا شأن لها بى وبعمرى ؛ وثانيهما أنى لا أحب أن أشجعها على هذا الفضول مخافة أن تسأل بعد ذلك كم سن امرأتى ! وأحدث نفسى وأنا أنطق بعبارات الرفض أن من الواجب أن يكون المرء حازماً فى بيت كهذا

فتقول امرأتى « ولكنى أعتقد أنك لن ترفض أن تعطينى مائة وعشرين قرشاً ؟ »

فأثب من السرير إلى الأرض وثبة ليت مصوراً كان حاضراً فيرسمها فإنها حركة رياضية بديعة ، يُرى فيها اللحاف ، وتطوى الساقان ، ثم تُدفعان فى الهواء وسائر الجسم وراءها ، ثم إذا أنا واقف على الأرض ، لم يتحطم رأسى ، ولم يصبنى سوء . ولم أكن أعهد فى نفسى هذه القـدرة ، ولكن الوقت ليس وقت الإعجاب بالذات

وأصيح « مائة وعشرين قرشاً ؟ أتقولين مائة ... »

فتشير إلىّ أن مهلاً ، مهلاً ، وتسألنى « مالك تصيح هكذا ؟ ماذا يقـول الجيران إذا سمعوك ؟ »

فلا أكف عن الصياح وأنا أقول « الجيران ؛ ليقولوا ما شاءوا ولكن اعلمى — أنت وهم أيضاً — أنى مستعف ... مستقيل ... »

فتضحك . . . أى والله تضحك . . . وتسألنى « من قال لك افتح بيتاً ؟ »

فأرد عليها بقوة « ومن قال لك إن البيت بالوعة ؟ لا ياستى أنا مستعف . . . مائة وعشرين قرشاً ؟ يا خبر أسود ! »

فتلاطفنى وتقول « اسمع ، اسمع ، وكن حليماً ... »

فأسألها مقاطعاً « خبرينى أولاً من الذى قال لك إنى أنفق مما أجد تحت السجادة ؟ أو إنى من أهل الولاية وأصحاب الكرامات الذين يمد الواحد منهم يده من النافذة فإذا فيها أصبع من الموز ؟

من رحيق الفن

نفسى بطبيعتها لا تنزع إلى ترف الحياة . ولقد عشت إلى وقت قريب ضالاً . ليس لى بيت مستقر ولا راحة موفورة . ولا حتى مكتبة خاصة تعيننى على عملى الأدبى . إلى أن أوهمنى بعض الناس أن مكانتى كأديب تقتضى أن أغير هذه الحياة . فأصغيت إلى هذا الكلام واتخذت لى مسكناً أنيقاً فى أجمل بقاع القاهرة يشرف على النيل . واقتنيت سيارة جميلة ، وجعلت لى مكتبة تزينها التحف والتماثيل . وأكثرت من حولى الخدم يعنون بأمرى . وأعجبنى قليلاً مظهرى هذا الذى يماثل مظهر أدباء أوروبا المشاهير . وغرنى الحال . وحسبت أننا نتمتع فى الشرق بمثل ما يتمتعون من قوة وحرية ومنعة . فانطلق قلمى مرة يبدى رأياً صريحاً فى مسألة قيل إنها تمس السياسة . وإذا أنا أقع فريسة لإجراءات مهينة ، فالتفت يميناً وشمالاً أبحث عن عالم الأدب يتولى الدفاع ، لا عنى ، بل عن حرية الفكر المهدرة . فلم أجد أحداً من الأدباء قد تحرك . ولم أر صحيفة قد همها الأمر . وخرست كل تلك الجرائد التى طالما رفعت صُوتى على صفحاتها ، واتفق الكل اتفاقاً طبيعياً على إهمال الموضوع . ولم يحفل أصدقائى ولا زملائى ولا قرائى بما حدث لى . ولم يدركوا الخطر الذى يهدد الأدب والأدباء إذا هم شعروا يوماً أنهم لا يستطيعون أن يخرجوا ما فى نفوسهم . (أديب واحد كبر عليه الأمر وأدرك الخطر ونهض فى قلق يحادث المسؤولين ويناقشهم ، هو كاتب عظيم يعد فخر أدباء الشرق فى العصر الحاضر . وصداقته لى معروفة من زمان ، وإن كنت مع الأسف لم أقدرها قدرها فى كل الأحيان)

على أن الحادث فى جملته قد هز عقيدتى فى منزلة الأدب وفجعنى لا فى شخصى ، ولكن فى مركز الأديب فى الشرق ، فقد أيقنت أن ما يسمونه « المكانة الأدبية » إنما هى وهم من الأوهام . وأن الأدباء أنفسهم هم المسئولون فى أكثر الأحوال عن انخفاض شأنهم فى المجتمع لخذل بعضهم بعضا

وأحسست من نفسى الذلة ، فتركت سكنى وسيارتى وخدمى ، وعدت من جديد أعيش شريداً ، كما يستحق أديب فى الشرق أن يعيش .

توفيق الحكيم

أو أن عندي آلات لتزييف النقود ، أو إني ابن روكفلر ، وبيربونت مورجان وروتشلد معاً ؟ هه ؟ أجيبي أولاً ؟ »

فلا تجيب ، لأنها تضحك مستخفة بأن أجد نفسي كل صباح — على ريق النفس — مطالباً بخمسات القروش للخنزير الصغير ، وستاتها للخنزير الأوسط ، ومثاتها ...

وتقول « ألا تسمع ؟ لماذا تأبى أن تسمع ؟ »

فأقول « لأني مستغن ... هذا هو السبب ... وسألبس ثيابي وأخرج ولا أرجع »

فتقول وهي تغالب الضحك « ألا تفطر أولا ؟ لقد أوصيت لك ببيض مقليّ بالعجوة ، وعصرت لك — الآن، بيدي هاتين — أربع ليمونات حلوة ، . تعال أفطر أولا ... وتتكلم على الطعام »

ترى ماذا أغرى آدم بمطاوعة حواء ؟ كيف وسعها أن تجره من أنفه وتدس في فمه الواسع — لا بد أنه كان واسعا — التفاحة المحرمة ؟ أتراني ورثت عنه هذا الحب للبيض المقلي بالعجوة ، وعصير الليمون الحلو ؟

لا أدري ؛ ولكني أردت أن أشيح بوجهي عنها ، لأقاوم إغراء ما تصف ، وأغالب سحره ، فطالعني وجهي في المرآة ، فإذا هو يبتسم ، وما كان يسعني بعد أن عرفت أني أبتسم ، أن أظل متجهما .

وجلسنا إلى السفرة وشربت عصير الليمون ، فشاع الاغتباط في كياني ؛ وجاء الطبق وفيه البيض والعجوة ، ففركت يدي ، ودفعت طبقي إلى امرأتي وقلت: « الله يرضى عنك يا امرأة! هاتي! هاتي ! وليسخط عليّ الأطباء ما شاءوا وما وسعهم السخط ؛ وليزعموا أني أزيد معدتي تلفاً ، فما أباليهم ، أو أحفل مشوراتهم . هاتي ، هاتي ... ترى ماذا أذكرك العجوة والبيض .. لا،لا،لا.. هذا لا يكفي ... إني أتضور جوعا ... أكثري ، أكثري »

فتقول « معدتك تتلف ... يكفي هذا القدار »

فأصيح: « لالا ... على رأى العامة « همّ ، وقلة هم!» هاتي ، ولا تخافي »

فتقول : « هل معنى هذا أنك ستعطيني ما طلبت ؟ »

فأصيح « ياستي خذي ما شئت ... كلّي لك ... ولكن هاتي من هذا وأكثري »

فتنهض وهي تقول « ومعدتك ؟ »

فأقول « سننظر في أمرها فيما بعد . وأحسب أني لن أعدم طبيباً يستطيع أن يسكن آلامها . أتعرفين أنه يخطر لي أن الطب قد أخفق لأنه لم يستطع إلى الآن أن يغنينا عن المعدة ؟ فليت هناك دكانا تباع فيه أعضاء جديدة من الجسم تركب له وتتخذ بدلا من التي تتلف ، على نحو ما تباع قطع السيارات ! إذن لوسعني أن ألتهم كل ما في هذا الطبق الشهيّ . ولكن آخ ! »

وأجدني أكلم نفسي ، فألتفت مستغربا ، وإذا بها تعود ويدها مبسوطة بمائة وعشرين قرشا فأهز رأسي وأسألها

« ما حاجتك إلى كل هذا ؟ »

فتخبرني أنها دعت « أم أحمد » وأنها تنوي أن تكلفها شراء ثياب لكسوة الخدم ، فقد آن ذلك جداً ، وقد اختارت أم أحمد لأنها ممن أخنى عليهن الذي أخنى على من نسيت اسمه — آه لبد ، ياله من اسم ! — فهي تحب أن تكل إليها أمر الشراء لتكسب قرشين ، فإنها تأبى الصدقة .

فأهز رأسي موافقاً ، ثم أنهض عن المائدة راضيا وأقول لها بابتسامة عريضة : «مائة وعشرون قرشا ثمناً لأكلة عجوة بالبيض! لست أراه باهظا جداً ... لا بأس ! لا بأس ! سيرزقنا الله من حيث لا نعلم ، فلا تخافي ، وأنفق ما في الجيب يأت ما في الغيب

ابرهيم عبد القادر المازني



شعر مهيار

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال ابن خلكان فى كتاب وفيات الأعيان (هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر المشهور؛ وكان مجوسياً فأسلم. ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضى أبى الحسن محمد الموسوى وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر، وقد وازن كثيراً من قصائده). ثم أخذ مهيار عن الشريف الرضى وسلك مسلكه فى فخامة اللفظ وقرب التشبيه والاستعارة ونغمة الوزن وتحكيم الوجدان والتباعد عن المعانى التى يمجها الذوق والوجدان إلا فى القليل مثل قوله فى الغزل :

غار المحبون من أبصار غيرهم   ضناً وغرت على لميا من بصرى

إذ أن هذا معنى غير مستقيم ولا يقبله الذوق وإن كان للشعراء مثله . ولا أذكر الآن هل للشريف مثله أم ليس له . ومن دلائل التكلف أحياناً فى شعر مهيار أن له قصيدة فى الرثاء بها يرثى أهل البيت رضى الله عنهم ومطلعها غزل وهو : (فى الظباء الغادين أمس غزال) وجاء فى غزلها ذكر الملال والدلال وما إلى ذلك . وهذه أقوال لا تستقيم مع الرثاء عموماً ورثاء أهل البيت خصوصاً . وعلى أى حال فإن أستاذه الشريف أكثر طبعاً ؛ وإن كان الشريف أحياناً يقبل معانى الغزل المعتاد الشائع فى عصره ، ولكن نصيبه من عبث الحضارة أقل من نصيب مهيار ، وأقل من نصيب غيره من شعراء الدولة العباسية . ومن أجل متابعة مهيار له سلم فى أكثر شعره من هجنة الذوق الحضرى العابث، ولكنه من أجل هذه المتابعة لم يُدخِلْ فى العربية أثراً من الثقافة والنزعة الأدبية الفارسية . وكنا نأمل أن نجد لمهيار ابتكاراً بسبب جمعه بين الحضارتين الفارسية والعربية ، ولكن طريقة الشريف كانت عربية بدوية أكثر منها حضرية ، فنزع مهيار هذا النزع؛ ولم يكتف بذلك بل إنه برّز فى أبواب القول التى برّز فيها الشريف مثل الغزل الوجدانى الرقيق ، والرثاء والإخوانيات والعتاب وشكوى الزمان وأهله ؛ وبرّز أيضاً فى المديح بحكم مهنته . وهو أحياناً يحتذى طريقة الشريف فى المديح بوصف عادات البدو فى معيشتهم فيقول :

ضربوا بمدرجة السبيل قبابهم   يتقارعون بها على الضيفان

ويقول :

كأنَّ حديث من يُثنى عليه   حديث القين عن نصل يمانى

والمديح هو الباب الذى كان فيه مهيار أكثر استرسالاً من أستاذه بحكم منزلته وبحكم ترفع الشريف الذى يخاطب الخليفة فيقول له إنه لا فرق بينهما :

إلا الخلافة ميزتك فإننى   أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويقل تبريز مهيار فى أبواب الشعر التى يقل فيها تبريز الشريف ، فلا ينتشى مهيار بما يصف كما ينتشى أبو تمام فى وصف الطبيعة، وكما ينتشى البحترى وابن الرومى. ولكن وصف الشريف أقوى وأعرق فى الشعر من وصف مهيار . أنظر إلى قول الشريف فى وصف القلم :

وينطق بالأسرار حتى تظنه   حواها وصفر من ضمير أضالعه

أو قوله فى وصف الذئب :

إذا فات شىء سمعه دل أنفه   وإن فات عينيه رأى بالمسامع

وهذه القصيدة تذكرنى قصيدة البحترى التى مطلعها (سلام عليكم لا وفاء ولا عهد) وفيها وصف للذئب منه قوله :

كلانا بها ذئب يحدث نفسه   بصاحبه والجد يتعسه الجد

وتذكر أيضاً والشىء يذكر بالشىء أبيات الفرزدق فى وصف الذئب الذى قراه وأطعمه بعكس ما فعل الشريف والبحترى ، وهى التى مطلعها (وأطلس عسال وما كان صاحباً) .

أما مهيار فله شعر كثير فى الوصف أكثره فى وصف الشمع أو السمك أو الطبل أو الاسطرلاب الخ . وهو ليس من الطراز الأول. وله أبيات فى وصف السماء وهو موضوع كبير يشمل حسنها فى مظاهرها المختلفة ، ولكنه لم يوفه حقه . وله قصيدة فى وصف آلات زينة صناعية فى بركة ، ولكنها على شهرتها لا تدل على أن الشاعر قد انتشى بموضوعه ، فمهيار إذاً لا يبرّز فى الوصف كما يبرز فى الموضوعات الأخرى التى ذكرناها وبرّز فيها أستاذه

والذى جعلنا نأمل أن يبتكر مهيار وأن يدخل شيئاً من أثر الثقافة الفارسية هو ما رأيناه من ابتكار ابن الرومى وما نعده من أثر نسبه الدخيل، وإن كان ابن الرومى قد غلبت عليه النزعة العربية أكثر مما غلبته النزعة الرومية . ومهيار يفتخر بسؤدد الفرس فيقول : إنه جمع المجد من أطرافه (سؤدد الفرس ودين العرب) ويفتخر بفصاحتهم فيقول : (وفيهم ألسُنُ البيان) ويقول :

إنْ تُنْكرى قوى فعنــــدك من بقيتهم بيــانْ

وقد نظرنا فى شعر هـذا الفارسى فوجدناه أكثر عروبة من شعر بعض الشعراء العرب من سكان العراق وفارس ، وكان هؤلاء يتملحون ويتجملون بألفاظ فارسية فى بعض الأحايين . ونحن لم نطلع على شعر لشعراء دولة الفرس قبل الإسلام، ولا نعرف إن كان شعرهم قد بقى ، ولـكنا اطلعنا على منتخبات لشعراء الفرس بعد الإســلام عند ما استقلت فارس بسبب ضعف الدولة العباسية وسقوطها ، وبعضهم أيضاً كان يكتب أيام حكم التتر ، وهذه المنتخبات لعمر الخيام وحافظ الشيرازى والسعدى والفيروزى والجامى والنظامى وأنورى وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومى وابن جمين[1] لا تختلف كثيراً عن شعر شعراء الدولة العباسية من العرب إذا استثنينا ما فى بعضها من قصص تاريخ الفرس القديم التى صارت فى هذا الشعر أشبه بالأساطير الاغريقية فى شعر هومير وغيره ؛ وإذا استثنينا أيضاً الأساطير التى حاكها بعض هؤلاء الشعراء فى موضوع حياة الطيور والحيوانات الخ على طريقة الخيال الآرى. ولم أجد فى شعر مهيار أثراً لذلك وإن كان يقرب من الحضارة الفارسية فى وصفه بعض مظاهر الترف ، لأن الحضارة العباسية العربية كانت شبه فارسية ، إذ قد أخذ العرب فى العراق وفارس من مذاهب الإحساس والفكر والحضارة الفارسية، حتى إن بعض المؤرخين سمى الدولة العباسية ، بالدولة الفارسية العربية . وقد رد العرب هذه المذاهب المستعارة من مذاهب القول والإحساس والفكر إلى شعراء الفرس المسلمين الذين ظهروا عند ما استقلت فارس عن الدولة العباسية ؛ وهذه هى أسباب أوجه التشابه بين هؤلاء الشعراء وبين شعراء الدولة العباسية العربية. فمهيار لا يقترب فى قوله من الثقافة الفارسية والحضارة الفارسية إلا من حيث اقترابه من نزعة شعراء العربية فى الدولة العباسية . وهو كما أوضحنا غير مندفع فيها كل الاندفاع ولا منغمر فيها بسبب احتذائه طريقة الشريف فى محاكاة النزعة البدوية ؛ وهو مع ذلك له شعر فى مظاهر من تلك الحضارة لم يطرقها الشريف كوصفه للخمر كما فى الأبيات التى يقول فيها :

من فم إبريقها إلى شفة الكا ... س عمود الصباح ممــــدود

وقد أغرق فى تحسين السكر فى قصيدته التى يصف فيها آلات الزينة فى البركة ومطلعها :

نديمى وما الناس إلا السكارى ... أدرها ودعنى غـــداً والخمارا
وعطِّلْ كؤوسك إلا الكبير ... تجدْ للصغير أناساً صغارا

وقد أنفذته محاكاته للشريف من أن يكون أكثر شعره على هذه الوتيرة . وقد ذكرنا أن الوصف فى هذه القصيدة لا يُحدث للقارئ نشوة شعرية ، وإنما النشوة فيها نشوة مادية للشاعر بالخمر كما ترى. وعندى أن بيتاً واحداً فى الوصف للمعرى، وهو ليس من شعراء الوصف ، قد يُحدث نشوة شعرية للقارئ أكثر مما تحدثه قصيدة فى الوصف لمهيار . أنظر إلى قول المعرى :

ليلتى هذه عروس من الزنـ ... ـج عليها قلائد من جمان

وكلمة (هذه) فى البيت لها أثر كبير فى الوصف . وبعض وصف مهيار على سبيل الأحاجى والمعميات وهذا ليس من الوصف العالى

ويجوز لنا أن نقول إن منزلة مهيار من الشريف كانت كمنزلة البحترى من أبى تمام من حيث احتذاء الطريقة. وقد هجا ابن الرومى البحترى فقال :

والفتى البحترىُّ يسرق ما قا ... ل حبيب فى المدح والتشبيب
كل بيت له يُجَوِّدُ معنا ... ه فمعناه لابن أوس حبيب

وهذه مبالغة المنافس القادح الزارى . إلا أنه مما لا شك فيه أن البحترى على عظم منزلته كان محاكياً أكثر من ابن الرومى . وقد وجدنا أن مهيار يعزب عن نهج الشريف فى بعض قوله وروحه. ولا غرو فإن النبات إذا نقل من مكان إلى مكان كانت ثمراته شبيهة بثمرات نوعه من نبات المكان الثانى، وكذلك طريقة الشعر إذا نقلت من شاعر إلى شاعر، فهى يصدق فيها قول الشريف فى الآمال :

وتختلف الآمال فى ثمراتها ... إذا شرقت بالرى والمـاء واحد

ولمهيار قصائد عديدة ذات نغمة موسيقية عذبة كنغمة قصائد الشريف العذبة ، وهو لا يقل عن الشريف فى هذه الموسيقية بل قد يزيد أحياناً ، ولـكن الوجدان الشعرى فى ثنايا موسيقية الشريف أكثر طبعاً وغزارة؛ وقد يقل الوجدان وتقل الموسيقية فى قصائد مهيار المطولة فى المدح على أناقتها ، ولـكن القارئ يشعر فى بعضها إطالة الناثر القدير وتوقف الكاتب فى تدبيج المديح أكثر مما يشعر من اندفاع السيل الشعرى الأتِىّ ؛ ولـكن أسباب هذا الشعور أن مهيار كان كاتباً قديراً وأنه أوتىَ سهولة كبيرة فى النظم ونفساً طويلاً جداً. وفى بعض مدائحه يحس القارئ سرعة اندفاع الوزن ولـكنه يحس أيضاً أنْ سهولة النظم وطول

(١) هذه الأسماء منقولة من صيغها فى كتب المنتخبات الافرنجية التى أشرت إليها لا عن الصيغة الفارسية

النفس قد سبقا شاعرية الشاعر. وهذه هى جناية المدح على الشاعر وجناية نظم الشاعر بالأمر أو الطلب أو للحاجة واكتساب الرزق، وهذا أمر يشترك فيه كثير من شعراء الصنعة مع مهيار، إلا أن ما أضر الشعر من ناحية قد أفاده من ناحية أخرى، فقد أصبحت قصائد الصنعة التى ليس فيها اندفاع سيل العاطفة الشعرية نماذج تحتذى فى المدارس وفى غير المدارس لتقويم لسان الناشئين المبتدئين؛ ولكن الخطر قديماً وحديثاً هو إما أن يمل الناشئ اللغة بالرغم من طلاوة النماذج وأناقتها لافتقاده سيل العاطفة، وإما أن يظل طول عمره على النماذج الإنشائية لا يطلب وراءها روحاً أو معنى أو وجداناً .

ولقد نجى الشريف من أن يكون بعض شعر المدح من شعره نماذج إنشاء فحسب أنه كان يترفع عن التكسب بالشعر أو كانت له عنه مندوحة . والشريف لم يكثر إكثار مهيار وإن كان الشريف مكثراً جداً إذا قيس بالمتنبى أو أبى تمام

وبالرغم من إطالة مهيار فى القصيدة الواحدة إطالة كبيرة فى المدح، وبالرغم من مؤاتاة سهولة الوزن له فقد كان يهذب ويشذب ويتأنق ويسئ بالإحسان فيها ظنا حتى يقتنع ذوقه بدليل قوله : —

وأسىء ظنا وهى محسنة لا كالمسىء ويحسن الظنا

ولعل هذا سبب ولوعه بإطراء شعره فى شعره فقد قال فى قصائده:

لكنها من معدن لم يكن بسره ينبع إلا ليا

وزاد على هذا فجاء بقول يشبه أقوال المتنبى فقد قال مهيار :

ظهرت بآيتى فى غير قومى ولم أنظر بمعجزها أوانى

أى ظهر قبل ظهور الجيل الذى يستطيع أن يقدره

ولقد قالوا إن الشريف قد اشترك فى كتابة بعض ما ينسب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فى كتاب (نهج البلاغة) وهذا شئ لا يصدق لبعد التزوير من أخلاق الشريف الرضى . وعلى أى حال فليس فى شعر الشريف ما يذكرنا بأنه كاتب ناثر، وإن كان له فى النثر فضل كبير . وأحسب أن ابن الرومى لو شاء أن ينبغ فى النثر نبوغه فى الشعر لاستطاع لتقصيه الأجزاء وتتبعه، واتساق كلامه وربط بعضه ببعضه واستطراده وضربه الأمثال وإشاعته المعنى فى أكثر من بيت، وما إلى هذه الصفات من صفات؛ ولكن الشعر ملك عليه وقته ونفسه وحاجات لبه وغلبت عليه سهولة النظم . ولم يصل إلينا شئ من نثر مهيار وإن كانت الكتابة هى الصفة المقدمة فى كلمة ابن خلكان عنه . ولعل شعره فى المدح وغيره من أغراض الأمراء والحكام يغنى عن نثره لفظاً ومعنى .

ولأناقة مهيار فى أسلوبه سببان : الأول مما كان طريقة الشريف الرضى ، والثانى هو أن الدخيل إذا اعتنق لغة حتى تصير لغته واحتاج إلى النبوغ فيها والتكسب بها اضطر إلى التأنق أكثر من اضطرار الأصيل الذى يعتز بأصالته فلا يتعمد المغالاة فى التأنق. ومن أجل ذلك كان مهيار أكثر أناقة فى الأسلوب من كثير من شعراء العرب فى الدولة العباسية ولا سيما شعراء عصره . وليست أناقته بمستحيلة إذ أن عمدة النحو العربى رجل فارسى مثله وهو سيبويه، وهو مثل آخر من أمثال هذه الظاهرة، وهى أن الدخيل قد ينبغ أكثر من الأصيل فى لغة بسبب اضطراره إلى استبطان دخائلها ، وهى ليست قاعدة عامة بل هى من الأمور الغريبة كغرابة إتقان الكاتب البولونى جوزيف كونراد للغة الانجليزية وكتابة قصصه بها حتى صارت كتبه تعد من ذخائر الأدب الانجليزى وحتى صار بعد أديباً انجليزياً لا بولونياً

وقد أخذ مهيار عن الشريف سر الموسيقى الشعرية وهى لا تتوقف على الوزن وحده بل على الوزن وعلى أسلوب الشاعر فى الإفصاح عن إحساسه . ومن قرأ قصيدة الشريف التى مطلعها: (ضربن إلينا خدوداً وساما) أو التى مطلعها (أراك ستحدث للقلب وجدا) أو التى مطلعها (اسلمى ياسرحة الحى) أو التى مطلعها (يا ظبية البان) وغيرها من أشعار الشريف ثم يقرأ شعر مهيار الموسيقى يحس كيف أتقن التلميذ سر تلك الموسيقى كما فى قول مهيار:

أتراها يوم صدت أن أراها علمت أنى من قتلى هواها

إلى أن يقول :

أعطيت من كل شىء ما اشتهت فرآها كل طرف فاشتهاها

أو قصيدته التى يقول فى مطلعها :

لواعج الشوق والغليل على أحق من العذول

أو التى يقول فيها :

آه على الرقة فى خدودها لو أنها تسرى إلى فؤادها

أو التى يقول فيها :

واذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

أو التى يقول فيها :

أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجا وعلمت غصن البان أن يتميلا

أو التى يقول فيها :

وهَبْكمُ منعتم أن يراها بعينه فهل تمنعون القلب أن يتمناها

ولو أن أساتذة فن الغناء فى عصرنا هذا شاءوا لوجدوا فى شعر مهيار نبعاً لا ينضب معينه من الموسيقى والغناء . فيا حبذا لو لحنوا الكثير من قصائده الموسيقية . وقد نبغ مهيار أيضاً فى الرثاء كما نبغ الشريف ؛ ومن أكثر قصائده فى الرثاء وجداناً قصيدة قالها فى فتى كان قد تبناه ورباه وهى التى يقول فيها :

فُجِعْتُ به غض الشمائل والهوى مُسِنَّ الحِجَا والفضل مقتبل السن

على حين قامت للمنى فيه سوقها وحقت شهادات المخايل والظن

ومن قصائده البارزة فى الرثاء القصيدة التى مطلعها (مَنْ حاكم وخصومى الأقدار) والتى مطلعها (نعم هذه يادهر أم المصائب) ويقول فيها :

سلامٌ على الأفراح بعدك إنها وإن عشت ليست إربة من مآربى

ومنها قصيدته فى رثاء عبد العزيز بن نباتة السعدى اللامية التى يقول فيها :

أَفَلَمْ يَرُعها منك نفس حُرَّة كنتَ الوحيد بها وأنت قبيل

وقصيدتاه فى رثاء الشريف الرضى مشهورتان ولا سيما الدالية التى مطلعها (أقريش لا لفم أراك ولا يد) . وقد نبغ مهيار أيضاً فى شكوى الزمان والإخوان ، وله فى هذا الباب أشعار كثيرة مثل قوله :

وأخ مع السراء من عُدَدِى وعلىَّ فى الضراء والشر

مولاى والأحداث مُغْمَدَةٌ فإذا انتضين فَرَى كما تفرى

تعِبٌ بحفظ هَنَاتِ مبسرتى كيما يُعَدِّدَها على العسر

ومن شعره فى هذا الباب قوله من قصيدة رائعة :

وقلوب أعدائى الذين أخافهم مغلولة لى فى جسوم أحبتى

ولمهيار قصيدة فى العتاب بلغت منزلة عالية وهى التى يقول فى أول العتاب منها :

يا أهل ودى وما أهلا دعوتكم بالحق لكنها العادات والدرب

وفى اللغة العربية قصائد بارزة فى العتاب يصح أن تكون فى باب وحدها وإن تفاوتت مراتبها ومنها هذه القصيدة لمهيار وقصيدة البحترى التى أولها (يهون عليها أن أبيت متيماً) والتى مبدأ العتاب قوله (عذيرى من الأيام رَنَّقْنَ مشربى) وقصيدة ابن الرومى التى مطلعها (يا أخى أين ربع ذاك اللقاء) وقصيدة سعيد بن حميد التى مطلعها (أَقلِلْ عتابك فالبقاء قليل) وقصيدة المتنبى التى مطلعها (واحرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ) وقصيدة الطغرائى التى مطلعها (على أثلاث الوادِيَيْنِ سلامُ) .

وفى الهجاء يحتذى مهيار الشريف أيضاً . قارن بين قول الشريف الرضى (من كل وجه نقاب العار نقبته) وقوله (يَصْدَى من اللؤم حتى لو تُعَاوِدُهُ) وبين قول مهيار : —

وملثمين على النفاق بأوجه صم يصيح اللؤم من قسماتها

ولمهيار أبيات كثيرة ضائعة فى ثنايا مطولاته وهى أبيات يصح أن تشتهر وأن يتمثل بها .

مثل قوله :

والشامة البيضاء تنمت نفسها لوضوحها فى الجلدة السوداء

وقوله :

يقول المرء ما يهوى ويرجو ويفعل فعلــه الفلك المدار

وقوله :

يسمون عيشاً فى الخمول سلامة وصحة أيام الخمول سقام

وقوله :

ونشتكى دهرنا والذنب ليس له والدهر مذ كان مظلوم ومتهم

وقوله :

تقام على الفقير وما جناها إذا وجبت على المثرى الحدود

وقوله وهو ليس من الهجاء بقدر ما هو حقيقة عامة فى كل النفوس : —

يجهلنى بديهــة وإنه يزداد جهلاً بىَ كلما امْتَحَنْ

عبد الرحمن شكرى

المجمع اللغوى
وإصلاح لغة الحياة اليومية
للأستاذ عبد القادر المغربى
عضو المجمع

ذكرنا من قبل أن المجمع اللغوى قد اتجه إلى الاتصال بالمصالح الشعبية لتناول الرأى معها فى المصطلحات . وقد سألنا صديقنا الأستاذ المغربى عن الطريقة التى بسط فيها رأيه فى وجوب عناية المجمع بكلمات الحياة اليومية والحاجة الداعية إلى هذه العناية فأرسل إلينا هذا المقال .

أمهات الأعمال التى قام بها المجمع فى دوراته الماضية خمس :

١ — أوضاع فى العلوم والفنون لطلاب المدارس

٢ — كلمات فى الشئون العامة لجمهور المتكلمين باللغة العربية

٣ — تسهيل قواعد اللغة

٤ — كتابة الأعلام الأجنبية بوضع علامات اصطلاحية على الحروف العربية

٥ — الاهتمام بوضع معجمين : أحدهما علمى للطلاب والآخر لغوى لجمهرة المثقفين

وقد بذل المجمع همة عالية فى مباشرة أعماله هذه وكان سعيه موفقاً فيها . اللهم إلا ناحية واحدة من هذه الأعمال ما زالت محتاجة إلى عناية وتخير أقرب الطرق لحسن الإنتاج فيها

وأريد بتلك الناحية إصلاح لغة الحياة اليومية التى ترجم لها المجمع بقوله (كلمات الشئون العامة) — كأدوات المنازل وما تتناقله الألسنة والأقلام فى الدواوين والأندية والمدارس والمتاجر مما يعبر عنه بألفاظ دخيلة أو عامية : فقد وضع المجمع لهذه الشئون أكثر من مائتى كلمة : ومن مواضع العجب أن هذه الكلمات تكاد تكون وحدها مثار اللغط فى نقد المجمع والغض من قيمة إنتاجه

وهذا يدل على أن (كلمات الحياة العامة) هى أول ما يتشوف إليه الجمهور من نتائج أعمال المجمع . لأن اللغة اليومية أصبحت قطعة من حياته وجزءاً من عقليته . فلا جرم أن يكون إصلاح هذه اللغة وتقويم اعوجاجها مَثَلَهُ الأعلى وموضع رغبته الملحة على اختلاف الطبقات :

من طلاب المدارس الذين أضربوا منذ أشهر وكان من جملة شروط الرجوع عن إضرابهم أن تدخل اللغة العربية فى البنوك الأجنبية كما أشار إلى ذلك بعض الصحف اليومية

— إلى رجال الصحافة الذين قال أحدهم فى (رسالته) : « تريد اللغة العربية من أولياء العهد الجديد أن تأخذ مكانها الشرعىّ فى المحاكم المختلطة ، وأن تُطَهَّر من شوائب العُجمة فى الدواوين والقوانين والجيش »

— إلى طبقة التجار والمستبضعين الذين كان تَعَرَّض لى أحدهم فى الشارع وسألنى أن أتوسط المجمع فى وضع كلمة عربية تقوم مقام كلمة (مانيكور Manucur) الفرنسية ويراد بها علبة تتضمن مجموعة أدوات تُسَوَّى بها الأظفار وتجمَّل . فلم أوفق إلى إجابة سؤله واستمهلته ريثما يأتى دور هذه الكلمة فى (كلمات الشئون العامة) التى يضعها المجمع . أجبتُه بهذا وأنا خجِلٌ وكأننى أسمعه يقول لى : إلى أن يأتى دور هذه الكلمة تكون تغلغلت فى لغتنا ، ومَرِنت عليها ألسنة زبائننا والمستخدمين فى مخازننا ، فيصعب إذ ذاك تطهير اللغة منها . هكذا تخيَّلته يقول لى . وما زلت أتحيّن الفرص للعود إلى الحديث مع المجمع فى هذا الموضوع حتى كلَّفتنى إدارته أخيراً تهيئة اقتراح أقدمه إليه فى جملة الاقتراحات التى طلبت من الأعضاء

فقلت : ها قد سنحت الفرصة لاستمالة نظر الإخوان إلى هذه المسألة التى إذا قضوا فيها أمراً كان قضاؤهم مؤدياً إلى إصلاح اللغة اليومية . وهو ما رغب فيه الجمهور بأشد من رغبته فى أعمال المجمع الأخرى : فإن المصطلحات الفنية التدريسية ، وتسهيل قواعد اللغة ، وكتابة الأعلام الجغرافية ، ووضع المعاجم ، وتحقيق ألفاظها التاريخية — كل ذلك على ضرورته ، إنما تلمس فائدته بعد سنين . ولا يلمسها ويستفيد منها إلا طبقة المثقفين . فتبقى الحاجة ماسة والنقصُ ظاهراً فى نتائج أعمال المجمع فى نظر الجمهور كما يبقى المجال واسعاً أمام الناقدين .

والحق يقال إن اكتفاء المجمع فى أن يضع من نفسه لنفسه كلمات يسميها كلمات الشئون العامة ومعظمها من غريب اللغة ثم يودعها معجمه أو مجلته — محاولة قليلة الفائدة لا تحقق الجانب الأعظم من المثل الأعلى الذى أُنشىء المجمع لأجله ، ولا تشفى غلة جمهور الراغبين فى تعميم الإصلاح لكل ناحية من نواحى الثقافة اللغوية .

ولا يخفى أن حكم الجمهور — فى عرض المعلومات اللغوية عليه — ليس كحكم تلاميذ المدارس الذين تملى عليهم إرادة أساتذتهم فيتلقَّونها من دون تذمر ولا مناقشة ، وإنما الجمهور

كالمستهلك أمام مخزن التاجر وبضاعته . فإن وافقت ذوقه وإلا هجرها وبحث عن أخرى غيرها .

وفي المادة الثانية من مرسوم إنشاء المجمع الملكي إشارة إلى أن هنالك طرقاً يمكن سلوكها في جعل اللغة العربية وافيةً بحاجات الحياة في العصر الحاضر . وذلك (بأن يُحدد في معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب)

فأنا أرى أن يستفيد المجمع من هذه الطُرُق التي أشار إليها المرسوم (في جعل اللغة وافيةً بحاجات الحياة في العصر الحاضر) فتتألف لجنة من أعضائه تسمى (لجنة لغة الحياة العامة) أو (لجنة اللغة اليومية) ويكون لها فوق ذلك وظيفة الدعاية والنشر والاتصال بجمهور المتكلمين اليوميين على اختلاف أعمالهم ومصالحهم . فتتلقى من إدارات الصحف والدواوين والمحاكم والجمارك والبنوك والمعامل والمتاجر بل من كل سائلٍ الإشكالَ الذي يعرض له في شأن وضع كلمة عربية مكان كلمة أعجمية، أو استعمال تعبير فصيح مكان تعبير دخيل ، أو غير ذلك من الأسئلة المتعلقة باللغة اليومية مفرداتها وتراكيبها . .

وتعلن اللجنة اشتراطهـا على السائلين ألا تتجاوز أسئلتهم الاثنين أو الثلاثة لتتمكن من موافاة رغبتهم بالسرعة المطلوبة فتقرُّ بعض الكلمات أو التراكيب المختلف في صحتها أو تضع مكانها كلمات أو تراكيب عربية ثم تأخذ رأى المجمع فيما فعلت ، ثم تنشره في الصحف اليومية تحت عنوان (أوضاع لغوية مؤقتة) فتسمع رأى الفضلاء في هذه الأوضاع وتعدّل فيه وتحوّر حتى تنتهي إلى نتيجة يطمئن إليها القلب ويُرضى أكثرية السائلين، والصحف اليومية ومحرّروها هم لعمرى أول من يحسن أن تعتمد عليهم اللجنة في مؤازرتها وترويج عملها

نعم إنّ في هذا العمل كلفة وفيه مشقة ، لكن فيه فائدة عاجلة ، وإجابة رغبة مُلحة ، وإصلاحاً مباشراً محسوساً

هذا هو الاقتراح الذي قدمته إلى المجمع ويكفيني منه أن يقبله مبدئياً ثم هو ينظر في تنظيمه وتهيئة الوسائل التي تجعله منتجاً مثمراً

على أن اقتراحي هذا له التفات إلى اقتراح آخر علاقته به علاقة البناء بالأساس . ذلك أن قرار (التعريب) الذي وضعه المجمع في دورته الأولى كان مضيقاً جداً مذ جعل التعريب فيه من حق عرب الصدر الأول بحيث لا يجوز لنا نحن أن نقدم عليه ونقتحم حرمه إلا عند تحقق الضرورة القصوى . وتحديد هذه «الضرورة» من أصعب الأمور . كما أن إبهامها وشمول لفظها يؤدى بطبيعة الحال إلى جدل واختلاف كبير

ولعل المجامع اللغوية التي كانت تقوم في القاهرة لم تخفق في عملها إلا لاصطدامها بصخرة التعريب وتضييق الخناق فيه

فاللجنة التي اقترحت تأليفها وسميتها (لجنة لغة الحياة العامة) لا أراها تبلغ غرضها وتؤتى أكلها مالم يعدّل المجمع قرار التعريب المذكور ، فيجيز التعريب لنفسه بشروط أرفه وأوسع مما فصله في توجيه قراره الذي نشره في الجزء الأول من مجلته

فإن قدرت اللجنة على إقناع المجمع بذلك وإلا فلتقنعه على الأقل بلزوم قبول الكلمات الدخيلة اليومية المتفشية في لغتنا، والتي أصبح من المتعذر تطهيرها منها بالرغم من وضعنا لكثير منها مرادفات عربية فصيحة فاتت الفصحى وبقيت هي ، أو بقيت الفصحى حيةً بجانبها : مثلما بقيت كلة (بريد) حيّة بجانب كلة (بوسطة) ، و (حوذى) بجانب (عربجى) ، و (ردهة) بجانب (صالون)، و(مضخّة) بجانب (طلمبة) ، و(فندق) بجانب(أوتيل)

ولم تقو هذه الكلمات العربية على إماتة الأعجميات ، كما لم تقو كلمات (القَند . والكهكب . والأنَب . والحَيْصل . والحدَق) العربية على إماتة أخيهن الأعجمية . أعنى كلة (الباذنجان[1])

وهأنذا أذكر طائفة من الكلمات المعربة الفاشية إلى أقصى حد في لغتنا اليومية لتكون نموذجاً لما أريده بالكلمات العصرية التي لا تمكن إماتتها وينبغي الترخص في استعمالها :

سينما . صالون . عَرَبَة . عربجى . كلسون . جرنال . دستة . غاز . سراى . بلكون . شاويش . طاولة . سَبَت . شوال . بنك . بوسطة . فُرْشة . شنطة . فِلْم . كادر . أوتيل . كُنْرى . بُرنيطة . طلمبة . بوفيه

ولماذا لا يكون لهذه الكلمات التي وُلدت تحت مواقع أبصارنا حق في الحياة أسوة بكلمات أعجمية أخرى توارثنا استعمالها من دون نكير ولا يعرفها سلفنا الأول مثل كلمة : بقجة . بُودَقة . بركار . تخت . درابزين . درباس . دَرْفة . ماهيّة . طربوش . فوطة. الخ

ويمكن تلخيص اقتراحي في هاتين الجملتين :

١ — وجوب الاتصال بالجمهور للاستعانة به في إصلاح لغته

٢ — تعديل قرار التعريب : إما بتجوزه للمجمع ، بمقياس أوسع ، وإما باستثناء المعربات الحديثة التي تحجرت في لغتنا اليومية وأصبح من المستعسر تجنب استعمالها .

المغربي

(١) إنما سمى العرب الباذنجان حدقاً تشبيهاً له بعيون المها

الحـــــرب

تصوير السيرا. لاندسير من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»



يَا صُورَةً ترنو إليها العيونْ — واجمَةً كاسفَهْ
تُوحى إلى الأنفسِ هَوْلَ المنونْ — فى المَحْنَةِ الخاطفه
يَضِجُّ بالوَيْلاتِ هذا السُّكونْ — كأنما الأرضُ به راجفَه
لا يَمَّحِى الويلُ بها والشُّجُونْ — ولا تنِي رَعْدَتُهَا القاصِفَه

أرَى على الأرضِ طيوفَ الجحيمْ — فى هذه الغاشيَه
يَطُوفُ بالنَّاسِ عذابٌ أليمْ — مِنْ نارِهَا الحامِيه
نارٌ تَلَظَّى فى الورى من قديم — وأنهُرٌ مِنْ دَمِهِ جارِيَهْ

تَرُوعُنى كَبْوَةُ هذا الجوادْ — يَسْقُطُ لاَ مِنْ وَهَنْ
الذُّعرُ فى عينيه هَزَّ الفؤادْ — وزاد فيه الشَّجَنْ
كَمْ صَوَّرَ الرُّعْبَ بهذا الطِّراد — وما دهى النَّاسَ به مِنْ مِحَنْ

ماذا رَمَى الفارِسَ من صَهْوَتِهْ — يا عَيْنُ ماذا رَمَاهْ ؟
كَمْ كُرْبَةٍ لِلنَّفسِ فى ضَجْعَتِهْ — وَكَانَ غَضًّا صباهْ
المَوتُ لاَ يَنْقُصُ من رهْبَتِهْ — ما ذاعَ من أشْبَاهِهِ فى الحياهْ
مازالَ مِن (هَابِيلَ) في رَقْدَتِهْ — ماطَافَ مِنْ رُعْبٍ فأَصْمَى أخاهْ !

يَا سَاحِرًا لو أنَّ لى فَنَّهُ — لزدتُ فى رَسْمِهِ
أخُطُّ طِفلا مُرْهِفًا أُذْنَهُ — يُصْغِى إلى أُمِّهِ
يَسْتَوْحِشُ اللَّيلَ إذا جَنَّهُ — وما رأى أُنسًا مَدَى يومِه

يَلْثَغُ يا أُمَّاهُ طَالَ الغيابْ — أيْنَ تَوَلَّى أبى ؟
يَاوَيْلَهَا ! كَمْ لَفَّقَتْ مِن جَوَابْ — لِطِفْلِهَا الصَّاخِبِ !
ماذا جنت؟ طَالَ عَلَيْهَا العذابْ — أفٍّ لهذا الوالِدِ الغائب !

في سَاحَةِ المَوْتِ خَيالُ السَّلاَمْ — يزيدُ فى كَرْبِهِ
تطوف رؤيا بيته إذ ينام — وملتقي صحبه
لكنه يَفْزَعُ قَبْلَ القِيَامْ — مِن يقظة الأوهام فى قلبه !

يَاوَيْحَ للانسان من نَفْسِهِ — وَطَبْعِهِ الغَالِب
يُسَابِقُ الموتَ إلي رَمْسِهِ ! — أليْسَ بالذَّاهِبِ ؟
وغايَةُ المِسْكِينِ من بأسِهِ — ألويل للمغلوبِ والغَالِبِ !

الخفيف

السلام

تصوير السير ا . لاندسير من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»



سبحانك يا سلام ! !

لقد بسطت على الأرض المحروبة جناحك الرفيق المشْبِل ، فإذا الدار أمان والفزع اطمئنان والقلوب مؤتلفة والشمل جميع !

هذه ساحة الحرب أصبحت مرعًى للقطيع الراتع ؛ وهذه آلة الموت غدت رِكنًا للحمَل الوادع ؛ وهذا الوعْل النطّاح فى أمسه لا يدرى ماذا يصنع بقرنيه فى يومه ؛ وهذا الكلب الحارس نسى اللص والذئب فاستغرق فى نومه ؛ وهذه الأسرة الجميلة تنعم بعيشها الغرير تحت سماء الأمن ، فلا همٌّ على والد ولا حزن على ولد !

***

تباركت يا سلام !!

لقد مددت على الدنيا المكروبة ظلك الرخيّ الوارف ، فإذا الزرع جميم والخير عميم والحال متسقة والدهر مطيع !

هذه الغنم ترعى أثيث العشب هانئة فلا قنابلُ ولا نيران ؛ وهذه الطير تسبح فى صفاء الجو هادئة فلا صواعق ولا دخان ؛ وهذه السفينة تمخر فى عباب البحر مطمئنة فلا طرابيدُ ولا قرصان؛ وهذه الطبيعة تغرق فى فيض النعيم ووضاءة الفردوس مسترخية فلا خصام ولا عُدوان !

***

حنانيك يا فاطر السموات والأرض !

لقد سميت نفسك السلام ، وسميت ذاتك المؤمن : فلماذا جعلت للإيمان شيطاناً واحداً لا أكثر ، وجعلت للسلام شيطانين اثنين هما الدُّتشى وهتلر ؟ !

اللهم إن فى السلام نعمة ، وإن فى الحرب حكمة ؛ وبين نعمتك وحكمتك ضلت عقول الناس !

احمد عبد الملك

تطورات العصر الحديث
فى الخلق السياسى
للاستاذ محمد لطفى جمعة

نشرت مجلة أوربا Europe التى يشرف على تحريرها الأستاذ رومان رولان Romain Rolland أشهر كتاب فرنسا المقيم فى بلدة فيوفيل على شاطئ بحيرة ليمان بسويسرا دراسة مستوفاة عن حوادث السياسة التى استجدت فى أوربا بعد ظهور الفاشية والنازية، وألم فيها ببحث جليل عن حياة هتلر وموسولينى بقلم كاتبة أسراره سنيورينا ليندا ريتا لدى وهى التى خدمته بضع سنين ، فآثرنا تلخيصها لمجلة الرسالة التى يعد دخولها فى عامها السابع فتحاً جديداً فى العلم والأدب والثقافة المصرية (ل . ج)

فى تاريخ الأمم وأخلاقها ساعات حاسمة ومواقع فاصلة فتتميز عن الأخرى وتفضلها بالطريقة التى تقابل بها صروف الدهر فى تلك الساعات وهاتيك المواقع. ومثلها فى ذلك مثل الأفراد لدى الملمات والشدائد ، فترى أمة يهولها الاعتداء الأجنبى عليها ويفت فى عضدها ويضعف من نخوتها وينهك من إرادتها ، وما تزال تنحط وتتهالك وتنحل عناصرها حتى تتوارى وتهلك. وهذه عاجزة عن الكفاح فى سبيل الوجود وهى أمة كتب عليها الفناء . ولا فرق فى ذلك بين أمة قديمة أو أخرى حديثة ، عريقة أو طارئة ، متدينة بدين منزل أو وثنية ، شرقية كانت أو غربية. وهناك أمة تزداد قوة كلما تعرضت للآلام ، وتنمو فيها الفضائل الدفاعية والهجومية كلما اعتدى عليها الأغيار أو قبض على خناقها الغرباء والغرماء . تتيقظ فيها فكرة المجد كلما حاقت بها الأخطار ، وتدب فيها حيوية جديدة كلما حاول عدوها إدناءها من الموت ، وتسرى فى أعضائها دماء جديدة وتجرى فى أعوادها أمواه الحياة

لا نريد أن نعرض للنظامين النازى والفاشى بخير أو بشر ، لأننا لا نريد أن ننزل بهذا البحث إلى مستوى الجدل ، فإننا نحب أبداً أن نحلق فوق الحوادث الراهنة [1] وإن كنا نحترم السياسة ونقدرها . ولكننا نعلم أنها كثيرة المزالق ، ومواطن التحليل فيها تدنى من الخطأ الذى قد لا يغتفر . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النظام الفاشى الذى ابتكره السنيور بنيتو موسولينى المعروف فى العالم باسم دوتشى أى الزعيم ، وتبع آثاره هيرادولف هيتلر المعروف فى العالم باسم فوهرر أى الزعيم أيضاً ، قد أثبت وجوده وقدرته على الحياة فقدم بذلك البرهان التاريخى الذى لا بقاء لنظام اجتماعى أو سياسى بدونه ، كما قدمت حكومة السوفييت برهانها منذ سنة ١٩١٧ إلى يومنا هذا . وفوق هذا قد أثبت هذا النظام والقائمون به أنه أدى لوطنهم خدمة جلى وقضى على شرور كثيرة وجلب خيراً وفيراً ودل بذلك على أنه النظام الصالح للوطن الايطالى ، نظام المستبد المحب للخير despote bénévolent ، وقد أثنى عليه كل من شهده وجنى شيئاً من ثماره داخل إيطاليا. وقد قلب إيطاليا رأساً على عقب، وقال بعض محبذيه إنه جعل من بلادهم جنة على الأرض ، وإن الذين زاروا إيطاليا قبل تفشيه يكادون لا يتعرفونها بعد انتشاره وقيامه وتسلطه ، لأنه صبغ كل شيء بصبغته التى أساسها النظام المطلق والأمن المطلق والأمانة المطلقة ، ولكن هذا النظام العجيب الذى وحد كلمة الأمة وجعلها كرجل واحد وأخضعها لرجل واحد وعلق سائر آمالها برجل واحد ، قد حكم عليه ذووه بأنه نظام قومى ، حتى خطب الدوتشى نفسه فقال « إن الفاشية بضاعة لا تصلح للتصدير ، ولا تضمن أربابها خارج حدود إيطاليا » ولا نعلم إن كان قال هذا القول تواضعا أو حثاً للأمم على الاقتداء به ، ولكن وجب علينا أن نصدقه لأن رب الدار أدرى بما فيها . وإن كان هذا النظام قد انتحله هيتلر بتحوير كبير وطبقه فى بلاده حتى بذ التلميذ أستاذه . ولم نسمع بصاحب مذهب سياسى أو اجتماعى قبل الدوتشى يحجر على مذهبه ويحرم عليه الخروج من كسر بيته ، بل تعود أصحاب المذاهب أن ينسبوا إليها الصلاحية المطلقة والقدرة والنجاح فى كل زمان ومكان ؛ وإذن لا بد أن يكون سنيور موسولينى قد ذكر هذا الرأى عن مذهبه لحكمة خفيت عن سامعيها فى حينه. وإلا فكيف كان اغتباطه بالنازية واتحادهما وابتكارهما محور برلين روما ، ثم تشجيع فرانكو فى وطنه حتى ذاق الأسبان بأس بعض وخربت بلادهم حتى صارت يبابا .

(١) يشير إلى كتاب au dessus de la meleé فوق نطاق المعركة الذى ألفه أيام الحرب الكبرى

باسم مناصرة الفكرة الفاشية النازية. وأظن بعض الناقدين ألمعوا في كتبهم فقالوا إنه نظام يعلق الأمة بأهداب رجل بعينه ، فإن شاخ أو مرض أومات تعطلت الإدارة الحكومية وتلكأت في انتظار ظهور خير خلف لخير سلف، في حين أن الواجب يقضي بأن تكون القوانين العامة والخاصة هي الأداة الصالحة للحكم بدون اعتبار الأشخاص .

ومهما يكن حكم المستقبل على الفاشية فإن الكثرة من الكتاب الموالين لها أجمعت على نفعها في مسقط رأسها وخالفتها القلة المدركة من خصومها . ومنهم من أوذي وهاجر باختياره أو نُفي مرغماً؛ ومنهم من ألف كتباً صوب فيها سهام نقده إلى الفاشية .

وإن يكن في الظاهر ما يوهم بأن النازية الألمانية تقليد للفاشية الإيطالية ، فلا يصح القول بأن الهتلرية نوع من الفاشية أو تقليد لها ، وإن كانت تشبهها في تمرد رجل واحد بالسلطة . ولكن الذي يفرق بينهما هو أن الأولى قامت باسم الإصلاح الداخلي ونصرة ذوي رؤوس الأموال ومقاومة الاشتراكية ومطاردة العمال الذين احتلوا المصانع الإيطالية في سنة ١٩٢٢ وقدم زعيمها فروض طاعته للملك وجامل الكنيسة الكاثوليكية وانضوى تحت لوائهما . أما النازية الهتلرية فاشتراكية وطنية دينها عظمة دوتيشلاند ومجدها في غلبة الرايخ الثالث ، وقامت باسم حماية الوطن من الاعتداء الأجنبي والخلاص من قيود معاهدة فرساي وتنفيذ خطط بسمارك القديمة ، من التوسع في أوربا والشرق وتحطيم الشيوعية . وإذن قامت الهتلرية لتكون وسيلة لها غاية تخالف غاية الفاشية . دع عنك الاختلاف في أخلاق الأمتين وتاريخهما وعناصر حياتهما . وكلتاهما قد هضمت حقوق الفرد وجعلت الدولة هدفاً أسمى وإن كان في ذلك تأخير « المواطن » والتضحية به ، مما يختلف عن المدى الذي وصلت إليه الحضارة الحديثة في تفكيرها وسياستها ومجموع مبادئها ، ولا سيما عند الشعوب الإنجلو سكسونية والتيوتونية

وإذن لا تكون الهتلرية وليدة الفاشية ولا شقيقتها الصغرى ، لأن الهتلرية ثمرة التاريخ الحربي والسياسي في ألمانيا ، وخلاصة نوع من الفلسفة الروحية أو التصوف السياسي منشأه مجامع ميونيخ السرية التي بدأت أثناء الحرب . أما الفاشية ففكرة مبتكرة قامت في ذهن رجل واحد نتيجة لإدمانه قراءة كتابين : « وعود الزواج » لمانزوني [1] وكتاب الأمير لنيكولاما كيافلي . وقد صدق حسبانه أنه يصلح شعبه بتنفيذها ووجد معونة كبرى من الأسرة المالكة ومن أصحاب المصانع والكنيسة ، وتشجيعا من الشبان الطامحين إلى الحلول محل كهول الساسة وشيوخها ، وكانوا إذ ذاك متلهفين على القوت والمجد ، وكان بعضهم يرقبون المنقذ المنتظر يظهر فجأة في أفق الوطن وكان إذ ذاك خاليا في تلك الفترة من العظماء القادرين على حمل أعباء الزعامة . فوقع اختيار الحظ على موسوليني . كان بنيتو موسوليني في أول أمره صحفياً اشتراكيا متطرفاً ، يحرر في مجلة « أفانتي » إلى الأمام ، لسان حال الحزب الاشتراكي وزعيمه فيرو أحد أساتذة الجامعة . ولما أعلنت الحرب ساهم في أوائلها، ثم لم ترقه فهاجر إلى سويسرا حيث ذاق مرارة الفاقة والتسكع ، وعاد إلى وطنه يجرر أذيال الخيبة فحدث له ماحدث لاسكندكيرنسكي في بطرسبرج سنة ١٩١٧ . غير أن الفرق بينهما أنه استمر ونجح حيث تردد كيرنسكي فخاب. فهو ابن ثورة اقتصادية قلب ظهر المجن لحربه في اللحظة الأخيرة .

ولا يفوتنا أن أوربا أصبحت بعد الحرب مباشرة نهباً بين الديكتاتوريين فظهر من طرازهم بريمودي رفيرا في أسبانيا، وبانجالوس في اليونان، وبلودوسكي في بولونيا، وتحدثوا عن ديكتاتورية مزمعة في فرنسا ورشحوا لها أندريه تاردبو الذي كان رئيس وزارتها . ففي ظلال هذه الديكتاتوريات وفي مثار النقع الذي طاف بالأجواء قدمت الفاشية وأضافت إلى قميصها الأسود درع الديكتاتورية الفولاذي .

وتضافرت بعض الظروف التي لم تكن في الحسبان وهي نتيجة الحالة السياسية العامة في أوربا فجعلت لإيطاليا وألمانيا مكانة توشك أن تضع في يدها ميزان السياسة الدولية ، ولا سيما بعد فوزهما الأخير. وتراخت انجلترا وفرنسا في تأييد نفوذهما لانشغالها بالمسائل الداخلية. وجدت في الشرق حرب الصين وتفوق اليابان فانضمت إليها ألمانيا نكاية في روسيا . ورجعت أوربا في غير وعي إلى سياسة الاتفاقات السرية. ولعل التناطح بين الشعوب ليس إلا انطلاقاً بين الزعماء، ومظهراً لقوة إرادتهم ودليلاً على رغبتهم في الفوز والانتصار على مزاحميهم في ميادين المجد وعلو الصيت وضخامة الشهرة .

ولدى كل أمة من الأمم مؤثرات وعوامل فكرية تؤثر في نفوس بنيها ولا تكون الزعامة الصحيحة إلا لمن يعرف استعمال هذه المؤثرات والعوامل التي تتحكم في النفوس؛ فإذا ما اهتدى الزعيم أو المرشح

(١) لايزال الدوتشي يحتفل كل عام بموعد ظهور هذا الكتاب .

للزعامة إلى تلك العوامل تمكن بسهولة من جمع الأفكار وتوحيد الإرادات الفردية حول فكرته الخاصة وإرادته . وهيهات أن ينجح الزعيم ما لم يكن مفتوناً بالفكرة التي صار داعياً إليها حتى تستولى عليه استيلاء لا يرى معه إلا الفكرة التي ينادى بها ؛ وبدون هذا الإيحاء الذاتي لا يمكنه أن ينجح في التأثير في أذهان الجماهير ، لأنه لا شيء يحرك همتها مثل مظهر الإيمان الذي يبدو على شخص الزعيم . وإن يكن بعض الزعماء أو قادة الفكر ليسوا من النوابغ في صدق الآراء وصحة النظر ، إلا أنهم من أهل الهمة وذوي الإقدام . والفرق بين الفيلسوف والزعيم أن الفيلسوف كثير التأمل ، والتأمل يؤدى إلى الشك ، والشك ينتهي بصاحبه إلى السكون دون الحركة ، لأن الحركة لا تصدر إلا عن تصميم الإرادة وهو ثمرة اليقين ؛ أما الزعيم فلا يتأمل لأنه لا يشك ، وحينئذ لا يركن إلى السكون ؛ وإذن تكون قوة الإرادة للزعيم أنفع من سلامة الرأي وصدق النظر وحسن التبصر في العواقب ، ولكن الذي يفقده الزعماء من تلك الناحية تعوضه عليهم قوة اعتقادهم في سلطانهم على الجموع وتلك الجموع لا تصغى إلا لذوى الإرادة النافذة الذين يتسلط عليهم العقل الباطن ويملك زمامهم . فإذا ما أصبح صوت الزيم مسموعاً من جماعة ، اندمجت إرادتها في إرادة الزعيم وتناست شخصيتها والتفت حول الزعيم ذي الإرادة المتحدة .

يسألون عن الطغيان والجبروت والاستبداد كيف نمت في البيئات الدكتاتورية والزعامة في أول أمرها لا تحتاج إلى الاستبداد أو الطغيان ، والمشاهد أن الذين قاموا بأدوار الطغاة أفراد من المؤمنين الضعفاء الذين ليس لهم حول ولا طول سوى العقيدة والإيمان . فإذا ما وصل الزعيم إلى غايته احتاج حتماً إلى الاستبداد ليستبقيها .

ويعتمد الزعماء من هذا الطراز في تبليغ دعوتهم على الكلام والخطابة والكتابة ، وزعماء العالم اشتهروا بالفصاحة وقوة التأثير في الجماهير . وعمدتهم على تكرار جوامع الكلم لترسخ في أذهان سامعيها . وإذا رجعنا إلى خطب زعماء الفاشية والنازية فلا نجد إلا نفس المعاني أفرغت في قوالب شتى لعلمهم بغريزتهم وإدراكهم الباطني أن التكرار يترك أثراً عميقاً في أذهان الخاصة والعامة على السواء . فالزعيم حاذق في حفر فكرته في أذهان أتباعه .

وتبدأ الأفكار في الطبقات النازلة ثم ترتقي إلى الطبقات الوسطى فالعليا مثل انتشار أفكار الثورة الفرنسية وارتقائها من طبقات الشعب إلى الوزراء والعلماء . وكذلك الأديان فإنها تنتشر أولاً عند المظلومين والمحاويج والمحرومين والمعوزين إلى استعادة الكرامة والحقوق ، وهذا سر انتشار النصرانية والبوذية بين الضعفاء والفقراء . وقد سادت الاشتراكية أولاً طبقات العمال حتى وصلت إلى العظماء فصار منهم اشتراكيون متطرفون . وكان عدد الذين دخلوا في زمرة الإسلام من الأغنياء والكبراء محدوداً ثم أقبل عليه كل فقراء الجزيرة العربية وعاصمتها الوثنية (مكة) لأنه كان في أول أمره دين مساواة فاستظلوا بسلطانه[1] . وقد أدت الأحوال الطارئة في أوربا ، وضعف الحكومات في بعض الممالك بعد الحرب وسقوط العروش وتزعزع الثقة في الآراء القديمة . إلى حلول بعض الزعماء محل السلطات الحاكمة ومحو تلك السلطات وتلاشيها في أشخاصهم

محمد لطفي جمعة

على هامش الفلسفة

للأستاذ محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

هذه أولى كلمات اعتزمت بمعونة الله وتوفيقه موافاة مجلة الرسالة القراء بها إن تفضلت وفسحت لها مكاناً متواضعاً بينها رأيت فى نشرها خيراً لطلبة الأخلاق فى الأزهر وفى غير الأزهر لأنها تتناول بحوثاً لا يستغنى عنها دارس الأخلاق

دعانى إلى التفكير فى نشرها، بعد أن تعبت كثيراً فى تحقيقها، الرغبة الخالصة فى المساهمة فى إقامة الأخلاق ودراستها على دعائم علمية صحيحة ثابتة ، وما أعلمه من أن أحداً لم يتوفر على بحثها مع مسيس الحاجة إليها. وهل يليق بدارس الأخلاق أن يذكر مثلا « أنها علم من العلوم » دون أن يكلف نفسه عناء البحث فى صحة هذا الإطلاق أو عدم صحته ؟ ثم أليس من الضرورى أن يتعرف الباحث بعد ذلك المبدأ الذى ترجع إليه الأخلاق ، والطريق القويم إلى تحديد القانون الأخلاقى ؟

هذه المسائل التى تحتاج إلى صبر وطول أناة فى بحثها ، ونحوها من موضوعات الفلسفة الأخلاقية وما يتصل بها ، هى بعض ما عنيت وأعنى بدراسته ، وما أرجو أن أوفق فيه إلى الصواب إن شاء الله تعالى

الأخلاق والعلم

العلم اليقين ، أو المعرفة العامة المضبوطة الصادرة عن نظر وتمحيص ، أو المعرفة العامة التى تتجه فى جهودها نحو العموم للوصول إلى الحقيقة ، هذه التعاريف كلها بمعنى تقريباً . فهل الأخلاق وهى تبحث فى الخير والشر والحق والواجب وتعنى بتحديد القانون الأخلاقى وتعرف المثل الأعلى وما شابه ذلك من المعانى الكلية والبحوث النظرية — هل الأخلاق ، وهذا أهم مباحثها، يصح أن توصف بأنها علم من العلوم؟ وبعبارة أخرى هل وصلت أو تصل الأخلاق إلى آراء وأحكام تبلغ من العموم وقبول الناس لها حداً يجيزلنا وصفها بأنهاحقائق علمية، فيكون هذا الفرع من الدراسات الفلسفية علماً من العلوم التى تقرر حقائق وقوانين عامة ؟ هل هى دراسة علمية، أى عمل من أعمال العقل ، أو دراسة مرجعها التقاليد التى سيطرت على الأمم فى مختلف الأزمان والبيئات؟

نترك الإجابة مؤقتاً عن هذا التساؤل لنتعجل القول بأنه يعرض بادئ الأمر لمن يتساءل هذا التساؤل حقيقة واقعية تفرض نفسها فرضاً ، هى أن العلم على اختلاف أنواعه كعلوم الطبيعة والرياضة والمنطق والنفس والاجتماع والحياة والتاريخ ، لا يعارض الأخلاق ولا يحل محلها بل يتطلبها

العلم لا يعارض الأخلاق ، لأن العقل العلمى يدفعنا إلى معرفة الحقائق على ما هى عليه وفهمها دون أن نعتمد فى بحثنا على أية فكرة أو نظرية لم تمحص بعد تمحيصاً كافياً . لكنه لا يمنع أن نقابل بين الواقع وبين ما يجب أن يكون ، معرفة الواقع والحقائق العلمية لا تحول بيننا وبين أن يكون لنا مثل أعلى أخلاقى يسمو على ما تعارفه الناس جميعاً

كذلك العلم لا يحل محل الأخلاق ولا يغنى عنها . العلم يعرفنا الواقع فحسب فى مختلف مناحى الكون ومظاهره ، ولا يُعنى ألبتة بما كان يجب أو بما يجب أن يكون . هو يتحقق ولكن لا يحكم . كل العلوم التى أشرنا إليها وأمثالها — ومنها علوم النفس والتاريخ والاجتماع — لا تمدنا بمبادئ للسير والسلوك ، ولا بقاعدة نهتدى فى أعمالنا بهديها . لكنها فى الوقت نفسه لا تريدنا على أن نمتنع عن طلب هذه المبادئ خارجاً عنها

علم الحياة مثلاً يريك أن الأنواع الحيوانية فى تقاتل مستمر ، وأن الحرب بينها سجال . وويل للمغلوب فيها لأنها حرب الحياة أو الموت . القوى يفترس الضعيف ، والغلب والبقاء للقادر على تعديل نفسه حسب البيئة التى يعيش فيها . هذا هو قانون الحياة بين أنواع الحيوان ؛ فهل لنا أن نتخذ ذلك مبدأ لنا فى أعمالنا ؟ هل مما يتفق مع الأخلاق النبيلة أن نقرر أن الناس — كسائر الحيوان — يجب أن يصدروا فى أعمالهم عن مبدأ تنازع البقاء، وبقاء الأقوى ؟ أوالخير فى أن نحكم أنهم على العكس من هذا يجب أن يتساعدوا ، وأن يحترم الأقوياء حقوق الضعفاء ؟

وها هو ذا علم النفس يكشف لنا عما يتركز فى طبائعنا من ميول وشهوات وعواطف مختلفة ، منها عاطفة الأثرة وعاطفة الإيثار ، أليس لنا أن نعطى لكل من هذه الميول والعواطف قيمته الأخلاقية ؟ كذلك علم الاجتماع ، وقفنا على ما كان من حرب وتطاحن بين العالم فى العصور المختلفة القديم منها والحديث . هل هذا التحقق العلمى يكفينا للبت فى اختيار أى المبدأين : مبدأ الاحتفاظ بروح العداء بين الأمم والشعوب ، ومبدأ العمل على استئصال العداوة وبذر عواطف العدالة والمحبة العالمية التى تسمح لنا يوماً ما أن نصل إلى سلم عام نهائى وأخوة إنسانية متبادلة

الروح العلمى لا يتطلب منا أن نأخذ العلوم كدليل أخلاقى وحيد ، وإن شئت التعبير على نحو آخر لا يتطلب منا أن نأخذ

ممـا تكشفه لنا العلوم من حقائق وقوانين مثلاً أعلى نتجه إليه في أعمالنا ونسير على ضوئه وسناه

إن العلم لا يعارض الأخلاق ولا يغني عنها قط ، بل هو يقرر ضرورة وجودها ولا يستغني عنها ، وبدونها يكون إثمه أكبر من نفعه . ولنا في تحليل نفسيات العلماء وكشف العواطف التي كانت تسودهم في حياتهم وبحوثهم العلمية ألف دليل ودليل إن صح هذا التعبير . ففي هذه الجهود المضنية التي قام بها العلماء لفهم الطبيعة وأسرارها وللوقوف على النظم التي تسير عليها ، وفي تلك المشاق التي عاناها قادة الأمم وهداتها والمحسنون إلى الإنسانية ، نجد عاطفة أخلاقية كانت تملك على هؤلاء الأبطال ألبابهم ومشاعرهم وتسوقهم إلى أداء رسالاتهم متحملين في سبيل ذلك ما تهد دون بعضه عزائم صغار النفوس ؛ تلك العاطفة هي الرغبة في خدمة الإنسانية وتحسين حالتها المادية والعقلية . وأيضاً القيمة العالية التي يراها العلماء للعلم ، تفرض أن الأعمال الإنسانية ذات قيم مختلفة : منها العالي ومنها الدون ؛ فالعلم مثلاً أفضل من الجهل ، والهدى خير من الضلال ، والسعي لمعرفة الحقيقة خير من مقاومتها . إذن واجب البحث عن المعرفة وإعلانها يفرض الواجب بصفة عامة ، والمثل الأعلى العلمي يفرض أن هناك مثلاً أعلى عاماً يجب أن ننشده جميعاً

كذلك حب الحقيقة ، وعدم التحيز للهوى ، والإخلاص ، والصبر ، والجمية في العمل ؛ هذه صفات أخلاقية بدونها لا يتحقق عمل طيب علمي بل ولا علم أيضاً . العالم كالرجل الفاضل يستشعر سروراً عالياً روحياً ؛ هو الرضاء بالواجب المؤدي بنبل ، والحياة تقضى في شرف وأمانة . يقول الفيلسوف الفرنسي « إرنست رينان[1] » في كتابه مستقبل العلم : « المعرفة بين جميع الإنسانية أسماها قدراً ، لأنها أكثر بعداً عن الهوى ، واستقلالاً عن المسرات » ثم يضيف : « وإنه لمن العناء الذاهب سدى أن يدلل المرء على قداستها وسموها ، لأنه لا ينكر ذلك إلا من لا يعترف لشيء بالسمو والقداسة »

والمؤرخ الفرنسي العلامة « أوجستين تيري » الذي عمي لإفراطه في أبحاثه الدقيقة التفصيلية يذكر في مقدمة كتابه : « عشر سنوات في دراسات تفصيلية » أنه لو خُيِّر في اختيار حياة له ثانية لما اختار إلا أن يكون أيضاً عالماً مؤرخاً ؛ لأن الدراسة الجادة الهادئة مأمن وأمل وحرفة يلي المرء فيها حياته بشرف ... أعمى ومتألم بدون رجاء وبدون راحة ، يمكنني أن أتقدم بهذه الشهادة التي أعتقد أنها لن تكون موضع شك بحال ؛ هي أنه يوجد شيء في العالم خير من الثروة وسائر المسرات المادية ومن الصحة أيضاً : هو الإخلاص للعلم[1] »

هكذا الدراسة العلمية وتحليل نفسيات العلماء ، يكفيان لبيان أن الخير والشر ، وهما موضوع الأخلاق ، يلاحظان دائماً في كل البحوث والدراسات العلمية على اختلافها .

والآن نعود إلى التساؤل الذي صدرنا به هذا البحث ؛ وهو إذا كان العلم — كما تبين — لا يعارض الأخلاق ولا يغني غناءها ، بل يسير معها جنباً لجنب ، هل لنا أن نسير في البحث خطوة أخرى لنعلم ما إذا كانت الآراء والحقائق الأخلاقية تبلغ من العموم حداً يجعلها حقائق علمية ، فتكون الأخلاق علماً من العلوم ؟ الأخلاق علم إذا كان هناك حقائق أخلاقية عامة ؛ ولكن هل البحث الأخلاقي يكشف لنا حقائق أخلاقية عامة للجميع ؟

جواب ذلك فيما يتبع هذا من بحوث إن شاء الله تعالى .

محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

(١) إرنست رينان عالم نقادة وفيلسوف فرنسي ومؤرخ معروف ولد سنة ١٨٢٣ وتوفي سنة ١٨٩٢

(١) F. Challaye: Philosophie scientifique et philosophie morale



من ذكريات لندن

غـــريب

للأستاذ عمر الدسوقي

ولّت شهور الصيف مسرعة وأذّن مؤذن الواجب والدرس فلبيت كما لبى رجال يرجون حسن الثواب، وغادرت فرنسا والجسم هزيل، والفؤاد عليل، والذاكرة تغص بصور من الحياة ذات ألوان. طفقت الباخرة تسير باسم الله مجريها ومرساها صوب «نيوهيڤن» وما كادت تغادر المرفأ حتى هبت العاصفة، ففتّحت أبواب السماء بماء منهمر، وأعتم الجو، وزأرت الريح وزمجرت، وعبثت بالسفينة كما يعبث الوليد بخذروفه، وعادت لا تستقر على حال من القلق، يجور بها الملاح طوراً ويهتدي؛ تعلو فكأنها على قنة جبل، وتهبط فكأنها بين طيات الأخاديد، والأمواج تلطمها من غير شفقة ولا رحمة، وتدفعها بعنف ذات اليمين وذات اليسار وكأنها جبار يصب جام غضبه على صبي لا يملك لنفسه حولاً ولا طولاً، اللهم إلا البكاء والعويل؛ فكنت ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنهم من دوار البحر في ألم مرير؛ وصراخ النساء يشق عنان السماء، ونحيب الأطفال يصدع الصخور الصماء؛ ولو كان للطبيعة الصاخبة قلب لرق ولان؛ وأنى لها وقد أطلقت لشياطينها العنان فأذاقونا العذاب الهون، أربع ساعات وكأنها أربعة قرون

وبعد لأي رست السفينة على الشاطئ الشمالي من بحر «المانش» وتنفست كما تتنفس الناس الصعداء، ووطئت قدماي الأرض، وأخذت ألمسها بيدي لأرى أثابتة هي أم متحركة؛ ونجوت بعد ما يئست من النجاة، نجوت بعد أن كنت أصارع الداء والقيء، والدوار والإعصار. نجوت بعد أن هتفت باسم أهلي فرداً فرداً، والشقة بعيدة بيننا، وليث المنية فاغر فاه، والناس من حولي في شغل لكل منهم شأن يغنيه

تحرك القطار صوب لندن، فأوجست منه في بادئ الأمر خيفة، إذ كنت لا أزال حديث عهد بالسفينة القلقة، بيد أن الطمأنينة أخذت تتسرب إلى الفؤاد شيئاً فشيئاً حتى برحته الهواجس، وغادره الوجل

ها ... قد وصلنا إلى لندن!

لست غريباً عنك أيتها المدينة العظيمة! كنت آتيك من قبل زائراً، وهأنذا آتيك مستقبلاً مستوطناً، فرحبي بالمهاجر الغريب، وابتسمي له، لعله ينسى عذاب الغربة، وقسوة البحر، وألم المرض. لن تضيقي به ذرعاً وهو فرد من تسعة ملايين، فأكرمي وفادته، واطردي وحشته، لعله يذكرك يوماً بالثناء، ويعرف لك هذه اليد البيضاء، وهو بين أهله وذويه

كنت أحدث نفسي بهذا، والسيارة تقلني إلى بيت كنت أعرج إليه كلما مررت بلندن؛ ووقفت السيارة، وطرقت الباب فخرجت ربة البيت، ونظرت إلي فأنكرتني. رأت جسماً هزيلاً قد أنهكته العلل، ووجهاً شاحباً قد لفحته الشمس فعادت سمرته مخيفة رهيبة، وسمعت لساناً متعلثماً ينبئ عن نفس مضطربة وفكر تعب، فحملقت وترددت في الكلام ثم قالت:

— آسفة يا سيدي فكل غرف المنزل مشغولة

— ألا تعرفين بيتاً آخر أقضي فيه الليل، فأنا كما ترين، أحوج ما أكون إلى الراحة

فأشارت إلى بيت جارتها، فحييتها وانصرفت شاكراً. ثم طرقت باب الجارة وسألتها في أدب ولطف، فاعتذرت

وأخذت السيارة مرة ثانية تعدو بي في شوارع لندن. وكلما رأيت فندقاً استوقفت السائق، وذهبت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأسأل في تردد وهيبة عن غرفة شاغرة أقضي بها سواد الليل، وأريح جسمي المتهدم وعقلي المنهوك، وفي كل مرة أجاب بأن الفندق غاص بالزوار، وأعود أدراجي إلى السيارة لأواصل البحث ولسان حالي يقول: وافق حظاً من سعى بجد. بيد أن لندن لاحت حينذاك وكأنها صحراء مقفرة، أخب فيها بين رمال ونجاد وصخور ووهاد، أو كأني بمدينة قد عفت وأتت عليها يد البلى والحدثان، أو كأني لا أزال على ظهر السفينة أطلب النجاة بين الماء والسماء

آه يا لندن ... ! ما هكذا حسبتك، أحقاً لا يوجد فيك سرير لغريب يشكو المرض ويطلب الراحة، وأنت عروس

الإمبراطورية العظيمة وأكبر مدن العالم ؟

ليت شعرى ما للقوم كلما رأونى ازوروا عنى ورفضوا سؤلى ، بعضهم فى أدب وبعضهم فى فظاظة ؟ وهل أقضى الليـل هكذا أجوب الشوارع والطرقات ؟

أين مصر ؟ أين مصر ؟

وأخيراً تشجعت وطرقت باب أحد الفنادق ، فخرجت سيدة عوان ، ينم وجهها عن شيء من كرم النفس والأريحية ، فسألتها : أعندك غرفة شاغرة يا سيدتى ؟

— آسفة

— أنا كما ترين مريض متعب من سفر مضن شاق ، وقد قضيت وقتا غير قصير أبحث عن غرفة فلم أوفق ، فإذا كان عندك مكان آوى إليه كنت أهلاً لشكر عميم ، وأجر مضاعف

— آسفة يا سيدى

— لا بد من المبيت هنا مهما يكن الأمر

وأخرجت متاعى من السيارة ، ونقدت السائق أجره وقد أربى على الجنيه ، والسيدة تتعجب من تصرفى

— إسمحى لى يا سيدتى فلم أعد أقوى على مواصلة البحث

— ولكن ...

— ولكن ماذا ؟

— الفندق خاص بالإنجليز ولا نقبل فيه أجنبياً ولا سيما إذا كان أسمر البشرة

وهنا ثارت ثائرتى ، وللمصرى نفس عزيزة تأبى أن تهان ، وبه كبرياء تلهب نار غضبه إذا مست كرامته ، ولا سيما إذا كان ببلد غريب ، وقد سمعت مراراً بمعاملة الإنجليز لسمر الوجوه ، ولكنى لم أجرب هذه القسوة من قبل ، وكنت حين يجلينى أصحاب الفنادق ألتمس العلل والمعاذير ، ولم يخطر ببالى قط أنهم يرفضون لأنى « رجل ملون » . أما وقد سمعت هذه الكلمات ، فلم يعد هناك ريب فى اكتناه السر الذى تحيرت فى كشف طلاسمه منذ ساعة ، وخاطبتها بصوت تنم نبراته عن ثورة نفسية عنيفة وكرامة مهانة

— إنك لا شك مخطئة ياسيدتى ، فأنا لست زنجياً ولا هندياً ، ولا نوبياً ولا حبشياً ، بل إنى مصرى ، تجرى فى عروقى أنبـل الدماء ، وحسبك أن تعرفى أننا من أرقى الشعوب مدنية وحضارة قديماً وحديثاً ، ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته ومكانته ، أن يلحقنى بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ، ويعدهم دونه فى الذكاء والمدنية . على أننى لست فى مقام جدال ، فسأقضى هنا ليلتى ، ولك أن تخبرى رجال الشرطة إذا شئت ، ولا سيما إذا كان عذرك هو ما سمعت

ولجت الباب دون أن ألتفت إليها ، وطلبت من الخادم أن تدخل متاعى ، ولحقتنى السيدة دهشة حيرى وقالت :

— مهلاً حتى أريك غرفتك ، وحـذار أن تظن بى شراً ، فأنا براء من هذه العقيدة ، ولكنى أحرص على راحة عملائى ، ومنهم من يعارض أشد المعارضة لوجود رجل ملون بالفندق ، ويهدد بالرحيل ، وتشويه سمعة النزل ، وأكثرهم فى ذلك لجاجاً وغلوا ضابط متقاعد ، رأى الشرق عن كثب ، ودأب على ذكر نقائصه ، وعورات أهله ، وأنهم ليسوا إلا همجاً لم يشرق عليهم نور المدنية بعد ، وأن سكناهم معنا مدعاة لتعكير صفو حياتنا وهنائها إذ لكل إنسان عادة لا يستريح إلا لها . أما أنا فمن أصل فرنسى ، وفى ديارنا لا يعيرون هذه الفروق الجنسية اهتماماً ، بيد أنى مضطرة لمجاراتهم ، ما دمت قد اخترت هذه البلاد موطناً لى ، واخترتهم عملاء لفندق ، فلعلك مقتنع بفكرتى . وحين أسمح لك بالمبيت ها هنا لا أرجو إلا شيئاً واحداً ، هو أن تتحاشى رؤية هذا الضابط ، وسأرسل إليك طعام الفطور بغرفتك .

— شكراً لك ياسيدتى ، غير أنك أثرت فى نفسى شعوراً ليس من السهل علىّ إهماله ، ألا وهو محادثة هذا الضابط .

— ليس إلى ذلك من سبيل .

— سنرى .

وانطلقت إلى غرفتى أشد ما أكون تعباً وإعياء ، ولم أكد أنتهى من خلع ثيابى ، والاستلقاء على السرير حتى أتت السيدة بكوب من اللبن ، وقالت فى رفق :

— إنك مريض ، ولعلك بحاجة إلى دواء ، فهل لى أن أقوم بأية خدمة ؟

— شكراً ياسيدتى ، فالدواء عندى ، وسأتناوله بعد هنيهة ، عمى مساء ، وسأراك غداً .

فكرت ملياً فيما رأيت وسمعت ، ثم غلبنى الإعياء فنمت ، وما إن لاحت تباشير الصباح حتى نهضت ، وأنا أحسن

من البارحة حالاً ، وأهدأ بالا ، غير أن النعرة القومية عاودتنى ، فأذكرتنى مأساة أمس ، وأن واجبى هو تبديد هـذه الأوهام والأباطيل من عقول هؤلاء المرضى بحمى الغطرسة والكبرياء ، وإقامة الدليل لهم على أن المصرى ، وإن تكن السياسة قد جارت فى حكمها عليه ، إلا أنه أبى ذكى ليس من اليسير أن يسكت عن ثأر فى ميدان الكرامة ، أو يصمت عيا فى ميدان الدفاع عن القومية . فلبيت نداء حسى وشعورى ، وارتديت ثيابى على عجل وأسرعت إلى غرفة الطعام ، والقوم لا يزالون نياماً ، وأخـذت ألهو بقراءة جريدة حتى مضى بعض الوقت ، فأخذوا يغدون ويجيئون ، دهشين ، متعجبين ، وأنا أرد تحيتهم فى برود مصطنع يخفى تحته نفساً ثائرة على هذا الجهل بمنازل الناس وقيمهم ، وعلى هذا النفاق والرياء .

وأخيراً دخل الضابط ورد تحية الجلوس ، وأجال فى الغرفة نظره فلمحنى ، وظننت بادئ ذى بدء أن وجهه سيتجهم وأنه سيتمتم ويدمدم ، ويثور ويفور ، ولكنه حيا ببرود وجلس ، فجلست تجاهه على الخوان ، وأخذنا نتناول طعام الفطور فى صمت ، وكأننا فى مأتم ، وهممت بالحديث مراراً غير أن الرهبة عقدت لسانى فلم أنبس ببنت شفة . وبعد لأى سنحت الفرصة ، فقدمت ربة الدار ، ووزعت على الجميع تحاياها وابتساماتها ، ولم تظهر امتعاضاً لوجودى بل سألتنى كيف قضيت ليلى ؟

— على خير يا سيدتى ، شكراً . إنى ليسرنى أن أتعرف بجندينا الذى ذكرته أمس ، فهل تكرمين بتقديمى له ؟

— بكباشى سمث . صديقنا هذا من مصر ، وقد حدثته عنك أمس ، وأنك زرت بلاده ، وعرفت أهلها وحدثتنا طويلاً عنهم .

فأجاب الضابط فى فتور .

— هذا حسن ، وأومأ إلىّ برأسه ، فقلت :

— إنى ليسرنى أن أتشرف بمعرفتك ياسيدى ، ولقد أنبئت أن لك رأياً خاصاً فى الشرق والشرقيين ، يحملك على الأنفة والترفع عن مخالطتهم ، ولو سمحت وبينت لى هـذا الرأى لكنت لك من الشاكرين .

فألقى على ربة المنزل نظرة كلها تعنيف وتأنيب ، ولاح عليه بعض التردد ، غير أن بقية الزوار حثوه على الكلام قائلين :

دعنا نسمع رأيك ، والرد عليه ، فطالما حدثتنا عن الشرق أحاديث تقشعر منها جلودنا ، ولم تجد بيننا من يدحض رأيك أو يعترضك ، وها قد سنحت الفرصة لمعرفة الحق .

فكرر ما قالته ربة البيت ليـلة أمس ، وزاد أن الشرق لا يصلح إلا وعنانه بيد الغرب ، وأن الشرقيين لم يخلقوا للمدينة الأوربية ، والأولى بهم الاستمساك بعاداتهم الهمجية ، وترك التقليد الأعمى ، وأما مسألة الترفع فذلك أن لكل قوم عادة ، وليس توافق العادات بالأمر الهين ؛ ثم إن مركزنا الأدبى فى العالم يقتضى أن نترفع عن الشعوب الملونة ، ونشعرهم بمكانتنا التى لا تسامى حتى ندخل فى قلوبهم الروع والرهبة ، وحتى نعودهم الصغار والذلة . وتلك سياسة رجال الجيش البريطانى فى المستعمرات ، وإن لم نفعل ذلك تجرأ علينا الأهالى ؛ وذهب سلطان الحكم وجلاله .

— آه ! الآن عرفت الحقيقة ، إذاً لا يوجد هناك تفوق فى الذكاء ، كما لا يوجد تفوق فى ميدان الحضارة والاستعداد لتقبلها ، ولكن المسألة استعمارية بحتة . إن كان الأمر كذلك ، فإنى أتنبأ لامبراطوريتكم بالزوال العاجل . إن هذا الترفع ، وهذه الكبرياء تبعد بينكم وبين تفهم نفسيات الشعوب المحكومة ، وتجعلها دائماً تشعر بأنكم أجانب ، وتملأ قلوبهم قيحاً ، وتشحنها غيظاً ، وتحرك فى نفوسهم نار الثورة الهامدة ، فيهبون لطردكم والتنكيل بكم . لم لا تحتذون حذو العرب ، وقد أسسوا بنيان ملكهم على قواعد من المساواة والمحبة والإخاء ، ولذا تشرب المحكومون تعاليم دينهم ومدنيتهم وتعلموا لغتهم ، واندمجوا فيهم . لست هنا لأعطيك والحكومة البريطانية درساً فى فن الاستعمار ، ولكن الاستعمار فى رأيى ورأى العقلاء ، ليس استعباداً ، اللهم إلا فى رأيكم أنتم .

— مرحى ، مرحى ! ! هكذا هتف بقية الزوار ، ما عدا الضابط الذى وجد فىّ مجادلاً يكيل له صاعاً بصاع ويقرع الحجة بالحجة . ثم استأنفت الحديث منتهزاً فرصة صمته :

— يخيل إلىّ أنك لم تعرف المصريين حق المعرفة ، وإلا كان حكمك عليهم غير ما سمعت ، ليست القضية يا صديقى ، قضية تفرقة فى الألوان ، فها هى ذى اليابان قد بزتكم فى ميدان الصناعة وغزت دياركم بمنتجاتها ومخترعاتها ، ولولا عهد الأتراك بمصر ، ولولا تدخلكم فى شئوننا ، لكنا اليوم أمة لهـا فى ميدان العلم والنور

ورد المســـاء

مهداة إلى أستاذى الدكتور عبد الوهاب عزام

للأديب محمد أحمد البنا

انطوت صحيفة النهار ، وآب العالم من رحلته فى اليوم الجديد ، ورست السفينة على شاطئ بحر الحياة . ولم يبق من الأصيل إلا المسجد المنثور على أطراف النخيل وعلى أمواج النيل

وعاد العاملون إلى مساكنهم ، والطيور إلى وكناتها . وسبح لله ما فى السموات والأرض

ثم استقرت الأكوان . وخشعت الأصوات للرحمن . وكأنها تتناجى فى حمد خالقها وشكر بارئها ببلاغة الصمت فى لسان الحال . بعد بلاغة الإفصاح بلسان المقال

* * *

إلٰهى : سبحانك يا من جعلت الليل سكناً ، والمساء وطناً لترد إلى المتفرقين ألفتهم ، وإلى المتعبين المكدودين راحتهم ؛ ليهنئوا بالنام ، ويأنسوا فى دولة الأحلام

إلٰهى : سبحانك يا من جعلت الليل لباساً والنهار معاشاً . كما خلقت الأرض مهاداً رحيباً والسماء سقفاً مرفوعاً

ربّنا : عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير

إلٰهى : لقد بكرنا إلى الكفاح مع الصباح المقبل فى نور رحمتك ، ثم عدنا فى ظل سكينتك مترنمين بشكرك ، ونحن بنعماك آمنون ، وعلى جانبك القوىّ متوكلون

أسلمنا الجنوب إلى المضاجع ، والجفون إلى وساد الكرى على أمانٍ من عينك الساهرة ، واطمئنان من رعايتك الوافرة

إلٰهى : لئن أثقلتنا الأوزار ، وأنقضت ظهورنا الخطايا ، وتنازعت قلوبنا المعارك الدامية من حرب الحياة القائمة ، وصراعها الدائم ؛ فإن لنا من برّك مرجعاً ، ومن الرجاء فيك موئلاً ، ومن رضوانك مستقراً ومقاماً

إلٰهى : إن لك علينا من الآلاء ما لو كان كل نفس من أنفاسنا كلمة حمد وآية شكرٍ لك على عظيم آلائك وجزيل عطائك ما كنا نوفيك بذلك كله حقك فتقبل منا إنك أنت الوهاب

إلٰهى : وآمن روعنا وأمّن سربنا وارزقنا فى الضعف قوة ، وفى الخوف أمناً ، وامنحنا من لدنك نوراً يهدى ضمائرنا ، ويرشد حائرنا ، ويؤلف على الحق مشاعرنا

لك يا إلٰهى أولنا وآخرنا ، وباطننا وظاهرنا . لا تخفى عليك خافية من أمرنا ، فمنك خلقنا وإمدادنا ، وإليك مردّنا ومآبنا . فامنحنا القوة لليوم الجديد ، واحينا فيه على خير ما تحب لنا وترضاه منا ، وهب لنا من لدنك رحمة . وهيئ لنا من أمرنا رشداً

محمد أحمد البنا
بكلية الآداب

شأن رفيع . على أننا لم نيأس بعد ، وسوف تسمع اسم مصر يكتب فى سجل الخلود بماء من ذهب ونور . ثق تماماً أن المصرى يفوقك فى الذكاء ، وتفوقه فى القوة المادية ، أما « اللون » فكلنا من آدم ، وآدم من تراب ، وكتبكم المقدسة على ما أقول شهيد . لست أريد إقناعك ، ولكنى أرضى كرامتى ، وعزة نفسى ، وأعطيك درساً فى احترام غيرك مهما يكن جنسه ولونه ، حتى تخبره ، وتعرف خلاله وتفكيره ، والآن اسمحوا لى سادتى بالانصراف وأشكركم على كرم وفادتكم

غادرت المنزل واستوقفت سيارة ووضعت بها متاعى ، وأخذت أبحث مرة أخرى عن مسكن أقيم فيه وأتفرغ للجهاد فى سبيل العلم

آه يا لندن ... لقد جرعتنى نُغَب الهمام أنفاساً ، وأريتنى ليلة أمس وجهاً عبوساً متجهماً ، وأعطيتنى درساً لا ينسى . أهكذا يفعل أهلك بالغريب ؟

سلوا قراه وهرّته كلابهم وجرّحوه بأنيابٍ وأضراس

محمد الدسوقى

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشــــا

للاستاذ محمود الخفيف

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال ...

— ١ —



تحت هذا العنوان نضع اسم شريف ، وفى هــذا المجال نأتى بقبس من سيرته ؛ ومن أولى من شريف أن يتبوأ بين الأبطال مكاناً عليًّا ، إذا نحن ذكرنا رجال حركتنا القومية ؟

ولئن كانت جهود شريف لم يفد منها غير وطنه ، ولئن لم يدو اسمه فى آفاق العالم كما دوت أسماء غيره من الأبطال ، فكثير سواه كانوا فى ذلك مثله ، خطورتهم فى أوطانهم فحسب ، ومع ذلك فلم ينكر عليهم بطولتهم إلا ظالم أو ذو غرض ... وما البطولة فى جوهرها إلا أن يسمو الرجل على الحوادث ويقهرها إن غالبته، وأن يسخرها ويوجهها إن سالمته ، فإن لم يتسن له هذا ولا ذاك كان فى كفاحه ومقاومته وتعاليه عن أن يذل أو يذعن دليل رجولته ومقياس بطولته . وما كانت الشهرة من دلائل العظمة أو من بواعثها ؛ فلكم تشهد الحياة من رجال يحسبهم الغافل من أوزاع الناس وإن لهم لنفوساً تنطوى على عناصر البطولة كأكمل ما تكون البطولة ...

ولقد كان شريف عظيماً بنفسه قبل أن يكون عظيماً بمنصبه. كان رجلاً فى عصر عزت فيه الرجولة وتطامنت فيه أقدار الرجال إما من شر يتقونه أو خير يرجونه ... ولذا يعتبر شريف بحق خالق جيل وباعث نهضة ، فهو فى عصره كان الرجل الذى اجتمعت فيه الرجال ، وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال ...

وكان شريف تركى العنصر ما فى ذلك شك ، ولكنه لم يعرف له وطناً غير مصر ولا قوماً غير بنى مصر . ولما بلغ أشده كان من رجال هذا الوادى فى طليعة العاملين منهم والمجاهدين ؛ يتلفت الرجال إذا حزبهم أمر أو أخذتهم حيرة فلا تستقر أعينهم إلا على شريف، ولن يتقدم لنصرتهم فى مواطن الخطر والشدة غيره

تم الأمر فى مصر لمحمد على ، ذلك العصامى الفذ ، وأمعنت جنوده فى صحارى العرب وفى مطارح السودان ، وتهيأت مصر لأن تستقبل على يد هذا البطل عصراً من عصور يقظتها كان الجيش فيه المحور الذى تدور عليه نهضتها . وفى صدر هذا العصر الفتى ولد محمد شريف ، فكان مولده بالقاهرة فى شهر نوفمبر من سنة ١٨٢٦ وحمله أبوه، وقد انقضت مدة خدمته بمصر معه إلى الآستانة .

وكان هذا الأب فى مصر قاضى قضاتها ، ولكنه لم يلبث بالآستانة إلا بضع سنين ثم اختير للحجاز ، فمر بمصر ومعه ابنه ؛ ووقعت عينا واليها على الغلام ، وكانت عينا الوالى تلمحان النجابة فى سرعة عجيبة ، ولذلك طلب إلى أبيه أن يبقيه عنــده ليقوم على تربيته .

وكان محمد على يومئذ فى ذروة مجده تهدد جيوشه عرش الخلافة وتحمل على الإعجاب به فرنسا، وعلى الحنق عليه انجلترة ؛ وكان همه منصرفاً إلى الجيش ، فإذا بنى الرجال وأعدهم ، فإنما يكون ذلك ليتخذ منهم دعائم جيشه

وبقى الغلام فى القاهرة وأدخل المدرسة العسكرية التى أنشأها الوالى بالخانكة ، فيمن أدخل من أبناء الأمراء ووجوه القوم؛ ومن ذلك الحين صارت مصر وطن شريف الذى لا يعرف له وطناً سواه

وهكذا نشأ شريف نشأة عسكرية ؛ ولكن جيش مصر ما فتئت انجلترة تعمل على القضاء عليه حتى تم لها ما أرادت ،

ولما نزل شريف في سن اليفاعة ؛ واستطاع بالمرستون أكبر الكائدين لمحمد على أن يرغم الباشا عام ١٨٤١ على « أن ينكمش في قوقعته الأصلية في مصر » . وجاء في فرمان السلطان في تلك السنة للباشا المغلوب على أمره أنه « يكفي أن يكون لمصر ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة في داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدوا هذا العدد لأي سبب ما . . . » وأذعن الباشا ولم تغنه صلته بفرنسا ومظاهرتها إياه ؛ فما كانت انجلترة لتسمح بظهور مثل قوته في مصر وهي التي جعلت أساس سياستها منذ الحملة الفرنسية ألا يقوم في وادي النيل نابليون آخر

وكان الأجدر بالشباب بعد هذا أن يتجهوا وجهة غير وجهتهم العسكرية . لقد أوفدت الحكومة فريقاً منهم إلى فرنسا في عام ١٨٤٤ ، وكان من هذا الفريق محمد شريف ، فاختار أن يدخل مدرسة سان سير الحربية

كانت هذه المدرسة التي التحق بها شريف من أشهر المدارس يومئذ ؛ وإن في اختياره المدرسة الحربية في تلك الظروف لدليلاً على أن الجندية كانت توائم طبعه ، ففي الجندية الصحيحة حياة الإقدام والهمة والنظام والطاعة ، وتلك صفات امتاز بها شريف رجل السياسة فيما ظهر من أعماله بعد

قضى شريف في تلك المدرسة عامين تجلى فيهما ذكاؤه وطموحه ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة تطبيق العلوم العسكرية ، فلبث بها عامين آخرين انتظم بعدهما في سلك الجيش الفرنسي كما تقضي قوانين تلك المدرسة ليأخذ قسطه من المران العملي ؛ ثم تخرج شريف ونال رتبة يوزباشي أركان حرب في ذلك الجيش

ولم تله شريفاً شؤون فنه عن غيره من الفنون ، فراح يقرأ التاريخ والسياسة ، ولا يفتأ يستزيد من المعرفة ، مستعيناً في ذلك ببصيرة نيرة كانت من أظهر مواهبه ، وعزيمة صادقة كانت في مقدمة خلاله ؛ وأتقن شريف الفرنسية وحذقها حتى لقد كان يعجل بها لسانه كأنه أحد أبنائها ، كما درس شريف طباع الفرنسيين ووعى قلبه ظرفهم وأناقتهم ، حتى صار بينهم وهو ذلك الفتى الشرقي وكأنه منهم ، ولذلك لقب « بالفرنساوي » وصار يجري لقبه هذا على ألسنة معاصريه .. وليس معنى ذلك أن شريفاً قد جعل بينه وبين قومه سداً بما تعود من عادات الفرنسيين ، فما كان مثله بالمتكلف ، ولقد كان له من أصالته واعتداده بنفسه ما ربأ به عن ذلك العيب ، وإلا فكيف أصبح حين عاد إلى وطنه أشد الرجال مقاومة للنفوذ الأجنبي ؟

وولي أمر مصر عباس باشا الأول فأعاد أعضاء البعثات العلمية من الخارج ، فعاد شريف فيمن عادوا عام ١٨٤٩ م . ولقد نستطيع أن نتصور ما تركته حال مصر يومئذ من أثر في نفس هذا الفتى الطموح ، فلقد تعلم وتأهب ليعود فيجد المدارس تغلق أبوابها ، والجيش يهلك عنه سلطانه بعد أن انهدت أركانه ؛ ويجد مصر وقد ذلت بعد عزة ، يبدو عليها مثل ما يبدو على ذي القوة والبأس وقد جرد من حسامه ، وعاهلها نائم على العصر ومظاهر العصر ، ونافر من الأجانب وما يأتون به مما كان يعده من أنواع الغرور والبهتان

ضاقت مصر عن همة شريف وعن علم شريف ولكن أين يذهب وليس له غير مصر ؟ وإذاً فليرض بأن يأخذ في الجيش المصري نفس الرتبة التي أخذها في الجيش الفرنسي فليس من هذا الرضاء بد . ولئن كان جيش مصر لا يعمل فربما أتت الأيام بما ليس يجري في بال أحد ، فينصرف شريف من ميدان إلى ميدان إلا يكن فيه قتال فليس يخلو من نضال ...

وفي مصر اتصل شريف بسليمان باشا الفرنساوي ، وأعجب به القائد الكبير وأخلص له الود والمحبة ... ألا ليت هذا اللقاء كان أيام نصيبين وكوتاهية ، وإذاً لرأى التاريخ ماذا كان عسيا أن يأتيه شريف الجندي في ميادين البطولة والتضحية ، ولكنه كان في تلك الأيام لا يزال طالباً يتطلع ويأمل

ولن يزال سليمان يوليه من عطفه وتأييده ، ثم يلحقه بحاشيته الحربية في منصب (الياوران) ؛ ويظل هذا عمله فلا يخوض معركة ولا يرسم خطة ؛ وعباس في شغل عن الجيش لأنه في غنى عنه ، ولكنه يضيق بما هو فيه ولا يطيق صبراً على إغفال عباس له وإن لم يقصد عباس هذا الإغفال ، فيعتزل الجندية التي لم يكن له منها غير اسمها ، ويكون هذا الاعتزال من جانب شريف أولى خطواته في الدفاع عن كرامته ، ولسوف تكون له بعدها خطوات لن يخطوها إلا ذو عزة وذو نخوة ...

ويلتحق شريف بدائرة الأمير عبد الحليم ردحاً من الزمن يشرف على أعمالها بما اشتهر به من فطنة وبعد همة . ولقد كان الأمير وهو نجل محمد على من أقرانه في البعثة ، فألان له جانبه وزاد في إكرامه وإعزازه ... وشريف يقبل حياة الدعة على رغمه ، ففي طبعه ميل إلى النضال والكفاح ، وفي خلقه اعتداد يشبه الزهو ، بل لقد كان يبلغ به الذهاب بنفسه أحياناً حد الصلف ، وتلك خلة لا يسعنا إلا أن نعدها على شريف مهما تكن بواعثها

وأخذ سعيد الولاية بعد موت عباس ، وكان لسعيد ولع بالجيش ،

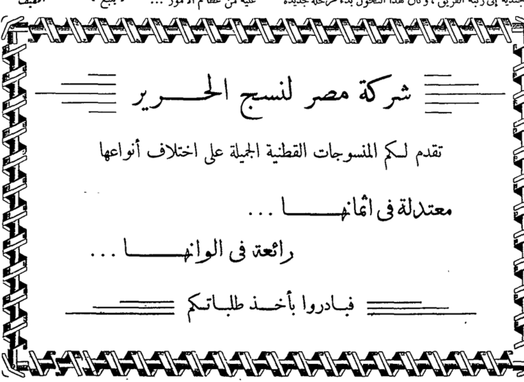
وإن لم تكن به حاجة إليه ، وحمله حبه للجيش على أن يشهد تدريبه بنفسه ثم بسط له يده كل البسط ، فألبسه أحسن اللباس وأطعمه أجود الطعام ، ومد له أسباب الترف والنعيم ، حتى لقد كانت تقاس كفاية ذلك الجيش عنده بحسن مظهره ووجاهة رجاله ... وكان شريف وجيه الطلعة جم الأناقة فضلاً عما كان يتحلى به من صفات الجندية ؛ لذلك جعله سعيد منَ المقربين ، ورقاه إلى رتبة (أمير ألاى) ، ثم ما لبث أن رفعه إلى رتبة (لواء) ووضعه على رأس الحرس الخصوصي ؛ وهكذا يعود شريف إلى الحياة العسكرية إن جاز لنا أن نسمى حياة كهذه حياة عسكرية ...

وازدادت عرى المودة توثقاً بينه وبين سليمان باشا فزوجه من ابنته ، وفرح شريف بما ساقه القدر إليه من حظ عظيم ، وكان اسمه قد أخذ ينتشر بين معاصريه من البعداء عن الحاشية ووجوه القوم ، وعرف الناس يومئذ عنه النزاهة والاستقامة ، وأعجب من تسنى لهم رؤيته بما كان يبعثه مرآه فى القلوب من هيبة وبما كان يشيعه فى النفوس من حب ... والحق لقد كان شريف على جانب عظيم من قوة الشخصية ، شهد له بذلك الأجانب والوطنيون على السواء

وبدا لسعيد فمال به من الجندية إلى السياسة بعد أن وصل فى الجندية إلى رتبة الفريق ، وكان هذا التحول بدء مرحلة جديدة فى تاريخ حياته ، مرحلة حافلة بجلائل الأعمال سلكت شريفا فى عداد الأبطال ؛ بل لقد كان هذا التحول بدء مرحلة جديدة فى تاريخ مصر ؛ ولا غرو ، فلقد عظم فيها خطر شريف حتى صار تاريخه تاريخ مصر فى طور من أطوارها ، وتلك منزلة لم يبلغها إلا أفذاذ الرجال ، أولئك النفر الذين يتوقف مصير عصرهم على ما يعملون ، أو الذين تجد فيهم الحوادث أدواتها الحية إذا ما تمخضت تلك الحوادث عن ثورات وراحت كل ثورة تبحث عن رجلها حتى تهتدى إليه فتستقر فى رأسه وفى جنانه .. وأى دليل على العظمة أقوى من أن يكون تاريخ الرجل هو تاريخ عصر من عصور وطنه ؟ على هذا الأساس قامت عظمة سعد فى مصر الحديثة ، وعظمة لنكولن فى أمريكا ، وبسمرك فى ألمانيا ، وفردريك الأكبر فى بروسيا ، وبطرس فى الروسيا . وغيرهؤلاء من الرجال فيما سلف من العصور وفيما اختلف من الأمم...

اختار سعيد شريفا ناظرا للخارجية ، وهنا أخذت مواهب ذلك الجندى تظهر فى السياسة فتبهر ، وما لبث أن وجد شريف سبيله إلى قلوب من اتصلوا به فحمل أنصاره على محبته ، وحمل خصومه وحاسديه على إكباره وإن لم يريدوا ، وتهيأ لمصر فى شخصه الرجل الذى لم تكن لها مندوحة عنه فيما هى مقبلة عليه من عظائم الأمور ... « يتبع »

الخفيف



استطلاع صحفي (ريبورتاج)*

٢٠ سنة في مكافحة البلهارسيا

مرض تضخم الطحال

في مصر علماء وأطباء يفنون جهودهم سنين طويلة على تحقيق نظرية أو اكتشاف ظاهرة. وهذه قصة طبيب سلخ عشرين عاما من حياته ليخفف عن الفلاح آلام المرض ويقي الأمة عوامل الضعف والانحلال

وهم يعيشون للناس أكثر مما يعيشون لأنفسهم حتى ليفضلون ملازمة مريض أو الاشتغال في معمل على الظهور في المجتمعات. ولذلك رأينا أن نتصل بهذه الفئة من الباحثين فنكشف عن جهودهم ونطلع الناس على أخبارهم لعلنا نوفى العاملين قدرهم.

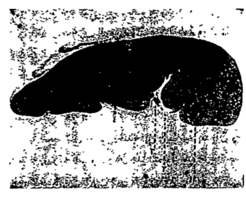
في الوجه البحري حيث تكثر المستنقعات، وحيث وسائل صرف المياه مازالت على أسوأ طرقها تنتشر البلهارسيا بين الفلاحين فتنزف دماءهم، ولا تقف عند هذا الحد بل تسبب لهم مرض تضخم الطحال فتكبر بطون الرجال والسيدات وما هم بحبالى، إذ يحمل مرضاهم طحالاً متضخما يزيد وزنه على وزن طفل في ستة أشهر. فيبلغ وزن الطحال خمسة كيلو جرامات مع أن وزنه العادي يتراوح بين ١٧٠ و ٢٠٠ جرام تقريباً أي أن المريض يحمل ما زنته خمسة وعشرون طحالا

ظل هذا المرض معضلة الطب المصري حتى سنة ١٩٢٩ إذ تمكن الدكتور أنيس أنسي بك مدير معامل الصحة من اكتشاف سببه، ثم قدم بحثه للهيئات الطبية العالمية فنال موافقتها، وأخيراً سجله في «بورصة الأبحاث الطبية» الجمعية الملكية البريطانية لطب المناطق الحارة في ٢٥ ابريل الماضي

ويتضخم الطحال لأسباب عدة، منها الإصابة بحمى الملاريا أو بالتغيرات اللمفاوية العامة؛ وفي هذه الحالات يسهل تشخيص الداء بالطرق الفنية والميكرسكوبية كفحص الدم مثلاً، إلا أنه في حالة الإصابة بالبلهارسيا تضيع كل الدلائل ولا يظهر بالطحال أي خلل أو عيب، فيرى الطبيب أن مريضه سليم الجسم، وأن كل عضو يؤدي وظيفته بانتظام إذا استثنينا كبر الطحال مما يضني الجسم ويرهق العضلات فلا يجد الطبيب مفراً من استئصاله ليخلص المريض المسكين من حمله الثقيل، ولا يخفى ما يتعرض له المريض من المضاعفات الخطيرة أثناء إجراء عملية كبيرة كهذه. أضف إلى ما يصيب الجسم من عوارض سيئة تنتاب الحيوان والإنسان بعد مضي وقت من استئصال مثل هذا العضو المهم

أهمية الطحال

والطحال هو «بوليس» الجسم لأنه ينقي الدم من الأجسام الغريبة ويقتل الميكروبات الضارة، فهو مخزن كرات الدم البيضاء والخلايا الأكولة، وهو يمد الجسم بالعناصر الدفاعية العديدة التي ما زال منشؤها غامضاً على الطب. فاستئصال الطحال إذن يعرض حياة الشخص للأمراض المختلفة، ويجعل حياته قصيرة الأجل إذ يفقد الجسم القدرة على مقاومة الأمراض



طحال مصري عند بدء إصابته بالمرض ووزنه ٢٧٥ جم (١) اللب الأحمر وبه أجسام غريبة (٢) محفظة الطحال (٣) سرة الطحال (٤) أنزفة منتشرة من تأثير إصابته بالويضات

وعز على الأطباء أن يقفوا حيارى أمام تلك المعضلة التي اختصت بها مصر من دون بلاد العالم. وأثار فضولهم أن يروا مرضاً خطيراً لا يدركون من أمره شيئاً، بل إن كل ظواهره هي ظواهر الحالة العادية للطحال فلا يوجد به علامات تسبب ذلك التضخم

تضاربت الظنون والفروض، وقدر الأطباء ما شاءت لهم نظرياتهم ثم أخرجوا فروضهم إلى حيز العمل ولكن المرض ظل على حاله. وزاد حيرة الباحثين كثرة المرض وظهوره الفجائي، ففي كل عشر إصابات بالتضخم أمكن الطبيب أن يعرف سبب ثلاث حالات أو أربع ويعزوها إلى حمى الملاريا أو الكلازار أو الأورام وفي باقي الحالات كان يقف أمام سر مغلق

وازدادت حيرة الأطباء عند ما لاحظوا ظهور التضخم فجأة، إذ كان المرضى يؤكدون أنهم كانوا بصحة جيدة منذ شهور قليلة مع أن حالات التضخم التي يعرفها الطب تحتاج إلى سنوات.

(*) الرسالة: آثرنا كلمة (استطلاع) في ترجمة (ريبورتاج) على كلمة استخبار ليكون هناك فرق بين المستخبر الباحث والمستخبر الناقل

وكذلك لاحظ الأطباء أن أكثر حالات التضخم المجهولة كانت كثيرة فى الوجه البحرى فتبلغ نسبتها ٣٠ إلى ١ فى الوجه القبلى . وعندئذ جزم الدكتور أنيس بأن « هناك حالة مرض مصرى عضال غير معروف سببها ، كثيرة الانتشار فى مصر السفلى »



قطاع فى طحال متضخم نتيجة عدوى بالبلهارسيا ويلاحظ أن جدره غليظة كما تظهر فيه عدة أنزفة منتشرة منه

الحلقة المفقودة

بدأ الدكتور أبحاثه فى سنة ١٩٠٨ وكان وقتئذ مساعد أستاذ فى القصر العينى حيث راقب حالات التضخم وحاول أن يعالجها . ولكنه لاحظ أن كل الحالات التى ترد إلى المستشفى حالات مزمنة وصل فيها تضخم الطحال إلى حد أرغم المريض على الرقاد فأيقن أن إحدى حلقات المرض مفقودة ولم يطلع عليها الطب . وبعد تفكير طويل تيقن بأن هذه الحلقة المفقودة هى بدء المرض أو حالاته الحادة

فإن فلاحينا من الفقر لا يستسلمون للمرض إلا إذا ثقلت وطأته على أجسامهم فلم تحتمل شدته . فإذا أضفنا إلى هـذا أن وظيفة الطحال هى الفتك بالميكروبات والأجسام الغريبة ثم التهامها سهل على الطبيب أن يستنتج أن ميكروب المرض من الضعف بحيث يفتك به الطحال أولاً بأول . واحتاج هذا الفرض العلمى إلى تحقيق يتناول المرض فى حالاته الحادة أو الحديثة التى لا يهتم بأمرها الفلاح . وعندئذ ظهرت مهمة الطبيب شاقة ، لأن هذه الحالات ليست فى المستشفى ولا عنـد الأطباء ، بل هى هناك فى القرى وداخل الأكواخ

وذهب الدكتور أنيس فى طلب الفلاحين ، فزار مرضاهم فى بيوتهم وما كاد يبدأ بحثه حتى اشتد عجبه إذ وجد ٨٠ فى المائة من شبان الفلاحين وأطفالهم مصابين بهذا المرض العجيب ولكن تباشير النجاح أيضاً بدت . فها هى ذى ظواهر ديدان البلهارسيا . وهاهو ذا أثر الصراع بين محتويات الطحال وبين تلك البويضات. فهل ديدان البلهارسيا هى السبب ؟

لنجيب على هذا السؤال بنعم يجب أن نجد بويضة البلهارسيا نفسها . وهذه إن وجدت فلن يسهل العثور عليها إلا فى طحال الأطفال أو فى حالات المرض الأولى أو الحادة . فإن طحال الطفل أضعف من أن يهضم هذه الدودة الخطيرة وبويضتها ؛ وبهذا وضع الدكتور يده على مفتاح المرض وبقى عليه أن يكشفه فيصور البويضة فى الطحال كما يجب عليـه أن يلقح الطحال بديدان البلهارسيا ويرى النتيجة

واستحضر لذلك قردة خاصة عرفت بإصابتها بهذا النوع من المرض وهى تجلب من جزر الهند الغربيـة . وأجرى تجاربه مدة طويلة احتاج أثناءها إلى أكثر من ٢٠٠ قرد . واستعان بالأرانب فكان له منها ضحايا فى كل يوم



بويضة البلهارسيا فى الطحال وتبين (٥) قشرة البيضة (٦). جزءاً ذائباً فى القشرة وترى جزء صغير من الجنين حالة اتصاله بخلايا الطحال خارج القشرة حيث تفتك خلايا الطحال الأكولة بجنين البلهارسيا وتبين (٨) إحدى الخلايا الأكولة النائمة

معركة حربية

ونجحت التجارب فثبت الفرض . ويقول الدكتور فى تعليل تضخم الطحال « إنه عندما تغزو بويضات البلهارسيا لب الطحال تحدث به التهابا حادا سريعا تعقبه على عجل استعدادات وترتيبات لازمة تبتدىء بعملية التجاذب بين مواد الطحال والجسم الغريب

ثم بتعادل وتخفيف المواد السامة القابلة للذوبان . وتعقب ذلك عملية الهضم التي تقوم بهـا الخلايا الأكولة المتحركة التي تقطن اللب الأحمر »

وتتحفز تلك الخلايا للقيام بعمل سريع ؛ فتتجمع حول البويضات النازحة في صفوف متراصة مكونه بذلك خطوط الدفاع التي تعقبها على عجل عملية الخمائر لتوقف فعل المواد الغريبة السامة التي تفرزها البويضات في تلك الدائرة الضيقة . ثم تهجم الخلايا الأكولة على غلاف البويضات فتذيبه إلى مادتها فتلتهمهـا وإلى ما تخلف بعد ذلك فتبتلعه فتقي الجسم شر تلك السموم »

فاذا تمت هذه العملية التصقت كل خلية بجارتها مكونة سدا منيعا يحول دون تسرب أية مادة سامة إلى النسيج السليم ثم تبتدىء (الخلايا) في توالدها وتكاثرها فتتحول إلى خلايا ذات نواة كثيرة Siant Bell . وهكذا يكبر الطحال تبعا لتوالد الخلايا وتكاثرها أثناء صراعها مع ديدان البلهارسيا وبويضاتها »

مرض متوطن

وأيد الطبيب في إثبات رأيه ما رآه من انتشار قواقع البلهارسيا في الوجه البحري، فإن انخفاض ذلك الإقليم ورداءة طرق الصرف فيه جعلته موطن المياه الراكدة وبالتالي معمل تفريغ الميكروبات والديدان وأهمها البلهارسيا والإنكلستوما .

« ويعتبر مرض تضخم الطحال متوطناً في كل بقاع مصر، وينتشر بكثرة كما تشتد عوارضه وتكثر مضاعفاته بالمناطق المنخفضة في شمال الدلتا حيث تكثر المصارف والترع ويكثر تبعاً لها توالد القواقع طول فصـول السـنة بخلاف ما نشاهده في الوجه القبلي حيث ري الحياض ما زال باقياً فتقل بذلك نسبة العدوى قليلا . وبالرغم من وفرة وجود القواقع أثناء الفيضان فإنها لا تلبث أن تموت متى جفت الأرض وانخفض مستوى الماء »

وتظهر الأعراض المبدئية للمرض عقب العدوى بالسركاريا وتظهر مصحوبة بتوعك المزاج وباضطرابات في الجهاز البولي والجهاز المعوي وتظهر البويضات في البول والبراز ويصل تضخم الطحال في هذا الدور إلى أسفل الضلوع بنحو قيراطين . وينشأ نتيجة تفاعلات بلب الطحال أحدثتها إصابته حديثاً ببويضات البلهارسيا

فاذا كانت البويضات قليلة وأتيح للمريض فرصة العلاج تمكن نسيج الطحال الزاخر بخلاياه الأكولة من هضمها وإزالتها فتزول عوارض المرض . أما إذا استمر تعرض الإنسان للعدوى فإن الطحال يتضخم بتكاثر خلاياه بجميع أنواعها حتى تصل إلى سرة البطن ، أو يمتد إلى حافة الحوض ، ويستمر على هذه الزيادة حتى تتاح للمريض فرصة العلاج أو ينتقل إلى مكان لا توجد به قواقع . فيضمر الطحال ويصاب بتليف عام ، وتضخم في محفظته وعوارضه ، وتتحول الألياف المرنة إلى نسيج ضام ، ولـكن الخلايا السليمة منه تستمر على أداء عملها بالدفاع عن الجسم من غزو الأمراض والحميات وغيرها



طحال مصري متضخم وزنه ٤ كيلو جرام وطوله ٣٨ سم وعرضه ١٨ سم أي أنه أضخم من أي طحل

ويحافظ الطحال على هذا الحجم رغم انتهاء دور الإصابة ، وخلو البول والبراز من بويضات البلهارسيا ، وفي هـذه الحالة يلقب بالطحال المتوطن ، ومن هذا يتبين أن تضخم الطحال يمكن أن يزول في حالات المرض الأولى . أما إذا أزمن وطالت مدته ونشأ التليف بين أنسجته وخلاياه فإن تضخمه يلازم المريض ، وقد ينقص حجمه قليلا بالعلاج أو بالانتقال من مراكز العدوى ولـكنه لا يعود إلى حجمه الطبيعي

فوزي عبد الشتري



أهمية نظرية التطور

نظرية التطـــور
وقصة الخليقة
للأستاذ عصام الدين حفني ناصف

كان الناس فيما مضى يجهلون معظم القوانين الطبيعية التي تسود الكون وتحكمه ، فكان المفكرون منهم يتساءلون : لم هذا اللباس من الشعر غير الكثيف يغطى جسمنا ؟ لم ينشه القط النمر ؟ لم كان الزنجي أسود اللون والصيني أصفره ؟ لم كان الأوربي متحضراً والإفريقي غير متحضر ؟ لم كان عدد صنوف الحيوانات عديداً بهذا القدر ؟ لم نعثر في أعماق الأرض على عظام أسماك متحجرة ؟ ولم يكن هنالك من يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة وأمثالها ، وذلك لأن فكرة واحدة لم تكن قد نفذت إلى رؤوسهم ، وهي : أن الأرض قد نمت هي وما عليها في مدى مئات الملايين من السنين حتى بلغت ما تبلغه الآن ، وقد وصلت الكائنات إلى أشكالها الحالية ببطء شديد وبالتدريج ، ومرت خلال ذلك على أشكال عديدة سابقة لهذه ، فهي قد « تطورت »

تقول نظرية التطور : إن جميع الكائنات الحية الباقية والمنقرضة قد تطورت إلى أشكالها الأخيرة من أصل واحد أو بضعة أصول ، فهي إذن يتصل كل منها بالآخر برباط القرابة

وقد كثرت الأدلة العلمية على صحة هذه النظرية حتى « انتقلت » كما يقول أوسبورن « من نطاق الفروض والنظريات إلى نطاق القوانين الطبيعية » ولذلك فإن « خصومها » كما يقول بلانه « مضطرون إلى مكافحتها ببراهين وحجج من غير التاريخ الطبيعي »

وليست أهمية هذه النظرية بقاصرة على كونها ضرباً من العلم والفلسفة فقد أثرت تأثيراً كبيراً على علوم مختلفة كعلم الجغرافيا والتشريح القارن والأجنة والاستيطان ووظائف الأعضاء والأمراض وتاريخ الإنسان والاجتماع والنفس والفلسفة .

والنظرية عدا ما تقدم أهمية بالغة من الناحية العملية ، ذلك أنه إذا كان التطور إلى أرقى ليس هو المصير المحتوم دائماً بل يشترط لحدوثه ظروف وشروط خاصة ، مما يستحق الجهد ولا شك أن يفكر المرء ويعمل على توفير هذه الظروف والشروط ، وبذلك لا يكون الإنسان سلبياً يحمله تيار الحوادث إلى حيث يساق ، بل يكون سائراً بمشيئته في طريق الرقى وهو يعلم أين يسير . وهذا يجعل من السهل علينا أن نجيب على السؤال الذي كانوا يلقونه قديماً عن معنى الحياة والغرض منها ، فليس الغرض منها إلا السير بالبشرية في سبيل الرقى وتوفير أسباب البهجة والتمتع لكل فرد منها

وقد طبّق سبنسر نظرية التطور على الشئون الاجتماعية ، وشرح رأيه في نشوء الضمير الخلقي عند الانسان بما يتلخص فيما يأتي : كان الناس في أول أمرهم يرون أن الحسن هو المفيد إفادة عاجلة ، ثم أظهرت التجارب أن هنالك أحياناً فائدة كبيرة آجلة تفضُل الفائدة الصغيرة العاجلة . وقد اختُزنت هذه التجارب في مشاعر أسلافنا وذلك ما أحدث أثره في مجموعهم العصبي ، وتوارثنا نحن عنهم هذه التأثيرات ، فترانا نعتبر بعض التصرفات حسناً دون أن نجربه ونتثبت بأنفسنا من نفعه ، وإنما أسلافنا هم الذين جربوا ذلك لهم ولنا من بعدهم ، وهذه الحكمة الموروثة هي ما نسميه بالضمير ، وبه نجد من دخيلة نفوسنا ما يرشدنا إلى الخير والشر . وعلى ذلك فإن حياة الفرد ونصيبه الذي قسم له في الحياة لا يبدوان عند ولادته ، بل هما يرجعان إلى الماضي الذي لا نستطيع تقدير توغله في القدم

نشوء السكون

كانت هنالك مادة أولى تملأ الوجود ، ومن هـذه المادة نشأت السدم ، وهي سُحب من ذرات معدنية صلبة مختلفة

الحجم والمدن ، ثم تطورت السدم بعد ذلك فأخذت الذرات الصغيرة فيها أو القليلة الكثافة تنجذب إلى الكبيرة أو الأكثر تركزاً ، إلى أن تكونت كرات كبيرة يفصل بين كل منها والأخرى حيز فرغ واسع المدى . واتجهت الذرات الأكثر ثقلاً في كل كرة نحو مركزها ، وولّد ضغط الذرات في هذه الكتل التي يزن كل منها تريليونات الأطنان ، حرارة هائلة جعلها تتقد وتتحول إلى كوكب . أما الذرات الخفيفة أي الغازات، فقد بقيت في الحافة مكونة جواً غازياً حول الكوكب . وقد حدثنا الفلكيون أن الكون الذي نعيش فيه يحوى نحو ٢،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من الشموس التي تشبه شمسنا ، والكثير منها كواكب مثل كوكبنا الأرضي ، من الجائز أن تكون مأهولة بكائنات حية ، فليس ثمة ما يدعو إلى افتراض أن الأرض أنشئت على نمط خاص

أخذت الكواكب تفقد حرارتها شيئاً فشيئاً ، وكان أسرعها في ذلك أصغرها حجماً ، وبردت الأرض بالتدريج واتحد ما يكتنفها من أوكسجين وأيدروجين فتكون منهما الماء العذب، ثم اكتسب الماء ملوحته من إذابته لبعض أملاح الأرض وبعض أحماض أنزلها معه من الجو . واستمرت الأرض تبرد وتكونت القشرة الأرضية في النهاية ويبلغ سمكها في الوقت الحالي ٨٠ إلى ١٠٠ كيلو متر ، وقد كانت في أول أمرها متشابهة السُّمك ، وكان المحيط المائي موزعاً حولها بتساو ، ولكن برود القشرة الأرضية أدّى إلى تقلصها ، فارتفعت سلاسل الجبال ونشأت تبعاً لذلك الوديان والمنخفضات ، ثم استقر الماء في المنخفضات وبدأ الانقسام إلى أرض « يابسة » ومياه

نشوء الحياة والأحياء

نشأت الحياة بعد ذلك على وجه الأرض في زمن مضى عليه — في رأى بعض الجيولوجيين — ٥٠ إلى ١٠٠ مليون سنة ، وكانت الأحوال الطبيعية تختلف عما هي عليه الآن، فمياه المحيطات مرتفعة الحرارة ، والعناصر المتشععة عظيمة النشاط، والمركبات الكيميائية ليست كلها على النمط الذي نعرفه، فدبت الحياة في المادة الحية الأولى (بروتو بلاسم) ، ثم نشأت منها الوحدات المحدودة التي نسميها خلايا

لم تكن الكائنات الحية الأولى نباتات صرفة ولا حيوانات خالصة ، ولكن البعض منها أصبح نباتاً لاقتصاره على التغذي بالمواد غير العضوية التي في الأرض ، وجرى البعض الآخر على افتراس ما يجاوره من الأحياء ، وذلك منشأ تكون الحيوان ، وقد اقتضت عملية الاقتناص أن يتزود الحيوان بأعضاء خاصة بالحركة والحس وبفم ومعدة وأسلحة ودروع فنشأت عنده هذه الأعضاء . ثم نشأت الحيوانات والنباتات العديدة والخلايا بعدم انفصال الخلايا الناتجة من انقسام خلية واحدة

ولما غاضت معظم المياه الضحلة وانسابت الأنهار السريعة الجريان هلكت الحيوانات التي لم تستطع التخلص من بطء حركتها، وتطورت أعضاء الحركة في الحيوانات الباقية فظهر السمك كالقارب الطويل مجهزاً بزعانف قوية ثم تكونت فيه السلسلة الفقرية . واكتظت الأنهار الضيقة السريعة الجريان بالأحياء فقام بينها الكفاح من أجل الأوكسيجين والغذاء، فذهب البعض إلى البحار العميقة وبدأ البعض سباقه صوب البر وبداءته بقتات بما فيها من حشرات ثم يعود إلى الماء وأخذت المثانة الهوائية تتطور إلى رئتين والزعانف تتطور إلى أطراف ، ونشأت الأمفيبيا كالسمندر والضفدع وهي الحيوانات التي تقطن الماء في صغرها ثم تنتقل في كبرها إلى حياة البر

واستمرت المياه في بعض الجهات تغيض شيئاً فشيئاً وأخذت الحيوانات الأمفيبية في تلك الجهات تتحول تبعاً لذلك إلى حيوانات برية ففقدت خياشيمها وقويت أرجلها ونشأت منها الزواحف كالورل والتمساح والثعبان

العصر الجليدي

وانقضى الصيف الدائم من على وجه الأرض وكسا الجليد نحو ٤ ملايين ميل مربع من سطحها، تمتد من الهند إلى أوستراليا وإلى أفريقيا . وقضت هذه الذبحة الهائلة على نحو ٩٧ في المائة من الأنواع النباتية والحيوانية فتحولت النباتات إلى طبقات من الفحم ولم يبق من الحيوانات إلا نماذج قليلة في الأقاليم الحارة هي التي نسلت ما احتواه العصر الحديث من الأمفيبيا والحشرات وغيرها. فلما ذابت طبقة الجليد بعد ربع مليون سنة بسبب انخفاض سطح الأرض في الجنوب عادت الزواحف إلى الانتشار ، وكانت أوربا في ذلك الوقت غاطسة تحت الماء لا يطفو منها سوى قنن الجبال وأجزاء قليلة أخرى تبدو كمجموعة من الجزائر محاطة بحواجز من المرجان ما تزال آثارها تشاهد إلى الآن فوق الجبال . وكانت هناك قارة ملأى بالبطاح والغياض ممتدة من أسكوتلاندة إلى أمريكا (تسمى في عالم القصص بالاطلانطيس) فساعدت على انتقال الزواحف الجبارة بين القارتين

كانت إناث الحيوانات قبل العصر الجليدى تضع البيض وتتركه على سطح الأرض أو الماء فينقف من تلقاء نفسه بتأثير الحرارة، وبذلك كانت الطبيعة تتولى عمل الأم . فلما حلت البرودة أصبح الرقاد على البيض وتعهد الصغار بالعناية أمراً لا غنى عنه .
ونشأ للزواحف رداء حرشفى رفيع، وأصبح جلد الأمفيبيا لزجاً كما نشاهد الآن فى الضفادع ، ونشأت الطيور والثدييات مزودة بقلب ذى أربع غرف يساعد فى إمداد الدم بقدر وافر من الأوكسيجين ليحرق وقوده فيحتفظ الحيوان بالدفء ولا تنحط حرارته مع حرارة الجو كما هى الحال فى ذوات الدم البارد وهى الأسماك والأمفيبيا والزواحف . وساعد الدم النقى فى الطيور والثدييات على زيادة حجم المخ وارتقائه وتمت لها السيادة فى العصر الجديد .
أما الزواحف الضخمة المدرعة بدروع ثقيلة فقد قضى عليها عند ما حل البرد الشديد بعد ذلك فى نصف الكرة الشمالى لزوال الحرارة التى كانت تجعل بعضها ينقف دون أن ترقد هى عليه

وكان للعصر الجليدى أثره المظيم فى عالم النبات أيضاً فقد انتزع سيادة النباتات الجرثومية المنحطة على المملكة النباتية ، وأفسح مجال الانتشار والازدهار أمام النباتات المخروطية والنباتات المزدهرة ، ولما حل الشتاء فى نصف الكرة الشمالى أحلت معظم الأشجار الدائمة الاخضرار مكانها لنماذج تسقط أوراقها فى الشتاء بصفة دورية فلا تفقد ما تحتويه من الماء وهى لا تستطيع تعويضه من الأرض فى الشتاء

تطور الطيور والثدييات

تسلسلت الطيور من الزواحف بفضل ما حدث لها من التغايرات الملائمة ولاسيما فيما يختص بجهاز توليد الحرارة . وقد عثروا فى صخور بافاريا على متحجر طائر فى حجم الغراب كان يقطن أوروبا قبل ملايين السنين ، وهو يجمع بين خصائص الزواحف وخصائص الطير ، وهذا «الطائر القديم» هو الحلقة «غير المفقودة» بين الزواحف والطيور

وحل عصر جليدى فى شمال أوربا وأمريكا غطى نحو ٧ ملايين ميل من سطحهما، فأرغمت الحيوانات والنباتات المحبة للحرارة على الزحف صوب الجنوب . وقد يكون البرد القارس فى ذلك العصر هو منشأ هجرة الطيور المهاجرة كالسمان والمنز وعصفور الجنة كل شتاء من الشمال إلى الجنوب ، كل عائلة منها إلى مكان معين تسلك إليه طريقاً ربما كانت هى الطريق الوحيدة التى عرفها أسلافها فى ذلك الوقت ، وعلى ذلك فليست « الغريزة » سوى العادات التى اكتسبتها الحيوانات تحت ضغط ظروف خارجية عنها

نشأت الثدييات الأولى الصغيرة الحجم فى أواخر العصر الجليدى ، وقد يكون منشأها فى قارة تمتد حيث يوجد الآن المحيط الهندى وما حواليه ، أو لعلها عبرت تلك القارة الضائعة من أفريقيا إلى أوستراليا ، ثم غاصت تلك القارة تحت سطح الماء فأصبحت أوستراليا جزيرة منعزلة لا تستطيع أن تصل إليها الحيوانات المفترسة التى تطورت فى باقى أنحاء العالم، وبقيت الحيوانات الثديية البدائية فيها متخلفة عن زميلاتها فى الخارج مثل الكنجرو ، وهو لا يبقى جنيناً فى رحم أمه إلا زمناً قليلاً فإنها ليس لها من الأوعية الدموية ما تنقل به دمها إلى الجنين لتغذيته، لذلك تلده سريعاً وتلتقطه بفمها فتضعه فى كيسها حيث يكون ثديها المنحنى فى متناول فمه

بقيت الحيوانات الثديية فى أوستراليا على ما هى عليه تقريباً ولكنها فى أفريقيا صعدت درج الرقى وانتشرت انتشاراً عظيما متجهة فى انتشارها صوب الشمال . فلما كثر عددها ساد بينها كفاح هائل من أجل الحياة وأخذت ذراريها تتطور فى شتى الاتجاهات ، فمنها ما أكل اللحم ومنها ما عمد إلى الهرب من الحيوانات المفترسة فاتخذ له ملجأ تحت سطح الأرض كالخلد والأرنب ، ومنها ما أخذت أشواكه تنمو وتصلب كالقنفذ؛ ومنها ما بقى يعيش فوق الأشجار كالسنجاب، ومنها ما هبط إلى البحر كالحوت، ومنها ما اتخذ الليل معاشاً كالخفاش. وانتشرت فصيلة الحيوانات الحافرية فى القارات الأربع مستعينة بقوتها وضخامتها أو بدروعها وأنيابها وقرونها أو بسرعة عدوها وحدة حاسة الشم عندها

تطور الإنسان

تسلسل الإنسان من ذرية حيوان شبيه بالقرد ، ولكن ليس من ذرية أحد القردة الموجودة فى العصر الحاضر ، وإنما تتصل القردة الحالية بالإنسان فى أسلاف مشتركة وجدت من ٣ أو ٤ ملايين من السنين

أخذت الحيوانات الثديية البدائية ترتقى وتتطور فى اتجاه القردة ، وانتشرت القردة فى القارات الأربع (أى فى مختلف أنحاء الأرض باستثناء أستراليا) ؛ وذلك من نحو ١٠ ملايين من السنين ، ثم تطور قسم منها إلى القردة الشبيهة بالإنسان ،

وهى أربعة فروع هبط ثلاثة منها إلى الأرض عند ما بادت الغابات فى بقعة من آسيا بسبب ارتفاع الأرض وجفاف الهواء على الأرجح. ومن المقرر أن ترك الأشجار والإقامة على ظهر الأرض مما يساعد كثيراً على الترقى والتقدم؛ فإن هذه المعيشة تقتضى الملاحظة الدائمة لاتقاء الأعداء واقتناص الغذاء، وقد أصبحت الساقان الخلفيتان تقومان أكثر فأكثر بحمل الجسم، وأصبحت اليدان تستعملان فى إمساك الأشياء، وأثرت كل هذه التطورات على نمو المخ مدة ٤ ملايين سنة

وقد عثروا فى انجلترا على جمجمة يرجع عصرها إلى ٤٦٠٠٠٠ سنة. كما يدل على ذلك عمر الطبقة الأرضية التى وجدت مطمورة فيها، وقد قدر الثقات أنها جمجمة إنسان منحط جداً من حيث الذكاء

وقد استطاع العلماء بما عثروا عليه من الهياكل البشرية التى ترجع إلى عهد قديم جداً والأدوات الحجرية المتدرجة الرقى التى وجدوها إلى جوار تلك الهياكل — أن يكتبوا قصة الإنسان. وتتلخص فى أن فرعا من متسلقات الأشجار بارح الأشجار وهبط إلى الأرض فارتقى فيها وأصبح يتخذ العصا سلاحاً، ثم ارتقى وبدأ فيه العنصر الإنسانى حين بدأ يقرع صوانة بأخرى ليكسب إحداها سناً حاداً مشحوذاً

كان الإنسان فى أقدم عهوده يعيش فى جو دافىء بغير نار وملبس ومنزل، ثم حلت خمسة عصور جليدية تتخللها فترات دافئة، واضطر سكان أوربة قبل التاريخ فى المرة الرابعة إلى سكنى الكهوف، ثم شرعوا يرتدون الجلود وتعلموا أن يشعلوا النار بالصوان. وعند ما انقضى ذلك العصر الجليدى كانت قد ظهرت فى أوربا بشرية من طراز جديد، فبدأ التطور الاجتماعى واضطرت الأسر إلى المعيشة معا، وسرت فى الكهوف لغة غير ناضجة.

وعادت طبقة الجليد تكسو أوربا فعبر القوم الجسور الأرضية إلى شمال إفريقيا وآسيا الصغرى، وكان السكان أكثف ما يكونون بين الخليج الفارسى ومصر، وكانت وديان النيل والدجلة والفرات قد تكونت حديثاً بفضل هذه الأنهار، واحتدم الكفاح بين القبائل والعشائر من أجل هذه الوديان وطلعت من هذا الكفاح أولى المدنيات.

عصام الدين حفنى ناصف



الفن الأسكنـــدرى

للدكتور أحمد موسى

لا نقصد بعنوان المقال تحديد الفن بعصر الإسكندر كما لا نقصد تحديده بمدينة الإسكندرية وحدها، وإنما المقصود بالفن الإسكندرى أنه الإنتاج الفنى فى البلاد المصرية منذ تأسيس الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق . م إلى نهاية حكم البطالسة ، ذلك الفن الذى عُرف أمره وتأثر به فن العالم القديم

وبالنظر إلى قلة ما تبقى من هذا الإنتاج وإلى ضآلة المواد العلمية التى يمكن الاستناد إليها ، وإلى ما بين أيدينا من الآثار البطليموسية فإن تاريخ الفن الإسكندرى بمعناه الشامل من الموضوعات العسيرة التى تجعل البحث ناقصاً قابلاً للنقض فى بعض نواحيه ؛ إذا ماظهر من نتائج الحفر وما قد يعثر عليه من النصوص ما يميط اللثام عن بيانات واستنتاجات تغير ما تقرر حتى الآن

على أنه يمكن القول بأن ما بقى من التماثيل وبعض الآثار يعطى ما يفيد فى هذا المجال ، ويمهد السبيل إلى معرفة المدى الذى وصل إليه أثر الفن الإسكندرى فى الفن الإغريقى أو الهيلينى

ومـا لا يقبل الشك أن مدينة الإسكندرية كعاصمة للبلاد أنشئت وشيدت على نمط رائع من حيث التخطيط العام للمدينة ومن حيث تنظيم شوارعها ومبانيها التى عملت لأول مرة فى هذا القطر من الطوب بطريقة هندسية جديدة فى نسقها جميلة فى مظهرها ، ولاسيما أن حوائط المبانى كانت مغطاة من الداخل بلوحات من المرمر زخرفت بنقوش من المعدن . وهذا كله نتيجة للرغبة فى التمدين والتعطش نحو الأبهة

وكان شغف الأمراء من أبناء البطالسة وتقديس الناس للآلهة خير دافع إلى إقامة المعابد الهائلة بحوائطها المزخرفة بالنقوش والكتابات ، كما كان سبباً فى إحياء فن النحت والتصوير ، إلى حد أن كانت بعض التماثيل تعمل من الذهب والعاج فى غاية من الدقة والجمال .



تمثال النيــل

وبطبيعة جو الإسكندرية الأقرب إلى الجو الأوربى والخليط الذى كان يعيش فى تلك المدينة من البطالسة والمصريين وغيرهما ، كذلك وجود الفلاسفة المشتغلين ضمنا بالطب والجراحة فضلاً عما بعثوه فى العقول بتعاليمهم التى تحض على النظر والدرس والتأمل إلى جانب مجموعة الكتب العظيمة بالمكتبة الخالدة — فى هذا المحيط وهذه البيئة نشأ الفنان الإسكندرى محاطاً بما يوقظ فيه روح العمل والابتكار

ولعل خير مثل لذلك بقايا التماثيل ومنها رأس من البرونز يمثل امرأة مصرية تجلت على ملامحها مصريتها وحيويتها[1] .

وكان للانتاج الفنى غير العمارة والزخرفة والنحت الواقعى Realistic Sculpture اتجاهاً مثلياً رائعاً تراه فى تمثال « النيل »

(١) راجع Von Sybel, Weltgeschichte der Kunst.
وأيضاً Rayet, Monuments de l'art antique II. Paris 1883.

المحفوظ بالفاتيكان فى روما ، والذى وصل منه أنموذج إلى هذه البلاد منذ أعوام . فإذا نظرت إلى صورته رأيت إلى أى مدى استطاع الفنان الوصول إلى ذروة الفن المعاصر لتلك الأيام ، فإلى جانبه تتضاءل التماثيل التى عملت للأمراء ولهوميروس ، والتى لا يمكن أن توصف إلا بكونها من أحسن ما أخرجه الفنانون

أنظر إلى صورة الإله « النيل » ولاحظ ما بدا على وجهه من عوامل التأمل والتفكير فى مصير أولاده الستة عشرة « فروع النيل الكبرى والصغرى» وشاهد كيف يتكىء بكتفه على (أبى الهول) الرابض بجانبه ، وقد اختار الفنان «لأولاد النيل » أوضاعاً شتى فظهر كل منهم مخالفاً لغيره ، وفى هذا ما فيه من الغنى الفنى

كذلك اتجه التصوير اتجاهاً جديداً تخرج من تمثيله لصور الأمراء والعظماء إلى تمثيل الحياة العامة والعادات الاجتماعية فرسمت على الحوائط مناظر صادقة فى التعبير عن العصر الذى عملت فيه ، وغير ذلك للمناظر الطبيعية كتلك التى صورت لنا أجزاء من المدينة محاطة بالغابات ذات الأشجار العالية ، والتى نصبت بينها تماثيل بأوضاع دلت على حسن التنسيق والوصول إلى درجة فائقة فى فن تخطيط المدن وهندستها ، وهذا الوضع يذكرنا بالحالة التى كان الفن البومبيانى (نسبة إلى بومبى) يسير عليها

على أن الفن الاسكندرى ، أو إن شئت فقل الفن المصرى فى عهد البطالسة ، كان قصير العمر بالقياس إلى الفن المصرى فى عصور أخرى أو إلى الفنون الأجنبية ، فعند ما وصل الفن البرجامونى والفن فى رودس إلى أوج عظمتهما حوالى منتصف القرن الثانى قبل المسيح ، كان الفن الإسكندرى سائراً نحو الهبوط ؛ فانتقل إلى إيطاليا . وخير برهان على ذلك أنه فى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد شيدت فى بمبى عمائر على نمط لا يختلف فى الجوهر والمجموع الإنشائى عن ذلك الذى بنى للمرة الأولى فى الأسكندرية ، حتى الزخارف التى عملت على حوائط هـذه العمائر فإنها شملت ذلك الطابع الإسكندرى المميز ، والذى يقرر تأثرها بها أفصح تقرير

هذا فضلاً عن أن العارف بتاريخ الفن الدارس لأصوله يذكر جيداً أن المشيدات التى أنشئت فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، سواء أكان ذلك فى منطقة كمبانيا أم فى روما ، وسواء فيما يتجلى على البناء المقدس للآلهة « بانثيون أجريبا[١] » Pantheon of Agrippa أو بناء مسرح بومبيوس[٢] Theatre of Pompeyus أو قصر نيرو الذهبى Nero Golden Palace كلها تدل على أنه لا مفر من الاعتراف بوجود أثر الفن الاسكندرى فيها .

ظهرت بعد هذه المرحلة صور رائعة هى تلك التى رسمت على أغطية توابيت الموتى ، والتى قصد بهـا الاستعاضة عن الأقنعة الذهبيـة التى كان المصريون الأقدمون يعملونها على الأغطية لتمثيل وجه الميت .

وكان ظهور هذه الصـور تدريجياً ونادراً ومرتبطاً بنتائج الحفريات التى عملت

---

(١) راجع Huelsen, in Mitteilungen des Archaeologischen Institutes 1893.

(٢) مبنى أقيم فى روما (يعرف الآن بكنيسة سانتا ماريا روتوندا) أكمل أجريبا بناءه سنة ٢٧ ق.م ، وقد دفن فيه رفايل وأنيبال كراتشى وفيكتور إمانويل الثانى ، وقد ثبت أن هذا المبنى لا يتصل بحمامات أجريبا كما كان مظنوناً قبلاً .

فى الفيوم[1] منذ سنة ١٨٨٨ ولكنه على جانب من الكثرة التى تسمح بالدرس والتأريخ .

وقد اخترنا ثلاثاً منها تعطى فكرة صحيحة عن قوة التصوير ودرجة إتقانه ، فبالنظر إليها نلاحظ جمال الملامح وحسن التعبير ونبل الإخراج ، إلى جانب ما يبدو على الوجه ويشع من العينين من تأثر نفسانى عجيب .

وكان تصويرها بالألوان على خشب الجميز أو اللبخ على ما نظن وكذلك على قماش التيل — وكانت توضع على التابوت أو تثبت فى غطائه مكان الرأس

وكانت الألوان معدنية مخلوطة بالشمع أو بصفار البيض أو بالغراء وأحياناً بهما معاً ، يرسم بها (ماعدا ما كانت بالشمع) على سطح مدهون بالجبس أو الطباشير .

ويتضح من الكتابات التى نقشت على لوحات صغيرة ووضعت مع التوابيت أو فى داخلها أو التى كتبت على بطاقت صغيرة من الخشب وثبتت إلى جانب العنق Mumies-eticette أن أصحاب هذه الصور كانوا من الأغريق ، وبالرغم من هذا فإنه لا يمكننا الارتكان إلى ذلك لمجرد علمنا بأنه حتى ولو كان الأغريق قد تعودوا عادات المصريين فى طريقة التحنيط والدفن الخ ، فى القرن الثانى قبل الميلاد ، فإنه يبعد كثيراً أن يكون أصحاب هذه الصور من الأغريق لاختلاف ملامحهم ولون شعرهم وتجعده ولون العيون فضلاً عن المجموع التكوينى للرأس . وقد تكون هذه الصور بالرغم مما كتب عليها غير معاصرة للبطالسة .

ومهما يكن من شىء فإن عصر الفن الإسكندرى مع قصره كان شاملاً لمدينة الأسكندريه بمكتبتها ومنارتها ، وشاملاً لآيات من الفن لم يبق منها إلا القليل الذى مع قلته دل دلالة صريحه على أن الفن المصرى فى تلك المرحلة ، وإن كان قد سار فى اتجاه يلائم العصر الذى وجد فيه ؛ إلا أنه أثر فى غيره أكثر مما تأثر هو بالغير .

احمد موسى

---

(١) كانت الفيوم فى التاريخ المصرى القديم أرضا غير زراعية ، عمل الفراعنة منذ الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م) على تخصيبها وتعميرها وذلك بمد القنوات النيلية إليها وبناء مساكن لاتؤثر فيها مياه تلك القنوات . وقد وجدت قناة نيلية طبيعية على بعد ٢٢٠ كيلو مترا جنوب بنى سويف كانت مياهها تنصرف فى الصحراء الغربية فعمل المصريون على تحويل مجراها ومدوه حتى وصل إلى الفيوم بالقناة الحالية المسماة بحر يوسف ، ولا تزال بعض آثار السدود التى أقاموها بقصد حجز المياه ورفعها للتمكن من رى الأراضى المرتفعة نسبيا ، موجودة للآن ، وبهذا أمكن تحويل مجرى المياه إلى الفيوم وتصريفها فى أرضها فنشأت عن ذلك الخصوبة التدريجية .

وكانت نتيجة وصول المياه إلى تلك المنطقة أن تجمع الزائد على الحاجة منها فى جزء منخفض فتكونت بحيرة موريس كما سماها الأغريق (بالمصرى القديم M-weret) . وأمكن باستخدام السدود والخزانات رى الفيوم وما يجاورها ، ونشأ عن ذلك تكوين بحيرة قارون الحالية . وقد سمى أقباط مصر هذه البحيرة « فيوم » Pheom ، وهكذا ظل الاسم حتى الآن

وعلى الساحل الشرقى لبحيرة موريس وجد قصر لابيرنت Labyrinth كما وجد أهرام أمنمحت الثالث (٢٣٠٠ ق . م) وبالقرب منه كانت العاصمة التى سميت فى عصر الأغريق كروكو ديلوبوليس نسبة إلى التمساح وبعدها سميت أرسينو Arsinoe . وقد عثر المنقبون فى القرن التاسع عشر على كثير من المخطوطات القيمة فى تلك الأماكن .

ومدينة الفيوم الحالية تقع فى شمال هذه المنطقة ، حيث يوجد جامع بأعمدة أثرية قديمة .

ويمكن للتوسع فى هذا الشأن وفى أغطية المومياات المصرية فى عصر البطالسة مراجعة :

(1) The Fayum and Lake Moeris, London 1892

(2) Grenfel and Hunt, Fayum towns and their papiri. London 1900

أما لابيرنث فهى تلك المبانى التى أقيمت على سطح الأرض وفى باطنها ، وكما ذكر هيرودوت (٢ — ١٤٨) وسترابو (١٧ — ٨١١) كان مجموع الغرف ثلاثة آلاف كلها من الحجر ، وإذا اجتمعت كل معابد الأغريق فى مساحة واحدة تتضاءل أمام مساحة هذه المبانى ، كما قررا أنها كانت أجل من الأهرام وظلت قائمة حتى خربها الرومان فلم يبق منها إلا الأحجار التى أزيلت بمرور القرون والأعوام وأقيمت مكانها المقابر ، وقد أجرى السير فلندرز بيتري العالم الأثرى المعروف أعمال الحفر وعثر على مجموعة رائعة من الصور وغيرها .

راجع : Edwards, Pharaohs, Fellahs. p. 95



المرأة اليونانية القديمة والتعليم العالى

للآنسة زينب الحكيم

التاريخ سجل يطوى فيه أسرار الأجيال . قلبت بين صفحاته عن بعض حالات المرأة اليونانية الغابرة ، فوجدت كل معجب مدهش ...

وفى الحق ليس من المستغرب أبداً أن وجدت سيدات من الدرجة الأولى فى المواهب العقلية بين ناس امتازوا بالثقافة العالية كاليونانيين

وسافو Sapho الشاعرة اليونانية مثال من الأمثلة الخالدة لهؤلاء السيدات . لقد كانت ذات سطوة قوية على بنات جيلها ، وظهر نتاج مجهوداتها الموفقة بين تلميذاتها الكثيرات، واشتركت السيدات برغبة فى درس الشعر ونظمه . وشجعهن على الاستزادة من ذلك مناصرة عدد كبير لهن من مشاهير الرجال الغيورين على ترقية المرأة ، فاستحسنوا أن تتعلم تعلماً عالياً وساعدوها على المطالبة بذلك بكل ما أوتوا من قوة

من هذا نرى أنه منذ العصور البكرة نودى بتعليم المرأة وبالمساواة بينها وبين الرجل فى اليونان

فنى القرن السابع قبل الميلاد ، تشبث كليوبليس Cleobulus — وكان أحد حكماء اليونان السبعة — بأن ينال النساء التمرين العقلى الذى يناله الرجال ، وأوضح مبدأه بتعليم ابنتـه كليوبلين Cleobuline التى صارت شاعرة ذات شهرة واسعة فيما بعد

وبيثجوراس Pythagoras الذى احتفل بإعلان مذهبـه الفلسفى فى القرن السادس بجنوب إيطاليا ، أشار بوضوح إلى ضرورة المساواة بين الجنسين ، واخترع خطة لتعليم النساء ، كان من شأنها أن جعلتهن منتجات فيما يتصل بتدبير المنزل ، كما جعلتهن ممتازات فى الثقافة الفلسفية والأدبية

وأشار أفلاطون بضرورة تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل ، وسمح بقبول النساء لسماع المحاضرات الجامعية

وفى أيام الاسكندر شجع تحرير المرأة بشكل قوى ، ومن ذلك الحين نرى أن النساء اشتركن فى دراسة جميع الفروع العلمية دراسة عملية

وفى الإسكندريه خاصة ، تعلمت بنات الأساتذة العلماء ، تعلما عالياً ، فواصلن دراسة الفلسفة واللغة ، وعلم الآثار القديمة ، وقد اشتهر منهن كثيرات

وفى الفترة اليونانية الرومانية ، نادى بلوتارخ بتعليم النساء ، وقد انتشر التعليم بينهن فى أيامه إلى حدّ بعيد محمود

وأسباسيا « Aspasia » وضعت (موضمة) تعلم علم البيان والفلسفة ، كمثل تظهر به المرأة فى المجتمع الأثينى ، وأصبح الانتماء إلى جماعة نصيرات التعليم العالى بدعة سارية ، حتى أن كثيرات من نساء الطبقات الراقية (الشريفة) شغلن أوقات فراغهن بقراءة الفلسفة والشعر ، وحصلن على نوع من التعليم ، وإن لم يكن شعبياً ؛ فقد كان خصوصياً من محاضرين فنيين

ميول النساء فى ذلك العهد

ظل الكثيرون يعتقدون أن الشعر كان المجال الطبيعى للمرأة ؛ يضاف إلى ذلك الفلسفة فى الدرجة الثانية ، إذ صارت الفلسفة الحرفة العامة التى أجدن تعلمها حينئذ . ولكن لعله لا يغيب عن ذهن القارئ والقارئة ، وصف مدرسة سافو الشاعرة فى جزيرة Lesbian الجميلة التى أوى إليها الهيلينيات لدراسة الشعر والفن

إن جمال جزائر لسبونى الطبيعى ، وحياة الطبقة الأرستقراطية المترفة ، وتوقد ذكاء وحذق سافو نفسها ، وحبها الخالص لصديقاتها

الفتيات من بنات جيلها ، كانت كلها مؤثرات قوية محبوبة فعالة لأهل زمانها

ليس من المستغرب إذن أن أكتسبت النساء حب الشعر وأولعن به ، كما طبعن على الجاذبية لكل شيء جميل فى الطبيعة فى تلك البيئة ؛ كما اكتسبن من مخالطتهن افنانة مطبوعة ، ومعلمة ماهرة مثل سافو أعلى الصفات



(سافو) تمثال رخامى بفيللا ألبانى فى روما
القرن الخامس قبل الميلاد — من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»

حتى لقد قيــل : إنه وجدت ست وسبعين شاعرة من بين نساء اليونان القديمة ، غير أنه لسوء الحظ لم يحتفظ لنــا سجل التاريخ إلا بأسماء قليلات منهن ، بلغ عددهن تسع شاعرات ؛ لقبن بآلهة الشعر الأرضيات

عندما اتسع المجال أكثر أمام المرأة فى عهد البطولة Heroic Age مهرت النساء فى استعمال النباتات فى فنون السحر ، وفى تطبيب الجروح . وعندما أصبح الطب علماً ، اشتغلت النساء بفنون منه . وظهر اختلاف أمزجتهن واستعداداتهن وميولهن الطبيعية ، فمنهن من اشتغلت بالعلوم الطبيعية ، وعلم البيان والتاريخ واللغة ، وأحبت كثيرات علم النقد ، وانتشر بين بنات العلماء

ومن هذا يتضح فساد زعم من ظنوا أن مجال المرأة الطبيعى كان الشعر فحسب . ولعلنا نطمئن إلى هذا الحكم الذى يؤيده علم النفس المقنن فى القرن العشرين

بنات الشاعرات

شاعرات اليونان اللائى سبقت الإشارة إليهن وشبيهاتهن ، كوّن نهضة مباركة من بناتهن اللاتى ورثنهن الميول القوية للفنون والآداب ؛ فكان منهن الموسيقيات ، والمصورات ، والشاعرات ، والفيلسوفات

والتاريخ وإن لم يدلنا على أنه وجد من بينهن ناحتات للتماثيل أو مكوّنات لها ، يذكر الفضل فى اختراع هذا الفن إلى فتاة من كرنثيا Corinthia

والأثر إن صح يروي الآتى :

كانت الفتاة كورا Cora ابنة بوتادس Butades على وشك أن تودع حبيبها ، وربما كان الوداع الأخير ، لأنه كان معتزماً القيام برحلة طويلة . واتفق أن خياله انعكس على الحائط ، إذ كان الوقت ليــلاً ويضيء المكان مصباح . فخطر للفتاة أن تحتفظ ولو بهذه الذكرى من حبيبها ، فرسمت محيط خياله فى حياء . فلما رأى والدها ذلك العمل ، دفعته غريزته الفنية إلى أن يملأه لها بالصلصال ؛ فكون تمثالاً لحبيبها ، كان ناجحاً بعد حرقه فى النار

المصورات

كانت لالاً Lalla من نساء مدينة سيزكس Cyzicus من أقدر المصورات بالألوان ، وكان من أخص صفاتها السرعة فى العمل (مثل الملكة فكتوريا) ، ومع ذلك لم يُنقص ذلك

شيئاً من مزايا نتاجها ، واعتبرت أول مصورة فى وقتها حذقت الرسم بالألوان وعلى العاج . وكل ما لونته من الرسوم كان صوراً لسيدات

وأخبرنا بليني Pliny أنها صورت نفسها فى المرآة وهى عجوز ، وقد عرضت هذه الصورة فى معرض نابلى

وعثر على صورة أخرى لها فى بمباى ، وتمثل فتاة تجلس على مقعد يقرب من الأرض وتنظر إلى تمثال ، وفى يدها اليمنى ريشتها ممتدة إلى صندوق ألوانها وفى يسراها لوح للتصوير . وثيابها منسدلة بأناقة حولها . ويحيط شعرها المتموج رباط لطيف يتدلى حول رقبتها وأكتافها ، ويظهر على محياها مسحة تفكير وعلم تضئ أسارير وجهها الرقيق . فإذا صح أن هذه تمثل صورة « لالا » فإنها لا بد كانت جميلة فاضلة

الفيلسوفات

نبغت كثيرات من بنات اليونان فى الفلسفة والحرف العقلية فى مدارس بيثجوراس « Pythagoras »

جاء فى الأثر أن تأثير بيثجوارس فى كارتون « Karton » كان عظيما جداً ، حتى أن نساء المدينة أحضرن ملابسهن الثمينة وحليهن من عقود وأساور ، إلى هيكل هيرا Hera وأودعنها كمنحة للفضيلة العائلية . وآلين على أنفسهن منذ تلك الساعة أن يكون الحزم والحشمة رائديهن ، ولن تكون الثياب الثمينة بعد الآن ما يتحلى به جنسهن ، مستعيضات عن ذلك بالعلوم العالية والثقافة .

لعمرى لقد كان قسما شريفا ومقصدا ساميا صنعت به المرأة اللبنة الأولى فى بناء الإنسانية الحق . وهل من شك فى أن العامل الأول فى أى نهضة يتوقف على المرأة ؟ إذن عليها أن تبادر بوضع بذور كل نهضة لتأخذ بيد الإنسانية مسرعة .

إن آثار النساء اللاتى تشربن مبادىء بيثجوارس تمتمن بسمعة يغبطن عليها فى العالم اليونانى كله ، حيث كانت نتائج تعاليمه بالنسبة لهن ، مبادىء سامية لأخلاق المرأة ، وعناية تامة بواجبات الأسرة ، والنهوض بوسائل المعيشة الصحيحة فى الحياة ولاسيما تربية الأطفال ، مما لا يزال بعض آثاره باقياً إلى الآن .

وقد كان شعارهن « Saphrosyne » وهو تعبير يعنى الاعتدال والاعتداد بالنفس والحياء ، والفضيلة الزوجية ، وبالاختصار : كل ما هو جدير بأن تكون عليه المرأة . وفيما يلى مثال مما يشير إليه ما ذكر :

زوج بيثجوراس

النساء اللاتى نشأن على مبادئ بيثجوراس على ما امتزن به من تلك الصفات العالية والقوى الإنسانية التى هيأن بها حياة ناجحة ، لم تضارع إحداهن « Theano » ثيانو ذات العقل الراجح زوج بيثجوراس فلقد مزجت الفضيلة بالحكمة مزجاً متناسقاً ، بحيث مثلتها الآثار لها لا كأول امرأة ممتازة فحسب ، بل مثلتها كالنموذج الأول لنشأة المرأة الذكية الصحيحة أيضاً

نعرف عن حياة « ثيانو » بعض حوادث أخلاقية فقط ، وهذا يجعلنا ننفذ إلى حقيقة أخلاقها . وأهمها الأقوال المأثورة التى قالتها فى مناسبات خاصة :

سئلت مرة عما تتمنى أن تتميز به ؟ أجابت ببيت من شعر هومر تمثلت به : « أكترائى بالمغزل ، واعتنائى بفراش زواجى »

وسئلت مرة أخرى : ما الذى تسأل عنه الزوجة ؟

أجابت : أن تعيش خالصة لزوجها

وسئلت أيضاً: ما هو الحب ؟ قالت: الحب هو غرام النفس الوالهة

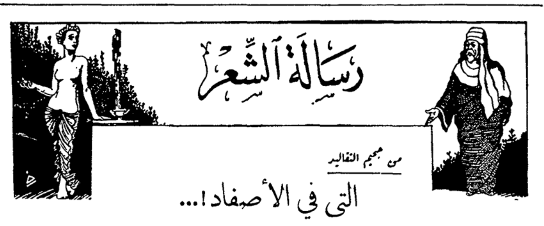
حدث مرة أنها ألقت رداءها وظهرت ذراعها ، فرآها رجل ودهش من جمال تكوينها، فقال: ما أجملها من ذراع! فقالت: ليست لنظرات العامة ، وأسرعت بتغطيتها.

وقد إستعار هذه الملاحظة بلوتارخ ، وغيره من رجال الدين من بينهم كليمنت بالإسكندرية ، كما استعارته المؤلفة البيزنطية أنا Anna ، وقد كانت ثيانو شاعرة وكاتبة ناثرة ، وقد عثر على قليل من أعمالها الفلسفية والدينية يستدل منها على مقدار نمو مواهبها فى التعليل ، وفى مناقشة مسائل تربية الأطفال ، ومعاملة الخدم ، وكبت الحسد والعواطف الجامحة ، كل ذلك بأسلوب مؤثر حساس لطيف

ولقد كانت أمينة إلى أقصى حد ، فى نشر مبادئ وتعاليم زوجها كمعلمة وكاتبة ، أما موتها وظروفه فغير معروف

هذه صفحة من صفحات المرأة اليونانية النابرة ، فلعمرى هل يكون نتاج أختها اليونانية الحديثة ، يونانية عصر النور والراديو، والحديد والنار ، أشبه بنتاجها أو أرقى منه؟ هذا ما نرجوه

زينب الحكيم



من جحيم التقاليد

التي في الأصفاد!...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« إلى ملهمتي .. في قيود الرجعية الغاشمة التي لا تدين بشرعة الحب العليا وتنكر على الهوى أزاية أنواره في قلوب العشاق! »

يا قُدْسَهَا! هَلَّتْ كَوَحْيِ الإِلٰهْ — عَلَى نَبِيٍّ أَسْكَرَتْهُ الصَّلاةْ!
عَلَى جَنانى وهْوَ غِرُّ الصِّبَا — أَذْهَلَ دُنياهُ ضَبابُ الحَياةْ
على صَباحى وهْوَ طِفْلُ السَّنا — مِنْ وَحْشَةِ الأَيامِ يَبْكِى ضُحاه
حَيْرانُ. لا أَيْكٌ، ولا زَهْرَةٌ — ولا خَمِيلٌ يَتَحَسَّى شَـذاهْ
ولا مُنًى تُشْرِقُ فيهِ، ولا — شعاعُ أَحْلامٍ يُناجي سَناهْ
حَفيفُ قُبلاتِ الهوَى عِنْدَهُ — لَمْ يَدْرِ حتَّى فى اللَّيالى رُؤاه
ولَذَّةُ النَّجْوَى وَأَسْمارُها — لَغْوُ الأَحاديثِ، ولَهْوُ الشِّفاه
كُنْتُ فَناء فى دِيارِ البِلَى — خاصَمَهُ البَعْثُ فأَلْقَى عَصاه
كُنْتُ بُكاءً سَرْمَدِيَّ الأَسَى — أَجْفَانُهُ لَمْ تَدْرِ ماذا شَجاه
كُنْتُ أَنِيناً فى حَشا طائرٍ — شَلَّتْ أَغانِيهِ أَكُفُّ الرُّماهْ
كُنْتُ حَنِيناً غامِضًا، فى دَمِى — شِعْرٌ. وَلكِنْ أَيْنَ مِنِّي لُغاه؟
كُنْتُ وما كُنْتُ ولكِنْ هَوًى — ظَمْآنُ، لَمْ تَرْوِ اللَّيالي صَداه
ظَمْآنُ! لا خِلٌّ، ولا صاحِبٌ — إلاَّ شَقاءٌ سابَقَتْنِى خُطاه
حَتَّى أَهَلَّتْ فِتْنَتِى، مِثْلَما — حَيَّا النَّدى زَنْبَقَةً فى فَلاهْ
أَلْقَتْ عَلَى رُوحِى شُعاعَ المُنَى — والسِّحْرَ، والشِّعْرَ، وخَمْرَ الحَياه
عَذْراءُ لا مِنْ أَبَوَيْ آدَمٍ .. — نِسْبَتُها في الكَوْنِ فَنُّ الإِلٰهْ!
وَجْهٌ .. حَرامٌ يا فَمِي وَصْفُهُ! — ما كانَ خَلْفَ السِّتْرِ إِلاَّ صَلاه
صَوامِعُ الرُّهْبانِ أَلْقَتْ لَهُ — سِرَّ القَرابِينِ، وَتابَ العُصاه
لَهُ هُدُوءُ النَّبْعِ فى واحَـةٍ — سَجْواءَ لَفَّ الطَّيْرَ فيها كَرَاه
ما نَوْرَةُ الحَقْلِ؟ وما طِيبُهـا — إِنْ شَمْشَمَتْ عِطْرَ الهَوَى صَفْحَتاه
وما لَهَا « بابِلُ » مَشْدُوهَةً — «هارُوتُ» يَنْعاها لِنارِ الرُّقاهْ؟
حُورِيَّتِي مَرَّتْ بها أَمْ رَنَتْ — مِنْها إِلَى السِّحْرِ عُيونٌ سِواهْ؟
اللهَ لى . . . يا ثَغْرَهَا رَحْمَةً — فَالكَرْمُ أَطْيافٌ لِتِلْكَ الشِّفاهْ
صَوْتُكِ لَحْنٌ عَبْقَرِيُّ الصَّدَى — أَفْنَى ولا يَفْنَى بِسَمْعِي صَداهْ
إِنِّي مِنَ الطِّينِ ... فَطَهِّرْ فَمِي — كَيْما يُناغِيكَ بِدُنْيا هَواهْ
وَيَنْقُلُ التَّسْبِيحَ عَنْ خافِقٍ — أَلْحانُهُ تُعْجِزُ جِنَّ الرُّواهْ!
مَنْ لَفَّ هَذا الحُسْنَ عَنْ عَبْدِهِ؟ — وَمَنْ بِهٰذِي الأَرْضِ عَنِّي زَواهْ؟
قَوْمُكِ يا آسِرَتِي! ما زَكا — عِنًى لَدَيْهِمْ فِي العُلا أَيُّ جاهْ
جَدِّيَ «فِرْعَوْنُ» لَدَى كِبْرِهِ — كَمْ أَطْرَقَتْ دُنْيا وَخَرَّتْ جِباهْ!
وَالفَنُّ زادِي وَعَفافُ الهَوَى — أَقْدَسُ ما حُمِّلَ يَوْمًا سُراهْ [1]
هٰذا الرَّخِيمُ الشَّدْوِ فِي أَنْمُلِي — نايٌ يَرُوعُ الدَّهْرَ صافِي صِباهْ
مالِي يَدٌ فِي سِحْرِهِ .. فَاسْأَلِي — فِيرَسَهُ العالِي بَعِيدٌ مَداهْ
مِنْ وَحْيِكِ انْهَلَّتْ أَساكِيبُهُ — وَمِنْ هَواكِ العَذْبِ أَشْجَى بُكاهْ
إِمَّا تَرَنَّحَتْ بِإِعْجـازِهِ — آلِهَةُ «الأُولِمْبِ» خَرُّوا جِباهْ

(١) جمع السارى

فلسطين

للأستاذ محمد الأسمر

سلوا الأرض ما تلكَ القنا والقنابلُ
وما (خط ماجينو) ، وتلك المعاقل
أرى عصرَنا عصرَ المجرّدِ سيفه
فسلْ بالظُبي عن كل ما أنت سائل

تبينتُ أنّ الحق إن لم تُتح لهُ   بواسلُ يخشى ظلمها فهو باطل
لعمركَ لو أغنى عن الحق أنه   هو الحقُّ ما قام الرسول يقاتل
ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه   من الناس ماساقت إليه الأراذل
فلا تحسبنّ الحق ينهض وحده   إذا ملتَ عنهُ فهو لا شك مائل
أقمْهُ ، وأسنده ، ودعِّم بناءه   وذُدْعنه ذودالليث والليث صائل
ولا تُسندنَّ الحقَّ بالقول وحدَه   فإنّ عمادَ الحق ما أنت فاعل
من العقل ألا يطلبَ الحقَّ عاجزٌ
فليس على وجه البسيطة عادل
ولكن قويٌّ يشربُ الدم سائغاً   إذا نضبت يومَ الورود المناهل

أسودَ (فلسطينٍ) تحيةَ شاعرٍ   وكلٌ (فلسطين) أسودٌ بواسل
حللتمْ على الوادى المبارك ، أهلَه   فأنّى نزلتم ، فالقلوب منازل
ذهبتمْ إلى المنفى كواكب أمةٍ   وعدتمْ كماعادتْ بدور كوامل
همُ أغمدوكم فى السجون مناصلاً   فها أنتمُ عدتمْ وأنتم مناصِل
خرجتم يواقيت السجون وعدتمُ   بواقيت هولٍ بأسُه متواصل
وما أنتمُ إلا سيوفُ ملاحمٍ   وماحادثاتُ الدهر إلا صياقل
لقد جادلوكم بالسيوف لياليًا
طوالاً ، وكان القولُ بالسيف قائل

مَاذَا ؟ ! وَأَهْلُوكِ عَلَى غَفْلَةٍ   مَرُّوا بِوَادِي الْحُبِّ صُمًّا قُسَاهْ
لَمْ يَسْمَعُوا النَّجْوَي .. وَلَمْ يَرْحَمُوا   فِي حُسْنِكِ الْمَعْبُودِ نَارَ الشَّكَاهْ
غَنَّتْ لَكِ الْأَصْفَادُ شِعْرَ الْأَسَى   وَالْعَابِدُ النَّائِى يُغَنِّى لَظَاهْ !
... ...

محمود حسن اسماعيل

وعادوا فقالوا فاوضونا ، ففاوضوا   على حذر ، لا يختلِ الحقَّ خاتِلُ
دَعوْكم لميدانٍ جديدٍ ، جيوشُه   كلامٌ ، وفيه اللفظُ للفظ قاتلُ
وكلكم ، والحمد لله ، فارسٌ   يدافع عن أوطانه ، أو يجادلُ

أسودَ (فلسطين) ذيادًا عن الحمى
وعن غابكم ، لا يدخل الغاب داخل
فما عاش حرًّا من مشى فى بلاده   وأمته قد طوقتها السلاسل
وما (سيشلٌ) عندى التى كنتم بها
ولكنما دارُ الأذلاء (سيشل)

محمد الأسمر

قصائد فى أبيات

للأستاذ محمود غنيم

ديك الصباح

قلت للديك ساعة صاحا   هل تغنى لنا نشيد الصباح
قال : لا ، بل نعيت يوماً راحا   ومحاه من صفحة العمر ماح

الذئب

قلت للذئب أنت وحش ضَارٍ   قال أظفاركم شأت أظفارى
أفمار أن يقنص الذئب سخلا   واقتناص البعير ليس بعار
أفزع المرء كلَّ شاء وأبْلٍ   وأخاف الطيور فى الأوكار
استغاث العقاب فى الجو منه   واتقى النون شره فى البحار
ولخير للشاة ناب وظفر   من شفار المدى وشيِّ النار

« مدرسة الأورمان »   محمود غنيم

دوحة الفرصاد (1)

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

ولقد مررتُ بدوحة الفرصادِ   فشهدتُ مافعل الزمان العادى
جفت نضارتُها . وصُوح نبتها   وتناثرت أوراقها فى الوادى

---

(1) شجرة التوت الأحمر : وهي شجرة لها فى قلب الشام ذكريات حلوة حركته إلى نظم هذه الأبيات



...

فبكيتها ، لا بل بكيتُ صبابتى ورثيتها ، لا بل رثيتُ فؤادى
يا دوحةَ الفرصاد غيرك البلى وجرت عليك روائح وغوادى
أشبهتِ أعوادى التى نثر الأسى أوراقها ، وامَّا على أعوادى
قد كنتِ مثلى فى الربيع غضيرة أيامَ أوراق المنى أبرادى
فغدوتِ عارية فلا ثمرٌ ولا ورق عليكِ ولا حَمام شادى
أشبهتنى حتى بكيتُ وإنمـــا يدرى جوى الصديان قلب الصادى
يا قلب ليتك فى النعيم وفى الأسى أبدَ الزمان كدوحة الفرصاد
فلقد يعود مع الربيع شبابها لكنْ شبابُ العمر غير معاد

عبد الحميد السنوسى

راهب إيليـــــاء

للأستاذ محمد سعيد العريان

على حدود الصحراء صوامع وبيَع ، وكنائس وأديار ؛ فيها قساوسة ورهبان نذروا أنفسهم لله أو نصبوا حبائلهم للمال ؛ منهم برٌّ وفاجر ، وناسك وداعر ؛ وحواريٌّ من بقية السلف المؤمنين خاشع فى محرابه ، عاكفٌ على أسفاره ، يترقب مَشرق الصبح بنفس راضية وقلب عامر ؛ وآخرُ شيطانٌ فى مسوح راهب ، قد استمرأ المرعى فى ظل البطالة ، واستوطأ المقام فى كنف الراحة ، واستلذَّ الحياة فى الدَّير بين خمرٍ عتيق وقدٍّ رشيق وعودٍ ونداى !

وعلى ساحل البحر قلاع وحصون ، وصياص ومعاقل ، وجند من جند الروم قد رابطتْ على أهبة واستكملت السلاح والعدة !

وبين الصحراء والبحر من بلاد الشام يعيش شعب مهزوء ، سلبه غزاةُ الروم وطنَه وماله ، وسلبه الرهبان والقساوسة الدينَ والخلقَ وحرية الفكر والضمير !

وكانت قوافل التجار لا تنقطع بين الحجاز والشام

* * *

وكان يوماً قائظاً حين وفدت على الشام قافلة من التجار العرب ، فأناخت جمالها على حدود الصحراء فى ظل جدار قائم ، تستجمّ لما بقى من الرحلة ، وتنفض عن كواهلها غبار السفر الطويل فى صحراء ليس فيها ظلٌّ ولا مأوى ! وكان بينهم عمر !

فتى آدمُ طوالٌ أصلعُ أقنى الأنف قويُّ الساعد بعيدُ ما بين المنكبين ؛ فى عينيه بريق ينبئ عن عزم وفتوة ، وله نظرةُ الآمر المطاع بين رفاقه وإن لم يبلغ العشرين بعدُ ، وفيهم الكهول والأشياخ !

وبلغت القافلة حظها من الراحة فنهضت تستأنف المسير ، فما كادت تمضى فى طريقها خطوات حتى اعترضها واحد من الرهبان!

ووقف الراهب يتفرس فى وجوه القوم برهة قبل أن يخطو إلى عمر فيضع يده على كاهله يختاره لما يريد من أمر :

وأيقن الركب أن لا قدرة لهم على عصيان الراهب فيما يريد ، فخلفوا الفتى بين يديه ومضوا على وجوههم ...

ولم يستطع عمر خلاصاً من يد الراهب ، ولم يعرف لأى أمر يريده، فانقاد له . وبلغا الدير فدخل الراهب ودخل عمر ...

وكان فى الحوش كومة من تراب ، وإلى جانبها مجرفة ومكتل ؛ فتقدم الراهب إلى عمر يأمره : « يا فتى ! هذا التراب تحمله من هنا إلى هناك ... يجب أن تفرغ منه قبل أن أعود إليك ... ! »

ثكلتْك أمك يا عمر ! ألهذا كانت رحلتك الطويلة فى البادية الظمآنة من الحجاز إلى حدود الشام أياماً وأسابيع ؟

وجلس الفتى يتحدث إلى نفسه مغيظاً محنقاً ، لا يجد من

كبريائه سبيلاً إلى الطاعة ولا طريقاً إلى الخلاص . ومضت ساعة وعاد الراهب مخموراً يتهالك من نشوته ، وإن عليه لثوباً رقيقاً من حرير يشفّ ويَصف ، ويفوح من أردانه عطر مُسكر !

ونظر الراهب إلى كومة التراب ما تزال فى موضعها حيث كانت ، وإلى جانبها المكتل والمجرفة ، وإلى عمر مايزال فى موضعه واقفاً يتفكر ...

ودنا منه الراهب وفى عينيه الغضب . فلطمه لطمة أليمة وهو يسبّ ويتوعّد ... !

هواناً لك يا عمر إن لم تأخذ بحقك ثأراً كما يثأر البـدوىُّ لعرضه المنتهك !

وهاجت كبرياء عمر فتناول المجرفة من قريب فأهوى بها على رأس الراهب فخرّ صريعاً لوقته لم ينبس بكلمة !

« لك ما أردتَ لنفسك ... ! » :

قالها الفتى العربى وهو يجمع عزيمته فى رجليه فيقفز على سور الدير إلى الطريق لا يعرف أين ينتهى ولا أين يدركه الطلب !

ومضى على وجهه فى المفازة الشاسعة عدْواً كالظليم لا يقف فى طريقه شىءٌ من حفرة أو صخرة أو تلّ معترض ، حتى انتهى إلى جدار قائم فأوى إلى ظله حتى تفىء إليه نفسه ...

وأطلّ رأسٌ من نافذة ينظر . . . ثم انفتح باب الدير الذى أوى إلى جداره عمر ؛ وخرج إليه راهب يسأله عن خبره ... !

« من تكون يا فتى ؟ وما جاء بك ؟ »

واستمع عمر إلى الصوت الذى يناديه فرفع رأسه ينظر ؛ فإذا قسٌّ ناحل سقيم الجسد غارق فى مسح أسود ، وعلى جبينه إشراق ونور وفى عينيه تواضع ورحمة .

أجابه عمر فى صوت يختلج : « سيدى ! عابر سبيل أضلّ أصحابه فأوى إلى ظلك ساعة يستريح ! »

سمع الراهب لحديث عمر ثم قال مبتسماً : « أحسبك لم تصدقنى يا فتى ؛ فإن فى عينيك بريقاً ينبىء أنك هارب مذعور ! »

ازدرد الفتى ريقه ، واستطرد الراهب : « لا عليك ؛ إن عندى مأوى صالحاً وطعاماً ! »

وقاده من يده إلى الدير وأغلق الباب وراءه ... ... !

***

جلس عمر إلى مائدة شهية فأكل وشرب ؛ والراهب بإزائه يحدق فيه لا يكاد يطرف جفنه ، وبينه وبين نفسه حديث طويل .

فلما فرغ من طعامه جلس إليه يتبادلان الحديث ، حتى أنس عمر وثابت نفسه ، وصمت الراهب برهة ثم عاد ينظر فى وجه الفتى وهو يقول : « أنتك لأنت ... ؟ »

وطارت نفس عمر ، وتوزّعتْه الظنون ، واستمر الراهب فى حديثه : « . . . ألا إنه ليس فى هـذا البلد من هو أعلم منى بعلم أهل الكتاب ؛ فإنى لأكاد أوقن أنك الشخص الذى أعنى : ستدول دولة الروم فى الشام على يدي فتى مثلك ؛ ويخفق عليها لواء دين جديد ! »

لم يفهم عمر كلمة مما قال الراهب ، ولكنه استمر يستمع له مدهوشاً ذاهلاً ، وفجأة سأله الراهب : « ما اسمك يافتى ؟ »

قال : « ... عمر بن الخطاب ، من بنى عدىّ ! »

وهب الراهب واقفا وهو يقول : « والله ما خدعتنى فراستى . إنك لأنت هو ؛ فهل تعاهدنى ... ؟ »

ثم أتى بقرطاس وقلم فدفعهما إلى عمر قائلا : « اكتب ... اكتب أننى جارٌ لك ، لا عدوان علىّ فى مالى ولا فى نفسى يوم يئول أمرها إليك ... ! »

وفغر الفتى فاه دهشة لما يرى وما يسمع ؛ ثم توجه إلى الراهب يقول : « سيدى ، لقد أكرمتنى وألطفتنى ما لا مزيد عليه ، فلا تسخر منى بعد ! »

قال الراهب : « أظننت ؟ لعمر الحق ما عنيتها ، ولا عليك من شىء أن تكتب ؛ فإن كان الذى أتوقع فقد فعلت ، وإلا فلن يضيرك مما تكتب شىء ! »

وتناول عمر القلم فكتب ما أملى عليه الراهب ثم دفع إليه الكتاب ...

***

وعاد الفتى إلى أهله ، يعيش عيش المترفين من فتيان العرب ، لا يعنيه من أمرٍ شىء ، إلا ما يعنى غيره من شباب مكة من المنافرة والفاخرة وانتهاز سوانح اللذات !

ومضت سنوات ، ونسى الفتى ما كان من أمره فى الشام !

وبعث الله محمداً نبياً يدعو إلى الحق وإلى سبيل الرشاد ؛ فآمن من آمن ، وأنكر دعوته من أنكر ؛ وكان عمر أشد أعداء محمد حرباً عليه وعلى صحابته ، فما أمكنته الفرصة مرة برجل من أصحاب

محمد إلا ناله بما يكره من الأذى والمهانة !

ومضت ست سنين منذ بعث الله محمداً بالحق قبل أن يسلم عمر بن الخطاب !

وراحت جنود الإسلام تغزو الشرك فى دياره ، فما وطئتْ بلداً إلا أعلت كلمة الله ورفعت راية الإسلام . ومضى المسلمون فى جهادهم يفتحون الأمصار ونورهم يسعى بين أيديهم ؛ فما انتقل محمد إلى ربه حتى دانت الجزيرة العربية كلها وغمرها نور الإسلام

وتولى عمر إمارة المسلمين وجنودُ الإسلام يومئذ على حدود الشام ؛ فمضى قُوّادُه إلى غايتهم يبشرون بالدين ، حتى تم فتح الشام على أيدى أبطاله : خالد ، وأبى عبيدة ، وعمرو ، ويزيد بن أبى سفيان . وخلصت بلاد العرب من أبناء غسان — من عسف الروم وبطش الرّهابين ، لتعود جزءاً من الدولة العربية المسلمة التى يقوم على شئونها عمر !

وتخفف أهل الشام من أثقال الحكم الغابر ليعودوا إخواناً متحابين ليس لأحد على أحد يد ولا منة ؛ وانزوى الرهبان فى أديارهم لا يربطهم بالجماعة رابطة إلا ما يدفعون للأمير العربى من الجزية تأميناً لأنفسهم ولما يملكون من مال اجتمع لهم على الأيام مما اغتصبوا من أفواه الجياع باسم الدين ! فأيّما رجل منهم حدّثته نفسه بالعصيان والتمرُّد ، ردُّوه بأسيافهم إلى الطاعة وأجلَوْه عن صومعته ليجعلوها مسجداً من مساجد المسلمين ؛ فلهم حرية العبادة وحرية المقام ما التزموا حدودهم التى ضربها الإسلام عليهم ...

***

وتم الأمر للعرب فى بلاد الشام ، فكتب أمير الجند أبو عبيدة إلى عمر يدعوه ليعقد المهدين أهل الشام والعرب الفاتحين ويكتب لهم به . وقدم الركب الحجازى يقدمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛ حتى أناخ رواحله فى بيت المقدس . . . وجلس عمر ذات يوم بين أصحابه وقادة جنده يشرع لهم ويبادلهم الرأى والمشورة ؛ فإذا راهب مقبلٌ من بعيد إلى حيث يجلس هو وصحابته ؛ فما إن تبينه عمر مقبلاً عليه حتى عرف ؛ فارتد بفكره إلى الماضى يذكر تاريخاً بعيدا وذكرى مضى دونها بضع وعشرون سنة ؛ فأطرق برأسه متأثراً وهو يقول فى همس: « جاء مالا طاقة عليه لعمر ! » ثم رفع رأسه وفى عينيه بريق عجيب ، وقد تنشّتْه الذكرى وعادت به إلى ماضيه تنشره أمامه صفحة صفحة منذ كان، وكان ، وكان...

ودنا الراهب الشيخ من مجلس الأمير فحيا ووقف وفى يده صحيفة مبسوطة ، فتناولها الأمير وجعل يقرأ :

« هذا عهد من عمر بن الخطاب إلى راهب إيلياء ؛ له ما لأصحابنا وعليه ما عليهم ، لا نظلمه ولا نخذله ، ولا نفرض عليه ما لا طاقة له به ، وله ديره وما ملك ... ! »

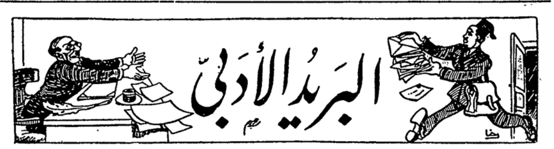
وهم الراهب أن يتحدث ليشرح أمره فابتدره عمر : « حسبك حسبك ؛ إن لك ذمة فى عنق كل مسلم وكل عربى ، إن لم يؤكدها هذا الصك المكتوب أكدها شرف العربىّ وخلق المسلم ! »

ثم التفت إلى عامله أبى عبيدة قائلا : « ذلك جارى ، فله عليك الأمان والذمة ، لا يعرض له أحد بسوء ، ولا يناله بما يكره ! »

وتلاشت آخر كلماته فى بحة راعشة، وغامت عيناه بدموع التأثر. ثم نهض رافعاً رأسه وهو يقول فى كلمات عميقة النبر بليغة الأثر :

« حيثما يرفرف لواء الإسلام فليس ثمة إلا العدل والوفاء والرحمة. لا يعرف الفاتح العربى غطرسة الحاكم ولا جبروت المنتصر ؛ ولا شىء بين الحاكم والمحكوم إلا دين الله ووشائج الإنسانية ! »

« شبرا » محمد سعيد العريان



الفنانون المصريون

لما كنت فى جبال الدولوميث صيف السنة الماضية لقيت نفراً من مهرة الفنانين الإيطاليين . فحدثونى عن القسم المصرى لمعرض البندقية الواحد والعشرين XXe Biennale . وكان حديثهم من أعذب ما سمعت إذ أقروا أن دلائل الفن المصرى الحديث من الطراز الأول . ولما انحدرت من جبال الدولوميث إلى سهول إيطالية لم أر بداً من الذهاب إلى البندقية فوصلتها فى يوم يكاد فيه الهواء يصل إلى الرئة : حرّ أسوانى وثقل فى الجو ثم بعوض فتاك

إن القسم المصرى فى معرض البندقية كان شيئاً عظيماً حقاً . فلم أفرغ من تأمله حتى بعثت إلى « الرسالة » بمقالة مسهبة وصفت فيها المعروضات وعللت تقدم الفنانين المصريين . وإذا المقالة لا تنتهى إلى « الرسالة » عفا الله عن البريد

وليعزّ علىّ أن أهمل ذلك القسم المصرى ، إلا أنى أصبحت أرى معروضاته على ضوء ضئيل أو كما يقول المصورون أنفسهم فى ضياء مظلم clair obscur ومما زيد فى أسفى أن هذا القسم عُرض ثانية فى فندق الكونتيننتال فى القاهرة وأنا لم أحضرها بعد فهل يؤذن لى أن أكتب من الذاكرة ؟

أذكر من الصور تلك التى عرضها محمود سعيد وهو مصور يحق له أن ينافس كبار زملائه من الفرنجة . ويمتاز سعيد ببثّ الحياة الزاخرة فى نواحى صوره وبالإتقان من غير تكلف وبالتأليف الجامع المدفون فى اللمحات والإشارات كأنه نغمات تنسجم على وزن لا يبلغ الأذن . ثم إنه أخذ يفلت من تأثير روبرندت Rewbrandt وروبنس Rubens وحول أنظاره إلى الفطريين أمثال فان إيك Van Eyck إلا أنه يصب فى ألواحه ما يحس به خاصة وما يضطرب فى الطبيعة المصرية . وله أداء تعبيرى يدعوك إلى الروية وطلب المزيد . وإنك لتلمس هذا أمام صورتين له على وجه التخصيص هما : فتيات بحرى والجزيرة السعيدة .

وأذكر من المنحوتات تمثالاً لأحمد عثمان يبرز فتاتين خارجتين إلى النزهة فيما أظن . والتمثال على الطريقة الوصفية الدقيقة . إلا أن الدقة فيه غير مباشرة ، ومعنى هذا أن التفاصيل لا تؤدى على حالها المنظور بل على حالها المتخيَّل . وهذا أسلوب فى الأداء عرفه قدماء المصريين . وجمال هذا التمثال من جانب الصدق الذى يفيض من نواحيه ثم من جانب قوته التزيينية décorative

وهنا أحب أن أعلن أن الفن فى مصر الحديثة سبق الموسيقى والرقص والشعر حتى النثر لأنه بنجوة من الرأى العام لانصراف الجمهور عن مظاهره ، والرأى العام عندنا يكره الوثبات ، ولأنه غير خاضع لسلطان التقاليد والمنقولات إذ التصور فى الإسلام لا يعدو جانب التزويق ، ولأنه نهض أول ما نهض على قواعد الفن الأوربى وحده فلا نزاع ولا شقاق ولا تقديم رجل وتأخير أخرى . أضف إلى كل هذا أن أصحابه أدركوا أن غاية الفن الصحيح طلب الطرافة من ناحيتين : الأولى بالانطواء على النفس والثانية باستلهام ما يحيط بك . فهذه تخرج لكل بلد فنه الموقوف عليها لأنه مستمد من سمائها وأرضها وسليقة أهلها ، وأما تلك فترسل فى ألواح كل فنان معنًى وتنفث سراً .

بشر فارس

من مآسى الحياة

سيدى الأستاذ الزيات

لقد وعدت أن أقص عليك ما أعلم من مآسى الحياة ، ولكنى رأيت ألاّ أفى بوعدى رحمة بالرسالة وقراء الرسالة

إن حبى للرسالة يمنعنى أن أحملها من المآسى ما تخر تحته الجبال .

مآس سحقت قلوباً كانت قوية ، وأذلت نفوساً كانت عزيزة أبيّة ، وهدمت حياة كانت حافلة بالآمال والأعمال .

فهل فى استطاعة الرسالة احتمال كل هذا ؟

أما كفاها ما حمّلها صاحبها من مآس وهى لا زالت طفلة فى السابعة من عمرها؟ لقد رأيت الدموع تجرى بين سطورها، وسمعت أنات القلوب المحطمة بين صفحاتها ، فهل أزيدها ألماً وأحمّلها عصارة القلوب المنسحقة ؟ .

رحمة بالرسالة يا سيدى فهى — على رغم ما تحمل من علوم وآداب عالية — لا زالت رقيقة صغيرة نضرة . وإنى لأشفق عليها من وصف ما وصل إليه الإنسان من وحشية وقسوة ! !

نعم يا سيدى الفاضل « إنه لا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب ما هو أمضّ لوعة وأشد روعة من « فتون وجنون »

لا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب مآس هى أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. وفى خبايا الغيوب آلام تضعف عندها الألفاظ وتمتنع عنها أقوى المعانى

وفى طوايا الحجب ضحايا ...

ليت رحمة الله تدركهم فيذوقوا نعمة الموت ! حتى الموت امتنع عنهم

وهل هناك أشد بؤساً من قوم كل أملهم انتظار الموت ؟

لا تشك الدهر فيما يأتى به من شقاء ، ولا تلم القدر بما يجيب من دعاء، فإن قلب الإنسان أشد قسوة وأمرّ تعذيباً من كل هؤلاء . بين الناس من يحملون قلوباً كالرحى . ولقد فكرت مراراً كيف يقدر الإنسان أن يتفنن فى تعذيب إنسان آخر وخصوصاً إن كان أقرب الناس إليه ! ! ولكنى عجزت عن الجواب .

أرانى يا سيدى الفاضل تماديت فى الحديث أكثر مما كنت أود

وأخشى إن أنا استرسلت فى الكتابة أن أكشف عن خبايا مآس ربما كان سترها أفضل ، وأعيد ذكرى آلام ربما كان نسيانها أوفق، فعفواً سيدى ومعذرة إن أنا لم أنجز وعدى. فليس فى استطاعتى أن أقص عليك . فربما كان الصمت أبلغ من القصص .

ا . س . ف

هل عبد الإسرائيليون أبا الهول ؟

جاء فى العدد (٢٨٨) من مجلة الرسالة الغراء أن كلمة « أبو الهول » محرفة عن كلمة « بوحول » ، وهى لفظة إسرائيلية معناها « مكان حول » و « حول » إله محلى فى فلسطين ، فلما نزل الإسرائيليون أرض مصر أقاموا بجوار أبى الهول ، وعبدوه بدلاً من أحد آلهتهم ، لما بينهما من تشابه

ولا شك أن هذا ينافى ما هو معلوم من تاريخ الإسرائيليين ، لأنهم لم يكن لهم إله بفلسطين قبل هجرتهم إلى مصر يسمى « حول » . فإن الذين هاجروا منهم إلى بلاد مصر هم : يعقوب وأولاده ، ويعقوب هو إسرائيل ، وإليه ينسب الإسرائيليون . وقد كان هو وأولاده يعبدون الله تعالى قبل هجرتهم إلى مصر ، وبعد هجرتهم إليها كما هو معلوم من إجماع الكتب المقدسة وغيرها. ولا يصح أن يعدل عن تواتر التاريخ بهذه المناسبات اللفظية التى ترجع إلى توافق اللغات وتشابهها ، ولا يمكن أن يؤخذ منها تلك الأمور التى تنافى الحقائق التاريخية

والمعروف أيضاً أن الإسرائيليين لما هاجروا إلى مصر نزلوا بأرض جاسان . وهى فى مديرية الشرقية الآن ، وقد أقاموا بها إلى أن أخرجهم فرعون موسى منها

فإذا صح أن قوماً من فلسطين نزلوا بجوار « أبو الهول » وعبدوه . فإنهم يكونون من الفلسطينيين الوثنيين لا من الإسرائيليين الموحدين ، وقد كانت فلسطين جامعة للفريقين

وإذا صح أن اسم « أبو الهول » فى الهيروغليفية هو : « حرأم آخت » ؛ ومعناها : « هوراس الذى فى الأفق » . فإن الأقرب أن يكون تحريف ذلك الاسم عن « هور » . لا عن « بوحول » ، وإضافة لفظ الأب إلى أسماء : (الأعلام) شائعة فى العامية المصرية إلى الآن ، وهذه التسمية من وضعها ، وقد جاء ذلك الصنم فى كتب مؤرخى العرب باسم « بلهيت » أو « بلهوية »

عبد المتعال الصعيدى

تمثال مصرى قديم يخرج عن مصر

نشرت بعض الصحف نبأ عن تمثال مصرى معروض على متحف متروبوليتان فى الولايات المتحدة لشرائه، وقالت إنه أخرج من مصر خلسة . وقد قالت مصلحة الآثار المصرية إنه لأمير مصرى استخرج من حفائر دهشور حول هرم الملك ببى من الأسرة السادسة ، وكان يقوم بالحفائر فى تلك المنطقة مسيو جيكييه رئيس البعثة الفرنسية . والمفهوم أن هذا التمثال أرسل من مصر قطعاً

صغيرة ثم أعيد تركيبه فى أمريكا وعرض للبيع فقدر له مبلغ ١٥٠٠ جنيه مصرى ثمناً وقد أرسل متحف المتروبوليتان الأمريكى إلى مصلحة الآثار المصرية خطاباً يعرض عليها فيه شراء التمثال بهذا المبلغ فطلبت إرسال صورة له للاطلاع عليها

وتبحث مصلحة الآثار باهتمام فى هذه الأيام الطريقة العملية لمنع تسرب الآثار المصرية إلى الخارج، وقد اشترطت أخيراً على هذه البعثات وجوب وضع فنى مصرى فى كل بعثة لمنع أمثال هذه الحوادث

أعظم مجهر فى العالم

حضر ولى عهد بلاد السويد فى ٧ يناير تجربة الميكروسكوب الكهربائى الذى يكبر حجم الأجسام الدقيقة والذرات مائة ألف مرة

وإذا تصورنا أن الميكرسكوب العادى قد لا يتجاوز فى تكبيره خمسة آلاف ضعف، أمكننا أن نتصور عظمة هذا المجهر الذى سيكون له أعظم شأن فى الكشف الطبى والعلمى والفنى

والمخترع لهذا الميكرسكوب العجيب العلامة سيجباهو المعروف فى جامعة أوبسالا والذى منح جائزة نوبل للعلوم الطبيعية

ويقال إن البروفسور سيجباهو استعمل مجهره العجيب على أساس الأشعة الكاثودية بدلاً من الأشعة الكهربائية العادية

ونحن إذ نسجل هذا الخبر ندعو الله أن يمهد السبيل لأحد المصريين أو أبناء الشرق أن يخترع اختراعاً أو يكتشف اكتشافاً يكون له دوى عالمى حتى يلتفت العالم العلمى إلى بلاد تكثر من ذكر العبقرية وذكر النبوغ دون أن يكون من بين أبنائها من يمكن إطلاق إحدى الصفتين عليه بجدارة واستحقاق

مصلحة للآثار العربية

كانت النية معقودة فى وزارة المعارف المصرية على ضم دار الآثار العربية إلى إدارة الآثار الإسلامية وإنشاء مصلحة بهما معاً

وقد رفعت مذكرة إلى مجلس الوزراء بهذا الشأن، والمأمول بعد هذا الضم أن يتم العمل فى ترميم الآثار والمساجد الإسلامية التى لا تزال بعضها مهملاً مع كونه هاماً أو على جانب من الجمال الفنى

وقد قامت إدارة الآثار الإسلامية بجهود جبار مع كونها كانت إدارة؛ فلا يبعد أن يتضاعف مجهودها إذا ما أصبحت مصلحة مستقلة ذات ميزانية كبرى

توليد السماد من الهواء

من المسائل التى تهتم بها الآن مصلحة التجارة والصناعة بحث كشف علمى جديد كشفه أحد الأمريكيين وسجله لدى حكومته

وخلاصة الكشف أنه يمكن توليد السماد من الهواء بطريقة خاصة تجمع بين غاز الأكسجين وغاز الأزوت بعد تسليط أشعة خاصة هى وسط بين أشعة إكس وأشعة الألترا فيوليت. وقد أوضح المكتشف فى تقريره إلى مصلحة التجارة والصناعة المصرية بأن طريقته أقل نفقة من غيرها، ولذا أرسلت الوزارة المصرية إلى مفوضيتها فى واشنطون طالبة زيادة الإيضاح والبيانات عن هذا الكشف العلمى الذى قد تستفيد منه مصر إذا ما اتضح نفعه

الحالة الاقتصادية فى تونس

كثر الحديث عن تونس منذ أسابيع بالنظر إلى الاقتراحات الإيطالية التى ستتقدم بها الحكومة إلى الجمهورية الفرنسية كما كثر اهتمام الشرقيين بهذا القطر الشقيق. ولعل فيما نذكره عن حالة تونس من الناحية الاقتصادية ما يجعلنا نفهم بعض الشىء الدافع لإيطاليا إلى الاتجاه لهذه المنطقة الخصبة

مساحة الأراضى المزروعة قمحاً	١ر١٠٠ر٠٠٠	فدان
« المغروسة عنباً	٣١ر١٠٠	فدان
محصول القمح فى السنة	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	قنطار
« الشعير « «	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	«
« الشوفان فى السنة	٥٠٠ر٠٠٠	«
« النبيذ المتحصل من الكرم	٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠	لتراً
عدد أشجار الزيتون	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠	شجرة
ينتج منها زيت قدره	٥٠٠ر٠٠٠	لتر
وفيها يبلغ طول الطرقات المعبدة	٦٠٠٠	كيلومتر
وطول السكك الحديدية	٣٠٠٠	كيلومتر
وعدد موانيها يبلغ	٢١	مرفأ
منها من الدرجة الأولى	٤	مرافئ
تبلغ حركة التجارة فى أولها وهى صفاقس	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	طن
وفى الثانية وهى تونس	١ر٠٠٠ر٠٠٠	طن
وفى الثالثة وهى بنزرت	٤٥٠ر٠٠٠	طن
وفى الرابعة وهى سوس	٤٢٠ر٠٠٠	طن

وقاية آثار المتحف المصرى من الغارات الجوية

المعروف أن المتحف المصرى يشمل أغنى مجموعة أثرية مصرية فى العالم أجمع ، ولذلك كان من ضمن الأعمال الهامة التى درستها الحكومة المصرية النظر فى أمر وقاية الآثار فى المتحف المصرى عند حصول غارات جوية

وقد ذهب الخبير البريطانى فى مصلحة الوقاية من الغارات الجوية إلى مصلحة الآثار لمعاينة الأماكن والمخازن ذات القبو التى يمكن اعتبارها صالحة لهذا الغرض واطلع الخبير على رسوم خاصة بإنشاء مبان أخرى

ويهمنا من نشر هذا الخبر أن نوجه عناية الحكومة إلى التفكير أيضاً فى وقاية الآثار العربية لأنها إذا لم تكن قديمة قدم الآثار المصرية فإنها لا تقل عنها شأناً

مستقبل الثقافة فى مصر

أخرج صديقنا الدكتور طه حسين بك كتاباً قيماً فى جزءين عالج فيه مستقبل الثقافة فى مصر بمعاهدها المختلفة. وقد أرسل إلينا الدكتور زكى مبارك بحثاً ضافياً عنه سننشره فى العدد القادم

بين القديم والجديد

أرسل إلينا الأستاذ محمد أحمد الغمراوى مقاله الثانى فى الرد على (قارئ) فى مسألة الأدب بين القديم والجديد فاضطررنا لضيق الوقت أن نؤجله إلى العدد المقبل

جمعية علمية فرنسية تعمل على نشر الأدب العربى

علمنا أن الجمعية العلمية الفرنسية التى وجهت عنايتها منذ إنشائها إلى نشر الآداب القديمة والحديثة ، قد اتجه تفكيرها إلى إحياء ما تركه العرب من تراث أدبى ، مع توجيه نصيب من الجهود إلى الأدب العربى الحديث لإعطائه حقه من العناية والدراسة

ومما وقفنا عليه فى هذا الصدد أن فريقاً من علماء تلك الجمعية اعتزموا زيارة مصر فى الأيام القريبة المقبلة للاتصال بكبار رجال الأدب فيها ، تمهيداً لترجمة بعض المؤلفات الأدبية القديمة والحديثة ونشرها فى فرنسا

ومما يجدر بالذكر أن هذه الجمعية العلمية قد نشأت بعد الحرب الكبرى ، وبدأت جهودها التى لا دخل للهيئات الرسمية فيها ، بنشر الآداب اللاتينية بعد ترجمتها ترجمة جديدة ، فأحدثت بذلك ثورة فكرية فى البيئات الأدبية والعلمية ، لم تتأثر بها فرنسا وحدها وإنما تعدت حدودها إلى الممالك الأخرى

مشروع جامعة السودان

من أنباء الخرطوم أنه منذ صدور التقرير الضافى الذى وضعه اللورد دى لاوار عن التعليم فى السودان ، ومصلحة المعارف السودانية تبذل جهدها لتحقيق أمل السودانيين فى إنشاء جامعة للسودان على نحو الجامعة المصرية

وقد كتبت بعض الصحف تشك فى إمكان قيام مثل هذه الجامعة لعظم ما تحتاج إليه من تكاليف لا تتحملها الميزانية السودانية . ولكن المتصلين برجال المعارف فى القطر الشقيق يقولون إنهم جادون كل الجد ، فى العمل على تنفيذ مشروع الجامعة السودانية

ويظهر أن الجامعة الجديدة سوف لا تستند فى مواردها إلى المالية السودانية فقط ، لأنها فى الحقيقة ليست تنفيذاً للأمل السودانى المتواضع ، بل تنفيذاً لسياسة عليا ، يرجى من ورائها أن ينشأ هناك مركز علمى كبير يحمل الثقافة إلى الجزء الأفريقى من مستعمرات التاج البريطانى ، وقد أشير إلى هذا الغرض صراحة عند إرسال بعثة دى لاوار

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

Lundi - 23 - 1 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

7me Année No. 290

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٢٣ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

من مآسي الحياة

ضحيـــة مَن هذا ؟

الآباء يأكلون الحصرم ، والأبناء يضرسون !

كنت في مكتبي مساء الأمس أتحدث إلى قصصية شاعرة جاءت تهدي إليّ قصة للتقريظ ، وقصصي كاتب جاء يقدم إلى أقصوصة للنشر . وكان من مطارحات الحديث أن تكلمنا في نصيب الخيال والواقع من قصة الأديبة وأقصوصة الأديب ؛ وجرى على الألسنة الثلاثة كلام في روعة الواقع المحض ، وزخرفة الفن البارع ، وجاذبية الخيال الممكن . وكأنما كان يدافع عن الحقيقة مدافع من وراء الغيب فأدخل علينا فتى ذاوي الفتوة ضارع الجسم ، ألف القَدر من شقائه مأساة لا يحتاج الكاتب في سردها إلى تلفيق خياله أو تزويق فنه

قرأ هذا الشاب ما كتبناه عن بعض من عرفنا من فرائس البؤس ، فظن لبراءة فكره وسلامة صدره أن ما نكتبه عن هذه المآسي الأليمة يصادف من أولي الأمر استماعاً واقتناعاً ورحمة ، فأراد آخر الرأي أن يسمعهم أنينه الموجع من هذا المكان القريب . ولو علم فتانا أن القدرة صفة من لا يرحم ، وأن الرأفة خُلق من لا يستطيع ، لأدرك أن كبراءنا وأغنياءنا يقرأون مآسينا للتلهي والفن ، كما نقرأ نحن ملاهيهم للتسلي والعَجب . فإذا كانت لهم عيون فعيونهم من غير دموع ،

وإذا كانت لم قلوب فقلوبهم من غير شفقة . ولكنه أخذ يستريح إلينا بما كابد من باطن الهم ومكنون الأسى ، فأخذت الكاتبة تهنه عبرة سالت على الخد ، وأخذ الكاتب يعجب أن يبلغ البؤس بالناس إلى هذا الحد ، وتركا لى أن أقص عليك فصلا من هذه الرواية :

فى المنصورة أيضاً بلد المال والجمال والشعر ، سطر الدهر المصرّف فى سجل الألم الإنسانى هذه المأساة . كان أبوه من كبار التجار فى هذه المدينة ؛ وكانت يداه كيدى الخازن الماهر فى المصرف العظيم تسيلان فى الأخذ والعطاء ورقاً وفضة . وكان معدوداً فى سراة القوم ، يعيش عيش المترفين المسرفين ، يطلق نفسه فى العز ، ويقلب أهله فى النعيم ، وينشّئ أطفاله السبعة على كبر النفس ورفعة الهوى وبُعد الأمل. واتسق له الحال وواتاه الحظ الناهض فظن أمره قد عظم على الأيام واعتصم من الطوارق ، فأغفل المواظبة والمراقبة ، وأهمل المراجعة والمحاسبة ، فصار الداخل لا يسجّل ، والخارج لا يحصّل ؛ واجتمع عليه العدوان السخيان : التاجر المصدِّر الذى يعطى ولا يأخذ اعتماداً على الضمان ، والشارى المستهلك الذى يأخذ ولا يعطى اتكالاً على الأمانة . وظلت الأمور تجرى فى مجاريها اليومية ، تُفرغ صناديق البضاعة ليلاً فى المخازن ، ثم توزع على الناس نهاراً فى الحوانيت ؛ ولا يعلم إلا الله والتاجر ما فى هذا الرواج العظيم من البوار ، وما يبطنه هذا الربح الموهوم من الخسارة

وكان هذا الفتى وهو بكر أبيه قد نجح فى امتحان البكالوريا بقسمها العلمى حين نزلت بهذا التاجر المغرور علة فادحة . وأعان المريضُ العلة على نفسه بما انكشف له من سوء الحال وظلام المستقبل فقضت عليه

جلس الفتى فى المتجر مكان أبيه الراحل وهو يكفكف عبرات العين بالصبر ، ويخفف حسرات القلب بالرجاء ، وفى اعتقاده أنه سيبنى على أساس مكين ويصعد على رأس مال ضخم . فلما خطا الخطوة الأولى تفتحت أمامه الهُوَى ، وتفجّرت حواليه النوازل ؛ فعاد ينظر فى المخازن ويبحث فى الدفاتر فوجد الخطر الذى لا يدفع ، والقضاء الذى لا يُرد . وحاول أن يتفق مع الغرماء والحرفاء فلم تساعده فداحة دَينه وطراءة سنه على هذا الاتفاق ، فاستغرق بعض الدين كل التركة ، وأعلنت المحكمة إفلاس المتجر ...

وفى عشية وضحاها فقدت الأسرة المدلَّلة وسيلتها للعيش ومكانتها فى المجتمع ، فلم يعدْ لها بعد الله عائل ولا وائل غير هذا الشاب وشهادة يحملها عليها طابع الحكومة وخاتم وزير المعارف بأنه تربى وتعلم ، فمن حقه أن يمارس شؤون الناس ويلى أمور الدولة . فانتقل الفتى بأسرته إلى القاهرة ، ثم أخذ يقطع السبل المؤدية إلى الوزارات كل صباح وهو فخور بشهادته ، مدل بكمايته ، فلم يدع باباً من أبواب الدواوين إلا طرقه . ثم ألح فى الطرق رجاة أن يصيخ إليه سمع فلم يشعر بوجوده غير السعاة والحجاب ، فاتسعوا له حيناً ثم برموا به فنهروه وطردوه . وأدرك المسكين بعد لأى أن الشهادة من غير مدد ورقةٌ عليها مداد . فأخذ يلتمس الشفاعة عند أرباب السراوة والجاه . ولكن الشفاعة فى أيامنا أصبحت حرفة لا يبذلها الشفيع إلا لمن يبذل فيها المال أو العرض . فكان الفتى كلما سمع برجل من رجال النفوذ قصده وقص عليه قَصصه ، فلا يكاد الرجل العظيم يعلم أن له أخوات فى غيَسان الشباب ، وأمًّا لا تزال فى ربيع العمر ، حتى تحوم نفسهُ على الخِدْر الذليل ، فتثور الحمية بالفتى فلا يجد لها متنفساً إلا البكاء والاختفاء

والنفس اليائس السبيل إلى العمل بالفكر وباليد فلم يوفق . وأوشك أن ينفد ثمن الحلية الأخيرة من حلى أمه ؛ وخشى أن يختم الموت على الأفواه الثمانية الذابلة ، فتقدم إلى العمل (فاعلاً) فى عمارة تبنى ، فرده (المقاول) لرقة جسمه ودقة عظمه !

فانكفأ الطريد بالفشل والخجل إلى أسرته اليائسة الولهى ؛ وباتوا جميعاً على الطوى والجوى يخلطون البكاء بالبكاء ، ويَصلون

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

الدعاء بالدعاء ، حتى سمعوا أن كلية الطب تطلب فراشين ، فتقدم صاحب الشهادة مع صاحب المكنسة ، وأمله كله ألا يُذاد عن هذا الملجأ الأخير !

وها هو ذا الآن فى قسم الكيمياء ينظف لرفاقه فى الدراسة المقاعد والمناضد بأجرة فى الشهر مقدارها مائة وأربعون قرشاً يحفظ بها أربعة أعراض وثمانية أرواح ! ولعله بفضل ما تعلّم من المعادلات واللوغاريتمات لا يتعب كثيراً فى حساب هذا الدخل !

احمد حسن الزيات

١٠ ٥ ١٢

الأم ... أو التاريخ الحى

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثر الحديث فى الأسبوع الماضى عن « مارى أنطوانيت » والثورة الفرنسية ، لأن داراً من دور الصور المتحركة عرضت حياة هذه الملكة المنكوبة فى صورة قريبة إلى التاريخ ولكنها أقرب إلى الفن والتصرف الذى يقتضيه فى بعض المناظر . وشهدت هذه الرواية التاريخية فأيقنت من براعة تمثيلها وعرضها أنها قد جعلت الثورة الفرنسية ذكرى حياة لمن شهدوها كأنهم قد عاشوا فى أيامها وتقلبوا بين تقلباتها وطبعوا فى أخلادهم بعض حوادثها . وأعانهم على ذلك أن حقائق التاريخ ملتزمة فى مسائلها الجوهرية أحسن التزام مستطاع ، وأنها معروضة على مثال نفسى لا على مثال اجتماعى أو علمى يقصر الأمر على التأمل والتدبر ولا ينفذ به إلى معترك العاطفة والإحساس

قال « ستيفان زفيج » أكبر كتاب السير المعاصرين فيما مهد به لسيرة « مارى أنطوانيت » إن : « الفاجعة التاريخية » تقوم على البطولة أو على أناس من جبابرة النفوس والعقول . فإن لم تكن كذلك فهى تقوم على « إنسان عادى » يتعرض للأحداث الجسام التى تفوقه فى الكبر والضخامة وتجعله عظيما بما يحيط به من أقدار عظيمة وإحن لا طاقة له باتقائها ولا بالخلاص منها بعد وقوعها

ولم تكن مارى أنطوانيت من معدن البطولة والجبروت ، ولكنها كانت امرأة من الطراز الوسط فى الذكاء والمزاج والأخلاق، تحب سهولة الحياة ولا تشغل بالها بالفوادح والمشكلات . فلما أحاطت بها الفوادح والمشكلات على الرغم منها ظهرت « الفاجعة التاريخية » على نمط يشبه فواجع الأبطال والجبابرة ، من غير بطولة ولا جبروت

والرأى عندنا أن « الفاجعة الكبرى » تهز النفس هزاً عنيفاً فى حالتين اثنتين : إحداهما حالة البطولة والجبروت التى أشار إليها ستيفان زفيج ، والثانية حالة الإنسان العادى الذى تمتحنه الأحداث فى كل جانب من جوانب نفسه فلا تدع له حاسة بعيدة من سلطانها غير مجروفة فى دوافق تيارها . وكذلك كانت فاجعة التاريخ التى أحاطت بمارى أنطوانيت

كانت ملكة وزوجة وأما ومحبة وامرأة من بنات آدم وحواء كسائر النساء . فما تركت لها الأحداث جانباً من هذه الجوانب إلا استغرقته وطغت عليه : امتحنت منها الملكة فى دولتها ونظام حكمها وعلاقتها بسياسة بلادها التى حكمتها وسياسة بلادها التى ولدت فيها ؛ وامتحنت منها الزوجة فى قرينها الذى حال بينها وبينه علة العجز الصحى سبع سنوات ، حتى إذا شفى من عجزه أصابتها فيه خطوب الثورة ودسائس البلاط ؛ وامتحنت منها الأم فطعنها الثوار وطعنها وليدها نفسه فى أمومتها ، بل فى شرف الأمومة فضلاً عن حنانها ؛ وامتحنت منها المحبة فكانت قصتها مع السويدى فرزن كأقسى ما تكون قصص الفراق أو قصص الغرام المكبوت ؛ وامتحنتها فى أنوثتها فوقفت بينها امرأة عزلاء بادية المقاتل لكل سهم مسموم

لذلك كانت فاجعة « مارى أنطوانيت » من أكبر فواجع التاريخ وإن كانت هى وكان لويس السادس عشر زوجها المظلوم من معدن غير معدن البطولة والجبروت ، لأن النفس الآدمية تقابل هذه الفاجعة من نواحى شتى وصلت كلها إلى غاية المدى وقصارى الاستقصاء . ولا ريب أن الفجيعة الكبرى بين هذه الفجائع المتفرقة التى التقت فى شخص واحد كانت هى فجيعة الأم أو فجيعة الأمومة البالغة فى القسوة والإيلام

شهد القاهريون « نورماشيرر » وهى تمثل فجيعة مارى أنطوانيت يوم جاءها وكلاء الثورة يأخذون منها طفلها الصغير وسلوتها العظمى فى بلاء السجن وبلاء الضنك والحرمان

فأما « مارى أنطوانيت » فالتاريخ لا يروى لنا أنها قد فعلت فى ساعة توديع ابنها ما فعلته نورما شيرر على اللوحة البيضاء ،

ولا أنها قد مانعت هذه الماتعة وتخبطت هذا التخبط وبكت هذا البكاء ، ولكن الممثلة أرادت أن تجمع فى هذا الموقف ما تفرق فى أعوام من الحنان المفجوع والعطف المطعون ، فبالغت هذه المبالغة التى صدقت بها الفن وإن لم تصدق التاريخ

فقد ثبت فى الأسانيد الصحيحة أن هذه الأم الوفية ضيعت نفسها مرات وأعرضت عن كثير من وسائل النجاة فى سبيل الطمأنينة على وليدها الصغير

فلما فشلت خطة الهرب إلى « فارن » وأصبح استئناف السير فى المركبة المقفلة ضربا من المستحيل عرض عليها بعض الأنصار المخلصين ركوب الجياد فى المسافة القصيرة الباقية بينهم وبين الحدود قبل إطباق الثوار والجنود ، فأبت هذا الاقتراح مخافة على ابنها أن تصيبه رصاصة من بعض الجند ، لا يأمن التعرض لها على ظهر جواد كما يأمنها فى المركبة المقفلة أو المركب المجهول

ولما دبر الملكيون إخراجها من السجن وإخراج ابنها وبنتها معها فى أسمال العامل الذى يوقد المصابيح مع أولاده الصغار فشلت هذه الخطة فى اللحظة الأخيرة ، ثم قيل للملكة إنها تستطيع الهرب وحدها على أن تترك ابنها وابنتها ولا خوف عليهما كما يخاف عليها هى من جراء المحاكمة والاضطهاد . فأبت كل الإباء وآثرت البقاء مع ولديها على النجاة وحدها وهى لا تعلم مصير هذين الطفلين

ولما ألح عليها المحامى أن تسأل المحكمة الثورية تأجيل يوم المحاكمة ريثما يستعد للدفاع ويفرغ من مراجعة الأوراق رفضت إلحاحه وأصرت على رفضها مخافة أن يكون اعترافها بحكومة الثورة بمثابة النزول عن حق ولدها فى وراثة التاج . فعاد المحامى يحتال عليها من ناحية حنان الأمومة ، ويذكرها أن حياتها مطلوبة لولدها لا لنفسها ، واسترسل فى هذا الإغراء فلم يتحدث طويلاً على هذه النغمة حتى أقلعت عن عنادها وثابت إلى القبول وكتبت خطابها المحفوظ الذى جمت فيه بين الحيطة والإصغاء إلى رجاء المحامى ، فأفرغته فى قالب الإخبار والعمل بنصيحة المحامى كأنما هو مكتوب على لسانه لا على لسانها حتى يتحقق به الإبلاغ ولا يتحقق به الاعتراف

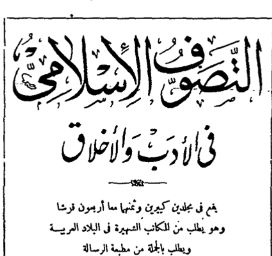
والكارثة الكبرى يوم ضبط ابنها الصغير بعد فصله منها وهو يعبث العبث الذى لا يعرف فى مثل سنه الباكرة ، فلما روّع بالسؤال عمن علمه هذا أجاب على عادة الأطفال : إنها هى أمه وعمته . . . ! ثم حرضه المحرضون على الشهادة بما قال ووعا أضافوه إليه من هراء لا يقبله العقل ولا يحتمل التصديق ، فأنفت أن تجيب عن هذه التهمة وتجاهلتها حتى نبه بعض المحلفين رئيس المحكمة إلى هذا التجاهل فأعاد سؤالها فلم تزد على أن تقول : « إذا كنت لم أجب فإنما أبيت الجواب ، لأن الطبيعة تأبى أن تجاب تهمة كهذه توجه إلى أم . وإنى لأحيل الأمر فى هذه المسألة إلى جميع الأمهات الحاضرات فى هذا المكان »

فشعر أعضاء المحكمة وشعر دعاة الاتهام معهم أن الضربة قاتلة ، وأنهم ما صنعوا بها إلا أن قربوا بين هذه الأم وبين جميع الأمهات والآباء ، فسرى فى الحاضرات والحاضرين شعور العطف عليها والرثاء لما أصابها ، وما كانوا حاضرين إلا للشماتة والازدراء

وقد كان آخر ما صنعته بعد صدور الحكم بموتها ويقينها أن وليدها لم يبق له بعدها من يشرف على أمره غير عمته المسجونة ، أنها كتبت إلى تلك العمة ترجوها الصفح عن الغلام وتعتذر له بصغر سنه وسهولة إغرائه ، وتوصيها به خير الوصاة

لقد كانت مصيبة الأم فى حياة مارى انطوانيت أظلم المصائب وأشدها حلكة وسواداً ، ولكنها كانت أنصع الصفحات فى سيرة هذه الملكة النكودة والمرأة المبتلاة ، وإن تلك الصفحة وحدها لكفيلة بخلق « الفاجعة الكبرى » فى هذه السيرة النادرة بين سير النساء

عباس محمود العقاد



إلى الدكتور طه حسين

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تفضلت فأهديت إلىّ نسخة من كتابك الجديد (مستقبل الثقافة فى مصر) وكان من واجبي أن أشكر لك هذه الهدية بخطاب أسجل فيه هذا التلطف . ولعلنى لو حاولت ذلك لاهتديت إلى أن من الخير أن أنتهز الفرصة وأشرب معك كأساً من الشاى فى بيتك لنجدد العهد ؛ ولكنى آثرت أن أشكر لك هذه الهدية بأسلوب آخر هو الهجوم عليك

وما كان ذلك حبًّا فى المشاغبة كما يتوهم بعض من لا يفقهون، وإنما كان ذلك لأنى أشعر أننا أسرفنا فى حب السلام ، والسلام ضرب من الموت ، وأعتقد أننا فى هذه الأيام نختلف أقل مما يجب ويا ويلنا إذا لم نختلف !

ويسرنى أن أعرف فيما بينى وبين نفسى أنى لم أقصّر فى محاربتك ، ولم يفتنى أن أنذر رجال التعليم بخطرك ، وقد قلت لهم بصوت يسمع أهل القبور : « إن هـذا الرجل سينتزع من أيديكم كل شىء » فما استمع مستمع ولا استجاب مجيب

وكم قلت للغافلين: إن طه حسين ليس أعلم العلماء ، ولا أحكم الحكماء ، وإنما هو رجل « متحرك » كما يعبر أهل بغداد ، فتحركوا يا جامدين لتسدوا عليه الطريق

كم قلت: إن من الغفلة أن يسكت رجال التعليم إلى أن يسمعوا صوت الناقوس من طه حسين ! وما قلته لرجال التعليم قلتُ بعضه لنفسى، ففى كتابك الجديد آراء أذعتها من قبلك فى الجرائد والمجلات، ولكنى لم أحتفل بها كما احتفلت فأذيعها فى كتاب خاص ، ولو أنى فعلت لأضعت عليك فصل السبق . ولكن ما فات فات

ما كان يسرنى أن تنتصر ، وإن كنت أقسمت يمين الوفاء لكلية الآداب ؛ ولكن ماذا أصنع وأنا مضطر لكلمة الحق فى إنصافك بحكم الضمير والواجب ؟ ماذا أصنع وأنا أرى أنصارى فى مخاصمتك لا يملكون غير مضغ الأحاديث ؟ ماذا أصنع وأنا لا أرى بين رجال التعليم من يبدى رأياً صحيحاً أو سخيفاً فى مستقبل الحياة الأدبية والعلمية ؟

كنت أتمنى أن يشغل بمستقبل الثقافة فى مصر عشرات من الباحثين منهم شيخ كلية اللغة العربية وعميد دار العلوم ورئيس المجمع اللغوى ومدير دار الكتب المصرية ؛ ولكنك تفردت بذلك الإحساس الدقيق الذي يظهر فى اختيار الظرف المناسب لما تذيع من مذاهب وآراء؛ فإن بدا لبعض الناس أن يحسدك على هذا السبق فليسأل نفسه ماذا صنع بالإجازات الصيفية ، كما صنعت أنت بالأجازات الصيفية

أتريد الحق يا دكتور ؟

أنت رجل مقتحم ، ومن حق المقتحم أن ينتصر كما انتصرت

* * *

ولكن ماذا فى كتابك الجديد ؟

هو فى جملته وتفصيله شاهد على أنك تقدر المسئولية الملقاة على عاتق عميد كلية الآداب . وأنت فى كتابك هذا قد فصلت ما يعترض مصر من المعضلات التعليمية أجمل تفصيل . وليس لكتابك الجديد بريق الكتب الأدبية ، ولكن له جلال الكتب التعليمية ، فتقبل منى ومن جميع المنصفين أصدق آيات الثناء

ثم ماذا ؟ — فى كتابك الجديد كثير من البديهيات، فهل ترى من الحق أن نحاسبك على التطويل فى شرح البديهيات ؟

من الذى حدثك أن المصريين يحتاجون إلى من يدلهم على أنهم فى تصورهم وعقليتهم يقتربون من إيطاليا وفرنسا أكثر مما يقتربون من الصين واليابان ؟ من الذى حدثك أن المصريين يحتاجون إلى من يذكرهم بأنهم قوم لهم عقول تدرك ما يدرك الأوربيون فى ميادين العلوم والآداب والفنون ؟

فى كتابك بديهيات كثيرة من هذا النوع ، فاستغن عنها إن شئت فى الطبعة التالية لئلا تسجل على وطنك جهل البديهيات

ثم ماذا ؟ — قلت إن عقلية مصر عقلية يونانية، وصرحت بأن الاسلام لم يغير تلك العقلية. فاسمح لى أن أشكوك إلى عميد كلية الآداب، فعميد كلية الآداب وهو أستاذى وأستاذك ، واسمه طه حسين إن لم تخنى الذاكرة ، يعرف أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرناً وهى مؤمنة بالعقيدة الإسلامية ، والأمة التى تقضى ثلاثة عشر قرناً فى ظل دين واحد لا تستطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين

عميد كلية الآداب الذى أعرفه أنا ، وإن تجاهلته أنت ،

يعترف بأن الاسلام رجّ الشرق رجّة أقوى وأعنف من الرجّة التي أثارتها الفلسفة اليونانية .

عميد كلية الآداب يثق بأن في مصر شمائل من العقلية اليونانية التي تلقت الدروس عن مصر الفرعونية . ولكنه مع ذلك يؤمن بأن لمصر عقلية إسلامية، وهذه العقلية الإسلامية لها خصائص يدركها أصغر مدرس في كلية الآداب. وأرجو ألا يضيق صدرك بهذه الحقيقة فقد نلتقي بعد أيام أو أسابيع وأشرح لك مالا يحتاج إلى شرح، كما تشغل نفسك بشرح مالا يحتاج إلى شرح

من المؤكد عندي أنك لم تستشر عميد كلية الآداب قبل أن تصرح بأن الإسلام لم يغير العقلية المصرية ، وذنبك في هذا التهاون عظيم لأنك قريب منه ، واتصالك به لا يجشمك أي عناء .

عميد كلية الآداب يعرف ، كما أعرف أنا وتعرف أنت ، أن الديانات تفترق ثم تجتمع ، وهي في روحها تحدث الناس بأسلوب واحد في أوقات الضعف، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك خصائص للعقلية الاسلامية والعقلية المسيحية ، وهذه الخصائص تخفى على العوام ويدركها الخواص .

وكيف لا توجد هذه الخصائص بين دينين مختلفين ، مع أننا نعرف أن هناك خصائص عديدة في الدين الواحد حين يختلف أهله بعض الاختلاف ؟

إننا نعرف أن للكاثوليكية خصائص وللبروتستانتية خصائص، لأننا نعرف أن للعقلية السنية خصائص وللعقلية الشيعية خصائص

فكيف جاز عندك ياسيدي الدكتور أن تتوهم أن الإسلام لم يغز العقلية المصرية بتغيير ولا تبديل؟

أنا لا أنكر أن مصر ورثت ما ورثت من علوم اليونان ، ولكني أنكر أن تكون مصر عاشت بعقلية واحدة منذ آلاف السنين إلى اليوم . هل تصدق حقاً يادكتور أن المصريين أحسوا العقلية اليونانية بعد الإسلام إحساساً واضحاً صريحاً ؟

في الحق أن المصريين في حياتهم الإسلامية شغلوا أنفسهم بعلوم اليونان أكثر من عشرة قرون ، ولكنك وقد جلست على حصير الأزهر كما جلستُ تعرف أن المصريين لم يتذوقوا تلك العلوم ؛ والأزهر لا يزال باقياً فتعال معي نسأل أهله ماذا فقهوا من علوم اليونان ؟ تعال معي يادكتور لنقضي بين علماء الأزهر ساعة أو ساعتين فستراهم جميعاً يعتقدون بأن العقلية اليونانية



« هل كانت علومك المدرسية ذات أثر فعال في إظهار مواهبك الأدبية ؟ » هذا السؤال ألقته مجلة أدبية فرنسية على الروائي دورجليس فأجاب : « إن الرجل الذي يهجم على الأدب وهو مزود بتكوينه المدرسي وحده لا يمكن أن يكون غير كاتب ضعيف » . وقال الشاعر بول ڤاليري في مثل هذا المقام : « إن أساتذتي في المدرسة كانت لهم عن الأدب فكرة تدعو إلى الرثاء . يخيل إليّ أن الغباء وفقر الذهن وبلادة الشعور وضعف التصور وانعدام الخيال مواد مقررة رسمياً في المناهج الدراسية » !

لو سئلت أنا أيضاً لما خرجت إجابتي عن هذا المعنى . فلقد فعلت المدرسة كل شيء لتنفرني من الأدب وتخيفني من اللغة فوضعت بين يدي أسمج الكتب العربية معنى وفكراً وأعسرها لغة وأسلوباً وأبعدها عن مخاطبة النفس المتفتحة لجمال الخليقة . لقد علمتني المدرسة كراهية الشعر العربي . وقد لبثت زمناً لا أطيق الإصغاء إلى بيت واحد من ذلك الشعر السخيف الذي أرغمنا على حفظه إرغاماً . شعر ليس فيه قطرة من ماء الشاعرية . إنما هو ضرب من تلك الحكم والمواعظ المنظومة التي لاكتها الألسن ومضغتها الأفواه حتى أصبحت « تفلاً » جافاً لا نفع فيه . تلك هي مادة غذائنا الذهني . أما إذا اجتهدنا فقرأنا كلاماً جميلاً خارج المدرسة فإنا لن نلقى من المعلم غير التجهم والاستنكار . وأذكر أن الأدب الإنجليزي أوحى إليّ كتابة قصة تمثيلية صغيرة وأنا في المدرسة الثانوية فرفعتها فخوراً إلى مدرس الأدب العربي فكان جزائي الإهمال المهين . على أن من الإنصاف أن أذكر أن معلماً شجاعاً تجرأ يوماً فأطلعنا على أبيات عذبة رائعة للعباس بن الأحنف فأشرقت وجوهنا وانطلقت من قلوبنا آهة العصفور الذي أفلت من قفص وحلق في فضاء الطبيعة الباسمة الجميلة. فارتعد المدرس المسكين والتفت إلى باب القاعة خائفاً كأنه اقترف جرماً هائلاً . منذ ذلك اليوم أدركت أن هنالك كنوزاً في عالم الأدب والشعر يخفونها عن عيوننا المتطلعة .

توفيق الحكيم

هى التى قضت على اليونان بأن يكونوا باعة الفاصوليا والسردين !

أنا لا أنكر قيمة التراث الذى خلّفه اليونان القدماء ، ولكنى أرتاب فى أنه وصل إلى ألفاف العقلية المصرية .

وأنت تعرف من نفسك ما أعرفه من نفسى ، أنت تعرف أننا لم نفقه الفلسفة اليونانية إلا بعد أن ارتضنا رياضةً عنيفةً جداً. فإن ادعيت أنك فقهت فلسفة اليونان وأنت طالب فى الأزهر فأنا أقول إنى لم أفقه تلك الفلسفة حق الفقه إلا بعد أن تلقيتها على أساتذة أوربيين فى الجامعة المصرية. وما أظنك تتهمنى بقلة الذكاء

والعلوم التى لا تهضم إلا بعد جهد ومشقة لا تغير عقليات الشعوب وإن غيرت عقليات الأفراد

أنت تعرف فيما تعرف أن الفقه الإسلامى نفسه كان يتغير بالإنتقال من أرض إلى أرض ، فكان للشافعى مذهب فى مصر ومذهب فى العراق . ومعنى ذلك أيها الأستاذ الجليل أن العقليات تتغير من وقت إلى وقت باختلاف طرف الزمان ، وظرف المكان

والموجة الإسلامية التى طغت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة ومن دين إلى دين ، والتى قضت بأن تتفرد مصر بحراسة العروبة والإسلام بعد سقوط بغداد ؛ هذه الموجة العاتية لا يمكن أن يقال إنها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية إلى العقلية الإسلامية

ولكن ماهى تلك العقلية الإسلامية؟ هى لونٌ آخر غير العقلية اليونانية بلا جدال، وهى لا تُشرح فى مقال واحد، وإنما يشرحها كتاب ينفق فيه رجل مثلك عدداً من السنين الطوال

وأنا مع هذا لا أنكر أن الإسلام فى مصر له خصائص غير الخصائص التى يجدها الباحث حين يدرس الإسلام فى الحجاز أو فى الشام أو فى المغرب أو فى العراق

وقد تعرضتُ لشرح بعض هذه الخصائص حين تكلمت عن صور المجتمع الإسلامى فى كتب الصوفية ، ولكنها ما تزال فى حاجة إلى درس أوفى من الدرس الذى يقع فى فصل من كتاب

أقول هذا وأنا أشعر بأنى لم أزحزحك تماماً عن موقفك ، ولكنى موقن بأنى عرضت صدرك لشبهات ستوجب عليك الحذر حين تتكلم فى هذا الموضوع مرة ثانية ؛ وأنت تعرف ما أعنى

* * *

ثم ماذا؟ ثم ماذا؟ ثم عرضت بالتفصيل لمشكلة اليوم وهى:

النزاع بين الأزهر ودار العلوم

ويجب أن يكون مفهوماً أنك ألّفت كتابك لغاية بريئة من الهوى لأنك عميد كلية الآداب ، وعميد كلية الآداب يشرع للناس مذاهب الحق. وقد تأملت كلامك فوجدته يحتاج إلى تصحيح

ولعلك تعرف أن هواى ليس مع الأزهر ولا مع دار العلوم ، وإنما هواى مع الجامعة المصرية ، والفرق بينى وبينك أنى لا أكتم هواى كما تكتم هواك . وما أعارضك فى هذه القضية إلا لأنك سلكت فيها مسلكاً يخالف العقلية التى صبغتنا بها الجامعة المصرية ، وهى التعمق فى درس الأغراض والمعانى

أنت وازنت بين الأزهر ودار العلوم والمعاهد الدينية ، وقام عندك الدليل على أفضلية الأزهر ، لأنه أخرج للناس : محمد عبده وسعد زغلول ومصطفى عبد الرازق ؛ وأفضلية المعاهد الدينية لأنها أخرجت للناس : إبرهيم عبد القادر المازنى ، وأحمد لطفى السيد ، ومحمد حسين هيكل ؛ وسقطت عندك دار العلوم لأنها لم تخرج أمثال هؤلاء

صدقت يا دكتور بعض الصدق ، فدار العلوم لم يكن لأبنائها ماض فى السيطرة على الحياة الأدبية على نحو ما يسيطر : هيكل ، والمازنى ، والعقاد ، وطه حسين ، والزيات

ولكن كلامك على صدقه أحزننى ، وليتك استشرت عميد كلية الآداب قبل أن تنشر هذا الكلام المحزن الموجع

أحزننى كلامك لأنه اصطبغ بالمغالطة والإسراف

أنت رجل معلم يا دكتور ، ومن العيب عليك أن تؤذى إخوانك المعلمين. أتراك تؤمن فى سريرة نفسك بأنك لم تحكم فى هذه القضية بغير العدل ؟

تعال أناقشك الحساب

إن رجال دار العلوم قد اشتغلوا جميعاً بالتعليم ، ومهنة التعليم تقتل الأديب أبشع القتل . وأين المعلم الذى تسمح له وزارة المعارف بأن يستوحى الحياة كما يستوحيها الأدباء الذين سيطروا على هذا الجيل؟

أين المعلم الذى تسمح له وزارة المعارف بأن يصف جمال السابحين والسابحات فى شواطئ الإسكندرية وبورسعيد، كما صنع الشاعر فلان؟

أين المعلم الذى يستطيع وصف الصراع بين الهدى والضلال بدون أن يخاطر بمركزه فى الحياة التعليمية كما وقع ذلك للدكتور فلان؟

أنت تعرف أنى جاهدت أعنف الجهاد لأخلق لنفسى شخصيتين :

شخصية المدرس وشخصية الأديب ، ومع ذلك لم أسلم من عدوان السفهاء

ومتى سيطر لطفى السيد على الحياة الأدبية ؟

كان ذلك يوم كانت حياته خالية من قيود التعليم ، فلما صار مديراً للجامعة المصرية توقّر وتزمت حفظاً لحرمة التعليم

ومتى سيطر المازنى على الحياة الأدبية ؟

كان ذلك بعد أن ترك مهنة التدريس وتفرغ لاستيحاء الحياة ، ولو بقى المازنى معلماً لكان مصيره مثل مصير زميله عبد الرحمن شكرى الذى كان يحس مثل لسع العقرب كلما أشار كاتب فى جريدة إلى أن له أشعاراً فى الغزل والتشبيب

ومتى سيطر مصطفى عبد الرازق على الحياة الأدبية ؟

هل يعرف الجمهور شيئاً من تلك السيطرة ؟ وهل يجرؤ مصطفى عبد الرازق على إعلان ما كتب من الوجدانيات ؟

إن مصطفى عبد الرازق كتب أجمل ما كتب بإمضاء مستعار لا يعرفه غير الخواص ، وكان ذلك لأن حياته فى التعليم الدينى والمدنى قضت بأن ينسحب جهرة من الحياة الأدبية

الحق يا دكتور أن رجال دار العلوم لا يطلب منهم إلا أن يكونوا معلمين صالحين ، وقد كانوا بالفعل

وهنا أوجه إليك كلمة مرة ستؤذيك أشد الإيذاء : من الذى زين لك أن تعتدى على الجنود المجهولين ؟ أنت تعرف أن الفرنسيين يسمون التعليم Métier sans gloire

وما أشقى من يعانى مهنة بلا مجد :

لك يا دكتور زميل فاضل اسمه إبراهيم مصطفى ، وهو كالفراء سيموت وفى نفسه شىء من حتى

فهل يرضيك أن تتجاهل مثل هذا الرجل لأنه لم يسيطر على الحياة الأدبية ولم يشترك فى تكوين الجيل الجديد ؟

ومن الذى يسمع اليوم باسم أستاذى وأستاذك سيد بن على المرصفى وله علىّ وعليك فضل لا ينساه إلا الجاحدون ؟

أكتب هذا وأنا متألم متوجع لأنى أرى عميد كلية الآداب يتجاهل تضحيات المدرسين ، ولأنى أشعر بأن هذه الأحكام الجائرة ستسقط من ميزان الحسنات أعمالى فى التدريس . ولن يعرف الجمهور غير أعمالى فى التأليف وهى لم تكن إلا ثمرات ما انتزعت من أوقات الفراغ

وما أخافه على نفسى أخافه عليك يا دكتور ، فأنت هدف لحملات المتسفين الذين شرعوا يقولون إن إنتاجك الأدبى قلّ وضعف ، وهؤلاء الذين لا يذكرونك إلا يوم تخرج كتاباً جديداً ينسون كل النسيان أن لك شواغل تعليمية تفلّ نشاطك وتقل إنتاجك

وأين المنصف الذى يذكر أننا نحدث تلاميذنا بأشياء لو دوّنت لخرج منها محصول أدبى نفيس يغمر المكاتب ويشغل الأندية والمعاهد ؟ أين المنصف الذى يذكر أن من يسيطرون على الحياة الأدبية مدينون أثقل الدّين للمدرسين المجهولين الذين لا يعرف التاريخ أقدارهم إلا إن صاروا مؤلفين مشهورين ؟

لك يا دكتور زميل فاضل يعيش فى زاوية مجهولة من زوايا الخمول هو الدكتور أحمد ضيف ، وأنا أؤكد لك أن هذا الرجل يعدى صدور تلاميذه بالفكر والعقل ، وقد نفعتنى صحبته أجزل النفع ، ولكنه لا يستطيع أن يزاحمك لأنه لم يخرج من المؤلفات مثل الذى أخرجت. فمن واجبك وأنت عميد كلية الآداب أن تضع للتقدير الأدبى ميزاناً غير ذلك الميزان ، من واجبك أن تذكر أن الجمهور الفرنسى لا يعرف شيئاً عن المسيو تونلا أو المسيو مورنيه، ولكن أمثال هذين الأستاذين لهم تأثير عظيم فى تكوين الأذواق الأدبية وإن جهلهم سواد الناس .

وسيأتى يوم ينعزل فيه الدكتور طه انعزالاً تاماً عن الجمهور ويعتكف فيما يسميه الفرنسيون Cours fermés ليحقق مع تلاميذه بعض الدقائق الأدبية والفلسفية . ويومئذ يحتاج الدكتور طه إلى من يعتذر عنه أمام الجمهور فيقول إنه يحيا حياة العلماء لا حياة الأدباء . وهل يجهل رجل مثلك أن هناك فرقاً عظيماً بين أستاذ الأدب وبين الأديب ؟

إن أستاذ الأدب تفسده الشهرة لأنها تشغله عن طول الأنس بالتعرف إلى الألفاظ والمعانى والأساليب . أما الأديب فيفسده الخمول لأنه يصدّه عن درس أسرار النفوس وسرائر القلوب ، ويعوقه عن معاقرة صهباء الوجود

وأنت بحكمك الجائر تنسى أساتذة الأدب ولا تذكر غير الأدباء ، لأنهم على حدّ قولك استطاعوا أن يسيطروا على الجيل الجديد . . . أترانى أفلحت فى إقناعك بخطأ رأيك ؟

قل الحق مرة واحدة يا سعادة العميد !

أترك هذه الخواطر ، ثم أرجع إلى محاسبتك بصورة غير تلك الصورة

أنت قلت إن الأزهر يخرّج فيه محمد عبده وسعد زغلول

فهل تعتقد حقاً أن من طبيعة الأزهر أن يخرج رجالاً مثل محمد عبده وسعد زغلول ؟

إن كان ذلك صحيحاً فأين الأزهري الذي خلف محمد عبده ؟ وأين الأزهري الذي خلف سعد زغلول ؟

وما أقول به عن الأزهر أقول به عن المعاهد الدنية ، فابحث عن المنطق الذي يزكي حجتك إن استطعت ، وما أحسبك تستطيع

وقد وقفت في كلامك عند الماضي وبعض الحاضر

فهل يحق لي أن أسألك كيف تجاهلت أقدار من أخرجت دار العلوم من الرجال الذين سيطروا على الحياة الأدبية ؟

أما يمكن أن يقال إن دار العلوم تخرج فيها عبد العزيز جاويش وحفني ناصف ومحمد المهدي ومحمد الخضري وعبد المطلب وعبد الوهاب النجار واحمد السكندري ؟ أتظن أن هؤلاء لم يسيطروا على الحياة الأدبية حيناً من الزمان ؟

وقلت إن دار العلوم لم تغير نحو البصرة والكوفة ، فهل غيرت أنت نحو البصرة والكوفة وأنت أستاذ بالجامعة المصرية منذ عشرين سنة ؟

أنت رجل مقتحم يا دكتور ، وهذا أجمل ما فيك من شمائل وخصال ، فامض في اقتحامك إلى غير نهاية ، فمصر لا ينجح فيها غير المقتحمين !

من حقك أن تدوس دار العلوم لأنك مقتحم ، وسيكون من واجبي أن أفرح بانتصارك ، لأني متخرج في الجامعة المصرية وسأقاسمك الغنائم والأسلاب ، فآخر شهادة ظفرت بها من الجامعة المصرية مذيلة بامضاءات أحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل وطه حسين. ولكن يعزّ عليّ وعليك أن تنهزم دار العلوم بعد أن صنعت في التاريخ الحديث ما لم يصنع الأزهر ولا الجامعة المصرية ، مع الاعتراف بفضل هاتين الجامعتين العظيمتين

يعزّ عليّ وعليك يا دكتور أن ينهزم معهد كان من رجاله أساتذتي وأساتذتك . أنت تعرف يا دكتور أن كلية الآداب انتفعت بأساتذة دار العلوم

وتعرف يا دكتور أن كلية اللغة العربيــة انتفعت بأساتذة دار العلوم. فأرجوك باسم الأدب العالي أن تذكر ذلك المعهد بكلمة رثاء يوم يموت !

أيها الأستاذ الجليل

في كتابك كثير من مواطن القوة ، ولكن يعوزه المنطق

أنت تتحسر أشد التحسر على الفرصة التي ضاعت على دار العلوم في الانضمام إلى الأسرة الجامعية

ولكنك نسيت أن سلامة دار العلوم هي في البعد عن تلك الأسرة الجامعية . وأنت نفسك تذكر أنك قلت غير مرة إنك لا تفهم أن يكون في الجامعة باب يُغلق بعد ابتداء الدرس

فما رأيك إذا حدثتك بأن دار العلوم معهد لا يقل خطراً عن المدرسة الحربية، وأن من الواجب أن يراعى فيه نظام المواظبة بالثواني لا بالدقائق ؟

ما رأيك إذا حدثتك بأن طلبــة دار العلوم يجب أن يُراضوا على الأنظمة العسكرية فلا يعرفوا من الحرية الشخصية ما يعرف أمثالهم في كلية الآداب ؟ يجب أن يكون مفهوماً بيني وبينك أننا لا نفكر في منافعنا الذاتية ، فأنا أدفع ما يتهمك به خصومك من حب السيطرة على أكبر عدد ممكن من المعاهد

وإذاً يكون من النفعة الوطنية أن نفكر جميعاً في إعداد معلم اللغة العربية إعداداً فنياً ، لا جامعياً ، فإن لم تكتف بذلك فلا بأس من أن تقترح أن يظفر مدرس اللغة العربية بدرجة جامعية بعد التخرج في دار العلوم على الأساليب التعليمية

وتجاربي في التفتيش أقنعتني بصحة ما أقول ، فقد لاحظت أن المدرسين المتخرجين في كلية الآداب يتفوقون في أشياء ويقصرون في أشياء ، كما لاحظت أن المتخرجين في دار العلوم يتفوقون في أشياء ويقصرون في أشياء، ولذلك تفصيل يضيق عنه هذا الحديث، فإن أمكن أن يجمع مدرس اللغة العربية بين المزيتين كان لذلك أثر بالغ في تكوين الجيل الجديد

وهذا الذي أقول به لا يوجب إلغاء دار العلوم ولا تغيير نظام كلية الآداب ، وإنما يوجب أن يتعرف هذان الجيلان بعضهم إلى بعض بلا بغي ولا عدوان

ويظهر من كلامك أنك راض كل الرضا عن الجامعة المصرية ، ولكنك نسيت أن هذه الجامعة لم تصنع شيئاً في إصلاح ما سيطرت عليه من المعاهد العالية

هل تعرف يا سعادة العميد أن لغة التدريس في كلية الطب هي اللغة الانجليزية ؟

وهل تعرف أن لغة التدريس في كلية العلوم هي اللغة الانجليزية ؟

لقد نشرتُ أكثر من سبعين مقالة فى دعوتكم إلى جعل اللغة العربية لغة التدريس فى جميع المعاهد العالية فلم تقابلونى بغير الصمت البليغ . وكانت النتيجة أن تسبقكم الجامعة الأمريكية فى بيروت إلى تحقيق هذا الغرض النبيل

وتكلمت يا سعادة العميد عن وجوب الإكثار من الترجمة ، وكان الظن أن تذكر أنى استطعت مرة أن أقنع وزارة المعارف بوضع نظام لخريجى البعثات يوجب ألا يظفر المتخرج فى البعثات بأية ترقية إلا بعد أن يترجم كتابين من غرر المؤلفات الأجنبية فى العلم الذى تخصص فيه . وقد أقرت وزارة المعارف ذلك النظام وأعلنته إلى مبعوثيها فى المعاهد الأوربية والأمريكية ، ويقول المرجفون إنك ساعدت على تقويض ذلك النظام بمعونة رجل من أصدقائك تولى وزارة المعارف ، وكان ذلك فيا يقال لأنه نظام اقترحه رجل اسمه زكى مبارك وأقره وزير اسمه حلمى عيسى باشا

فهل يكون معنى ذلك أن الخير لا يكون خيراً إلا حين تقترحه أنت ويقره وزير من أصدقائك ؟

ونسيت ياسعادة العميد أن كلية الآداب تقول أكثر مما تفعل ، فإن لم يكن ذلك صحيحاً فحدثنى أين مجلة كلية الآداب التى لم نر منها غير ومضات ؟

ونسيت أيضاً أنك تقول أكثر مما تفعل ، فأنت تدعو الدولة إلى إعفاء الأدباء من أعمالهم الرسمية ليتفرغوا للبحث والدرس ، ثم ننظر فنراك تساعد الدولة والدهر على ظلم الأدباء

فإن لم يكن ذلك صحيحاً فحدثنى كيف اتفق ألا تتحدث فى الإذاعة اللاسلكية ولا تكتب فى الجرائد إلا عن مؤلفات من تصطفيهم من الباحثين ، مع أنك مسئول بحكم منصبك العالى عن الخلوص من شوائب الأهواء ؟

كان الظن أن تذكر أن من واجب الجامعة المصرية أن تحاسب نفسها قبل أن تحاسب الناس ، ولكنك على كل حال مغفور الذنوب لأنك تتكلم فى أوقات يراها غيرك أوقات صمت وجمود

أما بعد فإنى أعتقد أنى نوهت بكتابك وبأعمالك أعظم تنويه ، فإن رأيت فى كلامى بعض ما لا يروقك فاعذرنى ، فقد أخذ علينا العهد ألا نقول غير الحق . وهل علمتنا الجامعة المصرية أن نصانع من يظنون أنهم يملكون من السيطرة الأدبية أكثر مما تملك ؟

سترى كيف نروضك على الاقتناع بأن القول المعسول لا يغنى عن الصُّنع الجميل « مصر الجديدة » **زكى مبارك**

دعه كله يذهب

للشاعرة ايلا هويلر ولككس

دع الحلم يذهب . اطمئن ولا تتزايل أعضاؤك من الفَرَق . أفليس فى طيّات السُّحُب المتلبدة من الأحلام الأخرى المستورة عن ناظريك ما تستطيع أن تكسوه بعد ، بشعاعات نورانية ، وتذهّب أطرافه بومضات وهاجة تخترق بلألائها حجب الغمام الكثيف وتطرد جهامه القاتم ، وتمحو ركامه الداكن ؟

فما قيمة حلم يفوتك ، من أضغاث الليل الضائعة ؟

ألا دع ذلك الحلم الزائل يذهب

دع الأمل يغرب . تشجع . لا تجبن ولا تتقاعس . أفلا يدّخر لك الغيب فى أطوائه آمالاً أخرى لا تلبث أن تطفو فى بحر الدجى كالكواكب الزاهية ، وتذكى مصابيحها فى آفاق سمائك !

إن النفس المستبشرة المؤملة لن تعيش طويلاً فى بيداء الدياجير المهددة العابثة ، بل لا بدّ أن تصفى عليها العلياء نوراً جديداً . فما أشدها جهالة أن تحسب أن سعادتك قد تولّت ، لأنك عدت قانطاً من رجاء واحد ؟

ألا دعْ ذلك الأمل الضائع يغرب

دع الفرح يذبل ويذوى : لا تحزن ولا ترتمض . أفلم تبقَ أفراح أخرى تشبه البصيلات التى يعتقلها الصقيع حيناً ، ثم يأمر ربّك أن تنطلق من إسارها ، وتخرج شطأها وتنوّر ؟

أوليس من شأن الشتاء العاصف الصارم أن يرسو على الجذور القوية بكلاكله القاسية ، فيتلفها ويواريها فى غيابات أرماسه الصامتة ، وأجداثه المظلمة الخفية ؟

وهل تمتّى الأرض تلك الفترة الوجيزة التى تتجرّد فيها من وشْيها ومطارفها !

ألا دع ذلك الفرح المدبر يذوى ويذبل

دع الحب يقضى أجله ويمضى لسبيله . كن قوىّ الإيمان ولا تيأس، بل سرّ عنك . أفلا توجد محبّات أخرى بعد تحاكيه فى جماله ، وفيما تزخر به من صنوف العذاب العذب ؟

ألا توجد محبّات أخرى ترفرف فى الفضاء كالحمائم البيضاء ، ولا تلبث أن تحوم حولك ، وتجسم فى صدرك وتعشش !

فتقول فى كلّ منها : « إن هذه لخير من تلك »

ألا دع ذلك الحبّ الراحل يمضى لسبيله (الزهرة)

المتنبي وسر عظمته

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

بلغ المتنبي ما لم يبلغه شاعر آخر من الشهرة . وقد اهتم له النقاد الأدباء قديماً وحديثاً ، وكتب عنه كثيرون من أفاضل الأدباء وأكابرهم فى عصرنا هذا . وقد عنى بعضهم باستنباط أخلاقه من شعره ، وبعضهم أغرى بتتبع نسبه وتاريخ حياته وأسرارها وأسباب حوادثها ، وبعضهم نظر إليه من حيث هو الشاعر الذى يمثل العرب خير تمثيل وينوب عنهم فى الإبانة عن خصائص نفوسهم ونزعاتها ، وبعضهم عُنى بحكمته ونظراته فى النفس والحياة، ومنهم من راقته مبالغته التى اشتهر بها فى المدح أو الفخر ، ومنهم من راقته أساليب التشبيه التى أُغرى بها أهل زمنه ، وقدموه من أجلها فى ظاهر ما يحسبون ويحسون . وإذا تأملت سبب إعجاب المعجبين به ، وجدته يختلف باختلاف أذواق المعجبين به واختلاف نظرهم إلى الشعر كما تختلف أسباب الهتمين بدراسة سيرته ، وإذا نظرت فى شعر المتنبي وشعر غيره من كبار الشعراء وجدت شاعراً قد يماثله أو يبزه فى صفة ، ويماثله أو يبزه شاعر آخر فى صفة أخرى من صفات الجودة ، وهو بالرغم من ذلك أوفر نصيباً من الشهرة . وترى لغيره من الشعراء أبيات كثيرة فى الحكم والأمثال والأقوال المأثورة ، تدل على فطنة بالنفس ، وخبرة بالحياة ، وتوفيق فى الصنعة ؛ ولكنها لم تسر كما سيَّرَ المتنبي شعره فى هذه المعانى . فالبحترى أكثر منه نصيباً من طلاوة الصنعة ، وأبو تمام من أساليب البيان ، والشريف من الوجدان وسلامة الفطرة ، وابن الرومى من الأوصاف ، والمعرى من النظرات فى الأخلاق والحياة ، ولكن ما من دوىّ أثاره أحد هؤلاء إلا ويخفت بجانب ما أثار المتنبي حتى ليصدق فيه قوله :

وتركك فى الدنيا دَوِياً كأنما تداول سمعَ المرء أنمله العشر

وقد تتبع النقاد[1] قوله أحياناً بالتزييف ، وإظهار السيئات من معاظلة والتواء فى بعض قوله ، وبالتقصى للسرقات والمآخذ ، أو ما ظنوا أنه سرقات ومآخذ . حتى حاول بعضهم رد كل معنى من معانيه إلى شاعر سابق . وبعض النقاد أولع بإظهار ما فى مغالاة مدحه من التهكم المقصود أو فساد الذوق غير المقصود . وبعضهم أظهر ما فى مغالاة المدح من إلحاد أو شبه إلحاد ، وما فى استطالته بالفخر من كفر أو شبه كفر ، واستشهدوا بقوله :

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
مُحتقرٌ فى هِمَّتى كشعرة فى مفرق

وقالوا إنه كان يظهر الشك بالبعث والحياة الأخرى كما فى قوله :

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكَّرَ فى الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

وقالوا إنه تعدى منزلة الشك فى هذه الأبيات الذى يشبه الإنكار المُقنَّع إلى منزلة إثبات النفى المُقنَّع فى قوله :

تَمَتَّعْ من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأملْ كرى تحت الرجام
فإنَّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وثالث المعانى التى يدركها العقل بعد معنى الانتباه ومعنى المنام هو معنى الفناء والعدَم . والمتنبي يلجأ إلى عقل القارئ فى تأمله فهو إذاً يريد المعنى ولا معنى غيره . وبعض النقاد أشار إلى شدة حقده على الناس وقسوته فى قوله :

وكُنْ كالموت لا يرثى لباكٍ بكى منه ويروى وهو صادى

وقوله :

ومن عرف الأيام معرفتى بها وبالناس روَّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

ولكن كل هذا النقد لم يسقط الرجل من منزلته. فلأى أمر تبوأ هذه المنزلة ؟ إنه لا شك فى مقدرته فى الشعر وإن له من صفاته باعا فيه، فهو بالرغم من معاظلته أحياناً يجيد أساليب البيان كأحسن ما يجىء به أبو تمام وأحياناً. يأتى بالأساليب الحلوة كأحلى ما يجىء به البحترى ، وإن كان إتيانه بها عفواً من غير تعمد وتكلف ، ولكن كل هذه القدرة فى القريض وما عنده فيه من صفات الجودة جماعها أمر واحد وهو الروح الخاصة التى تظهر فيما له صلة من شعره بآماله وخيبتها وتفيض على ما ليس له صلة مباشرة بتلك الآمال ، فتعم إذا هذه الروح كل شعره وتكسبه (جاذبية

(١) للثعالبي فصل عنه فى كتاب (يتيمة الدهر) . وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه مما يرجع إليه من الكتب. هذا عدا مؤلفات ومقالات كبار أدباء هذا العصر ، وهى لا تقل عن الكتب القديمة إن لم تكن أوفى

الشخصية) وجاذبية الاعتداد بالنفس والاعتزاز بها وجاذبية لذة البيان المُعبِّر عنها . ولأكثر الشعراء نصيب منها ، ولكن نصيب المتنبي أوفر نصيب. وهي أيضاً التي بصرته بدخائل النفس الإنسانية وأسرارها وعيوبها كي يتخذ من تلك البصيرة بالنفس الإنسانية عامة سلاحا يساعده في الاعتزاز ، والاعتداد بنفسه فاعتداد المتنبي بنفسه إذا سبب طلاوة شعره وسبب حكمه وأمثاله وسبب ما يشعر القارىء في شعره من القوة . وقد تكون روح الاعتداد بالنفس مصحوبة بالتقحم والاقدام والفخر والادعاء كما كانت في حياة بنفنوتو سلّيني المثال الإيطالي الذي كتب تاريخ حياته وهو مملوء بالمغامرة والمخاطرة والإجرام وبالفخر العريض والادعاء، ولكنه كتاب يستهوى القارىء،بسبب ما أكسبه اعتداد صاحبه بنفسه من جاذبية وطلاوة وقوة في الكتابة . وقد تكون هذه الصفة عند رجل مفكر في نفسه غير متقحم ولا مستطيل ولا مُدّع فتكسبه أيضاً صفات الكاتب الذي يستهوى قلبه القارىء ؛ فإن اعتزاز مونتاني الكاتب الفرنسي بخواطر نفسه وحوادث حياته اليومية واللذة التي وجدها في قيدها ووصفها تستهوي القارىء بعدوى الشخصية ومغنطيسها. فعدوى الشخصية في نظري هي الصفة الغالبة التي ميزت شعر المتنبي، وهي التي ميزت ترجمة بنفنوتو سلّيني لحياته وميزت مقالات مونتاني الفرنسي. ويشترط في وجود هذه العدوى أن تكون شخصية صاحبها ذات هبات عقلية ونفسية طبيعية، والعدوى قد تظهر بين الناس في مقدار أقل حتى ولو كانت الشخصية المعتد بها المعتز بها صاحبها قليلة الهبات العقلية ؛ وهذا أمر مشاهد في حياة الناس اليومية وتأثير بعضهم في بعض في أعمالهم وأخلاقهم وأفكارهم ومذاهبهم وصداقاتهم وعدواتهم ، فالناس إذن خليقون أن يهتموا للشاعر أو الكاتب الشديد الاعتزاز والاعتداد بنفسه. وقد يهتمون له أكثر من اهتمامهم لشاعر أو كاتب آخر أقل اعتداداً بالنفس وأكثر هبات عقلية ونفسية، فليس اهتمام الناس للشاعر أو الكاتب إذاً على قدر هباته العقلية وحدها كما يظن المعجبون به الذين يستهويهم اعتداده بنفسه ، وللشاعر هيني الألماني كلمة حكيمة في هذا الموضوع وهي كلمة مأثورة في هذا المعنى فقد قال : « إن الانسانية كالشجرة ، فالشجرة لا تحفظ ذكرى الأيدي التي تعهدتها بالري والعناية وإصلاح التربة والصيانة من العواصف والأضرار والرياح ، ولكنها تحفظ ذكرى اليد المعتدية التي تأخذ خنجراً وتحفر اسم صاحبها على ساقها بالنحت والتكسير من غلافها والسطو عليها ، وكذلك الإنسانية قلما تحفظ ذكرى الذين محوا في خمول وسكوت لأجل رعايتها والعناية بها ؛ ولكن الإنسانية تحفظ ذكرى الغزاة المدمرين الذين نقشوا أسماءهم على جبهة ذاكرتها بأحرف من نار وبالسطو عليها وبالاهلاك والتدمير وإراقة الدماء . وهذه شواهد متطرفة تدل على اهتمام الناس بالمعتد بنفسه. ولا نريد أن نقول إن الشعراء والكتاب الذين يبالغون في إظهار الاعتداد بالنفس هم مثل هؤلاء الغزاة المدمرين في شرهم، وإنما نعني أن ظاهرة الاعتداد بالنفس تستدعي اهتمام الناس في الحالتين. ومع ذلك فإن رجلاً كالمتنبي ما كان يتأخر عن إراقة الدماء والتدمير في سبيل تحقيق آماله كما يشهد الكثير من شعره . وقد صرح بذلك في أكثر من قصيدة كما في قوله :

بكلّ مُنْصلِتٍ مازال مُنْتظِري
حتى أَدَلْتُ له من دولة الخَدَم
شيخ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً
ويستحل دم الحجاج في الحَرَم
تُنْسى البلادَ بُرُوقَ الجوِّ بارقتي
وتكتفي بالدم الجاري عن الديَمِ

وهذا تصريح ليس بعده تصريح. والحقيقة أن تقديس الإنسانية للاعتداد بالنفس حتى ولو بلغ الإجرام لا يقل في كثير من الأحايين عن تقديس الإنسانية للفضائل ، بل قد يكون أعظم من تقديسها للفضائل ، إذ أن تقديسها للفضائل كثيراً ما يكون نفاقاً ورياء أو رغبة في الانتفاع من وداعة الفاضل واستكانته وترفعه عن الدنايا بينما يكون تقديس الإنسانية للاعتداد بالنفس ومظهره في غيرها عذراً لها في تقديس مظهره في نفسها وتقديس أثرتها، فتجمع بين لؤم الأثرة وقداسة العبادة بتقديس مظهر الاعتداد بالنفس في غيرها. وقد تحتال للجمع بين هذين التناقضين بأن تنسب إلى المُعْتَدّ بنفسه النبل والجلال وكرم الشمائل والمروءة ، وهو قد يكون خلواً من هذه الصفات أو على الأقل يكون خلواً من مقاديرها التي تنسبها إليه كي تجمع بين لؤم الغريزة وتقديس

الفضائل. وهذا أمر يشاهد كثيراً بين الناس، ولعل هذا الشرح يفسر كيف أن الناس كثيراً ما يحاربون الفضلاء وينتقصونهم مع معرفة فضيلتهم وهم يقدسون الفضائل في كلامهم ، وكيف أن الناس كثيراً ما يجلون صاحب الرذيلة إذا لم يضطروا إلى مؤاخذته اضطراراً، وإذا كان معتداً بنفسه وكانت في لسانه خلابة أو له قدرة وسلطان . فإذا كان هذا شأن الناس مع من قلت فضيلته من المعتدين بالنفس، فكيف لا يكون إعجابهم أعظم بمن جمع إلى الاعتداد بالنفس فضائل وبياناً وفصاحة تستهوي القارئ؟ وكثيراً ما يضع القارئ نفسه في منزلة نفس القائل المعتد بشخصه ويشاركه في آماله وأطماعه وإحساسه واعتزازه بنفسه ، ويشاركه في خواطر نفسه وحالاتها كما يفعل القارئ أيضاً عند ما يقرأ قصة لكاتب فيضع نفسه في مكان بطل القصة الموصوف الذي يعجب به القارئ. وقد يفعل بعض القراء ذلك حتى في قراءة قصص مشاهير المجرمين الذين يعتدون ويعتزون بأنفسهم إلى حد الإجرام . وهذه شواهد متطرفة لهذه الظاهرة النفسية وجاذبية الاعتداد بالنفس تختلف باختلاف الكاتب وباختلاف نفوس القراء المتأثرين بها . وهذه الجاذبية كالمعدن السائل الذي يسيل بمقادير متفاوتة مع ماء الينابيع التي لا تتفاوت في مقادير مياهها السائلة؛ فالشعراء والأدباء قد لا يختلف مقدار نتاجهم مع اختلاف فيض ينبوع معدن الجاذبية في قولهم، وعلى قدر ما في قولهم من جاذبية وبيان الاعتداد بالنفس يكون قدر تأثر القراء بهم فإذا قرأ قارئ قول المتنبي :

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني ... فلا أعاتبه صفحاً وإهوانا
وهكذا كنتُ في أهلي وفي وطني ... إن النفيسَ غريبٌ حيثما كانا

تلمس تلك النفس واكتسب شيئاً من إحساسها بالنفاسة والقدرة على الاعتزاز بنفاستها وأحس بما رأته النفس الموصوفة في حياتها من صفح وإهوان ؛ وهو قد يكتسب كل هذا الشعور أثناء قراءته قول الشاعر من غير فطنة له ، فهو في رحلة نفسية، إما في مسالك العقل الظاهر وإما في مجاهل العقل الباطن . وكذلك إذا قرأ قول المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بُدُّ

خليلاي دون الناس حزن وعبرة ... على فقد من أحببت مالهما فقد
وأكبرُ نفسي عن جزاء بغيبة ... وكل اغتياب جهد من لا له جهد

وأرحم أقواماً من العي والغبي ... وأعذر في بغضي لأنهم ضد

سافر سفرة في عالم التجارب النفسية وبين الأحياء، ولو لم يكن على صفات الشاعر النفسية ويلتذ التجارب الخلقية بالتذاذ ما يعبر عنها من البيان . وكذلك إذا قرأ قول المتنبي :

إذا غامرتَ في شرف مَرُومِ ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تُغني ... ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه ... على قدر القرائح والعلوم

أحس أن حكمة الشاعر في التمييز بين عقل العجز والجبن وبين عقل الفطنة المقرونة بالشجاعة والطموح ليست حكمة الشعر التعليمي أو الوعظي ، وإنما هي حكمة الخبرة والتجارب والفطنة المقرونة بالطموح إلى الآمال السامية ، وهو ذلك الطموح الذي كان من مظاهر الاعتداد بالنفس عند المتنبي ، وهذا ما يلمسه القارئ في باقي حكمة المتنبي فيسلم نفسه للشاعر يتصرف بها أثناء قراءة شعره حسب بيان خبرته وحكمته وآماله وآلامه ، وإذا قرأ قول المتنبي :

وخلة في جليس أتقيه بها ... كيما يرى أننا مثلان في الوهن
وكلمة في طريق خفت أعربها ... فيهتدي لي فلم أقدر على اللحن
كم مخلص وعُلًى في خوض مهلكة ... وقتلة قُرنتْ بالذم في الجبن
لا يُعجبَنّ مضيماً حسن بزته ... وهل تروق دفيناً جودة الكفن

(البقية في العدد القادم)

عبد الرحمن شكري

مولد الليل

للأستاذ محمود الخفيف

شربت كدرته لون الشفق
فامحى إلا بقايا فى انطفاء
اكتسى الماء بأمواج الغسق
ومضت تمسح كف الدجى
من حواشى الأفق ما أبقى المساء

تحسر الأحداق فى هذا الغروب
روعة للقلب فيه والبصر
يا لبشر فيه يمحوه القطوب
يا لأطياف به حائرة
وصفاء ما صفى حتى اعتكر!

مجتلى بالغة روعته
لا تمل العين فى الأفق رؤاه
ملأت نفسى به فتنته
لحظة، ثم انطوت أطرافه،
ومشى الليل عليه فمحاه

راق هذا الغرب حتى خلته
مشرق الصبح انجلى للناظرين
فى جمالى بعض ما ألهمته،
خاطر طاف بروحى سحره
ليت شعرى مفصح عنه مبين

يتناهى أبدا سحر الجمال
ويروع الطرف والقلب معا
ما تغشته من الموت الظلال
فمضى يقرب من غايته
فتهاوى فتبدى أروعا!

هكذا اللحن انقضى أو أوشكا
وجبين النجم يغشاه الأفول
هكذا الزهر إذا الزهر زكا
وتمشى السقم فى نضرته
فبدى بين نماء وذبول

هكذا المصباح عند الغلس
راح يطوى نوره طول السهاد
وبقايا خلسة المختلس
تركت نشوتها نار الجوى
فى الحشا بين خمود واتقاد

هكذا الشمس تغشاها الطفل
فتراءت كنضار فى عقيق
ومضت ترفل فى أبهى الحلل
تنهل الألحاظ من رونقها
وتعب الروح من هذا البريق

يا جمالا هاج للقلب الشجن
أبهج النفس سناه وشجاها!
صورت كدرته معنى الحزن
كيف مست مهجتى ظلمته
فمحت فى النفس أحلام مناها

الخفيف

مولد الليل

(تصوير الدكتور أحمد موسى)

(البقية على صفحة ١٦٤)

صحائف من تاريخنا القومى

الغـــــرب يتجنى

للأستاذ أحمد خاكى

حينما يستشرف المؤرخ القومى لأحريات القرن التاسع عشر ، ومبدأ القرن العشرين ، يرى فى مصر مدرسة من مدارس الفكر والسياسة جديرة بأن تذكر بين الأفراد القلائل الذين قادونا فى تاريخنا القومى . وكانت هذه الفترة فى تاريخنا هى الفاصلة بين حياة من الاستعباد المقيم ، وبين حياة أخرى من الحرية والمجد . وقد استطاعت القومية المصرية أن تحيا خلال تلك السنين السود على الرغم مما اعتورها من أطماع الإمبراطوريات المستعمرة ، وعلى الرغم من فترة الركود التى تثاقلت على أفئدة المصريين بعد الفشل الذى أصاب الثورة العرابية . وإذا انتزع المؤرخ نفسه من غمار الحوادث التى قامت فى مصر منذ مبدأ القرن التاسع عشر حتى اليوم ، استطاع أن يشهد للقومية المصرية وحدة خاصة تبدأ منذ اليوم الأول الذى خطا فيه نابليون فى بلادنا المقدسة ، وتظل مجدة جاهدة تصيب النجاح فى أحيان ، ويصيبها العثار فى أحيان أخرى

على أن فى دراسة القومية المصرية فى الفترة التى تلت الثورة العرابية كثيراً من العظات والعبر التى ينبغى أن ننعم النظر فيها . ذلك بأن حياتنا الاجتماعية والسياسية تقوم على الأسس التى بناها سلفاؤنا فى أعقاب القرن التاسع عشر ؛ بل كثير من النقائص التى ما زالت تميز كياننا الاجتماعى ترجع إلى تطورنا أثناء ذلك القرن . وهذه الفترة الخطرة هى التى التقى فيها الغرب والشرق على أساس من سوء الظن والاستغلال ، وهى كانت الفترة التى بلغت فيها الفكرة الإمبراطورية عند انجلترة وفرنسا أكثر ما بلغت ، فكان ضحاياها بلاد الشرق الأدنى ، وبلاد المغرب الأقصى ، وغير أولئك وهؤلاء من سكان إفريقية وآسيا . وإذا كانت مصر قد استطاعت أن تتخفف من تلك القيود التى ضربت عليها فى سنة ١٨٨٢ فإنما ذلك لأن القومية المصرية كانت شديدة المراس شديدة البأس

وقد بدأت الحركة القومية فى مصر فى زمن نابليون ، وأنتجت تولية محمد على فى سنة ١٨٠٥ . على أن القومية لم تصبح أملاً من آمال الشعب إلا فى سنة ١٨٨٢ ، حين قام عرابى وصاحباه يحتجون على تفوق العنصر الجركسى والتركى فى الجيش ، وسوء المعاملة التى يلقاها المصريون . كان هذا سبباً من أسباب الثورة ، إلا أن الثورة الفكرية كانت عنيفة فى نفس كثير من المصريين . فإن البلاد كانت قد أوتيت قليلاً من العلم ، وكانت تعاليم جمال الدين الأفغانى الذى نزل مصر سنة ١٨٧١ قد بدأت تزدهر . وظهرت الجرائد وكونت رأياً بين الخاصة ، وكان الجيش وعلماء الأزهر أقوى هؤلاء . فكانت الثورة التى حمل لواءها عرابى باشا ، وقد اقترنت الثورة بخليط معقد من العناصر . فقد كانت مسلحة ، وقد كانت دستورية ، وقد كانت تنفس على الأجانب ما حازوه من سطوة ، وما ينعمون به من متاع الوظائف وبسطة النفوذ

على أن الثورة العرابية لم تكن مستنيرة شجاعة على الرغم مما انطوت عليه من عناصر . ذلك بأن العسكريين الذين ملكوا أزمتها لم يدركوا الخطر المحقق الذى تنطوى عليه حفنة العداء بتحديهم ؛ ثم إنهم لم يكونوا عسكريين بالمعنى الذى نفهمه الآن من تلك الكلمة ، فلم يكن لهم قوة التنظيم ولا المصابرة على أنواع الجهاد . حتى عرابى نفسه لم يستطع أن ينصرف فى موقفه تصرف الجندى المغامر . ولو أنه أراد النجاح بأى ثمن لما تردد لحظة واحدة فى القبض على الذين اشتبه فى خيانتهم ، ولا تردد فى سد قناة السويس حتى يقطع السبيل على الإنجليز . ثم إن الجيش الذى كان يأتمر عليه عرابى لم يكن إلا فلول الجيش الآخر الذى انتصر أيام محمد على وإسماعيل لأن الوسيلة التى كانت تتبع فى جمعه كانت وسيلة منفرة شائنة ، ويكفى أن الجنود كانت تؤخذ قسراً من القرى والدساكر تحت لهيب السياط

لكن العنصر القومى الذى بدأ بالسيد عمر مكرم أيام محمد على ما زال يدب فى أوصال البلاد دبيباً خفيًّا لا يكاد يسمع له ركز حتى تمثل فى حركة الإصلاح التى قامت بعد أن هدأت الثورة العرابية وبعد أن استقرت الأمور . ذلك العنصر هو الذى تمثله المدرسة الفكرية التى بدأها جمال الدين ، وكانت قد وقفت تلك المدرسة تنتظر حينما فشل عرابى وتشتت من أعضائها أفراد

كثيرون . لكنها أقبلت على الحياة بعد استقرار الثورة وهى مؤمنة بحق مصر فى الحياة العامة على الرغم من الاحتلال البريطانى الذى ابتليت به البلاد وعلى الرغم مما أصاب الحزب العسكرى من وهن . وقد احتكت هـذه الفئة الجديدة بالتفكير الأوربى فاستوعبت كثيراً من الأفكار الغربية من مصادرها الأولى ، وازدهرت هذه الفئة فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وبلغ من تقدير اللورد كرومر لهم أن قال : إنهم كانوا يشبهون الجيروند فى فرنسا . والحق أن كثرتهم كانت تشبه الجيروند فى تعلقهم بالمثل الأعلى وفى إيمانهم بسمو الفكرة وفى الثقافة والشجاعة والإخلاص

كان بين هؤلاء الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وانضم إليهم قاسم أمين وسعد زغلول . وقد اجتمع هؤلاء لا على أن يكونوا حزباً سياسيًّا ولا ليدافعوا عن فكرة خاصة عينوها ، وإنما هى الحوادث والميول ربطت بين قلوبهم. وكانت الوطنية المصرية قد فقدت قليلاً من الثقة حين ضعضعها الفشل بعد الثورة لكنها بدأت تلتئم رويداً رويداً فابتنيت على أسس أخرى غير التى قوضتها الثورة . ونمت فى أعقاب القرن الماضى تلك الفئة المثقفة التى مثلت فى مصر نفس الدور الذى قامت به الطبقة الوسطى المستنيرة فى انجلترة وفرنسا . فكانوا هم رسل الحياة الأوربية فى مصر . درس الكثير منهم القانون فى جامعة ليون بفرنسا ، وتأثر الكثير بالدراسات التى زخرت بها كتب الفلسفة والقانون . فكان من هؤلاء زعماء الفكر فى مصر ، بل لقد كان منهم الزعيم السياسى مصطفى كامل

لم يكن بين هـذه المدرسة الحديثة التى قامت فى سنة ١٨٩٠ وما بعدها علاقات وثيقة بالثورة العرابية، وقد كانت الثورة العرابية مادية طغت فيها المصلحة على الوطنية الخالصة، ولم تكن هذه الثورة مستنيرة لأن الكثرة من زعمائنا كانوا جنودا غير مستنيرين، بل ولم تكن شجاعة لأن عرابى نفسه لم يكن شجاعا. أما جمال الدين ومحمد عبده وقاسم أمين ومن جرى فى أثرهم فقد جمعوا بين الوطنية والتنور والشجاعة . ولم يربطوا غرضهم القومى بترقيات لفئات خاصة، وكانت ثقافتهم أصيلة لأنهم درسوا أصول الثقافة عند الغرب وعند الشرق وحاولوا أن يؤلفوا بين الثقافتين .

تلك هى الفئة التى حملت الثقافة القومية الأولى فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخنا الحديث . ولقد أدت رسالتها على خير وجوهها وكان عصرها غنيا بمختلف أنواع النشاط . وحينما ألقى العرابيون سيوفهم شرع هؤلاء أقلامهم يكتبون، وحينما خفت زئير الدافع اعتلوا المنابر يخطبون . ولقد كان الشرق والغرب خلال تلك الفترة فى كفاح ظاهره العلم والدين والثقافة وباطنه الاستغلال والسيطرة والاستعباد . وكان هانوتو ورينان ودوق داركور يكتبون من ناحية الغرب، وكان جمال الدين ومحمد عبده وقاسم أمين يردون من ناحية الشرق .

والحق لقد كانت ظاهرة نفسية غريبة تلك التى تنظرت بها كتابات هانوتو ورينان وداركور وقد نقد هؤلاء وكثير غيرهم من الكتاب والمؤرخين والفلاسفة أصول الإسلام، ولعل هؤلاء كانوا يؤيدون فى ذلك الاتجاهات الاستعمارية الخاصة التى توجهت بها فرنسا من غير أن يكونوا يشعرون بذلك . ولأمر ما قام هؤلاء قومة رجل واحد يحاولون أن يتحيفوا من الجماعة المصرية وأن يتنقصوا من الدين الإسلامى جميعه . لكنهم وجدوا تلك المدرسة العصرية المثقفة . وكان على هؤلاء أن يثبتوا أن الإسلام الحقيقى غير العادات العتيقة والتقاليد البالية التى حسب الفرنسيون أنها الدين .

حينما بحث هانوتو قواعد الإسلام كان يحاول أن يختط خطة لمعاملة المستضعفين من أبناء المستعمرات التى انتقلت تحت الحكم الفرنسى . وكان جديراً بمثل بحثه أن يكون متحيزاً لأنه كان فى مكان الحاكم الذى يملى على المحكوم . وقد وجد هانوتو فى كتابات محمد عبده صدى لما كان يجول فى صدور هذه المدرسة الكريمة التى ذكرت . وكذلك قل عن الدوق داركور فإن هذا الكاتب مكث فى مصر بضعة شهور كان يحسب أنه قد أوتى خلالها العلم جميعاً بأحوال المصريين . وقد حاول أن يرجع كل نقص رآه إلى طبيعة الدين نفسه ، فكان على قاسم أمين أن يقرع الحجة بالحجة ويرد البرهان بالبرهان . وما فرغ دوق داركور من كتابه عن « مصر والمصريين » حتى كان قاسم أمين يهيىء كتاباً فى الرد عليه سماه « المصريون » .

والحق أن هذا الكفاح الذى قام بين الشرق والغرب كان

مفيداً للحياة المصرية بوجه عام . ذلك أن قوماً مثل محمد عبده وقاسم أمين قد أدركوا فى دفاعهم عن مبادئ الإسلام أن فى المجتمع المصرى كثيراً من المثالب التى ينبغى إصلاحها . ونحن نرى أن فى الوقت الذى كان الأستاذ الإمام وقاسم أمين يردان فيه على كتاب الفرنسيين — فى نفس الوقت كانوا يهيئون أنفسهم للكتابة عن مصر ، وكان محمد عبده يمثل الناحية الدينية فحاول أن يضع أصول الدين فى موضعها الأول وحاول أن ينشر ثقافة دينية فى مصر لم تزل إلى اليوم مجدة قوية جاهدة ، وما كان ذلك الاتجاه الجديد إلا لأنه وجد نفسه فى موقف الدافع فعرف القضية من جميع وجوهها وحاول أن يقيم ما اعوج وأن يحفظ على مصر والمصريين كرامتهم .

ولقاسم أمين بعد ذلك وجه آخر من وجوه الإصلاح . فقد كتب كتابه «Les Egyptiens» رداً على دوق داركور فى سنة ١٨٩٤ إلا أنه لم يلبث بضع سنوات حتى وجد أن دوق داركور نفسه قد تكلم عن مفاسد حقيقة بالبحث والتفطن فكتب كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » ينقد فيهما بعض الاجتماعية الفاسدة والمبدأ الذى دارت عليه بحوثه فى المرأة وتحريرها هو مبدأ القدرة على استكمال النقص perfectibilité الذى يتبعه كثير من أنصار التقدم ، وقد حاول على هذا الأساس أن ينقد التقاليد والعادات التى حدّت من حرية المرأة وجعلتها فى الوضع الأدنى من تقدير الرجال . على أن قاسماً من وجه آخر كان يرى أن إصلاح المرأة بدء الإصلاح العام

كانت المدرسة الثقفة التى قامت فى نهاية القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين هى المدرسة القومية التى استنارت بنور العلم والتى أقبلت على الإصلاح بلهفة المؤمنين بالمثل الأعلى ، وهى المدرسة التى تخرج فيها مصطفى كامل وسعد زغلول ، وهى الأصل فى نهضتنا القومية التى بدأت بعد الحرب الكبرى والتى لما تنته بعد من وضع مناهجها القوى الذى يجب أن نعمل له

***

وكانت هذه المدرسة مؤمنة للمثل العليا فى الدين والخلق النصيب الأوفى من تقديرها ، بل كان لها من المعايير الدينية والخلقية ما لا نزال نحن فى حاجة إلى إحيائه فى العصر الحاضر . دفعها هذا إلى الإيمان بأن وحدة الإسلام ينبغى أن تقوم ضد الغرب وقد أراد أن يعصف بذلك الإيمان العميق الذى حل فى أغوار النفس عند الشرقيين عامة والمصريين بوجه خاص . وذلك نفسه تفسير لتلك الوحدة الإسلامية التى دعا إليها الداعون فى ذلك الزمن . كان لا يزال هؤلاء وكثير غيرهم يحسنون الظن بدولة الخلافة . لكنهم فى نفس الوقت الذى كانوا يحتفظون فيه بعلائق المودة والرحمة بالدولة التى كان عليها أن تحفظ تراث المسلمين — فى نفس ذلك الوقت كانت آثار أقلامهم تحيى الشعور القومى عند المصريين . وما تجيّل هذا الجيل حتى نبتت فكرة أساسها الدفاع عن الوطنية المصرية أمام الأتراك والمتتركين . فدعا الجيل الذى عاش قبل الحرب الكبرى إلى أن تكون مصر للمصريين . وأنت تلمح هذين الوجهين من وجوه القومية المصرية فى حياة مصطفى كامل وأنت تلمح الوجه الأخير ظاهراً جلياً فى حياة سعد زغلول ، ولو أن مصطفى كامل عاش إلى ما بعد الحرب العظمى لدعا إلى ما دعا إليه سعد

أحمد خاكى

للتاريخ السياسي

أســـباب التسليم

للدكتور يوسف هيكل

فى ميونيخ هزمت الديمقراطية آلم انهزام ، وانتصرت الدكتاتورية أعظم انتصار . فخسرت فرنسا وبريطانيا نفوذهما السياسى ، وتضعضع مركزهما الدولى ، وانتقلت السيادة الأوربية ، فى هـذه الأيام على الأقل ، من يدهما إلى يدى الهر هتلر والسنيور موسوليني . لذلك نعت اتفاق ميونيخ بأنه « اتفاق الذل والهزيمة » ووصف بأنه « الحد الفاصل بين عالمين » . فما هى العوامل التى أرغمت فرنسا على قبول هذا الانهزام ؟ وما هى الأسباب التى دعت المستر تشمبرلن إلى التسليم لمشيئة الهر هتلر ؟ .

على أثر اتفاق مونيخ ثار الرأى العام فى تشيكوسلوفاكيا ساخطاً على فرنسا ، ومتهماً إياها بالخيانة ، وملقياً عليها مسؤولية ما أصابه من انهزام وذل وفقر ، وما أصاب بلاده من تمزيق وضعف . وأصبح الشعب التشيكوسلوفاكى يبغض الحكومة الفرنسية ، صديقته الحميمة ، بغضاً لامزيد عليه . حتى أن الظواهر الفرنسية ، من مؤسسات علمية وطائرات وسيارات ، فى تشيكوسلوفاكيا ، التى كانت قبل اتفاق مونيخ تثير احترام الشعب التشيكوسلوفاكى لفرنسا وإعجابه بها ، أضحت بعد اتفاق « الذل والهزيمة » تثير البغض لحكومة باريس والحقد عليها . وعمل الشعب التشيكوسلوفاكى وحكومته على الابتعاد عن فرنسا ، وقطع الصلة بها ، وطمس آثارها فى بلاده . ولتحقيق ذلك أبدلت البلديات أسماء الشوارع الفرنسية بأسماء تشيكية وألمانية . وألغت حكومة براغ تدريس اللغة الفرنسية فى مدارسها كلغة إجبارية ، واستعاضت عنها باللغة الألمانية ، وقطعت عن المعاهد العلمية الفرنسية فى بلادها ما كانت تقـدمه لها من مساعدات مالية . واستبدلت دور السينما التشيكوسلوفاكية بالأفلام الفرنسية أفلاما ألمانية ...

فهل كان الرأى العام التشيكوسلوفاكى مصيباً فى اعتقاده خيانة فرنسا له ؟

منذ اشتداد المشكلة التشيكوسلوفاكية ورجال الحكم فى باريس يعلنون أن فرنسا ستقف بجانب حليفتها . ولتأكيد ذلك اتخذت الحكومة الفرنسية ، حين اشتداد الأزمة السياسية بين برلين وبراغ ، إجراءات حربية واسعة المدى . وكان كل شئ ، النية والعزم والعمل ، يدل على أن الحكومة الفرنسية جادة فى قولها ، لا تود ترك حليفتها تذهب ضحية اعتداء ألمانى . وكان ذلك رأى الجيش فى فرنسا أيضاً ، إذ أن رئيس أركان حرب الجيش الفرنسى ختم التقرير الذى قدمه لحكومته بقوله : « إن الصعوبات كثيرة ولكن يجب أن نمشى »

وبينما كانت فرنسا جادة فى استعداداتها الحربية للدفاع عن تشيكوسلوفاكيا ، أعلمتها وزارة خارجية انكلترا أن آلاف الرسائل التى تلقاها المستر تشمبرلين من سائر أنحاء الممالك المتحدة ، تحتم عليه إنقاذ السلم على أى حال ، وأنه يعتبر ذلك دليلاً على أن الرأى العام البريطانى غير مستعد لخوض غمار الحرب من أجل تشيكوسلوفاكيا . فأدركت الحكومة الفرنسية أنها لن تستطيع الاعتماد على الحكومة الإنكليزية ، وأن ثباتها قد يكون مقامرة خسرة . ووجدت نفسها فى آخر الساعة فى ظروف لا تمكنها من الإصغاء إلى رأى الجنرال كاملان ، فاضطرت إلى التسليم ، وإلى أن تسير مع انكلترا موافقة على ما عزم عليه المستر تشمبرلين . لأن القوى الفرنسية وحدها ، مع عظم أهميتها ، لا تستطيع مقاومة القوى الهائلة المتأهبة للحرب فى بلاد الدكتاتورية

وأما سياسة حكومة لندن ، وتصريحات رجالها فكانت تدل على أن الحكومة البريطانية لا تريد الوقوف بجانب حكومة براغ ، مدافعة عن حقوقها ، وصادة التوسع الألمانى فى أوروبا الوسطى . بل كانت هذه السياسة ، وهذه التصريحات دالة على أن حكومة لندن عازمة على عدم خوض غمار الحرب ، وعلى تسوية النزاع الألمانى التشيكوسلوفاكى بأى ثمن كان ، تلافياً للحرب ، على رغم ما فى ذلك من انهزام شنيع وأخطار فادحة لها ولحليفتها فرنسا

* * *

لم يضحِّ المستر تشمبرلين فى مونيخ بما أوجدت السياسة الفرنسية خلال عشرين عاماً من قوى دفاعية فعالة ضد الاعتداء الألمانى ، ولم يُمكن رئيس وزارة انكلترا ، الهر هتلر من السيطرة على أوروبا بتسليمه بمطالبه فى تشيكوسلوفاكيا ، حباً فى السلام فقط ، بل هناك أسباب قاهرة دعته إلى هذا التسليم . وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين : الأول منهما يتعلق بمسائل حربية ، والثانى يتصل بعوامل نفسية نفعية

إن الدولة الكبرى الوحيدة التي نزعت فعلاً سلاحها فيا بعد الحرب العظمى هي بريطانيا العظمى . ويرجع ذلك إلى سياسة حزب العمال ، الذي كان يرأسه المستر رمسي مكدونالد . وكان المستر مكدونالد يأمل أن تحذو الدول الكبرى حذو بلاده فتنزع سلاحهـا غير أن أمله لم يتحقق ، ففرنسا لم توافق على نزع سلاحها لأنها كانت واثقة أن في نزعه خطراً على سلامتها وخطراً على أوربا أيضاً ، لأن الدول الأخرى لن تنزع سلاحها . وبالفعل فإن إيطاليا الموسولينية أخذت تبذل كل قواها في التسلح على أنواعه ، وتبعتها في هذه الخطة ألمانيا الهتلرية . فأصبحتا أعظم الدول الأوربية تسلحاً . فسياسة نزع السلاح العملي التي سار عليها المستر رمسي مكدونالد في انكلترا أدت إلى إضعاف بريطانيا العظمى حربيا ، وإلى تشجيع الدول الدكتاتورية على التسلح العظيم

وبرغم أن بريطانيا العظمى قد ابتدأت في التسلح منذ أن تسلمت الحكومة القومية إدارة سياسة البلاد فأصبح لا يستهان بقوى سلاحها ، فإنها لا تزال غير متسلحة التسلح الكافي الذي يمكنها من خوض غمار الحرب

وزيادة على ذلك فإن مدنها وسواحلها خالية من التحصين ضد الغارات الجوية . فهذه المدن وهذه السواحل تكون هدفاً لغارات الطائرات الألمانية ، فيما لو نشبت الحرب العالمية من جراء المشكلة التشيكوسلوفاكية ، وتوقع غارات العدو فيها أضراراً فادحة ...

ثم إن الحالة في المستعمرات الإنكليزية غير هادئة ؛ وكانت حكومة لندن تخشى أن تحدث اضطرابات في بعضها ، وتشب نار الثورة في الآخر ، إن هي اشتكت في حرب أوربية فتصبح هذه المستعمرات سبب ضعف لها ، بدلاً من أن تكون عامل قوة

وبينما كانت الوزارة البريطانيـة في وسط معمعة الأزمة التشيكوسلوفاكية ، أبلغت دائرة استخباراتها المستر تشمبرلن سرا أن الحكومة اليابانية متأهبـة لاجتياح الأملاك الإنكليزية في الشرق الأقصى حال اشتباك القوى الانكليزية والفرنسية في حرب مع ألمانيا . ولهذه الغاية كانت اليابان قد أبقت القسم الأعظم من أسطولها بمعزل عن الحرب الصينية . وهو ، في تلك المياه ، يضارع في القوة أسطول انكلترا أو الولايات المتحدة . وكانت اليابان تفكر في إيقاف حربها الصينية ، حين وقوف حرب أوربية تشترك فيها بريطانيا ، وإبقاء أقل من نصف مليون من الجند في القسم الذي افتتحه من الصين للمحافظة عليه ، والزحف بجيش عظيم مدرب نحو الجنوب ، والانقضاض على هنغ كنغ وسنغافورة ومقاطعات مالاي والهند واستراليا ؛ وضربها ضربة قاصمة بسرعة لا تدع مجالا للدفاع عنها .

وقد أدرك المستر تشمبرلن أن الوسيلة الوحيدة للخروج من هـذا المأزق ، وإبطال الخطة اليابانية ، فيما لو وقعت الحرب ، هو إقناع الولايات المتحدة بإرسال أسطولها إلى المحيط الباسيفيكي ليكون رادعا لليابان عما تبغي الإقدام عليه . غير أن الولايات المتحدة أظهرت حينئذ أنها لا تريد العدول عن خطة الحياد ، والابتعاد عن المشاكل الأوربية .

ويريد بعض الكتاب السياسيين تعليل تسليم بريطانيا وفرنسا في مونيخ ، إلى اعتقادهما أن روسيا لم تكن عازمة على دخول الحرب بجانبهما . بل إن غرضها كان إيقاد نار الحرب دون أن تصطلي بلظاها ، رغبة منها في إشعال لهب الثورة . وهذا القول حظ من الصحة ، لأنه إذا غضضنا النظر عن تصريحات المسؤولين في موسكو بعزمهم على تنفيذ واجباتهم نحو تشيكوسلوفاكيا إذا قامت فرنسا بواجباتها نحوها ، نرى أن مصلحة الروسيا كانت تقضي عليها بدخول الحرب بجانب بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا ، لضمان انتصار الدول الديمقراطية ضـد الدول الدكتاتورية . أما تمكين الدول الدكتاتورية من الانتصار على بريطانيا وفرنسا فمعناه هيمنة ألمانيا التامة على أوربا . ومعناه أيضاً فسح المجال للجيوش الألمانية للهجوم على بلاد الروس وتمزيقها ، وتحقيق منهاج الهر هتلر من نزع أوكرانيا وغيرها من المقاطعات الروسية وضمها إلى الريخ

أما العوامل النفسية النفعية التي ساعدت على التسليم في مؤتمر مونيخ ، فمنها أن الرأي العام البريطاني في المملكة المتحدة وفي الممتلكات البريطانية كان ضد الحرب ، لا حباً في السلم فحسب ، بل اعتقاداً منه أن الخلاف بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا لا يمس بريطانيا وممتلكاتها ولا يؤثر على مصالحها . . . ومنها أن رئيس وزارة انكلترا المستر تشمبرلن ، شيخ جليـل ، يعتقد إمكان التفاهم مع الدول الدكتاتورية ، ويحب السلام الأوربي ، ويرغب في تحقيقه بأي ثمن كان ...

* * *

أمام هذه الوضعية الحربية التي تحذر من خوض غمار حرب أوربية ، وإزاء هذه النفسية التي ترغب في اجتنابها ، اضطرت الحكومة الإنكليزية إلى عدم المغامرة في حرب أوربية . وقام

مؤلف ثائر وموسيقار نابغ

مكسيم جوركى

يهدم الحكم القيصرى

مبلغ تأثير أديب شعبى فى حياة أمته

للأستاذ محمد لطفى جمعة

منذ بضعة أشهر ، قضى فى الستين من عمره شاليابين Chaliapin الممثل الروسى الأشهر ، وكان أخلص أصدقاء جوركى ، وقسيمَ حياته فى شبابه وكهولته ، ولجوركى فضل تحويله من نزعته الأرستقراطية إلى المذهب الاشتراكى . وخلف شاليابين فيما خلف ذكريات مخطوطة ورسائل منثورة تولى بعض أصدقائه نشرها فى مجلة « العهد الجديد » . ويمكن لمن يطالع هذه المذكرات والمقولات والقصاصات التى نشرت بعد طبها ، أن يجدَ فى أدب جوركى وفن شاليابين أدلة قوية على تأثير الأدب فى حياة الأمم ، وعلى تدخل الفنون والمواهب العقلية فى كل ثورة طارئة على المجتمع . وهذا يذكرنا بما كان لسقراط وأفلاطون وسوفوكليس وأوربيديس فى اليونان، ولفيرجيل وإبكتيت وسنيكا فى الرومان، وفولتير وروسو فى فرنسا، وإديسون وديفو وهيوم وبوكل وبنتام وكارليل فى انجلترا، وتورجنيف وجوجول ودوستيوفسكى وتولستوى وجوركى فى روسيا

زعم بعض الدعاة أن جوركى نقم على صديقه القديم لينين[1] بعض طرائق تفكيره ووسائل حكمه ، وأنه غادر روسيا غاضباً ولم يعد إليها إلا بعد موت لينين ؛ ولكن هذا النبأ كاذب ، فإنهما عاشا وتعاشرا وافترقا على أصفى الود ؛ وإنما أراد لينين بسفر جوركى إلى الخارج أن يكون بمثابة السفير العقلى ليفيد الروس من مجده الثابت فى أذهان غرب أوربا ، بينا هو كاتب عالمى يقوى جانب لينين بانضمامه ويعتز به . وقد ثبت من الوثائق التى أظهرها شاليابين أن كتب جوركى كانت تطبع وتنشر بالملايين فى حقول روسيا وسهولها وبيوتها ومدارسها ومصانعها ومعاهدها أثناء غيبته فى أوربا الغربية ، تلك الغيبة التى علّلوها بالجفوة بينه وبين لينين . ولو كان جوركى غاضباً أو مغضوباً عليه لم يكن ليستمتع بهذه الشهرة النادرة فقد أخرجت مطابع لينينجراد وموسكو وساراتوف ونيجنى نوفخورود فى سنتى ١٩٢٤و١٩٢٥ أكثر من أربعة ملايين نسخة من كتبه (المتشردون وكونولو وماريا المحدلية وتوماس جوردويف) . وقد حبب جوركى إلى قلوب قرائه استقلاله فى الأدب وغيرته على تكوينه الذاتى فقد أدب نفسه وربى عقله ولم يكن له أستاذ غير نفسه . لم يكن أناتول فرانس أول كاتب عظيم طلق اسمه ، وخلعه وقذف به وتبرأ منه لثقله وعدم انسجامه وهو « تيبو » اسم سيئ الرنين فى الأذن الفرنسية المرهفة الحس ، وكذلك كان اسم جوركى مكسيموفتش بشكوف ، فاختصر الاسم ودفن اللقب وأحل محله جوركى ومعناه « ذو الغضاضة أو المرارة » وقد روى جوركى تاريخ أهله وترجمة حاله فى طفولته وشبابه فى رواية توماس جورديف . وإنه لشبيه بكل العظماء فى اليتم ، فكان يتيماً لطيماً ، لفظه بيت الأسرة وتلقفته حوانيت المعلمين ، وأركان الشوارع وسفائن الملاحة على نهر فولجا السحرى الذى كرر ذكره فى كتبه وخلّد صور الحياة على ضفافه فى قصصه الأولى ، ومعظم أشخاصها من الفاليك والصعاليك والمنبوذين والمحاويج الذين علقوا بالنهر من قريب أو من بعيد .

وتمتاز تلك القصص بالصدق لأنها مغمورة بالبؤس والضراء

(١) اسمه الحقيقى إليا إليا نوفتش

رئيس وزارتها بإقناع فرنسا بضرورة التريث وبذل الجهود فى حل الخلاف الألمانى التشيكوسلوفاكى بالطرق السلمية . ولأجل ذلك قرر المستر تشمبرلين حين اشتداد الأزمة زيارة الهر هتلر طائراً وبذل الجهود التى عرضناها فى مقالات سابقة ، لإقناع زعيم ألمانيا بحل قضية السوديت سلمياً . وللوصول إلى هذا الحل تساهل المستر تشمبرلين مع الهر هتلر إلى حد التسليم بكل ما طلب وفرض

وقد ظن المستر تشمبرلين أن إرضاء زعيم ألمانيا فى مونيخ يزيل أسباب الحرب ويوجد السلام المنشود ، وأنه باتباع سياسة « تهدئة الخواطر » يسود التفاهم وتتم الطمأنينة . فهل نجح المستر تشمبرلين فى سياسته أم أن هذه السياسة أكثرت المشاكل الأوربية وعقدتها وجعلت وقوع الحرب أمراً لا بد منه ؟ هذا ما سنبحثه فى مقال آخر

يوسف هيكل

وخشونة الحياة وشظف العيش والإرغام على الصبر وتحمل المكاره التي حفت بها الدنيا . وتلقى التعليم الأول على يد طاه كان في بداية أمره من رجال الحرب ، ثم وقف أمام الكانون يعد الطعام . وطلب جوركي العلم في قازان والتمس العيش في مخبز وباع الفاكهة الفجة والناضجة في الأسواق . ويرجع إلى هذا العهد تلقين جوركي مبادئ الثورة الاجتماعية عن رجال ونساء كانوا يتخذون أزياء غير أزيائهم ويندسون في ثنايا المجتمع ليدعوا إلى الإصلاح . فيكون أحدهم أستاذاً في الجامعة أو طبيباً أو مهندساً ولا يأنف أن يستخفي في مباذل خباز أو عجّان أو خزّاف . وقد عرض لجوركي أثناء تلك الفترة ألوان من المحن كاحتقار المثل العليا التي يحلقها الخيال — قصة « عشرون رجلاً وامرأة » — وسهولة الاتصال بالنساء واقتراف الجرائم في سبيل سد الرمق ومقاومة الجوع ولو بالقوت الضروري ، وامتزاج الميول الجنسية بالحاجة المادية ، وعجز الفاقة والشهوة عن خنق المواهب الكامنة في نفوس النوابغ والتي تظهر لأسباب طارئة تفهة . فإن جوركي وهو في أشد حالات الضنك وأحط درك الاجتماع ، كان مشتغلاً بحاضر العالم ومستقبله ومنابع الخير والشر في المجتمع ووجوب خدمة الإنسانية بأسرع ما يستطيع وبكل ما يملك من عقل وخلق وإرادة . كان جائعاً طريداً معدماً مدقعاً، ولكنه كان مفكراً وثائراً وحائراً، فلم يقف جوعه في طريق عقله ، لأنه كان يشعر بامتلائه بما قرأ وما رأى وما سمع، وكان ينفض من أعماق قلبه منظر الآلام وأخبار الشقاء وترديد أنّات التوجع، لأن حسه المرهف لم يطق تحملها، فما باله بالسخرية تصدر عن القوى من الضعيف والحاكم من المحكوم ، والغنى من الفقير ، وبالاعتداء والتعذيب وإهراق الدماء . كان إذا قضت عليه الأحوال برؤية لون من ألوان الأسى يحزن ثم يغضب ثم يثور ، فإذا لم يجد من يشفي غليله انهال على نفسه ضرباً كما يضرب الفلاح حماره . وقد أضرت به الفاقة فتعلق بأهداب الموت ، ولكنه اتصل بتولستوى عن طريق كتبه وتلاميذه . وأخذ يكتب في نصف العقد الثالث حوالى سنة ١٨٩٣ فاكتشفه كورلنكو فتبناه وأعانه . وكورلنكو من أكبر كتاب روسيا، غير أنه راح فريسة قسيس رومى خبيث حبب إليه الآخرة وقبح له الأدب والفن فأحرق مخطوطاته في باريس إرضاء لرجل الدين الذي تكشف عن جاسوس قيصري دسته عليه الحكومة لتسلب شعوره وتتركه لعبة في أيدي رجال الخفية . بيد أن جوركي أدرك كورلنكو قبل أن يصيبه الخبال فجنى من ثمار نبوغه وترسم خطاه في التحرر من قيود البيان وتبع المدرسة الجديدة التي تجعل للمعاني المكان الأول من ذهن الكاتب. وفتح له كورلنكو مغاليق الصحافة الأدبية . فأشهر كتابه الأول في ختام الثلاثين من عمره ولم يكف عن التأليف والنشر بعد ذلك ثلاثين عاماً . ولم يخلع مكسيم جوركي ثياب الفلاحين ولم يبدل من طريقة عيشتهم. وكان وجهه بتقاطيعه وتقاسيمه الوجيكية يسحبه إلى الفطرة الروسية سحباً . ولا عجب ولا غرابة فقد كان جزءاً من تلك الحليقة الموسكوفية والسليقة السلافية أشبه الرجال بليو تولستوى . يقول شاليابين : « إلى تلك الفترة ترجع تلك اللوحة الزيتية العجيبة التي أنتجتها مواهب صديقه ربين ، فقد صور جوركي في بدلة فلاح مديد القامة بارز الوجنتين صغير الذقن قصير الأنف غزير الشعر أشعث المظهر . . . تمثالاً حياً وصورة ناطقة تغنى الريف الروسى في أذكى هيآته وأنبلها . فلله در ربين الذي خلد ببراعته صورة صاحبه . وكان تسلق جوركي سلم الصيت سريعاً . وقد بدّ في صعوده الأمجاد من أمثال تولستوى وجوجول وتورغنيف . وتعليل ذلك أنه نال من نفوس الشعب . ومنحه وعطف عليه ، ووثق من مقاصده ، وكأنه رآه يحلق ويصنع على عين أمته فلم يكن شيء من حياته خافياً . وكانت الأفئدة مستعدة لتسلم هـذا الأثر ، ولا سيما أفئدة العمال والصناع الذين ما زجهم جوركي وخالطهم واتصل بهم وعمل على تحريرهم من قيود الفقر والظلم القيصري ، ولم يخجل من ذكر حوادث مضيه واختلاطه أحياناً بالنساء البائسات في حوانيت أو محارن أو خرائب مهجورة أو على شواطئ البحر وضفاف الأنهار . لأن هذا الذي سمّاه « الفريسيون » وصغار البورجوازيين سقوطا ، لم يكن إلا تسامياً عن طريق الألم (١) فكان أحياناً يفكر في حظ الإنسان ومستقبل الحضارة ويحدث نفسه بإحداث أعظم أثر في المجتمع ، وهو لاصق إلى فتاة مسكينة تعد منبوذة في حكم النظام الاجتماعي . وكان شاليابين ولينين من الأصدقاء الذين

(١) idealisation par la souffrance

اتصلوا به فى أوربا الغربية حين نزح إليها منذ ثلاثين عاماً . وعند ما حكمت محكمة بطرسبرج على جوركى بالسجن لاشتراكه فى مظاهرة البوب جابون(1) احتج تولستوى بخطاب مفتوح إلى القيصر وانضم إليه مفكرون فرنسيون وانجليز . ونشر فى ضحى هذا القرن ذكريات طفولته تقليداً لتولستوى الذى فعل ذلك . وكان كلاهما مخلصاً فى وصف هذه الفترة من حياته . وكان صدر جوركى ضعيفاً فألزمه الأطباء جزيرة كابرى فقصد إليها ولم يكن له زوج وأولاد يرعونه . فإن حياته الأولى فى ظلال الشقوة والقلق والفلاكة عدلت به عن اتباع طريق العادة . ولعل تعففه عن النساء فى أواسط عمره مكّنه من مقاومة داء الصدر الوبيل الذى أصيب به فى أوائل شبابه ، فنفض عن كاهليه غبار المرض فى جو تلك الجزيرة الصاحية الضاحكة ذات الألوان البهيجة والظلال الوارفة والأشجار الملتفة والأشعة البنفسجية . وفى كابرى زاره الأدباء والعلماء والزعماء ولا سيما لينين الذى كان يهرع إلى تلك الجزيرة ليتخذها مغنى وملهى وموضعاً للتفكير والتدبير . ولم يكن جوركى خصم الشيوعية من اللحظة الأولى ، ولكنه لم يكن لها باختياره ، لأن الشعب تعلق بكتبه ، وأعجب بأدبه ، فطلب إليه لينين أن يرأس تحرير جريدته فأجاب سؤله . ففاز به لينين ونشدما كان إعجابه بهذا الفوز ، لأن جوركى كان الكاتب الكبير المخضرم ، وهو الوحيد بين من عطفوا على الثورة . وكانت تعوقه عن التمادى فى نصرتها عقبة عقلية ونفسانية ، وهى أنه بنشأته وغريزته يعين الفرد ، ويعززه ويعمل على تنميته وتعظيمه والإعجاب به ، والثورة الشيوعية تود لو تمحو شخصية الفرد ليندمج فى المجموع ويسخر له . وفى هذا المذهب ابتلاع لمبادئ الفلسفة الاجتماعية التى سرت إلى سريرة جوركى وسرائر أساتذته وأصدقائه . ولكن الشيوعيين اعتقدوا أنهم فى حاجة إلى كاتب فحل واسم ضخم وثائر عنيف ، يقف كالطود وينتصب كالعلم ليلتف حوله أولاده وتلاميذه ، فلم يبخل جوركى على وطنه بهذه النعمة ، وقد روى لى (شليابين هو المتكلم) : أن ستالين قال له يوماً فى موسكو :

— ما عليك يا ابن مكسيموفتش العزيز !

أليس هذا النظام الذى يحارب الفقر والجهل والمرض وينتزع الشعب المقهور من براثن الفاقة ، ويعد مستقبلاً سعيداً لملايين المساكين الذين طال تعذيبهم ، وكتبك كلها ناطقة بالحنان عليهم أترانا نبالغ أحياناً ونطلب المزيد ؟ فأعرض عنا قليلاً قليلاً ، ولكن لا تتخل عنا . نحن أقرب الناس إليك فى سوق هذه الحياة الدنيا (كذا) ، ولا أهل لك غيرنا لو تأملت.. أما أنا فستجدنى أطوع لك من لينين ، أى من بنانك . فأنا أعلم أنه كان يحبك حباً جماً ، ولا يخيب لك رجاء ، وحسنا فعل ..

فقلت له : ولكننى فى حاجة إلى الراحة . فقد بقيت أكتب وأكتب منذ ثلاثين عاماً وأكثر . أما آن لى أن أستريح ؟

قال لى : لكن قلمك احترق قوت الشعب ، فلا يحلو لهم غير الذى تصوغ من درر الفن الرفيع . إن تعلق الشعب بك بعد أن مات تولستوى وتشيكوف ، وبعد أن ... وأندرييف أشد من تعلقك بشليابين لحبك موسيقاه وتعابيك فى أنغامه

وسألت جوركى فى هذا فقال لى : أنا أحبك لذاتك . أنت شيطان الموسيقى الأكبر ، ولكن الموسيقى التى تجذبنى هى التى سمعتها على ضفاف نهر الفولجا أو فى سفائن تمخر أمواهه

محمد لطفى جمعة

---

(1) شارك الشرطة السرية فى الايقاع برجال الثورة ثم دبر له البوليس السري كميناً وشنقه فى حديقة قصر خال بالريف

مولد الليل

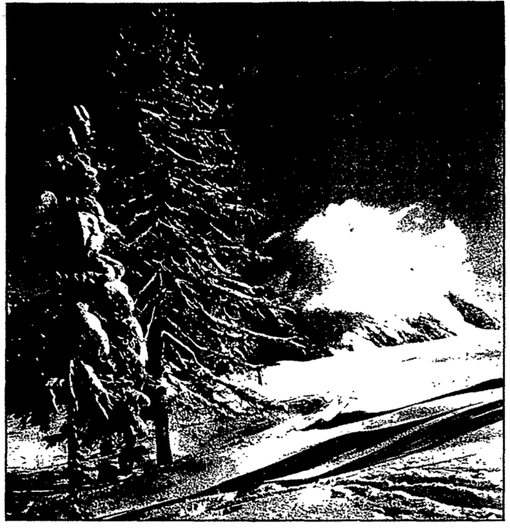
(بقية المنشور على صفحة ١٥٦)

هَذِهِ الشَّمْسُ إذا ما غَرُبَتْ ... فوراءَ اللَّيْلِ إصْبَاحٌ يَرُوقْ
وإذا شَمْسُ حَيَاتِى ذهبتْ ... وَدَجَا (اللَّيْلُ) فلا نجم ولا
مَوْضِعٌ فيه لِفَجْرٍ أو شُرُوقْ

ظُلْمَةُ اللَّيْلِ بِهَذا العَالَمِ ... تَسْبَحُ الأحْلامُ فِيهَا وَتُطِيفْ
أتُرَى لِى مِثلُ حُلْمِ النائِمِ ... إن دَجَا فَوْقِىَ لَيْلُ الرَّدَى،
أمْ تُرَى لَيْسَ سِوَى الصَّمْتِ المُخِيفْ ؟

إيهِ يا لَيْلُ تَجَمَّعْ وَانْزِلِ ... فِيكَ لِليَائِسِ أحْلامٌ تُتَاحْ
إيه ياليل ، بقلبى الذّابِلِ ... سَكَرَاتٌ من مُنًى حائِرَةٍ
تَتَلاشَى عِنْدَ إقْبَالِ الصَّبَاحْ

الخفيف



الشتاء ! الشتاء : وماذا تفهم من الشتاء يا ابن مصر الضاحية الضحوك ؟ هل تفهم منه إلا أنه أسابيع من عمر الدهر لا تدرى أهى أواخر خريفه أم أوائل ربيعه؟ هل تجد فى جسمك غير دفء النعمة، وفى نفسك غير بهجة الأنس، وفى عينك غير إشراق الجمال؟ أنظر أمامك تر الشتاء الغربى الذى جعله الله شيخوخة الطبيعة، يسلبها الرواء فلا تعجب، ويحرمها النماء فلا تخصب، ويلقى عليها الهمود فهى سكون خافت وصمت ثقيل، ويلفها فى كفن من الثلج نسجته ريح بليل؛ ثم تقشعر الأرض، وتكفهر السماء، وتقع الحياة بين القحط والموت، فتئن بالرعود، وتتأوه بالأعاصير. وتتساقط على الشجر السليب والثرى الكئيب والقرى الموحشة، همًّا فى الصدور، وبؤساً فى الأكواخ، ورهقاً فى العزائم.

إن الشتاء فى غير مصر زمهرير جهنم، تنفسه كما تقول الأساطير فلا يذر من شىء يهبّ عليه إلا أحرقه بالقُر وأغرقه فى الصقيع. أما فى مصر فالشتاء فى الناس لا فى الطبيعة. والشتاء فى الناس برد فى الدماء، وجمود فى العواطف، وقحط فى الأنفس. فلو كان كل من على النيل صافى القلب كسمائه، عذب الخلق كمائه، طلق اليد كفيضه، ضافى المعروف كأرضه، لكان هذا الوادى الحبيب جنة الله فى الدنيا، أزلفها لجنس من خير الأجناس، خلقه وسطاً بين الملائكة والناس! ولكن ... وما أسخف الحياة ما دامت فيها لكن!

ابن عبد الملك

رد على نقد

القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

إذا كانت الأشياء تتبين بأضدادها فقد تبين معنى القديم الذى أردناه لما بينا فى المقال الماضى مرادنا بالجديد

إن قديم الإسلام الذى ذكرناه فى أولى الكلمتين اللتين نقدها الأستاذ قارئ هو القديم الذى نحفل ونفخر به والذى لا نرى سواه جديراً بالاستمساك به والذود عنه . لكن قديم الإسلام ليس مرادفاً من كل الوجوه لقديم المسلمين . فقديم المسلمين هو كل ما شمله تاريخهم مما يسر ويسوء ، ومما يطابق أو يخالف الإسلام . لو كان المسلمون معصومين من الخطأ ومتابعة الهوى ، أولو كانوا مع عدم عصمتهم لم يخطئوا إلا خطأ المجتهد ، لكان قديم المسلمين هو وقديم الإسلام سواء ، ولكان حال المسلمين اليوم شيئاً آخر غير ماهم فيه . لكن المسلمين بعد أن فتح الله البلاد على سلفهم الصالح وخلفوه فيها فتنتهم الدنيا كما فتنت من قبلهم ، وحاولوا أن يتحللوا من قيود دينهم ، وتهاون أولو الأمر فى إقامة حدوده فزلت الأقدام بعد ثبوتها ، وتداولتهم الأيام حتى صاروا إلى ماهم عليه

ومن الإفك العظيم الذى يأفكه الغرب أن ينسب ماهم فيه إلى دينهم الذى إليه ينتسبون . لو كان ماهم فيه نتيجة العمل بالإسلام ما كان هناك مفر من اتخاذهم حجة عليه . لكنهم صاروا إلى حاضرهم المخزى بتركهم العمل بالإسلام ، فهم حجة له سلبية كما أن سلفهم الصالح حجة له إيجابية ، وتمت بذلك حجة الله على الناس . سلفهم الذى نزل فيه الدين استمسك بالدين فدانت له الأرض فلم تطغه ولم تبطره ، وضرب للتاريخ المثل العملى الفرد لحكومة الله فى الأرض كيف تكون . فكانت تجربة أجراها الله فى الأرض لا يقدر على إجرائها غيره ، تحققت بها دعوى الاسلام أنه دين الفطرة التى فطر الله عليها الناس ، لا يتحقق لهم كمال ولا سعادة إلا به ، أفراداً كانوا أو جماعات . وحسبك من كمال الفرد به . تطور النفس الجاهلية إلى مثل نفس عمر وأبى بكر وعلى وعثمان ، ومن إليهم من السابقين الأولين ، وحسبك من كمال البيئة الإنسانية وسعادتها تطور البيئة الجاهلية به إلى البيئة الإسلامية أيام الرسول الكريم صلوات الله عليه وفترة مذكورة بعد أيام الرسول

ثم أجرى المسلمون أنفسهم لسوء حظهم التجربة الأخرى التى يتم بها إثبات أن ذلك التطور المعجز الذى تطورته النفس البشرية لما خالطها الإسلام ، كان حقا نتيجة للاسلام لا لغيره . وآية ذلك أن زوال الأثر إذا زال المؤثر ، كما يجرى فى أى تجربة علمية . وقد كان ، فزال عن النفس كالها ومن البيئة عزها لما انخدعت عن دينها ، وتعطل أثر الإسلام فيها

فتاريخ المسلمين إذن فيه الخير وفيه الشر ، فيه تحقيق الاسلام عمليا وفيه تعطيله . وإذا كان قديم المسلمين يشمل الاثنين بالطبع لأنه عين تاريخهم فإن قديم الدين لا يمكن أن يشترك مع قديم أهله إلا فى ذلك الجزء الذى حققوا الإسلام فيه . فقديم الإسلام الذى نقصده والذى قصدناه بما كتبنا من قبل هو أولا كتاب الله وسنة رسوله ، وهو ثانيا ما طابق الكتاب والسنة من تاريخ المسلمين

وإذا فهمنا قديم الإسلام هذا الفهم وتم لنا تحديده هذا التحديد وجدنا أنفسنا أمام شيء يزول معه كل معنى للتفرقة الزمنية بين الأمور ، فلا يكون هناك محل فى الإسلام لفكرة القديم والجديد كما تفهم الآن . إن الإسلام دين الفطرة ، والفطرة عند التحقيق لا يتفاوت فيها فى دائرة الحق قديم ولا جديد . إنما يكون التفاوت والتناقض بين الحق والباطل . فكل جديد يخالف قديم الإسلام بالمعنى الذى حددناه هو جديد باطل ، نصيبه من البطلان بقدر ما بينه وبين الإسلام من خلاف . وكل ما جد للانسان من حق وقف عليه بعد جهل به فهو والحق الذى عرفه الإنسان من قبل سواء ، تشملهما الفطرة ، ويشملهما الإسلام الذى يشمل بتشريعه وروحه وكنفه جميع صور الحق وسننه فى جميع مدارج الحياة ، فى جميع مظاهر الكون ، ما عرف الإنسان منها وما سيعرف ، ما قدر له علمه فى هذه الدار وما قدر له بعد هذه الدار .

وليس فى الوجود دين ولا نظام جمع للانسان الخير كله والحق

كله وحذره من الباطل كله إلا الإسلام . والإنسان يستطيع إلى حد كبير تمييز الحق من الباطل فى دائرة المحسوس الذى يستطيع إخضاعه لتجاربه العلمية ، أما ما لا يستطيع إخضاعه لتجاربه مما يتعلق بحياة الإنسان الروحية فلا سبيل للوصول إلى الحق والخير فيه إلا بإرشاد الله فاطر الفطرة وبهدايته . وقد فعل سبحانه ، فضلاً منه على عباده ورحمة بهم أن يهلكوا إذا تركوا وشأنهم فيما يتعلق بحياة الروح ، فإن للروح سننها التى سنها الله كما لغير الروح سننه ، ولا مناص للانسان من اتباع سنن الله وإلا كان من الهالكين . فكان من رحمة الله بالإنسان أن مهد الله له سبيل النجاة والفلاح واطراد الرق الروحى بالأديان التى أرسل بها رسله تترى حتى ختمها سبحانه وأتمها للانسانية فى الإسلام

والعجيب الغريب من أمر الإنسان فى عصرنا هذا أنه يحرص على اتباع سنن الله فى عالم المادة ولا يحرص على سننه فى عالم الروح هذا عجيب لأن الذى يقدر سنن الفطرة ويبحث عنها ليستمسك بها فى ميدان ينتظر منه أن يقدرها ويبحث عنها ليستمسك بها فى غيره من الميادين . فإذا كان فاطر الفطرة سبحانه قد أنزل للانسان هداية مبنية على سننه فى الميدان الذى لا يملك الإنسان إجراء التجارب العلمية فيه كان ذلك أدعى لاغتباط الإنسان بتلك الهداية من باب أولى . وكان الأقرب إلى العقل أن يحرص الإنسان عليها إن كان مؤمناً بها عن يقين ، فإن لم يكن كان الأولى والأقرب إلى العقل أن يسارع الإنسان إلى بحثها وفحص منعاتها الدالة عليها ليصل فيها إلى حكم صحيح وقرار صريح . لكن الإنسان لا يفعل شيئاً من هذا . فلا المؤمن يحرص على الدين كما ينبغى ويدعو إليه كما ينبغى ، ولا الشاك يسرع إلى فحص الدين كما ينبغى ليصل فيه إلى قرار صحيح . وأغرب من هذا أن يسمح المؤمنون وهم كثير للشاكين وهم قليل فى البيئة الإسلامية أن يبذروا شكهم وينشروه عن شمال ويمين ، فى نفوس النشء من بنات وبنين

إن البيئة الإسلامية تحسن الدفاع عن نفسها إذا هوجمت فى دينها صراحة ومواجهة من أمام ، لكنها لا تفقه أن الأمر يحتاج إلى دفاع حين يأتيها الخصم مداورة ويهاجمها فى الإسلام بحركة التغافل : لقد تركت لدعاة الغرب الحبل على الغارب يقولون

ما يشاءون ويبثون فى نفوس صغارها وناشئها ما يشاءون ما داموا يسلكون إلى ذلك طريق التلميح والإيحاء أو ما داموا لا يهاجمون التوحيد صراحة والقرآن . فلما غر كبيراً فيهم الغرور وظن أن الأوان قد آن لمهاجمة الدين مواجهة لا مداورة هبت الأمة كلها تذود حتى كادت تبطش به ، فلما انزوى عادت إلى نومتها الأولى كأن لم يبق هنالك من حاجة إلى اليقظة والانتباه

وكان سلاح دعاة الغرب فى مهاجمة الإسلام فى صميم بلاده ونفوس أهله هو هذا الأدب الذى يسمونه بالجديد .

والأستاذ (قارئ) يحدثنا أن الذين يسمون الآن بأصحاب المذهب الجديد كانوا فى أول الحركة أو منذ ثلاثين سنة رجعيين يدعون إلى الرجوع فى النمط الأدبى إلى العصر الجاهلى أيام كانت اللغة خالصة ، وكان أدبها خالياً من التكلف فى الغزل والمحسنات اللفظية . لئن كان ذلك كذلك فما أظن حركتهم تلك فى الأدب كان لها داع ما ، لأن كل ما وصفها الأستاذ به وقال إنها تطلبه كان متحققاً بالفعل على يد حافظ وغيره إن لم يكن قبله

ويقول الأستاذ إن أنصارها قرأوا الشعر الأوربى اتفاقاً « فرأوا أن مبادئ رجعيتهم هى مبادئ الأدب الأوربى الصحيح السليم ، وأن الأدب الأوربى يعينهم على تحقيق تلك الرجعية » ونسنا ندرى كيف يمكن أن يعين الأدب الأوربى على تحقيق تلك الرجعية التى وصفت . وإذا صح أن بعضهم كان كما قال ، فأكثرهم لم يكن كذلك أى لم يقرأ الشعر الأوربى اتفاقاً ولم ينصره لأنه يؤيد مبادئه الرجعية ، ولكنهم كانوا ممن درسوا الأدبين ، وأوحى إليهم الأدب الأوربى مبادئهم التى دعوا إليها خصوصاً ما سماه : « الرجوع إلى طريقة المتقدمين فى إظهار كل شاعر خصائص نفسه وفكره ، وأن يباح له القول أكثر مما كان يباح للمتأخرين » . ولست أدرى ماذا كان محرماً على المتأخرين ، وأراد أصحاب الجديد فى أول الأمر أن يباح لهم ، وإنما الذى أدريه أن مبدأهم ذلك قد خرج بهم عن الحد ، وأدى إلى هذا الأدب الفاجر الذى يستطيع الأستاذ أن يضع يده فيه على ما شاء ، والذى يعتذر عنه بأن هنالك أفجر منه فى القديم

إن فى القديم أفجر منه من غير شك وأكثر منه أضعافاً

كثيرة ؛ لكن التفاوت فى لحن القول ، أظن الفضل فيه يرجع إلى القانون، والكثرة راجعة من غير شك إلى تراكم القرون وتعدد الأمم وكثرة الناس وعظم نسبة قائلى الشعر فيهم ممن يحسنه ومن لا يحسنه . فليت شعرى إذا حسب أثر ذلك كله ماذا تكون النتيجة وماذا يبقى من دفاع الأستاذ؟ إنها نقطة طريفة، لكن مهما تكن نتيجتها فإنها لا قيمة لها فى الموضوع . فالقديم الذى ندافع عنه والذى إليه قصدنا من قبل ليس هو القديم الزمنى الذى ذهب إليه الأستاذ . ليس هو قديم المسلمين برهم وفاجرهم كما توهم الأستاذ خطأ ، ولكنه قديم الإسلام بالمعنى الذى فصلناه . وإذن فنقده الذى وجهه إلينا وبناه على المعنى الزمنى للجدة والقدم نقد ذاهب لا يتوجه إلينا منه شىء

إن التفريق بين المذاهب والأعمال بحدوثها وقدمها كما يفعل كثيرون هو غير معقول، إنه تفريق تافه لأنه مبنى على شىء عارض هو الزمن يأتى ويمر من غير أن تكون له صلة بحقائق الأمور . إن قديم اليوم بمعناه الزمنى هو جديد أمس قد مضى ، وجديد اليوم هو قديم غد سيكون . فالجدة والقدم شىء عارض متغير لا وزن له فى قياس قيم الأشياء اللهم إلا المادى منها ، وليس فى كلها يطرد معناه . أما الأمور المنوية التى تتصل بحياة الإنسان الروحية وصميم إنسانيته فلا بد لقياسها والمفاضلة بينها من معيار آخر ثابت على الزمان هو معيار الحق والصدق والخير . وقد أنزل الله الدين ليهدى الإنسان إلى ما لا يستطيع الاهتداء إليه من هذا ما دامت حياته ونجاته وإنسانيته متوقفة عليه . من أجل ذلك تركنا المعيار الزمنى الذى لا يغنى من الحق شيئاً ، وقررنا ما كنا نظن أنه بديهى واضح من أن المعيار الثابت للحق والخير يجب أن يلتمس لا فى جديد الغرب ولكن فى قديم الإسلام أى فى الإسلام كما أنزله فاطر الفطرة على الإنسان الكامل والرسول الخاتم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه

لقد قررنا هذا الأصل من قبل ولا نزال نقرره . قررناه حين كتبنا نقدنا التحليلى لكتاب الأدب الجاهلى وأخذنا على صاحبه فيما أخذنا نشره مجون الأدب الغربى فيما كان يلخص للهلال من روايات فاجرة كرواية الزنبقة الحمراء ، ونشره مجون الأدب العربى فيما كتب عن أبى نواس ووالبة ومن إليهما فى حديث الأربعاء . وها هو ذا صاحبه يدعو فى أحدث كتاب له إلى الأخذ بحضارة الغرب كلها خيرها وشرها حلوها ومرها كأنما أراد أن يصدق ما قلنا فى كلمتنا الأولى التى انتقد الأستاذ (قارىء) من أن « الذين يسمون أنفسهم أنصار التجديد يؤمنون بالغرب كله ويريدون أن يحملوا الناس على دينهم هذا ولو خالف الإسلام فى أكثره » . فنحن حين صورنا الخلاف بين أنصار قديم الإسلام وجديد الغرب كما صورنا إنما كنا نصف واقعاً مشهوداً ، والأستاذ (قارىء) يصف من حركة الجديد تاريخاً غير مشهود مر ، على قصر الفترة التى كانت منذ بدأ ، وصار إلى هذا الجديد الذى يغلب على الحركة الآن وغلب عليها من زمان — بالنسبة إلى عمرها — طويل

والأستاذ (قارىء) يجعل للأسلوب والطريقة واللغة مكاناً كبيراً فى حركته التى وصف ، وإنى أعرف أن الأسلوب واللغة والطريقة هى مدار الخلاف بين من يعرفون بأنصار الجديد وأنصار القديم كما أعرف للأسلوب والطريقة واللغة مكانها فى الأدب . لكنى لا أحلها مع ذلك المحل الأول ، وإنما أجعل لروح الأدب المقام الأول فى الحكم عليه . وأنا فى ذلك تابع غير مبتدع ، تابع للقرآن مهتد بما سنه للناس

فلحكمة كبرى جعل الله معجزة دينه معجزة أدبية باقية على الدهر وجعل رسوله أفصح الناس . وليس أصغر ما فى تلك الحكمة التنويه بالأدب والتنبيه إلى أن قوته الهائلة ينبغى أن تكون عوناً للحق والخير على الشر والباطل فى حياة الإنسان، فهذا تشريع منه سبحانه وهدى للناس فى الأدب كان ينبغى عليهم أن يتبعوه . ولقد اتبعوه بالفعل فى عهد الرسول وفى أكثر عهد الخلفاء الراشدين، ثم جاء عمر بن أبى ربيعة الذى لو أدرك عهد عمر بن الخطاب لجلده ونفاه ولكنه من غرب مجونه الذى فتح فى الأدب باب الشر والمجون على الناس. وصلوات الله على رسول الله لقد نبه الناس لو كانوا ينتبهون: نبههم إلى أن الشيطان يئس أن يعبد فى أرضهم ورضى أن يطاع فيما يحقرون من أعمالهم . وكان مما حقروا القول الماجن ما داموا لا يرتكبون بالفعل ما يفترون فيه . وظن ابن أبى ربيعة أنه إذا قال ولم يأت شيئاً مما قال فليس عليه عند الله وزر ، ونسى حديث الرسول الذى أنبأ فيه الناس أن الله قد تجاوز لهم عن حديث النفس ما لم تعمل أو تكلم ، والحديث الذى نبه فيه صلوات الله عليه

الناس أن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . ووقع ابن أبي ربيعة في الحرجين واحتمل الوزرين كليهما فوصف حديث نفسه كلاماً تبعه فيه العرجي ومن لف لفه فانحرفوا بالأدب العربي عن الطريق الذي اختطه له القرآن إلى الطريق الذي تمناه الشيطان لينفذ منه إلى النفس المسلمة يفسدها قليلاً بعد قليل وجيلاً بعد جيل

فالأدب العربي ككل أدب إنساني يجب أن يحكم عليه أول مايحكم لا بأسلوبه ولا بطريقته ولا بلغته. ولكن قبل كل شيء بأثره في النفس أي بأثره في حياة الفرد وفي حياة المجموع . فإن كان أثره صالحاً يعين النفس على رقيها ويهديها إلى ربها فهو أدب صالح كريم ، وعندئذ تكون بلاغته وما يمكن أن يتصف به من مميزات أخرى حسنات له توضع في ميزانه. أما إذا كان سيئ الأثر يثير في النفس شهواتها ويصرفها عن هداها فهو أدب فاسد غير كريم مهما ملك صاحبه من عنان اللغة ومهما امتاز في الأسلوب، بل مميزاته في اللغة وفي الأسلوب تكون عندئذ من سيئاته لأنها تجعله أقدر على إفساد نفس الإنسان . من أجل ذلك جعلنا الأدب فيما كتبنا قسمين : قرآنياً وغير قرآني، أو أخلاقياً وغير أخلاقي، حسب أثره في النفوس لا فرق في ذلك بين القديم منه والجديد

والأدب الجديد كان له أسوأ الأثر في النفس المسلمة خصوصاً النفس التي لا تعرف من دينها ما تستطيع أن تدفع به عادية ذلك الأدب على مكان الدين منها ليفتنها بجديد الغرب عن قديم الاسلام. ولقد قلنا من أجل ذلك إن المسأله بين القديم والجديد هي في صميمها مسألة اختيار بين دين ودين، فظن الأستاذ أننا نريد أن الجديد يريد أن يحل المسيحية محل الاسلام ، وليس كذلك . إن المهم ليس هو ذات ما يتخذ بدلاً من الاسلام ، ولكن هو مجرد الانصراف عن الاسلام . وماذا يهم إذا انصرف المسلم عن الاسلام أى شيء اتخذ أو على ماذا أقبل؟ إنه إذا استدبر الإسلام لا بد مستقبل غيره؛ وإذا أحله من نفسه المحل الثاني فهو لا بد محل غيره المحل الأول ؛ وإذا عصاه فهو لا بد مطيع سواه . هذا الذى يستقبل ويكبر ويطيع بدلاً من الإسلام هو الدين الذى اتخذه أو يتخذه المسلم المفتون بالغرب بدلا من دينه . وليس يهم أدين هو معروف في الأديان أم هوى هو بين الأهواء أم وهم من الأوهام

واستعمالنا لفظ دين بهذا المعنى استعمال عربي صحيح . فالدين في الأصل معناه الخضوع ومن أخص خصائصه العبادة ، وقد جعل الله سبحانه طاعة الناس للشيطان عبادة منهم للشيطان في قوله (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) . وأوضح أن الناس لم يعبدوا الشيطان عبادة سجود ولكن يكفي من عبادتهم إياه أنهم أطاعوه فأضلهم عن سبيل الله . كذلك قد جعل الله اتباع الإنسان هوى نفسه عبادة للهوى واتخاذاً إياه إلهاً من دون الله (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً) (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) . فأساس التدين اتباع الدين والخضوع لله طوعاً ما للانسان خيار فيه . فإذا غلب الانسان على دينه شيئاً آخر يدين له بالطاعة من قلبه فذلك الشيء هو في الواقع دين له بدلاً من دينه الذي ينتسب بالاسم إليه؛ وإذن فنحن لم نغرب ولم نخرج عن حدود اللغة ولا عن الاستعمال القرآني حين أطلقنا لفظ الدين على كل ما يحل في قلب المسلم محل دينه . ونحن لم نظلم دعاة جديد الغرب حين قلنا إن جديدهم في الأدب ليس مقصوراً على الأسلوب والطريقة ولكنه في صميمه إحلال دين مكان دين ما دام منحى ذلك الأدب التماس المثل العليا واقتباسها من الغرب لا من الاسلام ولا من القرآن

محمد أحمد الغمراوي

استطلاع صحفي (ريبورتاج)

الأندية الأدبية في مصر

(لمندوب الرسالة)

— سأكتب عن الأندية الأدبية في مصر ...

— وأين هي يا أخي تلك الأندية الأدبية التي في مصر ؟!

ذلك ما قاله لصديقي الشاعر « الخفيف » وكنا في ندوة الرسالة ، وهذا ما أحسى به في لهجة قاسية منكراً أن تكون في مصر أندية للأدب . وهذا أيضاً ما سيقوله جل قراء الرسالة — إن لم يكن كلهم — وسينكرون أن تكون في مصر أندية للأدب . وربما يسألون : ما شأن هذه الأندية ؟ ومتى وجدت ؟ وأين توجد ؟ وما بالنا لا نعرف عنها أي شيء ؟ .. وهذا هو الذي حفزني للكتابة عن هذه الأندية ، وحملني على أن أكشف للناس — بل ولكثير من الأدباء أنفسهم — عن ناحية مستورة في حياتنا الأدبية ، ومؤثر له شأنه وخطره في وجهتنا الثقافية

نعم ليس في مصر أندية للأدب بالمعنى الضخم الذي يوحيه إليك هذا التعبير الضخم ، فتتخيل العمائر الشاهقة التي شيدتها الحكومة أو شيدتها الجمعيات الأدبية المنظمة وجعلتها في تأسيسها وفي أثاثها بهجة الناظر ومتعة الخاطر ، لتكون مجمعاً لأهل الأدب ومسرحاً لأرباب القلم ، كما هو الشأن في الأمم الراقية التي تحترم الفن ، وتقدر نتاج الفكر ، وإنما الأندية الأدبية في مصر إما مقاهٍ عامة تتسع لغمار الناس وجميع الطبقات ، وربما تكون ضئيلة الرواء تافهة الموقع ، وإنما ينزع إليها الأدباء لود قديم ، أو لمعنى يتصل بحياتهم المادية والروحية ، وإما بيوت لها مجد تالد ، وتاريخ حديث يتصل بتاريخ غابر ، فأصحابها يقربون أهل الأدب ويفسحون لهم في صدور بيوتهم يسمرون ويتندرون ، ويتمدحون بل ويذمون ، ويتوثبون من حديث إلى حديث بين أكواب الشاي وأقداح القهوة

وهذه الأندية على بساطتها لها أثر كبير في حياتنا الأدبية ، وإن ما يجرى فيها لصورة صحيحة لثقافتنا ووجهتنا في الأدب والشعر والنقد وكل ضروب المعارف التي نحذقها ، والتي لا نحذقها . وأنت لا شك تجهل كثيراً من نواحينا الفكرية وسياستنا الأدبية ، ومدى الصلة بين ثقافتنا وأخلاقنا . وأنت لا شك تخطئ كل الخطأ إذا كنت تحسب أنك قادر على فهم أدبائنا حق الفهم من كتاباتهم التي يزورونها للناس ، من غير أن تنتقل إلى هذه الأندية ، تجول بين جنباتها ، وتندمج في جماعاتها ، فتحاور وتداور ، وتقول وتسمع ، وتُرضي وتغضب ، وتنفلت معهم من كل قيد ، وتخرج على كل وضع ، وتكون حاضراً بعقلك وقلبك وعواطفك ، حتى تنبسط أمامك النفوس ، وتنكشف لك السرائر ، ويُعلن كل مخفيّ ومطويّ ، فيتبين لك القوم بعقلهم الواعي وما يسمونه بالعقل الباطن

لقد خرجت منذ عامين برفقة صديق عزيز إلى بساتين القناطر الخيرية في يوم عيد الربيع ، فرأينا الناس قد احتشدت هناك على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباين طبقاتهم ومراتبهم ، ورأيناهم قد خرجوا من وقارهم ، واستهانوا بكل ما اصطلح الناس عليه من الأخلاق والتقاليد ، واندفعوا في يقظة العواطف ، ورغبات القلوب ، وشهوات الجسد ، ما وسعهم الجهد في ذلك ، فكنت أنظر إليهم في فزع وجزع ، فمال عليّ صاحبي وهو يقول : لا تفزع ولا تجزع ، فإن هـذه — لو علمت — هي حال الناس بين الجدران ، وتلك طبيعتهم من وراء الحيطان ، وثق أن ما يظهر به الناس في الخارج من سمات الوقار ومظاهر الاحتشام إنما هو شيء متكلف مزوّر ، وإنه ليغطي وجه الحق على كثير من الناظرين . ولو قدر للشمس أن تشرق على جميع الناس ، وأذن للحجب أن تنهتك عما وراءها لرأيت الناس في طبيعتهم الصريحة وحقيقتهم الصحيحة ، وما حقيقتهم إلا ما ترى ياصاحبي .

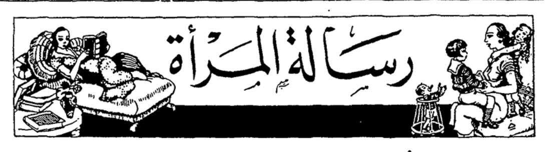
وهذا الذي قاله صاحبي في الناس بالأمس ، هو ما أقوله في أصحابي الأدباء اليوم ، فهم في كتاباتهم قد يحجبون حقيقتهم ويزوّرون في طبيعتهم ، ويظهرون في غير لباسهم ، توخيا لمصلحة يرجونها أو رهبة لسيطرة القوانين والتقاليد ، أو رعاية لروابط الصداقة وصلات المودة بينهم وبين الناس ، فتراهم يبدون الرأي في احتراس ، ويحكمون على الأشياء بقدر ، ويخدعون ضمائرهم

فيحسنون ما ليس بالحسن ، وهم على عكس هـذا كله فى أنديتهم الأدبية ، ومواطن سمرهم وصفوهم ، صرحاء وضحاء ، لا يقتصدون فى شىء ولا يبقون على شىء ، تسمع منهم الرأى الصحيح والتقدير الصريح والنقد المنيف ، والأحكام القاسية التى تتصل بالآثار وبالشخصيات وتتناول الأفراد والجماعات، وربما يفزعك هذا النقد بأسلوبه، وربما تنكره على أصحابه، ولكنك لاشك ستجد فيه كثيراً من الصراحة المحمودة ، والتقدير الحق . وأذكر أن أديباً كبيراً أعرفه كتب مقالا فى تقريظ صاحب له فى إحدى الصحف، فهول وبالغ ومجد وقدّس حتى طار بصاحبه إلى السماء، فلما قابلته فى المساء حيث يجلس مع إخوانه للمسامرة ، ذكر لى أن ما كتبه إنما هو تمويه فى الحق ، وتدليس على الناس ، وأن صاحبه ليس فى قليل ولا كثير فيما كتب عنه ، ولكنها الضرورة قاتلها الله ، وللضرورة حكم أقل ما يقال فيه أنه يفصـل بين المرء وبين ضميره . ولقد ذكر الدكتور زكى مبارك فى مقال نشره منذ أعوام ، أن الدكتور طه حسين أسر إليـه فى مجلس من المجالس أن «شوقى» فى رأيه أكبر شاعر فى العربية ، وأنه كان يود أن يقدم ديوانه للقراء، على حين كان الدكتور طه فى ذلك الوقت يذيع فى الناس أن « شوقى » لا يد له فى الشعر ولا رجل ، وأنه شاعر يغنى على أطلال القديم ، فيغنى عنـه أضأل شاعر فى القديم ! ! ومن ثمّ تعلم أن أدباءنا فى مجالسهم شىء ، وهم فى كتاباتهم شىء آخر ...

وإلى جانب هذا نجد فى أنديتنا الأدبية ناحية مشرقة، فهى مجلس الدعابة البارعة، والروح المصرية المرحة، ولعلك تعلم أن الدعابة إنما هى الجانب المشرق من الحياة ، وهى عنوان ما فى السرائر المكتومة ، ومظهر من مظاهر الأخلاق والثقافة ، وعنصر يهتم به الدارسون لنفسيات الأمم وطبائع الشعوب . وليس من شك فى أن شخصية الأديب قد تتجلى واضحة مكشوفة فى نكتة يلقيها على بساط الشراب ، وربما لا يظهر لها ظل فى جميع مؤلفاته ولو بلغت ألف كتاب . ولأدبائنا فى مناحى الدعابة ذراع رحب ، ولسان طويل ... ولكنهم لا يهتمون أو قل يتحرجون من تسجيل ذلك وإذاعته فى الناس ، ولا شك أننا فرطنا فى كثير إذ أهملنا ما كان يجرى فى مجالس البابلى وحافظ وإمام العبد وأندادهم ، فلم نسجل شيئاً من أحاديثهم . ولم نحفل بنوادرهم وقفشاتهم ، على أنها كانت ثروة طيّبة ، وناحية حافلة بالأنس والسمر ، ومن العجيب أن القدماء كانوا أجدى منا فى ذلك وأحفل به ، ولعل مرجع هذا إلى أنهم كانوا يكتبون للخاصة فكانوا ينطلقون على طبيعتهم فلا يتأثمون من تعبير ، ولا يتزمتون من لفظ ، ولكنا نكتب لجميع الناس ، وكتاباتنا تتصل بمختلف الأوساط ، فكان لا بد أن نعف عن كل ما يخدش الحياء ، ويؤذى الأذن كما يزعمون !

ومن بعد هذا ومن قبله ، نجد تلك الأندية تعمل كثيراً فى نهضتنا الأدبية ، وفى وجهتنا الثقافية ، فكثيراً ما تتشاجر الآراء ، وتقوم المجادلات بين القوم حول المعركة بين القديم والجديد ، أو فى المقارنة بين شوقى وحافظ ، أو المفاضلة بين طه والعقاد . وقد يخرجون من القول فى الأدب إلى الكلام فى السياسة وما يجرى من التطاحن بين الأحزاب . وفى هذه الأحاديث وأفعالها يفضى كل بما عنده، فتكون الإفادة والاستفادة.

فنحن إذ نكتب عن الأندية الأدبية فى مصر ، إنما نكشف — كما قلنا — عن ناحية مستورة فى حياتنا الأدبية ، ومؤثر له شأنه وخطره فى وجهتنا الثقافية ، ونصور للناس صورة مشرقة بالمرح والصفو يطل منها أدباؤنا بطبيعتهم الصحيحة ، وحقيقتهم الصريحة . وموعدنا المقال القادم لنقف عند أول ناد هبطت عليه يوم هبطت على القاهرة ، وسأعرف كيف أقنع صاحبى الشاعر « الخفيف » الظريف . « م . ف . ع »



بين المـــرأة والرجل

هل الشرق شرق والغرب غرب فى كل شىء ؟

للآنسة زينب الحكيم

كان من بين البلاد التى زرتها أثناء رحلتى الطويلة بلاد كردستان . ولقد كانت من أعظم المخاطرات وأكثرها فائدة ، ذلك لأنى اكتشفت عالماً مجهولاً للكثيرين . أما ما قمت به من مخاطرات ، وما وصلت إليه من دراسات متنوعة فسأكتب عنه فى غير هذه المناسبة . وأخص هذه الرسالة بشىء من الأدب الكردى الذى حُبِّبت إلىّ دراسته وتقصيه ، لأثبت أنه على قدر ما وجدت تبايناً كثيراً بين الشرق والغرب فى كثير من الموازنات التى عملتها ، وجدت تشابهاً عظيماً بينهما بحيث نستطيع معه تحديد تباين الشرق عن الغرب ، أو توافقهما فى وجهات لا تحتمل الجدل مثل النواحى العاطفية ، والروحانيات، وتصرف المرأة هنا وهناك

الشاعر الكردى يستوحى إلهامه

وإنى لذاكرة فيما يلى قصة أدبية ، وهى عبارة عن قطعة تمثيلية غنائية عنوانها « الوردة الدامية » من نظم الشاعر الكردى الشاب الأستاذ عبد الله سليمان (كوران) من أهالى السليمانية عاصمة كردستان وقد ترجمتها نثراً إلى اللغة العربية

الوردة الدامية

حوار بين فتى وفتاة :

الفتى — هناك يافتاتى فى ذلك البيت حفلة زفاف ورقص وفرح

ألا تسمعين أنغام الناى ، ودقات الطبول المرقصة ؟

ألا ترين الزحام الباهر من الرجال والنساء يغنون ويرقصون ؟

كم أود أن أسمع هناك رنات حليتك الفضية وأنت ترقصين!

هيا ... بربك ، هيا ... نلحق بهم إذن

ونرقص ونرقص إلى أن يشبع فؤادى ...

الفتاة — كلا أيها الفتى ، لن أذهب ولن أرقص معك

ما دامت لا ترى رأسى وردة حمراء ووردة صفراء

الفتى — يا فتاتى أستحلفك بجمالك ودلالك ولحاظك الساحرة فى طريقك إلى عين الماء

أنظرى إلى الأوراق المتساقطة. أنظرى إلى الأغصان العارية.

إننا فى فصل الخريف ...

أين نحن من الورود؟ ثم لماذا الورود؟

أليست شفتاك المتفتحتان بالبسمة الجميلة أجمل من كل شىء ... ومن الورود ؟

الفتاة — لا يا فتى ، لن أذهب ولن أرقص معك ،

ما دامت لا ترى رأسى وردة حمراء ، ووردة صفراء !

لو كنتَ مانحاً قلبك لى بكليته حقيقة

لاستطعت إحضارهما من حديقة الأمير

وكل ما أطلب وردتان فقط !

* * *

يذهب فتى ويغنى متمنياً

الفتى — حديقة الأمير ... بينى وبينها نهر يفيض ويثور ، وتحيط بها قبائل معادية لا ترحم

إذا ذهبتُ : فالطريق وعر ولا أمل لى بالرجوع ،

وإذا لم أذهب :

آه ! ! لن ترقص معى فتاتى ، ذات العيون الساحرة

« يبتعد عن القرية شيئاً فشيئاً »

— ٢ —

الفتى — توغلت فى حديقة الأمير ، من أقصاها إلى أقصاها أما الوردة الصفراء فها كها . أما الحمراء فلم أجدها واأسفاه . لست أدرى أترضين الآن أن تراقصينى ؟

الفتاة — لا ... لن أراقصك . . لن أراقصك . . . من غير الوردة الحمراء الجميلة

الفتى — « يمسك بإحدى يديه قميصه مشيراً إلى الصدر فى محل القلب » ألا تقبلين هذا الجرح الدامى ، بديلاً عن وردتك يا فتاتى ؟

الفتاة — والهفى ... أأصابك رصاص العدو ؟

أتسقط هكذا من شدة الألم ؟

إذن ضع رأسك على صدرى وأنت تحتضر ،

ولأبك على قلب افتقدته من أجل وردة

* * *

هـذه القصة التى تعبر بروعة خيالها عن حقيقة عقلية الرجل الكردى ، إنما تعبر ضمناً عن ناحية من نواحى نفسية المرأة الكردية المعروفة بقوة الإرادة والشجاعة والحسن الفائق ، والنفسية المرحة السامية ، والعقلية الخصبة على جدب معينها العلمى ، وقسوة بيئتها وإن عوضها جمال مناظر جبالها ، وجودة هوائها ، وكثرة ثمارها كثيراً مما تفتقده من أسباب الحياة الرغيدة ، ونور العلم وميزات المدنية . والمرأة الكردية على غمرة عواطفها أمينة فى الحب ، قاسية فيه ، مضحية إلى الموت ، ولكنها صلبة الرأى إلى درجة شاذة انتصاراً لمبدأ أو إخلاصاً لحبيب أو صديق ، كما أنها على لطافة خلقها شرسة منتقمة إذا أرادت

هذه القصة من الأدب الكردى أذكرتنى بحادثتين وقعتا لرجلين من مشاهير الرجال أذكرهما فيما يلى ، حتى نرى أن ليس الشرق شرقاً والغرب غرباً فى كل شىء

(١) قفاز

سمعت قصة هذا القفاز زمناً طويلاً من الجدات والكهول ، عن سيدة كان مغرماً بها دى لورج «De Lorge» الضابط النابه الذى كان فى صغره من أشجع وأشهر قواد اللواء المشاة فى أيام فرنسوا الأول ملك فرنسا (١٥١٥ — ١٥٤٧) .

وكان الملك فرنسوا هـذا مغرماً باقتناء الوحوش الضارية ومشاهدة صراعها فى حديقة الوحوش التى أقامها لها خاصة .

ففى ذات مرة ، بينما الملك يشاهد الشجار مع حاشية من عظماء مملكته ، ومن بينهم سيدات يجلسن فى مقاصير أنيقة ، إذا بواحدة منهن تلقى بقفازها بين الأسود ، وهى فى أشد حالات الغضب والشراسة ، وتوجهت إلى عاشقها دى لورج الفارس النبيل طالبة إليه باستخفاف أن يعيد إليها قفازها ليؤكد أن حبه لها عظيم كما يقول ، ولكى تحقق من ناحية أخرى صدق شهرته أمام الجمهور الذى طالما تحدث عن شجاعته



فانبرى الفارس مسرعاً دون أن تبدو عليه دهشة أو تردد ، وأخذ عباءته فى إحدى يديه ، وسيفه فى اليد الأخرى ، ثم دخل بجسارة نادرة فى ساحة مساجلة الأسود ، وحالفه الحظ فى التقاط القفاز من بينها ، وعاد به إلى سيدته بين إعجاب الحضور وهتافهم . وتبسمت له الحسناء ابتسامة الرضى والسرور

ولكن الضابط الهمام لم يأبه لإعجابها ، واعتبر سلوكها معه ضغينة مبيتة ، ولهذا رمى القفاز فى وجهها معرضاً عن أى شكر ومتحرراً من غرامه . وبذلك أقصاها إلى الأبد

(ب) منديل

كان للقائد العظيم دى جينليز de Jenlis الذى مات فى ألمانيا وهو يقود فرق الهوجينوت Huguenot فى الحرب الدينية الثالثة حسناء أغرم بها جداً فمرة كان يعبر وإياها النهر من أمام اللوثر ، فأسقطت منديلها الفاخر فى الماء عمداً ، وطلبت إليه أن يغوص فى النهر ليعيد إليها منديلها . ولكنه لجهله بالسباحة اتخذ من ذلك مبرراً حسناً للاعتذار إليها

ولكنها لم تقنع — ولامته — بل اتهمته بأنه عاشق خائن جبان . فما كان من القائد الشجاع إلا أن ألقى بنفسه فى النهر دون أن ينبس ببنت شفة ، وحاول البحث عن المنديل عبثاً ، مضحياً بحياته لو لم يدركه قارب النجاة على الفور

نختم بقصة شرقية مشابهة فيما يلى :

قصة ايرانية

الشاعر نظامى الإيرانى أشهر من نار على علم ، نرى فى مخطوط من كتابه « هفت بيكر » المحفوظ فى نيويورك ، صورة ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادى ، توضح أيضاً تشابه تصرف المرأة الشرقية وتصرف الغربية فى نفس الحقبة من الزمن

ذلك أن الصورة تمثل « بهرام جور » ملك إيران يثبت لحبيبته فروسيته ومهارته فى الرماية ، بإجابتها إلى ما طلبته منه وهو أن يلصق السهم وحافر حمار الوحش بأذنه . وقد توصل إلى ذلك بأن ضرب حمار الوحش فى أذنه بقطعة من الطين الجاف ، فلما رفع الحمار حافره ليحك أذنه من أثر الضربة ، رماه بهرام جور بسهم ثبّت به حافره بأذنه

هذه قصص أربع أود لو تتفضل القارئات ومن يرغب من حضرات القراء بإبداء رأى فيها ، نصل من ورائه إلى مبدأ نؤسس عليه معاملة المرأة للرجل وبالعكس ، ولا سيما فى طور الخطبة

زينب الحكيم



قصة العــــلم التجريبي

الذروة التي بلغها البحث العلمي

للدكتور محمد محمود غالي

يعتمد العلماء اليوم على منابع أربعة للتجديد العلمي : الميراث العلمي، والبحث النظري، والبحث التجريبي، والتعمق العقلي في حقائق الأشياء ووضعها في قوانين لا تتعارض مع النتائج النظرية والتجريبية

ولن أتناول بالبحث في هذه المقدمة الميراث العلمي فقد أشرنا إلى الدرجة التي وصل إليها من العظم حتى أصبح غير ميسور لباحث أن يتعرف في فرع واحد من العلوم كل ما ينشر فيه . أما البحث النظري فقد أصبح من القوة بحيث لا يستطيع المشتغلون بالعلوم التجريبية والذين تستنزف التجارب بين جدران المعامل كل أوقاتهم ، الاستغناء عن تتبع التطورات التي تحدث في كل عام من الناحية النظرية، وإن في أعمال إينشتاين وبلانك ودي بروي وشرودنجر ما يدل على ما للطبيعة النظرية من القوة اليوم

أذكر أني طالعت منذ عشرة سنوات في إحدى صحف الصباح باريس أن لويس دي بروي Louis de Broglie ، وكان عمره في ذلك الوقت حوالى خمسة وثلاثين عاماً حاز جائزة نوبل في الطبيعة وكان كل ما بلغه من منصب علمي وظيفة محاضر في السوربون Maitre de Conference وفي مساء نفس اليوم حضر كعادته للمعمل الذي كنت أعمل فيه بالسوربون الأستاذ موتون ، وهو عريق في منصب الأستاذية فأردت أن ألم بشيء عن دي بروي فقال لي : « لا تظن أني أعرف عنه أكثر مما تعرف » ، وبعد سبع سنوات من هذا التاريخ ، وقبيل وفاة الأستاذ موتون ذكر لي وهو طريح الفراش في مستشفى معهد باستير ، وكنت أطالع له عملي : « لم يصبح لدينا من الوقت ما يكفي لتتبع دي بروي وفرانسيس بران[1] (Francis Perrin) ولا أنصحك أن تنفق وقتاً كبيراً لتتبعهم ، ولكن يظهر لي أن عالم التخمين لم يصبح أقل أهمية من عالم التجارب »

أما البحث التجريبي في العلوم الطبيعية فقد بلغ ذروة تدل عليها التطبيقات التي تمت داخل معامل الأبحاث وخارجها مثل الاختراعات العديدة التي أصبحت تتداخل في جزء من حياتنا اليومية

ولنضرب الآن أمثلة من التقدم في دائرة معامل البحث ونشير إلى شيء من المقدرة التي أبداها العلماء في القيام بالتجارب العلمية . ولعل في إشارتنا ما يجعل جماعة محبي العلوم الكيميائية والطبيعية الذين يشبهون في حياتهم كيميائيي القرون الوسطى Al-chemistes وهم كثيرون بيننا يستفيدون من الرجوع لهذه المقالات . ويقيننا أنهم إذا طالعوا بإمعان ما تتضمنه مقالاتنا سيطفئون مشاعلهم التي أفسدت الجو بدخانها ويفارقون بوادق صهرت الكثير من نقود أصحابها ويوقنون أن قصة المعامل اليوم تخالف قصتهم وأن العلماء اليوم متجهون اتجاها آخر في مباحث بلغت من القوة شأوا حمل الناس على الايمان بها والتسليم بسموها وعظمتها .

خذ مثلاً من العلم التجريبي كان النجاح فيه لأستاذين لازمناهما وجاورناهما في معاملهما طويلاً هما كوتون وموتون، ففي سنة ١٩٠٦ استطاعا بإنارة معينة للجسيمات الميكروسكوبية أن يكتشفا ما نسميه اليوم الألترامیکروسکوب وهو ميكروسكوب عادي إلا أن الجسيمات المراد فحصها تضاء بطريقة تسمح رؤية الجسيمات المتناهية في الصغر والتي لا يكشفها الميكروسكوب أو على الأقل تسمح رؤية مواضع

(١) عالم حديث وهو ابن جان بيران Jean Berrin الحائز لجائزة نوبل والمعروف باكتشافه شحنة الألكترون وفرنسيس بران مدرس بالسوربون ولا شك أنه من المرشحين لجائزة نوبل

هذه الجسيمات ، خذ النتائج السريعة لمثل هذا الاكتشاف العلمي فقد استطاع جان بران في سنة ١٩٠٨ أن يتتبع حركة جسيمات صغيرة جداً كالجسيمات المعلقة مثلاً في نقطة من الحبر[١] وهي حركة مبنية على قوانين الصدفة إلا أنها نوع من الصدفة المنظمة – أساسها حركة هـذه الجسيمات فهو حركة دائمة في جزئيات الماء نفسه التي تتصادم مع هذه الكرات المعلقة في السائل فتحركها معها، وهذه الحركة الدائمة في كل سائل هي التي تسبب ضغط السائل على جدران الإناء . وقد استطاع بيران (بإدخال حسابات قام بها العالم المعروف أينشتاين) أن يدرس نظام توزيع هذه الجسيمات الصلبة داخل السائل واستنتج من ذلك نتائج علمية عظيمة الأثر منها تحديده لعدد جزئيات الغازات في حجم محدود[٢] ومنها معرفته لشحنة أصغر جسيم كهربائي أو وحـدة الكهرباء (الالـكترون Electron)

وللألـكترون أهمية كبرى ويكفي أن يعرف القارئ أن العلماء يتجهون الآن إلى تحديد كل ما نراه وحصر كل ما يكون العالم في أربعة أنواع من الجسيمات المتناهية في الصغر هي الألـكترون والبوزتون والنيترون والفوتون . وسنأتي في مقالاتنا القادمة على شرح كل واحد من هذه الجسيمات الأولى الأربعة المكونة للخليقة وعلى الظروف التي أدت إلى اكتشاف كل منها ، وإنما أردنا أن ندل القارئ على أن اكتشاف الألترامكرسكوب واكتشاف الألـكترون كانا عملين أحدهما مساعد للآخر . ومما يجدر بالذكر أن الالترامكروسكوب لعب دوراً كبيراً في تجارب مليكان الخالدة التي فصل فيها جسيما واحداً يحمل الـكترونا حرا[٣] واحداً، هذه التجارب التي آمل أن أفصلها يوماً لقراء الرسالة ولـكن لا أترك الألـكترون دون أن أعطي القارئ فكرة عن حجمه أو كتلته

تصور أنك تدخن سيجارة وأنت جالس في الشمس وتصور أن تركت أطراف السيجارة على أصبعك بعض آثار الورق المذهب بحيث أن أشعة الشمس تساعدك عند النظر لأصبعك أن تكشف بالعين أحد هذه الجسيمات البراقة المتناهية في الصغر والتي تركتها السيجارة . إذا تصورت هذا وأردت أن تتصور الالـكترون فاعلم أن حجم هذا الجسيم الصغير يحوي ملايين المرات حجم الالـكترون الواحد ، فإن نسبته لهذا الجسيم البراق الصغير جداً كالنسبة بين الأخير وبين المكتب الذي أكتب عليه الآن هذا المقال

يمكنك أن تتصور أيضاً أنك تأكل تيناً وأنه قد أصاب أصبعك إحدى أشواكه الصغيرة — إنه يلزمك في العادة ملقاط لإخراج هذه الشوكة التي إذا خرجت تراها بصعوبة بالعين المجردة ، إن هذه الشوكة ربما تحوي من الألـكترونات قدر ما تحوي شجرة التين من الشوك . هذا هو الالـكترون الذي استطاع مليكان أن يفصل جسما واحداً يحمل الـكترونا حرا واحداً ويرى موضع هذا الجسيم بل ويرفعه ويخفضه كما يشاء

إلى هذا الحد وصل العلم التجريبي في سنة ١٩٠٩ أيام تجارب بيران ومليكان . أما اليوم وقد مضى ثلاثون عاماً على هذه التجارب فماذا أقصه عليك في هذه المقدمة التي أرجو من ورائها للقارئ إيماناً علمياً يشبه إيمان العوام . ولهذا أكتفي بالتنويه بثلاثة موضوعات كأمثلة جديدة في العلم التجريبي الحديث

الموضوع الأول : تصل إلينا أشعة يسمونها اليوم الأشعة الكونية سأجعلها موضوع مقال خاص في أعداد الرسالة القادمة . تخترق هذه الأشعة سقوف منازلنا كما تخترق أجسامنا وهي مكونة من الألـكترونات السابقة الذكر وبوزيتونات سريعة ، وليست الشمس هي مصدر هذه الأشعة كما يتبادر للذهن وذلك لأسباب سنذكرها عند ما نتكلم عليها بالتفصيل

لقد أمكن اليوم بما يسمونه أنبوبة ولسون Chambre de Wilson عد هذه الالـكترونات في اتجاه معين بل وسماعها كما تسمع صديقاً لك ورسمها على اللوح الفوتغرافي كما ترسم طفلك يوم عيد ميلاده وذلك بعـد أن تخترق هذه الجسيمات ما سمكه حوالي خمسة أمتار من مادة الرصاص

الموضوع الثاني : إنه من الممكن اليوم أن نطلق بالوناً صغيراً يحمل ترمومتراً لقيـاس الحرارة وبارومتراً لتسجيل الارتفاع والضغط الجوي وهيجرومتراً لتسجيل درجة الرطوبة ، وأن يكون بهذا البالون محطة لاسلكية ولا تزن بمحطته وبكل هذه الأجهزة سوى كيلو جرام واحد ، وهـذا البالون يسجل بمفرده درجات

(١) الجسيمات التي استعملها بران بالذات كانت كرات صغيرة جـداً من مادة « الجوم جيث »

(٢) هذا العدد معروف باسم عدد أفوجادرو

(٣) Electron libre

الحرارة والضغط الجوى والرطوبة ويرسل هذه النتائج مسجلة متعاقبة على ورقة موجـودة بمكتب رئيسى على الأرض دون أن يكون داخل البالون شخص لهذه العمليات ؛ هذا البالون كان نتيجة للبحث التجريبى الذى قام به هيدراك وروبير بيروه Robert Bureau فى سنة ١٩٢٧ — ويطلقون فى فرنسا فى كل يوم حوالى ثمانية من هذه البالونات كما أنهم يطلقون عدداً آخر من الباخرة المعروفة باسم الـكارى ماريه Carimarée الفرنسية المستعملة للأرصاد الجوية فى المحيط الأطلانطيقى

الموضوع الثالث : استطعت فى سنة ١٩٣١ لأسباب خاصة بدراسة توزيع جسيمات من طمى النيل داخل الماء أن أضع طريقة لتسجيل فترات سقوط كرة أو كرات داخل المـاء أو غيوم من الطمى لأقرب جزء من الثانية وذلك بتحويل حركة الـكرات أو الحالة الطمية إلى حالة كهربائية باستعمال العين الـكهربائية ؛ وقد أمكننى أن أسجل فعلاً هذه الحوادث وأمثالها على ورق حساس

وفى العام المـاضى توصلت لوضـع طريقة لمعرفة وتسجيل منسوب النيل وعمق النيل وكمية الطمى المحمولة بمياهه مهما كان بعد المنطقة المراد دراستها عن مكتب رئيسى بالقاهرة مثلاً ، وقد اشترك معى فى هذا البحث العام الماضى روبير بيروه مخترع البالون المتقدم الذكر (١)

هذه أمثلة مما بلغه اليوم العلم التجريبى وما أصبح عليه من قوة

ولا يقتصر العلم التجريبى اليوم على دراسة المظاهر الطبيعية أو على اختراع الأجهزة. بل يضع هذه المظاهر تحت عوامل وظروف جديدة . مثلاً نسلط على المـاء تياراً كهربائياً فنحلله إلى عنصريه الأوكسجين والأيدروجين فنخلع عن الماء برقعه ، وبعد أن كان يظهر للعين كأنه مادة واحدة يتضح أنه مركب من غازين ، ونستقصى طبيعة الـكهرباء وحقيقتها بأن نجعلها تخترق أنبوبة مفرغة من الهواء ، ونضع سماداً فى الأرض أو طبقة جديدة من طمى النيل ونرى أى العاملين أكبر أثراً على نبات الموسم القادم . ونُغير رى الأرض ، وكمية الماء ونرى تأثير ذلك على محصول الفاكهة

وهكذا بتعديل متعمد للظروف الطبيعية وتغيير فى العوامل المؤثرة على الظاهرة التى يراد دراستها تزيد معرفتنا لحقائق الأشياء بدرجة عظيمة ونتعلم نتائج جديدة لاسبيل لمعرفتها بانتظار الأيام والظروف.

وهذا مانسميه فى العلم التجريبى الدراسة النوعية Etude qualitative على أن أهم مافى العلم التجريبى هو الدراسة القياسية Etude quantitave. كلنا يعلم أنه لتقليل حجم غاز مثلاً يجب أن نضغطه ولكن الباحث يريد أن يعرف القانون الـكمى qualitative الخاص بهذا التغيير وتراه عندما ينتهى من وضع هذا القانون الذى يربط الحجم بالضغط يعتبر الحرارة كعامل ثالث فيضع قانوناً أعم لثلاثة عوامل الحجم والضغط والحرارة — كذلك يدرسون عدديا العلاقة بين التيار الـكهربائى والضغط الـكهربائى Tension electrique فى الأنابيب الضخمة Tubes amplificateurs فى محطات الاستقبال المستعملة فى الراديو Postes recepteurs de radio وهكذا أمثلة عديدة لدراسة الـكميات

وإنما نذكر ذلك لـا للدراسة الـكمية والعددية من أثر فى الاكتشاف فإنها لا تؤدى فى بعض الأحيان لدراسة الظاهرة التى يراد دراستها فقط بل تؤدى إلى اكتشاف ظواهر جديدة كان لا يقصد الباحث اكتشافها . وطبيعى أنى سألجأ فى كتاباتى لسرد أمثلة من هذه الاكتشافات التى كان بعضها وليد الصدفة والتى قدمت معارفنا لحد كبير

أما النبع الرابع للعلماء المشتغلين فهو التعمق العقلى فى حقائق الأشياء تعمقا زاد لدرجة قصوى فى العلوم الحديثة، وقد أصبحنا لا نكتفى اليوم بأن نكتشف القوانين وندعها منفردة بل نجمعها فى قوانين قليلة بحيث أنه بأقل الفروض نحاول أن نفهم عددا كبيرا من الحقائق . ولعل القانون النيوتنى للجاذبية خير مثل أقدمه، فهو قانون يجمع فى معادلة واحدة قوانين كوبرنيك وجاليليو وكبلر وهو الذى تناوله أخيراً إينشتاين باعتبارات جديدة وحديرة أن نتحدث عنها فى المقالات القادمة .

ومن السهل أن ندرك الآن أنه بمثل هـذه المنابع الأربعة يصل العلماء إلى نتائج تختلف عن النتائج التى نصل لهـا بتجاربنا اليومية ومن هنا اختلفت صورة العالم عن الصورة التى رسمتها لنا حياتنا العادية .

فإذا ذكرنا الحركة البرونية ذكرنا جان بران ونجداسم أينشتاين بجانب النسبية والـكتلة ، ولا يمكن أن نذكر الألـكترون دون

(١) هذه الابحاث نشرتها بالمجمع العلمى الفرنسى بتاريخ ٢ مايوسنة ٩٣٨

١٢ ـ ١٢

أن نقرنه بأسماء ولسون والدوق موريس دى بروي ومليكان واستون دمبلر وأخيراً شيخ العلماء تومسون (J. J. Thomson) . وإذا ذكرنا البلورات ذكرنا دباى (Debye) وبراج (Les Bragg) وشيرر (Sherrer) ولوى (Laue) وإذا وصلنا للنشاط الإشعاعى وجهنا التحية لبكارل ومدام كيرى ورثرفورد ، جيجر (Geiger) وسودى ، وفى الأنوم يذكر دواماً رثرفورد وبوهر وسمرفيلد الكبير وستارك وزيمان وبولى ، وفى الحرارة النوعية نكرر أسماء إينشتاين ودباى ولندمان ، وفى التبادل الضوئى الكهربائى نحيى مرة أخرى العالم إينشتاين ومايكان وموريس دى بروى وهنت .

وفى علاقة المغناطيس ونظرية الكم تكاتف الكثيرون مما لا يسع المجال ذكر أسمائهم جميعاً، وأخيراً تم بناء آخر مرحلة نعرفها للهيكل الطبيعى بل تم آخر طلاء للصورة الجديدة بعملين كبيرين.

الأول الميكانيكا الموجية وما توحى به من فكرة جديدة لمؤسسها لويس دى بروى ثم شرودنجر وهايزنبرج وبورن وجاردان وديراك . الثانى الاحصاء الجديد Les novelles Statistiques لواضعيه بوز وفرمى ، والأخير حاز جائزة نوبل فى ديسمبر الماضى .

— هؤلاء هم بناؤا الهيكل الجديد للعالم الذى سأستعرضه للقارىء ما استطعت بالرجوع لأصول الاكتشافات نفسها وبتبسيط الموضوع ما أمكن، وسأبذل كل ما أستطيعه من مجهود لنتجول معاً فى العالم الجديد ولنفهم الصورة الجديدة، وكل رجائى أن يكون فيما أذكره فائدة لعدد كبير من قراء العربية .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون



الجمال المصرى القديم
فى النحت

للدكتور أحمد موسى

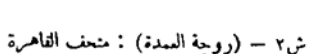
« سل من شئت من المصريين عن تاريخ مصر الفنى ، وعما فى تراث الأجداد من مميزات ، وعن الناحية الجميلة الممتعة فيه ؛ بل سل أغلبية الناس فى مصر ممن زار أهرام سقارة ، وممن تطرف فى حب مشاهدة الآثار المصرية وسافر إلى الأقصر ، وشاهد معبد الكرنك وطيبة ووادى الملوك والملكات ، وتمثال ممنون … سل كل هؤلاء عما شاهدوه وعما استفادوه ، وعن ناحية الجمال فيما عاينوه ، فلا تسمع إلاّ تخبطاً يكاد لا يختلف عمـا تسمعه من أمىّ يعيش بجوار هذه الآثار



ش١ — (رأس نفريت) : متحف القاهرة

ثم شاهد مدينة القاهرة – على اعتبارها عاصمة القطر وأهم مدينة فيه – وما فيهـا من ضروب الخروج على أبسط مبادىء الذوق العام واخطر فى أحسن شوارعها يستوقفك شذوذ الانسجام





ش٢ — (روجة العمدة) : متحف القاهرة

فى مبانيها ، وظاهرة انحطاط الذوق فى كل ما فيها . ثم تفلسف قليلاً لمعرفة السبب فى ذلك تجده ولا شك ينحصر فى جهل الناس معنى الجمال ، ومعنى الذوق ، ومعنى الفن . وهم فى ذلك سواء ، يستوى الجاهل مع العالم ، والفقير مع الغنى

بيوت عالية شاهقة ، وأخرى واطئة حقيرة ، كلها متجاورة . وإذا صادفت عشر عمارات كبار الواحدة ملتصقة بالأخرى ، ترى لكل منها شكلاً ولكل منها منهجاً ؛ كل هذا بجانب دكاكين كتب على أعلى مداخلها باللغة الفرنسية مرة وبالإيطالية أخرى وبالأرمنية ثالثة ، دكاكين كتب فى أعلى مداخلها بالعبرية حيناً

وبالإغريقية حيناً آخر ، كما تصادفك أخرى كتب عليها بالعربية لغة الوطن ، لغة البلاد !



ش ٣ — (والدة إخناتون) متحف القاهرة

تأمل كل هذا . وتأمل بعض الناس وهم يتهافتون على شراء تماثيل من الجص الرخيص ، تماثيل لا تمت للفن بصلة وتسجل على مشتريها قلة الذوق وعدم الفهم والجهل بأبسط مظاهر الجمال

تأمل كل هذا ثم عرج على آثار الأقدمين ترها منسجمة كلها من طراز واحد سمى الطراز المصرى القديم ، له طابع وله انسجام وله أثره فى فنون الغير ، يعطيك صفته دون حاجة إلى دقة الفحص ودون حاجة إلى سابق الدرس .

كل هذا لأن الذين قاموا بالعمل الفنى كانوا من المصريين الصميمين لم يكن لهم وسيلة للتهريج أو الدجل ، كما أن الذين أشرفوا عليهم وعملوا على تشجيعهم كانوا من أبناء البلاد

بهذا التمهيد بدأنا مقالنا الأول عن الفن المصرى[1] على صفحات «الرسالة» ومنه نرى أن تاريخ الفن قد سجل للمصريين الأقدمين ذوقاً عظيماً ووحدة فنية ظاهرة لكل متأمل .

(١) راجع عدد الرسالة الخاص بهذا الموضوع

وإذا كنا اليوم نكتب عن الجمال المصرى القديم ، فإننا نريد بذلك الكتابة فى الفن البحت، وليس فى تاريخ الفن، بالقسط الذى اعتدنا أن نتناول به سابق الأبحاث .

ولا يكاد يختلف اثنان فى تقدير الفن المصرى القديم وخلود عظمته بل والتأكد من أنه أصل الفنون جميعاً ، أثر فيها إلى حد بعيد جعل من علماء الفن والآثار من يشتغل بتحديد الصلة بين الفن المصرى وبين ماجاء بعده من فنون الاغريق وغير الاغريق؛ فأخذوا يقولون بأن الاغريق هم أول من اقتبس من المصريين ، كما أخذوا يدللون على ذلك بمقارنات قياسية بين تصميم المعابد المصرية ونظيرها عند الاغريق ، كما أنهم قارنوا بين منحوتات المصريين ومنحوتات الاغريق فى أول عهدهم ، ثم تراهم يعرجون بعدئذ على قواعد غاية فى الدقة تؤكد صدق قولهم ، منها تناسب الأعضاء وتشابه المجموع الكلى وتناظر الانشاء الشكلى .



ش ٤ — (والدة حرمحيب) متحف القاهرة

وكل هذا قد يكون صحيحاً غاية الصحة ، ولكن الذى يجب علينا أن نعلمه هو أن الفن المصرى فن مبتكر ، بدأ ونما وازدهر ثم انحط واندثر دون أن يصل فى مرحلة من مراحله إلى المثل

الأعلى بمعناه الفني؛ لأنه لم يمثل الحقيقة تمثيلاً يدل على التقليد البحت ولا جعل من الحقيقة ملهماً للخيال السامي، ولا اتخذ منها ما يرتفع بالتصوير الفني إلى درجة الروعة.

كان هذا ولا يزال معدوداً من القصور الحتمي الذي لم يكن للتخلص منه بد، لأنه نجم عن طبيعة البلاد المصرية ونفسية الشعب، إلى جانب بساطة الطبيعة وصفو السماء وسهولة العيش. لذلك ومع أن الفن المصري قطع مرحلة تبلغ ثمانية أضعاف المرحلة الزمنية التي استغرقها الفن الإغريقي؛ فإنه للأسباب الطبيعية المذكورة لم يصل إلى ما وصل إليه الإغريق.

ش ٥ — (الواعظة توى) متحف اللوفر

وإذا كنا لا نزال نذكر ما قلناه عن بعض منحوتات أكروبوليس أثينا ومعبد بارتنون [1] وما كانت عليه تلك القطع الخالدة التي مثلت الحياة أروع تمثيل، لأنها وصلت إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الفن إطلاقاً، أمكننا أن نعرف بالمقارنة مدى ما وصل إليه المصريون في هذا المضمار معرفة تقرب إلى الحقيقة العلمية.

ولعله جدير بالذكر أن نوضح شيئاً عن الكيفية التي سار عليها المصريون في تلوين منحوتاتهم، بل وكل ما تركوه بمقابرهم وأهرامهم ومعابدهم من غير المنحوتات بألوان معدنية وصناعية اتخذوا بعضها من الأرض.

حصل هذا التلوين عندما كانت منحوتاتهم من الحجر الجيري أو الرملي؛ أما عندما كانت من حجر الجرانيت الوردي أو الأسمر أو حجر البازلت أو السربنتين فقد تركت بدون تكوين اكتفاء باللون الطبيعي.

على أنه قد وجدت تماثيل خشبية أو حجرية قابلة لامتصاص الألوان ولكنها تبدو كما لو كانت غير ملونة، وهذا في غالب الأحيان لزوال اللون منها أو لأنها تركت قبل تلوينها لظروف طارئة.

هذا بيان لابد من إيضاحه قبل تأمل النحت المصري الذي يمثل جمال المرأة المصرية على اعتبارها ممثل الجمال الإنساني غالباً. وإذا كان الجمال في جوهره متلخصا في تناسب التكوين وانسجام المظهر، فإن قياس الجمال رهين بالزمان والمكان، كما أنه راجع إلى نفسية الحاكم وبيئته وثقافته ومدى تأثره.

ولذلك فلا يهمنا في القرن العشرين أن نقارن بين جمال المرأة المصرية وجمال غيرها، وإنما يهمنا أن نتخذ من آثار الأقدمين وسيلة لفهم الجمال المصري القديم وفيم كان منحصراً وكيف كان تعبير الفنان المصري عنه.

وبالنظر إلى أن تاريخ الفن المصري قد استغرق قروناً، فإنا سنحاول تأمل الإنتاج الفني في هذا المجال تأملاً تاريخيا إلى جانب التأمل الفني الذي يمهد لنا سبيل التقدير الإستيتيكي.

فإذا تأملنا رأس «نفريت» التي يرجع تاريخ صنع التمثال الخاص بها إلى أقدم الأسرات، رأينا أن ملامح الوجه تدل على النعمة والبعد عن الكفاح مع توافر النبل، لاسيما إذا راعينا أن هذا من أقدم التماثيل المصرية التي تمثل جمال المرأة. أنظر إلى العينين والحاجبين وإلى الطريقة التي اتبعها المثال في التأنق لإخراجها بغاية النظام والعناية. ثم تأمل الطريقة التي اتبعت في تصفيف

(١) راجع عدد الرسالة الخاص بهذا الموضوع

الشعر وقصه عند الكتفين وتثبيته من أعلى بطوق من الذهب محلى بنقوش لها الطابع المصرى . كما تغطى العنق بحلية زادته جمالاً وزانت الصدر بما فيها من ألوان وزخارف . أما المميز الخاص الذى انطبع على الوجه فهو أميل إلى الصمت والسكون منه إلى الحياة والحركة . ولا نزال نرى الكثيرات من المصريات على جانب مماثل لهذا الجمال .

وربما أضيف هنا أنى أردت منذ حين التوفيق بين الجمال المصرى القديم والجمال المصرى المعاصر ، وحاولت عمل المقارنات الدقيقة ، إلا أنى للأسف صادفت مصاعب ، منها عدم إمكان تصوير السيدات اللواتى جمعن إلى جمالهن طابع الجمال القديم

أما تمثال «حرم العمدة» وهو مصنوع من الخشب فقد أعطانا فكرة صحيحة عن قوام المرأة في تلك الحقبة إلى الوقت الذى فيه نستطيع بمقارنة الوجه من جانبه ومن أمامه أن نعرف شكل الأنف المصرى وطريقة تكوينه

ش ٦ — (أمينيرديس) متحف القاهرة

واستقامته . أنظر إلى الفم وقارنه بفم « نفريت » تر أن هذا الأخير اكتسب شيئاً من الحياة بالنظر إلى تلك الابتسامة الهادئة التى ارتسمت عليه . والغريب فى الشعر هنا أنه ليس مجدولاً كشعر نفريت كما أنه تميز بتدرج نهايته السفلى ، فكان أشبه بثلاث طبقات تعلو الواحدة منها الأخرى ، فزادته رونقاً . نعم كان التمثال الأول ملوناً فظهر الكحل فى العينين على حين كان الثانى من الخشب دون ألوان ظاهرة . أما التشابه بين السيدتين فظاهر واضح من حيث امتلاء الوجه واستدارته .

أما والدة إخناتون فهى على هيئة عجيبة لها طابع مميز على غاية القوة ، كما يبدو لأول وهلة أن لونها كان أسمر مما يؤيد أنها كانت من مصر العليا . وعلى ما يظهر كان الفنان حريصاً على إخراج الوجه مليئاً بالحياة ، فتكاد العينان تنطقان . وقد بدا الفم غريباً فى تكوينه وفيما يدل عليه . أنظر إلى استدارة الخط الفاصل بين الشفتين واتجاهه إلى أسفل تر أن هذا الوجه لم يكن فقط ليعطى الناظر هيئة صاحبة التمثال ؛ وإنما عبر خير تعبير عن النفسية وما هو دفين فيها . ولعل غطاء الرأس بالسهم المثبت فى وسطه يذكرنا جيداً بالخوذات الحربية الألمانية قبل الحرب

وتمثال موتنوزميت أم حورمحب (ش ٤) يعطى مثلاً سليما لنفس الجمال ، مع ملاحظة أن الرأس أصبح مزيناً بغطاء ذى نقوش رفيعة توسطها أعلى الجبين الأفعى المصرية .

وإذا تأملنا بشىء من الدقة التمثالين (٥ ، ٦) وجدنا فيهما تشابهاً شديداً من حيث التكوين المجموعى إلى جانب التفاصيل الإنشائية ؛ فأنت ترى أن القوام متشابه وأن وضع اليد اليسرى كان على الصدر بفارق بسيط ، كما أن اليد اليمنى ممتدة فى كليهما إلى أسفل ، وتقدمت الساق اليسرى فى كليهما إلى الأمام . نعم نجد الشعر مجدولاً بشكل مخالف فى كليهما ، كما أنه مختلف من حيث التصفيف وطريقة القص . أما القوام فهو المثل الأعلى لوقتنا الحاضر ، كله رشاقة وكله جمال . ومن الغريب أن نرى أن أحدث طريقة لصف الشعر هى إظهار الأذنين ، ونجد أن المرأة المصرية قد اتبعت هذه الطريقة منذ خمسة وعشرين قرناً .

أما تمثال أوابرا (ش ٧) فهو يمثل امرأة جلست وقد سترت

جسمها بملابسها الرقيقة بطريقة استطاع الفنان أن يظهرها فى أجمل وأروع هيئة . تأمل الذراعين واتكاءهما على الركبتين ثم لاحظ النبل الذى ارتسم على الوجــه ، وانظر إلى خط التحديد للتمثال كله ، وفكر ولو قليلاً فى الـكيفية التى استطاع بها الفنان المصرى التعبير عن الجمال .



ش ٧ — (أوابرا) متحف اللوفر

نلاحظ طبعاً كبر الأذن ، كما نلاحظ صمت التمثال وركونه إلى السكون ؛ ولـكن هــذا لا يمنع مطلقاً من الإعجاب فى أجلى مظاهره بالـكيفية التى سار عليها الفن فى عصر يبعد عن عصرنا بألفين وخمسائة سنة .

والخلاصة أننا نرى أن الجمال المصرى القديم كان نبيلاً عريقاً خالياً من الدخيل ، صافياً نقيًّا ، غير ممتزج بغيره ، جمع بين الصفة المميزة وبين الطبيعة البريئة الوديعة .

والسلوة الوحيدة التى نتعزى بها ، هى أننا نرجو أن نحسن الفهم على الأقل لفن تركه الأجداد ولم نعن بدراسته والعمل على نشره حتى بين أبناء البلاد .

وإذا كنا ندين بنتائج الحفريات ومعرفة اللغة الهيرغليفية لعلمـاء الأجانب ، فإننا على الأقل يجب أن نعنى بفهم الفن المصرى ودراسته ، حتى نستطيع أن نخرج عن المباهاة بما فى بلادنا من آثار وندخل فى دور الاستمتاع بها ، فتكون لنا روح وطنية صرفة لها أثرها فى توجيهنا لمجاراة الشعوب الناهضة .

هــذا مقال لا يخرج عن كونه احتيالا على القارئ لتفهيمه صفحة رائعة من صفحات آثار أجداده بطريقة التكلم عن الجمال فى أسلوب بسيط بعيد عن الجفاف العلمى .

احمد موسى



قصة سورية

الضرتان

للسيدة وداد سكاكيني

قالت أمونة لصديقتها هدى: أرأيت حسد الناس لصداقتنا، ولغطهم في تأويلها وإحاطتها بالأقاويل؟ إنهم لا يودون أن يرونا كالأختين فيغيظهم أن يشهدوا صديقتين ألفت بينهما براءة المودة وطول المصاحبة وتقارب السن وحسن الجوار، وإن شاؤا فبيننا وشائج القربى تحكم الصلة وتهون اللقاء. أليس زوجك ابن خالتي؟ أمي اليوم مكان أمه؛ ولئن غاب عنه وجه الوالدة فإنه يراه في الخالة

لقد بت البارحة قلقة عليك متألمة لألمك، إذ تركتك تشكين صداعاً أليماً فأصبحت أسأل الله لك الشفاء.

كان الصداع الذي ألم بهدى نذير حمى طرحتها في السرير شهراً، وكانت أمونة لرفيقتها خلال المرض مواسية وممرضة، فلازمتها برضى أمها وبقيت عندها حتى دخلت دور النقاهة فعظمت يدها عند هدى وأكبرت صداقتها ومروءتها، وخلطت حياتها بحياة أمونة حتى كانتا لا تأكلان أكلة شهية إلا معاً ولا تفترقان إلا غراراً. كل هذا والزوج يسبغ النعمة على زوجته هدى، ويغمرها بالخير إذ مدوّنه بتجارة رابحة وبركة راجحة. وقد أكرم أمونة ابنة خالته وقدم لها بعض الهدايا جزاء معروفها وإخلاصها

كان طاهر زوج هدى كهلاً وقوراً، أعز شيء لديه في حياته الدين، وألذ عمل عنده القيام بواجباته وتوفير السعادة لبيته. وقد عرف فيه الناس التعفف والاستقامة والبعد عن الغبن والغش فعجبوا كلهم من اسمه الصادق، فكانوا يقولون عنه: طاهر الاسم، وطاهر الذمة والضمير؛ ولكن الله لم يتم نعمته على الزوجين، فقد مرت على قرانهما خمس سنوات ولم يرزقا ولداً، يوثق ما بينهما برباط أكيد، ويملأ منزلهما أنساً ومرحاً، فكانت هدى تحس الأمومة صارخة في غريزتها، فتشم عبقها من أطفال الناس حتى تهتاج طبيعتها وتشتد حيرتها. بيد أنها ترتد إلى عقلها بعد قليل فتكبت شعورها وتكفكف حدتها خشية أن يلحظها زوجها إذ تحسب في سرها أنها عقيم. وكثيراً ما أفضت بدخيلتها لصديقتها أمونة، وشكت إليها لهفتها على الولد وأنها تتمنى أن تشتريه بعينيها، وتفتديه بروحها، فكانت تجيبها: لا تيأسي يا صديقتي. إن الله هو الرزاق الكريم. ولما رأتها ملحفة في طلبها غدت بها على الأولياء تستجير بهم وتعدهم بالنذور إذا رزقت ولداً. وقد استغاثت بالمشايخ الصالحين فقرأوا لها العزائم والتعاويذ، وحرقوا أمامها البخور، وحملوها الحجب والآيات فما أجدت عليها شيئاً لأن الله لم يشأ أن يجعلها ولوداً

كل هذا جرى دون أن يدري زوجها به، فلقد كان متزمتاً متديناً لا يسمح لها بمغادرة البيت إلا قليلاً أو مع ابنة خالته التي ألفها واطمأن إلى أخلاقها من طول مقامها عنده وغشيانها داره وصحبتها لزوجه. وقد حلف بأن تكون طالقاً إن ذهبت تطب للنسل. فما خالفت له أمراً لأنها كانت تطيعه وتحبه برغم تفاوت السن بينهما، فأحست الأمان على حياتها الزوجية منذ صدف بها عن المعالجة واستسلمت للقدر لعل الله يرزقها ولداً

كان طاهر تاجراً غنياً جمع ثروته بعد الحرب الكبرى، واستطاع بما له الضئيل يومئذ وبماله من معاذير أن ينجو من الجندية؛ فلما توفر على تجارته وربحت أرادته أمه على الزواج، فقد كاد ينهد للكهولة ولم تفرح بزواجه. فأطاع وفرحت، ثم ماتت أمه فبقي وحيداً مع زوجته الحسناء. ومن ذلك الحين توثقت عرى الصداقة بينها وبين ابنة خالته أمونة التي كانت مخطوبة لموظف كبير، ولكنها مترددة بين قبوله ورفضه

مضى على زواج طاهر خمس سنين، بدأ في آخرها يمل حياته الرتيبة مع هدى ويميل إلى تركها يوماً بعد يوم مع ابنة خالته أمونة، إذ دب في نفسه الخوف من الفناء قبل أن تظهر فيه عواطف الأبوة

وطمع فى خلود الذكر من بعد موته بالولد الذى يدل عليه ومنت به هدى ، فصار يرى بيته صامتاً جامداً لا يُهز فيه سرير ولا يناغم طفل، ولا تتردد فى حجراته لفظة «بابا» فضاق عليه البيت بما رحب وكره الحياة من أجل ذلك، فأخذ يشنأ زوجته ويجتويها ويتبرم بحديثها ويتلكأ فى طلباتها . وقد خيل إليه الوهم والهم أنها عاقر وأن حياته معها جدبية ، مع أنه يعرف فى نفسه وفى ضميره أنه هو العقيم، فتذكر شبابه الطائش وتعرضه باستهتاره لمرض شائن، تاب بعد شفائه منه توبة نصوحاً ولكنه أورثه داء عقاماً حرمه النسل

كان يثور على زوجه هدى فى سره لعقمها الموهوم ، ثم يعود فى نفسه إلى الهمود والجمود حين يرى هذه النفس الباغية هدفاً لتلك الثورة

وبينا هو مطرق ذات ليلة تلقاء الموقد اللاهب والوقت شتاء ، تعصف فيه الرياح العاتية التى صدته عن السمر فى دار صديقه مرت أمامه قطته «فلة» التى يعطف عليها ويختصها بطيب الآكال، فلما حاذته تمطت ونفشت شعرها ، فأخذ يعبث به ويربت بكفه على ظهرها ، فلمعت إذ ذاك فى خاطره صور وأفكار ، ورأى القطة فى نظره الحانق خيراً من زوجته العقيم ، هذه شجرة بلا ثمر ، وتلك ولود تملأ البيت كل عام بأولادها . وفيما كان يقلب الخواطر فى ذهنه تلفت إلى بيته فرآه ساكتاً ساكناً إلا من صوت زوجته هدى وابنة خالته أمونة وهما فى فورة اللعب بالبرجيس[1] وغمرة الحماسة للغلاب ، ومن مواء القطة بين الفترة والفترة ، فطغت عليه الهواجس وشعر بكره لامرأته ، ونفرة منها ، فأخذ يميل بوجهه عنها ويوجهه إلى أمونة فيقارن بينها وبين زوجته التى عاض منهامعين الجمال فى تلك الليلة فى نظره فتختالس عيناه نظرات الإعجاب بابنة خالته، ثم جال طرفه الرغيب فى جسمها الريان ووجهها الأبيض الجاذب وشعرها الفاحم المتدلى على كتفيها اللتين انحدرت مهما يدان كأنهما ركبتا فى دمية من المرمر ، فانشرح صدره وتمدد على أريكة بإزاء المدفأة ثم لوى ذراعه تحت رأسه فأسند فوده عليه وأخذ يتأمل فى ساقى أمونة المدودتين إلى الأرض وقد امتلأتا صقالاً وانسجاماً وأحيطتا بظلال من النعومة والجمال . ولما أطال التحديق فيها وهى جالسة تجاه زوجه لاهية بلعبة البرجيس رأى نفسه وجهاً لوجه أمام المرأة التى يتمناها له زوجة ثانية ، فرتد يبصره عنها بعد فترة من اللعب لكيلا تلمح نظراته الخاطفة الماكرة ؛ أما قلبه فبقى يرنو ويشتهى فقال فى ضميره : ترى أى بأس على إن تزوجت أمونة ، وقد رفضت خطيبها السكير القامر فيكون لى زوجان وأكون كجارى أبى عادل الذى تزوج اثنتين وهو معتزم هذه الأيام أن يبنى بالثالثة . وكثيراً ما حدثنى من باب دكانه عن حياته الزوجية فقال : ما أحلى الزوجتين يا طاهر ! هما ريحانتان للشميم ؛ لكل ليلة ريحانة

فكر فى هذا طاهر . ولعب ذلك الريحان على أنفه فى وهمه كأنه يد الشيطان ، ورده فى نفسه صوت أمونة ، وهى تضحك وتصفق بيديها ، وتضع حجراً من حجارة البرجيس على الآخر وترفع صوتها قائلة لهدى :

— خذى فنجان القهوة . مغلوبة . مغلوبة ...

فتنبه طاهر فور انتهاء (الدست) بين اللاعبتين وجمع أشتات فكره من دكانه ، وهو يحاور جاره ، ومن ملاحة أمونة ، ومن الأولاد الذين كان يحلم فى حياته أن يأتوه منها فقال :

— يا هدو ! وكان يناديها بهذا اللفظ الموجز كلما أراد العبث والدعابة — ماذا ترين وأنا كهل غنى ولا وارث لى منك؟ فهل عليك من حرج إذا تزوجت امرأة ولوداً وأنت تبقين سيدة البيت كلنا نأتمر بأمرك ونهتدى بهداك ؟

فما سمعت هدى كلامه حتى فغرت فاها وانتفضت كأنها صعقت، فامتقع لونها وطغى عليها دمع غزير صور على خديها معانى كثيرة من الذلة والخيبة والبغتة والفشل . وكان بعض الدمع يساقط على خدها وبعضه تتلقاه بمنديل فى كفها أو تمسحه بكمها دون وعى حتى تشنجت أعصابها وكاد يصيبها الغشيان فارتمت بوجهها على صدر صديقتها أمونة التى وجمت وبهتت . وانتابها عى وجمود فلم تنطق بذات شفة وإنما غلب عليها التأثر والبكاء مشاركة لرفيقتها

لقد كانت أمونة ذات قلب سليم حيال ابن خالتها فلم تعلم أنها ستكون الضرة المرة، وما عرفت أنها ستنزل على صديقتها كالنقمة والبلوى ، بل لم تشعر فى يوم من الأيام أن فلكها يدور هذه الدورة فيبدل الصداقة عداوة والمرافقة الرفيقة إلى مفارقة قاهرة .

* * *

لقد حمل طاهر إلى ابنة خالته مهراً غالياً ، وهدايا كثيرة ثمينة ، وحمل خالته على قبوله صهراً فما صدت ولا ردت ، وإنما وجدت فى إقدامه على الزواج مرة ثانية عقلاً وحكمة وصوناً لثروته من الضياع ، وعرفت أن ابنتها أمونة ستكون ولوداً مثلها فلقد أنجبت هى ثلاثة من البنين والبنات وهى جدة لأولاد أحدهم. فأبت بنتها هذا الزواج وحاولت التمرد والعصيان إذ استحمقت نفسها واحتقرت أن تكون ضرة لرفيقتها فماذا يقال عنها ؟ أية سمة ستكون لها ؟ وأية مضنة ستكرن فى أفواه الناس ؟ ولكنها برغم

(١) لعبة سورية يلعب فيها بودعات وأحجار وهى فى رقعتها على شكل صليب مربع

كل مقاومة ومعاندة أفلحت أمها في إكراهها على الزواج فقدوسوست في عقلها كالشيطان، وزينت لها حياة الثراء والرخاء عند ابن خالتها. وأنذرتها بالبوار والكساد إن أصرت على رفضه وآثرت العناس. فتنازعها عاملان: نزوعها إلى الزواج كيف اتفق شأنه بعد إخفاقها في خطبتها للموظف، وحرصها على مودة صديقتها والوفاء لها. فغلبها على أمرها ما خلقت له وهو الزواج وفي النفس ما فيها من خوف وعذاب، فأطاعت أمها على مضض وعقدلها على ابن خالتها وزفت إليه.

ومضى زمن قصير فإذا هدى تنقلب فيه إلى امرأة شرسة طاغية. كلما نسمتها الغيرة ثارت بأوعية البيت وآنية الطعام فهشمتها وداستها بقدميها، ولعنت الرجال، ونقمت على الصداقة التي طعنتها في الصميم. وإذا جاء طاهر ليبيت عندها ليلتها الخاصة تنكرت له وتجهمت وانكفأت إلى عزلتها الأليمة، ولا تزال قطعاً من الليل يتملقها ويترضاها وهي تتميز من الغيظ، وتتمزق من القهر، حتى تنفجر باكية فيتركها ربما تهدأ ثم ينام. وبقي على هذه الحال بضعة أشهر حتى قطع عنها ليلتها وجعلها كل أسبوع مرة. وبعد سنة صار لا يزورها إلا لماماً. وكم كانت الغيرة تنغص عيشها كلما فكرت في ضرتها وحيانها وزهادة زوجها فيها وعزوفه عنها

تصرمت خمسة أعوام على زواجه الجديد، فلم تلد له أمونة ولداً، فثار عليها في نفسه ثورته على هدى. ثم فكر كثيراً، وتذكر ملياً فرد ثورته إلى نفسه وأدرك إخفاقه في النسل، فاستقر في ظنه أنه هو العقيم، لا هاتان المرأتان المظلومتان. غير أن خوفه على اتهام نفسه وامتهانها جعل في فكره منطقاً فاسداً صور له براءتها فأحدث له شكاً خرج منه إلى أن زوجته الثانية عاقر كالأولى، فقص هذا على جاره الأدنى في السوق وكان يستخلصه لنفسه، ويستشيره في شؤونه. فقال له: لقد تزوجت الثانية حسبما أشرت فلم تلد، وأنا رجل غني، كما تعلم، فماذا أفعل؟ فأشار عليه بالزوجة الثالثة وتطليق الأولى

في مساء ذلك اليوم عاد إلى بيته الثاني، وقال لابنة خالته فيما قال من حديث السمر أمام المدفأة في الشتاء: أترين يا أمُّو — وصار يخاطبها بهذا اللفظ المقتضب كما كان ينادي زوجه الأولى — كيف أنك لم تحملي بولد يرثني، وقد صرت إلى حال من القنوط تمنيت معها الموت. وقد أشاروا عليّ بالزواج لعل حظي من الولد يوافيني من الثالثة، على أن أطلق لك الضرة الكريهة التي تبغضك وتطعن فيك وتدعو عليك بالموت.

فما سمعت أمونة هذا الكلام حتى مرت في طور صديقتها تلك الليلة الماطرة قبل خمس سنين، فصفرت وبكت وانقضت على ابن خالتها كالمجنونة وصاحت به:

— ياخائن، ياعبد الشهوات! أأنت العاقر الذي كنت في شبابك فاسقاً فأصبت بالعقم ولم تنسل فما ذنبنا نحن؟ وهمت بضربه بقطعة من الحطب كانت في جانب الموقد

جُنَّ جنون طاهر من هول الفضيحة، وفحش الشتيمة، واجتراء زوجته وابنة خالته على إهانته وضربه فقال لها بمكروخبث:

— لا تصدقي ياأُمُّونة. إنني أمزح لأرى إن كنت تحبينني أم لا؟

أما أمُّونة فقد شعرت بنيته السيئة، وأدركت ما يضمر في طويته لها فهاترته وقامت عليه ناقمة ثائرة، والله يعلم كيف مضت عليها تلك الليلة المشئومة. فلما طلع النهار دلفت أمونة إلى بيت صديقتها القديمة وضرتها المهجورة، وهي على استحياء من نفسها تتقدم رجلاً وتؤخر أخرى حتى كادت تتراجع القهقرى وتتردد في مواجهة رفيقتها بالأمس، لولا أن عادت إليها بجرأة، وثارت فيها الغيرة الجديدة والنقمة على زوجها، فتنهدت وتشجعت وطرقت باب هدى طرقات خفيفة فردت عليها بفتحه.

وما إن كشفت أمونة عن وجهها المحجوب حتى وقفت الأولى جامدةً كالصنم، وشزرت ضرتها بعينين كالحربتين، فارتمت أمونة على قدمي هدى وحاولت تقبيلهما، ثم قامت إليها بالعناق والتقبيل وبالبكاء والنحيب، فلم يكن من هدى إلا أن أبدت عجبها من مظهر ضرتها الكئيب، وسألتها على كره منها:

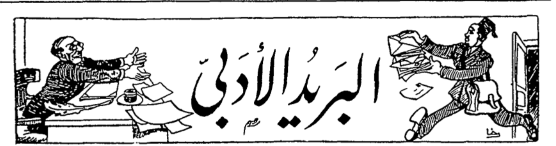
— هل من بلية حلت بطاهر؟

— لعنة الله عليه! إنه يجني عليّ وعليك. ليت عزرائيل ينقذنا منه قبل أن ينفذ إرادته الجديدة.

— وماذا يريد؟

— فاهتزت أمونة وارتجفت يداها وتلعثمت وكاد يغمى عليها لولا أن تداركتها هدى واستدرجتها إلى الجواب. فعلمت منها أن طاهراً يريد الزواج، وشاعت حينئذ الشماتة على وجهها وومضت السخرية في لفتاتها وحركاتها، فسلقت أمونه بلسان حاد أصاب منها مقتلاً كأنه الرصاص. وضحكت أمامها لتزيد في نكايتها وإهانتها

فشعرت أمونة بكبريائها المحطمة، وضعضعتها الشماتة ولكنها صمدت للنهاية وتجالدت فبلعت ريقها وبلت حلقها الجاف من طول الكلام والبكاء، ثم أخذت تستعطف هدى بصوت ذليل خفيض والتمست صفحها. فلما رقت ولانت أفضت إليها بنيات زوجهما، وطفقت تستعديها عليه وتستفزها للثأر منه بحرارة الموتور، وجلستا تفكران مطرقتين كأنهما في بحران، وتقدران ما ينبغي لهما من الحيطة والحذر من وقوع الكارثة. وسرعان ما زال من هدى



في الشعر العربي

ليس بيني وبين الأستاذ على الجارم بك إلا محض صفاء ، بل له عندى مكانة . فاذا أنا أقبلت على شعره أنظر إليه بمؤخر العين فإنما شعره وحده الذى يشغل نظرى . وللأستاذ على الجارم بك أن يعتدّ بالمعجبين بشعره — وهم غير قليل على ماينتهى إلى آذاننا — فيهمل ما يقوله فى طريقة نظمه من يجب أن يدون تاريخ الشعر العربى تدويناً لا يعرف الغرض

عندى أنّ الشعر العربى المسجون فى القصر الذى بناه له أمثال المتنبى والبحترى فى معالجة النزْع ، لأن أمثال المتنبى والبحترى تركوا نوافذ القصر مغلقة يوم ماتوا . ثم جاء حلفاؤهم وأتباعهم فسمّروا خُشُب النوافذ ، ففسد الهواء وضوى الشعر المسجون. إلا أنه اتفق لهذا الشعر أن تُثقب له كُوّتان فى الحائط ، إحداهما على يد رجل يدعى أحمد شوق ، والأخرى على يد رجل اسمه خليل مطران . أما هذه فقد أقيم بينها وبين القصر حاجز وُقفت على حجرة ضيقة سرعان ما أضحكت أرجاءها نسمات مقدمها من هناك فى مصر ثم من أمريكة الشمالية والجنوبية . وأما تلك فقد سُدّت فجأة ولم يبسط أحد إليها يداً ، فعاد الهواء إلى فساده

ومن هذا الشعر الشاحب قصيدة ألقاها الأستاذ على الجارم بك فى « حفلة تأبين المرحومين السكندرى ونالينو فى دار الأوبرا الملكية » يوم الجمعة الماضى (انظر الأهرام ١٤ ـ ١ ـ ١٩٣٩)

وإليك المطلع ، وفيه ما فيه من «براعة الاستهلال» (حسب الدستور الأكبر المسمى بعلم البديع) :

غداً فى سماء العبقرية نلتقى   ويجتمع الأنداد بعد التفرق

أما المصراع الأول ففيه « نخر » لطيف مع شئ من « المبالغة »

وأما المصراع الثانى ففيه « تأكيد » و « طباق »

وفى القصيدة ما تشاء من « محسنات معنوية ولفظية » لا يقوم مثل هذا الشعر إلا بها ، لأن لبابه يتفتت إذا خطر لك أن تقبض عليه فَمَثَله مَثل الفتاة المصدورة تحمِّل وجهها مالا يطيق من ألوان الطلاء المعروضة فى جميع الحوانيت

وحسبى أن أقتطف بعض الأبيات ، فليس بقارئ « الرسالة » حاجة إلى التلقين :

وأبعث فى الصحراء أنّات شيّق

وهل تسمع الصحراء أنّات شيّق

حقدها على أمونة ، فتصافتا وحلفتا بالله جهد الإيمان لتعودان كما كانتا أختين صديقتين . وافترقتا على أمر واحد ، وهو السعى لدى المشايخ والسحرة لعلهما تجدان الدريئة والدواء ، وقادهما البحث إلى مغربى ساحر أعطاهما شيئاً كالملح الناعم يذر على الأكل فيحدث لذائقه الخبل والشرود فاقتسمتا الثمن الباهظ ودفعتاه راضيتين

ولما جلس طاهر إلى الطعام ذرّت له التى هو عندها ذرور الساحر ، فلما أكل انقلب كالذى خامره امتعاض ، وظل أياماً كلما أكل عند واحدة منهما ذرت له قليلاً من الذرور فلم يمض شهران حتى غدا كالمخبول المرور لا يدرى ما يفعل . فقال الناس : قد أصابته عتاهة وبلاهة . وقالت نساء من أهله : لعل زوجتيه سحرتاه فصار إلى حاله الوجيع . ومرّ به زمن أغلق معه دكانه وباع ما فيها بثمن بخس، ولزم بيته لايبرحه إلا للصلاة فى الجامع. فلما ازداد به الخبال والذهول أقامت عليه زوجتاه الحجر وتسلمتا الإنفاق عليه وعادتا أختين محبتين كما كانتا ، تسكنان فى بيت واحد ، وتسخران من ذلك الزوج الذى تراخت أوصاله ، ووهنت عظامه ، ودب فيه المرض والهرم ، فأمنتا جانبه ، واكتسبتا ثروته . ثم عاودتهما بعد حين التوبة والندامة ، فأدركتهما الرحمة له والشفقة عليه واستغفرتا الله من ذنبهما . ولما قضى الزوج نحبه أدت الضرتان أو الصديقتان فريضة الحج معاً وابتهلتا إلى الله فى أشرف بقعة أن يعفو عن إساءتهما وهو العفو الغفور . ودار سلاكينى

وأعجبنى رأى سليم ومنطق يصول على رأى سليم ومنطق
تقاسمه غرب وشرق فألفت مناقبه ما بين غرب ومشرق
ينسّق علم الأولين مجاهداً ولا خير فى علم إذا لم ينسّق

تلك أمثلة على ما يسمونه « رد العجز على الصدر » ، ولكن أين الفائدة من هذا الترديد ؟ . ثم :

ويمضى الحجا ما بين يوم وليلة كلمحة طرف أو كومضة مبرق

ذلك مثل على استعمال التراكيب المطروقة أى المبتذلات clichés « لمحة طرف » و « ومضة مبرق » . ثم :

يضيق فضاء الأرض عن همة الفتى ويجمع فى الحد من الأرض ضيّق

انظر إلى » الطباق » : « فضاء وضيق » . ثم :

كأنى أراك اليوم تخطب صائلاً وتهدر تهدار البعير الشقشق

الشيخ الإسكندرى — رحمه الله — كان « يهدر تهدار البعير الشقشق » . انظر كيف استدرجت القافيةُ الشاعر إلى صورة أقل ما يقال فيها أنها مستكرهة . ثم :

فقل للذى يسمو لنيل غباره ظلمت العتاق الشيظميات فارفق!

نعود إلى الإبل كأن الشاعر يكره أن يسلم بأنه يعيش فى القرن العشرين . أما لفظة « الشيظميات » فاطلبها فى المطوّلات من المعجمات و « الغريب » فى ذلك الشعر مستحسن . ثم :

فقلت أرى ليثاً وليثاً تجمعا وأشدق ملء العين يمشى لأشدق

وهو بيت بعض ألفاظه مأخوذة من بيت مشهور لبشر بن عوانة وهذا مستحسن أيضاً

لأمهل ههنا ، فانما أرغب فى أن أدلك على تداعى هذا الصنف من القريض ، لأنه مختلق اختلاقاً بكدّ الذهن وقوة الذاكرة واختيار اللفظ المدوّى (والغريب أحياناً) واستعمال المحسنات اللفظية والمعنوية إلى كل ما يتصل بالأساليب المصطلح عليها للصناعة الموقوفة . ومعنى هذا أنه بعيد عن لفظ يحصر فيه معنى الشعر كله ، وهو : الإلهام

وليعذرنى الأستاذ على الجارم بك ! فإنه اختار هذا الضرب من النظم وما هو بمسئول عنه . وأملى أن يأذن لى أن يجذبنى ضربٌ آخر يكون من ذلك الضرب مكان الضد من الضد .

بشر فارس

الأستاذ طنطاوى جوهرى يتقدم الى جائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٣٩

كان الأستاذ طنطاوى جوهرى قد تقدم إلى أولى الأمر فى مصر ليرشحوه إلى جائزة نوبل للسلام ، فلم يلق أحد باله إليه . فاضطر إلى أن يتقدم بنفسه إلى لجنة هذه الجائزة بالبرلمان النرويجى ، فسألت عنه وزارة الخارجية المصرية ، وهذه سألت عنه وزارة المعارف العمومية . فلم تر الوزارة بداً من النظر فى طلب الأستاذ وإحالة كتبه إلى عميد كلية العلوم لفحصها وإبداء رأيه فيها . والكتب المقدمة هى : (١) أحلام السياسة وكيف يتحقق السلام العام . (٢) أين الإنسان ، وقد تقدم به إلى مؤتمر الأجناس العام سنة ١٩١١ . (٣) صورة ما كتبه بعض عظماء ملوك الشرق وجمعيات أوربا وعلمائها فى هذين الكتابين . (٤) أساس النظام الدولى ، والموازنة بين آراء حكماء الشرق والغرب ، وبين الرأى المصرى الحديث . (٥) نسخة منقولة من المجلة الشرقية برومة بتاريخ سنة ١٩١١ للأستاذ سانتلانه : الدكتور فى السعة . (٦) نسخة مما أرسله الأستاذ كرستيان جوب من لوكسنبرج مكتوباً باللغة الفرنسية إلى المؤلف ، وقال إنه ملخص من كتاب : « أحلام السياسة »

وهذه الكتب والرسائل تتجه كلها اتجاهاً عالياً فى الدعوة إلى السلام ، ونصيب الإنسانية من السعادة إذا ما رفرف عليها علمه ، وسار فيها نظامه

وآخر موعد للتقدم إلى جائزة نوبل للسلام ينتهى قبل أول فبراير القادم فلا بد من البت فى طلب الأستاذ قبل ذلك

جائزة نوبل للسلم

تلقينا من لجنة « نوبل » فى البرلمان النرويجى بيان الشروط التى يجب توفرها للحصول على « جائزة نوبل للسلم » . وقد جاء فى البيان ألا تقبل الترشيحات لهذه الجائزة — التى ستمنح فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٩ — إلا إذا قدمت إلى « لجنة نوبل للبرلمان النرويجى » من شخص له حق الترشيح قبل أول فبراير سنة ١٩٣٩

والأشخاص الذين لهم حق الترشيح هم :

الأعضاء الحاليون والسابقون للجنة البرلمان النرويجى لجائزة نوبل والمستشارون الملحقون بمعهد نوبل النرويجى

أعضاء الهيئات التشريعية وأعضاء الحكومات فى مختلف الدول وكذلك أعضاء الاتحاد البرلمانى الدولى

أعضاء محكمة التحكيم الدائمة فى لاهاى

أعضاء مكتب مجلس السلم الدولى

أعضاء معهد القانون الدولى والمشتركون فيه

أساتذة الحقوق والعلوم السياسية والتاريخ والفلسفة فى الجامعات

الأشخاص الذين نالوا جائزة نوبل للسلم فيما قبل

وقد تمنح جائزة « نوبل للسلم » للمعاهد والجماعات

وطبقاً لأحكام المادة الثامنة من القانون الأساسى لهبة نوبل ، يجب أن يكون الطلب مسبباً وأن يشفع بالمؤلفات والمستندات الأخرى المؤيدة له.

وتقضى المادة الثالثة من القانون بأنه لا يقبل أى مؤلف فى المباراة يسبق نشره فى الصحف

ولاستيفاء البيانات ، يمكن من لهم حق الترشيح أن يتصلوا فى هذا الشأن بلجنة نوبل بالبرلمان النرويجى ، وعنوانها هو :

(١٩ درا منسفاى — أسلو)

(Comité Nobel du parlement norvégien)
Drammensvei 19,
Oslo

المجمع العلمى المصرى — ملخص جلسة ٩ يناير

الوشم فى مصر القديمة — للمسيو كيمر

ليس لدينا براهين مطلقة عن استعمال الوشم فى مصر قبل الأسرة الحادية عشرة على الرغم من كون هذا الأمر محتملاً . والمعروف هو أنه يوجد ثلاث موميات ظاهر عليها الوشم ، وعدة رسوم لنساء «موشومات» يرتقين إلى عهد الأمبراطورية المتوسطة وقد عثروا على الموميات فى طيبة فإحداها كشفت فى سنة ١٨٩١ والأخريان فى سنة ١٩٢٢ ومن عهد الأمبراطورية الجديدة فما بعد عثروا على رسوم نسوية كثيرة يظهر الوشم على الأفخاذ فيها ، وهو يمثل الإله بابن . وكانت النساء « الموشومات » فى مصر القديمة ينتسبن كلهن ، على ما يظهر إلى طبقة الخطايا والراقصات والمغنيات ، وفى جملة أشكال الوشم التى ترى على أبدان الأسرى الليبيين التى تشاهد فى الهياكل والمدافن فى عهد الأمبراطورية الجديدة ، رموز تدل على الإلهة « نيت » وهى إحدى الإلاهات الليبيات ، ولا يزالون يرون مثل تلك الرموز فى أيامنا هذه عند بعض المصريين وسكان شمال أفريقية ، فهم يغطون بالوشم أذرعهم وأيديهم

وعقب ذلك بحث لحضرة الدكتور مونرو دومين عن بعض الأمراض المصرية وعن المساعى المبذولة للوصول إلى معرفة كنهها

وبعد الجلسة العلنية عقدت اللجنة جلسة سرية لانتخاب هيئة المكتب لدورة سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٠ فأسفرت النتيجة عما يلى :

الرئيس: الدكتور حسن صادق بك المدير العام للمساحة والمناجم

نائبه : الرئيس المستر لتل مدير المتحف الجيولوجى

السكرتير العام : المسيو فيات مدير متحف الآثار العربية

أمين الصندوق : المسيو كنز معاون مدير المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بمصر

لجنة النشر : معالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك والمسيو لوكاس والأستاذ سامار كو والدكتو رمايرهوف

برنامج المؤتمر الطبى العربى

يوم الأحد ٢٩ يناير — « وقفة عيد الأضحى المبارك » — الساعة العاشرة صباحاً تقام حفلة افتتاح المؤتمر بصالة الاحتفالات بالجامعة ، وتؤخذ للأعضاء صورة فوتغرافية أمام الجامعة ، ثم يقصدون إلى كلية الطب حيث يفتتح معرض المؤتمر

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر يقيم سعادة عبد السلام الشاذلى باشا محافظ القاهرة حفلة شاى لأعضاء المؤتمر بحدائق الحيوانات بالجيزة

وفى المساء يقيم رفعة محمد محمود باشا رئيس الوزراء مأدبة عشاء احتفاء بأعضاء المؤتمر

يوم الإثنين ٣٠ يناير قبل الظهر تعطل أعمال المؤتمر للمعايدة ، وفى الساعة الثانية بعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة معالم الآثار بالقاهرة ، ثم يزورون مستشفى الهلال الأحمر حيث تقام لهم حفلة شاى

يوم الثلاثاء ٣١ يناير ، الساعة الثامنة والنصف صباحاً تبحث الموضوعات الآتية بقاعة محاضرات كلية الطب وهى :

١ — الصحة الدولية فى مصر والشرق الأدنى

٢ — جراحة الأكياس الديدانية ومضاعفات البول السكرى

٣ — التغذية والأمراض الناشئة عن سوء تدبير الغذاء

٤ — الأمراض الزهرية

وبعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة أهرام الجيزة وحفريات الجامعة ، حيث يقيم لهم معالى وزير المعارف حفلة شاى فى سفح الأهرام

وفى المساء تقام لهم حفلة غنائية موسيقية ساهرة

يوم الأربعاء أول فبراير — فى الصباح يستأنف بحث مسألتى جراحة الأكياس والتغذية ، ثم تبحث مسائل طبية متنوعة باطنية وجراحية ، وبعد ذلك تبحث مسألة توحيد المصطلحات الطبية فى اللغة العربية

وفى الساعة الثانية بعد الظهر يقوم الأعضاء بنزهة نيلية إلى القناطر الخيرية ، وتقيم الجامعة حفلة شاى لهم فى حدائق القناطر الخيرية

وفى المساء تقام حفلة تمثيلية فى دار الأوبرا الملكية

يوم الخميس ٢ فبراير — فى الصباح تبحث الموضوعات الآتية : أمراض النساء وأمراض الأسنان ، ثم المتنوعات ، وتوحيد المصطلحات الطبية

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة مصلحة الطب الشرعى حيث تقام حفلة شاى

وفى المساء تقام حفلة العشاء السنوية للجمعية الطبية المصرية

وقد تقرر وضع شعار للمؤتمر يضم رسم عظيمين من عظماء الطب عند الفراعنة والعرب ، وهما أمنحوتب وابن سينا ، وقد وقفا وجهاً لوجه : أحدهما فى ظل الأهرام والآخر فى ظل أحد المساجد الشهيرة

حفلة تأبين الأستاذين السكندرى ونلينو

كانت الحفلة التى أقامها مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى دار الأوبرا لتأبين عضويه المرحومين الشيخ أحمد على السكندرى والسنيور نلينو حافلة كاملة ، حضرها صاحب العزة إسماعيل تيمور بك مندوباً من جلالة الملك وحضرات أصحاب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف والأستاذ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف وسابا حبشى بك وزير التجارة والصناعة ونخبة مختارة من كبار الأدباء والموظفين وحضرات الشيوخ والنواب

وقد ألقى صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف كلمة الافتتاح فأشار إلى سمو المعنى الذى يستخرج من تأبين رجلين كبيرين من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية أحدهما مصرى هو المرحوم الأستاذ أحمد السكندرى والآخر إيطالى هو المرحوم الأستاذ نللينو ، ونوه بجهودهما فى المجمع واشتراكهما فى سعيه الجليل لمسايرة لغتنا حياة العالم فى العلم والفن وفى جميع مظاهر الحياة النظرية والعملية وقال : إن اختلاف الوطن والدين لا يحولان دون الاشتراك الوثيق فى العمل لخير الإنسانية كما تجلى فى عمل هذين الرجلين اللذين يسرهما القدر لغاية واحدة وجمع بينهما فى الحياة والممات . ثم وجه إلى سعادة ممثل إيطاليا وإلى أسرة السكندرى كلمات التعزية على فقدهما

وتلاه صاحب المعالى الدكتور محمد توفيق رفعت باشا رئيس المجمع فقال : إننا حين يسلمنا إلى الجزع تعاظم الخطب فيمن فقدنا من رجال أكفاء يحملنا على الصبر كريم العزاء وصادق الوفاء الذى نلقاه من رجال الحكومة وعظماء الدولة وجمهرة أهل العلم والفضل الذين حضروا هذا الاجتماع

ثم ألقى الدكتور منصور فهمى بك خطبة ضافية استهلها بشرح البواعث على رثاء الجماعات لمن تفقد من أعزائها ، وأفاض فى تأبين المرحوم السكندرى ووصف سجاياه وأعماله وجهوده فى المجمع وعظم الفجيعة فيه ، ثم قال : إن المجمع حين ابتلى بفقد السكندرى ما كان يعلم أن القدر يتربص له بخسارة أخرى فى فقد المرحوم الأستاذ نللينو وأطنب فى امتداح مناقب الأستاذ نللينو

ثم نهض الأستاذ ليتمان فنوه بمآثر الأستاذ السكندرى وزميله المرحوم الشيخ حسين والى ثم تكلم عما كان للمرحوم الأستاذ نللينو من كفاية عظيمة فى علم الشرقيات والعلوم الإسلامية

وأنشد صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك قصيدة رائعة البيان ، وفى النهاية ألقى كل من الأستاذ عمر السكندرى وسعادة الكونت ماتزوليني وزير إيطاليا المفوض كلمة شكر للمحتفلين الكرام وقد بدأ كل منهما كلمته برفع آيات الحمد إلى مقام جلالة الملك المعظم على تفضله بإيفاد مندوب عن جلالته .

7me Année No. 291

Lundi - 30 - 1 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٢٩١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٣٠ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

عيـــد الفقير ...

عيد الفقير ! وهل للفقير عيد ؟

نعم للفقير عيد إذا أردنا به الشعائر الدينية والقومية : فهو يصلى العيد ، ويزور المقبرة ، ويمجّد على آله وصحبه ، ويُكره السرور النافر على الإلمام ببيته وقلبه ، ويجمل من المساجد والحدائق والميادين مظاهر إخلاص وشكر لوطنه وربه

فإذا أردنا بالعيد التقلب فى وثير الفراش من غير صلاة ، والتنافس فى ذبح الكباش من غير تضحية ، والتأنق فى الزينة والثياب ، والتفنن فى الطعام والشراب ، والتبسط فى اللذة واللهو ، والتهادى بين التيه والزهو ، فذلك عيد الباشا والأمير ، لا عيد المسكين والفقير

وارحمتا للفقير قبيل العيد ! يرى متاجر الملابس واللُّعب والحلوى قد ازَّينت واجهاتها البلورية بالعُروض الجذابة والنماذج المغرية ، فينظر إليها نظر الراغب المحروم ، ويذكر أطفاله الغارّين فى حنانه وهم يحلمون بالثوب الجديد واللعبة المسلية والأكلة الشهية والنزهة الممتعة ، ويعتقدون أن أباهم قادر على أن يجعل عيدهم سعيداً وحلمهم يقظة ، فيكرُبه الأسى وتصيح الحسرة فى نفسه :

— حنانيك يا رباه ! هذه نعمك واسعة سابغة ، ولكن القدر لحكمة لا يدركها البصر المحدود جعلها لغيرى لذة بالقدرة .

ولنفسي ألماً بالعجز ، ولأولادي شقاء بالحرمان . فليت القدرة تعرف الرحمة ، وليت العجز يدرك المونة ، وليت الحرمان يخطئ الطفولة ، وليت الأيام تمضي إلى غايتها من غير عيد ولا موسم !!

إن الأعياد مذلة للوالد الفقير وفضيحة للبيت البائس ! ففي الأيام الأُخَر يستطيع العائل المسكين أن يغلق بابه على بؤسه، ويَرُوض أهله على مكروهه ؛ ولكنه في العيد لا يستطيع أن يضرب على الآذان ، ولا أن يختم على العيون ، فإن المدافع تقصف في القلاع ، والمزامير تعزف في الشوارع ، والناس يزيطون في الملاهي ، والأطفال في المراكب والمواكب يرفلون في الوشي ويلهون باللُّعب ؛ فأولاده لابد سائلون :

يا أبانا، أين الثوب الذي نلبس، واللحم الذي نأكل، والقرش الذي ننفق ؟ أهذا العيد لناس دون ناس ، أم هو ذو وجوه شتى منها العابس والباسم، ومنها الدميم والحسن؟ ولِمَ آثرتنا نحن يا أبانا بهذا الوجه الشتيم الـكالح ؟

لو كان هذا الرجل في أمة مؤمنة محسنة لأجاب بنيه بقوله : صبراً يا بني ، فعمَّا قليل يدخل عليكم باباكم (بيرم) أو عمكم (نويل) بالألطاف والحلوى والحلل من وقفية الباشا فلان، أو من جمعية كذا للإحسان ؛ ولكنه يجيبهم بالدمعة البادرة، والزفرة المحرقة ، والنظرة الحزينة ، فلا يفهمون إلا أنهم أحقر من هؤلاء الأطفال ، وأن أباهم أفقر من هؤلاء الرجال . أما علة هذا التفاوت وإلهنا واحد، وأبونا واحد ، وملكنا واحد، ووطننا واحد، فعلمها سيأتيهم مع الأيام إذا ما خرجوا بأنفسهم إلى الحياة فرأوا المكظوظ الذي غصب رغيف الجائع ، والملفف الذي نهب كساء العاري ، والمموّل الذي سرق نصيب المحروم

* * *

حدثني رجل من ذوي هذه الحال أنه كان يشتغل مياومة في مصلحة من مصالح الحكومة ؛ فلما قل عليه العمل استغنوا عنه ؛ ولكنه لسوء حظه لم يستطع أن يستغني عن الأكل ، ولا أن يقنع أولاده بالصوم ، فراح يطلب العمل في كل مكان والمعونة من كل إنسان فلم يجد . ودخل عليه عيد الفطر من هذا العام وليس في يده ما يشتري به الـكسي لبنيه والسمك لزوجه. وكان قبل نكبته بأسبوع قد وعد الـكبار بالبَذْل والصغار بالهدايا، فسبحت أخيلة الأطفال في جو من الأحلام عجيب الألوان عبقري الصور ؛ وأسرعت ألسنتهم الثرثارة إلى إشاعة ذلك في الرفاق والجيرة . فغُمَّ على الرجل الحال ، واعتلج في صدره الهم ، وأصبح حيران لا يدري ما يقول ولا ما يفعل . تمنى الخروج من هذا المأزق بالمرض أو الموت ؛ ولكن المرض أو الموت إذا أصبح أمنيَّة الفقير امتنع كالخير وعزَّ كالسعادة . فاحتال على العلة بالجوع ، فصام النهار والليل حتى هجمت عيناه وانسرقت قواه وبانت عليه نهكة المرض

ودخل العيد بضوضائه وخيلائه على هـذه الأسرة البائسة فوجدها عاكفة على سرير مريضها الموجَع ، مضرَّمة الأنفاس ، لهيفة القلب ، لا أمل لها إلا أن يعافى عميدها و يحيا . فانكفأ العيد النشوان المرح خجلان عن هـذا المنظر الأليم إلى مجالي البهجة والنعيم في قصور الـكبراء والأغنياء والسادة . ولولا هذه الحيلة التي أنقذت هـذا التعِس بالمرض من غير موت ، لأشـفى به الخجل والهم على الموت من غير مرض

* * *

تباركت يا ألله ! لقد جعلت في عيد الفطر زكاة ، وفي عيد النحر تضحية . فهل فهم ذوو القلوب الغُلف والبصائر العُمْي من شرعك العادل أن الفقير يزكي بقوّته حتى يعجز ، والمسكين يضحي بصحته حتى يموت ؟؟

احمد حسن الزيات

تقدم الرسالة الى أصدقائها وقرائها في عيد الاضحى المبارك بالتهنئة الصادقة والتحية الخالصة ، وترجو لمصر وللبلاد السعادة الخالصة والنعمة السابغة والسلام الدائم

الأدب والمدرسة

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

« هل كانت علومك المدرسية ذات أثر فعال فى إظهار مواهبك الأدبية ؟ »

سؤال انتقل به صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم إلى « برجه العاجى » من مجلة أدبية فرنسية ألقته على طائفة من أدباء بلادها فكان جواب أحدهم: « يخيل إلى أن الغباء وفقر الذهن وبلادة الشعور وضعف التصور وانعدام الخيال مواد مقررة رسمياً فى المناهج المدرسية »

ويقول الصديق فيما عقب على هذا الجواب « ولو سئلت لما خرجت إجابتى عن هذا المعنى »

وكنا نتحدث فى هذا قبل أن أقرأه فى البرج العاجى من الرسالة، فقصصت على الصديق بعض ما أذكر من عهد المدرسة ووصفت له أساتذتى فى اللغتين العربية والانجليزية وتوخيت الإنصاف وتحريت الحق، فسألنى أن أكتب هذا وأنشره، فوعدت أن أفعل . وقد بدأت أكتب وفى نيتى أن أبر بالوعد، ولكنى بعد أن بلغت هذا الموضع أرانى أميل إلى الإخلاف فما أحب أن أسئ إلى أحد بلا موجب وبغير حق، أو أن أرى بالجحود والكفران. وأكبر الظن أن الذين علمونى نسوا — أو هم لا يدرون — أنى كنت من تلاميذهم؛ فلو قلت فيهم ما قال مالك فى الخمر ما عرفوا أنهم هم المعنيون ؛ ولو أثنيت عليهم لتعجبوا وراحوا يتساءلون « ترى من كانوا معلميه ؟ » ولعل أكثرهم قد عاد إلى التراب الذى جبل منه ولكنى مع ذلك لا أرانى أقدر أن أضعهم فى الميزان إلا إذا وضعت نفسى معهم

أنا أيضاً كنت تلميذاً ثم مدرساً لسوء الحظ . وكانت ميزتى المحتمة فى أيام التلمذة « الغباء وفقر الذهن وضعف التصور » يضاف إليها الفقر . وكان يبلغ من فاقتى فى ذلك الزمان أن كنت أحتاج إلى القميص الأبيض لألبسه مع البذلة فلا نجد ثمنه ، فتعمد أمى المسكينة إلى ما خلف أبى من قمصان فتصلحها فتضيق من هنا وتقصر من هناك ، ولكن الياقة أو البنيقة كانت تعييها فتلبسنيها كما هى ؛ ولو جعلت لى منها حزاماً لكان هذا أصلح. فتصور هذا الطوق العظيم على عنق. وكنت إذ أمشى بها لا أدرى ماذا أصنع وكيف أبلغ المدرسة، لأنى كنت أحتاج إلى كلتا يدى لأهوى بجانبى الطوق عن أذنى، ولكنى محتاج أيضاً إلى حمل الكتب والكراسات فكيف أصنع وليس لى غير يدين اثنتين .. ولا أدرى كيف نجوت من العمى فقد كانت عيناى ترمدان فلا تعبأ بى المدرسة . نعم كان لها طبيب يحضر كل يوم لعيادة المرضى منا فكنا إذا سمعنا ناقوسه نجرى إليه فيصفنا أمامه ولا يجشم نفسه عناء السؤال أو الفحص ، بل يقول وهو يشير إلى كل واحد منا على الترتيب: « شربة . سخة . قطرة » فيتفق أن يكون من حظك « القطرة » وشكواك أن رحلك مهيضة ، أو اللبخة وبك زكام . وكنت أذهب إليه لملاح عينى ولكنى كنت أخرج مأموراً بالشربة أو اللبخة ولا أخرج قط بالقطرة . أما فى البيت فكان كل ما أتداوى به من رمد الماء البارد .

وآية غبائى وبلادتى أنى كنت فى كل فرقة الأخير ، — حتى مقعدى كان الأخير فى الحجرة — وكنت لصغر جسمى وقماءتى لا أكاد أبدو للمدرس، فهو لا يرانى ولا يحس بوجودى ولا يعنى بى ، وأنا أغتنم هذه الفرصة فأتشاغل عن درسه بما يخطر لى من العبث . وكان جارى فى بعض الفرق ضخم الجسم كأنه الفيل الصغير ، وكان لجسامته يحتاج حين يقعد أن يتكئ على الدرج بكلتا يديه ، وكانت عادته أن يمسح وجهه بكفيه بعد ذلك ويتمتم بقوله : « حيبة الله عليكم » — يعنى زملاءه التلاميذ لأنهم كانوا لا يكفون عن ركوبه بالعبث ؛ فاشتريت مرة قليلاً مما يسمى « بودرة العفريت » ونثرتها على الدرج فاتكأ عليه ومسح وجهه ثم ذهب يحك كفيه وخديه حتى دمى وجهه وانقطع عن المدرسة أياماً حتى شفى . ففطن المدرسون إلى وجودى بعد ذلك وصرت أتهم بكل ما يحدث فى المدرسة ولو وقع فى فرقة غير فرقتى ، فأنا عندهم المحرض أو الموسوس بالعبث إذا لم أكن أنا الفاعل

أما الدروس فما كنت أفهم منها شيئاً ؛ ولم يكن هذا ذنب المعلمين فما كانوا يقصرون فى الشرح والبيان ، ولكنى أنا كنت لا أستطيع أن أنتفع بذلك لأنى أكون قاعداً على ركبتى — فوق البلاط — عقاباً لى على مالم أصنع فى الغالب — أو واقفاً ووجهى

إلى الحائط أومطروداً من الحجرة كلها. وكيف يمكن بالله أن يفهم شيئاً من لا يزال هكذا — ركبتاه على الأرض أو أنفه على الجدار أو هو يتمشى فى الفناء أو الدهليز ...

وكان أرق المدرسين معى وأظرفهم وألطفهم غى العموم إنجليزى أنيق كان إذا رآنى — وما أكثر ما كان يغضى — أخرج على النظام يدعونى أن أقف ويطلب منى أن أتهجى كلمة « مجنون » أو « شقى » وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى . ويكتفى من العقاب بهذا

وكان لنا معلم للغة العربية غريب الأمر — كانت حجرتنا مجاورة لحجرة الناظر الإنجليزى ، فكان هذا المعلم يفرغ من إلقاء الدرس وشرحه ومن التطبيق أيضاً فى خمس دقائق على الأكثر ثم يقول : « اغلقوا النوافذ كلها » فنفعل ثم يأخذ فى حديث سياسى يذم فيه عهد إسماعيل ويلعن فيه أيام توفيق ويثنى على الإنجليز أطيب الثناء . ولم يكن أعجب من صنيعه هذا إلا إغلاقه النوافذ ليوهمنا أن الناظر الانجليزى يسوؤه أن يعلم أنه يثنى على قومه ... وكنا نناقشه ونجادله ونخالفه فيوسع صدره ويروح يحاورنا ويداورنا ليقنعنا بأن ما خرب من نفسه عامر . وكانت تلك أيام مصطفى كامل وكنا نقرأ « لواءه » ونسمع خطبه . وأحسب أنى لا أبالغ إذا قلت أنى تلقيت دروسى الأولى فى اللغة العربية من اللواء والمؤيد لا من معلمى فى المدارس، وتصور أن منهم معلماً كان يكلفنا أن نحفظ كتاب النحو عن ظهر قلب ... بل تصور أنه كان يثنى على التلميذ الذى يقول له فى جواب سؤاله عن الفعل اللازم « ماهو » — « هو ما ليس كذلك » — كما فى الكتاب بالحرف الواحد . ولم أستطع قط فى حياتى أن أحفظ شيئاً عن ظهر قلب إلا إذا جاء هذا عفواً وعن غير قصد، فكانت درجتى فى اللغة العربية هى الصفر دائماً

وكل ماحفظته من الشعر العربى فى المدرسة قصائد قليلة مثل :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

وما إليها — وحتى هذه يخيل إلى أنى ما حفظتها إلا فيما بعد — لما كبرت ، ولكنى أذكر على كل حال أن المدرس الذى كان يغلق النوافذ ويهجو المصريين ويمدح الإنجليز هو الذى كان يتقاضانا أن نحفظ : « إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ، فكل رداء يرتديه جميل » . وقد يكون هذا اتفاقاً محضاً

وكان أساتذتنا فى اللغة الإنجليزية على عكس ذلك ، فكانوا يرشدوننا ويساعدوننا ويقرضوننا الكتب إذا أنسوا منا ميلاً إلى القراءة ، ويصحبوننا إلى مكتبة المدرسة ، ويتخيرون لنا ما يوافقنا وما يسعنا أن نفهمه ، ولا يبخلون علينا بالتفهيم والشرح حتى فى أوقات الفراغ إذا طلبنا منهم ذلك ؛ ولكن بعضهم كان عجيب الشذوذ . أذكر منهم واحداً كان يعلمنا الجغرافيا الاقتصادية فكان يكتب على السبورة رقماً يبلغ من طوله أن بقيته تجىء على الجدار! وكان هذا مبلغ علمه بهذه الجغرافيا . ومنهم من كان يعطى الدرجات على الخط وجودته ولا يبالى أصبنا أم أخطأنا فى الموضوع، فأجودنا خطا أعلانا درجة ولو كان أجهل منى

أظن أن المدرسة لا تستطيع أن تعلم الأدب ، وكل ما يسعها ويجوز أن يطلب منها هو الترغيب والتوجيه والتسديد ، وحسب أن توفق فى هذا ، وأكاد أقول حسبها ألا تنفر من الأدب وتزهد فيه

إبراهيم عبد القادر المازنى

المتنبي وسر عظمته

للأستاذ عبد الرحمن شكري

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

إذا قرأ القارىء قول المتنبي :

وخِلةٍ في جليسٍ ألتقيه بها ... كيما يرى أننا مثلان في الوَهْنِ
وكِلْمةٍ في طريقٍ خفت أعربها ... فيهتدى لي فلم أقدر على اللحنِ
كم مَخلصٍ وعُلىً في خوض مهلكةٍ ... وقتلةٍ قُرنت بالذم في الجبنِ
لا يُعجبنَّ مضيما حسن بزته ... وهل تروق دفيناً جودة الكفن

أحس بما تدعو الحياة إليه من تقيد النفس بقيود التجانس حتى ولو كان فيها قهر أنبل عواطفها ونوازعها ، وأحس بالمعركة التي تدور في النفس بين نزعاتها من رضاء وإباء وتسليم وثورة ، والتذ مشاركته الشاعر في تلك المعركة النفسية حتى ولو كانت المشاركة بالعقل الباطن والقراءة بالعقل الظاهر . وهو يحس هذا الإحساس إذا قرأ قوله :

واحتمال الأذى ورؤية جانيـ ... ـه غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار ... حجة لاجىء إليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

وهو أيضاً يضع نفسه موضع نفس الشاعر في تلك الرحلة النفسية التي يلتذها بالقراءة إذا قرأ قوله :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهمْ ... ولكنْ معدن الذهب الرغام
خليلك أنت لا من قلت خِلّي ... وإن كثُر التجمّل والكلام

ويزداد اعتداد المتنبي بنفسه ، فلا يزداد القارىء إلا لذة ببيانه عند ما يقرأ قوله :

ما مقامي بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود
عِشْ عزيزاً أومُتْ وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العز في لظى ودع الذ ... ل ولو كان في جنان الخلود
أنا في أمة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

وكذلك عندما يقرأ قوله :

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ... ويجهل علمي أنه بيَ جاهل
ويجهل أني مالك الأرض مُعسرٌ ... وأني على ظهر السماكين راجل
تحقر عندي همتي كلَّ مطلب ... ويقصر في عيني المدى المتطاول
غثاثة عيشي أن تغث كرامتي ... وليس بغث أن تغث المآكل

والبيت الأول يدل على تفكير طويل في أنواع جهل النفوس بالنفوس، وهو موضوع عميق كعمق الحياة، ومجاهل أعماق النفس والحياة كمجاهل أعماق المحيط . وكذلك إذا قرأ أبيات المتنبي التي يخاطب بها أسد الفراديس ويدعوها فيها إلى محالفته ، سار القارىء في رحلة نفسية خيالية في عالم البيان الشعري ، حيث يود الشاعر أن يؤلف الوحش وأن تألفه ، كما حدثوا عن الشنفرى الشاعر . وإذا قرأ القارىء قول المتنبي :

عـدُوِّي كل شيء فيك حتى ... لخلت الأُكْم موغرة الصدور
فلو أني حُسدْتُ على نفيس ... لجُدْتُ به لذي الجد العثور
ولكني حُسِدْتُ على حياتي ... وما خير الحياة بلا سرور

كان قد بلغ من تلك الرحلة النفسية قفراً موحشاً تختلط فيه الحقيقة بالخيال في نفس بلغت من النفرة من الناس والشك فيهم مبلغاً يجعلها تشك في الجماد ، وتخاله موغر الصدر كالناس ، وهذه حالة حقيقية في النفس ، وإن اختلطت فيها الحقيقة بالخيال ، وهي من الحالات النفسية التي يجيد المتنبي وصفها كما قال :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا
أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
ويختلف الرزقان والفعل واحد ... إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

ويتبع القارىء الشاعر في رحلة التجارب النفسية حيث يقول :

فلا تنلك الليالي إن أيديَها ... إذا ضربن كسرن النبع بالغرب
ولا يُعِنَّ عدواً أنت قاهره ... فإنهن يصدن الصقر بالخرب
وإن سررن بمحبوب فجعن به ... وقد أتينك في الحالين بالعجب
وربما احتسب الإنسان غايتها ... وفاجأته بأمر غير محتسب
وما قضى أحد منها لبانته ... ولا انتهى أرب إلا إلى أرب

والبيت الأخير يعبر عن سر التعلق بالحياة ؛ فليس سر التعلق بها لسعادتها وكمال مسراتها ، بل قد يتعلق بها أشد التعلق من قلت مسراته فيها ، وإنما يكون الحرص عليها كلما وجد المرء سبيلاً لنشدان المطالب والمآرب حتى ولو لم يسعد بها . فالحرص على الحياة موجود ما دام المرء ينتشي فيها بالسعي والطلب ،

وإن لم يُؤدِّ السعي إلى فوز وسعادة . ويستمر القارئُ متابعاً للمتنبي في رحلته النفسية في عالم التجارب وآلامها كما في القصيدة التي يقول في مطلعها : (كفى بك داء أن ترى الموت شافياً) . ويعاود وصفها في القصيدة التي مطلعها : (أود من الأيام ما لا توده) وفي القصيدة التي مطلعها : (فراق ومن فارقت غير مذمم) والتي يقول فيها :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدَّق ما يعتاده من توهم
وعادى مُحبِّيهِ بقول عداته وأصبح في ليل من الشك مظلم

ويعاود وصف آلامه وآماله وحيته وتجاربه في قصيدة : (بم التعلل لا أهل ولا وطن) . وفي قصيدة : (أغالب فيك الشوق والشوق أغلب) . وفي قصيدة : (صحب النـاس قبلنا ذا الزمانا) . وهو يحس فيها بضآلة مطالب الحياة بالرغم من إقبال نفسه عليها فيقول :

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأنْ نتفانى
كل ما لم يكن من الصعب في الأنـفس سهل فيها إذا هو كانا
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تكون جبانا

وتراه يصف كيف أن نفسه قد تُقهرُ على التخلق بصفات الحياة من مداهنة وشك ، فيقول :

ولما صار ود الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

إلى أن يقول :

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

ويعود إلى وصف ما علمته الحياة من سوء الظن فيقول :

توهم القومُ أن العجز قرّبنا وفي التوهم ما يدعو إلى التهم
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هوِّن على بصر ما شق منظرهُ فإنما يقظات العين كالحلم
ولا تشك إلى خلقٍ فتُشمته شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

ثم هو بالرغم من شكواه يعرف أن للمعالي التي ينشدها ثُمناً لا بد أن يؤديه فيقول :

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

ويعلم أنه من العبث أن يُعنِّي المرء نفسه وأن تُعنِّيه إذا لم تدرك ما تمنَّتْ فيسلي نفسه ويسلي القارئُ معه بقوله :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ويعلم أن الظلم في النفوس صفة عامة إذا خفيت فإنما تخفى لسبب فيقول :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
والذل يظهر في الذليل مودة وأود منه لمن يود الأرقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وهذه الحكم العديدة وأمثالها في شعر المتنبي ليست من الشعر التعليمي أو الوعظي الذي يصنعه المرء وهو ناعم البال قرير العين بارد العاطفة وهو جالس إلى مكتبه يتأمل فيما تصف به الكتب والدفاتر أوجه الحياة وأخلاق النفوس فيها ، ولكنه تأمل المختبر المجرب ، فهو شعر التأمل الذي تغري به العاطفة لا شعر التأمل الذي يغري به العقل في دعته أو مباذله أو عند مباهاته بالعلم ومفاخرته بالعرفان ، فهو شعر حكمة يُبصِّرُ الشاعر فيها نفسه ويذكرها كي تتحمل الحياة بمعرفتها الحياة ، وتتحمل الناس بمعرفتها أخلاق الناس . ومن كان شديد الاعتداد بالنفس والاعتزاز بها كالمتنبي كان في حاجة إلى هذه التبصرة والتذكرة بسبب ما يجشم الشاعر نفسه من معاناة الحياة والناس معاناة فوق معاناة النبوغ التي لا بد منها . فهذا الاعتداد بالنفس بما يفيض به من حنكة وخبرة وأنغام وبيان وآلام وآمال ، هو سر نبوغ المتنبي وسر شهرته وتعلق الناس بشعره كما ذكرنا ، وهو سر قوة شعره. وهذه القوة هي فيض يغمر كل باب من أبواب شعره من مدح أو وصف أو عتاب أو رثاء . ومن أجل ذلك تبدو حكمة الحنكة في شعره مختلطة بالمدح أو العتاب أو الوصف أو الذم ، ففي قصيدته التي يصف فيها الأسد ويقول :

في وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا

ويستجمع كل معاني الوصف الرائعة ، إذ تراه يورد الحكمة كما في قوله :

أنفُ الكريم من الدنيئة تاركٌ في عينه العدد الكثير قليلا

وفي قصيدة أخرى بينا هو يمدح الممدوح إذ تراه يقول :

إلفُ هذا الهواء أوقع في الأنـفس إن الحِمَام مُرُّ المذاق

وفى قصيدة أخرى يقول :

لعـل عتبك محمود عواقبه   فربما صحت الأجسام بالعلل

وفى قصيدة أخرى من قصائد المدح يقول :

إنا لفى زمن ترك القبيح به   من أكثر الناس إحسان وإجمال

فأصبح منتهى ما يطمع فيه الطامع فى خير الناس أن يحصل على خيرهم السلبى ، أى امتناعهم عن الشر كأنما الامتناع عن العمل عمل يشكرون عليه . وكذلك يورد الحكمة فى قصائد المدح الأخرى مثل قصيدة (لكل امرئ من دهره ما تعودا) التى يقول فيها :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وكذلك يصنع فى قصيدة (على قدر أهل العزم تأتى العزائم) وقصيدة (الرأى قبل شجاعة الشجعان) . فقيمة مدحه ليست فى المغالاة المرذولة كما فى بعض قوله وإن اشتهر بها ، ولكن قيمته فيما يخالطه من حكمة وخبرة إما بالأخلاق والحياة عامة ، وإما بالصفات المرغوب فيها التى يود كل ممدوح أن تنسب إليه . وكذلك يورد الحكمة فى قصائد الاستعطاف أو التوفيق أو العتاب كقصيدة (إن يكن صبر ذى الرزيئة فضلا) وقصيدة (حسم الصلح ما اشتهته الأعادى) وقصيدة العتاب الرائعة الفخمة التى يعنف فيها فى عتاب سيف الدولة تارة وتارة يبلغ غاية الرقة كما فى قوله فيها :

إن كان سركم ما قال حاسدنا   فما لجرح إذا أرضاكم ألم

ويورد الحكمة أيضاً فى قصيدة (بغيرك راعياً عبث الذئاب) فيمدح ويستعطف ويورد الحكمة ، وفيها يقول :

وجرم جره سفهاء قوم   وحل بغير جارمه العقاب
وكم ذنب مولّده دلال   وكم بعد مولّده اقتراب

ويورد الحكمة أيضاً فى قصائد الرثاء والتعزية وله فيها قصائد شائعة مثل رثائه لعمة عضد الدولة ورثائه أم سيف الدولة وأخته ومملوكه يماك ورثاء المتنبى لجدته ورثائه لأبى شجاع فاتك ، وفى رثاء عمة عضد الدولة يقول :

يموت راعى الضأن فى جهله   ميتة جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمره   وزاد فى الأمن على سربه

وفى رثاء أم سيف الدولة يقول :

وصرتُ إذا أصابتنى سهام   تكسرت النصال على النصال

وفى رثاء مملوك سيف الدولة يقول :

وأوفى حياة الغابرين لصاحب   حياة امرىء خانته بعد مشيب

إذا استقبلتْ نفسُ الكريم مصابَهُ
بخبثٍ ثنتْ فاستدبرتهُ بطيبِ

وفى رثاء جدته الرائع يصف ما لاقاه فى سبيل تجشيم نفسه عظام المساعى فتزداد لذة القارئ فى قراءته . والمتنبى إذا أراد الوصف أجاد كما فى وصف الأسد وكما فى وصف شعب بوان ونباته الذى يقول فيه وهو من أبدع الوصف :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى   بمنزلة الربيع من الزمان

ويصف الخيل كما فى قوله (وما الخيل إلا كالصديق قليلة .الخ) ويصف الحروب . وليس إقلاله من وصف مظاهر الكون والطبيعة من عجز ، بل لأن بصر بصيرته كان موجهاً إلى دخائل نفسه ونفوس الناس وأخلاقهم فى الحياة أكثر مما كان موجهاً إلى مظاهر المرئيات وله فى الغزل بالرغم من ذلك أشياء تستجاد وتستحب مثل قوله :

زودينا من حسن وجهك ما دا   م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك فى هذه الدنـ   يا فإن المقام فيها قليل

وقوله :

إذا كان شم الروح أدنى إليكمُ   فلا برحتنى روضةٌ وقبولُ
ألم ير هذا الليل عينيك رؤيتى   فتظهر فيـه رقة ونحول

فسحر شعر المتنبى هو سحر جاذبية الشخصية المعتدة بنفسها وسحر ما تختبر من الحياة .

ولا نعنى بسحر الاعتداد بالنفس أن النـاس لا يقاومونه . هم يقاومونه بكل وسيلة فى أول الأمر ، وبعضهم يظل يقاومه حتى مع التأثر به . بل إن بعضهم تدل شدة مقاومتهم له على شدة التأثر به . ففى بعض سجايا النفوس قد يظهر التأثر بالإنسان ، أو بالشىء بمظهر المقاومة . ولعل أظهر هذه الظاهرة فى العلاقات الزوجية ، ولكنها موجودة فى جميع علاقات الناس بعضهم ببعض ،

وقد لا تكون المقاومة دليلاً على التأثر . بل قد تكون دليلاً على قلة التأثر أو انتفائه . ولعل الظاهرة أساسها واحد في الحالتين ، وأساسها هو : دفاع كل نفس في الحياة عن كيانها ومميزاتها وخصائصها ؛ وكلما كان تأثرها بخصائص غيرها وكيانه أعظم ، كانت المقاومة ألزم في بعض الحالات وفي بعض النفوس ، إما صيانة للبقية الباقية من استقلالها ، وإما لكي تعتذر نفسها لدى نفسها في استسلامها لسحر الاعتداد بالنفس سراً بمقاومته جهراً فترتاح إلى هذا العذر وتحسب أنها قد صانت به كرامة استقلالها . ولكن إذا كان الاعتداد بالنفس عظيماً ، وكان مقروناً بقوة العبقرية أو البيان والفصاحة أو الخلابة أو العصبية الناصرة له تمكن على الزمن من تحويل الشيء الكثير من المقاومة إلى إعجاب ، كالإعجاب الذي ناله من النفوس التي ناصرته من أول الأمر بسبب لذتها في الاستسلام أو لذتها في رؤية اعتدادها بنفسها مقدساً في شخص عظيم . وتغلب الاعتداد بالنفس على المقاومة يكون شبيهاً بتغلب النعاس على اليقظة . وقد لاقى المتنبي أشد المقاومة ، ولكن شدة اعتداده بنفسه تمكنت من تحويل المقاومة على مر الزمن إلى إعجاب كثير

لقد كنا في عهد الصغر إذا قرأنا للمتنبي قوله :

من لو رآني ماء مات من ظمأ ... ولو عرضت له في النوم لم ينم

تخيلناه مخلوقاً من مخلوقات الخيال في القصص الخرافية . وفخره العريض في هذا البيت وفي أمثاله كان من خواطر العظمة التي رآها لنفسه ، ولكنا لم نشأ أن نعد كل أقواله في القتال وإراقة الدماء من قبيل خواطر السوء التي تمر بخاطر كل إنسان ، لأن الرجل كان محارباً فعّالاً كما كان متخيلاً قوّالاً . وإذا صدقت قصة مقتله التي قيل فيها إنه فر طالباً النجاة ممن أغاروا عليه حتى ذكّره مذكّرٌ بقوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وذكره بأن من يقول هذا القول لا بد أن يكون فعله كقوله ، فعاد للقتال حتى قُتل

أقول إذا صدقت هذه القصة : كان الاعتداد بالنفس الذي قتله ، هو الاعتداد بالنفس الذي خلّد عظمته وزادها . وهو أيضاً كذلك وإن لم تصدق هذه القصة

عبد الرحمن شكري



إني أتجنب دائماً رؤية خروف العيد حياً قبل العيد ، وأتحاشى أن أدنو منه أو ألاطفه أو أعقد بيني وبينه أواصر صحبة أو مودة ، خشية أن تمضي ساعات فإذا هو أمامي مشوياً في طبق ، ينظر إليّ بعينين يسيل منهما الدهن والزبد ، نظرات كلها ازدراء لما تكشف له من خلقنا الإنساني المنطوي على الخيانة والغدر ! إني أتخيل دائماً معاني هذه النظرات الهادئة العميقة التي تنبعث من عيون هذه الحيوانات الوادعة الأليفة . إنها لأبلغ في إسائتها أحياناً من بعض نظراتنا الآدمية التي يشع منها بريق جشع حيواني ونهم مفترس قد لا تعرفه غير الضواري والكواسر !

إني لأتخيل الحديث الذي يمكن أن يدور بيني وبين هذا الخروف لو أنه منح القدرة على الكلام :

— لماذا صنعتم بي هذا ؟

— لمجدك الأبدي

— مجدي الأبدي ! هذا الذبح والسلخ والحرق مرة في كل عام على مدى الدهور والأيام ؟

— نعم ، هو مجدك الذي ينبغي أن تتيه به وتفخر وتزهى على غيرك من الحيوان ! إن دمك يراق من أجل فكرة ، وحياتك تضحى في سبيل عقيدة !

— آه للإنسان ما أبرعه في إلباس صغير الفعال رائع الثياب !

— نعم ، هنا مفتاح سمونا وسر عظمتنا !

— هنا الفرق بيننا وبينكم

— نعم ، كل الفرق

— إن الغرائز السفلى ما زالت هي الناموس الأعظم لنا ولكم . ولم تستطيعوا مع قدرتكم وقوتكم أن تخرجوا عن نطاقها قيد أنملة ...

— ولن نخرج

— إنما كل عملكم أن تضعوا على حقائقها العارية رداء ، كما وضعتم على أجسامكم العارية لباساً . نحن العارون جسداً وروحاً ، وأنتم الكاسون جسداً وروحاً . أما بعد ذلك فلا اختلاف بيننا وبينكم .

— هذا صحيح يا سيدي الخروف !

توفيق الحكيم

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

تاريخ كلمة أدب

لا نجد « كلمة أدب » فيما بين أيدينا من الكلام المأثور عن الجاهليين ؛ ولكن ورودها فيما أُثِر عن الرسول (صلوات الله عليه) وعن الصحابة يرجح أنها كانت مستعملة قبل الإسلام فى المعانى التى دلت عليها فى عهد الرسالة أو فى معان قريبة منها

ولدينا روايات من صدر الإسلام منها :

١ — أن علياً رضى الله عنه قال للرسول : يا رسول الله : نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، وربيت فى بنى سعد »[١] والتأديب هنا معناه التعليم

٢ — ورد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « إن هـذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته » ، والمأدبة هنا موضع الأدب أى الكتاب الجامع ما يؤدب به الله الناس من أوامر ونواه ومواعظ وحكم

٣ — وروى عن عبد الله بن عباس أنه قال فى تفسير الآية : «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» : فقِّهوهم وأدبوهم . وقال مقاتل أحد التابعين فى تفسير الآية نفسها : أن يؤدب المرء نفسه وأهله فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر »[٢] والأدب فى هاتين الروايتين يراد به التهذيب الذى يقرب من الخير ويبعد عن الشر

وفى العصر الأموى نجد الكلمة مستعملة فى المعانى المتقدمة أو ما يقرب منها :

جاء فى شعر مُزاحم العُقيلى وصفُ الجمل المذلَّل بالأدب قال:

فهن يَصرِفنَ النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المذلل

وجاء فى خطبة زياد البتراء :

« فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدّبون لكم. أما والله لأؤدِّبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمُنَّ »

(١) بنو سعد : قبيلة من هوازن تنسب إليها حليمة السعدية مرضعة الرسول

(٢) الرسالة القشيرية : باب الأدب ، تفسير الفخر الرازي

وقال بعض الفزاريين من شعراء الحماسة :

أُكْنيه حين أناديه لأكرمه ولا أُلقّبه والسوأة اللقبا

كذاك أُدِّبت حتى صار من خلقى أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

واتخذ الخلفاء والكبراء فى العصر الأموى فما بعده معلمين يؤدبون أولادهم فكانوا يسمونهم « المؤدِّبين » وكانوا يؤدبون برواية الكلام البليغ الداعى إلى المكارم ، الحافز إلى العظائم . وقد روى عن عبد الملك بن مروان أنه قال لمؤدِّب ولده : وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا[١]

وفى عيون الأخبار أن عمر بن عبد العزيز قال لمؤدبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدبنى ؟ قال : أحسن طاعة ؛ قال : فأطعنى الآن كما كنت أطيعك[٢]

وكان المؤدبون ، حين يروون القصائد والخطب والأمثال ، يذكرون طرفاً من أخبار أصحابها ونُبذاً من الواقعات التى قيلت فيها فاستعمل الأدب فى الشعر والنثر وما يتصل به من أخبار ونوادر ، وفشا هـذا العرف على مر العصور ، وسُمِّى من يروى الأدب وأخباره ويعلمه أديباً

وامتاز الأديب من الشاعر والكاتب . فإذا غلب على الرجل درس الأدب وتعليمه فهو أديب ، وإذا غلب عليه إنشاء الشعر فهو شاعر ، وإذا غلب عليه إنشاء النثر فهو كاتب . وربما جمع الرجل هذه الألقاب الثلاثة أو اثنين منها

وأطلقت كلمة « الأدب » منذ تلك العصور على المعنيين : المعنى الخلقى والمعنى الكلامى ؛ أعنى حسن الخلق والمعاملة والكلام البليغ وما يتصل به من أخبار . وقد ذكر هذين المعنيين ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « أدب الكاتب » إذ قال : « ونحن نستحب لمن قبل عنا أو ائتم بكتبنا أن يؤدّب نفسه قبل أن يؤدّب لسانه ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه » ، وقيل لهـذين المعنيين من بعد « أدب النفس وأدب الدرس »

فأما أدب النفس فقد توسعوا فيه حتى شمل كل طريقة مستحسنة فى علم أو عمل ، وألّفت كتب باسم أدب القاضى وأدب المفتى ، وأدب القراءة ، وأدب المحدث، وأدب البحث، وأدب المتعلم،

(١) كتاب نقد النثر ص ٧٠ وعيون الأخبار ج ٢ ص ١٦٧

(٢) ج ١ ص ٢٠١ ، وانظر وصايا المعلمين فى ج ٢

وأدب المريد ، وأدب النديم ، وأدب الدنيا والدين ونحو ذلك[1]

وأما أدب الدرس فقد وسموه كذلك حتى شمل علوماً عدة سميت علوم الأدب أو علم الأدب ، وأحياناً يسمونها الأدب اختصاراً

علم الأدب

لم يكن بد لدارسي الشعر والنثر من معرفة قوانين العربية التي تعصم ألسنتهم من الخطأ ؛ فكان كل متأدب يتعلم النحو وكل مؤدب يعلّمه إلى ما يعلّم من الأدب . فغدا النحو من وسائل الأدب ، واختلط به . وكذلك علوم العربية الأخرى كلما وضع علم جعل من وسائل الأدب ووصل به . فاتصل بالأدب الصرف والنحو والعروض وفنون البلاغة وعلوم أخرى ، وسميت كلها علوم الأدب أو علم الأدب أو الأدب[2]

وأراد الباحثون في الأدب بهذا المعنى أن يحدوه حدًّا واضحاً يبين ما يدخل فيه وما يخرج عنه فعرفوه تعريفات متقاربة ؛ منها :

١ — علم يُحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظاً وخطًّا

٢ — علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة

٣— حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف

وحصروا العلوم التي تدخل في هذه التعريفات فجعلوا علوم الأدب ثمانية ، ثم زادوها إلى اثني عشر ، عدّها ابن الأنباري في طبقات الأدباء ثمانية : اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والعروض والقوافي ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم . ثم قال : « وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما وهما علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو الخ »

وقسمها الشريف الجرجاني تقسيماً منطقيًّا إلى اثني عشر :

قال في مقدمة شرح المفتاح : « إن علم العربية المسمى بعلم الأدب علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابة . وينقسم — على ما صرحوا به — اثني عشر قسماً ؛ منها أصول هي العمدة في ذلك الاحتراز ومنها فروع »

ثم بين أن الأصول هي : اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان (والبديع تابع لها) والعروض والقافية

وأن الفروع هي : الخط ، وقرض الشعر ، وإنشاء النثر ، والمحاضرات (ومنه التاريخ)[1]

وقال ابن خلدون في فصل علم الأدب من المقدمة :

وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه . وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه

---

(١) وهذه أمثلة مرتبة على التاريخ :

١ — الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع المتوفى سنة ١٤٢

٢ — باب الأدب في كتاب البخاري المتوفى سنة ٢٥٦

٣ — أدب القاضي للامام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢

٤ — أدب القراءة لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦

٥ — باب الأدب في ديوان الحماسة لأبي تمام المتوفى سنة ٢٣١

٦ — أدب النفس لأبي العباس السرخسي المتوفي سنة ٢٨٦ ، ألفه للمعتضد بالله العباسي

٧ — أدب النديم لكشاجم الشاعر المتوفى سنة ٣٥٠

٨ — أدب الدنيا والدين للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠

٩ — آداب الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٤٤٥

(٢) ومن شواهد هذا أن ابن الأنباري في كتابه « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » ترجم النحويين والأدباء معا . . وقال في ترجمة هشام بن محمد الكلبي :

« وأما هشام بن محمد بن السائب الكلبي فإنه كان عالما بالنسب وهو أحد علوم الأدب ؛ فلهذا ذكرناه في جملة الأدباء »

وقال ياقوت في مقدمة معجم الأدباء :

« وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والأخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف في الأدب تصنيفا أو جمع في فنه تأليفا »

وألف أبو يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ كتابه « مفتاح العلوم » وقال في مقدمته : « وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام : القسم الأول في علم الصرف ، القسم الثاني في علم النحو ، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان » وعد هذه العلوم من الأدب إذ قال في المقدمة نفسها : « وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون (نوع اللغة) ما رأيته لا بد منه وهي عدة أنواع متآخذة » ثم بين أن علم الاشتقاق تمام الصرف وأن المعاني والبيان يحتاجان إلى العروض والقافية

(١) بين الجرجاني طريقة التقسيم في قوله :

« أما الأصول فالبحث فيها إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها فعلم اللغة ، أو من حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف ، أو من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية فعلم الاشتقاق . وإما عن المركبات على الاطلاق فأما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو ، أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى فعلم المعاني ، أو باعتبار كيفية تلك الافادة في مراتب الوضوح فعلم البيان . وإما عن المركبات الموزونة فأما من حيث وزنها فعلم العروض ، أو من حيث أواخر أبياتها فعلم القافية

« وأما الفروع فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط ، أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر ، أو منثور فعلم إنشاء النثر من الخطب والرسائل ، أو لا يختص بشيء منها فعلم المحاضرات ومنه التاريخ »

وقد أثر تعميم « الآداب » وإطلاقها على معارف أخرى في قول الحسن ابن سهل :

« الآداب عشرة : فثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن . فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج . وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية . وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس . وأما الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس [1] »

وجاء في إحدى رسائل الجاحظ : « إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة ذكروا أن أصول الآداب التي يتفرع منها العلم لذوي الألباب أربعة : فمنها النجوم وأبراجها وحسابها ، ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير ، ومنها الكيمياء والطب وما يتشعب من ذلك ، ومنها اللحون ومعرفة أجزائها ومخارجها وأوزانها »

وجاء في رسالة إخوان الصفاء :

« إعلم يا أخي أن العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس منها الرياضة ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفة الحقيقية .

فالرياضة هي علم الآداب التي وضع أكثرها بطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهي تسعة أنواع : أولها علم الكتابة والقراءة ؛ ومنها علم اللغة والنحو ، ومنها علم الحساب والمعاملات ومنها علم الشعر والعروض ؛ ومنها علم الزجر والفأل وما يشاكله؛ ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما يشاكلها؛ ومنها علم الحرف والصنائع ؛ ومنها علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل ؛ ومنها علم السير والأخبار » [2] ففي كلام ابن سهل والجاحظ واخوان الصفاء علوم سميت آداباً وليست من علوم الأدب المصطلح عليها .

ويشعر بهذا التعميم قول الجرجاني في كتاب التعريفات :

« الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ »

وقد يسر هذا التعميم حاجة الأديب إلى سعة المعارف والأخذ من كل فن بطرف (كما قالوا) وكذلك أدّى إلى هذا التعميم تولى الكتاب من الأدباء الوزارة ودواوين الدولة وحاجتهم إلى معرفة كل ما تصرفه الدول من السياسات وما يتصل بأعمالها من المعارف. ومن شواهد هذا أن كتاب « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » ضمن خلاصة المعارف التي كانت في عصره .

ومؤلفو الأدب في عصرنا يقسمون الأدب قسمين : الأدب بالمعنى الخاص وهو الشعر والنثر ، والأدب بالمعنى العام وهو كل ما أدركته أمة من المعارف . فيقال مثلاً أدب العرب لما أثر عنهم من نظم ونثر . ويقال أدب العرب أو آداب العرب لكل ما أثر عن الأمة العربية من آداب وعلوم .

وإنما دعا مؤلفينا إلى هذا أنهم قابلوا بكلمة أدب الكلمة الأفرنجية Litterature وهي تدل على كل ما تسجله لغة في عصورها كلها أو بعضها وتحص أحياناً بما يسمى عندهم Belles lettres أي الكتابة الجميلة وهي الكلام البليغ من الشعر والنثر . فلما ترجم كتابنا Litterature في معناها الخاص بكلمة أدب ، وهي ترجمة صحيحة ، ترجموها في معناها العام بكلمة أدب ، وهي ترجمة تحمل الكلمة العربية أكثر مما شاع استعمالها فيه على مر العصور .

ولو استعملت كلمة « معارف » في هذا المعنى العام لكان أقرب إلى الوضع اللغوي وأبعد عن اللبس .

وكان من الترجمة عن اللغات الأوربية أيضاً أن سمينا « كلية الآداب » ترجمة للتسمية الفرنسية Faculté des lettres ويقابلها بالانكليزية Faculty of arts فأطلقنا الآداب على اللغات وآدابها والفلسفة والجغرافيا والتاريخ وجعلنا كلمة « آداب » مقابلة لكلمة علوم التي ترجمنا بها كلمة Sciences

عبد الوهاب عزام

(١) منقول من كتاب (في أصول الأدب) للأستاذ الزيات

(٢) زهر الآداب ج ١ ص ١٥٩

على الشاطئ الحبيب

«مهداة إلى الصديق الدكتور أحمد موسى»

للأستاذ محمود الخفيف

كَمْ تَوَقَّفْتُ عِنْدَ شَطِّكَ حِينا
فَمَلأْتَ الفُؤَادَ شِعْراً وَسِحْرا
تَتَمَلَّى العُيونُ مِنْكَ جبيناً
من جبين الصباح أسْطَعُ فَجْرا
أنتَ أشهى طَلاَقَةً وسُكُوناً
وانهلالاً وأنتَ أجملُ بِشرا

* * *

إنَّ هذا السكونَ يَغْمُرُ نفسى
من لِقلبِي برُقْيةٍ من سُكُونِكْ
مَنْ لروحى بِحُسْوَةِ المُتَحَسَّى
من صَفَاء تذيعُهُ فى فُتُونِكْ
ما لهذا الصَّفَاء يُغرِقُ حِسِّى
ما أراه إلا أرَقَّ لُحُونِكْ !

* * *

يَا شِرَاعاً لا تَنْثَنِي عَنْهُ عَيْنِي
كيف يَسْهُو عن سِحْرِهِ مَنْ يَرَاهْ؟
نَامَتْ الفُلْكُ فى سَلاَمٍ وَأمْن
وسَبَي النِّيلَ حُسْنُهَا وَازْدَهَاهْ
فَجلاَهَا لِلْعَيْنِ فِي صُورَتَيْنِ
يا لَحُسْن تَهَزُّنِي صُورَتَاهْ !
رَاعَنِي ظِلُّهُ وَيَارُبَّ لَحْنٍ
عَبْقَرِيّ يَرِقُّ عَنْهُ صَدَاهْ !
دَقَّ فى حُسْنِهِ فقَصَّرَ فَنِّى
وَبيَانِي وَفَاتَ جُهْدِي مَدَاهْ

* * *

مَنْظَرٌ تَرْكَنُ النُّفُوسُ إليْهِ
يَغرقُ الهمُّ فِي سَنَى رَيْعَانِهْ
يَهتِفُ القَلْبُ بالجَمالِ لَدَيْهِ

على شاطئ النيل (تصوير الدكتور أحمد موسى)

وَيَفِيضُ الشَّجِيُّ مِنْ تَحْنَانِهْ   لَمَحَاتُ الجَمالِ فِي إِبَّانِهْ
تَسْكُرُ الرُّوحُ إذ تَرِفُّ عَلَيْهِ   فَتَوَلّي ، فَرَاقَ فِي نَاظِرَيْهِ
بالسُّلاَفِ الشَّهِيِّ مِنْ لَمَعَانِهْ   مَا جَلاَهُ الخَيالُ بَعْدَ أوَانِهْ !
يَا لَعَانٍ تَنَازَعَتْ أصْغَرَيْهِ   كُلُّ حُسْنٍ يَرِفُّ فِي مُقْلَتَيْهِ

فَهْوَ مَا عَاشَ فِي قَرَارِ جَنَانِهْ
هَـكَذَا وَشْيُهُ وَسِحْرُ يديه
خَلَجَاتُ الجَمَالِ من وجْدَانه

* * *

قِفْ عَلَى الشَّطِّ سَاعَةً وَتَأمَّلْ
منظرَ النيلِ فِي سكونِ المَسَاء
اجْتَلِ الحسْنَ مِلْءَ عينيك وانْهَلْ
من صَفَاء يُنسِيكَ كُلَّ صَفَاء

* * *

إيه يا نيلُ كَمْ يطوف بِقَلْبِي
عِنْدَ مرآكَ من بَهِيِّ المَعَانِي
إن كبا الشِّعْرُ دونَهُنَّ فَحَسْبِي
أن أرانِي مُسَبِّحًا من بَيانى

* * *

إيه يا نيلُ كَمْ بَنَيْتَ حَيَاةً
وَصَحِبْتَ الزَّمَانَ فِي خَطرَاتك
قَدْ نَبَتْنَا على ثَرَاكَ نباتا
وطَعِمنَا الجَنِيَّ مِنْ ثمرَاتِكْ
لا تري الأرضُ ما حَلَلْتَ مواتا
إذ تسير الحياةُ فى خُطُوَاتك
أنتَ أجريْتَهُ شَهِيًّا فُرَاتَا
كُلُّ حَيٍّ أنفَاسُهُ مِنْ فُرَاتِك !
يا أخا الدَّهْرِ كَمْ وَلَدْتَ بُنَاةً
مَنْ عَلَى الأرضِ سَابِقٌ لِبُنَاتِكْ؟
إن تكن قَدْ عَدِمْتَ حيناً رواةً
إن هذا الترابَ خَيْرُ رُوَاتِكْ
بِشْرُ واديك يقظَةً وَسُباتاً
أى شَيْءٍ أحلى له من سباتك ؟

الخفيف

أعلام الأدب

هومـــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

لزمت هوميروس أعواماً ثلاثة أدرسه وأترجه وألخصه فما ضقت به ، بل ازددت له حباً وبه إعجاباً . وكنت كلما تركته فترة أحسست شوقاً عجيباً إلى أدبه يجذبنى ويلح على فأعود إليه فيخيل إلى أنه قد شرع يغنى لى ويطلعنى على صور غريبة رائعة من فنه الجميل لم أكن قد ظفرت بها من قبل، فأكب عليه عوداً على بدء ، لأطوى الأحقاب الطويلة الماضية ، ولأجلس فى شرفة الزمان فأطل على أخيل وأجاممنون ونسطور وأجاكس وديوميدز وأوديسيوس فى جانب المسرح ، وعلى بريام وباريس وأندروماك وهيلين فى الجانب الآخر ، وبينهما ذاك الضجيج وذاك النقع ، ومن حولها آلهة الأولمب يشتركون فى الوغى ينصرون أو يخذلون ما أجمل هوميروس !

لقد اختلف المؤرخون فيه اختلافاً شديداً ، لكن اختلافهم لا قيمة له مادامت الإلياذة والأوديسة ، وما دمنا لا نجد بداً من أن نعترف لهما بمؤلف استطاع أن يسجل شخصيته فى كلتيهما وأن يطبعهما بطابعه الخاص.. فلم لا يكون هذا المؤلف هوميروس ؟ وإن لم يكن هو مؤلفهما فماذا يضير الأدب إذا سمينا هذا المؤلف هوميروس ؟ وهؤلاء المؤرخون الذين ينكرونه بغير حجة ولا برهان إلا أنهم يستكثرون على عقل بشرى واحد هذا الإنتاج الضخم والمحصول الكبير الذى يكوّن أدب أمة ، والذى نهل منه شعراؤها وشعراء الأمم الأخرى فى كل زمان ومكان ، وما يزالون ينهلون .. هؤلاء المنكرون لهوميروس لم لا يصدقون هيرودوتس الذى هو أبو التاريخ والذى ذكر أن بينه وبين هوميروس أربعمائة سنة ؟

ألا يكون التواتر صحيحاً فى أربعة قرون ويكون صحيحاً فى عشراتها ؟ إن تاريخ هيرودوتس هو أصدق ما وصلنا من التاريخ القديم ، وقد ذكر لنا هوميروس وذكر ملحمتيه ، بل حدد يوم وفاته ، وقد سمع المنشدين فى كل فج من اليونان يرددون بالتواتر أغاريده من الإلياذة ومن الأوديسة ومن غير الأنياذة والأوديسة ، وكان هيرودوتس خبيراً بأدب بلاده وبتاريخ هذا الأدب ، وكان يعرف أن الإلياذة والأوديسة لم تكونا معروفتين بحالها الذى تواتره الناس عن هوميروس ، قبل هوميروس ... حقاً لقد كانت الأساطير التى حشدها هوميروس فى ملحمتيه معروفة قبله بأجيال ، لكنه كان أول من نظمها فى هذا العقد الجميل الرائع الذى قبس منه إسخيلوس وسوفوكلس ، والذى حام حوله يوربيدز ، والذى ظل مورداً لجميع شعراء الكلاسيك من غير استثناء

لقد كتب هيرودوتس تاريخه فى زمن استقرار الحضارة اليونانية ونضوجها ... ونحن نلمح فى تاريخه روح النقد والتمحيص ، والبحث والتحقيق ، فهو إذا روى لم يثبت إلا ما يراه متفقاً عليه من الناس ، فإذا رآهم يتفقون على شىء لا يطمئن إليه ضميره لم يبال أن يقول بعد إثبات ما اتفقوا عليه : أما رأيى فهو كيت ، أو أنا أعتقد كذا ... ولم يكن يبالى كذلك أن يدلى برأيه فى الآلهة ، فقد صرح أنه لا يدرى من أين نشأوا ، وأن شيئاً عن ذواتهم لم يكن معروفاً إلى زمنه ... وذهب إلى أبعد من هذا فقرر أنهم جميعاً من صنع هوميروس وهسيود اللذين وضعا للإغريق ذلك الثبت الطويل من الآلهة وأنصاف الآلهة ثم راحا يوزعان عليهم ذلك الاختصاص العجيب من مقاليد البر والبحر والأفلاك والهواء والنور والظلمة والحكمة والفنون ... وقد رفض ما ذهب إليه الشعراء من أن هذا التوزيع وذاك اللاهوت بطقوسه التى تعارفها الناس كانا موجودين قبل هوميروس وهسيود ... وأكد أن الميثولوجيا اليونانية كلها لم تعرف إلا بعدهما ...

وإذا كان هيرودوتس قد ولد سنة ٤٨٤ قبل الميلاد ، فليس يبعد أن يكون هوميروس قد ولد سنة ٨٨٤ أو حوالى ذلك ... أو أنه قد عاش بالفعل فى القرنين التاسع والثامن ... أما ما قيل غير ذلك فلم تقم على إثباته حجة ، ولم يؤيده برهان

وتتنازع فخر مولده مدائن شتى. على أن الذى حققه المؤرخون ويؤيده ما جاء فى ترتيلة أبولو أنه من مدينة خيوس الواقعة فى الشاطئ الشرقى من الجزيرة المسماة باسمها والقريبة من مدينة أزمير ، وهو لهذا إيونيوى (من إيونيا) بدليل أن أقدم نسختين من الإلياذة والأوديسة مكتوبتان بلغة إيونيا

ويختلف المؤرخون فى اسمه وفى معناه ، فيذكرون له أسماء معقدة لا داعى لذكرها هنا ... ثم يفسرون اسمه فيقولون إنه يعنى (أعمى) وإلى ذلك ذهب هيرودوتس وهو يعلل ذلك بأن الاسم (هوميروس) مركب من هو — مى — أورون — ومعناها : الرجل الأعمى . ويتعصب هيرودوتس لهذا التأويل بالرغم من وجود تفاسير أخر قد تكون أقرب إلى المعقول من تفسيره هو ... ذلك أن بعض القدماء يقولون : إن كلمة هوميروس قد تكون مشتقة من (هوميريدا) . وهى اسم لإحدى العشائر التى كانت تقطن جزيرة خيوس آنفة الذكر ، وقد قطنوها برغمهم لأنهم كانوا أسرى حرب (رهائن) نفوا إلى تلك الجهة . وذلك بدليل أن كلمة هوميروس نفسها تحمل معنى أسير تحت الفدية أى رهينة حرب

ولم يضمن هوميروس إحدى ملحمتيه الخالدتين اسمه كما صنع هسيود فى منظومته العظيمة (ميلاد الآلهة وتناسلهم) Theogony فقد ذكر فى مقدمتها اسمه الصريح . ثم ذكر فى قصيدته الأخرى (الأرجا Erga) كيف هاجر من كيمى إلى أسكرا ، وكثيراً من حياته الخاصة وحياة أهله . ولو قد صنع هوميروس مثل هذا ، أو شيئاً من هذا لما وقع المؤرخون فى هذا الخلط الكثير عن شخصه وعن زمانه وعن حقيقته .

ولم يشر قط إلى السبب الذى ذهب ببصره ؛ ويؤكد المؤرخون أنه قضى شطراً عظيماً من عمره بصيراً سليم العينين بحيث استطاع أن يقرأ ويكتب ويسجل كثيراً مما نظم . ويذهب بعضهم إلى أنه بدأ نظم ملحمتيه — أو إحداهما — وهو بصير معافى

وكل ما جاء فى ذلك لا يعدو إشارة طارئة فى آخر ترتيلة أبولو يخاطب فيها العذارى اللائى كن يصغين إلى إنشاده : « إذا سألهن أيما ظاعن أى المنشدين أحب إليهن وآثر إلى قلوبهن أن يجبن على الفور إنه رجل أعمى من قطان خيوس الجبوب المزاء[1] وإن أغانيه سيخلدن آخر الزمان ! »

وحتى هذه الفقرة لم تسلم من تشكك المؤرخين فى قائلها ، هل هو راوية هوميروس ، أو هو هوميروس نفسه !

هذا ولقد كان للاغريق أدبهم وأشعارهم وأغانيهم وموسيقاهم قبل هوميروس . وليس معقولاً أن هوميروس هو الذى بدأ ذلك جميعاً ، لأن ذلك الكمال أو ما يقرب من الكمال الذى جاء فى ملحمتيه لا يمكن أن يأتى طفرة ... وإذا صدقنا هيرودوتس يكون هوميروس صاحب فضلين عظيمين على سكان هيلاس — اليونان — كافة ... فهو الذى صنع آلهتهم وأنشأ بذلك لاهوتهم الوثنى العجيب ، ووزع ما فى الحياتين الأولى والآخرة على هذه الآلهة وتلكم الأرباب ... ثم هو الذى بدأ نظم الملاحم الطوال ودبجها هذا التدبيج المتألق البراق ، مستغلاً أساطيرهم القديمة ، وذلك الفوكلور الساذج الذى يفيض به تاريخهم القديم

والثابت أن هوميروس لم ينظم الإلياذة والأوديسة للقراءة والاستمتاع الأدبى ، بل هو قد نظمهما للتلاوة والإنشاد فى المحافل ومجامع السمر ، إذ كان من دأب دويلات بحر إيجه استدعاء الشعراء والمنشدين والمغنين لإحياء أفراحهم وبعث المرح فى حفلاتهم . وقد حفظ لنا الأثر أسماء أورفيوس وميوزيوس ولينوس وغيرهم من شعراء عصر البطولة ومنشديه وموسيقييه . الذين سبقوا هوميروس إلى نظم الخرافات وقرض الأساطير ، متأثرين فى ذلك بقصص الشعوب السامية فى مصر والشام وأساطير الفرس والبابليين . ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من آثار هؤلاء الشعراء ، اللهم إلا نتفاً مما كان يستشهد به اللغويون ومؤلفو المراجع للتدليل على صحة كلمة أو سلامة استعمال ، وهو شىء يسير ليس فيه غناء

وقد سهلت اللغة اليونانية القديمة على شعرائها الكلاسيكيين عملهم ، وجعلت نظم الملاحم الطوال من أيسر الأعمال الأدبية وأهونها عليهم ... ذلك أنها لغة واسعة شاسعة استوعبت لهجات كثيرة لمختلف القبائل والبطون والأفخاذ الضاربة فى شطئان البحر الإيجى ، وقد تهيأ لها بذلك ما تهيأ للسان قريش من كثرة المترادفات وليونة التعبيرات وتعددها

ولم يكن نظم الملاحم للتلاوة يستدعى فنية الأسلوب أو صقله بحيث يحتاج مجهوداً أو يلتفت فيه الناظم إلى ما يلتفت إليه شعراؤنا من التهذيب والتطرية البيانية والزخرف الصناعى ... وقد يحسب قارئ أدبهم أنه من عبث أطفال كما قال قدماء المصريين مرة لصولون ... وقد كان المصريون معذورين فى قولهم هذا ، فلقد كانوا يعنون بالجد الصارم من أمور الحياة أكثر مما كانوا يلتفتون إلى هذا القريض الطويل الشعبى يهرف به الشعراء والمغنون .

والحق أن روح الطفولة شائعة فى ملاحم اليونان كلها .

(١) الجبوب من الأرض الصلبة الغليظة والمزاء كثيرة الحجارة السود

ولم تظهر العناية القليلة بالأسلوب إلا فى شعراء الدرامة ، ثم فى شعراء الأسكندرية بعد ذلك . وهذه الروح واضحة فى هوميروس وضوحا شديدا ، فهو لا يعنى إلا بالحادثة ، وكثيرا ما يتحاشى (الرتوش) والتهاويل المملة والزخارف اللغوية التى لا تهيأ إلا فى الأثر الأدبى الذى يؤلف للقراءة لا للإنشاد أو للتمثيل . وهو لهذا يحصر انتباه سامعيه فى صميم القصة ، وقل أن يشرد بهم خارجها كما يصنع شعراء الرومانتيك . وقل كذلك أن يستعمل الأصباغ لتطرية بيانه كيما يسترفيه ضعفاً أو يعوض السامع بفخامة العبارة تفاهة الموضوع . فهو دائماً يلتزم الروح ولا يلتفت إلى دمام [1] الجسم إلا بقدر ، وإلا فى حدود النظم الذى أخذ به نفسه فى الملحمة .

وفى ذلك يقول الأستاذ بورا : « إنه يكتب — أو ينظم — لكل الناس وليس لطبقة بعينها من الناس »

وقد ساعد هوميروس تقلبه فى البلاد فى هضم اللهجات المختلفة فى الأصقاع المتدانية اليوم — المتنائية يومئذ - التى زارها . ونحسب أنه من أجل ذلك تنازعت فخر مولده هـذه المدائن السبع التى فعلت ذلك ، فقد كان يقيم حقبة بكل منها فينشد إلياذته — ولما يكن قد نظم الأوديسة — وينشيها بلهجة الجهة التى هو مقيم فيها فيتقن إنشادها بهذه اللهجة إتقاناً لا يدع أثارة من الشك فى أنه من أهلها ... وهنا ملاحظة طريفة انتبه إليها كل من برتون راسكو الأديب الناقد الأمريكى وجلبرت مورى — المؤرخ الثقة فى الأدب اليونانى — ذلك أنه لا بد أن يكون هوميروس قد نظم الإلياذة مرتين .. تُتلى إحداهما فى بلدان الشاطئ الأسيوى وفيها يُغلّب أبطال طروادة على أبطال هيلاس .. وتُتلى الأخرى فى بلدان هيلاس ، وفيها يُغلّب أبطال هيلاس على أبطال طروادة ويُظفرهم بهم . . . وبغير هذا لم يكن يستطيع أن ينشد إلياذةً واحدة فى كلا الشاطئين . ولو صح أنه فعل لثار به الأهون بفعل العصبية ولمزقوه إرْباً . . . لأنه كيف يترك أخيلا مثلاً يقتل هكتور وهو ينشد هذا الشعر لأحلاف هكتور وأهله . . . وكيف يسيغ أن يترك هكتور يقتل أخيلا إذا كان الإنشاد بملأ من مواطنى أخيل ؟

• غير أن هذه الملاحظة ما تزال تفتقر إلى ما يثبتها ، لأن الإلياذة التى بأيدينا هى التى كانت تنشد وتغنى فى هيلاس

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

(١) الدمام : التواليت

لو كان ... لكان ...

للشاعرة ايلا هويلر ولككس

بقلم السيدة الفاضلة « الزهرة »

إننا نكون فى الحالة التى نستطيع بلوغها فلا تقولوا :
لو لم يكن كيت وكيت ، لكان تحقق لنا هذا الأمر أو ذاك
فليس فى تصاريف الحوادث والحظوظ والعوارض ما يمكن
أن يثنيا عن النهج الذى اختارته لنا القدرة العلية
ولا يقدر على جلائل المدارك ومعالى الأمور إلا كل ذى همة
قعساء .
إننا نؤدى الأعمال التى نرغب فى أدائها ، ونقدر على إنجازها ،
فإيا كم أن تحلموا وتكتفوا بالأحلام ، فإن الفرصة تتخلى عن البطل
ولا تواتيه ، وإنما تغادره حزيناً غير متوج
وإنى لأعتقد أن جميع الناس تم عنهم ظواهرهم وتبدو سيماهم
على وجوههم ويعرفون من ثمارهم
والعمال الحق هو الذى يستطيع أن يعمل فى حزم ، وينفذ
فى جدّ ...
إننا نختار المراقى التى نستطيع تسلقها ، فلا تحدثونى عن
القواصف الهوجاء التى صدتكم عن تسنم الذروة
وأى نسر ضل سبيله عن المرتقى الذى كان يلتمسه ولم يدرك
المصعد الذى اتخذ إليه سمته ... ؟
حقاً إن الذى يزحم منكب الجوزاء فيتذرى الأوج دائماً ،
هو الذى يجد فى طلابه
ولشدّ ما أمقت هذه العبارة القائلة : « لو كان ... لكان »
فإنها خلو من كل حول وقوة ، متشوّهة لأجل حقائق الحياة
وإنى لأعتقد أننا ننال وندرك كل ما ينبغى أن يكون أجراً
لكدحنا وجزاء لجهادنا

(الزهرة)

بيني وبين نفسي

للأستاذ علي الطنطاوي

نظرت اليوم في سجل ميلادي، فوجدتني على أبواب الثلاثين فتركت عملي وجلست أفكر. ماذا بقي لي من هذه السنين الثلاثين يا أسفي! لم يبق إلا ذكريات واهية تحتويها بقية قلب تناثرت أشلاؤه على سفوح قاسيون في دمشق، ومسارب الأعظمية في بغداد، وغابات الصنوبر في لبنان... إي والله، وعلى طريق الأهرام في مصر، وضفاف (الشط) في البصرة، وحوائط النخيل في يثرب أشلاء من قلبي وأشلاء... فماذا أفدت من عمري الضائع وشبابي الآفل؟ لاشيء! لا مجد ولا مال ولا بنين. لم أفد إلا اسماً مشى في البلاد يحمل قسطه من المدح والذم، والتمجيد واللعن. ولكني كنت في معزل عن هذا كله فلم ينلني منه شيء. إن اسمي ليس مني. إنه مخلوق من حروف، ولكني إنسان من لحم ودم. فهل تشبعني الشهرة، أو يكسوني الثناء؟ ولم أملك إلا قلباً أحب كثيراً، وأخلص طويلاً، ولكنه سقط كليماً على عتبات الحب والإخلاص، ورأساً حشوته بما وجدت من العلوم والمعارف فأثقلته علومه عن التقدم، فاحتلت مكانه الرؤوس الخفيفة الفارغة...

فيا ليتني علمت من قبل أن الحياة مثل اللجة، يطفو فيها الفارغ ويرتفع، وينزل الممتلئ ويغوص

* * *

إني لأتصور الآن كيف كنت أنظر في طفولتي إلى أبناء الثلاثين، أولئك الشباب الكمّل الذين بلغوا قمة الحياة وعرفوا الاطمئنان والاستقرار، فأجد بيني وبينهم بوناً شاسعاً، وأرى أني لن أبلغ الثلاثين أبداً... ذلك لأن كل ما أعلمه أني ولدت وأنا ابن أربع سنين. فأدخلت المدرسة. فكنت أعيش فيها سنة لأنجح في الامتحان، وأرتقي من صف إلى صف، وأستمتع بالعطلة. فلما أكملت دراستي العالية ولم يبق من مدرسة، ولم يبق امتحان وقفت فلم أتقدم، وفقدت غايتي فلم أعد أحس أني أعيش؛ ثم تلفتّ إلى الماضي أعيش بذكراه، فأصبحت كلما انقضى عليّ عام رجعت فيه سنة إلى الوراء، فأنا أصغر كلما كبرت، وأدنو من الطفولة كلما نأيت عنها. فمتى أبلغ الثلاثين، وأين أحط رحالي بعد هـذا السعي؟

* * *

وغشيت قلبي غاشية من غمّ، فأشعلت عوداً من الكبريت لأوقد دخينة، وكنت في ذهلة فسرت النار في العود ثم تأججت وتوقدت، وأنا أنظر إلى اللهيب جامد العين محدقاً في عالم بعيد النور حتى أحسست بحرارة النار في يدي، فانتبهت وألقيت العود، فإذا هو قد استحال إلى فحمة سوداء ضعيفة تطير مع النسيم... فقلت: هذه هي الحياة. إن الألم الذي أحسسته بلذع نفسي هذه العشية كلذع النار أصبعي، سينتهي بي إلى مثل هذا المصير. سأمضي كما مضى هذا العود، ولكني لا أخلّف ورائي شيئاً. لن أدع مالاً ولا جاهاً ولا عملاً، لأني اشتغلت واحترقت بالأدب..

ويا ليتني تفرغت بعد للأدب، ولم يستغرق حياتي الكدح للعيش... إني لم أعمل شيئاً. إن في رأسي وقلبي شيئاً كثيراً، ولكن قلمي مكسور، ودواتي جافة، ولساني مشدود بنسعة، فأنا لا أستطيع أن أقول...

عندي ألحان كثيرة، فأنا أحب أن أغني، ولكن الغناء يستحيل من الضيق إلى زفرات تخرج مقالات فيحسبها الناس ألحاني كلها، إلا أن ألحاني لا تزال في صدري لم يسمعها بشر. وماذا ينفعني أن يسمعها الناس فيطربوا ويصفقوا وأتفرد أنا بالخيبة والألم؟ إن الناس لا يألفون إلا الأغاني الفارغة المدوية، فلتبق أغاني العذبة في صدري، أسمعها وحدي من غير أن يتحرك بها لساني، لأن لساني مشغول بإلقاء الدرس!

كل ما أكتب زفرات متألم وإشارات أخرس، فهل يأتي اليوم الذي تنحسر فيه الزفرات عن الأغاني، والإشارات عن الألفاظ والمعاني...؟

* * *

على أن هذه الزفرات وهـذه الإشارات عزاء نفسي، فكم لهذه (الرسالة) من فضل عليّ، وكم من الفضل لهؤلاء الأدباء الذين يستطيعون أن ينقلوني من دنياي هذي الضيقة، إلى دنيا واسعة تطير روحي في أجوائها حرة طليقة! فهل يدري الزيات،

أو هل يدرى معروف الآرناؤوط ، أنى طالما أحييت الليالى الطويلة فى فرتر ورفائيل وسيد قريش وعمر بن الخطاب ، وأنى طالما لجأت إليها أقرع بابها وأتوارى وراء سورها فى جنان سحرية لا أستطيع أن أصفها بأكثر من إعلان العجز عن وصفها ؟ فأى عالم فى رأس معروف ، وأى دنيا فى صدره ؟ وأى نبل وسمو فى هذه اللغة ، لغة معروف ولغة الزيات ولغة الرافعى هذه التى تتيه بجواهرها ولآلئها على حين تمشى لغات كتاب العصر بأسمالها البالية ومزقها المخرَّقة ... لغة فخمة تشعرك بالسيادة والعظمة ، لا كهذه اللغات الهزيلة العارية ...

وكم من الفضل لهيكل علىَّ ، فلقد سلخت فى قراءة كتابه (منزل الوحى) أياماً كنت أعيش فيها فى عهد النبوة ، ولقد مررت بهذه البقاع التى يصفها ، وأثارت فى نفسى عوالم من الذكريات والآمال والخواطر ، فإذا أنا أجدها كلها وأجد أكثر منها فى كتاب هيكل ...

هذه هى الواحات التى لقيتها فى صحراء حياتى ، فى سفر ثلاثين سنة ، فلولا عالم لامرتين أنفذ إليه من خلال نفس الزيات ولغته البارعة ، وأسلوبه السماوى الذى أسمع غناء كلماته وهتافها فى كل جملة ، حتى كأن كل كلمة يقرنها الزيات بأختها عروس تزف إلى بعلها؛ فأنت حين تقرؤه أبداً فى عرس ، تشم عطره ، وتسمع غناءه ، وتحسُّ فى نفسك طربه . ولولا معروف وعبقريته ، ولولا هؤلاء المؤلفون الذين قبست منهم السعادة والاطمئنان ، كانت حياتى صحراء قاحلة ، وما كنت أطيق الحياة . أفليس أكبر المكافأة للكاتب أن يعيش على آثاره الناس ؟

* * *

يا رحمة الله على تلك الأيام . أيام كنت أغلق فيها بابى علىَّ . . . ثم أقبل على كتبى أجالس فيها العلماء والأدباء ، وأجد فى حديثهم الصامت لذة ومتاعاً . كنت أقرأ لأنى كنت أجهل الحياة ، فلما عرفتها لم أعد أطيق قراءة ولا بحثاً . ولماذا أقرأ ؟ ولماذا أتعلم ؟ ولماذا أكون فاضلاً والحياة حرب على أهل العلم والفضل ، والناس كالحياة لأنهم أبناؤها وتلاميذها

ألا يحيا الكاذب المنافق سعيداً موقراً ، ويموت الصادق الشريف فقيراً محتقراً ؟ ألا يصدق الناس الشيخ المشعوذ لأنه يدخل إلى نفوسهم من باب الدين ويكذبون العالم الفاضل ؟ أليس طريق الشعبذة وادعاء الكرامات والمخرقة على الناس بعلم أسرار الحروف، واستحضار المردة، واستخراج الجنّ من أجسام بنى آدم ، آثر عند عامة الناس من العلم الصحيح والأدب المحض ؟ ألا يتمتع هذا اللص بالثقة التى لا يحلم بها عالم متخصص أو باحث مدقق ، وتنهال على يده الأموال ، وتزدحم على يده الشفاه ؟ ألا يبلغ المنافق ذو الوجهين أعلى المراتب وأسماها ويبقى الصادق الشريف فى الحضيض ؟ ألا يركب الجاهل فى السيارة الفخمة ، ويسكن القصر العظيم ، ويحتل المرتبة العلمية العليا ، ويمشى العالم إلى بيته الحقير لا يدرى به أحد ؟

أليست أسواق الرذيلة عامرة دائرة ، وأسواق الفضيلة دائرة بائرة ؟

ألا يظفر الكاذب المفترى بالبرىء ؟ ألا يغلب القوى الضعيف؟ ألا ينتصر المال على العلم ؟

فلماذا أقرأ ؟ ولماذا أتعلم ؟ ولماذا أكون فاضلاً ؟

* * *

وقمت وقد صفيت حسابى مع الحياة ، فإذا أنا قد خسرت ثلاثين سنة هى زهرة عمري وربيع حياتى ولم أربح شيئاً . . .

على الطنطاوى

الأمــــل...

« إذا كانت الحياة وردة ،
فالأمل كأسها »

للأستاذ ابن عبد الملك

أجل يا صديق مُسِّيه : الله فى السماء والأمل فى الأرض! وبين رَوْح الله المؤاسى، ومَدد الرجاء الآسى ، تندمل الجفون القريحة، وتلتئم القلوب الجريحة، وتنتعش الجدود العاثرة

الكروان يموت فرخه فى المساء وفى الصباح يرقص ويصدح ، والشاة يُذبح حَمَلها فى الحظيرة وفى المروج تثغو وتمرح ، والقلب يُقطع من القلب ، والروح تُنزع من الروح ، ثم يعيش المحب بعد حبيبه ، والوالد بعد ولده ، كما يعيش النهر الناضب فى ارتقاب الفيضان ، والروض الذابل فى انتظار الربيع !

لله على الناس نعمتان لا يطيب بدونهما العيش ولا يُبلَغ إلا عليهما العمرُ : النسيان والأمل .

ماذا كان يصنع الأسى بالقلوب الوالهة إذا لم يمح النسيان من الذهن صورة الحبيب الراحل أو الهاجر؟ تأمل حالك يوم فجعك الموت فى عزيز عليك ، أما كنت تجد لهيب الحزن متصلاً يوقد صدرك من غير خُبُوّ ، ويذيب حشاك من غير هدنة ؟

تصور دوام هذه النار على نياط القلب وأعصاب الجسد ، ثم قدر فى نفسك الحياة على هذه الصورة . على أنها والحمد لله لا تدوم ؛ فإن الجبار الذى سلط الألم على الروح ، هو الرءوف الذى سلط الزمن على الألم . فالزمن لا ينفك يسحب الأيام والليالى على الصور والآثار حتى تنطمس المشابه، وتعفو الرسوم، ولا يبقى من المفقود إلا صورة لا تنطق ، ولا من الجرح إلا ندبة لا تحس

وماذا كان يفعل اليأس بالنفوس المكروبة إذا لم يفتح الأمل أمامها فرجة فى الأفق المطبق وفسحة من الغد المجهول ؟

يا ويلتا للفقير يعتقد أن فقره يدوم بدوام الحياة ، وللمريض يرى أن مرضه ينتهى بانتهاء الأجل ! ويا بؤسَ للحياة إذا لم يقل المأزوم والمحروم والعاجز : إذا كان فى اليوم قنوط ففى الغد رجاء ، وإذا لم تكن لى الأرض فستكون لى السماء !

ابن عبد الملك

على هامش الفلسفة

اختــــلاف الأفــكار والنظريات الأخلاقية

للأستاذ محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

قلنا فى الكلمة الأولى : إن الأخلاق تعتبر علما من العلوم إذ كانت تصل فى بحوثها إلى آراء وحقائق أخلاقية تبلغ من العموم وقبول الناس لها مبلغ الحقائق العلمية . ولكن هل توجد هذه الحقائق العامة للجميع ؟

مذهب الشك الأخلاقى ينكر وجود أمثال هذه الحقائق التى يقبلها الناس جميعاً : البيض والسود ، والحمر والصفر ؛ لأن القواعد الأخلاقية ليست إلا عادات وتقاليد تختلف باختلاف العصور والبيئات؛ وليس يعوزنا أن نجد لهذا الرأى سندا فى التاريخ. هـذا مونتانى Montagne الفيلسوف والأخلاقى الفرنسى المعروف ، بعد أن جمع كثيراً من الآراء والأحكام الأخلاقية ، يؤكد هذه النظرية بقوة حين يقول : لا يوجد شىء أكثر اختلافاً بين أمم العالم بأسرها من العادات والقوانين . كثيراً ما نجد أمراً ممقوتاً هنا ممدوحا بل موصى به هناك؛ فى إسبارطه كانوا يتمدحون المهارة فى الفن ويتواصون بها بينما ذلك كان محرما عنـد غيرهم ؛ وقتل الآباء المعمرين إشفاقاً عليهم من تحمل أعباء الحياة وتكاليفها نراه مباحا بل مأمورا به لدى بعض القبائل التى لا تزال فى دياجير الظلام ، وأخيرا لا يوجد أمر غير مرضى هنا إلا ويكون محموداً عند أمة أخرى[1] » .

وباسكال Pascal الفيلسوف الفرنسى الذائع الصيت استعاد بعض ما أتى به مونتانى من مثل وحجج ، وأتبع ذلك بفيض من فصاحته اللاذعة إذ يقول : « لا يوجد تقريباً شىء عادل أو غير عادل إلا ويغير من صفته تغير إقليمه ؛ ثلاث درجات فى الارتفاع إلى القطب تقلب رأسا على عقب كل ما عرف من عدالة . خط واحد من خطوط الزوال يتحكم فى الحقيقة والحكم الخلقى — الحق له أزمانه وبيئاته ، عدالة مضحكة هذه التى يحدها نهر ! حقيقة أمام جبال البرينيه Pyrenées خطأ وضلال وراءها[1] »

حقيقة أن التاريخ وعلم الاجتماع ليؤكدان أن القواعد اختلفت باختلاف العصور ، كما اختلفت وتختلف فى العصر الواحد بحسب البيئات . الرق كان نظاماً معروفاً لدى العبرانيين والمصريين القدماء والهنود والصينيين والعرب فى الجاهلية ، وإن اختلفوا شدة وليناً وقسوة ورحمة فى معاملة الأرقاء . كما كانت الجمعية الإنسانية فى المدينة الأغريقية — التى يفخر بها الأوربيون اليوم — تقوم على استرقاق فريق من المواطنين ؛ حتى إن أرسطو بجلالة قدره يبرره لاعتبارات مختلفة : منها أنه لا بد من العبيد ليتوفر الرجال الأحرار على الدراسات العقلية العالية . وأنه يوجد أناس بلغوا من السفالة والضعة أن يفهموا أنهم خلقوا للاستعباد . كما لم تمنعه الديانة المسيحية ولا الدين الإسلامى أيضاً ؛ وإن لم تنبه الشريعة الإسلامية كغيرها على أن من الناس من خلقوا للذل والهون ، ومن لا ترتفع بهم طبائعهم إلى مراقى الأحرار بل جعلت سببه أمراً واحداً : هو الكيد للاسلام ومحاربة الله ورسوله ، ثم تدور الدائرة عليه[2] .

هكذا كان الرق نظاماً معروفاً فى الأزمان الماضية ؛ أما فى أيامنا هذه فقد صار معتبراً من أشنع المظالم الإنسانية ، وغدا محرماً تحريماً باتاً .

لنترك الآن حق الحرية الشخصية وما كان فيه من اختلاف ، لنلق نظرة على حق الحرية الفكرية لنعلم مدى ما كان حظه من تقدير الناس واتفاقهم عليه كحق عام يجب أن يتمتع به الجميع .

فى العصور المتوسطة كان عدم التسامح الدينى لدى المسيحيين مبرراً لا نكير فيه . ما كان أكثر رجال الدين الأعلام الذين كانوا يؤكدون أن الحقيقة لها كل الحقوق ومن بينها اضطهاد الضالين — فى رأيهم طبعاً — بوساطة القوة ! وأية حقيقة هذه التى كانوا يتكلمون عنها ؟ إنها الحقيقة التى يعتقدونها ، أى حقيقة كنيستهم ؛ فالتعاليم التى تتعارض وتعاليم كنيستهم كلها ضلال ،

(١) Challaye : Philosophie Scientifique et philosophie morale ١٢ ، ١٤

(١) أفكار باسكال Pascal: Pensées Pascal

(٢) مما يرجع إليه فى هذا كتاب الرق فى الاسلام الذى ألفه بالفرنسية العلامة احمد شفيق باشا وعربه المغفور له احمد زكى باشا

كلها إلحاد ، كلها جرائم موجهة ضد الإرادة الإلهية فهي حرية بأشد العقاب . ها هو ذا سانت أوجستين Sant Augustin[1] مع رجاحة عقله وسمو فكره يوصي بالالتجاء للإكراه لهداية الضال حينما تعوز الحيلة ولا ينجح الإقناع[2]. وكذلك سانت توماس Sant Thomas (أبعد رجال الكنيسة الغربية ذكراً : ١٢٢٦ — ١٢٧٤) يقول في بعض ما كتب : إذا كان المزورون والمجرمون يعاقبون عدلاً بالإعدام ، فحري بنا أن يكون جزاء الهراطقة الخوارج عن الدين لا الحرمان الأبدي من الكنيسة فقط بل الموت الزؤام . وقد كان من أثر هذا التعصب المقوت ما يذكره تاريخ فرنسا من المذابح التي سالت فيها الدماء أنهاراً بين الكاثوليكيين ودعاة الإصلاح الذين اعتبروهم ملاحدة حرجوا على الدين .

ولسنا في حاجة لذكر ما كان من محاكم التفتيش في أسبانيا النصرانية، وما أنزلته بالأبرياء من عذاب لا لشيء إلا حداً من حرية الدين والفكر ، ولا لما كان من تعذيب بعض سادات قريش وغير قريش في الجاهلية لبعض الذين هداهم الله للإسلام ليعودوا مشركين. لسنا في حاجة لذكر هذا وأمثاله لنتبين كيف كانت عقلية الناس حتى كبار الأحلام في تلك الأيام ! أما في أيامنا هذه فيعتبر عدم التسامح سبة وجريمة أخلاقية مهما كان سببه ومأتاه. العقول الحرة تأباه وتجده مرذولاً ، وغالب رجال الأديان يمقتون الإكراه في سبيل نشر ما يعتقدون « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء. لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم »

على أننا نقول إن الأمر كاد في هـذه الناحية يعود قريباً من سيرته الأولى : أحداث تجدت وأفكار تتغير ، وأنماط في الحكم تستحدث في بعض دول أوربا تقيـد بل تلغي حريات الناس . فلا يفكرون إلا بقدر ، وعلى ما يهوى السادة الحكام !

ثم حقوق النساء ؛ أترى الناس كانوا فيها على اتفاق ؟ لا . إن التاريخ شاهد صدق على اختلاف الناس فيها اختلافاً كبيراً . كان الأثينيون — وهم من تعلم مدنية وحضارة في الأزمان الماضية — يرون المرأة سلعة تباع وتشترى ، وجعلوا مهمتها في الحياة تربية الأطفال وتنظيم البيوت . واليهود أباح بعض طوائفهم للأب بيع ابنته وهي قاصرة . وفي فرنسا قديماً بلغ من امتهان المرأة وهوانها عندهم أن عقد في بعض الولايات الفرنسية مؤتمر عام سنة ٥٨٦ م ، أخذوا يبحثون فيه حالة المرأة ومركزها في المجتمع ، وما إذا كانت تعد إنساناً أو غير إنسان ، وانتهى الأمر بتقرير أنها إنسان ؛ ولكن خلقت لتخدم الرجل ليس غير[1] ؛ ولا تنس ما كان من وأد بعض عرب الجاهلية بناتهم ، ومن اعتبار المرأة كالمتاع تورث عن أبيها وزوجها . والآن تغير هذا كله ، وأصبحت المرأة مساوية للرجل إلا في بعض حقوق يرى بعض الأمم من الصالح العام عدم منحهن إياها

وإذا كانت النظريات والآراء الأخلاقية تختلف في الأمة الواحدة باختلاف الزمن ، فهي كذلك مختلفة في الزمن الواحد باختلاف البيئات. بينما نرى في هذه الأيام الناس الذين هم على الفطرة كسود استراليا يعتقدون دينيًّا قدسية بعض أنواع من النبات والحيوان ، فيكون الموت جزاء من يجرؤ على أكل شيء منها[2] كما نرى البراهمة في الهند يقدسون البقرة ويعتبرون أكبر الجرائم قتلها أو الأكل من لحمها ، وتقوم بينهم وبين مواطنيهم المسلمين لهذا السبب المعارك الدامية — بينما نرى هذا وأمثاله كثيراً ، نرى كثيراً من سود إفريقيا يستحلون بل يفضلون أكل لحوم البشر من أعدائهم الذين يسقطون في ميدان الحرب ، أو عبيدهم الذين يعنون بتسمينهم ليكون منهم غذاء دسم شهي ، أو أقاربهم الذين نالت منهم السنون وعجزوا عن احتمال أعباء الحياة[3]

في مقابل هذا وذاك نجد بعض البوذيين الدينيين كرهبان الهند الصيني يعدون جريمة قتل أي كائن حي مهما كان ؛ ويصل الأمر بهم إلى ترشيح مياه الشرب حتى لا يبتلع أحدهم أثناء شربه أية حشرة حقيرة غير مرئية فيكون في ذلك موتها . أما نحن

(١) أسقف فرنسي يعتبر أشهر آباء الكنيسة اللاتينية (٣٥٤ — ٤٣٠)
(٢) الكتاب السابق ذكره للأستاذ الرحالة : Challaye

(١) مما يرجع إليه في هذا كتاب : (مركز المرأة في الإسلام) للسيد الأمير علي الهندي
(٢) يرجع إلى كتاب Les formes élémentaire de la vie religieuse par Durkheim تأليف إميل ديركيم
(٣) الكونغو الفرنسي Challay : Le Congo-français

فنتخذ موقفاً وسطاً بين الفريقين احترام الحياة الذى يعده هؤلاء الرهبان حقاً مقدساً لكل حى لا نراه حقاً إلا للآدميين، ولا يعترف به أولئك المتوحشون إلا لعدد قليل كأسرة الشخص أو قبيلته أو أفراد قريته

كذلك الانتحار الذى يحرمه الدين الإسلامى وتنكره المدنية الأوربية الحالية، يعده اليابانيون تقليداً وطنياً طيباً، ويرونه واجباً فى كثير من الحالات؛ ينتحر اليابانى حين يرى أنه جُرد من شرفه أو عانى سقوطاً فاضحاً كبيراً، وينتحر احتجاجاً على ظلم ارتكب، أو نحو ذلك من العوامل الأخرى التى تجيزه فى رأيهم. ذكر الأستاذ شالِيِ Challaye فى كتاب له عن اليابان بعد رحلة إليها طائفة كبيرة من حوادث الانتحار وعوامله؛ منها: أن ضابطاً انتحر سنة ١٨٩١ ليلفت نظر الحكومة والرأى العام إلى تعدى الروسيا على بعض النواحى فى شمال اليابان، وأنه فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ انتحر أحد الضباط الكبار وزوجته أثناء سير جنازة الامبراطور إظهاراً لإخلاصهما له وعدم رغبتهما فى الحياة بعده[1]

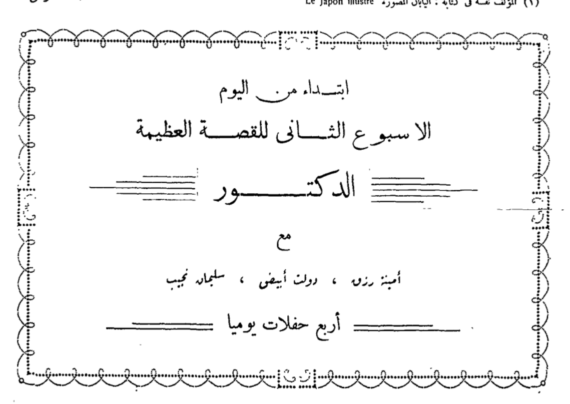
(١) المؤلف نفسه فى كتابه : اليابان المصورة Le Japon illustré

وحرمة مال الغير لم تكن دائماً حقاً مقدساً لكل إنسان. التاريخ يقفنا على أن الغارات على الآمنين من القبائل الأخرى كانت من أبواب الارتزاق لدى كثير من الأمم فى جاهليتها؛ واليهود كانوا يرون مال الغير — أى غير اليهود — حلالاً سائغاً لهم: « ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل »

من السهل مضاعفة هذه المثل والإتيان بغيرها مستمدة من حياتنا الحالية وتقاليدنا المختلفة فى الصعيد أو الوجه البحرى مثلاً من مصر، وخاصة فيما يتصل بالأفراح والمآتم وعادات أخذ الثأر والانتقام، مما يؤكد أن الآراء والأحكام الأخلاقية تتغير مع الزمن وتختلف مع الأوساط والبيئات

ولكن هل من الحق رغم تضافر هذه الشواهد كلها أن ننكر أن هناك حقائق أخلاقية عامة سايرت العُصُر وسادت فى جميع البيئات؟ بيان ذلك فى الكلمة الآتية إن شاء الله

محمد يوسف موسى



التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشـــا

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف

ساقت الأقدار ولاية العهد لإسماعيل فاستبشر الناس وارتقبوا عهد هذا الأمير الذى ذاع من صفاته فيهم ما حببه إليهم ، وكانوا قد علموا أنه من ذوى النباهة والحزم وبخاصة فى شؤون المال ! ولم يطل ترقب الناس ، فقد آل إليه الأمر عام ١٨٦٣ م

وراحت مصر تستقبل طوراً من أطوار تاريخها ، تحار أشد الحيرة ماذا تسميه وبأى الصفات تنعته . طوراً كان غريباً حقاً ، تترك غرابته العقول فى دهشة شديدة وتكلف من يريد الإنصاف فى ذزسه عسراً شديداً

ما برحت فرنسا وانجلترة تراقبان الحوادث فى وادى النيل ؛ أما فرنسا فكانت لا تنى تعمل على أن تزيد نفوذها الأدبى فى مصر ، ذلك النفوذ الذى وضعت أساسه حملتها فى هذه البلاد والذى ما فتئ يتزايد ويعظم فى عهد محمد على ، وها هو ذا فى عهد إسماعيل قد بلغ غايته حينما اتصل فى عهده البحران واستطاع ديلسبس أن يجرى بينهما تلك القناة التى سوف تغير مجرى تاريخ هذا الوادى .. وأما انجلترة فكانت على سياستها تحول دون ظهور قوة فى مصر ، وقد استراحت من محمد على وراحت اليوم تقف فى وجه حفيده وتحرص على أن يظل خاضعاً للخليفة ، ولما التقى البحران أصبح همها متجهاً إلى السيطرة على مصر لتسيطر على القناة

وكان شريف من رجال هذا الطور فى الصف الأول ولكن كان ذلك من الوجهة الرسمية فحسب ، فلقد لبث من عمره سنين لا تحس مصر شيئاً مما ظهر له من خطر فى أواخر ذلك العهد ...

شهدت مصر فى هذا الطور جلائل الأعمال ومظاهر الاستقلال ، كما شهدت عوامل البلى وعناصر الانحلال . شهدت يد التعمير تبعث الحياة والنشاط والقوة فى العاصمة وعلى صفحة الوادى ؛ وشهدت يد التخريب تهوى بمعولها فى غير هوادة أو رحمة فتزلزل البنيان وتقوض الأركان. شهدت العظمة الشامخة والثروة الباذخة وشهدت الذلة المستخذية والفقر المستكين ؛ شهدت نوازع الاستبداد وشهدت دوافع الحرية ؛ شهدت مواقف البطولة والصدق ؛ وشهدت مخازى الدس والبهتان ... شهدت مصر ذلك كله وشهدت زيادة عليه مثل ما تشهد الفريسة تجمعت عليها الذئاب وأوهنها طول الدفاع والجلاد

أراد اسماعيل أن يسبق عصره فيما يطلب من أوجه الكمال ، فلن يجمل بمصر وهو واليها أن تكون قطعة من أفريقيا ، ولا أن تكون جزءاً من تركيا ، ولن يهدأ له بال حتى تنتسب مصر إلى أوروبا ، وحتى تحطم الأصفاد وتطرح عن عنقها نير الاستعباد

لم يمض من عهد هذا الأمير الفذ اثنا عشر عاماً حتى عمر مصر فيض من الإصلاح ، وتهيأ لها من أسباب الرقى ما لم يكن ليتهيأ مثله فى أقل من قرن إذا سارت الأمور سيرها العادى ... ففى تلك الفترة الوجيزة وصل بين البحرين وشقت الترع الطويلة تحمل إلى أنحاء الوادى من مياه النهر وغرينه ما يدرأ عنها رمال الصحراء. ومدت سكك الحديد وأسلاك البرق ، ونظم البريد ومهدت السبل وعقدت الجسور ، وأصلحت الموانى وأقيمت المنائر ، وشيدت المصانع وافتتحت دور العلم للبنين والبنات وعنى بالمتحف

وفى تلك الفترة تقلص نفوذ السلطان ، وأحاطت بوالى مصر مظاهر السيادة فلقب بالخديو وسمح له بمنح الألقاب ، وأطلقت

يده فأصلح القضاء، وأدخل على النظام الإدارى كثيراً من الإصلاح وفى تلك الفترة سارت القاهرة تستبدل حياة بحياة ، ومظهراً بمظهر ، فتتخلص ما وسعها الجهد من أفريقيا ولا تنى تقترب من أوروبا ، وراح الخديو العظيم ينشر فيها من مظاهر همته ما جعل أعماله فى هذا المضمار من عجائب القرن التاسع عشر ، وما برحت القاهرة طول عهده عاصة « بالمونة والأحجار » تلك التى كانت هوى الخديو ومسرة فؤاده

ولكن اسماعيل وا أسفاه أنفق فى سبيل ذلك المجد ما زاد على خمسين مليوناً من الجنيهات لم يكن لديه منها شىء يذكر ... ولذلك لم يلبث أن رأى مصر التى أراد أن تكون قطعة من أوربا تساق على رغمه لأن تكون ملكاً لأوربا ! فمن أوربا استدانت تلك الملايين ؛ ولما عجزت عن دفع دينها كانت رهينة لذلك الدين .

أين كان شريف حين أخذت مصر فى سياسة الاستدانة ؟ وكيف فاته وهو الأريب الحاذق ما كانت تبيت انجلترة من غدر لاقتناص مصر ؟ أو لم ير أنها كانت تقيم من أموالها حول الوالى شباكاً أحكمت نسجها يد المكر ، وبالغت فى سترها الرؤوس الماهرة والقلوب الغادرة ؟

كان شريف ناظراً للخارجية كما سلف أن ذكرنا . فلما تم لإسماعيل الأمر أضاف إليه نظارة الداخلية ، فهو يعرف شريفا معرفة خبرة ووثوق إذ كان له زميلا فى الدراسة ؛ وبقى شريف يدير المنصبين متمتعا بثقة إسماعيل وعطفه ، خليقا بما نال منه من تكريم ، وأى تكريم . كان أعظم يومئذ من أن يقيمه الوالى نائبا عنه حينما رحل إلى الآستانة عام ١٨٦٥ وما كان إسماعيل ليفعل ذلك لولا أنه كان يرى شريفا أكثر الناس ولاء له

على أن شريفا لم يك يملك غير النصح فى عصر كذلك العصر وتلقاء رجل كإسماعيل تناهى إليه السلطان والبأس حتى ليستنكف أن يذعن للخليفة ، فيسعى ما وسعه السعى لتطلق يده فى شؤون مصر كلها وبخاصة فى عقد القروض

ولكن هل نصح شريف لاسماعيل كما كان خليقا أن يفعل ؟ لو أنه فعل ذلك لجاء ذكره فيما جاء من أخبار ذلك العهد الذى كثرت فيه الأقوال . ومهما يكن من الأمر فقد ظل شريف فيما اختير له من المناصب لا يعارض ولا يغضب فيستقيل ... وتلك مسألة أخرى نعدها على شريف ونأخذه بها ...

بيد أننا من جهة أخرى نعود فنذكر أن مبدأ المسئولية الوزارية لم يكن قد قام فى مصر بعد؛ فإسماعيل هو وحده المسؤول عن حكم مصر وسياسة مصر ، وما على نظاره إلا أن ينفذوا ما يأمرهم به دون أن يكون لهم فيه رأى أو تكون عليهم من جرائه تبعة ؛ ولم يك ثمة فرق بين جيب إسماعيل وخزينة مصر ، ولذلك كانت سلطته المالية أعظم من سلطته الإدارية إن صح أن كان بين السلطتين تفاوت ...

هذا كله حق لا سبيل إلى إنكاره، ومن أجله يخف وزر شريف وتقل ملامته ، ولكنه لن يعفى من ذلك الوزر إلا أن نميل فنتحير أو أن نذكر بعض ما بذله شريف من جهود جبارة فيما بعد فى مقاومة نفوذ اسماعيل ومحاربة طغيان الأجانب فيحملنا ذلك على تناسى موقفه فى تلك الفترة التى غلب على طبعه فيها الهدوء والرضى ... على أننا لا نسيغ هذا ولا تطاوعنا النفس على ذلك .

والواقع أن هذه الفترة من حياة شريف فترة سكون لا يتفق وما جبلت عليه نفسه من شجاعة شهد له بها حتى خصومه ، فهل كان مرد ذلك إلى ما كان من إذعان مصر نفسها واستسلامها ؟

يخيل إلى أن ذلك أقرب إلى الصواب . فلقد كان الرأى العام فى ذلك الوقت أعنى مدى الاثنى عشر عاماً الأولى من حكم إسماعيل لا يزال فى مرحلة تكوينه ، ولذلك لم يكن للشعب نفوذ إلى جانب نفوذ إسماعيل وجاهه ، فمجلس شورى النواب الذى أنشأه الوالى والذى أولاه شريف حظاً كبيراً من عنايته ونشاطه ، كان لا يملك حق محاسبة الحكومة ؛ وكانت البلاد محرومة من الصحافة الوطنية، خالية من الأحزاب السياسية ؛ وكان المتعلمون من المصريين منصرفين إلى المناصب الحكومية يتقدمون بالزلفى إلى إسماعيل وحكومته . ولقد أدى الانتخاب لمجلس الشورى إلى حرمان المجلس من هذا المنصر لو أنهم أرادوا أن يتجهوا إليه ...

وعلى ذلك فلو أن شريفاً تحرك حركة قومية فى ذلك الوقت لما هزت حركته النفوس ، كما راحت تهزها حركاته فيما بعد حين أفاق الرأى العام على تدخل الأجانب فى شئون مصر ، وحين ظهرت فيه عناصر لم تكن موجودة من قبل ، كدعوة جمال الدين التى أومضت فى ظلمات ذلك العصر ، وكظهور الصحافة واهتمام المتعلمين بقضية البلاد المالية ، وغير ذلك من أسباب البعث والنهوض ...

عندئذ آن لشريف أن يخطو ، فكأنما كان قبل خطواته الوطنية فى مرحلة الإرهاص ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الزعماء من قبله ومن بعده . وما أعظم الشبه فى ذلك بين سعد وشريف ! فهذا سعد جبار هذا الوادى وزعيم أبطاله ومفخرة أجياله ، ظل فى الفترة الأولى من حياته ساكناً لولا ما كان من آثار قلمه

ونفثات روحه . فلما سارت الحوادث سيرها ، وتهيأت البلاد لانتفاضة تنفس عنها بعض ما بها تلفتت القلوب ودارت الأعين فلم تستقر إلا عليه كأنما ألهمت ذلك إلهاماً ! ... وإنك لترى من أوجه الشبه غير هذا كثيراً بين سعد وشريف فيما نقص من سيرته

كان لا بد للمسألة المالية أن تنتهي إلى ما انتهت إليه من تدخل الأجانب في شؤون مصر الداخلية ، ولكن هذا التدخل لم يكن شراً كله كما اعتاد المؤرخون أن يصوروه ، وحسبنا مما انطوى عليه من عناصر الخير أن قد استيقظت على ضجيجه وصخبه مصر ، فانبعثت القومية المصرية ومضت تنفض مصر عن كاهلها غبار القرون على صورة أروع وأقوى مما تبدى في ثورتها على نابليون وكليبر ، ومما ظهر من آمالها ومشيئتها يوم ذهب أبناؤها وعلى رأسهم عمر مكرم والشرقاوي يلبسون محمد على الكرك والقفطان دون أن يرجعوا فيما فعلوا إلى السلطان ...

تراكمت الديون على مصر حتى أنها لم تكن تقل عن تسعين مليوناً من الجنيهات في عام ١٨٧٥ م . فمن ديون سائرة كانت في ذاتها أبلغ ما نال الخديو من معاني الغبن ، إلى ديون ثابتة فيها أوضح معاني الشره وأقبحها من جانب الدائنين ، إلى قروض داخلية لجأ إليها « المفتش » ذلك الذي قام على شؤون مصر المالية ، فكان في ذاته عبئاً فوق أثقالها التي ناءت بها ، ومن تلك القروض الدالة على شدة الارتباك والخلل دينا المقابلة والرزنامة ...

عندئذ تحركت انجلترا نحو هدفها ، وكانت أولى حركاتها في هذا المضمار شراء نصيب مصر من أسهم القناة ، اشتراه دزرائيلي رئيس وزرائها بثمن بخس ! ولم يرده عن ذلك عطلة البرلمان يومئذ . وكيف يفوت دزرائيلي وهو الذي يعرف الفرص ويعرف كيف يقتنصها، كيف يفوت ذلك الداهية أمر كهذا الأمر يجعل مركز بلاده في القناة كمركز فرنسا أو أعظم ، ويصحح خطأ وقعت فيه انجلترة ألا وهو استهانتها بالمشروع أول الأمر ظناً منها أنه لن يتم، ثم تراخيها عن شراء الأسهم بعد ذلك رغبة في إحباطه

ولكن مصر بعد بيع أسهمها لا تزال في حاجة إلى المال لتدفع به بعض ما جره عليها المال من وبال . وأنى لها المال بعد ذلك كله ؟ وأية دولة تمد إليها يدها ؟ إذاً فلتفكر مصر في الاصلاح ثم فلتفكر انجلترة في اصطياد الفريسة !

طلب الخديو موظفاً انجليزياً يدرس لها شؤون مالها ويصلح ما يراه من أوجه الخلل ؛ فتلكأت انجلترة لأنها عن دهاء وجشع تحب أن تتدخل ولكنها لا تحب أن تفتح أعين غيرها

وجاء الموظف ولكنه زود من جانب حكومته بأوامر ، فعليه أن يدرس وعليه فوق ذلك أن يحقق ويدقق ثم يرفع تقريراً عما رأى ! وما لهذا أراده إسماعيل فما كان يريد والي مصر إلا أن يكون هذا الموظف معيناً له في إصلاح مالية البلاد

ورفع « كيف » التقرير إلى حكومته ! وجاء دور دزرائيلي فأعلن البرلمان الإنجليزي في غير تردد ولا استحياء أنه يرغب عن نشر التقرير لأن الخديو رجاه في ذلك . ولعمر الحق ما رجاه الخديو ولا أشار إلى ذلك من قريب ولا من بعيد ...

ذعر الدائنون ، وهبطت أسهم مصر كما يقول رجال المال ، وتلقى الخديو الصدمة العنيفة ممن أمل على يديهم الإصلاح وقال في مرارة وغيظ : « لقد احتفروا لي قبري » وهي كلمة موجعة جامعة ، فبعد هذا التصريح من جانب دزرائيلي سيكون الطوفان . وما كان في تقرير كيف إلا أن مصر « تشكو مما ينتشر في الشرق من أمراض منها الجهل والإسراف والاختلاس والإهمال والتبذير وأنها تشكو من كثرة النفقات التي سببتها محاولة إدخال مدنية الغرب والتي تترتب على مشروعات لا تجدي نفعاً ، وعلى مشروعات نافعة ولكنها تنطوي على الخطأ » . بل لقد ذكر كيف في عبارة صريحة : « إن مصر تستطيع أن تدفع ما عليها من الديون إذا أحسنت إدارة البلاد » . ولكن للسياسة مطامعها وأغراضها ولها من أجل ذلك أساليبها التي كثيراً ما تسخر مما تواضع عليه أغرار الناس من قواعد الخلق والاستقامة !

لم تستطع مصر أن تفلت من دائنيها فكان لابد من إذعانها لمراقبة مندوبيهم وتألف في مصر « صندوق الدين العام » فكان حكومة صغيرة من الأجانب داخل حكومتها ؛ ثم وافق الخديو مكرها على تعيين مراقبين أجنبيين أحدهما انجليزي للدخل والآخر فرنسي للصرف ، وعين تبعاً لهذين موظفين من الأجانب برواتب ضخمة ؛ وعني الخديو حقا بالاصلاح يومئذ ولكن يد القدر كانت من ورائه تبعث الارتباك وتنصب الشباك

وقبل الخديو فيما قبل على رغمه تأليف لجنة من الأجانب سميت « لجنة التحقيق العامة » جعل على رأسها دلسيبس ومنحت سلطة واسعة غير محدودة، فما كادت تعمل حتى اصطدمت، وكان اصطدامها في بدء عهدها لسوء حظها بالرجل الذي يتحفز ويتحين الفرصة ليثب. ومن يكون ذلك الرجل في تلك الأيام المضية غير شريف ؟

استدعته اللجنة ليمثل أمامها لتستفهمه، فتعاظمه الأمر فأبى، فأصرت اللجنة وقد خشيت على هيبتها ونفوذها ، ولكنه خشي



التربية العملية

أطفالنـــا

للآنسة زينب الحكيم

التربية العملية مسألة لا يجدى فيها ترقيع ، ولا يفلح فيها النصح الكلامى كثيراً إذا فات أوانها ، وأهمل شأنها فى حياة الانسان المبكرة . لهذا سأوضح بعض الأمثلة كيف يمكن تنشئة الطفل منذ طفولته ، ليتناسب مع الجماعة ، ويشب على روح الفرد للمجموع ، والمجموع للفرد (المحررة)

كلنا يُقرّ بشدة العناية التى تحيط المولود من يوم ولادته ، تلك العناية التى قد لا يشابهها العناية بالملوك على عروشهم ، ولا الجبابرة المتألهين على أقوامهم

فالطفل، فى مدى الخمسة عشر أو الثمانية عشر شهراً الأولى من حياته ، تؤدى له جميع لوازمه ، ولو ضحيت فى سبيل ذلك صحة الكبار ولا سيما الأم . وكنتيجة لهذه المعاملة ، وتلك الرعاية ، يصير الطفل أنانياً بكل ما فى هذا التعبير من معنى ، خصوصاً بعد أن يقارب تمام السنتين من العمر

وكلما بدأ الطفل يتحرر من طور العجز، أو الاعتماد المطلق على من حوله فى الطفولة المبكرة ، يبدأ ينازع رغباته ولوازمه من أجل إخوته وأخواته، ومن والديه والأفراد الآخرين الذين يحيطون به.



فرغباته الشخصية، وطلباته المضادة لطلبات المجتمع ، يجب تعديلها بحكمة ، وبهذا يبدأ حفظ أول درس صعب فى الحياة . وبفهم هذه التناقضات الأولية فى حياة الطفل تساعد على فهم سلوك الأطفال بوجه عام ... ومن ثمّ نرشدُ إلى أمثل الطرق لتربيتهم ، وأحسن التدابير لتنشئتهم

أما جعل الطفل مناسباً لبيئته ، وتهيئة البيئة نفسها لمناسبته ، فعقدتان تستلزمان مجهوداً عظيماً ، لأن كل فرد منا يفهم ويقدر أن للجماعة فى أى بيئة مطلبين ضروريين :

١ — أن يعيش الإنسان مع آخرين من نوعه ، لأجل حماية الجماعة ... ولأنه اجتماعى بطبعه ، ولأجل إيجاد إلف له

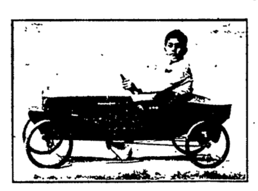
٢ — أن يقف كفرد يدفع عن سلامته الشخصية ، وأن يستطيع جذب رفيق له .

ومن هذا نرى ، أن له عدة حقوق خاصة واضحة ، وعليه

هو أيضاً على كرامته وكرامة منصبه فأصر كما أصرت . . . أيمثل شريف أمام لجنة من الأجانب ؟ ولم لا تنتقل إليه اللجنة وهو العزيز بنزاهته واستقامته ، الكبير بشخصه ومنصبه ، العظيم بوطنيته وكرامته ؟ إذاً فليطلق شريف المنصب غير آسف ، وقد كان ما أراد فاستقال ! وهزت البلاد استقالته بما تنطوى عليه من المعانى فلقد كانت وثبة فى حينها ، كانت غضبة من رجل فى أمة عدّ بها أمة فى رجل ؛ وهكذا خطوات أحرار الشمائل وعظماء الأجيال كأنما تجىء على قدر من الأيام فتكون رداً بليغاً على من يزعمون أن عظماء الرجال يدينون بعظمتهم لظروفهم لا لصفاتهم ، هذه فى مصر هى الظروف ، فليت شعرى لم لم يظهر غير شريف وقد غضب مع شريف عشرات غيره من الرجال ؟

« يتبع » الخفيف

واجبات لنفسه كفرد ، ولكن مشكلته العظمى هي معرفته كيف يوفق شخصيته ورغائبه لاحتياجات الجماعة .



لقد كان الإنسان الأول في طفولته يعرف هـذا التوفيق بالصدفة ، أي بطرق عرضية مطولة ملفوفة ، بينما نصل إليها الآن بطرق مباشرة مختصرة قليلة الالتواء إن وجد ؛ لأن الدراسات الحديثة قد أفادتنا كثيراً ، ودلتنا على أن في نفس الطفل غرائز وميولا وطاقات كامنة، وهو مهيأ لكيفية تنميتها — إذن ما علينا إلا أن نترك له القيادة ، فيفصح لنا عن نفسه ؛ وعملنا نحن هو أن نوجهه ونرشده إلى أحسن السبل ليهيء نفسه لبيئته ، مع مراعاة أن ضروريات الجماعة ومستوياتها دائمة التغير .

فالسلوك الخلقي لجيل ما ، يعتبر دائماً السلوك غير الخلقي بالنسبة للجيل الذي يليه . وإذا افترضنا أن على الطفل أن يستمع ويخضع لأوامر إخوته ووالديه ، وجدوده ومعلميه فعلينا أيضاً أن نفترض له منفذاً لرغباته حتماً .

وهنا يتحتم على الوالدين واجبان : —

١ — أن يعلما الطفل إلى أي حد يجب عليه أن يخضع رغباته واحتياجاته لرغبات واحتياجات الجماعة .

٢ — عليهما أن يعلماه إلى أي حدّ يمكنه أن يشبع رغباته ، وإلى أي حد يجب أن يدافع عن حقوقه ، وإلى أي حدّ يعتمد بنفسه ، ومتى يخضع لأوامر الغير ، ومتى يعدل رغباته نزولاً على إرادة الجماعة .

الطفلة (جميلة) نشأت وهي صغيرة في مزرعة ، وأحاطها أمهات وآباء محبون جداً لها ، ولم ينقص حب الخالات والعمات لها عن حب الجدات والجدود .

وطفلة في مثل هـذه البيئة ، وهذا الجو ، أحست بأهميتها ، وبالغت في إملاء إرادتهـا فكانت إذا أرادت شيئاً ما يحضر لها ، ما كان عليها إلا أن تبكي بصوت مرتفع ، ولمدة كافية حتى تحصل على ما تريد . وأحياناً كانت تبكي على أشياء لا يمكن أن تعطى لها ، كأن تريد القمر مثلاً . وكانت تبكي أحياناً أخرى بدون سبب

ففي هذه الأوقات التي لم يمكن فيها إجابة طلباتها ، أو الصبر على تدليلها إشفاقاً عليها من كثرة البكاء — كان يقول أحد من بالمنزل : « خذوا جميلة إلى الحديقة وأركبوها الحصان — قد يهدئها ذلك » أو يقول آخر في منـاسبة أخرى : « خذوها إلى شارع المحطة لترى القاطرة الكبيرة وهي مارة — قد يهدئها ذلك »

وإذا لم تفلح هذه الطرق معها ، كان يعطى لها قطعة من الحلوى لكي تهدأ . ولقد استمر هذا النوع من المالحة ، حتى أتى على أفراد الأسرة يوم نضب فيه معين حيلهم مع هـذه الطفلة لتهدئتها كلما بكت



فمرة من تلك المرات ظلت تبكي وترغي وتزبد مـدة طويلة ولم يلتفت إليها أحد . فما كان منها إلا أن نادت بأعلى صوت قائلة : « إعطوا جميلة قطعة من السكر — ذلك قد يهدئني » دهش كل فرد حولها لما حدث منها ، وحار الجميع كيف يجاوبونها ، وتأملت هي طويلاً ثم قالت : « خذوني إلى الحديقة لأركب الحصان — ذلك قد يهدئني » واستمرت تبكي

هنا وهنا فقط فطن الوالدان وكل أفراد الأسرة للدرس المهم

الذى أعطته لهم هذه الحادثة ، ونبهتهم إلى تلافى الغلطة التى كانوا يقعون فيها فى تربية الطفلة ؛ ومن حسن حظها أن غيّر الجميع خططهم معها تدريجياً ، وعدلوا مجاوبتهم لبكائها

من هذا نرى أنه إذا سمح للطفل أن يصير أنانياً ، بحيث يطلب كل ما يريد غير ناظر إلى حقوق الغير ، فإنه سيقى طول حياته على خلاف ومنازعات مستمرة مع الناس الآخرين ، ويشعر غالباً بأن الناس لا يعدلون فى معاملته أبداً . وكثير من الأفراد لا يحصلون على ما يشعرون أنه من حقهم ، ذلك لأنهم ينتظرون أكثر مما يستحقون من الحياة ، ويتطلبون من الناس أن يتنازلوا لهم ويؤثروهم على أنفسهم بحالات لا يمكن تحقيقها

وهــذا هو السرّ فى ســوء حال الشبان الذين لا تقدر على ترويضهم عائلاتهم ولا مدارسهم ويضج منهم المجتمع . والـكل يشكون ويتأففون من فساد المجتمع ، ولـكن ليس الذنب كله ذنب المجتمع ، فلو لم توجد عندنا حالات عامة شائعة فى بيوتنا المصرية من أشباه التربية الخاطئة ، لما سمعنا بحوادث الأولاد الذين يهجمون على آبائهم بالضرب أو القتل ، أو تنكيد حياة الأم ، لشدة هياج ابنها العصبى وغير ذلك فى كل وقت . والحقيقة أن لا عصبية هناك ولا جنون ، وإنمـا هو سوء التربية المبكرة وخطؤها الذى يجعل من الطفل شخصية غير شخصيته ، ويجعل حياته كلها تصنعاً والتواء .

إن سلطة الوالدين والمربين على الطفل هى التى تعلمه حقوق الجماعة . ولـكن ليحترس من استعمال السلطة مغلظة وجهل معه ، فإنه إذا حصل ذلك ولم يكن لدى الطفل المخارج الـكافية لنزعات نفســه ، فإنه يصبح شنوفا قلقا خجلا فى غير موضع الخجل ، عنيدا ينكر كل شىء ، ويشاغب حيث لا سبيل إلى الشغب ، ويصير أشد ميلاً للتأثر بغير بيئته التى باتت غريبة عليه .

وهذا دون ريب مالا نقصد إليه . إذن يجب أن تخدم السلطة الوالدية غرضين :

١ — أن تكون وسيلة يتعلم بها الطفل كيف يوفق نفسه للجماعة ...

٢ — أن تكون وسيلة يتعلم بها الطفل أيضاً إلى أى حد يمكنه أن يعبر عن رغباته واحتياجاته .

ذلك لأن كثيراً من الضغط على الطفل يتعين خطؤه وضرره إذا ما كلفنا أنفسنا مشقة إيجاد المخارج الصحيحة التى يعبر الطفل فيها عن نفسه ؛ ويظهر لنا تعسف أوامر النهى التى تضايق الطفل بها والتى يستغنى عنها تماماً ، إذا اتبعت طرق التربية الصحيحة ، التى تمـكن الطفل من إشباع ميوله دون إزعاج الآخرين .

ولا يصح أن نتصور أن الطفل إذا خالف قانونا أو نظاما يجب أن يسامح ، لا بل يجب أن يعاقب . وكل ما نرمى إليه هو أنه يمكن أن نعلم الطفل دائماً ، ونعوده التعبير عن رغباته وإشباع ميوله ، دون مضايقة الجماعة .

زينب الحكيم

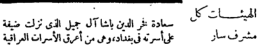
ذكـــريات

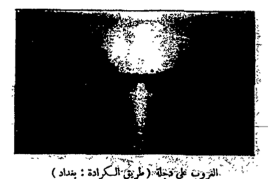
بمناسبة انعقاد المؤتمر الطبي بالقاهرة

في مثل هذا الوقت من العام الماضي، كنت أتخذ عدتي للسفر مع أعضاء المؤتمر الطبي العربي الذي انعقد في عاصمة بلاد الرشيد.

ولقد تعاونت الحكومة والشعب على إنجاح المؤتمر وإكرام المؤتمرين ومساعدتهم على زيارة بلادهم الجميلة

وفضلاً عن تخفيض أجور السفر المتبعة بمناسبة انعقاد المؤتمرات وما شابهها، فإن الحكومة العراقية مبالغة في السخاء تفضلت بجعل السفر مجاناً على السكك الحديد مع كثرة نفقاتها هناك ولقينا من حسن معاملة مختلف الهيئات كل مشرف سار


سعادة فخر الدين باشا آل جميل الذي نزلت ضيفة على أسرته في بغداد، وهي من أعرق الأسرات العراقية


الزوارق على دجلة (طريق الكرادة: بغداد)

وإني قوية الأمل، شديدة الرجاء، أن ينال جميع أعضاء المؤتمر الطبي — وهم في بلادنا — مثل هذه المعاملة جرياً على عاداتنا. وإني أهيب بكل تاجر ومرشد، وكل ذي مصلحة شخصية من أجانب ووطنيين أن يترفع عن مضاعفة أثمان ما يروق لضيوفنا شراؤه، وخصوصاً للعراقيين، فإن التجار في بلادهم أقسموا أنهم كانوا يبيعون لنا الأشياء بأثمان أرخص مما يبيعون بها لأهل البلد


الشعار العراقي يزين أظهر مكان في سراي آل جميل وتجلس على الأريكة التي تحته الآنسة زينب الحكيم، مرتدية بعض ملابس السيدة العراقية في البصرة،

والتاجر العراقي صادق أمين، كلمته شرف، ووعده موفي مهما يكن من الأمر

وإني لهذه المناسبة السارة أختص الرسالة الغراء بعض الصور التذكارية عن المؤتمر الطبي السابق تحية لأطباء العراق وترحيباً بهم ولجميع الأعضاء الأفاضل.

زينب الحكيم


الآنسة بديعة آل جميل



إثبـــات نظرية التطور

للأستاذ عصام الدين حفني ناصف

البراهين على صحة نظرية التطور كثيرة لا يحصرها العد ، فحيثما أرسل الإنسان الذي وعى هذه النظرية نظرة في عالمي الحيوان والنبات ، وجد شواهد توضح ما بين مختلف الكائنات الحية من صلة القربى . وقد اخترنا هنا أمثلة قليلة تتعلق بحيوانات مألوفة ، رأها مما يسهل فهمه ويجدر معرفته

من علم ترتيب الكائنات

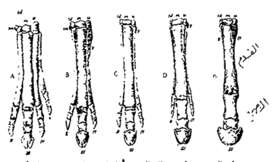
وصف العلماء، إلى الآن ما يربى على ٥٠٠٫٠٠٠ حيوان حى و٢٠٠٫٠٠٠ نبات و١٠٠٫٠٠٠ متحجر ينفرد كل منها بصفة من الصفات . وهم يقسمونها إلى أقسام مختلفة المراتب ، فنوع الثعلب ونوع الذئب ونوع الكلب تابعة كلها لجنس الكلب ، وهذا تابع للعائلة الكلبية من فصيلة آكلات اللحوم ، وهذه تابعة لتربية ذوات الثدى وهى تابعة لقبيلة ذوات الفقار

وليس تحديد الأنواع من الأمور السهلة ، فبعض العلماء يعتبر بعض المجموعات أنواعاً جديدة فى حين يعتبرها علماء آخرون مجرد « تنوعات » ونحن نلتقى بالتنوعات دائماً حين نبحث آلاف النماذج من أحد الأنواع الحيوانية أو النباتية ، وهذه القدرة على التنوع من أهم خصائص الأحياء ، فهى تيسر لها ملاءمة البيئة المحيطة بها ، وذلك يتيح لها أن تتطور وترتقى من حيث بناء الجسم وقدرته على العمل

وعلم ترتيب الكائنات ينطق بصحة نظرية التطور (١) لأن الوفرة الهائلة فى عدد الكائنات الحية التى يمكن على الدوام إثبات وجود أشكال انتقالية بينها ، تسير كلها ببطء فى طريق التحول والتغير (٢) ولأن « النوع » لا يمكن تحديده تحديداً تاماً ، فلا بد أن يكون شيئاً متغيراً

من علم الحفريات

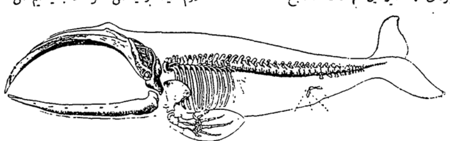
تتكون طبقات الأحجار الرسوبية فى وضع أفقى ، ويكون أسفلها أقدمها عمرا ، وتحتوى كل طبقة على حيوانات ونباتات دفنت فيها فى العصر الذى تكونت فيه تلك الطبقة ، وقد وجد أن الحفريات التى دفنت فى طبقة قديمة العهد تكون أبسط فى تكوينها وتركيبها من حفريات الطبقات التى هى أحدث منها عهدا .



تبين هذه الصورة تطور عظام القدم الأمامية للحصان ، وترى إلى اليمين قدم الحصان الحالى وقد قويت فيها الأصبع الوسطى ونمت ، كما ترى الأصبعين الثانية والرابعة وقد ضمرتا كثيراً. فاذا انتقلنا إلى الشكل الثانى من الجهة اليمنى وجدنا صورة عظام القدم فى عهد سابق قبل أن تصل الأصبعان الثانية والرابعة إلى هذه الدرجة من الضمور وترى أثراً باقياً من الأصبع الخامسة ، أما الشكل الذى إلى اليسار فترى فيه هذه الأصابع أكبر حجما لأنها أصابع حصان أقدم عهداً

ومن الأمور الهامة أننا نجد حفريات كل سلسلة من سلاسل الأنواع الحيوانية على النحو الذى كنا نتصورها عليه قبل أن نعثر بها وذلك ما حدث مثلاً فيما يتعلق بقدم الحصان ، فقد تعودنا أن نجد معظم الحيوانات الثديية الراقية ذات خمس أصابع فإذا اختلف الأمر عن ذلك فى الحصان ، ألزمتنا نظرية التطور

بافتراض أن أصابع أسلافه كانت خمسا فبقيت منها واحدة وضمرت الأربع الأخرى ، ونحن نميز فى قدم الحصان الحالى إصبعاً واحدة ونجد فى الخيل المتحجرة فى عهد البليوسين أن قدمها ذات ٣ أصابع وفى الخيل المتحجرة قبل ذلك فى عهد الميوسين أنها ذات ٤ أصابع وفى المتحجرة فى عهد الأيوسين أنها ذات ٥ أصابع



الهيكل العظمى لحوت جرينلاندا داخل إطار بين الشكل الخارجى للحوت . ويتضح عند تشريحه أنه ليس من الأسماك كما يوهم شكله ، بل هو من رتبة الحيوانات الثدية ، فليست الزعنفتان الأماميتان سوى الذراعين وقد تطورتا . ويلاحظ أنه مع ضخامته ذو مرىء ضيق فهو مضطر إلى التغذي بالقواقع الصغيرة والحيوانات القشرية الصغيرة ومن نجف البحر ، فليس فى استطاعته أن يبتلع إنسانا كما يتوهم العامة

من علم التشريح المقارن

يرينا التشريح المقارن ذلك التشابه العظيم بين جسم الإنسان وأجسام باقى الحيوان وفى مقدمتها « الشبيهة بالإنسان » وهى الشيمبانزى (البعام) والجوريلا (الغول) والأورانج أوتان (إنسان الغابة) والجيبون . ويقابل التشريح المقارن بين الأعضاء فى مختلف الأنواع الحيوانية فيثبت ما بينها من أوجه الشبه سواء فيما يختص بالشكل الخارجى أو الوظيفة . فإذا نظرنا إلى جناح الخفاش وذراع الخلد عند الحفر وذراع الإنسان وجدناها متشابهة تشابهاً عظيما فى تركيب عظامها رغم تباين وظائفها ، وما ذلك إلا لأن هذه الحيوانات متسلسلة من أصل واحد

ينظر معظم الناس إلى الحوت باعتباره ضرباً من السمك ، وذلك لإقامته فى الماء ولشكله الوشى (المغزلى) ولوجود زعانف الصدر والذنب ، ولكن تشريح الزعنفتين الأماميتين يرينا فى كل منهما هيكلاً عظمياً يشبه مثيله فى الطرف الأمامى من الحيوانات الثديية الأخرى . أما الزعنفة الذنبية فيدعمها محور عظمى هو نهاية العمود الفقرى . ولبعض أنواع الحيتان زيادة عما تقدم زعنفة ظهرية بيد أنها خالية من أية دعامة عظمية ، ولا إيضاح لهذا التباين فى بناء الزعانف المختلفة فى الحوت الواحد ، ولهذا التعقد فى بناء هيكل الزعنفة الصدرية إلا أن الحوت متسلسل من حيوان برى كان يستعمل طرفيه الأماميين فى المشى ثم تطورا بتطور معيشته من برية إلى بحرية. وهنالك إثباتات أخرى تؤيد أن الحوت حيوان ثديىّ متسلسل من أصل برىّ ، وهى كونه يتناول الأوكسجين اللازم لحياته برئتيه من الهواء لا بالخياشيم من الماء ، وكونه من ذوات الدم الحار فلا تنخفض حرارة جسمه — كالأسماك — بانخفاض حرارة الماء الذى يعيش فيه ، وكون أنثاه تلد صغارها تامة التكوين وترضعها .

من علم الأجنة

يجتاز كل حيوان فى نموه من خلية البيضة حتى يكتمل سلسلة من التغيرات المحتومة ، ويمر بسلسلة من الأشكال المختلفة، هى إعادة موجزة للسلسلة الطويلة من الأشكال التى اجتازها أسلاف هذا الحيوان أى أصول نوعه منذ أقدم أزمنة الخلق العضوى حتى الوقت الحالى

فالحوت — مثلاً — يمتاز فى كبره بعدم اشتمال جسمه على الشعر والأسنان والعنق والطرفين الخلفيين ، ولكن هذه الأعضاء توجد فى جنينه ، وذلك ما يشير إلى تسلسله من أصل ثديى له هذه الأعضاء

كذلك يحوى جسم الجنين الإنسانى أعضاء عدة لا إيضاح لها إلا أنها موروثة عن الأسلاف الحيوانية ، فهو مغطى بشعر كثيف يذكرنا بفروة القرد ، وقد يبقى الثوب الشعرى الجنينى فى أحوال مرضية شاذة عند من يسمونه بالإنسان الكلبى . وللجنين الإنسانى ذنب واضح ، وله فى كل ناحية خمس مجموعات

من غدد لبنية ، وذلك ما يدل على أن العضو اللبنى — كما هو الحال عند الحيوانات الثدية الدنيئة — لم يكن فى الأصل زوجاً واحداً فقط

من علم الانتشار الجغرافى

تقدم لنا الجغرافيا الحيوانية كثيراً من الحقائق الناطقة بصحة نظرية التطور . فمن ذلك أن المناطق والأقاليم المنعزلة عن غيرها تحوى أنواعاً حيوانية خاصة بها لا توجد فى سواها . ولئن كانت حيوانات أمريكا الشمالية شبيهة بحيوانات شمال آسيا وشمال أوروبا فإن لحيوانات أمريكا الجنوبية (أعنى التى كانت بها قبل أن يستعمرها الجنس الأبيض) صفات ومميزات خاصة بها نتجت من نمو تلك الحيوانات فى عزلة وعدم اختلاطها بحيوانات أمريكا الشمالية . وذلك لأن أمريكا الوسطى كانت فى عصر الميوسين مغمورة بالماء ، فلم يكن ثمة وجود لذلك المعبر الأرضى الذى انبثق بعد ذلك فوق اليم فأصبح يصل بين الأمريكتين . ومما يؤيد هذا التفسير وجود بعض الأسماك والقواقع مشتركة فى المحيطين شرق أمريكا الوسطى وغربها مع أنه لا يوجد نوع من الأسماك والقواقع مشترك فى شرق أمريكا الجنوبية وغربها

رأس جنين فى الشهر الخامس من تكوينه ويرى مكسواً بالشعر الجنينى الذى يسقط قبل الولادة

ومما يلفت النظر تلك الجزائر التى طلعت فى المحيط بعمل براكين تحت الماء مثل جزيرة سانت هيلانة (وتبعد ١٨٠٠ كيلو متر عن إفريقيا) فهى خالية تماما من الحيوانات الفقرية البرية والطيور البرية ، وبها من الطيور البحرية نوع واحد من النورز له قرابة بالأنواع الأفريقية ، وبها أنواع من الخنافس ذات الخرطوم وهى الأنواع التى تعيش هى ويرقاتها وعذاراها على الخشب وفى داخله . وفى ذلك ما يبين أنها انتقلت إلى تلك الجزيرة النائية محولة على أخشاب طافية . ولو كانت حيوانات تلك الجزيرة قد خلقت على حدة لما كان هناك سبب مفهوم لإيثارها بالأنواع ذوات الخرطوم من الخنافس .



ما يسمى بالإنسان الكلبى وقد احتفظ بالشعر الجنينى

التفاعل الحيوى الكيميائى للدم

إذا تركنا دماً طازجاً فى مكان ما ، رسبت منه الكرات الدموية والألياف وبقى سائل أصفر هو المصل . ولكل حيوان فقرى مصل خاص به من شأنه أن يضر بالكرات الحمراء التى فى دماء الأنواع الحيوانية الأخرى . بيد أننا إذا كررنا حقن مقادير صغيرة من مصل دم حصان — مثلاً — فى الأوعية الدموية لأرنب ، تغير دمه بعد فترة من الزمن وأصبح مصل دمه يؤدى عند وضع قطرات منه فى محلول يحوى قليلاً من مصل دم الخيل ، إلى تكوين راسب زغبى ، وهو يحدث الترسيب أيضاً — ولكن بدرجة أضعف ، مع دم الحمار ، وذلك ما يوضح قرابته له . فإذا حقنّا أرنباً بمصل دم إنسانى أصبح مصل هذا الأرنب يرسب الدم الإنسانى ، بيد أنه أيضاً — وبنفس القوة — يرسب دم القردة « الشبيهة بالإنسان » ، أما القردة الأخرى فيرسب دماءها بدرجة ضعيفة . وهذه التجربة تبرهن لنا على وجود « صلة الدم » بمعناها اللفظى

الإنسان في ضوء نظرية التطور

يتعين علينا من الوجهة الفنية المحض أن ندخل الإنسان في نطاق نظرية التطور وقوانينها، فليس الإنسان من حيث العلوم الطبيعية سوى حيوان فقري يمشي قائماً، ومن مميزاته الظاهرة على سائر الحيوانات الثديية القريبة منه أنه يعتمد في سيره على قدميه فقط، وكثير من خصائصه الجسمانية الأخرى موجود في عالم الحيوان وإن لم يكن مجتمعاً بهذا التوافق إلا في الإنسان

والإنسان عظيم الشبه بالقردة الراقية إلى حد جعل أحد العلماء يقول: إن الفرق بين أحط الأجناس الإنسانية والقردة «الشبيهة بالإنسان» أقل كثيراً منه بين هذه وأحط القردة

ولئن كان المنظر الخارجي للجوريلا يبعث فينا النفور من تصور صلة قرابة تربطنا بها، فأننا نجد حين نسلخ جلدها أن التشابه بين جسمها وجسم الإنسان لافت للنظر. فكل عظمة وكل عصب وكل عضو من الأعضاء المختلفة موجود عندها في مثل موضعه عند الإنسان. وهي تشبه الإنسان كذلك في كونها بلا ذنب ناتيء خارج الجسم، وبلا انتفاخ في الإلية، وبلا شعر كثيف في الخدين كما تشبهه في بناء عضو التفكير أي المخ، فإن مخها يحوي نفس الأجزاء والأخاديد والتلافيف التي يحويها مخ الإنسان

مستقبل الإنسان

من المرجح جداً أن يستمر الإنسان في التطور مدى أزمنة طويلة جداً، ولكنا لا نستطيع أن نقطع: هل يكون هذا التطور إلى أرقى أم إلى أحط؟

لقد اكتظت الأرض بالحياة أحقاباً طويلة دون وجود الإنسان. ومن الممكن أن تبقى حافلة بالحياة ولو انقرض الإنسان؛ فالأرض لم تخلق هي وعالم الأحياء من أجل الإنسان، ولكن مجده وقوته في كونه يعرف كيف يستغلها ويستخدمها لقضاء أغراضه.

عصام الدين حفني ناصف



الفـــن الأمريكى

العمارة

للدكتور أحمد موسى

لا يرجع الفن الأمريكى المقتبس من أوربا لأكثر من وصول الأسبان إليها . وبدت أول مظاهره فى تشييد الكنائس التى تميزت بضخامة مظهرها وطرازها الباروكى مع بساطة الزخارف وقلة النقوش ، على نقيض ما كان جارياً فى تلك المرحلة الزمنية .



ش ١ — مبنى مصلحة التليفون فى نيويورك

كما أنها عند ما شملت شيئاً من التحلية كانت ضعيفة إلى حد لا يتناسب مع التصميم الإنشائى .

وأول المبانى الضخمة « الثقيلة » كانت بسان فرانسسكو وتولا Tula التى تمت بين سنتى ١٥٤٠ و ١٥٦١ وبعدهما كنيسة مريدا Merida المقببة التى تم تشييدها سنة ١٥٩٨ ، ثم الكاتدرائية الهائلة بمكسيكو (١٥٧٣ — ١٦٥٦) بمنارتيها اللتين بلغ ارتفاعهما نحو الستين متراً .



ش ٢ — عمارة بيركشاير فى نيويورك

ولعل كنيسة لاجوس الباروكية الطراز (١٦٤٩) وكنيسة شابيهواهوا (١٧٨٩) توضحان لنا أثر الفن الأوربى الإسبانى وتطوره فى أمريكا .

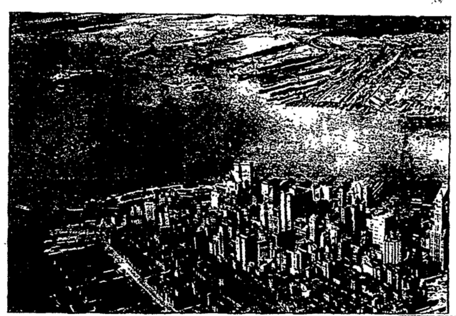
وبدأ تطور الطراز المعمارى تطوراً شاملاً منذ القرن الثامن عشر ، فاتجه الميل إلى إهمال الزخرفة واعتبارها عملاً يضيع الوقت والمال ، وظهرت النزعة فى تبسيط البناء . إلا أنه بالنظر إلى اتساع الأراضى وقلة ازدحام السكان ورخص التشييد لخلوه من كثرة النقش والتحلية ، فإن الضخامة والثقل ظلا على حالهما الأول وحافظا على مكانتهما من نفس المهندس المعمارى . وخير مثل نسوقه لهذا مبانى سان فرانسسكو وساجراريو متروبوليتانو فى مكسيكو وكتدرائية ليون .

ولم يكن هذا المظهر منحصراً فى الكنائس وحدها ، بل كان شاملاً للمبانى العامة والمبانى العادية ؛ فترى السراى الأهلية National Palace التى يرجع تاريخها إلى عام ١٦٩٢ بواجهتها التى يبلغ طولها مائتى متر ؛ وسراى البلدية (١٧٢٠ — ١٧٢٤) ومدرسة برج (١٧٩٧ — ١٨١٣) فى مكسيكو ، خالية كلها من النقوش والزخارف التى تعتبر فى « الدنيا القديمة » ضرورية لتجميل البناء

وأهم كنائس جنوب أمريكا كنيسة كوسكو التي بدأ إنشاؤها سنة ١٥٣٧ وكنيسة ريودي جانيرو ، وباهيا ، وبونس أيرس ، وليما ، وسانتياجو حيث توجد الكاندرائية العظيمة (١٦٤٧ — ١٧٤٨) ، واختلف المجموع الإنشائي في كل منها اختلافاً يحتاج إلى التفصيل الذي لا يتسع له المجال لاتصاله بأصول العمارة .

وقد لوحظ أن فن العمارة الذي انتقل من انجلترا وهولاندا والتي يذكرنا مظهرها الإنشائي العام بالتصميمات التي حملت طابع المعاري الإنجليزي كرستوفورون في لندن ، وكذلك بيت البلدية في بوستون والبيت الأبيض في واشنجطون ، كلاهما حمل مظهر البساطة والرغبة في جعل المباني عملية أكثر منها فنية ، فكانت متأثرة بالفن الهولاندي المجرد .

أما في القرن التاسع عشر فقد كان تأثير العمارة الأوربية أعم



ش ٣ — منظر عام لجزء من نيويورك الحالية مأخوذ من الطيارة

إلى أمريكا كان أميل إلى الناحية العملية منه إلى الناحية الفنية لجملة أسباب ؛ منها أن الذين هاجروا إلى « الدنيا الجديدة » كان معظمهم ممن ضاق بهم العيش في بلادهم ، أو من الذين اتسع لهم مجال التبسيط على اعتباره تجديداً ، فضلاً عن العطش والرغبة الصادقة في الاستقلال السريع . أما الإسبان الكاثوليك فقد ظلوا سائرين في اتجاههم المعاري الذي مال إلى الزخرفة والتنميق ؛ فترى في المدن الجديدة التي منها سانتافيه أمثلة عدة تؤيد ذلك .

وبينما اتجه الفن المعاري في الجنوب اتجاه البلاد الكاثوليكية كما هو الحال في كاتدرائية نيو أورليانز (١٧٩٢ — ١٧٩٤) التي لا يخرج طراز بنائها عن كونه خليطاً من العمارة الكلاسيكية الفرنسية والعمارة القوطية إلماماً ؛ نراه اتجه في الشمال نحو البعد عن الزخرفة والميل إلى تبسيط الواجهات . وهذا يؤيده ما يلاحظه الشاهد المدقق على كنيسة كرست في فيلادلفيا التي تم بناؤها سنة ١٧٢٧ وأكبر ، وذلك بالنظر إلى كثرة المعاريين الذين ذهبوا إلى أمريكا.

وقد ظهر أثر الفن الكلاسيكي على أشده في البناء الرائع المسمى كابيتول واشنجطن (ش ٤) الذي ابتدأ بناؤه سنة ١٧٩٣ والذي جملت أعمدته من الطراز الكورنتي[1] والتي أقيمت فوق أعتابها القبة فارتفعت عن الأرض تسعين متراً . على أن هذا البناء ليس الوحيد من نوعه الذي حمل هـذا الطابع وهذه الروعة ؛ فهناك مشيدات أخرى مثـل بيت الاختـراعات Patent Office في واشنجطون ودار الجمرك في بوسطن وفي نيويورك وغيرها في فيلادلفيا ، كلها شاهد على هذا الاتجاه .

ونجد أيضاً أثر الطراز الرومانتيكي ظاهراً في التكوين الشكلي العام للكنائس وغيرها من المباني الجديرة بالاعتبار . وهذا لا يمنع من أن تكون كاتيدرائية باترِكس في نيويورك على الطراز القوطي

(١) راجع مقالنا (أكروبوليس أثينا) بالرسالة

المتأخر وعلى جانب من عظمة المظهر ، ولو أنها بدت فى مجموعها نحيفة التكوين بالنسبة للمألوف فى هذا الطراز . وعلى نفس المنهج بنيت كنيستا ترينيتي وتوماس وغيرهما فى نيويورك وكان الواضع لتصميمها المعارى الانجليزى أبجون Upjohn .

ولا نذكر كنيسة كانت على جانب عظيم من روعة الفن الخالص سوى كاتيدرائية « جميع القديسين » All Saints (ش٢) التى كانت ولا تزال ضيقة المساحة ، وهذه الروعة تتلخص فى دقة التعبير عن الطراز القوطى المبكر.

ولعله جدير بالذكر أن المبانى التى تحلى فيها الطراز الرومانتيكى هى كنيسة هولى كوميونيون فى فيلادلفيا وردهة كاتيدرائية ترينيتي السابق ذكرها ، وكنيسة نيو أولد ساوت بمنارتها التى تأثرت بالفن الإيطالى فكانت مثلاً جيداً له فى أمريكا .

أما فى المبانى العامة فبرلمان أوتاوا فى كندا وكابيتول الدولة فى هارتفورد والمكتبات فى بورلنجتون وبرن ، وكاونتى كورت هاوس فى بتسبرج ، ومتحف الفن فى سنسناتى ، والناشيونال أكاديمى التى تذكرنا كثيراً بقصر الدوج فى فينيسيا ، ومتحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك . كل هذه آيات بينات لفن البناء الأوربى فى أمريكا ، كما أنها خير دليل على الغنى الفنى المعارى والمقياس الصادق لتقدير الفن الخالص .

ومن الغريب أن أمريكا لم تقتبس من فن « عصر النهضة » شيئاً يذكر ، ولكنه يخيل إلينا أن الرغبة العملية كانت لا تزال الحائل بين المهارة وبين الاقتباس. ولهذا السبب نجد أن الحلقة الفنية المعارية ناقصة . وذلك ما ابنى عليه عدم وجود الرابطة بين الطرز السابق اقتباسها وبين المسلك المعارى الذى مثل الضخامة والبساطة فى المظهر .

وهذا بلا شك سبب جوهرى فى الانتقال المفاجئ من عمارة القرون الوسطى من حيث « الثقل والضخامة » كما هو الحال فى كابيتول الدولة بنيويورك إلى عمارة بيت البلدية فى فيلادلفيا، التى كان المنهج فيها مشابهاً لما اتبع فى بناء اللوفر ، هذا فضلاً عن منارته التى تعد أعلى منارة فى العالم . وهذا نفسه نعاينه فى مبانى بيوت الدولة والمكتبات والمحطات والمتاحف ودور التمثيل وغيرها من حيث اتساع مساحاتها وكبر أحجامها - ولكنها مع هذا الاعتبار ضئيلة القيمة المعارية الفنية لما بدا عليها من مظاهر البساطة وقلة التنسيق .

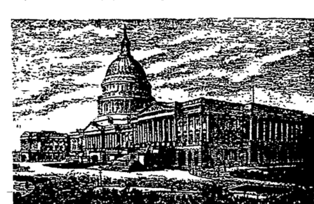
وحتى القصور والفيلات فى « الدنيا الجديدة » بنيت دون قيد فنى أو شرط من شروط الجمال العام ، فهى لا تخرج عن كونها خليطاً من طُرُز مختلفة تجاورت وارتفع بعضها وانخفض البعض الآخر فظهرت خالية من الجمال ؛ هذا فى بيوت شيدها عظماء البلاد الذين يظن غالباً أنهم أدرى من غيرهم بأصول الجمال ، أو على الأقل ممن لا عذر لهم فى وجوب العمل على تشجيع الفن أيا كان نوعه.

من هذه الاتجاهات المختلفة وعلى ضوء هذا الخلط وعدم التقيد بقاعدة معينة أو فن معروف بدأت فاتحة اتجاه جديد فى أمريكا ، هذا الاتجاه هو إشغال أصغر مساحة من سطح الأرض بأكبر عدد ممكن من طبقات العمارات والبيوت ، وساعد على ذلك عدم إمكان التوسع فى مساحة مدينة واحدة أكثر من المعقول ، إذ لا يجوز أن تساوى ساعتين من طرف إلى الطرف الآخر فى بلدة واحدة ، هذا إلى جانب نمو عدد السكان نمواً هائلاً .

وأولى هذه العمارات بيت بير كثير فى نيويورك؛ فقد بنى شاملاً لتسع طبقات، وتدرج الحال حتى وصل إلى مائة وعشرين طبقة وأزيد!

ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد ؛ بل سار كل فى اتجاهه حسبما أراد وتبعاً لما تسمح به دولاراته ، فتجد إلى جانب بيت يناطح السحاب منزلاً لا يتجاوز خمس طبقات .

وبعد أن كانت أمريكا تقلد أوربا فى أول الأمر . أصبحت



ش ٤ — كابيتول واشنجطون (تصميم والتر)

أوربا تقتبس من أمريكا وتقلدها . وطفت هذه الموجة على القاهرة أيضاً فأصبحت ترى عمارات يبلغ عددطبقاتها عشراً وثلاث عشرة بنيت كلها متلاصقة أو متجاورة لا ينفذ إليها نور ولا هواء ، مع أننا لسنا فى حاجة ماسة إلى مثل هذا المنهج السقيم ، لا سيما وأن عدد سكانها ضئيل جداً بالنسبة إلى مدن أمريكا الكبرى، ومساحة القاهرة أكبر نسبيا من مساحة تلك المدن .

(له بقية) أحمد موسى

صوت الآنسة أم كلثوم

من الوجهة الفنية

يعتبر صوت أم كلثوم أجمل وأكمل وأقوى صوت نسائي في العصر الحديث . ولعله أخلد الأصوات جميعاً في تاريخ الطرب بعد صوت (ألمظ) زوجة عبده الحمولي ومطربة الخديو إسماعيل .

فهو يمتاز بتكوين سليم لاعيب فيه ، وبضبط نسب مقاماته ضبطاً محكماً لايحتاج لشرح ولا تحليل لأننا جميعاً نسمعه .

فهو غنى بتربولاته (ذبذباته) التي تفعل في النفس فعل السحر أو أكثر، والتي تعطى السامع لوناً لامعاً ونبرة صافية غنية بكل الدوافع التي تسلب الإنسان حسه ونفسه .

يتكون من (ديوانين) تقريباً. وهو من نوع (الكونترآلتو) (والميزوسبرانو) ويبلغ ١٥ مقاماً تقريباً (١٢ كونترآلتو) و (٣ ميزوسبرانو)

أم كلثوم أقوى مطربة في الشرق ، تتصرف في عقود النغم وعنصره تصرفاً فنياً سليماً . . فهي مثلاً تتصرف في العقد الأول (بياتي ذي الأربع على الدوكاه) وتتصرف في العقد الثاني (راست ذي الأربع على النوى) . كذلك عشاق ذي الأربع على النوى ، والحجاز ذي الأربع على النوى . وتهبط من البياتي ذي الأربع على الدوكاه (نغمة السكاه جهار)

وكل هذا لا يخرج عن عقود النغمة وعنصرها ولا يؤذي أذن السامع بل يصور له ذوقاً رفيعاً سامياً في التصرف . وفي تذوق النغم وفهمه .

وهي أقدر المطربات وحدة في فن الإلقاء . وفهم المعنى . وإعطاء كل كلمة معنى لدى ترجمتها ترجمة صادقة .

وأكبر الظن أن هذا يرجع إلى أنها اشتغلت كثيراً مطربة ومغنية (للقصائد النبوية) في المدائن والقرى .

تجيد كل ما تغنيه : في الطقطوقة ، والدور ، والتوشيح ، والمنولوج ، والقصيدة ، لا تستطيع أن تسمو في ناحية على الأخرى ولا في نوع على نوع ، لأن التوفيق يأبى إلا أن يلازمها في جميع ما تغنى .

تدين لملحنين كثير من مجدها ، وإن كانت هي لا تحب أن تعترف بهذا

تعرف على العود ، وتفهم في علم النغم ، وتلم إلماماً بسيطاً ببحور الشعر وقوافيه .

سننتظر طويلاً حتى نجد صوتاً كصوتها ، وتصرفاً كتصرفها ، وذوقاً فنياً كذوقها .

محمد السيد المويلحي



رسالة الشعر

جيش أســامة

للأستاذ أنور العطار

ضجَّ مَهد الصحراء بالتغريد   وسَرى النور فى رمال البِيد

هو ذا فى غَيابة البعد خطٌّ   ينجلى من سَرابها المعقود

سال ذَوْبُ النضار فى مصحف الأُفْ

ق فزان الدنيا بحُلم رغيــد

نَهَرٌ من هـــداية يتلوى   فى فضاء رحْب المطاف مديد

ضم فى شاطئيه صَبابةَ العُرْ   ب وبأس المدرَّبين الصِّيد

والأمــير الفتِىّ يَدرع البِيـ   ـد بجيش من الكماة عديد

رفرفت رايةُ النبى عليــه   ورعته بالنصر والتأييــد

مَن هو القائد الفتِىُّ وما يذ   شُد فى قصده الطَّرُوح البعيد

ولمن هذه الزُّحوف نَوَالى   كوفود تنهلُّ تِلوَ وفود

يقدُم الفيلق الذى أفزع القفـ   ـر وهز النجود إثر النجود

تتمشى فى سُبْله البيد نشوَى   ثملاتٍ برملها العِربيــد

يا صحابى هذا (أُسامة) يختا   ل بِبُرْد من الشباب نضيد

رأس الأكرمين وهو ابن عشريـ   ـن بعزم ماض ورأى سديد

وعليه جراءة الاســدِ الوَرْ   د وتحديقةُ العُقاب الصيُود

يا له قائماً نمتــه البطولا   ت وألقت إليه بالاقليــد

والبطولات شعلة الأمل السا   طع فى ظلمة الليالى السود

حدث النفس وهو يحلم جذلا   ن بنصر دانى القطوف عتيد

إيه يا نفس لا ترُعْك المنايا   فالمنــايا أمنية الصنديد

أطلبى المطمحَ القصىَّ مداه   ودعى الضعف للجبان الرَّقود

واذكرى نائماً (بمؤتة) باع النـ   ـفس زُلْفَى رب البرايا الحميد

وانهضى للجهاد فى نصرة الحـ   ـق وبثي رســالة التوحيد

ودعى اسم النبي تعبقْ به الدنـ   ـيا وترتع فى عالم من سعود

وتلاقى الجمعان فارتجت الأر   ض وغابت فى العاصف المشهود

هل رأيت الأتِىَّ يُزبد جيّا   شاً ويرمى الجلمود بالجلمود

وتعالت فى القفر تكبيرة اللـ   ـه فدوَّى الوجود بالتحميد

ثبت المسلمون فى لقية الرو   م وعاصوا فى القسطل المزرود

وفرَوهم بكل ماض صدوق   كصباح يفرى الدجى بعمود

لا يُرى منهمُ ضحى اليوم إلا   آيسٌ من نجاته أو مُود

وأُسودُ الصحراء قد غنموا النصـ   ـر وفازوا بالمأمل المنشود

مَنْ يُرِدْ فرحة النعيم المرجى   يصدق الله فى ظلال البنود

الصحارى يا سحر هذى الصحارى   آيةُ الله فى كتاب الوجود

نورة الشمس فى خِضَمٍّ من النو   ر سحيق نائى المرام عهيــد

الأراذئُ فى حماها تَنَزَّى   قاذفات باللاهب الموقود

يا لها الله من جحيم تَلَظَّى   تخطف الروع من جنان الجليد

هى للائذ المحب أمانٌ   وهى للغاصبين نار الوعيــد

أى زهو تثيره هــذه البيـ   ـد بقلب بحبهــا معمود

نهض الفجر فى حماها بهيا   حافلا بالسنا النقىِّ الفريد

عانقتها الأضواء في هبة الصبـ   ـح فأزرت باللؤلؤ المنضود

سكبت فى فضائها المسجد الصر   ف وحلَّتْ أفياءها بالعقود

أشرق اليمن من محاريبها الزُّهـ   ـر ومحرابها محط السجود

ها هنا يا صحابتى معبــد اللـ   ـه على غابر الزمان الأبيد

لله . . . !!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« سألتنى القوت حسناء ، وهى لا تدرى أنى . . . شاعر ! »

مَالِى أَرَاكِ الْيَوْمَ ؟... نَارُ الضَّنَى
تَـكَادُ مِنْ عَيْنَيْكِ تَلْقِى الشَّرَرْ !

رُفَاتُ نُورٍ فِيهِما لِلْمُنَى   رَغْمَ الْأَسَى عَبْقَرِيُّ الْحَوَرْ
ونَعْشُ أَحْلَامٍ طَوَاهُ السَّنَا   وَسَارَ ... لا يَعْلَمُ أَيْنَ الْمَقَرّ
أَيْنَ ؟ ! وَكَمْ تُبْقِى اللَّيَالِى بِنَا   مِنْ رَحْمَةٍ تَأْسُو جِرَاحَ الْقَدَرْ
لا تَنْدُبِيهِ عِنْدَنَا ... إِنَّنَا   أَقْسَى قُلُوباً مِنْ صَفَاةِ الْحَجَرْ !

والصَّوْتُ .. ماذا فى صَدَى نَبْرِهِ ؟   أَنِينُ ثُكْلٍ أَمْ تَشَاجِى يَتِيمْ ؟!
شَاكٍ أَذَابَ الرُّوحَ فى خَمْرِهِ   لَـكِنَّهُ رَغْمَ التَّشَكِّى رَخِيمْ
سَاقٍ مَضَى بِالدَّمْعِ فى دَهْرِهِ
يَسْقِى الْحَزَانَى مِنْ شَرَابِ الْجَحِيمْ
لَوْ طَافَتِ الدُّنْيَا عَلَى خَمْرِهِ   لَمَا صَحَا فى الْبُؤْسِ مِنْهَا نَدِيمْ
لَـكِنَّهَا صَمَّاءُ عَنْ سِحْرِهِ ...   مَا يَفْعَلُ الشَّاكِى لِسَمْعٍ لَئِيمْ ؟!

***

وهَذِهِ الْـكَفُّ الَّتِى مَا تَرَى   مِعْصَمَهَا البارِى لِغَيْرِ السِّوَارْ !
بَيْضاءُ كَالزَّنْبَقِ فَوْقَ الثَّرَى   أَلْقَتْهُ رِيحٌ فى هَجِيرِ الْقِفَارْ
الذُّلُّ سَوَّى حُسْنَهَا مِنْبَرا   يَهْتَزُّ بِاللَّيْلِ فَيُبْكِى النَّهَارْ
والنَّاسُ مَلُّوا شَدْوَهُ ... يَا تُرَى   لِمَنْ يُنَادِى يَا تُرَابَ الدِّيَارْ ؟
سَائِلَةَ الْقُوتِ بِهَذَا الْوَرَى   كُفِّى ... فَمَا تَلْقَيْنَ إِلَّا الْخَسَارْ !

***

الثَّغْرُ رَفْرَافُ الْهَوَى لِلْقُبَلْ   لَـكِنَّهَا ذَابَتْ عَلَى بُؤْسِهِ
والصَّدْرُ نَامَتْ فى أَسَاهُ الشُّعَلْ   وَاهْتَاجَ لِلْقُوتِ لَظَى حِسِّهِ
والسِّحْرُ فى الْأَجْفَانِ يَنْعَى الْأَمَلْ
وَيَسْأَلُ الْخَيْبَةَ عَنْ رَمْسِهِ !
بِنْتَ الطَّوَى ! ذُوبِى بُكَاءً وَهَلْ   يَوْمُكِ إِلَّا مِنْ صَدَى أَمْسِهِ !
الدَّهْرُ بِالرُّكْبَانِ لَاهٍ ثَمِلْ   وَالْحَظُّ مَطْوِيٌّ عَلَى نَحْسِهِ !
سَأَلْتُهَا : مَا بَالُ هَذَا الْجَمَالْ
أَسْيَانُ فى الدُّنْيَا ، حَزِينٌ ، لَهِيفْ ؟!
مَاتَ الْهَوَى فى ظِلِّهِ وَالدَّلَالْ   وفِتْنَةُ اللَّمْحِ ، وَسِحْرُ الرَّفِيفْ
وَاصْفَرَّ حَتَّى عَادَ فى الْخَيَالْ   رَيْحَانَةً أَبْلَى شَذَاهَا الْخَرِيفْ
قَالَتْ : تَحَاسَرِى ذُلُّ السُّؤَالْ   وَخَيْبَةُ الْحَظِّ لِحُسْنِى الْعَفِيفْ
إِنْ قُلْتُ : قُوتاً ! قَالَ إِثْمُ الرِّجَالْ :
بِالْعِرْضِ لَا نَبْخَسُ حَقَّ الرَّغِيفْ !

محمود حسن اسماعيل

ها هنا مشرق النبوة ، مهوى ال   خير مجلى الحلم السنىّ السعيد
ها هنا دارة المناعة والبشـ   ـر وما شئت من سخاء وجود
ها هنا البأس والجراءة والحز   م ومستعصم الفخار الوطيد
ها هنا معقل الغطارفة الغـ   ـر ومستوطن العلاء التليد
ها هنا السيف صورة الأمل البكـ   ـر وترنيمة الشجاع النجيد
وعلى البيد صورة تبهر العيـ   ـن جلالا بسحرها المسرود
طوّف الدين ساحها ثم أسرى   يغمر الكون بالضياء الجديد
أمتع الرمل يملأ الأرض تسبيـ   ـحاً بشدو محبب مودود
هدهدته قيثارة تتغنى   بلحون قدسية الترديد
جازه العُرْب فى مواكب للنصـ   ـر تفادى على اللواء المجيد
أذن الله للصحارى فماجت   ساحتاها بقاحمين أسود
يا جنود الحق المبين سلام   أنتم للعلاء خير جنود
بكم عزت الحنيفة فى الكو   ن ونالت شأو المرام البعيد
فتحوا الأرض فاستقادت لفتح   ناصع كالسماء هاد رشيد
غيرهم يفتحون للذل والعا   ر وهم للعلاء والتشييد
ثم دال الزمان من ناسه الغـ   ـر فقرت سيوفهم فى الغمود
واستكانت إلى الكرى فعلها   صدأ الدهر من طويل الهمود

« بغداد »   أنور العطار



الدمـــوع

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان ريكاردس أرملاً يعيش مع ابنته الوحيدة . وكان كثير التنقل من مسكن إلى مسكن ، ولكنه لم يترك لوندرا فى وقت من الأوقات . وكانت المساكن التى يقيم فيها من النوع الحقير الذى تؤجر فيه كل غرفة على حدة ، وتدفع أجرتها مقدماً

وكان كثيراً ما يلجأ إليه المجرمون للاستشارة ، فيفتيهم بما يدفع عنهم العقاب أو يجد لهم الوسيلة للخلاص . ولكنه هو نفسه لم يكن مجرماً ، وإن اعتمد فى رزقه عليهم وعلى مؤلفات صغيرة يصمها عن المجرمين والإجرام

كان أكثر زواره من طبقة الحدادين والنشالين واللصوص المتدئين وخدم المنازل . وكانوا يطلقون عليه لقب (العلامة لتفننه فى ضروب الحيل)

وكان يقول لهم إنه قضى الشطر الأول من شبابه طالباً فى جامعة اكسفورد ، وإن له أصدقاء من بين الوزراء واللوردات . وكانوا يجدون أمامه كلما زاروه أكداساً من الكتب ، ومجاميع من صور العظماء . وكانت بنته فيوليت ذهبية الشعر جميلة العينين رشيقة القد . وهى تقوم فى المنزل بكل أنواع الخدمة ، من الطبخ إلى الكنس إلى مشترى الحاجات من السوق . وكانت زكية نشيطة ، وقد بدأ أبوها يحد من حريتها ويراقبها مراقبة شديدة لما بلغت عامها الرابع عشر . وذلك لأنه لاحظ أن بعض زواره كانوا يغمزونها بألحاظهم، وظن أنها كانت تنتهز فرصة يكون فيها غافلاً فتبسم لاحدهم . وقد لاحظ مرة أو مرتين أنها تركته فى أثناء حديث له معتذرة بعذر من الأعذار . ولكن اتضح أن العذر مكذوب ، وأنها خرجت لتحادث أحد الشبان على السلم

وكان فى مثل هذه الحالة ينفض ويحتد ويطرد زائره ويأمره بعدم العودة ، ثم يستدعى فيوليت فيأمرها بملازمة حجرتها

وفى يوم من الأيام استأذنته فيوليت فى الذهاب إلى السينما مع أحد أصحابها فقال : « كلا لا تذهبى »

قالت : « حتى ولا مع سوانى جيمز ؟ » . فقال : « لا تذهبى مع أى إنسان »

قالت وقد بدا عليها ما يبدو على سائر الفتيات فى حالة العناد : « ولكننى أريد أن أذهب فلماذا تمنعنى ؟ » فقال : « لأنى آمرك بعدم الذهاب »

فهزت رأسها الجميل الشعر وقالت : « هب أنى ذهبت بالرغم من منعك ؟ » . فقال : « إذن أضربك عند عودتك »

قالت : « وهب أننى لا أعود إلى المنزل ؟ » . ثم اغرورقت عيناها الجميلتان بالدموع وقالت : « هب أننى ألقيت بنفسى تحت الترام أو القطار أو فى البحر ؟ »

فهز العلامة كتفيه وأجابها بجواب خشن . واعتادت أن تسكت عند مثل هذه الحالة وتكف عن مطالبته بالذهاب

ولكن لا يحسب القارئ أن معاملته إياها كانت خشنة على الدوام ، فقد كان كثيراً ما يلاطفها خصوصاً إذا شرب وانتشى ، ويصفها بأنها عزاؤه وتسليته ويقول لها إن أمها أوصته وهى تموت بأن يعنى بها ، وإنه لهذا السبب يحرص عليها ويبذل من أجلها كل ما يستطيع ، وإنه إذا منعها عن جيمز وأمثاله فإنه يعلم أن أمثال هؤلاء سيجرون إليها المتاعب فى المستقبل ، وإنه سيجد لها الزوج الكفء فى الوقت المناسب

لكن كل شيء من هذا قد ذهب وقت أوانه وأصبحت فيوليت في السابعة عشرة فلم يعد يستطيع تهديدها بالضرب ولم تعد تجدي معها النصائح ، فإذا ما أراد إرغامها على رأيه هددت بالانتحار فيضطر إلى الإذعان . ولم يعد له من سلاح غير لسانه الذي يلجأ إليه في قليل من الأحيان

وكانت في هذه الحالات تلجأ إلى الدموع

ولما تجاوزت العام السابع عشر وجد أبوها وسيلة جديدة للرزق هي إرسال خطابات يطلب فيها المساعدة من كبار المؤلفين والكتاب وإلى من يقيمون من أنفسهم مقام الرعاية لحملة الأقلام. وكان يقول في خطاباته إن حرفة التأليف كسدت في مدة الحرب وفي العهد الذي تلاها. وإنه يرتزق من قمه، وإنه لا يملك حتى طابع البريد الذي يرسل به الخطاب ، وإنه لذلك يبعث به مع ابنته الوحيدة فيوليت .

ثم يسلم الخطاب إلى ابنته ويأمرها بأن ترتدي أقدم ثيابها وتضع في كفيها قفازين باليين ، ويبحث في فهارس الكتب عن أسماء المؤلفين وعناوينهم ، ويوصي ابنته بأن تصطنع الكآبة وتزعم أنه ليس في المنزل طعام وأن تقلل معهم من الكلام بقدر المستطاع

قالت : « وهل أقول ليس في المنزل شراب أيضاً ؟ » فقال : « إياك أن تذكري اسم الشراب ، وانتظري حتى يسلم إليك الرد »

وفي أول مرة كلفها بذلك ذهبت وعادت فوضعت أمامه عشرة جنيهات فاستخفه الطرب وقال : « كيف أمكنك الحصول على كل هذا ؟ »

فقالت : « لقد فعلت كما أمرتني ، فأبى الرجل أن يعطيني شيئاً ولكني بكيت »

قال : « بكيت ؟ كيف ؟ هل آذاك ؟ »

فقالت : « كلا »

قال : « ولكن كيف تبكين ؟ هل تأثرت من ذهابك بهذه الرسالة ؟ » فقالت : « كلا يا أبي ، ولكني وجدت البكاء وسيلة لتنفيذ المهمة التي ذهبت من أجلها »

قال وقد بدت عليه علائم الراحة والاطمئنان : « خبريني يا فيوليت . هل في استطاعتك البكاء كلما أردت ؟ » . فقالت : « نعم . فإن معاملتك إياي منذ الصغر سهلت علي اصطناع البكاء »

فلاطفها وواساها وقال : « تعالى يا ممثلتي العزيزة . إنني أهنئك بمستقبل باهر »

وكان ذلك اليوم بداية عهد جديد ترك فيه العلامة إفتاء المجرمين وترك حرفة التأليف ، وعكف على تحرير الخطابات وإرسال ابنته بها

ولقد أغنته هذه المهنة فأيسر ، ولكنه ما زال عاكفاً على إرسال الخطابات

وفي يوم من الأيام جاءت إليه الخادم بخطاب وقالت : إن الفتاة التي حملت هذا الخطاب تنتظر مقابلته بالباب . فقال : «أسمعيني ما في خطابها» فقرأته ، وهو خطاب من مؤلف كسدت سوق بضاعته ، وليس في منزله طعام ، ويريد مساعدة مالية لا تقل عن عشرة جنيهات

قال ريكاردس : « أطردي التي جاءت بهذا الخطاب » .

فقالت الخادم : « أخشى يا سيدي ألا يكون هذا في استطاعتي . إنها تبكي وحالتها مؤثرة جداً ، وتقول إنه ليس في منزلها طعام »

قال : « اطرديها . فلماذا يلجأ إلي من أرسلها ؟ عنده نقابة المؤلفين ، وعنده الجمعيات الخيرية المختلفة »

فخرجت الخادم وهي تفكر في وحشية سيدها الذي يأمر بطرد فتاة مسكينة لا تجد هي ولا أبوها القوت الضروري . ثم عادت فقالت: إن الفتاة أبت أن تنصرف ، وألحت عليه أن يقابلها. فنزل ريكاردس ووجد الفتاة في ثياب سوداء وفي يدها قفاز كله ثقوب . وبكت أمامه بدموع حارة ، وأقسمت بصوت متهدج ، أنه ليس في منزلها قوت . فاضطر ريكاردس أمام هذه الدموع إلى إعطائها خمسة جنيهات »

وربما أدرك القارئ أن تلك الفتاة لم تكن سوى فيوليت متنكرة ، وقد غيرت صوتها ، وأنها تمثل أمام أبيها نفس الدور الذي كان يرسلها لتمثيله أمام الناس

وفي يوم قريب من هذا الحادث طلبت فيوليت إلى أبيها أن يأذن لها بالذهاب مع جيمز للنزهة. فأبى وأصر على إبائه، وأطاعته وقد كظمت غيظها وأصرت على فكرتها

في عصر ذلك اليوم سلم إليها أبوها خطاباً إلى أديب كبير في ضاحية من ضواحي المدينة لأنه كان قد استنفد أسماء القيمين فيها، فذهبت لأداء هذه المهمة بعد أن زارت مكتب أبيها وأخذت منه أوراقاً

وانقضى اليوم ولم تعد ، وانقضى اليوم التالى كذلك ، وكاد أبوها أن يجن ، وأشيع أنها تزوجت من جيمز وأنها تقيم معه فى منزل قريب من منزل أبيها

وتفقد مكتبه فوجد كيس نقوده مفقوداً ، وكذلك دفتر مذكراته الخاص وبيان طويل بأسماء المؤلفين وعناوانهم ، فكان حزنه على البيان والدفتر أكثر من حزنه على المال المفقود لعلمه أن هذين هما مصدر ثروته . وأدرك أنها ذهبت إلى جيمز لتؤدى له الخدمة التى كانت تؤديها لأبيها فامتلأت نفسه بالأحقاد على هذا المزاحم

وبعد أسبوع واحد تقابل ريكاردس وجيمز فى الطريق فأمسك الأول بتلابيب الثانى ، وطلب إليه أن يرد ابنته أو يسوقه إلى البوليس، لأن فيوليت لم تبلغ العام الحادى والعشرين فلا حق له فى الزواج منها إلا بإذن أبيها . وقال إنه إما أن تكون معاشرته إياها سفاحاً معاقباً عليه لعدم بلوغها تلك السن ، وإما أن تكون متزوجة بعقد مزور

قال جيمز : « إذن فلنذهب إلى البوليس وأنا مستعد للعقوبة إن كان ثمت عقوبة ، ولكنى سأقدمك للمحاكمة وعندى الأدلة بخطك من دفتر مذكراتك ، ومن بيانك بأسماء المؤلفين . وسأقول إنك تعيش من أموال تحصل عليها بطريق النصب لأنك تطلبها بأسباب غير صحيحة ؛ وبنتك تشهد عليك »

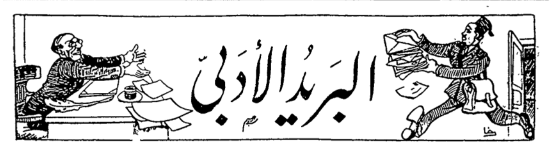
لما سمع ريكاردس ذلك وجف قلبه وفتر تحمسه وترك خصمه وذهب قانعاً من الغنيمة بالإياب

وفى اليوم التالى نشرت الصحف إعلاناً هذا نصه :

« رجل من المشتغلين بالأدب متقدم فى السن يريد أن يتبنى فتاة يتيمة فى السابعة عشرة من العمر . العنوان : صندوق البريد رقم ٧٣١٥ »

وليس فى استطاعتى إلا أن أفهم أن صاحب هذا الإعلان هو ريكاردس وأنه يريد الاستعانة باليتيمة عن بنته وممثلته فيوليت .

عبد اللطيف النشار



الدكتور طه حسين في ذكرى الأستاذ صادق عنبر

دعت (رابطة الإصلاح الاجتماعي) جمهوراً كبيراً من رجال العلم والأدب والصحافة إلى حفلة أقامتها بدار الجمعية الجغرافية الملكية بمناسبة مرور عام على وفاة المرحوم الأستاذ صادق عنبر. وقد افتتح الحفلة الأستاذ أنطون الجميل بك بكلمة بليغة ثم تعاقب الأدباء والعلماء من أصدقاء الفقيد وتلاميذه والمعجبين بأدبه، فتكلم الأستاذ جاد المولى بك عن شخصيته، والاستاذ المهياوي عن أدبه، وألقيت قصيدة للأستاذ الكاشف، وألقى الأستاذ محمود بيرم التونسي زجلاً رقيقاً، والشاعر الشاب أحمد عبد المجيد الغزالي قصيدة

وكانت الحفلة تليق بذكرى الفقيد الراحل وتدل على أن الأديب يعيش في أدبه العالي ويمتد عمره في أصدقائه الخلصاء

وهنا مسألة لا بد من الإشارة إليها، فقد ذكر الأستاذ المهياوي أن الأستاذ صادق عنبر هو الذي كان يكتب تلك المقالات المعروفة في نقد النظرات للمنفلوطي، وأن الدكتور طه لم يكن له فيها إلا الإمضاء؛ وقد أيده الأستاذ عبد الرحيم بن محمود في هذه الدعوى الجريئة؛ وأذكر أن كاتباً كتب مثل هذا الكلام منذ سنوات في مجلة الزهراء

ونحن بشهادة العيان ننكر هذه الدعوى أشد الإنكار، لأننا كنا مع الدكتور ساعة كان يمليها ويدفع بها إلى الجريدة، وقد ذكرنا في بعض مقالاتنا أسباب ذلك. ولا ندري كيف يسيغ العقل هذا والدكتور طه كان يومئذ أقل من الأستاذ صادق عنبر سناً ونفوذاً وشهرة. وما الحكمة في أن يكتبها الأستاذ عنبر ويمضيها الدكتور طه وذاك موظف في جريدة (العلم) وهذا أجنبي عنها؟ إن الدكتور طه يأبى عليه طبعه أن يضع اسمه هذا الموضع، وإنا لنعلم أنه نحل كثيراً من الناس مقالات وبحوثاً وكتباً نالوا بها الشهادات والدرجات والثروة

فلم «الدكتور»

تعرض «شركة مصر للتمثيل والسينما» هذه الأيام في مدينة القاهرة شريطاً مصرياً محضاً عنوانه «الدكتور». وبعيد أن أقف هذه الكلمة على العرض والوصف والبحث؛ فإنما الذي في نيتي أن أحدث قراء هذا الباب من «الرسالة» عما خلص لي من قصة «الدكتور». وذلك لأن الذي يعنيني من المظاهر الأدبية والفنية في مصر إنما يرجع إلى الناحية الاجتماعية خاصة

أما تمثيل القصة فيدلنا على أمرين: الأول مهارة الممثلين المصريين في فن «المهزلة» Comédie (مثلاً مختار عثمان وفؤاد شفيق)، ولن أنسى ساعة يدخل الخادم الريفي على الباشا وزوجه فيجري حديث صامت يضحك المصلوب. والسبب في ذلك أن التمثيل في مصر قام — أول ما قام — على المسرحيات الهزلية، وأن سليقة المصري إلى الخفة والطرف والمرح والمحاكاة الساخرة ميالة. وأما فن المأساة فالمصري لا يتقنه بعد لأنه لا يحكم كيف يمثل الإنسان، الإنسان من غير صفة تصفه، الإنسان على سجيته. وتعليل هذا أنه تجذبه المبالغة في التعبير على الغالب وتعوزه قوة الصدق في الإحساس الدفين أحياناً

والأمر الثاني مضيّ الممثلات في طريق الإتقان، من حيث أنهن طرحن التكلف وسلمن بأن التواضع فضيلة وأدركن أن الكلام الملقى مصدره القلب أو العقل لا الذاكرة ولا الدعاية «الشخلعة» ... وما ضرّ الأستاذ سليمان نجيب وهو بطل القصة (مع لقب بك) لو حذا حذوهن فتحلى بالبساطة وأطلق وجهه من الإطار الذي حبسه فيه: إطار يغلب عليه الجفاء ويطّرد فيه الانقباض مع شيء من العجب؛ إطار يحصر ابتسامة لا تتبدّل

كأنها مسمرة به، ولا تَرِف لأنها على حظ من التقبّض

بقيت القصة (وهى من تصنيف الأستاذ سليمان نجيب). ومجمل القول فيها أنها تصلح موضوعاً لخطبة يخطبها مصلح اجتماعى متطرف. وإليك فقرات من البرنامج المطبوع، وقد ذكرت بحروفها أو بمعانيها فى أثناء التمثيل:

« فلم الدكتور صراع بين الحب العاطفى والحب الأبوى » ، « مشكلة العصر: الرجل، المرأة: أيهما يسود » « فيلم الدكتور يعالج داء قاسياً داء التماسك بالطبقات والتغاضى عن قيمة الأشخاص » « فلم الدكتور بعيد إلى الريف المصرى مجده وعظمته ويرد إليه أبناءه الذين سحرتهم مدنية المدن وبهاؤها البراق الخداع » ، « حياة اللهو وحياة الاستقامة: أيهما أفضل » ، « حياة الترف فى الحضر وحياة البساطة فى الريف » الخ ...

بالله ما هذا الداء المتفشى فى المؤلفين عندنا ولا سيما الذين يؤلفون للمسرح والسينما؟ يريد كلهم أن ينقلبوا وعاظاً. فهل لهم — أصلحهم الله وأبقاهم ذخراً للفضيلة ومكارم الأخلاق! — أن يضعوا العمائم على رؤوسهم، أو يجلسوا القلانس على مقدمها فيرتقوا المنابر ليوعدوا خلق الله أو يعدوهم؟

ما هذا التهويل؟ الأديب المصلح يشير ويغمز لأن الأدب فن، أو يظن المؤلفون عندنا أن جمهورنا بليد أية بلادة حتى أنه يحتاج إلى التنبيه الصريح؟ ثم ما هذا الادعاء؟ هل سألهم الجمهور أن يسقطوا الفن إلى التأديب؟ وما هذه المشكلات التى يعرضها شريط « الدكتور »؟ الحب العاطفى والحب الأبوى، الريف والحضر. اللهو والاستقامة... تلك أحاديث طريفة جداً حقاً!

ثم إن مثل هذا اللون من القصص السينمائية الناهضة على الوعظ والنضال الفكرى يعوزه أجل العناصر شأناً: الحركة، نقاش وتدافع حجج وتبيين وتدليل، كل هذا ربما صلح للمسرح إلا أنه بعيد كل البعد عن السينما

و« الدكتور » — على هذا — يشمل قطعاً لطيفة بفضل حذق المخرج نيازى مصطفى وجودة الموسيقى على أيدى محمد الشجاعى وعبد الحميد عبد الرحمن ومهارة طائفة من الممثلين (وقد ذكرت بعضهم فوق) والممثلات أمثال فردوس محمد فدولت أبيض فأمينة رزق. فلا عدمنا « شركة مصر للتمثيل والسينما »

على الهامش: — متى يأتى الزمن الذى فيه تزن الكلام؟ فى البرنامج المطبوع ما حرفه: « فيلم الدكتور أروع ما جادت به قريحة مؤلف (هل هنالك غلطة مطبعية فتقرأ: المؤلف) وأعظم ما أخرجته عبقرية مخرج » (كذا) ... رحم الله هوليوود!

— كانت لغة القصة العامية على وجه الإطلاق، بل العامية السوقية أحياناً. ومهما يكن من شىء فقد ساء أذنى قول الآنسة أمينة رزق « يا دَكتور » (بفتح الدال) و « يا دُكْتر » (باختلاس الواو). وقد يحق لها هذا اللحن لو كانت ترتدى « ملاية لَفّ » والحال أنها تنعم فى « فساتين » على جانب عظيم من الأناقة

بشر فارس

معهد للغات الشرقية القديمة والحديثة

من المسائل التى نظرها مجلس جامعة فؤاد الأول، فى آخر الأسبوع الماضى مذكرة من كلية الآداب بمشروع قانون بإنشاء معهد للغات الشرقية

وقد قرر المجلس إحالة المشروع إلى لجنة اللوائح والقوانين لدراسته ووضعه فى الصيغة القانونية

وقد علمنا أن هذا المعهد سيضم ثلاثة أقسام: الأول خاص باللغات الشرقية الإسلامية القديمة. والثانى خاص باللغة السامية. والثالث خاص باللهجات العربية القديمة والحديثة. وربما تقرر أيضاً تدريس اللغات الفارسية والتركية والصينية

وسيقصر دخول هذا المعهد على طلاب كلية الآداب الذين يحصلون على درجة الليسانس، وستكون مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات. والمفهوم أن تلاميذ قسم اللغة العربية هم الذين سيمونون المعهد. ولكن سيباح لطلاب الأقسام الأخرى أن يتقدموا إليه إذا تحققت فيهم الشرائط التى تستوجبها الكلية فى الطلاب

التعليم الدينى فى المدارس

قامت وزارة المعارف فى خلال العام الماضى بجهود مشكورة للتوسع فى التعليم الدينى بمدارسها، عاملة على جعله أساساً للنهضة القومية الحديثة، وتنشئة الطلاب على مبادئه وآدابه تنشئة تقوم

عليها تقوية الأجيال المقبلة روحاً وعقلاً ونظاماً

وتقوم الوزارة الآن سيراً على هذا النهج بإعادة النظر فى هذا الموضوع من حيث الاعتبارات الآتية :

١ — تقدير أثر العناية التى بذلتها الوزارة أخيراً بمناهج الدين

٢ — المقارنة بين المناهج الحالية والمناهج السابقة من وجهة خطوات التعديل

٣ — الاطلاع على مبلغ عناية المدرسة وتلاميذها بهذه المادة بدراسة تقارير المفتشين

٤ — وضع بيان بالموضوعات التى يجب أن تشملها كتب الدين المقررة لمدارس الجنسين ، واختبار وفاء الكتب الحالية بهذه الموضوعات

٥ — النظر فى هل تقصر العناية بالدين على ما بين المدرس والتلميذ من تجارب يرجع إلى مقدرة كل منهما ، أو العمل على جعله مادة أساسية يمتحن فيها الطلبة فى آخر العام مثل غيرها من مواد اللغات والعلوم

وتتجه العناية أيضاً إلى اختيار مدرسى الدين من بين الذين أهلتهم ثقافتهم إلى عدم الاعتقاد بوجود تعارض ما أو جفوة بين تطبيق تعاليم الإسلام وبين مقتضيات العصر الحاضر ، وهم الذين عرفوا أسرار الدين معرفة عقلية وقلبية دون الوقوف عند حد النظريات

ويطلع كبار مفتشى اللغة بوزارة المعارف الآن على الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع لإبداء ملاحظاتهم عليها بما يلائم هذا التوسع توطئة لوضع تقرير توجيهى للعناية الواجبة نحو هذه المادة

بعثة ألمانية للأبحاث العلمية فى الحبشة

سافر فى منتصف يناير من مدينة ميونيخ عشرة من أعلام الألمان بينهم الدكتور فون سالفلد الذى اشتغل فى الجامعة المصرية أربعة أعوام ، فى رحلة إلى بلاد الحبشة وكينيا وتنجانيقا ، للقيام بأبحاث تتعلق بعلم الانتروبولوجيا وعلم الأجناس والحيوانات ، كل هذا لحساب متحف ميونيخ الطبيعى

ويرأس هذه البعثة العلامة الدكتور هارتل مار الذى سبق أن تولى رياسة مثل هذه البعثات من قبل فى أفريقيا أو الهند

ولا شك أنهـا ستجد كل معاونة من السلطات الإيطالية فى الحبشة

ترقية الأغانى المصرية

تقوم وزارة المعارف الآن بمشروع هام لإصلاح ناحية لها خطرها فى النهضة الاجتماعية العامة عند الشعب ، وهى ناحية الغناء والموسيق . فقد لوحظ من زمن بعيد أنه على الرغم من الخطوات الواسعة التى خطتها مصر فى سبيل مجدها وقوتها وثقافتها فإن الجانب الفنى منها، والجانب الغنائى على الأخص، لا يزال متأخراً عن الهدف الرفيع الذى تتمشى إليه

ويتلخص مشروع الوزارة فى أن تعهد إلى طائفة من الشعراء الممتازين تأليف خمسين قطعة غنائية فى مختلف الموضوعات التى تفى بما يجب توفره فى أغانى أمة قوية معتزة ناهضة ، على أن تعهد إلى طائفة أخرى من كبار الملحنين وضع الألحان المناسبة لها

وستترك الحرية لهؤلاء الشعراء والملحنين فى القيام بعملهم خاضعين فيه لوحى شعورهم وإلهامهم الخاص ، وتعطى على القطعة الواحدة عشرة جنيهات للتأليف وعشرة أخرى للتلحين . على أن يتجدد تأليف هذه الأغانى كل سنة حتى يتوفر منها العدد الكافى الذى يقضى على ما هو موجود الآن

وستتبع الوزارة فى موضوع « الأناشيد » نفس ما تتبعه فى الأغانى ، إذ رأت أن الذين يضعونها الآن من ناحية الصناعة لا ناحية الشعور يضرون بالقيمة الفنية التى لو توفرت فيها لأثمرت فيما وضعت له

ترشيح عميد الآداب لعضوية معهد التعاون الفكرى

تلقت وزارة الخارجية كتاباً من وزير الخارجية الفرنسية ، بوصفه مقرراً لمعهد التعاون الفكرى ، يرشح فيه صاحب العزة الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب عضواً فى المعهـد ، لما له من أثر ظاهر فى الثقافتين العربية والفرنسية

وينتظر بعد أن توافق مصر على هذا الترشيح ، أن يعرض الأمر على سكرتيرية عصبة الأمم لإقراره

المباراة الأدبية بين رجال التعليم

طلبت وزارة المعارف ، إلى اللجان الفرعية التي كلفت لدراسة المؤلفات التي وضعها رجال التعليم في مختلف نواحي المباراة الأدبية وبحثها ، أن تقدم تقاريرها قبل يوم ١٨ فبراير القادم

وقد بدأت الرسائل الخاصة بالموسم الثاني لهذه المباراة ترد على الوزارة توطئة لدرسها واتخاذ قرار فيها

التدريب والتكليب

استفاض على ألسنة الكثرة المثقفة قولهم « الكلب هول ومدربه فلان ... » وهو خطأ لغوى إذ الصحيح أن يقال : « الكلب هول ومكلبه فلان ... » سواء أرادوا بفلان أن يكون مسلطه على الجناة للدلالة عليهم أو هو الذى ضراه وعلمه طريقة الإرشاد إليهم، إذ بكل من المعنيين وردت كلمة «مكلب» في لغتنا بصدد الحديث عن كلاب الصيد ولا يصح استعمال غيرها في هذا الصدد، وما تسليطه على الجناة للدلالة عليهم إلا كتسليطه للصيد وتعويق المصيد .

وقد جاء في لسان العرب ص ٢١٧ من الجزء الثاني « ومكلب مضر للكلاب على الصيد معلم لها؛ وقد يكون التكليب واقعاً على الفهد وسباع الطير . وفي التنزيل العزيز وما علمّم من الجوارح مكلبين . والكلاَّب — بتضعيف اللام — صاحب الكلاب ، والمكلب الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد. وفي حديث الصيد : إن لي كلاباً مكلبة فأفتني في صيدها . المكلبة المسلطة على الصيد المعودة بالاصطياد الذي قد ضريت به والمكلب بالكسر صاحبها والذي يصطاد بها »

احمد عبد الرحمن عيسى

مؤلفات موسيقى نابغ

جاءنا من وارسو أنه سيصدر في فبراير القادم الجزء الأول من مؤلفات الموسيقى شوبان البولوني المشهور .

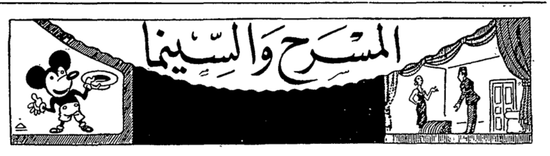
وسيشرف الموسيقى الماصر السيو بدرفسكي على إخراج هذه المؤلفات . وينتظر أن يتم إخراجها جميعا في مدى أربعة أعوام

فياليت هـذا العمل يكون له مشابه في مصر وفي الشرق فنجد من يعنى بإحياء مؤلفات تعـد من الكنوز سواء في العلم أو الأدب أو الفن .

ولا يصعب العثور في دار الكتب المصرية على مخطوطات إذا عمل على نشرها وإذاعتها فإنها ستكون موضع عناية أمم العالم وتصبح بمثابة دعاية قيمة تسجل لنا السير في مضمار الأمم الناهضة فعلاً لا قولا .

احياء ذكرى العلماء والأدباء

قررت الحكومة التركية إصدار مجموعة من طوابع البريد لمناسبة انقضاء خمسين عاماً على وفاة الشاعر القوى نامق كمال ، وستحمل تلك الطوابع صورة الشاعر وبعض كلمات من شعره



في الفرقة القومية

المخرج فلاندر وسكرتير الفرقة

الخواجة فلاندر مخرج استقدمته الفرقة من بلده باريس ليعمل فيها بعد إذ عاف الأستاذ زكي طليمات العمل ، وبعد إقصاء الأستاذ عزيز عيد عنه والاكتفاء بالمخرج عمر الجيمي ريثما يعود فتوح نشاطي الموفد إلى فرنسا للتخصص في فن الإخراج

والخواجة فلاندر له ذوق وله فن ، وهو رغم جهله لغتنا العربية وعادات أمتنا وتقاليدها ، قد استطاع أن يساهم في إخراج بعض روايات موضوعة فكساها رونقاً وأضفى عليها بهاء فنياً ، كما أخرج رواية مترجمة يعرفها في الأصل إخراجاً تقليدياً لا اعتراض عليه في الشكل المسرحي ، والحركة التمثيلية . ولا أقول شيئاً في الإضاءة لأن معداتها ناقصة نقصاً لا سبيل إلى تداركه

ولعل أحسن الروايات التي أخرجها ، وأدناها إلى الدلالة على استعداده الفني هي رواية « المتحذلقات » المكونة من فصل واحد

أزعم أن لمحة واحدة من الناقد يلمح لمانها في رجل الفن تكفي للدلالة على أن وراءها ما بعدها . فلمعان فن الخواجة فلاندر بدا في قدرته على إلجام ممثلات وممثلي رواية المتحذلقات وتقييدهم كما يفعل مروض البغال الشموسة ومدرب البغباوات ، وفي صدهم عن الإسراف في العطاء أكثر من اللازم الواجب . مثال ذلك : الممثل الضحاك فؤاد شفيق كان أكبر همه استلفات النظر إلى حركاته وإشاراته ، غير آبه لإرشادات المخرجين بدعوى أنه يفهم فنه أكثر منهم ، ويدرك رغبات النظارة وميولهم ، وغير حافل بما تحدث حركاته وإشاراته من خلل في سياق الرواية ومن صرف الأذهان عن الغرض الصارم الذي مهد له المؤلف بنكتة أو إشارة ، إذ كانت غايته كما قلت إضحاك الناس فقط

وهكذا الممثلة أمينة نور الدين فقد اقتبست بعض حركات من بعض ممثلي السينما أمثال هاردي ولوريل وأضرابهما ممن يقوم تمثيلهم على الحركة المفتعلة . ولم تكتف بالأخذ عنهم كالقردة بل أخذت تغرق في التقليد والافتعال إغراقاً ممجوجاً وهذا ما دعاني إلى تشبيهها « بالساروخ » إذا اشتعل وارتفع في الفضاء تبدو نجومه لامعة وضاءة بعض لحظة، ولكن كثيراً ما لا يشتعل لفساد مادته فينخنق وهو في الأرض

أما هذا المخرج ، أو بعبارة أصح هذا المروض ، فقد استطاع أن يجعلهما يقومان بدورهما على وجه مقبول ، وهذا بعض المطلوب منه

ما كنت أبتغي الإلماع إلى هذه الناحية من النقد لولا حوافز ثلاثة :

١ — إدعاء قطب من أقطاب لجنة القراءة أن رأي النقاد المسرحيين لا يتعدى ، بل يجب ألا يتعدى ناحية إخراج الرواية وطولها وقصرها على الوقت المناسب

٢ — إدعاء قطب ثان أن ليس في مصر نقاد

٣ — شكوى الخواجه فلاندر من سكوت الصحف وإغضاء النقاد عنه

أما أنا فلن أسكت عن دحض الادعاء وعن نفي التهمة عن الناقدين المترفعين والأدباء المنصرفين عن الفرقة اشمئزازاً من أعمال رجالها الذين يتخبطون في ظلمات الادعاءات ، ولن أتراجع حتى أظهر العلل التي أخذت تتأصل في الفرقة لوزارة المعارف المغضية عنها ، ولأعضاء البرلمان الذين يغذونها من مال الأمة ، ولكني أقتصر الآن على تفهيم الخواجة فلاندر بأن في مصر صحافة قوية ، وفيها نقاد يحسب لهم ألف حساب ، وإن مصر

تتوقل فى نهضتها الثقافية سلم الارتقاء ، وتتوجه بدوافع فردية ، لا جماعية ولا حكومية ، صوب المثل العليا ، وإن قول المغرضين أن حظا يعتور الأدباء إنما هو محض افتراء على مصر الناهضة وشبابها اليقظ .

وإن فى الفرقة القومية — وباللأسف — جماعة ، وصلوا فى غفلة الزمن ، إلى وظيفة لم يخلقوا لها ، ومن هؤلاء موظف يقول إنه سكرتير الفرقة القومية واليد المنفذة لما يرتئيه أو يشير به مديرها والحامل « كرب بلانش » منه ، فهذا المخلوق السكرتير يتوجيه الدعوات إلى رجال الصحافة وحماة الأدباء يقتصر بدها عن الصحافة الناقدة ويبسطها بسخاء على الصحافة التي تنشر المدائح والتقريظ مأجورة بالمال ، ويفيض بها فيضا على من لا تذكرهم وعلى نسوة ما عرفن من الأوبرا سوى بابها الخارجى

وهذا المخلوق يعطى تذاكر الدعوات ، لا جوداً ولا كرماً كأصحاب البدوات . بل حرماناً وتشفياً من صحفة ومن أدباء يرون الفرقة قد تحولت إلى « تكية » ، وأن رجالها تهاونوا فى تحقيق غرضها الثقافى ، ومن هؤلاء المحرومين من « نعمة » سكرتيرها المبجل ناقد مجلة الرسالة

كم من صحيفة أمثال « الرسالة » لم تشملها نعمة الفرقة ! وكم من أديب مغضوب عليه من سكرتير آخر الزمان لأنه لا يذكره إلا بقدر فهمه المحدود ؟

ليت الخواجة فلاندر الذى يشكو من إهمال الصحافة والنقاد لفنه يعرف أنه ما من سطر واحد ينشر فى الصحف إلا بأجر يدفعه المدير . وليته يعلم مدير الفرقة ويفهم السكرتير الذى لا يفهم أن الفرقة القومية للتمثيل هى للأدباء ورجال الصحافة والمتأدبين وطلاب الجامعات والكليات والمدارس العليا . هى لهؤلاء قبل كل شىء ، وليست للمثلات يدعون إليها أترابهن ومعهن أصدقاؤهن ، ولا للمثلين يوزعون الدعوات على المارة وجلاس القهوات وموظفى المحلات التجارية

ليت الخواجة فلاندر يقول لمدير إدارة الفرقة إن « بيت موليير » يرسل تذاكر الدعوات إلى أساتذة الكليات ، وهؤلاء يوزعونها بالقسط على الطلاب ، وأن الطلاب يتهافتون على مسرح الكوميدى فرانسيز والأودبون وسواهما من المسارح التى تنفذها وزارة المعارف بالاعانات كما يتهافتون على مطالعة الكتب المفروضة عليهم

ليت الخواجه فلاندر يقول لمديره إن واجبه يحتم عليه تفقد مندوبى الصحف إذا تغيب واحد منهم ، وأن يسعى إلى الناقد يسأله عما عاقه عن حضور التمثيل ، وأن يأمر ببيع عدد من التذاكر بأثمان مخفضة كما هى الحال فى كل فرق التمثيل التى ترعاها الحكومة

ليت سعادة المدير يعرف أن الفرقة هى للأديبات والأدباء ، وأن مقاصير الأوبرا ليست لتاجر الخمور ، وبائع الأقمشة والخياط والحذاء الذين لا يعرفون ولا يفقهون من فن التمثيل شيئاً ، وأن الأليق من هؤلاء بجلوس المقاصير هم الذين يفهمون الحياة عن غير طريق جمع الملاليم إلى قروش والقروش إلى جنيهات تدحرجها ، مسرح حص . عرفة يغنيها عن استعارة الأوبرا بعض الوقت

أحسب أنى لو قلت فى حور الفرقة وهزالها وعجزها عن تحقيق بعض ما هو مطلوب منها تحقيقه أضعاف ما قلته لعددت نفسى من المقصرين ، ولكنى أرى لزاماً علىّ حرصاً منى على حياتها ، وتفادياً لما قد يخالط أذهان بعض الذين لا يرون سوى ظواهر الأشياء ، أن أشرك معى طائفة من الأدباء فى إبداء الرأى فى هذه المؤسسة التى أرادتها وزارة المعارف وأرادها نواب الأمة لغرض ثقافى نبيل ، فتحولت بفضل الرجال الأفذاذ إلى « مصطبة » للشيوخ العلماء المتعالين و « تكية » للكسالى من الممثلين والمتعطلين وفسا كل الصحفيين وحثالة المتأدبين

ابن عساكر


حالياً
فرصة
عظيمة
عند
شيكوريل

7me Année No. 292

Lundi - 6 - 2 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٢٩٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

كيف نعالج الفقر ؟

سؤال طالما وقع فى رَوْع النبيين والمصلحين والفلاسفة ممن يملكون القول والدعوة، ولكنه لم يدرْ أبداً بخَلَد الأمير فلان والباشا عِلّان والبيك ترتان ممن يملكون الفعل والتنفيذ. ومن بداهة العقل أن يفكر الأنبياء والحكماء فى معضلة الفقر، فإنهم نشأوا فى مهده الخشن، ودرجوا فى فنائه الضيق، وعاشوا فى مرعاه الجديب، ورأوا بأعينهم العَبْرى أثقال العيش تنوء بالظهور الضعيفة فتسقط فى طريق الحياة عرضة لزواحف الرذيلة وجراثيم المرض. ومن بداهة العقل كذلك أن تبقى معضلة الفقر من غير حل يطهر الأرض من سمومه، وينقذ الناس من همومه؛ فإن أرباب الحكم والتشريع والتنفيذ هم من سلائل النعمة وكنازِ المال، فلا يخطرون ببالهم الفقر، ولا يحطبون فى حبالهم الفقير؛ وهم يظنون إذا محا الإحسان الفاقة، ونفى التعليم الجهالة، أنهم لا يجدون الخدم ولا يملكون العبيد؛ والجاه من غير أذلاء زفة من غير نظّارة، والمال من غير فقراء مُلك بلا رعية

من أجل ذلك كان الفزع إلى الأقوياء والأغنياء من عوادى الفاقة تزييفاً على الطبع وتكليفاً بالمحال. ومن أجل ذلك كان تنظيم العلاقة بين القوة والضعف، والغنى والفقر،

عملاً من أعمال الله وحده، يرقّ عليه النفوس، ويرفع به الإنسانية، ويجمّل به الحياة. فإذا حار بنا الفاقة بسلاح الاقتصاد المحض كسنّ النظم، وتوسيع الموارد، وتوزيع العمل، وأغفلنا أثر الحظوظ والميول والأحوال والأمراض فى حياة المرء، قتلنا الفقر بقتل الفقير، كما يقتل الطبيب المرض بقتل المريض. إنما يحارَب الفقر بسلاح الدين ليس غير. وسلاح الدين فى مجاهدة البؤس أنه يجعل للفقير فى مال الغنى حقاً معلوماً لا يصح إسلامه إلا باعتقاده وأدائه؛ وأنه يقوى الإنسانية فى الإنسان حتى يشعر بالأخوة لكل مسكين، وبالرحمة لكل بائس. وبقوة الإنسانية وحدها فى الدول المتدينة كانجلترا وأمريكا أوشك البؤس أن يزول، فوجد كل مريض مستشفى، وكل هرم ملجأ، وكل يتيم مدرسة. وقد بلغ ما أنفقته الحكومة الانجليزية على أعمال البر فى سنة من السنين ثلثمائة مليون جنيه، ولا يقل ما يتبرع به الشعب البريطانى للمستشفيات وحدها عن خمسين مليون جنيه فى العام!

***

الدين هو الطب الوحيد لأدواء المجتمع؛ فإذا غرستموه فى قلوب النشء، وقويتموه فى نفوس الشباب، جعل من الأمة أسرة متماسكة البناء، متضامنة الأعضاء، يعين سعيدها الشقى، ويحمل قادرها العاجز، حتى يقطعوا مراحل الحياة رافهين لا يمسهم نصب، ولا تجافى بينهم عداوة

مَن غير الله يستطيع أن يرقق هذه الكبد الغليظة فى هذا الغنى المبطان الذى غلا فى الكبر، ولج فى الهوى، ودلّل نفسه على ذل الناس، وأمسك رزق الله فى خزائنه فلا يطلقه إلا لشهوة أو نزوة؟

من غير الله يستطيع أن يقلّب البِصر على عينى هذا المغرور فيريه بالثكل والمرض والهم أن الراحة فى النفس ألذ منها فى الجسم، وأن الجمال فى الرحمة أسمى منه فى الجبروت، وأن السعادة فى الإعطاء أعظم منها فى الأخذ، وأن خير ما فى الدنيا هو ما انتقل معه إلى الآخرة؟

هيهات أن يكون فى الأرض إيمان ما دام فى الأرض فقر.

فإن أسباب الفقر ممدودة من الطمع والشح والأثرة؛ وهذه الخلال السوء لا تطمئن عليها نفسٌ مؤمنة. وإن من ضلال الأفهام أو الأقلام أن نعالج الفقر على أنه ناجم من ندرة العمل فى البلد أو قلة الخير فى الدنيا، فإن العمل ميسور للقادر، ورزق الله موفور للحى. وإذا شكت الأمم اكتظاظ المعامل ونضوب الموارد وضيق الرقعة، فإن مصر الجديدة البكر بينها وبين هذه الشكوى أن تمصر المصانع والمعامل والمتاجر والمصارف والشركات، وما بالقليل ذلك

***

لا تطلبوا من الفقير العمل قبل أن توفروا له القدرة عليه. إنه جاهل فاشرعوا له منهل العلم؛ وإنه عليل فانهجوا له سبيل الصحة؛ وإنه معدم فدبروا له رأس المال. ومن بلادة الحس أن الغنى يسمعك وأنت تقرأ هذا الكلام، فلا يظن المخاطَب به أحداً غير الحكومة، فيشارك فى النقد، ويسرف فى الإنكار، ويلح فى الطلب، لأن الحكومة فى رأيه يجب أن تلبى كل نداء، وأن تؤدى كل واجب. والحكومة لو درى هذا المتوا كل القدم لا تتسع مواردها بكل رغبة؛ فإنها لم تجبُ منه ومن أمثاله إلا حق العمارة والأمن؛ أما حق الله عنده فقد وكلت أداءه إلى ضميره، يعطيه من يشاء متى يشاء وكيف يشاء؛ ولكن الضمائر نامت على هدهدة الشهوات، والعواطف قست على جفاف المادة؛ وبين غفوة الضمير، وقسوة العاطفة، ذهب وازع الدين فلم يبق إلا وازع السلطان

فهل يفكر أولو الأمر أن يعالجوا الفقر بما عالجه الله به فيجبوا الزكاة وينظموا الإحسان؟ إنهم إن يفعلوا ذلك لا يجدوا فى البيوت عائلاً، ولا فى الطريق سائلاً، ولا فى السجون قاتلاً، ولا فى المواخير ساقطة!

احمد حسن الزيات

مشـــابهات

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى شهر واحد عرضت دور الصور المتحركة بالقاهرة روايتين متشابهتين فى كثير من السمات والمعانى ، وإن كانت إحداهما فى باريس والأخرى فى بتروغراد ، أو كانت إحداهما فى القرن الثامن عشر والأخرى فى القرن العشرين ، أو كانت إحداهما عن لويس السادس عشر والأخرى عن القيصر نقولا الثانى

كتبنا مقالنا الماضى بالرسالة عن « مارى أنطوانيت » فلم تمض أيام حتى شهدنا رواية « راسبوتين والقيصرة » وشهدنا كيف تتشابه الحوادث والنكبات ، وكيف يصدق فى بعض الأحايين قول من قال إن التاريخ يعيد نفسه ، وإن كانت الإعادة لا تخلو من تبديل وتنقيح : شيمة الراوية الماهر الذى لا يعيد القصة الواحدة مرتين بأسلوب واحد !

* * *

فى مأساة لويس السادس عشر ومأساة نقولا الثانى مشابه كثيرة يرجع بعضها إلى المصادفات وبعضها إلى تشابه النتائج عند تشابه الأسباب

فكانت لكليهما ملكة أجنبية من أصل ألمانى ، وكانت لكلتا الملكتين يد فى الكارثة التى حاقت بالرجلين ، وكان التاريخ فى كليهما يجرى على سنة « الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون » ولا يعمل بآية العدل فى القرآن الكريم : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »

فقد كان نقولا الثانى مظلوماً فيما أصابه كما كان لويس السادس عشر

كان كلاهما طيباً رؤوفاً يريد الخير لشعبه ؛ وكان نقولا الثانى محباً للسلام ينادى بالتحكيم فى الأزمات الدولية ؛ وكان يجنح إلى مشاركة الأمة إياه فى تبعات الحكم ما استطاع ، وكان منقاداً لمن حوله كما كان لويس من قبله ، ولم يكن مشاكساً ولا بطاشاً يحب الفتك وسفك الدماء ، ولكنه جاء فى زمن وبيل فأصابه وبال الزمن وأخذه مع التيار الجارف الذى لا يتأنى ولا يتدبر فى حكمه على الجناة والأبرياء

ليست هذه هى المشابهات الهامة فى تاريخ الرجلين المظلومين ، فربما كانت أو كان معظمها من أثر العوارض والمصادفات ، ولكن المشابهة العظمى هى تلك « الحالة العقلية » التى تحيط بالعوالم المنهارة والدول الدائلة والكواكب الآفلة ، ونعنى بها العهود التى تجمع بين الإدبار والإقبال وبين النظر إلى الغيب والخوف من الحاضر وقلة الاطمئنان إليه

فى تلك العهود يحس الناس أنهم ضعاف عاجزون ، لأن زمام الحوادث يفلت من أيديهم وتيار الحوادث يجرفهم على غير إرادتهم إلى غير الطريق الذى يختارونه لأنفسهم ، فهم من أجل هذا الإحساس بالعجز والضعف ينظرون إلى الغيب ويتطلعون إلى عالم الأسرار ويؤمنون تارة بالقديسين وتارة بالشعوذين ، على قدر نصيبهم من العلم والبصر بحقائق الحياة

وفى تلك العهود يضمحل الأمل ويغلب اليأس ويبطل الإيمان بالمثل العليا والصفات الرفيعة فيقبل الناس على المتعة والسرور ، ويأخذون من الحاضر كل ما يعطيهم من اللذة واللهو ، لأنهم لا يرجون غداً ولا يركنون إليه

وقد يجمع النفس بين النقيضين : فهى مغراة بالشعوذة والنظر إلى المغيبات المجهولة ، وهى مغراة باللذة فى حاضرها ؛ لأن الحاضر بغير شاغل من الشواغل لا يطاق فى أمثال تلك الأزمان

إنما المرجع فى طلب الغيب وطلب اللذة معاً إلى سبب واحد ، وهو أن الحاضر مشؤوم والمستقبل غير مصمون ، والإنسان بينهما عاجز عن التصرف بمشيئته فيما يزاول من كبار الأمور وصغارها على السواء

* * *

من أجل هذا ظهر « كاليسترو » الدجال الأعظم فى عهد لويس السادس عشر

ومن أجل هذا ظهر « راسبوتين » الدجال الأعظم فى عهد نقولا الثانى

وكلاهما دليل على تشابه الحوادث والدوافع النفسية بين بنى الإنسان

وكلاهما دليل على أن التشابه فى بنى الإنسان لن يمحو الفوارق بين الشعوب ، ولن يزيل الخصائص القومية التى اشتهر بها كل شعب من تلك الشعوب

فراسبوتين لم يكن يصلح فى مكان كاليسترو ... وكاليسترو لم يكن يصلح فى مكان راسبوتين

راسبوتين ظهر بين الروس وهم أمة لا شرقية ولا غربية ، لا مؤمنة كل الإيمان بالدين ، ولا مؤمنة كل الإيمان بالوثنية ، لا متحضرة بحضارة العلم الحديث، ولا مستغرقة في البداوة أو جهالة القرون الوسطى

فظهر لما ظهر بين هؤلاء القوم برسالة من الدين ومن الوثنية في وقت واحد ، أو برسالة من الشعوذة ومن اللذة في عقيدة واحدة ، أو برسالة يمت بعضها إلى زهادة المسيح ويمت بعضها إلى المزدكية القديمة، وإلى عبادة «عشتروت» التي هي أقدم منها ، وإلى ما قبل ذلك من المذاهب الخفية التي لم تنقطع بقاياها قط في الرقعة الغربية الجنوبية من القارة الأسيوية ؛ أي في ذلك المكان المعزول الذي تصل إليه آثار الحضارات جميعاً في آسيا وأوربا وأفريقية ، ثم يحفظها جميعاً في عزلته المطوية بعد أن يصبغها بماله من صبغة قلما تمسحها الأجيال

في تلك الرقعة بقيت عبادة الشيطان ، وبقيت الشواذ من فرق الباطنيـة ، وبقيت تلك النحلة التي تبيح في تكاياها وصوامعها باسم الدروشة الإسلامية ما ليس يبيحه الإسلام وليس يرضاه دين من الأديان الكتابية ، وبقيت نحلة « الخليستى » التي انتمى إليها آخر الأمر « راسبوتين » وكانت أصلح ما ينتمى إليه رجل يدل نعته القديم على طبعه القديم . فإن « راسبوتين » كلمة روسية معناها الفاجر أو الداعر ... وهو لقب اشتهر به الرجل في شبابه من جراء عبثه وعيثه واستهتاره بالشراب والفسوق

ما هي هذه « الخليستيـة » وما عباداتها وشعائرها المفروضة على أتباعها ؟

هي نحلة مدارها على أن الخطيئة مطلوبة لأن الغفران صفة إلٰهية فينبغي أن تتحقق لله هذه الصفة التي هي أخص صفات الخالق جل وعلا . وإلا فكيف يكون الله غفوراً بغير الخلائق الخاطئين ؟

ومدارها من جهة أخرى على أن الإنسان يعيش بالروح مع الله ويعيش بالجسد مع الناس ، وأن لله قديسين هم الذين يقودون عباده في طريق المعيشة الجسدية وفي طريق الغفران . فليس يحق للعبد أن يخطىء وحده بغير قيادة من قديسه المختار

وعلم راسبوتين « سلطانه المغناطيسى » العظيم على نفوس أتباعه فزعم أنه قديس الزمان المرسل من قبل الله لالتماس الغفران ، فبغيره لن يهتدى أحد في « الطريق » إلى حظيرة الرحمن !

أما هذا « السلطان المغناطيسى » فقد كان في راسبوتين كأقوى ماعرف في إنسان من الناس ، حتى بلغ من سطوته أنه سلطه على رجل يمقته وينصب حوله الفخاخ لقتله بالسم أو الخنجر فأنامه وشل حركاته . ولا ريب أن هذا السلطان المغناطيسى مستمد فيه من تلك القوة الحيوانية الهائلة التي أنقذته من السم ومن الخنجر مرتين ، وكادت تنقذه المرة الثالثة لولا إطباق المتآمرين عليه بالعصي والسيوف بعـد إطلاق الرصاص عليه وتسميمه بما يكفي لقتل بضعة رجال ، ولا ريب كذلك أن هذا السلطان المغناطيسى هو الذى أعانه على شفاء ولى العهد بالسيطرة على أعصابه وسريرته بعد ما يئس منه الأطباء، وأنذروا بموته من أثر سقامه الموروث

* * *

بهذه العدة كان الدجال الروسى يستعد لإنجاز «مهمته التاريخية» في ذلك العالم المنهار من الدولة الروسية

فبماذا استعد زميله « كاليسترو » من قبله حين تصدى « لمهمته التاريخية » بين الفرنسيين في عصر الفلاسفة المشككين والدعاة الملحدين الثائرين ؟

لا بد له من عنصر الغيب والخفاء، ولا سبيل إلى هذا العنصر من طريق النحل الدينية في تلك الآونة الملحدة المسترية ، فلينقل أتباعه إذن إلى صوامع الماسون وهياكل الجماعات السرية ومكامن الدسائس والمؤامرات

ولا بد له من عنصر الغواية والمتعة، ولا سبيل إليهما من نحلة الدروشة والعبادة ، فليسحر أتباعه إذن باسم عقاقير الشرق التي تجدد الشباب وتطيل العمر وتكسو غضون العجائز مسحة الصبا ورونق الصباحة

وهكذا كان لكل « عالم منهار » دجاله الأعظم ، ومن ثم موضع التشابه بين العوالم المنهارة

وهكذا كان دجال كل أمة على غرارها أو على نموذج أخلاقها وأطوارها ، ومن ثم موضع الخلاف بين تلك الأشباه

وإنما عبرة التاريخ أن نخلص إلى هذه المواضع المتشابهات ، وهذه المواضع المختلفات من حوادث الشعوب في قبضة القانون الخالد المستعاد .

عباس محمود العقاد

ابن الرومي
الشاعر المصور
للأستاذ عبد الرحمن شكري

يولع الناس فى الحياة عادة ، لتسهيل فهم الأنفس والأمور وتبسيطه، بأن يجعلوا لكل نفس أو أمر صفة يرمزون بها أومعادلة أوقاعدة، وفى ذلك أضرار، منها أن العجلة قد ترمز للأمر أوالنفس بصفة لا تتفق وأكثر الخصائص المراد تلخيصها بالرمز أو تختلف عنها كل الاختلاف، وإذا تعلق الناس بالرمز صعب إصلاح خطئهم وصعب حملهم على تغيير زعمهم وصعب عليهم فعل الأمر الذى يعالجونه أو النفس التى يتفهمونها، أو قد يكون الرمز منطبقاً على جانب صغير منها فيغفل الناس عن الجانب الأكبر. على أن الرمز إذا وافق الجانب الأكبر فهو قد يغرى أيضاً بالغفلة عن الجانب الآخر الذى لا ينطبق عليه الرمز فيتسرب الخطأ فى هذه الحالة أيضاً، ولكن إذا تأنى الفكر فى وضع الرمز واختياره وقدّر أن يكون مخطئاً فى بعضه أو كله وحسب حساب ما لا ينطبق عليه الرمز حتى فى حالة الإصابة كان فعله مسهلاً للتفكير والفهم وتذوق الأمور. وعلى هذا الشرط نبيح لأنفسنا أن ننظر إلى كبار الشعراء على ضوء رمز نرمز به إلى كل منهم وصفة نصفه بها، فنقول إننا نتذوق أبا تمام كأنه خطيب عبقرى بصير بأساليب البيان وأثرها فى النفس، جرىء فى ابتداع الأقوال، بصير بما يعالج من أمور البيان بالرغم من جرأته؛ وسواء أكانت أقواله فى أمور حسية أو نفسية فإن كلماته تبلغ صميم القلب بما فيها من الخيال المشبوب وقوة الإيجاز مع الدلالة التامة والإلمام بالمعنى المراد ومع تجنب الإطالة الفاترة. وفنه من هذه الناحية يشبه أيضاً فن صانع القصص التمثيلية فى الاعتماد على قوة الأداء مع صدقه الفنى وإيجازه مع استيفائه المعنى. وندرك على هذا الوصف أن لأبى تمام ولمن نشبهه به جوانب لا يتفقان فيها ولا يلتقيان عليها، لأن النفس الإنسانية تشبه البلّور ذا الأضلاع والجوانب العديدة التى تنعكس عليها أشعة الشمس فى أشكال وجهات مختلفة متعددة . ونتذوق البحترى كأنه ممثل قدير يلوك حلو الكلام ويتأثر به وينتشى بحلاوة الصنعة حتى تخلق له الصنعة عواطف فنية كما فى حياة بعض كبار الممثلين؛ ونقدر مع ذلك أن لنفسه جوانب أخرى تنعكس عليها أشعة الفنون. ونتذوق الشريف الرضى كأنه موسيقى يحكم الوجدان ويؤثر فى النفس بأنغامه؛ ونقدر أيضاً ما للنفس البشرية من مرام مختلفة . ونتذوق المتنبى على أنه محارب مغامر مدجج بسلاح الحنكة والخبرة والاعتداد بالنفس ونعرف له جوانب أخرى . أما ابن الرومى فإننا قد أدركتنا فى أول الأمر حيرة فى اختيار صفة واحدة له ، إذ أنه قد يقف موقف الخطيب المؤثر كما فى قصيدته فى التحريض على قتال العلوى صاحب الزنج بعد أن خرّب البصرة وهى التى يقول فى مطلعها :

ذاد عن مقلتى لذيذ المنام   شغلها عنه بالدموع السجام

وابن الرومى مثل أبى تمام مُغْرًى بابتداع التشبيهات والأخيلة والمعانى، ولكننا لم نشأ أن نختار له الرمز الذى اخترناه لأبى تمام لأنه قد يدركه الفتور، وأبو تمام لا يدركه الفتور؛ وقد يطيل حتى يعل سامعه خصوصاً فى المدح، وأبو تمام لا يطيل مثله. وقد تدركه اللجاجة الفكرية فى إيراد الحجة ودفع الحجة بالحجة على طريقة المجادل المناقش المناظر لا على طريقة الخطيب الذى يؤثر بالعبارات والأخيلة المشبوبة النارية المستقلة فى معناها بعضها عن بعض فى إيجازها وتركزها تركز الأحماض أو الروائح العطرية المنعشة أو المخدرة أو المميتة، وابن الرومى يبسط معناه بسطاً كما تتسع دائرة موقع الحجر فى الماء أو كما يبسط الخباز الرقاقة فى قول ابن الرومى نفسه :

ما بين رؤيتها فى كفه كرة   وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة   فى لجة الماء يُرْمى فيه بالحجر

وهذا هو الوصف الذى ينطبق على ابن الرومى نفسه فى صناعة المعانى فكأنه خباز المعانى. ولابن الرومى فى الأهاجى ما هو أشد من الأحماض فتكاً، ولكن أثرها ناشئ أيضاً من تقصّيه أجزاء المعنى وصوره المختلفة وتوليد المعنى من المعنى . ولم نشأ أن نصف ابن الرومى بما وصفنا به البحترى الذى ينتشى بما يصوغ من حلوى الصناعة وما يلوكه منها كما ينتشى الممثل بما يمثل من الأحاسيس . لم نشأ أن نصفه بهذا الوصف ولو أنه وصف ينطبق

على كل ذى فن إلى حد ما فهو ينطبق على الشعراء جميعاً ولكن ليس كانطباقه على البحترى. وابن الرومى لا يبلغ به التفانى فى فن الألفاظ وصناعتها والانتشاء بها ما يبلغه البحترى بل يستخدم ابن الرومى الألفاظ استخدام السيد الآمر لعبده محبوباً كان العبد أو غير محبوب؛ أما البحترى فكان لا يقرب الألفاظ إلا كما يقرب المحب حبيبته

ولم نشأ أن نصف ابن الرومى بما وصفنا به الشريف الرضى الذى نتذوقه كموسيقى يحكم الوجدان والفطرة السليمة ؛ لم نشأ أن نصف ابن الرومى بهذا الوصف ولو أن له فى الغزل والعتاب والشكوى أشياء عميقة الأثر فى النفس كقوله فى الغزل :

أعانقها والنفس بعدُ مشوقة
إليها وهل بعد العناق تدانى
كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى أن يرى الروحين يمتزجان

وقوله فى العتاب :

تخذتكم ترساً ودرعاً لتدفعوا
نبال العدى عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر
على حين خذلان اليمين شمالها
فإن أنتمُ لم تحفظوا لمودتى
ذماما فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عنى بمعزل
وخلوا نبالى والعدى ونبالها

ولكنه بسبب لجاجته الفكرية أحيانا وتتبعه أو موازنته بين أجزاء المعنى وتلمسه دقائق الصور قد تضيع منه النغمة الشعرية وإن كان شعره يكتسب ميزة أخرى. وقد أحس ابن الرومى مع ذلك فى نفسه بذلك الجانب منه الذى يشبه به الموسيقىّ أو الطائر الصادح فقال زاعما أنه لا يمدح ممدوحه :

إلا كما راقت القمرىَّ جنتُهُ
فظل يُتبعُ تغريدا بتغريد

ولم نشأ أن نصفه بما وصفنا به المتنبى من أنه محارب مغامر يغالى فى الاعتداد بالنفس لأن ابن الرومى لم يطلب مُلكاً ولا حُكماً ولا رياسة وإنما طلب السلامة من الناس وإنصاف أدبه وفضله وفنه وإعطاءه حق ذلك الأدب والفضل مما فى أيدى الوجهاء والرؤساء والأمراء من أموال الله والناس التى كثيرا ما كانت تنهب نهبا . وكان ابن الرومى مرهف الحواس منهوما بالجمال فى كل مظاهره ومطالبه، وهذا يكفى أن يكون شغله الشاغل فى الدنيا بعكس المتنبى . وكان ابن الرومى يخشى الأسفار فى طلب الرزق وله فى وصف خشيته منها أشعار، ويخشى ركوب البحر ويخشى لقاء الناس ويتشاءم بهم ، فكانت صفاته النفسية تختلف

كل شئ أمامى فى الريف يرتل نشيد السلام . فشجيرات الفول الخضراء ترقص مع النسيم ، وترسل فى الفضاء من حولى أريج زهرها الأبيض كما ترسل القبلات المعطرة . والبقرة ذات الأهداب الشقراء تتمطى فى أشعة الشمس كأنها حسناء تستيقظ فى فراش دافئ . والكلب رابض قد أغمض عيناً وفتح أخرى تلقى على الكائنات نظرات الرضا والصفاء . والدواجن والهوام والأرض السمراء، وجداول الماء ، كلها بأصواتها الصغيرة وأزيزها اللطيف وصمتها الدائم وخريرها الهامس تتراءى للمتأمل كأنها تتبادل حواراً خفياً مفعماً بكلمات الود والحب والإخاء الأبدى ، وكأنها جميعاً فى حركتها وسكونها جوقة موسيقية تخضع إلى يد غير منظورة كى توقع لحناً متناسقاً أزلياً لا يسمعه غير الأنبياء والشعراء .

صوت واحد نشز فى أذنى عن هذه المجموعة : هو صوت الإنسان . متى ظهر ظهرت معه الفوضى ، ونشأ الخلاف حيث لا ينبغى أن يكون خلاف . تلك طبيعته . وقد تكون تلك أيضاً عبقريته .

جلس إلىّ رجلان لا يختلفان فى الزى ولا فى اللغة ولا فى اللهجة . لكن سرعان ما سمعت أحدهما يقول لصاحبه :

— أنت فلاح . أما أنا فعربى .

فعنيت بالأمر ، وبادرت أسأل الرجل السؤال الذى طالما ألقيه فى مثل هذا الظرف :

— وما الفرق بين الفلاح والعربى ؟

فأجاب الرجل بذلك الجواب الذى سمعته كثيراً فى مثل هذا الموضع : مروءة العربى وشجاعته وشهامته وإكرامه الضيف وحمايته الجار . ثم ... ثم شرف النسب . لم يدهشنى ذلك ولكن الذى أدهشنى حقيقة ، وقد لا يصدقنى البعض إذا ذكرته هو أن هذا الرجل غير المتعلم قد أشار إلى صاحبه وقال:

— أما جماعة الفلاحين فما هم إلا أولاد توت عنخ آمون !

عجباً : إذن منشأ الخلاف بين العروبة والفرعونية ليس أدمغة المفكرين والمثقفين، إنما هو فى الريف وفى قلوب ساكنيه!

توفيق الحكيم

اختلافا كبيرا عن نفس المتنبي، ولا نحسب أن المتنبي كان يضرع في مخاطبة ممدوح كما فعل ابن الرومي في قوله :

أصبحتُ بين خصاصة وتجمُّل والمرء بينهما يموت هزيلا
فامدُدْ إليَّ يدا تَعَوَّد بطنها بذلَ النوالِ وظهرُها التقبيلا

وفي قوله :

تعرفتُ في صحبي وأهلي وخادمي هوانى عليهم مذجفاني قاسمُ

وبعد ذلك بأبيات يرجو الرئيس المعاتَبَ ألا ينسى أنه خادم .

أما شدته في هجائه فشدة الرجل المرهف الحس إذا جُوفيَ أو غُبِنَ أو أُسيء إليه أو اضطهد . ونكرر أن النفس كالبلور ذى الأضلاع والأشعة المنعكسةُ عليه مختلفة النواحى. ولكن لعل أصدق وصف يوصف به ابن الرومى هو أن يوصف بالمصوِّر أو الرسام أو النقاش. ويخيل إلينا أنه لو كان عائشا في إيطاليا في عهد نهضة الإحياء، واشتغل بالنقش والرسم ما كانت قدرته تقل عن قدرة مصور مثل تشيانو (تيتيان) في ولوعه بألوان الجمال ومجال الألوان . ولا نعنى أنه كان مصورا في وصف مناظر الطبيعة والسمات[1] فحسب، وإنما كان مصورا في كل أبواب شعره من مدح أو ذم أو غزل أو وصف للغناء أو المآكل أو الأشربات . وقد ذكرنا قدرته الخطابية في قصيدة التحريض على قتال صاحب الزنج ولكن أعمق أجزاء القصيدة أثرا هو وصفه دخول الزنج، المدينة ووصفه ما فعلوا بها وبأهلها . فولوع ابن الرومى بالألوان لم يكن مقصورا على ألوان المرئيات بل تعداها إلى ألوان الآراء، فتراه يُغرى بوصف لون من الرأى ثم بوصف اللون الذى هو نقيضه . والولوع بالألوان وشدة الإحساس بمعانيها وجمالها وأثرها من صفات المصور، وكذلك تَقَصِّى الأجزاء وربط أجزاء الصورة في القصيدة. ومن مظاهر ولوعه بوصف ألوان الرأى قصائده في مدح الحقد وذمه ؛ وليس من المرفوض أن نقول إن مدحه الحقد كان بسبب إحساسه المرهف وحقده على الذين آلموا هذا الإحساس المرهف من مناوئيه.

فمن مدحه الحقد قوله :

أديمى من أديم الأرض فاعلم أسىء الربع حين يسىء بذرا
يُسمى الحقد عيبا وهو مدح كما يَدْعُونَ حُلْوَ الحق مُرًّا

[1] قد نبه الأستاذ العقاد إلى ولوع ابن الرومى بالألوان وضرب شواهد ذلك الولوع وأشار أيضاً إلى ولوعه بتصوير الطبيعة ذات حياة .

وقوله :

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى
وبعض السجايا يَنْتَسِبْنَ إلى بعض

وإني أشك في أن الحقد توأم الشكر دائماً فإنه إذا قُرِنَ بالحسد، ولكل نفس نصيب منه قل أو كثر، منع من الشكر . وقد راجع ابن الرومى نفسه ولامها على مدح الحقد في قصائد منها قصيدته التي يقول فيها :

يامادح الحقد محتالا له شبها لقد سلكتَ إليه مسلكا وعثا

وأبدع منها وأعظم قصيدته التي مطلعها :

ياضارب المثل المزخرف مُطْرِياً للحقد لم تقدح بزند وارى

وعندى أن هذه القصيدة من أعظم وأجل قصائده ، وكل منتخبات من شعره لا تشملها تعد ناقصة ، وفيها يحث على مغالبة النفس لطباع الشر وعلى تنمية طباع الخير . وقد بلغت قوة التصور عند ابن الرومى مبلغاً جعله يُصوِّر الطبيعة وكأنها من الأحياء . وربما كان ولوعه بذلك أكثر من ولوع شعراء العربية الذين كانوا يجردون من الجماد أشخاصاً فيخاطبون الليل أو السرى أو الرياح أو النجوم أو الربوع والأطلال أو الفراق، فيحدثونها ويحدثهم ، وهذه الصفة من قبيل تلك الصفة في ابن الرومى وإن كان إحساسه بحياة الطبيعة أعم وأشبه بطريقة الشعراء الآريين[1]. وليس شبه ابن الرومى بالشعراء الآريين مقصوراً على إحساسه بحياة الطبيعة وإشاعة المعنى في أكثر من بيت وتقصى أجزاء المعنى، بل هو يشمل أيضاً تفضيله فكاهة الصور الخيالية ومعانيها على الفكاهة اللفظية الشكلية ، وكانت فكاهة الصور الخيالية مفضلة في العصور المتقدمة في الآداب العربية فلم يبتدعها ابن الرومى وهى ليست ملكاً له ولا ابتكاراً ولكنه زادفيها زيادة كبيرة، ثم إن المتأخرين من الشعراء صاروا يفضلون فكاهة المغالطات اللفظية، وهذا النوع كان معروفاً شائعاً في الأدب الأوربى وإن كانت الصور الخيالية أفضل وأعلى مرتبة .

ولعل عظم نصيب ابن الرومى من فكاهة الصور الخيالية

[1] كثير من علماء علم الوراثة في العصر الحديث يذكرون استطاعة الوراثة توريث أساليب الفكر ومذاهب الاحساس وقد تغالى بعضهم في ذلك، ولكن لم ينكر أحد توريث هذه الأمور عن طريق القدوة في الأسرة والبيئة من الجد إلى الأب إلى الابن

كانت من أسباب تبرزه فى الهجاء تبرزاً لا يضارعه فيه شاعر آخر. ولو حذفنا هجاءه الذى أفحش فيه مثل هجاء ابن الخبازة المعروف بهجاء بوران وغيره من الفحش القاذع الذى لا يصح نشره فى هذا العصر بقيت لنا فى هجائه صور فكاهية خيالية لا يستطاع تجنب اختيارها إذا أحصيت خلاصة الخلاصة من شعره، لأنها أعلى مرتبة من مدحه بالرغم من إجادته فيه . وقد كان الهجاء سبب موته مسموماً . والظاهر أن الأمراء والوجهاء كانوا يسيئون الظن ببعض مدحه غلاوة على خشية الذم ، وهذا أمر يشاهد كثيراً فى الحياة؛ فإذا اشتهر رجل بالسخر ظن الناس كل مايقول من قبيل السخر أو الذم حتى ولو لم يقصد إلا المدح والتودد والصفاء . ومن شواهد سوء الظن هذا ما حدث عند ما مدح ابن الرومى أبا الصقر اسماعيل بن بلبل الشيبانى بقصيدته الرائعة التى مطلعها (أجنت لك الوردَ أغصانٌ وكثبان) فأساء الممدوح الظن بقول الشاعر :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلتُ لهم	كلا ولكن لعمرى منه شيبان
وكم أبٍ قد علا بابن ذرا شرف	كما علا برسول الله عدنان
ولم أقصرْ بشيبان التى بلغتْ	بها المبالغ أعراقٌ وأغصان

وظن أنه يهجوه بضعة الأصل مع أن المدح ظاهر للأصل والفرع . ولا نظن أن الغباء هو الذى سما بالممدوح إلى مرتبة الوزارة ، وقد كان وزيراً فلم يبق إلا التعليل الذى ذكرناه ، وهو أن الرجل إذا اشتهر بالسخر والذم حُملُ مدحه على محمل الذم والسخر ، والشك فى نية القائل يُغطى على فهم السامع ، وكثيراً ما تراه فى الحياة يُغطى على فهم ذوى الفهم حتى تراهم كالأغبياء .

والظاهر أن حادث أبى الصقر لم يكن الحادث الوحيد من نوعه وإن كان أظهر حادث . فإن لابن الرومى أشعاراً كثيرة يشكو فيها من خذلان الممدوحين مثل قوله : (ما لى لديك كأنى قد زرعتُ حصى) . وقوله : (فلا تعتصر ماء الصنيعة بالمطل) . وقوله : (طال المطال ولا خلود لحاجة) . وقوله : (أباحسن طال المطال ولم يكن) . ومثل هذا كثير فى شعره . وكان يغبط البحترى لإقبال الممدوحين على شعره ، ومن أجل ذلك كان يتعرض ابن الرومى للبحترى ، وله فيه أهاج منها قوله :

الحظ أعمى ولولا ذاك لم تره	للبحترىّ بلا عقل ولا حسب

(البقية فى العدد القادم) عبد الرحمن شكرى

من الشعر المنسى لحافظ !

« لحافظ إبراهيم كثير من القصائد والمقطوعات قد أهملها الناشرون ، فلم يحفظها ديوانه فى طبعته الأهلية ، ولا فى طبعته الحكومية ، على أنها من الشعر الرائع الذى تشرق فيه روح حافظ وتتمثل فيه شخصيته ؛ ولذلك رأينا من الوفاء لشاعر النيل ، ومن الرعاية للأدب ، ومن الإنصاف للتاريخ أن نذيع ما لدينا من ذلك — وهو قدر لا بأس به — بين قراء الرسالة ، وربما لو اجتمع لنا مقدار كبير جعلناه تذييلاً لديوانه ، ونرجو ممن عنده العلم بشىء من ذلك أن يدلنا عليه وله الشكر منا ومن أبناء الضاد فى سائر الأقطار ومن قراء الرسالة »

فؤادى ... !

يا خافقاً قل لى متى تسكنُ	لله ما تُخفى وما تُعلِنُ
يا ليت شعرى عنك فى أضلعى	ماذا تقاسى أيها المثخَنُ
وما الذى أبقاه من مهجتى	ومن حياتى داؤك المزمِنُ
يا ثغره ، من ذا الذى يحتسى	برد ثناياك ولا يؤمنُ
يا قده ، هذى قلوب الورى	معروضة طوبى ، لمن تطعنُ
يا لحظه ، مُرْنا بما تشتهى	كل محال فى الهوى ممكنُ

خيبة أمل ... !

وخيّب آمالى وقوفُك دونَها	وأنك عند الظالمين مَكين
يَسرُّك أنى نائم الجد عاثر	ويُرضيك أنى للخطوب ألين
ليهنك مابى من أسىً وخصاصةٍ	وتقليبى الكفين حيث أكون

م . ف . ع

صحائف من تاريخنا القومى

قاسم أمين – الرجل

للأستاذ أحمد خاكى

اشتهر قاسم أمين بدفاعه عن المرأة لأن ذلك كان أوضح ما كتب عنه ، لكنه عندنا من أكبر المصلحين المصريين الذين ظهروا فى أوائل هذا القرن . وليس دفاعه عن المرأة إلا شعبة من آرائه فى الحرية والتربية واللغة وسائر وجهات الإصلاح . ولو أنك تصفحت كلماته قبل أن تقرأ كتابيه فى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » للمحت عقليــة جديدة نفذت وراء الحجب التى تكاثفت على عقول المصريين خلال قرون طويلة ، ورأيت كيف تستطيع النفس الحساسة أن تندسّ إلى ما وراء الحجب فتلقى الحقيقة سافرة غير مقنعة ، ثم لشاقك من حياة هذا الرجل أنه كان شجاعاً ، ولاتخذت من حياته مثلاً أعلى للتفانى دفاعاً عن الفكرة

ظهر فى أعقاب القرن الماضى قليل من أمثال قاسم أمين ، لكنهم لم يلقوا ما لقى هو من العنت والسخرية والاستهزاء . كان يعيش أكثر أضرابه فى أجوائهم ، لكن قاسماً كان يعيش فى جو خاص به هو نفسه . وذلك ما استعدى عليه المتعصبين من أصحاب الدين وأنصاف المتعلمين من أصحاب العلم ؛ وقليل أولئك الذين قدروا تلك النفس الحساسة التى تؤمن بالحرية إيمانهم بنعيم الحياة . وكثير أحسوا مثل إحساسه بما كانت ترسف فيه المرأة المصرية من أغلال ، لكن أحداً من هؤلاء لم يؤتَ من شجاعة النفس ما استطاع أن يصمد به للمهاترين والمنالين ممن أعمتهم التقاليد

على أنه ليس يعنينا اليوم فى حديثنا عنه وجوه الإصلاح التى نبه إليها وتحدث فيها وإنما يعنينا أن نرى قاسم أمين الرجل وأن نتعمق فى درس تلك النفس الزكية التى أوتيت كثيراً من الغضب الكريم . وأشهد لقد هممت بالكتابة عن النقاش الذى دار بينه وبين الدوق داركور ، لكننى رأيت أن الكلام فى ذلك سوف يصبح ناقصاً لا غناء فيه ما لم أتحدث عن قاسم أمين « الرجل » لأن قاسم أمين « الرجل » هو الذى غضب للقومية المصرية ، وهو الذى غضب للإسلام والمسلمين ؛ وهو بعد ذلك الذى دافع عن مصر والإسلام بحرارة المجاهد الرشيد

وأول ما يمتاز به قاسم أمين « الرجل » نفس محسّة تجيش بمختلف العواطف ، فهو قد أوتى الكمال من الحس الدقيق والشعور المرهف ، وهو من أول المصريين الذين اعترفوا بأن النفس جماع لمختلف العواطف والمشاعر والوجدانات إلى غير ذلك ممـا يتصل بالدراسات النفسية الحديثة . ولعله أحد المصلحين القلائل الذين اهتدوا إلى تلك النتائج قبل أن يتعمق الناس فى دراسة علم النفس . فهو يعترف بأن الانسان مجموعة من الأعصاب تتأثر بالبيئة التى يعيش فيها ، وأن القلب الذى يكنّ البغض هو نفسه الذى يكنّ الحب ، وأن النفس الشريرة تنمو — إذا نمت — لأنها تصادف جواً صالحاً يؤثر فيها

وقد كان شديداً على البيئة التى نشأ فيها قاسم أمين أن تؤمن بمـا جاء به ، كان شديداً عليها أن تعنو للنتائج القيمة التى وصل إليها لأنها كانت بيئة نصف متعلمة ونصف متدينة فى وقت معاً ، أما العلم الذى تشبثت به فقد كان خليطاً من القشور والخطل ، وأما وجهتها الدينية فقد كانت ملتوية تمتاز بالنفاق والجدل . لذلك لم يعترف أنصاف المتعلمين بالغرائز التى تندفع فى نفس الإنسان ، ولم يحاول أنصاف المتعلمين أن يتبصروا فيما انحدر إليهم من أصول القرآن والسنة. ولو أن أولئك وهؤلاء قد اجتمعوا على أن يذوقوا ما ذهبت إليه تلك النفس الحاسة لرأوا رأياً آخر غير الذى بسطوا فيه أقلامهم وألسنتهم عن جهالة

على أن تلك النفس الحساسة التى اعترفت بالخير والشر جميعاً هى النفس التى أعانت صاحبها على أن يستوعب الآثار الدقيقة التى مارسها فى حياته . هو قد اعترف بالغرائز الدنيا وقد اعترف بالعواطف العليا، وهو قد رأى الشر إلى جانب الخير، فكان فى كل ذلك يمثل المعلم المتبصر الرشيد ، ولن يكون الزعيم ولا المعلم حتى ولا القاضى أهلاً لمـا يرجى منه حتى يرى النفس الانسانية من ناحيتيها وحتى يقدر الشر والخير والرذيلة والفضيلة، وحتى يعترف بالشر والرذيلة ويتفحص هــذه وذلك ليترسم السبيل السوية نحو الخير والفضيلة وكل ما ينطويان عليه من معان

تلك النظرة الدارسة هى التى أقامت عند قاسم أمين كل المعايير التى حاول أن يطبقها على المجتمع المصرى ، ولأنه كان يؤمن بأن النفس جماع العواطف والوجدانات فقد قال : « إن الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان فى جميع أدوار حياته . فتارة يخضع للأولى وتارة تتغلب عليه الثانية ، ولا يوجد رجل مهما بلغ فى التربية والعلم يكون آمناً من السقوط يوماً فى الرذيلة ، كما لا يوجد رجل مهما أحاطت به الرذيلة إلا وفيه استعداد لأن يأتى يوماً بأفضل الأعمال »

« وحقيقة الأمر أن أخلاق الإنسان ليست شيئاً يتم دفعة واحدة ، وليس لها حد تقف عنده ، إنما هى فى تحليل وتركيب ، فى تكوين مستمر يعتريها الانحلال زمناً وتعود بعده إلى التماسك »

بل هو قد استطاع أن يقيم معياراً صحيحاً يقيس به رغبات الرجال ونزعاتهم . ولسنا ندرى هل كان يتنبأ بكشوف علم النفس الحديث حين قال : « إن الإنسان أسير الشهوات ما دام حياً . وإنما تختلف شهواته باختلاف سنه : فشهوة اللعب عند الطفل ، وشهوة الحب عند الشاب ، وشهوة الطمع عند رجل الأربعين . وشهوة السلطة عند شيخ الستين ، جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا»

وقد كان قاضياً، على أنه كان ينظر إلى نفس المجرم نظرة دارسة أخرى . كان يرى أن المجرم مسير أكثر مما يكون مخيراً ، وأنه « لا بد أن تكون الغاية النهائية للتربية الأدبية هى العفو عن الخطيئة — العفو عن أكبر خطيئة ، العفو عن كل خطيئة »

« هل المخطئ مسئول أو غير مسئول ؟ وما هى درجة مسئوليته ؟ مسألة عظيمة يجب على من يريد الحكم على غيره أن يحلها . لكن حلها يكاد يكون محالاً ، إذ لا يستطيع أحد أن يلم بجميع العوامل التى تتركب منها الذات الإنسانية بوجهيها الأدبى والمادى ، والقليل الذى يعلمه من ذلك يبين أن سلطة الإرادة على النفس محدودة وخاضعة لمؤثرات كثيرة شديدة تتنازعها وتقارعها وتضعف قوتها على نسبة مجهولة ومقدار لا يصل إلى تقديره عقلنا . وكل تاريخ الإنسان فى الماضى يدل على أنه إن لم يكن متولداً عن الحيوان المفترس مباشرة ، فهو مشابه له فى شره وأطماعه وشهواته . خلق عليل النفس كما هو مريض الجسم . خلق على أن تكون صحته الجسمية والعقلية صدفة سعيدة وعارضاً مؤقتاً »

« فالخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل للاستغراب منه . هى الحال الطبيعية اللازمة لغريزة الإنسان . هى الميراث الذى تركه آدم وحواء لأولادهما التعساء من يوم أن اقتربا من الشجرة المحرمة ... من ذلك اليوم البعيد لوثت الخطيئة طبيعتهما ، وانتقلت منهما إلى ذريتهما جيلاً بعد جيل . ذلك هو الحمل الثقيل الذى تئن تحته أرواحنا الملتهبة شوقاً إلى الفضيلة ... »

« وأخيراً ، فإن العفو هو الوسيلة الوحيدة التى ربما تنفع لإصلاح المذنب ، فقلما توجد طبيعة مهما كانت يابسة لا يمكن أن تلين إذا هى عولجت »

وإذا أنت نثرت بين يديك كل ما قيل عن تنازع الغرائز ، وإذا أنت نشدت فكرة تأخذ بجماع الغرض الأسمى للتربية ، لم تجد تصوراً أدق مما ترسمه قاسم أمين فى تلك الكلمات . كل كلمة تنضح من ينبوع من الحكمة والحق والحب ، وكل فقرة تجبهك بحقيقة من الحقائق التى يعيها رجال التربية ويعلمون مداها فى تربية العقل والوجدان فى العصر الحاضر . وإنما النفس الحساسة التى تفيض رحمة وحناناً هى التى شعرت بكل ذلك . وقاسم أمين القاضى هو الذى آمن ذلك الإيمان . أليس القاضى هو الذى يستطيع أن يبلغ بإحساسه إلى مستسر النفس ويتعمق بشعوره إلى أطوائها ؟ إلا أنه كان قاضياً فذاً ذلك الذى استطاع أن يوفق بين العدل وبين العفو . فهو يشعر بنواحى الضعف البشرى كما يشعر بها شاعر مثل شكسبير ثم لا يمنعه ذلك من أن تجرى أحكامه بقسطاس مستقيم

* * *

قاسم أمين المربى وقاسم أمين القاضى هو الذى شعر بكل ذلك؛ لكن قاسم أمين المتفنن الأديب هو الذى استطاع أن يؤلف بين العفو وبين العدل وأن يداول بين المثل الأعلى وبين الفطرة الدنيا . والمتفننون فى العالم هم أولئك الذين ألفوا بين المتناقضات وجمعوا الأبيض والأسود فى صعيد واحد يفرقون بين هذا وذاك بما يوحى إليهم من الحكمة وبما يلهمون من شعر أو حديث أو تصوير . ولولا أن المتفننين القدامى والمحدثين قد اعترفوا بالرذيلة والخطيئة والشر لما ورث العالم ذلك الفن الذى رفه على الإنسان حياته . وقد أوتى قاسم أمين نفس المتفنن الأديب وهى التى ألهمته

أن يرد حياة المجتمع في عصره إلى عناصرها الأولى فاستطاع أن يفرق بين الحق وبين الباطل واستطاع أن يدافع عن الأصول التي اهتدى إليها في حرارة الأدباء والمتفننين

ولسنا ندري: أإذا أتيح لقاسم أمين أن يكتب في الأدب التمثيلي أ كان يكتب من المسرحيات ما يشاكل تلك النفس الفنانة التي ترددت بين جنبيه ؟ لكن قاسماً كان فيما يكتب يستروح نفحة نقية من الأدب ، ويتهدّى بشعور عميق من الفن . إلا أنه لأمر ما لم يتجه إلى الأدب المسرحي ، أو قل إنه أوتي الكثير من عدة الفن لكنه لم يتهيأ لإنتاج الفن نفسه . وإنما قوام الفن تلك الحساسية البريئة التي تستطيع أن تشفق على المجرم وأن ترى الغرائز الدنيا مصطخبة مع الأفكار العليا . إنها نفس حساسة تلك التي تستجيب لكل الآثار التي تلقاها ، وهي هي نفس المتفنن الأديب. وأي الرجال كان شكسبير، وأي الرجال إبسن أوبرنارد شو إذا هم لم يمتازوا بتلك النفس الحساسة التي تستجيب لكل الدواعي ؟ وعندنا أن قاسم أمين كان أحد الذين انفعلوا لآثار البيئة التي عاشوا فيها ، ثم أعطوا بعد ذلك أضعاف ما أخذوا . وهو يشبه في ذلك جمهرة الروائيين الذين صوروا الحياة كما كانت وكما ينبغي أن تكون . ولو أنه أوتي حظاً من التأليف الروائي لخرجت من بين يديه مسرحيات تطاول ما ألفه الآخرون. وحسبه أن كتاباته التي لم تبلغ الستين صفحة لم تزل معرضاً لنواح كثيرة من حياة الجيل السالف : معرضاً أحسن تصويره أي إحسان .

ولعلنا نطيل كثيراً إذا حاولنا أن نتأثر ما صوره قسم أمين من حياتنا المصرية ، فهو في مرة يصف حياة خمسة من الشيوخ أحيلوا إلى المعاش وقضوا أوقات فراغهم في لعب الطاولة وفي مناقشات بريئة صاخبة عن البن . قصى الموت على أربعة منهم « وبقي خامسهم منفردا كئيبا لا يتكلم ولا يخرج من بيته لا يدري ماذا يصنع بحياته ويرقب الموت الذي يخلصه منها . » وهو يكتب في مرة عن متطفل اقتحم بيت أحد أصدقائه وفيه قوم يسمرون فأفسد سمرهم . وهو في كل ما يصف شاعر بالجذل الذي يملك نفس الروائي ، وهو يقول في ذلك : « يقصد الناس التياترات لرؤية الحوادث الغريبة ، وسماع القصص المضحكة أو المبكية . والعاقل يكتفي بما يراه حوله ويسمعه ، يتفرج مجانا على وقائع لم تبلغها مخيلة المؤلفين ، ولا مهارة الممثلين » .

* * *

وشيء آخر شارك قاسم أمين فيه أهل الفن والأدب ، ذلك هو الشعور بالجمال . فلقد كان خياله سخيا لدنا ، اتسع لألوان كثيرة من الجمال . وقد حاول أن يسبغه على غرائز الفطرة الأولى التي اعترف بها . فهو إذا اعترف بأن الإنسان يولد شريراً فقد ذهب إلى أن الغريزة قد يستعلي بها إلى المكان الأسمى . وهو في ذلك يختلف عن كل معاصريه الذين ثاروا به . ولأن هؤلاء لم يدركوا ذلك الأساس الأول من أسس التربية والإصلاح فقد ظل قاسم أمين عرضة لسوء الظن، وظلت كتاباته غرضا لسوء التأويل؛ وهو قد كان يؤمن بأن « أعظم ما يصاب به المرء أن يحرم من الذوق السليم » وبأن « الذوق السليم هو الإحساس الفطري الذي ينمو ويتهذب بالتربية . هو الشعاع اللطيف الذي يهدي صاحبه إلى أن يقول ويفعل ما يناسب المقام »

وكأنما قد ألهمت تلك النفس الحساسة حب الجمال إلهاماً ، وكأنما تشرفت على ما تندفع به نفس الإنسان من عواطف نبيلة ، كما اطلعت على ما يتدفق في أغوارها من غرائز وشهوات . والحق أن باحثاً يدرك الشر لا بد أن يرى ناحية الخير ناصعة بريئة . وقد داول هو البحث بين الخير والشر فأقام حدوداً جمالية ترى أن مصر لم تأخذ بالكثير منها . فهو قد كان يرى أن « أ كبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة : التمثيل والتصوير والموسيقى ، وأن هذه الفنون ترمي جميعها على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال ، فإهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور »

وهو يقص عليك القصة التالية لتدرك تقديره للجمال ، ولترى في أية بيئة كان يعيش :

« دخلنا قصر اللوفر ، وكنا أربعة من المصريين لنمتع النظر بأبدع ما جادت به قرائح أعاظم الرجال في العالم ، فبعد أن تجولنا في غرفتين جلس أحدنا على أحد الكراسي قائلاً : أنا اكتفيت بما رأيت وها أنا منتظركم هنا . وقال الثاني : أتبعكما لأني أحب المشي وأعتبر هذه الزيارة رياضة لجسمي ، وسار معنا شاخصاً أمامه لا يلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار ، وما زال كذلك حتى وصلنا

أعلام الأدب

هومـــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

ألم ينظم هوميروس غير الإلياذة والأوديسة ؟

لقد ذكر كالينوس الشاعر اليونانى القديم (٦٦٠ ق . م) منظومة لهوميروس تدعى (Thebais) لما يعثر عليها إلى عصرنا هـذا . ويظن بعض المؤرخين أنها لا تعدو أن تكون الإلياذة فى صورة أُخَر نظمها للانشاد فى طيبة اليونانية ولذلك أطلق عليها هذا الاسم

وعثروا على آثار للشاعر سيمونيدز (أمورجوس) الذى كان يعيش فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، وردت فيها مقتطفات من هوميروس يُظن أنها من الإلياذة — منها ذلك البيت المشهور : « وكما تَسَّاقط الأوراق (فى الخريف) فكذلك تَسَّاقط أرواح البشر »

وبعد ذلك بقرن كامل (٥٥٦ — ٤٦٨) رَوى شاعر آخر يدعى : سيمونيدز (من كيوس) بالتواتر عن هوميروس شعراً من ملحمة مفقودة لا تمت بصلة لا إلى الإلياذة ولا إلى الأوديسة

أما بندار (٥٢٢—٤٤٨ ق . م) ، وهو زعيم الشعر الغنائى فى اليونان القديمة ، فقد كان مشغوفاً بهوميروس وإن لم يمنعه شغفه به من مآخذ أخذها عليه فيما يتعلق بأوديسيوس ...وقد ذكر لهوميروس ملحمتين طويلتين عن أخيل ما تزالان وا أسفاه مفقودتين إلى اليوم ... وإذا كانت الأوديسة قد بلغت هذه الغاية من الإبداع فى سمو القصص وكثرة الوقائع وهى لبعض أبطال الإلياذة ، فما بال هوميروس فى ملحمتيه فى أخيل وهو بطل أبطال الإلياذة جميعاً ؟ ! أية ثروة أدبية من شعر البطولة قد فقدها العالم !!

لقد كان بندار يعجب بهاتين الملحمتين (الإلياذة الصغيرة والأثيوبيون) إعجاباً فائقاً جعله يشدو بهما كما يشدو عصفور الكناريا باللحن الموجع ...

أما إسخيلوس فقد كان يقول عن مآسيه التى نيفت على الثمانين ولم يصلنا منها ويا للأسف إلا سبع : « إنهن فتات من موائد هوميروس الحافلة ! ! » والثابت أنه استخدم أبطال الملاحم الهومرية فى أكثر ما ألف إن لم يكن فى كل ما ألف ... فهل كانت جميع مآسى اسخيلوس عن أبطال الألياذة والأوديسة فقط ؟!

وقد ألف سوفوكليس أربعاً وعشرين ومائة مأساة ... وكانت ثلاثياته[1] تحوم حول أبطال هوميروس كما كان يفعل إسخيلوس، فهل كانت أبطاله فى هذه الأربع والعشرين والمائة المأساة كلها من الألياذة والأوديسة ؟

- يقول المؤرخون حين يعرضون لهذا إن كلا من إسخيلوس وسوفوكليس كان يعد كل ما وصـل إليه من ملاحم العصر القديم هومرياً ، ولو لم يكن من نظم هوميروس ... ومن هذا التراث العظيم استمدا موضوعات مآسيهما ... بل يقولون إنهما كانا يدعوان ذاك العصر كله العصر الهوميرى ... على أنه ليس فى هـذا الكلام دليل على أن هوميروس لم ينظم غير الإلياذة والأوديسة ، وإلا لم يقل إسخيلوس إن مآسيه فتات من موائده

(١) كانت مآسى اسخيلوس وسوفوكلس تتركب من ثلاثيات والثلاثية Trilogy عبارة عن ثلاث مآس تؤلف موضوعاً واحداً

قاعة الصاغ والحلى . وحينئذ تنبهت حواسه وصار ينظر إلى الذهب ثم صاح : هذا ألطف ما فى الدار . وصلنا إلى تمثال إلهـة الجمال الفريدة فى العالم أجمع ، فسألت دليلنا ماذا تساوى هذه الصورة إذا عرضت للبيع ؟ فقال إنها تساوى ثروة أغنى رجل فى العالم . تساوى كل ما يملكه الانسان . تساوى ما يقدر لها حائزها ويطلبه ثمناً لها ، إذ لاحد لقيمتها »

وأنت تستطيع أن تقدر المرارة التى تخبث النفس الزكية حين تهتز لقطعة من الشعر أو الموسيقى أو لقطعة من التصوير والنحت؛ تحس بهذه المرارة إذا ابتلاك القدر بأن تسير وشخصاً تجافى نفسه كل نوع من أنواع الجمال ، فلا يرى من جمال الشعر إلا البيت المتهتك السخيف ، ولا من جمال الموسيقى إلا النغم الصاخب المنفر . ولعلك تحس بالمرارة التى كان يشعر بها قاسم أمين إذ كان يساير رجلاً استغلقت عليه آيات الفن الخالدة غير بعض حلى من الذهب والفضة لأن لها بريقاً يلمع ! حقاً إن قاسماً كما أسلفنا القول كان يعيش فى جو خاص لا يشاركه فيه إلا القليل

احمد خاكى

الحافلة ، لأن إسخيلوس كان يعنى ما يقول أكثر ممـا يحاول مؤرخو زماننا هذا أن يفهموا من عبارته وجهها الصحيح ، وهو ولا شك كان يعنى هوميروس نفسه ، ولم يعن عصره كله وبعض العصر الذى سبقه وبعض العصر الذى جاء بعده أو ما يسميه المؤرخون العصر الهوميرى ، أو ما يزعمون أن إجزنوفان (القرن السادس) كان يدعوه كذلك

هذا وقد اعترف تيوسيديدز لهوميروس بالإلياذة وبالأوديسة وبترتيلة أبوللو ؛ أما أفلاطون فلم يستشهد بأكثر من نتف من الإلياذة والأوديسة ؛ وجاء أرسطو فاعترف له بالإلياذة والأوديسة وملحمة فكاهية تدعى (مارجيتس) ضاعت فيما ضاع من تراث الإغريق ... أما أرسطرخوس الأسكندرى المعظم (١٦٠ ق . م) فلم يعترف له بأكثر من الإلياذة والأوديسة

وعلى ذكر أفلاطون وأرسطو نروى أن كلا منهما كان يقتنى نسخة من الإلياذة مختلفة فى كثير من فصولها عن النسخة الأخرى ، ولم يستطع المؤرخون تعليل ذلك بعد ، اللهم إلا ما يعزى إلى بزستراتوس — منظم أشعار هوميروس فيما يقال — من أنه تناول الإلياذة بشىء من التحوير ، وأقحم عليها زيادات فى تمجيد الأثينيين ... وهو ما يشك فى صحته الأساتذة لانج وموراى وبورا والعلامة كارل موللر

على أنه ليس بزستراتوس وحده الذى اتهم (بتحشية) الإلياذة والتزوير على هوميروس ، بل إن صولون نفسه قد اتهم بمثل ذلك ... بل اتهمت به كل مدينة يونانية ... وما حدث للإلياذة من ذلك القبيل هو ما حصل لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما اختلفت الأحزاب وأراد كل منها أن ينصر مذهبه بأثر من كلام الرسول، فكثر التلفيق وشاع الوضع ، ثم نشأ بعد ذلك ما نشأ من مدارس الحديث وشمر الأئمة للتجريد والتضعيف وما إلى ذلك .. فمثل هذا حدث فى اليونان القديمة

ولقد ساهمت مدرسة الإسكندرية بأوفى نصيب فى درس الإلياذة والأوديسة ، وفرغ من تلاميذها الأفذاذ لكلتا الملحمتين عدد عظيم استطاعوا عرفان الزائف من غيره ، وكان إمام هذه المدرسة المؤرخ النـاقد الكبير أرسطرخوس الذى وضع لنقد الأدب الهوميرى قواعده الرائعة

ويحددون عصر البطولة الذى وقعت فيه حوادث الإلياذة ثم حوادث الأوديسة بالقرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وذلك أن القبائل اليونانية (الأيونيّه والأيوليّه والدوريّه) كانت قد أخذت تنهض فجأة وتناضل فى سبيل مجدها وتناوئ الحثيين والمصريين على السواء ، وكان لا بد لها قبل كل شئ من أن تقهر طروادة المحصنة القوية الرابضة على ضفة الهلسبنت (الدردنيل) الشرقية ... وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ... وبعد أربعة قرون أو نحوها ، جاء هوميروس ليروى وقائع هـذه الحرب فى منظومته الخالدة ، أو وقائع السنة الأخيرة من السنوات العشر من حصار طروادة — أو إليوم — كما كان يدعوها غالباً .

فالإلياذة من هذه الوجهة قصيدة حربية حافلة بأنباء المعارك ، تكاد تسمع صليل القتال وأنت تتلوها ، وتكاد تشرف منها على ميدان صاخب ثائر النقع ، شديد الروع ، فائر بالدماء ... وإذا كنت من رجال الحرب سرتك الخطط المرسومة والخدع المحبوكة ، وراعتك هذه الفيالق المجيّشة تأخذ أماكنها ثم تتحرك كالموج ، ثم ترتد قطعة بعد قطعة وهى فى حالتى الكر والفر كالرجل الواحد ، أو كالبنيان المرصوص ... والإلياذة من هذه الوجهة أيضاً تصور لك حياة الجند فى الثكنات أبرع تصوير وأروعه ، كما تصور لك حياة البحارة والرياضيين والرعاة ورجال الجبال ... لكنها لا تبلغ من ذلك ما بلغه هسيود فى ملاحمه ، وذلك ما نرجئه لفصل آخر

الإلياذة وصف قوى لهذه المجازر التى نشبت بين جيل من الناس يسكن فى طروادة ، وبين جيل مختلف عن جيل طروادة ... لأنه جيل من أنسال الآلهة ، وذرارى أرباب الأولمب ، فيما تزعم أساطير اليونان ... جيل توالد من تزاوج عجيب بين هذه الأرباب الأولمبية وبين إنسيات فاتنات من بنات حواء ... فليس أخيل المعظم ولا أودسيوس ولا أجاممنون ولا منالايوس ولا ديوديميد ولا نسطور ولا أجاكس ولا أبطال أخايا[1] جميعاً أشباهاً لهكتور ولا باريس ولا أبيهما بريام ولا لأبناء طروادة ، لأن الأولين أبناء آلهة والآخرين أبناء بشر مثلنا

شخصيات عجيبة جداً تلك الشخصيات التى اخترعها هوميروس

(١) أخايا وهيلاس من أسماء اليونان القديمة . وأخايا أيضا مقاطعة بعينها من هذه البلاد

فهو لم يكتف بأن صنع للأغريق لاهوتاً يعج بكل زوج من الآلهة بل زاح يزاوج بين تلك الآلهة وبين الناس ثم ينسل أولئك الأبطال العظام الذين دوخوا طروادة، وأرووا سوحها بالعزيز الغالي من دماء أبنائها

فالسيدة هيلين ، التي بسببها نشبت الحرب ، هي ابنة زوس كبير الآلهة من ليدا التي أحبها الاله الأعظم في غفلة من زوجه هيرا .

وأخيل — بطل الإلياذة — هو ابن بليوس ملك فتيا — لكن أمه عروس الماء الحسناء الفتان ذيتيس — التي استطاعت أن تزلزل قلب الإله الأكبر — زوس — بجمالها الساحر ، وأن تجمله ، وهو سيد أولب ، بعض عباده ، كما استطاعت كذلك أن تسحر قلوب الآلهة الذين أهرعوا من كل مكان ليشاركوا في زفافها ويشربوا النخب في أكواب مما أهدى إليها الصب المدنف ، إله الخمر ، باخوس !

وأوديسيوس — بطل الأوديسة ، وثاني أبطال الإلياذة ، وصاحب فكرة الحصان الخشبي — يتصل بزوس من أمه مايا — وكذلك ابنه تلياك

أما أجاكس ، وهو من أبرز فرسان الإلياذة وأشدهم بأساً ، فهو من حفدة دردانوس

وأجاممنون ، وأخوه منالوس ، هما ولدا أتريوس حفيد تنتالوس ، ذلك الملك القاسي المتحجر القلب الذي حاول مرة أن يطعم الآلهة من شــواء صنعه لهم من بدن ابنه[1] . فكان جزاؤه النفي إلى ظلمات هيدز حيث قاسى الظمأ الممض وهو غريق في نهر من الماء العذب لا يصل إليه فوه ، وإن بينه وبين الماء لشبراً واحداً

وجميع الأبطال الآخرين هم حفدة الآلهة ، وأبناء السماء كما دعاهم هوميروس (الألياذة ج ٢ سطر ٥١٣)

على أن أبطال طروادة يمتون هم أيضاً بوشائج النسب إلى بعض الآلهة . فبريام وأبناؤه التسعة (هكتور وباريس ... الخ) ينحدرون من أسلاف أجاكس (دردانوس)

وفي كثير من كتب الإلياذة مفاخرات عجيبة بالأنساب بين أبطال اليونان وأبطال طروادة ، إذ يرد الطرفان أصولها إلى الآلهة (إقرأ المفاخرة الجميلة بين أخيل وبين إيناس — إلياذة — الكتاب العشرون)[2]

بيد أن أبطال اليونان في الإلياذة يبدون أكثر اقتراباً إلى الآلهة وأشد اتصالاً بهم مما تبدو العناصر المكونة لجيش طروادة

وكذلك الحـال بين آلهة الأولب ، فأكثرهم يعطفون على اليونانيين ويناضلون عنهم ، ويُسْدون لهم أحسن الجميل فيما تقتضيه معاركهم من تيسير وترشيد

أما طروادة ، فيعطف عليها أبوللو ، وتنحاز إلى صفوفها فينوس... أليس باريس قد قضى بالتفاحة لها من دون هيرا وميترفا ؟

لذلك تكاد تكون حرب الإلياذة قائمة بين قبيلين متفاوتين في الطبائع ، فأحدهما أقرب إلى الآلهة منه إلى الناس ، والآخر أقرب إلى الناس منه إلى الآلهة ، وفي ذلك ما فيه من ميل هوميروس الذي يبدو هواه مع اليونانيين في الإلياذة التي نملكها ، والتي هي من تمحيص اليونانيين من أهل أثينا والأسكندرية

على أن هذا الميل لم يكن حاداً أو مبالغاً فيه كما هي الحال في القصص الشرقي الذي خلفته لنا عصور البطولة ومن نحو قصة عنترة أو أبي زيد أو سيف بن ذي يزن ، فالغالب في هــذه القصص أن يطبع الراوي سامعيه بطابع خاص ، فيجعل هواهم في جهة واحدة بحيث يطربون أبلغ الطرب وأشده إذا جال عنترة جولة فأطاح برؤوس مائة أو مائتين أو ألف أو ألفين . أو إذا انهزم الزناتي أمام أبي زيد . . . لا . . . لم يفعل هوميروس كما فعل هؤلاء ، فهو بالرغم مما جعل لأبطال الاغريق من شرف النسب وكرم الحسب ، وبالرغم مما أنهى به الإلياذة من فتح طروادة وإشعال النيران فيها وقتل أبطالها البارزين إلا أنه قد خصهم بنوع عجيب من البطولة يرفعهم درجات فوق الأبطال الاغريق . وذلك أنه جعلهم أناساً ، وجردهم من الممعة من هذه الحضانة الربانية التي خلعها على أخيل وغير أخيل ، ومع ذلك فقد صبروا وصابروا ولقوا جموع اليونانيين بمثل الشجاعة التي لقيهم اليونانيون بها ، فلم يجبنوا ، ولم يهنوا ، ولم يتخاذلوا عند اشتداد اللقاء ، وكانوا يَقتلون ويُقتلون ، وكانت الكرة تكون لهم مرة ولخصومهم مرة ... وكانت لهم مواقف عجيبة مشرفة تنتزع من القارئ استحسانه أو رثاءه ... وقد استطاع هوميروس أن يستدر دموع سامعيه وهو يصور وداع هكتور لزوجه وولده ،

---

(١) أساطير الأغريق والرومان لجرير ص ١٤٣

(٢) تجد في الكتاب الثاني للألياذة أنساب معظم الأبطال اليونانيين الذين اشتركوا في هذه الحرب وقد أورد الأستاذ جرير جدولا جنيالوجيا في آخر كتابه هو أحسن ما وضع في هذا الباب

عرض سريع

يوم الفتوّة فى بغداد

للأستاذ على الطنطاوى

ذلك هو يوم الجمعة ٢٧ يناير ، الذى احتفلت فيه بغداد كلها ، فاستقرت فى شارع الرشيد وشارع غازى ، لترى مركب الفتوّة ، الذى يصل بين غازى والرشيد ، فينشئ المجد الجديد ، على أساس المجد التليد ... وقد أتى الناس من كل فج عميق ، ليشهدوا بأعينهم كيف غدا أبناؤهم أسوداً صغاراً ، أشبالاً ، يدافعون عن الحمى ، ويحمون العرين . . . ويبصروا بيمائزم الآتى المجيد ، والمستقبل الزاهر ، وقد أشرق فجره من عيون أولئك الفتيان ، التى ترق بريق الحماسة والإخلاص ، وقلوبهم التى تنطوى على التضحية والثبات ، وألسنتهم وهى تنشد النشيد الذى يوقظ الموتى ، ويبعث الحياة فى الصخر الصلد ، وأيديهم التى تهز البنادق ، تقول بلسان حالها : إنا نحقق ما تقول !

مرحى يا فتيان العراق ، عشتم للعروبة ، وسلمتم للاسلام !

* * *

أقبل الناس على شارع الرشيد ، قبل أن تقبل الشمس بوجهها على بغداد ، فملؤوا جوانبه ، واستأجروا مداخل المخازن ، وشرفات المنازل والفنادق ، حتى بلغت أجرة المقعد الواحد ربع دينار ، ولا ترى فى شرفة مقعداً ، ولا على رصيف مكاناً ، وتعلق الناس بالأعمدة ، وأشرفوا من الأسطحة ، وكانت الوجوه فى بشر وانطلاق ، كما كانت الطبيعة متهللة باسمة فى هذا اليوم المشهود ، والشمس بازغة ساطعة ، والأنس فى الأرض وفى السماء ...

وانتظر الناس ساعات ، لا يملّون ولا يضجرون ...

* * *

وكنت فى غرفتى فى (الأعظمية) أهم بالنزول إلى بغداد ، ثم يردعنى خوف الزحام ، وكراهية الاختلاط ، وخشية أن يبتلعنى هذا اللج البشرى الهائل . . . وكنت أنظر فى ركام الكراسات التى تبلغ المئات ، والتى جمع فيها كل تلميذ ما يستطيع من الأخطاء والحماقات ، لأموت بتصحيحها ، وتقدير درجاتها ، فلا أمسها ، ولا أدنو منها ، وإنما أنصرف عنها أفكر فى بلدى وأهلى ...

أأنا أهجع آمناً فى بغداد ، وآنس مطمئناً ، وأهلى فى دمشق يمشون على النار ، ولا يدرون أإلى موت أم حياة ؟ أأستمتع بالجمال ، وأتذوّق الحب ، وأنفق الأماسىّ الهادئة ، فى مسارب الأعظمية ، أساير (الشط) وأتفيأ ظلال النخيل . والشام قد ثار من تحته البركان ، وزلزلت منه الأركان ، وهبّ أهله هبّة المستميت ، يريدون الحياة كاملة ، أو الموت صرفاً زعافاً ؟

فكرت فى ذلك ، فامتلأت نفسى كآبة وحسرة ، فقمت على غير شعور منى وانطلقت إلى بغداد ، وما أدراك اليوم ما بغداد ؟

* * *

بلغت (الباب المعظم) وعهدى بالمكان أن فيه شوارع وميداناً ، فإذا هو بحر من الخلائق يموج بعضها فى بعض ، وقد غرق فى هذا البحر الشارعُ واختفى الميدان ، فوقفت حائراً لا أتقدم ولا أتأخر . وطال بى الوقوف ، وخشيت أن أبقى كذلك

وفزع هذا الولد العجيب وأبوه يتناوله من يدى أمه ليقبله القبلة الأخيرة التى لم يره بعدها ، لأنه ذهب ليصاول أخيلا فيقتله أخيل بمساعدة الآلهة ... لا لأنه أقوى منه وأشد مراساً ...

لقد استطاع هوميروس أن يستدر دموعنا وهو يصور لقاء أخيل لبريام المحزون وقد ذهب — وهو ملك طروادة — يرجو بطل الإغريق وزعيم الميرميدون فى أن يدع له جثة ولده هكتور ، وأن يخلى بينه وبينها ، فما كان من أخيل إلا أن أصاخ ودموعه تنزف ، فترك الجثة ، جثة هكتور الذى قتل بتروكلوس حبيب أخيل ، ووكيله على جنده وأعز الناس إلى نفسه ، والذى بكيناه أحر البكاء حينما قتل ، وحينما انتزعت أسلابه ، وحينما جئ به إلى معسكر أخيل معفراً بتراب المعمعة ، وحينما سهدت عليه العيون ، وسهرت عليه حبيبة أخيل

وهكذا يرتفع هوميروس بأبطاله فى الناحيتين ، ويوزع إعجاب القارئ على المعسكرين ، مما سنبينه فى العدد القادم

دريني خشبة

إلى المساء ، فتشددت وقلت: ويحك يا نفسى ! لماذا الجبن؟ وعلام التأخر ؟ ولماذا كنت تدفعيننى إلى أن أمارس ألوان الرياضة ، إذا كنت لا تستطيعين النجاة فى مثل هذا اليوم العصيب؟ وظننت نفسى قد اشتدت ، فشمرت عن ساعدىّ وأقبلت أدفع هذا ، وأزيح ذاك ؛ وكلما دفعت عنى واحداً حلّ مكانه عشرة ، فخارت قواى وأيست من النجاة ، واعترفت لنفسى بأنى لم أبلغ بعد مبلغ عنتر (عنتر القصة) الذى يقبض على الرجل فيرفعه بيده فيضرب به الآخر فيقتل الاثنين ... فوقفت فاشتد على الضغط من كل جانب ، حتى أحسست كأن أحشائى ستخرج ، وضاق نفسى، ولكن كل ضيق إلى فرج ، فلم يكن إلا أن فرج الله عنى فبعث رجلاً من رجال الشرطة أعرفه فحملنى إلى الفندق الذى أريد ...

* * *

وكان فى شرفة الفندق سعادة القائد البطل فوزى القاوقجى وأخى الشاعر أنور العطار فى جماعة ، فخلت فيهم ، ولبثنا ننتظر الموكب ، ونتحدث عن الفتوة فى العراق ، ونستمع إلى أحاديث فوزي وهى للأديب كنز لا ينفد ... وأشهد أن فى العراق فتوة وشبابا ، وأنه شعب عرف طريق الحياة فسلكه . ولقد رأيت من مظاهر الفتوة فى بغداد ما جعلنى أبكى من فرط التأثر ! رأيت فى بغداد طفلاً يدرج على باب منزله ، لم يتعلم المشى ولا النطق ، وهو يحاول أن يخطو خطو الجند ، ويوعز إيعاز القائد : يُسْ . يَمْ . أى : يسرى . يمنى ...

رأيت فى بغداد أطفال المدارس الابتدائية ، يسيرون سير الجنود . يقودهم مدرس بلباس ضابط ، يدربهم على فنون القتال

وذهبت مع الطلاب إلى معسكر الانكليز فى (سن الذبان) لمباراة رياضية . فرأيتهم قد قلبوا المدينة الانكليزية إلى حى من أحياء العرب ، وأفاضوا عليها روحهم وشبابهم وفتوتهم ، فقلت : تبارك الله ! إذا كان جيش من لاعبى الكرة لا يتجاوز الخمسين شاباً فعل هذا كله ، فكيف لو جاء الجيش العربى جيش المستقبل ؟ وسألت الطلاب فى الامتحان هذا السؤال الأزلى : ماذا يريد أحدكم أن يكون ؟ فكان جواب الأكثرين أنهم يريدون أن يكونوا جنوداً ، مشاة وركباناً ، وبحارة وطيارين ، يدافعون عن أمتهم ويذبون عنها كل طاغية أو جبار ينبع من الأرض أو يهبط من السماء ... ورأيت أثر الروح العسكرية واضحاً فى الطلاب ، فالطاعة من غير استخذاء ، والحرية من غير تمرد ، والنظام من غير جمود . تلك هى صفات طلاب العراق . وإن فى مدرستنا الغربية لثلثمائة طالب ، والمدرسة سائرة سير الساعة المتقنة وليس فى إدارتها إلا مدير ومعاون ، مع أن مثل هذا العدد يحتاج فى دمشق إلى عشرة ضباط (معيدين) ثم لا تكون المدرسة كالساعة ، وإنما تكون كالبركان الذى يهدد كل لحظة بالانفجار . فيا ليت شباب دمشق يعرفون الروح العسكرية ، كما عرفها أشقاؤهم شباب العراق

* * *

لبثنا ننظر إلى الضحوة الكبرى ، والناس لا يزدادون إلا تدفقاً ، فكأنهم سيول تصب فى هذا الخضم العظيم ، والشارع يموج بالناس موجاً ، ويزخر بالخلائق ، وكلهم يتطلع وينظر ، وكلهم يسأل متى يأتى الموكب ، وعمال الشركة الأميركية للسينما ماثلون بآلاتهم فى الشرفات والزوايا ، ليصوروا معالم الحياة فى بغداد ...

وإن البحر ليموج ويزخر ، وإن أمواجه لتصخب وتضطرب، وإذا بالمعجزة قد وقعت فانشق كما انشق البحر لموسى ، وانفتح الطريق ، فنظر الناس ونظرنا فإذا الأعلام العربية تلوح بألوانها الأربعة التى تجمع شعار دول الإسلام كلها بأمييها وهاشميها وعباسيها وترمز لفضائل العرب كلها :

بيض صحائفنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

وإذا الموكب قد لاح من بعيد ، كما يلوح الهلال الهادى ، للقائد الآيس ويسطع كما يسطع نجم الأمل فى ظلمة القنوط ، وإذا موسيقاه القوية تدوى فى الآذان ، فيكون لها أثر فى النفوس أحلى من نداء الحبيبة فى نفس المحب المشوق، فحبس الناس الكلمات ووقفوا الأنفاس ، يتطلعون ويترقبون ، والموسيقى تعلو والفتيان يتقدمون حتى وصلت طليعتهم . . . فما استطاع ذو شعور إمساك دموع الفرح والرقة والتأثر أن تسيل ، وارتجت الأرض بالتصفيق والهتاف ، كما ارتجت من قبل بهذه الموسيقى القوية المحبوبة ، وهذا النشيد الذى يسمع من خلاله صوت المستقبل البارح وتلوح فى أثنائه خيالات المعارك المظفرة . . . وكان الفتيان أطهاراً مثل الزهر اليانع ، لدنا كأغصان الروض ، ولكنهم كانوا أقوياء كدوح الناب ، أشداء كأسود العرين ؛ وكانوا يسيرون صفوفاً متعاقبة على عرض الشارع ، مرفوعة رؤوسهم ، منتصبة قاماتهم ،

موزونة خطاهم ، على أكتافهم بنادقهم وعدة قتالهم ، يتقدمهم قادتهم ومدربوهم والقائد العام المقدم محمود فاضل ومساعده الجرموز الأكبر بهاء الدين الطباع على الخيول البلق ، أمام الجيش الفتى

* * *

لا والله ما أحسست بالعجز مرة عن وصف ما أرى مثل عجزى اليوم . ومنذا الذى يقدر على وصف هذا الشيخ الهم ، ذى الشيبة السائلة على صدره وهو يلحظ حفيده الصغير ، يحمل البندقية ويمشى مختالاً مزهواً ، يحلم بأمجاد المستقبل ، ويذكر ما درس من أمجاد الماضى ، فلا يطيق منع الدموع أن تسيل من عينيه وتتحدر على لحيته البيضاء ... إنى لأسمعه يحمد الله على أن لبلاده جيشاً من أبنائها ولم يكن يرى إلا جيشاً واغلاً أو دخيلاً ..

ومنذا الذى يقدر على وصف هذه الأم التى أمسكت بيد طفليها الصغيرين وهما يتوثبان ليلحقا بالموكب ليريا أخاهما ، وطفقت تدعو الله دعاء هامساً يتصعد من خلال الزفرات أن يحفظ لها ابنهـا ، وللوطن بنيه : « يارب سلّم ، ماشاء الله كان .. يارب سلم .. » وتبكى !

ومنذا الذى يقدر أن يصف شارع الرشيد فى هذا اليوم ؟

يا أيها الرشيد ! قم تر المجد الذى بنيته لا يزال قائماً . قم تر الأحفاد قد نهضوا يسلكون طريق الأجداد . قم ترنا لم نضع الأمانة ولم نهلك التراث . قم تر مجد غازى يتصل بمجدك كما اتصل الشارع بالشارع فعادا مهيعاً واحداً ؟

هؤلاء يا مولاى عدة المستقبل ، وهذا الجيش وهذه الآمال !

* * *

وفكرت فجأة فى بلدى وأهلى ...

نحن هنا فى فرحة والنار مشتعلة فى فلسطين ، والنار توشك أن تلتهب فى الشام ! أى مصيبة لم يرها الشاميون ، وأى خطب لم ينزل بهم؟ أما خرب الأقوياء بلادهم ضرباً بالمدافع وقصفاً بالحديد وحرقاً باللهيب ؟ أما أخذوا ذهبهم وأبدلوهم به ورقاً أقفرت به الخزائن وافتقر به ذوو الغنى واليسار ؟ أما قطعوا البلاد حكومات ، وجعلوا من القرى دولات ، وقسموا الناس بدداً ليجعلوهم طرائق قدداً ؟

أفما جروا على هذا كله ؟ بلى ، لقد جروا حتى لم يبق فى قوس الصبر منزع ، واحتملوا مالا يحتمل ؟ فلما نفد الصبر ، وباد طوق المحتمل ، هبوا هبة الحليم إذا غضب ، وياما أشد غضب الحليم !

أنكون نحن فى فرحة ، وقومنا فى الشام فى ألم ؟

وكنت أشعر بالحزن فى قلبى ، ثم قلت : لا ، إن هـذا هو الجيش الذى يجب أن يفرح به قومى. إن بطولة العراق وفتوة العراق صفحة من سفر المجد العربى ، كما أن تضحية فلسطين ، وجهاد دمشق ، ونهضة مصر ، صفحات منه أخرى . إن هذه كلها قوى متحدة ، تتوجه وجهة واحدة !

ثم إن دمشق لا تخاف شيئاً ولا تخشى !

ولم تخاف ؟ الرصاص ؟ لقد فتح له أهلوها صدورهم ! المدافع ؟ لقد أعدوا لها منازلهم! اليتم والثكل؟ لقد تعوده أبناؤهم وأمهاتهم !

إنهم يريدون أن يحيوا حقاً أو يموتوا . فهل يغلب شعب وطن نفسه على الموت ؟

* * *

وكان جيش الفتوة لا يزال يسير ، والأرض ترتج بالموسيقى والنشيد والهتاف والتصفيق والدعاء والبكاء ، فعاد الأمل إلى نفسى قويا ، هذه (بيه موت) الوحدة العربية ، هذه (بروسيا) العرب ، هؤلاء عدة المستقبل ، وهذا الجيش ، وهذه الآمال !

فياأهل دمشق ، وياأهل فلسطين ، وياأيها العرب ، فى قاص من الأرض ودان .

اطمئنوا فإن لكم جيشاً !

* * *

ولما جاوز جيش الفتوة شارع الرشيد واتجه إلى شارع غازى ماج البحر واضطرب ، وتدفقت وراءه الجموع ، وأسرعت إلى (الأعظمية) لأدرك الصلاة ، ونفسى تضطرم بأجمل العواطف ، وأبهى الصور ، ولكن جمالها لا يستتم فى نفسى . إن فى الموكب لنقصاً ظاهراً . أفما كان فى الامكان سدّه ؟ أكانت تخر السموات على الأرض ، ويفسد نظام الكون لو قدم الموكب ساعة أو أخر ساعة ، ولم تضع الصلاة على هؤلاء الفتيان كلهم ؟

هـذا هو النقص ، فياليت الوزارة لم تنسه ... يا ليتها ساقت هؤلاء الجنود كلهم إلى المساجد ليقيموا فيها الصلاة ، فإن أجدادنا ما غلبوا عدوهم إلا بالصلاة ، والالتجاء إلى الله ، وهوان الدنيا وأهلها عليهم ، وابتغائهم إحدى الحسنيين الظفر لإعلاء كلمة الله ، أو الشهادة !

إذن لكان لهذا اليوم جلال الدنيا ، وجلال الدين ، وإن فى الآتى لإصلاحاً لما مضى ، وإنه على هذا ليوم مشهود !

« بغداد » **على الطنطاوى**

من ذكريات لندن

عربيـــد

للأستاذ عمر الدسوقي

في لندن للمصريين نَدِيٌّ ، يختلف إليه الأخيار والأشرار ؛ بعضهم لرؤية صديق ، أو التزود من أبناء الوطن ، أو الاستجمام من عناء الدرس ؛ وبعضهم لقتل الوقت في لعب الميسر واللهو في غير كرامة ولا وقار

وكانت لنا فيه جلسات ممتعة ، نصر منها قسط الأسد ، ننتقد الساسة من غير تحرج ولا هيبة ، ونضع خطط الإصلاح الجريئة ، وتتفطر قلوبنا أسى ولوعة على مصر وما تعانيه ، ونحتدم في جدال عنيف كله لمصر ولخير مصر

وفي ذات مساء ، بينما نحن جلوس حول المدفأة ، ندفع بحر ناره زمهرير الشتاء ، نجول ونصول كعادتنا ، في السياسة تارة وفي الأدب أخرى ، إذ دخل علينا فتى في شرخ الشباب ، رَبعةَ عريض المنكبين ، غائر العينين ، بارز الجبهة ، أسمر البشرة ؛ فحيا بأدب ، ثم اتخذ مجلسه بيننا ، ينصت إلينا ولا يشاركنا ، ثم بدا له فزج بنفسه في الحديث ، وخب فيه ووضع ، وبعد لأيٍ قصَّ علينا قصته ، قال :

جئت ناديكم اليوم ، أطلب النياث والنجدة ، فقد نزحت إلى لندن طلباً للعلم منذ شهرين ، وأقمت مع زوجي وابنتي الصغيرة في منزل مؤثث ؛ وفي ذات يوم تسلمت كتاباً من سيدة انجليزية ، تعرض فيه استعدادها لخدمتنا ، مدة شهر الصوم ، وتدعي أنها مسلمة من ذوات التقى والورع ، وأن الذي حداها للكتابة إلينا ، إشفاقها علينا ، فخدعنا بكتابها المعسول ، وبرحنا منزلنا إلى منزلها ؛ وقضينا اليوم الأول لا نلاقي إلا كرماً وأريحية ، فذهبت الوحشة ، واطمأنت النفوس ؛ وخرجت في اليوم التالي مبكراً ، وأبت متأخراً ، فوجدت زوجي تبكي وتنتحب ، وقد ضمت طفلتها إلى صدرها ، فسألتها ، ما بالها ؟

— لقد مر بنا يوم عبوس قمطرير ، قفَّت فيه أوصالنا من القر ، وجمدت أطرافنا من البرد ، وجاءت فيه الطفلة حتى أشرفت على الموت ، واستغثنا بربة البيت مراراً ، فلم يزدها نداؤنا إلا إعراضاً عنا وازوراراً . ذهبت إليها أستعطفها وأسترحمها ، فأرتني وجهاً كالحاً كئيباً ، وأسمعتني من هجر الكلام ما تعافه آذان الأحرار ، وهاأنت ذا تراني أعاني والطفلة السغب والبرد ، وأضمها إلى صدري لعلها واجدة فيه دفئاً أو سلوى

— ويل لها من كذوب ماكرة ! هكذا قلت ، وأنا أنتفض غيظاً وموجدة ، وبودي لو أذهب إليها فأحطم رأسها أو أهشم عظمها ، أو أمزقها إرباً ، ولكن عنَّ لي أن أستعمل الحيلة حتى أخلص منها لا عليَّ ولا لي . فغادرنا المنزل تواً ، وتركنا متاعنا إلى الصباح ، ثم أرسلت من يحضره ، فأبت أن ترد إلينا . فقلت : يا للعجب ! إني قد وقعت منها على داهية ؛ وأسرعت إلى منزلها غضبان أسفاً ، فاستدرجتني حتى دخلت إحدى الغرف ، ثم أوصدت الباب وأحكمت رتاجه ، وأخذت تهدد وتتوعد ، وتبرق وترعد . وتقول : قد أتلفتم أثاث المنزل ولن تبرح حتى تنقدني عشرين جنيهاً ، أو تكتب بها صكاً ؛ فكتبت ما شاءت فداء لنفسي ، وإبقاء عليها ؛ وخرجت لا ألوي على شيء ، وذهبت من فوري إلى محل الشرطة ، وذكرت ما عاينته منها ، فصحبني أحد رجاله ؛ وما إن رأته حتى اصفر وجهها فرَقاً ورعباً ؛ فسألها عن الصك فأنكرته . فقال : إني على ذلك شهيد ، وأخرج أمتعتي عنوة ، وحذرها بالعقاب الأليم إن هي فكرت في إيذائي . فانطلقت شاكراً له ، وحمدت الله على أن نجوت من مخالبها

ولكن وا أسفاه ! قد طاردني شرها في كل مكان ، فضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ؛ إذ أنها كتبت للارسالية تصمني بالعربدة ؛ ومرضت زوجتي وطفلتي من أثر ذلك اليوم المشئوم ؛ وقد نصحني الأطباء ألا أبقيهما يوماً واحداً في لندن حيث لا يعين جوها على البرء والشفاء ؛ فودعتهما والدموع تنهمر ، والقلب ينفطر ، وسافرا إلى مصر على ما بهما من مرض ، وعدت أدراجي إلى منزلي وحيداً غريباً ، لا أجد مواسياً أو حبيباً

وهاأنذا يا سادتي ، أناشدكم أواصر الوطنية والإخاء ، إلاَّ أقلتموني من عثرتي ، وانتشلتموني من وهدتي . فقد حجب الحزن بصري عن النظر ، وغشَّ الأسى قلبي عن التفكير ، وكل ما أبغيه أسرة تحنو عليَّ ، وتأسو ذلك الجرح حتى يندمل ، وتعينني بعطفها على الدرس ، وبحسن معاملتها على السلوى

فحركت مأساته الأفئدة رثاء له وحدباً عليه ، وعلت الآهات

والزفرات توجعاً لمصابه ، وأخذنا نقدح زناد الفكر حتى اهتدينا إلى سبيل تزود به وحشته ، وتخفف كربته ، فقلت:

— إني أقيم في أسرة أحلتني مكاناً علياً ، وأنا عندهم ملء السمع والبصر ، أتقلب في أعطاف الهناءة والدعة ، فإن شئت أن تشاطرني ما أتمتع به من الراحة والطمأنينة ، فلن تزيدني إلا سروراً

— شكراً لك ، ثم شكراً ؛ إني محتاج ليد قوية رشيدة في هذا البلد الغريب تهديني سبيل الحق حتى أقف على أسراره وعاداته ، ولن يسعني حيال هذه السماحة إلا القبول ، والثناء العاطر ، والاعتراف بالجميل

— هيا بنا الآن أريك المنزل وأقدمك للأسرة ، وكن واثقاً بأنهم سيضمونك في منزلة العزيز الكريم

أخذت ألمح له أثناء الطريق بما يؤهله لاكتساب محبة الناس في هذه البلاد ، وأننا هنا رسل الدعاية لمصر البائسة ، فلزام علينا أن نتحاشى السفاسف والدنايا ، وأن الأسرة التي سيقيم فيها ، تربأ بمنزلها أن يدنس ، أو يكون موئلاً للفحش والخنا ، أو يكون ضيفها عربيداً ماجناً ، وخليعاً مستهتراً ؛ لأنها متزمتة وقورة ، وربها أستاذ كبير في الموسيقى ، ولم ير مني إلا كل ما يشرح صدره ، ولم أعهد عليه إلا التفاني في سبيل راحتي

بدت على محياه أمارات الارتياح ، وأكد لي أنه سيكون مضرب الأمثال في نبل الأخلاق والرجولة ، وأني سأكون فخوراً بصحبته ، تياهاً بخلاله وسجاياه

قدمته للأسرة وزكيته وأطنبت في مديحه ، وقصصت ما لاقاه من عنت وإرهاق ، فرثوا لحاله ورحبوا به ، وأخذوا يمعدون من مخيلته هذه الصورة المزرية عن بلاد الإنجليز وخلال أبناء التاميز ، بحديثهم الحلو ومداعباتهم الطريفة

مضى على صاحبنا أسبوع ، بدا فيه نموذجاً عالياً للأدب والظرف والدماثة والوقار ، فزدنا في إكرامه والاحتفاء به . بيد أنه أخذ يتخلف عن جلسات الأسرة بعد العشاء ، ويلزم الصمت أثناء الطعام ، ثم يفر إلى غرفته فرار الظليم ، فرابنا أمره وخشينا أن تكون قد حلت به كارثة ، فتبعته مرة ، وطرقت باب غرفته ، فلم يجب ، فواصلت الطرق فترة غير وجيزة ، وأنا أناشـده الله إلا أفضى إليّ بدخيلته ، وبدواعي وجومه وعبوسه ؛ ففتح بعد لأي ، وشرر الغيظ يتطاير من عينيه ، وفي وجهه إكفهرار وامتقاع ، ويداه ترتعدان كالمحموم ، وابتدرني قائلاً بصوت متهدج يفصح عن الوجل والحنق :

— ماذا تريد ؟ لن أسمح لك بدخول حجرتي ، أقصر عطفك على نفسك ، فلست حدثاً غراً !

— آسف يا هذا ! فلم يدر بخلدي أن مثلك ، وقد كان بالأمس سمحاً وديعاً ، سيظهر اليوم سافلاً وضيعاً ، ماحفزني المجيء إليك إلا عطفي عليك ، وظننت أنك تقاسي همّاً دفيناً ، وأنك ستهش لحديثي وتبش ، وقد جئتك لأسرى عنك ، أما وقد طرقت أذني كلماتك البذيئة ، فأعد نفسي متطفلاً وأنت وشأنك

انطلقت إلى غرفتي ، موهماً الأسرة أني لا أزال عنده وأخذت أفكر فيما عساه يكون سره ، ولم حرص جد الحرص على عدم السماح لي بدخول مخدعه ، ولكن أعياني الفكر ، فلم أهتد إلى إجابة مقنعة ، بيد أن الشك أخذ يساورني ، ويخيله إليّ شيطاناً مريداً ، قد أتى أمراً إداً ، ورغب في إخفائه عنا

جاءتني ربة المنزل بعد يومين وأنا أتناول طعام الفطور وقالت :

— إن صاحبك هذا مأفون معتوه ، فقد خرج بملابس النوم في الطريق لابتياع إحدى الصحف ، ولا ريب أن هذا مخل بالآداب في عرفنا وتقاليدنا ، وأخشى أن يراه رجل الشرطة فيقبض عليه

تركت الخوان مسرعاً ؛ وهرولت وراءه ، وحاولت أن أرده إلى صوابه ، وأبين له أن خروجه هكذا خطل سيعرضه للبرد القارس ، والانتقاد المر ، وتدخل رجال الأمن ، وأن انجلترا ليست كمصر فوضى لا يعرف الناس فيها نظاماً للأزياء

— لقد نهيتك من ذي قبل ألا تعنى بأمري ، وأن تدعني وشأني ، فأنا أعرف بآداب اللياقة منك

— إننا أبناء وطن واحد ، وما يلحقك من العار والمهانة سيلحقني كذلك ؛ لن يتحدث الناس هنا بأن فلاناً أخطأ ، بل سيقولون : أحد المصريين أجرم ؛ فرفقاً بسمعتنا ، وتقبل نصحي ، فقد مضى عليّ بهذه الديار أمد غير قصير

عاد إلى المنزل وهو يزمجر كمن أخذته العزة بالإثم ، وكبر عليه أن ينصاع لطلبة غيره

عزوت كل هذه التصرفات لجهله بعادات القوم ، فلم آبه لتعنيفه وتقريعه ، وأخذت أتلمس العلل والمعاذير لكل ما يصدر عنه من فعال يندى منها الجبين خجلا أمام أناس لا يذكرون

عن مصر إلا الشوه من الحقائق . ولكن صاحبنا ظل سادراً في غوايته لا يستمع لموعظة ، أو يتعلم من تجربة ؛ فجاءته ربة البيت في ظهيرة أحد الأيام ، وطلب منها أن تطهى له دجاجة على الطريقة المصرية ، فاعتذرت بأنها لا تعرف قليلاً أو كثيراً عن الطعام المصري ، وأولى له أن يباشر طهيها بنفسه ، إن كان لا يزال على رأيه .

فأخذ يكيل لها السباب ، ويؤول رفضها بامتهانها له ، وعدم تقديره ، ولج في وقاحته وسلاطته حتى أبكاها .

فذهبت مختنقة تتميز من الغيظ ، وانتظرت مقدمي على أحر من الجمر ، وما أن دخلت المنزل حتى قصت على قصته منفعلة ، وأصرت على طرده من المنزل ، لأنها لم تسمع مثل هذه البذاءة طوال حياتها ؛ فأخذت أهون عليها الأمر ، وأعذر تصرفه هذا لشدة حساسيته ، شأن كل غريب في بداية حياته ببلاد لم يألف طباع أهلها .

ضقت بهذا الغبي ذرعاً ، ولعنت الساعة التي لاحت فيها طلعته الكئيبة علينا ؛ وأعملت الفكر عسى أن أوفق إلى سبيل أصرف به هذا الوباء ، وقد أصبح كالدمل المد ، أحمله في رقعة من جلدي ، ينغص على هناءتي ، ويكدر راحتي . أي شيطان رجيم سول له أن يطهى دجاجة على الطريقة المصرية ؟ ذهبت على أجد عنده جواباً شافياً ، وطرقت بابه بشدة وغضب ، وفي عزمي أن أعطيه درساً لا ينسى ؛ فسمعت همس سيدة من الداخل تحذره من الفضيحة إن استجاب لقرعي ، بيد أنه فتح الباب على مصراعيه ، وقال بصوت المستهتر الماجن المجازف ، الذي غاض الحياء من وجهه وكان يترنح سكراً ، ويبتسم ابتسامة داعرة :

— هذه فلانة ، وقد كانت هنا حينما أنبتك في المرة السالفة على طرقك بابي ، وأبيت أن أدخلك غرفتي ؛ ولا يعنيني الآن ، أن تطلع على ما كنت أخفيه ، فسوف أنتهج طريق العربدة ، ولا أعيرك أو غيرك التفاتاً .

— لكنك رجل متزوج ، ولك طفلة ، وهذا تمنزر بك ، محط لقدرك ، وسيلهب أهل المنزل عليك سخطاً وغضباً ؛ ثم إن ما تأتيه من المنكر ، مخالف للقانون ، فليس هذا بيتاً من بيوت الخنا والدعارة ، ويخيل إلي أن رفيقتك لم تبلغ بعد سن الرشد ، وسيكون جزاؤك ، إن فضح أمرك ، السجن أو الطرد من هذه الديار ، فعجل بإخراجها ، وإلا داهمك رجال الشرطة .

— ها ها ... ها ها ... ! نعم أنا متزوج ، ولكني أرسلت زوجتي إلى مصر تخلصاً منها ، لا لرضها كما أخبرتك كذباً ؛ ولست أعبأ بما يحط من قدري في هذه البلاد ، فقد استمرأت هذه الحياة بمصر وأنا لا أزال عزباً ؛ أنا مستعد لأذكر لك تاريخ حياتي ، إني رفعت راية الشر والفسق عالية خفاقة ، وما تزوجت رغبة في الزواج ، ولكن طمعاً في مال من تزوجتها ؛ وقد تنازلت لي الساذجة عن كل ما تملك ، فليس ثمة حاجة إليها بعد ذلك ، بل إني أريد أن أبين منها إلى الأبد ، حتى أكون حراً طليقاً .

نحن نختلف ، يا صديقي ، في نظرتنا إلى الحياة ؛ ولست أخشى رجال الشرطة ، فما أتت هذه الفتاة إلا طواعية واختياراً ؛ ولن أترك المنزل ، بل عليك أنت أن تغادره ، إذا كان مقامي به يزعج وقارك وتزمتك . لم لا أنهل من مورد اللذات وأنمل ، أينما شئت وكيف شئت ؟ أليست هذه بلاد الحرية كما ينعتها قاطنوها ؟ ليست هذه أول فتاة وليس ما ترى أول كأس من الخمر أحتسيها ، افعل ما شئت ! !

— أيها الوغد الدميم ، إنك تبحث عن حتفك بظلفك ، ولن تجد مني بعد الساعة هوادة في التنكيل بك ، تطهيراً للمجتمع من حثالاته ، وعبرة لأمثالك الطائشين ، الذين لا خلاق لهم ، ولا ضمير يمنعهم ، ولا شرف يردعهم .

أخبرت ربة البيت بكل ما حدث ، فاقشعر بدنها هلعاً ، وقطبت أساريرها احتقاراً ، وعدت ابنتها تنادي رجل الشرطة ؛ ولكن الطير قد أفلت من سجنه ، فلم نقف للفتاة على أثر ، وطرد العربيد شر طردة ، ووضع تحت مراقبة شديدة صارمة .

هجر لندن بعد أن سدت في وجهه المسالك أنى ذهب ، وأقام في إحدى ضواحيها غير متوان عن الغواية والضلال .

علم أترابي الذين سمعوا قصته الأولى بما آل إليه أمره ، وما اقترف في حق مصر من الآثام ، وما لطخ به سمعتنا من الوصمات ، فعزموا على شكايته للقنصلية المصرية ، حتى تقصيه ، ولكن رقت قلوبهم فلم يفعلوا ، وإن كان مجهم قد بلغ أشده ، حينما علموا أنه من أعضاء البعثات ، وأنه طلق زوجه في النهاية .

ليت شعري لم يوفد مثل هذا ؟ أليكون سبة لنا وعاراً علينا ، ومثلاً حياً متنقلاً تقذى منه العيون ، ويعافه المجتمع ، ويلعنه الناس أينما حل ، والبلاد التي لفظته ، والأمة التي ينتمي إليها ؟ ؟

عمر الدسوقي

أســـطورة ... !

(تصوير مريان)



قالوا : وكيف كان ذلك ؟

قال الراوى : زعموا أن الرئيس روزفلت سفير السلام بين السامية والآرية، ورسول الوئام بين الديمقراطية والديكتاتورية، أولم لأقطاب الحكم فى الدول الأربع ذوات الرأى فى مصير العالم اليوم وليمة ليستخرج من بين الأفواه والكروش ، علل الخلاف بين الأساطيل والجيوش . فلما فرغت الصحون ، وامتلأت البطون ، دارت الكؤوس ، فدارت الرؤوس ، ونم كل لسان بكمين سره قال الدتشى وقد نهض معتمداً على كتف الفوهرر :

إن تشمبرلين ودلادييه لا يزالان على الرياء القديم يتبجحان بالحرية والمدنية والسلام ، وهما يخفيان وراء الحرية استعباد الشرق ، ووراء المدنية اهتضام الحق ، ووراء السلام الخب والشطارة . أما أنا وهتلر فمبدأنا أننا عراة جياع ، وسياستنا الصراع لا الخداع ، ووسيلتنا الإخضاع لا الإقناع . فإذا جنح خصومنا للسلام ، فليقاسمونا ما فى أيديهم من الطعام ، وإلا فالحرب التى تجعلنا سواء فى الضعف ، إن لم تظهرنا عليهم بالقوة

فنظر السيد روزفلت إلى عميدى الديمقراطية فوجدهما يتلاحظان ولا يتكلمان . فقال للرؤساء جميعاً :

— إن الذئاب تتهارش ولا تتفارس . وإنى أراكم متفقين على الغاية، بعضكم بالطيش وبعضكم بالحذر، وموافقين على هذا الرأى، بعضكم بالكلام وبعضكم بالنظر . وليس أمامكم ما يقبل القسمة إلا بلاد العروبة ! فهى التى غزتها فرنسا بالتعليم والربا ، وفرقتها أمريكا بالتبشير والهدى ، ومزقتها انجلترا بالتفريق والتجارة . وفى تقسيم القارتين العجوزين بينكم على السواء ، نجاة المدنية والديمقراطية من الفناء

قال الراوى : فانبسطت أسارير الرؤساء لهذا الرأى الصريح، وشربوا كما ترى نخب هذا الحل المريح !

ابن عبد الملك

دعيني أنام !

للأستاذ محمد سعيد العريان

دعيني أنام !

إن عينيّ لم تذوقا طعم الكرى منذ بعيد !

سنوات وسنوات ، وأنا دائب السُّرَى في هذه الطريق أفتش عن نفسي فلا أجد نفسي ، وأنشد سعادتي فلا أجد إلا شقوة النفس وظمأ الروح وقلق الضمير ! والطريق لا تنتهي إلى غاية ، والعثرات تتكاءد السالك في كل منعرج وكل ثنية !

دعيني أنام !

فهل رأيت السعادة إلا حلماً هنيئاً يتخايل للنفس في لحظة ناعسة ضرب النوم على آذانها في ليل مطبق ؟

ما أجمل هذه الفراشة تتواثب في مطارفها الوشّاة على أعين الناس ! ولكن هيهات أن تنالها يد ! كم جهدت جهدي في اللحاق بها فما بلغت ... !

دعيني أنام ! لعلي أن أنالها في سِنة حالمة تبلغ بي ما لا مَبلغ إليه في يقظة الحياة !

دعيني ، دعيني ... ! إنني وجدت نفسي هنا ، وطالما نشدت نفسي فما وجدتها ... !

إن بي حنيناً إلى هذا الفراش الدافئ بعد طول السُّرى وجهد السهر وكدّ الطريق !

* * *

افتحي عينيك يا عزيزتي على حقائق هذا الوجود ثم خبّريني ...

ذكّريني ما كان من ماضيّ ، فقد أنسانيه ما ترادف عليّ من أحداث الزمان !

هل تذكرين يا عزيزتي تلك الأيام البعيدة ، يوم كنا وليس لنا ماضٍ نأسى عليه ، ولا مستقبلٌ نتطلع إليه ، والدنيا تدور بالناس في حلقتها المفرغة وتدور بنا ، فما يعنينا شيء من الدنيا ومن الناس ، وما نشعر من الزمان إلا باليوم الذي نعيش فيه ؛ هو كلُّ تاريخنا في الحياة لا ماضيَ له ولا آتٍ ... ؟

فذلك زمان كان فما له من معاد !

مَن كنتُ أنا عند الناس يومئذ ومن كنتِ ؟

هل كنا يومئذ إلا فتاة وفتى قد ألّف الحبّ بين قلبيهما ؛ فما يُرَيان في الطريق إلا ذراعاً إلى ذراع، وخطوة إلى خطوة، وقلباً يعطف على قلب ، وروحاً تهفو إلى روح ، وعلى الشفاه همسات تُخافت بهما ، وفي العيون نظرات تتناجى . والناس تنظر إلينا فما يهمنا شيء من نظرات الناس ولا من حديث الناس ؛ لأننا كنا يومئذ نعيش في أنفسنا بعيدين عن دنيا الناس ...

هل تذكرين ... ؟

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ... وكنا صغيرين ... !

* * *

وجلسنا ذات يوم في حديقة على الشاطئ ... وكانت يدك بين يديّ وقد أطرق كلانا ، وتراءى لنا في لحظة حُلم رائع سعيد تجاوز بنا الزمان والمكان إلى حيث لم يكن لنا عهد ، يظللنا سقف واحد في دورة تجمعنا وتجمع لنا ما تفرق من أحلام الشباب ... وظللت في إطراقك وظللتُ ، تتناجى وتتبادل الأفكار صامتين ؛ فما كانت بي حاجة لأحدّثك عما في نفسي ولا كانت بك حاجة ؛ وتفاهمنا على صمت ... ونظرتُ في عينيك ونظرتِ ، فتضرّمتْ وجنتاكِ من حياء ، وأحسستُ يدك تختلج بين يديّ ...

ونهضنا صامتين فأوصلتك إلى دارك وعدتُ وحيدا إلى داري وأنا أفكر ...

وعرفنا من يومئذ أن غداً هو يومٌ من عمر الزمان ؛ وما كان يعنينا قبلُ إلا حاضرنا الذي ننعم به ...

أما زلت تذكرين يا عزيزتي ؟

ولما ضُرب الحجاب بيننا وقامت دونه التقاليد ، تلفت القلب ينظر ؛ ولزمت الوحدة أياما أعرض ذكريات الماضي ولهفة الحاضر وأمل المستقبل فعرفت ...

... عرفت يومئذ أن حقيقة الزمان ليست هي في هذا الحاضر ، ولا في الغد المنتظر ؛ ولكنها في اليوم الذي مضى ولا سبيل إليه ... أمس !

* * *

حينما يكون معنى الزمان في نفس الحي هو اليوم الذي يعيش فيه وحسب ، فهو في حقيقة الحياة ومعنى السعادة ؛ فإذا سولت له

الأمانىّ أن يتعجّل أيامه فيتطلّع إلى ما قد يكون فى غد ، فقد آذنته الدنيا بيوم يُطرد فيه من جنة السعادة نادما أسوان . . . ثم لا تكون إلا الثالثة ، حين يتذكر أن له ماضيا كان وطواه الزمن ؛ فما هو يومئذ حىٌّ يعيش فى حاضره ، ولا آملٌ يفكر فى مستقبله ؛ ولكنه ذكرى بلا رجاء ، ولهفة مالها انقضاء !

الحاضر هو الحقيقة ، هو السعادة ، هو الحياة ؛ وما الغد إلا وهمٌ يبدعه خيال الحىّ ليفر إليه من حاضره الذى هو به حىٌّ يسعد بالحياة ؛ وما الأمس إلا الجزء الذى مات منا وسقنا إلى الفناء !

ولكن الزمان على ذلك هو أمس ، واليوم ، والغد جميعاً : هذه الثلاثة هى حياة الحىّ وعمر الزمان ؛ لا سبيل إلى تجاهل ذلك بعد عرفانه !

ليتنى لم أعلم ! ليتنى لم أعلم !

ليتنى ظللت حياتى أجهل معنى الزمان ؛ لا أفكر فيما كان ، ولا أتوقع ما يكون ، ولا أعرف من عمر الزمان إلا اللحظة التى أعيش فيها !

***

...وتلاقينا مرة على ميعاد ... هل تذكرين يا عزيزتى ؟ ... وجلستُ أقرأ لك فصلاً بليغاً من كتاب كان معى ؛ فتندّت عيناك بالدمع !... إننى ما أزال أذكر ذلك كأنه كان أمس ، على أن بينى وبينه عشر سنين !... لقد قلتِ لى يومئذ كلمة ما زال صداها يرنّ فى أذنى :

« يا عزيزى ! ليس فى البشرية كلها من يقدر على خلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها غير الأديب البليغ ! »

وقلتِ كلاما آخر لا أذكره ، ولكن أثره ما زال يعمل فى نفسى ؛ فجهدت جهدى لأخلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها ... ولم أذق طعم الكرى من يومئذ ...!

ليت شعرى ، هل جاءك — وبينى وبينك حجاب التقاليد — نبأ ما كنت أبذل من أعصابى ومن دمى فى سبيل هذه الغاية حرصاً على أن أكون يوم اللقاء كما تريدين أن أكون ؟

يا ليت يا عزيزتى ، يا ليت !

عشر سنين من عمر الشباب وأنا أخرج للناس كل يوم جديداً فى الأدب ، إلا يكنْ من إلهامك فإنه بسبيل إلى تحقيق أملك !

يترادف الليل والنهار ، وتتعاقب الظلمة والنور ، وأنا عاكف على دفاترى وأوراق ، أكتب وأفكر جاهداً لأخلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها ...!

تُرى هل بَلَغْت ؟

هأنذا على شَرفٍ من الأرض فى طريق لاحب ، وثمة بارقةٌ تلوح من بعيد ...

وما تزال الفَراشة الجميلة تتواثب فى مطارفها المُوَشّاة ، لا تنالها يدى على طول السُّرَى وجهد السَّهَر وكدّ الطريق .. حتَّامَ السير ؟

من أنا اليوم عند الناس ومن أنت ؟..

ها نحن أولاء قد التقينا منذ عام يظلّنا سقف واحد فى دورة تجمعنا وتجمع لنا ما نعرق من أحلام الشباب ؛ ووحدنا تعبير رؤيانا . ولكن ... أين أنا ؟ وأين أنت ؟

ماذا أجدى علىّ هذا الجهد المتواصل عشر سنين أبتذل شبابى وأنفق من دمى فى سبيل المجد والشهرة والصيت البعيد !

المجد ؟ الشهرة ؟ الصوت المسموع ؟ ... ما كل أولئك يا عزيزتى فى حقيقة الحياة وفى دنيا الناس ؟

واخسارة الصفقة ! إن الفراشة الجميلة لا يجتذبها شىء من كل أولئك . إنها جميعاً أوهام وأباطيل ليست من السعادة ولا هى سبيلاً إلى السعادة

أين منى نفسى وأين أنتِ منى ؟

لقد التقينا يا عزيزتى كما تراءى لنا فى أحلام الشباب منذ بضع عشرة سنة ، ولكننى لستُ هنا ، ولكنكِ لستِ هنا ...!

إنك أنتِ التى أغريتنى بسلوك هذا السبيل منذ سنوات وسنوات فنذرتُ نفسى للفن حتى أبلغ إعجابك ، فلا تسأليني بعدُ عن نفسى !

هذا العبوس فى وجهك يا عزيزتى أنمّ إلى آلام على كاهلى ..

حدثينى صريحة : لماذا أنتِ غضبانة ؟

أنت تريدينى كما كنتُ منذ بضع عشرة سنة : فتًى لفتاة لا يشعر شعورَ الحىّ إلا معها ؟

أنت تدعيني لرحلة من مثل ما كان فى سالف الأيام ذراعاً إلى ذراع على الطريق ؟

أنت تسألينني : متى أراك إلى جانبي كعهد مضى لا يعنيكِ من أمرٍ شيء إلا أن تكون لى وأ كون ... ؟

وأنت إلى كل أولئك تريدين لى المجد والشهرة والصيت البعيد ؟

لقد أذكرتني ما كان من أمرى وأمرك يا عزيزتى، وأيقظتِ فى نفسى ما كان راقداً من زمان ؛ وهجتني إلى ذكرى اللهو والهوى والصبابة وسعادة الحب فى سالف الأيام ، حين لم يكن فى الدنيا غيرى وغيرك ، ولم يكن الزمان إلا اللحظة التى نعيش فيها لا ماضيَ له ولا آت !

ما كان أسعدنى بهذا الماضى !

فماذا أجدى علىّ ما نلت من دنياى بعد هذا الجهاد ؟

ها هنا شيء وشيء . فمنذا يهدينى بينهما سبيلَ الرشاد ؟

***

دعينى أنام !

إن عينيّ لم تذوقا طعم الكرى منذ سنوات وسنوات ...

دعينى دعينى ... إننى وجدت نفسى هنا ... !

ما المجد ، والشهرة ، والصوت المسموع ، إلا وهم من الوهم وحيلة من الحيلة لتفسد على السعيد دنياه !

لا تدعيني يا عزيزتى بعدُ إلى الجهاد والعمل . إن بى حنيناً إلى هذا الفراش الدافئ بعد طول السرى وجهد السهر وكدّ الطريق ... !

دعينى أنام لعلى أبلغ من السعادة فى سِنةٍ حالمةٍ ما لا مبلغ إليه فى يقظة الحياة !

بل دعينى يا عزيزتى أستيقظ من ذلك الحلم الطويل الذى ضرب على عينيّ بضع عشرة سنة أهذى باسم الفن والأدب والشهرة والجاه والصيت

هذه هى الحياة ، هذه هى الدنيا ، كل ما عدا ذلك خداع وتلبيس ووهم من الأوهام !

دعينى ، دعينى !

« شبرا » محمد سعيد العريان

دراسات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

موضوع الأدب

الإنسان إما أن يبين عن حقائق خارجة عن نفسه لا يصلها بخياله ولا يصبغها بعاطفته ، وإما أن يعبّر عن حقائق امتزج بها الخيال ولوّنتها العاطفة ، أو عن خيالات مخترعة ليست صورة من حقائق العالم

إذا قال الجغرافى فى وصف أرض : فيها أودية عميقة بين جبال عالية ، فقد أبان عن حقيقة رآها أو سمعها ؛ لم يصلها بالعاطفة فيبيّن إعجابه بها أو خوفه منها أو سروره أو انقباضه لمرآها أو ما تخيله حين شاهدها

وإذا قال كاتب فى وصف هذه الأرض : « تهولك بها أودية عميقة تطلّ عليها جبال شامخة عاتية يحلق الطرف دون ذُراها » . فقد أبان عن الحقيقة مشوبة بما شعر هو به من رهبة وما تخيّل من إطلال الجبال على الأودية ، وتحليق البصر دون قممها

وكذلك يقول الجغرافى : « صحراء منبسطة مستوية طرقها متشابهة ، شديدة الحر ، كثيرة الرياح » فينقل إلى السامع صورة الصحراء لم تغيّرها عاطفته ، ولم يزد عليها خياله

ويقول الشاعر[1] فى وصف هذه الصحراء :

ومجهل كاطّراد السيف محتجز   عن الأدلاء مسجور الصياخيد

تمشى الرياح به حسرى مولّهة   حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد

موقّف المتن لا تمضى السبيل به   إلا التخلل ريثا بعد تجهيد

فتراه قد أفاض على الصورة الطبيعية ألواناً من شعوره وتخيله

وانظر الفرق بين فلكيّ يتكلم عن الشمس طلوعها وغروبها ودورتها السنوية ، وعن القمر ومنازله ، والنجوم وحبُكها ؛ يصف الحقيقة كما هى على قدر إدراكه، وبين من يقول ــ مثلا ــ :

منع البقاء تقلبُ الشمس   وطلوعُها من حيث لا تُمسى

وطلوعُها حمراءَ صافية   وغروبها صفراءَ كالورس

(1) هو مسلم بن الوليد

وقول الآخر :

مخبأة أمّا إذا الليل جنّها فتخفى وأما بالنهار فتظهر
وقد انشقّ عنها ساطع الفجر فانجلى
دجى الليل وانجاب الحجاب المستّر
وألبس مُعرض الأفق لونا كأنه
على الأفق الشرقي ثوب معصفر. الخ[1]

وقول ابن الرومى :

إذا رنّقت شمسُ الأصيل ونفّضت
على الأفق الغربىّ ورسا مُذعذَعا
وودّعت الدنيا لتقضىَ نحبها وشول باقى عمرها وتشعشعا
ولا حظت النّوار وهى مريضة
وقد وضعت خدّاً على الأرض أضرعا. الخ

الفلكى يصف حوادث لا صلة لها بقلب الإنسان وخياله . والشعراء يصفون شمور الإنسان بعنائه على مر الزمان ، ويتخيلون فى طلوع الشمس وغروبها صوراً تخلع على الشمس شعور الإنسان وعاطفته .

***

تمثل نفسك تقرأ نظرية هندسية أو معادلة جبرية ثم تمثلها تقرأ قصيدة لشاعر نابغة أو خطبة لخطيب عظيم ؛ إنك حين تقرأ الهندسة أو الجبر لا تفرح ولا تحزن ، ولا تغضب ولا ترضى ، ولا تخاف ولا تأمن ، ولا تضحك ولا تبكى . ولكنك حين تقرأ القصيدة أو الخطبة لاتخلو نفسك من بعض هذه المعانى أو ما يشبهها .

وإذا قال طبيب : « إن مرض كذا منتشر فى كل بلد » فهذا خبر لا يعبر عن شىء من عواطف الطبيب بل يخبر عما هو كائن ، ولكن أبا العلاء المعرى حين قال :

ما خص مصراً وبأوحدها بل كائن فى كل أرض وبأ
أنبأنا اللب بلقيا الردى فالنوث من صحة ذاك النبأ

أراد أن يبين عما يحيط بالإنسان من الآفات ويعرب عن خوف الإنسان وحزنه فى هـذه الحياة ، وإنما ذكر عموم الوباء وسيلة إلى الإبانة عن آلامه ومخاوفه

وهكذا يستطيع الناظر فى هـذا الموضوع أن يوالى الأمثلة فى غير عسر .

***

كل ما أبان عن عاطفة أو خيال صلح أن يكون موضوعا للأدب ؛ وهو مادة الأديب يؤلف منها أدبه . ولكن من هذا البيان ماهو شائع بين الناس يشترك فيه الخاصة والعامة والصغار والكبار ، فهذا لا يعد فى الأدب وإن اتصل بالعاطفة والخيال ؛ فلا بد من سمو الإدراك ، وجودة التصوير . لا بد من الصنعة أو الفن . لا يُعد الإنسان مصورا حتى يجيد التصوير ، ولا يعد نجارا كل من نجر خشبة أو دق مسمارا بل لابد أن تكون له صنعة لا يستطيعها كل من حاولها . كذلك ليس كل من عبّر عن عاطفة أديبا . لا ! حتى يكون فى بيانه إدراك يرفعه عن العامية والابتذال ، وصنعة تميزه عن الدهماء وتميزه باسم الكاتب أو الشاعر أو الخطيب الخ — حتى يأتى بكلام معجب يحس فيـه سامعه أو قارئه إدراكا قيماً ، وتصويراً بارعاً كما تُرى صنعة نجار فيُعرف أنها عمل لا يستطيعه كل من وجد الخشب وآلات النجارة .

الحزن — مثلا — عاطفة تبين بالوجوم والصياح ، والأنين والبكاء ، والعبارة المعتادة ، والقصيدة . وكل هذه الدلالات تبين عن العاطفة ولكن لا يعد من الأدب إلا القصيدة .

وكذلك الأمور النفسية الملونة بألوان النفس تملأ كلام العامة والخاصة ولكنها لا تحسب أدبا حتى ترتقى إلى مستوى الفن ، وفى هذا درجات تتوالى إلى حد الإعجاز .

الفرق بين الأدب والعلم

يتبين مما تقدم أن قضايا العلوم المحضة ليست مادة للأدب ؛ فإذا قلنا : زوايا المثلث تساوى زاويتين قائمتين ، أو الخط المستقيم أقصر خط بين نقطتين ، أو حاصل ضرب خارج القسمة فى المقسوم عليه يساوى المقسوم ، أو هذا الدواء ينفع لهـذا المرض الخ فهى قضايا علمية ليست من موضوع الأدب فى شىء

ليست هـذه القضايا من الأدب ولكن يجوز أن تدخل فيه لتكون مقدمة لغيرها أو للتشبيه بها أو نحو ذلك كما قال المعرى :

طرق العلا مجهولة فكأنها صم العدائد ما لها أجـذار

وقوله :

الخلق من أربع مجمعة ماء ونار وتربة وهوا

والكتب العلمية ليست من مباحث الأدب إلا أن ينظر

---

(١) ديوان المعانى ج ١ ص ٣٧٩

الأديب إلى حسن البيان فيها والترتيب والتقسيم ووضوح الألفاظ فيجوز للفن أن يتناولها من هذه الناحية

فإذا اتحدت المسائل فى كتب علمية واختلفت أساليبها فقيل هذا الكتاب واضح العبارة ، صحيح الألفاظ ، جيد الأسلوب فهذا تقدير موصول بالفن يجعل الكتاب من هذه الناحية ذا صلة بالأدب . ويستخلص من اختلاف موضوعى العلم والأدب هذه الفروق بينهما :

١ — الأدب مرجعه نفس الإنسان ، والعلم مرجعه الطبيعة

٢ — فمقياس الأدب صدق التصوير لما فى النفس خطأ أم صواباً ، ومقياس العلم صدق الإدراك للحقائق الواقعة دون نظر إلى أثرها فى النفس

٣ — والأدب الإنسانى موضوعه الإنسان : سعادته وشقاؤه فى هذا العالم . والعلم يستوى عنده الإنسان والحيوان الأعجم والنبات والجماد . فالطبيعى يبحث فى قوانين الطبيعة السارية فى هذا العالم ، والحيوىّ يبحث عن قوانين الحياة فى الأجسام الحية ، والطبيب يشرّح الأجسام ليتبين تركيبها . وهم فى هذا البحث يتحرون الحقائق كما هى لا يبالون أن تكون فى الإنسان أو فى غيره.

وأما الانتفاع بنتائج العلوم فى إحياء الإنسان أو قتله وإسعاده أو إشقائه ، فهو أمر خارج عن موضوع العلم

٤ — والآراء والكتب العلمية تترك إذا تبين خطؤها أو كتب ما هو خير منها فلا يرجع إليها إنسان إلا إذا أراد أن يؤرّخ العلم ؛ فلا تجد من يقرأ فى كتاب هندسة أو حساب قديم وقد كتب ما هو أحسن منه ؛ ولكن كتب الأدب تتضمن عواطف الإنسان فأيان اطّلع القارئ فيها وجد عاطفة إنسانية تؤثر فى نفسه لا يضيرها الخطأ أو القدم . فنحن نقرأ اليوم شعر هومير وشعر امرىء القيس وغيرهما ، ونجد فيه من متعة النفس ما نجده فى الشعر الحديث

اختلاف المنشآت الأدبية

قد تبين أن مدار الأدب على العاطفة والخيال والأمور النفسية لا الحقائق الثابتة خارج النفس . وليست كل القطع الأدبية سواء فى ذلك ، بل تتفاوت قرباً من هذا المركز وبعداً . وأدخلها فى الأدب أقربها إلى المركز . وفى الأدب موضوعات يقل نصيبها من العاطفة والخيال حتى تنتهى إلى المحيط الذى يفصل الأدب عما سواه ، ويكاد يشك القارئ أنها من الأدب

ومن أجل ذلك اختلف النقاد فى شعراء من أئمة البيان كأبى تمام والبحترى والمتنبى وأبى العلاء . قال بعض النقاد : المتنبى وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحترى . ويميل بعض النقاد إلى إخراج لزوميات المعرى من الشعر . والحق أن دواوين هؤلاء الشعراء جميعاً تحوى أدباً لا علماً ، ولكن حظها من العاطفة وعمل الخيال يختلف ؛ فتجد البحترى أكثر نصيباً من العاطفة والخيال فى جملة شعره ؛ وأبو العلاء فى لزومياته أقل حظاً منهما ولكنه لم يخرج عن دائرة الأدب . وأبو تمام والمتنبى بين عاطفة البحترى وحكمة أبى العلاء

وبهذا يفسر قول القدماء : « أعذب الشعر أكذبه » فالأكذب أدخل فى الخيال وأبعد عن الحقيقة . ولكن ينبغى ألا يخدعنا هذا القول ؛ فربما نجد الشعر القريب من الحقيقة والبعيد عن الخيال أعذب وأحب إلينا من شعر كثر خياله وبعد عن الحقيقة . وقد تبين العاطفة قوية واضحة حيث لا خيال كما يؤثر مرأى الطفل الحزين فى رائيه ، ويعجب المنظر الجميل شاهده ، وليس هناك إلا الحقيقة المؤثرة

أنظر قول كثير عزة :

خليلىّ ! هذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

لا تجد فيه مجازاً ولا استعارة ولكنه مثّل لك الشاعر واقفاً على دار عزة وقد خلت منها وهو يطلب إلى صاحبيه أن يعقلا ناقتيهما ليفرغا للبكاء معه . ليس فى هذا تخيل ولا صنعة ولكنه يكشف عن عاطفة محزونة ساذجة لها أثرها فى نفس الانسان

وانظر هذه الأبيات :

أقول لصاحبى والعيس تهوى   بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد   وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحلّ الحىُّ نجداً   وأنت على زمانك غيرُ زارى
ليال ينقضين وما شعرنا   بأنصاف لهن ولا سرار

إنك تجد فى هذا الشعر الطبيعى الصادق الخالى من الكذب والخيال والإغراق من الإبانة عن العاطفة ما لا تجد فى شعر متكلف قد أغرب فيه الخيال وافتنّت فيه الصنعة

عبد الوهاب عزام

استطلاع صحفى

الأندية الأدبية فى مصر

نادى الحلمية

لمندوب الرسالة الأدبى

مقهى ضئيل المنظر ، تافه الموقع ، يطل على ميدان ضيق محدود ، يعج بالسابلة ، ويضج بالحركة ، وترتفع فيه أصوات الترام والسيارات منحدرة من القلعة وصاعدة إليها ، فلا رواء فيه ولا بهاء ولا شىء مما يبعث الشعر ويهز الفكر ويحبب إلى الأدب ، ويغمر النفس بشعور الرضا والاطمئنان ؛ ولكنه على الرغم من هذا كله مهوى الشعراء والأدباء ، ومراد الأفكار والآراء ، وله فى ذلك عمر طويل وتاريخ حافل

ترى ما الذى حبب هذا المكان إلى إخواننا الأدباء ، وهم طلاب الهدوء والسكون ، وعشاق المناظر الشعرية اللطيفة ؟! أهى تلك الدرجات الأربع التى يصعدها الداخل إليه فتشعره بالرفعة والصعود والعظمة ! وحب العظمة شىء فى نفوس الأدباء ؛ أم هى تلك الديمقراطية الصريحة التى يتميز بها ذلك المكان . إذ يجلس القوم فى غير كلفة ، والتملص من الكلفة شىء محبوب لدى الشعراء ؛ أم هى قلة النفقة ، والأدباء لا شك قروشهم معدودة ، وجيوبهم مكدودة ، فهم يرتاحون إلى قلة المصاريف وعدم التكاليف ؟!

أنا والله لا أدرى السبب فى ذلك . ولقد سألت إخواننا الأدباء أنفسهم فما وجدت عندهم شيئاً من علم ذلك السر ، بل لقد ذكر لى الشاعر « الأسمر » أن أدباء الحلمية تمردوا منذ سنوات على ناديهم ، وحاولوا أن يكون مجلسهم فى مقهى فخم بميدان الأوبرا حتى يليق بمكانتهم ، ولكنهم فشلوا فى تمردهم ، وعادوا إلى مكانهم صاغرين ! حيث ما زالوا يصعدون الدرجات الأربع ! وقد يكون للمسألة تعليل من التاريخ ، فلنرجع إلى التاريخ

إن نادى الحلمية يتصل بحى الحلمية ، وحى الحلمية حى يتميز بطابع خاص ، وينفرد بتاريخ حافل ، وهو أول حى أسس فى مصر على طراز منظم ؛ وقد كان موطن الأسر العريقة والسلالات التركية التى تحكم البلد ، وتملك ثروته ؛ وقد كان لهذا الحى ناد يشرف على شارع محمد على فى مواجهة جامع قوصون ، وكان يختلف إليه كثير من الكبراء والأدباء الذين يقطنون ذلك الحى ، فكان يجلس فيه المرحوم حسين باشا رشدى ، والمرحوم شوقى بك قبل أن ينتقل إلى المطرية ، وحفنى ناصف ، وابراهيم هلال ، وحافظ إبراهيم ، والشيخ عبد المطلب ، وأحمد نسيم ، وأحمد الزين ، وبيرم ، والهراوى ، وعماد ، والسيد حسن القاياتى ، وكان يتردد عليه المازنى أيام كان يسكن بالإمام ؛ وقد أخبرنى الهراوى أنه لا يذكر أديباً فى مصر لم يتصل تاريخه بذلك النادى القديم ، وإنه ليتحدى من ينكر الجميل على أصحابه . وإنه على استعداد لأن يذكر من لا يذكر ماضيه !



الأساتذة : الأسمر ، حسين شفيق ، عبد الرسول ، الهراوى

وقد ظل ذلك النادى قائماً أيام الثورة المصرية ، فانتقل إليه الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله ، وكان الشيخ القاياتى عنصراً قوياً من عناصر الثورة ، وكانت له حاشية حافلة بالشباب المفكر الحرى ، أمثال الشيخ عباس الجمل ، والشيخ الجديلى ، والشيخ البنا ، والأستاذ إبراهيم عبد الهادى . وأضرابهم ، فاختلط الأدب بالسياسة بين جدران النادى ، فكانت تنطلق منه التدابير المفزعة والقوافى المقذعة ، فضاق به الإنجليز ، وأطلقوا عليه الرصاص ؛ وللهراوى فى ذلك شعر ...

فلما كان سنة ١٩٢٦ مات صاحب المقهى ، فانفض السامر ، وانقطع الزائر ، وبطل الندى الحافل ، وقام مكانه مطعم للفول ومستحرجاته ، والعدس بجميع ألوانه ؛ وراح الأدباء يتلمسون المكان الذى يجمعهم ، فتأخروا خطوات عن جامع قوصون إلى جهة القلعة فوقعوا على النادى الذى هو مجمعهم اليوم ، والذى هو موضوع حديثنا فى ذلك المقال

ولقد غدا النادى الجديد صورة كاملة للنادى القديم ، فحفل بالأدباء والشعراء ، وعمرت مقاعده بمجالسهم فى الليل والنهار ،

وقصده الكبار فى الأدب والصغار !

فكان يجلس فيه الشيخ عبد المطلب شاعر البادية ، والحاج محمد الهراوى شاعر الأطفال والرجال ، والأسمر أديب القبلتين وشاعر الأزهر ، والزين شاعر دار الكتب ، وحسين شفيق المصرى الشاعر الحلمنتيشى المعروف ، والدكتور زكى مبارك عبقرى سنتريس ومعبود باريس ، والسيد حسن القاياتى شاعر النبل والورع ، و (مجنون) إحسان . وكان ينضم إليهم كثير من شباب الأزهر ودار العلوم وغيرهم ممن يشدون بالأدب ويعملون فى الصحافة ؛ وكان حافظ رحمه الله يتردد عليهم من وقت لآخر خصوصاً فى الفترة التى أحيل فيها على المعاش ؛ وبين جدران ذلك النادى نظم قصيدته الطويلة فى هجاء صدقى باشا التى لم ينشر منها فى الديوان إلا أبيات ...



الأسمر ، فهمى عبد اللطيف ، عبد الرسول ، الهراوى يأكلون الجزر

ولقد استبدت تكاليف الحياة ومطالب العيش بكثير من الأدباء، فألهتهم عن مجالس السمر ، وحرمتهم من ذلك المجلس الطيب الشهى ، ولكن ما زال النادى عامراً بأبنائه المخلصين ، وما زال المتخرجون فيه يهبطون عليه بين وقت وآخر حتى الذين يسكنون فى الضواحى على بعد الشقة وكثرة الكلفة . ويا له من حنين طيب ووفاء عجيب ! وقديماً قيل (ما الحب إلا للحبيب الأول)

ويعتبر الهراوى فى هذه الأيام عميد نادى الحلمية ، أو عمدة مصطبة الحلمية كما يقول صديقنا الدكتور زكى مبارك ، أو شيخ السقيفة على حد تعبير الهدى مصطفى الشاعر الظريف

فالهراوى من الجلساء المخضرمين أدرك النادى السابق وكان من رجاله، وأسس النادى اللاحق وآثره بكثير من عطفه وإخلاصه، فقل أن يتغيب عنه فى يوم من الأيام ودائماً يحلو له أن يأخذ مجلسه عند المدخل على سفح (الدرجات الأربع) ومن حوله الأسمر والشيخ عبد الرسول ومرتضى الحطاط ، أجزاء لا تتجزأ وعصبة لا تفترق

وأدباء الحلمية نمط واحد وطراز متفق ، ولهم ذوق عملت فيه الثقافة العربية أكثر من أى شىء آخر ؛ وهم يعشقون الديباجة القوية السليمة ، ويطربون بالأساليب المشرقة المونقة ، ويذكرون شوقى وحافظ وعبد المطلب بالخير والحمد ، ويترحمون على المنفلوطى والرافعى وأضرابهما ؛ والزين لا يعدل بالزيات أديباً فى مصر بل فى الشرق . وهم يضحكون من أولئك الشعراء والأدباء المستغربين الذين يذكرون جوته وشكسبير ولا يعرفون المتنبى والبحترى وشيخ المعرة، ويسميهم الهراوى بدجاج القريض ، وفى رواية أخرى ببغاث الشعر .

وكثيراً ما يدخل أدباء الحلمية فى مناقشات حادة ، وجدال عنيف ، يصل ضجيجه إلى الشارع ، ويطول فيه اللسان ويسفه ، ولكنهم دائماً خلصاء أصفياء على الكراسى متقابلين .

ويجرى أدباء الحلمية فى فنون وأمشاج من أحاديث الأدب والنقد والدعابة ، فإذا كان الحديث فى ذكريات الماضى ، فالهراوى فرس الحلبة ، يزكيه الشيخ عبد الرسول ؛ وإذا كان القول فى أخبار الأدباء والشعراء فالحكم للزين والويل لمن يعترض ؛ وإذا تكلم القوم فى الشعر رأى الأسمر أن يخرج من وقاره فيخب ويضع ؛ فإذا انتهى القوم إلى الدعابة حاولوا جميعاً أن يمدوا ألسنتهم ؛ ولكن لا يلبث الشاعر الحلمنتيشى أن يضع يده على رؤوس القوم وأن يجرفهم بتياره الزاخر ، حتى يقول كل منهم لصاحبه : انج سعد فقد هلك سعيد .

وقد يبتدىء القوم حديثهم فى شىء يهمهم ، أو فى مشكلة تعنيهم ، ولكنهم سرعان ما يخلعون عليه ثوب الأدب ويجعلونه حديث السمر .

فهذا الشاعر الأسمر قد جاء فى أمسية يشكو إلى إخوانه أمر ساعة أهداها إليه صاحبه الهراوى فأتعبته وصارت تمشى كما يقول الأسمر تارة (عربى) وتارة (أفرنجى) وتارة لا عربى ولا أفرنجى ، أما الدكتور حسين الهراوى فتناولها ثم جس نبضها وقال :

هذه (عندها ضغط دق) وهى (تحتاج إلى الراحة التامة)

وأما الدكتور زكى مبارك فنظر إليها ثم اندفع ينشد :

واهــا لبعض الهدايا بعض الهــدايا رزايا
ساعات باريس عندى لهـــا جميع المزايا
تدق دقــاً لطيفــاً كمثــل همس المنــايا
وســـاعة الهراوى أولى ببعض التكايا
تدق دقــاً عنيفاً كما تدور رحـــايا

وأراد أن يسترسل فى إنشاده فهدده الهراوى بإهداء (منبه) إليه ، فأمسك وجبن

وأما الأستاذ حسين شفيق المصرى فقال : « دى ساعه دايره على كيفها » و (ماشيه مشى مسخره) و (قلبها فاضى) و (عاوزه بوليس يضبطها) و (الساعاتى لــا يشوفها قلبه يدق) و (أنها الساعة التى هى أدهى وأمر ...)

وكان مجلس طيب لم يسع الهراوى نفسه إلا أن يسجله بالشعر فقال :

وســـاعة أهديتها إلى الأديب الأسمر
حسبتها فى مخـــبر كما لها من مظهر
فظرفها من معــدن مرقش منمّـــر
فمن بياض فضة إلى ســـواد عنبر
وعقربا ميناثهـــا من النضار الأصفر
أحجارها كأنهـــا من لؤلؤ وجوهر
فــلم يكن كمثلهــا هــدية من موسر
ولم يكن كمثلهـــا من بائع لمشترى
وليس من تقــدم فيهـــا ولا تأخر
تمشى عليها الشمس فى عطارد والمشترى
وقـــد ظننت أنه بمثلها لم يظفـــر
حتى احتوانا مجلس يزخر بالتنـــدر
فمن طبيب ماهر إلى أديب عبقرى
وكاتب مفكـر وشاعر مصـــوّر
فجاءنا الأسمر فى زمجرة الغضنـــفر
ثم رمى بســـاعتى بهيئة المستنكـر
وقال فافتح محضراً واذكر وقل فى المحضر
بأننى من ساعتى ومنك فى تحـــيّر
فإنهـــا تذبذبت من سنة فأكثر
فتارة تقــدّمُ إلى مدًى لم يحصر
فتسبق الليـــل إلى صبـــاحه البكر
وتارة تأخّـــر لغاية لم تقـــدر
والآن فانظر ترها فى وقفة المستكبر
وإن ما ذكرته دون الذى لم أذكر

* * *

فقلت مهلاً يا أخى فضحتنى فى معشرى
فانهمرت سكاتهم مثل السحاب الممطر
فقائل : حق نشــو ق لفقيه أزهرى
وقائل : محـــرة من اختراع (تركر)
وقائل : رقاصهـــا يحتاج للمجـــبر
وقائل : قوموا بنــا نسأل عنها السكري
فقلت كفوا ساعة عن ساعة لم تستر
أليس منكم عاذر حتى أخى لم يعـــذر
إن قصرت فإنهــا فى زمن مقصر
آليت لا أهدى لكم شيئاً — يمين منذر
ومن أراد ســـاعة فليشـتر أو يكتر

وكم فى (نادى الحلمية) من مثل هذه المجالس الطيبة لو حفل أديب بتسجيلها لحفظ للناس كثيراً من السمر الطيب والدعابة الحلوة والأدب الرائع ... ولكن هيهات

م . ف . ع

السلام

نظم الصورة الفلمية المنشورة فى العدد ٢٨٩ من الرسالة

« مهداة إلى الأستاذ ابن عبد الملك »

للأديب عبد الحميد الهيتى

ذى صورة فى وجها صادقهْ   توحى إلى الشاعر
صامتةٌ لكنها ناطقهْ   فى منطق ساحر
الأمن فى صفحتها الشارقهْ   يشرق مثل الأمل الزاهر
والخَلْقُ فى ساحتها غارقه   فى أمنها هادئة الخاطر

* * *

هنـا قطيع الغنم الرائع   فى عيشة راضيهْ
منبثة فى حقلها الواسع   آمنـة لاهيه
فبعضها فى وقفة الخاشع   وبعضها جاثية غافيـه
يا عجباً للحَمَل الوادع   ترضعه الأم على ناحيه

* * *

قد نام عنها كلبها الحارس   على أثيث العُشُبْ
كأنه وهو به طامس   من نومه لم يهبْ
قد نسى الذئبَ ولا هاجس   يَمُرُّ فى خاطره أو يدبْ
حتى ولم يهمس له هامس   فى الطيف مايدعوه أن يكتئبْ

* * *

هناك بالقرب من الساحل   عائـلة تبسمُ
ما فكرت فى الزمن الزائل   ولا الذى يقدم
تلهو بصفو الزمن الماثل   لها ولا فى غيره تحـلمُ
يا لجلال الأسرة الكامل   لو خط فى الرسم أبٌ مفهمُ

* * *

هنك عن بعـد على اليمينِ   مغروسـة أشجارُ
ريانة مورقة الغصونِ   توقرها الأثمـارُ
وربما فى عشها المكينِ   آمنـة تزقزق الأطيارُ
قد نسيت مرارة السكين   ولم تداهم عشها الأخطارُ

* * *

أرى طيوراً فى السما حائمات   من مرح صادحهْ
فى هدأة الكون مضت سابحات   غادية رائحـهْ
فلم تروع سربها الطائرات   ولم تجيء قاصفة صائحـهْ
والبحر رهوٌ فوقه الباخرات   تمخر لا تجتاحها جائحهْ

* * *

يا صورة صوّر فيها السلامْ   صـورته الخالدهْ
توحى كوحى الصحو بعد الغمامْ   فى الأنفس الراقده
ما السلم إلا الغيث فى الابتسامْ   والحرب إلا السحْب الراعدهْ
فلـفة الله هما فى الأنام   ضلت بهـا أبابنا شاردهْ

« هيت »   عبد الحميد الهيتى

قصائد فى أبيـات

للأستاذ محمود غنيم

المطر

بدت الأرض مرة فى الشتاء   ترة مثـل صفحة الدأماء
فسألت الغمام هل بك خطب   مثل خطبي حتى بكيت بكائى
قال لا بل دنّسَم الأرض بالإثـ   ـم فطهرتُ وجهها بالمـاء

لؤلؤة

شاهدت لؤلؤة كالبرق تأتلقُ   على جبين أمير سار مختالا
فقلت ما أنت؟ قالت إننى عرقُ   من جبهة الزارع المسكين قد سالا
الناس تنعم والفلاح يحترقُ   وليس يحرز لا جاهًا ولا مالا

السعادة

لم أدر ما طعم السعادة فى الصبا   فإذا بهـا موفورة أسبابها
حتى إذا أصبحت أدرك كنهها   سلب السعادة من يدى سلابها

الغرب

قلت للشمس يا عروس السماء   إنما تغربين فى عين ماء
فلماذا لحت وجهك إذ أشـ   ـرق مثـل العقيقة الحمراء
قالت الشمس إنما طفت حول الـ   ـغرب والغرب سابح فى الدماء

محمود غنيم



أرض تدور
وإنسان يحيا ويموت
للدكتور محمد محمود غالى

الفراغ الذى نتنقل فى أنحائه — الزمن والحوادث — الأرض التى تدور — الكون مجموع العوالم — الانسان يحيا ويموت

نبدأ الكلام عن الفراغ أو الحيز الذى نتنقل فيه، ونتكلم عن الزمن الذى يمر علينا لاتصالهما بفلسفة كل علم، وأى علم نستطيع أن نتعلمه أو فلسفة نستطيع أن نناقشها لا يكون الفراغ والزمن عاملين أساسيين فى دراستهما؟ هذان العاملان ظلا أساساً للعلوم من عهد المصريين والإغريق؛ فليس فى وسعنا أن نتحدث عن الأرض والكون والإنسان المفكر دون أن نرجع مبدئياً إلى هذين البحرين اللذين تكتنف لججهما جميع المخلوقات: الحيز والزمن. وسنعرض لهما فى هذه الكلمة حسب الأوضاع التى ألفناها فلا نتعرض اليوم لفهمهما وفق أحدث الآراء

أما الفراغ أو الحيز Espace فإننا نحسه بحواسنا وندركه بتحركنا. كلنا يعلم أننا، ونحن فى مكان معين، نستطيع أن ننتقل شرقاً وغرباً أو شمالاً وجنوباً أو إلى أعلى وأسفل، كما نستطيع أن ندور حول نقطة ثابتة، أو نكون فى حالة نلقى فيها حركتنا مجموعة من هذه الحركات كحركة شخص داخل سفينة تتأرجح فوق عباب الماء بالنسبة إلى منارة على شاطئ بحر

وأما الزمن وفق تصورنا البدائى فكلنا يعرفه ويدركه بالحوادث التى تقع لنا، فنقول: لم نر فلاناً منذ رحيله للاسكندرية، ونقدر طول غيبته بعدد من الأيام، وينشأ من ذلك أن أهم الحوادث بالنسبة لنا دورة الأرض حول محورها، فهى التى تولد الليل والنهار ويسمى مجموعها «يوماً» وقد اعتدنا تقسيمه إلى ٢٤ ساعة، وكان من الجائز أن نقسمه إلى عشرين ساعة أو عشر، فتقسيم اليوم إلى أى عدد من الساعات عمل اعتباطى من اختيار الإنسان لا دخل للطبيعة فيه. فلو أننا اتفقنا على أن نجعل اليوم عشر وحدات جديدة تسمى كل منها ساعة لما احتجنا إلى إدخال أى تغيير فى آلات قياس الزمن التى نسميها «ساعة» سوى تغيير فى تقسيم ميناء الساعة

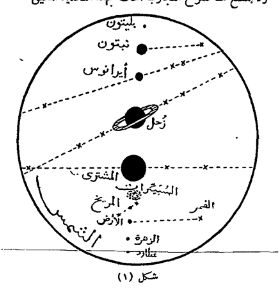
أما دورة الأرض حول الشمس التى يتكون منها السنة والفصول فتحوى ٣٦٥ يوماً وسدس اليوم تقريباً، وهذا العدد ليس اختيارياً كعدد الساعات فى اليوم، وإنما هو حدث طبيعى لا نستطيع تغييره؛ فقد لوحظ أنه يتكرر كل عام أى بإتمام كل دورة للأرض حول الشمس يتكون هذا العدد من الليل والنهار

أما فترة الحياة للانسان فهى تختلف لكل فرد، فليس من الميسور لنا أن نعين الذين ستنتهى حياتهم هذا الأسبوع من أهل القاهرة وإن كنا نعرف من مجموع القاهريين أنه يولد فى الأسبوع القادم حوالى التسعمائة ويموت حوالى الخمسمائة ...

ونحن أكثر إحساساً بالزمن منا للحيز، فإن الزمن يتغلغل فى مشاعرنا، وفترة من الزمن أقرب لإحساسنا من مسافة فى الفراغ. وقد يخطئ المرء فى تقدير أو مقارنة مسافتين ولكنه لا يخطئ فى إدراك وترتيب حادثين؛ فإذا وقفنا فى ميدان الأوبرا فقد لا يسهل علينا أن نعرف أيهما أقرب إلينا: مسجد القلعة أم الجامعة المصرية بالجيزة. بل كثيراً ما يخطئ المرء فى تبين الأطول من بين اثنين من أصدقائه رغم تكرر رؤيته إياهما

أما شعورنا بالزمن فلا يتسرب إليه الخطأ. فنحن واثقون أن حصولنا على تذكرة الترام حادث لاحق لارتقائنا إياه، وأن وجودنا به حادث لاحق لبارحتنا المنزل. وإذا اشترينا صندوقاً من السجائر فلا يداخلنا الشك فيه أن الكتابة المطبوعة على ذلك الصندوق قد تم طبعها قبل شرائنا إياه، وعندما نذهب

بأولادنا إلى المدرسة لا يكون ثمة ريب فى أن حادث ولادتهم سبق بكثير دخولهم المدرسة. ويدخل عامل الزمن فى التجارب العلمية، فى مقدور العلماء أن يقيسوا فترات صغيرة جداً منه، وقد بين لى الأستاذ جييه Guillet فى إحدى زياراتى له كيف نتوصل إلى قياس فترة من الزمن لا تتجاوز جزءاً من خمسة ملايين جزء من الثانية. ولا متسع هنا لشرح التجارب الخاصة بهذا التحديد الدقيق



شكل (١)

على أن كل هذه الحوادث قصر أم طال مداها تتعين بأمر ثابت لنا هو : دورة الأرض حول الشمس التى نسميها عاماً . فعندما يقول إنسان لقد مضى على إقامتى بهذه الدار ثلاث سنوات وستة أشهر ، فمعنى ذلك أن الأرض فى مدارها حول الشمس عادت لمكانها الأول ثلاث مرات ، ولا تزال سابحة فى دورة رابعة قطعت منها نصف الطريق

* * *

كل الكائنات ، وكل ما فى الحياة ، وكل شىء نستطيع أن نحس به أو نراه، يكتنفه أو يشمله هذان البحران: الفراغ والزمن. إذ لا يمكن لخيالنا وحواسنا أن تتخيل أو نستوعب شيئاً كائناً ما كان غير موجود فيهما ، فهذه النملة فى طريقها على هذه البقعة من الأرض تقطع هذه المسافة فى الحيز ويمر عليها الزمن . وهذه الأرض التى تحمل النملة وتحملنا تقطع أيضاً فى هذه الفترة جزءاً من طريقها الذى تدور فيه حول الشمس . وهـذا الحجر من أحجار الهـرم يشغل حيزاً معيناً وقد مضى عليه أكثر من خمسين قرناً وهو فى هذا الوضع ؛ أعنى أن الأرض قد دارت حول الشمس منذ وضعه أكثر من ٥٠٠٠ دورة، وحول نفسها حوالى المليونين من الدورات ، وليس هذا عمر هذا الحجر منذ تكونه ، بل هو الفترة التى مرت على وضعه بين هذه الأحجار . أما عمره فمن عمر تكون الأيوسين وهو عصر جيولوجى بعيد قد ولى منذ ٦٠ مليوناً من السنين

ولو التزمنا جانب الدقة لقلنا إننا نحن والحجر أقدم من ذلك بكثير فإن العناصر التى نشأنا منها ترجع إلى تكون الأرض التى يغلب على الظن أنها انفصلت عن الشمس ؛ فكل ما نتكون منه كان موجوداً منذ تلك اللحظة التى لعلها تبعد فى الزمن ألفى مليون من السنين ، بل كان موجوداً قبل ذلك منذ تكون الشمس ، بل قبل تكون السديم الذى نشأت منه الشمس ، بل منذ كانت الخليقة ..

هذا هو الحيز حسب الإدراك البدائى والزمن وفق الوضع البسيط . ولكن تصور العلماء لهما قد تغير اليوم

فى رواية تناقلتها الصحف إبان الضجة التى أثارتها نظرية إينشتاين فى النسبية أن ابنه سأله ذات يوم أن يوضح له تلك النظرية ؛ فأجابه : إنه لو فرض جدلاً أن كائناً سيسافر بسرعة تقرب من سرعة الضوء واتفق مع مودعه أن يغيب عنه سنة فإنه لا يحق له عنـد وداعه على المحطة أن يقول له : إلى اللقاء ! لأنه عند ما يعود هذا المسافر بعد عام يكون قد مر على الذى ينتظره مائتا عام ، وبذلك يكون قد ثوى فى رمسه منذ نيف ومائة سنة

هذا الوضع الجديد فى الزمن والحيز الذى كان الأساس فيه معادلات لورنتز Lorentz يختلف عما عهدناه ، وسنرجئ الدخول فى فهمهما إلى مقال آخر

أما فى هـذه الأسطر فلدينا مسألة أكثر بساطة تتعلق بالأرض التى نعيش عليها والكون التى هى جزء منه

* * *

لئن كان بين الشموس ما يقرب حجمه من حجم الأرض ، فإن أغلبها كبير لدرجة أن ملايين الأرض ممكن أن تدخل فى إحداها وتدع مكاناً لملايين غيرها. وليس لنا أن نعجب من هذا، فلو أن قروياً لم يخرج فى حياته عن بلدته لظن أن كل ما على الأرض من ماء هو من نوع الجداول والسواقى التى اعتاد أن يراها فى حدود موطنه الضيق . وما أشد ما تتملكه الدهشة حين يسافر بالبحر للحجاز مثلاً أو لأوربا فإن هذه البحار التى يعبرها تحوى من الماء

ملايين أمثال ما تحويه الجداول التي اعتادها

على أن ملايين الملايين من هذه الشموس تكون عالماً واحداً كعالم المجرة الذي شمسنا إحدى شموسه — ويدلنا العلم اليوم أن ملايين الملايين من العوالم تكون الكون

ينتج من ذلك أن الأرض بقاراتها ومحيطاتها هي بالنسبة للكون كشوكة من أشواك التين بالنسبة لإقليم متسع غرس فيه نبات التين ، أو كقطرة من الماء بالنسبة لمجموع البحار

هذا هو مركز الأرض من الضآلة بالنسبة للكون الذي هي جزء منه. على أن هذه الملايين من ملايين النجوم تسبح في مجراها على مسافات شاسعة جداً بين الواحد والآخر بحيث يعد اقتراب واحد من الآخر حادثاً نادراً جداً

فالمسافة بين الأرض والشمس التي هي مليون مثل ارتفاع الهرم الأكبر صغيرة جداً بنسبة المسافات بين الشموس التي نتحدث عنها. ويكفي أن نعلم أنه بينما يصلنا الضوء من الشمس في ٧ دقائق تقريباً فإنه يصل لنا من أقرب شمس بعد ذلك (الفاسانتور) (Centauri) ويسمونها «قضيب الكرم» في أكثر من أربع سنوات .

ولو أن الشمس على بعدها عنا تمثل مصباحاً في الردهة المجاورة بالمنزل فإن الفاسانتور تمثل مصباحاً في فينا أو طهران

على أن الغالب على الظن أنه منذ أكثر من ألفي مليون سنة اقترب أحد هذه النجوم وهو في طريقه من شمسنا . وكما أن اقتراب القمر يحدث على بحار الأرض ظاهرة المد والجزر أي ارتفاع الماء في جزء من الكرة وانخفاضه في الجزء المقابل؛ ويبلغ ارتفاع المد قريباً من الشواطئ المصرية ٣٠ سنتيمتراً وفي الجزائر ٦٠ س م وفي فرنسا متراً أو اثنين وفي فندى في أمريكا ١٩ متراً و ٦٠ سنتيمتراً فقد حدث في جسم الشمس مد كبير جداً يبلغ حجمه آلاف أمثال حجم الأرض كافة؛ وازداد اقتراب النجم فرتفع المد لدرجة سببت انفصال كتلة من جسم الشمس انقسمت إلى الأجزاء التسعة التي هي السيارات المعروفة وأقمارها وهي التي تدور من ذلك الحين حول أمها الشمس

ولو شخص القارئ ببصره إلى السماء في الليل لاستطاع أن يلحظ الفارق الكبير بين السيارات التسعة التي تكون مع الشمس مجموعتنا الشمسية وبين الشموس الأخرى ، فإن ضوء السيارات كضوء القمر يبدو ثابتاً لاكتساب هذا الضوء من الشمس . أما النجوم فهي تتوهج كالشمس، وأثر هذا التوهج واضح على العين



(شكل ٢)

أما السيارات التسعة فمنها ما هو أصغر من الأرض مثل عطارد والزهرة والمريخ وبليتون ، ومنها ما هو أكبر منها مثل المشترى وزحل وإورانوس ونبتون. وحجم الشمس يقرب من مليون وثلث مليون (١٫٣٠١٫٢٠٠) حجم الأرض بينما حجم عطارد $\frac{3}{50}$ من الأرض والزهرة $\frac{9}{10}$ والمريخ $\frac{15}{100}$ والمشترى ١٢٩٥ وزحل (وهو سيار يمتاز بطوق حوله) ٧٤٥ مرة وإورانوس ٦٣ ونبتون ٧٨ ؛ أما بليتون فنظن أن حجمه $\frac{1}{10}$ من حجم الأرض ولم يكتشف إلا منذ نحو سبع سنوات

ولكل سيار عدد من الأقمار تابع له يدور حوله، وليس لعطارد والزهرة أقمار . وقد أشرنا في الشكل إلى مواضع الأقمار بعلامة ×

وللأرض قمر واحد وللمريخ قمران ، وكنا نعرف للمشترى تسعة أقمار، وقد كشف المطار الجديد بمرصد موت ولسون بأمريكا قمرين جديدين فأصبح عددها ١١ ، والمعروف لزحل حتى الآن تسعة أقمار ولإورانوس أربعة ولنبتون قمر واحد

أما بليتون فلم يشاهد له حتى الآن أقمار .

وفي الشكل الأول تمثل الدائرة الكبرى الشمس وفيها دوائر صغيرة تمثل حجوم السيارات التسعة بالنسبة للشمس وترى مرتبة



الفـــن الأمريكى

النحت والتصوير

للدكتور أحمد موسى

أما النحت فلا يرجع لأكثر من القرن الثامن عشر . على أن ما هو جدير بالفحص والدرس منه لا يعود إلا إلى منتصف القرن التاسع عشر ؛ لأن ما تم عمله منذ تلك الفترة يمكن اعتباره مقياساً صادقاً لمدى ما وصل إليه النحت الأمريكى

وأول من يمكن ذكره من رجال الفن فى « الدنيا الجديدة » رجلان هما باورز H. Powers وجرينوف Greenouph اللذان نالا فى بلدهما درجة من التقدير . وقد سافرا مبكرين إلى روما للمشاهدة والمعرفة ، والتقيا هناك بكل من كانوفا Canova وثورولدسين Thorwaldsen المعاصرين لهما واللذين كانا من رجال النحت المعروفين . فشاهدا فى روما واقتبسا الكثير مما فيها

ومن رجال الفن الذين لم يتلقوا على مدرس أو أستاذ ومع هذا أنتجوا إنتاجاً يستحق الاعتبار كراوفورد وأراسموس بالمر

وكان المسلك الذى سار عليه باورز متأثراً بفن « عصر النهضة » الإيطالى والفرنسى ، ولكنه مع هذا انتمى إلى مذهب الفن الواقعى الذى تجلى فى منحوتاته للأشخاص بطريقة قوية دلت على المقدرة والثقة بالنفس ، فجمع بين الأناقة فى الإخراج ، وبين القوة التى تمكن بها من إبراز الشخصية

وبالرغم من أن الاتجاه السياسى فى أمريكا كان أميل إلى إظهار الروح الوطنية عند بعض الأفراد ؛ فإن فن النحت كانتاج عام لم يخف أثر الاقتباس الأوربى الذى إليه يرجع الأصل فى خلقه

ولا يمكن أن نسجل هنا مع الإعجاب خلقاً فنياً فى مجال النحت إلا لمثالين محدثين نسبيا إلى من ذكرناهم . وأول هؤلاء جودنز Saint Gaudens الذى نأتى لهنا بصورة من إحدى تماثيله الرائعة (ش . ١) . ألا وهو التمثال البرونزى لتسجيل شخصية لينكولن ، فترى الرجولة والقوة والاحترام متمثلة كلها فى التمثال انظر إليه وتأمل الكيفية التى وقف بها لينكولن ، وبساطة

فى داخلها بترتيب بعدها عن الشمس فأبعدها هو سيار بليتون إذ هو يتم دورانه حول الشمس فى ٢٥٢ سنة

هذه هى المجموعة التى تنتمى إليها الأرض التى تحملنا

وما شمسنا كما قدمنا إلا إحدى ملايين الشموس من نهر المجرة الذى هو عالم واحد من ملايين الملايين العوالم التى تكون الكون . ويمثل الشكل الثانى أحد هذه العوالم ، وفى هذه الصورة نرى صورة ضوئية لأحد هذه العوالم وهو عالم تبدو مجموع شموسه للناظر فى شكل الحلزون ، ويغلب على الظن أن هذا الشكل الحلزونى لا يوجد فى واقع الأمر على هذا النحو ، وإنما هى ظاهرة خاصة بالعوالم البعيدة. فلو افترضنا أن فى ذلك العالم البعيد كائناً ينظر إلى عالم المجرة (عالمنا) لرأى جماع شموسه فى هذه الصورة الحلزونية.

وسنتكلم فى المقال الآتى عن الفكرة فى منشأ الحياة على أحد هذه الكويكبات وهى الأرض وعلى احتمال نشوئها كذلك على غيرها من السيارات ، ونحاول على قدر الاستطاعة أن نفسر الحياة ونرى هل هى ظاهرة كغيرها من الظواهر الطبيعية مثل الإشعاع المادى والمغناطيسية أم هى أمر آخر

وقد وجدنا من الأيسر قبل أن نطرق باب الحياة ولا سيما فيما يتعلق بالإنسان أن نبدأ اليوم بوصف البيت الذى يعيش فيه قبل أن نصف صاحب الدار . وموعدنا المقال القادم

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

المظهر الذى ارتسم على ملابسه ، ثم شاهد الوضع الأنيق للذراع اليسرى والكيفية التى بها أمسكت اليد المعطف . هذا إلى جانب جمال التكوين للرأس والنظرة الثاقبة التى تحلت على العينين .



ش ــ ١ (لينكولن) ش ــ ٢ (سفوكليس) ش ــ ٣ (أورشليم الحزينة)

ولا أبدع من تلك الوقفة حيث ترى القدم اليسرى تخطو إلى الأمام؛ أما المقعد خلف التمثال فهذا وإن خرج عما نألفه الآن ، إلا أنه طابع مميز ومسجل للاقتباس كما ذكرنا .

وثانى نحات جدير بالذكر هو نيهاوس Ch. H. Niehaus ، وثالثهم ماكنايل H. A. Mac Neil الذى نحت ما يعبر به عن عادات الهنود الحمر من « رقص الأفاعى » و « تمجيد الشمس »

وغير هؤلاء هربرت أدمز Herbert Adams الذى وضع تصميم البناء التذكارى فى أوبرن ، ودانيل شيستر فرنش صاحب تمثال ميلمور وتمثال المهندس المعمارى هنت فى نيويورك ، وله أساليب خلابة فى الكيفية التى أخرج بها منحوتاته التى نذكر منها تماثيل واردوبار تردج والجنرال جرانت فى بروكلين

ولا بد من أن نذكر على الخصوص النحات بويل J. Boyle ودوج الذى يعطينا التمثال (ش ــ ٢) فكرة عنه . أنظر إلى سفوكليس[1] ، وقد بدا نحيلاً كما كان ينبغى لمن وصف نفسه بالجمال والشباب ، وتأمل امتداد الذراعين وجمال حركة اليدين إلى جانب الرأس

ومن بين النحاتين الأمريكيين من أظهر فى صدق وقوة مقدار تأثره بفن أجنبى . وخير مثل لذلك الفنان ستورى الذى عمل تمثال « أورشليم الحزينة » ، وإذا نظرت إليه (ش ــ ٣) رأيت أن التكوين الكلى للجسم والطريقة التى جلست بها « أورشليم » والتفاصيل التى تبين ثنايا اللبس كلها إيطالية . أما الوجه وما ارتسم عليه من كآبة فقد عبّر خير تعبير عن الحزن واليأس والاستسلام وهو ما يتمشى مع المقصود من وضع التمثال . وكان كل من روجز وبيبيسو I. Bibisso يسير فى نفس الاتجاه متأثراً بالفن الإيطالى

أما من تأثر بالفن الألمانى فكان كل من راينهارت وإزيكيل M. Ezekiel وكاير ، هذا عدا الفنانين الألمانيين أصلاً والذين اتخذوا أمريكا وطناً ثانياً لهم ، أمثال كارل بيتر Bitter وإزيدور كونى ويوهان حيلبرت

سار كل هؤلاء فى طريقهم تحت لواء الفن الواقعى المنتمى قليلاً حيناً وكثيراً حيناً آخر إلى فن « عصر النهضة » الإيطالية والفرنسية



ش ــ ٤ (موت الجنرال وولف)

وقد ظهر بعدئذ من جديد فى الأفق الأمريكى لا يخالف فى مظهره العام « الفن الحديث » من حيث الرغبة فى التبسيط والابتعاد تدريجياً عن الضوابط والمقاييس الفنية

وهذا لا يستغرب إذا تذكرنا أن العلاقة بين العمارة والنحت والتصوير موجودة دائماً ، وأن البيئة التى يتأثر بها البناء هى نفسها التى تؤثر فى النحت وفى التصوير

(١) Sophokles ابن سوفيللوس الثرى ، (٤٩٦ ــ ٤٠٦ ق . م) وكان من أعظم شعراء اليونان الثلاثة . وفى روما بمتحف لايتران يوجد تمثال رخامى يمثل الشاعر ، وقد عثر عليه فى تيراسينا سنة ١٨٣٨ ، وهو دون شك من أجل تماثيل اليونان وأعظمها قيمة وتكوينا

١٢ • ١٨

على أننا لا نريد أن نتناول اتجاهات « الفن الحديث » أو الفن المعاصر في أمريكا بالدرس والنقد لأننا قد وعدنا القارئ بمقال خاص عنه نكتبه في فرصة أخرى



ش — ٥ (واشنجطون يعبر نهر دلاوار)

أما في التصوير فإن الأثر الأوربي ظاهر أيضاً وواضح إلى حد لا يحتاج للبراهين . فقد ارتبط فن التصوير في أول أمره ارتباطاً وثيقاً بالفن الانجليزي ، وتقدم على هذا الأساس تقدماً باهراً ، فما كاد ينتهي القرن الثامن عشر إلا وقد ظهر مصوران عظيمان ، أولهما وست B. West الذي سجل موت الجنرال وولف في موقعة كويبك تسجيلاً رائعاً . أنظر إلى المجموع الإنشائي للصورة (ش — ٤) وفكر في الكيفية التي استطاع بها الفنان إظهار هذه المجموعة من الوجوه الناظرة إلى الجنرال المحتضر ، وكلها تعبر عن الأسى والحزن والجزع ، ولاحظ العدد الهائل من الجنود الذي يبدو كأنه ظل في مؤخر الصورة ، وتأمل إلى جانب ذلك حركة الأيدي والروعة التي تجلت في الإخراج

وثانيهما جون كوبلي Gohn Singleton Copley الذي اشتغل كالأول أيضاً بتسجيل المناظر التاريخية والوطنية وغيرهما جلبرت ستوارت ولورينج إليوت الذي اشتهر بتصوير المناظر الشخصية !

وهكذا استمر أثر المدرسة الانجليزية في فن التصوير الأمريكي حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وبعدئذ ظهر اتجاه جديد بظهور الفنان لويتس E. Leutz الذي أظهر أثر مدرسة دوزلدورف الألمانية Duessel-dorfer Schule فترى في الصورة (ش — ٥) واشنجطون واقفاً في وسط قارب صغير ازدحم برجاله ، منهم من حمل العلم الأمريكي ومنهم من اشتغل بالتجديف في ماء مملوء بالثلوج . وليس هذا المنظر مما يستهان بتصويره ، فهو محتاج إلى مقدرة عظيمة ودراسة عميقة لقانون الحركة الجسمانية إلى جانب صعوبة التلوين لإبراز تفاصيل الثلج والماء المتجمد

وأعقبه الفنان بيرستادت A. Bierstadt الذي اشتغل بتصوير المناظر الطبيعية التي وقعت تحت نظره . وظهر أثر المدرسة الفرنسية في أمريكا بعد انقضاء الستين أو السبعين سنة الأولى من القرن التاسع عشر ، ذلك بالرغم من تأسيس جمعية الفنانين الأمريكيين Society American Artists في أول يونيو سنة ١٨٧٧ وإنشاء أكاديميات على نمط ما هو موجود في أوربا . وهذا يدل على أن الفن الأمريكي كان أوربيًّا في الأصل ولم يجد منهلاً صافياً يستقي منه إلا فيها

واشتغل فريق من رجال الفن بتصوير الحيوان وعلى رأسهم بيرد Beard وبيتر موران Peter Moran وبور Poor ، كما اشتغل فريق آخر بتصوير المناظر الطبيعية وحدها ، وأهم هؤلاء توماس وبيتر موران الذي صور لوحته الرائعة « مزاج الغروب » (ش ٦) والتي أظهر فيها انعكاس أشعة الشمس الذهبية على صفحة الماء . وغيرهم من هو جدير بالذكر مثل جيفورد R. S. Gifford وميللر Ch. Miller وهارت Games M Hart وجاي W. M. Gay عدا من كانوا في الدرجة الثانية مما لا يتسع المجال لذكرهم



ش — ٦ (مزاج الغروب)

وكان الفنان شاز W. Chase من الذين أجادوا تصوير الأشخاص وتسجيل المناظر الشعبية ، وكنا نود أن نأتي بأكثر من صورة لإنتاجه . ولعلنا بالنظر إلى (ش — ٧) نتمكن من

الوقوف على جانب من مقدرته ، فقد صور الشيطان يفرغ الخمر في كأس وعلى شفتيه ابتسامة السخرية .

ش — ٧ (الشيطان)

وتخصص هنري باكون للمناظر التاريخية كما تفرغ هومر (Winslow Homre) للمناظر الشعبية البحتة التي اتصل بها واندمج فيها وذلك في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن .

وظهر جماعة من الذين انتقلوا بخيالهم المحلي إلى خيال أوسع مدى ، فمنهم من نقل صور الحياة كما هي دون تعريج على المثل العليا ، ومنهم من رسم مناظر رآها في بلاد انطبعت صورتها في مخيلته ، ومنهم فريق أكثر من الأسفار ، وسجل كل ما شاهدته عيناه .



ش — ٨ (باب الحريم)

ولعلنا نرى في (ش٨) التي صورها بردجمان F. A. Bridgman خير دليل على انتقال الخيال ، لا إلى « الدنيا القديمة » بل إلى الشرق !

سمى هذه الصورة « على باب الحريم » فصور مدخلاً تعلوه « مشربية » لبيت على الطراز العربي واهتم بإبراز الزخرفة والنقش كما حرص على تصوير امرأتين إلى يسار الباب ، وقد جلست كل منهما تعرض ما تريد بيعه ، وأمام المدخل سيدتان جاءت إحداهما على ما يظهر في الصورة راكبة حماراً وقف بالقرب منهما وبجانبه صاحبه . والمجموع الإنشائي رائع لا يستطيع تصويره إلا المتمكن .

وترى على اليسار شجرة اللبخ الكبيرة وقد وقعت ظلالها على حائط البيت ، وجلس إلى اليسار بعض الصبية أمام شباك « الكتاب » .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر موزلر وبيرس وويكس ممن ينتمون إلى المدرسة الباريسية في أوائل القرن العشرين .

أما بعد الحرب العظمى فقد سرت موجة جديدة غيرت معالم الفن القديم ، سيكون الحديث عنها ضمن مقالنا الخاص بالفن الحديث .

احمد موسى

الأستاذ محمد عبد الوهاب

من الوجهة الفنية

لم يخدم (الحظ) فى دنيا الموسيقيين أحداً كما خدم عبدالوهاب، ولم يتطوع الزمن فى ركاب مطرب كما تطوع فى ركابه حتى أبدله نعمى ببؤس، ويسراً بعسر ... !

هو من صدور (الملحنين) فى الشرق، ولكنه سيد المطربين فيه. بز القدماء بقديمه، وعز على قرنائه بجديده وتجديده. سما بالموسيقا سمواً كبيراً حتى جعل منها شيئاً محترماً. وارتفع بمنزلة (المطرب) ارتفاعاً عظيماً حتى أصبح العظماء يتوددون إليه بعد أن كانوا يحسبونه مهرجاً لا أكثر ... ! !

صوت رخيم جميل، ولعله أسلم أصوات مطربينا وأقدرهم على التطريب الحق الذى يأسر النفس، ويملك الحس. لا نستطيع أن نقول عنه إنه غنى (بتريولانه) ولكننا نستطيع أن نقول إنه غنى بالطاعة لصاحبه، والخضوع لكل أوامره ونواهيه

يبلغ أربعة عشر مقاماً (أوكتافين)، خمس مقامات (تينور) ثقيل، وتسعة مقامات (بريتون) تقريباً كلها سليمة قوية واضحة لامعة

لا يرتجل، ومع كل ذلك فهو (يشتغل)! ويشتغل شغلاً محيياً يدر عليه الآلاف المؤلفة. والسر فى هذا أنه لا يؤمن بالتصرف ولا بالارتجال. ولا يغنى إلا بعد أن يكون قد لحن الكلام وجربه أكثر من عشرين مرة مع رجال تخته. فإذا طلبت منه (مقطوعة) له قديمة غناها كما سجلها دون تصرف أو خروج كالأسطوانات تماماً ... !

يحب فنه أكثر مما يحب نفسه؛ ولذلك لا تعجب حينما تعرف أنه لا يرى بأساً من مواصلة ليله بنهاره ونهاره بليله ملحناً وعازفاً دون أن يراعى صحته الضعيفة! درس (الصولفيج) دراسة طويلة، وهذا ما أفاد صوته كثيراً، ولكنه مع هذا لم يستطع أن يسجل لنفسه لحناً واحداً (بالنوتة) بل يستعين فى ذلك بالأستاذين جميل عويس، وعزيز صادق

هو أول من أدخل على التخت العربى آلات الكونترباص ... الفيولانسيل .. الأكورديون الكاستنيت .. المثلث النحاسى .. النقرزان ...

له مدرسة واسعة تضم أغلب الشرق مطبوعة بطابعه، ملونة بلونه، لا تحب إلا إياه ولا تستسيغ إنتاجاً إلا إنتاجه وكفاه فخراً أنه (متبوع) أبداً فلا يكاد يخرج شيئاً جديداً حتى ترى بعض الملحنين الذين يتعقبونه ويترسمون خطاه قد حاكوه وقلدوه.

فالموسيقا العربية لم تكن تعرف أو لم تكن تعترف بالرومبا، والتانجو، والكاريوكا. فلم يكد يمصرها ويخضعها للذوق الشرقى حتى تهافت عليها غيره كالذباب عدداً وهم يحسبون أنهم ملحنون مجددون كعبد الوهاب



تدين له الموسيقا بالشىء الكثير؛ فهو وإن كان لم يخلق كبتهوفن، وموتسارت، وفجنر، وهندل، ودى لاسو (مثلاً) إلا أنه جدد، وجمع من هنا وهناك بذوق سام حتى خلع على الموسيقا إهاباً قشيباً متيناً!

أصبح الآن (مقلا) لدرجة تبعث على النقد؛ وهو يحتج بتفرغه للسينما ولكننا لا نعفيه من اللوم، فالمال لا يدوم، وإن دام فالسمعة وحب الشعب والمجد والشهرة، كل هذه الأشياء لا يغذيها إلا العمل، والعمل المتواصل الذى يمدها بالحياة.

* * *

سن للمطربين سنة (الطراوة والاسترخاء، والدموع) فقلما يغنى شيئا حماسيا أو وصفيا، بل أغلب أغانيه غزلية فحسب

فإذا سألته السبب قال : إن الشعب لا يحب ولا يشجع إلا هـذا اللون ، وما درى أنه وحده الذى يقع عليه أغلب هذا الوزر . المعروف أن المغنى الحق هو الذى لا يعرف إلا فنـه ، وفنه فقط ولـكن عبد الوهاب أراد أن يخالف هذه النظرية فعرف الفن وغير الفن ، وتأثر بميول ضد ميول وقد عرف عنه ذلك ومع كل فهو يصر على لونه ...

إن الفن موطنه السماء؛ ومن فى السماء فوق الجميع وللجميع. فمن ترك فنه وسماءه ليعيش فوق الأرض جرفه التيار الذى لا يرحم

محمد السيد المويلحى



من مآسى التاريخ

مصرع الدون كارلوس

للأديب محمد محمد مصطفى

قال الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه « تاريخ المؤامرات السياسية »

« ... ما أفاضت سيرة من سير القصور فى القرن السادس عشر على دولة الخيال والشعر قدر ما أفاضت سيرة الدون كارلوس ، وما تبعث قصة إلى النفس من روعة وكآبة قدر ما تبعث أساطير هذه القصة العجيبة

وأى سيرة أدعى للروعة والوحشة من سيرة ملك يقضى بالموت على ولده لمؤامرة قيل إنه دبرها لقتله . ثم يذهب فى بطشه إلى حد تنفيذ هذا الحكم

هذا ما يحفظ التاريخ من سيرة فيليب الثانى ملك أسبانيا وولده الدون كارلوس »

وحى الأمير بتحية صدرت إليه من خلفه ، فاتجه ببصره إلى مصدر الصوت فرأى صديقه الأمين الكونت « أجمونت » ... فقل اضطرابه قليلاً وسأل الكونت :

— أتبعك جواسيس الملك الليلة يا كونت ؟

فابتسم هذا فى خبث وأجاب :

— أبداً يا مولاى ، فقد ألحت صورة الخمر على أعينهم فرنق بها السكرى فدلفت إلى جناحك من الباب الخلفى بعد أن تخطيت الأهوال فى اجتياز الحدود سراً ...

— أبخبر أتيت ؟

فأجاب والابتسامة لا تفارق شفتيه :

— بكل خير

ثم أخرج الكونت من ثنايا ثوبه ورقة نشرها أمام ولى العهد ، وجعل يمر عليها بأصبعه هامساً للأمير :

— بين شعاب هذه الجبال يا مولاى ستكمن قواتى ، فإذا ما جن الليل انضمت إليها قوات أمير أورانج تتبعها قوات الكونت هورن[1] . وعلى سموك اجتياز الحدود سراً مساء منتصف مايو القادم لتعودوا على رأس هذه الجيوش إلى أسبانيا لتثل بها عرش هذا الشيخ الذى لم يتورع الليلة عن الزواج بطفلة فى سن حفيدته

* * *

وحمل الدون كارلوس آماله وأحلامه . ومضى بها إلى حديقة القصر الملكى يرسل بين الحين والحين صفيراً خافتاً حتى عثر بين الخمائل على دوحة استذرى بها حتى لا يناله برد الليل إن غلبه النوم تحتها

* * *

وتسربت خيوط الفجر من ثوب الليل ، ولما يغمض لعروس الملك جفن ، وتشعر الفتاة لرؤية عريسها الشيخ الذى يغط إلى جانبها بهم يجثم على روحها ، فتتسلل مارقة إلى حديقة القصر الملكى ، وتسير بين رياضه على غير هدى ...

سارت بين الخمائل تناجى النجوم وقلبها الغض يحقق فى عالم مجهول . ثم أفلتت منها صرخة خافتة إذ رأت أمامها شاباً كأنما قد تثاءبت عنه الأرض

---

(١) أمراء الأراضى السفلى (هولاندة والبلجيك) وكانت وقتئذ تابعة لأسبانيا

— ترى بعث روعة هذا الفجر فى نفسك الاكتئاب أيها الشاب؟

— وى ... من أنت ... ومن أى فردوس فررت يا فتاة؟

فيشرق الابتسام على ثغر الفتاة وتقول للشاب الماثل أمامها فى سذاجة الطفولة ومرحها:

— الملكة ... ومن أنت؟

فيقف الدون كارلوس فى تؤدة ويشخص ببصره إلى الصبية بعث الهواء بشفوف ثوبها فيبرز نهداها الصغيران، ويظهر تقاسيم جسمها الفتان، ويتمتم الشاب فى خفوت:

— عروس أبى ... أقصد الملك ... وإلى أين؟

— إلى الفجر وسحره

ويمشى الأمير لهذا الجمال الذى سيذوى فى ظل والده الشيخ ويدنو من حديثها نقاء سريرتها فيدرج بها على العشب النضير هو... يتسامران فتجرده من قلبه ولبه، ويأخذها شبابه وحبه، ويبدو لها وجه الشيخ بلحيته المرسلة كأنه شيطان مريد. وتنظر إلى ولى عهده فتدخل من عينيه الجميلتين إلى جنة الحب، ويخفق له قلبها الغض المتعطش إلى الغرام ...

وفى غفلة من الدهر كانا يختلسان اللقاء على الربى وبين الخمائل، فهى لا تعرف السعادة إلا فى حضنه الفتى الحبيب، وهو قد تدله بها فلا يعدل بقبلاتها المسكرة ما فى بطون الأرض وعلى سطحها من أذخار وكنوز ...

وينظر الملك إلى طول لبثها فى الحديقة فيرتاب ويحوطها بعيونه فتنتقل إليه الأخبار ...

وعلى إحدى الربى وقف الملك مستتراً يرى العاشقين الصغيرين وكيف ينهلان السعادة ويستمع إلى وسوسة قبلاتهما الناعمة فيحرق الأرم ويستجمع ما تبخر من صبره ويولى عنهما هامساً بينه وبين نفسه:

— ليكن هذا بينهما لقاء الوداع

ويتأوه من أعماق نفسه ويهتف:

— أما وقد بليت أيضاً بحبها فستعيش هذه الفتاة لأن قلبى يريد لها الحياة ... أما هذا الوغد ... وهدد بقبضته فى الهواء، ومضى لسبيله فى طريق القصر

* * *

وراح ولى العهد يستعرض أصدقاءه ليختار من بينهم من يمده بخيل يرحل عليها خفية إلى الحدود، فيقع اختياره على مدير البريد...

ويشفق مدير البريد أن ينكشف أمره فتناله يد الملك، فينقل إليه رغبة الأمير ...

ويأمر الملك بالقبض على ولده وإيداعه السجن، فتضبط أسلحته ونقوده وأوراقه التى دلت على مشروع محاولة استيلائه على الأراضى السفلى ودحر الملك ثم الجلوس على عرش أسبانيا. فأبلغ الملك الحادث إلى الجهات الكبرى وانتدب محكمة عليا برياسته لمحاكمة ولده

* * *

كان سجن الأمير غراماً على نفس الملكة فطوت جوانحها على حرق حبه. وأضحت ذاهلة وانية ترى القصر كأنه قطعة من الجحيم، وعزفت عن الطعام حتى رق جلدها وشحب لونها

ولقد تتحامل على نفسها التطوف بمجالس غرامها وأعشاش حبها تدب فى رفق كأنما قد حطمت قواها السنون، فإذا جلست فى مكان ضمهما يوماً خيل إليها أنه إلى جانبها يضمها ويحنو عليها فتخشى أن يكون ذلك وهماً فتتحسسه بيديها فلا تقع على شىء فتقف فزعة وتحوم حول نعشها وتسقط صارخة:

— يا كارل ... ...

فتردد جوانب القصر صيحتها:

— يا كارل ...

وكان صفاء عينيها الجميلتين وتدلههما ينمان عما تكابده من حر الحب وبالغ الوجد

وينظر الملك إليها فيراها متلفة آيسة وقد أطفأ الحزن بريق عينيها فينهدم لها قلبه انهداما ويسألها عن سر وجومها واكتئابها فتنفجر باكية وتجثو عند قدميه.

ويعلم الملك أنه الحب فيستضحك حتى تبدو نواجذه ويمسك بيديها الصغيرتين لينهضها فتأبى إلا أن يسمع لشكاتها ...

— خبر. أأستنزل لك من السماء نجما تقرين به عينا ياطفلتى الحبيبة؟

— أتقسم على طاعتى فيما أرجوه منك.

— لك هذا.

— أن تطلق سراح ولدك.

فاربد وجه الملك وعبست أساريره وأشاح عنها قائلاً:

— أشغفك حبا ذلك الولد الغر؟

— حباً ملك على نفسى

— فلا تدفعين هذا الحب عن قلبك وهو لم يزل بعد وليداً؟

— إنه ولد عاتيا قويا

— فلن أفرج عنه إذاً أبداً. وسأجعل من جسده للطيور طعاماً شهياً ...

ويظلم الفضاء فى نظر المسكينة وتقول وما تملك نفسها :

— فإذا ما قلت لك إنى سأقضى على نفسى وأحملك وزرى إن مسسته بسوء؟

ففكر الملك ثم فكر ... وفتقت له أفكاره حيلة فدنا منها وقد زال أثر العبوس من وجهه قائلاً :

— إننى لم آمر بسجنه يا صغيرتى إلا لدفع بغيه عنى، ولئن أطلقته ختر بميثاقه وأعاد المؤامرة بعد أن قتلتها فى مهدها

— سيفيد من درسك هذا له عبرة

— أفتجعلين من ذمتك عهداً ألا يعيد الكرة ؟

فأبكاها فرط السرور لقرب انتصارها ومدت إليه يدها باسمة

— هذا عهد

فرقت لها نفس الشيخ وقال :

— إنى أعدك بالحكم ببراءته

فهزتها نشوة الفرح وطوقت عنقه قائلة :

— هل قلت إنك ستبرئه ؟

فطرب الملك لعناق فتاته وأعاد القول باسماً : لك هذا

وفى هدأة الفجر تسللت عروس الليل على أطراف قدميها وقلبها يخفق ويدها عليه ... حتى إذا ما اجتازت الباب السرى ركبت عربة كانت تنتظرها خارج القصر وانطلقت بها فى مسارب الوادى لتنقلها خفية إلى سجن الحبيب

وما اقتربت الملكة من باب السجن حتى تخلى عنه حراسه، فطوت سلالم القبو أربعاً أربعاً ...

وألفت حبيبها الوموق مكباً على نضد عتيق وقد سقط رأسه الجميل على صدره تتناوبه فورات اليأس والحمى ؛ فلما رأى الملكة انتعشت نفسه وصاح : إيزا

— كارل

وألقت نفسها بين أحضانه وأهوت بقبلاتها على فمه وشعر الدون كارلوس بأنه فى حاجة إلى الحياة عن ذى قبل وأحس أن قوة هرقل قد حلت فيه وأن قوى العالم لن تستطيع إفلاتها من بين يديه ولو تكالبت عليه جميعاً وكان بعضهم لبعض ظهيراً

ولم يخف افترار ثغره عن عين طفلته الحبيبة ما رسمه الأسى على وجهه وما يلاقيه فى غياهب سجنه . فانتشرت نفسها عليه رقة ورحمة وأرسلت من عينيها عبرات حرارا ...

قال الدون كارلوس :

— لم البكاء يا إيزا وهو يتلف عينيك ؟

— ومن أحرى منى بطول البكاء ؟

— أنا ... لهول ما أفكر فيك ولفرط ما عاث الحب فى قلبى وأمانى حياً لبعدك بينا يحيا هذا العجوز الجزبون بين أعطافك ناعماً بجهالك مخفرجاً فى ظلك ؟

ففاضت عيناها بالدمع فحبس عبراته وكبت عاطفته ، ولم تشأ أن تخبره بوعد الملك لها بتبرئته لعدم ثقتها بتنفيذ هذا الوعد وخشية أن يظن الدون كارلوس أنها خدعته إذا ما حنث الملك بوعده

حتى إذا أشرقت غرة الصبح انتزعت نفسها من بين أحضانه وعادت إلى القصر تتأوه من قلبها المعذب المفؤود

سيق الأمير إلى قاعة المحاكمة وقد بدا على وجهه الساهم علائم العناء. فلما رآه الملك عبس فى وجهه وبسر. وأخذت عينا الملكة الجميلتان ترسلان الدمع مدرارا فتنضو عن صدرها الجميل ثوبها لتخفيه فيه

وتقدم الدون كارلوس تنوء قدماه بحمل جسمه الواني حتى انتهى إلى مقعد أعد له فجلس عليه وأخذ يردد الطرف بين الملك حينا وأعضاء المحكمة أحيانا فيرى على وجوههم مسحة الجد والاهتمام .

وقطع الملك رهبة السكون حيث أمر بابتداء المحاكمة فوقف المدعى (البرنس إيفولى) وألقى بيانا مسهباً عن محاولة الدون كارلوس الاعتداء على الذات الملكية بوضعه مشروعاً لاغتيال أبيه ومحاولته انتزاع الأراضى السفلى ، واختتم بيانه بطلب اعدامه

فتحرك الملك فى مقعده قليلا وقال بصوت هادىء :

— ألديك ما تقوله يا كارلوس ؟

فنهض الدون كارلوس متثاقلاً وقال بثبات :

إننى لا آنس فى وجه أحدكم رأفة ولا رحمة ، وكلكم كشق مقص الفناء، كل يتمم للآخر مهمة القضاء علىّ؛ بيد أننى أود أن أتلقى حكم إعدامى من شفتين غير شفتيك، فهل لى أن أرجو المحكمة أن تنطق مليكتى بهذا الحكم ؟

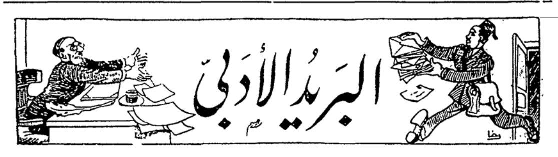
فرد المدعى قائلاً :

— ولكن الملك رأس الدولة ورئيس المحكمة

فهتف الدون كارلوس :

— والملكة جسم الدولة فهل تعيش رأس بلا جسم ؟ فاشتد غضب الملك وموجدته على ولده وتهامس قليلاً مع الأعضاء ، ثم اعتدل فى جلسته ونطق بالحكم

ودوى حكم إعدامه فى أذن الملكة كهزيم الرعد فاستهولته وهبت عجلانة إلى الدون كارلوس فاحتضنته وأخذت ترسل من عينيها إلى الملك شرراً كالقصر وهتفت صاخبة :



انتهاء الدورة السادسة لمجمع فؤاد الملكي

عقد مجمع فؤاد الأول للغة العربية في الأسبوع الماضي آخر جلسة من جلساته في هذه الدورة (وعددها ٢٥) وعقد في المساء جلسة أكمل فيها بعض الدراسات التي يضطلع بها

وشهد الجلسة الختامية الأعضاء جميعاً، عدا أربعة منهم، هم حسن حسني عبد الوهاب باشا، وقد عتذر من عدم حضور الدورة كلها، والأستاذ أحمد أحمد العوامري بك، والدكتور فيشر بسبب تغيبهما لمرضهما، والأستاذجب إذ سافر إلى وطنه انجلترا منذ أسبوع

وقد أتم المجمع في دورته السادسة طائفة كبيرة من المصطلحات العلمية قاربت الألف

فأنجز في علوم الأحياء زهاء ٣٥٠ مصطلحاً، وفي علوم الطبيعة نوع الحرارة زهاء ٢٠٠ مصطلح، وفي الموسيقا حوالى ٢٥٠ مصطلحاً، وفي علم الهندسة نحو ٢٠٠ مصطلح

وأرجأ إلى الدورة القادمة قسماً كبيراً من المصطلحات في شتى العلوم وفي الاقتصاد السياسي. وستضم المسائل المؤجلة إلى ماتضعه لجان المجمع في الفترة القائمة بين الدورتين الحاضرة والقادمة

أما المصطلحات العسكرية فكان المجمع قد كتب إلى وزارة «الدفاع الوطني» يطلب إليها أن توافيه بما قامت به في شأن المصطلحات العسكرية التي سبق أن وضعتها اللجنة المختصة، غير أنه لم يتلق رد الوزارة حتى الآن. وستنتظر اللجان المختصة هذا الرد لتعد بمساعدة الخبير الحربي المختص ما يمكن وضعه منها تمهيداً لعرضها على المجمع في الدورة المقبلة

— ألا أيها العجوز الحانث بوعده ... لن تناله بأذى حتى تمر على جثتي ... فلتأت أنت وحرسك وجندك فإني لكم

وصمت الملك قليلاً ثم قال:

— أنظروا كيف تدافع الملكة عن عشيقها الفاجر ... وأشار إلى جنوده فانتزعوه منها حتى إذا بلغوا به السجن ألقوه فيه في انتظار تنفيذ الحكم

وانصرف أعضاء المحاكمة تاركين الملك والملكة وحدهما فجثت إزاء تحت قدميه جثو الراهب في محرابه وأخذت تستعطفه في ذلة وانكسار أن يرد على ولده حياته وأن يقف تنفيذ إعدامه وأعطته موثقاً ألا تلتقي به بعد اليوم إن أجاب سؤلها ... ولكنها كانت تستدر القطر من الصخر، وتبذر الحب في المهمه القفر ...

وشدد الملك الرقابة على السجين حتى لا تلقاه الملكة فتدبر لفراره أو تحاول إنقاذه. فتبدلت في عينها الدنيا وضاق أمام نظرها فضاء الأرض التي لم تتسع على رحبها لحبيبين فعزفت عن الطعام وتساقطت نفسها حسرات عليه

وأومأ الملك إلى طبيب القصر أن ينفذ بنفسه الحكم على أن يبقى شرف الأمير مصوناً ...

وانخلع قلب الملكة لسماعها نبأ إعدامه بجرعة سم دسها إليه الطبيب، فعصفت برأسها نوبة جنون جرت على أثرها حافية القدمين إلى السجن ... ومنعها حارس الباب فبكت إليه وتوسلت ... فقال الحارس إن أوامر الملك مشددة ... فهوت بشفتيها الرقيقتين الناعمتين على قدمي الحارس الوحلتين ... فتركها تمر ... وقال: ليفعل بي الملك ما يشاء

ووجدت جثة الحبيب مسجاة على فراش خشن فأخذت رأسه الجميل بين يديها وشخصت ببصرها إليه فكان في غفوته الأبدية كطائر الأفنان؛ وسكنت حتى لقد خيل لمن رآها أن روحها قد تسللت من جسدها تاركة وجهها على هذه الصورة الجامدة

واختلط عقل الفتاة المسكينة فكانت لا ترى إلا في الطريق لقبره ذاهبة أو عائدة، وأرقت فلم تعد تنام إلا لماما ...

وهاجها الوجد إليه فجر ذات يوم فقامت إلى قبره بفأس تريد اقتحامه وأخذت تحطم رخامه وتكشف عنه التراب حتى إذا انفتحت لها فيه فجوة أدخلت فيها يديها ورأسها وأخذت تعالج غطاء ناووسه حتى رفعته فانهال عليها حجر كبير فسقط رأسها الجميل على صدر حبيبها ... ولفظت آخر أنفاسها.

محمد محمد مصطفى

ويرى كثير من حضرات الأعضاء ضرورة الإشراف على وضع المصطلحات العسكرية في صيغ عربية صحيحة ، استكمالاً لمظاهر الاستقلال القومي ، وحرصاً على استخدام لغة الدولة

المصطلحات الطبية

كان من أهم الدراسات التي قام بها المؤتمر الطبي العربي ، موضوع المصطلحات الطبية في اللغة العربية . وقد رأس الجلسة التي دار فيها بحث هذه المسألة حضرة صاحب العزة محمد العشماوي بك وكيل وزارة المعارف . وقام بأعمال سكرتيرتها صاحب العزة الدكتور عبدالواحد الوكيل بك

وقد أدلى الدكتور الوكيل بك ببيان عن الجهود التي قامت بها الجمعية الطبية المصرية في هذا الشأن ، إلى أن انتهت بالقرار الذي اتخذه مؤتمر بغداد وهو أن تتصل الحكومة المصرية بجميع البلاد العربية لتأليف لجان لبحث المصطلحات والقواميس والمجموعات اللغوية الطبية الموجودة في كل منها ، على أن تؤلف لجنة عليا ، وتجتمع في مصر شهراً أو أكثر من كل سنة لاختيار أوفق تلك المصطلحات ، بحيث تكون قراراتها ملزمة للجامعات والكليات والمؤلفين والأساتذة في التدريس

وقد ذكر سعادة الدكتور على ابراهيم باشا في هذا المقام قراراً أصدره مجلس كلية الطب في جلسة عقدت قبيل العيد يتضمن إدخال اللغة العربية بالفعل لتدريس بعض الفروع على أن تكون الإجابة باللغة العربية إجبارية عن الأسئلة التي تلقى في الامتحانات في موضوعات الطب الشرعي والقوانين واللوائح الصحية المصرية . كما قرر المجلس تكليف الأساتذة المصريين بكلية الطب تلقين الطلاب التقارير الطبية باللغة العربية في أثناء تدريسهم العلوم التي تقدم ذكرها باللغة الأجنبية

وأشار سعادة الرئيس في هذه الجلسة إلى جهد وزارة المعارف في صدد تعزيز صلات الثقافة والعلم بين مصر والبلدان الشرقية ، وأنه قد أنشئت لجنة لهذا الموضوع مضت في طريقها شوطاً بعيداً

وقد قرر المؤتمر في هذا الموضوع التوصية بإبلاغ قرارات لجنة المصطلحات إلى مجمع « فؤاد الأول » للغة العربية حتى لا تتعارض أعماله مع قرارات المؤتمر

مدينة في مسقط لا يعرف العالم عنها شيئاً

وصلت البعثة الجيولوجية التابعة لشركة النفط العراقية إلى البصرة وبدأت أعمالها في الأراضي الواقعة في جبل سنام ويقوم مدير البعثة بتعيين المواقع المراد حفر الآبار فيها

وقد صرح المدير أنه قبل وصوله البصرة ، قام بجولة جوية في سلطنة مسقط ، اكتشف في أثنائها مدينة آهلة بالسكان ولا يعرف أهل هذه المدينة شيئاً عن العالم كما لا يعرف العالم عنهم شيئاً . وقد ظهر للبعثة التي ارتادت تلك المنطقة للبحث عن النفط أن جبل الأخضر المعروف في مسقط لم يكن سوى كثبان رملية كانت السبب الأول في جهل هذه المدينة واعتقاد الناس بأنه جبل حقيقي تنتهي عنده أطراف تلك البلاد من سلطنة مسقط

معرض المثالين الفرنسيين المعاصرين والمثال مختار

دعت جمعية محبي الفنون الجميلة بعد ظهر الجمعة الماضي رجال الصحافة والفن إلى زيارة معرض المثالين الفرنسيين المعاصرين والمثال مختار بعد أن انتهت من تنسيقه وأعدته للافتتاح . ولما اكتمل عقدهم في الساعة الرابعة والنصف ألقى عليهم المسيو جورج جراب أمين متحف رودان في باريس كلمة استهلها بالإشادة بذكر مصر مهد الحضارة والفنون ولا سيما فن النحت ، ثم تكلم عن الفنانين الفرنسيين أصحاب التحف المعروضة

وقد اشتمل هذا المعرض على حوالى ١٤٠ قطعة تعد من آيات النحت في العالم منها ٢٨ تحفة للمثال العظيم رودان (١٨٤٠ — ١٩١٧) الذي يعد بحق في مصاف فيدياس نحات اليونان العظيم وميكائيل انجلو الفنان الإيطالي الشهير في عصر النهضة بأوربا

أما بقية القطع فهي لتلاميذ رودان مثل بورديل ودسبيو ومايول وبومبون وديجا الذين يؤلفون مدرسة النحت الحديثة في فرنسا وهي المدرسة التي بلغت أوج العظمة في هذا الفن

وتدل مجموعة تحف رودان على ما امتاز به من مقدرة فائقة على تصوير الحياة في تماثيله ، فتسجل للخلود الخواطر المضطربة من عقائد دينية أو حب الوطن أو الحنان الأموي أو لهيب الغرام أو الحقد الدفين أو التفكير العميق وغير ذلك من مظاهر الحياة

وقد نسج تلاميذه على منواله حتى كاد بورديل يضارعه في المقدرة ، كما امتاز بومبون بتماثيله عن الحيوان فأودعها من الفن والبراعة كل ما يمكن أن يمثل في الطين والشمع من حياة

وقد رأى المسيو جراب منظم المعرض أن يعبر عن شعوره

نحو صديقه مثال مصر الكبير المرحوم مختار فخصص جانباً من المعرض لتحف مختار فعرض منها ٣٤ قطعة كانت دليلاً ساطعاً على أن صانعها أول من وفق من النحاتين المصريين المعاصرين للبروز في هذا الفن فكان خير خليفة لأسلافه النحاتين المصريين الذين سموا بفن النحت في عهد الفراعنة إلى ذروة النبوغ

وقد وفق المسيو جراب في عرض تحف مختار مع تحف الأساتذة الفرنسيين الذين أحاطوه بحبهم وتقديرهم

وأعد للمعرض دليل واف باللغتين العربية والفرنسية اشتمل على نبذة تاريخية عن تطور فن النحت وبلوغه حد الكمال في هذا العصر في فرنسا، ويلي ذلك وصف مختصر لكل قطعة من المعروضات

تاريخ كلمة أدب

كتب الدكتور عبد الوهاب عزام بالعدد ٢٩١ من الرسالة بحثاً قيماً في (تاريخ كلمة أدب) تتبع فيه مراحل استعمال هذه الكلمة إلى عصرنا هذا، في دقة العالم الباحث وإمتاع الكاتب الأديب. بيد أنه قال في افتتاح البحث : « لا نجد (كلمة أدب) فيما بين أيدينا من الكلام المأثور عن الجاهليين » الخ ...

ولما كنت قد رأيت هذه الكلمة في كلام جاهلي فقد رجعت إلى مظانها، فرأيت أبا على القالي في الجزء الثاني من الأمالي (ص ١٠٤) يورد قصة زواج أبي سفيان بن حرب من هند بنت عتبة. وصف عتبةُ لابنته هند أبا سفيان فجاء في وصفه : « يؤدب أهله ولا يؤدبونه » وجاء في رد هند : « وإني لآخذه بأدب البعل مع لزوم قبتي وقلة تلفتي »

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ محمد هاشم عطية في مطلع كتابه «الأدب العربي وتاريخه» في نفس الموضوع وبعنوان (تاريخ كلمة أدب). وللدكتور عزام تحيتي وإجلالي (ع . ع . غ)

غريب

قرأت في عدد ٢٨٩ من «الرسالة» مقالاً دبجته براعة الأستاذ عمر الدسوقي وقد أعجبني الشعور النبيل والثورة للكرامة المهانة والدفاع عن القومية المثلومة

وأود أن ألفت نظر الأستاذ إلى الغلطة الكبرى التي وقع فيها. إنه دافع عن نفسه خير دفاع وأبان حقيقة المدنية المصرية إبانة لا ينكرها عليه عاقل، ولكنه حط مقام شعوب لها كرامة تعتز بها وقومية ومدنية حافلة زاهرة، فإنه تبرأ من أن يكون « زنجياً أو هندياً أو نوبياً أو حبشياً » وذلك ظاهر في كلام الأستاذ الفاضل، إذ يقول : « بل إني مصري، تجري في عروق أنبل الدماء وحسبك أن تعرف أننا من أرقى الشعوب مدنية وحضارة قديماً وحديثاً ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته أن يلحقني بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ويعدهم دونه في الذكاء والمدنية»

إنني لست في مقام جدال، وفي هذا الموضع لا يمكنني إلا أن أذكر الكاتب الهندي كارا كا وكتابه « إلى الغرب » Igo West فإن هذا الشاب عند ما كان يدافع إنما كان يشمل قضية المهضومين كلهم ولا يفرق بين أسود وأدكن وأسمر وقمحي. كلهم سواء استعبدوا واستذلوا ظلماً وعدواناً. وكان الأحرى بأستاذنا أن يحذو حذوه ويدافع عن « قضية الظلم والاستعمار والاستعباد »

لا شك في أن القوم هناك ينظرون إلينا (الملونين) بعين الازدراء والاحتقار ويعتبروننا أقل ذكاء وعقلية منهم، ولكن العلم الحديث برهن على خطل هذه النظرية التي روجها بعض « العلماء التجار » المغرضين كي يجعلوا لهم حقاً سماوياً منزلاً لاستعباد الشعوب الضعيفة واستعمارها

إن الدافع الذي أملى على الأستاذ كتابة المقال، هو نفسه الذي حفزني لأن أسطر هذه الكلمات التي لا تفي ولكنها تذكرة. إن الحبشي لا يقبل أي إهانة لوطنه، والهندي لن يرضى بطعن في عقليته أو وطنيته. ولا أدري كيف زل قلم الأستاذ هذه الزلة فإن النوبيين مصريو الأصل ... وربما رد الأستاذ هذا القول بقوله إنهم سودانيون ... وفي هذه الحالة ستزداد دهشتي لأن المعروف لدينا أن مصر والسودان قطر واحد، ولكن السياسة المغرضة جزأته ولعبت فيه ماشاء لها، وأرجو أن يعمل العاملون لرتق هذه الثغرة. والغريب أن كثيراً من فقرات المقال ينافي قوله هذا!

« الخرطوم » (م . ع . ب)

الأندلس الجديدة

لما أخذ الاسبانيون يكتسحون البلاد الأندلسية فلا يدعون في واحدة منها أثراً لما كان فيها للاسلام من سلطان وحضارة — اهتزت البلاد الإسلامية الأخرى واضطرب سكانها فارتفعت



أقلام الناشـــئين

للأستاذ فليكس فارس

أمامى كتابان نشرهما الشيخ أحمد جمعة الشرباصى . الأول بعنوان « حركة الكشف » صدر منذ سنتين ، والثانى بعنوان « محاولة » صدر فى هذا الشهر

ولقد رأيت فى هذين الكتابين من روعة الإنشاء ودقة الشعور والنضوج المبتسر ما أهاب بى إلى إرسال كلمة فيهما

إن المؤلف يرمى فى كتابه الأول إلى إظهار ما فى نظام الكشافة من محاسن وفوائد ، داعياً إلى تكوين فرق تعمل بهذا النظام من الشبيبة المنتسبة إلى المعاهد الأزهرية ، مستنداً فى دعوته هذه إلى أن تقوية الناشئة ، وتعويدها الصلابة والطاعة وتدريبها على توحيد الحركة والسير نحو هدف واحد فى غاياتها الأخلاقية ، إنما هى جميعاً من قواعد الإسلام الأساسية . فلا يمكن أن يعد تكوين هذه الفرق فى المعاهد الدينية بدعة أو اقتباساً لطريقة تخالف العقيدة ، أو تشذ عن التقاليد الموروثة عن السلف الصالح

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب « حركة الكشف » صدر سنة ١٩٣٦ حين كان المؤلف فى السابعة عشرة من عمره ، وقد وقفت فيه متعجباً بل مندهشاً أمام هذا التسلسل فى تدوين تاريخ الكشف وتطور أساليبه وأمام هذا المنطق الرصين يقدر الحوادث ويزن أعمال الرجال ويتغلغل فى التاريخ ليثبت فضل العرب المهتدين بنور الوحى على نهضة الغرب فى تفكيره وتنظيمه

أما فى الكتاب الثانى فالمؤلف يذهب فى محاولته ذهاب من

الأصوات من كل جانب تدعو ملوك المسلمين وأمراءهم لنصرة إخوانهم الأندلسيين . ودفع عادية الأسبان عن بلادهم .

فلما لم تلق الدعوة مجيباً ، ولم يتقدم أحد من ملوك المسلمين . منفردا — بنجدة — ولا كان بينهم من الاتحاد واجتماع الكلمة — ما يجعل لهم — مجتمعين ، قوة يستطيعون بها للأندلس إنقاذا — نفذ القضاء وتم للأسبان فيها ما أرادوا .

عم الأسى ، وشمل الحزن جميع المسلمين . ففاضت ألسنة شعرائهم وخطبائهم قصائد وخطباً — لا تزال تملأ الكتب وتبعث فى النفوس أليم الذكريات — فى رثاء الأندلس ، والتفجع لمصابها ،

أما اليوم فالمسلمون يشاهدون « طرابلس الغرب » تقتطع من بين أقطارهم لتصبح إيطاليا الأفريقية، وتمحى منها آثار العروبة والاسلام لتقوم على أنقاضها صروح الحضارة الرومانية، ويستبدل بإخوانهم فيها عنصر لا يمت إليهم بصلة، ولا يحمل لهم غير البغضاء والطمع فيما يتصل من أوطانهم شرقاً وغرباً بطرابلس الغرب

يشاهدون كل هذا متفرجين ، ويقرأون أخباره فى الصحف، ولكن كما يقرأون أخبار حوادث الشرق الأقصى أو أمريكا الجنوبية ، لا يثور فيهم اهتمام ، ولا يهتز لهم شعور ، ولا ترتفع بينهم أصوات ، حتى بالاحتجاج والاستنكار

فهل ينتظرون أن يغمرها الخطب ، وحينئذ ترتفع أصواتهم ، ولكن بالرثاء والتفجع والبكاء على الأطلال — أطلال العروبة والإسلام الدارسين — فى طرابلس الغرب :

يا طالبى وحـدة الأوطان هل طرقت
أبواب آذانكم ذكرى طرابلُس ؟
أيصبح العرب « طليـانا » تضمهم
(روما) و (مكة) فى صمت وفى خرس ؟

« غزة » محمد خليفة شعبان الطرابلسى

رسخت عقيدته متعالية عن تردد المحاولين ، فيأتي بسلسلة مقالات أولها عن الصديق الصدوق يجيء فيها على وصف إخلاص أبي بكر الصديق للرسول الكريم سارداً ما حدث للأول مع عمر فيرسم أروع صورة شهدها التاريخ للوفاء والإقرار بالخطأ وإنصاف سيد المنصفين . ثم يدبج مقالاً بعنوان « محمد عبده ، النابغة الذي عاش في وطنه غريباً » فتقع بصيرة القارئ في هذا الفصل على الصورة الخالدة التي ستحل للامام الكبير في روع الجيل الآتي بعدنا فترى هذا الجيل أشد إنصافاً منا نحن أبناء حقبة الانتقال وأوسع إدراكاً لعظمة أبطال النهضة وأعمق تأثراً مما لاقوا في زمانهم من أذية واضطهاد

ويكتب الأزهري الناشئ قطعة « أمام المحراب » بشعر منثور فإذا هي صرخة نفس تتجه إلى خالقها بإيمان يختلج له القلب ويتنبأ لرجال اليوم بتفوق رجال الغد عليهم في إدراك عظمة العبادة ومبادئ الدين الحق

وتقرأ بعد هذه الصلاة مقالاً بعنوان « نزعة الإجرام » يقف فيه الفتى المعمم — وهو لما يبلغ العشرين من سنيه — وقفة الشيخ الحكيم ينفذ بنظراته إلى ما وراء القانون المدني من وازع في الشرع والأخلاق يجتث الإجرام من أصوله

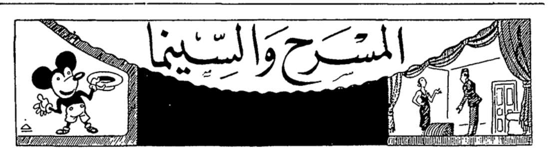
وهكذا يسير الفتى الناضج فيكلمك عن غدر الصديق وعن أيام قضاها في رأس البر يرجع منها يعبر عن الصيانة ومكارم الأخلاق وعن أمل المحبين في مناجاة القمر ، كلها وصف دقيق وشعور رقيق ، وعن إصلاح الصحافة فيعرض لها في منازعها وأحزابها وفي قوتها وضعفها . ويصور لك الفراش الدائر بالمصباح وخيانة ابنة ساطرون لأبيها في سبيل عشقها لعدوه كسرى سابور بقصة من أروع وقائع التاريخ ، ثم يورد أسطورة الأميرة ليستغل منها عبرة التعاون بين الناس ، وينشدك بعد ذلك قصيدة عامرة يهيب فيها بالشباب للدفاع عن الوطن ثم يرسل نجواه إلى الليل فيريك كيف يتجلى النضوج في روح الشباب إذا هو اتخذ الدجنة مركضاً للتفكير لا ستراً للمعاصي وارتكاب الموبقات ، ويوجه بعد ذلك خطاباً للمرشدات تدلك على احترام فتى مصر لفتاته ورفعه لقامها إلى حيث أراد الشارع الأعظم ، ثم يعطف على زهرة القبور يناجيها فتى شاعراً وشيخاً مؤمناً ، فلا تدري أيسمعك هذا الهاتف قصيدة أم ابتهالاً . ولا يفوت الشيخ الفتى أن يعقد فصلاً عن شهر الصيام يتجلى فيه الزهد والعزم قوة واحدة تجاه الحياة

وأخيراً يعرض عليك قصة عربية عن الحب اتخذ الأندلس مسرحاً لها ليعرض للحب الأسمى وللشهوة الدنيئة بتحليل رائع ، ويتبع هذه القصة بأخرى عن سرعة الخاطر عند العرب وبأسطورة عن السعادة ويختم الكتاب برواية مسرحية للأطفال .

إن العبقرية العربية تنتبه في هذا الجيل الذي يتقدم ليحل محلنا على الذروة نحن النازلين منها إلى الأغوار .

لقد ولدت أقلامنا أقلاماً حبراً منها ، وما كان بيننا من يكتب بين الخامسة عشرة والعشرين ما تكتبه الناشئة في نضوجها المبتسر في هذه الأيام . فليعطف شيوخ الأدب على هؤلاء الأحفاد . إن أقلامنا ستبعث في أقلامهم ، وصوتنا سيدوي في أصواتهم ، حين تتحطم أقلامنا ويخرس الموت أصواتنا .

فليكس فارس



الفرقة القومية

ما هي الوسائل لاصلاح المسرح

هل من عقاب أشد وقعاً على النفس من تركك شخصاً وشأنه في المجتمع لا يأبه له أحد ولا يلتفت إليه ملتفت خصوصاً إذا كان له خطره الأدبي والاجتماعي ؟

هكذا ترك الأدباء الفرقة القومية وانصرفوا عنها لا يلتفتون إليها فلولا كتابة مأجورة تنشرها الفرقة في بعض الصحف الأسبوعية ، ولولا إعلانات عن أربع أو خمس روايات تمثل في الفصل ، لكانت هذه الفرقة التي استنفدت من مال الأمة ستين ألفاً من الجنيهات أشبه بحلم يتبخر في اليقظة ، أو بعابر سبيل لا يلتفت إليه أحد

ولما كانت غايتنا المحافظة على هذه المؤسسة الثقافية ، واستنهاض بقايا الهمة الباقية في القائمين عليها ، عمدنا أولاً للتنبيه إلى الغرض الخبيث الذي ترمي إليه إدارة الفرقة من إغضاب النقاد واستغلال انصراف الصحافة وصدوف الأدباء عنها ليتبع رجالها الأفاضل كالتماسيح المبشومة يهضمون الغنيمة على مهل ، وثانياً إلى استفتاء أدبائنا أصحاب الدراية في فن الرواية والمسرح فيما يجب عمله لإنقاذ هذه المؤسسة العزيزة على الأدباء

بدأنا بسؤال كبار الأدباء كالعقاد والمازني وغيرهما ، ولهؤلاء الأساتذة الأجلاء رأي مجمل نرجئه إلى ما بعد ، ثم سألنا الأستاذ زكي طليمات عن وسائل إصلاح المسرح ، وللأستاذ طليمات دراية نظرية وعملية لا ينكرها عليه سوى المتعنت صاحب الغرض، فأجاب :

يتكون المسرح من ثلاثة عناصر : رواية ، وممثل ، وجمهور . فإذا نشدنا الإصلاح للمسرح وجب أن نقوم بإصلاح هذه العناصر الثلاثة ، بعد أن نتبين ما هي عليه الآن ، وما كانت عليه بالأمس ، وما يجب أن تكون عليه في المستقبل

الرواية : أقامت وزارة المعارف مباريات لتأليف المسرحية المصرية بقصد ترقيتها ورفع شأن التمثيل ، فكان أن حظي المسرح ببعض روايات جيدة ، إلا أنها لم تسم بكثير عما كان شائعاً إخراجه على المسارح ولم تسفر عن المخرج الحق المرجو الذي بيده وضع طابع أصيل للمسرحية ، والذي يرجى منه خلق مدرسة جديدة في التأليف ، وعليه فإني أعتقد أن إقامة المباريات وسيلة تكميلية أهم منها حث الفرق العاملة على إخراج أكثر عدد من المسرحيات المصرية ، وذلك بتنشيط الأفلام ، وحفز الناشئين من المؤلفين على الإكثار من نتاجهم ، لأن المؤلف إذا لم يجد سوقاً لرواياته تولاه اليأس وأمسك عن الكتابة . وأرى من واجب الفرقة أن تضطلع بمهمة تقديم المسرحيات المصرية قبل أية مهمة أخرى ، فإذا انحرفت عن ذلك فإنها لا تحقق الغرض من قيامها ، ولذلك أشير لترقية المسرحية المصرية أن تعمل وزارة المعارف على ترجمة نفائس الروايات المسرحية الغربية ترجمة أنموذجية وإذاعتها بين المتأدبين ، وذلك لإحياء ثقافة المسرح نحن في أشد الحاجة إليها بحكم أننا نفتقر إلى هذه الثقافة في الأدب العربي القديم والأدب العربي المستحدث .

الممثل : فن التمثيل عامة حديث في مصر ، دخيل في الأدب العربي ، لم نعرفه باللسان العربي إلا منذ ثمانين عاماً . جاء مصر فيما جاءها ضمن موجة الثقافة الغربية التي طلع علينا بها البحر الأبيض في النصف الأخير من القرن الماضي . ومنذ ذلك الحين ونحن نباشر فن التمثيل على طريقة ارتجالية، وإن شئت قل بدائية، أعني أنها لا تقوم على قاعدة ولا ترتكز على أساس . وفن التمثيل ، أي فن الأداء كسائر الفنون الشكلية مثل النحت والتصوير وغيرهما، له قواعد وأصول يجري تدريسهما في معاهد خاصة تخرج الممثلين الحاذقين بعد أن يكونوا قد أحسنوا تعرف هذه الأصول والقواعد . وإذا قلت إنه واجب على الممثل أن يتلقى أصول فنه في معهد ، فهذا لا يحجزني عن الاعتراف بأن هناك طبائع غنية بمواهبها ، خصبة بإحساساتها ، هي في غنى عن الصقل والتهذيب في

معهد أو مدرسة ، إلا أن الطبيعة ضنينة بخلق هذا النفر العزيز الذي يطلع على الدنيا وهو يحمل في روحه الطبع القوي ، والذوق الصافي ، والحساسية اليقظة ، والصوت الجهير ، واللفظ الفصيح ، والإيقاع المحكم ؛ وهذه هي أهم المصادر التي يصدر عنها الممثل الحق

مثل هذا من الشواذ — والشاذ لا قاعدة له — وعليه فإنشاء معهد للتمثيل هو الوسيلة الفعالة ذات الأثر في تكوين نشء جديد من الممثلين يجمعون إلى فيض الموهبة الطبيعية ، حذق التعليم ، وصقل التهذيب، وثقافة الفن

الأكثرية الغالبة من محترفي التمثيل في مصر يقومون بعملهم على إيحاء الفطرة وهدى التجارب ومايستقر في أذهانهم مما يشاهدونه من آثار الفن الغربي أو على الشاشة البيضاء

ومن هؤلاء طائفة احترفت فن التمثيل ، لاعن عقيدة وموهبة وإنما عن حاجة، فهم عمال فن Artisans إذا خصهم الطبيعة بشيء من الموهبة الصادقة فإن ضعف التحصيل العلمي ، وافتقار الثقافة الفنية ، يجعلان هذا القدر من الموهبة لا يرفع صاحبه إلى الممثل الموهوب الفنان الذي يترجم بأدائه أعمال مؤلفين نبهاء ويسمو بفكره إلى حياة سامية مثل حياة شكسبير مثلاً أو موليير أو أبسن وغيرهم

أما عنصر الممثلات فأقل شأناً من عنصر الممثلين ولا سيما في الناحية الثقافية والعلمية . ويؤلمني أن أقرر أن بيننا ممثلات لايحسن القراءة ، فإذا قرأن يتمترن ، وإذا كتبن فليأتين بأغرب النقوش وأعجب الخطوط

بعد هذا أرى أنه لزاماً على المهتمين بترقية المسرح أن يعملوا على إنشاء معهد للتمثيل في معناه الكامل . وفوق هذا أرى أن ترسل بعوث إلى الخارج من خريجي هذا المعهد ، لا أن ترسل بعوث من أفراد كل مؤهلاتهم صلة قرابة أو محسوبية

— الجمهور : الجمهور في مصر خليط عجيب ، فيهم من يعيش بعقلية القرون الوسطى أو ما قبله ، ومنهم من يعيش بعقلية عصر النهضة ، ومنهم من يعيش بعقلية عام ١٩٣٩ ولكل فريق منزع خاص وذوق خاص ، وهذا أمر لا نجده في الجمهور الأوربي ، فمهمة إرضاء هذه الجماهير عن طريق المسرح صعبة وعرة .

هناك نظريتان يأخذ بهما العاملون في المسرح ، الأولى الارتقاء بالجمهور إلى آفاق الأدب الرفيع ، والثانية مجاراة الجمهور في مرغوبه وممالأته فيما يريد من تملق عواطفه . حاول بعض أصحاب الفرق الأهلية أن يأخذوا بالنظرية الأولى فلم يوفقوا إلى الكسب الوافر فانحدروا إلى الجمهور ، كما أخذ البعض الآخر في بدء اشتغاله في المسرح بالنظرية الثانية وما زال أرجوحة بين الفشل والنجاح

وسبب ذلك فيما أرى اختلاف المستوى العلمي والفكري، والجمهور المصري حديث العهد في المسرح ليست له فيه ثقافة أو تقاليد، يؤم دوره بغية التسلية لا ارتياد الغذاء الفكري أو العاطفي . فواجب مصلح المسرح أن يعمل تدريجياً على إيجاد جمهور يحس التمثيل ويتذوقه .

* * *

— هل قامت الفرقة القومية بواجبها في إيجاد الجمهور والرواية والممثل ؟

— الفرقة القوميـة ما برحت تتطوح وتتهادى في عملها ، ولم تستقم لها بعد طريقة خاصة أو سياسة مقصودة وذلك بحكم أنها مؤسسة جديدة تقوم بمهمة إذاعة فن جديد في مصر ، ولا أدري ما الذي يمنعها من أن تستخلص لها خطة بعد التجارب التي أفادتها في السنوات الأربع التي مضت على تأسيسها .

المال لا يعجزها ، ومعينها في عطف وزارة المعارف واسع الندى ، فهي بذلك تعمل في ظروف جيدة لم يسبق لفرقة مصرية أن عملت فيها .

فمن حيث فن التمثيل لم تقدم الفرقة جديداً ، لأن المشتغلين فيها عملوا على المسرح سنوات عديدة ، والبعوث التي بعثت بها إلى الخارج لم تعد بعد . فلا ندري ماعسى أن تلقاه في هذه الناحية من توفيق ونجاح . وشأن فن الإخراج كشأن فن التمثيل

ومن حيث الرواية فإنها لم تقدم كاتباً يأبه له ، وعملها في المسرحيات المترجمة يطغى على حرصها على تنشيط المؤلفين المصريين وتشجيعهم . وهنا موضع العجب ، ففي الوقت الذي يقول فيه أحد أعضاء لجنة قراءة الروايات : « إن الفكر الروائي المسرحي آخذ في التقدم إلى الكمال ، بل إلى الكمال السريع » نرى أن نتاج هذا الفكر ضئيل يتنافى مع ما يقرره أعضاء اللجنة فلا ندري هل اللجنة أخطأت في تقديرها؟ أم إن مدير الفرقة لا يؤمن بما تؤمن به اللجنة ، وأنه لا يحب الرواية المصرية لوجه الشيطان... ؟

أما من حيث الجمهور فقد أخفقت الفرقة إخفاقاً تاماً في اجتذاب أي طبقة من طبقات الجمهور في مصر ، ولو اقتصر معينها المادي على إيرادها من جيوب الجمهور لما استطاعت أن تصمد شهراً واحداً

ابن عساكر

7me Année No. 293 — Lundi - 13 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ١٣ فبراير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

صفحة

يا أذن الحي اسمعي !

أوشكت هذه الصفحة أن تحترق لطول ما أن عليها الفقر وزفر فيها الشقاء، وأغنياؤنا — أحيام الله — لا يسمعون لأن آذانهم مبطنة بالذهب الأصم، ولا يشعرون لأن قلوبهم مغلفة بالورق المالي الصفيق؛ وبال الخلي أطول من ليل الشجي، وسمع الناعم أثقل من هم الشقي، ودنيا اللذة أشغل بمباهجها وملاهيها عن دنيا الألم !

***

لعل من القارئين من يختلج في رأسه هذا السؤال :

لماذا يمتد نفسي بهذا الأنين الموجع، ويستمد قلمي من هذا الدمع القاني؟ وجوابي أني نشأت في قرية من أولئك القرى العشرين التي سلط القدر عليها الباشا والأمير(1)؛ فانشق بصري على مناظر البؤس، وتنبه شعوري على مآسي الجور؛ وعلمت حين تعلمت أن وطننا يفيض بالخير، وديننا يأمر بالإحسان، فأيقنت أن فقر الناس، ناشئ من فقر الإحساس؛ فإذا عرف الفقير حقه، والغني واجبه، تلاقت الأنفس على حدود الإنسانية الكريمة . فأنا أحاول بمواصلة هذا الأنين أن أعالج وقر المسامع وسدر العيون وخدر المشاعر، عسى أن يتذكر المترفون

(1) أنظر العدد ٢٨٩ : « بين الفقير والغني »

أن لهم إخوة من خلق الله يأكلون ما تعاف الكلاب من الآكل، ويتامون مع الحيوان فى المزابل، ويقاسون من الأدواء ما لا يقاسيه حىّ فى غير مصر. ولكنى علمت وا حسرتاه بعد شهرين مضيا فى الشكوى والاسترحام، أن بين أبناء الذهب وأبناء التراب أطباقاً من اللحم والشحم، والحديد والأسمنت، ترتد عنها أصوات الضارعين أصداء خافتة؛ ثم تتجاوب هذه الأصداء فى أكواخ المساكين؛ ثم تتهافت على بريد الرسالة تهافت الأرواح الهائمة على الشعاع الهادى تتلمس فى ضوئه الطريق إلى الله وائل الضعيف وعائل المعدم!

* * *

من لنا بمن يفتح عيون السادرين على هؤلاء الأيامى اللائى يقضين ليل الشتاء البارد الطويل على بلاط الأفاريز وقد تطرح أطفالهن على جنوبهن طاوين ضاوين لا يفهمون عطف الأب، ولا يعرفون دفء البيت، ولا يدركون إلا أنهم أجساد تعرى ولا تجد الكساء، وبطون تخوى ولا تصيب الغذاء، وأكف تمتد ولا تنال الصدقة؟



تمثال السائل، وكم تمثال لها فى مصر من لحم ودم!!

من لنا بمن يفتح قلوب المالكين لأولئك الفلاحين الذين اصطلحت عليهم محن الدنيا وبلايا العيش، وجهلتهم الحكومة فلا يعرفهم إلا جباة الضرائب فى المالية، وفرازو القرعة فى الحربية، وحراس السجون فى الداخلية؟! أما المعارف والصحة والأوقاف والأشغال فشأنها شأن المترفين والمثقفين لا تعرف غير المدينة ولا تعامل غير المتمدن؟

من لنا بمن يقول لهؤلاء المثرين المستكبرين إن ركفلر ورتشلد لم يرفعهما إلا حب الإنسان، وإن الدمرداش والمنشاوى لم يخلدهما إلا بذل الإحسان، وإن لديهم من فضلات الثروة كربح الأموال فى المصارف، ومكافأة النيابة فى البرلمان، وحثالة الزروع فى العزب من التبن والقش والحطب، ما يوفر الغذاء والدواء والعلم لألوف الألوف من بنى الوطن؟

* * *

بالأمس كانت ذكرى وفاة المرحوم السيد عبد الرحيم الدمرداش، وهو والمنشاوى وبدراوى معدود من ملائكة الأرض الذين يرفرفون بأجنحتهم النورانية على شقاء كثير من الناس. فلماذا لا يقام لهؤلاء الخيّرين البررة وأمثالهم تماثيل فى الميادين العامة، ليتشبه بهم الغنى، ويترحم عليهم الفقير، وليكون فى رفع ذكراهم على هذا النحو إعلاء لمنى الإحسان، وإطراء لأريحية المحسن، وتفريق بين من دلله الوطن فعقّ، وبين مَن رباه الوطن فبرّ، فلا تستوى الحسنة ولا السيئة، ولا ينبغى «أن يكون المحسن والمسىء بمنزلة سواء، فإن فى ذلك تزهيداً للمحسن فى إحسانه، وتدريباً للمسىء على إساءته»

احمد حسن الزيات

نقص أم ماذا ... ؟

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

كان معى — وأنا مدرس فى مدرسة دار العلوم — أستاذ انجليزى كانت بينى وبينه صداقة وثيقة . وكنا نعلم الطلبة مبادئ اللغة الإنجليزية ، فأقبل على يوماً يقول : « لقد أخفقت وأحسب أن من واجبى الآن أن أقنع رؤسائى بنقلى إلى مدرسة أخرى ، فما فى بقائى هنا خير ، ولست أدرى كيف تصنع أنت ، ولكن الذى أدريه أنى أنا أخفقت »

فقلت له وأنا أمازحه : « أقعد ، أقعد ، وحدث (عمك) المازنى بما تعانى وتكابد . ما هى الصعوبة اليوم ؟ »

قال : « سأخبرك . إن كل طالب يسألنى مثلاً عن الفعل « Sit » — يجلس — كيف انقلب فصار « Sat » — جلس — فلا أستطيع أن أجيب بكلام معقول مقبول يرتاح إليه العقل . هم يريدون سبباً ويطلبون تعليلاً ، وأنا لا أعرف إلا أن هاتين صيغتاه فى الحالتين . وقس على هذا »

قلت : « هل تطيعنى إذا أشرت عليك بأمر ؟ »

قال : « أتمزح ؟ »

قلت : « أمزح ... أجد ... سيان . المهم إنقاذك من الورطة . إسمع يا صاحبى . لقد كنت أظن أنك أفدت شيئاً مما تعلمته من قواعد اللغة العربية . وكنت أحسب أن ذهنك مرن ، وأن لك قدرة على الاقتباس والقياس . وكنت أتوهم أنك تستطيع أن تخاطب كل فريق من الناس بما يفهمون »

قال : « لست فاهماً »

قلت : « ألم يعلمك شيوخك فى اللغة العربية أن (قال) أصلها (قَوَلَ) وأن الواو فُتح ما قبلها فصارت ألفاً ؟ »

قال : « نعم »

قلت : « هل تستطيع أن تزعم أن هذا كلام معقول مقبول يستريح إليه العقل ؟ »

قال : « لا »

قلت : « ولكنك سلمت به بلا جدال ، وأخذته عن مشايخك بلا مناقشة أو تفكير ، وأجبت به فى الامتحان بلا تردد ، وأنت تزعم اليوم أنك تعرف العربية حق معرفتها ، وأنك أخذتها عن أهلها »

قال : « ولكن ما دخل هذا فى موضوعنا ؟ »

قلت : « كنت أحسبك ذكيًّا ولبيباً ، فإن هذا هو حل المشكل . بهذه العقلية التى جعلتك تسلم بأن قال أصلها قَوَلَ ، فُتح ما قبلها فانقلبت ألفاً ، يجب أن تخاطب الطلبة . فاذهب وقل لهم إن « Sat » أصلها « Sit » وإن حرف العلة فتح ما قبله فانقلب « Sat » فسترى أن هذا يسرهم ويكفيهم ، وستجد أنك استرحت بعد ذلك من كل عناء »

فصاح بى : « ولكن هذا غير معقول »

قلت : « إنه معقول كقولك إن قال أصلها قَوَلَ وأن الواو فُتح ما قبلها إلى آخر هذا الهراء . ولا تحتقر تلاميذك حين تراهم يصدقون أن « Sat » أصلها « Sit » وأن حرف العلة فُتح ما قبله إلى آخر هذا الهراء ، أو حين يتوهمون أنهم فهموا . فلست خيراً منهم ، وما أكثر ما يتوهم الإنسان أنه فهم ، وهو غير فاهم شيئاً . إذهب وافعل ما أشير به وأخبرنى بالنتيجة ، وإن كنت أعرفها من الآن كلها . لن تقول لى بعد الآن إنك أخفقت ، وإنك ستطلب من الوزارة النقل إلى مدرسة أخرى »

وقد كان ، وسكنت الثورتان : ثورة الطلبة على المدرس ، وثورة المدرس على نفسه

وهذا استطراد بدأت به ، أما ما كان العزم أن أقوله فهو أن هذا الصديق المدرس سألنى يوماً وقد علم أنى رُزقت طفلاً : « حدثنى عنه . صف لى كيف تحبه ! »

قلت : « لا أعلم أنى أحبه »

قال : « لا تتكلف الفلسفة »

قلت : « الحقيقة أنى حائر ، لا أشعر بأية عاطفة ، ولا أحس أن لى به سروراً كذاك الذى أسمع وأقرأ أن الأدباء يحسونه ببنيهم ؛ وإنى لمستغرب »

قال : « أتتكلم جاداً ؟ »

قلت : « إنى جاد جداً . وثق أنى حائر »

قال : « لعل العاطفة راقدة ، وعسى أن تكون محتاجة إلى ما يوقظها وينبهها »

قلت : « عسى »

وانتقلنا إلى حديث آخر ، ومضت الأيام وماتت البنت — فقد كانت بنتاً — فلم أرنى حزنت أو جزعت ، ولم يكن هذا كافياً لتنبيه عاطفة الأبوة التي قال لى صاحبي أن أكبر ظنه أنها راقدة . ولى الآن من البنين ثلاثة ، وقد استطعت أن أوحى إلى نفسى حب بنتى التي ماتت ، وحب أخرى جاءت وذهبت مثلها ، وحب البنات على العموم دون البنين ، أو أكثر من البنين ، ولكنى أدرك أن هذا فعل الإيحاء لا فعل الطبيعة ، وأعرف من نفسى أنى لا أعرف لبنىّ مثل ما يعرف الآباء غيرى . نعم أشفق عليهم وأعنى بهم ، ولكنى لا أشعر لهم بتلك الرقة التي أسمع بها . ويخيل إلىّ أن العادة هي منشأ ما أحسه لهم ، وأنى أرحمهم لأنهم صغار ضعاف ، وأعنى بهم لأنى جئت بهم فأنا مسئول عنهم . وكثيراً ما أضجر وأمل ، وأسأل نفسى متى يكبرون ويستغنون عنى ، فأحط عن كاهلى عبئهم ، وأرتاح منهم ، وأعيش وحدى مستقلا عنهم ؛ وأرحل وأغيب ، فلا أحن إليهم إلا حنة المرء لعشيره وصديقه ، ولمألوفه

وكان لى أخ أسن منى ، وكنت أوقر سنه ، ولكنى لم أكن أشعر له باحترام أو حب ، كالذى يكون بين الأخوين عادة . ولم أبكه لما مات ، وإنما سخطت على ضعفه الذى قتله ، فقد كانت امرأته تركبه كالحمار ، وكان يشكو لى هذا ، فأضجر ، وأقول له : « ما الفائدة ؟ إنك ضعيف ، وهى تركبك ، ولا أمل فيك ولا خير فى الشكوى ، فاحتمل على قدر طاقتك ، فما خلقك الله لغير هذا » فيقول : « نعم . صدقت . يجب أن أحتمل » فأنهض من مجلسه مشمئزاً ، وإن كنت فيما عدا ذلك أستظرفه وأستخف ظله ، وأحب فكاهته ، ولكن ضعفه كان يهيج نفسى عليه ، وقد مرضت جدتنا فلم يعدها لأن امرأته أبت عليه ذلك ، فلما ماتت جاء ليمشى فى جنازتها ، فأبيت عليه ذلك وقلت له : « كان الأولى أن تعودها فى حياتها لتسرها على الأقل ولتعفيها من شعور الحسرة ، أما الآن فأولى بك أن تذهب إلى بيتك » ففعل

وانقطع ما بينى وبينه سنوات لم أشتق إليه فيها قط ، ثم التقينا اتفاقاً فتصافحنا فى صمت ثم نزعت يدى ، ومضيت لشأنى ومضى فى سبيله . وقد قصصت هذا لأصف شعورى الحقيقى

فهل هذه بلادة ؟ أو هى نقص فى بعض جوانب النفس ؟ أم ذاك لأن عاطفتى الأدبية تستغرق نفسى كلها ؟ أم لأن حبى لأمى استنفد ذخيرة النفس من هذا الحب ؟ فقد كان حبى لأمى — وما زال — أقوى ما استولى على نفسى ، وكان هو العامل المؤثر فى سيرتى ، فكنت إذا هممت بأمر أسأل نفسى: «ماذا ترى يكون رأى أمى فى هذا ؟ » فإذا كان الجواب خيراً أقدمت ، وإلا صددت نفسى وكبحتها عن مرادها ، وصرفتها عما تحاول . أم ترى التعليل الصحيح أن البنين والإخوة والأقرباء على العموم نتيجة المصادفة ، ليس إلا ؟

لا أدرى . وأكبر الظن أن بى نقصاً ، فإنى فيما عدا حبى لأمى ، لم يغلبنى حب قط - لا حب امرأة ، ولا حب أحد من البنين أو الأقارب . ولست أرى الناس كذلك ، وليس من المعقول أن أزعم أن الناس غيرى شاذون ، وأنى أنا وحدى الطبيعى ، والأولى والأقرب إلى العقل أن آخذ بمنطق « قراقوش » فأصدق الناس ، وأرفض زعم الفرد .

ابراهيم عبد القادر المازنى

للتاريخ السياسي

النزاع الايطالي الفرنسي
وموقف المستر تشمبرلين
للدكتور يوسف هيكل

لم تأت سياسة « تهدئة الخواطر » بما كان يتوخاه المستر تشمبرلين منها . بل إن هذه السياسة أكثرت المشاكل الأوربية وعقدتها . فنجاح الهر هتلر في ميونيخ قاد ألمانيا إلى مهاجمة بريطانيا والتهكم بهـا ، وجعل الفوهرر يعـد العدة لتحقيق مشروعاته الواسعة في شرق أوربا ؛ فعظم الخطر الألماني وتفاقم ...

أما إيطاليا فقد ازدادت تدخلا في أسبانيا وازدادت جرأة وتبجحاً ، فقامت تهاجم فرنسا مطالبة إياها بقسم من أملاكها . واشتدت مظاهرات هذه المطالب فتحولت إلى نزاع بين باريس وروما يهدد العالم بحرب ضروس. فما هي المطالب الايطالية ؟ وماذا كان تأثيرها في فرنسا ؟ وهل تستند إلى حق صحيح ؟ وما هو موقف المستر تشمبرلين منها ؟

بينما كانت فرنسا آخذة في تحسين علاقاتها بجارتها اللاتينية ، فعينت سفيراً لها في روما ، واعترفت بالإمبراطورية الإيطالية ، جابهتها إيطاليا بمطالب جديدة فيهـا اعتداء على أملاك حكومة باريس ، وإهانة للجيش الفرنسي . وللتهرب من مسؤولية ذلك ، لم تضع حكومة روما هذه المطالب في قالب رسمي ، بل عمدت إلى التمثيل في إسماع حكومة باريس مطالبها . وكان مسرح التمثيل قاعة البرلمان في روما ، وكان الممثلون وزير الخارجية وأعضاء مجلس النواب . وموجز المشهد أنه في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ألقى الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا خطاباً سياسيا في مجلس النواب ، نوه فيه بـ « مطالب الشعب الإيطالي الطبيعية » وعند ما لفظ الوزير هذه الجملة ، وقف النواب وقفة رجل واحد صائحين : « نريد تونس وكورسيكا ونيس » ... وفي الأيام التالية أخذت الجموع الإيطالية تطوف الشوارع مطالبة فرنسا بمطالب نوابها ، وقامت الصحافة الإيطالية وهي شبه رسمية تبرر موقف النواب ، وتوضح شعور الجماهير الإيطالية المطالبة بحق طبيعي لها في الممتلكات الفرنسية الثلاث السالفة الذكر . ولم تكتف الصحف الإيطالية في بيان ما تدعيه حقاً لإيطاليا، بل أخذت ولا تزال تأخذ في التنديد بفرنسا وانتقادها انتقادات مرة ؛ فقابلتها الصحف الفرنسية بالمثـل ، فنشأ بين البلدين جدل صحفي كان من تأثيره ازدياد توتر العلائق بين روما وباريس. وفي هذه الأثناء لم يرد الطلبة في فرنسا الوقوف موقف المتفرج ، بل قرروا الرد على المظاهرات الإيطالية ، فقامت جموعهم بمظاهرات في أنحاء المدن الفرنسية هاتفة بهتافات تهكمية منها « صقلية وسردينيا لفرنسا » و « إيطاليا للنجاشي »

كان للمشهد التمثيلي في البرلمان الإيطالي وقع سيئ في الدوائر الفرنسية . وقد اهتمت حكومة باريس به اهتماماً كبيراً ، فدعا المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا سفير إيطاليا لمقابلته في اليوم التالي للحادث ، وقابل المسيو فرنسوا بونسيه سفير فرنسا في روما الكونت شيانو في ٢ ديسمبر واحتج على حادث مجلس النواب الإيطالي ، فنفى الوزير مسؤولية الحادث عن حكومته بقوله « إن الحكومة الإيطالية لا تعد مسؤولة إلا عن مسلكها ومطالبها الرسمية »

لم تكتف الحكومة الفرنسية بهذا الرد ، وعولت على أن تبرهن أنها لا تتهـاون في مصالحها ولا تسمح بالتفكير في الاعتداء على أملاكها ، فردت على مظاهرة البرلمان الإيطالي المدبرة رسمياً ، بزيارة المسيو دلادييه لكورسيكا وتونس في ٣ يناير سنة ١٩٣٩، بموكب عسكري ، فقوبل فيها بترحاب عظيم . وقد هتف أهل كورسيكا وسكان تونس الفرنسيون بحياة فرنسا ، وأظهروا أنهم فرنسيون لا يريدون من جنسيتهم بديلاً . أما أهل تونس العرب فأكدوا — إن كان لا بد من المفاضلة بين فرنسا وإيطاليا — أنهم لا يترددون في التمسك بفرنسا ، ولا يقبلون قط الانتقال إلى الحكم الإيطالي . وزيادة على ذلك فقد صرح المسيو دلادييه ، والمسيو بونيه داخل البرلمان وخارجه ، أن الحكومة الفرنسية لن تتنازل عن شبر واحد من أملاكها

لم ترتح إيطاليا لزيارة المسيو دلادييه لكورسيكا وتونس ، بل رأت فيها اعتداء صريحاً عليها وسبباً لزيادة توتر العلاقات بين الجارتين . كما أن تأكيد الدوائر المسؤولة في باريس برفض المطالب الإيطالية ، أغضب رجالات إيطاليا وصحافتها . فاشتدت في حملتها على فرنسا ، وحاولت إثبات عدالة تلك المطالب الطبيعية .

* * *

لم تكن نيس وكورسيكا يوما ما تابعتين لإيطاليا الحديثة ، إذ أن نيس ومقاطعة سافوا كانتا من أملاك الدون دى سافوا وجزءا من مملكة سردينيا . ولما قام الملك فكتور عمانوئيل ووزيره كافور بتوحيد إيطاليا ، احتاجا إلى مساعدة فرنسا لهما ففاوضا نابليون الثالث فى مساعدتهما على إخراج النمساويين من اللومباردى وفى موافقته على توحيد البيمون مع الدول الوسطى . ووعداه مقابل ذلك بالتنازل لفرنسا عن نيس ومقاطعة سافوا . فتم الاتفاق بينهم على ذلك عام ١٨٦٠ . وعندما جرى استفتاء التنازل لفرنسا فى ١٥ ابريل عام ١٨٦٠ ، كان ٢٥٧٤٣ صوتاً محبذين الانتقال و١٦٠ صوتا فقط ضد التنازل .

أما كورسيكا فقد كانت تابعة لجنوا منذ القرن الخامس عشر حتى عام ١٧٦٨ ، الذى فيه باعت جنوا سيادتها على هذه الجزيرة لفرنسا . ومنذ ذلك التاريخ وكورسيكا جزء من فرنسا .

وأما تونس فقد تدخلت فيهـا الدول الاستعمارية عن طريق قرض الأموال لها . ثم تذرعت هـذه الدول كعادتها باضطراب الأحوال المالية والإدارية ، ففرضت على تونس عام ١٨٦٩ رقابة مالية قوامها ممثلون لبريطانيا وفرنسا وإيطاليا . وأخذت هذه الدول الثلاث تتنافس وتسعى كل منها بأن يكون لها القسم الأول من التدخل فى شؤون تونس ونشر نفوذها عليها . وكانت إيطاليا تأمل فى احتلال تونس وجعلها مستعمرة لها . ولما أرادت تنفيذ رغبتها ، أبدت ما عزمت عليه لانكلترا لأخذ موافقتها ، فأجاب رئيس وزارتها حينئذ ، أن بريطانيا العظمى لا ترى بعين الارتياح ساحل تونس وساحل صقلية فى يد حكومة واحدة . ولا تزال بريطانيا تحتفظ بهذه السياسة حتى الآن حفظاً لسلامة طرق المواصلات فى البحر الأبيض المتوسط . وكانت فرنسا ترغب فيما كانت ترغب فيه إيطاليا من ضم تونس إليها ، فاتفقت مع بريطانيا بأن تترك لها حرية العمل فى تونس نظير موافقة فرنسا على ضم انكلترا جزيرة قبرص

وفى عام ١٨٨١ سارت قوة عسكرية فرنسية إلى داخل تونس بحجة مطاردة بعض القبائل التى اعتدت على حدود الجزائر ، وأخذت تتوغل فى البلاد التونسية وتستولى عليها ... فاضطر « باى » تونس إلى النزول عند رغبة الغزاة ، وتوقيع معاهدة « بردو » فى ١٢ مايو ١٨٨١ التى بموجبها قبل الحماية الفرنسية

تأثرت إيطاليا من عمل فرنسا كثيراً ، واعتبرته اعتداء على أمانيها وعلى حقوقها الطبيعية ، حتى أنها لم تعترف بفتح فرنسا لتونس إلا عام ١٨٩٦ ، الذى به تم الاتفاق بين باريس وروما على منح الرعايا الإيطاليين البالغ عددهم حينئذ ٥٥,٥٧٢ إيطالياً ، امتيازات خاصة ، يحافظ الإيطاليون بموجبها على جنسيتهم

* * *

وقد تجدد الخلاف بين فرنسا وإيطاليا فيما بعد الحرب العالمية ، بسبب الجالية الإيطالية فى تونس ، تلك الجالية البالغ عددها الآن نحو مائة ألف إيطالى تقريباً ، مقابل ما يزيد على مائة وعشرة آلاف فرنسى ، عائشين بين مليونين ونصف من العرب . وأخذ هذا الخلاف يتفاقم حتى أن الصحف أخذت تتحدث عام ١٩٣١ عن احتمال وقوع حرب إيطالية فرنسية ، وظل توتر العلاقات بين الجارتين شديداً حتى ٧ يناير ١٩٣٥ ، وهو التاريخ الذى تم فيه الاتفاق بين السنيور موسولينى والمسيو لافال على تسوية الخلاف القائم بين الحكومتين .

نالت إيطاليا ، بموجب هذا الاتفاق ، لرعاياها فى تونس امتيازات جديدة . فالإيطاليون الذين يولدون فى تونس قبل ٢٨ مارس سنة ١٩٤٥ يحافظون على جنسيتهم الإيطالية ، والذين يولدون بين ١٩٤٥ و ١٩٦٥ يحق لهم اختيار الجنسية الفرنسية ، وأما الذين يولدون بعد ١٩٦٥ فيخضعون للقانون العام . وأما المدارس الإيطالية فتحافظ على وضعها الحالى حتى عام ١٩٥٥ ، ومن ثم تصبح تحت الرقابة الفرنسية . وفى هذا الاتفاق أيضاً قام المسيو لافال بتنفيذ البند ١٣ من اتفاق لندن عام ١٩١٥ ، الذى بموجبه تعهدت فرنسا بتعويض إيطاليا ببعض المزايا الاستعمارية نظير دخولها الحرب ضد ألمانيا ، وذلك بالتخلى لإيطاليا عن منطقة تبسى البالغة مساحتها ١١٤ ألف كيلو متر مربع فى صحراء أفريقيا ، وبالتنازل عن جزيرة دوميرا فى البحر الأحمر ، وعن قسم من الساحل الصومالى الفرنسى المواجه لباب المندب ، وعن عدد من أسهم سكة حديد جيبوتى — أديس أبابا . وظن حينئذ أن هذا الاتفاق وضع حداً للخلاف بين الجارتين .

غير أن تطور الحالة الدولية ، وطموح إيطاليا إلى سيادة

البحر الأبيض المتوسط ، أديا بالسنيور موسوليني إلى تجديد الخلاف مع فرنسا على بساط المطالب الاستعمارية . ولم يكن فى الواقع الداعى لهذه المطالب سبباً تاريخياً ، أو حرصاً على تطبيق حق تقرير المصير ، وإنما هو سبب حربى

فلكورسيكا أهمية كبيرة فى نظام الدفاع الفرنسى ، كما أن بنزرت الواقعة فى غربى تونس هى الميناء الحربى الرئيسى للأسطول الفرنسى فى شمال أفريقا . فوضع إيطاليا يدها على كورسيكا يضعف وضعية فرنسا الحربية فى البحر الأبيض المتوسط ويزيد فى أهمية المواقع الإيطالية الحربية . وأما استيلاء إيطاليا على تونس فمعناه ، زيادة على إضعاف فرنسا ، تمكنها من وضع رقابتها التامة على القسم الضيق من البحر الواقع بين تونس وصقلية ، والذى لا تزيد مسافته بينهما على ٩٠ ميلاً . ولا سيما أن جزيرة بانتلاريا الإيطالية قد حصنت تحصيناً حربيًّا عظيماً . وبذلك تتمكن إيطاليا من شطر البحر الأبيض المتوسط إلى شطرين ، ومن قطع المواصلات بين قسميه ، وفى ذلك ما فيه من الأخطار الفادحة على أملاك فرنسا الآسيوية والإفريقية الشرقية ، وعلى الإمبراطورية البريطانية . ومن الغريب أن بعض الصحف الإيطالية لم تخف هذا السبب ، إذ قالت : إن إيطاليا لن تتغاضى عن المطالبة بكورسيكا وتونس لأن وجودهما فى يد فرنسا خطر عليها ...

ولكيلا يكون لإيطاليا عذر قانونى فى تجديد الخلاف مع فرنسا ومطالبتها بمزايا استعمارية جديدة ، نقض السنيور موسوليني معاهدة ١٩٣٥ ، وذلك بتبليغ الكونت شيانو فى ٢٢ ديسمبر المسيو فرانسوا بونسيه أن حكومته لا تعد المعاهدة الفرنسية الإيطالية التى عقدت عام ١٩٣٥ نافذة ، لأنها لا تتفق مع مقتضيات الحالة الحاضرة ، ولأن فرنسا لم تنفذها ولم تحافظ على نصوصها أو روحها بل اشتركت فى العقوبات الاقتصادية التى وضعتها عصبة الأمم على إيطاليا خلال الحرب الحبشية . على أن فرنسا متمسكة باتفاق ١٩٣٥ الذى سوى فى نظرها كل أسباب الخلاف بينها وبين إيطاليا ، بدليل توقيع الحكومة الإيطالية رسمياً عليه فى ٧ يناير سنة ١٩٣٥ ، والتصريحات التى أفضى بها السنيور موسوليني فى ليتوريا يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٦ وجاء فيها قوله : « إن مشاكل إيطاليا فى القارة الإفريقية حلت كلها حلاً نهائياً مشرفاً »

وهى تقول إنه إذا كان اتفاق ١٩٣٥ لا يلائم أحوال إيطاليا الحاضرة ، فإن اتفاقات ١٨٩٦ بشأن الإيطاليين فى تونس لم تعد ملائمة للحالة الحاضرة أيضاً ، ولذلك يكون لفرنسا الحق فى وضع نظام جديد للرعايا الإيطاليين فيها . أما مسألة العقوبات ثمن نكران الجميل التحدث عنها ، لأنه لولا ولاء حكومة باريس للاتفاق الذى عقد مع حكومة روما لما تمكن السنيور موسوليني قط من اكتساح الحبشة وإيجاد الإمبراطورية الايطالية

أما ما هى المطالب الرسمية الإيطالية فلم تعلنها بعد حكومة روما ، وهى تقول إنها ستتقدم بها إلى فرنسا فى الوقت المناسب وبالصورة المناسبة . غير أننا نستبعد أن تكون نيس وكورسيكا من ضمن هذه المطالب . وإن ما تطمع فيه إيطاليا على ما يظهر هو الاستيلاء على تونس ، أو جعلها منطقة حرة على مثال طنجة والاشتراك فى إدارة قناة السويس ، والاستيلاء على خط حديد جيبوتى — أديس أبابا ، وعلى جيبوتى نفسها أو الاشتراك فى استعمال مينائها من غير مقابل .

* * *

ومما هو جدير بالملاحظة أن الصحافة الألمانية ، الناطقة بلسان حكومة الريخ بصورة غير رسمية ، تؤيد إيطاليا فى موقفها . وقد ذكر الهرهتلر موقف بلاده تجاه إيطاليا فى خطابه الذى ألقاه فى ٣٠ يناير ، ومما جاء فيه أنه « إذا كان يراد إثارة حرب تحت أى ستار كان ضد إيطاليا فإن الواجب يدعو ألمانيا إلى الوقوف بجانب صديقتها .

ومما لاشك فيه أن إثارة السنيور موسوليني الخلاف الاستعمارى مع فرنسا من جديد ، هو نتيجة لاتفاق مونيخ ، وأن زعيم إيطاليا ما كان يجرؤ على ذلك لو أن فرنسا فى المكانة الدولية التى كانت فيها قبل تضحية تشيكوسلوفاكيا . فالسنيور موسوليني أراد الاستفادة من ضعف فرنسا بسبب انهيار ما كانت تعتمد عليه من نظام التحالف بعد اتفاق مونيخ . ورأى فى زيارة المستر تشمبرلين فرصة سانحة لمساعدته على تحقيق ما يريد من فرنسا ، لأنه كان يعتقد أن بريطانيا ترى من الحكمة توطيد صداقتها مع إيطاليا بالنصح لفرنسا بإيثار خطة المسالمة على العمل على تبديد روح ميونيخ والقضاء عليها

ولما كانت إيطاليا تعلم أن لا أمل لها فى تحقيق مطالبها من فرنسا عن طريق المفاوضات المباشرة ، أرادت أن تنقل خلافها معها إلى مجال المسائل الدولية . وبما أنها متأكدة من مساعدة ألمانيا لها فى مطالبها عملت على إقناع بريطانيا بعقد مؤتمر رباعى لبحث هذه المطالب . ولنقل إيطاليا مطالبها إلى مجال المسائل الدولية وجعلها من اختصاص المؤتمرات الدولية ، أعلنت أن اعترافها بالحماية الفرنسية على تونس كان مقيداً باحترام حقوق الإيطاليين فى البلاد التونسية . وبما أن فرنسا لم تحترم هذه الحقوق فقد أصبحت إيطاليا فى حل من الاعتراف بالحماية الفرنسية . وترى أنه من الواجب على الدول الأخرى ألا تكون مقيدة بهذا الاعتراف . وقامت الصحافة الإيطالية تؤيد هذه النظرية وتمهد الرأى العام الدولى لتحبيذ عقد مؤتمر رباعى حفظاً للسلام ، وحرصاً على إيجاد التفاهم بين الدول الأوربية الكبرى . فحملت حينئذ الصحافة الفرنسية على هذه النظرية وأكدت أن مثل هذا المؤتمر لن يعقد لبحث المطالب الإيطالية ؛ وإن عقد فلن تشترك فيه فرنسا . وعلى أثر ذلك أخذت الصحافة الإيطالية تلفت النظر إلى أن فى نية بريطانيا التوسط لتسوية النزاع الإيطالى الفرنسى . وكان السنيور موسولينى يعلق أهمية كبرى على زيارة المستر تشمبرلين للعاصمة الإيطالية ؛ فخشيت الحكومة الفرنسية من أن يتمكن زعيم إيطاليا من الضرب على الوتر الحساس عند رئيس الوزارة البريطانية ، ومس نقطة الضعف فيه ، فيحمله على التوسط كما حمله الهر هتلر على ذلك فى المسألة التشيكوسلوفاكية

وللحيلولة دون ذلك قابل المسيو كوربان سفير فرنسا فى لندن اللورد هاليفاكس ، وأعلمه أن فرنسا ترى أن المطالب الإيطالية من الشؤون التى يجب أن تسوى بينها وبين إيطاليا وحدها ؛ وأن فرنسا لا توافق، وعلاقاتها سيئة مع حكومة روما ، على منح إيطاليا شيئاً ما بقناة السويس . وفى ١١ يناير يوم وصول المستر تشمبرلين واللورد هاليفاكس باريس فى طريقهما إلى روما نشرت جريدة « الطان » الناطقة بلسان وزارة الخارجية الفرنسية أن لا وساطة هناك ، لأن فرنسا لن تسمح بأى مناقشة دولية عند ما يتعلق الأمر بمصالحها الحيوية ووحدة إمبراطوريتها ، وهى لن تشترك فى أية مساومة رباعية أو ثلاثية فى هذا الموضوع . ومن الأكيد أن بريطانيا تشارك فرنسا فى وجهة نظرها ، ويستطيع السنيور موسولينى أن يتحقق ذلك بنفسه ، إذا رأى فائدة من مفاتحة الوزراء البريطانيين فى هذا الصدد

وقبل أن يزور المستر تشمبرلن روما زار باريس وتحدث مع وزارتها ، وفى هذه الزيارة أكد للمسيو دلاديه أنه لا يريد التوسط فى الخلاف القائم بين روما وباريس . فكان ذلك خيبة للآمال التى كان السنيور موسولينى يعقدها على توسط المستر تشمبرلين ، وصدمة للدول التى كانت تعمل على التفريق بين لندن وباريس .

أما محادثات روما فقد فشلت فشلاً تاماً فى جميع المسائل التى طرحت على بساط البحث . وكان هذا الفشل نجاحاً باهراً من وجهة نظر بريطانيا وفرنسا ، لأن تلك المحادثات لا تعد ناجحة فى نظرهما إلا إذا فشلت . وكل ما استفيد من هذه المحادثات هو إدراك انكلترا أن المستقبل قائم على رغم إظهار إيطاليا نيات سليمة ، وتأكد إيطاليا من متانة التضامن الفرنسى الانكليزى ، وأنه ليس من السهل زعزعته ولا الحفر تحته .

وفشل هذه المباحثات جعل جريدة « تلغرافو » ذات العلاقات الوثيقة بالكونت شيانو تصرح بأن « ليس معنى نقض إيطاليا لاتفاق ١٩٣٥ أنها تريد الحرب ، بل معناه أنه يجب البحث عن اتفاق آخر . فالحكومة الفاشستية لا تعارض فى مباشرة مفاوضات جديدة ، ولكن ذلك يعد أمراً متعذراً فى الجو الحالى » . وذلك الجو لم يصف منذ ذلك الحين بل تلبدت غيومه ، واشتد الجفاء ، وتعاظمت حملة صحف الطرفين ، مما جعل السنيور جايدا يشير إليها بقوله « إن المدافع ستنطلق من تلقاء نفسها » على أن إيطاليا لم تفعل شيئاً لتحسين علاقاتها بفرنسا ، بل زادت الحالة خطورة بدعوة فرق من الإيطاليين لحمل السلاح ، وبحشد فرق من الجيش الإيطالى فى الحبشة قرب حدود الصومال الفرنسى ، مما جعل فرنسا ترسل فرقاً وبوارج حربية إلى جيبوتى . ولعل السنيور موسولينى يأمل نيل مطالبه عن طريق التهديد بالحرب ، وإرهاب الرأى العام .

فهل ينجح بذلك كما نجح الهر هتلر خلال شهر سبتمبر الفائت ؟ هذا ما نشك فيه .

يوسف هيكل

ابن الرومي
الشاعر المصور
للأستاذ عبد الرحمن شكري
(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وترى ابن الرومي بالرغم من إطالته في المدح وإكثاره فيه يذم هذه الخطة فيقول :

وإذا امرؤ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه

ويقول للممدوح :

فإن الله أعلى منك جداً ويرضيه من الحمد اليسيرُ

على أن له بالرغم من كل ذلك مقدرة كبيرة على توليد معاني المدح كما في الأبيات التي يقول فيها :

والناس تحت سماء منك مُشْمِسة

والناس تحت سماء منك مدرار

فيتتبع هذه المعاني الشائعة ويولد منها معاني أخرى ، وله الأبيات التي يقول فيها :

هب الروض لا يثني على الغيث نشره

أمنظــرة يُخفي مآثره الحُسْنى

والتي يقول فيها :

له هيبــة لم يكتسبها بكلفة

إذا اكتسبت ذاك الوجوهُ العوابس

والتي يقول فيها :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دَجَوْنَ نجوم

والتي يقول فيها :

خِرْقٌ تَعَرَّضَتِ الدنيا له فصبا

إلى المكارم منها لا إلى الفتن

له حريم إذا ما الجار حل به أضحى الزمان عليه جد مؤتمن

كأنه جنــة الفردوس قد أمنت

فيها النفوس من الروعات والحَزَن

ولكن أهاجيه بالرغم من ذلك أبرع وأشد أثراً ، وهو فيها أكثر ابتداعاً للمعاني والخيالات ، وأحياناً يسوق فيها الأخيلة الفكاهية مترادفة ويولد الذم من الذم والهجاء من الهجاء، وينتشي بالهجاء ويعربد كل عربدة ويطلق لنفسه العنان كراكب الجواد الذي يطلق العنان لجواده يعدو ما شاء العدو. ومن شعره المشهور في الهجاء قوله :

ولو يستطيع لتقتيره تنفّس من منخر واحد

وقوله :

إن للجد كيمياء إذا ما مسَّ كلباً أحاله إنسانا

وقوله :

فلو لم تكن في صُلب آدم نطفة لخر له إبليس أول ساجد

وقوله :

لو كنتمْ صحتي وعافيتي فررتُ من قربكم إلى السَّقمِ

وقوله في هجاء طبيب :

سلَّط الله عليه طبَّهْ وكفاه طبه لا بل كفاني

وقوله :

وأخرق تضرمه نفخة سعاها وتطفئه تفلة

وقوله :

وقال اعذروني إن بخلي جِبلّةٌ

وإن يدي مخلوقة خلقة القفل

طبيعة بخل أكّدتها خليقة

تخلّقتُها خوفَ احتياجي إلى مثلي

وقوله : وقد أبدع واستطرد في وصف صور السعادة التامة وتصورها تصوراً بارعاً كي يقول : إن سعادة الناس التامة لا تقتضي الشكر عليها ما دام المهجو منهم ، فانظر إلى براعة الرسم والتصوير في قوله :

ما كرَّمَ الله بني آدم إذ كان أمسى منهمُ خالد

والله لو أنهمُ خلّدوا حتى يبيد الأبد الآبد

وأصبح الدهر حفياً بهم كأنه من برّه والد

ولم يكن داء ولا عاهة فالعيش صافٍ شربه بارد

ودامت الدنيا لهم غضة كأنها جارية ناهد

ما كلّفوا الشكر وقد ضمهم وخالد اللؤم أب واحد

على أن هذا كله أهون ما في شعره من الهجاء ، وأسهل تحملاً من فحشه الذي أطلق لنفسه العنان فيه وخلع الحياء ، وأتى بأشد

مما جاء به كل الشعراء . فلا الحطيئة ولا الأخطل ولا جرير يدانيه في الهجاء ، وهو مع ذلك أحياناً يخلط الهجاء بالحكمة والمثل كما في قوله :

توقَّ الداء خيرٌ من تصدٍّ
لأيسره وإن قرب الطبيب

وكما في الأبيات المشهورة التي يقول فيها :

رأيت الدهر يرفع كل وغد
ويخفض كل ذي شيم شريفهْ
كمثل البحر يغرق فيه حي
ولا ينفكُّ تطفو فيه جيفهْ
أو الميزان يخفض كل وافٍ
ويرفع كل ذي زنةٍ خفيفهْ

فترى أنه مُغْرًى دائما بتتبع الصور وبالتصوير سواء أكان ذلك في مدحه أو ذمه. وتظهر مقدرته على التصوير أعظم ظهور في وصفه الأزهار أو الأنهار أو الأشجار أو القفار أو الرياح أو السماء أو السحاب أو الفواكه أو الروائح أو المأكولات ، وله في كل هذه الأشياء أشعار كثيرة . أنظر إلى وصفه للنسيم :

وشمأل باردة النسيم
تشفي حزازات القلوب الهيم
كأنها من جنة النعيم

وقوله في وصف الأرض والمطر :

أصبحت الدنيا تروق من نظرْ
بمنظر فيه جلاء للبَصَرْ
أثنت على الأرض بآلاء المطر
فالأرض في روض كأفواف الحبر
نيِّرةَ النوار زهراء الزَّهَرْ
تبرَّجَتْ بعد حياء وخَفَرْ
تبرُّجَ الأنثى تصدت للذكر

ويقول في غروب الشمس :

كأن خبوَّ الشمس ثم غروبها
وقد جعلت في مجنح الليل تمرض
تخاوُص عين مس أجفانها الكرى
يُرَنِّقُ فيها النوم ثم تُغَمِّضُ

ومن بدائعه القصيدة التي يقول فيها (حيتك عنا شمال طاف طائفها) والتي يقول فيها : (ورياضٌ تخايلُ الأرض فيها) والتي يصف فيها النرجس والورد في قوله (للنرجس الفضل المبين لأنه) والأخرى التي يصف فيها فواكه إيلول ويقول : إنه لولاها لزهد في الحياة . وله القصيدة البديعة التي يصف فيها غروب الشمس وأول وصفها قوله فيها :

وقد رنَّقت شمس الأصيل ونفَّضت
على الأفق الغربيِّ ورسا مذعذعا

وفيها يتخيل أن الشمس تودع النبات ويودعها النبات وكأن كلا منهما يحس لوعة الفراق . ويخيل إلي أنه لو كان نقاشاً لرسم

من برجنا العاجي

يقع لي أحياناً أن أهبط محلاً عاماً فيتقدم إليّ شخص لا أعرفه ، يحييني تحية رقيقة ويقول : « أحد قرائك المعجبين » ثم يمضي دون أن يزيد . ويحدث لي دائماً في كل عيد أن أفض البريد فأجد بطاقات التمنيات ورسائل التهاني كأنها باقات الورد من قراء كرام لم تبصرهم عيني ولم يروني إلا فكرة تعيش في سياج السطور على أديم الصفحات

هنا معنى الاتصال الروحي ، أرفع ألوان الاتصال ، وأسمى أنواع المشاعر . وإني ليملؤني العجب حيناً ، ويداخلني الزهو أحياناً إذ أجد في الشرق مثل هؤلاء القراء !

لكن مهلاً ... فيم العجب ؟ ألسنا القائلين إن الشرق هو قلب « الروحانية » النابض ؟

إنما المدهش حقاً هو أن نرى قراء الغرب يبعثون كل صباح ملايين الرسائل إلى كتابهم المحبوبين ! نعم أين هذا الاتصال الروحي من ذاك ؛ إذا قلنا إن الفرق في عدد القراء وانتشار الأمية أو التعليم لكذبتنا النسب والأرقام ، ولتبين لنا آخر الأمر أن الشرق متخلف في هذا المضمار على كل حال

إن عيب الشرق هو « الكسل » . والقارئ الشرقي على وجه عام رخو المزاج فقد النشاط . إنه يطالع وتتأثر نفسه ويتفتح قلبه ، ثم لا يلبث أن يتثاءب وينسى الكتاب وينسى المؤلف وتخمد فيه الجذوة . ثم هو بعد ذلك كثير الإهمال قليل الاكتراث . فأين القوة الداخلية التي تدفعه إلى طلب الاتصال بذلك الروح الذي أنس إليه ؟

إنه « يستهلك » مادة الكتاب مثلما يستهلك مادة الطعام دون أن يلقي بالاً إلى الطاهي الذي أعده لمائدته .

وهكذا ينكشف الأمر عن هذه النتيجة العجيبة :

إن روحانية الشرق قد هبط بها « كسل النفس » إلى المادية ، وإن مادية الغرب قد ارتفع بها « تيقظ النفس » إلى الروحانية !

توفيق الحكيم

ونقش صورة مملوءة بالحياة كأبدع ما صنع المصورون فى معنى هذه القصيدة ، ولكن ما أحسب أن مصوراً يأتى بأحسن مما جاء به فى الشعر ، وله وصف العنب الأبيض الذى يقول فيه :

لم يُبْقِ منه وَهَجُ الحرور إلا ضياء فى ظروف نور

وله فى وصف الخمر :

لطفت فقد كادت تكون مُشاعةً فى الجو مثل شعاعها ونسيمها

وأمثال هذا الوصف كثير فى شعره. وهو مصور أيضاً فى غزله. أنظر إلى وصفه محاسن النساء فى قصيدة (أجنت لك الورد أغصان وكثبان) ووصفه الجمال والغناء فى قصيدته الدالية فى وحيد المغنية وهى التى يقول فيها : (ياخليلىَّ تَيَّمَتْنى وحيد) وكأنما هو فيها يُصوِّرُ الألحان كما يصور الوجوه الحسان . ومن بدائعه فى الغزل قوله : (وحديثها السحر الحلال لو انه) وقوله : (لو كنتَ يوم الفراق حاضرنا) وقوله : (لا تكثرنَّ ملامة العشاق) وقوله : (وفيك أحسن ما تسمو النفوس له) وقوله : (شفيعك من قلبى شفيعٌ مُشَفَّعُ) . وله غزل كله شهوة ، وله مجون شنيع ، وكان يفتخر بالقدرة الجثمانية على الملذات. وهذا كله لا يليق نشره ولكن له مع ذلك غزلاً وجدانياً رقيقاً ، فهو قد جمع الأطراف لأنه كان مرهف الإحساس كما كان مرهف الحواس وتراه يجمع الوجدان والتصوير فى قوله فى حب الوطن :

بَلدٌ صحبتُ به الشبيبة والصِّبا ولبست فيه العيش وهو جديد

فإذا تمثَّل فى الضمير رأيته وعليه أفنان الشباب تميد

فهنا أيضاً نزعة التصوير غالبة عليه فى البيت الثانى. وله أشعار أخرى فى حب الوطن، ولا غرو فإنه كان يمقت الأسفار. ومن رأيى أن تحسُّرَ ابن الرومى على ذهاب الشباب ليس له مثيل فى شعر الشعراء وإن كانوا قد أكثروا فى هذا الموضوع. وأحسن قصائده فيه قصيدته التى يقول فيها (كفى بالشيب من ناهٍ مطاعِ) ومن أبياته فيها، وقد غلبت عليه النزعة إلى التصوير فى هذه الأبيات:

يُذَكِّرُنِى الشبابَ جنانُ عدنٍ على جنبات أنهارٍ عِذابِ

تفيءُ ظلها نفحات ريح تهز متون أغصان رطاب

إذا مَاسَت ذوائبها تداعت بواكى الطير فيها بانتحاب

يذكرنى الشباب وميض برق وسجع حمامة وحنين ناب

وكانت أيكتى لِيَدِ اجتناء فصارت بعده ليد احتطاب

وهو لا يكتفى بما يكتفى به غيره من جعل الحياة بعد الشباب كالموت بل يقول إنها عذاب . وله قصائد أخرى فى التحسر على الشباب منها قصيدة (دَايَرَ أو طارَهُ إلى الذِّكَر) و (خليلىَّ ما بعد الشباب رزية) و (لا تَلْحَ مَنْ يبكى شبيبته) و (أيام استقبل المنظور مبتهجاً) وقوله :

اكتهلتُ همتى فأصبحتُ لا أبـ ـهج بالشىء كنتُ أبهج بهْ

وحسْبُ من عاش من خلوقته حـ ـلوقة تعتريه فى أَرَبِهْ

وهذا الرجل النهوم بمحاسن الحياة ولذاتها ، المولع بوصف مباهجها وفتنها وأطايبها، له حالات إذا وصف فيها الزهد أتى بالقول المؤثر ، كما فى قصيدته فى وصف الزُّهَّادِ ، وهى قد جمعت أيضاً بين التصوير والوجدان ، وهى التى يقول فيها :

تتجافى جنوبهم عن وَطِىءِ المضاجعِ

ولكن الجمع بين التهافت على الملاذ فى وقت من أوقات الحياة وشدة الشعور الدينى فى وقت آخر أمر مشهود؛ وقد يتردد صاحبهما بينهما مرات عديدة .

وقصائد ابن الرومى فى الاخوان والعتاب متنوعة الأغراض والمعانى والأنغام والصور . وأشهرها قصيدة : (يا أخى أين ربع ذاك اللقاء) وفيها يتخيل مناظرة ونقاشاً طويلاً بينه وبين هنات صاحبه ، وهى بارعة فى التصوير والتفكير ؛ ولكن له من القصائد ما هو أكثر وجداناً وعاطفة ، وله مقطوعات موسيقية كقوله :

طلبتُ لديكم بالعتاب زيادة وعطفاً فأعتبتم بإحدى البوائق

فكنتُ كمستسقٍ سماءً مخيلة حياً فأصابته بإحدى الصواعق

وقوله :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنَّ من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه يحول من الطعام أو الشراب

والأبيات التى ذكرت من قبل وأولها : (تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا) وهى من أبدع ما قال فى العتاب الوجدانى ، وكذلك قوله : (أتانى مقال من أخ فاغتفرته) . وقوله : (إنى لأغضى

عن الزلات مجتنباً) . وكثرة العتاب فى شعره تدل على أنه كان منكوباً فى الإخاء والأنصار . وقد أجاد ابن الرومى أيضاً فى الرثاء لأنه كان منكوباً فى أولاده ، وإنما هذه نكبة الرزء والموت لا نكبة الجفاء التى دعت إلى إجادة العتاب ، ولا أذكر قصيدة فى رثاء الأبناء فى اللغة العربية تقارب قصيدة ابن الرومى الدالية فى رثاء ابنه الأوسط غير قصيدتى التهامى ، ومطلع قصيدة التهامى الأولى :

حكم المنية فى البرية جارى ما هذه الدنيـا بدار قرار

ومطلع الثانية :

أبا الفضل طال الليـل أم خاننى صبرى فخيّلَ لى أن الكواكب لا تسرى

وفيهما رثى ابنه كما رثى ابن الرومى ابنه بقصيدته التى أولها مخاطباً عينيه :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يُجدِى فجودا فقد أودى نظيركما عندى

وتغلب نزعة الرسم والتصوير على الشاعر ، فيصف ابنه يعالج المرض والموت ، ويصف حزنه إذا رأى أخويه يلعبان فى ملعب له . وهذه القصيدة من أجلّ ما قال ابن الرومى من الشعر ، بل من أجلّ ما قال شاعر من الشعر ، وهى أكبر دليل على أن الشعر الرفيع المقام لا يكون إلا إذا وجدت العاطفة ، وأما الصنعة وحدها فلا تخلق شعراً عالياً . ولابن الرومى قصائد أخرى فى الرثاء تستجاد ، منها رثاء يحيى بن عمر العلوى التى مطلعها :

أمامك فانظر أىّ نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيمٌ وأعوج

وفيهـا يقارن بين ترف العباسيين وبين ما كان العلويون فيه من تشريد واضطهاد . ومما يؤسف له أنه شانها بالفحش الشنيع فى هجاء العباسيين ؛ وهذه القصيدة تذكرنى بقصيدة دعبل الخزاعى الرائية فى آل البيت وهى أعمق أثراً ومطلعها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

والذى يقرأ شعر ابن الرومى يرى أنه أشد ذوى الفنون عجزاً عن حبس بعض ما يجول فى خاطره من الخواطر ، وهـذا العجز يجعل صاحبه كأنه أسوأ خلقاً ونفساً من الناس ، وهو قد يكون وقد لا يكون ، فإن كل إنسان – كما قال سمرست موام – القصصى الانجليزى فى كتاب (الخلاصة) تخطر على خاطره خواطر السوء حتى على بال القديسين المطهرين الذين كانوا يشكون فى نقاوتهم وطهارتهم بالرغم من أنهم كانوا لا يفعلون ما يدعو إلى هذا الشك ؛ وذوو الفنون ، بسبب النزعة الفنية إلى تصوير أنفسهم والتعبير عن خوالجها ، قد يعجزون عن كتم هذه الخواطر التى يكتمها غيرهم . وإنى أميل أحياناً إلى الاعتقاد أن قصص المجون فى شعر أبى نواس وابن الرومى لم تحدث حقيقة ولم يفعلوا ما زعموا أنهم فعلوا أو على الأقل بعضها لم يحدث ، وإنمـا هى خواطر السوء التى تمر بخاطر الناس ويكتمها الناس ويعجز بعض الفنانين عن كتمها بل يصنعون منها قصصاً تخرا بها أو صنعة . وعلى هذا القياس نستطيع أن نفهم قصيدة ابن الرومى التى أولها : (لهف نفسى على رصاص مُذابِ) أى رصاص منصهر كى يصبه فى فم عدوه حتى يموت ويتشفى بسؤاله عن صحته أثناء ذلك ، وهى قصيدة شنيعة . ولـكن كم من الناس إذا تألم من عداء رجل ألماً شديداً لا تخطر له مثل هذه الخواطر إذا اشتد به الألم وكان مرهف الإحساس ؟ أما أن يصب الرصاص المنصهر فى فم إنسان فهذه مسألة أخرى ، فقد يكون صاحب هذه الخواطر أعجز الناس عن إتيان الشر كما هو أعجز الناس عن كتمان ما يجول بخاطره من خواطر السوء . ولا ننس أن ابن الرومى كان مرهف الإحساس حتى أنه أعد خنجراً مسنوناً كى يقضى به على حياته فيما زعموا إذا اشتد به الألم فى الحياة ، وقد اشتد واشتد ولم يفعل

عبد الرحمن شكرى

أعلام الأدب

هومـــــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذي الجليل أحمد حسن الزيات أهدي هذه الفصول »

كان هوميروس يخفض الآلهة إلى مراتب الناس فيجعل لهم من الغرائز الدنيا مثل ما للناس ، ثم يرفع الناس إلى مراتب الآلهة فيجعل لهم من الفضائل ما ليس ينبغي إلا للآلهة ، أو ما ليس يتوفر إلا للآلهة

وعجيب أن تتخذ آلهة هوميروس مثلها العليا من البشر الذين خلقتهم بأيديها ، لأن هوميروس — على ما يبدو في ملاحمه — لا يرى الحياة الدائبة النشيطة المفعمة بالغرائز المتصارعة ، إلا في محيطها المرئي المعترف به الذي يتكون مما نحن البشر ... ولكي تتم الصورة الشعرية التي هي روح ملاحمه ، والتي تفوّق بها على ضريبه هسيود ، تراه يلجأ إلى الأساطير يلون بها فصوله ، وليثير بغرابتها اشتياق سامعيه ، وليجدد فيهم الحماسة التي هي أولى غايات الملاحم . لذلك تراه يعقد مجالس الآلهة للتشاور فيما ينبغي أن تكون الوسيلة لنصرة فلان أو لخذلان فلان ، فإذا اجتمع شمل الأولمب فلا بأس أن تثور الحفائظ بين أرباب وأرباب وبين ربات وربات ، ولا بأس أن يُعيّر أحد الآلهة فلكان إله النار بما وقع بين زوجه فينوس وبين مارس إله الحرب من خطيئة وفسوق ... ولا بأس أن يدس هرمز أنفه في الموضوع فيصرح أن مارس معذور جد معذور فيما حدث له من الصبوة إلى فينوس ، وأنه أول من يشتهي أن يكون الذي وقع لمارس كان قد وقع له ...

وليس يرى هوميروس بأساً في أن ينزل الآلهة في معمعان الحرب ينافحون عن الأبطال الذين ينتمون إليهم ... ففي الكتاب العشرين من الإلياذة يستأذن الآلهة سيد الأولمب فينقسمون فريقين ، فتكون هيرا ومينرفا وهرمز وفلكان في صفوف الإغريق ، وينحاز أبولو ومارس وديانا وفينوس إلى صفوف الطرواديين ... فإذا ثار النقع ، واضطرمت الحرب ، والتقى أخيل وهكتور (الكتاب العشرين) وقعقعا بالسلاح ، وأوشك هكتور أن يظفر ببطل أبطال اليونان عند ما يسقط رمحه ... تتقدم مينرفا فجأة وعلى مهل فتأخذ الرمح من فوق الأرض وتناوله لأخيل فتنقذه من قتلة لم يكن فيها شك ولا عنها متحول ... وهي تفعل مثل ذلك في الكتاب الثاني والعشرين فتنقذ أخيل وتمهد له بذلك فيقتل هيكتور ... ومع أن مينرفا هي ربة الحكمة في الميثولوجيا اليونانية فهوميروس في هذا الموقف ينحط بها إلى أسفل مراتب الإنسان لأنها تكون سبباً في قتل رجل عظيم مثل هكتور يدافع عن وطنه ويذود عن حمى بلاده ... وهي لا تتسبب في قتله فقط بل تحرمه فرصة نادرة أوشك أن يبطش فيها بأخيل

وليتها فعلت كما صنع نبتيون في الكتاب العشرين حينما أنقذ إينياس من رمح أخيل مرتين حتى لا يغضب زيوس كبير الآلهة على بطل الإغريق [1]

هوميروس يرحرف الإلياذة بمثل تلك الأساطير ليقطع تسلسل المعارك ، وليتقي سأم السامعين ، وليجدد حماستهم ؛ وهو في ذلك أستاذ أرباب المسرح من أمثال شاكسبير وموليير ... وهو لا تعييه حيلة في اختراع ما يخفف وطأة الحزن إذا استعرت نيرانه في قلوب الناس حوله . فلا بأس عنده إذن من أن يترك جدث بتروكلوس ويقيم حفلاً أولمبيا للألعاب يشترك فيه أبطال الحرب فينافس بعضهم بعضاً فيتسابقون ويتلاكمون ويصطرعون ويقذفون القرص ويرمون الطوق ويحملون الأثقال ويسابقون على الخيل .. وتكون حفلة باهرة كأحسن ما شهد العالم الحديث في أولمبياد برلين . . . ثم ينهض أخيل المحزون الرزأ ، في إثر كل مباراة ، فيوزع الجوائز السنية على الفائزين (الكتاب الثالث والعشرين)

وقارئ الإلياذة يتولاه العجب وتأخذه الدهشة لبراعة هوميروس الأعمى في الوصف . . . فكأس نسطور في الكتاب الحادي عشر ، ودرع هكتور في الكتاب السادس ، والنقوش الأخاذة التي حفرت في درع أخيل ، والستر الأزرق الجميل في قصر ألكينوس ، وشروق الشمس وغروبها ، وتكاثف الضباب ، والنقع المثار فوق المعممة . . . كل هذه آيات من الوصف الدقيق الذي يشهد لهوميروس بملكة فنية قوية تتجلى في أكثر أنحاء

(١) في هذا الكتاب أيضا ينقذ أبولو هكتور من يدي أخيل

منظومته ، وتربك المترجم خاصة[1] حتى يستعصى عليه أن يساير هوميروس ، ملك الشعراء ، الذى تراه فيما ينظم مصوراً ورساماً وقائد جيوش وإلـهاً وسحاباً وبرقاً ورعداً وحداداً .. ثم جزاراً وشواء ... ثم راهباً وواعظاً وما شئت من فنون الحياة التى لا حصر لها ...

لقد يتهم الإنسان لنته وهو يترجم هوميروس ... فهو لا يدري كيف ينقل كلامه وهو يصف الرجل يتل الشاة ثم يذبحها ثم يسلخها ثم (يوضّبها !) ثم يشعل النار ثم يؤججها ثم ينثر فيها من أعواد الند والرند والصندل ثم يلقى فيها بالقراميد ثم يقطع اللحم ثم ينتشر القُتار (رائحة اللحم المشوى) ... ثم ... ثم ...

حقاً إن فى كتب فقه اللغة ما يعين المترجم على كل هـذا ، لـكن المترجم يغازل الذوق العام للقراء وهو ينقل آثار الأعاجم ، وهو إذا قسا على هذا الذوق أعرض عنه ، ولم يلتفت إليه ، وذوق القراء عندنا ذوق كسول لا يحب أن يُرهق بما حُشد فى كتب فقه اللغة ، لأن أكثر ما فى هذه الـكتب حوشى وقد هجر استعماله ، والمترجم لا يستعمله إلا إذا ضاقت به الحيل ، ولم يستطع أن ينحت من الـكلمات الحديثة السائغة ما ينزل برداً وسلاماً على القراء .

* * *

وبعد فأى الملحمتين أثرت فى نهضة الأدب المسرحى اليونانى أكثر من الأخرى ، الإلياذة ، أم الأوديسة ؟

لقد أشرنا إلى ما قيل من أن هوميروس قد نظم الإلياذة للرجل ، كما نظم الأوديسة للمرأة . الإلياذة التى تفيض بذكر الحروب ووصف المعامع ومقادير الأبطال فى أولئك جميعاً ، والأوديسة التى هى قضية زوجة وفية غاب عنها زوجها حتى ظن أنه غير آيب وحتى طمع فيها كل طامع ، لأنها تفردت بين نساء زمانها بالحسن الذى لا يغيره مرور الأيام ولا ينال منه تطاول الزمان

نظم هوميروس الإلياذة لتكون مثالاً للرجال يحتذونه ... إذ ينبغى أن يكون الرجال شجعانا . ينبغى أن تثور فيهم النخوة إذا تعرض رجل نذل مثل باريس لامرأة أحـد منهم بسوء فيقوموا كرجل واحد ويجتمعوا من كل حدب وصوب ليردعوا من نالهم بالأذى فى أعراضهم ، ولو شبوها ضراماً ، وَصَلَوْها أعواماً ...

ونظم هوميروس الأوديسة للنساء مثالاً رائعاً من الوفاء يحتذينه ... إذ ينبغى أن يكون النساء وفيات لأزواجهن فلا يفرطن فى أعراضهن ، ولا يستسلمن للمقادير إذا عارضت شرفهن . لقد غاب أودسيوس زمناً طويلاً ، واجتمع عشاق بنلوب فى قصره يراودون زوجه ويأكلون زاده ويهينون ولده ، ومع ذلك فـلم تضعف بنلوب ، بل احتالت للطاغين العتاة ، وصابرت ، وضربت بعضهم ببعض حتى آب زوجها فخضد شوكتهم واستأصل شأفتهم

فالإلياذة خشنة كخشونة الرجال ، والأوديسة لطيفة رقيقة فيها كثير جداً من رقة النساء ... وهى رقة جعلت صمويل بطلر الأديب الانجليزى العظيم يؤمن بأن هوميروس لم ينظم الأوديسة ولم يعرفها ولا تمت إليه بسبب ، وبأنها من نظم فتاة من جزيرة صقلية استطاعت أن تدرس هوميروس والميثولوجيا اليونانية دراسة هادئة ثم فرغت لنظم الأوديسة فأتمت عملها فى سهولة وفى يسر ، وأخرجت هذه الدرة الفريدة التى تسمو فى كثير من فصولها إلى ذروة الإلياذة

لشد ما يدهش المرء لهذه الفكرة الغريبة التى قذف بها منطق بطلر ! إن كثيراً من القرائن يؤيد هذا الرأى ، بيد أننا لا نميل كثيراً إلى الأخذ به لأن الأخذ به شرود خطير مبالغ فيه عن حيز الأدب اليونانى القديم ، وقليل من الاستقراء فى المآسى التى ألفت بعد هوميروس تهدم رأى بطلر وآراء الذين تشككوا فى صحة نسبة الأوديسة إلى هوميروس ، فثلاثية إسخيلوس (الأورستيه) مثلاً والتى تتركب من مآسيه أجاممنون وحاملات الـكئوس والأيومينيدز قد أشير إليها فى الأوديسة (الـكتاب الحادى عشر) إذ يقص أوديسيوس على ألـكينوس الملك رحلته إلى هيدز (الدار الآخرة) وما تحدث إليه به الـكاهن تيرزياس عن أوبة أجاممنون ، وما حدث له من النيلة على يدى زوجته كليتمنسترا وعشيقها إيجستوس ثم ما كان من ثأر الفتى أودست لأبيه وقتله أمه ... الخ

فهذه الثلاثية التى أخذها إسخيلوس من الأوديسة وقدمها للمسرح تنقض وحدها دعوى الأديب بطلر ، لأن الفتاة الصقلية التى يزعم أنها نظمت الأوديسة لم تكن قد وجدت بعد

(١) إقرأ مقدمات مترجمى هوميروس كوبر ولورد دربى وتشاپمان ويوب

وقد جاء سوفوكلس فوضع مسرحيات كثيرة معظمها مفقود بكل أسف متخذاً موضوعاتها من صميم الأوديسة ، ومما وصل إلينا من أسمائها تلك المسرحية الجميلة المساة نوزيكا ، وقد أخذ فكرتها من الكتاب السادس ، وهي المسرحية التي يُروى أن سوفوكلس نفسه قد قام فيها بتمثيل دور الفتاة نوزيكا ابنة الملك ألكينوس حينما ذهبت إلى شاطئ البحر في سرب من وصيفاتها تغسل أثواب عرسها وتنشرها في الشمس فوق أغصان أشجار الغابة التي كان أوديسيوس مختبئاً فيها بعد نجاته من الغرق

وهناك أدلة كثيرة تهدم ما رآه بطلر خطأ في نسبة الأوديسة إلى مؤلف غير هوميروس ولم أعثر في الكتب التي درست فيها ملك الشعراء من يوافق الأديب الأنجليزي على وجهة نظره هذه

والذي يقرأ مآسي اليونانيين القديمة يلاحظ أن الشعراء قد عنوا بالإلياذة أكثر مما عنوا بالأوديسة ، فأخذوا من الأولى أضعاف ما أخذوا من الثانية . وقد لا يكون بعيداً أن إسخيلوس قد أخذ من الإلياذة ستين مأساة على أقل تقدير من الثمانين التي ألفها والتي قال فيها إنها فتات من موائد هوميروس الفنية .. وكذلك أخذ سوفوكلس مادة مآسيه في أكثر ما وضع للمسرح

والإلياذة حقيقة بهذا الالتفات من شعراء اليونان ، فهي النهر العظيم الجياش المتدفق الذي تفرعت منه الأوديسة والإلياذة الصغيرة والإلياذات الكثيرة التي ألفها شعراء القرن الثالث قبل الميلاد في كل من أثينا والأسكندرية ، والتي لا نستطيع هنا أن نحصرها ، بل أن نتكلم عنها

***

وليس من شك في أن شخصية أخيل هي أبرع شخصيات الإلياذة . ولا غرو ، فقد سمى هوميروس إلياذته « قصيدة غضب أخيل !! » . وروح أخيل هي كهرباء الحماسة في الإلياذة من أولها إلى آخرها

أنظر إليه وقد ذهبت به أمه إلى نهر الخلود تغطه[1] فيه حتى لا ينفذ في جسمه رمح ولا سهم من رماح الحرب أو سهامها لأن لماء هذا النهر ذاك الفعل العجيب ! وانظر إليه كيف يبتل جسمه كله ما عدا عقبه ... ثم يكبر أخيل ويشب ويصبح بطل أبطال اليونان ، ثم تكون حروب طروادة فيمضي إليها بخيله ورجله ، ويقتل الأبطال الصناديد ، ثم يصوب إليه باريس سهماً من سهامه يقر في العقب التي تبتل بماء نهر الخلود فيكون فيه حتفه !

وانظر إليه يختلف ، وأجاممنون من أجل الجارية بريسيز التي هويها أخيل وعلقها قلبه فيرفض أن يغشى المعركة ، ويعتزلها وجنوده الميرميدون ، فتدور بذلك الدائرة على جيوش اليونان ولا يغنيها أن يكون في صفوفها الأبطال المغاوير أودسيوس وأجاكس وديوميدز ومن إليهم ... وأنظر إليه يكلمه بتروكلوس في نصرة بني جلدته حين يعز عليه أن يصطلمهم أبطال طروادة فيأذن له ، ويضفي عليه درعه العظيمة التي ذهبت أمه فصنعتها له عند فلكان الحداد...ويذهب بتروكلوس فيكسر شوكة الطرواديين ويصيبهم القرح على يديه وأيدي الميرميدون جنود أخيل .

وانظر إلى أجاممنون يعتذر إليه ويرد عليه بريسيز ويقسم له أنه لم يطمثها ولم يمسها بسوء . وانظر إلى أخيل لا يني ولا يلين ولا ينهض لحرب الطرواديين ، فيغضب الآلهة ويسخط أرباب الأولب ويخرق الشرائع وقوانين الأخلاق ، فتكون النتيجة أن يُقتل بتروكلوس الحبيب العزيز

وانظر إلى أخيل كيف تسود الدنيا في عينيه حزناً على بتروكلوس فيمضي إلى المعمعة فيصرع أبطال طروادة ويجول فيها ويصول ويزأر ويزمجر وبطوبها كالعاصفة ... ثم انظر إليه يظفر بهكتور قاتل بتروكلوس فيصرعه ويجره خلف عربته ويدور حول طروادة غير موقر قدس الموت ولا حافل بتقاليد السماء

ثم قف عند أروع مناظر الإلياذة جميعاً : بريام الحزين ! والد هكتور ! هذا الرجل المحطم يمضي وحده إلى أخيل باكياً ضارعاً متوسلاً ، يرجو الرجل الذي قتل أولاده في أن يدع له جثمان هكتور ليشفي بالبكاء عليه جوى نفسه ، وليطفئ بتحريقه السعير المضطرم بين جوانحه ، فيعصف الحزن بأخيل العظيم ، ويعانق الرجل العظيم ، ويتبادلان البكاء ، ثم يأذن له بيدن ولده ...

هنا نبل هوميروس ، وهنا إنسانيته وسموه ، وهنا فرق ما بينه وبين قصاصينا الذين يشتركون مع سامعيهم في السخط على بطل الناحية الثانية

دريني خشبة

(١) غطه في الماء غمسه فيه وغطسه بالتشديد

الاســـــلام دين تبشيرى

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد
للأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى
أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين

كان المرحوم السير توماس أرنولد المتوفى فى التاسع من يونية سنة ١٩٣٠ — أستاذاً للغة العربية فى جامعة لندن، وكان واسع الاطلاع فى علوم الدين الاسلامى واللغة العربية ، وأهم مؤلفاته كتاب: «الدعاية الاسلامية The Preaching of Islam». وهو بحث عظيم الخطر جليل القيمة فى تاريخ انتشار الدين الاسلامى. طبع المرة الأولى سنة ١٨٩٦ ، وأعيد طبعه سنة ١٩١٣ ؛ ثم طبع بعد وفاة المؤلف طبعة ثالثة سنة ١٩٣٥ كتب مقدمتها المستشرق العلامة (رينولد نيكولسن) . وأهم ما يلفت النظر فى هذا الكتاب هدوء البحث ، وسلامة التفكير ، وعدم التحيز . ولا غرو فقد كان مؤلفه من أكثر المستشرقين اعتدالا وأصدقهم نظراً وأكثرهم تجرداً من النزعات التعصبية ، وهذا جعل لكتاباته في الموضوعات الاسلامية أهمية خاصة ، ونحن نكتفى بهذا التعريف القصير لنقدم لقراء (الرسالة) ترجمة الفصل الأول من هذا الكتاب القيم ، وهذا الفصل يعتبر مقدمة لما تناوله المؤلف بالبحث فى بقية فصول الكتاب ، وستوافى الرسالة بترجمة الفصول الأخرى تباعاً ، كما أننا سنعد دراسات أخرى لما آخذنا على بعض آراء المؤلف «ع.س»

برح الخفاء منذ ألقى الأستاذ ماكس مولر Max Müller محاضرته بكنيسة وستمنستر يوم الشفاعة للجماعات التبشيرية فى ديسمبر سنة ١٨٧٣ . وأسفر الموقف عن أن الديانات الست العالمية العظيمة يمكن تقسيمها إلى تبشيرية وغير تبشيرية . فالنوع الثانى تنضوى تحت لوائه اليهودية والبراهمية والزرادشتية . ويضم النوع الأول البوذية والمسيحية والإسلام . ولقد حدَّد الأستاذ فى وضوح ما اصطلح على تسميتها (ديانة تبشيرية) فقال : إن معناها أن يكون نشرها وإدخال الكفار فيها قدسها إلى مرتبة الواجب القدسى فى نظر منشئ الديانة أو خلفائه الأولين ... إنها روح اليقين فى نفوس المؤمنين لا يقر قرارها حتى تنبث فكرةً فقولاً فعملاً ، ولا ترضى وتطمئن حتى تبلغ رسالتها إلى كل نفس إنسانية ، وحتى يؤمن بما آمنت به أفراد البشرية جميعاً [1]

ومثل هذه الغيرة التى بدت من المسلمين لتشهد على صدق دينهم هى التى حفزتهم على أن يحملوا رسالة الإسلام إلى كل أرض ينفذون إليها ، وهى التى جعلت لدينهم بحق تلك المكانة بين الديانات التى نطلق عليها (الديانات التبشيرية) . وتاريخ نشأة هذه الغيرة التبشيرية والقوى الدافعة إليها وطرائق نشاطها كلها موضوع الصحائف القادمة ، ولا ريب فى أن أولئك المائتى مليون من المسلمين المنتشرين اليوم فى الأرض دليل جهاد هذه الروح طوال القرون الثلاثة عشر الماضية .

وأعلن تعاليم هذا الدين لأول مرة فى القرن السابع عشر على أهل بلاد العرب نبي انضوت تحت لوائه قبائلها المتفرقة فأضحت شعباً واحداً ، ثم دبت فيهم الروح القومية الجديدة فملأتهم حياة ونشاطاً ، ثم سرت فى جيوشهم حماسة وغيرة فملأتها بأساً وقوة لا مرد لها ، وبهذه العدة كلها خرج المسلمون إلى القارات الثلاث يفتحون البلاد ويخضعون العباد ، فاستولوا فى أول الأمر على سوريا وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا وبلاد فارس ، وانطلقوا بعد هذا غرباً إلى أسبانيا وشرقاً إلى ما وراء الأندوسيا ، ولم يمض على وفاة النبي مائة عام حتى وجد المسلمون أنفسهم سادة امبراطورية أوسع رقعة من امبراطورية روما فى أوج قوتها

ورغم أن هذه الأمبراطورية قد تصدعت فيما بعد وانهارت قوة الإسلام السياسية فإن فتوحه الروحية قد بقيت لا تحول دون سبيلها الحوائل . نعم أغار المغول على بغداد سنة ١٢٥٨ وسلبوها ، وأغرقوا فى الدماء مجد العباسيين وقد ذبل عوده وحال لونه ، وقام النصارى فى الأندلس وعلى رأسهم فرديناند صاحب ليون وقشتالة فطردوا المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦ ، ودفعت غرناطة آخر حصن للمسلمين فى الأندلس الجزية للملك المسيحى . كان ذلك كله يجرى والمسلمون يضعون أقدامهم فى أرض جديدة يدخلون أهلها فى دين الله ، تلك هى جزيرة سومطرة ، ثم كانوا على وشك أن يبدأوا تقدمهم الموفق فى جزائر أرخبيل الملايو ، وهكذا يقوم الإسلام فى ساعات انهياره السياسى بطائفة من أعظم غزواته الروحية . وفى التاريخ ظرفان خطيران وطىء فيهما الكفار بأقدامهم أعناق المسلمين ، أولهما : حين دهمهم الأتراك

(١) تعليق على مقالة (المستر لايال Mr. Layall =) التى عنوانها (الديانات التبشيرية) فى مجلة فورتنيتلى ريفيو Fortnightly Review =) عدد يولية سنة ١٨٧٤

السلاجقة فى القرن الحادى عشر ؛ والثانى حين غزاهم المغول فى القرن الثالث عشر . ورغم أن الغزاة أخضعوا المسلمين لسلطانهم السياسى فى كلتا الحالتين فإنهم خضعوا لسلطان الدين الإسلامى ورضوه دينا لأنفسهم . وفى مرة أخرى نجد المبشرين المسلمين فى غير اعتماد على سلطان الحكم وصولة الجيوش يحملون الدين الإسلامى إلى أواسط أفريقيا والصين وجزائر الهند الشرقية .

واليوم يمتد نطاق الإسلام من مراكش إلى زنجبار ، ومن سيراليون إلى سيبيريا والصين، ومن البوسنة إلى غيانة الجديدة . ولو أننا تركنا البلاد الإسلامية البحتة أو التى يسكنها عدد كبير من المسلمين كالروسيا والصين ، وجاوزنا حدودها إلى البلاد التى لم تؤمن بالإسلام لوجدنا بها بعض الجماعات الإسلامية القليلة العدد المحدودة الكيان تشهد على قيام الإسلام بين من كفروا بدعوته . ومن أمثلة ذلك لتوانيا التى يعيش فيها مسلمون من أصل تترى يتكلمون اللغة البولندية ويسكنون أقاليم كوفنو وفلنو وجردونو[1] ، وكذلك المسلمون الذين يتخاطبون باللغة الهولندية فى مدينة الرأس ، كذلك أجراء الهنود الذين حملوا معهم الدين الإسلامى إلى جزر الهند الغربية وغيانا البريطانية والهولندية ، وأخيراً نجد للاسلام أنصاراً فى انجلترا وشمال أمريكا واستراليا واليابان ...

ويرجع انتشار الإسلام فى تلك المساحات الواسعة على ظهر الأرض إلى أسباب كثيرة اجتماعية وسياسية ودينية ، ولكن من أهم العوامل التى أحدثت هذه النتيجة المثيرة للاعجاب جهود المبشرين المسلمين المتتابعة ، وهؤلاء اقتدوا بالنبى (ص) نفسه فضحوا بحياتهم معه فى سبيل إدخال الكفار فى دينهم .

ولم يكن واجب الدعوة إلى الدين فكرة متأخرة فى تاريخ الإسلام ، بل كان أمراً محتوماً على المؤمنين من أول الأمر ، يدل على ذلك ما نسوقه إليك من آيات القرآن المرتبة ترتيباً زمنيا بحسب نزولها :

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (س ١٦) (١٢٦)

(١) (ركلس = Reclus المجلد الخامس صحيفة ٤٣٣ و (جازتوت Gasztowtt صحيفة ٣٢٠

« وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير » (س ٤٢) ، (١٥ — ١٦)

ونجد نذراً كثيرة كهذه فى السور المدنية التى نزلت ومحمد على رأس جيش عظيم وهو فى منتهى قوته ، نسوق منها ما يأتى :

« وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد »
(س ٣) (٢١)

« ... كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (س ٣) (١٠٤ — ١٠٥)

« لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم . وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » (س ٢٢) (٦٨ — ٦٩)

والآيات الآتية مأخوذة من السورة التى تعتبر على وجه الإطلاق آخر ما نزل من القرآن :

« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون »
(س ٩) (٨)

إذاً فالإسلام منذ نشوئه دين تبشيرى من الوجهتين النظرية والعملية ؛ وحياة محمد مثل لهذا المبدأ التبشيرى ، كما أن النبى نفسه قد ظهر على رأس جماعات تبشيرية عديدة نجحت فى إدخال الكفار فى الإسلام . ولا يصح فوق هذا أن نغتنم الأداة على الروح التبشيرية فى الإسلام فيما قام به أهل الاضطهاد من ضروب العنف والقسوة ، أو أن نبتغيها فى جهاد هذه الشخصية التى تكاد تكون إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة ، شخصية المحارب المسلم يحمل سيفه فى إحدى يديه ويحمل القرآن فى الأخرى[1] ؛ وإنما يجب

(١) نشأ هذا التشويه لحروب المسلمين عن افتراض أن غزوهم لبلاد الكفار تضمن أن الفرض تحويلهم إلى الاسلام ، ولقد أوضح (جولد زيهر) هذا التمييز بين الأمرين فى كتابه (Vorlesungen über den Islam)

أن نلتمسها فيما بذله البشر والتاجر من جهد هادئ بعيد عن الفضول ، فحملا دينهما إلى كل مكان على وجه الأرض . ويريدنا البعض أن نحذو مثالهم فى الاعتقاد بأن المسلمين لم يلجأوا إلى مثل هذه الطرق السلمية فى التبشير والإقناع إلا حين أقعدتهم الظروف السياسية فجعلت من المستحيل أو من غير الكياسة استعمال العنف والقوة ، ولكن الحقيقة أن القرآن فى كثير من الآيات يحض على الرفق فى الدعوة ؛ ومن أمثلة ذلك :

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً . وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلاً » (س٧٣) (١١ — ١٢)

« إلا بلاغاً من الله ورسالاته » (س ٧٢) (٢٤)

« قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون » (س ٤٥) (١٣)

« وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ ، كذلك فعل الذين من قبلهم، فهل على الرسل إلاّ البلاغ المبين » (س ١٦) (٣٦)

« فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين » (س١٦) (٨٣)

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتى هى أحسن إلاّ الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » (س ٢٩) (٤٧)

« فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ » (س ٤٢) (٤٩)

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (س ١٠) (١٠٠)

« وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (س ٣٤) (٢٩)

وليست أمثال هذه الوصايا قاصرة على السور المكية ، ولكنها تكثر كذلك فى السور التى نزلت فى المدينة . ومن أمثلتها ما يأتى:

« لا إكراه فى الدين » (س ٢) (٢٥٦)

« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين » (س ٦٤) (١٣)

« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمّل وعليكم ما حملتم ، وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين » (س ٢٤) (٥٥)

« قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين » (س ٢٢) (٥٠)

« إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً » (س ٤٨) (٩ - ١٠)

« ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلاّ قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين » (س ٥) (١٥)

والغاية من كتابة الصحائف الآتية أن نبين كيف تحققت هذه المثل فى التاريخ ، وكيف تناول الداعون إلى الإسلام تلك المبادئ التى تعتزى إلى النشاط التبشيرى فجعلوا منها أموراً عملية ، كما أود فى بداءة البحث أن يفهم القارئ فى وضوح أننى ما قصدت من وضع هذا الكتاب أن أدون تاريخ العنف والاضطهاد فى الإسلام ، وإنما قصدت أن أدون تاريخ التبشير الإسلامى . وليس غرضى من تأليفه أن أتناول الظروف التى تحوّل الناس فيها إلى الإسلام بوسائل الإكراه والقسر — وهى مبعثرة هنا وهناك فى صحائف التاريخ الإسلامى — فقد أمعن الكتاب الأوربيون فى التنفير عنها والتهويل فى تدوينها على وجه لا يخشى معه من نسيانها ، ثم هى لا تدخل على وجه الدقة فى نطاق تاريخ التبشير الإسلامى . فلنجاوز هذا إلى تاريخ التبشير المسيحى ، وفى بطونه نتوقع بطبيعة الحال أن نقرأ عن الجهود التى بذلها القديس ليدجار Liudger والقديس ويلهاد Willehad بين الوثنيين السكسون أكثر مما نقرأ عن حالات التنصير التى أمر شارلمان أن تكون ، فكانت تحت قراع الرماح ورنين القسى ، فى جو من الرهبة تداعت فيه الأصوات وتجاوبت الأصداء[1] . كذلك الحال فى الدانمرك فقد اجتث ملكها كنوت Cnut الوثنية من بلاده بحد السيف ، ولكن بالرغم من هذا فالقديس أنسجار St. Ansgar وخلفاؤه هم الممثلون الصادقون للتبشير بالنصرانية هنالك . وفى بروسيا يمثل التبشير بالمسيحية القسيس جوتفريد

(١) راجع حوليات انهاردى فولدنسيس (Enhardi Fuldensis) سنة ٧٧٧ م وراجع كتاب (Monumenta Germanicæ Historica) تأليف (G. H. Petz) المجلد الأول صحيفة ٣٤٩ وراجع أيضاً صحيفتى ١٥٦ ، ١٥٩ من نفس الكتاب .

والأسقف كرستيان برغم ما منيا به من الفشل فى كسب الوثنيين البروسيين إلى دينهم، وبالرغم مما كتب من التوفيق لجماعة (إخوان السيف) وبقية الصليبيين الذين تيسر لهم أن يتموا بقوة النار والحديد ما بدأه جوتفريد وكرستيان . وفى ليفونيا نهضت طائفة من الفرسان تدعى (جماعة الاخوان السيحيين الحربيين) بإدخال أهل هذه البلاد فى النصرانية بوسائل الحرب والقسر، ومع مااقترن بجهدهم من العناء والفناء فالراهبان مينهارد وتيودوريك هما بحق رسولا المسيحية إلى هذه البلاد . ولقد لجأ الجزويت أحياناً إلى وسائل الارهاب والعنف[1] ، ولكن هذا لا يحط من قدر المآثر التى كسبها أمثال القديس (فرانسيس اكسافيير) والمبشرين الآخرين من الجزويت . ولا يقل عن أولئك كل ما يعزى إلى (فالنتين) رسول جزيرة أمبوينا إذ صدرت الأوامر سنة ١٦٩٩ لكل راجا من حكامها أن يعد عدداً من الوثنيين يتنصرون على يد هذا الرسول فى إحدى جولاته فى الجزيرة[2]

وتبدو حركة التبشير فى تاريخ الكنيسة المسيحية متقطعة غير متصلة ، فهذا عصر انتعاش وحماسة فى التبشير يعقبه عصر بلادة وجمود ، وذاك عصر تحل فيه وسائل الإرهاب والقسوة محل وسائل الإرشاد والدعة . وهذا بعينه هو شأن الدعاية فى الإسلام تنساق إلى المد ، ثم لا تلبث أن تستطرد إلى الجزر . ولكن لما كانت الحماسة التبشيرية فى كلتا الديانتين ظاهرة متميزة ، فتاريخ الدعاية فى كل منهما حرىٌ بأن يكون موضوع درس مستقل . وليس معنى هذا أن نبعد عنه بقية المظاهر الأخرى للحياة الدينية ، ولكن معناه أن نفرغ جهدنا فى واحد من هذه المظاهر له مميزاته الخاصة . إذاً فتاريخ الدعاية وتاريخ الاضطهاد يجب أن يدرس كل منهما درساً مستقلاً بعيداً عن الآخر ، سواء أكان ذلك فى تاريخ الكنيسة المسيحية أو فى تاريخ الديانة الإسلامية رغم ما حدث من تلازمهما فى بعض الظروف فى كلتا الديانتين ، ذلك لأن الدين

(١) راجع كتاب (تاريخ النصرانية بين الهنود) تأليف (ماتورين فسيير دلاكروز صحيفة (٥٢٩ — ٥٣١) طبعة لاهاي سنة ١٧٢٤

(٢) مجلة تاريخ الأديان (Revue d'histoire des Religions) المجلد الحادى عشر صحيفة ٨٩

المسيحى لم يستفض هذه الاستفاضة وينتشر هذا الانتشار فى كل الظروف بمثل الوسائل التى استخدمها فى فيكين Viken جنوب النرويج الملك أولاف تريجفسون Olaf Trygvesson الذى عمد إلى من رفضوا الدخول فى المسيحية فذبحهم أو قطع أيديهم وأقدامهم أو نفاهم خارج بلاده ، وبهذا نشر النصرانية فى كل أنحاء فيكين[1] . كذلك لم تكن نصيحة القديس لويس مبدأ يسير عليه المبشرون النصارى، تلك النصيحة التى يقول فيها: « إذا سمع أحد العوام شخصاً يطعن فى الشرع المسيحى ، فلن يذب عن دينه إلا بسيفه ، وليوغل بذلك السيف فى أحشاء الكافر إلى أبعد مدى يستطيع[2] »

ونجد بالمثل جماعات تبشيرية إسلاميه لم تستن تلك السنة البربرية التى عبر عنها مروان آخر الخلفاء الأمويين بقوله : « من لم يدخل من أهل مصر فى دينى ويصل كما أصلى ويتبع مذهبى لأقتله وأصلبنه[3] »

كذلك لن نعتبر المتوكل والحاكم وتيبو سلطان أصدق أمثلة المبشرين المسلمين لنخرج من الميدان أمثال مولانا إبراهيم الداعى إلى الإسلام فى جاوة وخواجة معين الدين ششتى فى الهند وغيرهم ممن لا يحصيهم العد وكان لهم فضل فى إدخال الناس فى الإسلام عن طريق الهدى والإرشاد السلمى وحدهما

ولكن بالرغم من أنه يمكن وضع فصل للتمييز بين اعتناق الدين عن طريق الاضطهاد والعنف وبين اعتناقه نتيجة الإرشاد والدعاية السلمية ، فإنه ليس يسيراً أن نتحقق الدوافع التى حملت الشخص على أن يستبدل بدينه القديم ديناً آخر . كذلك ليس من السهل أن يتجلى لنا إذا كان المبشرون بالدين قد تساموا إلى حد اعتبار الدعوة الدينية واجباً روحياً مقدساً ، واسترشدوا بالمثل الأعلى الذى أوضحناه فى الفقرة الأولى من هذا الفصل ،

(١) كتاب الأستاذ كونراد موورر (Die Bekehrung des norwegischen zum Christenthume) المجلد الأول صحيفة ٢٨٤ طبعة (München) سنة ١٨٥٥

(٢) كتاب تاريخ القديس لويس تأليف (جان سير دي جوانفيل) طبعة (N. de wailly) صحيفة ٣٠

(٣) كتاب (Severus) صحيفة ١٢١

ففي كلتا الديانتين نجد نفوساً متحمسة تجعل دينها محل الحقيقة العليا في حياتها ، وقد وَجَدَ مثل ذلك الكلف الشديد بالشئون الروحية مخرجاً في تلك الحماسة التي أدّت إلى اعتناق الحقائق الجزلة السديدة ، وإلى سيادة المذاهب والعقائد التي آمن الناس بصحتها ، وهذا كله مصدر القوة التي اشتدت بها عرى الحركات التبشيرية وثبتت قواعدها . وهناك قوم لم يعملوا أكثر من الاستجابة إلى دعوة الداعين ، ولكنهم اعتنقوا الدين الجديد بحماسة لا تقل عن حماسة الأولين ، وعلى نقيض هؤلاء وهؤلاء عرف الإسلام كما عرفت النصرانية قوماً آمنوا بكلتا الديانتين ، وكانت الشرائع الدينية لديهم مجرد ذرائع إلى ما يبتغون من الأغراض السياسية أو وسائل إلى ما يلتمسون من أوضاع للنظم الاجتماعية ، وهكذا اعتنق أولئك القوم دينهم الجديد على أنه ضرورة يخطرون أنفسهم عليها إخطاراً ، أو على أنها حلول مناسبة للمشاكل التي لم يعنوا بالتفكير فيها وإيجاد حلها بأنفسهم ، ومثل هؤلاء نجدهم على السواء في كلتا الديانتين ، إذاً فقد اعتنق الاسلام كما اعتنق النصرانية في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية قوم لا تصلهم صلة بهذه الحرقة الروحية ، وذلك الغليل النفساني الذي يسهّد المبشرين الصادقين ، وفوق هذا فتاريخ الحركات التبشيرية وما يصادفها من الأحداث إنما يعنى عادة بتدوين حالات التحول من دين إلى آخر دون العناية بتحليل الدوافع التي حملت الناس على استبدال دينهم بغيره ، وتاريخ التبشير الاسلامي على وجه الخصوص يفتقر افتقاراً بيناً إلى المادة في هذا الصدد لأن الأدب الإسلامي معوز إلى أخبار حالات التحول إلى الدين الإسلامي ، بينما اهتم أدب الكنيسة النصرانية بمثل هذه الحالات في الدين المسيحي وأحلها منه محلاً رفيعاً ، وعلى هذا فنحن في مجالتنا القادمة لموضوع النشاط التبشيري الإسلامي لم نستطع الوصول إلى طبيعة العوامل التي حملت الناس على الدخول في الاسلام ، سواء منها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية البحتة ، ولو أننا استطعنا في بعض الظروف أن نشير إشارات عرضية لما أحدثته بعض هذه العوامل من الآثار

عبد الفتاح السرنجاوي

قلت لنفسي ...

عجيبٌ أمر ابن آدم اليوم !! يكاد لا يعطف بعضه على بعض إلا المادة أو السطوة أو الشهوة ! أما ألفة الجنس للجنس ، ومتعة الإنس بالإنس ، وإجابة الحس للحس ، فقد أصبحت في هذا الزمان ، من الصفات الأثرية في الإنسان .

كانوا يقولون إن الناس مع الزمان ، يقبلون متى أقبل ، ويدبرون متى أدبر . فكنا نقول : كان ذلك والزمان كلبٌ يجري وراء سيده ، ما دام الرغيف في يده . أما اليوم فالزمان إنسان حر مفكر لا يتبع إلا المبدأ ولا يطيع غير الضمير . ولكن الواقع وا أسفا علمنا أن الزمان لا يزال كلباً ، وأن المال لا يزال رباً ، وأن حكمة الأولين لا تزال صادقة !.

لي صديق من رءوس العراق المرفوعة بالفضل والنبل والكفاية ، كان وهو في سلطان السيف وعزة القلم مرجع الرأي والهوى والحاجة . فلما نكبته في نفسه وأهله السياسة العشواء الجموح ، تجرد كالسيف، وتفرد كالأسد، وأصبح فإذا الوجوه أقفاء ، والأنصار أعداء ، والأحياء في دنياه موتى ؛ فلا رأس ينحني ، ولا لسان يحيي ، ولا يد تصافح . وظل وحده يعالج مرارة الحزن والحرمان والغربة حتى صحا الدهر من غفوته ، ونهض الحظ من كبوته ، فعاد إلى الوزارة ، وعاد الناس إلى الزيارة ، وقال الوجه الذي عبس وأشاح ، واللسان الذي ذم ونم : والله يا مولانا لا يعدل حزننا لنكبتك، إلا فرحُنا بأوبتك... ثم انعكست الصفات في الصحف ، فصارت الخيانة أمانة ، والبلادة زكانة ، والعقوبة شهادة ...

ابن عبد الملك

على هامش الفلسفة

الحقـــائق الأخلاقية

للأستاذ محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

ليس من الحق برغم ما سقناه في الكلمة السابقة من الشواهد على اختلاف الآراء والأفكار الأخلاقيـة تبعاً لاختلاف الأمم والشعوب والزمان والمكان – ليس من الحق مع هذا كله أن ننكر أن هناك حقائق أخلاقية عامة سايرت العُصُر وسادت في جميع البيئات

ذلك أنه من السهل أن نلاحظ أن الناس على ما بينهم من اختلاف مرجعه الجنس والبيئة والزمن يمتثلون لما يعتقدونه واجباً على أوجه مختلفة ، وقد تتباين كما رأينا أحياناً ؛ ولكنهم جميعاً يقبلون في قرارة أنفسهم فكرة الواجب ويعتقدون أن بعض الأعمال أعلى خلقياً من البعض الآخر . الكل يعلم أنه يوجد خير وشر ، ويحس الاحترام لبعض الناس والاحتقار لآخرين . الرجل الساذج في إفريقيا وأستراليا في خضوعه لتقاليده العجيبة وعده ذلك واجباً ، والمجرم الذي لا يخلف ما وعـد بعمله من مآثم ومناكر ، والذي يرى نفسه ملزماً من نفسه بعدم خيانة عصابته ؛ أولئك جميعاً عندهم خلقية مشابهة في صورتها لا في مادتها ومحتواها لخلقية الرجل الفاضل من هذه الناحية ، ما دام الجميع يرون القيام بالواجب أمراً مقضياً . ليس علينا إلا إثارة عقول هؤلاء المساكين الذين يخضعون هـذا الخضوع الأعمى لتلك التقاليد الظالمة ، وتفهيمهم أي الأعمال تعتبر واجبات يجب أن يقوموا بها ويعدوا تنفيذها أمراً إلزامياً

هذا التحقق وهو أنه يوجد لدى جميع الناس بلا استثناء منذ ابتدأوا يفكرون ويعملون نظريات وعواطف أخلاقية ، يجيز لنا أن نصف فكرة الواجب والخضوع له وعدَّ من يقوم به خيِّراً بأنهـا حقيقة أخلاقية عامة . ثم على رغم هذا الاختلاف الذي لا ريب فيه بين ما يسمى واجباً هنا وواجباً هناك ، ليس من النادر أن نلاحظ تماثلاً بين بعض النظريات الأخلاقية لدى جميع الناس . إنه من العسير بل من المستحيل أن نذكر وسطاً أو عصراً يعتبر الجبن فيه أفضل من الشجاعة أو الظلم أفضل من العدالة . العدالة اختلف الناس في فهمها وطبقت بطرق متغايرة في الأمم المختلفة ، هذا حق ؛ ولكن الرجل العادل كان ولا يزال محترماً دائماً لعموم فكرة اعتبار العدالة فضيلة خلقية

الرجل الذي على الفطرة ، بل الطفل الغرير ، يقبل بطيبة خاطر عقاباً يعتقد عدالته ، ويثور في نفســه على عقاب يراه ظالماً . ذلك معناه تأصل فكرة العدالة لدى الجميع ، العدالة العامة التي يحسها النـاس جميعاً ويحنون لها الرءوس إكباراً وإجلالاً ، لا العدالة القانونية المدونة في بطون كتب القانون والتي تتغير بتغير البيئات . وفي هذا يقول مُونتانى Montagne[1] الشاك الذي يرفض كل ما لم يقم عليه دليل لا ريب فيه : « العدالة في نفسها الطبيعية العامة، فيها من النبل ما ليس في العدالة الخاصة الأممية التي تنفذ عند الحاجة بسلطة الشرطة ورجال الأمن العام »

كذلك « فُولتير » نراه يدلل على عمومية عاطفة العدالة ، بعد أن بحث الأمر بحثاً دقيقاً ، بدليل مقنع إذ يقول : فكرة العدالة تظهر لي حقيقة من الطراز الأول ، يقبلها الجميع ويشعرون بوجوب احترامها ، حتى إن أكبر الجرائم نراها ترتكب تحت حجة باطلة من العدالة . الحرب ، وهي أكبر الجرائم الهدامة التي تتعارض والغرض الإنساني النبيل وهو المساعدة والتساند ، يجتهد في تبريرها من يشعل نارها أولاً بحجة الدفاع عن العدالة[2] »

لا أراني بحاجة لتدعيم هذا الرأي الذي يذكره « ڤولتير » ، فالحوادث التي تتوالى أمام أعيننا منذ سبتمبر الماضي للآن تؤيد لأقصى حدود التأييد هذا الرأي . لقد أنذر هتلر العـالم بحرب ضروس دفاعاً عن السوديت وحقوقهم المهضومة كما زعم ؛ واليوم يلعب هذه اللعبة موسيليني دفاعاً عن حريات الإيطاليين وحقوقهم ومصالحهم المهدرة في تونس وغيرها كما يقول ! وقبل ذلك استعمر الشرق والأمم المستضعفة تحت ستار من العدالة أوهى من بيت العنكبوت !

وإذا كان من الحق اعتبار العـدالة حقيقة عامة أخلاقية فكذلك عاطفة الضيافة والكرم ، تلك العاطفة السامية التي تنبئ

(١) أحد مشاهير الفلاسفة والأخلاقيين الفرنسيين (١٥٣٣ — ١٥٩٢ م) خلدته « Ses Essais » أي « التجارب » التي منها هذه الفقرة في الكتاب الثالث الفصل الأول .

(٢) من مؤلفه : « الفيلسوف الجاهل Le Philosophe ignorant »

بالإخاء الإنسانى ، نجدها ممدوحة موصى بها فى كل الأوساط والأزمان ؛ الأمم تعيّر بالبخل وتتمدح بالكرم إذا جدت دواعيه

وليس عجيباً أن ترى تقارباً بل اتفاقاً على كثير من الآراء والصفات الأخلاقية ؛ بل لعل العجيب ألا يكون مثل هـذا الاتفاق . ذلك أن الناس ، تقدم بهم الزمن أو تخلف ؛ السامى والآرى والشرقى والغربى والأسود والأبيض ، أى هم جميعاً لديهم معين للأخلاق يكاد يكون واحداً ، أو هو واحد فى أصله وإن اختلف فى بعض التطبيقات تبعاً لاختلاف الأزمان والبيئات ؛ ذلك المعين هو الضمير .

وفى هـذا يقول العلامة بارتلمى سانتهلير مترجم أرسطو من اليونانية للفرنسية فى مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطو : « ولنؤكد من غير أن نخشى الزلل أن حقائق علم الأخلاق فى الساعة الراهنة عند الأمم المتمدنة ليست منذ الآن محلاً للجدل بين النفوس الفاضلة ، وأن تلك الحقائق لا خوف عليها . يمكن أن يقع الجدل فى النظريات ، ولكن لأن سلوك الناس الأخيار هو فى الواقع واحد ، يلزم حتماً أن يكون بينهم قدر من الحق مشترك يستند إليه كل واحد منهم من غير أن يستطيع مع ذلك فى الغالب أن يقف غيره عليه ولا أن يدركه هو نفسه . ومن النادر أن يقع إجماع الآراء على طريقة بسط مذهب بعينه مهما أجيدت ومهما بلغت من الحق ، ولكن من الأفعال ما هو مقر عليه عند جميع الناس ؛ وبيّن أن هذا الإقرار العام سببه أن هذه الأفعال تابعة لمبادئ مسلمة عند الجميع ، وتقع على مقتضاها من حيث لا يشعر الفاعل لها فى غالب الأحيان »[1]

ثم يقول فى موضع آخر : غير أن قانون الأخلاق ليس قانوناً شخصياً بل هو قانون عام ، قد يكون فى ضمير أشد قوة وأكثر وضوحاً منه فى ضمير آخر ، ولكنه موجود فى كل الضمائر بدرجات تختلف قوة وضعفاً . إنه ليناجى جميع الناس بلهجة واحدة ، وإن كانت أفئدتهم لا تصغى إليه على السواء . ينتج من ذلك أن قانون الأخلاق ليس فقط قاعدة للفرد بل هو أيضاً العامل لوحدة الروابط الحقيقية التى تربط الفرد بأمثاله . لئن كانت الحاجات تقرب بين الناس فإن المنافع تباعد بينهم إذا لم تكن تذكى بينهم نار الحرب .

(١) كتاب الأخلاق لأرسطو ترجمة الأستاذ لطفى السيد باشا ص ٧

فلولا الاتحاد الأخلاقى لكانت الجمعية البشرية محالاً[1]

ولعمر الحق إن هذا لا يحتاج إلى أى تعليق لبيان صحة ما فيه من آراء .. فهناك كثير من المبادئ الأخلاقية مسلمة بشهادة الواقع من الجميع لصدورها عن معين واحد ، قد يختلف قليلاً أو كثيراً بعض الأحيان ، لكنه واحد على كل حال

على أن التاريخ يكشف لنا أمراً آخر يجب أن يكون موضع تقديرنا وأن نلق عليه أهمية لها خطرها : المثل الأعلى الأخلاقى يقاسى الكثير من التقاليد فى بعض الأزمنة والبيئات ، هذه التقاليد التى تراها حجر عثرة فى طريق المصلحين دائماً . تصفح تاريخ أمة من الأمم تجد فى فترات مختلفة سعدت الإنسانية ببعض كبار الأحلام والفكر الراجح الذين كانت رسالاتهم معارضة للتقاليد الضيقة التى تسيطر فى أيامهم بمثل عليا رحبة صالحة للجميع . حقا إن الرأى العام كان يقف ضد هؤلاء العباقرة ، إلا أن المستقبل كان يحكم بأنهم على حق فيما بشروا به ، كما أن الإنسانية باركت هذه الثورات ، الثورات المدينة لها بخلقية أعلى وأفضل ، وأذاعت فى جنبات الأرض أن هؤلاء الذين ثاروا على التقاليد هم النبلاء المحسنون للانسانية عامة

ولعل من الخير ومن الواجب أن نلاحظ أن تلك التقاليد الدينية أو الاجتماعية التى عارضها أولئك المصلحون كانت مختلفة أشد الاختلاف فيما بينها ، وأن هذه الآراء الأخلاقية ، والمثل التى كانوا يدعون لها فى الأزمنة المختلفة والبيئات المتعددة تعطينا مشابهة مدهشة عجيبة وانسجاماً خارقاً يجيز لنا أن نقدر أنهم كانوا يصدرون عن معين واحد فيما وقفوا أنفسهم على تحقيقه . وموعدنا ببيان ذلك الكلمة الآتية إن شاء الله .

محمد يوسف موسى

* * *

وقع خطأ فى مقالنا الذى نشر بالعدد ٢٩١ ــ المهارة فى الفن وصوابها : المهارة فى النش .

(١) المرجع نفسه ص ١٦

اسطلاع صحفى (ريبورتاج)

البحث العلمى فى كلية العلوم

جولة فى معاملها

« فى كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول نهضة علمية يسودها روح البحث والاكتشاف ويشرف عليها الأستاذ الرياضى الدكتور على مصطفى مشرفه بك عميد الكلية

وقد آثرنا أن نقدم لقرائنا نبذة قصيرة عما يدور بين جدران هذا المعهد من أبحاث ترفع رؤوسنا وتشعرنا بأننا نقدم للعلم نصيباً من البحث كأمة حية ناهضة »

معهد للبحث

فى الطابق الثانى من بناء كلية العلوم غرفة صغيرة هادئة ، تشاهد فيها دائماً شخصين ، أحدهما يواجه النافذة وينظر إلى مجهر يكبر له أنسجة النبات فيرسمها على قطعة من الورق ؛ بينما اختار الثانى لنفسه ركن الغرفة بعيداً عن الأيدى والأرجل، فجهازه معقد طويل يتكون من عدة أوان زجاجية تتصل بآلة كهربائية تسجل درجات الحموضة أو القلوية فى التربة أو النبات

الأول هو الدكتور جريس والثانى هو الدكتور عبد الحليم منتصر ، يبحث الأول فى النباتات المصرية القديمة ومنها يعرف تاريخ الأمراض التى تصيب النباتات كما يعرف شيئاً عن التطور الذى تناول النباتات المصرية الحديثة ، ويقوم الثانى بتجاربه ليبين للناس خواص التربة المصرية ونباتاتها ، فقد صرف الدكتور منتصر كثيراً من وقته وعلمه حتى قدم عدة أبحاث عن تركيب التربة المصرية وعلاقتها بالنبات

وكلا الأستاذين من أعضاء هيئة التدريس فى كلية العلوم . فالأستاذ أو المدرس أو المعيد فى كلية العلوم لا يقصر همه على تلقين الطلاب بعض الدروس ؛ ولكنه مسئول أمام نفسه وأمام العلم أن يقدم للعالم بحثاً يدل على أنه يصرف وقته لمنفعة الانسانية؛ ولذلك لا يكاد يمر شهر واحد حتى ترى بحثاً جديداً تنشره مجلات العالم العلمية التى يدل النشر فيها على أن البحث جديد على الناس وأن الباحث أضاف مادة جديدة تدعم مدنية المجتمع

الأدوات الأولية للبحث

ومهمة الأستاذ فى كلية العلوم تختلف عنها فى الكليات الأخرى ؛ فقد يقتصر الأستاذ فى كلية الآداب مثلاً على إلقاء المحاضرات وتلقين الطلاب مختلف أساليب البحث ، ولكن أستاذ كلية العلوم مطالب بأن يجعل من أبنائه علماء باحثين يكشفون أسرار الطبيعة ويظهرون للناس خواص المادة ، يهتمون بالمجهول أكثر مما يهتمون بالمعلوم . فعملهم هو إزاحة الستار عما غمض فهمه ، ولذلك قلما يهتم المدرس أو الأستاذ بما حصله تلاميذه من قوانين معروفة أو نظريات ثبت وجودها ، فإن هذين الشيئين يعتبران الأدوات التحضيرية للعمل فى كلية العلوم

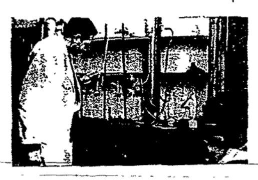


الدكتور عبد الحليم منتصر يسجل بجهازه الدقيق درجة الحموضة والقلوية فى التربة والنبات

ومقياس النجاح عند الأستاذ أن يرى طلبته يصلون إلى نتائج سريعة ، ولذلك يهتم بأن يدل كلا منهم على أفضل المراجع التى يلم فيها الطالب بموضوعه . وإذا قلنا المراجع فليس معنى هذا أن الأستاذ مستعد لأن يرشد تلميذه فى أى موضوع بل إنه مستعد لأن يقدم له المعونة والإرشاد فى الناحية التى تخصص فى دراستها. فقد اتسع مجال العلم حتى قسم إلى أقسام تجزأت إلى فروع والفروع إلى موضوعات . ولذلك يحتاج الباحث كثيراً أن يترك بلاده ومن فيها من أساتذة ليذهب إلى جهة معينة حيث يجد أستاذاً اختص فى نفس البحث الذى يقوم بتحقيقه . وهناك جامعات بكافة فروعها اشتهرت بالبحث فى موضوع واحد كما هى الحال فى إحدى جامعات انجلترا العظيمة التى أصبحت قاعدة لدراسة مادة الراديوم وخواصه

استقرار

وليس اتجاه جامعة من الجامعات إلى دراسة معينة من الأمور الهينة فهو يحتاج إلى استقرار الحياة فى تلك الجامعة مدة طويلة كما يحتاج إلى أساتذة ثابتين يضمنون مراكزهم إلى أن تأتى نهايتهم . فطبيعة البحث والاستقراء العلمى بطيئة يجسد فيها العلماء على طول صبرهم . فهناك علماء قضوا طول حياتهم جادين وراء مبحث واحد . ولعلك تذكر ما ذكرناه فى عدد ماض من أن أحد أطبائنا صرف عشرين عاماً ليكشف أسباب مرض تضخم الطحال



وديع افندى يقوم باحدى التجارب للوصول إلى أسهل طرق الصباغة

ويحتاج البحث العلمى إلى أجهزة خاصة بعضها دقيق وبعضها كثير التكاليف مما تعجز عن شرائه مالية الأفراد، ولذلك لا مفر من هيئات قوية تحمى تلك الأبحاث وترعاها حتى يجد العلماء واسطة يقدمون عن طريقها ما فى رءوسهم من جذوات تنير طريق المجتمع

وعدم الاستقرار هو الظاهرة السيئة المشاهدة فى كلية العلوم، فإن أكثر أساتذتها من الأجانب الذين يشتغلون بعقود محدودة الأجل . فلا يضمن الأستاذ بقاءه فى مصر أكثر من المدة التى نص عليها عقد استخدامه ، وهو لذلك ضنين بجهده أن يضيع فيما لا ينتج ، فقد يبدأ بحثه وينتهى عقد استخدامه وهو فى خطواته التمهيدية .

فمن الطبيعى لهذه الأسباب أن يقصر الأستاذ بحثه على موضوعات قصيرة سهلة التناول سريعة الفحص . ولا شك أن مجهود الأساتذة الأجانب مجهود مشكور ؛ إلا أن أبحاث كليتنا لن تتخصص إلا بعد أن ينعم كل أساتذتها بالاستقرار . وهذا لن يتحقق إلا إذا أصبح كل أساتذتها مصريين ، وأملنا عظيم فى أن يحل ذلك اليوم سريعاً . فى كل معمل كيميائى أو نباتى تشاهد الأيدى المصرية تقوم بنصيبها لتقرن الغاية العلمية بالفكرة الوطنية فيسيطر المصريون على جامعتنا ليوجهوها إلى الناحية المقصودة

هيئة العلم

وتقوم الدراسات فى كلية العلوم على أساس البحث العلمى . فالطالب فى سنى الدراســة النظامية إلى أن يحصـل على درجة البكالوريوس مطالب بأن يحقق نظريات معروفة ويختبر بنفسه عمليات فرغ منها سواه ليتدرب على طرق البحث العلمى ، ويطلع على أساليبه . فإذا جاز امتحان البكالوريوس فهى شهادة بأنه قادر على البحث العلمى تحت إشراف أستاذه . ويراقب أساتذة الكلية أبحاث خريجيهم ، فيسدون إليهم النصح ويدلونهم على المراجع التى تسهل لهم الوصول إلى النتائج التى يبحثون عنها

وإن المشاهد ليدهشه أن يرى هيئة التدريس فى الكلية تعمل بنشاط مستمر فتتقدم بأبحاثها فى كل شهر وكل سنة، فإن الموظف يبدأ فى الكلية معيداً بدرجة بكالوريوس ليرقى بعد فترة فيحصل على درجة ماجستير ثم دكتور . فمن المظاهر البارزة هناك أن كل شخص مقيد يبحث يعمل ليله ونهاره لتحقيقه . وقد أتاحت لى الفرصة أن قضيت الصيف الماضى مع أحد معيدى الكلية فكان دائماً يجلس إلى شاطئ البحر فى أوقات فراغه ليقرأ كتاباً عن « الامتصاص السطحى » وهو جزء من بحث يقوم به بين جدران الكلية .



لم تخش هذه الآنسة على جمال يديها أن تشوهه المواد الكيماوية ، فهى تقدم عن المرأة نصيبها فى سجل البحث العلمى

وتنصب أكثر أبحاث الكلية على موضوعات مصرية، فتجد موريس أفندى يبحث فى الامتصاص السطحى للقطن، ووديع أفندى

يبحث فى تركيب أنواع الأصباغ . وقد تمكن بعض الأساتذة المصريين من اكتشاف عائلات من النباتات والحيوانات المصرية التى لم تكن معروفة من قبل . ونظرة واحدة فى تقارير الكلية تبين لنا ضخامة العمل الذى يقوم به أولئك الباحثون فى غرفهم

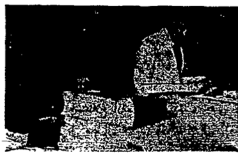
ففى كل قسم عشرات من الأبحاث . وتصدر الكلية نشرة صدر منها حتى الآن ثمانية عشر عدداً ، وتحتوى على أبحاث قومية جديدة على العلم . هذا خلاف ما ينشر فى المجلات العلمية الأجنبية التى تشعر العالم الخارجى بوجود العلماء المصريين أكثر مما نشعر نحن بوجودهم . فما زلت أذكر ما أصاب ذراعى من « تنميل » أصابه لثقل مجموعة النشرات التى حملتها إلى دارى لأعرف بعض ما يفعل أولئك الناس . ففى الكلية ثمانية أقسام لا يقل عدد الموضوعات التى تبحث فى كل منها عن عشرين بحثاً ، إلى أن إنتاج الكلية لا يقل عن مائة بحث فى السنة

وتعتمد هذه الأبحاث هيئات علمية أجنبية محترمة فيرسل البحث إليها لمراجعته وتحقيقه وإبداء الرأى فيه؛ فإذا وافقت الهيئة المنتدبة على اعتباره بحثاً جديداً صحيحاً منح صاحبه الدرجة التى يستحقها إذا كان الغرض من تقديمها الحصول على درجة . والدرجات ثلاث: البكالوريوس وقد تكلمنا عنه، ودرجة الماجستير وهى اعتراف بأن حائزها يمكنه أن يقوم بأبحاثه مستقلاً تمام الاستقلال وتؤهله للحصول على درجة دكتور التى يجب للحصول عليها أن تقرر لجنة الامتحان أنها تضيف مادة مبتكرة إلى الإنتاج العلمى .

نسيج العلم الحى

وقلما تجد فى كلية العلوم طالباً لا يطمع فى الحصول على إجازة الدكتوراة ويسعى إليها . فإن روح الكلية لا تفهم إلا معنى واحداً وهو إضافة مادة جديدة إلى نسيج العلم الحى . وقد يعجب الناس ويقولون: وما لنا لا نسمع عن هذه الأبحاث ولا نراها ؟ والجواب على ذلك سهل بسيط، فإن الباحث العلمى يضع الحجر الأول للاستغلال الاقتصادى والصناعى فهو يضع النظرية اليوم ليمكن استغلالها بعد عشرات السنين . وما زال كثير من النظريات التى تحقق وجودها علمياً بعيدة عن التطبيق فى الحياة العامة : فهل تمكن العالم بعد من الاستفادة من تحطيم الذرة ؟ إنهم يعرفون ما فيها ولكن هل وصلوا إليه ؟

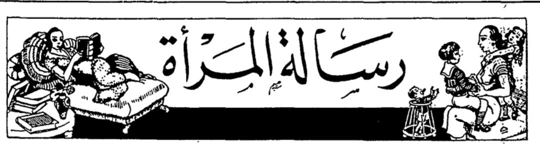
وثمة سبب آخر حجب أعمال هذه الكلية عن الشعب حتى اختلط على الناس اسمها واسم دار العلوم ، فقد حكى لى أحد الأساتذة أن أحد الوزراء السابقين كان يجهل الفرق بين كلية العلوم ودار العلوم ! ويرجع هذا الجهل إلى اعتزال الكلية وعدم اهتمامها بالدعاية اللازمة لها . فإن الدكتور مشرفة عميد الكلية من ألمع الشخصيات العلمية فى الخارج وخصوصاً لأبحاثه عن العلاقات بين المادة والإشعاع التى علق عليها عظاء العلماء فى أوربا كالسير أليفرلودج والسير جيمس جينز . ولكن هذه الأبحاث ما زالت مجهولة من أكثر المصريين



أمين المكتبة ويجد الباحثون عنده كل المراجع التى يحتاجون إليها فى المجلات أو فى الكتب

وللكلية مكتبة كبيرة يشرف عليها برهان الدين افندى وهى مكتبة خاصة بالكتب العلمية التى يحتاج إليها الطلبة والأساتذة فى دراساتهم. ومن أهم أقسامها المجلات فإنها الرباط الوحيد بين الباحثين ومنها يعرف الإنسان ما يدور فى المعاهد الأخرى وقد يصل بعض أعداد هذه المجلات إلى عدة جنيهات. ويصرف على المجلات وحدها ٥٠٠ جنيه وعلى الكتب ٨٠٠ جنيه فى السنة

فوزى عبد الشترى



بين المـــرأة والرجل

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

الشرق والغرب شرع واحد فى المسائل التى تتناول الأحاسيس والعواطف ، بل الحب — بنوع خاص — فى مختلف أنواعه وحالاته ، والمرأة هى هى فى كل مكان وزمان . والتحليل الدقيق للقصص الأربع التى تفضلت حضرة الأديبة الكبيرة محررة « رسالة المرأة » باستطلاع آراء القارئات فيها ، يحملنى أردّ تصرفات المرأة فى كلٍّ منها إلى تلك الأصول البدائية التى ركزت فى نفسها مركبات قوية متناقضة تكاد تكون من الغرائز النسوية لأنها اندست فى أغوارها حقباً طويلة دون أن تدريها ، فطبعتْ سمتها على حياتها وآرائها ، ووجهتها إلى نواح متشعبة كانت مصدراً خفياً لأعمال تنفع وتضر على السواء . ولعلّ من أعظم هذه المركبات ما يسمى « مركب النقص » فإن المرأة منذ بدء عصور التاريخ البشرىّ قد كانت فى الغرب موضوع حب الرجال وإعزازهم ، وكان التغنى بمحاسنها والتشبيب بها موضوع قصيدهم وأناشيدهم ، على أنهم رغم بلوغهم أوج التعبد لها ، ما برحوا حتى العصور الوسطى بل والحديثة يوجسون خيفة منها ويعدونها بلاءً مقنعاً وشراً مستطيراً . وكانوا إذا تفوقت إحدى النساء فى ذكائها أو بسالتها يتهمونها بالسحر والشعوذة ، ويجعلونها غرضاً لسهام طغمة كبيرة من رجال الدين . أما فى عصور الوثنية والجاهلية فى الشرق فقد أجلسوها على عروش الربوبية ، وجعلوا من العذارى الجميلات كاهنات لمعابد أصنامهم ، ثم بقيت من العصور الوسطى وما بعدها كأنموذج لحسن ضائع ، وكقنية ثمينة يدخرها الملوك والولاة فى قصورهم ، أو ملهاة جميلة يتسلون بها بعد عودتهم من غزواتهم ورحلات قنصهم ، ثم اتخذوا منها إكليل الغار الذى يتوّجون به كل بطل صنديد مكافأة له على شجاعته ، أو ثمناً لعبقريته ومواهبه ... ولقد أدّى هذا كله إلى إشعار المرأة بعجزها ونقصها ، ودفعها إلى تغذية رغبتها فى الظهور أمامهم لا بمظهر الندّ والنظير فقط ، بل محاولة التفوق عليهم وعدم الاستخذاء لهم ، والجدّ فى الظفر بإخضاعهم لنفوذها الآمر .

وعندى أن هذا هو « مركب النقص » الذى يعدّه كثيرون من كتّاب المرأة غريزة أساسية من غرائزها ، بل ميلاً قوياً من ميولها الفطرية التى تغريها بحب السيطرة فى إيجاع وإيلام للرجل ، ولكنى أرى أن هذه الغريزة المزعومة ليست أصيلة فى المرأة ، بل هى فى الحقيقة صورة ظاهرة من صور الحب التى مرجعها حب الذات ، والتى تختصر تاريخ النزاع المديد الشديد الذى قام بينها وبين ذلك الرجل الذى ظل أحقاباً متعاقبة يقهرها ويحتجزها كغرض من أغراض العاطفة الرخيصة . على أن ذلك النزاع لم يلبث أن استحال إلى حرب نظامية تطورت وصارت خطة سياسية أو وسيلة نسوية ، أخذت الآن تتضاءل وتتقلص حتى لتكاد تختفى فى أعلى طبقات السيدات تهذيباً وأرقاهن علماً وثقافة ..

أجل ، هى صورة ظاهرة من صور الحب التى مرجعها الذات والرغبة فى إثباتها بشكل أكمل وأوضح ، وتحديد مكانها فى حيز الوجود . بل هى مظهر راق لحب الذات مصدره إعجاب المرأة بالقوة ، ذلك الإعجاب الذى ينسبه سبنسر فيها إلى نمو شعورها الدينى ، وحنينها إلى اللياذ بقوة أعظم من قوتها ، فهى حين تظهر سيطرتها على الرجل ، إذ تطالبه باستعراض مجازفات إقدامه وصلابة مكسره وصرامة بأسه أمام الملأ ، إنما تريد أن تتبذخ بقوته ، لأنها كما تقول الكاتبة الإنجليزية جورج أليوت : « لا تستطيع أن تتعلق بالرجل الخوار الهشيم » . ثم إنها حين تستفز فيه روح المنافسة والغيرة ، ولو عن طريق الخطار بحياته ، تعمد إلى امتحان حبه ، وتتطلع إلى مبلغ تهافته على الاستئثار بإعجابها ، وإرضاء نزعات تدللها وتيهها ، بطرائق تسير ذكرها فى الآفاق ، وتفشى تدلهه بحبها على الألسنة ، وترجّع صدى هيامه بها فى المحافل ، وتذهب سمعه فى الناس ، ولا تتوانى فى سبيل سعيها لامتلاك قلبه عن

إثارة زهوه بتقريظ شهامته وتملق رجولتــه وإطراء نخوته ، فلا يتوانى هو بدوره عن حمل نفسه على المخاوف والمعاطب واقتحام المهلكات والمتالف

ولكي نقرب من إنصاف المرأة مع ذلك ، أصرح بأن ما يبدو منها من حب السيطرة ، لا يمكن أن يؤخذ على معناه المطلق ، لأنه لا يتجاوز ميلها الفطرى إلى التسلط على قلب الرجل ، ونيل الحظوة فى عينيه . ولئن رغبت فى أن تكون محبوبة منه بكل قواه ، فإنما رغبتها الأولى أن تكون هى المحبّة . وأكبر اعتقادى أن ما تبذله من قبيل استمالته إليها ، ليس إلاّ نتيجة لتلك الرغبة الملحة ، وعلى كل حال فرغبتها ورغبته مترابطتان ، والغالب أن يكون الحب متبادلاً بينهما . ولقد قدمتُ أن المرأة الراقية المهذبة ، قد تمكنت بفضل العلم الناضج من معالجة «مركب النقص» الذى أذكته فيها سيادة الرجل فى مثل البيئات والأحوال الخاصة التى سردتها حضرة الآنسة الفاضلة « زينب الحكيم » فى قصصها ، وأصبحت الفتاة اليوم تتوخى فى عهــد خطبتها وسائل متزنة للسيطرة على قلب خطيبها وشريك حياتها ، فأبت أن تتبع ما كانت تتبعه أختهــا فى العهــد الماضى من ضروب إحاطته برعاية الأم الحانية على طفلهــا الرضيع بنواهيها العديدة ، لأنها قد تحققت أن فتى اليوم ، يكره القيود التى تغلّ الإرادة وتشلّ القوى ، ويرفض الانصياع لمن تمحضه النصح على الولاء ، بارتداء الملابس الصوفية إذا ما لاحت بوادر الشتاء ، واستصحاب زوج إضافى من الجوارب السميكة إذا خرج لمباراة فى لعبة الجولف ليتقى بها الأمطار فى حالة هطولها ، وأن يتعشى بفالوذج اللبن والبيض ، وأن يعنى بتهوية مسكن العزوبة المجدب من أناقة المرأة وعنايتها ؛ لأن الحياة الرياضية ، التى يحياها فتى اليوم ، فى فرق الكشافة والجوالة والتدريبات العسكرية ، قد جعلته واسع الحيلة فى شؤون المعيشة ، شديد الاعتماد على نفســه ، كبير القدرة على العناية بصحته وبمسكنه ، وأصبحت فتاة اليوم تتجنب إظهار امتلاكها له أمام الناس ، والتحدث بحقوق الاختصاص التى وضعتها عليه كما لو كان بعض الدواجن التى تدللها وتستصحبها معها فى المنتديات العامة مباهية بسيطرتها عليه . وأصبحت تتجنب الاعتداد بنفسها ، والاستعلاء عليــه وإبداء البرودة نحوه والإكثار من معاتبته والتفلسف فى تحليل كل صغيرة وكبيرة من تصرفاته ومحاسبته على كلامه والإغراق فى أخذه بمغالبات جدلية ومناقشات منطقية ، وإملاله بسرد النظريات العلمية والتخيلات الروائية ، وإذاعة المعلومات وآخر النشرات الإخبارية الشائعة بين أفراد طبقتها ، والظهور أمامه بمظهر الحزن والاكتئاب والتجهم ويقظة الضمير والإفراط فى ادعاء الورع والتدين ، وتحوير الأمور وتحريفها وقلب ظاهرها لباطنه ؛ وأخذت تبدو أمامه على الدوام متهللة الغرة ، قريبة منال البشر ، طيبة النفس فكهة الأخلاق ، فى احتشام الفتاة ، وخفر العذراء ، وكرامة السيدة وجلالها وصراحتها وثقتها ومحبتها ووفائها وطاعتها . .

ولعــله يحسن بى أخــيراً أن أنتحى ناحية الرجل فأقول إنه يستطيع تحقيق المثل الأعلى للفتاة كزوج حين تجتمع فيــه أنبل ميزات الرجولة وأكرم أخلاقها وأمجد مناقبها ، فتجد فيه القوّام المخلص العطوف المطاوع ، والشريك الحازم الرشيد الأمين الكريم الذى يتفانى فى توفير أسباب الراحة والطمأنينة لها ، ويتعاون معها على إسعاد العمران ، والسمو بالمجتمع الإنسانى إلى مراقى الكمال المنشود .

الزهرة



الحيـــاة

هل هى وليدة المصادفة ؟

للدكتور محمد محمود غالى

من تفكير مدام كيرى — هل نحن والتفاحة شىء واحد — هل تكتب القردة بيتا من الشعر — وهل يرفع الماء طوبة مضمورة فيه — إمكان الحياة على كويكبات أخرى — شعورنا بأنها غير وليدة المصادفة .

فى خطاب لمدام كيرى مكتشفة الراديوم لبنت أختها « زلاى » ما يدعو لإنعام النظر ، لهذا أذكر منه بعض الفقرات :

« عُنى ابنتاى فى الربيع بتربية دود القز وكنت وأنا مريضة أتتبع مدة عطلتى بالمنزل التطورات التى تحدث عند تكوين الشرانق ، وكانت لى فى ذلك لذة عجيبة ، فقد لفت دود الحرير نظرى إلى الشعور بجنسها العجيب الذى يُشبهنا فى ناحية الجلد على العمل والنشاط والمثابرة

لقد ثابرت طول حياتى على العمل لغرض واحد ، وقمت بهذه المهمة دائماً نحو غرضى رغم علمى أن حياتنا سريعة العطب محتومة الفناء لا تترك شيئاً أيا كان وراءها ، ولا بد أنى فعلت ذلك لأن وراءنا شيئاً يحفزنا للعمل ، لعله نفس الشىء الذى يحفز الدودة لتبنى هذه الشرنقة ، هذه الدودة المسكينة يجب عليها أن تبدأ هذه الشرنقة التى من المستحيل عليها أن تتمها ، فهى كما نعلم لا تصل إلى نهاية مهمتها بل تموت فى طريق العمل دون تعويض

فليستمر كل منا يا عزيزتى فى نسج شرنقته دون أن يسأل لماذا وإلى أية نهاية »

حياة النملة أو دودة القز أو الإنسان ، هذه الحياة وما تخفى وراءها من حافز شخصى وما تكنه من وراثة بعيدة المدى ، تلك الوراثة التى تحفزنا للعمل المستمر ، هذه الحياة — وأدهش ما فيها الإنسان الحى — نريد أن نعرف الفكرة فى منشئها وتبين علاقتها بالكون ، ويتناول هذا الموضوع مدرستان أو مذهبان :

الأولى تعتقد أن الحياة وليدة لمصادفة وقعت فى الكون ، وأن الكون لم يكن فى نشأته مخصصاً أو مقصوراً عليها . والمدرسة الثانية تقول عكس ذلك وتعزو للحياة وللإنسان أهمية خاصة

أما عن نفسى فإن إحساساً خفياً وإن كان غير مَبْنِىّ على حقائق علمية أو على أساس فى العلم التجريبى يدفعنى إلى أن أكون من أنصار المدرسة الثانية

أن تحاول إقناعى اليوم أننى والتفاحة التى آكلها شىء واحد، وأنى والمحبرة التى أكتب الآن منها مركب متشابه من النيترون والالكترون وغيره وأن ترتيباً خاصاً من هذه الذرات وما يدور فى غلافها من الألكترونات هو الذى جعل هذه تفاحة تُنبت غيرها من التفاح وجعلتنا آدميين ننسل غيرنا من جنس الإنسان وجعلت هذه محبرة لا تصلح إلا لتمكننى من أن أمد القارىء بهذه الأسطر

أن تحاول أن تُدخل فى روعى أننى وبقية النبات أو الجماد شىء واحد وأن الحياة ظاهرة وليدة الصدفة كظاهرة المغناطيسية أو الإشعاع المادى ، وأننى وهذه الكائنات نتساوى ، كل هذه مسائل لا أجد من نفسى تساهلاً فى قبولها

قد تكون بليغاً جدًّا فى محاولتك ، وقد تكون براهينك العلمية والعملية من القوة بحيث تطأطىء الرأس لحججك ، وبحيث لا نستطيع اليوم أن نُقنعك بطريق العلم النظرى أو العلم التجريبى بخطأ علمك وتجاربك ، ولكن غريزة فى النفس تشبه الغريزة التى تحمل دودة القز السابقة على العمل وتحملك على الخروج من المنزل كل يوم لكسب عيشك ، تدفعنى إلى أن أخالفك فى الرأى ، ويداخلنى شعور يستقر فى نفسى يوحى إلى أننا نختلف عن التفاحة والمحبرة اختلافاً مبيناً ، وأن فى جوهر حياتنا ما يجعلنا نفترق عن الأشياء وعن الظواهر الأخرى للكون

فى محاضرة لمسيو روجيه عميد كلية الطب السابق بباريز حضرتها فى شتاء ١٩٣٤ بين آلاف المستمعين فى إحدى ردهات بوليفارد سان جرمان بالحى اللاتينى ، ألقاها فى جماعه العقليين Les Rationalistes التى هو وكيلها تعرّض للحياة وعلى الأخص لما نسميه الروح والعقل . ولو أنك حضرت هذه المحاضرة لأيقنت أن روجيه على حق ، ولخرجت مثل الكثير مقتنعاً بأنك والتفاحة وباقى الكائنات شىء واحد ، وأن ما نسميه العقل والروح والنفس وغير ذلك ما هو إلا نوع من الآمال التى نتصورها لأنفسنا ، وأنه لا وجود لها إلا فى خيالنا . ليست أمامى الآن محاضرة الأستاذ روجيه حتى أعيد قراءتها وألخص لك نقطها القوية التى تستند إلى وقائع فعلية وتجارب عملية فى الطب والتشريح المقارن والتى تعرّض فى ختامها لفلسفة برجسون Bergson التى لا يعترف بصحتها ويهاجمها هجوماً عنيفاً

ولعل رأى روجيه يمثل رأى غالبية العلماء زملائه اليوم من الأطباء والبيولوجيين . والظاهر لى أننا إن أردنا أن نستدل على تفسير للحياة بين علماء الطبيعة والرياضة المعاصرين فإنه يغلب على الظن أننا نصل إلى النتيجة نفسها . وهاهو ذا السير جينز Sir James Jeans فى كتابه « العالم الغريب » يقول وهو يتكلم عن الأرض كسيار انفصل عن الشمس : إننا لا نعرف كيف ومتى ولماذا تولدت الحياة بطريق الصدفة فى واحد من هذه الأجزاء التى تناثرت من الشمس وهو الأرض

هذه الحياة التى بدأت فى مخلوقات بسيطة لا نعرف فى المبدأ شيئاً غير أنها تتوالد ثم تموت . أجل هذه الحياة التى ابتدأ خيطها يطول ويتعاظم إلى أن وصلت إلى هذا الوضع المعقد الذى تتوالد فيه كائنات تهب الجزء الأكبر من عمرها لأطماعها ورغباتها بل لأديان وضعت فيها أكبر آمالها . وإن شيئاً من التأمل فى البحث عن صلتنا بالكون المحيط بنا يحملنا كما يقول ذلك السير جينز على الفزع ، فالكون يفزعنا بعظم مسافاته الشاسعة وبطول الزمن الذى يمر ويبدو كأنه لا نهائى ، والذى لا يُعد تاريخ الإنسانية فيه إلا لمحة من البصر — الكون يفزعنا بوحدتنا وبضآلة المادة التى يتكون منه عالمنا الشمسى بالنسبة إلى ملايين العوالم ، وإن أرضنا على حد تعبير السير جينز ما هى إلا جزء واحد من مليون جزء من حبة رمل من مجموع كل رمال الشواطىء — إنما الفزع أن ندرك أن العالم أصم لا يشعر بنا وأنه ممانع لكل نوع من الحياة تشبه حياتنا . فالفراغ بين العوالم أو الشموس من البرودة بحيث أن كل حياة تنتهى فيه بالجمود والموت ، والجزء الأعظم من المادة المكونة للنجوم ، من الحرارة المرتفعة بدرجة تجعل كل حياة فيها مستحيلة ، ويصل إلى هذه الأجرام من الأشعة المختلفة ما هو غير ملائم للحياة وقاتل لها . ويكفى أن أذكّر القارئ أن طبقة الأوزون المحيطة بالكرة الأرضية تحمينا من الإشعاعات القاتلة

فى عالم هذا وصفه ألفينا أنفسنا مخلوقات فيه تتحرك وتفكر . ولو اعتقدنا كما يعتقد جينز وغيره أن وجودنا حادث وليد الصدفة فإن فناءنا أيضاً سيكون وليد الصدفة . فإن من المعقول فى رأيهم أنه باستمرار الزمن يحتمل أن يقع أى نوع من الحوادث .

ويعتقد السير جينز أن « هكسلى » هو الذى قال :

« لو فرضنا وتركنا ستة من القردة تكتب على الآلات الكاتبة دون أن تمى ما تخطه مدة طويلة تبلغ ملايين الملايين من السنين، فإننا فى سير الزمن نرى بين أسطرها بطريق الصدفة كل الكلمات المحفوظة فى المتحف البريطانى . ولو أننا اختبرنا آخر صفحة من الصفحات التى سطرتها القردة فقد نلاحظ أن توقيعاتها العمياء قد خطت أحد أبيات شيكسبير ، وعند ذلك يحق لنا أن نعتبر هذا البيت من الشعر حادثاً من أغرب الحوادث. ولو أننا بعد ذلك تصفحنا ملايين الصحائف التى كتبتها القردة فى ملايين السنين فإنه مما لاشك فيه أننا سنعثر مرة أخرى على سطر آخر من أبيات شيكسبير كان هو أيضاً وليد الصدفة العمياء » .

وهكذا لا بد أن يحدث لعدد قليل من الشموس بين ملايين الشموس الأخرى الحائرة ما حدث للشمس من وجود سيارات تدور حولها، مما أوردناه فى مقالنا السابق، ويدل الحساب على أن هذا العدد من الشموس قليل جداً بالنسبة لعدد شموس الكون .

ومن البدهى أن الحياة كما نستوعبها لا تحدث إلا على سيارات شبيهة بالأرض إذ يجب لوجودها شروط طبيعية ملائمة مثل اعتدال درجة الحرارة ، وعلى هـذا الاعتبار تستحيل الحياة فى الشموس نفسها التى هى نيران متقدة كما تستحيل فى الحيز بعيداً عنها ، فهذا لا تزيد درجة حرارته على أربع درجات فوق الصفر المطلق (أى أقل من ٢٦٨ درجة تحت الصفر العادى)

فالحياة جائزة على كويكبات تقع على مسافة معينة من هـذه

الشموس ، إذا ابتعدنا عن هذه المناطق المينة امتنعت الحياة للبرودة المهلكة ، وإن اقتربنا امتنعت أيضاً بسبب الحرارة المحرقة

ونستدل من الحساب على أن المناطق التي تجوز فيها الحياة لا تكون إلا واحداً على مليون البليون من مجموع الحيز . على أن الحياة تندر فى هذا الجزء النادر من الحيز ، ذلك لأن تناثر جزء من إحدى الشموس وانفصاله عنها يعد حادثاً نادراً جداً ، ويغلب على الظن أنه يوجد نجم واحد فى كل مائة ألف نجم يشبه الشمس فى وجود سيار يدور حوله كالأرض حيث الحياة على هذا السيار قد تكون جائزة .

لهذا يجوز الاعتقاد أن الكون لم يخلق خاصاً لغرض الحياة ، هذا رأى يميل إليه السير جينز وغيره ، والواقع أنه لا تناسب مطلقاً بين عظمة الكون والنتيجة الضئيلة الموجودة فى بعض أجزائه والتى ترى أثرها فى الحياة .

على أننا لا نعلم هل توجد شروط طبيعية كافية بذاتها لإيجاد الحياة ، فثمّ مدرسة تعتقد أنه عند ما بردت الأرض كان لا بد من ظهور الحياة فى أثناء ذلك ، ومدرسة أخرى تقول إن حادثاً أولاً أوجد الكائن وأنه كان لا بد من حادث ثان ليوجد الحياة فى الكائن

على أن المركبات المادية للكائن الحى هى ذرات كيميائية عادية ، هى الكربون كالذى نجده فى دخان المصانع ، والاكسيجين والهيدروجين كاللذين نجدهما فى الماء ، والأزوت الذى يكوّن الجزء الأكبر من الجو المحيط بنا — كل هذه الجزئيات والذرات الموجودة فى الكائن الحى كانت موجودة حتماً فى الأرض ، هذه المولودة الجديدة ، وقد حدث فى وقت من الأوقات أن مجموعة من هذه الذرات — بطريق الصدفة — ترتب بالطريقة الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وكان لا بد من ذلك مع طول الزمن ، كما كان لا بد للقردة الستة من أن تسطّر يوماً أحد أشعار شيكسبير . وعلى هذا لنا أن نتساءل هل هذه الذرات بترتيبها هذا هى التى كونت بمفردها وبهذا الترتيب الخلية الحية ؟ وبعبارة أوضح ، هل الخلية الحية هى مجرد مجموعة من الذرات العدية مرتبة بشكل خاص أو هى شىء آخر ؟

هل المادة الحية مجموعة من الذرات أو مجموعة من الذرات مضافاً إليها الحياة ؟ وبعبارة أخرى هل يستطيع كيميائى ماهر أن يوجد لنا الحياة على أى شكل باستعمال عدد معين من الذرات أو تنقصه قوة أخرى غير العدد والترتيب ؟

هذا ما نحاول أن نتناوله فى المقال القادم. ويبدو لى أنه للاجابة على ذلك لا مناص من الدخول فى عميق العلوم الطبيعية فنبدأ وصفاً وجيزاً للمادة وللمادة الحية وفق آراء العلماء اليوم

وخلاصة القول أنه بالرجوع إلى فكرة ترجع فى الواقع لشىء أشبه بحساب الاحتمالات (Calcul de Probabilité) وبالرجوع إلى جواز طول الزمن وجد العلماء مخرجاً وتفسيراً محتملاً لوجود الأرض ولوجود الحياة عليها ، تفسيراً مبنياً على الصدفة

* * *

فى مثال ذكره العالم الكبير جان بيران (Jean Perrin) وأبلغنيه الأستاذ الكبير هنرى موتون (Henry Mouton) أننا إن اعتبرنا الحركة البراونية التى تتلخص فى أن ما يصيب أى جسم داخل السائل من ضغط هو مجموع صدمات جزئيات السائل عليه ، فإن لنا أن نعتقد أنه يصح بعد ملايين السنين أن يحدث مرة أن يرفع الماء قالباً من الطوب مغموراً فى ماء ساكن ، وعندئذ لنا أن نعتبر حادث رفع هذا القالب على سطح الماء من المعجزات النادرة ، وإن كان هذا الحادث ليس مستحيلاً عند العالم الذى يعرف الحركة البراونية والذى يتوقع حدوثه يوماً

ومع جواز تسليم القارئ بما يذهب إليه كل من هاكسلى وبيران فالحياة عندى رغم القردة التى يصح أن تكتب يوماً ما سطرا من الشعر ورغم الطوبة التى يصح أن ينهض بها الماء ، من الغرابة بحيث لا تطاوعنا النفس على أن نعتبرها وليدة الصدفة وأنها طرأت عن غير قصد .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة ، دبلوم المهندسخانة

النباتات آكلة الحشرات

بقلم رضوان محمد رضوان

تتشابه النباتات بوجه عام فى نظم تركيبها واحتياجاتها الغذائية سواء كانت هذه النباتات مائية أو نامية فى الصحارى أو على قمم الجبال ؛ إلا أن شكلها الظاهرى وتركيب بعض أعضائها الداخلية تتحور وتعدل تبعاً للبيئة التى يوجد بها النبات حتى يمكنه أن يعيش فى الظروف التى تحيط به ؛ وهذا هو الحال فى النباتات آكلة الحشرات

فمن المعلوم أن النبات يحتاج فى غذائه إلى عناصر خاصة[1] . لا بد من توفرها فى البيئة التى يعيش فيها النبات حتى يمكنه النمو والحياة . والنباتات الخضراء حساسة جداً لعنصر الأزوت فهو من أهم العناصر المكونة للبروتوبلازم الحى ؛ كما أن النبات لا يمكنه امتصاص الأزوت إلا على صورة أزوتات ، وعلى ذلك فوجود الأزوتات أمر ضرورى لحياة النبات

ويقوم بتجهيز أملاح الأزوتات للنبات أنواع من الأحياء الدقيقة تعرف باسم «بكتريا التأزت» فهى تحول النوشادر إلى حمض الأزوتوز ثم تؤكسده وتحيله إلى حمض الأزوتيك الذى يتحد بالأملاح القلوية مكوناً أملاح الأزوتات

أما فى الأراضى التى لا تعيش فيها بكتريا التأزت لعدم ملاءمة الظروف لها كأن تكون الأرض حمضية مثلاً ، فعلى ذلك لا تتوفر أملاح الأزوتات اللازمة لحياة النبات ، كان لا بد للنباتات التى تعيش فى مثل هذه الأراضى أن تبحث عن وسيلة جديدة للحصول على الأزوتات اللازمة لها ، وفعلاً قد هيأتها الطبيعة بتحورات خاصة لتجعلها ملائمة لاقتناص الحشرات حتى تستطيع أن تستمد منها عنصر الأزوت . وسنذكر فيما يلى أهم أنواع هذه النباتات وطريقة كل منها فى الاقتناص :

(١) العناصر الأساسية فى غذاء النبات هى : كربون . أكسجين . إيدروجين . أزوت . كبريت . فوسفور . بوتاسيوم . كلسيوم . حديد . مغنسيوم

نبات الدروزرا (Drosera)

ينمو فى وسط حمضى فيستحيل على الجذور أن تمتص أملاح الأزوتات ، وفيه الأوراق ضخمة بها عـدد من الزوائد الحساسة التى تفرز مادة لزجة حمضية ؛ فإذا ما سقطت حشرة ما على ورقة من هذه الأوراق ، التصقت بالمادة الرحيقية حالما تلامسها ، وعبثاً تحاول الحشرة الفرار ، فإنها إذا حاولت ذلك اشتبكت بزوائد أخرى ، فتصير داخل شبكة محكمة من هـذه الزوائد الحساسة ، وبذا يصبح خروجها ضرباً من المحال .



(ورقة الدروزرا)

فإذا ما اقتنص النبات فريسته تنحنى تلك الزوائد فوق الحشرة وتفرز عليها أنزيم الببسين Pepsin لهضم الحشرة وإذابة جسمها ، وبعـد ذلك يمتص النبات تلك المواد المذابة ، ثم تعتدل الزوائد وتعود الورقة إلى شكلها الطبيعى وتتهيأ لاقتناص فريسة أخرى .

نبات النبنتس (Nepenthes)

يوجد هذا النبات فى بلاد الملايو ، وهو يحتال على اقتناص الحشرات بطريقة طريفة ، فنجد أن جزءاً من الورقة يتحور إلى شكل جرة ذات غطاء يتحكم النبات فى فتحه وقفله حسب حاجته . وتتجمع قطرات ماء المطر داخل هذه الجرة ؛ ويستعين النبات على جذب الحشرات برحيق حلو الطعم يفرزه داخل الجرة ، فإذا ما دخلت فيهـا حشرة لامتصاص الرحيق انزلقت أرجلها وسقطت فى الماء . وفى الوقت نفسه ينغلق الغطاء وبذا توصد أوجه

الخلاص أمام الحشرة وتفقد كل أمل فى النجاة ، حينئذ يبتدئ النبات فى عملية الهضم بواسطة إنزيما خاصة يفرزها لإذابة الحشرة حتى يتمكن من امتصاص المواد الناتجة . بعد ذلك يفتح غطاء الجرة وتستعد الورقة لاستقبال قدم جديد وهكذا .

وهناك نبات معروف فى شمال أمريكا يسمى Sarracenia مثل نبات النبينتس

(نبات النبينتس)

نبات الديونيا (Dionaea)

تحتوى ورقة هذا النبات على مصراعين يتحركان على العرق الأوسط وتنتشر على السطح العلوى لكل منهما زوائد شوكية دقيقة ، فإذا وقفت حشرة ما على الورقة انقفل المصراعان فجأة وبسرعة وتنغرز الأشواك الحادة فى جسم الحشرة فتمزقها وبذا تبدأ عملية الهضم والامتصاص

هاموك الماء (Utriculària)

ويوجد هذا النبات فى مصر منتشراً فى المياه العذبة ، وتحمل أفرعه أجزاء منتفخة أشبه بالمثانات بها خلايا خاصة ولها غطاء يفتح للداخل فقط ، فإذا لامست إحدى الحشرات المائية الشعور الحساسة ، انفتح الغطاء بسرعة إلى الداخل ، واندفعت الحشرة مع الماء إلى داخل المثانة ، وتبقى هنالك حتى تموت وتتعفن . ثم تمتص بعد ذلك بواسطة الخلايا المبطنة لجدر المثانة

هذا وقد قرأت أخيراً فى إحدى المجلات الأمريكية[1] نبأ العثور على نوع من الأشجار يفترس الإنسان ؛ فقد روى العلامة الدكتور كارل ليشى أحد الرواد النمسويين ومن أقطاب العلماء ، أنه أثناء رحلته فى ارتياد مجاهل جزيرة مدغشقر اتفق أن رأى منظراً غريباً ملك عليه حواسه وأخذ بلبه . ذلك أنه رأى جماعة من الزنوج يدفعون فتاة عارية نحو شجرة هائلة تشبه شجر الأناناس ولها أوراق ضخمة ، ويبلغ محيط الشجرة من أسفل ست أقدام أو أكثر ، ويخرج منها أفرع طويلة ذات أوراق عريضة إبرية الحافة ، ويسيل من الشجرة رحيق مسكر ، حتى إذا ما وصلت الفتاة إلى الشجرة أرغموها على شرب الرحيق. فلم تكد تفعل حتى انتابتها نوبة من الإغماء قد تكون من تأثير الخوف ، وقد ترجع إلى أن الشراب مخدر للأعصاب

وما لبثت الأوراق أن التفت حولها واحتوتها بين أسنانها وبذا اختفت عن الأنظار ، وما لبث أن سال دم الفتاة مع رحيق الشجرة فأقبل الزنوج عليه يشربونه بشراهة وغلظة

وقد أيد هذه الشاهدة الكابتن هرست الإنجليزى الذى قام على رأس بعثة علمية لارتياد مجاهل مدغشقر؛ فقد وصف ما شاهده وقال إن أوراق تلك الشجرة تلبث مطبقة ستة أيام أو أقل قليلاً ثم تنفرج عن هياكل عظيمة تذروها الرياح

أقول إن هذه المشاهدات سواء كانت واقعية أو خيالية لا تخالف العلم فقد رأينا كيف أن النبات يفترس الحشرات فى احتياجه إلى الأزوت ؛ ولن يميز النبات بين حشرة أو حيوان أو إنسان إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً . وأغلب الظن أن الشجرة المذكورة فى جزيرة مدغشقر ، تعتمد فى غذائها على الحيوانات التى تلجأ إليها ليلاً أو فراراً من القيظ أو هرباً من عدو ، وأن الأهالى وقد عرفوا فيها تلك الخاصية قدسوها وأخذوا يقدمون لها القرابين من الفتيات ، ويشربون من رحيقها المسكر المختلط بدم الضحايا ، وهم يعتقدونه شراباً إلهياً قدمته إليهم الآلهة تقبلاً منها وكرماً

هذه كلمة موجزة عن النباتات آكلة الحيوان ، وهى جديرة بأن تسمى : « النباتات آكلة اللحوم » أسوة بالحيوانات « آكلة اللحوم »

رضوان محمد رضوان
بكالوريوس فى العلوم الزراعية

(1) National Geographic Magazine



فيدياس
PHIDIAS

للدكتور أحمد موسى

كان لاستيقاظ الشعب الإغريقي ونمو الروح الوطنية فيه بعد الحروب الفارسية أن ازدهر فن النحت على أيدي الذين استطاعوا السيطرة على الخلق التكويني، ووصلوا إلى أقصى درجة من الإعجاز في إخراجه، فكان لمنحوتاتهم أن مثلث المثل العليا أسمى تمثيل وعبرت عن الوصول إلى درجة الكمال؛ فارتبط الواقع بالجمال المثلى، وظهر النحت الإغريقي بمظهر لا يزاحم فيه إطلاقاً.

وكان استعداد الإغريق للنحت هائلاً، فجعلوا من تماثيلهم البارزة ونصف البارزة ما سجلوا به الموهبة الفطرية والعقلية والفنية في هذا المجال.

ولهم من منحوتاتهم ما أظهر عقائدهم الدينية والكيفية التي كانت تسير عليها عاداتهم فضلاً عن حياتهم العامة التي كانت الألعاب الرياضية ركناً هاماً من أركانها.

وكان ولا يزال وسيظل النحت الإغريقي مثار إعجاب الإنسان المتحضر ورمزاً للتفوق ومثلاً عالياً يحلق في سماء الفن، لا يمكن لطامح أن يعلق بأطرافه.

وللنحت في بلاد الإغريق مناطق ومراحل ومدارس. أما من حيث المناطق فخيرها لهذا المقال منطقة أثينا، وأما المرحلة الزمنية فهي المحصورة بين سنة ٤٧٠ وسنة ٣٣٠ قبل الميلاد، لأن هذه هي مرحلة «عصر الرفعة» أو «الازدهار».

على أنه يمكن تقسيم هذا العصر إلى قسمين: أولها أو أقدمهما استغرق القرن الخامس قبل الميلاد (من كيمون إلى حرب البيلوبونيز) وفيه تناول النحات الإغريقي الحقيقة الواقعة أمام عينيه في أحسن وضع لها؛ فلم تكن تنتحي هذه الحقيقة إلى فرد بعينه، بل إلى النوع كلية، في شيء من السمو في الخيال والتصور، فكانت طابعية النزعة وليست طابعية الإخراج.

ومع هذا لا يزال المشاهد يتصور أو يظن «وحيناً يعتقد» أن التماثيل - في تلك المرحلة على الأقل - قد عبرت بتفاصيلها وطريقة إخراجها عن أصحابها التي نحتت من أجلهم تعبيراً حقيقياً



ش - ١ (عملة إليس وعليها صورة زويس)

أو طبيعياً؛ ولكن هذا بعيد الاحتمال بالنظر إلى ما في تكوينها من جمال ساحر قلما يوجد مثله في النوع الإنساني.

و لا جدير بالذكر أن المظهر الكلي والمجموع الإنشائي لمنحوتات «عصر الرفعة» أو «الازدهار» يعطي فكرة المبالغة في الأحجام مع تمام التناسب، ولم يقصد النحات الإغريقي من ذلك إلا إبراز العالم في مظهر من القوة وعلو الهمة ووجود الشخصية، في هدوء نفساني وبعد عن العنف.

وأما الحركة الجسمانية التي تعبر عن الحيوية فهذه مع بساطتها - نسبياً - من حيث التنويع؛ فإنها عبرت خير تعبير عن اليقظة والنشاط.

ولا يوجد من يمكن اعتباره فى مقدمة هذا العصر سوى زعيم المدرسة الأتيكية القديمة (نسبة إلى أتيكا) ألا وهو فيدياس الذى لا يزال ليومنا من أعظم فنانى العالم أجمع .



ش — ٢ (تمثال نصفي للإله زويس — الفاتيكان)

ولد فيدياس بن خرميدس الأثينى فى عام ٥٠٠ ق . م . واشتغل مصوراً فى أول الأمر ثم تتلمذ على أجيلادس Ageladas وبعدئذ استقل فى عمله حتى استدعى لنحت تمثال زويس المعروف فى أولمبيا ، وعاد إلى أثينا والتقى فيها بيركليس وعمل فى البارتنون.[1]

وبعد ما أتم تمثال أثينا سنة ٤٨٣ اتهم بالخيانة وطلب للمحاكمة ولكنه مات قبل الحكم عليه .

وأبرز مميزات فنه أنه أول وأعظم مثال مُثلى بكل معانى الكلمة ، لا سيما وأنه حصر مجهوده الجبار فى خلق تماثيل الآلهة واستطاع التعبير عن المثل الأعلى فى التكوين الجسمانى المتناسب مع تمثيل الآلهة ، فاتخذ من جسم الإنسان مادة بيانه ، ولكنه ارتفع بتماثيله إلى المستوى الذى أبعدها عن الصفات البشرية وقربها من الألوهية؛ فبدت فى غاية كمال الانسجام التفصيلى للأعضاء ونهاية الكمال المجموعى للانشاء ، وأصبحت مدرسة أتيكا تسير على منواله وعرفت بهذه الميزات الرائعة من بعده .

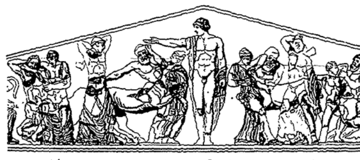
اشتغل فيدياس بنحت تماثيله من سن الفيل والذهب حيناً، ومن البرنز حيناً آخر ولكنه نحت فى الرخام نادراً .

أما أعماله التى استطعنا أن نقف عليها فأولها تمثاله لأثينا برماخوس على مرتفع أكروبوليس وكان ارتفاع هذا التمثال نحو العشرين متراً . وقد سبق أن نوهنا بذكره فى مقال سابق.[1]

وله أيضاً مجموعة رائعة مثلت ملتيادس القائد الذى انتصر على الفرس فى موقعة ماراثون سنة ٤٩٠ ق . م وحوله الآلهة وأبطال أتيكا ، كما مثل الأثينيين يقدمون الهدايا والقربان فى دلفى .

هذا إلى جانب تماثيل معبد زويس Zeuss الذى اعتبره الإغريق إلهاً للسماء والبرق والضوء ، والذى يقابل الإله جوبيتر عند الرومان ، وتماثيل معبد أثينا بارتنوس Parthenos .

وكان الجسم مكوناً من سن الفيل والملبس من صفائح الذهب؛ وقد تم تمثال زويس سنة ٤٤٨ ولكنه حرق بعدئذ ، ولولا الصور التى سُكت على نقود إليس Elis لما أمكننا أن نعرف من شكله شيئاً . جلس زويس (ش ١) على عرش بديع حاملاً بيمينه إلهة النصر Nike وفى يساره العصا ، وواضعاً قدميه على كرسى صغير خصص لهذا الغرض ، وأحيط الرأس بغصن الزيتون فوق شعره المجعد ، كما أحيط الوجه بذقن كثيف . وإذا تأملت الصورة اليمنى فإنك تجد القوة والنبل والجمال السامى مرتسما فى وضوح على وجه زويس . وقد تحلى الملبس ببعض رسومات ملونة على الذهب .



ش — ٣ (جزء من وسط المثلث الواقع تحت جالون الواجهة الغربية لمعبد زويس فى أولمبيا)

(١) راجع مقالنا « بارتنون » فى الرسالة

(١) راجع مقالنا « أكروبوليس أثينا » فى الرسالة

أما قاعدة العرش فقد تحلت برسومات تمثل مولد أفروديت إلهة الحب عند الإغريق ، والتى خلقت كما هو مذكور فى قصص الآلهة ، من زبد ماء البحر . ولا بد لنا من أن نذكر أن نظرة زويس تدل على الحلم والجبروت ، وهذا منطبق على صفة الألوهية فى معناها الكامل

وكان تمثال أثينا بارتنوس من سن الفيل والذهب أيضاً ، أتمه سنة ٤٣٨ إلا أنه اختفى منذ أوائل القرن الرابع . وكل ما حصلنا عليه تمثالان منقولان عن الأصل ، أحدهما كبير عن الآخر ، وهما محفوظان فى متحف أثينا . ويخيل إلينا أن الأكبر منهما أقرب إلى الأصل بالنظر إلى ما فيه من تفاصيل تتناسب مع ما عرف عن فيدياس وما امتاز فنه به من طابع خاص .

وله قطعة تمثل أثينا وهى من بدائع معروضات متحف عاصمة بلاد اليونان . هذا عدا تمثال برنزى على جانب عظيم من الجمال لأثينا لمنيا Lemnia قدّمه الليمنيون إلى مرتفع أكروبوليس .

وفى متحف درسدن تمثالان رخاميان مماثلان له يظهر أنهما منقولان عنه . أما فى روما فله تمثال لأفروديت أورانيا ، ولهرمس ابن زويس الذى اعتبره الإغريق إلهاً للرعاة ورسولاً للآلهة وإلهاً للطرق والتجارة ، وهو الذى يقابل عند الرومان الإله مركور .

وكان لفيدياس تلامذة أمجاد منهم من سار على خطاه مثل أجور كريتوس Agorakritos of Paros والكامينيس Alkamenes of Athena or Lemnos وكولوتيس Kolotes الذى ساعده فى العمل بأولمبيا ، ومنهم من ارتسم لنفسه خطة خاصة مثل ليكيوس Lykios بن ميرون وتلميذه ، وستروبجيليون Strongylion الذى كان بارعاً فى نحت تماثيل الخيل فى حالة السير والتسابق ، و كرزيلاس .

واستعان فى خلق تمثال زويس بشعر هوميروس الذى فيه وصف الإله وصفاً مكن النحات من خلقه (ش ٢) . ولعلنا بالمقارنة بين الرأسين نجد غنى الفنان واضحاً جلياً ، فالملامح متشابهة ولا الشعر على أبسط جانب من التماثل .

ونختار هنا جانباً من التماثيل المنحوتة فى جزء من وسط المثلث الواقع تحت جالون الواجهة الغربية لمعبد زويس فى أولمبيا لنقف على مدى العظمة الفنية التى تجلت فى عمل فيدياس (ش ٣) .

أنظر إلى تفاصيل الأجسام ، وتأمل تكوين العضلات ، وشاهد الحركات الرائعة فى كل جزء من أجزاء القطعة ، ثم انتقل

بنفسك فجأة إلى مصر وإلى من يقدّر الفن فيها ويفهمه ، تجد أننا بحالتنا الراهنة لا نستطيع أن نخلق جيلاً يتذوق الجمال فى الوقت الحاضر .

أما المستقبل فهو رهين بما نعده الآن ، فإن لم يتكاتف الشعب المصرى مع الحكومة كلٌّ فى دائرته على إحياء الفن والعمل على تعليم النشء كيف ينظر وكيف يتأمل وكيف يتذوق فلا أمل عاجلاً أو آجلاً فى شيء .

أحمد موسى

الشيخ محمـــد رفعت

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحي

أكبر الظن أن القراء سيعجبون ما وسعهم العجب ، ويدهشون ما مكنتهم الدهشة لأننا نعتبر الأستاذ الشيخ محمد رفعت المقرئ المعروف بل سيد قراء هذا الزمن — موسيقياً قبل أن نعتبره مقرئاً . ولكنهم لو علموا أن الأستاذ موسيقى بفطرته وطبيعته وأنه يزجى إلى نفوسنا أرفع أنواعها، وأقدس وأزهى ألوانها، لكفوا أنفسهم مؤونة العجب والدهشة ... لو علموا أنه (بصوته) فحسب يأسرنا ويسحرنا دون أن يحتاج إلى (أوركستر) يشد أزره ويهيئ الأذهان لفنه ويرسم الطريق لصوته ، للمسوا موضع الإعجاز فى فن هـذا الرجل العجيب . وليتصور كل منا مطرباً أو مطربة يغنى أو تغنى دون مصاحبة (تخت) ما ذا يكون ، وما ذا تكون ... ؟؟

إن البعض يستتر خلف هذه الموسيقى لتضفى عليه لوناً من الحسن والقبول ، ولكن أستاذنا لا يعتمد إلا على نبرته اللامعة ، وصوته اللائكى الحنون ، وفنه المرهف ، وأسلوبه المقتدر المبتكر . .!

(محمد رفعت) ... اسم يخطه القلم بسهولة وبساطة وسرعة فما إن يخط ... حتى يهيئ للأذهان جواً غير الجو الذى كانت تعيش فيه ... جواً من النور تسبح فيه أطياف الملائكة ، وتغرد فيه بلابل الجنان ، ويعطره أريج شذى ندى نقى . جو القرآن الكريم ، المرتل ، المفسر ، الذى تخشع له القلوب ، وتخضع له النفوس ، وتؤسر له الأرواح مهللة مكبرة ، جو الصفاء والنقاء الذى يتخلص فيه الإنسان من أدرانه وأوضاره ، وشروره وآثامه . الجو الذى تصفو فيه الروح لتحلق فى سماء قدرة الله ورحمته وحنانه، الجو الذى يخضع له العاصى ، ويخشع له المتكبر المتجبر الذى يظن أنه كل شىء وما هو بشىء أمام جبروت الله وكبريائه .!!

***

صوت تبارك من خلقه وصوره ، وخصه بهذا السحر الذى ينشر ألويته ، ويرفع بنوده فوق ملايين البشر فى أنحاء العالم الفسيح

صوت لم يخلق الله مثله فى لونه ونوعه، كما لم يخلق — جل شأنه — بصمتين متشابهتين ، فجاء فريداً وحيداً غنياً بكل ما فى الفن من قدرة واقتدار ... !!

يقول البعض إنه ضعيف (ضيق الحجم) لا يستطيع أن يظهر فى المجتمعات المحتشدة ، ونقول لهذا البعض إن الجمال لا يتوقف على القوة والشدة ، والارتفاع . فالحمار كبير والبلبل صغير والفرق واضح بينهما . . !



يتكون صوته من ديوانين ونصف (١٨ مقاما) تقريباً . ديوان (ريتون) وديوان (تينور) ثقيل ونصف ديوان (تينور) خفيف ويمتاز (باستمارته) التى لا يستطيع أن يحاكيها إلا كل صوت سليم قوى ... استمارة تزيد على الديوانين والنصف بنصف ديوان تقريباً . فهو كما ترى صوت سليم قوى وإن كان صغيراً فى حجمه ...

أنبل ما فى هذا الرجل السامى تواضعه الجم وحياؤه الإيمانى ، تواضعه

الجم مع أن عرشه من فلذات القلوب والأرواح ومع أن جمهوره يزدحم بجمهور أكبر مطربينا ومطرباتنا لا في مصر وحدها بل في بقاع العالم المترامى، لا من المسلمين فحسب بل من جميع الملل والأديان ...

أعرف تاجراً كبيراً (مسيحيا) في الموسكي لا أمل له ولا سلوى إلا استماع رفعت . وأذكر في هذا الصدد أن ابنته - وهي متزوجة - كانت على شيء من التعصب فأتلفت (الراديو) عمداً حتى لا يتأثر والدها فيغير عقيدته - كما صور لها الوهم - فلما علم بالأمر طردها هي وزوجها وأولادها من بيته، ثم اشترى آلة جديدة ليرضى روحه من فن رفعت العالى، وقرآنه المرتل المفسر!

والقس «م . ع» الذي أسلم في العام الماضي لم يسلم على يد واعظ أو عالم، وإنما أسلم على (صوت) رفعت وحسن ترتيله، وسحر تأثيره

لو أتيح للقراء أن يذهبوا إلى - الشام - لعلموا أن رفعت هناك مقدس ، إذا قرأ سكنت الأصوات وانقطعت الهمسات ، وعم السكون ، وامتلأ الجو كله تأثراً وخشوعاً ونوراً ، فكل بيت وكل فرد يتمنى أن يجود بكل ما يملك حتى يسمعه دواماً

هذا الرجل وهذه منزلته ومكانته يأبى أن يلقبه المذيع بكلمة (الأستاذ) لأن بعض المقرئين طالبوا أن يلقبوا هم أيضاً كما يلقب فرفضت المحطة فتنازل عن لقبه حتى لا يتألم إخوانه!

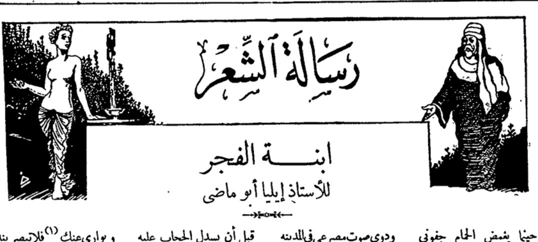
تقواه مضرب المثل، وكرمه يشمل الجميع . يعتقد أن توفيقه من الله وحده لا من صوته ولا من فنه؛ لهذا يخلص له الإخلاص كله . فإذا قرأ، قرأ بخشوع وفهم لما يقول . يعينه على ذلك إلمامه ببعض علوم العربية وعلم القراءات

لم يتعلم الموسيقى على معلم ولا في مدرسة، بل ربى نفسه بنفسه، وله في أذنه الموهوبة خير ضمان . وقد عوده الله أبداً أن ينصره ويوفقه ، ويجمع حوله القلوب ...

قد يدهش القارئ إذا علم أن بعض إخوانه يحاربه ويشيع حوله الشائعات المختلفة التي بلغت مرة درجة (الموت) ، وقد يدهش أكثر إذا علم أن محطة الإذاعة (لسبب مجهول) تشايع من هم دونه في كل شيء فإذا سألته : ولم لا تظهر هذا للملأ ... ؟ قال : « عودني الله أن يوفقني أبداً . فماذا يصنع العبد أمام إرادة خالقه ... ؟ ! »

كما أن للورد أريجه، وللماس بريقه ... فللأستاذ (رفعت) سحره الآسر، وأثره الساحر، وسيبقى اسمه متألقاً ساطعاً في سماء الخلود ... !

محمد السيد المويلحي



ابنة الفجر

للأستاذ إيليا أبو ماضى

حينما يغمض الحِمام جفونى ... ودوى صوت مصرعى فى المدينه
وتمشى فى الأرض داراً فداراً ... فسمعتِ[1] دويه ورنينه
لا تصيحى واحسرتاه لئلا ... يدرك السامعون ما تضمرينه
وإذا زرتنى وأبصرت وجهى ... قد محا الموت شكه ويقينه
ورأيت الصحاب جائين حولى ... يندبون الفتى الذى تعرفينه
وتعالى العويل حولك ممن ... مارسوه وأصبحوا يحسنونه
لا تشقي علىّ ثوبك حزناً ... لا ولا تذرفى الدموع السخينه
غالبي اليأس واجلسى عند نعشى ... بسكون إنى أحب السكينه
إن للصمت فى المآتم معنى ... تتعزى به النفوس الحزينه
ولقول العذال عنك «بخيل» ... هو خير من قولهم «مسكينه»
وإذا خفت أن يثور بك الوجـ ... ـد فتبدو أسرارنا المكنونه
فارجعى واسكبى دموعك سراً ... وامسحى باليدين ما تسكبينه

يا ابنة الفجر من أحبك ميت ... ولأنتِ بمثل هذا رهينه
زايل النور مقلتيه وغابت ... تحت أجفانه المعانى المبينه
فأصيخي هل تسمعين خفوقاً ... كنت قبلاً فى صدره تسمعينه
وانظرى ثم فكرى كيف أمسى ... ليس يدرى عدوه وخدينه
ساكتاً لا يقول شيئاً ولا يسـ ... ـمع شيئاً وليس يبصر دونه
لا يبالى أأودعوه الثريا ... أم رموه فى حمأة مسنونه
وإذا الحارسان ناما إعياء ... ورأيتِ أصحابه يتركونه
فتعالى وقبلى شفتيه ... ويديه وشعره وجبينه

(١) نلاحظ أن الشاعر قد ارتكب ضرورة لا تجوز وهى إشباع تاء المخاطبة وقد كررها مراراً فى القصيدة (الرسالة)

قبل أن يسدل الحجاب عليه ... ويوارى عنكِ[1] فلا تبصرينه
واحذرى أن تراك عين رقيب ... ولئن كان حل ما تحذرينه
فإذا ما أمنت لا تتركيه ... قبلما يفتح الصباح جفونه
وإذا الساعة الرهيبة حانت ... ورأيتِ حراسه يحملونه
وسمعت الناقوس يقرع حزناً ... فيرد الوادى عليه أنينه
زودى الراحل الذى مات وجداً ... بالذى زود الغريب السفينه
نظرة تعلم السموات منها ... أنه مات عن فتاة أمينة

طوت الأرض من طوى الأرض حياً ... وعلاه من كان بالأمس دونه
واختفى فى التراب وجه صبيح ... وفؤاد حر ونفس مصونه
وإذا ما وقفت عند السواقى ... وذكرت وقوفه وسكونه
حيث أقسمت أن تدومى على العهـ ... ـد وآلى بأنه لن يخونه
حيث علمتِه القريض فأمسى ... يتغنى كى تسمعى تلحينه
فاذكريه مع البروق السوارى ... واندبيه مع الغيوث الهتونه
وإذا ما مشيت فى الروض يوماً ... ووطأتِ سهوله وحزونه
وذكرت مواقف المجد فيه ... عند ما كنت بالهوى تغرينه
حيث علمته الفتون فأضحي ... يحسب الأرض كلها مفتونه
حيث وسدته يمينكِ حتى ... كاد ينسيَ شماله ويمينه
حيث كنتِ وكان يسقيك طوراً ... من هواه وتارة تسقينه
حيث حاك الربيع للروض ثوباً ... كان أحلى لديه لو تردينه

(١) إشباع الكاف هنا خطأ أيضا (الرسالة)

فالثمي كل زهرة فيه إني ... كنت أهوى أزهاره وغصونه
ثم قولي للطير مات حبيبي ... فلماذا يا طير لا تبكينه
و إذا ما جلست وحدك في الليل وهاجت بك الشجون الدفينه
ورأيت الغيوم تركض نحو الغرب ركضاً كأنها مجنونه
ولحظت من الكواكب صداً ... وتقاراً ، وفي النسيم خشونه
فغضبت على الليالي البواقي ... وحننت إلى الليالي الثمينه
فاهجرى المخدع الجميل وزوري ... ذلك القبر ثم حتى قطينه
وانثري الورد حوله وعليه ... واغرسي عند قلبه يا سمينه

(الولايات المتحدة) ... ايليا أبو ماضي

توبة المكره

للأستاذ حسين شفيق المصري

كبرتُ وهدني طولُ الليالي ... فلا حالٌ تسُر ولا وَسامة
فماذا تبتغي الغاداتُ مني ... أضعفي يبتغين أم الدَّمامة ؟
وماذا أبتغي منهن ويحي ؟ ... أيهوى الشيخُ أم يشكو سقامه
كبا فرسُ الهوى فسقطتُ عنه ... ومات فلستُ بالراجي قيامه
وأقعدني عن اللذات عجزي ... فليست توبتي عقبى ندامه
فما صومى الغداة ولا صلاتي ... بشيء نافعي يومَ القيامة

حسين شفيق المصري

حنين

للأستاذ حسن حمدي بك

يا غائبين عن العليل لأنتمُ ... في القلب مهما غبتمُ شُهّادُ
يا عائديه في الكرى عودوا ، فدًى
لخيالكم في اليقظة العُوّاد
لا تحسبوا الآحاد طابت بعدكمْ ... طابت لكمْ ما عشتمُ الآحاد
لا تحسبوا الأعياد عادت بعدكمْ ... أيامُ قربكمُ هي الأعياد

بحياة من وقف الجمال عليكمُ ... وحياتكم قولوا متى الميعاد
كم قلت من أسفي عليكم نائحاً : ... بانت ، فيا أسفا عليّ ، سُعاد
فمتى أقول من ابتهاجي شادياً : ... «يا مصر أهلك بالسلامة عادوا»

حسن حمدي

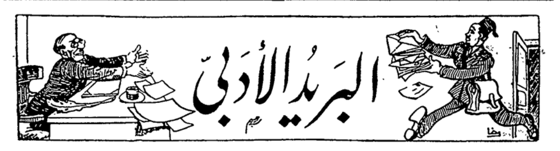
من الشعر المنسي لحافظ

إلى الرئيس روزفلت !

« مر مستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة بمصر وهو عائد من الصيد والقنص في أواسط أفريقيا في مارس سنة ١٩١٠ ، فخطب في الجامعة المصرية خطبة أشاد فيها بأبناء عمومته الانجليز وحمد صنيعهم في مصر . فقال له حافظ هذه الأبيات » :

إي خطيبَ الدنيا الجديدة شنِّف ... سمعَ مصرٍ بقولك المأثور
إنما شوقها لقولك يا (روز ... فلت) شوق الأسير للتحرير
قف غدًا أيها الرئيس وعلِّم ... أهلَ مصرٍ حرية التعبير
أخبر الناسَ كيف سُدتم على النا ... س وجئتم بمعجزات الدهور
وملكتم أعنَّة الريح والما ... ء ودُستم على رقاب العصور
قف وعدِّدْ مآثر العلم واذكر ... نِعَمَ الله ذكر عبدٍ شكور
و إذا ما ذكرت أنعمَه الكبـ ... رى فلا تنس نعمةَ الدستور
يا نصير الضعيف مالك تطرى ... خلةَ القوم بعد ذاك النكير
لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم ... في حماكم من دونهم ألف سُور
أنت تطاربهمو وتثني عليهم ... نائياً آمناً وراء البحور
ليت شعري أكنت تدعو إليهم ... يوم كانوا على تخوم الثغور
يوم كانوا قذًى بعين «نيويور ... ك» وداء مستحكما في الصدور
يوم نادى «واشنجطون» فلبّا ... ه من الغاب كلُّ ليثٍ هَصور
يوم سجلتمو على صفحات الد ... هر تاريخ مجدكم بالنور
ووثبتم إلى الحياة وثوباً ... ونفضتم عنكم غبار القبور
إنما النيل و«المسيسبي» صنوا ... ن هما حليتان للمعمور
وعجيب يفوز هذا بإطلا ... ق وهذا في ذلة المأسور
يا نصير الضعيف حبب إليهم ... هجر مصر تفز بأجر كبير
فعليهمْ أن يهجروا وعلى المصـ ... ري ذكر التيّم المهجور

م . ف . ع



غريب

قرأت بدهشة وعجب كلمة الأستاذ (م . ح . ب) من الخرطوم فى العدد (٢٩٢) من الرسالة ، ولا ألومه أن يغضب إذا أهينت كرامته ، أو مست قوميته بسوء ؛ بيد أنى حين تبرأت من أن أكون « زنجيًا أو هنديًا أو نوبيًا أو حبشيًا » كنت أشير إلى ما يعتقده الانجليز فى هذه الأجناس خاصة ، ولذلك قلت فيما بعد : « ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته أن يلحقنى بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ، ويعدهم دونه فى الذكاء والمدنية » . وقلت : « إنى لست فى مقام جدال » حتى أفند هذا الرأى الخاطئ ، إذ كنت حريصاً على إيجاد مأوى أستريح فيه من عناء السفر ، وشدة الداء ؛ وحين لاحت الفرصة دافعت بكل ما أوتيت من قوة عن « الشعوب الملونة » فقلت : « الآن عرفت الحقيقة ، إذاً لا يوجد هناك تفوق فى الذكاء كما لا يوجد تفوق فى ميدان الحضارة والاستعداد لتقبلها ، ولكن المسألة استعمارية بحتة » ؛ وتكلمت عن الشرقيين عامة كما تكلمت عن المصريين خاصة ، ولا يلمنى الكاتب الفاضل إذا دافعت عن نفسى أولاً ثم عن غيرى ثانياً

الواقع أن الإنجليز وبعض الأوربيين حينما يرون شخصاً أسمر اللون ، لا يفكرون إلا فى هذه الأجناس ؛ لأن الأمريكيين نشروا الدعاية السيئة ضد الزنوج ، والاستعماريين شوهوا سيرة الهنود والنوبيين والأحباش ووصموهم بكل رذيلة وعيب . أما أنا يا سيدى فلم يزل قلمى ، ولم يخطر قط ببالى أن أهين شخصاً ما ، ولو عرفت مقدار صلتى بالهنود والسودانيين والأحباش لما اتهمتنى بما ذكرت ؛ فى الهنود ذكاء عظيم ، وفضل كبير ، وعلم جم ؛ والسودانيون إخواننا فى الوطن والعروبة والدين ، ومنهم أعز أصدقائى الأستاذ الأديب توفيق البكرى كاتم سر « النادى السودانى بمصر » وأنا أعطف على ناشئتهم فى مدارسنا المصرية عطف الأخ الأكبر على إخوته الصغار . أما الأحباش فقد اتصلت بهم فى لندن أيام نضالهم مع الايطاليين ، وعرفت فيهم خلالاً حميدة ، وأدباً غزيراً ؛ ودرست اللغة الحبشية فى معهد اللغات الشرقية بلندن على آخر وزير لخارجية الحبشة المستقلة الأستاذ «هروى» Herouy وبعد من إنكار الجميل أن يخطر ببالى إهانتهم

ولعل فى كلمتى هذه ما يزيل الشك ، إن كان ثمة شك

عمر الدسوقى

تاريخ العرب

لما كانت الظروف الحاضرة قد أحيت بين بلاد الشرق العربى صلاته القديمة ، وجمعتها على أمل وحدتها التاريخية ، للتعاون المشترك على النهوض والاستقلال ، فقد تقدم اقتراح إلى وزارة المعارف لتعمل على وضع تاريخ للشعب العربى منذ أقدم العصور على أن يدلل هذا التاريخ ، بحسب ما وصل إليه محققو العرب ، على حقيقتين خطيرتين لازمتين للوحدة العربية: أولاهما أن الشعب العربى أعرق الشعوب جميعاً وهو واضع أسس الحضارة الانسانية ومنظم العدالة ومبادئ العلم وتعتبر أرضه مهبط الشرائع السماوية جميعها. وثانيتهما أن الأمم الشرقية الحالية مما يحيط بجزيرة العرب أمم عربية خالصة مما يمتنع معه الاندفاع مع الدعايات السياسية الغربية من أن العراق آشورى وسوريا فينيقية ومصر فرعونية وبلاد المغرب بربرية وغير ذلك

وقد رحبت وزارة المعارف بهذا الاقتراح ، وشرعت فى دراسته

الشيخ طنطاوى جوهرى وجائزة نوبل للسلام

سبق أن أشرنا إلى تقدم فضيلة الأستاذ الشيخ طنطاوى

جوهري بعض مؤلفاته لنيل جائزة نوبل للسلم في هذا العام، وقد كان من شروط التقدم لمثل هـذه الجائزة أن يكون صاحب المؤلفات من أساتذة الجامعة أو أن يرشحه أحد الوزراء أو عضو في البرلمان أو أستاذ جامعي في الفلسفة أو التاريخ أو القانون أو السياسة .

ولقد تطوع لترشيح فضيـلة الأستاذ الدكتور مصطفى مشرفه بك عميد كليـة العـلوم ، والدكتور عبد الحميد سعيد عضو البرلمان ، فأخذت وزارة الخارجية بهذا الترشيح وأرسلت مؤلفات الأستاذ إلى البرلمان النرويجي مشفوعة بتقرير عن جهوده في سبيل العلم والسلام وشهادات علماء انجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا في قيمة مؤلفاته .

اللغة العربية في مدارس إيران

رغبت وزارة المعارف الإيرانية في الأخذ ببعض مناهج التعليم في مصر على أثر اطلاعها عليها بمناسبة الدعوة لعقد مؤتمر شرق للتعليم . وقد تبودلت رغبة أخرى في دراسة اللغة العربية في إيران إذ لوحظ أن انتشار هذه اللغة يكون عاملاً على توثيق الروابط بين إيران وبين جاراتها الشرقية

وينتظر أن تبدأ وزارة المعارف في أوائل العام المقبل في ندب عدد من مدرسي اللغة العربية للعمل في مدارس إيران

الأغاني المصرية وتعميمها في العراق

تلقت وزارة المعارف من حكومة العراق طلباً بإرسال صورة من الأغاني المصرية والمقطوعات الشعرية الغنـائية لتعميمها في بلاد العراق

وقد أرسلت الوزارة بعض المقطوعات التي منح أصحابها جوائز مالية وبعض مقطوعات أخرى تمثل النهضة المصرية الحديثة ومنها النشيد القومي للأستاذ محمود محمد صادق

وقد ذكرنا من قبل أن وزارة المعارف تعنى الآن بإحياء الأغاني المصرية وتوجيهها التوجيـه التهذيبي لتتمشى مع روح النهضة الحديثة

قصيدة مولد الليل

سيدي الأستاذ صاحب الرسالة الغراء :

سلام الله عليك . وبعد فقد ورد في قصيدة الأستاذ الشاعر محمود الخفيف « مولد الليل » (الرسالة عدد ٢٩٠) بيتان شذ عجزاهما عن تفاعيل بحر القصيدة ، أحدهما « ومضت تمسح كف الدجى » والآخر « إن دجا فوق ليل الردى » ولعل هذا تطبيع فرجو تصويبه ضناً منا بجمال هذه القصيدة أن يصيبه تشويه الكسر . وفي شعر الأستاذ الشاعر رقة وسمو في الخيال يغريان على حفظه والترنم به . وبقاء العجزين على حالهما فيه نبوٌّ باللسان عن إنشادهما ونبوٌّ بالأذن عن سماعهما .

هذا وحفظ الله ابن عبد الملك الزيات

« نابلس » فدوى

(الرسالة) : نشكر للأديبة الفاضلة حسن التفاتها ودقة ملاحظتها ونرجو منها أن تقرأ الشطرين هكذا :

« ومضت ماسحة كف الدجى »

« إن دجت فوق دياجير الردى »

حول الفرقة القومية

نشر الأستاذ (ابن عساكر) حديثاً لي في العدد رقم ٢٩٢ من مجلتكم الزاهرة أسقط منه — لعلة لا أعرفها — فقرة خاصة بالمؤلفين المسرحيين المصريين الذين أخرجت لهم الفرقة القومية روايات مسرحية ، فذكر في الحديث المنشور ما يأتي : « ومن حيث الرواية فإن الفرقة لم تقدم كاتباً يؤبه له ... »

هذا في حين أن العبارة التي أمليتها عليه إملاء — وإنني دائماً أملي أحاديثي أو أكتبها — هي : « ومن حيث الرواية فإن الفرقة لم تقدم كاتباً جديداً يؤبه له إلا الأستاذ توفيق الحكيم »

أمليت هـذا إحقاقاً للحق ، وتنويهاً بجهود الأسـتاذ توفيق الحكيم في حين أنني لم أغمط قدر المؤلفين الذين تقدموه في كتابة المسرحية أمثال الأساتذة : ابراهيم رمزي ومحمود تيمور ولطفي جمعة وعباس علام ومحمد خورشيد وغيرهم .

لهـذا أرجو التفضل بنشر هذه الكلمة استدراكاً لأمر خرج عن محاوره .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . زكي طليمات

كلمة « فطاحل »

عثرت وأنا أقرأ المقدمة التي وضعها الأستاذان الكبيران العوامري والجارم عضوا المجمع الملكي ، لكتاب البخلاء (طبع دار الكتب المصرية) على الجملة الآتية :

« وليس من غرضنا في هذه الكلمة أن نجلو على القارئ فن الجاحظ وأدبه ولا ... أن نقايس بينه وبين فطاحل العصر العباسي من الكتاب والمنشئين » ص ٣ سطر ٤

وكلمة فطاحل هذه هي جمع فِطَحْل ، وقد استعملها كثيرون وأرادوا بها معنى العظيم . على أنها ليست من هذا المعنى لشيء على ما نحسب . جاء في اللسان :

« فِطَحْل كهزبر : الأرض قبل أن يخلق الإنسان . البعير الضخم . » وذكر مثل ذلك صاحب القاموس والتاج والنهاية . ولم يذكرها الأساس

ونحن لم نعثر على هذه الكلمة في شعر العرب أو كلامهم بهذا المعنى . وقد ورد : فحل ، وقرم ... ولم أجد أحداً من العرب استعملها مجازاً . فهل للأستاذين أن يبينا لنا وجه استعمالها ، أو يذكرا لنا أحداً من العرب الخلص استعملها ، أم كان ذلك جرياً وراء الخطأ الشائع ؟

« دمشق » صلاح الدين المنجد

الفاعل عند البصريين

يمتنع عند البصريين أن يكون الفاعل متقدماً على فعله . وفي الصبان ج٢ ص٣٢ جاء «وفي كلام الدماميني ما يفيد أن من المانعين للتقدم من يخص منعه بالاختيار حيث قال نص الأعلم وابن عصفور في قول الشاعر :

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

على رفع وصال بيدوم وقدم للضرورة وهو ظاهر كلام سيبويه »

فأنت ترى أن من المانعين للتقدم من يخص المنع بالاختيار مستدلاً بهذا البيت . ولو أنهم فسروه تفسيراً آخر غير التفسير الذي فسروه به لما جروا علينا خلافاً كنا في غنية عنه ...

والتفسير المقبول هو : قل وصال يدوم على طول الصدود . فيكون قل فعل ماض وما زائدة ووصال فاعل قل . يبرر ذلك عندي :

(١) أن قلما تستعمل في وجهين : تستعمل للنفي المحض فيمكن أن تكون حرفاً نافياً « كما » فلاتطلب فاعلاً . وقد قرر البصريون إعرابهم على هذا الوجه « ب » وتستعمل لإثبات الشيء القليل كما قال الرضي . وقد قررت إعرابي على هذا الوجه .

(٢) أن الفعل وفاعله كجزأي كلمة ولا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها ج ٢ ص ٣٢ صبان. على أن هذا البيت الوحيد الذي يحتج به قد أخطأ في اللغة قبل أن يخطىء في النحو . فصحة أطولت أطلت . ولكن الشاعر اضطر إلى هذا لضرورة الوزن . فيجوز أن يكون في البيت ضرورتان . ولعل هذا الوجه من الاعراب يسنده ما رأيته « للقاني » في المغني في بحث « ما الزائدة » : « إن البصريين لا يجيزون تقديم الفاعل في نثر ولا شعر » .

فهل آن لنا — ونحن في دور تبسيط النحو — أن نحذف من كتبنا أمثال تلك الخلافات التي لا تجدي ولا تفيد ؟

عبد العليم عيسى
كلية اللغة

في الشعر العربي

أخذ الأستاذ بشر فارس على الجارم بك كثرة استعمال المحسنات المعنوية والألفاظ التي لا ترى إلا في المطولات من المعاجم ، والتي لا يقوم شعر الجارم إلا بها ، وعندي أن هذا خير ألف مرة ومرة من هذا الضرب الذي ارتضاه الجارم بك لنفسه

وإني أقتطف شيئاً من قوله يوم نقل رفات سعد الخالد وأضع بجواره قول أحمد شوقي بك « على قبر نابليون » وقصيدة أخرى له أيضاً « دمعة وابتسامة »

قال شوقي في الأولى :

قف على كنز بباريس دفين من فريد في المعالي وثمين

وفي الثانية :

إرفعي الستر وحيّي بالجبين وأرينا فلق الصبح المبين

فيقول الجارم بك :

اكشفوا الترب عن الكنز الدفين

وارفعوا الستر عن الصبح المبين

ويقول شوقي :

وانتقد جوهرة من شرف صدف الدهر بتربيها ضنين

فيقول الجارم :

واجتلوه درة ساطعة صدف الدهر بشرواها ضنين

والقصيدة كلها على هذا النمط الذي إن قبله الأستاذ الجارم لنفسه فلن يرضاه له أحد

« إسكندرية » مصطفى علي عبد الرحمن

بيان من جريدة الشباب

يسرنا أن نخبر القراء أن جريدة الشورى ستعود إلى الصدور قريباً وسنرسلها إلى القراء بدلاً من جريدة الشباب التي سنوقف إرسالها. وستكون الشورى مثل الشباب تماماً إن شاء الله. وإننا من الآن نوصي حضرات المشتركين والقراء والأصدقاء والزملاء بأن يجعلوا جميع مخابراتهم معنا على هذا العنوان :

محمد علي الطاهر

جريدة الشورى بمصر

Mohamed Ali Ettaher

Ashoura Newepaper,, Cairo,,

حول شريط الدكتور

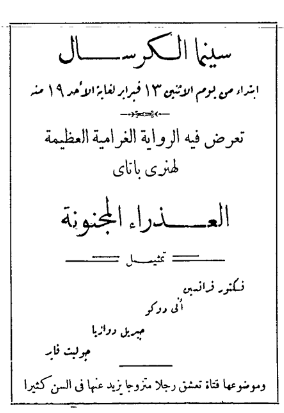
تعقيباً على ما كتبه الدكتور بشر فارس عن رواية « الدكتور » السينمائية ، أقول إن من العيوب الموجودة بالفلم أيضاً أن تبرز صورة الحمار الناهق حينما أطل « الباشا » من نافذة المستشفى القروي ، لكي يتمتع بهواء الريف العليل ، ويتمتع بجمال الطبيعة الساحر ! . أما كان الأجمل ألا تبرز صورة الحمار هنا ، وأن يكون بدل ذلك شتى المناظر الفاتنة والصور الخلابة ؟

ولست أدري سبب تلك الصورة المشوهة التي أعطتها لنا الرواية عن أسرة الدكتور حلمي . وأظهر موضع لتشوهها حينما جلس الباشا وزوجته وابنته إحسان مع حلمي وأبويه ، لتناول الغداء بالعزبة ، فهل يعقل أن تقدم « الشوربة » والأطعمة في صحاف فخمة وأدوات « مودرن » ونظام مدني ؟ ثم يقدم بعد ذلك « الخروف » المطبوخ ، فلا يؤثر في لحمه السكين ، ولا يقدر على تقطيع أوصاله إلا كف الشيخ عبد السلام الشثنة ؟ !

وعند ما دخلت أم حلمي على الضيوف ... هل يعقل أن تسلم فقط على إحسان ، ثم تترك أباها وأمها ، فلا تخاطبهما ببنت شفة ؟ أهذا ما يوحي به الطبع الريفي والعادات المصرية ؟!

وهناك مظهر اصطدام السيارة المقلة للضيوف بالجمل المثقل بحمله في حمى العزبة ... أحقاً يفعل أبناء القرى بالسيارة الفارهة وفيها راكبوها وهم غرباء ، ذوو مظهر وجاه ونعمة ، مثل ما رأينا في الرواية ، مما توحيه الجرأة وعليه التبجح ؟ أظن أن الريفي بعيد كل البعد عن هذه الروح ؛ فهو لا يزال يجل الغريب ويحيطه بأنواع التجلة والإكبار .

أحمد الشرباصي





رجعة أبي العلاء

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

أبو العلاء المعرى رجل عبقرى الذهن ما فى ذلك شك ، وهو فى عبقريته هذه نفاذ مستوعب يقتحم كل شىء ويحيط بكل شىء . ولقد اهتم به كثير من النقاد والباحثين فى هذه الناحية ، فدرسوا آثاره . وشرحوا أقواله ، وحللوا ملكاته ، وقال كل فيه بما يرى وعلى ما يفهم ، والأستاذ العقاد فى جملة هؤلاء الذين عنوا بشيخ المعرة ، بل إنه لأشدهم مصاحبة له ، ونظراً فيه ، وإدماناً عليه . اتخذه رفيقاً فى جميع أطوار فكره ، وجرى معه فى كل أدوار عمره ، وكتب عنه فى « المطالعات » عدة فصول هى أدق وأعمق ما كتب عن المعرى فى عبقريته وفلسفته وتحليل ملكاته ...

والمعرى أيضاً رجل عبقرى النفس ما فى ذلك شك ، وعبقرية النفس هى الشعور بالواجب والحرص عليه ، والإيمان بالحق والتفانى فيه ، والإحساس القوى الذى يملأ النفس بالروحانية والثقة والكرامة والأنفة والترفع عن كل مايشين ويزرى بصاحبه . وغاية الكمال فى « الشخصية » الإنسانية أن تجتمع لها العبقريتان: عبقرية الذهن وعبقرية النفس ، فتتوازن من الجانبين ، وتتعادل فى الجهتين ، فإذا هى على استواء فى التفكير والتقدير ، والعواطف والأهواء ...

وإذا كان المعرى فى الناحية الأولى قد أشبعه الباحثون قديماً وحديثاً بالبحث والدرس ، فإنه فى الثانية مطمور مغمور ، لم يفطن إليه كاتب ، ولم يتنبه له ناقد ، ومن هذه الناحية المجهولة ، أراد العقاد أن يكشف عن أبى العلاء فى « رجعة أبى العلاء » فبلغ من ذلك غاية ما يبلغه الناقد البصير فى الكشف عن « مجهول » بالفرض والاستنتاج والحدس والتخمين والمقارنة بين العبقريات والشخصيات ، والمقابلة بين الآراء والأفكار ، مع مراعاة الزمان والمكان ، والظروف والملابسات

فى المقال الذى كتبه العقاد عن « صاحب الجلالة المعرى » دراسة قويمة نافذة ، تتجلى فيها عبقرية العقاد فى البحث والتحليل وتنكشف فيها عبقرية المعرى النفسية ، أو ما يسميه العقاد بشيمة السمت والوقار ، أو كما نقول فى لغة العصر الحاضر : أدب البيئة وأصول اللياقة « ص ٢٤ » ومن رأى العقاد أن هذه الخصلة فى الرجل ترجع إلى مراجع كثيرة : هى التربية فى بيت العلم والوجاهة ، والسليقة العربية ، وفقد البصر ، والكبرياء ، وعزة النفس ، ووهن البنية ، وضعف الخوالج الجسدية ضعفاً أتاح له أن يكبح نوازع اللحم والدم ويقمع دوافع الشهوات

وفى الفصل التالى يمعن العقاد فى التحليل والكشف عن عبقرية المعرى النفسية ، ويحاول أن ينظر إليه فى « عالم السريرة » فيسأل : هل كان من المستطاع تغيير هذه الخصلة ، خصلة السمت والوقار ؟ ثم يسأل : وماذا كان المعرى صانعاً لو أنها تغيرت بعض التغيير أو كل التغيير؟ ثم يجيب العقاد على ذلك بأن تغييرها كان مستطاعاً كما يستطاع كل تغيير فى عوارض الصفات ، وأكبر الظن فى هذه الحالة أنه كان يجمع بين النواسية والخيامية فى نمط واحد ، أو كان يخرج لنا نمطاً جديداً يضاف إلى نمط النواسى ونمط الخيام فى ديوان الآداب الشرقية

ولقد بلغ العقاد فى هذا الفصل والذى قبله غاية لا تطاول فى التحليل والتقدير والاستنباط . وهذان الفصلان هما خير ما فى كتابه من الدراسة ، وأمتع ما فيه من نفاذ الذهن العبقرى

فى إدراك السر العبقرى . ولقد فرض العقاد لشيخه المعرى فروضاً كثيرة ، ونظره فى أوضاع مختلفة . ولقد حاول أن يلبسه لبوس قاضى المعرة ، أو أن يظهره فى مظهر النواسى ، أو يحمله على نهج الخيام وطريقته، ولكنه انتهى به إلى حقيقته الكائنة « فأبو العلاء هو أبو العلاء » حين يمن فى أغوار ضميره فيلمح هواجس قلبه ، وشكوك عقله ، ومادة علمه واختباره ، وآثار نعمته وحرمانه (ص ٦١)

وبهذه الطبيعة الكائنة رجع العقاد بشيخه المعرى إلى الحياة ، وطوّف به فى أنحاء الأرض ، واستطلع طلعه فى شؤون العالم الحاضر مما رأى وسمع . فلما بلغ غاية المطاف ، وسئم الضيفين والأضياف ، رجع به إلى مثواه ، وانتهى به إلى حيث هو فى رقدة ، بعد أن ودّعه بقصيد على طريقة اللزوميات . والفكرة فى رجعة أبى العلاء قد حاولها المنفلوطى رحمه الله من قبل ، ولكن هناك فرقاً كبيراً بين العقاد والمنفلوطى فى رجعة أبى العلاء وبعثه، فقد كان المنفلوطى يبنى دراسة المعرى من أقواله وأشعاره فانتهج لذلك نهجاً قصصياً قريباً إلى النفوس ، سهلاً فى التناول . أما العقاد فقد تخيّل «رهن المحبسين» يجوس بيننا خلال الديار ، ويتمرس بأحوال الأمم فى عالمنا الحاضر . ثم راح ينطقه بالرأى فى شؤون زماننا بالقياس على المعهود من كلامه ، والمقابلة بين المعروف من آرائه، وهو فى كل هذا يستشهد بشعره ، ويتمثل بقوله ، ويصطنع لغته ، ويجرى على طريقته ...

ولقد أخذ على العقاد بأنه فى كتابه قد أظهر شخصيته هو لا شخصية أبى العلاء ، وأبدى رأيه هو لا رأى شيخه فى الحياة ، وأنه أنطق الرجل بالقرآن وما كان ديدنه ذلك ، وكأنى بقائل هذا قد فاته الغرض الذى قصد إليه العقاد . وأشار إليه فى المقدمة بصريح العبارة ، فإن العقاد لم يقصد إلى دراسة المعرى ولكنه فرضه حيّا فى هذا العصر ، وعلى هذا الفرض أنطقه بالرأى قياساً على المعهود من كلامه وآرائه كما يقول ، فله أجر المجتهد إن أخطأ أو أصاب فى مجال الفرض والتخمين ...

وفى الكتاب أقوال يجوز فيها بيننا وبين الأستاذ الخلاف ، فهو يقول مثلاً : أما الخمر فلا أستبعد أن الشيخ قد ذاقها فى بعض الأديرة التى كان يغشاها للدرس (ص ٤٦) وأنا أخالف الأستاذ فى ذلك وأرى أن وصفه للخمر لا يقوم دليلاً على ذلك . والأستاذ العقاد نفسه يأخذ بهذا الرأى فيما كتبه عن المعرى فى المطالعات فبأى قولى الأستاذ نأخذ ؟

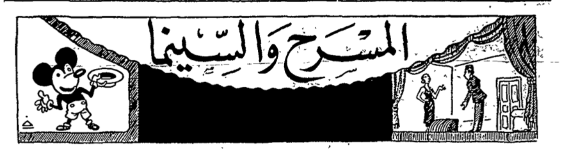
ويقول على لسان المعرى لتلميذه حسبك حسبك وهو يشرح له فلسفة العصر فى المرأة ، وعهدنا بالمعرى يتلهف على المعرفة ، ويضرب إليها أكباد الإبل ، فليس من طبعه أن يقول : حسبك حسبك . فى مثل هذا المقام

ويقول العقاد : أما أبو العلاء فهو قريب من أبى نواس فى الثقافة ، وكان الأنسب أن يقول : ولقد كان أبو نواس قريباً من المعرى فى ثقافته ... والفرق واضح بين القولين

ويحاول الأستاذ العقاد أن يقف بالمعرى فى المناقشة والمحاجة دائماً موقف التريث المجمجم المتعض ، وما كان المعرى كذلك بطبعه إلا فى مواقف التقيّة والمداراة

وأعود فأثنى على كتاب أستاذنا الكبير خير ثناء ، وأشكره على يوم قضيته فى استجلاء « كتابه » فلم أندم عليه ، بل ربحت منه الكثير ، وأفدت منه النافع الجليل .

م . ف . ع



الفرقة القومية

هل هى فى تقـــدم
أم فى تأخر أم فى ركود ؟

لقد ساير الأستاذ توفيق الحكيم الفرقة القومية منذ نشأتها وكانت أولى مسرحياته ، أهل الكهف « حسن طالع » لها ، افتتحت بها عملها الفنى ، وقد غذى المسرح بروايته الثانية « سر المنتحرة » وله مجالات فى فن القصة تدل على روحه القوى واندفاعاته الجريئة فى ارتياد آفاقها ليتعرف أسرار الحياة وليشرك قارئه معه فى الفرح بالحياة أو الاكتئاب منها

قلت للأستاذ الحكيم : لقد سايرتَ الفرقة القومية منذ افتتاحها وغذيتها بمسرحياتك ، وعاونت مديرها وسندته فى مهمته، وها قد مضى على ذلك أربعة أعوام ، فهل فى وسعك أن تقول هل الفرقة فى تقدم أو فى تأخر أو فى ركود ؟ فأجاب :

من يطلع على التقرير الذى وضعه سعادة الدكتور عفيفى باشا وفيه بيان الغرض من إنشاء الفرقة القومية ير أن المقصود من وجود هذه الفرقة ورصد مبلغ كبير من مال الأمة ، هو إنشاء دار تحدث نهضة عظيمة تشعر البلاد والجمهور المثقف بها ، يكون من شأنها ترقية الفن والأدب المسرحى وحركة الترجمة أيضاً مما يجعل هذه الدار عنواناً تفخر به مصر . لذلك كان المفهوم أن خطة الفرقة سائرة فى هــذا السبيل ، ولكن اتضح مما قدمته فى مواسمها العديدة أنها لم تؤد أكثر مما أدته الفرق الأهلية من قبل ، بل إن البلاد شعرت بنهضة مسرحية فى أول عهد ظهور مسارح جورج أبيض، ورمسيس ، وفاطمة رشدى . حيث أخرجت للناس بعدروائع الأدب الغربى المعروفة أمثال عطيل ومكبث وسيرانو دى برجراك وغادة الكاميليا وغيرها ، كما أن مسرح الأزبكية كان قد نهض إلى حد ما بالرواية المسرحية الغنائية . وكان المنظور بمجرد ظهور الفرقة القومية بما لها من وفرة المال والممثلين ؛ وتعضيد الحكومة أن تتجه بالفن اتجاهاً جديداً ، ولكنها خيبت ظن الجمهور، فرواياتها المترجمة هى من سقط متاع الغرب ومن أقلام شبه مجهولة ، وكذلك التأليف . كما أن الإخراج والتمثيل ليس لها قاعدة ثابتة لعدم إسنادها إلى أيد مختصة مسؤولة عن الإدارة الفنية كما هو الحال فى جميع المسارح والسينما المحترمة ، وقد وضحت جميع هذه النقط فى التقرير الذى كلفت بتقديمه إلى وزارة المعارف

إذن يمكننى أن أقول إن الفرقة القومية ليست فى تقدم كما تدعى هى ، بل هى فى جمود سيؤدى إلى التأخر ولا شك

— هل علة هذا الجمود هى الإدارة العامة ، أم لجنة القراءة ، أم المؤلفون الذين لا يغذون المسرح ؟

أعتقد أن المسؤول الوحيد عن سير الفرقة هى الإدارة العامة ، وأن لجنة القراءة والمؤلفين ليسوا غير وسيلة يتوسل بها المدير للانتفاع بهم فى الوصول إلى الغرض الأسمى للفرقة ، فلجنة القراءة ليست هى المدير ، والمقصود من وجودها إعانة المدير على اختيار الروايات من بين الأكوام التى تقدم إليه . أما المؤلفون فهم على نوعين : مجهول ومشهور ، فظهور الأول رهين بالظروف والمصادفات ، والمباراة فى التأليف هى إحدى الوسائل التى تعجل اكتشافه وتيسر إبراز مواهبه . أما الثانى أى ذلك المؤلف الذى لا تشغله ميادين نشاط أخرى فهو فى الغالب لا يمكن أن يقحم نفسه فى الفرقة بغير دعوة منها ، وفى العالم كله نجد المسارح وشركات السينما هى التى ترسل فى طلب المؤلفين المشهورين وتتعاقد

معهم . أما قول بعضهم إن كبار المؤلفين يتهيبون الوقوف مع الكتاب الناشئين فغير صحيح ، لأن الكاتب المشهور مهما أسفّ فإنه يخرج عملاً له قيمته الفكرية على كل حال ، مطبوعاً بطابع شخصيته الأدبية التى عرفها الجمهور ورضى عنها واشتهر من أجلها فى مناحى الأدب الأخرى

— أراك أزحت عن عاتق لجنة القراءة أسباب تأخر الفرقة فى حين أن مديرها يقول إنه ينفذ قراراتها ، وإن الفرقة لا تمثل إلا الروايات التى تقرها اللجنة

قلت : إن مهمة لجنة القراءة تصفية المتراكم من الروايات المقدمة للمدير ، وليس من شأنها إحداث النشاط الأدبى والفكرى اللازمين لحياة الفرقة ورقيها . فليس مثلاً من شأنها البحث عن أمهات الآثار الغربية التى تلائم المزاج المصرى فتدفع بها إلى المترجمين ، والمقتبسين ؛ وليس من شأنها أيضاً أن تتعاقد مع المؤلفين الذين ترى أن مصلحة الفرقة فى أن يكتبوا لها ؛ وليست هى التى تبحث عن وسائل إخراج هذه الروايات التى يسترعى إخراجها انتباه الجمهور ، فكل هذه المسائل من اختصاص مدير الفرقة وحده ، وهو إمّا لكسله أو عدم تحمسه لإحداث النشاط الفكرى والفنى المطلوب يحاول أن يلقى تبعة هذا الجمود على لجنة القراءة أو على كبار المؤلفين ، وهى فى حقيقة الأمر حجة يستتر خلفها تبرءاً لما يشعر به من خيبة الأمل التى كانت معقودة على الفرقة

قلت : أعرف مدى نفوذ أعضاء لجنة القراءة على مدير الفرقة ، كما نعرف جميعاً مبلغ تسامح المدير فى كل شىء ، وحبه للسلام ، وبعده عن النضال والجدل الأدبى فهل لك أن تقول بصراحة هل يمكن لأعضاء لجنة القراءة أن يكونوا رجال حكم صحيح فى الفن المسرحى والرواية المسرحية ، وهل ما جاء فى أحاديثهم يدل على أنهم أهل لمساعدة المدير فى تحقيق رسالة الفن المسرحى .

فقال : أعتقد أن أسباب نفوذ لجنة القراءة مستمدة من ضعف مدير الفرقة ، وأن أسباب ضعف المدير آتية من استئثاره بالعمل والضن على نفسه بمساعدة يستمدها من صاحب دراية ومعرفة ، وهو الكسول كما عرفنا ، فلو أنه كان يشفع الرواية التى يقدمها إلى اللجنة برأى فنى قاطع ، ويترك للجنة النظر إلى الرواية من الناحيتين : اللغوية والخلقية ، لكانت اللجنة لزمت حدها . ولو أنه ألف لجنة فنية من المخرجين وكبار الممثلين مسؤولة عن نجاح الرواية وعن سقوطها ، لكانت الفرقة مشت فى طريقها الطبيعى ، وقامت كل هيئة بما هو موكول إليها من أعمال . ولو أن الأمور كانت تسير فى هذا الطريق وهو الطريق القويم المتبع فى فرق التمثيل فى العالم ، لما كان يضير الفرقة أن تكون لجنة القراءة فيها مؤلفة من شيوخ أو غير شيوخ . وفى الختام أقول لك ولقرائك : سامح الله مدير الفرقة ، فلقد أبطأ جد الإبطاء فى تيسير الأدب المسرحى فى سبيله الممهد

ابن عساكر

في يوم ١٣ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية شباس الملح مركز دسوق وإذا لم يتم البيع فيكون في يوم الخميس التالى بسوق دسوق كطلب السيد افندى السيد أبو حلاوة من دسوق سيباع علنا الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ملك ابراهيم على خلف الله وآخر من الناحية تفاذاً للحكم فى القضية ن ٦٤٠ سنة ٩٣٩ وفاء لمبلغ ٤٦٢ قرش صاغ خلاف ما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم ١٩ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بكفر سلامه حنا تبع القنايات مركز الزقازيق شرقية سيباع علنا المواشى الموضحة بمحضر الحجز ملك طلبة بندارى رمضان من الناحية تفاذاً للحكم فى القضية ن ٦٤٧ سنة ٩٣٧ كطلب منصور ابراهيم زيد من الناحية وفاء لمبلغ ١٠م٢ج خلاف النشر وما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم ٢١ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية بنى عمار وزمام بندر طهطا ويوم ١٣ منه بسوق طهطا والأيام التاليـة إذا لزم الحال سيباع علنا محصولات زراعية موضحة بمحضر الحجز ملك السيد عبد الرحيم الفولى من الناحية تفاذاً للحكم فى القضية ن ٥٤٩١ سنة ٩٣٨ مدنى طهطا كطلب أحمد سلامة أحمد من الناحية وفاء لمبلغ ١٠١٢ قرش صاغ

فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم ١٩ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية البراجيل وسوقها سيباع علنا زراعة قصب موضحة بمحضر الحجز ملك سيد محمد درويش من البراجيل تفاذاً للحكم ن ٣٦٣٤ سنة ٩٣٨ وفاء لمبلغ ٩٥٨ قرش صاغ كطلب حضرة عبد الرحمن افندي مصطفى المحامى الوكيل عن راشد عبد الله بصفته من البراجيل فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم ٢٥ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية رويشه كطلب ابراهيم موسى عيد بكفر الشيخ سيباع علنا أذرة موضحة بالمحضر ملك حسانين شرف بالناحيـة تفاذاً للحكم ن ١٣٦١ سنة ١٩٣٣ وفاء لمبلغ ٠٩٥ قرش صاغ فعلى راغب الشراء الحضور

7me Année No. 294 — Lundi - 20 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٤ «القاهرة فى يوم الاثنين أول محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

الطفولة المعـــذبة

فى الأقوال السائرة أن الفقير كلما طلب من الله قرشاً أعطاه كرشاً . وفى ذلك حكمة العليم الحكيم تستسرُّ دلائلها على الفطن المحدودة . فإن قوام العيش ونظام الدنيا منوطان بالسعى المرهق والعمل المَهين ، وهذان لا يقوم بهما إلا الكثرة ، ولا يحفز عليهما غيرُ الحاجة . والغنىُّ المترف يحسب أن يديه لم تخلقا إلا لصرف النقود وقطف الخدود ورفع القدح ؛ فمثله كمثل السبع من الوحش والطير : يهلك ولا ينتج ، ويدمر ولا يعمر ؛ فكان من صلاح الأرض أن يقل نسله كما يقل نسل الأسود والنمور ، ويكثر نسل الفقير كما يكثر نسل الضأن والبقر . ولكن حكمة الله ضاعت فى غفلة الناس ، فبغى الغنى على الفقير حتى أصبح وهو مصدر الإنتاج فى النسل والحرث ، مفدوحاً بحمله فلا ينهض ، ومكدوداً بعمله فلا يستطيع . ثم نبا كوخه الجديب الضيق عن بنيه فدرجوا فى أفاريز الشوارع وزوايا الطرق وعليهم هلاهل من أخلاق الثياب تهتكت على الصدور والجوانب ، يستندُون الأكف بالسؤال ، أو يستدِرُّون الجيوب بالسرقة ، أو يأكلون ما طرح الناس من فضلات الطعام فى المزابل . هؤلاء الأطفال المشردون هم الذين تراهم يطوفون طول النهار وثلثى الليل على القهوات والحانات ، كما تطوف الكلاب والهررة على دكاكين الجزارة ومطاعم العامة ، وهمهم أن يصيبوا ما يسد الرمق ويمسك الحياة . فاذا أغلقت المقاهى

وبهجت المدينـــة تساقطوا من السفوب والثقوب على العتبات وفي الحنايا وتحت الجدُر ، فيقضون آخر الليل بعضهم فى بعض كما تتداخل خراف القطيع إذا عصفت الريح أو قرس البرد

هؤلاء الأطفال المهملون هم الذين يستغل ذكاءهم تجار الرذيلة ، وسماسرة الجريمة ، يسلطونهم على القلوب البريئة والجيوب الآمنة ، فيسلبونها العفة والمال ، ثم لا يكون نصيبهم من هذه الثمار المحرمة إلا الخوف والجوع والأذى والمطاردة . يغرون الصبيان بالشر ، ويوزعون المخدر فى السر ، ويسرقون السابلة بالحيلة ، ويستجْدُون الجلوس بالرحمة ، ويجمعون الأعقاب من الطرق ، وكل أولئك لطغمة من المتعطلين يتعقبونهم بعين النسر من بعيد؛ حتى إذا أخذوا ما معهم تركوهم لأهوال الليل ، فإذا خشوا منهم نهاراً أو فراراً كدسوهم فى أقباء المنازل المهجورة فلا تدركهم عين الشرطة ولا تنالهم رعاية البر . ولا أدرى كيف سالت على قلمى كلمة البر هنا ، وهى لو كانت في لغة الناس لما كان كل هذا !

إن سادتنا المترفين ليأنفون أن تقع أعينهم على هذا القبح ، وتدنو أثوابهم من هــذا القذر ، فهم ينهرونهم كما ينهرون الكلاب ، ويذبونهم كما يذبون الذباب ، ويفورون غضباً على الحكومة أن تسمح لهــذه الحشرات أن تدب على الطرق المغسولة ، أو تحوم حول الموائد المزدانة !

شقّ الله هذه الأشداق المنفوخة يا سادة ! إن هؤلاء الأطفال الذين يحملون العلب بالأصابع ، أذكى من أطفالكم الذين يحملون القماطر بالكتب ؛ وإن عباقرة العالم فى الأدب والفن والعلم والحكم قد وُلدوا كهؤلاء فى مهاد اليتم والعدم، ونشأوا فى حجور الألم والفاقة ، فاضطرهم الشقاء الباكر أن يعرفوا أن لهم أذهاناً للتفكير ، وعقولاً للتدبير ، وأيدياً للعمل ؛ ففكروا ثم قدّروا ثم عملوا ، فكان من أثرهم هذه الدنيا ، ومن سيرهم هذا التقدم . أما أبناؤكم أبناء الدعة والسعة والرفاهة فانتفى عنهم العمل لقلة الحاجة ، وضعفت فيهم أداته لكثرة البطالة ، فأصبح المخ مستوياً أملس كالصحيفة ، والجسم صقيلا أملط كالديباجة ، واليد رقيقة رفافة كالزنبقة . فهم تماثيل ناطقة للغباء الأنيق ، تطعم وتنعم وتلهو على حساب الفقير الذى يعمل ولا يأكل ، والأجير الذى يشقى ولا ينال !

بالله ما ذنب هــــذا الطفل الشريد الذى تتحامون مسّه ، وتتفادون مرآه إذا كان القدر قد اختار له ذلك الأب البائس الذى يتزوج ولا يعاشر ، ثم يلد ولا يعول؟ هل من طبيعة الحى أن يلقى أفلاذ كبده مختاراً في مدارج الطرق تطؤها الأقدام وتتحيفها المكاره؟ هل تستطيعون أن تجدوا لذلك إذا وقع علة غير الفقر الذى يحمل الأب فى أزمات القحط والحرب على بيع بنيه وأكل بناته ؟ فإذا كنتم تشفقون على نعيم عيشكم من رؤية البؤس ، وتخشون على جمال حياتكم دمامة الفقر ، وتضنون بسلام وطنكم على أدواء التشرد ، فاقتحموا على الفقر مكامنه فى أكواخ الأيامى وأعشاش العجزة ، ثم قيدوه بالإحسان المنظّم فى المدارس ، والصدقة الجارية فى الملاجئ ، تجدوا بعدئذ أن الدنيا جميلة فى كل عين ، والحياة بهيجة فى كل قلب ، وتشعروا أن روحاً عامة قد وصلت بين جميع الأرواح فأصبح الشعب كله جسماً حيًّا متآلفاً متكاتفاً تتغذى خلاياه بدم واحد، وتتساير نواياه إلى غاية واحدة !

احمد حسن الزيات

كتاب مصطفى كامل

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك جدير أن يسمى بحق مؤرخ النهضة القومية الحديثة ، لأنه أرخها فى مرحلتها التى بدأت بالحملة الفرنسية ، وأرخها فى مرحلتها التالية التى بدأت بقيام محمد على الكبير على الأريكة المصرية ، وصحبها فيما أعقب ذلك من المراحل إلى عهد الثورة العرابية فالاحتلال البريطانى فالحركة الوطنية فى عهد هذا الاحتلال

وها هو ذا قد تأدى فى تاريخه لها إلى ختام القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أى إلى الفترة التى ظهر فيها زعيم الوطنية فى أبناء ذلك الجيل مصطفى كامل باشا رحمه الله

ونهجُ الأستاذ الكبير فى كتابه عن مصطفى كامل شبيه بنهجه فى الكتب المتقدمة من حيث الطريقة والوجهة ، يتتبع الوقائع ويستقصى ما احتاج إليه من الأسانيد وينصف فى الحكم على الرجال والحوادث مع ميل يسير إلى تخفيف التبعات أو تجميل المحاسن فى بعض الجوانب ، وسهولة فى التعليل والتعليق لا تثقل على ذهن القارئ ولا تكتفى مع ذلك بالظواهر دون ما يلازمها من الأسباب والعواقب

إلا أنه فى كتابه عن مصطفى كامل قد اقترب من ميدان الحياة الحاضرة أو من معترك السياسة الذى يعيش فيه ، فكان لذلك أثره فى الميزان دون قصد فى بعض الأحيان ، وعلى قصد ظاهر فى بعض الأحيان

ولتوضيح ما نقول نرجع إلى الحركة الوطنية ومذهبيها المختلفين بعد احتلال الإنجليز لهذه البلاد

فقد كانت الدعوة الوطنية كما قلنا فى كتابنا عن سعد زغلول « شعباً مختلفات فى القصد والنتيجة المأمولة ، فمنها ما كان يتجه إلى الدولة العثمانية ، ومنها ما كان يتجه إلى فرنسا لأنها أكبر الدول التى كانت تناوئ انجلترا فى مطامعها الشرقية ، ولم يشترك مع هؤلاء ولا هؤلاء حصفاء الثورة العرابية الذين شهدوا بأعينهم تذبذب السياسة الفرنسية والسياسة العثمانية قبل الاحتلال . فقد رأى رجال هذا الفريق ما هو حسبهم وزيادة فى هذه الآمال الكاذبة وهذه الجهود العقيمة ، فاستقاموا على الطريق الوحيد المفيد الممهد لهم وهو طريق النهضة المصرية الصميمة واستقلال المصريين أنفسهم بطلب الاستقلال ، وتزويد الأمة بعدة العلم واليقظة والمثابرة ، لأنه ما من وسيلة إلى الاستقلال فى رأيهم أنجع من وسيلة فهمه والاستعداد له والإصرار على طلبه ، ومن هذا الفريق كان أناس من فطاحل المصريين أمثال محمد عبده وسعد زغلول »

* * *

هذان هما المذهبان اللذان شاعا من مذاهب الحركة الوطنية بعد الاحتلال : مذهب مصر للمصريين ، ومذهب الاعتصام بالسيادة العثمانية ، إما لأنها دولة الخلافة ، أو لأن السيادة العثمانية « حجة شرعية » لمحاربة الغاصب وإظهار مركزه « غير المشروع »

ولا يخفى أن مصطفى كامل رحمه الله كان من أنصار السيادة العثمانية ، وكان يذكر الاستقلال ولا يذكر الاستقلال التام ، وكان يقيم المحافل كل عام فى عيد جلوس « المتبوع الأعظم » عبد الحميد سلطان آل عثمان ليؤكد ولاء المصريين للسيادة العثمانية . وقد أنشأ الحزب الوطنى فكان المبدأ الأول من مبادئه « استقلال مصر كما قررته معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ ، ذلك الاستقلال الذى يضمن عرش مصر لعائلة محمد على مع الاستقلال الداخلى عن تركيا »

وكان المبدأ العاشر من مبادئه « تقوية العلائق بين مصر والدولة العلية »

ولبث أشياع مصطفى كامل على هذا الرأى حتى كتب اللواء يعيب على الأستاذ الكبير « أحمد لطفى السيد بك » أنه يطالب بالاستقلال التام ويخرج بذلك على أحكام القانون وعلى سنة الولاء للسيادة العثمانية ، فاضطر الأستاذ يومئذ إلى التفرقة بين الاستقلال التام والاستقلال الكامل توفيقاً بين ما يدعو إليه وبين الصبغة الشرعية

ثم لبث أشياع مصطفى كامل على هذا الرأى إلى ما بعد الحرب العظمى وبعد الثورة الوطنية التى أعقبتها ، فخولوا الأمر إلى أصحاب السيادة فى الآستانة ثم فى أنقرة ، كأنهم هم الأصلاء وليس للمصريين أن يبرموا أمراً فى هذه السيادة إلا بعد إبرام الأصلاء رأيهم فى موضع الخلاف

وقد تعاقبت الحوادث وتمخضت الآراء فظهر بعد حين موقع الصواب من المذهبين ، وضعفت حجة السيادة العثمانية شيئاً فشيئاً حتى أصبح الجيل الحاضر يعجب كل العجب كيف كان هذا الرأى فى يوم من الأيام موضع خلاف ! !

وقد كان الإنصاف التاريخى يقضى ببيان هذه الحقيقة فى تاريخ مصطفى كامل ولا يمنع المؤرخ أن يفصل أعذار المتعصبين بالسيادة العثمانية فى ذلك الحين ، بل يوجب عليه أن يذكر هذه الأعذار وأن يذكر معها صواب المخالفين ولا سيما حين يشعر أنه صواب.

ولكننا بحثنا فى كتاب مصطفى كامل فلم نر فيه إشارة إلى هذا أو ذاك ، وكأنما غلبت النزعة الحزبية على النصفة التاريخية فوجدنا أن الأستاذ الكبير قد أغفل الموضوع كل الإغفال ، فلم يذكر محافل التبوع الأعظم ولم يذكر حملة اللواء على طلاب الدستور والحرية فى البلاد العثمانية ، وكتب أكثر من عشر صفحات عن تأسيس الحزب الوطنى مفصلا أسماء أعضائه وأقوال الصحف فيه دون أن ينشر مبادئه أو يأتى بالمهم منها وهى أهم ما يثبته المؤرخ فى سيرة زعيم حزب من الأحزاب

ولو أنه فعل هذا لأقر الحقائق فى نصابها وأتاح للقارئ أن يحيط بمعانى الحركة الوطنية من جميع نواحيها ، وأن يستخرج العبرة المقصودة بالتاريخ من صواب أو خطأ لكل فريق، وما من فريق واحد معه كل الخطأ أو كل الصواب .

وبينما الأستاذ الكبير ينسى هذه الحقائق التى لا يطلها النسيان إذا به يأخذ بالظنون التى لا سند لها ولا معول عليها فيما يكتبه عن سعد زغلول فيقول عن علاقة سعد بالجامعة المصرية « وتبين أن انسحابه من رياسة اللجنة كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال لكى يحبط المشروع ، وقد أصابه الفتور والركود فعلاً بعد انسحابه من اللجنة ، وبخاصة لأن الحكومة خلقت فى ذلك الحين بإيعاز من الاحتلال أيضاً حركة إنشاء الكتاتيب واستحثت الأعيان فى مختلف الجهات على التبرع لها معارضة بذلك مشروع الجامعة »

ثم أشار الأستاذ الكبير إلى مسألة التعليم باللغة العربية فقال « وقد كانت خطبته — أى خطبة سعد — دفاعاً عن سياسة الاحتلال فى التعليم ، لأن الاحتلال هو الذى أحل اللغة الانجليزية محل اللغة العربية فى التدريس بالمدارس الأميرية ... »

* * *

تبين أن انسحاب سعد زغلول من رياسة الجامعة كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال ... يا عجباً ! كيف تبين ذلك ؟ ومن أين جاء ذلك البيان ؟

أما الحقيقة فهى أن الحكومة تبرعت للجامعة بالمال واعترفت بشهاداتها كما تعترف بشهادات المدارس الأميرية . وسألنا سعداً فى ذلك فقال فى بيان نشرناه فى كتابنا عنه : « ... كل هذا والذين يريدون إخراج الجامعة من قبضة الحكومة قد يجهلون أنها دفعت مرة واحدة خمسة أضعاف ما دفعه المتبرعون فى أنحاء القطر المصرى بأجمعه ، وليس هذا كله كل ما أمدت به الحكومة هذه الجامعة فإن اعتبارها لها مدرسة منتظمة وقبول شهادتها بين بقية الشهادات المدرسية ينشط الناس إلى الإقبال عليها إقبالاً لا تظفر بمثله إذا كان الغرض منها مجرد تحصيل العلم وتوسيع العقل ، وربما لا تنسى أن بعض هؤلاء كان يطلب من الحكومة إعانة المشروع مادياً، فرفضهم الآن إشرافها عليه بعد أن أدت الحكومة ما طلبوه منها يعد من الغرابة بمكان »

هكذا كان موقف سعد من الجامعة وهو وزير ، وإنه لأصوب ألف مرة من موقف الداعين يومذاك إلى إحباطها وتشكيك الناس فى مصيرها . أما إنشاء « الكتاتيب » واعتباره حرباً للجامعات والمدارس العليا فقد عشنا بحمد الله حتى رأينا الدستور المصرى يفرض التعليم الإلزامى فرضاً ويجعله واجباً من الواجبات الوطنية، وعشنا بحمد الله حتى علمنا أن سعداً قد سبق النهضة القومية سنوات إلى ذلك العمل المجيد الذى كان محسوباً يومذاك من الجنايات

ومن السهل على الإنسان أن ينقد سعداً حين يعارض الهجوم على تقرير التدريس باللغة العربية فى جميع المدارس المصرية قبل إعداد الكتب وإعداد المدرسين والنظر فى عواقب هذا التبديل ؛ ولكن من السهل أيضاً أن يعلم الإنسان أن المستطاع هو المستطاع وأن سعداً قد عمل فى سبيل اللغة العربية والتمهيد لتدريسها جهد ما يعمله وزير فى تلك الأيام ، وأن مدرسة مصطفى كامل نفسها لم تكن تستغنى بالمدرسين المصريين عن المدرسين الانجليز ، اعتماداً

رد على رد

بين القديم والجـــديد

(لأحد أساطين الأدب الحديث)

يجمع الأستاذ النمراوى فى نفسه من صفات الخلق العظيم ما لا يتفق إلا لقليل من المهذبين الأفاضل ؛ فهو يغار على الفضيلة والدين، ويجمع إلى غيرته لطف المناظرة والإنصاف وآداب الحديث والمجادلة بالتى هى أحسن؛ وهذه رعاية من الله، نرجو أن يديم الله عليه نعمته . وقد ظهر عدل الأستاذ وإنصافه فى اعترافه بأن فى الأدب القديم أكثر مما يشكو منه مما فى الأدب الحديث ، وفسر القديم بأنه ليس القدم الزمنى ، فالقديم والحديث فى اصطلاح الأستاذ صفات لا تدل على الزمن ، وضرب مثلاً بشعر عمر بن أبى ربيعة وقال : إنه لو كان فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لنفاه بسبب غزله. فعمر بن أبى ربيعة إذاً على قدمه الزمنى ليس من المذهب القديم فى الشعر والأدب على حد اصطلاح الأستاذ ، إذ أن القديم فى اصطلاح الأستاذ هو من لم يقل غزلاً يثير شجون النفس وشهواتها وتعلقها بفتنة الحسن . وليعذرنى الأستاذ إذا قلت إنه يصعب عليه أن يجد شاعراً واحداً يصح أن ينطبق عليه اصطلاح القديم فى عرفه ، فهذا الرافعى على تقواه ودينه وفضله له فى الغزل نثراً وشعراً أشياء (أشهى) من شعر عمر بن أبى ربيعة . ألم يقرأ الأستاذ النمراوى للرافعى وصفه للراقصة ومحاسن جسمها وقصته معها ؟ ومع ذلك فالأستاذ النمراوى يقول إن أدب الرافعى يمثل الأدب القديم فى اصطلاحه، مع أن الأستاذ النمراوى لو كان خليفة وعرض عليه غزل عمر بن أبى ربيعة وبعض ما قاله الرافعى شعراً ونثراً فى الغزل ووصف مفاتن الحسن ولذة التقبيل ومحاسن جسم المرأة لأمر الأستاذ بنفى الشاعرين : ابن أبى ربيعة والرافعى معاً . وإذا كان الأستاذ فى شك من أن الرافعى له أشياء أشهى من أشياء عمر بن أبى ربيعة ذكرنا له طرفاً منهـا ورضينا بحكمه وهو أعدل الحاكين من الناس . بل نحن نترك للأستاذ الخيار فليختر أى شاعر ونحن نورد له ما يستحق به النفى لو وكل الأمر إلى الأستاذ النمراوى فى نفى الشعراء، ونورد ما يستحق به النفى ونقـارنه بما استحق به عمر بن أبى ربيعة النفى ونقبل حكم الأستاذ النمراوى فى المقارنة وهو خير الحاكين

إننا ما أردنا أن نعـذر شطط المتأخرين بشطط المتقدمين كما ذكر الأستاذ وإنما أردنا أن نبين أولاً أن النفس البشرية واحدة فى كل زمان ومكان مهما اختلفت الفروق الظاهرة وبالرغم من شذوذ الآحاد بالنقاوة النادرة أو النجاسة البالغة النادرة. وأردنا أن نفسر أثر المتقدمين فى أقوال المتأخرين وأن نقول إن الشطط فى وصف المفاتن وفى شرح الشكوك النفسية لم يأتنا من ناحية الافرنج وحدهم بل جاءتنا به مؤلفات العرب ولا سيما عند ما أدخلت الطباعة وطبعت المخطوطات العربية القديمة والحديثة . على أن النفس الإنسانية ياسيدى الأستاذ ينبوع يفيض بكل ذلك من غير حاجة إلى كتب العرب أو كتب الأوربيين ؟ وإن شاء الأستاذ فليرتد أماكن الناس الذين لم يتأثروا كثيراً بكتب العرب ولا بكتب الإفرنج وليسمع هواجس نفوسهم .

على أن فى ذكر الأستاذ التجاء عمر بن الخطاب إلى النفى

على ما كان يقال فى ذلك الحين من أن تدبير الدراسة والكتب المدرسية ليس بالأمر العسير

***

هذه ملاحظاتنا على موازين الأستاذ الرافعى فى تاريخ هذه الفترة ، فهو يمسح من هذا التاريخ كل ما يبين وجه الصواب عند من خالفوا صاحب السيرة فى الأساس أو التفصيل ، ويثبت من جهة أخرى ظنوناً لا ثبوت لها لتقرير الصواب فى جانب المؤيدين والناصرين

ومع هذا نقول إن مكتبة « النهضة القومية » لا تكمل بغير كتاب الأستاذ عن مصطفى كامل ، لأنه يشتمل على وقائع صحيحة وأسانيد صادقة وملاحظات قيمة . أما المواضع التى ينحرف فيها بعض الانحراف عن سنته فى الإنصاف والتمحيص، فليس للقارئ أن يطلب الحق كله من كتاب واحد ، ولا سيما فى تاريخ تختلف فيه الميول والآراء .

عباس محمود العقاد

ما يدل على أن النفوس فى عهد عمر رضى الله عنه لم تكن تمتنع عن التعلق بمفاتن الحسن ومحاسن الحياة ، ولعل الأستاذ قد أذكرته التجاء عمر إلى النفى قصةُ سماع عمر غناء التى تغنت بهذا البيت:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفى عمر رضى الله عنه نصراً هــذا . ولو رجع الأستاذ إلى ما قبل سيدنا عمر وتدبر حكمة الآية الكريمة التى تنهى الناس عن قرب الصلاة وهم سكارى لرأى عبرة تسلك النفوس البشرية فى كل عصر فى صعيد واحد بالرغم من تفاوتها . وأستحلف الأستاذ أن يحكم على تلذذ كعب بن زهير بذكره كبر عَجُز حبيبته فى قصيدة (بانت سعاد) عند ما قال (هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة) وتلذذه بذكره كبر العَجُز فى قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليــه وسلم وهى قصيدة يتبرك بها بعض الناس، وبعضهم يتخذها حجاباً وتميمة بما فيهــا من التلذذ بذكر كبر العجز من غير فطنة إلى ما فيها . ومع ذلك قد مر النبى صلى الله عليه وسلم بغزل كعب هذا مر الكرام بمــا كان يدعو إليه من العقيدة السمحة وتألف النفوس ومعرفته ضعف النفس وقصورها . فمــاذا كان يصنع الأستاذ الغمراوى لو أن شاعراً مدحه بقصيدة تغزل فى أولها وتلذذ فى غزله بذكر كِبَر عَجُز حبيبته ؟ هل كان يتغاضى كما تغاضى النبى صلى الله عليه وسلم أم كان ينفيه كما أراد أن ينفى عمر بن أبى ربيعة ؟ وماذا كان يقول الأستاذ لو أن شــاعراً انجليزيا مدح ملك انجلترة ومقام الملك دون مقام النبوة فقال الشاعر فى قصيدته (إن حبيبتى يا كنج جورج لها عجز كبير)؟ إننا يا أستاذ نضرب هــذه الأمثال لنبين أن الناس ناس فى كل زمان ومكان، وأن النفس البشرية واحدة مهما تباينت واختلفت صفاتها . ولو كان الأستاذ فى شك من ذلك فليراجع ديوان حسان بن ثابت فيراه فى قصيدة يتهم أبا الوليد ابن المغيرة بمحبة غــلام رومى جميل كان مملوكاً له ، وبأنه علق صــورة الغلام كى ينظر إليها إذا غاب عن نظره ، ويتهم أمه بمحبة الغــلام أيضاً . (صفحة ٣٢٩ طبعة السعادة شرح العبانى) . ولو رجع الأستاذ إلى كتاب (العقد الفريد)



جاءنى بريد « بيروت » هذا الأسبوع بمجلة أدبية فاضلة ما كدت ألقى نظرة على صدرها حتى وجدته زاخراً بسب مصر ورجال الأدب فى مصر . مع استنكار « لامتداد الأدب المصرى والثقافة المصرية فى أجواء البلاد العربية » وبعد أن نفى الكاتب الكريم عن مؤلفات المصريين كل قيمة فى بضعة أسطر ، ختم الكلام بقوله : « إننى أنكر هذه الثقافة (اللقيطة) ويعز علىّ كلبنانى عربى أن تؤخذ بلادى بالتدجيل وتخدع بالدعايات المجانية أو المأجورة »

ما هو الدافع إلى هذا القول ؟ أهو نقد الجهود فى ذاتها حتى نستيقظ قليلاً ونرى أن قراءنا فى البلاد الشقيقة قد بدأوا يسأمون إنتاجنا ، ويستحثوننا على تجديد طرائقنا وتعزيز وسائلنا ، حتى يظفروا ويظفر الأدب العربى الحديث بالنهضة الباهرة المنشودة ؟ إن كان هذا هو قصد المجلة والكاتب فهو قصد نبيل ، لا يسع مصر وكتابها إلا أن يبعثوا إليهما من أجله أصدق عبارات الشكر

أما إذا كان الباعث هو مجرد الغضب لأن مصر بالذات هى التى تنبعث منها أشعة الثقافة العربية الحديثة فى الوقت الحاضر ، فتلك عاطفة لا تشرف صاحبها ولا نحب نحن أن نسلم بوجودها ، خصوصاً فى بلد تربطنا به أواصر النسب

ومع ذلك فهذا أمر لا ينبغى أن يكون موضع جدال ، لأنه أمر يتعلق بالواقع

فإذا كان الواقع هو أن نسيم الثقافة يهب علينا اليوم من جبال لبنان ، فلا أحبّ إلينا نحن المصريين من هذا . وهو خير لنا وأشرف من أن يهب علينا من جبال الألب

غير أن الذى يؤلمنى هو أننا معشر الشرقيين يكبر علينا دائماً أن نرى الفضل يأتينا من شرق ، ولا نغضب بل نفخر إذ يأتينا الفضل من غربى !

ولأرفع صوتى صريحاً : إن الشرق لن تقوم له قائمة إذا بقيت فيه ذرة من روح التنابذ والتحاسد . فإن لم يسعفنا التعاون والتساند فلنوقن بسقوطنا العاجل بين فكى الغرب النهم .

توفيق الحكيم

لقرأ أن سائلاً سأل عبدالله بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم: هل قول المجون ينقض الوضوء ؟ فقال : لا. وأنشد بيتاً فيه مجون وكانت قد حانت الصلاة فقام وصلى للدلالة على أن شعر المجون لم ينقض وضوءه. وفى حالة أخرى سمع وهو يحدو بيت فيه مجون. ولو تقصى الأستاذ أخبار سبي الرقيق من المدن الفارسية والرومية التى فتحت عنوة وأثر ورود هذا السبي إلى شبه جزيرة العرب ، وما كان يرد قبله من جلب تجارة الرقيق قبل الإسلام لعلم أن الولوع بمفاتن الحسن لم يكن مقصوراً على الشعراء المتقدمين أو المتأخرين . ونحن لا نريد أن نعذر حالة الناس فى عصرنا . فلعل التعلق بمفاتن الدنيا فى عصرنا أضر وأفسد إذ أن القوى الحيوية الخلقية العظيمة فى نفوس المتقدمين كانت تستطيع موازنة ضعف هذا التعلق، وانعدام هذه القوى الخلقية الحيوية فى عصرنا يزيد ضرر التعلق بمفاتن الحسن وشهواته . نعم ذلك ونوافق الأستاذ على ضرورة معالجة هذه المسألة ، ولكن لا يكون ذلك إلا بالتربية وتطهير الكتب ولاسيما القديمة. أما أنا فرجعنا إلى مبدأ نهضة التجديد فالأستاذ نفسه يعترف بأن التجديد فى الأدب روح لا قالب ، وأن هذه الروح مستمدة من نظام التعليم الحديث ، ومن الأنظمة التى اقتبست من الأنظمة والشرائع والسنن الأوروبية ، ومن البعثات العلمية إلى أوروبا وأثرها فى النفوس، ومن الكتب التى ترجمت؛ وما دامت المسألة مسألة روح لا قالب فلا يستطيع الأستاذ فصل التجديد فى العلوم والتعليم والنظم والشرائع عن التجديد فى الأدب وهو لم يحاول أن يفعل ذلك . أما أننا فسرنا قوله : (تغليب دين على دين) بغير ما أراد فعذرنا فى ذلك أنه كان يقارن بين الثقافة والحضارة والدين عند العرب وعند الأوروبيين فلم يخطر ببالنا أنه يعنى بالدين عند إطلاقه على الأوروبيين معنى الضلال والباطل وإنما ظننا أنه يعنى دينهم ، ولنا العذر أو بعض العذر . وأما قول الأستاذ إن حافظ ابراهيم رجع بالغزل إلى طريقة الجاهلية وصدر الإسلام أى طريقة الغزل بالعاطفة كما فعل العذريون فهذا ما لا يقول به حافظ نفسه ولم يقل به أديب قبل الأستاذ . والأصح وهو ما قلناه من أن البارودى وشوقى وحافظ أنقذوا الأدب من طريقة ابن حجة الحموى وخليل بن أيبك الصفدى وصفى الدين الحلى وأشباههم ورجعوا به إلى طريقة مسلم بن الوليد وأبى تمام والبحترى وحسبهم هذا فخراً . وقد جعلنا أكثر قولنا فى التجديد فى الشعر لأن الباعث على مقالات الأستاذ كان شعر الرافعى والعقاد، ولم نقصر التجديد على محاولة إدخال العاطفة كشرط أساسى فى الغزل بل قلنا إنها شرط أساسى فى كل شعر، وإن الصنعة لازمة، ولكن كخادمة للتعبير عن النفس والحياة وعواطف النفس وأحاسيسها فهما ، فتحجر الصنعة من غير بحث فى النفس قيد ، والتخلص من جمود ذلك التحجر حرية، وهى الحرية التى أردناها فى قولنا . وقد فسرنا ذلك بإطالة وأوضحنا أن هذه الحرية ليس معناها التخلص من قيود العرف أو الدين، فنرجو الأستاذ أن يرجع إلى ما فصلنا من الكلام عنها. وقد اعترفنا للأستاذ بما فى نزعة التجديد من عيوب وحبذا لو رجع الأستاذ إلى ذلك التفسير والتعليل، وقلنا إنها عيوب عارضة وليست كل شئ. أما المسائل الاجتماعية التى ذكرها الأستاذ فهى أمور يختلف فيها الأدباء وغير الأدباء ويختلف فيها الناس فى كل عصر؛ ولو شاء الأستاذ لذكرنا من أقوال كتاب العرب وشعرائهم ما هو أشد من أقوال طه حسين وهيكل وقاسم أمين. ومن الغريب أن الأستاذ لا يرى حرجاً فى الاقتباس من علوم أوربا ويرى حرجاً فى الاقتباس من مذاهبهم وأبواب أدبهم ، وإذا كان هناك حرج فالحرج فى الحالتين .

(قارئ)

أعلام الأدب

هومـــــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذي الجليل أحمد حسن الزيات أهدي هذه الفصول »

(تابع)

ومن ألمع شخصيات الإلياذة شخصية أجاممنون ... تلك الشخصية العجيبة التي رفعها هوميروس فوق شخصياته جميعاً ، وخصها بالقيادة العامة للأسطول في البحر وللجيوش في البر

وأجاممنون هو شقيق منالوس زوج هيلين التي بسببها شبت الحرب بين اليونان وطروادة . وهو الذي ضحى بابنته إفجنيا كي تتحرك الريح وتتأذن الآلهة للأسطول أن يقلع من أوليس بعد إذ لبث هناك زماناً طويلاً لا يقوى على حركة لسكون البحر وجمود الرياح ... وقد اتخذ إسخيلوس من مأساة الفتاة إفجنيا(١) موضوعاً لمأساته الرائعة التي دبرت فيها كليتمنسترا زوجة أجاممنون غيلة زوجها بعد أوبته من طروادة وذلك بمعاونة عشيقها إيجيستوس ثم تسلسل ثلاثية إسخيلوس الشجية (الأورستية) التي ترجمناها لقراء الرسالة منذ ثلاثة أعوام

ومن المشاهد المؤلمة التي ينقم فيها القارئ على أجاممنون ، ذلك المشهد الذي يقص علينا فيه هوميروس ما شجر من الخلاف بينه وبين البطل أخيل ... وذلك أن الجيوش اليونانية كانت قد ظفرت في إحدى المعارك بسبي عظيم كان في جملته الفتاة خريسيز ابنة كاهن أبولو والفتاة الحسناء بريسيز . وقد كانت خريسيز من نصيب أجاممنون وبريسيز من نصيب أخيل ... ولما علم والد خريسيز بما آل إليه أمر ابنته كمد كمداً شديداً وذهب إلى خيمة أجاممنون يتوسل إليه أن يرد إليه ابنته ، لكن القائد العام أغلظ للوالد المنكوب ورده رداً شديداً . فدعا الكاهن إلهه أبولو أن يصب سوط عذابه على اليونانيين ما داموا لا يردون عليه فلذة كبده وقطعة قلبه ... واستجاب له إله الشمس فسلط عليهم طاعوناً راح

(١) كذلك كتب عن شعراء اليونان يوربيدز عن إفجنيا درامتيه البارعتين إفجنيا في أوليس وإفجنيا في توريس كما كتب عن أورست وعن كثير من أبطال هومر وسنعرض لذلك في الفصول التي سنخصه بها إن شاء الله

يبيدهم ويفتك بأجنادهم ... ثم جاءتهم النبوءة بوجوب رد الفتاة إلى أهلها إذا أرادوا رفع البلاء عنهم ، فوافق أخيل كما وافق كل رؤساء الجيش ، لكن أجاممنون أبى أن يرد الفتاة إلا إذا قبل أخيل أن ينزل له عن بريسيز التي ملكت عليه فؤاده وامتزج حبها بدمه ... ولما رأى أخيل ما يحل باليونانيين من بلاء قبل مكرهاً أن يهب أجاممنون معبودته ، لكنه اشترط ألا يخوض المعركة مع بني جلدته بعد ذلك(١)

هذا مشهد يثير السخط على أجاممنون ، كما أثاره تسليم رأس ابنته للجلاد قرباناً للآلهة حتى تثير الرياح كي يقلع الأسطول ... ويمثل هذه المشاهد التي سنضع بين يدي القارئ صوراً رائعة منها وضع هوميروس أساس المأساة اليونانية ومهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء فخلقوا الدرامة وخلقوا المسرح وتركوا للذهن البشري ثروة ما يزال يستغلها وما يزال يروي ظمأه منها

وقد ورد ذكر أجاممنون في الأوديسة كما أسلفنا وذلك عند ما لقي أودسيوس الكاهن تيرزياس في العالم الثاني وأخذ يقص عليه ما آل إليه أمر أبطال الإلياذة بعد أوبتهم إلى أوطانهم ، وقد ذكر له من أمر أجاممنون ما دبرته له زوجه

وللبطل ديوميد منزلة رفيعة في الإلياذة ، ويكاد بشجاعته النادرة يتفرد بالإعجاب بعد إذ هجر المعركة أخيل . ففي الكتاب الخامس الذي قصره هوميروس على هذا البطل لا تقتصر شجاعته على التفوق على الآدميين الذين خاضوا الحلبة بل تتعداها إلى الآلهة ، وحسبه فخراً أنه جرح فينوس ربة الجمال التي كانت تتفانى في مساعدة جيوش طروادة ، ثم مارس إله الحرب الجبار ، الدله بهوى فينوس ... وكلما حاق بأحد اليونانيين كرب في المعمعة كان ديوميد أسرع الفرسان إلى نجدته بل إنقاذه ... وقد ذهب في الكتاب العاشر في صحبة أودسيوس إلى معسكر الطرواديين في حلك الليل حيث اغتالا ريسوس بعد أن اجتازا ساحة تعج بالمنايا وتضطرب بألوان المهلكات

أما أودسيوس فله شخصية فذة ... إنه بطل مخاطر لا يبالي الردى ولا يرهب المنايا ، إلا أنه يمتاز بناحية أخرى أظرف وألطف ... ناحية تثير المرح وتبعث على الضحك ، ضحك الجد

(١) الكتاب الأول من الإلياذة

الصارم لا ضحك المشعبذين ورجال الساحر ... إنه كان من عشاق هيلين قبل أن تنشب هذه الحرب، فلما فاز منالوس بهيلين، حزن وتولاه الكمد، لكنه تزوج من إحدى قريباتها (بنلوب) التي لم تكن تقل عنها جمالاً ونضرة وطلاوة، والتي استطاعت أن تحتل من قلبه فراغ هيلين كله ... فلما نشبت الحرب بسبب هيلين وعلم أودسيوس أنه مدعو إلى خوض غمارها فيمن دعى من ملوك هيلاس وأمرائها آثر السلامة، فادعى العته، وذهب إلى شاطئ البحر بمحراث عظيم يجره ثور وجواد، وجعل يحرث الأرض ويبذر فيها الملح كما يفعل المجانين ... ولم تنطل هذه الحيلة على بالاميد رسول منالوس فقد عمد إلى تزييفها بوضعه الطفل تلماك بن أودسيوس في طريق المحراث. فكان أودسيوس يتفادى ولده في مهارة أشد الناس وعياً وأكثرهم إدراكاً ...

وفي الإلياذة كثير من المشاهد التي تدل على براعة أودسيوس وجمال حيلته وعمده إلى الخدعة في الحرب أكثر من الاتكال على الشجاعة المجردة. كما كان يصنع ديوميد أو أجاكس أو أخيل ... وخدعة الحصان الخشبي التي فتحت طروادة هي من تدبير أودسيوس ... أما الأوديسة فإنها غاصة بحيل هذا الرجل العجيب، و ب حيل خلابة لا يمكن استيعابها في هذه الفصول المقتضبة عن هوميروس. وننتهز هذه المناسبة فنشير إلى ما تسرب إلى قصص ألف ليلة وليلة من خدع أودسيوس. فأكثرنا قد قرأ رحلات السندباد البحري، وأكثرنا يذكر المارد الذي حبس السندباد ورجاله في كهفه، وراح يسمنهم ويغتذي بهم واحداً بعد واحد حتى دبر السندباد حيلة سمّل عيني المارد بالسيخ (السفود) المحمى وما تم بعد ذلك من هرب السندباد ورجاله إلى زورقهم ونجاتهم بأنفسهم في البحر .. هذه صورة كاملة من صور الأوديسة اقتبسها الراوية العربي وكساها هذا الرواء القشيب مباعداً بينها وبين الأصل غير مشير إلى مصدرها. ونحسب نحن أن قصة السندباد كلها لم تكتب إلا بعد العصر الذي فشت فيه الترجمة عن اليونانية واشتدت فيه أواصر الصداقة بين هارون عاهل بغداد، وشرلمان عاهل بزنطة، وما تبع ذلك من وفود تجار القسطنطينية إلى بغداد ووفود تجار بغداد إلى العاصمة الرومية، وما كان يصحب هذه الرحلات من تبادل القصص وسرد الأخبار ... وليس يبعد كذلك أن يكون لاختلاط العرب بأهل الأسكندرية من مصريين ويونانيين أثر فيما نلحظه من تلقيح القصص العربي بطرائف القصص اليوناني.

هذه بعض الشخصيات اليونانية من المذكور في إلياذة هوميروس، تقابلها شخصيات أخرى في معسكر طروادة ... ولسنا ندري بأيها نبدأ؟ إن باريس الذي كان سبب هذه الحرب الضروس شخصية هزيلة مريضة شاحبة، وليس يستطيع الإنسان أن يفهم كيف جاز أن تنشب هذه المجزرة الشنيعة المروعة بين هذين الحلفين الكبيرين من أجل أن هذا الفتى باريس ينزل ضيفاً على منالوس فيكرمه ويحتفي به ثم ما يلبث الضيف أن يغازل زوج مضيفه. ثم ما هو إلا أن يفر بها بعد تدبير هو أسفل ما عرف في تاريخ الهمجية والقحة! ! حقاً، لقد وعدته فينوس قبل أن يقضى لها بالتفاحة المشئومة أن تمنحه أجمل زوجة وأفتن امرأة. أفلم يكن هذا النذر الإلهي يُقضى إلا على هذا النحو؟ والغامض الذي لم يفسره علم الأساطير هو كيف أنه قد ساغ صنع باريس في ذهن أبيه ملك طروادة؟ وكيف رضى بطل عظيم مثل هكتور عن هذه الدعارة التي أثار بها أخوه الحرب بين هذين العالمين؟ قد نلتمس العصبية الجنسية عذراً واهياً لهذا الرضى، بيد أنه يكون عذراً متهدماً على كل حال

يدرس الإنسان شخصية بريام الملك فيعجب لنبالة الرجل وفطرته التي فطره الله عليها من محبة للعدل وميل إلى الإنصاف وإشفاق على الرعية، فكيف وزن عمل ولده حين أبى أن يأمره برد هيلين إلى زوجها حقناً لكل تلك الدماء؟! أين المرض إذن؟ أفي رأس بريام وملئه؟ أم هو في رأس هوميروس؟! هنا موضع الضعف في عقدة الإلياذة، وهو ضعف يشبه الضعف في عقدة الأوديسة، حين يجتمع عشاق بنلوب في قصر أودسيوس، وحين تمر عليهم السنون الطوال منتظرين أن تختار منهم ربة الدار بعلاً لها، فهم بذلك يشبهون القطط ويحاكون الديكة حين تقتتل على الأنثى ... هذا ضرب حيواني من تفكير هوميروس يشوه جمال ملحمتيه، ولعل للوثنية نصيباً كبيراً في توجيه شاعر الخلود هذه الوجهة ... ولعل المصريين القدماء لم يكونوا متجنين حين قالوا عن ملاحم اليونانيين إنها نتاج صبياني، ولذا لم يأبهوا لها ولم يعنوا بها برغم ما مدحها لهم صولون

والعجيب فى هوميروس أنه لم يبال أن ينحط بالمرأة اليونانية إلى مستوى دون مستوى المرأة الطروادية بمراحل هائلة . . . لقد جعل المرأة اليونانية متاعاً شائعاً وغرضاً تتحيّفه لبانات الرجال ؛ فهيلين زوجة منالوس ملك أسبرطة تفر مع باريس إلى طروادة دون أن تتأبى أو تتمنع . ثم تشب الحرب بسببها فلا تحاول مرة أن تفر إلى معسكر اليونانيين . بل تظل طوال السنوات العشر متعة حلالاً لباريس ، وتنتهى الحرب ، وتضطرم النار فى طروادة ، وتعود هيلين إلى أسبرطة ، فلا تثور نخوة منالوس ، ولا يضطرب قلبه بقليل من غيرة الرجال

أما بنلوب فقد ضربت المثل الأعلى لحفاظ المرأة ووفاء الزوجة ، لكنها مع ذلك عوملت من أمراء هيلاس معاملة عجيبة مضحكة تدعو إلى السخرية التى فاجأ بها المصريون القدماء المشترع صولون ... وإلا فما هـذه العصبة من العشاق الملاعيد تحتل منزل أودسيوس فتريغ خيره وتأكل زاده وترتع فى شرفه وتستبيح عرضه ؟ ! أكانت منزلة المرأة عند اليونانيين — ولو فى عصر هوميروس — بهذه الدرجة من الهوان ! زوجة ملك إيثاكا تكون بطلة هذه المأساة الغرامية الوضيعة ، وقد قدم هوميروس من خيوس لينشد ملحمته فى المدائن اليونانية ليسمع أهلوها كيف كان أسلافهم يعاملون زوجة بطل أبطالهم ؟ !

وكليتمنسترا زوجة أجاممنون . . . لقد عشقت هى أيضاً إيجستوس المتآمر على عرش مولاه والذى دبر له تلك القتلة الهائلة الشنيعة بعد عودته ظافراً من طروادة ... فما هذا الذى صنعه هوميروس بنساء اليونانيين ؟ لقد عبث بهم وهو يرفع أبطالهم إلى ذروة المجد ، ولها بعقولهم حين عرض عليها بضاعة البطولة المزجاة ملفوفة فى أكفان تلك الأعراض الممزقة ... حتى آلهتهم ... لقد تناولها كما يتناول الطفل دماه ولعبه يعبث بها ويلهو ... حتى كبير الآلهة وسيد الأولمب ... أنظر إليه كيف احتالت عليه زوجه جونو (حيرا) — الكتاب الرابع عشر — فجعلته ينفى ثم يغط فى نوم عميق كيما يذهب نبتيون لنصرة الإغريق ، فإذا استيقظ فى الكتاب الخامس عشر وعلم ما كان من أمر نبتيون أرسل إليه ينذره فى المعركة ، فيعود رب البحار ويبرى أبولو لمشاكسة اليونانيين فترتد جموعهم إلى قواعدها عند الأساطيل ...

أما المرأة الطروادية فقد سما بها هوميروس سموّاً بلغ الغاية وأوفى على المأمول ... أنظر إلى الأزواج والعذارى والأمهات يجتمعن حول هكتور فى الكتاب السادس فى عودته من المعركة يسألنه عن ذويهن ؛ وانظر إلى أمه تبرز إليه من حريم بريام عابسة مقطبة تزجره لأنه عاد من المعركة وهى على أشدها ، ثم تحضه على اللحاق بإخوانه ينصرهم ويشد أزرهم ويرد عادية الإغريق ... ثم انظر إلى هذه المرأة الرزأة — هيكوبا — تجمع المتضرعات من بنات طروادة وتذهب فيهن إلى هيكل ميرفا تصلى وتعفر القرابين كيما تشمل جيش طروادة بحسن رعايتهـا وجميل حمايتها ... ثم استمع إليها تحنو على هيكتور فى الكتاب الثانى والعشرين بعد إذ وعظه والده خوفاً عليه من أخيل (الجنى !) وقد أفزعها منظره يصول فى الحلبة ويجول ، فتذرى دمعها وتساقط نفسها بعـد إذ أرسلت إلى المجزرة بأكثر أبنائها ... أو انظر إليها تمزق نياط القلوب فى الكتاب الرابع والعشرين إذ هى تبكى هكتور بعد إذ عاد أبوه بجثمانه من لدن أخيل ... أو انظر إليها تتعلق ببريام وقد انقض پيروس (ولد أخيل) على آخر أبنائها يخترمه برمحه ، ثم ينقض على بريام الشيخ الفانى المسكين فيجهز عليه ، ثم يقتاد هكيوبا ... هكيوبا المحزونة المفجّعة فتكون فى جملة السبى الذى يعود به اليونانيون من طروادة[1] ، ويكون سبباً يجر عليهم النحس فيقتل من يقتل ويردى من يردى

وأندروماك ! لشد ما يُدوّى فى فؤاد القارئ هذا المشهد الرائع بينها وقد حملت طفلها وبين زوجها هكتور فى الكتاب السادس من الإلياذة ! إن هوميروس يرتفع فى هذا المشهد إلى ذروة فنه فى ملحمته الخالدة ! لشد ما يحرق القلب وداع أندروماك الزوجة لهكتور الزوج !

أنظر إليها واقفة فوق برج من أبراج طروادة وقد قتل أخيل زوجها وراح يجره وراء عربته فى الساحة حول إليوم . والرأس الكريم العظيم يثير التراب المنضوح بالدم ، وأخيل يلهو بكل ذلك ويشتفى !

بل انظر إليها وقد وقفت تضرب صدرها وتسكب دمعها على جثة هكتور بعد إذ عاد بها أبوه بريام من عند أخيل ، ثم تقول :

(١) هذه الوقائع الأخيرة ليست من الالياذة

دراســـات في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب والنقد والتاريخ

يبيّن الأديب شاعراً أو كاتباً عما يدرك ويتصوّر ويتخيل من مشاهد العالم ومعانيه . يصف مرأى جميلاً أو دميماً ويعرب عن إحساس مؤلم أو لذيذ . وتارة يكون موضوع الأديب مظاهر الأدب لا مظاهر العالم . يصف قصيدة أو مقالاً يبيّن ما فيهما من بلاغة وجمال أو ما يعوزهما من قوة فى المعنى وسلاسة فى اللفظ، أو يعرض للشاعر والكاتب يبين ما فطرا عليه من طبع وما واتاهما من علم ، وما يُسّر لهما فى موضوعات البلاغة وأساليبها أو يأخذ عليهما قصوراً فى الإدراك أو عيًّا فى البيان وهلم جرًّا . وربما يتناول الباحث موضوعات من الأدب يصف تقلبها على مر العصور ، أو طائفة من الأدباء يصف تواليهم على الزمن وأخذ بعضهم عن بعض وتقيّل بعضهم بعضاً . فيخرج للناس صورة للأدب فى عصر أو أعصر

هذا كله من الأدب . ولا يسوغ أن نخرج من الأدب المقالات التى تنقد الأدب أو تؤرخه

١ — لأن الباحث فى قصيدة أو مقال يصف ما أوحت إلى نفسه هذه القصة وهذا المقال وما أدرك فيهما من جمال وما أشرب قلبه من حب أو بغض ، وفرح أو حزن . فهو كالذى يصف مشهداً جميلا أو دميماً فى العالم أو أمراً حزيناً أو بهيجاً من أمور الحياة

٢ — ولأن الناقد والمؤرخ مهما يستعمل الفكر والعقل ويذكر العلل والنتائج إنما يحكم بعاطفة ويقيس بوجدان فلن يستطيع أن يدخل دائرة العلم المحض ما كان موضوع بحثه الأدب والأدباء

يتبين من هذا أن الأدب له فروع : إنشاء ونقد وتاريخ . ويمكن أن نرد هذه الفروع إلى فرعين : أدب ذاتى[1] وأدب موضوعى، وهذا يشمل النقد وتاريخ الأدب ونزيد وضوحاً فيما يلى :

الأدب الذاتى النفسى هو الكلام الذى ينشئه صاحبه إبانة عما فى نفسه . والأدب الموضوعى هو الكلام الذى يقصد به تبيين ما فى الكلام الأدبى من محاسن ومساوئ ، أو الإبانة عن فضل شاعر على آخر ، أو ترجيح طريقة من البيان على طريقة ، أو بيان أطوار الأدب فى عصوره المختلفة الخ ..

والخلاصة أنه الكلام الذى يراد به وصف الأدب والأدباء وفيما يلى أمثلة توضح هذين الضربين من الأدب :

— ١ —

قال البحترى فى وصف دمشق :

إذا أردتَ ملأتَ العين من بلد	مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحابُ على أجبالها فِرَقاً	ويصبح الروضُ فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلا	أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا

وقال أبو هلال العسكرى :

أما ترى عود الزمان نضرا	ترى له طـــلاقة وبشرا
أتته ألطافُ السحاب تترى	وساقت الجنوب غيما بكرا
تبسط فى الصحراء بُسطاً خضرا	وتمنح الروضة زهراً صُفرا

(١) التعبير بالذاتى والموضوعى أدق من التعبير بالانشائى والوصفى

« زوجى ! أهكذا تمضى فى عنفوان الصبا وشرخ الشباب ، وتتركنى وحيدة فريدة كاسفة ! هـذا ابنك ما يزال فى المهد ، وهذان أبواك الشقيان ! لن يشب ابنك يا هكتور عن طوقه ، لأن من دون هذا دك تلك الحصون ، وتقويض طروادة التى كنت حاميها وحامى نسائها والذاب عن بنيها ! يا لشقاء الحرائر اليوم يا طروادة ! إن هى إلا لحظات ثم يحملهن البحر إماء للغزاة ، وأنا وولدى فى جملة السبى ياهكتور . . . ولدى ! ولدى البائس الشقى ! إلى أين المسير ؟! إلى بلاد العدو الظالم لتكون من جملة الخدم والخول ... ليراك من يحسب أباك قد قتل أباه أو أخاه فيبطش بك ، وينتقم منك ، ويقذف بك من فوق برج أو حصن ...

« لشد ما كنت حزنا لأبويك ياهكتور ! بيد أنك كنت حزناً ممضا لمخلوق تعيس آخر هو أنا ... ! »

وهكذا بكت هـذه الزوجة المخلصة الوفية زوجها ، وهكذا كانت دموعها النوالى مداداً لا ينفد لمآسى يوربيدز[1]

ما أجمل هوميروس !!

وما أضيق هذه الفصول بأدبه الخالد الذى لا يبيد !! .

دريني خشبة

(١) كتب يوربيدز فى مأساة طروادة مآسى كثيرة لم يصلنا منها إلا ثلاث : هيكوبا وأندروماك وسيدات طروادة

ونرجسا مثل العيون زهرا وأقحوانا كالثغور غرا
كأنما يصوغ فيها تبرا كأنما يروق فيها عطرا
كأنما ينثر فيها درا ... الخ

وقال أبو الطيب فى رثاء أخت سيف الدولة :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
تعثرت به فى الأفواه ألسنها والبرد فى الطرق والأقلام فى الكتب

وقال الحسين بن مطير الأسدى أحد شعراء الحماسة يرثى معن بن زائدة الشيبانى :

ألما على معن وقولا لقبره : سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود فانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال ابن المعتز يصف سامرا بعد أن تركها الخلفاء إلى بغداد فسارع إليها الخراب :

« كتبت إليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها ، وأقعد جدرانها ، فشاهد الناس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، وكأن عمرانها يطوى ، وكأن خرابها ينشر ، وقد وكلت إلى الهجر نواحيها ، واستحث باقيها إلى فانيها ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حق جوار ، فالظاعن منها ممحو الأثر ، والمقيم بها على طرف سفر ، نهاره إرجاف ، وسروره أحلام ؛ ليس له زاد فيرحل ، ولا مرعى فيرتع الخ »

فى هذه القطع كلها تجد المبين ينشئ ما يترجم عما شعر به وتخيله وتصوره حينما رأى منظراً بهيجاً من السحاب والرياض ، أو رأى كئيباً من الخراب والاقفار ، وحينما علم موت صديق يعز عليه أو عظيم ، كان يزجى آماله إليه . وكل هذا تصرف فى معان نفسية يحسها المتكلم نفسه . فهذا أدب ذاتى

— ٢ —

فإذا تبينت هذا فانظر إلى الأمثلة الآتية :

قال القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فى كتاب الوساطة :

« وقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجآذر ، ونواظر الغزلان ، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا فى النادر الفذ . ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس :

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل

أو قابلته بقول عدى بن الرقاع :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين ، وتبينت قربهما منه ؛ والمعنى واحد ، وكلاهما خال من الصنعة ، بعيد من البديع . إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة التى كسته هذه البهجة . وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حذف لاستغنى عنه وما لا فائدة فى ذكره لأن امرأ القيس قال : « من وحش وجرة » . وعدياً قال . «من جآذر جاسم» ولم يذكرا هذين الموضعين إلا استعانة بهما فى إتمام النظم وإقامة الوزن، ولا تلتفتن إلى مايقوله المتأولون فى وجرة وجاسم فإنما يطلب به بعضهم الإغراب على بعض ، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء ، وسألت من لا أحصى من الأعراب عن وحش وجرة فلم يروا لها فضلاً على وحش ضرية وغزلان بسيطة . وقد يختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع، وأما العيون فقل أن تختلف لذلك. وأما ما تم به عدى الوصف ، وأضافه إلى المعنى المبتذل بقوله على أثر هذا البيت :

وسنان أيقظه النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

فقد زاد به على كل من تقدم ، وسبق بفضله جميع من تأخر . ولو قلت : اقتطع هذا المعنى فصار له ، وحظر على الشعراء ادعاء الشرف فيه لم أرنى بعدت عن الحق » اه

الجرجانى فى هذه القطعة يفضل بيتى امرئ القيس وعدى على أبيات الشعراء فى معناها ، ثم يبين ما فيهما من الحسن وما تخللهما من الحشو ، ثم يصف بيت عدى الثانى بأنه أحسن بيت فى معناه . فالجرجانى لم يبن هنا عما أحسه هو فى وصف

العيون ، ولكنه ينظر فيما قال غيره فيبين ما فيه من إجادة وتقصير ويبين أى الأبيات أبلغ وهكذا . فهو إنما يصف كلام غيره ويقيسه بذوقه وتصوره(١)

فهذا أدب موضوعى ...

وقال بشر بن المعتمر(٢) :

« ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات : فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه إن عبّر عن شىء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارة أفهم ، وإليها أحنّ ، وبها أشفق ... الخ »

وقال أبو العباس الناشئ(٣) :

لعن الله صنعة الشعر ماذا ... من صنوف الجهّال منه لقينا

يؤثرون الغريب منه على ما ... كان سهلاً للسامعين مبينا

. . . .

إنما الشعر ما تناسب فى النظم ... وإن كان فى الصفات فنونا

فأتى بعضه يشا كل بعضا ... قد أقامت له الصدور المتونا

كل معنى أتاك منه على ما ... تتمنّى،ولو لم يكن، أن يكونا

فتناهى عن البيان إلى أن ... كاد حسناً يبين للناظرينا

فكأن الألفاظ فيه وجوه ... والمعانى ركّبن فيه عيونا

. . . .

فإذا ما مدحت بالشعر حراً ... رُمتَ فيه مذاهب المسهبينا

فجعلت النسيب سهلاً قريبا ... وجعلت المديح صدقاً مبينا الخ(٤)

ترى فى قول بشر والناشئ وصف خطة للبيان ، ودعوة إلى طريقة فى الإنشاء يريانها الطريقة المثلى وهذا أدب موضوعى أيضاً

واقرأ هذه القطعة أيضاً : قال أبو منصور الثعالبى فى مقدمة اليتيمة :

« لم يزل شعراء الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها فى الجاهلية والإسلام ... والسبب فى تبرز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم فى الشعر قربهم من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم إياهم

ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة العبارة وحلاوة الحضارة ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان ، وبنى ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل — انبعثت قرائحهم فى الإجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا »

يوازن الثعالبى فى هذه الأسطر بين شعراء الشام وشعراء العراق ، ويفضّل الأولين ، ثم يبيّن الأسباب التى فضلتهم على غيرهم ؛ فهو يصف كلاماً بالجودة وشعراً بالتفوق ويحاول أن يعدد الأسباب التى أجادت هذا الكلام ، وقدمت هؤلاء الشعراء

وهذا أدب موضوعى كذلك

واقرأ بعدُ هذه الجملة من مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة :

« هذا الكتاب ألفته فى الشعر ؛ أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ؛ وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ فى ألفاظهم ، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون

وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها إلى غير ذلك »

تجد صاحب الكتاب يعمد إلى تأريخ الشعراء بذكر أخبارهم وأزمانهم وإلى تأريخ الشعر بذكر ما أخذه المتأخر عن المتقدم من المعانى والأساليب — زيادة على النقد وتبيين المستحسن المستقبح ، والخطأ والصواب . وهذا يدخل فى الأدب الموضوعى كذلك .

(١) أمثلة أخرى فى أسرار البلاغة ص ٤٠ وما بعد (ط) المنار
(٢) البيان ج ١ ص ١٠٦ (ط) التجارية
(٣) العمدة ج ٢ ص ٩١ ط) النعسانى
(٤) مثال آخر بعد هذا فى الكتاب نفسه (العمدة)

دراسات
فى الأدب المصرى القديم
للآنسة الفاضلة الزهرة

إنا سلالة أمة تباهى بتاريخها الأمم ، فمن الواجب علينا أن نلمّ بذلك التاريخ المجيد ، ونستعرض صوره ، لنمكن حلقة من تلك السلسلة الجميلة الغالية ، التى تصل بيننا وبين القدم ، وتقربنا إلى آبائنا الكرام ، أولئك الذين بنوا المجد وشادوه ، واستذلوا الزمان وأخضعوه ، وأكرهوه بباهر أعمالهم على أن يسجل أسماءهم فى ديوان الخالدين .

ولقد رأيت أن أستمدّ ذرائع الاتصال والقربى بالتغلغل فى قرارة الماضى السحيق ، للاحاطة بحياتهم الأدبية ، بحيث نستطيع أن نلمس فيها زمانهم وبيئتهم ، ونلمح قبساً من نظرياتهم فى الوجود ، وما اتخذوه لأنفسهم فيه من نظم الاجتماع والسياسة ، والدين والأخلاق ، لعلنا نتدرج من هذا كله إلى إقامة الدليل القاطع ، على سمو المنزلة التى بلغها الأدب المصرى القديم ، ودحض ما رمى به من النقص والقصور . وقد كان علماء المستشرقين إلى منتصف القرن التاسع عشر يعتقدون أنه قد خلا من القصص وطول العبارة ، وانسجام التفكير واستمرار الخيال ، وافتقر إلى الفلسفة والنظريات . والواقع أن الأدب المصرى القديم كان حافلاً بالثروة المعنوية ، وأفانين القول ، وكان متعدد الفروع والأبواب حتى إنه لم يترك فرعاً إلا تناوله ، خلا فرع الشعر التمثيلى . ويرى الدارس للكتابات القديمة خصائص بارعة تميزها عن باقى آداب الشعوب السامية لما يتجلى فيها من حسن الوصف ، وكمال الصوغ ، وبساطة التعبير ، وطلاوة اللغة ومتانتها ، وسهولة الألفاظ ورقتها ، فى امتاع جزل بليغ . ولقد كان من أظهر تلك المميزات ، الوضوح والاستقامة ، وأناقة الأسلوب ، وروعة التركيب ، وجودة المقاطع ، ونصاعة المبنى ، وإيجاز المعنى وإصابته . على أن هذا الإيجاز كان ينتهى بالكاتب الضعيف فى أحايين إلى السخف والعى والركاكة . غير أن الكاتب الأريب ، كان يستطيع بقليل من التفنن أن يصور سجية من السجايا ، وضاءة الجبين إذ يصف عاطفة من العواطف ، قدسية الجوهر سافرة المحيا ولم يكن للكاتب المصرى ند فى حسن اختيار الألفاظ ووضعها فى المكان الملائم لها فى الجملة ، فأنت تراه يكتب كؤلفى هذا العصر المجيدين دقة ورقة ومتانة وظرفاً ، ويمثل لك الحياة كما تقع فى صورة كلامية لا تقلّ تأثيراً وإبداعاً عن الصورة اللونية المتقنة ، فإذا نزل بك إلى ميدان السياسة ، تجده يصف لك الملوك والحكام وصفاً دقيقاً ، فيقول عن العاهل الجليل : « إنه يعزف كيف يأسر القلوب ويملكها » ويصف القاضى العادل بقوله : « إنه يسلك مناهج الاستقامة ونزاهة القلب » . وبألفاظ قليلة منتقاة كان يجلى لنا الحاكم المحبوب المترفق ، والقاضى الحكيم المنصف . وإذا عرّج على الحياة وألوانها ألفيناه يصف الشباب ولذاته ، والمشيب وحسراته ، والهرم ومبراته ، كل ذلك بأسلوب سهل وإيجاز مبين ، لا أثر فيه للصناعة الأدبية المتكلفة فكان فنه الفن الصحيح . وكان من مميزات هذا الأسلوب الموجز الممتع ، ما حملته ألفاظه من صور ومقدمات معنوية كانت فى الأدب المصرى القديم روح المجاز المرسل وعنصر الكتابة البليغة ، ويمكننا أن نقتبس أمثلة لذلك كقولهم : « المطيع يطاع ! » و « الجاهل حىّ ميت » وهكذا كانت الجملة القصيرة فى الأدب المصرى تفرغ فى مثل هذا القالب من البساطة وانسجام التفكير ودقة السبك . ومعلوم أن الجملة القصيرة الصحيحة تلخص فكرة العقل القوى الحصيف

كل الأمثلة التى قدمتها فى إجمال هذا الفصل تدخل فى الأدب ؛ ولكنها يمتاز بعضها عن بعض : فى القطع الأربع الأولى أدب ينشئه الشاعر إنشاء ويبتدئه ابتداء لا يصف فيه كلام غيره ، بل يصف ما رأى هو من مناظر ، وما شعر به من حزن وألم ونحو ذلك فهذا الذى يسمى الأدب الذاتى

وفى القطع الأخرى تجد أدباً يدور حول الكلام البليغ ، أدباً يصف أدباً آخر أو يبحث فى قوانين الأدب وأحواله وأطواره وهذا الذى يسمى الأدب الموضوعى

ولكن بعض هذا الأدب الموضوعى يبين محاسن القطعة من الشعر أو النثر أو يبين أحسن المناهج التى يسلكها الشاعر أو الكاتب ، كما فى قطعة القاضى الجرجانى وقطعة بشر ابن المعتمر وقطعة الناشئ وهذا يسمى النقد .

وبعض الأدب الموضوعى يبين التاريخ والتطور كما فى قطعة ابن قتيبة . وهذا تاريخ الأدب .

وفى العدد الآتى نجمل الكلام فى النقد وتاريخ الأدب .

عبد الوهاب عزام

لأن الإيجاز فى الإفهام ممدوح مستحبّ . ولقد كان الأسلاف يكرهون الإسهاب المخلّ ، والإطناب المملّ ، فتراهم يجنحون دائماً إلى قرب المجتنى ، ويعتقدون أن خير الكلام ما قلّ وجلّ ، ودلّ ولم يملّ . وكانوا فى حياتهم اليومية يشمئزون من الثرثار ويعدون الثرثرة مما ينافى عقيدتهم الدينية فى أشرف المواهب ، واعتاد من يقف منهم فى محكمة العدل والدينونة ، أمام قضاة « العالم السفلى » فى دار الآخرة أن يقول : « أشهد أنى لم أكثر من الكلام فى حياتى ولم أسترسل فيه باطناب تمجه الآذان» وكانوا يحبون تنميق اللفظ وزخرفته ولكنهم أجادوا تنقيحه ووفقوا فيه توفيقاً عجيباً دون أن يداخله التعمل. وكذلك كانوا لا يطاولون فى دقة التشبيه . والحق أنهم كانوا يرتفعون إلى أجل سماواتها وأعلاها كلما التمسوها من الطبيعة . وبيّن أن التفوق فى تقريب المثال، دليل القدرة على بُعد المنال، والتعميم والإطلاق فى رسم الحقائق الناصعة رسماً صادقاً ، وعنوان البراعة فى الموازنة العقلية والمقارنة الذهنية ، بل إنه مجلى الحماسة والحرارة والإخلاص للفنّ ومعرض العاطفة العميقة الصحيحة التى تفتن الألباب بصحتها وقوتها. مثال ذلك تشبيه الملك رمسيس الثانى « بأسد ظافر يضرب بمخلبه ولا يدبر ، يزأر ويزمجر بصوت هائل فى وادى الظباء. . . » أو قولهم فيه : « إنه يشبه ابن آوى فى سرعة خطاه وسعيه لاقتناص ما يجده والانقضاض عليه كالبرق الخاطف »

وكانت التعبيرات المتجافية الوعرة ، والكلمات الغثة المثقلة بالاستعارات الرثة والتوريات المتنافرة ، والمترادفات المتقعرة الفجة والمحسنات اللفظية الجوفاء من الأخطاء التى يجهلها المؤلف المصرى الذى كان يميل فى أسلوبه ولغته إلى الوضوح دون أن يتسامح فى لفظة واحدة تطن بلا معنى وبلا غرض ... وكان آية فى الجلاء والاحكام حين يروى حديثاً أو يدون حادثاً . ولعل ذلك راجع إلى سلامة طبعه ، واستقامة خلقه ، وتمسكه بالصدق ، ومقته للمبالغة والغلو ، ولم تكن تآليفه صادرة بحال من الأحوال عن انحطاط فى التخيل ، أو قصور فى التصور ، أو عجز عن عمق التفكير ، لأننا حين نطالع سيرة عظيم من العظماء من خلال منظار الحقيقة ، ثم نعمد إلى قراءة الشخصيات البارزة فى أقاصيص أولئك المؤلفين ومن جعلوا أبطالاً لها كما ابتكرتها تصوراتهم الخصبة واخترعتها عبقريتهم المبدعة ، نرى تخيلاً سامياً معتدلاً رصيناً ، يحدوه العقل الراجح ، ليطابق الواقع المعقول ، ويمنح تلك الشخصيات سحنة جميلة ، تدب فيها الحياة الناشطة ، فتراها متجسدة حيالنا ، لا أشباحاً ضعيفة لا كيان لها ولا جسم ...

وفى هذا العالم الأدبى العجيب ، الذى كان يعنى بالأنواع والنماذج التى يكثر أشباهها فى الحياة اليومية ، نرى مواطن الشبه الموجودة بين كل فروع الأدب القصصى المصرى القديم ، وبين القصص التى يتحفنا بها المؤلفون المجيدون فى القرن العشرين من أتباع المذهب الواقعى . ونزداد إيماناً بأن عقول أهل الأجيال السالفة لم تكن دون عقول أبناء العصور الحديثة . هذا ولعلنا واجدون فى قصة « سانيهات » — ابن الجميزة — صورة أمينة واضحة للحياة والعادات القديمة . ولا يبعد أن هذا الاسم قد أطلق على بطل القصة لكونه عاش حيث توجد شجرة من أشجار الجميز المقدسة التى اشتهرت بها مصر منذ القدم ، ولا سيما أن الاسم « سانيهات » معناه « ابن الجميزة » ونحن نرى فى موضوع القصة ما كتبه سانيهات هذا عما شاهده فى مغامراته أثناء تنقلاته ورحلاته فى جنوب شرق فلسطين . وإنى كمصرية يسرنى أن أذكر بلسان الاعظام والاكبار ، هذا الدليل الذى تقيمه القصة على أن المصريين قد سبقوا ماركوبولو وكولمبس وفاسكودى جاما وماجلان وغيرهم من كبار المستكشفين إلى ارتياد المجاهل ، وأنهم قد كتبوا قصص هذا الارتياد بيد أجادت نقل ما انطبع فى الذهن من صور المرئيات والحوادث بخاصة عجيبة وقوة انتباه فائقة . وقد وصف سانيهات هذه الأصقاع التى رآها وصفاً بارعاً ، ورسم الحياة الاجتماعية لسكانها ، ومثّل أخلاقهم وعاداتهم ونزعاتهم وميولهم أكمل تمثيل وأظهر بعد عودته إلى مصر ، الفرق العظيم بين حضارة بلاده والحياة البدائية الخشنة التى كان يحياها أولئك القوم ... وسانيهات هو هذا « الأمير الملكى وحامل خاتم الملك ، والصديق المخلص ، وأمين شؤون الأجانب ، والمحبوب الملكى التابع للمقام الأسمى » وقد فرّ من مصر حالما سمع بوفاة الملك أمينمحت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، أى قبل الميلاد بألفى سنة. وهو لا يحدثنا فى القصة عن هروبه ، ولكننا نرجح أنه هرب لأنه كان أحد أبناء الملك من أم لا يجرى فى عروقها دم الفراعنة ولذلك لا يقدر أن يرث عرش أبيه وإلى جانبه « أوسرتسن » الابن « الملكى الفرعون » فهو يخشى أن يقتله الفرعون الجديد حتى لا يكون له من ينازعه العرش وينافسه فيه ، ويشجعنا على التمسك بهذا التعليل ما جاء فى سياق القصة ، من اللهج بالإكرام الذى صادفه سانيهات من أفراد البيت المالك عند أوبته من ديار الغربة . ومعلوم أن الفراعنة كانوا شديدى التمسك بعصبيتهم ، عظيمى التعلق بأقاربهم

فلا يقربون منهم غير كريم النسبة ...

نعود إلى حديثنا الأول فنقول: إن سانيهات يذكر أنه ولى هارباً من مصر في الليل، وكان «يختبئ في الأدغال نهاراً لئلا يراه أحد من الجيش الرابط على الحدود» وبعد صعوبات جمة ومخاطر عدة وصل إلى سلسلة الحصون التي أقيمت لصد غارات الأعداء على الحدود، وجاوزها في دياجير الظلام، وأنه حين شارف «البحيرات المرة» خارت قوته «وشعر بظمأ شديد، وجف ريقه، وضاقت أنفاسه» فقال في نفسه: هذا نذير الموت. ولكن ثغاء الماشية كان يتطرق إلى سمعه فينعشه وينفخ فيه روح القوة ويطمئنه فيواصل سيره إلى أن يصادفه زعيم إحدى القبائل، فيعطيه «ماء ولبناً مغليا» ويخبرنا بعد ذلك أن كل قبيلة من القبائل العائشة في تلك الأقاليم كانت تكرم مثواه وتستضيفه بدورها، حتى حط رحاله في أرض «أيدوم» حيث أقام سنة ونصف سنة، وأن أمير «تنو» التي زرتها منذ أعوام في جنوب شرق فلسطين وتقع بين الخليل وبيت جبرن، قد أرسل إليه ودعاه إلى الإقامة عنده. ويحسن بي أن أنقل هنا ما ذكره سانيهات من حسن معاملة ذلك الأمير بقوله:

«ومنحني اختيار ما أريده من الأرض حتى تلك الأرض التي كان يملكها في الخارج وهي أرض حسنة. والحق يقال أن ما أعطانيه كان عظيما، وقد قدمني على أولاده وزوجني من كبرى بناته وأقامني أميراً على قبيلة من خيرة قبائل أرضه». ثم يحدثنا عن إغاراته على القبائل الأخرى ويقدم لنا وصفاً فريداً عن قيامه بمنازلة أحد أبطال تنو. والظاهر أنه كان محسوداً على المكانة التي كانت له في قلب الأميرة العظيمة، وعلى ما أحرزه من مجد الشهرة ونخر الانتصار، فجاء ذلك البطل ذات يوم ودعاه إلى النزال، «رجلاً قوياً لا أخ له في القوة»، وقد «أخضع لجبروته وكان: كل إنسان». وقال: «فلينازلني سانيهات» وكان يريد أن يقتله، ولكن بطل تنو تضاءل أمام المصري الخبير بفنون القتال والقائل في ذلك: «وجاء الموعد فالتقينا وناديته أن يبدأ فصوّب سهامه ولكني تحاشيتها كلها، وسقطت بقربي سهماً إثر سهم. وهنا فوّقت نحوه قوسي وأطلقت السهم. فنفذ إلى عنقه فصاح من شدة الألم وخرّ على أنفه فأخذت قناته وأنفذتها في جسمه، ووضعت قدمي على ظهره فهلل البدو، واستحوذت على جميع مقتنياته وماشيته. الشيء الذي كان يريد أن يفعله بي فعلته أنا به»

وأظنني بعد هذا كله لست في حاجة إلى الإشارة إلى أن الآداب القصصية العالية لم تمنح أية أمة في الوجود ما منحت الأسلاف من التفوق في القصص الخيالية الممتعة التي يعدها العلماء المشتغلون بالمصريات في الوقت الحاضر غاية في سمو التصور ودقة التفكير وسعة التصور وخصوبة الخيال وسلامة اللغة وسلاسة الأسلوب. ولعل أبدعها «قصة السحرة» التي جمعت ورتبت على طريقة كتاب «ألف ليلة وليلة». فهي في الحقيقة قصة واحدة طويلة. تضم ثلاث أقاصيص متتابعة، أدخل المؤلف كل واحدة منها في التي تليها، وقد عارض سير القصة عينها عند نهاية الجزء الأول منها بشيء جديد، لأنه رأى كما يرى كتاب العصر الحديث في قصصهم ضرورة وقوف القارئ عليه قبل الخاتمة، وهي مهارة أرادها فوفق فيها رغم ما تفيض به سطورها من تحول ساذج معجب لا ترون مثاله في غالبية ما يكتبه كتاب اليوم من الفرنج وغيرهم! وهذه القصة البديعة أشهر من أن تعرّف. إلا أن السبيل إلى تلخيصها الآن غير ميسور، ولا يسمح المقام باقتباس شيء مما حفلت به تصانيف الأسلاف من الحكم الخالدة والمواعظ الأبدية والأمثلة العالية والكتب السياسية التي تبودلت بين الفراعنة وملوك الشعوب الأخرى من معاصريهم والرسائل المتبادلة بين الإخوان والأصدقاء وأغاني الحب والتسابيح الدينية، والأناشيد الغنائية والأشعار القصصية الطويلة التي أتوا فيها على ما سعد به ملوكهم من جلال الانتصارات وعز الفتوحات. بيد أنه لا يسعني إلا أن ألم في إيجاز إلى كتاب «المحاورة بين مصري ونفسه» تلك المحاورة التي يزخر فيها كل ما يزخر في الحياة النابضة من قوة دافقة، وتمثل صراع الروح والجسد، وأزمات الوجدان الطاحنة، وفورات العواطف المتأججة، وهجسات الضمائر، في مهاوي ضعفها ودركات فورها، أو درجات مجدها وذروات قوتها

وهناك ثلاثة كتب جديرة بالعناية أولها كتاب «بتاهوتب» وهو أقدم كتاب في الدنيا كما يقول المؤرخون. وفي هذا الكتاب فصول ممتعة، فأنتم ترون مؤلفها حين يعرض لذكر المرأة يكتب عنها كؤلفي القرن العشرين — حفاوة وإجلالاً وإكباراً —

أما الكتاب الثاني فهو «حكم الكاتب آني» ولست أريد أن أطيل الوقوف عند هذا الكتاب وإنما أريد أن أذكر منه نبذة واحدة نصح فيها المؤلف الولد برعاية أمه فقال: «ضاعف الطعام والشراب اللذين تقدمهما لأمك فهي التي تعبت في تربيتك ووجودك

وأدخلتك المدرسة وعنيت بتهذيبك وتثقيفك . احذر من أن ترفع يدها إلى السماء ضدك فتسمع الآلهة شكاتها » ويظهر من هذا جلياً أن رياسة الأسرة فى ذلك الحين كانت للأم حيث ينبئنا الكاتب أنها هى التى عنيت بتهذيب الولد وأدخلته المدرسة

أما الكتاب الثالث فهو سياسى بحت وعنوانه تعاليم أمينمحت الأول وهو غاية فى الحكمة والحيطة ، كتبه إلى أمينه يحذره ممن حولهم من أهل البلاط ومن دسائسهم الكثيرة

وهنا أكتفى بما تقدم مبرهنة على أن مصر بأدبها القديم قد كانت أستاذة الدنيا ومعلمة الوجود ، وحسبى أن أختم بقول مسيو سانتهلير : « لست أريد أن أرد على الذين يتهمون اليونان بعدم معرفتهم القراءة والكتابة إلا بهذه الكلمة وهى : كيف يجهل اليونان القراءة والكتابة وقد كانت تربطهم بالمصريين صلات قوية ؟!! »

وجدير بهذا كله أن ينبه غافلنا ، ويشعرنا بحاجتنا إلى إيجاد أدب قومى يصور المزاج العقلى المصرى ، ويستمد من صميم الحياة المصرية مادته وعناصره ومسالكه ، فيمثل حالتنا الاجتماعية ، وحركاتنا الفكرية ، والعصر الذى نعيش فيه لكى تكون لأدبنا شخصية بارزة ممتازة ، تضمن لنا المكان العالى الذى نريد أن نشغله بحق فى خريطة الوجود

« الزهرة »

أين أنا ؟

للأستاذ محمد سعيد العريان

« أين أنت يا صديقى ؟ منذ كم ألتمس لقياك فلا أجد سبيلاً إليك ! »

هكذا سألنى صديقى وقد لقينى على الطريق منطلقاً لبعض شأنى على غير ميعاد ... فأخذت أسأل نفسى سؤاله إياى : « أين أنا ؟ »

هأنذا واقف بإزائه على حيد الشارع أستمع إليه وهو يفيض فى الحديث سائلاً ومجيباً ، وعاتباً وعاذراً ؛ ولكننى مع ذلك لست هنا !

إن نفسى هناك ... بل إننى على التحديد لا أعرف أين نفسى ! فى هذا المكان الذى يجمعنى وإياه ، كنتُ وكان ، ولكننى مع ذلك لا أكاد أشعر أننى وإياه فى ذاك المكان !

« أين أنتَ يا صديقى ؟ »

عجباً ! إنه ليرانى بإزائه وإننى لأراه ، وإنه ليعرف مكانه من نفسى ؛ وإن الحبّ الذى وحّد بين قلبينا لخليقٌ بأن يلهمه الجواب ولكنه مع ذلك يسأل ، ولكننى مع ذلك لا أملك الجواب !

« أين أنا ؟ »

لقد أخطر هذا السؤال فى بالى معانىَ وصوراً جمة ، تذكّرنى حيث كنا ... ويومَ كنا ... وتنشر على عينىّ صحائفَ من ذكريات الماضى ومَشغَلة الحاضر وأمانىّ المستقبل !

هأنذا واقف بإزائه على حيد الشارع جسداً إلى جسد ، فإننى لَمعه ، ولكننى لست فى هذا المكان ؛ وإننى لبعيد عنه ، ولكنه معى فى سياحة فكرية طويلة تنتقل حيث شئنا فى ذكريات الماضى الغابر ونطوى السنين فى لحظات !

أَتُراه كان يرانى ؟ أتُراه كان يعرف أين مكانى ؟ هل كان بإزائه فى تلك اللحظة إلا جسداً وصورة ؟

إنه ليسألنى : « أين أنت ؟ ... » وإننى لأسأل نفسى ... هل كنتُ معه ؟ هل كنتُ بعيداً عنه ؟ هل كان يجمعنى وإياه مكان ؟ هل لقينى جسداً أم لقينى فكراً وعاطفة ؟ هل كان الذى معى هنا على حيد الشارع هو الذى معى هناك فى وهمى وفى ذكرياتى ؟

أين كنتُ وأين كان ؟ أين وأين ؟

ليت شعرى ما الحقيقة ؟ وما الخيال ؟ أين يلتقيان وأين يفترقان؟ وأين الحدُّ الذى يفصل بين دنيا المنظور ودنيا التصوُّر ؟

هأنذا ما أزال أسأل نفسى : « أين أنا ؟ » وهذا سؤال صديقى ما يزال يرن فى أذنى : « أين أنت ؟ » وما تزال يدى فى يده ، وما زلنا واقفين جسداً إلى جسد على حيد الطريق !

وتحدّث صديقى إلىّ ما شاء وتحدّثتُ إليه ، وهمّ أن ينصرف لشأنه وهممت ؛ وعاد يسألنى :

« وأين ألقاك بعد ؟ »

أين يلقانى وأين ألقاه ؟

ها هو ذا يولينى ظهره ماضياً إلى غايته ، ولكنه معى ، ولكننى معه ، ولكنه يسألنى : « أين ألقاك ؟ »

أُترانى وإياه الساعةَ على فراق أو على لقاء ؟

منذ لحظة كان وكنتُ وإنه ليسألنى : أين أنت ؟ وإنه ليسألنى الساعة أين ألقاك ! وما افترقنا بعد !

أُترانى معه هناك أصحبه فى طريقه أم تُراه هنا يصحبنى ؟ جسدان كانا معاً منذ لحظة فافترقا ومضى كلٌّ منهما على

وجهه، ولـكنه مازال معي يصحبني في طريق وما أزال أصحبه لا ريب

أأنا الذي معه هناك يناجيه في طريقه أم أنا الذي هنا ؟

أهو الذي معي الساعة أتحدث إليه أم هو الذي مضى وخلفني؟

اثنان هنا : أنا وهو ، واثنان هناك : هو وأنا ، واثنان كانا جسداً إلى جسد يتناظران على حيد الشارع منذ قليل ..: !

أيُّ هؤلاء أنا وأيهم هو ؟ .. أيُّنا الحقيقة وأيُّنا الخيال ؟ ..

أأنا واحد أم اثنان ؟.. وهو ، ما هو ؟ وكم هو ؟

إنني أنا مع نفسي الساعة لا ريب ، فمن ذاك الذي يزعم صاحبي في وهمه أنه يماشيه ويُسرّ إليه النجوى ؟

وإني لأشعر أن صاحبي هو معي الساعة ؛ فمن ذاك الذي مضى بعيداً ؟

أترى ذاك الذي مضى بعيداً يعرف هذا الذي معي أو ينكره ؟

أم تُراني أعرف ذاك الذي يماشيه صديقي ويزعم أنه أنا وما هو أنا ؟

يا عجبا ! إنني لأكاد أنكر نفسي !

ها هنا أصل وصورة ؛ فمنذا يمايز بينهما ؟

ها هنا حقيقة وظل ؛ فأيّ الاثنين أنا ؟

... وطال عليَّ الطريقُ وما ظفرتُ بجواب ؛ وبرمتُ بصاحبي الذي كان يماشيني وأناجيه فأنسيتُ ذكره ؛ وأحسب صاحبي الذي هناك قد مَلّ ملالتي فأنسيَ ذكرى ... ...

وشعرتُ فجأة كأنما ثابتْ إليَّ نفسي ...!

وكأنما كان جزء مني بعيداً عني فآب إليّ !

وأحسست إحساس الحيّ بوجوده !

ووجدت بعد لأي جواب ما سألت نفسي !

« هأنذا ... هأنذا ... إنني أنا هنا ! »

أين كنت ؟ ومن أين عدت ؟

وهل كنت شيئاً قبل أن يكون له كيان وله مكان ؟

سَل الطفل ساعة مولده : أين كنت أيها الوليد قبل أن تصير جنيناً في بطن أمك ؟ »

فلو عقل السؤالَ وعَنَى الجوابَ لما أطاق

سَلْه أولاً : هل كنت ؟ قبل أن تسأل : أين كنت ؟

أنا ونفسي شيء واحد : لو انفصل منهما شيءٌ عن شيءٍ لما كان ثمة شيء !

ما أنا ؟ حين يكون خيالي بعيداً عني ؟

ما أنا ؟ حين تتعلق أوهامي بما ليس في يدي ؟

ما أنا ؟ حين تمضي بي الذكرياتُ إلى غير عالمي وتحاول أن تعيش بي في غير أيامي ؟

ما أنا ؟ حين أفكر فيكَ ، أو فيه ، أو فيها وأغفل عن حقيقة نفسي ؟

ما أنا حينئذ بشيء ؛ فلا أنا هنا ولا أنا هناك ولكنني أشلاء !

نحب الشيء ونتمناه ، ونتخيل ساعة الظفر به ؛ فنحسّ في أعماقنا ساعة نحب ونتمنى ونتخيل — إننا لا نشعر بوجودنا الكامل في أنفسنا ؛ لأن الشيء الذي يكمّل وجودنا ليس في يدنا ؛ ثم نظفر بما كنا نحب ونتمنى ونتخيّل ، فلا نشعر حينئذ بوجودنا الكامل في أنفسنا ؛ لأن الشيء الذي يكمّل وجودنا لا يمكن أن يأتي من خارج أنفسنا !

ونأسى على مافات ، ونتلهّف على سوالف اللذات ، ونتخيّل عودة الماضي إلينا أو رجعتنا إليه ؛ فما نحس ساعةَ نأسى ونتلهف ونتخيل أننا أحياء لنا وجودٌ محدود بزمان ومكان ؛ ولكننا فكرةٌ أو حلم أو أمنية : صورة ما لها مثال ، ووهم ما له حقيقة !

... ولكن الإنسان على ذلك لا بدّ له من أمل يسعى إليه ، أو ماض يحرص على ذكره ؛ أفيكون ذلك لأن الله الذي برأ الخلق حين منح الإنسان نعمة الوجود قد حرمه نعمةَ الشعور بالوجود ؟

إلا الطفل : إنه هو وحده الذي يعيش في حقيقة الوجود ، ليس له ماض وليس له أمل ؛ إنه هو ونفسه شيءٌ واحد منذ كان إلى أن يأذن الله ! ولكنه لا يدري ! ولكنه لا يدري ! .

تعاليت يا ربّ ! شهدتُ أن لا إله إلا أنت ؛ لأنك أنت وحدك الموجود ؛ وكل ما عداك ظلال وأوهام وأباطيل ! .

« شبرا » محمد سعيد العريان

من مزاح الشعراء

ساعة الهراوي

متاعب لا تنتهي

للأستاذ محمد الأسمر

أصبحت مع ساعة الهراوي كما يقول البهاء زهير :

كلما قلنا استرحنا   زارنا الشيخ الإمام

فهذه الساعة الملعونة كلما قلت استرحت منها (جدّ لي منها سبب) وفي العام الماضي حينما ظننت أن الله أراحني منها ودعتها بكلمة في جريدة الأهرام الغراء ، ولكن ما لبث هذا التوديع غير قليل حتى أعادني إليها — ولا أقول أعادها إليّ — فإنه تبين لي أنني التابع لها ، وأنها صاحبتي ولست أنا صاحبها ... أقول ما ظهر هذا التوديع حتى كانت الأبيات التي قلناها على لسان الدكتور أو (الدكاترة) زكي مبارك موضع أخذ ورد ودراسة وتمحيص أثارها حضرة المربي الفاضل الأستاذ عبد الحليم خطاب بين تلاميذه بدار العلوم في درس من دروس العروض ، وكتب عن ذلك البحث العروضي صديقنا الأستاذ عباس خضر كلة بالأهرام مما حدا بنا إلى رد الشبهة التي وجهت إلى بعض أبيات الدكتور — أستغفر الله — بل الدكاترة زكي مبارك .

ثم انتهت بعد ذلك أخبار هذه الساعة ومتاعبها ، ولكن مجلة الرسالة الغراء طلعت علينا في العدد ٢٩٢ وبين صفحاتها كلة ممتعة عنوانها (نادي الحلمية) للكاتب المجيد (م . ف . ع) مندوب الرسالة الأدبي ، وقد حوت هذه الكلمة فيما حوته قصيدة الشاعر الكبير الحاج محمد الهراوي ، قصيدته الطيبة في ساعته الملعونة التي أراها في جلبها المتاعب لي كحذاء (أبي القاسم) وما جرّه على صاحبه من ويلات . وكيف لا تكون هذه الساعة أخت هذا الحذاء — حذوك النعل بالنعل — وهأنذا بعد عام كامل أجدني مضطراً إلى التحدث عنها !

يقول الأستاذ الهراوي فيما يقوله عن ساعته في قصيدته ما يأتي :

وساعة أهديتها   إلى صديق الأسمر
أحجارها كأنها   من لؤلؤ وجوهر
فلم يكن كمثلها   هدية من موسر
ولم يكن كمثلها   من بائع لمشتر
وليس من تقدم   فيها ولا تأخر

تمشي عليها الشمس في   عطارد والمشتري

وهذه الأبيات يصدق عليها قول القائل في الشعر — أعذبه أكذبه — إلا أن البيت الأخير تجاوز الحدود المعقولة كلها لعذوبة الشعر جميعها . فنحن إذا صدقنا أن هذه الساعة أحجارها من لؤلؤ وجوهر وأنه لم يكن كمثلها هدية من موسر .. الخ الخ ، فإننا لا نصدق بحال من الأحوال أن الشمس تجري عليها في عطارد والمشتري . فإن الشمس إذا انحرفت عن أبراجها ومشت على أحد الكوكبين عطارد أو المشتري لكان هولٌ في السماء والأرض لا يتصوره العقل إلا يوم يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات غير السموات . وحينئذ لا تغني ساعة الهراوي عن العالم شيئاً ، وحينئذ يعلم الأستاذ الهراوي كم كنت أنا مبتلى بهذه الساعة

لو أن صديقي الشاعر الكبير نظر نظرة في النجوم لتبين له أن (عطارداً) و (والمشتري) كوكبان من الكواكب السبعة ، لا برجان من أبراج الشمس .

... وقد تناول أبو إسحاق الصابي الكواكب السبعة في الأبيات الآتية . قال مادحاً :

نَلِ المنى في يومكَ الأجودِ	مستنجحاً بالطالع الأسعد
وارق كرقي (زحلٍ) صاعدا	إلى المعالي أشرف المقصد
وفض كفيض (المشتري) بالندى	إذا اعتلى في أفقه الأبعد
وزد على (المريخ) سطواً بمن	عاداك من ذي نخوة أصيد
واطلعْ كما تطلعُ (شمس) الضحى	كاسفةً للحندس الأسود
وخذ من (الزُّهرة) أفعالها	في عيشك المستقبل الأرغد
وضاهِ بالأقلام في جريها	(عُطاردَ) الكاتب ذا السُّودد
وباه بالنظر (بدرَ) الدجى	وافضله في بهجته وازدد

هذا والله سبحانه وتعالى هو المرجوّ — بعد اليوم وقبل اليوم — في إراحتنا من هذه الساعة ، ومن متاعبها ، وهو أرحم بعباده وألطف من أن يجعل الشمس تجري في عطارد والمشتري من أجلها .

محمد الأسمر



القمر بين الحقيقة والخيال

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

طرائف وعجائب

لو سار قطار إلى القمر بسرعة خمسين ميلاً فى الساعة لوصل إليه فى مائتى يوم . ولو أطلقت قنبلة فى الجو بسرعة ١٦٤٠ قدماً فى الثانية لوصلت إليـه فى ثمانية أيام وبعض يوم . والأمواج اللاسلكية التى تدور حول الأرض فى سُبع ثانية ! تصل إلى القمر فى ثانية وربع ثانية !

قد يعجب القارئ إذا علم أن بعد القمر عن الأرض ضئيل جداً إذا قورن بغيره من أبعاد السيارات والنجوم عن الأرض . ويزيد استغرابه إذا قيل إنه على الرغم من هذا البعد الذى يبدو هائلاً بالنسبة للأبعاد الأرضية ، فإن القمر هو أقرب جسم سماوى إلى الأرض يبعد عنها بمقدار ٢٤٠٠٠٠ ميل ! ...

القمر من الأجرام السماوية التى تستمد نورها وحرارتها من الشمس، يدور حول الأرض مرة فى كل ٢٨ يوماً ، يومـه طويل ونهاره طويل ، طول كل منهما أربعة عشر يوماً ، فتأمل ! ... يشرق متأخراً ويغيب متأخراً خمسين دقيقة ونصف دقيقة عن إشراقه ومغيبه فى اليوم الذى تقدمه . يظهر فى أشكال مختلفة فمرة نراه هلالاً ومرة نراه نصف دائرة ومرة نراه دائرة كاملة وفى بعض الأحايين يغيب ولا نستطيع رؤيته . وعلى هذا فالقسم المنير منه يزيد وينقص ، يزيد إلى أن يصبح بدراً كاملاً ، ثم ينقص إلى أن يطلع مع الشمس فيكون محاقاً . وسبب هذا أن الشمس تنير نصفه كما تنير نصف الكرة الأرضية ، وفى أثناء دورانه حول الأرض من الغرب إلى الشرق يكون القسم المظلم متجهاً نحونا إذا صدف أن وقع بيننا وبين الشمس . ثم يتقدم قليلاً نحو الشرق ، وبهذا التقدم يظهر جانباً صغيراً منه منيراً ويزداد هـذا القسم المنير كلما تقدم نحو الشرق إلى أن يطلع من الشرق وقت غروب الشمس وحينئذ يبدو لنا قرصاً منيراً وبدراً كاملاً . ثم يبدأ القمر بإتمام دورته حول الأرض فينقص ما نراه منيراً ، وتستمر هذه الحركة والقمر المنير فى تناقص إلى أن يطلع مع الشمس فيكون حينئذ وجهه المظلم هو المتجه نحونا ويكون عندئذ محاقاً .

ونظراً لقربه منا فهو يبدو كبيراً إلا أنه فى الحقيقة صغير بالنسبة للنجوم وبعض الكواكب ، فقطره أكبر من ربع قطر الأرض بقليل كما تبلغ مساحته مساحة أميركية الشمالية والجنوبية . وعلى هذا فجاذبيته أضعف من جاذبية الأرض ، والرجل الذى يزن ٦٠ كيلو جراما على سطح الأرض يزن سدس هذا القدار على سطح القمر . وإذا قذفنا حجراً إلى علو خمسة أمتار هنا، واستعملنا نفس القوة والسرعة فإن الحجر يرتفع إلى علو ثلاثين متراً فى القمر، وقد تكون رغبة لاعبى الكرة شديدة فى أن تجرى اللعبة على القمر إذ يستطيعون رميها وإرسالها مسافة تفوق ستة أضعاف مسافة رميها هنا

ولضعف جاذبيته فهو تقريباً خال من الهواء والماء إذ ليس فى القمر قوة جذب كافية لحفظ دقائق الهواء محيطة به فهى (أى الذرات) دائمة الحركة والتصادم بسرعة (٤٥٠) متراً فى الثانية، وليست حركتها فى جهة واحدة بل فى جميع الجهات ، لذا فهى تفلت تماماً من سطح القمر ولا تستطيع البقاء عليه

ولقد نتج عن خلو القمر من الهواء انعدام المياه وعوامل النحت أو التفتت ، فلا نرى على سطحه أثراً من ذلك وبقيت الجبال على حالها الطبيعية لم يحصل فيها أى تفتيت فى الصخور ولم تتكون أودية بالمياه الجارفة ، ويمكن القول أنه عالم قاحل هادئ ساكن خال من أنواع الحركة وعلامات الحياة

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن خلوه من الهواء أدى إلى تعرض سطحه لحرارة الشمس المحرقة وللبرودة الشـديدة، إذ الهواء هو الذى يلطف حرارة الشمس وهو الذى يحتفظ بالحرارة التى تشعها الشمس حائلاً دون خروج الحرارة

وعلى هذا ترتفع الحرارة على سطحه أثناء النهار الطويل ارتفاعاً عظيماً حتى تصل إلى درجة الغليان؛ وقد تزيد حتى تقترب من درجة ذوبان الكبريت ، وتهبط الحرارة فى الليل الطويل فجأة وتستمر فى الهبوط حتى تصل إلى أكثر من (٢٥٠) درجة فهرنهيت تحت الصفر

وإذا تحادث اثنان على سطحه فلا يسمع أحدهما الآخر فيضطران عندئذ إلى التفاهم بلغة الإشارات، ذلك لعدم وجود أمواج هوائية تنقل الصوت ، وأظن أن القمر يلائم الذين يعنون بالمدفعية إذ لو أطلق مدفع فى القمر لما سمعه أحد هناك ولما حصل على الأذن أى أثر ولما اضطر الإنسان إلى استعمال ما يقى أذنه من شدة الأمواج التى يحدثها صوت الدافع

القمر يعوق حركة الأرض

كانت الأرض قبل وجود القمر تسير حول الشمس فى مدة أربع ساعات أى أن يوم الأرض كان أربع ساعات ولم يكن أربعاً وعشرين ساعة كما هو الآن !

لقد زاد القمر فى طول يوم الأرض، فما السبب فى ذلك ؟ لكل شىء سبب ، وكل ما فى الكون يسير ضمن نواميس لا يتعداها . ولقد استطاع الإنسان بفضل ما وهبه الله من القوى العقلية أن يكشف عن السبب ويعرف المجهول فى بعض الحالات ، وهو لا يزال سائراً فى ذلك، وقد كشف من القوانين الكونية والأنظمة الطبيعية ما أمكنه الوقوف على كثير من عجائب الكون وروائعه .

استطاع الإنسان أن يحسب سرعة القمر حول الأرض فوجدها ٢٣٠٠ ميل فى الساعة ، كما ثبت له أن القمر يدور على محوره مرة واحدة كلما دار حول الأرض مرة واحدة فى ٢٨ يوماً ورأى فى الجاذبية ما يفسر له الإعاقة التى يُحدثها القمر على حركة الأرض فثبت له أنه لولا قوة الجذب بين القمر وبين الأرض لاستمر فى سيره على خط مستقيم ، ولأصبح بعيداً عنا الآن ملايين الأميال

ولكن هذه القوة المستمرة ، هى التى تغير اتجاه سيره وهى التى تجعله يسير فى خط منحن (فلك) حول الأرض على الكيفية التى نعرفها .

إن الجاذبية بين الأرض والقمر متبادلة ، فكما أن الأرض تجذب القمر وبينهما قوة تجاذب تجعله يسير فى مسار منحن حول الأرض، فكذلك القمر يجذب الأرض وبينهما قوة تجاذب ، وهذه القوة أثرت على الأرض ولا يزال أثرها يعمل فيها (فى الأرض) إذ أبطأت حركة الأرض وجعلت دورتها حول نفسها تستغرق ٢٤ ساعة بدلاً من أربع ساعات !

وعلى أساس قانون الجاذبية العام الذى ينص على أن قوة التجاذب بين جسمين تتوقف على مقدار كتلتيهما وعلى المسافة بينهما — أقول على هذا القانون حسب العلماء وزن الأرض وغيرها من الأجرام السماوية . فلقد حسبوا وزن الأرض من جذبها طناً من الرصاص (مثلاً) أو من جذبها القمر أو غيره من الكواكب

وهكذا توصل الإنسان بفضل قانون الجاذبية وبفضل ما أخرجته (الرياضيات) من معادلات ونواميس من الإتيان بالعجب العجاب وبالسحر يخلب الألباب !...

القمر والتجارة

ما علاقة القمر بالتجارة ؟ أو ما علاقة التجارة بالقمر ؟ وهل القمر يساعد على التجارة أو يعوقها ؟

إن للقمر أكبر الأثر فى إحداث المد والجزر ، ولولاها لما كان فى الإمكان أن تدخل البواخر إلى الموانى أو أن تخرج منها . ومن هنا تتبين لنا علاقة القمر بمصالح الناس واتصاله الوثيق بها . ويذهب بعض الفلكيين إلى أن هذا الاتصال قوى إلى درجة أن القمر فى نظرهم هو من عوامل تقدم المدنية وارتقائها ، فإذا تلاشى من الوجود أو بعد كثيراً عن الأرض اضطربت التجارة واختل نظامها .

يحصل مدان وجزران فى كل يوم ؛ والمد هو ارتفاع الماء والجزر هو انخفاضه . ويحدث ذلك من جراء الجاذبية بين الأرض والقمر ، هذه الجاذبية ليست من القوة بحيث تجعل دقائق الأرض تتحرك ، ولكن مياه البحار تطيعها حسب قوتها وتتجمع فى البحر من هنا ومن هناك تجاه القمر ، ومن هذا وبتأثير الشمس يحصل المد والجزر . وكثيراً ما نسمع بأن للقمر علاقة بالزراعة ، ولكن إلى الآن لم يثبت شىء من هذا . ولا غرابة فى ذلك إذا عرفنا أن الزراعة تتأثر (قبل كل شىء) بالحرارة ، فالشمس تؤثر على النبات بحرارتها . أما حرارة القمر فهى من الضآلة بحيث أنها لا تحدث أى تأثير يذكر على النبات أو على غير النبات

ولقد قاس الفلكيون حرارة القمر وهو بدر كامل فوجدوها لا تزيد على جزء واحد من ١٨٥ ألف جزء من الحرارة التى تخرجها الشمس إلينا

وقد جرب العالم الفلكى (فلاماريون) عدة تجارب فى ضواحى باريس ليتحقق مما إذا كان للقمر أى تأثير على المزروعات، فزرع بعض الخضر كالفول والبطاطس والجزر فى أوقات مختلفة تطابق أوجه القمر الأربعة فلم يثبت لديه أقل تأثير فى نموها . وإذا كان هناك تأثير للقمر فى النبات فقد يكون من الزوابع والعواصف التى يثيرها القمر بجاذبيته للأرض

القمر والبحار

إذا نظرنا خلال التلسكوب إلى القمر فإنا نراه غير مستو كثير الارتفاعات والفوهات البركانية. ويقال إن عدد هذه الفوهات

تزيد على ستين ألفاً يبلغ قطر بعضها ١٤٠ ميلاً وعمق البعض الآخر ١٨ ألف قدم . أما الارتفاعات فهي سلاسل لجبال كثيرة ، فهناك من السلاسل ما يمتد إلى أربعمائة وخمسين ميلاً ، ومنها ما يشتمل على أكثر من ٣٠٠٠ قلة أعلاها جبل (هيجنز) ارتفاعه ٢١٠٠٠ قدم وهو أعلى من (أفريست) أعلى جبال الأرض. وكذلك يوجد على سطحه سلسلة تعرف باسم « الألب » تشتمل على ٧٠٠ قمة من قنن الجبال ولها واد طوله أكثر من ثمانين ميلاً وعرضه يزيد على خمسة أميال

ولهذه الجبال ميزات لا نجدها على جبال الأرض ، منها عدم وجود مغاور وكهوف ومنها جمال مناظرها الخلابة وما لها من ظلال تنيء على ما تحتها من صحارى . هذه الجبال سهلة التسلق لا يجد الإنسان صعوبة أو مشقة في السير عليها أو التسلق إلى أعلاها، بل يشعر بخفة وسرعة ما كان ليشعر بهما لو كان يتسلق جبال الأرض. وإذا صدف أن زلت قدماه وهوى من محل عال فلا أذى يصيبه ، ولا ضرر يعتريه . وقد يستغرب القارئ من هذه التفصيلات ، وقد يختلط الأمر عليه فيظن أن القمر موطن المعجزات وموطن السحر . ولكن لا معجزات ولا سحر ، فكل ذلك آت من ضعف جاذبية القمر إذ قوة التثاقل تعدل سدس مقدارها على الأرض

هذه هي التي تجعل المستحيل هنا ممكناً هناك (على القمر) ، وتجعل المعجزة هنا أمراً عادياً هناك، وتجعل من الحركات الصعبة هنا سهلة هناك باستطاعة من (يزود نفسه بالأكسجين) وغير ذلك من الألبسة الواقية من الحر الشديد والبرد الشديد — أن يقوم بها ويتفنن فيها

وفي القمر أودية كثيرة يربو عددها على عشرة آلاف واد ، منها ما هو واسع جداً كالسهول الفسيحة ومنها ما هو ضيق فيبدو كمجاري الأنهار

وإذا نظرنا إلى القمر حينما يكون بدراً واستعملنا نظارة صغيرة لذلك رأينا أنه ملئ بالبقع المنيرة التي هي جبال عالية، وبقع أخرى مظلمة هي سهول فسيحة . وقد ظن العلماء في أول الأمر أن هذه البقع المظلمة بحار فسميت بأسماء البحار كبحر الزمهرير وبحر الرطوبات وبحر الخصب وبحر الرحيق وبحر النيوم

وعلى ذكر البقع يقول أحد الفلكيين إن هذه البقع لم تعرف إلا عند اختراع النظارات ، ولكن رأيت في الشعر العربي ما يدل على أن العرب عرفوا هذه البقع المظلمة قبل اختراع النظارات من ذلك ما قاله التهامي :

فبات يجلو لنا من وجهها قمراً ... من البراقع لولا كلفة القمر

القمر من الأرض

لاحظ العلماء أن كثافة القمر تقرب جداً من كثافة الصخور الموجودة في أعماق الأرض ، وثبت لديهم أن العناصر التي يتألف منها القمر هي نفس عناصر جوف الأرض؛ ومن ذلك تحققت النظرية القائلة بأن القمر كان يوماً من الأيام جزءاً من الأرض انفصل عنها من المكان الذي هو اليوم قاع المحيط الهادي؛ وهذا يطابق رأي العالم الإنكليزي (جينز) الذي يرى أن التوابع أو الأقمار ليست إلا قطعاً انتزعت من السيارات كما انتزعت السيارات من الشمس على أثر سلسلة من الحوادث تشبه أن تكون واحدة في الحالتين

أما الدكتور علي مصطفى مشرفة بك فلا يميل إلى هذا الرأي ولا إلى الأخذ به لأن الأرض (على رأيه) كانت في حالة سيولة عند ما انفصل القمر عنها

وقد يكون من الطريف أن يعرف القارئ أنه لما انفصل القمر عن الأرض وأفلت إلى الفضاء نشأ (على رأي الأستاذ بكرنج) انفصال أمريكا عن أوربا فكان الأوقيانوس الأتلنتيكي وكان ذلك عند ما كانت الأرض مائعة أو شبه مائعة

اقتراب القمر

قد يظن البعض أن اقتراب القمر من الأرض مما يزيدها جمالاً ومما يغمرها بهاء وسناء وسحراً ، ومما يجعل الإنسان يتمتع بنوره وبأشعته الفضية أكثر من تمتعه الحاضر . قد يكون هذا الظن في محله فينعم الإنسان حينئذ بمناظر القمر وبجدفيها كل الجمال وكل المتاع

ولكن ذلك لا يكون إلا بثمن ؟ وعلى حساب كوارث وبلايا تصيب الأرض من اقترابه منها . فعلى فرض أن هناك من العوامل ما يقرب القمر من الأرض وما يجعله على بعد ستين ألفا من الأميال فقط فحينئذ تزيد المد والجزر ٦٤ مرة . وإذا كان ارتفاع المياه عشرة أمتار فسيصبح ٦٤٠ متراً وستغمر الموانى والمدن وما يجاورها ، وقد يلتقي من جراء ذلك البحران الأبيض والأحمر ولا ينجو من اليابسة إلا القليل كالجبال والربوات العالية

وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى الملاحة فلا تعود تأمن سلوك البحار ودخول الموانى .

منظر الأرض من القمر

إذا تصورنا أنفسنا على سطح القمر ولدينا ما يلزمنا من الأكسجين وما يقينا من الحر والبرد فكيف نرى منظر الأرض؟

وهنا يختلف الوضع عن منظر القمر من الأرض، فلا إشراق ولا مغيب لأن أحد وجهي القمر يبقى متجهاً إلى الأرض دائماً، وإذا اتفق أن ذهبنا إلى الوجه الآخر فلا نستطيع رؤية الأرض بحال ما، وتبدو الأرض كالقمر ولكن أكبر منه، لا تغير مكانها في الفضاء تظهر في بعض الأحيان مظلمة وفي أحيان أخرى منيرة كلها أو نصفها أو ربعها. أما جمالها فيتجلى عندما تكون بدراً إذ يكون ضوؤها شديداً أخاذاً.

أما السماء المحيطة بنا ونحن على سطح القمر فغير السماء التي نعرفها، لا شفق هناك ولا سراب، ولا سحب ولا ضباب، نرى الشمس على حقيقتها كرة هائلة في سماء حالكة الظلمة شديدة السواد، ضوؤها ساطع، ولونها إلى الزرقة مائل. قد يبدو هذا غريباً، ولكن ليس في هذا أي غرابة، فلا جو حول القمر يشتت الضوء ويحلله إلى ألوانه، ولا امتصاص ولا انعكاس لهذه الألوان. وهذا ما يجعل السماء تبدو سوداء ليس فيها ما نراه في سماء الأرض من جمال فاتن وألوان مختلفة خلابة.

نرى القمر عالماً هادئاً يطيب للمفكرين فلا زوابع ولا عواصف ولا غبار تعكر السكينة وتفسد الهدوء، عالماً يكتنف الجبال الكثيرة ويحوي الوديان والفوهات العديدة حيث لا مدن ولا غابات، ولا حقول ولا بحار

القمر والشعراء

لا تعجب من هذا العنوان: فهناك علاقة وثيقة بين القمر والشعر، وكيف لا يكون هناك علاقة والقمر هو الجرم السماوي الذي لفت أنظار الشعراء وشغلهم، وهو الوحي الذي يستلهمون منه، كما أنه المعين الذي يغرف الأدباء منه الخيال؛ وقلما تخلو قصيدة غزلية من التشبيه به أو التحدث عنه. لا يبارق مخيلتهم، يأخذون من تزايده ونقصانه ومن اكتماله بدراً ومن أشعته الفضية — ميداناً لنظم الشعر ومسرحاً للأدب الرفيع

ولا أدري لماذا كل ذلك؟

إني على يقين أنهم (الشعراء والأدباء) غاضبون حانقون لما ورد في هذا المقال من حقائق، وأقول كما قال الأستاذ توفيق الحكيم

« إن كل الجمال المحيط بنا إنما هو من صنع عيوننا القاصرة. والويل لنا إذا أبصرت أعيننا الآدمية أكثر مما ينبغي لها أن تبصر ... »

ولئن أبصرت عيوننا أن القمر خال من الهواء، وأن نهاره محرق وليله بارد لاذع، وأن أشعته مستمدة من الشمس وهي أشعة أكذب من سواد الخضاب في اللمة البيضاء.

ولئن أدى البحث إلى أكثر من هذا فصنع لنا عيوناً نبصر بها فوهات براكينه المخيفة، ووديانه الموحشة، وأراضيه المقفرة؛ أقول لئن أبصرت عيوننا كل هذا وفجعتنا في القمر، فلقد دلتنا عيون العلم الحادة إلى ما هو خير منه وأبانت لنا الشمس على حقيقتها وأماطت اللثام عن روائع كثيرة ما كنا لنعرفها أو نبصرها بعيوننا الآدمية القاصرة

كشفت لنا عن الشمس وأنها باعثة الجمال على القمر ومصدر الحياة على الأرض، ولولاها لما دارت الأرض ولا دار القمر

فلماذا إذن لا يتغنى بها الشعراء والأدباء؟ ولماذا ينكرون عليها خيراتها وبركاتها

ولئن جحد الشعر والأدب أفضال الشمس عليهم وعلى الناس فلقد أنصفها العلم ورعى حقها وبوأها مكانها اللائق بها وبما تسديه إلينا من نعم لا تحصى ولا تعد

وأخيراً أعزي الشعراء عن حبيبهم القمر بقول المتنبي:

لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسبيه لم يسبه

« نابلس » ... ذري حافظ طوقان

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشـــا

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطـال

للأستاذ محمود الخفيف

كان فى استقالة شريف معنى الغضب ، ولـكنه لم يكن غضب فرد لشخصه فحسب وإلا لما كان له ما كان من خطر ، كان غضب رجل لشخصه ولقوميته معاً أمام لجنة من الأجانب تريد أن تظهر بمظهر السيادة ، وتحرص أشد الحرص على ذلك المظهر ، ولذلك كان ذلك الغضب ثورة ؛ وما لبثت تلك الثورة أن بعثت فى كل نفس من نفوس الأحرار ثورة مثلها ، وبذلك تهيأت البلاد لأن تثبت أمام الأجانب وجودها ، واغتدى شريف بمـا فعل رجلها ورأس أبطالها

ورب قائل يقول وماذا كان فى ذلك الموقف من معانى البطولة ؟ هذا رجل اعتزل منصبه فكيف يكون الابتعاد عن الميدان رجولة ؟ ولـكن الذين يعلمون مبلغ ما وصل إليه نفوذ الأجانب يومئذ ، ومبلغ ما منى به المصريون من خور ، وما عرف عنهم من الحرص على المناصب الحكومية ، يدركون ما ينطوى عليه موقف شريف من عزة وتضحية . هذا إلى ما سبق الاستقالة من تحد للجنة وسلطانها . ولو أن الخديو آزر شريف يومئذ لما ترك منصبه تاركاً اللجنة بذلك فى أحرج المواقف ممعناً فى عصيانه وترفعه ... ولـكن الخديو على جلال قدره طلب إلى اللجنة فى لهجة تشبه الرجاء أن تكتفى من شريف أن يرد على أسئلتها كتابة . ولما رفضت اللجنة ذلك لم يرد الخديو عليها بعمل أو بقول يكون فيه معنى التأييد لرجله والاستنكار لفعل الأجانب ، ومعنى ذلك أنه لم يبق أمام شريف إلا أن يتخذ من استقالته مظهراً من مظاهر الاحتجاج على تدخل الأجانب فى شؤون البلاد ، فكان ذلك المظهر أول نذر الثورة ...

أخذت لجنة التحقيق العامة تدرس الحالة . ولقد جعلت اللجنة هدفها بطبيعة الحال العمل الصالح للدائنين ، ولذلك فـلم تأل جهداً فى أن ترجع بكل المساوىء إلى الخديو وحكومة الخديو متناسية ما فعله الدائنون من مخاطراتهم بأموالهم ابتغاء الربح الوفير وما جره جشعهم على البلاد من دمار ، وما انطوى عليه مكرهم من غدر وبهتان وزور واختلاس .

تعامت اللجنة عما كان يقاسيه الفلاحون يومئذ من شقاء ، ولم تراع فى تقريرها بؤس أولئك الذين أثقلتهم الضرائب وهدهم الجوع، أولئك المساكين الذين كانوا كثيراً ما يفرون من أرضهم لكثرة ما كان يطلب منهم ، أولئك الذين غمرهم فى سنة من تلك السنين السود سيل جارف لم يكن أقل هولاً عليهم من سيل الضرائب ، ألا وهو فيضان النهر على قراهم وأراضيهم ، أولئك الذين أحاط بهم المرابون والأمراض معاً وباتوا يتمنون الموت من قبل أن يلقوه

وتغافلت اللجنة عن أولئك الأجانب الذين كانوا يهربون بضائعهم وينجون بها من الجمارك ثم لا يدفعون عنها شيئاً داخل البلاد فى ظل تلك الامتيازات المشؤومة التى كانت من أكبر المساوىء التى منيت بها مصر والتى قل أن يجد المؤرخ مثيلاً لها فيما كانت تتضمنه من الجور ، وما كانت تقوم عليه من الباطل والبهتان ؛ وكذلك تغافلت اللجنة عن أولئك الأجانب الذين تزايد عددهم فى الحكومة المصرية، والذين كانوا يتقاضون الأجور العالية جزاء على ما اتصفوا به من الكسل وقلة المروءة وجمود العاطفة؛ بينما كانت مرتبات الوطنيين لا تدفع لهم إلا فى مشقة وعناء وهى من القلة بحيث كانت تحفز الكثيرين إلى الاختلاس والتهاون فى العمل.

واقترحت اللجنة فى قرار تمهيدى أن يتنازل الخديو عن سلطته المطلقة إلى وزراء مسؤولين ، وأن ينزل عن أملاكه فى نظير مرتب معين ، وكذلك تنزل أسرته عن أملاكها ... كل ذلك دون أن تفكر اللجنة فى أن يتنازل الدائنون عن شىء من ديونهم وهى تعلم كيف تراكمت تلك الديون وكيف تزايدت أرباحها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه

وقبل الخديو تأليف الوزارة المسؤولة واستدعى نوبار من أوربا وعهد إليه تأليف وزارة يتضامن أعضاؤها فى التبعة وتقوم بالحكم فى البلاد ، ونظر المصريون فإذا وزارة المالية تسند إلى رجل انجليزى ، وإذا وزارة الأشغال تسند إلى رجل فرنسى ، وهكذا سيطر الأجانب على مصر سيطرة تامة !

ومن غريب أمر هذه الوزارة أنها بينما كانت تسمى « وزارة مسؤولة » لم يكن لمجلس شورى النواب حق إسقاطها بل لم يكن له حق محاسبتها ، ولم يك للخديو سلطان عليها ، ومع ذلك كانت

تلقب بذلك اللقب ! فليت شعري كيف كانت مسؤولة ومن كان إليه يرجع الأمر يومئذ ؟

كان الوزيران الأجنبيان هما صاحبي السلطان الحقيقي في البلاد، فلئن كانت ثمة مسؤولية على نوبار ومن معه من الوزراء المصريين فأمام الأجانب كانت تلك المسؤولية ، وعلى ذلك فمن هذه الوجهة يصح تسمية تلك الوزارة بما سميت به ، أما أن تعتبر وزارة مسؤولة كالوزارات التي يكون للشعوب حق محاسبتها وإسقاطها من مناصبها فتلك سخرية من سخريات الأجانب كانت في ذاتها من أبلغ نكاياتهم يومئذ بالبلاد وأهل البلاد

ولكن شريفاً كان عضواً في تلك الوزارة ، أسندت إليه وزارة الحربية ، وحل محله رياض في الداخلية . ولنا أن نتساءل كيف قبل شريف أن ينضم إلى تلك الوزارة؟ والذي نستطيع أن نستخلصه من حوادث ذلك العهد وملابساته أنه فعل ذلك على الأرجح لأن الخديو كان يرى فيه يومئذ الرجل الذي يستطيع بما أوتي من شجاعة وثقافة أن يراقب أعمال نوبار ومن معه من الأجانب ، وفي هذا من الغض من شخصه ما لم يكن يسعه السكوت عليه

على أن شريفاً على رغم ثقة الخديو به وإيثاره إياه بالمحبة كان يكره استبداد الخديو بالأمر بقدر كراهته لنفوذ الأجانب ، وكان يضمر ذلك في نفسه حتى تحين الفرصة كما سيظهر من أعماله عما قريب

وسرعان ما دب الخلاف بين الخديو ووزرائه أو على الأصح بينه وبين نوبار والعضوين الأجنبيين ، فلقد كان في الوزارة رجال غير شريف يدينون بالولاء لحاكم البلاد الأعلى ومن هؤلاء على مبارك ورياض ... وتزايد هذا الخلاف حتى أصبح اسماعيل ولاهم له إلا أن يتخلص من تلك الوزارة التي لم تترك له من السلطة إلا اسمها

وسنحت له الفرصة في حادث مظاهرة الضباط ، فإن نفراً من الضباط الذين استغنى عنهم عملاً بسياسة الاقتصاد قد تجمهروا أمام وزارة المالية واعتدوا على نوبار والعضو الإنجليزي السير ريفرزولسن ، وكادوا يلحقون بهما الضرر البالغ لولا أن شخص الخديو بنفسه وفرق المتظاهرين . . . وأعلن اسماعيل على أثر ذلك أنه غير مسؤول عن شيء في البلاد مادام محروماً من السلطان ومن ثم رأى نوبار أنه لا قبل له بمواجهة الحال بعد ذلك فرفع إلى الخديو استقالته ، وبذلك تخلص الخديو وتخلصت البلاد من تلك الوزارة التي اعتاد الناس أن يسموها الوزارة الأوروبية

وإنا لا نستطيع أن نمر بحادث الضباط هذا دون أن نشير إليه ولو في إيجاز ، فنقول إن هذا الحادث كان أول خطوة في الحركة العسكرية التي سوف تكبر حتى تكون الجانب العسكري في الثورة العرابية ، ذلك الجانب الذي سوف يفسد على الثورة مبادئها ويميل بها عن وجهتها

قلت لنفسي ...

لا أدري لأية حكمة قضى الله على قادة العرب أن يختلفوا دائماً في الأسماء دون الأفعال ، وأن يدعوا الموضوعات وينصرفوا إلى الأشكال؟ ما هذه العصبية الجاهلية التي عجزت عن محوها الحنيفة المؤلفة ، والمدنية المهذبة ، والثقافة المتحدة ، والآلام المشتركة ، والخطوب التي تكفكف النفوس الأثرة ، وتطارف العيون الرغيبة؟!

هذه القضية المصرية لم يصبها بالضعف والبطء والتأخر إلا تكالب الزعماء على الرياسة ، وإقحامهم الأهواء الحزبية في باب السياسة ، ووزنهم الأمور العامة بميزان المنفعة الخاصة ؛ فزهق الحق ، ونفق الزور ، واستخذى المنطق ، وطاش الرأي الحصيف بين غفلة الشعب وأثرة القادة !

كذلك سياسة الأحزاب في سورية والعراق ، لم تخل يوماً من هذا النفاق والشقاق . وهذه قضية فلسطين يجتمع لحلها وفود الدول العربية ، وتتفق على أمرها الأحزاب الإنجليزية ، وتتحد في سبيلها الطوائف اليهودية ، ثم لا يختلف إلا أقطاب الرأي فيها ! وقد اشتد هذا الخلاف واحتد حتى أوشك أن يقطع أسباب الأمل ، وأن يحول بين المؤتمر وبين العمل !

حتى الأدب والثقافة ! لا بد أن يكون لها زعامة وخلافة ، ثم يختلفون في مقر هذا السلطان ؛ أفي مصر يكون أم في لبنان ؟ ... فهل فرغنا من الجد يا قوم حتى نشتغل بهذه الصغائر ؟ أم عجزنا عن استبطان الأمور فوقفنا عند الظواهر ؟

ابن عبد الملك

ويكون فى النهاية سبب فشلها وتحويلها إلى كارثة تجرف البلاد إلى هوة بعيدة القرار .. ذلك الجانب الذى كان له بسيرة شريف صلة وثيقة، فلسوف نري أنه لولا تطرف العرابيين وشططهم لسار شريف بالبلاد سيراً كان يصل بها بلا شك إلى غاية لو أنها أتيحت لها لتغير بها تاريخها واتجه وجهة غير التى سيق إليها

وكانت تولد بالبلاد يومئذ حركة وطنية قوية، حركة سوف تلتقى فيما بعد بالحركة العسكرية فيتألف من التيارين تلك الثورة التى تعمد كثير من المؤرخين تشويهها والتى أخطأ فهمها عدد منهم ليس بالقليل حتى تبينت آخر الأمر على حقيقتها ...

وكان لتلك الحركة الوليدة مركزان أولهما المركز الرسمى وهو مجلس شورى النواب ، وثانيهما المركز الأهلى وهو بيت البكرى حيث كان يلتقى الأحرار من العلماء والنواب والأعيان .. وبهذين المركزين كان شريف دائم الاتصال لا يسهو ولا تفتر له همة

كان شريف دائم الصلة بالنواب إن جاز أن نسمى أعضاء المجلس على حالتهم هذه نواباً ؛ وكان يتمنى أن يتخذ منهم قوة يناوئ بها الأجانب ويحد من سلطان الخديو، ولن يتم ذلك فيما يرى إلا أن يكون الوزراء مسؤولين أمام هذا المجلس كما هو الحال فى المجالس الأوربية التى تسير على القواعد الدستورية . ولقد بذل شريف جهداً محموداً فى إنشاء هذا المجلس وظل يتعهده بنصحه ورعايته، وإنه ليأمل أن يتطور مع الزمن حتى يصبح هيئة لها مكانها فى النظام الحكومى فى مصر

وكان شريف يرقب حركة هؤلاء الأحرار من الرجال الذين كانوا يجتمعون فى بيت البكرى ، وكان لا يفتأ ينصح لهم ويشير عليهم بما يعملون ، وإن له بينهم لمكانة تجعله مناط آمالهم ومعقد رجائهم ، وما أشبه تلك الظروف بظروف مصر غداة الهدنة التى انتهت بها الحرب العظمى يوم كان الرجال يجتمعون خفية يفكرون فى مصير بلادهم ويتجهون بأفكارهم وإن لم يقصدوا إلى رجل بعينه يحسون أنه سيغدو عما قريب زعيم ثورتهم

سقطت الوزارة الأوربية ولكنها ألفت من جديد برياسة الأمير توفيق ، فلقد رفض قنصلا انجلترا وفرنسا أن يرأس اسماعيل نفسه الوزارة كما طلب . ولقد أرادت الدولتان على لسان قنصليهما أن يدخل نوبار الوزارة الجديدة فرفض الخديو وصمم على الرفض ورأت الدولتان مبلغ حرص اسماعيل على إبعاد نوبار ، فاشترطتا أنهما تقبلان ذلك إذا أعطى العضوان الأوربيان فى الوزارة حق « الفيتو » على قرارات مجلس الوزراء ، ورضى إسماعيل بذلك فصار للعضوين الأوروبيين حق إيقاف أى قرار لمجلس الوزراء لا يوافقان عليه؛ ومعنى ذلك أنهما صارا بمكان البلاد حكاماً ديكتاتوريا لا يدع للخديو فى مصر سلطة أو ظلها !

وآن لمجلس شورى النواب أن يخطو خطوة ما كان أعظمها من خطوة ؛ نمى إلى المجلس فيما نمى إليه من أنباء الوزارة الأوربية أنها تأتمر بالمجلس وتنوى التخلص منه فصمم الأعضاء ألا يتفرقوا وأن يظلوا فى أماكنهم للنظر فى شئون البلاد فى تلك الآونة العصيبة ... ألسنا نرى فى ذلك صورة مما حدث فى فرنسا فى مستهل عهد ملكها لويس السادس عشر ، حين اشتدت الضائقة المالية ورأى نواب الشعب وجوب العمل على وضع حد لسوء الحال ؟ لقد أدت الظروف إلى أن يصبح مجلس شورى النواب تلك الهيئة التى لم يكن لها حول ولا قوة — هيئة تحاسب الوزراء وتملك حتى إقصاءهم عن مناصبهم إذا ما تهاونوا فى حقوق البلاد

لقد كان لشريف الفضل كل الفضل فيما وصل إليه المجلس من حقوق حتى ليعد شريف بذلك مؤسس الحركة الدستورية فى مصر.

كان المجلس فى وزارة نوبار قد أرسل إلى السير ريفرزولسن وزير المالية يدعوه ليحضر أمامه ليسأله عن بعض الأمور ، فسوف وما طل ولم يحضر أو يرسل إلى المجلس شيئاً مما طلب المجلس أن يطلع عليه من المشروعات ؛ وضاق المجلس بما فعل وزير المالية وأصبح يفسر عمله بأنه إهانة موجهة إلى الأمة فى أشخاص نوابها

وفى وزارة الأمير توفيق استصدر وزير الداخلية رياض باشا أمراً من الخديو إلى النواب بأن مدة مجلسهم قد انتهت فعليهم أن ينفضوا ؛ وذهب رياض يتلو على النواب هذا الأمر ؛ وهنا وقف النواب وقفة جديرة أن تفخر بها مصر فيما تفخر به من مواقف البطولة ، فلقد رفضوا أن يذعنوا ، وهددوا رياضاً بما عساه أن يقع من الحوادث فى البلاد تجاه سياسة الوزارة ، وجعلوا تبعة ذلك عليها .. ولكم نرى من أوجه الشبه بين موقف هذا المجلس ومجلس طبقات الأمة فى فرنسا حين وقف فيه نواب العامة يتحدون قرار الملك أثر صيحة ميرابو الدوية التى نقلت تاريخ فرنسا من فصل إلى فصل

ولكن النواب هنا لم يكونوا فى الحقيقة يتحدون الخديو، ولقد كانوا يعلمون أنه يعطف على حركتهم ليتخلص بهم من تدخل الأجانب فى شؤون مصر ، ذلك التدخل الذى حرمه كل سلطة وإنما كان النواب يتحدون الوزارة الأوربية ويريدون أن يأخذوا السبيل عليها

وكانت مطالب المجلس يومئذ تنحصر فى المسألتين الدستورية والمالية ، أما أولاهما فتتلخص فى أن تكون الوزارة مسؤولة أمام

المجلس بحيث يصبح هيئة لها مكانها الفعلى فى حكومة البلاد ، وأما الأخرى فؤداها أن يبحث المجلس المسألة المالية دون الأجانب وأن يقرر فى أمر الدين والضرائب ما تمليه عليه مصالح البلاد .

وأصر النواب على تلك المبادئ فكانت حركتهم هذه حركة قومية بأوسع معانى تلك الكلمة ؛ وكان يظاهر النواب أحرار البلاد من العلماء والأعيان والتجار ، الذين لم تنقطع اجتماعاتهم فى بيت البكرى . وأخيراً اتفقت كلمة الجميع على أن يتوجهوا إلى الخديو بما عرف باسم اللائحة الوطنية ، وفيها يعترض النواب على اقتراحات ريفرز ولسن التى كانت ترمى إلى إعلان إفلاس مصر ، ويقررون أن إيرادات مصر تفى بدفع ديونها ؛ ويطلبون إلى الخديو تقرير مبدأ مسؤولية الوزارة أمام المجلس وتأليف وزارة وطنية تقوم مقام هذه الوزارة الأوروبية التى ضاقت بسياستها البلاد ...

ولقد وضعت هذه اللائحة لجنة من النواب تحت إشراف شريف ؛ فكانت هذه اللائحة الخطيرة كبرى حسناته إلى هذه البلاد كما كانت أهم خطواته السياسية وأبعدها فى مجرى الحوادث أثراً ؛ ووقع على اللائحة ستون من أعضاء المجلس ومثلهم من العلماء وفى مقدمتهم شيخ الأزهر والبطريرك والحاخام ، كما وقع عليها عدد كبير من الأعيان والتجار والموظفين والضباط ، ورفعت بعد ذلك إلى الخديو فرأى أن قد حان الوقت ليوجه إلى النفوذ الأجنبى ضربة قوية ، فالبلاد من ورائه تؤيده وتشد أزره ، ولذلك لم يتردد فى الموافقة على اللائحة ، وسرعان ما هزت فعلته البلاد هزة قوية ، هزة الفرح بانتصار الحركة الوطنية والأمل فى مستقبل تحطم فيه البلاد أغلالها وتنعم فيه بالراحة والرخاء

واستقالت وزارة توفيق ، فاتجهت الأبصار إلى شريف واتفقت عليه القلوب والأهواء ، فالبث أن تضاعف سرور البلاد بأن أسندت إليه رياسة الوزارة الوطنية ، وأصبح شريف زعيم الحركة الوطنية ورئيس وزارة الأمة فكان بذلك فى مصر صاحب الرياستين

(البقية فى العدد القادم)

محمود الخفيف

عنـــد الثلاثين

للأستاذ محمود الخفيف



تمهلي والتفتي لفتة   لا تذهلي عن دهرك الراحل
لا تعبسي ما إن ترى لذة   أشهى من الآمال للآمل
عند الثلاثين قفي ساعة   وجاوزي اليم إلى الساحل
هذا هو الماضي فماذا ترى   عيناي من طيف له ماثل؟
مطارح الأيام مبسوطة   كم بينها من أثر حافل!
كم أجتلي يا نفس من صورة   عرفتها في عيشي الزائل
كم بهجة قد بت يا ويلتا   في شغل عن ذكرها شاغل!

* * *

أرى وكم يبهجني أن أرى   مسارحي في قريتي الضاحيه
هناك حيث الأمن ممدودة   ظلاله والبشر والعافيه
هناك حيث الحسن رقاقة   طيوفه للأعين اللاهيه
وحيث تحلو الأرض منضورة   ويعلق السحر بها خاليه
وتعجب الأدواح فينانة   وما خلت من روعة عاريه
هناك حيث الصمت أنشودة   لا تفتأ النفس بها شاديه
في جنة عشت زمانا بها   يا ليت لي أيامها ثانيه

* * *

هذي هي السرحة في ظلها   ابن ثمان في الضحى يلعب
في ثغره من بسمات الرضى   مثل ابتسام الزهر أو أعذب
وعينه من لمحات المنى   كما انجلى في أفقه الكوكب
مثل فراش الروض في لهوه   ودأبه لكنه أوثب!
دنياه هذي النخل. في جانب   منها يرى للأعين المكتب
كم رتل الآيات في مقعد   فيه وكم باهى بما يكتب
أجرت له الفصحى به كوثرا   معينه في القلب لا ينضب
يا ناشئا أوحت له سحره   شمس من الفرقان لا تغرب

* * *

يا لاعبا لم يدر غير المنى   كم يطرب القلب لمرأى صباه
كم يسحر النفس خيال له   ينقل في تلك النواحي خطاه
في عيشه الحالم كم هزه   من عالم السحر جمال رآه
أعرفه! في صدره خافق   غض يري في الريف دنيا مناه
ها هو ذا في كونه هائم   تغرق في نور الضحى مقلتاه
ها هو ذا الكون على بعده   عن حاضري، تملأ عيني رؤاه
كأنما تهزج في مسمعي   أصداؤه اليوم ويسري شذاه!

* * *

مغناي في الريف أرى طيفه   في زحمة الماضي وفي لجته
إن ذهلت عيناي عن موضع   سواه لن تذهل عن صورته
هذا الفناء الرحب لم أنسه   والقلب هيمان إلى فتنته
وهذه الشرفة يا حسنها   يا حسن شمس الصبح في جبهته
الأمن فيه باسط ظله   واليمن والإقبال في ساحته
والأهل، والولدان من حولهم   أروع ما في البيت من زينته
صلاتهم يزخر تسبيحها   بالحمد لله على منته . . .

عِشتُ زماناً ثم حُمَّ النوى … وذقتُ طعمَ الهمِّ من فرقتِه
في غُربتي كم مسَّ قلبي الضنى … وهاجَ تحناني إلى رؤيتِه
يا نازحاً عن أهلِه قلبُه … يذوبُ من شوقٍ إلى جنّتِه

***

يستقبلُ الدرسَ على وامضٍ … يسطعُ كالكوكبِ من أمسِه
ما كادَ يخطو للعُلى خطوةً … حتّى شأى الأقرانَ في درسِه
السبقُ من عاداته ، طعمُه … أشهى من الشهدِ إلى نفسِه
خيالُه المشبوبُ يوحي له … ما يُبهجُ المرهفَ من حِسّه
يلهجُ بالشعرِ ففي روحِه … وحيٌ له يُصغي إلى همسِه
إن ضاقَ بالوحشةِ طارت به … أجنحةٌ منه إلى أُنسِه
أو كلّتِ النفسُ حداها إلى … ما أنبتَ العرفانُ من غرسِه

***

في حلبةِ العلمِ مضى سابقاً … يستقبلُ اليافعَ من سنِّه
ما أوهنَ الجهدُ له عزمةً … في سهلِ ما يطوي وفي حزنِه
يسدّدُ الحزمُ له خطوَه … وتنطوي الأيامُ في يُمنِه
يرسمُ آمالاً عِراضاً ولا … يدري من الدهرِ مدى ضنِّه
في كلِّ ما يقرأُ من سيرةٍ … صدىً لما يهجسُ في ظنِّه
ففي غدٍ (سعدٌ) بهذا الحمى … يذودُ ذودَ الليثِ عن رُكنِه
وتارةً ذو صولةٍ قادرٌ … يصرّفُ الأمرَ على إذنِه
أو مدرهٌ مقتدرٌ نابهٌ … الحقُّ والقسطاسُ في وزنِه
أحبُّ ما منّى به نفسَه … شادٍ تغارُ الطيرُ من لحنِه
مقدَّمٌ في قومِه شاعرٌ … السحرُ والإعجازُ في فنِّه !

***

غنّى زماناً بالمنى حالماً … في عُمرِه المزدهرِ الناضرِ
يبيتُ جذلانَ هنيءَ الكرى … مُمتَّعاً بالحُلُمِ الزاهرِ
ماذا دهى قيثاره فاشتكى ؟ … يا ويله من حبِّه الباكرِ !
طافت به من خمرِ هذا الهوى … كؤوسُه … يا ويحَ للشاعرِ
تكشّفتْ دُنياهُ عن عالَمٍ … … يا قدسَ هذا العالمِ الساحرِ

يا حيرةَ الشعرِ لدى وصفِه … يا رحمةَ الأطيافِ في الخاطرِ !
هذي الرؤى ترجيعُ رفّافةٍ … من عُمرِه الماضي إلى ناظري

***

يهدفُ للعشرينَ في نفسِه … وحيُ الذي يخفق في جنبه
يحبّبُ العشرةَ في وجهِه … بشاشةُ الوردِ إلى صحبه
وفي حنايا صدرِه رُقيةٌ … عن الخنا والهُجرِ مالت به
يا نفحةَ الخلدِ لأنتِ التي … أيقظتِ هذا الطُّهرَ في قلبِه
يا ومضةَ الروحِ جلبتِ الهدى … وطفتِ بالنورِ على هُدبِه
يا نسمةَ الحبِّ بهذا الشذى … الروحُ والريحانُ من ربِّه
في كلِّ حُسنٍ حولَه لمحةٌ … تُلقي عليه السحرَ من حبِّه
والكونُ، ما دارت به عينه … مُلقٍ معاني الحبِّ في لُبِّه

***

كم عادَ للقريةِ في لهفةٍ … للعيشِ في أكنافِها الواسعه
والصيفُ في أنحائها رائعٌ … باتت به أسواقُها رائعه
هناكَ لا يلبثُ حتّى يرى … فتاتَه بعدَ النوى راجعه
هناكَ كم سارا على موعدٍ … والليلُ يغشى القريةَ الهاجعه
فالتقيا لا عينَ ترعاهما … إلا عيونُ الأنجمِ اللامعه
يا قدسَ هذا الحبِّ في خلوةٍ … صلّت بها مهجتُه خاشعه
في روعةِ الصبحِ يرى وجدَه … جبينَها في شمسِه الطالعه
ويملأُ النفسَ صدى صوتِها … والطيرُ في أفنانِها ساجعه
وينطوي الصيفُ وأحلامُه … والوصلُ في عيشتِه الوادعه
يا ليلةَ التوديعِ كم لوعةٍ … هاجتْ في نفسِه الجازعه
يا حيرةَ الأعينِ في موقفٍ … ترى به باسمةً دامعه !

***

صحا على العيشِ وأكلافِه … فسارَ سيرَ النابهِ الماجدِ
هذا هو الزورقُ يجري به … يا رحمتا للزورقِ الجاهدِ
ما هذه الدنيا وأوضاعُها … كم ذا يرى من طبعِها الفاسدِ !

الجبـــاهُ فِيهَا للخنا تَوْأمٌ   والحظُّ لِلاَّهِي وَلِلقَاعِدِ !
كَمْ جَاهِلٍ يَعْلُو بِهِ جَهْلُه   فيها وكم مِن غَافِلٍ جَامِدِ !
وَالصَّابِرُ المَكْدُودُ يَشقَى بها   ما أَضْيَعَ الآمَالَ لِلحَـاصِدِ
وَكَمْ يَرَى ذو البِرِّ من جَاحِدٍ   وذو الحجا والفَضْلِ من حَاسِدِ
والناسُ إلا قِـلَّةً أَذْؤُبٌ   وحَاقِدٌ يَنْعَى عَلَى حَاقِدِ
مَا ضَرَّهُ من عَيْشِهِ ما رَأى   أو صَدَّهُ عن سَيْرِهِ القاصِدِ
يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا وأَوْهَامَهَا   مِن طَارِفٍ فيها ومِن تالِدِ
يَكِيدُ لِلدَّهْرِ بِأَقْدَامِهِ   فَلَيْسَ هذا الدَّهْرُ بالكَائِدِ!

***

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَشقَى بِهَا   أَمَا تُرَى هَازِلَةً لاعِبَهْ؟
وَيْلٌ لِمَنْ تَطغَى عَلَى لُبِّه   بُرُوقُهَا الكَاذِبَةُ الخَالِبَه
يَا أَيُّهَا البَاكِى على حَظِّهِ   لا يُرْجِعُ الدَّمْعُ مُنَي ذاهِبَه
عَجِبْتُ للشَّاكِين أَيَّامَهُمْ   ما نَفْعُ تِلكَ العِيشَةِ الصاخِبه؟
الهَمُّ ، والدُّنيَا على حالِهَا   غِذاءُ هَذِي الأَنْفُسِ الغاضِبه
حَيَاتُهُمْ لا يَسْتَسِيغُونَهَا   حَتَّى تُرَى شَاحِبَةً غَارِبَه
يَا عَجَباً حِينَ يَلُوحُ الرَّدى   تَلمَحُهُ أَنْفُسُهُمْ هَائِبه !

***

ابتَسِمى يَا نَفْسُ لا تَعْبِسي   لا خَيْرَ لِلعَابِسِ مِن دَهْرِهِ
الحُرُّ لا يَأْسَى عَلَى فَائِتٍ   والدَّهْرُ لا يَقْوى عَلَى قَهْرِهِ
هذا هُوَ المَاضِى خُذِى وَحْيَهُ   واسْتَقْبِلِى الغَيبَ عَلَى ذِكْرِهِ
مَاضِيكِ لا تَذْهَبُ أَطْيَافُهُ   أوْ تُطْفِئُ الأيَّامُ من بِشْرِهِ
بَاتَ مِن الأَقْدَارِ فِى نَجْوَةٍ   هذا هُوَ المُعْجِبُ مِن سِرِّهِ
ما غابَ من عيشِ الفَتَى من أَمسِ   لا يُقْدِمُ المَرْءُ عَلَى نَشْرِهِ
أمَّا سَنَا الماضى فيوحى لَهُ   ما كَرَّتْ الأيَّامُ ، مِن نورِه
ما لَذَّةُ العَيْشِ إذا ما خلا   من رَوْعَةِ الماضى ومِن سِحْرِه ؟
مَوْتٌ من الموْتِ بِقَلْبِ الفتى   نِسْيَانُهُ السَّالِفَ مِن عُمْرِه

***

آليتُ لا آسَى عَلَى ذاهِبٍ   أوْ أذْرِفُ الدَّمْعَ عَلَى دَارِس
هواى لن أشْقَى بِهِ بَعْدَ مَا   عِشْتُ زَمَاناً عِيشَةَ اليائِسِ
سِيَّانَ عِندى بَعْدَهُ ما أرى   من بَاسِمِ الأيامِ والعابِس
لكننى أمضِى إلى غايَتِى   أحنو على المحْزُونِ والبائِس
أصغِى من الماضِى إلى ماثِلٍ   من طَيْفِهِ فِى مِسْمَعِى هَامِسِ
أحيا عَلَى الذِّكرَى حَيَاةَ امْرِئٍ   ما كانَ من دُنيَاهُ بالآيِسِ
إن فَاتَهُ فِيهَا لذيذُ الجَنَى   كفاهُ مِنْهَا لَذَّةُ الغَارِسِ

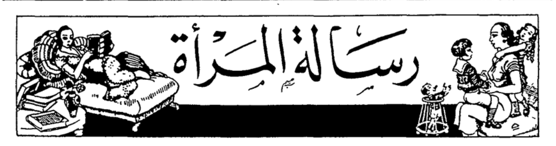
***

عِنْدَ الثلاثين قفى وَانظرِى   وَغَازِلِي يا نَفسُ حُلوَ الأمَلْ
مَنْ لَمْ يُشَمِّرْ لِلمَعَالِي فتَى   هَلْ يَعرِفُ العَزْمَ إذا ما اكتَهَلْ؟
العَيْش فى الدُّنيا قَلِيلٌ فَهَل   مِن مَوْضِعٍ فيهِ لِغَيْرِ الجذَلْ؟
كَمْ شِدَّةٍ يا نفسُ مخبوءة   وَلَذَّةٍ فى عَيْشِكِ المُقْتَبَلْ
لا تَلْعَنِى دَهْرَكِ أو تحمَدِى   الدَّهْرُ لا يُسْأَلُ عَمَّا فَعَلْ

***

هيَّا إلى الزَّوْرَقِ خُوضِى بهِ   غِمَارَ هذى اللُّجَجِ القَاذِفَهْ
لا تَطرَبِى للرِّيحِ إن سالمتْ   أو تَرْهبِى أنواءهَا القاصِفه
السَّبْقُ أن تجْرِى عَلَى ثائِرٍ   وَالفخرُ أن تقتَحِمى العاصفه
الضفةُ الأخرى إذا ما دنت   لا تَنفِرى مِن قُرْبِهَا خائفه

الخفيف



فن التجميـــــل

للآنسة زينب الحكيم

التطور سنة الحياة، ومعناه النمو التدرجي والتكشف، ومعناه أيضاً نشوء الأشكال العليا من الدنيا في الحياة كما يقول القاموس

إذن نفهم من هذا أن كل شيء حي، وأي شيء يمت لذلك الحي بأدنى صلة، يسرى عليه ناموس التطور التدرجي في الحياة. ومن غير الضروري أن نثبت منطقياً أو علمياً سلسلة تطور الإنسان مثلاً من عصور ما قبل التاريخ إلى البربرية الأولى فالثانية فالثالثة، ولا أن نعدد الأطوار التي قطعها حتى وصل إلى ما هو عليه الآن. فلسنا في حاجة إلى ذلك في هذا المجال. إن هذه أشياء مقطوع بصحتها على الأقل من ناحية التدرج النشوئي الذي استغرق آلاف السنين

إنما الذي يعنينا هو أن نوضح أن الحياة في مختلف نواحيها تخضع للناموس ذاته؛ فكلما تطورت حالة الإنسان اختلفت بيئته وتغيرت طرقه ووسائل معيشته من تجارة وصناعة، وعادات ونظم، وتعاليم ومبادئ، وعلوم وفنون وغير ذلك

وفن التجميل ولو أنه يبدو فناً كمالياً، فإنه في الواقع فن ضرورة ولزوم إذا أخذنا بالمبدأ القائل بسذاجة الطبيعة وأنها جرداء قاحلة ما لم نضف عليها من رائع خيالنا وبديع تصورنا

فإذا وضحت النظرية الآن، وصح تطبيقها على الجمادات والعجماوات، فمن الضروري لزومها للكائن المفكر الذي يسوقه تفكيره إلى بلوغ أقصى درجات الكمال في كل شيء. ولا جناح عليه إذا لحظ أنه يعمل للارتقاء في جهات قبل أخرى، أو إذا تباينت درجات ذلك التطور، فهذه سنة الحياة ونظام تكوينها

وفن التجميل على هذا الأساس من أعرق الفنون وأكثرها حركة وأشدها اقتحاماً. فالكوخ لم يبق ذلك الشكل الساذج، بل تحول وتحور حتى صار بيتاً، والبيت تطور وتطور على أشكال وأنماط...


زينة المرأة في القرن السادس عشر

والقدر لم يبق ذلك الإناء الضروري لحل الماء أو غليه، وإنما تطور فتحوّر وهذب، واختلف أنواعاً وأشكالاً، ونقش تارة، ولُوّن وزركش أخرى

وكذلك الناس تطوروا، ولم تعد المرأة تلك البربرية التي كانت تحمل نفسها الأحجار وقطع المعادن الثقيلة للتزين مثلا، وإنما تطورت زينتها إلى ما هو ألطف وأجمل

لهذا نقول: إن فن التجميل في كل العصور بالنسبة للمرأة

فى الشرق والغرب ، يتغير مثله الأعلى بالنسبة لدرجة تطورها ، وإن اتفقت بعض مظاهره فى أشياء

فمثلاً من زمن بعيد كانت منضدة التزين هى المرآة التى انعكس عليها نشاط المرأة . وقد وجد المنقبون فى بلاد آشور ، وفى مصر ، مناضد للزينة تكاد تكون محملة بضروب من وسائل الزينة ، كما قد يرى على أفخم مناضد التزين اليوم فى البيوت ، وفى محال التجميل العامة

والتاريخ يبرهن ، مع الأسف أو مع النبطة ، على أن الجمال لم يكن طبيعياً أبداً (وهذا يتفق مع النظرية التى أشرنا إليها فى أول هـذا المقال) ثم قرر العقـل البشرى إثبات ذلك فى الشرق

ويستعمل الروائح العطرية القوية التى تضعف من أعصاب نساء الشرق البدينات فتزيدها وهناً على وهنها ، وبالجملة فإن نساء الشرق لا يحسن استعمال وسائل تزين الغربيات ، وكثيراً ما يخطئن فى تطبيقها العملى ، ويخلطن بينها مما يؤذى أجسامهن ويسىء إلى أخلاقهن بوضعهن الأشياء فى غير موضعها

كل ذلك لجهلهن تراكيبها ، وعدم دراستهن لأنفسهن بحيث يعرفن ما يلزم لهن ، وكذلك لعدم استعمالهن مبتكرات بلادهن ، التى تكون وليدة حاجاتهن ، وما يتناسب مع طبيعتهن

إن غفلتهن عن التعليل المنطقى تجعلهن مقلدات مسرفات



زنجيات أمريكا يجملن أظافرهن وأيديهن بصالونات التجميل العامة

والغرب ، بدليل ما اتخذه الناس من وسائل للتجميل ، ومن تحايل لأسبابه انتفعت به النساء بوجه خاص ؛ وإذا اختلفت وجهات النظر فى ذلك ، فإنما تختلف من حيث التقدم فى التطور لا من حيث المبدأ

ففى الغرب اخترعت محسنات البشرة ولون الوجه وفق أسس فنية وعلمية . أما الشرق فقانع بهذه النتائج غير المتقنة ، التى يمكنه الحصول عليها من أنواع الكريم والحناء ، والكحل الأزرق الذى تكحل به الجفون من الداخل ، فيحدث تهيجاً فى العين بسبب ملأها بالدموع ، ويجعلها شديدة اللمعان ، ويعتبر ذلك من الجمال ، وهو خطأ مضر بالعين

فى التقليد ، فكثيرات منهن قلدن وما زلن يقلدن النجمة السينمائية فلانة ، والممثلة المسرحية علانة ، وغاب عنهن أن زينة الفتاة الممثلة على المسرح أو السينما ، لا يمكن أن تجعلها جميلة أو متزينة بالمعنى الذى يقصد من التزين ، لأن القادير الهائلة التى تصبغ بهـا وجهها ، إنمـا يقصد بها أولاً أن تساعد على إظهارها بوضوح على المسرح الشـديد الضوء ، أو أمام أنوار التقاط الأفلام السينمائية ، كيلا تظهر شاحبة ذابلة ، غامضة الملامح إذا ما سطعت عليها تلك الأنوار القوية .

والصورة البشعة ، التى نراها هنا وفى كل مكان من المعمورة

بوجوه النساء ، إنما تدل على الجهل الذى تحمل المرأة عنوانه على أبرز جزء فيها ، مما ينفر من مزاولة فن التجميل الذى يعتبر من أرقى الفنون وأعرقها .

لو عاشت جدتنا لتسمع ما نقوله اليوم عن التزين ، ولو رأت بعينى رأسها حال وجوه السيدات اليوم ، لذهلت وطار لبها ، لأنه ما كان يستعمل للتزين فى أيامها إلا أنواع من الصابون الصحى غير المهيج للبشرة كصابون القطران والكبريت الممتازين .

بينما كان الرجال فى ذلك الزمن ، يوشحون رجولتهم بنحو قدم أو أكثر من لحية مربعة مهذبة حول ذقونهم .

أما وسائل التزين التى يعلن عنها بلا انقطاع فى جميع المجلات النسائية وغيرها الآن ، أو ما يسمع عن علاجات البشرة المختلفة وما شابه ذلك ، فكان غير مألوف ، ولم يطق سماعه أو السماح باستعماله السواد الأعظم من الناس فى القرن التاسع عشر

وقد اعتبر استعمال الدهون وأصباغ الوجه — من أحمر وذرور وغيرهما — من الجرائم الخلقية ، والنواية فى المجتمع ، واعتبر استخدام أصباغ الشفتين وتزجيج الحواجب من علامات الانحراف ، ومنتهى التبجح ، بل دليل الفساد والشر

لهذا طالما انتهرت الجدة العزيزة بناتها إذا ارتابت فى حمرة وجنتى إحداهن ، أو إذا هى صففت شعرها بأداة التجعيد المحماة . ولعمرى ما عساها كانت تفعل الآن ، إذا رأت بعض الفتيات المتطرفات ، اللائى ينمين أظافرهن حتى تصير كمخالب الحدأة ، أو يلبسن أحذية طول كعوبها أربع بوصات أو خمس ؟! من غير شك كانت تثور وتفور ولها الحق ، وليست معارضتها فى هذه الحالات وأشباهها مما تؤاخذ عليه ، والشىء إن زاد عن حده انقلب إلى ضده

وفى الواقع ، لا يوجد شىء تطور فى العالم بسرعة مثل ما تطورت وسائل الزينة وطرق استعمالها

وأصبح استخدامها باعتدال وفن من التقاليد المرعية والعادات المقبولة .

فالسيدة التى تظهر بأظافر غير معتنى بها مثلاً ، أو بشعر لا تظهر عليه دلائل العناية والتهذيب والتجميل ، أو بوجه شائه وكان فى استطاعة صاحبته أن تقلل من شوهه ، تعتبر خارجة على التقاليد ، مقصرة فى حق نفسها ، وفى حقوق المجتمع . وهل هذا العصر إلا عصر تجدد ونشوء ؟ !

لهذه الاعتبارات من جهة ، ولإسراف السيدات وبعض الرجال فى التزين الخاطئ من جهة أخرى ، ارتفعت تكاليف التزين جداً ، بحيث أصبح ما ينفق على وسائله من نقود مقادير لا تصدق بسهولة لو لم تثبت صحتها الإحصاءات الرسمية



فتاة منغولية فى كامل زينتها

لقد قدر الآن فى الولايات المتحدة أن المرأة تنفق ثلاثمائة مليون جنيه فى السنة على معالجة التجميل ، والدهون من كل نوع . وقد قسم الإحصائيون هذا المبلغ الضخم بين أصباغ الشفاه ، وأصباغ الوجنتين والذرور ، ودهانات تغذية بشرة الوجه والكريم بأنواعه ، وأصباغ الحواجب والأهداب ، ودهونات الشعر وغير ذلك

أما فى انجلترا ، فإن أرقام ما ينفق على هذه الأشياء ليست إلى هذا الحد من الغلو ، والمصاريف فى انجلترا على التجميل خمسون مليوناً من الجنيهات ، أو ربما كانت ٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه

أما فى مصر ، فليست لدينا إحصائيات يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد ، ولا بد أن يكون الإنفاق فى منتهى الإسراف ، لأن مصر سوق دولية ، والعرض كثير والمهارة فى التصريف ممتازة ، والعقول ساذجة ، والإرادة ضعيفة فى أغلب الحالات

كثيراً ما ألحظ وأنا أشترى شيئاً من الصيدلية ، أو من متاجر الأدوية ، سيدات يستغلهن مهرة الباعة فيها استغلالاً سيئاً ،

وكثيرات من السيدات يفوضن أمرهن للبائعة اللبقة ، أو البائع ذى الحيلة لينصحا لهن بما يشترين، مما يكون أقوى أثراً فى زينتهن ولنا أن نتصور أى نوع وأية كمية من البضاعة تبتاع هؤلاء السيدات!



المرأة التركية الحديثة أمام مرآتها

أما الحالة فى العراق ، فإنه ولو لم أعثر فيه أيضاً على إحصائيات يستدل منها على مقدار ما تنفقه السيدات هناك على التجميل ، فإنى بما شهدته من تهافت المرأة ، وطنية وأجنبية ، على الأصباغ والدهون والعطور، والتغالى فى عمل التواليت بوجوههن وأيديهن بل وأرجلهن ، باستعمال أجود أنواع الزينة وأغلاها ثمناً ، أستطيع أن أقول إن المبالغ التى يصرفنها حتما تكون ضخمة .

ويأتى بعد سيدات العراق السيدات اللبنانيات

أما السوريات (وعلى الأخص الرشيقات) فكثرتهن لا يحسن استعمال هذه الأشياء ، ولا يسرفن فيها

والسورية العادية لها طرق تزين أهلية ، فتستعمل أنواعاً من تربة أرض بلادها وأعشابها ، وتستعمل أنواعاً من الصابون من صناعات حلب ، وبالضرورة قد تحتوى هذه الأشياء أنواعاً من العناصر الضارة التى تتلف الأجزاء التى توضع فوقها من الجسم ، ولكن المرأة لاتبالى كثيراً بذلك لجهلها من جهة ولشدة اقتصادها من جهة أخرى، ولا تستطيع أن تدرك أنها تسرف من حيث تقتصد

أما المرأة التركية فتسرف فى استعمال وسائل الزينة ولكنها تتزين بفن وحسن ذوق

والمرأة اليونانية الحديثة قد سبق لنا ذكر شىء عن زينتها ، والأغلب عليها الاعتدال والبساطة فى التجميل وفى النفقات

أما المرأة اليوجسلافية ، فأشد نساء أوربا الحديثة تطرفاً ، ولكن بحسن تصرف وإتقان ، ويغلب عليها الإسراف الشديد .

والنساء الفرنسيات لهن شهرة معروفة عالية فى فن التجميل ، ومع إسرافهن الشديد فى عمل التواليت ، وإنفاق الكثير جداً على أسبابه ، فإنه مشهود لهن بالدقة والصنعة وحسن التصرف .

أما المرأة الألمانية ، فتكاد تكون مسترجلة فى هذا الصدد ، والتزين الصناعى قليل عندهن ، ولذلك فكثرتهن يعانين حياة سقيمة مع أزواجهن، ومن العجيب أن العلم وحده لا يفيد كثيراً فى الحياة ، فإنه بقدر ما تمتاز به المرأة الألمانية من علم وثقافة ، وتفرغ لفن الأسرة ، بقدر ما يتملل الرجل عليها . وهى تكلف نفسها فوق ما تحتمل النهوض به من مسئوليات الحياة العملية ، فتهرم قبل أوانها ، ولا تحاول كثيراً أن تخفى هذه المظاهر بعمل التواليت .

هذه إلمامة سريعة بفن التجميل بالنسبة للمرأة فى العصر الحاضر، فهل كانت وسائله قديماً مشابهة لما تستخدمه الآن؟ هذا ما سنطالعه فى الأسبوع القادم إن شاء الله . زينب الحكيم



النظام الشمسى للمادة

كلمة لازمة قبل التعرض للحياة

للدكتور محمد محمود غالى

تجزئة المادة والرجوع بها إلى علاقات زمنية مكانية — الذرة فى المادة تمثل نظاما شمسيا — أمثلة من هذا النظام فى المواد المختلفة

يرى القارئ وهو يقلب صفحات هذا المقال أشكالاً تشبه الأشكال التى كان يحاول كل منا رسمها وهو على مقاعد المدرسة عند ما ملك كل منا لأول مرة بركاراً (برجلاً) للرسم ، وقد يعتقد القارئ بادئ الأمر أن هناك خطأ مطبعيًّا لورود هذه المنحنيات المنتظمة التى حاولها كل منا فى حداثته وسط مقال يتعلق بالمادة وبالحياة ويحاول كاتبه أن يجد تفسيراً لها ، وبدهى أن تتملكه الدهشة عند ما يطالع فى عنوان المقال « كلمة لازمة قبل التعرض للحياة » ، ثم يتأمل هذه الأشكال : تُرى ما العلاقة بين المادة أو الحياة وهذه الرسوم المنتظمة ؟ أية رابطة بين الكائن الحى وأغرب ما فيه الإنسان المفكر ، وهذه المنحنيات والقطاعات التى تذكرنا بعبثنا فى حداثتنا ؟ ... هذا ما سيجده القارئ بين هذه الأسطر وفى المقال الذى يليه — —

***

كل ما فى الكائنات فى حركة دائمة — عند ما ترى قطرة ماء صافية على ورقة من أوراق الشجر وسط حديقة فى يوم هادئ خف نسيمه ووجم كل ما فى المكان من كائنات ، قد يخيل إليك أن كل ما هو حولك فى هدوء تام ، والواقع أن أيًّا من هذه الكائنات ، حتى نقطة الماء ، بعيدة كل البعد عن هذا الوصف من الهدوء ، فلا نقطة الماء فى سكون ولا ورقة الشجرة التى تحملها ؛ إنما السكون جزئى بالنسبة إليك وليس بالنسبة للكون .

نعود إلى نقطة الماء فكل جزء منها مركب من ذرات من الأكسجين والهيدروجين ، كل ذرة من هذه مجموعة شمسية تشبه الشمس والأرض وسياراتها التسعة وأقمارها

ليتأمل القارئ معنا أصغر ما فى هذه المجموعة وهو الالكترون يجده يدور حول نفسه ثم حول النواة مركز الذرة ، كما تدور الأرض حول نفسها ثم حول الشمس . على أن هذه المجموعة من الذرات تكون جزءاً دقيقاً من الماء ذكرنا فيما تقدم أنه فى حركة دائمة ذهاباً وإياباً ، صعوداً وهبوطاً ، بالنسبة لمجموعة الجزيئات الأخرى المكونة لنقطة الماء . هذه الحركة الأخيرة كبيرة جداً بالنسبة لحركة الالكترون الدورية المتقدمة ، حتى أننا نرى أثرها إن لجأنا إلى تلوين هذه النقطة بأية مادة كولويدية واستخدمنا الالترابيكروسكوب . على أن هذه الجزيئات المكونة للنقطة تدور مع الأرض حول محورها بل تدور مع الأرض حول الشمس — على أن الشمس بدورها تدور ومعها الأرض والسيارات التسعة دورة أخرى مداها حوالى ٣٠٠ مليون سنة لتعود إلى وضعها الأول بالنسبة لمجموعة الشموس التى هى إحداها . على أن هذه المجموعة من الشموس ومنها شمسنا تبتعد فى الحيز بالنسبة للمجموعات الأخرى المجاورة لها ، وتبلغ سرعة ابتعاد بعض هذه المجموعات أو العوالم بعضها عن بعض ٢٥ ألف كيلو متر فى الثانية أى أنها تقطع فى الثانية الواحدة مسافة كالتى تفصلنا عن الصين ، وهكذا لو أردنا أن نبحث حركة الالكترون ، أصغر ما فى نقطة الماء أو حركة جسم آخر فى الورقة الحاملة نقطة الماء ، بالنسبة للحيز ، لتملكتنا الدهشة ، ولأدركنا أن كل ما فى الحديقة ، على ما يبدو عليها من هدوء ظاهر ، بعيد جد البعد عن السكون والراحة

إنما ذكرنا ما تقدم لأن العلوم اليوم تتقدم نحو مقصد جديد ، ذلك أنها تحاول الرجوع بالأشياء إلى علاقات مكانية زمانية

(Spaco - temporelle) وعندما يصل الإنسان إلى الرجوع بكل الظواهر إلى مثل هذه العلاقات ، فى الزمن وفى المكان ، نكون قد اقتربنا من قمة العلم ونهاية المعرفة . أما وقد تعرضنا للحياة وهى التى تبدو لنا مظهراً من مظاهر المادة فلنحاول أن نعرف إلى أى مدى وصل بها العلماء فى هذا السبيل .

قبل أن نتكلم عن المادة الحية كالخلية وجسم الإنسان ونبحث هل تمكن العلماء فى تحديد جسيماتها بعلاقة مكانية زمنية يجمل بنا أن نشرح للقارىء إلى أى درجة وصلوا بالمادة الصماء (عادمة الحياة) إلى مثل هذا التحديد .

يتكون الجزىء للعناصر المادية كالحديد والذهب من مجموعة من الذرات وقد ثبت أن الذرة ليست أصغر ما فى المادة ، ذلك أنه أمكن عمليا فصل الألكترونات عن الذرة وإثبات وجودها فيها ، وقد تبين ذلك فى بادىء الأمر أولا لوجود ما نسميه الذرات المتأينة Atames ionisés فى المحاليل وهى ذرات فقدت أو اكتسبت ألكترونات وهذا ما يثبت وجود الألكترن فى الذرة؛ وثانياً لما يمكن أن تصدره الذرة من الإشعاع ، وما دام الضوء موجات كهربائية فلا بد أن هذا الإشعاع نتيجة لعملية كهربائية حدثت داخل الذرة نعلم الآن أنها حركة الألكترونات أى ذرات الكهرباء داخل الذرة

ويطول الشرح لو أردنا أن نذكر للقارىء سلسلة التجارب الطبيعية التى تثبت ذلك . ولعل النتائج التى نشأت عن اكتشاف « بكارل » الفرنسى للنشاط الإشعاعى واكتشاف مدام كيرى أستاذة السوربون للراديوم ، لا تجعل اليوم مجالاً للشك فى إثبات حقيقة تفتت الذرة الكيميائية وأنها تتركب من مركز رئيسى يسمى النواة Noyau ومن عدد من الألكترونات تدور حولها

هذا التركيب الذرى كان وما زال هدفاً لسلسلة من الدراسات الطبيعية التى ترمى إلى معرفة النموذج الذى تتألف منه الذرة أى صورتها المكانية سواء فيما يخص النواة أو الألكترونات التى حولها. ولقد كان للعالم الإنجليزى المعروف رذرفورد Rutherford الخطوة الأولى لمعرفة هذه الصورة المكانية للذرة. وتنحصر دراسته الأولى فى قذف الذرة أى ضربها بإشعاعات مختلفة ، ودراستها ودراسة هذه الإشعاعات بعد ذلك . وقد أثبت بهذا أن الذرة مجموعة لجسيمات منفصلة الواحدة عن الأخرى ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بقوة جاذبية تعادل قوة دوران هذه الجسيمات حول الذرة

وبعبارة أخرى اكتشفت « رذرفورد » فى الذرة نظاماً شمسياً يشبه نظام مجموعتنا الشمسية ، ولكن يختلف عنه فى أن القوة الجاذبية فى المادة قوة كهربائية بين شحنة موجبة وشحنة سالبة بينما القوة بين الشمس والأرض هى القوة الجاذبية النيوتونية أى بين الكتلة والكتلة

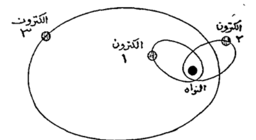
على أن نظريات « روزفورد » وغيره الخاصة بنماذج الذرات المختلفة لم يكن التقدم فى كل حالة حليفها ، فقد تقدمت تارة وعثرت أخرى ، ونرى ونحن نطالع الآن أجمل باب نعثر عليه فى فلسفة العلوم الطبيعية كيف اتخذ نظام رذرفورد الشمسى للمادة طريقاً متعرجاً غير مستقيم ، وإن شئنا أن نسطر هنا ما صادف هذه الآراء من عقبات ووثبات لسطرنا نصف العلوم الطبيعية الحديثة ، ولكن لا مناص من أن نلخص يوما هذه المسائل وهى من أبدع ما وصل إليه الفكر البشرى من الجمال والتنسيق ، عندئذ نذكر قصة بالمر (Balmer) ثم انتصارات بوهر (Neils Bohr) الدنمركى الذى كان مساعداً لرذرفورد . فليست هذه من المسائل التى يجوز إغفالها ، ونكتفى الآن أن نذكر أن الأخير وفق بين النماذج الشمسية لرذفورد ، وبين نظرية الكم (quanta) للعالم الكبير بلانك (Max Planck) . ولبوهر تعزى فكرتان أساسيتان فى الفلسفة الحديثة ، الأولى تتلخص فى أنه يجوز لنا أن نفترض كل الأقطار أى الأطوال فى مسارات المجموعات الشمسية الخاصة بالعالم الكبير بينما لا يجوز لنا أن نفترض إلا أطوالاً معينة لمسار الألكترونات . والفكرة الثانية : أن الإشعاع وفق آراء « بوهر » هو جهد حادث من وثبة للألكترون حول النواة من مسار إلى مسار أقرب منه لها

إنما أذكر ذلك ليعلم القارىء أن النموذج الشمسى (رغم ما دخل عليه من تعديل بعد الميكانيكا الموجية للعالم « دى بروى » (De Broglie) لم يكن مجرد العلم التخمينى أو النظرى بل كان يتصل بكل الفروع الطبيعية الأخرى وبخاصة التحليل الطيفى ، وعندما تتاح لى الفرصة لأطلعك على الانتصارات الكبرى التى حازها بوهر وغيره تصبح هذه الحركات الألكترونية فى المادة الصماء أمراً عند القارىء لا يقبل الجدل .

نعود للنموذج الشمسى ونترك البراهين عليها فى الوقت الحاضر؛ فالذرة وفق « رذرفورد » مجموعة شمسية تتوسطها نواة كالشمس شحنتها موجبة وتدور حولها ألكترونات كالسيارات التسعة

شحنتها سالبة ، ويصح أن تحوى النواة عدداً من الوحدات السالبة تتعادل مع عـدد من الألـكترونات، وكلما كانت النواة ثقيلة زاد عدد وحداتها الموجبة . وأخف ما نعرفه من النواة نواة الهيدروجين التى تحوى شحنة واحدة موجبة يدور حولها ألـكترون واحد كالأرض يتبعها القمر . أما الهيليوم فلنواته شحنتان وبالتالى يدور حولها ألـكترونان ، ويحضر الذهن بعد ذلك فى جدول العناصر الليتيوم Lithium الذى لنواته ثلاث شحنات ويدور حولها ثلاث ألـكترونات كما هو مبين بالشكل(١)

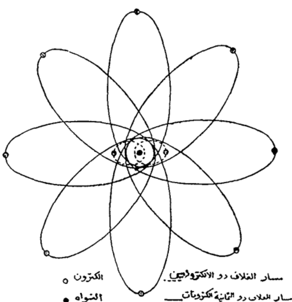
ولقد أمكن البرهنة على أن واحـداً من الألـكترونات الثلاثة لا يجتمع مع الآخرين فى غلاف واحد (الغلاف الجزء المحدد بالمسار) وهذا الألـكترون الثالث يشبه فى هذه المجموعة الشمسية الصغيرة كوكب بليتون فى مجوعتنا الشمسية الـكبيرة ، والذى ذكرنا أنه يدور بعيداً جداً عن الشمس ويتم دورانه فى ٢٥٢ سنة وهكذا كان لذرة كل عنصر عدد من الألـكترونات يتزايد من عنصر لآخر حتى نصل إلى الذرات العليا مثل الرصاص الذى يدور فى غلافه ٨٢ ألـكتروناً وهو بذلك مجوعة شمسية معقدة . كذلك الأورانيوم وتعد ذرته أثقل الذرات إذ يدور حول نواته ٩٢ ألـكتروناً ولعل هذه الـكثرة هى السر فى عدم اتزانه وفى كونه المواد المشعة



شكل ١ : نموذج ذرة الليتيوم

وفى (الشكل ٢) مثال آخر لنموذج ذرة النيون وهو الغاز الذى استعمله لأول مرة جورج كلود أستاذ كلية فرنسا والذى يكثر استعماله فى الاعلانات فى المساء فتملأ أنابيبه شوارع القاهرة. وفى هذا النموذج ترى للنواة مسارين لألـكترون وثمانية مسارات لثمانية ألـكترونات أخرى

هذه هى المادة كما يراها العلماء وقد ذكرنا فى مقالنا السابق أن المركبات المادية للـكائن الحى هى ذرات كيميائية (الـكربون والأكسيجين والهيدروجين والأزوت) وأن العلماء يعتقدون أنه قد حدث فى وقت من الأوقات أن مجوعة من هذه الذرات ترتب بطريق الصدفة بالطريقة الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وتساءلنا هل المادة الحية مجوعة من الذرات أو مجوعة من الذرات مضافاً إليها الحياة ؟ وقد بدأنا اليوم بهذا الوصف للمادة وفق آراء العلماء ، وبقى لنا أن نتناول المادة الحية ونعرف فى أى الأوجه تختلف عما وصفناه



شكل ٢ : نموذج ذرة النيون

لقد اعتدت أن أعد القارئ فى آخر كل مقال بما سأتناوله فى المقال الذى يليه وأن أدله عند الوصول إلى خطوة بلغناها على الطريق الذى يتبعها فى استعراض هيكل العالم وسير الحقائق . على أنى أتقيد هذه المرة بتناول موضوع الحياة بعد أن انتهينا اليوم من وصف المـادة وصفاً كان لازماً لتناول مثل هذا الموضوع . وها قد وصلنا معاً إلى طريق وعرة ولـكنى سوف لا أدخل بالقارئ مكاناً أشعر أنه لا يتعلم منه شيئاً جديداً . وإنى أنتهز الفرصة لأقدم شكرى للذين أرسلوا إلى كلماتهم الطيبة بخصوص هذه الجولات ، وسأواصل جهدى على صفحات الرسالة فى تبسيط ما نصل إليه من المعرفة

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة ، دبلوم الهندسخانة



بركسيتلس
PRAXITELES

للدكتور احمد موسى

كان للانقلاب المدنى الذى جلبته حرب البيلوبونيز (٤٣١ — ٤٠٤ ق . م) وتطور العقلية والنفسية الإغريقية أثر عظيم فى النهوض الفنى واتجاهه . ولذلك يمكن اعتبار المدة المحصورة بين نهاية تلك الحرب وبين عصر اسكندر الأكبر (٤٠٠ — ٣٣٠ ق . م) مدة « الازدهار المتأخر » أو « عصر الرفعة الثانى » .

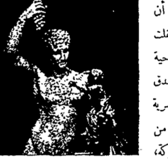


(ش ١) ساتير

ولا يهم مؤرخ الفن المشتغل بالأركيولوجية الإغريقية أن يتناول فى مقال كل ما أحاط بالحياة الإغريقية من سياسية واجتماعية إلى مدنية إلى حياة خاصة بسبب الحرب ؛ وإنما يهمه أن يتلمس النتائج التى ترتبت عليها فى الآثار الموجودة أو على الأقل بين دفات الكتب الموثوق بقيمتها العلمية كمراجع يعتمد عليها ومصادر أثبت البحث صحة ما جاء فيها .

ولما كان الفن الإغريقى قد اتجه فى النحت بعد حرب البيلوبونيز اتجاهاً صادق التعبير عن التغير والمنهج الجديد الذى مال كثيراً وفى وضوح إلى تمثيل الفردية بعد أن كان ممثلاً للجماعات ؛ فقد جاء من حيث الجوهر أقوى إفصاحاً عن النظرة الشخصية للفنان .

ولذلك — ولا نبعد عن الصواب — نجد أن التماثيل فى مجموعها انتقلت انتقالاً هائلاً من ناحية تعريفها للحياة فى صدق ومحاكاتها للطبيعة البشرية فى قوة، لما ظهر عليها من حسن التكوين والحركة، كما تمكن الفنان من التعبير عن خوالج النفس، وهذه ناحية لم تكن إلى هذه المرحلة مما يستطاع تمثيله أو محاكاته ولا سيما أن المشاعر النفسية والعوامل التى يتأثر الجسم منها تأثراً يبدو فى حركته وينعكس على ملامح الوجه ، مما لا يتاح لنحات أن يخرجه إلا بعد وصوله إلى درجة عليا من المقدرة الفنية .



(ش ٢) هرمس فى أولمبيا

فبينما نرى اهتمام الفنان كان قبل هذه الآونة متجهاً نحو تمثيل القدرة والشجاعة والقوة[1] ، نراه فى هذه المرحلة أكثر ميلاً نحو صدق المحاكاة ومراعاة التعبير عن النفسيات ، والرغبة فى التأثير على المشاهد بإشراك حواسه فى الاستمتاع والسمو قبل الشعور بالرهبة والتأثر بالمظمة .

وهذا ما انبنى عليه تقهقر النحت التذكارى والتجسيم المعارى وتقدم التماثيل المستقلة ذات الفكرة المحدودة . وهكذا نرى انتشار

(١) راجع مقالنا عن فيدياس بالرسالة

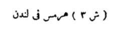
التماثيل الرخامية (لا سيما فى أتيكا) واختفاء غيرها من تلك التى كانت تنحت من سن الفيل والذهب ، هذا فضلاً عن الكيفية التى سار عليها النحات لإبراز التفاصيل دقيقة وإظهار القـدرة فى القطع الرائع.

تم هـذا على أيدى فنانين مبدعين نذكر منهم ديمتريوس Demetrios of Alopeke وسيلانيون الأثينى Silanion وسكوباس Skopas الذى يعد أول نحات إغريقى فى القرن الرابع قبل الميلاد . كما يعتبر فى مقدمة زعماء المدرسة الأتيكية الحديثة .

بعد هذا التطور وفى وسط هذا المحيط نشأ الفنان العظيم بركسيتلس بن كيفيسودتس الذى ينتمى إلى عائلة أتيكية .

وكان أصغر سناً من سكوباس فرأى الكثير قبل البدء، كما أنه أقام معظم سنى حياته فى أثينا حتى عصر اسكندر الأول ، وقد خلدت شهرته كنحات الرخام دون غيره بالرغم من أن له بعض قطع عملها من البرنز

وبدراسة ما تركه هذا النحات الفذ نحصل على قسط وافر من مميزات طابعه الشخصى الذى يتلخص فى أنه عنى عناية فائقة ونجح نجاحاً باهراً فى التعبير عن الجمال النابض ، واختار مادته منه فى ربيع الحياة، فمثل الشباب تمثيلا رائعاً خلاباً وأبرز أسمى صفاته وهى الصبا والزهو والقـوة والنشاط وحسن التكوين .



(ش ٣) هرمس فى لندن

وهذا لا يمنع من وجود بعض القطع التى مثلت ناحية الجد والنضوج ، فجمع بين حالتين جعلت منه أستاذاً فى تصوير العوامل النفسية دون نزاع . كل هذا بالنظر إلى الدرجة العليا التى وصل إليها فى هذا المجال ؛ فن الهدوء إلى الحركة ومن اللين إلى العنف فضلا عن أنه جاء بجديد له قيمته العظمى فى دراسة فن النحت،



(ش ٤) رأس تمثال هرمس فى أولمبيا

فقد استطاع الجمع بين التكوين الجسمانى فى وضع ما ، وبين ما يلائم هذا الوضع من ملامح ترتسم على الوجه وتنسجم مع تكوين الرأس فكأنه أكسب رؤوس تماثيله حياة اتفقت مع تمثيل الواقع ، وانسجمت مع المجموع الإنشائى ، فجاءت دليلا على أن الفنان بلغ الذروة فى دقة الإخراج من ناحيتيه الفنية والعملية ، كما أنه سار بالنحت خطوات واسعة نحو التأنق فى التكوين .

أما من حيث الناحية الإنشائية فإنه كان واسع الأفق غير محدود الخيال ، فأخرج إلى جانب تماثيل الآلهة تماثيل للإنسان (تمثال ديادومينوس وغيره) .

ولبركسيتلس ناحية أفرغ فيها حبه وهيامه ، تلك هى الناحية التى عبر بها عن جمال أفروديت إلهة الحب ، وشباب إيروس Eros إله الحب وابن أفروديت وهو الذى تحدثنا القصة الإغريقية عنه بأنه كان ولداً جميلاً بجناحين أو شاباً يحمل قيثارة Lyra أو قوساً ، وموسيقى أبولو Apollo بن زويس إله النور والغناء والعزف ، ونشوة ديونيزوس Dionysos إله الزراعة والحصاد وزراعة الكرم .

وأهم أعماله الباقية وأحسنها تمثال هرمس Hermes ابن

زويس إله الطبيعة والرعاة ورسول الآلهة « وإله التجارة والطرق والرّحل واللصوص » والنوم والأحلام . وهوالتمثال الذى وجد أثناء أعمال الحفر سنة ١٨٧٧ ولا يزال محفوظاً بمتحف أولمبيا .

وقف الإله الشاب عارياً يحمل بذراعه اليسرى المتكئة على جذع شجرة الطفل ديونيزوس (ش ٢ تمثل نصف التمثال فقط) ويمسك بيمناه عنقود العنب متجهاً به نحو الطفل . والساق اليمنى مستقيمة (هكذا فى الأصل الكامل) والوسط محدود بخطوط غاية فى الدقة مما تميز به نحت الفنان . والإنشاء المجموعى والوضع الكلى لهذا التمثال كله مليء بالحياة ، عظيم بالجانب المتوفر فيه من الجمال ، ولا سيما الرأس الدقيق الصنع البديع التكوين . أما الابتسامة الهادئة التى ارتسمت على وجه صاحبه (ش ٤) فهى من أدق ما شوهد منحوتاً فى الرخام .

ولعل تمثاله لأفروديت كنيدوس Aphr. of Knitos هو أهم وأعظم عمل فنى قام به (ش ٦) ، وقد فهم الأقدمون ذلك ونظروا إلى التمثال نظرة تقدير وإعجاب واستمتاع بروعته . تريد أفروديت النزول إلى البحر ، فتخلع ملابسها وتلقى بها على آنية الزهر . وقد اتخذ من فكرة الرغبة فى الاستحمام والتهيؤ للنزول فى الماء موضوعاً للانشاء الفنى الخلاب ، فبدا التمثال هائلاً ، وظهر الوجه وعليه أثر ابتسامة أقل ما يقال فيها أنها التوفيق الكامل .



(ش ٥) رأس أفروديت فى لندن

ولم يبق أثر يدل على هذه العظمة الفنية إلا الصور التى رسمت على العملة ، إلى جانب تماثيل نقلت عن الأصل ، أحسنها التمثال المحفوظ بالفاتيكان (ش ٤) وآخر محفوظ فى ميونيخ Glyptothek in muenchen فيه بعض التغيير .



(ش ٦) تمثال أفروديت فى الفاتيكان

وفى انجلترا رأس أفروديت (ش ٥) وله تماثيل لأفروديت فى لباسها نذكر منها ما عمله لمدينة كوس Kos .

وله أربعة تماثيل لإروس موجود أحدها بالفاتيكان وآخر فى نابولى . وتماثيله لأبولو تحتاج إلى شرح وإفاضة . وكل ما نبتغيه من هذا المقال ومن غيره أن يلتفت القارئ إلى النحو الذى سار عليه أساطين الفن ومقارنة ذلك بالاتجاه السقيم الذى يتجه نحوه بعض الشباب من المشتغلين بالنحت فى هذه الأيام ، وهم يعتقدون أنه الاتجاه الصحيح على حين أنه العجز فى معناه الكامل .

أحمد موسى

السيدة فتحية أحمد

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحي

من أثبت المطربات قدماً فى فنها ، وأعظمهن خبرة بصناعتها. تعتبر ثانية مطربات الشرق بعد (أم كلثوم) ، وإن كان بعض جهابذة الفن يرفعها عليهن جميعاً لقدرتها وتصرفها العجيب الذى يجمع بين سحر القديم وقوته ، ورونق الجديد ورقته ، والذى لا يعجز عن إرضاء جمهرة السامعين ولو كانوا حشداً مختلفاً فى ذوقه متبايناً فى عمره .!

سمعتها مرة تغنى فى دار (الاتحاد الموسيقى) الذى يرأسه الأستاذ ابراهيم شفيق وكان على رأس الجميع مصطفى رضا بك مدير المعهد الملكى للموسيقى العربية ، والدكتور محمود أحمد الحفنى مدير إدارة الموسيقى بوزارة المعارف ، والآنسة أم كلثوم، فإذا بها تبتدىء من نغمة (النهاوند) فعملت من (النوا) بياتى ثم نهاوند . وحولت النوا عشاق وقفلت (تركيز) على أساس النغمة، ثم النوا راست وقفلت(زاربل)، ثم رجعت للنوا حجاز وطلعت على جواب الكردان وعملت نهاوند وراست على (الكردان) ، ثم صبا على الحسينى ، ثم قفلت (نهاوند) !

وكل هذا متآلف مع النغمة الأصلية مما أخرج (أم كلثوم) عن طورها فلم أرها فى موقف لمطرب أو مطربة (تصرخ) كما كانت تصرخ أمام (فتحية) . ولقد أراد البعض أن يرجوها فى الغناء بعد أن انتهت ... فما كان منها إلا أن قالت حرفياً (وماذا أقول بعد هذا) !

يبلغ صوتها خمسة عشر مقاماً تقريباً. وهو من نوع (الكونتر آلتو) وإن كان البعض يقول إنه من فصيلة (التينور) ... !

يمتاز بلمعته ونبرته وقدرته حتى أطلق عليه جميع الموسيقيين والموسيقيات لقب (الفتوة) ! لأنه ينفرد بقوة عجيبة غريبة ؛ فلو استمر شهوراً يشتغل كل ليلة ما شكا وما نقص وما (خستك) كغيره من الأصوات .. جيد الإلقاء . دقيق المحاكاة .

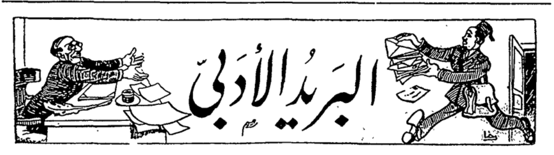
هى أول (مطربة) جمعت بين أشياء متناقضة متنافرة لا سبيل إلى جمعها أبداً ! جمعت (الشرف) والفن والأمومة المنتجة الرحيمة التى تبذل دمها وروحها لتهذب وتعلم أولادها من مالها (الحلال) الذى جمعته من كدها ، وتبعها ، وصوتها !



(ياليل) ... أشهد أننى أكره هذا النداء الذى قتله مطربونا ومطرباتنا نداء ، وأوجعوه وأثخنوه مناجاة . ولست أدرى السر فى هذا ، ألقصور فنى ، أم لضعف صوتى ؟؟ إن كان هذا أو ذاك فقد كنت أكره نداء الليل ومناجاته حتى سمعت هذا النداء العجيب من (فتحية)

سمعتها تناجيه وتناغيه بتصرف حيرنى ، ثم أدهشنى وأعجبنى حتى حول كراهتى حباً وافتتاناً ... وصرت لا أود ولا أسمع إلا لأسمعها تقول : ياليل .. ! بقوة تخجل الرجال ، وبقدرة تذهل النساء ، حتى اعترف لها الجميع وأولهم (أم كلثوم) و (عبدالوهاب) بأنها أقدر مطربة فى العصر الحديث فاقت المطربين والمطربات فى مناجاة (الليل) وغناء (الموال) .!!

هاجرت إلى الشام مراراً وراحت تذيع رسالتها هناك فذاع اسمها ذيوعاً قل أن يدركه غيرها، ولكن الحنين عاودها إلى مصر



فى الاستشراق

ظهر الجزء الأخير من المجلد الثانى لكتاب « تكملة تاريخ الآداب العربية » من تأليف المستشرق الكبير الذائع الصيت الأستاذ كارل بروكلمن ، وهذه « التكملة » تستدرك ما فات المؤلف فى « تاريخ الآداب العربية » المطبوع سنة ١٨٩٨ . ثم تأتى بكل ما حدث فى جانبى النشر والبحث منذ ذلك العهد . وهى على جانب عظيم من التدقيق والتحقيق ، وإن رأى بعضهم أنها موضع مراجعة من هنا ومن هنا . والحق أن الأستاذ بروكلمن جدير بالإعجاب فضلاً عن الشكر ؛ ذلك أن عمله جليل ونافع ، وما نظن أحداً من المشتغلين بالشرقيات يستطيع أن يهمل « تاريخ الآداب العربية » و « تكملته » فإنهما مصدر عرفان لا يعدله مصدر فى بابه . ودليل هذا أن جميع من كتبوا فى الآداب العربية رجعوا إليه بل اعتمدوا عليه . ولهذه التكملة جزء ثالث سيبرز هذه السنة فى أجزاء متوالية ، وسيكون موقوفاً على الأدب العربى الحديث

مكارم الأخلاق

للدكتور بشر فارس مبحث عنوانه : « مكارم الأخلاق » عبارة أخاذة ترجع إلى الأخلاقيات التقليدية نشر من عهد قريب باللغة الفرنسية فى « مجلة الأكاديمية الوطنية للعلوم » فى روما (الجزء ٥ — ١٠ لسنة ١٩٣٧) وهى من أعلى المجلات العلمية مكانة فى أوربا، وكان الدكتور بشر فارس ألقى هذا المبحث محاضرة فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى روما سنة ١٩٣٥ ، وإليك فصول هذا المبحث : رواج عبارة «مكارم الأخلاق»، مفادها، مصدرها، مضمونها ، علاقتها بالفتوة والروءة ، اتصالها بزمن الجاهلية ، الخاتمة : عبارة إسلامية محضة ، رخصة ، مبهمة ، أخاذة . ويمتاز هذا المبحث بالمنهج العلمى وبإثبات المصادر الأولى . وقد بلغنا أن صاحبه سينشره بالعربية هذه السنة فى مصر طى كتاب يضم مباحث أخرى عنوانه « مباحث عربية »

فرجعت لترى أن القدر قد أعد لها (مزحة) تهد الجبال وتقتل الرجال . رجعت وكان لها (رصيد) فى البنك يبلغ سبعة آلاف من الجنيهات فإذا به (ستة مليمات) فحسب ... ! فإذا أردت أن تعرف السبب فهو (رجل) وضعت فيه ثقتها بحكم قرابته لها فإذا به يستغل جهلها بالقراءة والكتابة — وقتئذ — وينتزع منها ومن أولادها هذا المال الذى جمعته كافلت قبلا بكدها وسهرها وصوتها ... !

لاعيب فى مطربة (القطرين) إلا أنها كغيرها من مطرباتنا قطعت شوطاً عظيما ، وزمناً طويلاً فى الجو الموسيقى فلم تستفد ، ولم تتقدم ، ولم تتعلم ، اعتماداً على صوتها وحسن تصرفها الذى وهبها الله إياه

تحب الفن للفن ، والموسيقى للموسيقى ، ولا تستطيع أن تملك نفسها وتكبت شعورها وتحبس إعجابها — كما يفعل غيرها — عند ما تسمع الجيد المتقن، فتراها تنثنى وتصفق (وترنّ) كأى فرد عادى تماماً . ولعلها المطربة الوحيدة التى تسمى وراء كل مطرب أو مطربة لتسمع وترخى أذنها وفنها . ولا يظن القارئ أن تلك الصفة التى توصف بها فتحية (عادية) لأنها إن كانت عادية معه ومعى إلا أنها معدومة مفقودة فى الوسط الفنى. ما من فرد من أبناء الموسيقى سواء أكان مطرباً أو مطربة تسأله رأيه فى زميل إلا سمعت الثناء أولاً ثم التعقيب بكلمة (ولكن...) ولكن هذه كفيلة بتشويه جميع الحسنات ، وتدنيس جميع المزايا ، وتحقير جميع الهبات ...

أما فتحية فرأيها صريح واضح ، قاطع صادق . وما أندر الصدق بين المطربات !

محمد السيد المويلحى

هل فى القرآن الكريم أسلوب غير عربى ؟

ذكر الشيخ الخضرى فى حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك فى النحو أن قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) يجوز أن يكون وضع اسم الإشارة للمذكر فيه وهو هذا موضع المؤنث لأن لغة ابراهيم كانت لا تفرق فى اسم الإشارة بين المذكر والمؤنث ، فجرى القرآن فى ذلك عليها ، وأشار إلى الشمس وهى مؤنثة باسم الإشارة الموضوع فى لغة العرب للمذكر

وقد نبهت طلابى فى الدرس إلى خطر هذا الرأى ، وأحببت أن أبين هذا لقراء مجلة الرسالة الغراء

فالأمر فى هذا يرجع إلى الأسلوب ، ولم يختلف أحد فى أن أسلوب القرآن يجب أن يكون عربياً ، فلا يصح أن يتقدم فيه مثلاً المضاف إليه على المضاف ، ولا غير هـذا من أساليب اللغات الأخرى ، وإن كان كلامه مترجماً عنها ، لأنه يسلك فى ترجمته أسلوب الترجمة المعنوية ، ولا يتقيـد فيها بشىء من أسلوب ما يترجم عنه

وهذا الذى أمنعه مما يرجع إلى الأسلوب غير ما اختلف فيه العلماء من وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، لأن ما يرجع إلى الأسلوب يرجع إلى نحو العربية ، فتكون مخالفته خطأ . أما وقوع المعرب فى القرآن فيرجع إلى إيثار لفظة أعجمية على لفظة عربية ، وهذا لا يمكن أن يتوجه إليه الخطأ ، ومع هذا اختلف علماؤنا فيه ورأى بعضهم أنه يقدح فى عربية القرآن الكريم

وقد ذكر الشيخ الخضرى مع ذلك الاحتمال الذى نخالفه فيه احتمالات أخرى تسيغها العربية ، ولا تكلف القرآن أن يجرى على أسلوب لغة أخرى غيرها ، فقال : يجوز أن يكون تذكير اسم الإشارة فى ذلك مراعاة لتذكير الخبر ، أو أن يكون تذكيره لتنزيل الشمس منزلة المذكر . وإنى أرى أن ابراهيم كان يشير إلى جرم الشمس فى ذلك الوقت لا إلى لفظها ، ولفظها هو المؤنث فى العربية ، أما مدلولها فكوكب من الكواكب كالقمر وغيره ، والكوكب مذكر لا مؤنث ، ولهذا أشار إليه ابرهيم بلفظ المذكر

عبد المتعال الصعيدى

الأدب المصرى فى رأى كاتب لبنانى

ننقل عن زميلتنا (المكشوف) البيروتية ذلك الرأى الجرىء الذى أشار إليه فى هذا العدد الأستاذان : توفيق الحكيم وابن عبد الملك ، فإن فى الاطلاع عليه فائدة من جهة صوابه ومن جهة خطأه . قال الكاتب :

« لست مكابراً ، ولكننى أنكر مستنداً إلى الوقائع الحقيقية التى قررها الأستاذ سامى الكيالى فى رده على كلمتى البريئة حول إشارته إلى « امتداد الأدب المصرى والثقافة المصرية فى أجواء البلاد العربية » . فقد بنى الأستاذ زعمه هذا على ما تخرجه المطبعة المصرية من مؤلفات عربية

فما هى هذه المؤلفات ؟

أكثرها غير مصرى . والأستاذ الكيالى لا يجهل أن المطبوعات الصادرة عن مصر هى فى الغالب كتب قديمة أعيد طبعها ، أو مخطوطات نادرة تطبع للمرة الأولى . فهى إذن ليست مصرية لأن أصحابها من خارج مصر . وليدلنى إن استطاع على كتاب واحد ذى قيمة لمؤلف مصرى صميم

أما المؤلفات المصرية الحديثة فلا أعرف أين هى مخبأة لا تظهر على وجهى ، فإن أكثر هذه المؤلفات أنشأه كتاب مصريون ، ولكن بمادة أجنبية مستوردة من الخارج

تأمل أن مصر التى يقول الأستاذ صاحب « الحديث » أنها تسيطر بثقافتها على البلاد العربية قد عجز أدباؤها وأعلامها عن وضع الموسوعة الإسلامية فلجأ بعض المعلمين الرسميين إلى ترجمتها عن لغة أجنبية . وياليتهم أجادوا الترجمة ، إذن لهانت المصيبة ؛ ولكن ترجمتهم جاءت فاسدة مشوهة تضلل ، والمفروض فيها أنها تهدى !

وتأمل أن مصر التى يريد بعضهم أن يجعلها زعيمة العروبة ، ينادى أكبر أديب فيها بفرعونيتها ويقول : إن الاسلام لم يغير شيئاً من عقلية أبنائها على الرغم من مرور ثلاثة عشر قرناً على قيامه فى وادى النيل !

وتأمل أن مصر العظيمة هذه لم يخلق فيها بعد ناثر أو شاعر يسجل فى ملحمة شعرية أو نثرية الأحداث الخطيرة التى تعاقبت

عليها منذ الهدنة إلى اليوم ، ويخلفها تراثاً خالداً للأجيال الآتية !

وتأمل أن أكبر مفكري مصر وأدبائها من طه حسين ، إلى حسين هيكل ، إلى أحمد أمين ، إلى محمد لطفي جمعة ، إلى غيرهم وغيرهم ، قد عجزوا في مؤلفاتهم التي خلقت شهرتهم الأدبية عن الإتيان بنظرة واحدة طريفة لم يستمدوا روحها من أجنبي . فالشك في صحة « الشعر الجاهلي » مسبوق إليه ، و « حياة محمد » مقتبسة من كتاب أميل درمنكهيم ، و « ضحى الإسلام » ليس لمؤلفه فيه إلا العنوان بدليل الأسماء العربية الواردة مشوهة في طبعته الأولى أمثال زافار وأصلها ظفار ، وأريتاس وأصلها الحارث، و«فلاسفة العرب» وأصله بالفرنسية«مفكرو الإسلام» لكاراديفو

أتكون هذى هي الثقافة المصرية التي تريد يا أستاذ سامى أن تتأثر بها البلاد العربية ؟

إنني أنكر هذه الثقافة اللقيطة ، ويعز على كلبناني عربي أن تؤخذ بلادي بالتدجيل وتخدع بالدعايات المجانية أو المأجورة »

زهير زهير

مصر في مختلف العصور

فرغ الأستاذ محمد قاسم بك عميد دار العلوم من تقريره عن مؤتمر العلوم التاريخية الثامن في دورته الأخيرة التي عقدت بمدينة «زوريخ» ومثل هو مصر فيه ثم رفعه إلى معالي وزير المعارف

ويقع هذا التقرير في ٢٣ صفحة ، تحدث فيها الأستاذ قاسم بك عن النظام السياسي والفكري في سويسرا ، ثم أشار إلى أهم الموضوعات التي عرضت على بساط البحث ، ولا سيما ما يتصل منها بالبلاد الشرقية والمسائل التي تتخذ صبغة عامة

وانتقل إلى الكلام عن رسالته التي عرضها على المؤتمرين — وهي خاصة « بالبحث العلمي » — وانتهى من هذا إلى ذكر طائفة من المقترحات رأى أن تنفيذها يجعل مصر تتابع الأبحاث التاريخية التي تجري في البلاد الأخرى .

ومن هذه المقترحات تحويل الشعبة التاريخية المحلية إلى جمعية تاريخية تعنى ببحث تاريخ مصر ، وإنشاء متحف تاريخي ووضع فهرس سنوي خاص بشئون التاريخ

ومما جاء في هذه المقترحات أن تعمل الحكومة على وضع أطلس تاريخي لا ليسد حاجة المدارس ومعاهد التعليم وحدها بل يفي بجميع حاجات الدولة . وأن يوضع معجم تراجم يبين تاريخ كل من اشتغلوا بالشئون التاريخية في أجيال مصر المختلفة

ومن أهم هذه المقترحات وضع تاريخ عام لمصر تنهج فيه الحكومة منهجاً قومياً ، أسوة بما حدث في الممالك التي نهضت حديثاً كبولندا وتركيا وألمانيا وإيطاليا وغيرها

ترقية الأغاني وإعداد أناشيد مدرسية قومية

أشرنا من قبل إلى مشروع وزارة المعارف لترقية الأغاني المصرية ورفع مستواها والتوسع في أغراضها ومدلولاتها بما يفي بحاجات الوطن المعنوية لاطراد النهوض والتقدم

وقلنا إنها اعتزمت أن تعهد إلى عدد من كبار الشعراء والموسيقيين تأليف وتلحين خمسين قطعة غنائية ، متجهة في ذلك إلى العدول عن نظام المسابقات

ونزيد اليوم أنه تألفت لجنة من حضرات علي الجارم بك ومصطفى رضا بك مدير معهد فؤاد للموسيقى والدكتور محمود الحفني مفتش الموسيقى بوزارة المعارف للنظر في تفاصيل هذا المشروع وطرائق تنفيذه وإنجاحه

أما اختيار الشعراء الذين يعهد إليهم وضع القطع فسيترك إلى رأي معالي وزير المعارف ، وسيبدأون في عملهم عقب إبلاغهم ذلك مع التوجيهات التي تحرص الوزارة على إحاطتهم بها دون المساس بحريتهم في التأليف

وسيكون من عمل اللجنة أن تنظر في إعداد الأناشيد المدرسية التي تريد الوزارة أن تكون نموذجاً للأغاني التي تنشدها وذلك في مناسبة احتفالها باستقبال صاحب السمو الأمبراطوري ولي عهد إيران .

توحيد الثقافة بين مصر والأقطار الشرقية

من الخطوات أو الوسائل التي فكر فيها أولو الأمر في وزارة المعارف للوصول إلى توحيد الثقافة بين مصر والأقطار الشرقية إنشاء معاهد علمية مصرية في بعض هذه البلاد الشرقية

تنشر بين أبنائها الثقافة المصرية والمناهج العلمية الحديثة التي يراعى فيها أن تتوحد بالتدريج ثقافة الشرق العربي . وقد صادف هذا التفكير قبولاً من بعض الهيئات التي يهمها أن تشتد أواصر الصداقة بين مصر وشقيقاتها العربية ، وأن تحمل مصر علم الزعامة العلمية في هذا العهد الجديد

ولكن هذا المشروع ما زال مبدئياً ، ولا بد أن تخطو به وزارة المعارف خطوات كثيرة ، فتخرج به من حيز التفكير إلى حيز العمل ، ومنها الاتفاق مع الدول الشرقية التي ينتظر أن يبدأ بإقامة المعاهد المصرية فيها، وتدبير المال اللازم للبدء في المشروع. وقد اتصلت الوزارة ببعض وزراء الدول المفوضين في الدول الشرقية وطلبت إليهم إبداء رأيهم في إنشاء هذه المعاهد وينتظر أن تتصل بالبعض الآخر لتتكون لديها فكرة واضحة ذات تفصيلات صحيحة عن الموقف كله ولتبدأ بعد ذلك في السير في المشروع إذا استطاعت اجتياز عقبة تدبير المال

احياء الأدب العربي القديم

عزمت وزارة المعارف رغبة منها في تقريب الأدب العربي القديم من نفوس الطلاب وناشئة المتأدبين أن تعمل على تهذيب طائفة من كتب الأدب

وقد استقر رأيها على البدء بتنفيذ هذا المشروع في ٣٠ مؤلفاً بين كتاب وديوان على أن تدع باب الاشتراك في هذا العمل مفتوحاً أمام من يريده من الكتاب حتى ١٥ مارس القادم، وأن يكون أجل تقديم الكتب والدواوين بعد إعدادها وضعها على الأسلوب الذي تشير به الوزارة يوم أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ وفيما يلي أسماء هذه الكتب :

العقد الفريد . الصناعتين . الخطط للمقريزي . الطالع السعيد للأدفوي . تاريخ الجبرتي . علم الدين لعلي مبارك . المستطرف للابشيهي . محاضرات الأدباء . مختارات من الأغاني . مسالك الأبصار للعمري . نهاية الأرب للنويري . طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . صبح الأعشى . النجوم الزاهرة . مختارات من مقامات الحريري . الضوء اللامع للسخاوي . حسن المحاضرة للسيوطي . مختارات من قصة عنترة . مختارات من رسائل الجاحظ . تراجم من ابن خلكان . تراجم من خزانة الأدب للبغدادي . تراجم من معاهد التنصيص . ديوان أبي تمام . ديوان ابن النبيه . ديوان البحتري . ديوان المتنبي . مقدمة ابن خلدون . ديوان البهاء زهير . ديوان ابن سناء الملك . ديوان ابن نباته

هذا وستمنح الوزارة مكافأة كبيرة لكل كتاب يقبل ، وقد ألفت لفحص هذه الكتب لجنة من الأساتذة : أحمد أمين ، ومحمد جاد المولى بك ، وعلي الجارم بك

اللغة الفارسية في الجامعة الأزهرية

ندبت مشيخة الأزهر الأستاذ محمد تقي القمي العالم الإيراني نزيل مصر الآن لتدريس اللغة الإيرانية بكلية اللغة العربية. وقد بدأ الدراسة في الأسبوع الماضي وحضرها من الطلبة ثلاثون طالباً وقدمه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش شيخ الكلية بكلمة طيبة فرد عليه مبيناً فضل اللغة العربية على العالم الإسلامي وأشار إلى ما بينها وبين اللغة الفارسية من الروابط الثقافية مما يجعلهما متلازمتين .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الدرس الأول في اللغة ولم يشأ أن يعلم في هذا الدرس الطلبة غير كلمات ثلاث وهي « الله والملك والوطن »

وسيشمل تدريس اللغة الإيرانية تاريخ الأدب الإيراني وينتظر أن يمتد تدريس هذه اللغة إلى كليات أخرى .

الدكتور زكي مبارك

مضت أسابيع وأصدقاء (الرسالة) يسألون عن السبب في احتجاب الدكتور زكي مبارك ، وقد خشينا أن يكون أصيب بمرض الكسل الذي يؤاخذ به من يناوشهم من الأدباء . ومَن عايَرَ ابتُلي ! ثم عرفنا أنه كان في ضيافة «ليلى المريضة في العراق» وأن كتابه عنها وصل إلى ثلاثة مجلدات ضخام . وقد وصلت إلينا مقدمة هذا الكتاب وسننشرها في العدد المقبل

أما أبحاث الدكتور زكي مبارك في النقد الأدبي فسنواجه بها القراء بعد أيام

جمعية تركية مصرية

تلقينا أنه قد تألفت في مدينة القاهرة جمعية باسم « الجمعية التركية المصرية الخيرية » غرضها إيجاد صلة من التعاون والتعارف

بين الأتراك والمصريين وتقوية الروح الفكرية والروحية والخيرية بين الشعبين .

وستعمل الجمعية للوصول إلى هذا الغرض على إلقاء محاضرات تتناول الموضوعات العلمية والاجتماعية والأدبية وغيرها ، كما أنها ستنشئ مدرسة تقوم بتعليم اللغتين العربية والتركية لأعضائها مجاناً؛ وستقوم كذلك بمساعدة المحتاجين وإنشاء المستوصفات الخيرية لمرضاهم ، وتسهيل السياحة بين مصر وتركيا ، وما إلى ذلك من الأعمال التي تقوى العلاقات بين المصريين والأتراك

وترحب الجمعية براغبي الانتساب إليها ، وترجو منهم مقابلة سكرتيرها في مقرها رقم ٥١ بشارع ابراهيم باشا

الى الأستاذ فيلكس فارس

أحييك تحية الأدب وأشكر لك تلك الروح الطيبة ، وأتقدم إليك بموفور الشكر على كلمتك الممتعة التي صدرت بمجلة الرسالة الغراء بعنوان (أقلام الناشئين) فقد لمست فيها عظمة جبارة وروحاً عالية وتقديراً صحيحاً وميزاناً عدلاً

وحقاً ليس الأديب من يدبج بليغ المقالات ويبتكر غريب المعاني ويظهر للملأ أقوم الأساليب فحسب ، إنما الأديب هو الذي يضم إلى ذلك نقداً صحيحاً ، وتقديراً حقاً ، ويحكم للأديب أو عليه بأحكام هي الصواب . فحكمة الأديب إذا كانت عادلة فإنها مع إحقاق الحق لذويه مدرسة عالية ، وثقافة جد نافعة ومرآة عامة تتجلى فيها صورة الحقائق فيشهدها الناس ويتخذون منها درساً مفيداً

وإنك بما حلت به نفسية الشاب أحمد جمعة الشرباصي وكلامه قد وضعت نفسك أو وضعك أدبك موضع عظماء الحكام فشكراً لك وسلام عليك

مصطفى الصاوي
مدرس أدب بمعهد القاهرة الأزهري

الى الأستاذ دريني خشبة

بمناسبة الفصول القيمة التي تنشرها في الرسالة الغراء عن هوميروس — أود أن أعرف هل هناك ترجمة عربية مطبوعة للإلياذة والأوديسة ، وإذا كانت هذه الترجمة حلماً لم يتحقق بعد ، فلماذا لا يفكر الأستاذ في طبعها في كتاب ينشره على الناس بعد أن والى نشرها في الرسالة والرواية ، بقلمه العذب الرصين ، وأسلوبه الساحر البليغ ؟!

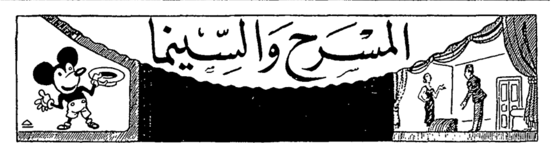
إنَّ هذا أمل الأغلبية الساحقة من قراء الرسالة في مصر والشرق الذين يقدرون إنتاج هوميروس ، ويعجبون بالأستاذ دريني خشبة ، ويعرفون قيمة الأدب القويّ الرفيع .

احمد احمد العجمي

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية في مقال (يوم الفتوة في العراق) في العدد ٢٩٢ من الرسالة تصحيحها كما يأتي :

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٣	١	٢	مركب الفتوة	موكب
٢٥٤	٢	٣	لثلثه	لثمانه
٢٥٤	٢	٢١	للقائد	للتائه
٢٥٤	٢	٢٨	البارح	البارع
٢٥٥	١	٩	على أن	حتى أن رأى
٢٥٥	٢	٧	ولم تخاف	ومم تخاف
٢٥٥	١	٢٩	جروا	صبروا



الفرقة القومية

نجاحهـــا وفشلها
ووسائل إصلاحها

ينفرد الأستاذ محمود تيمور بك بين من أعرف من أصدقائى الأدباء ، بطبيعة مسالمة ، وخلق سبط منسجم ، يحاول جهـد المستطاع الابتعاد عن مسالك الخصام الأدبى ومواطن الشحناء . ومحل ما قد تسمعه منه — إذا احتكت الآراء واصطدمت الغايات فى موضوع قصة أو كتاب أدبى — رأى يديه بدون ما تصلب أو تشدد ، أو حد يوقفك عنده إذا توعرت وتصعبت . يفعل ذلك ولا تفارقه ابتسامة رخية تطوى تحتها كل شىء ، وتجعلك لا تطالع فى تقاطيع وجهه ما نم عن تكتم مقصود ، أو فى رفات جفونه عن نفس كظيمة . ولـكنى لمحت فيه فى هذه المرة وهو يحدثنى عن الفرقة القومية ما لا يتفق وما وصفت من طباعه . وأحسب مرد ذلك إلى ألم فى النفس من أمل خائب . وهل من ألم أشـد على نفس الأديب من صدمة يصدم بها من هذه المؤسسة الثقافية فى مثل هذا الوقت ؟

سألته ما رأيه فى الفرقة القومية ، هل نجحت فى رسالتها أم فشلت ؟ فأجاب :

الفرقة القومية نجحت وفشلت فى وقت واحـد . نجحت فى أنها قدمت لنا بعض الروايات الفنية فى إخراج مبتكر وتمثيل متقن، نذكر من ذلك: أهل الـكهف ، وتاجر البندقية ، والجريمة والعقاب .

وفشلت فى أن ما قدمته لنا من مثل هذه الروايات كان قليلاً جداً فى السنوات الماضية التى اشتغلت فيها ؛ وهذا يدل على أن المجهود المبذول من القائمين بأمرها ضعيف

والأقوال كثيرة فى أسباب هذا الفشل ، وقد عالجها بعض النقاد فى حملاتهم على الفرقة ، كما أن البعض الآخر أدلى برأيه فى الدفاع عنها ، فمن ذلك يقال : إن الفرقة تشترى الروايات ولا تمثلها إذ يتضح لها عدم صلاحيتها أو عدم رضا بعض المقامات

كذلك يقال إن كثيرين من المؤلفين المصريين قدموا روايات جيدة ولـكنها أهملتها لأسباب لا محل لذكرها . ولو صحت هذه الأقاويل لدلت على أن الإدارة ليست مستقلة تمـام الاستقلال فى عملها ، وأنه يعوزها إدارة مركزة تتحمل كافة المسؤوليات

ويمكننا أن نتأكد من فشل الفرقة فى عملها بمراجعة ميزانيتها المادية والأدبية ، أى مقدار ما ربحته ومقدار ما قدمته من الروايات الناجحة للجمهور . وليس هناك سر إذا أذعنا أن الفرقة القومية تتكبـد اليوم خسائر مادية جسيمة لولا الإعانة السخية التى تمدها الحكومة بها لـكان قضى عليها فى بدء عملها

أما الخسارة الأدبية كما أوضحنا سابقاً فالفرقة لم تقدم لنا من الروايات الناجحة خلال الأعوام الأربعة سوى ثلاث روايات أو أربع ، وأنها لضعفها لجأت إلى استعارة روايات سبق تمثيلها كجنون ليلى ، وأنها تزمع فى موسمها المقبل تمثيل روايات فرقة جورج أبيض القديمة ، مع أن الروايات الأفرنجية الجديدة مثلاً تعد بالمئات ، وأقصد بهذه الروايات تلك التى تساير نهضة الفن الحديثة . فمصر محرومة من هذا النوع ، مع أن الوسائل كلها متوفرة لترجمة وإخراج هذه الروايات ، كما أن مصر لها من المؤلفين المصريين المجيدين من يستطيع أن يمد الفرقة ويغذيها بروايات فنية

ويمكننا إنصافاً للفرقة أن نقول إن من دواعى فشلها سبباً عالمياً يشكو المسرح منه على وجه العموم ، ألا وهو طغيان السينما .

إنما يمكننا أن نعالج هذا الداء بوسائل فى استطاعة المسرح صد تياره القوى ، فلقد ثبت للفنيين أن لكل من الفنين المسرحى والسينمائى ميدانه المستقل ؛ فإذا فهمنا ذلك حق الفهم ، استطاع المسرح أن يعمل فى ميدانه دون أن يخشى قضاء السينما عليه .

والفرق بين السينما والمسرح أن الأول يعنى بالظاهر إذ يعطينا أروع المناظر بصورها المفصلة وجوها الحقيقى ، بينما المسرح لا يطلب منه فى الوقت الحاضر مثل هذه الزخارف الدقيقة ، لأنه مهما أوتى من الدقة فى إظهارها فإنه يعجز دائماً عن تأديتها على وجهها الصحيح ، ولكن يطلب منه العناية بإبراز الفكرة ناضجة قوية كما يعنى بروح الانسجام الواجب بين الممثل والجمهور ، وهذا ما نطالب به الفرقة

— ماذا ترون من علاج للإصلاح ؟

— لعلاج الفرقة وإصلاحها أوجه أذكر منها ما يأتى :

أولاً : هو ما سبق لنا ذكره من ضرورة تركيز الإدارة واستقلالها استقلالاً تاماً أى جعلها تتحمل مسؤولية أعمالها وحدها أمام وزارة المعارف . وتوضيحاً لذلك نقول إنه يجب ألا تتلقى الإدارة أوامر لتنفذها ، بل يجب أن تصدر هى الأوامر وتتحمل مسؤولية إصدارها . ويجب أيضاً أن يكون للجنة القراءة رأى استشارى فقط وتكون هى ضمن الإدارة المشرف عليها مدير الفرقة

ثانياً : يجب دعوة المؤلفين المصريين بصفة جدية ، والعمل على تشجيع مؤلفاتهم بكافة الوسائل . وحسبنا أن الجمهور هو الذى سيصدر حكمه على هؤلاء المؤلفين أو عليهم ، كما أن هذه الدعوة ستمهد للمؤلفين المغمورين طريقاً إلى تبوىء مراكزهم بحق

ثالثاً : إيجاد مسرح دائم للفرقة تمثل فيه طوال الموسم ليتم الاتصال بينها وبين الجمهور

رابعاً : أرى أن يتبع فى نظام المرتبات التى تدفع لهيئة الإدارة والممثلين النظام الآتى :

يدفع للموظف نصف مرتبه الحالى والنصف الآخر يكون بمثابة أسهم تدر عليه ربحاً يقل أو يكثر وفق نجاح الفرقة أو فشلها . والمقصود بذلك إشعار العامل فى الفرقة موظفاً كان أم ممثلاً بمسؤولية نجاح الفرقة ، وأن عليه واجباً يؤديه كأنه يعمل لفرقة هو أحد أصحابها ، وليس موظفاً يتقاضى مرتبه الشهرى ، وسيان عنده نجحت الفرقة أو فشلت كما هى الحال الآن

خامساً : أرى تحبيباً فى المسرح وتقليلاً من منافسة السينما له أن ترخص الإدارة أسعار الدخول رخصاً نسبياً بحيث تكون أسعار نصف كراسى الصالة تساوى ثمن الكرسى فى السينما ، وتكون أسعار النصف الآخر من الكراسى مخفضة أيضاً . كذلك يجب عمل تخفيض خاص لطلبة وطالبات المدارس ، والموظفين ، وأعضاء الهيئات الأدبية ، والنوادى ، والصحفيين بأن يكون لهم حق الدخول بنصف الأجرة

سادساً : يجب تحديد التذاكر المجانية تحديداً دقيقاً فلا تبعثر ذات اليمين وذات الشمال ، كما يشاع ويقال ، بعثرة زهدت الناس فى الفرقة تفادياً لما يقال عن هذه الدعوات التى تأتيهم بالمجان أو تطرح عليهم طرحاً . انتهى

أشار حضرة الأستاذ الفاضل تيمور بك إلى أشياء أرى لزاماً على توضيحها ، وهى استقلال الإدارة ، ونفوذ لجنة القراءة ، والسعى إلى قبول بعض الروايات ورفض بعضها فالإشارة وحدها فى مثل هذا الموقف لا تفى بالمرام ولذلك سأعود إليها فى فرصة مواتية

ابن عساكر

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 295

Lundi - 27 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٢٩٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٨ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

إن فى ذلك لعبرة

غنى فقـــير ...!

قد يكون مع بعض الفقر عزاء ورجاء وسكينة ؛ ولكن فقر هذا الغنى البائس الذى سأقص عليك نبأه ألمٌ لا يهاون ، وهمٌّ لا يهادن ، وحمّى لا تُقلِع

سأسوق إليك خبر هذا المسكين بقلمى لا بقلمه ، فإن الرسالة التى كتبها إلىّ كلماتٌ كحسرات النادم لا تتصل ، ومقاطع كأنات المحتضَر لا تبين . على أننى سأحاول ترجمتها لك ترجمة الشعور للشعور ، لا ترجمة اللفظ للفظ ، لترى كيف يشقى المرء بخطأ نفسه، أكثر مما يشقى بخطأ غيره

قال بعد أن سلم وعظم وشكر :

« قرأت وأنا فى وحدتى السامة وعلتى القاتلة ما كتبتَ من مآسى الحياة فى الرسالة ، فراعنى أن يبلغ البؤس ببعض النفوس إلى هذا الحد ، وفى أرض الله رزق لا ينضب ، وفى يد الناس مال لا ينفد !

ولا أُكذِبُ الله لم أفطن إلى معنى الحرمان والإحسان إلا بعد أن نيفت على الستين وأقعدنى الكُساح ، وسلبنى حريتى وثروتى وغبطتى من جعلت حياتى له ، ووضعت أملى فيه

أنا أملك ربع مليون من حر المال وخالص الذهب . وكان يخيل إلىّ قبل أن ينكشف الغطاء عن العين أنى أسبح فى بحر أحمر لا أدرى أكانت حمرته من الذهب أو من الدم أو من الدموع ،

فإنى كنت مصمَت القلب لا يختلج فيه شعور ولا ترف عليه عاطفة. فلما بلغت الشاطئ لأستجم وجدتنى على ساحل الحياة، هنا الموت الراصد، وهنا المرض المثبِّت(١)، وهنا الضمير المذنب، وهنا الوارث الحاقد الذى دفننى وأنا أشعر، وورثنى وأنا أنظر، وحرمنى وأنا أريد. فإذا كان فى بؤس الفقراء ما يستدر ماء العيون، فإن فى ذل الأغنياء ما يذيب شغاف الأفئدة!

أتدرى كيف جمعت هذا المال يا سيدى؟ جمعته بالسعى الدائب، والتدبير المعجز، والربا الفاحش، والشح الدنىء، والتقتير المهلك؛ ثم أمات الله فى نفسى نوازع الأبوة والقرابة والإنسانية فلم تبض يدى فى سبيل شىء من ذلك، فنما المال واتسع وامتد حتى صرفنى عن الناس وشغلنى عن العالم. ثم حسبتنى بهذا الثراء الضخم أستطيع أن أشترى السعادة والسيادة والإيمان والجنة، فإذا بى واحسرتاه أملك مفاتيح قارون ولا أملك عصا موسى!

كان رأس مالى جنيهات معدودات ادخرتها من نفقاتى وأنا طالب بالأزهر، فلما عدت إلى بلدى استثمرتها فى الربا والتجارة، فكنت أقرض الزراع المأزومين والعمال المعوزين والتواجر الأرامل بربا خمسة قروش فى الشهر للجنيه الواحد. ثم اتخذت من فناء بيتى قُنّاً للدواجن، ومن سطحه مزرعة للبقول؛ فكنت أبيع الدجاج والأرانب من تحته، والفجل والكراث من فوقه؛ وألححت على نفسى بكبت الشهوة وقتل الرغبة إذا اعتدتا على المال، حتى كنت أرى الفاكهة عند الفاكهانى فأتقزز، وأبصر اللحم عند القصاب فأهوع(٢)، ولكنى إذا لمحتهما فى يد إنسان تبعتهما نفسى وتحلّب عليهما فمى. ثم اقتنيت العقار والضياع؛ أكثرها بغلق(٣) الرهان وأقلها بالشراء؛ وقمت عليها أحسن القيام بالرعاية والجباية والتوفير حتى غدت غلتها سيلاً لا ينقطع عن الأهراء(٤) والخزائن. ثم فرضت نفقة أسرتى من الطعام والإدام على مستأجرى المزارع والدكاكين يؤدونها فوق الأجرة يوماً بيوم؛ واقتصرت فى غذائى على الأبيضين: الماء والثريد، وفى كسوتى على جلاليب من القطن للبيت والغيط، وبذلة من الصوف للاحتفال والسفر. ثم وقع فى نفسى أن حماية هذه الثروة العريضة لا بد لها من لقب (بك) فاشتريته أيام كانوا يبيعون الألقاب، بقبضة من الذهب؛ ثم شيّدت قصراً وبنيت دواراً وجعلت فى رأسه دائرة، فاتسع النفوذ وامتد السلطان، وصرت آمر ولا أرجو، وأغتصب ولا أختلس. ورأيت الناس يلقوننى بالإجلال والهيبة لفخامة اللقب وضخامة الثروة، فازدادت نفسى شراهة ويدى كزازة؛ وأفرط علىّ الغنى فغطى على بصيرتى وبصرى، فلم أعرف أن لىَ ديناً له حرمة، وزوجة لها حق، وأولاداً لهم رعاية؛ وعشت لنفسى بل للمال، أقضى النهار له، وأسهر الليل عليه، حتى كرهتنى أسرتى، وحقّرتنى عشيرتى، وسئمتنى حياتى، وأصبت بمرض عُقام برى عظام ساقى وفخذى فلم أستطع المشى ولا النهوض؛ واستولى ولدى البكر على مفاتح الكنوز وأضفى على نفسه وزوجه وأمه وأخواته الذهب والحرير والنعيم والأبهة، وتركونى سطيحة فى حجرة منعزلة لا يدخلها علىّ إلا الخادم بالماء والثريد والقهوة. ولا أدرى لماذا استعرَتْ فى نفسى اليوم شهوة الأكل ورغبة المتاع؛ فأنا أشتهى كل شىء، وأبتغى كل معنى؛ ثم أنظر فى يدى الجمّاعة الكسوب فإذا هى معروقة كيد المسلول، فارغة كراحة السائل؛ وأدور بعينى فى الحجرة الموحشة فأرى أطياف الذين لجمتهم فى أموالهم وآمالهم تحدق على الجدران ساهمة حزينة، فأتذكر كم مدين أغرقت، وكم بيت أغلقت، وكم قلب سحقت، فتنهل مدامعى انهلال القطر على خدى الغائر الشاحب؛ وأتمنى لو تعود قدرتى على ثروتى فأمحص خطاياى بإنفاقها كلها فى سبيل الله؛ ولكن هيهات هيهات لما أرجو! لم يبق لى منها إلا حريق القلب فى الدنيا، وحريق الجسم فى الآخرة! حتى الدواء لا أناله، وحتى الكفن لا أرجوه! وكأنما أمات الله نصفىَ الساعى وأبقى على نصفىَ الشاعر لأدرك بعينى وفكرى وخيالى مضّ الألم الذى يحسه المظلوم يُغتصب ولا يستطيع أن يدفع، والمحروم يشتهى ولا يستطيع أن يجد، والمهموم يتلظى ولا يملك أن يموت.»

ثم يلى ذلك شكوى ضارعة من زوجه الفارك وابنه القاسى وصهره المتعجرف لا تتسع لها الصفحة!

* * *

سيدى البك! إن حالك لا تغنى فيها دمعة تذرف ولا كلمة تقال. أدع الله معى أن يتغمد خطاياك بالعفو، ويقطع بلاياك بالموت. وإن كنت فى حياتك للضعيف شقاء وللأهل حسرة، فإنك فى موتك للفقير عزاء وللغنى عبرة!

احمد حسن الزيات

(١) المرض المثبت هو الذى يمنع من الحركة
(٢) أهوع: أقىء
(٣) غلق الرهن إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط
(٤) الأهراء جمع هرى وهو مخزن القمح

الشهرة والجماهير

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

فى سنة ١٩٠٩ كنت ألازم من الأدباء صديقنا المرحوم الأستاذ محمد السباعى صاحب كتابى « الصور » و « السمر » ومترجم قصة « المدينتين » لدكنز و « الأبطال » لكارليل و « التربية » لسبنسر وعشرات من الكتب الأخرى . وما أظن بأبناء هذا الجيل إلا أنهم يجهلونه ولا يعرفونه ولا يخطر لهم أنه عاش على ظهر هذه الأرض ، وكان له فضل على الأدب الحديث . وأحسب أنه سيكون علىّ أن أعرفهم وأذكرهم به إنصافاً له وقضاء لحقه على فإن له لديناً فى عنقى

وكان السباعى — رحمه الله — منهوماً بالأدب لا يشبع ، وعاشقاً لا يسلو ؛ وقلما رآه أحد إلا وفى يده كتاب أو كراسة . ولا أدرى ماذا لفته إلى ابن الرومى ، ولكن الذى أدريه أنه كان يذهب إلى دار الكتب وينسخ ديوان ابن الرومى فى كراسات ويحفظ أكثر شعره عن ظهر قلب فأعدانى بحب هذا الشاعر المنكود الحظ فقلدته واستنسخت شعره ؛ فلما كملت عندى نسخته شرعت أبيضها فى كراسات بعد تصحيح ما يوفقنى الله إلى تصحيحه من الأغلاط التى لا آخر لها فى نسخة دار الكتب

وكان صديقنا الأستاذ السيد عبد الرحمن البرقوقى قد أصدر مجلة البيان فاقترح علىّ أن أكتب عن ابن الرومى ففعلت ؛ وكان هذا حافزاً آخر لدرسه ، ولكن الحرب صرفتنى عن مواصلة الكتابة فانقطعت عنها إلى سنة ١٩٢٤ . وفى أثناء ذلك ظهر الجزء الأول من ديوان ابن الرومى شرح المرحوم الشيخ شريف ثم الثانى بعد وفاته ، ومختارات من شعر ابن الرومى جمعها الأستاذ كامل الكيلانى ، فوصلت ما انقطع وعدت إلى الكتابة عن ابن الرومى فى جريدة الأخبار وجمعت ذلك كله ونشرته فى كتابى « حصاد الهشيم » وكان من توفيق الله بعد ذلك لهذا الشاعر المغمور أن عنى به صديقنا الأستاذ العقاد فتناوله بالبحث الوافى والدرس الدقيق فى كتابه الجليل عنه

وهكذا برز ابن الرومى من ظلمة الخفاء ونضيت عنه الأكفان التى ظل ملفوفاً فيها أكثر من ألف سنة

خطر لى وأنا أدير هذا فى نفسى أن فى العالم من أبناء اللغة العربية أكثر من مائة مليون ، وأن من هؤلاء نحو عشرة ملايين يقرأون ويكتبون ، فكم من هؤلاء يقرأ ابن الرومى والمتنبى والمعرى والشريف وأبا تمام والبحترى وأبا نواس وغيرهم وغيرهم . . . ؟ لا أكثر من بضعة آلاف قليلة . وجل هؤلاء يقتنون الكتب كما يقتنون التحف ويرصونها للزينة لا للاطلاع ، ويتخذونها كما يتخذون السجاجيد والزهريات والصور وما إلى ذلك . والذين يفتحونها ، منهم من يفعل ذلك للتسلى وتزجية الفراغ ، والأقلون هم الذين يعنون بالدرس والتحصيل ؛ فهم فى هذا العالم العربى الطويل العريض لا يعدون بضع مئات . فكأن خلود الأديب فى أخلاد الناس ليس معناه أن السواد الأعظم منهم يعبأون به ، بل معناه أن قلة ضئيلة هى التى يرجع إليها الفضل فى بقاء اسم الأديب مذكوراً وآثاره منشورة

وهذا هو الخلود — ثلاثة أو أربعة أو أكثر من المجانين بشىء لا يزالون يقرعون الطبول باسم من الأسماء ويلحون به على الناس حتى يوقظوا النفوس لهذا الاسم ويوحوا إليها أن صاحبه جدير بالذكر وأن آثاره تستحق الاقتناء

ومن كان لا يصدق فليسأل نفسه : هل شهرة المتنبى مثلاً ترجع إلى تعلق رجل الشارع به . . . أليس الواقع أنه لو كانت شهرته رهناً بعناية الرجل العادى به لما طال عمرها أكثر من بضعة أيام — أسبوع على الأكثر . . . والمتنبى مع ذلك أشهر شعراء العرب ، وحكمه لا تزال تدور بها الألسنة وتجرى بها الأقلام ، وديوانه يعاد طبعه كل بضعة أعوام مرة . ولكن كم نسخة تطبع من ديوانه فى كل مرة ؟ ألفان .. ثلاثة آلاف .. أربعة آلاف .. فى عالم عربى يبلغ عدد القراء فيه عشرة ملايين أو خمسة على الأقل إذا جادلت ... فما ظنك بحظ الذين هم أقل منه شهرة ..؟

والمدارس والجامعات تخرج فى كل عام — فى هـذا العالم العربى — عشرات من الآلاف تلقوا دروساً فى الأدب ، وعرفوا أسماء الأدباء، وألموا إلى حد ما بخصائص فنونهم ومميزات آثارهم ، ومع ذلك تبقى ثلاثة آلاف نسخة من ديوان شاعر كالمتنبى محتاجة إلى أكثر من عشر سنوات لتنفد ... ولولا أن فى كل جيـل بضعة مجانين بالأدب لا يكفون عن الصياح بأن المتنبى شاعر فحل وأنه رجل عظيم ، وأنه جدير بأن يقرأ ويدرس لبقيت هذه الآلاف القليلة من نسخ ديوانه مكدسة فى مخازنها لا تجد لها طالباً

هؤلاء المجانين القليلون هم الذين ينقذون الشهرات من الفناء ويبقونها حية جيلاً بعـد جيل . فإن لكل جيل مجانينه الذين لا يزالون يبحثون وينقبون حتى يعثروا على عظيم مقبور كما يفعل المنقبون عن آثار المدنيات التى عفى عليها الزمن — لا يعروهم فتور ولا يدركهم ونى ؛ حتى ليكاد المرء يعتقد أنه لا خوف من بقاء عظيم مدفوناً وحقه مهضوماً وفضله مطوياً أو مجحوداً . وقد لا يكون فى هذا ما يعزى العظيم ، ولعله شبيه بمنح القتيل فى ساحة الحرب وساما على سبيل الاعتراف ببسالته ، والشهادة بحسن بلائه ، ولكنه على كل حال يجدى بأن يمنع اليأس من إنصاف الدنيا ولو بعد الأوان .

وحتى حين يفوز امرء فى حياته بالشهرة التى يستحقها — أو لا يستحقها كلها — عند الجماهير يكون الفضل فى بقاء هذه الشهرة للقلة المتحمسة ، لا للكثرة التى لا تلبث أن تذهل عما أحبت ومن أحبت . وبهذا وحده تظل الجماهير تذكر وهى لا تفعل ذلك عن اقتناع أو فهم وإدراك صحيح لاستيجاب الشهرة، بل لأن هؤلاء المجانين الذين لا يخلو منهم زمن يقولون لها عشرة آلاف مرة أو عشرين ألف مرة إن فلاناً عظيم وحقيق بالذكر والتخليد ، فتصدق وهى لا فاهمة ولا مدركة . ويقصد آحاد من هـذه الجماهير التى فعل الإيحاء فى نفوسها فعله — إلى المكاتب ويشترون ديوان المتنبى ويضعونه على الرف ويفركون أيديهم وهم فرحون باقتناء هذه التحفة التى آمنوا بأنها خالدة وأنهـا أبقى على الزمن من الزمن

وتسأل : لماذا يجن هؤلاء الأقلون بخارجيات السلف، فلا تجد جواباً يقنع العقل وتسكن إليه النفس . ولن تعدم من يقول لك إن سر هذا الجنون هو ما فى هذه الآثار من الحق والحكمة والفكاهة والجمال ، ولكن هذه لا تزال ألفاظاً تتطلب معانيها التحديد ، ومن العبث أن تلعب لى بهـا وتصنع لى منها توافيق وتباديل ، وتزعم أن هذه هى المعانى التى تفهم من هذه الألفاظ التى تشعر بدوران معانيها فى النفس وتعييا العبارة الدقيقة عنها ... أو هذا على الأقل حالى أنا معها . وإذا كان شاعر مثل « كيتس » يستطيع أن يقنع نفسه بأن الجمـال هو الحق ، وأن الحق هو الجمال ، ولا يحتاج بعد ذلك إلى كلام أو شرح أو بيان ، فإنى أنا مع الأسف لا يكفينى هذا وإن كنت آنس من نفسى حب كلمته هذه والسرور بها سروراً ليس مرجعه إلى الفهم .

ابرهيم عبد القادر المازنى

اسمعوا صيحة الحق

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات :

ما هذا الذي نشرته في مجلتك لبعض أدباء لبنان ؟ وكيف جاز أن تقول : « إن في الاطلاع عليه فائدة من جهة صوابه ومن جهة خطأه » وهو بعيد كل البعد من الصواب ؟

أفي الحق أن أدباء لبنان ينافسون أدباء مصر ؟

ليت ذلك كان صحيحاً . فقد شقينا من غير طائل في البحث عن المنافسين حتى خشينا أن تفتُر عزائمنا لقلة من نصاول ونقاتل من أقطاب البيان

إن ذلك الأديب اللبناني دلنا على أن العقل في بعض البيئات الأدبية في لبنان لا يزال في طور الطفولة البريئة ، وكل شيء من الأطفال الأبرياء مقبول

ألم يقل إن مصر لم يصدر فيها كتاب واحد ذو قيمة لمؤلف مصري صميم ؟

فإن لم يكن هذا الحكم من أحكام الأطفال الأبرياء ، فكيف تكون أحكام الأطفال الأبرياء ؟

* * *

ولنفرض أيها الأخ أن مصر ليس لها وجود أدبي كما يتوهم بعض أهل لبنان ، فهل لكم أن تدلوني على الأسباب الصحيحة التي قضت بأن يبذل المستعمرون ما يبذلون ليشوهوا سمعة مصر في الأقطار العربية ؟

هل لكم أن تدلوني على الأسباب التي قضت بأن يشق المستعمرون في الحيلولة بين مصر وبين الأقطار العربية ؟

إن المستعمرين يعرفون أن مطامعهم في الشرق لن تتحقق إلا يوم تضعف اللغة العربية ويضعف سحر المصحف ؛ وهم يعرفون أن مصر تستقتل في سبيل اللغة العربية وفي سبيل المصحف ؛ ولبعض ساستهم الكبار كلمة مأثورة وصلت إلى أسماع من في القبور وإن لم تصل إلى آذان بعض الأحياء !

وأنا لا أتهم من يشوهون سمعة مصر الأدبية بأنهم يخدمون بعض الأغراض الشيوعية أو الاستعمارية ، فذهني لا يسيغ أن يكون فلان وفلان من أهل الضلال ؛ ولكني أرجو أن يتنبه فلان وأشياع فلان إلى أنهم يخدمون المستعمرين من حيث لا يشعرون . والغفلة قد تكون أقبح من الإثم الصريح

وما الذي يغنم بعض أدباء لبنان من الطعن في الثقافة المصرية؟ أيستطيعون أن يدّعوا أن في مقدورهم أن يمُدُّوا أهل بلادهم بكل ما تتطلع إليه الأذواق والعقول ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أن أهل بلادهم من القناعة والزهد بحيث يكتفون بما يصدر في لبنان من مؤلفات وجرائد ومجلات ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أن أدباء مصر لا يملكون من وسائل العناد والغطرسة ما يملك بعض أدباء لبنان يوم يستعر الجدال ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أننا سنصفح أبد الدهر عن تطاول بعض الناس فلا نجزيهم عقوقاً بعقوق ؟

* * *

لقد زرت لبنان ، فماذا رأيت ؟

رأيت الطبيعة ورأيت الناس ، ويعزّ عليّ أن أصرح بأن بعض الناس في لبنان يصدّون النفوس عن التطلع إلى جمال الطبيعة في لبنان.

وما الذي يهمنا من الجبل وهو صامت لا ينطق ؟ ما الذي يهمنا من جبل لبنان يوم يصح أن أبناءه يؤذون العروبة جاهلين أو عامدين؟

لقد تعقبتني إحدى مجلاتهم وأنا في بغداد فكتبت تقول :

« سفير العروبة المصرية في العراق يطعن صدر لبنان »

وقد كتبت رداً مفحماً على ذلك المقال الجائر الظلوم ، ثم طويته ترفُّقاً بلبنان الذي أرجو أن يظل بإذن الله من حصون اللغة العربية . وأنا مستعد لنشر ذلك المقال إن أذن أصدقائي الكرام من أهل لبنان

إن أدباء مصر يملكون من الثروة الذوقية ما لا يملك بعض الناس ، فأدباء مصر هم الذين يشيدون بمحاسن الأقطار العربية ، وهم الذين يُضْفون الجمال على كل بلد يحلون فيه ؛ وإلى أقلامهم يرجع السحر الذي يتمتع به جبل لبنان

وأنا مع ذلك أشهد بأننا نرد إلى أهل لبنان بعض ما طوقوا به أعناقنا من وداد : فلمصر فى لبنان مكانة عالية . وفى أدباء لبنان رجال أبرار لا يذكرون مصر بغير الجميل ؛ ومن أجل هؤلاء الرجال الأبرار تتسع صدورنا لما نسمع من فلان وأشياع فلان ، لأننا نعرف أن المرء لا يمثل أمته حين يخطئ ، وإنما يمثلها حين يصيب

ثم ماذا ؟

قالوا : إن مصر مدينة فى بعض نشاطها الأدبى إلى ناس كان أجدادهم من لبنان

وهذا حق

ولكنى أتحداكم أن تثبتوا أن لبنان نبغ فيه أديب واحد ولم يكن مصدر نبوغه الاتصال بالثقافة المصرية

أتحداكم أن تثبتوا أن فى مقدوركم أن تنقلوا إخوانكم فى مصر إلى مرابعهم فى لبنان

إن الأدباء السوريين واللبنانيين لم يذوقوا طعم المجد الأدبى إلا بعد أن شربوا ماء النيل ، وفلان وأشياع فلان سيظلون من النكرات إلى أن يذوقوا ماء النيل

فتعالوا إلينا أيها الإخوان لنحولكم إلى رجال عظماء يسيطرون على الأدب والتاريخ

إن القاهرة تصنع بعقول العرب فى العصر الحديث ما كانت تصنع بغداد فى عصر بنى العباس ؛ فإن استطعتم طمس نور الشمس فامضوا فى عنادكم آمنين !

أتُشتم مصر فى لبنان وبفضل مصر تنبه العرب إلى جمال لبنان ؟

* * *

ثم ماذا ؟

ثم زعم فلان وأشياع فلان أن أمثال الدكتور طه حسين والدكتور هيكل والأستاذ احمد أمين والأستاذ لطفى جمعة لم يصنعوا شيئاً ، وأنهم فى مؤلفاتهم لم يكونوا مبتكرين

فهل يستطيع فلان وأشياع فلان أن ينكروا أن لهؤلاء الرجال فضلاً عظيماً فى نشر الثقافة الأدبية والعلمية والذوقية ؟

هل ينكر أحد أن الدكتور طه حسين رجل موهوب وأن صوته وصل إلى المشرقين ؟

هل ينكر أحد أن الدكتور هيكل من أعاظم المتحدثين عن شخصية الرسول ؟

هل ينكر أحد أن الأستاذ احمد أمين وضع أحجاراً متينة فى تاريخ الحضارة الإسلامية ؟

هل ينكر أحد أن لطفى جمعة له أبحاث وفصول تعد من الروائع؟

ومن هو الأديب الذى يسمح له ضميره بأن يتجاهل أقدار هؤلاء الرجال ؟

قد يتطوع أحدكم فيبعث ما كنتُ قلته فى طه حسين واحمد أمين

وأنا أعرف أنى قلت فى هذين الرجلين ما قلت باسم النقد الأدبى ، ولكنى مع ذلك أعرف أنهما من أقطاب هذا العصر ، وليس لهما نظير فى لبنان أو غير لبنان ، وسيكون لهذين الرجلين صدًى مسموع فى الأقطار العربية يمتد إلى أجيال وأجيال

* * *

أحب أن أعرف لحساب مَنْ يُتعب بعض الناس أنفسهم فى الغض من الثقافة المصرية ؟ فمن المستحيل أن يكون هذا التحامل خالصاً لوجه الله والأدب . ومن البعيد أن تكون تلك النزوات بريئة من شوائب الأغراض

لقد آن أن نعرف أن الاستعمار يغزونا من كل جانب . آن أن نعرف أن الاستعمار يريد أن يتخلص أولاً من تفوق مصر فى خدمة اللغة العربية ، لأنه يفهم جيداً أن سيطرة الثقافة المصرية تقوم بفضل اللغة العربية ، وهو يرجو أن يخرس لسان العرب لتحتل مكانه ألسنة روما ولندن وباريس

الاستعمار يفهم أن القاهرة صارت محور الحركة العربية ، ففيها تُعقد المؤتمرات ، وفيها يلتقى العرب بعضهم مع بعض ، وفيها تحل المعضلات ، وإليها يرجع الأمر فى فض الخصومات العربية ، وهو من أجل ذلك يبذل جهده الأثيم فى تنفير العرب من الثقة بالأمة المصرية

فكيف يغفل بعض إخواننا فى لبنان عن هذه الحقائق ؟

كيف ينسى بعض إخواننا فى لبنان أن للمستعمرين مكراً يخفى على إبليس ؟

كيف يجهل بعض إخواننا فى لبنان أن تلك الحركة قد تسوق أهل مصر إلى نفض أيديهم من صداقة لبنان ؟

وهل يظنون أن أهل مصر من الملائكة وأنهم لا يعرفون فى جميع الأحوال غير الصفح الجميل ؟

أرجو أن يعرف بعض إخواننا فى لبنان أننا نلاق كثيراً من العَنت والمشقة فى تبديد ما يحيطون به أغراضهم من ظلمات وشبهات .

أرجو أن يعرفوا أن قالة السوء قد تطوّق أعناقهم إذا فكرت الصحافة المصرية فى دفع ما يوجهون إلى مصر من زور وبهتان

أرجو أن تعرفوا جميعاً أن يد الله مع الجماعة . أرجو أن تعرفوا أن العروبة تستطيع أن تنسى أن فى الدنيا بلداً اسمه لبنان يوم تثق بأنه يضع الأشواك فى طريق الوحدة العربية ، ولكن ذلك اليوم سيكون مشئوماً لأن العرب يؤذيهم أن يضيع لبنان

هل تصدقون أننى دافعت عنكم فى دمشق وبغداد ؟

هل تصدقون أن الحزن يفعم قلبى كلما تذكرت أن الدسائس الاستعمارية قد تبعدكم عنا إلى غير مَعاد ؟

هل تصدقون أنى طربت حين رأيتنى أُشتَم فى بعض مجلاتكم باللغة العربية لا باللغة الفرنسية ؟

وأؤكد لكم أيها الإخوان أنى لا أتصدق عليكم بهذا العطف الصادق ، فلو جُمع ما نُشر فى جرائدكم ومجلاتكم من الدعوة إلى الثقة بمصر لتكوّن منه محصول أدبىّ نفيس . ونحن نعرف منزلتنا فى قلوبكم ، ونحرص على أن تبقوا أصدقاء أوفياء ، ولكنكم تعرفون أن الطبيعة الإنسانية يغلب عليها الضعف ، فهى قد تذكر السيئات وتنسى الحسنات . فأرجوكم بالله ألا تحبطوا أعمالكم بمظاهر الغدر والجحود ، فقد تلقون منا من يقابل العدوان بالعدوان

* * *

أما بعد فهذه كلمة صريحة أردت بها وجه الحق ، وما أنكر أن فيها بَدَوات لا تخلو من خشونة وعنف ، ولكن يعزينى أنى كنت فيها مخلصاً كل الإخلاص

ولكم أن تثقوا بأن مصر لن تقف إلا حيث تحبون ، ولن تروا منها غير الصدق والوفاء .

زكى مبارك

من برجنا العاجى

هل ينتظر اللغة العربية والأدب العربى الحديث فى مصر مستقبل سعيد ؟ لقد بدرت البوادر بشروع بعض الأجانب فى الإقبال على تعلم اللغة العربية والاهتمام بمعرفة كتاب مصر البارزين . من رأيى أن الحياة لن تدب فى هذه اللغة وهذا الأدب إلا إذا ظفر بقراء كثيرين من هذا العنصر النشط المثقف . وإنى لأتخيل اليوم الذى يتم فيه ضم أجانب مصر أو أغلبهم إلى حظيرة قرائنا فى لغتنا . هؤلاء الأجانب الذين يعدون القراءة غذاء ذهنياً له ضرورته فى حياتهم اليومية ، شأنه فى ذلك شأن الحاجات الأولية ؛ هؤلاء الآلاف القليلة من الأجانب الذين استطاعوا أن يكفوا لرواج حوانيت الكتب الأجنبية التى لا يخلو منها شارع كبير فى أى مدينة كبيرة من مدن هذه الدولة العربية اللغة ؛ هؤلاء النفر الذين استطاعوا أن ينشئوا لأنفسهم صحفاً ومجلات بلغاتهم المختلفة وأن يضمنوا لها حياة وازدهاراً . ترى ما الذى يحدث لو أن هؤلاء فهموا أخيراً أن استقلال مصر وسيادتها معناه سيادة لغتها وآدابها وفنونها على الأقل فوق أرضها وفى حدود بلادها ، وأن الخير والكياسة والمصلحة تقضى عليهم أن يكفّوا عن تجاهل لغة الدولة وأن يعيشوا بيننا كما يعيش كل أجنبى فى دولة محترمة ، يُعنى بتعلم لغتها والاطلاع على أدبها ومسايرة الحياة الذهنية والاجتماعية فيها ؟ لا ريب عندى ، لو وقع ذلك الحدث ، فى أن أدبنا سيتغير ويتطور فى مثل لمح البصر تطورات تثير الدهشة والعجب . ليس فقط لأن نتاج فكرنا سيرتفع شأنه فى السوق ، بل لأنه سيرتفع فى ذاته من حيث الصنف والقيمة . فإن القارئ الجيد يخلق الكاتب الجيد ، و « الزبون » المحترم يوجد الحانوت « المحترم » .

لكن . . . كيف نحمل الأجانب على ارتياد « حانوتنا » الفكرى وأكثرهم قد استقرت فى نفسه بغير علة فكرة الاستخفاف بلغتنا ؟ ما هى الوسائل التى ينبغى أن نتخذها لنزع هذه الفكرة عنهم وترغيبهم فى بضاعتنا ؟ هذا سؤال مطروح على القراء المثقفين .

توفيق الحكيم

بين القديم والجـــديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

عاب الأستاذ الغمراوي على عميد كلية الآداب الدكتور طه أنه اختار في كتاب (حديث الأربعاء) مجموعة من شعر المجون العباسي ، ولا أريد أن أتعرض الآن لهذا الاختيار بنقد مطول وإن كنت أعتقد أنه جعل الكتاب غير لائق إلا لقراءة المؤرخ الباحث في آداب الشعوب في العصور المختلفة ، وأنه ليس للقراء عموماً ؛ وهذا لم يكن رأى مؤلفه عندما ألفه ، فإني أذكر أنه عاب على الشيخ الخضري حذفه المجون من نسخة الأغاني التي هذبها وقال : إن دارس الأدب لا بد أن يقرأ هذا الشعر كيلا يخطىء في الحكم على عصره. وكان الدكتور يجد له طلاوة خاصة يستحق من أجلها الصيانة. ولا أدرى هل الدكتور لا يزال على هذا الرأى أم أن جلال المنصب قد حوره؛ لكني أريد أن أستخلص من ذكر الأستاذ الغمراوى كتاب (حديث الأربعاء) حجة على الأستاذ الغمراوى ؛ فالشعر الذى اختاره المؤلف فيه شعر عربي، والأستاذ الغمراوى يقول إن الأدب الأوربي هو الذى أفسد المذهب الجديد في الأدب بمجونه . فكأنما يريد الأستاذ الغمراوى أن يقول إن اطلاع الدكتور طه حسين بك على الأدب الأوربي هو الذى دعاه إلى اختيار شعر الحسين بن الضحاك وشعر أبي نواس وغيرهم. فإذا كان هذا قصده ومعناه فإن الأستاذ الغمراوى يكون على حد اصطلاح الأوربيين كمن يضع العربة أمام الفرس بدل أن يضع الفرس أمام العربة وهو الترتيب الطبيعي ، لأن الدكتور طه قرأ الشعر العباسي قبل أن يقرأ الأدب الأوربي ، وتأثر بالشعر العربي قبل أن يتأثر بالشعر الأوربي . وإني واثق أنه قد اطلع في الأدب الأوربي على الوقور وغير الوقور من الشعر. اطلع على شعر سوفوكليز ويوريبدس وإسكيليس . فهل يريد الأستاذ الغمراوى أن يقول إن اطلاع الدكتور طه حسين على شعر سوفوكليز مثلاً هو الذى أغراه باختيار شعر الحسين بن الضحاك؟ إنه إن قال هذا القول دل على أنه لم يطلع على شعر سوفوكليز. وقس على ذلك غيره من الشعراء ولا أدرى أي الشعراء الأوربيين هم الذين أوعزوا إلى الدكتور باختيار شعر مجان العرب . هل قراءته لشعر بودلير أم قراءته لشعر فرلين ؟ إني لم أقرأ في شعر بودلير وفرلين (وقد قرأت بعضه) ما يماثل بعض شعر أبي نواس والحسن بن هانئ في صراحته . ولا أظن أن الجمهور الأوربي كان يطيق من بودلير أو فرلين صراحة كصراحة أبي نواس والحسين بن الضحاك . إذاً يستحيل أن يكون بودلير أو فرلين هو الذى أغرى الدكتور باختيار شعر الحسين بن الضحاك أو شعر أبي نواس ، لأن الأشد صراحة في المجون هو الذى يبيح ما هو أقل منه شدة. فأبو نواس هو الذى يبيح فرلين وبودلير ، وليس بودلير هو الذى يبيح أبا نواس. وإذا عرفنا أن الدكتور تأثر بالشعر العربي الأشد صراحة في صباه ولم يطلع على الشعر الأوربي الأقل صراحة إلا بعد أن رسخ أثر الأول في نفسه علمنا أن ما زعمه الأستاذ من أثر الشعر الأوربي خاصة والأدب الأوربي عامة في التأثير على المؤلف وفي تعيين اختياره لما اختار في كتاب (حديث الأربعاء) زعم غير رجيح . وعلى هذا القياس يكون أيضاً زعمه غير رجيح في تعليل اختيار الدكتور طه حسين بك للقصص الفرنسية التي كان ينقلها إلى العربية ، وكان ينشرها هيكل في السياسة الأسبوعية ، وهي القصص التي يشكو منها الأستاذ الغمراوى [1] فإنها مهما بلغت في صراحتها، أقل صراحة مما قرأه الدكتور طه في صباه من القصص العربية في كتاب (مصارع العشاق)، وغيره؛ وإذاً يكون مثل الأستاذ الغمراوى في تعليله كمثل من يحسب السبب نتيجة والنتيجة سبباً ، أو كمن يقوم بتجربة كيميائية في المعمل فيبدأ التجربة من آخر خطواتها سائراً إلى أولها . والحقيقة أن الأستاذ الغمراوى أحياناً في مقالاته يتخلى عن التعليل الطبيعي ويفضل التعليل المصطنع ، ويتخلى عن ترتيب المؤثرات الطبيعي ويفضل الترتيب المصطنع . فهو مثلاً يقول إن في المذهب الجديد شططاً ، وبدلاً من أن يعلل هذا الشطط التعليل الطبيعي القريب بما اكتسبته العقول والنفوس من شغف بتذوق التجارب النفسية والعقلية بسبب الحوافز الاجتماعية وغير الاجتماعية، وهذا الشغف قد يؤدى إلى الشطط؛ وبدلاً من أن يعلله بازدياد الحرية السياسية والقانونية وهي قد تؤدى إلى هذا الشطط ؛ وبدلاً من أن يعلله بأنه من أثر نشر الطباعة العربية الحديثة للكتب العربية التي فيها أمثال ما يشكو منه كما علل المؤرخون

(١) يحسن بالأستاذ الغمراوى أن يضع موازنة بين قصص (الأغاني) و (فاكهة الخلفاء) و (مصارع العشاق) وبين القصص التي نشرها طه حسين وهيكل ليفسر سبب إغفاله أثر كتب العربية .

الأوربيون بعض الشهوات فى نزعة التجديد والإحياء فى القرن السادس عشر فى أوربا بطبع كتب الأدب الإغريقى القديمة — أقول بدل أن يأخذ بهذه الأسباب الطبيعية التى لها نظائر فى التاريخ — والتاريخ يفسر بعضه بعضاً — تراه يغفل كل هذه الأمور ويقول : إن أعداء الدين الإسلامى من الأوربيين رأوا أنهم لا يستطيعون النيل من الإسلام قدر ما ينالون منه بمؤلفات الدكتور طه حسين ومؤلفات هيكل باشا القديمة قبل كتاب « حياة محمد » و « منزل الوحى » . وقد يسيء القارئ فهم تعليل الأستاذ الغمراوى ويتساءل : هل يعنى الأستاذ الغمراوى أن نزعة التجديد دسيسة مقصودة مدبرة ؟ أرجو ألا يجسم الوهم المسألة للأستاذ إلى هذا الحد؛ فإنه عالم قد اختبر البحث العلمى، وهو كالعلماء لا بد أن يترك التعليل البعيد ما دام هناك تعليل طبيعى له شواهد ونظائر فى التاريخ كما أوضحنا بذكر ما كان من الشطط فى نهضة إحياء العلوم فى أوربا فى القرن السادس عشر . فلو أن مؤرخاً زعم أن الوثنيين خفية راموا القضاء على المسيحية ببثهم الشهوات والمفاسد فى الكتب الإغريقية ما كان تعليله بعيداً عن طريقة الأستاذ الغمراوى فى تعليل شطط النزعة الحديثة إلى التجديد . أو لو أن مؤرخاً زعم أن الفرس والروم فى صدر الإسلام أرادوا النيل من الإسلام ببثهم المفاسد والترف حسداً وحقداً ما كان تعليله بعيداً عن تعليل الأستاذ . أو لو أن مؤرخاً زعم أن مفكرى الإغريق حاولوا إفساد العقائد الإسلامية فى عصر الدولة العباسية ببثهم روح التفكير الحر المطلق من قيود الدين حنقاً وحقداً على الدين الإسلامى ما كان تعليله بعيداً عن تعليل الأستاذ . والحقيقة أننا ربما نكون قد فهمنا من كلامه عن أعداء الدين الإسلامى ومحاولاتهم القضاء على الدين الإسلامى بنزعة التجديد ومؤلفات المجددين المصريين أكثر مما يقصد الأستاذ ، لأننا لا نستطيع أن نتصور أن عالماً جليلاً كالأستاذ الغمراوى يريد أن يقول : إن بين الدكتور طه مثلاً وبين أعداء الدين من الأوربيين تفاهماً واتفاقاً على الدين الإسلامى . إنما ينبغى ألا يترك الأستاذ لجمهور القراء موضع لَبْس ، لأن اللَّبْس فى هذه الأمور قد تكون له عواقب خطيرة . ولا أدرى لماذا اعترف الأستاذ الغمراوى بما فى الأدب القديم من مفاسد ولم يستطع أن يعترف بما لهذه المفاسد من أثر فى الأدب الجديد ، وما هذه إلا خطوة بعد تلك الخطوة ، وهى نتيجة لها ؛ ولا يستطيع أن يخطو خطوة إلا وهو ينظر إلى خطوته الثانية ؛ وقد خطونا خطوتين فاعترفنا أن الأدب الجديد به عيوب وأن بعضها يرجع إلى بعض المؤلفات الأوربية ؛ فالخليق بالأستاذ أن يعترف بأن بعضها أيضاً أو أكثرها يرجع إلى قدوة المؤلفات العربية ؛ والخليق به أن يعترف أن ليس كل الأدب الأوربى من نوع القصص التى كان يشكو من نشر السياسة الأسبوعية لها ، وأن يعترف أنه إذا كان بعضها صريحاً فى تصوير الشهوات فإن بعضها جليل ؛ وأن الصريح منها أقل صراحة من بعض ما فى كتب القصص العربية ؛ وأن يعترف أن شاعراً كشكسبير لا خطر منه على الإسلام ، فلا هو مبشر بالمسيحية ولا هو ملحد وداعية للالحاد . وما يصدق فى الكلام عن شكسبير يصدق فى الكلام عن ألف شاعر وألف كاتب من شعراء الأوربيين وكتابهم . وخليق بالأستاذ أن يعترف أيضاً أن بين الكيميائيين وعلماء الطبيعة الأوربيين من هم أشد خطراً على الإسلام من كثير من أدبائهم ، لا لأنهم يحقدون على الإسلام ويريدون الكيد له، بل لأن علمهم الطبيعى شط بهم عن الأديان . وأظن أن لنا بعض العذر إذا فهمنا بعض ما فهمنا من قول الأستاذ عن أعداء الدين الإسلامى من الأوربيين إذ قال إنهم أرادوا ألا يهاجموه مواجهة بل بحركة التفاف ، وأن حركة الالتفاف هذه هى نزعة بعض الكتاب المصريين إلى التجديد، وذكر مؤلفات الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب ومؤلفات هيكل القديمة، فبالله كيف لا يكون للجمهور العذر إذا فهم من قول الأستاذ الغمراوى أن الدكتور طه حسين وهيكل من دعاة أعداء الدين الإسلامى ومن عمالهم السريين القائمين بحركة الالتفاف هذه بدل مهاجمة الدين الإسلامى مواجهة . وعلى فرض أن تأليف الدكتور طه كتاب (على هامش السيرة) وتأليف هيكل (حياة محمد) و (فى منزل الوحى) لم يقنع الأستاذ الغمراوى بخطأ رأيه فيهما ألا يقنعه تأليفهما هذه الكتب أنهما لا يريدان معاونة الحاقدين على الدين الإسلامى من الأوربيين للقيام بحركة التفاف كما يقول الأستاذ وأنه إن كان فى تأليفهما القديم أو الحديث شطط فأسبابه ما أوضحنا من الأسباب الاجتماعية، ومن شغف جديد بالبحث قد يخطئ وقد يصيب، لا لأنهما يريدان معاونة الحاقدين على الدين فى القيام بحركة التفاف . ولو أن كاتباً فى أوربا فى بدء نهضة الأحياء فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر اتهم رواد النهضة فى أوربا بأنهم يريدون القيام بحركة التفاف معاونة لمن يكره المسيحية من المسلمين لما تعدى قوله

على هامش الفلسفة

الحقائق الأخلاقية أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

قلنا إن من الخير والواجب عند بحث تاريخ التقاليد والحقائق الأخلاقية أن يلاحظ الباحث ما كان من اختلاف بل تناقض أحياناً بين كثير من التقاليد الضيقة ، وما كان من تشابه عجيب وانسجام نادر بين المثل الأخلاقية العليا التي عارض بها دعاة الإصلاح وفلاسفة الأخلاق ومعلمو الإنسانية تلك التقاليد . وذلك ما يدعو للقول بأن هؤلاء المصلحين كانوا يصدرون عن معين واحد فيما وقفوا أنفسهم على تحقيقه

من الممكن أن نذكر في معرض التمثيل لذلك في الأزمنة العريقة في القدم حكيمي الهند والصين « بوذا وكونفشيوس » وسقراط الإغريقي وأنبياء بني إسرائيل وفلاسفتهم وحكماءهم ، وأخيراً المسيح ومحمداً عليهم أفضل الصلاة والسلام

في تراث الهند الروحي وتعاليمها السامية يجد الباحث تعاليم أخلاقية صالحة حقاً ، أو يجب أن تكون كذلك لكل الناس . منها : لا تقتل ، لا تكذب ، لا تشرب المسكرات ، لا تأخذ مال غيرك ولا زوجته . هذا بعض التعاليم السلبية ؛ وفي التعاليم الإيجابية نجد الأمر بالصبر والرحمة والتسامح والإغضاء عن الأذى ونكران الذات والتضحية في سبيل الغير . يقول بوذا نفسه في بيان وجوب مقابلة السيئة بالحسنة : « إذا كان الحقد يرد على الحقد بالمثل كيف ينتهي إذن[1] » . وللبوذيين مثل بديع في وجوب الإحسان هو « أن أرباً لا يملك قوته عزّ عليه أن يرد سائلاً طلب ما يمسك به رمقه ، فشوى نفسه له حتى لا يرجع خائباً[1] » هذا المثل يبين بإعجاب كيف يجب أن يساعد المرء غيره بما يملك من وقت ومال ، بل وبذات نفسه أيضاً . ويحضرني في هذه المناسبة قول الشاعر العربي :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وإذا تركنا الهند إلى الصين نجد كونفشيوس حكيمها الأكبر يبشر في القرن السادس قبل الميلاد كسابقه بأخلاق يحكم العقل السليم بصلاحيتها للجميع ، كأن يوصي بالاعتراف بالخير والجميل للأموات ، بالشفقة البنوية ، بالإخلاص الأخوي ، بالأدب الذي منبعه القلب ، بالمعاملة الحسنة لجميع الناس على السواء . بعض كلماته تمثل نمطاً عالياً من التفكير وأخلاقاً تفرض نفسها فرضاً . ها هو ذا يقول[2] : « من المعرفة الحقة أن يكون المرء عارفاً ويعلم أنه عارف ، أو جاهلاً ويعلم أنه جاهل . العاقل لا يرفض كلمة طيبة لأنها جاءت من شرير . يجب مقابلة الخير بالخير (لعل هذا خطأ مطبعي وأن الصواب مقابلة الشر بالخير) والظلم بالعدل . أحبوا الآخرين كأنفسكم » . ولما حانت ساعته رفض أن يصلي تلاميذه لأجله وقال في نبل وإيمان : حياتي كانت عبادتي وصلاتي »

وفي اليونان القديمة نرى سقراط مؤسس علم الأخلاق يأمر، ضمن

(١) شالي . الفلسفة العلمية والأخلاقية ص ٢٥١ ، ٢٥٢ Challaye : Phil. Dcien. et Phil. M.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ Challaye : Phil. Dcien. et Phil. M.

قول الأستاذ النمراوي . ولا أظن أن الأدباء في أوربا يسمون سمياً حثيثاً لمهاجمة الإسلام ؛ وإن كان بعض الكتاب الأوربيين يفعل ذلك فإنه لا يفعله كأديب ولا كمفكر عالم ولكن كمبشر بدين آخر . وإذا كان بين أدباء المسلمين ومفكريهم وبين الأدباء والمفكرين في أوربا صلة فهي ليست صلة عداء لدين بل صلة بحث وتفكير قد يخطئ وقد يصيب . وبالرغم من أن الأستاذ النمراوي قد فسر قوله (إرادة تغليب دين على دين) تفسيراً جديداً فإنه يحوم ويحلق دائماً في جو المعنى الذي فهمناه من قوله .

إن المؤرخين المعاصرين في أوربا يميل الكثير منهم إلى الاعتقاد أن النزعة إلى التجديد في أوربا في القرن السادس عشر كانت لا بد واقعة بمحاسنها ومفاسدها لأسباب أصيلة في دول أوربا حتى ولو لم يكن للعرب أثر فيها . وربما يدعونا هذا الرأي إلى بحث رأي يقابله وإلى أن نتساءل إلى أي حد كان التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الحديث في مصر مؤدياً حتماً إلى النزعة إلى التجديد بمحاسنها ومفاسدها حتى ولو لم يكن للأدب الأوربي أثر فيها قل أو كثر . وإني واثق أن الأستاذ لو بحث هذا الموضوع وجد في هذا الرأي من الحقائق ما يصح الاعتراف به حتى ولو لم يقره كله على علاته .

قارئ

ما يأمر به ، بأن يكون المرء سيد نفسه : بالشجاعة ، وبالعدالة . إلى غير ذلك من الصفات الأخلاقية العامة . وفى ساعة موته دفع بشجاعته إلى حد البطولة حين يقول لقضاته ، وقد قدّم للمحاكمة متهماً ظلماً بالسفسطة والإلحاد وإفساد الشباب : « لشدّ ما أنتم فى الضلال إذا كنتم تعتقدون أن رجلاً يعرف لنفسه بعض القيمة يفاضل بين حظوظ الحياة والموت ، وبين البحث دائماً عما إذا كان ما يعمله عدلاً أو غير عدل » وحين يقول لتلميذه : « كريتون Criton » لا ينبغى أن نجترح أى ظلم حتى ولو كنا ضحايا لظلم الآخرين . عمل الشر للغير هو الظلم بعينه . لا يجب مقابلة السيئة بمثلها »[1] .

وإذا تركنا اليونان ، وعرجنا على بنى إسرائيل ، نجد أنهم كانوا فى فجر تاريخهم لا يعتقدون واجباً إلا لإلـٰههم المحلى وأنفسهم حتى جاءهم أنبياؤهم وحكماؤهم بالمبادئ الأخلاقية الرحبة الواسعة[2] . وفى ذلك يقول أحدهم فى القرن السادس قبل الميلاد : « ليس لجميع الشعوب إلا إلـٰه واحد كل العالم معبده ، وتكريمه أن يكون الكل عادلاً[3] » . وفى التلمود : « أحبب غيرك كنفسك . لا تعامل غيرك بما لا تحب أن يعاملك به[4] » . وهذه الحكمة أخذها أحد حكمائهم وهو : « هلّيل Hille » الذى عاش فى القرن الأول قبل الميلاد مبدأ له . فهى عنده كلة الشريعة وما عداها مجرد تفسير لها . وفيه أيضاً : « من يفعل الخير حباً فى الخير يكن من أصدقاء الله » . وجاء فى كلمة للكاتب الروسى الكبير « مكسيم غوركى » هذه الحكمة السامية لهلّيل الحكيم السابق ذكره : « إن لم تكن لنفسك فلمن تكون ؟ ولكن إن كنت لنفسك فقط فلم تكون ؟ » . وقد تأثر غوركى بما فى تلك الكلمة من معنى إنسانى نبيل ، وحكمة عميقة حتى ليقول : « إن حكمة هلّيل هى النبراس الذى هدانى السبيل وما كان سهلاً سوياً »

بعد هؤلاء جميعاً نذكر عيسى عليه السلام الذى جاء معارضاً لما وجده من تقاليد عتيقة ضيقة بمثل أخلاقى عال صالح للناس جميعاً . كان مما بشّر به : « حب المرء لله أن يحب قريبه كنفسه » وليس القريب هنا هو الإسرائيلى للاسرائيلى مثلاً ، بل الإنسان للانسان : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به . إن وصيتى لكم أن يحب بعضكم بعضاً كما أحببتكم ، لا يوجد حب أعظم من أن يعطى المرء من حياته لأصدقائه » .

أما محمد : صفوة الخلق كافة ، خاتم الأنبياء والمرسلين فقد جاء فى الأخلاق بما يعتبر بحق المثل الأعلى الكامل : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحساناً » ... إلى آخر هذه الأوامر الحكيمة الذهبية السامية التى احتوتها تلك الآيات الكريمات : « وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . ويضاف لهذا ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) (الدين المعاملة) .

وهكذا نرى أن كثيراً من ذوى الضمائر الإنسانية عارضوا التقاليد والأوهام الضيقة التى كانت مقبولة فى أزمانهم وبيئاتهم بمثل عليا ؛ وبعبارة أخرى بمثل أعلى أخلاق حكموا حقاً بصلاحيته للجميع دائماً . وصلوا لذلك لأنه أتيح لهم أن يتخطوا الجماعات التى كانوا يعيشون بينها ، ونجحوا فى الدخول فى حظيرة الإنسانية الخالدة والحياة العامة التى لا يحدها مكان أو زمان

هذه الأفكار الأخلاقية العالية التى وصل إليها أصحاب الضمائر العالية النيرة بعد تفكير عميق تجاوزوا به أزمانهم وبيئاتهم وأممهم إلى الإنسانية العامة فى أوسع حدودها . هذه الأفكار السامية التى يجب أن تكون مقبولة منا جميعاً ، أليس لنا أن نقرر أنها حقائق أخلاقية عامة فتكون الأخلاق لذلك علماً من العلوم ؟ بلى وربى ، إنه مما لا مرية فيه أن هذه الآراء ليست شعاراً أو مبادئ مقدسة للناس جميعاً يصدرون عنها فى أعمالهم دائماً . هذه حقيقة لا ريب فيها ، ولكن الحقائق العلمية لا تزيد عليها فى هذا المعنى

حينما يعرف العلماء الحقيقة العلمية بأنها الاتجاه العقلى العام نحو مركز واحد أو نتيجة واحدة ، أو بأنها الشيء الذى تتجه

(١) المرجع نفسه ص ٢٥٤

(٢) يرجع فى هذا الكتاب تاريخ شعب بنى إسرائيل للكاتب الفرنسى المعروف رينان — Renan

(٣) شالى Challaye الكتاب السابق ص ٢٥٥

(٤) التلمود هو الجامع للقانون المدنى والدينى لليهود . ومرجعنا فى هذا هو كتاب « فى الفكر اليهودى » وهو دائرة معارف موجزة تشمل العقائد اليهودية فى الدين والأخلاق والاجتماع . جمعه ونسقه الدكتور هرتس الحاخام الأكبر للامبراطورية البريطانية وعربه الدكتور الفريد يلوز السكرتير العام السابق لجمعية الباحث التاريخية الاسرائيلية المصرية .

إليه العقول كلها وتقبله — حينما يعرفونها بهذا أو ذاك لا يقصدون أن هذا الاتجاه العام محقق ، بل يقصدون أنه أمنية يرجون يوماً ما أن تكون . وفى الواقع لا يقبل كثير من الناس الذين لا يزالون على الفطرة والجهالة الأولى التفسيرات العلمية الصحيحة لكل الظاهرات الكونية كالرعد والبرق والمطر والكسوف والخسوف ، بل لا تزال منا معشر المصريين من يعلل هذه الظواهر ونحوها بما لا يتفق مع العقل فى شىء . مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . فحين يعلن العلماء أن الحقائق العلمية محل اتفاق جميع العقول ، يكون الغرض العقول الموهوبة القادرة على الحكم الصحيح ، أو الأمل أنها تكون حقاً ذات يوم محل اتفاق جميع العقول بلا استثناء . إذن لنا أن نأمل هذا للحقائق الأخلاقية السابق ذكرها هى وأمثالها ، فنقول: هناك حقائق أخلاقية تفرض نفسها على الضمائر السليمة ، وإنها من الآن مقبولة من كل من وهب القدرة على الحكم الصائب كما أنها ستكون يوماً ما ، قريباً أو بعيداً ، مقبولة من الجميع عندما ينظر المرء نظرة واسعة تنتظم العالم بأسره وتعتبر الناس إخوة متساوين فيما لهم من حقوق وعليهم من واجبات

هذا الرجاء الذى يجب أن نقنع به الآن ، نجد لحسن حظ الإنسانية أنها تقترب منه شيئاً فشيئاً لعوامل عديدة . هناك قوى هامة مختلفة تعمل للتقريب بين الضمائر وجمعها على مبادئ واحدة من الناحية الأخلاقية كما حصل ويحصل كذلك من الناحية العلمية. من ذلك انتشار العلم وسهولة اتصال الناس فى كافة أرجاء الأرض وسرعة ذلك الاتصال وحدته وتزايده يوماً فيوما لا فرق فى ذلك بين السود والبيض وغيرهم من الأجناس المختلفة . هذا الاتصال المستمر الذى طابعه الحدة والعنف بل الوحشية بعض الأحيان كما فى حالات الاستعمار ، أنتج كثيراً من المظالم والآلام ، ولكنه عمل أيضاً على تعارف الأمم وتفاهم الشعوب والقضاء على كثير من التقاليد الأخلاقية الضيقة الخاصة ، كما عمل على تبادل المبادئ الأخلاقية واختيار أنفعها . وسيؤدى استمرار هذه العملية الواسعة إلى إتاحة الفرصة إلى أن يوسع الناس جميعاً مداركهم ويسموا بتربيتهم حتى يجاوزوا بذلك الحدود الطبيعية من محيطات وبحار وأنهار وجبال ويصلوا إلى أبعد الآفاق . حينئذ يجمعون فى عقولهم وقلوبهم كل ما أمكن لشعوب العالم قاطبة خلقه أو كشفه من حقيقة وجمال ، ويركزون فى ضمائرهم ما يوجد فى الحياة العامة من عقل وحكمة ومبادئ أخلاقية نبيلة

والآن وقد ثبت أن هناك حقائق أخلاقية عامة نرى الضمير المستقيم مجبراً على قبولها ، ونرى من الواجب أن يقبلها الجميع يوماً من الأيام . لنا الآن من غير إسراف أن نقرر أن الأخلاق علم من العلوم ، وأن نعتبره عملاً من أعمال العقل كسائر العلوم الأخرى لا وليد التقاليد أياً كان مصدرها . الأخلاق عمل من أعمال العقل الذى يبحث بكل ما يملك من قوى مختلفة من تفكير وذاكرة وتخيل وتعليل واستنتاج للوصول لحقائق أخلاقية صالحة للجميع

بعد هذا لنا أن نتساءل : ما هى الطريقة التى تتبع فى دراسة هذا العلم ، فى تحديد المثل الأعلى الأخلاقى تحديداً صالحاً طيباً يقبله الناس بلا استثناء ؟ ذلك موضوع البحث التالى إن شاء الله .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

فى الحـــــرب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كل زعيم ينشد نشيد السلام ويقف فى محرابه على منبره يقدم له الترتيلات والقرابين والنذور ...

ويلكم ! إن السلام هو أن تسكتوا جميعاً عن النقيق والنعيق باسمه ...

أتذبحونه وتذكرون اسم الله عليه ؟!

إن السلام ألا تفكروا فى مستقبل الذريات لإسعادها بإشقاء آبائها وطحنهم برحى حروب زبون ... بل أن تفكروا فى حاضر الآباء الحاضرين الذين تأخذون لقمة بطونهم وتضعونها فى بطون المدافع آكلات الأجسام، وهاضمات المدن والخيام !

عدتم إلى فلسفة الردة تمجدون الحرب للحرب ، وتضعون لها مكاناً فى قلوب الرجال كمكان الأجنة فى بطون الأمهات .. والأمهات الوالدات تخرج لكم الكتل اللحمية البشرية كما تخرج معامل الأسلحة مصنوعاتها ... فتولد كل يد ومعها أظفورها وقنبلتها ومدفعها .. ويولد كل وجه ومعه قناعه ...

والشياطين والزبانية تجمع الأحطاب من نثل القلوب وإحن الأفئدة .. وتضع الألغام على منابر الساسة وألسنة الزعماء . . . والإنسانية — العروس الهندية ! — تسمع إلى صلوات كهنة النار قبل أن يقذفوها فيها بصبر وعجز، وربما بطرب وسرور؟

وصار كل كاهن يلقى خطبه وتصريحاته المشئومة بإلقاء جيل وإشارات تمثيلية باهرة ...

ووقفت « العروس الهندية » تنظر إلى ألسنة الخطباء نظر الأحطاب إلى أعواد الثقاب ...

واجتمعت فى قلوب الزعماء أحقاد أممهم تغلى على الألسنة ، فصار كل زعيم يصر على أضراسه لأنه يحس سعار السلاح فى يده ...

ونظر كل زعيم إلى قرينه قبل أن ينظر إلى مصالح أمته ... والحرب تتجرد من ثيابها لتبرز إلى الميادين راقصة عارية ...

عليها تنوس ذؤابات سود وعقود من الجمرات الحمر ...

وقد خرست أصوات الكهان والملبين والدعاة . إن كل هذا يختفى عند لزوم ظهوره وإلاعداد أسلوباً من أساليب الخيانة والتثبيط والفت فى الأعضاد ...

لأن الحيوان القدس المتمدن لا يزال يعيش بغرائزه على رغم معابده ومحافل السلام فيه ومعاهد العلم عنده ...

وتكتلت المحصولات والأثمار والذهب لتقذف فى النار مع الجماجم والأيدى التى صنعتها وتعهدتها ...

إذاً لماذا تبنون ناطحات السحاب وتجملون المدن وتقيمون التماثيل والأنصاب وتفرغون على ما تصنعون كل ما تملكون من فن وعلم ما دمتم تهدمون كل أولئك فى لحظة ؟

أين الحياة التى يحياها الإنسان فى الأرض ؟ ومتى ؟ إن كل ما فى العالم الآن من علم ودين وفن إنما هو إعداد للموت السريع . فأين العمل للحياة والاستقرار ؟

أما والله لو لم تكن «الآخرة» التى تصير فيها الإنسانية إلى مصير آخر ، أمام عيون الحكماء، فلقد يضل ضلالهم ويجن جنونهم !

لقد أسبغت الإنسانية على مظاهر الحرب خلاصة من فنها المغرى بها ؛ إذ زينت الجنود بزينة فاتنة ، وجعلت ثيابهم أنخر الثياب وأدعاها إلى العشق والإعجاب ، وعشق النساء رجال الحرب أكثر مما عشقن رجال السلم والعلم والفن .

أية خدعة محبوكة الأطراف هذه الحياة يا رب الحياة ! إنك تدفعنا فيها إلى غايات مستورة ببعض الحلوى والزينة ...

تدفعنا بمظاهر الضعف: بالحب، إلى النسل والولادة والعمران وتدفعنا بمظاهر القوة : بالحرب ، إلى الموت والعقم والخراب ...

الحب والحرب هما المظهران الأكبران للحياة ، وعلى هامشهما يحيا الفن والشعر والعلم والعمل ...

حياة محوطة بنواميس فى داخل النفس وفى خارجها هى بهما فى جذب ودفع ...

أنحن آلات لا سعادة لها فى دنياها إلا العمل ، وليس وراء العمل سعادة ؟

أظن هذا هو الأصح والأدعى إلى راحة العقيدة فى الحياة

وإلى الآن لم يظفر الإنسان — ذلك المخلوق التائه — بنعمة الاستقرار حتى يتيح الفرصة لعلمائه أن يجاهدوا فى الكشف عن عرائس أحلامه ... لأن زعماء القطيع لا يزالون يتغنون بمجد الأنياب والأظفار ... ولا تزال خيلاء المجد : مجد الديكة المتنفشة تسوق الناس فى ضباب من الشعر والألفاظ المسولة .

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم خلاف

أعلام الأدب

إسخيلوس والدرامة اليونانية

للأستاذ دريني خشبة

مقدمة

نشأ شعر الملاحم وترعرع فى ظلال الأرستقراطية التى سادت الحياة اليونانية طوال عصر البطولة فى القرنين التاسع والثامن ، أو الثامن والسابع قبل الميلاد

ونشأ الشعر الغنائى وترعرع فى ظلال الأرستقراطية كذلك وامتد إلى منتصف القرن الخامس

وبرع فى شعر الملاحم هوميروس صاحب الإلياذة والأوديسة، وهسيود صاحب الأرجا (الأعمال والأيام) والثيوجونية (نشوء الآلهة) ودرع هرقل

وبرع فى الشعر الغنائى كل من سافو — شاعرة الخلود — وألسيوس وأنا كريون وأرخيلوكوس .. وقد كان هؤلاء يقرضون الشعر ويتغنون به تسلية لأنفسهم فحسب ، أى أنهم لم يكونوا (محترفين)

أما الشعراء المتنون (المحترفون) فقد ألفوا الفرق الغنائية (للغناء والإنشاد والرقص) ، فهم بذلك مبتدعو (الخورس) اليونانى . وقد كان أرسطو يطلق على الأغنية من أغانيهم لفظة (دثرامب) Dithgramb (كتاب الشعر لأرسطو) .

ومن زعماء الشعراء المغنين ألكمان الشاعر الغزل الرقيق الذى يعده المؤرخون مبتدع أشعار الحب ، وإن تكن سافو قد بزّته زعيمة هذه المدرسة . وقد اكتشف ماريت باشا[1] سنة ١٨٥٥ بردية مصرية بها قصيدة من روائع هذا الشاعر الفحل مما نظم لفتيات الكورس . وفى القصيدة نفحات من الدرام تدل على بداءة الأدب المسرحى

(١) جلبرت موراى (أبلتون) ص ١٠٠

ومنهم الشاعر آريون الذى يُعزى إليه ابتكار الدثرامب (أغانى باخوس)

ومن أعظمهم الشاعر تيزياس[1] الذى يعدونه فى الشعر الغنائى نداً لهوميروس فى شعر الملاحم ؛ وقد اكتسب الشعر على يديه مزايا عظيمة من حيث التنوع والقصص والمزج بين الملحمة والغناء وابتكار القصة الشخصية التى تفيض بالاعترافات

ومنهم الشاعر إيبكوس الذى اهتم كثيراً بقرض أناشيد (الصبيان) ومازج بين الشعر والموسيقى ووشى قصائده بورد الربيع وعصافيره وحبر العذارى

ومنهم سيمونيدز (٥٥٦ — ٤٦٨) وهو أوسعهم ثقافة ، وهو فى شعر الحكمة يشبه شاعرنا أبا الطيب من حيث الفكرة العميقة وقوة السبك وعلو المنزلة ؛ وكانوا يتدارسون شعره فى مجالس يعقدها جلة العظماء لهذا الغرض . وكان سفير قومه فى بلاط الملوك والأمراء الأجانب . وقد ذهب برغم كبره ليعقد الصلح بين أميرى صقلية المختصمين فأدى مهمته على خير وجه . ويعزون إليه أنه كان بخيلاً شديد الحرص؛ وذلك أنه كان يطلب لقصائده (ثمناً محدداً !) لا ينقص منه مهما ألحف عليه فى ذلك .. وأحسن قصائده ما كان له علاقة بالحرب . وقد كتب عن ترموبيلى أروع غرره ونظم فى قتلاها أجمل فرائده .. ولذا أحبه اليونانيون وآثروه بلقب شاعرهم الوطنى دون بندار

أما بندار[2] ، فهو بلا ريب أعظم الشعراء الغنائيين الذين أنجبتهم اليونان على الإطلاق ... ولقد ولد فى إحدى قرى بووطيه حيث نشأ نشأة موسيقية ، فتعلم العزف على القيثار ثم مهر فى النفخ بالناى ، وكان أستاذه فى ذلك عمه الشاعر الذى كان يلازمه ويعلمه الغناء والإنشاد فضلاً عن الموسيقى والشعر ... ثم ذهب إلى أثينا ليتخصص فيما شداه من هذه الفنون ، فأتيح له الاتصال برجالاتها وذوى الرأى فيها. ومما يذكر له فى هذه الفترة من فترات التحصيل أنه دخل فى مباراة إنشادية غنائية مع زعيمة من زعيمات الغناء فى أثينا تدعى كورينا . فغلبته وتفوقت عليه ... وتقلب بندار

(١) وقد سمى فيما بعد (ستاسى خورس)

(٢) ٥٢٢ — ٤٤٨ ق . م

فى الإمارات اليونانية جميعاً ، وحل ضيفاً كريماً على أكثر ملوك الولايات حيث كان يقابل بالبشر ويُتلقى بالترحاب ... وكان بندار يكره سيمونيدز ، وينقم من الناس تهافتهم على شعره الذى كان يدعوه حكمة ولم يكن يدعوه شعراً . وبندار وسيمونيدز فى ذلك مثل البحترى والمتنبى. فقد كان البحترى شاعراً لأنه كان يُغنى، أما أبو الطيب فقد كان حكيماً . وحسبه أن ثلاثة أرباع ما يحفظ الناس من أبيات الحكمة هو من شعره . وقد كان بندار ينزع فى شعره وفى حياته نزعة لاهوتية ، فقد أخذ على عاتقه إحياء سنة السلف الصالح بالغناء للآلهة ، وقرض الشعر ، ونظم الأناشيد الدينية تسبيحاً بأسمائهم ، وله فى رها Rhea[1] . وبان[2] . وأبولو[3] منظومات خالدة ... ومن هنا منزلته الرفيعة فى دلفى ، فقد كان كهنة المعبد يحبونه ويعتبرونه قديساً ، لأنه ألّف حولهم قلوب العامة ، وأعاد للدين بهجته ، ولذا خصوه بأرفع منزلة فى هيكلهم وأفردوه بغرفة خاصة يحل بها كلما زار دلفى . ونحسب نحن أن هذا هو الذى نفر منه حاصة الأدباء الذين هم قادة الرأى العام ... والشعب الوثنى هو أعرف الناس بآلهته ، فلما أغرق بندار فى هذه النزعة الدينية انصرف الجمهور عنه إلى سيمونيدر شاعر الحق والحكمة وتمجيد البطولة والأبطال .

وقد انتشرت أشعار بندار انتشاراً واسعاً بلغ مصر ، وتغلغل فى صحرائها إلى معبد أمون — ربوس فى سيوه حيث نقشت أوراده الدينية على جدران المعبد وأعمدته بالذهب الخالص مما أدهش الاسكندر الأكبر وملك عليه لبه .. لكنه كان إعجاباً طارئاً سرعان ما طغت عليه الذكريات القديمة المؤلمة ... الذكريات التى لم ينسها اليونانيون لهذا الشاعر الكبير الذى خان وطنه الأكبر « هيلاس » بموقفه المزرى فى غزوة الفرس الكبرى ... لقد انضمت بلاده للفرس ضد أثينا ، فلم يحتج ولم تثر فيه النخوة الوطنية ، بل راح ينظم القصائد فى وجوب عقد الصلح . . . هذه صفحة بندار السوداء ، الصفحة التى لم تنسخ طلماتها شموسُ القصائد الغُر التى نظمها بعد ذلك فى تمجيد أثينا وتخليد بطولة أبنائها . وهى قصائد أجود بكثير من كل ما نظم سيمونيدز فى هذا المضمار . لكنها قصائد تشبه هدايا عضد الدولة للمتنبى . أغزر من هدايا سيف الدولة وأكثر ، لكنها كانت ينقصها الروح ! !

ولا نستطيع نحن أن ننقص من قدر أشعار بندار إذا قرأناها ولم نكن ملمين بتاريخه ، بل ربما رفعناها إلى أعلى أوج يرتفع إليه شعر قديم أو جديد ... فأشعاره إلهام رفيع ووحى علوى مما يعز على فحول الشعراء ... وقد نظم كثيراً غير أوراده الدينية فى الرياضة والرياضيين ، وقد كانت أولمبيا تستهويه بأبطالها كما كانت دلفى تجذبه بآلهتها ... وكان بندار يعيش عيشة فنية ، فمسكنه كان متحفاً للصور والتماثيل والموسيقى والشعر ، وكان مشغوفاً بالجمال ينشده فى كل ما تقع عليه عيناه ... فى الطريق ... فى الحديقة .. فى الملهى ... فى الماء ... فى السماء ... فى كل شىء

* * *

هذه هى الأطوار التى ترق فى مدارجها الشعر اليونانى قبل أن ينهض الدرام نهضته العجيبة الخارقة فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهؤلاء هم الشعراء المخلدون الذين مهدوا الذهن اليونانى لعصر النور والعرفان ... عصر بركليس العجيب

أما كيف بدأ شعر الدرام ، وأما كيف وجد المسرح اليونانى فهذا ما لم يعرفه أحد حتى ولا آرسطو نفسه[1] الذى يعتبر معاصراً لنهضة الأدب المسرحى فى أوجه، والذى شهد روائع هذا الأدب تؤديها أقوى الفرق اليونانية فى أعظم المسارح التى عرفها التاريخ، والذى أخذ نفسه بالدفاع عن الشعر عامة ونقض نظرية أستاذه أفلاطون فى ذم الشعر وامتهان الشعراء

والنظرية الشائعة فى ذلك ، والتى اتفق على صحتها المؤرخون[2] هى أن الشاعر آريون هو أول من حوّر الإنشاد الفردى إلى إنشاد يقوم به خورس (فرقة) ويتولى توجيهه رئيس ، وأنه هو أول من ابتكر أغانى الدثرامب Dithyramb (أغانى باخوس أو ديونيزوس إله الخمر والمرح والعربدة !) وهى أغان كان يمارسها

(١) إحدى أنثيات التيتان وهي ابنة أورانوس (السماء) وجيا (الأرض)
(٢) إله الطبيعة والمراعى
(٣) إله الموسيقى والشمس

(١) برتن راسكو — فصل سوفوكلس ص ٤٣ — طبعة بلوريبون
(٢) الأدب اليوناني القديم لورا ص ٧٦ وجلبرت موراى ص ٢٠٤ وتاريخ المسرح اليونانى ودرامته للدكتور روى فلكنجر فصل نشأة المأساة

الشعب على النمط الذى وصفه آريون إبان قطاف العنب

ثم جاء الشاعر تسبيس[1] (من قرية إيكاريا) فكان رأس خورسا كبيراً وزع على أفراده أدوار غنائه مستغلا الدثرامب التى وضعها آريون ثم وسع دائرتها بحيث جعلها تشمل أغانى بان إله المراعى، فكان أفراد خورسه يلبسون رؤوساً تنكرية تمثل رؤوس الماعز ، ولذلك كان يطلق عليهم لقب (المنشدين المعزيين) Tragôdoi ، ولم يكونوا يمثلون درامات بالمعنى الذى نعرفه اليوم . بل كانوا ينشدون مقامات Cantatas أشبه بمقامات الحريرى والبديع تشمل كل منها حادثة واحدة معينة

ومن لفظة Traqödoi اشتقت لفظة تراجيدى للمأساة

ومن لفظة Drömena أى الأشياء التى تؤدى اشتقت لفظة درامه Drama أى الأداء ، وهى ألفاظ كانت شائعة فى المحيط الدينى فى اليونان القديمة ثم أطلقت الدرامة على الرواية المسرحية فيما بعد[2]

هذا وثمة آراء أخرى فى أصل نشوء الدرامة ، منها أنها نشأت فى جزيرة كريت (إقريطش) حيث كان الأهالى يحتفلون كل سنة بإحياء ذكرى مولد سيد الأولب (زيوس !) فكانوا يمثلون ميلاده ثم زواجه من حيرا كما كانوا يصنعون ذلك فى آرجوس وفى ساموس

ثم نهضت أتيكا — القاطعة التى كانت حاضرتها أثينا — وعزم عليها ألا يكون لها أدبها القومى الخاص فأقلمت الملاحم — كما صنع بيزاستراتوس — وأشعار الغناء ، ثم نهضت بأدب الدرام على يدى تسپيس الأيكارى الذى مثل بنجاح عظيم فى سوقها سنة ٥٣٤ ، وخوريلوس وبراتيناس

ولقد كان الشاعر — وهو رئيس المنشدين — يقوم بأدوار عدة ، من دور الملك إلى دور القائد إلى دور الجندى إلى دور الرسول ... فكان لا بد له من تغيير ملابسه فى كل حالة من هذه الأحوال . لذلك أعد له فى جانب من جوانب ساحة الرقص Orchêstra (خص) أو خيمة SKênê ليبدل فيها ملابسه

وإذا كان الشاعر يقوم بكل هذه الأدوار فى المقامة الواحدة فماذا كان يصنع فى الأحاديث ؟ قالوا إنه كان يستعين بممثل آخر ليكون الطرف الثانى فى الحديث ، وكانوا يسمون هذا الطرف الثانى Hypocités ومعناها المجيب، ثم استعملت هذه اللفظة نفسها فيما بعد للممثلين ... فكانت الفرقة القديمة تتكون عادة من شاعر ومجيبين (اثنين) وثمانية وأربعين راقصاً

وكانت الحكومة هى التى تؤتى الممثلين والراقصين أجورهم كما كانت تنفح الشعراء بجوائزها الثمينة السنية . أما الإخراج فقد كان الأغنياء يتحملون كل نفقاته ، وذلك بأن يلجأ الشاعر إلى أحدهم فيعرض عليه أن ينفق على درامته من خالص ماله إلى أن تؤدى فى المسرح ، فكان المثرى يستأجر للشاعر خورساً بأكمله ثم ينفق على الملابس والمناظر حتى يتم الإخراج كله . وكان الأغنياء يتباهون بهذا العمل ويتبارون فى مضماره ، ولا يبخلون بعزيز أموالهم عليه ولو ذهب بأكثرها ، وكل ما كانوا ينشدون من جزاء هو شعور الفخر والزهو الوطنى حين تنجح الدرامة التى أنفقوا عليها بعد العرض الأول . ويجب أن نذكر هنا أن جمهور النظارة بل الجمهور الأثينى كله فى القرن الخامس قبل الميلاد كان قد أوتى حظاً عظيماً من الثقافة العامة ، وكان قد تربى فيه ذوق فنى رفيع نمته فيه ديموقراطية هذا العصر التى أكبرت من قيمة الفرد وأشاعت فيه كبرياء الحرية والشعور بالسيادة

فى ظل هذه الديموقراطية تربى ذوق الأثينيين الفنى حتى غدا ذوقاً أرستقراطياً مرهفاً يقدر الفن حق قدره ويزن آياته بالقسطاس المستقيم ، فحينما كانت تعرض الدرامات فى مسرح أثينا كان الجمهور نفسه هو الذى يصدر حكمه عقب الانتهاء من التمثيل ... وكان الشعراء يرهبون هذا القاضى الجبار لأنهم كانوا يقدرونه . وكم كان جميلاً من أرسطوفان فى بعض مهازله أن يتملق النظارة ويبالغ فى تمليقهم ويطلب إليهم صراحة أن يحكموا له ... ولنتصور إذن قضاة يبلغ عددهم ثلاثين ألفاً أو يزيدون يصوتون للشاعر أو عليه ، وما يكون لحكمهم من أثر عظيم فى نفسه فى حالتى السخط أو الرضى ... لقد يكون فى هذه الألوف المؤلفة قضاة غير عدول ... فقد ذكر الأستاذ ج . ك .

---

(١) لم يذكره أرسطو فى كتابه (الشعر) وقد ذكره صولون

(٢) آثرنا أن نرجئ الكلام عن الكوميدية إلى فصلنا عن أرسطوفان .

ستوبارت[1] أن كثيرين من أهل أثينا كانوا ينظرون إلى التحكيم فى المباريات الأدبية بحسبان أنها مصدر عظيم من مصادر رزقهم... بل كان بعضهم يعدها المصدر الوحيد لهذا الرزق ... يقصد بذلك أنهم كانوا يبيعون أصواتهم لمن يدفع ثمناً أكثر ... وهذا عيب تافه من عيوب الديمقراطية شهدنا مثله فى معاركنا الانتخابية ، لكنه لا ينهض دليلاً على فساد الذوق الفنى عند اليونانيين .

لقد كان غشيان المسارح فرضاً قوميًّا على الأثينيين فى أعيادهم . وقد أثر عنهم أنهم كانوا يقولون إن من لم يذهب إلى المسرح فى العيد لم يكن له عيد ... وقد كانت الحكومة تنظر إلى المسرح نظرة كريمة عالية . لقد كانت تعده الجامعة العليا التى لا تعلم حروف الهجاء بل التى تطبع الشعب على أسمى صور الفضيلة والإيثار والتضحية فتخلق منه شعباً راقياً طيب الأعراق يتذوق أمور الحياة العليا بإحساس حى ناضج بصير لا بإحساس بهيمى بليد

وكانت كل طبقات الشعب تغشى المسرح الكبير فى أثينا ، وكان يظن أن النساء كن محجوبات عن شهوده ، لكن الأستاذ روى فلكنجر دحض هذا الظن الذى لم يكن إلا حدسا وترجما ، بل زاد فأثبت بأدلة قاطعة أن الأرقاء أنفسهم كانوا يذهبون إلى المسرح للتمتع بالتمثيل ، وكانت الحكومة تدفع لهم ثمن تذاكرهم ، وكان ثمن التذكرة أوبولين ، والأوبول Obol هو قطعة من العملة اليونانية القديمة يساوى من عملتنا المصرية اثنى عشر مليا (ثلاثة بنسات انجليزية أو خمسة سنتات أمريكية) فيكون ثمن التذكرة قرشين ونصف قرش تقريباً أو ما يعادل ثمن تذكرة بالدرجة الثالثة فى أى دار من دور السينما عندنا .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن نشوء الدرامة اليونانية تليها لمحات عن المسرح اليونى فى عصر بركليس ، العصر الزاهر العجيب الذى حفل بأكبر عدد من شعراء الدرام على رأسهم إسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدز .

دريني خشبة

(١) فى كتابه الفخم عن اليونان The Glory that was Greece الفصل الرابع (القرن العظيم) ص ٤٢

من برج بابل

ليعذرنى الأستاذ الحكيم صاحب البرج العاجى ؛ فما اتخذت عنوان خواطرى « برج بابل » تقليدا ومحاكاة ... وإنما اتخذته تحديا ومباراة !

وأخشى أن ينقلب البرجان أحياناً حصنين ...

ولكنهما سوف لا يتقاذفان بالرصاص والقنابل ...

وقى الله الإنسانية شرهما ، فتلك أبعد عن طبيعتنا السمحة الوديعة المسالمة .. بل سيتراشقان إن تراشقا بسهام من أغصان الزيتون ...

وأخشى أن تزعجه ثرثرة برجنا ، فتقطع عليه هدوءه وعزلته وتفكيره وأبحاثه الفلكية أيضاً ! ناهيك بثرثرتنا نحن النساء .

ومن يدرى ؟ فلعله يهجره فراراً من جيرتنا المزعجة !

وحسناً يفعل ! فلسوف تحتله المرأة ... فهو من العاج ...

والعاج حلية لطيفة ثمينة محببة إلى قلب المرأة ، والتحلى حاسة سادسة لها ... كأنك تتحدى المرأة وتمعن فى عدائك المعروف بالتزامك حصنك العاجى ، معذرة ، بل برجك !

وكأنك أردت أن تخدع بنت حواء بأنه برج حقاً ، حسبك منه استشراف نجوم الأرض ونجوم السماء ونجوم السينما ! .

ولكن عاجك يارسول البرج غنيمة تغرى ولا تخدع فهو قلعة فى زى برج !

لم تحدثنا أيها الفلكى الراهب من برجك العاجى منذ أقمت بنيانه حتى الآن عن نجوم الليل السابحة فى تيه قصى بعيد ، ولا عن عين السماء الفضية ، ولا عن الزهرة فى موكبها الفخم الجليل ... وكأنك عدوها أيضاً !

وإنما بلغ أسماعنا من شاهق برجك كلام لا يتصل بالفلك ولا بالنجوم ولا بالأبراج ! ...

ولو كان برج حمام لأقنعت نفسى بأنه حمى أمان وسلام !

ولكنه برج من عاج . وهو كأشجار زرقاء اليمامة !.

« الاسكندرية » مارى نسيم

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشـــا

كان شريف فى عصره رجلاً اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف



كاد الخديو للأجانب كيداً شديداً ؛ وظهر كمن يريد أن يثأر لنفسه فلم يكتف بإجابة الوطنيين إلى ما طلبوا ، بل لقد ذهب إلى مشاركتهم مظاهر ابتهاجهم بالعهد الجديد حتى لقد حضر بنفسه حفلاً أقامه فى داره السيد على البكرى ودعا إليه كبار رجال الحركة الوطنية فكان موقف الخديو فى ذلك موقف الزعيم !

وتلقى الأجانب الضربة ولكنهم لم يطيشوا أو يذهلوا عما يجب عليهم أن يعملوا إزاء موقف الخديو ، ومن أجل ذلك لقيت وزارة شريف منهم عنتاً بالغاً ، فتلاشت فى ضوضائهم كل دعوة إلى الحكمة، وضرب الحقد على آذانهم وجعل الغضب على أبصارهم غشاوة

ولكن شريفاً ظهر يومئذ بمظهر جدير بالإعجاب حقاً ، فلا هو خشى جانب الأجانب فتخاذل عما هو بسبيله ، ولا هو مال كل الميل فانقلبت سياسته شططاً ، وبذلك جمع شريف على خير ما يرجى بين حمية الوطنى الثائر وكياسة السياسى الماهر وروية المجرب البصير

احتج الأجانب على إبعاد الوزيرين الأوربيين واستقال كثير منهم من مناصبهم ، وراحت انجلترة وفرنسا تهددان الخديو وحكومته وتنددان بهما ؛ وتوجه الدائنون إلى المحاكم المختلطة فرفعوا أمامها القضايا ؛ وأعلنت لجنة التحقيق أن الحكومة فى حالة إفلاس منذ أكثر من عامين ؛ ولما عرض شريف على هؤلاء الأجانب الصاخبين استعداده إلى إعادة المراقبة الثنائية كما كانت تقضى به تعهدات الخديو فى حالة ما إذا أخرج الوزيران الأجنبيان أو أحدهما رفضوا ذلك الحل مبالغة منهم فى الكيد ورغبة فى زيادة الأمور حرجاً وتعقداً ...

ولكن شريفاً لم يلوه حرج الموقف عن وجهته ؛ وما كانت وجهته إلا أن يجعل مرد الأمور إلى الأمة، فلئن كان يمقت تدخل الأجانب، لقد كان كذلك يكره استبداد الخديو أشد الكراهية . لذلك جعل محور سياسته أن يكون مجلس الوزراء مسؤولاً أمام مجلس شورى النواب ، ولقد تم له ما أراد فجاء فى خطاب الخديو إليه بتأليف الوزارة عبارات لا تقبل تأويلاً فيها يذكر الخديو أنه يرجع بالأمور إلى الأمة ويوافق على مسؤولية الوزارة أمام مجلسها

بهذا كان شريف أبا الدستور فى مصر ، فإن ذلك المجلس الذى تعهده برعايته منذ نشأته عام ١٨٦٦ م قد تمت له السلطة على يديه عام ١٨٧٩ م فصار الحكم فى مصر حكماً دستورياً لا تشوبه شائبة مهما يقول القائلون فى طريقة الانتخاب يومئذ وجهل سواد الناس بأصول الحكم ...

أجل، إن العهد الدستورى فى مصر إنما يرجع إلى عام ١٨٧٩م وهذا العهد إنما نالته مصر بجهاد بنيها وعلى رأسهم شريف وما كان دستور عام ١٩٢٣ م إلا الدستور الثانى للبلاد ، أو بعبارة أخرى ما كان إلا توقداً لتلك الجمرة التى ظلت مطمورة تحت رماد الاحتلال حتى حل سعد محل شريف فى الحركة القومية فأزاح ذلك الرماد ونفخ فى تلك الجمرة فأوقد نارها !

لم تكد البلاد وا أسفاه تفرغ من مظاهر فرحها حتى جاءت الأنباء بعزل عاهلها ، فإن الدولتين ما فتئتا تسعيان لدى الباب العالى حتى تم لها عزله وإسناد الحكم إلى ابنه توفيق باشا ؛ وبخروج إسماعيل من مصر فقد شريف وفقدت البلاد الرجل الذى كان يمكن الاعتماد عليه فى مناهضة نفوذ الأجانب ...

رفع شريف استقالته إلى الخديو الجديد كما تقضى التقاليد الدستورية ، فطلب إليه الخديو إعادة تأليفها ، وأشار توفيق صراحة فى أمره وفى خطابه أمام مجلس الشورى ميله إلى العطف على الأمانى القومية كما تظهر فى الحركة الدستورية الوطنية . وسار شريف على نهجه الدستورى يدعم ما بنت يداه ويجهد فى توطيد أسسه ...

ولكن توفيقاً ما لبث حين جاءه فرمان التولية أن تنكر للحركة الوطنية فما كان فى موقفه الأول إلا مخادعاً يكتسب الوقت فلما اطمأن إلى مركزه من جهة الباب العالى بدأ سياسته الجديدة بأن رفض أن يجيب رئيس وزرائه إلى ما طلب بشأن توسيع سلطة مجلس الشورى ووضع نظام الحكم على أساس دستورى ثابت ؛ وفى هذا رأى شريف نية إقصائه عن الحكم فاستقال ، وجاءت استقالته هذه المرة أيضاً عاملاً قوياً من عوامل إذكاء الروح الوطنية وإشعال جذوتها

وما كان أحوج توفيق يومئذ إلى شريف وإليه دون غيره من الرجال . أجل ما كان أحوج الخديو إلى ذلك الرجل الذى كانت تجتمع فيه الرجال وتلتقى فى سياسته الآمال ، وإنى لأزعم هنا فى غير تحرج أنه لو بقى شريف فى وزارته يؤيده الخديو لكان من الممكن أن تتفادى البلاد تلك الثورة التى جرت عليها نكبة الاحتلال فلقد كانت دسائس انجلترة فى تلك الآونة تنفذ إلى كل ركن وكانت انجلترة تتحين الفرص وتعمل على تهيئتها ، ولو أن شريفاً قد بقى فى مركزه لما اتجهت الحركة الوطنية إلى الحزب العسكرى ولسارت سيرها ولو فى بطء إلى غايتها

حل رياض محل شريف فأخذت السياسة الرجعية موضع الحركة الدستورية ، وتلفت الوطنيون ، فإذا الأجانب يعودون إلى نفوذهم الأول بل إلى أكثر منه وبخاصة انجلترة التى أوحت بسياستها إلى توفيق أن يتخذ منها سنداً ضد الباب العالى وضد فرنسا وضد الوطنيين ! فلقد كان توفيق يوجس فى نفسه خيفة من تركيا ويعتقد أنها تتآمر عليه ، كما كان يفهم أن فرنسا تعطف على العرابيين منذ ظهرت حركتهم . هذا إلى أنه رأى مبلغ نفوذ الأجانب فى خلع أبيه وأحس ما تركه هذا الخلع من أثر فى قلب مثل قلبه ...

واقتضت الظروف أن يظل شريف بعيداً عن الحكم سنتين عانت فيهما البلاد رزايا الحكم المطلق وبلايا تدخل الأجانب ، حتى هبت العاصفة من ناحية أخرى هى ناحية الجيش

وكانت حركة الجيش أول الأمر قاصرة على مطالب تتعلق برجاله ، ولكن ما لبث أن التقى التياران واتحدت الغاية ، فإن رجال الحركة الوطنية حينما ضاقوا بما فعلت وزارة رياض ، وحينما سدت فى وجوههم السبل لم يبق أمامهم إلا الاستعانة بالعسكريين ورأى العسكريون من جانبهم أن فى اضطلاعهم بمطالب الأمة ما يرفع من قدر حركتهم فرحبوا بالفكرة وساروا بها لا يلوون على شىء ...

وهكذا تتقاذف السفينة الأنواء وتلقى بها فى غيبة ربانها فى بحر لجى متتابع الإزباد كأنما جن فيه جنون الريح فلن تهدأ إلا على مناظر الغرق والدمار .

سار عرابى العسكرى بخيله ورجله ومدافعه إلى الخديو يعلن إليه مطالب الأمة وينذره أن لا مرجع للجيش حتى تجاب تلك المطالب ؛ ولم يكن للخديو أمام هذا التحدى إلا أن يجيب عرابيا إلى ما ضن به على شريف ! ولكنه صرف الجند ليلقى بنفسه فى أحضان المشيرين عليه من الإنجليز الذين واتتهم الفرصة المرتقبة

وأقيلت وزارة رياض كما طلب الجيش ، ودارت أعين الأحرار تلتمس غيره فلم تقع إلا على شريف ؛ وهل كان ثمة غيره تقع عليه العيون ؟ ونظر شريف فإذا العاصفة هوجاء تنذر بفقد الرجاء ففكر فى الإحجام ولكن الرجل لم يكن من طبعه الإحجام ، وما كان ليرضى أن يترك البلاد فيما كانت عليه فإنما يعرف ذو العزم فى الشدة وعلى قدر عزمه تكون رجولته .

اشترط شريف ألا يكون لعبة فى يد الجيش فما كان هو بالرجل الذى تهون عليه نفسه إلى هذا الحد ، وقبل الجيش ما اشترطه ، فألف الزعيم الكبير الوزارة وكان أول عمل قام به أن أبعد زعماء الجيش عن العاصمة فخرجوا طائعين .

وراح شريف يصل ما انقطع فما كان ليحيد عما وهب للبلاد حياته من أجله ؛ فوضع نظام الحكم على أساس دستورى كأحدث الأسس الدستورية يومئذ ودعا البلاد لانتخاب مجلس نيابى . ولما انعقد المجلس ترك له شريف النظر فى الدستور وأصوله فجعل منه جمعية تأسيسية يريد بذلك أن يجعل إلى الأمة مرد كل شىء

وخيل إلى البلاد أنها استراحت من عنائها ، وأن قد آن لها أن تسير إلى معالجة مشكلتها المالية فى هدوء ، وأن تمضى إلى إصلاح مرافقها والنهوض بشتى نواحى البناء والتعمير فيها ؛ فهذه هى وزارة الأمة حائزة لثقة النواب ، وعلى رأسها الرجل الذى تطلعت إليه آمال الرجال ، وهؤلاء هم نواب البلاد لا غرض لهم إلا العمل لخير البلاد .

ولكن — وما أوجع لكن فى هذا الموضع — هناك ... وا أسفاه من وراء ذلك دسائس لا تنام ولا تهبو ، ورؤوساً لم تتدبر الأمور كما كان يرجو شريف أن تفعل ، ومطامع شخصية هى علة العلل فما أرى فى كل خلاف تشتعل ناره فى هذا الشرق المسكين ؛ وماذا كانت تجدى إزاء ذلك كله كياسة شريف وروية شريف، وماذا كان يغنى عنه بعدنظره وحسن تدبره عواقب الأمور؟

وكانت فرنسا هى التى بدأت بالتحرك هـذه المرة فأشارت على انجلترة بالتدخل ، فرنسا التى سندت محمد على بالأمس ضد انجلترة حتى جد الجد فتراخت عزمتها دون نصرته حتى تحطمت قوته هى بعينها فرنسا التى تشير على انجلترة بالتدخل اليوم فى شئون مصر ! ألا ما أشقى الضعفاء بضعفهم ! كلا، بل لعمرى ما أتعس الأقوياء بقوتهم إن كان ما يبنونه لأنفسهم على حساب الضعفاء قصارى سعادتهم وبرهان إنسانيتهم ...

هذا هو مجلس النواب يجادل شريفاً وشريف يجادله فى أمر الميزانية وحقه فى نظرها أوعدمه ؛ أليست هـذه مسألة داخلية بحتة ؟ ولكن الدولتين لا تعترفان بذلك ؛ ومتى اعترفت ذوات المخالب لغيرها من ذوات اللحم الطرى بحقها فى أن تعيش ؟ إذاً فلتحرم الدولتان على المجلس النظر فى الميزانية، ميزانية مصر، وإلا أفهمتاه كيف يكون الإذعان للسلطان لا للحجة والبرهان !

ونضيع جهودشريف عبثاً فى دعره المجلس إلى الاعتدال ... إلى الاعتدال ؟ أيطلب الاعتدال زعيم ثورى من هيئة ثوريه ؟ ذلك ما راح النواب يتساءلون فيه ؛ ألا يا ويل كل رئيس من الظروف إذا كادت له فقلبت كل عرف لديه نكراً وألبست حوله بالباطل كل حق. لقد وصف اعتدال شريف بأنه خور وأخذت سياسته على أنها مروق ، ألا هل من يعقل أو يتدبر ؟ ألا هل من يستمع له حينما فكر فى آخر حل فطلب تأجيل الأمر كله حتى يبحثه فى هدوء ؟ كلا لن يستمع له أحد . أيستمع إليه عرابى المتحفز المتوثب ، أو يدين برأيه البارودى الطامح إلى رياسة الوزارة ؟ أو يسكن إليه المجلس الذى كره الأجانب وتدخل الأجانب حتى لم يعد له على الصبر طاقة ؟

والدولتان أتتهاونان أو تريان جانب الحق؟ كلا . إنما ترسلان إلى الخديو أنهما على استعداد واتفاق لتأييده أمام ما عساه أن يصادفه من المتاعب، ولا يتردد هو فى قبول هذه « المذكرة » ، فتثور ثورة الوطنيين ، ويطلب شريف من الدولتين مذكرة تفسيرية تهدئ الخواطر ولكنهما، وقد أرادتا إثارة الخواطر، لا تجيبان . . .

ويحمل الوطنيون على شريف زعيم الوطنيين فيحرجونه حتى لا يجد أمامه وسيلة لإقناعهم ، ثم يطالبون بإسقاط وزارته فيستقيل ويعود إلى داره ، فتندفع الثورة هوجاء قد جن جنونها ؛ ويفرح ذوو المطامع من الأجانب ، هؤلاء الذين أجابهم شريف إلى إعادة المراقبة الثنائية ووافقهم على قانون التصفية التى تم فى عهد رياض على ما كان فيه من عدوان وظلم ...

وتمضى الثورة فى طريقها ، والدولتان فى طريقهما ؛ ثم تنفرد انجلترة فتتغافل فرنسا كى تلتهم الفريسة وحـدها ، وتضرب أساطيلها قلاع الاسكندرية مرتكبة بذلك أشنع ما عرف فى تاريخ الحروب من عدوان وغدر ، ويدفع عرابى مصر لتدافع عن نفسها فيكون جهاد فيه قوة وحماسة ، ولكنه لا يخلو مما منى به الشرق فى عصوره الأخيرة من ختل وخيانة ، فتفشل الثورة ويعود الخديو من الاسكندرية ليجد فى طريقه إلى قصره فرقة من الجيش البريطانى تصدح موسيقاها بالسلام الملكى الانجليزى ... ! وتقع على هذا المنظر عينا شريف وقد عاد معه ، فلا يملك — على ما يقول الرواة — ذلك الرجل الكبير دمعه فيجهش كما يجهش الطفل ! ألا ما أغزر ما تفيض به الدموع من المعانى !

بكى شريف وحق له أن يبكى فهذه جهوده تذهب عبثاً ،

بل هذه مصر تصبح وهى لا تملك من أمرها شيئاً ؛ وما كان شريف غداة طلب من المجلس الأناة والاعتدال لمصرى خواراً ولا مارقاً ؛ بل لقد كان يومئذ يقف أجل وأعظم موقف فى حياته ، موقف الشجاعة التى لا تتملق النسواب ولا تخشى فى الحق ما يعلنه الرأى العام ، والتى لا يغرها مديح أو يستهويها الحرص على إطراء الجمهور ورضاه ، وموقف الكياسة فى معالجة الأمور ، والنظر فى عواقبها ؛ وإنا لن نجد فى الحق موقفاً يوضح أخلاق شريف ويكشف عن طباعه خيراً من هذا الموقف الجليل . والزعيم الحق هو الذى يهم بما يراه حقاً ويصر عليه مهما لاقى من عنت، وإلا فعلى أى أساس دون ذلك تقوم زعامته ؟

ودعى شريف بعد الاحتلال لتأليف الوزارة فلم يحجم، ودخل رياض فى وزارته، وما كان قبوله الحكم فى تلك الظروف عن رغبة منه فى المنصب، فهو يرى ما يطلبه المنصب الآن من جهد شاق وصبر طويل ، وإنما كان موقفه موقف ذى النجدة الذى لا يتسرب إلى عزمه وهن ما دامت فى جسده حياة . . . كان موقفه موقف المخلص الذى يسيره إخلاصه وعلى عليه ما يجب أن يعمله حتى ما يستطيع أن يفلت أو يتردد إن فكر فى ذلك أو مال إليه

وكان طبيعياً أن يجرى فى وزارته على خطته قبل الاحتلال ، أو على الأقل كان طبيعياً أن يقبل تأليفها على هذا الأساس فإن ذلك وحده هو الذى استطاعه ، ذلك أنه ما لبث أن رأى الإنجليز هم كل شىء على رغم ما كانوا يذيعونه من وعود بالجلاء فى مشرق الأرض ومغربها

وجاءت الفتنة المهدية فى السودان فأرادت انجلترة أن تخليه مصر لتعيد فتحه من جديد؛ وأبى شريف إلا أن يضيف إلى محامده ومآثره فى هذا الوادى مفخرة سوف يقترن بها اسمه الكريم على مدى الأيام، فرفض ذلك الاقتراح وقال كلمته التاريخية التى تنطوى على كثير من المعانى: « إذا تركنا السودان فالسودان لا يتركنا »

ولكن انجلترة التى تعتزم الجلاء عن مصر تصرح على لسان معتمدها أنه على الوزراء والموظفين أن يعملوا «بالنصائح» التى تسديها حكومة جلالة الملكة وإلا فعليهم اعتزال مناصبهم ! ولا يتردد الخديو أن يقبل حتى هذا التصريح !

وعرف شريف من المقصود بهذا التصريح ، وهيهات أن تسير الوطنية مع نوايا الاحتلال والعبودية ، لذلك لم يكن بد أن يختم شريف حياته السياسية بالاستقالة من وزارته الرابعة والأخيرة بعد أن قضى فيها عامين ... وكانت هذه كبرى استقالاته إذ كانت تنطق بشهامته وصراحته ؛ وتفيض برجولته فهو لا يستقيل « لأسباب صحية » ولكنه يحتج على محاولة سلخ السودان وعلى هذا التصريح الذى يتنافى مع الدستور ويتنافى مع الاستقلال، وكان ذلك عام ١٧٨٤

قلت لنفسى ...

حتى العلماء ورّاث النبوة وأولياء الحكمة يجوز عليهم ما يجوز على أتباع الهوى وعباد الشهوة من بنى الأرض !

— وما ذاك ؟

— يقولون إن فى الأزهر عريضة ، فضيحتها طويلة عريضة . وإذا صح ما تلهج به حولها الألسنة فقد استشرى الضلال حتى حارت الهداية ، واستحكم النفاق حتى فجرت النواية . وإذا ضل الدليل ، فكيف تُسلك السبيل ؟

يتحدثون أن نفراً من العلماء جعلوا قيادهم فى يد الهوى فدلاّهم بغرور ومنّاهم بباطل وزين لهم أن يشغبوا على الإمام المراغى مظهر الإسلام المشرق، وممثل الرأى الصحيح، وأول من وحد بين المُلك والدين ، ووفق بين الأزهر والدنيا ؛ فمضوا يظهرون عريضة فيها الرجاء والثقة ، ويسترون عريضة فيها التمرد والإفك ، وطافوا بهما على علماء المعاهد يقرأون عليهم ما فوق ، ويضمون أختامهم على ما تحت، حتى اجتمع لهم من هذه الإمضاءات المغشوشة سبعون ونيف ، فدخلوا بها على الأستاذ الأكبر دخول النذير المدل بما وراءه ، فتلقى الإمام هذا النزق بحلم العظيم ورفق الكريم ؛ ثم تدارك الله الحق فبرح الخفاء وشاعت الفضيحة. وقال الأعمى أنا لا أقرأ، وقال الغافل أنا لا أفهم، وقال الخادع أنا لا أستحى !

بهذا يتحدث الناس وربما كان فى الحديث افتراء ؛ فإن رجال الدين أكرم على الله أن يجعل فيهم هؤلاء ، وهل يخشى اللهَ من عباده إلا العلماء ؟!

ابن عبد الملك

وفى عام ١٨٨٧ يموت هذا الرجل العظيم وهو على سفر فى النمسا فتتلقى مصر جثمانه وتمشى خلف نعشه الجموع الهائلة التى لم تر مثلها البلاد من قبله ، فهذه أول جنازة شعبية فى تاريخها الحديث. هذه هى السابقة التى سترى مكبرة عظيمة يوم تضيق القاهرة بالنتخبين من أبناء مصر يشيعون جثمان رئيس الثورة الثانية زعيم الوفد الأول، ذلك الذى كانت حياة شريف أيضاً وجهاده القومى سابقة قومية لحياته وجهاده . . . رحم الله العظيمين وجزاهما عن وطنهما خير ما يجزى به الشهداء والمجاهدون

« تم » **الخفيف**

استطلاع صحفى

الأندية الأدبية فى مصر

مقهى الفيشاوى

(لمندوب الرسالة الأدبى)

أتعرف الحىّ اللاتينى يا صاحبى ؟

أقصر الطرف ، وقرّب الفكر ، واقتصد فى الخيال ، فلا تذهب إلى ما وراء البحار إذ تحسبه فى باريس مدينة العلم والنور ، وبلد الطرافة والحسن ، ومبعث الفتنة والخروج على الوقار ...

إلى هنا يا صاحبى ! فى قاهرة المعز لدين الله ، موطن المجد القديم والعز التالد والتاريخ الحافل ، حيث المسالك الضيقة والدروب الملتوية والشرفات المتشابكة والسطوح المتواصلة والبناء العتيق العتيد ، الذى أفنى جداره القرون وما زال تتجلى فيه روعة الفن الشرقى الخالص ، وعبقرية الذوق المصرى الصحيح ...

إلى هنا يا صاحبى ! حيث الأزهر يعجّ بأبنائه من سائر الأقطار، ومشهد الحسين يضج بقصاده من جميع الأمصار، وخان الخليلى معرض الكهرمان والآبنوس والصدف والعاج والسجاد الفاخر يتلهف عليه السائحون ومجانين الأثرياء ؛ والغورية سوق العطر والأصباغ والألوان وكل مساحيق التجميل البلدية والأوربية تتزاحم عليها أسراب الفتيات من كل هيفاء هى منية النفس ، ومن كل شوهاء هى فداء إحسان[1] ، ومن كل عطبول رداح يفديها صاحبنا بيرم بأبيه وبروحه إذ يقول :

بأبى وروحى اللابسات خلاخلا . الآكلات مدمساً وفلافلا

إلى هنا يا صاحبى ! حيث يمتزج القديم بالحديث ، ويختلط الطيب بالخبيث ، ويتلاصق الوضيع بالرفيع ، ويتساوى الأصيل بالدخيل ، فتتجلى لك القومية المصرية فى تباين المظاهر واختلاف الطبقات ، وتتبين لك المفارقات فى أذواقنا وسلوكنا ومدنيتنا إذ ترى عربات سوارس والكارو ما زالت تجرجر وتكركر إلى جانب مركبات الترام والأتوبيس والفيات . . .

إلى هنا يا صاحبى حيث سوق البقول والأفاويه والتوابل والأعشاب ، والبن بجميع أصنافه ، والشاى بسائر ألوانه ، واللب



الأستاذ فكرى أباظه فى جمع من إخوانه النواب والصحفيين يرشفون أكواب الشاى على الفيشاوى فى ليلة من رمضان

المحمص ، والحمص القلى ، والبطاطة المشوية ، والعدس القشرى ، وما إلى ذلك من الأطعمة الشهية التى تخالف فى عرضها وفى طهيها كل شروط الصحة على أنها عند أهلها كل قوام الصحة والعافية ، فهى لهم ملء البطن ، ومشتهى النفس ، ورغبة العين ...

إلى هنا يا أخى ! حيث درج محمد عبده وسعد زغلول وحمزة فتح الله والسيد المرصفى والسيد القاياتى وابرهيم الهلباوى ومحمد أبو شادى ومحمد السباعى وطه حسين وأستاذنا الزيات وزكى مبارك وغير أولئك ممن أعرف ومن لا أعرف من رجال مصر فى السياسة، وأعلامهم فى الرياسة ، ونبهائهم فى الأدب والفضل والصحافة ...

إلى هنا يا أخى، فذلك هو الحى اللاتينى كما يسميه الظرفاء من أهل الأدب ، والنبهاء من أولاد البلد !

فى هذا الحى الذى رأيت ، وعلى خطوات من مدخل خان الخليلى

(١) هذا من وضع صديقنا المرحوم إبرهيم الجزار لكل قبيحة تتزين ، أخذه من قول السيد القاياتى : فداؤك يا إحسان كل دمية... البيت

الضيق من جهة الحسين يقع مقهى الفيشاوى العتيد، فهو فى موضع بعيد عن جلبة السابلة ، وضوضاء المركبات ، فأحر به أن يكون فى غمرة من الهدوء والسكون ، ولكن الله ابتلاه بكثرة الباعة ، وإلحاح ذوى الحاجة ، وصوت النادل الأجش يرفعه عالياً عالياً فى المناداة على المطلوب وشرح المطلوب فيكون له دوى وطنين لا يتحمله إلا الذين تعودوه .

ومقهى الفيشاوى فى روائه آية من آيات الفن القديم، وصورة قوية من الذوق الشرقى الذى يغرق بطبعه فى التجميل ، ويهول فى التزين ، ويخلبه البريق واللمعان ، فيحمل الصورة فوق ما تطيق من التمويه والتوشية ، وكثرة التلافيف والتعاريج ، وأنت تستطيع أن تستجلى ذلك كله فى تلك المرايا الضخمة الفخمة التى علقت بجدران الفيشاوى وتجاه مدخله بالشارع ...

ويهدف إلى الفيشاوى كل أدباء مصر بلا استثناء ، فى فترات قد تبعد وقد تقصر ، ويدمن الجلوس فيه طبقة خاصة من مفاليك الأدب ، وصعاليك الصحافة ، وصرعى الآمال فى المشاريع الحرة ، والذين عاكستهم الأقدار فى نيل الشهادات والفوز بوظائف الحكومة ، ومن شطت بهم الدار من الأقطار الشقيقة فى طلب الرزق أو طلب المجد ، يتلفف هؤلاء حول موائد « الشاى المفتخر » كل مع من يشاكله ويأنس إليه ، فيغرقون فى الحديث عن أنفسهم ، أو يتلهون بالنرد ولعب الورق على تدخين النارجيلة ورشف أكواب الخمر الحلال : أكواب الشاى الأخضر والأحمر والأسود والأبيض الذى يتيه الفيشاوى بصنعه على كل مقاهى القاهرة ، وكأنى بأدباء الفيشاوى يجدون فى هذه الأكواب لذة وغناء عن أكواب بنت الحان ...

وكثيراً ما ينطلق أدباء الفيشاوى على طبيعتهم ، فيتشاجرون بالنادرة ، ويتضاربون بالنكتة ، ويغرقون فى المرح إلى أبعد حد ، ويرسلون الضحكات عالية قوية كلها سخرية بالحياة، واستهانة بقسوة الدهر، واستخفاف بعبث الأيام ومطالب العيش، فهم يضحكون عن فلسفة ونظر ، وكأنهم يقولون : ولماذا يا أخى لا نضحك ، وقد تحملنا من الرهق فوق الطاقة ، ولقينا من الأقدار ما تنوء به عزائم الرجال ؟ فيالها من دنيا لا تستحق إلا الهوان ...

وأدباء الفيشاوى يتباينون فى ثقافتهم ، ويختلفون فى عقليتهم وإن كانوا جميعاً فى نظرتهم إلى الحياة سواء ، فتجد فيهم الشيخ الأزهرى الذى يرغى ويزبد بالقافات كما يقول حافظ ، وفيهم الأديب الظريف الذى يملأ جعبته بنوادر السابقين واللاحقين ، وفيهم الصحافى الذى يضيق رأسه بأخبار الملاهى والمسارح ونجوم السينما والمسرح فى هوليود وعماد الدين ، وفيهم من يضج لسانه بالعجمة ويرتضخ بالعامية وكل ما عنده جملة طيبة من أسماء الأدباء فى الشرق والغرب ، وهو يحسب أنه رأس المفكرين ، ولله فى خلقه شئون .

ويجرى ذكر الأدب والأدباء فى حلقات الفيشاوى ، فيذكر من الكتاب العقاد والمازنى وطه وهيكل والزيات وأحمد أمين وزكى مبارك وكل كاتب فى مصر ، ويذكر شوقى وحافظ ومطران وشكرى والزين والهراوى والأسمر وكل شاعر حى أو غبر ، ويذكر حافظ عوض وعبد القادر حمزة وأنطون الجميل وصاحب الهلال وإخوانهم فى الصحافة، ويذكر يوسف وهبى، وجورج أبيض وسليمان نجيب ، وعزيز عيد ، وفاطمة رشدى ، وزينب صدقى ، وأمينة رزق ، ومن لا أعرف من أهل المسرح ، ولكن كل هؤلاء لا يفوزون من أدباء الفيشاوى إلا بابتسامة ؛ ولست أدرى أهى ابتسامة الرضى والإعجاب أو الهزء والاستخفاف. وعلى كل حال فهم يرون أنه لولا معاكسة الأقدار ، وقسوة الحظ لكان أقل شخص فى الفيشاوى أكبر من أى شخص من هؤلاء فى النثر أو فى الشعر أو فى الصحافة أو فى التمثيل ، كل فيما يحاوله ويرغب فيه ، وجبراً لخاطر إخواننا فى الفيشاوى نلعن ذلك الشىء الدعو بالحظ ، قاتل النبوغ ، وقابر العبقريات ...

وللفيشاوى « موسم » يتم له فيه المجد ، ويبلغ الغاية من الجلال والكمال ، وذلك فى رمضان إذ تنشد النفوس الإنابة وحسن الثواب وتطلب السهرات البريئة الطيبة فتستبدل أكواب الشاى بأكواب المعتقة ، ومن ثم تجد فى حلقات الفيشاوى رجال السياسة والأدب والصحافة فى مصر ، فتجد لطفى السيد باشا ، وهيكل باشا ، وحفنى محمود، وعبد الرحيم محمود، وبيازى باشا ، والصحافى العجوز ، وفكرى أباظه ، ولطفى جمعة ؛ وكثيراً من النواب وأساتذة الجامعة وشيوخ الأزهر ، كل منهم فى حلقة حافلة ، يشدون أطراف الحديث طلباً للسمر ، واستعانة على السهر ، حتى السحور

ثم يأتى العيد ، فينفض السامر الحافل ، ويعود الوضع إلى مستواه ، ولا يبقى للفيشاوى إلا الذين يعكفون عليه من أمثال الشاعر ابراهيم الدباغ والأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى صاحب المرفة ، والشيخ سلطان الجهنى المحرر بالوفد ، والشيخ على عامر المحرر بالدستور ، وصديقنا الشيخ البهى المحرر بالقطم ، والشاعر

حوريتي تسأل...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« مهداة إلى شفتيها الطاهرتين »

قالت: لقد غرب الشعاع! فقلت: ما
غربت بشاشته وأنت بجانبي!
قالت: وكيف؟ فقلت: أنت شعاعة
بيضاء في قدح المساء الذائب

تفنى الأشعة والعوالم خلفها ... وسناك يشرق في قتام غياهبي
أنوار حبك خالدات في دمي ... غمرت لديّ مسالكي ومذاهبي
بسواك لا تزن الوجود بصيرتي ... إلا بوهم في الجوانح سارب

لا تندبي شمس النهار، فطالما
دارت رحاها في الضحى بمصائبي
طلعت عليّ فما لمحت لها سنا
في الأرض ترفه في يديه متاعبي
الناس حولي أنفس مطمورة
في بهرج دنس السريرة كاذب
أشباحهم سقط القبور، وطيفهم
- قدست طرفك عنه - بوم خرائب
هيا اتركي عنها الحديث، فإنني
عن دهرها لست الغداة بعاتب

عمياء كابن الطين تخبط مثله ... خبط المحير في هجير سباسب

مالت وحاديها الظلام لشاطئ
في الغرب من جرح المطامع خاضب

مرت جنازتها بطرفي مثلما ... إثم يمر على ضمير الراهب...
نسّاني الدنيا جبينك فاشكبي ... قبساً أعز من الشعاع الغارب
أيامي احتضرت! فيا ويلي إذا ... لم يحيها نور الجبين الغائب

* * *

قالت: وما للنيل يشبه ساجداً ... نسي الصلاة ولج في استغفاره؟

قلت: ارقبيه، لعل موجة شطه
تنبيك دون الناس عن أسراره

هو شاعر مثلي رآك فرق لي ... وأذاب هذا السحر من أوتاره

وأعان مزهري الجريح على الهوى
وشدا بلوعته عليك وناره
ومضى يغمغم في الضفاف، وفتنتي
وصبابتي تنساب في تياره!

* * *

قالت: كآبات المساء أهجنني! ... قم هز من فجر الخيال صبابتي

هات اسقني نغم الصباح لعلني
أنسى على شفة المساء كآبتي!
قلت: ارقبيني في غد إن الأسى
في الروح أخرس هوله شبابتي!...

« وزارة المعارف » محمود حسن اسماعيل

البائس الثائر على نفسه وعلى الناس والأيام عبد الحميد الديب ...

وعبد الحميد الديب هذا شخصية عجيبة متناقضة، تثير في النفس بمظهرها وبأدبها وبسلوكها كل عواطف الإشفاق والقسوة والألم والضحك. فهو يعجبك بشعره، ولكنه يغضبك بسلوكه. وهو يضحكك بحديثه، ولكنه يؤلمك بمظهره. أشبعته الأقدار قسوة وإرهاقاً وبؤساً، وأشبعها هو استخفافاً واستهانة وزراية. وهو على حاله تلك يعتد بنفسه إلى أبعد حد، ويرفع شعره فوق كل شعر، فشوقي مهما سما في تقديره لا يبلغ شعرة في مفرقه، وهو ملازم للفيشاوي لا يريمه في الضحى والأصيل والعشية، حتى لقد يبيت على كراسيه. ولقد جاء العيد وتفرق إخوانه كل إلى شأنه وبقي هو وحده على إفريز الفيشاوي ينشد:

يامعشر الديب وافى كل مغترب ... إلا غريبكم في مصر ما بانا
قدمتمو الشاة قرباناً لعيدكم ... والدهر قدمني للبؤس قربانا

لقد تغير كل شيء في الحياة! ومن ذا الذي يا عز لا يتغير؟!
وها هو ذا معول الهدم يهدد مقهى الفيشاوي بالدمار تنفيذاً لقرار دائرة الأميرة شويكار. فهل يحفل أدباء الفيشاوي بتاريخ ناديهم العتيق وذكرى أيامهم الطيبة فيه كما يعنى بذلك أدباء الغرب؟ هيهات!

م . ف . ع

النور

للأستاذ أمجد الطرابلسي

تحجّى السّبيلْ ومات الدّليلْ
وتاه الرّفيــقْ
وهــذا الظّلامْ أضاع الزّمامْ
فضــلَّ الطّريق
وخافَ الرّحيلْ فأغــفى ونامْ وما يستفيقْ

***

وأين الصّباحْ تواسى الجراحْ
ويحيى الأمــلْ
سقته الحسانْ ضيــاء الدّنانْ
وخمرَ القُبــلْ
فألقى السّلاحْ وراء الزّمانْ صريعَ المقــلْ

***

أقامَ الألَقْ وراء الغسقْ
يُنيــرُ المدى
وحولَ الخصورْ وفوقَ النّحورْ
يَصُبّ النّــدى
صــبايا الشّفَقْ رفعنَ السّتورْ له فاهتدى . . .

***

ســباه الجمالْ وسحرُ الدّلالْ
وحــلوُ النّغمْ
فألقى عصاهْ مُريقاً سَــناهْ
وراء الظُّــلَمْ
وخلّى الضّلالْ ويوسى المَتاهْ لِرَكْبِ الألمْ

***

هَنا الليــلُ نامْ رهيبَ الظّــلامْ
مهيبَ الحَلَكْ
وباتَ الصّباحْ أســيرَ الملاحْ
رَضِىّ الشّرَكْ
فمن للهيامْ وراء البطاحْ ونحتَ الفلكْ ؟

***

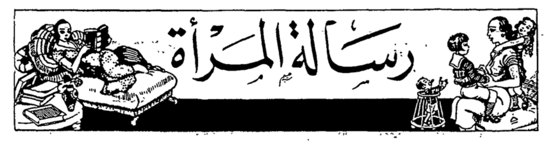
طلبتُ الضّياءْ فجزتُ الجواءْ
أمامَ النُّــورْ
نقضتُ الدّهورْ وخضتُ البحورْ
لأحظى بنورْ
ظــلامُ الفناءْ يعمّ القصــورْ فكيفَ القبورْ...؟

« باريس » أمجد الطرابلسي

المصور

شاهدت حاكية تأتى على الصوَرِ كأنما يتحدى رسمها القدرا
فقلت خلق بلا سمع ولا بصرِ لينفخ المرء فيها الروح إن قدرا

محمود غنيم



فن التجميل والمرأة في مختلف العصور

للآنسة زينب الحكيم

بينت فى مقال الأسبوع الماضى نشأة فن التجميل ، وأوضحت اتجاه المرأة بالنسبة له . واليوم نتحدث عن فن التجميل فى مختلف العصور .

استفسرت من أميرة كردية فى راوندوز عن الوسائل التى يتزين بها بعد أن أثنيت على جمالهن ، وعجبت إذا كان كله من إبداع الطبيعة ! فقالت : إننا نحن الكرديات ليست لنا أسرار . قالت ذلك علناً أمام رجلين من الأكراد كانا فى مجلسنا . وعند ما هممت بالانصراف ، وجدتها تستبقينى لحظات بعد انصراف الرجلين ، وانتحت بى ناحية خاصة من الحجرة الكبيرة ، ثم قالت : الآن أستطيع أن أصدقك القول جوابا عن سؤالك لى عن وسائل زينتنا. ورفعت غطاء حريرياً ثقيلاً عن صندوق ، فلما فتحته أوضحت لى محتوياته ، فأرتنى نوعاً من المسحوق الأبيض غير النقى ، وقالت : هذا نوع من تربة بلادنا كردستان نستعمله لتبييض وجوهنا بعد أن نمزج قليلاً منه بالماء

ثم أرتنى نوعاً من الكحل ونوعاً من الدهن يستعملنه لشعورهن ، وأطلعتنى على عدد من مناديل اليد الحريرية الزاهية الألوان ، هذا إلى جانب الحلى الذهبية الكثيرة التى يحملها فوق رأسها وصدرها وأطرافها ، والثياب الفخمة الثقيلة التى تلبسها وأسرت إلىّ : « إننا كجميع النساء لا بد لنا من بعض الأسرار »

وما كان أشبه هذا الحادث بما حصل مرة مع أميرة هندية ، سئلت عن وسائل تزينهن قالت : « ليس لنا نحن الهنديات أسرار لأننا كجميع النساء كلنا أسرار » ومع ذلك ، فقد كانت تحمل أنواعاً من صناديق المراهم والدهون أينما ذهبت ، ووسائل تزين هاتين (الكردية والهندية) توضح أبسط وسائل الزينة وأيسرها اتباعاً



المصرية الفرعونية فى تمام زينتها فى استعدادها لعيد أو لحفلة دينية قوام رشيق وحلى فاخرة وثوب مطرز بدقة

وفى الحق أن التفانى فى اللجوء إلى الجمال المصطنع ، والتغالى فى إتقان فن التجميل دلت عليه نهضة صناعة قديمة تضارع أقدم الحضارات

فقد أوضحت الاستكشافات الأثرية ، وبرهن التاريخ ، على أنه قد وجد فى مقابر قدماء المصريين ، وعلى زهريات اليونان ، وفى نقوش بابل ، وفى الفسيفساء الرومانى ، أن الدهون قد استعملت بكثرة غامرة ، بحيث تجعلنا نتخيل أن وسائل التزين والتجميل استعملت فى تلك الأيام بحالة لا يمكن أن تكون أقل انتشاراً مما هى عليه فى أيامنا

فطالما وجدت تحت أكوام الآثار القديمة عشرات الآنية

التى احتوت على أنواع الكريم والأصباغ وسوائل التدليك من كل صنف

أما المرأة الرومانية واليونانية كما يقرر عنها أتنيس Athenaeus فقد استعملت مسحوق المحار الأرجوانى اللون « كاروچ » للوجنتين ، واستعملت للشفاه أحمرها المعتاد . ومن المشاهد أن هذا اللون الأرجوانى لصبغ الوجنتين ، قد أعيدت بدعته من نحو سنتين ، ولا يزال يعرض فى الأسواق اليوم وتستعمله بعض السيدات ؛ وهذا دليل على تقصى مهرة مصنعى وسائل التجميل لتاريخ فن التجميل ، ودراستهم لنفسية المرأة ، وتتبعهم تفننها وتنوع ميولها فى مختلف الحقب

أما المصريات فقد استعملن الكحل (الأثمد) ، ومن الغريب أنهن كن يسودن طرفى الفم بحيث يصل طول الخط الأسود الممتد من طرف الشفتين نحو سنتمتر أو أكثر قليلاً ، وتوجد نماذج من التماثيل التى توضح ذلك فى المتحف المصرى بالقاهرة

والأثمد يستعمل الآن بكثرة فى الشرق الأدنى لتسويد الأهداب ، وإظهار الحواجب ، وتفخيم العيون ، وكان يستعمل معجوناً كدهان للجفون السفلى مما أكسبها نظرة جذابة ، ولعل (الرمل) Rèmel الذى يستعمل الآن هو اختراع مهذب عن ذلك

والإنجيل يخبرنا أن الزيوت العطرية كانت تستعمل لدهن الشعر ، وكثير من رءوس الموميات المصرية وجدت مغطاة بآثار شعر مصفف بطرق أنيقة لتجعيد الشعر وكيه وقصه . ووجد أن الزهريات الرخامية الفاخرة ، تحتوى على مراهم يرجع تاريخها إلى ٣٥٠٠ عام قبل الميلاد .

ووجدت مرايا من أيام الأسرة السادسة ، أى من نحو ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد ، وأقلام لتزجيج الحواجب من عهد الأسرة الثامنة عشرة أى منذ ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد

وبفحص ما عثر عليه من آثار توت عنخ آمون الفخمة فى مقبرته ، وجدت آنية تحتوى على عطور لا تزال باقية من نحو ٣٣٠٠ سنة

وكان السعتر والمر ، والبخور والناردين ، وأنواع الزيوت ولا سيما زيت السمسم واللوز والزيتون ، كلها كانت المواد التى استعملت فى أقدم أصناف الدهون ، وكثير منها استخدم مع الكحل ، والحناء التى استعملت لصبغ الأصابع والأقدام ، ولا يزال يستعملها بعض الناس إلى اليوم

بل لقد اختص المصريون باختراع أغطية متقنة من الذهب والفضة ، لتغطية أظافر السيدات وتجميلها ، فكانت ترفع أو تستعمل وفق التقاليد .



إمرأة فرنسية تأثرت بالمرأة الجزائرية فى حليها وبخاصة فى العقد والقرط

ولعل طلاء الأظافر الفضى اللون والذهبى الذى يستعمل اليوم ، طريقة أسهل وأرخص من ذلك الاختراع الذى أخذت عنه على ما يظهر

والإسلام يأمر باتخاذ الزينة والتطيب ، والنظافة الشخصية . واستعمل العرب السواك كفرجون للأسنان

واستعملت الرومانيات الزنك الأبيض والطباشير لتبييض وجوههن فى بعض الأزمنة ، كما استخدمن الكحل لأعينهن ، والأحمر لوجناتهن وشفاههن

أما النساء المتمدنات اللائى وجدن فى الآثار القديمة فقد عرف أنهن استعملن مسحوقاً لطلاء الأسنان ، صنع من نوع من الأحجار ...

وصنعت أنواع الكريم للتجميل من دقيق الشعير والزبد .

وبيض النساء شعورهن بطريقة يظهر أنها تشبه الطريقة البلاتينية التي اخترعت في أيامنا .



التجميل بالوشم عند بعض القبائل الافريقية حيث لا توجد الأحجار ولا الأصباغ ولا الحلي

وكانت مناضد زينتهن تحمل ثلاثة أصناف من الدهون في أوان قيمة، كما استعملن أنواعاً من النزور الثمينة مثلما يستعمل نساء اليوم

وشاع استعمال العطور والمساحيق وحمامات اللبن ووسائل تجميل أخرى في أظلم الأوقات من العصور الوسطى ! بل لقد عمت البدع المتبعة، ونقلت من الشرق إلى الغرب وبالعكس بواسطة الصليبيين الذين أحضروا الفرسان وعرفوهم أسرار التجميل التي كانت محفوظة في (الليفان Levant) أي شرقي بحر الروم

أسباب لها تأثيرها في طابع الأمم

في سنة ١٧٧٠ م قدم اقتراح للبرلمان الانجليزي ، يهدد بتحريم أي زواج لإحدى رعايا الملك إذا استعملن الروائح والأصباغ والدهون، كما حرم اتخاذ الأسنان الصناعية وغيرها. ولست أدري إذا كان هذا الاقتراح هو السبب في شدة اعتدال المرأة الانجليزية في استخدام أصباغ الوجه ، وانصرافها عن عمليات التجميل التي تحسن الأسنان الشائهة مثلاً ، فإن الانجليز ناس تقاليد ونظم !

وهل يمكن أن يكون هو السبب ذاته في عدم تشجيع القوم هناك على العناية بالنظافة الشخصية ، مضافاً إلى ذلك حالة الجو !

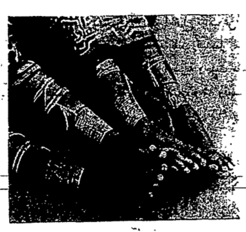
أظن أنهما معاً السبب الباشر في الروائح التي تنبعث من بعض المجتمعات الإنجليزية مما ينفر من حضورها أو الإقبال عليها ، لا سيما إذا ما كانت في أمكنة ضيقة .

حاولت بعض المستعمرات الأمريكية أن تسن قوانين مشابهة لتلك ، قاصدة إلى إحباط نشاط المرأة في سبيل التزين ولكنها لم تفلح كثيراً

أما النساء الفرنسيات في بلاط لويس الثالث عشر فكان لهن ملء الحرية في استعمال الدهون من أغلى الأنواع ، وبذلك ساعدن على اختراع وتركيب العطور والكريمات وجميع المنتجات التي تزيد من جمال المرأة على أساس صناعي تجاري

وأظن من الواضح ما نشاهده من تأثير تلك الحرية بالنسبة لفن التجميل عند المرأة الفرنسية التي تغالي جداً في استخدام الأصباغ والعطور بحسن تصرف وذوق حسن كما سبق أن نوهنا

ولقد روج هذا، دون ريب، تجارة وسائل الزينة وصناعتها ، وأحدث موجة من نوع خاص في جملة بلاد ولا سيما في الولايات المتحدة .



زنجيات أمريكا يعصبن سيقانهن بأسلاك معدنية لتصير دقيقة

فمثلاً حلاقو الشعر وأصحاب محال التجميل وأطباء جراحات التجميل للوجه والجسم، وغير هؤلاء من الإخصائيين تعاونوا مع الصيدليين والمجربين على اختراع طرق ووسائل لما تركته الطبيعة بدون تشكيل حسن في نظر العصر وذوق التطور ، أو ما سببه شذوذ الخلقة من نقص أو ما فعلته تأثيرات ظروف حياتنا الحاضرة

ومن عوامل التوفيق أن تدخلت الحكومات فى هذا العمل من ناحية تقييد المقادير ومراقبة المركبات الكحولية خصوصاً المركبات السائلة .

أما الصناعات الإضافية مثل صناعة القوارير الجميلة للروائح وآنية البرود وأصباغ الشفاه وأشباهها فساعدت كثيراً على رواج استعمالها

على أنه مع كل الذى أسلفنا لا تزال هناك معارضة من بعض النواحى للتزين واستخدام الأصباغ : من ناحية الفضيلة من جهة، ومن جهة أخرى من ناحية مبدأ الإنسان الشخصى الذى لا يتفق والصورة المصطنعة التى تظهر بها الفتاة الحديثة والسيدة المقلدة

ولكن ما العمل و (الموضة) معلمة شاقة الرسالة والتطور سنة الحياة ؟

إن كثيراً مما يظهر مجرد بدعة وعجب لأول وهلة أصبح ضرورة ملحة فى سبيل المجاهدة للحياة التى يتعرض لها كثير من السيدات اللائى يضطلعن بالوظائف والحياة العملية

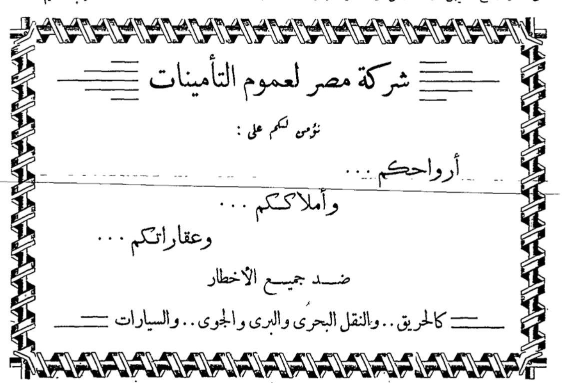
فعارضة الأزياء ، والبائعة ، والتشريفية ، والزوجة ، والفتاة التى تنتظر الزواج ، عليهن جميعاً أن يكن أنيقات غير متبرجات ، ولا داعى لأن ننبه الأذهان أيضاً إلى ما يستلزمه موقف الممثلة والراقصة والمغنية .

لقد أصبحت روح العصر تحتم أن تكمل ما تنقصه الطبيعة ، وأن نصلح ما تخطىء فيه ، لهذا تقدم المختصون فى التجميل بأنواعه جالبين معهم جميع ما يستطيعونه من المغريات للتزين ومعرضين عليه بشتى وسائل الإعلان .

لا عجب إذا فى نهوض فن من أقدم الفنون، تدرج فى نشوئه من مئات السنين ، وليس مما يطمس هذه الحقيقة ، أو يحط من قدر الفن ذاته ، الفكرة التى سادت بين الناس من نحو قرن أو أكثر قليلاً ، وهى أن الوسائل الاصطناعية للتجميل ليست إلا مغريات لسفلة نساء الأمم . إنما شدة مغالاة النساء فى التزين راجعة إلى قفزة عنيفة قفزتها المرأة لتحطم بعض ما تبقى من القيود الثقيلة التى شلت حركتها ، وعطلت تفكيرها طويلاً .

وما إسرافها الذى نلحظه ولا نوافق عليه إلا رد الفعل الذى يأتى بعده الإصلاح والتوجيه ، وهذا ما سيكون موضع عنايتنا إن شاء الله .

زينب الحكيم





الحيـــاة

للدكتور محمد محمود غالى

من البويضة للشيخ — فيم تختلف المادة الحية عن المادة عديمة الحياة — الكربون مكون أول للحياة — ذرة الراديوم — الشبه بين الحياة والمغناطيسية والنشاط الاشعاعى — أعمال « ليب » — إمكان تطور البويضة والحصول على كائن لا يحافظ على جنسه — آمال التجديد فى هذا السبيل

نرقى مدارج الحياة ، وننتقل خلال ذلك من حالة لأخرى ، من طفل يلهو ويعبث بما يراه ، إلى غلام يلعب ويُعنى بتافه الأمور ، إلى شاب ممتلئ حركة ونشاطاً ، يكبُّ على العمل ويقوم بدوره فى المجتمع ، إلى رجل يهتم لأبنائه أكثر من اهتمامه لنفسه ، إلى كهل يتهالك فى خدمة عشيرته وبلاده ، ثم إلى شيخ لا يستطيع قليلاً ولا كثيراً ، يستند إلى عصاه إن تعسّر عليه السير ، اكتفى بمقعد فى حديقة المنزل ، حتى إذا تعسّر عليه هذا أيضاً قضى أيامه الأخيرة فى مضجعه ، طوراً بين ذكريات الماضى ومرارة الحاضر ، وتارة بين الداء وزجاجة الدواء ، كلنا نعرف آخر القصة ، وكلنا نعرف نهاية الهرم المحتوم .

هذه طريق الحياة ، كلنا عابرها ، من البويضة الضئيلة فى الرحم قبل مولد الطفل ، إلى هيكل مهجور فى الرمس بعد التجرد من الحيـاة — ترى ما هى الحياة ؟ وفيم يختلف الإنسـان عن العصفور ، والعصفور عن التفاحة ، وهذه عن المحبرة التى نستمين منها لنبعث للقارئ بهذا النوع من التفكير .

***

لقد ذكرنا أن جزيئات المادة عديمة الحياة هى ذرات كيميائية ، وأن الذرة تتركب من نواة مركزية يدور حولها الكترونات[1] . وذكرنا أن المركبات المادية للكائن الحى هى ذرات كيميائية مألوفة ، وأن العلماء يعتقدون أنه قد حدث أن مجموعة من هـذه الذرات تجمعت بطريق المصادفة بالكيفية الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وتساءلنا : هل المادة الحية هى مجموعة من الذرات المادية ، أم هى هذه المجموعة مضافاً إليها الحياة ؟

أما أن المادة الحية تختلف عن المادة التى لا حياة بها اختلافاً يدل على وجود عناصر كيميائية جديدة لا نعرفها فى الثانية ، فهذا لا يقوم عليه أى دليل ، فكل أنواع الذرات الموجودة فى إحداها موجودة فى الأخرى ، فلا فارق هناك بين مادة ومادة من حيث أنها عناصر كيميائية .

على أن الذى يستطيع أن يؤكده العلماء ، أن المـادة الحية مركبة من ذرات معتادة ، لا تختلف إلا فى أن لها قابلية عظيمة للتماسك أو التجمع Coagulation فى جزئيات كبيرة بنوع خاص ، بمعنى أن معظم الذرات الأخرى المكونة للمادة المجردة عن الحياة ليس لها هذه الخاصة . خذ مثلاً الماء باعتباره المادة الأكثر شيوعاً أمامنا على سطح الأرض ، فإن ذرات عنصرية الهيدروجين والأوكسجين تتحد لتكون إما جزئيات هيدروجينية أو أكسوجينية أو ماء[2] .

على أن أيّا من هذه المركبات لا يحوى أكثر من أربع ذرات ، كذلك لا يتغير الموقف بإضافة الأزوت ، فإن جزئيات مركباته مع العناصر السابقة تحوى ذرات قليلة ؛ بيد أن وجود

(1) هذه النتائج تتأثر اليوم بالأعمال العلمية التى يقوم بها الآن لويس دى بروي (Louis de Broglie) عضو المجمع العلمى الفرنسى وأستاذ السوربون وحائز لجائزة نوبل ، كذلك بأعمال شرودنجر Shrodinger وغيرهما مما سيكون موضوع مقالاتنا فى المستقبل

(2) كذلك الأوزون والماء الأوكسوجينى مجموعتان لجزئيات من عنصرى الهيدروجين والأكسجين .

الكاربون مع هذه العناصر يُغيِّر الموقف كلية ، إذ تتحد ذرات هذه العناصر مع الكاربون لتكوِّن جزئيات تحوى الواحدة منها آلافا بل عشرات الآلاف من الذرات ، ويتكون جسمنا الحى من هذا النوع من الجزيئات الكبيرة

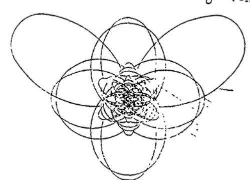
وقد كان يعتقد العلماء ، منذ قرن من الزمان ، لزوم قوة حيوية خاصة ، لإحداث هذه الجزيئات الكبيرة . على أن « فولر » (Wohler) استطاع بالوسائل الكيميائية أن ينتج أحد المركبات البولية (L'urée) ، وهو نتاج حيوانى كما تمكن علماء غيره من الحصول على مركبات حيوية أخرى

ولنعد إلى الكلام على ذرة الكاربون العجيبة فى كونها مكونة أولى للحياة ، فنرى أنها تتألف من ستة ألكترونات تدور حول نواة مركزية ، كستة سيارات تدور حول الشمس ، ولا يختلف الكاربون عن البورق (Bore) والأزوت أقرب الذرات شبهاً به فى الجدول الكيميائى ، إلا فى أنه يزيد سياراً واحداً عن البورق ، كما ينقص سياراً عن الأزوت ، ويبدو أن هذا الفارق البسيط هو الذى يعين كون المادة كاربوناً أو غيره ، وبالتبع يعين إمكان دبيب الحياة فيها ، أو استحالة ذلك

ومن هنا نتساءل ، عما إذا كانت الذرة التى لها ستة سيارات تدور حولها ، لها خواص استثنائية ترجع بها لسر من الأسرار العلمية التى لم تُكشف لنا ؟ إن الرياضة الطبيعية ، كما يقول السير جينز لا تجيبنا اليوم على هذا السؤال

وتدلنا الكيمياء على ظواهر أخرى تشبه ذلك أشار إليها السير جينز فى كتابه[1] وتبدو فى نظرى أهم ما فى هذا السفر الجليل ، فالمغناطيسية مثلاً تبدو واضحة فى الحديد (وذرته ذات ٢٧ ألكترونا) وتبدو بدرجة أقل فى النيكل (وذرته ذات ٢٦ ألكترونا) وفى الكوبلت (وذرته ذات ٢٨ ألكترونا) ويلاحظ أن لذرات هذه العناصر الثلاثة عدداً من الألكترونات متتابعاً ، كما يلاحظ أننا لا نرى فى كل العناصر المادية الأخرى المعروفة لنا أى أثر للمغناطيسية ، فالمغناطيسية إذن ظاهرة خاصة بالذرات التى لها هذا العدد من الألكترونات

ولدينا فى العلوم الطبيعية مثال آخر ، هو النشاط الإشعاعى ، وهو ظاهرة نراها فى العناصر التى لذراتها من ٨٣ إلى ٩٢ الكترونا والتى تبدأ فى البزميث ورادون الراديوم وتنتهى فى الأورانيوم ، وقد بينا بالشكل الكيفية التى عليها ذرة الراديوم وفق بعض الاتجاهات الحديثة ، فهى كما نراها مركبة من نواة وسطى يدور حولها عدد كبير من الألكترونات يبلغ ٨٨ ألكترونا كما هو مبين بالشكل



ذرة عنصر الراديوم كما يعتقدها العلماء ويتحرك فيها ٨٨ ألكترونا

على أن هذه المقارنة بين المغناطيسية كظاهرة والنشاط الإشعاعى الذى يبدو ظاهراً فى الراديوم كظاهرة أخرى ، هذه المقارنة توجهنا إلى أن نضع الحياة فى قائمة الظواهر الطبيعية الأخرى كالظواهر المتقدمة

وعلى هذا الأساس ، فإن العالم مربوط بقوانين معينة ، ووفق هذه القوانين يبدو أن للذرات التى لها عدد معين من الألكترونات (٦ ثم من ٢٦ إلى ٢٨ ثم من ٨٣ إلى ٩٣) لها خواص مُعيَّنة ، يظهر أثرها فى الأولى بالحياة ، وفى الثانية بالمغناطيسية ، وفى الثالثة بالنشاط الإشعاعى وفعل الراديوم .

* * *

فالذرة إذن فى جزىء المادة الحية لا تختلف فى مجموع ما فيها عن الذرة فى المادة المجردة عن الحياة ، ولكنهما إذن نظام أشبه بالنظام الشمسى للمادة الذى سبق التحدث عنه ، وإن كان من الصعب أن نمثل على الورق جزيئاً من المادة الحية لكثرة عدد ذراته وبالتابع ألكتروناته كما مثلنا على الورقة الآن ذرة الراديوم . وبعبارة أقرب للوضع العلمى : إن كل ما يؤلف المادة الحية هو جسيمات أو كهارب فى حركة تمكن إرجاعها يوماً إلى علاقات ترتبط

(١) كتاب السير جينز (Sir James Jeans) العالم العريب ترجمه للفرنسية بيلودل وروسينيول (Billaudel et J. Rossignol) مطبعة هرمان باريز (١٩٣٣) .

بالبحرين الكبيرين اللذين يميزان كل الكائنات: الحيز والزمن ، وبعبارة واضحة: إن المادة الحية كالمادة عديمة الحياة، ترجع في النهاية إلى حركة أو اعتبارات ألكترونية في الزمان والمكان .

***

بقى أن نتساءل عن أمرين :

الأول: هل يجوز إذن، ابتداء من مادة عديمة الحياة، أن نحصل في مختبراتنا على مجموعة من المواد الحية كالمجموعة المكونة لنا؟ أي مجموعة لها خاصية التناسل والتكاثر والمحافظة على نوعها؟

الثاني: هل في مجموعة الظواهر الحيوية ما يفسرها بموضوعات طبيعية كيميائية؟ وبعبارة أوضح ، هل يمكن بمعلوماتنا الحالية ، وبالرجوع إلى الميراث العلمي أن نرجع مجموع الظواهر الحيوية إلى موضوعات طبيعية كيميائية؟

ولو أننا بعد التحري الجدي ، وجدنا الإجابة على الأمرين بالإيجاب ، لجاز لنا أن نعتقد أننا كالتفاحة التي نأكلها ، والمجبرة التي نكتب بها ، بل لجاز لنا أن نعتقد أن لحياتنا الاجتماعية والأخلاقية ، أساساً علمياً ، يرجع إلى قواعد تتوافق مع نتائج البيولوجيا العلمية والطبيعية النظرية التجريبية .

أيستطيع البيولوجيون والطبيعيون أن يرجعوا يوماً كل مظاهر الحياة ، كل ما فيها من صفات وغرائز موروثة ، حتى عظمة الرجل الذي يموت في سبيل بلاده وهو راض ، حتى حنان الأم التي تتفانى في سبيل أولادها وهي سعيدة ؟ أيستطيع العلماء إرجاع كل هذا ، كل ما في الرجل من إرادة وآمال ، كل ما في الأم من عطف وحنان ، إلى حوادث داخل أجسامنا ، نجد تفسيرها المادي في الكيمياء والطبيعة والرياضة ؟ هذا ما أريد أن ألم به في ختام هذا المقال

***

للعالم ليب J. Loeb أستاذ جامعة بركلي بالولايات المتحدة كتاب[1] عنوانه La Conception mecanique de la vie أي الفكرة الميكانيكية للحياة ، صادف نجاحاً في أمريكا ، ترجمه إلى الفرنسية العالم المعروف هنري موتون Henri Mouton أستاذ الكيمياء الطبيعية في السوربون، صادفت ترجمته أيضاً نجاحاً حتى أصبح البعض يعرف « موتون » بها أكثر مما يعرفه باكتشافه للألتراميكروسكوب وبأبحاثه[1] في « تأثير المجال المغناطيسي على الظواهر الضوئية »

لقد لازمت موتون سنوات عديدة، وطالما جمعتنا الأيام منفردين في مختبره بمعهد باستير ، وطالما حدثني في العلوم بما لا يمت لعملي في شيء ، وكان لهذه الاجتماعات أثر في تكويني ، وعجيب أنه لم يذكر « موتون » يوماً شيئاً عن « ليب » ، ولم أشعر أن أعمال الأخير شغلت يوماً حيزاً من فكر صديقي العالم

وعند ما افترقنا في سنة ١٩٣٥ بوفاة « موتون » وبعودتي إلى مصر ، اقتنيت بطريق المصادفة تلك الترجمة المتقدمة التي أخرجها الآن من مكمنها بين الكتب بعد أن ظلت محتجبة أربعة أعوام ، لأستدل من رجل قضى سنين طويلة من حياته في البحث التجريبي على الإجابة على ما تقدم ، ولأستدل على ما قد يرضي رغبتي أن أجد في الحياة أمراً غير التفاحة التي نأكلها ، والمجبرة التي أستعمل منها

والواقع أنه قد نجح « ليب » وغيره نجاحاً باهراً في نواحي تجاربه العديدة ، هذه التجارب التي هي آية في الدقة والتي تبعث على الإعجاب في الوصول إلى تفسير مادي لكثير من الظواهر الحيوية ، هذه التجارب التي وإن انحصرت في مخلوقات كالأسماك والحشرات إلا أنها قد تمتد يوماً إلى الحيوانات العليا كالإنسان .

وعند «ليب» وزملائه أن اتجاه الفراشة نحو الضوء في خط مستقيم ليس إلا أثراً ضوئياً كيميائياً Effet Photo-Chemique ، بل إن تلقيح البويضة وإمكان تطورها إلى مخلوق دون الالتجاء إلى الحيوان المنوي Spermatozoide أو بالالتجاء إليه ، له عند « ليب » ومعاصريه تفسير كيميائي طبيعي

على أنه إذا كان العلماء قد يحصلون الآن على مادة عديمة الحياة فإنه مما لا شك فيه أنه لم يمكن حتى الآن الإحضار مجموعة من نواة مختلفة للخلايا ولكنها مجموعة لا تصلح أن تكون خمائر تتكاثر وتحافظ على جنسها ، بالشكل الموجود فيه في الأحياء

لتكن عقائدنا بحيث يجمل بنا أن نتحلى إيماناً بتقدمنا ، يجمل بنا ونحن ندرس أعمال العلماء المجيدة أن نعتقد أنه إذا كان

---

(١) هذا الكتاب في المجموعة المعروفة باسم إميل بورل (Emile Boril) الطابع فلكس ألكان (Félix Alcan.)

(١) لمسيو كوتون وموتون ظاهرة معروفة باسم ظاهرة « كوتون موتون » باسم العالم الكبير أستاذي كوتون رئيس المجمع العلمي الفرنسي الآن ، تذكرنا هذه الظاهرة بظاهرة زيمان وستارك اللذين يعرفهما المشتغلون بالعلوم الطبيعية ، وإن اختلفت عنهما

لم يتح لأحد منهم حتى اليوم أن يوجد المادة الحية بطريقة يتكون بها كائن يتناسل ويحافظ على جنسه من مادة مجردة عن الحياة فإنه ليس من حقنا ولا في مقدورنا العلمي ، أن نجزم بأن هذه الغاية ضرب من المحال

إن أعمال «ليب» وغيره تدعو للإعجاب . وإذا كان قد نجح ونجح معه معاصروه في أن يرجع كل التطورات التي تتم عند تلقيح البويضة إلى مسائل كيميائية طبيعية ، بل نجح في تعهد بويضة لم يلقحها الحيوان المنوي بحيث نتج منها كائن له قلب ومعدة وهيكل عظمي ، وتنقصه الدورة الدموية اللازمة لاستمرار الحياة ، كائن استطاع أن يعيش على هذه الأرض شهراً من الزمان — فإنه ما زال أمام العلماء إحداث كل ذلك بالاستغناء عن البويضة نفسها وعن كل ما يمس الحياة .

أيستطيع إنسان أن يوجد ، ابتداء من الذرات مهما تنوعت والألكترونات مهما تعقدت ، كائناً آخر ؟ كائناً يتطور ويترقى ليكون يوماً أو بعد ملايين السنين مثلك ومثلي ومثل « موتون » و « ليب » ؟ هذه مسألة ما زال العلم النظري والتجريبي بعيداً جد البعد عن الوصول إليها ، وإن كانت العلوم التجريبية تحتم علينا ألا نعتبرها ضرباً من الخيال

على أنه عند القرب أو الوصول إلى هذه الحدود ، يكون العلماء قد أحدثوا في العلم تطوراً يفوق بكثير ما أحدثه جاليليو ونيوتن في القرن السابع عشر ، وما يحدثه بلانك وأينشتاين ودى بروى في العصر الحاضر .

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة
دبلوم المهندسخانة

ما هي الحياة؟

وكيف ظهرت على الأرض؟

للأستاذ نصيف المنقبادي

وحدة النباتات والحيوانات

يعتقد جمهور الناس أن الحيوانات (ومن بينها الإنسان) والنباتات والجمادات يختلف كل منها عن الآخر اختلافاً جوهرياً كلياً. وكانوا يعلموننا في المدارس أن هناك عالم الحيوان وعالم النبات وعالم الجماد، وأن كلاً منها مستقل تمام الاستقلال عن غيره. ولا شك في أن من يلقي نظرة سطحية عليها يجد أنها تختلف في الظاهر، فالحيوان يتحرك، والنبات ينمو، والجماد يبدو كأنه ثابت لا يتغير. ولكن الذي يتعمق النظر ويدقق على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة يتضح له أن هذه كلها اختلافات ظاهرية لا حقيقة لها في الواقع

ونقصر اليوم حديثنا على وحدة النباتات والحيوانات (ومنها الإنسان) والصفات المشتركة بينهما وهي مميزات الحياة بعينها؛ ونبحث في مقال قادم عن وحدة الأحياء عموماً (الحيوانات والنباتات والجمادات) لنستخلص من ذلك ماهية الحياة وكنهها وكيف أنها ظاهرة طبيعية مثل باقي ظواهر الطبيعة. ثم نشرح في مقال آخر كيفية ظهورها على الأرض بفعل العوامل الطبيعية، وعلى الأخص طاقة الشمس التي كانت تشتمل في ذلك الماضي البعيد جداً على الكثير من الأشعة فوق البنفسجية وعلى إشعاعات أخرى أكثر مما تحتوي عليه الآن. وأخيراً نتكلم عن المواد المتوسطة بين الأحياء والجمادات كالخمائر الذائبة في الماء وكالمعادن الغروية المدهشة التي تتصرف مثل الكائنات الحية في أهم أحوالها

مميزات الحياة المشتركة بين الحيوانات والنباتات

نطلق على جميع الحيوانات (ومن بينها الإنسان) وجميع النباتات اسم «الأحياء» أو الكائنات الحية». ونقول عن كل فرد منها إنه «حي». وهذا يدل على أنها تشترك جميعها في بعض صفات وظواهر هي التي تميز الحياة وتجمع بين الكائنات الحية على اختلاف طوائفها وأنواعها وأفرادها. كالشكل النوعي، والتكوين الخلوي، والتركيب الكيميائي، والتغذي، والتنفس، والتحرك الذاتي والتطور الفردي والنوعي. وسيرى القارئ أن هذه الصفات وإن كانت تميز - مجتمعة - الكائنات إلا أنها ليست خاصة بها كما سنثبت في مقال قادم، بل هي توجد ولكن مشتتة أو مبعثرة في الجمادات، وكل ما في الأمر أنها إذا اجتمعت في جسم واحد قيل عنه إنه «حي».

فلنستعرض هذه المميزات المشتركة لنقول كلمة موجزة عن كل واحدة منها لأن مقام التفصيل في كتب البيولوجيا. وحسبنا أن يكون فيما نورده هنا مقدمة أو تمهيد يسهل لقراء الرسالة الوقوف على الأبحاث الجديدة العظيمة التي كشف عنها العلم في الثلاثين سنة الأخيرة مما سنشرحه في المقالات القادمة.

الشكل النوعي: لكل نوع من الكائنات الحية شكل معروف خاص به يميزه من غيره لأول وهلة. وتستوي في هذا الحيوانات والنباتات، كما أن لبلورات الجمادات والمواد المعدنية المبلورة أشكالاً هندسية ثابتة خاصة بكل نوع كيميائي منها تميزه من سواه.

وأشكال الحيوانات والنباتات تظهر ثابتة في مدة معينة من الزمن. ولكن إذا نظرنا إليها خلال ملايين السنين - على ما تبدو لنا في البقايا المتحجرة في طبقات الأرض المختلفة التي تكونت في الأعصر الجيولوجية القديمة المتعاقبة نجد أنها غير ثابتة، بل إنها في تغير وتحول مستمرين بفعل العوامل الطبيعية، والمؤثرات الجوية وتقلباتها، وتنازع البقاء بين الفصائل والأنواع والأفراد وما يترتب على ذلك من الانتخاب الطبيعي وبقاء الأنسب وانقراض غير الملائم للبيئة الجديدة والظروف الطارئة. غير أن فعل الطبيعة هذا تدريجي بسيط لا يظهر أثره إلا في ملايين السنين فيخيل لنا أن أشكال الحيوانات والنباتات ثابتة على الدوام، ولكن الحيوانات والنباتات المتحجرة التي عثر ويعثر عليها العلماء كل يوم في مختلف طبقات الأرض في جميع أنحاء الكرة الأرضية تدلنا على عظم تحول الأنواع وتسلسل الحديث منها من القديم. ويكفي أن نزور

الإنسان أحد المتاحف الجيولوجية في أوربا ليقتنع بهذه الحقائق الثابتة التي يؤيدها من جهة أخرى علم التشريح التقابلي وعلم تكوين الجنين. (يراجع المقال القيم الذي نشر أخيراً عن هذا الموضوع بمجلة « الرسالة » للأستاذ عصام الدين حفني ناصف)

التكوين الخلوي : إذا فحصنا بالميكرسكوب أية قطعة من جسم الإنسان أو أي حيوان أو أي نبات نرى أنها مؤلفة من خلايا صغيرة متلاصقة لا ترى بالعين المجردة ، والخلية مكونة من مواد زلالية بها قليل من مواد دهنية وسكرية ، وفي وسطها نواة من مادة زلالية خاصة ، ويحيط بها في أغلب الخلايا غشاء من مادة زلالية أخرى في الحيوانات ومن مادة السيليلوز (مادة القطن) في النباتات، والشكل العام للخلايا الحيوانية والنباتية واحد ولا سيا في الأدوار الأولى من تكون الجنين ، ولكن الخلايا تختلف بعد ذلك بعض الاختلاف في تفصيلاتها باختلاف وظيفة كل نسيج تدخل في تكوينه ، كالخلايا العصبية وخلايا العضلات وخلايا الجلد وكالخلايا التي تدخل في تركيب الأوراق وأعضاء الزهر والخلايا الخشبية والخلايا التي تؤلف منها الطبقة المولدة في غصون النباتات.

وتوجد إلى جانب هذا كائنات من خلية واحدة وهي الحيوانات والنباتات الأولية التي لا ترى إلا بالميكرسكوب ، وكذلك كرات الدم البيضاء والحمراء

التركيب الكيميائي : تشترك جميع الأحياء من حيوانات ونباتات وإنسان في تركيبها الكيميائي وهو تركيب الخلية نفسها ونعني به ذلك الخليط من المواد الزلالية والدهنية والسكرية أو النشوية المتقدم ذكرها ، وبعض مواد أخرى إضافية ثانوية قد توجد في بعض الخلايا ولا توجد في غيرها

التغذي : معلوم أن النباتات تتغذى مثل الحيوانات . ذلك أن مادتها الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بالطاقة الإشعاعية الكامنة في ضوء الشمس لتحليل غاز حامض الكربون المنتشر في الجو ، وتنتزع منه الكربون: (الفحم) وتمزجه بالماء الذي تمتصه جذورها من الأرض فيتولد النشا الذي يتحول تارة إلى السكر وتارة إلى السيليلوز ومادة الخشب ، وتتولد أيضاً على هذا النحو المواد الدهنية وتراكيب وأحماض عضوية أخرى ثلاثية : (مكونة من كربون وهيدروجين وأوكسيجين) . وتمتص جذور النباتات في الوقت نفسه من الأرض — مع الماء — تراكيب الأزوت مثل الأزوتات : النترات وأملاح النشادر ، وكذلك بعض مواد معدنية أخرى . وهذه المواد الأزوتية تمتزج بفعل قوة الشمس أيضاً بالسكر أو النشا ، وبالمواد الدهنية والأحماض العضوية المشتقة من كربون الهواء على الوجه المتقدم بيانه ، فتتولد المواد الزلالية التي هي أهم غذاء لها : أي للنباتات وللحيوانات ومنها الإنسان . وخلاصة القول أن النباتات تتغذى مثل الحيوانات وتتناول لغذائها نفس المواد التي تتغذى بها الحيوانات وهي : المواد الزلالية ، والمواد الدهنية ، والمواد السكرية أو النشوية .

كما أن الغرض من التغذي واحد في الحيوانات والنباتات وهو أولاً : توريد المواد اللازمة لتشييد بناء الأجسام الحية أثناء نموها وإصلاح ما يتلف ويستهلك منها. ثانياً : وهو الأهم، احتراق المواد الغذائية — بعد هضمها وامتصاصها — داخل أنسجة الجسم وخلاياه لتوليد الطاقة (التي كانوا يسمونها بالقوة فيما مضى) . والحرارة اللازمتين للقيام بأعمال الحياة ووظائف الأعضاء .

التنفس : ويلحق بالتغذي التنفس ، ولا يخفى أن النباتات تتنفس مثل الحيوانات أي أنها تمتص الأكسيجين من الهواء وتفرز غاز الحامض الكربونيك، ولها مسام في أوراقها وغصونها لهذا الغرض ، كما أن الغرض من التنفس واحد في الحيوانات والنباتات وهو احتراق المواد الغذائية لتوليد الطاقة (القوة سابقاً) والحرارة الضروريتين لأعمال الحياة. وقد عرّف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها احتراق أو تأكسد La vie est une combustion

التحرك : والحركة لا تختص بها الحيوانات دون غيرها فإنه توجد — من جهة — طائفة كبيرة من الحيوانات السفلى تعيش ثابتة في مكانها لا تتحرك منذ نشأتها ، وهي تتولد بعضها فوق بعض في قاع البحار فتتكون منها جزر وهضاب لها شأن كبير في علم الجيولوجيا مثل الحيوانات الجوفاء أو المرجانية وغيرها . وإلى جانب هذا توجد نباتات تتحرك حركة ذاتية من تلقاء نفسها مثل الأنواع المفترسة (يراجع المقال الذي نشر في هذا الصدد أخيراً بمجلة الرسالة للأستاذ رضوان محمد رضوان) . ومن النباتات المتحركة النبات المعروف باسم المستحية La sensitive ومنها فصيلة كاملة من النباتات الطحلبية Algues المائية ، وهي الفصيلة المسماة « بالمهتزة » Oscilaires ومنها جرثومة التلقيح في النباتات السفلى فإن لكثير منها شعرة طويلة في مؤخرها أو أهداباً عديدة حولها تستعين بها على العوم في الماء فتتحرك وتتنقل وتروح وتجيء ، لا فرق في ذلك بينها وبين الحيوانات الصغيرة ذات الخلية الواحدة

ولهذا سميت Zoospor أى الجرثومية التلقيحية الحيوانية ، وهى نبات محض .

ولولا ضيق المقام لبيّنا أن السبب فى عدم تحرك النباتات فى مجموعها يرجع إلى مادة السيليلوز الجامدة التى تتركب منها أغشية خلاياها فتمنع امتداد الحركات المحلية الحاصلة على الدوام داخل كل خلية وذلك خلافاً للخلايا الحيوانية

التلقيح والتناسل والتطور : تتناسل النباتات كالحيوانات بالتلقيح فى أغلب الأحوال (ولكن ليس فى جميعها على الإطلاق) وينشق أو يولد كل فرد منها من فرد مماثل له ، ثم ينمو بالتغذية ، ثم يتناسل ويتكاثر بدوره ، ثم يضعف ويموت متأثراً بما يتراكم فى أنسجته من بقايا احتراق المواد الغذائية ومن تعفن فضلات الطعام داخل جسمه قبل إفرازها عدا الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة فإنها أحياء خالدة لا تموت إلا إذا طرأ عليها حادث مهلك يقتلها كأن يجف مثلاً الماء الذى تعيش فيه أو يفسد.

وحدة الحيوانات والنباتات

ينتج مما تقدم أنه ليس هنالك فرق جوهرى بين الحيوانات والنباتات حتى لقد حار العلماء فى إيجاد حد فاصل بينهما أو محك للتمييز بين بعض الأحياء السفلى الملتبس فى أمرها لمعرفة هل هى حيوانات أم نباتات . ولم يجدوا أمامهم غير فاصل واحد هم أول من يعترفون بأنه سطحى ظاهرى ونعنى به مادة السيليلوز التى تتركب منها أغشية الخلايا النباتية فإنه لا وجود لها فى الحيوانات

ولكن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات فى جميع أدوار حياتها لأنه توجد بعض الأنواع السفلى من النباتات الفطرية (Champignon) من فصيلة الميكزوميست تقضى حياتها كلها أو معظمها دون أن تكون لخلاياها أغشية من أى مادة كانت . غير أنه إذا ساءت الأحوال الجوية أفرزت هذه النباتات حول نفسها مادة السيليلوز فتتقى بهذا تقلبات الجو . أما فى باقى الفصول المعتدلة فإنها تعيش خالية من هذه المادة .

ثم إنه من جهة أخرى توجد فى جميع الحيوانات مادة تعد شقيقة السيليلوز من الوجهة الكيميائية وهى السكر ، فكلاهما مكون من امتزاج الفحم بالماء ولكن على نسب مختلفة فى كل منهما . ولذلك أطلقوا على هذه المجموعة اسم «هيدرات الكربون» التى منها أيضاً النشا ومادة الخشب

وهنالك فاصل فسيولوجى بين الحيوانات والنباتات قد يكون أهم إلى حد ما من الفاصل المتقدم وهو كيفية التغذى فى كل منهما .

فقد قلنا فيما تقدم إن الحيوانات والنباتات تتغذى على السواء ، وأنه لا بد لغذائهما من نفس المواد الزلالية والدهنية والسكرية ، ولكن الفرق بينهما هو أن الحيوانات تتناول هذه المواد مركبة مهيأة من الحيوانات الأخرى أو من النباتات . أما النباتات فإنها بحكم تكوينها لا تستطيع أن تتناولها مركبة (مع استثناء النباتات المفترسة) بل تركبها أولاً من الهواء والماء والأرض بفعل قوة الشمس بواسطة المادة الخضراء (الكلوروفيل) على الوجه المتقدم بيانه ثم تتغذى بها .

على أن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات ، فإنه فضلاً عن النباتات المفترسة توجد طائفة أخرى كبيرة هى النباتات الفطرية (Champignons) المعروفة بعض أنواعها العليا عند الجمهور فى مصر باسم « عيش الغراب » وهى خالية من المادة الخضراء فلا تستطيع أن تركب غذاءها بنفسها كما تفعل النباتات الأخرى ولكنها تتناوله مركباً — كما تفعل الحيوانات — من الأجسام الحيوانية والنباتية الأخرى . ومن أجل هذا نراها جميعها طفيلية تعيش على غيرها من الأحياء أو أجزائها الميتة أو مشتقاتها .

وعلى هذا تكون النباتات الفطرية الحلقة المتوسطة بين الحيوانات والنباتات ، ولولا وجود السيليلوز فيها لعدها البولوجيون من الحيوانات . فهى نبات من جهة احتوائها على السيليلوز وحيوان من كيفية تغذيها . وفى هذا الدليل الواضح على وحدة النباتات والحيوانات وعلى تسلسلها من أصل واحد وهو الجمادات كما سنبينه فى المقالات القادمة .

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)



التصوير الاغريقي
في مرحلته الأولى

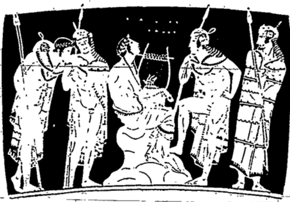
للدكتور أحمد موسى

كان الفنان المصري إذا صور جماعة من الناس أو الحيوان أو المواد ، فإنه يضعها بحيث يكون بعضها خلف بعض أو إلى جانبه ، من غير مراعاة الوضع الطبيعي الذي كانت تظهر به أمام عينيه ، وكان هذا هو الحال أيضاً عند ما أراد التصرف بعض الشيء - مثلاً - في تصوير مائدة عليها أدوات أو مواد ، فتراه يصورها قطعة قطعة ، كما لو كانت متفرقة غير مجتمعة على مائدة واحدة ؛ ذلك لأنه لم يكن يعرف أصول تصوير المجسمات ، وعلاقة الحجم والبعد بالتصوير المنظور Perspective وكان هذا سبباً جوهرياً في ظهور مختلف المصورات التي مثلت شئون حياته الزراعية والصناعية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، كما لو كانت متجاورة بالرغم من أن بعضها كان يجب أن يخفي البعض الآخر بحسب وضعه وراءها .

كما أن نظرة الفنان المصري لجماعة من الناس بينها شخصية بارزة ، دفعته حيناً إلى إظهار هذه الشخصية بمقياس أكبر من المقياس الذي تقيد بتنفيذه في مصوراته ، غير ناظر إلى موقع هذه الشخصية من حيث البعد أو القرب منه ، أو لوضعها بالنسبة إلى مجاوريها ، فضلاً عن نظرته إلى جسم الإنسان على وجه الخصوص ، كما لو كان شيئاً يُنظر إليه من وضعين مختلفين ؛ فتراه كما ذكرنا في مقال سابق[1] ، نظر إلى الرأس والبطن والساقين والقدمين من الجانب ، على حين نظر إلى العينين والكتفين والبطن من الأمام .

هذا هو التقرير العلمي عن التصوير المصري القديم ، ذكرناه لتعريف القارئ بعض الشيء عنه ، ليلمس الفوارق بين فنين قديمين أحدهما فن قوي والآخر فن تمثل بلغ الذروة التي تدفعنا دائماً إلى تلمس آثاره والسير على نوره والعمل على استيفائه ، والمناداة بأنه وإن لم يكن أول الفنون جميعاً إلا أنه كان ولا يزال أعظمها خطراً وأجملها مظهراً وأصدقها تعبيراً .

لذلك كله لا نشك في أن الإغريق خلقوا فناً تصويرياً حقيقياً



ش ١ (أورفيوس المغني الساحر)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف برلين — طابع بوليجنوت

تقدموا فيه بخطوات واسعة ووصلوا إلى نتائج باهرة .

إلا أنه لشديد الأسف لم يبق الكثير من آثارهم فيه ، وحتى الصور التي نقلت عن الأصول لا يمكن التأكد - غالباً - من صحة نقلها ، أو مطابقتها لما نُقلت عنه

وعلى ذلك فالتصوير الإغريقي الذي يمكن اتخاذه مادة لتأريخه

(١) راجع مقالنا : الفن المصري - النحت والتصوير - بمجلة الرسالة

والوقوف على اتجاهاته ينحصر باستثناء قليل فى التصوير المرسوم على أوانى الزهر Vase Painting التى اتخذ منها الإغريق عالماً كاملاً لتصوير مختلف شئون الحياة عندهم ، وفى التصوير الزخرفى Decorotive Painting الذى جاء متأخراً ومعاصراً للرومان .



ش ٢ (سفر تيسيوس بحراً)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف بولونا — بوليجنوت

ولذلك كان معظم ما نعرفه عن الصور الإغريقى أو قل كل ما نعرفه عنه مأخوذاً من المصادر المكتوبة .

وبالرغم من أن التصوير وصل فى دقته إلى درجة مثيرة لكل إعجاب ، فإنه لم يكن ليصل إلى درجة السمو والعظمة التى بلغها فن النحت الإغريقى الخالد ، وهذا لا يمنع من ذكر بعض فنانين مصورين ارتفعوا بفنهم إلى درجة عالية لا يمكن إغفالها أو إهمالها إطلاقاً .

وإذا شئت فقل : إن الاختلاف الجوهرى بين فن التصوير الإغريقى — على قدمه — وبين فن التصوير « الحديث » محصور فى ناحية « الظل والنور » وناحية « التلوين » Colorit .

أما من ناحية روح الفن والطابع المميز والطراز والموضوع الإنشائى وتقدير الجمال والوثوب إليه رغبة تسجيله ، فإن مصورات الإغريق لم تكن لتقل نسبياً عن أعمال الفنانين المحدثين .

فقد كان المصور الإغريقى قادراً على تجسيم الرسوم وإعطائها شيئاً من الحياة ، ولكننا لا نزال نكرر القول بأنه لم يصل للدرجة المماثلة التى وصل إليها النحات والمثال[1] .

وظل التصوير إلى القرن الخامس قبل الميلاد بدائياً بسيطاً ، أى أنه سار فى أول أمره بخطوات أبطأ بكثير من تلك التى سار بها فن النحت .

ولعل أول ما يمكن ذكره عنه هو أنه تطور فى مدرسة أتيكا ، تلك المدرسة التى أسسها فى أثينا الفنان بوليجنوت Polygnot of Thasos المعتبر أول مصورى العالم بالمعنى الفنى ، والذى عمل بين سنة ٤٧٥ وسنة ٤٥٥ ق . م فى أثينا .

والفنان فى اعتبارنا لا يكون عظيماً إلا إذا كان له طابع مميز واتجاه معين ، مثله فى ذلك مثل الموسيقى والشاعر والكاتب ، وإلا ففى أى شىء آخر يمكن أن تظهر هذه العظمة ؟

إن كثرة إنتاج الفنان لما يساعد دون نزاع على درس طابعه واستخلاصه من خلال هذا الإنتاج ، ولكنها لن تكون سبباً فى تعظيمه أو تخليده ؛ إذ أن من بين أساطين التصوير من كان نسبياً قليل الإنتاج ومع هذا كان عظيماً ، على حين رأينا غيره ممن كثرت لوحاتهم وبقيت آثارهم لم يكن لهم نصيب فى الخلود فى عالم الفن ، نظراً لضآلة طابعهم المميز أو انعدامه .

ش ٣ (عراك الأمزونات)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف نيويورك — بوليجنوت

وها هو ذا المثل بين أيدينا ، فالمصور بوليجنوت مع قلة ما أنتجه وضآلة ما وصل إلى أيدينا من خلقه ، كان فذاً بارزاً

(١) راجع مقالينا عن فيدياس وبركسيتلس فى الرسالة (النحت) وكذلك مقالاتنا عن أكروبوليس أثينا وبارتنون وأرشتيون (النحت المعمارى)

لوضوح طابعه الدالّ على سمو نفسيته وقوة تعبيره ودقة ملاحظته.

ويتلخص هذا الطابع فى أنه أول من ابتدع التصوير التذكارى الذى سار فيه متجهاً نحو المثل الأعلى؛ فدلّ فى جلاء على النضوج العقلى. وإلى جانب ذلك يُعد پوليجنوت أستاذاً فى التصوير الخطى

ش ٤ (انهزام الأرجونات)
نقلاً عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف اللوفر — مدرسة پوليجنوت

أى المكوّن من خطوط تحديدية خصصها لتصوير موضوعات أخلاقية أظهر فيها ناحية الجمال المثلى؛ فكان كما أطلق عليه علماء الفن « مصور الأخلاق » Painter of Ethos ، ويعنون بذلك الانتماء إلى الاتجاه الفلسفى الذى يعنى بالتفرقة بين عادات الإنسان وبين ميوله لتحقيق فكرة الخير أو العمل مندفعاً نحو الشر.

على أن هذا الطابع وهذا الاتجاه ليس دليلاً على النضوج الفنى الذى لم يصل إلى نهايته فى التصوير ، ولذلك ، كما قلنا ، كانت معظم أعماله تصويراً خطياً لوّنها بألوان معدودة دون ظل ولا نور؛ فبدت أشبه شئ بصفوف بعضها وراء بعض على أرضية ذات مستوى واحد. وكان غالباً ما يرسم ـ فى ركن من الصورة ـ شجرة أو بيتاً قاصدا بذلك تمييز مصوراته متخذاً معظم مادته الإنشائية من سير الأبطال.

وأشهر ما تبقى من إنتاجه صورتان حائطيتان فى ردهة الاجتماع بمدينة دلفى، أولاهما مثلث « تخريب تروادة ورحيل الإغريق عنها »، وثانيهما زيارة أوديسيوس ـ بطل تروادة ـ للدنيا السفلى.

كما أن له صورة حائطية مثلث « تشاور الإخائيين » فى ردهة السوق. وغيرها تمثل « الديوسكوريين يختطفون بنات لويسيس » فى معبد ديوسكور أو معبد أبناء زويس من معشوقته إليدا Elida التى كان ـ كما تذكر القصة الإغريقية ـ يزورها وهو فى هيئة البجعة.

وكان له تلاميذ تأثروا به ونهجوا على منواله أهمهم ميكون Mikon الذى صوّر « أعمال تيسيوس » فى معبد سمى باسمه ، ورسم « عراك الأمازونات » فى ردهة السوق. وتنسب إليه أيضاً (؟) صورة حائطية موضوعها « موقعة ماراتون » فى نفس الردهة ، وهى الموقعة المشهورة التى قامت فى البقعة المعروفة بهذا الاسم على ساحل أتيكا الشرقى ، والتى ترجع شهرتها إلى النصر المبين الذى أحرزه الأثينيون تحت قيادة ملتيادس على الفرس فى ١٢ سبتمبر سنة ٤٩٠ ق. م.

ووجد حوالى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد فنان ذو طابع جعل منه رائداً لرحلة فنية ، هو أپولودور الأثينى Apollodor ، لأنه استطاع إبراز الصور بهيئة مجسمة وذلك بإدخال التظليل فيها بعد أن كانت صوراً خطية. ولذلك يطلق عليه مؤرخو الفن « مصور الظل » Skiagrophos فحظى بذلك حظوة جديرة بالتسجيل والإعجاب.

احمد موسى

محمد القصبجي

من الوجهة الفنية

للأديب السيد محمد المويلحي

يحاول الآباء أن (يصبوا) أبناءهم في (قوالب) المجد فيبذلوا وسعهم من جهد ومال ليحققوا هذه الأمنية المرغوبة ... ولكن القدر ... يقف وينظر ويبتسم! لأنه يعلم أنه السيطر الآمر الذي يهيئ المستقبل الذي لا ينقض!

أراد الشيخ (القصبجي) الكبير أن يكون ابنه « محمد » صورة له ، فيلبس العمامة ، ويتثقف ثقافة دينية تهيئه للتدريس بالمدارس الأولية ، فنجح إلى حد ما... وحصل ابنه على كفاءة التعليم الأولى وامتهن التدريس سنة . . . ولكن القدر كان يترصد الشيخ محمد الشاب المرح الذي يعبد الموسيقى ، فانتزعه من مدرسته وقلبه بين الحرمان والفقر وغضب الوالدين ، ولكنه تعلم خلال هذه المحنة كيف يتقن العزف إتقاناً عجيباً ... هذبته السنوات العجاف وربت في نفسه رجولة قوية ، وصبراً طويلاً . فتحدى الحياة ، وتحدى الفقر وانتصر عليهما ... ثم كان ما أراده القدر (القصبجي الموسيقار)

أول من خرج من الموسيقيين بتجديد (صحيح) وابتكار طريف ، وأول من جرد فغيّر وبدّل حتى أخرج للناس صوراً رائعة للموسيقى الفنية القوية

صاح في الشرق صارخاً بقطعته الخالدة (إن كنت اسامح) فعرف الناس أن في مصر صوتاً جميلاً لآنسة ترتدي العقال وتسمى (أم كلثوم) ... ! وأن في مصر ملحناً شاباً يسمى (القصبجي) أنقذ (التخت) الشرقي والمصري من جموده ، ونفض عنه ثوب (الملل) الذي كان يعلوه.

(إن كنت أسامح) ، هذا (المنولوج) الذي لحنه من نغمة (الماهور) بشكل لم يسبقه إليه سابق ، وقد بلغ من الذيوع والشهرة ما حبب الناس في الموسيقى ولفت نظر الملحنين إلى هذا الفتح الجديد . وقد بلغ من إقبال الناس على شراء هذا (المنولوج) أن باعت منه شركة أوديون مليوناً ونصفاً من الاسطوانات

ابتدع فن التطويل والمد ، وأدخل على التلاحين الشرقية لوناً (كلاسيكياً) أخذ عنه وتأثر به أكثر ملحني هذا الزمن

* * *

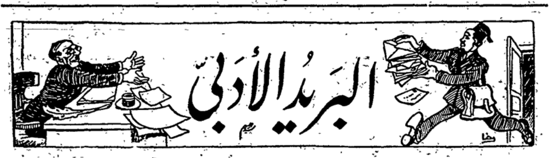
أهم ما يمتاز به عن غيره من الملحنين والمجددين أنك لا تستطيع أن ترد له لحناً إلى لحن قديم سمعته ، وأنك مهما كنت بارعاً عالماً لا تجد تلحيناً له يشبه الآخر كل الشبه أو بعضه كما نسمع في تلاحين غيره

أخرج للناس أكثر من خمسمائة (لحن) ما بين مونولوج وأهزوجة ودور ، ولكنه انفرد بالتوفيق الكامل في (المنولوجات) وتمتاز تلاحينه القوية الحية بأنها لا تستغل الغرائز الدنيا فلا بكاء فيها ولا عويل ، وبأنها تحتل الآذان فوراً لتصل إلى شغاف القلوب ، فهو الملحن الوحيد الذي لا يكاد يخرج للناس شيئاً حتى تسمعه يجري على لسان الرجل والمرأة ، والولد والبنت ، لا في مصر وحدها بل في بلاد الشرق قاطبة

طيب القلب لا يخاصم ولا يناوئ ولا يحمل ضغينة أو حقداً إلا من أجل المال والعمل مع أم كلثوم!

يعجبني فيه أنه شركة لا تنضب ، فلو طلب منه تلحين (رواية) بأكملها وأغري بالمال الذي يعبده لرأيت التلاحين تجري على لسانه وتسيل من فيه كأنها آتية من بحر خضم !

سمع مرة رجلاً يبيع (الزيتون الأخضر) وينادي عليه بصوت جميل ، وبنغم جديد سحره ، فلم ير القصبجي بداً من متابعته والسير وراءه في الأزقة والحارات والدروب ، حتى وصلا إلى شارع في العباسية (شارع عبده باشا) وهناك حفظ اللحن والنغم الذي لحن به قطعته المحبوبة (يا فايتني وانا روحي معاك) ..!!



الدكتوراه الفخرية لصاحب الجلالة الملك

تشرف صاحب السعادة الأستاذ احمد لطفي السيد باشا مدير الجامعة بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك لالتماس الموافقة من جلالته على قبول درجة الدكتوراه الفخرية التي قررت جامعة فؤاد الأول رفعها إلى مقامه السامي

وتفضل جلالته فوافق على قبول الالتماس وأمر بتحديد الساعة الحادية عشرة من صباح الغد (الثلاثاء ٢٨ فبراير) لإقامة الحفل الجامعي التقليدي الذي سترفع فيه الدكتوراه الفخرية إلى جلالته، وتفضل جلالته كذلك فوافق على توزيع عدد من الدرجات الجامعية على الذين أجازتهم لهم إدارة الجامعة

وقد عهدت الجامعة إلى أحد كبار متعهدي الأزياء الجامعية بإعداد روب خاص لجلالته يختلف عن روبات جميع الكليات

وعهدت الجامعة كذلك إلى أحد متعهدي الداليات للسرايات الملكية في صنع مدالية ذهبية في حجم الريال تقريباً وستكون على شكل دائري بداخلها تمثال للآلهة توت مصنوع من الميناء وستكتب في داخلها العبارة الآتية: « إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر المعظم ترفع جامعة فؤاد الأول درجة الدكتوراه الفخرية في ٩ محرم سنة ١٣٥٨ الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٩ »

وقد تقرر ألا تهدي الجامعة هذه الدرجة الفخرية إلا لأصحاب التيجان ورؤساء الدول. أما الدكتوراه الفخرية التي تقدمها الكليات فتمنح طبقاً للتقاليد المتبعة بعد موافقة مجلس الجامعة

وسيخطب في حفلة الإهداء صاحب المعالي الدكتور حسين هيكل باشا بوصفه الرئيس الأعلى للجامعة، ثم صاحب السعادة احمد لطفي السيد باشا رئيس مجلسها.

في ذمة الله صديقنا الهراوي

في صباح يوم الجمعة الماضي قضى بموت الفجاءة صديقنا الأستاذ محمد الهراوي، وكان لليلتين خلتا في دار الرسالة ملء السمع والبصر والشعور، يناقش في الأدب، ويوازن في الشعر، وينشدنا قصيدته التي أعدها لموسم الشعر، وما كنا ندري أن ذلك الجسم الدافق بالحيوية، وذلك القلب النابض بالشاعرية، يطويهما الردى في مثل لمح الطرف، فيخلو مكان الهراوي الوالد والصديق من بيته وناديه، فيفتقده أبناؤه فإذا هو أثر، ويسأل عنه أصدقاؤه فإذا هو خبر!



كل حي فان، ولكن فناء الحي الذي طبع وجوده في القلوب

شاذ في تصرفاته، ولعل الشذوذ ضرب من ضروب العبقرية، فهو يركب الترام فإذا ألفاه مزدحماً، وكان الجو حاراً تظاهر بأنه محموم وأخرج من جيبه (الترمومتر) ووضعه في فيه وتهالك وأكسب وجهه منظر الذي سيموت بعد لحظات فلا يلبث الركاب أن ينسحبوا، ولا يلبث الترام أن يخلو جميعه إلا من القصبجي الممثل ...!

هو على رأس العازفين في الشرق، وتعتبر (ريشته) أقوى ريشة في مصر، فهي تمتاز بالقوة والحلاوة والقدرة على الاستمرار في العزف ليلة كاملة دون أن تسمح للملل بأن يتطرق إلى نفوس السامعين؛ ومع ذلك فإن محطة الإذاعة تتجاهله ولا تحس بوجوده لأنه يرفض الأجر الذليل ...!

لولا بخله الشديد، ولولا بيعه تلاحينه أكثر من مرة لكان شيئاً عظيما ... ولكنه إنسان!.

محمد السيد المويلحي

والعيون والكتب والأمكنة تحدث لهذه الحقيقة ، واعتراض على هذه القضية . وسيحيا المراوي في شعره الذي عاش فيه وله ، وفي قلوب إخوانه الذين أخلص لهم وبرّ بهم ، وسيكون من الصعب على الزمان والنسيان أن يطمسا هذه الشخصية المحبوبة بما خصها الله من سلامة القلب وعفة اللسان وكرم النشرة وصدق المودة . رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض الأدب العربي منه خير العوض .

حول كتاب ضحى الإسلام

أرسل إلينا صديقنا الأستاذ أحمد أمين ما يأتي :

زعمت جريدة المكشوف – فيما نقلت الرسالة – أني أوردت الأسماء العربية في « ضحى الإسلام » محرفة فقلت : « زافار » بدل « ظفار » و « أريتاس » بدل الحارث و « فلاسفة العرب » مكان « مفكرو الإسلام »

وهذا كله غير صحيح ، وأنا أتحدى صاحب المكشوف أن يبين الصفحة التي وردت فيها هذه العبارات إن كان صادقاً

أحمد أمين

حول كلمتي ذكورة وأنوثة

حضرة الأستاذ الكبير ... صاحب (الرسالة) الزاهرة

السلام عليكم ...

وبعد فقد قرأت في العدد (٢٨٢) من رسالتكم كلمة للأستاذ صلاح الدين المنجد تحت عنوان « حول كلمة أنوثة » أنكر فيها الكاتب الفاضل صحة كلمتي ذكورة وأنوثة محتجاً بأن اللسان لم يذكر الأولى بالمعنى المتعارف وهو مقابل الأنوثة ، وأما الثانية فلم يذكرها بتاتاً ؛ ولذلك حكم بعدم وجود كلمة أنوثة في العربية

قال : وإنما هي أنانة

ونرى أن عدم ذكر اللسان – كغيره من المعاجم – كلمة لا يدل على عدم صحتها إلا إذا نص علماء اللغة على ذلك ، أو على الأقل خلت منها المعاجم الموجودة ، وإلا فمن حفظ حجة على من لم يحفظ .

ونلفت نظر الكاتب الفاضل إلى أن الكلمتين اللتين أنكرهما لم تنكرها المعاجم ، ففي المصباح بمادة ذكر :

« والذكورة خلاف الأنوثة »

وهذا نص قاطع . وفي الأساس بمادة أنث :

« ونزع أنثييه ثم ضرب تحت أنثييه ، والأنوثة فيهما من جهة تأنيث الاسم »

وكذلك في التاج . واستعمال هذا اللفظ في بابه من معجم موثوق به دليل على صحته . وفي التاج أيضاً مادة فحل :

« وتفحل تشبه بالفحل في الذكورة »

واللفظان جاريان على ألسنة المصنفين من الفقهاء وغيرهم ، ومن أمثلة ذلك قول النووي في المجموع : « أما نبات اللحية ونهود الثدي ففيهما وجهان أحدهما يدل النبات على الذكورة والنهود على الأنوثة ... الخ »

إذن فكلمتا ذكورة وأنوثة صحيحتان شائعتان قديماً وحديثاً ولهما في العربية نظائر كالطفولة والفحولة والأبوة والبنوة والأمومة والعمومة والخؤولة ... إلى غير ذلك ...

ولا أحسب أن أخانا الفاضل – بعد هذا – يرى أن لفظ (أنانة) أسوغ من لفظ (أنوثة) مع ما قدمناه والله أعلم

« حضرموت : سيوون » صالح الحامد العلوي

تخليد ذكرى مختار وإقامة متحف مؤقت لمخلفاته

كانت إدارة متحف فؤاد الأول الزراعي قد قدمت اقتراحاً إلى ولاة الأمور في صدد إقامة متحف خاص لمخلفات المرحوم المثال مختار . وأخيراً رأت إدارة المتحف اختيار مكان مؤقت لهذه المخلفات ريثما يعتمد المال اللازم لإنشاء مبنى لها، وقد تقرر أن يكون ذلك المكان المؤقت هو المسكن الملحق بالمتحف

وستكون نواة متحف مختار الذي يقام عما قريب في ذلك المكان ، ما يوجد الآن من تماثيله في معرض الفن الفرنسي القائم على أرض الجمعية الزراعية بالجزيرة ، وذلك إلى أن ترسل الحكومة في طلب بقية آثار مختار من باريس

ويتجه الرأي إلى استعارة التماثيل التي باعها مختار لبعض الهواة لتعرض في متحفه لآجال معينة على أن تحمل خلال عرضها أسماء أصحابها . وسيضم المتحف إلى جانب التماثيل زي مختار والأدوات التي كان يستعين بها في عمله ، ونموذجاً من حياته الخاصة

أعلام الدراما فى مصر

كتبت القنصلية الملكية المصرية بسان فرنسسكو إلى وزارة الخارجية تنبئها بأن جمعية القلم النسائية الأمريكية قد طلبت إليها موافاتها بأسماء أعلام فن « الدراما » فى مصر رغبة منها فى ضم أسمائهم إلى زملائهم فى مختلف الممالك والأقطار

وطلبت الجمعية أن تتعرف مركز هـذا الفن فى مصر بعـد أن طغت السينما على المسرح وهل لا زالت « الدراما » محتفظة بمكانتها فى البلاد

وقد أحيل هذا الطلب إلى وزارة المعارف للنظر فيه ولعلها تحيله هى أيضاً على إدارة الفرقة القومية لتقول لها كيف قضت على بعض أعلام الدرامة بالخمول وحكمت على البعض الآخر بالتشريد

مستشرق ألمانى

يزور مصر الآن الدكتور جوستاف نيوهاوس ، أحد أساتذة معهد اللغات الشرقية فى برلين

ومما يذكر عن الدكتور نيوهاوس أن له مؤلفات كثيرة فى اللغة « السواحلية » وأبحاثاً طريفة عن بلاد زنجبار ودار السلام وآثار العرب فيها ، كما أخرج أخيراً كتاباً عن رحلته من مصر إلى بلاد شرق أفريقيا

جماعة الأخوة الإسلامية

اجتمع فى اليوم الحادى عشر من فبراير أعضاء جماعة الأخوة الإسلامية برآسة الدكتور عبد الوهاب عزام فى دارها (قبة الغورى) وحضر الاجتماع كبار العلماء ورجال الإسلام من أربعين قطراً إسلامياً .

وتكونت هيئة المكتب من ممثلى : مصر والحجاز والهند ، ويوغسلافيا والصين وألبانيا والعراق واليابان وكردستان وبلغاريا وأفريقيا ورومانيا واليمن ومنشوكو وفلسطين واندونوسيا وبولونيا وافغانستان وطرابلس الغرب وجبل أورال وسودان وجزيرة لفزيه وحضرموت وإيران وروسيا والحبشـة والشام وتركيا وملايو وسيام وشرق الأردن وسيلان والجزائر ومراكش وملديفيا والبحرين وقفقازيا وأناضول وبنغال .

افتتح الحفل بآى الذكر الحكيم ثم قام الدكتور عبد الوهاب عزام فبين أغراض الجماعة ، وتلاه من الخطباء : الأستاذ طنطاوى جوهرى ، فتكلم فى الإسلام والسلام العام ، ثم الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، ثم الشيخ صاوى شعلان ، ثم الأستاذ أحمد بك خليل ، والأستاذ محمود جبر ، والدكتور عبد العزيز عزام ، ثم الدكتور ميرزا فضل الله الإيرانى .

وتألفت اللجنة الأساسية من : الدكتور عبد الوهاب عزام رئيساً والأستاذ محمد أمين نور الدين بك المحامى وكيلاً والأستاذ ابراهيم عثمان مراكش مراقباً عاماً . والأستاذ محمد حسن الأعظمى الهندى مراقباً مالياً . والأستاذ اسماعيل حنفى البلغارى خازناً . والأستاذ عمر وجدى كردى سكرتيراً . والأستاذ يوسف عبد الله قريى أميناً للمكتبة

حياة الرافعى

يصدر فى هذا الأسبوع كتاب « حياة الرافعى » وسيرسل إلى حضرات المشتركين الذين سـددوا قيمة الاشتراك ونفقات البريد ؛ أما الذين لم يسددوا إلا قيمة الاشتراك فقط ، فيمكنهم الحضور إلى إدارة الرسالة ليتسلموا النسخ التى اشتركوا فيها .

اللجنة العليا لقرش فلسطين

اجتمعت اللجنة العليا لقرش فلسطين فى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأحد ٢٣ من ذى الحجة سنة ١٣٥٧ هـ والموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٣٩ بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وانتخبت حضرة الأستاذ الدكتور عبـد الحميد سعيد رئيساً والأستاذ عبد المجيد بك ابراهيم صالح سكرتيراً عاماً وحضرة صاحب العزة ميرزا مهدى رفيع مشكى بك أميناً للصندوق والوجيه محمد أفندى حسين الرشيدى مساعداً لأمين الصندوق وحضرات أصحاب السعادة الأستاذ محمود بك بسيونى وعبد الخالق مدكور باشا ومحمد فهمى الناضورى باشا واللواء أحمد فطين باشا وأصحاب العزة الأستاذ الشيخ أحمد ابراهيم بك ومحمد عيد بك وأصحاب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والأستاذ حسن البنا وحضرات الدكتور محجوب ثابت والدكتور نجيب اسكندر والأستاذ عبـد القادر العبد والأستاذ أحمد السكرى أعضاء

وألفت لجاناً فرعية :



في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

- ١ -

من فوق هذا المنبر العالي والمنار القائم للغة الضاد (وهو صحيفة الرسالة الغراء) نرفع صوتنا مرة أخرى في سبيل العربية، وقد كنا تعرضنا تحت هذا العنوان لنقد كتب يصدرها بعض رجال وزارة المعارف المصرية، وتقرها الوزارة لطلابها.

عدنا اليوم لمثل عملنا في العام الماضي، ولكن في طريق شائكة وخطة ملتوية: تلك هي نقدنا للعوين الكبيرين والعالمين الفاضلين: صاحبي العزة أحمد العوامري بك، وعلي الجارم بك المفتشين الأولين للغة العربية بوزارة المعارف، وعضوي المجمع الملكي اللغوي بالديار المصرية

وقد جئنا بنقدنا في عملهما الذي تآزرا عليه وأفرغا جهدهما فيه، فكان لا بد أن يجيء مظهراً لفضلهما وصورة صادقة لمدة المارسة الطويلة للعربية وآدابها، هذه المارسة التي كانت منهما في هذا العمر المديد والزمن المتطاول، وكنا ننوي أن نتخذ من أقوالهما وآرائهما حججاً في العربية نضيفها إلى أقوال فحول اللغة السابقين...

ذلك بما فتحنا صدورنا له واستعددنا لتلقيه حين بدأنا نقرأ تعليقهما على كتاب البخلاء للجاحظ الذي وكلت وزارة المعارف المصرية إليهما أمر إخراجه في صورة واضحة تقرب إلى أهل جيلنا أدب القرن الثالث للهجرة، وتحبب إلى قرائنا الزاهدين في هذا الأدب أن يقبلوا عليه ويستجلوا جماله الفاتن.

توقعنا ذلك من هذين العالمين الفاضلين اللذين جمعا إلى الثقافة العربية ثقافة غربية، ولم يدر بخلدنا إلا أن يكون عملهما في خدمة هذا الكتاب مزجاً حسناً لهاتين الثقافتين وتجلية لها في ثوب عصري شائق

ولكننا لم نلبث حين نظرنا في الكتاب أن رأينا جهداً نحوياً عنيفاً أغرم فيه المخرجان بتعقب الجاحظ، يعربان أدبه الراقي وفكاهاته الظريفة، ويعتديان على ذلك البيان الواضح بقولهما إن أن هذه مقسرة وتلك مخففة من الثقيلة، والتعليق على «كان» بأنها مرة تامة وأخرى ناقصة إلى غير ذلك من مسائل الإعراب التي زهدت الطلبة في العربية إبان طلبهم للعلم بالمدارس. فإذا بالمخرجين لم يكفهما إلحاح بعض المدرسين في ذلك على طلابهم حتى زادا الإبالة ضغثاً والكيل طفحاً

لجنة الدعاية: برياسة حضرة الدكتور محجوب ثابت

لجنة الحسابات: برياسة حضرة صاحب العزة ميرزا مهدي رفيع مشكي بك

ولجنة المتطوعين: برياسة الوجيه محمد حسين الرشيدي أفندي

ورأت أن توزع الطوابع يوم ١٥ من المحرم سنة ١٣٥٨ هـ وهي تهيب بطبقات الشعب أن تساهم في هذا المشروع الإنساني الجليل لتخفيف جراح فلسطين الشقيقة المجاهدة كما تدعو شباب الأمة الناهض في مختلف طبقاته إلى المسارعة للتطوع والقيام بما يفرضه الواجب نحو فلسطين المجاهدة

وما ندرى كيف اجتمع فى صدر هذين الرجلين أو صدر أحدهما على التحديد هذا الإلحاح فى مسائل الإعراب، مع الرغبة فى تيسير قواعد اللغة العربية وقد كان أول مظاهرها عند هؤلاء الميسرين إهمال ذلك الإعراب !

والكتاب إلى ذلك مظهر آخر لهذا الذى يسمونه تطبيقاً على البلاغة فما تزال ترى فى تعليقاتهما أن هذا التركيب استعارة وذلك تشبيه أو مجاز بالحذف أو إطناب أو إيجاز، وكأنما ظن المخرجان أن الجملة لا تفهم إلا إذا أعربت، ولا تقدر قيمتها فى البيان إلا إذا طبقت عليها علوم البلاغة بوضعها الذى نعرفه . ولسنا نحرم على شراح كتاب كالبخلاء أن تكون منهم إشارة إلى مثل ذلك، ولكن حضرتى المخرجين أسرفا فى ذلك حتى صح فى نظرى أن أعتبر هذا الشرح كراسة تطبيق على النحو والبلاغة . وصرت أعد نفسى حين قراءته طالباً من طلاب الشهادة الثانوية أتزود للامتحان قبله بأيام . وهذا إسراف فى حق الأدب أو الأدب الرفيع الذى إن صدق على شىء فأول ما يصدق عليه هو كلام الجاحظ

وليت المخرجين حين فعلا ذلك كانا موفقين إلى الصواب سالكين النهج الجدير بمكانتهما بين أهل العربية فى عصرنا ! ولكن الذى كان موضع العجب أنهما زلا فى كثير من هذه المواضع التى أرادا أن يدلا بمعرفتهما فيها على جمهور الأدباء ممن يجهلون أو يتجاهلون ذلك .

كان هذا حقاً موضع العجب من أمر رجلين عظيمين قضيا حياة طويلة فى نقاش المعلمين، ومحاسبتهم على عباراتهم وإشاراتهم، حتى كان الهمزة توضع فى غير موضعها ، وحرف الجر ينوب عن غيره مشاذات ومصاولات، ثم نور لهذه الاعتبارات المتينة يظهر أثره فى التقارير ، فإذا هذا المعلم مهمل لأنه لا يعنى بوضع الهمزات مواضعها، وإذا بذاك مجيد لأنه راعى رغبة المفتشين فى هذه الدقة وتلك الشدة .

قلنا إن طريقنا فى نقد المخرجين كانت شائكة ، وإن الخطة كانت ملتوية ، وما قصدنا فى هذا إلى صعوبة المآخذ وغموض الصواب علينا ، فقد والله قيدنا ملاحظاتنا فى أثناء قراءة هادئة لم نقصد منها إلا التمتع بأدب الجاحظ واللهو بفكاهته ، فإذا المآخذ تنادينا وتقول خذونى !

وإنما شاكت الطريق والتوت الخطة لأننا اضطررنا فى سبيل العربية أن تنال من علمين من أعلامها بيننا ؛ ولم يكن نيلنا فى أمور يحتمل فيها الخطأ ، أو يقبل اعتساف الرأى لدقة المسلك أو حلكة الشبهة ، بل قد وجدنا هذه المآخذ يشتد العيب فيها على ناشئ فى العربية لا يزال يتعثر فى ذيول الإعراب والتطبيق ، فآلمنا أن نجرح بمثل هذه المآخذ عالمين فاضلين من أفذاذ المصريين فيما نصبا أنفسهما له ، وتصديا للرياسة فيه من علوم .

وقد كنا هممنا أن نبوب للقارئ هذه المآخذ فنجمع متشابهاتها تحت عناوين تشملها : فهذا عنوان الأغلاط النحوية، وذاك عنوان المآخذ اللغوية ، وذلك باب الفهم التالى أو الترجيح للمرجوح و ... ولكنا رأينا أن نجعل مآخذنا تساوق صفحات الكتاب ، فكلما مررنا بواحدة منها تكلمنا عنها وبينا وجه الصواب فيها

***

فى أول صفحة من الكتاب فى تعليل ذكر نوادر البخلاء بين جد وهزل « لأجعل الهزل مستراحاً ، والراحة جماماً »
وفى التعليق على هذه العبارة يقول الشارحان : الجمام : الراحة
وهذا التفسير ظاهر الخطأ لأنه ينتهى بالجملة إلى أن تكون هكذا : لأجعل الراحة راحة ، وهذا غير جائز فى حقيقة ولا مجاز

ومأتى هذا الخطأ من الشارحين أنهما وجدا فى كتب اللغة تفسير الجمام فيما تفسره بالراحة ، فارتاحا إلى هذا وفاتهما أن هذه الكتب عينها تفسره أيضاً باجتماع النشاط وتراجع القوة . تفهم ذلك من قول القاموس : جمت البئر تراجع ماؤها ، والفرس ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وترك فلم يركب فعفا من تعبه ... فهذه العبارات تفيد معنانا صراحة وتعفينا من تفسير الماء بالماء كما حصل من حضرتى المخرجين

وفى ص ٢٦ مسألة ذات بال سيتعب القارئ من تتبعها ولكنها ستنتهى به إلى نتيجة شديدة على الشارحين، فليجعل حكمه على فهمهما ووقوفه على مقدار ذوقهما ثمناً لهذا التعب

قال الجاحظ « فأما ما سألت من احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث البخلاء فسأوجدك ذلك فى قصصهم إن شاء الله تعالى

مفرقاً وفى احتجاجاتهم مجملاً ، فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندى دون ما انتهى إلى من أخبارهم على وجهها وعلى أن الكتاب أيضاً يصير أقصر ويصير العار فيه أقل »

قال الشارحان « فهو إلخ : الضمير عائد إلى (ذلك) أى أن احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث البخلاء مثبتة فى قصصهم مفرقة ومجملة — أجمع لهذا الباب (باب البخل) من وصف إلخ والجار والمجرور فى قوله من وصف حال من « ذلك » فى قوله : فسأوجدك ذلك و (دون ما انتهى) حال من وصف ما عندى . والمعنى سأطلعك على ذلك حال كونه من وصف ما عندى من مشاهدات أحوال البخلاء ونتائج معاشرتى إياهم وسيكون هذا غير ما سأذكره أيضاً مما انتهى إلى من أخبارهم »

تدبر أيها القارئ عبارة الشارحين واعصر ذهنك فى ضمائرها وإشاراتها وأحوالها ومتعلقاتها فإن محاولة إفهامك مرادها شاقة عسيرة إلا إذا اجتمعنا أمام سبورة أكتب لك عليها الجملة بالأحمر والأصفر وأجعل أتنقل بك من ضمير إلى اسم إشارة واصلا هذا بذاك حتى تفهم المراد .

ولكن ينبغى أن تعلم أن السر فى هذا التعقيد هو عدم اهتدائهما إلى مرجع الضمير فى قوله : « فهو أجمع . . . » كذلك اعتبارهما الجار والمجرور « من وصف » متعلقاً بحال من « ذلك » . وقد أوقعهما هذا التقدير فى مشكل نحوى لم يلتفتا إليه وهو وقوع اسم التفضيل المنكر المجرد من الإضافة ، بدون من تالية له جارة للمفضل عليه ، كما تقول : محمد أكرم من على ، فيكون (من على) متعلقاً بأكرم وهذا ملتزم فى مثل ذلك التعبير .

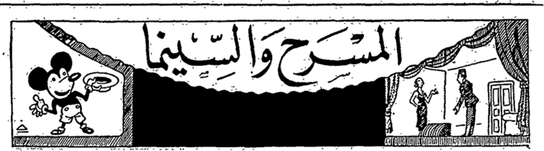
أما الذى نقوله فى عبارة الجاحظ فهو أن الضمير فى قوله « فهو أجمع » يعود على مصدر الفعل « أوجد » والجار والمجرور « من وصف » متعلق باسم التفضيل « أجمع » فيكون المعنى : إن إيرادى لقصصهم واحتجاجاتهم أشمل لهذه النوادر من أن أقتصر على إيراد ما عاينته بنفسى من أحوالهم ، مع ترك ما وصل إلى من أخبارهم عن طريق الرواية ، إذ أنى لو اقتصرت على إيراد ما عاينته وحده ما استطعت أن أذكر شيئاً كثيراً فيقصر الكتاب ، كذلك مشاهداتى وحدها لا تمثل شناعة فعل البخلاء كما تمثله الحكايات التى تناقلها الناس عنهم لصحة اتهام الفرد بالكذب أو المبالغة ؛ فأما إذا تواترت الأخبار واجتمع عليها جم من الناس فذلك أقوى لها وأشد فى تصور شناعتها .

ولا نترك هذا المقام حتى ننقل لك ما علق به الشارحان على قول الجاحظ فى نهاية العبارة « وعلى أن الكتاب أيضاً يصير أقصر ويصير العار فيه أقل » قالا حفظهما الله : « وعلى أن الخ . (على) للتعليل هنا ، وهو تعليل لاقتصاره على ما عرفه عن البخلاء ، وما وصل إليه برواية صحيحة من أخبارهم » .

وقد بان لك من كلامنا كيف أن هذه العبارة الأخيرة من الشرح مضطربة إلى أبعد غايات الاضطراب ، إذ كيف يقصر الكتاب لو ذكر الجاحظ ما عرفه عن البخلاء وما رواه من أخبارهم ! وهل يبقى بعد ذلك شىء يذكر ؟!

« الكلام بقايا »

محمود مصطفى
المدرس بكلية اللغة العربية



الفرقة القومية

لا غرضاً ثقافياً حققت
ولا روائع المسرحيات الأوربية أذاعت

الأستاذ ابراهيم رمزي ، مدير التعليم الحر ، واحد من أوائل الأدباء الذين عنوا بإحياء المسرح المصري ، وبذلوا في سبيله جهوداً ذات قيمة ، وغيرة كان يجب أن تقابل بالثناء الخالص والشكر الجزيل . إلا أن عوامل لا أعرف بواعثها — قد تكون مادية لبست جلباباً على غير قدها — قد حولت الأستاذ رمزي عن طريقه القويم ، فجعلته يسلك مسلكاً في التأليف باللهجة الدارجة وفي تجريح الفصحى أراه وراه معي كل غيور على اللغة العربية التي ارتضتها مصر وسواها من الأقطار المجاورة أو النائية عن شبه جزيرة العرب ، أن تكون لغتها الدينية والقومية ولغة حكوماتها الرسمية . إنه خروج على آدابها وقواعدها ، ونكوص يخالف سنن الترقي والتقدم ، ولوثة تلوث نهضة مصر الثقافية ، وما خلا ذلك فالأستاذ رمزي ما برح يعمل للمسرح المصري بروح الأديب المخلص لفنه

قلت له : الفرقة القومية مؤسسة حكومية ، هل حققت الغرض الثقافي والفني ، وهل عملت على ترقية المسرحية المصرية وأذاعت روائع المسرحيات الغربية ؟ فأجاب :

— ليس من السهل الجواب على هذا السؤال إلا إذا استهدف الإنسان لعتاب الأصدقاء والأحباب ، ولكني تعودت أن أكون صريحاً فيما له علاقة بمصلحة قومي ووطني ، ولذلك لا أتردد في أن أقرر :

(١) أن الفرقة القومية لا تستطيع أن تحقق غرضاً ثقافياً كبير الشأن في هذه المدة القصيرة لأنها إنما تعمل حتى الآن لجمهور المثقفين وعلية المصريين الذين ليسوا في حاجة إلى ثقافتها . على أني لا أدري كيف ينتظر منها التثقيف وهي إلى اليوم لم تتخبط القصة المترجمة والمقتبسة التي لا علاقة لها بمجتمعنا المصري ، كما أنها على كثرة ما أخرجت لا تشتغل إلا أياماً معدودات في العام كله وتقتصر على مدينة القاهرة ولا تنتقل إلى أي بلد من عواصم المديريات .

لا يا سيدي ، الفرقة لم تحقق غرضاً ثقافياً ولن تحقق غرضاً ، وأحب أن أقول هنا إن القيود الكثيرة التي كبلت بها أيدي المشرفين عليها ، والمبادئ العجيبة التي تتحكم في مراميها ، لا يمكن أن تنهض معها فرقة بعمل كالذي يرى إليه اسمها . وأعتقد في النهاية أنها فرقة موجودة وعمل من الأعمال التي لها نظائر في بلدنا ينفق عليه لقصد عظيم لا يتحقق منه شيء كثير

أما تحقيقها الغرض الفني فكل ما يمكن الإجابة في صدده أن الممثلين يقومون بأدوارهم أحسن قيام ، والإخراج لا بأس به لأنه ليس إلا نقلاً لإخراج ظهرت به في فرنسا الروايات المعربة وأكثرها منقول عن الفرنسية

جوابي عن سؤالك : هل عملت الفرقة على ترقية المسرحية المصرية وإذاعة روائع المسرحيات الغربية ، هو : لا ، ثم لا ، وأخيراً لا ، لأنه بلغ من المشرفين على هذه الفرقة (وعندهم الروايات المؤلفة) أن يؤثروا عليها الروايات المقتبسة والمنقولة ومنها السخيف وغير السخيف لسبب واحد هو أن مخرجهم أوربي ، ولأن إخراج الروايات العربية ليس في مقدوره ، وإخراج الروايات العصرية يحتاج إلى من يدرك دخائل الظروف المحلية ، ولأن المشرفين

على هذه الفرقة ليسوا كلهم ممن يشعرون تمام الشعور بالواجب القوى فى هذا الزمن الأسود .

أما كونها أذاعت روائع المسرحيات الغربية ، فالجواب عنه: لا يصح أن يكون ذلك مؤاخذة للفرقة لأنها لم تظهر منها إلا القليل وذلك بحكم الضرورة ، فالروائع لا عد لها وهى لم تأسس إلا منذ أربعة أعوام، على أنها تميل الآن إلى التقرب من الجمهور فهى تعطيه شيئاً من غير الروائع يستطيع أن يستمتع بما فيها من بساطة سطحية

قلت : إذن هل أنت متفائل ؟

فأجاب : كلا لست بمتفائل ، لأن الهمة الواجبة لمثل هذا العمل الذى تمده الحكومة بمالها وجاهها وقوتها يحتاج إلى نفوس أقوى ، وأيد أشد ، وعزائم غير هذه العزائم ، عزائم مخلصة فعلاً ومضحية فعلاً

على أنى يا سيدى وقد وضعت للمسرح ما تم من القصص التاريخى الكثير وغيره من القصص المصرى باللغة العربية السليمة أعلن جهاراً أن المسرح المصرى يجب أن يكون أولاً للشعب أى للتسعين فى المئة من أهله من المصريين، أى باللغة الدارجة المهذبة ومكملة بما يحتاج إليه من الألفاظ فى اللغة العربية السليمة كما تفعل الآن فى أحاديثنا وخطبنا ومساجلاتنا وترك هذا النفاق الذى نعيش عليه فى هذه الأيام !

أما العشرة الباقية فى المئة فحسبهم هذه الفرقة القومية ورواياتها ولغتها العربية القرشية أو لاتينية الشعوب الشرقية[1]

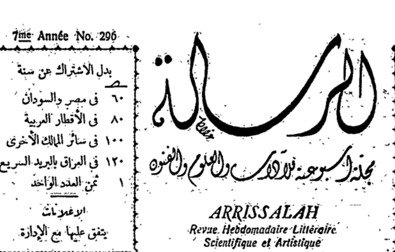
انتهى كلام الأستاذ إبراهيم رمزى بنصه . وعندى حديث ممتع للأستاذ عمر سرى بك تناول فيه هذه الناحية تناول الرجل الخبير وأوضح موقف وزارة المعارف المتناقض فى مساعدتها للفرقة القومية الحريصة على اللغة الفصحى وفى مساعدتها لفرقة أخرى تعمل على ترويج العامية . وسننشره قريباً

ابن عساكر

(١) الرسالة : هذا كلام غريب ، وصدوره من أديب أغرب !

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

7me Année No. 296 | Lundi - 6 - 3 - 1939



بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٦ | «القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٦ مارس سنة ١٩٣٩» | السنة السابعة

الفهـــــرس

منطق الغـــنى ...

لقيت أول أمس على مقهى «أتينيوس» بالإسكندرية رجلاً من نابهى النواب أعرفه معرفة لا تقرّب ولا تبعّد . هذا الرجل ينزع بطبعه منزع الأرستقراطيين فى نمط العيش وأسلوب التفكير ورونق المظهر ؛ فهو يتجمل بالزينة ، ويتنبّل فى الكلام ، ولا ينفك يعلك ألفاظ المثرين المترفين كالبنك والبرصة والسيارة والخيل والسباق والسهرات والحفلات والملاهى حتى لتظنه المرجع الحجة فى أولئك جميعاً . ونباهة هذا النائب لم تأته عن طريق الفطنة أو الخبرة أو الكياسة ، وإنما أتته عن طريق التهويش والتهريج والسياسة ؛ فهو فى مجلس النواب جزء من كرسيّه لا يتحرك ولا ينبس ؛ ولكنه فى الأمور الحزبية والانتخابية ولاّج خرّاج يجذب الزعماء بالمآدب الصاخبة ، ويخلب الناخبين بالوعود الكاذبة ، ويدرج بالدعوى والدعاية من قهوة إلى قهوة

قال لى بعد أن تبجح طويلاً بقوة أثره فى توجيه المجلس ، وتسفيه المعارضة ، وتنظيم النادى ، وتقويم الحكومة :

— مالك وللأغنياء توغر عليهم صدور الصناع والزراع والخدم ؟

— عجيب ! وهل تقرأ الرسالة ؟

— إنما يقرأها ابنى وابنتى ؛ وهما متأثران بها ومشايعان لها ، ولا يزالان يجادلاننى فيما تكتب وتطلب حتى أترك لهما الدار ! فهل

تريد أن يكون الناس كلهم سواء في الثروة ، وليسوا كما تعلم سواء في الذكاء والقوة ؟

— يا سيدي ما اعتقدنا ذلك ولا كتبناه . فأنا نؤمن بالغنى والفقر كما نؤمن بالقضاء والقدر . والتفاوت في الطبع والكفاية والحيلة والوسيلة مبدأ مقرر في الطبيعة ، ونظام مسلم في الدين ؛ ولكنا نحاول أن نذكر الأغنياء أن الله الذي خلقهم وخلق الفقراء ، قد جعل لحمة ما بينهم وبينهم قائمة على أساس من المودة والرحمة يكفل المخالفة ويضمن السلامة . فإذا تعهدوا هذه الصلة الإلهية بالبر ، فتح القادر العاجز روحاً من قواه ، ونفح الواجد الفاقد قليلاً من جدواه ، سارت القافلة الإنسانية في طريقها إلى الكمال الممكن غير ظلماء ولا وانية . وإذا أردنا المساواة فإنما نريدها في الحق والواجب ، وإذا ذكرنا المشاركة فإنما نذكرها في حدود الإحسان والزكاة .

— الإحسان يغرى بالكسل ويعين على بقاء الفاسد . والفقير في أكثر أمره عليل الجسم أو العقل ؛ فلم لا يكون من الخير أن يترك للحرمان حتى يذبل ويسقط ؟

— إذا استطعت أن تنفذ هذا الرأي في أسرتك الخاصة ، استطعنا أن ننفذه في أسرتنا العامة . فهل في مقدورك أن تترك ابنك المعلول الذي لا يبرأ ، وأخاك المخبول الذي لا يبرى ، حتى تعصف بهما المنون كما تعصف ريح الخريف بالورق الجفيف ؟

— ما أظن القلب يطيع العقل في ذلك

— ومن قال لك إن العقل يخولك حق الله على خلقه ؟ إن للفقير حق الحياة ، وليس لك عليه حق الموت . والله الذي خلق الكون خلق الفساد وجعل لكل منهما قوانين يجرى عليها في الطبيعة . وستنالك أنت على الرغم من قوتك وغناك عوامل الذوى والبلى ، فهل تقبل من ذوى رحمك ووارثي مالك أن يدعوك فريسة الهرم والمرض ، كما يدع القطيع الحمار المحموم في القفر الجديب ؟

***

ورأى صاحبي أن هنالك مدارك من فهم الحياة استعجمت على ذهنه الشارد ، فتمتم ببعض الجواب وبين بعضه الآخر حين قال :

— . . . ولكنني أعلم أن الزكاة في أوربا ليست مشروعة ولا مجموعة ، ومع ذلك تجد الفقر محمولاً والحياة آمنة . فكل إنسان يعمل ، وكل حي يعيش

— لا يغرنك يا سيدي ما تعلم من ظواهر الحياة الأوربية ، فإن مدنيتها طلاء على صدوع ، وكبرياء على خضوع . ولولا قيام الأديرة بجمع الصدقة وتنظيم الإحسان ، ونهوض الحكومات بحماية العجز وتوفير العمل ، لرأيت البؤس كرمز الموت هيكلاً بادي العظام لا تستره أثواب ولا تحجبه أبواب

— وما قولك في أمريكا ؟ أليست المسافة فيها بين الفقراء والأغنياء ، كالمسافة بين الأرض والسماء ؟ ومع ذلك لا تجد بين هؤلاء وهؤلاء حسداً ولا ضغينة

— عفواً يا صاحب العزة ! لقد عرفت القياس وأنكرت الفارق . إن أكثر المنافع في أمريكا من فضل الغنى ؛ فكيف يبطن الفقير له الغل وهو يتعلم في مدرسته طفلاً ، ويعمل في مصنعه رجلاً ، ويتداوى في مستشفاه مريضاً ، ويأوى إلى ملجئه شيخاً ؟ إن صاحب الملايين في الدنيا الجديدة مثل الإنسان الأعلى : أثرى بالكد والإيمان والكفاية ، ودبر ثراءه على قواعد الوطنية والإنسانية والدين ، فكان حرباً على الجهل والبؤس والشر ، وعاملاً للسلام والوئام والمحبة . أما أغنياؤنا فتثال الطمع الجرىء والشح الدنيء والصلف الغاتي : أثروا بالإرث أو بالحرص أو بالحظ أو بالحيلة ، ثم كدروا صفو الحياة على الفقير ، فهم يزاحمونه على المجانية في المدارس ، ويغلبونه على الوظائف في الدواوين ، ويدوسونه بسياراتهم في الشوارع ، ويسلبونه بطاعتهم في المزارع ، ويصدونه عن البرلمان حتى لا يكون لغير أقوالهم سميع ، ولا يصدر بغير إرادتهم تشريع

ونظر صاحبي في ساعته ذات السوار ، ونظرت أنا إلى البحر فإذا هو يمور ويفور ، والصيادون المساكين يكافحون العاصفة ليصيدوا لهذا الغنى البطان لوناً من الطعام تكمل به مائدته الموقرة الحافلة !

ثم افترقنا وكل منا على رأيه !

احمد حسن الزيات

حرب الأجيال

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعلن الناقد الإنجليزى « فرانك سوينرتون » فى صحيفة « الأوبزرفر » عن قرب صدور الكتابين الجديدين للمؤلفين الكبيرين « ولز » و « موجهام » فقال فى مقدمة كلامه :

« هناك تناقض يغري بالتساؤل بين موقف المصريين وموقف الجيل الفكتورى حيال الكتاب النابهين . فقد كان هؤلاء الكتاب يحاطون بالإجلال المرهوب حين ينتهون إلى الشيخوخة ويقلعون عن التأليف ، وكانوا قبلة التبجيل والتشريف والحجيج من سائر البلاد . أما اليوم فنقيض ذلك هو الواقع : اليوم يلبث كتاب الأمس فى الميدان ولا يخرجون منه ولا يتطلعون إلى إجلال مرهوب أو يستقبلون التبجيل والتشريف ، وكل شاب ذى ملكة موهوبة يقتضيهم الثناء السخى والتشجيع ولكنه يرى لنفسه حقاً فى الإنحاء عليهم واتهامهم بالوقوف فى طريق الثورة الأدبية »

***

هذه حرب الأجيال التى يتحدثون عنها فى البلاد الأوربية ، ويقصدون بها قيام جيل من الكتاب والأدباء وراء جيل ، ومحاولة الجيل الجديد أن يفسح له مكاناً إلى جانب الأعلام النابهين فى ميدان الأدب والتأليف

وهذه الحرب قديمة لم تنشأ فى زماننا هذا ولا فى الزمان الذى قبله وإن اختلفت فيها الدعاوى والأساليب

ولكنها اشتدت فى الجيل الحاضر لعوامل جديدة طرأت عليها : منها التزاحم العنيف ، ومنها أن النظرة إلى « الماضى » اختلفت بين العهد الفكتورى والعهد الحاضر ، أو بين أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

كان التوقير حقاً للماضى ، لأن الناشئين كانوا ينتظرون منه كل شئ ويتجهون إليه إذا أرادوا العلم والخبرة والحنكة والهداية

أما اليوم فقد حدث مشكلات نفسية واجتماعية ليس للماضى فيها تصريف ولا احتيال ، ولا يتجه فيها أحد إلى الماضى ليعرف ما عنده لها من علاج وتدبير ، لأنها لم تكن معروفة فيه ولم تكن معروضة على أهله ، فتحول الاتجاه من الماضى إلى المستقبل ، وبطل ما كان مألوفاً مقرراً للماضى من التبجيل والتشريف

هذه المشكلات هى سر الحياة وسر الأزمات العالمية وسر القلق والاضطراب فى علاقات الاجتماع

ليس للماضى فيها تصريف ولا احتيال . فهل التصريف والاحتيال فيها للحاضر ؟ وهل هما للمستقبل القريب أو البعيد ؟

كلا ! التصريف والاحتيال فيهما للزمان وللعمل المشترك بين جميع الناس من شيوخ وكهول وشبان وأطفال لا يزالون فى المهود أو لا يزالون فى الأصلاب

وهل يرجى أن يجيء على الدنيا عهد من العهود خلواً من المشكلات التى تطلب الحلول ولا ينفرد بحلها جيل واحد من الأجيال ؟

كلا ! إن هذه المشكلات لا يحلها الحاضر ولا المستقبل برأى هذا أو باحتيال ذاك ، ولكنها تنحل مع الزمان تارة بالعمل المقصود وتارة بأعمال كثيرة غير مقصودة ، ولا تزال طبقة منها وراء طبقة على مدى السنين

هذه هى الحقيقة التى يجهلها بعض المتعجلين . وليس من غرضنا فى مقالنا هذا أن نسهب فى توضيحها وتمحيص نظرات الناظرين إليها ، وإنما أردنا أن نشير إلى العامل الجديد الذى أضاف بعض الشدة والعنف إلى حرب الأجيال ، وأدى إلى ذلك الموقف الذى لخصه « فرانك سوينرتون » فيما تقدم

***

يوشك من يقرأ كلمة الناقد الإنجليزى ويذكر ما يكتب فى مصر وفى بعض الأقطار العربية أن يبادر فيقول : « إن بعض الحال من بعض » أو « الحال من بعضه » كما يقول العامة فى البلاد المصرية ...

فإن قال قائل مثل هذا فهو مخطيء ، لأن الحال الذى يحسب « بعضه من بعض » لمختلف أبعد اختلاف .

هناك يتكلمون عن الشيوخ الذين أنافوا على السبعين ، وهنا يطالبون الكهول فيما دون الخمسين بالسكوت والانزواء .

هناك يأتى بعد جيل « ولز » جيل هكسلى وهو فى الرابعة والأربعين ، ثم يأتى بعده جيل الشبان الناشئين وهم فى نحو

الثلاثين ، وهنا لا يتجاوز الشاب العشرين حتى يتعجل الشهرة بل يريدها له وحده خالصة دون أبناء الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين ، بل دون زملائه الآخرين من أبناء العشرين .

هناك يؤلفون ويبتدعون ويزاحمون الرأى بالرأى ، والنهج بالنهج ، والتفكير بالتفكير ؛ وهنا لا يؤلفون ولا يفكرون ولا يقرأون ، ولا يزيدون على إبراز شهادة الميلاد والترنم بما يسمونه حقوق الجيل الجديد .

هناك يثبون إلى المستقبل فيسبقون ، وهنا يرجعون إلى الوراء ويشبهون الببغاوات فى ترديد الصياح القديم .

***

أضف إلى هذا أموراً أخرى تختلف فيها البواطن والظواهر ويؤجرعليها القادحون فى مشاهير الكتاب لغرض ليس بالصريح ولا بالشريف .

فهم تارة مأجورون لأصحاب المطامع السياسية الذين يريدون القبض على أعنة الدعوة فى بلاد الشرق ، فلا يملكون هذه الأعنة والمشاهير من الكتاب قائمون مسموعون ، فينذلون ما فى وسعهم للغض من أولئك الكتاب والتطاول عليهم بالصياح والضجيج الذى قد يروج بين الأوشاب والأغمار ، لأن الأوشاب والأغمار لن يطلبوا دليلاً ولن يميزوا ما يسمعون .

وهم تارة مأجورون للشيوعيين الذين ينادون بالأدب الدارج أو أدب اللغة العامية لأنه أدب « الصعاليك » وهم يبشرون بدولة الصعاليك ولا يسرهم أن ترسخ فى الشرق العربى آداب اللغة الفصحى ولا الآراء التى تناقض ما يدعون إليه من فوضى وابتذال، بل لا يسرهم أن تستقر فى الأقطار العربية مكانة مصر خاصة لأن مصر خاصة قبلة الأنظار الموقرة من التاريخ القديم ، فإذا هدموا مكانتها فقد زال من طريقهم هذا المعقل الحصين وتمهدت الأرجاء بطاحا ذلولا ليس فيها ما يعوق نعيب ماركس وخليفته لنين، وصاحبيه تروتسكى وستالين .

فإذا لم يكونوا مأجورين لأصحاب المطامع أو للشيوعيين فهم مغرورون يتهافتون على الشهرة ولا يتذرعون لها بأسبابها ولا يرجعون إلى ما فيهم من نقص وكسل وعجز عن الكفاح، بل يفضلون التعلل بالأسباب الواهنة والدعاوى الكاذبة والحجج السلبية التى تشبه الأفيون فى التخدير والإرضاء وتشبهه فى هدم القوى وتخريب الأذهان .

وكثيراً ما تسمعهم يقولون : كيف تأتينا الشهرة وهؤلاء الكهول أو الشيوخ يحتكرون ثناء الصحف السيارة ويستأثرون بميدان الدعوة والتأليف ؟

وهذا بعينه هو الأفيون إن لم نقل هو أخبث من الأفيون فى الكذب والتحطيم .

فقد صدر فى مطلع هذا العام كتب ثلاثة لمن يسمونهم بالكهول والشيوخ وهم طه حسين واحمد أمين وكاتب هذه السطور . فكم نهراً من أنهر الصحف اليومية قرأوه فى تقريظ هذه الكتب أو فى الإشارة إلى صدورها ؟

لا أذكر أننى قرأت شيئاً ذا بال فى الصحف اليومية عن كتاب طه حسين « مستقبل مصر الثقافى » أو كتاب احمد أمين « فيض الخاطر » .

أما كتابى رجعة أبى العلاء فقد ظهر وأوشك أن يباع نصفه ولا تذكر صحيفة يومية واحدة أنه صدر من المطبعة مجرد صدور ... والكتب مع هذا تسير فى طريقها وتلقى حظها من الذيوع

فالواقع أن جيل الأدباء الكهول فى مصر جيل لا يدين لأحد بما أصاب من شهرة ومكانة ، وهو فى هذه الخصلة جيل فريد بين أدباء العالم من أقدمين ومحدثين

فالأدباء الأقدمون كانوا يعولون على النصراء والمشجعين ويعتمدون على الخلع والهبات

والأدباء المصريون فى أوربا يعولون على دعوة الناشرين وإقبال الملايين من القراء فى لغاتهم وفى اللغات الأخرى التى يترجمون إليها

أما أدباء الكهول والشيوخ المصريون فلا نصراء ولا هبات ولا دعوة ناشرين ولا ملايين قراء ، وكل ما هنالك حسد واضطغان واستهداف للبذاء من مأجورى الشيوعيين ومأجورى أصحاب المطامع ومن تقعد بهم الرخاوة عن الجد والكفاح

فماذا كانوا لا قين يا ترى لو أصابوا من الكسب والشهرة ما يصيبه برناردشو أو ولز أو موجهام أولديفيج من طبعة واحدة لكتاب واحد يباع للقراءة ويباع للتمثيل ويباع للصور المتحركة ويباع للترجمة فى بضع لغات !

وما أحسب إلا أننا كنا نمشي يومئذ في الطريق فيخرج علينا الكامنون من « نابغي الجيل الجديد » بالمسدسات والسكاكين !!

***

هذه هي حرب الأجيال عندنا لا يقال في وصفها أصدق من أنها لعب أطفال، أو مكيدة أنذال، أو سفاهة جهال؛ وليس من ورائها نفع للأدب العربي ولا لمن يحاربون في ميدانها بذلك السلاح الفلول؛ ولن ينهزم فيها أناس انتصروا على الزمن وعلى الجهل وحدهم بغير معونة من حكومة ولا دعاة، ولا محاباة من الجماعات أو الأفراد الأقوياء، بل على الرغم في معظم الأحايين من الإجحاف والعداء يلقاهم بهما جميع هؤلاء . فأحرى بهم ألا ينهزموا اليوم في ميدان مأمون لا يقابلهم فيه جيش ولا جنود، ولا سلاح ولا بنود، إلا اللجاج والهراء ودسائس الجبناء في الجهر والخفاء .

عباس محمود العقاد

النجم الذي هوى

للدكتور زكي مبارك



ما كنت أحسب أن الأيام تدخر لي هذا النصيب الضخم من الحسرة والحزن والالتياع

ما كنت أظن أن في أخبار الدنيا ما يهددني بالموت وأنا سائر في الطريق

ما كنت أتوهم أن صدري يملك هذه الذخيرة من الحرص على حياة الأصدقاء

رجعت إلى بيتي عصر الخميس ولم أخرج منه إلا صباح السبت طلباً للتفرغ لبعض الأعمال

فماذا رأيتُ حين خرجت ؟

رأيت أن يوماً واحداً هو يوم الجمعة كان كافياً لأن تذهب دولة من المروءة والشرف والأريحية من عالم الفناء إلى عالم البقاء

إي والله ، يوم واحد كان كافياً لأن يموت فيه رجل ويدفن وينقضي مأتمه وينفضّ من حول بيته الجازعون بحيث لم تبق فرصة لمن يريد أن يقدم إلى أهله كلمات العزاء

إي والله ، في يوم واحد ذهب الأستاذ محمد الهراوي إلى غير مَعاد ...

فيا أخي ويا صديقي ويا كل ما كنت أملك من الصدق الصادق الصحيح ، كيف تطيب الدنيا بعدك وفيها ما أعرف وما كنت تعرف من ندرة الأصدقاء الأوفياء ؟

كيف تطيب الدنيا بعدك ، يا محمد ، وكانت حياتك العزاء، عما في الدنيا من بلايا وأرزاء ؟

كيف تطيب الدنيا بعدك ، وما تخلّق الناس بالصدق إلا ليزاحموك ، ولا عرفوا الوفاء إلا لينافسوك ؟

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

لك أن تعرف في عالم الأرواح أن إخوانك وأصفياءك سيذكرون أيامك كما يذكرون بشائر الأحلام وبواكير الأماني

لك أن تعرف ، يا محمد ، أن إخوانك وأصفياءك يؤمنون بأن فجيعتهم فيك هي فجيعة الرياض بموت البلبل الصداح ، وفجيعة القلوب بذهاب الأمان ، وفجيعة الجسد بفراق الروح

أين من يعزيني فيك يا أخي ويا صديقي ؟

أين من يعزيني فيك وأنا أشعر بأن الموت حين خطفك لم يوجّه الطعنة إلى صدر غير صدري ؟

أين من يعزيني فيك وأنا أومن بأن أباك لو كان عاش حتى ثكلك لما جزع عليك معشار ما جزعتُ عليك؟ أين من يعزيني فيك إن كان قلبي سيعرف من بعدك العزاء ؟

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

كيف جاز عندك أن تغمض عينيك قبل أن تراني ؟

كيف جاز عندك وأنت مثال العطف والحنان أن تفارق الدنيا قبل أن أراك ؟

أكنت تعرف بوحي القلب أنك مفارق ؟

كنت تعرف ذلك ولا ريب ، لأنك تلهفت إلى لقائي في أيامك الأخيرة مرات ومرات ، وكنتُ لجهلي أحسب ذلك من أمارات الشوق ، لا من أمارات التوديع ، فضيّعتُ حظي من لقائك وأنا آثم ظَلوم

ليتني أعرف ، يا محمد ، كيف تشعر بعد الموت بجزعي عليك !

ليت الحجاب ينكشف مرة واحدة لأعرف أن حزنى وصل إليك!

***

أين من يعزينى فيك يا نبياً ذهب وأملاً ضاع ؟

أين من يعزينى فيك يا روضة من الحسن عصف بأزهارها الزمان ؟

أين من يعزينى فيك يا دوحة من المجد عدت على أغصانها العوادى ؟

أين من يعزينى فيك وما عرفت معنى الأخوة إلا حين عرفتك ، ولا تذوقت معنى الأنس بالأرواح إلا حين أنست روحك ، ولا فطنت إلى ما فى الدنيا من ذخائر إلا حين فطنت إلى الذخائر المودعة فى صدرك الأمين

***

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أفى يوم واحد تضيع من يدى ، أيها الكنز الثمين ؟

أفى مثل ومضة البرق يذهب الروض الذى كنت آوى إلى ظلاله حين يلفحنى هجير العناء ؟

أفى مثل لمح البصر أنظر فأرانى وحدى وكنت جيشاً أحارب به الزمان ؟

أفى مثل خفقة القلب ينطفئ السراج الذى كنت أستهدى به فى الظلمات ؟

***

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

سيكون فى دنيانا بعدك أفراح وأحزان ، وستبقى الدنيا بعدك باسمين أو عابسين ، ولكنا سنذكر إن طالت الحياة أن خفقات القلوب من بعدك لن تكون إلا مراحاً فى مراح .

نكذب عليك ، يا محمد ، إذا قلنا إننا سنجعل خفقات القلوب وقفاً على الهتاف باسمك ، والشوق إليك ، ولكنك ستعرف أنك ستظل فى قلوبنا مثال الشرف والصدق ، وسترانا من أهل الحرص على التغنى بمحامدك فى أكثر الأوقات ، حين يجد ما وجب أن نتطلع إلى الأصدقاء الأوفياء .

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

بموتك عرفت أن الحزن خليق بأن يكون شريعة من الشرائع

بموتك عرفت كيف يجب أن أفكر فى لقاء الرفاق الأصفياء كل يوم .

بموتك عرفت أن فى قلبى ذخائر من الصدق والوفاء

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أقسم بالله وبمودتك أن الموت كاد يتناشنى فى الطريق حين قرأت خبر موتك ، فإن طالت حياتى بعدك فسيكون ذلك أعجوبة من الأعاجيب ، وسأقضى ما بقى من حياتى فى تحقيق الأغراض التى كنت تحب أن تحققها فى حياتك

أخى وصديقى :

لا أقول : « يغفر الله لك » ، فقد كنت أطهر من الزهر الطلول ، وإنما أقول : « يغفر الله لمن عرفك ولم يمت لموتك » .

***

أما بعد ، فقد كان فى نيتى أن أرثى الهراوى فى إحدى الجرائد اليومية ، ثم رأيت أن أرثيه فى « الرسالة » لأحدث عنه إخوانه فى سائر الأقطار العربية .

وسأرجع إلى الحديث عنه مرة أو مرات لأبين ما صنع هذا الفقيد العزيز فى خدمة العروبة والإسلام والإنسانية .

نفعنى الله بدعواتك ، يا محمد ، وحرمنى فيك العزاء ، فما أحب أن يكون لى فيك عزاء .

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أحبك وأشتاق إليك ، وأحب من أجلك ذاويات الأزهار ، وهاويات الكواكب ، فاذكرنى عند ربك يا أصدق صاحب وأشرف صديق . وسلام عليك من صفيك وأخيك .

« مصر الجديدة » **زكى مبارك**

رد على رد

بين القديم والجديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

كنت أقرأ مختارات الشعر التي جمعها محمود باشا سامى البارودى الذى يعد زعيم المذهب القديم فى الأدب فى العصر الحديث؛ فوجدت أنه قد اختار فى باب النسيب مجوناً ليس بأقل من مجون الحسين بن الضحاك وأبى نواس الذى اختاره الدكتور طه بك فى كتاب حديث الأربعاء بل بعضه أشد منه وبعضه مثله، فاختار لأبى نواس قصيدة قالها يتغزل فى شاب جميل كان كاتبا فى ديوان الخراج بدليل قوله فى القصيدة :

ومن يريد ديوان الـ   خراج مضمخا عطِرا

وكانت عادة الشعراء فى ذلك العهد التغزل فى ملاح كُتّاب الدواوين. وفى هذه القصيدة يقسم أبو نواس أن مُرَقّشاً الشاعر العذرى النزعة لو كان حيا لما أحب امرأة بل لأحب ذلك الكاتب المليح: وهذه هى القصيدة كما أوردها البارودى :

أما والله لا أشرا   حلفتُ به ولا بَطَراً
لو أن مُرَقّشاً حيٌّ   تعلّق قلبه ذَكَرا
كأن ثيابه أطلعـ   ـن من أزراره قمرا
بوجه سابِرِيٍّ لو   تَصَوّبَ ماؤه قَطَرا
وقد خَطّت حواضِنُه   له من عنبر طُرَرا[1]
بعين خالَطَ التَّفْتيرُ   فى أجفانها حَوَرا[2]
يزيدك وجهه حسنـا   إذا ما زدته نَظَرا

واختار البارودى لأبى تمام قطعة قالها فى غلام مملوك أهداه إليه الحسن بن وهب فقال :

قد جاءنا الرشأ الذى أهديته   خَرِقاً ولو شئنا لقلنا (المركب)

والذى اختار هذا الشعر ليس الدكتور طه بك ولا هيكل باشا بل البارودى باشا .

(١) الحواضن أشبه (بالمادات)   (٢) يعني بالتفتير نعسة العين

وقد أوردنا قبل الآن اختيار البكرى أشياء من مجون ابن الرومي ونشر الشيخ شريف مجونه أيضاً . ولكن الأستاذ الغمراوى ترك البارودى وترك البكرى والشيخ شريف واختص الدكتور طه وهيكل . فإذا كان ذلك لأن البارودى عارض قصيدة البردة فقد ألف الدكتور طه على هامش السيرة وألف هيكل حياة محمد وفى منزل الوحى، ولا أظن أن أحدهما نشر شيئاً يقارب ما نشره البكري والشيخ شريف والبارودي

والفكرة التى يتبينها القارئ من كلام الأستاذ الغمراوى غير صحيحة ، وهى أن المجون يعصم منه التدين فقد سمعنا فى بعض حفلات إحياء المولد النبوي الكريم من التغزل فى الذات النبوية من الشعر ما ينبغى أن ينزه عنه ذلك الحفل من ذكر الرضاب والريق والوصال الخ الخ على طريقة بعض الصوفيين .

وسمعنا بعض الأفاضل يختلفون فى أمور ثانوية تافهة من أمور الدين، وكل منهم متدين ، فإذا انصرف أحدهم ذكره مناظره بكل سوء وبالمجون واتهمه بالزندقة . بل رأينا أن أعظم سلاح شيوعاً فى الدفاع عن الدين والفضيلة أو عن عقيدة الوطنية أو عقيدة سياسية هو سلاح المجون فى القول وتهمه، وتعدى هذا السلاح هذه الأحوال إلى الدفاع عن النظريات العلمية والرأى يُرَى فى البحث العلمى. والحقيقة أن المجون مزاج لادخل له بالتدين أو عدم التدين؛ وقد كان من أثر انتشار مزاج المجون أنك تقول قولاً سليماً تقصد به معنى نظيفاً فيكون أول ما تصنع عقول السامعين أن تفتش فيه عن تخريج إلى المجون، ولا فرق فى ذلك بين المتدينين وغير المتدينين، ورأينا أناساً من المتدينين يدعوهم الحسد والحقد إلى اتهام كل من كان أغنى أو أعقل أو أنظف منهم بالمجون . ونعرف أن فى علم النفس قاعدة تدل على أن بعض الناس حتى المتدينين منهم يتمنون لأنفسهم أمانى المجون فيتلذذون بأمانيهم بنسبة ذلك المجون إلى غيرهم . وهناك طائفة من المتدينين صاروا ينافسون بعض رجال الصحافة والسياسة فى سلاحهم السياسى ويحتجون باستعمال حسان بن ثابت هذا السلاح فى الدفاع عن الدين ، وقد فاتهم أن المسلمين كانوا فى عهد قوله هم المضطهدين المشتومين وقد نالهم من أقوال خصومهم من السباب مثل ما نال المشركين من أقوال حسان بن ثابت. وفى يقيني أن النبي صلى الله عليه وسلم

عند ما دعا له أن يؤيده روح القدس وعند ما نصحه أن يلجأ إلى أبي بكر الصديق لم يكن يريد أن يزيده سيدنا أبو بكر من شدة الهجاء فقد كان الشاعر به أعرف، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم تحرج من الرمي بالباطل بالرغم من أن شعراء الكفار ما كانوا يتحرجون من ذلك. وقد ذهبت أقوالهم بعد ما انتصر الإسلام وبقيت أقوال حسان بن ثابت. ولو بقيت أقوال شعراء الكفار لدلت على ما أردنا إثباته وهو أن شعراء الكفار كانوا هم البادئين بتلك الطريقة في الهجاء. ومع ذلك فإن ديوان حسان بن ثابت خليق بأن يسمى ديوان العبر لأن سادة المشركين الذين هجاهم صاروا بعد إسلامهم سادة المسلمين، وفي هجائه بعض ما لا ينقضه الإسلام ولا يغيره. وهذا الديوان إذا أخذ على علاته دل على حالة خلقية لا يتوقع القارئ أن تكون في ذلك الزمن. والسير على هذه الطريقة من غير رقيب أو وازع هو من الإخلال بروح الدين في عصرنا وهو عصر ينقاد فيه السذج لمن يريد أن يشفي حقده أو حسده ممن لا دين له ولا خلق وإن تظاهر بالدين والخلق، وهذه حقيقة لا مبالغة في تعبير ناعتها وقد لا يكون الأستاذ النمراوي ممن يعرفها لبعده عن هذه الطوائف وبعده عن أحقادها وأقذارها

من برجنا العاجي

قرأت بين الرسائل التي جاءتني في موضوع نشر اللغة العربية بين الأجانب رسالة لم أر بداً من إثباتها هنا ، لأنها قد عرضت في فقرات سبع ، مسائل ينبغي أن توضع موضع التفكير . قال صاحب هذه الرسالة : كي ننجح في اجتذاب الأجانب إلى « حانوتنا » الفكري يجب أن نتبع ما يأتي :

أولاً — أن يتكلم المصريون جميعاً اللغة العربية في كل المناسبات، وألا يسمحوا لأنفسهم ما داموا يعيشون في مصر بالتكلم بأية لغة أخرى مهما ترتب على ذلك من نتائج

ثانياً — أن تكون جميع مكاتباتنا باللغة العربية ، وأن نضطر الأجانب إلى قبول الكتابة إليهم بلغتنا

ثالثاً — أن يكون التعلم في جميع المدارس الأجنبية في مصر باللغة العربية

رابعاً — أن يوطد الكاتب المصري عزمه على أن يكتب للعالم كله . إذ على الرغم من أن ما يكتبه لن يخرج عن حدود الأمم الشرقية الناطقة بالضاد ، إلا أن مصر بالذات هي شبه عالم صغير فيها من كل الأمم وكل الجنسيات

خامساً — العناية بأسلوب الكتابة ، والارتقاء به إلى السلاسة مع السهولة ، وأن يجتهد كل كاتب في الكشف عن نفسه وغرضه في وضوح وصفاء

سادساً — أن تعرض المطبوعات بأثمان معتدلة لإغراء الأجانب بقراءتها

سابعاً — أن تكون هناك رقابة على المؤلفات جميعاً فلا ينشر منها إلا ما يستحق النشر ، حتى لا نكلف الأجانب قراءة سخافاتنا المزرية

تلك مقترحات صاحب الرسالة . وهي من غير شك كفيلة بتحقيق الغرض . لكن المعضلة في التنفيذ ، وأن بعضها لا يمكن أن يقوم به غير حكومة قوية الشوكة مرهوبة الجانب ، وبعضها يقع حمله على كواهل الأدباء .

وأعجبني قول هذا الأديب : إن الكاتب المصري ينبغي أولاً أن يوطن عزمه على أن يكتب للعالم كله . ولعل هنا مفتاح القضية كلها . فهل في مصر الآن أدباء يكتبون للعالم كله؟ ذلك موضوع يحتاج في بحثه إلى صفحات طوال .

توفيق الحكيم

ولكنها حقيقة يستطيع أن يراها في المجادلات السياسية وخصومات بعض المشتغلين بالسياسة والصحافة والأدب؛ فليس من العسير أن يفهم المفكر وجودها في بعض النفوس التي تتخذ السذج من المتدينين قنطرة للوصول إلى غرض شخصي، أو في نفوس بعض الذين لا يفهمون أن الدين ينبغي أن يترفع أنصاره عن المجون؛ لكن كيف تفهم ذلك نفوس مزاجها ذلك المجون. والمزاج لا يستطاع تجنبه مهما كان المرء متديناً . فالخطأ الذي وقع فيه الأستاذ النمراوي عند ما حسب أن شدة التدين تعصم من الانهماك في الشهوات، أو أنها تعصم من لذة قول المجون إنما هو خطأ الذي يحكم على غيره بحالة نفسه؛ فإذا وجد نفسه متديناً يكره المجون ظن أن التدين يعصم من المجون .

وليسمح لي الأستاذ النمراوي أن أقول بكل رعاية : إن هذا الظن يدل على أنه لم يدرس خصائص النفس الإنسانية عامة في نفوس الناس دراسة غير المتحيز وغير المتعصب لطائفة دون طائفة ، فإنه لو فعل ذلك لعلم أن مقدار ما في نفس المرء من مجون لا يعينه مقدار تدينه ، حتى ولو وجدنا أمثال الأستاذ الذين يعصم تدينهم من المجون . ونحن لا نريد التعرض لشواهد من شعر ونثر

الأدباء القريبي العهد كرامة وصيانة؛ وأما من عداهم من المتدينين وغير المتدينين فما على الأستاذ إلا أن يخالطهم وأن يدرسهم من غير أن يشعرهم أنه يدرسهم إلا إذا كانوا يهابونه كل الهيبة فلا يظهرون أمامه حقيقة نفوسهم. والخطأ الثاني الذي وقع فيه الأستاذ هو ظنه أن الشكوك الدينية تمنع الاعتقاد. والخطأ الثالث حسبانه أن عجز الكاتب عن منع إذاعة هواجس نفسه يدل على أنها أكثر تمكناً من نفسه؛ ومثل الأستاذ كمثل الذي يرى صنبور ماء لا يقفل تماماً فيحسب أن ماءه أغزر من ماء غيره لأنه لا يستطاع إحكام حبس الماء من التسرب منه. وهذه الهفوات الفكرية هي التي وطدت السبيل لأن يفهم الأستاذ في النزعة إلى التجديد ما ليس فيها، ففهم أنها حركة التفاف يراد بها التعاون مع الحاقدين على الدين الإسلامي من الأوربيين. وقد أوضحنا للأستاذ بالشواهد التاريخية والأدلة المنطقية أن كل ما في هذه النزعة من محاسن ومفاسد كان من الممكن استنباطه من الآداب والعلوم العربية حتى ولو لم تتأثر النفوس بأدب اللغات الأوربية، وإنما كانت تحتاج إلى زمن أطول لاستخراج كل هذه الأمور لو لم تتأثر بأدب اللغات الأوربية. ولا أدري لماذا لم يتهم الأستاذ النمراوي أبا العلاء المعري بأنه كان يريد أن يقوم بحركة التفاف وتطويق معاونة لأعداء الإسلام من الأوربيين

ومن رأيي أن الأستاذ النمراوي يؤدي خدمة كبيرة للدين والفضيلة لو أنه ترك نزعة التجديد وحاول بغيرته الصادقة أن يطهر الشعور الديني من شوائب الأثرة والمجون في نفوس الناس الذين يعتقدون أن تدينهم صك يعفيهم من ضرورة تطهير أنفسهم من المجون ومن تهالك الأثرة وجشعها ووسائلها الخبيثة وأحقادها. وإذا كان شيخ الأدب القديم محمود باشا سامي البارودي لم يعصمه أخذه بالمذهب القديم من اختيار شعر أبي تمام في الملام. فإن من الظلم يا أستاذ أن تلوم الدكتور طه وهيكل بعد ذلك على نشر قصص منقولة عن الفرنسية، وهي مهما كانت لا يبلغ بها المجون هذا المبلغ، وبعضها كان دراسات نفسية (سيكولوجية)؛ وإذا كان شيخ المعرة أبو العلاء المعري لم يرد أن يقوم (بحركة التفاف) لمعاونة أعداء الإسلام من الأوربيين عندما قال: (قالوا لنا خالق حكيم) إلى أن قال:

هـذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

وعندما قال: (الموت نوم طويل لا انتهاء له)، وانظر إلى قوله لا انتهاء له، وعندما قال في إنكار البعث:

لو كان جسمك متروكاً بهيئته بعـد التلاف طمعنا في تلافيه

ومثل قوله في فناء الروح:

وجسمي شمعة والروح نار إذا حان الردى خمدت بأف

أقول بعد هذه الأقوال وأشباهها التي يتخللها أقوال أخرى تختلف عنها: إذا كان شيخ المعرة جديراً بإحياء المسلمين ذكراه، وطبع أقواله فمن الظلم أن يعد الأستاذ النمراوي دراسة فولتير جريرة وحركة التفاف.

إن للدكتور طه آراء نخالفها كل المخالفة، ولكنها ليست حركة التفاف؛ إنما هي نتيجة التفكير الذي قد يخطئ وقد يصيب. وكذلك ليست القصص التي تقلتها السياسة الأسبوعية حركة التفاف وإنما يصح أن ينتقد الناقد نشر بعضها، وما دامت مكتبات مدارس البنين والبنات الدينية وغير الدينية مملوءة بمثل المجون وأشد من الفحش والمجون الذي صح عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] سحيم عبد بني الحسحاس ينشده في بنت سيده ويقول:

ولقد تحدّر من كريمة بعضهم عرق على جنب الفراش وطيب

فمن العبث لوم السياسة الأسبوعية على تلك القصص

(قارئ)

(١) راجع كتاب طبقات الشعراء لابن قتيبة

كتـــاب ...

ألفه شاب عاش مع رسول الله بقلبه. وطار إلى مكة والمدينة بروحه. وصور البقاع المقدسة ومواقع الغزوات. وترجم عن نفسية كبار الصحابة وأحوالهم ومعايشهم في حياتهم الخاصة والعامة. وأخرج ذلك للناس كتاباً أسماه:

صور إسلامية

صدر منه الجزء الأول والثاني في نحو ستمائة صفحة، وجعل ثمن الجزء الواحد خمسة قروش مع أجر البريد داخل القطر وستة قروش خارجه

يطلب من المكتبات الشهيرة ومن المؤلف الأستاذ عبد الحميد المشهدي ١٨ شارع الشيخ عبد الله بمصر

أعلام الأدب

اسخيلوس والمسرح اليوناني

للأستاذ دريني خشبه

وكان للتمثيل موسمان عند اليونانيين . فموسم الشتاء (اللينايا Lenæa) وذاك هو موسم عصر الخمر عندهم ، وموسم الربيع (الديونيزيا Dionysia) حينما كانت تجتمع في أثينا وفود أحلافها[1]

ولم تكن تمثل على المسرح اليوناني إلا كل درامة تنجح أمام هيئة المسابقة ، وكانت المسابقات تعقد ثلاث مرات[2] في السنة بإشراف الحكومة التي كانت تمثلها الهيئة الدينية

وقبل أن ينشأ مسرح ديونيزوس العظيم على منحدر الأكروبوليس الجنوبي الشرقي كان لأثينا مسرح آخر في مكان سوقها وكانت مدرجاته من عروق الخشب ، وقد حدث أن سقطت هذه المدرجات مرة في نزاع كبير نشب بين أنصار كل من اسخيلوس وبراتيناس وخوريلوس في الأولمبياد السابع (٤٩٩ ق . م) فقتل خلق كثير من النظارة ، وكان هذا الحادث هو الباعث لبناء مسرح ديونيزوس[3] ، حيث صنعت المدرجات من الحجر على الحدور الراسخ فكانت تتسع لثلاثين ألف متفرج .

وكان مكان التمثيل هو الدائرة المنخفضة الوسطى من المسرح وكانت تسمى المرقص أو الأركسترا Orchestra

وفي وسط المرقص كان يقام المحراب الذي يبدل فيه الممثلون ملابسهم وأزياءهم التنكرية ، وقد روى أن يكون إلى خلف المرقص حين رفعت أرضه بالخشب لتتناسب مع المدرجات العالية أمامها

ولما كان المسرح في مثل هذا الاتساع الهائل عمد الأثينيون إلى حيل الكياج ليضخموا الممثلين بحيث تراهم الصفوف الخلفية ، فكان هؤلاء يلبسون أخفافاً كباراً لها أعقاب عالية من الخشب ، وثياباً سميكة محشوة ومبطنة ببطائن منتفخة ، وقد يكون للثوب ذيل فضفاض يجره الممثل وراءه

وكانوا يلبسون الأوجه التنكرية الكبيرة التي تلائم المشهد الروائي ، فإذا كان المشهد محزناً ظل الوجه عابساً بادى الألم ، وإذا كان المشهد مضحكاً بدت على الوجه أسارير المرح وقسمات الضحك أو علائم التهزيل

وكما عمدوا إلى ذلك لتضخيم الممثلين فكذلك عمدوا إلى فم الوجه التنكرى فنفخوه بحيث يخرج الصوت منه مدوياً يجلجل في أرجاء المسرح فلا تضيع كلمة واحدة على نظارة الصفوف الخلفية

وقد أدى هذا الكياج العجيب إلى بطء الحركة في المرقص بطئاً شديداً لأن تلك الأخفاف الخشبية ذات الأعقاب العالية لا تعمل على السرعة بل تعمل على البطء ، هذا إلى اضطرار الممثل أن يتجه دائماً إلى الوجهة التي يعبر عنها الوجه التنكرى الذي يلبسه ، لأنه لا يستطيع تبديل (تقاطيعه) حسب ما يقتضيه سياق الحديث[1]

وكانت طبيعة هذا المسرح الضخم الرحيب تقتضي أن يكون الممثل حاذقاً بارعاً ملماً بدقائق فنه خبيراً بتوجيه الصوت الذي كان ينبغي أن يكون دائماً جهورياً عالياً في غير حشرجة ولا تصديع

وقد كان الشعراء أنفسهم — وهم مؤلفو الدرامات — يقومون بتمثيل الأدوار المهمة ويتولون في الوقت نفسه مهمة الاخراج والإشراف الشامل على تمثيل الأدوار الأخرى ... وقد ظل إسخيلوس وسوفوكليس يمثلون أدوارهم حتى اضطرا إلى التخلى عن ذلك حينما ضعف صوت إسخيلوس ورأى سوفوكليس أن يستعمل ممثلا آخر يقوم عنه بهذه المهمة ، ومن هنا نشأ الاحتراف في التمثيل حوالى سنة ٤٥٦ ق . م

وإسخيلوس هو أول من اتخذ ممثلين بدل ممثل واحد يقوم بمعظم الأدوار الهامة في الدرامة . وقيل إن سوفوكليس زاد عدد الممثلين فجعلهم ثلاثة ؛ وقيل إن إسخيلوس هو الذي صنع ذلك وسنّه لمن جاء بعده

وكانت أدوار النساء تسند عادة إلى الصبيان المُرْد ذوى الصوت الناعم الرخيم . وقد مثل سوفوكليس نفسه دور الحسناء

(١) بركليس للأستاذ E. Abbot ص ٢٩٣

(٢) خلاصة الأدب لدرنكووتر ص ١٧٧ (٣) رابسكو ص ٤٣

(١) ستوبارت ص ١٧٥

نوزيكا[1] في درامته المفقودة (نساء غاسلات) ... ولا ندري ما ذا منع الاغريق من إسناد هذه الأدوار إلى السيدات ؛ وليس في المصادر التي بأيدينا ما يلقي النور على ذلك

وقد كان الفنانون يبدون مهارة عجيبة في صنع الأوجه التنكرية وخاصة لأدوار النساء، وقد حفظ لنا الأثر كثيراً من فن فدياس في ذلك خصوصاً في أدوار درامات سوفوكليس.

أما الخورس (المنشدون) فقد عرفنا أن عددهم في الدثرامب (أغاني باخوس[2]) القديمة كان خمسين .وقيل ثمانين وقيل غير ذلك ، وقد نزل بهم إسخيلوس إلى ثمانية وأربعين لا يظهر منهم في المشهد الواحد إلا اثنا عشر . وقال ستوبارت بل كان يظهر منهم في المشهد الواحد خمسة عشر يخرجون من المحراب في صفوف ثلاثة طولية عدد كل منها خمسة ، ويقودهم رئيسهم صاحب الناي وعلى يمينه ويساره قائدا الصفين الآخرين

وكان أفراد الخورس يختارون من أمهر الراقصين اليونانيين ، ومن الذين مرنوا على الإنشاد والغناء ، وذلك لما يتطلبه فن الدرامة اليونانية من التوقيع الموسيقي الرشيق الأنيق المنتظم الذي يوائم مجرى التمثيل ويتفق ومشاهد المأساة أو الملهاة

أما ملابس الخورس فكان يؤدي ثمنها الثري الذي تعهد للشاعر بمصروفات الدرامة ، وكان لكل فرد من المنشدين أربعة (أطقم) من الثياب يغيرها حسب اختلاف المشاهد ...

وكان للخورس المقام الأول في الدرامة القديمة ، فهم الذين يشرحون الحوادث وهم الذين يعطون النظارة كل فكرة هامة عن الدرامة ، وما الممثل (أو الممثلان أو الثلاثة) إلا قائد التسلسل أو كما يقول أرسطو (The Protagonist) أي الشخص الذي يقود الحديث ويوجهه[3] . وقد أخذت مهمة الخورس تتضاءل وتقتصر على الشرح الخفيف والأغاني والموسيقى بعد اسخيلوس . ففي درامة المتضرعات Suppliants[4] ترى أن الخورس هم أبطال الرواية ذكوراً وإناثاً ، وأنهم ينشدون من مادتها الثلثين على الأقل؛ أما الثلث الباقي فهو للحوار ويؤديه الممثلان. فالخورس في إسخيلوس هم صلب الرواية ، وهم حاضرون أبداً في الأوركسترا لا يبارحونه ... أما في سفوكليس، أو في درامته فيلوكتيتس[1] Philoctêtes فلا تكاد تحس للخورس تلك الأهمية ، بل لا تكاد تحس لهم أهمية مطلقاً ، وهم لا يظهرون في الأوركسترا إلا بعد أن تقترب المأساة من أوجها ، ولا يكادون ينشدون من مادتها أكثر من السدس . وهذا هو السبب في سرعة الأداء في مآسي سوفوكليس وبطئه في مآسي إسخيلوس ، بل هذا هو السبب الذي أظفر الشاعر الشاب بالشاعر الشيخ كما سنرى فيما بعد .

وقد فقدت أغاني الخورس قيمتها تقريباً في درامات يوربيديز واحتلت الموسيقى المكان الأول فيها جميعاً، وقد حدث ذلك التبدل حينما انحط الغناء وتشوف الأثينيون إلى الموسيقى العلوية الرفيعة التي تذكي المشاعر وتحوم بهم في آفاق شعرية جميلة ، ومن هنا اهتمام يوربيديز بالأناشيد والمراثي القروية مما سوف نتناوله في حينه إن شاء الله .

وقبل أن يبدأ التمثيل ، كان لا بد من إعطاء النظارة فكرة عن موضوع الدرامة ، فكان يبرز من المحراب أحد أفراد الخورس أو الممثلين أو الشاعر نفسه ليقدم المقدمة أو ال Prologue وذلك قبل أن يدخل أحد من الخورس ، أما مقدمة الخورس أو ال Episodion فهي ما يقدم به الخورس نفسه قبيل كل مشهد جديد ...

***

أما مادة الدرامات اليونانية فقد كان لها مصدران عظيمان : أحدهما خارجي ويشمل مشكلات السياسة ومؤامراتها وكل ما يتعلق بسلامة الدولة ، والآخر داخلي أو أهلي ويشمل الأساطير الدينية التي تحدد العلاقة بين الناس والآلهة أو بين الآلهة والآلهة أو بين الناس والناس فيما يتعلق بتقليد ديني أو فيما له صلة بتلك التقاليد

وفي الدرامات التي تتناول موضوعاً سياسيًّا لم يكن يسمح للشاعر أن يستهزئ بدولة ما حتى ولو كانت دولة معادية ؛ ولم يكن يسمح له أيضاً بأن يثلب طائفة ما من الطوائف التي يتركب منها الشعب الإغريقي . وقد حدث أن ألف الشاعر فرينيخوس

(١) موراي ص ٢٣٣
(٢) باخوس هو الاسم الروماني لاله الخمر ديونيزوس
(٣) موراي ص ٢٠٨
(٤) لخصناها لقراء الرسالة سنة ١٩٣٥ وهي لأسخيلوس

(١) هي الدرامة الخالدة التي أعجب بها شاكسبير ونظم هملت على غرارها وستخلصها للقراء إن شاء الله في قصصنا عن سوفوكليس

درامة(١) آذى بها الأيونيويين ، فثارت الخواطر عليه في أثينا وانتهى الأمر بمحاكمته والحكم عليه بغرامة فادحة .

وقد كان لأبطال الملاحم الهومرية والهسيودية النصيب الأوفى من عناية شعراء الدرام .. وكانوا يعنون كذلك عناية فائقة بأبطال الحروب المروعة التي نشبت بينهم وبين الفرس .. تلك الحروب التي خلقت المجد اليوناني وحالت بانتصار اليونانيين دون تبربر أوربا .

أما الأساطير التي تعج بها الميثولوجيا اليونانية فقد كانت مادة أساسية للدرامة ... ولا عجب ، فقد عرفنا أن الدثرامب كانت الفجر الصادق لهذا الفن الجليل العظيم .... والدثرامب هي أغاني باخوس ، وهي وإن كانت تنشد باسم هذا الإله المرح الطروب قد أدت إلى المأساة الصارمة الشجية التي تفيض بالألم وتورث الحسرة والأسى

وهنا موضع إشارة إلى رأي طريف جهر به أستاذ عظيم من أساتذة الأدب اليوناني القديم هو العلامة رد جواي ... فقد أنكر هذا الأستاذ أن تكون أغاني باخوس الفياضة بالفرح والمرح والتهريج أصلاً للمأساة ، وزعم أن أصلها إنما هو الأسى والحزن ، والأسى والحزن إنما ينشآن حول الموتى وحول المقابر وفي المحافل الجنائزية التي كانت تقام في هذه المناسبات ، وما كان يصحبها من إقامة شعائر الموت والطقوس الدينية المختلفة . ودليله على ذلك تلك المشاهد الكثيرة التي تزدحم بها المآسي من مناظر الحزن وإبراز أمارات الأسى وتخصيص القبور في المناظر التي تقتضي ذلك .

هذا رأي طريف حقاً ... لكنه رأي لم يشر إليه أحد من قدماء اليونان ، لا أفلاطون ولا أرسطو ولا هيرودوتس ولا أحد ممن أرخ لهذا الأدب المسرحي العظيم . بيد أنه لا ينقض هذا الرأي عدم إشارة أحد من هؤلاء إليه . فهو رأي محترم لأنه منطقي ولأن الأستاذ قد أردفه برأي آخر في نشوء الدرامة الكوميدية كاد ينكر به ما تواتر به التاريخ وأجمع عليه العلماء من أمر نشوئها، فقد زعم أن الكوميدية لم تنشأ عن الدثرامب التي هي أغاني باخوس الخمرية المرحة ، بل نشأت في قرية تدعى Kome اشتهر أهلها بممارسة عبادة المعز لا عن تقى وورع بل اندفاعاً مع التيار ... وآية ذلك أنهم لم يكونوا يظهرون إلههم الذي هو ديونيزوس أيضاً ...

(١) غرادة ملتيوس

في المظهر الذي كان ينبغي له بصفته أحد سادة الأولمب ، بل هم كانوا يظهرونه في مظهر المخلوق المخمور العربيد الذي يثير مرآه الضحك(١) ويبتعث النشوة والابتهاج ، والسخرية أحياناً . فمن اسم هذه القرية اشتقت كلمة Komôidia للملهاة ولفظة Kômoi لشعرائها ومنشديها

ومع ما لهذا الرأي من قيمة ووجاهة فهو ما يزال يفتقر إلى إثبات وتدعيم .

* * *

هذا ولم تكن مناظر القتل وسفك الدماء تمثل على المسرح ، بل كان يكتفي بدخول رسول فيفاجئ الممثلين والخورس بمقتل فلان أو الاعتداء على فلان . وهنا تتغير اتجاهات المأساة ، وتبلغ أوجها بالخطبة الطويلة التي يلقيها هذا الرسول . لأنه يتناول شرح الاعتداء ووقته ومكانه وكيفيته والقائم به ... الخ . وكانت المأساة في الغالب تنتهي بهذه الخطبة ، فيظهر إله ، خصوصاً في درامات يوريبيدز ، فيلقي عظة أو عبرة ، ثم يدخل الخورس إلى المحراب ، وينصرف الجمهور إن لم يكن هناك تحكيم .

وعلى ذكر الخطبة التي يلقيها الرسول نذكر أن الدرامة اليونانية لا تشبه بحال من الأحوال الدرامة التي نشهدها اليوم في مسارحنا ... فدرامتنا تعتمد على الحوار القصير ، أما الدرامة اليونانية فتعتمد على الخطب الطوال في أكثر الأحوال ... ولم يوزع الشعراء اليونانيون بيتاً واحداً من الشعر على أكثر من ممثل واحد كما يصنع شعراؤنا اليوم ومنذ عصر شاكسبير ... ومن الطريف جداً أن مترجمي الدرامات اليونانية القديمة من الإنجليز والألمان والفرنسيين قد حافظوا على هذا التقليد حينما نقلوا تلك الدرامات إلى لغاتهم شعراً .

وقبل أن نختم هذا الفصل نرى ألا يفوتنا أن نشير إلى حرية الرأي الكاملة عند هذا الشعب الأثيني الراقي العظيم ... تلك الحرية العجيبة غير المحدودة — إلا ما سلفت الإشارة إليه في تناول بعض المشكلات السياسية — التي كان ينعم بها المؤلف والخطيب والمحاور وكل فرد من أفراد ذلك المجتمع الأثيني المهذب

لقد نشأت الدرامة اليونانية نشأة دينية بحتة ... لكن

(١) سنضع بين يدي القارئ صوراً من هذا الأله العجيب للشاعر أرسطوفان . وكذلك سنعرض مرة أخرى لنظرية نشوء الملهاة عند الكلام عنه .

فى الســـلام

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

لا كلمة الآن أشد سحراً وأكثر دوراناً على ألسنة الساسة من كلمة السلام ، فهم يرسلونها فى خطبهم العالمية والمحلية حتى لتظنهم ويظنون أنفسهم خلفاء الرسل فى الدعوة إلى سلام الأرض

وقد بنوا لهذه الكلمة الساحرة بيتاً عالياً فى جنيف له سدنة وكهان وحجاب ، وكل هذا « كالعروض » : بحور بلا ماء !

ولا أعرف ديناً عنى بترديد هذه الكلمة على أسماع أهله فى الخلوة والجلوة وتثبيتها فى طباعهم كما عنى الإسلام

بل إن الإسلام والسلام كلمتان متداخلتان مادة ومعنى . ويعرف كل من له إلمام بفقه اللغة العربية وخصوصاً قانون « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى » أن هاتين الكلمتين ليس بينهما من فرق فى المعنى إلا بمقدار ذلك الفرق الضئيل فى اللفظ

وأنا الآن بمعرض بيان الأسس التى وضعها الإسلام لضمان السلام فى النفس ، وبين الطبقات فى الشعب ، وبين الأمم فى الأرض

وأول ما يسترعى النظر هو أن تحية المسلمين هى إلقاء كلمة السلام . وما أجد تحية أقرب مناسبة لكل وقت كهذه التحية ، وهى فى الواقع بمثابة عهد بين البادئ والمجيب ، على ألا يمس أحدهما الآخر بسوء . وفى البادية يفهمون لها هذا المعنى الجليل فيرافق المجيب البادئ إلى آخر حماه حتى لا يصاب بسوء ما دام فى حماه ، بعد هذا التعاقد

وفى الصلاة الإسلامية ترديد كثير للسلام ؛ حتى ليصح أن نطلق على التشهد « نشيد السلام » ففيه سلام على النبى صلى الله عليه وسلم وفاء له وذكرى بين يدى الله ، وسلام على النفس لبعث الطمأنينة وإشاعة معناها فى الروح وإيحاء ذاتى إلى القلب بذلك المعنى، كما يشير بذلك علم النفس الحديث، وسلام على العباد الصالحين يرسله المصلى إليهم فى غيبتهم وغيبوبته هو فى مقام الله ، وكأنه يتعهد أمام الله ألا يمس أحداً من رجال الإصلاح بسوء ، ثم تنتهى الصلاة بسلام عن اليمين والشمال يستأنف به المصلى عودته إلى ملابسة أمور الحياة . ذلك موقف هو أعظم مواقف التصفية للنفس المسلمة فى حياتها اليومية ، فلينظر فيه علماء النفس ويبينوا أى قوة تربوية أوحى بمعانى السلام منه ؟

ثم يعمد الإسلام إلى تثبيت معنى السلام من طريق العظة بالقول بعد أن أوحى به فى العبادة فيصف المسلمين بأنهم « إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلية » « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » إلى آخر النصوص التى تفيض بها مراجع الإسلام

ولما قامت دولة الإسلام بالمدينة وابتدأت الحياة السياسية للمسلمين شرع الله شرائع الحرب والسلم حتى لا يسير المسلمون وراء السياسة وهى فاجرة قاسية ، فنادى نداء عاماً « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً » وقد نهى وحذر من الخداع واتخاذ العهود والمواثيق تمويهاً وغشاً « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم

المجتمع الأثينى لم يكن مجتمعاً دينياً متزمتاً ... ودينه لم يفرض عليه طقوساً يومية من العبادات ، وإن كنا نحن نؤمن إيماناً مطلقاً بما لهذه الطقوس من الأثر الجليل فى مجتمعنا ... لكنهم هكذا نشأوا ... نشأوا وثنيين فى عشقهم للجمال والحرية ومحبة العدل وإيفاء كل ذى حق حقه .. احترموا الموت ولم يفكروا فيما وراءه ، وآمنوا بالقضاء والقدر إيماناً إيجابياً لا إيماناً سلبياً مثل إيمان بعضنا بهما ... ومن هنا نبعت روائع دراماتهم ... لقد كان كل ما يأمرهم دينهم به هو تقديم القرابين وعقر الأضاحى ... ثم دفن الموتى ... فمن لم يدفن بعد موته أو قتله ظلت روحه هائمة فى الظلمات عابسة كاسفة حتى يدفن صاحبها فيؤذن لها فى دخول هيدز ...

هذا كل ما فُرض عليهم من أمر دينهم . . . ومع ذلك فقد فهم أحرارهم هذا الدين الأسطورى على وجهه الحق فلم يبالوا أن يزيفوه ويتناولوا آلهته بالنقد والتخطئ والتسفيه والسخرية أحياناً ... كما سيمر بك فيما يلى (يتبع) دريني خشبة

ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » « ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به »

وهنا نقف قليلاً لنفكر في هذه الآية العجيبة التي تلخص كل مشاكل السياسة وبخاصة في هذا العصر. فنحن على علم الآن بأن كل ما يوقع الأمم في جحيم الحرب هو عدم الثقة المتبادلة فلكل دولة لها مواثيق مستورة ومواثيق علنية، والاعتماد الأكبر على المحالفات السرية، وكل دولة متهمة عند الأخريات، وكل دولة تريد أن تكون أربى وأكثر عدداً وقوة ومنافع من الأخرى، فهم قد اتخذوا مواثيقهم وعهودهم دخلاً وغشاً بينهم فلا تترك ثقة ولا تدفع شكاً، وكل هذا المادة والمال « لتكون أمة أربى من أمة » لا الخدمة مثل أعلى، ولا لعلم أو معرفة، ولا شك أن هذا بلاء كبير كما يعبر القرآن.

فانظر كيف يدخل الإسلام إلى السياسة بهذه الروحانية الجليلة التي هي سر نجاح سياسة العرب في تعريب الأمم وإسلامها

ويعد القرآن اتخاذ العهود والمواثيق دخلاً وخداعاً وغشاً، زلة قدم بعد ثبوتها، وذلة تحت حكم السوء، وصداً عن سبيل الله « ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم »

ولم أر القرآن يؤكد معنى في موضع واحد منه وفي آيات متلاحقة وفي بيان يدير المعنى على اختلاف وجوهه ويستعين على توكيده بالتشبيه والتمثيل كما رأيته في هذه الآيات التي تحض على الوفاء وتنهى عن الخداع في السياسة بين الأمم ... !

وأحب ألا يفهم قارئ أن القرآن يدعو إلى الضعف والذلة بإدخاله الروحانية في السياسة، فإن هذا فهم خاطئ. فقد دعا الإسلام إلى الأخذ بأسباب القوة ما وسعت الطاقة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » . « وليجدوا فيكم غلظة » ... « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف »

وإنما هي رحمة الأقوياء، وعفو القادرين، وسلام تحت ظلال السيوف...

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم محمد خلاف

من برج بابل

أسعد ساعاتي وأحفلها بالعبر والتأمل، حين أجلس إلى طفلي. فأعمد أنا إلى إبرتيّ الطويلتين دائبة على صنع قطعة من النسيج، ويفرغ هو إلى الدمى واللعب كأنه ملك عابث، فهو منهمك أبداً في تدبير دولة من لعب، فتارة يقسم فصائل جيشه وينصب عليهم القواد ويدعوهم إلى القتال والجهاد، وطوراً يزف الملك إلى الملكة، وأحياناً يحرك القطار على القضيب. وهو في هذا كله نشيط دائم الجلبة والحركة، يزمزم بلغة غريبة عناء كأنما لا يفهمها غير عالمه الصغير ورعيته الجامدة!

ثم لا يلبث أن يعتريه الملل والسآمة وتسيطر عليه غريزة عجيبة، فيهدم عرشاً نصبه، ويبعثر جنوداً مدربة منظمة، ويصدم عربات قطاره، ويهرع إليّ محتجاً متبرماً، يطلب عالماً جديداً أو إن شئت لعبة جديدة. وبأي قدرة أستطيع أن أمده على الدوام بعوالم لا متناهية متجددة في كل لحظة! فإذا شعر مني بالعجز عن الخلق والإبداع انصرف إلى دنيانا نحن الكبار: فيجذب الزهرية المستقرة في رشاقة على المنضدة ويهوى بها إلى الأرض؛ وإلى الورد فيعبث بأوراقه، ويمد إلى الستار المسدل على النافذة فيهدله، وإلى زجاجها فيحطمه؛ ويسعى إلى القط الجميل الوديع فلا يزال يستدرجه، حتى إذا تمكن منه حاول خنقه بيديه الدقيقتين.

لشد ما يجهد أعصابي هذا المخلوق الصغير الجبار! إنه لا يهدأ، إنه لا يستقر. ولا يحلو له غير التدمير والعبث بنظامنا. لا توقفه نظرتي الحادة المهددة، ولا تهدئه بسمتي الحنون الرقيقة، ولا يثنيه ما أقدم من حلوى.

ألا إن في الأطفال حافزاً عجيباً يدفعهم على الدوام إلى هدم ما هو قائم، وإفساد ما هو كائن، وتحليل ما هو مركب.

وحين ألقي النظر على يديّ وهما دائبتان في نسج الحياة، وعلى آثار الحطام التي أنزلها بمالي طفلي الصغير، أشعر بالفارق الهائل بين الأمومة العاملة والطفولة الهادمة

هؤلاء الصغار، فلذات أكبادنا، يولدون في الحياة بمشاعر جديدة، وطبائع جديدة، وأفكار جديدة، وآمال جديدة.. فلا يطيب لهم أن يبقوا على ما صنعت الأمهات وما بذل الآباء؛ فتراهم يحطمون في لحظة عالمنا، ثمرة كدنا وعمرنا وجهدنا، كما لو كان صنماً قديماً سخفت عبادته!

ماري نسيم

حول كتاب « مصطفى كامل »

مصطفى كامل والسيادة العثمانية

للأستاذ محمود العمري

في عدد الرسالة الصادر في ٢٠ فبراير كلمة للأستاذ العقاد عن كتاب « مصطفى كامل » لعبد الرحمن بك الرافعي ، لا يسع قارئها إلا أن يرى فيما جاء بها ، حواراً طبيعياً بين مؤرخ (سعد زغلول) ومؤرخ (مصطفى كامل) . وقد أوسع الأستاذ العقاد مجال المناقشة من الجانبين ، إذ قال في آخر كلمته أن ليس للقارئ أن يطلب الحق كله من كتاب واحد لا سيما في تاريخ تختلف فيه الميول والآراء . وهذه دعوة ضمنية إلى طرح الموضوع على بساط البحث كيما يستنير أبناء الجيل الحاضر ممن تأثروا بحركة سعد زغلول دون حركة مصطفى كامل .

والمهم في هذه الكلمة أن الأستاذ العقاد يأخذ على عبد الرحمن بك أنه ظل غير متحيز في سلسلة كتبه عن الحركة القومية منذ الحملة الفرنسية إلى أن وصل إلى مصطفى كامل فتحيز له ضد خصومه .

ولأجل أن نبحث هذه الملاحظة لا بد لنا من الرجوع إلى السياق التاريخي لمنطق الوطنية المصرية منذ الحملة الفرنسية ، لنتبين ما إذا كان هنالك عدم تناسق في حلقاتها ؛ وعندئذ نرى الحكمة الحقيقية فيما قاله عبد الرحمن بك في مقدمته : من أنه كان في أول الأمر يريد ترجمة سيرة مصطفى كامل ، فأدى به البحث إلى أن يمهد لها بتحقيق تاريخ الحركة القومية منذ الحملة الفرنسية التي تعد بداية محاولة دول أوربا الاستيلاء على مصر بأساليب واحدة ؛ إذ أن حركة مصطفى كامل لا يمكن اعتبارها من جانب المؤرخ الحقيقي إلا حلقة من حلقات سلسلة جهود المصريين للوقوف في وجه الفاتح الأوربي ؛ كما أن تشابه الموقف في هذه الحلقات كان من شأنه أن أملى على المجاهدين في سبيل الاستقلال الحقيقي خطة واحدة . وما الشعور الوطني إلا غريزة الدفاع عن النفس ، وهي غريزة طبيعية فطرية إذا كانت سليمة صادقة فرضت على النفوس منطقاً سليماً على اختلاف درجة تعمق الآخذين بها في مبلغ فهمهم إياها عن طريق العقل .

فالسلسلة التاريخية التي بدأت منذ قرن ونصف قرن تقريباً إنما هي عدة فصول في رواية واحدة يطلع عليها القارئ ، في سلسلة الحركة القومية بقلم رجل يجمع إلى صفاته كمؤرخ صفة أخرى وهي صفة المؤمن بتلك الحركة ، وهذه مزية ضرورية لمؤرخ أي فكرة ؛ إذ أن عبد الرحمن بك رجل يؤهله طول بلائه فيها لأن يفهمها بروحه ومزاجه فضلاً عن فهمه إياها كمؤرخ وكرجل يدرك المرامي السياسية عن طريق إلمامه بالقانون .

احتل نابليون مصر ، وكانت تابعة لتركيا ، وكانت انجلترا منافسة له تسعى لإخراجه منها . وكانت حجتها في ذلك أن في هذا الاحتلال اعتداء على حقوق الدولة العثمانية التي لم يكن في حالة حرب ضدها بل كان متعهداً بسلامتها بمقتضى المعاهدات . فأخذت تحرض تركيا على التمسك بحقوقها ، وتحرض المصريين على التمسك بعلاقتهم بها ما دام الاحتلال الفرنسي قائماً . وكان نابليون يسعى جهده لحمل تركيا على الرضا عن احتلاله لمصر نظير مزايا عظيمة في البلقان ، كما سعى بوسائل شتى لحمل الزعماء المصريين على قبول الانفصال عن تركيا فبذل في سبيل ذلك جهوداً عظيمة ، وأدى للشعب خدمات جليلة ، ولكنه لم يفلح مع تركيا ولا مع مصر ، ولذلك تم للمصريين ما أرادوا من عدم تمكن النير الأجنبي من أن يقوم على رضاهم بسند شرعي . ولو أنهم خدعوا بما أغراهم به نابليون باسم الانفصال عن تركيا لخلا الجو أمام احتلاله وهو الإهدار الحقيقي للاستقلال ولكانت مصر إلى الآن مستعمرة فرنسية ...

أثبت التاريخ بعد ذلك أن مصر لم تكن بهذا السلاح السلبي تقصد التبعية لتركيا بدليل أنها ما كادت تتخلص من الاحتلال الفرنسي حتى أخذت تعالج مشكلة استقلالها مع تركيا وجهاً لوجه ، فوضعت محمد علي على رأسها وحاربت تحت قيادته المتبوع الأعظم وهزمت جيوشه ؛ وذلك بفضل استقلالها الداخلي الذي مكنها من أسباب القوة القومية ، وهذا لعدم توفر الركن الأساسي للتبعية الفعلية لتركيا وهو وجود جيش احتلال تركي في مصر .

لم يقف الجيش المصري الظافر على تركيا إلا تدخل دول أوربا التي لا تأخذ الواحدة منهن على المصريين تمسكهم بتركيا إلا عند ما يكون هذا التمسك مقصوداً به التخلص منها . أما إذا كان مقصوداً به التخلص من دولة منافسة لها فإنه يصبح عندئذ أمراً منطقياً تمليه الوطنية الحقة ولا تعصب فيه للدين ولا للخلافة

ولم يقف الاستقلال الذي عملت له مصر في ميدان القتال

عند الحد الذى رسمته معاهدة سنة ١٨٤٠ إلا تدخل تلك الدول خشية فتح باب المشكلة الشرقية بما تقتضيه من التنافس على توزيع أسلاب الدولة العثمانية

وفى سنة ١٨٨٢ احتلت انجلترا مصر احتلالاً مؤقتاً بموافقة صاحبى الشأن فى معاهدة سنة ١٨٤٠ وهما سلطان تركيا وخديو مصر فعاد نفس الموقف الذى كان قائماً أيام الاحتلال الفرنسى . وبعد أن انتهت الحالة المؤقتة التى أدت إلى ذلك الاحتلال أصبحت فرنسا تطالب انجلترا بالجلاء بنفس الحجة التى كانت هذه تتذرع بها أيام نابليون فسعت انجلترا سعى هذا الأخير لإزالة العقبة القانونية التى تجعل احتلالها غير مشروع فأوفدت درامندو ولف إلى الآستانة للاتفاق على تبرير الاحتلال الدائم وهو الحماية ففشلت، وكان بعض فشلها راجعاً إلى سعى فرنسا التى حاربتها بنفس الحجة التى حوربت بها قبلاً وظلت تحاربها بها إلى أن اتفقت معها انجلترا على إطلاق يدها فى مراكش

لجأت انجلترا أيضاً إلى مثل ما لجأ إليه نابليون من حمل الشعب المصرى على المطالبة بالانفصال عن تركيا قبل أن ينجلى الجيش الانجليزى عن مصر وقدمت فى سبيل ذلك للشعب المصرى خدمات اقتصادية وقامت له بإصلاحات إدارية كثمن لإلهائه عن الاستقلال فنجحت مع بعض الأعيان الذين كانوا يسمونهم أصحاب المصالح الحقيقية فراحوا يقولون إن الاستقلال هو الانفصال عن تركيا قبل الجلاء . وكانت الغاية التى قصد إليها الإنجليز أن تزول من طريقهم إلى الحماية الحقيقية تلك العقبة التى جعلت مركزهم غير صحيح . ثم شفع هؤلاء المصريون خطتهم بالمناداة بالاتفاق مع انجلترا كما تنكروا لسلطة الخديو الممثل الشرعى للسيادة المصرية المقررة فى معاهدة سنة ١٨٤٠ حتى تنهدم المعاهدة المذكورة من ركنيها الخارجى والداخلى ، هذين الركنين اللذين هدمهما الاحتلال . عندئذ قام مصطفى كامل فنهض نهضة استقلالية تامة لا شك فى اتجاهها ومراميها ، وقال مراراً إن مصر لا تريد إبدال متبوع بمتبوع ، ولكنه احتاط عند تحديد المطالب السياسية فجعل هدفه الأول جلاء الاحتلال ووضع أمامه معاهدة سنة ١٨٤٠ سنداً قانونياً سياسياً ضد الاعتداء الحقيقى على تلك المعاهدة

إن القول بأن استفادة مصطفى كامل بالعوامل الخارجة عن الجهود المصرية كان مناداة بالتبعية لهذه العوامل إنما هو قول بعيد عن الحقيقة التى لمسها معاصروه قبل أن يسلموا له بما اعترف به الأستاذ العقاد إذ قال عنه إنه زعيم الوطنية المصرية فى ذلك العصر

استفاد مصطفى من خلاف فرنسا مع انجلترا فظن بعض الناس أنه صنيعة فرنسا . فلما تنحت فرنسا عن قضية مصر استمر فى جهاده بل ضاعف قواه . واستفاد من خلاف ألمانيا وحلفائها وأيد الخديو ، حتى إذا خرج كرومر وتغير الحال أثبت مصطفى كامل أن انتصاره لسمو عباس حلمى باشا لم يكن إلا انتصاراً للسيادة المصرية لا لشخص الخديو وضاعف الهمة حتى زالت حجة المكابرين الذين قالوا بأنه صنيعة . وكذا كان شأنه مع تركيا شأن المستفيد من مصلحة مشتركة فى موقف معين . وما قوله فى شأن الخلافة إلا شأن فرنسا وإيطاليا مثلاً عند اتفاق مصالحهما بأن هناك رابطة لاتينية

ولما تولى الحركة فريد بك ازدادت خطة الوطنية وضوحاً لمناسبة الظروف التى استجدت فقامت الحرب العالمية وهو فى تركيا فأفهم رجالها وهم على وشك الهجوم على مصر أن عدم مطالبة المصريين برفع السيادة التركية إنما كان لوجود الاحتلال الإنجليزى

اعترفت انجلترا بأن تكييف مصطفى كامل للاستقلال كان تكييفاً صحيحاً كما اعترفت للمجاهدين ضد نابليون عند ما كانت تريد إخراجه من مصر . ويكفى أن يطلع الإنسان على إعلان الحماية ليرى هذا الاعتراف إذ جاء فيه : « بما أن تركيا فى حالة حرب مع انجلترا فتزول من الآن السيادة التركية وتصبح مصر تحت الحماية البريطانية »

ولما انتهت الحرب العظمى لم يتمسك رجال مصطفى وفريد بالسيادة العثمانية ، فهذا غير معقول ، وإنما عملوا على ألا يتم تنازل تركيا عن سيادتها إلا لمصر لا لانجلترا كما عملوا على احتفاظ مصر بما لها من الحقوق فى معاهدة سنة ١٨٤٠ . ولذلك سافروا إلى أنقره وإلى لوزان ولم يسع (الوفد المصرى) إلا أن يبعث معهم بعض رجاله ويشترك معهم فى هذا السعى .

أما ما حصل بعد ذلك فيكفى أن تكييف مصطفى كامل قد سجل له التاريخ نتيجة واضحة وهى أن معاهدة سنة ٩٣٦ استنفدت برامج جميع الأحزاب ما عدا برنامج الآخذين بمبدئه .

محمود العمرى

دراسات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب الموضوعى نقد وتاريخ

رأينا فيما تقدم أمثلة من الأدب الموضوعى، ورأينا بعض هذه الأمثلة يتناول قطعة من الأدب ليبيّن ما فيها من عيوب ومزايا؛ ورأينا أمثلة أخرى تبيّن مناهج الكلام البليغ، وتوضح مزايا هذا الكلام فى معانيه وألفاظه وأساليبه، وقلنا إن هذه الأمثلة وما يشبهها تسمى نقداً. ثم وجدنا أمثلة غيرها تقصد إلى تبيين أطوار الكلام فى العصور المتتابعة وإيضاح أسبابها، وقلنا إن هذه الأمثلة وأشباهها تُعدّ من تاريخ الأدب

وهنا نُجمل الكلام فى النقد الأدبى وتاريخ الأدب

١ — النقد الأدبى (١)

نقد الكلام تبيين مزاياه وعيوبه، وتمييز جيّده من رديئه

يقال: نقد الكلام وانتقده على قائله، وهو من نقدة الشعر ونقّاده... الخ (٢)

٢ — نشوء النقد وتطوره

النقد طبيعى فى الإنسان، ينشأ من استحسان الشىء أو استهجانه. ويزيد الناس اهتماماً به اختلاف الأذواق فى تقدير الشىء الجميل والقبيح، وتفاوت الإدراك فى معرفة الصواب والخطأ، ويعظم الخلاف فى دقائق الأمور التى لا يُبينها حسّ واضح أو إدراك بيّن، وكلما دقت المسألة عسُر الحكم فيها وكثر الخلاف؛ وكلما كثر الخلاف كان النقد أصعب، وكان على صعوبته ألزم. والنقد يكون فى العلوم، والصناعات، ويكون فى الآداب. وهو فى هذه أغمض وأعسر لأن الآداب لا يرجع فيها إلى الحس أو العقل ولكن إلى العاطفة والذوق، وهما من الأمور النفسية يصعب تحديدها ويكثر الاختلاف فى أحكامها

والنقد يكون فى مبتدئه أحكاماً لا يدعمها برهان ولا يوضحها بيان، ثم تتناقض الأحكام، وتتصادم الآراء، فيذهب كل ناقد يفسر رأيه، ويقيم حجته، على قدر ما يواتيه فكره، ويمده ذوقه، حتى ينتهى الجدال إلى أمور مسلمة ومقاييس محدودة يحتكم الناس إليها فيتفقون. وربما ينتقل الخلاف من المسائل الجزئية التى يختلفون فيها إلى المقاييس الكلية التى يقيسون بها؛ يختلف اثنان فى وزن شىء أو طوله فيعمدان إلى الميزان أو الذراع ليعرفا الصواب. فيما اختلفا فيه، وربما يقع الخلاف فى صنجة الميزان أو فى طريقة الوزن أو فى الذراع أو طريقة الذرع.

وكذلك الأمور المعنوية، يقع فيها الخلاف فيرجع المختلفون إلى قواعد يتفقون عليها، وربما يختلفون فى القواعد نفسها. يقول واحد: هذا حسن، ويقول آخر: بل هو قبيح، فيرجعان إلى القوانين التى يعرف بها الناس الحسن والقبيح، يقول أحدهما: حسن لأنه نافع، ويقول الآخر: قبيح لأنه ضار، ثم يعرفان أنه نافع أو ضار فيتفقان. وقد يتمادى الخلاف بينهما فى القياس نفسه، فيقول أحدهما: كل نافع حسن، ويقول الآخر: ليس كل نافع حسناً، ليس مقياس الحسن والقبح هو النفع والضر بل قبول النفس أو نفورها أو اللذة والألم. فإن لم يتفقا على مقياس الحسن والقبح استمر الخلاف بينهما

كذلك الأدب: يسمع أحد الناس قصيدة فيستحسنها ويطرب لها ويخالفه آخر؛ فيقول الأول: ألفاظها مألوفة سلسة حسنة النغمة، ومعانيها جميلة فيها سمو بالنفس ولها أثر فى القلب، وكثير

---

(١) لا نقصد فى هذا المقال استيعاب الكلام فى النقد، ولكن نريد أن نصوره للقارئ فى أيسر الصور وأقربها

(٢) وأما المعنى اللغوى للكلمة فقد جاء على الأضرب الآتية ويمكن ترتيبها على النسق الآتى لتمثل استعمال الكلمة بين أول معانيها اللغوية ومعناها الاصطلاحى:

١ — نقد الطائر الحب ينقده إذا لقطه واحدة واحدة

٢ — نقد الشىء ينقده إذا ضربه بأصبعه كما تنقر الجوزة

٣ — فى حديث أبى ذر: فلما فرغوا جعل ينقد شيئا من طعامهم، أى يتناول يسيراً منه

٤ — نقد الدراهم نقداً: ميز زائفها من جيدها

٥ — فلان ينقد فلانا بعينه: يديم النظر إليه خلسة

٦ — ناقدت فلانا ناقشته

٧ — نقد الناس عابهم. وفى حديث أبى الدرداء: إن نقدت الناس نقدوك، وإن عبتهم عابوك

منها مخترع . ويخالفه الثاني فيما زعم للألفاظ والمعاني من أوصاف فيقول: ليست الألفاظ مألوفة سلسة ، أو موافقه على أنها كما قال ولكن يدعى أن الألفة والسلاسة ليست مقياس الجمال أو البلاغة؛ فإما أن ينتهيا إلى مقياس يرضيانه فيتفقان ، أو يتمادى بينهما الخلاف

وفي البحث عن المقاييس والاتفاق عليها أو الاختلاف فيها يكون تطور النقد الأدبي وتشعب مذاهبه ، ووضوح مناهجه ، واستناده إلى براهين تتفق فيها المعرفة الواسعة والذوق المهذب والحس المرهف

٣ — ضروب النقد

وفي النقد الأدبي ضروب منها :

١ — نقد الجزئيات ، وهو نقد قطعة من النثر أو الشعر بالنظر في ألفاظها وتبيين أنها مما عرف في اللغة ، وأنها موافقة للصرف والنحو ، وأنها مألوفة غير مبتذلة ، وأن وزنها ، إن كانت من الشعر ، صحيح لا خلل فيه — أو بالنظر إلى معانيها وتبيين أنها غامضة أو واضحة ، وقيمة أو تافهة ، وطريفة أو مبتذلة ، ومخترعة أو مسروقة ، وأن التصوير فيها واف بالقصد أو مقصر عنه ، وأن مجازاتها واستعاراتها حسنة أو قبيحة ... وهلم جرًا .

٢ — وقد يتناول النقد شاعراً أو كاتباً ، فيقال إنه ركيك الألفاظ أو غامض المعاني ، أو مستهجن الموضوعات أو متكلف لا يصدر عن الطبيعة أو سراق غير مخترع

٣ — وربما يكون النقد أوسع من هذا فلا يتناول قطعة أو شاعراً بعينه ، بل يتناول طرائق البيان ومناهج البلاغة ؛ فيقال : ينبغي أن تؤلف الألفاظ على أسلوب كذا ، وأن تحرر من السجع والصناعة ، وينبغي أن يكون المعاني بينة قريبة من المخاطب ، وينبغي أن يطول الكلام أو يقصر على قدر المقام وهكذا

٤ — وأحياناً يسمو النقد فوق هذا كله وينظر إلى الأدب ومقاصده عامة فيتناول مسائل كالمسائل الآتية : هل للأديب أن يطرق كل موضوع ، أو هو جدير بأن يتناول موضوعات سامية لا يتناولها العامة ؟

هل على الأديب أن يلتزم الأخلاق والآداب فيما يكتب أو هو حر فيما يبين غير مطالب إلا بالإجادة في بيانه ؟

هل الحق والصدق من أسس البلاغة أو يكون الكلام بليغاً وهو كذب وباطل ؟

هل للأديب مقصد فيما يكتب ، أو هو كالزهرة تنشر الرائحة العطرة بطبعها لا تبغي وراء هذا شيئاً ؟

وهذه المباحث أعمق مباحث النقد وأوسعها وأعظمها جدوى لأنها تتناول وجهة الأدب ومقاصده وموضوعاته ، تعمد إلى سبل الأدب تبينها وتوضحها ليكون الأديب على بينة من غايته وسبله قبل أن يسير ، فلا يعتسف الطريق ولا يضل دون الغاية

٤ — النقد في الأدب العربي

أما النقد اللفظي الذي يرجع إلى متن اللغة والنحو والصرف والعروض فالأمر فيه يسير لا يحوج إلى شواهد ، وهو واقع في كل زمان يشترك فيه الشادون والمتهون . ويرى في كتب الأدب كثير منه ؛ وقد كتب فيه الحريري كتابه « درة الغواص في أوهام الخواص »

وأما نقد الألفاظ من حيث سلاستها أو تنافرها وألفها أو غرابتها ونحو هذا ففي كتب الأدب والبلاغة مباحثه وشواهده

والنقد المعنوي عرفه العرب في كل عصور الأدب حتى العصر الجاهلي ولكنه كان أول الأمر نقداً مبهماً غير معلل كقولهم : فلان أشعر ، وهذه القصيدة أحسن ؛ أو نقداً لمعان جزئية أحسن فيها القائل أو أساء

ثم حاول العلماء منذ القرن الثاني أن يصفوا طرائق البيان ، ويحدوا حدوده ويبينوا معالمه فكتبوا في البيان وأكثروا ودعموا دعاويهم بكثير من المنظوم والمنثور

ونجد النقد عندهم مفرقاً في الكتب الآتية وأمثالها :

١ — كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥

٢ — كتاب نقد الشعر وكتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٥

٣ — الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي على بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢ .

٤ — كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري للحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٧٠

٥ — كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ .

٦ — كتاب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١

٧ — كتاب المثل السائر في أدب الشاعر والناثر لضياء الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧

تناول هؤلاء البيان من جهاته المختلفة ألفاظه ومبانيه وأساليبه وحاولوا جهد الطاقة أن يبينوا النهج للبلغاء، ويضعوا القواعد التي يبنى عليها الكلام البليغ .

ولكن تقادماً لم يتناولوا المباحث العامة التي تبين وجهة الأدب ومقاصده، وموضوعاته وصلة الكلام بقائله وصلة القائل ببيئته

وقد عنى بهذا الأوربيون منذ عصر النهوض، وتوسع فيه الفرنسيون منذ القرن السابع عشر الميلادي حتى نبغ منهم في القرن التاسع عشر ثلاثة يعدون أئمة النقد الأدبي حتى اليوم . وهم :

١ — سنت بوف[1] وأساس مذهبه معرفة الصلة بين الأدب ونفس الأديب ، وجعل النقد تاريخاً للعقول والأنفس يتعرفها في آثارها ويكشف عن خباياها

٢ — تين[2] ومذهبه يعنى كثيراً بمعرفة البيئة التي نشأت الأديب ليتوسل بها إلى معرفة الأديب نفسه

٣ — برنتيير[3] ومذهبه أن البلاغة قائمة على التدرج والتطور كالحيوان والنبات وعمل الناقد هو تتبع هذه الأطوار

عبد الوهاب عزام

(١) Saint Beufe (١٨٠٤ — ١٨٩٦)

(٢) Taine (١٨٢٨ — ١٨٩٣)

(٣) Ferdinand Bronetiére (١٨٤٩ — ١٩٠٧)

إنني تعبة !

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

إنني تعبة الليلة ، وهناك شيء — لست أدري على وجه التحقيق ما هو . ولعله هزيم الريح أو دوي المطر في جنح الدجى ، أو لعله تصايح الطير على الأيك من كل جانب في الخارج

هناك شيء ، أجد لشجوه أمثالاً تستخرج وجدي ، وتبعث أساي من بعد هجومه، وتعيد إلى الماضي السحيق وأحزانه وآلامه

فأشعر ، وأنا أجلس هنا متأملة مفكرة ، أن يد شهر مدبر ، من شهور يونية التي خلت ولم يبق من عهدها السعيد إلا التذكر ، تمتد الآن إلى أوتار قلبي المرتخية ، وتشدها ، وتصلح وحدة أوزانها ، وتحكم انسجام اهتزازاتها

إنني تعبة الليلة ، وإني لأفتقدك ، وأحن إليك يا حبي ، وأشتاقك شوقاً أكتمه جهدي ... ومن خلال الدموع أحسب أنني أراك ، وكأنك تمضي اليوم فقط مع الذاهبين إلى ربهم

مع أن الزمان قد مد خطاه الواسعة في مهامه مترامية ، وتجاوز عهوداً عديدة وأعواماً مديدة منذ فارقتني ، وكأني أستشعر الانفراد والوحشة من جديد . . . أنا التي كثيراً ما أحيا في عزلة وحدي ، وها هي ذي أوتار قلبي المشدودة تدعو الهديل

ولكن هيهات أن يجيبها منوط بأطراف الجناح رميم ... هيهات أن يطربها باللحن القديم الحلو الرنان

إنني تعبة ، وذلك الحزن العصي الذي كرت عليه الأعوام ، يثور دفعة واحدة على غير انتظار ، وإن ثورته الهائلة لتحدث فيه ثلمة واسعة تتدافع منها الآلام ، وتنحدر بقوة إلى قاع نفسي كما يتحدر بغتة تيار نهر هائج من ثغرة في حواجزه وينفجر كطوفان متدافع لا تقوى عليه السدود ، فيجرف في طريقه كل شيء ، ويكتسح في لجه الزبد ، وتبجه المرغى بقايا سفينة محطمة لها شراع ناصع البياض ، وإن تلك اليد لتهوى ثقيلة على أوتار قلبي المشدودة وتحركها بريشتها في عنف لتكتسح منها الأنغام

ولكن يخيل إلي أن أوتار عواطفي التي تلاشى رنينها مع الزمان عادت تطنطن وتدوي بعد ذلك الأمد الطويل بفعل تلك اللمسات العنيفة التي تحاول أن تجدد وقع اللمسات الأولى الرقيقة، بيد أن النغمات التي تفر من تحت الأنامل المحركة الأوتار لا ترجع غير صوت النواح والعويل، وصدى الحسرة والأنين **الزهرة**

حياة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الإسلامية

للمستشرق الإنجليزي توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوي   عمر الدسوقي

عبد العزيز عبد المجيد [1]

لم أقصد بكتابة هذا الفصل أن أضم إلى البحوث الكثيرة التي عالجت موضوع السيرة بحثاً جديداً ، وإنما قصدت دراسة حياة محمد في مظهر واحد من مظاهرها ، هو النبي يتمثل لنا فيه رسولاً يدعو الناس إلى دين جديد . ومن الطبيعي أن نتوقع في حياة منشئ الإسلام والداعي له عرضاً للوضع الحقيقي لما اقترن من النشاط بالتبشير بالدين الجديد ، ولو أننا اعتبرنا حياة النبي معياراً خلقياً لما يجب أن يكون عليه المؤمن العادي ، لحق أن تكون حياته كذلك معياراً لما يجب أن تكون عليه الدعوة الإسلامية ، وما دامت حياة النبي عنواناً للدعوة الإسلامية ، فإنا نتطلع إلى معرفة شيء عن الروح التي استولت على من يأخذون مأخذه ويستنون بسنته ، وعن الوسائل التي قد يمدون إليها في سبيل تحقيق أغراضهم ، ذلك لأن الروح التبشيرية في الإسلام ليست فكرة متأخرة في تاريخها ، وإنما نذهب إلى أنها تقترن بالدين منذ نشوئه الأول . ونود في هذه العجالة أن نبين ما ذهبنا إليه ، ونوضح كيف أن محمداً النبي (ص) مثال للمبشر الإسلامي ، ونحن نغض النظر عن معالجة حياته الأولى أو العوامل ذات الأثر في حياته حتى بلغ رجولته ، أو دراسة حياته باعتباره سياسياً أو قائداً حربياً ، نعني العناية كلها بدراسة حياته كبشير ونذير .

ومحمد ما لبث بعد اضطراب وكفاح نفساني طويلين أن اقتنع بصحة رسالته السماوية ، وكانت أولى جهوده أن دأب في إقناع أهله بذلك الدين الجديد القائم على وحدانية الله ، وإنكار عبادة الأوثان ، ووجوب أن يخضع الإنسان لمشيئة الخالق ؛ تلك هي الحقائق المجردة التي دعاهم إلى الإيمان بها . فكان أول من آمن به زوجه الوفية المخلصة خديجة التي تزوجت قبل هذا بخمسة عشر عاماً من قريب لها فقير كانت قد استخدمته في تجارتها ، فصيّرها أجدى عليها وأربح ، تزوجته بهذه الكلمات :

« يا ابن عمي ، إني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك [1] » .

فانتشلته بهذا من الفقر ومكنته من العيشة في المستوى الاجتماعي الذي يليق بنسبه ، ولكنّ هذا كله يسير إلى جانب ما بدا من وفائها وإخلاصها إذ شاطرته اضطرابه الفكري وغمرته بعطفها وشملته برعايتها في ساعة الشدة . أتاه الوحي مرة وهو في الغار فآوى إلى خديجة ، وقد ملأه الفزع واستولى على قلبه الاضطراب ، فآمنت خيفته وأذهبت عنه الروع وقالت تخاطبه :

« أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ووالله لا يخزنك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق »

ولقد بقيت حتى وفاتها سنة ٦١٩ م أي بعد خمسة وعشرين عاماً في حياة الزوجية تفيض عليه دواماً من حنانها وعزائها وتشجيعها كلما أصابه من أعدائه الأذى أو ساورته في نفسه الشكوك ، وفي هذا يقول ابن إسحاق :

« كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء به عن الله تعالى ، وآزرته على أمره فخفف الله بذلك عنه ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من قومه من رد وتكذيب إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس » [2]

هذه خديجة يقدم لنا التاريخ في سيرتها أروع الصور في الحياة الزوجية وأنبلها .

ومن بين السبّاق في الإيمان بدعوة محمد اثنان كان قد تبناهما هما زيد وعلي ، ثم صديقه الحميم أبو بكر الذي قال فيه النبي فيما بعد :

« ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر ، ما عكم عنه حين ذكرت له »

(١) اتصل بنا بعد نشر المقالة الأولى من ترجمة كتاب « الدعاية إلى الاسلام » لمؤلفه المستشرق العظيم والمؤرخ المحقق السير توماس أرنولد الانجليزي أن الأستاذين عمر الدسوقي وعبد العزيز عبد المجيد كانا يعملان في ترجمة هذا الكتاب أثناء حياتهما الدراسية بانجلترا وقد اتفقا الآن مع الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوي على أن يشترك الثلاثة في نشر هذا الكتاب تباعاً في الرسالة ، وفي إعداد البحوث الخاصة بالتعليق على الكتاب حتى يخرج في وضعه الأخير متناسباً مع خطر الموضوع الذي يعالجه

(١) ابن اسحاق ص ١٢٠   (٢) ابن اسحاق ص ١٥٥

وكان أبو بكر تاجراً على سعة من المال ، يحترمه قومه احتراماً شديداً لكرم خلقه وذكائه وكفايته ، أنفق بعد إسلامه الجزء الأكبر من ثروته في شراء الأرقاء المسلمين الذين اضطهدهم مواليهم لاعتناقهم تعاليم محمد . وحين أسلم أبو بكر دعا إلى الله فأسلم بدعائه خمسة نعتبرهم في عداد السابقين في الإيمان ، هم سعد بن أبي وقاص الذي فتح فيما بعد بلاد فارس ، والزبير بن العوام الذي اشتهر بالكفاية الحربية ، وعبد الرحمن بن عوف التاجر الثري ، وعثمان ثالث الخلفاء الذي تعرض للأذى والاضطهاد منذ إسلامه ، فقد أخذه عمه فأوثقه كتافاً وقال له :

« ترغب عن ملة آبائك إلى دين مستحدث ! فوالله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه » فقال عثمان :

« والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه »

فلما رأى عمه صلابته في التعلق بدينه أطلق وثاقه وتركه . واستطاع النبي أن يجتذب إليه طائفة أخرى أكثر أفرادها من الموالي والفقراء ، وبذلك نجح في أن يجمع حوله فئة قليلة من التابعين خلال السنوات الثلاث الأولى من الدعوة . وكان التوفيق الذي أصابه محمد في هذه الجهود السرية مشجعاً له على أن يوسع نطاق دعوته ويجهر بها ، فدعا عشيرته فاجتمعوا فقال لهم :

« يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر ؟ »

وهنا صمتوا جميعاً ولم يتكلم غير علي في حماسة الصبي فقال :

« أنا يا رسول الله »

وما كاد علي يفرغ من كلامه حتى علا ضحك القوم ساخرين مستهزئين . ولم يكن ذلك الإخفاق عن تبليغ رسالته ليصد محمداً فدعا الناس في مناسبات أخرى ، ولكن دعوته لم تلق منهم غير السخرية والتحقير .

وحاولت قريش أكثر من مرة أن تغرى عمه أبا طالب باعتباره عميد بني هاشم الذين ينتمي إليهم النبي كي يردعه عن سب آلهتهم وعيب دينهم ودين آبائهم ، وهددوه وقالوا إما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فنصح أبو طالب لابن أخيه أن يبقي على نفسه وعليه وألا يحمله من الأمر ما لا يطيق ، فأجابه النبي :

« يا عماه ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته »

فتأثر أبو طالب وقال له :

« اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً »

ولما أن ضرب الإخفاق على هذه المحاولات السلمية اشتدت موجدة قريش وتضاعف احتدامهم وأيقنوا أن انتصار ذلك الدين الجديد معناه القضاء على دين بلادهم وعلى ما يمتازون به بين العرب من السيادة القومية ، ثم هم فوق ذلك يخسرون الثروة والجاه اللذين يستأثرون بهما عن طريق سدانة الكعبة الشريفة . أما محمد نفسه فقد كان برغم ما تعرض له دواماً من بذاءة القوم وسفاهتهم في ذمة أبي طالب وذمار بني هاشم الذين منعوه وحالوا دون أي اعتداء على حياته ، يحفزهم على هذا ما جبل عليه العرب من قوة العصبية ، مع أنهم لم يعطفوا نحو الآراء التي دعا إليها . أما الفقراء والرقيق الذين لا ملاذ لهم ولا جوار فلم يجدوا مخرجاً من طائلة الاضطهاد الغليظ ، فكانوا يحبسون ويعذبون كي يفارقوا عقيدتهم . وكان أبو بكر يشتريهم ليخلصهم من العذاب ، فقد اشترى بلالاً[1] ذلك العبد الإفريقي الذي كان محمد يطلق عليه (أول ثمار الحبشة) والذي لقي من ضروب الامتهان ما لم يلقه أحد ، فكان يلقى في الرمضاء وقت الظهيرة وقد حميت الشمس ثم توضع على صدره صخرة ثقيلة ويقال له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وترجع إلى عبادة الأوثان ، وبلال لا يجيب على ذلك إلا بقوله : (أحدٌ أحدٌ) . وهلك شخصان متأثرين بما أصابهما من الاضطهاد وما ألم بهما من نوازله القاسية . ولما أن رأى محمد ما نزل بالمسلمين من الأذى مع عدم قدرته على تخليصهم مما هم فيه نصح لهم بالهجرة إلى الحبشة ، فخرج في السنة الخامسة من النبوة (٦١٥ م) إلى الحبشة أحد عشر رجلاً وأربع نساء ، وهناك رحب بهم ملكها النصراني . وكان فيمن هاجروا مصعب بن عمير ، وفي سيرته يتمثل أقصى ما أصاب المؤمنين من بلاء ومحنة ، فقد أبغضه من أحبهم ومن كانوا من قبل لا تقصر قلوبهم عن الولوع به . أسلم بعد أن تفهم تعاليم الدين الجديد في بيت الأرقم ، ولكنه أخفى إسلامه لما كان له من مقام كبير في قومه ، ولما كان له من حب جم في قلب أمه ، وأمه لا تقل عن قومها كراهية للدين الجديد . ثم ما لبثت هذه الحقيقة أن تبدت للناس وذاع إسلام مصعب ، فأطبقوا عليه وسجنوه ، ولكنه استطاع الهرب وخرج مهاجراً إلى الحبشة

(١) هو المشهور في العالم الإسلامي (بالمؤذن الأول)

وسار حقد قريش في إثر المهاجرين إلى الحبشة فأرسلوا وراءهم بعثة من رجلين يطلبان إلى النجاشي أن يسلمهم إليهما ليردوهم إلى قومهم، ولكن النجاشي سأل المسلمين عن أمرهم، ولما أن علم منهم الخبر اليقين أبى أن يسلمهم وقد جاوروه ونزلوا بلاده واختاروا حمايته، قال المسلمون للنجاشي عندما دعاهم وسألهم عن أمرهم ما يأتي:

« أيها الملك، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام؛ فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك» فقبل النجاشي رجاءهم ورد رسولي قريش خائبين.

في ذلك الوقت بذلت جهود جديدة في مكة لإغراء محمد بالجاه والمال على أن يكف عن الدعوة إلى دينه، وضاعت كل هذه الجهود عبثاً. فلما عاد رسولا قريش إلى مكة يعرضان نتيجة سعيهما ضد المهاجرين إلى الحبشة، وكان قريش يترصدون خبرهما ويتحينون عودتهما، حدث حادث خطير، هو إسلام شخص كان من قبل أشد وأغلظ أعداء محمد، وكان يعارضه بحماسة وحدة لا يحدها الوصف، وكان المسلمون يعتبرونه بحق أقوى خصوم الإسلام وأشدهم، وأصبح بعد إسلامه من أعظم الشخصيات وأنبلها في الصدر الأول من تاريخ الإسلام، ذلك هو عمر بن الخطاب

حدث يوماً وهو في نوبة غضب على النبي أن خرج ومعه سيفه يريد قتله، فلقيه رجل من أقاربه فقال له:

« أين تريد يا عمر؟ »

« أريد محمداً الذي فرّق أمر قريش وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله! »

فقال له: والله لقد غرّتك نفسك، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهلك فتقيم أمرهم؟

قال عمر: « وأي أهلي؟ »

قال الرجل: « ختنتك وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة زوجه، فقد والله أسلما! »

فرجع عمر إليهما وعندهما خباب يقرئهما القرآن، فلما سمعوا صوت عمر أخذت فاطمة الصحيفة فألقتها تحت فخذيها، وقد سمع عمر قراءة خباب فلما دخل قال:

« ما هذه الهينمة؟ »

قال: « ما سمعت شيئاً »

قال: « بلى، وقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه »

وبطش بختنته سعيد بن زيد فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته:

« قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت. »

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم في وجهها ندم وقال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمد. وبعد تردد أعطته الصحيفة وفيها (طه) فلما قرأ بعضها قال:

« ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! »

وانشرح صدره للإسلام وما لبث أن قال:

« دلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم » (يتبع)

الأدب المصري

وكيف ننظر إليه

للأستاذ شكري فيصل

أثارت كلمة (زهير زهير) في « المكشوف » التي نقلتها الرسالة الغراء في العدد ٢٩٤ موضوعاً جديداً للبحث عن الأدب المصري ، وعن مظاهر هذا الأدب ، وما كان من أثر المؤلفات والمطابع المصرية في الأقطار العربية الأخرى

وأشهد أن كلمة « المكشوف » كانت جريئة . . . وأن حملة (زهير زهير) كانت شديدة قاسية بخست الأدب المصري والثقافة المصرية حقهما وفضلهما على وضوح هذا الحق وعظم هذا الفضل

***

وما كان لي أن أعرض لبواعث هذه الحملة

ولا يسرنا أن نذهب إلى الظن بأن العصبية الدينية ، أو النزعة الإقليمية ، تملي مثل هذه الآراء أو أبعد منها ، وإنما الذي يهمنا أن نناقش السيد زهير زهير فيما عرض له

يقول الكاتب : إن أكثر المؤلفات التي تخرجها المطبعة المصرية غير مصري ، وهي تختلف بين أن تكون نوادر مخطوطات أو طبعات جديدة لكتاب قديم ، وإن المؤلفات المصرية الحديثة مخبأة لا تظهر على وجهه ، وهو يتساءل عن كتاب واحد ذي قيمة لمؤلف مصري صميم

لنتساءل : ألا يكون إخراج المخطوطات النادرة ، والقيام على تصحيحها وطبعها ونشرها ، أو تجديد طبع الكتب القديمة وإصلاحها وإخراجها للناس منقولة محببة ، عملاً أدبياً ذا قيمة ؟ وهل يقتصر العمل الأدبي على كتابة مقال ، أو تأليف قصة ، أو نظم قصيدة ؟

نحن في طور من أطوار النهضة ، ونحن في هذه النهضة محتاجون إلى هذه المكتبة القديمة ، ننبش آثارها ، ونحيي مواتها ونجلو صداها ، وننظرها طريفة رائقة ، تجتذبنا إليها ، لنفيد من علمها الغزير ، وفوائدها الكثيرة ، والعمل في هذه الناحية والتوفر على إخراج هذه الثروة الدفينة عمل أدبي قيم ، وجهد علمي شاق

ونحن لا ننظر إلى الأدب المصري في المقالة والقصة والقصيدة ، فهذه ناحية واحدة من نواح كثيرة متعددة ؛ وإنما ننظر إليه على أنه مجموعة من الجهود تتناول إحياء الثقافة النافعة ، ونشر المؤلفات القديمة ، والإنتاج الأدبي الصرف

وعلى هذا فقد قدمت المطبعة المصرية إلى العالم العربي أجل الخدمات ، وستظل النهضة الحديثة في الأدب العربي مدينة للمطابع المصرية ، لأنها كانت أكثر مطابع الشرق العربي إنتاجاً ولأنها في هذا الإنتاج بعث النشاط والحركة في ذهن العالم النائم

ومن العبث ومن الإنكار أن ننسى فضل المطبعة الأميرية ، ومطبعة الساسي والحلبي وكثير غيرها ، فقد ولدت هذه المطابع بما أخرجت من كتب ، وقدمت من ثمرات ، تياراً فكرياً كان له أكبر الأثر في الحركة الأدبية الحاضرة

والعالم العربي كله عالة على المطبعة المصرية ، ينظر إليها كما ينظر الزارع إلى السماء ، يأمل خيرها ، ويرجو غيثها ؛ والسيد زهير يعرف ذلك في بيروت ، وأعرفه أنا في دمشق ، ويعرفه غيري وغيره في العراق والمغرب والحجاز ؛ وهو لا يجهل أيضاً أن الجيل الحاضر قد فتح عينيه على المنفلوطي والزيات وطه حسين وأحمد أمين والمازني والعقاد والحكيم وشوقي وحافظ ومطران ورامي ، وأنه قرأ هؤلاء وكثيراً غيرهم وأفاد منهم فأصلح لسانه وقوّم بيانه ، وثقف عقله ، ثم التفت إلى المكتبة العربية الزاخرة فلم تطق عيناه هذه الأوراق الصفراء البالية ، فكاد يعزف عنها لولا أن تداركته المطبعة المصرية بهذه الذخائر الممتعة التي أخرجتها للناس

الواقع أن امتداد الأدب المصرى ، والثقافة المصرية ، فى أجواء البلاد العربية قد كان ... وأنه كان امتداداً واسعاً ... وأن أثره كان طيباً عميقاً ... وأن البلاد العربية كلها مدينة له ، عالة عليه ، فقد استثار فى أجوائها الحياة ، وسكب فيها بعد رقدة طويلة روحاً جديدة نيرة

وليس من عرفان الجميل حين يشتد منها الساعد ، فى العراق ودمشق وبيروت ، وتبدأ البذور التى رعتها المطبعة المصرية بالإنماء ، أن تجحد الفضل الأول وتنكره وتزدريه .

***

وبعد فهل صحيح أن المطبعة المصرية اقتصرت على المؤلفات القديمة ، وأن المؤلفات المصرية الحديثة أنشأها كتاب مصريون بمادة أجنبية مستوردة من الخارج ؟

نحن نحب أن يقوم النقاش الأدبى ، وأن تنضج الحركة الفكرية ، ولكنا لا نحب أبداً أن يكون هذا النقاش قائماً على عصبية مفرطة أو خيال خصب ... وإلا فمن ذا الذى يقول إن المؤلفات المصرية الحديثة غير موجودة ؟ أنا أحيل السيد زهيراً إلى فهارس المكتبات العامة ، فسيجد فيها كل ما كان مخبأ لا يظهر على وجهه ، وسيحفظ للقراء أوقاتهم مخافة أن يضيعوها فى التعداد المقيت .

وكأن السيد « زهيراً » قد أحس هذا الإسراف ... وهذا الإفراط ، فحاول أن يبرهن عليه ، فما استطاع أكثر من أن يعدد الشعر الجاهلى وحياة محمد وضحى الإسلام

ولكن هل يكفى أن تكون نزعة الشك التى سبق إليها طه حسين ، أو نظرة دورمنكهم إلى حياة النبى ، أو آراء المستشرقين فى الثقافة العربية ... هل تكفى هذه وحدها لتجرد الأدب المصرى كله من ميزاته كلها ؟ ؟ ومن ذا يقول إن التأليف يجب أن يكون مبتكراً فى كل نواحيه وكل خصائصه ؟ . . وهل يحرم على العقل الإنسانى أن يستفيد من عقول إنسانية أخرى ؟ . .

إن حقائق العلم مشاعة ، وإن ثمرات الفكر وقف مباح للناس كلهم ، يفيدون منه ويبنون عليه ، وإذا كان كل عالم من العلماء مضطراً إلى أن يبدأ أبحاثه من النقطة الأولى ، أو أن يبتدئ تعداده — كما يقول الرياضيون — من الصفر ، فإن الحضارة الإنسانية ستظل حيث هى لا تتزحزح .

وهذه سنة الكون يبنى المتأخرون على غرار المتقدمين أو ينتقدون ما بنوا ، ليشرعوا فى منهج آخر ... وهذا ما فعله طه حسين واحمد أمين وهيكل ، وقد يكون أكبر أخطائهم أنهم لم يشيروا إلى بعض المصادر التى أخذوا عنها فى الطبعات الأولى . . أو أنهم أشاروا إليها فى اختصار واقتضاب .

***

والترجمة أيضاً . . . ألا تكون ناحية من نواحى النهضة الأدبية . . . وهل يقتضى تكوين الأدب المصرى ألا تكون هناك ترجمة أو مترجمون . . . وهل تدل ترجمة بعض المؤلفات الأدبية والفلسفية ، على أن مادة الأدب المصرى مستوردة من الخارج ؟ .

إن عصور النهضة Renaissance فى أقطار الدنيا مقرونة ببعث وتجديد وترجمة ... ولقد كان البعث والتجديد عن طريق إخراج المؤلفات القديمة ، ثم كانت الترجمة أيضاً على أيدى كثيرين وتناولت الأدب والرواية والفلسفة ، وأضافت إلى الأدب العربى لوناً جديداً من ألوان الثقافة ، وأطلعت الأقطار العربية على علم الغرب وأدبه وفلسفته

***

هذه هى الناحية العلمية من النهضة الفكرية فى مصر . . . أما الناحية الأدبية فهل نستطيع أن نتجهم لها أيضاً بمثل هذه الجرأة وهذا الإنكار ؟ . . . وهل كانت مؤلفات توفيق الحكيم منقولة عن لغة أجنبية ؟ ... وهل مقالات الزيات وأمين والعريان مستوردة من الخارج ؟ . . . ثم هل كان خيوط العنكبوت وعلى هامش السيرة وعشرات غيرها ، يخجل المنصف أن نعددها له ، غير مصرية ... ؟

هنالك بعض نقاط ضعيفة فى الأدب المصرى . . . ولكن هذه النقاط الضعيفة لا تقتضى أن تذهب بنا هذا المذهب الجاحد فى الإنكار الشديد ، وأن تدفع بنا إلى مثل هذه الأدلة المزيلة .

فنقول إن مصر التي تسيطر بثقافتها على البلاد العربية قد عجز أدباؤها وعلماؤها عن وضع الموسوعة الإسلامية ، أو إن أكبر أديب فيها ينادى بفرعونيتها ، أو إنه لم يخلق فيها بعد ناثر أو شاعر يسجل في ملحمة شعرية أو نثرية الأحداث الخطيرة التي تعاقبت عليها

ومتى كان رأى قديم لأديب كبير باعثاً على إنكار ثقافة بلد كامل ؟ وما هي العلاقة بين هذا وذاك ؟ أفلا يحس الأستاذ زهير زهير نفسه في بيروت آراء أشد من هذه ، وأقوى في النيل من الإسلام ، وطعنه في ظهره . ألا يرى ذلك في كليات التبشير ونشرات الأدباء المبشرين ؟ . . . ثم هل يكون العجز عن تأليف موسوعة دليلاً على ما تتعمده من إنكار ؟ إن الأقطار العربية ، ومصر منها ، لا يعيبها أنها لم تشرع بعد في الموسوعة الإسلامية فلقد كانت غارقة في معترك سياسي عنيف ، وكانت قوى علمائها وعامتها منصرفة إلى السياسة ومتأثرة بها ، والموسوعات إنما تتطلب الاستقرار والنعيم والثروة ... ولئن توفر بعض هذا في مصر فلم يتوفر كله ، وحين يبدأ قطر عربي آخر بالموسوعة الإسلامية نستطيع أن نقرنه بعد ذلك إلى مصر ، لنهب أحدهما الزعامة الأدبية

***

وبعد فإن الأستاذ « زهير زهير » قد أغرق . . . وقد كان في كلمته حائراً بين امتداد الثقافة ، وسيطرة الزعامة ، وفرعونية مصر ، وإنكار الأدب المصرى ... ولقد كان متجاوزاً حدود الجرأة حتى سمى هذه الثقافة « ثقافة لقيطة » وكما عز عليه كلبنانى عربي ، يعز علينا كعرب مسلمين أن يؤخذ الشاب العربي المسلم بعصبيات إقليمية ، ونعرات دينية ، « وأن يخدع بالدعايات المأجورة المجانية »

« نزيل القاهرة » شكرى فيصل

استطلاع صحفي

في خدمة الفلاح

جولة في المعمل البيطري

(لمندوب الرسالة)

في مصر كثير من أمراض الحيوانات المعدية والوبائية التي تحرم الفلاح كثيراً من ثروته . فأن طبيعة مصر حيث تبدأ حدودها شمالا في المنطقة المعتدلة وتنتهي جنوبا في المنطقة الحارة ، يساعد على نمو الحشرات والميكروبات بأنواعها وخصوصا أن نظام الري الحديث يزيد الجو رطوبة .

ويقاوم المعمل أمراض الحيوانات تبعا للمثل العربي السائر « وداوها بالتي كانت هي الداء » فهو يقضي على المرض باستعمال ميكروبه في الأمصال أو اللقاحات التي ثبت عمليا صلاحيتها أكثر من الأمصال واللقاحات الواردة من الخارج .

مصنع الميكروبات

« التهبت أحشاء هذا الأرنب فمات نتيجة حقنه بدم حصان أردنا أن نتحقق من أنه مات بمرض التسمم الدموي » ... هكذا قال الدكتور زكي محمد وكيل المعمل الباثولوجي للأبحاث الفنية وهو يكشف أمعاء الأرنب ليبين ما أصابها من التهابات . ثم تناول ماصة وغرسها في قلب الأرنب وامتص فيها قليلا من الدم وزرعه



الدكتور زكي وهو يلقح بعض الميكروبات في أنبوبة بها أوساط زراعية

في أنبوبتي اختبار كانتا مغلقتين بسداد من القطن المعقم وتحتوى إحداهما على حساء لحم وتحتوى الأخرى على مادة جيلاتينية تصنع من نبات ياباني اسمه آجارآجار ، وبعد أن أعاد السدادتين أحرق سطحهما الخارجي بالنار ليقتل ما قد يكون علق بهما من ميكروبات خارجية



الدكتور عباس يفحص نموذج دم بالمجهر
وهو مأخوذ من الأرنب على شريحة من الزجاج

ثم تناول شريحتين من الزجاج نشر عليهما نموذجاً من دم الأرنب ، ثم ثبتهما بالكحول استعداداً لصبغهما وفحص النماذج تحت المجهر . وبهذه العملية احتفظ الدكتور بميكروبات المرض حية وميتة . فإن الغرض من وضع نماذج الدم في أنبوبتي الاختبار اللتين تحتويان على أنسب الأوساط الغذائية التي ينمو فيها الميكروب أن ينمو ويتكاثر ، وبذلك يسهل الحصول على لقاح واق ضد هذا المرض . والغرض من نشر الدم على شريحتي الزجاج وصبغهما معرفة شكل الميكروب وما طرأ على الدم من تغير

مهمة المعمل

ويقوم المعمل الباثولوجي البيطري بتحضير عدد كبير من المستحضرات البيولوجية المختلفة من أمصال ولقاحات ومواد للتشخيص يمكن باستعمالها علاج بعض أمراض الحيوانات ومكافحتها وتشخيصها ، وعلاوة على ذلك فإن المعمل يفحص النماذج المأخوذة من حيوانات مريضة أو نافقة لمعرفة نوع المرض المصابة به ودراسة الميكروبات المختلفة التي ينشأ بسببها كثير من الأمراض الوبائية وبذلك أمكنه أن يحفظ الثروة الحيوانية في القطر المصري من أخطار الأوبئة

والميكروبات هي شغل المعمل الأكبر ، وهي مخلوقات دقيقة تكبر ألفاً أو ألفي مرة ليمكن رؤيتها وبعضها لم تره العين ولكن أحست بفعلها الأجسام . وهي تهاجم الحيوان والنبات بأعداد يعجز

عن إدراكها الجيال . وأخطر الأمراض المنتشرة في مصر الحمى القحمية والسل والسفاوة والتتنوس والتسمم الدموى وخناق الخيول والكوليرا . ولذلك فإن مخازن المعمل تحتوى على مقادير كبيرة من مواد المصل والكفاح لإرسالها إلى الجهات التي تطلبها. وقد تمكن المعمل بمساعدة معمل التبرم من إيقاف الطاعون البقرى الذي فتك بكثير من الماشية فسبب كثيراً من الخسائر للفلاحين



الدكتور راغب يفحص انبوبة زرعية كانت ملقحة بميكروب

المصل واللقاح

وقد تمكن المعمل من تحضير أغلب أنواع الأمصال واللقاحات ويتجه التفكير الآن إلى تحضير مصل ولقاح الحمى الفحمية الذى يستورد من الخارج لخطورته، ولأن تجهيزه يحتاج إلى مكان منعزل واحتياطات شديدة . وبتحضير هذه الأمصال واللقاحات فإن المعمل البيطرى يوفر على الحكومة كثيراً من المال.

ويتعرض المشتغلون بتجهيز هذه المستحضرات للعدوى بتلك الميكروبات، فإن بعض أمراض الحيوانات كالسفاوة والسل والحمى الفحمية يصيب الإنسان أيضاً . وبعضها شديد الخطر فلا ينجو من يصاب به إلا بمعجزة . .

ويخطىء كثير من الناس إذ يظنون أن المصل واللقاح شيء واحد . فإن الأول يتكون من أجسام مضادة للميكروبات والغرض من إعطائه للحيوانات إيقاف المرض وعلاجه . وهو يعطى للحيوانات السليمة والمريضة إلا أن جرعته تتضاعف في حالة الحيوانات المريضة . أما اللقاح فيتكون من ميكروب المرض أو سمه مقتولاً أو ضعيفاً والغرض منه وقاية الحيوان مدة طويلة إذ يتكون في الجسم مناعة ضد المرض لمدد مختلفة

تحضير المصل واللقاح

ويحضر اللقاح بعزل الميكروب ثم زرعه على أوساط غذائية يضاف إليها بعض الفيتامينات لتكون أكثر مناسبة لحياته وتكاثره . واللقاح عبارة عن الميكروب نفسه أو ما يفرزه من السموم بعد قتلها أو إضعافها بالحرارة أو بالمواد الكيميائية تبعاً لطريقة التحضير.

أما الأمصال فتجهز من حقن الخيول أو الأبقار بكميات من الميكروبات أو من سمومها ، وتزاد الجرعات بالتدريج حتى يبلغ الحيوان أقصى درجة من المناعة فيفصد جزء من دمه ويفصل منه المصل .

احتياطات شديدة

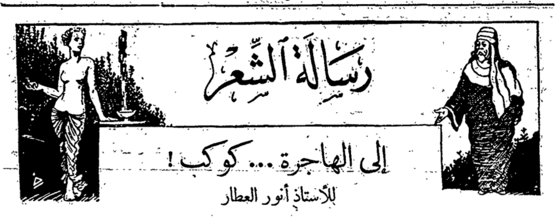
ولا تتم هذه العمليات بسهولة، ففي كل خطوة يعملها الإخصائي في إعداد هذه المستحضرات ، يقوم بعدة عمليات يطهر بها أدواته وأوانيه بحيث يتأكد أن الميكروبات الغريبة لم تصل إلى مستحضره لا بالنقل بالأيدى ولا بالهواء . ولذلك فإن الأوانى الزجاجية الفارغة التى يزرع فيها الميكروب تحفظ فى أفران تكفى درجة حرارتها لقتل جميع الميكروبات . فإذا أراد الاخصائى فى علم الميكروبات أن ينقل الميكروب من أنبوبة إلى أخرى أحرق أداة النقل بالنار قبل أن يضعها فى الأنبوبة ثم ينقل الميكروب



الدكتور حسين كامل يصب سموم التتانوس لترشيحها

عملية دقيقة

وليكون البحث العلمى كاملاً فإن الأعضاء المصابة من الحيوان تؤخذ ويعمل منها قطاعات تثبت على شرائح زجاجية لفحص حالة أنسجة العضو وخلاياه بالمجهر (الميكرسكوب) فبعد أن يفصل



إلى الهاجرة ... كوكب!

للأستاذ أنور العطار

— ١ —

منــاجيك مكتئب متعب وأنت تألق يا «كوكب»
أفي الحق ألا يقر البرئ وأن ينعم الآثم المذنب
وأن يشتهي فؤادي رضاك وأنـ ـت أخو نفــرة مغضب
فياهاجري قد أطلت الصدو د وصدك يا هاجري يصعب
لقد ضقت ذرعاً بهذا الهوى وضاق بي الفلك الأرحب
فلا جدولي يتنــدى منى ولا بلبلي لحنـــه يطرب
حيــاتي معشبة بالأسى وخــدي بدمعه معشب
رضاك هواي الذي أشتهي ووصلك ســؤلي والمطلب

— ٢ —

ســلام عليك أيا كوكبي سلام على النــاظر المغضب
أعيش بنورك جم السنــاء ولولاك غلغلت في الغيهب
أغنيك أعذب ما في الهوى من النغم المسكر المطرب
وأصبو إلى طرفك المشتهي وأهفو إلى ثغرك الأشنب
وأحيا لقلبـــك أنشودة ترقرق بالحـلم الأعذب
حلال لك الشعر يا هاجري وملك لك الروح يا كوكبي

— ٣ —

أنر لي دجى العمر يا كوكب فقد مضني المجهل الغيهب
وخذ بي إلي عالم ضاحك يموج به الأمـــل الأطيب
فلا تتركني نهب الأسى يعـــاودني داؤه الأصعب
فأنت شعاعي في ذي الحياة وأنت رجائي والمطلب
ترفق بصب براه السهـــاد يناديك في الليل يا كوكب

أنور العطار

العضو من جسم الحيوان تقطع منه أجزاء صغيرة تغرز في محلول فورمالين ثم في كحول لتتخلص مما قد يعلق بها من ماء. ثم توضع في «زيلول» ليطرد ما فيها من كحول وليسهل اتحادها بالشمع إذ توضع في أفران درجة حرارتها ٥٦° فيتخلل الشمع الناعم الخلايا وتصبح فراغات العضو ممتلئة بالشمع وعندئذ تصب الكتلة الناتجة في قوالب من الشمع الجاف وتقطع إلى قطاعات صغيرة سمكها أربعة من ألف من المليمتر

وتؤدي عملية التقطيع بهذا السمك آلة خاصة دقيقة الصنع تحتاج إدارتها إلى مهارة ودراية فإذا تم تحضير القطاعات ثبتت على شرائح زجاجية بالحرارة ثم تصبغ بالصبغات المختلفة ليظهر ما فيها من أنسجة وخلايا وميكروبات وما طرأ عليها من تغيرات يكشفها المجهر

ويحتفظ المعمل في فنائه الخارجي بعدد كبير من الحيوانات كالأرانب والحمام والدجاج والكلاب فيجري عليها تجاربه كحقن الميكروبات فيها أو اختبار فعل المرض في أعضائها أو للتأكد من معرفة الأمراض التي تنقل بها أحد الحيوانات الأخرى.

(الشتري)

حُورِيَّتِي تَسْأَلُ...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

«مهداة إلى شقيتها الطاهرتين»

— ٢ —

... وذَهَبْتُ أَسْتَبِقُ الشُّعاعَ لِرَبْوَةٍ

أَبْكَى شَبَاهُ الْمُرِّ يَافِعَ زَهْرِهَا

الطَّلُّ فِى أَكْمامِها دَمْعُ الْهَوَى ... شَرَحَتْ بِهِ الطَّيْرُ كَامِنَ سِرِّهَا

مِنْ كُلِّ عُصْفُورٍ ، وَسَقْسَقَةُ الْمُنَى

مِنْ ثَغْرِهِ دُنْيَا ذُهِلْتُ لِسِحْرِهَا

أَتُرَاهُ غَنَّى ؟ أَمْ بَكَى ؟ أَمْ هَزَّهُ

نَغَمُ الْأَلِيفَةِ فَاسْتَطَارَ لِنَبْرِهَا ؟

ومَضَى لَهَا ... ومَضَيْتُ أَخْنُقُ آهَتِى

صَبْراً عَلَى حُلْوِ الْحَيَاةِ وَمُرِّهَا

وعَلَى الَّتِى نَكِلَتْ حَيَاتِى بَعْدَهَا

وأَذَابَنِى فِى الدَّمْعِ فَاجِعُ هَجْرِهَا

ظَلَّتْ تُهَامِسُنِى وَنَشْوَةُ لَفْظِهَا

كَأْسٌ جُنِنْتُ مَعَ السُّكُونِ بِخَمْرِهَا

وَلَهَا جَبِينٌ كَادَ يَرْتَدُّ الدُّجَى

حِينَ اسْتَهَلَّ ، وَشِيمَةً مِنْ فَجْرِهَا

رَأَتْهُ كَفُّ اللهِ ، وَازْدَهَرَتْ لَهُ

لَحْنَ الْعَفَافِ تَمَائِمٌ مِنْ ثَغْرِهَا

سَجَدَتْ عَلَيْهِ وكَبَّرَتْ مِنْ فِتْنَةٍ

حَوْلَ الضِّيَاءِ ذَوَائِبٌ مِنْ شَعْرِهَا

وغَدَتْ تَفُوحُ بِهِ ، وَتَنْسِمُ قُدْسَهُ

فِى خَافِقَيَّ مَجَامِرٌ مِنْ طُهْرِهَا

أَفْضَيْتُ بِالشَّكْوَى لَهَا فَتَخَايَلَتْ

وَاخْتَالَ عَابِدُهَا الشَّقِىُّ بِكِبْرِهَا

وَعَدَتْ ... فَأَخْلَفَ دَهْرُهَا ! وَيْلِى عَلَى

رِقِّ الْحَبِيبِ لَهَا وَقَسْوَةِ دَهْرِهَا

أَفْنَيْتُ عُمْرِى فِى مَسَابِحِ خَطْوِهَا

شَغَفاً ... وعِشْتُ مَعَ الْوُجُودِ بِعُمْرِهَا

أَفَمَا تُحِسُّ بِعَاشِقٍ أَنَّى مَشَتْ

فِى الْأَرْضِ يَخْفُقُ حُبُّهُ مِنْ ذَرِّهَا !

عَالٍ عَلَى الْأَكْوَانِ ذَلَّ لِحُسْنِهَا

وأَذَلَّ كِبْرَ الْمُلْهَمِينَ لِأَمْرِهَا ...

***

بِالْأَمْسِ رَفْرَفْتُ النَّشِيدَ وَسُقْتُهُ

مِنْ نَارِ أَشْجَانِى بِهَا وَتَفَجُّعِى

لَهَبٌ مِنَ الْأَنْغَامِ رَقَّ مَهَابَةً ... وَجَثَا نَبِيًّا فِى عِبَادَتِهَا مَعِى

كُنَّا غِنَاءً لِلْجَمَالِ ، مَضَى الْهَوَى

فِى ظِلِّهِ الشَّاجِى يَقُولُ لَهَا : اسْمَعِى

فَتَرَنَّحَتْ طَرَباً ، وقَالَتْ : هَاتِ لِى

نَغَمَ الصَّبَاحِ الْعَذْبِ يَمْسَحُ أَدْمُعِى

مَرَّتْ الْكَآبَةُ مِنْ غِنَائِكَ فِى الْمَسَا

فَاسْبِقْ خَيَالَ الشَّمْسِ وَارْقُبْ مَطْلَعِى

وَأَعِدْ لِى أُنْشُودَةً قَمَرِيَّةً

مِنْ نُورِ أَحْلَامِى الَّتِى لَمْ تَسْطَعِ ...

فَقَبَسْتُ مِنْ أَلَقِ النُّجُومِ قَصِيدَةً

وبَكَرْتُ أَنْتَظِرُ السَّنَا فِى مَوْضِعِى

وَسَبَقْتُ ، وارْتَقَبَتْ عُيُونِى عَلَّهَا

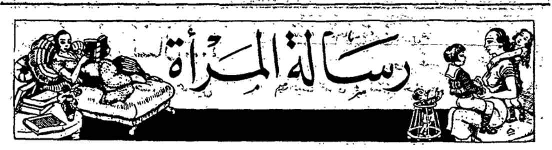
هَالَاتُ مَوْكِبِهَا تُذِيبُ تَفَجُّعِى ...

فَإِذَا بِوَعْدِ الْأَمْسِ كَانَ عُلَالَةً ... وَغَدَا جَحِيماً لِلْحَنِينِ بِأَضْلُعِى

فَرَجَعْتُ وَالْآلَامُ تَصْرُخُ فِى دَمِى

وَيَنُوحُ مِنْ وَلَهِى بِهَا دَهْرِى مَعِى !

«وزارة المعارف» ... محمود حسن اسماعيل



التجميل والمرأة عن طريق الرياضة

توجيه

للآنسة زينب الحكيم

قال فيلسوف حكيم مرة لابنته: «ابقي صغيرة وأنت تحتفظين بجمالك».

ولعله كان يحسن به أن يضيف إلى هذه النصيحة: أن احرصي على صحتك وأنت تبقين شابة:

فإن الشباب والصحة والجمال، هي الأشياء الثلاثة التي يقدرها الجنس اللطيف، ويقدرها فيهن الجنس النشيط

وربما كان أهم هذه الأشياء الثلاثة هو الجمال، ولكن من الصعب أن يفكر الإنسان في الجمال دون شذى الورد، أو أن يفكر في الورد بدون نضرته. احتفظي بصحتك تحتفظي بشبابك، واستمعي لهذه النصيحة المخلصة، ونفذيها بصبر ومثابرة.. ثم ثقي أنه لن يعرف حقيقة عمرك أحد

وفي الغالب أن أكبر ما يعيب المرأة أيا كان عمرها هو جسمها حيث ينمو بثقل، ويصير كجسم المرأة التي قاربت سن اليأس، فتنام إلى ساعة متأخرة من الصباح، وتشعر ببعض التعب أثناء النهار، وتأكل كميات أكثر مما اعتادت أكله، وتأوي إلى فراشها مبكرة، وتصبح أقل مبالاة بمنظرها ومظهرها

ماذا يحدث لقاء هذا كله؟!

يسمن الجسم وتزدوج الذقن، ويتمدد البطن، ويغلظ الخصر وتتجمد المفاصل وتبدو المرأة كأنما مرت من طور الشباب البكر إلى متوسط العمر.

والواقع أن لا عذر لها في ذلك، والسبب في كل هذا راجع إلى عدم عنايتها بنفسها، وإلى إهمالها ما منحتها الطبيعة من محاسن كان في مقدورها أن تزيد في جمالها

فبشرة الإنسان وعضلاته، في حاجة إلى دم متجدد حار يجري فيها عن طريق الرياضة البدنية الصحية التي يجب أن تمارس في الصباح والمساء لمدة ربع ساعة على الأقل



تمارين الرشاقة

إن المرأة التي بدأ يظهر عليها الكبر، والمرأة الشابة التي تريد أن تحتفظ بشبابها ونضرتها، يجب أن تعرفا أن الشباب والجمال يتوقفان على ثمانية أشياء رئيسية

(١) قوام الجسم (٢) لون بشرة الوجه (٣) الفم (٤) العيون

(٥) الوجنتان (٦) العنق (٧) اليدان (٨) الشعر .

هذا وقد يمكن إضافة أشياء أخرى للتجمل ، ولكن هذه الأشياء الثمانية تكتفي بها غالبية النساء



الشكل الصحيح لوضع الجسم للمشي

أما المرأة التي تمتاز برشاقة قدّ وتريد أن تبقى كذلك ، فعليها باتباع التمارين الرياضية التي تساعد على ذلك وهي كثيرة ومتنوعة . ولقد أصبح ذلك ميسوراً جداً في الوقت الحاضر بفضل الاختراعات الحديثة والراديو ، وخروج المرأة إلى ميادين الرياضة العامة ، وهذه وإن كانت لا تزال قليلة في مصر ، إلا أنه في مقدور السيدات اللاتي لهن بيوت منظمة ، واللتي لها حدائق ، أن يلعبن وفق ما تذيعه محطة الإذاعة كل صباح ، وأن يخصصن جانباً من أوقاتهن للعب في حدائق دورهن . كما في استطاعتهن استعمال الألعاب البيتية التي تدعو إلى الحركة كالبنج بنج ، وتنس اليد ، والمسابقات وغيرها . ولست ممن يحبذن الألعاب البيتية التي تدعو إلى الجلوس مدداً طويلة مثل لعب الورق ، فإن ذلك يضيع كثيراً من نشاط العقل ، ويوهن الجسم ويرهل لحمه

ولا تنس السباحة فإنها من أهم الرياضات التي تجمل الجسم عموماً ، والمشي في الهواء الطلق ، والاستمتاع بحرارة الشمس ، والسفر في قطر الفاجآت كلما أمكن .

وعلى المرأة أن تعنى بأخذ حمامات الماء الدافئ مرة واحدة يومياً قبل التمارين الرياضية ، مع استعمال أملاح أو سوائل الحمام المنشطة .

كثيراً ما يشكو إلينا بعض السيدات من أن أوقاتهن لا تسمح لهن بالانتفاع بتمارين الرياضة الصباحية التي يذيعها الراديو وكذلك يفتقدن النوادي الرياضية ، ونحن من أجل هؤلاء ، نذكر هنا بعض تمارين رياضية بسيطة ، وبعض مركبات يمكنهن الانتفاع بها في الأوقات التي تناسبهن حتى لا يحرمن الرياضة يومياً .

١ — الدرس الأول والمهم هو المشي صحيحاً .

ضعي الجسم في الوضع الصحيح . امشي ببطء مع ارتفاع الرأس . وافردي الكتفين إلى الخلف . املئي الرئتين بالهواء ، وتنفسي بانتظام مع ارتفاع الذقن واعتدال الظهر وضغط المعدة . وتكون الذراعان إلى الجانبين . في هذا الوضع احني الجسم إلى الأمام حتى الوسط . ثم امشي خطوات واسعة ثم أديري قدميك إلى الخارج . يؤدي هذا التمرين مدة عشر دقائق يوميا .

٢ — اصعدي على مقعد قريب من الأرض (ستول) وفي يدك عصا .



تمرين لتقوية الظهر

يشتمل هذا التمرين على الوقوف بتوازن على قدم واحدة بالتبادل ، ثم تحرك العصا إلى أعلى وأسفل حول الرأس .

٣ — تمارين الانحناء

يجب أن تؤدى بحرص ، فالمرأة الضعيفة يجب ألا تنحنى أثناء التمرين أكثر من مرتين أو ثلاث مرات ، ويشتمل التمرين على المشى أيضاً والجرى حول جدران الغرفة أو فى الحديقة ، ويمكن المشى والجرى على اليدين والرجلين تشبها بذوات الأربع . ثم الوقوف والانحناء إلى الخلف حتى تلمس اليدان الأرض إذا أمكن . والانحناء إلى الأمام حتى تستقر راحتا اليدين منبسطة على البساط ثم ينقلب الجسم من ناحية إلى أخرى .



تمرين السيدة البدينة

هذه التمارين تكفى للمرأة العادية ، وإذا تمرنت عليها باستمرار مرتين مع الحمام كل يوم ، يمتنع تراكم اللحم الزائد على جسمها . ويبقى الجلد نضراً والعضلات مرنة قوية حافظة لجمالها الطبيعى ووظائفها .

أما المرأة البدينة والسيدة المتوسطة فى العمر ، فتنصحهما بعمل تمارين Domb-Bell المصنوعة من الخشب ، وهذه التمارين مع الحمام ترجع الجسم إلى حجمه الطبيعى ، وتعيد العضلات إلى مراكزها الأصلية . والحمام الذى تأخذه السيدة البدينة ، يجب أن يكون بارداً إلى الحد الذى تحتمله ، فإذا كان قلبها ضعيفاً (وغالباً يكون) ففى هذه الحالة يجب ألا تأخذ حمامات باردة جداً ، وإنما تكتفى بحمام بارد فقط معطر بأملاح أو خل الحمام .

وربما كانت أحسن طريقة لإعداد حمام السيدة البدينة ، هو أن يوضع الماء فى الحوض فى الليلة السابقة للصباح الذى يؤخذ فيه الحمام ، وبذلك تكون حرارة الماء كحرارة الحجرة ، ويضاف إلى الماء أملاح الاستحمام كالمعتاد .

كانت عطور الحمام فى الزمن الغابر تصنع فى المنازل ، وكانت رخيصة ، تصنع من أنواع من الأزهار والأعشاب مع الكحول والخل . والغرض منها تنظيف الجسم وإنعاش الجلد والاحتفاظ بنضارته .

أما الآن وقد تقدم علم الطبيعة ، وعمت الآلات ، وكثرت الاختراعات ، فأصبح من ضياع الوقت والجهود ألا نشترى هذه الأشياء من الصيدليات .

وعلى هذا لن أصف هنا غير سائل واحد رأيته يستعمل فى انجلترا ، ومفعوله جيد ، وصنعه بسيط :

يؤتى بمقدار جيد من ثمر الشليك ، ويوضع فى جزء من خل النبيذ ، ويترك لمدة ثلاثة أيام ، يصفى بعدها ويوضع فى زجاجة للاستعمال وقت الحمام .

وإذا وضع ملء فنجان منه على قليل من الماء وغسل به الوجه ، فإن ذلك يساعد على تحسين لون بشرته .

إن تأثير الروائح العطرية على الأعصاب مدهش ، ولقد حرق القدماء البهارات إذا ما مرض منهم أحد ، لا على سبيل التطهير فحسب كما نفعل اليوم باللزول وغيره ، وإنما اعتبر شم الروائح نفسها الدواء الشافى . والإنجيل يخبرنا أن القدماء عالجوا المرضى بالروائح العطرية ؛ كما اشتهرت البيمارستانات فى بلاد الشرق برش العطور فيها باستمرار .

وأطباء اليوم النفسيون وغيرهم يخبروننا : أن النساء الحساسات جداً ينتعشن إذا ما شممن طاقة من البنفسج ، لأن رائحته للأعصاب ، ورائحة الورد للروح ، والعطور الأندلسية للرأس . والمرأة العصبية لها أن تمزج قليلاً من النوشادر بعطر البنفسج ، وتشمها لتريح أعصابها . أما المرأة القلقة ، فيسرى عنها شم الروائح اللطيفة الشذى . ويجب أن توجد زجاجة منها على الدوام فى المنزل للاستعمال كضرورة واجبة لا كشىء كمالى ، وأظن الرياضة فى البساتين تؤدى ذلك على خير وجه

هذا وإن للروائح فلسفات ، وللرياضة أشكال وأنواع ليس هنا مجالها .

زينب الحكيم



رسالة من العوالم البعيدة
تنبئنا أن الكون ينتشر

أحدث ما نعرف فى علم الفلك

للدكتور محمد محمود غالى

فكرة النسبية لأينشتاين توحى بتمدد الكون — نبوءات العالم «دى سيتر» بوجوب ظهور الأجرام البعيدة كأنها تبتعد عنا — هذا الابتعاد حقيقى بخلاف ما يعتقد «دى سيتر» — الطيف خير رسالة من النجوم لاثبات ذلك — رسالة العوالم تنبئنا بابتعادها كلها عنا ، وأننا أبناء كون يتمدد .

ترى ما هى هـذه الرسالة من العوالم البعيدة ؟ وترى كيف يكبر الكون ولماذا ؟ وكيف توصل العلماء إلى اكتشاف ذلك ؟ وهل يعد الاكتشاف من الأمور النظرية ، أو أن خطوات العلم التجريبى تدل على ذلك ؟ ... هذا ما نحاول أن نتناوله فى هذه الأسطر ، فنبحث موضوعاً جديداً ، لا تبعد نتائجه التجريبية الأولى عن عشر سنوات ، وإن رجع البحث النظرى فيه لأكثر من عشرين عاماً .

وتعد نشرات[1] السير أرثر أدنجتون أستاذ الفلك فى جامعة كمبردج ، وكتابه «العالم ينتشر[2]» الذى ترجه للفرنسية مسيو روسينيون من أهم المراجع فى هذا الموضوع . كذلك محاضرته التى ألقاها فى المؤتمر الدولى للفلك المنعقد فى كمبردج سنة ١٩٣٢ والتى أتبعها بسلسلة محاضرات فى الراديو بأمريكا .

لم يعن الجمهور فى الممالك المختلفة بنظريات أينشتاين فى النسبية ، التى تنبأ فيها بتقوس الأشعة الضوئية التى تصل لنا من الأجرام السماوية ، إلا بعد التجارب الشهيرة التى قامت بها الهيئات العلمية المختلفة أثناء كسوف الشمس فى سنة ١٩١٩ ، هذه التجارب التى أثبتت نبوءة أينشتاين ، وجعلت من نظريته مثاراً لحديث الناس عامة . على أنه إذا كان هذا حظ الجمهور من الاهتمام فقد عنى كثير من العلماء بنظرياته قبل ذلك التاريخ ، ففى نوفمبر سنة ١٩١٧ أى بعد مرور عامين من نشرات أينشتاين عن «النسبية فى وضعها العام[1]» ، نشر العالم «دى سيتر» W. de Sitter بحثاً عن أثر نظرية أينشتاين فى الناحية الفلكية. ويرى فى هذا البحث لأول مرة أن الأجرام السماوية البعيدة يجب أن تعطينا على الأقل فكرة الابتعاد عنا ، ولم يؤكد «دى سيتر» هذا الرأى بطريقة جازمة ، وكان عمله من قبيل توقع ظاهرة يغلب على الظن ملاحظتها .

وظلت فكرة «دى سيتر» الجديدة فى مفترق الطرق تفتقر للاثبات التجريبى بحيث إذا أيدت أرصاد الفلكيين هذا الابتعاد تثبت صحة الطريق النظرى الذى اختطه «دى سيتر»

ومن المدهش أن يتوصل الفلكيون بعد ذلك ، لا إلى إثبات تحقق نبوءات «دى سيتر» فحسب ، بل إلى أن هـذا الابتعاد حقيقة واقعة ، وأنه يتغير مع المسافة وفق قانون خاص . وبعبارة أخرى توصل العلماء لاكتشاف يعد أكثر أهمية مما كان يتوقعه

---

(١) يراجع الذين يريدون التوسع فى معرفة آراء السير ادنجتون عن العالم الاستاتيكى لاينشتاين، ومايتصل بموضوع انتشار العالم — أعداد الجمعية الفلكية الملكية الانجليزية المجلد ٩٠ ص ٦٦٨ والمجلد ٩١ ص ١٢٨ لسنة ١٩٣٠ والمجلد ٩١ ص ٢٧٤ ، ٩٢ ص ٧ ، ٩١ ص ٤٩٠ ، ٩٢ ص ٧ لسنة ١٩٣١ كذلك محاضر الجمعية الملكية الانجليزية (Proc of the Roy. Soc.) عدد ٣ مايو سنة ١٩٣٣ مقال «سان» S. R. Sen ونشرات ليمتر (Lemaitre) وغيره

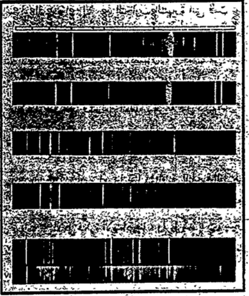
(٢) L'univers en Expansion الطابع هرمان بباريس سنة ١٩٣٤

(١) نشر اينشتاين النسبية (Lara Relativité Restreinte) سنة ١٩٠٥ ونشر النسبية فى وضعها العام (La Relativité Généralisée) سنة ١٩١٦ وسنأتى على شرح النسبية فى دوريها فى مقالات قادمة

«دى سيتر» . لندع الآن جانباً النظريات لنتكلم عن الطرق التجريبية التي أثبتت عدد الكون واتساعه

* * *

ذكرنا أن السديم اللولبية هي أبعد ما نعرف من عوالم في الكون[1] . وتقع السدم التي أمكن رؤيتها على مسافات تختلف من ١ إلى ١٥٠ مليون سنة ضوئية . ويجمل بنا أن نذكر أن السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة ، بمعنى أنه لو تصورنا قاطرة تستطيع أن تدور حول الكرة الأرضية سبع مرات في الثانية الواحدة ، فإنها تستغرق ١٥٠ مليون سنة لتسير من أحد تلك السدم حتى الأرض .



شكل (١) صور لأطياف الزئبق والصوديوم والهيدروجين من بحث نيومان

هذه السدم المتباعدة منتشرة في الحيز الواحد بعد الآخر . كل منها يكون عالماً كعالم المجرة الذي يحوي ملايين الكواكب التي تعد شمسنا واحداً منها ، ولا حاجة بنا إلى أن نذكر مرة أخرى أنه إذا كان المجرة عالماً واحداً مكوناً من حوالى مائة ألف مليون نجم فإن مجموع العوالم الأخرى التي تشبهه تبلغ مثل هذا العدد

هذه العوالم المتباعدة الواحد منها عن الآخر لا نستطيع ، عند التفكير فيها ، أن نفصل فكرة الفراغ واتساعه عن فكرة الزمن والتطور ، ولكن ندع فكرة تكوينها لنشرح الطريقة التي علمنا بها سرعة ابتعادها

ونبدأ بكلمة موجزة عن التحليل الطيفي لعلاقته بهذا الموضوع . كلنا يعرف أن الضوء إذا وقع على منشور ، كحافة مرآة مشطوفة ، يتحلل إلى ألوانه العديدة التي تميز منها بالعين السبعة الألوان المعروفة ، من البنفسجي إلى الأحمر ؛ كذلك نعرف أن لكل مادة طيف إشعاع يميزها عن غيرها ، فالهيدروجين والصوديوم مثلاً لهما خطوط معينة يتميزان بها في الطيف ، كما أن لكل مادة خطوطاً أخرى ، وعلى هذا يدلنا التحليل الطيفي للأشعة الآتية من الشمس أو النجوم عن العناصر الموجودة بها ، وهكذا أثبت العلماء أن كل العناصر الموجودة في الأرض موجودة أيضاً في الشمس .

ويجد القارئ في الشكل (١) ست صور لأطياف مواد مختلفة[2] ، بعد أن تسلط عليها قوساً كهربائياً . والطيف الأول من أعلى الشكل خاص بالزئبق عند أول تكوين القوس ، والثاني خاص به ولكن بعد أن توازنت حالة الإشعاع في الزئبق ، أي بعد مرور فترة على تكوين القوس ، والطيفان الثالث والرابع خاصان بنفس الظاهرة للصوديوم ، والطيفان الأخيران ، الأول للهيدروجين عند احتراقه بمرور شرارة فيه ، والثاني للبوتاسيوم عند تسليط القوس عليه .

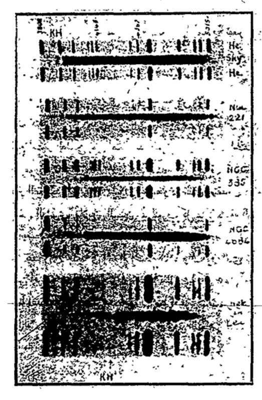
ومما يجدر ذكره أن المصابيح المستعملة في إنارة بعض ميادين العاصمة والاسكندرية ، كالمحطة وجوار معبر قصر النيل ، تضاء بهذه الطريقة أي باستعمال الزئبق الذي يعطي هذا اللون الجميل المائل للزرقة أو استعمال الصوديوم الذي يعطي لوناً مائلاً إلى الاصفرار ، على أن هذا النوع من الضوء يقع في الجزء الحساس من العين ؛ لذلك ولأسباب أخرى ، تعد هذه المصابيح أكثر اقتصاداً من المصابيح المعروفة

وهكذا لكل مادة طيف خاص بها يميزها عن غيرها من المواد ؛ على أنه يشترط لكي تبقى هذه الخطوط الطيفية في مواضع معينة وثابتة ، أن يكون الجسم مصدر الطيف ثابتاً بالنسبة لنا ، وكما أننا

(١) نشرنا صورة لاحدى هذه السدم اللولبية في مقال «أرض تدور وإنسان يحيا ويموت» المنشور بالرسالة في ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ص ٢٧١

(٢) هذا الشكل من مقال الأستاذ نيومان المنشور في المجلة الفلسفية (La philosophical magasine) بتاريخ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ص ٧١٢

نستطيع أن نعرف درجة ابتعاد قاطرة عنا من سماع وتسجيل صفيرها، كذلك يمكن بدراسة خاصة بالتحليل الطيفي أن نعرف إذا كان النجم يبتعد أو يقترب منا ، كما نعرف سرعة ابتعاده ، ذلك أن الخطوط الطيفية تقترب من جهة الطيف الأحمر إذا كان النجم يبتعد عنا ، أو من الجهة الأخرى إذا كان النجم يقترب منا ، وعلى قدر اقترابها من أحد الطرفين نعرف سرعة ابتعاد النجم أو اقترابه



شكل (٢) أطياف السدم عند اقتراب خطوطها من جهة اللون الأحمر تدل على ابتعاد هذه السدم عنا

والشكل (٢) مثال من هذا الطيف الذي يسمح بالحصول على تقدير هذه السرعات الكبيرة ، والأشكال التي تبدو في الصورة كالطوربيد ، هي طيف لسدم مختلفة ، مأخوذ فوق الطيف الأرضي العادي ، وترى أنه كلما نزلنا في اللوحة مالت خطوط معينة في الطوربيد إلى الجهة اليمنى ، وتختلف سرعة هذه السدم الواحد عن الآخر فالطيف الأعلى يمثل ضوء السماء والسديم الأول وهو الذي يليه يقترب بسرعة ١٨٥ كيلو متراً في الثانية والثاني يبتعد بسرعة ٣٨٥ كيلو مترا والثالث والرابع بسرعة ٤٩٠٠ كيلومترا و٤٨٨٤ كيلو مترا على التوالي والخامس بسرعة ١٩٧٠٠

وأول من قام بعمل هذا النوع من التجارب هو الأستاذ سلفر V. M. Slipher من مرصد لويل Lowel

هذا عن تعيين سرعة السدم وبقي أن نشرح الطريقة لمعرفة بعدها عنا

من الممكن أن نرى في العوالم الحلزونية القريبة بعض النجوم الكبيرة المنفردة عند ما تفوق هذه النجوم الشمس في حجمها وضوئها مئات أو آلاف المرات ، ومن حسن الحظ تتغير شدة إضاءة طائفة من هذه النجوم من وقت لآخر وتسمى هذه النجوم التي يتغير ضوؤها Cepheides Variables ويحدث توهجها ، الذي يقع في فترات متتابعة ومتساوية ، من نبض حقيقي للنجم أو تغير في حالته الطبيعية ؛ وتختلف هذه الفترات من بضع ساعات لبضعة أسابيع ، حسب حجم هذه النجوم وقوة توهجها

وكما أن الأطباء يحاولون بدراسات جديدة تمييز الجنين في بطن أمه إن كان ذكراً أو أنثى ، من عدد ضربات قلبه ، فقد وجد العلماء أن هذه الفترات تدل على حالة النجم . وقد أثبتت الملاحظات أن النجوم التي لها نفس الفترة لها نفس الخواص الأخرى كالحجم والتوهج والنموذج الطيفي ، وعليه فالفترة التي يمكن أن نقيسها بسهولة بساعاتنا الأرضية تعين درجة توهج النجم ؛ فإذا عرفنا أن نجماً من النجوم توهجه يختلف مرة كل عشرة أيام ، كان سطوع هذا النجم يماثل ٩٥٠ مرة قدر سطوع الشمس . وتنحصر المسألة بعد ذلك في معرفة المسافة التي يوجد عليها نجم عرفنا درجة توهجه ، ونعرف أن حجمه الظاهري لنا النقطة التي نراها . من هنا عرف العلماء مسافة هذه النجوم البعيدة ، وبالتبع مسافة العالم الذي يحويه[1]

وهكذا أصبحنا نعرف مسافة هذه النجوم المتغيرة معتبرة وحدة للقياس، كما نعرف مسافة شمعة معتبرة وحدة للقياس من درجة توهجها الظاهرة

وقد اكتشف الدكتور هبل (Hubble) من مرصد جبل ولسون بأمريكا نجوماً من هذا النوع في ثلاثة من أقرب السدم

(١) هذه الطريقة خاصة بمعرفة المسافات والعوالم البعيدة ، ولادخل لها في تحديد المسافات التي تفصلنا عن النجوم القريبة أو الشمس ، والتي نعرفها باعتبارات أخرى ، تتلخص في رصد النجم في موضعين مختلفين للأرض بالنسبة للشمس

الحلزونية وحدد أبعادهم بالطريقة السالفة — هذه الطريقة التي صعب على هذا العالم تطبيقها للسدم البعيدة؛ فاضطر إلى الالتجاء لطريقة أخرى يعتد بها فريق من العلماء، ولا مجال لشرحها هنا.

***

وها نحن نسرد النتائج الفعلية لهذه الأبحاث

أولاً: أن سرعة ابتعاد السدم تفوق كثيراً السرعة التي تسير بها النجوم في أفلاكها داخل هذه السدم

ثانياً: هذه السرعة للسدم تزداد بازدياد المسافة التي تفصلنا عنها

ثالثاً: تبتعد جميع السدم عنا بسرعات كبيرة جداً

صحيح أنه دل امتحان ٩٠ سديماً، في بادىء الأمر، على اقتراب الخمسة السدم الأولى منا بسرعة بطيئة، ولكن يعتقد السير أدنجتون أن هذا الاقتراب اقتراب ظاهري، ذلك أن الباحثين لم ينسبوا سرعة هذه السدم للمجرة كمجموعة، إنما نسبوها لمجوعتنا الشمسية، وباعتبار أن الشمس تسير حول مركز المجرة بسرعة تختلف من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كيلو متر في الثانية، فإن هذا الاعتبار الأخير يصحح معرفتنا الحقيقية عن هذه السدم الخمسة التي يثبت بعد ذلك ابتعادها.

***

ويحسن أن نطلع القارئ على درجة سرعة ابتعاد السدم عنا، فبينما تختلف سرعة النجوم في أفلاكها من ١٠ إلى ٥٠ كيلو متراً في الثانية[1]، إذ تختلف سرعة السدم في الأربعين سديماً القريبة منا كما بين ذلك «سلفر» من ٨٠٠ كيلومتر في الثانية إلى ١٨٠٠، هذا وقد اكتشف « هاماسون » Humason من مرصد مونت ولسن بأمريكا أن السرعة تزداد بعد ذلك كثيراً للسدم البعيدة ففي جهة التوأمين Gumaux يرى سديم يبتعد عنا بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر في الثانية، ويبعد عنا بنحو ١٥٠ مليون سنة ضوئية. ولا شك أنهم سيكشفون الآن سدماً أبعد من هذا، وذلك بعد أن تم وضع المنظار الجديد في مرصد جبل ولسن، ذلك المنظار الذي كان له الفضل في كشف القمرين الجديدين للمشترى كما ذكرنا في مقال سابق

ولقد كان لهبل في سنة ١٩٢٩ الفضل في اكتشاف تناسب سرعة السديم مع بعده، وهذا مطابق لنظرية إينشتاين، ولو أن « دي ستر » ظن بادىء الأمر أن السرعة تتناسب مع مربع المسافة، إلا أنه اتضح له خطأ هذا الحساب فيما بعد.

وتزيد السرعة وفق تجارب هبل ٥٠٠ كيلو متر في الثانية لكل سديم يبعد عنا بثلاثة ملايين سنة ضوئية تقريباً، وعلى هذا فالسديم الذي يبعد ٣٠ مليون سنة ضوئية يبعد عنا بسرعة تقرب من ٥٠٠٠ كيلو متر في الثانية[1] أي يبتعد عنا مسافة كالتي تفصل أمريكا عن أوربا، ويكفي أن نصل إلى مسافة تقدر بمائة وخمسين مليون سنة ضوئية لتكون سرعة ابتعاد السديم عنا ٢٥٠٠٠ كيلو متر في الثانية

هذا هو الكون، كل عالم يبتعد فيه عن الآخر، وقد يأتي وقت تبتعد فيه كل العوالم، فلا يبقى للأحياء عالم ليروه، اللهم إلا إن تقدم المنظار الفلكي بقدر ابتعاد هذه العوالم. وقد أثبت الحساب كما يقول أدنجتون، أن على راصد السدم أن يزيد فتحة منظاره بقدر الضعف كل ١٣٠٠ مليون سنة، وعلى الذين يعتقدون دوام الجنس البشري ملايين السنين، ليعرف كل ما لا نعرفه اليوم أن يسجلوا بدراسة موضوع غير قابل للتأجيل

هذا رأي جديد في العوالم المحيطة بنا، والكون الذي نحن بعض أفراده. ولنا أن نتساءل: لماذا تبتعد عنا كل العوالم كأنها جميعاً أعداؤنا، لا صديق بينها يقترب منا؟ هل هناك سر وسبب لهذا الابتعاد؟ وترى ماذا شكل الكون وفق الظواهر المتقدمة؟ هذا ما أتركه للقارئ يتأمل فيه ليجد الجواب عليه، إذ أن هناك صورة واحدة محتملة لكون له خاصيتان: الأولى أن كل عالم فيه يبتعد عن الآخر. والثانية أنه كلما كان العالم بعيداً بالنسبة لعالم آخر زادت السرعة التي يبتعد بها هذا العالم عنه.

هذه الصورة للكون وفق أحدث الآراء نطلب من القارئ أن يحاول تصورها، فإن لم يهتد فسنحاول أن ندله عليها في المقال القادم؛ وسترى أنه إذا كان أغرب القضايا العلمية هي أننا أبناء كون يمتد ويتسع، فأغرب من ذلك أننا سنرى أننا أبناء كون محدود.

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم . دبلوم المهندسخانة

(١) سرعة الأرض حول الشمس ٣٠ كيلو متراً في الثانية

(١) يعتقدون أن الخطأ في هذه التجارب ويعدون مصدره تقدير المسافة لا يتجاوز ٢٠ في المائة



التصوير الاغريقي
في مرحلته الثانية
للدكتور أحمد موسى

وكان لإبراز الصور بهيئة مجسمة على يد أبولودور الأثيني أثر عظيم في الاتجاه الفني ، فلم ينته القرن الخامس ويبدأ القرن الرابع قبل الميلاد حتى كانت المدرسة اليونانية قد تأسست واشتغلت بإكمال الحلقة التي بدأها أبولودور ، فتقدم تصوير اللوحات، وظهر زويكس Zeuxis of Heraklea في الميدان وكذلك بارازيوس Parrasios of Ephesus الذي اشتغل في أثينا وإيفيزوس . وكان كل منهما قادراً على التأثير في المشاهد بالنظر إلى ما بدا على رسومهما من تجسيم خادع

أما التلوين فقد ظل عندهما بسيطاً كما كان . وأما الموضوع الإنشائي فقد اتجه نحو تسجيل الجمال المادي ، فضلاً عن بحثهما عن الموضوعات الجديدة اللافتة ، فكان هذا سبباً في أن تصبح رسوماتهما ذات تأثير خاص ، وحاولا إيضاح المعالم النفسية في تصوير الأشخاص .

وصورة زويكس لهيلينا[1] Helena in Croton وصورته لزويس محاطاً بالآلهة جديران بالذكر والاعتبار

ومن ضمن ما تخيره بارازيوس موضوعاً للرسم تصويره بروميثيوس Prometheus في الأغلال ، وبروميثيوس هذا هو الذي سرق — كنص القصة الإغريقية — النار من زويس لإعطائها للناس ، وعوقب بضغطه في الصخر حتى جاء هرقلس وخلصه من محنته . وله صورة أخرى لا تقل عن هذه تمثل فيلوكتيت Philoctet الفارس الذي ورث نشاب هرقلس وقتل باريس في تروادة وغير ذلك للأشخاص ولأوديسيوس Odysseus



ش ١ — تضحية إيفيجاني ، صورة حائطية بپمباي ، متحف نابولي

وثالث مصوري هذه المرحلة تيمانتيس Timanthes of Kynthos الذي تفوق على بارازيوس ، وكان مولعاً بتصوير الناظر المعبرة عن خوالج النفس المتصلة بالعقل . فصور (تضحية إيفيجاني) Offer of Iphigenie ابنة أغاممنون وكلينيمنسترا Klytämnestra التي قدمت قرباناً لأرتميس Artemis ابنة الإله زويس ، والتي تقابل ديانا عند الرومان . وقد وجدت صورة حائطية في پمباي على نفس النمط ، وهي من أروع الصور بالنظر إلى أهمية القصة .

ولم يصل إلى أيدينا من آثار تلك المرحلة إلا بضعة مصورات حائطية من پاستوم (بمتحف نابولي الآن) . وهي ترجع إلى آخر

(١) زوجة مينلاوس التي اختطفها باريس ونشأت عن ذلك حرب تروادة

القرن الخامس ، وصورة المحاربين العائدين تحت لواء النصر وصور الراقصات التي رسمت على أرضية بيضاء وتمتعت بقسط وافر من دقة الإخراج والحياة .



ش ٢ — طبق سوسياس ، تضميد الجريح ، متحف برلين

أما في القرن الرابع فقد وصل التصوير الإغريقي إلى أزهى أيامه لا من حيث الناحية الفنية والدقة فحسب ، بل كذلك من حيث العمل الصناعي . وتعد مدرسة سيكيون School of Sykion التي رأسها بامفيلوس Pamphilos من أبرز المدارس وأهمها . وكان بامفيلوس نفسه عالماً وكاتباً في فن التصوير ، وقد صور لوحات صغيرة لتمثيل المناظر الاجتماعية في دائرة محدودة ، ولكنه تخصص في تصوير الزهر والأغصان ، وله لمشوقته جليكيرا Glykera صور عديدة ، كما أن له صورة مشهورة أسماها حاملة التيجان .

وقد وجدت مدرسة هامة بين مدارس التصوير لها تاريخ مجيد ، ألا وهي المدرسة الطيبية[1] الأتيكية التي برز بعض العاملين فيها مثل نكوماخوس Nikomachos الذي اشتهر بسرعة العمل والإنتاج المبسط ، وابنه وتلميذه أرستيدس Aristides الذي كان مولعاً بالمواقف الممثلة للحالات النفسية العنيفة وله فيها صورة فذة تمثل أماً تنظر إلى ابنها الرضيع يحتضر . وله تلميذ هو أويفرانور Euphranor الذي اشتغل حيناً في أثينا ، وكان نحاتاً إلى جانب كونه مصوراً ، كما كان كاتباً وعالماً ، وله طابع مميز هو تصويره الرجولة في أكمل معانيها . وله قطعة معروفة أسماها « عراك الفرسان في مانتينا Mantinea الواقعة في أركاديا الشرقية والتي تم النصر لأياميننداس على الاسبرطيين فيها سنة ٣٦٢ ق . م وغير ذلك في أثينا .

ولعل تلميذه وقريبه نيكياس Nikias of Athena من أحسن مصوري تلك الرحلة ، فقد كان معاصراً لبركسيتلس[1] ولون له بعض تماثيله ، واشتهر بالتصوير بالشمع ووصل إلى درجة عليا في صناعة الألوان ، وكانت له عناية خاصة باختيار الموضوعات الجديرة بالتصوير ، فصور مناظر القصة الإغريقية وأبدع في تصوير أبطالها من الرجال والنساء .

أما أعظم مصوري الإغريق إطلاقاً فهو أبيلليس الكيلوفوني Apelles of Klophon الذي عاش في إفزوس Ephesos والذي تمتع بأكبر قسط من التقدير والشهرة ؛ فأسموه بحق « بركسيتلس التصوير » أو « رفائيل العصر القديم » ، عاش في النصف الثاني من القرن الرابع ، ودعاه الملك فيليب إلى قصره ، ثم عمل كمصور في بلاط اسكندر الأكبر ، وقد قدره أحسن تقدير ورعاه أجمل رعاية . ومما هو معروف عنه أنه كان على غاية التواضع ولين المعشر ، وكانت له كلمات خالدة ذهبت مثلاً بين الناس .



ش ٣ — جو وأرجوس وهرمس ، صورة حائطية في بلاتين روما ، عن نيكياس

وينحصر طابعه المميز في أنه وحد بين الاتجاه المادي للمدرسة اليونية وبين الميل المنيف الذي غلب على إنتاج المدرسة

(١) وجدت غير مدينة طيبة المصرية مدينة أخرى سميت بهذا الاسم وكانت عاصمة لبوتيا ، خربها الاسكندر سنة ٣٣٥ وأعيد تشييدها فيما بعد

(١) راجع مقالنا — بركسيتلس النحات — في الرسالة .

السيكيونية فضلاً عن أنه كان مصوراً تخطيطياً من الطراز الأول .
ولا يزال معدوداً من الطبقة الأولى ، بل ولم يكن لغيره في العصر القديم أن يصل إلى مرتبته في العمل الصناعي والتكوين الإنشائي والجمع بين الظل والنور وحسن استخدام اللون .

هذا إلى جانب القدرة الهائلة في تمثيل الطبيعة أصدق تمثيل ؛ فدل بذلك على دقة الملاحظة في أكمل معانيها ؛ فيرى الناظر إلى مجموع إنتاجه مما وصل إلى أيدينا أنه كان مثالياً في اختيار الجمال وتكييفه وعرضه في ثوب الأناقة والبهاءة التي أصبحت له ولوحاته دون غيره من مصوري عصره مع توافر البساطة في الإخراج .

وقد اقتصر على تصوير اللوحات فلم تكن له صور على أواني الزهر أو على الحوائط . وأهم ما تركه من العمل الفذ حقاً صورة لأفروديت أناديومين Aphrodite Anadyomene في معبد أسكليبيوس بقوص Asklepiostempel in Kos والتي أخذت إلى روما في وقت ما . صور أفروديت تظهر خلال أمواج البحر ، فبدا نصفها الأعلى وأخذت تنثر شعرها بيديها ، وكانت لهذه الصورة منزلة عظيمة عند معاصريه ، وأثر كبير على الفنانين إلى حد أن بعض النحاتين مثلها في الرخام ينقش طريقته وعلى نمط إنشائه .

وله غير ذلك صورة « لأرتميس وعرائس البحر » وصورة لهرقليس وخاريس ، ولوحات لإسكندر الأكبر في صورة الإله زويس بمعبد أرتميس في إفيزوس ؛ وصورة له كفارس محاط بأوضاع رمزية لحاشيته . وكانت له معشوقة هي بانكسبا Pankaspe التي كان لها حظ التخليد على يديه .

ووجد غيره من الفنانين ، منهم من كان على اتصال به مثل بروتوجينيس Protohenes of Rhodos الذي عمل صوراً فردية ولكنها كانت على أعظم جانب من صدق المحاكاة وأروع قسط من جمال الإخراج . وأهم ما نذكره له صورتان إحداهما لياليزوس هيزوس وأخرى لساتير متعب

وللمصور آتيون Aetion صورة مشهورة لزواج الإسكندر من روكسانا . ولا بد لنا من ذكر المصور تيون Theon في ساموس والمصور أنتيفيلوس Antiphilos الذي عاش وأنتج في مدينة الأسكندرية (1)

وفي هذه المرحلة تطور فن التصوير من حيث الرغبة في إخراج اللوحات الصغيرة Phopographie التي يمكن لأكثر الناس اقتناؤها . وأول من اتجه هذا الاتجاه الفنان بإريكس Peiraeikos الذي صور مناظر دكاكين الحلاقين وصانعي النعال وبائعي الخضروات والمأكولات فأظهرها إظهاراً بديعاً

وإذا بدا الجفاف على هذا المقال فذلك لأنه مقال علمي خال من حشو القول ، ولا غاية لنا منه سوى توجيه القارئ إلى نواحي الفن العريق ؛ فيحصل على قسط من المعرفة يكتسبه شيئاً من الرزانة والدراية والتثقيف الواجب ، فيكبح من جماح إعجابه السريع بكل ما يراه لصغار الفنانين الذين يدعون لمجرد عرض بعض لوحاتهم وإطناب الصحافة التي ليس لها في قياس الإنتاج الفني معيار ، أنهم وصلوا إلى القمة . أما أولئك الذين يشتغلون بالفن ويعتبرون أنفسهم من تلاميذه ، فإليهم أيضاً أكتب آملاً أن يكون فيه بعض التوجيه لما يفيد وبعض التهيئة لإنتاج جدير بالاعتبار والتقدير

أحمد موسى

(1) راجع مقالنا — الفن الاسكندري — بالرسالة .

زكريا أحمد

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحي

أقرب الموسيقيين إلى الفن من ينغمس في لجج الحياة حتى يصل لأعماقها، ويذوق حلوها ومرها، وابتسامها وعبوسها

وأبقى الموسيقيين على الزمن من يحتقر المادة فلا يشغل نفسه باكتنازها بل يصرف ما في يده في ليلة، حتى إذا تنفس الصبح لم يجد لقمة يسكت بها صراخ أمعائه فلا يكترث ولا يقتصد إذا أصاب بعد هذا يسراً. بل هو لا يتغير، ولا يتدبر، ولا يحسب (للغد) حساباً أبداً ولا يهمه أن يكون أنيقاً رشيقاً بقدر ما يهمه أن يكون أشعث الشعر مهلهل الثوب. لا يكترث لكلام الناس عنه إن كان خيراً أو شراً، لأنه لا يعوج إلا لشيء واحد. هو «فنه»... وزكريا أحمد يعبد الحرية ويقدسها.. يمثل «البوهيمية» الفنية أدق تمثيل لا يهمه في دنياه إلا فنه وقلبه.

***

تربى زكريا تربية دينية، فحفظ القرآن المجيد وألم ببعض علومه ولكن (جرثومة) الموسيقى كانت تسري في دمه فلم يستطع مقاومتها فانضم (كذهبجي) للشيخين علي محمود، وإسماعيل سكر، وأمضى معهما وقتاً طويلاً، ثم تتلمذ لأستاذنا الشيخ درويش الحريري يأخذ عنه ما عنده من موشحات (وضروب) فأدهش الرجل بذكائه وحسن استعداده وأذنه العجيبة!

آنس زكريا من نفسه القدرة فرأى أن ينفصل عن الشيخ علي محمود ليكون ملحناً فأخرج السحر الحلال الذي جمع حوله جمهرة المطربين والمطربات يأخذون منه وهو البحر الذي لا ينضب والفنان الذي لا يعجز.

لا يلحن للمال، ولا للفخر. بل يلحن لقلبه وحنينه ووحيه الذي يترجم أسمى ما في العواطف من نبل ونور.

ملك «الصبا» غير منازع، وإذا قلنا (الصبا) فإنما نعني اللحن المسيطر على النفوس والمترجم لأشرف ناحية وأسماها من حياة الإنسان وهي ناحية عواطفه، وآماله وآلامه، وتوفيقه وفشله. وهل نستطيع أن ننسى أدواره التي غنتها أم كلثوم: (قلبي كل ما تقوى ناره) (هو ده يخلص من الله) (يارايح على جده) (اللي حبك ياهناه)...



لحن أكثر من خمسمائة قطعة نجحت جميعها نجاحاً عظيماً. وهو فنان موهوب لم يتعلم في مدرسة ولا معهد، وإنما نشأ كما ينشأ العبقري الملهم تكفيه (الخميرة) التافهة لتزداد وتزداد حتى يصبح كله (خميرة) تنضج كل شيء...!

يعزف على العود (سماعياً) فلا يعرف (النوته) الغربية.

تمتاز قطعه بروحها العربية الشرقية البحتة، فلا سرقة، ولا مزج، ولا خلط، ولم يعرف عن ملحن أو موسيقي أنه اختلط بالمرحوم الشيخ سيد درويش زعيم المدرسة الحديثة فنال حبه وملك قلبه كزكريا. وإنك لتجد تشابهاً عجيباً في روحيهما ونظرتيهما للحياة...!

***



تقويم النوع الإنساني

نشرت مجلة « حياتك » الأمريكية التقويم التالي للنوع الإنساني ، وهو من وضع العلامة الأستاذ « آرثر هـ . كومبتن » حائز جائزة نوبل في « الفيزياء » ، والباحث الشهير في الأشعة الكونية ، وقد صغر فيه الزمن مليون مرة :

قبل مدة تتراوح بين السنة والسنتين : تعلم الإنسان الأول استعمال العصيّ والأحجار كأدوات وأسلحة .

في الأسبوع الفائت : أنشأ إنسان ما فن تكييف الأحجار بحيث تسد حاجاته .

أمس الأول : استعمل الإنسان الصور المبسطة كتابة رمزية

أمس : ابتكرت الألفباء .

أمس عصراً : أنشأ اليونان فنهم وعلمهم .

منتصف البارحة : سقطت روما

الساعة ٨ والدقيقة ١٥ من هذا الصباح : لاحظ « غليليو » أجسامه الساقطة .

الساعة ١٠ صباحاً : صُنع المحرك البخاري الأول .

الساعة ١١ صباحاً : كشفت قوانين المغنطيسية الكهربائية

الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ صباحاً : تلا ذلك التلغراف والقدرة الكهربائية ... الخ .

الساعة ١١ والدقيقة ٤٠ صباحاً : كشفت أشعة إكس

قبل خمسة عشرة دقيقة : عم استعمال السيارة

قبل خمس دقائق : بدأت خدمة البريد الجوي .

في الدقيقة الفائتة : شاع استعمال الراديو .

الآن ظهراً : نجد النوع الإنساني يمضي جديد كل الجدة موحداً بفضل العلم

عبد الكريم الناصري

يدهشك في هذا الرجل وفرة رجولته ، واعتداده بفنه وكرامته . فهو يعطف على إخوانه الفقراء ويساعدهم ويلحن لهم بالمجان ، ولكنه يتصلب ويشتط ويغالي مع الكبيرات الغنيات اللائي يأخذن كل شيء ولا يعطين شيئاً . ولعل وقفته المشرفة مع (أم كلثوم) في روايتها الأخيرة تترجم تلك الرجولة القوية وتسجل تلك النفسية الكريمة ، فقد رفض أن يأخذ أقل من (مائة) جنيه في اللحن الواحد ولم يقبل ما قبله القصبجي والسنباطي . ومن أصدق ما قيل فيه قول شاعر الشباب الأستاذ محمود حسن إسماعيل :

يا مثير « الصبا » من العود تحكي ... نغم الطير في صباح الخلود

أو تأويه عاشق عبقري ... أرعشت ليله رياح الصدود

أو تمازي جنة ساجلتها ... حلم الشدو غافيات الورود

أيها الشاعر الذي طار بالفن ... وأعلى شعاعه في الوجود

مرّ بالجاحدين كالكوكب المشبوب واصدح بكل لحن جديد ...

محمد السيد المويلحي

الفنون الإسلامية

أبدى صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف رغبته في نهاية العام الدراسي الماضي في أن تزيد عناية مدرسة الفنون الجميلة العليا بالفن الإسلامي جاعلة منه أساس الدراسة في هذه المدرسة ، بما يتناسب وأغراض النهضة القومية الحديثة ومرامیها في تربية شباب الفنانين المصريين ، وكان ذلك عقب زيارة معاليه للمعرض الذي أقيم في المدرسة لإظهار نشاطها

والمعروف أن القواعد التي تقوم عليها برامج هذه المدرسة تميل حتى الآن بحكم نشأتها القديمة إلى تدريس الفن في مختلف صوره على الأصول الغربية ، مع تقدم الزمن بمصر للأخذ بفنونها الخاصة ، ولطبع الثقافة الفنية فيها بطابعها الأصيل وهو الفن الإسلامي

على أن بعض أساتذة المدرسة المصريين قاموا فى الأيام الأخيرة بجهود فردية — وبخاصة فى قسم العمارة — لتوجيه البرامج إلى هذه الوجهة ، وتربية الذوق الإسلامى فى نفوس الفنانين الناشئين

ولما كان الأمر أجل من أن يترك فى هذا المعهد الفنى العالى لمجرد المجهود الشخصى فقد رفع الدكتور محمد فكرى أستاذ تاريخ الفن بالمدرسة مذكرة إلى معالى وزير المعارف اقترح فيها بناء على رغبة معاليه السابقة إنشاء قسم خاص للفنون الإسلامية بالمدرسة وتقوم فى نفس الوقت بتفاصيل إنشاء هذا القسم والمقترحات الخاصة ببرامجه

وقد جاء فى هذه المذكرة أن الفن الإسلامى هو الفن القومى لمصر ، وأن الخصائص الفنية العظيمة التى ينفرد بها هذا الفن يجعل منه مادة خصبة لتغذية جميع نواحى النهضة الحديثة فى مصر ، فضلاً عن قابليته الدائمة للتطور وتمشيه مع روح البيئة الطبيعية فى هذه البلاد

وقد عنى معالى وزير المعارف بهذا الاقتراح وأحاله على مراقبة الفنون الجميلة لدراسته

وفاة العالم الأثرى هوارد كارتر

نعى من لندن الأستاذ هوارد كارتر العالم الأثرى الانجليزى المشهور عن ٦٦ عاماً . وليس بين المصريين من يجهل اسم هذا الرجل الذى كشف مع اللورد كرنارفون مقبرة توت عنخ أمون التى لفتت العالم بأسره إلى مصر . وكان عمله العظيم أكبر دعاية عالية شوقت ألوف السياح إلى غشيان مصر من كل فج وصوب .

جاء المستر كارتر إلى مصر سنة ١٨٩٠ وعاون الأستاذ فلندرس بترى فى حفائر تل العمارنة لحساب اللورد أمهرست سنة ١٨٩٢ ، وعين مفتشاً عاماً لمصلحة الآثار فى الحكومة المصرية وأعاد تنظيم إدارة الآثار فى مصر العليا تحت إدارة السير وليم جارستن والمسيو جستون مسبيرو ، وأدخل نور الكهرباء إلى وادى الملوك وإلى أبو سمبل ، واكتشف لحساب الحكومة المصرية مدافن الملوك منتوحتب وحتشبسوت وتحتمس وامنحتب الأول وغيرهم إلى أن اهتدى فى سنة ١٩٢٣ إلى قبر توت عنخ أمون

وقد نشرت صحف انجلترا ترجمة حياته بتفاصيل مسهبة ، وأسفت على فضله وعلمه الواسع وعادت تذكر الخرافة المشهورة باسم « لعنة الفراعنة » التى قيل إنها لاحقت جميع من اشتركوا فى كشف مدفن توت عنخ أمون لكن جريدة « الديلى تلغراف » أوضحت أن كارتر نفسه لم يكن يعبأ بهذه السخافة فضلاً عن أن موته بعد هذه السنين العديدة من كشف المدفن لا يمكن أن ينسب إلى كشفه

تركيا تهزل والعالم يجد !

من أنباء استامبول أن الصحافة التركية قامت أخيراً بحملات شديدة على فكرة إنشاء مؤسسات لها صبغة دينية فى البلاد وتقوم على أكتاف الشباب . وقد طلبت جريدة « ينى صباح » إغلاق هذه المؤسسات فى تركيا واستامبول بوجه خاص بحجة أن هذه المؤسسات تقوم بدعايات غير قومية ولا تتفق مع الروح التركية الجديدة .

ويظهر أن هذه الحملة التى تثيرها الصحف كانت صدى لخطاب رئيس الوزراء رفيق سيدام الذى أعلن بالراديو مقاومة الجمهورية التركية لكل حركة دينية تقوم فى البلاد

حول عريضة الأزهر

جاءنا من أحد العلماء الذين أمضوا تلك العريضة التى تحدث عنها الأستاذ ابن عبد الملك فى عدد الرسالة السابق كلمة يصحح فيها بعض الوقائع ، وقد طلب إلينا أن ننشرها على مسئوليته ، ولكنه فى الوقت نفسه وقعها بتوقيع مستعار ، وبين تحمل المسئولية وإخفاء الاسم تناقض ظاهر .

حول ترجمة الإلياذة والأوديسة

أخى الكريم الأستاذ أحمد أحمد العجمى :

كنت أوثر أن أعرف عنوانك لأكتب إليك عما سألت لأن بعضه يخصنى ويتعلق بظروفى . . . فاعلم يا أخى أن المرحوم البستانى قد نقل الإلياذة إلى العربية نظما . . . ولم يكن رحمه الله طويل النفس فى الشعر ولا ذا ديباجة تحببه إلى القراء . . . من أجل هذا ركدت ترجمته ولم يقرأها عشرات ... وأستغفر الله أن أسوء أحداً بما أقول ...

وقد بدا لى بعد أن فرغت من كتابة (أساطير الإغريق) ونشرها تباعاً بالرسالة أن أترجم الإلياذة نثراً لا شعراً لما للنثر

من مزايا خصوصاً في اللسان العربي . ومع ذلك فقد خشيت إذا أنا ارتبطت بترجمة الأصل أن يصدف القراء وينفروا لكثرة ما يرد من أسماء الآلهة والأشخاص ، وأكثرها أسماء حوشية نابية ... فآثرت التلخيص السريع وأضفت مقدمة حرب طروادة ليست من الإلياذة ، بل هي مما ترك الشعراء القدامى غير هوميروس ، حتى إذا انتهيت من الإلياذة أردفت لها ذيلاً من فرجيل ... وقد كان لا بد مما صنعت ليكمل سياق الملحمة الخالدة ، فالزيادة الأولى هي الفصل الأول ، والزيادة الثانية هي الفصل الأخير

أما الأوديسة فلم ينقلها إلى العربية فيما أعرف سواى ، وقد نقلتها نثراً لا شعراً للأسباب نفسها التي خشيت منها على الإلياذة ... وللأمانة التاريخية أقرر أنني نقلت الفصول الخمسة عشر الأولى نقلاً شبه كامل ، ولما خفت أن ينتهي المجلد الأول من مجلة الرواية دون أن تنتهي الأوديسة عمدت إلى تلخيص كل فصلين مما تبقى ونشرهما في عدد واحد بعد أن صارحت أستاذنا الزيات بذلك ...

أما أن جمهور القراء في مصر وفي الشرق يرغب في طبع ما ترجمت وما لخصت من ذلك كله فهذا ما يظنه أخي وما يخيفني أنا لأن الطبع يكلفني مئات كما كلف كثيرين غيري فلم يحصلوا ربع ما أنفقوا ... هل سمعت ؟ لقد قلتها لك بصراحة يا أخي وتقبل شكري على ما أطريت .

دريني خشبة

جريدة الوادي

اعتزم زميلنا الأستاذ محمد نجيب صاحب جريدة « الوادي » أن يصدر الجريدة قريباً بشكل جديد يعتبر فتحاً في الصحافة العربية اليومية . وسيتولى الإشراف عليها أساطين السياسة المصرية وكبار المفكرين وجمهرة وافرة من الأدباء والكتاب الممتازين ..

ولا تزال الاستعدادات جارية لإخراج الجريدة في هذا الثوب الجديد قبل نهاية الشهر الحالي



قصتان :

١ — الأميرة : للآنسة جميلة العلايلي

٢ — كاهن آمون : للأديب أحمد صبري

— ١ —

هاتان قصتان، كانتا غذائي في يومين :

أما الأولى فقصة غرام عنيف عفيف، وهي كما تقول المؤلفة : قصة جمعت في فصولها تاريخ الحياة كلها ، كتبت حروفها من نار العقل ونور القلب ، فتصارع فيها اليقين والشك ، والإيمان والإلحاد، والخير والشر ، وظهرت فيها شخوص مختلفة من تهاويل المدنية الحادثة، وبساطة الطبيعة الخالدة، واصطدمت فيها التقاليد الصارمة بالعواطف اليقظة، وكان فيها ما كان من رغبة ورهبة، وثورة وخنوع، وألم وأمل، ثم انتهت عند حقيقة خالدة، وهي أن الرجل رجل والمرأة مرأة، ولن يكون الاتصال بينهما إلا على هذا الأساس الذي قامت عليه الحقيقة الإنسانية منذ الأزل

والآنسة جميلة أنثى ، فأحسن ما فيها أنها تكتب بطبيعة الأنثى وبعواطفها وميولها ، فلا كذب ولا نفاق ولا تزوير ، ولكنها الأنوثة الواضحة ، والصراحة التي لا تتوارى ، والعواطف التي تتدفق على وضع الطبيعة ؛ ووضع الطبيعة في الأنوثة الكاملة هو الإعجاب، أو إن شئت فقل العشق للرجولة الكاملة، وإقراراً لهذا الوضع المقدس ضحت بالأوضاع والتقاليد في سبيل زوج لا تقدره لها الأوضاع والتقاليد . ولقد نجحت التجربة الجريئة، فكان لها برجولته وكبريائه واعتداده ملء القلب والبصر والسمع، وكانت له بأنوثتها ملاك الرحمة، ومثال التضحية، ورسول الحب !

والمرأة بطبيعتها — كما تعلم — رقيقة الإحساس ، مرهفة العواطف ، فإذا جمعت إلى ذلك موهبة الشعر كانت في خيالها وفي شعورها متوثبة ، كأنها تريد أن تلتهم الدنيا بنظرة ، وأن ترم البحر بشعرة ، وهذا هو شأن الآنسة الفاضلة في قصصها : فهي تغرد على كل فنن، تغريد الشاعر ، وهي تجري وثباً وراء الخيال فتسبق الحوادث ، وتستطرد من معنى إلى معنى دون أن تعنى بالنسق القصصي ، وما يسمونه بالحبكة الفنية ، ومن ثم جاءت قصتها كما تقول هي : سلسلة حبائل كلها أقاصيص عجيبة ، ولدتها قصة واحدة غريبة غامضة ، فيها شيء من خلل السرد ، وترتيب الوقائع ، وكانت في حل « العقدة » قاسية ، عفا الله عنها ! فقد أغرقت تجارة، وطوحت بعائلة كريمة في مهاوي الفقر والحاجة لأجل أن تصل إلى رجلها الذي رأت في الاتصال به اطمئنان النفس، وبهجة القلب، ويقظة الروح ، على أنه لا يمت لأسرتها بصلة القومية كما تقول

وفي القصة ما أحب أن أنبه إليه الآنسة المهذبة ، ولولا الرفق لحاسبتها عليه الحساب العسير ، وهو الاستهانة في الأسلوب بحق اللغة وهو حق يجب مراعاته وإن تبجح في ذلك المتبجحون ، ثم حق القوة البلاغية وهو أيضاً حق يجب العناية به لا للإفهام فحسب بل للتأثير الذي هو مهمة الفنان وغايته ، ثم تلك الأخطاء المطبعية الشائعة التي إذا احتملها ذوق الرجل الجبار فلن يتحملها ذوق المرأة الدقيق الذي يغرم بالأناقة ويفنى في روعة التنسيق ؛ وأخيراً بعض هفوات فاتت على فطنة الأديبة اليقظة ، فما كان يصح مثلاً أن تصف الأعرابي يلبس حذاء لا يلبسه غير سراة العرب ، ثم تعود إلى وصفه بعد صفحات فتصف حذاءه بأنه لا يلائم الرجل العادي على الأقل، وبعد هذا كله لا يصح من الآنسة الشاعرة أن تستهين في أناشيدها بعروض الشعر، ولعلها تهتم فتتلافى كل هذا في الطبعة الثانية للرواية ، فإن في تلافيه الجمال والكمال

— ٢ —

أما القصة الثانية فقصة مسرحية تقوم على حقيقة من حقائق التاريخ المصرى القديم ، وضعها مؤلفها الفاضل وهو فى مبزل على حافة الصحراء فى جنوب القاهرة حيث امتلأت رأسه من صور الأجيال القديمة وأطيافها ، وازدحمت عيناه بعبرات الجيل الحاضر وآلامه ، فطالع التاريخ لهذه القصة ووضع صورتها التخطيطية الأولى ، وعرف أبطالها وحلم بهم ... وبالنفس الفنان إذا اهتاجتها ذكريات الماضى وعبرات الحاضر ! إنها تحترق فى فكرتها ، وتذوب فى فنها فتأتى بكل ما فيه الروعة والجمال ...

وتاريخ هذه القصة يرجع إلى عهد الملك اخناتون ، وقد كان لهذا الملك مذهب دينى يدعو إلى عبادة قرص الشمس متمثلاً فيه جميع الآلهة ، وقد كان متعصباً لمذهبه هذا تعصباً شديداً ، فحاول أن يفرضه على الناس فرضاً ، واندفع يغلق الهياكل ويطرد الكهنة ، وانشغل عن أمور الدولة فسرح الجنود وأهمل الجيش ، فكان من وراء ذلك أن انقضت عليه المستعمرات المصرية ، واستولى الحثيون على شمال سوريا كما استولى العبرانيون على جنوبها ، ففزع المصريون لذلك ، ونهضوا ثائرين عليه بتدبير الكهنة ورجال الجيش المعطلين ، وفى مقدمة هؤلاء أوزيران كاهن آمون فى معبد خناعى ، وهو شيخ جليل خالف الملك اخناتون فى عقيدته الدينية ودعا إلى محاربته باسم الوطنية[1]

هذه المبادئ التى أذاعها أخناتون ودعا إليها ما وسعه الجهد ، وهذه الثورة التى أعلنها عليه المصريون لإنقاذ حضارتهم وغضباً لوطنيتهم وقوميتهم هو موضوع القصة ، وغاية المؤلف التى يرمى إلى توضيحها . ولا شك أنه قد استطاع أن يشرح فكرته شرحاً فنيًّا قويًّا ، فلا فضول ولا ثرثرة ، ولا اقتصاب ولا شذوذ فى سرد الحوادث والانتقال من وضع إلى وضع ، ولكنك تحس وأنت تقرأ أنك تجرى فى نسق طبيعى مطرد ، يرسمه أسلوب حلو يفيض بحرارة الإيمان وحماسة الوطنية ، وكأنها حماسة أمازيس إذ يقول : لقد فهمت وآمنت ، سأعلمهم أننا ولدنا جنوداً ، وأننا ما زلنا رغم العوادى أبناء هذا النيل ، نحارب وننتصر ، ونطوى العالم فى نفوذنا من جديد ...

ولقد ذكر المؤلف الفاضل أنه تقدم بقصته إلى الفرقة القومية فكان رأيها قاطعاً فى عدم صلاحيتها ! وأنا أستطيع أن أطمئن المؤلف الفاضل من هذه الناحية ، فإن الفرقة القومية أصلحها الله لا تقدر الآثار إلا بأسماء أصحابها وما لهم من شهرة ودوى وطنين .

ثم إن الفكرة فى هذه القصة تقوم على الانتصار لتاريخنا وقوميتنا ووطنيتنا ، هى غذاء لروحنا وعواطفنا بما يلائم روحنا وعواطفنا ؛ ولكن الفرقة لا يهمها ذلك ، فهى تحب أن تكون دائماً متطفلة على موائد الغرب ، تذيع كل ما هو غريب عنا ولا يمت إلى روحنا بأدنى شىء ...

نعم أنا أطمئن المؤلف من هذه الناحية ، وأقدر فيه موهبته الفنية واستعداده للقصص ، فإنه استعداد قوى كامل ، إذا ما تعهده بالمران والصقل فسيكون له شأن أى شأن . ولو أنه رزق الدقة فى الحوار ، والوضوح فى التعبير لكان فناناً من الطراز الأول ، ولجاءت قصته وشأنها فى الكشف عن عبقريته والإعلان عن مواهبه شأن « أهل الكهف » فى الكشف عن صاحبه الأستاذ الحكيم

وأحب أن أنبه الأديب الفاضل إلى ما أخذه عليه بعض الناس من غموض العبارة وخفاء المعنى فى بعض جوانب الرواية ، وليس بالعذر أن يقول إنه حاول أن يكون مفهوماً بالمعنى الذى يألفونه فلم يستطع ، فإن اللغة أداة الإفهام ، وعلى الفنان أن يُفهم وإلا كان قاصر الأداة ، عاجزاً عن تصوير ميوله وعواطفه ، وماذا يكون الفنان إذا عجز عن تصوير ميوله وعواطفه ؟ !

تلك ناحية ليست بالعسيرة ولا بالشاقة ؛ وفى استطاعة المؤلف الفاضل أن يبلغها إذا اقتصد فى ثورته وتمكنت عنده الرغبة فى ذلك

محمد فهمى عبد اللطيف

[1] راجع مقدمة المؤلف





الفرقة القومية

لغة المسرح ، أدباء الشباب

الدكتور إبراهيم ناجي أديب وعالم ملحوظ المكانة ، معروف في الأوساط الأدبية ، مشهور بأحاديثه الطيبة ، وحيويته الفياضة ، وحسه الدقيق ، يعرف فيه أصدقاؤه — وأنا منهم — سرعة في الفكر وفي الحركة وفي كل شيء .

لم تقف حركة الدكتور ناجي عند حدود نظم الشعر ، وتأليف القصة ، وكتابة البحوث العلمية ، وإلقاء المحاضرات ، بل تناولت أيضاً فن الترجمة . وقد تعاون أخيراً مع الممثل الأديب فتوح نشاطي على ترجمة رواية « الجريمة والعقاب » لمؤلفها دستويفسكي القصصي الروسي العظيم ، فمثلتها الفرقة القومية وجعلتها « افتتاحية » لموسمها الثاني . وها هو ذا يحدثنا عما لقيت روايته من رجال هذه الفرقة ويجيب على الأسئلة التي وجهتها إليه :

قلت له : الفرقة القومية مؤسسة ثقافية فهل حققت شيئاً من أغراض الثقافة ؟ فأجاب :

« إنها تحاول يا سيدي ، ويجب أن نعترف أنها تبذل ما تستطيع ، ولكن الفكرة خطأ ، والتوجيه خطأ ، والمسرح الذي نراه مسرح قديم بال .

أما خطأ الفكرة فلأن مدير الفرقة ، مع احترامنا لأدبه وفضله ، يصرح ويجاهر بأن المسرح إنما وجد لترقية اللغة ، وما دامت هذه الفكرة أساساً للمنطق فقد انهار كل شيء ولا معنى للجدل

والفكرة خطأ أيضاً ، وخطأ فاحش لأن قراء لجنة الروايات علماء لغة ، وليس فيهم فرد يعرف شيئاً عن فن المسرح .

والتوجيه خطأ ، لأن التوجيه مبني على الفكرة ، والتوجيه المسرحي عندنا أساسه إنشاء مسرح كلاسيكي على فكرة كلاسيكية ، ولهذا نحفل مسرحنا بأندروماك وأنتيجونا وعدنا إلى راسين وكورنيل وقد فرغ العالم منهما ونفض يده ، وإليك المثل :

الجريمة والعقاب رواية شعبية كتبت للناس ولمخاطبة الناس ، وهذه رسالة المسرح ، وقد أرادت إدارة الفرقة من مترجمها أن يترك ترجمته بتاتاً ويعيد كتابتها بلغة من عنده أنيقة مجلجلة مدوية كأنه هو مؤلفها . فانظر بالله كيف تريد الفرقة القومية أن تعبث بدستويفسكي وتسيء إلى دستويفسكي وتسيء إلى رسالة المسرح . كل ذلك في سبيل لغة كلاسيكية مجلجلة أولى بها حلقات الأدب لا المسرح الذي هو منبر يثقف ويعلم ويفيد

وإنه لما يبكي ويحزن أن تجد الممثل النابغ (؟) وقد فرضوا عليه حفظ لغة بائدة فصار توجه همه إلى إتقان المرفوع والمنصوب وقد نسي الفن وترك روعة التمثيل جانباً لأنه منصرف إلى ما ألقي روعه في شأنه أنه أهم . وإنه لمن المحزن أيضاً أن تجد لجنة قراءة الروايات تجيز روايات ليس فيها من شيء إلا أنها كتبت بلغة عربية سليمة . وإنك لتستعرض كل الروايات التي نجحت في المباريات فتجدها لغة في لغة ، وتجدها نماذج من الإنشاء ، أما الفكرة فلا ، أما الفن فلا ، أما الكلام و(الدروشة) فنعم . وقد تجيز رواية لا لغة فيها ولا فكر ولا فن كرواية طبيب المعجزات .

إليك المثل الثاني :

قدمت رواية من هذا الطراز فأجازتها الفرقة فأعدت للتمثيل

وكلف مترجم الفرقة أن ينقلها إلى الفرنسية ليتمكن المخرج الفرنسي من إخراجها ، فرأيته بعيني رأسي يكاد يغمى عليه من الطنطنة والجلجلة والكلام البدوي كالطبل الأجوف ، وسأل ناقلها إليه : أحقيقة كل هذا موجود ، كل هذا الكلام الطويل العريض ، كل هذا اللفظ المكرر المعاد . لا وربي ، إن هذه الرواية لا يمكن تمثيلها بحال ؛ إن التمثيل تمثيل لا كلام ، وكلمة درامًا معناها نقل القول إلى الحركة ، لا الحركة إلى القول ، كل هذا عن رواية أجيزت وأعدت للتمثيل . وكم وكم عند الفرقة مثلها من متراكم لا حصر له تجيزه الفرقة فلا يمثل ولا يصلح لشيء .

قلت : ما دمت ترى الأساس خطأ في إنشاء الفرقة فما رأيك في علاجها لتصبح مؤسسة تماشي النهضة الأدبية ؟

فأجاب : يجب أولاً أن يتنازل مدير الفرقة فيعترف معنا بأن رسالة المسرح الجديد غير قائمة على اللغة ، وليس من العار أن يجلس إلى رجل كالمسيو فلاندر أو إلى ممثل كجورج أبيض فيتحدث إلى أحدهما في رسالة المسرح . ويمكنه أن يسأل نجيب الريحاني وهو رجل يفهم هذه الرسالة على أتمها وقد سمعته بأذني يتمنى أن يرشد المهيمنين على الفرقة القومية إلى رسالة المسرح

الفكرة الثانية : يجب أن تبدل لجنة القراءة تماماً — مع احترامي لأعضائها وتقديري لعلمهم وأدبهم — أرى أنهم لا يصلحون بتاتاً إلى ما هم مكلفون به ، ولو خيرت لجعلت لجنة القراءة مكونة من فلاندر وجورج أبيض ورياض وعلام وأضيف إليهم رجلاً واحداً يفهم اللغة

وفكرة أخرى : يجب أن تكلف الفرقة من تتوسم فيه من المؤلفين الفهم والقدرة أن يترجم أو يقتبس أشهر الروايات العالمية . نعم تكلفهم بذلك وتفتح الباب أمامهم وترتقب مجهودهم وبهذا يتسع المجال ولا تقبر الكفايات ، وبذلك تخطو الفرقة خطوات في سبيل السداد

— هل أنت من دعاة اللهجة العامية ، وأنت الشاعر المفروض فيه الحرص التام على المعنى والمبنى ؟ وهل تصلح اللهجة العامية للتراجيديا والدراما والكوميديا على السواء ؟

— إني من دعاة اللغة العربية التي يفهمها الشعب على شرط أن يباح استعمال اللفظة العامية حين لا يكون منها مناص وحين لا يعتبر وجودها إسفافاً ، وحين تضيف جمالاً ونغمة جديدة إلى لغة المسرح

— هل كانت رواية « الجريمة والعقاب » مكتوبة في الأصل باللهجة العامية ؟

— كانت مكتوبة في الأصل باللهجة الفرنسية البسيطة التي تقارب العامية ولكن ترتفع قليلاً عنها . ومن يرد معرفة الحقيقة فليقرأ النص الفرنسي التمثيلي من وضع جاستون باتي ، ولكنها في الأصل من قلم ديستويفسكي الفخم وتحليله العميق.

— هل تظن أن هذه الرواية كانت تفقد قيمتها لو ترجمتها باللغة الفصحى ؟

— يا سيدي إنها بلغتها البسيطة كانت أرق من مستوى الجماهير فما بالك بها وهي بالفصحى المجلجلة ؟... انتهى .

***

لا ينفرد صديقي الدكتور ناجي بالرأي الذي أبداه بشأن لغة المسرح وضرورة جعلها تناسب ذوق الجمهور ، فقد سمعت حديثاً غريباً من صديق أديب أعرف فيه ولعاً باستعمال الألفاظ النابية وقد أطلقنا عليه اسماً لا أريد ذكره يدل على أنه يقد ألفاظه قداً وينحتها من صخر صلد ، لأن كلمتي افرنقع وتكأكأ وما عائلهما من الكلمات الحوشية التي ألحدها الإهمال ودفنها التناسي هما من الكلمات المستملحة المستحبة عنده . وقد لا يخلو مقال له من «منجنيق» يصوب كراته الافرنقعية والتكأكئية على الأذواق . أقول سمعت رأياً غريباً منه ، وقد سمعنا ما يضارعه في حديث الأستاذ ابراهيم رمزي[1] خلاصته أن الأمة لا تريد اللغة الفصحى ولا تستطيبها ، وحجته أن الطبقة الأرستقراطية نساء ورجالا ، لا تعرف العربية وهي تتكلم الانجليزية أو الفرنسية ، ولهذا لا تميل إلى التمثيل سواء أكان بلهجة العامة أو باللغة الفصحى ، وإن طبقة الدهماء لا رجاء منها ولا فائدة . أما الطبقة الوسطى وهي أقلية بالنسبة

(١) الرسالة عدد ٢٩٥

للطبقتين العليا والدنيا تؤثر اللهجة العامية لقربها من الفهم ، ولأنها تنشد من المسرح التسلية والترفيه عن النفس ، وينتهي بالدعوة إلى مسايرة الشعب ما دام الشعب لا يميل إلى غير التسلية والانبساط

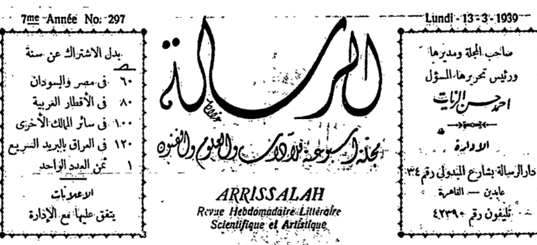
قد يكون رأي صديقي هذا أكثر آراء الشبان تهاوداً وأبعدهم عن التعسف في الحكم على اللغة العربية وقواعد صرفها ونحوها ، وتنوع مترادفاتها ووفرة مفرداتها ، ولكن هل يجوز — على هذا القياس — أن نهمل اللغة ونعطل أداة التعليم ونجد من معرفتنا إرضاء لطبقة تؤثر التسلية والانبساط؟

إني قبل كل شيء أنزه الأمة بطبقاتها الثلاث عما قاله فيها صديقي الأديب ، لأني أوقن أن نهضة الأمة محسوسة ملموسة بدليل أنها عند ما تهم لحضور التمثيل تهيئ ذاتيتها كما تهيئها للصلاة أو لسماع خطاب أو محاضرة . وقد برهنت على هذا الاستعداد النفساني قبل عشرين أو ثلاثين عاماً بإقبالها على حضور تمثيل فرق عبد الرحمن رشدي وجورج أبيض والشيخ سلامة حجازي إذ كانت كل رواياتها تمثل باللغة العربية الفصحى ، فما بالها وقد ارتقت بالفعل ، وتطورت وفق نهضة العصر وأصبحت آدابها واضحة الازدهار ؟ أقول : ما بالها تشكو اليوم مما قد استساغته بالأمس وأفادت منه خير فائدة ؟

الأدب بخير ، والآداب بخير أيضاً ، وتقدمنا الثقافي مستمر ، وإن كان ثمة من شكوى موجهة فهي من كسل الشبان ومن رخاوتهم وخنوثتهم ومن قعودهم عن سلوك مسالك الكمال ، فلغة المسرح الرصين يجب أن تكون الفصحى كما يجب أن تكون لغة الرواية التي من نوع التراجيدي أسمى من لغة الرواية التي هي من نوع الدراما ، ولغة الكوميديا أبسط من لغة الدراما . أما القائل باللهجة العامية للمسرح فهو مغرض أو كسول أو بعيد عن روح الأمة

ابن عساكر

7me Année No. 297 — Lundi 13-3-1939



بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

العام الهجري

الفهـــــرس

رسالة أمير المؤمنين الفاروق إلى الشباب

شعبي العزيز

أحببت ونحن نستقبل العام الهجري الجديد ، أن أهنئكم والعالم الإسلامي بهذا العيد السعيد ، مبتهلاً إلى الله أن يجعله عام خير وسلام وإقبال على الجميع ، وأن يقرنه بتوفيق الجد ، وبلوغ القصد .

إن هذا اليوم الذي يتمثل فيه أمامنا حادث الهجرة العظيم بما فيه من العظة البالغة ، والمعاني السامية ، وبما كان له من الأثر الخالد في بث روح الفضيلة والإخاء والمناصرة في سبيل الحق ، ليستحق منا تمجيده بالعمل الصالح والتوجيه النافع لخير الإنسانية .

وإني ليطيب لي أن أشير إلى ما سيتم بإذن الله وجميل رعايته في مستهل هذا العام المبارك من عقد أواصر المصاهرة ، بين الأسرتين الكريمتين في إيران ومصر ، مما يزيد في إحكام روابط الإخاء والمودة بين الشعبين ، فوق ما يربطهما من الصلات الأدبية والثقافية منذ القدم .

في أحد إذا تبينت صواب أمر واعتقدت — بعد تقليب وجوه الرأي — أنه في صالح شعبي أفراداً وجماعات .

وإن ثقتي بنفسي ، وتوكلي على الله ، هو الذي يلهمني تصريف الأمور ، ويوجهني الوجهة التي اختارها .

بيد أن هذا لا يمنع أن أستمع لآراء ذوي الخبرة من الرجال ، شأن كل إنسان يتحرى وجوه الصواب .

إنني أومن — ومرُّ الأيام يؤيد إيماني — أن شباب مصر المتوثبة للمجد سيكتبون صفحة خالدة في تاريخ الوطن . وفي استطاعتهم أن يصنعوا من هذا الوطن العزيز مصر العظيمة المتحدة التي هي آمالنا وأحلامنا جميعاً وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم .

ولكن انتبهوا ؛ فالطريقة التي تتبعونها لا تحقق أملنا هذا . ولا بد من العمل المتواصل في جو يسوده الهدوء والإفادة من الرؤوس الناضجة واحترام النظام .

شعبي العزيز

لم أتحدث إليكم قبل اليوم عن نفسي ، وكنت أعد ذلك من سبق الحوادث ؛ ولكن هذه الفرصة قد أتاحت لي أن أتحدث إليكم قليلاً في ذلك فتزدادوا معرفة بي ، وركوناً إليّ

إن سر النجاح هو الثقة والإيمان . ومن لا ثقة به ولا إيمان له لا رجاء فيه . فعلى الذين وثقوا بي أن يستمدوا عليّ ، إذ في ذلك كل الخير لهم

إنني مع إعجابي العظيم بوالدي — طيب الله ثراه وتغمده برحمته — قد أكون خالفته في بعض طباعه ، ولكنني أؤكد أنني قد احتفظت بأبرز هذه الطباع . فأنا مثله لا يستطيع أن يؤثر

وليكن هدفكم سعادة المجتمع ومصر القوية ، القوية في نفسها ، وفي أبنائها ، والمستمدة لإعلاء كلمتها ، وفرض احترامها على من يعبث بعزتها

شعبي المحبوب !

كم كنت أحب أنكم بعد أن سمعتم هذه الكلمات تذكرونها ليرجع إليها كل منكم بين الوقت والآخر ، حتى لا تأتي عليها يد النسيان

ونصيحتي التي أسديها إلى كل مصري مخلص لوطنه ومليكه : أن يكون ذا ثقة بالله وبنفسه وبمليكه .

والسلام عليكم ورحمة الله







ليس أدل على يمن هذا العام وإقباله ، من براعة استهلاله . وبراعة استهلاله تأييد قوة الإسلام ، وتوحيد كلمة الشرق ، بتوثيق الصلة بين عرشين أثيلين بالمصاهرة ، وتمكين الألفة بين شعبين نبيلين بالمودة . والعرشان المصرى والفارسى أعرق العروش فى أصل الحضارة ، والشعبان المصرى والإيرانى أسبق الشعوب إلى خدمة الفكر . والسامية الممثلة فى مصر ، والآرية الممثلة فى إيران ، هما اليوم مناط الرجاء فى نهضة الشرق الإسلامى القريب والبعيد ، لأنهما تجمعان شعبتى الفكر البشرى وما يميزها من سمو الروح وبراعة الذهن وصوفية الخيال وحب الحقيقة . فلا جرم كان زواج صاحب السمو الامبراطورى محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران ، من صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية شقيقة صاحب الجلالة الفاروق ملك مصر ، حادثاً سعيداً فى تاريخ الإسلام والشرق ، سيكون له أثره المحمود فى تبليغ الرسالة المحمدية مرة أخرى إلى النفوس العانية التى ضلت سعادتها وراحتها فى ظلام القلق والحيرة والشك

***

نسجل هذا القران الميمون فى هذا العدد الخاص بالهجرة ، لأنه وقع فى أوائل السنة الهجرية ، ولأننا نرجو أن يكون للاسلام والسلام والمدنية من نقلة الأميرة المصرية من القاهرة إلى طهران ، ما كان لها من نقلة الرسول الأعظم من مكة إلى المدينة . وأنا لندعو الله مخلصين أن يحقق فيه للعرشين العريقين سوادق الرجاء ، وأن يجعله للشعبين العظيمين عهد الأخاء والرخاء ، وأن يقرنه للعروسين الكريمين بالبنين والرفاء .

ابن عبد الملك





فى مستهل هذا الشهر العظيم بذكراه، أذعت على العالم الإسلامى نجوى لصاحب الهجرة صلوات الله وسلامه عليه، كان فيها تذكرة وفيها بلاغ . وليس شىء أحب إلى نفسى من إعادة هذا الحديث، فإن التذكير بسيرة رسول الله ، وبهجرته فى سبيل الله، شفاء لغل الصدور ، وجلاء لرين القلوب ، وقوة لضعف الأنفس

إن دعوة الرسول الأعظم كانت فى مكة أشبه بالغيث أنزله الله فى يباب القفر ، ففاض بعضه فى سباخ الأرض ، واحتبس بعضه فى أصلاد الصخور ، ثم نفّس الله عنه من شدة الضيق والحصر فانبثقت عنه الحواجز الصم ، فجرى سيولاً فى السهول والأودية ، وتشعّب ينابيع فى القرى والمدائن ، يحمل الخصب والنماء ، ويوزع الرى والغذاء ، فأحيا موات الأرض ، وروى غلة الناس ، وكان منه المهارة والحضارة والخير

نعم كانت هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة هى هذا الانبثاق الذى انساح به الإسلام فى أقطار الأرض يحمل الهدى للأرواح الحائرة ، والسلام للنفوس المحروبة ، والألفة للقلوب المختلفة ، فسارت الإنسانية فى طريق الحياة على ضوئه ، تنعم بالإخاء فى الدين ، وتتمتع بالمساواة فى الشريعة ؛ فلا عصبية تزرع الأحقاد وتنشر الفرقة ، ولا امتياز فى الجنس أو فى اللون أو فى الثروة يوجب الاستعباد ويقتضى الظلم . وحمل خلفاء الرسول رضوان الله عليهم أجمعين مصباح الهداية وزمام القيادة من بعده ؛ ثم استناروا بسيرته ، واستنوا بسنته ، فأورثهم الله ملك الأرض ، وملكهم مقادة العالم ، فقادوه على بصيرة وساسوه عن دراية ؛ فكان كتاب الله هو الدستور ، وحكمه هو القاضى ، وسنة رسوله هى الخطة . فلما ابتعد المسلمون عن مشرق النور وأعرضوا عن الذكر ، غشيتهم الغواشى فضلوا وجهة أمرهم ، وجهلوا غاية قصدهم ، وتفرقوا شيعاً فى الضلال ، وتدفقوا أحزاباً فى الباطل ، وأصبح كلام الله على ألسنتهم ألفاظاً لا معانى لها ولا رجع منها ، فأفلت من أيديهم زمام الأمر ، وسلب الله من أعدائهم الرعب منهم ، فتقهقروا إلى مؤخرة الركب ، وساروا أتباعاً بعد أن كانوا أئمة ، وأهالاً بعد أن كانوا سادة . كل ذلك والإسلام هو الإسلام ، أنواره لألاءة لا تخبو ، ومنابعه ثرة لا تنضب ؛ ولكن المسلمين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، واستعزوا بغير سلطانه فوكلهم إلى غير راحم

أشهد أن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله : رجوع إلى الله فى أمره ونهيه ، ورد الخلاف إلى تنزيله ووحيه ، وتأليف القلوب على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة . وفى يقينى أن الضال متى أدمت قدميه وعورة الطريق ، وأنهكت قواه مشقة الحيرة ، عاد يلتمس الهدى من مصدره ، ويبتغى القصد من دليله . فالإسلام كما كان المبدأ سيكون المعاد ، وكما أنقذ العالم فى الأولى سينقذهم فى الثانية . وما دام الله عز اسمه قد ختم به الوحى فلا بد أن يجدد حبله كلما رث ليعتصم به اللاجئ ويجتمع عليه الشتيت ويفىء إليه الشارد .

إن آية الهجرة التى ظهر بها الإسلام وعلا فيها الحق هى الإخلاص للعقيدة والتضحية للمبدأ والمصابرة فى الجهاد والمؤاخاة فى الله ، وهذه الصفات التى زود الله بها رسوله الكريم لتبليغ رسالته وتمكين أمره ، هى عدة كل دعوة ووسيلة كل نهضة ؛ وبدونها لا يتفق رأى ولا تجتمع كلمة ولا تؤدى سياسة . (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون . يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) أسأل الله للمسلمين عامة ولهذا البلد خاصة هدياً وسداداً ، وعوناً وإسعاداً ، وألفة واتحاداً ، إنه واسع الفضل عظيم الطول سميع الدعاء .

محمد مصطفى المراغي

لهم قوة فهل يعرفونها ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

العصر الحاضر من العصور التي اشتد فيها الاهتمام بالعالم الاسلامي بين جميع الدول الكبرى

لأن هذه الدول على وشك القتال ، وتعلم كل منها ولا ريب أنها غانمة رابحة ، وأنها كبيرة الأمل في النصر إذا ظفرت من اليوم بمودة الشعوب الاسلامية ؛ وهي موزعة في المواقع التي تحوم حولها المطامع وتتأشب فيها النزاع

فاليابان تنادي بمبدأ « آسيا للأسيويين » وتعني بذلك أن « آسيا لليابانيين » وتعرف ما تكسبه في أسواق التجارة وفي ميادين الحرب إذا هي استمالت إليها مسلمي الصين والهند وما وراءها من أواسط آسيا ، فضلاً عن المسلمين في جزر الهند ، وهم أصحاب شأن عظيم في تلك الأرجاء

والولايات المتحدة لا يسعها أن تنسى الاهتمام بشيء يهتم به اليابانيون ، وبخاصة كل شيء تكون له علاقة بالصين والفلبين وشواطئ المحيط الهادي في عدوتيه

والدولة الشيوعية الكبرى — وهي الروسيا — تقف لليابان بالمرصاد في القارة الآسيوية ، وتتودد إلى المسلمين هناك ، وهي حائرة لا تدري هل تهدم الشعائر الدينية تطبيقاً لمذهبها فتغضب المسلمين وتدفع بهم إلى أحضان خصومها ، أو تبقى على الشعائر الدينية فتغضب دعاتها ولا تستطيع التوفيق بين براجها في الأرض الروسية وبراجها في البلاد التي تصاقبها وتبادلها المعاملات التجارية والسياسية .

ولا تتخلف « الفاشية » في المضمار ، بل يبرز على رأسها « موسوليني » منادياً بأنه « حامي » الإسلام ونصير المسلمين ، ولو كان على نصيب من « الخلق الاستعماري » أوفى من هذا النصيب لعلم أن الإيمان بالدين وقبول حمايته من غير أهله نقيضان في المنطق والشعور على السواء ، ولاسيما من وجهة النظر الإسلامية التي تفرض على المؤمن بها حماية نفسه في وجه المغيرين عليه

أما الدول الديمقراطية فهي تقابل المساعي اليابانية والمساعي الشيوعية والفاشية بالتوجس والحيطة ، وتريد أن تقاومها فتعمد إلى عقد المحالفات وفض المشكلات وتوحيد المصالح بينها وبين العالم الاسلامي في حالتي الهجوم والدفاع ، وتفتح لها الطريق في هذا المجال بريطانيا العظمى ثم الجمهورية الفرنسية

والعالم الغربي يعتقد اليوم أن « العالم الإسلامي » يتحفز ويتوثب ، وأنه قوة رشيدة لا تعامل معاملة القاصر التابع لغيره ، ولا مناص من حسبان حسابها لمن تربطه بها علاقة قريبة

كتبت مجلة « التاريخ الجاري » في عددها الأخير مقالاً جعلت عنوانه : « محمد يتهيأ للعودة » وعقبت ذلك بعنوان آخر فحواه أن المسلمين رقدوا خمسمائة سنة وهم يتحركون الآن ويتوثبون إلى السلطان

ثم قالت : « في جزائر الفليبين وفي الجامعات المصرية ، في قصور الملوك الشرقيين وفي خيام التتار المترحلين ، على كراسي البرلمان اليوغسلافي وبين أكواخ الزنوج عند الشاطئ الذهبي ، في آجام أفريقيا وفي صحارى آسيا ، يترقب المسلمون كل يوم بل كل ساعة مطلع المهدي الذي يتجسد فيه محمد عليه السلام ، وقد تيقظت قوة الاسلام واتخذت لها شكلا سوياً في عالم السياسة ، ولا تزال « التعاليم المحمدية » سارية منتشرة بين الشعوب الملونة التي تجد من المقاربة بين إدراكها وبين هذا النوع من التوحيد ما ليست تجده في المسيحية أو اليهودية . وهنالك عامل آخر من عوامل هذه الحركة وهو إخصاب الشعوب الإسلامية وتوالدها . فإن الشعوب البيضاء تصاب بالعقم وقلة النسل بينما يتوالد المسلمون كالأرانب ! »

وعلى هذا الاهتمام باليقظة الإسلامية. وهذا الإيمان بقوتها هل تراهم يعرفون الحقائق عن الإسلام أو عن أخبار المسلمين الجوهرية ؟

إن مجلة « التاريخ الجاري » من أوثق المجلات الأمريكية خبراً وأصدقها بحثاً ، ومع هذا ترى الخلط فيها بين نهضة الاسلام وبين ما تسميه انتظار المهدي الذي يتجسد فيه محمد عليه السلام

وترى قبل ذلك أنها تمهد لمقالها فتقول : « في كل يوم من أيام الجمعات يقف خمسة وعشرون ألفاً من رعايا الولايات المتحدة خاشعين مكتوفي الأيدي متوجهين إلى الشرق يصلون إلى الله ويسألونه قرب ظهور المهدي المنتظر . فإن أبناء الإسلام هؤلاء قد حافظوا على عقيدتهم الغامضة في رجعة مسيحهم كمحافظة المائتين والخمسين مليوناً من إخوانهم الموزعين بين مراكش وجزائر سنداي وبين مدغشقر وأرض المغول » .

فأين العلم بالإسلام وبنهضة المسلمين ممن يكتبون هذه الكتابة وهم يحسبون بين أبناء وطنهم ممن يحسنون الخوض في هذه الشؤون ؟

على أن الجهل بالأخبار الواقعة لا يقل عن الجهل بالعقائد النفسية والشعائر الدينية ، فقد كتبت مجلة أمريكية أخرى اسمها « أخبار الأسبوع » تقول بعنوان : (الخليفة فاروق) :

« لما دخلت تركيا الحرب في سنة ١٩١٤ أعلن السلطان عبد الحميد (هكذا) باعتباره خليفة المسلمين الدعوة إلى الجهاد أو الحرب المقدسة على الحلفاء الكافرين ، وقد فشلت هذه الدعوة ولكنها كلفت بريطانيا العظمى وفرنسا وهما تحكمان مائة مليون وستة ملايين من المسلمين نفقات جمة في مقاومتها بدعوة أخرى ، وبذلت الدولتان تلك النفقات وهما خائفتان .

« ثم ألغى كمال أتاتورك الخلافة في سنة ١٩٣٤ بعد إقصاء السلطان .

« ثم قام موسوليني ينادي بأنه حامي الإسلام ويستثير العرب على بريطانيا العظمى في فلسطين وغيرها من البلاد . وشاع أنه أراد بعض حكام العرب من أصدقائه على أن ينصب نفسه للمبايعة بالخلافة ، وإن كان الأمل في نجاح الجهاد اليوم أضعف من ذلك الأمل في سنة ١٩١٤ مكتفياً بما تستطيع تلك الخلافة من المضايقة في بعض الأحوال » .

وبعد أن أشارت المجلة إلى منافسة بريطانيا العظمى في هذه الحلبة قالت ما خلاصته أن صاحب الجلالة الملك فاروق بويع في الأسبوع الماضي بالخلافة في مسجد قيسون العظيم ، وأن خمسمائة ضابط هتفوا فجأة للخليفة الفاروق ! وأن أمراء العرب شهدوا ذلك الحفل كأنما كان شهودهم إياه من قبيل المصادفة .

***

هذه أمثلة من جهلهم بعقائد المسلمين وأخبار بلاد المسلمين ، وهم يهتمون جد الاهتمام بنهضة المسلمين .

ويرجع هذا الخلط إلى أسباب : بعضها مقصود ، وبعضها غير مقصود .

فمن الأسباب ما هو مقصود لأغراض سياسية أو تجارية كتمثيل المسلمين في صورة تسوغ للدول المستعمرة أن تعاملهم معاملة المتأخرين الذين لا يصلحون لقوانين الحضارة وقواعد الحرية .

ومن الأسباب ما هو مقصود لأغراض فنية ونعني بها الرغبة في التأثير والإغراب وتشويق القارىء إلى العجائب التي لا يألفها في بلاده وبين أبناء وطنه . ومن الكتاب الغربيين من يتعمد التحريف في أخباره لأنه يخشى أن « يخيب أمل » القراء فيه إذا أصغوا إليه ليحدثهم عن شعوب الشرق وأحوال الإسلام فإذا هو يحدثهم بما يألفونه ولا يستغربونه ولا يحققون به تلك الصور المزخرفة التي طالما تخيلوها وحلموا بها وهم يقرأون ألف ليلة وليلة ويستعيدون ما نقل إليهم من أقاصيص الرحالين في الزمن القديم .

أما غير المقصود من الأسباب فنشأه قلة الاكتراث وصعوبة البحث وعزلة المسلمين في العصور الماضية وسماع أخبارهم من جهلاء بينهم لا يفقهون أسرار دينهم ولا يبالون ما يهذرون به عن عقائدهم وعاداتهم ولا يدركون الفرق بين ما تعودوه ودرجوا عليه وبين ما هو من حقائق الإسلام وشعائره الصحيحة .

على أن الذي يعنينا حق العناية هو أن نعلم نحن حقيقة

الغربيين ، لا أن يعلموا هم حقيقتنا ، وينفذوا إلى الصحيح من أخبارنا ومقاصدنا ، وإن كان علمهم بهذا نافعاً لنا كما تيسرت وسائله فى أيدينا .

والذى يبدو لنا من العلم بحقيقة القوم أن العالم الإسلامى خليق أن يعامل كل من يعامله منهم على سنة الإنصاف والمنفعة المأمونة العواقب ، وكل ما ينبغى أن يحذره هو الإصغاء إلى دعاة الشيوعية والإصغاء إلى دعاة الفاشية ، وأن يكون ذنبا فى أعقاب الديمقراطية ، فإذا استطاع أن يمشى مع الأمم الديمقراطية الحرة فى الطليعة فلا عليه بعد ذلك أن يعامل من يشاء على سنة الإنصاف والنظر البعيد إلى عواقب الأمور .

عباس محمود العقاد

عمر فى بيت المقدس

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

هذا عام ستة عشر من الهجرة ، وقد انساحت جيوش المسلمين فى الشام والعراق وفارس ، وألقت أقاليم الشام بالمقاليد إلا فلسطين . وأبو عبيدة ابن الجراح يحصر بيت المقدس ، وقد ملأ الأسماع والقلوب بأس المسلمين وعدلهم ووفاؤهم .

عزم أهل البيت المقدس أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، فى عهد المسلمين وحمايتهم وعدلهم ، ورغبوا أن يكون صاحب عقدهم عمر ... عمر الذى ملأت سيرته الآفاق وسكنت إلى عهده النفوس ، واشتاقت إلى رؤيته العيون .

وفصل عمر عن المدينة فى جمع من الصحابة ومعه مولاه أسلم . خرج يغذّ السير إلى الشام ليتفقد أحوال المسلمين ، ويصالح أهل فلسطين ...

ويمضى فى طريقه حتى يبلغ أيلة . وينتظر الناس موكب أمير المؤمنين يحسبون أنه سيطلع عليهم فى زينته يحيط به جنده ورجاله . والذى رأى منهم هرقل حين فتح بيت المقدس قبل عشر سنين ، أو شهده من بعدٌ فى حلّ أو ترحال ، تخيّل عمر قادماً فى موكب كموكب هرقل أو فى موكب دونه ولكنه موكب ملك أو أمير

ولما دنا عمر من أيلة تنحى عن الطريق وتبعه غلامه فنزل فمشى قليلاً « ثم عاد فركب بعير غلامه وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه » . وكأن عمر خاف أن يداخله الزهو وهو على مركبه فى غير زينة فآثر أن يشعر نفسه أنه وخادمه سواء فتحول إلى رحل غلامه . فلما تلقّاه أوائل الناس قالوا : « أين أمير المؤمنين ؟ قال : أمامكم (يعنى نفسه) . وذهبوا إلى أمامهم فجازوه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها . وقيل للمتلقين : قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها . فرجعوا إليه »[1]

ونظر الناس إلى رجل طويل جسيم أصلع أشقر شديد الحمرة كثير السبَلة[2] فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة رجل لا تقع العين منه إلا على الوقار والتواضع والشدة فى الحق والرأفة بالضعفاء . رأوا ملكاً فى زى ناسك ، وراعى أمة فى صورة راعى ثلة . رأوا إنساناً لا تفقد فيه الإنسانية حقيقة من حقائقها ، ولا يصيب فيه الجبروت باطلاً من أباطيله .

اجتمع الأساقفة والرهبان يرون رجلاً فى يده الدنيا ولكنها ليست فى قلبه ، يملكها ولا تملكه ، ويصرّفها ولا تصرّفه ، ويستعبدها ولا تستعبده . وليس شيئاً أن تكون زاهداً فى صومعة ولكن العظمة كلها أن تكون زاهداً والدنيا تحت قدميك .

« ودفع عمر قميصاً له كرابيس قد انجاب مؤخَّره عن قعدته من طول السير ، إلى الأسقُف وقال : اغسل هذا ورقعه . فانطلق الأسقف بالقميص ورقعه ، وخاط له آخر مثله فراح به إلى عمر ؛ فقال : ما هذا ؟ قال الأسقف : أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته ؛ وأما هذا فكسوة لك منى . فنظر إليه عمر ومسحه

(١) الطبرى حوادث سنة ١٧ (٢) طرف الشارب

ثم لبس قميصه وردّ عليه ذلك القميص . وقال : هذا أنشفهما للعرق[1] » .

— ٢ —

وسار عمر حتى نزل الجابية في وسط الشام التي غلب عليها هرقل ، ولكنه دخل الجابية كما دخل أيلة . قدم « على جمل أورق تصطفق رجلاه بين شعبتي رحله بلا ركاب . وطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف ، هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل . حقيبة نمرقة أو شملة محشوة ليفاً هي حقيبته إذا ركب ، ووسادته إذا نزل ، عليه قميص من كرابيس . الخ[2] »

وجاءه رجل من اليهود ، وكان اليهود يرقبون روح الله بأيدي العرب ، ويدعون الله أن يفرج كربهم ويذهب عنهم جبروت الروم بأيدي المسلمين . قال اليهودي : السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء

وأقبل وفد بيت المقدس إلى الجابية فصالحوا ، وكتب لهم عهد شهد فيه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن ابن عوف ومعاوية بن أبي سفيان . وأعطوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وألا يكره أحد على الدين أو يضار في شيء .

وأزمع أمير المؤمنين السير إلى بيت المقدس فإذا فرسه يتوجى[3] فأتى ببرذون فركبه ومشى البرذون مشيته فأسرع وهزّ راكبه فرأى عمر فيها خيلاء فنزل وضرب وجهه وقال : لا علّم الله من علّمك ، هذا من الخيلاء

— ٣ —

دخل عمر بيت المقدس لا مدمّراً مخرّباً كما دخلها بختنصر ، ولا مضطهداً أهلها كما دخلها الرومان من قبل ، ولا مزهواً بفتحه كما دخلها هرقل قبل عشر سنين بعد أن غلب الفرس على الشام ، ولكنه دخل رافعاً لواء التوحيد والعدل والأخوة العامة والرحمة الشاملة . دخل المدينة فسار إلى المسجد ليلاً ومضى إلى محراب داود فصلّى فيه . وطلع الفجر بعد قليل ودوّى الأذان في أرجاء المدينة المقدسة لأول مرة — صيحة الحق في أعقاب الباطل المهزوم ترفعها تباشير الصبح في أخريات الظلام . وشهد الله لقد كانت فاتحة الخير والسلم والكرامة لبيت المقدس ومن فيه .

وقرأ عمر في الركعة الأولى سورة (ص) وسجد حين قرأ آية السجدة : « وظن داود أنما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب » . ثم قرأ في الركعة الثانية أول سورة الإسراء — سورة بني إسرائيل وفيه وصف ما أصابهم على يد البابليين

ثم تقدم إلى الكناسة — الكناسة التي تراكمت على البيت حين أخرب وهجر والتي عجز اليهود أنفسهم عن إزالتها حين ملكوا أمر البيت — تقدم إلى الدِّمنة المكدّسة على الحرم — تقدم عمر ليزيلها عن البيت كما أزال عن أهله الظلم والقسوة . تقدم أمير المؤمنين وحثا وقال : « أيها الناس اصنعوا كما أصنع وحثا في فرج من فروج قبائه » ؛ وإنما فعل عمر ما فعل تكريماً للبيت وتطهيراً وإيذاناً بهذا العهد عهد الطهارة والكرامة

وكبّر كعب الأحبار وكبّر الناس معه . قال عمر : ما هذا ؟ قال : كبّر كعب وكبّر الناس . قال : عليّ به . فقال كعب : « يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ بما صنعت اليوم نبيّ منذ خمسمائة سنة . فقال : وكيف ؟ فقال : إن الروم أغاروا على بني إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ، ثم أديلوا فلم يفرغوا له[1] حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني إسرائيل ؛ ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت[2] ، فبعث الله نبياً على الكناسة فقال : أبشري أوري شلم ! عليك الفاروق ينقّيك مما فيك . أتاك الفاروق في جندي الطيع ، ويدركون لأهلك بثارك في الروم[3] »

لقد لبث اليهود خمسمائة سنة ينتظرون أن تطلع شمس الإسلام ، ويأتي الفاروق ليحثو التراب في قبائه ويأمر الناس بتطهير البيت المقدس

وما فقدوا رعاية الإسلام من بعدها ، إلا تسعين عاماً غلب فيها أهل الصليب فأصاب البيت المقدس ما أصابه حتى استرجعه رجل من رجال المسلمين ، ملك تشبه بعمر بن الخطاب في الإشادة بعدل الإسلام ومرحمة الإسلام . رحم الله صلاح الدين يوسف ابن أيوب

ولكن بني إسرائيل حين رأوا الزمان ينبخ على المسلمين بكلكله لم يأنوا عوناً للعرب والمسلمين ، ولم يذكروا فضل الإسلام ولا حفظوا يد عمر ، ولا اعترفوا برعاية المسلمين وحمايتهم ثلاثة

(١) كان قميص عمر من الكرابيس أي القطن وكان الأسقف قدم إليه قميصاً ناعماً وفي بعض الروايات أنه من كتان فلم يرضه عمر

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزي

(٣) الوجى : العرج من الحفا

(١) غلب الفرس على آسيا الصغرى والشام ومصر أيام كسرى برويز إلى أن استردها هرقل ؛ وهي الحوادث التي أشير إليها في سورة الروم

(٢) الطبري حوادث سنة ١٥

(٣) يعني رجعت الدولة لليهود فلم يفرغوا لإزالة الكناسة عن حرمهم

عشر قرناً، بل جاءوا يجزون الحسنة بالسيئة، ويعينون الخطوب على الذين دفعوا عنهم الخطوب، ويناصرون الأعداء على الذين أنقذوهم من الأعداء، ويعالنون الذين دفنوا بيت المقدس على الذين رفعوا عنه التراب والرجس والهوان

وليت شعري ماذا ينقمون من المسلمين والعرب؟

«يا أهل الكتاب هل تنقمون منّا إلا أن آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم»؟

«يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون»

عبد الوهاب عزام

من الفتوة العربية

الشاعر الفارس

أبو محجن الثقفي

للأستاذ أحمد حسن الزيات

— ١ —



كانت (المدينة) يومئذ عاصمة الإسلام، وعمر الجبار العادل يحمل بيده القوية مشعل محمد فيرسل أضواءه السماوية إلى الجهات الأربع، والفرسان المسلمون في القادسية يثلّون العرش المجوسي ليقيموا على قواعده الكسروية منبر الهدى والسلام. وكانت الجزيرة العربية لا تزال معلقة بين السماء والأرض، ترفعها الروحية الإسلامية إلى أعلى، وتجذبها المادية الجاهلية إلى أسفل. وكانت مدن الحجاز الثلاث: مكةُ والمدينة والطائفُ مظهرَ الفتوة العربية، لأنها مجمع السيادة والقوة، ومنبع الرفاهة والثروة. والفتوة العربية وإن جمعت أطراف المروءة كانت تدور على ثلاثة الشاعر الشاب طَرَفة، وهي الحب والشرب والحرب، ثم تصوير كل أولئك بالشعر الغنائي الرقيق. ولم تستطع هوادة الإسلام ولا صرامة عمر أن تكفكفا نوازي الهوى في نفوس نشأت على فتون الجهالة ومَرَح الشِّرك؛ فكان في أبطح مكة، وعقيق المدينة، وغزوان الطائف «مساحبُ من جَرِّ الزِّقاق على الثرى» لا تزال معطرة الأديم بمناجاة الحب، ومطارحة الشعر، ومناقلة الحديث. وكان وادي العقيق في العاصمة المنورة قلما يفيض دون أن تنتظم على حواشيه الخضر مجالس الشراب وسوامر الأحباب يتساقون في غفلة العيون كؤوس الراح والصبابة؛ ولكنهم ما كانوا يستطيعون أن يغيبوا عن عيون العَسَس[1] ولا أن يفلتوا من يد الخليفة مهما تستروا بالليل وتحصنوا بالبعد

***

في صبوة من هذه الصبوات الليلية الجاهلية قبض العسس العُمَري على الشاعر الفارس أبي محجن وهو عائد في ندماه من العقيق يتأوّح من السكر وينشد في تطريب وهزّة:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة ... تُرَوّي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

وأبو محجن – إن كنت لا تعرفه – رجل من سروات ثقيف، درج في رياض الطائف وكرومه، ونشأ على فتوة أهله وصبوة شبابه؛ فهو رضيع كأس، وتبّع نساء، ومسعِّر حرب، وصناجة شعر، وصنو مروءة. أسلم هو وقومه في أخريات الناس حين لم يكن من الإسلام بد، ودخل في دين الله بما ورث وكسب من عادة الجاهلية، فأخذ يروض نفسه الصعبة على الوقوف عند حدود الله، فكان يخفق مراراً وينجح مرة، حتى أقنعه اليأس آخر الأمر

(١) العسس: شرطة الليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة

أن لا بأس من الشراب ما دام يطهره الحد(١)، وأن لا تضير من الحب ما دامت تمحصه التوبة !

على ذلك عشق (شموس) الأنصارية وركب إلى رؤيتها المحظورة شيطانه المحتال ، فتزيا بزى فلاح وعمل أجيراً فى بستان يطل على دارها ، فكان ينعم بالنظر والسمع ، وربما تمتع بالسلام والحديث ، ثم يعود فيسلسل الماء بين البقول والزهور ويتغنى بمثل قوله :

ولقد نظرت إلى شموس ودونها ... حرجٌ من الرحمن غير قليل

وعلى ذلك أيضاً كان يتبع هو وندماءه رياض الأرض ، يشربون ويطربون ثم يرجعون إلى المدينة نشاوى من القصف والعزف فلا تنم عليهم عين ولا يشى بهم لسان ، حتى ولى الخلافة الفاروق فطارد الجريمة فى كل مكان ، وهاجم الرذيلة فى كل مكمن

— ٢ —

دخل المسس بأبى محجن وندمائه على عمر ، فسألهم :

— أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ؟

فأجابه لسان القوم أبو محجن :

— كيف حرمها الله يا أمير المؤمنين وهو يقول : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ؟

فوقف صاحب رسالة القضاء من حجة الشاعر موقف الحائر ؛ ثم التفت إلى من حوله من صحابة الرسول يستمد رأيهم فى الأمر فاختلفوا فيه . فأرسل إلى علىّ مرجع الفتوى وفيصل الحكم يستشيره ، فقال : « إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير . وأرى إن كانوا قد شربوا الخمر مستحلين أن يقتلوا ، وإن كانوا شربوها مستحرمين أن يُحدُّوا . فسألهم عمر ، فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام ، ولكننا قدّرنا أن لنا فيما قال نجاة . فجعل يجلدهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إلى أبى محجن ، فلما جلده جعل يقول :

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى ... ولست عن الصهباء يوماً بصابر

رماها أمير المؤمنين بحتفها ... فخلانها يبكون حول المعاصر

فقال له عمر : قد أبديت ما فى نفسك ، ولأزيدنك عقوبة لإصرارك . فقال الإمام علىّ حجة القضاء وولى العدل :

— ما ذلك لك يا عمر . وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال الله فى الشعراء : وأنهم يقولون ما لا يفعلون . فقال عمر : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فقال على : أهؤلاء عندك منهم ؟ لقد سمعت الرسول (ص) يقول : لا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن .

نجا أبو محجن وما نجا . فإنه أصر على ألا يترك الخمر مخافة العقوبة ، وأصرّ عمر على أن يجلده كلما شرب ، حتى أعيا الخليفة أمره وأعجزه صلاحه ، فقرر أن ينفيه إلى جزيرة كان ينفى فيها الخلعاء ، ووكل به شرطياً يصحبه إلى المنفى وأوصاه ألا يدع معه السيف فإنه كمىٌّ فاتك . وعلم أبو محجن بالحكم والوصية ، فتزود بغرارتين ملئتا دقيقاً ، ثم عمد إلى سيفه فجعل نصله فى غرارة ، وغمده فى غرارة . فلما بلغ هو والشرطى ساحل البحر قعدا للغداء ، وفتح الغرارة يوهم أنه يخرج الدقيق ولكنه أخرج السيف ! فلم يكد الشرطى يراه فى يده حتى انطلق يعدو إلى بعيره فنجا به إلى المدينة بعد لأى .

وقال الشاعر لنفسه بعد تفكير وتدبير وعزم : لا ينبغى أن يكون المفر من عمر فى الحجاز إلا إلى سعد فى العراق .

— ٣ —

وفد أبو محجن على فاتح العراق سعد بن أبى وقاص يوم الكتائب من أيام القادسية ؛ وكان سعد قد تلقى من أمير المؤمنين الساهر اليقظ كتاباً يأمره فيه بحبس الشاعر ساعة يفد . ودارت رحى الحرب بين العرب والفرس وأبو محجن مقيد فى قصر القائد ، فما كاد يسمع وغاها حتى عصفت النخوة فى رأسه ، وثارت الحمية فى نفسه ، واضطرب فى حبسه اضطراب الأسد فى قفصه . ثم زأر بهذه الأبيات على مسمع من سلمى زوج سعد :

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً علىّ وثاقيا

(١) الحد : عقوبة الجلد المقررة على الشارب

إذا قمت عناني الحديد وغُلّقت — مصاريع من دوني تُصم المناديا
هلم سلاحي لا أبالك إنني — أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
ولله عهدٌ لا أخيس[١] بعهده — لئن فرجت ألا أزور الحوانيا[٢]

ثم قال يا سلمى : هل لكِ من خير إلى ؟ فقالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عني وتعيرينني البلقاء فرس سعد ، ولله عليّ إن سلمتُ أن أرجع حتى تضعي رجليّ في القيد . فترددت سلمى حتى تبينت الصدق في قوله فأطلقته . وركب أبو محجن البلقاء ثم دب عليها ؛ حتى إذا تنفس الصبح وأشرق يوم أرماث واصطف الناس ، حمل على ميسرة العدو حملة صادقة فانخلعت لها القلوب ، وانخرعت منها الفيلة ، وتضعضعت أمامها الفرس . وعجب العرب أن يكون فيهم هذا الفارس ولا يعرفونه ، حتى قال أحدهم : إن كان الخضر يشهد الحرب فهو صاحب البلقاء . وقال آخر : لولا أن الملائكة لا يقاتلون ظاهرين لقلنا هذا ملَك . وجعل سعد يقول وهو يشرف على المعركة : الطعن طعن أبي محجن ، والضبر[٣] ضبر البلقاء ، ولولا محبسه لقلت إنه هو !

وانتصف الليل فتحاجز العسكران ؛ وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع رجليه في القيد !

وكانت سلمى قد رأت فعله وسمعت قوله فأعجبت بإبائه ووفائه وبطولته . ثم دخلت على سعد وكانت مغاضبة له ، فصالحته وأخبرته بخبر أبي محجن ، وسألته أن يطلقه . فاستخف سعداً ما رأى من فتوة أبي محجن ورضا زوجه ، فدعاه وقال له وهو لا يزال في حماسة الإعجاب ونشوة الغبطة : والله لا أحبس بعد اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه هذا النصر ، ولا أعاقبه إذا شرب . فقال له أبو محجن وقد بدت على محياه سمات النبل ودلائل المروءة :

— وأنا والله لن أذوقها بعد الساعة . لقد كنت أشربها أنفةً من أن يقولوا خاف الحد ، فأنا اليوم أتركها رغبة في أن يقولوا خاف الله !

احمد حسن الزيات

(١) خاس بالعهد : نكث
(٢) حوانيت الخمر
(٣) ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب



لم يرو لنا التاريخ أن النبي عرف امرأة أو تحرك قلبه لامرأة قبل خديجة. فلقد كانت حياته حتى الخامسة والعشرين حياة الشاب الهادئ البعيد عن النساء ، العاكف على عمله ، يرعى الغنم في الفلاة ويلجأ إلى التأمل العميق . فلم يكن للهو والمرأة حتى ذلك الوقت مكان من اهتمامه أو تفكيره . كل ما ورد مع ذلك من أخبار لهو الشباب أنه قال ذات ليلة لفتى من قريش كان معه بأعلى مكة يرعيان غنم أهلها : « أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان » . ثم خرج . فلما جاء أدنى دار من دور مكة سمع غناء وصوت دفوف ومزامير ، فجلس يلهو بذلك الصوت حتى غلبه النعاس فنام في مكانه ولم يوقظه إلا مس الشمس. فرجع إلى صاحبه فسأله: « ما فعلت؟ » فأخبره بما كان . وكان هذا شأنه في كل ليلة من مثل هذه الليالي

كانت العفة المطلقة إذن هي صفته الغالبة ؛ وكان الزهد والحلم والصبر والتواضع ما ميزه عن بقية الشبان ، وما جعل قومه يسمونه « الأمين » .

فما الذي كان يشغل رأس الشاب محمد في تلك السن ما دام اللهو والمرأة لا محل لها عنده ؟ أتراه كان يحس في قرارة نفسه بمصيره العظيم ؟ نعم .

ولعل هذه الفكرة تملكت كيانه وطغت على كل شبابه فلم تتسع حياته في ذلك الوقت لشيء آخر.

لقد كان هذا دائماً شأن أغلب أولئك الذين انتظرتهم أقدار عظام، وتملكتهم منذ شبابهم مثل عليا وأحلام، عمرت كل أعوام شبابهم وخلت فيها محل اللهو والمرح.

إن كل شاب يعيش مع شبح امرأة جميلة إلا الشاب الموعود برسالة عظمى فهو يعيش دائماً مع شبح المجد المنتظر.

لعل هذا يفسر لنا بعض الشيء حياة الفتى محمد حتى الوقت الذي التقى فيه أول امرأة أحبها «خديجة». وإنا لو تأملنا الأمر ملياً لتبين لنا أنه لم يكن البادئ بالحب. كل شيء يدل على أن الزواج لم يخطر له على بال، والزوجة والمرأة آخر ما كان يفكر فيه وقتئذ، فلقد كان يسير في طريق تأملاته الداخلية وأحلامه العلياء وكأنه لا يمشي على هذه الأرض إلى أن لحظته خديجة ذات يوم ولمست كتفه فأفاق قليلاً ورفع عينيه إليها.

نعم. إنها هي التي كانت ترقبه منذ زمن؛ وإن لشعورها نحوه جذوراً ممتدة في أغوار قلبها، امتداد عرق الذهب في المنجم العميق. فما مبدأ هذا الشعور؟ لعله ذلك اليوم الذي احتفلت فيه نساء قريش بعيد لهن، وكانت خديجة بينهن عند وثن من الأوثان فبرز لهن أحد اليهود ونادى بأعلى صوته: «يا نساء تيماء! إنه سيكون في بلدكن نبي يقال له محمد، فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجاً فلتفعل!» فقذفته النساء بالحجارة وقبحنه وأغلظن له، إلا خديجة فإنها أطرقت، وكأن شيئاً وقع في نفسها من كلامه.

ثم حدث بعد ذلك أن خديجة — وقد كانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام وتستأجر من أجلها الرجال — أرسلت الشاب «محمداً» في تجارتها وضاعفت له الأجر وأرسلت معه غلامها ميسرة، فعاد رابحاً ضعف ما كانت تربح التجارة على يد غيره، لأمانته واجتهاده.

وقص عليها عندئذ غلامها «ميسرة» وقد راقب محمداً في رحلته ما رآه من خلق هذا الشاب المستقيم الأمين، ولعله أخبرها فيما أخبر أن أحد الرهبان قابله، وأنهما تذاكرا ملياً في أمر النبي الموعود المسمى «محمد» كل هذا مع ما تشبعت به الأذهان من أساطير النبوة المنتظرة قد ألقى في روع خديجة أنها أمام شاب لا يبعد أن يكون هو النبي الموعود.

فإذا أضفنا إلى كل هذا أن محمداً كان فتى في الخامسة والعشرين كريم الخلق جميل المنظر، وأن خديجة كانت امرأة في الأربعين، أدركنا أن مثلها كان لا بد له أن يحب مثله. وهل يمكن أن نسمي هذا الشعور باسم آخر غير «الحب»؟ ذلك الذي يدفع امرأة ذات شرف وثروة أن تبدأ هي الخطوة الأولى نحو فتى فقير يتيم؟ هي التي قد تقدم إليها أكرم رجال قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً، طلبوها وبذلوا لها الأموال فلم تلتفت إليهم، وأرسلت بابنتها «نفيسة» دسيساً إلى الشاب محمد تعرض عليه يدها - منبع الحب إذن كان قلب «خديجة»، ولقد كان هذا الحب سامياً قوياً عظيماً فاستطاع أن يفتح قلب محمد وأن يملأه كل تلك الأعوام التي عاشتها خديجة، بل إن الحب لم ينطفئ بموت خديجة، ولقد ظل مكانها من قلبه قائماً دائماً لم تستطع قط امرأة أن تزاحمها فيه.

هذا هو حب محمد الأول، وتلك ناحية من نواحي الفضل المجهولة لم يذكرها الناس كثيراً لخديجة بما هي أهله من التكريم والتمجيد.

توفيق الحكيم

قرش فلسطين

دعت جمعية الشبان المسلمين إلى التبرع بقرش لإغاثة منكوبي فلسطين، وستجمعه قريباً. فباسم الإسلام الذي يحض على التعاون، والعروبة التي تدعو إلى النجدة، والمروءة التي تعطف على المظلوم، والإنسانية التي تحدب على المنكوب، تدعو الرسالة كل إنسان أن يسارع إلى بذل هذا القرش الصغير في سبيل هذا المسعى الكبير.

أعظم يوم في تاريخ العالم

للأستاذ عبد العزيز البشري



لاشك عندى فى أن أعظم يوم فى تاريخ العالم على الإطلاق ، هو اليومُ الذى هاجر فيه محمدٌ (ص) وصاحبُه من مكةَ إلى المدينة . فإذا كنتَ فى حاجة إلى دليل ، فسيطالعك بعد قليل .

يرى المستعرضُ لتاريخ الأديان ودعوةِ الرسل أنها جازت بمراحل ثلاث ، طوعاً لتطوّر الإنسان من البساطة والغفلة والوحشية إلى أن أصبح كفؤاً للحياة المفكّرة المدبّرة التى تطلب السموّ ، وتنشد السعادة فى ظلّ الأمن والنظام .

الطور الأول :

ففى الطور الأول كانت بعثة الرسل مقصورةً على الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله ، والأمر بأمهات الفضائل ، والنهى عن كبريات الرذائل ، كما كان وعيد المخالفين الكائدين وتعذيبهم وإرسال العبرة بهم بالغاً غايةَ الروعة فى الفتك والعصف والتنكيل .

فلقد أهلك الله قوم نوح ، بعد إذ عصَوْه وتحدَّوا دعوته ، بإغراقهم أجمعين . قال تعالى : « حتى إذا جاء أمرُنا وفار التنورُ قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القولُ ومَن آمن ، وما آمن معه إلاَّ قليل . وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ، إن ربى لغفورٌ رحيم . وهى تجرى بهم فى موجٍ كالجبال ، ونادى نوحٌ ابنه ، وكان فى معزلٍ ، يا بنىَّ ، إركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبلٍ يعصمنى من الماء . قال لا عاصمَ اليومَ من أمر الله إلاَّ من رحم ، وحال بينهما الموجُ فكان من المغرَقين » : (سورة هود)

ومن هؤلاء المخالفين من أُهلكوا بالريح العاصفة . قال تعالى : « وأما عادٌ فأُهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية ، سخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسوماً ، فترى القومَ فيها صرعى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية . فهل ترى لهم من باقية » : (الحاقّة)

وقال تعالى : « كذبت عادٌ فكيف كان عذابى ونُذُر ، إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمرّ ، تنزِع الناسَ كأنهم أعجازُ نخلٍ منقعر ، فكيف كان عذابى ونُذُر » (القمر)

وأما ثمود فأُهلكوا بالصواعق والزلازل . قال تعالى : « فأخذتهم الرَّجفةُ فأصبحوا فى دارهم جاثمين » (الأعراف) .

وقال تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنَوا فيها » (هود) .

وقال تعالى : « وفى ثمودَ إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ، فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقةُ وهم ينظرون » : (الذاريات) .

أما قوم لوط ، فانظر ماذا أُخذوا به من العقاب الشديد . قال تعالى : « فلما جاء أمرُنا جعلنا عالَيها سافلَها وأمطرنا عليها حجارةً من سجّيلٍ منضودٍ مسوَّمةً عند ربك . وما هى من الظالمينَ ببعيد » (هود) .

وقال تعالى : « فأخذتهم الصيحةُ مُشرقين ، فجعلنا عالَيها سافلَها وأمطرنا عليهم حجارةً من سجّيل ، إن فى ذلك لآيات للمتوسمين » (سورة الحجر) .

ونكتفى بهذا القدر اليسير فى الاستشهاد بما كان يُؤخذ به العُصاة الكائدون من ألوان العصف والخسف والتنكيل والتدمير

وقبل أن نتحول إلى الحديث فى الطور الثانى نرى من الخير أن ننبه إلى أن انقسام التاريخ إلى مراحل أو أطوار ، ليس معناه أن مرحلة تبدأ من حيث تنتهى سابقتها على الضبط والتحديد ، ولا أن التطور من حال إلى حال يحدث دفعة واحدة ، بل إن المراحل لَيتداخل بعضها فى بعض كما أن التطور لا يكون إلا بالتغير من طرفيه جميعاً بالنقص من هذا وبالزيادة من هذا ، حتى يتلاشى القديم ويحل محله الجديد ، وهكذا . وكذلك يكون التطور فى كل شىء فى هذا العالم

الطور الثانى : أما الطور الثانى فمن أظهر مظاهر الترفُّق بعض الشىء فى النُّذُر ، والتخفيف فى فنون العقوبات وسعة

الدعوة وتبسيط التشريع ، سواء في العبادات أو في المعاملات بين الناس . وفي هذا الطور أيضاً كانت تعتمد الدعوة ، بقدر كبير ، على التحدي بالمعجزات ، حتى لقد انتهى هذا الطور بكف العقوبات وتفرد المعجزات.

أما الترفق في النذر والتخفيف في ألوان العقاب ، فلقد كان هذا التخفيف يتناول الكم أو الكيف أو يتناولهما جميعاً. قال الله تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » إلى قوله « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين . ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون » سورة الأعراف .

وقال تعالى : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى . فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى » سورة طه

فأنت ترى أن ما أصاب آل فرعون من الجدب ونقص الثمرات وما أرسل عليهم من الطوفان والجراد الخ لم يبلغ من الشدة والروع بعض ما يبلغ العصف والدمدمة والخسف والتدمير . أما إغراق فرعون ومن أتبع بني إسرائيل من جنده فلعصمة الفارين من كيدهم وبطشهم ، والأمر لا يعدو هنا وقع الأذى على كل حال . على أن عددهم بالنسبة لجمهرة الكافرين الكائدين جد قليل

وأما المعجزات فحسبك منها معجزات موسى عليه السلام إذ ألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفك الساحرون ، وإذ ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً ، وإذ ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم

وحسبك منها معجزات عيسى عليه السلام . قال تعالى : « ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » . (آل عمران)

الطور الثالث : وبعد فإن بمعجزات عيسى عليه السلام ، قد ختم هذا الضرب من الخوارق التي تجري على أيدي الرسل ، يتحدون بها المخالفين المعاندين ، ويثبتون بها أن ما جاءوا به إنما هو من عند الله ، وكيف لا وقد أيدهم منها بما يخالف سنن الكون ويشذ على طبائع الخلق .

أما بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، فـفوق أنها تشارك بعثة عيسى عليه السلام في تجردها من الأحداث التي مر بك بعض وصفها ، فلا عصف ولا خسف ، ولا رياح عاصفة ، ولا زلازل مدمدمة ، ولا شيء من هذا ولا ما دونه مما يزعج النفوس ويدخل الروع على القلوب — فإن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم تمتاز بأمرين : الأول أنها لا خلاف فيها لسنن الكون ولا منافرة فيها لطبائع المخلوقات ، والثاني أنها باقية مستمرة لا تنقطع على طول الزمان . وقد عرفت من غير شك أن هذه المعجزة هي (القرآن)

وكذلك جعلت الدعوة الإلهية تتطور وتنمو بتطور الإنسانية ونموها على الأحقاب .

***

إذن لقد نضجت الإنسانية أو أصبحت على وشك النضوج ، وإذن لقد تجاوز الإنسان طور القصر وبلغ الرشد أو أضحى على شرف البلوغ

لقد أضحى الإنسان حقيقاً بأن يرفع عن نفسه الحجر ، وتطلق له حرية التصرف في استئنافه مناهج الحياة . إذ قد تهيأ له لو فكر وتدبر ، أن يعرف ما ينفعه وما يضره ، وما يسيئه في الغاية وما يسره ، وأن يميز بين ما يسعده وما يشقيه ، وما يعزه وما يرديه . فإذا اختلط عليه الأمر أو نزعت به العادة إلى الهوى ، نبه ذهنه ، وحرك فكره ، وضربت له الأمثال ، وأقيمت له الحجة يصول بها العقل كل مصال . (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

(أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأي حديث بعده يؤمنون) الأعراف

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ، فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) الغاشية . وهذان مثلان مما لا يدركه الحصر مما ورد في القرآن الحكيم

***

قومي بين الشرق والغرب

للأستاذ محمود غنيم



قومي لأنتم عبرةُ الأقوامِ ... هل تُنسبون ليافثٍ أو سامِ؟

أبناء عمي من نزارٍ ويعربٍ ... ليسوا بأعرابٍ ولا أعجامِ

يترسمون الغرب حتى يوشكوا ... أن يعبدوه عبادة الأصنام

ما قلدوهم مبصرين وإنما ... تبعوا نظامهمُ بغير نظام

للغرب عادات كغازات سرت ... في الشرق مسرى الداء في الأجسام

إني رأيت جيوشه لم تغزنا ... في الحرب بل في ملبس وطعام

لا تأمنوا للمستعمرين فكم لهم ... حرب تقنع وجهها بسلام

حرب على لغة البلاد وعادها ... ليست تُشنُّ بمدفع وحسام

والشعب إن سلبت له عاداته ... ولسانه لم يخش قطع الهام

***

ما صاغ ربك من نضار خالص ... شعباً، وشعباً من حصى ورغام

هي محض أوهام أعيذ الشرق من ... أن تعيش أسيرة الأوهام

أني أعيذ الشرق من متمسِّح ... بالأجنبي لقومه هـدَّام

إنْ لامَ عربيٌّ على أوطانه ... أنحى بلائمة مع اللوام

وإذا رنا نحو الغريب فإنما ... يرنو بمجهر راصد الأجرام

وإذا أعار بني أبيه نظرة ... فبمقلة الأعمى أو المتعامي

والعين تخدع ربها . ولربما ... خلقت عمالقة من الأقزام

هذه دعوة محمد، وقد رأيت أن ما سبقها من دعوات الرسل إنما كان مقدمة لها وطريقاً إليها

هي الدعوة التي تسمى بالإنسانية إلى غاية كمالها من طريق إيقاظ العقل، والفسح في حرية الفكر، والتي تسمى بالإنسان إلى غاية سعادته من طريق اعتناق الفضائل، والتجرد من الرذائل. فبكظم الشهوة، والعفة، والرحمة، والإيثار، تستطيع هذه المجموعة البشرية أن تعيش على الأرض ناعمة بالرغد والدَّعة والسلام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق)

ولقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم أول ما دعا، أهله وعشيرته من قريش، فكذبوه وشاقوه وآذوه، وأسرفوا في الكيد له والعَنَت عليه. وكيف له باستمالتهم على بث دعوته، ونشر رسالته التي أُرسل بها للعالمين، إذ هم أشدُّ مَن كفر بها وصدَّ عنها، وبغَّض فيها ونفَّر منها؟

ولكن يأبى اللهُ إلا أن يُتم نوره. فلقد أسلم أهلُ يثرب وآمنوا بالله ورسوله، وأعدّوا أنفسهم للذياد عن دينه مهما جشّمهم الأمر من التضحية في سبيل الله بالأموال والأنفس والأولاد.

هذا شعبٌ قويٌّ بعَدده، قويٌّ ببسالته، قويٌّ بإيمانه. يدعو الرسول ليتسلّم زمامه، ويتولى قيادته، ليثبّت من الإسلام دعامه، ويرفع أعلامه، ويَبسُط في الأرض حكمَه وأحكامَه. وكذلك يهاجر محمد في سرٍّ من معشره العاتين إلى المدينة، حيث يُعزّ الله الدين، ويُذل الشرك، ويفتح اللهُ لنبيه الفتح المبين، وينصره النصر العزيز

وتعلو كلمةُ الإسلام في العالم ويسود حكمُه أقطارَ الأرض.

ثم لا يمضي أكثرُ من قرن ونصف قرن حتى ينشئ بفضل تحكيم العقل وإطلاق حرية الفكر أزهى حضارة عرفها التاريخ، تجود في ظلِّها القرائحُ بأجدى العلوم وأندى الفنون، مما لا تزال آثاره، ولو على أيدي غير أهله، ثابتةً على وجه الزمان!

أرجو أن تكون أنت أيضاً قد آمنتَ بأن يوم الهجرة هو أعظمُ يوم في التاريخ

عبد العزيز البشري

وإذا تنكر للحمى أبناؤه   فهمو أضر له من الأخصام

* * *

ما بال بحر الروم من يجتازه   يوماً يتناسى سالف الأيام ؟
فإذا به خلق جديد . ما مضى   من عمره حلم من الأحلام
تتغير الدنيا عليه فكلها   فى عينه نقص بغير تمام
هل تغرق العادات من أربابها   فى ذلك البحر الخضم الطامى ؟
ما اجتاز شرقى عجاجة موجه   إلا وعاد مزوداً « بعذام »
إن التكافؤ فى الدماء فريضة   ولو أنها لم تأت فى الأحكام
وهو القران إذا تخالف أهله   وطناً فعقدته لغــــير دوام
كم زيجة ما زال يدمى جرحها   ومن الجروح ذوابل ودوام

* * *

لا أعرف العربى يكشف رأسه   نحو المجالس مومئاً بسلام
إن زير تخرج عرسه من دونه   للزائرين بثغرها البسام
بدوارس الأطلال يلحق أمه   ويرى أباه رابع الأهرام
يعصى الإله . فإن أشارت عرسه   بإشارة فالقول قول حذام
ويكاد يسلخ نفسه من قومه   لو تستطاع قطيعة الأرحام
ويكاد يمسخ خلقه لو كان فى   يمناه قلب معالم الأجسام

* * *

لا أعرف العربى يلوى فكه   إن هم يوماً فكه بكلام
إن فاه تسمع لكنة ممقوتة   من فيه سكسونية الأنغام
لفظاً من الفصحى وآخر ثانياً   كالقار ممزوجاً بكاس مدام
لغة إذا قرعت بجندل لفظها   أذن السميع شكت من الآلام
لهفى على الفصحى رماها معشر   من أهلها . شلت يمين الرامى
لم يهتدوا لكنوزها فإذا همو   يرمونها بالفقر والإعـــدام
الدر فى طى البحور مخبأ   والتبر - إن تنشده - تحت رجام
لن يستعيد العرب سالف مجدهم   ولسانهم غرض لكل سهام
إن يرفعوا ما انقض من بنيانهم   فالضاد أول حائط ودعام

* * *

أبنى نزار ويعرب أوصيكمو   بذخيرتين الضاد والإسلام
إن جاءكم باسم الثقافة ملحد   فى دينه فطئوه بالأقــدام
العلم وضع العالمين وإنما الأ   ديان وضع الواحد العلام
المسلمون على شتات ديارهم   فرض الإله خضوعهم لإمام
الله بالجمعات وحد بينهم   وبحج بيت فى الحجاز حرام
دين ابن عبد الله دين باسمه   قبض الرشيد على الورى بزمام
هو دولة كبرى وملك شامخ   لا محض تكبير ومحض صيام

* * *

إن يزه شرقى بغير العرب من   أجداده الأتراك والأروام
فأنا الفخور بأننى لا ينتمى   لغــير أخوالى ولا أعمامى
إن تسألوا عنى إلى من أنتمى ؟   فإلى رعاة النوق والأغنام
أبغير مجد بنى نزار ويعرب   يزهى عراقى ويفخر شامى ؟

« مدرسة الأورمان »   محمود غنيم

صيانة العقيدة المحمدية من احتيال النفوس

للأستاذ عبد الرحمن شكري



نقرأ في كتب السير عن أناس من السلف الصالح بلغت نفوسهم من الصفاء والتغلب على احتيال الأهواء مبلغاً كان للإسلام حجة أعظم من ألف حجة ودليل من الحجج والأدلة النظرية، وقد بهرت سيرتهم وقدوتهم من عرفها من غير المسلمين فأجلوا ذلك السلف الصالح من أجلها وأجلوا المسلمين من أجلهم ولو أنهم كانوا لا يؤمنون به وامتدحوه كما يمتدح الأب إذا حسنت سجايا ابنه التي بثها فيه. ولكن لا شك أن روح العقيدة الواحدة تختلف في نفوس معتنقيها باختلاف تلك النفوس؛ فإن من الناس القاسي والرحيم والكريم واللئيم والشهم والوغد والمقبل على لذات الدنيا والزاهد فيها والوفي والغادر والعالم والجاهل والذكي والغبي، وقد يعتنق العقيدة الواحدة أناس من كل هذه الطوائف ولكل منهم صفات تغلب على نفسه وتصبغ آراءه وأقواله وأعماله بلونها، وكأنه لا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يعمل إلا وعليه رقيب من تلك الصفات وهي كالقيود لا يستطيع أن يخلص منها.

والعقيدة في نفس معتنقها كالماء في الإناء يتخذ شكله؛ فإذا كان الإناء مستديراً كان الماء فيه مستديراً، وإذا كان الإناء مستطيلاً كان الماء مستطيلاً. وكذلك العقيدة تتخذ شكل النفس التي تعمرها. نعم إن العقيدة تخالط النفس والماء لا يخالط مادة الإناء ولا يحدث به أثراً؛ ولكن المشاهد المحقق أن العقيدة تؤثر في النفس بعض الأثر ولكنها لا تستطيع أن تحول طبائعها، وإلا لو استطاعت لما وجد بين معتنقي العقيدة الواحدة الطاهر البريء والمجرم الأثيم والسمح الكريم والوغد اللئيم والذكي الفهيم وذو الفهم البهيم والرحيم والقاسي الزنيم.. فالعقيدة فيما هو مشاهد في الحياة لا تحمل النفوس على أن تتخذ شكلاً واحداً بل تبقى النفوس على محامدها ومساوئها، وكما تؤثر العقيدة في النفس بعض التأثير تؤثر النفس في عقيدتها. ومهما اشتركت النفوس المتباينة في شعائر العقيدة فهو اشتراك عام لا يمنع اختلاف النفوس في تفضيل جانب على جانب ومظهر على مظهر من مظاهر الدين، فشكل العقيدة في النفس الغليظة القاسية الغبية غير شكلها في النفس الرحيمة الذكية، وتتخذ العقيدة الواحدة أيضاً أشكالاً مختلفة في الأمم والأقاليم والأزمنة المختلفة وهي عقيدة واحدة ذات شعائر ومبادئ لا تتغير. والناس قلما يلتفتون إلى فروق روح العقيدة في النفوس المتباينة، وقلما يحسبون حساباً لهذه الفروق بالرغم من أنها قد تجعل الرجلين وهما على عقيدة واحدة وكأنهما على عقيدتين بينهما من البعد مثل ما بين السماء والأرض، وإغفال هذه الفروق يؤدي إلى الاهتمام بمظاهر الدين أكثر من الاهتمام بروحه، والدين معناه في روحه الزكية، فإن رذائل النفوس قد تستولي على مبادئ الدين وتقاليده وعرفه وأخلاقه فلا تأخذ منها غير المظاهر بل إنها قد تزكي نفسها وتهون أمر تركها روح الدين وحقيقته وأخلاقه بالاندفاع في نصرة مظاهره والانفعال في نصرتها وقد يكون انفعالاً لا يخفي العقل الباطن أنه بسبب أن النفس في غيظ شديد من أن روح الدين تخالف أثرتها وفائدتها الدنيوية وأنها لا تستطيع أن توفق بين ورع روح الدين وعفته وبين مطالب الحياة فتضحي بورع روح الدين كي تنال الدنيا أو بعض مطالبها حسب استطاعتها ثم تظهر الغيرة على مظاهر الدين الذي ضحت بروحه وورعه وتغتفر تلك التضحية بتلك الغيرة، والنفس في احتيالها هذا ربما كانت معذورة إلى حد ما إذا لم تغال وتشتط وتقسو وتلؤم وتؤذي الناس كي تعذر نفسها لدى نفسها التي ضحت بورع الدين وكفافه وعفته وهي تحسب أنها إذا لم تستطع صيانة روح الدين والتخلق بورعه كي تنال رضاء الله ونعيم الآخرة فهي ربما تنال رضوانه ورحمته ونعيمه بهذا الاحتيال فتجمع إلى نعيم الأخرى الانطلاق في طلب الدنيا وتكفر عن نبذها ورع الدين

بالاقتصاص من غيرها وتجعل هذا الاقتصاص قرباناً إلى الله بدل أن تجعل قربانها الصفاء والزهد في الدنيا والعفة عما يتطلبه نيل حطام الدنيا. ولقد قلنا إننا نعذر هذه الروح ونرحمها إذا لم تشتط في هذه الخطة، نعذرها بعض العذر لضعف النفس البشرية ولضرورات الحياة وما تقهر الحياة النفس عليه من الدنايا، ولأن النفس الورعة التقية قد تتردد فيها بالرغم من ورعها هواجس وخواطر طلب الشهوات لنفسها فتحاول أن تكفر عن تلك الخواطر التي تخشاها بالقسوة على من تحسبه مثيلها، ولأن النفس قلما تفطن إلى باعثها على الانفعال في نصرة مظاهر الدين دون ورعه وتقواه، بل إنها قد تحسب أن الورع هو باعثها وإن كانت لا تتورع، وقلما تفطن النفس إلى أن بين الناس من يستطيعون الجمع بين المجون والقسوة والغناء وبين الدين وتشدان المثل الأعلى بالقول لا بالخلق، وهذه الاستطاعة من مآسي الحياة وربما كانت من ضروراتها المكروهة بسبب ضعف النفوس ونقصها وأوضاع الحياة التي تعيش فيها

فينبغي لمن يريد صيانة روح الدين والعقيدة المحمدية السمحة الرضية أن يحذر عند أدائه فروض الدين وفروض الحياة وأن يحاسب نفسه حساباً عسيراً عند أداء تلك الفروض أكثر من محاسبتها عند إهمالها لأن ألذ فرض وواجب وأطيبه لدى النفس وأحلاه عندها هو الواجب الذي يمكنها أداؤه من أن تؤذي الناس وأن تتشفى بأذاهم من متاعب الحياة وإن كانت لا تفطن إلى ذلك، وما أشد إتلاف متاعب الحياة لصفاء النفوس خفية

فالنفس قد تفضل أداء الواجب الذي يمكنها أداؤه من أذى الناس سواء أكان الذي تؤذيه عدواً أو غريباً عنها وإن كانت تفضل أذى الأول، وأسمج فرض وواجب لدى النفس وأبغضه إليها هو الواجب الذي يتطلب أداؤه ترك شيء من أطايب الدنيا المادية أو المعنوية، والنفس قلما يعوزها عذر تحول به ما تجد فيه سعادة ولذة إلى فرض وواجب.

فنصرة العقيدة الرضية الزكية وصيانة روحها وتقدمها من احتيال الروح الدنيوية تقتضي دراسة علم النفس وتطبيقه على النفوس وأعمالها وأساليبها ووسائلها واحتيالها للتوفيق بين القدسية والدنيوية ولو بمخادعة نفسها فلا شيء يقتل أمل الإنسانية في صفاء الدين وقدس فضائله من احتيال أهواء النفس على النفس وتزويرها الحقائق تزويراً يخلط بين حقد النفس الشريرة وبين الغضب المقدس للحق، ويخلط بين الباعث السامي للنفس والباعث غير السامي، ويخلط بين صيانة روح الدين وبين التكفير عن قتل روح الدين في طلب الأهواء بالانفعال في نصرة مظاهره. ومن قرأ تاريخ الأديان في العالم وجد أن بعض القبائل المتأخرة ترى مخرجاً لغرائزها الوضيعة عن طريق الدين. وفي الأمم المتحضرة يوجد أناس يسلكون في إخراج غرائزهم التي يستحيون من إخراجها على حقيقتها مسلك تلك القبائل المتأخرة إما لجهل وإما لما يسمى في علم النفس بالرجعية النفسية إلى صفات عصور الإنسانية الأولى وهذه الرجعية قد يصاب بها حتى المتعلمون وقد تظهر في أمور كثيرة غير أمور العقيدة.

وهذا غير ما يخشى على قدسية الدين من رياء المرائين، وأعظم مما يدعو إلى الحسرة والأسف أن ترى روحاً صافية تقية صادقة في غيرتها على الدين طائعة منقادة لنفس مرائية تبغي حطام الدنيا، وهذه النفس الثانية أي النفس المخادعة عادة تغلب النفس الأولى، الصافية الطاهرة لأن النفس المتلهفة في طلب حطام الدنيا تخلق لها الحقد وتخلق لها غيظها وخوفها من فوات الحطام انفعالاً شديداً تحاكي به الغيرة على الدين وقلما تستطيع النفس الصادقة في تدينها محاكاة ذلك الانفعال الدنيوي الذي تمده الحياة بقوتها لأنه في طلب أمور الحياة. وقلما تستطيع تمييزه إلا إذا كان لها نصيب من الخبرة بعلم النفس وتطبيقه على أساليب النفوس ووسائلها وهي خبرة لا بد منها لصيانة روح العقيدة المحمدية السامية.

ومن الأخطاء التي يقع فيها المفكرون وغير المفكرين أن يحسبوا أن الإنسان على مستوى واحد لا يتغير من حيث روح الدين في نفسه ومن حيث فضائله، والحقيقة هي أن النفس الإنسانية في الحياة كالطائرة الهوائية التي تصادف جيوبا هوائية كثيرة مختلفة الضغط الجوي فتظل ترتفع وتنخفض فجاءة، ولكن كل إنسان يريد أن يستثمر ارتفاعه لمغالطة الناس كما قد يغالطهم في انخفاضه ويعده ارتفاعاً ويوهم أنه كذلك بقوة الإيحاء. وهو لو قصر المغالطة على قوة الإيحاء لهان الأمر ولكن أشد الضرر بروح الدين أن يتخذه المرء وسيلة للإشادة بعلو قدره وإعلان انحطاط قدر عدوه أو عدو صديقه أو عدو قريبه أو من يعاديه قريبه فيصبح الدين في نظره قوة دنيوية للكسب كقوة المصاهرة أو المسامرة أو كقوة المال.

عبد الرحمن شكري

حرارة الإيمان

للدكتور إبراهيم بيومي مدكور



ما أرهب ذلك الجيش السائر والبحر الزاخر والجمع الثائر يخوض غمار المعركة في عزيمة رجل واحد وهمة قلب صادق فلا يلبث أن يكتب له النصر ويفوز بالغلب على من تفرقت بهم الميول والأهواء! وما أروع تلك الرءوس الحاسرة والأجسام شبه العارية تجتمع في صعيد واحد تسبح الله وتناجيه فلا تخشى بأس حر ولا برد، ولا تألم من صر أو قر! وما أخشع ذلك الناسك الذي حرم نفسه لذيذ الطعام والشراب واستطاب الخشن وغليظ الثياب، وضوى جسمه من طول الركوع والسجود، واحمرت عيناه من البكاء والسهر. كل هؤلاء قد استولت عليهم فكرة وتملكتهم عقيدة، فساروا وراءها طائعين، وأتمروا بأمرها راغبين لا راهبين

وكم من أفكار نسلم بها وآراء نوافق عليها ودعوات نصغي إليها، ولكن طائفة قليلة منها فقط هي التي تنفذ إلى قلوبنا وتمتزج بأرواحنا، فتصبح طوع إرادتها ورهن مشيئتها، وما ذلك إلا لأن الدعوات لا تتجه دائماً إلى القلب ولا تخاطب كلها الروح؛ فمنها ما يرمي إلى غاية مادية يتشبث بها من يرجو أن يساهم فيها بنصيب، ويطمئن إليها من آثر العاجلة على الآجلة. ومنها ما يقوم على الحجة والبرهان والبحث والتعليل، ولغة المنطق لا تلائم الناس على اختلافهم ولا يسمو إليها جمهورهم وعامتهم.

لذلك كان أكثر الدعوات حظاً من النجاح ألصقها بالقلب وأقربها إلى الفؤاد، وبقدر تفاوت الدعاة في القدرة على تحريك العواطف وإثارة الشعور تتفاوت آثارهم ويزيد أو ينقص عدد أتباعهم، وعن هذا الشعور تنبعث حرارة الإيمان المتأججة، ومن تلك العواطف يتولد صدق العقيدة الباهر، وفي القلب قوى خارقة للعادة وفي الروح أسرار تلين الحديد وتنسف الجبال ولا تبالي بصعاب.

هناك ضربان من الإيمان لا سبيل إلى خلطهما ولا إلى إنكارهما: إيمان العقل وإيمان العاطفة، أو إن شئت فقل: إيمان البرهان والتعليل والحجة والدليل؛ ثم إيمان الشعور والإحساس والقلب والروح؛ في أحدهما هدوء التفكير ورزانة المنطق، وفي الآخر حمية الوجدان ونشاط العاطفة. ولئن كان الأول قد استنار بنور الحجة وقوي على مجالدة الخصوم ودفع الشبه، فإن الثاني ينبعث من قرارة القلب وأعماق الفؤاد ولا يرى نفسه في حاجة إلى برهنة واستدلال، ولا يأبه مطلقاً بخصوم ولا معارضين. والدعوات سياسية كانت أو دينية، إنما تقوم إبان نشأتها على معتنقين اتجهوا نحوها بقلوبهم وتفانوا فيها بأرواحهم، فأصبحوا ولا يعز عليهم مطلب ولا تبعد عنهم غاية. وكم سمعنا أن قائداً تسلق مع جنده الجبال واخترق البحار وخاض غمار الشرق والغرب دون أن يتخلف عنه متخلف، أو يقعد عن مناصرته الأتباع والأعوان. وكم روى لنا التاريخ من أخبار زعماء سياسيين أو دينيين كانت إشارتهم وحياً وكلمتهم أمراً، إذا ما تحركوا تحركت الألوف المؤلفة، وإذا ما دعوا لبى الجميع. فإذا ما فترت الدعوة وضعفت العقيدة وخمدت حرارة الإيمان الأولى، أخذ الناس يبحثون في معتقداتهم ويسألون ويتناقشون ويعارضون

لهذا كان لا بد لكل عقيدة من غذاء، ولكل دعوة من مواد تلهب الشعور وتنمي العاطفة. وما الطقوس الدينية والصلوات المفروضة والأدعية الخاشعة والذكر الدائم والقرابين المتكررة، إلا وسيلة من وسائل جذب النفوس نحو عالم النور والألوهية والإيمان والعقيدة. وعلى نحو هذا يجد السياسيون في إقامة الحفلات، وتنظيم الدعوات والمظاهرات، وإلقاء الخطب المثيرة للجماهير. وإذا استطاع الزعيم أن يكون سياسياً ودينياً في آن

واحد، أو بعبارة أخرى، سياسيًا وصوفيًا، توفر لديه كثير من أسباب الغلبة والفوز. وها نحن أولاء نرى زعماء العصر الحاضر يخلطون حركاتهم السياسية بآراء تتصل بالدم والجنسية والدين والعقيدة؛ فالهتلرية مثلاً نظرية سياسية تعتمد على دعائم روحية وصوفية، وهذا من غير شك عامل كبير من عوامل نجاحها وتقدمها. ولقد أجادت سبل الدعاية وأتقنت طرق تنظيم الأتباع إلى طوائف وجماعات يميزها زي خاص وشارات معينة، فزادها هذا تقديساً لإرادتها واستمساكاً بنظرياتها. ولعل أعون شيء على تنمية الإيمان والعقيدة أن يحس المؤمن أنه عضو في أسرة وجزء من مجتمع، وأن يشعر المعتقد أن عقيدته ذات سيادة شاملة وسلطان عام. وما نراه من تعصب أعمى أحياناً وغلو في الدين أحياناً أخرى إنما منشؤه تغلب العاطفة على العقل والرغبة في أن نحمل الناس على اعتناق كل ما ندين به من أفكار

اختلف علماء الكلام المسلمون — كما اختلف رجال الدين من المسيحيين — في حقيقة الإيمان، هل يزيد وينقص وهل هو إذعان قلبي فقط أم هو اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان. وكأني بهم جميعاً قد تناسوا جانبه العاطفي، ولو ذكروه ما وقعوا في كثير من خلافاتهم. فالإيمان على أنه حقيقة وفكرة قد لا يقبل الزيادة والنقص، أما الإيمان الذي هو عاطفة تتأجج لحظة وتخمد أخرى فثمت مجال فسيح لزيادته ونقصه، ويتبع هذا طبعاً أن يكون الاعتقاد قوياً أو ضعيفاً جازماً أو غير جازم. ولا شك في أن الأعمال الخالصة تنميه والأقوال الصالحة تغذيه، ومن ذا الذي ينكر ما للدعوة والإرشاد من أثر في تربية النفوس وتهذيبها وما للتقرب والعبادة من قدرة على ربط الأرواح ووصلها بعالم النور والفيض.

ولا يضير الاعتقاد في شيء أن يُدفئه القلب بحرارته، وتمده الروح بأسرارها. والعواطف كانت ولا تزال، من أهم بواعث التفكير ودواعي العمل. والجماهير أخضع عادة للغة القلوب منهم للغة العقل والمنطق، ورب عاطفة قوية أعون على تحقيق غايات سامية من تفكير عميق.

إبراهيم مدكور

عن ذلك الغد

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الغربيون يبحثون عن غد يشرق عليهم ضحاه وهم في سلام وطمأنينة على ميراث العلم والمدنية وقد صار نفيساً عزيزاً على الذين بنوه بضياء العيون وحر الدماء وحبس الأنفاس في المعاهد والمعابد والمعامل؛ فهم لذلك يخشون في لهفة أن يهدمه البطر والجشع في لحظة واحدة فتذهب مدخرات الإنسانية من العلم والمتاع ... ولا ينفك آباء الحضارة وعلماء الاجتماع يرسلون روادهم للبحث عن غد يوحي إليهم فيه الواقع أن ينشدوا نشيد السلام الذي سمعه الرعاة من السماء ليلة ميلاد المسيح «وعلى الأرض السلام وللناس المسرة» لأنهم وجدوا أن الواقع يكذب هذا النشيد منذ ميلاد المسيح إلى اليوم كما يقول القس إبراهيم سعيد في جريدة الأهرام عدد ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٨

ونحن المسلمين الذين يتمثل فينا العقوق لأنفسنا وللمدنية، نرى الإنسانية جاهدة في البحث عن ذلك الغد، تشق أمام عيوننا وتشقينا معها ومع ذلك لا نحرك المفتاح في باب الكنز المرصود العجيب الذي فيه لآلئ الصباح وذهب الضحى ..

وأقسم للحق ولكل حر الفكر! أنني لا أتكلم كمسلم يقول تقليداً لقول أبيه وأمه وأمته، وإنما أقولها بعد أن أنضجتها حجج الأيام ونهض بها كل قائم في الفكر والحياة والزمان!

ولست كاهنا ولا رجلاً يحترف الدين للعيش ينادي على بضاعته

فى الأسواق ... وإنما أنا باحث كسر عنه كل قيد ليظفر بالحق خالصاً من غير تقليد ورجا أن يوفقه قيوم السموات ...

ثم أقسم أنني لا أريد أن أتملق من يسمون أنفسهم مسلمين، ولا أن أسير فى مواكب أناس لا يدرون لماذا هم فيها سائرون ولا يسألون لماذا يسيرون ... وإنما أتكلم بقلب إنسانى خالص للإنسانية ... للقطيع الشقى الذى ما ظفر إلى الآن براحته من حل تلك المشكلات الكبرى : الاعتقاد ، والعيش ، والعمل . ولم يتفرغ بعدُ للقبض على مفاتيح الطبيعة التى خوله الله إياها لأخذ أسرارها المخبوءة فيها حتى تصعد بها روحه إلى السماء فى سلام ورضا

إلى الآن لم يظفر ذلك المخلوق التائه بنعمة الاستقرار وإتاحة الفرصة لعلمائه أن يجاهدوا فى الكشف عن عرائس أحلامه ؛ لأن كباش القطيع لا تزال تتهارش وتتغنى بمجد الأنياب والأظفار . لا تزال خيلاء المجد مجد الديكة المنتفشة المزدهية تسوق الناس فى ضباب من الشعر إلى الجحيم ... حتى المسلمون قد أخذهم الهول من كل جانب وغشى ضباب الزمان وضلال الإنسان على عيونهم فنسوا ما بين أيديهم من النواصم ... نسوا مضخات الحريق واندمجوا فى المحترقين ...

ما الذى نملكه لإصلاح غدنا وغد الناس ؟

سأجرد الأهم من التركة فاقرأوا الأسماء :

نملك اعتقاداً صافياً ليس فيه شىء يفسد على العقل الإنسانى ألفته ؛ إذ أن إلهنا هو إله الطبيعة الذى يدرك العلماء والحكماء والفلاحون السائرون على الفطرة أسماءه وصفاته كما ندركها نحن .

ونملك سماحة فى النظر إلى القاصرين الذين لم يدركوا إدراكنا ولم يعتقدوا اعتقادنا ، لا نحمل أحداً على ترك دينه إلى ديننا كرها .

ونملك فهماً واسعاً وتقديراً جميلاً لجهود المجاهدين من الرسل السابقين كتقديرنا لرسولنا .

ونملك سلاماً عميقاً فى أرواحنا ننشد له فى صلواتنا نشيداً لم يترك جهة من جهات الحياة إلا ألقى عليها الأمان والدعاء : فسلام على النبى ، وسلام على العباد الصالحين الحيانين ، وسلام على النفس وإيحاء لها به فى هذا الموقف المظلم بين يدى رب الحياة ودخول فى السلم كافة وجنوح إليها مع الجانحين ، وتحية بيننا سلام .

ونملك كتاباً تنزل آياته دائماً من السماء ... لأن صور الدنيا وحرب الخير والشر وتقلبات النفس فى الهدى والضلال ومظاهر المجتمع وظواهر الطبيعة هى مادة ألفاظه وهى مادة الحياة .

ونملك حلاً دائماً لمشكلة الفقر والغنى مشكلة المجتمع ... مادة السمع والدم، مادة الدعوات والأحزاب، مادة الثورات والحروب.

ولا ندين بعصبية جنسية ولا دموية ولا لونية . ولا نقدس الوطنية والمحلية هذا التقديس الوثنى الضيق .

ونملك الرحمة بكل حى ذى كبد رطبة إنساناً أو حيواناً، عدواً أو صديقاً .

ونملك تقديس حريات الحياة فلا يهدر حق نفس فى نظامنا إلا بحق الحياة .

مأمورون بصداقة الطبيعة لأنها باب ربنا ومصدر علومنا وأستاذ عقولنا ...

أخلاقنا هى كل ما يرفع النفس ويسمو بالحياة .

محرماتنا هى كل ما يفسد الجسم والنفس .

اللذات الطيبات وزينة الحياة هى عندنا أعمال دينية إذا ذكرنا فيها اسم رب الحياة ، واستحللناها بكلمته وإذنه ، ونظرنا إليه فى متاعنا بها كما ينظر الأطفال إلى أبيهم وهم يأكلون ويتمتعون !

العلم عندنا تعبد ، لأنه رؤيتنا يد الله فى كل شىء ... ويجعل لنا الطبيعة محاريب دائمة لصلاة الفكر .

***

هذا هو ميراثنا مضغوطاً فى ألفاظ معدودة يضعها كل مسلم حقيقى فى عقله وقلبه . ثم يسير فى الحياة عاملاً ساعياً للمجد والحق إلى أن تخرجه من الدنيا اليد التى أدخلته إليها ...

أفلا يرى كل عاشق للفكر والحق والسلام والصلاح أنه مضطر إلى أن يقف فى صف الحراس لهذا الميراث ، وأن يجاهد فى سبيله ما وسعه الجهاد ؟

أفلا يرى كل من يحس بنفسه ، ويفكر فى وجوده ووجود دنياه أن راحته النفسية وألفته العقلية ، ونوازعه الشريفة تتطلب منه أن يقدم جسده ليكون ثوباً لهذه المعانى تلبسه وتسمى به ، وتبطش فى حرب الخير والشر ؟

أيها الملحدون من أبناء المسلمين !

هل آن لكم أن تعيدوا النظر بهدوء فى مفردات هذا الميراث لتروا أننا لسنا مخرفين ولا هارفين ، وأننا لم نمشق خيالاً ، ولم نضع ضلالاً ؟

ألا ترون أن الجهاد فى هذا السبيل إنما هو جهاد للإنسانية

لا لعصبية جنسية ولا لغايات اقتصادية ، وأن خير ما تقدمونه للغرب الآن مكافأة له على جهوده فى سبيل العلم هو هذه المعانى الإسلامية التى يحتاجها بالذات ، ويرسل من أجل مثلها رواده ويرصد أرصاده؟

إن الغرب كفر بالدين لأسباب تعلمونها ... وليست هذه الأسباب فى الإسلام ، حتى تكفروا به . وإن أفق الإسلام هو نفس الأفق الذى تتجه إليه حياة الفكر والحكمة والحرية .

وإن أصول الإسلام هى خلاصة الاتجاه الدينى فى نفس الإنسان منذ فجر التاريخ إلى الآن، هى أصول ثابتة فى الأرض فارعة فى السماء ثبات الحق والعقل .

كل ما فى الغرب جاءنا وعرفناه ؛ فما كان فيه من خير وجدناه فى ميدان الإسلام ، وما كان فيه من نقص وجدنا كماله فى الإسلام . فماذا يحملنا على خلعه وإهداره إلا الضعف والسفه ؟ ما الذى يحملنا على السير وراء قافلة ضائعة فى بيداء ونحن فى الطريق الواضحة التى عليها صوى وأعلام ؟

ربما يكون السبب فى تمرد بعض النفوس على الإسلام أن كثيراً ممن ينتسبون إليه الآن هم لعنات مجسمة تجمع القبح والجهل والسوء وتمشى فى الأرض مشى الطاعون ...

ولكن لأجل هذا يجب أن نجاهد ... لأجل إنقاذ الإسلام من هذه الأجساد التى تلتصق به كما تلتصق القاذورات بجراب جميل يجب أن نجاهد ...

نريد أن نخلصه من المنتسبين إليه زوراً ونعرضه على الجاهلية كأنه حقيقة تاريخية ضائعة قد عثر عليها باحث منقب فى بطون الكتب والأسفار أو طبقات الأرض .. أجل، من مصلحة الإسلام أن يدرس على أنه نظرية ليس لها أناس يتبعونها وأن محمداً صاحب الإسلام قد ظلم فى الماضى أكبر ظلم وقع على رجل فى التاريخ ! فلقد شوه الجهلة والمتعصبون والمجرمون اسمه فى أوربا كتشويه اسم الشيطان ... كل هذا لأنه نبى رسول من الله ! والمسلمون الآن يشوهون اسمه بالجهل والذل ...

وأقسم بالعدالة ! إن محمداً لو لم يكن رجلاً إلهياً ممدوداً بوحى الله ، وكان رجلاً بشرياً من أبطال التاريخ كالاسكندر أو سولون أو نابليون أو هولاكو ... إذاً لحظى من تقدير الأوربيين بما لم يحظ به بطل ...

إن ذكريات ابن سينا والفارابى والزهراوى وابن رشد والبتانى وغيرهم يحتفل بها فى مجامع أوربا ويدرس تاريخها بنزاهة مع أنها ثمرات ضئيلة من ثمرات محمد ... ولكن محمداً رجل الخير المطلق والحق المطلق لا تقام لذكرياته حفلات وجميات ، وإنما تلصق به كل شنيمة وعضيهة ...

بل لقد ظلم من كثير من أتباعه أيضاً ؛ لأنهم صاروا يحسبونه رجلاً من رجال الآخرة فقط ... يعد النفوس للموت وما بعده ولا يعدها للحياة هنا ، فاتخذوا القرآن أوراداً وتسابيح وتعاويذ وتمائم ، وتركوا التفكير والعمل بما فيه من آيات القوة والمجد والعزة والإعداد لهذه الحياة الدنيا ... وافتتنوا ببضائع الفكر المجلوبة من الغرب كما افتتنوا ببضائعه المادية كالأحذية والخمور ...

ولكن روح الحق لا تموت ، وعين العدالة الإلهية لا تنام ، وما كان الله ليضيع إيمان الناس وهو الذى تعهدهم بالرسالات كلما ضللتهم قوى الشر عن طريقه . ولذلك ابتدأ تزلزل عناوين النظم الأوربية ويضرب بعضها ببعض أمام أعين المسلمين حتى يعود لهم يقينهم بثبات عناوين الإسلام

ولا يزال روح الحق الذى تمثل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجذب إليه الأفكار الحائرة والقلوب الضالة التى تبحث عن الحق والسلام . فتقيم له موازين الإنصاف بعد الإجحاف . ويخطئ من يظن أن الإسلام قد انقضى عهد عزته فى القلوب والعقول ، فإن عزة الإسلام لا تكون إلا فى أيام العلم والحرية ، ولا يذل إلا فى أيام الجهل والاستبداد

ها نحن أولاء نرى من سير التاريخ الحاضر أنه كلما تقدم الزمان بالمسلمين خطوة إلى العلم والحرية ، تقدم بالإسلام إلى الحسنى

إن رسالة محمد ليست تبنة تذهب فى الريح أو ورقة جافة تحرق فى موقد ، أو بدعاً من بدع الزمان يذهب بذهاب جيل وفناء قبيل وإنما هى مرد الحق والخير وخلاصة جهاد الذين جاءوا بهما إلى الناس من عهد آدم إلى يومهم هذا

وإن الذين يعرفون ما فى الإسلام من سعة وعمق واستيعاب يدركون تماماً أنه إنما يليق لمثل هذه الأزمنة التى نعيش فيها وما بعدها أكثر مما كان يليق بالأزمنة الماضية

وإن ما فيه من الحرية والمساواة والأخوة والتسامح والسلام والفكر لا يمكن مطلقاً أن يفهم فهماً صحيحاً إلا على ما فى عصرنا الحاضر من تجارب . فعلينا أن نفهم ونؤمن به ونعمل له عمل المتقدمين

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم محمد خلاف

من التاريخ الإسلامي

هيلانة ولويس

للأستاذ علي الطنطاوي

كل شيء ساكن سكون الموت، مظلم ظلمة القبر!

ولقد أسدل الليل فروعه السود، فغطى على المعركة اللافحة الأوار، وأخفى هذه الساحة المفروشة بالجثث، وهذه الأصلاد المصبّغة بالدم، وأرخى الستار على مشهد من أروع مشاهد المأساة التي يمثلها الإنسان أبداً على مسرح الوجود فيلبس فيها جلد الذئب وأظفار السبع وأنياب الثعبان... فسقط جنود المعسكرين صرعى الجهد والكلال، وهجموا كالقتلى لا يحسّون ولا يحلمون، وأمست خيامهم ومنازلهم جامدة لا حياة فيها كهذه الصخور الصم التي تحيط بها من كل جانب...

وتلك هي الحرب، آفة الحياة، وعار الإنسانية!

تلك هي الحرب: تنفجر الأذهان بالعلوم والمعارف، وتنفرج الأيدي عن الصنائع والمصانع، واللطائف والزخارف، وينفق الوالدون النفس والنفيس لتنشئة الأولاد وتهذيبهم. فإذا استكمل البنون الفتوة والقوة، وأزهرت الفنون وتقدمت، وارتفعت المصانع ونمت، وأخذت الحياة زخرفها وازّينت، جاءت الحرب فأودت بذلك كله، فجعلته حصيداً كأن لم يغن بالأمس...

فياويل الحرب... ويل لها ما لم تكن دفاعاً عن شرف أو حياة أو دين!

***

كل شيء ساكن سكون الموت، مظلم ظلمة القبر، إلا خيمة في معسكر النصارى نائية، ينبعث من شقوقها وفرجها ضوء خافت، ويسمع من جوفها همس ضعيف، لو أنت أصغيت إليه لسمعت صوت امرأة تتكلم بلسان الإفرنج تقول لصاحبة لها:

— ماذا يشجيك الليلة ياهيلانة، وما الذي جدّد أحزانك، وهاج آلامك؟ أفزعت من هذه المعارك العابسة التي جئنا نخوضها ونصلى نارها دفاعاً عن (قبر...) المسيح؟ أم هو الحزن على لويس قد خامر نفسك؟ لا تحزني يا هيلانة فقد كان مقدراً عليه هذا المصير؛ ولقد عرفه ومشى إليه مطمئناً راضياً، فاصبري يا أختاه، فإن لويس في السماء. ألا يسرّك أنه مات في سبيل النصرانية؟ فلا تدعي اليأس يخالط نفسك القوية في هذه الساعة التي تحتاجين فيها إلى الصبر والجلد!

وسكتت المرأة وعاد السكون يغمر الدنيا... ومضت فترة طويلة لم يسمع خلالها نبأة، ولكن النور الضعيف لبث منبعثاً من شقوق الخيمة... ثم ظهر القمر يطل على الدنيا بوجه شاحب كأنه وجه عليل مدنف، أو ميت محتضر، وأبدت أشعته الكليلة ما كان الليل قد ستره، فبان من خلالها ذلك المشهد الموحش المرعب وقد زاده شحوبها وحشة وهولاً... فخرجت المرأة من الخيمة وجلست على مقربة منها تتأمل وتفكر، وكانت في الثلاثين من عمرها، ذات عينين زرقاوين واسعتين، وشعر كستنائي اللون، وبشرة بيضاء ناعمة، وكانت جميلة جذابة، ولكن في أنفها طولاً ينأى به عن الجمال...

كانت تنظر إلى تلك الخيام وقد انتثرت على السفوح والصخور، وتمدّ البصر إلى جيش أعدائها المسلمين وقد احتل القلعات العالية ليحمي أسوار المدينة ويدرأ عنها، وتفكر في هذه الحياة المروّعة التي تحياها، فتمتلئ نفسها حسرة على حياتها الوادعة في ماضيات لياليها، يوم كانت في قريتها المتوارية في حجر صخرة من صخور (الألب) لا تعرف إلا هذا العالم الصغير الذي يحدّه شرقاً منعطف الوادي، ويحده من الغرب المضيق الصخري

الضيق ، ومن الشمال والجنوب غابة الصنوبر الفتانة وهي تحتضن القرية وتنبسط على السفح الجميل ، وذلك السور الصخري يطيف بذلك كله ويعانقه ويدفع عنه الأذى . لقد كانت ترى من يوغل في الوادي ، ويحتجب عن القرية في ملتفاته ومنعطفاته بطلاً من الأبطال ؛ أما هذه الجلاميد ، وهذه الذرى المشرفة على القرية ، فلم تفكر يوماً من الأيام في البحث عما وراءها ، ولم ترتق بفكرها إلى أعاليها لتفكر ماذا فيها ... فكيف طوحت بها الأقدار فألقت بها في هذا العالم الثاني الغريب الذي لم تكن تدري به أو تعلم له وجوداً ؛ وكيف كتبت عليها أن تفقد زوجها الحبيب ، وأن تعيش وسط الذعر والموت ؟

واشتد بها الضيق ، وزاد بها الحنين إلى ماضيها الهانئ ، وصور لها الوهم القرية فرأتها أمامها ، وشاهدت النابة التي يقطعها فتيان القرية وفتياتها كل صباح ومساء ، ليلتقوا الينبوع فيزدحموا عليه ليرتووا من مائها العذب النمير ، ويذهبوا ظمأ أجسامهم ، وليرتووا من العيون الأخرى فيطفئوا ظمأ نفوسهم إلى الحب ... فذكرت كيف عرفت فتاها الحبيب ، وقد رأته أول مرة على باب داره تلقاء النابة ، فأحست كأن عينيه قد اخترقتا شغاف قلبها ... ورأته بعد ذلك في النابة ولكنها لم تجرؤ أن تكاشفه بحبها ... وهل تجرؤ على مثل ذلك فتاة ؟ حتى كان ذلك اليوم السعيد الذي يمر في موكب حياتها بهيًّا مشرقاً ، على حين تمر أيامها الأخرى شاحبات غائمات ... فجلست معه تحت تلك الشجرة المنعزلة أحلى مجلس في حياتها ، إذ قد أعلن فيه مولد الحب بقبلة مسكرة لا تزال تحس طعمها في فيها ، وأثرها على شفتيها ...

لقد كانت سعيدة في هذه القرية ، تعيش في جنة الغرام ، لا تعرف إلا قلبها وربها ، فهي تصبح فتمشي إلى الكنيسة لأنها لم تعرف لله بيتاً غيراً منها ، فتتوجه فيها إلى الله بالصلاة التي حفظتها ... وتمشي فتطوف في النابة يدها في يد الزوج الحبيب ، حتى تبلغ كنيسة حبها تحت الشجرة المقدسة ، فتؤدي فيها صلاة الحب على دين الغرام ، قبلة فيها (كما قال ابن أبي ربيعة) خمر وعسل !

كانت القرية كلها في أمن ودعة ، حتى نزل بها ذلك الرجل ، فنزل بها البلاء وهبطت المصائب ، وتعكرت حياتها الصافية كأنما هي بركة ساكنة ألقيت فيها صخرة من الجبل ... كانت القرية في ذلك الصباح مستلقية في فراش أمنها ترشف بقية أحلام الليل اللذة ، تنهض مع الشمس فتميل على تحقيقها ، وكانت الغابة تصلي وقد شمرت أشجار الصنوبر للعبادة عن سوقها ، ووقفت بين يدي بارئها صفوفاً للصلاة ، وقامت الطير تتلو صلواتها على منابر الأغصان ، ووقف الورد والزنبق في الحدائق خاشعاً مصغياً ، وسبحت السواقي بحمد ربها فكان لتسبيحها وسوسة دائمة جميلة ، وأصاخ الجبلان وصمت الوادي ... فلم يفسد هذه الصلاة الخاشعة في معبد الطبيعة إلا صرخة تدوي في الوادي ، يحملها صوت مجروح ، كأنه صوت جريح يتضرج منزاخه بدمه ، فيسمع الصوت أحمر قانياً يقطر دماً . وتوالت الصيحات الحمر ، وازدادت شدة وهولاً ، فحملت الذعر إلى بيوت القرية وأرباضها وأوكارها وأبدلت بصباحها الباسم صباحاً كالح الوجه مربداً قبيحاً ، وذهب القوم يتبعون الصوت ويتقصونه ، فرأوا قساً من القسوس مكشوف الرأس ، منفوش الشعر ، قد لبس المسوح ، وطفق يلقي عليهم باللاتينية تارة وبالفرنسية تارة أخرى ، ما يفهمون وما لا يفهمون ؛ وكان يمر في كلامه (الخطر الدائم) و (المسيح) ثم عرض عليهم صورة (القبر المقدس ...) الذي ينزل عليه النور ، والذي يحجون إليه ويتبركون به ... وقد قام فارس من فرسان المسلمين ، فوطئه وأهانه وحمل الفرس يبول عليه[1] ... وكان يعرضها باكياً نادباً ناتفاً لحيته ، منذراً بفناء النصرانية وضياع الدين ، ويدعو إلى إنقاذ (القبر ...) من أيدي (الكفرة المسلمين ...) فذهب الهياج بالعقول ، وأطار الأفئدة ، وألفت الحماسة النطق ، ونسي الناس كل شيء إلا هذه النار التي سرت في العروق ، ومشت إلى الدماغ فألهبته ، فهضوا يتبعون الراهب إلى حيث لا يعلمون ، إلى إنقاذ (قبر المسيح ...) من أيدي (الكفرة المسلمين ...) الذين أهانوه وحقروه ! ...

وكانت هيلانة وزوجها من المؤمنين ، فلما قالوا لهما إن المسلمين أكلة لحم البشر ، وأنهم ذئاب الإنسانية ، وأنهم عدوا على المسيح ... نهضا يدفعهما الإيمان الذي عبث به القسوس ، واستغلوه وأوقموا في أبناء آدم هذه المذبحة المروعة ، فأخذا الطفل الوليد وسارا مع الجموع — نحو بيت المقدس ...

(١) كذا جاء في التاريخ .

وعاودتها ذكرى زوجها الحبيب ، فانفجرت باكية ، فأيقظ صوتها صاحبتها فخرجت تراها ...

— مالك يا هيلين ؟ لماذا تبكين ؟ لم لم تنامي ؟

فلم تجب واستمرت تبكي ، فعادت ترفه عنها وتواسيها .

— ماذا عراك يا هيلانة ؟ أجيبي ، كلميني ، لا تقتلي نفسك بسكوتك .

— لويس !

وخرج اسمه زفرة متصعدة من أعماق القلب ، غارقة بالدمع ، وعادت تبكي .

— اصبري يا أختاه . إنه في السماء ، ثم إن عندك لويس الصغير ، ألا تسمعين كيف يبكي ؟ إنه ابنه يا هيلين ، ابن الحبيب ، فعيشي من أجله . أريه ألوان السرور والمرح ، تسعد روح لويس في سمائها . هاك الطفل يا هيلانة ، ألا ترين أن بكاءك يؤلمه ؟

فأخذت هيلانة الطفل ، تضمه إلى صدرها ، وهي مغمضة العينين ، وتقبله في عنقه الدافئ ، وتمرغ وجهها في صدره ، ثم تضع خدها على خده ، وهي تهمس باسم لويس ، كأنما تذكر فيه مولد الحب وقبلاته الأولى ...

— ٢ —

وهجعت هيلانة وصاحبتها ، وانطفأ هذا النور الكليل الذي كان ينبعث من الخيمة ، ومرت من الليل ساعات ...

وكان معسكر المسلمين صامتاً مظلماً لا يرى في خلاله إلا النور الذي يسطع من خيمة السلطان ، وكان الجند نائمين يستريحون من عناء النهار الماضي الذي خاضوا فيه حرباً من أشد ما عرفوا من الحروب ، وبذلوا جهد الجن حتى استطاعوا أن يشقوا الطريق إلى (عكا) المحصورة ، وكان المدد يتتالى على جيش العدو من البحر ، وكاد يجزع المسلمون عندما رأوا الأمداد ، ولكن منظر السلطان ثبتهم ، فقد كان ينظر إلى المراكب تحمل الصليبيين إلى البر ، فلا يثنيه مرآها ولا يدخل الروع إلى قلبه ، بل كان يراها مستبشراً متفائلاً مؤمناً بنصر الله . ولقد خبّر القاضي ابن شداد رفيق السلطان الجند وقص عليهم أن السلطان عدّ بنفسه من العصر إلى الليل سبعين مركباً نزلت إلى البر تنقل المدد والذخيرة فما ضعف ولا اضطرب ، ولا تغير اعتقاده بالله الذي يعتقد بأن النصر من عنده . وكان السلطان أشد القوم تعباً لأنه كان يباشر أمور الحرب بنفسه ، ويتنقل خلال المعركة ، ويعرض روحه للمهالك ، ثم يبيت الليل ساهراً يدبر أمور المسلمين لا يبالي راحته ولا صحته في سبيل إعلاء كلمة الله .

في تلك الساعة كنت تلمح رجلين يتقدمان في الظلام يريدان معسكر المسلمين ، وهما يخطوان بحذر ، ويقفزان على الصخور بخفة ونشاط ، وقد حمل أحدهما هنة صغيرة ملفوفة بخرقة بيضاء قد ضمها إلى صدره برفق ، وأحاط بها يسراه بعناية ، وأمسك بيمناه السيف مصلتاً خشية أن يفجأه كمين أو يعرض له عدو في هذه الظلمة الحالكة ، وكانا صامتين . فلما جاوزا (اليزك) ودخلا معسكر المسلمين وأمنا ، وضعا السيوف على الأرض وجلسا يستريحان وقد أبقى الأول حمله على ذراعه وأحاطه بطرف ثوبه مبالغة منه في العناية به ، وقال لرفيقه :

— ماذا ترى السلطان قائلاً لنا ؟ أتراه راضياً عن عملنا وهو الذي أوصانا ألا نعرض للنساء والأطفال ، وألا نمس الأعزل بسوء ، وأن ندع القسوس ، ولم يسمح لنا إلا بسرقة المحاربين والجنـد ؟ أفلا تحسبه يكره ما أتينا هذه الليلة ويكون غضبه علينا أضعاف رضاه عنا يوم سرقنا ذلك القائد من فراشه ؟

فأطرق الثاني كأنما كان يفكر في غضب السلطان ، ويبحث عن سبيل الخلاص من هذه الوهدة التي سقطا فيها ، ثم رفع رأسه فجأة وقد أشرق وجهه بنور الأمل وقال له :

— لماذا يغضب ؟ أليس الله قد أباح لنا أن نرد العدوان بمثله ؟ أما بدأونا هم بمثل هذا أول مرة ، وروعوا نساءنا وسرقوا أطفالنا فلما صبرنا عنهم وترفعنا عن مقابلتهم بمثل فعلهم ، ظنوا ذلك عجزاً منا فأوغلوا في عدوانهم الآثم الدنيء ؟ أفندعهم يفعلون ما يريدون لا نمد إليهم يداً ؟

واطمأن الأول إلى هذه الحجة ، فقاما يسيران في هذه البقاع التي كانت فيما مضى رياضاً زاهرة وتلالاً خضراء معشبة ، فجعلتها الحرب قفراً خالياً ، وقبراً واحداً مفتوحاً ، وألبستها ثوباً دامياً من أشلاء أبنائها ، حتى بلغا خيمة السلطان فوجداها مضيئة فعلما أنه لم ينم ، ووقفا ينتظران الإذن ليعرضا عليه ما جاءا به ، لأنه كان يطلع بنفسه على كل كبيرة وصغيرة ....

ومرت ساعة ومال ميزان الليل وهما واقفان ، فسمعا حركة ورأيا رسولاً يحاول أن يدخل على السلطان وهم يمنعونه حتى أنبأهم أنه يحمل رسالة خطرة مستعجلة لا يجوز تأخيرها ، فخبر السلطان فسمح له وقابله على خلوة لم يكن فيها إلا ابن شداد القاضي ثم خرج الرسول على عجل ، وخرج من بعده ابن شداد معلناً أن السلطان سينام قليلاً ، وكان ذلك في السحر ... فأيس الرجلان من لقائه وذهبا ينتظران الصباح

ولما كان الصباح ذهب أول الرجلين يلقى القاضي ابن شداد يسأله عن أمر السلطان، وكان صديقاً له ، فحدثه أن الرسول حمل إلى السلطان نبأ مروعاً هو أن جيشاً من الصليبيين الألمان زحف نحو الجنوب في عدد هائل ، فلم يستطع أحد من أمراء المسلمين في الشمال أن يرده أو يقف في وجهه فأصبح المسلمون بين نارين

تفكر السلطان في الأمر ، ثم جمع الملوك والقواد ولم يكن يقطع أمراً دون مشورتهم ، فهبوا من فرشهم ، وجفوا راحتهم في هذه الليلة العصيبة التي يلتمس الراحة في مثلها أشد الناس مرانة ، وأكثرهم صبراً ، فلما اجتمعوا عرض عليهم الأمر ، فبذلوا له طاعتهم ، ولكنهم تهيبوا الإقدام على هذين الجيشين ، واضطربوا لهذا الخطب الذي لم يتوقعه أحد منهم ، ولم يكن هؤلاء الملوك والقواد من الجبناء الرعاديد ، بل كانوا أبطال الحومة ، وسادة الجلاد ، ولم يفقدوا الإيمان الذي قابلوا به جيوش أهل الصليب كلها حين جاءت يحدوها التعصب الذميم ، ولا الشجاعة التي ردوا بها هذه الجحافل الجرارة ، وقسموها قسمين ، قسم مصرع على الثرى قد ذهب ضحية العدوان الآثم ، وقسم طائر على وجهه فزعاً لا يدري أين المحط ، فتصدع الخميس العرمرم تحت ضرباتهم المسددة وهتافهم الظفر ، كما يتصدع القطيع من الغنم إذا سمع صوت الأسد وأحس أنيابه ... ولم ينسوا طعم النصر الذي ذاقوه ، ولا النهاية الماجدة التي ختمت بها الوقائع الماضية التي خاضوا غمرتها ، ولكن لم يكن في تلك المعارك مثل هذا الخطب الغابس الذي حمل نبأه الرسول ... فغاضت الحماسة من صدورهم وإن لم تنفد ، وسكنت قليلاً لتستجم وتنهض من جديد؛

أما نفس السلطان فلا تني ولا تلين ، وحماسة السلطان لا تبلغ منها خطوب الدنيا كلها ، وإنهم لمن العظماء ذوي النفوس الكبيرة ،

ولكن أني لم يمثل نفس السلطان وخلاله البارعة وبطولته الفذة التي تحققت مرتين فقط في تاريخ البشر كله: في عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي ، ولم تعرف في غيرهما إلا خيالاً يلوح ولا يظهر ، وإشارات تلمح ولا تبصر !

فلما رأى السلطان هيبتهم صرفهم . ولبث وحده مهموماً يفكر ...

قال الرجل : فماذا فعل السلطان كان الله له ؟ كم يحمل وحده من الأهوال التي تخر تحتها الجبال ، وتعجز عن حملها الأمم !

قال ابن شداد : جلس يدبر أمره ، ويرسم خطط القتال وهو مهموم قد أخذ منه التعب والنعاس ، وأنا أنظر إليه ليس معنا ثالث إلا الله ، فسألته أن ينام ساعة فيستريح ؛ فظن أني قد نعست فقال لي : (لعلك جاءك النوم .) ونهض ... فخرجت أمشي إلى خيمتي فلم أصل إليها وآخذ في بعض شأني حتى أذن الصبح . فعدت لأصلي معه على عادتي ، فوجدته يمر الماء على أطرافه فقال لي حين نظر إليّ : (ما أخذني النوم أصلاً) فقلت : قد علمت . قال : من أين ؟ قلت : لأني ما نمت وما بقي وقت للنوم

ثم اشتغلنا بالصلاة وجلسنا على ما كنا عليه ، وجعلت أفكر في أمره وما يحمل من الهم وما ورد عليه من الشدة وذكرت أن قتيبة بن مسلم وقع في إحدى الشدائد وهو يحارب الأتراك وضاق به الأمر ، وتكاثر عليه العدو ، وبذل كل ما يستطيع من القوة والمكيدة فلم يغن ذلك عنه شيئاً . فقال: أين محمد بن واسع؟ قالوا: هو في أقصى الميمنة جاثم على سية قوسه يومئ بأصبعه نحو السماء. فتهلل وجه قتيبة واستبشر ووثق بالنصر ، وقال : والله لتلك الأصبع الفاردة أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير. فلما فتح الله عليهم قال له : ما كنت تصنع ؟ قال كنت آخذ لك بمجامع الطرق

وذكرت أن قواد المسلمين الذين دوخوا العالم ، وأخضعوا الممالك ، وملكوا الأرض ، لم يملكوها بقوتهم وعددهم وإنما ملكوها بإيمانهم والتجائهم إلى الله ، ورأيت السلطان قد وقف حياته على الجهاد في سبيل الله ، وباع نفسه من الله ، ولم يقصر في فريضة ولم يهمل نافلة ، بل كان ينزل حيثما أدركته الصلاة فيصلي ويسمع الحديث بين الصفين ، ولم يعرف عنه ميل إلى دنيا

أو حرص على لذة من لذائذ العيش . فأيقنت أن دعاءه لا يرد ، وأنه هو الولي إن عد الناس الأولياء، وهو التقي إن ذكر الأتقياء. فقلت له : قد وقع لي واقع وأظنه مفيداً إن شاء الله

قال : وما هو ؟ قلت : الإخلاد إلى الله ، والإنابة إليه ، والاعتماد في كشف الغمة عليه

قال : وكيف نصنع ؟ قلت : اليوم الجمعة، يغتسل المولى ويصلي ويتصدق بصدقة خفية على يد من يثق به ويدعو الله وهو ساجد فيقول : « إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك. أنت حسبي ونعم الوكيل »

وإن الله أكرم من أن يخيب من يلتجئ إليه !

— ٣ —

وقطع القاضي حديثه ونظر إلى تلك المرأة التي أقبلت تريد خيمة السلطان ، وهي سافرة تصيح بلسان الافرنج وتعول باكية تشير إشارات الفزع المروع، فأقبل عليها يسألها ماخطبها...

وكانت هيلانة بذاتها ، أفاقت فلم تجد طفلها فخرجت من الخيمة جاحظة العينين مجنونة تصيح باسم ولدها وهي تعدو على غير هدى، تسير في كل سبيل تسأل كل من ترى عن ولدها هل رأى ولدها؟ أين ذهب ولدي؟ ماذا أعمل؟ ساعدوني . فتشوا لي عن ولدي . أين ذهب ؟ هل مات؟ من أخذه ؟ أأكلته الذئاب ؟ هل تدخل الذئاب إلى المعسكر ؟ أم قد سرقه اللصوص ؟ آه أين أنت يا ولدي؟ ألا تردونه علي ؟ ارحموني يا ناس . فتشوا لي عن ولدي ...

وانطلقت تعدو في أرجاء المعسكر ، حتى بلغت خيمة القواد فاقتحمتها ، وهبطت على أقدامهم تولول وتصيح ... فأخذتهم الشفقة بها ولكنهم كانوا عاجزين عن معونتها. فصمتوا ، وبالغت في البكاء والتوسل ، فرأى قائد منهم أن يبعث بها إلى صلاح الدين

— إن الرجل شهم وشريف ، وفارس نبيل ، وما نحسبه يسد أذنيه دون شكوى امرأة مفجوعة تسقط على قدميه باكية ذليلة ترجوه أن يرد عليها ولدها الوحيد ... وهو الذي قبض بالأمس على قائد الحملة الفرنسية ، فلما صار بين يديه وانتظر القتل لم ير منه إلا الإكرام والإحسان ، خلع عليه وقدمه ورفع مجلسه وسيّره إلى دمشق معززاً مكرماً ، فلم يستطع القائد أن يرفع بصره إليه لعجزه عن شكره ، ولخجله من نفسه حين قابل بين صنيع السلطان به ، وصنيعه هو بمن أسرهم من قواد السلطان ...

ووافق القواد على ما وصف به صلاح الدين من النبل والشرف والإنسانية، فسيّروا المرأة إليه، فانطلقت تعدو حتى تقطعت أنفاسها وهي تتحامل على نفسها وتعود إلى السعي تريد أن تقطع الطريق كله بوثبة واحدة ترى من بعدها ابنها ، أو يكون فيها حتفها ، وتخشى أن تتأخر لحظة فيصيب ابنها شر ... يا رحمة الله على الأمهات !. وكانت نفسها كالبحر الغضبان لا تستقر فيه موجة حتى يموج موجة أخرى ... وكانت الصور تتردد على نفسها متعاقبة يأخذ بعضها بأعقاب بعض ، فبينا هي تتصور فرحها بلقاء الطفل فتتقدم مسرعة ، إذا بها تفكر في هلاكه فتقف لحظة كأنما لطم وجهها القدر بكفه ، ولكنها تطرد هذه الصورة من نفسها ولا تطمئن إليها، ويساودها الأمل قوياً منيراً، ويخالط الأمل خوف وإشفاق، ثم تمر عليها صور من حياتها الأولى تجوز آفاق نفسها بسرعة البرق فتهزها هزاً عنيفاً ثم تمضي إلى غايتها وترجع صورة الولد فتحتل خيالها كله ...

حتى بلغت (اليزك) فصاحوا بها : قفي . فوقفت تنظر ماذا يريدون ... ولم تكن تدري ما (اليزك) وما الحروب ، وما جاء بها إلا إيمانها الذي استغله دعاة الشر وسخروها من أجله لتناقتهم فحرموها زوجها وطفلها وجرعوها كما جرعوا الآلاف المؤلفة من البشر غصص الآلام !

وجعلت تصرخ فيهم صراخ اللبوة التي فقدت أشبالها ، وتخاطبهم بالفرنسية :

— ابني ، ابني أيها الجند ؟ ردوه علي ، أريد ابني ، فلماذا تمسكونه ؟ لماذا تعذبون امرأة مسكينة ؟ أين هو ؟ هل قتلتموه ؟ لا ، لا أرى على وجوهكم سمات الوحشية . إني ألمح الشفقة على هذه الوجوه ، فلماذا لا تردون علي ابني ؟

فلا يفهمون منها شيئاً ، فتعود إلى صراخها حتى جاء رجل منهم يعرف لسانها فسألها :

— ومن هو ابنك أيتها المرأة؟

— ابني لويس. لويس. أنا هيلانة. ردوه علي . أريد أن أقابل السلطان

فأخذته الرحمة فتركها تمر ودلها على الطريق إلى خيمة السلطان فذهبت تعدو ...

* * *

قال لها القاضي :

— ولكن السلطان الآن في شغل ، يجب أن تنتظري ساعة

— لا . لا . أتوسل إليك ، أخاف أن يصيب ابني سوء ، فدعني أذهب إليه

فقال لها القاضي : اذهبي مع هذا الرجل . وأمره أن يدعها ساعة في خيمة الأسرى حتى يستأذن لها على السلطان ، وينبئه نبأها . وظنت أنها في طريقها إلى السلطان ، فسارت صامتة مسرعة ، فلما دخلوا بها الخيمة ورأت الأسرى ، عادت تصيح وتولول ، فنبه صياحها الأسرى ، واستفاض حتى بلغ خيمة السلطان فبعث يطلبها ... وكان في أقصى الخيمة أسير اضطرب لما رآها ووجف قلبه ، ولبث بصره عالقاً بها حتى خرجت من حيث جاءت ، فلبث مفكراً مشدوهاً ، تطفو على وجهه خيالات أفكار هائلة وذكريات بعيدة ، ثم تراخى رأسه فأسنده بكفيه ، وظل ساكناً تنطوي جوانحه على البركان ... الذي انفجر بعد دقائق ، فنهض الأسير يصرخ صراخ الوحش الكليم : أريد أن أراها ، أريد أن أراها . . .

وراع صياحه الأسرى وهم يعهدونه وديعاً كالحمل ، فأقبلوا يسألونه ، فلا يأبه لهم ولا يكلمهم ، وأسرع إليه الحراس يكلمونه فلا يجيب إلا بهذا الصراخ ، فرفعوا أمره إلى السلطان وأدخلوه عليه . . . فلما احتواه مجلس السلطان طأطأ رأسه ووقف خاشعاً ، وكانت عظمة السلطان تملأ نفسه إكباراً له ، وكان يحس فيها الشكر الخالص لما رأى من إكرام السلطان في هذه المدة الطويلة التي قضاها أسيراً عنده ، ثم رفع رأسه وجعل يقلب نظره في أرجاء المجلس فوقع على هيلانة وهي راضية مطمئنة وابنها في حجرها ، وهي تنظر إلى السلطان نظرة شكر وحب ، ثم رآها تنهض فجأة فتجثو بين يديه فتقبل قدميه وتتقاطر دموعها ، فيتململ السلطان وينهضها . . . فلم يعد يتمالك نفسه ، فأسرع نحوها على غير شعور منه ، فلما رآه الطفل هتف به : بابا . . . ووقع بين ذراعيه . . .

ونظرت المرأة مبهوتة لا تكاد تصدق ماترى ، وجعلت تنظر حولها لتتثبت مما ترى ، ولتعلم هل هي في يقظة أو في حلم ، ثم صاحت : لويس ! أنت حي ؟

وفهم السلطان القصة فحول وجهه حياء وتركهما يتعانقان . . .

* * *

ولما تلفت السلطان وجدهما جاثيين بين يديه يحاولان شكره ، فلا تجاوز الكلمات شفاهما إلا وهي جمجمات غامضة ، فقال لهما :

— إننا لم نفعل إلا ما يأمرنا به ديننا ؟

قالت المرأة :

— أدينك يأمرك بهذا ؟

— قال : نعم ، فإن الإسلام رحمة للعالمين ، للإنسانية كلها .

قالت : أفتضيق هذه الرحمة عن امرأة مسكينة ... تحب أن تسعد وتحيا بسلام ، في ظلال الإسلام ؟

فتهلل وجه السلطان ، وقال لها : إن رحمة الله وسعت كل شيء

قالت : كيف أغدو مسلمة ؟

قال : تشهدين أن الله واحد ، وأن محمداً رسول . لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

فنطقت بها ، وتلفتت إلى زوجها فوجدته ينطق بالشهادة .

* * *

وخرج ويده في يدها يذكران الماضي الحلو ، والقرية الهادئة .

— لقد تركنا البنفسج ياهيلانة يخضر أيانعاً ، فهل أزهر من بعدنا البنفسج فتضوع أريجه في جوانب الحديقة ؟ وشجرة التفاح هل تدلت ثمارها ، وارتخت أغصانها ؟ والعين هل بقيت على صفائها ... أواه ياهيلانة ! هل لنا من رجعة إلى ذلك الوادي السعيد وتلك الغابة التي ولد حبنا في جنانها ونما واكتمل ؟

— لا يالويس ، إننا لن نعود . إن يكن حبنا قد ولد في تلك الغابة ، فإنه قد بعث هنا بعد ما مات . هنا عدت إلى ، وهنا عرفت الله ، وهنا رأيت النبل والطهر والإنسانية ، فلنبق هنا يالويس ... أليست هذه هي الأرض التي ولد فيها المسيح ؟ إننا لم نخسر المسيح ، ولكننا ربحنا معه محمداً !

* * *

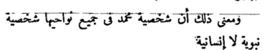
وتقدم الجيش بعد ساعة ، يمشي إلى الظفر مكبراً مهللاً ، وكان لويس في طليعة الجيش !

(دمشق) علي الطنطاوي

النواحي الإنسانية في الرسول

للدكتور زكي مبارك

أعتقد أن شخصية النبي محمد لم تدرس حق الدرس إلى اليوم في البيئات الإسلامية لأن المسلمين يجعلونه رسولاً في جميع الأحوال : فهو لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحي من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل



ومعنى ذلك أن شخصية محمد في جميع نواحيها شخصية نبوية لا إنسانية

يضاف إلى هذا أن جمهور المسلمين يعتقدون أن النبوة لا تُكتَسب ، وهم يعنون بذلك أنها لا تنال بالجهاد في سبيل المعاني السامية ، وإنما هي فضل يخص الله به من يشاء

وإنما غلبت هذه العقيدة لأن الإسلام نشأ في بيئات وثنية أو خاضعة للعقلية الوثنية ، والرسول لم يَشُقّ بين قومه إلا لأنه حدثهم بأنه بَشرٌ مثلهم ، ولو أنه كان استباح الكذب لحدثهم بأن فيه عنصراً من الألوهية لوصل إلى قلوبهم بلا عناء

* * *

الواقع أن محمداً كان آية من آيات التاريخ ، ولكن كيف ؟ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم . فبنو آدم يصلحون لكل شيء إلا سماع كلمة الحق

أراد الله أن يكون الإسلام إعزازاً للفكرة الإنسانية، ولكنْ بنو آدم يؤذيهم ذلك ؛ لأنهم خضعوا الألوف أو ملايين من الأوهام التي تشل القلوب والعقول

كان محمد إنساناً بشهادة القرآن ، والقرآن كتاب سماويٌ نص على أن محمداً إنسان ، وبنو آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق !

وفي غمرة هذه الضلالة نسيت النواحي الإنسانية في حياة الرسول وإلا فمن الذي يصدق أن رجلاً مثل محمد يضيع من عمره أربعون سنة بلا تاريخ ؟

ولأي سبب ينسى الناس أو يتناسون تلك المدة من حياة الرسول ؟

إنهم يصنعون بتاريخ الرسول ما صنعوه بتاريخ الأمة العربية لأنهم أرادوا أن يخضعوا خضوعاً تاماً للمعجزات ، فالنبي لم يكن رجلاً عبقرياً وإنما خصه الله بالرسالة فكتب له الخلود ، والعرب لم يكونوا أمة قوية وإنما ارتقوا بفضل الرسول

وما يجوز عند جمهور المسلمين أن يقال : إن الله خصَّ محمداً بالرسالة ، لأنه كان وصل إلى أسمى الغايات من الوجهة الإنسانية ، ولا أن يقال : إن الله اختار ذلك الرسول من العرب ، لأنهم كانوا وصلوا إلى غاية عالية من قوة الروح .

* * *

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أمشي على الشوك وأنا أقيد هذه الفكرة الفلسفية ، لأن بني آدم يحتملون جميع الأفكار ، إلا الأفكار المتصلة بحيوات الأنبياء ثم ماذا ؟

كان محمد إنساناً قبل أن يكون نبيًّا ، وذلك من أعظم الحظوظ التي غنمها في التاريخ ، فسيأتي يومٌ قريب أو بعيد يثور فيه الناس على الأمور الغيبية ، ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقرية محمد .

كان محمدٌ في سريرة نفسه إنساناً يخطئ ويصيب ، بدليل ما وُجِّه إليه من اللوم أو العتاب في القرآن ؛ وهو قد خضع للضعف الإنساني فذرف الدمع السخين يوم مات ابنه إبرهيم ، وهو

قد عانى الحب والبغض كسائر الناس ، وهو قد توجع من ظلمات الخطوب ، وهو قد تألم من غدر الأصدقاء ، ثم لم ينج من الكرب عند سكرات الموت

***

أحبك أيها الرسول !

أحبك لأنك كنت إنساناً له ذوق وإحساس ، ولم تكن كما يصورك الجاهلون الذين رأوا عظمتك في أن تكون حاكياً لوحي السماء ، وما أنكر وحي السماء ، ولكني أومن بأن في السريرة الإنسانية ذخائر من الصدق والروحانية ، وأنت أول نبي أعزّ السريرة الإنسانية .

أليس دينك هو الدين الذي تفرد بالنص على أن المرء يتصل بربه بلا وسيط ؟

أحبك أيها الرسول وأشتهي أن أتخلق بأخلاقك السامية .

أحب أن أكظم غيظي كما كنت تكظم غيظك . أحب أن أسلم بجهادي من شهوات النفس كما سلمت بجهادك من شهوات النفس . أحب أن أفر من الشيطان كما فررت من الشيطان ، على شرط أن أحب الحياة كما أحببت الحياة .

أتدري لماذا أحبك أيها الرسول ؟

لأنك أول من شرع الديمقراطية بين الأنبياء . ألست أنت الرجل الذي كان يتبذل في أكله ويقول :

« إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد »

أتدري لماذا أحبك أيها الرسول ؟

أحبك لأنك جعلت الحرب في سبيل الحق شريعة من الشرائع وهي مزية إنسانية ، وكان الأنبياء من قبلك يكتفون بالتفكير في عجائب الملكوت !

أحبك لأنك أعلنت حبك لطيبات الحياة واحتقرت الرهبنة والانزواء في المعابد والصوامع

أحبك لأنك انتقلت من المعلوم إلى المجهول

أحبك لأنك أعززت الشخصية الإنسانية يوم اعترفت بأنها صالحة للخطأ والصواب

ولكن ما رأيك فيمن يقاومون الحرية الفكرية باسم الغيرة على دينك ؟

ما رأيك فيمن لا يرضيهم أن تكون إنساناً يتذوق أطايب الحياة ويلهو أحياناً بالمزاح المقبول ؟

ما رأيك فيمن يحاربون الفنون والآداب باسم الدين ؟

ما رأيك فيمن يتوهمون أن الشخصية النبوية مجردة من البهجة والأريحية ؟

ما رأيك فيمن يخرجون من فردوس العقيدة الصحيحة كل من يتسم بسمة الحب لأطايب الحياة ؟

أنت حاربت الزهد ، وحاربت البؤس ، وحاربت اليأس ، ولكن بعض الناس يرون الإيمان لا يكمل إلا عند من يغرقون في لجج الشكية والكآبة والقنوط .

كنت إنساناً أيها الرسول قبل أن تكون نبياً ، وتلك الإنسانية هي التي فتحت صدرك للصفح عن هفوات الناس ، وهي التي جعلتك تنظر إلى ضعفهم بعين العطف ، وهي التي قضت بأن تتذوق ملوحة الدمع في بعض الأحيان

أنت نزهت نفسك عن الشعر ، الشعر المحبوس في قواف وأوزان ، ولكني لا أنزهك عن الشاعرية العالية التي تواجه الوجود بنظر ثاقب وقلب حساس

وكيف تخلو من الشاعرية وقد خلوت إلى مناجاة القلب في غار حراء ؟

كيف تخلو من الشاعرية وقد كنت رجلاً خلاً يجيد اختراع المعاني ؟

أنا أعرف لماذا نزهت نفسك عن الشعر أيها الإنسان الحساس

إنما نزهت نفسك عن الشعر لأن الشعراء في عصرك لم يكونوا عظماء الأرواح

وإلا فأي شعر فاتك وأنت تدعو إلى التفكير فيما خلق الله من غرائب وأعاجيب ؟

أي شعر فاتك وأنت تجعل السير في الأرض من واجبات الرجال ؟

أي شعر فاتك وأنت الذي أشار بالأفضلية في الإمامة لمن وهبهم الله حسن الوجه وجمال الصوت ؟

أي شعر فاتك وكان شخصك الكريم قيثارة تتغنى بمحاسن الوجود ؟

***

الآن عرفت لماذا يضن عليك بعض أتباعك بصفة الإنسانية ، إنما فعلوا ذلك لأنهم في ذات أنفسهم لا يؤمنون بعظمة

الإنسانية ، أما أنت فقد رميت بالكفر كل من يريد أن يخلع عليك ثوب الألوهيـة لأن الله خصك بأجل مزية من مزايا الإنسانية وهى الصدق

لقد فكرتُ مرات كثيرة من الاقتراب من روحك فلم يعقنى عائق لأن بينى وبينك وشيجةً من الإنسانية

ودعانى الشوق مرة إلى مسامرة خيالك فرأيتك إنساناً كاملاً لا تقع عينه على غير الجميل من شمائل الأصدقاء

وصحبتك مرةً فى بعض غزواتك فهالنى أن تكون رجلاً نبيلاً يصبر على الظمأ والجوع والأذى فى سبيل الحق

وشهدتك وأنت تعانى الكرب من فضول الناس وتزيّد المنافقين وتقوّل السفهاء فعرفت أنك إنسانٌ ممتاز ، لأن الابتلاء بأذى الناس لا يكون إلا من حظوظ الممتازين بين الرجال

وشهدتك يوم الموت وأنت تواسى ابنتك فتقول: «لا كرب على أبيك بعد اليوم » فعرفت أن الكرب فى الدنيا مقصور على عظماء الرجال

شهدتُ من أخلاقك وشمائلك ما شهدتُ ، أيها الإنسان الكامل ، فزدتُ اقتناعاً بأنك على خلقٍ عظيم

ولكن ما هى العظمة فى خلقك ، أيها الرسول ؟

أنت رويت القرآن عن جبريل فيما يقول المؤمنون ، وأنشأت القرآن فيما يقول الملحدون . وهـذا القرآن فيه لوم كثير وجه إليك ، فإن كان وحياً من السماء فأنت غاية الغايات فى أمانة التبليغ ، وإن كنت أنت منشئ ذلك الكتاب كما يقول الملحدون فأنت غاية الغايات فى أدب النفس ، لأنك سجلت ما آخذت به نفسك فى كتاب مجيد

وأين الرجل الذى يدين نفسه بنفسه كما صنعت أنت حين رويت القرآن أو حين أنشأت القرآن ؟

لقد وضعت أعظم دستور للسريرة الإنسانية ، وهو دستور الصدق ، يا أصدق من عرف التاريخ من الرجال

***

أما بعد فقد ارتاض القول بعد جموح ، وصار من السهل أن أحكم بأن النبوة عهد من عهود العظمة فى الطبيعة الإنسانية ، ولولا خوف الفتنة لزدت هذا المعنى تفصيلاً إلى تفصيل

محمد إنسان ، ولكنه إنسان مظلوم ، لأن أتباعه جردوه من فضل الاجتهاد فى سبيل الخير والحق والجمال

وهنا تظهر مزية جـديدة لذلك الرسول هى نكران الذات ، فلو كان محمد رجلاً من أمثال فلان وفلان وفلان من الذين تقلوا أممهم من حال إلى أحوال لملأ الدنيـا بالحديث عما وضع للحياة من أصول وقوانين

ولكن محمدا كان يحبّ أن يعيش مسكيناً وأن يحشر بين المساكين ، وقد جزاه الله خير جزاء ، فخصه بالعظمة فى الحياة وبعد الممات

محمد بشرٌ مثلكم يا بنى آدم ، وقد دعاكم إلى التخلق بأخلاقه ، ولم يكتف بذلك، بل دعاكم إلى التخلّق بأخلاق الله إلا الكبرياء

فهل رأيتم إنسانية مثل هذه الإنسانية ؟

محمد تحدث عن هفواته — إن كان له هفوات — ليدلكم على أن العظمة الحقيقية لا تكون إلا باتهام النفس والحذر من طغيان الأهواء

كان محمد يقول فى صدر خطبته « أيها الناس » أو «يا عباد الله» وأنتم تقولون فى صدور الخطب « أيها السادة » أو « سيداتى ، سادتى » .

فتأملوا الفرق بين العبارتين لتعرفوا أنه كان يبتعد عن تملق الأهواء .

استطاع محمد أن يتحدث عن هفوات الأنبياء ، وعجزتم أنتم عن الحديث عن هفوات الزعماء

فاعرفوا — إن شئتم — أن عظمة محمد من الوجهة الإنسانية هى تمجيد الصدق والخوف من زيغ القلوب

قد تقولون : إن الله أوحى إليه أن يكون كذلك .

وأجيب بأن أكمل خصيصة من خصائص الرجال هى الصلاحيةُ لتقبُّل وحى السماء .

وللسماء وحىٌ فى كل وقت ، ولكن أين القلوب التى تسمع ؟

إن محمداً حدثكم بأن الرجـل يستطيع أن يخاطب ربه بلا وسيط .

فأين المسلم الذى فهم أسرار الحروف واتجه بقلبه إلى مناجاة فاطر الأرض والسموات ؟

أين المسلم الذى تأدب بأدب الرسول فعرف أنه مسئول أمام الله لا أمام الناس ؟

***

والآن أرجع إلى نفسى فأقول :

في غار حراء

مهبط الرسالة

للأستاذ محمود الخفيف



أين من قدرك جهد الشعراء ... يا قرين الطور في نجوى السماء؟

أشفق الشعر، وكم راودته ... نجرى كالصبح بسام الرؤى

زاهر الصفحة رفاف الرواء

طاب للسامر يا شعر النشيد ... وهفا المزمار للحن الجديد

هات يا شعر حديثاً طالما ... ملأ الأعصر وحياً ومشى

ملء سمع الدهر لحنا وحداء

هيه... صغ لحنك في أم القرى ... أعبر الأجيال واطو الأعصرا

إقطع البيد إلى منعزل ... التقت فيه السموات العلى

مرة بالأرض في غار حراء!

غننا عن شاهق عالى الجبين ... تتملاه عيون الناظرين

حرمي نازع مستشرف ... السموات، منيع المرتقى

للعلى رمز وللحق لواء

جبل النور الوضئ النسب ... لقب يا حسنه من لقب!

أين في الأرض مكان مثله ... بينات الله فيه والهدى

لمعت فانجاب في الكون العماء؟

مهبط النور على هذا الوجود ... مرتقى أوحى له معنى الصعود

شد ما يملأ نفسي سحره ... ولكم تلمح روحى من رؤى

ومعان عبقريات وضاء!

هات ألحانك عند الجبل ... غن يا شعر به لا تحفل

امتلئ ما شئت من روعته ... إلتمس وحيك في هذا السنا

وترنم، يحلل يا شعر الغناء

هات حدثنا عن الراعي الأمين ... ذلك الأمي، عند الأربعين

ذلك الأمي من علمه ... غن في بيدائه كيف اهتدى

واجتلى في الأرض آيات السماء؟

يا رمال البيد هذا جاهد ... هادئ النظرة ماض صاعد

يا رمال البيد كم شاهدته ... يحمل الزاد ويمضي؛ هل رأى

حوله غير الرواسي والفضاء؟

يهمس الرعيان... ما يشغله ... أي أمر حازب أذهله؟

شاحب الوجنة لا من علة ... مطرق هامته، واني الخطى

طال في الله به عهد الرجاء

كان محمد إنساناً، ولكنه كان أعظم من جميع الناس لأنه لم ير الغنيمة في غير المعنويات.

كان محمد يستطيع أن يبني لنفسه داراً تشبه إيوان كسرى؛ وكان يستطيع أن يبني لنفسه قبراً يشبه هرم فرعون، ولكنه آثر أن يحيا ويموت وهو في متربة المساكين.

إن محمداً ظلم نفسه لينتصر ويفوز، وقد انتصر وفاز.

إن محمداً حرم نفسه أبهة الملك، وباسمه عاش الملوك.

إن محمداً حرم نفسه الشهرة بإجادة البيان، وبفضل الكتاب الذي بلغه عاش البيان. فيا رسول الله ويا إمام العرب والمسلمين إليك أوجه أصدق الثناء.

زكي مبارك



(غار حراء)

يا لهذا العربيّ الصائم   ابن عبد الله ، أزكى هاشم
بلغ الغار فألقى زاده   يا له من لاغبٍ طاوي الحشا
أكثر الزاد له تمرٌ وماء !

يا نجوم الليل أضناه السهر   لم ينل من طرفه طول النظر
هل أتى مكة ما أرّقه ؟   حسبُها من ليلها طيب الكرى
يغرق السمّار فيه السعداء !

إيه شمس الصبح ، يا نور الأزل   هل جلاك اللات يوماً أو هبل ؟
اسألي مكة عن أصنامها   اسألي السادة في أم القرى
عن تماثيل لها حق الولاء !

حدّثي يا شمس عن أنصابها   وأولي الغفلة من أصحابها
حدّثي عن ظلمة العيش بها   وعن الشحناء فيها والخنا
وذوي الفحش بها والخيلاء

تؤثر الليل على الصبح اتجاها   كهلها يسبق في الشر فتاها
بلدة كم غرّها باطلها   ليس في شرعتها إلا الهوى
شرعة الجور ودين السفهاء

لاذ بالوحدة في عزلته   ذلك الواحد في نشأته
ذلك انفرد من أيامه   ما دعا داعي الصبا إلا أبى
وتولّى وهو موفور الإباء

كم يعاني اليوم مما يحمل   لاذ بالغار ففيه الموئل
هاجسٌ في نفسه يشغله   ينسخ اليأس به لمح أني
ساعة ثم يغشّيه الخفاء

يا لعانٍ يعظم الكون له   كم يرى الرهبة فيما حوله
كم له في صبحه إذ ينجلي   ثم في الليل إذا الليل سجا
من يقين وجلاء واهتداء !

هذه الأفلاك من يمسكها   في الفضاء الرحب من يسلكها ؟
والرواسي الشم من شيّدها   من دحا الأرض ومن ساق الحيا
فسقى الترب به حيث يشاء ؟

من لهذا الساجد المقترب   هل تلى في أمسه من كتب ؟
هل بنت أم القرى مدرسة ؟   منتهى ما علمت تلك الدمى
يتملاها بنوها النجباء !

مَنْ لِهذا الفَرْدِ في بَيدائِه … يَرْوِي العالَمِ أو أنبائِه
هَلْ أتاهُ نَبَأٌ عن فارِسٍ … هَلْ عَنِ الشامِ ومِصرٍ من نَبا
وعَنِ الرُّومِ وأرضِ الحُكَماء ؟

ضَجَّ بالعُدوانِ ذاكَ العالَمُ … ما يُرَى هادٍ له أو عاصِمُ
الهِداياتُ بهِ حائرةٌ … والضَّلالاتُ به استشرت فما
يَفهَمُ الرَّحمةَ إلا الضعفاء !

باتَ ما طافَ بهِ من قَبَسٍ … في ظلامِ الأرضِ كالمُختَبِسِ
يا لَها من شُعلةٍ خابيةٍ … غَرِقَتْ أو أوشكت فيما جرى
من دموعٍ هاطلاتٍ ودِماء !

لَوَتِ الشُّعلةَ عن وِجهتِها … أُمَمٌ ثارَتْ على وَمْضَتِها
ضَرَبَ الغَيُّ على آذانِها … واشتَرَت بالحقِّ والنُّورِ العمى
فَتَغَشَّتها دياجيرُ الفناء

طابَ للأُمِّيِّ في الغارِ المُقامْ … ليس يَثنيه مِهادٌ أو صِيامْ
لِلسَّمواتِ العُلى مُستَشرِفٌ … في دُجى الليلِ وفي نورِ الضُّحى
ضارِعٌ لله موصولُ الدُّعاء

سابحٌ في الملكوتِ الدائمِ … والجلالِ المُستفيضِ القائمِ
مُطلَقُ النَّفسِ رَضِيٌّ آمِلٌ … صُوَرُ الحقِّ بهذا المُجتَلي
أمَدَّتهُ بِرَوحٍ وانتشاء

رَوعةُ التسبيحِ في نَظرتِهِ … وجَلالُ الحقِّ في مُهجتِهِ
ساجِدٌ لله يرجو وَجهَهُ … صابِرٌ مُرتَقِبٌ جَمّ الرِّضا
خاشِعُ المُهجةِ مَصدوقُ الولاء

طافَ بالرُّعبِ على مَضجَعِهِ … هامِسٌ يَهمِسُ في مِسمَعِهِ
يالَهُ الله ! أرؤيا نائم … ماله يَسمَعُ لكن لا يرى
حوله إلا هواءً أو هَباء ؟

إنها الشُّعلةُ جاءت من جديدْ … لِلوَرَى فيها طَريفٌ وتَليدْ
هَبَطَ الغارَ بها الرُّوحُ الأمين … ساقَها اللهُ لِطه المُصطفى
ابنِ عبدِ اللهِ خيرِ الأنبياء

قَبَسُ اللهِ العَلِيِّ الأكرمِ … «عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلَمِ»
قَبَسُ اللهِ الذي أوحى له … ظَلَّ يرجو نورَه حتى انجلى
رائعَ الإشراقِ وهّاجَ الضياء

هلَّ نورُ اللهِ في أعلى الجبل … أبشِري يا أرضُ قد هلَّ الأمل
حَمَلَ ابنُ البيدِ ما أَلهَمَهُ … ومَشى الراعي رسولاً للورى
يرفعُ الشُّعلةَ من بعدِ انطفاء

يا رِمالَ البيدِ قد جاءَ البشيرْ … نَزَلَ الداعي إلى الحقِّ النذيرْ
انظريه … نورُه بين يَدَيه … أيُّ نورٍ مِثلَ هذا أو مضا
أيُّ قولٍ حارَ فيه الفُصَحاء ؟

غَمَرَ النورُ جِباهَ الصابرينْ … وتَمَشّى بين أيدي الفاتحينْ
مِن رُبوعِ الهندِ للأندلسِ … أَلهَمَ الناسَ العُلا أنّى مضى
فَهُمو في الدِّينِ والدنيا سواء

الخفيف

بين مصر وإيران

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

الترابط بين الأمم والشعوب ضرورة اجتماعية، تقتضيها طبيعة الوجود، والرغبة في التعاون والمنفعة. وإن الأمم لتأخذ لهذا الترابط بأسباب مختلفة، وتقيمه على اعتبارات متباينة؛ فهي مرة تقيمه على الأغراض المشتركة، والآمال المتفقة، والمذاهب المتماثلة؛ ومرة تدعو له باسم الوشائج الجنسية، والروابط العصبية؛ ومرة تشرعه بدعوى العلم والحضارة والصالح العام؛ وفي هذا العصر يتخذه القوم وسيلة لسد المطامع، والجشع الاستعماري، وفرض السلطان على الشعوب الضعيفة؛ وهم في كل هذا يوثقون له بالمعاهدات والمحالفات والمشارطات والمؤتمرات تقام ثم تنفض، وقد ملأ القوم الدنيا بالخطب الرنانة، والوعود الخلابة، والرغبات التي ظاهرها الرحمة للانسانية، وباطنها الويل كل الويل للانسانية.

وكل هذا باطل في منطق الحق، وكذب على طبيعة الوجود، وإن صح في خسيس من المذاهب رجس كما يقول أمير الشعراء. وإن التاريخ ليخبر نا بوقائعه وتجاربه بأنه ما وثق بين الأمم والشعوب مثل تبادل العواطف، وما وثق في تبادل العواطف مثل المصاهرة: تلك الفضيلة الاجتماعية التي جعلها الشرع الإسلامي صلة من صلات المودة والألفة والاتحاد، وأنزلها منزلة القرابة العصبية واللحمة في النسب، فقد حرم على الشخص أن يتزوج بأم زوجته أو بأنثى من فروعها وأصولها. كما حرم عليه أن يتزوج بأمه أو بأنثى من أصول نفسه وفروعه، وكذلك حرم على زوجته الاقتران بأحد من أصوله أو فروعه، فكأنما أنزل الله كلاً من الزوجين منزلة نفس الآخر حتى أنزل فروع كل منهما وأصوله بالنسبة إلى الآخر منزلة أصول نفسه وفروعه. وهذا برهان يقيمه لنا الشرع الحكيم على أن الاتصال بطريق المصاهرة مساو لنفس القرابة النسبية في الأحكام والحقوق والألفة والاحترام.

على هذا الاعتبار القويم تتخذ الأمم الرشيدة من المصاهرة رابطة مودة، وواسطة سياسية، وعلاقة تامة يكون بها التعاون والرغبة في الإفادة والخير؛ بل على هذا الاعتبار جرت عوائد الأمم في الأزمنة الغابرة، فكانت القبائل والعشائر تتصاهر إذا أرادت أن تدخل في ميثاق يكون به المعونة على دفع الشر وجلب الخير؛ ولو أن دماء سفكت بين قبيلتين، وعداوة تمكنت بين أمتين، حتى ملوا مقارفة النزال، وكلوا من مقارعة النضال، ورغبوا في الأمن والطمأنينة والسلام، لم يجدوا وسيلة تقطع دابر العداوة فيهما، وتوثق روابط المحبة بينهما، إلا أن تتصاهر القبيلتان فتصيرا كأسرة واحدة، وتدخلا في عهد جديد تتوحد فيه المشاعر والعواطف، وتصح به الهمم والعزائم، وتقوى الرغبات والآمال

وعلى هذا الاعتبار الذي تقتضيه الطبيعة، وتشير به الشريعة، وتقره وقائع التاريخ، تقوم اليوم الصلة بين شعبين كريمين: بين مصر ذات المجد الخالد، وإيران صاحبة التاريخ التالد. والصلة بين مصر وإيران صلة قديمة منذ العصور الغابرة، فالتاريخ يحدثنا بأنه لما ظهر «كورش» مؤسس الإمبراطورية الفارسية العظيمة، فاندفع في الغزو والاستعمار حتى استولى على ليديا وميديا وآسيا الصغرى وتوغل شرقاً إلى شواطئ السند، خشيت الدول بأس الفرس، وعقدت ضدهم تحالفاً ضم بابل وليديا ومصر وبعض ولايات الإغريق، فنهض «كورش» المظفر للانتقام من الدول المتحالفة، فأعاد ليديا لطاعته، وفتح بابل من جديد، ثم مات وفي نفسه الرغبة في غزو مصر!

فلما تولى من بعده «قمبيز» عمل على تنفيذ الرغبة، فجاء بجيش جرار إلى مصر، وكانت مصر منيعة بالتحصين، ويقول مؤرخو الإغريق أنفسهم: إن أحد الجنود اليونانيين خان المصريين فدل الفرس على أسهل الطرق في اقتحامها، وبهذا استطاع «قمبيز» أن يفتح مصر بعد مقاومة شديدة، حتى لقد أسر ملكها «ابسماتيك الثالث»، واشتط في معاملة المصريين، فأذاقهم ألواناً من القسوة والجنق، وهزئ بدياناتهم فهدم المعابد والهياكل، وقتل بيده العجل أبيس في أحد الاحتفالات الدينية

فلما تولى «دارا الأول» أراد أن يصلح ما أفسده «قمبيز»، فزار مصر، وأبدى احتراماً عظيماً لديانات المصريين ومعبوداتهم، حتى لقد شيد هيكلاً فخماً بواحة سيوة لمعبودهم آمون، وبنى كثيراً من المدارس ودور العلم، وعضد التجارة ففتح الخليج

الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، وأصلح طريق قفط إلى وادى الحمامات ، وعلى الرغم من هـذا كله فقد انهزم المصريون الفرسة في هزيمة « دارا » مع الإغريق في موقعة « مرتون » ، فخرجوا على طاعته ، واستردوا استقلالهم بزعامة أمير من الوطنيين ، ولكن الفرس عادوا إلى غزو مصر ثانية في عهد ملكهم «إجزرسيس» ، فقابلهم المصريون بالثورة والتمرد .. وهكذا ظل الفرس على الرغبة في استعمار مصر ، وظلت مصر في الثورة على هذه الرغبة حتى جاء الفاتح العظيم الاسكندر الأكبر فطوى مصر وفارس فيما طوى من الأمم والشعوب

تلك هى صلة مصر بفارس في التاريخ القديم ، وهى كما ترى صلة الفتح والاستعمار ، ورغبة السيطرة وبسط النفوذ .. فلما كان مطلع التاريخ الحديث اتصل المصريون بالفرس اتصال محبة ووفاء واحترام ، فتمكن الود بين السلطان الغوري والشاه اسماعيل الصفوي على دفع الخطر العثماني الداهم ، فسمح الغوري بأن يمر بطريق الشام الوفد الذى أرسله الشاه إلى البندقية لعقد محالفة على محاربة العثمانيين ، ولما زحف السلطان سليم الأول على بلاد الشاه وأراد أن يكتسح فارس بأجمعها ، وجد الشاه قد أتلف كل ما خلفه في المدن والقلاع من المئونة والذخائر ، فأرسل السلطان سليم في طلب المدد والزاد من بلاده ، ولكن قبائل التركمان وإمارة القادرية التابعة لمصر أغارت على قوافله ومنعت وصولها إليه ، فقلت الأقوات في معسكره ، واضطرب الأمر في جيشه ، وحرم لذة انتصاره ، فأسرها السلطان في نفسه ، وكانت مما تعلل به في غزو مصر وضمها إلى خلافة آل عثمان

واليوم ترتبط مصر وفارس برباط المصاهرة الكريمة ، أعنى رباط القرابة والنسب ، والود والألفة ، وإنه لوضع ثابت في الاختلاط بين الشعبين ، وعهد جديد في التعاون بين الأمتين الخالدتين ، وميثاق صريح صحيح يؤكده دعامتان : «الدين» يوحدبيننا في المشاعر والأفكار والعواطف والميول والأخلاق والعادات ، « وثقافة » مستمدة من تعاليم الإسلام ، وسياسة القرآن ، وكل ما خلف العرب من أفانين العلوم والمعارف .. والدين والثقافة عند علماء الاجتماع هما أهم المبادىء التى تحفظ كيان الأمم ، وأقوى العناصر في تكييف حياتها ورقيها . أليس بفكرة الإسلام وحدها استطاع محمد صلوات الله عليه أن يجمع شمل تلك القبائل المتفرقة المتخاذلة ، وأن يخلق منهم تلك الدولة العظيمة التى دوخت العالم ، وتبوأت أرفع مكان في التاريخ ؟!

ولا شك أن الشرق اليوم هو اللقمة السائغة التى يتقابل على التهامها أمم الغرب ، ولا شك أنه لا طاقة للمسلمين بدفع هذا الخطر ولا قائمة لهم إلا بتبادل الشعور والعواطف ، وإحكام الروابط والصلات ، والرجوع إلى وحدة إسلامية لا مناص من الرجوع إليها كما يقول أستاذنا المراغي .. ولا شك أن هذه الصلة الوثيقة بين مصر وإيران ، قد قربت الوصول إلى تحقيق هذه الوحدة ، وستكون إن شاء الله طالع سعد للاسلام والمسلمين ، وتوثيقاً لعرى القومية بين أمم الشرق التى هدها نفوذ الغرب وجشعه ، وأنهكها طول التفرق والانقسام .

أميرة مصر وأمير إيران يقترنان .. ألا إنه لبراعة استهلال للنظام الجديد ، وطالع يمن للشرق والإسلام ، ورغبة أمتين كريمتين في الخير والمحبة ، ثم هو صلة بين قلبين طاهرين ، وعاطفتين نبيلتين ، نسأل الله أن يحوطه برعايته ، وأن يقرنه بالسعادة والبركة ، وأن يحقق به الآمال والرغبات ، وأن يجعله وسيلة الخير والسلام لغاية الخير والسلام .

محمد فهمى عبد اللطيف

رسالة الإسلام خالدة

للأستاذ محمد فريد وجدي

وقر في عقول أهل العلم الغربيين، وعقول من نهل من حياضهم من الشرقيين، أن الأديان التي احتضنت الجماعات البشرية منذ نشوئها إلى عهد قريب قد انتهى دورها، وانقضت رسالاتها، لعدم وجود نفع يرجى للجماعات الراهنة منها. وكثيراً ما أسأل: هل رسالة الإسلام لا تزال قائمة؟ فأجيب: نعم، وأبد الدهر.. ولست في تأكيدي هذا بواقع تحت سلطان العقائد الوراثية، ولا بمخدوع بالأوهام التقليدية، ولكني مستند فيه إلى علم، وماض فيه على بينة

ذلك أن كل مجموعة من التعاليم يحكم عليها بانتهاء دورها، حين تستنفد الحياة كل ما فيها من غذاء يناسبها، أو تتطور العقول وتظل هي جامدة لا تماشيها، فتترفع عن الأخذ بها؛ ولكن تعاليم الإسلام لا تجرى عليها هذه السنة، فقد جاءت بالمثل العليا في كل ناحية من نواحي الحركة الروحية والعقلية والاجتماعية، فكيف يعقل أن تنتهي له رسالة، أو تزول له دولة؟

فأما من ناحية الحركة الروحية فإن الإسلام يصرح بأنه دين الفطرة الإنسانية، وهذه الكلمة أسمى ما يعبر به عن دين يخلد خلود البشرية. فإن الفطرة مودع فيها شريعة النوع كله بالقوة، وهي واحدة في جميع الأفراد لا تتعدد إن لم تفسد بدس تعاليم خارجية إلى النفس محولها عن سمتها الطبيعي. وقد شدد الإسلام في النهي عن إفسادها بالتعاليم الضارة بها في كل مناسبة؛ وقد زاد بحاطها بحوافظ قوية من ضروب مختلفة، فنبه النفوس أولاً إلى ضرر التقليد الأعمى للآباء والقادة، وأمر بطلب الدليل المقنع على كل عقيدة يتقدم بها داع لنحلة، وصرح بأن الإيمان التقليدي لا يقبل، وأن الإنسان مسئول عن عمله الشخصي، وأن أحداً لا يغني عنه شيئاً، وأن أكثر من في الأرض لا يتبعون إلا الظنون والخزعبلات الموروثة، وأن الدين يهتدي إليه الإنسان على ضوء العقل الناضج والعلم المحص، وأن الإنسان يترقى في معارج الهداية بقدر ما يخلص في طلب الحق، ويتجرد من الأهواء والأوهام، ويثابر على النظر والفكر، ويستمع لكل كلام فيتبع أحسنه، ولا يأنف أن يأخذ بحقيقة يأتيه بها من يخالفه في دينه ولغته، وألا يصر على قول إذا ظهر له وجه الصواب في تركه، وألا يتعصب لمذهب أو رأى تعصباً يعميه عن نظر ما عسى أن يكون فيه من الثلم أو يرد عليه من الاعتراضات، وأن يكون دائماً حريصاً على استقلاله العقلي وحريته الفكرية، مستعداً لأن يصحح ما يتضح له أنه مخطئ فيه، معتقداً أن ليس بعد الحق إلا الضلال.

وبناء على هذه الكليات يرى الإسلام أن الناس ماداموا كلهم متشابهين في الخلقة، ومتساوين في الميول والعواطف، فلا يصح أن تكون لهم أديان متعددة لم يفرق بينها إلا أهواء القادة وأوهام الزعماء، فإنما هو دين واحد، دين الفطرة المؤيد بالعقل والنظر، المنزه عن الظنون والوساوس، الجامع لكل ما حصلته الإنسانية في أدوار حياتها من مذخورات أدبية، وفتوحات روحية، فقال تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما هم في شقاق، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» وقال: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء»

وأما من ناحية الحركة العقلية فإن الإسلام قد رفع من شأن العقل ونوه بسلطانه، إلى حد أنه اعتبر الذين لا يقيمون له وزناً في تقدير قيمة عقائدهم دواب، تحقيراً لهم، فقال تعالى: «إن شر

الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . وعد الذين لا يستخدمون حواسهم الظاهرة في النظر والتأمل ، ومشاعرهم الباطنة في الاستدلال والتعقل ، أنعاماً بل أضل . قال الله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »

وشفع الإسلام كل هذا بالتحضيض على طلب العلم والتحريض على تصيد المعرفة من كل المظان التي يتخيلها العقل ، من النظر في الكون والتأمل في الكائنات ، والتنقيب عن مساتير الخليقة والسريان في سرائر الوجود ، في السماء وأجرامها ، في الأرض وعوالمها ، في الحيوانات وعجائبها ، في النباتات وبدائعها ، كل ذلك لبناء الشخصية الإنسانية وإبلاغها إلى ذروة الكمال المقدر لها . ولقد رفع من شأن العلم في نظر الإنسان إلى حد أنه حصر فهم آيات الله وإدراك مراميها ، وفهم منازلها في أهل العلم ، فقال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » وقال : « إن في ذلك لآيات للعالمين » بكسر اللام فيهما . ولا يمكن أن يتخيل أحد أن يتجاوز التنويه بشرف العلم هذا الحد

هذا ولم يغفل الإسلام في تطلب ترقية الشخصية الإنسانية شيئاً ، حتى الضرب في الأرض ، وتعرف أحوال الأمم وطبائعها ، ودراسة ما هي عليه من شرائعها وعاداتها . وناهيك بأثر ذلك في ترقية النفسية البشرية ، فقال تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » . وقد كرر الحض على السياحة مراراً كثيرة

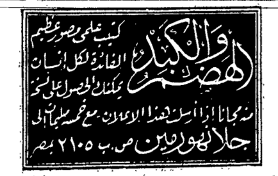
وأما من ناحية الحركة الاجتماعية فإن الإسلام قد بلغ بها الأفق الأعلى ، وأوجد في رابطة الاجتماع تجديداً لم تحلم به الإنسانية بعد ، ولا مناص في أنها ستعول عليه في المستقبل ، فقد جعلها الإسلام مؤلفة من الأصول الأدبية ، والقواعد الخلقية ، لا كما كانت قائمة عليه من الحاجات الجسدية ، والمقومات القومية . فعل الإسلام ذلك لتشمل تلك الرابطة النوع البشري كافة ، وتلاشى في طريقها الفروق الجاهلية القائمة على الجنسية ، والخلافات اللغوية واللونية التي كانت ولا تزال عوامل شقاء في بنية الإنسانية ، بما تثيره من الحروب والغارات بينها ، وما تمحق من روح التكافل والتعاون فيها . فالإسلام لا يعترف بفرق بين عربي وعجمي وصيني وتركي ، وجاوي وفرنسي الخ ، فالناس كافة في نظره أولاد آدم وحواء ، وقد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا ، لا ليتناكروا ويتناحروا ، فقال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »

فالإسلام يقرر أنه ما دام النوع البشري واحداً ، فيجب أن يكون له دين واحد وغرض في الحياة واحد . وأنت ترى أن العالم كله رغماً عن طغيان النابطة القومية في هذا العصر ، وازدياد عوامل الفرقة والخلاف بين الشعوب ، سيضطر إلى التوحد ، وستكون هذه الموجة نفسها من الخلاف والتفرق من أكبر العوامل في إيجاد تلك الوحدة المرجوة ، لأنها ستثبت بدليل محسوس أن هذه الوحدة هي العامل الوحيد لنجاة المدنية من التلاشي .

إذا اعتبرت كل ما ذكرته هنا رأيت بما لا يدع شكاً أن رسالة الإسلام لا تزال باقية ، وأنها ستبقى ما بقي النوع الإنساني على الأرض . وإنما تزول التعاليم إذا كانت مقدرة على أحوال معينة ، متى ارتقت أصبحت تلك التعاليم لا تسد حاجة المجتمع فتزول ، أو يثبت فسادها بترقي العقول . فتتلاشى مع كل ما يتلاشى من أمثالها .

ولكن ما بيناه من تعاليم الإسلام هنا لا يعقل أن تزول ، لأنها أصول أدبية خالدة ، ومثل عليا لا يمكن التمارى في سموها ، وفي تأدي العالم في المستقبل إلى محاولة تحقيقها .

محمد فريد وجدي





مجد المرأة وكرامتها في كنف الإسلام

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي
مدير المساجد

أقام الشرع الإسلامي قواعد للمجتمع ، على أسس اجتماعية أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ونظر إلى الدعامة الأولى لبناء الأفراد وهي المرأة ، فجعلها قسيمة الرجل في الحياة ، أمّا أو زوجة ، ثم أوضح لها شرعتها حكيمة مسددة تمهد لها كل ما هو ميسر لها ، متسق مع طبيعتها.

وطبيعة المرأة : وجدان متأثر ، وعاطفة مشبوبة ، وجانب لين ، وأجزاء دقيقة ، وهيكل متأنق ، ورونق متألق ، ولطف ساحر في التأسية ، وفيض ضاف من الحنان.

ولقد تنطق المرأة بكلمة تواسي بها الرجل إذا تفزع فؤاده من الهول ، فتفعل الكلمة فعلها في قلبه ، وتؤثر وتجدى ما لا يؤثره أو يجديه بلاغة الأساة من الرجال . ولعلك على ذكر من كلمة خديجة أم المؤمنين يوم جاءها زوجها محمد صلى الله عليه وسلم وفؤاده يرجف من لقاء الملك ، ومن تلقي الوحي ، وهو أمين الله ومختاره جلادة وقوة وصبراً واحتمالاً ، فلم يكن منفرجُ الروع ، ولا ذهاب الخوف إلا ساعة قالت خديجة كلمتها ، كلمة المواساة والترفق والأمل : « كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتحمل الكل ، وتكسب المعدم ، وتعين على نوائب الدهر »

***

أعلى الإسلام من قدر المرأة ما وسع العلاء طبيعتها ، وعظم من شأنها ما شاءت الخليقة أن تعظم ، ثم وفر لها من الحرية ما يناسبها وهيّأ لها في ميدانها سبيل النفع والخير ؛ فلم يردها قعيدة بيت بل سيدة بيت ؛ ولم يجعلها مسلوبة الإرادة ، بل شاءها طليقة في مملكتها الصغيرة الكبيرة ، ورجا لها الصيانة في قدس الخدر.

خطب صلى الله عليه وسلم بنت عمه أبي طالب واسمها أم هانئ ، وكانت قد تزوجت ونسلت ومات عنها زوجها . فما الذي ألهمها الإسلام أن تقوله في جواب هذا العرض المحمدي الشريف ؟ لقد قالت تخاطب صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من سمعي ومن بصري ؛ وإني امرأة مؤتمة (مات عني زوجي) وبنيّ صغار ، وحق الزوج عظيم ، فأخشى إن أقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي ؛ وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق زوجي »

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش : أحناهن على ولد في صغره ، وأرعاهن على بعل في ذات يده »

لم تكن تلك الحرية فيمن تختاره المرأة لنفسها قاصرة على كرائم أحرارهن ، بل بسطها الإسلام حتى على من كانت أمة وخلصت من الرق .

ملك عقبة بن أبي لهب جارية حبشية اسمها بريرة ، وزوجها عبداً من العبيد ، فكانت تضيق به وتتبرم منه . ولكنها مملوكة ، وأمرها ليس بيدها . فلما علمت عائشة أم المؤمنين بما تعانيه « بريرة » في هذا الزواج اشترتها وأعتقتها . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ملكت نفسك فاختاري » فاختارت أن تنجو بنفسها من هذا الزواج الذي لا تطيب به . فكان زوجها بعد هذا الفراق يمشي خلفها ويبكي ويسترضيها ، فلا ترضى عنه . وكان يرثى له كل من يراه خلفها باكياً . رآه صلى الله عليه وسلم مرة وتلك حاله فقال لأصحابه : « ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له ! » ثم قال لها : « اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك » فقالت : « أتأمرني يا رسول الله ؟ » فقال : « لا . إنما أنا شافع » فقالت : « إذن ، فلا حاجة لي إليه . . . »

هكذا تقررت حرية المرأة فى أمر نفسها ، حرية تكفل البيت النعيم ، وتوفر لها المناعة . وبهذا جاء الإسلام موقراً رأيها ، محافظاً على كيانها ، مظهراً لشخصيتها . فإذا ما أجارت المسلمة لاجئاً ، أو أمّنت أسيراً ؛ فقد أجاز المسلمون — جميعاً — من أجارت ، وفكوا من أطلقت ، وحموا من استعاذ بها ...

ورد فى صحيح البخارى أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة يوم الفتح اختفى رجلان بأم هانئ بنت أبى طالب وهى مسلمة ، فدخل عليهما أخوها على وهمّ بقتلهما ، فأغلقت دونه الباب ، وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : « مرحباً وأهلاً يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر أخيها على ، فقال عليه السلام : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمّنا من أمنت »

فقد أجاز الشرع لنقيلة مسلمة كريمة أن تفك عانياً أسره المسلمون فى غزوتهم ، وقد كانت بين الأسير وبين الكريمة أسباب وثيقة ، فما هو إلا أن عاذ بها واستجار فى حماها ، فأجارته

***

ولقد كانت كبرى بنات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهى زينب قد تزوجت من ابن خالتها أبى العاص بن الربيع ، وكان أبو العاص يخص زوجته زينب بإكباره وتكرمته ، فلما انصرف عن الإسلام بادئ الأمر وزوجته مسلمة فرق بينهما الإسلام ، وهاجرت زينب ، وبقى هو منصرفاً عن الإسلام ؛ غير أن حنينه لزوجته لم يفتر ، فكان يرسل لوعته الحرّى فى أبيات من الشعر الرقيق ويقول :

ذكرت زينب لما وركت إرما فقلت سقياً لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بعل سيثنى بالذى علما

ثم خرج إلى الشام فى تجارة لقريش ، فعرض للقافلة زيد بن حارثة فى جمع أرسله محمد عليه السلام ، فغنموا المال وأسروا الرجال . وكان فى الأسرى أبو العاص ، فاستجار بزينب ، فرجت أن تحقق إجارته وأن تحميه ، وترقبت صلاة الفجر ، وأبوها يؤم المسلمين ، فلما انتهوا وقفت بباب المسجد ونادت بأعلى صوتها : « إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع » . فقال صلى الله عليه وسلم : « هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا : نعم . قال : « فوا الذى نفسى بيده ما علمت بشئ مما كان حتى سمعت ما سمعتم . المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت » فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه ، ففعل ...

ولقد حسن شأن أبى العاص ، وحلت الهداية قلبه ، فعاد إلى مكة وأدى الحقوق إلى أهلها ، ثم رجع إلى المدينة مسلماً ، فرد رسول الله إليه زوجته زينب الوفية البارة .

***

رأى المشرع الإسلامى أن صيانة الأعراض وحرمة السير وكرامة الأسر من حقوق المجتمع ، بل من أسباب بقائه ونموه ؛ ذلك بأن الخلية الأولى من خليات المجتمع هى الأسرة ، والأسرة لا قوام لها إلا بالرجل ، يندفع لحمايتها ، وينبعث لرعايتها ، ويعانى أخطار الحياة ، ويجوب الفيافى والخراب — كل ذلك ليوفر لأبنائه وليبته أسباب الحياة وسعادة العيش ؛ وما يدفعه إلى ذلك إلا حنان الأبوة ، ووشائج النسل ، وشعور ملتهب بأن الولد قطعة من أبيه ، وفلذة من كبده ، فمن أين تتم للرجل تلك الدوافع وهاتيك الوثبات إذا هو ارتاب أو حاك الشك فى نفسه صحة انتساب ولده إليه ، أو خلوص زوجته له ... !

لهذا أحاط الإسلام المرأة بسياج حصين ، وأمن الرجال على أنسابهم وأعراضهم ، لصلاح مجتمعهم ، ثم توعد — فى أسلوب قوى رائع — كل من يمس قداسة الطهر ، أو يتعرض — على غير علم — لصفة المرأة ، أو جرى على لسانه الهُجْرُ والفحش فى سيرتها ...

يقول تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون »

فانظر كيف حدد الله للتهجم على الأعراض عقوبة جسيمة ثم أردفها بأخرى أنكى وأخزى وأبقى على الأيام ، تَسِمُ القاذف بميسم الخزى وتتهمه — أبد الأيام — بفقدان الثقة وخبث الذمة ومرض الضمير . ثم يحم سبحانه الآية بتسجيل فسق القاذف

وخروجه عن طاعة الله ونبذه من المجتمع الأخلاق ...

ثم شاء — جل وعلا — ألا يدع هؤلاء الوالغين في الأعراض حتى يجعل الخزي والعار ناطقاً بشناعتهم مشهراً بسوآتهم فقال :

« إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » .

ولقد ثقف الإسلام المرأة ثقافة يتطلبها شأنها ، ثقافة دينية خلقية ، فكان عليه الصلاة والسلام يجعل للمسلمات يوماً كل أسبوع يعلمهن ويثقفهن، وكان كريم الصبر في إرشادهن، فسيح اللبان في هدايتهن .

أخذ عليهن — عند ما كن يبايعنه مرة — ألا ينحن على الموتى . فقالت عجوز ممن حضرن : يا رسول الله ، إن أناساً أسعدونى على مصيبة أصابتنى ، وإنهم أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أسعدهم . فقال لها عليه السلام : « انطلقى فأسعديهم » ثم عادت فبايعته .

تلك بعض نظرات الشرع الإسلامي إلى المرأة، فأين نحن ؟ وكيف صرنا ؟

لقد روى لنا المؤرخون أن دولة الرومان يوم تألق نجمها ، وعظم سلطانها ، واستبحر عمرانها ، كان الشطر الثاني للمجتمع وهو النساء، لا يعرفن غير البيت والأسرة ، يقمن للبيت بواجبه ، ويؤدين للأسرة حقها ، وهن من وراء حجبهن . بل لقد غلون في الحجاب يومئذ غلواً كبيراً ، فلن تخرج واحدتهن إلا وهي ملثمة ، وعليها الأردية السابغة ، ومن فوقها العباءات التي لا تبين تقاسيم الجسم — في ذلك الحين برع الرومان في كل شيء ، في الملك والصناعة والتشريع ، ودانت لسلطانهم الشعوب . فلما بلغت الدولة مداها ولع الناس بالترف ، وغمرهم النعيم ، وأفسد أجسامهم البذخ ، فغدوا يتبكرون اللذات من غير تحرج ولا تأثم ، حتى فترت غيرتهم ، وامحت نخوتهم ، فتضعضعت قوة الملك ، ووهى صرح المجتمع ، ولم تلبث دولة الرومان العظيمة أن تساقط ملكها ، وانتزع الفساد شوكتها ، وراحت صريعة الشر الاجتماعي الذي نزل بالمرأة من عليائها إلى الحضيض ، وهوى بالدولة معها إلى الفناء .

***

ولقد نسمع المفكرين وذوي المذاهب الإصلاحية الاجتماعية يتصايحون اليوم : أن ارجعوا بالمرأة إلى ما خلقت له ، وجنبوها مزالق الاجتماع ، واجعلوا تحت نظرها كتب التهذيب الديني ، والتدبير البيتي ، لتروى أبناءها من منابع الدين وأصول الفضائل ، وتحكم بتدبيرها نظام الأسرة الذي أوشك يتداعى . فهل من سميع ؟ وهل من مجيب ؟ لنا في تراثنا مرجع لصد العابثين ، وإيقاظ الساهدين . إن في تربية الإسلام للمرأة ما يوفر لها حريتها ومجدها وكرامتها .

الجريني





« يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله. إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ». (قرآن كريم)



الليل ساج، والحياة نائمة، وعيّاش في طريقه يتسلل في رقبة وحذر، وقلبه يضطرب خشية القوم أن يستشعروا فراره فيجلبوا عليه وهو يريد أن يفرّ بدينه إلى المدينة.. إلى حيث يجد الحرية والأمان. لقد كان — وهو في طريقه — ينظر إلى وراء، بين الفينة والفينة، يودع ملاعب الطفولة ومراتع الشباب للمرة الثانية، والعبرات تترقرق في محجريه، غير أنه ما كان ليأسى على شيء في مكة وفي قلبه الإيمان والصبر إلا على أن حُرم استجلاء النور الإلهي من طلعة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا على فراق أمه وقد تعلق بها قلبه فما ينصرف عنها، وإلا على مال كثير خلّفه هناك كان يطمع أن يشد به عصبه؛ ولكن خياله كان يوحي إليه أن رفيقيه — عمر بن الخطاب وهشام بن العاص — ينتظران عند التّناضُب من أَضَاةِ بني غفار فوق سَرِف على أميال من مكة، فهو يهفو إليهما في غير أناة ولا تردد.

وبلغ الفتى المكان فاطمأن قلبه أن ألفى عمر بن الخطاب هناك يتشوّف... وتنفس الصبح ولمّا يبدُ هشام عند الأفق، فانطلقا معاً... ونزلا المدينة ينعمان بالحياة والإيمان لا يجدان من الضيق والعنت بعض ما كانا يجدان في مكة

وتناهى خبر عيّاش إلى القوم من بني مخزوم فَغَدَوْا إلى أبي جهل والحارث يعيرونهما ويحثونهما: « أَفَيَفرّ الرجل من بينكما ثانية ليكون لكما — على الدهر — عاراً وسُبّة »، وأبو جهل يتلهّب من الغيظ والحقد وقد انطوت نفسه على أمر، والحارث إلى جانبه يقول: « وماذا عسانا أن نفعل في سفيه فرّ مع سفهاء مثله؟ » وثارت الحميّة حمية الجاهلية في رأس أبي جهل تستلبه الهدوء والاستقرار، والشيطان من ورائه يدفعه إلى أمر، فراح إلى الحارث يحدثه حديثه وحديث الشيطان في وقت معاً... ثم انطلقا معاً صوب المدينة...

وجلس أبو جهل والحارث إلى أخيهما عياش يترفقان معه في الحديث، ويدخلان إلى قلبه بفنون من الكلام، فاستعصى عليهما؛ غير أن أبا جهل لم يكن رجلاً تزعه الكلمات عن غايته أو تثنيه عن قصده، فيرتد خائباً مخذولاً؛ فراح يقلب الرأي في خاطره، ويتلمس الحيلة من شيطانه، ثم... ثم قال: « يا أخي، إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك! » ورأى عمر بعض ما بدا على عياش من رقة واستخذاء حين سمع ذكر أمه، وخيّل إليه أن الرجل يلقي إلى أخويه السّلم فيذهب ضحية المكر والخديعة، فقال: « يا عيّاش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك، فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لاستظلت » ولكن الشيطان كان قد عدا على الرجل فاستلبه الثبات، فقال: « أُبِرُّ قسم أمي، ولي هنالك مال فآخذه » فقال عمر: « والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما » غير أن الرجل كان قد وقع في حبالة أخويه حين صوّر له شيطانه أمه في الهاجرة شعثاء غبراء تندب ولدها وتؤذي نفسها، فأبى إلا أن يصحب أخويه، وعمر به ضنين.. وعجز عمر عن أن يدفع الرجل عن الهاوية التي يوشك أن يتردى فيها، فقال له وهو يهم بالرحلة: « يا عياش، أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم رَيْبٌ فانجُ عليها » ثم... ثم وقف ينظر إلى الإخوة

الثلاثة حتى غيّبتهم البيداء فى أحشائها فرجع وفى نفسه الأسى والحزن ، وقلبه يحدثه حديثاً ...

وانطلق عياش بين أخويه ، وأبو جهل يختلس النظرات — بين الحين والحين — إلى ناقة عمر وهى تخد بأخيه وخداً سريعاً ، وقد حل لها كرهاً حين لم يستطع أن يحول بين عياش وبينها ، وحين عجز عن أن ينالها بسوء ، ثم لمت فى رأسه خاطرة ابتسم لها ، وأشار إلى أخيه الحارث ينذره بأمر ، ثم راح إلى عيّاش يحدثه : « والله يا أخى لقد استغلظتُ بعيرى هـذا ، أفلا تعقبنى على ناقتك هذه ؟ » فقال عيّاش وقد أمن مكر أخيه : « بلى ، يا أخى ! » فأناخ وأناخا ليتحوّل إليها ، فلما استَـوَوْا بالأرض عَدَوَا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة نهاراً وعلى وجهيهما سمات الفرح والسرور يباهيان أهل مكة بمـا كان ، ويقولان : « يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا » ثم فتناه فافتتن

أحقاً قد افتتن الرجل وارتد عن دين الله واطمأن إلى الكفر ، وسكن إلى الجاهلية ، واستحب العمى ، بعد إذ ذاق حلاوة الإيمان ، ووجد فى قلبه برد الإسلام ، وعاش زماناً بين إخوة من المؤمنين يستروح منهم نسمات الحب والإخلاص وهو فى الحبشة حيناً وفى المدينة حيناً ، لا يستشعر مرارة الفراق ولا لذع الغربة ؟ إن صُبابة من الإيمان ما تزال تتوثب فى قلبه ، غير أنه خشى أن ينطلق إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستغفره فلا يتقبّل منه ، وهو كان يسمع صحابته يقولون : « ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة . قوم عرفوا ثم رجعوا إلى الكفر كبلاء أصابهم » فيرتد على عقبيه وفى نفسه الحسرة والشجن ... ثم لبث فى قومه سنين

وترامى إلى الرجل أن النبى صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة فى رفقة صديقه أبى بكر فنازعته نفسه إليه تدفعه أن يلحق به ولكن ...

وتصرمت أعوام وعيّاش فى حيرة من أمره ، ما يستطيع أن ينزل عنـد رأى أخويه فيغتمر فى الكفر فيجحد ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما هو بقادر على أن يطير إلى المدينة ، وحديث رفاقه ما يبرح يدوّى فى أذنيه ، وعمر هناك فى المدينة أسيف على أن يرتد رفيقه عن دينه ، وعلى أن يتلمس إليه الطريق علّه يجد الوسيلة إلى قلبه فلا يستطيعه

وأنزل الله تعالى « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » ووجد عمر فيما أنزل الله متنفساً فانطلق إلى قرطاس يسطّر عليه الآيات الكريمة ويبعث بها إلى صديقه ...

وأقبلت الرسالة تنفح من عبيرها على قلب الرجل فاضطرب لها ولمّا يفضّ مغاليقها ؛ وتاقت نفسه إلى أن يطمئن إليها ساعة من زمان يحدثها وتحدثه ، غير أنه لم يكن ليجد الخلوة . . . وعلى حين غفلة من أهله دلف إلى ذى طوًى بأسفل مكة ينشر الرسالة على عينيه وقد أمن الرقيب ، ثم راح يصعّد بها فيـه ويصوّب فلا يفهم منها حرفاً ، وبدت الكلمات أمامه عُقداً أعيت عليه . ماذا ؟ لقد استغلق عليه الكلام العربى المبين وهو عربى فى الصميم والذروة من العرب ! فأخذ يقلّب الصحيفة بين يديه وقد سيطر عليه الحزن والأسى ، ثم أُلقى فى روعه أن حجاباً كثيفاً أسدل بينه وبين أن يفهم كلام الله لأنه نجَس ، فأقبل على الله بقلب سليم يسأله : « اللهم فهّمنيها » فألقى الله فى قلبه أنها إنما نزلت فيه وفى من هم على شاكلته وفيمن كانوا يقولون لأنفسهم ويقال فيهم ، فرجع إلى بعيره فجلس عليه ولحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو يستبشر بما غفر الله له

وعملت الآيات الكريمة معجزتها فى الرجل لتجذبه من هاوية كاد يتردى فيها ما لها من قرار ، إلا أن يستقر فى الدرك الأسفل من النار

كامل محمود حبيب

كتاب السيرة

للأستاذ أحمد الشايب

المدرس بكلية الآداب

— ١ —

تحتل السيرة النبوية في تاريخ الأدب العربي مكانة لم يظفر بها موضوع آخر؛ لهذه المكانة التي يشغلها صاحبها في تاريخ الأمة الإسلامية أولاً، وفي التاريخ العام ثانياً، فإن الرسول عليه السلام لم يكن أديباً فقط له هذه الآثار القوية الخالدة من الأحاديث والخطب والرسائل، وإنما كان قبل ذلك وبعده، رسولاً صاحب دعوة إصلاحية عامة تناولت الدين والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وأثرت في الحضارة النامة لمن اعتنقوها طائعين أو جانبوها كافرين، واستطاعت أن تستوقف التاريخ أو تلوى عنانه لتملي عليه إرادتها، وتلقى إليه وحيها، فأخذ عنها ما أملت، وكتب من فصوله صحفاً ملأى بالجهاد، والفضائل، والأدب، والفن، والسياسة؛ ولا تزال الإسلام إلى اليوم — على الرغم مما أصاب بعض ذويه من هوان — مصدر الخير والسعادة، وموئل البشرية حين تعوزها الهداية، وممهداً لدراسات خطيرة تلقى أمام رواد الحضارة التالية ضوءاً يرجى أن يتم به على العالم ما يبقى من رشاد وسلام.

ولم تقف العناية بالسيرة عند العرب وحدهم، أو المسلمين فقط، وإنما تجاوزتهم إلى جماعة من كتاب الفرنجة الأعلام الذين رأوا في نبي المسلمين رجلاً عظيماً من رجال التاريخ خليقاً بالبحث في أسباب عظمته، وما أتيح له من هذا الفوز الذي استأثر بالسلطان الدني والسياسي طوال القرون الوسطى، إذ كان العالم الإسلامي يشغل التاريخ بأحداثه الكبرى، ودوله المتعاقبة، وآدابه الغزيرة حين كان الغرب يضطرب في ظلمات كثيفة، ويحيا حياة خاملة.

ولسنا هنا بعرض الاستيعاب، واستقصاء هؤلاء الذين كتبوا عن الرسول قديماً وحديثاً من المسلمين وسواهم، وحسبنا أن نلم بشيء من ذلك لنصل منه إلى جماعة من المعاصرين الذين تناولوا السيرة بأساليب مختلفة، لها قيمتها العلمية والفنية جميعاً.

— ٢ —

منذ ألف ابن إسحاق سيرته التي اختصرها ابن هشام في هذا الكتاب المنسوب إليه، والناس يعدونها المرجع الأول لكل من يحاول تأريخ الرسول. وليس ذلك لأن جميع ما احتوته حق تاريخي خالص، وموضع الثقة التي لا ينالها تجريح، لا، ولكن ذلك لأسبقيتها التاريخية في التدوين، ولما احتوته من حقائق ثابتة في كثير من المواقف، ولأنها روت أخبارها بهذه الروح التي كانت مسيطرة على المسلمين في القرون الأولى، أي بوجهة نظرهم، وطريقة تفسيرهم لحوادثها... فكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل عند المتقدمين، ونقطة الابتداء لكل من يحاول تأريخ النبي الكريم من المحدثين، يرجع إليها محققاً أو مستلهماً. دع عنك بعد ذلك ما تراه فيها من شعر منحول، وروايات مكذوبة، وأخبار لم تصح، لأن وزر ذلك لا يقع على ابن إسحاق وحده، وإنما لهذه البيئة التي كان يعيش فيها الأثر الأول فيما وقع فيه من قصور، فقد كان يحكي أخباراً جاهلية بعيدة، ويقص أياماً نالها البالغات والعصبيات، وينقل آثاراً مات أهلها، واعتراها التحريف. على أن ابن هشام لم يقيد جميع ما كان لابن إسحاق من خبر بل حذف منه كثيراً وبخاصة ما كان متصلاً بالجاهلية الأولى، منفصلاً عما يتصل بحياة الرسول اتصالاً مباشراً كما هو مذكور في القديمة.

ثم جاء الواقدي وتلميذه ابن سعد في طبقاته، وحاولا التحقيق والزيادة، فظفرا منهما بنصيب. وأصبح فن السيرة بعد

هؤلاء تقليداً من التقاليد يعمد إليه الكتاب تبدداً أو تأدباً كما فعل كتاب القامات في عصور التاريخ الأدبي المتوالية ، فكانت السيرة الحلبية ، والسيرة الشامية . ولم تخل كتب التاريخ العام — كالطبري وابن الأثير — من تخصيص بعض أجزائها لسيرة الرسول إذ كانت تشغل وحدها فترة واسعة ، خصبة ، بعيدة الأثر فيما أعقبها من دول وأحداث .

وهذه المؤلفات القديمة لم تكن بالطبع خاضعة لهذه المناهج العلمية الحديثة ، فكانت مجموعة من أحاديث الرسول ، وأخبار الجاهلية وأساطير القدماء ، وأشعار الناحلين ومبالغات الراوين ، دون عناية بالنقد والتفسير أو التنسيق وحسن التأليف . ولكنها كانت مؤلفة بروح هذه العصور السابقة ، وبوجهة النظر التي كانت — في الغالب — مقياس الصحابة والتابعين حين يذكرون الرسول الكريم ويفسرون أعماله وآثاره .

أما كتاب الفرنجة فقد رأينا مستشرقيهم يتهافتون على هذا الموضوع ، ويسلكون فيه هذه المناهج العلمية التي قد تفيد من ناحية الشكل والنظام ، ولكنهم بعد ذلك كانوا فريقين : فريقاً اتخذ السيرة مجالاً للتعصب على الإسلام فكان من المبشرين الخاطئين ، وفريقاً حاول الإنصاف ووقف عند الأصول العلمية الجافة ففقد هذه الروح أو الجو الذي كانت تجرى حوادث السيرة في ظلاله ، فتعسر عليه تفسير أشياء كثيرة كان من السهل عليه إدراكها لو أنه كسب هذه الروح وعاش بخياله في عصور النبوة الأولى . نذكر من آثار المستشرقين حياة محمد لإرفنج ، وأخرى لوليام موير ، وثالثة لمرجليوث ، ولا ينسى التاريخ هذا الفصل البديع الذي كتبه كارليل تحت عنوان (البطل في صورة نبي) إذ دل على تفهم عام لهذه الروح التي كانت تشيع في بلاد الرسالة قديماً

على أن الهنود لم يقصروا في هذه الناحية فكتبوا باللغة الإنجليزية في السيرة رأساً مثل النبي لمولانا محمد علي ، وفيما يتصل بها مثل روح الإسلام لسيد أمير علي ، ولغير الهنود في مصر وفي العالم الإسلامي آثار في السيرة لم تخل من فائدة

— ٣ —

ولكننا نختار من هؤلاء المعاصرين ثلاثة نقف عندهم وقفة قصيرة لا لشيء إلا لأنهم نهجوا في كتابة السيرة مناهج طريفة من ناحية ، ومتغايرة من ناحية أخرى : محمد حسين هيكل ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم .

يتفقون جميعاً في العناية المحمودة بسيرة الرسول ، وجعلها في العصر الحديث موضوعاً خليقاً بالدرس وبذل الجهود في إذاعته بين الناس بأسلوب جديد يقربه إليهم ويحببه إلى نفوسهم ، وهذا وحده غرض نبيل يستحق التقدير . كذلك سلكوا مسالك واضحة ممتازة وإن كانت متغايرة ، ولكل مذهب محدود ذو معالم التزمها صاحبه ليس فيه هذا الاضطراب القديم الذي كان يجمع أشتاتاً من القصص ، والتقرير والوصف والرواية ونحوها ، وإنما هو مذهب علمي أو فني متناسق الأجزاء ، منظم العناصر ، فيه فقه للأشياء وفهم لها بروح قديمة أو حديثة أو بهما جميعاً . ومع ذلك فهم مختلفون في أشياء كثيرة

يمتاز هيكل بالمنهج العلمي الذي ترسمه فيما كتب، فكان مذهبه مذهب العالم المحقق، إذ قسم موضوعه إلى فصول متواصلة متلاحقة كما كانت حياة الرسول عليه السلام منتظمة في هذه الفصول أو الأقسام التاريخية ، ولا أقول إن هذا المنهج كله من اختراعه فلقد سبق إليه ، ولكنه آثره وهذب منه ، وهذه الخطة نفسها اقتضت مؤلف — حياة محمد — أن يكون مستقصياً استقصاء الباحث فليس له اختيار ما يحب وترك ما لا يهوى ، لأنه يعالج موضوعاً من عمل التاريخ ، عليه أن يعرضه كما حدث دون أن يخلع عليه من نفسه إلا ما شاء الخيال التاريخي الذي يربط المفكك ، ويصل المنقطع ، ثم هذا النقد الذي يظهر في تفسير كثير من المسائل بمقياس إسلامي علمي بعد ما كانت أشبه بالسمعيات تصدق ولا تعلل ... وفي مناقشته آراء المستشرقين الذين تجافوا فيما كتبوا عن روح الدين وطبيعته ، وبعدوا عن عصر الرسالة وبيئتها فلم يوفقوا فيما يتصورون . وصاحب (حياة محمد) بعد ذلك مسلم حدب على الدين غيور ، أشرب روح الإسلام ، وألم بكثير من أسراره فظهرت على كتابه أعراض الحمية ، حمية من لا يسمح لأحد بغمز دينه أو النيل منه ، وذلك كله في أسلوب منطقي واضح هو أسلوب العلماء . ولكن طه حسين سلك سبيلاً أخرى هي سبيل الأديب حقاً ، فلم يشأ في الظاهر أن يتقيد بمنهج علمي ، وإنما كان قصاصاً ، ترك هذا العصر الذي نعيش فيه ، وانتقل بخياله الخصب إلى الجاهلية وصدر الإسلام وعاش مع ناسهما يفهم بعقولهم ، ويحس إحساسهم ، ويأكل مما يأكلون منه ، ويشرب مما يشربون؛ وبذلك استطاع — ما وسعه الجهد — أن يقص علينا الحوادث بروحها وفي جوهرها ، وأن يفسر المسائل كما كانت

تفسر حينذاك ، فتنقل إلينا هذا الماضي أو تقلنا إليه بحيلة لطيفة .

وفن القصص لا يقتضي صاحبه استقصاء ولا نقداً علمياً دائماً ، ولا تحقيقاً وتفنيداً ، فآثر أهم الأمور التي يرى فيها روعة قصصية لأنها كانت رائعة إبان حدوثها أو فيما شعر وتخيل صاحب « على هامش السيرة » ... ثم تناولها واصفاً وحاكياً لم يترك جانباً منها إلا أضاءه وأكمل منه ما فات الرواة .. وليس من شك في أن ذلك قد عرض بأسلوب جميل هو أسلوب القصص الممتاز الجامع بين التحليل النفسي للأشخاص ، والإحاطة التامة بما يعرض له من مواقف.

أما توفيق الحكيم ، فقد توسط الاثنين ، وجمع بين ميزتي العالم والأديب الممثل ، فكانت سيرته أخف شيء على النفوس . استشار المراجع القديمة ، ووقف عند ما رسمت دون أن يستعين الخيال إلا قليلاً ؛ وقد ألم بأطراف موضوعه ، وقسمه فأحسن التقسيم ، ثم اختار قضاياه وصفاها وجعلها معالم واضحة خالصة من براهين التحقيق العلمي ، وإسهاب الفن القصصي ، فصارت قضايا موجزة بائنة حاسمة ، ثم عرضها بهذا الأسلوب الحوارى أو التمثيلي كما كان يتحدث الرسول وصحابته والمتصلون بسيرته قديماً إلا ما لم يرد فيه نص . وكان توفيق الحكيم بعد ذلك حذراً محتاطاً لم يمس الموضوع إلا بخفة وإن كان الأسلوب من تقسيمه وابتكاره .

كان هؤلاء الكتاب ، إذاً ، بين عالم محقق ، وأديب قاص ، وفني ممثل ، كل أخلص لمنهجه ، ووصل منه إلى غاية بعيدة

وتستطيع أن تتبين هذا الفرق في أسطر قليلة جداً ، فيما كتب عن أول ما عمل محمد عليه السلام في تجارة خديجة ؛ فهيكل يقرر المسألة ويقول إن أبا طالب كان السفير بين ابن أخيه وبين خديجة ؛ وطه حسين يقيم ذلك على ميل خديجة إلى محمد وإرسالها دسيساً إلى عمه تعرض عليه أن يكون ابن أخيه في تجارتها بأجر مضاعف ؛ فيأتي توفيق الحكيم ، فيقتضب المسألة ، ويترك الباب مفتوحاً للخيال .

والمرجو ألا يقف العلماء عند ما كتب هيكل ، وكفى ، وأن يتم طه حسين : « على هامش سيرته » ... وأن يجيبنا العلماء : هل تمثل سيرة الرسول على المسرح ثم ترسم على الشاشة البيضاء ؟

« رمل الاسكندرية » أحمد الشايب

حالة العرب الاجتماعية

في عصر الدولة الأموية

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب

كان لاختلاط العرب والروم وغيرهم من الأمم الأخرى أثر كبير في تغيير عاداتهم وحياتهم الاجتماعية وبخاصة في عهد الأمويين . فقد تأثر معاوية بن أبي سفيان بنظم الحكم التي أدخلها الروم في بلاد الشام وابتكر ابتكارات لم يسبقه إليها أحد ؛ فهو أول من اتخذ الحشم وأقام الحجاب على بابه ووضع المقصورة التي يصلى الخليفة بها في الجامع متفرداً عن الناس وذلك لخوفه مما جرى لعلي رضي الله عنه

وكان من أقدس واجبات الخليفة أن يؤم الناس في صلاة الجمعة والصلوات الخمس . وقد سار على ذلك الخلفاء الراشدون وبعض خلفاء بني أمية . وكان الخليفة في العهد الأموي يحضر إلى المسجد مرتدياً ثياباً بيضاء وعمامة بيضاء مرصعة بالجواهر ويرقى المنبر لإلقاء خطبة الجمعة وبيده الخاتم والعصا ، وهما شارتا الملك

وقد تشبه خلفاء بني أمية بالملوك وأبهتهم ، وكان الخليفة يجلس في صالة الاستقبال الكبرى وعلى يمينه أمراء البيت المالك وعلى يساره كبار رجال الدولة ورجال البلاط ثم يمثل بين يديه رسل الملوك وأعيان البلاد ورؤساء النقابات والشعراء والفقهاء وغيرهم

وكان الخلفاء الأول من بني أمية يستمعون في أوقات فراغهم إلى أخبار الحروب وسير فرسان العرب في الجاهلية ، فكان معاوية يقرأ أخبار العرب وأيامها وسير ملوك العجم وسائر ملوك الأمم وحروبها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ، وكان يقرأ عليه ذلك غلمان مرتبون ، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات

وكان الأمويون يستمعون لقصائد الشعراء ويمنحونهم الجوائز ويخلعون عليهم الخلع . ولم يلبث أن حل الغناء محل الشعر ، كما كلف الناس بالموسيقى والغناء ، وتدفقت على دمشق طبقات المغنين المشهورين والموسيقيين الذين كان الخلفاء يدعونهم إلى دمشق من أقاصي البلاد

وكان لعب الشطرنج و « الدومينو » والورق معروفاً عند الأمويين . ومن الألعاب التي شاعت في ذلك العصر قتال الديكة على الرغم من أن الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز حرما هذا النوع من الألعاب

وكان سباق الخيل من أهم تسلية الشعب على اختلاف طبقاته . ويقال إن هشام بن عبد الملك الأموى كان أول من أقام حلبات السباق لتحسين نتاج الخيل حتى أنه اشترك في السباق معه أربعة آلاف من خيله وخيول الأمراء .

وكانت المرأة العربية في ذلك العصر تتمتع بقسط وافر من الحرية ، وكانت المرأة متحجبة على الرغم من أنها كانت تقابل الرجال وتتحدث إليهم وتقود الجيوش .

وقد أوجب الإسلام تعلم العلم على كل مسلم ومسلمة ، كما أوجب على أمهات المؤمنين أى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلمن الناس ويعلمن أبناءهم وبناتهم ، وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى بذلك فقال في كتابه العزيز (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) ناهيك بعائشة أم المؤمنين فقد اشتهرت بالفقه ورواية الحديث والتاريخ والنسب والطب وعلم النجوم وقادت جند المسلمين يوم الجمل سنة ٣٥ هـ كما اشتهرت أختها أسماء بنت أبي بكر وأم عبد الله بن الزبير برواية الحديث والكرم والشجاعة ، فقد أثر عن عبد الله بن الزبير أنه لما انضم بعض أتباعه إلى الحجاج ابن يوسف الثقفي قائد الخليفة عبد الملك بن مروان الأموى وبقى هو في عدد قليل من أنصاره وأيقن أنه مقتول لا محالة دخل على أمه فقال يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدى وأهلى ، ولم يبق معى إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا — فما رأيك ؟

قالت : أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو ، فامض له فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية ، يلعبون بها . وإن أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن قتل معك . وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين . كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن . فقال : يا أماه ، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني . فقالت : يابني إن الشاة لا تتألم بعد ذبحها ، فامض على بصيرتك واستعن بالله . فقبل رأسها وقال : هذا رأيي . فطفقت أمه تدعو له وتشجعه . وخرج عبدالله بعد ذلك وقاتل أهل الشام قتالاً شديداً ، وأظهر شجاعة نادرة حتى حمل عليه العدو وقتلوه . ولم يهب القتل بفضل تشجيع أمه التي ضربت المثل الأعلى في الشجاعة والتضحية في سبيل إعلاء شأن الوطن .

وليس أدل على جرأة المرأة وشجاعتها من ذلك الحوار الذي دار بين معاوية وبين الدارمية ، فقد روى القلقشندي (صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥٩ — ٢٦٠) أن معاوية حجّ فسأل عن امرأة من بني كنانة تسمى الدارمية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم فجيء بها ، فقال لها : ما حالك يا ابنة حام ؟ قالت : لستُ لحام أُدعى ، إنْ عِبْتَني أنا امرأة من بني كنانة . قال : صدقت أتدرين لمَ أرسلتُ إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : بعثتُ إليك لأسألك علامَ أحْبَبْتِ علياً وأبغضتني ، وواليته وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت ، فإني أحببت علياً على عدله في الرعية وقَسْمه بالسَّوية ، وأبغضتُك على قتالك مَنْ هو أَوْلى بالأمر منك ، وطلبك ما ليس لك بحق . وواليتُ علياً على ما عُقد له من الولاية ، وعلى حبه المساكين وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفك الدماء وجَوْرك في القضاء وحكمك بالهوى . قال : ولذلك انتفخ

بطنك وعظم ثدياك ... قالت: يا هذا، بهند كانت تضرب الأمثال لا بي ... قال لها: فهل رأيتِ علياً؟ قالت: لقد كنتُ رأيته. قال: كيف كنتِ رأيته؟ قالت: رأيته لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك. قال لها: فهل سمعتِ لكلامه؟ قالت: نعم! والله كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطَّست من الصدأ. قال: صدقتِ، فهل لكِ من حاجة؟ قالت: وتفعل إذا سألتك؟ قال: نعم! قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها. قال: تصنعين بها ماذا؟ قالت: أغذّي بألبانها الصغار، وأستحيي بها الكبار، وأصلح بها بين العشائر. قال: فإن أعطيتك ذلك فهل أَحُلُّ عندك محل عليّ؟ قالت: ماء ولا كصدّاء، ومرعى ولا كالسَّعْدان، وفتى ولا كمالك. يا سبحان الله أو دُونَه. فأنشأ معاوية يقول:

إذا لم أعد بالحلم مني إليكم ‌ ‌ ‌ ‌ فمن ذا الذي بعدي يُؤَمَّل للحلم؟
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد ‌ ‌ ‌ ‌ جزاكِ على حرب العداوة بالسِّلم

ثم قال: أما والله لو كان علياً ما أعطاكِ منها شيئاً. قالت: ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

وممن اشتهر من نساء العرب في ذلك العصر أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك، وبنت عبد العزيز بن مروان، وأخت الخليفة عمر بن عبد العزيز. قال المسعودي في مروج الذهب (ج ٢ ص ١٥٢ — ١٥٣): وفد الحجاج بن يوسف على الوليد في بعض نزهه، فاستقبله. فلما رآه ترجل له وقبّل يده، وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية؛ فقال له الوليد: اركب يا أبا محمد! فقال: دعني يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنك؛ فعزم عليه الوليد حتى ركب، ودخل الوليد داره، وتفضّل في غلالة، ثم أذن للحجاج، فدخل عليه الحجاج في حاله تلك وأطال الجلوس عنده. فبينا هو يحادثه إذ جاءت جارية فسارّت الوليد ومضت، ثم عادت فسارّته ثم انصرفت. فقال الوليد للحجاج: أتدري ما قالت هذه يا أبا محمد؟ قال: لا والله. قال: بعثتها إليّ ابنة عمي أم البنين، بنت عمر ابن عبد العزيز تقول: ما مجالستك لهذا الأعرابي المتسلح في السلاح وأنت في غلالة؟ فأرسلت إليها أنه الحجاج، فراعها ذلك وقالت: والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق. فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين! دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك، ولا تطمعهن في غير نفسك، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن. وإياك ومشاورتهن في الأمور، فإن رأيهن إلى أَفَن، وعزمهن إلى وهن؛ واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك، ولا تُملِّك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها، ولا تُطل الجلوس معهن، فإن ذلك أوفر لعقلك، وأبين لفضلك. ثم نهض الحجاج فخرج، ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج، فقالت: يا أمير المؤمنين! أحب أن تأمره غداً بالتسليم عليّ، فقال: أفعل. فلما غدا الحجاج على الوليد قال له: يا أبا محمد! سر إلى أم البنين فسلم عليها. فقال: أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين. فقال: لا بد من ذلك. فمضى الحجاج إليها فحجبته طويلاً، ثم أذنت له فأقرته قائماً ولم تأذن له في الجلوس؛ ثم قالت: إيه يا حجاج! أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث؟ أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة، ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد في الاسلام (تعني عبد الله بن الزبير). وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام، وأنت في أضيق من القرن، فأظلتك رماحهم، وأنجاك كفاحهم. ولولا ذلك لكنت أذل من النقد. وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه، فإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالأخذ عنك والقبول منك، وإن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك. قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول:

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامةٌ ‌ ‌ ‌ ‌ فتخاء تفزَع من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى ‌ ‌ ‌ ‌ بل كان قلبك في جناحي طائر

أخرجْنَه عني! فدخل إلى الوليد من فوره، فقال: يا أبا محمد! ما كنت فيه؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما سكتَتْ حتى كان

بطن الأرض أحب إلى من ظهرها . فضحك الوليد حتى فحص برجله الأرض ثم قال : يا أبا محمد إنها بنت عبد العزيز

ومن مظاهر الترف فى دمشق حاضرة الأمويين أنه كان لكل دار فناء مستطيل على جوانبه أعمدة من الرخام وبماش مرصوفة بالحجارة أو الحصباء على أشكال هندسية منتظمة . وفى الفناء نافورة يحيط بها حديقة صغيرة بها الأزهار الزكية الرائحة، وتظلها أشجار البرتقال والليمون، وأمام الباب شباك يوضع فوقه الطست والإبريق للوضوء — وكانت قصور الأغنياء مكونة من طابقين أحياناً — وفى الشتاء تكسى الحجرات بالسجاد الثمين وتدفأ بالمهل (الموقد) . أما فى الصيف فكانت النافورات والنوافذ كفيلة بتلطيف حرارة الجو . وكانت سقوف الدار مزدانة بنقوش على الطراز العربى أو مطلية بالذهب. ولم تكن هناك مقاعد، فإذا كان صاحب الدار من أصحاب اليسار ، وضعت السجاجيد بعضها فوق بعض لتكون بمثابة مقعد له

وكان قصر الخليفة الأموى بدمشق غاية فى الأبهة . وقد ازدانت جدرانه بالفسيفساء، وأعمدته بالرخام والذهب، وسقوفه بالذهب المرصع بالجواهر . وقد لطف جوه النافورات والمياه الجارية والحدائق الغناء بأشجارها الظليلة الوارفة . وقد شيد الحر بن يوسف حفيد مروان بن الحكم الذى ولى بلاد الموصل فى عهد هشام ابن عبد الملك ، داراً منيفة من الرخام الخالص والمرمر ، عرفت بالمنقوشة لما تمتاز به من النقش البديع ، كما بنى خانات (فنادق) فى الموصل . وقد رأى الحر ما يعانيه أهل الموصل من المشاق فى سبيل الحصول على ماء الشرب ، فشق قناة لا تزال باقية إلى اليوم ، وغرس الأشجار على ضفتها حتى أصبحت بمثابة متنزه عام لأهل المدينة

وكانوا يرتدون العباءة فوق القباء ويصنعونها من وبر الجمل . وكانوا يرتدون فى الحرب أردية خاصة فيلبسون السروال عادة ورداء قصيراً بدلاً من الثياب الفضفاضة (الواسعة) المتدلية . أما لباس الرأس فهو العمامة كما كانوا يلقون الطيلسان فوق العمامة . وهو عبارة عن منديل كبير متدل إلى الكتفين ليقى الرقبة حرارة الشمس . وكانت الملابس تختلف تبعاً لثروة الناس ومراكزهم الاجتماعى ونوع عملهم . فكسوة الفقيه والكاتب تختلف عن ثياب الجند . وكان رؤساء القبائل وغيرهم من علية القوم يرتدون قباء يصل إلى الركبتين يعلوه سروال ثم جلباب فضفاض يتدلى إلى العقبين ويشده من الوسط حزام من الحرير ، ويلبسون فوق كل ذلك الجبة أو القباء .

وكانت ثياب المرأة تتكون من سروال فضفاض وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة فى البرد . وكانت إذا خرجت من بيتها ترتدى ملاءة طويلة تغطى جسمها وتقى ملابسها التراب والطين ، كما كانت تلف رأسها بمنديل يربط فوق الجبهة .

وكان العرب يكتفون بالقليل من الطعام ، فلم يتجاوز طعامهم اللون أو اللونين . وكان خير أطعمتهم الثريد وهو الخبز يفت ويبل بالمرق ويوضع فوقه اللحم . وقد تغيرت أطعمتهم وتعددت ألوانها .. وفى عهد الأمويين استعمل العرب الفوط والملاعق كما كانوا يجلسون على الكراسى حول مائدة الطعام التى كانت تكسى بمفرش من القماش .

حسن ابراهيم حسن



محمد الأديب الأعظم

للأستاذ درينى خشبة

لا أدرى لماذا يشفق الكتاب أن ينعتوا النبى الكريم بالأديب العظيم ؟! هل فى ذلك سبة أو فيه حط من قدره صلى الله عليه وسلم ؟ وإذا لم يكن الرجل الذى أوحى إليه بهذا القرآن أديباً فماذا يكون الأديب ؟

لقد ترك النبي فينا كتاب الله وسنّة النبوة ، وفيها جوامع الكلم التى لم يؤتها إلا هو . ولقد علم بهذين ما لم يعلم فيلسوف بفلسفته ، ولا أديب بأدبه ، ولا نبى بما أرسل به . . . أسلوب مُعجز ، ومعنى مُعجز ، واتفاق بين الأسلوب والمعنى معجز ، وغرض يشمل كل الكائنات معجز ، وحياة هى البطولة المعجزة ... وأمية لا تعرف القراءة والكتابة يسبح القُراء والكُتاب فى بحر لجى من قرآنها وحديثها . . . علماً وأدباً ولغةً وبياناً وهدًى وتشريعاً وأخلاقاً . . . فماذا يصنع الأدب غير ذلك ؟ الأديب يترك أثره فى حيز محدود من بيئته ، لأيام معدودات من زمنه ، ويكون بعد ذلك رجعاً كرجع الصدىَ فى تضاعيف ذكرياته ، حيث يكون شعراً فى ديوان ، أو قصة يلتذ بقراءتها أفراد ، أو درامة يستمتع بشهودها ملأ من الناس ، ثم ينصرفون فلا تكون لها فى أذهانهم إلا صورة أو فكرة قد تدفعهم إلى فضيلة أو تنهاهم عن رذيلة .. فماذا ترك الأديب الأعظم محمد بن عبد الله من هذا وذاك ؟! أستغفر الله بل ترك أدباً حيـًا يتغلغل فى نفوس اللايين من الناس للايين من الأجيال حتى تقوم الساعة . يحضهم على الخير ، وينهاهم عن المنكر ، ويستهويهم بصور رائعة من أدبه الحق الذى نسميه الأدب الواقعى يُشرب قلوبهم المحبة الخيّرة النيّرة ، ويعمرها بالسلام القائم الدائم ، ويلهمهم الإنسانية ، ويحبب إليهم الإخاء ، ويروضهم على المساواة ... إلا فيما رفع الله به الناس بعضهم فوق بعض درجات

قد يقول قائل إن هذه الدعوى من باب إقحام الدين فى الأدب والأدب فى الدين .. لأن الدين هو الذى صنع كل هذا .. ونحن نقول إن الدين هو الذى صنع كل هذا حقاً ولكنه صنعه بأسلحة شتى ووسائل متفاوتة ، وقد كان أمضى هذه الأسلحة ، وأشرف تلك الوسائل .. هو الأدب .. فالرسول الكريم كان حلو الكلام أغر البيان طلىّ المقاطع ، ذا قدرة عجيبة فى تنسيق حجته ، والتدقيق فى عبارته ، فى غير كلفة ولا صنعة حتى وهو فى مواقف الخطابة .. ولم يحفظ الأثر أنه حصر مرة أو أرتج عليه ، أو التاث عليه القول ، لا على المنبر ، ولا فى حلقة الدرس ، بل كان يتدفق ويشقق الحديث إذا اقتضى الموقف الإطناب ، ويقتصر على العظة الصغيرة بلفظها ، الكبيرة بفحواها إذا لم يقتض الحال غير ذلك

ثم ها هم أولاء الأنبياء جميعاً ... فمن منهم تحدى قومه بقوة البيان وصوغ الكلام وإعجاز الأسلوب ؟! وما ذلك كله إن لم يكن أدباً ؟ وماذا يكون صاحبه إن لم يكن سيد الأدباء ؟! إن الله الذى يسّر القرآن بلسان محمد قد تحدى الناس أن يأتوا بشىء مثله ، فما استطاعوا ؛ وما يزال التحدى قائماً ، ولسوف يعجز البشر جميعاً عن أن يجيئوا بشىء مثل القرآن ... والقرآن وحى الله ، وقد يسره الله بلسان نبيه ، والقرآن تشريع ليس فيه جفاف القانون الوضعى ، وقصص من النسق الإلهى الذى لا يتملق الغرائز بالفتنة فى الحياة الدنيا بل يسمو بها إلى لذائذ الحياة العليا ؛ ثم عظة بالغة ، ودعوة إلى الحق ، ودستور للناس لا يعتوره نقص ولا تشوبه شائبة

هل الأدب قصة أو درامة فحسب ؟! إن كان هذا فقد قص النبي أحسن القصص وأقواه وأكثره حلاوة وطلاوة ، وأشده روعة وتأثيراً ... وأى قصص أشهى وأجلى وألذ مما يسر الله بلسان نبيه فى آدم ونوح وإبراهيم وموسى ويعقوب ويوسف ويونس وهود ولوط وعيسى من أنبياء الله ؟!

أم يقولون إنها أخبار مروية فيما يؤمنون أنها الكتب المقدسة التى أنزل الله من قبل ؟! ونقول أجل ... ولكن أين هى هذه

الكتب التي أنزل الله؟ أباقية هي على ما أنزل الله لم يعتورها تغيير ولا تبديل؟ ألم تشحنها أقلام الرواة والنُّسّاخ بما طاب لهم وبما ندّت به أقلامهم؟ ... أحقاً قد زنى داود؟ أحقاً قد وقع جميع الأنبياء في الخطيئة؟ لقد جاء القرآن مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل مما لم تبدله قرائح البشر، فبرّأ الأنبياء مما أخذوا به باطلاً من الدنس، ثم روى أخبارهم بلسان صدق عليّ وبأروع بيان وأدق أسلوب، ثم حدّث النبي بما يشبه أن يكون تعليقاً وشرحاً وتفسيراً فجاء بكل معجب وكل مطرب ... ثم حدّث بالأحاديث القدسية العالية التي مسرحها السماء ومُلهمها الله القدير، فأي درامات الكتاب والشعراء أروع مما تحدث به النبي؟ وأي حديث زخرفه قلم شاعر أو ناثر أو روائي يسمو إلى الحق الذي تنزل به جبريل على فؤاد محمد وما حدّث به محمد من تخاصم أهل النار وتحدث أهل الجنة، والواقفين على الأعراف، والولدان المخلدين، والكواعب الأتراب، ومخاطبة العزيز اللطيف لمن فاز من عباده، وغيظ الكافرين وما يقع بينهم وبين إبليس من شحناء وموجدتهم على الشياطين والنار تؤزهم ...؟

هذا هو القصص الحق الذي لم تبهرجه براعة مؤلف، ولم يختلقه خيال روائي. وهذا هو قصص الله الذي خلق الإنسان علمه البيان ... الله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ... الله الذي أرسل للناس نبياً عربياً من الأميين، فقضى أن تكون أمية عجيبة معجزة تفهم كل شيء وتعي كل شيء، وتبهر المتعلمين والدارسين بما لا يستطيعونه ولا يقدرون على مثله أو بعضه ... أمية أعدها الله لهذا الأمر العظيم إعداداً لا تقوى جامعاتنا الحديثة على شيء مثله ... أمية أبوتها في بني هاشم، وخئولتها في بني زهرة، ورضاعها في سعد بن بكر، ونشأتها في قريش، وزواجها في بني أسد، وهجرتها إلى الأوس والخزرج. فانظر كيف تقلبت في القبائل فتمرست بها، ووعت لغاها، ووقفت على أسرار بيانها، فلما بعثها الله لهذا الأمر لم تضق ذرعاً بأحد، ولم تضق فهماً بلسان أحد، بل كانت تكلم كلاً بلسانه، وترد على كل بلهجته. بل هي قبل أن يبعثها الله لتبليغ رسالته كانت تحب الأدب وتشغف به، فكانت تتردد على الأسواق تصغي إلى الشعراء والخطباء، وتحفظ من الخطب ولا ترى حرجاً في أن تروى منها[1].

(1) في البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٣ أن النبي (ص) سمع قس بن ساعدة وقال فيه «رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا، فاسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت.» وجاء في كتب الأدب غير ذلك.

علل أحد المعاصرين أمية الرسول الكريم: فقال: «إن الله إنما جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر، ولا يتكلف الخطابة، ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة، ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر، وعيافة الطير، ومن العلم بالأنواء وبالخيل، وبالأنساب وبالأخبار، وتكلف قول الأشعار، ليكون إذا جاء القرآن الحكيم، وتكلم بالكلام العجيب، كان ذلك أدل على أنه من الله ... وزعم أن الله لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب والكاتب، ومن الخطيب والناسب، ولكن ليجعله نبياً، وليتولى أمر تعليمه بما هو أزكى وأنمى، فإنما نقصه ليزيده، ومنعه ليعطيه، وحجبه عن القليل ليجلى له الكثير ...»

وقد تولى شيخ أدباء العرب أبو عثمان الجاحظ (البيان ج ١ ص ٢٣٠) نقض هذا الكلام فقال: «وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يرد إلا الخير، وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه، ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة، وأداة قريض الشعر وجمع النسب قد كانت فيه تامة وافرة مجتمعة كاملة، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة، وكان إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء، وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء، وأنسب من كل ناسب، وأقوف من كل قائف، ولو كان في ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب، وشاعر ناسب، ومتفرس قائف، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة، لما كان ذلك مانعاً من وجوب تصديقه، ولزوم طاعته، والانقياد لأمره، على سخطهم ورضاهم، ومكروههم ومحبوبهم؛ ولكنه أراد ألا يكون للشاعر متعلق عما دعا إليه، حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق، وليكون ذلك أخف في المؤونة، وأسهل في المحنة، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها، فلما طال هجرانه لقريض الشعر وروايته صار لسانه لا ينطق به، والعادة توأم الطبيعة، فأما في غير ذلك فإنه إذا شاء كان أنطق من كل منطيق، وأنسب من كل ناسب، وأقوف من كل قائف، وكانت آلته أوفر، وأداته أكمل ... إلا أنها كانت مصروفة إلى ما هو أبعد ... وبين أن يضيف إليه العادة الحسنة، وامتناع الشيء عليه من طول الهجران له فرق ... ومن العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره

في حال معجزة قط ، بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل ، وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب ، وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر ... الخ »

فالجاحظ هنا يحامى عن معرفة النبي لآداب العرب — وهو ما يعنينا — وعن إلمامه بما كان فخر قومه وعلى نبوغهم ... ولما كان أعز ما يفتخر به العرب هو البيان فإنه لم يمنع النبي مانع إذا أراد البلاغة أن يكون أبلغ البلغاء ، وإذا أراد الخطابة أن يكون أخطب الخطباء ، وأنه إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل ، وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب ... »

وهذا دفاع مجيد من شيخ الأدباء العرب عن النبي الأديب الأعظم في معرض ما فهم أحد علماء البصرة من أمية محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو دفاع رجل كان يهب حياته للأدب ، وكان يعني بأدب الرسول خاصة ، وكان يصف كلامه فيقول[1] : « هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد : « وما أنا من المتكلفين » فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق

« وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطئ ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فحواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً ... »

والذي وصف به الجاحظ كلام الرسول قول حق ، وهو كان يفضل به كلامه صلى الله عليه وسلم على كل كلام العرب ، أما نحن فنجعل حكم الجاحظ أعم وأشمل . فليس في كلام أحد من الفرنجة قاطبة كلام يشبه كلام الرسول فيما زعمه الجاحظ ... وقد يقول قارئ غير مسلم : « كاتب مسلم متحمس للرسول فهو لا يستطيع أن يقول غير هذا ! » كلا والله ... فلقد قرأت ودرست أدب الأقدمين شعراً ونثراً وخطباً ؛ ولقد قرأت ودرست أدب النهضة في جميع الممالك الأوربية ؛ ولقد قرأت ودرست ووازنت بين أدباء عصر بركليس وأدباء عصر إليصابات ، وأدباء عصر لويس ، وأدباء القيصرية الروسية ، فلا والله ما وجدت أحدهم يرتفع إلى أدب الرسول ولا يحكيه غزارة ورقة وازدحاماً بالمعاني وشمولاً للاغراض .

وهذه هي خطب ديموستين في التبغيض في الارستقراطية والتبشير بالديمقراطية ... أين هي من هذه المساواة العجيبة التي أقامها محمد بين هذه الملايين بقوله : إنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ؟ بل أين هـذا الخطيب الوضيع المرتشي الذي يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، والذي فر من مواطنيه اليونانيين حتى إذا لاحقوه وضيقوا عليه عمد إلى السم ليضع حداً لمهزلة حياته الفياضة بالمخازي ؟ أين هذا الخطيب الذي يحفظ الأثر خطبه كأنها المثل الأعلى للخطابة من الرسول الكريم الذي لم يكن ينطق عن الهوى ، والذي ألف بخطبه بين أشد القلوب عنجهية وأفدحها جاهلية وأكثرها عصبية ، فخلق منها أمة تعبد رباً واحداً بعد أرباب ، وتنتشر من الصحراء بمصابيح الهداية فتملأ المشرقين والمغربين نوراً وهداية وحكمة وعرفاناً ؟

ثم خطيب الرومان شيشرون ؛ هذا الرجل الذي فضح مارك أنطوان بخطبه الرنانة .. ماذا ترك لخير الإنسانية من كل ما كتب وخطب ؟ لقد كان محامياً مدرهاً ، فهل كسب للانسانية قضية كهذه القضية التي كسبها لها محمد بن عبد الله ؟ لقد كتب في القانون والفلسفة والأخلاق ، فهل حل معضلاتها المعقدة كما حلها محمد بن عبد الله النبي الأمي ؟ ولقد حفظ لنا الأثر كثيراً من خطبه ومقالاته ، فهل فيها ما يرتفع إلى بيان محمد وبلاغة محمد ؟ هل استطاع أن يضع للرومان دستوراً يحمي الجمهورية ويحول دون قيام الامبراطورية كهذا الدستور الذي أوحى به إلى محمد ، والذي يسره الله بلسان محمد ؟

ثم هذا دانتي ... هذا الكاثوليكي القح ... النبي يرفعه مؤرخو الأدب إلى ذروة المجد بما يهرج في الكوميديا الإلهية ؟ ماذا جاء به من السحر في هذه المنظومة ؟ لقد أثبتنا بما نشرناه

[1] البيان ج ٢ ص ٢٨

في « الرسالة » أن كل شيء رائع في هذه القصيدة ليس من صنع دانتي ، بل هو مما سرق دانتي من أخيلة[1] القرآن وبيان الأحاديث في وصف الجنة ووصف الجحيم ؛ وذلك بما انتشر من ثقافة القرآن وثقافة الأحاديث بعد الحروب الصليبية وقبلها عن طريق الأندلس وعن طريق صقلية إلى فرنسا ثم إيطاليا

ثم هـذا ملتون ... فأين ما جاء في فردوسه من الحرب بين الشيطان وبين المسيح وأجناد المسيح مما جاء في القرآن والحديث من تحاور بين الله العلي وبين إبليس ، وبين إبليس وبين ملئه الذين أغواهم فأدخلهم النار ثم تبرأ منهم وهو يرسف معهم في سواء الجحيم ؟!

ثم هذا جون بنين ؛ فماذا جاء به في « رحلة الحاج » مما ليس له مثل بل أمثال تبذه وتزري به في أدب محمد النبي الأمي ؟

وهذا بيكون الأديب النابه العام والكاتب الأخلاقي الفيلسوف المرتشي الذي لم يرع لذي فضل عليه فضله ولم يكن عنده من الوفاء ما يجزي به ذوي الأيادي الغر عليه[2] ، ماذا كتب في فصوله في الأخلاق مما لم يسبقه إليه الرسول الأعظم ؟

والأدباء العظام في عصر لويس الرابع عشر : بيير كورنيل وديكارت وموليير وراسين ولافونتين ، إننا نقولها كلمة حق لا تصدر عن حماسة فحسب ، بل عن تروية ويقين : إن المُثل الرائعة التي زاد بها هؤلاء في تراث الفكر الانساني والثقافة الانسانية هي قل من كثر مما ضاعف به النبي هذا التراث ، ونحن نقول المثل لأن النبي لم يكن ضحاكاً كموليير ولا فيلسوفاً كديكارت ولا مؤلف درامات كراسين ، بيد أنه مع ذاك أنشأ للانسانية مُثُلاً أسمى مما أنشأ هؤلاء ، وأنشأها كلها عن طريق الأدب

والأدباء الذين مهدوا للثورة الفرنسية ... ڤولتير وديدرو وبومارشيه وروسو ... هل أنشأوا ثورة كهذه الثورة التي أنشأها محمد بن عبد الله وقام بها وحده ؟! وأين هي الثورة الفرنسية التي انتهكت فيها الحريات باسم الحرية ، وخضعت فيها الكرامات والشرائع لجنون الشعب وعربدة النساء ولوثة الأوشاب من تلك الثورة العظيمة في سبيل الحق وخير الإنسانية وانتشال العقل من براثن الأغوال الحجرية التي كان يعبدها الناس ... هبل ويغوث ويعوق ونسر واللات والعزى وضمار ؟! أي الثورتين كانت أروع وأيهما كانت أعود بالخير على الناس وعلى الأفهام ؟!

لقد كتب روسو إنجيل الثورة ، فهل رسم فيه ما رسم القرآن للناس أجمعين في كل العصور ؟! وهل كاتب إنجيل الثورة كهذا الوحي الذي يسره الله بلسان محرر ؟!

ثم هؤلاء منشئو الأدب الألماني : جوته صاحب فاوست ، وشيللر صاحب وليم تل ، ولسنج مؤلف لاوكون ، وهم الذين أعدوا الذهن الألماني إعداده الذي غبر عليه قرن ونصف قرن ، الإعداد الذي لا يعرف شيئاً وهو المثل الأعلى غير القوة والغلب ، هل جعلوا ألمانيا تقهر العالم في أقل من عشر سنين كما جعل محمد أمته تصنع ذلك ؟ وإذا قدر لألمانيا أن تصنع ذلك ، فهل كانت تنشر الأمن والطمأنينة والعلم والنور ودين الحق بالسلام كما نشر العرب ذلك جميعاً في ربوع العالم ؟ أم أنها كانت تستعبد الناس وتذلهم وتقول لهم أنتم ساميون وحاميون ... و ... آريون ... أما نحن فآريون نورديون ؟! في حين يقول محمد للناس : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى !! »

أم أدباء روسيا : لرمنتوف وجوجول وتولوستوي ودستوفسكي وترجنيف وبوشكين وجوركي ؟! ماذا أسلف هؤلاء جميعاً ؟! لقد مهدوا بأدبهم الباكي المتوجع البائس الفقير الغارق في الدموع لهذه الشيوعية المخربة التي تستبد بالناس وتسومهم الخسف وتهدم مساجدهم وكنائسهم وبيعهم وتبيح نساءهم باسم الدولة ... فكأنهم تخلصوا من راسبوتين ليقعوا في براثن ستالين !!

وبعد ... فنحن لا نحصي أدباء العالم هنا لنوازن بين ما انتهى إليه أدبهم وبين ما انتهى إليه أدب الرسول الكريم ... ونحن لا نقص من الآداب الرائعة التي لها قيمتها ولها أثرها لنرفع أدب نبينا بغير الحق ، بل نحن نقارن بين مُثُل ومُثُل ونوازن بين خير كثير أصاب الإنسانية على يد رجل واحد وخير كثير أصابها على أيدي كثيرين ، وشتان بين الأدبين

أما أن يقول أحد إن الأدب هو القصة ، فلقد قص الرسول أحسن القصص وأروعه ، في أحسن عبارة وأقوى أسلوب ... وأما أن يقول أحد إن الأدب هو الشعر ، فما كان محمد شاعراً ، ولم ينبغ له أن يكون شاعراً ، ومع ذاك فقد يسر الله بلسانه في القرآن من المعاني والأوصاف والأمثال والتشريع والحكمة وجمال الأداء ، وإعجاز التراكيب ، ما لم يتيسر لشاعر من شعراء العالمين . وكذلك حديث رسول الله ، فهو ثروة ثانية من أروع صور الآداب ، ومنهل عذب للواردين

وأما أن يقول أحد إن محمداً لم يؤلف درامة ، فحسبه أنه كان

(١) نحن نؤمن أنه ليس بالقرآن خيال إنما به الحق المحض ، إنما نحن هنا بمعرض دراسة أدبية فحسب

(٢) سوف نكتب عن كل هؤلاء إن شاء الله في فصولنا (أعلام الأدب)

يمثل درامات الحق فوق مسرح الواقع ، وليس في الأدب المسرحي جميعاً ما هو أروع من إسلام حمزة أو موت حمزة ، وإسلام عمر أو مقتل عمر ، وهجرة محمد من وطنه العاق إلى مهاجره الصادق ، وصبر أصحابه على أذى قريش وكفران قريش ، ورمي المنافقين زوج الرسول بالإفك وصبر عائشة لذلك ... وهذه المئات والمئات من مشاهد الدرامة الكبرى التي قام بأدائها الرسول ، والتي رواها وقص فصولها في واقعه ، ويسر الله لسانه بذكرها في قرآنه

صلى الله عليك يا رسول الله إذ يسألك أبو بكر : لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ فتقول : أدبني ربي فأحسن تأديبي !

دريني خشبة

***

حاشية : الكلام بقية في رد شبهات الكتاب الأفرنج الذين عابوا أسلوب القرآن بكثرة التشابه فيه ، وأخذوا على حديث الرسول كثرة الغريب . فتربص ذلك إلى موضعه في الأعداد الآتية

المروءة

مصادرها ومظانها

للدكتور بشر فارس

المروءة (أو المروّة) من الألفاظ التي يكثر ورودها في النصوص العربية القديمة ولا سيما في الكتب التي ألفها أدباء العهد العباسي . وهي ، من باب آخر ، من الألفاظ المشتبهة في اللغة العربية لتضارب الأقوال فيها وتدافع التعريفات لها . وقد عظم شأنها على تعاقب الأيام حتى تناولها المتكلمون والمتصوفة فنزلت منزلة الفضيلة بل منزلة مبدإ « أخلاقي » . وذلك ما دفع بعض المستشرقين والشرقيين أن يعدوها ، وهماً ، رأس الفضائل الجاهلية

والذي يبدو لي أن المروءة أفادت ، أول أمرها ، الرجولة الحسية أي شدة الأسر ، ثم الرجولة المعنوية أي السجايا الرفيعة ، سجايا السيد مثلاً . ولذلك قرنها نفر ممن تكلموا عليها بالسيادة أو السؤدد . وهذان المفادان : الحسي والمعنوي ، ظلا يتنازعان المروءة ، فاتصل الأول بالحياة المادية ولحق الثاني بمكارم الأخلاق . وقد غلب الجانبُ المعنوي الجانبَ الحسي بفضل الإسلام . (وهنالك أحاديث غير صحيحة في المروءة وعظمة شأنها) وأخذ ذلك الجانب الغالب ينتقل على مدار الأيام من موضع إلى موضع ؛ فدلت المروءة على العفاف والأدب والفضل والإنسانية والسرو ؛ ثم قامت لفظاً واقعاً على محاسن جمة ، على أقلام المحدثين والمتكلمين والأخلاقيين والفقهاء . وأما المتصوفة فأنزلوها منزلة الفتوة ، فتجاورت اللفظتان في ميدان الأخلاقيات المجردة . وقد اتفق لها أن تنحرف إلى هنا وإلى هنا على ألسنة العامة قديماً في الأندلس وحديثاً في مصر والشام

كل هذا الحديث مع ما تحته من التفصيل والتبيين تجده في فصل من فصول كتاب من هذا القلم يخرج باللغة العربية بعد أيام ، وعنوانه « مباحث عربية » وعنوان الفصل « المروءة في اللغة والعرف » . وقد انسقت إلى النظر في هذه اللفظة يوم كنت أؤلف « العرض عند عرب الجاهلية » ثم انصرفت إلى استجلاء غوامضها وتمحيص مدلولاتها باستقصاء المصادر والمراجع فنشرت فيها فصلاً في « تكملة دائرة المعارف الاسلامية » البارزة في هولندة (الجزء الرابع) .

وأما هذه المصادر والمراجع فمتشعبة غزيرة ، فيها المطبوع والمخطوط ؛ وفي القراء من أصاب في كتب الأدب أشباه « العقد الفريد » « وعيون الأخبار » و « الموشى » و « أدب الدنيا والدين » أبواباً في المروءة . بل هنالك كتاب أفرد لها ، عنوانه « مرآة المروءات » لأبي منصور الثعالبي (مصر ١٨٩٨) . ومن المصادر المطوية كتاب « مرآة المروّات » لعلي بن الحسن بن جمدويه ، كتبه للوزير نظام الملك (٤٥٦ — ٤٨٥ هـ) وكتاب ابن جمدويه مجرًى على أسلوب كتاب الثعالبي مع ميل إلى الناحية الدينية بل الصوفية . وقد اهتدى إلى مخطوط ابن جمدويه المستشرق

الأستاذ تيشنر F. Taeschner فوصفها فى المجلة الاستشراقيـة Islamica (الجزء الخامس ١٩٣٢) .

والذى فى نيتى ههنا أن أنشر مصدرين آخرين . أما الأول ففصل فى المروءة والسؤدد من مخطوط عنوانه « كتاب مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدايع الأوصاف وغرايب التشبيهات» لمجهول ، وقد أصبته فى المخطوطات المخزونة فى دار الكتب الوطنية فى ليدن ورقمه ٤٠٩ .

وأما الثانى ففصل فى المروّة من مخطوط مخزون فى أياصوفيا تحت رقم ٢٠٤٩ ويقع فى ص ٢٠٦ . وقد أشار الأستاذ تيشنر إليه فى مقاله المنشور فى المجلة المذكورة ، ثم بعث إلى وسمح لى بنشرها، فله الشكر.

وفى المصدر الأول تعريفات وأقوال فى المروءة على أنها لون من ألوان السيادة وشرط من أشراطها وأما الثانى ففيه محاولة لرد معنى المروءة إلى المدلول الأصلى من ناحية الاشتقاق ثم نظرة « أخلاقيـة » فى شأنها ؛ طرافتها ذلك التفريق الذى بين المرأة والرجل[1] .

ا — مخطوط ليدن

(ص ١١) « الفصل السابع فى السودد والمروّة »

« قال النبى صلى الله عليه وسلم : تجافوا عن عقوبة ذوى المروة مالم يقع حداً . وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . قيل لقيس ابن عاصم : بِمَ سدت ؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر المولى . وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى: إن للناس وجوهاً يرفعون حاجة الضعيف فأكرمهم . وقال عليه السلام : أقيلوا الكرامَ عثراتهم . قال معاوية لابنه يزيد : ما المروة ؟ قال : إذا ابتليت صبرت ، وإذا أنعم عليك شكرت ، وإذا قدرت عفوت . قال : أنت منى ، وأنا منك . وسئل بعض الحكماء عن المروة ، فقال : إسرار ما تحَب [تحِب] أن تعلن ، ومواطاة القلب اللسان. وقيل : المروة ألا تعمل شيئاً فى السر تستحى منه فى العلانية . يقال : كان سَلم بن نوفل سيد كنانة فجرح رجل ابنه ، فأتى به ، فقال له : ما أمنك (ص ١١ م) من انتقامى ؟ قال : فلم سوّدناك إلا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجار وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه ؟ فخلى عنه . دخل جذيم بن أوس الطائى على معاوية ، فقال : من سيدكم اليوم ؟ قال: من احتمل شتمنا، وأعطى سايلنا [سائلنا] وأغضى عن جاهلنا، واغتفر ضربَنا [ضرْبنا] إياه بمصيّنا [بمصيّنا] . وقال عدى بن حاتم : السيد، الأحمق فى ماله ، ذليل [الذليل] فى عرضه، المطرح لحقده، المعنى [المعنىّ] بأمر عامته . يقال الارتقاء إلى السودد صعب ، والانحطاط إلى الدناة [الدناءة] سهل. قال عمر بن عبد العزيز لرجل: من سيدقومك؟ قال : أنا ، قال : ولو كنت كذا ما قلته . مال [قال] معاوية لوفد : كيف كان قطبة بن زيد فيكم؟ قالوا: كان إذا حضر أطعمناه، وإذا غاب شتمناه . قال: هذا والله السودد المحض . قال عمرو بن عبيد : لا يكمل مروة الرجل فى دينه حتى يكون فيه ثلاث خلال: يقطع رجاه مما فى أيدى الناس ، ويستمع الأذى فيحتمل ، ويحب للناس ما يحبَّ [يحبُّ] لنفسه . قال ابن عمر : إنا معاشر قريش نعد الحلم والجود السودد، ونعد العفاف وإصلاح المال المروة . سأل معاوية (ص١٢) الحسن بن على رضى الله عنه — عن المروّة . فقال : حفظ الرجل دينه وإحرازه نفسَه من الدنس وقيامه لضيفه وآد [أداء] الحقوق وإفشاء السلام . بعث رسول من خراسان إلى سوار بن عبد الله القاضى يسأله عن المروة ما هى ، فقال الإنصاف والتفضل . وقال على رضى الله عنه : ثلاث من كن فيه استوجب بهن أربعاً [ثلثا تصويب فى النص] من إذا حدث الناس لم يكذبهم ، وإذا وعدهم لم يخفلهم [يخلفهم]، وإذا خالطهم لم يظلمهم؛ فإذا فعل ذلك فقد وجبت إخوته وكملت مروته وحرمت غيبته . قال ابن عمر : ما رأيت أحداً أسود من معاوية ، قيل : يا أبا عبد الرحمن : أهو خير من أبى بكر وعمر ؟ قال : هما خير منه، وهو أسود منهما . قيل له: هو أسود أم عثمان؟ قال : إن عثمان لسيّد ، ومعاوية أسود منه . »

ب مخطوط ايا صوفيا

وأما المروة فلها اشتقاقان من أحدهما يقتضى أن يكون هى والإنسانية متقارنتين ، وهو أن يجعل من قولهم : مَرُؤ الطعام وامرأة [وأمرأه] إذا تخصص بالمرى لموافقته الطبعَ ، فكأنها اسم الأخلاق والأفعال التى تقلبها [تقبلها] النفوس السليمة. فعلى هذا

(١) ما يقع تحت هاتين العلامتين ( ) يفيد نصا مزيداً من عندى وما يقع تحت هاتين العلامتين [ ] يفيد تصويبا من عندى لمخطوط ليدن ومن عند الأستاذ تيشنر لمخطوط ايا صوفيا .

روح الإسلام في العبادة

للأستاذ عمر الدسوقي



من ذلك المخلوق المتجبر الذي تعنو له جباه الضواري في أدغالها، وتفرق من طلعته الوعول في معاقلها، ويعمن السمك في مساربه هلعاً لدنوه، وتهابه الطيور في أوكارها، والصلال في أجحارها؟! هو الإنسان! درج على الأرض فكان سيدها المطاع، ولم تعجزه إلا تلك القوى السماوية، من ريح زفوف عاتية، أو رعود قاصفة مدوية، أو زلازل تميد لها الأرض تحت قدميه، أو براكين تثور محنقة غاضبة أمام عينيه. كيف يدرأ شرها، أو يحوز رضاها؟ سجد لها وتضرع، وتزلف بالقربى والابتهال. ولكنه خلق وفي نفسه عنجهية وكبرياء، فأخذ على مر القرون يتنكر لها، ويشمر عن ساعده لتسخيرها وصرعها، وكلما ذاق لذة الظفر مرة، قوى إيمانه بقدرته، وجلال عقله، وكفر بها، ولج في كفرانه؛ بيد أنه أحس من أعماق فؤاده نداء خفياً أن ثمة إله آخر، أنت والدنيا والطبيعة صنع يده القادرة! ما بالك كلما حزبك أمر، أو تكأكأت عليك المصائب، أو خطف الموت فلذة كبدك وأحباءك، تنادي في ذلة وضراعة ذلك الإله الذي لا تراه، أنْ رفقاً يا رباه، فليس لي حول ولا طول أمام جبروتك وعظم ملكوتك. قرت في جنانه تلك العقيدة فهدأ بلباله، وطفق يلهج بما يكنه فؤاده من حب ومعرفة بالجميل، وندم وتوسل، لذلك الإله الدائم اليقظة، الذي ينشر رحمته على الدنيا جماء. وهل الصلاة والعبادة سوى مظهر من مظاهر ذلك الشعور الذي يفيض به قلب الإنسان؟

فكر في كنه ذلك الإله، ثم فكر حتى أجهدته الفكر، وكبا عقله في الميدان صريعاً، وزين له الشيطان أن يصور ذلك الإله ويرمز له، ويعبد الرمز تقرباً إلى الله وزلفى؛ ثم أتى عليه حين من الدهر نسي مغزى هذه الرموز والأصنام، فخالها آلهة قادرة، يتحكم كل منها في شأن من شئون العالم؛ وتوهم أن لها ما للإنسان من شهوة ورغبات، وإحساس وشعور؛ وما دام الإنسان لا يقر عيناً ويطيب نفساً إلا إذا عل من معين المادة حتى روى، فكذلك الآلهة لا بد لها من القرابين والضحايا. شاد المعابد والهيا كل وأخذ يتعبد كما زخرف له الشيطان؛ ولهذا كانت العبادة عند قدماء الهند تتألف من الطهارة والقرابين، وظلت هكذا ردحاً من الزمن غير قصير، حتى آب الإنسان لرشده وارتقت الفكرة الدينية عند فلاسفة الهند الأقدمين، ففهموا للطهارة والقربى مغزى غير ما أدرك أسلافهم؛ بيد أن البرهمية لم تحد قيد شعرة عن إيمانها بالقربان، ولا سيما بعد أن قويت عقيدة الدهماء بالكهنة، وما حبتهم الآلهة من فضائل خفية هي حبس عليهم وعلى ذرياتهم من بعدهم

اعتقد طغام الناس أن الآلهة لن تتقبل القربان، إلا إذا باركه الكاهن، وقدمه بيده، وبطريقة معينة لا تغيير فيها ولا تبديل، مرتلاً خلال ذلك أناشيد وأدعية، يرددها لسانه، ولا يحس بها جنانه، بينما يقف المتقرب مكتوف اليدين يسمع ويرى دون أن يضرب بسهم، أو يفوه بكلمة، في هذه العبادة التي أقيمت من أجله. لم تكن العبادة تقدر بسيرة المتقرب الخلقية، وفضائله ومزاياه، أو رذائله ونقائصه، ولكن بحذق الكاهن وبراعته

يكون اسماً للأفعال المستحسنة كالإنسانية. والثاني أن يكون من المرء فيُجعل اسماً للمحاسن التي يختص بها الرجل دون المرأة فيكون كالرجولية؛ وذلك أخص من الإنسانية، إذ الإنسانية يشترك فيها الرجال والنساء، والمروءة أخص بكثير مما يكون فضيلة للمرأة يكون ذاية [رذيلة] للرجال كاللين والخفر والبخل والجبن، ولهذا قيل الخلايق الرجال [خلايق الرجال] أرذل أخلاق النساء، فالكيس والشجاعة والجود رذيلة لهن.»

بشر فارس

فى تأدية المراسيم الدينية غير متلعثم اللسان ، أو جامح اليد ، وإلا بطل ثوابها وحبط عملها ؛ وما على المتعبد إلا أن يعتقد بأن الآلهة سوف تسبغ عليه أبراد الرحمة ضافية ، جذلاً بما قدمت يداه

أما الزرادشتيون ، والصابئون من الفرس ، فقد عاشوا فى دنيا من الصلوات والدعاء ؛ فكان الزرادشتى يتمتم بالدعاء ، إذا عطس ، أو قلم أظفاره ، أو قص شعره ، أو حاك ثيابه ، أو طهى طعامه ، أو أشعل مصباحه ، ليلاً ونهاراً ، لا يكل ولا يمل

دانوا بالعبادة بادئ ذى بدء لآلههم « أورمزد » ، ثم ما لبثوا أن قدسوا السماء وبروجها ، والأرض وجبالها ، والوحوش الكاسرة ، والأشجار المتباينة ، وكان لنبات القمر[1] منزلة فى نفوسهم لا تسامى

وما كانت عبادتهم سوى تكرار صيغة من الدعاء ، فقدت ما بها من حرارة ، وذهب ما لها من طلاوة وتأثير بكر الزمان ومر العشى . أجل ! إن المثل الخلقية كانت جلية عند بعض مفكريهم ، ولكن الشعب لم يدرك لها رسماً . أضف إلى ذلك أن الكهنة خصوا أنفسهم بالحياة الروحية ، وحرموها على سواهم من الناس ؛ كما شيدوا حصوناً من القداسة كانت لهم معقلاً يباعد بينهم وبين غيرهم ، ويحول بين الناس وبين المتعة الروحية السامية ؛ لأن الكهنة ابتدعوا نوعين من العبادة ، أولهما حكر عليهم وعلى طائفتهم ، وثانيهما مباح للناس أن يساهموا فيه[2]

أما اليهودية فجاءت خلواً من الأوامر التى تحث على الصلاة ، اللهم إلا صيغة واحدة من الدعاء يلفظ بها رب الأسرة ، حين يدفع جعل الكاهن ، أو يتقرب بباكورة ماشيته وزرعه ، مثنياً فيها على الله أن مكنه من القيام بامتثال أوامره ، ومتوسلاً به أن يسبغ بركاته على بنى إسرائيل

ثم سمت الفكرة الروحية حول الذات العلية ، عند عامة اليهود ، ووعاظهم ، واختفت عقيدة التجسيم من أفئدتهم ، وأدرك الناس أن العبادة شرعة يصل بها العبد إلى مولاه ؛ ومن ثم أصبح اليهود بالعرف والعادة أمة ذات صلاة ، على الرغم من فقدان النص الصريح فى شريعتهم . ولكن الصلاة عادت آلية فى كثير من الأحيان ؛ لأن الشعب لم يجد مناصاً عن طلب الكاهن ليؤمهم ، إذ لم يكن بين أيديهم تشريع خاص من الله يرجعون إليه ؛ ونفقت سوق الكهنة وأخذوا يبيعون كلمات الله بثمن بخس دراهم معدودات . ألم ينعَ عليهم القرآن على ذلك الجرم فى سورة البقرة مخاطباً بنى إسرائيل : « ولا تَشْتَرُوا بآياتِى ثمناً قليلاً ، وإيَّاىَ فاتَّقُونِ » ؟؟

ثم مثلت تعاليم المسيح تطوراً جديداً فى شعور الإنسان الدينى وقدرت الصلاة حق قدرها ، واقتفى الحواريون خطى إمامهم فعكفوا على عبادة الله وحده ؛ ولكن المسيحية ، جاءت كاليهودية ، خلواً من قواعد معينة ، ونظم محدودة ، يسترشد بها الدهماء فى صلاتهم ، فتركوا على مر الزمن ألعوبة فى يد القسيسين الذين أخذوا على عاتقهم ، تنظيم العبادة ، وبيان أوقاتها ومراسيمها ؛ ومن ثم ألفت كتب الصلاة والأنظمة الدينية ، والمجالس الكنسية ؛ لتبين للناس ما يعتقدون وكيف يتعبدون ؛ ومن ثم برزت للوجود عبادة الرهبان الآلية ، وأناشيدهم وترتيلاتهم التى لا روح فيها ؛ وأخذ الناس يهرعون إلى الكنائس يوماً من كل أسبوع ، ليأخذوا ما فاتهم من الغذاء الروحى خلال الأيام الستة الأخرى .

كانت هـذه حال الديانات فى القرن السابع الميلادى ، حين سطع نور الرسالة المحمدية فى أفق صحراء العرب ، يهدى الناس إلى دين جـديد ، يشبع نهم نفوسهم ، ويسمو بأرواحهم إلى الدرجات العلى . دع جانباً ما كانت تهيم فيه الأمة العربيـة ذاتها ، من ضلال ، وفساد فى العقيدة ، وإسفاف فى الفكرة الدينية ، وعجز عن إدراك عظمة الإله وقدسيته ، وطوافها بأصنام من الحجر الصلد ، لا تحير جواباً إذا نوديت ، أو تنفع إذا دعيت ، أو تشع فى الفؤاد نوراً أو تبعث فى الروح يقظة إذا عبدت وقدست .

نفذ الإسلام إلى قرارة الروح الإنسانية ، ورأى تحرقها للافصاح عن حبها وشكرها لله ، ففرض صلاة ، تسعد بها النفوس ، وتنبل الأخلاق ، وتسمو العقول ؛ وجعلها على أوقات ، حتى لا يسبح الفكر الإنسانى فى عالم الماديات ، وينسى غذاءه الروحى . وقد أوضح صاحب الرسالة عليه السلام كيفية أدائها قولاً وفعلاً ، لئلا يترك الناس فوضى فى عباداتهم .

وغدا المجال فسيح المدى أمام كل فرد ، ليعبد الله بقلب يفيض حباً وضراعة وإخلاصاً ..

(١) يسمى بالسنسكريتيه Soma ، وعند الزرادشتيين Homa

(٢) راجع the Gentile and the Jew لمؤلفه Döllinger ص ٣٩٨ الجزء الأول .

ليس الزند أفستا سوى مجموعة من الصلوات والأدعية والتوسلات ، لعدد كبير من الآلهة ، مثل « أورمزد » يتبها المشكاة الأولى .

راجع كذلك ten Great Religions لمؤلفه Clarke ص ١٨٧ ، ٢٠٢

إن الصلاة التي تؤدى ، والنفس تعمرها الخشية والخشوع ، لجديرة أن تجعل من الإنسان مَلَكاً يغمر الناس حباً وحناناً وخيراً وإحساناً ، وفي ذلك يقول الله سبحانه : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

وهاك ما قاله أحد كتاب الإنجليز مرة : تتجلى عظمة الإسلام في أن معابده ليست مما تشيدها الأيدي ، وأن المسلم يستطيع تأدية صلاته في أي مكان شاء ، تحت القبة الزرقاء ، أو على ظهر البسيطة »[1] أي بقعة يصلي فيها المسلم مخلصاً لله حنيفاً فهي له مسجد « جعلت لي الأرض كلها مسجداً ، وتربتها طهوراً »[2]

لم يقدر المسيحيون ما في صلاتنا من قوة روحية ومعنوية ، ونبي الإسلام يقول : « جعلت قرة عيني في الصلاة » لأنه يناجي ربه ويجرد روحه أمام بارئه دون وساطة أو شفيع ، وقد ثبت عن الثقاة أنه كان يبكي ، وينتحب في صلاته ، ويتململ تملل السليم تضرعاً إلى الله وإنابة له .

لا رهبانية في الإسلام ؛ لأنه دين سمح ، سهل ، يكفل خيري الدنيا والآخرة ، ولم يدع أي شيء يحول بين العبد وربه : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » وهذا ما جعل الإسلام يهزم البوذية والزرادشتية في عقر دارها ، ويدخل الناس فيه أفواجاً من كل أمة ونحلة ؛ هرباً من عتو الكهنة واغتصابهم لحريتهم ، وتحكمهم في أرواحهم[3] .

كل مسلم مكلف بمعرفة دينه ، والتفقه فيه ، فلا طوائف دينية في الإسلام ، ولا كهنة حباهم الله القداسة والقربى ، بل الناس أمام الله سواسية كأسنان المشط ، أكرمهم عنده أتقاهم . والتشفع بالأولياء ، في شرعة الدين الحقة ، ضرب من البدع وانحراف عن جادة الصواب ، وروح الإسلام .

ربما توهم بعض الناس أن التقرب إلى الله بإراقة دماء الأضحية من تعاليم الإسلام ، ولكن هذا باطل لأن نحر الأضاحي في عيدنا الأكبر تذكرة بما قام به سيدنا ابراهيم لا غير ، فضلاً عما فيه من إطعام البائس والفقير ؛ ولذلك يُهدى ثلثها ويُتصدق بثلثها ، ويُؤكل ثلثها الباقي .

جعل الإسلام طهارة البدن شرطاً في صحة الصلاة ، وفي الوقت ذاته نص على أن مجرد الطهارة البدنية لا يغني أمام الله فتيلاً ، إذا لم تصحبها طهارة في الروح ، وإخلاص في القلب ، وخلوه من الكبر والرياء ، والحسد والبغضاء .

يستقبل المسلمون جميعاً مكة في صلاتهم ؛ حتى يظل مهد الإسلام الذي انبثق منه هذا النور الفياض ، والذي شاهد أشعته الأولى تبدد دياجير الجهل ، ملء سمع المسلمين وأبصارهم ؛ وحتى يتمثلوا موطن ذلك الصراع العنيف بين الحق وصولته ، والباطل ودولته ، وكيف حطمت الأصنام وطهرت الأرض من أدران البغي والعدوان ، والفسق والدعارة ؛ وحتى يتذكروا أن إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها يشاطرونهم شعورهم ، ويولون وجوهم صوب هذه البقعة المباركة كما يتوجهون ، وأن المسلم عضو في جماعة عظيمة تملأ فجاج الأرض ، يربطها دين واحد ، ويحفزها رجاء واحد ، وتؤمن بإله واحد .

تلك هي روح الإسلام في فرع واحد من فروع العبادة ، ولولا خشية الإطالة لبينت ما في الصوم والزكاة والحج من فكرة سامية وروح عالية .

عمر الدسوقي

(١) راجع Our Indian Muslamans لمؤلفه Hunter ص ١٧٩

(٢) حديث شريف

(٣) راجع كتاب الدعاية الاسلامية لسير توماس أرنولد « الاسلام في بلاد فارس »

دار مؤمنة

للأستاذ محمد سعيد العريان

« ضلت البشرية إن كان هذا مبلغها من العلم بالله ! »

همس بها « زيد » فى أذن صحابته فالتفتوا إليه مذعورين يسألونه الصمت والحذر !

هذه بطون قريش جميعاً فى عيد لهم عند صنم من أصنام الجاهلية مُلبِّين ضارعين يعظّمونه وينحرون له عاكفين عليه . ذلك شأنهم فى كل عيد ..

وأولئك أربعة نفر من قريش قد اجتمعوا لغير ما اجتمع آباؤهم وأبناؤهم وإخوتهم من سائر قريش ، ينظرون إلى القوم فى ضجيجهم حافين حول المعبود الأخرس لا يتكلمون ، وعلى شفاههم بسمات ، وفى أعينهم نظرات يخافتون بها ، وفى صدورهم رغبات مكبوتة ، لو تأتّى لهم لأهوَوْا على هذا المعبود فكبُّوه على وجهه جُذاذاً محطّما !

وانتبذ الأصدقاء الأربعة ناحية يتناجون فى همس ، وإن المكان ليضجّ بمن فيه بين داعٍ ومُلبٍّ وسائل ومستغفر . وعاد الرجل يقول لصحابته :

« أما والله إنكم لتعلمون ما قومكم على شىء ؛ لقد أخطئوا دين أبيهم إبرهيم . ما حجَرٌ نُطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شىء ! »

ويؤمّن صحابته على ما يقول

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل ، من بنى عدى بن كعب ؛ وأولئك أصحابه : ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحارث .

أربعة نفرٍ أضاء الله لهم على حين غفلة وضلال ، فسبقوا قومهم إلى التوحيد والإيمان بالله ؛ وجلسوا يداولون الرأى بينهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يتفرقوا فى البلدان يسألون أهلَ العلم ما يعلمون عن دين إبرهيم . . .

***

وأقام زيد بن عمرو بمكة زماناً ، معتزلاً قومَه وما يعبدون من دين الله ؛ لا يؤاكلهم ولا يشاربهم ، ولا يخشى أن يناديهم بالعيب على ما هم فيه ، وحرّم على نفسه ما أحلُّوا لأنفسهم من الميتة والدم وما ذُبح على النُّصب .

وعرف القرشيون ما أجمع عليه أمره ، فاعتزلوه وخلَّوا بينه وبين نفسه ، لكنه لم يخلِّ بينهم وبين أنفسهم ؛ فإنه ليقصد إلى البيت فيسند ظهره إلى الكعبة يقول : « يا معاشر قريش ، والله ما منكم على دين إبرهيم غيرى ، وإنكم لتعبدون ما لا يغنى عنكم من الله شيئاً . يا معاشر قريش ، إنكم لتأتون المنكر ، وتقارفون الشر ، وتئدون البنت ، وتكفرون النعمة . يا معاشر قريش ، أيّما رجلٍ منكم همّ أن يقتل ابنته خشية إملاق فأنا أكفيه مئونتها . يا معاشر قريش . . . يا معاشر قريش . . . »

فإذا فرغ من دعوته وجّه وجهه لله يقول : « لبّيك حقًّا حقًّا ، تعبُّدًا ورِقًّا ، عُذْتُ بما عاذ به إبرهيم . اللهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحب إليك عبدتُك به ، ولكنى لا أعلمه . . . »

ثم يسجد على راحته ويقول :

أنفى لك اللهمّ عانٍ راغمُ ... مهما تجشّمْنى فإنى جاشمُ

ولم يزل زيد على ذلك : يذكّر قومه ويعيب عليهم ما يعبدون ، حتى ضاقوا به ؛ فأجمعوا على نكايته وتربّصوا به الشر ؛ ثم ما زال به عمه (الخطّاب بن نفيل) يؤذيه وينال منه حتى ألجأه إلى (حراء) لائذاً بالله مستجيراً ؛ فوكل به الخطاب شباباً من سفهاء قريش يأخذون عليه الطريق وينالونه بما يكره إن همّ أن يعود إلى مكة ، خشية أن يُفسد عليهم دينهم ويتابعه بنوهم .

وكانت زوجه فيمن كان من عيون الخطاب عليه ، لا يكاد زيد يهم أن يدخل مكة حتى تُؤذِن به الخطابَ فيقف له ؛ ثم يتناوله

السفهاء من شبابهم بما يقدرون عليه حتى يعود على وجهه!

رجل فرد في وجه أمة، قد برئ منه أهله، وتمردت عليه زوجه، وتذامر سفهاء الإنس وشياطين الجن على مناهضته والوقوف له، ولكنه من قوة الإيمان بحيث يغالب ما لا غلبة عليه!

وأي قوة في الأرض تنال من الرجل يعمر قلبه الإيمان؟

... وأرادوه على أن يلزم مكانه من الجبل لا يبرح، لا هابطاً إلى الكعبة يسبح الله في البيت الحرام، ولا مصعداً يلتمس أسباب المعرفة في بلاد الله؛ ولكن صوتاً من وراء الغيب يهتف به، ونوراً يتنوره على بعد يضيء بين يديه، وإيماناً يعمر قلبه يذلل ما يتكاءده من عقبات على الطريق.

كان يؤمن إيماناً لا شك فيه أن للكون رباً غير ما يعبد الخطاب وبطون قريش؛ هو رب إبرهيم وموسى؛ فمن ذا يهديه الطريق إليه؟

... ووجد زيد غفلة من حراسه فأفلت يقصد قصده، متنقلاً بين الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام، يسأل عن دين إبرهيم ويبتغيه ومضى تتقاذفه البلاد يستطلع أنباءه بين أحبار اليهود ورهبان النصارى؛ فما منهم إلا من يبشره بنبي قد أظل زمانه، يبعثه الله بدين إبرهيم في أرض الحجاز!

يا ناق سيري عنقاً فسيحاً إن نبياً قد أظل زمانه يبعثه الله بالهدى ودين الحق في أرض الحجاز. يا ناق هذا سبيلك إلى الوطن النائي يجمع شملك بالأحباب من آل عدي بن كعب في أرض الهدى والسلام. يا ناق هذا فجر يوشك أن ينبثق بالنور فسيري بي إليه أقبس من نوره نوراً لقلبي وسلاماً لروحي. يا ناق هذا يوم المأمول تبرق شمسه في حواشي الأفق فأبلغيني ما أملي قبل الغداة.

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل في طريقه إلى مكة يسعى نوره بين يديه إلى أمل يرجوه، فإنه ليحدو بعيره مغتبطاً جذلان أن يعود إلى وطنه ومرتع صباه فيظفر بالحسنيين من لقاء الأهل والولد وصحبة النبي القرشي الذي أظل زمانه؛ وإنه ليغذ السير وفي نفسه شوق ولهفة، وعلى لسانه تسبيح ودعاء!

وانطوى الطريق تحت أخفاف البعير الذي أنضاه السرى وجهد السفر، فلما صار على قريب قريب من أرض الحجاز وأوشك أن ينعم بلقائه الأهل والولد ورؤية النبي الذي قطع مفازة الحياة سعياً إلى لقاه – عدا عليه من عدا من أهل السبيل فصرعه قبل أن يبلغ حيث يريد، فإنه ليقول وهو يلفظ أنفاسه: «اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم!» رحمك الله أبا سعيد!

***

... وأشرق الصبح على أرض الحجاز، وفاض النور من غار حراء يغمر بطحاء مكة ويسيل سيل العرم فيمحو الظلمات ويدخل منه في كل دار قبس يضيء. وداعبت أشعة الصبح الضاحك أفئدة الدار التي آوت زيد بن عمرو بن نفيل عمراً من عمره، ثم هجرها ساعياً إلى الله يبتغي الوسيلة إلى دين الحق، فكان ولده سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب من السابقين الأولين في الإسلام!

وعاد النور والإشراق إلى الدار التي يعزى إليها أول مذكر بدين إبرهيم على حين غفلة وضلال. وكان إيمان سعيد واستجابته لدعوة الحق امتداداً لدعوة أبيه في الجاهلية وصفحة مشرقة من التاريخ تنضم إلى صفحات!

***

ثم دار الفلك دورة، وإذا فتى عارم من فتيان قريش يدخل دار سعيد متوشحاً سيفه، وفي عينيه شرر وعلى لسانه وعيد، فما إن رآه سعيد وزوجه حتى سكت القرآن وخفت الصوت وانكمش بعض في بعض؛ وأوشكت أن تنقض صاعقة تزلزل أركان الدار المؤمنة...

يا عجباً! ما بال هذا الفتى قد نسي ما جاء له وَرَقَّ بعد عرام وعنف؟ هل كان يقصد إلا هذا الفتى العربي وزوجه، أن ينالهما بأشد الأذى على ما صَبَآ وفارقا دين قومهما؟

ها هو ذا في موقفه منهما خاشع الطرف يتلو من صحيفة في يده:

«بسم الله الرحمن الرحيم. طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ...».

فما يكاد يفرغ من تلاوته حتى يلتفت إلى ختنه سعيد وأخته فاطمة بنت الخطاب يقول:

«دلاّني على محمد حتى آتيه فأسلم!»

ذلك عمر بن الخطاب وتلك دار سعيد بن زيد بن عمرو؛ دخلها دخول الفاتك المتقحم لا تهدأ نفسه إلا أن يريق دماً؛ فما احتوته الدار حتى كان عمرُ غيرَ عمر!

إن في بعض الأمكنة لسراً يهمس، ونجوى تخافت؛ وإن في هذه الدار ...!

***

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

ذات النطاقين

للأستاذ محمود محمد شاكر



(قال عمر بن أبي ربيعة بعقب حديثه) :

... فوالله لقد جَهَدنا البلاء — يا أهل مكة — ولقد صبرنا على حصار الحجاج سبعة أشهر أو تزيد في غير حصن ولا منعة ، وإنَّ أحدَنا ليُرى وقد لحقت بَطْنُه بظهره من الجوع والطَّوَى ، ولولا بركة تلك العين (يعني زمزم) لقضينا ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعمٍ » لقد أشبعنا ماؤها كأشد ما نشبع من الطعام ، وما ندرى ما يُفعلُ بنا مُنذُ اليوم . فلقد خذَل « ابنَ الزُّبَير » أصحابه خذلاناً شديداً ، وما من ساعةٍ تمضى حتى يخرج من أهل مكة مَن يخرج إلى الحجاج في طلب الأمان . ألا شاهتْ وجوه قوم زعموا أنْ سينصرونه، يحمون « البيت » أن يُلحَد فيه ، ثم ينكشفون عنه انكشافةً كما تتفرق هذه الحمامُ عن مَجْثمها على الرَّوْع ...

وخرجتُ ، ومكة كأنها تحتَ السَّحَر خليَّة نحل مما يدوِّى في أرجائها مِنْ صوتٍ داعٍ ومكبِّر وقارىء ، وصمَدْت أريد المسجد فأسمع أذانَ « سعد » مؤذِّنِ ابن الزبير فأصلى ركعتى الفجر ، فيتقدم ابن الزبير فيصلى بنا أتمَّ صلاة ، ثم يستأذن الناس ممن بقى من أصحابه أن يُوَدِّع أمه « أسماء بنت أبى بكر الصديق » فأنطلق وراءه وما أكادُ أراهُ مما احتشدَ الناسُ في المسجد ، وقد ماجوا وماجَ بهم يتدافعون ويحضُّون ويُحرِّضون ، وزاحمت الناس بالمناكب أرجو ألا يَفوتنى مَشهد أسماء تستقبل ولدها وتودِّعه ولقد تَعْلمُ أنه مقتول لا مَحَالة ، فما أكاد أدرِكهُ إلا وقد انصرف من دارها يريد المسجد ، وإذا امرأة ضَخْمة عجوز عمياء طُوالة كأنْ سرحةٌ في ثيابها، قد أمسكت بعُضادتى الباب تصرف وجهها إليه حيثما انتقل ، فوالله لكأنها تثبتُه وتُبصرُه ، وقد برَقت أسرَّةُ وجهها تحت الليل برقِ العارضِ المتهلل ، ثم تنادى بأرفع صوت وأحنّه وألينه ، قد اجتمعت فيه قوة إيمانها وحنينُ قلبها : « يا عبد الله ! يا بُنى ، إنى أمك التى حملتك ، وإنى احتسبتك فلا تهن ولا تجزع . يا بنى ابذل مُهجة نفسك ، ولا تَبعد إلا من النار ... يا عبد الله! لا تبعد إلا من النار ، أستودعك الله يا بُنى ! » ثم تدور لتلج الدار فكأنها شِراعٌ قد طُوِى

رحمة الله عليكم يا آل أبى بكر ، لأنتم أصلبُ الناس أعوادا وألينهم قلوباً . وأحسن الله عزاءك ياذاتَ النطاقين ، فلقد تجملتِ بالصبر حتى لقد أُنسيت أنك أمٌّ يجزع قلبها أن يَهلكَ عليها ولدُها فيتقطع عليه حَشاها

وانصرفتُ عنها بهمٍّ أسَى ، فوالله ما رأيت كاليوم أكسَبَ لعجب وأجدَّ لُحزنٍ من أمٍّ ثكلى يحيا ظاهرُها كأنه سراجٌ يَزْهَرُ ، ويموتُ باطنها كأنه ذُبالَةٌ توشكُ أن تنطفئ ، وذهبتُ ألتمس الوُجوهَ وأحزانها ، فما أرَى وُجُومَها وقُطُوبَها وانكِسارَها ورَهَقَها وصُفرتَها إلا ذِلةَ النفس وخضوعَها واستكانتها وضعفَها وعلَّتها ، وأن المؤمنَ حين يحضُرُه الهمُّ أشعَثَ أغبرَ يَردُّه إيمانُه — حين يؤمن — أبلجَ يتوقَّد ، ليكونَ البُرهانَ على أنَّ الإيمانَ صيقلُ الحياةِ الدُّنيا ، يَنْفى

وجلس سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعمر بن الخطاب ابن نفيل ، مجلسهما إلى رسول الله غدوة ، فقالا : « يا رسول الله استغفر لزيد بن عمرو ! »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ، فإنه يبعث أمةً وحده ! » رحمة الله عليه

محمد سعيد العريان

تخبثها ويجلو صدأها، فإما ركبها من ذلك شيء، عاد عليها يحادثها ويصقلها حتى يتركها بيضاء نقية ...

وما بلغت المسجد حتى رأيت ابن ذات النطاقين قائما بين الناس كأنه عمود من طوله واجتماعه ووثاقة بنائه؛ وحضرته وهو يقول: « أيها الناس، عجلوا الوقاع، ولا يرعكم وقع السيوف، وصونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، فلينظر رجل كيف يضرب، لا تخطئوا مضاربكم فتكسروها، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه كان أعزل أعضب يؤخذ أخذاً كما تؤخذ المرأة. ليشغل كل امرئ قرنه، ولا يلهينكم السؤال عني : أين عبد الله بن الزبير ؟ ألا من كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول » ... ثم يدفع في صدور أهل الشام دفعة عند باب بني شيبة كأنه صاعقة، وكأنه أسد في أجمة، ويحيص أصحاب الحجاج حيصة في منازلهم من الرعب، فلقد رأيته يقف ما يدنو منه أحد حتى ظننت أنه لا يقتل، حتى إذا كان بين الركن والمقام رمي بحجر فأصاب وجهه فبلغ منه حتى دمي، وسال دمه على لحيته، وأرعشت يده... وغشيه أصحاب الحجاج من كل ناحية وتعاووا عليه، وهو يقاتلهم جاثماً أشد قتال حتى قتل

وا رحمتا لك يا بنت أبي بكر !! أي كبد هي أشد لوعة من كبدك ! لقد والله رحمت رحمة إذ كف الله منك البصر، لئن لم تكوني تجزعين لموته، لقد كنت جزعت لما مثلوا به وجزوا رأسه، ورفعوه على خشبة منكساً مصلوباً ...

وما كدت حتى أقبلت أسماء بين يديها كفن قد أعدته وحنطته، والناس ينفرجون عن طريقها في أعينهم البكاء، وفي قلوبهم الحزن والرعب، قد انتسفت وجوههم كأنما نشروا من قبورهم لساعتهم، وسكنت الأوصال، وجالت الأحداق في محاجرها وكأنها همت تخرج، وتمشي أسماء صامدة إلى الخشبة صمداً وكأنها ترى ابنها المصلوب، وكأنها تستروح رائحة دمه، حتى إذا بلغته — وقد وجم الناس وتعلقت بها أبصارهم ورجفت بهم قلوبهم — وقفت، وقد وجدت رائحة المسك تحت ظلاله فقالت: « يا بني طبت حياً وميتاً، ولا والله ما أجزع لفراقك يا عبد الله؛ فمن يك قتل على باطل فقد قتلت على حق، والله لأثنين عليك بعلمي : لقد قتلوك يا بني مسلماً محرماً ظمآن الهواجر مصلياً في ليلك ونهارك ».

ثم أقبلت وجهها السماء ومدت بيديها تدعو: « اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت له، فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين الصابرين. اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب، وبره بأبيه وبي ».

ووجم الناس وجمة واحدة، وخشعوا خشعة لكأن السماء والأرض صارتا رتقاً فما يتنفس من تنفس إلا من تحت الهم والجهد والبلاء. وكأن مكة بيت قد غلقت عليه أبوابه لا ينفذ إليه أحد ولا يبرحه أحد. وكأن الناس قد نزعت أرواحهم وقامت أبدانهم وشخصت أبصارهم، وبدت أسماء بينهم وكأن وجهها سراج قد نص على سارية، لا يزال يزهر ويتلألأ، ثم تلفت كأنما تتطلع في وجوه هذه الأبدان الخوالد، وأضاء ثغرها عن ابتسامة. والله لقد بلغت من العمر وما سقطت لها سن، وما زال ثغرها ترف غروبه ثم قالت: « يا بني، لشد ما أحببتم الحياة وآثرتم دنياكم، تخذلتم أخاكم، وفررتم عن مثل مصرعه. يا بني يغفر الله لكم، وجزاكم الله عن صاحبكم خيراً ».

وأطرقت أسماء إطراقة ثم رفعت رأسها تومئ إلى الخشبة فوالله لقد رعدت فرائصي حتى تزايلت أوصالي، وصر الناس كأنما تقصفت أصلابهم، وإذا هي تقول: « ألا من مبلغ الحجاج أن المثلة سبة للحي وما تضر الميت. ألا من يبلغ الحجاج عني أن الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ »

وحامت أسماء وطافت بين الناس وبين هذه الخشبة ساكنة صابرة، لا يرى إلا بريق وجهها يومض كأنه سيف صقيل، ثم طفقت تردد « يا بني، أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ أما آن لهذا الراكب أن ينزل ! يا بني ليستأذن أحدكم حجاجكم هذا أن يدفع إلي هذه العظام. أدوا عني؛ يرحم الله من أدى عني »

فيجيء الرسول من قبل الحجاج يأبى عليها أن تدفع إليها عظام ابنها المصلوب، ويجيء على أثره موكلون قد وكلهم بجثته يقومون عليها يحرسونها، كأنما يخشى أن يحيا ميت قد حز

رأسه أن تمسّه يدُ أمّه . فوالله لقد سمعتْ أسماء وخُبّرت فما زادت على أن وَلّتْ عنهم كما جاءت ما تقطر من عينيها قطرةُ دمع ، وما تُجاوز قوماً إلا جاوزتهم كأنهم فُسطاطٌ يتقوّض ، حتى ولجتْ بابها وغلّقته عليها

وانطلقتُ أنفضُ الناسَ بعينيّ ، فرأيتُ أخي الحارث (ابن عبدالله بن أبي ربيعة) وابن أبي عتيق (هو عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق) ما في وجهيهما رائحة دم من الحزن والفرق . فقلت: ما هذا أوان جزع؛ انطلقوا بنا — يرحمكم الله — إلى دارها نواسيها ونترفق لها ، فوالله لقد تخوفتُ أن يذهبَ بها الحزن عليه ، وإنه لفالقٌ كبدَها ما لقيته . ويطرق الباب ابن أبي عتيق . فيجيبُ الصوت من داخل : قد أسمعتَ فمهْ. فيقول : أنا ابن أبي عتيق يا أمّاه . ويؤذن لنا فندخل دارها تجفُ قلوبنا من الروع والرّهبة ، ونأخذ مجلسنا عند بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (ص) وزوج حواريّه عليه السلام ، وكأن قد تركنا الدُّنيا وراءنا وأقبلنا على الآخرة .

استضحكت أسماء حتى بدت نواجذها وقالت : «مرحباً بكم يا بَنِيّ ، جئتم من خلل الناس تعزُّون أمكم في عبدالله . يرحم الله أخاكم لقد كان صوّاماً قوّاماً ما علمتُ . وكان ابن أبيه الزّبير أوّل رجل سلّ سيفه في الله ، وكان أشبه الناس بأبي بكر

يا بَنِيّ ، والله لقد حملته على عُسْرة ، والمسلمون يومئذ قليلٌ مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطّفهم الناس ، ولقدْ سعيت به جنيناً بين بيت أبي بكر وغار ثور بأسفل مكة في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه آتيهما تحت الليل بما يصلحهما من الطعام ؛ ويسكنُ الطلبُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيتهما بسفرتهما وسقائهما ونسيت أن أتخذَ لهما عصاماً ؛ فلما ارتحلا ذهبتُ أعلّق السُّفرة فإذا ليس لها عصامٌ ، فوالله ما أجدُ ما أعلقهما به ، ووالله ما أجدُ إلا نطاق وأنا حبلى مُتِمٌّ . فيقول أبو بكر : يا أسماء شقّيه باثنين ؛ فأشقه فأربط بواحد منهما السقاء وبالآخر السفرة ؛ فلذلك ما سمّاني رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذات النّطاقين » يعني في الجنة . وأعود بعبد الله يرتكض في أحشائي ، قد احتسبتُ نطاقي في سبيل الله ؛ فوالله ما أجدني احتسبتُ بنيّ عبدَ الله اليوم إلا كما احتسبت نطاقي ذاكم . وأعود إلى دار أبي بكر ويأتي نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا ببابها، فأخرج إليهم فيقولون: أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ فأقول : لا أدري والله أين أبي ؛ فيرفع أبو جهل يده — وكان فاحشاً خبيثاً — فيلطم خدّي لطمة يطرح منها قُرطي ، فتَحُول في الأرض الفضاء ، فوالله لقيتُ من حجّاجكم هذا أهونُ عندي مما لقيتُ من لطمة أبي جهل وأنا بعبد الله حاملٌ مُتِمٌّ .

يا بَنِيّ إني آخرُ المهاجرين والمهاجرات ، لم يبقَ على ظهرها بعدَ عبد الله منهم غيري ؛ فلا والله ما حَسُنَ أن يجزعَ من هاجر — وإنّ شأن الهجرة لشديدٌ — وما حسنٌ أن يجزع من شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه ، وكيف وقد أربيت على المائة ؟

يا بني جزاكم الله عني وعن أخيكم خيراً ، قوموا لشأنكم وذروني وشأني يرحمكم الله»

وودّعنا وانصرفنا، ولا والله ما نجدُ لأسماء في الرجال ضريباً، فأين في النساء؟ ولكنها كانت تصبر صبر المهاجرين الأولين على الجهد والبلاء

وما كان غير خامسة من مقتل ولدها حتى استجابت لدعوة ربّها رضي الله عنها وأرضاها ، وهي أمٌّ حنّت تكتم حنينها، ولكنه عجّل بها موته فقطع نياطها وصدع فؤادها، وفلق كبدها عليه حنينها إليه ....

محمود محمد شاكر

المعاهدة السرية

للأستاذ محمد عرفة

قبل هجرة محمد صلى الله عليه وسلم في الليلة الثانية عشرة من ليالي ذي الحجة بعد أن قضى الناس حجهم خرج جماعة من رحالهم المضروبة في وديان منى وضواحيها بعد أن مضى الثلث الأول من الليل، خرجوا يتسللون تسلل القطا يمشون الهوينا، فلا يسمع وقع خطاهم على الأرض أحد كأنما يخافون أن يشعر بهم الناس. خرجوا فرادى وجماعات، وكلهم يقصد جهة معينة هي العقبة، وكلما وصل إليها فوج منهم نزل بها حتى كانوا سبعين رجلاً

جلسوا يتناجون في صوت خفي لا يسمع إلا همسهم وتتابع أنفاسهم. جلسوا كأنما ينتظرون قادماً يقدم عليهم كانوا معه على ميعاد...

وبينما هم كذلك إذا برجلين قد أقبلا يؤمانهم، ويريدان مكانهم، فلما تبينوهما خفوا إليهما، ونهضوا فسلموا عليهما، وكانت هذه الجماعة من سكان يثرب من الأوس والخزرج، وكان هذان القادمان عليهم محمد بن عبد الله وعمه العباس بن عبد المطلب وكانا معهم على ميعاد

ليت شعري ما الذي حفز هذه الجماعة على أن تخرج من رحالها وتقصد هذا المكان القصي؟ وما الذي حفز محمداً وعمه العباس أن يتركا منزليهما بمكة ويتسترا تحت ستار الليل والناس نيام ويوافياهم عند العقبة؟ كان محمد يريد الهجرة إلى المدينة وكان يريد أن يعقد مع أهلها معاهدة سرية على أن يحموه ويعززوه وينصروه.

فلما جلسا وجلس الناس حولهما، تكلم العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فقال: «يا معشر الأوس والخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده»

فلما انتهى العباس من كلامه قالوا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، وخذ لنفسك وربك ما أحببت. فتكلم رسول الله، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فتقدم إليه البراء بن معرور وأخذ بيده وقال: والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أنفسنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر

فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان وقال: يا رسول الله إن بيننا وبين اليهود حبالاً، وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم مني، وأنا منكم، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم. فصرخ فيهم العباس ابن عبادة الأنصاري وقال: يا معشر الخزرج، هل تدرون على م تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتل، أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله خزي الدنيا والآخرة إن فعلتم؛ وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: الجنة. قالوا: أبسط يدك. فبسط يده فبايعوه

وبعد أن تمت المعاهدة قال لهم رسول الله : ارفضوا إلى رحالكم. فقال له العباس بن عبادة : والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا ، فقال رسول الله : لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، فرجعوا إلى مضاجعهم . فلما أصبحوا غدت عليهم أكابر قريش ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا ، تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . وكان مع المسلمين الذين عقدوا المعاهدة قوم مشركون من المدينة لم يعلموا بما كان منها فانبعثوا إلى قريش يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه . ثم تفرق القوم ، ورجع الأنصار إلى المدينة ، وأقام رسول الله بقية شهر ذى الحجة من تلك السنة والمحرم وصفر وهاجر إلى المدينة فى ربيع الأول

وكانت هذه المعاهدة السرية التى عقدها رسول الله بينه وبين أهل المدينة هى أول حادث أعز الإسلام وقواه ومكن له فى الأرض وكتب له البقاء والخلود ، فى هذا الوجود

لم يكن أهل المدينة حين عقدوا هذه المعاهدة مع رسول الله يجهلون ما وراءها ، فقد كانوا يعلمون أن وراءها حرب العرب جميعاً لأن العرب جميعاً على خلاف هذا الدين الجديد ، وهم لا محالة معارضوه ومحاربوه ، وقد ذكرهم بذلك العباس بن عبادة فلم يشفقوا من ذلك وأقدموا عليه وهم يعلمون ما يفعلون ، ويعنون ما يقولون علموا ذلك كله فلم يهلهم ولم يفزعهم ، وأقدموا عليه طيبة به قلوبهم ، راضية به نفوسهم . لقد عرض رسول الله (ص) نفسه قبل ذلك على القبائل ، فأشفقوا منه ولم يقو أحد على حمل هذا العبء الثقيل .

لقد ذهب إلى ثقيف بالطائف وعرض عليهم الإسلام ، فامتنعوا وقال له أحدهم : ما وجد الله أحداً يرسله غيرك . وقال آخر منهم : لا أكلمك كلمة أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك . فقام رسول الله من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، ثم نجاه الله منهم . وكان ينتظر أيام الحج فيذهب إلى الحجاج من العرب فى منازلهم ويعرض عليهم الإسلام فيأبون عليه ، ذهب إلى كندة فى منازلهم فامتنعوا عليه ، وأتى كلباً فامتنعوا عليه ، وأتى بنى حنيفة فردوه أقبح رد .

لم يقدروا على حمل هذه الأمانة ، وادخرها الله لهذا الحى من أهل المدينة فقد جاء نفر منهم إلى موسم الحج ، فلقيهم رسول الله فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج . قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم . قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فآمنوا به وصدقوه وقالوا له : قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله على يديك ، فلا رجل أعز منك . ثم رجعوا إلى المدينة ودعوا قومهم إلى الإسلام فأجاب منهم خلق كثير ، ثم جاء منهم قوم إلى مكة وقابلوا رسول الله ، وكانت المعاهدة التى ذكرناها .

إن هذه المعاهدة لتدل على ما للأنصار من جلد وقوة وشجاعة وبسالة وكرم وتضحية وإيثار

أباحوا أرضهم وديارهم وأرزاقهم لمن هاجر إليهم من المسلمين فقاسموهم ما عندهم ، وآثروهم على أنفسهم

فتحوا بها صدورهم لحراب العرب ورماحهم ، وقطعوا بها حبالهم التى كانت بينهم وبين العرب ، فما أعظم هذه التضحية ، وما أجل هذا الإيثار

ويحسبهم أن الله سجل لهم مفاخرهم ومكارمهم فى قوله :

« والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»

محمد عرفة

عبرة الهجرة

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

قم باسم ربك في الحياة مجاهدا ... وأعد إلى العرب التراث الخالدا

مجد بذلنا النفس في تدعيمه ... حتى استقر على الثريا قاعدا

أهوى إلى كسرى فدك صروحه ... ورمى هرقل فكان نسراً صائدا

فتح البلاد مسالكا ومعاقلاً ... وأدالهن صوامعاً ومعابدا

ومشى إلى الرومان أنبل غاية ... وأعف في يوم القتال مقاصدا

يدعو إلي دين النبي مناضلا ... ويصد دعوى المشركين مجاهدا

ويكاد يفتتح القلوب بحجة ... غراء كالصبح المبين شواهدا

* * *

هذا النبي من الجزيرة مقبل ... يبني يقيناً أو يقيم عقائدا

المسلمون ببطن مكة أسسوا ... للمجد ركناً والفخار قواعدا

رفعوا على التقوى قواعد ملكهم ... ورجوا له فوق السماء مقاعدا

عرب من الصحراء إلا أنهم ... رفعوا لتمثال الحضارة شاهدا

تلك الخيام الضاربات بمكة ... سخرت من (الإيوان) نخما صاعدا

قد لقنته من العقيدة صافيا ... وسقته ماء الحق عذباً باردا

حتى رأينا القرن أصبح دينهم ... دين الحنيفة مشمخراً صاعدا

دخلوا إلى الإسلام أطوع أنفسا ... لله وانقادوا أخف مقاودا

* * *

دين من الحق الصراح رأيته ... يغزو الممالك فاتحاً ومجاهدا

لم يعبأ الأوثان وهي نواصب ... شركا ولم يخش الضلال الراقدا

ومضى فما سد القتال سبيله ... وسعى فما هاب الفريق الحاشدا

يهدي ويفتح العيون مسالكا ... ويشق في سبب السماء مصاعدا

ويكاد يهزأ بالعناد مكابرا ... والكفر أحمق والضلال معاندا

نصبوا له الشرك اللئيم فما ونى ... ومضى يحيك لصائديه مصايدا

ما كان صاحبه إلى غاياته ... نكسا ولا داعيه شيخاً قاعدا

آذوه فاحتمل الأذاة مصابرا ... ورموه فاحتمل الرماة مجالدا

والحاسدون تنقصوه فما وهى ... عزماً ولا بالى العدو الحاسدا

نفس من الإيمان صيغ كيانها ... وغدت على سر البطولة شاهدا

سخرت بما صنع الضلال وأقبلت ... تستلهم الله الطريق الراشدا

وإذا النفوس تباعدت غاياتها ... زادت عن الغرض اللئيم تباعدا

* * *

يأيها الداعي لكل كريمة ... هذا سبيلك قد أقام على هدى

أعليت باسم الله كل بنية ... فيه وصيرت الكنيس مساجدا

ودعوت لا تخشى لدينك هازئاً ... وصدعت لا تخشى لرأيك ناقدا

وحملت من ظلم القريب مغاكسا ... ولقيت من عنت الولي مطاردا

فهجرت أهلك لا قلى لودادهم ... وتركتهم لا ساخطاً أو واجدا..

لكن كرهت على المقام جحودهم ... والحر يجتنب المقام الجاحدا

محمد عبد الغني حسن

الحسن بن الهيثم

للأستاذ عبد الحميد حمدي
المدرس الأول للعلوم بوزارة المعارف

للحسن بن الهيثم منزلة رفيعة في عالم العلوم الفيزيقية لا ينتقص من قدرها أنه غير معروف في الشرق بقدر ما هو معروف في الغرب بين علماء الفيزيقا الذين قدروه فكتبوا عنه وترجموا مؤلفاته وعلقوا عليها وشرحوا الغامض منها .

وهو أبو علي الحسن بن الهيثم ، ولد بالبصرة عام ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) ومات بالقاهرة عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) وكان قد استقدمه الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي لينظم له مياه النيل لينتفع بها الزرع أوقات الزيادة والنقصان. وأمده الحاكم بالمال والرجال وقصد إلى أسوان وعاين النيل عندها ودرس مشروعاً كان قد أعده هو أثناء إقامته في العراق ليطبقه على حالة نيل مصر ، فرأى تعذر الأمر ورجع واعتذر إلى الخليفة بما تظاهر بقبوله ثم ولاه بعض الدواوين .

وقد ساهم الحسن بن الهيثم في الحركة العلمية في مصر إذ قام بالتدريس في الجامع الأزهر وتخرج عليه كثيرون من المصريين نذكر منهم أبا الوفاء المبشر بن فاتك من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائهم ، وقد أخذ عنه كثيراً من علوم الهيئة والعلوم الرياضية ، كما كانت لابن الهيثم مساجلات ومحاضرات ومراسلات قامت بينه وبين العلماء في مصر وفي غير مصر

وقد كان الحسن بن الهيثم أحد الأساتذة الذين تكونت منهم « دار الحكمة » وهي نوع من الأكاديمية العلمية أنشأها الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي وأمدها بآلاف الكتب وأغدق عليها الهبات واختصها بعنايته. وقد كان الحسن بن الهيثم زميلا في هذه الأكاديمية العلمية لابن يونس وعمار وعلي بن رضوان وما سويه الماردينى، وكلهم من قادة الفكر في العالم الإسلامي في ذلك العصر، وكانوا من أصدقاء الحاكم وكانت لهم معه مجالس ومحاضرات

حضر الحسن بن الهيثم إلى القاهرة عام ٣٨٦ هـ (٩٦٦م .) وعاش فيها عيشة النسك والزهد، فقد كان في السنين الأخيرة من حياته يكتب في كل سنة اقليدس والمجسطي ويبيعهما ويقتات من ثمنهما ولم تزل هذه حاله إلى أن توفي عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨م) . فيكون قد قضى بالقاهرة حتى وفاته أكثر من اثنين وأربعين عاماً؛ فهو مواطن مصري انقضت على وفاته تسعة قرون كان فيها اسمه مغموراً غير مشهور لا تذكره المحافل العلمية الشرقية ولا تشيد بذكره؛ فمن الواجب علينا ومن الإنصاف له ونحن نحتفل بالسنة الهجرية الجديدة أن نحيي ذكراه في وقت نحن أحوج ما نكون إلى الإشادة بذكر السلف الصالح وإلى الكشف عن أعمالهم ومؤلفاتهم لتنشط الهمم ولنصل بين ماض تليد وحاضر مرتقب النتائج معقود عليه الرجاء أن يتفتح عن مستقبل حافل بالعلم والعرفان.

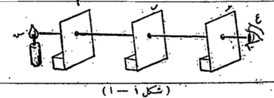
ويمتاز الحسن بن الهيثم في بحوثه الفيزيقية عن سواه من الفلاسفة الذين عاصروه أو تقدموه ممن كتبوا في العلوم الفيزيقية، فقد كان له منهج علمي اتبعه في بحوثه يتلخص في : المشاهدة والتجربة والاستنباط . وفي ذلك يقول جورج سارتون في كتابه « مقدمة لتاريخ العلوم » : وهو أعظم عالم فيزيقي مسلم وأحد كبار العلماء الذين بحثوا في البصريات في جميع العصور . وقد كان فوق ذلك فلكياً ورياضياً وطبيباً، وله شروح على مؤلفات أرسطو وجالينوس؛ والترجمة اللاتينية لكتابه « المناظر » وهو أهم مؤلفاته ـ كان لها أثر عظيم على العلم في الغرب وخصوصاً على روجر بيكون وكبلر وفيها يتجلى الرقي العظيم الذي وصلت إليه الطرق التجريبية » ويقول في ذلك أيضاً إيفور ب هارت في كتابه « الفيزيقيون العظام » : « وقد أدخل تحسيناً ذا شأن في جهاز بطليموس لقياس زوايا

الانكسار في الأوساط المختلفة ، وقد كانت طرائقه في الحقيقة تذكارات ماضية لطرائق البحث العلمي في معاملنا في الوقت الحاضر .

ونحن نعرض الآن لبعض أجهزة للحسن بن الهيثم استخدمها لإثبات بعض الظواهر الضوئية ، ونذكرها على سبيل المثال لا الحصر ، لأن تجارب ابن الهيثم التي تضمنها كتابه «المناظر» أكثر من أن تحصى . وسيكون بحثنا في هذه الناحية التجريبية التي بزّ بها ابن الهيثم غيره من العلماء الغربيين بحثاً مقارناً فنذكر تجاربنا الحديثة وأجهزتها ونقرنها بتجارب ابن الهيثم موضحة بالأجهزة التي استخدمها

أولاً : الضوء ينتشر على سموت خطوط مستقيمة

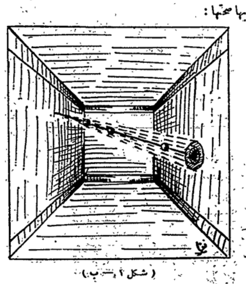
إذا وضعت جسماً معتماً بين عينيك ومنبع ضوء صغير يبعد بمسافة قصيرة فإنك لا ترى الضوء إذا كان الجسم والمنبع والعين على استقامة واحدة ؛ وإذا نظرت إلى شعاع ضوئي نافذ من ثلمة من نافذة حجرة مظلمة تشاهد مسير الشعاع داخل الحجرة في خطوط مستقيمة . والحقيقة أن الضوء في ذاته لا يرى ، ولكن الجسيمات الصغيرة المبعثرة في الهواء هي التي تعكس الضوء إلى العين وتساعدها على تتبع مسيرها . وإذا راقبت مغرب الشمس عند ما تختفي تحت الأفق تشاهد أن الأشعة المنبعثة منها تكون في خطوط مستقيمة ؛ ويمكنك أن تثبت هذه الظاهرة عملياً بعدة تجارب نقتصر منها على ما يأتي :



(شكل ١ — ١)

خذ ثلاثة أفرخ من الورق القوي ا ، ب ، ج (شكل ١ ـ ١) واثقب كلا منها بثقب في وسطه ، ثم ضعها رأسياً على حوامل ثلاثة بحيث تكون الثقوب على استقامة واحدة . أشعل شمعة (ش) وضعها أمام الثقب الأول ثم انظر من خلف الثقب الثالث عند (ع) تر الشمعة . أزح أحد الأفرخ في أية جهة لا تر الشمعة . وهذا يدل على أن الضوء ينتشر في خطوط مستقيمة في الوسط المتجانس (الوسط هنا الهواء طبعاً)

وإليك شرح ابن الهيثم لهذه الظاهرة وتجربته التي أثبت بها صحتها :

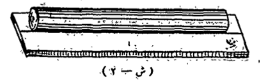

(شكل ١ ـ ب)

« . . . فأما كيف يكون نفوذ الضوء في الأجسام المشفة فهو أن الضوء يمتد في الأجسام المشفة على سموت خطوط مستقيمة ، ولا يمتد إلا على سموت الخطوط المستقيمة ، ويمتد من كل نقطة من الجسم المضيء على كل خط مستقيم يصح أن يمتد من تلك النقطة في الجسم المشف المجاور للجسم المضيء . وهذا المعنى قد بيناه في كتابنا « المناظر » بياناً مستقصى ، ولكننا نذكر الآن منه طرفاً يقنع فيما نحن بسبيله ، فنقول : إن امتداد الضوء على سموت خطوط مستقيمة يظهر ظهوراً بيناً من الأضواء التي تدخل من ثقوب إلى البيوت المظلمة ، فإن ضوء الشمس وضوء القمر وضوء النار إذا دخل في ثقب مقتدر إلى بيت مظلم ، وكان في البيت غبار أو أثير في البيت غبار فإن الضوء الداخل من الثقب يظهر في الغبار المازج للهواء ظهوراً بيناً ، ويظهر على وجه الأرض أو على حائط البيت المقابل للثقب ويوجد الضوء ممتداً من الثقب إلى الأرض أو إلى الحائط المقابل للثقب على سموت مستقيمة » . وبعد هذا الشرح يدلي ابن الهيثم بالتجربة فيقول (شكل ١ ـ ب) : « وإن اعتبر هذا الضوء الظاهر بعود مستقيم وجد الضوء ممتداً على استقامة العود ، وإن لم يكن في البيت غبار وظهر الضوء على الأرض أو على الحائط المقابل للثقب ، ثم جعل بين الضوء الظاهر وبين الثقب عود مستقيم ، أو مد بينهما خيط مداً شديداً ، ثم جعل

فيما بين الضوء والثقب جسم كثيف ظهر الضوء على ذلك الجسم الكثيف وبطل من الموضع الذي كان يظهر فيه ، ثم إن حرك الجسم الكثيف في المسافة الممتدة على استقامة العود وجد الضوء أبداً يظهر على الجسم الكثيف ، فيتبين من ذلك أن الضوء يمتد من الثقب إلى الموضع الذي يظهر فيه الضوء على سموت خطوط مستقيمة » .

ثانياً : ان البصر يرى المبصرات على سموت خطوط مستقيمة

في تجاربنا الحديثة لا توجد تجربة خاصة لإثبات هذه الظاهرة ولكنا نستنتجها من التجربة السابقة . أما الحسن بن الهيثم فيثبتها بتجربة مستقلة وبجهاز خاص ... وإليك شرح تجربته وجهازه (شكل ٢) .



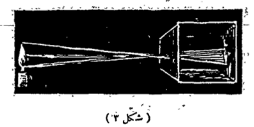
(ش — ٢)

« يتخذ المتبر مسطرة في غاية الصحة والاستقامة ويخط في وسطها خطاً مستقيماً موازياً لخطى نهايتها ، ويتخذ أنبوباً اسطوانياً أجوف طوله في غاية الاستقامة واستدارته في غاية الصحة ودائرتا طرفيه متوازيتان ، ونهايته متشابهة ومقتدر السعة وليس بأوسع من محجر العين ، ويكون طوله أكثر من طول المسطرة بقدر يسير ويخط في سطحه الظاهر خطاً مستقيماً ويقسم الخط الذي على المسطرة ثلاثة أقسام أوسطها مساو لطول الأنبوب ويطبق خط الأنبوب على الأوسط من الأقسام الثلاثة بحيث يتطابق طرفاهما ويلصق الأنبوب بالمسطرة على هذا الوضع إلصاقاً ثابتاً ملتحماً

ثم يعين على مبصر من المبصرات ويلصق طرف المسطرة بالجفن الأسفل من إحدى عينيه والطرف الآخر بسطح البصر ويغمض العين الأخرى وينظر من ثقب الأنبوب فإنه يرى من المبصر الجزء المقابل لثقب الأنبوب الذي يليه

وإذا ستر الثقب بجسم كثيف استتر ذلك الجزء فإذا رفعه عادت الرؤية ، وإن ستر بعض الثقب استتر من ذلك الجزء البعض المقابل لجزء الثقب المستتر الذي هو والبصر والساتر على خط مستقيم ، وإذا ستر الثقب استتر الجزء المقابل له

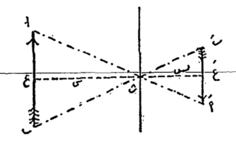
فمعلوم أن بين البصر وذلك الجزء هواء متصلاً لا يتخلله كثيف ومسافات لا نهاية لها ، كلها غير مستقيمة ؛ فلو كان ممكناً أن يدرك البصر شيئاً على غير استقامة في الهواء من غير انعكاس لكان يدرك الجزء في تلك الحال — فتبين أن هذه الرؤية لا تتهيأ إلا من سموت خطوط مستقيمة



(شكل ٣)

ثالثاً : الحجرة المظلمة Camera Obscura (شكل ٣)

إذا أغلقت جميع نوافذ حجرة وتركت ثلمة صغيرة فيها ووضعت خلفها حاجزاً كلوح من الخشب شاهدت تكون صورة عليه للمرئيات التي خارج الحجرة وهذه تكون مقلوبة ويمكن إثبات ذلك عملياً (شكل ٤) فإنك إذا ثقبت لوحاً رقيقاً من المعدن عند «ث» وثبته على حامل ووضعت شمعة موقدة «ا ب» أمامه



(شكل ٤)

وحائلاً من الورق الأبيض خلفه تتكون على الحائل صورة مقلوبة للب الشمعة هو (ا ب) ويعلل ذلك بأن الأشعة تتفرق في جميع الجهات من كل نقطة من نقط الجسم المضيء ، ومن هذه الأشعة تنفذ حزمة صغيرة للغاية من الثقب فيخرج من (ا) شعاع ينفذ من الثقب ويسقط على الحائل فتتكون عليه صورة (ا) لهذه النقطة وكذلك يخرج من (ب) شعاع ينفذ من الثقب ويلاقي الحائل في (بَ) تكون هي صورة النقطة (ب) وبالمثل تتكون

على الحائل بين (ا ، ب) ، صورة لجميع نقط القب الأخرى بين (ا ، ب) ، وإذا كان الثقب ضيقاً كانت الصورة واضحة ومحدودة ، وإذا كان الثقب متسعاً كانت الصورة غير واضحة وغير محدودة. ويرجع انقلاب الصورة إلى انتشار الأشعة الضوئية في خطوط مستقيمة وتقاطعها عند الثلمة ، فالأشعة الآتية من الأجزاء العليا تقابل الحائل في أجزائه السفلى ، وبالعكس الآتية من الأجزاء السفلى تلاقى الحائل في أجزائه العليا والأشعة الآتية من الأجزاء التيامنة تقابل الحائل في أجزائه المتياسرة ، وبالعكس الآتية من الأجزاء المتياسرة تلاقى الحائل في أجزائه التيامنة فتكون الصورة مقلوبة من عامة الوجوه ، وإليك قول ابن الهيثم في هذه الظاهرة :

« ... وبعد ذلك نقول : كل صورة مضيئة قابلت ثقباً مستديراً في غاية الصغر فإن المخروط المتشكل بينها وبين مركز الثقب ينفذ إلى السطح الموازى ويحدث ضوؤها على السطح على شكل شبيه بشكل الصورة، لكنه يكون معكوساً، ولنسمه الضوء المتوسط، فإذا تعددت الصور المضيئة تعددت أضواؤها المتوسطة لكن الضوء الحادث من الصورة التيامنة عن الثقب يتياسر ، ويتيامن ضوء المتياسرة ، ويتعالى ضوء المتسافلة ، ويتسافل ضوء المتعالية

وأشكال الأضواء تشبه أشكال الصور ونسبتها إلى أشكال الصور واحدة ، وضوء كل صورة يرد في جميع المخروطات المتشكلة بينها وبين كل نقطة من سطح الثقب إلى ما يقابله ، وقواعد تلك المخروطات على السطح القابل متساوية

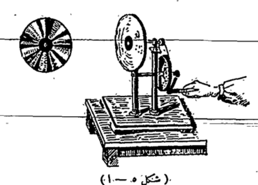
... فإن كان الثقب في غاية الصغر فإن شكل الضوء الحادث يكون قريب الشبه بشكل الضوء المتوسط ، ويقل الشبه بقدر زيادة فسحة الثقب ... وهكذا إلى أن يخفى الشبه ويبقى الشبه في مجرد الضوء واللون ... وكلما كان الثقب أضيق والسطح أبعد كان شكل الوسط أشبه بالصورة .

وكذلك أيضاً إذا قابلت قطع سحاب بيض ثقباً ضيقاً يفضى إلى موضع نقى اللون لا يصل إليه ضوء آخر فإنه يرى في ذلك الموضع قطع أضواء إلى البياض بعدد قطع السحاب مخالفة الأوضاع لها ، وإن كانت قطع السحاب تتحرك نحو جهة فإن الأضواء أيضاً تتحرك لكن إلى خلاف تلك الجهة

وكذا لو طار بعض الكبار من الطيور قريباً من ثقب كما ذكر فإن صورة لونه تظهر على ما يقابل الثقب متشكلا بشكل يشبه شكله متحركا في خلاف جهته .

رابعاً : دوامة[1] الحسن بن الهيثم وقرص نيوتن

يمكث التأثير الذى يحدثه أحد الألوان على شبكية العين برهة من الزمن صغيرة $\frac{1}{10}$ ثانية فإذا تتابعت عدة تأثيرات من ألوان مختلفة في زمن أقل من $\frac{1}{10}$ ثانية لا يضيع أثر أى لون من هذه الألوان بل تتأثر العين بها جميعاً في وقت واحد وتحس العين بلون خاص هو نتيجة اندماج تأثيرات الألوان المختلفة . ويمكن إثبات هذه الظاهرة باستخدام قرص نيوتن (شكل ٥ ـ ١) وهو قرص مستدير من الورق القوى مقسم سطحه إلى قطاعات ملونة تختلف مساحتها وترتيبها حسب وضعها الطبيعى في الطيف الشمسى ويثبت القرص عند مركزه على محور عمودى على مستواه ، فإذا أدير القرص بسرعة تكفى لسقوط الألوان كلها على العين في فترة تقل عن $\frac{1}{10}$ ثانية اندمجت التأثيرات من الألوان المختلفة على العين وظهر القرص أبيض قليلاً . وإذا كانت ألوان الأقسام ليست في ترتيب وضعها في الطيف الشمسى ولم يراع مساحتها فيه أحست العين بلون مركب من ألوان القرص كلها



(شكل ٥ ـ ١)

وإليك شرح ابن الهيثم لنظرية تركيب الألوان ووصف دوامته (شكل ٥ ـ ب)

نقول إن إدراك ماهية اللون ليس يكون إلا في زمان وذلك

(١) الدوامة هي لعبة للأطفال يلفون عليها سيراً أو خيطاً ويلقونها على الأرض تدور ، وهي باللغة العامية النحلة

لأن إدراكها ليس إلا بالتمييز والتشبيه وذلك لا يتأتى إلا فى زمان والذى يدل على ذلك ما يظهر من الدوامة عند حركتها فإن الدوامة إذا كانت فيها أصباغ مختلفة وكانت الأصباغ خطوطاً ممتدة من وسط سطحها الظاهر وما يلى عنقها إلى نهاية محيطها ثم أديرت الدوامة بحركة شديدة فإنها تتحرك على الاستدارة فى غاية السرعة

« وإذا تأملها الناظر فى حال حركتها فإنه يدرك لوناً واحداً مخالفاً لجميع الألوان التى فيها كأنه لون مركب من جميع ألوان تلك الخطوط ولا يدرك تخطيطها ولا اختلاف ألوانها

شكل (٥ ب)

ويدركها مع ذلك كأنها ساكنة إذا كانت حركتها فى غاية السرعة؛ وإذا كانت فى حركتها فلا تثبت نقطة منها فى موضع واحد زماناً محسوساً وهى تقطع فى أقل القليل من الزمان جميع الدائرة التى تدور عليها فتحصل صورة النقطة فى ذلك الزمان اليسير على محيط دائرة من جميع محيطها الذى يحصل فى البصر فيدرك لون تلك النقطة فى الزمان القليل مستديراً

« وكذلك حكم جميع النقاط التى فى سطح الدوامة وجميع النقاط المتساوية الأبعاد عن المركز تتحرك حينئذ على محيط دائرة واحدة فيعرض لذلك أن يظهر لون كل نقطة من النقاط المتساوية الأبعاد عن المركز على محيط دائرة فتظهر ألوان جميع تلك النقاط فى جميع محيط الدائرة ممتزجة ولا يتميز للبصر فلذلك يدرك سطح الدوامة لوناً واحداً ممتزجاً من جميع الألوان التى فى سطحها »

وبعد فهذه تجارب وأجهزة نسوقها على سبيل التمثيل لا الحصر فهى قليل من كثير؛ ولعلنا نكون قد وفقنا إلى الكشف عن ناحية عظيمة — هى البحث العلمى التجريبى — امتاز بها الحسن بن الهيثم فى بحوثه فكان لها أكبر الأثر فى قادة البحث العلمى فى أوربا فى العصور القديمة ولا يزال أثرها محسوساً فى عصرنا الحالى .

عبد الحميد حمدى مرسى



للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لا أظن أن عالماً أصابه الإهمال كالخازن ... ولا أظن أن الإجحاف الذى لحق بمآثره لحق بغيره من نوابغ العرب وعباقرتهم؛ فلقد أدى ذلك الإهمال وهذا الإجحاف إلى الخلط بينه وبين علماء آخرين فنسبت آثاره لغيره كما نسبت آثار غيره له . وقد وقع فى هذا الخلط بعض علماء الغرب وكثير من علمائنا ومؤرخينا . قال (درابر) الأميركى إن الخازن هو الحسن بن الهيثم وإن ما ينسب إلى ما يسمى (بالخازن) هو على الأرجح من نتاج ابن الهيثم . وخلط الأستاذ منصور حنا جرداق أستاذ الرياضيات العالية بجامعة بيروت الأميركية فى محاضرته عن مآثر العرب فى الرياضيات والفلك بين الخازن وابن الهيثم، يتجلى ذلك فى قوله :

« ومن أشهر المشتغلين بالفلك والطبيعيات فى الأندلس أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازنى الأندلسى الذى عاش فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد وأوائل القرن الثانى عشر للميلاد ، وألف مؤلفاته الشهيرة فى النور وآلات الرصد وأوضح مقدار الانكسار . وألف فى الفجر والشفق وعين ابتداء كل منها وقت بلوغ الشمس ١٩ درجة تحت الأفق ... الخ »

ونحن هنا أمام خطأين : الأول فى اعتبار الخازن من الأندلس وهو فى الحقيقة من مرو من أعمال خراسان .

والثانى فى أن المآثر التى أوردها الأستاذ ليست للخازن بل هى من نتاج ابن الهيثم . وأكبر الظن أن ما وقع فيه الأساتذة والعلماء من أخطاء يعود إلى الوضع الإفرنجى للاسمين فأكثر الكتب الإفرنجية حين تكتب الحسن بن الهيثم تكتبه (Al-Hazin) وحين تكتب الخازن تكتبه (Al-Khazin) فظن كثيرون أن هذين الاسمين هما لشخص واحد ولم يدققوا فى حروفهما مما أدى إلى التباس الأمر عليهم ووقوعهم فى الخلط والخطأ .

وسنحاول فى هذا المقال أن نبين مآثر الخازن فى علم الطبيعة (Physics) وأثره فى بعض بحوثها جاعلين نصب أعيننا إنصاف

عالم هو من مفاخر الأمة العربية ومن كبار عباقرتها من الذين عملوا على إنماء شجرة المعرفة وساهموا في خدمتها ورعايتها.

والخازن من علماء النصف الأول من القرن الثاني عشر للميلاد وهو أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازني المعروف بالخازن نشأ في (مرو) أشهر مدن خراسان، وقد درس فيها وعلى علمائها نبغ ولمع في سماء البحث والابتكار. اشتغل في الطبيعة ولا سيما في بحوث الميكانيكا فبلغ الذروة وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب، كما وفق في عمل زيج فلكي سماه (الزيج المعتبر السنجاري) وفيه حسب مواقع النجوم لعام ١١١٥ — ١١١٦م، وجمع أرصاداً أخرى هي في غاية الدقة بقيت مرجعاً للفلكيين مدة طويلة.

ومن الغريب أن قنصل روسيا في تبريز في منتصف القرن الماضي عثر صدفة على كتاب ميزان الحكمة، وقد كتب عنه عدة مقالات في إحدى المجلات الأميركية. ولعل العلماء الألمان أكثر العلماء اعتناء بآثار الخازن. فنجد في رسائل للأستاذ ويدمان Wiedman فصولاً مترجمة عن (ميزان الحكمة) وقد استوفت بعض حقها من البحث والتعليق كما تجد في رسائل غيره مقتطفات من محتويات الكتاب المذكور دللوا فيها على فضل الخازن في علم الطبيعة.

ولا بد لي في هذا المجال من إبداء دهشتي لعدم نشر فصول هذا الكتاب النفيس في كتاب خاص، ولا أدري سبباً لهذا...

ولعل السؤال الآتي يتبادر إلى غيري أيضاً: لماذا نشرت بعض محتويات الكتاب وأهملت الأخرى؟ ليس لي أن ألوم علماء الألمان أو غيرهم في ذلك، فلقد قاموا بواجبهم نحو الخازن أكثر منا وعرفوا فضله قبلنا، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنه لولا قنصل روسيا N. Khanikoff وبعض المنصفين من مستشرقي الألمان وعلمائهم لما عرفنا شيئاً عن الخازن، ولما كان بالإمكان نشر هذا المقال. وقد يكون الأستاذ مصطفى نظيف بك أول عربي أشار إلى بعض محتويات كتاب ميزان الحكمة في كتابه: (علم الطبيعة تقدمه ورقيه ...)، ولكنه لا يذكر شيئاً عن المؤلف بل ولا يذكر أنه الخازن، ويقول: «... والكتاب لا يعلم مؤلفه ...» ثم يردف هذا القول: إن (درابر) يرجح أنه من تأليف الحسن ابن الهيثم. وأظن أن مقالنا هذا أول مقال يظهر في مجلة عربية يبحث عن الخازن ويزيح الستار عن آثاره ويفيه بعض حقه.

والذي أرجوه أن يثير هذا المقال أساتذة كلية العلوم في جامعة فؤاد الأول بمصر وعلى رأسهم حضرة صاحب العزة الدكتور علي مصطفى مشرفة بك فيعملون على إنصاف الخازن وعلى نشر مآثره بين المتعلمين والمثقفين، فهم أولى الناس بذلك، وأحق من غيرهم بالقيام بهذا العمل الجليل... ولنا من حماستهم للتراث العربي والإسلامي ما يدفعنا إلى لفت أنظارهم إلى حياة الخازن الحافلة المليئة بالإنتاج التي أحاطها الإهمال من كل جانب.

وضع الخازن كتاباً في الميكانيكا سماه (كتاب ميزان الحكمة) هو الأول من نوعه بين الكتب القديمة العلمية القيمة، وقد يكون هو الكتاب الوحيد المعروف الذي يحتوي على بحوث مبتكرة جليلة لها أعظم الأثر في تقدم الأيدروستاتيكا، وقد قال عنه الدكتور سارطون Sarton إنه من أجل الكتب التي تبحث في هذه الموضوعات وأروع ما أنتجته القريحة في القرون الوسطى.

والذي يطلع على بعض مواد هذا الكتاب تتجلى له عبقرية الخازن وبدائع ثمرات التفكير الإسلامي والعربي. واعترف (بلتن) في أكاديمية العلوم الأميركية بما لهذا الكتاب من الشأن في تاريخ الطبيعة وتقدم الفكر عند العرب

لا يجهل طلاب الطبيعة أن (توريشيللي) بحث في وزن الهواء وكثافته والضغط الذي يحدثه. وقد مر على بعضهم في تاريخ الطبيعة أن (توريشيللي) المذكور لم يسبق في ذلك وأنه أول من لفت النظر إلى مثل هذه الموضوعات وبحث فيها وأشار إلى أهميتها

والواقع غير هذا، فلقد ثبت من كتاب (ميزان الحكمة) أن من بين المواد التي تناولها البحث مادة الهواء ووزنه. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أشار إلى أن للهواء قوة رافعة كالسوائل وأن وزن الجسم المغمور في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي وأن مقدار ما ينقصه من الوزن يتبع كثافة الهواء

وبين الخازن أيضاً أن قاعدة (أرشميدس) لا تسري فقط على السوائل بل تسري على الغازات، وأبدع في البحث في مقدار ما يغمر من الأجسام الطافية في السوائل. ولا شك أن هذه البحوث هي من الأسس التي عليها بنى علماء أوربا فيما بعد بعض

الاختراعات الهامة كالبارومتر ومفرغات الهواء والمضخات المستعملة لرفع المياه

ولسنا هنا ننتقص من قدر توريشيللي وباسكال وبويل وغيرهم من العلماء الذين تقدموا بعلم «الإيدروستاتيكا» خطى واسعة ، ولكن ما نريد إقراره هو أن الخازن قد ساهم في وضع بعض مباحث علم الطبيعة وأن له فضلاً في هذا كما لغيره من الذين أتوا بعده، وقد توسعوا في هذه الأسس ووضعوها في شكل يمكن معه استغلالها والاستفادة منها

وبحث الخازن في الكثافة وكيفية إيجادها للأجسام الصلبة والسائلة واعتمد في ذلك على كتابات البيروني وتجاربه فيها وعلى آلات متعددة وموازين مختلفة استعملها لهذا الغرض . واخترع الخازن ميزاناً لوزن الأجسام في الهواء والماء وكان لهذا الميزان خمس كفات يتحرك إحداها على ذراع مدرج . ويقول بلتن إن الخازن استعمل الأريومتر (Areometer) لقياس الكثافات وتقدير حرارة السوائل . ومن الغريب أن تجد أن الكثافات لكثير من العناصر والمركبات التي أوردها في كتابه بلغت درجة عظيمة من الدقة لم يصلها علماء القرن الثامن عشر للميلاد . وفي الكتاب أيضاً شيء عن الجاذبية ، وأن الأجسام تتجه في سقوطها إلى الأرض ، وقال إن ذلك ناتج عن قوة تجذب هذه الأجسام في اتجاه مركز الأرض . ويرى أن اختلاف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم الساقط وهذا المركز . وجاء في كتاب (علم الطبيعة — تقدمه ورقيه ...) للأستاذ نظيف :

« ... ومما يثير الدهشة أن مؤلف كتاب ميزان الحكمة كان يعلم العلاقة الصحيحة بين السرعة التي يسقط بها الجسم نحو سطح الأرض والبعد الذي يقطعه والزمن الذي يستغرقه — وهي العلاقة التي تنص عليها القوانين والمعادلات التي ينسب الكشف عنها إلى غاليلي في القرن السابع عشر للميلاد ... » . وعلى الرغم من التحريات العديدة لم أتمكن من العثور على المقتطفات التي تنص على العلاقة بين السرعة والبعد والزمن في المصادر التي بين يدي سواء العربية منها أو الإفرنجية . ولهذا فمن الصعب جداً أن أحكم في صحة ما جاء عن الخازن بشأن هذه العلاقة . وأظن أن العلاقة التي عرفها الخازن والتي وردت في كتابه — وهي العلاقة بين السرعة التي يسقط بها الجسم نحو الأرض والبعد الذي يقطعه والزمن الذي يستغرقه لم تكن صحيحة ودقيقة بالدرجة التي تنص عليها معادلات غاليلي ، ولكنها قد تكون صحيحة إلى درجة ودقيقة إلى حد . وآمل في أول فرصة أزور فيها مصر أن أبحث عن هذه النقطة في مكتبات القاهرة فقد أجد فيها ما يلقي ضوءاً على المدى الذي توصل إليه الخازن في الجاذبية

وأجاد في بحوث مراكز الأثقال وفي شرح بعض الآلات البسيطة وكيفية الانتفاع منها، وقد أحاط بدقائق المبادئ التي عليها يقوم اتزان الميزان والقبان واستقرار الاتزان إحاطة مكنته من اختراع ميزان من نوع غريب لوزن الأجسام في الهواء والماء كما مر بنا

هذا ما استطعنا الوقوف عليه من مآثر الخازن بعد الرجوع إلى مصادر عديدة ، ونرجو أن يكون هذا المقال حافزاً لغيرنا للاعتناء بتراث هذا العالم العربي الذي ترك ثروة علمية ثمينة للأجيال ، كما نأمل أن يدفع بعض المنصفين من الباحثين والمؤرخين إلى الاهتمام برفع الإجحاف الذي أصابه ، والعمل على إزالة الغيوم المحيطة بنواح أخرى من ثمرات قريحته الخصبة المنتجة .

« نابلس » قدري حافظ طوقان



فى حياة خالد بن الوليد الحافلة بالبطولة والرجولة ، درس للصغير والكبير ؛ غير أن ما يحيط بنهضة العرب اليوم من تناحر على الغنائم ، والمعركة لما تنته بعد ، يحتم أن نعرض لعبرتين فى سيرة الفاتح العظيم ، فيهما درس بليغ ، ينتفع به من فى قلبه حبة خردل من إخلاص . وكذلك التاريخ أيها القارئ يسعفك كلما كلب الزمان وجرب العدو، ولن تعدم منه أبداً سراجاً يضيء حاضرك ويبصرك بالسبل ويتجيج لك المساعى ، ويريك بم كان تقدم المتقدمين وفوز الفائزين ، وبم كان التأخر والذلة والخسران

***

أما الأولى من العبرتين ، فهى أن خالداً من أبطال قريش وصناديدهم ، بل هو البطل فيهم لا يعدله غيره . أظفر الله المسلمين بالمشركين يوم بدر ، فكان عليهم عار الأبد ، وأصبحوا بهزيمتهم سبة بين العرب ؛ فما قر لهم قرار ، حتى تألبت جموعهم فى أحد ، متعطشة إلى الثأر ، ثم تقع الواقعة فينهزمون أيضاً . ويريد ربك أن يصاب المسلمون بعد نصرهم ، لتكون لهم الهزيمة بعد الظفر درس الأبد ، فلا يخالفون رئيساً بعدها أبداً . ثم لا يفطن إلى خلو الجبل من الرماة إلا خالد اليقظ ، فيحيط بالمسلمين — وهم لاهون بالغنائم — من خلفهم ، وينتعش المشركون حينئذ ، وتكون المصيبة فى المسلمين بالغة ؛ فكانت هزيمتهم ، وكانت الفرحة الكبرى لقريش أن ثأروا لقتلاهم يوم بدر ، ورفعوا عن أنفسهم العار ، وكان أن ذهب بفخر هذا اليوم كله خالد .

هـذا القائد الباسل الذى طارت شهرته فى أهل الشرك والتوحيد على السواء ، وقع فى قلبه أن الإسلام حق ، فرمى بالقيادة والشهرة جانباً ، ووطن نفسه على الأذى يناله من قريش ، الذين سيحنقون أشد الحنق ، وقصد إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليقبله مسلماً فى المسلمين ، وقد سأله فى طريقه عمرو بن العاص : « إلى أين يا أبا سليمان ؟ » فقال : « والله قد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبى ، أذهب والله فأسلم ؛ فحتى متى ؟! »

ألا يجد رؤساء الناس وزعماؤهم فى هذه عبرة ودرساً ، ألا يدعون نصرة أهوائهم وإرضاء نفوسهم ، ليقبلوا على أمر تبين رشده فيتبعونه ؟ إن الناس لينظرون إليهم ، وإن الله لسائلهم عن الوطن والدين يتجرون بهما ، وعن العامة يلعبون بعقولهم ، وقد أعطوا الله موثقاً : ليكونن مع الحق حيث كان ، وليقومن بنصرته وحده لا نصرة نفوسهم ونزعاتهم . جمعهم وطن واحد فراموه أجزاء وأشلاء ، واستعدوا الأجنبي المتربص بهم ليحفظ عليهم رياساتهم الواهية ، فنال هذا فريسته بسلاحها ، وكانت هذه الأثرة الدنيئة أفتك بالبلد من كل غارة . ثم انتظم أمورهم دين واحد فأبوه إلا شيعاً وفرقاً وطرقاً ، فبادر الأجنبى يعلن حمايته لكل فرقة على حدة ويعترف باستقلالها عن أختها ، ويبالغ فى تشجيعه على التفرق ، وفى تفكيكه عرى الطائفة الواحدة حتى عم البلاء وطم .. وها نحن أولاء نرى فى قطر عربى صغير كسورية ، ثبتاً حافلاً بأسماء طوائف لو وزعت على أهل الأرض ما نجت من شر فتنتها بقعة ، وفى كل يوم فرقة جديدة وحماية مريبة (1)

إن خالد بن الوليد طوح بالقيادة والفخر والظفر والمجد وأقبل على النبى واحداً من المسلمين ، ونحن لا نكلف هؤلاء السادة طرح شيء فستبقى عليهم زعاماتهم ، وسيرجعون أعز ما كانوا إن جندوا أنفسهم فى خدمة الحق والخير

(1) لم يكن يوم الاحتلال الفرنسى للشام من الطوائف غير المسلمين والمسيحيين واليهود ، فما زالوا ينبشون من الفروق الضئيلة وينفخون فيها حتى صار المسلمون بفضلهم طرائق قدداً ، فهم اليوم سنية وشيعة وعلوية وجعفرية وإسماعيلية و ... وجعلوا لكل مفتياً وقاضياً ومحكمة ونواباً وعدداً من الوظائف ... وحتى مدوا أيديهم إلى ما يسمى بالطرق فربطوها بشخص المفوض السامى بقرارات صدرت بما يشبه السر ، وما راع الناس إلا محام فى محكمة منذ شهور يستند إلى قرار المفوض السامى بقوله فى دعوى للأوقاف الاسلامية على شيخ مولوية : « إن الطائفة المولوية لا علاقة لها بالأوقاف الاسلامية ولا بالمسلمين وإن ... » فعرفنا ما حيك لنا بعد أن أطبق الفخ علينا . ومنذ عهد قريب صدر قرار للمفوض الفرنسى زعم أنه ينظم الأحوال الشخصية ، فلم يبق حرمة للشريعة الاسلامية إلا أباح انتهاكها ولا صاحب نزوة أو إباحية أو إلحاد إلا شجعه ليجهر بنزوته ويدعو إليها وينفصل بها طائفة محترمة معترفاً بها محمية بجيش الاحتلال . وفي القانون هذا عند الايجاب ما يجعل فى الغد كلا من الشافعية والمالكية والحنفية طائفة مستقلة . ولا ندرى أين يستقر نبأ تلك الهاوية ... هذا إلى طغيان من المبشرين بثها بكثرة فى هذه الأيام فى أصقاع يسودها الجهل المطبق ، ويعم أهلها فقر مدقع آلوا إليه بعد غنى وافرابتز منهم فى سنوات خلت ، ومنح هؤلاء المبشرون سلطة لا حد لها ، وما ندرى كم يصمد الجهل والفقر والهوان أمام العلم والسلطان والمسلمون فى نومهم يغطون ...

وأما العبرة الثانية التي يجدها الزعماء في سيرة خالد ، فغاية في إنكار النفس وبذل الروح وإماتة الهوى

أسلم خالد وأبلى البلاء الحسن في كل غزواته مع النبي ، ثم في حربه المرتدين ، وتوطيده دعائم الوحدة في الجزيرة ، ثم في سيره إلى العراق ، وانتصاره على الفرس الانتصارات الآخذ بعضها بحجز بعض ؛ فمن قهر جيوش ، إلى دك عروش ، إلى فتح حصون ، إلى خطف قواد ، إلى قتل أبطال ... مآثر لو طلب بهن الخلافة لما ساغ في العقل أن يختلف عليه فيها اثنان . ثم يمده أبو بكر مدداً إلى الشام ثم يكون يوم اليرموك ، وقد بلغ الروم في التعبئة غاية كيدهم وفنهم : عـدد كثير ، وشجاعة فائقة ، واستبسال واستماتة ، حتى لقد سلسل رجال منهم أنفسهم للموت بسلاسل من حديد ، وقيد آخرون أنفسهم لئلا يفروا ، ثم يكون رأي خالد توحيد العمل معلناً في خطبته البليغة المشهورة ، ثم جولات منه صادقات ، فإذا بالعدد الضخم من الروم يهوى إلى الواقوصة كالبناء التداعى ، ثم يتصل الظفر حتى يكون يوم دمشق ، وقد ولي الخلافة عمر ، ووصل بريده يعهد إلى أبي عبيدة بالقيادة ، ويجعل خالداً جندياً من الجنود ؛ وهنا العبرة ، وهنا يبدأ الدرس :

في هذا الموقف يختلف خالد وزعماء اليوم ، أما زعماء اليوم — من أمتنا طبعاً — فدستورهم الكلمة المشهورة التي نجمت في مصر على ألسنة بعض الناس : « الحماية على يد فلان ، ولا الاستقلال على يد فلان » ، فلو كانوا مكان خالد لانشقوا بجند عظيم وحاربوا أبا عبيدة ومن معه ، ثم ظفر الروم بالفريقين معاً وارتدت الدعوة العربيـة إلى الحجاز ، ثم لا يُدرى أيكتفون أم يتبتون الجزيرة كلها خلافاً وتناحراً . وأما خالد داء الجيوش وقاهر الروم والفرس معاً ، فقد كان رجلاً فوق هذا : انضوى إلى لواء أبي عبيدة وأخلص النصح والعمل ، ولم يُر أحد أكثر جهداً وانكماشاً وبلاء منه يومئذ أمام أسوار دمشق . لم ينم عن العدو ساعة قط ، ولا فاته من حركاته صغيرة ولا كبيرة ، فهو أبداً مقدم منطلق ، وهو إلى ذلك يقلب وجوه الحيلة ، ويعمل الفكرة كأنه لم يزل هو القائد ، حتى هداه النظر إلى نصب السلالم على السور ، فالتمس غفلة الحامية في يوم عيد فصعد عليها وطائفة من خيرة الشجعان فواثبوا الحراس ونزلوا إلى الباب فقطعوا أغلاقه بسيوفهم . وقد فتح المسلمون دمشق بحنكته ويقظته واقتحامه وحده لا شريك له في ذلك ، ولم يبال أن يكون فخر هذا الفتح لأبي عبيدة أو لغيره ، فما عمل خالد لزعامة ولا شهرة ، عمل لله وحده وقد رضي الله عنه وأرضى الناس . وأولئك قوم نزع الله ما في صدورهم من غل إخواناً

هذا بدء تاريخنا ، أما النهاية التي ختمناه بها نحن : فسلسلة من التفريط وتضييع الفرص ، وعبادة النفس والاندفاع مع الأهواء . في سبيل ذلك ضحى المتزعمون بخير البلاد خيراً بعد خير . لنرجع عشرين عاماً إلى الوراء فلننظر : كم مرة خسرنا مراحل في تقدم القضية لأن الحلول لم تكن على يدنا ولا باسمنا ؟ وكم مرة غششنا الناس وجهدنا أن نريهم كل حسنة ظفر بها غيرنا سيئة شنعاء ؛ وكل شر لبسناه عليهم سعادة الأبد ؟

فنجحنا — لأمر يريده الله — وقال الناس لصاحب الخير : « أنت شرير لا يصدر عنك خير ، الخير كله في حزب كذا ، وقف عليهم دون خلق الله أجمعين ... »

كان هـذا في الشام وكان مثـله في كل قطر عربي ، وهو ما نرى أشباهه في جميع مرافقنا ، حيث كان تناحرنا ، وتكالبنا وبالأعلينا جميعاً . نعم ، هذا ما بلينا به في كل النواحي ، في السياسة والإدارة ، والحكم والدين و... الخ

حصرنا في أنفسنا الإخلاص وخدمة البلاد ، لنتمتع بعرض زائل ، وكتب الله علينا إثم كل مصيبة نزلت بالأمة من جراء أثرتنا وتدجيلنا ، ونحن وأولئك جميعاً ، لا نبلغ بعـد ذلك كله ، أن نكون غباراً على قدم أصغر جندي من جنود خالد .

***

« طلبت القتل في مظانه ، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله ، من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين ، بتها وأنا متترس ، والسماء تنهل عليّ ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار ، فعليكم بالجهاد ...

لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، أو طعنة برمح ، وها أنذا أموت على فراشي

حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء ...

« إذا أنا مت فانظروا في سلاحي وفرسي ، فاجعلوه في سبيل الله »

هذه سيرة الفاتح الكبير ، الذي لم يفارق النصر موكبه ساعة قط . هذه كلمات القدر ساق السعادة إلى بلدين كبيرين : العراق والشام ، تفيض باللوعة والأسى ، فتثير الإجلال والحزن من أقصى مكامنهما في النفوس .

يتلهف أبو سليمان وهو يحتضر — وكل جسده إما مطعون أو مضروب أو مرمى — على أن لم يقض بين الصفين ، أو أمام الحصون ، أو في الثغور ، جندياً يتخبط بدمه الشاخب ، في سبيل إعلاء كلمة الله ، ظامئاً مجهداً مشعثاً ، يرسل من فيه شهادة الحق مع آخر نفس يخرج من صدره الحنون :

رحمك الله يا أبا سليمان ! وليس بيدك ما تمنيت ، فالله وحده يتوفى ويختار ، وما عليك ألا تموت في الساحة بين الصفين ، فما كنت لحظة من اللحظات لتفتر عن جهاد ، أو تعبئة لجهاد ، أو حديث نفس بجهاد . ما كنت يا ابن الوليد إلا جهاداً متلاحقاً في سبيل الواجب . لقد أرضيت ربك فجبلك سيفه في الأرض ، وأرضيت رسوله فحمد أمرك ورضي عنك ، وأرضيت خليفته حتى قال : « ما عجز نساء قريش أن ينشئن مثل خالد » ! وعمر نفسه حين لامك لم يترك إكبارك ، ولما نزل الشام ورأى معجزاتك في الفتوح لم يملك أن قال : « أمّر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم مني بالرجال » .

لقد كنت أمة في رجل ، فعليك الرحمة من هؤلاء جميعاً ، من كل من حارب تحت لوائك . وعليك الرحمة من النساء والصبيان والرهبان والفلاحين والمستضعفين الذين لم تكن تفتأ توصي جندك المنصور برعايتهم ، والكف عنهم ، والرأفة بهم . وعليك الرحمة من كل نسمة خلصتها من قسوة الفرس ، أو ظلم الرومان .

وليس لنا أن نقول بعد تزكية الله ورسوله وخليفته ، فما رأت جيوش الرحمة والهداية قائداً أعز نقيبة منك . ولئن تصرمت حياتك التي كانت نفعاً كلها ، وعوضت حياة خيراً منها ، فإن خير أعمالك متصل عميم إلى الأبد . ولا يعلم إلا الله كم نفعت سيرتك بعد مماتك ، وكم حفزت همماً خامدة وعزائم خائرة

ولقد جاء بعدك أناس كثيرون فبذلوا أرواحهم ودماءهم محامين عن الحق ، يخلفونك في إرخاص الروح ، ولا تزال تتلو متمثلين ولله الحمد : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » ولا تزال الأرض من المغرب الأقصى إلى طرابلس إلى فلسطين إلى الهند ، تنبت الشهداء ، ولا يفتأ الدم الطاهر يجري أنهاراً في سبيل الحق ..

ولكن أحداً من الزعماء لم يخلفك في إنكار الذات وإهانة الهوى وقهر النفس ، ولم يذكر التاريخ بعدك قائداً فعل فعلك يوم اليرموك أو يوم دمشق .

« دمشق » **سعيد الأفغاني**

حمامة الغار ..

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



حمامة الغار ... أي لحن   من جانب الله عبقري !
ألهمت دنياه من صباح   فى سدرة المنتهى وضي
ومن عطار الجنان بل من
سكونه الطاهر الشذي
ومن نشيد على رباه   معطر اللحن سرمدي
يفوح من زهرة ، وزكو
من جدول تحتها سري
رنت بأصدائه ، وغنت   ملاحم الملهم الشجي
ورفرفت فوقه صلاة   عزت هدى العابد التقي ...
قبست أنغامك الشوادي   من فجره الرائع السني
ومن مجاليه فى الروابي   ونشوة الماء فى القني
وسكرة المادل المغنى   وخشعة السوسن الندي
ومن دواليه حين تغفى   والطير نعسان فى العشي
كأنها وهو فى ذراها   بالخلد تهويمة الخلي ...
وجئت من جنة الأعالي   لشاطيء أقدس علي
على جناحيك للبرايا   فى الأرض آمال كل حي
أقمت بالغار أي عش   مشعشع النور كوكبي
غصونه البيض من شعاع   بمعجزات السنا جني
يدور بالحق أين دارت   محاجر الباطل العمي
وينفث السحر أين لفت   للكفر عينان من غوي
ظللت والوحي مستكن   من صولة الفاجر القوي
تلقين من وكرك المعلى   ترنيمة الوادع الرضي
كأنما عشت من زمان   فى ذلك المسبح المهني
خبأت والعنكبوت دنيا   للحق فى عالم خفي
خيوطه الواهيات أضحت   حصون مستعصم قوي
فزلزلت دونها قلوب   بالشرك صخابة الدوي
وذل من رامها ، وأوى   فى حسرة الخائب الشقي !

***

وزفاه ! يا ليتني سكون   فى ظلك الناغم الشجي !
صمدت للكفر ذات بأس   يوج من عشك النقي
صبا لك « المصطفى » وقرت
عيون صديقه الوفي
فرجع الكون فى هتاف   لباعث النور ... عبقري
نبية الطير ألهمتها   إعجازها جيرة النبي
مهاجر ... تهجر الأماني   والعمر فى ظله الوضي !!.

« وزارة المعارف »   محمود حسن إسماعيل

الموسيقى في الإسلام

بقلم محمد السيد المويلحي

يزعم بعض الناس أن الموسيقى محرّمة، لأنها تلهي الإنسان عن ربه، وتشغله عن دينه وعبادته، وتدفعه دفعاً لارتكاب ما نهى الله عنه. فإذا سألتهم آية أو حديثاً قالوا: هذا شيء معروف منقول سمعناه من آبائنا وأجدادنا والسلف الصالح...!

هذا زعم لم ينشأ أيام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أيام الخلفاء الراشدين، وإنما نشأ أيام الدولة الأموية حينما سما مركز المغنين والقيان سمواً عظيماً حتى حجب مراكز العلماء والفقهاء الذين حقدوا على الموسيقى والموسيقيين حقداً كبيراً، واستسلموا لخوالجهم (وهم بشر!) فراحوا يذيعون بين الناس أن الموسيقى حرام، وأن الخلفاء قد نسوا دينهم وربهم، واتبعوا خطوات الشيطان...!

ومن هنا نشأت هذه الشائعات وتطورت حتى غدت على مر الأيام والأعوام قريبة من الاعتقاد والإيمان...

ولإنصاف بعض رجال الدين في هذا الوقت نقول: إنهم أبوا أن يتخذ بعض إخوانهم — في العلم — الدين سلاحاً للتشفي والانتقام من فن رفيع سام يخفف عن الناس آلامهم وشقاءهم فأصدروا الكتب الكثيرة في الرد على مبتدعي التحريم. ولعل أشهر هذه الرسائل وأقواها وأدعمها حجة تلك الرسالة (الخطية) الوحيدة الموجودة الآن (ببرلين)... (الاستمتاع في الرد على من يحرم السماع...!)

قبل أن أذكر شيئاً عن الموسيقى في صدر الإسلام وفي أيام النبي (ص) أحب أن أذكر شيئاً عن حياة العربي وطبيعة بلاده، وتأثير مناخه في نفسه ليرى القارئ مبلغ أن العربي موسيقى بطبعه وفطرته.

البيئة العربية خالية مما يسر العين ويرضي القلب، فالصحراء شاسعة مترامية موحشة مقفرة لا حياة فيها، ولا أنس يحييها. والسماء بنجومها وقمرها... هي السماء بنجومها وقمرها (دائماً) لا تتغير ولا تتبدل...!

فأي شيء يسد هذا الفراغ... ويشغل نفس العربي ويملأ حسه غير (الغناء) الذي يساعد عليه رقة الشعر وسلامة قوافيه واختلاف بحوره؟ أي شيء يساعد الإبل والحداة على السير تحت الشمس المحرقة، وفوق الرمال الملتهبة المتقدة أياماً وأياماً بالعطش والجوع غير الغناء الذي ينسي الإنسان همومه، ويمسح دموعه؟

عرف العربي الترنم بالشعر ولم يكن يدري أن هذا اللون من ألوان الموسيقى صناعة تخضع لقانون معين فاستمر هكذا يغني ويشرب الخمر، ويتعلق بالحب، ويكلف بالصيد والميسر حتى استطاعت القيان التي استقدمت من بلاد العجم والروم بآلاتهن الموسيقية الفارسية والرومية أن يؤثرن في الموسيقى العربية تأثيراً كبيراً.

فنشط العرب في هذا المضمار نشاطاً عظيماً، وإن كان هذا النشاط قد حجبه الكبرياء والتعالي، إلا أن حب الفن تغلب على غطرسة العربي فنهض واستحدث حتى احتفظ لموسيقاه بطابعها العربي الذي ميزها عن غيرها ولا يزال...!!

وقد عرف العرب في الجاهلية وصدر الإسلام من الآلات الوترية (المزهر) وهو عود ذو وجه من الرق (والعود) ذا الوجه الخشبي (والجنك) أو الصنج (الهارب) (والمعزف) (والموتر)

ومن آلات النفخ المزمار، والقصبة أو القُصّابة، والشبّابة، والصُّور، والناى. ومن آلات النقر: الطبل، والدف، والقضيب — لبيان الميزان أو الإيقاع — والصنوج والجلاجل، والمربع والمجنب!!

انحصر جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في الذود عن دينه وتبليغ رسالته، ونشر دعوته، وقتال المشركين ممن آذوه

وأصحابه فى أرواحهم وأموالهم ونسائهم ، ولكن هذا لا يمنع أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الموسيقى . فقد كان كلما (هادن) سمع من بلال ابن رباح الحبشى ، أول موسيقى مسلم ، وأول مؤذن فى الإسلام ، ترتيله وأذانه بصوت جميل ، وبتوقيع وترتيل فنى .

ولقد جاءته مرة عائشة رضى الله عنها وقالت : يارسول الله ، لقد أقسمت شيرين مولاة حسان بن ثابت إن رجعت منصوراً من غزوتك أن تغنى وتضرب بالرق فى بيتنا ، فماذا ترى . . ؟

فابتسم المصطفى وأذن لها وجلس مع حشد من صحابته وفيهم صديقه أبو بكر يسمع شيرين وهى تغنى وتضرب بالرق ، واستمروا كذلك حتى قدم عمر بن الخطاب فانكمشت شيرين وجلست فوق (رقها) فضحك الرسول وقال :

لقد ذهب شيطانها لما رأى عمر .

فأجابت شيرين : كلا يارسول الله ولكنه قاس لا يرحم وأنت كريم رحيم !

فضحكوا جميعاً حتى عمر .

ولقد اتسعت فتوح العرب أيام عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وانتفع العرب بمدنيات البلاد المغلوبة وحضاراتهم ولا سيما الحضارتين الفارسية واليونانية ، فتأثر العرب من اختلاطهم بهؤلاء الأسرى واهتموا بأمور دنياهم ، وأصبحوا ينظرون إلى الموسيقى نظرة جديدة خالية من الغلو والشطط حتى ارتفعوا بها على الشعر والأدب ، وحتى غدوا لا يرون بأساً ولا ملامة فى أن يحضروا مجالسها . وقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه يسمع من مولاته شيرين ومن رائقة سيدة المغنيات وقتئذ وتلميذتها عزة الميلاء وكذلك كان حال أشراف العرب وساداتهم ....!

وأحسب أن عصر ابتداء النهضة الحق ابتدأ فى خلافة على كرم الله وجهه . ولعل حبه للشعر وهو لون من ألوان (الفن) أكبر حافز . على أن هذه النهضة لم تؤت ثمرها اليانع إلا فى الدولة الأموية عند ما اتسعت الفتوحات شرقاً وغرباً . وقد ابتدئ فى وضع الألحان العربية فى هذا العصر على إيقاعات متعددة ، وورد فى غنائه ذكر إيقاعات (الثقيل) الأول و (الثقيل) الثانى ، وخفيف الثقيل ، والهزج ، والرمل

وأشهر الموسيقيين فى هذا العصر هو (سائب خاثر) ، وهو أول من غنى فى المدينة بالعربية مستعملاً العود . وقد أخذ عنه ابن سريج ، ومعبد ، وعزة الميلاء ، وجميلة !

ومن المشهورين أيضاً ابن مسجح أول من نقل غناء الفرس إلى غناء العرب بمكة . وقد ابتدع مذهباً خاصاً وطريقة جديدة تأثر بها وأخذ عنها ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض

وقد بلغ من اهتمام الأمراء والحكام بالموسيقى أن الخليفة عبد الملك بن مروان نفسه كان موسيقياً وملحناً . وقد اشترى يزيد بن عبد الملك (حبابة) المغنية بأربعة آلاف دينار مع أنها كانت دميمة متهدمة ...

ولعل فى رعاية الوليد بن يزيد لمعبد وتمريضه إياه وإخلاء جناح خاص له فى قصره ، ثم تشييعه لجنازته بنفسه أكبر برهان على مكانة الموسيقى وقتئذ . وقد كان الوليد عالماً بصناعة الألحان عازفاً بالعود موقعاً بالطبل والدف

وقد سرى تيار هذا الاهتمام إلى الأشراف والنبلاء حتى أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان لا يستريح إلا إذا سمع (سائب خاثر) فينشط . وسكينة بنت الحسين رضى الله عنها وعن أبيها ، كانت مشغوفة بالغناء والموسيقى ، وكانت تكرم الغريض ، وكان بيتها منتدى لسماع الموسيقى والغناء ، وقد طلب منها مرة أن تستدعى (حنين الحيرى) مغنى (الحيرة) ، فاستدعته مع أشهر المغنين فى الحجاز ابن سريج ، ومعبد ، والغريض . وقصد الأربعة بيتها فغصت الدار بالناس حتى ضاقت بهم ، فصعدت شرذمة منهم فوق (السطح) وأخذ حنين يغنى ويغنى والناس تموج وتهتف ، وإذا (بالسقف) يهوى بمن فوقه على رأسه فمات مخنوقاً . فقالت السيدة سكينة : « لقد كدر علينا حنين سرورنا . انتظرناه مدة طويلة كأننا والله كنا نسوقه إلى منيته »

وفى العصر الأموى ابتدأت حركة التأليف الموسيقى فوضع يونس الكاتب (كتاب النغم) و (كيان القيان)

أما فى العصر العباسى ذلك العصر الذهبى للموسيقى والأدب والشعر فقد سمت فيه الموسيقى سمواً عظيماً وارتفعت إلى ذروة المجد ، وزادت مقاماتها وطرائق إيقاعها حتى تعددت فى اللحن الواحد وكثرت الآلات وتنوعت وكثر استعمالها

وأصبح العربى يفخر بأنه موسيقى حتى أن أبناء النبلاء

انخرطوا في سلكها ، فكان منهم ابن جامع القرشي . بل زاد اهتمامهم إلى حد الاحتراف كإبراهيم بن المهدي ...!

والخليفة الواثق كان من أحذق الخلفاء بل من الموسيقيين المحترفين أنفسهم بالغناء والعزف على العود ، وقد قال في إسحاق الموصلي :

(ما غناني إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد لي في ملكي .. وإن إسحاق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ بمثلها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكي)

(الأغاني) وإسحاق هذا هو أول من عني بإثبات قواعد الموسيقى العربية ونظرياتها بعد يونس الأكوي وجاء بعده الخليل بن احمد فصنف كتاب (النغم والإيقاع) ولكن الذي زعما هو إسحاق ابن يعقوب الكندي الذي ألف عدة كتب في الموسيقى ونظرياتها ، وهو أول من دون الموسيقى بالحروف بشكل مرتب ، وهذا أكبر رد على من يتهمون العرب بإهمال تدوين ألحانهم . ثم جاء بعده أيضاً أبو نصر محمد الفارابي فوضع (كتاب الموسيقى الكبير) الذي تدين له الموسيقى بالشيء الكثير . وفي العصر العباسي أمر هارون الرشيد إسحق الموصلي ، وإسماعيل ابن جامع ، وفليح ابن أبي العوراء ، أن يختاروا له من الألحان العربية مائة صوت فصنعوا .

ومن أشهر الموسيقيين في هذا العصر إبراهيم الموصلي ، وإسحاق الموصلي ، وفليح بن أبي العوراء ، ويحيى المكي ، وحكم الوادي ، وزلزل ، ومخارق ، وبذل المغنية ، وابن جامع

وقبل أن نختم هذه اللمحة العابرة يجب أن نقول لهؤلاء الذين يعتقدون أن الموسيقى محرمة : هذا هو شأن الموسيقى في صدر الإسلام

إن الموسيقى في ذاتها نبيلة رفيعة ، ولكن المحرم فيها هو التخنث والبكاء والاسترضاء واستغلال الغرائز البهيمية ، وهذا ليس بمحرم شرعاً فحسب ، بل هو محرم شرعاً وذوقاً ورجولة أيضاً

محمد السيد المويلحي

المراجع : مقدمة الدكتور محمود احمد الحفني .. الأغاني للأصفهاني

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }

7me Année No. 298

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 20 - 3 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٢٩٨ — «القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩» — السنة السابعة

الفهــــــرس

الأدب والفن فى القران الملكى السعيد

قلت لنفسى ...

أستطيع أن أتحدث إليك يا نفس ، وأنا آمن أن يتسمع إلى حديثنا ناقد أو حاقد فينشره ؛ فما كل ما يعلم يذكر ، وما كل ما يذكر ينشر

كان الشعب والجيش فى أسبوع القران المصرى الإيرانى السعيد قصيدة شاعرة الأبيات بالجمال والحب ، وملحمة عامرة الأناشيد بالفخار والمجد ، تجلت فيهما عبقرية الجنس ونبالة التاريخ وأريحية النيل ، ودلتا على أن الشعب يتقدم بصيراً بالفطرة كـكرام الطير ، وأن الجيش يولد جباراً بالروح كآلهة الإغريق . والفطرة والروح من عمل الله الذى أحسن كل شيء خلقه ، وهدى كل حى طريقه

أما الأدب والفن وهما من خلق الناس فكانا — على حسب ما بلغته عيناى وأذناى — موضع النقص وموضوع النقد . ومن الظلم لمواهب هـذا البلد الكريم أن يكون ماذاع منهما فى هذا الأسبوع التاريخى مقياساً لقرائحه وترجماناً لعواطفه . وأسارع إلى استثناء النثر من أنواع الأدب ؛ فقد كان أجمل الزهر الذى نثر على العروسين ، وأنفس الدر الذى قدم إلى التاجين ، وأصدق الدلائل على مكانة مصر فى المدنية والعقلية والثقافة . . .

ولكن الشعر كانت كثرته الكاثرة كزقزقة الأفراخ النواهض في صبح من أصباح مارس : هي إلى الصَّيْءِ أقرب منها إلى التغريد، وعلى المحاكاة أدل منها على التجديد، وفي التشابه أدخل منها في التنوع . والله وحده يعلم الآن موقف امرئ القيس من الجاحظ في الجنة أو في النار ، وأحدهما يرى فنه يذوي ويهوي وينطوي، والآخر يرى فنه ينمو ويسمو وينتشر !

ومهما يكن من قصور الشعر فإن فن الكلام في مصر أبقى الفنون الرفيعة بالحياة وأسبقها إلى النهوض وأدناها من الغاية . فإنك إذا وازنت بينه وبين التمثيل والموسيقى في هذا الأسبوع على الأقل والأخص عجبت كيف يتقدم فن الأمة الفكر هذا التقدم ، ويتأخر فنها الصور هذا التأخر ، حتى يكون ما في ذلك من الخلق والجدة والتطور والشعور ، معادلا لما في هذا من النقل والركود والجمود والبلادة

فالتمثيل — ومظهر النبوغ المصري فيه (الفرقة القومية) — كان خذلاناً من الله لإدارة هذه الفرقة، وبرهاناً من نفسها للناس على أنها لا تعلم ولا تعمل ولا تدبر

أرادت هذه الفرقة أن تساهم في الحفلة الموسيقية التي أقامتها وزارة المعارف في دار الأوبرا الملكية احتفاء بصاحب السمو الإمبراطوري ولي عهد إيران ، لأنها تعيش على أموالها ، وتعتمد على مشورة رجالها ، فاختارت أن تمثل لهذه المناسبة في حضرة المليك المعظم وأمام الخاطب الكريم ملهاة (المتحذلقات) لموليير، وموضوعها كما تعلمين خطبة عابثة هازلة ، يلبس لها خادمان لباس النبلاء ، ويخدعان بالحذلقة النبية امرأتين من أغبى النساء !

كان من السهل لو كان للوزارة (فرقة) ، وللفرقة إدارة ، وللإدارة دراية، أن تطلب إلى كاتب من كتاب المسرح أن يقتبس لها في هذه المناسبة السعيدة موضوع مسرحية ذات فصل واحد من شاهنامة الفردوسي، كحكاية شيرين، أو قصة زهراب ورستم، فيكون تمثيلها أمام الأمير وحاشيته أبلغ في معنى الحفاوة ، وأبين عن سمو الذوق ، وأدل على أن في مصر تمثيلاً له أدبه المحلي وطابعه الخاص وروحه المميزة . أما متحذلقات موليير فقد مضى على تأليفها مائتان وثمانون سنة ، قرأها فيها كل بلد ومثلها كل مسرح ؛ فلو لم يدل اختيارها على سقم الذوق لسوء المناسبة ، لدل على عقم الأدب لفروزة الاقتباس . ورحم الله من طلب إلى (غزلانزوني) في سنة ١٨٧١ أن يؤلف له (عايدة) لتمثل في هذه (الأوبرا) أمام الأضياف الأوربيين في مهرجان قناة السويس ، فقد كان أسهل عليه وأسرع له أن يأمر الممثلين أن يمثلوا له ما شاء من الأوبرات الإيطالية والروايات الفرنسية ؛ ولكنه لسمو نفسه وصفاء حسه أراد أن يكون الموضوع مصرياً واللون محلياً والتمثيل جديداً فكان له ما أراد !

***

والموسيقى — ومظهر الفن المصري فيها « معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية » — كانت ضرباً من السأم والنتانة لا نعرف له ضريباً في موسيقى الأمم . فقد أقام هذا المعهد كذلك في داره حفلة ترحيب وتسلية للأمير الخاطب ، فكانت ألحاناً مكررة ، وأصواتاً منكرة ، وبشارف وتقاسيم وأدواراً يعزفها لقلتها البادئ والمنتهي ، ويعرفها لشيوعها الموسيقار والسامع ، ولا تكاد الأذن الفنانة المرهفة تنفتح لنغماتها التقليدية المكرورة أكثر من دقائق! وما دامت موسيقانا تسير على نهج (التخت) في وضعه التتالي الجامد ، فهيهات أن تشيع فيها الروح ، وتظهر عليها الجدة، ويرتاح إليها الشعور . وأعجب العجب أن هذه الموسيقى الواحدة ، يجعلون لها أسماء متعددة ؛ فهذه « تحية العروس » وهذه « رقصة الأمل » وهذه « سكرة الموت » ولو وضعت على كل واحدة منها اسم الأخرى لما أنكر ذلك سامع ولا اعترض عليه معترض !

***

أما إذاعتنا اللاسلكية فكانت على عادتها إهانة عالية لمصر ! فبينا تجدين محطات الإذاعة العربية في العالم تتغذى على المهنئ السائغ من فن عبدالوهاب وأم كلثوم، تجدينها هي تتغذى على الغث البارد من أنامل وحناجر لا هي معجبة ببراعة الفن ، ولا هي مطربة بحلاوة الصوت !

أقول لك ذلك يا نفس ، وأنا أعلم أن في قوله تفريجاً عنك ، وليس فيه إن سمعه سامع ما يغضب الحق ويؤذي الناس !

ابن عبد الملك

بلادة أم اتزان ؟

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

يجيء يوم في حياة الإنسان يُرزق فيه البلادة المريحة ، وأعني بالبلادة انتفاء الحدة والعنف فيما يساور النفس من شعور ، ويدور بها من خوالج . فـَـظَّةٌ يوزعها كل ما يبديه من أسف على فائت ، وهزة كتف خفيفة لا تكاد تُلمح هي ما يقابل به الحوادث الجسام ، والبرود أو الجمود هو ما يتلقى به الغمز والطعن والتشهير ، والابتسام هو كل ما يبدو من سروره

زارني مرة صديق لا يزال على ارتفاع سنه فتيّ الروح يغلي في عروقه دم الشباب ، ودفع إليّ بصحيفة وقال وهو يشير بأصبعه إلى موضع فيها ، وكأنه يشكه برمح : « ألا ترد على هذا ؟ »

فرفعت رأسي إليه — فإن قامته مديدة — وأنا كما يعلم القراء ، أو كما لا يعلمون ، فتىً صغير — وسألته : « ماذا ؟ » قال وهو ينتفض كأن به حمى : « هذا الشتم ! هذه القباحة ! هذه السفالة ! هذه ... »

فاستوقفته بإشارة وقلت : « حلمك ! لقد شتمني بعضهم مرة في صحيفة كبيرة فقال عني إني (من فراش العار) وأضاف إليّ زملائي جميعاً فقال عنا إننا (أبناء الزواني) فهل قال هذا — وأشرت إلى الصحيفة التي ألقاها على مكتبي — شراً من ذاك ؟ »

فترك هذا وسألني : « ألم تقتله ؟ »

قلت : « يا سيدي لو كنت أعلم أنه خالف لحاولت قتله ، ولكنه فانٍ مثلي ، فلماذا أجشم نفسي عناء باطلاً ، وأتكلف تحصيل الحاصل ، وأتعاطى العبث والسخافة ؟ »

قال باشمئزاز : « هذه فلسفة لا أفهمها ... هه ... من ضربك على خدك ... »

قلت : « لا ، ليست هذه فلسفة ، وإنما هي بلادة ، ثم إني لا أدير للضارب خدي الآخر ، وكل ما في الأمر أني لا أحس ما ظنه الضارب لطمة لي على خدي ... »

فصاح بي : « كيف لا تحس ؟ أيقول عنك إنك من فراش العار ، وإنك ابن زانية وتجيء وتزعم أنك لا تحس ولا تبالي ؟ »

قلت : « حلمك مرة أخرى . إني أعرف أني لست من فراش العار ، وأني لست ابن زانية ، فما يشتمني به لا يغير ما أعرفه . ثم إنك تتوهم أن الناس يصدقون كل ما يذم به بعضهم بعضا . وهذا غير صحيح . ولو أن الذي شتمني التزم القصد ، وآثر الاعتدال فيما يرميني به لكان أخلق بأن يصدقه الناس ويقتنعوا ، ولكنه أسرف واشتط فأفسد على نفسه مرامه ، فكلامه فيَّ ينال منه ولا ينال مني . وقد أخجله ضني بنفسي على هذه الأوحال فاعتذر ، فهل تدري ماذا قلت له ؟ »

قال : « لا أريد أن أسمع . يظهر أنك تحاول أن تقلد غاندي ... المهاتما غاندي ! » قالها بلهجة المتهكم الزاري

قلت : « ولا هذا أيضاً . إن غاندي حي — مثلك — ولكن أساليبنا مختلفة . أما أنا فأهون ما أقوله في نفسي أني أصبحت لا أطيق بعثرة القوة وتبديد الجهود في العبث الذي لا طائل تحته . أصبحت بخيلاً مقتراً ، أنفق حياتي بحساب دقيق ، وأدخر كل ما يسعني ادخاره من القوة ؛ وما زلت مسرفاً في إنفاق حياتي ، ولكن فيما أحب أنا ، وبإرادتي ، لا بالشعور الدافع . وإنه ليحلو لي أن أسمي هذا بلادة ، ولكنه قد يكون اتزاناً ، وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء . ولا تخف . ستراني يوماً أنقض على خصم فأمزقه إرباً إرباً ، فما نفدت قوتي ، ولا فقدت القدرة على استطابة أكل اللحم البشري ، وما زلت ذلك الوحش القديم الذي يلذه أن يمزق لحم الفريسة ، وأن يلغ في دمها . وإذا رأيتني أسطو على أحد ، وأكر عليه وأصميه ، أو أعذبه تعذيب القط للفأرة ، فاعلم أني أفعل ذلك بإرادتي ، لأن شعوري غلبني ، فما يغلبني شعوري في هذه الأيام . وعلمي بما أقدر عليه هو الذي يصدني عن هذه المهاترات الفارغة »

فقال : « لقد تغيرت جداً »

قلت : « إنك تذكرني بقول القائل :

وقد زعمت أني تغيَّرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير ؟

نعم من ذا الذي لا يتغير؟ حتى الحجر ! ومع ذلك من يدري؟

لقد كنت فى صدر حياتى مدرساً ، وكان بعض التلاميذ يحاولون أن يعابثونى ، فكنت آخذ عليهم طريق العبث وأكتفى بذلك ، وأستغنى عن الاحتياج إلى عقابهم ، وكنت أزعم أن هذه حكمة ، والواقع أنى ما عاقبت تلميذاً قط ، فى عشر سنين زاولت فيها التعليم ، وكان الذى بينى وبين تلاميذى عامراً كل هذا الزمن ، ولكنى كنت أدير عينى فى نفسى وأفحصها ، وأغوص فى أعماقها ، أتبين أنى أكره العقاب الخفيف ، وأنه لا يرضينى إلا أن تكون الضربة قاصمة للظهر ، لأنى بطبعى عنيف ، ولما كان لا محل لضربة قاضية من أجل أن تلميذاً لاعبنى أو مازحنى ، وهو لا يريد شراً ، وإنما تغريه بذلك طبيعة الصبى ، فقد كنت أكبح نفسى وأردها عن الأذى ، وأعمل بقول الشاعر :

توقى الداء خير من تصدٍ ... لأيسره وإن قرب الطبيب

نعم تغيرت ، بمعنى أن بعض الطباع التى كانت تظهر وتخفى فيما مضى ، صارت أبرز وأقوى ، فهى الآن السمة الغالبة والطابع الملحوظ

هذه خلاصة ما حدثت به صديقى ، وقد قلت له كلاماً آخر كثيراً ، نسيته ، فقد طال بيننا الحوار ، وتركنى وهو غير مقتنع بصوابى ، فلم أحفل بذلك . وماذا يضيرنى ألا يقتنع ؟ ولماذا أكلف نفسى تعب إقناعه ؟ أنا الذى جربت مراراً كيف يخيب الأمل ، ويذهب المسعى سدى ؟

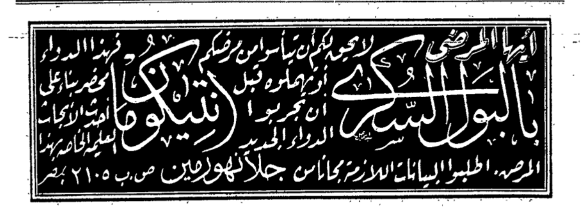
وأويت إلى مكتبى فى الليل ، بعد أن نام البيت ، وأعفيت من ضجة الأطفال ، وأخرست لسان الراديو الصاخب ... وعلى ذكر الراديو أقول إن بنىّ مثلى ، يأكلون على ضوضاء الراديو ، ويراجعون دروسهم على ضجات الراديو ، ولا يبدو عليهم أنهم يسمعون ما يصيح به ، أو يبالونه ، ومن شابه أباه فما ظلم ، وإنى لأرجو أن يظلوا مثلى ، وألا يكترثوا لمن عسى أن يسبهم ويزعمهم « من فراش العار » — فى حوار أدبى أو جدل سياسى — ما علينا .

سألت نفسى لما خلوت بها : « أهذا الذى صرت إليه اتزان أم بلادة ؟ وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء ، أم فتور حتى عن محاولة الادراك ؟ وهل النار كامنة تحت هذا الرماد ، أم هى خمدت وأنت تحسبها لا تحتاج إلى أكثر من التقليب ؟ وهل يشى هذا بالقوة ، أو يشى بالضعف ؟ ومن اليأس هذا ، أم من العلم والفهم الصحيح ؟ وحال تدوم ، أم عارض يزول ؟

وطال تفكيرى فى جواب هذه المسائل ، ولم أنته إلى شىء تسكن إليه النفس ، فنهضت وأنا أقول : « ولماذا أعنّى نفسى بهذه المتعبات ؟ وماذا أبالى على كل حال سواء أكان الأمر هكذا أم كذلك ؟ »

وأعجبتنى « لا أبالى » هـذه ، فقد صارت عندى مخرجاً من كل ورطة ، وباباً لتفريج كل أزمة فى النفس . ومن كان يسعه أن يقول — ويكون على نحو ما يقول — « لا أبالى » فقد أوتى الراحة ، ولا أقول السعادة فإنها خرافة .

ابرهيم عبد القادر المازنى



انجليزي يتحدث في السياسة

لأستاذ كبير

أعرف إنجليزيًا داهية في السياسة وإن لم يكن له مركز سياسي ، ولكنه يميل إلى المبادئ الحرة . قابلته مرة وتحدثنا وجرنا الحديث إلى السياسة فقال : إنه يدهشني أن يكون بين المصريين من يسيء الظن بالسياسة الإنجليزية . قلت : إن كنت قد رأيت من يسيء الظن بها من المصريين فلا يدهشك أن يكون بين الملايين من الناس آحاد يفعلون ذلك إذا كنت حقيقة قد رأيت منهم سوء الظن ولم تتوهمه . قال : ومع ذلك فإن أعظم الناس سذاجة يستطيع أن يفهم أننا لو شئنا نقض سياستنا الموالية لحليفتنا لكان ذلك من أيسر الأمور . قلت : ماذا تعني ؟ قال : أعني أننا لا نريد الغدر بصديق ولسنا معروفين بذلك ، فهذا تاريخنا يدل على أننا لم نغدر بأحد ائتمننا ، فقد كنا دائمًا أمناء ، وكانت استقامتنا مضرب الأمثال ، وليس لنا نفع نرجوه من وراء الغدر لأننا لا نريد أن نتحمل مسؤولية الحكم فتزيد أتعابنا الغالية

ثم سكت قليلاً وعاد إلى الكلام فقال : على أننا لو أردنا لاستطعنا أن نتبع خطة تطلق يدنا من غير أن نتحمل مسؤولية الحكم وأتعابه في الظاهر . ثم التفت إلى وابتسم ثم قال : ولكنا لا نريد . قلت : إني لم أفهم كلمتك الأخيرة . فسكت كأنما يشاور نفسه ويسألها : هل يبوح بما في نفسه أم لا يبوح ؟ وبعد ذلك لوح بيده إشارة عدم الاكتراث لما قد يكون من نتائج ما أزمع أن يفسره وقال :

هنالك أمور ثلاثة يمكن استثمارها وهي الأمور الدينية والأمور المالية والأمور الدستورية . ولا أعني استثمارها مباشرة أو الظهور بمظهر المستثمر لها ؛ بل لا بد إذا اتبعنا هذه الخطة ألا يفهم أحد أننا نستثمرها . ولنجاح هذه الخطة ينبغي ألا يفطن إليها أحد ، ومن أجل ذلك يمكنك أن تثق بسبب شرحها لك أننا لا نريدها لأننا لو كنا نريدها لكتمناها ولأنكرناها إذا فكر فيها أو فطن إليها غريب عنا ، ولحاولنا أن نقنعه بكل الوسائل أننا لا نريدها وأننا لم نفكر فيها

قلت : وما هي هذه الخطة ؟

قال : إنك تعلم أن خطتنا التقليدية كانت عدم المساس بالشعور الديني في صدر المحافظين عليه ؛ ومع ذلك كنا نستعمل وسائل كثيرة للتوفيق بين احترام الشعور الديني واحترام العرف والتقاليد ، وبين مراعاة حالة مصر الدولية ووجود الأجانب بها ومراعاة ما تقتضيه التغيرات الاجتماعية والقانونية والفكرية الحديثة . وقد كان التوفيق بينهما يقتضي مرونة ولباقة إلى حد يجعل ذلك التوفيق غير محسوس به ولا مفطون له ، وعلى ذلك كان يتوقف نجاحنا . ولا أقول إننا نجحنا كل النجاح ، ولكني أقول إننا نجحنا نجاحًا يسهل إدارة الأمور فاكتسبنا مؤازرة العلماء والقائمين بأمر الدين فيما يهمنا من تصريف الأمور ، كما تمكنا أن نمنع من حدوث ارتباك بسبب اصطدام الشعور الديني وشعور المحافظة على العرف والتقاليد بمنزلة مصر الدولية وبما تقتضيه التغيرات الاجتماعية والقانونية والفكرية الحديثة ... وهنا ابتسم ابتسامة مكر ودهاء وقال : فلو كنا نريد بسط يدنا في إدارة شؤون البلاد مباشرة ، لاستطعنا أن نمتنع عن هذا التوفيق بطريق مباشر وبطريق غير مباشر ، واستطعنا أن نشجع المحافظة على التقاليد حتى يستولي على زعامتها أشد الناس تطرفًا ، وأظهرنا في أول الأمر عدم ميلنا إلى التدخل . وهذه الخطة تؤدي حتمًا إلى تدخلنا في النهاية وإلى كسب الأنصار أولاً وأخيرًا وإلى وجود الأعذار والفرص التي تبرر وتسهل ذلك التدخل وتجعله أمرًا لا مناص منه حتى لدى كثيرين ممن يكرهونه

قال ذلك وسكت قليلاً وجعل يضرب ركبته بأطراف أصابعه وكأنه مشغول بالتفكير في أمر ... ثم التفت إليّ كأنما قد أفاق من انشغاله بالفكر وقال :

أما المسائل المالية فإنكم تعلمون أنها هي التي أطلقت يدنا في مصر منذ ارتبكت المالية المصرية في عهد الخديو اسماعيل باشا وما كنا نستطيع أن نجيب طلبات المصريين الوطنية وأن نقيد يدنا في مسائل إدارة شؤون البلاد لولا أننا أصلحنا المالية ؛ فلو كانت المالية لم تصلح لاضطررنا أن نضرب بمطالب المصريين عرض الحائط بحكم الضرورة ولو جدنا أنصارًا كثيرين من المصريين والأجانب يشدأزرنا في خطة التمسك بإدارة شؤون البلاد ، بل لوجدنا

من المصريين والأجانب ومن الدول أيضاً من يطالبنا بالتمسك بإدارة شؤون البلاد ويصر على ذلك خوفاً من كل على أمواله . لكننا لا نرى من يطالب أو يصر على ذلك لأن مالية الشعب والحكومة تحسنت كثيراً ... وهنا عاد إلى سكونه كأنما تريد منى أن أهضم ما قاله وأن أفكر فيه ، وأقتنع بصدقه قبل استئناف الحديث ، ثم عاد إلى الكلام فقال : لو كنا نريد أن نطلق يدنا فى إدارة شؤون البلاد لاستطعنا أن نشجع الإسراف أو على الأقل نشجع الصرف صرفاً كثيراً على أمور لا تأتى بثمرة اقتصادية ولا بربح اقتصادى مباشر ، وهذا أمر ميسور لنا (أولاً) بسبب شعور مصر بمقام استقلالها بين الدول وما يقتضيه من المصروفات فى الأمور السياسية ، و (ثانياً) بسبب خطر الحرب وما يقتضيه من المصروفات فى الأمور الحربية . وهذا الصرف تطالب به العزة القومية ولا يشك أحد فى مطالبتها به . على أنه مهما حسنت مالية الدولة والشعب فإن مالية الدولة لا تتوقف على موازنة الدخل والمنصرف فى الميزانية وحدها ولا على الاحتياطى من المال لديها وحده ، وإنما تتوقف أيضاً (أولاً) على موارد الدولة ، وبتنوعها ضرورى لأنها إذا لم تكن متنوعة وأصيب المحصول الرئيسى بفشل أو تدهور مستمر فى الأسعار وربما ذهب حسن المالية الذى برر كف يدنا عن التدخل فى إدارة الشؤون . و (ثانياً) تتوقف مالية الدولة أيضاً على دخل الأهالى ، فإذا فرضنا أن ثروة قطر من الأقطار زادت لتحسن طرق الإنتاج ومقداره ولكن زاد عدد السكان زيادة كبيرة وارتفع مستوى المعيشة وزادت الديون التى على الأهالى[1] وكثر المتعطلون عن العمل وكان أكثر أفراد الشعب لا يملكون إلا القليل وبدأ يقل محصول الفدان الواحد فى مقداره إذ كان القطر زراعياً . . . أقول إذا اجتمعت كل هذه الأمور وأشباهها لايختزن أفراد الشعب كثيراً مما كان من ازدياد مجموع ثروة الشعب ، ولا يكون عند الشعب من المتانة المالية ما يسند متانة الحكومة المالية وما يشجعها فى المضى فى الصرف بسخاء على أشياء قد تكون شبه ضرورية . فإذا

(١) هذه غير الديون التى على الدولة .

من برجنا العاجي

حدث فى الأسبوع الماضى أمر أحب أن أسجله هنا : هو قيام القيامة فى الجامعة ضد كتابين قيمين ، لأنه قد ورد فيهما طعن فى الإسلام .

لا أريد أن أنظر إلى الأمر من ناحية التفكير الحر ، ولا من حيث تأثير هذا الموقف فى الحياة العقلية لبلد متحضر ولكنى أريد أن أبحث المسألة من جهة الدين نفسه . وهنا يبدو لى العجب : لماذا كل هذا الفزع كلما وقع بصرنا على عبارة تمس الإسلام ؟ إن الكتب التى عالجت المسيحية وتعرضت للمسيح بالطعن والتجريح تطبع وتنشر فى أوروبا المسيحية دون أن يخشى أحد على كيان المسيحية . ذلك أن الجميع يعلمون أن الأوان قد فات للخوف من مثل هذه الصيحات ، وأن المسيحية التى عاشت عشرين قرناً لا يهدمها عشرون كتابا . كذلك نستطيع أن نقول فى الإسلام أن هذا الدين المتين الذى عمر نحو أربعة عشر قرناً وثبت لأحداث الزمان وشاهد دولاً تدول وعروشاً تزول وشعوباً تولد وامبراطوريات تقام ، لا يمكن أن يتعرض للخطر أمام كتاب يؤلف أو عبارات تقال . إن هذا الفزع منا لأكبر مسبة لدين عريق عميق . كذلك يدهشنى أن ينشأ هذا الفزع فى جامعة عصرية ، يؤمها شباب قد قطع مراحل الطفولة والصبا الأول وانغرست فى قلبه العقيدة الحارة ، فلا خوف الآن عليه من مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية

إنى أعتقد دائماً أن صحة العقل وصحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق حتى تكتسب المناعة . وأن حبس العقيدة والعقل فى قفص من الزجاج خوفاً عليهما من خطرات النسيم معناه إنشاؤهما على بنية عليلة وكيان سقيم .

توفيق الحكيم

اعتمدت الحكومة على متانة ماليتها الحاضرة وحدها من غير نظر إلى ما قد تؤدى إليه هذه العوامل الاقتصادية فى النهاية. وإذا أردنا أن تطلق يدنا فى إدارة الشؤون ونجعله أمراً محتوماً يطالب به كما كان فى الماضى أمكننا أن نقلل من أثر هذه العوامل وأن نهون أمرها لدى الحكومة . . . قال ذلك ثم التفت إلىّ وقال : ولكن الحكومة المصرية متيقظة تمام التيقظ... وقال : ومع ذلك يمكننا — إذا شئنا — أن نتغلب على هذه اليقظة . ولكننا كما أوضحت لك لانشاء تحمل مسؤولية وأعباء الحكم حتى ولو أنه من المستطاع تحميل الحكومة الوطنية التى تطلق يدنا كل الإطلاق مسؤولية وأعباء الحكم . ثم رجع إلى سكوته الطويل كى أتدبر ما قاله عن المسائل المالية والاقتصادية كما سكت طويلاً بعد كلامه عن المسائل الدينية

وبعد ذلك التفت إلىّ مرة أخرى وقال :

بقيت مسألة نظام الحكم ، ونحن بطبيعتنا نميل إلى الحكم الدستورى الذى كنا أول من شاده بين الأمم ، ونفضل الاتزان والاعتدال فى الحكم الدستورى. وكثيراً ما تحول الدستور فى بعض الدول الأوربية إما إلى حكومة نفعية غير ديمقراطية من طبقة المغامرين، وإما إلى حكومة رعاع مؤقتة. ولكننا فى انجلترة قد صنا الديمقراطية عن الحالتين؛ وهذا هو سبب ثبات الديمقراطية عندنا . ومن أسباب ثباتها أيضاً قدم عهدنا بالنظام البرلمانى الدستورى ومحافظتنا على القديم من تقاليدنا الدستورية ، أما عندكم فلا يوجد تقاليد كما عندنا تتغلب على النزعة التى ذاعت فى كثير من الأمم للتخلص من النظام البرلمانى أملاً فى إصلاح أو رقى أو تحسن سريع يأتى على يد حكومة قادرة من الأكفاء يمكن انحصار السلطة فيها فى أيد قليلة ويمكن عدم تقيدها بدورات المشاريع وعدم تأخرها؛ بسبب الشورى وبسبب قيود نظم الحكومات الدستورية . وقد بدأ الكتّاب يكتبون فى هذه النزعة فى مصر وبدأ بعضهم يحبذها . فلو أننا كنا نريد إطلاق يدنا كل الإطلاق فى إدارة شؤون البلاد لاستطعنا أن نشجع هذه النزعة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر وكان يمكننا أن نتخذها وسيلة لخلق حالة فى البلاد تتطلب أن نتدخل بسبب نزاع أنصار الديمقراطية وأنصار الدكتاتورية وما يؤدى إليه . بل يمكننا أن نخلق حالة تدعو كثيرين إلى مطالبتنا بالتدخل سواء أكان ذلك بسبب هذه الحالة التى يخلقها النزاع بين الدكتاتورية والديموقراطية أو بسبب المسائل المالية أو بسبب المسائل الدينية لو شئنا أن نتبع الخطة التى أوضحت لك أننا يمكننا أن نتبعها فى المسائل الدينية أو المالية أو الدستورية؛ ولكننا كما قلت لانشاء اتباع هذه الخطة حتى ولو أدت إلى إطلاق يدنا إطلاقاً تاماً فى إدارة شؤون البلاد من غير تحمل مسؤولية وأعباء الحكم، إذ نستطيع أن نجعل من نشاء يتحملها عنا إذا جاءت نتائجها أحياناً عكس ما توقعنا . ولو أننا كنا نشاء اتباع هذه الخطة لما كنا نتحدث فيها بصراحة إلى كل من نقابل من الناس

وهنا غلبه الضحك فضحك ثم قال : والمأمول ألا يفهم المصريون من تلقاء أنفسهم بدون دافع منا ما يؤدى إلى إحدى الحالات الثلاث التى تحتم تدخلنا ونحن آسفون على التدخل .

قارئ

الأثر العربي

في الثقافة الإنجليزية في القرون الوسطى

للأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد

ليس من الممكن معالجة موضوع الأثر العربي في الثقافة الانجليزية بتفصيل واستيعاب في مقالة واحدة أو بضع مقالات . ولا من الممكن أيضاً ذكر الكثير من أسماء العلماء والمؤلفين والمترجمين الذين ساهموا بنصيب وافر في نقل الثقافة العربية إلى دائرة الفكر الانجليزي أو الأدب الإنجليزي . ولذلك سأحاول معالجة هذا الموضوع في ثلاث مقالات فقط : هذه المقالة وموضوعها « في القرون الوسطى » . والمقالة الثانية وموضوعها « في عصر النهضة » . والمقالة الأخيرة وموضوعها « في القرنين الماضيين » . وستكون معالجتي إجمالية عامة

إن ما أعنيه بالأثر العربي هنا هو كل ما وصل إلى الثقافة الإنجليزية عن طريق اللغة العربية ، سواء أكان ذلك من إنتاج العرب أنفسهم أم من إنتاج غيرهم من الأمم التي ترجمت فلسفتها وعلومها وآدابها إلى اللغة العربية . وأعني بالثقافة الانجليزية ما أنتجته القريحة الإنجليزية من أدب وفلسفة وعلم وكتب حينئذ باللغة اللاتينية التي كانت لغة التأليف والآدب في انجلترا وغيرها من ممالك أوربا في القرون الوسطى

لعلنا نذكر أن بغداد كانت مقر الخلافة العباسية ، وأن خلفاء هذه الدولة قد انصرفوا بعد أن استتب لهم الحكم إلى تشجيع العلم والعلماء ، فازدهرت العلوم على اختلاف أنواعها ، وبدأ عصر جديد هو عصر الترجمة من اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية والهندية . وبلغ ذلك العصر أوجه في أيام الرشيد والمأمون . ووجد في اللغة العربية ما يسمى « بالعلوم الدخيلة » أي التي دخلت في اللغة العربية من لغات أخرى ، كالطب والفلسفة والمنطق والفلك والرياضة . ويعزى أكثر الكتب التي ترجمت حينئذ إلى أرسطوطاليس وأفلاطون وبطليموس وأبقراط وأقليدس من علماء اليونان وفلاسفتهم . وكان أكثر المترجمين من غير العرب — كما نعلم — لأن العرب أصحاب السيادة كانوا منصرفين إذ ذاك إلى العناية بنظام الحكم والسياسة . ولأن من قاموا بالترجمة من السريان والنصارى واليهود كانوا على علم كاف بالعربية واللغات الأخرى المترجم عنها . نمت هذه العلوم الدخيلة وعكف على دراستها وترقيتها كثير من العلماء حتى أصبحت بغداد مركزاً للثقافة العربية في الشرق

امتدت فتوح الإسلام إلى شمال أفريقيا وجزيرة صقلية وبلاد الأندلس ، ووطد العرب سلطانهم هناك ، وهاجر إلى تلك الممالك كثير من العلماء الذين تفقهوا في العلوم الإسلامية والدخيلة ، ووجدوا من إكرام الخلفاء والأمراء لهم ما شجعهم على تنمية هذه العلوم ونشرها ، وأقبل العلماء والطلبة من المسلمين واليهود والمسيحيين على دراسة الفلسفة وعلوم الطب والرياضة والفلك وغيرها في المعاهد الإسلامية والمكاتب العامة التي أسست في طليطلة وقرطبة وغرناطة وأشبيلية حتى أصبحت هذه المدن الأندلسية مراكز للثقافة العربية في الغرب كما كانت بغداد في الشرق

وإذا عرفنا أن أثر أية لغة في لغة أخرى إنما ينشأ عن الاتصال المباشر أو غير المباشر بين متكلمي هاتين اللغتين وجب أن نبحث عن : « متى وكيف وجد الاتصال بين العرب والانجليز في القرون الوسطى » وهنا نجد أمامنا ميدانين اتصل فيهما العرب بالأوربيين عامة ومن بينهم الإنجليز . الميدان الأول هو الميدان الشرقي في مصر وفلسطين والشام وآسيا الصغرى أيام الحروب الصليبية ، والميدان الثاني هو الميدان الغربي في جزيرة صقلية وفي الأندلس . وفي كلا الميدانين كان تأثير العربية في كافة الثقافات الأوربية ومن بينها الإنجليزية . وربما كانت انجلترا أقل الممالك تأثراً بالنفوذ العربي

بدأت الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وتوالت ست مرات حتى أوائل القرن الثالث عشر . واشتركت في هذه الحروب الصليبية كل ممالك أوربا ، كما قاد هنري الثاني ملك الإنجليز جنوده في الحرب الصليبية الثالثة ضد العرب . وكانت هذه أول مرة في التاريخ يلتقي فيها العرب والإنجليز وجهاً لوجه ، ورأى الإنجليز ما كان عليه العرب من حضارة وتفوق في فن الحرب وتعبئة الجيوش وطرق الهجوم والدفاع . وكان لهذا الاتصال أثره المباشر في أن نقل الإنجليز عن العرب نظم الحرب والتحصين ، ووسائل النقل ، واستعمال النقود وتوزيع الضرائب وصنع الزجاج . ويرجح علماء اللغة أن بعض الكلمات قد تسرب من العربية إلى لغة الإنجليز (أعني اللاتينية) في ذلك العصر . وذلك مثل كلمة Cotton القطن ، Sugar السكر ، Zarget الزرقة

Guide القائد ، وغير هذه الكلمات مما لا مجال لذكره الآن . ولم يترك هذا الاتصال أثراً قوياً في الأدب الإنجليزي لأنه كان اتصالاً حربياً ولم يكن اتصالاً علمياً

أما في الميدان الغربي فإن جزيرة صقلية كانت تحت حكم الأغالبة من العرب من أوائل القرن العاشر إلى أواخر القرن الحادي عشر . وبعد سقوط هذه الجزيرة في أيدي النرمانديين ظلت اللغة العربية لغة الكتابة والتأليف بجانب اللاتينية والإغريقية ، ولقي العلماء من المسلمين واليهود كل تشجيع وعطف من الملوك المسيحيين ، وبخاصة فردريك الثاني ملك صقلية الذي جمع بلاطه كثيراً من نخبة الفلاسفة والأطباء والمنجمين وعلماء الرياضة . وكذلك شجع الملك روجر الصقلي العلماء على التأليف والترجمة إلى اللغة اللاتينية ، إما من العربية ، وإما من الإغريقية . وكانت هناك علاقات صداقة قوية بين البلاط الانجليزي ، وبين بلاط الملك روجر الصقلي الذي عهد بمنصب ديوان الإنشاء في بلاطه إلى انجليزي يسمى Robert of Selby وقد مهد هذا الانجليزي لكثير من العلماء الانجليز الإقامة في بلاط الملك روجر والاتصال بعلماء العرب ، وترجمة بعض مؤلفاتهم ، ونقل بعض الثقافة العربية إلى ثقافتهم . وكذلك نجد انجليزياً آخر تشير إليه السجلات الصقلية العربية باسم « القائد برون » ، واسمه بالانجليزية Thomas Brown وقد شغل وظيفة القضاء في البلاط الصقلي ، وعرف اللغة العربية ، ثم عاد بعد ذلك إلى انجلترا حيث اختاره الملك هنري الثاني وزيراً للمالية سنة ١١٥٨م . وقد كان من نتيجة هذا الاتصال بين علماء الانجليز وعلماء العرب في البلاط الصقلي أن أخذ الانجليز عن العرب طرق البحث الفلسفية ، وترجموا بعض الرسائل في الفلك والرياضة.

أما في الأندلس فإن تعاون المسلمين واليهود والمسيحيين في البحث والتأليف ، وتسامح الولاة من المسلمين ، وازدهار الحركة العلمية والأدبية قد فتح الطريق أمام طلاب العلم من ممالك أوربا المختلفة فوفدوا إلى المعاهد الإسلامية الأندلسية للدراسة والترجمة إلى لغاتهم . ونذكر من بين هؤلاء ادلار الباحي الإنجليزي (Adlar of Bath) الذي سافر كثيراً في الشام وفلسطين وصقلية ثم درس في طليطلة ، وحين عاد إلى انجلترا أدهشه ما وجد عليه القوم من جهل بعلوم العرب وفلسفتهم (كما يقول هو) فأدخل في الثقافة الإنجليزية والفلسفة طريقة التفكير الحر في البحث . وكذلك ترجم من العربية رسالة في الفلك اسمها «الأزياج» واستبقى كثيراً من الكلمات العربية في ترجمته، وألف كتاباً سماه «المعضلات الطبيعية» اعترف فيه بفضل الدراسة العربية ، وذكر فيه كروية الأرض ، وأن المادة لا تفنى ، وشرح أسباب الزلازل ، وكان يعتمد في كل ما كتب على الأدلة العقلية أو التجربة .

وممن تتلمذ من الإنجليز على العرب Robert of Chester فقد درس في الأندلس وهو أول من ترجم القرآن من العربية إلى اللاتينية ، كما ترجم كثيراً من الكتب في علم الجبر والكيمياء . ولا تزال هاتان الكلمتان في الإنجليزية حتى الآن : Algebra و Chemistry وهناك أيضاً تلميذ آخر يسمى ألفرد الإنجليزي Alfred the Englishman درس في الأندلس وترجم من العربية كتاب النباتات لارسطوطاليس .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ميخائيل الاسكتلندي Michael de Scott فقد زار صقلية ودرس في طليطلة ثم ترجم من العربية رسالة في علم الفلك لمؤلفها نور الدين أبي إسحاق البتروجي ، ونقل فلسفة ابن رشد ، وعلق على كتب ابن سينا وترجم من العربية كتاب الحيوان لأرسطوطاليس

وكذلك عرف الإنجليز طب العرب ، وكيفية استعمال الاسطرلاب ، واستبقوا فيه بعض الكلمات العربية كالمغرب ، والمري ، والقنطرة ، كما اقتبسوا الطرق العربية في الحساب .

ولما كانت الفلسفة والعلوم والآداب في القرون الوسطى قوية الارتباط بعضها ببعض تأثر الأدب الانجليزي مباشرة بكل ما ترجم من العربية إلى اللاتينية من فلسفة أو علم أو أدب . ويذكر علماء الأدب أن تشوسر الشاعر الانجليزي القديم اقتبس في أشعاره بعض المعاني من كتاب اسمه (أمثال الفلاسفة) ، وكان قد ترجم هذا الكتاب أولاً من العربية إلى اللاتينية ثم ترجم بعد ذلك من اللاتينية إلى الإنجليزية ، وهو أول كتاب انجليزي طبع بمطبعة كاكستون . وكذلك كتب تشوسر رسالة في الاسطرلاب اعتمد فيها على كتاب « الاسطرلاب » المؤلف العربي « ما شاء الله » وعلى كتاب للقبيسي اسمه « مقدمة في علم الفلك » . وكتب أيضاً رسالة سماها « الخبز واللبن للأطفال » تجلت فيها الروح العربية

وقد ترجمت مجموعة من القصص العربية إلى اللاتينية ومن بين هذه القصص بعض حكايات من كتاب كليلة ودمنة ، وظهرت هذه القصص في الآداب الأوربية عامة كما ظهرت في الأدب

أعلام الأدب

إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

ولد إسخيلوس عام ٥٢٥ ق. م. في قرية(١) كان يعكف أهلها على عبادة دمتير ربة الزراعة، وديونيزوس(٢) إله الخمر، وهي قرية صغيرة متاخمة لقرية إيكاريا التي نشأ فيها الشاعر تسبيز الذي يعزون إليه نشأة الدرام

وقد ذكر لنا اسم أبيه في الأبيات التي أوصى أن تنقش على قبره حيث يقول:

هنا في سهل جيلا الثمر الخصيب
يضم هذا اللحد رفات إسخيلوس بن يوفوريون
فتى أثينا، الذي شهد له الميديون
وعرفت بأسه مرثون

ولقد برع إسخيلوس في الشعر منذ حداثته، وكان يغشى حلقات الشعراء ويدرس طرائقهم ويحفظ أناشيدهم فإذا خلا إلى نفسه رددها وراح يهتف بها وقد راقته أغاني تسبيز فكان يقلدها، وينظم المقامات على نسقها، ثم فرغ لنظم الدرامة الطويلة التي ثار فيها على العرف فكتب له التوفيق حتى إذا انبثق فجر القرن الخامس قبل الميلاد، وبلغ الفتى السادسة والعشرين من عمره استطاع أن يشهد الناس فنه في أكبر مسارح أثينا حيث مثلت أولى رواياته فبهرت الأثينيين وعرضت عليهم لوناً جديداً من أدب الدرام كان ثورة عنيفة على الماضي ودعاية وطيدة لمسرح المستقبل

ولما نشبت الحرب بين فارس واليونان ألقى الشاعر يراعه وامتشق سيفه وأسرع إلى مرثون الخالدة هو وأخوه فأبليا بلاء حسناً ترك في نفس إسخيلوس أثراً عظيماً من الزهو والاعتداد لم يمحه نصف قرن عاشه بعد ذلك

ثم تلت موقعة مرثون التي استشهد فيها أخوه (٤٩٠ ق. م) فترة من السلام فرغ فيها إسخيلوس إلى أدبه واستطاع خلالها أن يحرز النصر على جميع منافسيه في حلبة الشعر للمرة الأولى في المسابقة العامة عام ٤٨٤ ق. م

ثم دعا داعي الوطن بعد ذلك بأربعة أعوام فترك أثينا مع جميع أهلها ليشترك في موقعة سلاميس، وليناضل فوق صفحة البحر في تلك الجزيرة الروعة التي ذابت فيها جيوش كسرى وحطمت أساطيله وفر أثناءها إلى بلاده بعد أن شهد الهزيمة بعينيه، فسلمت اليونان وسلمت أوربا إلى الأبد من التبربر

وقد اشترك بعد ذلك في حروب تراقيه عام ٤٧٦ كما تدل عليه جذاذات من ثلاثيته المفقودة المسماة (ليكورجوس)

وفي سنة ٤٧٥ نظم مأساته (نساء إطنة) وكان إذ ذاك في سفارة سياسية إلى سيراكوزا

وقد رحل إلى سيراكوزا مرة أخرى، ونظم فيها درامته (الفرس) التي حازت الجائزة الأولى عام ٤٧٢

وفي سنة ٤٦٨ ظهر منافسه العظيم سوفوكليس في ميدان المسرح فجأة ففاز على إسخيلوس بالجائزة الأولى، وكان لفوزه أثر بليغ في نفس إسخيلوس لم يمحه أن فاز (إسخيلوس) بعد ذلك بجوائز عدة كان يسيل لها لعاب الشاعر الشاب

وقد عاش إسخيلوس عشر سنوات لا ينسى هزيمة سنة ٤٦٨ حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه هاجر إلى صقلية بسبب ذلك، ويقول بعضهم إنه كان كلما ذكر تلك الهزيمة الأدبية دمعت عيناه ونقم على الشاعر الشاب

(١) إسمها إيليوزيس
(٢) إسمه الكامل ديونيزوس زجريوس

الإنجليزي. وقد ضمن الشاعر الإنجليزي Vohn Lydgate بعض أشعاره كثيراً من هذه القصص والحكايات العربية

ويعزو بعض علماء الأدب انتشار الأشعار الغرامية الشعبية التي كان ينشدها الموسيقيون المتجولون في القرى الإنجليزية في القرون الوسطى إلى نفوذ عربي لتشابهها كثيراً للأشعار الغرامية الأندلسية، وبخاصة الزجل، ويذكرون أيضاً كتابين كان لهما الأثر في انتشار هذا النوع من الشعر الغرامي وهي كتاب «الزهرة» لابن داود وكتاب «طوق الحمام» لابن حزم وموضوعهما الحب العذري، وقد ترجما إلى اللاتينية(١)

هذه فكرة إجمالية عن «أثر اللغة العربية في الثقافة الإنجليزية في القرون الوسطى» وسأعالج ذلك الأمر «في عصر النهضة» في العدد القادم إن شاء الله.

عبد العزيز أمين عبد المجيد

(١) أنظر مقال الأستاذ جب عن الأدب العربي في كتاب تراث الاسلام

وفي عام ٤٥٦ توفي فجأة في مهاجره ودفنت رفاته في جيلا .

هذه هي أهم الوقائع في تاريخ حياة إسخيلوس . ولا نستطيع أن نتناول أدبه بالنقد أو التحليل قبل أن نقف قليلاً عند هـذه الوقائع نستخلص منها ما ينفعنا في دراسته وما يكشف لنا عن نواحي نبوغه

وليس من شك في أن نشأة إسخيلوس الأولى وبيئته كان لها أثر بعيد في أدبه . بيد أن هذه النشأة وتلك البيئة ليسا شيئاً إذا قيسا إلى الأثر الكبير الصارم الحاسم الذي تركه في نفسه خوض غمار تلك الحروب الدامية المنيفة التي شنتها على بلاده فارس ، والتي كانت حرباً بين جيش جرار كثيف يقدرون عدده بألف ألف أو يزيد ، وبين أمة بأكلها قليلة العدد شديدة البأس ساهمت جميعاً ، رجالاً ونساء وأطفالاً ، في آلام الحرب ، حتى لقد هجرت أثينا إلى إحدى جزائر البحر ، وقام رجالها في السفائن يصارعون المنون ويناليون الموت . ويهزأون بجبروت إجزرسيس ، حتى كسروا شوكته وظهروا على أساطيله وأطعموا السمك ووحوش الماء لحوم أبطاله

لقد تركت مرتون في نفس إسخيلوس أثراً لا يعد له إلا أثر سلاميس ، وليس يعدل هذين الأثرين شيء آخر في نفس الشاعر الجندي الذي أخذ يبني مجده الأدبي على أكوام من أشلاء القتلى الذين أكلتهم هذه المجزرة الهائلة بين عدو قوي كثير العدد وبين أمة ضعيفة بعددها كثيرة بوطنيتها استطاعت بيضعة آلاف أن تقهر أكثف جند عرفه التاريخ

خرج إسخيلوس من هاتين المعركتين شخصاً آخر شديد الايمان بقوة السماء مكبراً لسلطان الآلهة أيما إكبار ، مفتتناً باليد العليا التي تسهر على الكون وتدبر أموره ، وترد الحق إلى المظلوم وتكبح جماح الظالم مهما كان ذا حول وطول وقوة . . وقد ظهرت هذه الروح في أكثر دراماته التي نظمها بعد هـذه الحرب ، وهي أروع ما نظم

أما سـنة ٥٠١ فهي مفتتح القرن العظيم الباهر ، القرن الخامس قبل الميلاد الذي يزهى على الزمان بما أفاء على الانسانية من علم وأدب ومن نور وعرفان ... وقد كان مطلعه مطلع سعد لعبقرية إسخيلوس ، فقد مثلت أولى دراماته في أولى سني هذا القرن ، وسنه حينذاك لم تتجاوز السادسة والعشرين

ولعل عام ٤٨٤ ق . م هو أهم الأعوام في تاريخ الأدب اليوناني جميعاً ... وذلك أن مؤرخي هذا الأدب يجعلونه بداءة الفترة الذهبية المجيدة ليس في تاريخ الأدب اليوناني فحسب ، بل في تاريخ الأدب الصرف قاطبة ، وهم يبدأونها بهذا العام الذي أحرز فيه إسخيلوس أولى جوائزه الأدبية في المسابقة العامة بدرامة مفقودة قلب بها الأوضاع القديمة رأساً على عقب ، ووضع الدعامة القوية القويمة للمسرح الحديث ، حتى ليصح أن يطلق على هذه السنة : السنة الأولى تاريخ الأدب المسرحي

وهم يجعلون هذه الفترة بين عامي ٤٨٤ و٤٣١[1] حينما أحرز يوريبيدز أخرى جوائزه بدرامته الخالدة ميديا ... وعلى ذلك تمتد الفترة إلى ثلاث وخمسين سنة مثل فيها على مسرحي أثينا أكثر من ألف درامة منها تسعون لأسخيلوس ومائة وثلاث وعشرون لسوفوكليس وثمانون ليوريبيدز وأكثر من مائتين لشاعر عظيم لم يحفظ لنا الأثر اسمه ومئات أخرى لشعراء نعرف بعضهم ونجهل بعضهم الآخر ... وليس الكم فقط هو العجيب في هذا الإنتاج الباهر، بل الكيف أيضاً هو الذي يسحر ويبعث على الدهش ، فهذه الدرامات السبع الباقية فقط من إسخيلوس ، والسبع الباقية من سوفوكليس ، والثماني عشرة الباقية من يوريبيدز هي ثروة فائقة من تراث هذه الفترة ، والقارىء يقف حيالها ذاهلاً لعمق التفكير وجمال الأداء ، وقوة السبك ، وسمو الغاية والخلو من الزيف والبهرج ... وهي مع ذلك ليست أجمل ما أبقت عليه يد العفاء من الثروة الضائعة ، إذ أن أكثر الدرامات التي فاز فيها الشعراء بالجوائز الأولى ما تزال مفقودة ، والأمل معقود على نجاح الكشف في أسكندريتنا للحصول على الغرر والدرر من نتاج الذهن اليوناني العظيم .

وقد لا نجد في تاريخ الأدب المسرحي فترة تشبه هذه الفترة اليونانية إلا فترة الأربعين[2] الذهبية في تاريخ الأدب الإنجليزي في عصر اليصابات ، فقد كتبت ومثلت في هذه الفترة جميع درامات شكسبير ومارلاو وبن جونسون وبومون وفلتشر وماسنجر وويستر وهايود ... الخ ... غير أن الشعراء الإنجليز في هذه الفترة كانوا على كل حال تلاميذ هـذا السلف الصالح من شعراء أثينا ،

(١) يعدها لويس كامبل مترجم إسخيلوس وسوفوكليس إلى ٤٢٠ ق . م
(٢) يجعلها بعض مؤرخي الأدب الانجليزي ثماني وثلاثين سنة

وكثيراً ما سطوا على آثارهم واستباحوا أخيلتهم واستعملوا طرائقهم التي أوفوا بها على الغاية

وكما تتشابه الفترتان في الإنتاج الأدبي للمسرح فكذلك تتشابهان في الباعث على النهضة الأدبية في كل منهما . فلقد كان الباعث في الفترة اليونانية هو هذه الحرب الضروس التي شنتها فارس على اليونان والتي كانت مرحلتها الأولى في مراثون ، ومرحلتها الثانية في سلاميس حيث حطم أسطول إجزرسيس ، مما أيقظ الروح القومي في هيلاس وأجج نيران الوطنية في قلوب الأثينيين خاصة ، فجاءت النهضة الأدبية المسرحية وليدة هذا الروح

أما الفترة الإنجليزية فقد جاءت عقب تحطيم الأرمادا الأسبانى اللجب الذى أعده فيليب الثانى لغزو انجلترا . . . وهذا التشابه فى الباعث بين الفترتين يدل على ما بين الوطنية والأدب من وشائج قوية تزيدها النصر قوة وتعهدها بمزيج عجيب من الحماسة والكبرياء يقابله مزيج آخر من التأسى والآلام

* * *

وبعد ، فماذا صنع إسخيلوس من هذا كله ؟ وكيف ثار ثورته على الماضى العتيق وشاد هذا البنيان الشامخ ؟ وما هى هذه المثل التى كان ينشدها ويعمل على إقامتها لتكون نبراساً للذهن اليونانى ؟ وإلى أى حد نجح فى جهاده الشاق الجليل الطويل ؟ ومن يا ترى كان عونه فى هذا الجهاد المشكور المبرور ؟ وكيف يستطيع كاتب أن يستعرض كل هذا التاريخ ، وأن يلخص درامات إسخيلوس السبع أسرع تلخيص وأقصره فى مثل هذه الفصول المقتضبة الضيقة ؟

روى المؤرخون أن إسخيلوس كان لا يأنف أن يرى النقص فى إحدى دراماته فيعترف به قبل أن يأخذه عليه أحد من النقاد ثم يعمل على إصلاحه فى الدرامة التى تليها ، وقد يحدث أنه يفوز بالجائزة الأولى فى إحدى المسابقات بدرامة كان يشك أكبر الشك فى نجاحها ، فإذا تناول الجائزة لم يأبه أن يلفت الناس حوله إلى نواحى النقص فى تلك الدرامة التى حازت إعجابهم واستولت على شعورهم . . . وفى هذا دليل على أن إسخيلوس كان ينشد المثل الأعلى لفن الدرامة ، وكان لذلك يدأب على عمل التجارب ليأخذ بالأصلح وليتوقى ما لا غناء فيه ، وكان لا يأنف من الانتفاع بجهود الآخرين وتجاربهم ، وكان يعنى عناية خاصة (بتكنيك) المسرح فكان بذلك أول المخرجين الأكفاء وأعظمهم . . . وهو أول من خفض عدد أفراد الخورس وزاد عدد الممثلين ، وجعل الغناء والإنشاد فى المرتبة الثانية بعد الكلام والحوار . وهو أول من ابتكر الثلاثية ، أى المأساة الكبيرة التى تتكون من ثلاث مآس تربطها عقدة واحدة ويجمع بينها موضوع واحد . وقد كان يعتبر هوميروس معينه الأول ، فكان يقول إن مآسيه فتات من مائدة هوميروس ، لكنه مع ذلك ابتكر الدرامة السياسية وانتزعها من الأحداث الجلائل التى كانت تحدق بوطنه فى ذلك العصر . . . وكان يعنى عناية فائقة (بالحبكة) الدرامية فى مآسيه ويجرى فى خلالها تجاريب الحياة التى تمرس بها فكانت دراماته تشبه التماثيل الفنية الرائعة التى يعنى فيها الفنان بإبراز معنى خاص يجتهد فى أن يبرز لأول وهلة للرائى فيملك عليه لبه ويستحوذ على إعجابه

وكان السراة من أهل أثينا وأغنياؤها يتسابقون إلى الإنفاق على درامات إسخيلوس ، وقد ثبت أن بركليس نفسه ، وهو سيد هذا العصر قد كان ال : (خوريجس Chorêgus)[1] لأكثر من درامة من درامات إسخيلوس

وأبرز ما يلفت الإنسان من دراماته هو هذا الروح السفسطائى الذى يشيع فيها جميعاً ، حتى لقد دعاه المؤرخون أول مبشر بمذهب السفسطائيين قبل أن يوجد السفسطائيون ، فهو الذى لم يبال أن يتناول فى دراماته ذوات الآلهة بالنقد والتجريح ، ومهد بذلك لموجة الشك التى طغت على اليونان بعد ذلك . . . حقيقة لقد سبقه كثير من الفلاسفة إلى ذلك ، لكن أحداً منهم لم يجرؤ أن يصنع كما صنع هو حين قدم للمسرح درامته الخالدة العظيمة (بروميثوث) والتى كانت ثورة على سيد الأولمب فتحت الطريق على مصراعيه للملحد الأكبر وأعظم أدباء اليونانيين (يوريبيدز)

وكان إسخيلوس يؤمن إيماناً تاماً بالقضاء والقدر ، وأنه لا حيلة للانسان فى دفع ما يحل به من أذى ولا سيما إذا تمت النكبة وكان يعتقد أن كل المصائب هى نتائج لمقدمات تنتهى إليها حتما ، وأن كل الأمور العظام هى كذلك نتائج لأمور أقل منها شأناً ، ومقدمات لأمور أخرى أجل منها وأعظم . . . وهذه هى وحدة الكون . . .

(1) هو الرجل الغنى الذى كان يلجأ إليه الشاعر ليؤجر له فرقة من المنشدين وليتولى الانفاق على الدرامة حتى تمثل

وكان إسخيلوس يعلى من شأن الديمقراطية ويجعلها الهواء الذى ينبغى أن تستنشقه الإنسانية لتنمو وتترعرع ويطيب غراسها وستمر بنا الأمثال الكثيرة التى يكبر بها شأن الحرية حين نعرض لدراماته . ولا غرو فقد كان جندياً وكان أديباً ، وكان يحض قومه على التفكير الحر بل التفكير المطلق . فهو من غير شك أول من مهد بأدبه لسيادة أثينا ، وسيطرتها على جميع هيلاس بعد أن كانت ولاية أيونيوية لا شأن لها . وبالتالى فهو صاحب الفضل على الأدب وعلى المدنية مثل انبثاقهما فى القرن الخامس قبل الميلاد .

دريني خشبة

فى ذكرى يوم الاستقلال

إلى بلدى الحبيب

للأستاذ على الطنطاوى

« فى مثل هـذا اليوم (٨ مارس) ولد الاستقلال السورى ، الذى عاش عامين ثم مات فى (ميسلون) »

متى يا زمان الشؤم يعود بلدى كما برأه الله دار السلام ومعرض الجمال ، ومثابة المجد والغنى والجلال ؟ متى يرجع بَرَدَى يصفق بالرحيق السلسل ؟ متى تثوب الأطيار الروعة إلى أعشاشها التى هجرتها ، ورغبت عنها حين سمعت المدافع ترميها بشواظها الحامى ؟ متى تؤوب تلك الحمائم فتشدو على أفنان الغوطة تنشد أغنية السلام ؟

متى ؟ متى يا زمان الشؤم ؟

أتظل الأشجار عارية فى جنات الغوطة . لا تعلو هاماتها تيجان الزهر ، ولا تتدلى أغصانها بعناقيد الثمر ، لأن الزراع قد أغفلوها فلم يتعهدوها بالسقيا ، ولم يجروا إليها الماء ؟ أتبقى هذه الحقول والجنائن جرداء قاحلة لأن الفلاحين انصرفوا عنها مستجيبين لنداء الوطن الجريح . الممزق الأوصال ، مهطعين إلى داعى الجهاد حين أذن بهم : حى على خير العمل ؟

متى ؟ متى يا زمان الشؤم يستريح الشام (بلدى الحبيب) ؟

***

ما رأيتك استرحت يا (بلدى الحبيب) ساعة واحدة ، فهل كتب عليك أن تظل أبداً فى تعب وعناء ؟ إنى لم أكد أتبين نور الحياة وأرى وجه الدنيا ، حتى رأيت المدرس يدخل علينا (معشر الأطفال) مربد الوجه فزعاً مذعوراً . فسألناه : ماله ... فقالوا لنا كلاماً لم نفهم له معنى ، قالوا : إنها الحرب ! ولكن أى حرب ... إن المدرسة مفتوحة ، والأسواق قائمة ، والمدينة هادئة مطمئنة فأين هى هذه الحرب ؟

قالوا : هى هناك فى مكان بعيد . فضحكنا وقلنا : هل هناك أبعد من (الصالحية) أو (المزة) إننا لا نبلغها حتى نمشى ساعة على الأقدام ، وليس فيها حرب ، فأين هى هذه الحرب ؟

وهزئنا ولبثنا نلعب ، ولكن الأيام أرتنا وا أسفاه هذه الحرب : رأيناها فى أسواق دمشق ، عندما شاهدنا القتال يدور فيها كل صباح من أجل رغيف من الخبز ، والفرن مغلق ما فيه إلا كوة واحدة مفتوحة ، يقوم عليها الخباز والجندى إلى جانبه ، يدعو واحداً بعد واحد من هؤلاء الناس الذين سدوا الشارع بكثرتهم لا يطلبون صدقة ولا إحساناً ، وإنما يطلبون الخبز بالذهب فلا يجدونه ، وما شحت السماء بالقطر وما أجدبت الأرض ، ولكن (حلفاءنا ...) الألمان . استأثروا بأطايب القمح وتركوا لنا شر الحنطة وأخبث الشعير ثم يا ليت أنا وجدناه

نعم ، لقد رأينا (نحن الأطفال) الحرب فى شوارع دمشق حين أبصرنا الرجال يأكلون قشور البطيخ ، وينبشون المزابل من الجوع ؛ ثم رأيناها أوضح وأظهر ، حين لم نعد نبصر فى الشام رجالاً لأن الرجال أكلتهم الحرب . . . ثم رأيناها أشد ظهوراً بطلعتها الكالحة القبيحة حين تعودنا مرأى جثث النساء والأطفال الذين ماتوا من الجوع ، نراها كل صباح ومساء ، فى غدونا إلى المدرسة ورواحنا منها ...

فى وسط هذه المذبحة المرعبة ، وخلال رائحة البارود ، وعزيف المدافع ، وإعوال اليتامى والثاكلات . . . تفتحت وعرفت الحياة فرأيت (البلد الحبيب) نصفه مقبرة للأموات ، ونصفه مستشفى لمن ينتظر الموت

***

وفى ذات صباح أفقنا على قصف يزلزل البلد ، ويهز الدنيا ، فسألنا : ما الخبر ؟ قالوا : البشارة . هذا مستودع الذخائر يتفجر ويحترق ، لقد أباده الألمان قبل هزيمتهم ، لقد انتهت الحرب ، وانتهى حكم الظالمين من أحفاد جنكيز خان ! . . . وبعد ساعة واحدة يصل الشريف

قلنا: من الشريف؟ قالوا: فيصل بن الحسين، هيا هبّوا لاستقباله، فنهضنا ولكنا لم نبادر إلى استقباله، وإنما بادرنا إلى الجيش المنهزم نذبحه! فلما فرغنا منه مسحنا أيدينا من دمه وعدنا نستقبل الشريف...

نسيت دمشق جوعها وتعبها، ونسيت نصف رجالها الذين ماتوا على شاطئ غاليبولي، وعلى ضفاف الترعة في سبيل مصالح الألمان، ونسيت أحزانها على من علقهم جمال السفاح في ساحة المرجة في دمشق والبرج في بيروت، وتكلفت دمشق الابتسام بل لقد ابتسمت حقيقة لما رأت وجه فيصل، وذهبت تبتغي أن تنثر على موكبه من أزهار الغوطة جنة الدنيا، فلم تجد في الغوطة زهرة واحدة، لقد صيرتها الحرب قاعاً صفصفاً، فنثرت على موكبه أزهار القلوب: دموع الفرح، وهتاف المحبة وتصفيق الإعجاب وحيّت لأول مرة العلم العربي الذي يرفرف اليوم فوق بغداد.

وأحبت دمشق فيصلاً أصدق الحب، كما أحبها فيصل، ووثبت ترقص من الطرب وتغني حتى كأن كل يوم من حكمه عيد وفي كل بقعة من الشام عرس، وفاض الخير وابتسم الزمان، وطغت الحماسة على الأفئدة، وعم البشر الوجوه، وولدت دمشق الأموية عاصمة الأرض مرة ثانية... وظننت أنك استرحت يا بلدي الحبيب!

***

ولكنا لم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوت النذير... ماذا؟ ماذا هنالك؟ فقال: انهضوا دافعوا عن استقلالكم الوليد، لقد جاءت القوة العاتية تخنقه في مهده.. فجن جنون دمشق، وعصفت النخوة في رؤوس بنيها، فلم يسمعوا قول فيصل الحكيم ولا أقوال العقلاء من صحابته، ولم تمض العشية وينبثق الفجر حتى كانت دمشق كلها في بقعة الشرف في (ميسلون) ولم يؤذن الظهر حتى رجعت دمشق من ميسلون وقد تركت فيها استقلالها الوليد وقائدها الشاب صريعين مجندلين على وجه الثرى، هذا قتيل شهيد، وذاك جريح مريض، وفقدت دمشق كل شيء، ولكنها لم تفقد الشرف، كما قال من قبل فرانسوا الأول ملك الأقوياء... الذين دخلوا دمشق دخول المنتصرين الفاتحين....

وعاد (بلدي الحبيب) إلى حياة الرعب والأسى والنضال...

***

ولكنه لم يخف ولم يجبن. لقد خسر في (ميسلون) ولكنه حفظ الدرس الذي ألقته عليه الحياة في ذلك اليوم، واستراحت دمشق حيناً، ثم قفزت قفزة اللبؤة الغضبى، فإذا هي في العرين (في الغوطة الخضراء)، وإذا الأقوياء بجيشهم كله وعتادهم يقفون أمام الثائرين، وهم بضع مئات يقودهم رجل أمي من دمشق كان خفيراً من خفراء الأحياء، فلا يستطيع الأقوياء الظفر بهم، فيعودون حنقين، فيسلطون نيران مدافعهم على المدينة الآمنة المطمئنة، فلا يروعها إلا جهنم قد فتحت أبوابها من فوقها، فيخرج أهلها من منازلهم تاركين كل ما فيها للنار، ويمسي المساء على دمشق وثلثها خرائب كخرائب بابل، وقد كانت في الصباح أجمل وأبهى وأغنى قصور دمشق...

وتعيش دمشق سنتين وسط الرعب والنار والحديد، ثم يحل السلام، وتخرج دمشق من المعركة وقد نجحت في الامتحان الثانوي في الغوطة، كما نجحت من قبل في الامتحان الابتدائي في ميسلون..

وأحسب أنك استرحت يا (بلدي الحبيب)!

***

أحسب أنك استرحت، فإذا النار تسري في أحشائك، وإذا المعارك في أسواق دمشق... حول صناديق الانتخاب، الذي أراده الأقوياء صورياً شكلياً، وأباه الشعب إلا انتخاباً حقيقياً، فلما لم يكن ما يريد الشعب حطم الصناديق، وهدم قاعات الانتخاب وانطلق ثائراً مرعداً مبرقاً، يهزأ بالحديد ويفتح صدره للبارود.. وظفر الشعب، وكيف لا يظفر وقد امتحن مرتين...

فقلنا: قد استراح ولكنه لم يسترح وإنما دعي إلى الامتحان العالي، إلى النضال الصامت المرعب، فثبت وناضل، ولبثت دمشق خمسين يوماً كاملة، وهي مضربة ليس فيها حانوت خباز أو بقال، وليس فيها قهوة مفتوحة، ووقعت المعارك في الأسواق وعلى أبواب المسجد الأموي، فأقبل النساء بصدورهن على الرصاص، وهجم الأطفال على الدبابات، وعزمت دمشق عزماً ثابتاً على الموت أو الظفر، وعرف العدو أنها لن تفل عزيمتها أبداً، ولن تلين قناتها، فلانت قناته، ودعاها إلى الصلح أو التحالف...

وهتفنا هذه المرة من أعماق القلوب: لقد استراحت (بلادنا العزيزة). وعادت أيام فيصل مرة ثانية، ودقت طبول البشائر

باقة من الفلسفة الإسلامية

لماذا يجب ألا نخشى الموت؟

« مهداة إلى معالي الأستاذ الجليل وزير الأوقاف »

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ما الموت إلا تمام حد الانسان لأنه حي ناطق ميت ،
فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى »
« عن الفيلسوف مسكويه »

كثيراً ما ادعى المتعصبون للفكر اليونانى أن الشرقيين لم يحذقوا التدليل النظرى المحكم كما حذقه اليونان ، وأن الفلسفة الإسلامية لا تكاد تخرج فى مجموعها عن آراء أفلاطون وأرسطو بحيث أن كل ما هناك من فرق بينهما لا يستطيع أن يشهد للإسلاميين بالخلق المجيد والإبداع الطريف ! ومهما تكن أسباب هذا الادعاء من جهل وتعصب ، فأظن أنه ليس أنجح فى دحضه من نشر آيات الفلسفة الإسلامية والتعليق على ما فيها من أوجه الطرافة والإبداع

لذلك أقدم للقراء اليوم باقة من باقات الفيلسوف « مسكويه » الذى حدثتهم عنه فى العام الماضى[1] . وأزعم أن هذه الباقة من أقوى وأجل وأدق آيات الفلسفة الإسلامية تدليلاً وإبداعاً ؛ وأنها لا تقل فى موضوعها عن كتابات الفلاسفة اليونانيين شمولاً واتساقاً وجمالاً وتحليلاً !

ومرضوع هذه الباقة هو : « دفع الغم من الموت ! » أو لماذا يجب ألا نخشى الموت . وأحسب أنك تقدر تماماً خطورة هذا الموضوع ! بل أحسب أنك لا ترى فى الحياة ما هو جدير حقاً بالخوف منه ، والرعب غير الموت : ذلك البلاء الدائم الذى يلبسنا ثوب الحداد ويمزق منا الصدور ويقطع نياط القلوب ! ذلك الذى يصبغ الكثير من أيامنا بالسواد ويطلق أصوات الأمهات والزوجات والأطفال بالصياح والعويل والشكوى المرة والأنين المبحوح ! أجل أحسب أنك تقدر ذلك كله ! وتعرف أن اطمئنان القلب للعقائد الدينية يحتاج فى الكثير من الأحيان إلى برهان العقل كيما يزداد ثباتاً ورسوخاً ؛ ولذلك كان من أهم الأبواب فى الفلسفة الإسلامية باب التدليل على صحة ما فى الدين من أقوال وقضايا ووعود؛ وكان موضوع « الموت » من أهم القضايا التى تناولها ذلك الباب.

ويعرض مسكويه لهذه المسألة فى المقالة السابعة من كتابه الخالد « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » . وهى مقالة « رد الصحة على النفس ومعالجة أمراضها » وكان قد وضع فى المقالات السابقة دستوره الخلقى الإيجابى الذى أثبت فيه روحانية النفس البشرية وخلودها ، وحدد الفضائل وأضدادها ، وبين السعادة ودرجاتها وكيفية الحصول عليها ووسائل حفظ الصحة على النفس السليمة : فرأى أن يختم الموضوع بمعالجة النفس المريضة ودفع أهم ما تتعرض له فى حياتها من مخاوف وأحزان

لذلك نراه يقول بعد فراغه من معالجة « الخوف » وأسبابه :

« فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ، ولما كان أعظم ما يلحق الإنسان منه هو خوف الموت ، وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف ، وجب أن نبدأ بالكلام فيه فنقول :

« إن الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن يدرى ما الموت على الحقيقة ، أولا يعرف إلى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور ، وأن العالم سيبقى موجوداً وليس هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد ، أو لأنه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى ربما تقدمته وأدت إليه وكانت سبب حلوله ، أو لأنه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت ،

[1] وهو فارسى الأصل ، خدم الدولة البويهية ومات عام ٤٢٠ هـ

وأديرت كؤوس الفرح ، ورجعت الأعراس ...

ولكن الأعراس لم تتم ... لم تتم يازمان الشؤم !

هذا صوت النذير العريان ، وهذه ألسن النيران ، وهذا صوت البركان ، فماذا يحمل إلينا الغد يا زمان ، أى مصيبة جديدة يأتينا بها ؟ أكتب علينا ألا نستريح ولا نهدأ أبداً ؟

لا بأس يازمن الشؤم ، إننا نرحب بالمصائب نسقها إلينا ، إننا بنو المجد والحرية والحياة ، فلا أمتعنا الله بالحياة إن لم ننتزعها من بين فكى الموت انتزاعاً ...

وستحيا أنت يا (بلدى الحبيب) ماجداً حراً ولو متنا نحن ماجدين أحراراً !

« بغداد » على الطنطاوى

أو لأنه متخير لا يدرى على أي شيء يقدم بعد الموت ، أو لأنه يأسف على ما يخلفه من المال والقنيات[١] ؛ وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها .

« أما من جهل الموت ولم يدر ما هو على الحقيقة فإنا نبين له أن الموت ليس بشيء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنا كما يترك الصانع استعمال آلاته[٢] وأن النفس جوهر غير جسماني وليست عرضاً ، وأنها غير قابلة للفساد[٣] ، ... فإذا فارق — (هذا الجوهر) — البدن كما قلنا ، وعلى الشريطة التي شرطنا[٤] ، بقى البقاء الذي يخصه ، ونقى من كدر الطبيعة ، وسعد السعادة التامة ، ولا سبيل إلى فنائه وعدمه ، فإن الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ، ولا تبطل ذاته ، وإنما تبطل الأعراض والنسب والإضافات التي بينه وبين الأجسام بأضدادها . فأما الجوهر فلا ضد له .. وكل شيء يفسد فإنما فساده من ضده . . . وإن أنت تأملت الجوهر الجسماني الذي هو أحسن من ذلك الجوهر الكريم ، واستقريت حاله ، وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر ، وإنما يستحيل بعضه إلى بعض[٥] ، ... هذا في الجوهر الجسماني القابل للاستحالة والتغير ، فأما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل الاستحالة ولا التغير في ذاته ... فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي ؟؟.

« وأما من يخاف الموت لأنه لا يعلم إلى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه ، وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد ، فليس يخاف الموت على الحقيقة وإنما يجهل ما ينبغي أن يعلمه ، فالجهل إذاً هو المخوف ، إذ هو سبب الخوف ، وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب به ... فاستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية ... واقتصروا منها على المقدار الضروري

(١) نحسب هذا الاحصاء لأسباب الخوف من الموت شبه جامع .

(٢) هذا الرأي في أن أعضاء الجسد ليست غير آلات النفس من أقوى الآراء في مذهب الروحانية .

(٣) برهن مسكويه على روحانية النفس في المقالة الأولى من كتابه وفي كتابه الآخر « الفوز الأصغر » . ومن أهم براهينه على ذلك أن النفس تقبل صوراً كثيرة في وقت واحد بينما الجسد لا يقبل في المكان الواحد إلا صورة واحدة فإذا أردنا إحلال صورة أخرى محلها عوناً الأولى تماما بعكس الحال في صورة النفس .

(٤) يقصد شريطة الفضيلة والعلم لأن السعادة عنده لا تنال في الدنيا والآخرة إلا بهما .

(٥) وهذا أحدث آراء الكيمياء في أن المادة لا تفنى .

في الحياة وتسلوا عن فضول العيش[١] ... » ... على أن من خاف الموت الطبيعي للانسان فقد خاف ما ينبغي أن يرجوه ، وذلك أن هذا الموت هو تمام حد الإنسان لأنه حي ناطق ميت ، فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى ، ومن علم أن كل شيء هو مركب من حده ، وحده مركب من جنسه وفصوله ، وأن جنس الإنسان هو الحي ، وفصلاه الناطق والمائت ، علم أنه سينحل إلى جنسه وفصوله لأن كل مركب لا محالة منحل إلى ما تركب منه ، فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ، ومن أسوأ حالاً ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه ؟ . وذلك أن الناقص إذا خاف أن يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل ، فإذاً الواجب على العاقل أن يستوحش من النقصان ، ويأنس بالتمام ، ويطلب كل ما يتممه ويكمله ، ويشرفه ، ويعلى منزلته ، ويحلى رباطه من الوجه الذي يأمن به الوقوع في الأسر ، لا من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيباً وتعقيداً[٢] . . .

« وأما من ظن أن للموت ألماً عظيماً غير ألم الأمراض التي ربما اتفق أن تتقدم الموت وتؤدي إليه ، فعلاجه أن نبين له أن هذا ظن كاذب لأن الألم إنما يكون للحي والحي هو القابل لأثر النفس ، وأما الجسم الذي ليس فيه أثر النفس فإنه لا يألم ولا يحس ...

وأما من خاف الموت لأجل العقاب الذي يوعد به فينبغي أن نبين له أنه ليس يخاف الموت بل يخاف العقاب ، والعقاب إنما يكون على شيء باق بعد البدن الداثر ... فهو إذاً خائف من ذنوبه لا من الموت ، ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه أن يحذر ذلك الذنب ...

وأما من زعم أنه ليس يخاف الموت وإنما يحزن على ما يخلف من أهله وولده وماله ونشبه ، ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها ، فينبغي أن نبين له أن الحزن تعجل ألم ومكروه على ما لا يجدى الحزن إليه بطائل ، وسنذكر علاج الحزن في باب

(١) الجهل إذا هو سبب الخوف فيجب أن نتخلص منه بالعلم . وقد بين مسكويه في كتبه روحانية النفس وعدم خضوعها لما يصاب به الجسم بعد الموت . وها هم أولاء علماء الروحانية في العصر الحاضر يحاولون جادين أن يصلوا إلى حقيقة الروح .

(٢) يقصد أن الحياة أسر وتقييد لاتصال الروح فيها بأوضار الجسد وكان يرى أن السعيد بعد الموت هو من يعود إلى جوار الله تعالى ويخالط الأرواح الطيبة من أشكاله وأشباهه بينما الشقي هو من تكون نفسه مشتاقة أبدا إلى جسده فلا تستطيع بعد الموت أن تسمو في صعودها وتجردها إلى مقام النفوس السعيدة وتبقى أبدا شقية على حافة العالم المادي (أنظر الفوز الأصغر)

مفرد له خاص[1] لأنا فى هذا الباب إنما نذكر علاج الخوف ، وقد أتينا منه على ما فيه مقنع وكفاية ، إلا أنا نزيده بيانا ووضوحا فنقول :

«إن الإنسان من جملة الأمور الكائنة ، وقد تبين فى الآراء الفلسفية أن كل كائن فاسد لا محالة، فمن أحب ألا يفسد فقد أحب ألا يكون ، ومن أحب ألا يكون فقد أحب فساد ذاته ، فكأنه يحب أن يفسد ، ويحب ألا يفسد ، ويحب أن يكون ، ويحب ألا يكون ، وهذا محال لا يخطر ببال عاقل ، وأيضاً فإنه لو لم يمت أسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود إلينا ، ولو جاز أن يبقى الإنسان لبقى من تقدمنا ، ولو بقى من تقدمنا من الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الأرض ... قياما فكيف قعودا أو متصرفين ؟ ...

«فقد ظهر ظهورا حسيا أن الموت ليس برديء كما يظنه جمهور الناس وإنما الرديء هو الخوف منه ، وأن الذى يخاف منه هو الجاهل به وبذاته ... وأما جوهر النفس الذى هو ذات الإنسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم ... وإنما (يستفيد) بالحواس والأجسام كمالا[2] فإذا كمل بها ثم خلص منها صار إلى عالمه الشريف القريب إلى بارئه »[3]

***

وبعد فهذا تدليل مسكويه على وجود عدم الخوف من الموت بناه فى مجموعه على روحانية النفس وأقامه على المنطق المستقيم والذوق السليم ، فهلا ترى معى أنه أبدع فى الكثير من حججه إبداعاً جديراً بالتقدير ؟ الحق أننا ندعو ملحين إلى قراءة كتابه « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » ، وإلى المقارنة بينه وبين كتب أرسطو وأفلاطون فى الأخلاق لأنا نعتقد أنه يفوقهم فى الكثير من فصوله قوة ومنطقاً واتساقاً وانسجاماً . وأنه يقترب فى بعض أفكاره من الآراء الفرنسية التى ظهرت أخيراً وعالجت نواحى علم الأخلاق .

محمد حسنى ظاظا

(١) ونرجو أن نعود إلى تحليل طرافة هذا الباب فى فرصة أخرى .

(٢) ويتأتى ذلك من « الجهاد الأكبر » جهاد الجسد وشهواته .

(٣) وقد نسب البعض هذه المقالة إلى ابن سينا . ولكنا نرجح أنها لمسكويه ولدينا أسباب ذلك الترجيح

مصرع خبيب

للأستاذ ناجى الطنطاوى



سار الرجال صامتين ، يخبون بأقدامهم على رمال الصحراء الملتهبة ، لا يثنيهم عن غايتهم شيء ، ولا يشغلهم عن مرامهم أمر ، وكان عددهم عشرة برأسهم فتى غض الإهاب ، ذو عزم ومنة ، هو عاصم ابن ثابت ، أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم عيناً على الأعداء فى بعث الرجيع[1] ، يستطلعون أخبار العدو ويتعرفون إلى عدده وعدته ... كانوا يسيرون مطمئنين آمنين لا يداخل نفوسهم حذر ولا ريب ، وماذا يحذرون وهم فى هذه الصحراء المترامية الأطراف ، نفر قليل لا يتميزون عن سواهم من العرب وليست تبدو عليهم أية شارة تبعث الشك فى نفوس من يراهم ؟ كانت نفوسهم تفيض ثقة بالله وكانت قلوبهم عامرة بالإيمان الثابت الذى لا تزعزعه العواصف ولا توهنه النكبات ، وكانوا قد وطدوا العزم على القيام بما عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما لاقوا فى طريقهم من المصاعب والأخطار ، لا يثنيهم عنه إلا الموت

ولما مروا فى طريقهم بمكان يقال له الهدأة[2] جاء رجل من

(١) فى أواخر السنة الثالثة للهجرة . والرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان

(٢) موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان ، قريب من الرجيع مكان الموقعة

قريش إلى بنى لحيان(١) وأخبرهم أنه رأى نفراً من المسلمين يجتازون بهم ولا يدرى أين يريدون ، فلم يكد القوم يسمعون كلامه حتى داخلهم الشك فى أمر هؤلاء ، وتبادلوا النظرات ، وصمتوا يفكرون ، ثم ثاروا إلى نبالهم فاحتملوها وساروا يقتفون آثار المسلمين ويجدون فى طلبهم . وكانوا مائة رجل نصفهم رماة .

أحس أصحاب عاصم بالخطر الداهم الذى يتهددهم ، ورأوا أنهم قد أخذوا على غرة ، فاضطربوا ووجموا وعراهم الذهول ، ولكن عاصماً صاح بهم قائلاً :

— لا تقفوا هكذا ، أسرعوا إلى هذا الفدفد(٢) الذى أمامكم نحتمى به قبل أن نصبح فريسة فى أيدى الأعداء …

فأسرعوا إليه كما أمرهم ، وتحصنوا فيه ، ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم …

وبأسرع من لمح البصر ، كان الرماة ومن معهم محيطين بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ينظرون إليهم نظر الذئب إلى فريسته التى يخاف أن تفر من بين يديه ، ووطد المسلمون العزم على استقبال الموت بثغور باسمة وقلوب مطمئنة وهم يتحرقون شوقاً إلى رؤية الجنة وما أعد الله لهم فيها من نعيم مقيم وسعادة خالدة

— إنزلوا واعطوا بأيديكم ، ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً …

سمع المسلمون هذا البلاغ ، فوقفوا واجمين للمرة الثانية ، وفكروا فى هذا الذى قاله المشركون ، أهو قول صدق وشرف ، أم هو تمثين وخديعة ؟ ومتى كان المشركون يصدقون فى أقوالهم ويوفون بعهودهم ؟ وهل يجدر بالمسلم أن يركن إلى مثل هذا الوعد ؟

أسئلة متوالية ، جالت فى خواطر المسلمين فى تلك اللحظة الرهيبة الحاسمة ، ولبثت تطلب جواباً ، وفكروا قليلاً ثم اتجهوا بأبصارهم إلى رئيسهم ليسمعوا جوابه ، وليعرفوا موقفه ، فما لبث أن خاطبهم بقوله :

— أما أنا ، والله لا أنزل فى ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك .

وانتظر المشركون قليلاً ، ليعلموا أثر كلامهم فى نفوس المسلمين وليسمعوا جوابهم ، ولم يطل بهم الانتظار ، إذ وجهوا نبالهم إلى صدور المسلمين وأطلقوها فأصابت عاصماً وسبعة من أصحابه سقطوا شهداء فى سبيل الله ، وطارت أرواحهم الطاهرة لترفرف فى سماء الخلود ، وتحظى بنعيم الله الأبدى ، وبقى منهم ثلاثة لم يكتب لهم أن ينالوا ما نال إخوانهم من شرف الشهادة ، فأرادوا أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل تجربة أحبوا أن يقوموا بها ، وفى سبيل درس رغبوا أن يستفيد منه المسلمون بعدهم ؟ ترى هل يفى المشركون بتعهدهم ويصدقون وعدهم ؟ ما دمنا على أبواب الآخرة فلنقم بهذه التجربة ، ونزلوا فسلموا أنفسهم على العهد والميثاق ، ولم يكد المشركون يستمكنون منهم ويعلمون أنهم صاروا فى قبضتهم حتى أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فصاح أحد المسلمين :

— هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لى أسوة بأصحابى الذين قتلوا

وأبى أن يسير معهم فقتلوه ، وساقوا الاثنين الباقيين ، وكان أحدهما يدعى خبيب بن عدى ، صمم على أن يتم التجربة التى بدأ بها مهما كلفه ذلك من المتاعب ليرى نتيجتها ، وليختم الدرس الذى أحب أن يستفيد منه المسلمون

***

— من هذا الذى أراه عندك يا ماوية(١)

— هذا أسير لدى ، ألا ترين القيد فى رجليه ؟

— ما اسمه ؟

— إنه يدعى خبيب بن عدى الأنصارى

— وماذا جاء به إلى دارك ؟

— أغار قوى على نفر من المسلمين فقتلوهم وأسروه وابتاعه بنو الحارث بن عامر(٢) ، إذ يقال إنه هو الذى قتل الحارث يوم

(١) حى من هذيل
(٢) الفدفد هو الرابية المشرفة

(١) هى ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب ، أسلمت فيا بعد
(٢) وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن أبى إهاب

بدر ، وأبقوه عندي حتى تنقضي الأشهر الحرم ليقتلوه

— وكيف رأيت سيرته ومعاملته ؟

— أشهد أنه لمن أفضل الناس وأشرفهم ما عهدت فيه الكذب ولا الفحش في القول ، وما رأيت منه إلا اللطف والدعة والمعاملة الحسنة ، ما دخلت عليه في ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته يقوم ويقعد ويخر ساجداً ، فسألته عن ذلك فأجابني : أنه يعبد الله ويصلي له ، وهو يرتل كل ليلة كلاماً جيلاً يسميه القرآن بصوت عذب فتنني وفتن كل النساء اللائي سمعنه وإنهن ليجتمعن عندي في كثير من الأحيان فيسمعن صوته فيبكين وترق له قلوبهن ، وإني لأقول له : هل لك من حاجة ؟ فيجيبني قائلاً : لا ، إلا أن تسقيني الماء العذب ، ولا تطعميني ما ذبح على النصب وتخبريني إذا أرادوا قتلي

— أهو كثير الجزع من الموت ياماوية ؟

— كثير الجزع ؟ إني لم أره ذكر الموت إلا ابتسم وطرب ، ولقد عجبت من حاله هذه فسألته عنها فقال : أو لا يسر ويطفر طرباً وسروراً من ينتقل من دار شقاء إلى دار نعيم وهناء ؟ إني إذا مت انتقلت إلى جنة عرضها السموات والأرض فلم لا أبتسم وأسر

فحدقت المرأة في وجه مضيفتها وقالت متعجبة :

— عجيب أمر هذا الرجل ، إني لا أعرف رجلاً آخر بهذه الشمائل والصفات إلا أن يكون من أصحاب محمد

فاقتربت ماوية منها وسارتها قائلة :

— إني أقسم لك أني رأيته أمس بعيني هاتين يأكل قطفاً من عنب وهو موثق في الحديد ولا يدخل عليه أحد غيري وما أراك مصدقتي فيما أقول

فضحكت المرأة وقالت :

كيف تريدين مني أن أصدقك ياماوية وليس هذا أوان العنب وما في مكة كلها من ثمره شيء ؟

— هذا ما أعجب له ، وأقسم أني غير واهمة ولا متخيلة ، وما أدري تفسير ذلك

ونهضت ماوية فحملت ما عندها من طعام ، ودخلت به على السجين ، ووضعته بين يديه ، وانتظرت حتى أتم صلاته ، فالتفت إليها وابتسم ، وتناول الطعام من يدها دون أن يفوه بكلمة ولم يرق لماوية صمته فقالت له :

— هل لك من حاجة ؟

فقال : لا ، إلا أن تسقيني الماء العذب ، ولا تطعميني ما ذبح على النصب ، وتخبريني إذا أرادوا قتلي

ولما علمت أن جوابه لن يتبدل ، طأطأته وتركته

* * *

— يا للهول ! ماذا ترى عيناي ؟ أهذا جزاء إكرامي لك وثقتي بك ؟

— خففي عليك ياماوية ، إنني لا أزال عند حسن ظنك بي

— أتقول هذا ، وابني في حضنك والموسى في يدك ؟ ليتني لم أعرك هذا الموسى

فابتسم الأسير وأجابها قائلاً :

— لا تفضبي هكذا ياماوية ، إنني لم أطلب منك إعارتي هذا الموسى لأقتل به ابنك ، معاذ الله أن أفكر في هذا العمل الشائن ، إن ديني يمنعني من ذلك ياماوية ، وما كنت لأفعل ذلك ما حييت ؛ ولكن ابنك حبا حتى وصل إلي ، وجلس على ركبتي ، وكان الموسى في يدي ، فلاطفته وداعبته ، ولم يخطر لي أن أمسه بأذى ، ولعلك ذكرت واقعة الأمس فجزعت …

— أجل يا خبيب ، ذكرت مزاحك بالأمس عندما طلبت مني أن أعيرك الموسى ، وقلت لي عندما صار في قبضة يدك : قد أمكن الله منك … أتدري أنك أخفتني بهذا المزاح ؟

— إنك لم تعرفيني بعد ، ولا أراك تعرفينني إلا يوم تسلمين ، فتنجلي لك إذ ذاك حقيقة المسلم . والآن دعيني وشأني ، إنني أريد أن أستعد للموت ، ألم تقولي لي إنهم أزمعوا قتلي اليوم ؟

— بلى .

ولم تمض ساعة حتى أقبل القوم يهرولون ، حاملين حرابهم ونبالهم ، وهم مستبشرون فرحون ، ولما دخلوا على خبيب فكوا القيد من رجليه وقالوا له :

— هلم يا خبيب ، استعد للموت ، إنه ليزعجنا أن تبقى حياً إلى اليوم ، ولولا الأشهر الحرم لقتلناك يوم أسرك

فرفع خبيب رأسه ، ونظر إليهم طويلاً ، وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه ، ثم أطرق ولم يجب .

ولما خرجوا به إلى ساحة الاعدام وأجمعوا على قتله التفت إليهم قائلاً :

— هل تأذنون لي أن أركع ركعتين قبل أن أموت ؟

فنظر بعضهم إلى بعض في دهشة وعجب وقالوا : أتصلي وأنت على هذه الحال ؟ ألا ترى الخشبة التي سنصلبك عليها ؟ ألا ترى رماحنا ونبالنا مصلتة عليك ؟ ألا تبكي وتطلب الصفح والعفو ؟ إفعل ما شئت .

فقام خبيب بين يدي الله ، متوجهاً بقلبه وجوارحه إليه وصلى صلاة كلها اطمئنان وكلها خشوع ، لم يضطرب قلبه ، ولم يتلجلج لسانه ، ولم يتبدل لون وجهه ، وكان في صلاته هادئاً ساكناً آمناً ولما انتهى التفت إليهم وقال بصوت هادئ عذب :

— والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت . اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو كربتي بعد غربتي ... وما جمع الأحزاب لي حول مصرعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه ... وقد ذرفت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت ... ولكن حذاري جحم نار ملفع
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع
فلست بمبد للعدو تخشعاً ... ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

ولم يكد يتم الأبيات ويستغفر الله ويذكره حتى رفعوه على الخشبة وأوثقوه بها فقال :

— اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يفعل بنا

وبدأ المشركون يرمونه بنبالهم ويطعنونه برماحهم ، فلما بضع لحمه وسال دمه قالوا له :

— أتحب أن محمداً مكانك ؟

فأجابهم وهو يغالب نفسه من الألم :

— والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة .

الله أكبر ، هكذا فليكن الإيمان ، وهكذا فليكن حب محمد صلى الله عليه وسلم ، أما والله لو لم يكن لخبيب إلا هـذا الموقف لكفاه شرفاً وفخراً وخلوداً ، وإن رجلاً في مثل هذا الموقف وعلى مثل هذه الحال ، بين الحياة والموت ، يجيب بمثل هذا الجواب لهو مسلم بكل ما في كلمة الإسلام من معنى ، وبأمثال خبيب هزم المسلمون — على قلتهم — جيوش الشرك والطغيان والظلم وفتحوا ثلاثة أرباع العالم ، وبنوا حضارة ونشروا ديناً سيبقى لواؤه مرفوعا في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة

« دمشق » ناجي الطنطاوي

على قبر زوجها

للأستاذ محمود الخفيف

صلَّتْ لدى أحجارهِ خاشعَهْ … يا قُدْسَ هذي الصَّلاهْ

اللهَ لِلزَّائرةِ الجازِعَهْ … كمْ هدْهدَتْها يَدَاهْ

تطوفُ في نظرتِها الضارعَهْ … بِنفسِها كلُّ طيوفِ الحياهْ

والصمتُ في وقفتِها الرائعَهْ … يا عينُ لا يبلغُ نُطقٌ مداهْ!

كمْ يسحرُ الأنفسَ هذا الجمالْ … بينَ الضنَى والحَزَنْ

كأنما تُبرزُ تلكَ الظِّلالْ … من سِرِّهِ ما كَمَنْ!

والموتُ يُلقي من سِماتِ الجلالْ … ما عَلِقَ القلبُ بِهِ وافتتنْ

ما كانَ إلاَّ للصِّبَي والدَّلالْ … والحُبِّ والزِّينةِ هذا البدنْ

واهاً لِهذا المُلْهَمِ القادرِ … السِّحرُ في رِيشتِهْ!

لوْ طُفْتُ بالواقعِ لا الخاطرِ … ما زاد عن صُورَتِهْ

لا يَنْثَني عنْ سِحرِها ناظِري … إلاَّ هفا قلبِي إلى رُؤيتِهْ!

كمْ تَلِدُ الأوهامُ للشاعرِ … في مَسْحَةِ الفنِّ وفي لَمْحَتِهْ

وُجومُ هذي الغادةِ المطرِقَهْ … كمْ رَفَّ قلبِي لَهُ

ألْمَحُ فيهِ لهفةً مُوبِقَهْ … تَرْسِمُ لِي هَوْلَهُ

في شفتيها لوعةٌ مُحْرِقَهْ … من قادحٍ ما جزِعَتْ قبلَهُ

مُمْسِكةٌ إيَّاهما مُطْبِقَهْ … في موقفٍ ما إنْ رأتْ مِثلَهُ

يا رحمتا لِلزَّوجةِ الثاكلِ … تأْسَى على إلفِها

ذِكراهُا عيشُ الهوى الزائلِ … يزيدُ في لهفِها

والوَجدُ في هيكلِها الناحلِ … تحمِلُهُ ضَعْفاً على ضَعْفِها

كمْ عندَ هذا الأثرِ الماثلِ … تنتعشُ الوحشةُ من خوفِها

إلاَّ ترِقْ دمعاً على قبرِهِ … فقلبُها دامِعُ

كمْ حاولَ الدمعَ فلمْ يُجْرِهِ … مِنْ فرْطِهِ جازِعُ

ما يُشبِهُ الصبرَ على ثغرِهِ … والهمُّ في أحشائِهِ لاذِعُ!

لوْ باحَ بالمكنونِ مِن سِرِّهِ … ما ملكَ الدمعَ لهُ سامِعُ



قدْ ختمَ الموتُ على حُبِّهِ … فما لهُ مِنْ فناءْ

يا وجهَها ما إن تبدَّتْ بهِ … إلاَّ معاني الوفاءْ

يا صِدقَ هذا الحُبِّ في هُدْبِهِ … يا روعةَ الوَجْدِ بهِ والولاءْ!

أحسِبُ هذا القلبَ في وثْبِهِ … يخفِقُ لا في الأرضِ بلْ في السماءْ

عزاؤها في الارض هذا الأثرْ … تسعَى له زائِرَهْ

يا حُفرةً مِنْ تحتِ هذا الحجرْ … طافتْ بها ناظِرَهْ

يا وطراً ما مثلُهُ من وطرْ … تحيا عليهِ الزوجةُ الذاكِرَهْ

أنَّى لها مِنْ دونِهِ مُصطبَرْ … في عيشةٍ باتتْ بها سادِرَهْ؟

ذِكْرَانُهَا أَنَّ بِهَـذَا التُّرَابْ خُطَـــامَ أَوْصَالِهِ
كَمْ تَصِلُ القَلْبَ بِهَذَا اليَبَابْ وَهْمُ أَطْـــلَالِهِ
يُطْفِئُ هَذَا الذِّكْرُ بَرْحَ العَذَابْ فِي قَلْبِهَـا المُسْتَسْلِمِ الوَالِهِ
مَنْ فَاتَهُ فِي العَيْشِ عَذْبُ الشَّرَابِ يَعِيشُ بِالوَهْمِ عَلَى آلِهِ

أَنَّى لَهَا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلُ يَوْمًا بِهَـذِي الدُّنَي
مَا إِنْ لَهَا مَوْئِلٌ وَلَا مَأْمَلُ بَعْـدَ ذُبُولِ المُنَى
هَيْهَاتَ يَفْنَى حُبُّهَا الأَوَّلُ أَيُّ هَوًى يَنْسَخُ هَذَا السَّنَا ؟
مَا حَمَلَ القَلْبُ وَمَا يَحْمِلُ يَرْسِمُهُ لِلْعَيْنِ هَذَا الضَّنَى

يَا قِطْعَةً مِنْهُ بِهَذَا الوُجُودْ هَلْ دُونَهُ مِنْ أَمَلْ ؟
تَرِفُّ فِي مَرْآهُ بِيضُ العُهُودْ وَمَا انْطَوَى مِنْ جَذَلْ
يَا لَمْحَةَ المَاضِي وَرَمْزَ الخُلُودْ وَالمُرْتَجَى فِي عَيْشِهِ المُقْتَبَلْ
بِأَيِّ سُؤْلٍ أُمُّهُ لَا تَجُودْ أَيُّ عَنَاءٍ فِيهِ لَا يُحْتَمَلْ ؟

يَا لَاعِبًا بِالزَّهْرِ فِي يَوْمِهِ لَمْ يَدْرِ غَيْرَ الزَّهَرْ
لَمْ يَدْرِ بَعْدُ الشَّوْكَ مِنْ يُتْمِهِ أَوْ يَلْقَ وَخْزَ الإِبَرْ
فِي شُغُلٍ بِالزَّهْرِ عَنْ أُمِّهِ وَعَنْ دَوَاعِي وَجْدِهَا بِالصِّغَرْ
وُقِيتَ مَا يَخْبَأُ مِنْ لُؤْمِهِ دَهْرٌ كَفَى مِنْ لُؤْمِهِ مَا ظَهَرْ

يَا حَالِمًا مَا أَيْقَظَتْهُ الحَيَاةْ يَا لَاهِيًا لَا يَعِي
يَزِيدُ مَعْنَى يُتْمِهِ أَنْ أَرَاهْ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ !
غَدًا بِهَذَا القَفْرِ يَبْكِي أَبَاهْ يَسْقِي تُرَابَ القَبْرِ بِالأَدْمُعِ
وَيُوجِعُ القَلْبَ حَدِيثُ الرُّوَاهْ عَنْ ذَاهِبٍ وَلَّى وَلَمْ يَرْجِعِ

لَا تَحْبِسِي الدَّمْعَ عَلَى قَبْرِهِ أَيَّتُهَا الجَازِعَـــهْ
عِظَامُهُ تَهْفُو إِلَى قَطْرِهِ طُوفِي بِهَا دَامِعَهْ
تَوَدُّ لَوْ تَمْضِي لَدَى ذِكْرِهِ جُفُونُهَا طَائِعَةً هَامِعَهْ
فَيَغْلِبُ الدَّمْعُ عَلَى أَمْرِهِ وَالنَّارُ فِي مُهْجَتِهَا لَاذِعَهْ

الخفيف

من برج بابل

قرأت فى إحدى رسائل الأدب هذه النادرة اللطيفة :

« أهدى إلى ملك الهند ثياب وحلى ، فدعا بامرأتين له وخيَّر أحظاهما عنده بين اللباس والحلية . وكان وزيره حاضراً ، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة له ، فغمزها باللباس تغضيناً بعينه ، فلحظه الملك . فاختارت المحظية الحلية لئلا يفطن للغمزة . ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه ، لكى تقر تلك فى نفس الملك ، وليظن أنها عادة أو خلقة لازمة . وصارت الثياب للأخرى » . قد يلتمس العذر لذاك الوزير المسكين بخوفه من غضب الملك وبطشه وحرصه على منصبه . ولكن ماعذر من يلزم النفس طائعاً مختاراً حركات وإشارات ونبرات وانتحال صفات دخيلة على الطبع الأصيل ، فتنقلب الفتاة أو الشاب إلى قرد يقلد أو غراب يحاكى الطاووس ! إن أشد ما يخدع المرء نفسه أن يتكلف ما يشذ عن طبعه ، ويجرده من شخصيته التى تميزه من غيره . إنما يدل ذلك على احتقار المرء نفسه واعتبارها من التفاهة بحيث تلغى وجودها وتستعير غيرها . وما عرف زمن كهذا العصر الميكانيكى الذى كثر من يخرجون فيه على غرار واحد كما تخرج الآلة صنوف الألوان والأنماط من متشابه المنتجات. ولعل مرجع هذه الظاهرة « الآلة السينمائية » أيضاً ! فإن ما زينته المرحون والدعاة للمتهافتات والمتهافتين أغرى فتياتنا وشبابنا بمحاكاة ما يصدر عن هذه الشخوص من حركة ترى أو لهجة تسمع . ولقد أصبح المثل الأعلى اليوم للفتاة والفتى بطلاً موهوماً أو نجمة لا سماء لها . وأضحى الجميع على إلمام دقيق بحياة الممثلات والممثلين مما لم يظفر به درس بطل من أبطال التاريخ ورجال الإنسانية . إن هذه الفطرة السليمة البسيطة التى تتجلى فى حركات أخواتنا الريفيات لما يحملنا على الميل إليهن والإعجاب بخلالهن الكريمة النقية . فكما تزهو فى ربوعهن الناضرة الوردة والوردة ، وشتان ما بينهما من نسق ورواء وشذا ، أو الشجرة والشجرة ، وشتان ما بينهما من ثمر وجنى ؛ كذلك ترى الفتاة والفتاة ، وشتان ما بينهما من سناء وسنا

ماري نسيم

إيـــــران
فى القديم والحديث
للأستاذ مصطفى كامل

تتمتع إيران بفضل ارتفاعها عن سطح البحر كثيراً واتساع رقعتها بمناخين متباينين ، أحدهما المناخ المعتدل ، وثانيهما المناخ الاستوائى . وقليل من بلاد العالم فى مثل اتساع رقعتها يستطيع أن يزهى بمثل هذا التباين فى المناخ، فبينا تكثر الأمطار فى الولايات الشمالية الثلاث التى تحد بحر الخزر ، فإنها لا تسقط فى الجنوب إلا فى فصل الربيع . أما هضبة إيران نفسها فإنها منطقة المناخ المعتدل .

وإيران من البلاد ذوات المدنيات القديمة ، فالاكتشافات التى تمت حديثاً فى السوس تدل بجلاء على أن العلاميين وهم من الجنس الآرى قد بلغوا مدنية مزدهرة فى عهد يمكن تحديده بأربعة آلاف سنة قبل المسيح .

وقد حل الفرس أول ما حلوا بالقرب من إيلان على هضبة إيران ، ثم قام واحد منهم فنال السلطان ، ثم جاء بعده شيروس فتوج ملكاً عام ٥٥٨ قبل الميلاد ، وقوض امبراطورية ميديا بعد عام ، وبعد أن تحالف مع الكلدانيين والمصريين دمر سطوة كرزوس ملك ليديا الذى كان يقلقه ، ثم فتح آسيا الصغرى ولم يلبث أن صار سيد كل آسيا الشرقية بلا منازع وكون امبراطورية لم يسبق أن كان لها مثيل.

على أن امبراطورية إيران بلغت ذروة المجد تحت حكم داريوس الأول ، ونالت التنظيم الإدارى الكامل واتسعت آماد حدودها اتساعاً كبيرا .

ولم يعرف العالم ملوك إيران بالفتوحات فحسب ، بل عرفهم كذلك بما بذلوه من الجهود لرخاء أمتهم .

واحتفظت إيران فى جميع العهود ، حتى فى العهد الإسلامى ، بطابعها واستقلالها الوطنى ، فقامت تحت حكم الصفويين وخاصة عباس العظيم بتقدم باهر ، وبلغت الهندسة والفن أوجهما فى عهده لكن إيران أخذت تنزوى بعد ملوك الصفويين شيئاً فشيئاً عن العالم ، وبدأت طرق القوافل القوية الجليلة تعبث بها أيدى الإهمال ، وتناسى آخر الملوك القاجاريين الفوائد التى كانت تعود على البلاد من موقعها الطبيعى فى طريق مرور التجارة ، ودفعوا أمتهم بسبب عدم قدرتهم إلى الانحطاط ، لأن الرجل القوى الممتاز كان ينقصهم . . . إلى أن وجد العاهل الحالى ، فكون رضا شاه ، تحت اسم بهلوى الأول ، الأسرة الحاكمة الجديدة .

وسيسجل التاريخ بحروف كبيرة اسم هذا الشاه العظيم الذى جمع فى شخصه رئيس الجيش والمشرع والمنظم والمصلح



ينحدر جلالة الأمبراطور من أقدم وأنبل أسر إيران التى قطنت البلاد منذ أبعد العصور، وجلالته من مقاطعة سافادكوه التى يمثل أفرادها أنقى العناصر الإيرانية التى عرفت على مدى عصور التاريخ وفى مختلف الحوادث بالبطولة تارة وبالوطنية أخرى

وانتظم فى السلك العسكرى طبقاً لتقاليد أسرته، فتقلد المناصب المختلفة فيها ودرج فى مراتبها حتى ولى قيادة الجيش العامة ، ثم لم يلبث أن قلد منصب وزارة الحربية إلى أن تولى العرش فى نهاية عام ١٩٢٥ .

ومنذ ولى الملك أيقظ روح النشاط الكامنة فى شعبه بعد أن أشفى على الهوة وأحيا أملها وقوى يقينها ، وبدأت الإصلاحات تتوالى فى جميع نواحى النشاط الوطنى .

لكن عمله لم يقتصر على إمداد شعبه بالأمل وتأييده بنفسه في تحقيق الإصلاحات فإن أكثر أثره في وضع الأسس القوية لقيادة شعبه نحو مستقبل رخي عظيم جدير بماضيه المجيد .

وكانت أولى جهوده العناية بالجيش ، فأصدر قانون التجنيد الذي يلزم كل إيراني بالخدمة في الجيش ، وأنشأ المدارس العسكرية وأرسل البعثات إلى أوربا لاستكمال التعليم العسكري ؛ ثم وجه التفاته نحو تكوين قوة الطيران العسكري ؛ وفي طهران مدرسة يذهب عدد وافر منها كل عام إلى أوربا . ثم أنشأ القوة البحرية لتأمين الشواطئ الإيرانية فاستطاع أن يحقق طمأنينة البلاد منذ سنين .



صاحب السمو الامبراطوري ولي العهد في سنة ١٩٣٤

وأما عمله في ميدان السياسة فإنه استطاع أن يعقد اتفاقات عادلة على أساس من المساواة بدل تلك الاتفاقات الجائرة التي فرضتها الدول الأجنبية على بلاده في عهد تدهورها .

وأولى أمور العدل عنايته كذلك ، فقام فيها بإصلاح كبير وسن القوانين في زمن وجيز ، كان منها القانون المدني والتجاري والتحكيم الإجباري كما وضع المحاكم الدينية تحت رقابة الحكومة الرسمية وحدد لها اختصاصاً ضيقاً ؛ ثم استطاع أن يلغي في عام ١٩٢٧ القضاء القنصلي والامتيازات الأجنبية .

ونالت مالية البلاد إصلاحات هامة فتعادلت الميزانية بعد استتباب الأمن وانتظام الحكم ، وبعد أن كانت الضرائب لا تجبى أو سيئة الجباية لضعف الحكومة واختلال الأمن .

وتعد مالية إيران من أسلم ميزانيات العالم ، والدولة لا تشعر برهق في مواجهة أعبائها ، فماليتها تسمح لها بتحقيق مشروعاتها في الإصلاح والمدنية

أما مسائل التعليم فتلفت النظر حقاً ، فقد شمل التعديل والتنظيم أموره وأصبح يجاري العصر الحديث كما تضاعفت ميزانيته وازداد عدد التلاميذ زيادة ضخمة

والتعليم إجباري للأطفال من سن ٦ — ١٣ ذكوراً وإناثاً ، ومدة التعليم فيها ست سنوات في المدن وأربع في القرى ، بغير أجور في المدارس العامة أو بأجر طفيف في المدارس الخصوصية

أما مدة التعليم في المدارس الثانوية فست للذكور وخمس للبنات ، والتدريس فيها على غرار المدارس الفرنسية خاصة

ومعاهد التعليم العالي الآن هي كلية الطب وطب الأسنان والصيدلة ، وكلية الحقوق والعلوم السياسية ، وكلية التعليم والزراعة ثم معاهد الفنون والصنائع والتعدين ، والتجارة والدباغة والفنون للبنات وغيرها من المعاهد

وأنشأ نظام البلديات ، فاستطاعت مدينة طهران بفضل بلديتها الحديثة أن تقوم بإنشاء المستشفيات والملاجئ ودور الإسعاف ودور الأمومة على منوال يضارع العواصم الأجنبية ، وخطت الحدائق والميادين على أجمل نظام ، وشقت الطرقات في أنحاء المدينة فسهلت ميادين العمل ، وشيدت بنايات على أحدث طراز

ولا تقل باقي المدن الأخرى في إيران شأناً عن العاصمة في نواحي الاصلاح فغدا الجمال والسحر إلى البلاد التي اشتهرت بهما بفضل هذه الجهود المتضافرة

واهتم جلالته كذلك بالأمور الزراعية ، فتربة إيران غنية ومحصولاتها منوعة ، وعني خاصة بزراعة القطن أخيراً وزراعة الشاي وقام بإجراءات هامة لزيادة إنتاج البلاد من بينها إنشاء مدرسة الزراعة كما أنشأ مدارس نموذجية لتعليم الناس استخدام الوسائل العصرية

ولا يقل نشاط الحكومة في ميادين الصناعة عما ذكر فأولت عنايتها خاصة لإنمائها فقامت معامل الصناعة في مختلف البلاد منها

معامل البيكر التي تكفى حاجة البلاد ، ومعمل الأسمنت ، ومصانع النسيج والدبغ والصابون والكبريت ، ومصانع السجاد التي اشتهرت بها إيران في العالم

وأرض إيران غنية بالمناجم ، فيها الحديد والرصاص والنيكل والنحاس والزنك والزئبق والمنغانيز . كما دلت الأبحاث على أن بها الذهب والفضة والبلاتين . كما يوجد بها البوتاس والفحم الذى يستخرج بانتظام وبطريقة علمية

على أن أوفر منتجات مناجمها البترول مما يضعها بين أغنى بلاد العالم

ولم يفت جلالة الأمبراطور أن يهتم بطرق المواصلات . ولو عرفنا أنه شق أكثر من ٢٧ ألف كيلو متر من الطرق المنتظمة الواسعة رغم وعورة البلاد وطبيعتها الجبلية لأدركنا عظم الجهود التي بذلها

وامتدت كذلك أسلاك التلغراف كما أنشأ محطة لاسلكية قوية تتصل بأكبر محطات العالم، كما أن بها الآن خطى الطيران، بين باريز والهند الصينية ، وبين أمستردام وبتافيا

هذه هى لمحة عاجلة عن أعمال الامبراطور . كان عمله فى كل ناحية خلقاً . كانت إيران ميتة ، أما الآن فقد دبت فيها الحياة

الفن الإيراني

تعتبر أصفهان — مدينة الملوك الصفويين وعاصمة فارس مدى أحقاب طويلة — من ألطف بلاد إيران بفضل قصرها العجيبين ، وجسورها الرائعة ، وهيا كلها الفخمة الفنية ؛ فإن النقوش والتصاوير التي على جدرانها أعجب ما عمل من نوعها ، والسياح الذين يسافرون بين أصفهان وشيراز يعجبون بمجموعتين نفيستين من الهياكل

والبحوث التي تمت فى السنين الأخيرة كشفت عن نقوش عجيبة دلت على ثروة هائلة من المعلومات التاريخية ، ورفعت النقاب عن آثار جميع المدنيات التي تناقبت على أرض الفرس

وعلى مقربة من هذه المنطقة تقع مدينة شيراز حيث يوجد قبرا الشاعرين الكبيرين : السعدى وحافظ ، كما يوجد غيرهما هياكل أثرية وأعمال فنية على جانب كبير من الأهمية

وهذه الولاية وولاية فارس كانتا مهد العظمة الفارسية قبل الإسلام ، وتوجد فى أذربيجان جوامع جميلة جداً ، كما توجد قبور الملوك الصفويين العظيمة



صاحب السمو الامبراطوري ولى العهد فى سن السابعة

وعلى شاطئ أراكس فى الجنوب الشرقي من أصفهان فى سهل مردخب الحالى الفسيح ، حيث ترى إلى الآن خرائبها ، كانت تقوم برسيبوليس التي كانت عاصمة الإمبراطورية الفارسية العظيمة منذ ألفين وخمسمائة عام ، وكان ينضوى تحت لوائها عشرون ولاية ، تمتد حدودها من فارجيانا Farg Kiana فى الشمال الشرقي إلى الحبشة فى الجنوب الغربي ، والبلقان فى الشمال الغربي إلى السند فى الجنوب الشرقي

الأدب الفارسي

كان الأدب الفارسي زاخراً فى كل وقت ، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة عهود ، العهد الديني ، وعهد الملاحم ، وعهد الشعر الغنائي ، ويكمل هذه الأنواع الثلاثة أدب المسرح والقصة

وقد خضعت اللغة الفارسية لعدة تعديلات ، فقد ظلت

الإيرانية القديمة اللغة الرسمية إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وهي لغة ساذجة فقيرة

ثم تطورت بعد ذلك إلى اللغة البهلوية ، وهي مزيج من الإيرانية القديمة والعناصر السامية ، وبقيت هي اللغة الوطنية إلى الفتح الإسلامي

على أن اللغة الفارسية الأخيرة لم تولد إلا في القرن العاشر ، حين دخل على الروح الفارسية تطور أثنائي ، فبعد أن كانت محض لغة دينية أصبحت لغة أدب ، وصار الشعراء محل إكرام وتبجيل في بلاط الملوك وشغلوا مناصب رفيعة

وكان الفردوسي أكبرهم وأنزاهم ، تجسدت فيه الروح الشرقية بشكل عجيب ، وخاصة في الناحية الشعرية والغرامية ، وكان شعره يزدان بالفخامة والروعة اللتين كانتا تسودان في بلاط الملوك

ويجب أن نذكر بين الشعراء الغنائيين السعدي الذي اشتهر بكتابيه كولستان والبستان اللذين يعتبران قانون الأخلاق الفارسية حتى لقد اشتهرا في العالم أجمع كما أن العالم كله يعرف البديعيات الساحرة التي ينشر بها هذا الشاعر الكبير تعاليمه في الأخلاق الدينية والإنسانية ، وإننا لنلمس تحت ستار الأمثال البديعة الدليل على إخلاصه في إصلاح النفس والقلب الانساني ؛ وقد يبدو أن الشاعر يعرفهما أتم معرفة لطول ما قاسى في كثير من الملاحظة والتأمل

ويعجبنا في السعدي حب الجمال والملاحة على الخصوص ؛ وهو على وجه خاص فنان لأنه شديد الحس ، يحيا بين الزهور ، ويحب الملابس المتألقة ، ويجمل أشخاصه بجواهر متناهية الدقة في النقش ، ويعطرهم بالمسك والعنبر ؛ وإن يكن فنه غير فخم لكنه شديد الأناقة والرقة

وحافظ هو أحد شعراء الفرس الوطنيين الرشيقين ، وأحد الذين يفهم الغرب عنهم روح الشرقيين أحسن فهم بفلسفته الضاحكة وهزئه الساخر

ثم عمر الخيام الذي يدين بشهرته لكتابه بالمعروف الرباعيات الذي يزخر بالسخرية والشك . وقد سببت ترجمة كتابه إلى الإنجليزية ضجة في أوربا وأمريكا حتى غدت شهرته الآن تملأ الآفاق

مصطفى كامل
المحامي

نظام العالم ونظام الدول

للأستاذ طنطاوى جوهرى

الحقل والجامع الأزهر

نشأت فى قريتنا كفر عوض الله حجازى من أعمال مديرية الشرقية — شاركت أسرتنا فى أعمالها الزراعية — كان لهذه الأسرة الكبيرة اتصال حميد بعلماء الجامع الأزهر يغدون ويروحون كل عام على سراة الأسرة وأكابر القرية ، وأكابر بلدة « الغار » التى فيها أسرة أخوال والدتى ، فأثر ذلك كله فى المرحوم والدى ، فأرسلنى إلى كتّاب فى بلدة الغار وفيها جدتى لأمى، فحفظته بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثم أرسلنى مع أقاربى إلى الجامع الأزهر لأكون كهؤلاء العلماء، ويكون لى عمود بالجامع الأزهر مثلهم . درست علومه . هنالك أصبحت السنة مقسمة بين دراستين : دراسة أزهرية ، ودراسة حقلية . ذلك أنى سمعت فى علم التوحيد أن العالم منظم — يا سبحان الله ، لا علم عندى ، لا كتاب يهدينى ، لا مرشد يرشدنى ؛ للقوة السلطان الأعظم ، ظلم مخيم ، جهل فاضح ، فأين نظام العالم ؟ أخذت أصوم النهار ، وأقوم بالليل ، وأسأل صانع العالم أن يهدينى . أخذت أدرس الشمس والسحاب والحجر والشجر والزهر والزرع نهاراً ، وأدرس النجوم والقمر وأتأمل ذلك الجمال البديع فى ظلمات الليل المدلهمات . وأخذت أقول : لعل وراء هذا الجمال حكماً وعلوماً ، ففى النهار جمال ، وفى الليل جمال . فما أسبابه وما نظامه ؟ حائر ، حائر !

دار العلوم بعد الأزهر والحقل

لم يكن ليخطر لى أن فى العالم حكمة وفلسفة تكشف اللثام عن هذا الوجود، كلا ولكن بعد اللتيا والتى أخذت أدرس الفلسفة القديمة بحذافيرها ولكنى بعد ذلك لم أزل فى موقفى الأول . أريد أن أفهم حقلنا الذى نزرع فيه القطن والقمح والذرة والبرسيم . هل هذه الأرض وما فوقها هى التى تحوى المواد الصالحة للبسنا وأغذيتنا وأغذية الحيوان ؟ وأخيراً ما هذه الطيور الجميلة المغردة المنعشة للفلاح فى حقله ؟ وأخيراً ما هذا الجمال ؟ الجمال هو الذى أخذ بلبى وأرقنى ليلاً بنظراتى فى النجوم، وأبهج قلبى نهاراً بنظراتى فى الأشجار والزروع والأزهار

اتصلت بدار العلوم فدرست فيها علم الفلك الحديث بعد ما درست القديم فى الفلسفة . هنالك دهشت أعظم الدهش وقلت فى نفسى: هذه فرصة سانحة، فهاهم أولاء علماء الأمم قديماً وحديثاً نظروا فيما كنت حائراً فيه فى حقلنا « ا » نظروا فى مقادير المادة المسماة عندهم (بالكم) المتصل والمنفصل من الهندسة وعلم الفلك ومن الحساب والموسيقى فقاسوا هذا العالم وحسبوا الكواكب أبعاداً وأحجاماً وحركات فأرونا السنين والشهور والفصول وأوقات الخسوف والكسوف — الله أكبر . نظام بديع . حركات منظمة هذه أعز مطالبى وأجل ما أتمناه . إنى لسعيد جد سعيد . كيف لا أكون سعيداً ؟! ألم يظهر العلم أن أبعاد السيارات نفسها عن الشمس جاريات على سنن المتوالية الهندسية كما كشفه العلامة (بود) :

٣ — ٦ — ١٢ — ٢٤ — ٤٨ الخ

« ب » ثم إن العلماء لم يقفوا عند هذا الحد من البحث فإنهم نظروا فى أشكال المادة وتنوعها فكانت العلوم الطبيعية وقد أحاطت بها العلوم الرياضية حتى إنهم رأوا فى نحو الأحجار[1] الساقطة نظاماً حسابياً يرجع إلى الجذر والتربيع والمتواليات العددية ، ويدهش الحكيم حينما يرى[2] الجذر والتربيع مسيطرين على حساب البنادل المختلفة الأطوال وحركات الضوء والصوت والحرارة والكهرباء .

---

(١) ص ١٧ من أحلام فى السياسة

(٢) ص ١٥ وما يليها من كتاب أحلام فى السياسة

نظام العناصر ونظام أوراق النبات

وقد أدهشني أن للعناصر المشهورة اليوم [المبدوءة بالأيدروجين المختومة بعنصر (أورانيوم[١])] جدولا يضم متفرقها ويجعل بينها نسبا أفقية وأخرى رأسية بحيث ترى أن كل عنصر لو وضع في غير موضعه لاختل جميع النظام — ياعجبا ! أيصل النظام إلى هذا الحد ؟ أأكسجين في الماء وفي الهواء، وحديد ونحاس في الجبال، وصوديوم وكلور كامنان في الملح المغمور بالماء في البحار، كيف يكون لها هذا الجدول المنظم وتكون بينها هذه النسب البديعة ؟ فأما هذا الإنسان الذي له السلطان الأعظم وهو الغاية القصوى من هذه العوالم فلا يكون له نظام ؟ كلا. العقل ينكر هذا — ها هنا تحل مشكلة العالم — ها هنا مركز الدائرة — ها هنا عرفنا سبب النزاع القائم بين الأسرات والممالك — هأنذا عرفت سبب الجمال في الحقول وفي السموات نهاراً وليلاً، فأما أسباب الشقاق والنزاع بين الناس فالبحث جار فيه الآن كما ستراه .

وكما رأينا نظام العناصر المختلفة في جدولها تاما رأينا لأوراق النبات على الأشجار المختلفة جداول منظمة ذوات نسب في الصفوف الرأسية والصفوف الأفقية، ولا مناص لي من الاكتفاء بالإشارة إليها في هذا المقال حرصاً على وقت القارئ الكريم، وتفصيل هذا وما قبله في كتاب أحلام في السياسة موضحاً مصوراً تصويراً شمسياً . وهل في شرعة الإنصاف أن تعتبر أفراد الإنسان في هذا العالم كمية مهملة لا نظام يجمعهم، ولا قانون يكبحهم ؟ وقد رأينا النسب والقوانين لم تذر ذرات الأيدروجين مع ذرات الصوديوم، ولا ورقات التفاح مع ورقات الأعشاب، ولا حركات سقوط الأحجار، إلى آخر ما قدمنا، كلا كلا . إن قوى نوع الإنسان وعقوله لها نسب خفية، وكل امرئ في الأرض له نسبة إلى غيره في أمته وفي غيرها، ولما خفي ذلك على الناس حاروا في أمرهم فلم يجدوا مناصاً من الحرب لأنهم لم يهتدوا إلى نظامهم، فكل يزعم أن له عند الآخر حقاً يريد أخذه بالقوة

منفعة جوارح الطير والحيوانات المفترسة لهذا العالم الأرضي[٢]

وساعد الناس على ذلك أنهم رأوا جوارح الطير تأكل بغاثها والأسود والنمور تأكل الأرانب والحملان، فأخذ القوي يسطو على الضعيف . أوما علموا أن ههنا نظاماً درسه علماء الأمم قديماً وحديثاً، فعلموا أن الحشرات تمتص العفونة والرطوبة اللتين لو بقيتا لأحدثتا في الجو فساداً فهلك الحيوان والإنسان، وهذه الحشرات بعد تأدية وظيفتها تصبح طعاماً سائغاً للطيور ونحوها ولو بقيت لكانت ضرراً ووبيلاً . وهذه الطيور الكثيرة في الجو والحيوانات التي تأكل النبات تهاجمها في الحياة كواسر الطير وسباع الفلوات وتأكل رممها بعد الموت حفظاً للجو من مكروباتها وإلا يفسد الهواء وكان الوباء العام، وروعيت الحكمة في قلة توالد نحو الأسود وكثرة توالد نحو الأرانب والجرذان . ثم روعيت الحكمة في الرحمة الملحوظة في المواد المخدرة التي تفرغها العنكبوت مثلاً في الذبابة عند اقتناصها فتكون مخدرة لا تحس بآلام

لم يفكر العامة والجهلاء في ذلك وتبعهم رجال السياسة في سائر أقطار الأمم الأرضية . إن هذه النظرة السطحية في العلم قد آن أن يسقطها البرهان ويدحضها نوع الإنسان لأنهم درسوا

جمهورية الحيوان

لقد استبان للناس في عصرنا أن للنحل وللنمل ولكلاب البحر وللغربان نظاماً عجيباً . وإن أبدع ما أدهشني مما اطلعت عليه نظام النمل الأبيض ذلك الذي ألف فيه العلامة (أوزوريك) الألماني في عصرنا الحاضر كتاباً خاصاً عنوانه النمل الأبيض وانتشر بجميع اللغات فترى فيه صورة الملكة وبجانبها الملك وهو أصغر منها جثة وقد رأيتها تحكم مملكة متسعة الأرجاء وهي عمياء وتحت إشرافها عمال وجنود يحفظون الأمن، ويشيد عمالها ممالك في الصحاري لم يقطعها الفرنسيون بعد السكة الحديدية إلا بالديناميت وهؤلاء العمال لهم نظام فوق كل نظام وعدل، ومنهم حراس في غاية الانتظام يقظون بل وصلوا على ما يقال إلى استنباط الماء من أوكسجين المادة وأيدروجينها، هذا هو النظام الذي يعيش على مقتضاه النمل الأبيض الذي تدير سلطانه ملكة واحدة تحت إمرتها عدد يبلغ أضعافاً مضاعفة لعدد الإنسان على وجه الأرض . يظن علماء العصر أن أمثال هذه الحشرات عاشت قبل الإنسان بما يزيد على ثلثمائة مليون سنة وأن الإنسان لم يعش عليها أكثر من ثلثمائة ألف سنة فتم نظام الأول ونقص نظام الثاني

(١) ص ٢٢ من كتاب أحلام في السياسة وتفسير سورة العنكبوت في تفسير الجواهر (٢) كتاب أين الإنسان .

كافح الإنسان الأول أشد الكفاح ليصل إلى الحقيقة عن طريق القتال وساعده على ذلك تباعد الديار وحيلولة البحار والجبال بين الأمم — وها هو ذا اليوم أزال الحواجز بالطيارات الطائرات والتلغراف بقسميه والراديو فاتصلت الأمم فآن لهم أن يفكروا — وها هنا خاطبنا علماء الأمم وذكرناهم بأن نوع الإنسان لن يشذ عن قاعدة هذه المخلوقات — إننا نرى الحكماء والأذكياء في نوع الإنسان أقل عدداً من غيرهم كما قل البارعون في الجمال، ويقول أفلاطون قديماً: الناس ذهب وفضة ونحاس يريد بذلك الحكماء ورجال الجيش ثم الزراع والعمال وأضرابهم من سائر الناس. إذاً لم يتجاوز الإنسان نظام المعادن ونظام الهواء والماء، فقد قل الذهب ليصلح لتقويم الأشياء وكثر الحديد لكثرة الحاجة إليه، كما كثر الهواء وقل عنه الماء، فإن حاجة الحيوان إلى التنفس أكثر منها إلى شرب الماء

النظام التام في المستقبل لنوع الإنسان

إن هنا لمنافع مادية وخواص طبيعية موزعة على الأرض، وما حولها من المخلوقات، وها هنا قوى وأقدار موزعات على أفراد نوع الإنسان. إن هذه المواهب الإنسانية تقابل هذه الخواص والمنافع المادية، ولم يتسن للناس الانتفاع بهذه الخواص المادية إلا باستفراغ الجهد في استخراج[1] تلك القوى الكامنة في أفراد نوع الإنسان. هذه هي التي تحل مسألة السلام

فلتشكل لجنة من جميع الأمم تقوم بدراسة العالم والناس في جميع القارات وتجد في أن تدرس أحوال الأمم كلها، وتمضي كل أمة على استخراج ما كمن في عقول أبنائها من القوى والملكات وما في أرضها من الكنوز المدنية والزراعية وغيرها من الفوائد والثمرات، وكل أمة قصرت فيهما أو كليهما فلترسل هذه الجمعية العامة من أبناء الأمم الأخرى الذين هم أقرب إلى هؤلاء الجاهلين من يكمل نقصهم ويرفع شأنهم في القسمين معاً، ولهم في نظير ذلك فوائد وثمرات، فإن كل قوة كامنة في فرد لم تستخرج في أي مملكة من الممالك الأرضية، وكل منفعة كامنة في أي بقعة من بقاع أي مملكة أرضية لم تظهر في الوجود تكون خسارة وحرماناً لجميع نوع الإنسان فربما كان من هؤلاء المهملين في بلاد الصين مثلاً من إذا علم أصبح مفكراً كبيراً أو طبيباً عظيماً يتعدى أثره إلى سائر الأقطار، وهكذا في البقاع المهجورة في ممالك المعمورة

دفع وهم

ربما يقول بعض الناس: إن قياس عقول الناس ومواهبهم على نظام السيارات حول الشمس وغيرها مبحث علمي ليس إلى تحقيقه من سبيل. وللإجابة على هذا الاعتراض أوجه نظر القادة والزعماء إلى فرع من فروع علم النفس في التربية وهو علم مقياس الذكاء. فليسألوا مديري المدارس في الولايات المتحدة وفي انجلترا وغيرها: أليس مقياس الذكاء له اليوم السلطان الأعظم على وضع الشبان والشابات في الأعمال اللائقة لهم بعد نيل الشهادات العالية، كما له ذلك السلطان أيام دخولهم المدارس؟ إن الناس صائرون إلى ما قلناه شاءوا أم أبوا فليدرس نظام العقول ونظام الممالك، وليعلم جميع نوع الإنسان طوعاً أو كرهاً. إن من مبادئ ذلك أنهم أخذوا يصطفون من الشبان في جميع أهل الأرض أقدرهم على المصارعة أو المسابقة فيعدونه بطلاً في تلك المصارعة أو المسابقة، وهكذا يفعلون مع الفتيات فيصطفون منهن ملكة الجمال وذلك بمجرد الاختيار لا بالقنابل والخناجر والرماح، فهكذا سيكونون في نظام السياسة وإدارة الأمم وحفظ المجموع، سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

طنطاوي جوهري

(١) اقرأ كتاب أين الانسان

نعي الشـــتاء

للأستاذ محمود غنيم

تعادلَ الليـــلُ والنهارُ وأدرك القرَّ الاحتضارُ
وراح فصلُ الشتاء يهوى فى هُـــوَّةٍ مالها قرارُ
ياصبرة الموت أدركيه ليكسُوَ الأرضَ الاخضرارُ
كم ازتدينا فما وقانا منه شعارٌ ولا دثارُ
لا كانَ . هل فيه غيرُ برقٍ من عينه يقدحُ الشرارُ
وغيرُ رعدٍ يصكُّ سمعى كأنما صوتُه خُوارُ ؟
يا من رأى قبله صريعاً غنَّى على رأسه الهزارُ ؟
أما ترى السُّحْبَ يوم ولَّى جفَّتْ لها أدمعٌ غزارُ ؟
لا يُثْلِجُ الغيثُ حين يَهْمِى صدرى ولو جفَّتِ الثمارُ
وإن تغنَّتْ به تميمٌ وسبَّحت باسمه نزارُ
الدفء والضوء أين راحا ؟ لينكشفْ عنهما الستارُ
والطيرُ والأيكُ أين غابا ؟ لينتفضْ عنهما الغبارُ
كم من نهارٍ مضى — عليه ثوبٌ من الليل مستعارُ
رياحه آذنت بحربٍ فالنقعُ فى جوّه مُثارُ
كأن شمس الشتاء ظبيٌ من طبعه الدَّلُّ والنفارُ
أو وجهُ عذراء ذاتِ خدرٍ تظنُّ أن السفورَ عارُ
لا بدره إن بدا لُجَيْنٌ كلا ولا شمسُهُ نُضارُ
كم أصبح الفحمُ — وهو فحمٌ — كالزاد لم تخلُ منـه دارُ
كلُّ امرئٍ كالمجوس فيه أمامه موقـدٌ ونارُ
نجومـهُ قد مشين حبواً وشمسُه جرَّها البخارُ
إن جَنَّ فيه الدجى انصرفنا فالأرضُ من أهلها قِفارُ
وبات كل امرئٍ سجيناً فى داره حـوله حِصارُ
يا ليت أعمارَنا ربيـعٌ صِرْفٌ ولو أنها قصارُ
لهفى على معشرٍ إذاما دارت عروسُ السماء داروا
مَشَوْا مع الشمس، كلُّ فصلٍ لهم به كعبةٌ تُزارُ
كم ضاق مشتى بهم وجادت لهم بشطآنها البحارُ
قد لطَّفَ المالُ كل جوٍّ فـلا صقيعٌ ولا أُوارُ
وبات فى الخالتين يشقى من خانه مثليَ اليسارُ

محمود غنيم

وحي الربيع

أنفـــاس مرتعشة !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إنْ رأيتِ الكَرْمَ تَسْتَيْقِظُ فى الوادى حَيَاتُهْ
وحديثَ الحُبِّ فى الأعْشاشِ ذاعتْ همساتُهْ
ورَنِينَ البـاغِمِ المسحورِ تَشْوَى نغماتُهْ
وحنينَ الجوِّ فى الشُّطآنِ رفَّتْ سُبُحاتُهْ
والهوى فى معبدِ العشّاقِ عادتْ صلواتُهْ ...
... مثلها عودى إليّا
واسكُبى النورَ لَدَيّا
والرحيقَ العبقريّا
عـلَّ أقداحَ الأمانى تُسْعِدُ القلبَ الشقيّا

***

وإذا بستانُكِ الهاجِرُ غنَّـاهُ الخَيالُ
وجَفَـا السحرُ بِدُنياهُ وناغاهُ الدَّلالُ
وانتشتْ من طُهرِكِ العالى بشطَّيْهِ الظِّلالُ
وأتاكِ الشعرُ يُذْكيه حنينٌ وابتهالُ
كنبيٍّ تحتَ أنوارِكِ غشّاهُ الجلالُ ...
فاذكرينى فى جنانِكْ
علَّ فيضاً من حنانِكْ
أو صباحاً من زمانِكْ
يسكبُ النورَ لِفانٍ لم يعُدْ فى الأرض حيّاً !...

« وزارة المعارف » محمود حسن اسماعيل



غرائب العادات في الزواج

للآنسة زينب الحكيم

بمناسبة الزفاف الملكي السعيد، الذي تشرح معالمه الصدور، وتبهج زخارفه الأبصار بحيث لا نرى داعياً لوصف الواقع، ولا ضرورة للتنبيه إلى روعته وفخامته، كما أننا لسنا في حاجة لأن نسجل عنه شيئاً اليوم ليبقى مسطوراً على القرطاس للمستقبل، لأنه حادث ستظل ذكراه باقية في حافظة الشعوب عامة، وفي حافظة الشعبين المصري والإيراني خاصة. لهذا أذكر فيما يلي بعض غرائب العادات في الزواج في مختلف البلاد:

١ — شيكوسلوفاكيا: توجد عادة غريبة في بعض جهات شيكوسلوفاكيا، وهي أن كل شاب يتقدم إلى فتاة لخطبتها ثم يخفق في مسعاه يقدم إليها شريطاً تضمه إلى غطاء رأسها كالموضح بالصورة (ش ١)

وكلما كثر عدد الأشرطة المقدمة للفتاة كان ذلك دليلاً على شهرتها وارتفاع قيمتها في أعين الخطاب الذين يتقدمون إليها. وعندما لا يبقى مكان لأشرطة أخرى تضاف إلى ما سبق أن علقته الفتاة على غطاء رأسها يتحتم على الفتاة أن تعزم أكيداً على اتخاذ أمر تنفذه بالنسبة لزواجها. فتصمم على اختيار واحد ممن تقدموا إليها وتكون أسرة

٢ — انجلترا: في انجلترا يتمتع العازمون على الزواج بحرية عظيمة في اختيار الشريك أو الشريكة، ولهم ملء الحرية في المخالطة والتعارف قبل الزواج. ومما يذكر عنهم بالاعجاب والفخر أن الخطيب أياً كان مركزه ومرتبه يترفع عن أن يشاكي خطيبته عندما ترفض الزواج منه مهما يكن مقدار حبه لها

ويرجع الإنجليز ارتفاع نسبة الزواج الناجح عندهم إلى الأسباب المتقدمة وهي نسبة تفوق جميع النسب في العالم



(ش ١)

٣ — فنلاندا في شمال غربي روسيا: لنساء فنلاندا طريقة مختصرة في معاملة خطابهن، وهي أن يوقد والد الفتاة شمعة أمام الهيكل في الكنيسة أثناء إحدى مقابلات أسرتي الخطيبين. فإذا تركتها ابنته تحترق كان ذلك دليلاً على أنها قبلت الزواج من خطيبها. أما إذا أطفأت الشمعة فذلك دلالة على أنها ترفضه إذ لا توجد بينهما جاذبية

٤ — السويد : إذا أكل فتى وفتاة من رغيف واحد من الخبز ، يقال إنهما متحابان دون ريب . فإذا كان ذلك صحيحاً يبدأ الخطيب التكلم فى الموضوع ، فيرسل صديقة له لتناقش الأمر مع أسرة الفتاة . فإذا نال العرض موافقة ، يقدم الخطيب للتعارف إلى أسرة الفتاة فى يوم الأحد المقبل بعد الحديث التمهيدى . وفى هذا الوقت لا يسمح للخطيبين بتجاذب أطراف الحديث أو بالمقابلة

وفى حالة إعلان الخطبة يقام مهرجان يقدم فيه الخطيب للخطيبة إناء فضياً يشبه فنجان الشاى الكبير بدون يد وبه قطع من النقود الفضية ملفوفة فى أوراق . ويتبع ذلك الزفاف ، وهما يتبادلان الهدايا وقت حضور القسيس

٥ — لابلاند وإيسلندا : عادة تكون السيدة أكبر سنا من الرجل ، وتطول فترة الخطبة ، ويرجع هـذا غالباً إلى المصاريف الباهظة التى تسببها المجاملات وما يظهر به الخطيب من احترام لأسرة خطيبته كواجب حتمى عليه . ويكلف أيضاً بتقديم هدايا متوالية لها ولأقاربها .

٦ — اليونان : لا يسمح للخطيبين بالتقابل قبل يوم الزفاف إلا فى مناسبات رسمية دقيقة . وفى إيبرص Eyirus عند ما تكون الخطيبة قد تعرفت إلى زوجها فى دار القسيس بعد أن باركهما ، يطلب إليهما القسيس فى رجاء شديد ألا يتقابلا ثانية حتى يوم زفافهما ...

٧ — رومانيا : فيها عادة مشهورة جداً ، ولو أنها انقرضت الآن تقريباً ، وهى ما يعرف « بسوق الصبايا » ففى يوم عيد سنت بول (فى ٢٩ يونيو) يجتمع البنات على قمة جبل عال اسمه Gaina وتكون كل واحدة منهن مزودة بجهازها ، ويحضر الخطاب مع آبائهم ويختارون خطيباتهم

وتوجد فى جهات أخرى من رومانيا عادات مشابهة كل الشبه لما يوجد فى ألبانيا ، إلا أنهم يؤجلون مهرجان العرس عند الطوائف المسيحية حتى تلد المرأة ولداً ، لأنهم يعتبرون أن الغرض الأول من الزواج هو خلف الأطفال الذين يضمون إلى القبيلة فيزيدون عددها وقوتها

٨ — فى غينيا الجديدة : للبنات والأولاد كامل الحرية فى الاختلاط قبل الزواج ، حتى لقد يمضون الليل سوياً ، وإذا وجدوا أن لا بد من التغيير ، فيفعلون ذلك حتى يتوق الخاطب إلى الخطيبة التى توافقه تماماً .



(ش ٢) خطيب وخطيبه يتبادلان التحية

إذا قارنا ذلك بما يحدث فى اليابان ، وجدنا تبايناً كبيراً ، لأن مسألة الزواج عندهم من غير الأفراد الحديثين ، تترك كلها لتصرف الخاطب الذى يوفق بين الخطيبين ، ويرتب تقابلهما وتعارفهما ، ويكون ذلك فى مقهى يتناولون فيه الشاى ، ويكون على الفتاة تقديم شاى المهرجان لزوجها المنتظر

٩ — فى جزائر سليمان : الفتاة التى تخطب لرجل عظيم تعتكف قسراً فى خص بقرب خيام الحريم ، ويقدم لها غذاء دسم ، ولا يسمح لها بالخروج من ذلك الخص إلا مرة واحدة فى اليوم لتغسل آنية نحاسية كبيرة . وتبقى على تلك الحال ثلاث سنوات

متوالية تخرج في نهايتها من سجنها وقد نما على رأسها شعر أشبه بالفرجون الغزير جداً

١٠ — هنود كندا : عند ما يصمم رجل على الزواج يطلب إلى من اختارها أن تحزم له شراك صيده ، ويكون هذا التكليف منه لها بمثابة مفاتحتها بالخطبة ، فإذا قبلته تكطيب تطلب منه دون خجل أن يكلم أمها في الموضوع . وعادة تخبر البنت أمها بنفسها ، وعلى ذلك ترشدها إلى بناء مسكن لها بجوار مسكنها . وعند ما يقام مهرجان الزفاف يصبحان زوجين

١١ — في غينيا الجديدة : يتعارف المحبون في حلقات الرقص المشترك ، فإذا أحب رجل امرأة لأول نظرة ، وتبع ذلك عزم على الزواج منها ، يفعلان ذلك دون جلبة أو إجراءات زواج من أي نوع ، إلا إذا كان له منافسون فعندئذ يتقدم إلى والد الفتاة بثمن يدفعه له عنها ، وأيضاً لا يتبع ذلك مهرجان زواج .

عادة التقبيل

إن التقبيل بالفم عادة أوربية على ما يعلم . أما التقبيل عند الصين مثلاً فيكون بواسطة فرك الأنف والفم على الوجه .

أما في أفريقيا وغيرها من البقاع غير المتمدنة فلم يلحظ أن المحبين فيها يقبل بعضهم بعضاً . والرومانيون كان لهم عدة طرق للتقبيل ، كتقبيل الوجنتين ويدل هذا على الصداقة . ويدل تقبيل الشفتين على العشق ، ولا تزال هذه الاصطلاحات معمولا بها في فرنسا وممالك أوربا .

والرقص والألعاب المختلفة كانت كلها من مميزات الحياة الغابرة ، (كما أنها اليوم ميزة الحفلات الساهرة في حياة المتمدنين) وكما أنها وما تزال الأسباب المباشرة للتعارف واختيار الحبيبات .

أما الغناء والرواية فأمرها مشهور معروف ، لا سيما في أيام البطولة والفروسية وعند كثير من القبائل . فالمحب قد يروى قصة غرامه غناء أو إنشاداً حال يمثل أصدقاؤه الرواية عملياً ، ولا يسع الفتاة المقصودة في كثير من الأحيان إلا أن تفتح ذراعيها في النهاية وتراقص خطيبها دليلاً على إتمام الزواج

القبلة في بلاد الحبشة

تعتبر القبلة في بلاد الحبشة روح الحياة الاجتماعية فيها ، وهي على عدة أشكال ، فتستعمل لكل تهنئة ، وكدليل على الاحترام ، وتمييز المقامات ، وتمضى بها المعاهدات السياسية أو التجارية ، والناس الذين لا يقبل بعضهم بعضاً علناً هم الأزواج والزوجات

هذا ويشاهد أن الحب يظهر بين المتمدنين في سن البلوغ ، ولكنه يظهر بين الهمج في الطفولة ، حتى لقد ترى الأطفال الصغار يمثلون أدواره في ألعابهم . كما يعد عند قبائل أفريقيا من العار ألا يكون للبنت أحباء ويسخرون منها إذا كانت ذلك . أما الولد الذي ليس له حبيبات ، فيعمل له سحر يجلب الحظ والتوفيق لإيجاد الحبيبات

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يذكر من غرائب عادات الزواج وفلسفات العواطف الإنسانية

زينب الحكيم



الكون يكبر

العوالم منتشرة على حيز كروى محدود ولكنه يتسع

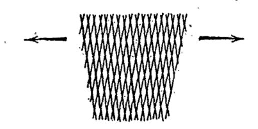
للدكتور محمد محمود غالى

العوالم كالأسماك على شبك الصيد — أو كجسيمات على سطح كرة تنتفخ — أثر تعديل اينشتاين لمادلاته — الحيز الكروى والعوالم والكون محدود — فى دراسة صورة الكون تجرى المعارف أوسع الخطوات

لو أن صياداً ألقى شبكته فى الماء، فتعلق بها عديد من السمك، فما لا شك فيه، تتوقف المسافة بين سمكة وأخرى على حالة الشبكة. قد يكون الصياد حسن الحظ، بحيث تتعلق سمكة على رأس كل معين فى الصف المشار إليه بالسهمين: شكل ١ الذى يمثل هذه الشبكة، عندئذ يتحقق القارئ بنفسه أن الصياد قد وُفِّق إلى اصطياد ١٦ سمكة. ولو أن السمك فى عداد الكائنات، ترى ويفهم ويتصور، فإنه لا يعدم وسيلة، يتحقق بها من المسافة الواقعية بينه وبين كل سمكة.

لنفرض بعد ذلك، لسبب خاص بمهنة الصياد كسهولة إخراج هذه الأسماك، أن الصياد شد شبكته من الجهتين: اليمنى واليسرى فى اتجاه السهمين بحيث اتخذت هذه الحبائل الشكل الثانى، الذى لا يختلف عن الشكل الأول إلا فى أنه ممدود، فإن أى سمكة ترى جارتها الأولى ابتعدت عنها بمسافة معينة؛ ولكنها ترى الجارة التى تليها ابتعدت بضعف هذه المسافة، بحيث أن السمكة العاشرة مثلاً ترى كأنها قطعت عشرة أمثال ما قطعته السمكة الأولى، وعندئذ تعتقد هذه السمكة التى افترضنا أنها متأملة أن الأسماك كلها تبتعد عنها بالذات، أو أنها تهرب منها؛ وأنه كلما كانت الأسماك بعيدة عنها كانت سرعة ابتعادها كبيرة.

يتأتى هذا الإحساس للسمكة، لو أننا فرضنا أن الصياد قام بعملية شد الشبكة داخل الماء، وأن السمكة المتأملة لا ترى حبائل الشبكة أو قاع البحر أو أى شىء غير جيرانها من السمك الذى وقع مثلها فى الحبائل. ولو أن السمكة المتأملة رأت كائناً آخر كالصياد أو شجرة أو شىء ثابت، أو لو أنها رأت الحبال نفسها لأدركت أنها هى أيضاً تناولتها الحركة بقدر ما تناولت السمك جميعه، وأن الأقدار شاءت لها هى أن تبتعد عن جاراتها بقدر ابتعادها عنها، وأنه ليس هناك مركز خاص للابتعاد، بل إنها وإخوتها جميعاً قد وقع لها نفس الحوادث



(شكل ١) حبائل الصياد قبل شد الشبكة

أمران أود أن يعلقا بذهن القارئ:

الأمر الأول: هو أن السمكة المتأملة إن لم تر من الكون إلا الأسماك الست عشرة التى تحدد عوالمها، فلا أرضاً ترى ولا ماء ولا صياداً ولا شجرة، تصل إلى نتيجة تتلخص فى ابتعاد كل الأسماك عنها بسرعة تتزايد كلما كانت المسافة بعيدة

الأمر الثانى: هو أن السمكة العاقلة ترى من العوالم المحيطة بها حبائل الشبك ورمال الشاطئ، بل ترى الصياد والشجرة، وكل هذه أشياء ثابتة بالنسبة لها فتدرك أن أمراً آخر قد حدث: ذلك أن الحبائل كلها قد امتدت، وأن الحركة تناولتها والأسماك بدرجة واحدة فليس هناك فرار بالمعنى الأول، بل شاءت الأقدار

أن تقع على كون هو حبائل الشبك ، وأن هذا الكون يمتد

قد نستطيع الآن أن ننتقل من حبائل الصيد إلى الكون ، فكما أنه ليس هناك فى الحبائل المتقدمة مركز ثابت بل إن كل جزء منها امتد فابتعدت كل سمكة عن الأخرى ، وكما أنه يتراءى أن السمكة البعيدة تزيد سرعة ابتعادها عن سمكة معينة رغم أن جميع الأسماك تتناثر بقدر واحد ، كذلك الكون لسنا فيه مركزاً لابتعاد العوالم ، وهناك حيز يحملنا جميعاً هو الذى يمتد ، ولا يمنع امتداده أن نلاحظ ازدياداً فى سرعة العوالم كلما كانت بعيدة عنا

هذه السمكة العاقلة اتخذتها مثالاً للكون الذى نعيش فيه ، نحن كسمكة من ملايين ملايين الأسماك ، ممتدة على حبائل أوسع من هذه ، وهناك صياد ماهر لا نراه ، يتصرف بالعوالم كما يتصرف صياد السمك بالست عشرة سمكة التى كانت من نصيبه ، ويبحث العلماء فعل الصياد وأثر القوة الخفية التى تقوم بهذه العملية التى نعرفها حتى الآن ، ثم تنتقل إلى تعرف الحيز الحامل لنا ، هذا الحيز الوجود فى إطاره كل العوالم الطبيعية ، والذى سنرى أنه يختلف عن حيز أقليدس اللانهائى .

* * *

أوضحنا أننا كما نستطيع أن نعرف اقتراب أو ابتعاد قاطرة عنا من سماع صفيرها ، كذلك يمكن معرفة اقتراب أو ابتعاد مجموعة من النجوم عنا من موضع خطوطها الطيفية على الطيف المادى ، ففى حالة ابتعاد هذه النجوم تقترب خطوط طيفها من الجهة الحمراء ، وفى حالة اقترابها تقترب من الجهة الأخرى ، وتتعين سرعة ابتعاد النجم أو اقترابه من درجة اقتراب خطوطه الطيفية من أحد الطرفين .

وذكرنا أن العلوم النظرية والتجريبية قد برهنت على ابتعاد جميع العوالم عنا ، كما برهنت على زيادة سرعة ابتعادها مع بعدها ،



(شكل ٢) حبائل الصيد بعد شدها

قد يعترض القارئ أن أسماكاً ، فى صفوف أخرى ، تقترب فى الوقت الذى تتناثر فيه الست عشرة سمكة المتقدمة ، ولكن عليه أن يتصور أن حبائل الشبكة من مادة تجيز التمدد فى جميع الجهات

* * *

مثال آخر يُقَرِّبُ للقارئ الصورة التى يعتقدها العلماء فى الكون ، ذلك أن تتصور كرة من المطاط ، انتشرت على سطحها وفى داخل قشرتها جسيمات صغيرة جداً شكل (٣) ، فإنه عندما تَنْتَفِخُ هذه الكرة ، تبتعد هذه الجسيمات الواحدة عن الأخرى وفق القانون المتقدم ، بحيث يبدو ونحن عند جسيم معين ازدياد ابتعاد الجسيمات الأخرى كلما كانت بعيدة عنه

هذه صورة الكون الذى يُفَسر مشاهداتنا إلى حد ، ولا يزال علينا أن نعرف مدى ما يساعد عليه العلم النظرى من التثبت من هذه الصورة ، ويلزمنا قبل أن نبدأ هذا الشرح أن نلخص الوقائع فالعوالم ، التى تفصلنا عنها مسافة يقطعها الضوء فى ٣ ملايين سنة ، تبعد عنا بسرعة ٥٠٠ كيلو متر فى الثانية تقريباً ، أما العوالم المفصولة عنا بمسافة ١٥٠ مليون سنة ضوئية فتبتعد عنا بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر فى الثانية .

وتساءلنا لماذا تبتعد كل العوالم عنا ، وأعطينا الآن صورة للكون الذى نعلم عنه أن كل عالم فيه يبتعد عنا ، وأن سرعة الابتعاد تتزايد كلما كان بعيداً . هذه خلاصة ما وصلنا إليه ، على أننا نخطو بالقارئ خطوة أخرى إلى الأمام .

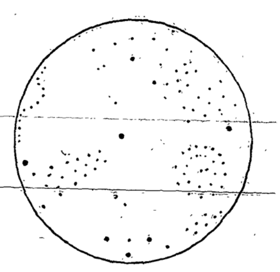
* * *

مهما يكن من الأمر فإنه لم يكن هناك غير طريقين لنجد تعليلاً لهذه السرعة الكبيرة للسدم التى تبتعد كلها عنا .

(١) إما أن هناك قوة للخارج (Force Repulsive) تدفع هذه الكائنات إلى السباق والتنافر .

(٣) أو أن تكون هذه السرعة موجودة ولازمة لهذه العوالم منذ التطور الأول للخليقة ، ومن يدرى ماضيها ؟ فقد تكون أكبر من ذلك بكثير .





(شكل ٣) كرة من المطاط أو الكون بعد أن ازداد حجمه بقدر خمسة أضعاف حجم الأول

على أنى لا أريد أن يفوت القارئ ، أن هذه السرعات الكبيرة ، قد لفتت النظر إليها البحث النظرى قبل البحث التجريبى هذا البحث النظرى الذى بدأ بمعادلات « إينشتاين » عن النسبية فى وضعها العام ، والذى تبعه دراسة « دى سيتير » الذى توقع هذا التنافر للعوالم البعيدة. ولنعد بكلمة أخرى إلى عمل « أينشتاين » لنرى العلاقة بين عمله وبين صورة الكون

عند ما نشر أينشتاين نظرية النسبية فى وضعها العام سنة ١٩١٥ التى تناول فيها فيزيقة المجال[1] ، والتى درس فيها المادة والكهرباء والإشعاع والجهد ، كان أهم جزء فى نظريته قانون الجاذبية ، الذى يتفق فى الحدود العادية مع نظريات نيوتن القديمة[1] ، على أن أينشتاين قد واجه فى ذلك الوقت بعض الصعوبات التى لكى يذللها ، عدل معادلاته بحيث أصبحت تسمح بتقوس الحيز للمسافات البعيدة ، فخذف بعبقريته فكرة اللانهائية التى كانت تشغل دوراً فى العلوم ، بحيث إذا سرنا فى حيز أو كون أينشتاين الجديد دائماً للأمام ، رجعنا للنقطة التى بدأنا منها السير .

هذه المعادلات الجديدة الخاصة بالجاذبية ، نرى فيها ثابتاً جديداً يطلقون عليه الثابت الكونى La Constante Cosmique

على أن الذى يهمنا أن هذا الطرف الجديد فى معادلات أينشتاين خاص بوجود تنافر بين مجموعات الأجرام السماوية ، يتناسب مع المسافة ، تنافر كونى (Repulsion Cosmique) ، ليس له مركز خاص ، أى أنه قوة متعلقة بالثابت الكونى وتتناسب معه

ومما هو جدير بالذكر أن المسألة التى نحن بصددها الخاصة باتساع الكون وتعاظم مسافاته ، لم تكن قط موضع نظر أينشتاين ولم تكن بين المبررات التى دعته للتعديل الذى قام به هذا العالم الذى لم يهتم للثابت الكونى بقدر اهتمام البروفسير فايل Weil له فيما بعد.

على أن تفكير أينشتاين هذا ، أفاد فى معارفنا فيما يخص الكون ، وخرج بنا من غير قصد من مصاعب كان لا بد أن نلقاها ، ذلك أنه إذا اعتبرنا المسافات البعيدة عن الـ ١٥٠ سنة الضوئية التى كانت آخر حدود رؤيتنا[2] نصل إلى أجرام تقرب سرعتها من سرعة الضوء ، وليس هنا المجال لنذكر ما فى ذلك من تناقض للنظريات الحديثة ؛ ولعل القارئ يدرك الآن كيف يمنعنا أينشتاين الذى كان لا يعرف هذه الصعوبة القائمة أمامنا ، من التوغل فى الكون بشكله الذى نستوعبه ، لأن الكون مغلق على نفسه ولأننا لا نلبث أن نعود من حيث نظن أننا لا زلنا نتوغل فيه

لست الآن بصدد أن أذكر القارئ أن الرياضيين توصلوا منذ أكثر من مائة عام إلى فرض حيز مقوس يختلف عن حيز أقليدس ، وليس فى نيتى فى هذه الأسطر أن أستعرض علماً من أهم العلوم المعروفة اليوم ، هو هندسة ريمان (Reimann) وهندسة لوباتشيفيسكى

(١) اهتم العالم فى ذلك الوقت بنظرية الكم Quanta الخاصة بالجسيمات المتناهية فى الصغر ، وسنتكلم عنها فيما بعد ، ولقد كان للأستاذ ديراك P. A. M. Dirac سنة ١٩٢٨ الفضل الأكبر فى وضع العلائق بين نظريات أينشتاين فى النسبية ونظرية الكم ، وذلك بمعادلته الموجية النسبية الخاصة بالألكترون Iquation ondulatoire rélativiste de l'electron

(١) لقد أعلن أينشتاين منذ أربعة أيام ، أى ساعة كتابة هذا المقال ، تفسيراً جديداً للجاذبية وعلاقتها بالمادة والمغناطيسية ، ويعتقد العالم الكبير أنه فى طريق اكتشاف قانون عام يفسر التركيب الكونى ، وما خفى فى المادة والاشعاع ، ولعل إعلانه هذا لمناسبة بلوغه الستين

(٢) هذه الحدود الـ ١٥٠ مليون كانت حدود رؤيتنا فى سنة ١٩٣٤ والظاهر أنها بلغت هذا العام ٥٠٠ مليون (راجع مجلة الاكتشاف — كمبردج — يناير سنة ١٩٣٩ ص ٣٦)

Lobatcheveski التي تعتمد كلاهما على تقوس الحيز ، وتختلف عن الهندسة التي اعتدنا حل مسائلها في المدارس ، والتي لا وجود فيها للخطين المتوازيين ، إنما أريد أن ألفت نظر القارئ إلى أن دراسة دقيقة للحيز الطبيعي أوصلت العلماء لخاصية تقوسه ، كما أوصلت ريمان لنفس النتيجة . أما ريمان فوصل لهذا التقوس لعدم إمكان إثبات نظرية واحدة، من بين الأربع والبشرين نظرية لأقليدس التي تعلمناها في المدارس ، وهي نظرية خاصة بالمتوازيات . أما الطبيعيون فقدوصلوا لهذا التقوس بتجارب سنأتي عليها عندما نتكلم عن النسبية

وهكذا ظهر لنا حيز أقليدس المستقيم مقوساً، وظهر لنا أن هذا التقوس صفة طبيعية تسمح التجارب اليوم بالتحقق منها، كما نتحقق من وجود المجال المغناطيسي دون أن نراه

وهكذا كما نصادف في الطبيعة سطوحاً منحنية ، نصادف فيها حيزاً منحنياً ، أي أن له هذه الخاصية من التقوس الممكن قياسه ولكن يوجد فرق جوهري بين التقوسين ، ذلك أنه يجوز لنا في السطوح أن نعدّلها أي نحذف خاصية الانحناء منها ، وذلك بالقيام بعملية مماكسة للانحناء ، ولكن لا نستطيع في الحيز أن نجعله يتخلص من هذه الخاصية ، أي أنه لا يمكن تعديل صفته الطبيعية كما هو الحال في السطوح

هذا الحيز أو الفراغ في حالته البسيطة حيز ذو أربعة أبعاد ، وهذا البعد الرابع هو الذي ينحني الحيز في اتجاهه — هذا التمثيل الرباعي الأبعاد ، في الحالة البسيطة المتناسقة ، يصبح سداسياً أو ذا عشرة أبعاد عندما ننتقل من الحيز العادي إلى الحيز في الزمن، وليس للقارئ أن يرتبك بهذا الحيز الأخير وعلى حد قولهم — إن ما يميز العالم الرياضي من غيره أن الأول يرى الأشياء في أربعة حدود، إنه لاشك أن ثمة صعوبة في تخيل الحيز ذي أربعة الأبعاد، ويتصور أدنجتون (Edington) لذلك فقاعة كبيرة ، هذه الفقاعة ذات أربعة حدود، حيث الطول والعرض والارتفاع ، موجود كله في القشرة المكونة لها [1]

هذا الحيز ذو الثلاثة الأبعاد المموج في حيز ذي أربعة أبعاد، يعطينا الرياضيون عنه خواص تتصل بفهمنا للكون ، منها أن التقوس كاف ليعطينا حيزاً مغلقاً يختلف عن الحيز المفتوح اللانهائي بالطريقة التي يختلف فيها سطح الكرة عن سطح مستو غير محدود

كل ما أريد أن يعلق بذهن القارئ ، هو أن يعتقد أن الحيز المتقوس نتيجة رياضية ، ونتيجة عملية في آن واحد، وتكرار القول أن الحيز الطبيعي الذي نحن فيه ، حيز من شأنه أن خطاً ما ، أو موجة ضوئية أو كهربائية ، تعود إلى النقطة التي بدأت منها ، بعد أن يكون كل منها قد دار حول الكون .

صحيح قد دلتنا التجارب حتى اليوم على أن التقوس صفة ضرورية ولازمة في جزء من هذا الحيز، هو جزء محدود بحدود رؤيتنا فهل يتقدم العلم التجريبي تقدماً يثبت فيه أن هذا الحيز محدود وأنه مغلق؟ هذ ما يعتقده العلماء .

هذا الحيز المتقوس والمقفل على نفسه ، يعتقدون أنه كروي ، وأن وجود المادة فيه من آن لآخر يحدث اختلافات فيه عندها ، كما تحدث الجبال اختلافات في كروية الأرض ، وكما أن المساحة الجانبية للكرة الأرضية محدودة ، كذلك حجم الحيز الكروي للكون محدود ، ولكنه يكبر

قد يتساءل القارئ : مالي ولكل هذا ؟ لماذا هذه الصورة من الكون التي تمنعني تصوراتي من استيعابها ؟ أو نحن في حاجة لهذه الصورة المعقدة ، لنفهم تمدد العوالم وابتعادها الواحد عن الآخر ؟ ألا يكفينا الفراغ الأقليدسي القديم الذي اعتدناه في المدارس ، والذي فهمناه على أيدي مدرسين قديرين ، قطعوا السنين الطويلة في تلقيننا صورته ، والذي دخلنا من أجله عشرات الامتحانات ؟ ألا يكفيني حيز أقليدس الذي أتصور فيه الطول والعرض والارتفاع لأي كائن كما أتصور فيه المسافات مهما بعدت؟

وجوابنا أن عالمنا الأقليدسي لا يكفي لفهم الظواهر الجديدة في تمدد العالم ، ويتناقض مع معارفنا الحالية ، وإنني إذا كنت أجهدت نفسي في أن نفهم مماساً كونياً كروياً ، كروياً ليس كالكرة المعتادة ، فلأن لذلك صلة كبرى ، إن لم تكن بتمدد الكون في ذاته ، فعلى الأقل بالنتائج التي تترتب على هذا التمدد ... نتائج سيدهش لها القارئ عند ما أدله عليها في المقال القادم

ومع كل ذلك فليس ثمة سبب جدّي لهجر كون محدود وحيز متكور ، للرجوع إلى حيز أقليدسي غير محدود وهو بهذا غير معقول ، مادام العلم النظري يجيز الحيز الجديد والعلم التجريبي يحتمه

هب أن أحد المؤرخين ، مهما علت مكانته ، وصف لنا مقبرة خوفو بالجيزة مخروطاً قائماً في الصحراء ، وهب أننا رأينا رأي

(1) ليس لنا أن نتصور إمكان دوران هذه الفقاعة حول أحد المحاور المرونة إذ لا يمكن أن نستوعب دوران أبعاد حول محور واحد ، ويدل التحليل الرياضي أن فقاعة في أربعة أبعاد كهذه لا يمكن أن تدور حول أحد أبعادها وإنما حول اثنين من هذه الأبعاد أي ثلاثة حول مستو — هذه نتيجة إن عرفناها لا نستطيع أن نتخيلها



العين أن هذه المقبرة تمثل شكلا هرمياً ، له قاعدة وأربعة أوجه ، فليس لنا أن نواصل وصف الأهرام كمخروط وهو ليس بمخروط

ومهما يكن من عدد ملايين النجوم والسدم ، أليس أقرب للذهن تصورها على كرة محدودة عن تصورها منتشرة في فضاء لا نهائي ؟ هذه اللانهائية تتضاءل يوماً بعد يوم ، وإذا كانت هذه المجموعة يبتعد بعضها عن بعض ، فبدهى أنه يلزم لها حيز يكبر بحيث يقبل هذا التباعد ، ومن السهل أن نفهم ذلك لو تصورنا مخلوقات عديدة موزعة على الأرض. إن هذه المخلوقات لا يمكنها أن يبتعد كل واحد منها عن الآخر، دون أن تقترب في نفس الوقت من أي كائن على الأرض ، إلا إذا تصورنا أن الأرض نفسها تكبر

هذا هو الكون يدلنا العلم أنه محدود وأنه يمتد في جميع أنحائه، على نحو كرة المطاط السابقة ، أو حبائل الصيد المتقدمة، قد تدل الأيام على خطأ في هذا التقدير، وقد تظهر هذه المسائل في يوم آخر بلون جديد، ولكن إذا أردت أن تعرف شكل الكون من هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم بدراسته، فقد دللتك على آرائهم ، وليس أمثال دى سيتير وأينشتاين وأدنجتون وغيرهم ممن لا يقام لرأيهم وزن ، وغايتي بعد الذى وصلنا إليه أن أشرح للقارئ النتائج التي ترتبت على هذه الظاهرة الجديدة — ظاهرة تمدد الكون — نتائج أهم ما فيها الوصول لعلاقة بين الكون في مجموعه ، وبين الذرة والالكترون ، أي بين الكون وأصغر ما فيه، بل الوصول إلى معرفة عدد ذرات وألكترونات الكون مهما كان هذا الكون عظيماً .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

الأغاني المصرية

للفنان محمد السيد المويلحي

أعتقد أن أسمى اللغات قاطبة وأقربها إلى العقل والقلب ، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً في مسالك الأرض : هي الموسيقى وحدها لأنها لغة الطبيعة السهلة التي تجرى على كل لسان لتعبر عن خوالجه ، وتترجم إحساسه وتصور أمله وعقله ، بل وتسجل مقدار ما يتمتع به من حضارة وسمو ، أو ما هو عليه من انحطاط وتحول !

ولا أحب في هذا المقام أن أستشهد بأقوال حكماء العالم فإنها معروفة ، وإنما أحب أن أركز هذه الأقوال جميعاً في جملة واحدة للحكيم الصيني (كونفوشيوس) الذي قال : « أروني أغاني أمة من الأمم أركم مدى ما وصلت إليه من حضارة ورقى ... ! »

وقبل أن أعرض مع القارئ مبلغ ما وصلت إليه (أغانينا) من حضارة ورقى أو انحطاط وهبوط ، سأحاول — ما استطعت — أن أعطيه فكرة عن الأغاني في شيء من الإيجاز ، فإن للإسهاب وقتاً آخر .

١ — الأغاني الوصفية : وتشمل الموسيقى المسرحية ومحاكاة ما تسمعه الأذن من التفاعيل الطبيعية .

٢ — الأغاني الحماسية : وتستعمل في إشعال النفوس وتهيئتها لجو الحروب ، والتضحية ، والفداء ...

٣ — الأغاني الشعبية : وتمتاز بلونها السهل الذى لا تركيب فيه ولا تعقيد .

٤ — الأغاني الغزلية : وهي التي تترجم خلجات النفس وأماني الفؤاد ، وتصور ما يلاقى الإنسان في حبه من توفيق أو فشل ، وأثر هذا التوفيق أو هذا الفشل في حياته وتفكيره ...

٥ — الأغاني الصوفية : وهي التي يتداولها رجال (الذكر)

ببراعة بارعة وقدرة قادرة على التصرف والخروج من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام؛ ثم الرجوع إلى النغمة الأصلية والمقام الأول بسلامة ودقة .

٦ — أغانى العمال : ويستعملونها لمساعدتهم على أعمالهم الشاقة واحتمال ما هم فيه من حاجة وضنى .

٧ — أغانى الفرح : ويعبر بها الإنسان عن هناءته وسعادته وحبه لكل شيء جميل في الحياة ...

٨ — أغانى الأطفال : وتستعملها الأمهات للتنبيه والمناجاة ، ولجلب النوم ، ولإطفاء الغضب .

٩ — أغانى الحيوانات : ويستعين بها الرعاة والحداة على السيطرة على الحيوانات لتنتج أعظم إنتاج وأوفره...

١٠ — أغانى النواح : وهى التى تجرى لحناً حزيناً مؤثراً فتلهب العواطف ، وتحرك القلوب ، وتثير الدموع .

١١ — أغانى المناسبات : وهى التى تغنى فى أوقات خاصة لمناسبات خاصة كأغانى رمضان ، وأغانى الحج ، وأغانى الموالد ، وأغانى الزار ... الخ .

١٢ — أغانى الكنيسة : وهى من أروع الموسيقى القديمة ولها لون يضفى على النفس إهاباً من السعادة والنور .

هذه بعض الأغانى التى تستعمل بعضها أكثر الشعوب استعمالاً يتفق وحضارتها أو تأخرها . فالشعوب الحية الناهضة تستعمل الأغانى الوصفية ، والحماسية ، والشعبية الخ ، وقلما تلجأ للأغانى الغزلية إلا فى القليل النادر ، وفى البيئات المحدودة ، ثم هى لا تعرف أغانى الحزن أو تعرفها ولكن لا تعزفها .. !

والشعوب (الرخوة) المتأخرة هى التى تغنى نفسها فى أغانى الحب وأغانى الحزن ، وذلك لانعدام قدرتها على السيطرة على عواطفها ، والتحكم فى خوالجها فهى خاضعة لشهواتها ، أسيرة لغرامها ، لا تعرف من الحب إلا (آهاته وأناته ...) !

ولننظر الآن فى أغانينا لنحكم بأنفسنا على مبلغ ما وصلنا إليه فيها ...

إنها بلغت درجة الإسفاف والانحدار تأليفاً وتلحيناً وبخاصة فى السنوات الأخيرة ، حتى أن الشعب أصبح على رغم صيحات الإنكار وصرخات الاحتجاج التى يرسلها المصلحون الناقمون على هذا التبذل الرخيص والمشفقون على الوطن ، وشباب الوطن من هذا (اللون) المسترخى البغيض الذى يشيع فى كل كلمة وكل لحن والذى تتناقله الألسن إما إعجاباً ، أو محاكاة ، أو ترديداً لا أكثر ولا أقل .. !

أقول إن الشعب برغم كل هذا لا يحرك ساكناً ، ولا يرسل صيحاته وإعجابه إلا للمغنى الذى يبكى أمانيه ويندب حظه وحبه ويبدى ذله ودموعه بشكل ضعيف سخيف ، وإلا للمغنية التى تتأوه ، وترثى حبها وحبيبها فتصف قلبها الذى أضناه البعاد ، وحسنها الذى أذواه السهاد ...

فإذا حاول مطرب بعد هذا أن يساهم فى حركة الإصلاح فغنى مشيداً بتاريخ بلاده العظيم ، أو حاضاً على النهوض والوثوب أو مصوراً جلال الحاضر ورفعة المستقبل ، لا يقابل إلا بالفتور

فمن ذا الذى خدر أعصاب هذا الشعب ، حتى غدا لا يستسيغ إلا الساقط المسترخى الذى لا يقوم على أساس ولا ينهض إلا على الأنين المدعى ، والحنين المصطنع ؟

من ذا الذى فرض تلك الأغانى التى لا فكرة فيها ، ولا غرض منها إلا ابتذالها وانحلالها ؟

للشهرة نصيب ، وللجهل نصيب !

فقد انتهز بعض المشهورين بالنواح وبالبكاء فرصة هجعة الحياة المصرية ففرضوا (لونهم) على الشعب فرضاً ، وسمموا حواسه وخدروها بالآهات المصطنعة ، وبالأنات المفتعلة ؛ ودأبوا طول هذه السنوات لا يغذونه إلا بهذا الغناء المسموم ، ولا يسمعونه إلا موسيقى جافة ميتة ، وإلا ألفاظاً ساقطة لا حياة فيها ولا فكرة تحييها ، ولا غرض يسمو بها إلى آفاق المجد الذى تفيض به الأغانى الأجنبية حتى أصبحوا — الآن — حجاباً صفيقاً بين الشعب وبين نوابغه من الموسيقيين العباقرة الذين ظلمتهم الشهرة الطاغية ، فوقفوا صامتين مقيدين لا تسمح لهم ضمائرهم بالهبوط إلى هذا الدرك ، ولا ترحمهم الحاجة الملحة إلى طلب القوت فترفع إليهم هذا الشعب الظالم نفسه وأهله

لا أريد هنا أن أسمى بعض المطربين والمطربات ، ولكننى أقول : إن بعضهم — وهم الذين يتحكمون فى سوق الأغانى

وفي سوق الإذاعة، وفي سوق التمثيل السينمي في هذا الوقت على الأقل — أقول إنهم قد اغتنوا وأتتنوا ما يغنيهم عن استغلال أحط الغرائز الإنسانية التي لا تزال تتغذى منهم هذا الغذاء المجرم! ما الذي يمنعهم من أن يساهموا في هذه الطفرة المباركة التي ستنهض بالشعب عن طريق أغانيه؟ ما الذي يمنعهم من أن يتركوا البكاء والعويل ويساهموا في رفعة الشعب فيعرضوا عليه ألواناً من الحماسة والشجاعة والوصف الطبيعي الجميل؟ إن تاريخنا مجيد سجدت له الدنيا، وإن حاضرنا عظيم بنفوس أبنائه وهمة مليكه الشاب المفدى، فلم لا نخرج للدنيا ألحاناً خالدة خالية من الحب، والغدر، والهيام السقيم واللون الإفرنجي الذي يخالف ذوقنا وفننا كما أشار بذلك سيد الشباب وحفيد إسماعيل ...؟

إن بلادنا غنية بجمالها وجلالها، وإن شمسها وقمرها وسهولها وزروعها ونخيلها ونيلها، لو اتخذت موضوعاً للوصف والغناء لكانت فتنة للقلب، وسحراً للسمع، وإشادة صادقة بجمال صادق فذ فريد!

إن الشعب كالعجين في أيدي الشعراء، والزجالين، والمطربين والمطربات،.. يتشكل بالشكل الذي يريده هؤلاء جميعاً فلم لا نهيئه للجو الذي نريده ويريده مثقفوه؟ ولم لا نضطره إلى قبول هذا اللون الجميل الجليل بل إلى حبه وهو الذي يقبل منهم التافه المنحل ...؟

إن الذين طبعوه على البكاء يستطيعون — لو أخلصوا — أن يطبعوه على حب المجد والتضحيه ومسايرة الشعوب الحية الناهضة القوية، وإن الذين صوروه في هيئة الرجل الذي لا يعرف إلا قلبه وحبه، يستطيعون أن يصوروه في هيئة الرجل الذي لا يعرف إلا مجد وطنه وفخر أمته

إن محطة الإذاعة يقع عليها جزء كبير من هذه التبعة فلن نكتفي منها بمحو كلمات (الذل، والهجر، والغدر) من الأغاني، بل نطمع في مساعدتها ومساهمتها في هذا المشروع العظيم بكل ما تملك من سلطة وقوة... نطمع منها أن تمنع بتاتاً (أهازيج الغرام، وأدوار الهيام) وأن تشجع هؤلاء الذين يتقدمون إليها بأغانيهم القوية تشجيعاً يحفزهم على مواصلة عملهم والتقدم بفنهم إلى الأمام أبداً ...

عليها أن تضرب (بالشهرة) عرض الحائط، وستجد من الشعب المثقف ومن الصحافة خير مشجع لها ومشيد بفضلها

إن الأمر لن يكلفها إلا القليل من الجرأة والإيمان بعدالة هذه القضية فهي متعاقدة مع بعض كبار الملحنين فلتكلفهم بتلحين جديد لكلام جديد ... فإن عجزوا فالمباريات لن تعجز والجيل الجديد من الموسيقيين الناشئين المثقفين لن يعجز!

أعتقد أن وزارة المعارف وهي التي تشجع الفنون على اختلاف أنواعها لن تضن على الموسيقى بتشجيعها، وعلى رأسها وزيرها الأديب، ووكيلها الموسيقى بفطرته، والذي يتمنى أن يرى الموسيقى قد أخذت مكانها الرفيع في التثقيف والتهذيب والتطريب القوي الذي لا انحدار فيه ولا استرخاء

إن الوزارة لو اشتركت مع محطة الإذاعة في عمل مباريات تنظر فيها لجنة فنية من كبار الموسيقيين تكافأ بما يتناسب وجلال هذه المهمة لكانت خطوة موفقة، ولو كلفتهم الوزارة والمحطة بعمل قطع جديدة وكافأتهم مكافأة حسنة لكانت خطوة أكثر توفيقاً، وأكبر نجاحاً

أيها الناس ... لقد سئمنا الشهرة، وسئمنا هذا الاستغلال الذي يتنافر وشرف الفن، ومللنا هذا البكاء المريض الذي لا يتفق وحضارتنا، وكبرياءنا

نريد أن نحيا كما يحيا غيرنا. نريد أن نفخر بعزتنا، وبوطننا، وبمليكنا الذي يود أن يسمو بالأغاني عن منطقة الدموع والشهوات والقلب والحب، والحسرات والزفرات. حتى لا يقال عنا إننا لا نعيش إلا لشهواتنا وقلبنا ..!!

محمد السيد المويلحي



النواحي الإنسانية في الرسول

قرأت كلمة للأستاذ زكي مبارك في العدد (٢٩٧) من مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان، وقد بنى هذه الكلمة على أساس أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم لم تدرس حق الدرس إلى اليوم في البيئات الإسلامية، لأن المسلمين يجعلونه رسولاً في جميع الأحوال، فهو لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحي من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل

ولو أن الأستاذ زكي مبارك رجع إلى ماضيه في الأزهر فقرأ شيئاً من كتب الأصول، لعرف أن المسلمين لم يكونوا بهذا الشكل الذي يصورهم به. وقد نعذر بعض المستشرقين إذا قال مثل هذا القول، ولكنا لا نعذر الأستاذ زكي مبارك، وقد تربى بين شيوخ الأزهر، ودرس الكتب الأزهرية، ووصل فيها إلى الحد الذي جعله يقدم نفسه من عامين لامتحان شهادة العالمية

فليس بصحيح أن المسلمين يعتقدون أن النبي لا يتقدم ولا يتأخر في جميع أحواله إلا بوحي من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل، والذي يعرفه المسلمون جميعاً أن الوحي لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وسلم شأن في أمور الدنيا، حتى ورد عنه هذا القول المشهور: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» وقد قال هذا حينما رأى قوماً يؤبرون النخل، فقال لهم: لو تركتموه لصلح، فتركوه اتباعاً لقوله ففسد، فلما رجعوا إليه قال لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم

أما أمور الدين فقد جوز أكثر العلماء له الاجتهاد فيها بدون الوحي، وجوزوا عليه الخطأ فيها أيضاً، ولهذا عوتب في القرآن الكريم بقوله تعالى: «عفا الله عنك لم أذنت لهم» وبقوله: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» وقال صلى الله عليه وسلم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدْي»

وقد منع بعض العلماء أن يجتهد النبي في الأحكام من نفسه واستدلوا بقوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى» وأجاب الذين ذهبوا إلى جواز ذلك له بأن هذا مختص بالقرآن الكريم، وقد جاء رداً لما زعمه المشركون من افترائه له

فهل بعد هذا كله يصح أن يقول الأستاذ زكي مبارك: إن شخصية الرسول لم تدرس عند المسلمين حق الدرس إلى اليوم؟ وهل من اللائق أن نتنكر لماضينا هذا التنكر؟

عبد المتعال الصعيدي

من ملك مصر والشام إلى ملك بيت المقدس

قاتلهم فكان خير مقاتل، وهادنهم فكان أفضل مهادن، وغلبهم فكان أكرم غالب، وتكلم في الحرب فكان القول زمجرة ونهيا، ونطق في السلم فكان الكلام عندلة[1] وهديلاً، وللهيجاء لسان، وللموادعة لغة. وكانت لهم في (بيت المقدس) مملكة استمرت مائة عام إلا قليلاً، ومات ملكها وبين (المغير والنائد) هدنة، فأرسل بهذا الكتاب معزياً، ونحن ننشره في (رسالة العرب والعربية) نموذجاً من أدب النفس والخلق العالي والسياسة الحكيمة

إنه (صلاح الدين) تلميذ (محمد) خادم محمد، صلى الإله على محمد!

* * *

«كتب القاضي الفاضل عن السلطان (صلاح الدين يوسف ابن أيوب) إلى بردويل أحد ملوك الفرنج، وهو يومئذ مستول على بيت المقدس وما معه، معزياً له في أبيه، ومهنئاً له بجلوسه في الملك بعده، ما صورته:

أما بعد: خص الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد، والسعد الساعد، والحظ الزائد، والتوفيق الوارد؛ وهنأه من ملك قومه ما وُرِّثه، وأحسن من هداه فيما أتى به الدهر وأحدثه، فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوب الأصادق، والنَّعي الذي وَدِدْنا أنّ قائله غير صادق؛ بالملك العادل الأعز الذي لقّاه الله خير ما لقّى مثله، وبلّغ الأرضَ سعادته

[1] البلبل يعندل

كابنته محتسبة؛ معزى بما يجب فيه العزاء، ومتأسف لفقده الذى عظمت به الأرزاء؛ إلا أن الله سبحانه قد هون الحادث، بأن جعل ولده الوارث؛ وأنسى المصاب، بأن حفظ به النصاب، ووهبه نعمتين: الملك والشباب. فهنيئاً له ما حاز، وسقياً لقبر والده الذى حق له الفداء لو جاز. ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين أدام الله سلامته قائم عنا بإقامة العزاء من لسانه، ومبين ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخلو مكانه، وودنا الذى هو ميراثه عن والده من ودادنا، فليلق التحية بمثلها، وليأت الحسنة ليكون من أهلها؛ وليعلم أنّا له كما كنا لأبيه: مودة صافية، وعقيدة وافية؛ ومحبة ثبت عقدها فى الحياة والوفاء، وسريرة حكمت فى الدنيا بالموافاة؛ مع ما فى الدين من المخالفات. فليسترسل إلينا استرسال الواثق الذى لا يخجل، وليعتمد علينا اعتماد الولد الذى لا يحمل عن والده ما تحمل؛ والله يديم تبصيره، ويحرس تأميره، ويقضى له بموافقة التوفيق، ويلهمه تصديق ظن الصديق »

* * *

ذلكم كتاب بطل المسلمين وقاهر الصليبيين (صلاح الدين) وإن (معزى) ملك بيت المقدس هو (منقذ) بيت المقدس

« الإسكندرية » * * *

التصوف الإسلامى

أخى الأستاذ الزيات

يسرنى أن أقدم إليك القصة الآتية:

لما ظهر كتاب التصوف الإسلامى كنت أنتظر أن يقع من جميع الباحثين موقع القبول، ثم أزعجنى أن يتلقاه بعض الناس بالكدر والامتعاض. وقد دلنى ذلك على أن التضامن منعدم بين أدباء هذا الجيل.

وأعيذك أن تظن أنى خائف على نفسى من لجاجة بعض الحاقدين. وكيف أخاف وذلك « البعض » واحد من جملة الذين عادونى وخاصمونى ثم ارتدوا على أعقابهم خاسرين؟.

أما الخوف على كتاب التصوف الإسلامى فهو لا يخطر فى البال، لأن الكتاب سيشق طريقه إلى القلوب والعقول، ولو تظاهر الناس كلهم على دفع أمواجه الأدبية والفلسفية

وإنما أشغل نفسى بهذه القضية لسببين: الأول حق التاريخ، والثانى حق الواجب

أما حق التاريخ فهو تسجيل ظاهرة من ظواهر الأخلاق، لأن ذلك الأستاذ الذى يحارب كتاب التصوف الإسلامى هو رجل دفعت عنه كيد خصومه بكلمة قوية نشرتها فى مجلة الرسالة، وما أمن عليه بما صنعت من جميل، وإنما أسجل أننا قد نخطئ مواطن الجميل فى بعض الأحيان

أما حق الواجب فهو دفع الأذى عن العقول التى تقبل على مؤلفاتى، فما يجوز أن أترك أنصارى عرضة لأراجيف المتقولين والحاقدين.

فما الذى عابه ذلك الأستاذ الفضال؟

١ — قال: إنى كتبت فى التصوف ولست صوفيًّا، ولا يجوز عنده أن يكتب فى التصوف غير الصوفية!

وأجيب بأنى درست التصوف من الوجهة الأدبية والفلسفية وقد وصلت من ذلك إلى ما أريد. أما القول بأنى لست صوفيًّا فهو قول مردود، فتلك أسرار يعلمها الله ويجهلها الناس. وأنا أكره أن أصف نفسى بالتقوى والزهد والتنسك لئلا أقع فى بلية الرياء؛ وقد قلت ألف مرة إنى أحب أن ألقى الناس بالفجور وألقى الله بالعفاف، وأنا راض عن نصيبى عند علام الغيوب

٢ — وقال: إنى لوثت كتاب التصوف الإسلامى بالحديث عن أبى العتاهية، وساق كلمة سفيهة وصف بها أبو العتاهية فى كتاب الأغانى

ولو أن هذا الناقد كان اطلع على كتاب (النثر الفنى) لعرف قيمة الأخبار الواردة فى كتاب الأغانى

وهل يصح فى حكم العقل أن نمحو اسم أبى العتاهية من سجلات الأدب بسبب كلمة سخيفة كتبها صاحب الأغانى؟

أنا لا أنظر إلى أبى العتاهية إلا من جهة واحدة: هى أنه أنشأ فى الأدب العربى فنًّا جديداً حين نظم قصائده الزهديات. ولن نستطيع أن نقاوم أبا العتاهية بعد أن أمد اللغة العربية بهذه الثروة الشعرية. وكيف نستطيع ذلك وفى المؤلفين من عد أبا العتاهية من أمراء الشعر فى العصر العباسى؟

٣ — وعاب على أن أتحدث عن زهديات أبى نواس فى كتاب التصوف الإسلامى.

وما العيب فى ذلك؟

أنا تحدثت عن الندم الذى عاناه أبو نواس يوم هداه الله إلى المتاب، فهل ينقص ذلك من كتابى؟

وهل هناك فرصة روحية أعظم من فرصة الفاجر حين يتوب ؟

وهل كان أبو نواس أسوأ خُلُقاً من بعض شعراء اليونان الذين بقيت آثارهم على وجه الزمان ؟

إن الذين يعيبون عليّ أن أتحدث عن زهديات أبي نواس في كتاب التصوف ينظرون إلى الأخلاق نظرة سوقية لا فلسفية، وأمثال هؤلاء لا يقام لآرائهم وزن وإن لبسوا مسوح الرهبان

٤ — وعجب حضرة الناقد من ألا أكتب عن الحلاج غير إحدى عشرة صفحة ، ولو أنه كان تأمل لعرف كيف اختصرت القول في الحلاج ، لأن الحلاج درسه المستشرقون من قبل ، وأنا أبغض الحديث المعاد .

وأنا مع ذلك أقول إن الصفات التي كتبتها عن الحلاج ستكون نبراساً لكل من يكتب عن الحلاج ، ولن يستطيع باحث مهما اعتسف أن يجهل أني هديته إلى معالم الصواب .

٥ — وهناك مسألة سكت عنها هذا الناقد وتعرض لها بعض الأزهريين في كلمة نشرها بجريدة الدستور ، وهي أني قلت : إن الحلاج صُلب كما صُلب المسيح .

وأنا قلت ذلك في كتاب التصوف الإسلامي ، ولكن له تأويل سجلته في الجزء الثاني من كتاب : « ليلى المريضة في العراق » . وقد فرغت من طبع هذا الجزء قبل أن يُنشر ذلك النقد بجريدة الدستور بأسابيع طوال .

وهل يفطن ذلك الناقد إلى السر في أن ينفي القرآن صلب المسيح ؟

إن لذلك سرًّا سنذيعه يوم نأمن كيد الذين لا يهمهم غير مضغ الأحاديث ، فقد شقينا بأراجيف الناس أعنف شقاء ، ومن الله وحده ننتظر حسن الجزاء .

زكي مبارك

الفائزون في المباراة الأدبية بين المدرسين

اعتمد معالي وزير المعارف النتيجة النهائية للمباراة الأدبية لتشجيع النتاج الفكري بين المدرسين

وننشر فيما يلي أسماء الفائزين ومقدار المكافأة التي تقرر منحها لكل منهم

في الأدب : الأستاذ فخري أبو السعود المدرس بمدرسة الرمل الثانوية وموضوع الرسالة « البارودي الشاعر » وقيمة الجائزة أربعون جنيهاً

في التاريخ : الأستاذ عباس الخرادلي مدرس أول بمدرسة الأمير فاروق الثانوية وموضوع الرسالة « تاريخ الثورة الفرنسية » وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً ...

« الخلافة والسياسة » للأستاذ فخري أبو السعود وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في الكيمياء : « الكيمياء ومسائل الحياة اليومية » للأستاذ حسن عبد السلام مدرس أول بمدرسة بنباقادن الثانوية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في الطبيعة : « الحسن بن الهيثم وجهوده في علم القوة » للأستاذ عبد الحميد حمدي مرسي المدرس بالأميرة فوزية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في النبات : « حياة النبات ومبدأ السنابل » للدكتور عبد الحليم منتصر المدرس بكلية العلوم وقيمة الجائزة سبعون جنيهاً

في الرياضة : « التحويلات الهندسية » للأستاذ حسن رضوان المدرس بالهندسة التطبيقية وقيمة الجائزة أربعون جنيهاً

في الفلسفة والاجتماع : « أحلام الفلاسفة في المدينة الفاضلة » للأستاذ زكي نجيب محمود المدرس بالمدارس الثانوية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

« روح القومية مقدمة الإصلاح الاجتماعي » للأستاذ أحمد خاكي المدرس بدار العلوم وقيمة الجائزة سبعون جنيهاً

ولما كان من أغراض المسابقة إيجاد ذخيرة علمية وأدبية للطلاب والجمهور في مصر باللغة العربية وخاصة في الموضوعات التي تنشر فيها مؤلفات عربية للآن فقد قررت الوزارة أن تقوم بطبع جميع الرسائل التي منحت جوائز ، على ألا تطبع الرسالة إلا بعد إجراء التعديلات التي اقترحتها اللجان العامة واللجان الفرعية وإقرار اللجان الفرعية للرسائل بعد تعديلها

وستحتفل الوزارة في اليوم الثلاثين من هذا الشهر بقاعة المحاضرات بجامعة فؤاد الأول بتوزيع الجوائز عليهم ، فيلقي معالي الوزير خطاباً ، ثم يرد عليه أحد الأساتذة الفائزين بكلمة

نشر الأدب العربي باللغة الفرنسية

نشرنا من قبل نبأ عن تأليف شعبة محلية لجمعية « جيوم بديه » تكون مهمتها نشر كتب الأدب العربي القديم باللغة الفرنسية ، رغبة في إيجاد صلة بين التفكير المصري وتفكير القدماء من أبناء لغة العرب

ونذكر لهذه المناسبة أن جمعية « جيوم بديه » قد درجت

في فرنسا على ترجمة المؤلفات التي صدرت باللغة اللاتينية ترجمة صحيحة باللغة الفرنسية

وستبدأ الشعبة الحلية بترجمة كتاب عربي يقدمه معالي الشيخ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف وتتوخى الجمعية في ترجمتها الحرص على إثبات النص العربي في أحد وجهي الكتاب وفي الوجه المقابل الترجمة الفرنسية

وستطبع كتبها في مصر، ثم توزع في الخارج

هافاس والرسالة

روت وكالة هافاس أن الحملة التي قامت بها مجلة «الرسالة» على الطرق بصفة عامة والتجانية بصفة خاصة قد أحدثت تأثيراً كبيراً بالمغرب، وأن قاضي سطات من كبار حملة الأقلام في المغرب الأقصى وهو من رؤساء هذه الطريقة قد ألف كتاباً صغيراً في الرد على مجلة الرسالة وسيطبع عما قريب بعاصمة تونس. وقالت الوكالة المذكورة إن لهجة هذا الكتاب على غاية من الحدة ضد الهادم للطريقة التجانية وخصوصاً ضد الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء بالجزائر

هذا النبأ المفترى لا يوجد إلا في رأس مختلقة من أصحاب هذه الوكالة. وقد كذبت هافاس في هذا الخبر مرتين، فالرسالة لم تقم بحملة ما ضد الطرقيين، وهي أرفع من أن تقوم بحملة من هذا النوع، وكل ما كتبته في هذا الموضوع لا يتجاوز كلمة صغيرة للأستاذ على الطنطاوي، كتبها تعقيباً على مقال للعلامة الحجوي مندوب المعارف بالمغرب أبان فيها أن الطرق — بصفة عامة — عديمة الجدوى، هذا إن لم تكن سبباً للتفريق بين جماعة المسلمين. والكلمة حق في حق لا تصل أن تكون حملة في الواقع؛ على أن الرسالة أفسحت المجال للشيخ محمد الحافظ التجاني للدفاع عن الطريقة التجانية بما لا تبد بعده أنها حملت على هذه الطريقة

أما الكذبة الثانية فهي أن هذه الحملة الموهومة قد أحدثت تأثيراً كبيراً في المغرب، والقاضي الذي أشارت إليه الوكالة أكبر شأنه أنه تجاني متطرف من غلاة التجانيين ليس أكثر. هذا علاوة عن أن الطرقية بالمغرب خفت صوتها منذ أصبحت أداة مسيرة بيد رجال القبعات مختفية تحت أصحاب العمائم

أما مجلة الرسالة الزاهرة، والأستاذ على الطنطاوي المسلم المؤمن، والشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح الكبير، فهؤلاء جميعاً أكبر من أن يتقدم طرقي مذبذب في كتيب خرافي

فاس — المغرب الأقصى (ا . م)
بكلية القرويين

في الفقه المقارن

أخرج الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي الطبعة الثالثة من كتابه (الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية) وهو بحوث في الفقه المقارن عني فيها المؤلف ببيان فضل الميراث في الشريعة الإسلامية على غيرها بعد أن بين أحكام الميراث في الإسلام، وأحكامه في غيره من الشرائع السماوية والوضعية

ويتناول المؤلف بعد بيان أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية، والمواريث في الشرائع القديمة: عند قدماء المصريين، وعند الأمم الشرقية القديمة، وعند العرب في الجاهلية، وفي الشريعة اليهودية، وعند قدماء اليونان، وعند قدماء الرومان؛ ثم المواريث في الشرائع الحديثة: في القانون الفرنسي، وعند الاشتراكيين

وبعد ذلك يجري الموازنة في الميراث بين الإسلام والشرائع القديمة والحديثة. ومن مواضع الموازنة: التسوية بين الذكور والنساء، والتسوية بين الأخوة، إيثار أرشد الذكور، إعطاء البكر نصيبين ... الخ

وقد سار في كل ذلك على نهج قويم من حيث بيان الأسباب المعقولة للمسائل والأحكام، وقرع الحجة بالحجة؛ والكلام يتسلسل في أسلوب بين، سهل الورود، مسعف بالإفادة، إلى حسن تبويب ودقة ترتيب

وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها بكثير من الزيادات والتنقيحات. ويقع الكتاب في ١٣٦ صفحة من القطع المتوسط. ويطلب من مكتبة الشرق الإسلامية بشارع محمد على أمام دار الكتب الملكية

الأسماء العربية لجبال القمر

قرأت مقالة الأستاذ قدري حافظ طوقان، المنشورة في العدد ٢٩٤ من «الرسالة» بعنوان «القمر بين الحقيقة والخيال» فأعجبني ما جاء فيها من الحقائق العلمية الموضوعة بقالب يغري القارئ بمطالعتها. ولما كان حضرة الكاتب قد تطرق فيها إلى الكلام على جبال القمر، كما أنه ذكر أسماء بعضها، أحببت أن أؤيد كلامه بأمثلة أخرى من هذه الأسماء، تهمنا بنوع خاص نحن الشرقيين؛ فأقول: كنت قد وقفت على كتابين بالفرنسية للعلامة الفلكي مورو (Th. Moreux) أحدهما بعنوان «يوم في القمر»[1] وثانيهما بعنوان «بحث في القمر»[2]. إن المؤلف يذكر في كليهما الأسماء

(١) Un Jour dans la Lune (Paris 1926)

(٢) L'Etude de la Lune (Paris 1937)



فى سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

— ٢ —

ذكرنا فى المقال السابق مظهرين من مظاهر عمل الأستاذين الفاضلين العوامرى بك والجارم بك فى شرحهما لهذا الكتاب ، وهى العناية بالإعراب ، والتطبيق على علوم البلاغة .

واليوم نذكر مظهراً ثالثاً هو الإكثار من ذكر أسماء المراجع اللغوية ، فما نفتأ نرى اسم اللسان والقاموس والصحاح وشرح القاموس والنهاية و . . . و . . . . من غير حاجة إلى ذكر شىء من ذلك ؛ لأن العادة جرت ألا يخص اسم مرجع بالذكر إلا إذا كان قد انفرد من بين بقية المراجع بإيراد ما نستدل عليه أو نحتج به ، فأما الأمور التى اشتركت فيها كل المراجع أو أغلبها فلا نرى داعياً للنص على المرجع إلا أن يكون ذلك إدلالاً بمعرفة اسم الكتاب أو حيازته . ونكتفى من الدلالة على هذا المظهر فى عملهما بذكر مثلين وقعا فى صفحة واحدة هى ص ٢٩ ، قالا حفظهما الله :

(٨) الكلوح (بضم الكاف) تكشر فى عبوس . وقد كلح يكلح كمنع يمنع اهـ . من اللسان

(٩) قال فى القاموس : قطب يقطب قطبا من باب ضرب ، وقطوباً بضم القاف فهو قاطب وقطوب : زوى مابين عينيه . اهـ

والذى ذكرا أنه من اللسان تراه فى القاموس . قال : « كلح كمنع كلوحا وكلاحا بضمهما تكشر فى عبوس . والذى ذكرا أنه من القاموس تراه فى كل كتاب غيره . قال فى المصباح : « قطب بين عينيه قطبا من باب ضرب جمع . . . » ويتصل بأمر المراجع اللغوية مسألة أخرى وهى الوقوف عند عبارات هذه المعاجم لا تزحزح معه ولا ريم منه مهما أدى ذلك إلى الإبهام أو الاشتباه بألفاظ لا يليق فى ذوق الشارحين أن تقع عليها أعين الطلاب والطالبات . وذلك كقولهما فى حاشية ص ٦٤ : الختن من كان من قبل (بكسر ففتح) المرأة كالأب والأخ والعم والحال .

الجغرافية التى أطلقها علماء الفلك من أبناء الغرب على جبال القمر ، كما أطلقوا غيرها على سائر عوارضه السطحية . ومما يلفت الأنظار فى هذه التسميات التى تُعَدُّ بالمئات ، تلك الطائفةُ التى اتخذت لها أسماء تمود إلى مشاهير التاريخ الشرقى ، بل العربى على الأخص . وهأنذا ذاكرها فيما يلى ، مع ما يقابلها بالأفرنجية نقلاً عن الكتابين المشار إليهما :

أبو الفدا	Abulféda
ألغ بك	Ulugh Beigh
البتانى	Albatagne
ثابت (بن قرة)	Thébit
الحسن (بن الهيثم)	Alhazen
الزرقالى (ابراهيم بن النقاش الطليطلى)	Arzachel
المأمون	Almamon
نصير الدين (الطوسى)	Nasireddin

ولا يخفى أن أغلبية هذه الشخصيات كانت ذات يد طولى فى علم الفلك وما يتصل به من العلوم الأخرى . فلا غرو أن يُخلَّد ذكرهم بهذه الطريقة العلمية الصامتة التى قلما يعلم بها أخلافهم اليوم . وهلاَّ تذكرنا هذه التسميات العربية بما يماثلها فى كوكبنا الأرضى ، حيث نجد مواقع عديدة سميت بأسماء مشاهير رجال العرب كجبل طارق وبلد الوليد والقاهرة والمدرسة المستنصرية وغيرها مما يطول سردها ويخرج بنا عما أردناه من هذه الكلمة ..

« بغداد » كوركيس حنا عواد

أيدرى القارئ لم اضطر الشارحان إلى تقييد كلمة قبل بكسر ففتح؟ ذلك لأنهما أرادا أن ينفيا شبهة قراءتها بضمتين فيقع المحظور الذى يتوقاه وزارة المعارف . ولكنى أقول إن هذا الضبط الذى قصد به لفت النظر والفكر عن شىء غير لائق كان أدل شىء على ذلك الشىء . فأى داع إلى التزام هذا اللفظ خصوصاً بعد أن تنبه الشارحان إلى ما فيه من خطر على الطلاب والطالبات ؟ لا نرى ذلك الداعى إلا وقوفهما عند ألفاظ المعاجم لا يرعيان منها ولو قيد أنملة . وفى ألفاظ : جهة المرأة أو ناحية المرأة أو جانب المرأة ما يغنينا عن قولهما بكسر ففتح بين قوسين .

ومن ذلك أيضاً قولهما فى حاشية ص ١٧٦ : (٦) المذاكرة مفاعلة من الذكر (بكسر فسكون) ولما لم يقيدا المفاعلة بأنها من الذكر (بكسر فسكون) إلا احترازاً من مفاعلة أخرى يكون الذكر فيها بضبط آخر غير ما ذكرا ، وقد كان فى هذه الشبهة أدعى إلى الوقوع فيها . فلا حول ولا قوة إلا بالله

ولا نترك هذا المقام حتى نأتى فيه على أكثر ما لا حظنا من الجمود اللغوى لتكون تلك الملاحظات مجتمعة ، وبذلك نكون قد عدنا إلى التبويب الذى رأينا ألا نتبعه فى تقدنا هذا

من الوقوف عند ألفاظ المعاجم . أن نرى الشارحين قد ألغيا عقلهما الحصيف ففرقا بين ما لا فرق فيه وعرفا بما لا تعريف به ، وظننا بعد ذلك أنهما قد أبليا عذراً فى الشرح وحققا ودققا إلى أبعد غايات التحقيق والتدقيق

وهاك فاسمع أيها القارئ أولها فى ص ١٧٦ أيضاً :

(١١) قعر فى كلامه تشدق وتكلم بأقصى قعر فمه وقيل تكلم بأقصى حلقه . لسان

وقبل أن نحتكم إلى الطبيب الشرعى أو الجراح العالم بتشريح الفم أؤكد وأشدد أنه لا فرق بين العبارتين وأنا أخالف مقدماً كل من يحاول إثبات فرق بين أقصى قعر الفم وأقصى الحلق . !!

كذلك تسمع قولهما فى ص ١٦١ عند قول الجاحظ فيمن لم يتخذ بناء البيوت للاستغلال وآثر دفع السكنى بأجر « وأنه قد أمن من الحرق والغرق وميل أسطوان وانقصاف سهم واسترخاء أساس » فهما يقولان : (٦) السهم جائز السقف أو جائزته . فاذا استفدنا نحن من تذكير لفظ جائز مرة وتأنيثه أخرى ، بادام المعنى قد صار أغمض مما كان ؟ فهل يعقل وقوع مثل هذا من عالمين فاضلين كالشارحين ؟ إنى أترك للقارئ الحكم على هذا العمل فالقول لا يتسع له

وأعجب ما فى عناية الشارحين باللغة أنهما حاولا أن يشرحا كل شىء حتى شرحا البدهى أو ما هو أوضح من البدهى . وقد تعجب من قولى أوضح من البدهى ! ولكن اسمع ، فهما فى ص ٧٣ يعلقان على كلمة أصبح بقولهما :

(١) أصبح : دخل فى الصباح . !! وهذه مسألة أخرى أثارها تفسير الشارحين لكلمة أصبح . هل نحن الذين ندخل فى الصباح أم الصباح هو الذى يدخل علينا ؟ وهل الصباح هو الواقف ونحن المتحركون ، أم هو المتحرك ونحن الجامدون !!!

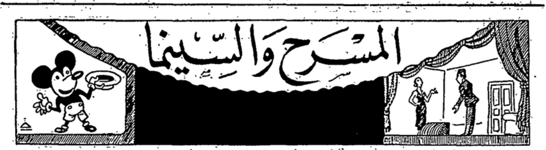
ماذا يسمى القارئ هذه العناية بالصغائر ، وتفسير ما لا يحتاج إلى تفسير ، والإغضاء عما فى كتب السابقين من اضطراب ، من رجلين وكل إليهما أمر إصلاح العربية فى وزارة المعارف وفى مجمع اللغة ؟!

نعود بعد ذلك إلى تتبع سقطات الشرح بحسب ترتيب الكتاب فنقول :

فى ص ٢٧ يقول الجاحظ : « وتلك فى هذا الكتاب ثلاثة أشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة » فيضبط الشارحان كلمات : تبين وتعرف واستفادة بالكسر ، ولا يتركان هذا الضبط دون تنبيه على سببه حتى كان يصح أن نحمل الخطأ فيه على الطابع الذى نحمله فى كثير من الأحيان ما لا جناية له فيه ، حتى لقد اسودت أعضاؤه وثيابه من تحمل غلطاتنا كما اسود الحجر الأسود من مسح الناس ذنوبهم فيه

لم يترك الشارحان هذا الضبط الخاطئ من غير تعليق بل لقد علقا عليه بقولهما : (٣) تبين بدل من أشياء . وأنا أربأ بكل قارئ عن أن أوجه إليه بيان الخطأ فى ذلك فهو أمر ظاهر لكل من به مسكة من نحوية ، ولكنى أوجه قولى فى ذلك إلى طلاب السنة الثالثة أو الرابعة من المدارس الابتدائية فأقول لهما إذا قلنا حضرنى ثلاثة رجال محمد وعلى ومحمود ، أليس محمد بدل بعض من لفظ ثلاثة لأنه بعضها ، وإذا ضممناه إلى أخويه كان المجموع هو مدلول « ثلاثة » فكيف يجوز الإبدال من لفظ أشياء فى جملة الجاحظ وهى بمثابة كلمة رجال فى جملتنا هذه الصغيرة ؟ ألم يقل النحاة إن البدل على نية تكرار العامل ، فإذا أبدلت من كلمة رجال كان تقدير الكلام حضرنى ثلاثة محمد وعلى ومحمود (بالإضافة) . فهل يسوغ هذا القول فى ذوق أو فهم ؟

هذه غلطة إذا ظبطها أحد المفتشين لملم صب عليه غضبه وأعاده من الثانوى إلى الابتدائى وحرمه من العلاوة حين يجئ دوره فيها ، بل إذا وقع فيها تلميذ فى امتحان الابتدائية وكان نجاحه يتوقف على التسامح فيها لم ترض المفتش غيرته على العربية أن يتسامح فيها ورسب التلميذ من أجل ذلك فى الامتحان ، وربما كان رسوبه قضاء



حديث الأسبوع

و... غلطة فنية أخرى

فى نص القرار الذى صدر بتكوين « الفرقة القومية المصرية » ما معناه أنها أنشئت لتحمل رسالة ثقافية عن المسرح النموذجى ولتبذر فى نفوس الشعب حب هذا المسرح وموالاة تشجيعه ... على هذا الأساس تكونت الفرقة وضمت إليها أقوى العناصر الفنية فى الشرق وأقواها وأثبتها قدماً ، وعلى أكتاف هؤلاء استقام البناء وطرق الشعب بابه ، ثم عادوا بين مادح وقادح ومتفائل ومتشائم ، حتى سلخت الفرقة من عمرها عاماً تركها بعده المخرج المعروف ومبعوث الحكومة فى مسرح الأوديون (زكى طليمات) ليخدم المسرح عن طريق آخر ما دامت قد أوقفت فى وجهه أشباح المطامع والأغراض

وظلت الفرقة فى سيرها تتخبط ، فاستدعت إدارتها خبيراً فرنسيًا ، ثم انتدبت بعد ذلك مخرجاً فرنسيًا أيضاً ليعلم الممثلين المصريين التمثيل بلغتهم وليتولى إخراج مسرحيات لفظتها بلادها ورآها هو عند ما كان يعمل مساعداً لأحد مديرى المسارح المتنقلة فى الريف الفرنسى « ريجسير » فنقلها كما هى فعدنا إلى الوراء سنين عديدة لتقلد ببغاء لولا أنه أجنبى ما وصل إلى مركزه

حياة الظلام

اشترى ستديو مصر من الأستاذ محمود كامل المحامى حق إخراج قصته الطويلة « حياة الظلام » وعهد بإخراجها إلى المخرج الشاب احمد بدرخان الذى بدأ العمل منذ أسبوع بعد أن اختار مجموعة فنية كبيرة لمعاونته

و « حياة الظلام » قصة عاطفية تعبر عن نوع غريب من الحب العاصف الذى ربط بين قلب ساذج بكر وقلب أثقلته تجاريب الحياة الغرامية فامتلأ بالحب على أنواعه ومناحيه واستطاع أن يتفنن فى الخديعة ويحسن الزيف ولكنه خضع أخيراً واستسلم..

وهى أيضاً من نوع لم تألفه السينما المصرية إذ لم يستطع مخرج مصرى أن يقدم على طرق مثل هذا الموضوع والتفكير فى إخراجه خشية الرقيب والتقاليد فى الوقت الذى ترى فيه الشركات الأجنبية تفضل هذا الصنف من القصة العاطفية التى تتحدث عن « حياة الليل » وما نجاح « نانا » لأميل زولا ببعيد...

وعهدت إدارة ستديو مصر إلى الهر شارفنبرج بعمل « الديكوراسه » كما سيسجل الصوت فيه مصطفى والى وعزيز فاضل ويقوم بعمل « المونتاج » جمال الدين مدكور . أما من اختيروا للتمثيل فهم مجموعة فنية على رأسها الممثل الكبير زكى رستم ومنسى فهمى ، أولها فى دور عبد الستار الشرقاوى ، والثانى فى دور الأب ، ثم عبد الفتاح القصرى ، وأنور وجدى الذى سيمثل دور

على آماله فانتحر ولكننا نرى الشارحين قد وقعا فيها أو كداها بالتفسير والتعليق ومع ذلك لم ينقلا من عملهما ولم يحرما علاوة لهما ، ولم ... الخ

وفى الصفحة عينها ينقل الجاحظ قول بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبى له : « لا تجزع فإنه أفتح لجرمه وأصح لبصره » فيعلق الشارحان على ذلك بقولهما .

(١٣) أفتح لجرمه ، الجرم الجسم وأفتح له : أعظم إنماء له .

والمعجم الذى نقلا منه أن معنى الجرم الجسم ، هو نفسه المعجم الذى يفسر الجرم بالحلق . فانظر إلى أى حد يتخطى الصواب مع وضوحه ، ويجنح للخطأ مع شناعته وبعد تصوره ؟!!

وقبل أن نختم مقالنا هذا نرجو من حضرة صاحب المعالى وزير المعارف أن يلقى باله إلى كلامنا ويقيسه بمقياس العلم الذى ينشره أو الجهل الذى يحاربه . فوزير المعارف حريص على الحقائق خصوصاً إذا كان قد دفع من خزانة الدولة ثمناً باهظاً لها .

(للكلام بقايا)

محمود مصطفى
المدرس بكلية اللغة العربية

محمود الشيمي ... ويأتي بعد ذلك دور احمد علوي بطل القصة وقد وقع الاختيار على وجه جديد ليقوم به ... أما الأدوار النسائية فقد أسندت إلى السيدة أمينة شكيب وفردوس محمد وروحية خالد. ولعله مما يهم بعض متتبعي قصص الأستاذ كامل أن يعرفوا أن « للمواويل » نصيباً في فلمه ، وسيغنيها عبده السروجي ومحمد الكحلاوي ومطربة ناشئة اسمها آمال .

رحلة الفرقة القومية

منذ زمن يرجع عهده إلى ما قبل انتهاء الدورة الأولى لهذا الموسم وإدارة الفرقة القومية تشيع أنها قد نظمت رحلة إلى الوجهين البحري والقبلي والمحافظات « لإعطاء الشعب الفكرة المثلى عن المسرحية العالية النموذجية وللارتقاء بأفهام الجمهور » . ولكن الرحلة لم تتم وموعدها لم يحدد . وتساءل الناس هل عدلت الفرقة عن الرحلة أم أجلتها أم تراها في هذه الأيام تستعيد للدورة الثانية التي تبدأها في الوقت الذي تقفر فيه القاهرة من مسارحها؟

والواقع أن الإدارة غير المستقرة هي السبب في كل هذا الارتباك وهي المسئولة عن تأجيل الرحلة وتعطيل العمل، وهي المسئولة أيضاً عن قرارها الذي صدر بتعيين موعد الرحلة وهو يوم ٢٠ الجاري إلى الوجهين حيث تمثل بعض المسرحيات المصرية الناجحة ... وبتأجيل هذا الموعد لسبب من الأسباب التي تراها بعينها الناقدتين. وعلى أية حال سواء قامت الفرقة بالرحلة أم لم تقم فقد أعدت للدورة القادمة مسرحياتها وهي « عطيل » و « تلميذ الشيطان » و « المال والبنون » و « رسالة المرأة » ؛ وجميعها من إخراج فلاندر إلا « المال والبنون » فهي من إخراج جيبي

إلى باريس

يعمل القسم الفني في شركة فنار فيلم تحت إشراف السيدة بهيجة حافظ للانتهاء من « مونتاج » النسخة الناطقة بالفرنسية من فيلم ليلى بنت الصحراء، وقد يتم ذلك في حوالي منتصف الشهر القادم. إذ تكون النسخة قد أعدت « سالبة » وموجبه فتحملها بهيجة معها إلى باريس ليتم طبعها هناك

ولرب سائل يسأل عن السر في اختيار باريس لطبع النسخة النهائية « ستاندرد » ويدورنا نقول له : إن هناك معامل تخصصت في إجراء بعض عمليات تكميلية فنية لا توجد في مصر؛ ثم إن شركة فنار فيلم ترى أن تقدم فلمها بعد إصلاحه على صورة جديدة تنار الأولى بعض الشيء، فمن ذلك أنها اعتزمت أن تقدمه ملوناً بالألوان الطبيعية وفضلت لذلك لونين هما Sepia et Rose Caprise وأضافت إليهما في ذات الوقت اللون الأزرق الهادئ

وستعرض النسخة الفرنسية أولاً في باريس والبندقية ثم تسافر إلى أمريكا، وفي هذا الوقت يكون الموسم السينمي الجديد القادم قد حل فيعرض في مصر والأقطار الشقيقة والبرازيل وغيرها

مجنون ليلى

الحقيقة التي يجب أن أعترف بها أن الشقيقين بدر وابراهيم لاما من أنشط الشباب الذي يعمل في السينما وأسرعهم إنتاجاً ، ولكن ... نتيجة ذلك الحتمية هي ضعف الإنتاج وعدم الإقبال عليه لأسباب عديدة يرجع أهمها إلى عدم وجود الدراية الكافية والاعتماد على شخصيات هزيلة ترضى بالتافه من النقود و ... قلة توفر المال اللازم لمثل هذه المشروعات

والحديث عن السقوط الشنيع الذي لقيه فلم إخوان لاما الأخير « ليالي القاهرة » يطول ويتفرع ... أجل يتفرع من مآس كتلك التي تمخض عنها خيال الأخوين وأحد المخرفين من أتباعهما إذ زين لهما ضرورة إخراج قصة «مجنون ليلى» على الستار وهي لعمرى جريمة فنية مزدوجة فيها جناية على اللغة العربية التي لا يعرفها أحد الأخوين ، وجناية على الفكرة السامية التي أخذها الناس عن القصة ، وجناية على الشعر الذي وكل أمر نظمه إلى أحد الذين يؤلفون لصالات الدرجة الثالثة في شارع عماد الدين

وقدم الشقيقان لاما « سيناريو » مجنون ليلى إلى قلم المراقبة بوزارة الداخلية فأحسنت صنعاً بعدم الموافقة عليه (لضعفه و « سخافته » ! ومنعاً لإساءة تنسب إلى الخالد الذكر المرحوم شوقي بك) وكان طبيعياً أن يثور ابراهيم لاما محاولاً في لهجته الغريبة أن يقنع القائمين بالأمر بأنه جدير بالقيام بأعباء هذا العمل وأنه على استعداد لتغيير اسم القصة وجعله «قيس ليلى »

والعقبات التي ذكرت يمكن تذليلها ، ولكن الشيء الوحيد الذي يجب أن يذكره الجميع هو أن يطالبوا بإيقاف هذين الأخوين عند حدها ونصحهما بأن ما لبسهما من ملابس بدوية سابقة لا يكفي لنجاح قصة شعرية لها مكانتها في العالم العربي، وأنهما إذ يحاولان إخراجها يسيئان إلى نفسيهما وإلى اللغة وإلى أفكار الناشئة

هوريس

7me Année No. 299

Lundi - 27 - 3 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر المالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٦ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

صفحة

المسلمون والإسلام

رســــالة الأزهر ...

دار الرسالة – والفضل لله – ملتقى مفكرى الإسلام العرب وغير العرب ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، يزورونها أول ما يزورون من معاهد الثقافة بالقاهرة ، فنتناقل الحديث ونتذاكر الرأى فى موقف المسلمين اليوم من قراع المذاهب ، وصراع القُوى، واهتلاك الدول فى التسلح بالعلم والدعاية والعدة، واحتفاز الأمم فى التقوّى بالتعلم والعمل والانتاج ، فنتبين من وراء الحديث أن الإسلام فى غير بلاد العرب خِلْط عجيب من العقيدة السالفة، والصوفية الزائفة، والأساطير الموروثة، والتفاسير الخاطئة؛ ثم استحال هذا الخلط على تراخى الزمن وانقطاع الصلة واستعجام اللسان إلى مُرْقد يعوق عن السعى ، ويمنع من النظر ، ويصد عن الفكر ، ويذهل شاربيه عن حركة الوجود وسير الفلك. فالمسلمون فى ألبانيا ويوغوسلافيا من بلاد الغرب ، وفى الصين وجزائر الهند من بلاد الشرق، يتميزون عن مواطنيهم بزهادة كالبلادة ، وجهالة كالموت ، وتوكل كالتواكل ؛ ويتوهمون أن الإسلام ليس من شأنه الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ، وأن ما هم فيه من رَنَق العقيدة وظلام الفكر وخَدر الشعور إنما هو روح الدين ورضا الله وطريق الجنة . ثم لا يعدمون أن يجدوا مصدقاً لما يزعمون

فيما يقرأون من الأحاديث الموضوعة والأخبار المصنوعة والأقوال الملفقة . فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه ، أن امتزجت به كل نحلة ، وسرت إليه كل علة ، وتراءت فيه كل حالة ؛ فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعداده ويناسب فهمه . وإذا كان ذلك حاصلاً بين العرب وهم أصحاب الدين وأهل اللغة ، فما ظنك بغيرهم ممن بلغتهم الدعوة مترجمة عن طريق الفرس أو عن طريق الترك بالتجارة أو بالفتح ؟

لقد عصفت بالعالم كله عواصف هوج من السياسة والاقتصاد فلم تدع فيه ساكناً إلا حركته، ولا باليا إلا جرفته ؛ وكان لا بد للعالم الإسلامي أن يهب على دوى هذه الزعازع ، فنهض شبابه يستعدون بعدة الناس، ويتجهزون بجهاز العصر ؛ ولكن شيوخه الواتين أخذوا يعوقونهم عن الأهبة والسعي بكلام ينسبونه إلى الله والله منه برىء. ثم كان من أثر تلك الهبة العامة وهذه الحالة الخاصة أن نفر من كل قطر من أقطار الأرض طائفة من شباب الإسلام إلى مصر ليتفقهوا في الدين ويتضلعوا من اللغة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، فيكونوا شهادة صادقة لحقيقة الإسلام ، وقدوة صالحة لنهضة أهله

* * *

ومصر اليوم وقبل اليوم هي بفضل الأزهر موئل اللغة ومعقل الدين ومشرق الهداية . والأزهر على الرغم مما يؤخذ عليه هو بفضل ما مكن الله له في التاريخ، وهيأ له من الوضع ، وأتاح له من المال، أقدر على تبليغ الرسالة العظمى، وتوجيه الأمة الكبرى، وتصحيح العقيدة العليا ، إذا صدق رجاله الجهاد، وأخلصوا النية ، وأحسنوا العمل ، وذكروا أنهم جنود الله يرمى بهم العدو في كل وقت وفي كل أرض وفي أي صورة ، فيعيشون للموت كالجند ، ويعملون للحياة كالقادة ، ويعزفون عن الدنيا كالرسل . والإمام المراغي هو في رأينا خير من يضطلع بما يفهم المثقفون من رسالة الأزهر، إذا لم ينله ما نال الأستاذ محمد عبده من اضطراب الريح حول مصباحه، وانبثاث العوائق الحازلة أمام إصلاحه ؛ فإنه من أفهم الناس لمعنى الدين وروح العصر ومقتضى الحال .

ورسالة الأزهر التي يريدها الله ويرجوها الناس هي :

١ — تنقية الإسلام من العقائد الزائغة والمذاهب الباطلة والعادات الدخيلة. وسبيل ذلك أن يفسر القرآن على هدى الرواية الصحيحة ، وفي ضوء العلم الحديث ، تفسيراً يجمع بين ما صح من أقوال السلف ، وما صلح من آراء الخلف ؛ ثم يؤلف في الحديث كتاب جامع لا ريب فيه من الكتب الصحاح ، ويستعان على شرحه وتبويبه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة ؛ ثم يصنف في الفقه كتاب شامل على المذاهب الصحيحة يوضع متنه مواد كالقانون ، ثم يشرح شرحاً فنياً يستوعب أصوله ، ويستقصي فروعه، في غير حشو ولا استطراد ولا تعمية. ثم تكون هذه الكتب الثلاثة المطولة مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى ؛ فتقرر في الأزهر، وتنشر في الجمهور، وتترجم إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب ؛ ثم ترسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه . أما ما عدا ذلك من الكتب ، فما كان صحيحاً بقي في المكاتب بقاء الآثار في المتاحف، يرجع إليه الإخصائي والمؤرخ ؛ وما كان زائفاً صنع به ما صنع عثمان بكل مصحف غير مصحفه

٢ — إعداد الوعاظ والدعاة من أهل اللسن والخلق والورع، وإمدادهم بالثقافة الحديثة واللغات الحية ، وإيفادهم إلى الأمم الإسلامية البعيدة عن مهبط الوحي وموطن العروبة . ويدخل في ذلك العناية اليقظة بالبعثات الإسلامية في الأزهر، فإنهم أقدر من غيرهم على إرشاد قومهم باللغة والقدوة والنفوذ

٣ — جعل اللغة العربية لغة المسلمين كافة ، فيكون لكل مسلم في الأرض لغتان: لغة لوطنه الأصغر، ولغة لوطنه الأكبر. والوسيلة أن تحمل المشيخة أقطاب الرأي في البلاد الإسلامية ، بالمفاوضة أو بالائتمار ، على أن يجعلوا تعلم اللغة العربية والتكلم بها إجبارياً في مراحل التعليم المختلفة، وأن تتكفل بإرسال المعلمين من المتخصصين في الأزهر ، فإن في شيوع العربية بين المسلمين تمكيناً لفهم الدين وتثبيتاً لمعنى الأخوة

* * *

ذلك ما يجب أن يقوم به الأزهر ؛ وذلك ما يضمن للاسلام الجدة، ويكفل للمسلمين الوحدة ، ويجعل للرأي المحمدي سلطاناً يخشى في الحرب ويرجى في السلام

احمد حسن الزيات

رقص ورقص

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان شتاء هذا العام في القاهرة موسماً عامراً بالمتعة الفنية التي تنتقل إليها.

شوهد فيه معرض التماثيل الفرنسية، وشوهد فيه معرض بل معارض شتى للصور المصرية، وشوهد فيه تمثيل فرقة من أحسن الفرق الانجليزية لروايات من أحسن الروايات القديمة والحديثة، وشوهد فيه أو سمع فيه شريط شامل لأغاني الموسيقار العظيم جوهان شتراوس، الذي يقال بحق إنه أرقص الكرة الأرضية في مدارها؛ إذ لم يبق في الغرب ولا في الشرق إنسان يرقص على الأنغام الفنية المهذبة إلا وقد رقص على أنغام جوهان شتراوس.

عازف عظيم تفيض ألحانه بالمرح والطرب والشباب والحياة.

بلغ مبلغ القادة أصحاب الفرق وهو في الحادية والعشرين، وعزف للملوك والملكات فغلبهم على وقار العرف، ووقار العرش، ووقار السن، في كثير من الأحيان. ومات في التاسعة والأربعين عن مئات من أدوار الرقص على اختلافه، وخرج من العاصمة الانجليزية قبيل موته في أسطول من الزوارق التي تحييه بالغناء والهتاف... وأوصى بعد كل هذا النجاح وكل هذا الطرب وكل هذا السرور الذي أمتع به الناس. فبماذا أوصى؟

بأعجب ما يخطر على بال... أوصى ألا يتعلم أبناؤه الصناعة الموسيقية أبداً، وأن يختاروا ما شاءوا من الصناعات إلا صناعة أبيهم... فأنبأنا بذلك نبأ ليس بالجديد، وإن كان لنسيان الناس إياه قد يحسب من الجديد الغريب: ذلك أن حياة الفن حياة فداء لأنها حياة فتوح. فما من فنان عبقري إلا وهو فاتح بمعنى من معاني الفتح والجهاد؛ وكل جهاد فداء، وكل فداء فيه ألم محقق، والنصر بعده سرور مشكوك فيه، لأنه سرور يتمناه من قد حرمه من النظارة المتفرجين... أما صاحبه فقلما يحسه من قريب.

على أن أبناءه قد خيبوا جنانه وإن لم يخيبوا ظنه، فقد نشأوا جميعاً موسيقيين ناجحين مشهورين، وأوشكت أعمالهم أن تلتبس بأعمال أبيهم، ولم نسمع أن أحداً منهم أوصى بمثل وصيته في ساعة الوفاة، ولم نسمع بأعقاب لهم في عالم العزف والغناء!

* * *

كانت الليلة التي قضيناها في سماع «شتراوس» من ليالي الفن النادرة؛ وكانت دار الصور المتحركة مكتظة بالسامعين؛ وكان تسعة أعشارهم من الأوربيين، والعشر الباقي من المصريين الذين لا يسيغون ما يساغ من ذلك الغناء الشائع في بلادنا، إن صحت تسميته بالغناء.

وسألنا أنفسنا: أين يختلف الفنان وهما على حسب المفروض أو المظنون من معدن واحد؟

إن موسيقى شتراوس إحدى الموسيقات التي يصح أن تسمى غنائية بسيطة تمييزاً لها من الموسيقى العويصة المركبة التي يريدها عشاق فاجنر، أو الموسيقى العقلية الصافية التي يذيعها في هذا العصر ستافنسكي الروسي Stavinsky؛ فإذا كانت هذه الموسيقى الغنائية لا تساغ في مصر فما الفارق بينها وبين موسيقى الغناء الشائع بين الجمهرة «السامعة» من سواد المصريين؟

الفارق أنك لا تستطيع أن تضع موسيقى شتراوس على لسان حيوان.

فهي تمثل المرح، ولكنه مرح الفكر الإنساني حين ينشط فيملي نشاطه على الحواس والأعضاء.

فالراقص على أنغام شتراوس إنما يرقص لأن له نفساً إنسانية قد شاع فيها السرور فنهضت بالجسم الذي هي فيه إلى الحركة الموزونة والنشاط المنسوق.

أما المرح الذي تمليه الأغاني السقيمة عندنا فهي تمثل الحيوانية كما مسخها الإنسان حين استغرقها كلها في الشهوة والخلاعة، والحيوان لا يعرف الخلاعة في الشهوات كما يعرفها الإنسان الممسوخ.

ومرقصات شتراوس لا تخلو من بعض الشجا وبعض الأنين ولكن أي شجا؟ وأي أنين؟

شجا إنسان وأنين إنسان.

أما هذه الشكايات التي نسمعها في الأغاني السقيمة فليس فيها قط ما يستكثر على حيوان.

فإن الحيوان ليحس الانقباض ويحس الألم، وإذا ضرب أو سقم فترجمت شكايته كلاماً عربياً فليس بالكثير عليه أن يقول «آه» وأن يذكر اللوعة والسهر والصيام عن النوم والطعام

أما الأنين الذي يريك فكراً يتألم ، أو يريك معنى إنسانياً في حالة الشكاية والقنوط ، فذلك شيء مختلف جد الاختلاف عن هذه الكلمات التي لا تعدو أن تكون صرخات حيوان ، مترجمة إلى عبارات الإنسان

* * *

ومن الظلم للفن أن نطلق اسم الفنون على هذه الأغاني الرقصة التي تهتز لها أعطاف بعض السامعين في الأقطار الشرقية

فالحق أنها نقيض الفنون في جوهرها المشترك بين جميع المعاني الفنية

لأن الجوهر المشترك بين جميع المعاني الفنية هو تغليب الفكرة على المادة ، أو سيطرة المعاني على الأشكال

فالرخام مادة تتغلب عليه فكرة الفنان فإذا هو مثال لمعنى من معاني الجمال

والكلمات مادة مبعثرة تتغلب عليها فكرة الشاعر أو الكاتب فإذا هي وحي ناطق بأحاسيسه ومعانيه

والجسم مادة تتغلب عليه الحركة الموزونة فإذا هو رقص يريك كيف تساق الأعضاء في مطاوعة الألحان والأصداء ، وكيف تخضع الأجسام لإملاء النظام والرواء

كل فن فهو فكرة غالبة على مادة ، أو معنى غالب على شكل ، أو فوضى ممثلة في صورة جميلة

فما هي الرقصات التي تهز الأعطاف بين جمهرة السامعين من سواد الشرقيين

هي نقيض ذلك

هي غلبة الجسدي على المعنوي ، وهي طغيان المادية على المطامح الإنسانية ، وهي انقياد وليست هي بإخضاع وترويض وتنظيم

هي الشيء الذي يذهب سفلاً حين يذهب الفن صعداً ، وهي الفتور الذي يهبط بالأجسام إلى مهاوي الشهوات ، وليست هي بالنشاط الذي يطير بالأجسام في فضاء المرح والطلاقة

وقد تسف وتنحدر من سماء شتراوس إلى حضيض «الجازبند» الذي لا شك في غلبة الشهوات عليه ، فهل من عين بصيرة يغم عليها الأمر فلا تبصر الفارق بين شهوات الجازبند وشهوات الرقصات المعهودة في هز الأعطاف وتحريض النزعات ؟

الجازبند مرح جسدي ، ولكنه مرح حيوان صحيح ممتلئ برغبات الحياة يصول في حركة حية لا تعرف الإعياء

أما « هز الأعطاف » المعهود فهو مرح جسدي أيضاً ولكنه يذهب بصاحبه إلى السرير ولا يندفع به اندفاع الحيوان القوي السليم

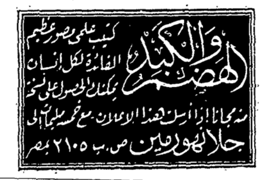
وفرق بين حيوان في سلامة الحيوانية ، وحيوان يضاف إليه مسخ الإنسانية ، ولا يظفر من الحيوانية بالصحة واستقامة الفطرة

فرق بين رقص شتراوس ورقصنا ، بل فرق بين رقص الجازبند ورقصنا ، لأن رقص شتراوس معنى إنساني ، ورقص الجازبند فطرة حيوانية ، ورقص الأغاني المبتذلة عندنا قد خلا من أجمل ما في الإنسان ، وأجمل ما في الحيوان ، وجمع المسخ والتشويه في هذا وذاك

* * *

لم يكن شأننا كذلك في الزمن القديم ، لأننا نرى على المعابد الفرعونية صور الراقصات والراقصين ، ونرى في الريف المصري مثالاً متخلفاً من رقص الرجال والنساء ، فلا نجد في هذه المناظر المرسومة أو المشهودة خلاعة ولا شهوة ممسوخة ، بل نجد فيها جميعاً ما أسلفناه من غلبة المعاني وانقياد الأجساد ، أو نجد فيها صحة الفطرة واستقامة البنية الحيوانية . ولا ندري متى نعود إلى ما كنا عليه ، أو متى ندين بدين الفن الجميل في تغليب النظام على الفوضى ، والفكرة على المادة ، والمعاني الإنسانية على الدوافع الجثمانية . ولكننا ندري أننا عجزنا زمنا طويلاً عن إخضاع أجسادنا لأفكارنا أيام كنا بأجسادنا وأفكارنا خاضعين لغيرنا ... فقد حان إذن موعد الخلاص من قيودنا ، ولن تزال فينا بقية من قيود الأسر والاستعباد ، ما بقيت الفنون عندنا فنون أجساد أو فنون استسلام وانقياد .

عباس محمود العقاد



أما لهذا الليل من آخر؟

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

إن المسلمين اليوم في ليل أليل لم يبق بأيديهم من مجد آبائهم إلا الذكرى، ولا يكاد يبقى في قلوبهم من عزة دينهم إلا القليل. لكن العجيب أن هذا القليل كلما بدأ ينمو ويشتد كما تنمو الحبة في الأرض الطيبة إذا أصابها غيث، نجم للدين من بين من أنعم الله عليهم من أهله بنعمة البيان من يصرف بيانه في ما من شأنه أن يعوق ذلك النمو. وليس يهم أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد فإن النتيجة للمسلمين واحدة في الحالتين

ومن أقرب الأمثلة لهذا وأغربها الكلمة التي أرسلها على الناس الكاتب المعروف الأستاذ توفيق الحكيم من برجه العاجي في رسالة هذا الأسبوع. فقد كتب يعجب مما سماه قيام القيامة في الجامعة «ضد كتابين قيمين» لاشتمالهما على طعن في الإسلام، وزعم أن هذا الذي سماه فزعاً من كل كلمة تمس الإسلام أكبر مسبة لهذا الدين العريق العميق، لأنه يوهم أنه دين ضعيف يخشى عليه من طعن الطاعنين مع أنه دين متين ثبت على الأحداث فلا خطر عليه من كتاب يؤلف أو عبارة تقال طعناً فيه. ثم يمضي فيعرب عن دهشته أن يكون مظهر هذا الفزع في الجامعة التي فيها شباب «انغرست في قلبه العقيدة الحارة فلا خوف الآن عليه من مناقشة المسائل العقلية في جو الحرية» ويختم بقوله إن صحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق لتكتسب المناعة، ولا خير لها في أن تحاط ببيت من زجاج

هذا ما قاله الأستاذ توفيق الحكيم كأحسن ما نستطيع أن ننصفه به في التلخيص.

إنه أولاً يكتب من غير أن يعرف فيما يبدو حقيقة المسألة التي يكتب فيها. لأن المسألة في أحد شقيها على الأقل ليس فيها شيء يتعلق بمناقشة المسائل العقلية في جو الحرية، لأن أحد الكتابين المشكو منهما على الأقل ليس بكتاب مسائل عقلية تدرس وتناقش في جو من الحرية أو من غير الحرية ولكنه قصة كبعض قصصه هو ورد فيها ذلك الطعن المجوج على لسان بعض أشخاصها. فليت شعري كيف فات الأستاذ توفيق الحكيم معرفة ذلك حين كتب عن «مناقشة المسائل العقلية في جو الحرية؟» أم كيف، وقد عرفه، فاته أن ينصف الطلبة حين شكوا من ذلك الكتاب؟

ثم هو فيما يظهر لا يجعل الناس سواسية في حرية القول والتفكير التي يدعو إليها، وإلا فلماذا لا يترك للطلبة الحرية في أن يشكوا من الشكوى أو حلوها ويقيموا القيامة إذا شاءوا على كتابين يطعنانهم في شيء يعزونه ويقدسونه ولا يريدون أن يسمعوا فيه طعناً ولا تجريحاً؟ أفمن الحرية أن يقرّر في الجامعة من قرر دراسة ذينك الكتابين، ولا يكون من الحرية أن يشكو الطلبة منهما كي يستبدل بهما غيرهما من الكتب الأدبية الراقية الكثيرة الخالية من الطعن في الإسلام؟ أفيعاب الطلبة أو الشباب ذوو «العقيدة الحارة» أن يغضبوا لدينهم فيأبوا أن يقرأوا طعناً فيه، ويطالبوا بتحقيق المصلحة لهم من غير إلحاق مضرة بهم في الدين، ولا يعاب من اختار ذينك الكتابين للدراسة عن جهل بما فيهما أو عن استهانة بالشعور الديني في المسلمين؟

إن الذي يقرأ كلام توفيق الحكيم يظن أن الطلبة أكرهوا على ترك كتابين حبيبين إليهم خوفاً على الدين في نفوسهم من طعن ورد فيهما، ويفهم أن الكاتب يشير إلى أن هناك تعدياً على حرية التفكير والدرس باسم الدين. والأمر بالعكس، فحرية التفكير والدرس تقضي بألا يدرس ذانك الكتابان في الجامعة لأن الذي سخطهما هم الطلبة الذين يريد توفيق الحكيم لهم حرية الدرس والتفكير. فهل حرية التفكير والدرس عند توفيق الحكيم ليس معناها حرية الدرس والتفكير؟ إن الطلبة هم الذين شكوا أولاً إلى الأستاذ وأبلغ الأستاذ شكواهم إلى العميد، فلما لم يشكهم العميد اعتماداً على ما يعتمد عليه توفيق الحكيم من أن الدين لا خطر عليه جهروا بشكواهم للجرائد، فاهتم بالأمر شيخ الأزهر ووزير المعارف وكان أن سحب الكتابان. فإذا كانت هذه قيامة فمن الذي أقامها؟ من طلب تغيير الكتابين في هدوء بالطريق

القانونى أم من أبي عليهم ذلك التغيير برغم كثرة الكتب الأدبية القيمة البريئة من الطعن فى الدين ؟

إن المناعة فى العقيدة التى يطلبها الأستاذ الحكيم للطلبة وللناس هى بالفعل عند هؤلاء الطلبة الذين أبوا ذينك الكتابين. وما هى المناعة فى العقيدة إن لم تكن هذا الإباء إباء الإصغاء للطعن فى الدين من غير موجب ولا داع ؟ وما هى إن لم تكن إقامة القيامة على كل ما يسئ إلى الدين فى النفوس ؟ إن أول ما يفعله الجسم امتناعاً على الأمراض هو ألا يسمح لجراثيمها بدخول الجسم إن أمكن . ومن هنا تجمد الدم أو محاولته أن يتجمد على الجرح ليسده دون الجراثيم . ومن هنا المصفيات والمطهرات المختلفة فى مداخل الهواء والغذاء إلى الأجسام . أما إذا دخلت الجراثيم فليس للجسم وسيلة إلى الامتناع منها إلا شن الغارة عليها وإقامة القيامة ضدها على حد تعبير الأستاذ توفيق الحكيم . وهذا بالضبط هو ما فعله الطلبة حين أحسوا من ذينك الكتابين بالجراثيم التى تهدد صحة العقيدة والدين فيهم . وقد كتب الله لهم النصر فى الدور الأول من أدوار الامتناع والكفاح فسدوا الجرح الذى يمكن أن تدخل منه تلك الجراثيم ، وكفاهم بذلك الحاجة إلى كفاح تلك المطاعن بعد دخولها فى النفوس

ومن العجيب أن يشبه الأستاذ الحكيم قراءة المطاعن الدينية وعلاقتها بصحة العقيدة بالمعيشة فى الهواء الطلق وعلاقتها بصحة الجسم . إنه تشبيه مقلوب على أقل تقدير . ولا ندرى كيف أمكن أن يغيب خطؤه وخطله عن مثل الأستاذ ! إنه لا يستقيم إلا إذا كان تعريف الهواء الطلق عنده أنه الذى تكثر فيه الغازات الفاسدة والجراثيم . فإذا لم يكن هذا تعريف الهواء الطلق عنده فإنا نرجو أن يرى بُعد ما بين تنفس الهواء الطلق وقراءة المطاعن الدينية ، كما نرجو أن يرى فى ضيق صدور الطلبة بما فى الكتابين من مطاعن دليلاً على فساد جوهما الروحى ، كما يدل على فساد الهواء ضيق الصدور به عند المتنفسين

لكن لعل أعجب ما فى مقال الأستاذ الحكيم جعله متانة الإسلام وثبوته على أحداث الزمان وسيلة إلى استئناس الناس لاستماع الطعن فيه بحجة أنه لا خطر على الإسلام من طعن الطاعنين؛ فإذا أبى الناس أن يستمعوا الطعن طاعن وغضبوا لدينهم عد ذلك

القوة الحقيقية للرجل هى أن يستطيع أن : « يقول ما يريد وقتما يريد أن يقول » . والرجولة الحقيقية هى أن يبذل المرء دمه وماله وراحته وهناءه ودعته وطمأنينته وأهله وعياله وكل أثير عنده وعزيز عليه فى سبيل شيء واحد : « الكرامة » . والكرامة الحقيقية هى أن يضع الإنسان نفسه الأخير فى كفة وفكرته ورأيه فى كفة ، حتى إذا ما أرادت الظروف وزن ما فى الكفتين رجحت فى الحال كفة رأيه وفكره . كل عظماء التاريخ كانوا كذلك . بل إن مصر الفقيرة اليوم فى العظماء قد عرفت ذات يوم رجالاً من هذا الطراز. رجال لم يترددوا فى تضحية كل شيء من أجل فكرة ، والنزول عن كل متاع من أجل رأى . بمثل هؤلاء الرجال ربحت مصر كثيراً فى حياتها المعنوية والفكرية . بل إنى لا أبالغ إذا قلت إن الأمم لا تبنى ولا تقوم إلا على أكتاف هؤلاء . . وإن الخطر المخيف هو يوم تخلو أمة من أمثال هؤلاء . نعم . وإنه ليخالجنى الآن شيء من القلق إذ أنظر حولى فلا أكاد أرى فى مصر أثراً لهذه الفئة العظيمة . فناموس اليوم هو وطء الفكرة بالأقدام ركضاً خلف الجاه الزائف والمال الزائل ، وإنكار الرأى والجبن عن إعلانه حرصاً على الراحة وإيثاراً للطمأنينة . وهكذا قد خلت صفحة تاريخنا من أسماء العظماء هذه السنوات ، وعجت بلادنا بأصحاب الألقاب وحملة الشارات وراكبي السيارات ! وحق لنا جميعاً أن نسأل هذا السؤال : ما هى المعجزة التى تنهض هذا البلد وهو على هذا الخلق ؟ ! وهل يطول غضب الله علينا فلا يظفرنا بعظيم من هؤلاء العظماء الذين يستطيعون أن يردوا الاعتبار إلى قيمة الرأى ، ويطهروا النفوس من درن المادة ، ويعيدوا المثل العليا النبيلة إلى مجدها القديم ، ويرتفعوا بالأمة كلها فى لحظة إلى سماء الخلق العظيم ! إذا حدث ذلك فقد نجونا . وإذا لم يحدث ذلك فلا شيء ينتظرنا غير انحلال أكيد ، وهبوط إلى مرتبة العبيد .

توفيق الحكيم

الغضب منهم فزعاً ، وقال : إن هذا الفزع أكبر مسبة لدينا العريق العميق . هذا غريب من القول وعجيب من الاستدلال . إن الإسلام متين ثابت حقاً ، لكن متانته وثبوته لا يمكن عند المنطق السليم أن يكونا مبرراً لترك خصومه يعملون المعاول فيه اتكالاً على أنها لا تضره . إنهـا لا تضر مبادئه وأصوله في ذاتها ولكنها تضره في نفوس أهله الذين لا يهبّـون لدرء الأذى عنه حين يرون خصومه جادين في الاستهزاء به والطعن عليه . إن الذي يصيبه الأذى بالسكوت على الطعن في الدين هو التدين في نفس المتدين الساكت . وإذا استمر على السكوت فسيسلمه من غير شك إلى الهلاك

ولست أدرى كيف غاب عن الأستاذ الحكيم أن المسلمين لو كانوا راضوا أنفسهم منذ بدء الإسلام على ما يريد الآن أن يروضهم عليه من السكوت على الطعن في الدين ما ثبت الإسلام للأحداث ذلك الثبوت الذي يتخذه الآن حجة يخطئ بها الناس في غضبهم للدين . ولماذا نذهب به بعيداً ؟ لنفرض أن المطعون فيه من غير عقل ولا روية هو توفيق الحكيم وفنه ومقدرته . ولنفرض أننا خاطبناه بما يخاطب به الناس فطلبنا إليه ألا يغضب ولا يدفع عن نفسه ولا يدع أحداً من أنصاره يغضب له أو يدفع عنه ، لأن فنه ظاهر العبقرية فلا خطر عليه من طعن طاعن مبطل ، ولأن الغضب والدفاع يوقعان في الوهم أن فن توفيق الحكيم ضعيف لا يثبت على الطعن والتجريح؛ ولنفرض أنه وأنصاره عملوا برأيه هذا فلم يغضبوا له ولم يدفعوا عنه ، ماذا يبقى على هذا من فن توفيق الحكيم أو صيته بعد قليل ؟ لا شيء . فسيألف الناس حتى أشدهم تعصباً له سماع المقالة فيـه ، وسيهون أمره عليهم بالتدريج حتى يدخل عليهم الريب في أمره ويسلمهم الريب إلى تصديق كل ما قيل فيه

على أن الناس ، مهما فاتهم بتغيير رأيهم في توفيق الحكيم من نعمة التسلي بفنه وقصصه ، سيظلون هم الناس لم يمسس أرواحهم خطر ولا سوء . لكن ليس الأمر كذلك إن هم ألفوا الطعن في الدين وصاروا إلى الرضا به والسكوت عليه . إنهم سيهلكون حتماً في الآخرة إن لم يهلكوا في الدنيا ، أو على الأقل هكذا يعتقد الناس . وسيعتقد ذلك معهم توفيق الحكيم حين يقرأ ما قرأوا من قوله تعالى : (وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره . إنكم إذن مثلهم . إن الله جامع الكافرين والمنافقين في جهنم جميعاً .)

والقيامة التي قال توفيق الحكيم إنها قامت ضد الكتابين في الجامعة ليست بأكثر ولا أقل من إصرار الطلبة على تغيير الكتابين المستهزأ فيهما بدين الله بآخرين ليس فيهما استهزاء . فماذا في طلبهم هذا يا ترى مما يجعل مثل الأستاذ الحكيم يسميه قيامة ويرسل من أجله سهامه على الناس من برجه العاجي؟

على أنه سواء أقامت القيامة بعملهم ذلك أم لم تقم فإن الطلبة الذين استجابوا لصوت ضميرهم في ذلك إنما كانوا عاملين بتلك الآية الكريمة من حيث علموها أو من حيث لم يعلموها ، فهم فيما عملوا كانوا من غير شك على صواب . وسيجزيهم الله خير الجزاء من فضله على ما جاهدوا في سبيل الإسلام .

محمد احمد الغمراوى

دراسات في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

أمثلة من النقد في الأدب العربي (١)

١ — نقد الجزئيات :

قال امرؤ القيس في فرس :

وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها شعر منتشر

فقال النقاد: هذا غلط في مدح الخيل لأن انتشار الشعر على الوجه عيب فيهن

وقال زهير في الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل ... على الجذوع يخفن الغم والغرقا

فقالوا : هذا جهل بطبيعة الضفادع فإنها لا تخاف الغرق

وقال أبو ذؤيب الهذلي يصف فرساً :

قصر الصبوح لها فشرج لحمها ... بالني فهي تثوخ فيها الأصبع

قال الأصمعي : جمار القصار خير من هذا . وإنما يوصف الفرس بصلابة اللحم

وقال أبو تمام :

ألذ من الماء الزلال على الظما ... وأطرف من مر الشمال ببغداد

أخذ عليه القاضي الجرجاني أنه جعل الشمال طرفة في بغداد ، وهي أكثر الرياح هبوباً بها ... الخ

فهذه أمثلة من الغلط في طبائع الأشياء

وقال أبو تمام :

أسوى الرعية من بشاشتك التي ... لو أنها ماء لكان مسوسا

إن البشاشة والندى خير لهم ... من عفة جمست عليك جموسا

لو أن أسباب العفاف بلا تقى ... نفعت لقد نفعت إذاً إبليسا

قال القاضي الجرجاني : فليت شعرى لو أراد هجوه ، وقصد الغض منه هل كان يزيد على أن يذم عفته ويصفها بالجموس والجمود وهما من صفات البرود والثقل ثم يختم الأمر بأن يضرب له إبليس مثلاً ويقيمه بإزائه كفواً ؟

وقال أبو الطيب في مطلع قصيدة :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا ، والدمع أشفاه ساجمه

وقال القاضي الجرجاني : ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة والتعقيد المفرط فيشك أن وراءها كنزاً من الحكمة ، وأن في طيها الغنيمة الباردة ؟ حتى إذا فتشها وكشف عن سرها وسهر ليالي متوالية فيها حصل على « أن وفاءكما يا عاذلي بأن تسعداني إذا درس شجاني ، وكلما ازداد تدارساً ازددت له شجواً كما أن الربع أشجاه دارسه » . فما هذا من المعاني التي يضيع لها حلاوة اللفظ ، وبهاء الطبع ، ورونق الاستهلال ، ويشح عليها حتى يهلهل لها النسج ويفسد النظم ، ويفصل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه ، ويقدم ويؤخر ، ويعمي ويعوص . ولو احتمل الوزن تركيب الكلام على صحته فقيل : وفاؤكما بأن تسعدا أشجاه طاسمه كالربع . أو وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه . لظهر هذا المعنى المضنون به المتنافس عليه ... الخ

وقال المتنبي في مدح سيف الدولة :

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... وثغرك وضاح ووجهك باسم

فقال سيف الدولة : ينبغي أن تطبق عجز (البيت) الأول على الثاني وعجز الثاني على الأول وأنت في هذا مثل امرىء القيس في قوله :

كأني لم أركب جواداً للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل ... لخيلي كري كرة بعد إجفال

قال المتنبي : أدام الله عز مولانا ؛ إن صح أن الذي استدرك هذا على امرىء القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفصيله ؛ لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية؛ وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد، وقرن السماحة في شراء الخمر بالشجاعة في منازلة الأعداء .

وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ؛ ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد في المعنى .

٢ — ومن قولهم في نقد الشعراء :

(١) جمعنا هذه الأمثلة تيسيراً على الباحث ويحسن الرجوع إلى الكتب المبينة في هذا الفصل

كان النابغة أحسن الناس ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة، ومدحا وهجاء وفخراً وصفة.

وروى أن عمر بن الخطاب قال: أنشدوني لأشعر شعرائكم. قيل: ومن هو؟ قال: زهير. قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه.

وفي الشعر والشعراء: كان أوس بن حجر عاقلاً في شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفهم في الخمر والسلاح ولا سيما القوس. وسبق إلى دقيق المعاني وإلى أمثال كثيرة.

وقال الجرجاني:

« ولو تأملت شعر أبي نواس حق التأمل ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه وعددت منفيه ومختاره لعظمت من قدر صاحبنا (يعني المتنبي) ما صغرت، ولأكبرت من شأنه ما استحقرت، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا لمحدث شعراً أعم اختلافاً وأقبح تفاوتاً، وأبين اضطراباً، وأكثر سفسفة، وأشد سقوطاً من شعره » يعني أبا نواس.

وفي العمدة:

« وقال بعض من نظر بين أبي تمام وأبي الطيب: إنما حبيب كالقاضي العـدل، يضع اللفظة موضعها، ويعطي المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة، أو كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ويتحرج خوفاً على دينه.

وأبو الطيب كالملك الجبـار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة، أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريد. لا يبالي مالقي ولا حيث وقع »

٣ — ومن قولهم في تأثير البيئة في الأدب قول الجرجاني:

« ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك (الخشونة والجفاء) ولأجله قال النبي صلى الله عليه وسلم: من بدا جفا. ولذلك تجد شعر عدي وهو جاهلي، أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة وهما إسلاميان لملازمة عدي الحاضرة، وإيطانه الريف، وبعـده عن جلافة البدو، وجفاء الأعراب.

وقال ابن رشيق:

« قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند غيره؛ ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عنـد أهله بعد ألا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة. »

« فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى؛ وفشا التأدب والتظرف، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً.. وأغانيهم على ذلك للين الحضارة وسهولة الطباع والأخلاق، فانتقلت العادة وتغير الرسم وانتسخت هذه السنة الخ »

٤ — ومن قولهم في الطبع والخلق وأثرهما في الأدب قول الجرجاني:

« ثم قد تجد الرجل شاعراً مفلقاً، وابن عمه وجار جنابه ولصيق طنبه بكيا مفحما، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر، والخطيب أبلغ من الخطيب. فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة؟ وهذه أمور عامة في جنس البشر، لا تخصيص لها بالأعصار، ولا يتصف بها دهر دون دهر.

« وقد كان القوم يختلفون في ذلك فتتباين أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر؛ ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعر منطق غيره. وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة

وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك. وترى الجافي الجلف منهم كز الألفاظ، معقد الكلام، وعر الخطاب، حتى أنك ربما وجدت ألفاظه في صورته ونغمته، وفي جرسه ولهجته »

٥ — ومن قولهم في طرائق البيان:

قال القاضي الجرجاني: « ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحد، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه؛ وأرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك؛ بل ترتب كلاً مرتبته، وتوفيه حقه؛ فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام. فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه. وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة، ولا يختص بالنظم دون النثر.

بل يجب أن يكون كتابك فى الفتح والوعيد خلاف كتابك فى التشوق والتهنئة واقتضاء المواصلة ، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت .

فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس . فأما القذف والإفحاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم » .

وقال ابن رشيق فى العمدة :

« يجب للشاعر أن يكون متصرفاً فى أنواع الشعر من جد وهزل وحلو وجزل ، وألا يكون فى النسيب أبرع منه فى الرثاء ، ولا فى المديح أنفذ منه فى الهجاء ، ولا فى الافتخار أبلغ منه فى الاعتذار ، ولا فى واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً فى سائرها ؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم وحاز قصب السبق كما حازها بشار وأبو نواس بعده » .... الخ .

٦ — ومن قولهم فى حرية الأدب قول صاحب الوساطة :

« فلو كانت الديانة عاراً على الشعراء ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، وعاب من أصحابه ، بكما خرساً وبكاء مفحمين ؛ ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر » .

٧ — ومن قولهم فى صفات الناقد :

قال ابن قتيبة فى مقدمة الشعر والشعراء : « ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حظه . فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه ورأى قائله . ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده وجعل كل قديم منهم حديثاً فى عصره » .

وقال صاحب الوساطة :

« وملاك الأمر فى هذا الباب خاصة (النقد) ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه ، والعنف به . ولست أعنى بهذا كل طبع ، بل المهذب الذى قد صقله الأدب وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة وألهم الفصل بين الردىء والجيد ، وتصور أمثلة الحسن والقبيح » .

هذه أمثلة من ضروب النقد المختلفة سردتها ليلتفت طلاب الأدب إليها ، ويستزيدوا منها ، ويتبينوا ما وراءها من طرائق النقد ومذاهب النقاد . وفى كتب الأدب كثير منها ومن شاء فليرجع إلى الجزء الأول من البيان والتبيين ، ومقدمة كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى وكتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى

تاريخ الأدب

— ١ —

إذا نقد شعراء أمة وكتابها المتعاصرون ، وقرن هذا النقد بعضه إلى بعض وتألفت مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه صورة لعصرهم ، وبينت الأسباب التى اجتمعت على تأليف هذه الصورة ، ألوانها وهيئتها ، فهذا تاريخ عصر من عصور الآداب

وإذا شمل النظر عصوراً متتابعة فاستبانت صور الآداب فيها ، وعرف تطور هذه الصور وانتهاء كل واحدة إلى التى تليها ، ورد هذا التطور إلى أسبابه فهذا تاريخ الأدب فى هذه العصور

فتاريخ الأدب وصف آداب العصور وترتيبها وتعليلها

— ٢ —

وهو كالنقد يستمد من ذوق الناقد وتقديره مزايا الكلام وعيوبه وأطواره ، ومما أحاط بالأدباء من حقائق التاريخ والجغرافيا ، والاجتماع وغيرها . وعلى مؤرخ الأدب أن يلائم بين ذوقه وعلمه بهذه الحقائق فلا يحكم الذوق على غير بينة ، ولا يغفله ويعتمد فى تأريخه على الحقائق العلمية الجافة ؛ بل يجعل حكمه نتاج الذوق المهيأ للحكم بمعرفة واسعة ، وتأمل دقيق ، وتقدير لأحوال الأدب بليغ ، فيكون حكمه خلاصة العلم ، ونتيجة الذوق الذى لا بد منه فى تقويم الأدب

— ٣ —

لم يكن تاريخ الأدب على هذه الشاكلة معروفاً لدى القدماء ؛ وإنما كان سبيلهم جمع تراجم الشعراء والكتاب ، وتبيين محاسنهم ومساويهم ، والاستشهاد ببعض أقوالهم ، ولم يكن قولهم موصلاً مستوعباً يؤلف صورة عامة للأدب فى عصر أو عصور ولا كان التعليل فيها مطرداً . فكان عمل المؤرخين تراجم متفرقة ينقصها

أبو تمــــام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

هو حبيب بن أوس الطائى، وقد سبقه إلى صناعة البيان بشار ومسلم والحسن بن هانى، ولكنه ظهر بها ظهوراً كبيراً وحاكاه البحترى وغيره، وكان حقيقاً بسبب كثرة إجادته فى تلك الصناعة أن يسمى شيخ البيان. وكان أبو تمام يقدم الحسن بن هانى ويلقبه بالأستاذ وبالحاذق ويجاريه فى طريقته، ولكن أبا تمام قد بز ابن هانى أبا نواس فى المدح ووصف الطبيعة، وإن لم يكثر منها وفى الرثاء والأمثال والحكم، وجاراه فى وصف الخمر والنزل المذكر. وقد سُئل البحترى عن أبى تمام وعن نفسه فقال: جيده خير من جيدى ورديئى خير من رديئه. وهى قولة حق، فقد كان عند البحترى من حذر ذوى الصناعة وإحجامهم ما لم يكن عند أبى تمام الذى كان أكثر جرأة فى صناعته. ولم يكن رديئه القليل عن جهل، فقد سئل فيه فقال: إن أبيات الشاعر كأبنائه فيهم الجميل وفيهم القبيح وكل منهم حبيب لدى أبيه الذى يعرف أيهم القبيح وأيهم الجيل. ولقد قال فى إساءة ظن الشاعر بشعره ويمنى نفسه:

ويسيء بالإحسان ظناً لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون

ولكنه يقول أيضاً:

من كل بنت يكاد الميت يفهمه حسناً ويعبده القرطاس والقلم

ولا غرابة فى أن يكون قائل البيت الأول هو قائل البيت الثانى، فإن نفس الشاعر قد تتردد بين الثقة بقوله ثقة ليس بعدها ثقة، وبين الشك كل الشك فى مرتبته. ولعل هذا الشك وإساءة الظن مما يحفزه على استئناف الإجادة وإلى الاستزادة من الإبداع كيلا يستنيم إلى ما أجاده من سابق قوله. والشاعر الجرئ فى صنعته البيانية يكون نصب نقد الناقدين، وعند ما مدح أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدته التى مطلعها: (ما فى وقوفك ساعة من باس) أنكر بعض النقاد أن يشبهه بمن هم أقل منه منزلة فى قوله:

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ومثل هذا النقد يهدم صناعة التشبيه من أساسها لأنه لم يشبه الممدوح بهم فى المنزلة، وإنما يكون للتشبيه وجه شبه خاص لا يتعداه اتفاق المشبه والمشبه به، وهذا النقد يدل إما على الإفراط فى تملق الممدوح والمغالطة مع علم، وإما على جهل بالصناعة البيانية.

وقد دفع أبو تمام حجتهم بأن زاد فى المدح قوله:

لا تنكروا ضربى له مَنْ دونه مثلاً شروداً فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

وأمثال هذا النقد اللفظى كثير فقد انتقدوا أيضاً قول أبى تمام:

دنيا ولكنها دنيا ستنصرم وآخر الحيوان الموت والهرم

وقالوا: إن الهرم يأتى قبل الموت ولكنه أخره وقدّم الموت. وهذا اهتمام بالصغائر، فقد كان فى استطاعة الشاعر أن يقول: (وآخر الحيوان الشَّيْبُ والعَدَم) وقد فعل المتنبى ما هو أشد من ذلك وكانت له عنه مندوحة عند ما قال:

جفخت وهم لا يجفخون بهَا بهم شيم على الحسب الأغر دلائل

يعنى جفخت أى فخرت بهم وهم لا يجفخون بها، وكان يستطيع أن يقول: (فَخرتْ بهم وهُمُ بها لم يفخروا) فيستقيم

الجمع والمزج والترتيب والتعليل. فهى مصادر لتاريخ الأدب لا تاريخ

ومن الكتب التى ألفت على هذا النمط:

١ — طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣١

٢ — الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦

٣ — معجم الشعراء للمرزبانى المتوفى سنة ٣٨٤

٤ — يتيمة الدهر فى شعراء العصر لأبى منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩

٥ — الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الأندلسى المتوفى سنة ٤٢٩

٦ — دُمية القصر لأبى الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧

٧ — قلائد العقيان } للفتح بن خاقان الأندلسى المتوفى سنة ٣٣٥

٨ — مطمح الأنفس }

٩ — سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر لصدر الدين المدينى من رجال القرن الحادى عشر

١٠ — ريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩

— ٤ —

وتاريخ الأدب كما نعرفه اليوم عرفه الأوربيون فى عصر نهوضهم؛ سبق إليه الإيطاليون وسار على أثرهم الأمم الأخرى ولا سيما الفرنسيون. ولهم فيه طرائق مختلفة مبنية على مذاهبهم فى النقد وقد قدمنا إشارة إليها

عبد الوهاب عزام

الوزن والأسلوب ولكن هذا لا يؤخر الشاعر الكبير ولا يقدمه.
ومثل هذا النقد يغرى به الشعراء أنفسهم عند الملاحاة فقد ورد
في كتاب العمدة لابن رشيق أن مسلم بن الوليد انتقد قول أبي نواس

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

وقال: كيف يجتمع الارتياح والملل ؟ كما انتقد أبو نواس قول مسلم

عاصى الشباب فراح غير مُفنَّد وأقام بين عزيمة وتجلد

وقال: كيف يجتمع الرواح والإقامة ؟ وفي كل من البيتين يريد
الشاعر اجتماع حالات نفسية مختلفة الأسباب. على أن أبا تمام
قد يأتي في الفلتات بما لا يستجاد مثل قوله :

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَلٌ أعنى الحطيئة لاغتدى حَرَّاثا

و (أعنى) هنا أثقل من الرصاص

وقد عد بعض أدباء العصر أبا تمام من شعراء الرمزية، وهذا
في رأيي غير صواب، لأن كل شاعر يستخدم الرموز، ولكن ليس
كل شاعر من أدباء الرمزية. وأستطيع أن أفهم سبب عد أبي تمام
من شعراء الرمزية، وإن لم يكن كذلك، فإنه يكثر من استخدام
التشبيه والاستعارة والمجاز فالاستعارة رمز والكناية رمز. ولكن
شعراء الرمزية في أوربا تخطوا منزلة الاستعارات والكنايات وصاروا
يرمزون إلى حالات نفسية بأشياء مادية وبألفاظ أو جمل، ويقطعون
الصلة بين الرموز وما ترمز لها بها اعتماداً على خيال القارئ وإحساسه
وأحلامه وهواجس نفسه الغامضة، وأحياناً يستخدمون رموزاً
مدلولها أشياء مادية ويرمزون بها إلى تلك الهواجس الغامضة في الوعي
الباطن، وهي لغموضها لا تستطيع عقولهم الظاهرة تفسيرها إلا بتلك
الرموز. وهذه طريقة لم يكتب فيها شاعر عربي. أما طريقة أبي تمام
فهي طريقة الصناعة البيانية المألوفة وإن كان قد أبدع وأغرب
فيها، وشعره شعر الخيال المشبوب بنار الشاعرية، والجيد من شعره
يجمع بين القوة والحلاوة وإقناع الصنعة الفنية، وهي ليست صنعة
ألفاظ فحسب بل صنعة ألفاظ وخيال وإحساس وذكاء وعقل وبصيرة.
وترى في قوة الجيد من شعره قوة الخطيب، ولا أعني أن الشاعر
خطيب فللخطيب صفات قد تدابر صفات الشعراء، وإنما أعني
أن لشعره قوة تشبه وقع خطاب الخطيب في الأذن فكأن له صوتاً
يسمع. وإذا كان للشاعر نفسه من صفات الخطيب فهي الصفات التي
يقترب الخطيب فيها من عبقرية الشاعر ومن بصيرته النافذة وخياله
المشبوب، وليست الصفات التي يقترب فيها الخطيب من فن المثل
وهي صفات عالية في فنها وفي الخطابة. ولا نأسف لإضاعة شاعر
من شعراء العرب في التكسب بالمدح شعراً كان يكون أعظم شأناً
في وصف الحياة والنفس قدر ما نأسف لإضاعة أبي تمام، فإن الرجل
كان قادراً على أن يبلغ ما بلغه شعراء أوربا من وصف الحياة
والنفوس ومظاهر الكون؛ على أن في شعره في المدح أشياء من
هذه الأشياء. ولعل القارئ يقول: ولماذا لا تأسف على المتنبي
قدر أسفنا على أبي تمام أو أكثر، وليس المتنبي بأقل منزلة وهو
ذو بصيرة وخيال. ولكن أبا تمام كان عنده من نشوة الصناعة
البيانية أكثر مما كان للمتنبي؛ وكان للمتنبي من قوة الشخصية
وإثرتها أكثر مما كان لأبي تمام؛ وقوة الشخصية هذه لها أثر
في الشعر يظهر في كل أبوابه وتجعل الشاعر يترك بعده دوياً
كما قال المتنبي :

وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمعَ المرء أنمُلهُ العشرُ

أما أبو تمام فإننا نقرأ أنه كان مولعاً بالخمر إلى حد الإفراط
أحياناً، ونقرأ أنه سكر مرة في مجلس عظيم وعربد وحُمِلَ من
المجلس بين أربعة، وأنه كان إذا أخذ صلة أمير أفناها بين الغناء
والموسيقى والرياض والخمر والأوجه الوسيمة. وهذه الأمور
ربما كانت تقلل نتاجه وتلهيه عن الشعر لو أنه لم يكن مضطراً
إلى قرض الشعر في المديح أو الرثاء لكسب المال، فإننا عند ما نقرأ
سيرة الرجل وشعره نميل إلى الاعتقاد أن الحياة عنده كانت شعراً
يُعاش وأن الشعر عنده كان حياة تكتب أو شعراً يكتب، وأنه
ما كان يلجأ إلى الشعر الذي يكتب إلا إذا سمح له أو اضطره شعر
الحياة الذي يُعاش. ولعل هذا هو سبب إقلاله وسبب موته وقد
تخطى الأربعين قليلاً. وإننا نتساءل ماذا كان يكون نتاجه لو كان
من المعمرين من غير أن يفني قدرته الحيوية بالحياة؟ ولكن
من العبث التأسف، فلعل إفناءه قدرته الحيوية بالحياة كان من
لوازم نشوته الشعرية، وإن قدرته في صناعة البيان كانت من
مظاهر انتشائه بالحياة، وانتشاؤه بالحياة ميز شعر التكسب في قوله
عن شعر التكسب في أقوال الشعراء الكثيرين، فشعر التكسب
في قولهم ألفاظ ميتة مهما حاولوا إحياءها بصناعة البيان أو بالأناقة،
وكانت قوة شعره مستمدة من انتشائه بالحياة، فلم تكن قوة كتلك
القوة في شعر بعض الشبان المبتدئين الذين يفتعلون القوة فيخيل
للقارئ أنهم يخنقون ألفاظهم ومعانيهم كي تصيح كما تصيح
الدجاجة إذا حاول الطفل الصغير أن يخنقها، وكانت ألوان

أعلام الأدب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

أقدم ما وصلنا سليما من مآسي إسخيلوس هي درامته البارعة (نسوة متضرعات) وهي درامة شائقة لا يعرف في أي سنة نظمها الشاعر بالضبط ، وتليها في القدم درامة (الفُرس) فقد نظمها سنة ٤٧٢ ق . م وفي سنة ٤٥٨ تقدم إلى المباراة التمثيلية بدرامة مفقودة ففاز عليه الشاعر الشاب سوفوكليس للمرة الأولى وكان لهذا الحادث أثره الذي لم يمح من نفس إسخيلوس والذي قيل إنه هاجر بسببه إلى جيلا بعد ذلك بعشر سنين

وفي السنة التالية (٤٦٧) فاز على جميع منافسيه بدرامته (سبعة ضد طيبة) ، ولا يعرف المؤرخون على وجه التحقيق متى نظم رائعته العصماء (پروميثيوث) ويظن الأستاذ جلبرت موراي أنها نظمت هي وأختها المفقودة (ليكورجيا) بعد (سبعة ضد طيبة)

وقبل أن يموت في جيلا بعامين نظم أقوى دراماته وأعنفها (الأورستيّة) (٤٥٨ ق . م) وهي الثلاثية الوحيدة الكاملة التي وصلتنا سليمة من هذا التراث الأدبي الحافل المفقود

١ – نسوة متضرعات

نسوة متضرعات هي الحلقة الأولى من ثلاثية كاملة ما تزال حلقتاها الثانية والثالثة مفقودتين وإن يكن موضوعهما معروفاً .. والثلاثية كلها تتلخص في أن إيجيتوس أحد أمراء مصر الشمالية كان له خمسون ولداً ؛ وكان له أخ يدعى دانوس رزقه الله بخمسين ابنة ذوات جمال بارع ، فحدث أن هام كل من أبناء إيجيتوس بواحدة من بنات دانوس ... وتقدم إيجيتوس إلى أخيه يخطب بناته على أبنائه ... وهنا تقوم عقبتان أولاهما تلك النبوءة التي تنبأ بها بعضهم لدانوس وهي أن أحد أزواج بناته سيقتله، وثانيتهما أن شريعة القوم في هذا العصر كانت تحرم زواج الرجل من ابنة عمه وتعتبره زنا ... فماذا يصنع دانوس ؟ فكر الرجل ثم فكر ، ثم رأى أن يفر ببناته إلى بلاسجوس ملك آرجوس إحدى ممالك اليونان ... ورست الفلك على الشاطئ ونزل الركب ، ولمحت إحدى البنات رجلاً عظيما بادي الوقار يتنزه هناك، فلما سألت عنه قيل لها إنه الملك . فاستأذنت أباها وذهبت إليه تدعوه إلى والدها ورحب الملك بهؤلاء المحتمين به اللائذين بظله وخصص لهم منزلاً رحباً وعيشة رغداً ... وأقبل قائد مصري بعد أيام يطلب تسليم دانوس وبناته الخمسين . فجمع الملك وزراءه ومجلس شوراه ، وجميع مواطني آرجوس يعرض عليهم الأمر فأبوا جميعاً أن يسلموا اللاجئين لما في صنع ذلك من منافاة النخوة وعدم الوفاء ... فيرتد القائد المصري ، ويعود بعد أيام بجند كثيف فيغزو آرجوس ويقبض على دانوس وبناته ويعود بهن معززات مكرمات إلى مصر

إلى هنا تنتهي الحلقة الأولى ... وقد سمي إسخيلوس درامته الثانية من هذه الثلاثية (فراش العرائس) أو (معاهدات فراش العرس) وفيها يتآمر دانوس وبناته على أن يقتلن أزواجهن ليلة العرس بعد أن يناموا على ألا يمكنهم منهن من شيء . وتُنفّذ البنات ما عاهدن عليه أباهن من هذا الإثم الإلهي مسترا[1] التي استفظعت أن تريق دم هذا الجمال الشاب النائم المستسلم لها ، فوقفت تنظر إلى الخنجر المشحوذ مرة، وإلى ابن عمها الذي أحبته وهويته وأغرمت به مرة أخرى فلم تر بدا من أن توقظه، وتبوح له بالسر الهائل ... وهنا يستيقظ القصر كله ، ويكون دانوس مرتقبا

(١) هكذا أثبتها موراي ويضيف كامبل (نونا) بعد الميم

البيان في شعر أبي تمام طبيعية كألوان الحياة بالرغم من إغرابه ، ولم تكن كتلك الألوان التي وضعها القرد على ما لونه المصور في نقشه ورسمه ، وقد انتهز القرد فرصة انشغال سيده المصور بأمر من أمور الحياة . وقد أسف المغاربة أيضاً لموت محمد بن هاني الأندلسي في سن مبكرة وكانوا يأملون أن يعمر حتى يفاخروا به أكثر شعراء المشرق ، وكان لابن هاني بعض مقدرة أبي تمام ولكنه لم تكن له ثروته الشعرية في نفسه وكان كل منهما مولعا بشعر الحياة الذي يعاش . وجرأة أبي تمام في التشبيه والاستعارة والمجاز هي ما يصح أن يسمى بالجرأة الموفقة إلا في القليل من شعره، وهي تشبه في المبارزة بالسيف نوعا من الهجوم إذا أجاده المبارز نثر سلاح خصمه وأصابه في الصميم وإذا أخطأ المبارز في هجومه سقط وسلاح خصمه في قلبه ..

«البقية في العدد القادم» عبد الرحمن شكري

الإشارة التي اتفق مع بناته عليها ليعلم أنهن قد قمن بواجبهن وأنفذن ميثاقهن ، لكنه لا يرى العلامة تنبثق بالضوء من شباك هيبر مسترا فيرتجف ، ويسمع إلى الضجة فيحاول الهرب ، ولكن ابن أخيه[1] وزوج ابنته الذي لم يقتل ، يفاجئه ثم يعالجه بضربة تقضي عليه فيثأر لإخوته وتنفذ على يديه النبوءة .

ثم تبدأ الحلقة الثالثة التي سماها إسخيلوس ال (دانايدز Danaides) أي بنات داناوس اللاتي يلقين جزاءهن في هيدز ويكلفن بملء وعاء كبير مثقوب من ماء نهر بعيد الغور وعر المنحدر فكلما جئن بجرارهن وصببنها فيه ذهب الماء ولم يبق منه شيء ، فإذا جلسن يستجممن صب عليهن وابل بارد فيهرعن إلى عملهن وهن ناصبات لاغبات . أما هيبر مسترا فتقدم للمحاكمة بتهمتين ، أما الاولى فعصيانها أباها فيما أعطته عليه موائقها ، وأما الثانية ، فزواجها من ابن عمها وهو زنا في نظر الشريعة المعمول بها حينذاك .

كيف حل إسخيلوس هذه العقدة؟ وفي أي الجانبين يقف؟ في جانب القاتلات ، أم في جانب الزوجة الوفية التي استنكرت القتل؟ يبدو لنا أنه آثر أن يقف إلى جانب هيبر مسترا ، لأنه أتى لها بربة الحب فينوس (أفروديت) فشفعت له وبرأت ساحتها . ولا ندري هل عادت إلى زوجها أم حيل بينهما ... لم يذكر لنا التاريخ شيئاً من ذلك !

وتمتاز هذه الدرامة بالإكبار من شأن الديمقراطية التي أبداها الملك بلاسجوس عند ما جمع كل المسئولين من رعاياه ليشاورهم فيما طلب قائد أبناء إيجبتوس ، كما تمتاز بهذه السخرية اللاذعة من تلك الشريعة الفاسدة التي كانت تحرم زواج البنت من ابن عمها وتعتبره زنا إذا تم .

٢ — الفرس

ودرامة الفرس هي الحلقة الثانية من ثلاثية ماتزال أولاها وثالثتها مفقودتين ... والأولى عن البطل فنيوس Phineus كاهن أسطول الأرجونوت الأعمى وباسمه تدعى . والحلقة الثالثة تدعى جلوكوزوهو الصياد الذي تحول إلى إله من آلهة البحار وأغرم بالهولة سكيلا .

وقد جعل إسخيلوس مسرح هذه الدرامة في سوسا وجعل جميع أبطالها من الفرس ، وفيها تبدو أتوسه أم أجزرسيس وزوجة دارا ، وهي تقص رؤيا مزعجة على بطانة من حاشيتها ، فما يكادون يطمئنونها حتى يدخل رسول فيقص نبأ الهزيمة المنكرة التي مني بها إجزرسيس وأجناده في سلاميس ، وبذا تتحق رؤيا أتوسه ، وتأمر حاشيتها بتقديم القرابين لاستحضار روح دارا ... وتبدو روح الإمبراطور الراحل فتأخذ في سب إجزرسيس ، وتنعي عليه طيشه وقلة بصره بمزالق السياسة ، وإقدامه على محاربة اليونان دون رجوع إلى أهل الرأي . ثم يدخل إجزرسيس فيأخذ هو الآخر في حزن طويل يشاطره إياه وزراؤه ومشيرو السوء الذين لم ينصحوا له بما كان يحول بينه وبين تلك الكارثة .

والدرامة قطعة فنية رائعة ، وقد خدمت التاريخ ووصفت سلاميس وصفاً عجز عن الأتيان بمثله أبو التاريخ هيرودوتس . ولا غرو ، فقد حضر إسخيلوس سلاميس وجاهد فيها جهاد الأبطال ... غير أن قيمة الدرامة في ناحيتها الدستورية التي نعى فيها إسخيلوس على الاستبداد والمستبدين بقدر ما أكبر من شأن الحرية والشورى ... ومع أن الشاعر يرفع في درامته هذه من شأن أثينا فإنه لم يقلل من قدر المهزمين . بل هو قد أضفى على الفرس وقار العدو العظيم فلم ينتقص من شأنهم ولم يقدح فيهم ، وبذا كان درامياً عادلاً

٣ — سبعة ضد طيبة

هذه الدرامة هي الحلقة الثالثة من ثلاثية ما تزال حلقتاها الأولى (لايوس) والثانية (أوديبوس) مفقودتين . وتتلخص لايوس وأوديبوس في هذه الأحداث المؤلمة التي حاقت ببيت لايوس ملك طيبة وزوجته جوكاستا . فقد رويت لهما نبوءة تقول إنه سيولد لهما طفل يقتل أباه ويتزوج أمه ويقضي بالشقاء على ذريتهما . فلما ولد لهما طفلهما الوحيد بعثا به إلى الجبل ليقتله أحد رعاياها ، لكن الرجل أشفق على الطفل فتركه ثمة وعاد بدم كذب على قميصه وادعى أنه قتله . وعثر أحد القضاة على الطفل ملقى في شجرة وقد ورمت قدماه ؛ فأخذه وسماه أوديبوس : (أي ذا القدمين المتورمتين) . وشب أوديب وتعلم الفروسية في بلاط ملك كورنثه . ثم حدث أن هجر البلاط لخلاف بينه وبين أحد الأمراء الذي غمزه في نسبه وهاجر إلى دلفي يستوحي الكهنة فيما غمزه به هذا الأمير . وقيل له

(١) واسمه لينسيوس

إنه سيقتل أباه ويتزوج أمه ، ويجر الشقاء على أبنائه ... فانطلق والهم والحيرة يعزقان قلبه ... فبينما هو فى طريقه إذا قائد عظيم يأمره أن يتنحى عن الطريق حتى يمر مولاه أولاً . فلم يمتثل أوديب وانقض على القائد فقتله . ثم جاءت عربة فنزل منها الحرس فنازلهم وقتلهم . ثم نزل منها رجل عجوز شيخ فنازله وقتله ، ولم يكن هذا الرجل سوى لايوس الملك والد أوديب الذى كان ذاهباً إلى دلفى يستوحى كهنتها فى أمر مما نزل بطيبة، وعم أوديب شطر طيبة فوجد الناس فى فزع من أمر تنين (سفنكس) يقف عند باب المدينة من جهة البحر بالمرصاد لكل داخل أو خارج : يقول التنين « ما حيوان تكون له أرجل أربع فى الصبح ، واثنتان فى الظهر وثلاث فى المساء ؟ » فإذا لم يجب الشخص افترسه التنين فى الحال .. وقد حار الناس فى تأويل هذه الأحجيّة ، ونذروا لمن يخلصهم من التنين أن يتزوج ملكتهم الأرمل زوجة لايوس وأن يتربع على عرش مملكتهم ... سمع أوديب أهل طيبة يهمسون بذلك ، وكان قد برم بحياته فاعتزم أن يلتى التنين فإما أن يقتله وينقذ طيبة من شره وإما أن يريحه التنين من الحياة ... وأول أوديب الأحجية بأن الحيوان المقصود هو الإنسان بعينه، فهو يحبو صغيراً على أربع، ويدب شاباً على رجلين، ويتوكأ على عصا إذا بلغ به الكبر عتياً .. ثم انقض على التنين فقتله ، وبذا تربع على عرش طيبة وتزوج الملكة التى هى أمه وهو لا يدرى ...

بذلك تحقق شطر النبوءة الأول ثم شطرها الثانى ... ثم يجتاح طيبة طاعون هائل ويذهب النـاس إلى دلفى يستوحون كهنتها فيقال لهم إنه لا بد من القصاص من قاتل الملك لايوس ليرتفع أذى الطاعون عن طيبة ... وهنا ينتشر الجواسيس والرقباء فى كل فج يجمعون الأخبار ويتجسسون أنباء القاتل فيتبين أنه أوديبوس الجالس على عرش طيبة وأنه هو نفسه ابن لايوس وابن الملكة جوكاستا ... ويعترف الخادم الذى عهد إليه بقتل الطفل بأنه لم ينفذ ما أمر به ، فيذهل أوديب وينطلق إلى الغابة فيسمل عينيه ويهيم على وجهه حتى يموت

ثم تبدأ حوادث الدرامة الثالثة (سبعة ضد طيبة) ... فقد ترك أوديب ولديه إتيوكليز وبولينيسيز[1] يتنازعان العرش كما ترك

(١) تستبدل السين كافا أحياناً كما أثبتها موراى وخالفه كامبل وجرير وبورا وجودوين

ابنتين[1] أخريين نظمت فيهم جميعاً درامات كثيرة ... ويتفق الشقيقان على أن يتبادلا الحكم عاماً لكل منهما ، ولما ينتهى عام إتيوكليز ويقدم أخوه ليتسلم مقاليد الحكم يرفض شقيقه أن يسلمه إياه فيلجأ الآخر إلى أدراستوس ملك آرجوس يستنصره ويعرض أن يتزوج من ابنته، فيقبل الملك ويرسل مع صهره سبعة من قادته يقودون سبعة جيوش إلى طيبة ... ويستمر الحصار سبعة أعوام طوال دون أن ينالوا من طيبة قليلاً أو كثيراً وإن يكن الحصار قد أجهدها فيعرض القـادة أن يطلب بولينيسيز مبارزة أخيه على أن يكون الفائز صاحب الحق فى العرش ، ويجيز إتيوكليز هذا الحل فيمضى إليه بقلب ثابت وجنان رابط وهو يعرف النتيجة ، لكنه يذهب فى غير خوف لكى يريح طيبة من ويلات القتال ... ويلتقى الشقيقان ، ويستمر النزال ساعة ثم يضرب كل منهما أخاه فيسقطان معاً ويضرجان الأرض بدمائهما ... وبذلك تتخلص طيبة من كليهما كما تتخلص من نسل لايوس وتتحقق النبوءة كلها

« للمقال بقية » دريني خشبة

(١) سوف نعود إلى كل ذلك فى سوفوكليس

بين مصر ولبنـــان

إلى الدكتور زكي مبارك

للأستاذ محمد رشدي الخياط

سيدي الدكتور

تستطيع الأمم أن تحتجز كل شئ دون الخروج من أراضيها إلا الثقافة فلا تستطيع قصرها عليها دون غيرها، فهي قسم مشترك بين العالم يدلف إليها كل فرد وتطلع عليها كل أمة، وتؤثر في كل من يصل إليها كما أنها تتأثر بما يصلها، وذلك أمر بدهي لا مندوحة لنا من الإقرار به . وثقافة الأمم منها ما تشارك فيه دون أن تكسوه لوناً خاصاً وهو ما يكون علماً خالصاً، ومنها ما تلبسه ثوباً إقليمياً حسب المؤثرات الخاصة التي توجد لديها ويبقى بعد ذلك عالياً في نزعته وأثره . هذا إلى أن ثقافة الأمم لم تكن في يوم من الأيام أثراً خاصاً من آثار أمة دون أخرى، فهي مزاج من ثقافات العالم القديم والحديث ترتكز كل أمة في ثقافتها عليه فلا يحق لنا إذا ما ذكرنا الثقافة اللاتينية مثلاً أن نقصرها على نتاج عقليات هذه الأمم بل يجب أن نقر أثر الأمم الإغريقية والعربية ونتيجة الثقافات الفرعونية والهندية وسائر الأمم القديمة التي حملت الثقافة الأولى إلى العالم، ونستطيع بعد ذلك أن نزيد عليها أثر الأمم الحاضرة في تغذية هذه الثقافات وتقدمها. والأمة العربية ليست بدعاً من هذه الأمم، فهي إنما تخضع لقوانين العالم ، فالثقافة المصرية لم تكن في يوم من الأيام مقصورة في نهضتها على العقول المصرية كما أنها لا يمكن أن تبقى محصورة في دائرتها الخاصة ، بل من الواجب الحتم أن تتعداها إلى غيرها من البلدان كي يظهر أثرها في التأثير في العالم ، وقيمتها في المساعدة على تقدم الثقافة العربية . ومصر بما لها من الموقع الجغرافي ، والبسطة في المـال ، والكثرة في السكان ، تستطيع أن تباهي شقيقاتها الدول العربية في قطعها دونها شوطاً بعيـداً في بناء النهضة الأدبية الحديثة ؛ ويجب في الوقت نفسه ألا ننكر جهود سائر البلدان العربية على اختلاف هذه الجهود في القوة والضعف ، إذ قام كل بلد بمـا يستطيعه من المشاركة في هذا الأمر . ولا يعزب عن بالنا أثر لبنان خاصة والبلاد السورية عامة في هذه المشاركة الفعالة ؛ فنحن نعلم أن طلائع النهضة بدت في سوريا مسايرة لطلائعها في مصر أو متقـدمة عليها بعض التقدم . ولئن استطاعت مصر أن تتقدم شقيقاتها في هذا المضمار فإن مرجع ذلك إلى أمور لا تتعلق بخصب العقلية المصرية ، وضعف غيرها كما يفهم من كلمة الدكتور زكي مبارك في (العدد : ٢٩٥) من الرسالة . إذ يقول : « ولكني أتحدا كم أن تثبتوا أن لبنان نبغ فيه أديب واحد ، ولم يكن مصدر نبوغه الاتصال بالثقافة المصرية » . ثم يقول في موضع آخر : « إن الأدباء السوريين لم يذوقوا طعم المجد الأدبي إلا بعد أن شربوا من ماء النيل » . وإنما يعود ذلك إلى مؤثرات خاصة نستطيع أن نجملها في أربع نقط .

ترجع أولى هذه النقاط إلى ما وهبته مصر من خصب في التربة درّ عليها أخلاف الرزق في سهلها المخصوضر المعشب فهيأ لها بذلك الأساس الذي تقوم عليه النهضات ، وهو المادة التي استطاعت بها أن تبث البعوث في مختلف أشتات أوربا لتعود إليها بالغذاء العقلي ؛ والبلاد السورية خاصة والعربية عامة صفر من المادة ، فهي في لبنان جبل أجرد ضيق أكثر بقاعه لا يمكن سكانه من استغلاله إلا في أشهر معدودات من الصيف، ثم ينقلب بعد ذلك غطاء أبيض ناصعاً من الثلج يحول دون زرعه أو الاتكال عليه في كفايته حاجات السكان . هذا إلى أن المـدن المنتشرة في منبطحه ليس لها من الموارد ما يهيئ لها أسباب الراحة وبلهنية العيش كما هيأتها طبيعة مصر لمصر . وسائر البلاد العربية يتكون أكثرها من صحارى محيطة بأطرافها وسهول ضيقة الأركان تنبث خلالها . كان من أثر هذه البيئة أن ضاق النبوغ العربي ذرعاً بهذه الحياة فكبت في مهده ، ولم تتجمع له المادة التي تمكنه من استغلال هذا النبوغ فوجد في بقاع الأرض متسعاً لإظهاره ، فاحتمل نفسه إلى مصر وما وراء البحار حيث استطاع أن يثبت هذا النبوغ ويؤكده، فكان أثره في مصر بارزاً في نهضتها وفي غيرها من بلدان العالم وبخاصة في أمريكا مركزاً كل التركيز . ولا يفهم من هذا أن مصر أو غيرها من البلدان هي التي أوجدت هذا النبوغ وإنما يعود ذلك إلى البيئة الأصلية ولم يكن من أثر البيئات الجديدة إلا أن ساعدت البيئة الأصلية

على استغلال هذه الثروات العقلية الكامنة فى زوايا الفقر والفاقة .
ومن هنا لا نستطيع أن نوافق الدكتور فيما ذهب إليه من حملة كنا نرجو ألا تثور به حتى يقعد على مثل الألفاظ التى استقر عليها . ومع ذلك فإن الشعب العربى مع فقره وشدة حاجته إلى المادة استطاع أن يشارك فى النهضة العربية بقدر ليس بالقليل ، وبخاصة لبنان حيث الثقافة العامة فى الشعب أكثر منها فى مصر حتى الآن ، وكل ما فى الأمر أن مصر أنجبت طبقة من المثقفين عالية لا تستطيع أن تجارى الشعب فى تفكيره ، إذ أن التوازن مفقود بين هذه الطبقة العالية فى ثقافتها وبين الشعب الذى لا يزال أكثره أمياً أو ضئيل التعلم . وعكس ذلك لبنان وسائر البلاد العربية ، إذ نجد الطبقة المثقفة هناك لم توجد بينها وبين الطبقة العامة مثل الهُوَى التى توجد فى مصر . هذا السبب المادى الذى آل إلى تخلف بعض البلدان العربية عن مسايرة مصر يتبعه سبب آخر هو قلة السكان فى أى قطر من الأقطار بالنسبة لمصر ، فأكبر بلد عربى لا يتجاوز سكانه خمسة ملايين ، بينا مصر تعد بفضل الله ستة عشر مليوناً أو تزيد ، وهذا له أثره فى قيمة انتشار الثقافة العامة ، إذ لا تستطيع الطبقة المثقفة أن تسير فى واجبها بوساطة التأليف ونشر المجلات العلمية والأدبية لقلة عدد المستهلكين حيث لا يجد القائمون عليها وسيلة من وسائل الاستغلال والإفادة ، بينا مصر تساعدها كثرة سكانها على نشر مختلف المجلات وطبع متباين المؤلفات ، ومع ذلك نستطيع أن نسأل الدكتور نفسه عن عدد الكتب التى طبعها وعدد نسخها وما هى الكمية من هذه الكتب التى استطاعت مصر أن تهضمها بالنسبة إلى الكمية التى أقبلت عليها البلاد العربية ؟ أكبر الظن أننا سنرى البون شاسعاً بين ما تناولته مصر من مؤلفات الدكتور وبين ما التهمته العقول العربية . ولنا فى شهادة أستاذنا الزيات أكبر دليل ، فالرسالة أثيرة لدى الشعب العربى حبيبة إليه يقبل لذلك عليها أكثر من إقبال إخواننا المصريين . أليس فى هذا دليل على رقى الشعب وكثرة المفكرين فيه ؟ ولكن ما الحيلة فى أن الله قد ابتلانا بضعف المادة وقلة السكان مع ما سيأتى من الأسباب فحرمنا ذلك من كثير من وسائل الإعلان والدعاية ؟

وبعد ذلك يا سيدى يحضرنا السبب الثالث الذى يقوم على السببين الأولين — ضعف المادة وقلة السكان — وهو انعدام وسائل النشر والدعاية أو ضعفها ، إذ أن المادة التى يقوم عليها النشر لا تواتى المؤلفين والناشرين على الإكثار منها لقلة ما بأيديهم منها ؛ هذا إلى أن ضآلة الاستهلاك من هذه المطبوعات والمنشورات لقلة عدد السكان قعد بالبلاد عن الإعلان والدعاية اللذين اتخذتهما مصر سبباً من أسباب نهضتها بصحفها ومجلاتها وكثرة مطبوعاتها لاعتمادها على ما لديها من المادة وكثرة الاستهلاك المحلى . فالصحف المصرية مثلاً تستطيع أن تنفق عن سعة لأنها ترتقب انتشاراً سريعاً بين السكان وقل مثل ذلك فى المجلات . ومن هنا نرى أصحاب الصحف فى مصر قد أثروا من عملهم هذا ، وكان ذلك دعاية أى دعاية لمصر فى البلدان العربية ، ويتبع ذلك المجلات . وهنا نستطيع أن نميز فيما بينها ، فهنالك المجلات الأدبية والعلمية وهذه يستهلك منها فى خارج مصر أكثر مما يستهلك فى مصر ، أما المجلات الإخبارية أو الروائية أو المصورة فلها عناية خاصة لدى إخواننا المصريين .
ولا أبالغ إذا قلت إن أثر بعض المجلات فى الدعاية لمصر كان معكوساً ، وبخاصة ونحن فى بلد لا يزال يحرص على كثير من تقاليده ، فهو لا يقبل أن يرى المرأة كاشفة عن ساقيها معلنة عن نهديها ملوحة بذراعيها العاريتين أو نصف العاريتين ، هذا إلى ما تحويه بعض هذه المجلات من أخبار نسائية ومشاكل اجتماعية ليس من الخير أن تنشر بمثل هذه الإبانة لما توقره فى نفوس بعض القراء من آثار سيئة ، وبخاصة أولئك الشبان الذين لم يتجاوزوا طور المراهقة إذ يقبلون عليها بلهفة وشوق ينتهيان إلى انحراف فى الأخلاق أو ميل إلى التهتك دون أن يعرفوا الأثر السيء الذى سيعود عليهم . ما كنت لأرغب فى أن أعرض لهذا الآن ولكن المناسبة قادتنى إليه .

من هنا يا سيدى الدكتور نستطيع أن نلم ببعض الأسباب التى دفعت مصر إلى أن تخطو خطوات واسعة فى طريق النهضة العربية دون أن تستطيع الوقوف على ما يجرى لدى شقيقاتها من هذه النهضة . وأنت أدرى يا سيدى بما تلقاه المؤلفات والنشرات التى تصدر فى البلدان العربية من إقبال لدى إخواننا المصريين ! لو ذهبت تعدد قراء البلاد العربية المنشورات المصرية لألفيتهم عدداً جماً ، ولكنك هل تستطيع أن تدلنى على أناس لا يتجاوزون عدد الأصابع قرأوا أو اقتنوا كتاباً واحداً ألفه أديب غير مصرى

ولكن ما العمل وإخواننا المصريون قد تضخم لديهم حب الذات حتى غدوا لا يبصرون فى هذا العالم أحداً غيرهم ولا يقبلون فى الثقافة العربية على غير مؤلفيهم — مع قلة هذا الإقبال — وأنت تقر معى ياسيدى الدكتور أن هذه ناحية من نواحى الضعف فى جمهور القراء من المصريين . وأنتم فى مصر مع ذلك تشكون قلة القراء على ما لديكم من كثرة السكان وتوفر المادة فكيف بنا نحن العرب الفقراء فى كلتا الناحيتين ؟

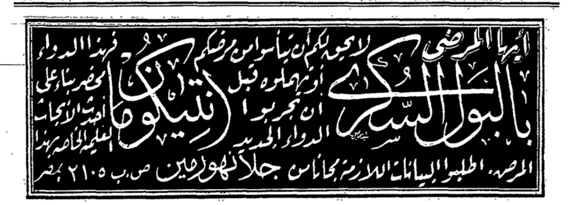
ونستطيع أخيراً أن نبرز الناحية الرابعة التى دفعت بالبلدان العربية إلى عدم استطاعتها المضى مع مصر فى طريق النهضة، وهى ناحية سياسية خاصة تختلف كل الاختلاف عن الناحية السياسية فى مصر. وذلك أن مصر قد كفل لها استقلالها بشئونها الداخلية منذ أيام محمد على باشا حيث تمكن من بعث البعوث والنهوض بعصر فى مضمار الثقافة ، ثم مضت البلاد فى ذلك فى ظل خلفائه إلى أن أظلها القرن العشرون فأتت النهضة أكلها. أما البلاد العربية فكانت تحت الحكم التركى المباشر حيث كانت الأمية ضاربة أطنابها فى مختلف البلاد، وحيث كنت تبحث عن المثقف بمصباح ديوجين، ومع ذلك كان لبنان فى مقدمة العاملين فى سبيل النهضة الحديثة تحت لواء آل البستانى وآل اليازجى وآل المعلوف وغيرهم ، هذا إلى ما قامت به الإرساليات الأجنبية من جهود لا تنكر، ثم تقلبت الظروف وإذا بنا فى معركة حامية الوطيس بين الحلفاء وتركيا، تبع ذلك تمزيق أوصالنا إلى دويلات تحت دول متباينة فى ثقافاتها. وكان من أثر هذا الصراع أن اتجهنا فى حياتنا وفى تفكيرنا إلى حفظ كياننا السياسى — وهو أمر طبعى — قبل التوغل فى العمل فى الحقل الثقافى . ورغم هذه الظروف استطعنا أن نقطع فى طور الثقافة شوطاً غير قليل

قد يقول قائل إن ما لقيته مصر لا يقل عما لقيته شقيقاتها، وفى هذا ما فيه من المغالاة إذ أننا إذا استثنينا الثورة العرابية والثورة المصرية الأخيرة لا نجد صراعاً مسلحاً أخذ بمجامع القلوب المصرية وشغلها عن كل ما عدا ذلك من شئون الثقافة

هذه يا سيدى الدكتور الأسباب التى دعت مصر إلى أن تتقدمنا فى طريق النهضة الحديثة، وهو فى الوقت نفسه لا يدل على ضعف فى عقليتنا أو خصب فى غيرها، وإنما يعود إلى عوامل لا بد من مراعاتها قبل الحكم فى هذه القضية . أما الإبقاء على تراث الجدود والمحافظة عليه فما من أحد ينكر على مصر قيامها به بل نرى من الواجب المحض عليه بالنواجذ

وأخيراً يا سيدى الدكتور أستطيع أن أختم كلمتى حول هذا الموضوع بعتب إخوانك وقرائك عليك لحملتك التى خرجت فى بعض مواطنها عن حد الاعتدال . وليتك وقفت من مثل هذه الدعوة التى وصلت إليك موقف الأستاذ « ابن عبد الملك » فى تهجينها دون تجريح، وفى إنكارها دون جنف أو ميل لك أو عليك، فتكون بذلك قد تجنبت بعض الآثار التى ليس من الخير إثارتها الآن وأنت تعلم أننا أتوق إلى مطالعة آرائك ومنتوجاتك الأدبية من توقنا إلى مثل هذه المنازعات

« فلسطين » محمد رشدى الخياط



ابنـــتى ....!

للأستاذ محمد سعيد العريان

مرحباً يا عزيزتى الصغيرة !

ها أنتِ ذى يا ابنتى أمام عينىّ حقيقةً أراها وكنتِ حلماً من أحلامى !

وهأنذا ألقاكِ بعد صبرٍ صابرٍ وجهدٍ جاهدٍ وطول تشوُّف وارتقاب ؟

مالك مغمضةَ العينين أكثر ما تكونين يا ابنتى كأنما لا تجدين فى دنياك الجديدة ما يغرى على اليقظة والنظر ؟

ومالك صامتةً أبداً فما تفتحين فمك إلا للبكاء كأنما تشعرين بالغربة فى هذا العالم الجديد ؟

وما لهذه اليدين والرجلين دائبات على الحركة أبداً كأنما تحاولين الفكاك من قيد غير منظور ؟

أين كنتِ يا ابنتى ؟ ومن أين جئتِ ؟ وإلى أين المسير ؟

أهذا يوم ميلادك يا ابنتى أم هو أول الطريق فى مرحلةٍ بين مرحلتين من عالم مجهول إلى عالم مجهول ؟

حدّثينى حديثك عن دنياك التى كانت ، ودنياك التى تكون ؛ فأنت أقرب عهداً يا بنية إلى ما كان، وأصفى نفساً إلى تصوُّر ما يكون!

هأنذا أرى شفتيك تختلجان وأنت نائمة كأنما تهمسين بسرٍّ فى أذُن !

وتبسمين أحياناً بسمات غامضة كأنما تستمعين إلى نجوى صامتة فى دنيا الأحلام التى تصل جديدك فى هذا العالم بماضيك القريب فى العالم المجهول !

وتعبسين أحياناً باكيةً بلا صوت ولا دموع كأنما لا يعنيك أن يسمع أحد أو يرى ؛ لأن الذى تمنين أن يعلم بشكواك ليس خلقاً من الخلق ولكنه روح من روح الله ؟

حدّثينى ماذا ترين يا بُنيَّةُ فى منامك وماذا تسمعين ؟

مَنْ ذا يسامرك يا ابنتى فى أحلامك وما عرفتِ شيئاً بعدُ فى دنيانا تؤلّفين من أشتاته أقاصيصَ فى أحلام !

ليتنى أعرف ماذا كنتِ أمس ؟ وماذا أنت اليوم ؟ وماذا تكونين ونكونُ فى غد !

أطوار ثلاثة فى تاريخ البشرية ليس فى أيدينا من العلم بها إلا اليوم الذى نعيش فيه ؛ أما أمس قبل أن نكون ، وأما غدٌ بعد أن نصير ... !

من يدرى ، من يدرى ؟ إن هنا سرّ الأزل ، وسرّ الأبد ، وبرهان الخلود !

حياة بين حياتين ، ليس لنا من العلم بأولاها إلا بطن الأم ، وليس لنا من العلم بالأخرى إلا بطن الأرض ، ونحن بين الحياتين فى مضطرب مائج لا نكاد نحس إلا ما تقع عليه أعيننا وما تلمس أيدينا ، وإننا على ذلك لنزعم أن لنا الحق فى أن نتحدث عما قبل الحياة ، وما وراء المادة فى جدال السفيه ودعوى المغرور !

***

ابنتى طفلة فى المهد لم تتجاوز من العمر فى تاريخ البشرية إلا أياماً معـدودة ، ولكنها إلى ذلك كبيرة كبيرة فى نفسى وفى أوهامى ، إنها لم تُولدْ أمس، ولكنها كانت فى رحلة ثم آبت. إنها كبيرة كبيرة لأنها كانت تعيش فى أحلامى منذ سنوات وسنوات . منذ أيقنت أننى يجب أن أكون أباً !

هل كنتِ تسمعين نجواى يا بُنيتى من وراء حدود المجهول وقد جلست ذات مساء أهتف باسمك فى دنيا الأمانى متسائلا : أين أنتِ يا ابنتى ؟ أين أنتَ ياولدى ؟ أين أنتِ يازوجتى التى لم أرها ولم أعرفها بعد ؟ أين أنتم يا أحبائى ؟

. . . طفلةٌ هى على حساب الزمن إن كانت سن الحى تُعَدُّ بالسنين والأيام ؛ فكم تكون سنها على الحقيقة منذ كانت أمنيةً تتراءى لى فى اليقظة وطيفاً يلمُّ بى فى الأحلام ؟

صورةُ إنسانٍ فى بضعة أرطال من لحمٍ ملفّفة فى طيات الفراش ، ولكنها معى أينما كنتُ ، أطوّف بها ما أطوّف فى دنيا عريضة من الأمانى والأوهام !

خرساء مالها بيانٌ بعد ، فإذا التقت عينان بعينين فإن بينها وبين نفسى حديثاً أفصحَ من حديث كل ذى شفة ولسان !

طفلة هى إذا نظرتُ إليها فى فراشها هادئة مستسلمة لا تقدر على الحركة ؛ فإذا أغمضتُ عينىّ وسبحتُ فيما أسبح من آمالى فهى غير مَنْ هى : صبيّة تدرج ، أو فتاة تخطر ، أو عروس فى جلوة العرس إلى ذراع عروس . . . !

***

تعالى إلىّ يا بُنيتى أضمُّك إلى صدرى ؛ إننى أنا أبوك ؛ أتراك تعرفين ؟

هاتان عيناك الساجيتان تنظران إليّ نظرات ليست من مثل ما تنظرين إلى أخي وابن عمي؛ بربّك مَن علّمك؟

انظري إليّ يا ابنتي وأطيلي النظر، إن في عينيك سراً يلهمني ما لم تلهمني مشاهدُ الدنيا جميعاً منذ كنتُ إلى يومَ عرفتُك!

حدثيني حديثك الصامت يا عزيزتي لعلي أستشفّ من وراء حديثك سرَّ المجهول؛ ما أنتِ؟ وأين أنت؟ وما كان ماضيكِ؟ وكيف تأملين أن يكون غدك.. أأنتِ هنا أم أنت هناك؟

... شمس تشرق وتغيب، وليـل يطبق وينجلي، ورياح تعصف وتهدأ؛ وإنسانٌ يعبس ويضحك، ومعدة تمتلئ وتفرغ، وقلب صافٍ صفاء الحق أو عابس عبوس الضلال، وعيون فيها بريق الشهوات أو فيها دموع الألم، ووجوه سافرة ووجوه عليها نقاب... هذه هي دنيانا أيتها الصغيرة، فما هي دنياك؟

أتراك تعرفين يا عزيزتي الصغيرة؟... ما أرى صمتك الطويل يا بنيتي إلا حذراً ورقبة حتى تعرفي ما أنتِ في دنياك الجديدة...! تُرى من أدبك هذا الأدب يا بنيتي؟

سائحٌ جوّال رمتْ به الأقدار إلى وادٍ غير واديه، ودنيا غير دنياه، وعيش لم يعش مثله فيما استدبر من حياة؛ ماذا يقول وكيف يتحدث... أهكذا أنتِ في صمتك يا عزيزتي؟

***

هذه أمك يا صغيرتي؛ لم تحمل ولم تلد قبلُ؛ علّميها الأمومة يا صغيرتي، إنها لم تكن تعرف...!

ها هي ذي حانيةٌ عليك صابرة على ما تعاني من أوجاع الأمومة الأولى وإن في عينيها لبريقاً لم أر مثله فيما رأيت من عينيها قبلُ!

مغتبطة سعيدة أن تضمك إلى صدرها في حنان ورقة وإن بها من الآلام ما يذهل كل ذات ولد!

وهاتان شفتاك الصغيرتان تبحثان عن شيء هنا... مَنْ علّمك أيتها الصغيرة أن هنا أودع الله ما أودع ليكون لك شبعاً وريّاً؟

ورأيتك تلقمين ثديها مغمضة العينين تناولَ الخبير الفطن، فأحسنتِ الرضاعة، وما تُحسن أمُك أن تُرضع!

يا عجباً! الطفل الصغير يعلّم أمه الأمومة قبل أن تتعلم هي أن تكون أماً!

في كل مرأى عين منك يا صغيرتي درسٌ يهديني ويلهمني!

***

هل أنتِ سعيدة بدنياك أيتها الصغيرة؟ هل تتألمين لشيء؟ هل تؤملين في شيء؟ هل وجدت الحياة كما علّمك باريك الأعظم؟

مَن لي بأن أسمع جوابَ ما سألت! ولكن، لا، لا، حسبي الذي أرى؛ إنك أنتِ أنتِ لأنك لا تجيبين؛ إنك أنتِ أنتِ لأني لا أعرف من أنتِ؛ حسبي من العلم ما تلهمني نفسي؛ إن ذلك أعمق أثراً في جناني من كل بيان!

هذا جسمك ينمو كل يوم شيئاً شيئاً، وهذه حركاتك تقوى وتشتد، وهذا صراخك يتنوع نبره وتختلف أنغامه؛ وغداً — إن شاء الله سيكون لك غد — ستكبرين يا صغيرةُ حتى تبلغي ما تبلغين؛ وكم يلذّ لي أن أتمثلك في خاطري صبيةً وفتاةً وسيدة كما آمل أن تكوني؛ ولكن شيئاً واحداً هو أغلى من كل ذلك آمل أن يظل معك صبية وفتاة وسيدة؛ هو قلب الطفلة، وابتسامة الطفلة، ونظرة الطفلة، و... و...، وصمتُ الطفلة حين تضج الحياة من حولك وتصطخب، ويلتمس كلُّ سؤال جوابه...!

ولكن، آه... إن حكمة القادر لتأبى...!

هكذا كنا جميعاً، وهكذا صرنا؛ وكانت لنا حياة أين منها الحياة التي نعيش اليوم!

عيشي لي يا ابنتي واسلمي، وكوني ما تكونين؛ فأنت أول مَن أبوّت، وأنت أول من علمني معنى الحياة...!

***

... لماذا تبكين يا بنية؟ هأنذا على مقربة منك، تُملين عليّ وأكتب؛ تعالي بين ذراعيّ، إنهما على ما إنهما، لألين مسّاً على جنبيك من هذا الفراش الوثير!

... تبكين لأني منصرف عنك منـذ ساعات إلى أوراق أكتب؟ من علّمك هذه الغيرة يا بنية؟ إن فيك لَطباعَ الأنثى وإن لم تكونيها بعد!

ابتسمي لأبيك أيتها الصغيرة؛ لا تبكي؛ إنني أنا أبوك؛ لقد تعلّمتُ منذ الساعة ما أنا، وعرفتُ ما عليّ من واجب؛ إنني لكِ منذ الآن، لا يصرفني شأنٌ من شئون الحياة عن هذا الواجب إلا أن يكون سعياً إلى ما يصلح من شأنك...

تعالي تعالي علّميني! إنني أنا والدك ولكنك أنتِ ولدتني يوم وُلدتِ لأنك أنشأتني خلقاً آخر من يومئذ...

تعالي، قبّلي أباك! .. لا تعرفين؟.. هذه قبلتي على جبينك يا صغيرة تذكّريني بها إلى معاد؛ وإنها لدين إلى أجل لا بد أن أقتضيه يوماً من شفتيك!

محمد سعيد العريان

استطلاع صحفى

جولة فى مزرعة الجبل الأصفر

لمندوب الرسالة

فى دار النيابة زوبعة ناشئة ينتظر نواب الأمة أن يثيروها عند ما يعرض الاستجواب الخاص بالتحقيق فى مزرعة الجبل الأصفر . وبذلك سجلت هذه المزرعة لنفسها تاريخاً خاصاً وأثارت فى نفوس القراء فضولا رأينا أن نشبعه بأن نقدم للقراء وصفا شاملا لما يحدث فى تلك المزرعة متوخين فى بحثنا أن نكون بعيدين كل البعد عن السياسة ومراميها

الأرض المتمردة

على مسير ٢٠ دقيقة من المرج معهدان أولها مستشفى المجانين، والثانى مزرعة الجبل الأصفر . وكلاهما يقع فى الصحراء بعيداً عن الناس . ففى الأول أناس اقتضت التقاليد عزلهم لما أصاب مراكز التفكير فيهم من خلل ؛ وأما الثانى فبرغم بهائه ونضرته ، وعلى رغم زرعه وضرعه، لم يجد الناس مندوحة من إقامته بعيداً عن عيونهم وأنوفهم ، فمواد سماده من فضلات المجارى ، فهى خطر على الصحة العامة لما تنقله من الجراثيم ، وهى خطر على حاسة الشم لأن رائحتها كريهة ، وهى خطر على المزاج لأنها تعكر صفوه وتشيع فى الإنسان الكآبة : ولذلك اقتضت ضرورة الذوق السليم أن تخط مزرعة الجبل الأصفر فى بقعة نائية من الصحراء



إحدى طرق النقل فى المزرعة بواسطة عربات « ترلى » يجرها حمار

ولا يربط هذين المعهدين بالمرج إلا خط حديدى مفرد تسير عليه مركبة الترولى مرات معدودات أثناء النهار عند ما ينتقل إلى سكان المزرعة البريد اليومى أو يحاول أهلها الاتصال بسكان العالم عن طريق الرسائل . ولو استطاعت الصحراء أن تتحدث لاتهمت المزرعة بالجنون كما اتهم به الناس سكان المعهد المجاور ، فكلاهما خارج بل متطرف فى الخروج على مألوف بيئته ، فأينما وقفت من أطراف المعهدين تجد الأفق ينطبق على رمال الصحراء سوى هذه البقعة ، فقد تمردت بفعل الإنسان فأرسلت من جوفها إلى العالم حياة طافحة بالخير والشر ، وأشجاراً باسقة تعطى الظل والخشب ، وأثماراً تدر على الإنسان الربح الوافر والغذاء الدسم.



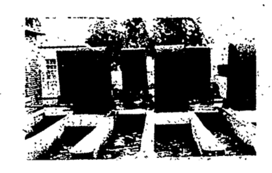
بعض العمال يفرزون البرتقال استعداداً لإرساله إلى القاهرة والمدن الأخرى

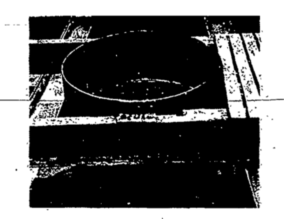
تلك الأرض التى كانت منذ سنوات صحراء جرداء تستوى مع جيرانها فى أديمها الأصفر وهجيرها اللافح وشمسها المحرقة، أصبحت الآن بستاناً تهوى العين رؤيته وتتوق النفس إلى سكناه . وليس غرام البقعة قاصراً على عشاق الطبيعة الذين يحبون جمعها بين الصحراء وتلالها الرملية وبين الماء والخضرة ، بل إن هذا الغرام يمتد إلى التجار . ألم تسمع عن الثورة القائمة فى دار النيابة ؟ وهل سمعت أيضاً بحديث القتيل الذى راح ضحية المنافسة عليها عند البيع والشراء ؟ فإذا لم تكن تعرف هذا فتيقن أن المزرعة مصدر ربح وفير ، فإنتاجها حسب تقدير قسم البساتين بوزارة الزراعة يزيد على اثنين وعشرين ألفاً من الجنيهات .

صيد طائرين بحجر واحد

أما مساحة المزرعة فثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون فداناً حولتها فضلات المجارى إلى حالتها الراهنة، إذ استعملت سماداً عضوياً جيداً لتغذية الأرض حتى أنتجت الأشجار والأثمار المختلفة . ولكن المشرفين رأوا أن يستفيدوا من الأرض فى التجارة بزراعة الموالح من برتقال ويوسفى بأنواعهما . أما البقول والفول والشعير

فاقتصر زرعهما على الاستهلاك المحلى لسكان المزرعة الذين يزيدون على ألف نسمة





صورة إحدى النماذج التى استعملت لتجربة تنقية الماء بواسطة السواقى الدائرة

وزرع من هذه المساحة ألف فدان بوالح، وهى الأرض التى يسمح باستغلالها فى التجارة، وبذلك تكون هى منشأ النزاع وإن شئت الدقة قلنا الاستجوابات المطروحة فى دار البرلمان. وزرع من المساحة الباقية ١٥٠ فداناً شعيراً ومثلها فولاً و ٣٠ فداناً غابات، ومثلها للنخيل وعشرة أفدنة للخضروات؛ أما الباقى فأراض بور لم يتم إصلاحها بعد، ولو توفر الماء لريها لأصبحت كمثيلاتها؛ فالسماد العضوى الذى تجلبه إليها المجارى غذاء غنى للنبات

وليست الناحية التجارية هى الأصل فى إنشاء هذه المزرعة بل الغرض أسمى من ذلك، ففى مدينة القاهرة مجار تجمع الفضلات من المنازل لتلقيها بعيداً عن الناس دون أن تكلفهم مشقة التعب فى النقل وإجهاد السكان. وهذه المواد يجب أن يقتل ما فيها من جراثيم كما يجب أن تستهلك لتنعدم رائحتها وحتى لا تزيد وتتكاثر بمرور الزمن. ولذلك فكر ولاة الأمور فى إنشاء مزرعة يتغذى نباتها بتلك الفضلات، وبذلك يضربون طائرين بحجر واحد كما تقول الأمثال؛ فمن الناحية الأولى تجد مصرفاً دائماً للفضلات، ومن جهة ثانية تزرع الأرض وتجنى الثمار.

ولذلك لم تكتف المزرعة بالناحية المادية والتجارية، بل أرادت أن تضيف إلى الثروة الزراعية المصرية نباتات جديدة لم نعرف أثمارها من قبل فأدخلت زراعة بعض الفواكه «كالكوم كوات» كما استطاع الإخصائيون الزراعيون إنتاج فواكه فى غير أوانها؛ فاستطاعت المزرعة أن تمد السوق بالفواكه فى أكثر أوقات السنة. ولم تقتصر الفائدة على الحكومة بل عمت فاستفاد منها



نموذج آخر لتجربة نوع آخر من السواقى لعزل الماء عن فضلات المجارى

الشعب فقد اشترى بعض المزارعين بذور تلك الفواكه فشاركوا المزرعة فى إنتاج الفواكه على غير ميعاد.

سر الشيطان

وتأبى أرض الزرعة إلا أن تضع أمام إخصائيها معضلة حاروا في كشف سرها إذ يظهر نبات شيطاني اسمه « النتنة » لم تبذر له بذور ولم يعتن به في سقي ولا حرث، ومع ذلك فإنه ينمو ويكبر؛ وهو غني بالزيت، ولذلك أريد استغلاله باستخراجه منه فجربت زراعته فنشلت. « فالنتنة » نبات ينمو إذا تركته للطبيعة، فإذا أخذت بذوره وأعطيتها العناية والوقاية فإنها لا تنبت؛ أما إذا تركت على الأرض فإن نبات النتنة يكثر فيها. أما كيف ينبت فهذا سر الطبيعة؛ وأما لماذا لا ينبت إذا قدمت له العناية فأمر علمه عند الله، وكل ما نعرف عنه أنه نبات شيطاني يحتفظ بسر نفسه، وما زالت التجارب تعمل. وما يظن أنها بذوره تدفن في الأرض أو تبذر على سطحها لتنبت، ولكنها تختفي في الجهات التي تزرع فيها لتظهر في جهات ثانية. والغريب في أمرها أنها تنبت بإذن الله وحده في عدة جهات وبكميات كبيرة، فأمكن استخراج كميات من الزيوت منها

وتحاول الزرعة أن تحتفظ في حقول تجاربها بكثير من النباتات ولكن بعضها قد لا يحتمل حرارة الشمس لأنه نبات إحدى المناطق الباردة، أو أن حرارة شمس مصر لا تكفيه لأنه نبات إحدى المناطق الحارة، ولذلك فإن الزرعة مجهزة ببيوت من الزجاج، وأخرى من الخشب

فأما بيوت الزجاج فتوضع فيها نباتات المنطقة الحارة حتى إذا انكسرت أشعة الشمس داخلها كانت حرارتها أقوى مما هي في البادية، وهذه البيوت حوائطها من الزجاج الذي يسمح لأشعة الشمس بالنفاذ. أما بيوت الخشب فإنها تصنع لتعطي النبات كثيراً من الظل، وبذلك تقل الحرارة داخل البيت فيستطيع النبات البارد أن يعيش. وبعض النباتات يمكث في هذه البيوت مدة حتى يمكنه أن يتحمل الحرارة والبرودة وعندئذ يمكن غرسه في أرض الزرعة في العراء

سماد عضوي

تروى أرض الزرعة وتسمد من فضلات المجاري التي تصل من القاهرة بواسطة أنابيب تقذفها في أحواض واسعة حيث ترسب الفضلات الثقيلة في قاعها وتمر في عدة أحواض أخرى إلى أن تصبح ماء صافياً يستعمل في ري الزرعة. أما المواد الثقيلة فإنها تنشر في أحواض رملية وتعرض لأشعة الشمس حتى تجف وتباع للزراع كسماد عضوي جيد، ويختلف ثمن المتر المكعب منه تبعاً للمكان الذي يسلم فيه





صورة أحد العمال وهو ينظف إحدى فتحات الأحواض

وتنحل المواد البرازية أثناء انتقالها داخل الأنابيب من القاهرة إلى تلك الأحواض فإنها تبقى عدة ساعات كافية لقتل أي مكروب، ولذلك فإن المواد تصل إلى تلك المنطقة سوداء مما يدل على انحلال موادها. أضف إلى ذلك أنها في ماء جار لا يسمح للميكروبات بالحياة. بل إن بعض الأطباء يؤكدون خلو تلك المواد من أي ميكروب؛ ولذلك يأخذون على وزارة الصحة اعتبارها للمواد التي تسقط على أرض ملوثة؛ ويقول آخرون إن هذا احتياط واجب وهو أدعى لطمأنينة الناس وثقتهم بنباتات الزرعة

ولأول مرة شاهدت أرض الزرعة عجبت لكثافة الحشائش في أرضها مبيناً ضرر ذلك على النبات. ولكن محدثي وهو ممن عاشوا في الزرعة مدة طويلة قال: إن هذه الحشائش الطفيلية تنبت بغزارة وقد تعبنا في التخلص منها بدون جدوى. وثلاثة أرباع

العمل الذي نبذله هنا يقتصر على حشها ولكنه لا تمر ٢٤ ساعة حتى تنبت بهذه الكثافة من جديد. ولما سألته عن السبب قال: إن الماء الذي تزرع به الأرض يحتوي على كميات كبيرة من السماد فتشبعت به الأرض أكثر من الحد الطبيعي حتى أصبحت أرضها صلبة مما يضر بالمزروعات أحياناً، وإذا أردنا أن نرجع بالأرض إلى الحالة الطبيعية وجب أن نزرعها مدة عشر سنوات بدون سماد



ساقية تدور في وسط الماء لفصل الماء رائقا عن الفضلات وترى زبد الماء ظاهراً

تجارب لعزل الفضلات

ومن المشاكل التي يحاولون التغلب عليها الحصول على ماء خال من السماد الذائب فيه ، ولذلك عملت تجارب لتصفية ماء المجاري والحصول على ماء نقي . فليس هذا سهلاً باستيراده من النيل أضف إلى ذلك أن مشكلة ماء المجاري ستظل بدون مصرف لها .



صنعت هذه الأحواض لتنقية الماء حسب الطريقة المتبعة في ريف مصر بواسطة الحصى والرمل والزلط

واتبعت عدة طرق ما زالت تحت التجربة لتنقية الماء بطريقة السواقي أو الرشح بين الزلط والرمل ، وينتظر أن تصل هذه التجارب إلى نتائج حاسمة قريباً فقد شاهدت إحدى التجارب وقد أصبح الماء

التخلف منها شفافاً ولكن تكاليفه غالية . ويراد استنباط طريقة رخيصة التكاليف . وقد بنيت لتنفيذ تلك التجارب عدة نماذج مساحة الواحدة منها خمسون متراً تقريباً

وهناك مشروع لتحضير غاز الاستصباح من فضلات تلك المواد، فإذا نجح هذا المشروع فإنه يكفي لإضاءة شوارع القاهرة جميعها. وقد بدأ القائمون بالأمر بعمل التجارب اللازمة ، فأنشأوا لذلك بئراً عمقها ١١ متراً كما شيدوا خزاناً من الحديد لاستقبال الغاز وتوزيعه

محافظة على الصحة

وتحرص وزارة الصحة كما قلنا على منع الثمار الملوث من الوصول إلى أيدي الناس، ولذلك إذا أراد مستغل المزرعة أن يجمع ثمار قطعة من الأرض فعليه أن يخطر رجال الصحة ليمروا في تلك المنطقة وليجمعوا منها الثمر الذي يلمس الأرض سواء كان ساقطاً أو في فروع قريبة من الأرض فلامستها . ويدفع للمستغل ثمن ما يتلف لأنه ملوث وقد قدر بخمسة آلاف جنيه في العام الماضي

ويعدم الثمر الملوث بوضعه في حفر عميقة وصب « حامض الفنيك » عليه ثم ردم الحفر

فوزي عبد الشبري

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

للأستاذ محمود الخفيف

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح ،
وأن يجدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟



يذكر المصريون اسم عرابي فلا يبتعث هذا الاسم وأشباهه في أذهانهم إلا صور العنف والنزق والحمق ، وتراهم — وإن لم يقصدوا — يقرنون اسم عرابي بمعاني الهزيمة والاحتلال والمذلة كأن هذه المعاني من مرادفاته

وما أذكر مجلساً تطرق الحديث فيه إلى عرابي إلا وسرت في الوجوه كآبة ، وتسابقت الألسن للهزء به وتعديد مساوئه وإبراز مثالبه ...

والحق أنه قل أن نجد في رجالنا رجلاً ضاعت حسناته في سيئاته كما ضاعت حسنات عرابي المسكين فيما ارتكب وفيما افترى عليه من سيئات ؛ وكذلك قل أن نجد في رجالنا رجلاً كرهه بنو قومه واستنكروا أعماله بقدر ما كره هؤلاء عرابيًّا واستنكروا ما فعل وما أسند إليه من الأعمال زوراً وإفكاً . وفي ذلك دليل قوي على أن التاريخ قد يظلم عامداً كما قد يخطئ غير عامد ؛ وفيه كذلك دليل على أن الأمور كثيراً ما تجري فيه كما يرسم الحظ لا كما يضع العبيدل من قسطاس ؛ فيكون نصيب بعض الرجال من التعظيم بقدر ما يتوافق لهم من حظ لا ندري كيف اتفق لهم دون غيرهم ، بينما يجني على كثير من ذوي النفوس الصحيحة والعظمة الصادقة ما يلحق بهم من سوء الطالع وما يحيط بهم من نحس الأيام

وما كان عرابي فيما أعتقد أثقل الرجال وزراً وإن لم يكن أقلهم أخطاء . ولعلي أستطيع أن أجلو ذلك في سيرته بقدر ما أصل إليه من وجوه الصواب في تلك السيرة التي بالغ كثير من ذوي الأغراض في تشويهها والحط من قدر صاحبها

ومهما يكن من الأمر فما أحسب من الناقمين على عرابي من يستطيع أن يماري في أنه كان زعيم حركة وداعية فكرة ، وأنه — أخطأ أو أصاب — كان مخلصاً فيما يفعل وفيما يقول، وأنه قبل ذلك كله وفوق ذلك كله كان أول مصري فلاح في مصر الحديثة خرج من بين عامة الفلاحين في قرية من قرى مصر فاضطلع بقضية ، ونادى على رأس النادين بمطالب مصر ، وصار اسمه في موقف هام من مواقف نهوضها علما على الجهاد ورمزاً للمقاومة حتى شاءت الظروف فامتشق الحسام وسار على رأس جيش من بنيها يذود عن أراضيها ويقف غير هازل ولا طامع في وجه الغادرين الباطشين من أعدائها ...

بهذه الروح أكتب عن عرابي ، وعلى هذا الأساس أبين سيرته ، فالإخلاص في الرجال هو عندي مقياس بطولتهم الأول ، بل هو فيما أرى أصح المقاييس وأهمها ؛ أما الصواب والخطأ وما إليهما ، فأمور توجد في الأبطال وغير الأبطال ، ولا فرق فيها في كثير ولا قليل بين هؤلاء وهؤلاء !

ولد أحمد عرابي في عام ١٨٤٠ م في قرية تدعى هرية رزنة بمديرية الشرقية ، ونشأ الصبي القروي كما ينشأ الآلاف مثله في قرى مصر على نمط من العيش لا نحسبه يختلف كثيراً باختلاف العصور في هذه القرى التي نبتت على ماء النيل منذ الأزل ...

نشأ في هذه القرية الصغيرة ذلك الصبي الذي قدر له أن يجري اسمه يوماً ما على كل لسان في مصر ودرج بين لداته عرضة

للأمراض المختلفة ، يحيط به في قريته الجهل والفقر أينما اتجه ، ولا يجد حوله من مظاهر الحياة والعمران مثل ما يجده صبي مثله ينشأ في مدينة كبيرة أو يتلقى العلم المنظم في مدرسة منظمة

على أنه يذكر عن أبيه في مذكراته[1] أنه كان « شيخاً جليلاً رئيساً على عشيرته عالماً ورعاً تقياً نقياً موصوفاً بالعفة والأمانة » ؛ ومهما يكن من أمر أبيه فليس يعنينا في هذا المقام سوى أنه أرسل ابنه إلى مكتب القرية وهو كما يقول ابنه من منشآته فيها ، وفي هذا المكتب فتحت عينا الصبي على نور العلم فحفظ شيئاً من القرآن وتعلم القراءة والكتابة ؛ وتعهده صراف القرية زمناً فعلمه مبادئ الحساب

ومات أبوه وهو في الثامنة من عمره ، ولكن يتمه لم يحل بينه وبين أن ينال قسطاً من العلم في الأزهر فلقد أرسله أخوه الأكبر إلى هناك عسى أن يكون عالماً من علمائه ، ولكن الصبي لم يلبث بالأزهر كثيراً فعاد إلى قريته ، وكان من الممكن أن يعيش في تلك القرية ثم يموت فيها كما يعيش ويموت سواه من الفلاحين من أهلها . . .

ولكن الأقدار تخرجه من هذه القرية ليغدو فيما بعد رجلاً من رجال مصر ، وليثبته التاريخ في سجله ، بعد أن يصل اسمه إلى مسامع جميع الساسة في ذلك العصر ؛ وتنطوي السنون وتبقى ثورته صفحة من أهم الصفحات في تاريخ هذا البلد

أراد سعيد أن ينهض بالجيش ، لا لأنه كان رجل حرب وأطماع ، ولكن لأن الجيش كان ملهاته ، فأمر بتجنيد أبناء المشايخ والأعيان ، وكان من بين من جندوا ذلك الفتى الأزهري القروي الذي لم يكن له من عمل في قريته ، وكان يومئذ في الرابعة عشرة

وبالتحاق عرابي بالجيش تبدأ مرحلة جديدة في حياته ، ثم ينتهي من ناحية أخرى مرحلة تعليمه ، ومن ذلك نرى أن كل ما ناله عرابي من المعرفة لم يعد ما تلقاه في المكتب ثم في الأزهر قبل سن اليفاعة ، اللهم إلا ما كان من مطالعاته الخاصة فيما بعد وهي أمر لا يمكن تحديده . . .

ولطالما رمي عرابي بالجهل ثم عد هذا الجهل من أهم نواحي ضعفه ، بل لقد كانت تلك الناحية في مقدمة ما يهزأ به منه خصومه ، وبخاصة أولئك المؤرخون الأجانب الذين ينتابهم أبداً لذكر عرابي ما يشبه الحمى فيطلقون ألسنتهم فيه بلا حساب

ولست أحاول هنا أن أنسب العلم إلى عرابي فما أبعده عن أن يوصف بالعلم ، ولو كما كان يفهم أهل عصره من مدلوله ؛ ولكني من ناحية أخرى لا أراه من الجهل كما يصفون أو كما يسخرون ، ذلك أني أقيسه إلى جمهرة المتعلمين في عصره من أهل مصر ، وما كان لي أن أعدو ذلك فأقيسه إلى رجال جيله في أوربا إلا أن أعتبر مصر يومئذ في مصاف تلك الدول علماً وثقافة وحضارة . ولن توصف الشمعة لعمري مهما كانت ضئيلة النور بأنها مظلمة ، ولا سيما إذا قيست إلى غيرها من الشموع وما على شاكلتها من المصابيح ؛ أما أن تقاس إلى المشاعل القوية أو أن تنقل من ظلمة الليل إلى وضح النهار ثم يتحدث بعد ذلك عن مقدار نورها ، فهذا ما لا يجوز إلا في حساب المغرضين والمبطلين

ومتى كان العلم الغزير من مستلزمات البطولة ؟ ألا كم شهد التاريخ من أناس لم يكن لهم من العلم إلا مثل حظ الرجل العادي منه بحيث لو أنهم قيسوا من هذه الناحية إلى معاصريهم من العلماء والفلاسفة لكانوا في حكم العدم ، ومع ذلك فلم ينل نقصهم هذا من بطولتهم أو يقعد بهم عن مواصلة السير إلى مثلهم التي زعموها ؛ وذلك أن قلوبهم كانت عامرة بما هو أغلى وأعظم من نظريات العلماء وأحلام الفلاسفة . . . كانت قلوبهم عامرة بالإخلاص والحماسة والعزم وهي خلال لن تقوم عظمة حقيقية بدونها ولن تغني عنها سواها من الخلال مهما كان من قيمتها في مجال آخر ؛ ولرجل واحد وثيق العزيمة صادق الإخلاص متوقد الحماسة خير في قيادة الناس وتحريرهم من عشرات الفلاسفة الغارقين في أوراقهم وكتبهم

وما كان عرابي فيما أستخلص من سيرته خلواً من هذه الخلال ، بل لقد كان ما توافر له منها لا ينزل به في البطولة عن مرتبة شريف والمويلحي واللقاني ومحمد عبده وجمال الدين والبارودي وغيرهم من مثقفي عصره ، إن لم يكن يرتفع به عليهم على ضآلة علمه بالنسبة إليهم. ولست أغلو في ذلك أو أتحيز ، وإلا فكيف انتهت إليه في وقت ما زعامة الحركتين الوطنية والعسكرية معاً ؟ ولقد كان في الأولى كما ذكرت من الرجال من هم أعلى كعباً منه في المعرفة ، وفي الثانية من هم أرسخ قدماً في الجندية ؟ وهل يعزى ذلك إلى الحظ وقد كان عرابي من أكثر الناس شغباً على رؤسائه في الجيش ، أم يعزى إلى الجاه والثروة وقد كان فلاحاً ابن فلاح من بيت عادي لا ثروة له ولا جاه ؟

ألا إنه لا مناص لنا إذا أردنا الإنصاف من أن نعزو ذلك

(1) كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية

إلى أنه كان أكثر ممن حوله إيماناً وأقوى منهم جناناً وأشد منهم توثباً وتطلعاً ، وإن كان من أقلهم معرفة واطلاعاً ؟ وهنا لا أتردد أن أثبت رأياً آخر وهو أنه لا يجوز عندى أن يُعدّ عليه ما يعزى إليه من جهل أو أن يؤخذ به ، وإنما ينبغى أن يعد له وأن يعتبر داعياً من دواعى فخره !

انتظم عرابى فى سلك الجندية (نفراً) عادياً فما لبث أن ترقى بعد سنتين إلى رتبة (ملازم ثان) وكان ذلك حوالى عام ١٨٦٠ ثم إلى رتبة ملازم أول فيوزباشى فى نفس العام ، ولم يمر عامان بعد ذلك حتى وصل إلى رتبة قائمقام (بك) وكان عرابى أول مصرى وصل إلى هذه الرتبة كما يقول فى مذكراته

وصل هذا الجندى من رتبة الجاويش إلى رتبة قائمقام فى نحو أربع سنوات وما كان ذلك عن حظوة له عند أحد ، وإنما كان سلاحه ذلك القدر من العلم الذى أشرنا إليه، فبه تمكن عرابى أن يدرس القوانين العسكرية ويجتاز الامتحانات متفوقاً ، ويدلنا ذلك على ندرة المتعلمين فى ذلك الجيش ، ولا شك أن هذا الترقى السريع قد بث فى نفس الفتى القروى كثيراً من الطموح والإقدام ...

على أنه كان شجاعاً بطبعه فى عصر كثيراً ما كانت تمد الشجاعة فيه ضرباً من العصيان والتمرد كما سيأتى بيانه ؛ ولسوف نرى من مواقفه فى هذا العصر ما يزيد معنى بسالته ويظهرها مضاعفة ...

وأول ما عرف عنه فى الجندية كراهته للعنصر الجركسى ، فكان لا يفتأ يقارن بين نصيب هذا العنصر ونصيب المصريين من المناصب ، فلا تزيد المقارنة إلا غضباً وكراهية لهؤلاء الأجانب . أليست هـذه النزعة من جانبه هى نزعة الوطنيين فى الجيش حينما تبدأ الحركة العسكرية ؟ ثم ألسنا نجد فيها جانباً من الوطنية ومعنى من معانيها ؟

ولكن بعض المؤرخين لا يفهم هذا من جانب عرابى إلا على أنه ضرب من الأنانية والجشع ، بل ليسرف بعضهم فيرميه بالتبجح قائلين: ما لهذا الفلاح وعليا المراتب فى غير جدارة؟ وإنهم فى ذلك ليتبجحون من حيث لا يشعرون ! ولئن كان الطموح بالنفس والشعور بالقومية تبجحاً ، فاذا نسمى التقاعد والتخاذل والاستخذاء أمام الأجنبى ؟ ألا ليت كل تبجح يكون كتبجح عرابى هذا فما أعظمه وما أجله ، وما أجدره بالتقدير والإعجاب !

وليت شعرى كيف يستطيع رجل فى مثل موقفه أن يقنع المكابرين أن نزعته كانت قومية يقصد بها بنى قومه جميعاً ؟ وأى عيب فى أن يبدأ بنفسه فيرقى بها ؟ أليس مصرياً ؟ وهل كان يمتز بغير مصريته إذا اعتز بنفسه ؟ على أنه لو أراد بالرقى نفسه فحسب دون أى اعتبار قومى ، فما وجه العيب فى ذلك ؟ أيكون من العيب أن يتطلع الرجل إلى المعالى ، ولا يكون من العيب أن يرضى بتقدم غيره عليه حتى ولو كان ذلك الغير أجنبياً ؟

إن الرجل المخلص لا يقف ليقول للناس إنه مخلص وفى ذلك شك منه فى نفسه ، ولا يكون هناك دليل على إخلاصه إلا ما يعمل فى سبيل تحقيق مبدئه، أما الكلام فسبيله ميسور ؛ وفى استطاعة كل مبطل أن يملأ أسماع الناس بدعوى إخلاصه فى غير مشقة .

« يتبع » الخفيف

مقدمة «ليلى المريضة بالعراق»

تقرير طبي

[مرفوع إلى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف]

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل

كنتم سألتموني منذ شهرين أن أقدم إليكم تقريراً عما صنعت في مداواة ليلى المريضة في العراق ، فأنا اليوم أجيبكم عما سألتم ، راجياً أن تغضوا النظر عما وقع من إهمال وتسويف

وأسارع فأعتذر عن تقديم هذا التقرير مطبوعاً إلى الجمهور في الوقت الذي أقدمه إليكم ، لأن لي في ذلك غاية نبيلة : هي تذكير زملائي من الأطباء بواجبهم في التعرف إلى الدراسات الأدبية والفلسفية ، على نحو ما كان يصنع الأطباء العظام في الأمم العربية والإسلامية ، وقد أعلنت هذا المعنى منذ شهور طوال في مجلة « المعلم الجديد » التي تنشرها وزارة المعارف العراقية ، فاستقبله الأطباء هناك بالترحيب

ومعاذ الأدب أن يكون في نشر هذا التقرير بطريقة علنية دعاية لنفسي ، فما أطمع في أن أكون أستاذاً للحكمة الوجدانية بكلية الطب بعد أن صنع الأدب بحياتي ما صنع : فقوض عيادتي بشارع المدابغ ، وأغلق عيادتي بشارع فؤاد ، وأسلمني إلى احتراف الصحافة والتدريس

وقد كنت نشرت بعض فصول هذا التقرير بمجلة (الرسالة) في السنة الماضية فارتاع زملائي من أطباء بغداد وشكوني إلى الجمعية الطبية المصرية ، وكانت حجتهم أنه لا يليق بالطبيب أن يفشي سر المريض

وما أجهل أني أخطأت ، ولكن متى سلمت أعمال الرجال من الأخطاء ؟ وهل يدعي العصمة إلا أهل الغفلة والحمق والخبال ؟

إن أعظم مزية يتحلى بها كاتب هذا التقرير هي أنه يعترف سراً وعلانية بأنه إنسان يخطئ ويصيب ، وقد يشطح وينطح في كثير من الأحايين !

وما أتخوفه اليوم وأنا أقدم إليكم هذا التقرير قد تخوفته من قبل : فقد كاد ما نشر من هذا التقرير يزلزل الأرض تحت قدمي في بغداد ، واضطرني ذلك إلى الدفاع عن نفسي أمام « نادي القلم العراقي » وفيه كثير من الأطباء ، فتقبل الزملاء دفاعي بأحسن القبول . ومن ذلك عرفت أن الأطباء قد يحسون معاني الإنسانية حين يتصلون برجال الأدب والبيان

وما أخفي عليكم أني كنت أعرف أن اهتمامي بمداواة ليلى سيعرضني لكثير من المكاره ، فهدتني الفطرة إلى أن أحتاط لنفسي فأوهمت أهل العراق أني أديب عظيم ، واستطعت بذلك أن أتصدر لتدريس الأدب العربي بدار المعلمين العالية ، على قلة ما أملك من الذخائر الأدبية ، وقد أعانني الله تباركت أسماؤه على تحقيق ما ادعيت ، فألقيت على تلاميذي وعلى جمهور أهل العراق محاضرات أسبوعية بكلية الحقوق كان لها في آذان أدباء بغداد رنين أي رنين

ولم أكتف بذلك، بل بالغت في ستر الموقف فأنشأت الفصول التي رأيتموها في كتاب : « وحي بغداد » .

فإن عجبتم من أن أوفق إلى ما وفقت إليه في زمن لا يزيد عن تسعة أشهر فتذكروا أن الإخلاص قد يزعزع رواسي الجبال

أليس من العجيب أن أهاجر إلى بغداد وأنا طبيب فأرجع وأنا أديب ؟ !

* * *

ولكن ما الذي ستقرأونه في هذا التقرير الذي تعد صفحاته بالمئات ويقع في ثلاثة أجزاء ؟

من المؤكد أنه يغاير التقارير التي أقدمها إلى مكتب تفتيش اللغة العربية من أسبوع إلى أسبوع

ستجدون في هذا التقرير صراعاً عنيفاً بين الحلم والجهل ، والرشد والغي ، والهدى والضلال . وستجدون فيه ما هو أخطر من ذلك : ستجدون فيه صراعاً بيني وبين نفسي ، والجهاد الأكبر جهاد النفس ، كما قال الرسول

سترونني هززت شجرة النفس الإنسانية هزة عنيفة لأعرف

ما تحمل من الثمار المعطوبة والثمار الصحاح

ستروننى صنعت بالقلوب والنفوس ما تصنع الأعاصير بالشجر والنبات لا ينجو من عنفها إلا القوىُّ المتين

فإن رأيتمونى قدّمت إلى أسْونة وزارة المعارف تقريراً لم تعرف مثله قبل اليوم فاجزونى بكلمة ثناء تخفف ما أسارتنى ليلى إليه : فقد رجعتُ من دارها مفطور القلب ممهور الروح .

وإن رأيتمونى أحدثت فى عالم الطب بدعةً سيئةً فاغفروا ذنبى ، فحسبى من المحنة أن أسكب الدمع كل يوم على ما أسرفتُ على نفسى من الهُيام بأودية المعانى ، والضلال فى هَوَى الملاح . أعاذك الله من بلاء الحب ، ونجّاك من فَتْك العيون السُّود !

أتذكر أيها الوزير الجليل كلمة جاءت فى كتاب « ثورة الأدب » الذى ألفه كاتب من أقطاب الكُتّاب فى هذا الجليل ؟

أتذكر أن ذلك المؤلف قال: إن هنالك آفاقاً من المعانى يتحاماها كتّاب العصر الحديث ؟

فما رأيك فيمن يكفّر عن سيئات أولئك الكتاب فيتحمل المشاق فى ارتياد تلك المجاهيل ؟

لقد اقتحمتُ تلك الآفاق بلا زاد ولا ماء ، وأنا أعرف أنى أعرّض سمعى للأقاويل والأراجيف ، لأن الناس عندنا لا يفهمون كيف يدخل الطبيب على نفسه ليُشرّح على حسابها أهواء النفوس والقلوب والعقول ؟

اقتحمتُ تلك المهالك وليس لى إلا سنادٌ واحد هو الشعور بأنى أؤدّى خدمة للأدب والطب . وهل يُخدَم الأدب والطب بأفضل من التغلغل فى تشريح النزعات والأهواء ؟

وهل كنتُ أملك الفرار من الصُّنع الذى صنعتُ ؟

لقد قضيت نحو تسعة أشهر فى بغداد وأنا فى جوار موصول مع ليلى وظمياء ، وأنت تعرف كيف يتعرض القلب — حين يألف مثل هاتين الشيطانتين — للطواف بأركان الحقائق والأباطيل

أقول هذا وأنا أشعر بأنى لم أوفّق كل التوفيق فى تدبيج هذا التقرير لأنه خلا خلوًّا تامًّا من شوائب الرياء ، فى وقت صار فيه الرياء سيد الأخلاق ، وإلا فما الذى كان يمنع من أن أضيف إلى نفسى وإلى ليلى محامد ومناقب يسير بها الركبان ؟ ما الذى كان يمنع من أن أقول إن ليلى لم تَستَتِب علىّ مرةً واحدة وإنى كنت فى هواها أعقل الناس ؟

منع من ذلك التعقل مانعٌ واحد هو الغرام بالصدق . منع من ذلك أنى أشعر بأن الأدب العربى أصبح على شفا الهاوية بفضل شيوع التدليس فى تصوير العواطف والغرائز والطباع

منع من ذلك أنى أبغض أشد البغض أن تشعر وأنت تقرأ هذا التقرير بأن فيه شيئاً من الزور والبهتان

وهل من القليل أن ترانى وصلت إلى ضمير الحياة العراقية ثم وصفتُه بأسلوب يخفى سِحْرُهُ الدقيق على هاروت وماروت ؟

* * *

فى هذا التقرير ، أيها الوزير ، ما يشبه التحامل على الأطباء ولى فى ذلك عذر مقبول .

فأنت تعرف أن الحكومة كانت أوعزت إلى الجمعية الطبية المصرية أن تقيم مؤتمرها العاشر فى بغداد لتعيننى على مداواة ليلى المريضة فى العراق .

ولكن أولئك الأطباء حاربونى وقاتلونى بلا ترفق ، وقد جزيتهم بما يستحقون ، وأنا مع ذلك أشعر بأنى أحسنت إليهم كل الإحسان .

أما يكفى أن أصوّر بقلمى فِلْماً للمؤتمر الطبى العاشر ، فلماً رائعاً لم يشهد مثله الناظرون ؟

سترى فى هذا التقرير أن ليلى — وإن بالغتْ فى الدلال — لم تُضمر غير الحب ولم تمنح الواشين الآثمين غير الصد والإعراض

سترى أن ليلى عرفت أنى لم أكن إلا طيفاً زار فى السَّحر بساتين الكرخ وبغداد .

ويؤذينى أن أعرف أنه قد يصعُب أن أرى ليلى بعد اليوم فقد قيدنى أهلى وأبنائى بقيود من حديد ، وقهرونى على أن أعترف بأنى من مصر لا من العراق

وإن رأيتم فى هذا التقرير حبًّا شديداً للأمة العراقية فلا تعجبوا ، فما ذقتُ طعم الحياة إلا فى العراق ، ولا رأيت صدق

القلوب إلا في العراق ، ولا عرفت جمال النيل إلا بعد أن رأيت لون مائه في دجلة والفرات

وما أسفتُ على شيء كما أسفت على أن لم يُقدَّر لشاعرنا شوقي أن يزور العراق .

وقد دعوتكم إلى زيارة العراق ، فتى تجيبون ؟

أحب أن أعرف متى أراكم في العراق بين قومي وأهلي ؟

أحب أن تسمعوا سجع الحمائم في الموصل ، وأن تروا غابات النخيل في البصرة ، وأن تمانوا بقايا السحر في بابل ، وأن تكحلوا أعينكم بغبار الصحراء في النجف ، وأن تستصبحوا بظلام الليل في بغداد

أدعوكم أيها الوزير إلى زيارة الأماكن التي قضت بأن يتموج هذا التقرير بعُباب الهدى والضلال .

أدعوكم إلى زيارة العراق لتواجهوني بما في هذا التقرير من الزائف والصحيح ، إن ارتبتم في بعض ما ستقرأون .

سترون في هذا التقرير رموزاً كثيرة ، وقد تجزون من يحدثكم بأني سلكت فيه مسلك الغمز والتجريح ، فإن سمعتم شيئاً من ذلك فاختبروه بأنفسكم على ضوء الحق لتعرفوا أني أخلصت النصح للأمتين العظيمتين : (مصر ، والعراق) .

وما الذي يوجب التصريح في مواطن يكفي فيها التلميح ؟

إن البلاغة تجعل اللَّبس والغُموض من أغراض الكتاب في بعض الأحيان فكيف تحرِّمون عليَّ ما استباحه المفكرون في مختلف العصور والأجيال ؟

إن هذا التقرير يحدد صلات مصر بالأمم العربية والإسلامية ويدلُّها على مذاهب الخلاص من الشُّبهات والأراجيف . وهو كذلك يشرح المعضلات التي يتعرض لها الجيل الحديث في مصر والشرق ، وما كان يتيسر ذلك إلا إذا اعتمد الكاتب على رموز وإشارات يفهمها أولو الألباب .

وإني لواثق بأنكم ستعجبون حين ترونني وصلت إلى دقائق لم يفطن إليها أحدٌ قبل اليوم وأنا أتلقى الوحي من ليلى ومن ظمياء وهل كان ينتظر من رجل يلهو ويلعب أن يصل إلى ما وصلتُ

إليه في تشريع السياسة الدولية في الشرق العربي والإسلامي ؟

ذلك شيء غريب ، ولكن الأغرب أن تتلقوا الحكمة عن أفواه المجانين !

وأعيذكم أن تظنوا أني آذيت بهذا التقرير أحداً من الناس ، فقد عرَضت بعض فصوله على ليلاي بالعراق قبل أن أعرضه عليكم فتلقته بالقبول ، وهي التي علمتني مذاهب الرمز والإيماء ، وسيُرى النقاد مني بداهية إن بدا لهم أن يعترضوا على ما في هذا التقرير من رموز لا يدرك مغازيها إلا الراسخون في الحب والطب

ولك يا معالي الوزير أن تبلوَ سرائر هذا التقرير إن أردت

لك أن تسأل — بيني وبينك — عما في هذا التقرير من غرائب وأعاجيب ...

وليس لك أن تطالبني بأن أفسر للجمهور ما يقصد إلى طيِّه الحكماء ، وأنا من الحكماء لأني بحمد الله مجنون !

***

في هذا التقرير خطاباتٌ شخصية ، فلا يرُعْك ذلك : فقد كان أدبي من مواسم الأفراح الروحية في بغداد ، وفيه صور كثيرة لمعالم العراق وبعض أهل العراق ، وكان في نيتي أن أحلِّي هذا التقرير بصورة ليلى — أعزها الحب — ولكني خشيتُ أن أخرج على أمرها العالي ، وهي قد أشارت بأن يصان وجهها الجميل عن شَرَه العيون .

لا تعجب من أن أُفتن بما وُفِّقت إليه في هذا التقرير ، فسترى أني لم أفرِّط فيه من شيء ، وسيدعوك إلى أن تستوحيَ ليلى المريضة في أسوان كما استوحيتُ ليلى المريضة في العراق !

***

أيها الأستاذ الجليل

سترى في هذا التقرير صفحات تشرح الحوادث التي كانت سبباً في وقوع فاجعة بغداد ، فاقرأ تلك الصفحات — غير مأمور — لترى أن ما وقع لم يكن أثراً لعداوة موجَّهة إلى الأمة المصرية ، وإنما هو نتيجة لتصرفات أوقعت فيها المقادير بعض الناس

لتعرفوا ما فى أنفسنا من الصلاحية للاستبسال فى خدمة المقاصد العالية بمعاهد الشرق

وكان فى نيتى أن أطوى تلك الصفحات من هذا التقرير ، ولكن دعانى إلى إثباتها ما عرفتُ من أن بعض المفسدين يريدون أن يجعلوا تلك الفاجعة نهاية الصلات الودية بين مصر والعراق

وأرجو أن تعرفوا أنى لم أتلطف فى سرد تلك الأسباب ، ولم أضف إليها شيئاً يمليه الغرض فى مراعاة مصر أو التحامل على العراق ، وإنما وقفت موقف الرجل الأمين الذى يقدر المسئولية أمام الله وأمام التاريخ

وعند قراءة الفصول الخاصة بتلك الفاجعة سترون أن الله قدر ولطف : فلم تكن تلك الحوادث إلا سحابة صيف، وقد تقشعت بفضل الله الكبير المتعال

لقد قلتُ ما قلتُ ، وكتبتُ ما كتبتُ فى الدفاع عن العراق ، ومن الله وحدَهُ أنتظر حسنَ الجزاء . فمن كان له هوًى فى أن يصدَّنى عن قول الحق فليمض فى ضلاله كيف شاء ، فما أنتظر العطف من أحد ، وقد أقمت حياتى الأدبية على قواعد من الحديد

وما هذه الدنيا الصغيرة التى يتعادى فيها الناس بلا بينة ولا برهان ؟

وما بالُ قوم يؤذوننى وما قدمت إليهم غير الجميل ؟

اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون

« مصر الجديدة » زكى مبارك

أبى ...

للآنسة الفاضلة فدوى ط .

« إلى النبراس الذى يضئ أفق
حياتى ، إلى ذلك العزيز الذى
يتململ الآن على فراش المرض
فى ظلمات السجن ، إلى أبى »

يا أبى ضاق بى الفضاء على رحب مداه إذ ضاق صدرى الكظيم
وعرانى مما أصابك من نفـ ـى وسجن كآبة وهموم
وحشة تملأ الفؤاد وغم راسخ فى جوانحى لا يريم
لا الأخ البر يا أبى فيه للنفـ ـس سلو ولا القريب الحميم
أنت ظلى الظليل فى العيش إمّا لفحتنى أو لوّحتني السموم
أنت ركنى ، لا قوّض الله ركنى وملاذى البر الحفى الرحيم
يا أبى حال بعدك الأنس فى الد ار فأضحى وهو الأسى والوجوم
كيف تمسى ، ترى وكيف تصبح فالسـ
ـجن ثقيل على النفوس أليم
ليت شعرى هل كف عنك مضيض السـ
ـقم أم أنت موجع مكظوم
يا لقلبى ، وكيف جسمك فى القر فعهدى به معنًّى سقيم
أنا دفء المهاد يجفوه جنبي ويح لى ، كيف يزدهينى نعيم؟
ويح لى ، كيف أنشد الخفض واللين وأنت المقيد المحروم

***

يا أبى كلما تدلت سجوفُ الليل فالليـل مدلهم بهيمُ
وغفت أعين ، وقرت نفوس حشوها خسة وطبع لئيمُ
زيّن اللؤمُ قبحَ ما أبرمته من أمورٍ ، واللؤم خلق ذميم
فاستراحت لخزيات فعالٍ هى عند الأحرار إثم عظيم
تشترى الذل بالكرامةِ فاعجب كيف يرضى ذلّ العبيد (زعيم)
راح يُزهى تيهاً بعارية المنصب يغريه صـدره الموسوم
كل شؤم كانت بلادى بمنجًى منـه لولا وسامه المشؤوم
أرّقتنى ذكراك ، والليل للذكرى كتاب مفسَّر مرقوم
فأري فى السطور أخلاقك الزُّهْر يزين الأخلاق قلب سليم
وأرى تمسك الأبية لا تهـ ـنو لضيم يبغيه باغ ظلوم
راعها أن يميل بالوطن الأقدس – لا مال – مستبدٌّ غشوم
فسعت سعيها النبيل تردُّ الكيد عنه إذ أزمعته الخصوم
وأرى صحبك الكرام وكلٌّ نهجه نهجك السويُّ القويم
لم يضِرْكم أن قيد القيد أيديكم ولاقت مرّ العذاب الجسوم
همم ، لو هوت بجسوم لإعظامٍ لأهوت تجلهنّ النجوم
كلما همّ أن ينهنه منها بضروب النكال جان أثيم
قام روحٌ من الإله يقويها فيشتد أزرها فتقوم

***

وطنى ، بى مما عراك شجون وبقلبى مما دهاك كلوم
الرزايا حلت بساحك والأيام جارت والبؤس فيك عميم
الأيامى ، ويا لبؤس الأيامى خضب الأرض دمعها المسجوم
رفرفت حولها فراخ مهازيل براها الشقاء فهى رسوم
أجنحٌ ما نمت قوادمها الزغبُ وقد هاضها المصاب الجسيم
هاضها اليتم وهي فى جدة الريشِ ويا شدّ ما يلاقى اليتيم
والنسور الأباة لما استضيمت ضاق عنها فى الأرض هذا الأديم
أنِفت عيشة الهوانِ وراحت فى سما المجـد والعلاء تهيم
أعنقت تستجيب للواجب الأسمى دعاها إليه حقٌّ هضيم
لم تبال الهول المبيد ولم تقلل شباها صواعق ورجوم
ترسل الموت فاغراً فاه عن زرق حداد وهو الأكيل النهيم
يا ضحايا الجهاد فى ذمة الله لأنتم مجدُ البلاد المروم
أىّ نار كنتم وقودَ لظاها لو وعاها لريع منها الجحيم
قد تركتم فى مصحف المجد ذكراً هو باق على الزمان مقيم
سطرته لكم مواقعُ حُمرٌ صبغتها جراحكم والكلوم

(جبل النار) فدوى

من الشعر المنسي لحافظ

إلى محرر المرأة

أرسل إلينا كثير من الأدباء جملة طيبة من شعر حافظ المنسي سنوالى نشره شاكرين لهم فضلهم وعنايتهم ، وهذه القصيدة أرسلها إلينا الأديب حسنين محمود حسنين بالإسكندرية وهى مما تجاوزه الديوان الذى طبعته الوزارة على أنها من أروع ما قال شاعر النيل :

لحاظك والأيام جيش أحاربه ... فهذى مواضيه وهذى كتائبه

وهمين ضاق القلب والصدر عنهما :

غرام أعانيـــه وشوق أغالبه

وليل كطل القوم كابدت طوله ... وأيقنت أنى لا محالة صاحبه

كأن دياجيه صحيفة ملحد ... تخط بها أعماله ومثالبه

قريت به جيش الصبابة والأسى ... وأنزلته صدراً تداعت جوانبه

وعلمت نفسى كظم غيظى ولم أبح ... بما فعلت بين الضلوع قواضبه

تماسكت حتى لو رأى القوم حالتى

رأوا رجلاً هانت عليـه مصائبه

رجائى فى قومى ضعيف كأنه ... جنان وزير سودته مناصبه

ودائى كداء الدين عز دواؤه

وحظى كحظ الشرق نحس كواكبه

فيا ليت لى وجدان قومى فأرتضى

حياتى ولا أشـقى بما أنا طالبه

ينامون تحت الضيم والأرض رحبة

لمن بات يأبى جانب الذل جانبه

يضيق على السورى رحب بلاده ... فيركب للأهوال ما هو راكبه

فما هى إلا أن تجشمه النوى ... وما هو إلا أن تشد ركائبه

ويحرج بالروى مذهب رزقه ... فتفرج فى عرض البلاد مذاهبه

أقاسم إن القوم ماتت قلوبهم ... ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبه

إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم ... فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه

فلو أن شخصاً قام يدعو رجالهم ... لوضع نقاب لاستقامت رغائبه

ولو خطرت فى مصر حواء أمنا ... يلوح محياها لنا ونراقبه

وفى يدها العذراء يسفر وجهها ... تصافح منا من ترى وتخاطبه

وخلفهما موسى وعيسى وأحمد

وجيش من الأملاك ماجت كواكبه

وقالوا لنا رفع النقاب محلل ... لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

فى أفق البساتين ...

وهى بساتين بركات بالشرقية ، انتقل إليها سعد باشا رحمه الله فى الفترة الأخيرة من حياته انتجاعا للراحة ، وكان بصحبته نفر من الميامين من أبنائه وفيهم مكرم وحافظ والدكتور محجوب ثابت ، وكان لهم مجلس حافل بالأنس والسمر قال حافظ فى وصفه :

لما مددنا بساط اللهو وانبعثت ... روائح الأنس تزرى بالرياحين

أغنت شمائلُ سعدٍ عن معتّقة ... من العناقيد تسرى فى الشرايين

وأرشفتنا سجاياهُ على ظمإ ... ألذ من رشفات الخرّد العين

فى أنس سعدٍ وفى أوفى صراحته ... ترى جلالاً ورأياً غيرَ مأفون

لما مثلت على أنس بحضرته ... رأيتُ بين الندامى وجه هارونُ

رأيتُ وجهاً صبوحاً حوله نفرٌ ... من الميامين من شمّ العرانين

إذا دعاهم إلى الجلّى حسبتهمُ ... على أعاديهمو مثل الشواهين

وإنْ دعاهمْ إلى أنسٍ رأيتهمُ ... مثل الحمائم فى خفضٍ وفى لين

وجالَ محجوبُ جولاتٍ موفقةٍ ... فأحرز النصر فى كل الميادين

عصى نَذِيرَ الحجا عمداً وصاح به :

« ما لذة العيش إلا للمجانين »

وحـــلم سعد وسعد يعجبان معاً

من لوثة الشيخ — شيخ الأقرباذين

يرغى ويزبد بالقافات تحسبها ... قصْفَ المدافع فى أفق البساتين

وتجد بقية القصيدة فى الديوان من باب الإخوانيات بعنوان الدكتور محجوب !

(م . ف . ع .)



وزن الكون
وعدد ما به من الكترونات
للدكتور محمد محمود غالى

لم يكن الموضوعان الأخيران اللذان تعرضنا لهما على صفحات الرسالة: « الكون ينتشر » و «الكون يكبر» من الموضوعات السهلة التي يمكن للقارئ أن يتصورها كثيرها، ولعله اقتنع إلى حد أنه موجود في كون محدود، وأنه محمول على حيز مُتقوّس، وأن غالة أحد ملايين العوالم التي تبتعد كلها الواحد عن الآخر، والتي تقع كلها في قشرة كرة كبيرة لكنها جوفاء، شاء لها القدر أن تتسع وتمتد على نحو كرة من المطاط، وهي بهذا تكوّن كوناً واحداً محدوداً منتهياً يختلف عن الكون اللانهائى الذى تصوره أقليدس والذى اعتقده العلماء منذ الاغريق حتى عهدنا القريب

ولم يكن في وسعي أن أواصل اليوم موضوعاً دقيقاً كهذا، وأخطو بالقارئ خطوة أخرى، أدله فيها على الطريقة التي توصل بها العلماء إلى معرفة عدد الجسيمات أو الألكترونات المكونة للكون، كنتيجة للدراسة المتقدمة، دون أن يتخلل أحاديثنا فترة من الراحة ودون أن نهيئ للذهن فرصة للتأمل، هذا الشعور من التأمل والراحة نود أن يشعر به القارئ في هذه الأسطر من هذا المقال

***

لم تصبح دراسة هذه الظواهر الحديثة من تمدد الكون وابتعاد جميع العوالم بعضها عن بعض وما يترتب على ذلك من معرفة وتحديد عدد جسيمات هذا الكون، من المسائل التي تدخل في حدود الهندسة والميكانيكا المعروفة، ولا في حدود تصوراتنا المعتادة، مع أن التجارب الطبيعية التي ثبت لنا منها فرار جميع العوالم بعضها عن بعض، وبالتبع فرارنا عنها، بسيطة جداً لا تدعو لكثير من التأمل، وأبسط ما فيها أنها وقعت كلها داخل المجموعة الشمسية التي نحن فيها، بل وقعت جميعها فوق سطح الأرض، بل في حجرة في أحد المراصد الأرضية المتعددة

عجيب ألا يعرف العالم الطبيعي من هذه الحجرة المتواضعة أن الكون محدود فحسب بل يحاول أن يعرف من رسائل الطيف العديدة التي تصل إليه، والمنبعثة من العوالم البعيدة، عدد الألكترونات المكونة للخليقة، وهي التي لا يتغير عددها في نظر العالم الطبيعي ما دامت مكوّنة لكون محدود.

إن النتائج التي ترتبت على معرفة تمدد الكون وقياس الدرجة التي يكبر بها في خلال الزمن، والتي تتلخص في معرفة عدد الألكترونات المكونة لهذا الكون، مهما كان جسيم الألكترون متناهياً في الصغر، ومهما كان الكون متناهياً في الكبر، قد تبدو للقارئ غريبة، لذلك رأيت لزاماً أن أحاول رفع هذا النوع من الدهشة لديه قبل شرح الأسباب التي أدت إلى مثل هذه النتائج

لو سألنا عالماً طبيعياً أن يحصي لنا عدد الذرات ونوعها وبالتبع عدد الألكترونات[1] والبروتونات[2] التي تتكون منها مدينة القاهرة، فإن من المستحيل أن يعطينا هذا العالم أي فكرة عن هذا العدد مهما استعان بمئات الإخصائيين والعلماء. إن محاولة إحصاء المنازل وما بها من أثاث ومعرفة نسبة أوزان جميع العناصر التي تدخل في تكوينها، بل إن إحصاء الأحياء، الإنسان منها والحيوان والنبات، ومحاولة الوصول من ذلك إلى عدد ما تحويه

(١) ذكرنا ان الذرة مركبة من نواة وسطى يدور حولها الكترونات وهذه الألكترونات جسيمات كهربائية دائمة الدوران حول مركز الذرة أي حول النواة كما تدور الأرض حول الشمس

(٢) جسيمات داخل النواة مركز الذرة وسنأتي على شرحها في مقال قادم

المدينة الناجمة من الكترونات ضرب من العبث

ولو أننا بعد ذلك حاولنا أن يعطينا عالمنا الطبيعي فكرة عن عدد الألكترونات الموجودة في مياه النيل مدة فيضانه ، وهي كمية أكبر بكثير من الموجودة في القاهرة لأجابنا أنه قد يستطيع بعد البحث والتحري أن يدلنا على فكرة ولو تقريبية عن هذا العدد . صحيح أن هناك صعوبة كبرى في تقدير تصرف المياه المتدفقة في النهر في مثل هذه المدة من السنة ، كما أن ثمة صعوبة في تقدير أطوال النهر وأحجامه في المناطق المختلفة وفروعه المتعددة ، بل إذا أردنا أن ندخل في حسابنا ما تحمله المياه من طمي تعترضنا صعوبات أخرى ، ذلك أن الطمي يختلف مقداره في الزمان والمكان ويتركب من أكثر من عشرين عنصراً ، لكل عنصر ذرات تختلف في عدد الكتروناتها عن الأخرى ، ولكن مهما يكن من الأمر ، فإن عالمنا الطبيعي قد يستطيع بعد مجهود مضن أن يعطي فكرة عن هذا العدد من الجسيمات ، وأن يحدده بين رقمين يتعلقان على دراسة هيدرولوجيه طبيعية معقولة .

ولو أردنا أن نعرف عدد الذرات المكونة للكرة الأرضية الحاملة لنهر النيل وغيره لهان الأمر قليلاً ، ذلك أن وزن الارض معروف بينما وزن مدينة القاهرة أو لندرة غير معروف ، بل إن الكثافة المتوسطة للكرة الأرضية معروفة أيضاً وهي تساوى ٥ر٢٥ . وليس المجال هنا لإثبات ذلك . وهكذا يحاول العالم أن يعطينا فكرة تقريبية رغم ما يتخلل الموضوع الأخير من مصاعب، منها عدم معرفتنا مقدار النسب الموزعة بها العناصر المختلفة في باطن الأرض . ومهما يكن من الأمر فإنه يبدو أن الخطأ النسبي في معرفة العدد التقريبي لذرات الأرض بالنسبة للعدد الحقيقي لها أقل بكثير من الخطأ النسبي عندما نحاول عد هذه الجسيمات لمدينة القاهرة .

ولو أننا سألنا العلماء اليوم عن عدد الذرات ونوعها وبالتبع عدد الألكترونات والبروتونات المكونة للكون ، وعن بعض البيانات الأخرى الخاصة به مثل نصف قطرة قبل عدده ودرجة تقوسه وكتلته وكثافته وغير ذلك لأعطونا الإجابة التي نراها في هذا المقال — إجابة يظهر أنها عند هؤلاء العلماء أقرب للحقيقة من كل تقدير سابق

وليس السبب في ذلك أننا نرى الكون وحدوده ، ولا أننا نعرف أجزاءه جزءاً جزءاً ، ولا أننا نحيط بمقدار كل عنصر من العناصر المكونة له ، ولكن لأن ثمة معارف في مسائل أخرى مثل عدده تجعل بين هذه المعارف وبين الكترونات الكون رابطة تسمح بالوقوف على هذا العدد ، بحيث إذا كانت معارفنا في هذه المسائل صحيحة كان عدد الألكترونات المكونة للكون صحيحاً . ولعل القارئ قد أدرك أن هذه المعارف لا بد وأنها تتصل مباشرة بعلاقة بين الكون في مجموعه وبين الألكترون المتناهي في الصغر والذي قلنا إنه يدور في المادة حول النواة كما يدور القمر حول الأرض

قد يتراءى للقارئ أن هذا الترتيب غريب لا يتفق مع المنطق في شيء . كيف أستطيع أن أعرف عدد الكترونات الكون أكثر مما أعرف عدد الكترونات الكرة الأرضية ؟ ، بل كيف أعرف عدد جسيمات هذه أكثر مما أعرف جسيمات مدينة القاهرة ؟ هذه المدينة التي أعرف حدودها أكثر مما أعرف الأرض ، وهذه الكرة الأرضية محدودة أمامنا أكثر من الكون . إن طياراً مثل كامبل الإنجليزي قطع دون توقف المسافة بين لندرة ومدينة سدني من أعمال استراليا في ثلاثة أيام وثلاث ساعات ، أي أن الطيار يدور في عهدنا حول الأرض في أسبوع واحد . كيف تصعب معرفة عدد جسيمات الأرض عن الكون ؟ وهذا الأخير مكون من ملايين الملايين العوالم — كل عالم مكون من ملايين الملايين الاجرام والشموس .

ولكن لا أريد أن يعجب القارئ لذلك فإنه على قدر المستندات العلمية التي أمامنا تكون درجة معرفتنا للأشياء صحيحة .

هب جدلاً أن صديقاً لك شيد مسكناً خاصاً في إحدى ضواحي القاهرة ، وأنك عثرت في أوراق صديقك على مستندين : أحدهما يدلك على أن الأرض والمباني قد كلفته ثلاثة آلاف جنيه ، والثاني يدل على أن الأثاث قد كلفه ألف جنيه أخرى ، عندئذ تستطيع أن تؤكد أن هذه الدار كلفت صاحبها ٤٠٠٠ جنيه

وهب أن صديقاً آخر سألك عن تكاليف حجرة المكتب بمفردها أو عن القيمة التي دفعها ثمناً لأشجار الحديقة أو لسجادة موجودة في غرفة الاستقبال ، فإنه يتعذر عليك عندئذ أن تعرف أياً من هذه . قد تحاول أن ترجع إلى أسعار السوق لتعرف كم كلفته هذه السجادة الفاخرة ، ولكن يعوزك مثلاً معرفة التاريخ الذي اشتراها فيه ، وقد يعوزك إن عرفته تعيين الظروف التي

اقتناها فيها ، فقد يكون ابتاعها في مزاد تصادف وقوعه فى ذلك التاريخ ، وقد يكون المزاد خاصا بصديق له فلا تعرف أن كان تساهل معه فى تقدير الثمن : ثمة عوامل عديدة تجعل تقدير ثمن أثاث كل حجرة ضرباً من المحال . ولكن ليس لصديقك أن يدهش إذا علم أنه إن فاتك معرفة ثمن جزئيات الدار، فلا يفوتك معرفة الثمن الكلي لهذه الدار ؛ إذ أن من حقك دائماً إن تقول لمحدثك : لا تسائلني عن أجزاء الدار ولا عما تكلف صاحبها لشراء هذه السجادة أو المكتبة ، كل هذا لا أستطيع أن أعطيك فكرة عنه ، ولكن سلني عن الدار بأكلها أجبك أنني أعرف

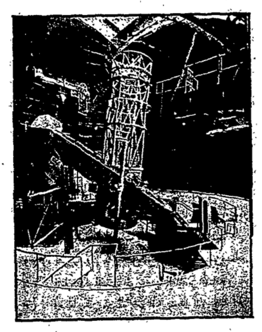
هذا ما أود أن يعلق بذهن القارئ ، فلسنا فى حاجة لأن نتجول فى الكون لنعرفه فقد يكون لدى العلماء مستندات جديدة تدل على عدد ما به من الكترونات أو على طول نصف قطره قبل ابتداء تمدده أو درجة تقوس الحيز فيه فى الوقت الذى يتعذر علينا أن نعرف فيه عدد الالكترونات المكونة للأرض أو لمياه النيل أو لمدينة القاهرة

على أنني إن تحاشيت فيما تقدم من مقالاتى أن أشغل ذهن القارئ بالأرقام ، أرى لزاماً على هذه المرة أن أدله على وصف الدار التى يسكنها وعلى حدود المملكة التى هو فرد فيها . هذا الكون الذى ذكرنا أنه كروى وأنه يكبر بات أرضاً خصبة للتفكير العلمي . وللقارئ فيما يلى النتائج الكمية الخاصة بالكون وفق آراء أدنجتون Eddington العالم الانجليزى المعروف

(١) سرعة ابتعاد العوالم	٥٢٨ كيلو متر فى الثانية لكل ٣ر٢٦ مليون سنة ضوئية
(٢) نصف قطر الكون قبل ابتداء التمدد	١٠٦٨ مليون سنة ضوئية
(٣) كتلة الكون	٢ر١٤ × ١٠^{٥٥} جرام أى ١ر٠٨ × ١٠^{٢٢} قدر كتلة الشمس
(٤) عدد الالكترونات المكونة للكون تساوى عدد البروتونات	١ر٢٩ × ١٠^{٧٩}
(٥) كثافة الكون الأولى	١ر٠٥ × ١٠$^{-٢٧}$ جرام س م^{٣} أى بمعدل ذرة واحدة من الهيدروجين لكل ١ر٥٨ س م^{٣}
(٦) الثابت الكونى	٩ر٨ × ١٠$^{-٥٥}$ س م$^{-٢}$

ومما يجدر بالذكر أن هذه النتائج التى هى آخر حدود معارفنا حتى سنة ١٩٣٤ مرتبطة الواحدة منها بالأخرى ، بحيث إذا عرفنا إحداها عرفنا البقية منها ، وتتعلق كلها بالسرعة التى تبتعد بها العوالم أى بالرقم ٥٢٨ الموجود بالصف الأول من الجدول

على أن درجة معرفتنا لسرعة السدم والعوالم البعيدة وعلاقة ذلك بتمدد الكون تزيد سنة عن أخرى، فى سنة ١٩٣١ لم يكن يعرف العلماء سوى ٩٠ سديماً وكانت أكبر سرعة يعرفونها هى سرعة سديم الأسد وهى ١٩٦٠٠ كيلو متر فى الثانية ، ويبعد عنا هذا السديم بمسافة يقطعها الضوء فى ١٠٤ مليون سنة



المنظار الفلكى لمرصد مونت ولسون الذى تم صنعه حديثا وتبلغ فتحة منظاره ٥ر٢ متر

أما فى سنة ١٩٣٦ فقد وصلت معارفنا إلى قياس سرعة ١٧٩ عالماً وسديماً من العوالم البعيدة عنا وكان أكبر هذه السرعات لسديم موجود فى اتجاه الدب الأكبر وهو يبتعد عنا بمسافة ٢٤١ مليون سنة ضوئية ويبتعد بسرعة ٤٢ ألف كيلو متر فى الثانية ، وهذه المعلومات الأخيرة عرفناها من كتاب [١] الأستاذ الكبير بريا Bruhat أستاذ السوربون الذى يشغل الآن كرسى الطبيعة

(١) هذا الكتاب القيم من مجموعة الكتب المسماة باسم العالم أميل (Emile Borel) وقد صدر فى سنة ١٩٣٩ الطابع الكان

الفلكية، هذا الكرسي الذي أوجدته جامعة باريز منذ سنة ١٩٣٧ وقد طالعنا في الأسبوع الماضي أن منظار مرصد مونت ولسون بأمريكا الذي يبلغ قطره مترين ونصف المتر والذي ترى صورته الفوتغرافية هنا يكشف العوالم المفصولة عنا بمسافة ٥٠٠ مليون سنة ضوئية .

ذلك ما بلغناه من المعرفة ، وللقارئ أن يتصور مبلغ خطورة هذه المعرفة منذ أن ذكر وليم هرشل (William Hershel) في أواخر القرن الثامن عشر أن للسدم اللولبية جزرا كونية شبيها كل منها بعالمنا المجرة . ومنذ أن نشر أينشتاين في سنة ١٩١٥ النسبية في وضعها العام وتنبأ «دي ستير» في سنة ١٩١٧ بابتعاد العوالم عنا ، ووضع شابلي Shapley في سنة ١٩١٨ القانون الذي يربط القدر المطلق (Magnitude Absolu) للنجوم المتغيرة (Cepheides Variables) بفترة تغيرها ، ومنذ أن اكتشف هبل (Hubble) في سنة ١٩٢٤ نجوماً في السدم القريبة من هذا النوع الأخير ، ناهيك بما بلغته الأجهزة الفلكية من الكمال

***

عجيب هذا الإنسان! كل يوم يزداد معرفة عن يوم، حتى أصبح الكثير من الأمور لا يخفى على ذكائه .

أنستطيع أن نحصى ألكترونات الكون ؟ نعم . وأي عجب في ذلك ما دمنا نتبع طريقاً علمياً سليماً يعطينا هذا القدر .

عندما نريد أن نعرف وزن كرة صغيرة من مادة معينة نفكر عادة أن نضع هذه الكرة على كفة ميزان ، ولكن إذا استحال وزنها لتناهي صغرها بدا للشخص أن القيام بهذه العملية مستحيلاً ، ولكن العالم الطبيعي يعرف مثلاً علاقة بين وزن الكرة وبين سرعتها في الماء أو الهواء ، وحيث أنه يتيسر له قياس هذه السرعة فإنه يصل لمعرفة وزن هذه الكرة ، وهو لذلك غير محتاج إلى الاستعانة بالميزان للوقوف على حقيقة ثقلها .

وإنما أردت بالكرة المتقدمة أن أقدم للقارئ مثلاً كيف يصل العلم بطريق غير مباشر لاختراق طريق المعرفة ، وليس هناك أي علاقة بين سرعة الكرة المتقدمة وموضوع تمدد الكون أو معرفة وزنه .

ولو أن السحب المحيطة بالكرة الأرضية كثيفة بحيث لا نرى الشمس بل تكتنفنا ظلمة حالكة ، لما استحال علينا أن نعرف دورة الأرض حول نفسها . فللوصول إلى ذلك نرقب كرة معلقة بخيط طويل بعد هزها فنلاحظ أنها لا تهتز فقط بل نلاحظ دوران المستوي الذي تهتز فيه .

وهكذا لم يكن العالم الكبير (فوكوه) بحاجة ليرى الليل والنهار ليعرف من تعاقبهما دورة الأرض ، بل استدل على ذلك من بندوله المعروف الذي علقه من قبة « البانتيون » . مدفن العظماء في باريس ، هذه القبة التي ترتفع عن سطح الأرض ٧٨ متراً . ذلك البندول نرى شبيهاً له في متحف فيننا الحالي .

وهكذا يزداد قاموس المعرفة وتتقدم العلوم بين البشر ، ولعل في وزن الكرة الصغيرة المتقدم ذكرها وفي بندول فوكوه الذي عرف منه دوران الأرض سبباً عند القارئ ليعرف أن قطر الكون ووزنه وعدد ألكتروناته مسائل يجيز معرفتها العلم

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



أقصوصة من الكاتب الانكليزي ييتز

الشـــاعر

[جائزة نوبل]

للأستاذ صلاح الدين المنجد

مشي يتخلّع تميلاً في حنايا المدينة ، وقد أغفى الليل وسجا السكون ، فطرق سمعه نغمٌ حلوٌ يصعّده ناي حزين . فسي إليه، جذلان طرباً . فقد كان للأنغام أثر في نفسه ، وسلطان على حسه ، وسيطرة على هواه ....

فلما جاز بالدار التي ترتل النغمات ... نادى صاحبها ، فقام إليه يندى وجهه فرحاً ، فرحب به وقال له :

— ما هذا الهجران الطويل يا هانرهان ... فلقد صرمتَ حبالنا منذ بعيد ، فنحن بعدك في شوق يلح ، وكآبة تضني ... أهلاً ... أهلاً حللت يا هانرهان ... !

فلكزته زوجه بجمع كفها ، وهمست في أذنه : أن اطرده ، فإن الناس يتقولون الأقاويل عليه ، وإن الكهنة يقصونه عن المعبد كلما أتى إليه ... ثم إنه ثمل ... دعه ... دعه يمض وحيداً

فصاح بها زوجها قائلاً : « أأطرده أن جاء إلي بعد سنين طويلة ... ؟ إنه شاعر رقيق القلب ، طيب النفس

ودخل الشاعر الدار يتبع ربها ... فقاده إلى غرفة تكدس الناس فيها من الجيران ... فنشيها وقد شخصت الأبصار إليه .. وقال فتى كان هناك :

— أليس هذا هانرهان الذي ذاع صيته ... وكان معلماً فطردوه ... ؟

فأخرسته أمه وقالت له :

— لو أنه سمع مقالتك لانذرأ عليك سبّاً وشتماً ... أنصت !

وساد السكون ... ولكن أحد الفتيان نادى الشاعر لينشد القوم شعراً . فأبى رب الدار ذلك عليه ... لأنه لم يصب بعد من الراح شيئاً ، ولم ينل من الراحة قسطاً . فأخذ الشاعر يعب الخمر وقد جاشت في كأسها ... ثم يجول ببصره نحو الباب لينظر إلى (وانا) فتاة الدار ، وقد أتت تعانق حزمة من الحطب الجزل ، لتؤرث بها النار ، وشعرها الأشقر الجعد متهدل على وجهها وعينيها

وقام إليها الفتيان مسرعين ليأخذوا منها الأعواد . ولكنها رمت بها إلى الموقد ... وانثنت وثغرها الزفاف يضحك لترقص مع فتى لها ، فغضب الشاعر ... وضرب الأرض ، ثم دفع بالفتى وهو يزبد صائحاً :

— لقد قطعت طريقاً طويلة ، وأتيت لأراها ... فأنا الليلة فتاها ...

وأسرعت (وانا) إلى الشاعر فمدت إليه يديها والخجل يعلو خديها ... وعزفت الموسيقى ، وقام الناس ليرقصوا ... ولكن وا أسفاه ... لقد انحنى الشاعر فرأى حذاءه الذي حال لونه وبلى فبدت من خلاله أصابع رجليه التي نفذ إليها الطين ، وأبصر سرواله الممزق ، وساقه العارية الملوثة بالشعر الأسود الغليظ ... فارتد إلى مكانه وهو يقول :

— لا أستطيع الرقص والموسيقى تسرع

ولها الناس ، وجنّت الموسيقى ، وعربدت الأنغام ... والشاعر جالس مع (وانا) يقص عليها أحلى الأقاصيص

***

وأدركت الأم خطر الشاعر الذي يريد أن يسحر الفتاة ... فنادتها ولكنها أعرضت عنها ... فأقبلت الأم على الموقد تتظاهر بتأريث النار ، وتصغي إلى حديث هانرهان . لقد سمعته يحدثها عن « دردر » ذات الأيادي البيض ... التي قادت الأمراء إلى الموت فماتوا وجداً بها وهياماً . وأحزنها فقدهم ... فظلفت تبكي ... آه يا (وانا) ... إن الأزهار تذرف الدمع في السحر حزينات رحمة بها،

وإن الشعراء يتغزلون ويبكون لها... ما كان أجملها وأعذب صوتها يا (وانا)!

واضطربت الأم ، وأرهفت أذنها . إنه يقول لها : « مَثَلُ الشمس والقمر يا (وانا) كمثل المرأة والرجل ، خلقا ليتحابا ... ألا تنظرين إليهما يتنقلان في السماء ؟ لقد خلقت يا (وانا) من قبل أن يخلق الله الناس لكي ترقص بين طيات السحاب الرقيق ... ترتفع مع النغم الهادئ ، وتهبط مع النشيد الجميل بخفة وسرور ، على حين يسقط الناس صرعى لاغبين ! »

وانتصبت المرأة مضطربة الشعور ، ومشت إلى زوجها وهو يلعب الورق ، فحدثته حديث الشاعر والفتاة .. ولكنه ازور عنها يضحك منها . فأحزنها الأمر ، وقامت إلى عجوز فقصت عليها نبأ (وانا) مع الشاعر المخيف : « ويلي كيف السبيل إلى طرده ... إنه ساحر ملعون ... فلأحرضن الفتيان عليه ! »

وجاءت إلى الفتيان وقالت لهم : « ويحكم ... ألا تستطيعون نزع ابنتي من هذا الشاعر فترقصوا معها ... هيا ... هيا ! »

وقام الفتيان .. ولكنها ردتهم خائبين .. قالوا إلى الشاعر يلحون عليه في الرقص .. فأذعن بعد لأي .. وانتصب يرقص مع الفتاة .. وبينا هو كذلك ... إذ طرب ... فاندفع لينشد الشعر ... فخرست القيثارة ... وأنصت القوم وقال هارهان :

« يا أصابع المـــوت المخيفة ... ! »
« لن تمسي روحينا في هذا المكان ... »
« ولكن في ذلك الوطن النائي الحبيب ... ! »
« حيث تبسم الزهور وترف الثغور ... »
« من رأد الضحى ... حتى جنوح الأصيل . »
« حيث تدب الجداول ... الجذلى ... ! »
« تحمل موجات الجمة العذبة الشقراء ... »
« وحيث يلعب الشيخ الهم على الأوتار ... »
« في الغابة المليئة بالذهب والفضة ... ! »
« وحيث الأميرات ذوات العيون الزرق الصافية »
« يرقصن على الحشيش الغض بفرح وكبرياء ... ! »

كان يغني بحماسة وشوق و (وانا) تتقرب منه ، وقد حرك إنشاده شجونها وملك عليها أمرها ... فلما فرغ من إنشاده ... أطرقت (وانا) وسقط الدمع من عينيها ندى . فقال أحد الفتيان :

— أيها الشاعر ... أين هذه البلاد التي تصفها في شعرك ؟ (وانا) إنه يخدعك ... إن الطريق طويلة ... والوطن بعيد !

وقال فتى آخر :

— ليست بلاد الصِّبا هذه يا (وانا) إنك لم تخلقي لتصاحبي هذا المجنون ! .

عندئذ شخصت (وانا) ببصرها إلى الشاعر الحزين ... كأنها تريد أن تسأله شيئاً ... ولكنها وضعت كفها بين كفيه ورفعتهما إلى أعلى ... وقالت بصوت رخيم :

— إن الوطن لقريب منا ... يا شاعري ... إننا نستطيع إدراكه الآن ... إنه هناك .. على ذرى الهضاب ذات الرفيف .. بالقرب من الغاب التي تأويها الريح ذات الزفيف ...

فصاح الشاعر :

— نعم في ذرى الهضاب ... يا فتاتي ... ياذات العيون الزرق ... ولكن الموت لن يجدنا ... هناك ... لأننا نختفي بين السحاب الأبيض الجميل ..!

وانا .. ! ياذات العيون الزرق ... هل تريدين المجيء معي ..؟

وذعرت الأم وقالت لعجوز كانت إلى جانبها :

— كيف السبيل يا جارتي إلى طرده ؟

— ولكننا لا نستطيع ... إنه شاعر الآلهة ، ومن يطرده تنصب عليه اللعنات تترى في الغدوات والعشيات ! ثم يجف الضرع ويموت الزرع ، وتهلك النفوس .. !

— ربَّاه عونك ! إن في لسانه السحر ..

— كان عليك طرده .. ولكن .. اسمي .. تعالى .. سنخرجه وهو راض عنا ، تعالى ..

وخرجت العجوزان ثم عادتا تحملان حزماً من الفِصْفِصة الخضراء ، وكان الشاعر يكلم (وانا) ويقول :

— « إن الديار يا وانا ضيقة والعالم فسيح ، ولن تجدي يا فتاتي مخلوقاً تيمه الحب ، يخاف الليل أو الفجر ، والشمس أو النجوم ، وأشباح الأماسي وأطياف الأسحار ، هيا يافتاتي . »

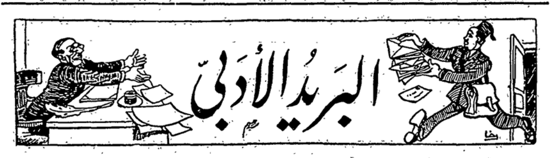
واقتربت الأم من الشاعر فربتت على كتفه وقالت له :

— هات يدك يا هارهان ..

وقالت العجوز :

— أنت قوي يا هارهان ... بساعدنا على ربط هذه الحزم الخضر ...

وتقدم الشاعر يربط الحزم بحبل والعجوزان تفكان النقد



الفرقة الإيطالية للغناء في دار الأوبرا الملكية

الثقافة غير محصورة في القراءة والكتابة . الثقافة تجمع بين الفن والغناء والأدب والعلم والمسرح ؛ على وجه التخصيص . فقد ولى الزمان الذي فيه كان يقال : تأدب فلان إذا قرأ كذا وكذا . ومعنى ذلك أن متأدب هذا الوقت يحق عليه أن يرهف الحس لألوان الفن ؛ ويميل الأذن لضروب الغناء والعزف ، ويقلب النظر فيما يجرى على خشب المسرح ، إلى جانب المطالعة والتأتى

والكلام هنا على الغناء والعزف . فمن يخبرني على أي وجه تقوم الموسيقى السائرة في مصر مقام مصدر من مصادر الثقافة ؟ أما الغناء الدوار على ألسنة أهل الصناعة فرذول ، لما فيه من الإسفاف والابتذال وضيق المجرى ، فضلاً عن مسخ طائفة من الأغاني الأفرنجية . وأما العزف فقد جد وجف بفضل جماعة قصروا هممهم على التقليد ، وفي ظنهم أنهم حضنة الموسيقى ؛ عفا الله عن المعهد الملكي للموسيقى العربية ، وأصلح من عده عال الأمة !

الموسيقى عندنا غير صالحة ، وليس في وسعها أن تساير النحت والتصوير والرسم — وقد جل شأنها جميعاً على أيدى الفنانين المصريين — في تهذيب الجانب الفني من طبائعنا ، ولا في إسعاف من يهوى الموسيقى الجيدة ببغيته . ولذلك لا بد لمن ينشط لما وراء « البشرف والسماعي والموال والطقطوقة » أن ينصرف إلى سماع الموسيقى الغربية . وهذه وزارة المعارف تجلب في فصل الشتاء من كل سنة فرقة أفرنجية تعمل في دار الأوبرا الملكية .

ومما يورث الأسف بل الحزن أن الفرقة التي هبطت دار الأوبرا لهذه السنة (وهي إيطالية) لم تصنع شيئاً في سبيل الثقافة . وذلك لأن الموسيقى الغربية فيها الحسن والقبيح ، والرفيع والساقط ، والطريف والمبتذل . فكأن من وكل إليه لم أفراد هذه الفرقة (وهو إيطالي) قال في نفسه : « ليس في مصر من يحسن السماع ،

التي يعقدها ويجران الحبل نحو الباب ، والشاعر منهمك في الربط .. والفتاة تنتظر .. حتى إذا كان عند الباب دفعت الأم به ، فهوى إلى الشارع لا يعي ..

واستفاق الشاعر يبكي ... فضرب الباب ... وصعد الزفرات وأرسل اللعنات ... ولكن لم يجبه أحد ...

وساد السكون ... وتلاشت الأنغام . فقد مضى الشاعر في طريقه يذرف الدمع ... وارحمتا له ! ... لا رفيق ولا حبيب، لا كأساً يجيش فيها الخمر، ولا فتاة ترهف لأناشيده وأنغامه الأذن

وقالت له نفسه : هيا إلى البحر . فلن يسعك شيء سواه .!

وجلس فوق الصخور الشم يستمع إلى تصفيق الموج ، ويصغى إلى همس الريح السجواء .. فطرب واندفع يغني ، وكان الضباب الملف يغمر الفضاء ويحف بالشطئان ، وكانت أشباح الليل ترقص حوله .. هنا وهناك تصعد من البحر وتهبط من السماء !

لقد خيل إليه فجاءة أن طيف الأميرة التي حدث (وانا) عنها يناجيه ...

ولكن ... آه ! إنه يتذكر الحبل والعقد ... أهو حبل ؟ لا ... تلك أفعى خرجت الآن من البحر ... ها هي ذي تحيط به يالله ! لشد ما تخيف ! لقد وسعت كل شيء : الأرض ، السماء ، حتى النجوم الخافقات ... !

ولكن .. لا .. ها هو ذا طليق ، فمشى يتأوه ويعربد ويغني لقد اختطفته الأمواج ، وحفت به الأطياف ، وحملته الأشباح على الزبد الجياش ، وهي تغني .. وتقول :

« هيا لنحمله إلى بنات الهضاب ... إلى الحسان الراقصات هناك ... فهو لن يذوق الحب في الأرض ... لقد دب الفناء في نفسه .. وجثم الظلام فوق قلبه، دعوه ينم .. دعوه يمت . . . دعوه يحلم ببنات الهضاب »

صموئيل الدينه المجمر

وليس فيها من يميز اللحن الجيد من اللحن الرديء » . قال هذا أو نحوه ثم جاء بفرقة لا تتجاوب أطرافها ، إذ فيها نفر من المغنين الحذاق ، وكثير من المغنين الضعفاء . وأحسن ما فيها القائد الأول للعزف واسمه ڤتّو .

وأما القطع التي أدتها تلك الفرقة فبينها وبين الفن الخالص مسافة . ذلك أن طائفة منها بالية والأخرى مبتذلة ؛ وهذه القطع تكاد تؤدى كل سنة في مصر ، وأسامها لا كتها الألسنة : مثلاً Tosca, Thaïs, Trairata, la Bohême, Rigoletto, Aïda وهذه القطع تلحق اليوم ، في أوربة ، بنوع الأوبرة الشعبية ، لأن الألحان فيها لا تعدو ، في غالب الأمر ، النغم القريب المنال . ودليل هذا أن أكثر القطع التي أديت من تلحين فردى Verdi وهذا الملحن الإيطالي (١٨١٣ — ١٩٠١) عمد ، إلا في قطعته الأخيرة : Falstaff ، إلى اللحن الوجداني تساوقه الآلات في استرخاء . وهذا اللون من التلحين عقبه ما يقال له : الموسيقى القبرية : Vérisme ، وخصائص هذه الموسيقى المأساة المفرطة ، والخطابة في الغناء ، وهز الأعصاب ، والمبالغة في التعبير . ومن أصحاب هذا اللون من الموسيقى Puccini ملحن La Bohême و Tosca المذكورتين قبل . هذا وفيما أدته تلك الفرقة قطعة للملحن الفرنسي Massenet ، واسمها Thaïs ، وليس ذلك الملحن في المرتبة الأولى ولا الثانية — عند أهل الدراية — لما في صناعته من التكلف وقرب الإحساس والرخاوة .

فإذا أنت استثنيت هذه القطعة الأخيرة (وقطعة نجيء الآتي ذكرها) تبين لك أن تلك الفرقة عنيت بتأدية قطع إيطالية . ومما لا يخفى على البصير بالموسيقى أن فن الأوبرة إنما بلغ الغاية أو قاربها على يد نجيز Wagner الذي حطم القيود اللاتينية ، ثم على أيدى فئة من الفرنسيين (Debussy مثلاً) والروس (R. Korsakow مثلاً) . والفرق الذي بين الأوبرة الإيطالية والأوبرة الڤجنرية ، على سبيل التمثيل ، كالذي بين ديوان ينظمه شاعر رقيق كما يقال اليوم ، وشاعر فحل كما كانت العرب تقول .

ومن الغريب أن الفرقة أغفلت الأوبرة الحديثة من ألمانية وفرنسية وروسية وغير ذلك . وقد بدا لها أن تعلن أنها تؤدى قطعتين لڤجنر هما : Tristan et Yseult و Lohengrin ؛ فأهملت الأولى ، وأما الثانية فقد أدتها على شكل كان الإهمال عنده أفضل

بقى أن الفرقة أعلنت أنها تؤدى قطعة طريفة Nouveauté اسمها La Baronne de Carini للحن إيطالي مجهول : Mulé فما بلغني هذا حتى أسرعت إلى دار الأوبرة ، مهتزاً . فإذا القطعة شر ما مذق أذنى من التلحين (الرومنتيكي) المفرط في (الميلودرام)

***

إن ظن بعضهم أن لا رغبة في الموسيقى الحقة بمصر ، وأن الحظ الأعلى فيها لألوان الأوبرة البالية والمبتذلة ، فليقصروا ظنهم على أنفسهم أو على الفئة الكبرى من الإفرنج المقيمين بهذا القطر . فإنما في المصريين من يرغب في الموسيقى الجيدة ، الطريفة ، الموسيقى التي تقوم مقام مصدر من مصادر الثقافة

عفا الله عن وزارة المعارف ؛ فهذه خمسة آلاف جنيه أنفقت لإعانة فرقة لم تصنع لمصر شيئاً .

بشر فارس

كشف أثري عظيم

وفق المسيو مونتيه رئيس بعثة الحفريات الفرنسية للعثور على مقبرة ملوكية لقدماء المصريين بالقرب من صان الحجر

والمقبرة لملك اسمه شو شنك ، والمعروف أن خمسة ملوك بهذا الاسم قد حكموا مصر ما بين عامى ٨٥٠ و ٧٠٠ قبل الميلاد ، وأولهم هو الملك شو شنك الذي استولى على القدس وغنم هيكل سليمان بن داود (ع) ، ولا شك أن هذه المقبرة لواحد من هؤلاء الملوك الخمسة سيصل إلى حقيقته البحث العلمي فيما بعد

وقد عثر المسيو مونتيه في الحجرات التي تم فتحها على تابوت من الفضة يمثل شكل آدمى له رأس الصقر ، وبداخل هذا التابوت مومياء محنطة سليمة مغطاة برداء من الذهب . وقد تبين من قراءة النقوش أن المومياء للملك شو شنك نفسه ، وبجوار التابوت جثتان باليتان ، وعلى الجثة الموجودة إلى اليسار عقد من الحجر الأحمر مصنوع على شكل سلسلة من الذهب ، وفي الحجرة جملة من التماثيل الجنائزية الصغيرة التي يعثر عليها عادة في مقابر الموتى من قدماء المصريين ، وفيها أيضاً جملة من الأواني الجنائزية المغطاة بالطين ، وقد فتح مسيو مونتيه ثلاثاً منها — بحضرة صاحب الجلالة الملك — فوجد بداخلها ثلاثة تماثيل من الفضة للملك شو شنك . وهى عبارة عن أوان على هيئة تماثيل ، وفي داخل كل منها بعض أحشاء الميت

وفى جانب من الغرفة آنية كبيرة من الفخار مسدودة بالطين ، يبلغ ارتفاعها ١٣٠ سم ، وقطرها ٣٠ سم ولم تعرف محتوياتها بعد

وتحيط بهذه الغرفة عدة غرف لم يفتحها مسيو مونتيه ، ولكنه أحدث فى إحداها ثغرة تيمناً بزيارة صاحب الجلالة الملك ، فظهر من خلالها غرفة متوسطة الحجم بها « ناووس » كبير من حجر الجرانيت الأحمر يعلوه غطاء من حجر البازلت الأسود ، وقد دلت القرائن على أن صاحب هذا الناووس من الشخصيات الملكية ، وأن اللصوص لم تصل أيديهم إلى مقبرته

ولهذا الكشف قيمة كبيرة من الناحية التاريخية ، لأن مقابر ملوك الأسرات : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ لم يسبق اكتشافها من قبل ذلك ، وإنما عثر على بعض تماثيل لهم فى مدينة طيبة ، ولا شك أن هذا الكشف سيجلو تاريخ هذه الأسرات الثلاث ، وقد كانت فترة غامضة فى تاريخ قدماء المصريين

وقد قرر الدكتور دريوتون مدير مصلحة الآثار نقل محتويات غرفة الملك (بسوسنس الثانى) التى تحتوى على تابوت الملك شوشنك إلى دار المتحف المصرى لتعرض على الجمهور

كشف أثرى آخر

علمنا أن بعثة كلية الآداب التى تشتغل فى الحفر بمنطقة (تونة الجبل) تحت رياسة الأستاذ سامى جبره عثرت فى هذا الأسبوع على أشياء هامة من الوجهة التاريخية

وكانت البعثة قد عثرت على غرف المخطوطات الخاصة بكهنة هرمو بوليس فى جنوبى المنطقة وعثرت فيها على ملف كبير من البردى يتضمن نصوص القانون المدنى المصرى

وقد وجدت البعثة أخيراً ملفاً آخر يبلغ طوله مترين ونصف متر موضوعاً فى قادوس مقفل ومختوم بالطين . وقد فض هذا القادوس فوجدوا فيه ملف البردى الذى دلت القراءة الأولى لما ورد فيه من النصوص على أنه يتضمن نص أسطورة طويلة من الأساطير الشعبية

وقد أرسل الملف إلى معهد الآثار ليتولى الإخصائيون قراءته وترجمته .

وعثرت البعثة أيضاً على تمثال صغير للآله (مين) إله التناسل عند قدماء المصريين يبلغ طوله نحو ٦٠ سنتيمتراً ، وقد صنع من الخشب ، وغطى بطبقة من الصفائح الذهبية اللامعة

ويعد وجود هذا التمثال غريباً فى تلك المنطقة لأنه لم يكن بين معبوداتها الرسمية التى هى طائر الإيبيس والقرد . ويمثل كل منهما إله الحكمة « تحوت » معبود تلك المنطقة وقد سماه الإغريق « هرمز » وسموا المدينة على اسمه « هرمو بوليس »

والبعثة مستمرة فى الكشف عن السراديب الأرضية الطويلة الممتدة تحت الأرض إلى مسافات بعيدة وتحتوى على مئات الآلاف من جثث الطيور والقرود المحنطة .

فلم التشريفات الملكية

عنيت شركة مصر للتمثيل والسينما بتصوير غدوات صاحب الجلالة الملك وروحاته مع ضيفه الكريم صاحب السمو الأمبراطورى محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران ، وجاء التقاط المشاهد المختلفة على أجمل شكل سواء فى النهار أو فى الليل ، وكان اختيار المشاهد حسناً ، ويساوق المشاهد عزف رقيق يناسب مقتضى الحال . إلا أن صوت المتكلم كان رفيعاً من غير داع إلى ذلك

الى الأستاذ توفيق الحكيم

هل لك أن تنضو مسوح ذلك الجاه فتشرف من برجك المنيف على مستوضح منك الرأى فيما كتبت بالرسالة عن « كتابين قيمين ، قد ورد فيهما طعن على الإسلام » قلت إنك بحثت المسألة من جهة الدين فبدا لك العجب لأن الكتب التى تعرضت للمسيح بالطعن والتجريح تطبع وتنشر فى أوربا ولا يفزعون . وهنا أسألك متحدياً : أى برنامج من برامج التعلم فى أوربا قررت فيه تلك الكتب فى قاعات الدرس والامتحان وفرضت فرضاً على الطالب أن تكون من أسس ثقافته الرسمية التى تحدث عنده عقداً نفسية تتولى تنميتها تأثيرات الأستاذية القوية . لا مانع من البحث والتحليل والتمحيص وإلا لما تكونت سبيكة الذهب من العروق الملقاة فى التراب ، ولكن للبحث أزمنة وأمكنة قد مضت منذ أزمان . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا طعن صريح ، باعترافك أنت ، لا شبه علمية تستحق جلال الدرس وعظمة العلم ، وفوق ذلك كله أنها موجهة لشخصية الرسول أكثر منها لدينه ، فكيف يستسيغها شعور الجماهير من المسلمين . ألا ترى أن انجلترا حرمت

دراسة نظرية دارون (النشوء والارتقاء) في مدارسها احتراماً لشعور الجماهير، بيد أنها لم تحرم دراستها خارج دور التعلم؟ وأما قولك (إني أعتقد دائماً أن صحة العقل وصحة العقيدة كصحة الجسم لابد لها من الهواء الطلق حتى تكتسب المناعة) فذلك حق لا مرية فيه، كما أن حصوله وثبوته الآن واقع بين المسلمين لا مرية فيه. ألا تعلم أن في الأزهر والمعاهد الدينية تدرس شبه الجبرية والمعتزلة والرافضية والمجسمة والشيعة وسواهم ويرد عليها في جو علمي محترم لأنها شبه لا طعن تدسه العصبية المنقوتة. ألا تدرى أن المذهب الأبيقورى مذهب اللذة والإباحية يدرس في الأزهر ويرد عليه في جلال من العلم وحرية من الفكر، ومثله مذاهب الشيوعية والشعوبية، وسواهم. فليس إذاً «حبس العقيدة والعقل في قفص من الزجاج خوفاً عليهما من خطرات النسيم» كائناً بين المسلمين. وما على الشاك إلا أن يغشى بيئات الدراسات الإسلامية فيعود منها متغير الرأى هادىء البال وإن في هذا لبلاغاً

«كلية اللغة» — أحمد عبد الرحمن عيسى

فتش عن المرأة

فتشنا عن أول من قال: (فتش عن المرأة) في العربية وعن قوله فوجدنا هذين البيتين في كتاب (الكشكول) لبهاء الدين العاملي غير معزوين، وهما في معنى القول الفرنجي Cherchez la femme :

إذا رأيتَ أموراً منها الفؤاد تفتتْ
فتّشْ عليها تجدها من النساء تأتتْ

***

جمعية أنصار التمثيل والسينما

انتهى الأساتذة سليمان نجيب، وعلى شوقى، وعبد الوارث عسر من تأليف رواية الحجاج بن يوسف، وقد رأت الجمعية رأياً جديداً يتعلق بتمثيل الشخصيات في العصور العربية، ولهذا ستبدأ في دراسة هذه الرواية بمحاضرة يلقيها الأستاذ على شوقى عن «عصر الحجاج بن يوسف» ثم يعقب عليها الزميل عبد الوارث عسر بكلمة تعد تمهيداً لدراسة الشخصيات العربية في ذلك العصر ووضعها على الأشخاص الذين سيقومون بتمثيلها من أعضاء الجمعية. ورغبة من الجمعية في فائدة الجمهور من هذا الموضوع الطريف، رأت أن تكون هذه المحاضرة عامة يحضرها من يشاء

وتبدأ المحاضرة بدار الجمعية ٨ شارع البورصة الجديدة بحضور جميع الأعضاء في تمام الساعة السابعة من مساء الخميس ٣٠ مارس ١٩٣٩

رسالة شكر وتقدير

تلقينا من الأستاذ شاهين ابراهيم شاهين كلمة مسهبة ينوه فيها بالقدرة البارعة التي يعالج بها شيخ الصحافيين الأستاذ خليل ثابت بك الموضوعات الاجتماعية في القطر وبخاصة موضوع (أى السياسات الإيجابية تختار مصر) ونحن نشاطر الكاتب الفاضل إعجابه بالأستاذ خليل بك وثناءه عليه، ونكتفي لفوات المناسبة بهذه الإشارة الموجزة لهذه الرسالة الطيبة.

حياة الرافعي في العراق

قرأنا في جريدة (البلاد) العراقية ما يأتي:

اقتراح على وزارة المعارف — حول كتاب حياة الرافعي

سيظهر قريباً كتاب «حياة الرافعي» للأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان، وهو كتاب أدبي فذ، يبحث عن جميع الخصومات التي حدثت بين الرافعي وأدباء عصره، فحبذا لو أن وزارة المعارف تشترى منه كميات كبيرة لتوزعها على طلابها، وعلى مكتباتها؛ وبذلك تسدى أكبر خدمة أدبية نحو فقيد البيان المرحوم مصطفى صادق الرافعي

«بغداد» — مقترح

(الرسالة): ظهر كتاب حياة الرافعي منذ قريب.



من وحي السيرة

١ — بطل الأبطال: للأستاذ عبد الرحمن بك عزام

٢ — صور إسلامية: للأديب عبد الحميد المشهدي

— ١ —

لا شك أن الإنسانية لم تعرف فى تاريخها من عظمة النفس، وسمو الروح، ونبل الغرض، وقوة العزيمة، وصفاء النفس، وحسن السيرة، مثل ما عرفت فى شخصية محمد صلوات الله عليه، ذلك النبى الكريم، والرسول العظيم، والمثل الأعلى للبطولة والجهاد فى سبيل العقيدة والإخلاص لله!

هذه العظمة الإنسانية التى تمثلت فى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وفى سيرته، كانت وما تزال وستظل على مدى الدهر روعة تملأ القلوب وتهز مشاعر الناس فى جميع العصور والأجيال سواء آمنوا أم كفروا، وتفتح لأهل الفكر والأدب والتاريخ آفاقاً مشرقة يقبسون من نورها، ويهتدون بهديها، ويجدون فى كل جانب من جوانبها مادة موانية، وثروة باقية للفكر والأدب والتاريخ ...

والذين كتبوا فى سيرة النبى وشخصيته كثيرون حتى ليخطئهم العد، وما أحسب سيرة ولا شخصية قد أخذت من عناية الكتاب والأدباء والمؤرخين فى الشرق والغرب مثل ما أخذت تلك السيرة الحميدة، وهذه الشخصية العظيمة. وعلى الرغم من ذلك فما زال القول فيها جديداً، والبحث عنها طريفاً، والحديث فى أسرارها مهما طال وتكرر حلو سائغ كله الروعة والجلال، يهش له القلب، وتهفو نحوه الروح، وترتاح له النفس ...

وهذان كتابان من وحى الشخصية العظيمة، والسيرة الخالدة أسعدنى بهما الحظ ونحن فى مطلع الهجرة حيث يحلو الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحبب التأسى بسيرته.

أما الأول فكتاب «بطل الأبطال» للأستاذ عبد الرحمن بك عزام، وهو جملة أحاديث تناول فيها المؤلف الفاضل أبرز صفات النبى صلى الله عليه وسلم فتكلم عن شجاعته، ووفائه، وزهده، وقناعته، وتواضعه، وتعبده، وعفوه، وصفحه، وبره، ورحمته، وفصاحته، وبلاغته، وحسن سياسته، وحكمته فى تصريف الأمور، ونظام الحرب، ووضع الأساس لحرية الدعوة وحرية العقيدة للأديان السماوية جميعاً، ثم تكلم عن أثر الدعوة المحمدية فى النفوس، وصلتها بالقلوب، وكيف فعلت فعلها فى الفرد، وشمل سحرها الجماعة، فبدلت الناس غير الناس، والأرض غير الأرض، وما زلنا وما زال العالم فى آثار ذلك حتى آخر الدهر.

ولقد أحسن الأستاذ المؤلف كما يقول أستاذنا المراغى إذ تناول السيرة الكريمة من الناحية الخلقية، فإن الناس أحوج ما كانوا فى أى عصر من العصور إلى أن يهتدوا بأخلاق محمد، ويقبسوا من نوره. وزاد الأستاذ إحساناً إذ استخلص هذه السيرة الكريمة من الحادثات والوقائع الصحيحة فى التاريخ، فلم يرسل القول دعاوى يعوزها البرهان، ويلتمس لها الدليل، بل قرن الرأى بالحجة، وثبت القول بالواقعة، واستدل للحديث بالرواية الصادقة

وإذا كان الشاعر لا يفهمه إلا شاعر كما يقولون، فالرجل لا يقدره إلا رجل كذلك، والأستاذ عزام بك رجل من أهل الجلاد والجهاد، والرأى والعزيمة، وإنه ليكبر ذلك فى شخصية محمد صلوات الله عليه، ويتخذه مثلاً أعلى للبطولة والرجولة، فلما وقف بقبره أخذ مأسوراً — كما يقول — بهذه البطولة، وتملكه روح لا يزال يشرق من غيابة الماضى، هو روح سيد الرجال، وبطل الأبطال، وبهذه العقيدة تحدث الأستاذ الفاضل عن النبى الكريم، فجاء كتابه صفحة مشرقة بالإعجاب والإشادة ببطولة محمد ورجولته، وما ينقصها إلا الإفاضة والاستيعاب بما يكافئ عظمة السيرة الخالدة، والأستاذ يعترف بذلك ويرجو أن تسعفه الفرصة فيفيض ويستوعب وإنا لمنتظرون.



على هامش الفنون

المسارح القومية فى النرويج

نقرأ فى الصحف التى تعنى بالدراسات المسرحية العالية أنباء شتى عن المسارح المعروفة كما نقبل مشغوفين على دراسة آدابها؛ ولذلك ليس بالعجيب أن نسمع أن جمهرة قراء الصحف المصرية ونقاد المسرح ودعاة هذا الفن وهم كثيرون يعرفون - إن لم يكن عن دراسة - حركات التطور الفكرى فى المسرح الانجليزى وحب الفرنسيين للمسرحيات الاستعراضية الراقصة فى الوقت الذى يفضل فيه الألمان « الأوبرات الكلاسيكية » وهكذا

ولكن هؤلاء جميعاً لا يعرفون - وقد زحمتهم الصحف بعدد محصور من الأنباء عن مسارح خاصة - أن فى العالم مسارح أخرى وآداباً مسرحية عريقة غير تلك التى يعلمون . بل من من هؤلاء جميعاً يفكر فى ترك دراسة المسرحين الانجليزى والفرنسى - ولو إلى حين - ويعرج على دراسات أخرى أكثر تعمقاً وأنقى فكرة وأرق فلسفة ثم يأتى بعد ذلك ليطالعنا بدراسة مقارنة ؟!

إن الفكرة التى قدمت من أجلها العجالة السابقة لن تجد الأذن السميعة، ولذا أجد نفسى مضطراً لطرق الباب وفق طريقة سبقنى إليها غيرى فى تقدمة المسارح المعروفة إلى جمهرة القراء وجموع المتأدبين آملاً أن يجد دعاة النقد المسرحى فى مصر مادة جديدة لهم عند ما يتحدثون عن مسرح جديد بالنسبة إليهم وهو المسرح النرويجى

— ٢ —

أما الكتاب الثانى فكتاب : « صور إسلامية » للأديب عبد الحميد الشهدى ، وهو - كما يقول المؤلف الفاضل - أفق من آفاق الحياة المحمدية ، وصورها الكثيرة ، مازج الحقيقة فيها الخيال ، وخالط فيها الفن التاريخ ، دون أن يعدو على حقائقه ، أو يستر الخيال جمال الحقيقة الرائع ، وجلالها الواقع .

قال المؤلف : فما أجريت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، ولا أخضعت اتجاه التاريخ من أجل طبيعة الأسلوب، وإنما حاولت بقدر المستطاع أن أخضع الفن ليكون فى خدمة الحق والتاريخ، لتبدو السيرة المحمدية فى جمالها الشفاف ، وفتنتها الأخاذة وأسرارها الاجتماعية، وسياستها الخالدة . وليس القصد من هذا كله إلا أن أستخرج معين السيرة من تحت جلامد التعابير الخشنة والمنعنات المملة ، وكثرة الروايات الطامرة للحقائق ، وأن أنظمها أسلوباً قصصياً سهلاً ليستطيع الناس أن يستوعبوا نواحى الصورة التطبيقية للشريعة الإسلامية التى جاء بها القرآن، وفصلتها سيرة سيد الأنام!

والواقع أن المؤلف الفاضل قد وفق فى غرضه ، واستطاع أن يصل إلى غايته فى تجلية السيرة على هذا النمط الذى شرحه ، وإنه لنمط قويم ، ونهج قريب إلى النفوس والأرواح . وما أستطيع أن آخذ عليه فى ذلك إلا بعض هنوات فى الأسلوب ، والتهويل فى التصوير ، والخروج فى بعض المواقف عن حدود الحياة الإسلامية كما وصفها التاريخ . وإنك لتقرأ فى صدر الجزء الثانى من كتابه حديثه عن تحرش قريش بالنبى وأصحابه ، فكأنك تقرأ وصفاً لمظاهرة تسير فى شوارع القاهرة هاتفة صاخبة. ولعل مرد هذا إلى ما عرف عن المؤلف الفاضل من ثورة الشباب ، وإنها لثورة جامحة تتمثل لك فى كتابه ، بقدر ما تتمثل لك رزانة الأستاذ عزام فى كتابه

وكتاب « صور إسلامية » يقع فى جزئين ، انتهى بهما المؤلف فى الحديث عن السيرة إلى بيعة العقبة وإسلام عمرو بن الجموح من سادات يثرب، وقد وعد بالجزء الثالث عن قريب، وإنا لنرجو له التوفيق حتى يصل إلى الغاية ، وينتهى إلى النهاية .

محمد فهمى عبد اللطيف

والنرويج بلاد في طبيعتها ما يساعد على خلق أدب مسرحي يعبر عن البيئة والأفكار التي تجول في رؤوس هذا الشعب الذي يعيش في شبه عزلة عن العالم ، بل إن النرويجيين قوم خياليو النزعات ميالون إلى الابتكار الخلاق ، ولذا كان لهم مسرح وكانت لهم آداب مسرحية ، وفي بلادهم مسرحان قوميان أسسا في أواخر القرن الماضي أحدهما في العاصمة «أوسلو» والثاني في مدينة «برجن»

وقد ظل هذان المسرحان القوميان في عملهما دون أية حاجة إلى مساعدة الحكومة حتى عام ١٩٢٧ عند ما فكر أولو الأمر في مساعدتهما مادياً فأجدت المساعدة وشجعت على إيجاد مؤسسة فنية أخرى هي « المسرح النرويجي » Det Noroshe Teatre

وقبل ظهور الكاتبين النرويجيين هنريك أبسن وبيورنسون لم تكن للمسرح النرويجي أهمية تذكر ، وكان محصوراً داخل دائرة خاصة لا صلة تربطها بالحياة الأدبية ؛ ولكن ما حل عام ١٨٥١ وعين الشاب هنريك أبسن في وظيفة فنية Scenic director بمسرح «برجن» حتى بدأ المسرح النرويجي عهداً جديداً . فهناك كتب المؤلف الشاب مسرحيته الأولى وما بعدها مفرغاً في كل ما كتب تجاربه الفنية ومعلوماته التي استفادها من عمله ، والتي صارت دستوراً لمن أتى بعده لا من كتاب النرويج بل لجميع الكتاب في كل أصقاع العالم

ولعل الظروف التي قيضت هنريك إبسن لخلق مسرح نرويجي جديد لم ترد أن تتركه يناضل وحده فشدت أزره بمؤلف مسرحي آخر ظهر في نفس الوقت هو بيورنستيرن بيورنسون . وكان أن ظهر على خشبة المسرح عدد كبير من نوابغ الممثلين والممثلات الذين ساروا جميعاً وفق طريقة تقليدية ظلوا يتوارثونها حتى شهدها الجميع أخيراً عند ما احتفلت كبيرة ممثلات النرويج جوهان دايبواد البالغة من العمر سبعين عاماً بيوبيلها الذهبي ونجحت هذه الطريقة نجاحاً كان مثار حسد الشباب الذي قام ينادي مطالباً بالتجديد .

ولقد اقترن ظهور ابسن وبيورنسون بنهضة فكرية كانت مؤلفاتهما المسرحية مثارها . وبدأ الشعب يقبل على التمثيل وآدابه كفن ضروري جيل مثل الموسيقى والنحت والتصوير والدراسات الأدبية ... كما أثبت ظهور هذين الكاتبين أيضاً أن « الدراما » تستطيع أن تحتل مكانة أرفع وتصل إلى مستوى عظيم ، ومن هنا نشأت النهضة المسرحية Renaissance وأقبل الناس على المسرح فظهر نوابغ الممثلين وعظيمات الممثلات ، واستحالت بلاد النرويج في العصر الحديث إلى ما يمكننا أن نشبهه بأثينا في عصورها الذهبية

القديمة ، فلم يكن عسيراً وقد ارتقى كتاب المسرح بأفهام الناس أن تنشأ المسارح القومية وأن تعمل فيها الفرق الأهلية وأن يقبل عليها الشعب مشجعاً مما حفز بعض المهيمنين على المرافق من ذوي المكانة على إغراء الدولة لتضع هذه المسارح تحت رعايتها وتقدم لها المساعدات اللازمة

ولرب سائل يسأل وقد عرف أن للفرقة القومية المصرية برنامجاً تعمل على تنفيذه وإليه يرجع السبب في إنشائها وإن لم تكن قد حققت منه أي شيء ... وبدوري أسارع فأقول إن المسارح القوميـة في بلاد النرويج أغراضاً ترمي إليها ، وبرامج من اللازم أن تنفذ ما جاء فيها ، وإلا تعرض القائمون بالأمر فيها للمسئوليات الجسام من مادية وأدبية . ولعل أهم ما أنشئت من أجله هذه المسارح هو تمهيد الحقل الفكري لإنتاج أدب الدراما المحلية . ولا بأس في نفس الوقت من إعطاء فكرة عن تطور الأدبيات المسرحية في أمم العالم وعرض صور منها بين قديم وحديث ، إلا أن التجاريب دلت على أن البرامج ذات المسرحيات « الكلاسيكية » التي يتكلف إخراجها الشيء الكثير من المال لا تحدث تغييراً محسوساً في الإيرادات ولا ترتفع بالميزانية إلى درجات خطيرة ، ومن هنا ظهرت قيمة الشعب الروحية ورهن جمهور النظارة على أن له رغبة يجب أن تطاع ، وأثبت للقائمين بالأمر المسرحي أن بيده توجيه الحركة الفكرية والإنتاج الفني إذ أقبل بكثرة على المسرحية المصرية « والأوبريت » وفضل الـ Varces على الـ « كلاسيك »

وقد أثرت السينما في المسرح النرويجي كما أثرت في نفس الوقت على جميع مسارح العالم ؛ وهذا شيء ملموس بطبيعته . ولعل أهم ما فيه هو رخص أسعار دور السينما وتكرار المشاهد فيها وسرعة تغيرها . . . ولكن الأثر الذي أحدثته السينما في العالم المسرحي شيء وما أحدثته في بلاد النرويج شيء آخر ، أحدثت ما يمكن أن نسميه بالموقف الغريب إذ لم يسبق أن وقفت الحكومة في أي دولة من دول العالم مثل الموقف الذي وقفته حكومة النرويج من أزمة المسارح وكسادها بسبب منافسة السينما لها ، إذ راحت البلديات النرويجية تساعد بالمال كل مسرح قوي ، ولكن هذه المساعدات المتكررة لم تستطع موازنة المالية كما أنها لم تؤثر في الإيراد ولم تصلح الميزانية العامة ، الأمر الذي أجبر الحكومة على التنازل للمسارح هناك عن جزء كبير من إيرادات اليانصيب الحكومي ، وقد حدث هذا في مستهل عام ١٩٢٧

والأدب المسرحى النرويجى يكاد يكون الأدب الوحيد الذى يقوم على دعائم قوية معززة ، فنراه يطرق السياسة ويحلل أساليبها، ويتحدث عن الاجتماع والإصلاح وينقده، ويطلع الشعب على آراء جديدة فى الفلسفة واللاهوت دون أن ينسى السخرية من بعض النظم والرغبة فى هدم القديم ليقوم على أنقاضه جديد مدعم البنيان .

والنهضة الأدبية المسرحية هناك تقوم على أكتاف الشباب الذين أذكر منهم الكاتب المسرحى الراديكالى : « نوردا هل جريج » Nordahl Grieg الذى يحبه الشعب ويعرف فيه ميله إلى السلم وكثرة دعوته إليه فى كل كتاباته، وزميله هلج كروج Helge Kaog الذى تشبع بروح الكاتب الإيرلندى الساخر برنارد شو وحاكاه فى كتاباته ونقده اللاذع فى الوقت الذى لم يفته فيه أن يخرج للناس مسرحيات قوامها علم النفس الحديث وبعض مشاكل المجتمع

وحدث فى عام ١٩٣٥ أن أرادت الحكومة دراسة حالة المسرح فى النرويج فصدر أمر إدارى بتعيين لجنة فنية لكتابة تقرير واف عن المسرح ومدى تقدمه وما ينتظر له فى مستقبله وأوجه النقص فيه وكيفية إصلاحها . . . وباشرت اللجنة عملها ودرست المسرح النرويجى دراسة وافية ، ثم وضعت تقريراً لست فى حاجة إلى نقله، بل أفضل تلخيصه ليستوعبه أفراد الهيئات الفنية فى مصر :

« يجب على الحكومة والمجالس البلدية أن تضاعف قيمة الإعانات التى تقدمها للمسرح القومى كى يستطيع أن ينهض بأعباء الرسالة المقدسة التى اضطلع بها، وكى يشرف الإسم الذى يحمله كما يجب على الحكومة أن تسرع فى سن قانون يحدد مراكز المسارح ويضمن تغطية نفقاتها... »

ورأى هؤلاء الخبراء أن يعمدوا إلى طرق منطقية لترقية المسرح وكان أن اقترحوا ضرورة تعميم الإذاعات الأثيرية من مسرح المملكة « Rihsteater » كى يسمعها سكان القرى البعيدة فيأخذوا من المسرح فكرة أولية تنمو مع الأيام فتستحيل حباً وإعجاباً .

وبلاد النرويج تكاد تكون الوحيدة بين بلدان العالم التى تعنى بتربية الناشئة تربية ثقافية فنية، فتراهم يلقنون الطفل فى المدرسة حب المسرح وذلك لخلق جيل جديد يتفهم الرسالة المسرحية ، ويعمل مخلصاً على رفعة المسرح القومى فأنشأوا للأطفال « الجماعات التمثيلية المدرسية » وشجعوا الطفل على ارتياد المسارح بأجور زهيدة حتى إذا شب علق بهذا الفن وأصبح يرى فيه إحدى ضروريات الحياة .

والممثل فى النرويج يعيش فى بحبوحة من الرزق لأنه يتبع النظم ويسير وفق القانون وينفذ بنود العقد المرتبط به ، ولا يخل بشرط منها مهما كانت الأسباب قوية واضحة . إنهم هناك يحترمون العقود ويقدسون إمضاءاتهم على العكس من السادة ممثلينا من فطاحل المسرح المصرى الذى نسمع بالواحد منهم وقد وضع إمضاءه على عقد وفى أكثر من فرقة

أما أصحاب المسارح هناك فيحبون ممثليهم ويعملون على نصرتهم وجمع شملهم ، وتوحيد صفوفهم ، وذلك بمساعدتهم على إنشاء النقابات الفنية وإعطائهم المعاش عند بلوغهم سناً معينة

هذا هو نموذج من المسرح القوى ، وتلك نمرى الطرق الفعالة لرفعة هذا الفن الجليل الذى بحت أصوات الكثيرين فى مصر من جراء تكرار المناداة بإصلاحه حتى هبت الحكومة من غفوتها ولبت النداء بأن وكلت أمر أهل الفن إلى من لا علاقة لهم بالفن فأت التمثيل ، واللجنة العليا لترقيته تعقد الاجتماعات للنهضة به ورفع مستواه !

ابراهيم حسين العقاد

حول مجنون ليلى

كتب محرر الصفحة السينمائية عن مجنون ليلى ما كتب بأسلوب كالسب موجهاً إلى وإلى الأخوين ابراهيم وبدر لاما قائلاً فيما يخصنى من هجومه أننى أحد الذين يؤلفون لصالات الدرجة الثالثة فى شارع عماد الدين

وأى ضرر على الكاتب أن يكتب للصحافة أو للمسارح بالأسلوب التجارى الذى يقوم بأود حياته ما دامت كتابته لا تمس جوهر الفن فى نفسه .

إنى لم أكتب كلمتى هذه متبرماً بنقد ناقد فإنى ممن يؤمنون بفائدة النقد وجدواه ولكن على أن يكون نقداً لمجرد النقد لا أن يكون هجوماً لمجرد الهجوم ، فحضرة الكاتب لم ير شيئاً حتى يحكم عليه؛ وما يدريه لعلنى وأنا لست بذى الإسم الرنان أننى أكون قد وفقت فى كتابة حوار القصة وأشعارها توفيقاً قد يعجب ويرضى، وكان عليه أن ينتظر حتى يرى الثمرة بعد أن تخرج للناس ثم يحكم عليها بعد ذلك حكمه

السيد زيادة



{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }

7me Année No. 300

Lundi - 3 - 4 - 1939



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٠٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣ ابريل سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــــرس

كذبة إبريـــــل

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

في أول إبريل يحلو لبعض الناس أن يكذبوا ، ويطيب لهم أن يزعجوا بهذا الكذب إخواناً لهم ، أعزاء عليهم ، أثراء عندهم . ولو اختصوا بالكذب المثير أو المزعج ، أو الذى يورث المتاعب ، غير الأوداء والأصدقاء : أى الخصوم والأعداء ، لكان هذا أقرب إلى العقل وأشبه بما ينبغى أن يكون ، فما يبالى المرء على أى حال من السوء يكون عدوه ، وكلما زاد الشر الذى يقع فيه أو يُمنى به العدو كان ذلك أشرح لصدر عدوه وأثلج لقلبه . ولكن الصديق شيء آخر ، والإنسان جدير أن يخجله أن يركب صاحباً له بدعابة مؤذية ، وأن يضحك ويفرح بما ينزله بهذا الصاحب من السوء

وقد لقيت فى أول إبريل هذا من المتاعب ما بغضه إلى ، حتى لتمنيت على الله أن يلهم الناس حذف هذا الشهر كله ، وإسقاطه أجمعه من تقويم العام

صبحنى واحد ، وأنا أجلس إلى مكتبي ، بأن برقية وردت بأن ألمانيا قذفت بجيشها على أرض بولندا ، وأن القتال يدور بين الطلائع النازية وقوات الدفاع ، فسألته : « أتتكلم جاداً ؟ »

قال وهو يشير إلى ورقة فى يده « هذه هى البرقية . اسمع ترجمتها »

فتفرست فى وجهه وحدجته بنظرة فاحصة ، فلم أر ابتساماً ، ولا ما يشى بأنه يهم بالابتسام . فقلت : « إنى كنت ، وأنا آت

إلى هنا ، أحدث نفسي بأن أكتب في التصريح الذي ألقاه المستر تشمبرلن أمس في مجلس العموم البريطاني ، وكنت أريد أن أقول إنه من العوامل المرجحة لكفة السلم ؛ ولكنك تروى لي نبأ غريباً ، لا يكاد يقبله عقلي ، فهات لي هذه البرقية لأقرأها فإني لا أكاد أفهم ، وأحسبني سأجن ، فما أعرف لماذا تجازف ألمانيا هذه المجازفة التي ليس لها أي موجب ، ولا من ورائها أي خير لها أو لسواها »

وانتزعت منه البرقية فإذا هي قديمة وتاريخها أول مارس ، وليس فيها أي ذكر لألمانيا أو بولندا ! وماذا يبالي صاحبنا هذا أن يهدم لي الدنيا ، وأن يحيلها حولي أنقاضاً ، وأن يدير لي رأسي حتى ما أعود أعي شيئاً ؟!

وبعد نحو ساعة ، طُلبت إلى التليفون ، فقمت إليه ، فإني أكره أن تكون آلته على مكتبي ، أو في الغرفة التي أنا فيها ، ولا أعرف ما هو أشد إزعاجاً لي من صوت جرسه حين يدق فجأة ، وقلت وأنا أضع السماعة على أذني « نعم »

فسمعت صوت زوجتي يقول لي : « أبو خليل ... مبروك ! »

فسألتها مستغرباً : « ماذا ؟ مبروك إيه ؟ »

قالت: «بالهناء والرفاء والبنين! لماذا لم تخبرنا لنفرح لك معك؟»

قلت : « عن أي شيء تتحدثين ؟ رفاء ، وبنين ... ؟! ما هي الحكاية ؟ »

قالت : « برقية وردت بتهنئتك بعروس جديدة ... هل أقرأها لك في التليفون ؟ أو يكفي أن أذكر لك اسم مرسلها ؟ ! وقبل البرقية دق الباب رجل وسأل عنك ، فعرف أنك خرجت فكلفنا أن نبلغك تهنئاته القلبية . فلم نفهم ، ولكنه انصرف قبل أن نتمكن من سؤاله . على أن البرقية ما لبثت أن جاءت ففهمنا كل شيء ! مبروك ، على كل حال »

فأيقنت أن أكاذيب إبريل كلها ستقذف عليّ في هذا اليوم السعيد . وقلت لها : « آه ، كذبة إبريل ... اشكري عني المهنئين والمهنئات . فإني الآن مشغول بالعروس ، أباهجي ، وأناجيها بما يجن قلبي لها ! ألا تسمعين ؟ »

فألقت السماعة ، ولم تجب ! والمصيبة أن النساء أميل إلى تصديق كل ما يثير غيرتهن ، ولو كان كل شيء يدعو إلى نقيض ذلك ويغري بالاطمئنان .

وخرجت ، فمررت بصاحب لي ، فقدم لي شوكولاته ، فاعتذرت فإني لا آكل شيئاً بين طعامين ، فألح ، فأصررت على التأبي ، فاقترح أن أبتقي بضع قطع أدسها في جيبي ، وآكلها حين أشاء فلم أر في هذا بأساً فأجبته إليه . وعدت إلى البيت ، وخلعت ثيابي لأستريح ، فسألتني امرأتي : « معك سجاير » ؟ !

قلت : « في جيبي ... خذي ما تريدين »

فدفعت يدها في جيبي وقالت ، وهي تخرجها وتتأمل ما عثرت عليه : « آه ... شوكولاتة العروس ! ! ! »

قلت : « لا تكوني سخيفة ... هذه أعطانيها فلان » .

فألقت في فمها واحدة ، وهي تضحك ، وإذا بها تلفظها فجأة وتصيح وقد عبست جداً : « ما هذا القرف ؟ »

فسألتها: «قرف؟ أي قرف يا شيخة ؟ مالك في هذا النهار؟»

قالت : « تضحك عليّ ، وتغريني بأكل شوكولاته حشوها ثوم وفلفل ، وتزعم أن فلاناً أعطاكها ؟ ! أي مزاح هذا ؟ هل ارتددت طفلاً ؟ ألا تجد أحداً غيري تمازحه هذا المزاح البارد ؟ »

فقلت - وأنا أحدث نفسي - : « شوكولاته بثوم وفلفل ! يا امرأة ، هل سمعت بالمثل العامي : تكون في فك فتقسم لغيرك ؟ أنا كنت المقصود بهذا المزاح البايخ ، ولكني نجوت ووقعت أنت ؛ وما يخالجني شك في أن هذا أبعث على سرور صاحبي الذي أهدى إليّ هذه الشوكولاته ! ولكنا لن نخبره بشيء ، وسندعه بضعة أيام يتقلى وبوده لو عرف ماذا كان من أمرنا ... لا بأس ! سأجزيه سوءاً بسوء ! فانتظري ! »

فظلت تصيح وتسأل عما عسى أن تصنع الآن ، فقد فسد طعم فمها ، وأكبر ظنها أن رائحة الثوم ستظل بأنفاسها ، فاقترحت عليها أن تشرب قليلاً من الكولونيا !

فهزت رأسها وقالت : « تريد أن تقتلني لتخلص لك عروسك الجديدة ، ويصفو لك الجو معها ! »

فسكت ووضعت إصبعي في الشق ، بل وضعت أصابعي العشر كلها في الشقوق فما من سبيل إلى إقناع المرأة بسخافة الغيرة

وأحسب أن الكذب يطيب في أحيان كثيرة ، بل أحسبه لازماً للانسان . وعسى أن يكون الصدق متعبة شديدة ، ولعل التزامه في كل حال مما لا يطاق

ولكن من الكذب ما هو بريء ، وما هو سوء يحسن اتقاؤه وأنا مستعد أن أضحك ، وأن أستظرف نكات الإخوان وأستملح

(البقية على صفحة ٧٠١)

كتاب السياسة

للوزير نظام الملك

للدكتور عبد الوهاب عزام

نظام الملك أبو على الحسن بن إسحاق : وزير السلاجقة من أعظم الوزراء الذين عرفهم تاريخ الإسلام . وزر للسلطان محمد ألب أرسلان ، ثم لابنه ملكشاه ثلاثين سنة (٤٥٥ — ٤٨٥) ه .

كان أبوه أحد دهاقين طوس ، وذهبت بماله الحادثات فولد نظام الملك فى بيت فقير سنة ٤٠٨ . وماتت أمه وهو رضيع . ونشأ نجيباً زكياً فتعلم العربية والفقه وسمع الحديث . وتقلبت به صروف الزمان فى أرجاء الأرض ، حتى استقر فى بلخ عند أحد عمال داود والد السلطان ألب أرسلان . ثم تولى أعمال ألب أرسلان ووزر له قبل السلطنة . فلما خلف ألب أرسلان عمه طغرل بك دبّر نظام الملك أمور الدولة ، وظهرت كفايته ، وشاع ذكره ؛ فاستقل بسياسة الملك طوال عهد ألب أرسلان وعهد ابنه ملكشاه. وتولى أبناؤه ، وكانوا اثنى عشر ، المناصب الرفيعة فى الدولة . فتمكن سلطانهم ، وعظم جاههم ، وانقادت لهم الأمور حتى فاقوا البرامكة فى أيامهم .

يقول ابن الأثير :

« كان عالماً جواداً عادلاً حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت . كان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء ، وأئمة المسلمين ، وأهل الخير والصلاح . أمر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد ، وأجرى لها الجرايات العظيمة ، وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وغيرها . وكان يقول : إنى لست من أهل هذا الشان ، ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وما زالت الأمور فى تصريفه ، والأحوال موانية له ، إلى أن قتل سنة ٤٨٥ .

وذلك أنه كان مسافراً مع السلطان ملكشاه من أصفهان إلى بغداد ، فنزلا على مقربة من نهاوند . قال ابن الأثير :

« فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إفطاره ، وخرج فى محفة إلى خيمة حرمه أتاه صبى ديلمى فى صورة مستميح أو مستغيث ، فضربه بسكين كانت معه ، فقضى عليه وهرب ، فعثر بطنب خيمة فأدركوه فقتلوه » .

وقد شاع بين الناس أن الملاحدة دبروا لقتله إذ كان يبغضهم وكتب فى كتابه سياستنامه فصلاً فى بيان مفاسدهم . ويقال إن ملكشاه هو الذى أوحى بقتله وكان قد نقم منه ومن أولاده تمكنهم فى عظم المناصب ، و جاههم ، وأوغرت صدره عليهم امرأته تركان خاتون ، وكانت تسعى ليخلف ابنها الطفل محمود أباه على الملك ، وكان نظام الملك يؤثر بركيا روق أخا محمود الأكبر . إذ يقال إن جمال الملك بن نظام الملك قتل مسخرة للسلطان كان يحاكى نظام الملك فى المجلس السلطانى ، فنقم عليه السلطان وأمر من دس له السم فى شربة فقاع

وروى ابن الأثير أن السلطان أرسل أحد قواده شحنة إلى مرو وكان يتولى أمورها حينئذ عثمان بن جمال الملك ومفيد نظام الملك . فوقع نزاع بين الشحنة وعثمان فحبسه عثمان ثم أطلقه فذهب إلى السلطان شاكياً ؛ فأرسل السلطان إلى نظام الملك يسأله أأنت شريكى أو وزيرى ويذكر استيلاء أبنائه على المناصب وتجاوزهم الحد

فلما بلغت الرسالة الوزير الكبير غضب وقال للرسول « قولوا للسلطان إن كنت ما علمت أنى شريكك فى الملك فاعلم ، فانك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبيرى ورأيى . أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمت الخوارج عليه ... فلما قدت الأمور إليه وجمت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة ، وأطاعه القاصى والدانى ، أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فىّ السعايات ! قولوا له عنى إن ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة[1] وأن اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة، ومتى أطبقت هذه زالت تلك[2] . »

ومن عجائب الاتفاق أن السلطان مات بعد شهر من قتل الوزير واضطربت الدولة اضطراباً شديداً

ومهما يقل من أسباب النفور التى وقعت بين السلطان والوزير فأنا أبعد أن يدبر الملك لقتل وزيره الشيخ الذى كان يثق به ويعتمد عليه ويستصحبه فى حضره وسفره .

(١) يعنى أن تاج السلطان مدعوم بدواة الوزير فاذا زالت وزارته زالت السلطنة .

(٢) ابن الأثير حوادث سنة ٤٨٥

كتب نظام الملك كتاب السياسة (سياستنامه) قبل موته بسنة واحدة، وضمنه علمه وتجاربه وآراءه في سياسة الملك وترتيب الدولة، وإنصاف الرعية، وقسمه إلى خمسين فصلاً.

وللكتاب مقدمة كتبها ناسخ الخزانة السلطانية يبين فيها سبب تأليف الكتاب فيما يأتي:

«أمر السلطان السعيد أبو الفتح ملكشاه ابن محمد أمين أمير المؤمنين أنار الله برهانه، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بعض الكبراء والشيوخ والعلماء أن تفكروا في أحوال المملكة وانظروا ماذا من السيئات في عهدنا، وماذا خفي علينا، وماذا فعله السلاطين السابقون ولم نفعله، وأعلمونا به. وكذلك اكتبوا ما تعرفون من سنن الملوك السالفين مما يتعلق بدولة السلاجقة وملكهم، وأعرضوه علينا لنتأمله ونأمر بعدُ أن يسير كل عمل ديني ودنيوي على قاعدته، ويوضع كل شيء في موضعه، وننهي عما لا يُستحسن. فإن الله وهبنا الدنيا وأتم نعمته علينا وقهر أعداءنا فلا ينبغي أن يكون أمر في مملكتنا ناقصاً أو يذهب عمل على غير وجهه أو يخفى علينا شيء.

«أمر بهذا نظام الملك، وتاج الملك، ومجد الملك وطائفة أمثالهم، فكتب كلٌّ ما تيسر له في هذا الشأن وعرضه على السلطان فلم يعجبه إلا ما كتب نظام الملك فقال: كُتبت هذه الفصول كما أردت فليس في نفسي عليها مزيد. وقد اتخذت هذا الكتاب إمامي وسأعمل به.»

ويقول نظام الملك في خاتمة الكتاب: «هذا كتاب السياسة. أمر سلطان العالم خادمه أن يكتب في هذا الموضوع فامتثل أمره. كتب تسعة وثلاثين فصلاً على عجل ورفعها إلى السدة العالية فلقيت قبولاً. وكانت مختصرة فزدت عليها، وأضفت إلى كل فصل ما يناسبه، وبينتها بلغة واضحة. وقد سلمته إلى ناسخ الخزانة السلطانية محمد المغربي سنة أربع وثمانين وأربعمائة ونحن على عزيمة السفر إلى بغداد، وأمرته أن ينسخه بخط جميل، فإذا لم يتح لي الرجوع من هذه السفرة قدمه إلى السلطان.»

وسأتكلم على الكتاب وأترجم فصوله في المقالات الآتية إن شاء الله.

عبد الوهاب عزام

الجامعيون يحتربون

للدكتور زكي مبارك

كان الأسبوع الماضي من الأسابيع الدامية في حياة الجامعة المصرية، وكان رجعة إلى معارك الصعايدة والبحاروة في الأزهر الشريف، فما هي الصلات بين القديم والجديد من هذه المناوشات التي تقع في المعاهد العلمية؟

إن النضال بين الصعايدة والبحاروة من الأزهريين كان رجعة لأحقاد عرفتها مصر منذ عهد الفراعين بين سكان الشمال وسكان الجنوب، وكان لهذا النضال مواسم يذكرها من شهد الحياة الأزهرية قبل أن تخضع للنظام الحديث

فما هو سبب النضال بين كلية الآداب وسائر الكليات؟

وما الذي قضى بأن يكون للجامعيين تاريخ في العداوة والبغضاء؟

لقد كانت كلية الآداب منذ نشأتها محفوفة بالرعاية والعطف من جميع المعاهد العالية، فما الذي جد من الشؤون حتى تصبح هذه الكلية المحبوبة هدفاً للعداوات، وحتى تشن عليها الغارة بلا ترفق ولا استبقاء؟

ما الذي جد في دنيا القلوب حتى تثور الحرب الدموية بين طلبة الآداب وطلبة الحقوق؟

وكيف جاز أن يصبح الحرم الجامعي مجروح الهيبة والجلال وفيه تمثال الشهداء في سبيل الوطنية لا في سبيل المنافع الشخصية؟

كيف جاز أن يحترب الرفاق في بقعة مسوَّرة بالأزهار والرياحين في مطلع الربيع؟

وكيف نسي أولئك الشبان أن من الجريمة أن يدنسوا الحرم الجامعي بالأحقاد الشخصية، وهو بفضل العلم لا يقل قدسية عن المحاريب؟

كيف نسي أولئك الشبان نعمة الله عليهم وهم يغدون ويروحون في رياض تذكّر بأرواح الفراديس؟

إن الجامعة لها موقع قليل الأمثال في الشرق، وهي تنتظر من أبنائها أن يكونوا جذوة روحية تضيء أقطار الشرق، فبأي

وجه تلقى الناس إذا صح لأبنائها أن يحتربوا ويقتتلوا بأسلحة ينكرها العلماء ؟

إن أولئك الشبان لا يعرفون أن هناك مسامع تستريح لأن تسمع فيهم قالة السوء ، ولا يدركون أن هـذا النوع من المناوشات يغض من هيبتهم العلميـة ، ولا يذكرون أن سيرتهم قد تصبح قدوة لطلبة المعاهد العالية فى الشرق

ولـكن ما هى أسـباب المعركة بين كلية الآداب وكلية الحقوق ؟

السبب فى جملته يرجع إلى كتابين يدرسان فى كلية الآداب وفيهما فقرات تمس العقيدة الإسلامية

ولـكن فات خصوم كلية الآداب أن من المستحيل أن يقع ذلك عن عمـد : فعميد الـكلية يعرف أن فى مصر تيارات دينية وسياسـية ؛ وليس من مصلحته أن يتعرض لمكاره من جانب رجال السياسة أو رجال الدين . ومتى صح أن سوء النية غير موجود فمن التعسف أن يقال إن كلية الآداب تحارب العقيدة الاسلامية

من رجع الهجير

إلى من الذين يعتقدون أن فى مصر اليوم نهضة ملحوظة فى الأدب والفن ، وأن الأدباء والقراء يزدادون يوماً بعد يوم . على أن الذى يسترعى الالتفات ويدعو إلى القلق هو أن نتاج الذهن لم يبلغ بعد فى قيمته المادية وأثره الاجتماعى المستوى المطلوب . لماذا ؟ لأن هنالك عنصراً آخر فى هذا الشأن ما زال مفقوداً . إن قوة الأدب والفن فى أمة لا ترتكز فقط على طائفتى الأدباء والقراء . هنالك طائفة ثالثة عليها يقع قسط كبير من عبء العمل ولها ينسب بعض الفضل فى إذاعة نتاج الذهن وإيصاله إلى متناول كل يد ، وإحداث الضجيج حوله ، والإعلان عن خطره . أولئك هم الوسطاء والتجار والناشرون . ففى فرنسا مثلاً ما يكاد يظهر كتاب جديد فى باريس اليوم حتى تجده فى صباح الغد معروضاً فى أصغر قرية من قرى الريف الفرنسى . ووسائلهم فى ذلك بسيطة أوجه إليها نظر تجار كتبنا الـكسالى المتواكلين . إنهم يعلمون أن الـكتاب لا يطلب عادة إلا فى المحطة عند السفر ، إذ هو خير أنيس فى وحدة القطار . فتراهم قد جعلوا فى كل محطة صغيرة أو كبيرة عربة يد صغيرة كتلك التى توضع عليها عندنا « البسطة » والفطائر والمأكولات . يعرضون عليها كل مستحدث من الـكتب ، ويعهدون بها إلى صبى يمر بها على الرصيف أمام كل قطار مار . هنا فى مصر توجد فكرة عرض الـكتب والمجلات فى المحطات ، ولـكن الذى يؤسف له حقاً هو أن مصلحة السكك الحديدية المصرية قد منحت هذا الامتياز لرجل رومى لا يعرض غير الـكتب والصحف الافرنجية ؛ لأن هذه المصلحة لا تنظر إلا إلى راحة المسافر الأجنبى والسائح الافرنجى ؛ أما نشر ثقافتنا فى أنحاء بلادنا على يدها فهو مشروع لم تفكر بعد فيه .

لذلك سيظل الأدب والفكر وكل ما يتعلق بالتثقيف الذهنى والروحى فى بلادنا محصوراً فى محيط محدود . توفيق الحكيم

أتريدون الحق أيها الجامعيون ؟

لقـد ضيعتم على أنفسكم فرصة عقلية لا تتاح فى كل يوم ، وهـذه الفرصة بدت طلائعها بحديث عميـد كلية الآداب وحديث شيخ الأزهر وشيخ كلية أصول الدين

وكان يجب اغتنام هـذه الفرصة : كان يجب أن نرى المصاولات العقلية بين الأزهر والجامعة المصرية . كان يجب على الأقل أن يكون الحـكم فى هذه القضية إلى مناظرة علنية تقوم فى قاعة الحفلات تحت رياسة مدير الجامعة المصرية

ولـكنكم أسرعتم ففصلتم فى القضية بالأيدى لا بالعقول .

ثقوا أيها الجامعيون بأن الحركة الفكرية فى حاجة إلى وقود ، وهذه المحرجات التى تثور من حين إلى حين هى أعظم باعث ليقظة العقول ، وأعداء هذه البدوات الفكرية هم من جيش الموت ، لو تعلمون .

أقول هذا وأنا أعرف أن المشكلة فُضَّتْ ولم يبقَ إلا حكم التاريخ .

ولـكن يؤذينى أن يكون للجامعة فى حياة العقل تاريخ يشبه تاريخ العنف فى أيام الظلمات .

أبو تمام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكري

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

والسائر من شعر أبي تمام لا يقل في الصفات التي تؤهله لأن يسير عن شعر المتنبي السائر . وترى كثيراً من هذا الشعر السائر في جميع أبواب شعر أبي تمام من مدح أو رثاء أو وصف أو هجاء، وله أبيات كثيرة تدل على بصيرة وفهم وذكاء، وأسباب السيرورة هي التوفيق في الصناعة والإيجاز والبيان والوضوح وسهولة اللفظ وقوة السيل الشعري المنبعث من النفس وسلامة الفطرة والذوق . ولأبي تمام أبيات صارت ملكا مشاعاً مثل قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ومثل قوله :

فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها سجية نفس ، كل غانية هند

وقوله :

ومن لم يُسَلِّم للنوائب أصبحت خلائقه طراً عليه نوائبا

وقوله :

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

وقوله :

وقد يستر الإنسان باللفظ خُلقه فيظهر عنه الطرف ما كان يستر

وفي رواية فعله (أي سبب فعله) بدل خلقه ؛ وقوله أيضاً :

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

وقوله :

وإني رأيت الوشم في خُلُق الفتى هو الوشم لا ما كان في الشعر والجلد

وقوله في تعزية الرثاء من قصيدة جليلة مشهورة :

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتؤجر أم تسلو سلوَّ البهائم

وقوله :

لذلك قيل بعض المنع أدنى إلى مجد ، وبعض الجود عار

وقوله :

ليس الغبيُّ بسيد في قومه لكنَّ سيد قومه المتغابي

وقوله :

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

وقوله وفيه روايتان في اللفظ :

ومن الحزامة لو تكون حزامة ألا تؤخر من به تتقدم

وقوله :

إن شئت أن يَسْوَدَّ ظنك كله فأجِلْهُ في هذا السواد الأعظم

يعني جمهور الناس . وقوله :

فصرت أَذَلَّ من معنى دقيق به فقر إلى فهم جليل

وقوله :

قد يُنْعِم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وقوله :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب

وقوله :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقوله :

سكن الكيد فيهمُ إنَّ من أعـ ظم إرْب ألا تُسَمَّى أريبا

وقوله :

فقد تألف العين الدجا وهو قيدها ويُرْجَى شفاء السم والسم قاتل

وقوله :

أنكرتهم نفسي وما ذلك الإنـ كار إلا من شدة العرفان

(تنبيه) : في مقالة (مهيار) صحة اسم الشاعر الفارسي الفردوسي لا الفيروزي .

إن كلية الآداب لها مهمة أعظم مما تظنون .

لا يراد من كلية الآداب أن تقف عند المحكيات في الشئون الأدبية والفلسفية ، وإنما يراد من كلية الآداب أن توقظ غافيات العقول ، وأن تخلق الفرص لوثبات الأخيلة والأحاسيس. فمن كان يظن أنه انتصر على كلية الآداب حين رجمها بالحجارة والطوب فليَنَم قرير العين .

أما كلية الآداب فمن حقها أن تعتز وتستطيل بأن يكون لها في حياة العقل تاريخ .

« مصر الجديدة » زكي مبارك

وإساءات ذى الإساءة يذكر نك يوماً إحسان ذى الإحسان

وقوله :

وقديماً ما استنبطت طاعة الخا لق إلا من طاعة المخلوق

وهذا البيت الأخير فيه إلمام بمذهب اللاحدة الذين يقولون إن الاعتقاد بالخالق فكرة إنسانية ولها نشأة بشرية فى قديم الزمن بسبب تأليه رب الأسرة ورئيس القبيلة فى العصور التى قبل التاريخ. على أن البيت يصح تأويله بما لا يخالف الدين. وقد طعنوا فى عقيدة أبى تمام بسبب تركه للصلاة والصوم وقوله فى المشاعر والفروض الدينية كلاما ، كما جاء فى كتاب مروج الذهب للمسعودى وفى غيره من الكتب . وقد طعنوا أيضاً فى نسبته إلى طى، وبعضهم صحح نسبته إلى طى وقال إنه نشأ فى فرع مسيحى منها ثم تظاهر باعتناق الإسلام ؛ وقد مدح الإسلام فى مدحه للخلفاء والوجهاء ووصف المسيحيين بالشرك والكفر وعبادة الأصنام كما قال فى مدحه المعتصم ووصف فتحه مدينة (عمورية) وإذا أردنا أن نحصى خلاصة الخلاصة من شعر أبى تمام لم نستطع أن نستغنى عن المدح ، وإن استطعنا الاستغناء عن المدح عند إحصاء خلاصة الخلاصة من شاعر كالشريف الرضى فإن شعر المدح فى صنعة أبى تمام يحبب إلى القارئ قراءة المدح حتى ولو كان ممن لا يميل إليه . انظر إلى قوله :

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً

أو قوله :

خدم العلى فخدمنه وهى التى لا تخدم الأقوام ما لم تخدم

أو قوله :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله[1]

أو قوله :

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

أو قوله :

غربته العلى على كثرة الأهـ ـل فأضحى فى الأقربين جنيبا

وله قصائد كثيرة نخمة حلوة فى المدح مثل قصيدته فى محمد ابن عبد الملك الزيات التى يقول فى مطلعها :

لهان علينا أن نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

أو الأبيات التى يقول فيها :

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا إن السماء ترجى حين تحتجب

وإجادته فى المدح إجادة يطول حصرها ، وهى ليست فى مدح الأحياء فحسب بل هى أيضاً فى مديح الموتى فى الرثاء مثل قوله :

هيهات أن يأتى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

أو قوله فى رثاء بنى حميد :

وانفس تسع الأرض الفضاء فلا يرضون أو يجشموها فوق ما تسع

يود أعداؤهم لو أنهم قتلوا وأنهم صنعوا بعض الذى صنعوا

عهدى بهم تستنير الأرض إن نزلوا بها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا

أو قوله من رثاء ابنى عبد الله بن طاهر : « نجمان شاء الله ألا يطلعا » إلى آخر القصيدة وهى من مأثور قوله وبها بيت يتمثل به كثيراً وهو قوله :

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

وقوله أيضاً فى مدح الرثاء :

فالماء ليس عجيباً أن أعذبه يفنى ويمتد عمر الآجن الأسن

وأكثر رثائه على هذا النمط : رثاء صنعة نخمة رائعة لا رثاء حرقة ولوعة ، ولا رثاء وجدان ؛ ومن أجل رثاء الصنعة قصيدته المشهورة التى يقول فى مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ولا ينقص من قدرها أنها من رثاء الصنعة فإن الشعر كالفاكهة أنواع ولكل نوع طعم ولذة . وله مع ذلك قصائد من شعر رثاء العاطفة والوجدان مثل رثائه لأخيه الذى أوله :

إنى أظن البلى لو كان يفهمه صد البلى عن بقايا وجهه الحسن

والقصيدة التى يقول فيها : « بأرانى لى خل مقيم وصاحب » ولكنه أحياناً تفيض العاطفة من رثائه كما قال فى رثاء جارية له :

(١) هذا البيت ينسب أيضاً إلى مسلم بن الوليد

يقولون لا يبكى الفتى لخريدة إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها
وهل يستعيض المرء عن عشر كفه
ولو صاغ من حر اللجين بنانها

فالتعليل يدل على الذكاء، ولكن ليس هذا رثاء العاطفة؛ وكان ينبغى أن تكون حجته منزلة الجارية من نفسه لا أن يضعها بمنزلة عشر الكف. ومثل هذا رثاؤه محمد بن حميد إذ يقول إنه رآه فى الحلم فسأله: ألم تمت؟ قال: لا... كيف يموت من كان كريماً مثلى كرمه خالد. وكان ينبغى أن يجعل المرثى أرفع من أن يقول هذا القول الذى كان يستطيع الشاعر نفسه أن يقوله فيه بدل أن يضع المرثى موضع المفاخر بكرمه وإنه لو كان حياً لكان حرياً به أن يرى من الكرم ألا يفتخر بالكرم والبيت هو :

ألم تمت يا شقيق الجود من زمن فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

ومن رثاء العاطفة قوله فى رثاء ابنه وكان وحيداً بدليل قوله (بنى يا أوحد البنينا) وهذه القصيدة هى التى مطلعها : (قد كان ما خفت أن يكونا) ولكنها ليست شيئاً إذا وضعت بجانب قصيدة ابن الرومى الدالية فى رثاء ابنه وهى التى مطلعها : (بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى) . وإذا قارنا بين غزل أبى تمام وبين أقواله فى المودة والإخوان وجدنا شعره فى الإخوانيات أكثر عاطفة ووجداناً وأعلى مرتبة فى الشعر مثل قوله :

من لى بإنسان إذا أغضبته وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبه وبسمعه ولعله أدرى به

أو قوله :

غصابة جاورت آدابهم أدبى فهم وإن فرقوا فى الأرض جيرانى
أرواحنا من مكان واحد وغدت أبداننا بشآم أو خراسان
ورب نائى المغانى روحه أبداً لصيق روحى ودان ليس بالدانى

أو قوله :

جليد على ريب الخطوب وعتبها وليس على عتب الأخلاء بالجلد

أو قوله :

وقلت أخ قالوا أخ من قرابة فقلت لهم إن الشكول أقارب
نسيبى فى عزمى ورأيى ومذهبى وإن باعدتنا فى الأصول المناسب

أو قوله :

خليلى ما ازددت طرفى ببهجة ولا انبسطت منى إلى لذة يد
ولا استحدثت نفسى خليلاً مجدداً فيذهلنى عنه الخليل المجدد

أو قصيدته فى على بن الجهم التى يقول فيها إن ودهما (عذب تحدر من غمام واحد) أو قوله :

وتكشف الإخوان إن كشفتهم ينسيك طول تصرف الأيام

أما غزله فكثير منه من قبيل التغزل بالغلمان وأكثره غزل حواس وليس به عاطفة عميقة أو وجدان. وأكثره مقطوعات صغيرة فى أغراض أكثرها بنت ساعتها ولعلها من عفو القريحة. هكذا أكثر غزله ولو أن به ذكر الدموع التى تحولت إلى دماء (إفنى صبرى واجمل الدمع دما) ، وذكر آلام الحب وحرقاته ولكنه ذكر لا يدل على شعور عميق كما يدل غزل العذريين ، ولا على وجدان كوجدان العباس بن الأحنف أو كوجدان الشريف الرضى . وله فى أول قصائد المدح بعض الغزل الرقيق ، وهو مولع بذكر محاسن أعضاء الجسم كالعيون والخدود ... الخ . أنظر قوله :

صب الشباب عليها وهو مقتبل ماء من الحسن ما فى صفوه كدر
لولا العيون وتفاح الخدود إذاً ما كان يحسد أعمى من له بصر

وكثير من غزله يشبه غزل أبى نواس ، ولعل هذا هو سبب ورود قصائد فى الغزل فى ديوانه وفى ديوان أبى نواس مثل التى أولها (قال الوشاة بدا فى الخد الخ) والتى أولها (أفنيت فيك معانى الشكوى) والتى أولها (وفاتن الألحاظ والخد) . ومما هو شبيه بالغزل فى قصائد المديح مما يستحسن الأبيات التى يقول فيها :

أذار البؤس حسنك التصابى إلى فصرت جنات النعيم

والتى يقول فيها :

يا موسم اللذات غالتك النوى بعدى وربعك للصبابة موسم

والتي يقول فيها :

أصبحت روضة الشباب هشيما ... وغدت ريحه البليل سموما

والتي يقول فيها :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحـــلام

وله في الغزل والوصف :

باشر الماء وهو في رقة الصنـــعة كالماء غير أن ليس يجري

خدش الماء جلده الرطب حتى ... خلتـــه لابساً غلالة خمر

أما قوله في المغنية الفارسية فمن عذب القول وهي قصيدة مطربة وهي التي يقول فيها :

ولم أفهم معانيها ولكن ... ورت كبدي فلم أجهل شجاها

وفي باب الوصف من شعره أشياء بلغت منزلة عالية من الجودة تجعلنا نأسف لقلتها ونود منها المزيد . ومن هذه القصائد وصفه لفتح عمورية ، ووصف السحابة في أرجوزتها المشهورة ، ووصف القلم في قصيدة يقول فيها : (لك القلم الأعلى الذي بشباته) وهو وصف مشهور أيضاً وهو من قصيدة مدح كوصف فتح عمورية . ومن وصفه أيضاً أرجوزة (إن الربيع أثر الزمان) ، ومنها أخذ البحتري قوله : (وجاء الربيع الطلق يختال ضاحكا[1]) . وأحسن قصائده في وصف الطبيعة قصيدته التي يقول في أولها : (رقت حواشي الدهر فهي تمرمر) وفيها يقول البيت المشهور :

تريا نهاراً مشمساً قد شابه ... نور الربى فكأنما هو مقمر

والنور الذي يحدث هذا الأثر هو النور الذي له لون ينفض من اصفرار أشعة الشمس كأن يكون لونه أبيض ، ولا يحس القارئ مقدار صدق هذا الوصف إلا عند المشاهدة . وله في وصف الخمر قصيدته التي مطلعها : (قدك اتئب أربيت في الغلواء)

وفيها يقول :

صعبت وراض المزج سيئ خلقها ... فتعلمت من حسن خلق الماء

وضعيفة فإذا أصابت فرصة ... قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء

وكأن بهجتها وبهجة كأسها ... نار ونور قيدا بوعاء

أو درة بيضاء بكر أطبقت ... حمـــلاً على ياقوتة حمراء

يخفي الزجاجة لونها فكأنها ... في الكف قائمة بغير إناء

ولهـا نسيم كالرياض تنفست ... في أوجه الأرواح بالأنداء

وقد أسقطت بعض الأبيات للاقتصار ، والبيتان الأخيران ينسبان إلى البحتري أيضاً في قصيدة له . ولأبي تمام إجادة في الهجاء وله فيه قصائد سائرة مثل قوله :

كم نعمة لله كانت عنده ... فكأنها في غربة وإسار

كسيت سبائب لؤمه فتضاءلت ... كتضاؤل الحسناء في الأطمار

وقوله :

مـا لو قسمن على الغواني ... لما جهزن إلا بالطلاق

فخلاصة الخلاصة من شعره لابد أن تشمل شيئاً من كل باب وهذا يدل على علو منزلته ومقدرته .

عبد الرحمن شكري

(١) في مقال عن البحتري سيشار إلى صلته الأدبية بأبي تمام . وقد أطال الآمدي في المقارنة بينهما في كتاب (الموازنة)

الأم فنانة عظيمة

للآنسة الفاضلة «الزهرة»

تقولين إن حياتك الزوجية مقرونة بالسعادة ، إلا أنك كثيراً ما تعقّبين على ذلك بقولك إن الهموم والمشاغل تعمل على إقصاء أسباب هذه السعادة حيناً ، وتفلح في القضاء عليها حيناً آخر ، وإن جلبة الأطفال وضوضاء ثرثرتهم وهذرهم وطياشتهم الصبيانية تجهد هذه الأعصاب التي أرهقتها من قبل واجبات واهتمامات عديدة تبهظ الذرع ، وتعيي الطوق ، وتزحم سوانح الفراغ النادرة ، وتجتاح نطاق الوقت الضيق . وكأنك تنسين أيتها الأم الفنية ، أن رجال الفنون الكبرى ، وهي الرسم والنحت وهندسة البناء والموسيقى والشعر ، كذلك كانوا يشتغلون ، وفي مثل هذه الحالات كانوا يجدّون ويعملون ، بل كأنك تجهلين أنك تفوقين هؤلاء الفنانين جميعاً ، لأن أعمالهم الفنية مجالها العالم المادي ، أما عملك أنت فمجاله رحاب الحياة البشرية بأسرها

ولعمري كيف لا يعرف العالم أن التحبب على الأمومة والتفطر لها ، يحقران شأنها ويقوضان سرادق مجدها ! وهل كان بركليس يطلب من الملأ الرحمة والرثاء لأنه بفضل جهاده ومصارعته الصعاب جعل لأثينا السيادة العليا في البر والبحر ، وصيّرها مجد العالم ؟ وهل كان ميكال أنجلو يصيح طالباً الغياث والنجدة مما عاناه مدة سنتين قضاهما مضطجعاً فوق ألواح خشبية مشدودة إلى السقف ليتمكن من رسم قبة معبد « السيستين » في الفاتيكان ؟ وهل كان رفائيل يسأل الناس الرأفة ، ويحمل من ينظرون إليه يستشعرون مسّاً من الشفقة عليه ، والتفجع لكفاحه الطويل المضني الذي جاءه أخيراً بصورة السيدة مريم العذراء وابنها الطفل ؟ !

إن كتب السّيَر لا تتوجع لجهاد أولئك الأقطاب ، ولا تتبعهم بإحساس جارٍ من العطف الباكي المحزون ، والحنو الذابي المستحرق ، بل إنها تتبين في صبرهم على المشاق عناصر رجولة نبيلة أبيّة أوغلت في ميادين العزم والشجاعة وعلوّ الهمة ، وغذّت مواهبهم بقوة الإرادة ، والقدرة على تذليل الصعاب ، فزادتهم بذلك فضلاً على فضل ، وأضافت إلى ظفرهم فلاحاً وعزّاً

ولكن هل تمكن المقارنة بين المواد التي يستخدمها الفنان لتدوين تعبيراته الفنية ، ورسم كل ما يقع تحت حسه من ألوان وظلال وأوضاع وانفعالات ، وبين ما تتناوله الأم من المعنويات السامية الزاخرة بالممكنات التي تستطيع هي وحدها أن تستشفها وتفسرها ، وتبحث في ثناياها عن أحب الأشياء وأنقاها ، وتمحصها على استغلال أشرف ما أودع في القوى البشرية وتروضها على التحلي بأكرم الأخلاق الإنسانية ، والتمسك بخير ما فيها من سجايا الطهر ، التي تنيل الحياة عمقاً واتساعاً ، وتكسبها نبلاً ومجداً وكرامة وسعادة

أجل . إني أراك في أحايين ، توسعين لنفسك مجال التفجع ، حين تجمجمين في الإشارة إلى المتاعب التي تلقينها في العناية بأسرتك الصغيرة ، والاهتمام بمطالبها التي تستنفد وسعك كله ، وتهدّك وتطيّر النوم من عينيك . ولست أنكر أن هذا الاهتمام يستنفد الجهد حقاً ، ولكن أليس محبباً إلى النفس ؟ وأي شيء يفيض على حياة الفرد جمالاً أعظم من جمال العمل الحيوي الذي يقتضي الاهتمام المستفيض ويستغرق الجهد المستطيل اللهوف على مساكه وقوامه ؟ وعملك من أعظم الأعمال في الحياة ، وما الذي يجعل للحياة قيمتها ؟ أليس هو شعور الفرد في كل صباح بأن مهمة خطيرة موكولة إليه ، وأمراً جليلاً موقوف عليه دون سواه ؟ وهذا الشعور يا سيدتي هو الذي ينبض بالاهتمام — الاهتمام الخالي من الهاجس والبلبال والتأرق ، والمفعم بإدراك أهمية الواجب والمسؤولية . وإنها لحياة حقيرة تلك الحياة التي لا نعرف فيها قداسة الواجب والجد لتحقيق غاية مجيدة ! بل إنه لوجود وضيع خسيس ، ذلك الوجود الذي يكون فيه الفرد منفعلاً بكل شيء فيه ، دون أن يكون لبعض شؤون الحياة الحق فاعلاً . أو ليس من دواعي الغبطة إذاً أن تعرفي قيمتك من هذا العالم الوسيع الرحيب ، ونصيبك من واجب الخدمة فيه ؟ بل أليس من دواعي الفخر أن توقني من أن لك أنت فيه حياة أعلى من هذه وواجباً أجل وأكرم ، وقد ائتمنتك الروح الكلية على أدائه .. فهل تبغين سواه ؟ أتريدين أن تقومي بإلقاء الخطب والمحاضرات ؟ أو أن تشغلي وظيفة في بعض المصالح والمؤسسات ؟ أو تكوني رسامة مجيدة تحبو الناس بقبسات باهرة من مخيلتها المبدعة ، وريشتها المبتكرة ، وروحها المقتبسة ، ونفسها الحساسة ؟ ومع ذلك فهل تخلو هذه الصناعات والوظائف مما يفرض العناية ويستلزم الاهتمام ، لو راعيت الأمانة والدقة في أدائها ؟ ولست أريد أن أنتقص من قدرها بما أذكره في صددها الآن وكلها جليلة

نبيلة تليق بأن تستغرق حياة مَنْ لم تنتدبهن السماء لذلك الواجب الأقدس ، أو مَنْ أكلن سى الأمومة المبرور ، وأحسنّ البلاء في تعهد الأولاد بالعناية اللازمة ، وهيأنّ من ريعان اقتبالهم ، وعنفوان شبابهم خير عدة للمجتمع !

هذا ولا تنسى أن رجال الفن يتخذون أداة عملهم الفنى من الجماد ، والجماد لا روح فيه ، ولا يملك من الاستجابات غير ما يشعر الفنانون أنه صوت العواطف والأفكار التى تدوى فى نفوسهم . أما أنت فإن مادة تعبيراتك الفنية معنوية حية ، تجيش فى خلاياها الكائنات الحية ، ويترقرق فى أغوارها ماء الحياة الناشطة ، ويقظة الفؤاد ، ودقة الفهم ، ولطافة الحسّ ، وقوة العقل . وفى كل يوم ترين ابتغاضتها ؛ فى كل يوم ترين الأغصان النامية التى تساعدينها على اتخاذ سمتها إلى النور والسماء ، وتستجيب لهاتف رعايتك وتثقيفك ، وفى كل يوم تتكرر مظاهر اتصالها بك ، إذ تلتفّ تلك السواعد البضّة حول عنقك لتحدثك عن حبها الساذج النقى ، وفى كل يوم تشنف أذنيك مراراً تلك النغمات الملائكية كلما نادتك قائلة : « ماما ! ماما » ! وفى كل يوم ينفخ إيمانُ تلك القلوب الغضة ، وثقتهم بما أوتيت من حكمة وخبرة ، روحَ الحياة فى قلبك . . إن الفنان يحكى الطبيعة ، وينقل ما يقع تحت حسه من صورها ، ويتخذ من مخلفات حياته الفنية صلة الحياة بما بعد وجوده الفانى فى عالم الزوال . أما أنت فتسلمين وديعة السماء السرمدية إلى الأرض ، وتخلدين نبتة الحياة التى تنتقل ثمارها من جيل إلى جيل ، وتتفتح أزهارها فى متلاحق الحقب ، ويدخر جصيدها الذهبى إلى ما وراء الأبد والبعث ... وتقدمين للوجود على يديك إثباتاً أكيداً لذات أوسع وأكبر ، وبقاءاً أشمل وأكمل ، وتمتحين الإنسانيه فوزاً متكرراً ، وذخراً يجدده بروز مواهبك فى الأمومة الرشيدة الحكيمة . وما جمال الفن ، وما مجد الفنان إلا بعض فضل الأم على كل متبكراتهما وروائعهما ! فهل تشتكين بعدُ من العناية بالبيت ؟ وهل تقولين إن الأطفال أيضاً يضايقون ويزعجون ! و ... و ... الخ . وزوجك العطوف ؟ إنه يحبوك بالنصح والتدبير والمشورة فى حيرتك وارتباكك ، ويسرّى عنك آلامك ، ويحضك إعجابه ، ويخصّك بحبه الذى تستمدين منه سنداً لضعفك .. وأمومتك نفسها توقظ فيه حنو الرجولة وتنبّه حنانها الشهم القوىّ ... فهل تحرصين على هذه العطايا أن تذهب بلا طائل ؟ أم هل تمدّينها من الالتزامات والضرائب المفروضة على الزوج ؟ أو لا تعرفين أيتها الحليلة الفتية الرائعة فى بحبوحة الدعة أن هذه الدعة هى خير ما تستطيع أن تتدفق عليك عناية الزوج المحبّ ؟ ألا تعرفين أيتها الأم الشابة المنعمة بالطمأنينة التى يبعثها فى نفسك شعورك بأنك توفرين أسباب الصحة والحياة لأولادك ، وتظلليهم بستر جناحيك ، وتجعليهم فى حرز حريز يصونهم من أحداث الزمن وسموم القدر التى تعصف بمن أذلهم اليتم ، وأخنى عليهم الحرمان والفقر ...

ألا خذى هذه العطايا البنوية الشاكرة والزوجية الواقية ولا تجحديها ... لأنك بهذا الجحود تحطمين أشرف عاطفة ، وتلغين أنقى رابطة قائمة على التفاهم والإخلاص ، وإدراك الحياة الكاملة ، والتوجه إلى ما فيها من حب وتعاون وشكران ... فتقبليها من يد الزوج الأبرّ القوىّ ، آية وفاء لحقوق تلك الشركة المقدسة التى ربطت بينكما ، وتعاهدتما على أن تلتمسا بها لحياتيكما أمناً بل زينة تنسيك أنت متاعب الفروض البيتية والعناية بالأطفال وتحيلها لذة ونعيما مقيما ...

هذه أمانىّ الراجية المؤملة أزجيها غير متجافية ولا متبجحة . وهأنذى أتطلع إلى ما توحيه إليك نفسك السمحة ، وينتهى إليه جهدك الجبار ، فإنها لعمر الحق برهانك الذى يباهى به جنسك هذا المجتمع بل الإنسانية قاطبة ، فاحرصى على أن تكون فلق الصبح المبين لمصرنا العظيمة . والسلام عليك ورحمة الله الزهرة

أعلام الأدب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

٤ و ٥ و ٦ — الأورستية

هذه هي الثلاثية الواحدة التي وصلتنا سليمة من إسخيلوس وقد أخذ كل مادتها من هومر ، وأجاممنون هو بطل حلقتها الأولى وباسمه تدعى ... والمأساة تبدأ من ذلك اليوم المشئوم الذي ضحى فيه أجاممنون بابنته إفجنيا حيث ذبحها لتتحرك الريح وتحمل الأسطول إلى طروادة كما مر بك في هوميروس ... فلما علمت زوجته كليتمنسترا — أم الفتاة — بما وقع لابنتها من الغدر ، ولم تكن تعلم بهذا التدبير من قبل ، بل قيل لها إنها ذاهبة لعقد قرانها على أخيل بطل أبطال اليونان ، ثارت ثائرتها ، واعتراها حال من الهم والحزن أخرجها عن إنسانيتها فأبعدت عنها كل معالم الحياة ... حتى ابنها الأوحد أورست لقد نفته بعيداً عنها ، وعاشت وحدها في قصر البلوبيد الرهيب ، واضطرمت في قلبها نار الحقد على زوجها القاسي ... ثم وصلت أسبابها بأسباب إيجستوس أحد ذوي الثارات على بيت أجاممنون ، فوافق شن طبقة كما يقولون، وألفت الترات بين قلبيهما فشاعت عن علاقتهما الشائعات .. ولما وضعت حرب طروادة أوزارها وعاد أجاممنون مع تلك الفتاة النبية ابنة[1] بريام ، دبرت له زوجته تلك القتلة المشئومة التي ذهبت بروحه وروح فتاته إلى هيدز

أما الحلقة الثانية الـ (خوافوروا) أو حاملات الخمر المقدسة فتقع حوادثها بعد ذلك بسنين عدة كانت الملكة وعشيقها يحكمان آرجوس طوالها ... فلما شب أورست استأذن ملك فوسيز في العودة فأذن له وصحبه صديقه بيليدز ... ووصل إلى مقابر آرجوس حيث وجد أخته إلكترا تصب الخمر على جدث أبيه لأن أمها رأت في المنام أنها تلد ثعباناً ثم تأخذه في حضنها ، فأرسلت بنتها لتصب الخمر قرباناً إلى روح أجاممنون ... ويعرف الشاب أخته فيعرفها بنفسه وتكون قد صلت للآلهة على ثرى أبيها أن ترسل إليها أخاها ، فتكون مفاجأة جميلة ، ثم يوصيها أورست بكتمان الأمر حتى ينتقم لأبيه ... ويدخل القصر في هيئة تنكرية فلا تعرفه أمه ، ثم يأخذ في سرد قصة فحواها أن أورست قد مات فتتظاهر الأم بالحزن ثم تدخل مخدعها ، ويدخل أورست وصديقه حجرة الأضياف ... وتذهب مرضعة لتدعو إيجستوس ليعلم ما قال الرسول عن وفاة أورست فما يكاد يصل إلى القصر حتى يسمع من الداخل وهو يصرخ ويجود بنفسه ... لقد قتله أورست !! ... وتهرع كليتمنسترا لترى ماذا حدث ، لكنها تعاجل بضربة شاطور (بلطة) فتتلفت فترى أورست عند جثة عشيقها ، وهي مع ذلك تنسى آلامها وتنحني فتبكي فوق جثة إيجستوس ... ثم يأتي أروع مشاهد إسخيلوس الدرامية ... فالأم حينما تعرف أورست لا تبالي الدم المتدفق من جرحها ، بل تكشف عن ثدييها وتعير الابن بكفرانه هذا اللبن الذي غذاه صغيراً ، ثم تنذره بملاحقة ربات العذاب إياه حتى ينتقمن منه على جريمة قتل الأم وهي أشنع الجرائم في الشرع اليوناني ، ويهتز أورست ، ثم تعروه نوبة من الجنون ، وتتراءى له ربات العذاب فيذعر ، ويفر من وجوههن ليحتمي بهيكل الإله أبوللو في دلفي .

وفي الحلقة الثالثة (يومنيدز) أو ربات العذاب ، يتعلق أورست بأستار هيكل أبوللو ضارعاً إلى إله الشمس أن يحميه، وتكون الكاهنة وسنانة فتستيقظ مفزعة مروعة ثم يظهر الآله أبوللو نفسه فيطمئن أورست ويشمله بحمايته ويأمره أن ينطلق إلى أثينا حيث يعرض قضيته على ربتها ميزفا (بالّلا أثينا) فيصلي أورست وينطلق إلى حيث أمره أبوللو وتبقى ربات العذاب فيدخل شبح كليتمنسترا وتأخذ في تحريض الربات فيتثنين قليلاً ثم يطردهن أبوللو . . . ويتغير المنظر فنكون في أثينا في هيكل ميزفا وقد تعلق أورست بأستار المذبح وقد أخذت تنوشه ربات العذاب فتبدو ميزفا وتذودهن عنه ، ثم تستمع إلى شكواه . ويكون في المعبد جماعة من المحلفين وينهض الآله أبوللو ليؤدي شهادته ويدلي برأيه فيقرر أن الإنسان ينتسب إلى أبيه لا إلى أمه ؛ ولذا فهو مرتبط بوالده قبل أن يرتبط بوالدته . . . وبعد أن تسمع ميزفا إلى آراء الآخرين تنهض هي فتعلن رأيها ثم تجلس وتأخذ المكلفون في (فرز) الأصوات وتكون النتيجة متساوية بغير ترجيح فيحدث شيء من الهرج في قاعة العدالة وتبرم ربات

(١) اسمها كاسندرا

العذاب لتدخل أرباب أقل منهن مرتبة في أخص أمورهن، فتنهض ميترفا وتأخذ في تلطيف سورتهن بنصاحتها المعهودة وتهتف بهن «أن أسمى واجب الآلهة هو نشر السلام بين بنى الإنسان!» وتمدهن بإقامة مأوى عظيم لهن في هضبة إيرس فيهدأن ويحتفى الجميع بذهابهن إلى مأواهن في حفل رهيب.

هذه هي أرفع درامات إسخيلوس بل أرفع درامات الأدب اليوناني إذا استثنينا درامة بروميثيوث للشاعر نفسه ... وقد سخر فيها الشاعر بهذه الشريعة العجيبة التي تنافى العدالة المطلقة التي جعل لها الفوز والغلبة في النهاية ... وكان إسخيلوس ماهراً في تلك الدرامة إلى آخر حدود المهارة فقد استدرج اليونانيين حينما أراد إصلاح وجهة نظرهم إلى تلك الأغوال التي يدعونها ربات العذاب حتى جعلهم يؤمنون أنها ينبغي أن تكون لخير الإنسانية لا لذعرها، ولنشر السلام لا لتعميم الذعر والأذى. وهكذا استطاع إسخيلوس أن يبشر بدين جديد من دون أن يحدث ثورة، وكان جل إيمانه بسيادة عليا تهيمن على الكون وتسير به إلى الكمال كما سنرى في بروميثوث

٧ — بروميثوث:

أخذ إسخيلوس موضوع ثلاثيته من أسطورة بروميثوث الخالدة وتتلخص فيما يلي:

بعد أن فرغ إيروس (كيوبيد) من توشية الأرض وزخرفتها بالنبات، عمرها بالحيوان، ثم دعا إليه الإلهين بروميثوث وإبيمتوث ليخلقا فيها حيواناً راقياً تكون له السيطرة على سائر صنوف الحيوان ويسمياه (الإنسان). فلما صنعاه سألا إيروس أن ينفخ فيه أنفاس الحب (روح الحياة) كما سألا ميترفا أن تنفخ فيه من روحها (روح الحكمة). فلما دبت الحياة في هذا المخلوق العجيب زهى بروميثوث وشاعت فيه الكبرياء واعتزم أن يهدى إلى الإنسان منحة جزيلة تفتح له أبواب المدنية وترقى به في مدارج الحضارة ... وكانت النار إلى ذلك الحين حقاً خالصاً للآلهة وكان لهم دون غيرهم (امتياز) استعمالها، فاعتزم بروميثوث أن يسرق إلى الأولمب ليحضر للإنسان جذوة من النار المقدسة فأحكم تدبيره وتغفل سيد الأولمب (زيوس) وسرق الجذوة ثم آب إلى الأرض دون أن يشعر به أحد ... ومضى حين من الدهر، وتلفت زيوس من عليا سمواته فشهد النار تتأجج في أطراف الأرض فهاج هائجه، وأقسم ليعذبن السارق عذاباً شديداً. ويعرف أن السارق هو بروميثوث فيأسره ثم يذهب به في أقل من لمح البصر إلى جبال القوقاز حيث يقيده ويربطه بسلاسل وأصفاد في قمة جبل هناك ويسلط عليه باشقاً من جوارح الطير فيظل ينهش كبده نهشاً شديداً ... وهنا يبدأ إسخيلوس الحلقة الأولى من درامته .. فهذا بروميثوث مصفداً بالأغلال صابراً لأنكى ألوان العذاب، ينهش الباشق كبده نهاراً ثم ترقأ جراحه ليلاً وتنمو الكبد، فإذا أصبح عاد الباشق إلى نهشه وتمذيبه وهكذا دواليك .. لكن بروميثوث إله فهو لا يموت، ثم هو لا يقهره هذا العذاب بل هو يصبر له في سبيل سعادة الإنسان الذي خلقه وحضره وجلب له النار وعلمه الفنون، والإنسان مع ذلك شاكر له ذاكر أياديه فهو يصلى له ويقنت، والفتاة يو البائسة المعذبة التي سلطت عليها حيرا زوجة سيد الأولمب هذا الوحش الفظيع آرجوس والذبابة المؤلمة تلدغها وتسومها من العذاب ألواناً ... ها هي ذي واقفة بجانب بروميثوث تواسيه وتتوسط له عند التيتان ليستغفروا له سيد الأولمب فلا يغفر له، لأنه قوى مجنون ليس في قلبه شفقة ولا يعرف فؤاده العدالة ... ويصبر بروميثوث ثم يصبر، ولا يرضى أن يخذل الإنسان لأن الإنسان يصلى له ولا ينى عن عبادته ... وفي الحلقة الثانية يذهب هرقل بن سيد الأولمب في إحدى مجازفاته فيشهد بروميثوث مصفداً في قنة الجبل والطير تنهش كبده، فينقض على الباشق الجارح ويقتله، ويرد إلى بروميثوث حريته. فينطلق هذا الإله الطيب ويلقاه الناس مسبحين بحمده فرحين مستبشرين ... وفي الحلقة الثالثة (بروميثوث حامل النار) يصف إسخيلوس احتفاء الأثينيين بالإله الذي ضحى نفسه واحتمل الآلام في سبيل الإنسان

هذه خلاصة سريعة لأعظم درامات إسخيلوس، وبروميثوث هي درة فلسفية أعجب بها الشعراء في كل العصور، وقد عارضها شللي الشاعر الإنجليزي بمنظومة رائعة جرى بها في أذيال إسخيلوس ... وقد كان إسخيلوس لاذعاً في هذه الدرامة، فقد سخر بهذا الإله المتغطرس زيوس الذي كان يكره الإنسان ويناوئه ولا يريد له الخير الذي أراده له بروميثوث. وجماع فلسفة إسخيلوس في هذه الدرامة أن القوة التي تهيمن على هذا العالم يجب ألا تكون قوة مجردة لا عقل لها، بل يجب أن تتضافر القوة والحكمة بحيث لا تعلى إحداها على الأخرى لخير الإنسانية وعمار الكون،

فإذا اختل التوازن بينهما لم يصح أن تكون هناك آلهة .. إذ كيف يكون إلهاً ذلك الذى يعذب إلهاً آخر (بروميثيوث) ثلاثين ألف سنة ؟ بل كيف يكون هذا الإله عاقلاً ؟

وبعد ، فلقد كان إسخيلوس يحتقر الديانة اليونانية ويعرف أنها أضغاث، وقد احتقرها من يوم نبوءة دلفى التى أمرت اليونانيين بأن يستسلموا للفرس لأنهم لا يغنون عن أنفسهم من شرهم شيئاً. فلما انتصر اليونانيون آمن إسخيلوس بإله عادل يسيطر على الكون ويقهر الظالمين ، ويرعى الضعفاء ، فلم يأل جهداً بعد هذا فى هدم هذه الآلهة الكثيرة التى خلقها السلف ووقع فى عبادتها الخلف عن جهالة وغباء

هذا هو إسخيلوس الدراسى الأول ، فلعل دراسته تمنعنا من الإسهاب فى تاريخ من يليه من أدباء اليونان

دريني خشبة

من ذكريات لندن

حرية ...!

للأستاذ عمر الدسوقى

مضى الشتاء متثاقلاً متلكئاً بعد أن أطلق لشياطينه العنان ، تعبث بالأرض عبث الوليد بخذروفه ، وتجوس خلال الديار بوجوه مقطبة مكفهرة ، تتوارى منها ينابيع الجمال والرحمة هلماً وفرقاً ؛ وتلفح أنفاسها الأوراق النضرة فتذوى ، وأوراق الدوح فتساقط عصفاً مأكولاً ؛ وتزفر زفرات مرت على زمهرير سقر ، حتى تنتفض لها الدنيا ، وتنكمش فى أبرادها وتسرى فى أوصالها رعدة القر ، وقشعريرة الحمى البرود ؛ أو ترسلها ضباباً أسود بشعاً ، يملأ فجاج الأرض ، تطرف منه العيون وتدمع ، وتغص به الحلوق وتشرق ، وتسيل الأنوف وتنتفخ ، وتسعل الصدور وتنقبض ؛ يحجب الشمس ، ويعطل الحياة ، ويحيل السبل سراديب مدجنة يرتطم فيها الأحياء بالجمادات وهم يتحسسون طريقهم ، وتتراءى فيها الجمادات مردة طليت بالقار ، أو اشتملت بمسوح نسجت من أديم الليل البهيم ؛ أو ترسلها ريحاً زفوفاً مزمجرة ، تهز الأرض هزاً عنيفاً ، وتزأر زئيراً منكراً كئيباً ، يصم الآذان ، ويرجف الأفئدة ...

حتى إذا خالت الشياطين أن الدنيا قد هلكت رعباً ، وخالت جثة هامدة باردة ، وأشلاء ممزقة مبعثرة ؛ دفعت بالثلج كفناً أبيض يتراكم كسفاً ، ويجلل الأرض بقطع بيضاء هشة ، كأنها زبد الموج الصاخب ، أو شعر عجوز شمطاء اجتثته وهى مغيظة محنقة ، أو العهن المنفوش ، أو القطن المندوف

ثم حشدت فيلق المزن فى عنان الجو ، ترتدى خبر الحداد ، وتبكى وتنتحب ، وتجهش بالعويل ، فتسمع لها شهيقاً وزفيراً ؛ وتسكب الدمع مطراً هتوناً تسقط حباته على الأرض كأنها نقرات الدفوف ، أو عصا جبار ينكث الأرض موجدة وغيظاً ، أو حجرات مسلم متعبد يرجم الشيطان بمنى ؛ ثم تزدحم به الأودية فيطغى ويكتسح كل ما يعترض موكبه المائج وتياره اللائج

وها قد نفخ الشتاء فى بوقه ، فحشرت إليه شياطينه من كل فج ، وولى مشيعاً باللعنات ، وطفقت حرارة الحياة تتمشى فى أطراف الدنيا ، فتنهض الطيور الهاجعة ، وتتثاءب البراعم الوسنانة ، وترقع الرياض ما بلى من كسائها بالحشائش الحواء ، وتوشيه بالأزهار اليانعة العبقة الشذى

وها هى ذى ذكاء تبرز صفراء عليلة ، غب احتجابها الطويل ، ثم تتوارى فى خدرها بعد هنيهة ، ثم تبدو أثبت قدماً وأربط جأشاً . وتحاول السماء أن تتجرد من ثياب الشتاء القاتمة الغليظة ، فتمزقها إرباً إرباً ، فتظهر أجزاء من أديمها الأزرق الصافى خلال بردها المهلهل الخلق

وهرع أهالى لندن إلى العراء ليشهدوا آخر معركة بين التوأمين الربيع والشتاء

وجاءتنى ربة الدار فرحة متهللة ، مشرقة الطلعة ، كأنما نفث الربيع فيها من سحره ، فغدا وجومها بسمات ، وحديثها ضحكات نجيت تحية كأفواف الزهر ، ثم تغنت بفتنة الطبيعة فى ديارها إبان الربيع ، فحسبتها قمرياً يرجّع على فنن دوحة تميس فى الحبر السندسية البديعة ، أو مزهر عازف يوقع أنشودة الجمال الرائع ؛ ثم قالت :

— حذار أن تظل حلس بيتك فى مثل هذا اليوم النادر ،

فسرح الطبيعة عندنا جم الناظر ، تارة يلفظ شواظاً من نار فتتبع المخلوقات فى دورها ، وتارة يبتسم ابتسامة الرضا فينسى الناس فترات تجهمه ، فيعدون إليه بقلوب يستخفها الطرب ، ويتملكها العجب . إن أشعة الشمس فى بلادنا نفيسة كالذهب الوهاج ، يتهافت عليها الناس ويدخرونها لأوقات يربدّ فيها وجه السماء ، وما أكثرها حتى فى هـذا الفصل الذى تخطر فيه الدنيا فى حلة قشيبة من النور ، وتتنفس فيه الرياض عبير الأقحوان الندّ ، والياسمين والورد

— لقد حدثتِ فأطربت ، ووصفت فأطنبتِ ، فهل لك أن تهديني إلى أى الحدائق أبهج للفؤاد ، وأجلى لصدى النفس ، وأمتع للنظر ؟

— إن لندن يا سيدى مدينة تزخر بألوف الألوف من البشر ، مترامية الأطراف ، واسعة الجنات ، فسيحة الرقعة تتمثل فيها الحياة الناملة المجدة ، والحركة الدائبة النشطة فى أوجها ؛ ترى قُطُر الكهرباء تجرى فيهـا رائحة غادية ، فى سراديب تحت الأرض ، وعلى قضب فوقها ؛ وترى أسراب السيارات تجوب أرجاءها ألوفاً ألوفاً ، فمنها ذوات الطبقتين كأنها بواخر تمخر عباب اليم ، ومنها القميئة التى تنساب فى الطرقات انسياب الصِّلال وسط الأحراج والأدغال ؛ والناس فيما بين ذلك يهرولون زرافات ووحداناً ، كأنما الحياة الدنيا قد أفلست وعرضت ذخائرها ، وهم إلى الغنيمة يهطعون ولهم ضجيج يفزع الكواكب فى مسابحها ، والشياطين فى معاقلها

وحرى بنا ونحن نتنفس هواء قد أفسدته الصناعة ، وأنفاس الخلق ، أن ننشىء الرياض العريضة الرحبة ، نخططها البحيرات الجميلة الجذابة ، ففيها نستجم من نصب العمل والحياة المضنية ، وإليها نهرع إذا ضاقت صدورنا ، وكادت أرواحنا تزهق من حر أنفاسنا . ولكل روض خاصة : فإذا نشدت الهدوء والعزلة ، والمنظر الخلاب البهيج، فدونك «الريجنت» ؛ وإذا شئت أن تدرس طباع الشعب عن كثب ، وتشهد صراع الفكر ، وخطباء النّدى ، والجموع الغفيرة ، والحرية المطلقة ، فدونك « هايدبارك » ؛ وإن كنت مولعاً بالتلال المعشبة ، والربى الخضراء ، والوهاد الفسيحة ، والطبيعة الساذجة الغفل التى لم تصقلها يد البشر ، فاعمد إلى « هامستدهيث » ؛ وإن كنت مغرماً بدرس النباتات وأنواعها المختلفة وأشكالها المتباينة ، فعليك بحدائق « كيو » حيث يمثل فيها نبات الدنيا جماء . وهناك رياض أخرى لا تقل رونقاً وبهاء وحسناً ورُواء عما ذكرت

— لقد شدت — يا سيدتى — بمدينتك فخورة مُدِلة ، ولا غرو ، فأنتم أمة لم تنس نصيبها من متع الدنيـا وزخرفها . فها هى ذى لندن ، قد تجلت فى مبانيها سلامة الذوق والانسجام البديع ، وحفت طرقها بالأشجار ، وزينت منازلها بالحدائق الصغيرة سيان فى ذلك بيت الأمير وبيت الحقير . وإنى لنصيحتك جدُّ مطيع ، ولك منى ثناء عطر جزاء وفاقاً على ما أتحفتنى به من حديث ممتع طريف ؛ فعمى صباحاً ، وإلى اللقاء ...!

ذهبت إلى « هايدبارك » وهأنذا أجُّ ساحتها المزدحمة

يا عجباً ! هنا منابر وخطباء ، وهنا جموع محتشدة تنصت وتنتقد وتجادل وتسخر وتمجد ؛ وعلى كل منبر رَق مرقوم ، يفصح عن الفكرة التى يدعو إليها الخطيب أو ينافح عنها . والناس يتنقلون من حلقة إلى أخرى كأنهم زُمَر النحل ، تقتطف من كل زهرة قطرة ؛ حتى يقعوا على ما يَلَذ لهم حديثه ، فيرهفون السمع ويعملون الفكر ويجادلون المتكلم أحرَّ جدال

هاك شيوعياً يبسط للناس مبادئ عقيدته ، ويلوم فى حدة وسلاطة وعنف ، هؤلاء الذين اكتنزوا الذهب والفضة واستعبدوا بهما الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؛ وأخذوا ينعمون بأطايب الحيـاة ، ويبعثرون النضار فى سبل الفسق ، بينما يَغَص المجتمع بقوم يبيتون على الطوى ويندبون جدَّهم العاثر ، وزمنهم النادر . ويدعو بكل ما أوتى من ذرابة لسان ، وشجاعة جنان ، إلى تقسيم الثروات حتى يتساوى الناس فى الشقاوة والسعادة ، والغنى والفقر

وهاك اشتراكياً لا يشتط كتربه وإنما يطلب — كما يقول — العدل والرحمة ، والرفق بمن يكد ويكدح لينعم سيده ويقوى بمن يذوى شبابه ، ويراق دمه ، ويَضنى جسمه فى المصنع والحقل ؛ ليقدم للإنسانية عدة الترف والبـذخ ؛ مفنداً فى لباقة وطلاوة حديث ما يتصدى له الشيوعى من دعوة ترى بالعالم فى أحضان التهلكة والدمار ؛ وكيف يُسَوَّى بين الذكى والغبى ، والشجاع

والرعديد، والقوي والضعيف، والجاد والخامل ... ؟ وهل الحياة الدنيا سوى كفاح وجهاد، وصراع وجلاد، يفوز فيه من قويت مُنّته، وحسنت عدته، ودأب على العمل لا يكل ولا يمل .. ؟

ثم يعرج على أزمات الأمم في عصرنا هذا، وأنها نتاج استبداد الأغنياء بالفقراء، ولو رعى الأول حقوق الثاني لأخلص الثاني في خدمة الأول ولاستقام العالم وعاش في بُلَهنية ووفاق. ولم ينس أن يُصيِّب ذنوباً من ألفاظ السباب على الحكام المستبدين وتظلمهم لحرية الأفراد، وتسخيرهم الأمم لإشباع مطامعهم

وهناك يهودياً يبكي ويستبكي، ويناشد القلوب الرحيمة والعقول النبيلة، أن تنصف شعب الله المختار، الذي كتبت عليه الذلة والمسكنة، والذي طارده الحكام المستبدون في كل بقعة عقد لهم فيها اللواء، وكتب الظفر، فبات شريداً طريداً، خالي الوفاض، كسير القلب، مهيض الجناح. ويقول: إننا قطعة من الإنسانية المعذبة، وأنتم يا أبناء التاميز قد رُبيتم على البر بالمحروم، والنصفة للمظلوم، ولا نطلب منكم سوى ديارنا التي كنا نقطنها منذ ألفي سنة، وما تركناها إلا قسراً وقهراً؛ جودوا لنا بفلسطين، نحيلها جنة من جنان الخلد، ومعقلاً أميناً يصد كل من تحدثه نفسه بالتعدي على طرق الامبراطورية العتيدة. ينفذ بمثل هذه العبارات إلى أفئدة الناس فيأسرها، ويستدر دمعهم، ويكسب عطفهم.

وهناك قسيساً، قد ارتدى مسوحه، ووقف في وقار وتزمت ينادي القطعان النافرة من حظيرة الكنيسة: أن ارجعوا إلى باريكم، فالباطل لا يغني من الحق فتيلا، وأن لكم في طمأنينة الروح عوضاً عن فقدان المادة، وأن الحياة الدنيا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً؛ يدعها الإنسان وحيداً إلا مما قدمت يداه، فلا مال ولا عتاد، ولا جاه ولا سلطان والآخرة خير لكم وأبقى

وهناك امرأة، قد تملكتها نزعة صوفية، فبرزت في أسمال وأطمار وطفقت ترفع عقيرتها منشدة الأغنيات الدينية فتجتذب إليها جموع الناس، ثم توسعهم لوماً وتأنيباً على تقصيرهم في حق المسيح، حتى إذا انفضوا عنها ضاحكين هازئين عادت تغني مرة أخرى.

وهناك ملحداً يسفه الشرائع والأديان؛ وهناك عالماً يشرح للدهماء أصول علم النفس وقوانين الاجتماع.

وهناك حبشياً يثير حماس القوم ضد القوة الغاشمة، والأمة الظالمة، ويلجأ إلى سجايا الانجليز الكريمة، وأريحيتهم ومروءتهم وتقديسهم للحرية ألا يدعوا وطنه يذهب نهبة لأطماع الاستعمار، وقرباناً على مذبح الغدر بالعهود والحنث بالذمم.

وهناك سفسطائياً يبرهن على أن الانجليز هم «شعب الله المختار» لا بني إسرائيل، وأنهم أولى الناس بحكم العالم.

وهناك نازياً، يبرق ويرعد، ويتهدد ويتوعد، ويهدر كالسيل الجارف، ويغزو الديمقراطية في عقر دارها، ويرميها بالتفكك والانحلال، والضعف والفساد؛ لاتباعها أوهاما وخزعبلات، وتعلقها بمثل لا تغني أمام جبروت المدفع شيئاً؛ ولما لأوشاب الناس فيها من أيد وقوة، فيتخلف عن دست الحكم ذو الرأي الرشيد، ويطفر إليه من لا يقيم للأمور وزنا؛ ويرمي المجالس النيابية بأنها ميدان للثرثرة وقتل الوقت، ويقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا

يا قوم، ألقوا أعنة أموركم ليد مصلحة سديدة، ففي ذلك العزة والمنعة، والعدل والمساواة، طهروا دياركم من اليهود الذين امتصوا دماءكم وأنتم في غفلة ساهون. ألم يسيطروا على صحفكم ويوحوا إليكم بما تعتقدون؟ ألم يخضعوا المسرح والخيالة لسلطانهم المالي، ويعرضوا عليكم ما يشاءون لا ما تريدون؟ ألم يغتصبوا ينابيع الثروة منكم، ويصيروكم قبلة مأجورين؟

إن آفات المجتمع — يا قوم — تجد المرعى خصباً ممرعاً، في ظل الديمقراطيات؛ حيث يتغنى الناس باسم الحرية فتوزع جهود الأمة، ويتفرق الناس شيعاً، ويُشغلون بالحزازات الحزبية عن السير في طريق الإصلاح والفلاح

راعني، وأيم الحق، تلك الحرية العجيبة، وكيف أن عقول الناس في هذا البلد، تصغي إلى كل هذه المبادئ المتباينة ولا تتأثر بها، وكيف أن حلمهم يسع كل هذه الطعنات في أنظمتهم وعقائدهم وآرائهم. ولو كان هؤلاء الدعاة في أمة أخرى غير انجلترا

زجوا فى غيابات السجون ، أو حزت ألسنتهم أو قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف لما ينفثونه بين الناس من سموم ، وما يريدونه من شر بالحكم ونظامه والمجتمع واستقراره

تركت تلك الجلبة الصاخبة ، وأخذت أجوب الحديقة ، فشاهدت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ رأيت الفضيلة تذبح فى معبد الشهوات ، والناس لا يتورعون عن الفاحشة تحت شمس الضحى ، وقد عادوا أشبه بالضوارى فى أدغالها ، لا قانون ولا نظام ولا حرمة ولا حياء . انتهكت الأعراض علانية ، ووطئت المكارم طواعية ؛ ولم يرتفع صوت يهيب بهم : أن رفقاً بمبادئ الإنسانية والشرائع الدينية ، والمثل الخلقية

بل سمعت أدهى من ذلك وأمر ، أعنى حماية رجال الشرطة لكل من فى الحديقة ، والضرب على يد كل من يتصدى لهم واعظاً أو مبكتاً ، وأن الحديقة حرم يأوى إليه كل من يريد أن يفرج عن نفسه أو يطفئ نار شهوته ، أو يفوه بما يعد جريمة فى مكان غير هذا ؛ وأن الشعب هنا يسير على سجيته وفطرته ، فلا يتقيد بعرف أو نظام ، بل يتمتع بالحرية المطلقة

فقلت : رحماك ربى ، إن هذه أعجوبة العصر ... !

ثم سألت شرطيًّا : أيتاح لى أن أعتلى منبراً كهؤلاء الخطباء؟

— ولم لا ؟ ما عليك إلا أن تستأجر منبراً وتقول ما شئت ، وإن استجاد الناس حديثك استمعوا لك ، وإن لم يلذ لهم انفضوا من حولك

تركته شاكراً متعجباً ، وقد عقدت العزم على أن أدحض باطل هذا الدجال الصهيونى الذى يفترى على الحق ، ويملى كلة الزور والبهتان ، ويدعى وطناً ليس له بحق عربى مبين ؛ وقلت لنفسى : ما دام للدهماء فى هذه البلاد كلة وسلطان فجدير بى أن أسمعهم صوت فلسطين العربية

ثم عدت وزمرة من لداتى أبناء العروبة ، نتبارى فى تبيان قضية العرب العادلة ؛ وكانت ملحمة حامية الوطيس بيننا وبين الصهيونيين ، سأرجئ وصفها إلى حديث آخر إن شاء الله

عمر السمرقى

وليم بتلر ياتس

WILLIAM BUTLER YEATS

الفنان الذى أوجد لأمة أدباً

١٨٦٥ – ١٩٣٩

للأستاذ عبد الكريم الناصرى



— ١ —

فى الثامن والعشرين من شهر فبراير ، وفى روكبرون من كاپ مارتن من أعمال فرنسا ، فقدت أرلندا وفقد معها العالم عبقرياً من النسق الأعلى : وليم بتلر ياتس ، زعيم حركة « الإحياء السلتى » وعميد الأدب الأرلندى ، وشاعر أرلندا الأكبر ، ومؤسس مسرحها الأول ، وخالق نهضتها الأدبية والفنية ، وعميد المذهب الرمزى فى الأدب الإنجليزى الحديث ..

كتب النقادة « روبرت لند » بعد وفاة ياتس يقول : « ما كان الفقيد فناناً عظيماً فحسب ، وإنما كان إلى ذلك رسولاً عظيماً من رسل الفن ؛ جعل حياته فى سبيل خلق حركة أدبية ومسرحية أنزلت أمته أكرم المنازل بين الأمم »

ولعل أغلب الذين رأوه فى صدر شبابه ورأوا ذلك الشعر

الأسود الفاحم وتلك « الربطة » المضطربة وتلك اليد الشاحبة ، لم يكونوا ليروا فيه إلاّ أخا خيالات وأحلام لا قدرة له على عمل ولا صلاح فيه لتنظيم.

بيْدَ أن « يايتس » كان يشتمل على طاقة روحية وقوة حماسية لا حدَّ لها ، وكان في الوقت نفسه « عملياً » لا يقل عن غيره من أهل التنظيم والإنشاء ، والمعنيِّين بمسائل الجمعيات وإدارتها ، حدّة ذهن وسرعة خاطر » — « وإذا كان (البعث الأرلنـدي الأدبي) حدثاً من أشهر أحداث زماننا هذا فإنه إلى حماسة يايتس ودعايته ينبغي أن يُوجّه أكثر المدح والثناء[1] »

— ٢ —

ولد المستر « وليم بتلر يايتس » في « سانديماونت » من « دبلن » في ١٣ يونية سنة ١٨٦٥ ؛ وكان أبوه مصوّراً معروفاً وكان جدّه لأمّه تاجراً قديراً . أُدخل وهو ابن تسع « مدرسة غودلفين » بلندن ، وحين بلغ الخامسة عشرة دخل « مدرسة إراسموس سميث » . ثم دخل الجامعة وتخصّص في التصوير ، ثم انصرف إلى الشعر . وكان في العشرين حين نشر في « مجلة جامعة دبلن » أولى قصائده وهي « جزيرة التماثيل »

***

ويايتس نفسه يصف انصرافه إلى الشعر بأنه أكثر من استجابة لدافع من الطموح الشخصيّ « فما كان موضوع أحلامه يومئذ » كما يقول النقّادة فورست ريد « بأقلّ من خلق أدب لارلندة كامل . ففي تلك الأحلام تستقرُّ بذور (الحركة الأرلندية) الحديثة؛ ومع أن فكرة إنشاء مسرح قوميّ كانت لا تزال بعيدة ، فإنها هي أيضاً لم تك إلا تطوّراً لطموح غلام لا يتجاوز العشرين »

كيف استطاع ذلك الفتى الصوفيّ الحالم ، الذي كان فيما روت أديبة ناقدة في كتاب لها عنه عنوانه : « ذكريات خمس سنين » يظلّ ساعات من النهار يقرأ الشعر ، ويترنم به في زاوية من الدار وهو في شبه غيبوبة ، ولا يتذكر الجوع أبداً إن لم يذكَّر به ؛ أو ينهضُ في الهزيع الأخير من الليل ليقضي ما تبقى منه في الغناء والإنشاد ، والذي كانت الزاوية المذكورة تسلمه الرسالة ليُلقيها ، وهو الطيع أبداً في صندوق البريد ، فيتناول الرسالة ويضعها في سلة عظيمة ، ويحمل السلة إلى دار البريد ، والرسالة المسكينة تعلو وتنخفض ، وتقوم وتقعد هنالك! والذي اتفق له مرّة أن كان واقفاً

(1) Lynd, «John O'London», Feb., 10, 1939.

وهي إلى جانبه على الرصيف في الليل ، ينتظران عربة ، والمطر ينهمر مدراراً ، والطريق موحل ، والماء إلى الركب ، فتذكر قصيدة شلي الطويلة : « النبْتة الحساسة » . فاندفع يصب الشعر في أذنيها وقد مالت المظلة التي كانت بيده بحيث لا تقي أيًّا منهما ! والذي شاهده أحد أصدقائه الشعراء مرّة يرسم صورة لغابة أمامه ، في وهج الظهيرة ، والشمس تذيب الصخور ؛ فلما دنا من الصورة ، وجد المشهد هو مشهد الغابة ولكن الألوان ... هي أشعة القمر !

أقول كيف استطاع هـذا الشاعر الصوفيّ الحالم الذي ما سقنا الأمثلة السابقة من حياة صباه إلاّ لنبيّن أنه ذاتيٌّ منطوٍ على نفسه ، أن يتزعم الجمعيات الكبرى ، ويترأس حركة قومية وأدبية فنية تعدُّ « من أشهر أحداث زماننا هذا ؟» لست أدري؛ فذلك سر من أسرار العبقرية والوراثة.

ولكن الذي أدريه أن حياته كانت سلسلة باهرة من الفتوح « يتضح مَداها » كما يقول المستر روبرت لند ، « لكلِّ مَنْ يقارن بين مركز الأدب الأرلنديّ في اللسان الانجليزي قبل أن يبدأ يايتس في الكتابة والنظم ، وبين مركزه عند وفاته . لقد كانت ارلندا قبل يايتس لا وجود لها على خريطة العالم الأدبية ، ولكنها بقيادته أضحت مثوى للعبقرية . فليس لأديب من أدباء هذا العصر أن يفخر بعمل أجلَّ من عمله وأبرز »[1]

— ٣ —

لقد التقت في « يتس » تأثيرات أرلندية وانجليزية وأوربية ، فهو فنان رمزي ، أو لعله شبه رمزي ، يستمد الوحي والمادة من تقاليد أرلندا القديمة ، ومن أساطيرها البعيدة ، ومن مشاهد أريافها وأرضها وسمائها ، وقلما التفت إلى أهل البلاد أنفسهم ، (ولكن أليست عبقرية البلاد هي عبقرية ساكنيها ؟) ويقوم شعره وخصوصاً في شبابه — وشعر شبابه قد يكون أروعَ من شعره فيما بعد ، وأصدقَ عبارة عن طبيعة عبقريته — على صوفية رقيقة تذكر في غرابة أحلامها وشدة أسرها بصوفية « بلايك » وقد تميل إلى الرمزية وخصوصاً في مجموعته الموسومة « بالريح بين القصب » وقد ظهرت قبل بدء هذا القرن وبعد اتصال الشاعر

(١) ومع ذلك فقد بقي حتى كهولته فقيراً لا يملك شروى نقير . على أنه قدر في شيخوخته ، فمنح جائزة نوبل سنة ١٩٢٣ . وكان عند وفاته عضواً في مجلس الأعيان (أو الشيوخ) الارلندي

« بلازميه »[1] كما يقوم شعره على الألوان الناسقة والأضواء الخافتة بوجه عام

ولفظه صقيل نقيّ بسيط . وهذه الصفة وإن غلبت على الشعر الرمزيّ والصوفيّ على العموم ، لكنها في شعر يتس ترجع أيضاً إلى تأثره « بمدرسة ما قبل رفائيل » . وهي مذهب في الشعر يتعلق بمذهب في التصوير تقدّم عليه ، وأساسه الرجوع بالأسلوب إلى أبسط الصور الممكنة مع العناية البالغة بجماله وروعة إيقاعه ، ثم قَصْره على التعبير عن معانٍ عاطفيّة أو خياليّة خالية من تعقيد الفكر والفلسفة . « فالفن » فوق كل اعتبار ، والفنّ هو دينُ هذه المدرسة التي لا تدين بغيره . ومما يلاحظ ههنا أن أساطين هذه ، ومنهم يتس ، جمعوا بين فن التصوير وفن الشعر .

ولعلنا لا نغلو إذا نحن قررنا أن هذا الحس بجمال الشكل بلغ في يتس حدًّا هو إلى الإعجاز أدنى .

وليس فهم ياتس بالمطلب الهين الداني ؛ ولكنك إن فهمت معنًى من تلك المعاني « الضبابية » القصية الحاملة لجو (اللاشعور) السحريّ الناسق ، ارتد جزءاً من أجزاء نفسك لا يتجزأ ، وعنصراً من عناصر حياتك لا ينفكّ يعمل فيك عمله .

وليس ياتس بشاعر من « شعراء الطبيعة » — إن قصدنا بالطبيعة الطبيعة الخارجية — وإنما هو كما سبق القول وبينت الأمثلة صوفي ذاتي «وما العالم الذي نجده في شعره إلا عالم مرّ في دنيا خياله فتلفع بالغسق المخيم هنالك » . وما الطبيعة عنده إلا مخزن للرموز والحالات النفسية . فصيحة الطير رمزٌ لحبّ مفقود، أو لقب هام على وجهه في طلاب حُبّ . وعويل الريح رمزٌ للأسى وشهادة بالألم ، وجَرَيان الماء مثلٌ لذويّ الحسرة ومضيّ الزمن :

« لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :

كل شيء يحول ،

ولسوف نفضي واحداً إثر واحد ، ونمضي

... وكانت لهم أيدٍ كالمخالب ، وكانت سوقهم ملتوية كأشجار الحسك القديمة ، القائمة بجانب الجدول

لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :

كل جميل يمضي ،

كما يمضي الجدول ...

وخيال «ياتس» يبدو على الدوام كأنه خيالُ إنسانٍ «متعب» وما هو على ذلك بمتعب . أو خيال إنسان يعيش في « التخوم » بين عالم الإنس وعالم الجن (على أني في الواقع لا أستطيع أن أعبر عن مقصدي بعبارة أبين)

خيال ياتس يتجه إلى « حيث تخوّضُ النجاد الصخرية في البحيرة ، فهنالك جزيرة وريقة ، فيها الأطيار ترفرف وتصدح ، فتوقظ فيران الماء الناعسة ... » وهنالك تخفي الجنيات سلالهن المليئة بالتوت ، وبالكرز الأحمر المسروق ... هنالك :

« حيث الرسالة المتمة الشهب

تلتمع تحت نور القمر ،

وبعيداً غاية البعد عن أرض (روسز) ،

سرينا ، نحن معشر الجنيات ،

راجلات ،

نرقص قديم الرقصات ،

فتختلط منا الأيدي وتختلط النظرات

حتى اختفى القمر ...

فانثنينا نثب هنا وهناك

ونطارد الفقاقيع الراغية ،

بينما الدنيا مترعة بالآلام

والإنس قلقون حتى في المنام » . .

« البقية في العدد القادم »

عبد الكريم الناصري

بين طبيب وزوجته

قالت الزوجة وقد جلسا إلى مائدة الطعام : إني أحب رائحة هذا الصابون الذي استعمله . نعم إن رائحته قوية ولكن أنا أحب الرائحة في الصابون

وصاح زوجها الطبيب مندهشاً : احترسي يا عزيزتي من استعمال أي صابون له رائحة — إنك تعلمين أن الرائحة معناها وجود الكحول في الصابون والكحول يضر الوجه ضرراً عظيماً ويجعله ناشفاً قائماً ويمتص الزيت الموجود في البشرة . لذلك أنصحك أن لا تستعملي صابوناً فيه رائحة وأفضل صابون للاستعمال هو صابون بالموليف لأنه يغذي الجلد وينعش الوجه ويجعله رائقاً جميلاً جذاباً .

(١) الرمزي الفرنسي ويترجم « بو » إلى الفرنسية

العاقل

لاشاعر الالمانى باول ارنست Paul Ernst

للأستاذ بديع شريف

الأشخاص : (سقراط ، ألسيبياد Sokrates, Alcibiades)

المكان : (شارع فى أثينا أمام بيت سقراط ، السوق فى المساء)

(الاثنان يبتعدان من بيت سقراط ، بينما اكسانتيب تشتمهما من النافذة ، ويذهبان إلى سوق المساء)

* * *

ألسيبياد — حدثتنى نفسى كثيراً بأن أسألك يا سقراط عن عيشتك مع المرأة التى تزوجتها لأنى أعلم أنك رجل ذكى الفؤاد، وأنك ما أقدمت على الزواج فى صغرك إلا لأمر ، ولا اخترت هذه المرأة إلا بعد تفكير

سقراط — إنك على حق يا ألسيبياد ! فإنى ما تزوجت إلا بعد أن علمت أن الآلهة ألقت فى نفسى شيئاً وأنى أريد أن أقوم به على أتمه ، ولكنى وجدت نفسى محتاجة إلى زوج أسكن إليها ، فإننا معشر الرجال لا نستغنى عن المرأة ، ولكنى ما فكرت قط فى مالها وجمالها وحسبها ، بل فكرت دائماً أن تكون لى زوج هادئة قنوع مرحة أستطيع أن أسكن إليها وأفكر فى جنبها

ألسيبياد — أتقول إن كسانتيب كانت هادئة مرحة ، قنوع ؟

سقراط — أتعتقد أن سقراط تزوج كسانتيب ولم تتزوج كسانتيب سقراط ؟!

ألسيبياد — نعم ، إن كسانتيب أيضاً تزوجت سقراط

سقراط — وماذا تظن فى كسانتيب ، هل فكرت فى شىء حين تزوجتنى ؟

ألسيبياد (ضاحكا) — ظنت أنها تزوجت رجلاً مجتهداً عاملاً يكسب الدرهم ، لتعيش هى مع أولادها على حسب منزلتها فى المجتمع

سقراط — يظهر لى أن قولك الحق ، ولكن يا ألسيبياد ! ماذا عساها تقول عنى اليوم ؟

ألسيبياد — إنها ملأت الشارع سباً ، وعرفت جميع المارين أنك رجل باهل[1] وأنك تقضى طوال النهار تهذى مع الشباب بدلاً من أن يكون لك محل تعمل فيه .

سقراط — أتظن أنها على حق ؟

ألسيبياد — ليس لها حق ! ولكن لها أن تقول : إننى امرأة فقيرة، أريد رجلاً غير هذا . أريد زوجاً يكتسب ، لا زوجاً يتفلسف

سقراط — ربما تريد قصاباً ، أو خبازاً

ألسيبياد — نعم ! تريد مثل هذين ، فتكون له زوجاً مدبرة نظيفة مجتهدة مقتصدة يخشى بأسها الخدم

سقراط — ألست على الحق حين أقول : إنها امرأة أثرة ، معتدة بنفسها ، غضوب ، سيئة غبية ، حمقاء ؟

ألسيبياد — لا ! لست على حق ، لكن لك أن تقول : إننى رجل تأمل فرأى نفسه محتاجة إلى زوج هادئة ، مرحة قنوع ، يستطيع أن يفكر فى جنبها .

سقراط — لقد وصلنا إلى السوق ، وها هى ذى امرأة الفلاح جالسة، تلك التى ضحكنا منها كثيراً عند ما كانت تحدثنا عن دجاجها وتثنى على بيضها . أتعرف ماذا كانت تقص علينا ؟ كانت تقول: عندى عشرون دجاجة وديك واحد، فى كل يوم يبضن عشرين بيضة، آتى بها إلى سوق أثينا فأبيعها ، وإن دجاجى لا مثيل لها فى القرية ، وقد يكون فى البيضة محان ، لذا لا يثنى عنى من اشترى منى أول مرة . ولا أكذبكم فقد تكون بيضة فى هذا البيض ذات محين . إننى محسودة من جميع الجيران ، ومن له مثل هـذا الدجاج لا يعدم الحساد . إن لى مشترين كراماً يعرفون أن دجاجى من الطراز الأول . وكيف أقتنى الردىء وقد ورثت تربية الدجاج أباً عن جد ؟ أتدرى يا ألسيبياد ماذا أوحت هذه المرأة إلى « أرسطوفان » فطفق يتحدث عن دجاجها ؟ لقد أطرق أرسطوفان ملياً ثم وضع أصبعه على أنفه وقال: دعونا نذهب إلى دار هذه المرأة ونسأل دجاجها ثم نرى ماذا تقول ؟ إنى لا أشك فى أنها ستقول : إننا بين يدى امرأة صالحة تنثر لنا الحب الملتوت بكثير من الشهيات فى الصباح وعند الظهيرة وفى المساء بنظام لا يتغير . على أننا لا ننسى ذلك الصوت الحنون الذى تسمعه عند كل وجبة ، وإذا قدمت لنا الماء قدمته عذباً صافياً ، وفى كل عام

---

(١) الرجل الباهل : الذى لا عمل له

تظل قيتنا بالكلس مرة أو مرتين ، وبالإيجاز إننا راضيات عن هذه المرأة ولا نريد امرأة كسلى لا نظام عندها لأننا ما تعودنا الإهمال وعدم النظام . هكذا كان ينشد أرسطوفان فى شعره فكلكم ضحك عليه وسخر منه ، لأنه استطاع أن يعبر عن نفسية الدجاج لكن ماذا ترى ؟ إنى أرى بين يديها دجاجاً مذبوحاً !

الفلاحة : أتريدون مرق دجاج سمين ؟ هلما ! إنه دجاج حديث الذبح ، المساء ، إنه سمين . أنظرا هذه القطعة الصفراء ، إن أجوافهن مبطنة بالشحم ، كل دجاجة تزن أكثر من ثلاثة أرطال

سقراط (إلى المرأة) : يسرنى أن أعرف شيئاً عن تربية الدجاج أيتها الفلاحة ! فهل تستطيعين أن تعلميني : أيهما أنفع لك ، ذبح الدجاج وبيعه فى السوق ليطبخ ويؤكل أو تعنين به كل يوم فينتج لك البيض وتبيعينه فى السوق ؟

المرأة — واحسرتاه ! إن هذا الدجاج الخائن كاد يقضى علىّ من الحقد والحزن عليه ؛ فإن واحدة منهن باضت بيضة لم يتكامل قشرها ، فأكلنها حالاً فاستذوقنها ، وجعلن ينقرن البيض كلما بضن ثم يأكلنه ، فما حصلت بعد هذا على واحدة . لهذا ذبحتهن . الساهن ، إنهن سمينات . لقد كان لهن بيض نقى يندر وجوده فى القرية . ويلهن ! إنهن خائنات

سقراط — شكراً أيتها المرأة الصالحة ، إنى لا أريد شراء

الفلاحة — كل واحدة بدرهمين ، منتوفة ، منظفة . أنظرا ، هاهما ذان الرئتان ، هاهى ذه القانصة ، هاهوذى الكبد ، والقلب ، كلها موضوعة فى الجوف ، إن امرأتيكما تستطيعان أن تضعاها فى القدر حالاً

السيبياد (إلى سقراط) — يجب أن نذهب بسرعة

الفلاحة — أما رأيتما غير هذه المرأة المسكينة موضوعاً للهذر والتسلية أيها البكاذان ، إن رجلاً مثلك كسلان ، لا يملك حذاء يستطيع أن يأكل دجاجاً ؟ (المرأة تستمر فى السب بحيث لا يميز كلامها وهما يسرعان الخطا)

سقراط — ماذا تعتقد يا ألسيبياد فى الدجاج ؟ لو استطاع أن يتكلم حين ذبحته المرأة فماذا يقول ؟ ؟

السيبياد (واضعاً أصبعه على أنفه) — إنه يقول إن هذه المرأة الخائنة لقد ذبحتنا ، إنها سفاكة ، لقد كان علينا أن نعرف نياتها من قبل !

سقراط — ماذا تظن يا السيبياد ؟ هل تغير الدجاج ، فكان قبلاً صالحاً ثم صار خائناً ؟ وهل تغيرت المرأة حيث كانت ودوداً ثم عادت خائنة سفاكة ؟ ؟

السيبياد (ضاحكا) — إن الدجاج هو الدجاج ، وإن المرأة هى هى . لكن كلٌ فى هذه الحياة يعتقد أنه هو الوجود الأهم . وليس هذا فحسب ، بل على الغير أن يشاركه فى هذا الاعتقاد . على أن هذا الغير يعتقد كما يعتقد الأول ؛ لذلك كان الدجاج صالحاً عند المرأة ؛ لأنه كان يقدم لها البيض ، فلما احتفظ الدجاج ببيضه لنفسه أصبح خائناً ، وكانت المرأة صالحة عند ما كانت تقدم للدجاج الطعام ، فلما ذبحته غادت سفاكة خائنة

سقراط — وحق الكلب[1] ! إن الأمر يجرى هنا كما يجرى هناك ، أى كما يجرى بينى وبين زوجى كسانتيب

السيبياد — إسمع يا سقراط : إنك تعرف أننى وقفت حياتى فى خدمة الدولة وعالجت شئونها ، ألا يحتمل أن تنشأ العداوة والبغضاء بين الناس كما نشأت بين الدجاج والمرأة ؟ ؟

سقراط — يظهر لى أن هذه الفكرة لم تكن خطأ

السيبياد — وأيضاً ليس كالعداوة بين المرأة والدجاج فحسب بل مثلما بين سقراط وأكسانتيب ؟

سقراط — ربما يكون الأمر كذلك

السيبياد — لكن أيترك الرجل العاقل الناس يشتمون ثم يعمل هو ما هو الواجب

سقراط — هذا ما أعتقد .

بديع شريف

(١) يقسم بالكلب

الغدد والحياة

الغدد هى مصدر القوة والشباب الدائم ، والأطباء فى كل العالم يهتمون بالغدد ويصفون لها المقويات والأدوية التى تساعدها على المحافظة على جسم الإنسان

إن سر الشباب وسر القوة والحيوية فى الجسم هى فى هذه الغدد التى تفرز الهرمونات وتجعل الإنسان نشيطاً قوياً خصباً

إن أقراص فيدا ـ جلاند تحضير معامل إلن وهنبريس فى لندن هى أفضل علاج مضمون لتقوية الغدد ـ خذ هذه الأقراص حسب التعليمات داخل كل زجاجة فتستفيد فائدة عظيمة وتعود لك قوتك ونشاطك.

على هامش الفلسفة

طريقــــة الأخلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

قلنا في الكلمة الأخيرة : ما هي الطريقة التي تتبع لمعرفة الخير من الشر ، ولتحديد المثل الأعلى الأخلاق تحديداً صالحاً مرضياً من الجميع ؟ تساءلنا كذلك بعد أن أثبتنا أن الأخلاق علم من العلوم[1] فيجب أن نسير في دراسته على الطرائق العلمية التي تصل بنا إلى الغرض في غير عوج ولا التواء

على أن الفصل في هذا ليس سهلاً ميسوراً ؛ فهي مسألة ولا أبا حسن لها : مسألة اشتجر فيها الخلاف بين المفكرين والفلاسفة ، بل لعل الخلاف لا يزال قائماً فيها حتى اليوم . يرى البعض أخذ الأخلاق من الدين — فهو المعين الذي ينقع الغلة ولا يكذب قاصده — أو مما وراء الطبيعة أو من علم الاجتماع ؛ ويرى آخرون أنه من الخير أن تتعرف المبادئ الخلقية بأداة المعرفة المباشرة أي بالحاسة الخلقية التي تدرك الخير والشر من نفسها بدون نظر واستدلال : « استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك » ؛ بينما يذهب غير هؤلاء وأولئك إلى أن الواجب أن يطبق في الدراسات الأخلاقية الطريقة التجريبية الاستقرائية

الأخلاق الاستنتاجية

من الممكن كما يرى فريق من الباحثين أن نستنتج الأخلاق إما من الدين أو مما وراء الطبيعة أو من العلم الذي تنتهي إليه العلوم وهو علم الاجتماع

بالبحث نعرف أن الأخلاق ، أو المبادئ الخلقية العامة ، في كل الأديان التاريخية مستقاة من الإلهيات . نرى رجال الدين يقررون أولاً المسائل الخاصة بالله وصفاته وكمالاته ، وبالحياة الأخرى ونعيمها وعقابها ، ثم يربطون بذلك نتائج خلقية مردها للكتب المقدسة . يقررون أن الله لم يخلقنا عبثاً : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » ، وأنه لا بد محاسب كلا على ما جنت يداه : « لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وأنه لا بد من دار أخرى يكون فيها ذلك الحساب على ما أسلف المرء من خير أو شر : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » . كما يقررون أن الجنة التي عرضها السموات والأرض « أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس » وأن النار عقبى الظالمين . ويستنتجون من هذه الحقائق الدينية وأمثالها أن المرء يجب أن يكون خيراً في كل أعماله ، وأن ينأى دائماً عن الشر وبذلك يصل للكمال الأخلاقي . والخير والشر هنا ما جاءت به الكتب السماوية

استنتاج منطقي حسن من الناحية العملية ؛ إلا أنه ليس له القيمة التي تؤتي ثمرها الخلقي إلا لدى المؤمنين بالله والدار الأخرى والثواب والعقاب وبهذا أو ذاك من الكتب المقدسة . فكيف العمل بمن لا يؤمن بإله أو رسول ، أو بمن يؤمن بالإنجيل دون التوراة ، أو بالعكس ، أو بهذين دون القرآن الكريم ؟ إذن ليس من الممكن بهذا الطريق أن نصل لتحديد قانون أخلاقي يرضاه الناس جميعاً على ما بينهم من خلف في الأديان والمعتقدات « فضلاً عن هذا فالرباط الذي يكون بين هذه العقائد الدينية والأفكار والآراء والمبادئ الخلقية التي يربطونها بها يكون غالباً واهياً متداعياً ، فلا يكون الاستنتاج قوياً له قيمته وخطره[1] »

وها هو ذا العلامة « جوستاف بيلو Gustave Belot » يقول عن هذه المسألة (من الناحية المسيحية طبعاً) : « ليفتح من يشاء أي كتاب من كتب العقائد الدينية : وحينئذ ماذا يجد ؟ يجد أن الجانب الأكبر منه مشحون بالنظريات الخاصة بالله وقدرته وصفاته وأن الأخلاق تجيء في المركز الثانوي منه ، وأنه من الواجب أن نكره الطفل على أن يفهم ويقبل نظاماً من الاعتقادات الدينية دون أن نعنى بالتساؤل عما إذا كان في مقدوره فهمها ! إن رجال الدين يجأرون بالشكوى من تزعزع الأخلاق وتدهورها من يوم لآخر لأن الإيمان يتزلزل من آونة لأخرى . لو أن هذا كان صحيحاً فعلى من تقع التبعة والمسئولية ؟ أليس على هؤلاء الذين يعملون دائماً على تفهيم الأطفال أن الأخلاق تتعلق دائماً بالدين والعقائد الدينية ؟ مع أنه ليس في مقدورهم حماية هذه الاعتقادات من حملات الشك ومعاركه التي تنشب من حين لآخر . إنه مما يتفق مع حقائق الأشياء كما يتفق مع الحقائق العملية أن يرد للأخلاق استقلالها »[2]

---

(١) في الأعداد رقم ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ من الرسالة

(١) شالي : الفلسفة العلمية والفلسفة الأخلاقية
Challay : Philosophie scientifique et philosophie morale.

(٢) دراسة الأخلاق الإيجابية Etude de morale positive.

ينقد هذان الأستاذان الباحثين في الأخلاق من المسيحيين ، وقد أصابا في كثير مما نقداه . إن الديانة المسيحية أعلنت في مبدأ أمدها الحرب الضروس على الفلسفة الإغريقية معلنة أن الأخلاق ليس لها أن ترجع في معينها للعقل والنظر ، ولا أن تترك للفلاسفة الذين هم بشر يخطئون ويصيبون ؛ وإنما الدين وحده هو الحري بنشر التعاليم الصحيحة والأخلاق الفاضلة التي يوحي بها العليم الحكيم ؛ ومن ثم أصبحت الأخلاق لا ترتكز على النظر المنطقي السليم ، بل على الوحي المسيحي وحده ، وصار أجل الفضائل في نظر المسيحية هو حب الله والإيمان به اللذان يوصلان إلى الخير الأسمى والسعادة الكاملة في الدار الأخرى بدل أن كان أرقى الفضائل وأسماها هي الحكمة في رأي الفلسفة اليونانية

أما الإسلام فلم يبخس العقل حقه ولم يحجر عليه في التفكير . أمرنا أن نعمل عقولنا فيما خلقت له ، وأن نفكر في خلق السموات والأرض : « وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون . إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . إن في ذلك لآيات لأولي الألباب » . كذلك لم يلجأ الإسلام في تحديد قيم الأعمال الأخلاقية ، وبيان خيرها من شرها إلى ما فيها من منافع وملاذ في العاجل أو في الآجل كما يتوهم واهم إذا قرأ وصف الجنة ، والترغيب فيها ، والنار والترهيب منها ؛ بل هو يخاطب كلاً حسب ما يسعه فهمه تمشياً مع الغرائز الإنسانية . حتى إذا فعل المرء الخير رجاء الصواب مرات عديدة أصبح له عادة ، ويتشرب قلبه ويفهم ما فيه من جمال وسمو ذاتيين ، فينتهي به الأمر إلى أن يفعله لذاته وحده . وهذا عين ما أراده الرسول إذ قال : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » . أي أن المثل الخلقي الكامل هو ما وصل إليه صهيب وأمثاله من فعل الخير ، وترك الشر لذاتهما لا رغباً ولا رهباً .

على أننا نجد في تاريخ التفكير الإسلامي أن فريقاً كبيراً من المسلمين وهم المعتزلة يقررون أن الأعمال توصف بالحسن والقبح لذاتها لا لأن الشرع أمر بها أو نهى عنها ، فيكون الشرع مبيناً لصفاتها لا مثبتاً لما ليس فيها . ويدللون لذلك باتفاق الناس على كثير من الفضائل والرذائل قبل مجيء الشرائع السماوية ، إلى غير ذلك من الأدلة التي ليس هذا موضعها[1] وليس هذا رأي المعتزلة وحدهم بل كان رأي غيرهم من مفكري المسلمين وحكمائهم أمثال الفارابي الذي يؤكد أن العقل يستطيع أن يحكم على العمل بأنه خير أو شر بنفسه بدون رجوع للوحي ؛ لأن العقل عنده ليس إلا قبساً من النور الإلهي . وابن طفيل في رسالة « حي ابن يقظان » يجعل العقل قادراً على إدراك الحقائق كلها [ومنها طبعاً الخير والشر] وعلى العروج في المعارف العلى حتى يصل للحقيقة المطلقة ، لمعرفة الله تعالى . وابن رشد فيلسوف الأندلس بل الإسلام يقرر أن العمل يكون خيراً أو شراً لذاته لمعان يكشفها العقل ، وليس ذلك لأن الله أمر أو نهى[1]

والخلاف في هذه المسألة يذكرنا بالخلاف بين الفلاسفة المحدثين فيما سموه « نظرية القيم » . فأنا نراهم مختلفين في أن القيم التي تقدر بها الأشياء من جمال وقبح وخير وشر وحق وباطل صفات عينية في الأشياء ؛ كالألوان والطعوم والروائح ، وبذلك يكون لها وجود مستقل عن العقل الذي وظيفته حينئذ إدراكها لا إثباتها ؟ أم هي من صنع العقل « يصف بها بعض الناس الأشياء إذا كانت لها في تقديرهم قيمة ، ولهم فيها غرض أو غاية ، ولا توجد إلا حيث توجد هذه الغاية » . ذهبت طائفة إلى الرأي الأول ، وأخرى إلى الرأي الثاني[2] . ولكل وجهة هو موليها .

وأخيراً ؛ إذا كان أخذ الأخلاق من الدين وربطها به منقوداً من بعض نواحيه كما رأينا ، فهل من الممكن استنتاجها من معين آخر ؟ ذلك ما حاوله كبار علماء ما وراء الطبيعة . وموعدنا ببسط آرائهم الكلمة الآتية إن شاء الله تعالى . **محمد يوسف موسى**

(١) يرجع في هذا إلى كتاب المواقف وغيره من كتب الكلام والفرق الإسلامية .

(١) ابن رشد ومذهبه لأرنست رينان ، وغيره من المؤلفات العربية .
(٢) كتاب فلسفة المحدثين والمعاصرين للأستاذ ا . وولف وترجمة الدكتور أبي العلا عفيفي .

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

للأستاذ محمود الخفيف

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح ،
وأن يجدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟!



ظل عرابي في مرحلته الأولى في الجندية ساخطاً على الأتراك في الجيش والجركس لا يفتر سخطه ولا ينقطع عليهم شغبه ، يكيدون له ويكيد لهم . وإنا لنلمس في هذا سبباً قوياً من أسباب زعامته للحركة العسكرية فيما بعد ، فليسوف يلتقي في دار هذا المتبرم الساخط رؤوس الساخطين الحانقين من رجال الجندية يوم يزمعون أن يشتكوا إلى الحكومة في أوائل عهد توفيق مما يلحق بهم من سياسة وزير الجهادية الجركسي عثمان رفقي

ويشير عرابي في مذكراته إلى حسن صلته بسعيد باشا حتى لقد أهدى إليه هذا الوالي كما يذكر تاريخ نابليون ؛ ولقد قرأ عرابي هذا التاريخ ، ولست أستطيع أن أتبين على وجه التحقيق ما تركه مثل هذا الموضوع من أثر في نفسه ، فلم يعلق هو على ذلك إلا بقوله : « ولما طالعت ذلك الكتاب شعرت بحاجة بلادنا إلى حكومة شورية دستورية ، فكان ذلك سبباً لطالبتي كثيراً من التواريخ العربية » . ولست أدرى كيف توحي قراءة تاريخ نابليون بحاجة مصر إلى حكومة شورية دستورية ؟ على أن قراءة سيرة هذا الجندي الناشر الفذ الذي وصل بجده إلى قمة المجد الحربي وبلغ أوج الشهرة والجاه توحي إلى كل من يقرؤها بمعاني الإقدام والبطولة ، وتملأ النفوس تطلعاً وحماسة . وعلى هذا فلا يصعب أن نتصور ما عسى أن تلقيه تلك السيرة من المعاني في نفس كنفس عرابي الجندي المتطلع المتوثب

ويشير عرابي في كتابه إلى أن سعيداً كان يميل إلى المصريين في الجيش وإلى رفع ما يلحق بهم من غبن أمام الجركس ، كما يشير إلى أنه كانت لسعيد نزعة وطنية تجلت في خطبة أثبتها عرابي في كتابه وكان قد سمعها في الحفلة التي ألقيت فيها ، يقول عرابي : « فلما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا ؛ وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحاً واستبشاراً . وأما أنا فاعتبرت هذه الخطبة أول حجر في أساس نظام مصر للمصريين . وعلى هذا يكون المرحوم سعيد باشا هو واضع أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة في قلوب الأمة المصرية الكريمة »

ولقد كتب عرابي هذه الآراء بعد الثورة ، ولعل في ذلك ما يدعو إلى ضعف الثقة في قيمتها عند بعض المؤرخين ، كما هو الحال في مذكرات نابليون التي كتبها في منفاه في سنت هيلانة ، فلقد أخذها بعض المؤرخين على أنها دفاع من جانب نابليون عن أعماله بعد أن خلا إلى نفسه فنظر وتدبر

ولكن أعمال عرابي التي لا ينكرها المؤرخون حتى المغرضون منهم لا تتناقض مع كثير مما جاء في مذكراته ، وعلى الأقل في هذا الجانب الذي نلمس فيه الدليل على ما نحسبه من أن عرابياً قد اتجه منذ نشأته اتجاهاً وطنياً قومياً ، وهذا أمر نراه على جانب عظيم من الأهمية . ففي هذه النزعة القومية نرى عرابياً الحقيقي . أما عرابي الذي صوره خيال المغرضين من المؤرخين فما أبعده عن هذا . وهل كان يحلو لهؤلاء الذين استغلوا حركة عرابي أقبح استغلال ، إلا أن يصوروه أقبح صورة ؟ فلا يكون عندهم إلا جندياً جاهلاً

مغروراً وأتته الظروف فراح يخبط فى حماقته لا يلوى على شىء ، وما زال فى جنونه يلوح بسيفه حتى اضطر آخر الأمر أن يسلمه صاغراً إلى قائد جيش الاحتلال الإنجليزى !

ما كانت حركة عرابى عسكرية بحتة ، وما كان هو بالأحمق ولا بالمجنون ، وإنما كان لا بد أن تلتقى الحركة العسكرية وهى لا تخلو من الصفة الوطنية بالحركة الوطنية العامة ؛ ثم لقد تم هذا الالتقاء فى شخص عرابى ، وكان النجاح حليفه فيما طلب باسم الأمة يوم عابدين ، ولا لوم عليه بعد ذلك ولا جناح أن تحاك الدسائس وتوقد نار الفتنة تنفيذاً لسياسة مرسومة سوف نحيط عنها بكل ما وسعنا من حجة ...

هذه النزعة الوطنية القومية فى نفس هذا المصرى الفلاح مع ما توافر له من صفات الغيرة والبسالة ، هى التى جعلت إليه قيادة الحركتين يوم التقتا . ولقد كانت هذه النزعة كما ذكرت تجيش بها نفسه منذ شب . كتب فى ذلك مستر بلنت وكان من أصدقاء عرابى يقول فى علاقة عرابى بسعيد[1] : « وقد حظى عرابى الذى كان وسيما ووجيهاً برضائه حتى سمى أركان حرب له ورافق سعيداً إلى المدينة فى السنة التى سبقت وفاته . وعندى أن عرابى كون آراءه السياسية الأولى أثناء حديثه مع سيده فى هذه السفرة التى كانا فيها متلازمين ، وتنحصر هذه الآراء فى المساواة بين الطبقات ، وفى الاحترام الواجب للفلاح باعتباره العنصر الأساسى المجد فى الجيش المصرى ؛ وهذا الدفاع عن حقوق الفلاح هو الذى ميز عرابيا عن مصلحى ذلك العصر . وغنى عن البيان أن حركة الإصلاح الأزهرية كانت تشمل المسلمين ولا تميز بين الأجناس ؛ أما حركة عرابى فكانت قومية ولذلك كانت الوطنية فيها أظهر ، وإقبال الناس عليها أقوى وأكثر » .

***

وفى عهد اسماعيل تزداد نفور عرابى من الجركس وتزداد ميوله الوطنية وضوحاً باتصاله بالحركة الوطنية التى أخذت تدب فى جسد الأمة المتحلل الذى أثقلته سياسة اسماعيل وديون اسماعيل

وكذلك تزداد فى هذا العصر نزعة تمرده وسخطه وتتجلى فى كثير من مواقفه ؛ ومن أهم تلك المواقف ما كان بينه وبين خسرو باشا الذى ما زال يكيد له حتى رفت من الجندية ، وكان خسرو هذا جركسياً ويعزو عرابى سبب رفته إلى أن خسرو قد سار بالوقيعة بينه وبين وزير الجهادية متهماً إياه بأنه : « صلب الرأى شرس الأخلاق لا ينقاد لأوامره ولا يحفل بما يصدر منها عن ديوان الجهادية » . وأما سبب الخلاف بينه وبين خسرو فيذكر عرابى أنه كان فى لجنة لامتحان الضباط وكان على رأسها خسرو ، فأراد أن يتحيز إلى أحد الجراكسة فيعطيه مالا يستحق ولم يرض عرابى على رغم إلحاحه عليه أن يشايعه فى ذلك فعول على الانتقام منه

والذى يعنينا من هذه الرواية أنها تصور لنا شدة الخلاف بين عرابى ورؤسائه فى الجيش مهما كانت أسباب ذلك الخلاف ، كذلك يكشف لنا ما علق به عليها عرابى عن ناحية من عقليته ، فلقد راح يذكر ما حل بمن آذوه من المصائب معدداً أسماءهم مبيناً ما لحق بكل منهم مورداً ذلك على أنه انتقام له من الله . . . وفى هذا نوع من السذاجة لا شك كما أن فيه دليلاً على ما كان للدين من سلطان على عقل عرابى وقلبه

على أن هذه الناحية الدينية فى حياته قد استغلها ضده خصومه كذلك محاولين أن يسوقوها دليلاً على أنه كان رجلاً لا يفترق كثيراً عن عامة الناس فى جميع أفكاره ونزعاته ، دون أن يشعروا أنهم بهذا التعميم الذى لا مبرر له إنما ينالون من عقولهم هم ، أو على الأقل أنهم إذا كانوا يدركون خطأ هذا التعميم ثم يتمسكون به فإنما ينالون من أنفسهم لا من نفسه

كان للدين سلطانه على عقل عرابى ما فى ذلك شك ، ولكن تلك كانت نزعة العصر . على أننا نسأل ماذا يضيره من ذلك ؟ وكيف يساق هذا على أنه من مساوئه وحقيق به أن يكون من حسناته ؟ وهل عاب أحد على كرمويل وهو جندى مثله نزمته وتقشفه وصرامته فى دينه ؟ وهب أنه كان يغلو أحياناً فيخلط بين ما يتصل بالدين وما يتصل بالسياسة فهل مال به ذلك عن منهاجه السياسى أو صرفه عن وجهته التى عمل على بلوغها ؟ وهل يستطيع أحد من خصومه أن يقيم الدليل على أنه اتخذ يوماً من الدين سلاحاً فى غير محله ؟ أو على أنه استغنى بالدعوة الدينية عن الجهاد والقتال حتى النهاية حين عملت خيانة بنى قومه ودسائس أعدائه على انتزاع النصر من بين فكيه ؟

ظل عرابى ثلاث سنوات مبعداً عن وظيفته إلى أن عفا عنه الخديو فعاد ، ولكنه طلب أن يحال على الأعمال المدنية كمكافحة الفيضان والإشراف على بناء الجسور من ناحية تقل ما يلزم من

(1) التاريخ المصرى ص ٩٩ ترجمة البلاغ

الأدوات ؛ وإنه ليذكر أنه بذل في تلك الأعمال جهداً كبيراً ، ولكنه رأى غيره يكافأ مكافآت مالية أما هو فكان جزاؤه كايقول: « وكوفئت أنا على تلك الأعمال الشاقة الجليلة بالتقاعد والراحة من غير معاش لحين ظهور خدمة أخرى ، فيالله ما أمر وأصعب تلك المكافآت القاوية على النفوس الحساسة الشريفة ! وما أكثر العجائب في الحكومات المطلقة المستبدة الظالمة »

على أن مستر بلنت يذكر أن تكليف عرابي بتلك الأعمال كان على غير رغبته ، وأن ذلك كان سبباً من أسباب نقمته على العهد القائم يومئذ ومن دواعي انضمامه إلى الساخطين والمتذمرين

وأعيد عرابي بعد ذلك إلى الجندية وألحق بالحملة الحبشية ، ولكن عمله في هذه الحملة لم يكن عمل الجندي المحارب فقد كان يعمل في منصب مأمور مهمات بمصوع . ولقد عظم حنق عرابي على تلك الحملة فهو ما يفتأ يتحدث بها في مذكراته ويصف ما حل بالجيش فيها من كوارث في غير موجب. جاء في كتاب مستر بلنت: « وقد عاد منها كسائر زملائه ساخطاً على ما حدث فيها من سوء التصرف ، وإلى هذا يرجع تفرغه الآن للسياسة ، وتعاظم غيظه الذي كان موجهاً بعد ذلك نحو الخديو »

وفي فبراير عام ١٨٧٨ وقعت مظاهرة الضباط الخطيرة ، تلك المظاهرة التي تلمح فيها بوادر الثورة العسكرية . يتلخص هذا الحادث في أن عدداً من الضباط بزعامة البكباشي لطيف سليم ، قد توجهوا إلى وزارة المالية يطالبون بمرتباتهم المتأخرة ، فلما حضر نوبار باشا رئيس الوزراء وكان معه السير ريفرز ولسن وزير المالية هجم هؤلاء الضباط عليهما وأشبعوا نوبار لطماً ولكماً وراحوا يجرونه من شاربيه ، وامتدت أيديهم كذلك إلى وزير المالية ؛ وكاد يتفاقم الحادث لولا أن خف إلى هناك الخديو بنفسه في فرقة من حرسه حينما نمى إليه خبره ، وأمر الخديو بإطلاق النار إرهاباً فأطلقت رصاصات في الهواء وفر المتظاهرون

ولكن تهمة القيام بهذه المظاهرة أو تدبيرها قد وجهت إلى عرابي واثنين آخرين من الضباط ، وعقد لهم مجلس يحاكمهم وأصدر المجلس حكمه بتوبيخهم وفصل كل منهم عن الآلايه إلى جهة بعيدة وكانت الاسكندرية نصيب عرابي ، وفيها اتصل بكثير من الأوربيين

ويدفع عرابي التهمة عن نفسه مقرراً أنه لا يد له فيها مطلقاً إذ كان في رشيد وقت وقوع الحادث ، ذكر ذلك في مذكراته وذكره كذلك في التاريخ الذي كتبه لمستر بلنت بناء على طلبه عام ١٩٠٣ بعد عودته من منفاه . ولقد أطلع مستر بلنت الشيخ محمد عبده على ما كتب عرابي ، فوافق على براءته من هذا الحادث

ولقد أدى اتهام عرابي على هذا النحو إلى ازدياد كراهته لاسماعيل وعهد اسماعيل . ولسوف يكون ذلك من أهم الدوافع التي توجهه إلى الاتصال بالوطنيين بغية معاونتهم والاستعانة بهم على تنفيذ ما كانوا يأملونه من وجوه الإصلاح . ذكر عرابي فيما كتبه لمستر بلنت : « ولكن قبل أن نفترق اجتمعنا (يشير إلى الضابطين اللذين اتهما معه) فاقترحت عليهما أن نكون عصبة لخلع إسماعيل . ولو فعلنا ذلك لحللنا المسألة من وقتها لأن القناصل كانوا يرغبون في التخلص منه بأية طريقة ... ولكن لم يكن قد ظهر بعد من يقود هذه الحركة فوافق الموجودون على رأيي ولكنا لم نقدر على تنفيذه »

« يتبع » **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ النشاشيبي

٣٦١ — لا أعرف منهم شخصاً ولا يعرفوني

طلع الدين مستغيثاً إلى الله (م) وقال : العباد قد ظلموني ! يتسمون بي وحقك لا أعرف (م) منهم شخصاً ولا يعرفوني[1]

٣٦٢ — ... حتى نروى أشعار المجانين

فى (الأغانى) قال ابن دأب : قلت لرجل من بنى عامر : أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً ؟

قال : أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين؟! إنهم لكثير

فقلت : ليس هؤلاء أعنى ، إنما أعنى مجنون بنى عامر[2] الشاعر الذى قتله العشق

فقال : هيهات ! بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك ، إنما يكون هذا فى هذه اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة[3] رؤوسها . فأما نزار فلا

٣٦٣ — ثلاث كلمات بألف دينار

فى (شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) : كان رجل على عهد

(١) نقل عن النووى أنه كان يكره من يلقبه بمحيي الدين ويقول : لاجعل الله من دعانى به فى حل، ولذا تحاشى عنه بعض العلماء . وفى (صبح الأعشى) : بقى الأمر على التلقيب بالاضافة إلى الدولة إلى أيام القادر بالله فافتتح التلقيب بالاضافة إلى الدين ، ثم تزايد التلقيب به وأفرط ، ولا شك أنه فى زماننا قد خرج عن الحد

(ولا يعرفونى) النون التى سمتها النحاة (نون الوقاية) تحذف جوازاً فى الأفعال الخمسة ، وقال بعضهم : إن المحذوفة هى نون الاعراب

(٢) الأصمعى : رجلان ما عرفا قط إلا بالاسم : مجنون بنى عامر وابن القرية (بكسر القاف والراء وتشديدها) وإنما وضعهما الرواة (الأغانى)

(٣) رجل صعل وأصعل : صغير الرأس ، وامرأة صعلة وصعلاء (الأساس)

كسرى أنوشروان يقول : من يشترى ثلاث كلمات بألف دينار ؟ فتطير منه الناس إلى أن وصل إلى كسرى فأحضره وسأله عنها

فقال : (ليس فى الناس كلهم خير)

فقال كسرى : هذا صحيح ، ثم ماذا ؟

فقال : (ولا بد منهم[1])

قال : صدقت ، ثم ماذا ؟

قال : (فألبسهم على قدر ذلك)

قال كسرى : قد استوجبت[2] المال فخذه قال : لا حاجة لى به وإنما أردت أن أدرى من يشترى الحكمة بالمال .

٣٦٤ — أليس نكون شهداء الطرب

(مسالك الأبصار) للعمرى : قال محمد بن المؤمل : كنت مع أبى العتاهية فى سميريته[3] ونحن سائرون إلى أشمونى[4] . فسمع غناء من بعض تلك النواحى ، فاستحسنه وطرب له ، وقال لى : أتحسن أن ترقص ؟ فقلت : نعم . فقال : فقم بنا نرقص . فقلت : فى سميرية ؟ أخاف أن نغرق

فقال : إن غرقنا أليس[5] نكون شهداء الطرب ؟ !

٣٦٥ — لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

فى (تجارب الأمم) لابن مسكويه (أحمد بن محمد) :

أفرد فى دار عضد الدولة[6] (فى بغداد) لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه ، وهو الحجرة

(١) الجوهرى صاحب الصحاح :

العز فى العزلة لكنه لا بد للناس من الناس

(٢) استوجبه : استحقه

(٣) السميرية : ضرب من السفن وسير السفينة أرسلها (التاج)

(٤) دير أشمونى : وأشمونى امرأة بنى الدير على اسمها ودفنت فيه وهو بقطربل (ياقوت)

(٥) إذا كان جواب الشرط مصدراً بهمزة الإستفهام سواء كانت الجملة فعلية أو اسمية لم تدخل الفاء ، ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة لأنها أصلها ، ويجوز دخول الفاء فيها لعدم مراعاتها فى الاستفهام (شرح الكافية)

(٦) ذكر ابن مسكويه هذه المأثرة فى مآثر هذا الملك الجليل ثم قال : وإنما شرحناها لينظر فيها من يأتى بعدنا ويقرؤها الملوك فيعملوا بمثل ذلك لينتشر ذكرهم بالجميل . وفى (ذيل تجارب الأمم) : كان عضد الدولة يكرم العلماء أوفى إكرام ، وينعم عليهم أهنأ إنعام ، ويقربهم من حضرته ، ويفاوضهم فى أنواع الفضائل ، فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها ، وصنفت فى أيامه المصنفات الرائقة فى أجناس العلوم المتفرقة

التي يختص بها الحجاب .. فكانوا يجتمعون للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة ، وأقيمت لهم رسوم تصل إليهم ، وكرامات تتصل بهم

٣٦٦ — سبحان من لا يقع في ملكه الا ما يختار

في (طبقات الشافعية) : من ظريف ما يحكى عن القاضي عبد الجبار (المعتزلي) أن الأستاذ أبا إسحق الشيرازي (الشافعي) نزل به ضيفاً . فقال (القاضي مداعباً) : سبحان من لا يريد المكروه من الفجار .

فقال الأستاذ : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يختار .

وهو جواب حاضر .

٣٦٧ — أقدر على تركه

في (الغرر والدرر) لأبي القاسم علي بن الطاهر المرتضى : حكى أبو القاسم البلخي : أن عبد الله بن الحسن قال لابنه محمد[1] : كل خصالك محمودة إلا قولك بالقدر

قال : يا أبت فهو شيء أقدر على تركه . فورد الكلام على رجل عاقل فقال : لا عاتبتك عليه أبداً

قال أبو القاسم البلخي : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولي، وإن كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه ؟

٣٦٨ — فشرده بقرض درهمات

إذا استثقلت أو أبغضت خلقا ... وسرك بعده حتى التنادي[2]

فشرده بقرض دريهمات ... فإن القرض داعية الفساد

(١) المرتضى : حكي أن محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا من دعاتها واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حج واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة

قال الزمخشري في (الأساس) : سألني بعض المغاربة ونحن في الطواف عن القدر فقلت : هو في السماء مكتوب ، وفي الأرض مكسوب

ويعزى إلى الحسن البصري : من أنكر القدر فقد فجر ومن ورد (حمل) ذنبه على الله فقد كفر

(٢) التنادي : يوم التنادي : وقت القيامة والجزاء (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) في الكشاف : التنادي : ما حكى الله في سورة الأعراف من قوله : (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) ، (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور

٣٦٩ — دعوه فإني أعرف عذره ...

في (المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء) : يروى أن النضر بن شميل صاحب الخليل حضر مع جماعة من الأدباء فغنتهم قينة :

وقالوا لها : هـــذا محبك معرض ... فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب

وما هي إلا نظرة بتبسم ... فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

وأحسنت ، فطرب الجماعة إلا النضر . فألحوا عليه بالعذل ، فقالت القينة : دعوه فإني أعرف عذره. إنما سببه كون إنشادي: (هذا محبك معرض) ولم أقل : (معرضاً) ألم يعلم أن عبد الله ابن مسعود قرأ . (وهذا بعلي شيخ[1]) فلما سمع النضر ذلك قام وأظهر الطرب

٣٧٠ — من أجل أنك فارس

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه :

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً ... فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل : مالي رأيتك راجلاً ؟ ... فقلت له : من أجل أنك فارس!

(١) في (إعراب القرآن) للعكبري : هذا مبتدأ ، وبعلي خبره ، وشيخا حال من بعلي مؤكدة ، والعامل في الحال الاشارة والتنبيه أو أحدهما . ويقرأ شيخ بالرفع وفيه عدة أوجه — سمعه يا أخا العرب — أحدها أن يكون هذا مبتدأ وبعلي بدلا منه وشيخ الخبر ألخ

وحي الشاعر

تمرد الخيال

للأستاذ حسن القاياتي

أبت المناءة أن تغازلها المَنى   شَبَهَ الفرادس ما أعزَّ وأحسنا
لي من زِمانى أن أروع بَجادةً   وعليَّ أن أصِلَ الشكاة وأفتنا
لِمَنَ المناءة فى غِنًى ومحبةٍ   كَلاَّ فكم تهيم المحبةُ والغنى ؟
ما للفتاة ازَّينت فهفا بها   لُبُّ الفتى ثم انثنى فازَّينا ؟
صَلَفُ اللاحة أنها معبودة   تَصِفُ المهانةَ كلما يُذِلَتْ لنا
قسماً لو ان الحسن أُرسل كله   طَلْقاً لما فتح القلوب وأوْهنا
كم فاتِكٍ حرس الجمالَ مخافةً   أن يستثير من الحنان الأعْينا
إن الذى خلق الصَّباحة زينةً   قالوا تَغَضَّبَ أن تلوح فَتَفْتِنَا !
وَرْدٌ يَرِفُّ نضارةً ما بالُهُ   لا يُجتلَى إذ كلُّ وردٍ يُجتنَى ؟
لولا مخادعةُ الغرائز لم تَرُمْ   متمنّعًا بالحسن إلاّ أمْكنا
أوّاه واكبدى أكلُّ مُحبَّبٍ   إذ كان مُقْتَرَحَ العيون تَحَصَّنا ؟
فتن الجمالُ على الحجاب وقلَّمَا   كان السفور أرقَّ منه وَأفتنَا
الحسن يَخْتَبِلُ النفوس لأنها   وَصَمت حُلاَه بأن تُذال وتُسْجَنَا
زعم الحجا أن اللثام غضاضةٌ   فاليوم إذ سفر الأوانسُ بَرْهَنَا
ليت الذى صنع السلاسل حليةً   للغيد أطلق سربهنَّ وغلّنَا
للغيد أنفسنا فليت عيونها   تُوْدِي بنا شغفاً إذا لم تُحْيِنا
« إحسان » ما أقسى هواك فليته   في لين عطفك ما أرقَّ وألينا
أخلو فيعصمني الحياء فمن رأى   كيف انْثَنَيْتُ وفاتنى كيف انثنَى ؟
كَذِبُ المنى وكرامةٌ نَشْقَى بها   دون الهوان وعزةٍ تَشْقَي بِنا
ماذا لقيتُ وما أرَبْتُ وشدَّ ما   خطب السموِّ فتًى أراب فَأعْلنَا ؟
ذو اللُّبِّ تحزنه مشاهدُ جَمَّةٌ   واللُّبُّ يعصم ربَّه أن يَحْزَنَا
أدِرِ الحديث عن البيان لعله   يجنى لنا ثمرَ المنَى ولعلّنَا
ماقيمةُ الأدب الثَّرِيِّ وما جَنَى   منه البديع سوى أجادَ وأحْسَنَا
سَل أفصح الشادين أيّةُ غِبطةٍ   حلَّت ببيت صاغ أو بيتٍ بَنَى ؟
يُزْجُون من رُتب البيان لمحسن   يَشْآهُ مُقْتَبَلٌ يَبُذُّ المحسنا ؟
ليس البديع من العلاء ولم يكن   للأوْج أن يُهدي لكوكبه السَّنَا
كم فاتن تحت الخمول كما شدا   غرِّيدُ ليل ما أرقَّ وَأفتنَا
تَرِفُ الشمائل كَمْ يُتَاحُ لجفوةٍ   كالماء ينبت فى مسالكه القَنَا
يا موحياً سور الإشادة رقيةً   أناشاعرٌ صِفتى ولكن مَن أنا ؟
ملكُ الفصيح العذب ليتك آخذى   بوثيقةٍ عبدَ البيان الألْكَنَا
مَن عَزَّهُ وَزْنُ الرِّجال فقَصْرُهُ   ألاّ يصوغ الحمدَ حتى يُوزَنَا
الرأْيُ أشيعه الأفِينُ إذا مشت   فى الشعب خاطئةٌ أصاخ فَأمَّنَا
شهد الحجا أن الجماعة ضَلَّةٌ   حتى إذا قضت الجماعةُ أيْقَنَا
أوّاهُ من جَنَفِ العشير فإنه   غَلَّ النُّهَا عنتاً وفَلَّ الألْسُنَا
العدل فى الأُخري وتلك عُلالةٌ   عدلٌ يُقامُ هناك من ظلمٍ هنا !
الحر يَصْطَنِعُ الإباء فديته   بالشعب يُصْرَعُ بالهوان فيُقتَنَى
أَمَلُ التَّحَضُّرِ كل جَزْلٍ مُفْضِلٍ   شَرِقُ الحجا بعلومه غضُّ الجَنَى
فى الناس مُبْتَكَرُ الحياةِ وهاتفٌ   شَادٍ غَرِدٌ بالقديم وغَنَّنَا
إن الحياة فضيلة من هَدَّهَا   سقط الأخسُّ من الشعوب الأوهنا
من عاش لا وطناً حماه ولا انتحى   الصالحات فكيف عاش بلا مُنَى ؟
النُّبْلُ مُخْتَفَلُ الثراء فلا تَسَلْ   كيف استقلَّ الشعبُ بل ماذا اقتنى
شعبانِ يصطرعان أيّةُ سُبَّةٍ   الحزمُ إن عَكَفَ الصراعُ وأدْمَنَا ؟
يا جَوُّ مالك بالأخوّة عابساً   كالماء قَطَّبَ النسيم وَغَضَّنَا
وَلَعُ الدسائس كم يسود ونسجُهُ   بيتُ المنا كيما أخسَّ وَأوْهَنا
ظلَمَ الخلاف متَى الوفاق فطالما   خفَّ الجمالُ إلى التواصُل مَوْهِنَا ؟
طلب الحيـــاة سرية رَفَافَةً   أَنَّى أعزَّ دعاته وأذلنـــا ؟
أين الوئامُ وكلُّ برٍّ قبلـه   صوتُ التآلف كالمُصَلِّي أذَّنَا ؟
هُبُّوا إلي الرأي الأصيل فإنه   أمنٌ وإن خلافه لن يُؤْمَنَا
الرأيُ أنبله تجاربُ أشيب   كالسيف نازل دهره حتى انحنى
صدق الحجا . الحزمُ أشرف نزعةً   والناهضُ الوثابُ أنبلُ موطنا

« السكرية — دار القاياتي »

حسن القاياتي

قلعة بعلبك

للأستاذ أحمد الصافي النجفي

دار وَحْيٍ أم قلعة أنا فيها   كنبيٍّ يستنزل الإلهاما ؟

جئتُ أرنو إلى الطلول وأرنو   لقرونٍ مضت ومجد أقاما

إيه أطلالَ بعلبك أجيبي !   أين خلّفتِ قومكِ الأعلاما ؟

هل يبيد الحِمامُ قوماً إذا ما   نهضوا للحروب قادوا الحِماما ؟

هل يبيد الحِمامُ قوماً وهذى   غُرُّ آثارهم خلدْنَ عظاما ؟

تلك أرواحهم خلدْنَ بفنٍّ   جلّ عن أنْ يخلّد الأجساما

إيه باخوس ... كم شربتَ قديماً   مِنْ سُلافٍ وكم سقيتَ ندامى ؟

صَرَعَتْهُمْ منك المدامُ .. ولكن   أنت صاحٍ مهما احتسيتَ المداما

كم سقيتَ الورى بجامك خمراً   ثم أعقبته من الموت جاما !

أنت تسقي الوضيع كأسك حيناً   ثم تسقى بها المليكَ الهماما !

رَفَسَتْهُمْ رجلاكَ لم ترع ذلاً   لوضيع ، أو للمليك احتشاما !

والعواميد خلتها في صلاةٍ   رُكّعاً حول معبدٍ وقياما

صَرَعَ الدهرُ بعضهنّ ، وبعض   واقفات تصارع الأياما !

وشجاني من العواميد ستٌّ   واقفات صفاً يروع نظاما

ناظرات يسألن عن قرناء   قد قطعن القرون والأعواما

دُمَنَ يبحثن عن رفاق فلا   يبصرن إلاّ الإيوان والأهراما

وبقايا من تدمر كعروس   ذات حُسْنٍ بالتبرِ هامَتْ وهاما !

يتساءلْنَ هل أخذنا عهوداً   لليالي أو هل قطعنا ذماما ؟

درست دوننا القصور ودمنا   ثم نرجو أنْ سوف نبقى دَوَامَا

يتفاخَرْنَ عكس طبع الغواني   أيّ أختٍ تربو على الأخت عاما ؟

يبغض السنّ من يخاف فناء   وأخو الخُلْدِ يعشق الأعواما

بمرور السنين يَزْدَدْنَ حُسْناً   ثم يَزْدَدْنَ للخطوب ابتساما ؟

يا لستٍّ من العواميد هاجتْ   في فؤادي ذكرى تؤجّ ضراما

أيّ شأن لها ، وأيّ ملوك   سجدتْ حول عرشها تترامى ؟

إنْ رأتْ سَجْدَةَ الملوك فهذا   الدهرُ ألقى لها السجود احتراما !

أنا أكرمتها بدمعي احتراماً   وكرام الأنام تبكي الكراما

يا لستٍّ من العواميد تُلْقَى   لجميع الورى دروساً جساما

واقفات كأنهـا خطباء   تعظ الأرضَ والسّما والأناما

قائلات : المجد يبقى وإنْ كا   نَ بنوه تحت التراب رماما

يا لستٍّ من العواميد كم قد   رفعت ثُمَّ نَكّسَتْ أعلاما

صافحتْ في الزمان رُومًا وعرباً   ونصارى الغزاة والإسلاما

صافحتهم وودّعتهم بكفٍّ   لم تطوّل وداعها والسلاما

ولكم أبصرت ولم تتزعزع   عادياتٍ تجرّ موتاً زؤاما

كم تلقّتْ بصدرها مِنْ سهام   ورأت للعدى قناً وحساما

بسمت نحوها الغزاة وعادت   وهي تذرى لها الدموع انسجاما

يا لستٍّ من العواميد ظلّتْ   كشموعٍ للدهر تجلو الظلاما

قد تمالَيْنَ فانحنين رؤوساً   ثم أحكمنَ في الثرى الأقداما

حاكيات وسط الفضا أخوات   قد تماسَكْنَ واتحدنَ غراما

وضع الحسنُ والبها تاجَ حسن   واحداً فوق رأسهنّ تسامى

وَحّدَ الحسنُ بينهنّ بتاجٍ   حيث في الحسن قد بلغن التماما !

فتعاهَدْنَ في كفاحِ الليالي   لا يبارِحْنَ حظهُنَّ انهزاما

أو كقوّاد جحفلٍ قد أطلّوا   يصدرون الآراء والأحكاما

يتناجون دون تحريك هام   حيث ولّوا نحو الجيوش الهاما

ظلّ بعضٌ يفضي لبعض برأيٍ   واستمرّوا يُراقبون الصداما

يا لستٍّ من العواميد تبكي   أخوات لها قضين انهداما

هدّمتها كفّ القضا فاشتهت لو   حطمت معول القضا الهدّاما !

ذكرت عهدها القديم فأمست   وهي يقظى تشاهد الأحلاما

كم وعت خطبةً وأصغت لنجوى   آه ... لو أنها تعيد الكلاما ؟

تتراءى كأنها كفّ جبّا   رِ عظيمٍ زادوا بها إبهاما

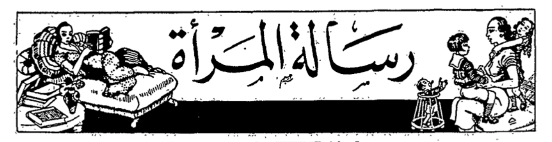
جسمه القلعة المهيبة لكن   ألبسته يد البلى أسقاما

فانهدامَاتُها جراح بجسم   طالما مارس الوغى والزحاما

كسرت عظمة الليالي فلم   يُبْدِ انكسارًا ولا اشتكى آلاما

وسبتني فيها تماثيل غيد   عبدتها أهل الهوى أصناما

سكب الفجر ضوءه في ثنايا   ها وألقى الضحى عليها ابتساما



الإسلام (والأتيكيت)

الأتيكيت أو الآداب العامة

دراســـة وتحليل

للآنسة زينب الحكيم

نصت الشرائع السماوية كلها ، على مراعاة الآداب العامة في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية . وإذا أنا اخترت أن أبين نسبة آداب الفرنجة إلى الآداب الشرقية وعلى الأخص الإسلامية منها ، فما ذلك إلا لشدة الشبه بين هذه وتلك ، ولأن في الإسلام وهو دين الاجتماع والتشريع الإنساني الرفيع — مالو عرفناه وعملنا به — لما احتجنا إلى التقليد والنقل ، مما تضيع معه قوميتنا الشرقية ، وتتلاشى به شخصيتنا المصرية

ولقد اطلعت على كتب كثيرة شرقية وأجنبية في هذا الصدد حتى كوّنتُ فكرةً تحليلية عن الآداب العامة ونشأتها

فجمل الكتب الشرقية (الإسلامية على الأخص) تشير إلى أنه من الواجب على الإنسان كفرد ، وعلى الأمة كجماعة ، أن تقوم بواجب الآداب العامة نحو الخالق الذي أوجدها سبحانه وتعالى ؛ فتقر بفضله تعالى عليها — وتعتبر هذه أول خطوة في الآداب — ثم المحافظة على ما ورثته من نظم ، وأن تتبع هذه النظم ، وتسير على مهل في سبيل الانتقال بها من طور إلى طور أكمل منه في غير اهتزاز وعنف . كل هذا يكوّن التراث التقليدي الأدبي ، ونكون قد تدرجنا على شبه ما تدرج بالبرية موجدُها الأعلى من مهدها ومن زمنها الأول إلى الآن

والأديان السماوية أدل شيء على هذا التدرج المتدل ، فإن من يترسم خطى هذه الأديان ، يلحظ سمة الطفولة على التوراة ،

يشتهي الثغر لثمها وهي صخر ويذوب الفؤاد فيها هياما
هِمْتُ فيها فقلت هزؤاً بنفس أيّ صبٍّ قبلي أحبَّ الرُّكاما
عاريات مثل اللآلئ لم يسـ ـدلن ستراً ولا وضعن لثاما
تخذت عفة النفوس رداء وبنا الحنين في الجبين وساما
لم تشوّه بالصبغ يوماً وجوهاً جعل الحسن عندهن مقاما
هنّ مهما شاب الزمان صبايا راميات بلحظهنّ سهاما
وشجتني منهن هيفاء خود سامها الحظ دونهن اهتضاما
شوّه الدهر نديها بانكسار قبل أن يبلغ الرضيع الفطاما
فرنت نحو صحبها بانكساف خوف نقص يعزى إليها اتهاما
وتمنّتْ لو اكتسين جميعاً برداء ليستر الأجساما !
ورأيت الضرغام فارتعت منه أيّ قلب لا يرهب الضرغاما ؟
مُطْلِياً صمته المهيب زئيراً ساكناً خضرة السما آجاما
أسد الغاب خلته احتلّ (برج الأسد) اليوم، واعتلى الأجراما
فاتح الطرف، كاشر الناب، يبغي أن يخيف القضا إذا ثمّ حاما
نصبوه في الجوّ حامي عرين يقظ الطرف ، لا يحب المناما
ظلّ في الجو حارساً لحماه ومخيفاً وحش الدجا والطغاما
قام أسد الحمى وظل مفيقاً لا يذوق الرّقاد حتى لماما
وشجتني فيها مسارح لهو وفنون تنوّر الأفهاما
كم عَلَتْ فوق ساحها خطباء وغوان ترجّع الأنغاما
أقفرت تلك المسارح منهم واستحالت ساحاتها آكاما
إنّ أطلالَ بعلبك كتابٌ قد حلا مبدأً وطاب ختاما
فيه تبدو طلاسم أنا مهما رمت حَلاً لها تزد إبهاما
صار فيها وهمي تخلت بأني كنت فيها أجسّم الأوهاما !

(دمشق) أحمد الصافي النجفي

وترى سذاجة الفطرة والتضحية في الإنجيل، وعنز انسام القرآن بسمة الرشد، ومدى النضوج العقلي الذي يعتمد عليه الانسان للسير في الحياة وقد هيء له من أمره رشد

ولهذا فإن قائد الأمم أخلاقها وطباعها، والحاجة والزمان هما الكفيلان بإعداد النظم الجديدة، وأخلاق الأمة هي التي تحكمها. فكل نظام أو تشريع لا يتفق مع هذه الأخلاق ويمتزج بها امتزاجاً تاماً، يكون نظاماً مؤقتاً وتشريعاً لا يدوم طويلا

ومما يجب التنبيه له أن البيئة والأحوال والحوادث، تدل دلالة واضحة على مقتضيات الزمن الذي هي فيه ... فلو نظرنا إلى التقاليد في أي زمن، ولأي أمة، وجدناها عبارة عن ماضي الأمة في حاجاتها ومشاعرها وأفكارها

فالتقاليد إذن: عوامل تشخص روح الشعب والحقبة التي وجد فيها لما لها من تأثير عظيم في القوم

فإذا بحثنا مثلاً في ضرورة احتياجنا إلى تقاليد في الآداب العامة (أتيكيت) من نواح كثيرة تساءلنا:

١ — لماذا نلاحظ قوانين واصطلاحات خاصة؟

٢ — لماذا يحيي الناس بعضهم بعضاً، بشتى الطرق مثل الانحناء، والابتسام، والسلام باليد، ورفع غطاء الرأس الخ؟

٣ — لماذا نقوم بعمل تعارف بين الأفراد، ورسل الدعوات بعضنا لبعض؟

٤ — لماذا نهذب طباعنا وحديثنا؟

لكي نستطيع الإجابة على أشباه هذه الأسئلة، يجب أن نتتبع سير المدنية من مبدئها؛ فإذا فعلنا ذلك، وجدنا أنه كان من أولى ضروريات الإنسان الهمجي تدبير بعض الطرق، واختراع بعض الوسائط التي تقنع الهمج من قبائل أخرى بأنه لا يريد المشاجرة، ولا الاعتداء، وإنه يريد أن يعيش في سلام.

ولكن كان من الصعب عليه جداً أن يفعل ذلك مبدئياً. فقد كان تفكيره المحدود مرتبكاً بالخوف وبوعورة الحياة. إذ أن الإنسان في تلك العصور الأولى كان دائم الارتياب، شديد التطير، كثير الظن؛ وقد كان مضطراً إلى أن يكون كذلك، لأن حياته كانت متوقفة على حذقه وحرصه

ولكن الحاجة أم الاختراع دائماً. فأقيمت علامات خاصة، وروعيت أشياء أخذ يميزها الهمج، وتبادلوا عليها كتحيات سلام وأمان.

فتحية اليوم نتيجة مباشرة لتلك الضرورة النادرة، ويقاس عليها كثير من التقاليد المتبعة. فإن تحية الأمان هذه كانت أول المخلفات من الآداب العامة التي نطق بها بين الإخوان والمريدين

ولما عرفت قيمة هذه الشعائر السلمية، اتبعت تحايا خاصة لكل ظرف ولكل مناسبة مما ساعد على وضع الأمور في نصابها بأقل مشقة، وبأخص طريق، فساد السلام نوعاً ما، وأخذت العواطف الإنسانية تقوى (ومن هنا بدأ عهد جديد في تطور البشرية).

فإذا أودعت هذه الشعائر خفايا النسيان، وأسدل عليها ستائر الإهمال كان الغرض استئناف حياة الهمج من جديد.

على أنه لن يكون في استطاعتنا وأد الآداب دفعة واحدة وهي التي تكونت على مر الدهور، ولا يمكن أن ينكر أحد أن البشرية نشأت ونمت معها المدنية، فمن تحية الأمان الأولى، نمت سلسلة تحايا خاصة، وأشكال احترام خاصة جمعت الرجال تحت لواء حماية متبادلة، وصداقة مشتركة، فتولدت الحفلات، وحلقات الرقص لتعظيم القوى الطبيعية التي حار العقل البشري في فهمها حينئذ، كالشمس والنجوم، وقدمت الضحايا لآلهة الخوف التي أزعجتهم، كالظلام، والوحوش، والأصوات غير المعهودة لهم، كما أقيمت حفلات تأبين الموتى، وولائم الأفراح، وغير ذلك.

من ذلك نرى، أن الهيئة الاجتماعية حريصة على سلامتها، فهي لذلك أقامت تشريعاً اجتماعياً محدوداً واضحاً، مبنياً على الأخلاق والعادات، فأصبحت هذه التقاليد تشريعاً ارتآه، وعمل به نفر ممن تفخر بوجودهم في زمنها الجماعة الإنسانية المثقفة الراقية.

فنحن ملزمون إذن أن نتعلم هذه التقاليد رغمنا أو كرهنا ما دمنا نعيش في جماعات، وننشد مجتمعاً راقياً في حياتنا

مما لا ريب فيه أنه توجد عند كل إنسان رغبة للخير، وإن جانب الخير في الإنسانية توقظه وتظهره الرحمة والآداب والأخلاق الكريمة بوجه عام. كما أن المران على (الإتيكيت) أو الآداب

العامة يحتاج إلى أكثر من مجرد استقاء معلومات من معاهد التقاليد الاجتماعية الخاصة بالأخذ والعطاء ، والقبول والرفض ، والدعوات والولائم ، أو عدد البطاقات التي تترك للآخرين بالمناسبات ، أو استعمال الألقاب على وجه صحيح في التحدث والكتابة . فإن التمرن العملي على (الإتيكيت) يجب أن يبنى على المبادئ الأولية ، وهي الاحترام ، ومشاعر الرحمة والشفقة نحو الآخرين ، وإلا كانت التقاليد مجاملات جوفاء وهذه لا تلبث أن تزول

وإن أميز ما يمتاز به الرجل الملم بمعرفة الآداب (العامة والخاصة) ما يتسم به من وقار وسماحة يغمر من يقابله ، كما يساعده على العمل والقول اللائق الصحيح في كل موقف من المواقف . فالفرد الذي يعرف كيف يوجد بين جماعة راقية ، لا يدع مجالاً للغضب ولا لعدم الصبر ، ولا يتسيطر ولا يتحكم ولا يضغط على الآخرين بطباعه الجافة

إن مركز الآداب الراقية ، يمنع التبجح مع الرؤساء ، كما يمنع الأحاديث التي تؤلم الشاعر ، ويحبذ العمل على إيجاد رغبة صادقة في جلب السرور لمن نوجد معهم . فالمرأة والرجل المثقفان يجتهدان في جعل كل فرد في مجتمعهما سعيداً مطمئناً (على شرط أن يستأهل هو ذلك أيضاً من جانبه) . ثم إن مشاركة عواطف الغير واحترامهم مفروض على كل فرد مهما كان نوعه ، وذلك واجب عليه سواء أكان غنياً أم فقيراً، عالماً أم جاهلاً . ومع أن الأخلاق الرقيقة قد تكون وراثية إلى حد ما ، فإنه يمكن تحسينها وإنماؤها بوساطة البيئة الصحيحة ، وبدراسة القوانين الاجتماعية ومراقبة المجتمع نفسه ، وتطبيق ما حصله الإنسان في معاهد الآداب عملياً في الحياة العملية حتى يجني المجتمع ثمار عمل أفراده وبناته

لعلنا بهذا التلخيص نكون قد أوضحنا بعض الشيء نشأة الإتيكيت وضرورته في الحياة .

زينب الحكيم



ما هي الحياة

وكيف ظهرت على الأرض ؟

وحدة الأحياء والجمادات

للأستاذ نصيف المنقبادى

أثبتنا فى مقالنا السابق وحدة الحيوانات (ومن بينها الإنسان) والنباتات وبينا أن النباتات الفطرية إنما هى الحلقة المتوسطة بينهما وقلنا إن هذا دليل على اشتقاقهما من أصل واحد ؛ وهو الجمادات

ونتكلم اليوم عن وحدة الأحياء والجمادات مستعرضين من جديد الصفات المشتركة بين جميع الكائنات الحية لنبين أنها ليست خاصة بها . بل توجد جميعها ولكن مبعثرة ومشتتة فى الجمادات ، كما أشرنا إلى ذلك فى المقال السابق

ونقول إجمالاً من الآن إن تلك الصفات الموصوفة عادةً بالحيوية ليست لازمة للحياة ولا ضرورة لها ، إذ أن هناك بعضاً من مظاهر الحياة — هى أهمها وأدقها — تقوم بها مواد كيميائية وأجسام معدنية محضة لا يتوفر فيها شىء من تلك الصفات أو الميزات . ومن ذلك التخمر

فإذا سحقنا مثلاً كمية من النباتات الميكروسكوبية المكونة من خلية واحدة من النوع الذى يخمر المواد السكرية ويحولها إلى خمر (خميرة البيرة) ، أو من النوع الذى يخمر الخمر ويحولها إلى خل ، أو من النوع الذى يخمر سكر اللبن ويحوله إلى الحامض اللبنى، ثم نقعناها فى ماء معقم مطهر ورشحنا الماء بعد ذلك، نحصل على سائل يخمر هذه المواد مما يدل على أن خواص الحياة ما زالت قائمة فيه . فهل لنا أن نقول إن هذا السائل المرشح كائن حى ؟

وإذا أغلينا هذا السائل إلى درجة المائة فوق الصفر فإنه يفقد خاصة التخمير كأنه مات مقتولاً بالحرارة كما يحدث للكائنات الحية

والواقع أن الذى يقوم بالتخمير وبمعظم أعمال الحياة فى الكائنات الحية من هضم الأغذية على أنواعها ، إلى تحليلها وامتصاصها وتركيبها من جديد داخل أنسجة الجسم وخلاياه الخ إنما هى خمائر تفرزها غدد خاصة فى الأجسام الحية المتعددة الخلايا، أو كائنات حية أيضاً مكونة من خلية واحدة مثل النباتات والحيوانات الأولية الميكروسكوبية ، وهذه الخمائر تذوب فى الماء وتفعل فعلها هذه وهى ذائبة فيه

والخمائر لا يمكن القول بأنها كائنات حية بالمعنى التام لأنه لا جسم لها ولا قوام ، وهى لا تتغذى ولا تتنفس ولا تنمو ، ومع ذلك تبدو كأنها حية ، وتقوم بأهم مظهر من مظاهر الحياة وهو التخمير

على أن كل هذا لا غرابة فيه، لأن الخمائر التى تسلك مسلك الأحياء لم تخرج عن كونها مفروزة من أجسام حية ، ولكن المدهش حقاً هو فعل المواد المعدنية الغروية ، فقد توصل العلماء إلى تحضير كثير من المواد المعدنية والعضوية على هذه الحالة ، (à l'état colloïdal) ؛ وقد شوهد أن بعضها مثل الفضة أو المنغانيز وغيرهما تخمر المواد القابلة للتخمر . فإذا وضع قليل منها فى شراب السكر مثلاً لا يلبث هذا الشراب حتى يختمر ، لا فرق فى ذلك بين هذا التخمر وبين التخمر الذى تحدثه الكائنات الحية بفعل الخمائر التى تفرزها سوى أن التخمر يتم هنا بأسرع مما يتم فى حالة التخمر الحيوى . وأول ما يتبادر إلى الذهن أن جراثيم التخمر العادية تسربت إلى ذلك السائل من الهواء أو الماء أو من الأوعية والأدوات المستعملة، ولكن الدقة فى تعقيم كل هذه الأشياء لا تدع محلاً لمثل هذا الاعتراض

وأغرب من هذا فعل الكلوروفورم المخدر فى المواد المعدنية الغروية التى نحن بصددها ؛ فإنه يخدرها وينبجها تبنيجاً ويمنعها عن مواصلة التخمير إلى أن يتطاير ، ويتلاشى فتعود إلى فعلها هذا المدهش، وإذا أضيف إليها قليل من سيانور البوتاسيوم وهو سم قاتل، فإنه يمنع فعلها التخميرى بتاتاً ؛ فكأن هذه المعادن

هذه الجمادات المحضة — ماتت مسمومة ولا يمكن أن تعود إلى إحداث التخمر إلا إذا أزيل عنها هذا السم ثم تحولت إلى معدنها الأصلي الجامد ومنه إلى الحالة الغروية من جديد، وعند ذلك فقط تبعث بعثاً، وتعود إليها هذه الخاصة التي كنا نظنها مقصورة على الأحياء دون غيرها.

وإذا لوحظ أن في المادة الزلالية الموصوفة « بالحية » التي تتكون منها خلايا الحيوانات (بما فيها الإنسان) وخلايا النباتات وكذلك في الخمائر التي تفرزها هذه الكائنات الحية أثراً من المواد المعدنية التي كان يظن البيولوجيون إلى عهد قريب أنها مواد إضافية لا شأن لها في المادة الحية، وإذا قورن هذا بما تقدم بيانه من فعل المعادن الغروية، لأدركنا معنى النظرية البيولوجية القائلة بأن أداة الحياة أو أن الذي يقوم فعلاً بأعمال الحياة في الكائنات الحية ليست المادة الزلالية الخاصة المسماة « بالبروتوبلاسم » وإنما هي تلك الزوائد المعدنية المحضة. وعلى هذا يكون الجزء الحي في الأحياء هو المعادن المذكورة أي الجمادات الخالصة، وما المادة الزلالية إلا قاعدة ترتكز عليها تلك المعادن للقيام بأعمال الحياة.

نعود إلى الصفات المشتركة بين الأحياء التي يقولون إنها تميز الحياة، لنبين أنها ليست وقفاً على الكائنات الحية بل إنها توجد جميعاً بلا استثناء في الجمادات.

التكوين الخلوي والتكوين المعدني

قلنا إن الكائنات الحية مؤلفة من خلايا صغيرة لا ترى بالعين المجردة. ولكن هذه الظاهرة — أي تكوين جزئيات الجسم تكويناً دقيقاً — ليست خاصة بالأحياء، فإن الأجسام المبلورة المعدنية التي يتكون منها معظم ما على الأرض من مواد كجبال الجرانيت والرخام وكالأملاح العديدة المختلفة وغيرها، مكونة من بلورات متلاصقة؛ كما أن جميع الجمادات على الإطلاق مكونة من جزئيات صغيرة جداً (Molécules)، وهذه الجزئيات مؤلفة من ذرات (Atomes) وقد اتضح بعد اكتشاف الراديوم والأجسام المتشعة المماثلة له أن الذرات مؤلفة من الكهارب (Électrons) وغيرها (تراجع المقالات النفيسة التي جاد بها أخيراً يراع عالمنا المصري الدكتور محمد محمود غالي على صفحات الرسالة عن تكوين المادة)

التركيب الكيميائي

تتركب الأجسام الحيوانية والنباتية من مواد زلالية ودهنية وسكرية كما بينا في مقالنا السابق. ويظهر أن عدم وجود المواد المذكورة بحالتها هذه في الجمادات قد جعلها من قديم الزمان الحد الفاصل بين الأجسام الحية والأجسام المعدنية، حتى أن الكيميائين كانوا يفصلون فصلاً تاماً بين المواد العضوية التي تستخرج من أجسام النباتات والحيوانات وبين المواد المعدنية، وأوجدوا بينهما هاوية سحيقة لا تعبر. ولكن العلم الحديث قد أزال هذا الحد وأثبت وحدة المادة.

وأول ما يلاحظ هنا على مواد الأجسام الحية وعلى المواد العضوية عموماً، أن العناصر المركبة منها وهي الأوكسيجين والهيدروجين والكربون والأزوت والعناصر الإضافية الاخرى موجودة جميعها في الطبيعة، وتدخل في التراكيب المدنية التي لا عداد لها بحيث لا يوجد عنصر من العناصر خاص بالأحياء دون غيرها

والواقع أن المواد المسماة بالحية، وعلى العموم المواد العضوية، مشتقة جميعها من الجمادات رأساً، وهي تتركب منها مباشرة في كل لحظة أمام أعيننا وعلى مرأى منا على الوجه المتقدم بيانه في المقال السابق. فمادة النباتات الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بقوة الشمس وتحلل غاز الحامض الكربونيك المنتشر في الجو وتنتزع منه الكربون وتمزجه بالماء فتكون منه السكر والنشا والسيليلوز ومادة الخشب والمواد الدهنيــة والأحماض والقلويات العضوية الثلاثية. وفي الوقت نفسه تمتص جذور النباتات التراكيب الأزوتية من الأرض، وهذه تمتزج بالمواد الكربونية سالفة الذكر بفعل قوة الشمس أيضاً فتتولد المواد الزلالية الحية

وما تنشئه الطبيعة بواسطة النباتات من هذه المواد قد أمكن للانسان أن يصنعه من مواد معدنية محضة، فقد توصل الكيميائيون إلى تركيب معظم المواد الحيوانية والنباتية ومشتقاتها من الجمادات مباشرة كالسكر والنشا، وبعض المواد الدهنية، ومواد الصباغة، وكثير من القلويات المستعملة في الطب، وجميع العطور وغير ذلك. ومن المدهش الذي يدعو إلى الإعجاب الكبير أنهم صنعوا عطوراً اصطناعية لا وجود لها في عالم النبات حيث لا توجد زهور تقابلها

ويجدر بنا هنا أن نخص المواد الزلالية بكلمة على حدة لأنها كانت إلى وقت قريب تعد معقل الحياة. فقد ثبت من تحليلها بطريقة علمية دقيقة أنها مكونة من امتزاج بعض الأحماض العضوية الأزوتية والفسفورية ببعض كالحامض التمليك وغيره. وما أن عرف العلماء

ذلك حتى أخذوا يمزجون بعض هذه الأحماض بعضها على صور عديدة مختلفة . فنجحوا فى وضع الجيلاتين والبروتين وزلال اللبن (مادة الجبن)، وزلال يدعى الكيراتين يدخل فى تركيب أظافر الإنسان والحيوانات الفقرية الأخرى . وهذا النجاح يبشر بقرب الوصول إلى تركيب المواد الزلالية العليا المسماة بالحية .

الشكل النوعى

فضلاً عما ثبت نهائياً وقطعياً من أن الكائنات الحية ليست ثابتة فى أشكالها ، بل إنها فى تغير وتحول مستمرين فى ملايين السنين بحكم ناموس التطور والتسلسل؛ نقول إنه فضلاً عن ذلك فإن هذه الظاهرة (الشكل النوعى) ليست من جهة شاملة لجميع الأحياء لأن بعض الكروبات غير ثابتة فى شكلها ، بل إنها تتشكل حسب البيئة التى توجد فيها بحيث لا يمكن تمييز أنواعها إلا بمفعولها ، وكذلك الحال بالنسبة للأميبيا ، وبالنسبة لبعض أنواع النباتات الفطرية السفلى من فصيلة الميكزوميست التى سبق لنا الإشارة إليها فى المقال السابق ؛ فإنه ليس لأفرادها شكل معين حيث لا غلاف ولا غشاء لخلاياها فى معظم الأحوال

ومن جهة أخرى فإن لكثير من الجادات، ونعنى بها الأجسام البلورة، أشكالاً ثابتة وهى أشكال بلوراتها الهندسية تميز كل نوع منها من غيره

وأوجه الشبه بين الكائنات الحية والأجسام المبلورة عديدة . فمن ذلك أن الأنواع المبلورة القريبة التركيب كيميائياً قريبة الشكل هندسياً ، كما أن الأحياء كلما اقتربت أنواعها اقتربت أشكالها

وكما يحدث أحياناً أن الأنواع الحية القريبة يتناسل بعضها من بعض مثل الحصان والحمار كذلك يحدث أحياناً أن الأنواع المعدنية القريبة كيميائياً تتبلور معاً مثل حجر الشب فإنه مؤلف من بلورات سلفات الألمونيوم وبلورات سلفات البوتاسيوم مشتبكة بعضها مع البعض

وهناك ظاهرة كان يظن أن الكائنات الحية اختصت بها دون الجادات وهى استعداد أفراد الحيوانات والنباتات لإصلاح كل تشويه يحدث لها واستعادة شكلها الأصلى بقدر الإمكان ، فإذا جرحت يلتئم جرحها ، وإذا انقطع جزء منها لا يلبث حتى ينمو غيره مكانه، وعلى الأخص فى النباتات والحيوانات السفلى وكذلك فى أطراف أعصاب الحيوانات العليا والإنسان . وهذا ما يحدث للبلورات المعدنية المحضة ، فإنه إذا كسرت بلورة من أحد أضلاعها ثم غطست فى سائل مشبع من مادتها أو فوق المشبع نراها تنمو على الأخص من جهة الجزء المصاب إلى أن يعود إلى حالته الطبيعية وشكله الأصلى فيأخذ مجموع البلورة فى النمو

تغذى الأحياء والجمادات

لعل التغذى هو أهم مظاهر الحياة وأكبر مميز للكائنات الحية، ولكنه غير خاص بها أيضاً بل يحدث لكثير من الجادات . فبقعة الهواء التى تبدو صغيرة على قطعة المعدن ثم تكبر إلى أن تنتشر على كل سطحه إنما هى تتغذى فى الواقع من بخار الماء والحامض الكربونيك المنتشرين فى الجو ومن مادة المعدن القائمة عليها ، فتنمو وتتسع كما ينمو ويكبر الجسم الحى من التغذى . والبلورات الصغيرة المغموسة فى ماء مشبع من محلول مادتها تتغذى منها فتنمو وتصبح بلورات كبيرة

على أن خير مثال لتغذى الجادات بالمعنى الحقيقى التام ما هو حاصل فى الآلات الميكانيكية فإنها تتغذى بالفحم أو البنزين أو البترول ، وما الوقود إلا غذاء تلك الآلات تحترق فيها فتولد الطاقة (القوة) اللازمة لقيامها بأعمالها كما يحترق الغذاء بعد هضمه وامتصاصه فى الأجسام الحية فيولد فيها الطاقة اللازمة للقيام بأعمال الحياة ووظائف الأعضاء ، وسنشرح فى مقال قادم ناموس بقاء الطاقة La loi de la conservation de l'energie وانطباقه على الكائنات الحية (بما فيها الإنسان)، وحسبنا أن نقول اليوم إن جميع القوى التى تعمل فى الحيوانات (ومن بينها الانسان) والنباتات حتى التفكير والقوى العقلية ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء، أو بعبارة أصح الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء

التنفس فى الأحياء والجمادات

ويلحق بالتغذى التنفس ، وهو أيضاً ليس مقصوراً على الأحياء لأن الجادات التى تحترق بسرعة أو تتأكسد ببطء إنما هى تتنفس، أى أنها تمتص الأكسيجين من الهواء وتفرز الحامض الكربونيك وهذا هو التنفس بعينه ، وقد عرف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها حريق أو تأكسد La vie est une combustion كما تقدم لنا القول ، وما الرئتان إلا مدخنة الآلة الحية الحيوانية، توصل الأكسيجين إلى الجسم وتخرج منه الغاز الناتج من ذلك الاحتراق ، كما هو حاصل فى الآلات الميكانيكية من جميع الوجوه

تحرك الأحياء وتحرك الجمادات

وليست الحركة وقفاً على الأحياء ولا هي خاصة بها، ولكنها تشمل الجمادات وتعم كل ما في الكون من الأجرام الفلكية إلى أصغر الذرات وما هو أصغر منها مما اكتشف أخيراً ونعني به الألكترونات أو الكهارب وغيرها .

ومن حركات الجمادات التي تشبه حركات الحيوانات الأولية الميكروسكوبية الحركة المعروفة باسم حركة براون Mouvement browenien فإننا نشاهد في كثير من السوائل عند فحصها بالألترا ميكروسكوب أجساماً صغيرة جداً في حركة مستمرة وهي لا يمكن أن تكون كائنات حية لأنها تشاهد في السوائل السامة الكاوية التي تقتل الأحياء وجراثيمها في الحال كالحامض الكبريتيك وغيره . ولا شك في أن تحرك هذه الذرات ناتج من تحرك جزئيات المادة المستمر كما شرح الدكتور محمد محمود غالي ذلك أخيراً على صفحات الرسالة .

ومن حركات الجمادات التي تكاد تكون اختيارية حركة الأجسام تحت تأثير الجاذبية أو الألفة الكيميائية، فإنه بمجرد أن تشعر هذه الأجسام بقرب بعضها من بعض تتحرك وتنتقل من تلقاء نفسها إلى أن يتصل الواحد منها بالآخر كأنما يعشق بعضها بعضاً . وأمر حب بعض المواد الكيميائية لبعض معروف في علم الكيمياء . فالماء مثلاً يصعد من تلقاء نفسه رغم جاذبية الأرض ويندفع إلى الطبقة العليا من الجهاز الخاص بمجرد إدخال غاز الكلور في هذه الطبقة العليا ، ولا يهدأ له بال إلا إذا فاز بالوصل منه شأن العاشق الولهان . وما عاطفة الحب التي يتغنى بها القصصيون والشعراء من قديم الزمان إلا ظاهرة كيميائية محضة ترجع في النهاية إلى تلك الجاذبية التي تدفع جراثيم التلقيح الذكرة (مثل الحيوانات المنوية وما يقابلها من النباتات) نحو بويضات الإناث مما سنشرحه في مقال قادم

ومن حركات الجمادات تحرك نقط المواد الرغوية المعدنية المحضة من تلقاء نفسها كما تتحرك الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة واستمرار هذه الحركة بضعة أيام في التجارب البديعة التي قام بها العالم البيولوجي بوتشلي. ولولا ضيق المقام لشرحناها بالتفصيل على أن حركة الجمادات المماثلة لحركة الكائنات الحية من جميع الوجوه إنما هي حركة الآلات الميكانيكية نتيجة احتراق الفحم أو البترول أو البنزين فيها كما أن حركة الأحياء هي نتيجة احتراق المواد الغذائية في العضلات المحركة لها ...

التأثر في الأحياء وفي الجمادات

تقول إن التأثر ليس خاصاً بالأحياء بل إنه يوجد في كثير من الجمادات، وإذا شئت فقل في كلها مع التفاوت . فالمواد المفرقعة تتأثر بل وتغضب وتنفجر عند أقل لمس . ومواد التصوير الشمسي تتأثر بالضوء ، ولهذه المناسبة نذكر أمر اللوحات الفتغرافية الملونة ، فإنه إذا سلط عليها نور أحمر تلونت في الحال باللون الأحمر، وإذا سلط عليها النور الأخضر تلونت في الحال باللون الأخضر . فأملاح الفضة التي على هذه اللوحات لا تتأثر فقط بالضوء بل كأنها تدافع عن كيانه ضده لأنه يقتلها بأن يحللها ويحولها إلى مواد أخرى . فعند ما يسلط عليها النور الأحمر تتلون في الحال باللون الأحمر لأن هذا اللون يمنع دخول الأشعة الحمراء؛ وكذلك الحال عند ما يسلط عليها النور الأخضر أو غيره . أفلا تكون غريزة حب البقاء القائمة في الإنسان وفي جميع الحيوانات من نوع هذه الظاهرة الغريبة ؟ وما الفرق بين هذه اللوحات الفتغرافية — هذه الجمادات المحضة — وبين بعض الحيوانات التي تتلون بألوان مختلفة حسب البيئة التي توجد فيها

ومن الأمثلة على تأثر الجمادات ما هو معروف في علم الصوت من أنه إذا دق إنسان على وتر من آلة موسيقية ، فإن الوتر المقابل له في الآلة القريبة منها يتأثر ذاتياً ويهتز من تلقاء نفسه اهتزازاً خفيفاً ، ولكنه يظهر جلياً بواسطة الآلة المكبرة للصوت

وقد وضع السيربوز العالم البيولوجي الهندي الكبير الذي زار مصر سنة ١٩٢٨ جهازاً دقيقاً بديعاً لإثبات تأثر المعادن بالكهرباء يدل على أنها تتعب وتضعف اهتزازاتها إذا تكرر تسليط الكهرباء عليها مدة طويلة متعددة . وإذا استراحت مدة من الزمن عادت الاهتزازات التي تحدثها فيها الكهرباء إلى قوتها

النتيجة

يتضح من كل ما تقدم أنه لا يوجد أي فرق جوهري بين الكائنات الحية وبين الجمادات ، وأن كل ظواهر الحياة توجد في الجمادات ، بل إن بعض البيولوجيين يرجحون أن الجزء الحي فعلاً في الحيوانات (ومن بينها الإنسان ، وفي النباتات هو المواد



الموسيقى الإيرانية

للأستاذ محمد السيد المويلحي

لم يتح للموسيقى المصرية لسوء الحظ ـ ولسبب لا أدريه ـ أن تشترك في الاحتفاء بمقدم سمو ولي عهد إيران، كما فاتها حظ الاشتراك مع باقي الفنون العليا في التعبير عما خالج مصر من عواطف الفرح وخوالج البهجة والمرح .. اللهم إلا تلك الحفلات الهزيلة الشاحبة التي لم تقو على إعطاء سمو ولي العهد الإمبراطوري الصورة الحقة للنهضة الموسيقية المصرية الشابة التي طفرت إلى ذروة رفيعة مرموقة موموقة ...!

وقد سمعت بعض الشائعات التي تقول بأنها أبعدت لأنها غير مفهومة من سموه ؛ فعجبت لهؤلاء الذين طيروا هذه الشائعات لأنهم لا يعلمون أن موسيقانا بل وجميع الموسيقى الشرقية إطلاقاً من أصل فارسي ؛ فكيف تنكر الأذن موسيقى نشأت على سماعها منذ الصغر ؟ وكيف لا يستسيغها سموه وهي التي خلقت في وطنه ؟ إن العبرة ليست بالكلام العربي أو الإيراني وإنما بالموسيقى التي تصور وتترجم في حدود الذوق الشرقي !

إن (السلم) العربي لم يخلق في مكة أو المدينة ولا في تركيا أو مصر، وإنما خلق كما هو الآن في إيران ثم انتقل إلى بلاد العرب حين غزوها الفرس مع باقي الفنون والعلوم الإيرانية. وظل هكذا حتى انتقل إلى بلاد الترك الذين عرفوا كيف يستخدمونه جيداً فركبوا منه نغماتهم وموسيقاهم التي أضفت على الموسيقى الشرقية لوناً زاهياً واستحدثوا نغمات : النوا أثر ، وشط عربان ، والحجاز كار كرد ، والفرح فزا ، والكرد ... الخ

وليكون القارئ على بينة بالسلم سنكتبه له :

(١) يكاه (٢) نيم قرار حصار (وهي لفظة إيرانية يسميها الترك (كابا) (٣) قرار حصار (٤) تيك قرار حصار (٥) عشيران (٦) نيم قرار عجم (٧) قرار عجم (٨) عراق (٩) كوشت (١٠) تيك كوشت (١١) راست (١٢) نيم زركولا (١٣) زركولاه (١٤) تيك زركولاه (١٥) دوكاه (١٦) نيم كرد (١٧) كرد (١٨) سيكاه (١٩) بوسالك (٢٠) تيك بوسالك (٢١) جهاركاه (٢٢) نيم حجاز (٢٣) حجاز (٢٤) تيك حجاز

* * *

هذا هو السلم الفارسي الذي استعمله الشرق قاطبة واستخرجوا منه حسب استعدادهم الفني وقدرتهم الموسيقية أنغامهم وألوانهم التي تتفق وأذواقهم ومشاربهم ، وهو يتكون من ديوان (أوكتاف) سبعة مقامات: ثلاثة كبيرة وأربعة صغيرة (وهي التي يتكون منها النغم الشرقي الذي لا يعرف الماجيور ، والمينور أو الميجير والمنير كما ينطقها الفرنسيون ....

المدنية الغروية التي تدخل كميات قليلة منها في تركيب خلاياها .

وقد ثبت أن المادة الحية تشتق رأساً من الجمادات على الدوام تحت أعيننا وعلى مرأى منا بفعل قوة الشمس بواسطة مادة النباتات الخضراء (الكلوروفيل) بحيث لا يوجد عنصر خاص بالأحياء. كما أن القوى التي تعمل في الأحياء وتدبرها هي من القوة الطبيعية المحضة ومشتقة منها وليس شيء آخر خلافها

وكلما تقدم العلم تلاشى ذلك الخيال الذي كانوا يعتقدون فيما مضى أن له وجوداً خاصاً قائماً بذاته مستقلاً عن المادة . وما الحياة في الواقع إلا تفاعلات كيميائية أو بالأحرى طريق بطيء أو تأكسدات مستمرة ، فهي ظاهرة طبيعية مثل باقي ظواهر الطبيعة

نصيف المنقبادي المحامي
دبلوم في الفيسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

وقد ابتكر الإيرانيون النغمات الآتية التي لم يكن الشرق يعرفها حتى جمعها منهم وهي:

الدوكاه (البياتي) والأصفهان، والعجم عشيران، والعراق والحجاز، والسيكاه ... الخ ...

وهي نغمات فارسية أصيلة تدل على قدرة عالية ومكنة متمكنة لا حد لها ...!

قد يقال إن السلم عربي، ولكن الأسماء هي الفارسية؛ وربما يستدل على هذا بما قاله الدكتور (هنري فارمر) من (أن ابن مسجح تعلم فن الغناء الفارسي، وتلقى أيضاً بعض الدروس عن الموسيقيين الروم العازفين منهم على (البربطين) وعلماء الموسيقى النظرية، واستعان بما تعلمه في غربته على وضع نظام للنظرية الموسيقية رضى به رجال الموسيقى في عصره. على أن هناك ما يدلنا على أن ابن مسجح رفض الطرق الفارسية والرومانية التي رآها غريبة عن الموسيقى العربية. ومن هذا يستدل على أن هذه النظم الموسيقية المنقولة من الخارج لم تكن سابقة لنظرية الموسيقى الوطنية العربية. قد يقال هذا، ولكن أليس فارمر هو القائل:

« ليس من العسير الوصول إلى معرفة الزمن الذي انتقل فيه العرب فعلاً من طريقة الديوان الواحد (الأوكتاف) إلى طريقة الديوان المضاعف أو الجمع التام، ففي أيام إسحق الموصلي والكندي ويحيى بن علي والفارابي وإخوان الصفاء كانت أوتار العود الأربعة تسمى من الأعلى إلى الأدنى: زير مثنى، مثلث، بم، والاسمان الأول والأخير فارسيان »

فكيف يستعين الإنسان بأسماء غريبة عن لغته. ثم يدعى بعد هذا أن السلم له؟ إن العقل ليقف قليلاً متسائلاً:

كيف يوفق العرب إلى خلق السلم ثم لا يوفقون إلى خلق الأسماء فيسمونها بأسماء إيرانية بحجة أن نفوذ الفرس أدى إلى هذا!

ثم إذا فرضنا جدلاً أن السلم لا يمت إلى الإيرانية إلا بالأسماء فقط فكيف عجز العرب إلى اليوم عن تعريبها وتسميتها بأسمائها؟!

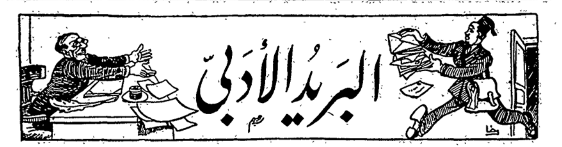
هذا من الناحية الشكلية والعقلية (للسلم) الذي لا نزال نستعمله إلى اليوم بأسمائه الإيرانية من مئات السنين. وقد حرصنا ألا نسهب فيه من الناحية التحليلية الفنية البحتة حتى لا يتسرب الملل إلى نفس القارئ. أما من الناحية التاريخية فإن الفرس قد سبقوا العرب في الاهتمام بالموسيقى اهتماماً عظيماً حتى تأثر العرب بها تأثيراً كبيراً، و« طويس » أول من غنى بالعربية غناء إيقاعياً، تعلم الغناء من الفرس، وكذلك سائب خاثر الذي تأثر بنشيط الإيراني ونقل مثل غنائه إلى العربية وحاكاه في العزف على العود بعد أن كان العرب لا يعرفون في غنائهم إلا (القضيب)

وابن مسجح الذي احتج به الدكتور هنري فارمر كان أول من نقل الغناء الفارسي إلى العربية وقد أخذ عنه ذلك — كما قلنا قبلاً — ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض.

***

ولعل في هذه العجالة الصغيرة ما يعطي القارئ صورة عن الموسيقى الإيرانية؛ وفضل الفرس في هذا الميدان الذي سبقوا جميع الشرق فيه حتى يعلم الجميع أن الموسيقى لم تقم بواجبها الحق أو لم تمكن من ذلك أمام سيد البلد الذي ترعرعت فيه الموسيقى وازدهرت ازدهاراً نقل عنه الجميع ...!

محمد السيد المويلحي



عطف ملكي كريم

تلقينا من ديوان حضرة صاحب المعالي كبير الأمناء هذا الكتاب الكريم الذي نتشرف بنشره :

حضرة المحترم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

أتشرف بإبلاغ حضرتكم الشكر السامي على النسخة التي قدمتموها إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من عدد الرسالة الممتاز الخاص بالهجرة .

وتقبلوا حضرتكم وافر الاحترام ؟

كبير الأمناء

تحريراً في ٢٦ مارس سنة ١٩٣٩ — محمد سعيد ذو الفقار

حول إنسانية الرسول

قد قرأت ما كتب الدكتور زكي مبارك في إنسانية الرسول في العدد ٢٩٧ من الرسالة الغراء ، وقرأت ما عقب به الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في العدد ٢٩٨ ، فوجدت كلا منهما قد غلب على قلمه فغالى فأخطأ . ومغالاة الأستاذ الصعيدي وخطؤه على قلته أعجب عندي من مغالاة الدكتور زكي مبارك وخطئه على كثرته . فالدكتور لم يتضلع من علم الأزهر ولا من فقه الإسلام وإن كان قد تقدم للعالمية المؤقتة منذ عامين . والقدر الذي عرفه في الأزهر أيام كان أزهرياً قد عفت عليه السنون الكثيرة التي قضاها خارج الأزهر في جو غير جوه الديني ، بين القاهرة وباريس . ومن هنا الغلطة التي أخذها عليه الأستاذ عبد المتعال الصعيدي من تصوره شخصية الرسول غير مدروسة حق الدرس في البيئات الإسلامية . ومن هنا المعاني الشاذة الأخرى التي يعرفها القارئ في لحن مقاله مما لا يسنده فيه كتاب ولا سنة ولا عقل : من نحو أن النبوة تكتسب ، وأن وحي السماء ينزل على قلب الإنسان كل آن لو وعاه كأنما الوحي الذي كان ينزل على الرسول صلوات الله عليه هو من هذا الذي يسميه الدكتور وحياً يهبط كل وقت من السماء !

هذا وأمثاله ليس غريباً أن يقع فيه مثل الدكتور زكي مبارك لأنه لو لم يقل هذا لقال كما تقول جماعة المسلمين . ولكن الغريب أن يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في خطابه : « والذي يعرفه المسلمون جميعاً أن الوحي لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وسلم شأن في أمور الدنيا » . هذا غريب من القول فيه غلو كبير من غير شك ، وعبارته من غير شك أعم كثيراً من المعنى الذي إليه قصد . فتأبير النحل الذي ضرب به مثلاً ليس هو كل أمور الدنيا ، ولا هو مثال لأهم أمور الدنيا ، وإنما هو مثال لدنيا الناس التي يعرفونها بالتجربة من نحو حرث وزرع وسقي وصناعة ، فهذه لم يأت الدين ليعلمهم إياها وإنما وجههم إلى البحث فيها ووكلهم في التفاصيل إلى نتائج بحثهم وتجاربهم . أما غير هذا النوع من أمور الدنيا فالإسلام قد هدى الإنسان فيه ، وهداه فيه بالوحي ، كما يعرف الأستاذ من الآيات الكثيرة المتعلقة بالأحكام في القرآن . فليست هناك ناحية من نواحي الحياة إلا وقد شملها الإسلام بهديه ووحيه حتى ما يأكل الإنسان وما لا يأكل ، وما يشرب وما لا يشرب ، وما يلبس وما لا يلبس ، وما يبدي من جسده وزينته وما لا يبدي ، وحتى الاستئذان قبل الدخول والسلام عند الدخول لم يهمل الإسلام تأديب الإنسان فيه . فإذا كانت هذه الأمور وأمثالها ليست من أمور الدنيا فما هي أمور الدنيا يا ترى ؟

إن الأمثلة التي ساقها الأستاذ في خطابه على أنها من أمور الدين أكثرها من هذا القبيل كعتاب الله سبحانه لرسوله في إذنه في غزوة تبوك لبعض من استأذنه من المنافقين في القعود ، وفي قبوله الفدية ممن قبل منهم من أسرى بدر . هذا كله من أمور الدنيا في الصميم . وإذا لم يكن القتال وأموره من أمور الدنيا فماذا يكون؟ طبعاً هذا كله أيضاً من أمور الدين، وهذا بالضبط هو الدليل الذي لا ينقض على أن أمور الدنيا في الإسلام جزء من أمور الدين

بقيت نقطة في خطاب الأستاذ كان يحسن أن يحتاط لها فيستتمها ولا يتركها كما تركها . فقد قال إن أكثر العلماء يجوّزون

على النبي صلوات الله عليه الاجتهاد في أمور الدين بدون الوحي « وجوزوا عليه الخطأ فيها أيضاً » وسكت عند هذا ، ولا عند هذا يكون السكوت ، فإن إطلاق القول هكذا يوهم أن كثرة العلماء أو قلتهم ترى أن بعض أحكام الدين التي جاءتنا عن الرسول يجوز أن تكون خطأ في ذاتها . هذا هو لازم القول بتجويز الخطأ على النبي في الاجتهاد من غير تنبيه إلى الحقيقة الكبرى وهي أنه ما من خطأ اجتهادي وقع فيه النبي إلا وقد نبه إليه الوحي وصححه له . ومن هنا الأمثلة غير الكثيرة التي عاتب الله فيها رسوله في القرآن . فكل ما لم يعاتب فيه النبي ، وكل ما لم ينبّه هو صلى الله عليه وسلم الناس إلى خلافه هو من الدين طبق مراد الله سبحانه ، وإلا لأرشد سبحانه نبيه ورسوله إلى الصواب فيه

هذا ما نرى أن الأستاذ الصعيدي كان عليه أن يحتاط فيه للناس فينبه إليه حين كتب ذلك الخطاب . والسلام على الأستاذ .

محمد احمد الغمراوي

إصلاح بيتين في مجلتين

قال أديب في مجلة مشهورة شهرية : « إن قول عديّ بن زيد العبادي :

ويلومون فيك يا ابنة[1] عبدا اللـ ـه والقلب عندكم موثوق

خطأ، والصواب: موثق »

وعدي لم يقل (موثوق) ، بل قال : موهوق ، والموهوق المحبوس ، ووهقه حبسه ، والبيت من شواهدهم

* * *

وروى (فاضل) في مجلة مشهورة أسبوعية بيتاً في أبيات لأحد الشعراء ، والبيت هو :

وقبة ملك كأن النجوم تضيُّ إليها بأسرارها

والأبيات لعلي بن الجهم صاحب (عيون المها ...) وقد جزم بيتـه ذاك الرواية الصحيحة في كل موضع ورد فيه ، فكتاب ذكر تضيُّ وميم النجوم في آخر الصدر ، ومجموع قال تصغى والميم المذكورة في أول العجز . وإني لموقن أن علياً قال :

وقبة ملك كأن النجو م تفضي إليها بأسرارها

وأفضى إليه بسره أعلمه به . والبيت من المتقارب ، ومن المعلوم أن بحر هذا الشعر تتلاقى فيه العروض الصحيحة (والقبض فيها أحسن من التمام) والعروض المحذوفة . وقد بلبل[2] ترتيب الصدور والأعجاز في أبيات هذا البحر كثيراً من الشعراء والأدباء — من شوقي والعقاد[1] فنازلا — لتلاقي تلك الأعاريض التي تطول وتقصر ...

(***)

مسلمو يوغوسلافيا

سيدي الأستاذ الجليل صاحب الرسالة :

قرأت مقالكم الشائق « رسالة الأزهر » وأعجبت به وهزتني نشوة الطرب لأنه بشير بعدة مقالات لعلي بصرخاتكم الاجتماعية والدينية الاستنهاضية

بيد أنني قد رأيت في حكمك على مسلمي يوغوسلافيا شيئاً من الشدة لعل سببها عدم إلمام الذي رويتم عنه — بأحوال المسلمين هناك ، وإني مسلم عربي أعرف أحوال المسلمين في يوغوسلافيا وأدواءهم لأني عرفت القوم وعاشرتهم وأقمت بين ظهرانيهم

لذلك أعلن أن البوسنيين والهرسك وهما المنصران اللذان يدينان بالإسلام في يوغوسلافيا — لا يؤمنون بالصوفية الزائفة ولا يدينون بالخرافات، إلا أن فيهم جهلاً وفي طباعهم شيء من الشدة وفي تمسكهم بالدين شيء من العصبية لعل سببها أنهم مطوقون بالأمم الأجنبية التي لا تعتقد عقيدتهم ولا تدين بدينهم

ولئن كانوا يمتازون عن مواطنيهم بشيء فإنما يمتازون عنهم بطرابيشهم الحمراء القانية وعمائمهم البيضاء الناصعة، ثم بجرأة المسلم وعزة المؤمن والنشاط الإسلامي الذي لا يلهي بدنيا ولا يصرف عن دين

ولئن كانت العجمة والأمية تحولان بين المسلم الأوربي وبين دينه ، فطغيان العامية وانتشار الأمية ، وشظف العيش ، وأعاصير السياسة وعسف السلطات ، والأمراض الفتاكة في الشرق العربي كفيلة بصرف المسلم عن دينه والحيلولة بينه وبين فهمه .

ولقد طفت الشمال الأفريقي كله وتجولت في مصر ، والشام ، والحجاز والعراق ، واختلطت بالعامة وتغلغلت في طبقات المتعلمين فما وجدت فرقاً بين هذه الشعوب .

وما أراها أحسن حالاً من مسلمي يوغوسلافيا ولا سيما إذا صرفنا النظر عن طائفة القرويين في مراكش ، والزيتونيين في تونس ، والأزهريين في مصر ، وجماعة النجف الأشرف في العراق

فالمسلم العامي في يوغوسلافيا لا يختلف في عقيدته ، وعقليته ، وعاداته عن أخيه المسلم العامي في الشرق العربي ، والمسلم اليوغوسلافي

(١) بعضهم يحذف ألف ابنة في النداء

(٢) بلبل في اللغة معناها هو لا كثر مما تريده في هذا المقام

(١) إن كان نظمه في المتقارب كما سطره الأستاذ سيد قطب في مقالاته (بين العقاد والرافعي) في « الرسالة » الغراء

الذي نزح إلى الشرق ودرس اللغة العربية لا يختلف عن أخيه المسلم الأزهري ، والمسلم اليوغوسلافي الذي تخرج في مدارس يوغوسلافيا الدينية لا يبعد عن أخيه المسلم المصري الذي تخرج في جامعة فؤاد الأول . على أن المسلم اليوغوسلافي لا يألو جهداً في فهم دينه بواسطة العلماء والكتب المترجمة ، والتفاسير المنقولة إلى لغته أو غير لغته ؛ أما كون هذه التفاسير أو تلك الكتب صحيحة أو غير صحيحة ، فهذا ما نوجه السؤال عنه إلى مشيخة الأزهر .

والحقائق المرة التي نقررها والأسف يملأ جوانحنا هي أن الجهل لا يزال منتشراً بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن الذين فهموا الدين أو قاربوا نهجه من المتعلمين لم يتجاوزوا العدد القليل بعد ، وأن الجهل سبب ويلات المسلمين أينما حلوا ، وأن الأزهر لم يؤد رسالته على الوجه الأكمل بعد ، وأن مصر لم تقم بأعباء الزعامة الإسلامية التي تطفح بها صحفها صباح مساء ، وأن الأغلبية من المفكرين والشباب الإسلامي في مصر لا يعلمون عن إخوانهم في الأقطار النائية قليلاً ولا كثيراً .

حمداً لك يا حضرة الأستاذ وشكراً على اهتمامك بإخوانك وعنايتك بقضيتهم . وإنا معشر الغرباء والضيوف نهيب بحضرتك وحضرات السادة قادة الفكر الإسلامي ، أن تؤدوا زكاة أقلامكم وتبذلوا لإخوانكم المسلمين شيئاً من عنايتكم وتنشروا عنهم الحقائق الصحيحة حتى يعلم قراؤكم العرب أن لهم إخواناً يمدون أيديهم للتعارف . وأملنا وطيد ورجاؤنا أكيد أن تعالج أنت القضية الإسلامية كما عالجت في الشهور الماضية قضية القضايا (الغنى والفقر) ، ورسالتكم كفيلة إن شاء الله بتحقيق كل أمنية ، لأنها منتظرة كالحبيب ، شافية كالمطهر ، منتشرة كالقمر ، محبوبة كالعافية . ونسأل الله أن يحقق آمالنا ويصلح أعمالنا ويوفقنا إلى فهم ديننا

علي محمد رفعت

مسلمون في فنلندا

هذا عنوان المحاضرة الطريفة التي ألقاها الدكتور بشر فارس في قاعة جمعية الشبان المسلمين في الأسبوع الماضي . وأولئك المسلمون لم يسمع بأمرهم قبل رحلة الدكتور بشر إلى بلاد الشمال سنة ١٩٣٤ . فلما لقيهم هنالك تتبع آثارهم وفحص عن أحوالهم الدينية والثقافية والاجتماعية وبحث في شؤونهم القومية والقانونية فخرج برسالة وجيزة نشرها سنة ١٩٣٥ باللغة الفرنسية في مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة في باريس

والمحاضرة جمعت بين الوصف والإخبار والتقرير . وقد قسم المحاضر الكلام ، فتناول الدين والثقافة والقومية وشؤون المرأة على الترتيب ، ثم تلا القرار الذي به اعترفت الحكومة الفنلندية بالدين الإسلامي وأعقبه بقانون الطائفة الإسلامية الفنلندية وهو على خمس وعشرين فقرة تحدد واجب أبناء الطائفة وتعين معاملة بعضهم لبعض وغير ذلك من الشؤون الخاصة

وبعد المحاضرة أبرز الدكتور بشر بعض صور بالفانوس السحري ؛ منها صورة الإمام ، وثانية لزفاف بنت الإمام ، وثالثة لدكان أحد المسلمين الأغنياء ، وأخرى لفرقة كرة القدم

وقد وقعت المحاضرة عند السامعين ألطف موقع لما اشتملت عليه من البيانات الجديدة في عبارة فصيحة وأسلوب جذاب .

اللغة العربية وتدريسها في بعض جامعات الصين

ورد من « هونغ كونغ » عاصمة الصين المؤقتة ، أن وزارة التربية والتعليم هناك قررت تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية في ثلاث من جامعاتها ابتداء من العام الدراسي المقبل ، واختارت لهذا الغرض ثلاثة من أعضاء البعثة الصينية بالأزهر الشريف ، هم : السيد محمد مكين والسيد عبد الرحمن ناجون والسيد بدر الدين هاي ويلبانغ

وسيتولى الأول تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الجامعة المركزية بهونغ كونغ ، والثاني في جامعة يونان بكونمنغ حاضرة مقاطعة يونان ، والثالث في جامعة شمال الصين الغربي بخانغ شونغ في مقاطعة شينسي

ونذكر لهذه المناسبة أن السيد ناجون نال شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٣٦ ، ونالها السيد هاي ويلبانغ عام ١٩٣٧ أما السيد مكين فقد نال شهادة الأهلية من الأزهر عام ١٩٣٥ وسيتقدم لنيل أجازة التدريس من دار العلوم في الصيف القادم

رقص ورقص

سيدي الأستاذ الزيات :

طالعت اليوم مقال الأستاذ العقاد (رقص ورقص) وقد ملأني

الحماس والفرح وكلما اكتملت جمهرة من الإخوان قرأت على مسامعهم تلك الكلمات الحقة التي أجمع الكل على صحتها، فهو ينبر فيها عما يخالج كل مصري يهوى الموسيقى . وقد اتفق صدور المقال في يوم الذكرى الثانية عشرة بعد المائة لوفاة الموسيقى العظيم بيتهوفن ، وأحيت محطة إذاعة أنقرة (التركية) تلك الذكرى بمقطوعات من ذلك الشاعر الموسيقى - وفي اليوم السابق سمعت أغاني وطنية من محطة روما . والحقيقة أن الإنسان قد حرم على نفسه المقارنة أو المشابهة لأنها كانت تنتج الحسرة والألم

انعقد مؤتمر الموسيقى الشرقية منذ أعوام وتمع أغانينا وسجلها على أقراص احتفظت بها وزارة المعارف ، وقرر التمسك بالموسيقى المصرية لمصر ، وما كانوا إلا مؤتمرين هازئين بالموسيقى الشرقية ولا حاجة بي أن أردد شعورهم نحونا لأنه مفهوم . وقد كتبت مرة في المجلة الموسيقية أحبذ نشر الموسيقى الأسبانية لأنها سلالة من الأغاني العربية درسها الأوربيون وتتلمذوا عليها ثم كيفوها حسب طبيعتهم ، وتغنوا بهـا ، فصارت عالية تعبر عن الشعور والإحساس والعواطف . وأمامنا الموسيقى الروسية ، وهي تلائم شرقيتنا . ولم لا تبدأ مراقبة الموسيقى بوزارة المعارف في تعليم الناشئة أغاني الاطفال التي أصبحت عالية يتغنى بها الطفل الإنجليزي الألماني والهولندي وغيرهما كل بلغته ، وهي سهلة سائغة محببة للنفس. تلك كلمات سريعة أذكرها وأفوض لأستاذي العقاد وللفنان المويلحي أمر تلك المسألة الحيوية

« أسيوط » دكتور حسن ابراهيم وهبه

حول عياش بن أبي ربيعة

حضرة أستاذنا الزيات

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت بالعدد رقم ٢٩٧ من الرسالة للأستاذ كامل محمود حبيب قصة إسلام عياش بن أبي ربيعة وافتتانه ثم عودته إلى حظيرة الإسلام بعد أن نزلت الآيات : « ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ... » إلى آخر الآيات الشريفة

غير أن الحقيقة المذكورة في كل مراجع السيرة هي أن الآيات لما كتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسلها إلى هشام ابن العاص (الثالث الذي واعدهم على الهجرة) لا إلى عياش (كما هو مذكور في قصة الأستاذ) .

فعمر رضي الله عنه يقول :

— « فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص »

. وقال هشام في ذلك :

— « فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى . . . » إلى آخر حديث هشام

(المنصورة) درويش الجميل

تنبيه مهم

وقع في الآية الكريمة التي استشهدت بها في آخر مقالي في العدد الماضي من الرسالة تحريف بتقديم كلمة « الكافرين » على كلمة « المنافقين » وصحتها : (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) فأرجو كل قارئ أن يتفضل بتصحيحها في العدد الذي عنده

الغمراوي



في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

— ٣ —

يعلم الله أننا ما نقصد بنقدنا هذا تجريح الأستاذين الفاضلين والعالمين الجليلين العوامري بك ، والجارم بك . فإن حقهما علينا مرعى ، ومقامهما لدينا كبير . وإنما أشفقنا على العربية التي وقفنا حياتنا على خدمتها أن يشيع في طبقات أهلها ما اعتقدناه مجانباً للصواب ومتجانفاً من الحقيقة التي ننشدها وينشدها معنا صاحبا العزة الشارحان للكتاب

أشفقنا على الحقيقة أن يضل الناس في أمرها ، وقد شاع الكتاب وذاع وانتشر في شرق وغرب، وتناوله كل أديب واحتواه قمطر كل طالب . فأحببنا أن يصحح كل قارئ نسخته ليقرأه بعد ذلك سليماً وليجعله إلى الصواب محجة لا أمت فيها ولا عوج

ودليلنا على حسن النية أننا لا نعترض إلا على خطأ لا سبيل إلى التماس الصواب فيه ، فأما الذي يحتمل الصواب ولو بوجه من الوجوه ، وأما الخطأ الذي لا يوجب ارتباكاً في الفهم ، فقد تركنا كل ذلك اتكالاً على فهم القارئ واجتناباً لأن نتهم بالاستكثار من عد التهم والرمي بها جزافاً

في ص ٣٣ في رسالة سهل بن هارون التي يخاطب بها بني عمه يقول :

« وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإلا إصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم »

والكلام واضح لا يحتاج إلى تفسير ، ولكن حضرتي الشارحين يأبيان إلا شرح ما لا يحتاج إلى شرح فهما يقولان :

« قوله (فيما بيننا وبينكم) . (في) هنا للسببية أي بسبب ما بيننا وبينكم من صلة القرابة أي إن عدم خطئنا سبيل حسن النية إنما هو بسبب ما بيننا وبينكم من صلة »

وهذا كلام ظاهر التكلف : فيه تكلف في اللفظ بإخراج لفظة (في) عن معناها الأصلي إلى معنى السببية ، وفيه تجوز في معنى الكلام وعدم إجراء له على وجهه المتبادر . وإنما المعنى المفهوم الذي تدل عليه الألفاظ بوضعها الحقيقي الأول هو : إننا لم نكن غير حسني النية في الأمر الذي نحدثكم فيه وهو تصويب الرأي في البخل وعده حزماً وحيطة

هذا هو الأمر الذي بينهم وبينه وهو الذي بنى عليه رسالته من أولها إلى آخرها . أفرأيت أيها القارئ أننا لم نكن بحاجة إلى جعل في للسببية وتفسير ما بينه وبينهم بالقرابة وهي لم يجر لها ذكر في الرسالة؟

في ص ٣٤ يقول سهل : « إن من أعظم الشقوة وأبعد من السعادة أن لا يزالُ يتذكر زلل المعلمين »

وفي الشرح يرتكب الشارحان خطأً ظاهراً بجعلهما أن في قوله « أن لا يزال » مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لا يزال خبر لها . وقد تبع ذلك أن ضبطا الفعل يزال بالضم لأنه في نظرهما لم يسبق بناصب ولا جازم ، كما تبع ذلك أيضاً أن فصلا أن من لا في الرسم لأنها حين لا تكون ناصبة تفصل من حرف النفي

ولسنا بحاجة إلى الإطالة في شرح هذا المقام وبيان ضرورة جعل أن مصدرية ناصبة للفعل ، لأن شرط جعلها مخففة من الثقيلة أن تكون مسبوقة بيقين أو ظن ، ولم يسبقها هنا شيء من ذلك

وهذه قصة صغيرة وردت ضمن رسالة سهل نوردها لحسنها في ذاتها أولاً ، ولنذكر بعدها تعليقاً للشارحين على جملة منها أعرباها إعراباً غريباً ثم شرحاها شرحاً مضطرباً ينقض آخره أوله وهذه هي القصة ص ٤٦

« حدث أحمد بن رشيد قال: كنت عند شيخ من أهل مرو وصبي له صغير يلعب بين يديه فقلت، إما عابثاً وإما ممتحناً: أطعمني من خبزكم. قال: لا تريده، هو مر! فقلت: فاسقني من مائكم. قال:

لا تريده، هو مالح! قلت : هات من كذا وكذا قال : لا تريده، هو كذا وكذا ، إلى أن عددت أصنافاً كثيرة . كل ذلك يمنعنيه ويبغضه إلى . فضحك أبو، وقال : ما ذنبنا ؟ هذا من علمه ماتسمع. يعنى أن البخل طبع فيهم وفى أعراقهم وطينتهم »

أما الجملة التى نؤاخذهما على إعرابها وشرحها فهى « هذا من علمه ما تسمع » فقد أعرباها هكذا : هذا مبتدأ و (من علمه) جار ومجرور خبره وما بدل من ذا فى هذا ». وهذا الإعراب خطأ لا يبرره أى تمحك مما اعتاد المعربون أن يلجئوا إليه ، لأن الإعراب فرع المعنى كما يقولون

فلننظر قبل فى المعنى الذى فهمه الشارحان من الجملة . قالا :

«أى هذا الذى تسمعه ناشىء من علمه ولم يلقنه بل هو من سجيته»

وهذا كلام متناقض، كيف يكون الذى تسمعه ناشئاً من علمه ثم يكون لم يعلمه ولم يلقنه ؟ وهل العلم إلا بالتعلم ، فكأنهما قالا : تعلمه ولم يتعلمه فيكونان قد أثبتا شيئاً ثم نفياه فى حال واحدة

إنما المراد لقائل الكلام هو أن هذا الذى بدا من كلام الصبى لم يصل إليه من طريق التعلم ولا التلقين وإنما هو وحى الطبع وإرشاد السليقة؛ وإذا كان كذلك فهو غير داخل فى باب التعلم وإنما هو إلهام وغريزة مركبة فى النفس . وحضرتا الشارحين أولى منا بفهم الفرق بين الغريزة والكسب لأن هذا من مباحث علم النفس الذى طلباه فى أوربا وبه امتازا على إخوانهما ونالا مناصبهما العالية

ومن أجل ذلك وجب أن تقرأ الجملة هكذا : « هذا من علمه ما تسمع » ويكون الكلام على الاستفهام الذى يراد به النفى وتكون الإشارة فى « هذا » إلى الصبى . والمعنى أن هـذا الصبى لم يعلمه أحد ما صدر منه فى جواب الممتحن وإنما أجاب بما ركز فى طبعه وثبت فى نفسه من طبيعة البخل المتوارثة فى قومه

فى ص ٦٦ فى حديث بخيل عرف فضل ماء النخالة فى شفاء السعال وفائدته فى الغذاء ، فقال لامرأته : « لم لا تطبخين لعيالنا فى كل غداة نخالة فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة ، ثم تجففين بعـد النخالة فتعود كما كانت فتبيعين إذاً الجميع بمثل الثمن الأول ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين »

ويعلق الشارحان على عبارة « فتبيعين الجميع بمثل الثمن الأول » بقولهما : « الجميع أى دقيق القمح ونخالته . أما الدقيق فلأنه باق على حاله ، وأما النخالة فلأنها عادت بالجفاف كما كانت »

سبحان الله! ما رأيت تكلفاً كتكلف هذا الشرح. من أين جاء الشارحان بالدقيق وهو لم يرد له ذكر فى الكلام ؟ ومن أين لهما هذا الخيال الذى تصورا به أن هـذه الأسرة قد استغنت بماء النخالة عن كل طعام وشراب فلم تعد بعد بحاجة إلى الدقيق ؟ إن أحداً لا يعقل هذا ! ! ولكن الأمر أيسر مما عسّرا وأبسط مما ركّبا، وذلك أن الرجل لما رأى فى ماء النخالة غذاء وشفاء عرض له أن يستفيد من ذلك ، فتقدم إلى امرأته بأن تطبخ للعيال كل غداة نخالة ليكون فى تناول حسائها غنية عن أكلة من أكلات اليوم، ثم هو وجهها إلى تدبيره المحكم بقوله « فتبيعين إذاً الجميع بمثل الثمن الأول » يريد أنه إذا تجمع عندها مقدار صالح من مطبوخ النخالة بعد تجفيفه باعته بمثل الثمن الذى اشترته به لأن النخالة لم تتغير حالها بعد الطبخ عما كانت عليه قبله

فقد بان مقدار التعسف فى هذا الشرح بتصور القمح وطحنه وإبقاء الدقيق والاستغناء بالنخالة عن كل طعام آخر وأن أصحاب هذا التـدبير قد وفقوا إلى أن يعيشوا حياتهم كلها بفرق ما بين النخالة جديدة ومطبوخة

فيا لله أيها الشارحان إذا كنتما جادين فى هذا الخيال وقد اقتنعتما به ، فلم اشترى الرجل وامرأته القمح وتكلفا طحنه ثم بيع الدقيق الذى بقى بحاله والنخالة بعد طبخها ؟

أما كان يكفيهما أن يشتريا النخالة وحدها ليأخذا فائدتها ثم يبيعاها مساوية الفائدة فلا يكونان بحاجة إلى كل هذا التعب ؟ ولكن تكلف الشارحين وتعسفهما قد جعلهما يكلفان الرجل والمرأة كل هذه المشقة فى أمر معاشهما (للكلام بقايا) **محمود مصطفى**



حيـاة الرافعي

تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان

للأستاذ محمود الخفيف

عرفت الرافعي رحمه الله ، واتصلت بيني وبينه أسباب المودة في دار الرسالة أعواماً ثلاثة ؛ وأعرف سعيداً – متعني الله بطول صحبته – معرفة وثوق وخبرة . لذلك أراني شديد الغبطة أن أقدم إلى قراء العربية كتاباً عن الرافعي جرت به يراعة سعيد ...

يعتبر هذا النوع من الكتب (كتب التراجم) من أهم أبواب الأدب عند الأمم الغربية ؛ ولقد عظمت عنايتهم بتلك المؤلفات التي يجمع الواحد فيها بين دفتيه حياة رجل كان له في الحياة الإنسانية خطره وكانت له فيها رسالته ؛ ولذلك كانت تلك الكتب واسعة الانتشار إذ يجد القراء فيها إلى جانب الدراسة والتحليل المتعة واللذة ، وأي متعة أدبيـة هي أجل من أن تصاحب عظيما لحظة من الزمن على صفحات كتاب ؟

ولقد صار هذا النوع من المؤلفات فناً قائماً بذاته وصارت له أصول وأوضاع كما هو الحال في القصص والشعر وغيرها من فروع الأدب ؛ فلابد فيه من الإحاطة بالموضوع عامة وفهم فن المترجم له ورسالته خاصة ، ولا بد من سلامة المنطق وحسن السياق وعمق النظرة وتقصيها ؛ ولا بد من الإنصاف والنزاهة واللباقة ، ثم لابد بعد ذلك مما يجب توفره في كل أثر أدبي من استقامة الأسلوب وجماله وبلاغته

فإذا أضفت إلى ما سلف معرفة الكاتب بالمترجم له وصلته به شخصياً، فهنا الكمال الذي لامطمع بعده؛ وبقدر مايكون من هذه الصلة تكون قيمة الترجمة وخطرها، ولذلك كان طبيعياً أن يعد هذا القسم الخاص من كتب التراجم أكثرها أصالة في هذا الفن وأعظمها استهواء للقراء ، بله قيمتها من حيث صحة الإسناد وصدق الرواية

والرجل العظيم ، كاتباً كان أو سياسياً أو جندياً أو ما سوى هؤلاء ، لا يعرف من آثاره أو أعماله وحدها ، فلا بد من تمام المعرفة به من درس حياته ، فمن ظروف تلك الحياة ولدت آثاره ومنها استوى له مزاجه ونشأ وجدانه

ولقد كان الرافعي فيما أرى من عظماء رجال القلم لا في مجال العربية فحسب بل في مجال الفكر البشرى كله . وكان رحمه الله من ذوي الأصالة ، يجيش نفسه بالمعاني كما يتفجر الينبوع بالرائق العذب ، لأن من طبيعته أن يتفجر بهذا دون حاجة إلى مدد من غيره ؛ فلقد حيل بينه وبين الأدب الأوربي لأنه لم يتحرك بلغة من لغاته لسانه ، وحيل بينه وبين مناقشات الناس في مجالسهم لأنها لا تنفذ في مسمعيه ، فلم يبق إلا أن يقرأ العربية ثم ينطوي على نفسه ينظر ويتدبر ...

أعجب سعيد بأدب الرافعي ثم ابتغى إليه الوسيلة حتى لقيه فنشأت بينهما صلة ، ثم توثقت الصلة فكانت مودة ، وتزايدت المودة فصارت إخاء ، ثم كان بعد ذلك ما يكون بين الصديقين الحميمين من زيادة الألفة ورفع الكلفة . وتسنى بذلك لسعيد أن يدرس الرافعي الرجل في شخصه وأن يستبطن دخيلة نفسه كما درس الرافعي الكاتب في آثار قلمه ، ومن هذه الناحية كملت ترجمته فهي كما ذكرت الناحية التي تكمل بها التراجم

وأدب الرافعي ثروة عظيمة يضم إلى تراثنا ، ودراسة هذا الأدب لاشك أمر مطلوب في ذاته لناشئة الأدب عامة ؛ ثم هو أمر لاغنى عنه للباحث المثقف شأن كل أدب رسخ أصله وامتدت فروعه

والرافعي كغيره من فطاحل الكتاب لا بد من معرفة حياته لنفهم آثاره ، بل لعله أجدر بذلك من كثيرين غيره لما أشرت إليه من صفاته ؛ هذا إلى أنه لابد في دراسته من هاد ، فلقد يعظم ويسمو أحياناً حتى ليغدو كالجبل الأشم لا بد لمن يريد ارتقاءه من دليل . اقرأ على سبيل المثال مقالاته في النبوة ، واقرأ مقالاته : رؤيا في السماء ، وابنته الصغيرة وبين خروفين وأضرابها تجد البرهان على ما أقول ؛

ولقد يرق ويسهل حتى تصبح مقالاته كأفواف الزهر ولكن لابد ممن يشير إلى سر جمالها ، ثم لقد يعمق ويدق حتى يصير كالجدول المتوارى لا سبيل إلى معرفة منبعه إلا أن يهديك إليه هاد ، خذ مثالاً لذلك مقالاته فى الجمال البائس والمشكلة ، ثم لا تنس أوراق الورد ورسائل الأحزان وأشباهها فإنك لن تفهمها حق الفهم إلا أن تعرف المنبع الذى تفجرت منه ...

ويسرنى أن أذكر أن الأستاذ سعيداً قد دلنا بكتابه على نواحى القوة والجمال فى هذا الأدب الفذ ، ثم لقد كشف لنا من أسراره وخبياته ، وفرغ من عمله على خير ما يرجى من الجودة ، وهو بما يرشدنا ويدلنا يؤدى إلى الضاد خدمة من أجل الخدمات

هذا ويسرنى كذلك أن أذكر دون أن أتحيز إلى سعيد ، أنه قدم بكتابه هذا أقوى براهينه على أصالته ، فلقد حيل بينه كما حيل بين أستاذه وبين الأدب الغربى فى لغاته ، ومع ذلك فإنى لأشهد أن ما اتبعه فى كتابة تلك الترجمة لا يختلف فى جوهره عن أصول ذلك الفن . وفى ذلك دليل قوى كما أقول على أنه كالجواد الكريم ، لم يأت كرم أصله من المحاكاة والتعلم ، وإنما كان كرم ذلك الأصل طبيعة فيه لأنه هكذا خلق

سار سعيد سيراً منطقياً فتتبع حياة الرافعى فى مراحلها دون تعثر أو ارتباك ، ثم حلل ودرس المزاج الأدبى والنزعات الاجتماعية والسياسية التى امتاز بها عصر الرافعى ، فكانت طريقته بهذا هى الطريقة العلمية ، طريقة النظر والتبصر ، وبها امتاز كتابه عن تلك الكتب التى تعمد إلى مجرد الحكاية والسرد ، وإنك لتقرأ الكتاب فتحس كأنك صاحبت الرافعى وترتسم لك شخصيته قوية واضحة فتسأل هل كان مرد ذلك إلى حسن سياق الكاتب أم إلى شدة معرفته بمن يكتب عنه ، ثم لا يسعك إلا أن ترده إلى ذلك جميعاً

وثمة حسنة فى الكتاب زادتنى محبة له ، ذلك أن الدافع الأساسى إلى كتابته كما نعلم كان دافع الوفاء نحو صديق راحل فلم يحمل هذا الدافع القوى سعيداً على التحيز وعهده بصاحبه قريب، ورأيناه بصدقه وإنصافه يرينا ناحية من نواحى قوته ككاتب. ثم لقد كان يجد نفسه أمام أمور دقيقة فكانت تواتيه فيها لباقة ترضى الذوق ولا تغضب الحق ...

أما أسلوب سعيد فلست بحاجة إلى أن أتحدث إلى القراء عنه ، وقد عرف القراء سعيداً بجمال أسلوبه وبلاغة بيانه قبل أن يعرفوه بكتابة هذا ، وحسبى هنا أن أشير إلى إعجابى به

وعهدى بسعيد أنه يحب فى إخلاص أن يعرف رأى المنصفين فيما يكتب فيحفل بأن يسمع ما لا يرضيهم أكثر مما يحفل بالثناء والمجاملة وهى خلة تضاف إلى محامده ، ولذلك أصارح سعيداً بأنى كنت أحب منه أن يدرس أسلوب الرافعى وطريقته دراسة نقدية.

ولقد يرد على ذلك بقوله إن لهذه الدراسة مجالاً غير هذا المجال ، وهو رأى له وجاهته بل هو رأى أكثر كتاب فن التراجم وفى مقدمتهم أميل لدوج وأندريه موروا وغيرهما ، بيد أنى شخصياً أرى أن الموضوع يكون بهذه الدراسة أتم وأجمل

ولقد طبع الأستاذ سعيد كتابه طبعاً أنيقاً متقناً فى مطبعة الرسالة وختمه بفهرست للموضوعات وثبت دقيق للأعلام والصحف والمجلات والكتب التى ورد ذكرها فيه

أهنئ الأستاذ سعيداً بكتابه الفذ الجليل وأكرر له إعجابى .

ويسرنى فى خاتمة هذه العجالة أن أشير إلى معنى آخر هو أن كتابه هذا بموضوعه وبما سلك فيه من طريقة يعتبر من مظاهر التجديد فى أدبنا العصرى ، ولذلك كم أرانى مغتبطاً بالحديث عنه فى هذا الموضع من سجل الرسالة !

الخفيف

(بقية المنشور على صفحة ٦٥٦)

دعاباتهم ، ولكن لا أظن أن ما ذكرت يدخل فى باب الفكاهة المستملحة . وقد يكون هذا وما إليه محتملاً ، ولكن الفظيع أن ينعى لك صديق وهو حى يرزق ، فتخف إلى داره لتعزى أهله ، ويلقاك ابنه أو أخوه ، ولا ترى فى وجهه حزناً أو سهوماً ، فلا تستطيع أن تقص عليه الخبر الذى حملك إليه، ولا تجد ما تسوغ به هذه الزيارة فى ساعة غير مألوفة ! وبعض الناس يضحكهم ويسليهم هذا الضرب من المزاح ! ولم لا ؟ كل ما سر جائز ...

ابرهيم عبد القادر المازنى



حديث الأسبوع

٦٢٥ جنيهاً تصرف يومياً

على الفرقة القومية

أكدت لنا بعض المصادر العليمة أن حضرات النواب المحترمين الأساتذة عبد الحميد عبد الحق وسليمان غنام واحمد أبو الفتوح سيتقدمون في هذه الدورة بسؤال إلى معالي وزير المعارف عن الفرقة القومية والرسالة الثقافية التي أدتها للبلاد وعن مبلغ الخمسة عشر ألفاً من الجنيهات التي تصرفها الحكومة إعانة لها ... وتؤكد هذه المصادر أيضاً أن بعض النواب سينضم إلى الأساتذة مقدمي السؤال وأنهم سيطالبون بتوفير هذا المبلغ وتقديم جزء منه كإعانة للفرق الأهلية

والواقع أن هذه الفرقة يجب أن تحل لأنها تكلف ميزانية الدولة من المال مالا تستطيع أية حكومة في العالم أن تقدمه لمساعدة جميع الفرق في بلادها. وإذا عرف القارئ أن الفرقة تعمل في الموسم دورتين، وأن كل دورة تستغرق على أكثر تقدير أربعة أسابيع، وأن أيام العمل في كل أسبوع تصل إلى ثلاثة أيام لخرج بنتيجة وهي أن مدة عمل الفرقة في موسمها بأسره أربعة وعشرون يوماً. ومعنى هذا أن الحكومة تدفع لها كل يوم ٦٢٥ جنيهاً مصرياً إعانة خلاف إيجار المسرح وأجور موظفيه وثمن التيار الكهربائي المستهلك والملابس المؤجرة وغيرها

هل يعرف حضرات النواب المحترمين هذه الأرقام المخيفة ؟ ! إن البلاد الآن في عصر انتقال يتحتم عليها فيه أن تقضي على كل ضار فتمهد لبقاء الصالح. والتجارب العديدة أثبتت أن الفرقة القومية هزيلة الجسد لا تستطيع القيام بأعباء الرسالة الملقاة على كتفيها، وجدير بالحكومة أن تصرف الإعانة على مشروع جدي يعود بالخير على البلاد ...

تقسيم جديد

قد يعرف المتتبعون للتطورات الفنية في البلاد أن ستوديو مصر كان قد استحضر خبيراً فنياً ليقدم تقريراً عن أوجه الإصلاح اللازمة للمؤسسة الفنية الكبيرة وأن الرجل قام بعمله وقدم تقريره ثم غادر مصر إلى فرنسا ثانية

وعملت إدارة ستديو مصر على تنفيذ تقرير مسيو أفنيون الذي اقترح وجوه إصلاح عديدة وبدأت في الأسبوع الماضي تنفيذ الجزء الأول منها وهو القاضي بالتقسيم الإداري والفني وتحديد السلطات، فأصبح الأستاذ محمد رفعت مديراً للانتاج بدلا من الهر فريتز كرامب الذي أصبح مستشاراً فنياً، وأسندت مهمة المدير الإداري إلى الأستاذ رجائي، ومهمة مدير التوزيع إلى الأستاذ موريس كساب. وكل هؤلاء المديرين يعملون تحت سلطة المدير العام الاستاذ حسني نجيب

موسيقى للبيع

المفروض — فنياً — أن الجزء الأكبر من نجاح الأفلام يعود إلى إتقان الناحية الموسيقية فيها وهي ناحية لا نجد في مصر من المنتجين من يهتم بها، ولذا نشعر بالملال يسود نفوسنا في معظم الأفلام المصرية التي يعتمد فيها المنتج والمخرج وكاتب السيناريو وواضع الحوار و ... المؤلف أخيراً ... على الحوار

والواقع أن الموسيقى التصويرية في مصر تكاد أن تكون مهملة، لأن ملحنينا يتجهون إلى مناحي أخرى توفروا عليها. ولذا رأت السيدة بهيجة هانم حافظ المديرة الفنية لشركة فنار فيلم بصفتها رئيسة نقابة الموسيقيين المحترفين أن تسد هذا النقص الموجود بأن تضع عدة قطع موسيقية تصلح لشتى « المواقف » السينمية وأن تسجلها وتطبع منها نسخاً عديدة تعرض للبيع لمن يطلبها من أصحاب الشركات التي ترى نفسها في حاجة إلى سد هذه الناحية الواجب أن تملأ بما هي جديرة به من الاهتمام والإتقان الفني

هوريس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)

7me Année No. 301

Lundi - 10 - 4 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٠ ابريل سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

يا للهول الصريع !

الملك غازى ...

فى ذمة الله نبعةٌ فواحة من أرومة الحسين ، ذوت فى ازدهار الربيع وغيدان الصبى وفوران الأمل، ثم أسقطها الجفاف والرى موفور والخصب شامل !

كان الملك غازى — تغمده الله برضوانه — مهوى قلوب العرب ومعقد رجاء العراق ؛ لأن شبابه يرافق شباب النهضة ، وطموحه يجارى طموح العروبة ؛ ولأنه من بعدُ وريث فيصل بانى العروش وقائد الثورة. وكانت تباشير الصباح المسفر تنبئ عن الضحى الجميل والنهار الصحو، لولا أن للقدر أحكاماً لا تجرى على أقيسة العقول ولا تسير على رغائب الأنفس

* * *

عرفت خليفة فيصل وهو ولى عهد ، ولم أنل شرف لقائه وهو ملك ؛ لأننى تركت العراق وأبوه لا يزال على عرش الرشيد يدبر الأمر بذكاء على ودهاء معاوية . وكانت جلساتنا الليلية فى حديقة البلاط الزهرة المقمرة ، حيناً فى حضرة الملك وحيناً فى حضرة خاله ، تكشف لى قليلاً قليلاً عن مصاير هذه النفس الرغيبة الطيّـِبة التى نبتت فى هجير مكة وأزهرت فى ظلال بغداد، فكنت لا أنفك منها أمام طبيعتين مختلفتين : طبيعة تتأثر بحاشيته فتسامح وتساير وتمرح ، وطبيعة تتأثر بأبيه فتصعب وتسمو

وتطمح . ولكن المفرد في الأذهان كان أن الشبل سينتهي بالضرورة إلى طبيعة الأسد مهما أثر فيه طبع الناس ونال منه قفص الحديقة



جلالة الملك غازي

***

قلَّ في الشباب الملكي من كان كغازي في سماحة نفسه وسجاحة خلقه ونبل شعوره وسمو تواضعه وظرف شمائله . وتلك هي الصفات الهاشمية التي تنتقل في بني الحسين بالإرث ، وتقوى إذا ساعدتها القدوة وساعفتها البيئة . ولكن ما ورثه هو عن أبيه صقر قريش من الجناح الرفاف ، والبصر النفاذ ، واللب الحصيف ، كان يتيقظ رويداً رويداً مع الزمن والخبرة ؛ فلم يكن بعدُ قد توثقت آرابه للاضطلاع بالعبء الفادح الذي أُلقي على ظهره فجأة . والعبء الذي كان يحمله فيصل من أمور العراق هو العبء الذي قسمه الدستور على سلطات الدولة الثلاث فجمعه هو على عاتقه . من أجل ذلك لم يضع غازي يده من سياسة العراق العليا موضع يد أبيه للتعديل والموازنة ، وإنما تركها في أيدي الزعماء تجري سفينتها على مشيئة الريح ، تضطرب حين تثور ، وتستقر حين تسكن . ومن أجل ذلك امتحن الله الفراتين بالقوة الغشوم ، فحكم الجيش ، واستبد الطيش ، واضطرب العيش ، وسطت الأيدي المجرمة على عباقر الأمة . ومن أجل ذلك لا نتوقع لسياسة العراق بعد غازي ما توقعه لها الناس بعد فيصل . والغالب في الظن أنها ستجري في عهد فيصل الثاني كما كانت تجري في عهد فيصل الأول . فإن نوري السعيد الذي يقبض على سكانها اليوم هو تلميذ أبي غازي ؛ وضعا معاً سياسة العراق الحديث على أساس من المرونة اللبقة ، ثم ساساه بنوع من الدكتاتورية المعتدلة التي تسير مع النزاهة وتقف عند حدود العدل . ولعل هذه السياسة الفيصلية هي التي تقتضيها الحال اليوم بعد ما فت في أعضاد الشعب توزع الرأي وتقلب الهوى وتوقح الخصومة

جلالة الملك فيصل الثاني

***

إن مصرع الملك الشاب على هذه الصورة الأليمة فاجعة تدمي العيون وترمض الجوانح . وإن العالم العربي كله ليشاطر العراق الحزين أساه على سيد شبابه ومناط أمله ؛ ولكن للدواهي النُّكر صدمات تهز الشعور وتوقظ الفطنة ، فتنبه على قدر ما تُذهل ، وتوجه على أثر ما تُضل . والشعب العراقي من الشعوب الكريمة الحرة التي تصقلها الخطوب وتلهما الأحداث فتقف بفطرتها السليمة أمام الخطر هوًى واحداً ورأياً جميعاً وعزيمة صادقة . وسيرى الذين يتخيلون ويتقولون أن إرادته الصارمة الحازمة ستَثبت لدواعي الشقاق ونواجم البغي ، وتُثبت أن عصر فيصل الثاني سيكون عصره الذهبي الثاني ، فيشتد بنيانه ويمتد سلطانه ويتسع عمرانه وتهبُّ من جوف الهلال الخصيب عبقريات غفت في أحضان الخلود ولكنها لم تمت !

***

في ذمة الله نبعة فواحة من أرومة الحسين ومن دوحة فيصل ، سقاها النبل الخالص ، وغذاها الكرم المحض ، وتعهدها الحفاظ الحر ؛ حتى إذا أوشك الكم أن ينشق عن الزهرة الثمرة قصفها الموت الفاجئ ، فكان ذَويها حسرة في نفس شعب ، وقرحة في قلب وطن !

برد الله ثرى غازي بالصيب الهتون من رحمته ، وشعب قلب العراق بالصبر الجميل عن مصيبته ، وجعل عهد المليك الطفل على العروبة والإسلام عهد سلام ووئام وبركة !

احمد حسن الزيات

دخيلة آســـيا

للأستاذ عباس محمود العقاد

جون جنتر John Gunther كاتب صحفي روائي ذو شهرة عالية ، بدأ حياته الصحفية في الحادية والعشرين من عمره حوالي سنة ١٩٢٢ مخبراً في صحيفة شيكاغو دايلي نيوز Chicago Daily Neuis الأمريكية ، ثم أسندت إليه مراسلتها من عواصم أوربا والشرق الأقصى فأقام في لندن وباريس وبرلين وموسكو ومدريد وحواضر الصين واليابان والهند وكل حاضرة كان لها شأن في السياسة العالمية

واتصل بعظماء البلاد بين محادث ومجالس ومراقب ، واستعان بالوسائل الكثيرة التي يستطيعها الصحفي الأمريكي من بذل المال وإقامة الولائم والتقاط الأسرار للاطلاع على دخائل الزعماء المحجبين في البيوت وفي دواوين الأعمال ؛ ثم اعتزل الصحافة منذ ثلاث سنوات وتفرغ للتأليف في موضوعات تشبه موضوعات الصحافة ، فكان تصنيفه الأول في هذا الباب كتاباً ضخماً يربي على خمسمائة صفحة كبيرة أسماه دخيلة أوربا Inaide Europe ويشتمل على نوادر مستملحة ومعلومات طريفة عن كل من عرف من الرجال ، وكل ماعرف من الشؤن والأحوال ؛ وهو محصول نفيس ولاشك يحتاج إليه كل من يعنيه أن ينفذ إلى حقائق الأمور في سياسة الدول الأوربية وسياسة العالم عامة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، وصدرت الطبعتان الثانية والثالثة منه قبل أن ينتهي الشهر ، وأمامي الآن الطبعة الحادية والثلاثون منه ؛ ولا يبعد أن تكون الطبعة الثانية والثلاثون في الطريق ، وثمن النسخة نيف وستون قرشاً بالعملة المصرية ... فلعلي لا أتهم غداً بالتحريض على جريمة قتل واغتيال إذا اطلع على هذه « الأسرار » أولئك الحانقون على كتابنا الكهول والشيوخ ، لأنهم ناجحون !

***

وسر المؤلف بهذا النجاح فأقدم على تجربة ثانية باسم « دخيلة آسيا » في هذه المرة ، تناول فيها عظماء اليابان والصين والهند وفارس وسائر العظماء الآسيويين ، وكتب عن امبراطور اليابان وقائد الصين وشاه إيران وغاندي وجوهرلال ، وأجاد في هذه التراجم كما أجاد في تراجم المشهورين الأوربيين ، فسيلقى كتابه الثاني من الرواج ما لقيه كتابه الأول ؛ وسيقبل عليه الأمريكيون والأوربيون قبل إقبال الآسيويين وإخوانهم الإفريقيين عليه !

ولما يصدر الكتاب بعد من الطبعة ، ولكننا اطلعنا على نخبة من فصوله في المجلات المختلفة ، ومن هذه الفصول نلخص بعض ما يطيب الاطلاع عليه لقراء العربية

***

كتب عن امبراطور إيران صاحب الجلالة رضا بهلوي بعنوان « ملك الملوك » أو شاهنشاه بالإيرانية ، فذكر جهاد جلالته في كفاح الجهلاء من رجال الدين الذين يحاربون الإصلاح باسم القرآن، وما يحاربونه في الحقيقة إلا بما يجهلون من العلم ومن القرآن ، وذكر اجتهاده في تعليم نفسه وقال : إن ظهوره كان أكبر حادث في التاريخ الفارسي بعد أيام جنكيز خان ، وإنه كان قبلة الآمال حين فكرت فئة قليلة من الشبان في إنقاذ البلاد من الفوضى والفساد ، فجمع حوله ألفين وخمسمائة من الجند وتقدم إلى طهران في العشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢١ فاستولى عليها بغير عناء

ويقول المؤلف إن الشاه يستيقظ في الخامسة من الصباح ، وليس في المملكة موظف كبير إلا ويتوقع دعوة منه في أي وقت من أوقات الليل والنهار للحضور إلى القصر بعد خمس عشرة دقيقة ، وهو يستحث وزراءه إلى العمل الناصب فيفخرون بالعمل ويفخرون بإيران

ويقال إن الشاه أوسع الملاك أرضاً في أرجاء القارة الآسيوية ، وأنه يملك أعظم الفنادق الكبرى ، ويجعل السياحة في البلاد الفارسية حكراً للدولة ، وليس على الدولة ديون بل لها موارد في احتكار السكر والشاي والملح والتجارة الخارجية ، والنقل والنفط وما إلى ذلك ، وتنفق كلها على المرافق العامة والإصلاحات الداخلية .

وقد وهب الشاه بلاده كل ما عنده من الذهب منذ عهد قريب .

ولا يطيق الشاه تعصب الجهلاء من رجال الدين . فمن ذلك أن جماعة منهم هجموا على موظف أمريكي في السلك القنصلي

فقتلوه لأنه التقط صورة شمسية لحفل من المحافل الدينية ، وكانوا بقيادة رجل يزعم أنه من نسل النبي عليه السلام . فأمر الشاه بمحاكمته وصدر الحكم عليه بالموت ، فمات ، وكان عبرة لغيره من الجهلاء الذين يسيئون بهذه الحماقات إلى سمعة البلاد .

وقال إن الشاه تدرج في إلغاء الحجاب فأصبحن نساء المملكة جميعاً سافرات ، وإنه يقتدي بالغربيين ، ولكنه لا يستشير لأحد منهم في سياسة داخلية ولا سياسة خارجية . وقد ألغى خطوط الطيران الألمانية والإنجليزية وسمح للطائرات الهولندية وحدها أن تطير فوق بلاده ، على أن تجدد الرخصة كل شهرين .

***

وندع ما أشار به الكاتب إلى « خصوصيات » الشاه ، ونذكر بعض ما رواه عن « الإنسان الإله » أو إمبراطور اليابان ومن أنهم يستأنسونه شيئاً فشيئاً لأنه يعيش حتى الساعة عيشة الأرباب المعبودين ، فلا يتكلم في المذياع ولا يجوز لأحد أن يصوره ولا أن يحدجه بنظره ، وأنه مع هذا ينظم الشعر ويقيم في قصره مكتباً للمسابقات الشعرية تعرض فيه المنظومات كل سنة ويشترك الامبراطور فيها وإن كان لا يشترك في الجوائز الممنوحة للسابقين

ونقل المؤلف عن بعض المصادر أن السياسي الياباني الكبير الأمير « إيتو » قد استشار بسمارك أثناء زيارته لبرلين في أمر الدستور والقواعد النيابية فقال له ضريبه بسمارك إن الشرط الأول لنجاح المملكة الدستورية هو اعتصام الملك بثروة كافية وافية . وعلى هذا يقول المؤلف إن رأس مال البيت الأمبراطوري هو الثالث أو الرابع بين رؤوس الأموال في البلاد ، وإن للأمبراطور أسهماً في كثير من الأعمال الصناعية والسكك الحديدية وخطوط الملاحة ، ومع هذا لا يأذن العرف للأمبراطور بحمل النقود كما يقولون .

***

وكتب عن زعيم الصين « شيان كاي شيك » فقال : « إنه لغز من الألغاز النفسية لأنه لدود الخصام شديد الصرامة في النظام ، ومع هذا يصفح عن كثير من أعدائه ويوليهم المناصب ويلقي عليهم التبعات .

يستيقظ عند الفجر ويدأب على العمل حتى المساء ، ويحب أن يؤدي أعماله وهو مضطجع ، وينام قليلاً أثناء النهار على صوت الأغاني التي تدار له على الحاكي ، ويختار من الأغاني أنشودة دينية لشوبير ، ويعلم مرؤوسوه في الحجرة المجاورة أنه قد نام ساعة ينقطع الانشاد .

لا يدخن ولا يشرب الخمر ، وقلما يتعاطى القهوة أو الشاي ، وله يومية يواظب على تدوين الملاحظات فيها ، ويقال إنه نجا من الموت مرة بفضل هذه اليومية ، لأنها وقعت في أيدي المعتدين عليه فقرأوها فبدا لهم الرجل في حياته الخاصة بعد قراءتها على صورة غير التي تعرضها لهم مناصراته السياسية ، فأحجموا عن قتله

رياضته المختارة السير على الأقدام فوق التلال ، أو تناول الغداء في الخلاء ، ولا يزجي الفراغ في غير القراءة ، وأكثر ما يقرأ في الكتب الصينية القديمة ، وشعاره من كلام كونفشيوس الحكمة التالية :

« من أراد أن يحكم أمة فعليه أن يحكم أسرة . ومن أراد أن يحكم أسرة فعليه أن يروض جسمه قبل ذلك بالرياضة الأدبية . ومن أراد أن يروض جسمه فعليه أن يروض عقله . ومن أراد أن يروض عقله فعليه أن يخلص في نياته ومقاصد حياته . ومن أراد الإخلاص في النيات فعليه التوسع في المعرفة »

ومفتاح أخلاق الزعيم الصيني العناد والصبر والمثابرة . ويبلغ من يقينه بصوابه أنه ينتظر من أعدائه أن يثوبوا إليه مع الزمن نادمين موافقين ولو طال الانتظار

مرتبه ألف ريال صيني في الشهر ، وهي تساوي مائتين وخمسين من الريالات الأمريكية . وهو سعيد في حياته المنزلية تعاونه زوجة فاضلة من بيت كريم هو بيت أستاذه زعيم الصين الأكبر « سون ياتسين »

ولا يزال وفياً كل الوفاء لأستاذه الجليل . ففي صباح كل يوم من أيام الإثنين يقام في معسكره حيثما كان اجتماع عام يحضره نحو ستمائة من أعوانه ، وتعزف الموسيقى سلاماً فيقف جميع الحاضرين ، ويرفعون القبعات وينحنون ثلاثاً راكعين أمام صورة كبيرة لسون ياتسين ، ثم يتلو شيان كاي شيك وصية أستاذه في خشوع وانئاد كما يتلو الصلاة ، ثم يسأل الحاضرين السكوت دقائق ثلاثاً يعقبها بإلقاء موعظة تستغرق الساعة أو أكثر من

ذلك ، يعرض فيها على أستاذه أعماله وحساب أسبوعه كما يعرض المرؤوس تقرير الأسبوع على رئيسه الذى هو مسؤول بين يديه ، ويظل السامعون والمتكلم واقفين طوال وقت الاجتماع ، ثم ينفضون خاشعين بعد أن يؤذنهم الخطيب بكلمة الختام »

ويرى المؤلف أن شيان كاى شيك ربما كان أقدر أبناء الصين منذ العهد الذى بنى فيه الحائط قبل المسيح بثلاثة قرون

***

ولا يتسع المقام لتلخيص ما كتبه عن غاندى وجوهر لال وغيرهما من أعلام الهند والقارة الآسيوية ، فلنا نرجع إلى تلخيص الطريف النافع بعد صدور الكتاب

عباس محمود العقاد

البحترى أمير الصناعة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قيل إن أبا العلاء المعرى شرح ديوان المتنبى وسماه (معجز أحمد) وشرح ديوان أبى تمام وسماه (ذكرى حبيب) وشرح ديوان البحترى وسماه (عبث الوليد) . ولعمرى لو كان شعر البحترى عبثاً ما احتفل له أبو العلاء المعرى ولما سلخ زمناً من عمره فى شرحه ، وإلا كان المعرى عابثاً لإضاعة وقته فى شرح العبث . وهذا أمر يذكرنى بكارليل والقرن الثامن عشر ، فقد كان كارليل كلما ذكر القرن الثامن عشر فى أوربا سماه العصر العقيم وعصر طاحونة المنطق ، ويعنى المنطق الفارغ وعصر الإلحاد ؛ ولكننا لو درسنا مؤلفات كارليل لوجدنا أن أكثرها كان فى دراسة القرن الثامن عشر ورجاله ونزعاته الفكرية والسياسية . ولو كان عقيماً ما حفل له ولا اهتم به كل هذا الاهتمام . وكنت أود أن أسأل شيخ المعرة ، على ماله عندى من الاحترام والمنزلة ، هل شعر الوليد (ويعنى البحترى وهو الوليد بن عبادة) هو العبث أم الجناس والتزام ما لا يلزم هو العبث ؟ وإذا تساويا فى العبث فأيهما أحب ؟ يخيل إلى أن المعرى إنما أراد أن يداعب البحترى ، ولعله فى صميم قلبه كان يحب عبث الصناعة بدليل ميله إلى الجناس والتزام ما لا يلزم ؛ والحب يجلب الداعبة ويغرى بها كما يداعب المحب حبيبه ، وقد يكون ثقل الداعبة دليلاً على شدة الحب الذى لا يجد تنفيساً وترويحاً إلا بالتثاقل بالداعبة . وإذا أضفت إلى ذلك اعتزاز المعرى بتفكير كثير ليس للبحترى مثله كنت قد جمعت بين شتى الداعبة وسببها . فليس من المحتوم أن يكون لها سبب واحد . على أن المعرى يغرى أحياناً بمعارضة البحترى فى شعره ، وهذه مداعبة أخرى فى ثناياها الجد فقد قال البحترى من قصيدة :

وعيّرتنى سجال العُدْم جاهلة والنبع عريان ما فى فرعه ثمر

أى أن الفقر لا يعير به الرجل كما أن الشجر النافع مثل النبع لا يعير بأنه ليس له ثمر . فقال المعرى يعارضه :

وقال (الوليـــد) النبع ليس بمثمر
وأخطأ سِرْبُ الوحش من ثمر النَّبْعِ

يعنى بالوليـد البحترى ويقول : إن قول البحترى إن النبع ليس له ثمر خطأ لأن النبع تصنع منـه القِسِىُّ وبالقوس يقنص الصائد سرب الوحش ، فكأن سرب الوحش من ثمر النبع الذى ليس له ثمر من فاكهة النبات . فبالله أليست هذه دعابة ؟ ثم أليست فكرة المعرى مأخوذة من بيت البحترى ، إذ يعنى أن النبع الذى يمد القانص بالقوس من خشبه لا يعير بأنه ليس له ثمر من فاكهة النبات لأنه يكون سبباً فى اقتناص القنص فله مزايا ؟ فأيهما إذاً العابث ؟ على أنه لو كان شعر البحترى عبثاً لكان أفضل من كثير من عبث الحياة الذى يسمى جداً على سبيل تسمية الضد بالضد . ثم أما كفى المعرى إضاعة وقته بشرح عبث الوليد فى زعمه حتى يضيع جزءاً آخر من وقته بالإشارة إلى معانيه

والبحترى أقرب الشعراء فى صناعته إلى أبى تمام وإن كان أبو تمام أكثر جرأة فى تلك الصناعة وأعظم ابتداعاً ويجد لأبى تمام معانى يجاريها البحترى ، فأبو تمام يقول :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويَتْ أتاح لها لسان حسود

فيقول البحترى فى المعنى نفسه :

ولن تستبين الدهر موضع نعمة إذا أنت لم تُدْلَلْ عليها بحاسد

وبيت أبى تمام أسير وأحسن معنى . ولاحظ أن الصناعة هنا هى التى أثقلت بيت البحترى وعاقته عن السير . أما أبو تمام فعرف كيف يجعل الصناعة خادمة للمثل السائر وأبى أن يعوقه بأن يحمله ثقلاً من الألفاظ ، وهذا المعنى هو نصف الحقيقة الشاهدة فى الحياة ،

والنصف الثانى من الحقيقة هو ما عبر عنه الشريف الرضى بقوله :

رُبَّ نعيم زال ريعانه ... بلسعة من عقرب الحاسد

وهناك فرق قليل فى المعنى بين بيت البحترى وبيت أبى تمام ولكن الموضوع واحد . وقال أبو تمام أيضاً :

لو سعت بقعة لإعظام نعمى ... لسعى نحوها المكان الجديب

فقال البحترى :

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما ... فى وسعه لسعى إليك المنبر

وقال أبو تمام أيضاً فى أرجوزة :

إن الربيع أثر الزمان ... لو كان ذا روح وذا جثمان

مصوراً فى صورة الإنسان ... لكان بسَّاماً من الفتيان

فقال البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد زاد البحترى فى المعنى واختصر كلامه وأحسن سبكه . والحقيقة هى أن البحترى قلما يأخذ معنى إلا زاد فيه وأجاد سبكه أو تصرف فى معناه . أنظر كيف أخذ قول أبى الصخر الهذلى :

تكاد يدى تندى إذا ما لمستها ... وتنبت فى أطرافها الورق الخضر

فالهذلى يقول إنه إذا لمس حبيبته أعدته بالحسن ، ولكن أى حسن ؟ حسن النبات . فجعل البحترى العدوى بحسن الإنسان فقال :

أغتدى راضياً وقد بتُّ غضبا ... ن وأمسى مولى وأصبح عبدا

وبنفسى أفدى على كل حال ... شادياً لو يُمَسُّ بالحسن أعدى

وقد ظلم ابن الرومى البحترى بقوله فيه :

كل بيت له يُجَوَّدُ معنا ... ه فمعناه لابن أوس حبيب

فإننا لو شئنا لأتينا بأبيات يشترك فى معانيها ابن الرومى ومن كان قبله من الشعراء ، ويمتاز البحترى بجودة الصنعة ، وكثيراً ما يزيد المعنى ، أنظر إلى قول أبى تمام : (ولا يحيف رضا منه ولا غضب) وإلى قول البحترى :

يُرْتجَى للصفح موتوراً ولا ... يَهَبُ السُّؤدَدَ فيه للحَنَقْ

فصفح الموتور أعظم من صفح الغاضب ، والشطر الثانى زاد المعنى بهاء . لاشك أن ابن الرومى كان أكثر ابتداعاً ، وكان يجيد الصنعة ولكن للبحترى قطعاً لا يستطيع ابن الرومى محاكاتها فى حلاوة الصنعة ولا سيما فى المدح ، ومدح البحترى كان أسهل متناولاً ، ولعل هذا وحلاوة صنعته مما جعله مسموداً لدى الممدوحين أكثر من ابن الرومى . والظاهر أن الأمراء ، والوجهاء[1] كانوا يسيئون الظن بمدح ابن الرومى أحياناً لأنه كان هجاء ساخراً ، ومن كان كذلك حُمِلَ بعض مدحه على محمل السخر ، وهذا أمر مشاهد فى الحياة . أما البحترى فإنه يذكرنا بما يحكى عن أحد طهاة باريس الذى أجاد صناعة الطهى حتى أنه طبخ ذات مرة نعلاً سال له لعاب آكليه من جودة صناعة الطهى . وقد بلغت جودة الصنعة فى شعر البحترى مبلغاً جعلها تحاكى العاطفة والوجدان كما نرى فى بعض غزله ، ولكن لو كان كل ما فى شعر البحترى حلاوة فى الصنعة لما حفل به ابن الرومى قدر ما حفل به ؛ وأما إتقان صناعة البحترى محاكاة صدق العاطفة فهى صفة فى كبار الفنانين . فالممثل الكبير إذا مثل الحزن أو الحب لم تفرق بين الحقيقة والمحاكاة ، بل إن المحاكاة تصير حقيقة حتى أن الفنان نفسه قد يخدع بمظهرها فى نفسه كما يخدع المعجبون بفنه ، ومن أجل ذلك قد تختلط حقيقة العاطفة ومحاكاتها فى حياة الفنان كما تختلط الحقيقة والعاطفة فى فنه . أنظر مثلاً إلى قصة البحترى وغزله فى مملوكه نسيم الذى كان يبيعه ويقبض ثمنه ثم يصنع فيه غزلاً من أرق الغزل ويمرضه على المثرى الذى اشتراه فيرد المملوك إليه هدية فيربح المملوك ، ويربح ثمنه ، ويصنع غزلاً من غزل محاكاة العاطفة ، ولكن حلاوة الصنعة فيه تغطى على المحاكاة وتختلط الحقيقة والخيال فيه .

والمدح فى شعر البحترى لا يقل كثيراً فى جودته عن المدح فى شعر أبى تمام . وإذا أردت أن تنتخب خلاصة الخلاصة لم تستطع ترك المدح من شعرهما . أما ابن الرومى فإن له أشياء فى موضوعات وأبواب أخرى تلهيك عن مدحه عند اختيار خلاصة الخلاصة من شعره ، وإن كان له فى المدح قدرة كبيرة . ومن بديع شعر البحترى فى المدح قوله :

تلقى إليه المعالى قصد أوجهها ... كالبيت يقصد أمًّا بالمحاريب

كالعين منهومةً بالحسن تتبعه ... والأنف تطلب أعلى منتهى الطيب

وقوله :

علا رأيه مرمى العقول فلم تكن ... لتنصفه فى بعده وارتفاعه

وقارب حتى أطمع الغر نفسه ... مكاذبة فى ختله واختداعه

فهذه الأقوال ليست صنعة فحسب بل هى أيضاً خيال وفكر .

(١) كما حدث عند ما مدح أبا الصقر إسماعيل بن بلبل الشيبانى الوزير بقصيدته النونية الرائعة

وانظر إلى قوله فى مدح قوم توارثوا خصال الحمد :

خلقٌ منهم تردد فيهم ... وليَتْه عصابة عن عصابَهْ
كالحسام الجراز يبقى على الدهـ ... ـر ويفنى فى كل عصر قرابه

أو قوله :

جهير خطاب يخفض القوم عنده ... معاريض قول كالرياح الرواكد

وهذا تشبيه بديع ، وانظر إلى قوله :

مدرك بالظنون ما طلبوه ... بفنون الأخبار فنّاً ففنّا

وقوله :

وكأن الذكاء يبعث فيه ... فى سواد الأمور شعلة نار

وقوله :

صحبوا الزمان الفرط إلا أنه ... هرم الزمان وعزمهم لم يهرم

وقوله :

عليم بتصريف الأمور كأنما ... يعانى صروف الدهر من عهد تُبَّعِ

وقوله :

تَجِلُّ إلى نجح الفعال كأنما ... يمسى على وتر من الموعود

وقوله :

وكم لبست الخفض فى ظله ... عمرى شباب وزمانى ربيع

فمدحه حلو شائق سواء أكان المعنى سائراً مألوفاً أم كان جديداً مبتدعاً . أنظر إلى دقة المدح فى قوله :

لم يرتفع عن مراعاة الصغير ولم ... ينزل إلى الطمع المخسوس إسفافا

ولكنه مع ذلك لا يخلو من أشياء فيها فتور الصنعة وتكلفها عند ما تكون الصنعة قاهرة لعاطفته الفنية ومنافسة لها بدل أن تكون زميلتها أو خادمتها . وقد روى أنه أحرق أكثر هجائه الذى به فحش وإن كان فى ديوانه القليل من هذا النوع[1] وله فى الهجاء أشياء مستحسنة مثل قوله :

تزيد الإهانة فى حاله ... صلاحاً وتفسده التكرمه

وهذا البيت يصف النفس الإنسانية فى بعض حالاتها وهو فى معناه شبيه بقول القائل :

يُصْبِحُ أعداؤه على ثقة ... منه وخلانُهُ على وَجَلِ
تذَلُّلاً للعدو عن ضعة ... وصولةً بالصديق عن نَكَلِ

ومن مأثور هجاء البحترى قوله :

وبعضهم فى اختياراته ... يُحِبُّ الدناءة حبَّ الوطن

(١) مثل هجائه على بن الجهم الشاعر

والظاهر أنه لم يجد حبّاً أشد من حب الوطن كى يقارن به حب المهجو للدناءة . ومن المشهور قوله أيضاً :

كل الظلام رُدَّتْ غير مظلمة ... مجرورة فى مواعيد ابن عباس
مَنَعْتَنِي فرحة النجح الذى التمست ... نفسى فلا تمنَعَنِّي فرحة الياس

وأبياته التى يقول فيها :

ويبعد عن المعروف حتى كأنما ... ترون به سقم النفوس الصحائح

والأبيات التى يقول فيها (ويبعد العتاب من السباب) وذمه على أى حال لا يقارن بهجاء ابن الرومى الذى يزهم جميعاً فى بابه

والبحترى لا يُعَنِّي نفسه كثيراً بالتفكير فى معضلات الحياة كما يفعل المعرى ، ولكن أمراً واحداً يفكر فيه كثيراً وهو تفاوت الناس فى الحظوظ ولا سيما فى قسمة المال حتى أن فى بعض قوله نفحة من الاشتراكية ؛ فهو يقول إن الغنى مفسدة والفقر مفسدة ويود لو تقاربت الحظوظ فى المال ، وهو يكرر هذا المعنى فيقول

كان يُحْيِي هالكاً من ظمأ ... بعض ما أودى بميْتاً من غرق

ويعنى بالظمأ والغرق قلة المال وكثرته ، ثم يكرر هذا المعنى فيقول

تفاوتت الأيام فينا فأفرطت ... بظمآن بادٍ لوحُهُ وغريقِ

وتمنيه فى البيت الأول أن يسعد جميع الناس فى الحظوظ يخالف قول ابن الرومى :

ومُحَالٌ أن يَسْعَد السعداء الـ ... دهرَ إلا بشقوة الأشقياء

(البقية فى العدد القادم) عبد الرحمن شكرى

خــــواطر

للأستاذ فليكس فارس

كنت كلما سمعت النشيد الوطني المصرى : «بلادى بلادى» أتحول ذهنى إلى فكرة بعيدة حين تكرار اللازمة فيه وهى :

« تعيش بلادى ويحيا الوطن »

كان يؤلمنى أن أسمع مثل هذا التركيب الغريب فى مبناه ومعناه ولا أفهم كيف يتغنى شعب هو فى طليعة النهضة العربية بمثل هذا الشطر وفيه العيش شىء والحياة شىء آخر ، وفيه البلاد شىء والوطن شىء آخر !

ثم مرت الأيام فإذا هذه اللازمة مسبوكة فى قالب آخر تنشدها الجماعات والأفراد ويتغنى بها الأطفال هكذا :

« تعيش بلادى ويحيا الملك »

لا أعلم كيف وقعت هذه القافية على آذان الشعراء والموسيقيين لأول ما سمعوها، بل لا أعلم كيف كتبها من أقرها دون أن يتمرد القلم على يده أو تتمرد أعصابه على أذنه !

أين القافية المماثلة لكلمة « ملك » فى النشيد نفسه أو فى أية قصيدة نظمت منذ قرت الأبيات على قواف ؟

أما أنا فقد رأيت سبابتىّ تسدان أذنى عند ما سمعت هذه اللازمة فترحمت على أصلها

ولا أزال حتى الآن أتألم كلما سمعت هذا القرار الناشز فى نشيد الوطن؛ ويخيل إلىّ أن حورية شعرى تبسط ذراعيها هاتفة:

« يعيش مليكى ويحيا الوطن »

فهل يقرّ إخوانى هذا التصحيح لتأخذ به وزارة المعارف فتنقذ النشيد وتحمى ذوق الناشئة من الانطباع على رطانة قراره ؟

***

فى بريد الولايات المتحدة أن قرينة الأستاذ جيمس آرجويت توفيت منذ أمد قريب تاركة ، بوصيتها لجامعة هارفرد، مائة وخمسين ألف دولار يتصرف بها أستاذ يعين لتدريس اللغة العربية واستخراج ما فى كتبها خدمة للعلم فى الديار الأمريكية

ليعلق المفكرون على هذا الحدث ، كل بما توحى إليه عقيدته.

ليقل البعض إن ما أبقاه الأجداد من تراث على وأدبى قد استنزفه الغرب فلم يبق فيه قطرة لرجال العلم فى هذا العصر ، وإن أدمغة العرب قد عقمت فى هذه الأيام فليس فيها ما يُطمع به .

وليقل البعض الآخر إن قرينة الأستاذ جيمس قد استهواها ما يبدو من أبناء وطنها من غرائب الأعمال . أما نحن فلا نملك القلم من أن يكتب تكراراً ما كتبه منذ سنوات ونشر فى رسالة المنبر :

« إن هذه البلاد مستودع لأشرف الثقافات ، ومكمن لأسمى المواهب ، فمن واجب أجناد المنابر والأقلام فيها أن يظهروا هذه القوات لأبنائها نزوعاً بهم عن الانقياد لدخيلات العادات والأخلاق التى تغلبت عليهم بما وجدوه من التوهم فى أنفسهم فاستصغروها »

***

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدى المساويا

فى هذا البيت حكمة أصابت صميم الحقيقة فى الشطر الأول ، غير أنها قصرت فى الشطر الثانى عن تصوير حالة الساخط النفسية؛ فإن من نقم على إنسان لا يقف عند إبداء مساويه بل يندفع إلى مسخ حسناته عيوبا

تلك حالة مستقرة فى الطبيعة يصعب على الإنسان أن يحلق فوقها . ولكم نتمنى لو يخضد تهذيب النفس من شوكتها أو على الأقل لو انعتق الأدباء من سلطانها وهم الداعون إلى الإنصاف والتجهون إلى المثل العليا

صديقنا الكاتب الروائى كرم ملحم كرم معروف فى العالم العربى بآثاره الأدبية القيمة وصديقنا إلياس أبو شبكة كاتب من الطراز الأول وشاعر من طليعة شعراء هذا الجيل ؛ ولست أدرى أى شيطان نفح بينهما فحول نورهما ناراً تتقد ولست

أدرى أيهما بدأ بإشهار الحرب لعدم اطلاعي على صحف بيروت كلها؛ غير أنني قرأت مجلة الأمالي فإذا فيها مقالات متتابعة يشن فيها الزواني الغارة على الشاعر ويتهمه بأنه سرق من شعراء الفرنجة جميع ما نظم في ديوانه « أفاعي الفردوس »

وعهدي بصديقي الأستاذ كرم عميق النور رصيناً فإذا به يخرج من خلقه ويوجه نقده شتماً وتحقيراً ، وما هذه الغضبة المضرية على قوله إلا غيرة على الأدب العربي وإشفاقاً على السكين بودلير وأضرابه ، ينتزع منهم إلهامهم ويختلس ثمرات قرائحهم

وقد أورد صديقي كرم ما يزيد على عشرين قطعة من هؤلاء الشعراء باللغة الفرنسية وألحق كل قطعة بما اختلسه أبو شبكة وقيده لحسابه

وهأنذا أورد أنموذجاً من هذه الأدلة التي يقضي بها الأستاذ كرم قضاء مبرماً على زميله :

أبيات أبي شبكة من قصيدة شمشون :

شبق الليث ليلة فتنزّى ... ثائراً في عرينه المهجور
تقطر الحمّة المسعَّرةُ الشـ ... ـهباء منه كأنه في هجير
يضرب الأرض بالبراثن غضبا ... ن فيصدي القنوط بالديجور
ووميض اللظى يفلّف عيـ ... ـنيه فعيناه فوهتا تنور
وترا من عرينه تتشظى ... حمم من لظاه في الزمهرير
واللهاث المحموم من رئتيه ... يشعل الغاب في الدجى المغرور

وهذه ترجمة الأبيات التي يتهم شاعرنا باختلاسها وهي من قصيدة آلهة الغاب لألفريد دي فيني :

« ورأى النمر جبابرة الغاب يذهبون إلى بعيد بالنمزة دون أن يتمكنوا من حجبها عن نظراته الملتهبة، فوجم وتململ، فاهتز الغاب لهزيم صيحاته، وتدفق الزبد من شدقيه سائلاً على لسانه المشتعل، واشتد احتدامه فانطلق محطماً قيوده »

ويقول صديقي كرم بعد إيراد شعر السارق الوقح وشعر المسروق المسكين :

أليس النقل حرفاً بحرف ؟ ألم نقبض على اللص الأديب بالجرم المشهود ؟ أيجوز للأدب العربي أن يرضى عن هذا الشعر المسروق حتى بتكته وحذائه ؟

فليسارع إلى نجدة الأستاذ كرم للدفاع عن الأدب العربي من يشاء إذا وُجد أديب يأخذ بحكمه . أما أنا فأجيز لنفسي أن أقول إن قطعة دي فيني فضلاً عن أنها في واد وقطعة أبي شبكة في واد من حيث معناها ومبناها لأبعد حتى في أصلها الفرنسي من أن تداني أبيات شاعرنا العربي في سمو الخيال وروعة البيان

متى نحول إيماننا بكل ما هو غريب عنا إلى ثقة بأنفسنا ؟ ومتى يسود التضامن والإخاء بين من لا يجدون غير النصب والشقاء في سبيل هذا الأدب العربي الذي تتوقف على إحيائه حياة الأمة العربية

« الاسكندرية » فليكس فارس



أعلام الأدب

سوفوكليس

للأستاذ دريني خشبة

ظل سوفوكليس يمد المسرح اليوناني بروائع دراماته نيفاً وستين سنة، فكان عمراً ممدوداً مباركاً متصل الجهاد، وكانت حياته كلها كالحديقة الجميلة الغناء باسمة بالزهر يانعة بالثمر حافلة بالطير مزدهرة بالألوان

وُلد سوفوكليس سنة ٤٩٦ قبل الميلاد، في كولونوس؛ وكان أبوه سوفيللوس تاجر أسلحة ذا ثروة واسعة فنشأ ولده تنشئة راقية وضمن له حياة مترفة مليئة بالنعام، وثقافة أثينية هي إلى الأدب والفن، أقرب منها إلى العلم والفلسفة، ويبدو ذلك واضحاً جلياً في جميع ما تركت لنا يد العفاء من دراماته التي بلغت ثلاثاً وعشرين ومائة فلم يصلنا منها غير سبع

ويبالغ التاريخ في وصف جمال سوفوكليس إذ هو صبي وإذ هو فتى؛ ويقال إنه لم يكن في أثينا كلها من كان يفوقه رشاقة وتناسقاً وجمال تركيب، حتى إنهم اختاروه في الاحتفال بالنصر في سلاميس ليقود فريق المنشدين، فكان يتقدمهم عارياً مُجلَّل الرأس بالغار والأزهار، عازفاً على قيثاره أشجى النغم، فكان فتنة الاحتفال كله

وكان يجمع إلى جمال الجسم ورشاقة اللفتات محاسن النفس الخيِّرة وفضائل القلب التقي، فكان يحب الناس جميعاً ويقسرهم جميعاً على محبته والشغف بمواهب روحه

ولقد شدا الموسيقى — وربما الشعر — عن الفنان الكبير ابروس، الذي كان له أكبر الأثر في توجيه سوفوكليس والذي حبب إليه الإنشاد وموسيقى المسرح فجذبه إلى الفن وأقصاه عن الفلسفة، وضمن له الظفر على أقطاب الأدب وفحول الشعر في عصره، وهو لما يزال شاباً حدث السن

ويذكرون أنه نال أولى جوائزه، وكان منافسه إذ ذاك إسخيلوس الشيخ، وهو في الثامنة والعشرين من عمره، بدرامة وطنية مفقودة تدعى (تربتوليموس) ويختلف المؤرخون في السبب الذي أظفر الشاعر الشاب بالشاعر الشيخ، وأشهر الروايات أن إسخيلوس كان قد سخر بالآلهة سخرية واضحة لاذعة في درامته التي تقدم بها للمباراة مما أهاج الرعاع عليه وأثارهم ضده حتى كادوا يفتكون به وهو يمثل لولا أن حال أخوه بينه وبينهم، كاشفاً لهم عن ذراعه التي جرحت في سلاميس دفاعاً عنهم، وذياداً عن بيضة الوطن ... ويقولون إن سوفوكليس كان قد أغرى القضاة بماله الكثير، وإنه حاباهم، وكانوا خمسة، حينما حان وقت فرز الأصوات وتقدم القادة العشرة المعجبون بدرامة سوفوكليس الوطنية فزخرفوا الحكم ودلسوا النتيجة وقضوا بالجائزة الأولى للشاعر الشاب. وأيّاً كان السبب فقد ترك الحادث في نفس سوفوكليس أثراً عظيماً من الزهو ليس يعدله إلا أثر الحسرة والمرارة في نفس إسخيلوس .. ولم يضار المسرح ولا الأدب بما حكم للأول على الآخر، فقد نظم إسخيلوس أسمى روائعه بعد ذلك، كما أن سوفوكليس صمد لخصمه، وراح يعزز فوزه بعشرات ثم عشرات من أرفع ما شهد المسرح من المآسي في جميع عصوره .

ذاك، وقد ظفر سوفوكلس بالجائزة الأولى عشرين مرة، وبالجائزة الثانية أكثر من ثلاثين، وقلما هبط إلى الجائزة الثالثة. ومهما يكن لأمواله من أثر في هذه النتائج الباهرة فما لاريب فيه أن أدبه وفنه ودقته كانت العوامل الأولى الأساسية في تعدد مرات انتصاره ... أما إسخيلوس فقد فاز بالجائزة الأولى خمس عشرة مرة، على قلة منافسيه وهوان شأنهم، كما فاز بها يوريبيدز — سيد شعراء الدرام — خمس مرات فقط

ولما كان سوفوكليس جميلاً بارع الجمال، فقد كان يقوم بنفسه بتمثيل أدوار النساء في صدر شبابه، كما ذكرنا أنه أدى دور نوزيكا في درامته (نسوة غاسلات) . وكانت ظلال جماله تنعكس على فنه، فكان يؤثر البساطة في التعبير والتفكير، ويفضل العاطفة الجياشة الثائرة على العقل الخامد الرزين، ولذلك لم يفكر في أن يرتفع إلى أفق إسخيلوس في پروميثيوث مثلاً، لأنه كان يتجنب عمق الفكرة التي تجهد قرائح النظارة وتكبدها، ويؤثر أن يشب في قلوبهم حرائق من الألم والتأثر في روعة من الشعر العالي وجمال من الفن الدقيق.

وقد عاش سوفوكلس حياته الطويلة هادئاً لا يعكر صفوه شيء ، حتى ثار في أعماقه شيطانه الفنان فوصل أسبابه بأسباب غادة سيئة السيرة فاسدة الخلق تسمى تيوريس — اضطره فنه على ما يبدو لنا من تحليل حياته إلى أن يتخذها خليلة تذكي مشاعره ، وتصل إلهامه ، وتحيي من قلبه موات الشيخوخة ، وتدفئه من ريح العمر البازدة... لكن صلته بها قد افتضحت آخر الأمر ، وكان ينفق عليها بسخاء غريب فثار ولده يوفون وشكاه أمام القضاء طالباً الحجر عليه وإقامته وصياً ليحول بين أبيه وبين تسرب ثروته وبعثرتها تحت قدمى تلك (المحظية) العابثة الماكرة !...

وهنا تكتسح عظمة سوفوكليس تدبير أعدائه ، فإن ولده يرميه أمام القضاة بتهمة العَتَه والسفه ، فما يكاد يقولها حتى يقف الشاعر العظيم ، ثم ينسخ التهمة بإلقائه وتمثيله إحدى قطعه الخالدة من درامته (أوديبوس في كولونوس) التي كان ينظمها خلال تلك المحنة، وسرعان ما يصفق له القضاة الذين خلبهم بشعره الرفيع الرصين ، وفنه الجليل العالي ، وتمثيله القوى الخلاب ، ثم يحكمون بسلامة تفكيره وحريته المطلقة في تصريف شئونه . . . وهكذا اعتبر القضاة غرام سوفوكلس من شئونه الخاصة فلم يدمغوه بحكم يذهب بشرفه وربما كان يقضي على تلك العبقرية الرائعة التي عكست سناها على جميع العبقريات في جميع عصور المسرح .

. . . فغرام سوفوكلس بالغيد الأماليد لم يكن إلا إيحاء فنياً تستلزمه حياة الفنان وتقسره عليه ميوله . ويكاد كل فنان يكون خاضعاً لمثل هذا الإيحاء ، وقد خضع له إسخيلوس من قبل ، فقد رُوى أنه لم يكن يستطيع أن يحسن شيئاً من الشعر الرفيع إلا حين تلسب بلبّه حُميّا الخمر . وقد قال فيه سوفوكلس إنه نظم أبدع روائعه وهو لا يدرى ماذا يقول ولا ماذا ينظم .. على أن هذه المغامرة الغرامية قد ذهبت جُفاء في حياة سوفوكلس ، فلم تترك فيها وصمة ، ولم تلطخها بالعار ، بل على الضد من ذلك فقد زاد شغف الناس بشاعرهم العظيم حتى قيل إن طائفة منهم عبدوه بعد موته عام ٤٠٦ باسم الإله البطل دكسيون الذي يؤثر أنه ضاف في منزله الإله أسكلبيوس واعتبروا قبره في طريق دكليا دار حج لهم

ولد سوفوكلس سنة ٤٩٦ وتوفى سنة ٤٠٦ ق. م وفاز على إسخيلوس وهو في الثامنة والعشرين ثم لبث يعد المسرح نيفاً وستين عاماً بمعدل درامتين كل سنة ، فهو بذلك قد ملأ القرن الخامس العظيم من تاريخ أثينا بأدبه وروائعه ، وشهد جلائل الأعمال التي تمت في هذا العصر وعادت بالخير الجزيل على اليونان خاصة وعلى الإنسانية عامة . . . لقد كان سوفوكلس أنضر زهرة في حديقة بركليس العظيم ... لقد شهد نهضة الفن وساهم في نهضة الدرام ، ووقف من شرفة برجه الرفيع يطلع على ذلك الصراع العنيف بين أثينا وأسبرطة ، ويرى إلى الديمقراطية تصارع عسكرية الأسبرطيين فتساجلها مرة ، وتواثقها مرة ، ثم يموت بركليس فتسقط أثينا في الميدان وتغزوها أسبرطة بعد موت سوفوكليس بعامين (٤٠٤) ... عاصر سوفوكليس هذه الأحداث الجسام لكنه لم يندغم فيها ، لأنه كان يشهدها بطبع الفنان الذي يؤثر الراحة ويخلد إلى الأدب ويطلب السلامة ، لا سيما إذا كان في مثل ثروة سوفوكليس وجاهه اللذين رشحاه لعضوية أعظم مجالس الأمة بالرغم من قلة درايته بالأمور الإدارية وعدم بصره بشئونها ... حتى قيل إنه كان إمّعة بين زملائه يوافق إذا وافقوا ولا يدرى على أي شيء يوافق ، ويرفض إذا رفضوا ولا علم عنده بما يرفضون .. لكنه مع ذلك أديب أثينا وفنانها وبلبلها الغرّيد الذي يهذب ويوحي ويلهم ويواسي ويُسلي ويبكي ويغني وينفذ إلى سُويداءات القلوب

لقد كان إسخيلوس صارماً متجهماً يرى بشرر كالقصر حينما يرتطم بالقضاء والقدر ، وكان يؤثر الأسلوب الفخم في الأداء والعبارة الفصيحة والمجاز العميق ،وكان ينقصه كثير من روعة الفن . . . أما سوفوكلس فقد خلص من كل القيود التي تحول بينه وبين قلوب الناس . . . إنه لم يرتبط بنظام الثلاثيات الذي أخذ به إسخيلوس نفسه ، بل كان يعمد إلى الموضوع الذي كان إسخيلوس ينظمه في ثلاث درامات فيجعله هو درامة واحدة في ثلاثة مشاهد[1] مستعيناً على ذلك بسرعة الأداء وتقصير الحوار وتركيز الغرض والمحافظة على الوحدة في العبارة السهلة والبيان المتين

(١) يقال إن الذي ابتكر هذا هو الشاعر أرستطرخوس أحدد أنداد سوفوكليس

وليس هذا هو كل ما أدخله سوفوكلس على الدرامة اليونانية بل لقد أدخل عليها ألواناً من التجديد لم يلبث الجمهور أن شغف بها وأجاد تذوقها ، فمن ذلك اتخاذه المناظر المنقوشة ثم اقتصاده في التهويل في كل من الصوت والملابس التنكرية وإيثاره النشاط ومقته للحركة البطيئة التي تشل المثل وتربكه وتذهب بروعة الأداء وتشوه جمال التمثيل ...

لقد كان سوفوكلس وسطاً ما بين إسخيلوس ويوريبيدز ، لأنه وإن يكن قد حافظ على العنصر الديني في معظم دراماته فجرى بذلك في غبار إسخيلوس إلا أنه اقترب إلى النــاس وابتعد عن الآلهة ولم يرفرف دائماً فوق شعاف الأولمب كما كان يصنع إسخيلوس ... لقد عرف القلب الإنساني وأكتشف ما فيه من الكنوز التي لا تقوم بدونها دولات الدرام ... لقد لمح القبس المقدس الذي يعمر قلوب البشر ... القبس الإلهي ! .. الحب ! .. لقد أشركه في دراماته ولم ينأ به كما صنع إسخيلوس ... لقد جعل له نصيباً أوفى في توجيه كثير من دراماته وحل عُقَدها . واستطاع أن يصوغ له اللغة البراقة الدفاقة والأسلوب المصطخب الملتهب فجاء كلامه عنه كلام المجرب ذي الصبوات

إسمع إليه ينظم للخورس هذه الأنشودة العالية في درامته أنتيجوني :

لله أنت يا حب ! أيها الظافر بنا في كل حلْبة !
أيها المحارب الذي حطامنا أسلابه !
لله أنت إذ تكمن في خدود العذاري الناعمة كالمخمل
تترصد فرائسك في غيهب الليل ، طاوياً الموج
رفافاً في الحراج والغاب ، والهضاب والتلاع
وأكواخ الرعاء
لا يعترض سبيلك أحد .
الكل يخضعون لك
الناس والآلهة ... سواسية جميعاً
كلهم مهزومون في ميدانك
يستولي عليهم جنونك
صناع يا حب ! لشد ما تضل الهداة !
فيتردَّون في التهلكة بأيديهم[1] ؟ !

(١) توسطنا في النقل بين ترجمتي كامبل وهويتلو

وكما أجاد سوفوكلس في كل ما كتب عن الحب الغرامي ، فكذلك قد أتى في سائر ألوان الحب بما لم يستطعه غيره ، ففي درامته إلكترا يصور لنا الحب الأخوي تصويراً رائعاً شائقاً ويصف أحاسيس الطفولة تعبيراً هيناً لينا ، فيه من ضعف الصغر وسذاجته وأحلامه ما يجعله أقرب إلى الطبيعة مما صنع إسخيلوس في أورست .

— كذلك كان سوفوكلس بارعاً إلى آخر حدود البراعة في تصوير شخصيات النساء . وقد عني فيهن بناحية الضعف ولم يعن بناحية القوة والصرامة كما صنع إسخيلوس في كليتمنسترا ... عني بناحية المحبة والعطف والحدب والتألم والبكاء والخوف ولم يؤثر أن تكون بطلاته جبارات عاتيات كبنات لانوس اللائي قتلن أزواجهن ليلة الزفاف إلا واحدة ، أو كزوجة ممنون التي تقتل زوجها وتؤثر عليه عشيقاً لم تحبه ولكن ربطه بها التدبير السيء والمشاركة في الغرض الوضيع .

وقد ثار سوفوكلس على أحد الأوضاع الهامة التي أخذ إسخيلوس بها نفسه ؛ فقد أجاز حوادث القتل وسفك الدماء على المسرح وكان بذلك يثير شجون النظارة ويمزق أحشاءهم من الألم ، ففي درامته (أجاكس) ينتحر البطل وتتصبب دماؤه أمام المتفرجين ، وفي أوديب يسمل الملك عينيه فينبجس الدم منهما ويصيح من الألم مستنجداً أن يقوده أحد ... هذا إلى المشاهد التي كان يتجنبها إسخيلوس ويجنب نظارته شهودها . . . فقد أوقف سوفوكلس كليتمنسترا تبكي تحت سكين ولدها قائلة له : « حنانيك يا بني لهذا الثدي الذي غذاك بلبانه ! » وتكون ابنتها إلكترا واقفة عن كثب فما تكاد استغاثة أمها تصك أذنها حتى تقول محرضة أخاها على قتل أمه : « وهل استشعرت حناناً لك أو لأبيك من قبل ؟ » ... أو ذلك المشهد الرائع الفاجع من مشاهد (فيلوكتيتيس) حينما يظهر البطل في غمرة من الذهول فيملأ المسرح أنيناً ويثير في قلوب النظارة زوابع هائلة من الألم والوجد

يعد المسرحيون هــذه الظاهرة عيباً في فن سوفوكلس ، بيد أنه كان يوجه دراماته وجهات تحتم أن يعرض تلك المشاهد على نظارته ، وكان له من روعة الفن وعبقرية الأداء ما يحيل هذه

حديث السكوت

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

ترجمة الآنسة الفاضلة «الزهرة»

إن بحر السكوت الهائل المخيف يفصل بيننا
وأعرف أنك حيّ ترزق .... وأنك تحبني ...
ومع ذلك — فشدّ ما أتمنى أن تقبل إليّ من عبر المحيط —
سفينة بيضاء ... تتحفني بكلمة منك!
إن الهدوء التام يرعبني بسكونه الصامت الرهيب
لا تعكّره في صدري خلجات الشك، وشبهات الارتياب،
أو تهزه في عقلي خشية المداجاة وتمويهات الإفك
فياليت موجة صغيرة من موجات اللسان، تلم شطّي الحزن الأبكم .. وتهزّ أعطافي .. مثيرة رواكد هذا السكوت .. غير المتناهي!
إنني ضائقة بهذا الإحساس العظيم بالحب، الذي مجمتُه دون قول، وأشربه قلبانا! وإنا لنتبادل منه الشيء الكثير
بيد أني قد استروحتُ منه شذا حبّك الذي نفحني خلسة.
وكما يتسرب البخور الزكيّ النفّاذ من المجمرة، ويعقد سحبه في الفضاء، هو ذا حبّك قد تكاثف حولي وشملني بفوحته السكيّة، ولفّني في شملته العطرية
إن لغة الكلام غثّة تافهة، والألفاظ المحبّرة المسطورة جوفاء لا وجدان لها ولا معنى فيها ...
لذلك أطلب أن تحمل الصبا إلى مثواي نفحة من بليل نسيمها تخفّف الضغط عن علمي التام بوجود الحبّ بيننا ...
وتلطّف وطأة هذا السكوت الواصب المكتوم الذي يبهظ عقلي.
ما أشدّ إملاق الحبّ الذي يفتقر إلى الكلمة أو الرسالة، تمحو الشك، أو تغذي الجنان!
ولكنني مع ذلك ألتمس الكلمة والرسالة، رجاء أن تعززا حجج الحب وأسانيده التي يجذمها السكوت ببلاغة تجاوز كل حدّ، ويقوض دعائم برهانها ويردّها قميئة صاغرة وكأنما أفرغ عليها ذنوباً. ويوجد بحراً عظيماً يفصل بين المتحابّين فيجعلهما غريبين
وذلك لأن الإحساس لا يكفي لإبراز ما استسرّ في القلب، والاقتناع بوجوب الحب وتعرّف مخبره لا يقدران وحدهما أن يضفيا على الحياة رونقاً
والكلام إن لم يبرز بياناً واضحاً منسقاً، يعجز في التعبير عن جوهر المعاني والأشياء، ويقصر عن تأليف صلة القربى بين الروحين
إن اللغة التي تتناجى بها الروح غاية في الغموض والخفاء
والغمرات التي تهيم نفسي في رحابها، وتثير خبرتي لججها، فيحاء مترامية
فارسل سفينة بيضاء من عبر بحر السكوت الرهيب الأفيح
واقطع حبل حديثه المسهب ... وجدله المسترسل
بكلمة منك ...

(الزهرة)

المجازر إلى ضرب من الاستمتاع غير المستكره، ليس مرجعه إلى ما فطر عليه الإنسان من ميول سادية، لكنه يستمتع بما فيها من جمال الحق وروعة الإيمان، ويزيد في استمتاعه أغاني سوفوكلس العذاب ولغته السهلة، وذلك الترابط الوثيق بين أجزاء المأساة، والتوازن بين حوادثها، وإحكام المؤامرة، والقدرة البارعة في حل العقدة، ثم ذلك (التكنيك) المنتظم المتزن الذي كان يعرض به مآسيه ... هذا إلى سرعة الأداء بإظهار أكثر من ممثلين مرة واحدة في المسرح

أما المعين الذي كان يستقي منه موضوعات دراماته فلم يكن يعدو الشعر الغنائي الشائع وشعر ملاحم العصريين (Cyclic Poets) ثم هذا البحر الزاخر من الأساطير التي حشدها أركتنوس ولسبوس وغيرهما من الشعراء الأسطوريين في منظوماتهم، وقل أن كان يعتمد سوفوكلس على هوميروس أو على أحد من شعراء الدرام من معاصريه

دريني خشبة

وليم بتلر ياتس

WILLIAM BUTLER YEATS

الفنان الذى أوجد لأمته أدباً

١٨٦٥ – ١٩٣٩

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

(تتمة ما نشر فى العدد السابق)



والحب عند ياتس صوفى ، فذ فى صوفيته ونقاوته[1]. « هو لهب أبيض يحترق فيه كل ما له صلة بالأرض وبالتراب »

هو حب « شلى » ، « آريلى » ، حب مثالى لجمال مثالى

ولكن أين هذا المثل الأعلى من الجمال ؟ إن دونه الكلال والملال ، والهرم والشيخوخة ، والصدى الذى لا يبل ، والقلق الذى ماله من حد :

« خرجت إلى غابة البندق ، لأن ناراً كانت فى رأسى ، فاقتطعت غصناً وقشرته ، ومكنت بندقة من صنارة ، ووصلت الصنارة بخيط ، وساعة أن كان فراش العُث فى جو السماء ، وكانت النجوم تترنح رفافة خفاقة وكأنها الفراش ، ألقيت الصنارة فى الجدول فصدت سمكة فضية صغيرة ، ثم وضعتها على الأرض ومضيت أنفخ النار لتلتهب ، ولكن شيئاً حف على الأرض ، وإنساناً هتف باسمى ، وإذا بها أمست فتاة تكاد فى الضوء الخافت المرتعش لا تبين ، وفى شعرها زهرة تفاح ، وقد هتفت باسمى وفرت واختفت فى الفضاء الرقاق بأضواء اللهب

ألا إنى وإن كان أهرمنى التطواف الهائم خلال النجاد وخلال الوهاد ، لواجد يوماً ملاذها ومأواها ، فمقبل ثغرها ومتناول يدها ، ثم سائر وإياها بين العشب المرقط الطويل ، ثم مقتطف حتى آخر الزمان ، تفاح القمر الفضى ... وتفاح الشمس الذهبى »

ومحزنة الحب فى هذه الدنيا أنه لا يدوم . إن ياتس ليعترف بهذه الحقيقة ، ولكنه فى بعض الأحيان يأبى أن يعترف :

« أيها الجبين الشاحب ! أيتها اليد الساكنة ! أيها الشعر المظلم ... لقد كان لى صديقة جميلة ؛ ولقد خيل إلى أن اليأس القديم سينتهى بالحب فى النهاية ، ولكنها نظرت ذات يوم فى قلبى فرأت صورتك هناك فابتعدت باكية »

على أنه يؤمن بأن القلب إذا كان عاجزاً عن صد عاديات الزمن ، عاجزاً عن الاحتفاظ بالحب والروح حبيسة الجسد ، فإنه يعود قوياً نشيطاً ويسترجع الحبَّ القديم جديداً كما كان أول ما بدأ ، بعد انطلاق الروح ...

« أيها القلب الرَّثيث البالى »

« أخرج سالماً من شبكِ الضلال والصواب »

« إضحك — أيها القلب — ثانية فى الغسق الأشهب »

« تنهد — أيها القلب — ثانية بين ندى الصباح »

« أما والقلبُ والروحُ رهينا الجسد »

« فإن الحبَّ أقل رفقاً من الغسق الأشهب »

« وإن الأمل أقل نفاسة من ندى الصباح »

والشاعر من أجل ذلك يتمنى لحبيبته الموت . فلو أنها ماتت لعادت إليه وقد صفحت عنه ، لأنها ماتت ، وعند ذلك يضم جمالها إلى صدره .

ثم إن حبيبة هذا الشاعر أجمل مخلوق فى الوجود . بل هى

(1) أعنى « بالصوفى » : « أن فيه شدة أو نشوة روحية عظيمة » . فارجو ألا ينصرف الذهن إلى التصوف بالمعنى الاسلامى . على أن « صوفية ياتس » صوفية مستحدثة لا يمكن تقريبها إلى النفس إلا بترجمة شعرية دقيقة لشعره .

المرأة الجميلة الوحيدة . ثم إن الناس جميعاً، بل الكون جميعه، يحبها حبَّ عبادة وتقديس :

« ما عليكِ إلا أن ترفعي يداً من شحوب اللآلئ ، وتجمعي ما تفرّق من غدائر شعركِ ثم تتنهدي ... فإذا قلوب الرجال جميعاً تتأجج وتخفق ؛ ثم لا يحيا الزَّبدُ على الرمال المعتمة ، ولا النجوم وهي تصعد في السماء يتنزّل منها الندى إلا لتنير قدمك العابرة »

وإذا كان هذا هو شأنها ، فأيّ هدية إذاً تليق بها ؟!

« لو كنت أملك أنسجة السماء الوشاة »
« تطرّزها أشعة من ذهب وفضة »
« ما بين أزرق ومعتم وأسود »
« من ليل أو نهار أو شبه ليل أو نهار »
« إذن لنشرت تلك الأنسجة تحت قدميك »
« ولكني فقيرٌ ما أملكُ إلا أحلامي »
« ولقد نشرت أحلامي تحت قدميك »
« نخففي الوطء لأنك تطئين أحلامي »

أحلام الشاعر ! أجل أحلامه ...

« ماذوت الأغصان لأن ريح الشتاء هبّتْ عليها »
« قد ذوت الأغصان لأني قصصت عليها أحلامي »

***

وكما أن الحب عند ياتس مقدّس لا يعلوه شيء ، فكذلك اللهو البريء — الرقص والموسيقى — مقدس لا ينبغي أن يُنزل منزلة التحنث والصلاة ، لأنه أعلى منهما وأقدس :

حين أعزف على ربابي في (دُوني)
يرقص القوم مثل موجة البحر[1]

وابن عمي راهب في كفارنتْ
وأخي راهب في مُهارَبوي .
لقد فُقْت أخي وابن عمي ،
فهما يقرءان في كتب الصلاة
وأنا أقرأ في كتاب الأغاني ،
كتاب شريته من سوق الريف .
وحين نتقدم في آخر الزمان
من (بطرس) وهو جالس على عرشه الفخم
سوف يبسم للأرواح الثلاثة القديمة ،
ولكن يدعوني أنا أولاً إلى الدخول
لأن الخيّرين هم المرحون ،
إلاّ من عثّر بهم الحظّ النكود . . .
والمرحون يحبّون الرَّباب ،
والمرحون يحبون الرقص .
وحين يلمحُني القوم هناك
سوف يتراكضون نحوي صائحين :
« ها هو ذا منشدُ دوني ! »
ثم يرقصون مثلَ موجة البحر

— ٤ —

وراء كل أدب عظيم فلسفة . والمستر يتس يلخص فلسفته فيما يلي :

« إني أعتقد بتعاطي فلسفة ما تواضعنا على تسميته بالسحر أو ما ينبغي لي أن أُسمّيَهُ استحضار الأرواح — وإن كنت لا أدري ماهيه — أو بالقدرة على خلق أوهام سحرية ، أو بانكشافات Visions الحقّ في أعماق النفس إذ العين مغمضة ؛ وإني لأعتقد بثلاثة مبادئ :

١ — أن حدود النفس Mind في تحوّل دائم ، وأن الأنفس الكثيرة تستطيع أن تتصل أو يسيلَ بعضها إلى بعض إن صحّ هذا التعبير ، لتخلقَ أو تُظهر نفساً واحدة ، طاقة واحدة

٢ — أن حدود الذاكرة هي أيضاً في تحوّل دائم ، وأن ذاكراتنا جزء من ذاكرة واحدة كبرى هي ذاكرة الطبيعة نفسها

---

(١) لعل التعبير ينقصه شيء من « الروح العربية » ، ولكني — ولا أدري على التحقيق السبب — أوثره على غيره ؛ وقد كان بإمكاني أن أقول : « يرقص القوم كما ترقص موجة » ، فأكسب الوزن أيضاً . بهذه المناسبة أذكر أن الأستاذ العقاد ترجم هذه القطعة ، فكانت ترجمته لهذين البيتين هكذا :

« إذا عزفت على الربابة في دوني »
« رقص الناس كما ترقص الأمواج »

إن « الجو الشعري » الذي تحمله كلمة « الناس » يختلف عن الجو الشعري الذي تحمله كلمة « Folk » التي يحكي التعبير عنها — تعبيراً دقيقاً جيداً — بكلمة « القوم » . ثم إن قوله : « كما ترقص الأمواج » يوحي بشيء من « الفخامة » ويدل على « الاضطراب » في حركات الراقصين فالترجمة بإفراد الأمواج هي الصحيحة ، وهو ما أراد الشاعر بقوله :
« Like a Wave of the sea »

٣ — أن هذه النفس الكبرى وهذه الذاكرة الكبرى يمكن استحضارها بوساطة الرموز

إن هذه « الذاكرة الكبرى » هي مخزن الرموز . وما الشاعر الرمزي إلا ساحر يقوم بدور الوسيط لاستحضار هذه الرموز — هذه الأرواح — ولكنه لا يخلق منها شيئاً . وعلى ذلك فكل ما نحس من عاطفة أو نرى من رأي أو نطلب من هدف ليس لنا ، « وإنما صعد إلينا من الجحيم أو هبط علينا من السماء »

ولكي يستطيع الشاعر استدعاء هذه المعاني والرموز والعلاقات ، ينبغي له أن يجعل نفسه في حالة سلبية — أن يجعلها كالماء الساكن تنعكس عليه شتى الصور . قال ياتس :

« كنت ذات مرة أنظم قصيدة شديدة الرمزية والتجريد فاتفق أن وقع قلمي على الأرض ، فلما انحنيت لالتقاطه تذكرت حادثاً من حوادث الخيالات والأحلام (Fantastic) ، ولكنه لم يبد لحظتئذ أنه منها بل كأنه وقع لي فعلاً . فلما سألت نفسي متى حصل هذا الحادث وجدت أني إنما كنت أتذكر أحلامي في عدة ليال . ثم حاولت أن أتذكر ما فعلته في اليوم السابق ، وما فعلته في الصباح ، فلم أستطع ، إذ كانت حياة الوعي واليقظة قد غادرتني كلها ، وما استطعت ذلك إلا بعد جهد شديد ، فلما تذكرتها غادرتني بدورها حياة الأحلام التي هي أقوى من حياة الوعي وأروع . فلو لم يسقط قلمي لما فطنت قط إلى أن التأمل استحال غيبوبة »

***

إن آراء ياتس الجمالية تتصل بفلسفته[1] هذه اتصالاً منطقياً وثيقاً

فغاية الفن استحداث نشوة Ecstasy في النفس الدائمة التقلب مصدرها ما يعرضه الفن من حقائق الكون وعناصره الثابتة

وما دامت هذه هي غايته وهذه هي وظيفته ، فلا موضع فيه إذن « لعلم عصره أو سياسته أو فلسفته أو أخلاقياته » لأن هذه الظواهر جميعاً في تطور مستمر ، وتغير دائم

وخليق بالفن إذاً أن يرتد إلى روح ماض كان الناس فيه يعبدون الطبيعة ، ويدينون بالوثنية ، ويعيشون « في عالم يستطيع كل شيء فيه أن يتبدل ويستحيل ، ويصير أي شيء آخر ؛ وبين الآلهة العظام الذين كانت عواطفهم في الغروب الملتهب ، وفي الرعد وفي هواطل الرعود » ... وفي تلك الأزمان « التي كانت الحزمة السكينة من الحلفاء فيها » كما يقول الشاعر « ينظر إليها على أنها كانت يوماً من الأيام ... إلهة تضحك بين النجوم »

هذه الحقيقة ، حقيقة أن الفن لا يكون عظيماً إلا إذا اعتمد على أساطير الأقدمين من عبدة الطبيعة ، وما في عالمها من خصب وغنى ومن حياة زاخرة فياضة ، هذه الحقيقة أدركها « الأساتيذ »[1] العظام جميعاً .

***

لقد لخص موقف ياتس فيلسوفاً بهذه العبارة : إنه رجل يعتقد بوجود عالم الغيب[2] »

وحين نشر ياتس لأول مرة (١٩٠٣) كتابه « فكرات عن الخير والشر » أبى بعض ناقديه ومراجعيه أن يسلموا بأن المؤلف يعتقد بالذي يقول . ولكن أن يعتقد الإنسان بما يقول أو لا يعتقد لا صلة له في الواقع ، بصواب رأيه أو ضلاله . ولست أدرى ، مع المستر ريد ، لم يعلق الناس هذه الأهمية الكبرى على موقف صاحب الرأي من رأيه . إن العقيدة الفنية على كل حال تتعلق قبيل كل شيء بالجمال . فأيما شيء خاطب شعور الفنان بقوة واستمال خياله بشدة ، مال إلى الخروج من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة واليقين . « وحسب الشيء أن يكون على درجة من الجمال كافية ليرتد جزءاً من عقيدته ، جزءاً من دينه . وهذا هو الذي عناه كيتس حين نطق بقوله المشهور : (الجمال الحق والحق الجمال) »

***

هذه نظرة سريعة في « و . ب . يتس » : عمله وفنه وفلسفته ، أرجو أن أكون استطعت فيها أن أعطي القارئ فكرة حسنة عنه ، وهو الأديب المعقد الشخصية ، الضبابي المعاني . وأرجو أن يتسع لي الوقت لأترجم لقراء الرسالة بعض آثاره الشعرية والمسرحية[3] . وهنا أحب أن يعلم القارئ جيداً أن « ياتس » — بالرغم من كل هذه « الغرابة » الظاهرية في أدبه — لم يصنع أكثر من أنه عبر بإخلاص عن « عبقرية أرلندا »

« بغداد » عبد الكريم الناصري

(١) من الصعب بالطبع إدراك هذه الفلسفة من شعر ياتس ولكنه شرحها شرحاً وافياً في كتابه Ideas of Good and Evil وأنا لم أطلع على هذا الكتاب ، ولذلك اعتمدت على كتاب فورست F. Reid, W. B. Yeats.

(١) Masters. (٢) The invisible world.

(٣) لقد بدأت فعلا بترجمة مسرحيته المشهورة : The Shadouy Waters وهي على قصرها أشد مسرحياته تمثيلا لروح أدبه .

حيـــاة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الاسلامية

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوى — عمر الدسوقى

عبد العزيز عبد المجيد [1]

ويعتبر إسلام عمر فاتحة عصر جديد فى تاريخ الإسلام ، إذ استطاع أتباع الرسول حينئذ أن يجهروا بعقيدتهم . ترك محمد (ص) بيت الأرقم ، وأقام المؤمنون صلواتهم جماعة وإعلاناً حول الكعبة . وبدأ أشراف مكة يتوجسون خيفة من هذه الحال الجديدة ، لأنهم لم يعودوا بعد يناضلون عصابة من الخارجين المضطهدين المنبوذين الذين كانوا يدافعون عن حياة بائسة مستضعفة وإنما يناضلون طائفة أصبحت ذات بأس . تزداد قوتها يوماً بعد يوم بانضمام بعض ذوى السلطان من أهل القبائل ، وتهدد كيان الحكومة القائمة ، بالمعاهدة مع أمير قوى من قبيلة أخرى

لهذا أجمعت قريش أمرها أن تدبر محاولة ناجعة لتعرقل نمو تلك الحركة الجديدة فى مدينتها . تعاقد أهل قريش على مقاطعة بنى هاشم الذين حموا الرسول لما له بهم من صلة القرابة ، واتفقوا على ألا ينكحوا إليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، ولا تكون بين القبيلتين معاملة أياً كان نوعها . ويقال إن بنى هاشم استمروا مدة ثلاث سنوات لا يغادرون ناحية معينة من مكة ، اللهم إلا خلال الأشهر الحرم التى تمتنع فيها الحروب فى كل الجزيرة ، والتى تعاهد العرب من قبل على الأمن فيها حتى يفد الحجاج لزيارة الكعبة الشريفة مركز دينهم العام .

انتهز محمد (ص) الفرص فى أيام الحج ليدعو إلى الإسلام بين القبائل المختلفة التى كانت تفد أفواجاً إلى مكة وإلى الأسواق المجاورة لها . ولكن الرسول لم يوفق لأن عمه أبا لهب كان يقتفى أثره صائحاً بأعلى صوته : « إنه مشعوذ يريد أن يصرفكم عن دين آبائكم إلى العقائد الكاذبة التى جاء بها فتحاشوه ولا تسمعوا له » . فكان الحجاج يعيرون الرسول ويجابهونه بقولهم : « إن أهلك أنفسهم وأقاربك أحق الناس بمعرفتك ، فلم لا يصدقونك إذاً ويتبعونك ؟ » . وأخيراً استفز كل هذا الاضطهاد الذى لحق بمحمد وأتباعه عاطفة جماعات كثيرة من قريش ، فنقضوا عهد المقاطعة .

وفى هذا العام غمر محمداً أشد الحزن والجزع لفقد خديجة زوجه الأمين التى كانت له مشيراً ونصيراً مدة خمس وعشرين سنة . وبعد وفاة خديجة بعدة مات أبو طالب فحرم الرسول (ص) بموته أقوى حام له ، وأثبت مدافع عنه . وبذلك أصبح الرسول مرة أخرى موضع استهزاء الأعداء به ، واحتقارهم له . قاسى محمد (ص) سخرية عشيرته به ، وإعراضهم عنه ، وفشلاً فى رسالته التى ظل يبلغها إليهم مدة عشر سنوات ، فصمم على أن يبحث عن عشائر أخرى لعلها تكون أكثر استعداداً لسماع دعوته ، وعن أرض أخرى خصبة قد تنمو فيها بذور عقيدته ، فخرج مصحوباً بذلك الأمل إلى الطائف ، وهو مكان يبعد سبعين ميلا عن مكة . وهناك أمام جماعة من رؤساء القرية أوضح محمد (ص) دينه المتضمن وحدة الله ، والرسالة التى بعث بها رسولاً للناس ، وتوسل إليهم فى الوقت نفسه أن يحموه ممن اضطهدوه فى مكة . رأى أهل الطائف ألا توافق بين دعوة محمد الطموحة (التى كانت إذ ذاك أسمى من أن يدركها المشركون مثلهم) وبين حال الضعف وقلة الأنصار التى كان فيها ، فذهبوا يحقرونه ويسخرون به ، ويرمونه بالحجارة فى غير شفقة ، ثم طردوه من ديارهم .

غادر محمد الطائف ، وقد ظهرت بوادر النجاح أضعف ما تكون ، فتنفس الصعداء بالعبارة التى تضمنتها الآيات الكريمة التى صدرت على لسان نوح عليه السلام : « قال رب إنى دعوت قومى ليلاً ونهاراً ، فلم يزدهم دعائى إلا فراراً ، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا » .

كانت عادة محمد (ص) خلال موسم الحج السنوى أن يذهب إلى منازل القبائل العربية المختلفة ، ويتحدث إليهم عن الإسلام ، فكان بعضهم يقابل دعوته بالجفاء ، وآخرون يعرضون عنه

(1) انظر العدد ٢٩٦

ساخرين ؛ ولكن عزاء جاء إليه من حيث لم يتوقع . ذلك أنه قابل شرذمة من ستة نفر أو سبع ، وعرف أنهم قدموا من المدينة أو يثرب كما كانت تسمى حينئذ ، فسألهم قائلاً : « من أنتم ؟ » قالوا : « نفر من الخزرج » . قال : « أمن موالى اليهود ؟ » . قالوا : « نعم » . قال : « أفلا تجلسون أسمعكم ؟ » . قالوا : « بلى » . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزّوهم[1] ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : « إن نبيًا مبعوثاً الآن ، قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم » . فلما كلم رسول الله (ص) أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : « يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود[2] فلا تسبقنكم إليه » . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : « إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك » . ثم انصرفوا عن رسول الله (ص) راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا[3]

هذا هو الخبر المأثور لهذه الحادثة التي تعتبر فجر يوم جديد للدعوة المحمدية . فلقد لاقى محمد قوماً مستعدين لقبول تعاليمه، قوماً كانت أحوالهم الاجتماعية حينئذ ممهدة لدعوته ، كما سيتضح ذلك فيما بعد .

كانت يثرب إذ ذاك مسكونة باليهود منذ زمن طويل ، ويغلب على الظن أنهم أخرجوا من ديارهم على يد الأمبراطور أدريان[4] الذي اضطهدهم [فاستقروا في مكان يثرب] . ولما وصل بطنا الأوس والخزرج من العرب — في إحدى انتجاعاتهم للمرعى — إلى يثرب ، سمح لهم اليهود بالإقامة فيها . وبنمو النسل وتكاثر العدد اكتسبوا السلطان من رؤساء اليهود شيئاً فشيئاً ، حتى نجحوا أخيراً ، حوالى منتهى القرن الخامس الميلادى في احتجان كل السلطان على يثرب

اعتنق بعض العرب اليهودية وظل كثير من رؤساء يثرب اليهود مقيمين بها ، تحت سلطان العرب الغزاة . من أجل هذا نجد عدداً كبيراً من اليهود من ساكني يثرب ، في العصر الذي ظهر فيه محمد صلى الله عليه وسلم . كان سكان يثرب لذلك على علم بأمر (المنقذ) الذي توقعوا قدومه ، ونتيجة ذلك أنهم كانوا أكثر قدرة على فهم ما يقول محمد — وهو أنه رسول — وقبوله من أهل مكة الوثنيين الذين كانت فكرة الإسلام لهم غير مألوفة ، كما كانت منبوذة من القرشيين خاصة ، لأن سلطانهم على القبائل الأخرى ، وغناءهم المادى ما كانا إلا لأنهم السدنة الورثة لجمهرة أصنام العرب التي نصبوها في حرم الكعبة

يضاف إلى هذا أن يثرب كانت مشتتة النظام لما حل بها من النزاع الداخلي الذي أشعل ناره شنآن قديم بين الأوس والخزرج. كان السكان دائماً في اضطراب وقلق ، ولهذا اعتبروا أي عمل يؤدى إلى ائتلاف القبيلتين المتخاصمتين فأل خير وبشرى لمدينتهم

لقد حدث في القرون الوسطى أن اختار سكان الجمهوريات الشمالية لإيطاليا أجنبياً ليكون الحاكم الأعلى على جميع مدنهم ، حتى يحتفظوا بالتوازن بين قوات الأحزاب المتنافسة ، وحتى يتفادوا — بقدر المستطاع — الخصومات الداخلية التي كانت قاضية على التجارة ، والأمن العام . وشبيه بهذا ما وقع من أهل يثرب ، فإنهم لم ينظروا إلى ظهور أجنبي بينهم بعين التهمة ، حتى حين أدركوا أنه ربما يستغل ما كانوا فيه من انحلال ليكتسب لنفسه سلطاناً عليهم .

إن الواقع ليثبت عكس ما كان يظن ، إذ يظهر أن أحد الأسباب التي جعلت أهل المدينة يرحبون بمحمد (ص) ترحيباً محموداً هو أن العقلاء والمثقفين من السكان قد تبينوا أن اعتناق الإسلام هو العلاج الوحيد للاضطراب الداخلي الذي عانوه مدة من الزمن ، لما جاء به الإسلام من نظم المعاش القويمة ، ومن إخضاع الشهوات الإنسانية الجامحة لتهذيب القوانين الموحى بها من سلطة أعلى وأسمى من سلطة البشر التقليدية[1] .

(١) عزوهم : غلبوهم وقهروهم
(٢) يعنى قوم يهود
(٣) ابن اسحاق صفحة ٢٨٦ — ٢٨٧
(٤) هو الأمبراطور أدريان الرومانى الذى حكم من سنة ١١٧ م

(١) تاريخ قيطانى . الجزء الأول صفحة ٣٣٤ — ٣٣٥

وتوضيح لنا هذه الحقائق كيف استطاع محمد — بعد ثمانية أعوام من الهجرة — أن يرأس جيشاً من أتباعه تبلغ عدته عشرة آلاف نفر، وأن يدخل المدينة التي جاهد فيها من قبل لينشر دعوته مدة عشر سنين فلم يفلح إلا قليلاً.

لقد تعجلت الحوادث فيما ذكرت الآن. فلنعد إلى بدء عرض محمد نفسه على أهل الخزرج الذين دخلوا في الإسلام أن يصحبهم بنفسه إلى يثرب، ولكنهم رغبوا إليه في أن يعدل عن ذلك حتى يحدث صلح بينهم وبين بني الأوس. وقالوا: « إننا نتضرع إليك أن تدعنا نعود إلى قومنا لعل الله يخلق السلم بيننا فترجع إليك بعد ذلك. وموعدنا موسم الحج القادم ».

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام، واستجاب منهم نفر كثير فلم تبق دار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم طائفة من يثرب — عشرة من بني الخزرج واثنان من بني الأوس — فلقوه في المكان المعين، وبايعوه أن يتبعوا تعاليمه. وهذه هي البيعة الأولى المعروفة ببيعة العقبة، وسميت بذلك لأنهم اجتمعوا سراً في مكان خفي. وقد أخذوا على أنفسهم « ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف. » رجع هؤلاء الإثنا عشرة رجلاً بعد ذلك إلى يثرب مبشرين بالإسلام، وبذلك مهد السبيل للدين الجديد، وأقبلوا على نشر الدعوة بحماس ورغبة، حتى انتشر الإسلام سريعاً من بيت لبيت، ومن قبيلة لقبيلة

وقد صحبهم في عودتهم إلى يثرب مصعب[1] بن عمير. ويقال في رواية أخرى إن الرسول بعثه إلى أهل يثرب بعد أن كتبوا إليه بذلك. كان ذلك الشاب الناشئ أحد معتنقي الإسلام الأوائل. وكان قد رجع حديثاً من الحبشة، بعد أن حنكته التجارب هناك، وأنضجت التنشئة القاسية في ميدان الاضطهاد حماسته، وعلمته كيف يقابل الاضطهاد، وكيف يناضل أولئك الذين كانوا متوثبين للحط من شأن الإسلام من غير أن يعلموا شيئاً من تعاليمه الصحيحة. لذلك استطاع محمد (ص) أن يعهد إليه واثقاً القيام بذلك الواجب العسير، واجب إرشاد حديثي العهد بالإسلام وتعليمهم، وتنمية بذور الحماس والإخلاص الديني، التي غرست فيهم من قبل، حتى تؤتي أكلها طيبة

كان منزل[2] مصعب على أسعد بن زرارة، وكان يجمع معتنقي الإسلام إليه للصلاة ولقراءة القرآن. يفعل ذلك أحياناً في دار مصعب وأحياناً في دار بني ظفر، وكانت في ناحية من المدينة يقطنها بطن بني عبد الأشهل وبطن بني ظفر

كان رؤساء بني الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير. وبينما كان مصعب جالساً ذات يوم مع أسعد في دار بني ظفر يعلم طائفة من حديثي العهد بالإسلام. إذ وفد سعد بن معاذ، وكان يبحث عن مكانهم فقال لأسيد بن خضير: « إنطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وأنههما عن أن يأتيا دارنا فإنه لولا أن أسعد بن زرارة من حيث قد علمت كفيتك ذلك لأنه كان ابن خالة أسعد. فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل على أسعد ومصعب حتى وقف عليهما متشتماً وقال « ماذا تفعلان؟ تسفهان ضعفاءنا؟ إعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ». قال له مصعب: « وتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره » فركز أسيد حربته وجلس إليهما ليسمع، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن. وبعد هنيهة صاح أسيد متهللاً وقال: « كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ » فأجاب مصعب: « تغتسل فتطهر، وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » فقام أسيد وفعل ذلك، وكرر الشهادة. ثم قال: « إن ورائي رجلاً (يعني سعد بن معاذ) إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن ». وبعد هذه العبارة انصرف أسيد، وجاء بعده تواً سعد بن معاذ بنفسه غاضباً حانقاً على أسعد لما منحه مبشري الإسلام من رعاية. فتوسل إليه مصعب ألا يحقرن الدين قبل أن يسمعه. فقبل سعد أن يستمع، ولم يلبث غير قليل حتى تأثر بما قاله مصعب من العبارات التي أدخلت في قلبه الإيمان فاعتنق الدين وأصبح مسلماً. عاد سعد إلى قومه يلتهب حماساً، وقال لهم: « يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ » فقالوا: « سيدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة » قال: « فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله محمد ». ومن ذلك اليوم لم يبق في دار بني عبد الأشهل رجل أو امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.

عبد العزيز عبد المجيد

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف

(٢) أي نزوله

رواية المصاهرة

بمناسبة زواج حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فوزية

للأستاذ محمود غنيم

١ — تأليف الرواية من فصلين : زمن الأول قبل الميلاد بنحو خمسة قرون ، وزمن الثاني عصرنا الحاضر

٢ — أشخاص الرواية :

الفصل الأول

(١) ملك الفرس (٢) حاشية ملك الفرس وعلى رأسهم الوزير
(٣) ملك مصر (٤) حاشية ملك مصر وعلى رأسهم الوزير
(٥) عراف مصري قديم (٦) حاجب الملك

الفصل الثاني

(١) ضابط مصري مع فرقة من جنوده
(٢) ضابط إيراني مع فرقة من جنوده
(٣) جندي يلتقط ورقة من ورق البردي
(٤) جندي معه صحيفة تتضمن نبأ المصاهرة الملكية الحديثة

الفصل الأول

المنظر الأول

كسرى وحاشيته المكونة من أربعة أشخاص منهم : الوزير . المكان : إيوان كسرى . الزمان : قبل الميلاد بنحو خمسة قرون

كسرى (يفتخر) :

أنا للحُكم والحِكَمْ   أنا للبأس والكَرَمْ
إنّ عرشي على النهى   قائمٌ راسخُ القَدَمْ
هل درى الدهرُ من أنا ؟   إنني سيد العجم
إنما يخضع الزما   ن لكسرى إذا حكم
البرايا عبيدُه   والليالي له خَدَمَ
أنا كسرى ودولتي   دولةُ السيف والقلم

الحاشية :

عاش ربُّ التاج كسرى   عاش للأوطان ذخرا
أنت فقت الشمس نورا   أنت فقت الشمس قدرا
قد جعلت العدل لله   لك أساساً فاستقرا
كاد يا مولاي يعنو   لك أهلُ الأرضِ طرّا

كسرى : وزيري

الوزير : لبّيك ياسيدي

كسرى : ألا فادنُ مني ولا تبعد

الوزير :

وماذا يريد المليكُ فداه   حياتي وما ملكتهُ يدي

كسرى :

هنالك أمرٌ لديّ خطيرٌ   ولم أرَ غيرَكَ من مُرشدِ
وزيريَ إني أفكّر في أن   أصاهرَ قوماً لهم سُؤددي
أفتش في الأرض عن دولةٍ   كدولة كسرى فلا أهتدي

« الوزير بعد أن يطرق هنيهة »

أمولاي إن شئت خير الحرم   إذن فعليك بأرض الهرم
هنالك قوم حسانُ الوجوه   كرامُ الجدود كبارُ الهممْ
ألا إن فرعون خير الملوك   وأمة فرعونَ خيرُ الأمم
ومَن مثلُ فرعون في مجده   وفي جدّه غيرُ شاه العجم ؟

كسرى :

أشرتَ بالحكمة والسدادِ   ملوكُ مصرَ وحدَهم أندادي
غدا تسير مسرعاً من (سوس)   وتقطع الأرض إلى (منفيس)
سر نحو مصر حاملاً خطابي   وكن لمولاك من الخطّابَ

المنظر الثاني

فرعون وحاشيته تتكون من أربعة أشخاص منهم الوزير . المكان : قصر فرعون . الزمان : قبل الميلاد بنحو خمسة قرون .

فرعون « يفتخر » :

تعرف الأفلاك قدري   ويطيع الدهرُ أمري
إنني فرعون والأنهـ   ـار من تحتيَ تجري
حسب فرعون جلالاً   أنه سلطانُ مصر
كم مليك من ملوك الـ   أرض قابى ذلّ أسري
يشبه الأهرامَ عزمي   إنه قطعة صخر
ينقضي عمري ويبقى   رغمَ أنف الدهر ذكري

الحاشية :

عاش فرعونُ ودامْ   عاش مولانا الهمامْ
يا سليلَ المجد يانسـ   ـلَ الفراعين العظامْ
أنت للكون هلالٌ   لاح والكونُ ظلام
إنما أنت مُربّي الـ   ـكون أستاذُ الأنام

(وزير فارس يصل ويقف بالباب فيستأذن له الحارس)

الحارس (يدخل): مليكى

فرعون: من؟

الحارس:

أنا الحـــــارسُ رسولٌ جاء من فارسْ

فرعون:

ما خطبُ هذا الرسول اسمح له بالدخـــول

وزير الفرس (يدخل):

ألا أيُّهذا المليكُ الهمام ســــلامى عليـــك

فرعون: عليك السلام

وزير الفرس:

مليكَ الحمى يارفيعَ الجنابْ معى لك من عند كسرى كتاب

فرعون: كتابٌ وأينَ؟

وزير الفرس:

تفضَّلْ فـــدَيْتُـ ـكَ ياخير من سارفوق التراب

(يناوله الخطاب فيقرأه فرعون صامتا ثم يقول):

فرعون: يا وزيرى

وزير فرعون: نعمْ نعمْ

فرعون:

إن كسرى فتى العجم

جاءنا يخطبُ ابنـــتى، أهْو كفءٌ كما زعم

الوزير (بعد أن يطرق قليلا):

وكيف القول يا مولا ى فى مملكة الفرس

وفى كسرى سليل المجـ ـد ربِّ السيفِ والترْسِ

مليكُ الفرس إن فُهتُ به أحنى له رأسى

فتى النيرانِ والنورِ جديرٌ بابنة الشمسِ

فرعون (بعد أن يطرق قليلا):

قد أجبنا يارسولْ قم فبشِّر بالقبـــولْ

وزير الفرس:

دمتَ يا مولايَ فى عزٍّ وفى عمـــرٍ يطول

أنت يا فرعون شمسٌ ما لهـا قطُّ أفُول

(ينصرف وزير الفرس ثم يقف العراف بباب فرعون فيستأذن له الحارس)

الحارس:

مولاى عرافٌ هنا بالبابِ تقبضُ يمناه على كتابِ

فرعون:

قم فأت يا حارسُ بالعرَّاف قد يكشف العراف بعض الخافى

(العراف يدخل):

ألا أيُّهذا المليكُ الهمامْ ســــلامى عليكَ

فرعون: عليك الســـــلامْ

ماذا يقول النجم فى المصاهره بين ملوك مصر والأكاسره؟

العراف (بعد أن يفتح الكتاب ويقلب صفحاته ثم يتكلم وهو يكتب على ورقة من ورق البردى):

أميرَ الحمى يا مليكَ الزمانْ ألا بارك اللهُ هذا القرانْ

وسوف يتم قرانٌ كهذا إذا اللهُ شاء وآن الأوان

إذا ما مضت خمسة بعد عشريـ ـن قرناً إذن تسعد الدولتان

بعرس سعيد به شعبُ مصر ودولةُ فارسَ ترتبطان

وسوف يكون الفريقان حلاً من المجد إذ ذاك أعلى مكان

يكون على رأس كلٍّ فريقٍ أميرٌ مطاعٌ له الشعب دان

هناك (رضا) وهنا (ابن فؤاد) يعيش لشعبَيْهما الملكان

ستار

الفصل الثانى

المنظر: فرقتان من الجند إحداهما إيرانية والثانية مصرية تتكون كل منهما من أربعة جنود ومعهم ضابطهم واقفا منعزلا قليلا. ويلاحظ أن الفرقة الإيرانية تدخل أولا وبعد أن يتم كلامها تدخل الفرقة المصرية

المكان: ردهة فى دار السفارة الإيرانية أو ما يقرب من ذلك.

الزمان: زمننا هذا أى بعد مضى خمسة وعشرين قرنا من حوادث الفصل الأول

الجنود الإيرانيون

نحن نسلُ الفرس أبطالٌ كماةْ نحن علَّمنا الورى معنى الحياةْ

سائلوا التاريخَ كم للفرس شاهْ تخفضُ الدنيا له شُمَّ الجباهْ

من قِـــــدَمْ نبتنى الملكَ كما تُبنى الجبال

لِلْعَجَــــمْ شرف يأبى على الدهر الزوال

الضابط الإيرانى

ما لِمَنْ بادوا ومالى؟ لست أحيا فى الخيـــالِ

أتبـــاهُون بعصرٍ من قديم الدهر خالِ

أتبـــاهُون بعظمٍ تحت بطنِ الأرض بالِ

أنا لا أفخـــرُ يا قومُ بماضٍ بل بحالِ

حاضرُ الفـــرس كماضيـ ـهم جلالٌ فى جـــلال

قد خُلقنــــا لسخاء وخُلقنـــا لنضـــالِ

عن بلاد حـــرَّة يـ ـخصُ فيهـــا كلُّ غالِ

لم تشـــوَّه بقيـــودٍ أو تدنَّس باحتــــلال

قد نشطنا مثــل ما ينـ ـشط ليثٌ من عقال

وبذلنــــا للعــلا مـ ـرَّ من نفس ومال

فاخـــروا الكونَ بشاهٍ قادنا نحو المعـــالى

جودُه قد فاض فيض النـ(م)هر بالمــــاء الزلال
بطشه قد بات منـــه راجفاً قلبُ الليـــالي

(يستمر الفريق الأول في مكانه ثم يدخل الفريق المصري ويقف في مواجهته)

الجنود المصريون

نحنُ أبناء الفراعين الشدادْ ... كم بنى فرعون بالأمس وشاد
سائلوا رمسيس كم عز وساد ... وانحنى الدهر له بين العباد
مجـــدنا ... سائل الأهرامَ عنه والنجوما
ها هنـــا ... نبت العلم مع الفن قديمـــا

الضابط المصري

فخرتم بالفراعنة الشداد ... وقلتم نحن ساداتُ العباد
وليس الفخرُ بالرِّمم البوالي ... وبالعُنصر القديم، من السداد
إذا أنا لم أشد مجدي بعزمي ... إذن لا طاب لي مائي وزادي
لقد قمنا نشيد لمصر صرحاً ... يقوم من العلوم على عماد
جعلنا النيل طلق الماء يجري ... بسلسال من العذب البراد
وحطّمنا قيوداً من حديد ... ونلنا ما نحاولُ بالجهاد
لنا سفنٌ على الأمواج تجري ... تبثُّ الرعبَ في روع الأعادي
وجيشٌ بالمدافع قاذفات ... يصولُ وبالمرققة الحِداد
وطياراتُنا في الجوِّ تعلو ... تُذلّلُ متنها بدلَ الجياد
إذا نزل النزيل بأرض مصر ... يحلُّ من النواظر في السواد
لنا كرمٌ لنا همم كبارٌ ... خُلقنا للسلام وللجلاد
فلا تفخر بفرعونٍ قديمٍ ... رميم العظم مدفونٍ بواد
ولكن فاخر الثقلين طرّاً ... بفرعونٍ تحدّر من فؤاد

الضابط الايراني (للضابط المصري):

عجيب أمرُنا جـــدّاً ... أرى أنا شبيهانِ
سمعت الشعر يا مصريُّ م ... من فيك فأشجاني

الضابط المصري:

أرى يا صاح مجدَ الشر ... ق في مصرٍ وطُهرانِ
فنصف المجد مصريٌّ ... ونصفُ المجد إيراني

الضابط الايراني:

لمن يفخر بتجديد ... فشعبانا جـــديدان
ومن يفخر بأجداد ... فشعبانا قديمـــان

الضابط المصري:

مليكُ النيل فاروقٌ ... وشاهُ الفرس ندّانِ
هما في المجد والجد ... وفي النهضة سيّانِ

الضابط الايراني:

وهل في الشرق من دانا ... هما في رفعة الشان
كأن الشرقَ جسمٌ و ... هما للجسم عينـــانِ

الضابط المصري:

ألا ما أسعدَ الشرقَ ... لو انضمَّ المليكان!

(هنا يدخل جندي مصري معه ورقة بردي التقطها)

الجندي:

تحيةً يا جنـدنا الأحرارا ... هل فيكمو من يقرأ الآثارا؟

الضابط المصري: أنا. لِمَهْ؟

الجندي:

لقيـــتُ بالمشيِّ ... ورقةً من ورق البرديِّ

الضابط المصري: إيت بها

الجندي (يعطيه الورقة): خذ

الضابط المصري (يفحصها)

إنهـــا قديمـــه ... خطٌّ محا طول المدى رسومَهْ
وهي بخط كاهنٍ عرّافِ ... من أهل مصر القُدم الأسلافِ

الجندي:

ألستَ تستطيعُ أن تتلوها

الضابط:

بل أستطيعُ فاسمعوا ما فيها

أميرَ الحمى يا مليك الزمانْ ... ألا بارك الله هـذا القرانْ
وسوف يتم قرانٌ كهذا ... إذا الله شاء وآن الأوان
إذا ما مضت خمسةٌ بعد عشر ... ن قرناً إذن تسعدَ الدولتان
بعرس سعيد به شعبُ مصرٍ ... ودولةُ فارسَ يرتبطان
وسوف يكون الفريقان حلاً ... من المجد إذ ذاك أعلى مكان
يكون على رأس كلِّ فريقٍ ... أميرٌ مطاعٌ له الشعبُ دان
هناك (رضا) وهنا (ابن فؤاد) ... يعيش لشعبيهما المليكان

الجندي (في دهشة):

هذا كلامٌ واضحٌ صريحُ ... يا حبذا لو أنه صحيحُ

الضابط الايراني:

إن الأوانَ هذه الأيامُ ... يا حبذا لو صحت الأحلامُ

في ذلك الوقت يدخل جندي حاملاً صحيفة فيها نبأ الزواج ويصيح قائلاً:

بشرى لكم يا معشرَ الإخوانِ ... في الصُّحف لم تسمع بها أذنانِ
أما سمعتم نبـــأ القرانِ ... «فوزية» مليكةُ الحسانِ
قد زفّت اليوم بمهرجانِ ... إلى وليِّ العهد في إيرانِ

الجميع ينشدون هذا النشيد:

أيها الطير تغنّي ... حلّ ميعادُ الأغاني

كتاب السياسة

للوزير نظام الملك

للدكتور عبد الوهاب عزام

الفصل الأول

في أحوال الناس وتقلب الزمان، ومدح ملك العالم غياث الدين والدنيا قدس سره(١)

الله تعالى يجتبي في كل عصر واحداً من خلقه ، ويجمّله بالفضائل الملكية ، وينوط به مصالح الدنيا وراحة الناس ، ويغلق به باب الفساد والفتن والاضطراب ، ويمكن هيبته وحرمته في قلوب الخلق وعيونهم ، ليعيش الناس في عدله ، ويأمنوا في سلطانه ، ويرجوا بقاء دولته

وإذا عصا الناس الشريعة واستخفوا بها وقصروا في إطاعة أوامر الله تعالى فأراد أن يعاقبهم ويذيقهم جزاء أعمالهم ، ويحل بهم شؤم عصيانهم — لا أرانا الله مثل هذا الزمان ، ولا ابتلانا بمثل هذا الشقاء — يحرمهم الملك الخيّر ، فتختلف بينهم السيوف وتسيل الدماء ، ويغلب كل قوى على ما يريد حتى يهلك هؤلاء المجرمون في هذه الفتن وهذا القتال . كمثل النار تشتعل في القصب فتحرق كل يابس ، وتتعدى إلى كثير من القصب الرّطب

الله تعالى يمنح واحداً من عباده السعادة والدولة ، ويرزقه الإقبال على قدره ، ويهبه العقل والعلم ليسوس بهذا العقل والعلم كل واحد من الرعية على الوجه الذي يصلحه ، ويضع كل واحد في مرتبته ؛ ثم يختار رجاله وعماله من الناس ، ويوفي كلا منهم درجته ، ويعتمد عليه في كفاية أمور الدين والدنيا

ويكفل الراحة لمن يسلك سبيل الطاعة ويقبل على عمله من رعيته ليعيشوا مغتبطين في ظل عدله

وإذا تجاوز أحد عماله حدّه وأطال يده فإن أصلحته الموعظة والتأديب والتأنيب ، واستيقظ من نوم الغفلة ، حفظ عليه عمله ومنصبه ، وإن تمادى في غفلته لم يستجز إبقاءه في عمله واستبدل به من هو أهل للعمل

وكذلك من جحد من الرعية حق النعمة ، ولم يعرفوا قدر الأمن والراحة ، واعتقدوا الخيانة وأبدوا التمرد ، وجاوزوا حدودهم يعاقبهم على قدر جرمهم حتى يتوبوا

ثم على الملك بعدُ أن يدأب في عمارة المملكة فيحفر القنوات ويشق الأنهار ، ويعقد الجسور على الأنهار العظيمة ، ويعمر القرى والمزارع ، ويبني الحصون ، ويشيد المدن الجديدة ، والأبنية الرفيعة ، والقصور البديعة ، ويقيم الربط على الطرق السلطانية ، فيخلد بهذه الأعمال ذكره ، وينال ثوابها في الدار الآخرة ، ويتصل الدعاء له بالخير ...

ولما أراد الله سبحانه أن يجمل هذا العصر زينة العصور الماضية وغرة مآثر الملوك السالفة ، ويرزق الناس السعادة التي لم يرزقها أحد من قبل اختار ملك العالم السلطان الأعظم من أصلين عظيمين

---

(١) بعد السلطان ملكشاه

أيها الشاهُ تهنّا	تلك أوقاتُ التهاني
بالرّفاء والبنين	دائماً طول السنين
إنه عرسُ البدورْ	قد تجلّى في السماء
عرس أملاكٍ وحور	لا رجالٍ ونساء
بالرّفاء والبنين	دائماً طول السنين
التقى التاجان فيه	تاج رمسيس وكسرى
يا بلادَ الفرس تيهي	يا بلادَ النيل بشرى
بالرّفاء والبنين	دائماً طول السنين
مصرُ قد حان السرورْ	طبتِ يا مصرُ وطابا
رقص النيلُ الوقورْ	وجرى تبراً مذابا
بالرّفاء والبنين	دائماً طول السنين
بلّغ الشرقَ مناه	ذلك العُرسُ السعيد
دمت في عزٍّ وجاه	أيها الشرقُ المجيد
بالرّفاء والبنين	دائماً طول السنين

ستار

محمود غنيم

ورثا الملك والسيادة أباً عن أب إلى أفراسياب العظيم [1]، وجمله بالكرامة والعظمة التي لم يظفر بها الملوك السابقون

فأنعم عليه بما يحتاج الملوك إليه من حسن المنظر، وجمال الطبع والعدل والرجولة والشجاعة والفروسة ومعرفة أنواع السلاح واستعمالها، والتحلي بالفضائل والشفقة والرحمة بالخلق، ووفاء النذور والوعود، وصحة الدين والاعتقاد وطاعة الحق تعالى، وتأدية النوافل من صلاة الليل، وكثرة الصوم، وإعظام أهل العلم وإكرام الصالحين والزاهدين والحكماء، وتواتر الصدقات والإحسان إلى الفقراء، ومعاشرة الرعية والعمال بخلق حسن، وكف الظالمين عن الرعية. لاجرم سخر الله له ملك العالمين على مقدار جدارته، وحسن نيته، ومد هيبته وسياسته إلى كل إقليم حتى يؤدى الناس الخراج إليه ويأتمروا بالتقرب من سطوته. وإن كان بعض الخلفاء أوتى بسطة فى الملك وسعة فما فرغوا وقتاً من القلق وخروج الخوارج. وفى هذا العهد المبارك لا نجد — بحمد الله — أحداً ينطوى على خلاف أو يخرج رأسه من ربقة الطاعة

أدام الله هذه الدولة إلى قيام الساعة وأبعد عن هذه المملكة نظر السوء وعين الكمال [1] ليعيش الناس فى عدل ملك العالم وسياسته ويديموا دعاء الخير له

وإذ كانت حال الدولة كما وصفت كان العلم والبصر بالسنن الحسنة على مقدار هذا، والعلم كشمع ينشر ضوءاً كثيراً فيهتدى الناس به الطريق، ويخرجون من الظلمات، ولايحتاجون إلى دليل ولكن تدبير الملك يعجز عنه العبيد، وهم لايبلغون درجة عقله وعلمه.

فلما أمر هذا العبد أن أكتب طرفاً من السير الطيبة التى لا غنى للملوك عنها، وكل ما عمله الملوك الماضون ولا يعمل الآن من حسن أو قبيح، وكل ما سمعت فى ذلك أو قرأت أو علمت فكتبت إطاعة للأمر العالى هذه الفصول بالإجمال وذكرت فى كل فصل مايلائمه بعبارة واضحة، بتوفيق الله عز وجل.

عبد الوهاب عزام

(١) أفراسياب ملك توران فى قصص الشاهنامة

(١) عين الكمال: عين الحاسد التى تصيب الشىء الذى بلغ كماله

من رجال الفكر

ليس على الأرض أخطر ولا أقوى من آدمى يعيش من أجل فكرة. هذا الآدمى الذى يركز كل وجوده فى فكرة كما تتركز أشعة الشمس فى عدسة ليستطيع أن يحدث مثلها حريقاً مخيفاً أو نوراً وهاجاً ساطعاً. إن أغلب الأنبياء والرسل وقادة الفكر وعظماء التاريخ الذين قلبوا العالم أو ملئوه ضوءاً وجمالاً كانوا كذلك: أشعة متجمعة فى عدسة فكرة. إنهم لم يعيشوا للحب والحياة؛ إنما عاشوا من أجل فكرة.

ذلك خاطر مر برأسى فى لحظة من اللحظات. ولست أدرى أأنا مصيب فيه أم أنه عزاء جميل أدخله على نفسى كلما ذكرت وأيقنت أنى أنا أيضاً آدمى لم يخلق كى يعيش للحب والحياة. لماذا أعطى دائماً الفكرة ثمناً أغلى من حياتى، دون أن أشعر ودون أن أريد؟ آه... لو أتيح لى أن أعيش حياتى كما أحب؛ ولو سمح لى أن أقدر الحياة كما يقدرها السعداء من الآدميين! لقد منحنى الله من أسباب النعيم مالم يتيسر مثله للكثيرين، فلم أبسم ولم أسعد؛ فقد عافت نفسى مائدتى المنمقة وسيارتى اللامعة ومسكنى الرحب.

آه... إن أجل أفكارى ما ظهرت إلا أثناء سيرى البطىء على الأقدام. وإن ألذ أكلة عندى هى ما اقتصرت على لون واحد من الطعام. وإن خير مسكن لى هو حجرة واحدة أضع فيها كل ما يربطنى بالوجود من كتب وورق وفراش وثياب. لقد صحت يوماً من أعماق نفسى: « اللهم أتم نعمتك علىّ وجردنى من كل هذا النعيم الذى لا أفهمه، واملأ قلبى بحب نورك وحده، فيه تزهر كل فضائل الآدمية كما تزهر النبت تحت الشمس الحارة البارة! » وكان لى ما أردت، وانقطعت للفكر وتجردت. ولكن...

لكن هل كل من تجرد من حياته فى سبيل الفكر ينظمه الزمن فى سلك العظماء؟ لست أظن. وهنا الكارثة. هنالك رجال خلعوا رداء الحياة دون أن يلبسوا الفكر ثوباً وضاء. أولئك هم التعساء فى الدارين. أخشى أن يكون قد كتب علىّ مصير هؤلاء!

توفيق الحكيم

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٧١ — من حق الفتوة أن أكتبها قائماً

قال الكراني : حرّم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خمّاري الحيرة ، وركب فكسر نبيذهم ، فجاء بكر بن خارجة يشرب عندهم على عادته ، فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق فبكى طويلاً وقال :

يا لقوى لما جنى السلطان لا يكونن لما أهان ، الهوان
قهوة في التراب من حلب الكرم عقاراً كأنها الزعفران
قهوة في مكان سوء لقد صادف سعد السعود ذاك المكان
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصبر
عن بعض نفسه الإنسان

قال : فأنشدتها الجاحظ فقال : إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً ، وما أقدر على ذلك إلا أن تعمدنى — وقد كان تقوس — فعمدته ، فقام فكتبها قائماً ...

٣٧٢ — حولها ندندن

في (مجمع الأمثال) : قاله — أي هذا المثل : حولها نُدندن — (صلى الله عليه وسلم) لأعرابي قال : إنما أسأل الله الجنة فأما دندنتك ودندنة معاذ فلا أحسنها[1]

الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ، ولا تفهمه عنه لأنه يخفيه . أراد (صلى الله عليه وسلم) أن ما تسمعه منا هو من أجل الجنة أيضاً .

٣٧٣ — وكفى الله المؤمنين القتال

في (تاريخ ابن عساكر والنجوم الزاهرة) : كان المتوكل قد ولى على أهل دمشق سالم بن حامد ، فأذل قوماً بها كان بينه

(١) في (الفائق) : سأل (صلى الله عليه وسلم) ماتدعو في صلاتك ؟ فقال : أدعو بكذا وكذا ، وأسأل ربي الجنة ، وأتعوذ به من النار ، وأما دندنتك ودندنة معاذ فلا نحسنها . فقال (صلى الله عليه وسلم) : حولها ندندن.

وبينهم طائلة[1] ودماء ، وكان لبنى بيهس وجماعة من قريش دمشق قوة ووجاهة ومنعة[2] وكلمة مقبولة ، فلما رأوا كثرة تعدي سالم وجوره وأذيته وثبوا عليه فقتلوه على باب الخضراء بدمشق في يوم جمعة (سنة ٢٣٦) وبلغ ذلك المتوكل فندب لإمرة دمشق أفريدون التركي وسيره إليها ، وكان فاتكاً ظالماً ، فقدم في سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل ، وأباح له المتوكل القتل بدمشق والنهب ثلاث ساعات !!! ونزل أفريدون بيت لهيا ، فلما أصبح قال : يا دمشق ، أيش[3] لا يحل بك مني في يوى هذا ؟! ثم طلب الركوب فقدمت له بغلة فضربته بالزوج على فؤاده فسقط من ساعته ميتاً ، فدفن مكانه ، وقطع الله أمله ، وصار حديثاً ومثلاً ، ورجع الجيش إلى العراق خائباً . وبلغ المتوكل ذلك ، فصلحت نيته لأهل دمشق

٣٧٤ — أدب النفس

في (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) للبطليوسي :

التأدب أحوج إلى تأديب أخلاقه من تأديب لسانه[4] وذلك أنك تجد من العامة الذين لم ينظروا في شيء من الأدب من هو حسن اللقاء ، جميل المعاملة ، حلو الشمائل ، مكرم لجليسه ، وتجد في ذوي الأدب من أفنى دهره في القراءة والنظر وهو مع ذلك قبيح اللقاء سيء المعاملة ، جافي الشمائل ، غليظ الطبع ، ولذلك قيل : الأدب نوعان : أدب خبرة ، وأدب عشرة[5] وقال الشاعر :

يا سائلى عن أدب الخبره أحسن منه أدب العشره

(١) طائلة : عداوة ، ثأر

(٢) المنعة : القوة ، بفتح النون وبسكونها كما في النهاية واللسان والتاج . وفي المصباح : قد تسكن في الشعر لا في غيره خلافاً لمن أجازه . وفي الأساس : المنعة مصدر أو جمع مانع

(٣) أيش : أي شيء ، خفف منه ، نص عليه ابن السيد ، وصرحوا بأنه سمع من العرب ، وقال بعض الأئمة : جنبونا (أيش) تذهب إلى أنها مولدة قال السهيلي : أيش أي شي كما يقال ويله في ويل لأمه على الحذف لكثرة الاستعمال (شفاء الغليل)

(٤) ابن قتيبة : ونحن نستحب لمن قبل عنا وأتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه

(٥) عبد الله بن المبارك : إذا وصف لي رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه ، وإذا سمعت رجلا له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته

٣٧٥ — إلا الأنبياء

قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني: قال لي المعرى: لم أهج أحداً قط.

فقلت له: صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ...

٣٧٦ — إن الإزار على ما ضم محسود

في (النقد): خرج أبو السائب وابن أبي عتيق يوماً يتنزهان في بعض نواحي مكة. قال أبو السائب لأمر وعليه طويلته فانصرف دونها. فقال له ابن أبي عتيق: ما فعلت طويلتك؟ قال: ذكرت قول كثير:

أرى الإزار على لبنى فأحسده　　إن الإزار على ما ضم محسود!

فتصدقت بها على الشيطان الذي أجرى هذا البيت على لسانه.

فأخذ ابن أبي عتيق طويلته فرمى بها وقال: أتسبقني إلى بر الشيطان؟! ...

٣٧٧ — كريح المسك فاح بلا دخان

في (ذيل ثمرات الأوراق) لإبراهيم الأحدب: يحكى أن شهاب الدين الخفاجي المصري شرب الدخان هو وجماعة، فاعترض عليهم شيخي زاده، فكتب له الشهاب:

إذا شرب الدخان فلا تلمني　　وجُد بالعفو يا روض الأماني

تريد مهذباً لا عيب فيه　　وهل عود يفوح بلا دخان؟

فأجابه شيخي أفندي:

إذا شرب الدخان فلا تلمني　　على لوى لأبناء الزمان

أريد مهذباً من غير ذنب　　كريح المسك فاح بلا دخان

٣٧٨ — أرسلت نفسي على سجيتها

في (تاريخ بغداد). قال إسحق الموصلي: أتيت محمد بن كناسة لأكتب عنه فكثر عليه أصحاب الحديث فتضجر بهم وبجههم، فلما انصرفوا عنه دنوت منه، فهش إلي، واستبشر بي، وبسط من وجهه. فقلت له: لقد تعجبت من تفاوت حاليك، فقال لي: أضجرني هؤلاء بسوء آدابهم، فلما جئتني أنت انبسطت إليك وأنشدتك، وقد حضرني في هذا المعنى بيتان وهما:

في انقباض وحشمة فإذا　　صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها　　وقلت ما قلت غير محتشم

فقلت له: وددت (والله) أن هذين البيتين لي بنصف ما أملك، فقال: قد وفد عليك مالك، والله ما سمعهما أحد وما قلتهما إلا الساعة. فقلت له: فكيف لي بعلم نفسي أنهما لي بسالي

٣٧٩ — لو تركته لأورثك السل

روى ابن الجوزي: أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له، فقال: كيف تراه؟

قال: أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك، لأنك لو تركته لأورثك السل

٣٨٠ — دين سوء يدور مع الدول

قال ابرهيم بن عبد الله الكَجِّي: قلت للبحتري: ويحك! أتقول في قصيدتك[1] التي مدحت بها أبا سعيد:

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم　　ويحرفون كلامه المخلوقا

أصرت قَدَرياً[2] معتزلياً؟

فقال لي: كان هذا ديني في أيام (الواثق) ثم نزعت عنه في أيام (المتوكل).

فقلت: يا أبا عبادة، هذا دين سوء يدور مع الدول ...

(١) مطلعها:

أأفاق صب من هوى فأفيقا　　أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

إن السلو (كما تقول) لراحة　　لو راح قلبي للسلو مطيقا

(٢) في التعريفات «القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله».

قال بعض متكلميهم: لا يلزمنا هذا اللقب لأننا ننفي القدر عن الله ومن أثبته فهو أولى به. قالوا: وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون القدر لأنفسهم ولذلك سموا قدرية. وقول أهل السنة في القدر معروف

أنشودة الذكرى

في عيد الربيع

للأستاذ محمود الخفيف

أورقت يا قلب في الروض الغصون
وزكا الورد وراق الموسم
ومشى في الأرض عرس بهج ... نفحات الخلد فيه تنسم
والتقى الشمل فبشر ومنى ... وحبيب لحبيب يبسم ...

***

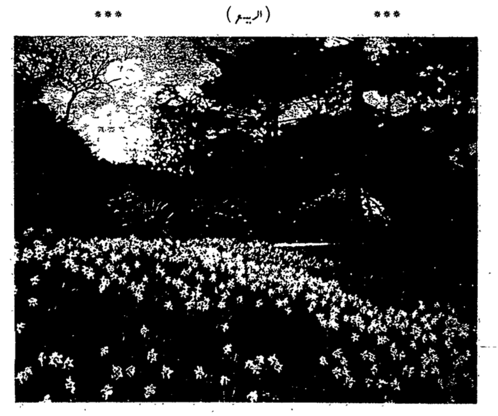
يا حديث النفس في خلوتها ... يا أغانيها ويا لحن بكاها
نامت الألحان لولا شعلة ... في حنايا الصدر لم تخب لظاها
هي ذكرى لعهود أدبرت ... رجع الشعر من الماضي صداها

***

إيه يا قلبي، دواعي الأمل ... لمحت في كل غصن أورقا
لا تلبها وقد كنت إلى ... سحرها من كل قلب أسبقا!
زمن الوصل حلت أيامه ... وقصاراك به أن تخفقا!

***

(الربيع)



ما لهذا الذابل المرتعش ... رف في صدري شوقاً وهفا؟!
كنت يا قلب تأسيت فما ... جد من عيشك أو ما اختلفا؟
أيها الخافق في وحدته ... فيم ذكراك عهداً سلفا!

***

يا فؤادي كل شيء ضاحك ... في ربيع راقت الدنيا به
في ربيع ينبت الود وما ... يملأ الأنفس من أسبابه
طاف في الروض على سندسه ... برحيق الحب في أكوابه

***

هذه يا قلب أفواف الربيع مهرجان بث فيه خطراته
يبهج الأنفس من أزهاره بسمات حلوة من بسماته
وأحاديث جرت عاطرة زاخرات بمعاني صبواته
الرضا والسحر فيها والمنى والشباب الغض يوحي نزواته!

***

ابتهج واطرب وزفرف والعب
وتنقل في الربوع النضره
التمس في كل ركن فرحة كالفراشات، وغازل زهره
واجتل الروعة في أفوافه أفرغ السحر عليها صوره
في زمان من تهاويل به كل حي راح يقضي وطره

***

مسرح كم جلت في أنحائه لاعبا، لست أمل اللعبا
لم يرع نفسي يوما أنني سأرى جنته مكتئبا!
في ربيع العمر والعيش منى عجل الدهر لي المنقلبا

***

يا عشاشا في الرياض امتلأت غنمت فيها الشوادي الفرحا
كل إلف حل فيها لهج بزمان الوصل فيا صدحا
نسي الوحشة حتى خلته عن حواشي أيكه ما نزحا

***

يا شوادي الأيك غني واطربي قد توافت لك أسباب المنى
هل شجا يومك أمس أو غد أو عرفت الدمع يوما والضنى؟
اهتفي ما شئت أو شاء الهوى واتركي لي يا شوادي الحزنا

***

أنا إنسي من الطين فما أعرف النعماء إلا حلما!
عالمي من طبعه أن أجتني عقب اللذة فيه الألما
إن شربت الكأس يوما عسلا لم يدم حتى أذوق العلقما
شقوتي بالغيب أن أجهله وقصاري الهم في أن أعلما!

***

جنة الفردوس منذ الأزل لأبي آدم كانت نزلا
فقضى الله بأن يبدله برياض الخلد هذا البدلا!
وأنا منه فحظي حظه كم أرى فيه لنفسي مثلا!
غير أني لم أذق من جنتي أبدا ما عشت فيها أكلا...

***

كان لي في الأرض حلم زاهر
فمضى فيها كما يمضي الربيع
رحت كالطفل لدى صحوته دائما يبكي رؤى الحلم البديع
صحوتي قد قرن البين بها أين مني ذلك الشمل الجميع؟
عاد قلبي يشتكي الوجد فهل
تطفئ الشكوى به هذا السعير؟
عش على الذكرى وغالط واخدع
فمدى عيشك في الدنيا قصير
يتهاوى العمر فيها مثلما يتهاوى ذلك الزهر النضير!

الخفيف



صاحبة السمو الإمبراطوري

الأمـــيرة فوزية

للآنسة زينب الحكيم



يا سليلة المجد ، يا كريمة المحتد ... تزوجت من ابن عاهل بلاد عريقة الحضارة ، باسقة الدوحة ، فشغل هـذا الحادث السعيد انتباه الناس ، وانصرف كل يحييه بشكل خاص

كنت أمشي مرتاضـة على جسر الزمالك ثم إلى جسر إسماعيل ، وكان ذلك في الصباح الباكر النادي ، حيث ينتعش النبت ويبتهج الزهر ويصدح الطير

ترتفع الشمس من مشرقها فتواجه صنوها أهرام مصر ، فينعكس إشراقها على مرآة الدهور ؛ وليست عنه تغرب ، وإنما هي تحييه كل يوم ، وتحيي في هيكله المرصوص نور العلم ، وقوة العقل ، ونهضة البشرية ؛ ثم تخط في سجله دورتها التي لا تنقطع

وقد تزول الدنيات ، وتدول العروش ، ويفنى الخلق ؛ وتبقى الأهرام وتبقى الشمس ... هذه تسجل وهذه تدور ... والخلود للنافع الباقي في سجل الأبدية

فيا أميرة الأهرام فوزي بأمير الشمس رضا ... لقد تنبأت بسعود مستقبلكما وهناء أيامكما وأنا أسير على الجسور . وقد استرعى انتباهي الأعلام المتناثرة المرفوعة على أعالي القصور وفي البساتين والميادين ، كلها ترفرف في الجو معلنة صفاء نفسين واتحاد قلبين ، مذيعة على موجات الأثير أفراح أمتين شقيقتين ، ورجاء شعبين صديقين

في اللحظة الخاطفة الوامضة ، التي أيقنت فيها بذيوع النبأ السعيد في العالم أجمع ، وأكده تشريف ابن الأكاسرة ديار الفراعين ؛ استوقفني بين الجسرين صوت التابع (الخادم) حيث لاحقني من البيت ، قال : سيدتي ، لقد نسيت هذا الكتاب ، فأخذته منه وشكرته وانصرف

وتابعت سيري ووجهتي جسر إسماعيل ، فلما بلغت وسطه ، شعرت أن الكتاب أثقل ذراعي ، فوقفت أستريح برهة ، وقد شغل تفكيري قيمة ما يحتويه الكتاب بالنسبة إلى حجمه ووزنه

وحانت مني نظرة إلى ماء النيل ، وهو يخاصر رقائق النسيم ؛ ومن عجب أرى ضوء الشمس الفضي ينعكس على جهات خاصة من سطح الماء ، فيكوّن من الموج الهادىء نجوماً متلألئة ، أما باقي سطح الماء فمادي إذا استثنينا اختلاف ألوان تموجاته في مواضع .

هذه اللوحة الفنية بإطارها المشوشب ، أوضحت أمامي صفحة من صفحات شهيرات النساء منذ أبعد الحقب ، ومن ثم اطمأننت أنه يعتمد عليهن في فتح الكتب المغلقة وفهم غوامضها وتكييف

الأقدار . وهذه الناحية من سطح الماء ، التي تتلألأ عليها النجوم الساطعة ، إنما تدل على شهيرات النساء اللاتي جذبن انتباه العالم لخطورة مراكزهن كالملكة حتاسو ، وفكتوريا ، والسيدة خديجة ، ومثيلاتهن ممن حكمن الممالك ، وشرعن ، وشيدن أسس العمران وسنن مصلحي البشر ؛ أو مدام كوزى ومن على شاكلتها من العالمات ، والمخترعات ؛ أو كالسائحات والكاتبات اللاتي يدرسن البشرية عملياً ويسجلن تاريخ البشر التجريبي ؛ أو كرسولات السلام والمودة من أشباه أميرتنا المحبوبة فوزية .

وفي الحق أنه ينطوى في شخصية مثيلاتها أخطر تضحية ، وأقوى شجاعة ، وأحد نظرة وأجدها .

يا له من مركز خطير ! يضطلع به الرجل فيثقله ، فما بالنا إذا ما اضطلعت به امرأة ؟! من غير شك تكون المسئولية أعظم ، والتضحية أوفر ، والإرادة أمتن

يا أيتها المرأة إنك ضحية الوجود ، وزهرة الوجود ، فياله من شوك وشذى في وقت واحد !

أذكر عندما حمل البشير إلى فكتوريا نبأ تنصيبها ملكة على عرش بريطانيا العظيم ، تلقت الخبر السار بذهول لهول المسئولية ، وكانت سنها لا تزيد على الثامنة عشرة ، ولكن ذلك الذهول وذلك الهول ، لم يثنياها عن المبدأ الذي ألهمته ، وكان سبب نجاحها إذ أجابت بعد صمت لحظات I shall be good سأكون صالحة . قول قصير ولكنه منطق حكيم ومبدأ متين

وهكذا عاشت الملكة فكتوريا عمراً مديداً ، وحكمت خمسين عاماً من أحسن وأنفع السنين التي مرت على بريطانيا . ولا تزال حب فكتوريا مستقراً في القلوب . تعرفت إلى سيدة انجليزية عجوز في إحدى ضواحي لندن ، فلما توثقت عرى الصداقة بيننا ، أرادت أن تقدم إلي هدية من أثمن ما تملك ، فسارت معي إلى خزانة أنيقة من البلور ، وأخذت منها علبة فضية ثمينة ، أخرجت منها شيئين صغيرين ، ولكن بدا على السيدة الاهتمام والرعاية لها

بدأت تفض الأغلفة التي أحاطت بالدرة الثمينة على ما ظننت ، وأيقنت أنني سأنال شظية من تلك اللؤلؤة النفيسة ، وما كان أشد دهشتي عندما وجدت أن الجوهرة المغلفة لم تكن أكثر من قطعة صغيرة من كعكة عرس الملكة فكتوريا ! !

ثم عادت السيدة فأخرجت من المغلف الثاني نموذجاً لثوب العرس الذي ارتدته الملكة فكتوريا ليلة زفافها ، وقد صنع من القصاصات التي تخلفت من قماش ذلك الثوب . أما نموذج الثوب ، فكان تحفة ثمينة ، وأثراً بارزاً يشير إلى بعض عواطف الإنجليز ، وهم ناس تقاليد وناس وفاء وشمائل نبيلة . كم أرجو أن ينال أفراد الشعبين : المصري والإيراني منحة تحفظ في ذاكرة الأجيال ! ! لا يخالجني شك في أن عبقرية الزوجين الكريمين ستكون طاقة من الزهر تشم في نسمات الخلود

* * *

يا أميرة النيل : إني أتخيلك وأنت آمنة الآن إلى خلجات قلبك ، مفكرة في رياض المستقبل بما تحويه من أزهار وأثمار وأطيار ، لا تلبث أن تصبح بلابل القصر الزمردي العامر ؛ ثم أتخيلك وأنت تجولين في بساتين إيران الزاهية وحقولها المخصبة ، وأتخيل مواقفك التي ستفوق ديمقراطية إحدى ملكات أوربا

ذلك أنها كانت تكثر من تفقد حال رعيتها خفية ، ففي ذات مرة كانت تتجول في الحقول منفردة ، فرأت فتاة حسناء تعمل بنشاط في حقلها بحيث لم تنتبه إلى المتجولة العظيمة ، فقربت منها الملكة وحيتها وتحدثت معها طويلاً مستفسرة عن عائلتها وعن معيشتها ، وكانت الفتاة تحادثها دون تمهل على طريقتها القروية الساذجة

ولما همت الملكة بالانصراف سألتها الفتاة عن اسمها وماهيتها ، فأجابتها ببساطة مستملحة : أنها الملكة فلانة . فطربت الفتاة كما تطرب فتاة الريف الوادعة وسألتها عن عنوانها ، فأجابتها الملكة إلى ما أرادت . فلما كان عيد الميلاد بكرت الفتاة بإرسال زوج من القفازات الصوفية من صنع يدها هدية للملكة بمناسبة العيد ، وتقبلتها الملكة راضية وأرسلت خطاب شكر إلى تلك الفتاة ومعه قفاز مملوء بالذهب ، وآخر مملوء بالحلوى

وبعد أيام أرسلت الملكة خطاباً آخر للفتاة تستفسر منها فيه عن وصول الهدية ، ومقدار ما نالها منها شخصياً ، فأجابت الفتاة في حياء جميل : لقد استأثر أبي بالذهب ، وتمتعت أختي الصغيرة بالحلوى ، بينما أجاهد أنا في الحصاد . فعادت الملكة وأرسلت قفازين أحدهما مملوء بالذهب والآخر بالحلوى ، وشفعتهما بخطاب منها شخصياً تقول فيه لوالد الفتاة : « اترك الهدية كاملة للفتاة هذه المرة » فما أجمل عطف المرأة وما أدق مواقفها !

هنيئاً لك يا إيران بابنة فؤاد المصلح ، الذي شمل عطفه وبره ورقيه مصر وغير مصر من بلاد الشرق والغرب ، وعم نور عهده الذهبي فتبدد عن العقول ظلام الجهل ، وعن النفوس كابوس الذل

إن التاريخ يعيد نفسه . ومن حسن التوفيق أن يكون إشراق النجوم ، وبشير السلام والمودة متصل الحلقات بحفور شريف . فقد سبق أن حدثت مناسبة سعيدة مشابهة لحادث اليوم ، بزواج الأميرة نازلى هانم أخت الخديو اسماعيل ، وعمة المغفور له الملك فؤاد بأحد الأعيان التونسيين ، وكانت تسكن قصراً بديعاً بالقرب من قرطاجنة على شاطئ البحر وسط بساتين غناء .

تحدثت عنها الكاتبة الفرنسية مريام هارى قالت : أدى بى الحديث مع الأميرة نازلى يوماً إلى الكلام عن المرأة المسلمة ، فقالت لى : هل تقصدين المرأة المصرية ؟ إنه لا توجد امرأة فى العالم عرفت ما عرفته من الاستقلال فى عهد الفراعنة ! فأمريكا ذاتها لم تبتدع جديداً يمكن أن يقارن بالحركة النسوية التى كانت على ضفاف النيل منذ أربعة آلاف سنة .

لقد كانت تتمتع المرأة المصرية بوحدة الزوجية ، بل كانت تنعم بما ينعم به الرجل من الحرية والمراتب ، عكس ما كانت تعامل به نساء البلاد الأخرى فى ذلك العهد كالإسرائيليات والبابليات وغيرهن .

والزوجة الحقيقية كانت تشارك زوجها فى التاج والعرش ، وكانت تمتاز عن أختها المصرية بالاشتراك مع زوجها فى الأعمال الفكرية ، وقد وجدت مؤلفات باسم الزوج والزوجة ، وفى الألعاب الرياضية أيضاً ، فكانت تخرج معه للصيد والقنص ، وكانت ترأس الحفلات »

ثم أفضى الحديث بين الأميرة والكاتبة إلى التحدث عن كليوباترا الملكة العظيمة ، فقالت الأميرة نازلى : حقاً إنها كانت ملكة قادرة من أسرة البطالسة ، ومع ذلك كان أفول نجم المرأة المصرية بعدها . فقد فرض عليها القانون الرومانى الذى أخذ عنه الفرنسيون قانونهم ، أن تأخذ ترخيصاً من الزوج فى أعمالها ، وهذا أمر لا يعرفه الإسلام ، إذ ليس الإسلام خلافاً لما يظنون هو الذى جعلنا فى مرتبة أقل من الرجال وحرمنا حقوقنا ، وإنما هو التفسير غير الصحيح للنص المقدس ، وإهمالنا وقعودنا نحن النساء » .

ولقد أبيح للمرأة المسلمة على الدوام أن تنص فى عقد الزواج على أن تكون منفردة بالزوجية ، ولو أن الزوج أخل بهذا النص لعوقب بالحبس

قالت الأميرة نازلى هذا القول من نحو ربع قرن مضى ، فليتها ترى بنفسها اليوم مقدار ما بلغته المرأة المصرية الحديثة من التعاون مع الرجل فى أكثر مرافق الحياة ، لتعجب بنهضة المرأة الفكرية والرياضية والاجتماعية ، ولتسر كل السرور بحفيداتها أميرات البيت المالك ، إذا ما رأتهن يزرن المدارس ويشجعن التعليم ، ويفتتحن المعارض العلمية والفنية من زراعية وصناعية .

كم كان ينشرح صدرها لرؤيتهن أثناء لعبهن التنس ولهوهن بالثلج فى سويسرا ! لو كان ذلك لأدهشها أن ترى الملك المحبوب فاروق الأول مع زوجه جلالة الملكة فريدة وهما يجولان فى الصحراء للصيد والرياضة ، ولأثلج صدرها ما ألفته بعض الأميرات من نفائس الكتب كالأميرة قدرية حسين

وسمو الأميرة فوزية زهرة تتضوع شذى ذكياً بما تحمله فى دمها من عبقريات والديها الكريمين ، وتنقل عن أخيها جلالة الملك « فاروق الأول » المحبوب روح الشباب الطامح ، وحكمة الشيوخ الأتقياء ، وحزم المجربين الأشداء . وتتأثر بورائات فوارة عن الأجيال الطويلة التى قطعتها مصر فى الرقى العلمى والحضارة

فيا أيتها الوديعة العزيزة أنت خير من يفهم رسالة مصر ، وخير من يمثل بلاده الخالدة ، فتزدادين منعة وعظمة من رائع خيال إيران ، ورفيع فنها ، وواسع علومها وفلسفاتها . وإن من كانت مثلك فى قوة الذكاء وروعة الحسن مع شخصية قوية وجرأة حازمة وسياسة رشيقة ونبل — وما استمتعت به من رعاية وجوار كريم من جلالة أخيك الملك الصالح — كل هذا ، وليس بالقليل ، تستطيعين به أن تتصفحى الكتاب الزاخر وتكفلى بهجة الحاضر ونجاح المستقبل ومودة الدهر

زينب الحكيم



ماهى الحيـــاة
وكيف ظهرت على الأرض؟

انطباق نواميس الطبيعة على الأحياء

الأستاذ نصيف المنقبادى

تكلمنا فى مقالنا الأول عن وحدة الحيوانات (ومنها الإنسان) والنباتات وأثبتنا فى مقالنا الأخير وحدة الأحياء والجمادات بأن بحثنا عن مظاهر الحياة فى الجمادات وقد وجدناها جميعاً بلا استثناء ولكن مبعثرة ومشتتة فيها كالتكوين الدقيق والشكل النوعى والتغذى والتنفس والتحرك والتأثر والنمو الخ

واستكمالاً لهذا التحقيق (وحدة الأحياء والجمادات) واستيفاء له من جميع نواحيه نسلك اليوم الطريق العكسى لنصل إلى نفس النتيجة بأن نبحث فى الكائنات الحية عن نواميس الطبيعة التى تدير الكائنات الحية ، وسيرى القارئ فيما يلى أن تلك النواميس تنطبق جميعها بلا استثناء على الأحياء (ومن بينها الإنسان) وأنها هى التى تعمل فيها وتديرها وليس شىء آخر خلافها

نقول إنه يتضح لكل من يطلع على كتب العلوم البيولوجية الحديثة (علوم الحياة كالبيولوجيا العامة والفسيولوجيا وعلمى الحيوان والنبات ، وعلم التشريح التقابلى ، وعلم تكوين الجنين الخ) أن هذه العلوم أخذت تفسر المسائل الحيوية وتعللها بالنواميس والقواعد المقررة فى علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء، وقد خطت خطوات واسعة فى هذا السبيل ، ولا يهدأ للعلماء الآن بال وهم يعالجون أية ظاهرة من ظواهر الحياة حتى التفكير والقوى العقلية إلا إذا عللوها بالعوامل الطبيعية وردوها إليها ووحدوا بينها وبين الجمادات

فوظيفة القلب والحركة الدموية على العموم خاضعة لنواميس الهدروليكا أو الهدروديناميكا . وهضم الأغذية ليس إلا تفاعلات كيميائية محضة . وامتصاص الغذاء بعد هضمه ، وإفراز المواد الإفرازية خاضع لقواعد التشرب Osmose المقررة فى علم الطبيعة، وكذلك الحال بالنسبة لامتصاص الأوكسيجين وإفراز الحامض الكربونيك فى الرئتين وفى أعضاء التنفس الأخرى وفى الشرايين الشعرية . وتحرك الحيوانات وسيرها على الأرض أو طيرها فى الهواء أو عومها فى الماء ، كل هذا يجرى طبقاً لقواعد علم الميكانيكا دون غيرها . وإبصار العين وسمع الأذن وحدوث نبرات الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً ، كل هذا يحصل بمقتضى القواعد المقررة فى علمى الضوء والصوت المتفرعين من علم الطبيعة . وكذلك الحال بالنسبة للتلقيح وانقسام الخلايا وتكوين الجنين وتكوين الزهور والأثمار .... الخ . وكذلك الحال أيضاً فيما يتعلق بالانفعالات النفسية والغرائز والعواطف والتفكير ، فقد توصل العلماء إلى إرجاع الكثير منها إلى ظواهر طبيعية وكيميائية محضة وفسروها بالعوامل الطبيعية التى تدير الجمادات. ويضيق بنا المقام لو أردنا شرح شىء من ذلك لأن هذا يستغرق المجلدات الضخمة العديدة ، فنحيل القراء على المؤلفات الحديثة فى علوم البيولوجيا والفسيولوجيا والبسكولوجيا. ونقصر حديثنا الآن على الناموسين الأساسيين اللذين تتفرع منهما باقى نواميس الكون وهما ناموس عدم تلاشى المادة La loi de la Conservation de la matière وناموس عدم تلاشى الطاقة (القوة سابقاً) La loi de la Conservation de l'énergie

المادة والطاقة

ينقسم كل ما فى الوجود إلى مادة وطاقة ولا ثالث لهما . فالمادة تشمل الكواكب والشموس والسيارات ومنها الأرض وما عليها من المعادن والجبال والبحار والمواد التى تشكلت بشكل

خاص كالأجسام المبلورة والكائنات النامية بالحياة كالإنسان وباقى الحيوانات والنباتات

والطاقة تبدو فى صور مختلفة معدودة تتحول من الواحدة إلى الأخرى وهى الكهرباء ، والجاذبية ، والضوء ، والطاقة الميكانيكية كالحركة ، والطاقة الكيميائية الكامنة فى ذرات المادة ، والحرارة

والمادة والطاقة ليستا مستقلتين إحداهما عن الأخرى فلا يمكن تصور وجود الواحدة منهما بمفردها دون الأخرى

بل ثبت أخيراً على أثر اكتشاف الراديوم والأجسام المتشععة المماثلة له ، أن المادة تتحول إلى طاقة والطاقة إلى مادة ، فكأنه لا وجود للمادة فى الواقع ، وأنها ليست إلا طاقة متكاثفة كما أن السوائل غازات متكاثفة وكذا الجمادات بالنسبة للسوائل . وعلى هذا تكون المادة صورة أخرى من صور الطاقة فوق الصور المتقدم ذكرها

ومن نواميس الطبيعة الأساسية ناموسا عدم تلاشى المادة ، وعدم تلاشى الطاقة سالفا الذكر . ومعنى هذا أن مجموع المادة التى فى الكون ثابت لا تزيد عليه ، ولا تنقص منه ذرة واحدة ، وإن كانت المادة تتحول على الدوام من تركيب إلى آخر ومن شكل إلى شكل ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالطاقة ؛ فإن صورها أو مظاهرها فى تحول مستمر من الكهرباء إلى الحركة إلى الضوء إلى الطاقة الكيميائية إلى الكهرباء وهلم جرا ، ولكنها فى مجموعها ثابتة لا تزيد ، ولا تنقص منها أية كمية مهما صغرت .

انطباق هذين الناموسين على الأحياء

قلنا وكررنا فى المقالين السابقين أنه لا يوجد عنصر من عناصر المادة خاص بالكائنات الحية ، وأن العناصر التى تتركب منها أجسامها تدخل فى تراكيب معدنية لا عداد لها . وبينا كيف أن المواد التى تتألف منها أجسام الأحياء مشتقة من الجمادات رأساً بفعل قوة الشمس أو طاقتها الإشعاعية بواسطة المادة النباتية الخضراء (الكلوروفيل) . فالحيوانات آكلة اللحوم تتغذى من الحيوانات النباتية ، وهذه تتغذى من النباتات . والنباتات تركب المواد التى تتغذى بها وتشيد منها أجسامها من المواد المعدنية — أى من الجمادات — على الوجه المتقدم بيانه ، بحيث لا تزيد على الكائنات الحية شىء أكثر مما تتناوله من الغذاء ولا ينقص منها شىء أكثر مما تفرزه أو يتبخر منها

وبعد الموت تتحلل أجسامها وتتحول إلى كمية من بخار الماء ومن الحامض الكربونيك ومن بعض تراكيب أزوتية ومعدنية بحيث يساوى مجموع كل هذا وزن الجسم عند الموت تماماً لا أكثر ولا أقل

وكذلك الحال بالنسبة للطاقة فإن الكائنات الحية تتحرك حركة ذاتية كالانتقال من مكان إلى آخر ، وحركة أعضائها الداخلية وحركة نمو الخ ، وهى تفرز عصائر وخمائر وسوائل مختلفة وإفرازات داخلية وخارجية متنوعة ، وتحلل بعض المواد الكيميائية وتركب غيرها ، وتتولد فيها حرارة ثابتة فى ذوات الثدى (التى منها الإنسان) وفى الطيور ، أو حرارة عرضية فى الحيوانات الأخرى وفى النباتات ، كما يتولد الضوء والكهرباء فى بعضها ، وهذه كلها من الطاقة ، ولا يمكن أن تأتى من العدم لأن الطاقة لا تخلق ولا تنعدم ، ولا بد أن تكون قد اشتقت من صورة سابقة من صورها الأخرى . فما هو مصدر تلك الطاقة التى تدير الأحياء وتحركها وتعمل فيها ؟

لقد أثبت علم الفسيولوجيا بالأدلة والاختبارات والمشاهدات القاطعة أن جميع القوى التى تعمل فى الإنسان وباقى الكائنات الحية تنتج من احتراق المواد الغذائية داخل أنسجة الجسم وفى خلاياه ، وما الغذاء إلا وقود الكائنات الحية يحترق فيها ليولد الطاقة والحرارة اللازمتين لأعمال الحياة كما يحترق الفحم أو البترول فى الآلات الميكانيكية لإدارتها؛ وما الحيوانات والنباتات إلا آلات تحول الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء إلى طاقة ميكانيكية كالحركة وإلى حرارة وإلى كهرباء وضوء فى بعض الحيوانات

وقد أراد علماء الفسيولوجيا أن يتحققوا مما إذا كانت العوامل الطبيعية ، وبعبارة أدق الطاقة الناتجة من احتراق المواد الغذائية فى الأحياء هى التى تدير بمفردها الكائنات الحية وتعمل فيها ، أم أن هناك عوامل أخرى من وراء الطبيعة تشترك معها فى ذلك . فمن أجل ذلك صنع اثنان منهم وهما الأميريكيان أتوتر وبنديكت جهازاً خاصاً هو عبارة عن كالوريمتر كبير مركب تركيباً دقيقاً من مواد تحفظ الحرارة وتمنع تشععها إلى الخارج وهو

فى الوقت نفسه يقيس أقل كية من الحرارة توجد فيه مهما صغرت . ووضعا فيه شخصاً وأحكما غلقه عليه ، ويخترق هذا الكالوريمتر تيار من الهواء يمر فى أنابيب مصنوعة خصيصاً ومركبة عليها آلات للتحليل والقياس فيقيسون مقدار مايدخل من الهواء وما يشتمل عليه هذا الهواء من الأكسيجين وغاز حامض الكربونيك ، وكذلك مقدار الهواء الخارج من الجهة الأخرى وما نقص منه من العنصر الأول ، وما زاد عليه من الغاز الثانى ، والفرق يدل بطبيعة الحال على كية ما احترق مدة العملية داخل جسم الشخص الجالس فى الكالوريمتر من المواد الغذائية المدخرة فى أنسجته وخلاياه ، ذلك لأن كل احتراق حتى فى الجمادات يستهلك الأوكسيجين ويفرز غاز الحامض الكربونيك

ومن جهة أخرى يقيس الكالوريمتر كية الحرارة التى تتشع من جسم ذلك الشخص ، والحرارة التى تتحول إليها فى النهاية الحركات المختلفة التى يقوم بها كحركاته الذاتية ، وكحركات أعضائه الداخلية كالقلب والرئتين .

فكانت النتيجة أن الطاقة (الحرارة) التى تنتج من احتراق المواد الغذائية المدخرة فى الجسم تساوى تماماً الطاقة (القوى) التى تعمل فى الجسم وتتحول فى النهاية إلى حرارة .

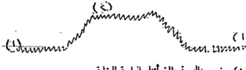
وكان بعض الفسيولوجيين قاموا قبل ذلك بمثل هذا الاختبار على حيوانات مختلفة وكانت النتيجة واحدة .

ومعنى هذا أنه لا تعمل فى الكائنات الحية بما فيها الإنسان ولا تديرها سوى القوى الطبيعية ، وأن هذه القوى ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء ، أو بعبارة أصح الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء

وحتى التفكير والقوى العقلية فقد ثبت بالاختبارات والمشاهدات العديدة أنها تستهلك كية من الطاقة الناتجة من احتراق المواد الغذائية المدخرة فى المخ والتى يوردها الدم إلى ذلك العضو . وإننا نكتفى بالتجربة التالية إثباتاً لذلك : فقد صنعوا جهازاً خاصًّا دقيقاً لقياس كل زيادة تطرأ على حجم المخ مهما كانت طفيفة ، يستخدمون هذا الجهاز فى أشخاص يكون قد أصابهم كسر فى الجمجمة وتفتت قطعة من العظم حتى صار مكانها مكشوفاً لا تغطيه إلا قشرة من نسيج رقيق ، فيضعون قاعدة الجهاز على رسم الجزء المكشوف وقياسه ويغطونه بها . وتتفرع من قاعدة الجهاز هذه أنبوبة من الكاوتشوك تتصل بآلة تدل على أقل زيادة أو احتقان يطرأ على المخ وترسمه رسماً

يرسم هذا الجهاز فى الحالة الاعتيادية خطاً متعرجاً ولكنه يكون فى مجموعه على منسوب أو ارتفاع واحد ، وهذه التعرجات هى أثر نبض القلب . ويكلفون الشخص الموضوع عليه الجهاز بالقيام بأعمال عقلية بأن يطلبوا منه مثلاً إجراء عملية حسابية ، حتى إذا بدا فى التفكير أخذ حجم مخه فى الزيادة بورود كية من الدم إليه أكثر من المعتاد يدل عليها ارتفاع منسوب الخط التعرج الذى رسمه الجهاز ، كما يحدث فى كل عضو يؤدى وظيفته ، لأن الدم يحمل إليه الغذاء الذى يحترق فيه لتوليد الطاقة اللازمة لقيامه بوظيفته ، وعند ما ينتهى ذلك الشخص من العملية العقلية التى كلف بها يرجع مخه إلى حجمه الطبيعى بأن ينزل الخط المتعرج إلى مستواه الأصلى

يؤيد هذا أيضاً التجارب التى قام بها كل من شيف من جهة وموسو من جهة أخرى ، فإن كليهما استعان بآلات دقيقة جداً لقياس درجة حرارة المخ على مثل ذلك الشخص المكسورة جمجمته صنعها خصيصاً على أساس الكهرباء ، وهى حساسة إلى حد أن تقيس واحداً من الألف من درجة الحرارة الواحدة . وقد دلت هذه الآلات بطريقة ظاهرة على أن حرارة المخ ترتفع أثناء التفكير ، وهذا الارتفاع لا يمكن أن يأتى إلا بورود كية من الدم إلى المخ واحتراق بعض المواد الغذائية التى يحتويها أو من المدخرة فى المخ شأن كل عضو فى حالة العمل



(١) منسوب الدم فى المخ أثناء الراحة العقلية
(٢) ارتفاع كية الدم فى المخ أثناء التفكير

يؤيد هذا أيضاً ازدياد كية المواد الفوسفاتية فى البول لدى الأشخاص الذين يزاولون الأعمال العقلية المتواصلة كما يدل على ذلك التحليل الكيميائى ، وهى تنتج من احتراق المواد الغذائية الفوسفورية المدخرة فى المخ مثل الليسيتين أو التى يوردها الدم إلى ذلك العضو

ويؤيد هذا أيضاً ما هو معروف للجميع من أن الطفل يكون عند ولادته عديم التفكير ثم تأخذ قواه العقلية في النمو بنمو مخه مع باقي جسمه ، وأن كثيراً ما تضعف هذه القوى في الشيوخ حينما ييبس المخ وتتصلب شرايينه ويذهب فريسة كريات الدم البيضاء المفترسة ، أو حينما يتناول الإنسان كمية من الخمر أو يصاب بحمى شديدة أو بأي مرض يؤثر في المخ . فلا شك في أن التفكير إنما هو وظيفة المخ وأن مصدره الوحيد الطاقة الناجمة من احتراق المواد الغذائية شأنه شأن باقي وظائف الأعضاء الأخرى

وبالجملة فإن ناموس بقاء الطاقة وعدم تلاشيها ينطبق على الكائنات الحية ومنها الإنسان انطباقه على الجمادات

النتيجة

فمن أية ناحية نظرنا إلى الموضوع نجد أنه لا يوجد أي فرق جوهري بين الكائنات الحية وبين الجمادات كما قلنا في ختام المقال الأخير ، وهذا يدل دلالة قاطعة على وحدتهما

ولا يسعني إلا أن أختم هذا البحث بالعبارة التي ختم بها أستاذي المأسوف عليه فريديريك هوسيه أستاذ علم البيولوجيا بجامعة باريس (السوربون) محاضراته في هذا الموضوع حيث قال : « إذن فكل ما في الطبيعة حي ، أو ليس فيها حي »

« Donc, dans la nature tout vit ou rien ne vit »

يقصد أنه لا يوجد أي فرق بين الكائنات الحية وبين باقي ما في الطبيعة من أجسام أخرى معدنية أو جمادات

وحتى الأخلاق فقد تناولها العلم وأثبت أنها ظاهرة طبيعية تطرأ على الحيوانات الاجتماعية كالنمل والإنسان نتيجة لازمة لحياة أفرادها جماعة ، وقد أصبحت — أي الأخلاق — غريزة متأصلة في النمل والنحل ، وهي غريزة في دور التكوين في النوع الإنساني لأنه أحدث من تلك الأنواع كما سنبينه في مقال قادم

وسنبين في المقال الآتي كيف ظهرت الحياة على الأرض بعد أن ثبت لنا نهائياً وقطعياً أنها ظاهرة طبيعية مثل باقي ظواهر الطبيعة

نصيف المنقبادي المحامي

دبلوم في الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

أطفـــال الشمس

للأستاذ قدري حافظ طوقان

—•⊱⊰•—

لاحظ العلماء أن هناك شقة واسعة بين المريخ والمشترى ، وقالوا : من المحتمل أن يكون فيها سيار يدور حول الشمس ، وقد حاولوا أن يكشفوه وأن يعرفوا شيئاً عنه عن طريق الرصد فلم يوفقوا إلى ذلك . وفي بداية القرن التاسع عشر للميلاد كشف بعض الفلكيين أجراماً صغيرة أطلقوا عليها « النجيمات » أو « الكويكبات » عرفوا منها ما يزيد على الألفين ، وقد أطلقنا عليها « أطفال الشمس » لأنها صغيرة جداً بالنسبة للسيارات . وقد ظن كثيرون أن هذه الكويكبات دليل الخلل والفوضى في النظام الشمسي ، وأن السيارات ستتقلص وتصبح صغيرة يجري عليها ما يجري على تلك الكويكبات التي بدورها ستؤول إلى شهب ونيازك ، وعلى هذا قالوا : إن بداية الكون في السدم ونهايته في الشهب والنيازك

ولسنا بحاجة إلى القول بأن هذه الآراء لا تستند إلى علم أو دراسة بل هي مجرد تخمين لا أكثر ، وقد أثبت البحث العلمي بطلانها وعدم صحتها ، وتحقق لدى الفلكيين والطبيعيين أن لا خلل ولا فوضى في الكون ، وأن ما يسيطر على أصغر موجوداته يسيطر على أكبرها ، وأن الإنسان كلما تقدم في وسائل الرصد وتفتحت أمامه المغلقات تجلى له أن الكون بأجزائه المختلفة المتعددة لا يتعدى دائرة من القوانين والنواميس لا يتطرق إليها خلل أو فوضى ! وأن ما يظهر للإنسان شذوذاً دليل على أنه لا يزال عند عتبة اليقظة العقلية ، وقد عجز عن إدراك كنه هذا الشذوذ وحقيقته

إن من يحاول الوقوف على عجائب الكون ويسعى لتفهم ما يجري فيه من مدهشات وغرائب ويعمل على الإحاطة بالقوى الطبيعية المتحكمة فيه يتبين له أن ما ظنه شذوذاً وفوضى هو في الواقع اطراد ونظام ...

والآن ... ما هي هذه الأطفال ؟ . . . وما خصائصها ؟ . . .

وما مقامها في النظام الشمسي ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه بإيجاز

تسير هذه الكويكبات أو الأطفال حول الشمس في نفس الاتجاه الذي تسير به الكواكب السيارة، وقد حسب العلماء سعة أفلاكها وأقطارها ، ووقفوا على كثير من خصائصها فوجدوا أن أكبرها (سيرس) وقطره لا يزيد على (٤٨٠) ميلاً ، ويليه (بلاس) الذي يبلغ قطره (٣٠٦) من الأميال ، ثم (فستا) ويقدر قطره بـ (٢٤١) ميلاً . وهناك من الكويكبات ما لا تزيد أقطارها على ميلين ، ويتراوح زمن دورانها حول الشمس بين ١٫٧٦ و ١٣٫٧ من السنين ، أي أن طول السنة عليها يختلف ؛ فبينما سنة أقرب كويكب (سيرس) تعدل ١٫٧٦ سنة من سنيننا نجد أن سنة أبعدها (هيدالاكو) تعدل ١٣٫٧ من السنوات

أما أيامها فقصيرة جداً حسب الفلكيون أطوالها فوجدوا أن يوم (إيرس) لا يتجاوز ست ساعات و ١٢ دقيقة ، ويوم (أونوميا) لا يزيد على ثلاث ساعات ودقيقتين ، ويوم (سيرمنا) يبلغ تسع ساعات وأربعين دقيقة . وهناك مجموعة من ستة كويكبات تسير وتتحرك بطريقة غريبة بحيث تكون مع الشمس والمشترى مثلثاً متساوى الأضلاع . والكويكبات صغيرة جداً حسب الرياضيون أوزانها كلها (المعروف منها) فتبين لهم أن الوزن الكلي لا يزيد على جزء واحد من ألف جزء من وزن الأرض . وتدل الحسابات وحركات الكواكب في أفلاكها أنه لا يمكن أن يزيد المجموع الكلي للكويكبات — ما كشف منها وما لم يكشف — على جزء واحد من خمسمائة جزء من وزن الأرض؛ ولو كان الوزن أكثر من ذلك لحدث اضطراب في فلك المريخ ولما لزم طريقه الحالية ولأقصى عنها بعض الإقصاء

ولقد كشف العالم الألماني « وت » في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد كويكباً صغيراً اسمه (إيروس) يقع فلكه ضمن فلك المريخ وفي بعض الأحيان يتخطاه ، يبلغ قطره خمسة عشر ميلاً ويتم دورته حول الشمس في سنة وتسعة أشهر ، طول يومه خمس ساعات وست عشرة دقيقة . وهذا الكويكب يدنو أحياناً من الأرض حتى يصير على بعد (١٣٨٤٠٠٠٠) ميل ، ولقد ساعد هذا القرب الفلكيين على رصده واستطاعوا من ذلك حساب بعد الشمس عن الأرض وكتلة الأرض بدقة متناهية . واختلف الفلكيون في منشأ هذه الكويكبات فمنهم من ذهب إلى أنها تناثرت من صدام كوكبين ، ومنهم من قال بأن سياراً حل به القضاء أي التمزيق والتناثر عند ما اقترب قليلاً من المشترى ، والحقيقة أن العلم لم يصل في هذه النقطة إلى درجة يرضى عنها العلماء ويطمئنون إليها . وقد تبدو هذه الكويكبات لا أهمية لها في علم الفلك ، فهي لا أكثر من أجسام صغيرة جداً تسير حول الشمس ، ولكنها في الواقع ذات قيمة وشأن في بحوث الفلك الرياضي ، فمن حركاتها واقتراب بعضها من الأرض ومن دراسة تأثير المريخ على البعض الآخر من هذه جميعاً وغيرها تتكون لدى الفلكي مادة يمكن بها تحقيق بعض القياسات المتعلقة بالأرض والشمس كما تتكون لدى الرياضي مسائل طريفة في حلها شحذ للعقول ومتعة للأذهان .

« نابلس » قدري حافظ طوقان



دراسات في الفن

الموسيقى روح ومعان

للأستاذ عزيز احمد فهمي

— أهنئك فقد أتقنتِ القهوة اليوم . أين أخوك ؟

— ألا تسمعه ؟ هو هذا الذي يعزف على العود في الحجرة المجاورة . تعال ... تعال اسمع تلميذك النابغة

— لعله الدرس الأول هذا الذي يراجعه

— لا . إنه قطع شوطاً بعيداً في دراسة الموسيقى . إنه يتردد على المعهد الملكي منذ سنتين . وهذا الذي يعزفه لحن صاغه هو

— أعوذ بالله !

— لم ؟

— من هذا الخبط الذي يخبطه . أي معنى له ؟ وأي إحساس فيه ؟

— ليس هذا شأني ، وإن كان هذا هو رأيي

— ناديه !

***

— قيل لي إنك رمت بلحني يا أستاذ ، فهل هذا حق أو هي المكرة تريد أن توقع بيني وبينك الشر ؟ على أني أريد أن أحذرك منها فقد ربتها أمها تربية غربية فهي لا تتذوق فننا الشرقي؛ فإذا كانت قد نقدت أمامك موسيقاي فإنما ذلك لأنها أعجمية الحس

— ما شاء الله ! منذ متى وأنت تقسم الناس إلى عرب الحس وعجم الحس ؟

— منذ دخلت معهد الموسيقى وعلمت أن للشرق موسيقى ينقسم المقام فيها إلى أربعة أرباع بينما لا ينقسم المقام في الموسيقى الغربية إلا إلى نصفين

— أعظم بهذا علماً . أفما كنت تدريه من قبل وأنت تعلم أن في حروفنا العربية « قافاً » و « عيناً » و « حاء » عدمها الغربيون وأن عندنا ستة عشر بحراً من بحور الشعر لها مجزوءات لا تصل إلى عددها أوزان الشعر الغربي ...

— ولكن هذين الفرقين لا صلة لهما بالحس ، فالشعر فيه من المعاني والأخيلة والأحاسيس ما يصلح للترجمة ، فإذا ترجم إلى لغة غير العربية راع أهلها جماله وليس لهم بعد ذلك شأن بقافاته وحاءاته ولا أوزانه وضروبه ...

— وهل تحسب الموسيقى أعصى على العقل والحس من الشعر؟ إنها أسلس منه قياداً لأنها تتجرد مما يثقل الشعر من الألفاظ والكلمات ، فهي لغة النفس التي يفهمها الناس على اختلاف ألسنتهم .. هي اللسان الذي لم يتبلبل .. والذي لا يحتاج إلى ترجمة

— إذن فلماذا لا يطرب الغربيون لموسيقانا ؟

— أولا تطرب أنت لموسيقاهم ؟ أولا يستسيغ المصريون والشرقيون هذه الألحان الغربية التي يدسها بعض الملحنين المصريين في ألحانهم ؟

— بلى !

— أتعرف لماذا ؟ لأن هذه الموسيقى الغربية موسيقى ... وعليك بعد ذلك أن تسأل نفسك ومعهدك لماذا لا يستسيغ الغربيون موسيقانا ... فإذا تعجلت الجواب فهو عندي .

— هاته

— لأن موسيقانا ليست موسيقى ...

— كلها ؟

— لا . أستغفر الله فإن عندنا موسيقى لن تعرفها أنت وأضرابك الصغار إلا يوم يكف المعهد عن الموسيقى .

— وما هي هذه الموسيقى ... أظن أمك تناديك يا أختاه ...

— لماذا كذبت عليها وأخرجتها ...

— لأني بدأت أشعر أنك ستهاجمني هجوماً عنيفاً . وأنا لا أطيق أن أردى فريسة بين مخالب منطقك أمام ابتسامتها الساخرة الشامتة . والآن ها هي ذي قد خرجت فماذا تريد أن تقول ؟

— أريد الآن أن تجيب عما سأوجهه إليك من الأسئلة .

— سل ما شئت .

— ما هو التعريف الذى اتفقنا على أن نحدد به معنى الأدب ؟

— لقد قلنا إن الأدب هو الفن الذى يتجه إلى الحياة بما فيها من مناظر تراها العين، وأصوات تسمعها الأذن ... وإحساسات تشعر بها النفس، وأفكار يدركها العقل

— حسن . وما الذى يجب أن يتوفر فى الأديب تبعاً لهذا ؟

— قلنا إن الأديب لا بد أن يعيش مفتح العين ليرى ما يحيط به، مرهف الأذن ليسمع ما يتعالى حوله من أصوات وما يتخافت، مرقرق النفس ليشعر بما يرفرف حوله من البشائر والنذر وبما ينتاب غيره من انفعالات، متحفز العقل ليتلقط ما ينبث حوله من أفكار وليتخطف ما يتطاير فى جوه من آراء، فيعبدها نهجاً، وينظمها مسلكاً، ويزيد عليها إذا شاء، وينتقص منها إذا أراد، ويبدل منها ويغير ما يحب

— حسن . وما هى الأدوات التى تلزم للأديب فى عمله ؟

— القلم، والمداد، والورق . فهو ينقش بالقلم المسق مداداً على الورق حروفاً وكلمات يراعى فى كتابتها صحة الهجاء، وصحة التركيب، وجمال التعبير، ثم بلاغته آخر الأمر

— أولا يمكنك أن تتصوره يعمل بغير هذه الأدوات ؟

— أما القلم والمداد والورق فيستطيع الأديب أن يستغنى عنها . فقد عرف التاريخ كثيرين من الشعراء الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون . وأما صحة التركيب وجماله وبلاغته فكلها مما تهدى إليه الإنسان سليقته وفطرته

— فإذا لم يكن الإنسان مفطوراً على الأدب ... أفما من سبيل لترويضه عليه ؟

— قد تكون هناك سبيل، هى التربية . فكثرة القراءة تربى فيه الذوق، وإغراؤه بالنقد يمكنه من تبين المحاسن والكشف عن المساوئ، وإرشاده إلى ما فى الحياة من موضوعات صالحة قد يحمله على معالجة بعضها ... على أنه مهما تعلم ومهما تدرب فإنه لن يثمر كما يثمر الأديب الموهوب أدباً ناضجاً شهياً

— فإذا اكتفى « الأديب » بتعلم القراءة والكتابة، وتاريخ الحروف وتطور أشكالها فماذا يكون ؟

— لن يكون أكثر من خطاط !

— يكفينى هذا منك . وعليك منذ اليوم أن تقلع عن الموسيقى فلست منها إلا كالخطاط من الأدب

— لا يا أستاذ . إنى أدرس الموسيقى فى المعهد الملكى منذ سنتين، وأنا أحفظ عشرين بشرفاً، وعشرة موشحات، وخمسة أدوار، وقد بدأت فلحنت هذه القطعة التى سمعتها اليوم

— ليتك لم تفعل . فأنت اليوم إذ لحنت هذه القطعة كنت كشيخ الكتاب الذى حفظ القرآن ولم يفهمه، والذى حفظ المعلقات السبع ولم يقرأ لها شرحاً ولا تفسيراً، والذى يكتب فلا يخطئ فى الهجاء ... ثم سولت له نفسه بعد ذلك أن يكون شاعراً فصنع كلاماً حسبه شعراً وما هو بالشعر ... إسمع يابنى ... إذا كنت تريد أن تلحن فاختبر نفسك أول الأمر وانظر: هل هيأك الله للتلحين؟ فإذا لم يكن قد هيأك له فاعدل عنه يابنى واكتف بالعزف

— ولكنى أحب التلحين

— إذن لحن فى السر، ولا تطلع أحداً على بليتك

— لا حول ولا قوة إلا بالله ... ولكن كيف أستطيع أن أعرف إذا كان الله قد هيأنى للتلحين أو أنه قدضن على بما يؤهلنى له ؟

— كم هى الحواس التى أنعم الله بها على الإنسان ؟

— خمس ...

— لنفرض هذا جدلاً

— وهل اختلفوا فى عدد الحواس أيضاً ؟

— وما أشده من خلاف ... الدنيا تتقدم يا بنى وأنتم فى معهدكم لا تزالون آخذين بخناق ذلك اليوم الذى أغرى فيه مديركم بالعزف على القانون ... هم يقولون اليوم يا بنى إن للانسان حاسة سادسة أسموها الحاسة العامة، ويقولون إن له حاسة سابعة هى الحاسة الدينية، ويقولون إن له حاسة ثامنة هى الحاسة الفنية ؛ ولكنى أقعد بك عند الحواس الخمس فلست أريد أن أتعب نفسى كثيراً معك ... والآن لعلك تعرف أن كل حاسة من الحواس الخمس تشغل المخ بما يؤثر فيها إذ تنقل إليه ما انتابها من الأثر ...

— أعلم هذا فقد درسته فى علم النفس ...

— فى المدرسة لا فى المعهد طبعاً ... أريدك الآن أن تتخيل نفسك وقد وقفت فى ميدان ابرهيم باشا خمس دقائق ... فما الذى ترى أن نفسك أو « مخك » قد اشتغل به ... ؟

— تمثال إبرهيم باشا . المتاجر الكثيرة . الشارب العامة والجالسون فيها . المارون فى الطريق وأخصهم الحسان . السيارات الرشيقة . الدواب المتعبة

— كفى كفى ... لو أنهم سألوك هذا السؤال حين أردت أن تدخل المعهد فأجبت هذه الإجابة، وكانوا يعلمون، إذن لوفروا عليك جهدك ولأنبأوك بأنك فاشل فى الموسيقى، فاشل، فاشل ...

— عجباً .. وما دخل ميدان إبرهيم باشا وما فيه من مركبات ومتاجر ... في النهد والموسيقى ...

— اسمع يا بني ... لو أنك راجعت ما سردته على مما يشغلك وأنت في ميدان إبرهيم باشا لرأيت أنك لم تحص غير منظورات تراها العين ، وأنك حتى حين أحصيت السيارات وصفتها بأنها رشيقة وهو وصف فيما أظن ينصب على شكلها وحركتها ولا ينتبه إلى صوتها ولا يلتفت إليه ... وهذا يدل على أن نفسك تطل على الحياة من عينيك لا من أذنيك ... والموسيقى يا بني يستطيع أن يعمى وأن ينتج ، ولكنه لا يقوى على الإنتاج إذا صمت أذناه.

— وما رأيك في بتهوفن الذى كان يلحن وهو أصم ؟

— إن الصمم لم يدركه إلا على كبر بعد أن اختزن في نفسه من صور الأصوات وخيالاتها ما جعله بعد صممه مادة لفنه ؛ ولو أنه ولد وهو أصم لما استطاع أن يتكلم فما بالك بالموسيقى والتلحين ... هل سمعت أبكم يغنى ... أو هل رأيت أعمى يرسم ؟ الفنون يا بني ليست شيئاً غير تركيب « الخامات » التى تحصل عليها النفس وتأليفها تأليفاً منسقاً.

— وما هي هذه « الخامات » التى تحصل عليها النفس ؟

— هى الأحاسيس والانفعالات التى توصلها الحواس إلى المخ. هذه هي المنظورات ، والمسموعات ، والمشمومات ، والمذوقات ، والملموسات ، والمدركات ... تستقر في النفس مختلف عددها ، وصاحب الفن يؤلف منها فنه ... فإذا كانت نفسه تتلقى بطبعها منظورات أكثر من المسموعات فهو أصلح للرسم منه للموسيقى ؛ وإذا كانت نفسه ترحب بالمدركات المعنوية المجردة أكثر مما ترحب بغيرها فهو أصلح للفلسفة والأدب النقلي ؛ وإذا كان الله قد منحه قوة في أنفه فهو يشم ويميز الروائح أكثر من غيره كان أصلح الناس لإنتاج الروائح العطرية وتأليفها ، وأظنك لا تنكر على أصحاب الروائح الجميلة أنهم كأصحاب الألحان الجميلة ، فهم الذين يلهمهم ذوقهم إضافة البنفسج بنسبة خاصة ، إلى الليمون بنسبة خاصة ، إلى الورد بنسبة خاصة فيخرجون بعد ذلك رائحة تطيب للغواني وعشاقهن

— ما هـذا ؟ لقد فتحت لى باباً لم أكن أحسب أنه مسلك إلى الفن ...

— ولا مسلك غيره يا بني ... ولا يمكنك أن تخطو في سبيل الفن خطوة واحدة حتى تعبر هذا المدخل ...

— فإذا عبرناه وأردنا أن نخطو في سبيل الموسيقى الخطوة الأولى فكيف نخطوها ؟

— كما خطونا في دراسة الأدب الخطوة الأولى . فكل صوت في الموسيقى يشبه الحرف في الكلام ، والنغمة تعادل الكلمة ، ومجموعة النغمات تعادل العبارة أو الجملة وهي التى تسمونها في معهدكم « فرازا » وهى كلمة إيطالية معناها « عبارة » ولكنكم قد لا تعلمون هذا ... ومجموعة العبارات الموسيقية هذه يتألف منها اللحن الذى نسمى ضريبه في الأدب موضوعاً ، وفي الرسم صورة . وموضوع الأدب تقرأه فتخرج منه إما بفكرة وإما بعاطفة وإما بشيء من هذه الأشياء التى اتفقنا على أن الأدب يعالجها . واللحن ، أو الموضوع الموسيقى ، إذا لم يؤد ما يؤديه الموضوع الأدبي لم يكن شيئاً . وأنت إذا لم تستطع أن تعبر بلحنك عن عاطفة أو فكرة أو صورة صوتية لم تكن موسيقياً ، وكان من الخير لك — كما كررت عليك — أن تقلع عن الموسيقى

— لم أفهم شيئاً .

— لأنك من تلاميذ معهد الموسيقى . اسمع مرة أخرى . في الطبيعة موضوعات تصلح مادة للأدب ، وفيها موضوعات تصلح مادة للرقص (وهى الموضوعات الحركية) وفيها موضوعات تصلح مادة للموسيقى ... وهكذا ... أما الموضوعات التى تصلح للأدب فقد تعرفناها ، وأما الموضوعات التى تصلح للرسم فلعلك تعرف أنها هـذه الأشكال وهـذه الألوان التى تراها العيون فينقلها الرسام الجامد نقلاً أميناً ، ويلفقها الرسام المهندس تلفيقاً جديداً ، ويؤلف منها الرسام ذو الروح ، والفكرة ، والعاطفة موضوعاً ذا أشكال وألوان يعبر بها عن فكرته وعاطفته . . . والأمر في الموسيقى لا يختلف عن هـذا ... فأصلها مأخوذ من أصوات الطبيعة ، فأهون الموسيقيين هو من يقلد صوت البلبل ، وحفيف الشجر ، واصطخاب الموج ، وقصف الرعد ، وهزيم الريح ... كل صوت على حدة . وأشد منه تمكنا من الفن هو الذى يجمع هذه الأصوات في موضوع صوتي أو في لحن كما تسميه .

وهناك من الموسيقيين ملحنون اجتماعيون يصفون بألحانهم بيئات الناس المختلفة وطوائفهم المتباينة ، ومن الموسيقيين مزخرفون نقاشون يرصون الأنغام بعضها إلى بعض في أسلوب هندسي يلذ للأذن فيطرب النفس ولكنه لا يحمل إليها معنى من المعاني ، وليس يشبه هؤلاء أحد في الأدباء إلا إذا كان هناك أدباء يرصون الألفاظ رصًّا جميلاً لا يهمهم بعده ما يحملون هذه الألفاظ والجمل من المعاني والاهتزازات النفسية . . . وإنما لهؤلاء أشباه في الرسامين الذين ينظمون الخطوط مربعات ومخمسات ومسدسات

ودوائر وقطاعات في نظام جميل ترتاح له العين ومن ورائها ترتاح النفس. وإن لم يكن لرسومهم معنى. فأي واحد من هؤلاء أنت؟

— أنا لم أسمع بهذا من قبل . . . وأرجو أن توضحه لي بأمثلة

— لا بأس . هل سمعت في معهد الموسيقى بسيد درويش؟

— نعم وأحفظ له دور «أنا هويت»

— ولا شيء غير «أنا هويت» . إنهم يخفون عنكم سيد درويش لأنهم لو أظهروكم عليه لنفرتم منهم ... ولكني لا أظن ذلك أيضاً ... فأغلب الظن أنهم لا يعرفونه ... كما أنك لا تعرفه إلا كما قد تعرف محمد عثمان . فأدوار سيد درويش على ما تحررت من قيود الصناعة فإنها لا تزال مقيدة بنهج «الدور»؛ فإذا أردت أن تعرف ذلك الرجل الذي هو المثل الكامل للموسيقى المصري فعليك أن تسمع مسرحياته . ففي هذه المسرحيات ترى أغلب هذه الألوان الموسيقية التي حدثتك عنها ، ففيها ألحان عرض فيها سيد درويش العواطف والنزعات النفسية المختلفة فكانت هذه العواطف موضوعات ألحانه؛ وفيها ألحان كانت موضوعاتها الطبيعة الجامدة فصور فيها الرياض والجنان، والصحاري والبحار؛ وفيها أيضاً ألحان كانت موضوعاتها البيئات الاجتماعية المختلفة للمصريين وغير المصريين . وأما زخارفه الموسيقية فتلمسها في موشحاته وأدواره على الرغم من أنه لم يستطع أن يكبت إذ صاغها روحه تخرج بها عن تقاليدها القديمة ونفث فيها من الحياة ما قربها من الموسيقى التمثيلية وإن استبقى لها اتجاهها الزخرفي الهندسي . وذلك لأنه كان موسيقياً له وراء الأذن الحساسة المرهفة نفس حساسة مرهفة ، وعقل ذكي حاذ

— إذن فما الذي تريدني أن أصنعه حتى أكون موسيقياً خالقاً ما دمت أشعر في نفسي الميل إلى الموسيقى ؟

— أما أنت فإني يائس منك . ولكن الذي يريد أن يكون موسيقياً مبتدعاً فعليه أول الأمر أن يسمع الدنيا ، ثم عليه أن يشعر بها ، ثم عليه بعد ذلك أن يحاول التعبير عن شعوره بالموسيقى؛ فإذا اهتم بنقد غيره ممن سبقوه إلى التعبير عن أنفسهم بها فإنه قد يبدأ إنتاجه الفني مقلداً ثم لا يلبث حتى يتميز بطابع خاص به في موسيقاه

— وهل للملحن أيضاً طابع خاص كالأديب ؟

— وهل في الدنيا صاحب فن خلاق وليس له طابع خاص به إلا في مصر حيث يباح السطو والترقيع ؟!

— الآن كأني بأهل المعهد لا يعلموننا شيئاً ... فهم لا ينهجون في تربيتنا الموسيقية هذا النهج ...

— أستغفر الله . إنكم تتعلمون العزف فيما أظن كما يتعلمون الكتابة والقراءة في الكتاتيب ... ويكفي معهدكم فخراً أن به آلات كثيرة مختلفة الأشكال متباينة الأصوات ... وهو في فخره بهذا كمدرسة الفنون الجميلة العليا عند ما تفخر بأن فيها مجموعة كبيرة من ألوان الماء، وألوان الزيت، وألوان الرصاص ....دعنا الآن من هذا وانتقل على موضوع الإنشاء الذي اتفقنا على أن تكتبه

— أرجو أن تسمح لي بسؤال قبل أن أقرأ الموضوع

— سل ما شئت

— هب أنك مدرس في معهد الموسيقى وأنك أردت أن تضع أسئلة امتحان الدبلوم للطلبة فكيف كنت تضعها ..؟

— كما أضع لك أسئلة الأدب كل عام . فليست الموسيقى إلا أدب الأذن ...

— أرجو أن تملي على بعض هذه الأسئلة لأحاول الإجابة عنها . . .

— لا بأس ... أكتب :

١ — صف باللحن قرية مصرية عند الفجر ، أو حبيبين التقيا بعد غيبة طويلة

٢ — صف باللحن جماعة من الفلاحين في الحقل

٣ — ضع لحناً يصور أسرة تودع فتاها الذاهب إلى الحرب

٤ — أنقد موشحة «منيتي عز اصطباري» لسيد درويش ووازن بينها وبين موشحة «طاف محبوبي» لكامل الخلعي

٥ — أذكر تاريخ حياة موسيقي مصري، واذكر العوامل الاجتماعية والطبيعية والدراسية والاقتصادية والعاطفية التي أثرت في موسيقاه ، موضحاً إجابتك مع الشرح بالأمثلة

٦ — ما الفرق بين الموسيقى التمثيلية والموسيقى الزخرفية، ومن من الموسيقيين المصريين الأحياء تراه ينهج النهج الأول ومن منهم تراه ينهج النهج الثاني ؟

٧ — سمعت لأول مرة دور «إمتى الهوى ييجي سوا» ، وسمعت لأول مرة مونولوج «ياغائبا عن عيوني» فأدركت أن الأول من تلحين زكريا أحمد، وأن الثاني من تلحين محمد القصبجي فكيف استطعت الوصول إلى هذا الحكم ؟

٨ — ما هي العيوب التي تلاحظها في موسيقى عبد الوهاب —

(البقية على صفحة ٧٥٠)

السيدة ملك ...

من الوجهة الفنية

للأستاذ محمد السيد المويلحي

أعتقد أن أعظم اللغات ذيوعاً وقوة لا تستطيع أن تكون لغة عالية يفهمها الجميع ، ويتخاطب بها الجميع . ولكن الموسيقى : ملك اللغة الصامتة السامقة التي تؤثر في النفوس جميعاً ، وتأسر الأرواح جميعاً ، وتربط بين النفوس برباط قوى مكين ، هي وحدها ملك اللغة (العالمية) التي تترجم الخوالج المختلفة ، والإحساسات المتنافرة . . .

على أن أسماها وأبقاها وأدناها إلى القلب والروح ما كان صادراً عن قلب وروح . ولن تجد قلباً وروحاً يؤثران في النفس ، ويأسران الحس كقلب (ملك) وروحها التي وهبتها للفن خالصة

موسيقية عظيمة قديرة ، تعيش عيشة مثالية ، هي جماع ما في الإنسانية من مثل عليا . أقول : « موسيقية » . ولا أقول : «مطربة» . لأنها انفردت — وحدها — من بين جميع مطرباتنا بدراسة واسعة ، وبثقافة علمية مكنتها من إتقان اللغات الفرنسية ، والإنجليزية ، والعربية ، وبثقافة موسيقية أتاحت لها أن تلحن جميع ما تغنيه بنفسها تلحيناً إن دل على شيء فعلى قدرة قادرة ، وعلى مكنة ودراسة عميقة هيأت لها هذا التوفيق ، وهذا اللون الذي يزجى إلى النفوس أرفع ما في الفن من جمال ونبل !

أصغر مطرباتنا سناً ، وأعظمهن إلماماً بعلم الموسيقى ، وأقدرهن على العزف بالعود عزفاً يضعها في الصف الأول بين عازفينا الكبار؛ وليس ثمة من يقرب منها في العزف بين المطربات إلا نادرة ، وأم كلثوم ، وهما الوحيدتان اللتان تلمان بالعزف . . .

يتركب صوتها من خمسة عشر مقاماً وهو من نوع : (الكونترآلتو ، والتينور ، والميزوسوبرانو) . وهذه المطربة الوحيدة (بين النساء) في التاريخين الحديث والقديم التي يمتاز (ديوانها) الأول بأنه (تينور) .

صوت غنى بذبذباته (تربولاته) حتى ليهيء للسامع حين شدوه أن هناك أكثر من صوت واحد يغرد ، وهو يتمتع (بنفس) طويل يمكنه من الاستمرار في الغناء أكثر من دقيقة دون أن ينقطع للزفير أو الشهيق ، ولولا أن صاحبته تغنم فكيها عند الغناء لأهلكت من يسمعها ، ولعل هذا من رحمة الله بالناس



خرجت على الناس بلون جديد من التلحين الشرقي العربي البحت الذي تجري السلامة في أعطافه ولم يخضع لشهوة السرقة والمزج باللون الغربي ، فعرف كيف يملك القلوب بسحره الآسر ، وأثره الساحر ، وعرف كيف يلجم هؤلاء الذين يرمون الموسيقى العربية بالعقم والضعف وانعدام التصوير والتلوين وعدم إبراز العواطف الإنسانية في إهابها الحق الذي يترجمها الترجمة الصادقة .

قلنا إنها تغنى بقلبها وروحها ، ولهذا سميت (مطربة العواطف)؛ وليس معنى هذا أنها تعتمد كثيراً على الآهات والأنات واللون المسترخي البغيض الذي يشيع تخنثاً وشهوة ، والذي لا يعتمد إلا على استغلال أحط الغرائز في جمهرة السامعين

ولو أتيح للقارئ أن يسمعها مرة تسمع شعراً قوى الأسلوب سامى الخيال ، رفيع الغاية ، ولسمع تلحيناً شرقياً عربياً يأخذ

بمجامع القلوب . ولعل (ملك) أول من غنى شعراً حماسياً يلهب الجوانح ويدفع دفعاً إلى التضحية . فقد أخرجت للناس سنة ١٩٢٨ قطعتها الخالدة :

بني مصر صونوا حياة الوطن   فقد حاربتها عوادي الفتن

***

تمتد بنفسها اعتداداً يبلغ حد الكبرياء ، وتسمح للغضب أن يستحوذ عليها ليجعل منها (عصبية لا تطاق) : تمتاز بثروة فنية عظيمة ، فهي تحفظ جميع قصائد المرحوم الشيخ أبي العلاء ، وجميع أدوار المرحوم الشيخ سيد درويش ، وعدداً كبيراً من الموشحات القديمة الفنية بالنغمات المختلفة و (بالضروب) المتباينة ، ومجموعة عظيمة من أدوار : الجولى ، ومحمد عثمان ، والمسلوب الخ

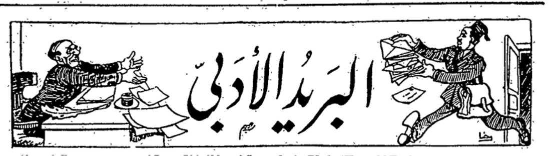
أكبر الظن أن أغلب القراء لا يعرفون أن (ملك) حاصلة على (البكالوريا) وأنها تقدمت عام ١٩٣١ لتجتاز امتحان (الليسانس) ولولا زواجها وتتلمذ من أحد قضاة الدرجة الأولى لكانت الآن (الأستاذة ملك) ولكنها فضلت حياة البيت ، وحياة الزوجية ، وكانت المثل الأعلى للزوجة الرحيمة الوفية ، وكان بيتها (جنة) ولكن (آدم) لا يحب أن يسكن الجنان ... فخرج منها بعد خمس سنوات مضت كالسراب الخاطف ، ورجعت هي إلى فنها لتعول نفسها بصوتها ، بصوتها ، بصوتها ، وأكررها ألف مرة حتى يعلم الناس جميعاً كيف ينحنون أمام قدس الشرف الرفيع الذي لا يعجب بعض الناس في هذا الزمن فيحاربونه بأحط الوسائل ، ثم بعد هذا يرفعون رؤوسهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ما داموا قد انتقموا لشهواتهم من أقوات الشريفات الطاهرات اللاتي يعتقدن أن الرزق بيد الله وحده ... !

رب قارئ يقول وكيف لم تسمع إليها محطة الاذاعة وهي التي تقدم من لا تجرؤ على أن تكون تابعة لها في إطار الطرب الكبيرة ، والجواب عند المحطة نفسها وأظن هذا يكفي لكشف الحقيقة للقارئ ... !

قد نعجب إذا علمنا أنها ابتدأت حياتها الفنية وهي بنت عشر سنوات (عند نعيمة المصرية في كازينو الهمبرا) بمبلغ عشرين جنيهاً في الشهر فلم تمض سنوات ثلاث حتى كانت تشتغل في (مونت كارلو) والبوسفور (ماتنيه وسواريه) بمبلغ ثلثمائة جنيه في الشهر ...

سنراها قريباً على الشاشة ولعلها تنجح في التمثيل السينمي كما نجحت في الموسيقى ، وأظنها ناجحة

محمد السيد المويلحي



حول إنسانية الرسول

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد أحمد الغمراوي تحت هذا العنوان في مجلة الرسالة الغراء عدد (٣٠٠) فعجبت لأنه ينسب إلى خطأ أعجب من خطأ الأستاذ زكي مبارك فيما رددت به عليه في العدد ٢٩٨ وهذا لأني بحثت فيما أخذه علي فلم أجد فيه ما يصح أن يكون خطأ، أو أن يشغل وقته الثمين بالرد عليه. ولقد قرأ كلمتي كثير من علماء الأزهر وطلابه، فسروا بها سروراً عظيماً، وبلغ من سرور بعضهم أن سعي إلى فأخبرني بأنه كان في نفسه شيء من مقال معروف لي، فذهبت هذه الكلمة بما في نفسه، وأظهر لي من السرور بكلمتي ما أظهر

أما الذي أخذه الأستاذ الغمراوي علي فهو تكلف لم يكن هناك داع إليه، لأني إذا كنت أطلقت في أمور الدنيا التي قلت إنه لم يكن للوحي شأن بها، فقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أيضاً حين قال: « أنتم أعلم بأمور دنياكم » ولا شيء في هذا الإطلاق، لأن كل شخص درس دين الإسلام، يعرف أن المراد بأمور الدنيا في ذلك هي ما يعرفه الناس بالتجربة من نحو حرث وزرع وسقي وصناعة وتجارة، وما إلى ذلك من كل ما لم يأت الدين ليعلمهم إياه. وأما غير ذلك من أمور الدنيا مما يدخل في قسم المعاملات، كالبيع والنكاح والطلاق، فهو من أمور الدين، كما هو من أمور الدنيا، وشأنه في ذلك شأن العبادات سواء بسواء، وقد عنيت كتب الفقه الإسلامي ببحث القسمين حتى صارا في نظر المسلمين جميعاً كشيء واحد، ولهذا فهم كل من سر بكلمتي أن القسم الثاني من أمور الدنيا داخل في أمور الدين التي ذكرت اختلاف العلماء في جواز اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيها، وكذلك وجوب تنبيهه صلى الله عليه وسلم بالوحي إذا أخطأ أمر مقرر في كتب الأصول، وهي في متناول أيدي الناس والسلام ورحمة الله على الأستاذ.

عبد المتعال الصعيدي

للبستي لا لأبي تمام

عزا الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن شكري في مقالته (أبو تمام شيخ البيان) في الجزء السابق من (الرسالة) الغراء هذا البيت:

من كل بيت يكاد الميت يفهمه حسناً ويعبده القرطاس والقلم[1]

إلى أبي تمام « أستاذ كل من قال الشعر بعده » — كما قال المتنبي — والحق أن هذا القول من خير ما يوصف به شعر حبيب. ولكنه ليس له ولم يشتمل عليه ديوانه، وبعض ما عند أبي تمام أو أبي التمام كما يسميه الحسن بن رجاء يكفيه. وهل من الإنصاف أن يعطى العظيم القوي الغني قوت المساكين

عجباً للناس في أرزاقهم ذاك ظمآن وهذا قد غرق

والبيت الميمي إنما هو للبستي. وقد نسبه إليه نسبة صادقة صديقه الإمام عبد الملك الثعالبي في (اليتيمة) في أول سيرته قال: « أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس البديع التأسيس، وكان يسميه المتشابه، ويأتي فيه بكل طريفة لطيفة. وقد كان يعجبني من شعره العجيب الصنعة البديع الصيغة قوله:

من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسناً ويعبده القرطاس والقلم »

وبعد فما جئنا إلى الأديب الكبير الأستاذ (شكري) ناقدين وإنما أقبلنا مثنين على أدبه العالي وبحثه ومحيين

(القارئ)

مسألة فيها نظر

للدكتور اسماعيل احمد أدهم رأي في سياق دراسته لمطران نشر في المقتطف يتصل بتأثر بعض الأدباء في بعض، وقد عقب عليه الأستاذ عبد الرحمن شكري في العدد الأخير منها، فأرسل

---

(١) لأبي تمام في تقريظ شعره شيء كثير، منه قوله:

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى والليل أسود رقعة الجلباب
بكراً تورث في الحياة وتنثني في السلم وهي كثيرة الأسلاب
ويزيدها مر الليالي جدة وتقادم الأيام حسن شباب

الدكتور أدهم إلينا هذه الكلمة تعليقاً على ذلك التعقيب، والمسألة لاتصالها بتاريخ الأدب تحتاج إلى تمحيص ودرس

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة

قرأت كلمة الأستاذ عبد الرحمن شكري مدرجة بعدد المقتطف الذي صدر في أول أبريل سنة ١٩٣٩ تعليقاً على دراستي عن خليل مطران: وإن ما أعلمه من تبحر الأستاذ الشاعر في الأدب يسمح لي بأن أذكره بأن الناقد لا يأخذ برأي المنقود أخذاً تاماً، وقد يخالفه في نفس معتقده ولو مس شخصه، وهذا غير خاف عن مثله. وبناء على ذلك فقد كتبت ما كتبت وقد خالفت فيمن خالفت الأساتذة طه حسين والزهاوي وأبو شادي وتوفيق الحكيم وغيرهم في الدراسات التي كتبتها عنهم

ويقيني المستخلص من مطالعاتي أن الأستاذ عبد الرحمن شكري تأثر باتجاهات مطران تأثراً قوياً. وللأستاذ شكري أن يتبرأ من ذلك، ولكن مثل هذا التبرأ لن يغير من استنتاجاتي شيئاً لأنها تقوّمت بأسباب دقيقة إن لم أذكرها في ختام دراستي عن مطران حين أعرض لأثر مطران الكبير في الشعر العربي الحديث، فإن لها مكانها في بعض الدراسات الآتية

وأكرر بهذه المناسبة تقديري العميق لأدب الأستاذ شكري وزميليه الفاضلين، وليس لي أي غاية من دراساتي سوى التحقيق من سبل الدرس التحليلي حسب المقدمات التي تجمعت تحت يدي

أما إذا كان الأستاذ شكري يرى نقصاً في هذه المقدمات فله أن يظهره، وعلى كل حال فأنا في انتظار البيان الذي يعدني بنشره والذي فيه بعض ما يخالف ما جاء في البحوث التي نشرتها إلى اليوم من دراساتي عن مطران. وإلى أن ينشر بيانه فأنا على اعتقاد بصحة ما جاء في سلسلة البحوث التي نشرتها

اسماعيل أحمد أدهم

الإسلام والدعاية النازية

أعلن الهر جوبلز وزير الدعاية في الريخ أن خمسة وعشرين ألفاً من الألمان سيعتنقون الإسلام، والمسلمون في أقطار الأرض يغتبطون أن يهتدي إلى دينهم هذا العدد الضخم من أعداء السامية، ولكن إعلان هذا الخبر على لسان وزير الدعاية النازية يشككنا في إيمان هؤلاء الإخوة، ويحملنا على أن نظنهم فرقة من الجيش صدرت إليها الأوامر بالقيام إلى (مهمة حربية) بهذا السلاح وعلى هذه الصورة. وقد علمنا نابوليون وغلي ولورنس أن اعتناق الإسلام قد يكون في بعض الأحيان أقصر الطرق إلى الغاية الاستعمارية. على أن المسلمين اليوم أنفذ بصيرة وأصح تمييزاً من أن تدخل عليهم هذه الحيل المكشوفة؛ فهم يعتزون بوطنيتهم كما يعتزون بعقيدتهم، وهم مصممون على أن يدفعوا عن وطنهم كل دخيل طامع، كما يدفعون عن دينهم كل عابث خادع

حول عياش بن أبي ربيعة

سيدي الأستاذ الزيات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد فلقد قرأت في العدد رقم ٣٠٠ من «الرسالة» الغراء كلمة الأديب الفاضل درويش الجبيل في البريد الأدبي، فحمدت له نقده لبعض ما جاء في قصة عياش؛ غير أنه وقف عند رواية ابن هشام في سيرته فحسب

ولو أن الكاتب الأريب ضم أشتات القصة من مظانها - وهي مبثوثة في أضعاف كثير من كتب التاريخ والتفسير - فجمع رواية ابن هشام في سيرته، إلى رواية ابن جرير الطبري في تفسيره، إلى راوية الواحدي في كتابه (أسباب التنزيل)، إلى غيرها... لاطمأن إلى ما كتبت، ولانصف ما جاء في مقالي عن عياش

ولست الآن بسبيل أن أنشر على عيني الأديب الفاضل ما جاء في الروايات المختلفة ليقارن هو بينها، فيستخلص رأياً هو الرأي الذي تحدثت به آنفاً، فالمكان ضيق وأنا في شغل.

كامل محمود حبيب

وحي الشاعرية

وقع في هذه القصيدة التي نشرناها للسيد حسن القاياتي تحريف يسير نصححه فيما يأتي:

كم فاتك حرس الجمال مخافة ... أن يستثير من الحسان الأعينا

إن الذي خلق الصباحة زينة ... قالوا تغضّب أن تلوحَ فنُفتَنا

***

يا موحياً سور الأشادة رقية ... أنا شاعر صفني، ولكن من أنا

تصحيح

جاء في البيت الثاني من قصيدة الأستاذ أحمد الصافي النجفي (قلعة بعلبك) المنشورة في العدد الماضي من الرسالة كلمة (حرتُ) وصوابها (صرتُ)

عصبة الأمم، غايات العصبة ووسائلها وأعمالها

نشرت سكرتارية العصبة هذه الأيام نسخة عربية لكتابها المعروف باسم «غايات العصبة ووسائلها وأعمالها» ولم ينشر هذا



كتابان

١ — التربية النظامية : تأليف البكباشي علي حلمي
٢ — الجيش المصري في عهد محمد علي :
تأليف اليوزباشي عبد الرحمن زكي

— ١ —

لا شك أن القوة هي الأداة المسيطرة على كيان الأمم وحياة الشعوب ، ولا شك أن النظام هو الأداة التي تهيئ للقوة وتمد النفوس والأجسام لاستكمالها ، ونحن أمة في مطلع حياة جديدة ، حياة الجهاد والنهوض ، فأحوج ما نحتاج إليه إنما هو الأخذ بأسباب النظام ومظاهر القوة حتى نستطيع أن نحفظ كياننا ونأخذ مكاننا بين الأمم والشعوب ...

وهذا كتاب في « التربية النظامية » ، وضعه حضرة الفاضل البكباشي علي حلمي أركان حرب مدرسة البوليس والإدارة ومدرس نظام البوليس ، والكتاب جملة طيبة من المعلومات الدراسية ، والتجاريب التي حصلها المؤلف الفاضل بالرحلات العلمية في مصر وخارجها ، إذ تم له زيارة مديريات القطر ، والمرور بأغلب الشواطئ المصرية ، والواحات الخارجية ، وبلاد النوبة والسودان ، كما تم له زيارة فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا وتركيا واليونان والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين ... قال المؤلف : وقد عنيت أثناء هذه الرحلات بالبحث عن كل ما يتصل بالتربية النظامية وأنظمة البوليس والإدارة وأعمالها ، والنظم القضائية والاجتماعية المرتبطة بالأمن العام وشؤون السجون والإصلاحيات ومصير المفرج عنهم وكل هذا إلى جانب ما اكتسبه بالخبرة من الخدمة الطويلة التي تبلغ نحو ثمانية وعشرين عاماً بين وحدات الجيش والحرس الملكي والتدريس والإدارة بالمدرسة الحربية ، ومن هذا المعين استمد

الكتاب من قبل إلا باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وقد أظهرت العصبة بهذا العمل تقديرها العظيم للمنزلة التي تنالها اللغة العربية يوماً بعد يوم في ميدان الثقافة والسياسة

وكان الدافع إلى نشر هذا الكتاب باللغة العربية كثرة الطلبات التي أبداها عدد عظيم من الجماعات الدولية لكتاب عربي يتناول أعمال العصبة ويقبل الناس على قراءته إقبالاً كبيراً

وقد ظهرت الطبعة الأولى باللغة الافرنجية في سنة ١٩٣٥ وكانت موضوعة في أسلوب سهل واضح ، ولاقى الكتاب نجاحاً عظيما في أنحاء العالم باللغتين الانجليزية والفرنسية فكان هذا النجاح حافزاً إلى إعادة طبعة عدة مرات

والكتاب في هذه الطبعة الحديثة المنقحة مقسم إلى أربعة أقسام

القسم الأول : وقد خصص للشؤون التي يهتم بها الرأي العام في العالم مثل النظام الدولي قبل وجود العصبة ومثل نظام العصبة وغاياتها ووسائلها

القسم الثاني : ويصف أعمال العصبة سياسية وفنية

القسم الثالث : ويتناول أعمال محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي (وهي المحكمة التي أنشأتها العصبة) وأعمال مكتب العمل الدولي

القسم الرابع : ويتضمن النص الكامل لميثاق العصبة

وقد وضع هذا الكتاب خالياً من النزعات الخاصة ، ولم يحاول فيه إخفاء الأزمة السياسية التي تجتازها العصبة الآن ، على أن الآمال المعقودة على مستقبلها العظيم لم يرد ذكرها بين سطوره . وإن في الطعن والسخرية اللذين يوجههما إلى العصبة أعداؤها المكابرون في كثير من الإلحاف والشدة لدليلاً واضحاً على الاعتراف بالنتائج الجليلة التي ينتظرها العالم على أيدي هذه العصبة

والكتاب يحتوي على ٢١٤ صفحة وثمنه شلنان أو ١٨ فرنكا فرنسياً ، ويطلب من قسم النشر بسكرتارية عصبة الأمم بجنيف

المؤلف مادة كتابه ، وهو كما ترى معين فياض حافل بالدراسة والاطلاع والتجربة والمشاهدة والنظر والاقتباس

فالمؤلف الفاضل قد حفل لكتابه ، ووفر له من المادة والمعلومات ما يكافئ خطر الموضوع الذي يعالجه ، وهو موضوع مجهول في أكثر نواحيه من قراء العربية على شدة الحاجة إليه والرغبة فيه ، ولقد وضع المؤلف كتابه على نسق قويم من النظام المرتب ، والتقسيم المبوب ، فهو يشتمل على ستة أبواب ، وكل باب يشتمل على جملة فصول ؛ ففي الباب الأول تكلم عن النظام وأثره في نهضة الأمم ، وعلاقته بالفرد والمجتمع ومظاهره في الأمم الراقية في القديم والحديث ، ومدى حظنا من ذلك ، والوسائل التي تأخذ بأيدينا إليه ، ولم ينس في ذلك القرية المصرية وإصلاحها الاجتماعي ، ووسائل الثقافة العامة للشعب . وفي الباب الثاني تكلم عن سلامة الدولة ، وتعاون الشعب والبوليس على حفظ الأمن والنظام واحترام القانون . ثم تكلم في الباب الثالث عن نصيب الجمهور في مكافحة الإجرام ووقاية الأمن من الجرائم والمعاونة على ضبط الحوادث . وفي الباب الرابع تناول الكلام على نظام المرور في الأمم الأوربية ومدى اهتمامها بشأنه وحاجتنا إلى الأخذ بنظمهم ووسائلهم . وفي الباب الخامس تكلم عن التدريب العسكري والتربية البدنية في المدارس والمعاهد والجامعات والمناهج التي قررتها وزارة المعارف في ذلك . فلما كان الباب السادس وهو آخر أبواب الكتاب تحدث المؤلف عن مفاخر الجيش المصري ، فجاء في ذلك بعرض تاريخي شامل من عهد الفراعنة ، أيام تحتمس الثالث حتى أيام جلالة الفاروق حرسه الله ، إذ جعل للجيش من عنايته ورعايته أكبر نصيب ، فسار الجيش في طريق النجاح إن شاء الله

وقد زين المؤلف الفاضل كتابه بكثير من الصور والرسوم ، يوضح بها فكرته ، ويشرح غرضه ، وعني على الخصوص بالصور الشمسية لأسلحة الجيش الحديثة في نظامه الجديد ، فجاء الكتاب في بابه وافياً يشبع العقل ، أنيقاً يمتع الذوق . وإنها ليد كريمة أسداها المؤلف لأمته ، وبرنامج شامل وضعه للذين يعنيهم الترقي بالأمة المصرية في مدارج الرقي والنهوض ، والأخذ بأسباب النظام والقوة والبناء السليم . وإنا لنرجو أن يكون المؤلف الفاضل قدوة صالحة لإخوانه ومن هم في مثل عمله ممن يحصرون مواهبهم ومعلوماتهم بين جدران الوظيفة ، وفي حدود الرسميات ، وإنها لحدود ضيقة تقتل المواهب وتودي بالنبوغ ، وإن من الخير لأنفسهم ولأمتهم أن يجلوا معلوماتهم وتجاربهم للناس فيفيدوا ويستفيدوا

— ٢ —

وهذا كتاب آخر هو في الواقع حلقة تتصل بنظام الكتاب السابق ، وضعه مؤلفه الفاضل اليوزباشي عبد الرحمن زكي أمين المتحف الحربي عن (الجيش المصري في عهد محمد علي باشا الكبير) . ولقد كان الجيش في عهد محمد علي — كما يقول المؤلف — هو كل شيء ، ومن أجله كان كل شيء . فلخدمته أنشئت مدارس الطب والهندسة والفنون العسكرية ، ولنهضته قامت صناعات الأسلحة والذخائر والملابس ، ولتموينه كان العمل على تقدم الزراعة والتجارة والعمران ، ومن ثم استطاعت البلاد أن تقوم بأعباء الكفاح الحربي ومطالب الامبراطورية الناشئة ، وأن تحقق مطامع العاهل العظيم

وخبرة المؤلف الفاضل تتصل بالعمل ، وتتصل بالتاريخ ، وعلى هذا المعنى جرى في تأليف كتابه ، ففيه رواية التاريخ ، وخبرة العامل . فهو من ناحية يتكلم عن تاريخ الجيش في عهد محمد علي ممهداً لذلك بمقدمة عن قوات الدفاع قبل محمد علي ، ثم يتحدث عن جهود البطل العظيم في خلق الجيش ، ومواقع ابراهيم وانتصاراته برواية التاريخ المستمدة من أوثق المصادر مما كتب الإفرنج والعرب ومما هو محفوظ من السجلات والوثائق التاريخية بقصر عابدين العامر ، ومن ناحية أخرى يتكلم المؤلف عن الجيش في ميدان العمل ، وهو في هذا يفسر الرواية بالدراية ، ويمثل للتاريخ بالعلم والواقع ، وهذه الناحية هي لاشك أهم ما في الكتاب ، لأن الدراسة العلمية للتاريخ الحربي ليست مما تقتضيه الحاجة العلمية فحسب ؛ بل هي كما يقول الأستاذ شفيق غربال — مما تقضي به الحياة القومية المستقلة وعمادها الذود عن الوطن . وفي تلك الدراسة يجد أولياء الأمور الإجابة عن الكثير مما يعترضهم من مسائل الدفاع ، كما يجد فيها رجال الجيش ما يفيدهم في مسائل الحرب وشئون التعليم العسكري

ولقد حرص المؤلف الفاضل على شرح وقائع التاريخ بالصور والرسوم والمصورات الجغرافية ، وجاء في آخر الكتاب بثبت حافل من الأرقام والإحصائيات التي تنطق بعظمة الجيش في عهد محمد علي وضخامته ، وحسن نظامه وترتيبه ، وكأنه يقول : هذا ما فعل أجدادنا فأين جهادنا ؟! والواقع أن كتاب المؤلف خدمة علمية قومية ، فهو يسد حاجة المؤرخ الباحث ، ويفيد الجندي المجاهد . وإنها لخدمة يشكر عليها ذلك المؤرخ الفاضل ، والجندي الباسل . وما أشد حاجتنا إلى مثل هذه المؤلفات النافعة في مطلع حياتنا الجديدة .

محمد فهمي عبد اللطيف



الفرقة القوميـــة

« يجب أن تكون حرة بعيدة عن البيروقراطية الحكومية »

بهذه العبارة استهل حضرة الأستاذ راشد رستم حديثه معى

قلت للأستاذ رستم : الفرقة القومية مؤسسة حكومية ، هل قامت برسالتها الثقافية والفنية ؟ فأجاب :

— لا شك أن للفرقة القومية رسالة يجب أن تؤديها ... ولكن المسألة الآن ليست مسألة رسالة أدتها الفرقة أو لم تؤدها . إذ هى بنت سنوات قليلة ، كما أنها ولدت فى ظروف قاسية ولاقت صعاباً ، بل ولا تزال الصعاب قائمة ، بل وستلقى صعاباً شداداً عند نظر ميزانية الدولة فيما يخص الفن (ويا ويل الفن من أربابه وغير أربابه ! سيلاقيها من أين ومن أين ...) بل إن الفرقة القومية ولدت فى زمان خيف فيه على التمثيل جميعه من طغيان السينما ، ذلك الطغيان الذى خافت منه البلاد العريقة فى التمثيل على تمثيلها ، فما بالك بمصر !

على أنه لا بد من مطالبة الفرقة بأن تؤدى رسالتها نحو الفن وتظهر همتها فى ذلك ، وأن نرجو لها تحقيق ذلك ، ونزيد على هذا الرجاء ألا نعيق طريقها ، وأن يفسح الأدباء والغيورون على الفن صدورهم ، ويعملوا لتسهيل مهمتها دون العمل على تصعيبها

قلت : ألا ترى شذوذاً فى تكوين لجنة القراءة وتقصيراً وإهمالاً فى الإدارة يدعوان إلى التشاؤم من نجاح هذه الفرقة ؟

قال : أول كل شىء لا يصح للعاملين والمصلحين أن يتشاءموا ، ولا أعرف للتشاؤم معنى ولا موجبا

أما لجنة القراءة فلست واقفاً على دقيق أساليبها فى القراءة ، ولكن يلوح لى أنها غير نظامية وأنها تتشدد مرة وتتساهل أخرى ، وهذا لا شك عيب يجب الخلاص منه

كما أنه من الواجب أن يكون تكوين لجنة القراءة للفرق التمثيلية بحيث لا يقتصر همها على اللغة وما يخصها ، وإنما فوق ذلك لا بد أن يكون أعضاؤها ملمين بفن الرواية ، من وضعها وحوارها وعرضها كما يجب إدراك نفسية الجماهير وتتبع تطوراتها

قلت : ما هى الوسائل الفعالة لإصلاح المسرح ؟

— : إننى أستشف من روح هذا السؤال ابتعاد فكرة التشاؤم التى جاءت فى السؤال السابق ، فالحمد لله !

بعد ذلك يجب أن نكون بنائين محافظين لا هدامين . وإنه لمن العدل ومن حب التمثيل والفن أن ننظر إلى الفرقة القومية الناشئة نظرة من يرى العيب فيعمل لإزالته ، وليس كمن يرضى فلا يرى عيباً ، ولا كمن يسخط فلا يرى إلا المساوى

الفرقة القومية حديثة العهد ، وهى فضلاً عن هـذا مؤسسة حكومية ، ولا يصح لنا أن ننسى ما للمؤسسات الحكومية من مساوئ البيروقراطية ، خصوصاً فيما يتعلق بأعمال فنية رقيقة ، فإلى أن يتاح للفرقة الخلاص من هذه البيروقراطية الهادمة والتمتع بصبغتها الفنية الحرة لا بد لنا من :

أولاً : أن نعمل للإصلاح دون الهوى الشخصى

ثانياً : أن يعلم كل عامل — فنى وغير فنى — فى نفس الفرقة أن له رسالة فيها يجب أن يؤديها عن طريق الإخلاص للعمل والاجتهاد فيه

ثالثاً : أن يزداد عدد الذين يفهمون الفن (عارياً) جنب الذين يفهمونه (اعتبارياً) وذلك فى إدارة الفرقة ، إذ لا بد من وجود هذين العنصرين فى الإدارة

رابعاً : أن تبنى للفرقة دار خاصة للتمثيل

خامساً : أن تبعث البعوث للممثلين والمخرجين

سادساً : أن تزيد الحكومة للفرقة مواردها المالية وتسهل عليها مهمتها ، وألا تضن عليها بالمونة من كل نواحيها ، وبكل

مظاهرها مثلما تفعل مع معهد اللغة العربية ، لأن رسالة الفن قوية في حياة الشعوب قوة معاهد اللغة ، بل إن الفن هو الذي يجعل اللغة حية متحركة غير جامدة .

سابعاً : أن يكون أعظم اهتمام الفرقة موجهاً لتنشيط التأليف المسرحي المصري فتجود بالمال والمكافآت والجوائز والإقدام على تمثيل الرواية المصرية المؤلفة .

— هل يحسن أن نستعين بالروايات الأوروبية أم يجب أن نشجع التأليف المصري ونقدمه على سواه

— لاشك في أن من أول الواجبات تشجيع التأليف المصري؛ وإذا كان لا بد أن يقال الحق ، فإن الفرقة بدأت بتشجيع هذا التأليف المصري، بل والذي أعلمه يقيناً أن مديرها خليل بك مطران جعل همه الأول منذ اللحظة الأولى أن يكون افتتاح عمل الفرقة برواية مؤلفة من مؤلف مصري، وقد تم له ذلك

وأظهر به مبدأه الذي يريد إعلانه ، وهو تفضيل الروايات المؤلفة من مؤلفين مصريين

على أنه يلوح لي أنها استعانت بالرواية المترجمة أو المقتبسة ، كي تجعل لها اسماً بين رواد التمثيل، وقد تعودوا ذلك، لكي تجذب إليها الجمهور، وكذلك لكي تعرض أنواع الروايات المختلفة التي احتوتها عصور التمثيل القديمة والحديثة حتى يتكون عند الجمهور الذوق الروائي فيقبل على هذا التمثيل الراقي. غير أني أرى أن يكون معظم مجهود الفرقة موجهاً إلى تشجيع التأليف ، وإلى خلق مؤلفين مصريين ، وإلى إيجاد طائفة من هؤلاء المؤلفين

أما الموضوعات فإنها معروضة في حياة العالم فهي كثيرة متوفرة مستمرة ، والمهم أن يوجد المؤلف الذي يأخذ منها مادة لرواياته .

وليس من مانع أن تمثل الفرقة روايات أجنبية كما تفعل كل الأمم ، ولكن الأهم أنها تخلق أولاً مسرحاً مصرياً ممتازاً برواياته وبمؤلفيه .

وقال عن لغة الرواية وصياغتها « إن لكل رواية ما يناسبها ، غير أنه يجب أن تتراوح لغة المسرح بين أرق أنواع الفصحى ، (وليس معنى هذا اللغة المعقدة المقعرة) وبين اللغة السهلة الكلامية الصحيحة النظيفة (وليس معنى هذا اللغة المبتذلة)

هذا وفي التاريخ المصري القديم والحديث مجال واسع للتأليف؛ فإن مادة التاريخ وحوادثه تجذب الجمهور ، كما أنها تربي الروح القومية ، والأمة عطشى إلى من يسقيها ذلك وأريد هنا لفت النظر إلى مادة التاريخ لجذب هذا الجمهور النافر

ثم ختم كلامه بشهادة طيبة لمدير الفرقة الواسع الصدر ، فلولا تحمله وصبره وجلده في هذه السن ، ولولا مكانته الشخصية البارزة لضاعت الفرقة . فهو دعامة ارتكزت عليها الفرقة يعرف فضلها كل واقف على دخائل الأمور . ثم حمد تحمس سعادة العشماوي بك لرسالة الفرقة وإنقاذه سفينتها من الغرق .

ابن عساكر

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٢)

أنقد أغنيته المعروفة « بلبل حيران » مع الإشارة إلى أصولها في الموسيقى الشرقية والغربية .

٩ — وازن بين عصري عبده الحامولي وسيد درويش مبيناً أثر كل عصر من هذين العصرين في موسيقى كل من هذين الحنين

١٠ — ما هي الميزات التي كان يمتاز بها سلامه حجازي من حيث الصوت ومن حيث الفن، وما هي الميزات التي يمتاز بها محمود صبح من حيث الفن فقط ؟

... وأخيراً فإنك تستطيع يا بني أن تضع بعد هذه الأسئلة وأشباهها أسئلة مما يدور حول الصناعة والآلات ... وأنا أجهل هذا ولكنهم يعرفونه عندكم في المعهد ...

— وهم في المعهد لا يعرفون شيئاً مما تقول ...

— الله وحده يعلم أينا أدرى بالموسيقى !

عزيز أحمد فهمي

خريج كلية الآداب ومعهد التربية العالي

7me Année No. 302

Lundi - 17 - 4 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٠٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٧ ابريل سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهرس

هل نفوم القيامة !

نفخة الصـــور ...



بعد ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ مصر الخالدة نفخ جندى فى بوق[1] فرعونها الشاب توت عنخ آمون ، فدوّى صوته الندىُّ فى أرجاء العالم وهو يمور مورَ البحر ، ويفور فوران البركان ، وتتدافع شعوبه المكروبة عمياناً وصُماً إلى مهاوى الموت ! فليت شعرى ما الذى أخطر ببال المتحف والإذاعة هذا الخاطر الغريب فى هذا الحين وفى هذه الحالة ؟ أهو القدَر الإلهى الراصد الذى يقول كلمته فى كل

(١) من مخلفات الملك توت عنخ آمون التى كشفت فى سنة ١٩٢٢ بوقان أحدهما للحرب وهو من الفضة ، والآخر للسلم وهو من النحاس . وقد عن لادارتى المتحف المصري ومحطة الاذاعة اللاسلكية أن ينفخ فيهما أحد الجنود النداء الحربى ليذاع على العالم . وقد تم ذلك فى الساعة السابعة والثلث من مساء يوم الجمعة الماضي فكان حادثا فذا فى التاريخ الانسانى كله

حادث، ويعلن مشيئته في كل مشكل؟ أم هو الروح المصرى الخالد الذى بدأ حضارة العالم، وأنشأ معرفة الناس، ولا يزال يوحى بكل فكر ويشارك فى كل أمر؟

من كان يقع فى حسبانه من فراعين النيل ودهاقين الوادى أن بوقهم الذى كان يدعو إلى الطعن والضرب، ويقضى فى السلام والحرب، يحتفظ به الدهر الطحون ثلاثة آلاف وثلثمائة عام ليُبلغ به اليوم أذن الدنيا جماء صوت مصر الذى لا يخفت، ومجد مصر الذى لا يبيد؟

ما كان أروع هذا الصوت الفخم القوى وهو ينبعث من جوف الماضى العميق السحيق، وينتشر جهيراً جباراً على أمواج الأثير، فينصت الفلك، ويدهش العالم، ويتذكر التاريخ، ويغوص الخيال الشاعر فى خضم القرون ويطفو!

***

أيها النافخ فى صور إسرافيل! أهى الراجفة (١) وانصعاق الأحياء، وانشقاق السماء، وزلزلة الأرضين، واندكاك الجبال، وفناء العالم؟ أم هى الرادفة وانبعاث الأموات، وميزان الحسنات والسيئات، ثم استئناف الحياة الباقية الصافية التى تموت فيها المظالم، وتفنى الأحقاد، ويعيش بنو آدم فى ظلال الله إخواناً على سرر الحب، وضيفاناً على موائد الجنة؟

لتكن نفختك يا إسرافيل ما شاء الله أن تكون، فإنها لمصر القاعدة المتخلفة صيحة نشور ونذير أهبة! فقد درجت على هامها القرون وهى مطمئنة إلى الخمول، راضية بالعجز، يستغل خيرها الواغل، ويستقل بجمايتها الغير، حتى خشن على أيدينا السيف، وثقل على ظهورنا العتاد، وجثم على رجولتنا الجبن، وأصبحنا إذا طلبتنا القرعة نهرب، وإذا انتخبتنا الجندية نبكى، وإذا سمعنا بالحرب من بعيد يضطرب البال من الهم، ويطير الفؤاد من الفزع.

ثم كان من أثر هذه الحياة السلمية الوادعة، وهذه التربية المدرسية البليدة، أن فشا بيننا داء العجائز وهو الكلام، وداء الضرائر وهو الحسد؛ فأفواهنا الثرثارة لا تفتر عن قرض الأعراض والعلائق، وعيوننا الطامحة لا تغمض عن جسد الأرزاق والمواهب، حتى اتسعت الأحداق وطالت الألسن، بمقدار ما ضاقت الأخلاق وقصرت الأذرع. فلو كنا نشأنا على الجندية، وتمرسنا بالحروب، وارتضنا فى الشدائد، لكثر فينا رجال القيادة والنظام، وقل بيننا أهل السياسة والكلام، وكان عندنا من الشركات والجميات والمصانع والمجامع أضعاف ما عندنا من المؤتمرات والأحزاب والمقاهى والصحف ...

***

هذه هى القارعة التى تهتك حجب الأسماع وأغشية الأبصار وغُلف الأفئدة. فاليوم لا كسل ولا جدل ولا اتكال ولا استكانة. لقد سلكنا متن الحياة بعد أن كنا نسير على الهمش، وخضنا عباب الأمر بعد أن كنا نعيش على الشاطئ؛ وحملنا تكاليف مصر العزيزة بعد أن كنا نلقيها من الخور والهُون على الأكتاف الغريبة كتفاً بعد كتف.

لشدّ ما يشرق فى تاريخ النيل ذلك اليوم الذى يزحم فيه البحرَ والبر والجو أسطوله الماخر وأسطوله الطائر وجيشه الجرار، ثم يستقتل فى سبيله بنوه البواسل الميامين فى الحصون والخطوط والخنادق، ليكون لثراه الحبيب من دمائهم رِى، ومن أشلاء عدوهم سماد، فيخصب فيه جدب العقول، ويزكو به غِراس البطولة!

***

مرحباً بالنار إذا كانت تذيب غش الأخلاق وزيف العزائم! وأهلاً بالحديد إذا كان يشذب ميت الأصول وذاوى الأفرع! ونعمًّا يبتلينا به الله إذا كان من ورائه جمة من هذه الفرقة، وحياة من هذا الموت!

لقد استنفرنا الماضى ببوق فرعون، واستفزنا الحاضر بوعيد نيرون، فلم يبق إلا أن نميط اللثام عن الوجه الحر، وننفض الغبار عن المعدن الكريم، ثم نولى وجوهنا شطر الحدود المقدسة، ونقوم للوطن كما نقوم لله، صفًّا صفًّا، طائعين خاشعين، متحدين مستعدين، ننتظر نداء العلَم الموموق وأمر القائد الأعظم!

احمد حسن الزيات

(١) الراجفة هى النفخة الأولى فى الصور وهى للعدم، والرادفة هى النفخة الثانية فيه وهى للوجود. قال الله تعالى: «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة»

الطفل وحقيقة الانسان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

زارتني، ذات يوم، سيدة، ومعها طفلة تناهز الرابعة، فسقيت السيدة القهوة المرة التي تحبها، وحرت في الطفلة، ماذا أسقيها أو أطعمها، أو بماذا ألاعبها، وليس في مكتبي ما يصلح لها؟ ثم خطر لي أن أبعث بالخادم ليشتري لها « شكولاتة ». فقالت السيدة: « إنك تدللها وتفسدها ». قلت: « دعيها تتدلل وتفسد — على قولك — فلن ترى أرغد من أيامها هذه ». قالت: « وستحبك بالشكولاتة! »، وضحكت. قلت: « هل تعلمين أن كل حب لإنسان آخر هو من حب النفس؟ ». ولم أطل في هذا المعنى فإني أعرفها تكره الفلسفة وإن كانت ذكية لبيبة. وجاءت الشكولاتة فأخذتها الطفلة من الخادم وابتسمت له مسرورة. فقالت لها السيدة — وأشارت إليّ —: « إنه أولى بابتسامك، فقومي إليه واشكريه بقبلة ». فانحدرت عن مقعدها خفيفة ضاحكة ولثمت خدي. وعادت إلى الشكولاتة، وهمت أن تنزع عن بعضها الورق وتأكل، فنهتها السيدة عن ذلك وقالت لي إنها ستدخل طعاماً على طعام، وليس هذا بمحمود أو مأمون. ولفت لها الشكولاتة في ورقة وناولتها إياها وربتت لها كتفها وقالت: « أبقيها معك إلى ما بعد ». فأطاعت الطفلة ووضعت اللفافة في حجرها، وجعلت تقلبها وتعبث بها، وذهبنا نحن نتكلم، وإذا بالسيدة تغمزني بعينها مشيرة إلى طفلتها، فنظرت فألفيتها قد فكت الورقة وأقبلت على قطع الشكولاتة تحركها بأصبعها، فهززت رأسي مستفسراً. فقالت السيدة: « إنها تعدها ». قلت: « لعله يفرحها أن تعرف عددها ». قالت: « لا » وهزت رأسها: « ما أظن بها إلا أنها تعدها للمرة الثانية ». قلت: « ماذا تعنين؟ ». قالت: « أعني أن أكبر الظن أنها عدتها حين أخذتها. ثم أخذتها أنا منها ولففتها في هذه الورقة، فهي تعدها مرة ثانية لترى أنقصت أم بقيت كما كانت ». قلت: « اتق الله! ». قالت: « لك رأيك، ولكنها بنتي فليس تخفى عليّ من أمورها خافية ».

وصارت الطفلة تعرفني بعد ذلك « بابا شكولاتة » وهي خليقة أن تعرف اسمي، وأن تستطيع النطق به، فما هو بأثقل أو أصعب من لفظ الشكولاتة، ولكن الشكولاتة حلاوتها الأثيرة، وأنا أتحفها بها كلما لقيتها، فهي تهمل اسمي وتطلق عليّ ما تحب، ولو أهملت أن أقدم لها الشكولاتة، أو قصرت في هذا الواجب، لزهدت في لقائي وانصرفت عن ذكري، وتركت حث أمها على زيارتي.

وليست هذه الطفلة بالشاذة، فإن كل طفل على غرارها، حتى ولديّ أراهما أحنى بأمهما منهما بي، لأنها لا تنسى أن تزودهما بما يحبان، وإن كنت أنا المتعب المكدود والذي لا يزال يسعى ويشقى ليسعدا.

وأحسب أن الإنسان يبدو على حقيقته في طفولته، أي قبل أن يصبح إنساناً مصقولاً منجوراً أو مهذباً كما نقول، والطفل أثرة مجسدة، يحب ويكره، ويقبل ويدبر، تبعاً لما يلقى منك. وقد يكون أبوه أحنى عليه، وأعمق حباً له، وأعظم شغلاناً به، ولكنه لا يلاعبه، ولا يعنى بأن يحشو له جيوبه باللطائف المشتهاة، ولا يجيئه كل بضعة أيام بلعبة، فلا يعبأ به الطفل أو يجعل إليه باله، على حين تراه يتعلق بأهداب صاحب لأبيه لأنه لا ينسى حين يجيء في زيارة، أن يحمل لهذا الطفل ما يسره، أو لأنه يشغل نفسه معه بضع دقائق بالهذر الفارغ.

وكان صديق لي يقول: « إنك سيء الظن بالإنسان » فكنت أبتسم ولا أجيب، وأنتقل به إلى موضوع آخر استثقالاً لهذا البحث الذي لا يطيب للنفس في كل وقت، حتى لفتتني تلك السيدة الذكية إلى المظهر الحقيقي للانسان، فدرسته في أبنائي، وانتهيت إلى أن كل ما في الإنسان من خير وفضيلة اكتساب وليس بطباع فيه؛ والطفل — قبل أن نعلمه خلاف ذلك — لا يعرف إلا نفسه، ولا فرق بينه وبين الوحش في الفلاة أو الغابة. وعجيب أن ينسى الإنسان أنه حيوان!؟! فهو يضرب أخاه، ويمزق له ثيابه، ويريق الحبر على أوراقه أو كتبه، ويحطم له لعبه، أو يتلفها، ويغضب أو يستاء إذا رآه يلبس الجديد قبله أو دونه، ويعذب العصافير والقطط، ويذوي الورود والأزهار، ولا يقف في العبث والإتلاف عند حد؛ ولا يدركه عطف على أحد، ولا يشعر برقة لإنسان

أوحيوان ، ولسنا نحن الكبار خيراً منه ، وإنا لأحسن ضبطاً لأنفسنا ، وكبحاً لأهوائها ونزعاتها ، ولكنا نحتاج إلى الضبط والكبح لأن النزعات موجودة تلح بنا وتدفعنا ؛ ولو أمنا العاقبة لأطعنا أهواء نفوسنا وأملينا لها فيها . ولو جمحت بنا لما نفعتنا اللجم والأعنة التي اعتدنا في حالة الاتزان أن نصدها بها عما تهم به . ونحن في كل حال نراقب ماهو أوفق لنا وأصلح ، والأمر في الأطفال أوضح وأبين ، لأن اللجم الكابحة ليست هناك ، أو لأن التدريب عليها ناقص ، ونمو العقل مع التجربة يساعد على حسن استخدام اللجام ، ورياضة النفس على طاعته

ولست أقول إن الإنسان شرير بطبيعته ، فليست المسألة مسألة خير أو شر ، وإنما هي طباع فيه وفطرة ينبني عليها ، والطباع لا خير ولا شر ، وإنما هي طباع . وقد احتاج الإنسان إلى مقدار من النظام لما احتاج أن يعيش في جماعته ، والجماعة لا تصلح بالانطلاق مع السجية ، وإنما تصلح بإقامة حدود

وعلى أن روح الجماعة ليس فيها لا خير ولا رحمة ولا رفق ولا شيء مما يجرى هذا المجرى ، والشر الذي يذعر الفرد مجرد التفكير في ارتكابه تقدم عليه الجماعة وهي ترقص وتباهي ، وهذا ما يحدث في الثورات . وقد رأيت بعيني جماعة حانقة في إبان الثورة المصرية تمزق رجلاً بأيديها فوليت هارباً من هذا المنظر . وما أظن أن أقسى فرد يستطيع أن يفعل ذلك وهو وحده . وأحسب أن الذي يرد الجماعة إلى الطبيعة الحيوانية هو أن الطباع الحيوانية المشتركة – وهي واحدة – تتغلب على المزايا المكتسبة التي نزعمها صفات إنسانية – وهي متفاوتة

ومازالت القاعدة الحسابية هي الصحيحة ، أعني أن الذي يقبل الجمع هو المتشابه لا المختلف؛ ولست تستطيع أن تقول إن عندك أربع تفاحات وأنت تعني أن عندك تفاحتين وبرتقالتين . ومن هنا ذهب ماكس نوردو بحق إلى أن برلماناً من أعاظم الرجال مثل جوته وشكسبير ونابليون الخ لا يكون خيراً من برلمان من الأوساط العاديين ؛ لأن برلماناً كهذا يكون مؤلفاً من مائة صفة مشتركة تتغلب على كل مزية مفردة لكل واحد من هؤلاء العظماء

ولست أذم أو أمدح ، وإنما أصف الواقع ، والواقع أيضاً أن المدنية معناها التنظيم ، أي الكبح والصقل ودفع الحياة في المجاري التي هي أصلح للجماعة وأجلب لخيرها

ابراهيم عبد القادر المازني

من رحيق الأدب

طالما صحت قائلاً : إن الدولة لا تنظر إلى الأدب بعين الجد ، بل إنه عندها شيء وهمي لا وجود له ولا حساب . وأقول اليوم إن الأدباء أنفسهم لا يريدون أن يحملوا الدولة على الإيمان بحقيقة الأدب . بل إن الأدباء قد أنكرتهم الدولة وأنكرت بضاعتهم لم يفعلوا شيئاً ولم يبدوا حراكاً . بل إن الأمر قد بلغ من السوء حداً رأى فيه الأدباء نتاج أذهانهم يسقط في التراب كما تسقط ثمار الشجرة الناضجة ، فلا يتحركون ولا يصيحون في الناس : أن أقبلوا واجمعوا هذه الفاكهة وانتفعوا بها واطلبوا المزيد حتى تنشط الشجرة للأثمار ولا يجف ماؤها من الترك والإهمال . من العجب أن يلحظ الأدباء أن ثمار مواهبهم لا تصل إلى أيد كثيرة فلا يجتمعون ليبحثوا هذه المشكلة . ومن العجب أنهم يرون أن زبدة جهودهم تتلقفها أيدي الوسطاء من التجار الذين يتربصون بهم كما تتربص جوارح الطير بصغار العصافير فلا يحاولون الداولة فيما بينهم للخلاص من هذا المصير . إن انعدام روح النظام بين الأدباء وتفرق شملهم وانصرافهم عن النظر فيما يربطهم جميعاً من مصالح وما يعنيهم جميعاً من مسائل قد فوت عليهم النفع المادي والأدبي ، وجعلهم فئة لا خطر لها ولا وزن في نظر الدولة ، ولقمة باردة سائغة في فم التجار والوسطاء . تلك حال الناضجين المعروفين من أدبائنا ، أولئك الذين يتخذهم الناشئون من الأدباء مطمحاً لأنظارهم ، ويرون فيهم حلماً ذهبياً جميلاً ، ويتحرقون عجلة وشوقاً لبلوغ مراتبهم ، ويتوسلون إليهم أن يأخذوا بأيديهم ويقودوهم في هذا الطريق ...

واجب الأمانة يدعوني أن أصارح الناشئين : إياكم أن تعقدوا الآمال الكبار على الأدب في بلادنا اليوم ، إذا استمر الحال على ما ترون . فما أرض الأدب الآن سوى مستنقع مهمل ، حرام أن تلقى فيه بذور . وحسبكم تلك الزهرات القليلة الوحشية التي تنبت من تلقاء نفسها على حواشيه فلم يأبه لها أحد ولم يعن بتعهدها وريها إنسان !

توفيق الحكيم

البحترى أمير الصناعة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وللبحترى فى ثنايا أبواب شعره أبيات كثيرة فى الحكم والأمثال ، بعضها يدل على فطنة لبعض نواحى الحياة والنفس ، وبعضها معان مطروقة كساها ثوباً قشيباً . فمن حكمه وأمثاله قوله:

أراقب صول الوغد حين يهزه اقـ ... تدار وصول الحر حين يضام

وقوله :

هو الحظ ينقص مقـــداره ... لمن وزن الحظ أو كاله

وقوله :

لولا التباين فى الطبائع لم يقم ... بنيان هذا العالم المجبول

وقوله :

ولست ترى عود القتادة خائفاً ... سموم الرياح الآخذات من الرند

وقوله :

واليأس إحدى الراحتين ولن ترى ... تعباً كظن الخـــائب المكدود

وقوله :

كالكوكب الدرى أخلص ضوءه ... حلك الدجا حتى تألق وانجلى

وقوله :

تناس ذنوب قومك إن حفظ الـ ... ـذنوب إذا قدمن من الذنوب

وقوله :

خلت جهلاً أن الشباب على طو ... ل الليالى ذخيرة ليس تفنى

وقوله :

أدع الصاحب لا أعـــذله ... لا يسمى بعقوق فيعق

وقوله :

وقديماً تداول العسر واليسـ ... ـر وكل تذكى على الريح يطفو

وقوله :

صعوبة الرزء تلقى فى توقعه ... مستقبلاً وانقضاء الرزء أن يقعا

وقوله :

أغشى الخطوب فإما جئن مأربتى ... فبما أسير أو أحكمن تأدبى

إن تلتمس تمر أخلاف الأمور وإن ... تلبث مع الدهر تسمع بالأعاجيب

وقوله :

وكأنما شرف الشريف إذا انتمى ... جرم جناه على الوضيع الأصغر

وقوله :

إذا محاسنى اللاتى أدل بها ... كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر

وقوله :

ما أضعف الإنسان لولا همة ... فى نبله أو قوة فى لبه

وقوله :

والشىء تمنعه تكون بفوته ... أجدى من الشىء الذى تعطاه

وقوله فى التأسى بمصارع الموتى :

إذا شئت أن تستصغر الخطب فالتفت ... إلى سلف بالقاع أهمل ناعمه

ومثل هذا كثير فى شعره .

وعندى أن غزل البحترى فى مجموعه أرق وأحلى وأكثر نصيباً من الوجدان الفنى من غزل أبى تمام . فمن قصائد غزله المشهورة قصيدته التى يقول فيها :

تمشى فتحكم فى القلوب بدلها ... وتميس فى ظل الشباب وتخطر

وقصيدته التى يقول فيها :

ذو فنون يريك فى كل يوم ... خلقا من جفائه مستجدا

أغتدى راضياً وقد بت غضبا ... ن وأمسى مولى وأصبح عبدا

وقصيدته التى يقول فيها :

أيها العاتب الذى ليس يرضى ... نم هنيئاً فلست أطعم غمضا

وهى رقيقة ومشهورة . ومن بديع غزله قصيدته التى يقول فيها : « ردى على المشتاق بعض رقاده » والقصيدة التى يقول فيها :

دنت عند الوداع لوشك بين ... دنو الشمس تجنح للأصيل

وفيها يقول :

وذكرنيك والذكرى عناء ... مشابه فيك بينة الشكول

نسيم الروض فى ريح شمال ... وصوب المزن فى راح شمول

والتى يقول فيها :

وجدت نفسك من نفسى بمنزلة ... هى المصافاة بين الماء والراح

والتى يقول فيها :

وهجر القرب منها كان أشهى ... إلى المشتاق من وصل البعاد

والتى يقول فيها : « منى وصل ومنك هجر » والتى يقول فيها :

بات أحلى لدى من سنة النو ... م وأشهى من مفرحات الأمانى

والتى يقول فيها :

إذا ما الكرى أهدى إلى خياله ... شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

والتي يقول فيها:

وفيهن مشغول به الطرف هارب بعينيه من لحظ المحب المخالس

وهي ملاحظة فنية جميلة . والتي يقول فيها :

لم يُرْوَ من ماء الشباب ولا انجلت ذهبية الصبوات عن أيامه

وفيها يقول :

أتريك أحلام الكرى ذا لوعة كلف الضلوع يراك في أحلامه

والتي يقول فيها :

أأبيت ديار الحي أيتها الربى الـ أنيقة أم دار المها والنعائم

وأيامنا فيك اللواتي تصرمت مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم

لعل الليالي يكتسين بشاشة فيجمعن من شمل النوى المتقادم

والبحتري شاعر وصاف بما له من شهوة تذوق المرئيات بجمال فنه ، فإن الفنان يتذوق مناظر الطبيعة والمرئيات عموماً كما يتذوق الطعام من له ذوق خاص في الطعام والشراب ؛ وقد لا يكون شره النظر أو قد يكون، كما أن الذي له ذوق خاص في الطعام والشراب قد يكون شره البطن وقد لا يكون

ومن أجل شهوة تذوق الأمور بفنه أشك في أن البحتري قد تعمد أخذ كل ما أخذ من ، المعاني فقد تكون شهوة التذوق بالعاطفة الفنية هي التي ساقته إلى هذه المعاني سواء أكان قد اطلع عليها أم لم يطلع وهي على أي حال مفردات . ومن قصائده المشهورة في الوصف قصيدة وصف آثار الفرس الفنية التي يقول في أولها (صنت نفسي عما يُدَنّس نفسي) وقصيدته في وصف بركة المتوكل التي يقول فيها :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها

إذا علتها الصَّبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولاً حواشيها

فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها وريّقُ الغيث أحياناً يباكيها

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء رُكّبت فيها

ومن أوصافه المعروفة وصفه الشقائق في الأبيات التي يقول فيها : (سقى الغيثُ أكناف الحمى من محلة) وقصيدته التي يصف فيها الربيع وآثاره وفيها يقول :

وقد نبّه النوروز في غلس الدجى أوائل ورد كن بالأمس نُوّما

يُفَتّقها برد الندى فكأنه يبثُّ حديثاً كان قبل مُكتّما

وله قصيدته البائية المشهورة في وصف صيد الفتح بن خاقان للأسد ، والدالية التي فيها وصف لقائه (أي البحتري) الذئب في البيداء ، ويعاود وصف الربيع كما فعل في قصيدته الرائية التي يقول فيها : (ألم تر تغليس الربيع المبكر) ، واليمية في وصف قصري المتوكل الصبيح والمليح وهي التي يقول فيها :

حلل من منازل الملك كالأنـ ـجم يلمعن في سواد الظلام

وقصيدته في وصف البيان وهي التي يقول فيها :

لتفننت في الكتابة حتى عطّل الناس فن عبد الحميد[1]

وهي مشهورة . وله أوصاف أخرى منتشرة في قصائده من وصف للنبات والطبيعة أو للحروب وآثارها مثل القصيدة الفريدة التي يقول فيها :

أسيت لأخوالي ربيعة إذ عفت مصايفها منها وأقوت ربوعها

ومراثي البحتري مراثي صنعة تكاد تنطلي على الصنعة لأن العاطفة الفنية فيها تغني على العاطفة الحقيقية أو قد تكون مقرونة بشيء منها ، وقد ظفر بنو حميد بمراث بلغت غاية الروعة الفنية من شعر أبي تمام ومن شعر البحتري . ولعل أبدع قصائده فيهم قصيدته التي يقول في مطلعها :

أقصر حميد لا عزاء لمغرم

ولا قَصْرَ عن دمع وإن كان من دم

أفي كل عام لا تزال مُرَوَّعاً بفذٍّ نَبِيّ تارة أو بتوأم

إلى أن يقول :

فصرت كعُشرٍ خلّفتهُ فراخه

بعلياء فرع الأثلة المتهشم

ثم يقول :

سلام على تلك الخلائق إنها مسلّمة من كل عار ومأثم

ومن المختار له في الرثاء قصيدته في سليمان بن وهب التي يقول فيها :

أأخيّ نهنه دمعك المسفوكا إن الحوادث ينصرمن وشيكا

وقصيدته التي يقول فيها (ابني عبيد شد ما اخترقت لكم) والتي يقول فيها (جحدنا مهمة الحدثان فينا) . ومن أشهر قصائده في الرثاء رثاء المتوكل وقد قيل إن ابنه المنتصر ولي العهد دس له من اغتاله وإلى ذلك يشير البحتري في قوله : —

أكان وليُّ العهد أضمر غدرة

فمن عجب أن وُلّيَ الأمر غادرُهْ

وهو لم يتمتع بالخلافة إلا بضعة أشهر . ويقال إن ضميره أفسد عليه تلك الأشهر من حياته . ويخيل إلي أن البحتري لم يعلن هذه

(١) في قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات

القصيدة إلا بعد وفاة المنتصر إلا أن يكون قد تنبأ بها وأجاب الله دعوته في قوله :

فلا مُلّيَ الباقي تراثَ الذي مضى
ولا حملتْ ذاك الدعاء منــــابرُهْ

وفيها يمدح المعتز بن المتوكل فيقول(١) :

وإني لأرجو أن تُردَّ أموركم إلى خلَفٍ من شخصه لا يغادره
مُقلِّبِ آراءٍ تُخافُ أناته إذا الأخرق العجلان خيفت بوادره

وإني أشك في صدق قوله وأرى أنه من شواهد ما قدمت من اختلاط الخيال بالعاطفة :

أدافعُ عنــه باليدين ولم يكن
ليثني الأعادي أعزلُ الليـل حاسرُ
ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي
درى الفاتك العجلان كيف أساوره

إذ أنه لو فعل كما قال إنه فعل لقتله الفاتكون . ولكن المشهود في القصيدة روعة الصنعة وفخامتها لا عمق العاطفة . والحق أن البحتري إذا ملك صناعته ولم يتكلفها أتى بها وهي في بهجتها وحلاوتها حقيقة بالمدح الذي مدح به البحتري منزلة ممدوحه في قوله :

فتيت أحاديث النفوس بذكرها وأفاق كلُّ منافس وحسود

وأصدق قول يقال في البحتري وأبي تمام هو ما قاله البحتري نفسه إذ قال إن جيد أبي تمام خير من جيده ، ورديء أبي تمام شر من رديئه . ومثل هذا القول يصح أن يقال أيضاً في البحتري وابن الرومي ، ولا نعني بالجودة الصناعة فحسب بل كل ما ينهض به الشعر من ميزات . وللبحتري قصائد في العتاب هي من أجلِّ ما كتب في اللغة العربية في هذا الباب ولا سيما عتابه للفتح بن خاقان في قصيدته البائية التي يقول فيها :

ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا

والميمية التي يقول فيها :

أعيذك أن أخشاك من غير حادث تبيَّن أو جرم إليك تقدَّما

وفي صنعة عتابه كما في صنعة مدحه حلاوة وسهولة التناول ، وليس فيها اللجاجة الفكرية التي يذلها ابن الرومي في قصيدته في العتاب التي يقول فيها (يا أخي أين ريع ذاك اللقاء) . على أن هذه القصيدة لابن الرومي لا تمثل إلا ناحية واحدة من نواحي مقدرته في العتاب فله نواح أخرى منها ناحية العتاب الممزوج بالهجاء ، ومنها ناحية العتاب الذي فيه خضوع للمعاتب . وابن الرومي أوسع مقدرة من البحتري وأكثر نصيباً من ذخائر اللب وإن كان البحتري أوفر نصيباً من بهجة الصنعة .

وقد جاء في كتاب الأغاني وصف إنشاد البحتري لشعره : فقال المؤلف إنه كان يتشادق في إنشاده ، ويتزاور ، ويتمايل ، ويلوح بكمه ، ويتقدم ويتأخر ، ومعنى هذا الوصف أنه كان يمثِّل كما يصنع الممثل على المسرح ، وإني أميل إلى تصديق هذه الرواية إذ أنها تؤيد ما ذهبت إليه من أن البحتري كانت عنده صفة يكثر ظهورها في بعض الممثلين ، وهي اختلاط الأحاسيس التي يمثلونها بحقائق الحياة حتى يصعب التمييز بينهما ، وقد ضربت من أمثال ذلك مثلاً من غزله ومن رثائه للمتوكل . ولم يكتف البحتري في إلقائه بطريقة الممثلين في الإنشاد ، بل كان ينظر إلى الحاضرين ويطلب منهم الاستحسان ويلومهم إذا لم يظهروا الإعجاب والاستحسان ؛ وطلبُ الاستحسان من الشاهدين والحرص عليه والانتشاء به من صفات الممثلين أيضاً . وقد ضجر منه المتوكل يوماً لمغالاته في هذه الأعمال . فأغرى به شاعراً صغيراً أعبث به في شعره . ولو جاز أن نتمنى سماع إنشاد البحتري لشعره لتمنينا أن نسمعه ينشد بهذه الطريقة التمثيلية قطعة من شعره تساعد على إظهار مقدرة الممثل مثل قوله في قتاله للذئب :

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جرأة وصرامة وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد
فخرَّ وقد أوردته منهل الردى على ظمأ لو أنه عذب الورد
ونلت خسيساً منه ثم تركته وأقلعتُ عنه وهو منعفر فرد

ولا غرابة أن يكون عند الشاعر الذي عماده الصناعة اللفظية صفة الممثل الذي ينتشي بما يقول حتى يخلق له القول عاطفة فنية لا تكاد تميز من الأحاسيس الناشئة من حوادث الحياة في نفوس بعض ذوي الفنون . وفي الأخبار التي وردت عن البحتري نرى أنه كان يمدح شاعرين هما : أبو تمام ، والعباس بن الأحنف . وفي شعر البحتري أثر محاكاته للأول في الصنعة البيانية ومعانيها وللثاني في بعض الغزل من شعره

عبد الرحمن شكري

(١) بعد المنتصر ولى الخلافة المستعين بالله وكانت خلافته مضطربة وكان للمعتز حزب قوي بالرغم من أنه كان محجوزاً ومالبث حزبه أن تغلب واستخدم الحرس التركي لخلع المستعين وتولية المعتز الذي انتقض عليه الجند أيضا

أعلام الأدب

درامات سوفوكليس

للأستاذ دريني خشبة

حدّد سوفوكليس الفرق بينه وبين إسخيلوس ، ثم بينه وبين يوربيديز فقال :

أنا أصور البشر كما كان ينبغي أن يكونوا
ويصورهم يوربيديز كما هم

أما إسخيلوس فقد كان يوحي إليه بالحق فينطق به دون أن يعرف ما هو

وذلك من سوفوكليس تحديد جميل ينتفع به مؤرخو الأدب الكلاسيكي ، لأن سوفوكليس كان حقيقة يلتزم في جميع دراماته هذا التسامي نحو مثله الأعلى الذي كان يجهد ألا يضحي به ولو عارض الأوضاع ونافى التقاليد وثار بالشرائع

لقد رأى إسخيلوس يقسو على الفتى أورست الذي قتل أمه لأنها قتلت أباه فأسلمه لطائف من الجنون ، وسلط عليه ربات العذاب تُشقيه وتقص آثاره وتسد عليه المسالك . لأن جريمة قتل الوالدين هي أشنع الجرائم فيما تواضع عليه الدين اليوناني الأسطوري من غير نظر إلى ما في ذلك القتل من حق أو غيره ... ومع أن إسخيلوس كان لا يرى أن يُعد أورست مجرماً بدليل ما ذكره على لسان أبولو أمام محكمة ميترفا إلا أنه أجرى درامته في حدود المعتقدات اليونانية فجعل ربات العذاب تلاحق أورست كما تلاحق المجرمين لتأخذه بما جنت يداه . ثم توسل إسخيلوس بهذه الهيئة القضائية التي كانت ميترفا بمقام الرئيس فيها ، كما كان أبوللو بمقام المحامي ، وكما كانت ربات العذاب بمقام المدعي في حين كان أورست في مقام المتهم ... فلما رأت ميترفا أخذ أصوات الحضور بوصف كونهم محلفين ، ثم لما تساوت الأصوات ضد أورست ثم له ، عمد إسخيلوس إلى ميترفا فجعلها تنحاز إلى جانب أورست ، وبالأحرى إلى فكرة إسخيلوس في عدم حسبان الفتى مجرماً لأنه قتل أمه التي قتلت هي أيضاً أباه ، لأنه ضحّى بابنتها إفجنيا كما تقدم ذكر ذلك جميعاً

رأى سوفوكليس نده القوي يتناول المأساة على هذا النحو فترك سبيله وسلك سبيلاً آخر ... إنه لم يُسلم أورست لطائف من الجنون ولم يُلاحقه بربات العذاب كما فعل إسخيلوس ، بل هو قد أهمل الشريعة الأسطورية كلها وأظهر أورست في ثوب البطل الذي يرى أن أمه قتلت أباه بغير الحق وصَبت قبل ذلك إلى عشيق مجرم من أعداء أسرته وآذت أبناءه وأهدرت كرامتهم فهي لكل ذلك تستأهل أن تقتل ، بل يجب أن تقتل بيد ابنها ، فإذا هم ابنها بقتلها وتوسلت إليه بدموعها مرة وتدبها مرة أخرى خشيت (إلكترا) — وهذا هو اسم الدرامة — أن يضعف أخوها أو أن يستخذي لحضنته على قتل أمه — وأمها — « لأنها لم ترحم أحداً من قبل ! »

وهكذا صور سوفوكليس الناس كما ينبغي أن يكونوا ، ولم يلف طويلاً كما صنع إسخيلوس ... أما كيف اتقى ثورة الناس لإهماله شريعتهم الأسطورية فقد كانت حجته أن في الأساطير ما يذكر أن ديانا قد أنقذت الفتاة إفجنيا من الذبح وذلك بفدائها بذبح عظيم على نحو ما نعرف من قصة إبراهيم وولده إسماعيل ... لذلك كان حنق كليتمنسترا في غير موضعه ، وكان باطلاً كل ما كانت تبرر به مسلكها نحو زوجها ، وكل ما ترتب على هذا المسلك من نتائج

وليس من عيب في مأساة إلكترا إلا ما أقحمه فيها سوفوكليس على لسان الرسول من وصف الألعاب البيثية وصفاً طويلاً يُفضي إلى الإملال .

٢ — أجاكس[1] :

قد تكون مأساة أجاكس أقدم ما وصلنا من درامات سوفوكليس سليما كاملا ... وهي مثل إلكترا يصادفك فيها المعجب المطرب من الفكر الرائع والفن البارع ، كما يصادفك المشهد السمج والحوار الثقيل خصوصاً إذا كان ذلك المشهد أو هذا الحوار فيما يتعلق بتقليد يوناني تطاول عليه العهد فلم يعد سائغاً عندنا اليوم

(١) هكذا ينطق اسم هذا البطل في الألياذة والأوديسة وجميع تراجم سوفوكليس ، وقد أورده كابيل على أنه (ايابس) ولم ندر على أي علام اعتمد في إيراده على هذا النحو

بعد مقتل أخيل بطل أبطال اليونانيين اتفقت الآراء على أن تمنح دروعه وعدته الحربية التي صنعها له فلكان الحداد إله النار لأشجع الأحياء من أبطالهم المحاربين، وبالرغم من أن أجاكس كان أشجعهم جميعاً فقد رأى القضاة أن يخلعوها على أودسيوس لأنه كان إلى شجاعته أبرع اليونانيين حيلة وأكثرهم حكمة . . وكان ينبغي أن يخضع أجاكس لهذا الحكم، إلا أنه ثار وتولاه الغضب واعتزم أن يقتل القضاة الظلمة الذين جرحوا كبرياءه بما فضلوا عليه أودسيوس . . . لكن أثينا (مينرفا) التي كانت تحابي أودسيوس دائماً ، لم تدعه يفعل ، بل أسلمته لطائف من المس وفورة من الجنون ، فامتشق سيفه وراح يقتل قطعان الشاء والنعم وهو يحسب أنه يقتل أعداءه القضاة من قادة الإغريق . . . ثم يفيق أجاكس ويعلم ما كان من أمره ، وينظر إلى نفسه فيراه رجلاً لم تعد له كرامة بين عشيرته ، ويرى الجميع يصدون عنه . . . فيألم ويضيق بحياته ، ويزيده ألماً ما ظن من حنق أثينا عليه ، وما عرف من تحقيره أمته الجليلة تكماسا ، فينطلق إلى مكان موحش مهجور عند شاطئ البحر ، ثم يتكئ بصدره على سنان سيفه ، فيسقط على الرمال ويتشحط في دمه . . . ويجتمع القادة حول جثمانه فيختلفون ساعة على دفنه ، لكن أودسيوس ينسى سخيمته ، ثم يتولى الدفاع عن عدوه في عبارة كلها تمجيد له واعتراف بفضائله ، فلا يسع الباقين وفي مقدمتهم منالوس إلا أن يوافقوا على الدفن وإقام الشعائر الدينية على جدثه . . . ويقع ثلث المأساة تقريباً بعد انتحار أجاكس ، وهذا عيب درامي وقع فيه سوفوكليس حين غلبه الشاعر المستكن فيه على الدرامي الذي هو أروع نواحي شخصيته المجيبة العظيمة . . . وتمتاز هذه الدرامة بالكلمات الجليلة الخلابة التي كان يتبادلها الزعماء فوق جثمان أجاكس ، ثم موقف أودسيوس منه بعد انتحاره . . . ثم هذه النجوى وذاك الوداع الذي فارق بهما أجاكس دنياه وهو يشحذ سيفه وجعلهما آخر أنفاسه . . . على أن أثر إسخيلوس واضح جداً في هذه المأساة التي صور فيها الشاعر صراع الإنسان ضد المقادير وما يلقى في تمرده على القضاء من شقاء . . .

٣ — أنتيجونى (٤٤٥ ق . م)

تعتبر مأساة أنتيجونى أجل فرائد سوفوكلاس ، وقد نظمها سنة ٤٤٢ . وتكاد تكون الحلقة الرابعة في ثلاثية إسخيلوس التي تالثها (سبعة ضد طيبة) . فقد شهدنا كيف تبارز الشقيقان : إتيوكليز ، وبولينيسز ، وكيف قتل كل منهما الآخر في مأساة إسخيلوس . هنا ينهض بالملك الطاغية كريون أخو الملك أوديب غير الشقيق ، وتكون مهمته شاقة لأنه يلي أمر مملكة منهوكة جائعة حزبتها الحرب التي أثارها بولينيسز ، والتي استعان فيها على وطنه بجيوش الأجانب مما جعل مواطنيه ينقمون عليه ويبغضونه أشد البغض . من أجل هذا احتفل كريون بجناز إتيوكليز وإقام الشعائر الدينية على جدثه . ثم أمر في الوقت نفسه أن يترك جثمان بولينيسز منبوذاً بالعراء تنوشه الجوارح ، وتغتذي به بواشق الطير وجياع السباع . لكن الفتاة أنتيجونى تسخر بأوامر الملك وتعرض نفسها للمهالك حيث تذهب إلى جثة أخيها فتحثو عليها التراب وتدفنها وتؤدي لها شعائر الدين التي لا تستقر أرواح الموتى إلا بعد أدائها . هنا تثور ثائرة الملك ، ويأمر بالقبض على الفاعل الذي استهزأ بقوانين الدولة ؛ فلما يعلم أن أنتيجونى هي التي أتت هذا الأمر لا يبالي أن يأمر بدفنها حية بالرغم من أنها مخطوبة لولده هايمون الذي يحبها ويهيم بها ويعبدها عبادة . ويحضر الابن فيجادل أباه في محبوبته ، بل معبودته . لكن الرجل ينسى كل شيء إلا أنه ملك . فينصرف هايمون بعد أن ينذر أباه أنه لن يراه بعد اليوم ، ويذهب فينتحر عند باب القبر الذي دفنت فيه أنتيجونى . ثم تنتحر أمه عندما يأتيها نعيه ، تلك الأم الرءوم المعذبة التي فقدت ولدها ميجاريوس من قبل ، إذ ضحاه أبوه من أجل صوالح الوطن . ويتلفت كريون فيراه وحيداً في هذه الحياة العبوس الجائحة ، يبكي قلبه من غير أن ينفعه أنه حفظ سلطان القانون فيتمنى ، ولن ينفعه التمني ، لو أنه سمع لنصيحة الكاهن الذي محضه النصح أن يترفق بولده حتى لا يصب الويلات على رأسه

لقد كان سوفوكليس فناناً عظيماً في هذه المأساة الخالدة . . . لقد صور فيها شخصيات رائعة لم تظفر بمثلها درامة في تاريخ المسرح . . . فهذه هي أنتيجونى العنيدة الصارمة التي لا تبالي سلطان الملك وجبروت الدولة ، وهذه أختها إسمينيه الضعيفة الساذجة المضطربة التي لا تقر أختها على فعلتها ، ولا تنكث بها مع ذلك . . . وذاك الفتى هايمون الذي يجادل أباه بالحق والمنطق ، فلما يعييه إقناعه يرخص الحياة بعد عروسه ويتخلص منها غير باك عليها ، وهذا

كريون الملك الذى يتغطرس ويغلو فى غطرسته، لكنك لا تستطيع مع ذاك إلا أن تعجب به بصفته حاكما ، ولا ينبغى أن يكون الحاكم إلا صلباً لا يبالى غير الحق ولا يتهاون فى شأن من شئون السلطان ... ثم أولئك المنشدون (الخورس) الذين يجبنون أنتيجونى حين تصرخ أنها لم تأت منكراً حينما دفنت أخاها ، ويرثون لها يمون العاشق حين يحاول إقناع الملك بخطل سياسته فلا يقتنع ، فى حين لا ينتقدون الملك حين يشتط فى التمسك بأوامره، ووجوب معاقبة الخارجين عليها لأنهم يكونون خوارج على الدولة ...

هذا إلى فن سوفوكليس وروعة أسلوبه الذى يقول فيه جيته :

« إن كل شخصيات سوفوكليس قد أوتوا نعمة الفصاحة ، وجمال البيان ، فهم أبداً مداره ألباء يعرفون كيف يسوقون حججهم ويقيمون براهينهم بحيث يكون السامع إليهم فى صف المتكلم الأخير منهم دائماً ! »

٤ – أوديبوس تيرانوس (أوديب الملك)

عرضنا خلاصة هذه المأساة فى إسخيلوس عند ما لخصنا (سبعة ضد طيبة)(١). ودرامة سوفوكليس تتناول حياة أوديب بعد أن رقى أريكة الملك ثم تتسلسل الحوادث حتى يعرف السر الهائل : أنه قتل أباه وأنه تزوج من أمه وأنه أولدها أبناءه جميعاً .. وأروع مشاهد المأساة ذلك المنظر الذى يعترف فيه كل من أوديب وأمه أحدهما للآخر عن الماضى المؤلم المشجى. ثم تلك النهاية التى تقتل الأم فيها نفسها ، ويسمل الابن عينيه . وبالرغم من روعة المأساة وسموها الفنى قد لاحظ عليها النقاد ضعفاً فى الحبكة الدرامية ، إذ كيف يسيغ الذوق الدرامى أن يتزوج شاب قوى فتى جميل مثل أوديب امرأة عجوزاً شمطاء تكبره مرتين أو أكثر من مرتين مثل أم هذا الفتى !؟ ليس فى تاريخ الجمال اليونانى ما يسيغ هذا الوضع وخصوصاً على المسرح . وقد اعتذر أرسطو عن ذلك بأنه عيب يضيع فى روعة حوادث المأساة وجمال تسلسلها وشدة أسرها ... ثم لماذا تنتحر الأم ولا ينتحر أوديب ؟ لماذا يكتفى بأن يسمل عينيه ويعيش بقية حياته أعمى فى تيه الغابات ؟ ! يعتذر أرسطو لذلك أيضاً بأن الأسطورة كانت مشهورة قبل سوفوكليس فلم يشأ أن يتناولها بالتبديل والتحوير ، ويُرد على ذلك بأن سوفوكليس كان يصور الناس والحوادث بما كان ينبغى أن يكون فلِمَ لم يطبق قاعدته على مأساة أوديبوس ؟!

(١) ٢٩٩ ص ٦٢٠

٥ – عذارى تراشينيا(١)

لا ندرى لماذا أطلق سوفوكليس ذلك الاسم على مأساته هذه إلا أن تكون قد حدثت هنالك ... وكان الأحرى أن يسميها ديانيرا أو مقتل هرقل

يعترض طريق هرقل فى إحدى مغامراته نهر عظيم لا يستطيع أن يعبره وتكون معه زوجه الجميلة المفتان ديانيرا فيبدو لهما سنتور عظيم ويعرض أن يحملهما إلى العدوة الأخرى ... وتركب ديانيرا على ظهر السنتور ويخوض بها فى اليم فيحس نحوها بغرام شديد فيعتزم أن يهرب بها من هرقل ، فلما يبلغ العدوة الأخرى ينطلق بها فتصرخ فينتبه هرقل فيرسل أحد سهامه المسمومة بدماء هيدرا فيخترم السنتور ... وقبل أن يموت السنتور يهب ثوبه لديانيرا فتفرح به لأنه كما زعم لها يرد إليها محبة زوجها إذا تحول عنها قلبه بشرط أن يلبسه ... وتحتفظ ديانيرا بالثوب سنين عدداً ثم يمضى هرقل فى إحدى مجازفاته فتعلم أنه صبا إلى حبيبة شبابه وخليلته الأولى فتضطرم الغيرة فى قلبها وتذكر ثوب السنتور ، ثم ترسل أحد خدمها ليلقى هرقل وليقدم له ثوب السنتور فيلبسه (لأنه يعيد إليه ما خار من قواه فى مجازفاته الشاقة) ، وما يكاد هرقل يلبس الثوب حتى يسرى سم السنتور فى جسمه فيعذبه ويضنيه حتى يموت ... وتعلم ديانيرا بموت زوجها فتعرف حقيقة الثوب وأن السنتور إنما أراد أن ينتقم من هرقل لأنه قتله فتحزن ثم تنتحر

فى هذه المأساة والمأساتين التاليتين نلحظ تبدلاً فى سوفوكليس ونرى أنه تأثر بالشاعر الشاب يوريبيدز .. ثم نلحظ ضعفاً فى الحبكة الدرامية سببه الهرم وتقدم السن، فقد نظمها بعد الثمانين وفى عصر تقلقل وصراع بين أثينا وأسبرطة

(١) جهة فى أقصى جنوب تساليا وعاصمتها تراشين (كرامر ج – ١ ص ٤٤١ – فعى غير تراقيا)

٦ — فيلوكتيتس (٤٠٩ ق . م)

عند ما حضرت الوفاة هرقل منح سهامه المسمومة لرصيفه البطل فيلوكتيتس الذى صحب اليونانيين فى حملتهم على طروادة ... لكن أفعى لدغته فى رجله فى جزيرة لمنوس ، وأحدثت بها جرحاً بليغاً سبب له ألماً شديداً ، وخشى المحاربون أن يكون سبباً فى طاعون يذهب بريحهم. فتركوا البطل المسكين وحيداً فوق الشاطئ ثم أبحروا إلى طروادة ... واستمرت الحرب عشر سنوات سجالاً بين الفريقين ، ثم جاءتهم نبوءة أن طروادة لا تسقط إلا إذا حضر الحرب فيلوكتيتس ومعه سهام هرقل . . فذهب البطل أودسيوس ومعه البطل نيوبتوليموس بن أخيل إلى حيث ثوى فيلوكتيتس ليحتالا عليه فيحضر معهم إلى طروادة بسهام هرقل ... وقد شق على البطل أن يفعل وعز عليه أن يصحب قوماً أهملوه فى كربته وغادروه وراءهم وهو فى شدة الحاجة إلى معونتهم ، وكان جرحه ما يزال يؤلمه ويبرح به ... لكن شبح هرقل يبدو له فى شبه حلم وينصح له بالذهاب إلى طروادة لنصرة قومه ، ولأن هناك الطبيب ماشيون الذى يستطيع مداواة جرحه فيهش فيلوكتيتس وينهض من فوره ، ويمضى إلى طروادة... وحل عقدة الدرامة على هذا النحو يدلنا على مبلغ تأثر سوفوكلس بيوريبيدز .

٧ — أوديبوس فى كولونوس[1]

لا ندرى لماذا عاد سوفوكليس فجأة وبعد نصف قرن تقريباً إلى مأساة أوديب ؟ لعله أراد أن يرد على أرسطو قبل أن يولد (٣٨٤ — ٣٢٢) ، كما أراد أن يقول لماذا لم ينتحر أوديب كما انتحرت أمه !

بعد أن سمل أوديب عينيه نفاه كريون باتفاق بينه وبين ابنيه المتنازعين على العرش مما جعل أوديب يرسل لعنته على ولديه ... وذهب الملك الأعمى ليأوى إلى الأحراج والكهوف فتبعته ابنته أنتيجونى لتعينه وتقوده وتسليه ، وكانت ابنته الثانية إسمنيه تختلف إليه فى الخفاء لتنهى إليه أسرار طيبة ... وتمضى السنون ... ثم تقول نبوءة إن أوديبوس إذا مات فى أرض أجنبية واشتملت جثمانه تلك الأرض فإنها لا تلبث أن تغزو طيبة وتنتصر على أهلها . . ويذهب أوديبوس على وجهه فى الأرض ، تقوده أنتيجونى حتى يأتيا أحراج يومينيدز أو ربات اللطف والرحمة[1] فما يكاد

(١) كولونوس هى إحدى ضواحى أثينا

الملك يمس بقدمه أرضهن حتى يشيع فيه إحساس الرضى والشعور بالرحمة فيعلم أن الربات قد عفون عنه وغفرن له ذنبيه العظيمين : قتل أبيه وزواجه بأمه . ثم تأتيه بذلك النبوءة ، وتشمله حماية الربات ، ويتلقاه ثيذيوس عظيم كولونوس فيكرم مثواه ويعطيه عهده على أن يحميه ضد ولده وضد كريون على السواء ... وهكذا تنتهى آلام هذا الرجل التعس ، وتعود إليه طمأنينته بعد أن كفر عن ذنبه ...

والمأساة لا عقدة لها ، بل هى سلسلة من الآلام عرضها سوفوكليس عرضاً جيلاً رائعاً ، واستجمع لها رصانة الأسلوب ودقة الأداء وفتنة الفن ... وقدمات سوفوكليس ولم يشهد مأساته تمثل ، وقد تولى إخراجها حفيده المسمى باسمه فجمع لها قدسية الأكروبوليس وشدو البلابل وعظمة أثينا التى حطمتها أسبرطة

وبعد ، فهذا عرض سريع مقتضب لا يغنى عن قراءة الأصول شيئاً .

دريني خشبة

(١) هن ربات العذاب وقد صيرتهن هكذا ميترفا بعد قضية أورست

يا غازي ... عليك رحمة الله!

للأستاذ علي الطنطاوي



عليك رحمة الله (يا غازي) الحبيب، يا فخر الشباب، يا من لم يتمتع بالشباب! يا سيد العرب، يا من روع فقده العرب. يا بدر العراق الآفل، يا أمل الشام الذاهب، يا دنيا من الفتوة والبطولة والنبل طواها كف الموت (يا غازي) عليك رحمة الله!

بالأمس استصرختك وأنت أملنا وملاذنا، وأنت عوننا على الدهر الظالم، والعدو الغاشم، أفأقوم اليوم لأرثيك يا أملنا ويا ملاذنا؟ أأقف على قبرك الطري مودعاً وباكياً، وقد كنت أقف على بابك العالي مستغيثاً ومستصرخاً؟ أأخاطبك اليوم من وراء القبر وقد كنت بالأمس ملء الكون حياة وقوة وشباباً؟

ليتني ما عشت حتى أرى هذا اليوم! ليت يدي ما طاوعتني حتى أكتب هذا المقال! ليتني ما بقيت حتى أرثيك يا غازي! (يا غازي) جل المصاب وما لنا فيه يدان! (يا غازي) عظم الخطب وضاقت الحيلة! (يا غازي) لو كان يفتدى ميت لفداك العرب بأنفسهم! (يا غازي) قد فقدناك فعليك رحمة الله!

على شبابك الكامل، على بطولتك النادرة، على أيامك الحلوة، على ذكرياتك الخالدة، على روحك الطاهرة، (يا غازي) رحمة الله!

***

أفي عشرة أيام يدور الفلك، وتتبدل الدنيا، ويستحيل عيد مولد الملك الشاب الحبيب، إلى مأتم الملك الشاب الحبيب؟

أفي عشرة أيام تمر دنيا كاملة، تبدأ بأعظم عيد عرفه هذا الشعب هو عيد ميلاد (غازي)، وتختم بأجل مصاب رآه، وهو المصاب (بغازي)؟

من كان يظن وهو يشهد أفراح هذا الشعب في (٢١ آذار) يوم الربيع الطلق، ويوم (غازي) الذي كان أمرع من الربيع وأبهى، أن الفجيعة الكبرى كامنة في الغد القريب، وأن هذا الشعب سيلطم وجهه ويمزق ثوبه حزناً على (غازي)؟

أأحسست بالغد القريب فذهبت تستعجل القدر لتهيئ لأمتك كل شيء قبل أن تمضي، فعرضت جيشك يوم الثلاثاء لتؤكد لها القوة والأيد، وفتحت الندوة يوم الأربعاء لتضمن لها الحضارة والخصب، وعطفت على آلام سورية لتنشئ لها الوحدة والعزة، وأجريت الخيل يوم الجمعة لتعلم وليدك الصغير كيف يكون فارساً قبل أوانه، كأنك شعرت أنا سنفجع فيك قبل الأوان؟

لقد كنت قريباً منك يوم (عرض الخيل) فرأيت في عينيك وأنت تراقب ابنك معنى من معاني الغيب ولكني ما أدركته، ومن أين يخطر على بالي أنك كنت تودعه، وتفكر فيه كيف يفقد أباه ويجد الملك، فلا يدري ما الملك ولا يني ينادي: بابا ...؟

من كان يظن أن الملك الشاب ابن الخمس والعشرين يموت؟

من كان يظن أن هذه الهبّة الكبرى إنما هي استعجال للقدر، وأن هذه الأيام العشرة إنما هي الخاتمة البارعة لتلك الحياة البليغة؟.. ولكن هل تم كل شيء حتى تستريح (يا غازي)؟ لقد وعدت (وفد العروة) أن تشرفهم بلقائك وما عهدناك أخلفت قبل اليوم وعداً. لقد كمل الجسر العظيم الذي لم ينشأ مثله في عهد الرشيد والمأمون، فأين أنت لتفتحه بيدك، وتخطو فيه أول خطوة؟ لقد وصل الخط الحديدي إلى الموصل أفلا تفضلت فرعيته وافتتحته؟ لقد أجمعت أمة الشام على نصبك ملكاً، وتسليمك عرش أبيك على رغم الظالمين، فأين أنت لتسكن قصر أبيك في دمشق وتجتل عرشه فيها؟ لقد تهيأ العرب ليمشوا تحت لوائك إلى قمم المجد وذرى العظمة، فتقدم يا قائد العرب يا مليك؟

وأين قائد العرب؟ أين المليك؟

لقد مشى إلى رحمة الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون!

***

أحين اشتدت المعضلة، واستحكم الأمر، ورجوناك للخطب لا يرجى فيه إلا أنت..؟

أحين تعلقت بك الآمال ، وأقبلت عليك القلوب ، وغدوت حبيب الشعب المفدى ...؟

أحين تمت بك الأفراح ، وكادت تتحقق بك المنى ...؟

اللهم لقد حرمت كل شيخ منا ابنه ، وكل فتى أخاه ، وكل صبي أباه ، حين أخذت سيدنا وحبيبنا وملكنا غازي !

اللهم فارزقنا الصبر ، وأين منا الصبر ؟

* * *

(يا غازي) ارفع رأسك ساعة وانظر إلى شعبك . إنه يحار ماذا يصنع ، فهو يسكت واجماً ثم يثور نادباً ، ثم يستفزه الألم فيقرع الطبول ويرقص رقصة اليأس . إنه يحمل صورتك مجللة بالسواد فلا يراها أحد حتى يبكي . على أنهم حملوا صورتك في الأفئدة ونقشوها على صفحات النفوس ، فأنت من كل قلب حبته ، ومن كل عين سوادها ؛ اسمك آهة على كل لسان ، ودمعة في كل مقلة ، وخفقة في كل فؤاد ، ومناحة في كل بيت عربي ...

فيا غازي ، عليك رحمة الله !

* * *

لقد لحقني اليوم طفل ما أحسبه بلغ الرابعة ، فجعل يطلب مني بالحاح ويشير بيديه ؛ فأعطيته فلسين فألقاهما في وجهي ، فزدتهما قرش الأربعة ، فتفهمت قصده فإذا هو يطلب شارة سوداء كالتي أضعها في صدري ليعلن بها الحزن عليك ، فدفعتها إليه فانصرف وهو يذكر اسمك ويبكي !

لقد رأيت عجوزاً تنظر إلى رسمك المجلل بالسواد وتبكي بحرقة كأنما تبكي فيك ولدها الوحيد ، وهي تظن أنه ما يراها من أحد إلا الله !

لقد أغمي على كثير من الطلاب والطالبات لما سقط عليهم الخبر الأسود . لقد احمرت من اللطم صدور وخدود يؤذيها مس النسيم !

يا غازي ، يا أيها الفتى القوي ، يا أيها الفارس الطيار ، ألم تعد تستطيع أن ترفع رأسك مرة أخرى لترى ما صنع شعبك ؟

لقد مت من القضاء مرة ولكنا متنا من الحزن ألف مرة ، وسنموت من الحزن ألف مرة ، ولن ننساك (يا غازي) ، مثلك ما ينسى !

* * *

إن الشام الذي نادى بك مليكاً منذ أيام وكنت أنت أمله لم يبق له أمل ، فهو يبكي فيك اليوم كل شهيد من شهدائه . إنه كان يحبس دمعه من أجلك فلمن يحبس الدمع من بعدك ؟

إن العجوز التي كانت تتلقى ابنها القتيل وهي تهتف باسمك ، لم يبق لها من تهتف باسمه من بعدك !

(يا غازي) من لأطفال الشام ، من لنسائه ، من لضعافه الذين يسومهم القوي ألوان الخسف ؟ (يا غازي) من لهم ، وباسم من يهتفون من بعدك ؟

(يا غازي) ما تيتم لفقدك فيصل الصغير وحده ولكن فقدك يتم كل عربي . ما تيتم فيصل الصغير ، أبداً ما تيتم ، إن كل عربي له أب وخادم وصديق ، إن له في قلب كل عربي مكاناً !

* * *

أحقيقة أنهم أودعوك جوف الثرى ؟

(يا غازي) إني والله ما أصدق أنك مت !

(يا غازي) لقد سمعت الخبر فكذبته ، ولعنت ناقله وانتظرت أن أراك طالعاً علينا ، تمر مرّ النسيم الناعش ، مرّ الرجاء الحلو بخيال الآيس الحزين ، تحيي شعبك ، وتسبغ عليه القوة والحياة بابتسامتك النيرة وفتوتك الباسلة ؛ وطفقت أراقب الساعة أحسب الوقت فلم تمر ، فشككت ولكني لم أصدق ما قال المرجفون ، ورأيت النساء يبكين ويندبن ، فبكيت والله ، ولكني لم أصدق ما قال المرجفون ... وشاهدت بغداد وملء شوارعها البكاء والحسرة والندب ، ولبثت أشك ولبثت أرجو ، حتى سمعت المدافع ووعيت الصيحة ، فلم يبق شك ولم يبق رجاء ... لقد تحقق النبأ فوا حسرتاه ... لن نراك (يا غازي) طالعاً علينا ، لن نبصر من بعد موكبك ولا ابتسامتك ولا تحيتك ، فيا غازي في ذمة الله وأمانه ، يا غازي عليك رحمة الله

* * *

يا أهل بغداد !

مات غازي فابكوا واندبوا ، فعلى مثل غازي يحلو الندب والبكاء .

يا أهل بغداد !

ما فجعتم فيه وحدكم ، ولكنها فجيعة العرب بسيد العرب . لقد كان منار رجائنا (معشر الشاميين) فانطفأ المنار . لقد كان لنا مناط الأمل . لقد كان لنا كل شيء ... فيا أهل بغداد كلنا في المصيبة سواء

فتح في عالم الطب

يوفق إليه بحاثة وطني

للأستاذ فليكس فارس

إذا كان رجال العلم في الأقطار الغربية يترصدون كل اكتشاف ويرقبون كل اختراع يوفق إليه التفكير الإنساني أيان كان التماعه ومن أية أمة كان انبثاقه، وإذا كنا نحن في بدء نهضتنا لا يتتبع منا إلا النذر اليسير خطوات العلم في مجاهل الجسم البشري ومجالات الطبيعة في مختلف مظاهرها، فقد حق علينا على الأقل أن يستوقفنا ما يوفق إليه الباحثون من أبناء وطننا، وأن يهم الخاصة والعامة منا بأية ظاهرة من ظاهرات العبقرية التي تتجلى من حين إلى حين في أبناء هذه السلالة العربية الشرقية كأنها تباشير الشفق ودليل انبعاث لمهدنا القديم

لقد أراد البعض ممن يدعوننا إلى اتباع القافلة العلمية الغربية أن يدّعوا تفرد السلالات الآرية في الذهنية الاستقرائية قائلين: إن ذهنية الشرق لا تخصب إلا بالاستيحاء والاستلهام من النفس، وإنها تقصر في مجالات التدقيق أمام الظاهرات الكونية، وأن ليس لنا نحن أبناء السلالة السامية إلا الاقتباس والعمل بما يكتشف الغرب، فقلنا لهم: إن أجدادنا قد تسلموا تراث العلم ممن سبقهم من الشعوب فدفعوا به إلى التكامل وتوسعوا فيه وزادوا عليه، فما أقنعهم دليل الواقع في التاريخ القديم؛ غير أن الزمان يمشي بخطواته والشرق العربي يستعيد أمسه في يومه ويتهيأ لوثبته الكبرى في غده، فيعلم دعاة التقليد في مجال التفكير أن الله لم يخلق العقل من منائم متعددة متفاوتة الصفات في جماجم الناس؛ وأن الشعوب إذا انفرط شملها على سبل الثقافة في عواطفها وتجمعها في حياتها فانها لا تجد أمامها إلا صراطاً واحداً في التفكير، وهي متجهة إلى العلم ومعرفة الحقائق الواحدة في جوهرها

هذه كلمة لم أر بدّاً من إيرادها عطفاً إلى ما سبق لي نشره في مبحث الشرق والغرب لأتدرج إلى قول كلمة في ظاهرة من مظاهر نهضتنا العلمية يحق لنا أن نباهي بها، وقد أقرّها من الغرب مَن لهم ردٌّ ما بنى على التوهم والاعتراف بما يؤيده العلم الصحيح

* * *

من الأمراض التي أضلّت أسبابها الباحثين قديماً وحديثاً داء الروماتزم أي الالتهاب المفصلي الحاد بأنواعه. فكان دهاقنة الطب يعرفون عنه أنه داء عضال خفيت أسبابه، وعزّ على الطب التحكم فيه إطلاقاً لأنهم لم يوفقوا إلى اكتشاف العامل الحقيقي الذي يلهب المفاصل بسمومه، ولا عرفوا نوع هذه السموم إلى أن قيض الله لطبيب مصري من هذا الشرق العربي، وهو: الدكتور نجيب فرح المقيم في الاسكندرية أن يكشف هذا العامل الخفي، ويهتك بإظهاره للعلم سلسلة من أسرار المناعة والدفاع لا في داء الروماتزم فحسب بل في غيره أيضاً من الأدواء التي لا يزال العلماء يعالجون خفاياها

وحين عقد المؤتمر الطبي العربي أوائل فبراير الماضي في القاهرة تقدم الدكتور فرح إليه بتقرير مستفيض عن أبحاثه التي اعترف له بها دهاقنة أطباء الغرب واستشفوا من ورائها آفاقاً جديدة للطبابة فأورد بالأسلوب العلمي شذرات قد لا يسبر كنهها إلا رجال الطب فرأينا التحدث إلى طبيبنا الوطني استجلاء لحقيقة هذا الاكتشاف. وهكذا تسنّى لنا أن نضع هذا المقال، ونحن على جلية مما نعرض

لقد وفق مواطننا سنة ١٩٣٣، وهو يعالج المصابين بالروماتزم إلى العثور على جرثومة البنموكوك ثائرة في دمهم، فاستوقفته هذه الثورة في داء لم يكن يُعرف من قبل أن له بها علاقة مباشرة إذ كان من المقرر فنياً أن البنموكوك كما تدل تسميته وهي جرثومة ذات الرئة لا يسبب إلا التهاب الرئة عند تهيؤ الأسباب له للخروج من استكانته

ولكننا سنتبع طريق غازي، وسنمشي تحت لواء خليفته. حتى نبلغ الغاية التي سعى إليها ويقول التاريخ: إن العرب يكون سيدهم الراحل لأن لهم عواطف وقلوباً، ولكنهم يخلصون لسيدهم الجديد لأن لهم مطامح وعقولاً. فيا غازي إذهب إلى رحمة الله مشيعاً بالحب والإكبار. ويا ابن غازي اعلُ العرش، وانشر اللواء واحمل التاج، فإنه ليسر روح غازي في سمائها، وعظامه في ثراها أن يخلص شعب غازي لخليفة غازي كما أخلص له

يا غازي عليك رحمة الله. ويا خليفة غازي ابسط يديك فهذه بيعتنا، وسر بنا إلى الأمام فهذه سواعدنا وهذي أرواحنا ... إلى الأمام ... وعلى غازي رحمة الله والسلام.

علي الطنطاوي

وعند ما لجأ إلى طريقة « نوفلد » للتفريق ما بين البنموكوك والستر بتوكوك « وهى تقوم بإضافة صفراء مرارة الأرنب أو الأملاح الصفراوية فى أنبوبة المعمل على هذه الجراثيم فتحل النوع الأول ولا تؤثر على النوع الثانى » خطر له وهو يعاين هذا التفاعل فى الأنابيب أن يقيس معدل هذه المادة المعروفة باسم « بيليروبين » فى دم المصابين فثبت لديه أنها ترتفع ارتفاعاً متفاوتاً فى شدته تبعاً لقوة رد الفعل الشخصى دون أن يكون فى مجارى الصفراء أى انسداد وفى الكبد أية علة يسند إليها ارتفاع معدل المادة الملونة للصفراء فى الدم بالتحول ، فأدرك بهذه الخطوة الموفقة أمرين هما الحلقة المفقودة فى علة الروماتيزم وفى علل أخرى كما سيأتى البيان . وأثبت أن الروماتيزم الحقيقى إنما هو نتيجة لثورة البنموكوك عند ما تضعف مقاومة الجسم ، وأن السم الذى ينبعث عنه إنما هو المسبب لالتهاب المفاصل كما أثبت فى الوقت نفسه أن ارتفاع معدل المادة الملونة للصفراء فى الدم فى هذه الحال ليس عبارة عن يرقان مَرَضىٍّ بل هو رد فعل داخلى قد يبدو تحت سيطرة الغدد الصماء لحشد ما يمكن « لشبكة آشوف » النارشية أن تمد به الخلايا من مادتها الملونة للصفراء لمقاومة البنموكوك المجتاح بتلبيده فى السدم ثم حله ثم هضمه

وما احتفظ الدكتور فرح لنفسه بهذا الاكتشاف بل ذهب يكرر اختباراته وينشر عنها فى كبريات المجلات الطبية، وقد سبق أن أدلى عنها ببيان فى المؤتمر الثامن للاتحاد المصرى للأطباء عام ١٩٣٦ ونشر مثل هذا البيان فى مجلة لانسيت عام ١٩٣٧ ، وفى مجلة أمراض البلدان الحارة فى لندن عام ١٩٣٨ ، ثم عرضه على مؤتمر أوكسفورد العالمى فى جلسة ليمانفتون فدون فى محضره. فكان لما جاء به هـذا الطبيب الوطنى من الملاحظة والاستقراء والتعليل شأن كبير لدى رجال الغرب المنقطعين إلى استكشاف مجاهل الجسم واستجلاء أسرار الخلل فيه

وعند ما عقد المؤتمر الطبي العالمى فى بات من أعمال انكلترا فى أبريل سنة ١٩٣٨ ووقف النطاسى « هانش » يعرض مشاهداته السريرية عن تأثير اليرقان فى الالتهابات المفصلية والعضلية مكتفياً بسرد الحوادث دون الذهاب إلى تعليلها، وقف مواطننا الدكتور فرح فتناول شرح هذه الظاهرة بما اكتشفه فى اختباراته طوال السنين من تأثير اليرقان تأثيراً ناجعاً فى الروماتيزم مثبتاً أن المادة الملونة للصفراء تلبد البنموكوك وتحله وهو أصل الداء فى ثورته .

وهكذا جاء مواطننا فى مجتمع من أكبر المجتمعات العلمية العالمية بتعليل يعززه الاستقراء والتحقيق لظاهرة كان يقف عندها الأطباء كأنها تصادف بين حلول داء الروماتيزم وظهور اليرقان دون أن يعلموا أن ثورة البنموكوك هى كلمة السر فى حركة الهجوم والدفاع

أما الأمراض الأخرى التى اكتشف الدكتور فرح تأثير المادة الملونة للصفراء عليها ، فمنها ذات الرئة وبعض أنواع الربو والحمى القرمزية التى تهبط الحمى والنوب فيها ويتماثل العليل بها إلى الشفاء بمجرد ظهور اليرقان وانتشار المادة الملونة للصفراء لحل البنموكوك وإبادته . ومنها داء السل والحمى التيفوئيدية التى تجد جراثيمها مرتعاً ملائماً فى المادة الملونة للصفراء فتؤدى إلى استفحال الداء على عكس ما يحدث فى ذات الرئة والروماتيزم والحمى القرمزية ، لذلك يعمد الجسم فى دفاعه إلى إنقاص معدل هذه المادة فى الدم حين يصاب بالعلل الأولى

وهكذا أثبت مواطننا أن هناك دفاعين : دفاعاً إيجابياً ودفاعاً سلبياً تؤمنه الشبكة النارشية لإمداد الجسم بقوى الدفاع عن سلامته بحسب نوع الجراثيم التى تجتاحه

هذا وإنك لتجد فى تقرير الدكتور فرح من تجاربه فى دم الأرنب ما يدلك على مبلغ دقته واجتهاده فى التوصل بالتجارب العملية إلى نتائج لا تترك مجالاً للشك فى صحة القاعدة التى يضعها، فقد تحقق أن الأرنب ذو مناعة طبيعية ضد التيفوئيد لأنه لا مادة ملونة للصفراء فى دمه، ولكنه تمكن من قتل هذا الحيوان بهذا الداء بمجرد حقنه يومياً بهذه المادة بعد تلقيح دمه بباشلس ابيرت

وفى هذا التقرير عن سير السل وما يؤدى إليه ظهور اليرقان من اشتداد العلة ، والاتجاه إلى نزف الدم ، وعن الحمى القرمزية ، والربو وتأثير المادة الملونة للصفراء فيهما ، ما يطول إيراده تفصيلاً فى هذه العجالة .

وبعد أن أورد الدكتور بيانه مستشهداً باختباراته وبما جاء مؤيداً لها من اختبارات من أخذوا بنظريته من علماء الغرب يقول :

إننا لا نغالى إذا نحن أكدنا أن أشد أعداء الإنسانية خطراً إنما هى البنموكوك ، وباشلس كوخ لأن عليهما تقع تبعة أكثر

ما نشاهد من عاهات، وما يقع من وفيات. هذا فضلاً عن أن أعراضهما المرضية تتخذ أشكالاً جد متعددة؛ وإذا ما احتلا مرتعاً من الجسم توافر الاستعداد فيه أو انكشفت إحساسه فإن الأول يؤدي إلى الإصابة بالروماتزم الحقيقي، والثاني إلى ما يشبه الحقيقي، وإلى داء المفاصل على اختلاف أنواعه وفقاً للتفاعل الخاص في كل فرد.

وبعد أن يعرض الدكتور البحاثة لأنواع الأمراض التي يلعب البنموكوك دوره فيها كذات الرئة والالتهابات الشعبية والربو والحمى القرمزية والسل يعود فيضع حدوداً للتمييز بين ما تثيره سموم البنموكوك وما تثيره سموم السربتوكوك من علل مختلفة مثبتاً تأثير المادة الملونة للصفراء وأملاح الصفراء على الروماتزم الحقيقي بعد أن أثبت أن البنموكوك هو المسبب له عند ثورته

ومما لاحظه مما يؤيد اكتشافه هو أن المرأة المصابة بالروماتزم تزول أعراض هذا الداء منها بمجرد حبلها، لأن المادة الملونة للصفراء يرتفع معدلها إطلاقاً في دم الحامل طوال مدة الحمل

وقد حدد الدكتور فرح الأحوال التي تصح فيها معالجة المرضى بالحقن بالمادة الملونة للصفراء، والأحوال التي تزيد فيها هذه المعالجة من خطورة الداء؛ وهنا تظهر الدقة البالغة حدها في الاستقراء إذ يتوصل البحاثة إلى تخطئة بعض دهاقنة الغرب في اعتقادهم أن كل روماتزم يمكن معالجته مطلقاً بالمادة الملونة للصفراء لأن هنالك أنواعاً من الروماتزم السلي «بونسه» تزيد خطورتها عند المعالجة بالمواد الصفراوية

من الصعب أن يتوصل كاتب إلى تلخيص كل ما أورده الدكتور فرح في تقريره من ملاحظات عززها بالرسوم العديدة المأخوذة عن مجالات المجهر ليبين التفاعل الذي تثيره مقاومة الجسم بين بعض أنواع الجراثيم والمادة الملونة للصفراء؛ فلمن تروق له هذه الأبحاث من غير الأطباء أن يرجع إلى المجلة الطبية حين صدورها ناشرة محاضرات أطباء البلاد العربية ولكل منهم أثر بين في دقة الملاحظة في الموضوع الذي تناوله مما يسجل للنهضة العلمية في الشرق العربي ما يرد قول القائلين بانحصار العبقرية السامية ضمن نطاق الذات المستلهمة وقصورها في الاستقراء والتحليل والاستنتاج في رحاب العلم والتحقيق العملي

إن القصور في نهضتنا لا يتجلى في جهود الأفراد ولا في استعدادهم فكرياً وعملياً، بل القصور كله كائن في هذا التفكك بل التناحر الذي يسود كل فئة من الجامعات في أوطاننا، إذ بينما نجد التضامن سائداً بين تجار البلاد الراقية وزراعها وصناعها وأطبائها وعلمائها وأدبائها لا تعرض لك هذه الفئات عندنا سوى التناحر والمزاحمة مما يؤدي إلى تقلص الهمم وانكماش العبقريات على نفسها. وقلما تجد كاتباً لم تنزل به النوائب من كاتب، أو تاجراً لم يزعزع تجارته تاجر، أو زارعاً لم يقطع أشجاره زارع، أو طبيباً لم يهزأ به طبيب.

تلك هي علتنا، وإن نحن سجلناها على أنفسنا فما نقصد مجاراة من قالوا بضعف طبيعة الشرقي ونفور فطرته من كل تعاون؛ إنما نسجل هذا العيب على أنفسنا، وفي تاريخ أوروبا في بدء نهضتها ما يشبه عيبنا بل ما يتعداه بمراحل؛ وليست وقائع كولومبس وغاليله وباستور متوارية وراء غياهب التاريخ. هذا وإننا نرجو أن يأخذ العقلاء بيننا بعبر الأيام وحوادث الدهر ليعملوا على لم الشعث وتوحيد الجهود وأن ينال علماء البلاد قسطهم من تعضيد الحكومة للنهوض بهذه الأمة المتفجرة ذكاء وعبقرية ونبلا فتتبوأ المقام الذي حق لها في ماضي الحقب وهو حق لها في آتي الزمان

فليكس فارس

دراسات في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب يصور البيئة العامة

قلنا إن الأدب هو البيان المعرب عما يكنه ضمير الإنسان، وما تشعر به عاطفته، وما يصوره خياله من هذا العالم خيره وشره وجماله وقبحه؛ فهو صورة للبيئة التي يعيش فيها، والواقعات التي تنزل به، والآلام واللذات التي يحسها، والآمال والمكاره التي يرتقبها

يرى في إقليمه المروج والرياض في بهجتها ونضرتها، والجبال والبحار في عظمتها وروعتها، والغابات والصحارى في وحشتها ومخاوفها، فيبين عما يرى كما توحي العاطفة ويصور الخيال

ويرى ألواناً من العيش الرغد أو العيش النكد، وضروباً من السرور واللهو، أو فنوناً من الحزن والغم

ويرى دولات من الظفر والغلب، وأخرى من الخيبة والهزيمة، فيتعاون على الإبانة عن هذا وذاك فكره وعاطفته وخياله

ويشهد شقاقاً في أمته، ونزاعاً بين عشيرته، أو يرى المودة والسلام والألفة والوئام، فيطبع في نفسه صورة الشقاق والنزاع والحرب والطعان، أو يتمثل في ضميره صور المودة والسلام والحب والإخاء

ويحيط به سلطان جائر يتحكم في فكره ووجدانه، ويسومه صنوف الذلة والعذاب، فيستنيم ويستكين حتى تموت المعاني في وجدانه، وتجف الألفاظ على لسانه، أو يأبى مجادلاً، ويصيح مناصباً، ويتخذ البيان حجته وسلاحه، وجداله وكفاحه

أو يتاح له سلطان عادل صالح يوسع له في الحرية ما وسعت الحرية الصالحة، فينطلق فكره في العالم، ويترجم عما يدرك ويشعر جهد بيانه، وملء قلمه ولسانه، لا يخشى حسيباً، ولا يخاف رقيباً

ثم البيان في هذا كله على قدر الفكر الساذج والمعارف القليلة، أو العقل الواسع والعلم الغزير، يختلف باختلاف مدارك القائل ومعارفه، ومشاهده وتجاربه

تغير الأدب

فإن يكن الأدب صورة للبيئة والحادثات، وترجماناً لحالات الأمة ومشاعر الإنسان فتغير هذه الأمور يغير الأدب. فإن كان التغير ارتقاء إلى الأحسن والأعلى مثل الأدب هذا الارتقاء، وإن كان ارتكاساً في القبيح والأدنى صور الأدب هذا الارتكاس. فالأمم تختلف آدابها باختلاف بيئاتها وأحوالها، والأمة الواحدة تتغير آدابها بتغير عصورها وأطوارها، والأفراد في الأمة الواحدة تختلف آدابهم باختلاف فطرهم ومشاهدهم، وافتراق حظوظهم من العيش، وأنصبائهم من المعرفة. وهلم جرا

المؤثرات في الأدب

فالمؤثرات التي تغير الأدب كثيرة متشابكة، ظاهرة وخفية يعسر إحصاؤها والإحاطة بها، ولكن يمكن تمداد أصولها فيما يأتي:

(ا) البيئة الطبيعية:

إذا تغيرت بيئة الإنسان تغير أدبه ارتقاء أو انحطاطاً، أو رقياً في ناحية ونزولاً في أخرى. والتغير هنا له سببان: الأول اختلاف المرائي والموضوعات بين البيئة الحديثة والبيئة القديمة، والثاني تغير الإنسان نفسه بتأثير البيئة وذلك لا محالة يظهر في أدبه

فالعرب حينما هجروا مواطنهم في الجزيرة إلى العراق وفارس والشام ومصر والمغرب والأندلس تغير أدبهم تغيراً واضحاً: ضعف إحساس البداوة القوي الذي يظهر في وصف الصحراء والإبل والخيل وحمر الوحش والظباء والنعام، وفي وصف السفر والنكد والحروب — واستبدلوا به رفاهية الحضارة ورقة شعورها. فنشأ الشعراء الذين عرفوا في الأقطار الإسلامية بعد أن اطمأنت الأجيال العربية إلى البيئات التي طرأت عليها

(ب) واختلاف أحوال الحضارة ومنها:

١ — الحال العقلية: فشيوع العلم والفلسفة واتساع المعارف يجعل الأدب أعمق. وأشمل لحقائق العالم ودقائق الطبيعة والحياة. فشعراء الدولة العباسية وشعراء الأندلس (مثلاً) أبعد غورا

وأوسع مجالاً في تفكيرهم، وتصويرهم من شعراء الجاهلية، وصدر الإسلام .

وتأثير المعارف في الأدب يظهر في النثر أكثر من الشعر . لأن النثر أولى بمباحث الفكر ، وأقبل للنظر العميق ؛ ولذلك نرى سمة المعارف أبين في كتابة ابن المقفع والجاحظ، وبديع الزمان والتوحيدي، وابن العميد، وابن شهيد، منها في شعر أبي نواس والبحتري وأبي فراس . وربما يقارن انتشار العلوم ضعف الأدب لأسباب أخرى كسوء السياسة ، وقلة المكافأة ، والإسراف في الترف . وليس الضعف من انتشار العلوم ، ولكن من هذه الأحوال المقارنة (١)

فإذا رأينا القرن الخامس الهجري أوسع علماً وفلسفة من القرنين الثالث والرابع ولكنه في الجملة أضعف أدباً منهما ، فذلك لا يرجع إلى اتساع المعارف بل يرجع إلى أسباب أخرى

وإذا رأينا الأدب قليلاً بين العلماء المنقطعين للعلوم فذلك بما أغفلوا الأدب أو قلت عنايتهم به ؛ أو لأن فطرتهم التي وجهتهم إلى درس العلوم لا يلائمها درس الآداب . فأما إذا تساوى اثنان في الفطرة الأدبية والاتجاه إلى الأدب فأوسعهم معرفة أعظمهم أدباً وأقرب إلى نفوس الخاصة من الناس . وربما يفوقهم الآخرون حظوة عند العامة بما شاركوهم في الشعور ولم يرتقوا عنهم بالمعرفة والفكر كثيراً

٢ — الأحوال الاقتصادية :

إذا شغلت الأمة بتحصيل قوتها وأنفقت معظم وقتها في كسب معيشتها لم تزدهر فيها العلوم والآداب والصناعات . وإذا وجدت فراغاً بعد تحصيل القوت انصرفت إلى شئون الحضارة من العلم والأدب وغيرها

فانتظام ثروة الأمة ورغد عيشها يعين على إزهار الآداب بما تجد النفوس من فراغ وبما يكثر أمامها من ألوان الحضارة وبدائع الصناعة والعمران التي تحرك الشعور للبيان

وانظر الحجاز قبل الإسلام وفي صدر الإسلام ثم بعد قرون تجد خلافاً بيناً في الثروة وفي الشعر . فالعرجي وعمر بن أبي ربيعة وكثير وابن قيس الرقيات ، يبينون عن شعور دقيق وإحساس رقيق لم يكن لشعراء الحجاز قبلاً

وانظر ما مثلت مرائي الحضارة بالبحتري في وصف قصور الخلفاء ، وما وصف شعراء الأندلس من مظاهر العمران والنعيم

وإن يكن إلحاح الفقر أحياناً يجود الأدب في بعض الناس فذلك يكون في أمة قد مكنتها ثروتها العامة أن تنتج أدباً .

وأما الأمة التي يعمها الفقر وتبرح بها الفاقة ، فلا ينبغ فيها أديب إلا على الندرة والشذوذ

عبد الوهاب عزام

(١) وقد يفسر هذا بأن النبوغ العلمي والأدبي يظهران معاً، ولكن الأدب يزهر سريعاً ، ويذبل سريعاً لدوزانه على العاطفة ، والأمور النفسية . والعلم يحتاج إلى مقدمات عقلية ، وأطوار فكرية طويلة إلى أن يحيط الناس بمسائله . ثم إذا أحاطوا بها بقيت العقول قادرة عليها زمناً طويلاً وإن ضعف الشعور ، وخدت العواطف — ألسنا نرى ثورات العواطف في الانسان سريعة قصيرة — وحالات العقل من العلم والتذكر والحفظ ، ونحوها طويلة المدى . فكذلك حالات الأمم في العواطف وما يتصل بها والعقل وما يتصل به .

على هامش الفلسفة

طريقة الأخلاق أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

إذا كان استنتاج الأخلاق من الدين وربطها به حسب ما كان يراه رجال الدين المسيحيون منقوداً كما رأينا، فهل من الممكن استنتاجها من معين آخر؟ ذلك ما حاوله كبار فلاسفة ما وراء الطبيعة.

شغل كثير من الفلاسفة أنفسهم ببحوث ما وراء الطبيعة التي أهمها تعرّف القوة الموجودة لهذا الكون والتي إليها الأمر والنهي وهي مصدر الخير كله، ثم استنتاج الأخلاق منها، سواء منهم من تقدم بهم الزمن أمثال أرسطو وأفلاطون أو من تأخر بهم أمثال: دِيكارْت(١)، لِيبْنِز(٢)، سْبِينُوزا(٣)، مَالْبِرَانْش(٤).

هذه الأخلاق المبنية على مباحث ما وراء الطبيعة لها حظها من السمو والجلالة يجعلها للخلقية الإنسانية معنى كبيراً نبيلاً إذ تربطها بالله العلى الحكيم. على رغم ما بين علماء ما وراء الطبيعة من اختلافات جوهرية في حل مشكلة العالم، نراهم جميعاً متفقين على الاعتقاد بأن للمرء عقلاً نظرياً يصل من نفسه بلا حاجة لتجربة ولا لشيء آخر إلى معرفة الحقيقة المطلقة أي إلى معرفة الله تعالى، ومن هذه المعرفة العالية المباشرة تصدر الأخلاق. فالله هو مصدر كل حقيقة موجودة، والكائن الكامل ومبدأ الحياة الأخلاقية؛ فكرة الكمال هذه هي نقطة التحول مما وراء الطبيعة للأخلاق. كما أن نسب الكثرة هي موضوع الرياضيات، تكون نسبة الكمال موضوع الأخلاق والأساس الذي نبني عليه حكمنا على الأشياء والأعمال. الدابة كما يقول مالبرانش أوفر حظاً من التقدير من الحجر لأنها أقرب منه للكمال. والأمر على العكس بين الدابة والإنسان لأن نسبته من الكمال أوفى وأكبر من نسبتها منه؛ فالذي يحترم مثلاً حصان عربة أكثر من سائقها يكون ضالاً في حكمه متنكباً سواء السبيل. كذلك من الواجب أن نلاحظ أنه يوجد في المرء نسب متفاوتة من الكمال بين مختلف أعضائه، وهذه النسب تتباعد تارة وتتقارب أخرى إلا أنها تتفاوت على كل حال؛ فالروح مثلاً أكمل من الجسم، والعقل أكمل الحواس

من أجل هذا يجب أن يعيش المرء كانسان لا كحيوان، وأن يكون في سلوكه حسب النظام الذي يوحى به إليه أكمل ما وهبه الله وهو العقل، ومعرفة هذا النظام هو أصل الخليقة. يجب على المرء أن يحيا طبقاً لأكمل عضو إنساني فيه وهو العقل الذي يؤلف بين الناس، بينما تفرقهم الشهوات والعواطف والمصالح الخاصة. بسلوك المرء هذا السبيل يصل للسعادة. ليس القصد السعادة الخارجية التي مردها الحظ أو الثروة أو الجاه أو كل ذلك وأمثاله معاً، بل السعادة الداخلية والغبطة النفسية التي هي أسمى ما يطمح إليه إنسان والتي ينالها المرء من التخلق بالفضيلة والوصول للكمال بالقدر المستطاع.

بهذا ونحوه يؤكد فلاسفة ما وراء الطبيعة إمكان استنتاج الأخلاق من تلك الأبحاث. إلا أن هناك صعوبة لا يسعنا تجاهلها تقف دون نزولنا على ما يريدون. أمامنا تاريخ الفلسفة يؤكد لنا بلا ريب أن الآراء في جميع مسائل ما وراء الطبيعة، والحلول التي عرضت لمشاكلها كانت جد مختلفة على نحو لم يعهد في الآراء الأخلاقية التي يرون استنتاجها منها وابتناءها عليها. حقاً من الممكن أن نقرر بلا مغالاة تقارب النظريات الأخلاقية في المثل العليا الأخلاقية؛ هي تأمر بفضائل واحدة، بينما لا نجد مثال هذا التماثل، ولا قريباً منه في حلول مشاكل ما وراء الطبيعة. من السهل أن نأخذ كثيراً من الآراء الأخلاقية عن سقراط، أو أفلاطون أو أرسطو، أو سبينوزا مثلاً دون أن نتقيد بشيء ما من آرائهم فيما وراء الطبيعة. ذلك معناه أن معين الأخلاق ليس فلسفة ما وراء الطبيعة، لهذا نرى أن هؤلاء الفلاسفة في حاجة شديدة لمهارة جدلية فائقة لربط المبادئ الأخلاقية التي جاءتنا عن

(١) أحد فلاسفة الفرنسيين وأعلام رجال ما وراء الطبيعة والهندسة (١٥٩٦ - ١٦٥٠) اشتهر بمباحثه فيما وراء الطبيعة وبمذهبه في الشك الذي ابتدأ بانكار كل شيء وانتهى باثبات وجود الله.

(٢) عالم وفيلسوف ألماني شهير (١٦٤٦ - ١٧١٦)

(٣) فيلسوف هولندي معروف (١٦٣٢ - ١٦٧٧)

(٤) أحد فلاسفة ما وراء الطبيعة الفرنسيين (١٦٣٨ - ١٧١٥)

الضمير الإنسانى ، والتى أمدتنا بها أمثل التقاليد العالية الإنسانية بآرائهم فى مسائل ما وراء الطبيعة . وإذاً فلنقل بحق إن ربط الأخلاق بما وراء الطبيعة ليس إلا سفسطة فى الغالب من الحالات

إذا كان لم يسلم استنتاج الأخلاق من فلسفة ما وراء الطبيعة، كما لم يسلم القول بأخذها من الدين على النحو الذى أسلفنا، فهل من الممكن استنتاجها من بعض العلوم؟ هذا ما رآه « أوجست كونت[1] » إذ بنى أخلاقه على العلم الذى تنتهى إليه العلوم، وهو علم الاجتماع.

علم الاجتماع يقرر أن الفرد ليس إلا أثراً من آثار المجتمع والإنسانية . الإنسانية هى الموجود الأكبر الذى يستمد الفرد منه كل كيانه ومقوماته ، فهو يتقبل من المجتمع الماضى والحاضر كل ما له وكل ما هو . ما نأكل وما نلبس وما نتمتع به فى مختلف مناحى الحياة ليس إلا نتيجة عمل الإنسانية الخالدة التى لا تفتر عن العمل لحظة من اللحظات لخير المجتمع كله . أليس ما ننعم به اليوم من سيارات وطائرات وراديو ولاسلكى وكهرباء بعض أعمال شركائنا فى الإنسانية الذين عانوا فى سبيل ابتداعها أو كشفها كثيراً من الآلام وعملوا لأجلها مالا يستهان به من التضحيات ؟ ثم من الناحية العقلية والأدبية نجد اللغات والعلوم والآداب إرثاً اجتماعيا أمدتنا به الإنسانية على طول الأيام .

لهذه النظريات الاجتماعية يستنتج « كونت » هذه النتيجة الأخلاقية وهى : أن الفرد يجب أن يعيش لأجل العائلة والإنسانية ، وبعبارة أخرى يجب أن يكون مبدأه « الحياة لأجل الغير » . إذن تكون الأخلاقية أو الخلقية هى أن نمكن للايثار على حساب الأثرة . بل يقول أحد من يرون هذا الرأى وهو الأستاذ « جوبلو Gobolot » : « ليس الإحسان عطية يقطعها المرء من ماله ، بل هو تعويض واجب عليه دفعه »

حقاً هذا استنتاج جميل تعلق به الأفئدة ويتفق مع أعلى التجارب الأخلاقية للانسانية ، ولكن نقطة السير فى هذه الأخلاق المبنية على هذه النظريات ليست من القوة والتسليم بحيث تفرض نفسها على العقل بطريقة جازمة . كون الفرد ليس إلا أثراً من المجتمع محل نزاع قوى . الضمير النفسى الذى يكشفه الإنسان فى نفسه حقيقة من الحقائق ، أى « أنا » حقيقة يقينية لا شك فيها ، بل ربما كانت الحقيقة الآكد من سواها . لأنه كما يقول « ديكارت » : « من الممكن أن أشك فى العالم الخارجى ولكن لا يمكن أن أشك فى شكى هذا . لا يمكن أن أشك فى فكرى . ليس من الممكن أن أشك فى وجودى ككائن مفكر . إذن أنا أفكر فأنا موجود ».

ثم هذا الاستنتاج الكونتى يصلح حقيقة لإنارة النفوس المتشبعة بالمثل الأعلى الأخلاقى ، إلا أنه لا يفرض نفسه منطقياً على كل النفوس والعقول . هذا امرؤ يعتقد الواجب ويؤمن به ، لحينا يفهم أنه صنيعة العالم والإنسانية وأنه بدونهما لا يكون شيئاً ، يجد من المنطق أن يرد الجميل وأن يحيا فى سبيل الغير . وذاك الذى ليس عنده أية فكرة سابقة عن الواجب ، أية مخالفة للمنطق فى قبوله كل مقوماته من المجتمع دون أن يرد له شيئاً ، حقيقة ليس من الأخلاق أن ينفق المرء فى سبيل لذائذه الأنانية الأموال التى جمعت بطريق الغير ، والقوى المركزة فيه من الأسلاف السابقين . لكن هذا إن لم يكن من الأخلاق ليس من السهل وصفه بأنه لا يتفق مع الروح العلمية المنطقية

والنتيجة العامة بعد ما تقدم كله أنه لا يمكن استنتاج أخلاق صالحة مقبولة من الجميع من الدين — على نحو ما كان يفهم رجال الديانة المسيحية — أو من فلسفة ما وراء الطبيعة أو من علم الاجتماع الذى يعتبر نهاية العلوم . إذن فلنترك مؤقتاً الطريقة الاستنتاجية ، ولنوجه البحث نحو الطريقة الثانية وهى الرجوع فى الأخلاق إلى الحاسة الإلهامية ، وإلى اللقاء إن شاء الله

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

***

فى العدد رقم ٣٠٠ كلة الحاسة الأخلاقية ، وصحتها : الحاسة الأخلاقية وكلة رجاء الصواب ، وصحتها : رجاء الثواب

(١) أحد الفلاسفة الفرنسيين الباحثين فى الرياضيات ومؤسس الفلسفة الوضعية (١٧٩٨ — ١٨٥٣)

ربيع وربيع !

هذا ربيعكما يا فتاتي الفاتنة ويا طفلتي الجميلة : صفاء من سلام النفس يفيض بشراً في العين وطلاقة في الوجه ، ورُواء من ألَق الشباب يشع نوراً في السماء وسروراً في الأرض ، ورخاء من نعيم الطبيعة ينتشر عطوراً في الجو وزهوراً في الروض ، وانتشاء من رحيق العيش يشيع لذة في الحس وبهجة في القلب ، وهدهدة على أرجوحة الحب تذهب مع الأمل الباسم وترجع مع الرضى السعيد

***

هذا ربيعكما يا فتاتي الفاتنة ويا طفلتي الجميلة : استغراق في أمان الله ، وانطلاق لمتاع الحياة، واتساق ربيع العمر مع ربيع العام ، واتحاد الجمال البشري بالجمال الإلهي الماثل في وشاء الحقول وأفواف الخمائل وأعطار النسيم وألحان الطير وأنفاس الأحبة . فأين - بالله ربكما - أجد الفرق بينكما وبين ملكين يعتنقان في نشوة الخلد ، ويأتلقان في وضاءة الفردوس ؟ أفي النظرة الساهمة ، أم في البسمة الحالمة ، أم في الفتنة النائمة ، أم في الحلو الحقيق بالطهر ، أم في الحنو الخليق بالأمومة ، أم في الذهول الغريق في اللذة، أم في الصبي الذي يضوع بريح الجنة، أم في الحلم الذي يصل باللانهاية ؟

***

هذا ربيعكما يا فتاتي الفاتنة ويا طفلتي الجميلة، وما كان أحرى الناس أن يكون لكل امرئ ربيع مثله ! ولكن النفوس إذا عاث فيها الشر أجدبت فلا تُربع ، واضطربت فلا تطمئن !

هذا ربيعنا يا زهرتي النضيرتين يلفح بالسموم ويطفح بالهموم ويضطرم بالعداوة ! كأنما استخلف الله الشياطين على حكم الأرض؛ ففي كل دولة إبليس ، وفي كل أمة جهنم . ومن طباع الأباليس كراهة الفراديس ، فهم لا يريدون سلاماً في وطن ، ولا يحبون ربيعاً في زمن ، ولا يدعون آدم في جنة . هذا مفيستو فولس النازي وشمهورش الفاشي أصابهما الله بنمو القرون فجأة ، فتألها وتألما ونازعاه ملكوت الأرض ، فأحدهما يريد أن يعبده الغرب، والآخر يريد أن يعبده الشرق ؛ وهما لذلك يحشدان كل ما في الجحيم من سموم ونيران وحُمم ليدمرا في أيام معدودات سكان الدنيا وحضارة الدهر ! والعالم كله قد وقف أمام الشيطانين موقف الدفاع ، لا تنتج معامله غير الخراب ، ولا تخرج مصانعه غير الموت ، ولا تحرك دوله غير الجيوش، ولا يفكر ناسه إلا في الحصون والخنادق والأسلحة والمخابئ والأقنعة !

فكيف يكون لربيعنا في هذا الجدب ازدهار ، ولنفوسنا على هذا الفزع استقرار ، ولحضارتنا مع هذا البلاء استمرار ، ولحياتنا على هذه الحال المحزنة جمال ولذة ؟ !

لعن الله يا ابنتي حواء شياطين الإنس وشياطين الجن ، فإنهم لو لم يخلقوا لكانت الأرض كلها جنة ، والناس كلهم ملائكة ! . . .

ابن عبد الملك

من ذكريات شم النسيم

يوم لا أنساه ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

كان ذلك في طنطا منذ ست سنين ، وكنا جماعة من مدرسي اللغة العربية قد جمعتنا على الوداد أواصر لا تنفصم ، فما نفترق إلا على ميعاد . وكان لنا من دار صديقنا أمين ... ندوة نختلف إليها في مواعيد رتيبة ، نقرأ ونتزود ونتناقش الجديد من مسائل العلم والأدب ، لا يكاد يفوتنا شيء مما تخرج المكتبة العربية ؛ فإذا التقينا فثمة مذاكرة أو مناظرة أو رأي جديد ؛ وإذا افترقنا فلكي يخلو كل منا إلى نفسه وقتاً يتهيأ فيه لموضوع يطرحه على الجماعة في الاجتماع التالي ؛ وما كانت الفترة بين الاجتماعين تزيد على يومين اثنين ...

كنا نعيش عيش الرهابين قد فرغوا من الدنيا وأخلصوا أنفسهم لما هم فيه ؛ فما لهم من دنياهم إلا التسبيح والعبادة ، وما لشيء عليهم من سلطان إلا ما اختاروا لأنفسهم ...

وجاء « شم النسيم » فقال قائل منا : « أين تقترحون أن نقضي ذلك اليوم ؟ »

وما اختلفنا على الرأي ، فما كان يعنينا أين نقضي يومنا ، إذ كان كل ما يعنينا أن نكون معاً نعمل ما نعمل على النهج الذي فرضناه على أنفسنا منذ تعارفنا : أي نقرأ ونتذاكر !

واجتمع رأينا على أن نخرج في ذلك اليوم إلى ضاحية قريبة من المدينة لا أسميها ، حيث نقضي يومنا هناك في مصلى كبير يعرفه بعض أصحابنا على حافة ترعة من تلك الضاحية ...

والتقينا على موعد قبيل الشروق وما أفطرنا بعد ، فاتخذنا طريقنا بين الحقول الناضرة إلى حيث نريد ، يحمل كل منا في يده أو تحت إبطه ما يقدر عليه من طعام وفاكهة وحلوى ، ومن دفاتر يقدر أن سيقرأ منها ما يقرأ في ظل شجرة الصفصاف الحانية على ذلك المصلى ... ولم يغب عنا تدبير الماء الرائق ، فحملنا ما يكفينا في زجاجات بأيدينا . ولم يتخلف عن الجماعة في ذلك اليوم إلا صديقنا الذي اختار لنا هذه الرحلة ، لأنه آثر أن يسافر لزيارة خطيبته في القاهرة ، وقد أراد الله لنا وأراد له ....

سارت الجماعة اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، نتجاذب أطراف الحديث في صفاء وانشراح ؛ لا يكاد يخطر في بالنا شيء إلا ما يجري على ألسنتنا من فكاهة أو حديث مرتجل ...

وخلفنا المدينة وراءنا ، فما تقع عيوننا إلا على زرع وماء ، وقطرات الندى تلمع على أوراق البرسيم صافية تترقرق ، وأشعة الصبح تداعب عشاش الطيور في أعالي الشجر ، والنسيم الرقراق يهمس في آذاننا بشرى ميلاد يوم جديد من أيام الربيع الضاحك !

واستخفنا الطرب ؛ فأخذنا نمزح لاهين عابثين ، وتخففنا من بعض ما كنا نحمل على كواهلنا من وقار ، وانبعثت فينا روح جديدة لم يكن لنا بها عهد في أنفسنا قبل ، فإذا نحن ناس كالناس حين تصفو لهم الحياة ويعتدل الجو ...

ومددت نظري إلى بعيد ، فإذا المرحوم الرافعي على مد البصر يمشي على حافة قناة بين زرعين يتنسم نسيم الصباح ، شأنه كل يوم[1] . قلت لصحابتي : « وهذا رفيق مؤنس ! » ثم أقبلت عليه أسأله أن يرافقنا ؛ فقال : « وددت ولكن في غير هذا اليوم ... أسأل الله لكم العافية ! »

***

ومضينا على وجهنا نمزح ونضحك لا يعنينا من أمر شيء ؛ وأغفلنا ما كنا نلتزم من تزمت الشيوخ ووقار المعلمين ؛ وكان صديقنا (م) أسرعنا إلى التخفف من وقاره على أنه أكبرنا سناً ؛ فلما ثقل عليه ما يحمل من طعام وماء وكتاب ، خلع المعطف الأبيض عن كتفيه ، فبسطه على الأرض ، فألقى عليه ما كان يحمل ، فصره فيه وحمله على كاهله . ورافقت فكرته زميلاً منا ، فألقى إليه بما كان يحمل كذلك ، وتعاونا على حمل المعطف من طرفيه وعليه ما عليه كما يبسط بساط الرحمة في جنائز بعض الموتى ...

... ورأينا باباً جديداً إلى المزاح ، فألقى كل منا في المعطف بما كان يحمل ، وتركنا لزميلينا أن يحملا وحدهما ما كنا نحمل جميعاً ، لنفرغ إلى المزاح والسخرية والضحك !

ودنونا من المكان الذي نريد ؛ وبدت لنا القرية على مقربة ؛ فمررنا بنسوة يملأن جرارهن من الترعة على مورد قريب من المصلى الذي نهدف إليه ؛ فما كدن يريننا حتى استهواهن المنظر ، فقذفن إلينا بعض نكات مازحات في مرح ، أو عابثات في دلال !

(١) انظر كتابنا « حياة الرافعي » ص ٢٧٤

أما طائفة منا فمادهم وقار المليين وترمّت الشيوخ، فطأطئوا رؤوسهم يهرولون في خجل إلى حيث يريدون؛ وأما طائفة فأجابت نكتة بنكتة ونادرة بنادرة ...

وبلغنا المصلّى وتركنا النساء حيث كنّ ... وخلعنا أحذيتنا، وتخفّفنا من بعض ثيابنا، واتخذنا من أغصان شجرة الصفصاف مشجباً نعلق عليه من طرابيشنا ومن ثيابنا؛ وافترشنا الأرض وبسطنا السفرة نأكل ..

... وجلس اثنان يداولان الرأى فى مسألة، وانتحى اثنان من المصلى ناحية، وتناول خامس كتاباً بين يديه، وتوسد سادس ذراعه، واشتغل كل بشأن ...

وخلع « زهران » طربوشه، فبدت صلعته مصقولة لامعة تحت الشمس؛ فما تعرف أين ينتهى جبينه وأين يبدأ رأسه ... وكانت مادة حديث ...

ومر بنا طائفة من الفلاحين فنظروا نظرة ثم مضوا يتهامسون، ووقف غلامان يشيران إلينا من بعيد، وتجاوزنا طفلان يلقى أحدهما فى أذن صاحبه حديثاً يضحك منه ...

وتثاءب زهران وتمطّى وقال لى: هل لك أن تسابقنى عدْواً على هذا الطريق؟ فأجبته إلى مادعا ... ولم أكن أعلم أن ثمة شراً يتربص!

وأخذنا نعدو ليس فى أرجلنا نعل تقينا وخزات الحصى، ورأسى عار إلا من الشعر، ورأسه عار من كل شيء!

وترامت إلينا كلمات ساخرة وعبارات لم تألفها أذناى؛ فنال منى أن يسخر الفلاحون منى ومن صديقى ... وأتممنا فى السباق دورة؛ وهممت أن أجلس لأستريح، ولكن صديقى أباها علىّ؛ وعدنا إلى السباق، وعادت كلمات الساخرين تسك مسمعىّ!

وقلت لصديقى: « تعال نعُدْ إلى إخواننا! » ولكنه وقد كان رأسه موضوع السخرية ومحور حديث الساخرين، أبى إلا أن يأخذ بحقه!

إن الفلاحين فى مصر لأكرم نفساً وأرحب صدراً من ذلك؛ فما كان بهم أن يسخروا منا ولكنهم أرادوها تحرشاً وكيداً ...

ترى ماذا ظنوا بنا فحملونا على مالم نكن نقصد إليه؟

وكان ثمة غلام فى يده منجل يحش به البرسيم، وعلى شفتيه كلام، فقصد إليه صاحبى يعتب عليه معتبة؛ فما كانت إلا كلمة وجوابها ثم رأيت المنجل المسنون يحزّ فى يد صاحبى فيسيل دم ...

وتجاوبت فى الفضاء صيحتان، ثم سال الوادي فتياناً وكهولة مسلحين بالعصى والهراوات والشر يلمع فى عيونهم!

وأحيط بنا فما وجدنا سبيلاً إلى الخلاص، واشتجرت العصىّ على رءوسنا وأبداننا فلا نجد ما نحتمى به إلا أن نعقد من أيدينا على رءوسنا جنّة تقينا ضربة قاتلة؛ وحاولنا الكلام فما أطقنا، ولو أطقنا لما وجدنا فى هذا الجيش الثائر من يسمع؛ وأسلمنا أرجلنا للريح تعدو وتتعثر وما تزال العصىّ تنال من أبداننا وهم يحصبون أرجلنا بالحصى والحجارة ...

ورأى أصحابنا على مبعدة ما نالنا، فخفّوا إلينا سراعاً حفاة عراة الرءوس؛ فما كان سعيهم إلا لينالوا نصيبهم من هذه المعركة الدامية؛ معركة لم يكن لنا فيها يدٌ ولا لسان وما نعرف لها من سبب! وأسرع من أسرع منا إلى دار العمدة يستعينه على تهدئة هذه الفتنة فأغلق دونه بابه ...

وما كان لنا من وسيلة للدفاع عن أنفسنا غير الهرب، وهيهات ...!

وبلغنا المصلّى عدْواً فقذفنا بأنفسنا بين متاعنا نلتمس الحماية والأمن فى جوار الله فما أجدى ذلك علينا. واشتدتْ هجمة الفلاحين علينا، فإذا نحن محصورون بين نارين: العدوّ من أمامنا والبحر من ورائنا!

وأسرع واحدٌ منا إلى المتاع يجمعه فصاح منهم صائح: هذه هى الزجاجات! وقال آخر: يشربون الخمر فى بيت الله! وقال ثالث: ويل لهؤلاء الفجرة!

... وفى هذه الحُمَّى الثائرة ثاب إلىّ عقلى ففهمت، فابتسمت، وإن الدم ليسيل من يدى ومن جبينى! لقد انكشف السر ...

وما أدرى ماذا كان بعد؛ فقد سقطت على أرض المصلّى فاقد الرشد!

وأفقت بعد قليل، وإن الماء الذى كانوا ينضحون به وجهى ليصل إلى كل جزء من جسدى؛ وكان شيخ البلد جالساً يحقق ويدقق وقد أحاط به أصحابى مكلومين ملطخى الثياب بالدم والوحل كأنهم أشلاء معركة!

... وعرفت القرية كلها بما كان، فخفّ إلينا شيوخها وأعيانها معتذرين يحاولون أن يزيلوا من أنفسنا ما كان من أثر هذه المعركة المشئومة!

وقال العمدة معتذراً : « أحسب أن أمرها سيزول من أنفسكم بعد إذ عرفتم ما كان من ظنهم بكم وإن قريتنا لكريمة مضيافة ؛ فما استفز أشرارها إلى ما كان إلا اللعين الذي زوّر عليهم الخبر بأنكم تشربون الخمر في مُصَلّى القرية ... ! »

وما زال بنا العمدة وحاشيته حتى صفحنا وتناسينا ؛ ولكننا على ما بنا لم نطق بقاء في القرية بعد ، فحملنا متاعنا وفار قنا القرية قبل أن ينتصف النهار ، يشيعنا بالاعتذار من شيعنا من أهلها ، وما منا أحد إلا في وجهه أثر باد يشير إلى ما كان !

فلما صرنا على مقربة من المدينة ، وقد عاد المشيعون من أهل القرية أحسسنا التعب ، فجلسنا في ظل شجرة على الطريق نستريح ، وهممنا أن نبسط ما كان معنا من طعام شهي لنأكل ، فما وجدنا في أنفسنا رغبة ، فتركناه لجماعة من القرويين لم ننتفع منه بشيء !

وأخذنا نسترجع ما فات ، فتعاهدنا على الكتمان حتى لا يعلم أحد بما نالنا ، فإن لنا في المدينة لسمعة نحرص عليها أن تنوشها ألسنة السوء بالباطل ؛ ثم أصلحنا من ثيابنا ما استطعنا واستأنفنا المسير إلى بيوتنا فبلغناها عند الأصيل ... وقضيت في فراشي بضع عشرة ساعة أتلوّى من الألم لا يحس أحد ما بي ...

وفي الصباح توكأت على نفسي إلى المدرسة لا تكاد تحملني قدماي ، في غيظ مكظوم وألم صامت . ولقيت في المدرسة بعض رفقائي في الرحلة المشئومة ؛ فأكدنا ما تعاهدنا عليه أمس من كتمان ما كان ...

وسألني ناظر المدرسة عن بعض ما ينكر من حالي فتعللت بعلة ؛ وسأل زميليّ فما أخطأ الاعتذار !

وتحدثت إلى سائر زملائي في مدارسهم بالمسرة لأطمئن عليهم فأجابوني . وانتصف النهار ، وإذا داع يدعوني من حجرة الدراسة إلى لقاء جماعة من الزوّار ، فذهبت إليهم حيث كانوا فإذا عمدة القرية وجماعة من حاشيته وبينهم زميلاي وناظر المدرسة ، وابتسمتُ وابتسموا ، وقال العمدة : « لقد جئت لأكرر اعتذاري وأسألكم الصفح ! »

ونال مني الغيظ ، فقلت : « لقد كنت صفحتُ أمس ، أما اليوم فلا ، ما دمتم أذعتموها بعد كتمان ! » ولم أستطع أن أغالب الضحك جواباً على فكاهة رائقة من ناظر المدرسة .

وعاد العمدة الغبيّ يقول : « لقد مررت بإخوانك جميعاً فاعتذرت إليهم في مدارسهم . إنني منذ الصباح أطوف المدينة على قدميّ ألتمس الوسيلة إلى رضاكم ؛ ولكنني لم أذهب بعد إلى الأستاذ فلان المدرس بالمعهد الديني ، وها أنذا ذاهب إليه ! »

قلت : « فلان المدرس بالمعهد الديني ؟ حسبك معذرة ؛ سأنوب عنك في الاعتذار إليه ، وقد صفحتُ وصفح إخواني ! »

وما جاء المساء ، حتى كان الخبر على كل لسان في المدينة ؛ فقائل يقول : « أخزاهم الله ؛ لقد انكشف مستورهم ! » وآخر يعقّب : « يا شيخ ؛ حسبهم ما نالهم ! »

***

ولقيت الرافعي بعدها فقال لي شامتاً : « ... هو ذلك . إن الشر ليتربص بالمسلم الذي يحتفل لهذا اليوم أكثر مما يحتفل لطلع المحرّم ! هذه وصية أب ! »

وما ذقت حلواً ولا مراً مرة واحدة في يوم شم النسيم من بعد !

محمد سعيد العريان

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الملاح
وأن يجدد له بمكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ما زالت انجلترة وفرنسا بالسلطان حتى استطاعتا إقناعه بعزل إسماعيل وتخليفه على أريكة مصر ابنه توفيق ، وفي عهد توفيق قدر لمصر أن تنبعث فيها ثورة وقدر لأحمد عرابي أن يكون زعيم تلك الثورة ...

وما أشبه توفيقاً في هذا بلويس السادس عشر ذلك الملك المسكين الذي قال عنه بعض المؤرخين إنه ورث عن أسلافه الثورة والعرش معاً ؛ فلقد تجمعت عوامل الثورة الفرنسية قبل عهده ، وما زالت تنمو وتتزايد ، وما زالت تلك الأقلام الجبارة أقلام فلتير وروسو ومنتسكيو وأضرابهم تحدوها وتمهد الطريق لها حتى جاء عهد ذلك الملك فاضطرب البركان ثم انفجر فكانت الرجفة التي زلزلت فرنسا زلزالاً شديداً

وأرى توفيقاً قد ورث عن سلفه كذلك العرش والثورة ، فلقد تجمعت عوامل الثورة العرابية في عهد ذلك السلطان ، ثم راحت تحدوها وتمهد لها الطريق أقلام جمال الدين وتلاميذه حتى جاء عهد توفيق فانبعثت الرجفة !

لم تكن الثورة العرابية حركة عسكرية فحسب كما يحلو لكثير من المؤرخين أن يصوروها عن عمد أو عن غفلة ، وإن الذين يفعلون ذلك منهم ليأتون من ضروب الخطأ ما نعجب كيف يحملون على قبوله أنفسهم وعقولهم ، وإنما كانت الثورة العرابية إذا أردنا وصفها في جملة: التقاء الحركتين الوطنية والعسكرية واندماجهما . فلما ذهب عرابي إلى الخديو على رأس جنده ذهب يحمل إليه مطالب الجيش ومطالب الأمة معاً ، ومن ذلك الوقت صار سلاح الثورة السيف وقد كان سلاحها القلم ، أو بعبارة أخرى حارت قيادتها بين السيف والقلم !

أخذت انجلترة وفرنسا تتنافسان في بسط نفوذهما في مصر منذ حملة بونابرت ؛ ولكنهما وجدتا في محمد علي رجلاً لا كالرجال بعد سلطانه لا يفقد ذلك السلطان ، فاكتفت أولاهما بالسعي إلى تحطيمه ، وفرحت الثانية بمصاحبته .

وجاء عهد إسماعيل ، وفتحت قناة السويس ، وازداد مركز مصر بذلك خطراً ، فنشبت كل من الدولتين شباكها وعولت كل منهما أن تسيطر على مصر من طريق المال أولاً ثم من طريق التدخل السياسي ثانياً .

وراح اسماعيل يستدين ويسرف في الاستدانة حتى تراكمت على مصر الديون . ولما أرادت مصر أن تجد لمشكلتها المالية حلاً سنحت الفرصة لانجلترة فراحت تتدخل في شئون مصر وتتربص بها الدوائر .

وما هي إلا سنوات معدودة ثم منيت البلاد بالمراقبة الثنائية ، وأصبح أمر داخلها ومنصرفها في أيدي المراقبين الأجنبيين . ثم نظرت مصر فإذا وزير ماليتها انجليزي ، وإذا وزير الأشغال فيها فرنسي ، وإذا مصالحها تمتلئ بالموظفين من الأجانب يتمتعون فيها بالمرتبات العالية ، وإن أهلها لتثقل كواهلهم الأعباء حتى يضيقوا بالحياة .

واشتدت الضائقة على الأهلين لكثرة ما كانوا يؤدونه من

الضرائب ؛ وأحس المتعلمون منهم أنهم خرجوا من حكم الخديو المطلق ليدخلوا في نير الأجانب الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة .

وهبط السيد جمال الدين مصر يبث فيها مبادئه ، ويجمل إليها قبسه ، وكان جمال ذلك الرجل الذي أطلعه الشرق ليضيفه إلى كواكبه الزهر، يرى أن علة العلل في هذا الشرق المغلوب على أمره أن شعوبه سلبية الإرادة ، تحكم على رغمها ، وتسخر لحساب الحاكمين ، ولا مخرج لها إلا أن تعود حرة كما كانت من قبل حرة ؛ ولن يكون هذا إلا أن تقوم الشورى مكان الاستبداد وأن ينسخ نور العلم ما تراكم في الشرق من ظلمات بعضها فوق بعض .

وكانت التربة في مصر صالحة لبذوره فنمت نمواً سريعاً يحمل على الدهشة ؛ فما أسرع ما ظهرت في البلاد حركة وطنية كأعظم وأجل ما تكون الحركات القومية ؛ وراح تلاميذ جمال يذيعون في البلاد مبادئه . يقول في ذلك الشيخ محمد عبده أنبغ تلاميذه وأحبهم إليه : « وكان طلبة العلم — طلبة جمال الدين — ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة ، والزائرون يذهبون بما يتلونه إلى أحيائهم ، فاستيقظت مشاعر ، وانتبهت عقول ، وخف حجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد خصوصاً في القاهرة » .

وظهرت في تلك الأيام الصحافة العربية ، وراح الناس يقرأون فيها نفثات الوطنية ، وأخذت تهب عليهم من بين سطورها نسمات الحرية ، والتمع لهم فيها وميضها ، فانتعشت أرواحهم وهفت إلى الانطلاق من الأسر قلوبهم .

وأدى اتصال المصريين بالأجانب إلى تتبع الأنباء السالية في الحرب والسياسة . فزادت معرفتهم بأحوال العالم وقارنوا بين الشعوب الحرة وبين أنفسهم ، وراحوا يستنبطون أسباب ما باتوا فيه من شقاء وذلة .

واهتدى الناس إلى منهجهم فعرفوا أن منجاتهم في أن يتخلصوا من الحكم المطلق ومن نفوذ الأجانب جميعاً ، وظهر فيهم الزعماء فراحوا يعقدون الاجتماعات ويتدارسون أمرهم بينهم ، وظاهرهم الخديو آخر الأمر فأصابوا حظاً كبيراً من النجاح ، ورأى المصريون لأول مرة في تاريخهم وزارة وطنية تخضع لمشيئة مجلس يجلس فيه فريق منهم يعبرون عن مشيئتهم

ولكن المصريين ما لبثوا أن فجعوا في آمالهم بتدخل الدولتين تدخلاً جريئاً في شئونهم أدى إلى عزل الخديو وتركهم ذاهلين ، تتنازع أفئدتهم عوامل الحنق والخوف والتشاؤم من المستقبل وأسلمت قيادة السفينة إلى توفيق ، فما كادت تسير حتى اكتنفتها الرياح الهوج ، وقامت أمامها العقبات من كل جانب ؛ فهاهم أولاء المصريون تتأجج نيران الحقد في قلوبهم على الأجانب ولن يطيقوا بعد اليوم أي جنوح إليهم ، وها هي ذي انجلترة تتحفز وتتربص ، ثم ها هي ذي فرنسا تتحين الفرص لتتغلب على منافستها .. وهناك تركيا جاءت آخر الأمر تطلب أن تعيد سلطانها في مصر سيرته الأولى فتردها الدولتان المتنافستان على عقبها

والربان غير عليم بالسياسة وأنوائها ، ولكنه على الرغم من ذلك راح يستغني عن أعلم رجاله بها ، فتخلص من شريف وهو أحوج ما يكون إليه ؛ وتنكر للحركة الوطنية وكان حقيقاً أن يعطف عليها عسى أن يحبه الوطنيون وعسى أن يحملهم هذا الحب على تناسي ما لحق بمنصب الخديوية من هوان صغر به في أعينهم ؛ ولكن توفيقاً غفل عن هذا أو تغافل عنه لما رآه من إقصاء أبيه عن منصبه على ما كان له فيه من جاه وقوة .

وحل رياض محل شريف فآلم ذلك دعاة الحركة الوطنية وأزعجهم أن رأوا رياضاً يجاري الخديو في استكثار الدستور على المصريين فيقنع بما لا يقنع به وطني مكتفياً بمبدأ مسؤولية الوزارة عن أعمالها مستغنياً عن مجلس شورى النواب الذي يحرص عليه الوطنيون كل الحرص

وجاء قانون التصفية فازداد الوطنيون به آلاماً على آلامهم ، ورأوا ما فيه من غبن شديد يتجلى في إلغاء دين المقابلة وقد أخذ من جيوبهم كما رأوا ما فيه ما هو أكثر من الغبن ألا وهو عدم التنازل عن شيء من الدين وهم يعلمون كيف كانت تقترض تلك الأموال ومبلغ ما كان يصل مصر منها ؛ وهم يعلمون كذلك مجازفة الأجانب بأموالهم مما يحملهم كثيراً من المسئولية . هذا إلى أنهم رأوا مرتبات الموظفين من الأجانب في الحكومة المصرية تبقى على حالها من الارتفاع فلم يدر بخلد من قاموا بالتصفية أن يراعوا ذلك في قرارهم فينزلوا بها إلى الحد اللائق

تلك هي الحركة الوطنية أو تلك هي نذر الزجفة . أما الحركة العسكرية فأول ما نتحدث به عنها أنها بدأت كذلك في عهد اسماعيل وتجلى أول مظهر من مظاهرها في تلك الحركة التي اعتدى فيها فريق من الضباط على نوبار أمام وزارة المالية عام ١٨٧٨ م . وكان ما دفع الضباط إلى تلك الحركة ما لحقهم بسبب الارتباك من الاستغناء

عن عدد منهم ومن تأخر مرتباتهم عنهم بينما كانت الجراكسة في الجيش لا يلحق بهم شيء من هذا ...

ولقد استغنى عن عدد كبير من الجند في أوائل عهد توفيق حتى نزل عدد الجيش المصرى عما اتفق عليه أخيراً في بداية هذا العهد . وولى وزارة الجهادية في حكومة رياض عثمان رفقي الجركسي فكأنما جعل أساس سياسته الكيد للمصريين ما وسعه الكيد؛ فلقد راح يذيقهم من نكاله بقدر ما راح يفيض على الجركس من عطف وإحسان . ولم يكن ذلك عجيباً من جانبه ففي دمه ما في دم جنسه من بغض قديم للمصريين الذين كانوا في رأيهم فلاحين لا يصلحون إلا ليكونوا عبيداً

وكان طبيعياً أن تقتصر الترقيات في الجيش على الجركس . وراح عثمان رفقي بعد مشروع قانون يمنع به ترقية الجند من تحت السلاح لكي يبقى العنصر الجركسي في الجيش هو العنصر السائد . أما عن كبار الضباط فقد بدأ يقصيهم عن مراكزهم كما حدث في أمر احمد بك عبد الغفار قائمقام السوارى إذ فصله رفقي وعين مكانه أحد الجراكسة ، وكما حدث في نقل عبد العال حلمى إلى عمل في الديوان ووضع جركسي آخر طاعن في السن محله

أما عن الجند فقد كانت الحكومة تسخرهم في أعمال لا تمت إلى الجندية كحفر الترع والزراعة في أراضي الخديو وغير ذلك . ومما يذكر عن عرابي هنا أنه عارض معارضة شديدة في أن يعمل جنوده في حفر الرياح التوفيقي ، وهو موقف من مواقف شجاعته ، تلك الشجاعة التي يأبى خصومه أبداً إلا أن يروها تهوراً ، والتي نراها في أكثر الأحوال على خير ما تكون شجاعة الرجال ذوى الحمية والإخلاص ... وأى مأرب لعرابي في هذا الموقف؟ وفيم تكون معارضته في أن يسخر جنده في مثل تلك الأعمال إن لم يكن مبعثها الإنصاف والغيرة ؟ وما يكون إنصافه وغيرته في موقف كهذا إلا بسالة وإقداماً

تلك هي المشاكل العسكرية . ولو أن تلك المشاكل عولجت بما يقتضيه العدل لما قدر للحركتين أن تلتقيا فتكون منهما تلك الثورة التي اقترنت باسم عرابي . ولكن كان دون علاجها عقبات ؛ فهناك تعصب رفقي وغطرسته ، وجهل رياض بالشؤون الحربية وترفعه عن هؤلاء الفلاحين من الجند لأنه يترفع عن الفلاحين جميعاً . ثم هناك دسائس الجراكسة في الجيش وكيدهم للمصريين ذلك الكيد الذي لا يفتر

وكان عرابي في أوائل عهد توفيق قد أخذ يتصل برجال الحركة الوطنية ، أو على الأقل أخذ يتصل بالحركة نفسها ؛ وهو من أول نشأته متحمس لبني وطنه ، وشارك عرابي في هذه النزعة الوطنية بعض ضباط الجيش . ولا غرابة في هذا فإن المسألة العسكرية في وضعها هذا كان لا بد أن تدب إليها الروح الوطنية فتكون في مظهرها أمراً متعلقاً بالجيش بينما هي في الواقع كانت شعبة من تلك الحركة العامة التي كانت تشغل أذهان المصريين منذ أواخر عهد اسماعيل.

وكان طبيعياً أن تبدأ المتاعب من جانب الجيش وقد أخذت رجال الحركة الوطنية حيرة منذ أن استقال شريف . ولقد كانت مسئولية الحكومة عن هذه المتاعب وتعقدها مسئولية جسيمة هي عندى من أكبر سوءات ذلك العهد ...

على أن عرابياً نفسه قد رقى في أول عهد توفيق إلى مرتبة أميرالاى ، ومع ذلك فقد أدت سياسة الحكومة أو على الأصح سياسة رفقي أن يكون هو على رأس المتذمرين

بدأت حركة التذمر بأن قدم بعض الضباط المصريين شكوى إلى الوزارة الجهادية عن مرتبات لهم متأخرة، وكان عرابي ممن وقعوا على هذه الشكوى . ونظرت الوزارة في الأمر، وكان قنصلا انجلترة وفرنسا قد تداخلا في الأمر ، وألفت لجنة للتحقيق أقرت مطالب الضباط ، وكان ذلك في مايو سنة ١٨٨٠ ، ولكن رياضاً ووزيره رفقي رأيا في ذلك العمل القانوني حركة جريئة وخروجاً على النظام !

(يتبع) **الخفيف**



نقـل الأديـب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

---

٣٨١ — لقد أحدثتم بدعة وظلما

في (الاعتصام) للشاطبي : ذُكر لعبد الله بن مسعود أن ناساً بالكوفة يسبحون بالحصى في المسجد . فأتاهم وقد كوّم كل رجل منهم بين يديه كُوَماً[1] من حصى . فلم يزل يحصبهم[2] بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ، ويقول : لقد أحدثتم بدعة وظلماً

٣٨٢ — البدعة تعتبر في الشر

في (محاضرات الأدباء) للراغب : قُدّم إلى مالك بن أنس حيث رآه المهدي (العباسي) — الماء ليغسل يده للطعام ، فقال : هذا بدعة

فقال المهدي : يا أبا عبد الله ، البدعة تعتبر في الشر ، فأما أبواب الخيرات فإحداثها سنة

٣٨٣ — لا جرم أنكم تأكلوني

الصفدي : قال بعض الرؤساء لشهاب الدين القوصي : أنت عندنا مثل الأبّ ، وشدّد الباء .

فقال لا جرم[3] إنكم تأكلوني[4] .

قلت : لا يخفى ما في هذا التندير من اللطف لأن الأبّ مشدد الباء هو المرعى[5] . وقال بعضهم هو للدواب مثل الخبز للأنامى ومن يشدد الباء من الأب لا يكن إلا دابة ...

٣٨٤ — حتى يعذب نفسه هذا التعذيب

ذُكر عند أعرابي رجل بشدة الاجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة ، فقال : هذا رجل سوء ، وما يظن هذا أن الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب

٣٨٥ — فقلت لعلها

كان عروة بن أذينة نازلاً في دار عروة بن عبيد الله بالعقيق فسمعه ينشد :

إن التي زعمت فؤادك ملّها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقة فأدقها وأجلّها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي ... ما كان أكثرها لنا وأقلها !
فدنا فقال : لعلها معذورة ... من أجل رقبتها فقلت : لعلها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الضمير إلى الفؤاد فسلّها

قال عروة بن عبيد الله : فأتاني أبو السائب المخزومي وأنا في داري ، فقلت له بعد الترحيب : هل بدت لك حاجة ؟ فقال : نعم ، أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعتها منه . فقلت له : وأي أبيات ؟ فقال : وهل يخفى القمر ؟ ! قوله (إن التي زعمت فؤادك ملها) فأنشدته إياها فلما بلغت إلى قوله : (فقلت لعلها) قال : أحسن والله ، هذا (والله) الدائم العهد ، الصادق الصبابة ، لا الذي يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبة ... عني فأهلي بي أضن وأرغب

إذهب لا صحبك الله ولا وسع عليك — يعني قائل هذا البيت ، لقد عدا أعرابي طوره ، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبك (يعني عروة) لحسن ظنه بها ، وطلبه العذر لها . قال عروة بن عبد الله : فعرضت عليه الطعام ، فقال : لا والله ، ما كنت لآكل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل

---

(١) كوم : جمع كومة بفتح الكاف وضمها

(٢) يحصبهم : يرجمهم . وهو بكسر الصين وبالضم في لغة

(٣) لا جرم : نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أي لا قطع (الكشاف)

(٤) يجوز أن تحذف النون المسماة بنون الوقاية في الأفعال الخمسة وباب إن ، غالبة مع ليت قليلة مع لعل

(٥ الأب للرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع ، والأب والأم أخوان (الكشاف) كل ما أخرجت الأرض من النبات ، رطبه ويابسه (اللسان التاج)

قلت : ومما وضعه أهل الأهواء أن أبا بكر وعمر لم يعرفا ما هو الأب ، ورويت روايتان كاذبتان في ذلك ، واطمأن إليهما مفسرون ولغويون كثيرون وسطروهما في تفاسيرهم ومصنفاتهم . والروايتان هما هاتان : سئل أبو بكر عن الأب فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به . وقرأها عمر في الآية فقال : كل هذا قد عرفنا فما الأب ؟ ثم رفض عصا كانت بيده وقال : هذا لعمر الله التكلف ، وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدرى ما الأب ثم قال : اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا ، فدعوه

٣٨٦ — من حرقة النار أم من فرقة العسل

أبو إسحق إبرهيم بن عثمان الغزى :

أشكو إليكم هموماً لا أبينها ليسلم الناس من عذرى ومن عذلى
كالشمع يبكى ولا يُدرى أدمعته من حرقة النار أم من فرقة العسل

٣٨٧ — رسالة ...!

فى (طبقات الشافعية الكبرى) : ركب اسحق بن راهوَيْه دين فخرج من مرو وجاء نيسابور، فكلم أصحابُ الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحق ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة — وكان عبد الله أمير خراسان وكان بنيسابور — فقال يحيى : ما كتبت إليه قط ، فألحوا عليه فكتب فى رقعة :

« إلى عبد الله بن طاهر . أبو يعقوب إسحق بن ابرهيم رجل من أهل العلم والصلاح »

فحمل إسحق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر، فلما جاء إلى الباب قال للحاجب: مى رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير . فدخل الحاجب فقال : رجل بالباب زعم أن معه رقبة يحيى بن يحيى إلى الأمير ، فقال : يحيى بن يحيى ؟ قال : نعم ، قال : أدخله ؛ فدخل إسحق وناوله الرقعة ، فأخذها عبد الله وقبلها ، وأقعد إسحق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، وصيَّره من ندمائه[1]

٣٨٨ — كأنه من كبدى مقدود

قال على بن عبد الله بن سعد : أنشدت دعبلا قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصرانى الحربى :

زنّاره فى خصره معقود كأنه من كبدى مقدود

فقال : والله ما أعلمنى حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكرا على قوله : (كأنه من كبدى مقدود)

(١) أى من رفقائه وأصحابه فى (التاج) : نادمه جالسه على الشراب ، هذا هو الأصل ثم استعمل فى كل مسامرة . فى (ابن عساكر) : ابن راهويه أحد أئمة المسلمين وأعلام الدين ، فى (ميزان الاعتدال) : سئل أحمد بن حنبل عن إسحق فقال : مثل إسحق يسأل عنه ؟ إسحق عندنا إمام من أئمة المسلمين

أمل العرب الراحل

للأستاذ خليل هنداوى

« قد خططنا للمعالى مضجعا ودفنا العز والمجد معا »
فيصلٌ ما إن نسينا يومه فاجعلوا يومًا لغازى أروعا
فيصل ما نضبت أدمعنا فامزجوا بالدم هذى الأدمعا
لم يكن مصرع غازى واحداً إنه كان لشعب مصرعا
ليس يدرى من نعاه أنه قد نعى العرب جميعاً إذ نعى
أيها الناعى رويداً إنها لامانىُّ تهاوت صُرَّعا
إنه بنيان قوم ينحنى إنه مأمل شعب ودعا
كفنوا غازى بأبراد العلا واجعلوا مثوًى لغازى الأضلعا
مفزع العُرب إذا ما فزعوا من لهم بعدك يبقى مفزَعا ؟
أصبح الشعب يتيماً واجماً أسفاً ، والدار أمست بلقعا
والأمانىُّ مضت تبكى فتى ضم كشحيه عليها أجمعا
فهى تمشى رامقات نعشه تذرف الدمع وتروى المدمعا
والمروءات على جبهته يتهاوين حزانى وُقعا
والسموات على مصرعه مقلة ذارفة أن تقلعا

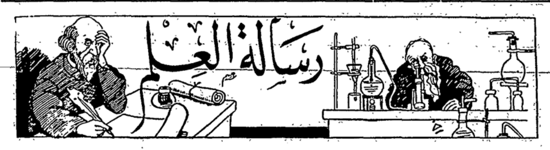
* * *

أبت الأيام إلا حربنا وأبينا أبداً أن نخضعا
فعلى كل ثرًى يجرى دم الثرى بالدم أمسى مترعا
وعلى كل سبيل فدية لم يضيعها الذى قد ضيّعا
وعلى كل شهيد بسمة هى للحق إذا الحق وعى
وعلى كل حمًى تضحية حدّث المربعُ عنها المربعا
والشهادات على أعناقنا لا ترى صرفاً ولا منقطعا
كل هذا مرحباً ! أهلاً به إن يكن يحمل صبحاً ألمعا
« مرحباً بالخطب يبلونا إذا كانت العلياء فيه المطلعا »

* * *

إن يمت فى كل يوم مبدع من بنى العُرب خلقنا مبدعا
لا يفت الدهر من عزمتنا لا يلاقى اليأس فينا موضعا
قد نذرنا للمعالى نفسنا واستطبنا الموت فيها مشرعا
لا نرى إلا العوالى مركباً لا نرى إلا المعالى مطمعا

« دير الزور » خليل هنداوى



ترى ماوراء هذا الكون؟

علاقة بين الكون المحدود وأصغر ما فيه

للدكتور محمد محمود غالى

بحث الرجل منذ القدم عن معرفة الكون فكان يُقسم النجوم التى يراها فى السماء إلى مجموعات تشبه على وجه التقريب بعض الحيوان أو الأشياء . وقد وُجدت فى السويد أشكال من هذه المجموعات الشبيهة بشكل الحيوان ، منقوشة على الحجر منذ العصر البرنزى . واليوم يُقسم الفلكيون فى مؤتمراتهم السماء إلى ٨٩ مجموعة Constellation تجد أسماءها فى الدليل الفلكى . وقد كان « بار » Bayer فى سنة ١٦٠٣ أول من أطلق الحروف الإغريقية الأولى على أسماء النجوم ، لكى يُفرّق بين نجوم المجموعات الكوكبية المختلفة . ولم يلبث أن تقدم علم الفلك تقدماً جعل هذه الحروف الإغريقية لا تكفى هذه المسميات لكثرتها ؛ فلجأ العلماء إلى الأرقام ، وأصبحت النجوم تحمل الرقم الوارد من الدليل الفلكى . وتقدم النظار الفلكى كما تقدمت الطريقة الفوتوغرافية ، فأصبح الدليل يحوى مليوناً من النجوم ، وتقترب معارفنا الآن من عشرات الملايين .

جُل بنظرك فى الشكل الأول تر جزءاً من المجرة فى برج الثور[1] يدلك على بقعة صغيرة من عالمنا الذى يحوى مئات ألوف الملايين من النجوم والأجرام . ثم تأمل الشكل الثانى وهو السديم الشبكى فى الدجاجة[2] تر واحداً من ملايين ملايين العوالم الأخرى المكونة للكون — ثم تصور جسماً صغيراً فى الكون مثل إحدى أشواك التين ؛ وتصور أصغر ما يعرفه العلماء من الجسيمات المكونة لهذه الشوكة ، وهو الإلكترون الذى تحوى الشوكة الصغيرة ملايين منه . إن عدد ألكترونات الكون يتحدى كل خيال ، ومع ذلك فقد تمكن العلماء من الوصول إلى علاقات معقولة بين الكون فى مجموعه وبين الألكترون المتناهى فى الصغر . وسأحاول فى هذه الأسطر أن أحيط القارئ علماً بالطرق التى يتبعها العلماء فى هذا السبيل

***

ذكرنا أن العلم التجريبى قد أثبت ابتعاد جميع العوالم عنا ، وابتعاد كل واحد منها عن الآخر بسرعة تزيد على ٥٠٠ كيلو متر فى الثانية لكل ٣ر٢٦ مليون سنة ضوئية ، وذكرنا أن النظريات الأولى للعالم دى ستير كانت تتنبأ بتمدد الكون ، وأن النظريات عامة وإن عرفت تمدد الكون لم تعين فى المبدأ الدرجة التى يتمدد بها . وأضيف اليوم أن العلم النظرى الحديث لا يحتم الفكرة القائلة بابتعاد جميع العوالم بعضها عن بعض فحسب ، بل يُعين السرعة التى تبتعد بها هذه العوالم كما يُعينها العلم التجريبى .

على أن النسبية وحدها لا تزودنا بهذه المعلومات الجديدة ، ولكن للعلم منابع أخرى وجدت طريقها بعد النسبية لأينشتاين ؛ وأهم هذه المنابع اليوم الميكانيكا الموجية التى أسسها العالم الشاب دى بروى De Broglie الحائز على جائزة نوبل ، أستاذ السربون وعضو المجمع العلمى الفرنسى ؛ وباتباع الطريق العلمى الجديد نجد — مع إهمال القوة الجاذبية بين العوالم إذ هناك ما يبرر إهمالها علمياً — إزاء قوة التنافر للكون ، أن سرعة ابتعاد العوالم بعضها عن بعض تقع بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ كيلو متر فى الثانية لكل ٣ر٢٦ مليون سنة ضوئية .

ومما يلفت النظر أنه للوصول إلى هذه النتيجة الحسابية التى تتفق مع النتائج العملية لم يلجأ الباحثون إلى أى عمل تجريبى أو إلى الأرصاد الفلكية

(١) و (٢) الصورتان واردتان فى كتاب جديث سبق التنويه عنه للأستاذ بريا Bruhat أستاذ السوربون . وقد اعتمدنا فى تعرف التسمية العربية المقابلة للافرنجية على صديقنا الأستاذ سماحة وكيل مرصد حلوان الذى عنى بنشر الألفاظ العربية لبعض أسماء النجوم أو المجموعات المعروفة لدى العرب فى النشرة ٣٩ بتاريخ سنة ١٩٣٦ من نشرات مصلحة الطبيعيات ولم يرد السديم الشبكى فى الدجاجة فى هذه النشرة ، لذلك اتفقنا معاً على هذه التسمية الجديدة

ويجدر بالذكر أن كل ما يتعلق بحساب الكون أو بحساب الألكترون يرتبط إلى حد كبير بتعيين سرعة ابتعاد العوالم بعضها عن بعض . على أن هذا النجاح الأخير الذي يظهر في الاتفاق بين العلم النظري والعلم التجريبي لم يقف عند هذا الحد ، بل استُنبِطَا من العلوم النظرية علاقة بين البروتون والألكترون على وجه خاص بين كتلتيهما . ولكي يفهم القارئ شيئاً عن البروتون نذكر أنه بين مكونات المادة . فذرة غاز الهيدروجين مثلاً مكونة من مركز رئيسي هو بروتون واحد يدور حوله إلكترون واحد كما يدور القمر حول الأرض . ومن ثم أضحى العلماء بفضل تقدم الميكانيكا الموجية بصدد نظريات تعين أمرين في آن واحد :

الأمر الأول : سرعة تمدد الكون ومنها القوة التنافرية ، كذلك الثابت الكوني .

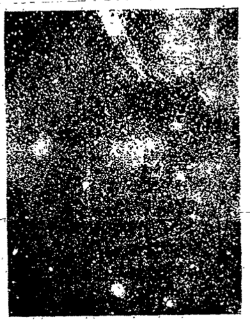
الأمر الثاني : النسبة بين كتلة البروتون والألكترون

إلى هنا لا زال يبعد عن ذهن القارئ العلاقة بين الكون والألكترون، كما يبعد عن ذهنه أيضاً علاقة ربى فيها وزن الكون. ولكي أعطي القارئ فكرة سريعة عن هذا أدله على وجود علاقتين توصل لهما العالم الكبير أينشتاين في سنة ١٩١٦ . يرى في إحدى هاتين العلاقتين كتلة الكون .

(الأولى) علاقة تربط نصف قطر الحيز عند مبدأ تكوين الكون بالثابت الكوني[١]

(الثانية) علاقة تربط ثابت الجاذبية (Constants de Gravitation) ، وكتلة الكون وسرعة الضوء مع نصف قطر الحيز السابق الذكر .

كنت أود أن أطلع القارئ على شيء من هذه العلاقات ، ولكن تدخل معظمها في الواقع حسابات لم يتعودها ومعادلات من الصعب تبسيط مدلولها . فمثلاً بينما حجم كرة نصف قطرها نق يعادل $\frac{4}{3}$ ط نق^3 (ط النسبة التقريبية) فإن حجم حيز كروي له نفس نصف القطر هو ٢ط^2 نق^3 أي ٤٫٧١ حجم كرة عادية . فالحيز الكروي ليس كرة معتادة بل غلافاً لكرة زائدة ذات أربعة أبعاد، Hypersphere وفي كل هذه الأبحاث يفرقون بين نصف قطر الحيز الفارغ الذي هو متوسط أنصاف أقطار مختلفة وفق التوزيع المادي للكون من نصف قطر الكون قبل التمدد ، وفي هذه الأبحاث نرى أن تقوس المناطق الفارغة في الكون أقل من المناطق الآهلة بالمادة . كل هذه الاعتبارات التي تربط نصف قطر التقوس الكروي لقطاع ما ذي ثلاثة أبعاد في مجال Continuum ذي أربعة أبعاد للحيز والزمن الخيالي ، صعب على القارئ الدخول



Cliché de Kerolyr
Observatoire de Forcalquier
Voie Lactée dans le Taureau
ش ١ (جزء من المجرة في برج الثور)

في تفاصيلها ، ولكن يهمني أن يعلم أن العلماء توصلوا إلى علاقات يحدفيها نصف قطر الكون المتقدم وسرعة ابتعاد العوالم وسرعة الضوء ، أو علاقات بين نصف قطر الكون وعدد الألكترونات وشحنة الألكترون وسرعة الضوء ... الخ . ولكني لا أترك هذا الجزء دون أن أذكر أن معادلة من أهم المعادلات الأساسية في هذه الأبحاث تلك المعادلة الموجية الخاصة بذرة الهيدروجين Equatian ondulatiore d'un atome d'hydrogene أي لمجموعة مكونة من بروتون واحد ، وألكترون واحد مرتبط به كما قدمنا ، هذه المعادلة تعين حجم الذرة Dimension وتوزيع شحنتها الكهربائية ، ولا أذكر هنا كيف أدخل العلماء وحدة الطول الجديدة التي هي

(١) قد يهم بعض القراء معرفة هذه العلاقة . إذا رمزنا بالحرف أ للثابت الكوني وبالحرف نقم لنصف قطر الكون عند بدء تكوين الكون فان أينشتاين يدلنا على أن أ = $\frac{١}{نق_م^٢}$

نصف قطر الكون في معظم هذه النظريات ، ولكن أرجو أن يستقر في ذهن القارىء أن كل هذه الموضوعات تكوّن في وقتنا الحاضر وحدة في العلوم ، تستمد قوتها من الناحيتين العملية والنظرية معاً ، وأنه بالاستقراء طوراً ، والبحث التجريبي تارة ، توصلوا لكثير من العلاقات التي تربط الكون بأصغر ما فيه والتي سبق أن أعطينا النتائج الخاصة بها في جدول سابق .

***

كل ما أود أن يعلق بذهن القارىء أن يعرف أن الاستنتاج العلمي لا يقف عند المحسوسات ، وسبق أن قدمت أننا لسنا بحاجة لنرى الليل والنهار لنعرف دورة الأرض ، كذلك لسنا بحاجة لنحصي أجرام السماء لنعرف وزن الكون ، وعدد ما يحويه من الكترونات ، وضربت للقارىء مثلاً بعمل فوكوه عندما استدل على دورة الأرض من بندوله الذي علقه من قبة البانتيون .

وأعود فأقول : لو أن المريخ ، وهو الذي يحجب الضوء عنه سحب كثيفة ، كان مسكوناً بكائنات تفكر مثلنا نسميها المريخيين لما استحال عليهم أن يعرفوا أن سيارهم أيضاً يدور حول نفسه ، كما تدور الأرض حول نفسها ، ولاستطاعوا أن يؤكدوا ذلك برغم ما يحيط به من سحب كثيفة تحجب عن أهله ضوء الشمس ، وهي سحب لم نعهد مثلها حول الأرض ، بل لما استحال عليهم أن يحددوا فترة الليل والنهار الخاصة بهم ، فما عليهم إذا كانوا ينعمون بدرجة ذكائنا ، وكانت لهم طريقتنا في استقراء الأشياء ، إلا أن يعلقوا كرة من خيط طويل يدعونها تهتز ، فإنهم سيدركون أن الكرة لا تهتز فحسب ، بل إن المستوى الذي تهتز فيه يدور حول نفسه ، وبحساب بسيط يمكن للمريخيين إذن أن يحددوا فترتي الليل والنهار

***

عسى أن يكون قد علق بذهن القارىء بعد هذا الجهد الذي واصلناه مدى أربع مقالات عن «الكون بكبر» ثلاثة أمور : الأول أننا أبناء كون محدود مكون من عوالم كلها على حيز وغلاف كروي .

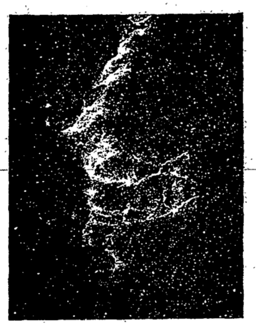
الثاني : أن هذا الغلاف الكروي يتسع ويتمدد على نحو كرة من المطاط ، وأن ثمة قوة تدعو لهذا التمدد الذي يجعل كل العوالم يبتعد بعضها عن بعض ، وأننا الآن في هذه المرحلة من الابتعاد والتمدد التي بدأت منذ بلايين من السنين .

الثالث أن ثمة علاقات ثابتة بين الكون في مجموعه وأصغر ما فيه وهو الالكترون

وأضيف إلى هذه الأمور الثلاثة أنه ليس لنا أن نحاول تعرف شيء خارج عن هذا الكون المحدود

***

هذا هو الكون وفق أحدث الآراء . وقد يتساءل فريق من القراء عما وراء هذا الكون المحدود . وقد يجيز هذا الفريق لنفسه أن يتصور عوالم خارجة عن نطاقه ، ولعل السبب في ذلك هو مطالبتنا له بالاعتراف أن الكون محدود



Cliché de Kerolyr
Observatoire de Forcalquier
Nébuleuse de la Dentelle du Cygne (partie sud)

ش ٢ — الجزء الجنوبي من السديم الشكي في الدجاجة
(كليشيه كيرولير مرصد فوركالكييه)

وليس لدينا اليوم جواب على هذا سوى أن نكرر أن الكون الذي نرى ونسمع ونتحرك فيه ونعرف منه قوانيننا الطبيعية الحالية هو كون محدود ليس لنا أن نتساءل عن غيره ما دامت الظواهر الطبيعية التي نعرفها تنتشر في مثل هذا الكون وكل شيء يدل على أنها لا تتعداه . ولكن ما ذا بعد الكون؟ سؤال يتردد على الذهن !

***

إن نملة تفترضها متأملة خرجت لأول مرة من كومة صغيرة من الرمل وجدت نفسها بطريق المصادفة إزاء ثقب في سنجاد مفروش في سرادق فسيح مقام في جهة قضى نحبه فيها رجل له بين أهله مكانة ، فد الأهل الأبسطة والمقاعد ، وأضاءوا الأنوار وازدحم المكان بالمعزين

تجولت النملة المتأملة الحديثة العهد بالحياة على هذه الأبسطة التسعة تائهة لا تهتدي إلى المسكن الذي خرجت منه ، ترى أنواراً تعلوها ، وأبسطة ممتدة أمامها ، وأناساً يروحون ويغدون ، وتسمع فقيهاً يرتل الآيات بصوت رخيم ، وترى نادلا يقدم قهوة للقادمين ، وكلما مر الوقت انطبعت هذه الصور في ذهن النملة الحائرة

لنفرض بعد ذلك أنه لسوء حظ النملة التعسة انطفأت الحياة فيها بأن داستها أقدام المعزين ، فإنه يغلب على الظن أن الدنيا عندها هي فضاء تضيئه أنوار ، ويحيط به سرادق ، وتغطي أرضه أبسطة ، وفقيه رتل الآيات ، ونادل يتحرك جيئة وذهاباً

إن وجود القاطرة البخارية وحديقة الحيوان ومعرض نيويورك والاستعداد للحرب ، أمر غير معروف لديها ، فكل هذه أشياء خارجة عن حدود مداركها

قد تكون ملايين السنين التي يقدر الجيولوجيون والطبيعيون أنها الفترة التي مرت على الإنسان منذ وجوده بالنسبة للخليقة كهذه اللحظات بالنسبة للنملة الحائرة ، وقد لا يمثل ميراثنا العلمي الذي لا تتسع له دور كتب العالم قاطبة الوجود في شيء ، وقد يشبه معارف النملة عن الكون الذي لم تر السكينة منه إلا ليلة عزاء محصور كل حوادثها بين قطع محدودة من الأقمشة ، ويكون الكون ذو الحيز المتقوس وفق ريمان وأينشتاين ، المتمدد وفق دي ستير وإدنجتون ، المحدود وفق سان وليتر ، ذرة واحدة ، لا نقول بين ملايين ذرات مماثلة لها ، بل بين ملايين أكوان لا يمثل هو فيها شيئاً ، ويكون كوننا مثالا خاطئا لحقيقة الوجود ، بل قد يكون كأحد جسيمات الدخان لمصنع لا نعلم عنه سوى إحدى ذرات دخانه المتصاعد ، ونكون معشر الناس ككائن نفترضه داخل هذا الجسيم من الدخان ، لا يرى إلا ما يكون الجسم الذي هو بداخله . فالقطن الذي يدخل هذا المصنع والوادي الذي زرع فيه هذا القطن ، والنهر الذي رواه ، والمهندس الذي صمم القناطر على هذا النهر ؛ كل هذه أمور غير معروفة بالمرة لهذا الكائن الذي افترضناه داخل الجسيم

كم يغلب على ظني أننا لا نختلف كثيراً عن هذه النملة الحائرة أو عن هذا الكائن السجين !

على أن شيئاً جديداً اكتشفه العلماء يقع داخل هذا الكون المحدود ويتنقل بين أرجاء هذا السجن الفسيح الذي نعيش في داخله . هذا الشيء يشغل بال العلماء اليوم لقوة اختراقه العجيبة وصفاته النادرة ، ويسمونه الأشعة الكونية ، وهو ما سأجعله موضوع حديثي في العدد القادم

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



الإسلام والآداب العامة

آداب تناول الطعام

للآنسة زينب الحكيم

أوضحنا في مقال سابق نشأة (الإتيكيت) وضرورته في الحياة. واليوم نتحدث عن آداب تناول الطعام . وكل ما أرى إليه هو التذكير بأشياء بسيطة كثيراً ما تغيب عن أذهاننا مراعاتها دون قصد أو لتقدم معرفة.

وأريد أيضاً أن أوضح عادات بعض البلاد الأجنبية في تناول طعامهم ، ولا سيما أن كثيراً من أهل الشرق يزورون تلك البلاد الآن أكثر مما كانوا يفعلون قبلاً . ومن المستحسن أن يعرف الإنسان عادات الناس حتى لا يضايقهم ولا يضايق نفسه ، كما لا يصح أن يكون عرضة للنقد وفي استطاعته تلافي ذلك

وإني لا أنكر أنه قد أثرت في نفسي بعض الحوادث التي كثيراً ما يحدث من الرجل أو من السيدة أثناء حضورها الحفلات أو ولائم الغداء أو العشاء . وإني لا أنسى أبداً ذلك السيد وزوجه وقد كانا عروسين جديدين احتفى بهما بعض أقاربهما بمناسبة زفافهما فدعوهما إلى وليمة غداء . كان من بين ألوان الطعام الأكلة المصرية المشهورة (ملوخية) من النوع السائل لا (البوراني) . ولما حان دور أكل الملوخية وضع النادل (السفرجي) ملعقة صغيرة على طرف كل صحن أمام الآكلين لترفع بها الملوخية إلى الفم ثم يؤكل الخبز

لكن السيد العريس لم ينتبه لاستخدام الملعقة ، كما لم يلاحظ كيف يتناول الباقون الملوخية ، فقرصته عروسه في الخفاء ونبهته إلى مراعاة الإتيكيت ، ولكنه استمر يصنع من الخبز ملعقة يرفع بها الملوخية من الصحن إلى فمه . ولم تطق الزوجة المسكينة صبراً على أن ينتقد زوجها في وليمة شبه رسمية ، فنبهته مرة أخرى بينها وبينه ، ولكنه ثار في هذه المرة ولم ير أن يستمع إليها وقال في صوت مرتفع غاضب : « سيبيني خليني أغمّس »

بالضرورة كان الحادث مضحكاً للجميع ، وقد قابلوه ببساطة حتى مرّ بسلام بين الزوجين . ولكنه كان على كل حال إيلاماً من جانب الزوج لزوجته وإحراجاً لها مما أمام الحضور مهما تقبلوه

كذلك لا أنسى تلك الآنسة الشرقية التي كانت مسافرة مرة على إحدى البواخر إلى أوربا ، ولما كانت تتناول الشاي حاولت استخدام الشوكة في أكل البسكوت الجاف والخبز المقدد ، وكانت في كل مرة تحاول ذلك ترسل قذيفة إلى وجه الجالس أو الجالسة أمامها أو إلى جانبها مما دل على النقص الشديد في معرفة إتيكيت تناول الطعام

لهذه الحوادث وأشباهها أردت أن أتحدث لحضراتكم عن الغداء في أمريكا ، والعشاء في انجلترا ، وآداب الوجبتين عند العرب .

وليمة الغداء العادي في أمريكا

إذا قارنا الغداء الرسمي في أمريكا بالغداء الرسمي في انجلترا وجدنا أن الغداء الإنجليزي يشبه العشاء الرسمي كثيراً .

أما في أمريكا فتكاد تكون ولائم الغداء مقصورة على السيدات دون الرجال الذين يكونون مشغولين عادة في أعمالهم بمكاتبهم، ولا يستعملون تلك الولائم لأغراض خاصة ، في حين أن رجال الإنجليز كثيراً ما ينتهزون فرص هذه الولائم لنقاش المسائل المهمة الحاضرة ويتبادلون الآراء في كثير من الأمور

ولهذا تكون ولائم عشائهم خالية من كل ما يجهد العقل ، وإنما تكون أوقات مفاكهة ومرح بريء

وولائم الغداء الأمريكية يدعى لها ببطاقات بسيطة قبل ميعادها بعدد قليل من الأيام ، وتكتب عادة بضمير المخاطب لا بضمير الغائب كما يتبع في الأحوال المهمة ، وتحدد ساعة الغداء أو لا تحدد فليست هذه مسألة دقيقة كما في ميعاد وليمة العشاء

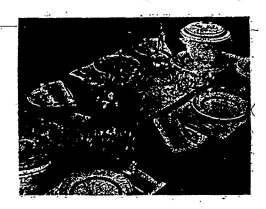
طريقة توزيع الطعام على نوعين

إما أن يتناول المدعوات أنفسهن من ألوان الطعام الموضوعة على منضدة جانبية على شكل (بوفيه) ، وتكون الألوان عادة باردة (كلحوم جافة باردة ، وخضر محمرة ، وحلوى الخ)

وإما أن يمر الشدل كما في وليمة العشاء بألوان الطعام الساخن

مائدة الغداء العادي

تكون مائدة الغداء العادي غير مغطاة بغطاء كبير عادة ، وإنما تستخدم أغطية صغيرة من الدنتلة أو التيل المخرم (دُيلن Doilen) كما في هذا الشكل



وتكون قائمة الغداء ملائمة لفصول السنة (كملاحظة ابن عبد ربه) ، ولا يقدم الشاي أو القهوة مطلقاً في حجرة المائدة عقب الغداء غير الرسمي . وإذا قدم شيء منها فيكون عقب الطعام مباشرة .

والسيدة المدعوة للغداء العادي لا تبقى بعد تناول الغداء بل تنصرف ، إلا إذا أعدت المضيفة تسلية خاصة بعده .

وإذا استنفد تناول الغداء ساعة مثلاً ، فلا بأس من محادثة ربة المنزل بعد ذلك نحو نصف ساعة ، ثم يجب أن ينصرف الزوار إذ ربما تكون مشغولة بعد الظهر ، ولا يليق أبداً أن يكونوا سبباً في تأخيرها .

وليمة الغداء الرسمي

تشبه العشاء الرسمي كثيراً فيما عدا استعمال المفارش الصغيرة (ديلن) عوض غطاء المائدة الكبير

ويبدأ بتناول بعض الفاكهة = ثم الحساء ، فسمك مايونيز أو ما شاكله ، وليس السمك ضرورياً ، وبعض الأسر تحذفه

يأتي بعد ذلك الصحن الرئيسي: مثل الديك الرومي أو الدجاج أو الفطائر أو اللحوم مع الخضر ، فأنواع من السلطة ، فالحلوى كالمهلبية أو ما يشبهها كما في وليمة العشاء . ثم المثلجات كالجيلاتي أو الألمزية

وليست العادة أن يستريح المدعوون بعد الغداء في الصالون أو أن يتناولوا القهوة فيه ، وإنما تشرب على المائدة ، فإذا كان الطقس مناسباً ورغب المدعوون شربت في الفرندة . ويحسن ألا تقيم ربة البيت وليمة غداء إذا كانت مشغولة بعد الظهر في اليوم نفسه ، ولهذا يمكن أن يبقى الزوار وقتاً أطول مما في حالة الغداء العادي

ومن المتبع أن ترتب تسليات كالموسيقى ، وتلقى قطع شعرية ، أو تمثل قطع صغيرة

الملابس

تكون ملابس ولائم الغداء على نسق ثياب بعد الظهر الممتازة للسيدات ، أما ملابس الرجال فمعروفة

هذا ومن أهم ما يراعيه الأمريكان في ولائمهم الرسمية بوجه عام ، أن يكون في كشف المدعوين ستة أو ثمانية من المتصادقين وقد يهبط هذا العدد إلى أربعة فقط ، ولكن على أي حال من المهم عندهم مراعاة أنواع المدعوين . كما يراعى عدم زيادة الحضور في الوليمة على ما تطيقه ربة البيت حتى يمكنها العناية بهم جميعاً وملاحظة ما يناسب مزاج كل منهم

آداب المائدة

أهم الآداب التي يراعيها الأمريكان في ولائمهم آداب المائدة الصحية . فهم مثلاً يعتبرون الحركات الخشنة أو غير المضبوطة منافية للآداب إذا حصلت أثناء تناول الطعام ، ويعدونها نقص



دراسات في الفن

النحت فن الصمت

على ذكر معرضه مختار

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من طين فكان الإنسان تجسيداً لما جرى في علمه تعالى من صوره ، وكان الإنسان مجالاً لطائفة من آيات الله أراد الأمر أن يراها حية على مسرح الكون

هذه حقيقة لا أجبر القارئ على أن يؤمن بها مني وفق ما أرضاه ، وإنما أدعه يؤمن بها على هواه ؛ فإذا كان من أصحاب الدين فهو مني ، وإذا لم يكن منهم فهو مني أيضاً ؛ ولكن بعد فرقة قصيرة لا بد أن يلقاني إثرها ليشهد أن الإنسان كان التمثال الذي يرجع إليه المثالون جميعاً مستوحين مستلهمين ، ومتعلمين دارسين ، وباحثين مدققين ، ومعجبين مأخوذين وليشهد أيضاً أن الإنسان ما يزال هو هذا المنبع الذي لم ينضب منذ تعقبه الفن ، وليشهد بعد هذا وذاك أن الإنسان لن ينفك أن يكون المورد الذي يقصد إليه كل من يبهره الفن الناضج الكامل

هذه هي البداية التي يجب أن نلتقي عندها لنمشي معاً ولننظر بعدها إلى الإنسان — وهو مرجع الفن — كما ينظر إليه النحات الفنان.

أي شيء في هذا الإنسان ؟ وأي شيء في الحيوان معه ؟ وأي شيء أغرى المثالين بأن يكثروا من تماثيل الناس إكثاراً ملحوظاً ، فلم يحيدوا عنها إلا إلى الحيوان قليلاً ، ثم لم يرضوا بعد ذلك أن يعرجوا على النبات والجماد فيستقوا منهما فناً ؟

إنها هي الحياة من غير شك — والحركة مع الحياة — فليس شيء يميز الإنسان ومعه الحيوان أمام النحت على النبات والجماد غير الحياة والحركة . فإذا قلنا « الجمال » رأينا في الزهر والجوهر جمالاً ؛ وإذا قلنا « الجلال » رأينا في الدوح والجبل جلالاً ، وإذا قلنا « الصوت » رأينا النحت يهمله لأنه يقصر عنه ... فلم يبق — فيما أظن — للإنسان والحيوان مميزاً على غيرهما في رأي النحت إلا الحياة والحركة كما قدمت .

فما هي الحياة ؟

أهي في نظر النحات هذا النمو الجسدي الذي يقود الإنسان من طفولته إلى شيخوخته ؟ أم هي هذا الاضطراب النفسي الذي لا يهدأ فورانه بين جنبيه مادام حيا والذي ينتاب وجهه وتقاطيعه وقسماته بالتعبير التواصل الذي تصور كل حالة من حالاته رعدة

تربية ، ويعتقدون أن من صدرت عنه لم يدرس آداب المائدة بعناية

كذلك يوجهون أهمية كبرى لسلوك الإنسان على المائدة فيشيرون إلى أنه كثيراً ما يلحظ على رجل تظهر عليه سمات الثقافة والرقي وهو جالس حول مائدة بعض المطاعم أو الفنادق الراقية ، أنه يلعب بأدوات المائدة ، أو يضرب الأكواب بعضها ببعض دون وعي.

وقد يتغاضى عن أشباه هذا السلوك في الفنادق أو المطاعم ، ولكن حدوث أعمال كهذه على مائدة وليمة رسمية يعتبر من أكبر النقائص الأدبية ، فإنه حينئذ لا يحتاج إلى استخدام الأيدي يحسن وضعها على الحجر في سكون ، كما لا يحسن وضع المرفقين على المائدة إذا أسيء السلوك في فعل ذلك ، ولا أن يوضع الكرسي قريباً جداً من المائدة ، ولا بعيداً جداً عنها . فكلا الأمرين غير مقبول

نجيب الحكيم

من رعدات هذا الفوران أو هدأة من هدآته؟ أم هي هذا وذاك؟

بعض التالين يذهب في فنه — سواء أكان متعمداً أم غير متعمد — إلى المذهب الأول ، وبعضهم يذهب المذهب الثاني ، وبعضهم لا يذهب مذهباً من هذين وإن كان يجمع في فنه مايوفق إليه الأوائل ، وما يهتدي إليه الأواخر ... توفيقاً وهديا

أما أصحاب المذهب الأول فقد كثروا في مصر في هذه الأيام ، فكل معارض النحت التي تقام في مصر الآن لا تحوي من التماثيل إلا ما تقف أمامه لتقول إن هـذا التمثال يمثل رجلاً في السبعين ، أو فتاة في العشرين ، أو صبياً في العاشرة ، أو طفلة في الرابعة ... أما هذا الفوران الذي نذكره فهو بعيد عنهم ، وهم بعيدون عنه . ولعل ذلك يرجع إلى أن النحت فن لا يزال ينتفض تحت أثقال السنين التي تراكمت عليه في مصر فدفنته وكتمت أنفاسه دهوراً

وأما أصحاب المذهب الثاني فهم الذين كنا نتوقع أن نرى لهم أثراً ملحوظاً في معرض مختار الأخير . فقد طلب من المتسابقين في هذا المعرض أن يسجل كل منهم في تمثاله معالم الصلاة ومعانيها أو ما شاء من هذه المعالم والمعاني ، فما كان من حضراتهم — أو من أغلبهم — إلا أن سجلوا من حركات الصلاة ما طاب لهم ، موجهين كل اهتمامهم إلى إظهار تمكنهم من دراسة التشريح ، وإبداء مقدرتهم على محاكاة جثة الإنسان . وعلم الله أني لا أعرف ممن كانت تتألف لجنة التحكيم في هذا المعرض وإن كنت موقناً بأنها ضمت صفوة مختارة من المثقفين الأفاضل؛ غير أنه يخيل إلي أنهم كانوا بعيدين إلى حد كبير عن هذا الذي نسميه «ما وراء المظهر». والدليل على ما أقول أنهم منحوا الجائزة الأولى تمثالاً أزرق يمثل شيخاً معمماً مهندماً جالساً على حصيرة أنيقة جلسة يجلسها المصلون إذا ما فرغوا من صلاتهم وراحوا يسترجعون في أذهانهم ما أنفقوه وما كسبوه في يومهم، ويستعيدون إلى ذاكرتهم ما قيدوا أنفسهم به من مواعيد أعمالهم أو لهوهم ... كل هـذا والمسابح في أيديهم تجرى حباتها بين أصابعهم ! حبة تضرب حبة كدقات الساعات في جيوبهم لا هم انشغلوا بها، ولا هي لفتتهم إلى أوقاتهم. هذا التمثال الذي لا يطالع ناظره بأي معنى من معاني الصلاة أعطى الجائزة الأولى لأن مظهره حسن في أعين حضرات المحكمين . والحق أنه أهل لجائزة ولكن على أن يقـدم في مسابقة يكون موضوعها : « الجلوس على الحصيرة » لا « الصلاة » !

أما تمثال الصلاة فقد كان له أشباه في المعرض لست أدري كيف غمضت عنها عيون المحكمين ، فقد كان في المعرض تمثال لشيخ فان يقرأ التحيات ، ويومئ بسبابته اليمنى شاهداً أن لا إله إلا الله ، ويميل بكتف إلى جنب ميلة من ثقلت عليه الحياة فصبر، ولكنه تخاذل فضعف وآن له أن يتحطم ، ولكنه استعان على ماضيه وحاضره ومستقبله . . . بالصلاة . وكان في المعرض أيضاً تمثال لرجلين أحدهما كبّر ووقف يتلو الفاتحة ، والآخر لحقه فائتم به ورفع يديه ينوى الصلاة وراءه ... وقد ألقيت النظرة الأولى على هذا التمثال فلم أملك إلا أن أتلوّى ، فقد نخسني وجه ذلك الرجل الملتهف على الصلاة نخسة موجعة . ذلك أن صاحبه أفرغ في وجهه روحاً من البله والعته كانت أمر سخرية من صلاة الكثيرين !

كان هذان التمثالان في المعرض وأولهما يكاد يفعم قلب الناظر إليه إجلالاً وخشوعاً إذا كان الناظر قد جرب الصلاة مثقلاً بالذنوب وبالحياة ، مؤملاً في رحمة الله ومغفرته ، مسلماً له شأنه ، مفوضاً له أمره . وثانيهما كما رأيت فيه هذه الفكرة العجيبة الجريئة الشاذة التي ينقد بها صاحبه صلاة الكثيرين من المصلين .. ومع هذا فإن هذين التمثالين قضيا ما قضيا من الأيام والليالي في صالة الكنتننتال ، وحظيا ما حظيا بشرف المثول بين يدى معالي وزير المعارف وزملاء معاليه وزميلاته ، ولم يلق عليهما واحد من هؤلاء تحية ، ولم يسعدهما من أولى الحل والربط في فنون هذا البلد نظرة تقدير أو إعجاب

***

ولندع الآن الحديث عن معرض مختار لنعود إلى ما كنا فيه من الحديث عن فن النحت نفسه، ولنحدد مكان هذا الفن من الفنون الجميلة . وأحسبني الآن في غنى عن تكرار التدليل على أن الحواس الإنسانية هي منافذ النفس ، وعلى أن النفس تحصل عن طريق هذه الحواس على أحاسيس وانفعالات وعواطف مختلفة ، فتخلطها وتمزجها وتنتجها بعد ذلك فناً تعبر به عن اتجاه صاحبها في الحياة . فإذا كنت في غنى عن هـذا فإن عليّ أن أقف عند النحت وقفة

خاصة أقرر فيها أن النحت هو فن الصمت وأنه بهذا كان أقرب الفنون من التصوف . فالنحات يسجل فى تمثاله خفقة واحدة من خفقات الروح لا يفتأ ينتظرها ويتوقعها ويبحث عنها حتى إذا ما سطعت له مرتسمة على الجسم عامة ، وعلى الوجه خاصة ، تعلق بها وطبعها على روحه أو قل إنه يطبع روحه عليها ويرصدها عنده إرصاداً ويقفها عليها وقفاً . وهو بهذا يختلف عن الأديب الذي يتنقل فى موضوعه من خاطر إلى خاطر ، والذى يطلق وصفه لهذه الخفقة نفسها من ناحية إلى ناحية ، والذى يأخذ قارئه فى طوافه بها من جانب إلى جانب ، وهو فى هذا غير الموسيقى الذى يسلسل اللحن ويوالى التنغيم ليؤدى باللحن بعد تمامه ما يؤديه النحات باللمحة التى خطفها من الطبيعة وثبتها فى تمثاله تخلدها عليه . وهذا الأداء الذى يؤديه النحات لهو أشق وأعصى ما يرجوه الفن من الفنان ، فليس يسيراً أن يلحظ الإنسان كل ما ينتاب الناس من اهتزازات الروح ؛ وإذا كان من هذه الاهتزازات ما يبقى مواجهاً للعين والحس لحظة أو لحظات ، فإن فيها ما يتلاشى أثناء تكوينه !.. كلهفة الإعجاب التى تنتاب امرأة متزوجة عند ما تلمح تحت بصر زوجها وسمعه شاباً يروقها ، فهى لا تكاد تسمح لوميض الإعجاب أن يلمع فى عينيها إلا ريثما تهب عليه نسمة من خجلها ورياؤها أو عفتها تطفئه وتخمده . هذه اللهفة قد يصفها الكاتب ، وقد يصفها الشاعر ، وقد يصفها الموسيقى موصولة بغيرها ؛ وقد تؤديها ممثلة خيراً من أدائهما إذا كان بين النساء ممثلات فيهن من دقة الفهم والحس ما يقف بهن عند هزة خاطفة من هزات الروح كهذه ؛ وقد يؤديها أيضاً رسام مستعيناً عليها بالألوان والظلال . . . ولكننى لا أتصور أن فناً من هذه الفنون جميعاً يؤتمن عليها مثلما يؤتمن عليها النحت الهادئ . ذلك أن قلة الأدوات التى يستعملها النحات فى فنه تبعثه على الاستعاضة عن التيسير الذى تتيحه الأدوات لأصحاب الفنون الأخرى بطاقة كبرى من روحه يجود بها على فنه ، إذ ما قد يستطيع غيره أن يمسك من شعاع النفس لا يملك النحات إلا أن يبذله

والنحات لا يهتدى إلى أمثال هذه اللمحات السريعة التى رأينا إحداها إلا إذا عاش وهو حديد البصر يكاد يلتهم كل ما يراه التهاماً ، فإذا ما وقع على شىء مما يطلبه جمدت عنده نفسه . وما أشق جمود النفس على صاحب الفن ، ولكنه عند النحات هو السبيل الوحيد الذى يرصد به فنه لا يغنيه عنه التسجيل على الورق ، ولا ترضيه عنه الاستعادة والاستذكار ، فهو إذا قنع بهما رأى آخر الأمر أنه فقد شيئاً مما كان يطلبه ، وهو لا يريد أن يفقد مما يطلب شيئاً لأنه يطمع دائماً فى التوفيق إلى محاكاة صنع الله لأنه يدرك أنه ليس وراء فن الله فن . لهذا كان أكمل المثالين هو هذا الذى يستغرق فى موضوعه منذ أن يهتدى إليه إلى أن يؤديه ؛ وهذا الاستغراق – كما قد يعلم القارئ – يركز إحساس النحات أو المثال فى لمحة من حركة أو سكنة من سكنات وضع . وعلى من يريد أن يتصور مشقة هذا وثقله على النفس والروح والبدن أن يجربه وأن يرى كم من الزمن يستطيع أن يستمر فيه ... فليبتسم ابتسامة رضى وليشعر معها بالرضى وليظل هكذا وليرَ كم يستطيع أن يظل ؟ فليقطب تقطيبة أسى ، وليشعر معها بالأسى وليظل هكذا وليرَ كم يستطيع أن يظل ؟ !

هذا عمل لا يستطيع غير النحات أن يؤديه ، وهو لن يكون نحاتاً متمكناً إلا إذا استطاع أن يؤديه ... ومن العجيب أن النحات يطلب من أنموذجه أن يكون مرآته ، وأن يعينه على تهيئة الجو الذى يريد أن يندمج فيه ، وهو فى هذا معذور مسكين ... فهو حين يؤدى بروحه وبجوارحه ما يريد أن يسجله لا يرى نفسه ولا يستطيع أن ينقل عن صورته ... عندئذ يضطر أن يشرح للأنموذج ما يطلب أن تكون عليه هيأته ؛ وقليلاً ما يوفق النحات إلى طلبته ، ولعل قلة التوفيق هذه هى التى تلقى فى نفوس النحاتين الغرام بنماذجهم المطاوعة ، فكم سمعنا بنحات يتزوج من أنموذجه بعد أن يفرغ من صنع تمثالها مهما كانت هذه الأنموذج فقيرة أو جاهلة أو ساقطة ... فهو لا يرى فيها إلا أنها مرآة تتلقى حسه وتعكسه فى وجهها

هذا هو النحات الحساس كما يريده الفن أن يكون

وهناك نحات آخر فيلسوف صاحب فكرة يرمز إليها بتمثال . ولعل مختاراً رحمه الله كان من هذا النوع حين أراد أن يكون من النوع الثانى فلم تسعفه موهبته . ونظرة واحدة إلى نهضة مصر مع نظرة واحدة أخرى إلى تمثال سعد زغلول فى القاهرة أو فى الأسكندرية تؤيدان هذا الرأى الذى أذهب إليه ، فهمة أبى الهول

فى التمثال الأول ليست إلا رمزاً لفكرة معجزة فى سهولتها أدى بها مختار معنى النهضة بما لا يمكن — فى إيمانى — أن يهتدى فنان إلى ما هو أسهل وأبلغ إيجازاً منها فى الوقت نفسه . فكم من العيون رأت أبا الهول القديم رابضاً ربضته ، وكم من القلوب أحست أيام الثورة بنزعة مصر إلى التوثب ، وكم من العقول اهتدت إلى التوفيق بين ما تراه العيون وما تحسه القلوب غير عقل مختار

كان مختار إذن صاحب فكرة ، فهل كان من الجبن فى مقام يدانى مقامه من الفكر ؟

قد يحب أنصاره وأصدقاؤه أن يجاملوه — وعلى الأخص بعد وفاته — فيعترفوا له بهذ الذى أريد أن أتريث قبل أن أقول كلمتى فيه ؛ بل الذى لا أريد أن أقول كلمتى فيه إلا بعد أن أحيلهم على تمثالى سعد زغلول وأرجوهم أن يصدقوا أنفسهم حين يرجعون إليها بما ينتابهم من الشعور بعد النظر إلى التمثالين ، فإن لم يكفهم النظر فليخضعوا إليهما زمناً وليروا : هل يقف بهم مختار حين يقف بهم عند واحد من هذين التمثالين أمام زعيم كانت له مميزات سعد زغلول الصارخة التى أقل ما سجلها له أعوانه وخصومه : جبروته ، وكبرياؤه ، ونفوذه ؟ أما أنا فأتحاشى المغالطة حين أقول إنى لا أشعر فى وقفتى أمام أى من هذين التمثالين بشيء من هذا الشعور ...

وما دمت قد عرجت على مختار ، فإنى أرى أنه من الوفاء لذكراه أن أسجل له إخلاصه لأساتذته المثالين الفراعنة ، واصطناعه أسلوبهم الذى يميل إلى الجلال مع التبسط ، وهو الأسلوب الذى جرى عليه مختار فى تماثيله جميعاً ، والذى عشقه مختار لأنه كان مصريًّا صادقاً فى مصريته ، ولأنه أراد باصطناعه أن يفاخر به الأساليب الغربية المتأنقة ليشهد معه أصحابها أن مصر أم الفن القديم لا تزال خصبة لم يصبها عقم ، ولم يعبث بأسلوبها الفنى القدم ، ولم يقلل من روعته مر الزمن

ولقد أنشأ مختار بصنيعه هذا مدرسة جديدة فى النحت لها اليوم من طلبة الفنون الجميلة العليا وخريجيها تلاميذ ، وفيها من زملائه المدرسين فيها أساتذة ، ولكن الفرق بين مختار وبين أبناء مدرسته هؤلاء أنه شغف حباً بالفن المصرى من غير أن يرسم لحبه هذا خطة بينما هم قديمو الخطة ولما يتلاشوا إلى اليوم فى هذا الفن كما تلاشى فيه مختار . فأنت لا تجد اليوم واحداً من النحاتين المصريين إلا وتراه يحدثك فى إسراف عن الفن القومى ، فإذا نظرت إلى التماثيل المصرية التى تنصب فى المعارض اليوم تعذر عليك أن تؤمن — مهما تمددت هذا الإيمان — بأن الذين أنتجوا هذه التماثيل مصريون . ولو أن هؤلاء الشبان ربوا تربية فنية قومية صحيحة لأنتجوا فناً مصريًّا صحيحاً . ولعل وزارة المعارف إذا كانت تهتم بأن تنتج فناً قومياً تفكر منذ اليوم فى نقل قسم النحت من مدرسة الفنون الجميلة العليا إلى أسيوط

وأخيراً ، فإنى لا أستطيع أن أدع هذا الموضوع قبل أن أذكر الفن المصرى أو الفن الحديث أو الفن « المودرن » كما يسمونه وقد بدأ يزحف إلينا ، وراح يروج له أنصار السرعة من النحاتين الذين لا يطيقون دراسة الصناعة اللازمة للفن . فهم يجيزون اضطراب النسب فى الأجسام ، ونشوز الحركات والأوضاع ، معللين هذا التجاوز بأنهم قوم لا يعبأون إلا بالفكرة والروح ...

هؤلاء لهم دينهم ولغيرهم دين يؤمن أصحابه بالله وبفن الله ، ويسبحون به مرحباً وموئلاً ، فهو سبحانه وتعالى النحات الأول ، وإنه سبحانه وتعالى لهو الفنان الأول ، فأى تمثال كإنسانه ؟ وأى كلام كقرآنه ؟ وأى أغنية يمكن أن تكون أبلغ وأصدق من أناشيد زبوره وألحانه

عزيز أحمد فهمى

من هنا ومن هناك

عصبة البنادق !!

للكاتب الفرنسي موريس برا

[ملخصة عن الپتي باريزيان]

من في العالم يفكر الآن في مجلس عصبة الأمم المسكين وهو معلق من خناقه في جنيف ؟

إن عصبة الأمم تضمحل ويتلاشى أثرها إن كان ثمت شيء يحمل هذا الاسم . ولقد تبتسم ونحن نفكر في تلك الشخصيات البارزة التي شغلت زدحاً من الزمن بالعمل المتواصل حول تلك المائدة الخضراء في جنيف !

أجل . يحق للانسان أن يبتسم ، بل يحق له أن يضحك ملء شدقيه لو كان في القلب مكان للضحك !

ما مصيرك بعد نورمبرج يا جنيف ؟ إنها لفكاهة مريرة قاسية ! ماذا تصنع عصبة الأمم الوديعة أمام أحاديث هتلر المتدفقة بالبلاغة وتصريحاته السياسية الملتهبة التي تدوي في أنحاء العالم ؟ إن عصبة الأمم لا تملك غير المداد والكلمات في ميدان جرت فيه أبلغ الأحاديث وظهرت فيه أحزم الأفكار وأدق الآراء

إن عصبة الأمم المسكينة قد فقدت اعتبارها — ويا للأسف — بعد أن افتقرت إلى الأمم وأعوزتها القوة والنفوذ . ولكننا في هذه الساعة الرهيبة الحالكة الظلام ، يصح لنا أن نفكر ونتأمل

ألم يكن الحق مقره جنيف ؟ ألم تقم دعامة السلم في جنيف لمكافحة الحرب ، لمكافحة القوة ، لمكافحة التسليح الذي يهدد العالم بالخراب ؟ أيوجد تدبير أحكم من اتحاد أمم العالم في مجلس قوي منظم لحفظ السلام ؟

ألم يكن الخلاص في جنيف ؟ ألا يمكن أن يكون الخلاص في جنيف ؟ !

إنهم يقولون حلم بعيد التحقيق ويضحكون ويقهقهون . ولكن هل من العقل أن تظل كذلك الى الآن ؟

هل من العبث أن نتباحث ومن العقل أن نتحارب ؟ هل من العبث أن نبحث عن حلول سلمية عادلة لشئوننا المختلفة ، ومن المنطق أن نحكم القنابل في كل ما نختلف فيه من الأمور ؟

أمن العبث أن نقدر الضمير الإنساني ، ومن العقل أن نقبل حكم المدافع والقنابل بغير تبصر أو تفكير ؟

إنها ليست عصبة الأمم التي أفلست . وإنما هي المدنية التي أفلست ... إنها الإنسانية قد أصبحت « عصبة بنادق » ... وعلى الدنيا السلام ...

إيطاليا وقناة السويس

بقلم الكاتب الايطالي ف . بارنو

يقول هيرودتس أبو التاريخ إن العواهل من الحكام الأقدمين كانوا يحلمون بقطع تلك البقعة الصغيرة من الأرض التي تفصل خليج العرب الممتد من البحر الجنوبي (البحر الأحمر) عن الخليج الممتد من البحر الشمالي (البحر الأبيض المتوسط) وإلى الآن لم يختلف اثنان في أهمية وصل هذين البحرين

ولقد كان نابليون بونابرت في العصور الحديثة مأخوذاً بهذه الفكرة ... ولم يكن نابليون بالرجل الذي يعدل عن فكرة اتجه نظره إليها ، ولكنه عدل عنها تحت تأثير مهندسه « لابير » الذي أكد له أن بين مستوى الماء في البحرين اختلافا عظيما قدره بتسعة أمتار ، وأن هذه الفكرة مستحيلة التنفيذ

وفى سنة ١٨٢٠ حاول جيتانو جاديني الإيطالى أن يمد تلك الفكرة القائلة بوجود اختلاف بين مستوى سطح الماء . وجاء إيطالى آخر يدعى نجرللى فتقدم بأول اقتراح لشق تلك القناة، وبناء على اقتراحه تألفت جماعة من الفرنسيين والإيطاليين للبدء فى هذا المشروع الذى يعد أعظم مشروع حيوى فى ذلك العهد

ولكن أصغ إلى ما قالته انجلترا فى هذا المشروع حين نمى إليها خبره : أعلن لورد بالمرستون فى البرلمان الانجليزى أن أقل ما يمكن أن يقال عن هذا المشروع البعيد التحقيق أنه خرافة لا مثيل لها وتغرير لاحد له بعقول السذج الذين لا عقول لهم . كان ذلك فى أول يونية سنة ١٨٥٩ .

وفى ٦ من نوفمبر ١٨٦٩ افتتحت القناة، أو الخرافة العظيمة، فى موكب حافل مؤلف من ستين مركباً لمختلف الأمم ، مقلعة من بورسعيد إلى السويس وهكذا أصبح الطريق ميسراً من أوربا إلى غرب أفريقية

ولقد تبرعت انجلترا - على غير انتظار - بمبلغ عظيم من المال لتتقدم ذلك الموكب بسفينة عظيمة من سفنها

وقد كتبت التيمس قبل ذلك ببضع سنين تقول : إن هذا المشروع تعترضه مصاعب جمة ، وإن إتمامه أمر لا يستطيع أن يتصوره العقل قبل حدوثه . وإذا افترضنا وتمت هذه المعجزة بحال من الأحوال وأصبح مشروع قناة السويس أمراً واقعاً فإننا لا نستطيع إلا أن نعلن أن هذا المشروع يجب أن يكون إنكليزياً قبل كل شىء .

وإذ كانت هذه نظرة الإنجليز للمشروع ، وكان هذا مبلغ شكهم فى إمكان تحقيقه فإن موقف الفرنسيين أدهى وأمر ! فقد اختلسوا من إيطاليا فخر تنفيذه !

إننا نحن الذين أوجدوا المشروع وأذاعوا نبأه فى العالم . ولقد كان لنا نصيب وافر فى الأحوال التى بذلت فى سبيل تنفيذه . وإننا نحن الذين قدموا العمال والصناع للعمل فيه وقمنا بنشر الدعاية اللازمة فى الدوائر الاقتصادية المختلفة لمتابعة السير فيه

وكل ما للفرنسيين من الفضل فى هذا المشروع هو تقديم المهندس الذى قام بتأسيس القناة ، وهو المسيو فرديناد دى لسبس الذى كان لحظه صديقاً لسعيد باشا حاكم مصر فى ذلك الزمان .

وتظهر قيمة دى لسبس الحقيقية حين هم بإنشاء قناة فى بنما مثل قناة السويس وهنا الفضيحة التى لا يجهلها إنسان !

وذلك أن دى لسبس لم يكن له مرشد حينما أراد أن يسير فى ذلك المشروع ، فلم يكن له سند ولا دليل من الإيطاليين

فقد كان جايتنو جديني الإيطالى هو الذى قام فأثبت خطأ النظرية القائلة بالتفاوت بين ارتفاع سطح المياه ، ونجرللى الإيطالى هو الذى قدم تصميم بناء القناة بينما قام بترمو بلوكايا الإيطالى أيضاً بالعمل ، وادوادوجوليا الإيطالى الذى قام بالقسط الأوفر فى التأسيس ، وتوسللى أخيراً الذى دافع عن الفكرة أمام خصومها وأعد حملة من الكتاب والصحفيين لنشر الدعاية لها ...

ماذا يضايق الانجليز ؟

نشرت مجلة تصدر فى برلين مقالاً تحت هذا العنوان نلخصه فيما يأتى :

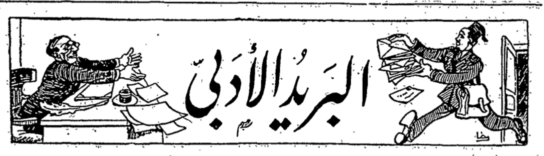
للانجليزى مقدرة عجيبة على التضجر ينفرد بها عن سائر الناس . فهو يتعمد أن يدوس على الأقدام عامداً متعمداً ليبدو أنه سيد العالم

فما يضجر الإنجليزى أن تأكل أمامه ونفسك مفتوحة للطعام ، وحسبك أن تمضغ لقمة لتكون قد خرجت عن حدود اللياقة والعرف

لا بأس لدى الإنجليزى أن يراك ثملاً ، مادمت تستطيع أن تسير فى الطريق فى هدوء واعتدال

ويتضايق الإنجليزى إذا جلست معه إلى طعام وأدخلت ملعقة الحساء مثلاً فى فمك ، فإنه يعد ذلك من علائم الانحطاط وسوء التربية

ومما يضايق الإنجليز أن تدخن وانت فى لباس السهرة — وقد عمل ذلك سفير أمريكا — فقوبل عمله بنقد شديد . وعلى أن هذه العادة أخذت تزول منذ ظهر مستر بلدوين يدخن لأول مرة فى لباس السهرة



أبو تمام – خليل مطران

١ – أرجو أن يثق الأستاذ الجليل (القارئ) أن البيت (من كل بيت يكاد البيت يفهمه) لأبي تمام لا للبستي. ولو أن الأستاذ الجليل أعاد قراءة ديوان أبي تمام وديوان البستي لوجد فيه قوة أداء أبي تمام وهي قوة الأداء التي يفتقد (مثلها) في ديوان البستي. أما قوله إن البيت ليس في ديوان أبي تمام فسهو منه لأنه في ديوان أبي تمام في باب المعاتبات صفحة ٤٠٩ من الطبعة التي قرظه فيها الأستاذ إسعاف النشاشيبي، وهو في قصيدة مشهورة موجودة في الديوان وفي غير الديوان قالها يعاتب بها محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل وأولها هكذا :

محمد بن سعيد أرعني أذناً فما بأذنك عن أكرومة صمم
لم تسق بعد الهوى ماء على ظمأ ماء كقافية يسقيكه فهم
من كل بيت يكاد الميت يفهمه حسناً ويعبده القرطاس والقلم
مالي ومالك شبه حين أنشده إلا زهير وقد أصغى له هرم

الخ. ويروى الشطر الثاني من البيت الثاني في بعض الكتب (كماء قافية) وأظن أن الأستاذ (القارئ) أخطأ فهم قول الثعالبي فإنه أراد أن يمدح قول البستي ببيت أبي تمام على سبيل الاستشهاد والتضمين فقال الثعالبي : يعجبني قوله من كل بيت الخ أي يعجبني قوله من الأبيات التي صفتها كيت وكيت . وأرجو أن يسامحني الأستاذ الجليل (القارئ) في هذا البيان

٢ – قال الدكتور أدهم إني تأثرت بطريقة خليل بك مطران. وهذا يشرفني لو كان حقيقة، ولكنه ليس حقيقة، فإني لم أتأثر بطريقة خليل بك لا في قليل ولا في كثير . وإذا استطاع الدكتور أدهم أن يجيء بشواهد فإنها تكون شائعة بين الشعراء فليجيء بها، وإذا ساعدني اطلاعي الضئيل وذاكرتي الضعيفة أثبت أني احتذيتها إما في شاعر آخر وإما لأنها شائعة بين الشعراء. وقد أرسلت لمجلة (المقتطف) المقالة الأولى في الرد على قوله عقب قراءتي مقالته في مجلة المقتطف. وليطمئن الدكتور أدهم فإني سأثبت له بمقالات عديدة وشواهد وأسباب كثيرة أنه واهم في قوله كل الوهم

ومما لا يقبله العرف الإنجليزي أن تطلب فتاة أو زوجة حديثة السن للرقص قبل أن تقدم إليك إذا جمعكما منزل واحد

ولا يطيق الإنجليزي أن يراك تتكلم في الفلسفة أو الدين إلا إذا دعاك هو للكلام في هذه الشئون، لأن الإنجليزي يعتقد في نفسه العصمة من كل ما يسبب الضجر للآخرين . وهو يميز نفسه دائماً عن الأجنبي ، لأن الأجنبي لا يعرف ما يضايق الإنجليز

وهذا المظهر من عادته أن يجعل الأجانب من رجال السياسة الذين يفدون إلى انجلترا على حذر في كل ما يأتونه هناك إن لم يكن عندهم شيء من الرصانة والثقة بالنفس

فإذا عرف إنسان ما يضايق الإنجليز في بلادهم، فقد أصبح انجليزيا في عرفهم مهما تكن جنسيته

وقد نقلت هذه النبذة مجلة انجليزية تحت عنوان (ماذا يقولون عنا) وعلقت عليها بنبذة من كلام أمرسون عن الخلق الإنجليزي جاء فيها :

(إن الإنجليزي لا يقدم على عمل بنصف قواه ، ولكنه يقدم عليه بكل قواه . إنه لا يطيق حياة الرخاوة والكسل بحال من الأحوال . والإنجليز على جانب عظيم من المقدرة في سياستهم وإن شك بعض الحمقى في ذلك

إنني أعتقد أن في الإنجليزي قدرة على تجديد قواه الكامنة في كيانه ، وذلك يدل على أن هذه الأمة قادرة على التجديد دائماً . وكل شيء يقدر عليه الإنجليزي يفعله بغير تردد)

ونحن نرجو أن تكون هذه المساجلات كل ما يقع بين الأمتين.

أولاً : لأنى اطلعت على الأدب العربى والأوروبى فى سن مبكرة بالمدارس الابتدائية والثانوية وذكرت الأدلة وقارنت بين كل قصيدة لى والقصائد التى احتذيتها فى مقالة (المقتطف)

ثانياً : إن قوله إن شعرى يغلب عليه التشاؤم خطأ، ولا أظن أنه يرفع قدر شعر مطران لو صح ، وفى شعرى التفاؤل والتشاؤم

ثالثاً : إن ثقافتى الأوربية فى أول نشأتها كانت ثقافة انجليزية، وثقافة مطران فى أول نشأتها كانت ثقافة فرنسية . ويتضح ذلك من توجيهى قصيدة فى الجزء الأول من ديوانى إلى الشاعر بيرون، ومن تعلمى اللغة الإنجليزية واتساع المجال إلى قبل سفرى إلى انجلترة وبعده للاطلاع على الأدب الإنجليزى

رابعاً : إن الأدب الفرنسى الذى اطلعت عليه اطلعت عليه فى كتب مترجمة إلى اللغة الإنجليزية لا فى شعر مطران، وإذا شرفنى الدكتور أطلعته عليها وعلى ما أشرت به فى هامشها

خامساً : إن كثيراً من شعرى وشعرى يغلب عليهما التحليل النفسى أو السخر أو التفكير فى مذاهب التفكير الأوربية الإنجليزية والفرنسية والألمانية الخ. ولم أر ولا أظن أن أكثر القراء رأوا مثل ذلك فى شعر مطران، وسأوضح مراجع هذا التفكير الذى تأثرته فى الأدب الأوربى

سادساً : إنى لم أطلع على ديوان مطران إلا بعد نشرى جزءاً من شعرى على الأقل. وقد كنت قرأت شعر البارودى فى الصغر ورثيته بقصيدة نشرها خليل بك نفسه فى مجموعة مراثى البارودى، وكانت قراءتى لشعر البارودى لنشر أستاذه المرصفى الكبير كثيراً من قصائده وقصائد من عارضهم فى كتاب (الوسيلة الأدبية) الذى وجدته فى مكتبة أبى وأنا تلميذ بالمدارس الابتدائية

سابعاً : إنى لم أقابل الأستاذ مطران غير ثلاث مرات ، مرة فى قهوة نلسون فى الصيف بالإسكندرية على غير قصد ، ومرة أخبرنى الدكتور أبو شادى أن خليل بك يرحب بأن أزوره ، والمرة الثالثة قابلته أخيراً فى مكتب العشماوى بك فى وزارة المعارف (أو هما مرتان) . ولم يحاول فى مرة منها أن يجعلنى تلميذه أو أن يشجعنى، ولم يشر إلى أنى أقاربه فى مذهبه؛ بل إنى ظننت وبعض الظن إثم ، أنه فى حديثه عن الأدب فى قهوة نلسون فى اللقاء الأول كان ينتقد مذهبى من غير إشارة إلى انتقاداً مراً ، وكنت قد نشرت أربعة أجزاء. والذى أعرفه أن خليل بك فى ذلك العهد كان يتنصل من أن يكون قد أثر فى الشعراء الشبان . وإذا كان قد شجع شباباً غيرى فإنه لم يشجعنى مطلقاً إلا بنشر رثائى للبارودى قبل ذلك العهد وقد أرسلته بالبريد ولم أكاتبه مرة أخرى . والحقيقة أن كلمة التجديد فى ذلك العهد كانت يساء بها الظن كما لا تزال يساء بها الظن، وأن هذا كان من دواعى موقف خليل بك، وقد تحول الآن قليلاً

ثامناً : إنه من سوء حظى أنى عند ما اطلعت على شعر خليل بك لم أطلع على أحسنه وأروعه وأفخمه ، بل اطلعت على القصائد التى نظمها لمداعبة الآنسات السوريات وجعلها على قدر فهمهن فظننت أن كل شعره من هذا القبيل . وزاد هذا الاعتقاد أنى قرأت له شعراً يشبه بعض شعر الحفلات والحياة الفرنسية الاجتماعية. وقوى هذا الاعتقاد إكثاره من شعر المناسبات اليومية التى لا أكتب فيها ولا أرى أنها من خير الشعر، وقلة اهتمامه بنشر شعره لاشتغاله بالتجارة مما أخمل شعره الجليل وقلل أثره؛ ومدح بعض الشعراء المتطرفين فى التجديد لهجملنى أشك فى شعره وأزهد فى قراءته وتمنى من تأثره والاستفادة منه كما كان ينبغى **عبد الرحمن شكرى**

عبث الوليد

قرأت ما كتبه الأستاذ الكبير عبد الرحمن شكرى عن أمير الصناعة البحترى فكان عندي موضع إعجاب وإجلال. وإنى لمعجب ومقدر لما يكتبه الأستاذ من الأبحاث القيمة والموضوعات الأدبية الطريفة فأقرأه بشغف وأتزود منه وأنتفع به . غير أن لى ملاحظة على قوله إن المعرى « شرح ديوان البحترى وسماه عبث الوليد . ولعمرى لو كان شعر البحترى عبثاً ما احتفل له أبو العلاء ولما سلخ له زماناً من عمره فى شرحه وإلا كان المعرى عابثاً لإضاعة وقته فى شرح العبث الخ »

فإن المعرى لم يشرح ديوان البحترى كله . وحاشا المعرى أن يسمى سلاسل الذهب عبثاً . وكيف يصح ذلك منه وهو الذى يقول : « المتنبى وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحترى » وهذه شهادة منه تعتبر أرقى من أهم شهادة فى هذا العصر

وإنما اختار أبياتاً ارتكب فيها البحترى ضرورة من الضرورات أو استعمالاً شاذاً أو مذهباً نحوياً غريباً فشرح هذه الأبيات وبين ما فيها وأسماها عبث الوليد

وهذا الكتاب طبع بدمشق ويوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية مأخوذة بالتصوير الشمسى برقم ٧٩٥٧ . وهذه بعض أمثلة منه

حرف الهمزة من التى أولها : زعم الغراب منبئ الأنباء :

فلعلني ألقى الردى فيريحني   عما قليل من جوى البرحاء

إلا كثير في كلامهم لعلي وبها جاء القرآن وربما جاء لعلني وهذا البيت ينشد على وجهين :

أريني جواداً مات هزلاً لعلني   أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا

ومنهم من ينشده لأنني وهو بمعنى لعلني الخ

وقال في محل آخر :

لم تقصر علاوة الرمح عنه   قيد رمح ولم تصبه خطآء

خطآء بفتح الخاء ردئ إلا أنه جائز وقد حكى عن بعض القراء المتقدمين : « أنه كان خطآء كبيرا » بالفتح والمد والكسر أجود ليكون مصدراً لخاطأ لأنهم قد قالوا تخاطأته النبل قال الشاعر :

تخاطأت النبلُ أحشاءه   وأخّرَ يومى فلم يعْجَلِ

ويجوز أن يكون خطآء وهو مأخوذ من الخطوة كما يقال خطأه الله السوء أي جعل السوء يخطوه فلا يمر به وقال :

ومنا دول الأيام نعمى وأبؤساً   بأجرح في الأقوام منه ولا أسوى

قوله أسوى تسامح من أبي عبادة لما كان الأسو ظاهر الواو وكذلك قولهم أسوته في الفعل فأنا آسوه آنس بالواو ، فجاء بها في أفعل الذي يراد به التفضيل وإنما القياس ولا آسي وما علمت أن أحداً استعمل هذه اللفظة التي استعملها أبو عبادة وكأنه قال : ولا أوس ثم نقل الواو إلى موضع العين وإذا بنى من أسا يأسو مثل أفعل فالأصل أن يجتمع فيه همزتان إلا أن الثانية تجعل ألفاً كما فعل بها في آدم فهذه الألف جاء بها أبو عبادة في أسوى بعد الواو يجب أن تكون الهمزة المخففة وقد أبدع في استعماله هذه الكلمة ومن التي أولها :

أبا جعفر ليس فضل الفتى   إذا راح في فرط إعجابه

ولكنه في الفعال الكريـم   والخلق الأشرف النابه

جاء بالنابه مع إعجابه فجمع بين الهاء الأصلية وهاء الأضمار وذلك قليل إلا أن الفحول قد استعملوه واستحسنه كثير من المحدثين. وقالت امرأة من العرب تهجو ضرتها وتخاطب زوجها :

بطون كلب الحي من جذارها   أعطيت فيها طايعاً أو كارهاً

حديقة علياء من مدارها   وفرساً أنثى وعبـداً كارهاً

ومن التي أولها : وكان الشلمغان أبا موهماً :

بنو الأطروش لو حضروا لكانوا   أخص مودة وأعم رأيا

قوله الأطروش يقول بعض أهل اللغة إنها كلمة لا أصل لها في العربية وقد كثرت في كلام العامة جداً وصرفوا منها الفعل فقالوا طرش يطرش وأفعول بناء عربي كثير. ويجوز أن يكون من أنكر هذه اللفظة من أهل العلم لم تقع إليه لأن اللغات كثيرة ولا يمكن أن يحاط بجميع ما لفظت به القبائل . وكان عبد الله ابن جعفر بن درستويه يذهب إلى أن كلام العرب لا يمكن أن يدرك جميعه إلا نبي إذ كان غاية ليست بالمدركة. وممن كان ينفي الأطروش عن كلام العرب أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني الخ.

هذه طريقة هذا الكتاب وهو كتاب جليل على صغر حجمه نافع لا يصح أن يكون مجهولاً غير معروف بين الأدباء والسلام على الأستاذ

ابراهيم يس القطان

المبتدأ الذي لا خبر له

لا شك في أنه يوجد في علومنا ما يحتاج إلى التمحيص ، ولقد درست النحو في هذه السنة فدرجت فيه على عادتي في الدرس من إيثار تمحيص المسائل على ترديدها كما دونها المؤلفون . ومن ذلك مسألة المبتدأ الذي لا خبر له، وهو الذي أشار إليه ابن مالك في قوله:

وأوّلٌ مبتدأ والثـاني   فاعلٌ اغنى في أسارٍ ذانِ

وهم يقولون في إعراب هـذا المثال : الهمزة للاستفهام ، وسار مبتدأ ، وذان فاعل سد مسد الخبر . وفي هذا الإعراب المشهور مؤاخذة من وجهين : أولهما أن هذا الوصف ليس مبتدأ في المعنى، لأن المبتدأ في الجملة الاسمية هو المحدث عنه أو المسند إليه أو المحكوم عليه ، والخبر هو المحدث به أو المسند أو المحكوم به ، والوصف في ذلك المثال جار مجرى الفعل ، فهو محدث به لا محدث عنه ، ومسند لا مسند إليه ، ومحكوم به لا محكوم عليه

وثانيهما أنه كما كان هناك مبتدأ وجب أن يكون هناك خبر ، فلا يمكن وجود مبتدإ لا خبر له ، وهذا كما لا يمكن وجود خبر بدون مبتدأ ، ولا وجود فعل أو فاعل بدون الآخر ، وذلك لأنه لا يعقل وجود محدث عنه أو مسند إليه أو محكوم عليه بدون وجود محدث به أو مسند أو محكوم به ، ولا يمكن أن يسد الفاعل الذي بعد ذلك الوصف مسد الخبر ، لأن الفاعل مسند إليه ، والوصف إذا كان مبتدأ يقتضي مسنداً لا مسنداً إليه

فإذا قيل إنه ليس معنى المبتدإ هو المسند إليه أو نحوه ، وإنما هي تسمية اصطلاحية بمعنى الاسم العاري عن العوامل اللفظية ، فيكون ذلك الوصف مبتدأ بهذا المعنى ، وإن كان مسندا لا مسندا إليه ، فالجواب أن هذه التسمية الاصطلاحية لا نظير لها في علم

النحو ، فلا يسمى فيه فاعل إلا إذا كان في المعنى فاعلاً ، ولا يسمى فيه مفعول إلا إذا كان في المعنى مفعولاً ، ولا يسمى فيه حال إلا إذا كان في المعنى حالاً ، وهكذا . فيجب أن يكون المبتدأ كذلك ، ولا يصح أن تكون تسميته تسمية لفظية صرفة ، لأنه لا يوجد في النحو إعراب لا معنى له

والذي أراه أنه لا يجب أن يعرب مبتدأ كل اسم عري عن العوامل اللفظية ، وقد استثنوا من ذلك اسم الفعل فلم يعربوه مبتدأ ، وأنا أستثنى منه ذلك الوصف فلا أعربه مبتدأ أيضاً ، وإنما يعرب عندي اسم فاعل مرفوعاً لتجرده من العوامل ، كما يرفع الفعل المضارع لتجرده منها . فإذا كان اسم مفعول أعرب اسم مفعول ، وهكذا . وبذلك يستقيم جعل ذلك الوصف مسنداً ، وجعل مرفوعه مسنداً إليه .

عبد المتعال الصعيدي

مباراة موسيقية غنائية تنظمها جماعة الأسايست في القاهرة

نظمت جماعة الأسايست بالقاهرة مباراة علميـة في البحوث الموسيقية والغنائية ، وأعدت للفائزين فيها أربع جوائز : اثنتين منها للبحوث المقدمة باللغة العربية ، والأخرين للبحوث المقدمة باللغتين الفرنسية أو الإنجليزية

أما الموضوعات التي اختيرت لهذه المباراة فهي :

الموسيقى العربية — بحث في أحد أعلامها (أعماله ، منبع إلهامه ، أثره في الموسيقى العربية ، الخ .) وآخر في الأغاني الشعبية المصرية ، وثالث في الموسيقى المصرية الحديثة

الموسيقى الغربية — بحث في ترجمة حياة أحد الأعلام الثلاثة : باخ — بيتهوفن — ديوسى ، وبحث آخر في السوناتا ، وثالث في عصر من العصور الموسيقية : العصر القديم (الكلاسيكي) ، العصر الإنشائي (الرومانطيقي) ، الموسيقى بعد الحرب ، الموسيقى المقارنة ، بحث في المقابلة بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية والصلة بينهما قديماً وحديثاً

والاشتراك في هذه المباراة مباح للمقيمين في مصر ، بشرط ألا تزيد سنهم على الثلاثين ، وألا تستغرق البحوث أكثر من ثلاثين صفحة من القطع الكبير مع عدم النقل الحرفي من المراجع . وتقدم طلبات الاشتراك حتى آخر الشهر الحالي ، والبحوث إلى يوم ٣١ مايو المقبل مع رسم قدره ١٥ قرشاً باسم سكرتيرية الجماعة بشارع المغربي رقم ٩ بالقاهرة

أما لجنة التحكيم فقد ألفت من حضرات الدكتور محمود أحمد الحفني رئيساً ومدام بتسي ستروس وكيلة ، ومصطفى رضا بك ، والأستاذ توفيق الحكيم ، والدكتور . ب . شيفر الستر ، والأستاذان ج . هوتيل ، و ا . تيجرمان ، والدكتور هانس هيكمان : أعضاء ، والمسيو ساتيل سكرتيراً

دار الثقافة في السودان

من بين المهتمين بإيجاد دار تجمع المثقفين بين المصريين والبريطانيين والسودانيين لتبادل الرأي وتوثيق التعارف ، المستر ولسن مساعد السكرتير الإداري بالخرطوم . وقد ذكر أن ثلاث شخصيات كان لها الفضل في اقتراح هذا المشروع وتأييده هم المستر كوكسن مدير المعارف والمستر نيوبولد والمستر كنجز . وقال إن بعض الناس يطلقون عليها اسم نادي القلم ، وهذا خطأ إذ أن الاسم المراد إطلاقه عليها هو دار الثقافة

وسيباح الاشتراك في هذه الدار لجميع الأجناس . وستزود بالكتب الإنجليزية والعربية ، وستلقى فيها محاضرات في شئون تهم الوطنيين والبريطانيين وتهم السودان بصفة عامة

عودة البعثة الألمانية من القطب الشمالي

وصلت البعثة الألمانية العائدة من القطب الجنوبي إلى كوكسهافن على الباخرة شوابنلند وقد حصلت على نتائج مهمة . وكان المارشال جورنج قد أمر بتأليفها ضمن استكشاف منطقة تمتد إلى شرق خط جرينتش وغربيه في القارة المتجمدة الجنوبية . وقد بلغت الباخرة شوابنلند تلك الأصقاع في يناير الماضي وبدأت البعثة أعمالها في الحال

وقامت برحلتين جويتين وضمت بهما الخرائط لإقليم لم يستكشف بعد وتبلغ مساحته ٣٥٠ ألف كيلو متر مربع ، ويبلغ مجموع مساحة الأراضي التي استكشفت من قبل ٦٠٠ ألف كيلومتر مربع . ويتألف الإقليم الذي استكشف من بقعة واحدة يحدها من الشرق نجد من الجليد يرتفع فجأة ويمتد في اتجاه القطب ويحتوي على سور من الصخور يختلف ارتفاعاً وهبوطاً إلى أن يتصل بالقطب . وقد جاءت الخرائط التي وضعت لكل ذلك فريدة في بابها

ونزلت البعثة في أثناء طيرانها على حواجز من الجليد ورفعت العلم الألماني على كثير من القمم وجعلت تلقي كلما اجتازت ١٥ كيلو علماً من أعلام الصليب المعقوف . ثم إن البعثة استكشفت الحاجز الجليدي حتى الدرجة ١٨٫٣٠ شرقاً وجابت الشاطئ حتى الدرجة

٢٠ شرقاً . وفى ٦ فبراير شرعت السفينة فى العودة لأن سوء الطقس وحالة الجليد كانت تنطوى على أخطار كبيرة . وأثبتت الطائرات البائية جودتها الفائقة فى استخدامها فى تلك الأصقاع . وتبلغ أقصى نقطة جنوبية وصلت إليها البعثة الدرجة ٧٢ والدقيقة ٤٤ جنوباً والدرجة الصفر من خط الطول . أما أقصى نقطة غربيـة فهى الدرجة ٧١ والدقيقة ٣٣ جنوباً والدرجة ٤ والدقيقة ٥ غرباً . وبلغت أقصى نقطة شرقية الدرجة ٢٢ والدقيقة ١٠ جنوباً والدرجة ١٦ والدقيقة ٣٠ شرقاً . ووضعت الأعلام الألمانية على هذه الدرجات لتعيينها . وقامت البعثة إلى جانب كل ذلك بجس بالراديو فى ٢١٩ موضعاً ، وكان ٣١ موضعاً منها على علو يزيد على ٢٠ ألف متر . وقام الأستاذ باركلى العالم البيولوجى بأبحاث تتعلق باحتمالات صيد الحيتان وأجرى تجارب بالشباك ودرس حياة الحوت

الأدب المصرى فى نظر المستشرقين

سبق للرسالة أن أشارت إلى أن الأستاذ المستشرق الكبير بروكلمن ينشر الآن الجزء الثالث والأخير من تكملة كتابه « تاريخ الآداب العربية » والذى فيه يتناول مظاهر الأدب المصرى شعراً ونثراً . هذا إلى جانب المحاضرة التى ألقاها فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى بروكسل فى السنة الماضية والذى عرضت له الرسالة فى حينه . وقد لفت الأستاذ بروكلمن فى محاضرته هذه ، أنظار المستشرقين إلى ضرورة نقد كتب الأدب العربى الحديث . وقد ظهرت بوادر ذلك فى عدد فبراير سنة ١٩٣٩ من مجلة الشرقيات (Olz) وهى أهم مجلة ألمانية موقوفة على النقد فى دوائر الاستشراق حيث نشر المستشرق المعروف هاج Haog ببرلين نقداً لمسرحية الدكتور بشر فارس « مفرق الطريق » . بدأ المستشرق نقده بذكر مؤلفات الدكتور بشر فارس فى الأدب والعلم وأشار إلى مكانتها ، ثم تطرق إلى المسرحية فبين الفكرة البعيدة المرمى التى تدور عليها المسرحية من الناحية الفلسفية ، ووصف الطريقة الرمزية فى التعبير عن العواطف والحركات على المسرح ، فقال إن الحوار فى المسرحية بين النطق والإشارة مما يتطلب من المخرج مقدرة ويترك له مجال الافتنان . أما لغة المسرحية فيراها الناقد منتقاة . وقد يتفق للقارئ أن يقف أحياناً لتفهم تعبير جديد فى الأدب العربى . وهنا يرى المستشرق هاج أن النقاد عندنا أثبتوا قدر هذه المسرحية على اختلاف مناحيهم : فذكر أنها نالت من الناحية الأدبية تقدير الدكتور زكى محمد حسن (أهرام ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٨) ومن الناحية الفنية اعتراف الأستاذ زكى طليمات بأنها حدث جديد (الرسالة عدد ٢٥٠ فى ١٨ ابريل سنة ١٩٣٨) ثم ذكر رأى الناقد ميخائيل نعيمة بأنها كنز جديد فى الأدب العربى (الرسالة عدد ٢٥١ فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٨) ثم عقب المستشرق هاج بأن هذه المسرحية تمهد طريق الاستحداث الأدبى فى العالم العربى كما وقع ذلك فى الأدب التركى . ثم يختم المستشرق بهذا السؤال : هل يقدر المؤلف أن يصل إلى الغاية التى يقصد إليها ؟ فجاء جوابه أن هذه المسرحية إن لم يتفق لها أن تحقق الغاية فى المستقبل فإنها قوبلت بارتياح عظيم . وزاد على ذلك أن المؤلف لا يشك فى أنه قد حان الزمن الذى فيه أصبح الإيجاز والإيماء فى الإنشاء الرفيع أحب إلى القارئ العربى المهذب من التطويل والتذييل م . ك



من بواكير الشباب

قصص وشعر

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

في شبابنا يقظة أدبية وثابة ، ولهفة على التأليف في الأدب خصوصاً في القصص والشعر ، وما من يوم يمضي دون أن يحمل إليّ البريد قصة أو ديواناً يطلب مني صاحبه أن أقدمه للقراء !

ومهما يقل بعض الناس في شأن هذه اللهفة، فإنها لا شك بشرى طيبة لعلها تصل بأصحابها إلى نهضة أدبية قوية متى وجدت المدد والبخور والعطف والتشجيع

وهذه باقة من نتاج الشباب في القصص والشعر نضعها بين يدي القراء الكرام ، وإن فيها من طيب الشذى ما ينعش النفس ويغمر الإحساس والشعور ، وهل الشباب إلا إحساس وشعور !

في سبيل الخلافة

قصة تاريخية مسرحية ، وضعها الأديبان : ابرهيم حسن جعفر وعبد الغفار الجنبيهي ، وموضوع القصة موضوع تاريخي يتصل بالصدر الأول للاسلام . ذلك العصر العظيم بأبطاله ، الزاهي بتراثه ، الفخور برجاله ، والقصة جميلة في تسلسل حوارها ، وانسجام أسلوبها ، وتحرى الصواب في سرد حوادثها ، فغاية الفن فيها التهذيب والتزويق ، لا الكذب والتزوير ، فأنت إذ تراها قصة أدبية قوامها الحوار والتمثيل ، فأنت تجدها في الوقت نفسه قطعة رائعة من التاريخ لها كل مميزات الكتابة التاريخية ، وإنها لتبشر بمستقبل مؤلفيها في الأدب ، وتدل على استعداد للقصة

قبل الانتحار

وهذه قصة بقلم الأديب خليل منصور الرحيمي ، وقد قدمها إلى القراء الأستاذ الكبير ابرهيم عبد القادر المازني وقال في تقديمها : هذه قصة منتزعة من صميم الحياة ، فلا تقليد ولا محاكاة ولا تمصير ولا شيء إلا صورة نفس مصرية على قدر ما وسع صاحبها أن يتقصى جوانبها ، ويغوص في أعماقها ، ويلم بألوانها ، ولقد أجاد بحق ، وليس فيه من العيوب إلا ما لابد منـه ولا معدى عنه في سن الشباب ، والزمن والتجربة علاج كاف مضمون !

والقصة في موضوعها هي قصة المؤلف في الحياة ، وما لاقاه فيها من حوادث ، وما أثر على نفسه من مؤثرات . والناس جميعاً متشابهون فيما يقاسون من صروف الدهر ، وعنت الأيام ، ولكن القليل فيهم هو الذي ينتفع بالتجربة ، ويتدبر العواقب ، ويستخلص النهج الذي يجب أن يسلكه هو وأمثاله . والأديب حينما يقدم لك صورة من نفسه ، فإنه في الواقع يقدم لك صورة من الحياة ، ولكن بعد أن يقربها لعقلك وإدراكك ، ومن ثم تكون اللذة والإفادة . فلعل الذين يطالعون هذه القصة يجدون فيها كما وجدت صورة رائعة تمثلت في حياة نفس مصرية

في غرفة التحقيق

وهذه قصة كسابقتها ، هي صورة من حياة مؤلفها الأديب محمود محمد علوان ، ولكنها حافلة بتعدد الشخصيات وكثرة المناظر ؛ وكأني بها قطعة صادقة من الحياة الواقعية ، أراد صاحبها أن يتحرى فيها الصدق والإخلاص فبلغ غايته ووفق إلى ما أراد

صدر القصة سرد لتاريخ المؤلف وصلته بالحياة وبالناس وهو في كنف والده أيام الدراسة ، وهي إلى هذا الحد قصة عادية أشباهها

في الحياة كثير، ولكن المؤلف بعد ذلك يقص حياته في العمل بسكرتارية التحقيقات بنيابة دمنهور، وهو في هذه المرحلة لا يحفل بشخصه، ولكنه يهتم بتصوير ما يصادفه من الحوادث العجيبة، والشخصيات الغريبة، والوقائع التي تبكي وتضحك مما يتصل بأعمال النيابة في الضبط والمعاينة والتحقيق، ولا شك أن المؤلف قد تأثر كثيراً بالأستاذ الحكيم في يوميات نائب في الأرياف وإن كان بينهما البون الشاسع في سرد الوقائع، وترتيب الحوادث، والوضع الفني للقصة

وأسلوب الكاتب أسلوب سهل قريب إلى النفس، يدل على طبع موهوب وإن كان لا يخلو من هفوات لا يسلم منها الناشئ

القصتان

وهما قصتان من صميم الحياة المصرية، إحداها بعنوان «ثورة» والأخرى بعنوان «الرضيع» وضعهما مؤلفهما الأديب عبد الحفيظ أبو السعود دعاية للفضيلة، وانتصاراً للأخلاق الكريمة التي عصفت بها روح العصر، وطغت عليها مدنية زائفة كلها الأذى والشر والتبذل والفساد لنفوس الشباب، وقلب الأوضاع الثابتة، والتقاليد المرعية

والمؤلف الفاضل بارع في السرد القصصي، وحبك الوقائع حتى ليسير بالقارئ في تسلسل وانسجام، فلا نبو ولا شذوذ ولا اقتضاب، ولكنها طبيعة الحياة، واطراد الحوادث. وأسلوبه قوي سليم، ولكن يكثر فيه الترادف والتعابير الضخمة التي لا تلائم روح القصة. إن من الواجب على الكاتب أن يجيد الربط بين المعنى وبين لبوسه من الألفاظ والتعابير، وأن يكون أسلوبه ملائماً لمواقع الكلام. وتلك ناحية يستطيع المؤلف أن يخلص منها في يسر وسهولة، حتى يتم له الاتصال بنفس القارئ في يسر وسهولة.

نجوى المنى

جملة طيبة من المقطوعات الشعرية، نظمها الأديب الشاعر عبد الله حسين رزق في موضوعات تتصل بنفسه، فهي آلام وآمال وعواطف وأحاسيس اعتلجت في نفس الشاعر فجلاها للناس في أسلوب مشرق صادق، وترجم عنها بالأداء أحسن ترجمة. وإذا كان ما يخرج من القلب يصل إلى القلب كما يقول الجاحظ فلا شك أن الشاعر الأديب قد استطاع أن يصل إلى قلب قارئه.

أما الملكة الشعرية والأداة الشعرية فإنهما كما يقول الأستاذ خليل شيبوب في مقدمة الديوان — قد استقامتا للناظم، وليس عليه إلا أن يتعهدهما حتى يستكملهما، وما كثير من المعاني التي يتلمسها، ويعبر بها دون أن يستوفيها إلا ومضات ذهنية لا تزال تموج بها ميعة الصبا، ولعلها تتجلى عن شمس الضحى في النهار المشرق.

ألحان الفجر

وتلك مقطوعات أخرى نظم عقدها الشاعر محمد المصري محمود، وهي قطع من عواطف المؤلف في الوطنية، وشعوره نحو الجمال، وتقديره للعاملين من أبناء الوطن في السياسة والعلم والأدب.

وألحان الفجر باكورة تدل على استعداد صاحبها للشعر، وتنبئ عن ملكة لابد لها من المران والتدريب حتى تنمو وتنضج. وإنك لتطالع فيه كثيراً من الأبيات المفردة، والمقطوعات التي تفيض بالعاطفة القوية، والإحساس الشريف.

شرح منهج التعليم الالزامي

ذلك هو جهاد الجندي المجهول يؤديه لأمته ووطنه لا يرجو عليه جزاء من أحد إلا أداء مهمته وإشباع رغبته واطمئنان نفسه وضميره

والجندي المجهول في مصر هو ذلك المعلم الإلزامي القابع في صميم الريف يهذب النفوس ويهيئ العقول ويشحذ المواهب في النشء ويعدهم لفهم الحياة ومزاولة العيش. والمعلم الإلزامي لا شك يجد كثيراً من الصعوبة والمشقة في تقويم أطفال كزغب القطا حمر الحواصل. ولقد يعنيه اختيار الطريقة الملائمة لإدراكهم في الشرح وربما يتنكب القصد. ولقد نزع الأديب عبد المؤمن محمد النقاش في جماعة من إخوانه الذين يزاولون التعليم في المدارس الإلزامية لتسهيل ذلك العمل لأبناء طائفته فقاموا بشرح منهج التعليم الإلزامي لجميع الفرق في الأخلاق والدين والتربية الوطنية والمحادثة والإنشاء والإملاء والمحفوظات والصحة والتعليم المنزلي والأشياء والتاريخ والجغرافيا على ما هو مقرر في تلك المدارس

وقد زينوا الشرح بالخرائط والرسوم لتبسيط الفكرة وتوضيح الرأي، وزادهم تمكنا في الشرح مزاولتهم التدريس في تلك المدارس، فجاء عملهم كاملاً يقوم على العلم والعمل، نافعاً ينير الطريق لإخوانهم ويسد نقصاً بهداهم الله إلى تمامه ووفقهم إلى كماله. م. ف. ع



7me Année No. 303

Lundi - 24 - 4 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

مغزى رسالة الرئيس روزفلت

اقتلوا الجوع تقتلوا الحرب

عالجت الرسالة فى بضع عشرة مقالة آلام الجوع وآثام الفقر وما ينجم عنهما من مآسى الحياة ؛ وكان فى ظننا يومئذ أن الناس متى هذبتهم المعرفة وصقلتهم المدنية يصبحون أعلم بحكمة الله ، وأفهم لسياسة الدين ، وأجدر أن يحكّموا العقل والعدل فيما شجر بينهم على قسمة الدنيا وغلة الأرض ؛ ولكننا تركنا الموضوع قانطين من رحمة القلوب ، لأننا وجدنا غاية الأمر فيه لا تبعد عن البكاء والاستبكاء ، ما دام الحكم لأيدى الأقوياء ، والتشريع لألسنة الأغنياء ، والغلب والسبق للناب العضوض والجناح المحلق . وقلنا ونحن نمسح عن القلم سواد الحظوظ : لا يزال فى قدر الله أن يكابد بنو آدم عقابيل البهيمية الأولى ، فيوطأ الوانى ، ويُسترق العانى ، ويؤكل الضعيف ، ويكون هنا الطمع والبكزازة والأثرة ، وهناك الحسد والحزازة والثورة ، ثم لا يفصل بين الواجد والفاقد غير الحرب . فالحرب لا تنفك مشتعلة بين الفرد والفرد ، وبين الأسرة والأسرة ، وبين الأمة والأمة ، بالقول أو بالفعل ، وفى السر أو فى الجهر ، حتى يتدارك الله عباده فيهيئ نفوسهم لفض هذه الخصومة ، بغير هذه الحكومة

* * *

والخصومة بين الناس أولاً وأخيراً هي المادة؛ والنكبة الأزلية على النظام والخلق هي الفقر؛ وكل ثورة في تاريخ الأمم، أو جريمة في حياة الأفراد، إنما تمت بسبب قريب أو بعيد إلى الجوع. حتى الشهوة: شهوة الغرام أو الانتقام لا تقع في تاريخ الجناية إلا في المحل الثاني بعد الجوع، لأنها لا تكون إلا عرضاً من أعراض الشبع. من أجل ذلك جاء دين الله يخفف عن الفقير بالإحسان والعدل، ويدفع عن الضعيف بالمودة والرحمة؛ ولكن عرام النفوس كان أقوى من أن يرده الثواب المغيب والعقاب المؤجل، فتبت على أمر الله، وعللت نفسها بالنجاة من باب التوبة المفتوح، ومن طريق المغفرة الواسع. ثم حاولت فلسفة الناس أن تجد سلام المجتمع في أنظمة متناقضة يدفع بعضها في صدر بعض؛ فوقع العالم من جراء النزاع بين الفردية والاشتراكية، والصراع بين الدكتاتورية والديمقراطية، في حرب عنيفة رعناء لا تأصرها آصرة ولا تدركها شفقة، حتى أكلت من أمة الأشبان وحدها مليوناً وربما من شبابها الأمثل النابل؛ ثم أخذت تخمد في هذا الميدان الضيق المحدود لتستعر في ميدان لا حد لعرضه، ولا نهاية لطوله: هو العالم!

* * *

أينما يكن الغنى يكن السلام، ما في ذلك ريب ولا جدل. ففي أمريكا وانجلترا، وفي فرنسا وسويسرا، تجد الناس في ظلال الأمن مقبلين على الإنتاج المعمر والاستهلاك المرفه، لا نكاد نرى بينهم عيناً تحسد ولا قلباً يحقد ولا يداً تجترح

وفي ألمانيا وإيطاليا أصيب الناس بسعار من الجوع زاده طمع الطاغيتين التهاباً واستكلاباً فانقلب إلى نوع من عبث نيرون أو انتقام شمشون أو مقامرة اليائس الذي يضرب الضربة الحمقاء ليربح الكل أو يخسر الكل!

فلو أن الله أتاح لأبناء برلين وروما من سعة الدنيا ونفاق التجارة ووفرة المال ما أتاح لأبناء لندن وباريس؛ ولو أن الله لم يبتل أبناء روما وبرلين بمن طحنهم بالعمل، وعصرهم بالضرائب، وقهرهم بالحرمان، واتخذ من أجسادهم وأرواحهم وأقواتهم مدافع تقذف بالنار، وطوابر ترمي بالبم، لما رأيتهم يكفرون بالإنسانية، ويتنكرون للمدنية، ويفعلون فعل القوي المحتاج: تضطره الحاجة إلى السرقة، وتدفعه القوة إلى القتل. فهم يخرجون اليهود من ديارهم ليأخذوا المال، ويحتلون الأمم بجيوشهم ليملكوا الأرض، ويلقون الدول القوية في بحران من القلق والفزع والذهول، ليضعوا أيديهم الجارفة على أرزاق الدول الضعيفة

* * *

رأى خليفة ولسون وهو في دنياه الجديدة السعيدة أن الجوع الذي ولدته الحرب الكبرى في قصر فرساي قد اشتد أسره، وصلب عضله، وفحش طوله، وضخم بدنه، حتى انشق إلى تنينين فظيعين لكل منهما مليون رأس، ومليون يد؛ وفي كل رأس ناب يقطر السم الزعاف، وفي كل يد مخلب ترسل الموت الوحي. فبعث إليهما برسالة من بقايا النبوة الأولى، فيها الدعوة إلى الحق بالقول اللين كدعوة موسى التي لم تصب أذناً في مصر، وبالمنطق المؤيد بالقوة كدعوة محمد التي لم تخطئ أذناً في العالم

يطلب الرئيس روزفلت من الجوع المتجسد المتنمر أن يحبس لعابه المتحلب، ويكفكف سعاره المضطرم، ويقبض لسانه اللاهث، ويتخذ هيئة الإنسان ليلتقي بخصومه في مؤتمر عام يجمع الغرب والشرق على المبادئ التي شرعها الله فكفروا بها، والخطط التي نهجها المصلحون فحادوا عنها؛ ثم يضعون لهذه الدنيا المتدابرة المتناحرة سياسة جديدة تجعل أرض الله مضطرباً لكل كادح، وخير الأرض مشاعاً لكل مستغل. ويومئذ يكون الفصل بين عالم عاش فيه الحيوان بغرائزه الوحشية، يقوى فتنتشر مخالبه بين شعر النفوس، ويضعف فتنطوي تحت حرير المفوف؛ وبين عالم يعيش فيه الإنسان بطبائعه المدنية، يعدل بين جنسه وغير جنسه، ويحب لغيره ما يحب لنفسه، ويطمس في ذهنه حدود البيت والأسرة، ومعالم الوطن والأمة، ليصبح الناس كلهم أسرته، والدنيا بأسرها وطنه.

ويومئذ تستطيع الإنسانية أن تتبجح بعزة العقل والعلم وتقول لقافلتها الضاربة في مجاهل الأبد وهي لا تملك مشاعرها من القلق والفرق: لقد زال الطمع فزالت العداوة، ومات الجوع فماتت الحرب.

احمد حسن الزيات

رقم !...

للأستاذ عباس محمود العقاد

مليون ومائتا ألف !

هذا هو الرقم فى الحساب ، وهو عدد الذين قتلوا فى الحرب الأسبانية الأهلية من رجال ونساء وأطفال، ومن مقاتلين وموادعين. بل كان عدد القتلى من الجنود أقل من عدد القتلى الذين لم يحاربوا ولم يحملوا السلاح ؛ لأن هؤلاء قد بلغوا ثلاثة أرباع المليون !

رقم ! ... وماذا فى الرقم من دلالة ؟ كل ما هنالك أن ألوفاً كثيرة أصبحوا اليوم موتى وكانوا بالأمس أحياء

ألا يعرف الإنسان هذا من قديم الزمان ؟ ألا يعرف أن ألوف الألوف وملايين الملايين كانوا فى عداد الأحياء فأصبحوا فى عداد الأموات ؟

فماذا فى هذا الرقم الجديد ؟ وأى شىء فيه يستوقف نظر القارئ أو يعوقه لحظة عن إتمام بقية السطور ؟

***

لكن كاتباً من الكتاب يعمد إلى واحد من هذه الرمم فيخلق حوله مأساة ، أو يبسط المأساة التى خلقتها الحوادث عياناً كأفجع ما يتخيل الخيال

يرينا إياه إنساناً له آمال ، وأباً له أطفال ، وقريناً له قرينة ، ومحباً له محبة ، وعدواً له ضغينة

يرينا أطفاله عراة جياعاً مشردين فى العراء وقد كان موضعهم من الحياة فوق مهاد وبين أحضان

ويرينا الفتاة اللعوب التى كانت نظرة من عينيها أو لمحة من بين أهدابها أملاً تتعلق به حياة الخاطبين ، فإذا هى جيفة يعرض عنها الناظر ، أو بغياً يبتذلها الطريق

ويرينا على الجملة قلب إنسان واحد يتمزق بين هذه القلوب ، فإذا بصدر القارئ يخفق ، وبعينه تدمع ، وبرأسه تقيم فيه الخواطر ، وبالدنيا تضيق فى وجهه ، وبالرقم المهمل شيئاً مرعباً تقشعر له الأبدان وتجفل منه الأبدان

ما أبلد خيال الإنسان !

***

نعمة من النعم فى بعض الأحايين أن يمنى الإنسان ببلادة الخيال . وإلا فأين هى النفس التى تتخيل ما وراء ذلك الرقم أو ما وراء ذلك المليون والآلاف المائتين من المآسى والفواجع والآلام والأحزان والأهوال والأثقال ثم تقوى على مس تلك الصدمة إلا كما تقوى على مس التيار الصاعق من الكهرباء ؟

لكنها نقمة من النقم أن تبلغ بلادة الخيال ذلك المبلغ الذى لا يرى من وراء الملايين المقتولة إلا رقماً من الحساب

نقمة تجر إلى شتى النقم ، لأن الناس لو تخيلوا بعض ما ينبغى أن يتخيلوه من أهوال الحروب وأثقال الفواجع لبطلت منذ عهد طويل

فالهم لا ذلك الحس الذى يصعق كما تصعق الكهرباء ، ولا هذه البلادة الصماء التى تلحق الآدمى بالبهيمة العجماء

اللهم ذلك الحس الذى يبكى لمصرع مليون يتخيلهم مصروعين كما يبكى لمصرع فرد واحد يراه بعينيه ويعلم ما فى مصابه من شقاء لذويه ومحبيه

فهل نعلم ما للخيال من شأن فى تمثيل المصائب والثورة عليها والتمرد على مقترفيها فلا نضن عليه بالتغذية ولا نستكثر عليه ما نسميه لهو البطالة وإزجاء الفراغ ؟

***

وكأنما « المريخ » مخلوق له طالع من طوالع السعود ، وجد لا يصيبه تقلب الجدود

ففى كل عصر له رزق مسوق إليه على حسب ما يكون فى ذلك العصر من علم أو صناعة أو تدبير

قيل إن الناس قد لطفت خلائقهم فى العصر الحديث حتى لا يطيق أحدهم أن يبقر البطون ويبتر الأوصال ويشهد اختلاج الأرواح الزهقة فى الأجساد المزقة كما كانوا من قبل يصنعون قبل ألوف السنين

قيل هذا ولعله صحيح أو قريب من الصحيح ، ثم هممنا أن نرجو بعض الرجاء ، وهم المريخ أن يقنط بعض القنوط ، فأقبل العلم الحديث برزق جديد لذلك المخلوق المجدود : إله الحرب الذى

أنذرهم أبو العلاء بسوء المصير حين قال :

ولنار المريخ من حدثان الدهر مطف وإن علت فى اتقاد

فما أدركه النذير ؟

لأن الحرب الحديثة تحول بين القاتل وصرعاه فلا يرى ما هو صانع من فتك وتمزيق وتهشيم

فإذا ركب متن الهواء وألقى بالنار فى الفضاء ، فلا عليه بعد ذلك أن يلبث فى مكانه هنيهة واحدة ليشهد الخراب والشقاء ، ويسمع الصياح والبكاء ، ويندم على ما أسلف ، إن ظن أنه أساء

أما الذي يرى الفجيعة بعينيه ويسمع الصيحة بأذنيه فليست الرؤية بمانعة له أن يصنع بأعدائه ما صنع به أعداؤه ، بل لعلها حافزة له إلى الشر ومثيرة له إلى القصاص ، ومضيفة إلى رزق المريخ الذى خيفت عليه المسغبة فى العصر الحديث : عصر الشعور اللطيف والإنسانية المهذبة ، والرفق بالحيوان قبل الإنسان !

***

ولكل سم ترياق !

العلوم الحديثة قد حالت بين القاتل والفريسة ، ولكنها لم تحل بينه وبين أشباحها وأطيافها

فإذا احتجبت عنه جرائر صنعه فهنالك الصور المتحركة تعيدها إلى عينه وإلى كل عين ناظرة كأنها ضمير النادم أو لسان التبكيت والتعزير .

فهل فى العلوم ترياق لسم العلوم ؟ عسى أن ينفع ذلك الترياق إن صح أنه ترياق

فليس أبشع من صورة الحرب المكسوبة إلا صورة الحرب المفقودة ، كما قال ولنتون ونحن نعلم من هو ولنتون .. هو كاسب المعركة التى هيهات أن يفرح بالنصر أحد إن لم يكن فيها سرور لقائدها المنصور ، لأنه كان نصراً على نابليون سيد المنصورين والمهزومين

فإذا كان قصارى النصر أن يهون البشاعة فأخلق بالناظرين الذين لا ينتصرون فيها ولا ينهزمون أن يلمسوا كل ما فيها من بشاعة مرذولة بغير تهوين ، وأن يقاوموا بشعور المقت والنفور ما أبطله الحجاب بين القاتل وصرعاه فى حروب هذا الزمان

***

ولكل ترياق آفة !

نعم لكل ترياق آفة تفسد ما فيه من شفاء ، إن لم تعالجه يد تحسن العلاج .

فمن أين لنا أن الصور المعروضة على الناظرين تعودهم أن ينظروها ولا تعودهم أن يمقتوها ويغضبوا على آثميها ؟

من أين لنا أننا نشحذ الضراوة ولا نشحذ الرحمة بذلك التمثيل والتقريب ؟

الأمر كله موقوف على طريقة التناول وطريقة التلقى وطريقة التعويد ، وذلك الذى يقف بالترياق الناجع بين الآفة والشفاء

***

تحدثت الأديبة الرحالة « روزيتا فوربس » إلى طاغية الروس ستالين فوصفت له ما شهدت من صرعى المجاعة والتشريد وحاولت أن تلمس ضميره من قريب أو من بعيد

فالتفت إليها سائلاً : كم قتيلاً مات فى الحرب العظمى ؟

وأسرع الترجمان فقال : سبعة ملايين !

فعاد ستالين يقول : سبعة ملايين ذهبوا لغير غاية معلومة . أما نحن فنبنى حضارة جديدة ونقيم الإنسانية بأسرها على أساس جديد ، فماذا يضير أن يموت فى سبيل ذلك من يموت بالمجاعة والتشريد ؟

لو كان ستالين يتخيل كل واحد من أولئك الهالكين بالعرى والجوع فيأخذهم مأخذ الفنان الراوية لما أجاب ذلك الجواب ، ولكنه يأخذهم رقماً فى الحساب ، وليس للرقم نعيم ولا عذاب . ولن تبطل الحرب ما دامت مصاير الأمم بأيدى الحاسبين من أمثال ستالين

عباس محمود العقاد

لعبة التخادع في الحياة

للأستاذ عبد الرحمن شكري

كثيراً ما يخطئ المخادع المحتال إذا حسب أن الناس قد انخدعوا بمكره، وكلما كان نصيب المخادع من الذكاء أقل كان اعتقاده في قدرته على خدع الناس أعظم فلا يتخذ في وسائل خداعه من الأساليب ما يحتاط به لفطنة الناس إلى خداعه

أما المخادع الذكي فإنه يفطن إلى أن الناس كثيراً ما يتظاهرون بالانخداع ويدعونه إما لكي يعرفوا غاية المخادع ومأربه، وإما لأن لهم لذة في أن يخدعوا المخادع وأن يضحكوا منه في سرهم، وإما لأن لهم مأرباً لا ينالونه منه إلا بإظهار الانخداع له. ومن أجل ذلك ترى المخادع الذكي يحاول أن يستفيد من ادعائهم الانخداع قدر ما كان يستفيد لو أنهم انخدعوا حقيقة. والقدرة على الاستفادة من ادعاء الناس الانخداع هي سر النجاح في الحياة، وليست بمستطاعة لكل إنسان. والحياة في كل عمل أو مظهر أو رأي أو مطلب ومكسب وفي كل حاجة من حاجاتها يوجد بجانب ما بها من الصدق شيء من الخداع والانخداع وادعاء الانخداع، وهذه هي أقانيم الحياة الثلاثة أو ثالوثها المقدس

وقد تدرك الحيرة الشاب الذي يزاول الخداع في الحياة في أول عهده بالفطنة لما يتطلبه النجاح من الخداع، فإنه قد يبدأ في خداع إنسان فإذا بذلك الإنسان يحاول أن يخدعه بأن يدعي أنه انخدع به حقيقة. وهذا يكون كالنشال الذي يقابل إنساناً يتوسم فيه السذاجة وهو لا يدري أنه نشال مثله فيسلم عليه بيد ويمد اليد الأخرى بخفة إلى ثياب ذلك الإنسان يبحث بها عن حافظة نقوده، فإذا به يشعر أن يد ذلك الإنسان الأخرى تبحث عن حافظة نقوده هو، فتدركه الحيرة ويكاد لا يعرف أيهما النشال

وهذا يذكرني بما جاء في كتاب الكامل للمبرد عن أخذ البيعة بالخلافة ليزيد بن معاوية، فقد أطنب الناس في مدحه وأسرفوا إسرافاً جعل يزيد، وقد كان ذكياً، يعرف أنهم غير منخدعين بصفات المدح التي وصفوه بها وهي ليست من صفاته، وأدرك أن لهم مأرباً في ادعاء الانخداع بخلقه وصفات نفسه، فالتفت إلى أبيه معاوية وقال: يا أبي هل نخدع الناس أم هم الذين يخدعوننا؟ فقال لمعاوية: يا بنيّ، إنك إذا أردت أن تخدع إنساناً فتخادع لك حتى تنال منه ما تريد فقد خدعته. أي أن ادعاء الناس الانخداع وإن كان باطلاً فهو وانخداعهم سيان ما دام المرء ينال منهم ما يريد. وهذه حكمة من معاوية تدل على أنه كان بصيراً بالنفس الإنسانية ومسالكها في الحياة.

وهي حقيقة تُحس في كل مجلس من مجالس الناس، وفي كل بيئة. فهي ليست بالأمر الصعب إدراكه. بل لولا ادعاء كل معاشر أنه انخدع بمعاشره في أمور الحياة ما طابت الحياة. ومن أجل ذلك لا يمقت الناس أحداً قدر مقتهم الرجل الذي يريد أن يرفع غطاء الرياء عن الحياة، ويختلقون له أسباباً يسوّغون بها مقتهم. وكأن لسان حالهم يقول له: دعنا نخادعك وخادعنا أنت أيضاً كما نخادعك، وادّع انك انخدعت بنا، ودعنا ندّعي أننا انخدعنا بك. فإن من الإنصاف، أو من الذوق، أو من الرحمة أن يدّعي كل عشير أنه انخدع بعشيره ما دامت النفوس لا تستطيع الحياة إلا على هذه الأخلاق، ولا تستطيع أن تغيرها. وكأنما يقول لسان حالهم أيضاً: إن تبادل ادّعاء الانخداع مَثلهُ مَثلُ من يعطي هدية، ويأخذ هدية في قدر قيمتها. ومطالب الحياة لا تنال إلا على هذا النمط. أما الذي يريد من الناس أن ينخدعوا له ويغضب إذا اتضح له أنهم لم ينخدعوا، بل يدعون الانخداع، ويعد ادعاءهم الانخداع له عملة زائفة لا يقبلها، ويطلب منهم العملة غير الزائفة، أي انخداعهم الحقيقي؛ ثم هو لا يعطيهم لا انخداعاً ولا ادعاء للانخداع، فمثلهُ مَثلُ من تقدم له هدية فيغضب إذا لم يُعط أعظم منها، وهو لا يُعطي مثلها.

وينبغي للانسان إذا ادّعى الانخداع لعشير أو صديق أو رئيس أو مرءوس أو عميل أن يلازم الحذر من أن ينقلب ادعاؤه الانخداع انخداعاً حقيقياً؛ فيكون كمن يرى لصاً في منزله فيدّعي النوم حتى

يجد من اللص غفلة ليتمكن منه ، فإذا بادعائه النوم قد صار نوماً ، فيغط في النوم حتى يأخذ اللص كل ما يريد من البيت ويتركه ، وصاحبه قد ادعى النوم حتى نام .

وهذا أيضاً شبيه بمن يريد أن يحتال على إنسان فيقدم له قطعة من الذهب ويدعي أنه وجد كنزا كي يخدع ذلك الإنسان، ويستلب ماله، فيدعي ذلك الإنسان السذاجة وأنه انخدع ، ويأخذ القطعة كي يسأل عن قيمتها ثم لا يعود .

وهو أيضاً شبيه بصاحب الورق القامر على الورق المقلوب من ورق اللعب ، يدعي الخسارة ويعطي اللاعب جنيها كي يستدرجه ويسلبه ماله فيدعي اللاعب أنه ساذج ، ويظهر رغبته في استئناف اللعب والقمار ، ويستأذن في قضاء حاجة ضرورية من حاجات الجسم ثم يذهب بالجنيه ولا يعود .

وهذه الأعمال لها نظائر وأشباه بالقياس في أعمال الناس الجليلة الكبيرة المشروعة المحترمة . فالحذر عند ادعاء الانخداع ضرورة . أما أن يفتخر المرء بأنه لا يستطيع أحد أن يخدعه فإذا كان يراد به التملق لمن يتظاهر مع ذلك بالانخداع لهم فهو دهاء ، ووسيلة كسب بالمكر . أما إذا أريد به مضايقة الناس وتحريك عوامل خوفهم وبغضهم فهو سذاجة أو بلاهة ، ولا شيء يدعو إلى الفشل في الحياة كاعتقاد الناس في إنسان أنه لا ينخدع ، ولا يدعي الانخداع ؛ وهذا الاعتقاد يؤدي إلى بغض الناس من يعتقدونه فيه حتى وإن كان اعتقادهم باطلاً لا أساس له ، وهذا التظاهر بالانخداع هو ما جعله أبو تمام من أسباب السيادة وسماه بالتغابي في قوله :

ليس الغبيُّ بسيِّدٍ في قومه
لكنَّ سيد قومه المتغابي

وتبعه البحتري فقال :

وقد يتغابى المرء في عُظْمِ ماله
ومن تحت بُرْدَيْه المُغيرةُ أو عمرو

عبد الرحمن شكري

صلوات فكر في محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يا أرض الرستمية !

عليك السلام من عيني اللتين تدوران فيك دورات زائغة زئبقية مروعة وتلقطان الصور من حياتك ومواتك وآفاقك وذراتك . . .

ومن قلبي الذي قدست أسراره وقدس أسرارك وخلدته وخلدك . . .

ومن فكري الذي صقلته وأرهفته وجعلته يتصل بأصول الحياة ويرتبط بوثيق الأسباب . . .

لقد توسعت نفسي من رحبك وتعددت بتعدد مرائيك ، ورقق خواطري نهرك الوديع اللعوب ، في ابتسام الفجر وبكاء الغروب ، وأحسست سلامة النبات وهدوءه وصبره وصمته ونموه وإشراقه يدب في جسدي . . .

لقد اختلطت فيك الرؤى بالأحلام ، والصحو بالذهول والمنام ، فتوسع عالمي ورأيت في دنياي وفي نفسي مخابئ وعجائب ومدخرات ومكنونات . . .

لقد خلدت في خيالي صور الأعواد الجافة والخضراء والربى والوهاد والزهر والمطر حتى لأوشك أن أعد كل أولئك واحداً واحداً من ترديد النظر وانطباع الصور . . .

وهل أنسى كئوس النور والظلام التي أدرتها على عيني مخضبات بأصباغ الشفقين ، مشعشعات بالندى والطل ، مطيبات بنفح الزهر وأنفاس السحر ؟

لقد شربت عيناي فيك من النور والظلام فسكرت سكراً أبدياً أفرغ في كل خلية من خلاياي نشوة وفتوناً

لقد دخلتك كارهاً فراق بغداد . . . فكنت كالذين يقادون إلى الجنة بالسلاسل !

ثم انطلقت في رحابك انطلاق رياحك وأطيارك ، أحمل قلبي

إلى كل مكان كما تحمل الطير قلوبها على الأغصان ، أقف على كل ما فيه حياة ونبض لآخذ لقلبي منه قوة وطاقة يستعيض بهما عما يبذله ويسرف في بذله

فإني حين رأيت عيني عاجزة أن ترى « سر الوجود » جعلت أرمي بنفسي في مواضع يده . وكأنه عند ما بدت مني لهفتي الدائمة إليه أوسع لي من عطفه فأخذني إلى قطعة فاتنة من الطبيعة المكشوفة التي لا حجاب بينها وبين حواسي الداخلية والخارجية ، لأرى يده دائماً من وراء ستر شفاف فقادني إلى الرستمية

وقد عشت مختنق الحواس في المدن ، لا أرى إلا حجارة ميتة موضوعة بهندسة الإنسان ، ولا أرى من الطبيعة إلا قطعة من السماء في سمت شارع أو من نافذة دار . وهيهات كان تيقظي إليها . . .

وكنت لا أذكر الطبيعة إلا برؤية شجرات في الشوارع تكاد تنكر وجودها في هذه الأماكن الصناعية ، وتكاد عيني تحسبها صنعة إنسانية كالأثاث في وجهات الحوانيت . وكنت أزور الطبيعة المكشوفة التي في خارج أرباض المدن كما يزور السائح الأمريكي متحفاً للآثار في الشرق . . .

وحقاً استحالت الطبيعة البكر المكشوفة كتاحف للآثار التي كان يستعملها أجدادنا وصارت لانقطاعنا عنها غريبة علينا . وصرنا لا نرى مشاهدها إلا من خلال عدسة التصوير أو من ريشة فنان أو ألفاظ قصيدة . . .

ثم قصر الناس صلاتهم على الأنصاب والهياكل والأماكن المظلمة الضيقة التي لا يرون فيها إلا أجسادهم ، وتركوا المحاريب التي بناها رب الحياة بيده هو لعبادته بالفكر والقلب . . .

تركوا المعبد المفروش بالأعشاب والرمال ، المسقوف بالمصابيح الزهراء ، القائم على جدران من سامقات الجبال وأعمدة من بواسق النخيل وفارعات السرو ، المغسول بشعاع الشمس والقمر ؛ وكأنهم بنوا معابدهم لتحمي أجسادهم من فيضه وفيض طبيعته ، وتركوا قلوبهم تختنق فيها بالبخور والعطور والأصوات القردية التقليدية

أما أنا . . . فورب الحياة لأعبدنه في الطبيعة تحت الهواطل والصواعق ، في حرارة الهواجر وبرودة الأسحار ، في وضوح النهار وإبهام الليل ، في جمرات الظهيرة ونفحات العتمة ، ولو طارت بي الريح . . . ولو وقع على سقف الدنيا !

ولأنادين على اسمه : الصلاة جامعة أيتها الأحياء . . . إلى الإحساس بالحياة ورب الحياة . . . قوى مصطفة في أماكنك المحدودة الموزونة . . .

فيسجد كل كائن في مكانه ويسجد قلبي معه . . .

وسأعود إلى أحضان الطبيعة أغنى في أذنها كطفل يغني في أذن أمه ويدفعه قلبه العاشق الزاهد إلى التمسح فيها والاحتماء بها . . .

وسأحمل قلبي إلى كل مكان فيها كما تحمل الطير قلوبها إلى كل شجرة . . .

وسأسجل خواطري عنها في كل ساعة تتعرض لي فيها بفتنة من فتونها ، وأرصدها وهي يقظة أو نائمة ، خفرة محتشمة أو عاهرة متبرجة ، ضاحكة أو باكية ، حبلى مكدودة تعاني آلام الحمل والطلق والوضع أو فارغة خفيفة . . .

لقد احتكرتني لنفسها ولم تدع في قلبي مكاناً لحب غيرها إلا أن يكون مرده إليها وجماله من جمالها

فيا ابن الإنسان ! هلم معي إليها . لقد كنت تتخذ الحجارة وكثيراً من الأشياء التافهة آلهة من شدة شعورك بها فتسجد لها . أفلا تصلي معها الآن لربها الذي اهتديت إليه ؟

هي لا تزال شاعرة بربها كما كانت وكما تكون . وذهب شعرك أنت بها وبربها . وصرت تسجد لنفسك . فمن يعبدك معك ؟ لا شيء . . . إن الحجارة تأبى أن تعبدك كما عبدتها أنت في ضلالك القديم !

١ – قبيل الربيع

الطبيعة تلد من كل جسمها . . . جاء ابتداء دورة زمنية . . . الأجنة تتحرك للانفصال من العالم الغائب . . . الأنواع من نباتها وحيوانها تزدحم لتسير في الموكب . . . يستعرضها صاحب الوقت القائم على الزمان .

أنا لا أشترك في الموكب لأني عقيم لم أقدم قرباناً ما للحياة بالقاء بعض الأحطاب إلى شعلتها ؛ ولذلك جعلتني من الواقفين على هامش طريقها يهتفون لها بالقصائد اللفظية .

لعلها غاضبة عليّ ، لأنى عاق لها بالعمل ، وإن كنت باراً بها في الشعر . أما أبناؤها البررة فقصائدهم : شجرة أو ثمرة أو ورقة أو زهرة أو فرخ بيضة ، أو كتلة لحم تصرخ في أذنها وتتكلم ! يقدمون ذلك لها في كل عرس من أعراسها كبرهان ولاء وطاعة وشعر حقيق ...

قد يخاف الفيلسوف من موت الثمرات أو مرضها أو فسادها ...

ولكن الطبيعة تود الثمرات ولو كانت معطوبة . تود حياة الأمل والألم لا حياة العقل الجامد . تود أن تسمع عويل الثكل وصوت النعي ، كما تود أن تسمع صوت البشير وضجيج الميلاد ..

تريد دائماً أماً تصرخ في أذنها إما من الطلق والوضع ، وإما من الفقد والثكل . تريد جنيناً محمولاً في ظلمات البطن ، ورضيعاً ملفوفاً في لفائف القماط ، أو محمولاً في بطن النعش ملفوفاً بلفائف الكفن ...

قانونها هذا : أرحام تدفع ، وأرض تبلع ! ! لأنها لا تدور على فراغ ، ولا تسمح ببقاء دائم .

٢ — الربيع

أنظر بعينيك في كل مكان في السماء والأرض ، واحذر أن يشردا منك ولا يرتدا إليك ...

أدرهما على كل طفل من أطفال الطبيعة ... واحذر الخائلات الناعسات من عيون الأزهار .

العشب والزهر كأطفال خرجوا في صباح عيد ... والصبح ممشوق القوام ، واضح الجبين ، والليل فاتن الملامح ...

إخلع نعليك وسر حافياً على جسم أمك ، وتمسح فيها حتى يجيئك مس الحياة الجديدة .

لاعب إخوتك الصغار الذين تفتحت عنهم الأكمام ، وقذفتهم الأرحام ، ونسجتهم ظلمات الأرض ، ولونتهم أضواء السماء ، وخذ لشفتيك قبلات من المواليد الجديدة .

إفتح حواسك جميعاً ليدخل شباب الدنيا إلى نفسك ، واختزن في قلبك قوت سنة من الحياة والجمال .

إملأ عينيك بالأضواء والأصباغ ، وأذنيك بالأغاريد والموسيقى السائلة الذائبة في الأجواء والأنهار .

ضاعف إحساسك بالحياة وتيقظ ، واخلق لنفسك أعصاباً جديدة ثم امنع فكرك عن الدوران في الأرقام والحروف والنغمات القديمة ... وألق كل قديم من قلبك وجدد ... وافتح فؤادك الجائع الذى لا يمتلئ ، فإن كل هذا الجمال والحياة له ...

أنظر إلى الربى والوهاد والتلاع والسهول والأغوار ، تجد الزينة والأعلام في كل مكان ... ما تركت السحب مكاناً بدون أن تفرشه بالسندس والأقحوان ، وما تركت النسمات مكاناً بدون أن تمر عليه منبهة ما فيه إلى وجوب الطاعة لحركة الحياة بالتمايل والحفيف والتصفيق ... حتى شجرات العوسج والشوك أورقت وأزهرت !

ضع وجهك وجسمك بين الأعشاب والأزهار ... واستقبل الأنداء والأشعة ، واهدب بأجفانك كالنرجس ... ودر بعينيك مع الشمس « كعبّادها » ، ودع النحل والفَراش تقبل فاك وعينيك ... وارسل نفَسك نديّاً خافتاً بسيطاً بدون تعقيد ليحمله النسيم مع العطور ... ثم لا تفكر ! حتى لا تحترق أوراق الورد ، وتختنق أنفاس النسيم .

وانظر إلى المطفلات من البهائم ، وإلى أطفالها بحنان ، وهى ترعى سعيدة تخضم نبتة الربيع ثم تخور وتجتر حالمة ...

فإذا جاء الليل فاخرج إلى الحدائق المعلقة في السماء ، وانظر فيها حالماً ساهماً تحت ضوء القمر الباهت ، ودر بعينيك في نفسك وفي أغوار الأزل والأبد . فلعلك أن ترى هناك الربيع الدائم ...

نعم . فليس قلبك قانعاً بهذه اللحظات الفانية من ربيع الأرض ... إن قلبك ليس ورقة من ورقات الأشجار تخرج ناظرة ساهمة بلهاء ، ثم تفارق السكون مكرهة إلى غير رجعة . بل هو عقدة ثمرة خالدة في الربيع الخالد الذى لا يحرقه صيف ولا يحوله خريف إلى هشيم تذروه الرياح وتلوى به الصبا والدبور إلى الدثور .

ولئن عز عليك أن تفنى بين يديك وأمام عينيك أرواح الأزهار الأرضية ، وتتساقط أجسادها جثثاً بالية ناصلة الألوان مسلوبة العطر ... فانظر إلى حدائق السماء ذات الزهور الخالدة التى تصل إليك ألوانها وعطورها من بعد . وتعزَّ بهذا البقاء عن ذاك الفناء .

وكن على يقين بأن قلبك مخلوق دائم لهذا الربيع الدائم الذى تراه فوق في الحدائق المعلقة ...

(بغداد — الرستمية) عبد المنعم خلاف

أعلام الأدب

يوريبيـــدز

نشأته وشبابه

للأستاذ دريني خشبة

في غار جميل غير موحش ، مشرف على بحر الأرخبيل ، فوق تلعة من تلاع جزيرة سلاميس ، كان يأوى ألمع رجالات الأدب ، وأعظم أعلام المسرح : يوريبيدز بن منسارخيدز . . . يقرأ ، ويكتب ... ويتأمل .

ولد في فليا[1] ، في واد يعبق بالورد ، وتظله أفنان الدوح وتغنى فيه البلابل ... ثم اختلفوا في العام الذى ولد فيه فقالوا : إنه عام ٤٨٠ ق . م ... أي عام سلاميس ، وأنه توفى سنة ٤٠٦ أي في العام نفسه الذى توفى فيه سوفوكليس .

ويعتبر تقويم المؤرخ اليونانى (فيلوخورس) المسمى (التقويم الأتيكى) ، والذى وضعه في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح ، عمدة المؤرخين الذين ترجموا ليوريبيدز ، ومن أشهرهم المؤرخ اللاتينى سويداس[2]

وتقويم فيلوخورس في اليونانية ، يشبه تقويم القلقشندى المسمى (صبح الأعشى) في العربيـة ، وذلك من حيث عنايته بإيراد المعاهدات السياسية والكتب التى كان يتبادلها الملوك اليونانيون ... ثم هو يشبه تقويم النويرى المسمى (نهاية الأرب) وتقويم ابن فضل الله العمرى المسمى (مسالك الأبصار) ، وذلك من حيث عنايته بوصف أحوال اليونانيين من مواسم ، وأعياد ، وعادات ومعتقدات ، ومن حيث عنايته بتأريخ رجالاتهم من ساسة وقادة وفلاسفة وأدباء .

وقد ذكر فيلوخورس أن يوريبيدز قد ولد عام سلاميس ، أي سنة ٤٨٠ ... على أن الرخامة التذكارية التى اكتشفت في جزيرة باروس في القرن السابع عشر الميلادى ، والتى أقيمت ثمة تخليداً لذكرى يوريبيدز سنة ٢٦٤ ق . م تذكر أنه إنما ولد سنة ٤٨٤ ... وقد فضل الأستاذ جلبرت موراى[1] — وعليه جل اعتمادنا في هـذا البحث — الأخذ بهذا التاريخ ، لأنه اعتبر الرخامة دليلاً مادياً لا سبيل إلى دحضه ولا مسوّغ لإنكاره .

ولم يذكر المؤرخ اليونانى (ساتيروس) (أواخر القرن الثالث ق . م) شيئاً في كتابه (حياة يوريبيدز) عن هذا التاريخ .

أما الكتاب فهو محادثات جميلة بينه وبين سيدة لم يذكر لنا من هى ، وهو مع ذلك مؤلف جليل فيه عرض وفيه تضمينات ، وأقاصيص ونقد ، وفيه أخبار ساعدت المتأخرين على معرفة الكثير مما تبعثر أوضاع من درامات يوريبيدز .

أما أبوه فقد كان رجلاً ذا مال من رجال الطبقة الوسطى من أهل فليا ، وكان رئيساً لسدنة هيكل أبوللو

وكانت أمه (كليتو) من أسرة نبيلة عريقة ذات مجـد ، ولا عبرة لما ذكره عنها أرستوفان من أنها كانت تبيع الفجل والخس والخضر في شوارع أثينا ، فقد كان أرستوفان هجاء مقذعاً ، وسنعرض لما كان بينه وبين يوريبيدز من عداء وبغضاء ... ثم هى كانت أمًّا وفيـة مخلصة لابنها ، حدبة عليه ، وكان لها أكبر الأثر في تنشئته . وسترى من روائع هذه الأمومة آثاراً طيبة في كثير من دراماته

وكان يوريبيدز سيء الحظ في حياته الزوجية . ولم يذكر التاريخ لماذا كان كذلك ... فقد كانت زوجته الأولى (ميليتيه) من عنصر كريم وذات خلق طيب ، بدليل أن أرستوفان نفسه لم يجد ما يقدح به فيها ، وهو العدو اللدود الساخر الذى كان يتسقط ليوريبيدز كل منقصة

وقد تزوج يوريبيدز مرة ثانية فلم يكن أكثر توفيقاً ... وربما كان هو نفسه أصل الداء ... فقد كان أديباً عظيما وشاعراً عبقريًّا ؛ وكان فيه انقباض عن الناس وبغض شديد للضوضاء والصخب ، وكان يقضى أكثر وقته في غاره المقدس المشرف على البحر يقرأ أو يكتب أو يفكر ويتأمل ... وهذه حال من الزوج لا تطيقها الزوجة ولا تصبر عليها ... والأدب الذى أكثره فكر وفلسفة يدل على ما في صاحبه من صرامة وشموس ... لهذا كان الشغب الطويل بينه وبين كل من زوجتيه ، وهو شغب جميل

(١) Phlya وقد رجع الأستاذ ج . ا . بركراس (المجلد الثانى ص ٢٩٦) أنها Phillea وذكر أنها جنوبى شرقى إيكاريا في طريق صنيوم — وهى ضاحية من ضواحى أثينا

(٢) القرن العاشر الميلادى

(١) في كتابه الجليل (يوريبيدز وعصره) طبعة هوم يو نفرستى

أفاق الأدب وأفاد المسرح ، لأنه بدا في أكثر ما ألف يوربيدز ... ثم هو شبَّ خلق من يوربيدز عدوًّا للمرأة شديد النقمة عليها ، كما خلق له من الأثينيات أعداء أشد عليه نقمة وأكثر لددا

أما أبناؤه الثلاثة (١) فقد كان أحدهم تاجراً ، وكان الثاني ممثلاً ؛ أما ثالثهم وكان يسمى باسم أبيه ، فقد كان شاعراً يحترف التأليف للمسرح ، وقد أخرج ثلاث درامات من تأليف أبيه بعد موته نالت إحداها جائزة

ولعل أكثر ما نعرف من نشأة يوربيدز أنه كان يساعد أباه في سدانة الهيكل صغيراً ، وأنه كان رياضيًّا ماهراً شابًّا ، وأنه عمل في الجيش فترة لا هي بالقصيرة ولا هي بالطويلة ... وقد تكون حقبة قصيرة بعد سنتي الإجبار يقال إنه عمل أثناءها مجدفاً في إحدى جنـدولات الأسطول ، ثم التحق بإحدى الوظائف القنصلية فترة قصيرة بعد ذلك

أما أصدقاؤه فكان أحبهم إليه أبو زوجته ، ولذا كان ألصق به من كل شخص آخر إلا من خادمه أو ناموسه سفيسون الذي لم يكن يبرح منزله إلا لماماً

ومع شدة غرام سقراط العظيم بيوربيدز فلم يؤثر أن شيئاً من وشائج الصداقة انعقد بينهما ، مع أن الفيلسوف الفذ لم يكن يذهب إلى المسرح قط إلا ليشهد درامات يوربيدز ، فيروى أنه كان يتجشم في سبيل ذلك ما ليس يحتمله إلا الأشداء الأقوياء ، فكان يمشي الأميال والأميال لكي يصل إلى المسرح ويستمتع بما تفيض به قريحة فخر الشعراء الدراميين كما كان يسميه . هذا ولم يعقـد أفلاطون في محاوراته الشائقة حديثاً ما بين الرجلين ، على شدة إعجاب كل منهما بالآخر واعتباره إياه أعظم ذهن يعيش في عصره

وعلى شدة كراهية يوربيدز للاختلاط بالناس فقد كان له أصدقاء قليلون معجبون به من رجال الفن والفلسفة والأدب ، وإليه يعود الفضل في نبوغ الموسيقار الخالد تيموتيوس الذي أوشك مرة أن ينتحر لإخفاقه في توقيع إحدى مقطوعاته لولا أن نشر عليه يوربيدز ظله ، وأخذ يشجعه ويبعث فيه روح الأمل ، حتى نبغ نبوغه العظيم .

(١) أورد موراي أسماءهم في كتابه عن الأدب اليوناني ص ٢٦١ طبعة أبلتون

ومن أصدقائه زعيم السفسطائيين بروتاجوراس (أبدرا ٤٨٠ - ٤١٠ ق . م) الذي كان يتجول في الأقاليم اليونانية يحاضر الناس ويعلمهم دروسه في السياسة والاجتماع ، ويحارب أوثانهم ويسفه معتقداتهم حتى إذا انتهى إلى (فليا) وعرف يوربيدز ، وخلبه بيانه وسحرته دراماته بما تفيض به من ثورة ونقد لزمه وقرأ في بيته كتابه (في الآلهة) الذي ينكر فيه ذوات أرباب الأولمب « لأني لا أستطيع أن أثبت وجودهم أو أن أنفيه للعوائق الجمة التي تحول دون المعرفة الصحيحة ، والتي من أهمها غموض الموضوع وقصر عمر الإنسان ! »

وقد ثار الناس ببروتاجوراس وأحرقوا كتابه جهرة في أوسع ميادين أثينا ، ورموه بالإلحاد ، وكادوا يفتكون به لولا أن فر في سفينة إلى صقلية غرقت به في الطريق . وعزا الناس غرقها إلى غضب الآلهة وحنقها عليه ! . . . ويبدو أنه كان متأثراً بسوفوكليس حين جعل محور فلسفته الإنسان مقياس كل شيء .

أما الفيلسوف الكبير أناجزاجوراس فقد كان أستاذ يوربيدز وصديقه في وقت معاً . وأناجزاجوراس هو أول من حمل الفلسفة من شطئان إيونيا في غرب آسيا الصغرى إلى أتيكا أرقى أقاليم اليونان . وهو أول من ثار على الفلسفة المادية البحتة ولفت الناس إلى القوة العليا التي تدبر كل شيء وتسهر على كل شيء ... ثم هو الذي أربك الماديين بتفريقه بين المادة المجسدة التي زعموا أنها كل شيء ، وبين العقلية المجردة التي زعم هو أنها تسيطر على كل شيء . فوضع بذلك الحدود بين الجسم والعقل وبين الطبيعة والإنسان (١)

وقد كان أناجزاجوراس صديقاً لبركليس العظيم ومستشاراً له ، وكان في أثينا حزب يناوئ بركليس ، فاستغلت السياسة الذميمة مذهب الرجل الفلسفي فرمته بالإلحاد واتهمته بالتجديف على الآلهة ، وكادوا أن يبطشوا به بعد أن لفقوا له التهم وساقوه إلى المحاكمة أمام هيئة قضائية من رعاعهم ... لكن بركليس لم يتخل عنه ، بل دبر له الهرب من أثينا ، فارتحل إلى موطنه في آسيا الصغرى حيث وضع رسالته في فلسفته التي انتفع بها سقراط

بهذين الرجلين ، بروتاجوراس وأناجزاجوراس ، تأثر

(١) اكتفينا من فلسفته بما له علاقة بالأدب ونذكر أنه أول من أثبت أن القمر لا يضيء بنفسه بل بانعكاس أشعة الشمس عليه ، وأنه أول من أثبت أن المادة لا تفنى وإنها لا تزيد ولا تنقص ، وأنه أول من عرف سبب الخسوف والكسوف ، وقد كان أثينيا لا يسرافه في الفصل بين المادة والعقل

يوريبيدز ... ولم يكن تأثره بهما هيناً يسيراً ، بل كان أثرهما فيه كبيراً بالغاً : فقد عرفه الأول ما فى أسطورة الآلهة من سخف وتخريف ، وعرفه الثانى أن ليست المادة فى هذه الدنيا كل شيء ...

زيف له الأول أسطورة الآلهة فذهب إلى غاره الجميل الهادئ المشرف على البحر من ربوة فى جزيرة سلاميس يفكر ويتأمل ويبتسم ... يبتسم لأنه يتذكر حاله فى شرخ شبابه إذ يكلفه أبوه سادن أبوللو يحمل الكأس الإلهية فى الرقصة المقدسة ، رئيساً لفريق حاملى الكؤوس من سادة الشباب الأثينيين ... ثم يبتسم أيضاً لأنه يتذكر حاله حيناً كان يحمل الشعلة المقدسة فى موكب أبوللو عند رأس زوستر ، فيظل يتهادى كالظبى من ديلوس إلى أثينا ، مشتركاً فى زهو وخيلاء فى حماقة البشر وخرافة الآلهة

وزيف له الثانى تلك المادة المجردة التى يعكف عليها الناس ويفنى فيها الفلاسفة أحلامهم ، ثم يصور له القوة العليا المدبرة ، والعقل المجرد الجبار ، فيلتفت إلى ما ركب فى صميم الإنسان من قوى خارقة تستطيع أن تصنع كل شيء وتستطيع أن تتغلب على كل شيء ، فيذكر هذه الأيام العبوس القمطرير التى اضطر فيها شيوخ الأثينيين وعجائزهم وأطفالهم — وهو منهم — إلى الهجرة من أثينا إلى جزيرة سلاميس وغير سلاميس ، لأن إجزرسيس عاهل فارس وطاغية البربر قد أقبل بخيله ورجله ، وملأ البر والبحر بعساكره ، وراح يهلك الحرث والنسل ، متقدماً نحو أثينا ... وها هو ذا يحرق الدور والمعابد ويخرب كل شيء ... وها هى ذى ألسن النيران تلتهم الأكربوليس الشاهق ، ويوريبيدز الطفل يشهد المنظر المروع الوحش فيمن كان يشهده من الأطفال والشيوخ والعجائز ... ويبكى كما كان يبكى هؤلاء لما يصنع الطاغية بوطنهم الجميل الضعيف ، ومعابدهم الخالية الخاوية ... وآلهتهم ... نعم آلهتهم ... تلك الأوثان التى لم تغن عنهم ولا عن أنفسها شيئاً ... ثم يتصايح الناس من كل فج ، ويتسامعون فرحين مستبشرين ، فيعلمون أن أسطولهم الضعيف البائس قد مزق أساطيل إجزرسيس ، وأن أجنادهم الجائعة المنهوكة قد فتكت بأجناد جبار الفرس ، وأن أثينا وحدها ... أثينا الديمقراطية الحرة العاملة الأدبية المتحدة قد بطشت بالجبابرة العتاة الطغاة فخلصت هيلاس من شرورهم ... ويقبل تيمستوكليس قائد اليونان المجرب المنتصر فيقول للناس : « تالله ما نحن صنعنا كل هذا ! » فيحفظ الناس قالته ، ويحفظها يوريبيدز حين يكبر ، ويتذكرها حين يلقى الفيلسوف أناجزاجوراس ويتأثر بفلسفته فيعرف لماذا غلبت أثينا فارس ، وكيف عصفت المعرفة بالجهل ، والنظام بالتبربر ، والعقل بالمادة ...

لقد كان محور فلسفة بروتاجوراس كلمته الخالدة : « الإنسان مقياس كل شيء » ، كما كان محور فلسفة أناجزاجوراس أن المادة ليست كل شيء فى الوجود ، بل إن فوق المادة قوة أرفع منها وأسمى لأنها مسلطة عليها تدبرها وتوجهها ... تلك القوة هى العقل فى الإنسان والقوة المدبرة فى الوجود ... إذن فليع يوريبيدز كل هذا ، وليطبقه على ماضيه المفعم بالعبر ، وليهزأ هو أيضاً بالآلهة بعد أن كان يحمل الخمر المقدسة والشعلة المقدسة فى مهرجان أبوللو . ولا يكتفى بالسخرية بالآلهة . بل يشتط فيحطم أوثانها وينفض عبادها ، وليخسر الجوائز السنية التى يسيل من أجلها لعاب الأدباء ، ولينل من هذه الجوائز أربعاً فقط فى حياته العامرة التى جددت الأدب ، وثبتت دعائم المسرح ... وليضحك حين ينال سوفوكليس عشرين جائزة أولى وثلاثين من الثوانى لأن سوفوكليس لا يجرح كبرياء الجماهير ويترفق بآلهتهم ولأنه لا يعنى إلا بفنه ، فى حين يعنى يوريبيدز بالغاية والمثل الأعلى .

لقد كان يحب الفن ويشغف به مثل سوفوكليس . وكاد يكون فناناً مثله لولا أن ساق إليه القدر هذين الصديقين . يروى أنه كان قد شدا شيئاً من النقش فى الصغر ؛ ويروى أنه كان يعجب بمشاهد مآسى فرينيخوس ، ولم يكن قد شب عن طوقه بعد ؛ ويروى أنه كان يقف ، إذ هو غلام مسبوهاً أمام روعة المناظر التى صورها بولجنوتوس فوق جدران الأكروبول ؛ ويروى أنه شهد درامة الفرس لإسخيلوس ولم يعد الثانية عشرة . ويذكرون أنه أعجب بدرامة (سبعة ضد طيبة) ، وتأثر بها كثيراً ولم يعد السابعة عشرة . وهو ولا شك قد شهد كل مآسى زميليه بطلى الدرام العظيمين .

هذا هو شباب يوريبيدز وهذه هى نشأته ، وهؤلاء هم بعض أساتذته وأصدقائه ؛ وتلك هى العوامل التى كونته فجعلت منه أديباً وفناناً وشاعراً وفيلسوفاً ومبشراً بالأدب الرومانتيكى ، ثم الأدب الواقعى .

دريني خشبة

بمناسبة ذكرى جمال الدين الأفغاني

إنما ينهض بالشرق مستبد عادل

للدكتور محمد قرقر النهى

لكي تتعرف هذا المبدأ أو هذه الحكمة التي قد يخيل إلينا أنها طابع لنزعة لا تتلاءم وأساليب الحكم في المدنية الحديثة، ومع ما يسمى إليه الفرد من حرية ، يجب أن نبحث الدوافع التي حملت حكيم الشرق وباعث نهضته السياسية في القرن التاسع عشر على أن ينادي بهذا المبدأ بعد اعتقاد جازم به ، ثم نبحث كذلك مدى علاقة الحكم الفردي بالشورة التي هي أساس الحكم الديمقراطي ومدى علاقته كذلك بالحرية التي يسعى إليها الإنسان

جمال الدين لم يعتقد هذا المبدأ بناء على شغفه بالبحث النظري، ولم تمله عليه رغبة علمية مجردة عن مراعاة الواقع، وإنما هي التجارب وأحوال الشرق في ذلك الوقت التي قادت تفكيره وأوحت إليه بهذا المبدأ العملي

جمال الدين رأى تفرق الأمم الشرقية ليس بعضها عن بعض فحسب، وإنما الأمة الواحدة موزعة إلى شيع وأحزاب ، رأى المصالح الشخصية هي التي تملي على القائمين بالأمر في ذلك الوقت قواعد السياسة في الحكم وتصريف أمور الشعب ، رأى أن الأمة لم تعرف بعد ما يسمى « بالصالح العام » أو كما يقول عنه الفلاسفة « مبدأ حيوية الدولة واعتبارها الكائن الحي الأعلى الذي يندمج فيه كل الأفراد » . رأى تدخل الأجانب في سياسة الشرق الإسلامي كله وإذلالهم شعوبه على يد أفراد من بنيها لقاء تلبية بعض رغبات شخصية أو ضمان سعادة مؤقتة لهؤلاء . رأى تفكك أواصر القرابة وتحكم الظلم في الطبقات الفقيرة .

كل هـذه العوامل أو هذه المشاهدات لم تترك في نفس جمال الدين أثراً من الشك في وجوب معالجة أحوال الأمم الشرقية والنهوض بها . ولكن على أي أساس ؟ بالتربية ؟ نادى بذلك منذ فارق بلاده في رحلاته إلى الهند، وتركيا، ومصر، وبالأخص هنا في القاهرة منـذ أن عاد من مقر الخلافة العثمانية في ٢٢ مارس سنة ١٨٧١ . فقد مكث يحاضر في الأزهر مرة ، وفي تلاميذه الأخصاء مرة أخرى ، ويحملهم على الكتابة في الصحف ونشر الدعوة مدة ثماني سنوات (١٨٧١ — ١٨٧٩) ولكن بعد ما تبين له أن عوامل الانفكاك داخل الشعوب الشرقية تتزايد ، والمصلحة الخاصة للأفراد يتفاقم أمرها في الأداة الحكومية صمم على الدعوة[1] إلى حكومة يديرها فرد عادل يحث إلى الأمة بنسب قوي ، بنسب الدم والدين حتى يجمع شتاتها ، ويوحد كلمتها ، ويوجه أحزابها المختلفة إلى غاية واحدة (الصالح العام) وجهر بها في باريس من على منبر « العروة الوثقى » في سنة ١٨٨٤ وأيد حكومة هذا الفرد العادل في كل تدبير تتخذه للوصول لهذا الغرض حتى استعمال العنف والشدة ولكن بعد التبليغ والإرشاد

جمال الدين لم يشجع استمرار حكم الفرد العادل ، وإنما جعل ذلك لأجل معين ، وهو الوقت الذي تنضج فيه الأمة وتعتقد بمبدأ « الصالح العام » .

وربما يبدو في عصرنا الحاضر — وإن رأينا أن هذه الدوافع التي حملت جمال الدين على النداء بهذا المبدأ ما زالت باقية — أن هذا الذي ذهب إليه فيلسوف الشرق من سيطرة حكومة الفرد العادل ردحاً من الزمن لا يتفق ومبادئ الديمقراطية التي سعت إليها الشعوب منذ القدم ووصلت إليها بدم الثورة الفرنسية وأصبحت أساس الحكومة الراقية ، أساس الحكومة العادلة

ولكن ما هي تلك المبادئ ؟ حكومة برلمانية وضمان حرية الفرد . هاتان الظاهرتان هما عنوان الديمقراطية ولا يتحقق وجودهما في ظل حكومة الفرد العادل . هكذا يزعم من يدعي أن جمال الدين الأفغاني لم يقدر حقوق الإنسان الطبيعية تقديراً دقيقاً يوم نادى بهذا المبدأ

ولكن أحقاً أن الحكومة البرلمانية تمثل الديمقراطية ؟ وأن حرية الفرد مكفولة فقط في ظل النظام البرلماني ؟ . لنتبين ذلك ! إن أساس النظام البرلماني هو المبدأ الحزبي ، وعلى الدعاية الحزبية وما تتضمنه من الوعود للطبقة الشعبية يكون نجاح الحزب

(١) الجزء الثاني من تاريخ رشيد رضا صفحتي ٢٩٨ ، ٣٩٠

ودرجة تمثيله داخل البرلمان . ثم صاحب الأغلبية لأنه مظنة العدالة طبقاً لكثرة الأصوات التي أخذها وهو الذي يتولى رياسة القوة التنفيذية . هل لنا أن نتأكد الآن أن صاحب الأغلبية يبني تصريف أمور الدولة على أساس مشورة كل أتباع حزبه واحترام رأي كل منهم في تقرير مصير الأمور ؟ وهل نضمن أن كل نائب من نواب حزب الأغلبية يصدر في مشورته هذه عن رعاية المصلحة العامة دون تدخل العاطفة الحزبية أو ما يؤمله من قضاء مصالحه الخاصة على أساس طاعته لقيادة الحزب طاعة عمياء ؟ وإذا افترضنا ذلك فهل نتأكد أيضاً أن الدعاية الحزبية التي أتت بالأغلبية قد أتت كذلك بصالح عادل ، وهو زعيمها ، يسير في حكومته طبق ناموس العدل ولو النسبي ولا يراعي العصبية الحزبية أو ما يسمى «بالمحسوبية؟» وعلى جواب هذا السؤال تتوقف المقارنة بين حكومة الفرد العادل وبين الحكومة البرلمانية في نسبتهما قرباً وبعداً من « الديمقراطية » التي تقوم على رعاية المصالح العامة ممن يحسون بإحساس الشعب ويعترفون بجماعة الطبقة الشعبية من حقوق طبيعية في هذا الوجود على الأقل كغيرهم من الطبقات الأخرى

كذلك يجب علينا أن نعرف : هل حرية الفرد مكفولة في ظل النظام البرلماني فحسب دون حكومة الفرد العادل حتى يكون الحكم على ما رآه جمال الدين واعتقده من مبدأ بأنه يتفق أو لا يتفق مع ما تصبو إليه الشعوب من حكومة راقية عادلة . لهذا يجب أن نحدد أولا : ما هي الحرية ؟ أهي الفوضى واستباحة الحرمات والخروج عن قوانين الجماعة والعرف والنيل من كرامة الآخرين وشرف الذين لا حول لهم ولا قوة ؟ أم هي التمتع بالحقوق الفطرية في ظل العرف والقانون ، في ظل مراعاة الحرمات وتقدير كرامات الآخرين ؟ لا أظن أن أي عاقل يشجع على أن يكون المعنى الأول مفهوماً « للحرية » كما لا أظن أن هذا الذي ذكر ثانياً على أنه مدلول « الحرية » يفنى في ظل حكومة الفرد العادل

إن صلاحية أي أسلوب من أساليب الحكم نسبية ، تتوقف على أحوال الأمة وعلى درجة تطورها الاجتماعي والخلقي ،

من رحاب الفن

أذاع المتحف المصري حديثاً في أنحاء العالم من خلال بوقين أحدهما من الفضة ، والآخر من النحاس ، هما من مخلفات توت عنخ آمون . وقد كانت هذه الإذاعة أول صوت يخرج منهما منذ ثلاثة آلاف عام . قرأت هذا الخبر في الصحف كما قرأه الناس . وجاء الليل فتخيلت هذين البوقين قد أعيدا إلى مكانهما بالتحف ، وقد سكنت الأصوات ، ونامت الكائنات ، فإذا هما ينهضان مستويين كأنهما ثعبانان ، وجعلا يتحادثان :

البوق الفضي — عجباً ! ما هذه اللغة التي خرجت من فمي اليوم ؟

البوق النحاسي — إنها لغة غير مفهومة لعلها لغة بعض العبيد أو الأسرى الذين نأتي بهم إلى أرضنا من آن لآن

البوق الفضي — نعم . إنها ليست لغة توت عنخ آمون ! لكن كيف سمح الحراس للعبيد والأسرى أن يحملونا ويدنسوا أفواهنا برطانتهم !

البوق النحاسي — هذا ما يثير دهشتي

البوق الفضي — يا للعار ! فمي الفضي يخرج منه مثل هذه الرطانة ! هذا لم يحدث لي قط قبل الآن !

البوق النحاسي — وأنا لم يقع لي مثل هذا قبل اليوم قط !

البوق الفضي — وبعد . أنذعن لهذه الكارثة ؟!

البوق النحاسي — لا . لا ينبغي أن نذعن

البوق الفضي — وماذا نستطيع أن نفعل؟

البوق النحاسي — نستطيع أن نصيح وأن نرفع أصواتنا في أرجاء المكان ساخطين متضرعين ، طالبين صيانة حرمتنا وكرامتنا . فلا ينفخ فينا بعد الآن نافخ بغير لغة توت عنخ آمون . فمن أجلها صنعنا ووجدنا . فلتخرس أفواهنا إلى أبد الآبدين ، إذا نطقت بغير لغة توت عنخ آمون !

البوق الفضي — وإذا أجبرنا على النطق بغيرها ؟

البوق النحاسي — حقت اللعنة على من يجبرنا على ذلك !

وذهب من أمام عيني شبح البوقين . وثبت إلى نفسي وأنا أقول : « أهي لغة أخرى كلغة المومياء ، ما زال أمرها خافياً على العلماء ! » .

توفيق الحكيم

فكما أن الحكم البرلماني ليس المثل الأعلى على الإطلاق كذلك الحكم الفردى ليس عنوان الظلم دائماً وإهدار الحريات

وقد كان جمال الدين « حكيما » إذ ربط أسلوب الحكم بأحوال الأمة الخاصة بها وعلق تطوره أو تغييره بتغير تلك الأحوال

فالتعصب للحكم البرلمانى بدون قيد ولا شرط ، ورمى حكم الفرد بالجور بدون قيد ولا شرط ، غلو فى الخيال وإيمان غير محدود بالنظر المجرد عن حقيقة الواقع ما دامت العدالة ليست رهينة أحد النظامين على الإطلاق

محمد فرقى البرى

دكتور فى الفلسفة وعلم النفس من جامعات ألمانيا

من أدب الغرب

للأستاذ فليكس فارس

الشاعر الإيطالى ليونلو فيوى ، من أشهر حملة الأقلام فى هذا العصر . وقد أوقفه كبار النقاد فى أوربا والعالم الجديد إلى جنب جبرائيل دانونزيو فى تاريخ آداب القرن العشرين

إن ليونلو فيوى يكتب وينظم باللغتين الإيطالية والفرنسية ؛ وله مؤلفات وترجمات عديدة فى التاريخ والعلم والأدب ؛ وهو يصدر فى باريس منذ تسع سنوات مجلته «دانتى» باللغة الفرنسية ، وهى منتشرة بين الطبقات المثقفة ويكتب فيها عدد من أشهر رجال العلم والأدب

وقد أصدر ليونلو أخيراً ديواناً من الشعر المنثور باللغة الفرنسية بعنوان « صدر عن الأرخبيل » كان له دوى فى عالم التجديد الأدبى ، وترجمت منه قصائد إلى لغات عديدة . وقد رأى أصدقاء الشاعر أن قصيدة « نذر » من الديوان قد اختارها عدد وفير من المترجمين فاستكملوا ترجمتها إلى ست وعشرين لغة منها الصينية واليابانية والأرمنية والتركية . وقد طلب إلينا أن ننقل هذه القصيدة إلى اللغة العربية ، فنزلنا عند إرادة اللجنة التى تولت نشر هذا الديوان لقصيدة واحدة وقد أرسلته إلينا فرأينا أن نقدم لقراء الرسالة ترجمتنا آملين ألا نكون قصرنا فى هذا المضمار الذى تسابقت فيه لغات الدنيا فى معرض البيان . ولعلنا أثبتنا أن أم اللغات هى المجلية بما فيها من مرونة وجزالة وبلاغة تقتنص المعانى فتوردها بروعة تفوق روعة أصلها

نذر

ما تجليت لى ولن تتجلى إلا كلمح السراب ؛ لذلك أتوق إلى أن أقيمك تمثال عذراء ، أيتها الزنجية ، أسوة بالأقدمين من أبناء إيطاليا الذين كانوا يبدعون من نساء أحلامهم رسوماً يناجيها المتعبدون

إن أمنيتى هى أن أطبع على رافدة هيكل فى « المارتينيك » صورة عينيك المتوهجتين بلمعان الماسة الربداء لأقف أمامهما متوسلاً بغير لغة الكلام ، وقد أشجانى الاضطراب ، أن تقر عيناى لحظة عليهما . فأجيل ناظرىّ على غدائر شعرك الجعد الفاحم المنعطف كالجدول إلى ما وراء أذنيك وأرسم منشئ أنفك الخافقين كأنهما جناحا طائر صغير ، وكأنهما ينفتحان برعشة الشهوة لاستنشاق عطور جزيرتك المسكرة هابة من منابت الكاكاو والروم والفانيلا

لأبذلن كل ما فى الوله مع عناية فى اختيار العنبر لأمده أظلالاً فأداعب إهابك حين أرسمه غضاً ناعماً كأن عليه زغب الثمرة الندية فتبدين فتانة القوام باسطة ذراعيك بمعصميهما الضامرين

وعندما أستنفد ما على لوحة الألوان فلا أجد ما أرسم به لين طفولتك ، وهى كأنها تأود القصب الندى فى جزيرتك ؛ ويمتنع علىّ رسم ما فى صفاء فطرتك وعطفك وذكائك من غوامض الفتنة ، لن يسعنى وقد خاننى الفن إلا أن أعتصر على الرافدة آخر ما احتبس فى قلبى اليائس من قطرات شوقه وإلهامه

وإذا ما أتممت هذه الصورة المنذورة أسارع إلى رفعها على هيكل من هذه الهياكل الصغيرة المشرفة على غابات القصب المزهرة وعلى مراوح الموز الوسيعة ؛ عندئذ أجد مكافأتى فى تعبدى لعذرائى الزنجية ، فأسجد أمامها صامتاً خاشعاً والغسق يمد أظلاله على الأشجار الباسقة التى لا اسم لها كأن الغسق ليل ثان ينتشر على ظلمات الغاب فى بلاد الهجير حين يهتاج الصراصر مرسلة أزيزها فى الليل فتحاوبها الحباحب بأشعة لا عداد لها كأنها قطرات ندى تلتمع فى ليلة مقمرة

* * *

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تابع)

(ج) ومن المؤثرات فى الأدب الحرية :

وإنما يترعرع الأدب فى ظلال الحرية ، فإذا منع البغى أمة أو طائفة أن تبين عن آرائها وعواطفها وتعرب عن آلامها وآمالها ، لا يزدهر فيها الأدب

وإذا اشتد الحجر على أمة فانبرى جماعة من أبنائها يجاهدون فى حريتها ويجالدون جبابرتها لم يكن لهم بدّ أن يتخذوا الأدب القوىّ لبث الدعوة وإيقاظ النفوس وتنفيرها من الذلة وحفزها إلى الإقدام ومجادلة الخصم بالحجة البالغة والبرهان الدامغ ، فينشأ لهم أدب حىّ قوىّ . ولا يزالون فى جهادهم حتى يدال لهم فتسع الحريةُ الأمةَ كلّها ، وتنشط النفوس للإبانة عن سرائرها والإعراب عما فى ضمائرها . وأدب المجاهدين فى كل عصر من أروع أنواع الأدب لأنه أدب النفس الإنسانية وهى تدفع عن كيانها ، وتجادل عن حياتها

فالحرية العامة والجهاد لها من أجدى الأمور على الأدب

وإذا نظرنا إلى الأدب فى فرنسا قبل الثورة وأثناءها وبعدها ، وإلى الأدب فى تركيا قبل مائة سنة والأدب فيها حين الجهاد للحرية كشعر نامق كمال وأمثاله ، ثم الأدب فى الثلاثين سنة الأخيرة ؛ وإذا نظرنا أيضاً إلى الأدب فى مصر قبل عشرين سنة وإلى الأدب فيها اليوم عرفنا فرق ما بين الحرية والعبودية ، وما يجدى الجهاد للحرية على آداب الأمم

وكم أنتج جدال الأحزاب السياسية من خطب ومقالات لها فى الأدب أثر لا ينكر

والحرية الفكرية أوسع من الحرية السياسية فربما تنال الأمة حريتها السياسية ولكن يسيطر عليها أو على فرقة منها مذهب أو عادة قديمة فيمنعها بعض حريتها فى التفكير ، وانظر إلى المعتزلة والحنابلة فى تاريخ المسلمين تدرك كيف أجدت على الأدب حرية الأولين ، وجنت عليه عصبية الآخرين . وكذلك التزام موضوع أو أسلوب فى الأدب اتباعاً للقدماء يسلب الأمة بعض حريتها الأدبية ويمنعها أن تفتن فى موضوعات النظم والنثر وأساليبها

على أن الفوضى فى الأدب . وركوب كل إنسان رأسه على غير بينة ، وحيد الناشئين عن سنن الأئمة دون بصيرة — تجنى على الأدب ، ما يجنيه التضييق والحجر ، أو شراً من ذلك ١

(د) الحروب :

النزاع بين فريقين يهيج كل ما عندهما من قوى نفسية ومادية ؛ وكلما كان الخطر أعظم كان الاهتمام والإعداد أكبر . وفى الحروب تتعرض النفوس والأموال والأوطان للتهلكة فتثور أقصى ما فى الإنسان من غريزة وأسمى ما فيه من عاطفة . فتدعو كل أمة أحزابها وتحرضهم على قتال العدو ؛ وإذا أتيح لها الظفر عظمت أفعالها ، وأكبرت مآثر أبطالها ، وفى هذا الإعداد للقتال والتحريض عليه والتغنى بالظفر والإشادة بالبطولة مجال واسع للأدب

ومن أروع ما أنتجت الآداب القصص الحماسية : فالمهابهارتة والإلياذة والشاهنامة والقصائد الحماسية فى الشعر العربى الجاهلى

وهذه قصيدة أخرى بعنوان « مولد » للشاعر الكبير جيوفانى باسكولى استوقفنى ما فيها من عاطفة فياضة وروعة فآثرت نقلها إلى العربية أيضاً

مولد

ثلاثون عاماً تتالت منذ ولدتنى يا أماه ، منذ آلمتك أولى شهقاتى الضعيفة بأكثر من أوجاعك الشديدة الفائرة

وغذيتنى من ثديك المتفجرين حناناً وأنت صبور تساورك المخاوف والأشجان ، حتى إذا تكامل لحمى من لحمك ودمى من دمك فاستقرّ قلبك بأكمله فى قلبى ، جاء اليوم الذى تواريت فيه منذ عشرين عاماً

وها أنذا أحاول عبثاً أن أجسّم عينيك وسيماك لأشاهدك بخيالى . لقد أذبل الزمان ناضر تذكارى فلم أعد أعرفك يا أماه !

أما أنت فلا تزالين حيث يستقر الأموات فى مرابع الصقيع تستوقفين أحلامك لتداعب أناملك غدائر طفلك الصغير

(الاسكندرية) فليكس فارس

والإسلامى ولا سيما شعر أبي الطيب المتنبي ، وقصة عنترة وقصص أبي زيد الهلالي وغيرها كل هذا من آثار الحرب ومآثر الأبطال فيها .

(هـ) الدين :

والدين له على الفنون سيطرة عظيمة ، فهو يستولى على العقل والعاطفة فيسيرها كما يشاء ، ويصبغ كثيراً من نتائج الأدب بصبغته . ولعل أروع أبنية العالم وأبقاها على العصور المعابد ؛ فحيثما سار الإنسان على وجه الأرض وجد علوم الأمم وفنونها وعواطفها ممثلة في المساجد والكنائس والمعابد الأخرى

والأدب الديني من أقدم آثار الأمم الأدبية . فكتاب الموتى عند قدماء المصريين ، وأناشيد فيدا عند الهند ، وسفر أيوب في التوراة ، وأناشيد جاثا في كتاب زرادشت الذي يسمى الأبستا ؛ كل أولئك من آثار الدين في الأدب . وإذا نظرنا إلى الدين الإسلامى وتصورنا ما أحدثه القرآن في الأدب العربي والآداب الإسلامية عامة ، وما يحدثه اليوم ، عرفنا مبلغ تأثير الدين في الأدب ، وتصورنا ما أنتج الإسلام من خطب ومواعظ وقصص في العصور المتطاولة لتعرف جانباً من تأثيره . ثم هذا الشعر الصوفي الرائع في الآداب الإسلامية — ولا سيما الفارسية — نفحة من نفحات الدين

(و) المحاكاة :

ومما يؤثر في الأدب المحاكاة والتقليد — تقليد أمة آداب أمة كما قلد الرومان والأوربيون أدب اليونان ، وقلد الفرس والترك وغيرهم الأدب العربي ، وقلد الترك والهند الأدب الفارسي ، وكما قلد الترك في العصر الحديث الأدب الفرنسي وقلد المصريون الآداب الأوربية

وكذلك تقليد النابغين في الأمة الواحدة ؛ فإذا نبغ شاعر أو كاتب حاكاه معاصروه ، ثم لم يعدم مقلداً في كل عصر . ويكاد تاريخ الأدب يكون تاريخ النابغين في العصور المختلفة ومن عداهم مقلدون أو كالمقلدين . فالجاحظ ، وابن المقفع ، وبديع الزمان ، وأبو تمام ، والمتنبي ، لهم تأثير بين في الأدب العربي حتى عصرنا هذا فإن فتح النابغة للناس فنوناً من الأدب الجيد ، والأساليب الحرة كان رائد خير في الأدب ، وكان قد سن سنة حسنة لا تزال تزيد في إحسانه على كر الأيام كما فعل ابن المقفع والجاحظ وأبو العلاء ؛ وإن سلك سبيلا وعرة وخلق أساليب متصنعة متكلفة قد غطى نبوغه على عيوبها سار الناس وراءه . وربما ورثوا عيوبه دون مزاياه ، وأورثوا الأدب صنوفاً من القيود تضيق الأدب وتميت الابتكار في نفوس المنشئين كما فعل مسلم وأبو تمام في البديع ، وأبو العلاء في التزام ما لا يلزم ، والحريري في المقامات ، وغير هؤلاء في ضروب المحسنات التي شغلت الشعراء والكتاب عن المعاني بصناعة الألفاظ .

وكثيراً ما يخلق التقليد رجلاً في غير عصره . كما نجد اليوم من يقلد أحد النابغين القدماء فيشبه هذا القديم أكثر ما يشبه معاصريه . وكثيراً ما أحيا التقليد الأدب بعد موته . فتقليد القدماء من أدبائنا كان فاتحة نهضتنا الأدبية الحديثة كما كان تقليد اليونان والرومان باعث الأدب الأوربي في عصر النهضة . فقد تخطى البارودي — مثلاً — الأجيال وحاكى الجاهليين والإسلاميين فأتى بنمط من الشعر الجزل هو خير مما كان معروفاً في وقته ، وقبل وقته . فكان طليعة الشعراء المصريين .

(ز) والاستطراف

ومما يؤثر في الأدب أيضاً الاستطراف أو حب التجديد ، والنزوع إلى الطريف . ففي الأدب كما في غيره طرائف (مودات) . يمل الأديب موضوعاً مبتذلاً ، أو طريقاً مسلوكة قد صار عليها الخاصة والعامة ، ويأنف أن يكون واحداً في هذا السواد فيسلك طريقاً آخر في الموضوع أو البيان ؛ فإن وفق فقد سن للأدباء سنة جديدة ، ومهد في الأدب سبيلاً محدثة . وهكذا حتى يظهر أديب آخر يمل هذه الطريقة فيحيد عنها وهلم جرا . وقد يستطرف بعد أجيال موضوع أو أسلوب بعد أن ابتذل وهجر وهلم جرا .

فهذا الاستطراف والاستهجان له أيضاً أثره في تحول الأدب

(ح) النقد :

وأحسن المؤثرات في الأدب وأنفعها النقد الصحيح ؛ فإن الناس يسيرون على النهج المألوف لا يرون خطأه ولا يبصرون عيبه حتى يرشدهم النقاد فيبينوا لهم الخطأ والصواب ، والرشد

والنىّ ، والحسنُ والقبيح فى سيرتهم . وإذا تناول النقد مسألة أدبية كشف عن الحق فيها أو ثار حولها الجدال ؛ وما يزال المتجادلون حتى تنجلى الحقيقة من تصادم الحجج . فالنقد إيقاظ الأفكار النائمة ، وتنبيه الآراء النافلة ، ومثار جدال تتبين فيه الحقائق إذا صحبه الإخلاص وقارنه الصدق

(ط) المكافأة :

وتحريض أصحاب المواهب على الإنتاج بالاعتراف بفضلهم والإشادة بأعمالهم أو منحهم الأموال التى تعينهم على الفراغ للأدب وإتقانه ، مما أجدى على الأدب فى عصوره ، وحفز همم الشعراء والكتاب إلى الإجادة والإبداع ؛ ولذلك نرى تاريخ الأدب وكبار الأدباء متصلاً بالملوك والأمراء والكبراء الذين أثابوا القائلين على إحسانهم وحثوهم على الازدياد

وإذا نظرنا إلى تاريخ الخلفاء العباسيين وماأفادوا الأدب بمثوبتهم الشعراء والكتاب ونظرنا إلى تنافس ملوك المسلمين فى المشرق والمغرب فى الاستكثار من الأدباء حولهم وتزاحم ملوك الطوائف فى الأندلس على الاستئثار برجال الأدب — عرفنا كيف يُجدى التحريض والمكافأة على الآداب . وحسبنا أن نتذكر ازدحام الشعراء والأدباء حول سيف الدولة الحمدانى حين رأوا فيه أميراً ألمعيا وفتى عربيا يجزل الثواب ويسخو بالمال

هذه من أسباب تغيّر الأدب . والباحث فى الأدب العربى يستطيع أن يتبينها فى أطوار كثيرة منه ؛ فإذا بحثنا فى صور الأدب العربى فى الجاهلية وما فعل بها الإسلام ، ثم نظرنا إلى شعر الفتوح الاسلامية ، وشعر الوقائع الغربية ، والمذاهب السياسية ، وعصبيات العدنانيين والقحطانيين ، ثم عصبيات العرب والعجم ، ومدائح الخلفاء والأمراء ، وتهاجى الشعراء ، وما نشأ فى الدولة العباسية من ضروب فى النثر والشعر وأثر اختلاط الأمم ، والترجمة عن اللغات المختلفة ، وقرنا شعراء المشرق بشعراء مصر والمغرب والأندلس ، واستعرضنا بعض الحادثات السياسية والاجتماعية فى هذه المواطن ، ودرسنا تاريخ النابغين المجددين ... الخ . وجدنا فى كل هذا تطبيقاً لما ذكر من مؤثرات الأدب

عبد الوهاب عزام

الدعوات المستجابة ...

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

استمنحتُ الثروة ، فبُدّتْ لى أكنافُ التوفيق ، وأسبغت علىّ آلاء النوال الطائلة ، وتحوّل كلُّ ما لمسته يداى إلى ذهب إبريز ... ولكن ... واحسرتاه ! لقد تضاعفت همومى ومتاعبى ، وتناقصتْ راحتى ورفاهيتى ، حين فلج سهمُ طلبتى ، وزكا منبتُ رجائى ، وأخصب زرع ابتهالى ...

* * *

استوكفتُ المجدوالعزّ ، فسمت ذكرى يشيّع بالحمد ، ويذيل بالثناء ، من الولدان الروقة الميامين ، الذى لحظهم الفلك بعنايته ، ووسمهم الكمال بنهايته ؛ ومن الشيب السارين فى طريق الرشد ، بمصباح الكبر ، المتحلين بأبهة الحنكة وشيمة الوقار ، الجامعين بين قوة الشباب واستحكام التهذيب والتحليم وتناهى الخلال . ولكن ... أوّاه ! أوّاه من الآلام والخسار والمضار التى تجئُ فى مواكب الشهرة . حقاً ، إنى لم أكن سعيدة إذ ذاك ...

* * *

اجتديتُ الحبّ ، وركبتُ إليه ظهور التوسل والضراعة ، ففاز قلبى بمبتغاه ، واغتبط بنجح مسعاه ، وعاد بمصداق أمانيه ، ولكن لهب نيران الحب الآكلة اندلع إلى قلبى المتضور ، وجسمى المنهوك ، وتلذع أوراها فى عقلى المتلظى . بيدَ أنها قد كبتْ ، ولم يبقَ منها إلاّ ما غادرت فى القلب والجسم والعقل جميعاً ، من وسوم لعجها وسفعات حروقها ...

* * *

انصلتُ ببابه تعالى ، ونزعتُ إليه برجائى ، أن يمنحنى عقلاً راضياً قانعاً . . . وأخيراً ! بزغ على قتام روحى المكتئبة نور عظيم ، وغمرنى أمنٌ تام ، واطمئنان كامل . ووردت علىّ قوة جلىّ استأنفتْ نشاطى ، وشدتْ عزمى ، وشرحت صدرى . فياليتنى كنتُ التمست هذه الطلبة الثانية قبل كل طلبة أخرى .

(الزهرة)

يوم وقعت الواقعة ...!

للأستاذ علي الطنطاوي

أما رثاء الفقيد، وبيان جلال الرزء فيه، ومبلغ الحزن عليه، فتلك أمور كبرت عن أن يحيط بها (نظم من الشعر أو نثر من الخطب)، وبعد منالها عن كاتب مثلي قصير القامة واليدين، فليكن همي أن أروي (ما رأيت وما سمعت)، ولقد رأيت عجبا وسمعت أعجب منه، وشاهدت أحوالا ربما ظنها القراء الذين هم في غير بغداد مبالغة من نسج الخيال، ولكن الله يعلم وأهل بغداد يشهدون أن الذي أقوله حق كله، وأني ما زدت فيه ولكن نقصت منه، وأني لو ذهبت أزيد فيه ما استطعت ولا بقي للخيال بعد التي كانت مجال

***

والذي رأيت أني نزلت من (الأعظمية) مبكراً على عادتي، فلم أر على الطريق ما أنكر إلا حركة عند (البلاط) ما ألقيت إليها بالا، حتى إذا شارفت المدرسة (ومدرستنا في ظاهر بغداد قريبة من باب المعظم) رأيت طائفة من الطلاب مجتمعين يتهامسون، ولكن الوجوه غير الوجوه، فلما أبصروني أسرعوا إلى يسألونني عن (الحادثة)، فقلت وأنا خالي البال: أي حادثة؟ إني ما سمعت بعد بشيء!

قالوا: لقد شاع في البلد أن الملك ...

فاضطربت وتوقعت أن أسمع عنه نبأ لا يسر. ولقد أحببت الملك منذ شهور خلت حباً شديداً لم أكن أحبه من قبل مثله، وصرت أرى فيه معقد الأمل وباب الرجاء، فلما قال التلميذ ما قال خفق قلبي من توقع المكروه، وحب الاستطلاع، وروعة المفاجأة، وما يصيب المرء في العادة في موقف مثل هذا، وصحت بالولد أسأله: أين ما الملك؟ وبالغت في الصياح حتى روعته، وأثرت أحزانه، فقال متعثراً يجر الحروف من فيه جراً:

— يقولون إنه ... قد مات!

فقلت: أعوذ بالله، اسكت ويحك، إن هذا كذب، فلا تنطق به ...

وأسرعت إلى المدرسة، والطلاب معي، وأنا أرجوهم يرجون أن يكون الخبر كذباً. وتلبث بعض الطلاب قائمين على الطريق ينتظرون مرور الملك كما يمر كل يوم. فلما بلغنا المدرسة وجدنا كل من كان فيها من مدرسين وطلاب قد سمعوا الذي سمعنا، وهم بين مصدق ومكذب، ومرت ساعة ونحن على هذه الحال من القلق، نسأل كل آت فلا نلقى عنده جواباً، ونستخبر الهاتف (التلفون) فلا نسمع خبراً. ثم أبصرنا علم الثكنة العسكرية التي أمامنا قد نكس، وجاءنا الأمر بتنكيس العلم، وجمع الطلاب في غداة الغد للتشييع ...

فعلمنا أن الناعي قد صدق، وأن الأمل قد خاب!!.

وخرج المدير وهو الرجل القوي المكتمل الرجولة ليعلن الأمر. فما تمالك نفسه أن بكى وهو ينعى لشباب المدرسة (الغربية المتوسطة) سيد شباب العرب. وما أمسك الطلاب أنفسهم أن يصيحوا: (وهم ثمانمائة شاب يعدون مثال النظام) صيحة واحدة، وأن يبكوا بنحيب وعويل، وأن يمزق بعضهم ثيابه، وأن يغمى على بعض. وما أكتم القارئ أني حسبت ذلك رياء وتصنعاً، وكرهته أول الأمر، واشمأزت منه نفسي، ولكني ما لبثت أن أيقنت أنه حق وصدق، وأن منشأه هذا الحب العجيب للملك الجندي، وهذا الحزن البالغ على وفاته الفاجعة ...

وخرج الطلاب بعد ذلك، وخرجت على الأثر. فما دنوت من (باب المعظم) حتى سمعت نواح النساء ونحيبهن، ورأيت الميدان كله ممتلئاً بالناس، يتدافعون ويستبقون إلى البلاط باكين مفجوعين. مشهد للحزن ما أحسب أن أروع منه يكون؛ فخالفت الجماهير، وقصدت شارع الرشيد، فلم أبلغ (الصابونية) حتى رأيت مئات من النساء، تحكي ثيابهن ومظاهرهن الغنى والحشمة، وهن ينشدن شعراً عامياً، أو شبه شعر، ما فهمته ولكني تبينت فيه ذكر غازي وشبابه الغض، وذكر الموت ... وكلما قلن بيتاً لطمن وجوههن بشدة، وبكين بحرقة وألم ... فما رآهن أحد إلا بكى أشد بكاء؛ ورأيت من بعد آلافاً من الناس قد حملوا شاعراً عامياً فهو يقرأ لهم شعراً كله تفجع وألم، وهم يلطمون ويضربون صدورهم

أو يشيرون باللطم ، فلم أطق السير ولا الشهود قلت إلى المدرسة (الثانوية) وكانت خالية مقفرة ، وعلى بابها علمان متشحان بالسواد، فبادرتهما أفتش عن أخي أنور العطار. فما هي حتى جمعني الله به. فقلت له: إن السير في شارع الرشيد مستحيل ، والصبر على رؤية هذه المواكب الباكية أشد استحالة ، وحسبنا ما في نفوسنا من الألم ، فهلمّ بنا إلى الدار (في الكرخ) فلنها أهدأ . ورأى ما رأيت ، فسرنا نؤم الجسر ، وكان اليوم عاصفاً مخيفاً ، والنهر مضطرباً مرعباً ؛ كأن الطبيعة قد روّعها من النبأ ما روّعنا ؛ ففقدت هي أيضاً اتزانها وهدوءها ، فما ظننا والله إلا أن الجسر منقطع بنا ، لما كان يضطرب ويرقص ، وتلعب الرياح والمياه بالعوامات التي يقوم عليها ، ولكن الله سلّم فبلغنا الكرخ ، وإذا بالكرخ قد نشرت الأعلام ، أعلام (السباية) السود ، ودقت طبول المأتم وخرج أهلوها على بكرة أبيهم ، مواكب مواكب : النساء ينحن ويلطمن الوجوه ، والرجال ينشدون ويضربون الصدور ، وقد تعروا وتكشفوا فعل المتهيّء للصراع، حتى رأيت الصدور وهي من الاحمرار كأنما هي دامية . والأطفال، بالله ما فعل الأطفال! لقد تعروا مثلما فعل الرجال ، وطفقوا يضربون صدوراً علم الله أنها ما تحمل الضرب ولا تطيقه ... وكانت المواكب في كل شارع ، وفي كل زقاق . فكلما تركنا واحداً منها اصطدمنا بآخر ، حتى أزمعنا آخر الأمر أن نعود إلى جانب الرصافة من الجسر الآخر ، فما بلغناها حتى رأينا فيها ما أنسانا فعل أهل الكرخ ، وكان كل موكب يحمل صورة الملك الشاب مجللة بالسواد ، وينشد أشعاراً لم أحفظها ولكني فهمت منها كثيراً . فما فهمت مقالة قوم :

الله أكبرْ يا عربْ غازي انفقدْ من دارَهْ
واهتزتْ أركانْ السماء من صدمةِ السيّارهْ

وقول قوم ما معناه : قولوا لفيصل في القبر يستقبل وليده ... في أشعار كثيرة هذا سبيلها ، ولعل القراء لا يدركون قوتها ووزنها ، لأني لم أحسن كتابتها ونقلها ، ولكنهم لو سمعوها من أفواه أصحابها ورأوا بكاءهم ، وشاهدوا صدورهم المحمرة ، لعرفوا أيّ شيء هي ، ولعلموا أن بغداد تعرف كيف تفرح وكيف تغضب وكيف تحزن !

ومن أعجب ما شاهدت فتيات المدارس وهن يلطمن وجوهاً يؤذيها المسّ ، ويدميها النسيم ، لا يشفقن على أنفسهن ، ولا يفتأن ما سرن يبكين ويُبكين ، وياليتني فهمت ما كنّ يقلن فإنه أشجى وأعجب مما كان الرجال يقولون !

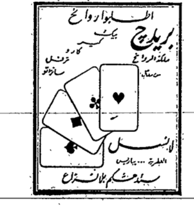
* * *

وبقيت المدينة على هذه الحال إلى صباح اليوم التالي ، إلى ساعة التشييع التي أعلن العجز عن وصفها ، فلما تم الدفن ، وأودع الثرى الملك الشاب الذي كان يفيض قوة وحياة، وحوّمت الطيارات الوطنية تحمل شارات الحزن السود الطوال على الملك الطيار ، وانطلقت المدافع تعلن انتهاء الدفن ، وأيقن الناس أن المصيبة قد تمت ، وأن الرجاء قد امحى ، أفاقوا كمن يفيق من نومة مزعجة رأى فيها الحلم المروّع ، فيرى الواقع أشد إزعاجا وترويعاً ، فأسلموا الأمر إلى الله ، وصمتت هذه الألسن التي طالما أنشدت ورثت ، وتفجعت ، وجفت هذه الدموع التي طالما جرت وذرفت ، وانفضت هذه الجموع واجمة ما فيها من يتكلم أو ينبس ، وفي القلوب نيران تتأجج ، وبين الأضالع اللهيب يستعر ، ولم تسكت آخر طلقة من طلقات المدافع التسع والتسعين ، حتى عمّ المدينة صمت عميق ، وغدت كأنها قبر واحد ، قبر غازي الملك الحبيب الذي أمّ الناس قصره قبل عشرة أيام مهنئين بالميلاد السعيد ، فانصرفوا الساعة من زيارة قبره الجديد ، مودعين حبيباً لن يروه إلى يوم القيامة ...

وهمس رجل ، فسار الهمس على كل لسان :

رحمة الله على غازي ، ولفيصل ابنه التوفيق والسعادة والحياة !

« بغداد » علي الطنطاوي



المدرسة الابتدائية

وتعليم اللغة الأجنبية

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

تعليم اللغة الأجنبية فى مدارسنا الابتدائية مشكلة من مشاكل التربية والتعليم التي برزت اليوم أمام وزارة المعارف فألفت لدراستها لجنة برياسة حضرة صاحب العزة الوكيل الساعد . وقد رفعت هذه اللجنة تقريرها عنها فى الشهر الماضي ، ولا زال هذا التقرير بين يدى معالى الوزير لبحثه ودراسته قبل البت فى أمره . وبالرغم من أن هذا الموضوع كان من بين المشاكل الكثيرة التي عالجتها فى مؤلفى الجديد « التعليم والمتبطلون فى مصر » فقد رأيت أن أفرد له بحثاً خاصاً يذاع على صفحات الرسالة الغراء لأنه أصبح مشكلة الساعة ؛ ولا يصح أن يقطع فيه برأى إلا بعد درسه دراسة مستفيضة ، فجدير بكل ذى رأى أن يدلى فيه برأيه ، وجدير برجال التعليم جميعاً أن يبحثوه وحداناً وأن يحصوه زرافات وجماعات حتى يتبين أولو الأمر أوجه الخير والشر فيه ، ويتعرفوا أوجه المصلحة العامة فى جميع نواحيه .

ولا يسعنا أن ندلل على أهميته وأهمية غيره من مشاكل التربية والتعليم عندنا إلا بتلك الكلمة الخالدة التي قالها المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول طيب الله ثراه ، إذ قال : « إن أم المسائل فى مصر مسألة التربية والتعليم . فلو أن كل مصرى وضع فى تشييدها لبنة لأقمنا للوطن صرحاً يبقى ما بقى الزمان » . ولا غرو فى ذلك لأن مسائل التربية والتعليم لا تتعلق بأفراد أو بطوائف معينة فحسب ، ولكنها تتعلق بكل منزل وكل أسرة ، وتتعلق بأبناء هذا الوطن جميعه بنين وبنات ، فتيان وفتيات ؛ ففيها جماع مشاكل الأمة أو هى تشمل مسائل الأمة جماء .

ولقد أصبح لزاماً علينا بعد أن أخذنا الأمر كله بيدنا ألا نتعصب لأنفسنا ولا أن نتحزب لقديمنا بل يجب علينا أن نفتح عيوننا لكل ما يجرى عندنا وعند غيرنا وأن نتعرف سريعاً شذوذنا وأخطاءنا وأن نعمل بجزم وهمة ونشاط على التخلص مما تعثر فيه معاهدنا من شذوذ وأخطاء . لعلها هى السبب الأساسى فى تعثر شبابنا وتنكبهم الطريق السوى وانحطاط مستواهم الخلقى والعلمى عن مستوى غيرهم ممن يتعلمون بين ظهرانينا تعلما أجنبياً يصحبه نجاح فى الحياة مضمون وحظ موفور . فلقد جاء فى محاضرة الأستاذ الغطريفى رئيس مكتب تخديم الشبان بوزارة المالية التى ألقاها قريباً بمدرج دار العلوم أنه لا ينجح من شباننا المتعلمين بمعاهدنا الحكومية ممن يتقدمون للخدمة فى الأعمال الحرة كأعمال الشركات والبنوك إلا واحد من كل ثلاثة عشر مرشحاً بينما يؤخذ الباقون من الشبان الذين تعلموا فى معاهد أجنبية . فهلا يحق لكل مفكر أن يتساءل ويبحث عن أسباب كل هذا الإفلاس ! لا شك أن ذلك راجع إلى نقص جوهرى فى تربيتنا وتعليمنا . فلقد ذكر حضرته أيضاً أنه حتى هؤلاء القليلين الذين تأخذهم الشركات للعمل فيها تشكو تلك الشركات سوء نظام الكثيرين منهم وقلة اكتراثهم بالمسئولية وقلة اهتمامهم بالمواظبة والمحافظة على المواعيد الخ الخ

فبين معاهدنا إذن عيوب أساسية كثيرة تستدعى التفكير والعمل ، وتستدعى التغيير والتبديل ، وتستدعى وضع سياسة تعليمية قويمة يسير الجميع من رجال التعليم على هديها . ولعل من أبرز العيوب وأقوى الشذوذ فى نظم تعليمنا قيام المدرسة الابتدائية إلى اليوم بجوار المدرسة الأولية والمدرسة الإلزامية والمعهد الدينى الابتدائى وجمعية تحفيظ القرآن الكريم الخ مما يشتت أبناء البلد الواحد فى أنواع مختلفة من المعاهد ذات طرائق مختلفة ومذاهب مختلفة وثقافات مختلفة ! فالمدرسة الابتدائية بما فيها من لغة أجنبية هى ذلك السد المنيع بين المدرسة الإلزامية والأولية من جهة ، وبين المدرسة الثانوية والعالية من جهة أخرى ، مما لا مثيل له فى ممالك العالم أجمع ! ونتيجة ذلك أن الطالب المتفوق بين جدران مدارسنا الإلزامية والأولية إذا تعدت سنه العاشرة (وكثير من التفوق لا يظهر إلا بعد هذه السن) استحال عليه إتمام تعليمه تعليماً مدنياً لأن المدرسة الثانوية لا تقبل أحداً من طلابها إلا عن طريق المدرسة الابتدائية حيث اللغة الأجنبية مادة أساسية فى جميع سنى الدراسة فيها . وفى إقفال أبواب المدارس الثانوية أمام طلاب المدارس الأخرى غدا الابتدائية مضيعة للتفوق والمتفوقين من أبنائنا الذين بدءوا السوء الحظ حياتهم التعليمية فى مدارس التعليمين الإلزامى والأولى ، وقضاء على ذوى الملكات الطيبة منهم وإهدار الكفايات لو استثمرت لجلبت كثيراً من الخير على مصر والمصريين . فما السر يا ترى فى وجود هذا السد المنيع الحاجز للمتفوقين

من طلاب التعليمين الإلزامى والأولى عن التعليمين الثانوى والجامعى! هذا السد قد أوجدته السياسة العتيقة من عهد قديم . حتى لا يقوى على ارتقائه إلا العدد القليل من الذين كانت تعدهم المدرسة الإبتدائية للعمل فى دواوين الحكومة بدليل ذلك التقرير الذى رفعه سنة ١٨٨٠ على باشا ابراهيم ناظر المعارف إلى مجلس النظار (الوزراء) وقد جاء فيه :

« إن التعليم الابتدائى قليل الاتساع لأنه لم ينتشر فى أية جهة بين الأهالى ما خلا المحروسة . وهذا لا يسمح للمدرسة التجهيزية بانتخاب تلامذة نجباء ومستعدين للتعليم التجهيزى ويترتب على ذلك أنه لا يوجد إلا عدد قليل من التلامذة الضعفاء جداً الخارجين من الدراسة التجهيزية فتجبر المدارس العالية فى أكثر الأحوال على قبول تلامذة لم يستوفوا الحالة التجهيزية اللازمة، ويستمر هذا الخلل عند خروج التلامذة بعد انتهاء مدة الدراسة ، ودخولهم فى الوظائف العمومية الخ . »

لهذا وجدت قديماً المدرسة الابتدائية إذن على غرار المدرسة الأوربية ولبس أبناؤها الملابس الأوربية ، وتعلم أبناؤها اللغة الأوربية ، وكانت فرنسية فى بادىء الأمر، ثم انقلبت بعد الاحتلال إلى انجليزية واستمرت إلى اليوم . كل ذلك فى سبيل إعداد أبنائها لرغد العيش فى وظائف الحكومة بين جدران الدواوين! فلم يكن إذن الغرض من وجودها تثقيف أبناء الشعب أو إعدادهم للحياة العامة ، لأن المدرسة الشعبية أو الكتاب قديماً والمدرسة الإلزامية أو الأولية حديثاً هى التى تقوم بإعداد أبناء الشعب لحياة الشعب !

وإذن فقد وجدت المدرسة الابتدائية بما فيها من ميزة وهى اللغة الأجنبية لتفصل طبقة الموظفين ولترفعهم إلى مكان خاص بل إلى مركز خاص يمتاز بميزات خاصة عن مركز أبناء باقى الشعب ، فهى إذن السد المنيع بين أبناء الشعب وغوغائه وبين أبناء سادة الشعب وحكامه ! وهى إذن السد المنيع بين الديمقراطية والارستقراطية!

فهل يصح أن يبقى هذا السد إلى اليوم بعد الوضع الذى أصبحنا فيه ؟ هل يصح أن يبقى هذا السد بين أبناء أمة حطمت قيودها وقالت بملء فيها إنها أصبحت أمة ديموقراطية ينص دستورها على المساواة بين الجميع فى الحقوق والواجبات ، وعلى أن الأمة مصدر السلطات ؟ ألا إن بقاء المدرسة الابتدائية بعد هذا يعد مهزلة بين الديموقراطية والديموقراطيين إن كانوا جادين

(يتبع) عبد الحميد فهمى مطر

استطلاع صحفى

مدرسة الهندسة التطبيقية

بمناسبة عيدها المئوى

لمندوب الرسالة

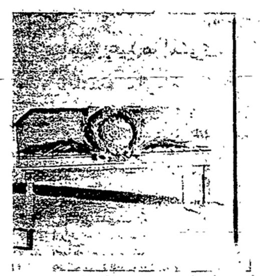
« ينتظر أن يتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بتشريف العيد المئوى لمدرسة الهندسة التطبيقية وافتتاح مبانيها رسميا فى ٢٨ أبريل الجارى. وقد أسسها المغفور له محمد على باشا الكبير فى مارس سنة ١٨٣٩ وسماها مدرسة العمليات لتمد الطلبة للأعمال الصناعية التى تحتاج إليها البلاد . ولكن الزمن غدر بها إذ أقفل عباس باشا الأول جميع معاهد العلم وهى منها إلى أن أعاد فتحها سعيد باشا باسم مدرسة العمليات أيضا . ثم تغير اسمها فأصبح مدرسة الفنون والصنايع ، وتغير مرة ثالثة فأصبح مدرسة الهندسة التطبيقية »

عمرها وتشكلها

فى مواجهة المدخل الرئيسى لمدرسة الهندسة التطبيقية نافورة جميلة الصنع من حجر الجرانيت الأسود ، وفوق الباب تاج أسود يضم بين ثناياه قطعة مستطيلة من النحاس الأصفر يرى الناظر فى وسطها أنواطا يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٧٣ ، إذ أهديت إلى المدرسة من بعض المعارض الدولية . وعلى جانبى الباب مدفعان ضخمان يبدو عليهما القدم ، ويظهر فى بنائهما بساطة التركيب ، ولونهما أسود أيضاً . فإذا سألت عن تاريخ هذين الأثرين أجابك محدثك : « رأيتهما عند ما التحقت بالمدرسة سنة ١٩٠٤ » . فإذا حاولت المزيد فلن تصل إلى نتيجة صحيحة . فالمدرسة قديمة العهد استنشقت النسمة الأولى للحياة فى شهر مارس سنة ١٨٣٩ فعمرها الآن مائة عام وإن كان عمر مبانيها بضعة أعوام

تدخلها فإذا هى بنت اليوم . فحجرات الدراسة فيها على أحدث طراز ، ومعاملها ومصانعها مجهزة بأحدث الآلات . ولكنك بين هذه المظاهر المتعددة تلمس القدم فى كثير من حجراتها إذ ترى آثار الماضى فى لوحة قضى الزمن على ذكرياتها ، أو تجد صورة إسماعيل باشا وهى تحمل اسم صانعها وضريبة الزمن على ألوانها .

وأقدم من هذا أن تجد لوحة باسم ابرهيم باشا ، وكتب تحت الاسم ١٢٠٤ — ١٢٦٥ .



لوحة تذكارية لابراهيم باشا كتب عليها تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته

فإذا سألت عن تاريخها قابلك محدثك بألفاظ تفهم منها : « لا أعرف ، فإذا رجعت إلى كتب التاريخ ، وقابلت بين السنة العربية والأفرنجية وجدت ١٢٠٤ = ١٧٨٩ ، وسنة ١٢٦٥ تقابل سنة ١٨٤٨ والأول هو تاريخ ميلاد ابراهيم باشا ، والثاني هو تاريخ وفاته في نوفمبر من تلك السنة . فهل تشك بعد هذا في أنها لوحة تذكارية لتخليد ذكرى ذلك البطل الفاتح ؟ وهلا تأسف بعد هذا أن تجد لوحة تذكارية تحتاج إلى ما يذكرنا بها ؟ ولكنها ضريبة الزمن وضريبة حياة المكاتب التي يعيشها موظفونا بل ومعلمونا ، أنستنا لا لوحاتنا التذكارية فحسب ، بل أيضاً تاريخ هذه اللوحات فأصبح سرها في بطون المقابر بدل أن يحيا في أذهان الناس وقلوبهم . فهذه المواد الخرساء عاشت على رغم إهمالنا فتكلمت عن ماضينا ونددت بحاضرنا إذ كشفت جهلنا الفاضح .

حياة عملية

والحقيقة أن هيئة التدريس بالمدرسة أجهدت نفسها لكشف تواريخ هذه الآثار ، إلا أن كل من قابلناهم من طلبة المدرسة القدماء لا يذكرون من أمرها إلا أنهم التحقوا بالمدرسة فوجدوها . وهم يؤاخذون لأنهم تجاهلوها منذ ذلك التاريخ فلم يهتموا بأمرها ولم يسألوا عن سبب وجودها . ولو اهتم أحدهم بالسؤال عنها وقتئذ لكانت هذه الآثار أكثر أهمية مما هي الآن . فإن قيمة الأثر تزداد كلما زادت معلوماتنا عنه وتقل كلما قلت . وإذا كنت أحب أثراً فإني أحبه لأنه يرجع بي إلى الماضي فيعطيني صورة ذهنية لما كان يحدث في تلك الأيام سواء أكانت قريبة أم بعيدة .

ولعل أساتذة هذه المدرسة كانوا في شغل عن تتبع هذه الذكريات بما عهد إليهم من عمل . فالحياة في هذا المعهد خليط من النظريات العلمية والخبرة العملية . وهي تشغل في عهدها الجديد مساحة ثلاثين فداناً منظمة على أحدث نظام ومعدة بأحدث الآلات. ويمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام : الورش والمعامل وحجرات الدراسة . وقد أعدت جميعها على آخر طراز بحيث يتخرج الطالب من المدرسة وهو معد بكلا السلاحين العلمي والعملي .



طلبة قسم المساحة يرسمون إحدى الخرط
ويرى بعضهم وهم يرصدون الأبعاد بآلة دقيقة

ففي الورش يجد الطالب المجال متسعاً أمامه ليتقن الصناعة التي ارتضاها لنفسه . وفي حجرات الدراسة يجد النظريات العلمية التي يمكنه أن يستفيد منها في مهنته . وفي المعامل يجد الآلات الكيميائية والطبيعية معدة للبرهنة على النظريات التي لم تطبق بعد في الإنتاج الصناعي كما يستطيع أن يجرب — إذا شاء — لينشر على الناس ما هو خير من الأساليب المستعملة في الإنتاج الصناعي الآن

مصنع مستقل

وفي تلك الورش يعمل الطلبة بأيديهم . فني قسم العمارة يمسك الطالب بأدوات البناء ويقيم الحائط تبعاً للرسم المعطى له ، فإذا كان



هذه الآلة الدقيقة من صنع طلبة المدرسة
ويرى في الصورة الأستاذ وهو يراقب تركيب أجزائها

تمرينه في عمل نقوش من الجبس أو المصيص قام بتلك العمليات بنفسه . وما يحدث في قسم العمارة يحدث في غيره من الأقسام ، إذ يباشر الطلبة بأنفسهم تطبيق العلم على العمل ، ولذلك يلبسون أثناء العمل في الورش ملابس خاصة وهي عبارة عن سترة بيضاء لتقي ملابسهم الاتساخ

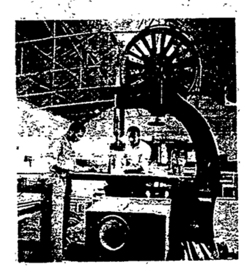
وهذه الورش في مجموعها مستعدة لصنع أية آلة يطلب عملها ففي « ورشة السباكة » مثلاً يستطيعون تشكيل أية قطعة معدنية كما يريدون، والطريقة المتبعة لذلك أن يصنع للآلة رسمها بأبعاده ومقاطعه على الورق ؛ ثم يوكل إلى طلبة اختصوا بصناعة النماذج الخشبية فيصنعون أدوات الآلة من الخشب بطريقة خاصة ، فإذا انتهى نجار النماذج ذهبت القطع الخشبية إلى السباك فوضعها في نوع خاص من التراب بحيث يتشكل برسمها ثم ينزع الخشب ويصب في الفراغ المعدن المطلوب صنع الآلة منه

وتنتقل المواد بعد هذا إلى أقسام البرادة والخراطة وغيرها حيث تتولى تلك الأقسام تنظيف الآلات مما علق بها من زوائد معدنية ، ثم تعد بما يتفق والرسم المطلوب . وعلى وجه الاجمال فإن جميع أقسام المدرسة تعمل في صناعة هذه الآلة لاختلاف فنونها وتركيبها، فهي تبدأ من المكتب حيث يضع المهندس رسمها الميكانيكي وتمر بأدوار عدة إلى أن تصل إلى وضعها النهائي الذي يعدها للاستعمال

وقد قامت المدرسة بصنع عدة آلات ، ففي إحدى السيارات ركب الطلبة بدلاً من المحرك العادي آلة ديزل ، وهم يقولون إن ذلك يوفر كثيراً من أثمان استهلاكها للوقود ، فإن آلة الديزل تشتغل بالغاز الوسخ وفرق كبير بين ثمنه وثمن البنزين . وهكذا كلما دخلت إحدى الورش شاهدت فيها شيئاً أصلياً من صنع طلبتها وحدهم ولذلك يفخرون به

فيلا ثمنها ٨٠٠ جنيه

وأراد قسم العمارة أن يتساوى مع غيره من الأقسام من حيث ابتكار الأشياء المفيدة فوضع الطلبة والأساتذة رسماً لفيلا من طابقين يتكلف بناؤها ٨٠٠ جنيه وتصلح لسكنى عائلة متوسطة ، ويشتغل طلبة قسم العمارة في تشييدها في أوقات فراغهم وقد تم منها حتى الآن بناء الطابق الأول وينتظر عند إتمامها أن يتولوا



تشتغل ورشة النجارة بالآلات
ويرى أحد الطلبة وهو يشق قطعة من الخشب بالمنشار

تجهيزها بالأدوات الصحية وغيرها من الأثاث . في المدرسة ورشة نجارة كبيرة تصنع كثيراً من الأثاث ، وقد شاهدت بعض المكاتب التي صنعها الطلبة لأساتذتهم فأعجبت بما هي عليه من متانة ودقة في الصناعة

وتحتل ورش المدرسة صفاً طويلاً يليه صف المعامل حيث توجد معامل الطبيعة والكيمياء والهيدروليكا وقسم مقاومة المواد وكل هذه المعامل مجهزة بالأدوات التي تيسر للطالب فهم النظريات العلمية المختلفة كما تعطيه صورة واضحة عن أكبر الأعمال الصناعية التي أسست إذ يحتوي على نماذج مصغرة لبعض هذه المشروعات

ويحتاج الطالب دائماً أن يعرف قوة احتمال المواد التي يشتغل بها ولذلك نجد في قسم العمارة آلة يمكن بواسطتها معرفة قوة احتمال مخلوط من الأسمنت . وفي قسم السيارات آلة يقول الاختصاصيون في المدرسة إنها الثالثة من نوعها وبها يمكن معرفة قوة فرامل السيارة ومقدار استهلاكها للبنزين. أضف إلى ذلك معملا قائماً بذاته اختصاصه اختبار مقاومة المواد من ضغط وشد وانحناء



يونس افندي يرشد الطلبة لتركيب أجزاء الآلات في قسم الميكانيكا

قاعة للسينما

ومدرسة الهندسة التطبيقية كما قلنا حديثة العهد بالتنظيم على الطرق الحديثة ولذلك نجدها معدة بقاعة للسينما حيث تعرض الأفلام العلمية التي تعطي للشاهد فكرة عن سير العلوم وعن تطورات بعض الصناعات . وتستعمل هذه القاعة للمحاضرات فيجتمع الأساتذة والطلبة لإلقاء بعض المحاضرات . وقد شاهدت في إحدى المرات ناظر المدرسة وهو يعرض على أبنائه أن يبدوا آراءهم في كيف يحتفلون بمرور مائة عام على إنشاء مدرستهم فكانت الروح تدل على مدى الحرية الممنوحة لهم

فقد كان عدد الطلبة كثيراً جداً ضاق بهم المدرج على سعته فكان كل منهم يدلي بما لديه من الاقتراحات ؛ وأخيراً زاد عدد الاقتراحات وتضاعف عدد المتكلمين، فاقترح عليهم ناظر المدرسة



بعض طلبة قسم السيارات منهمكين في إصلاح سيارة بارشاد أستاذهم

أن يكتبوا ما يريدون . وبذلك ترك للطلبة أن يعدوا بأنفسهم الاحتفال المئوي لمدرستهم . وقد وكل للطلبة أنفسهم تنفيذ ذلك البرنامج وإظهار براعتهم في فن الصناعة والأعمال الإدارية مع إشراف بسيط من ناظر المدرسة الدكتور أمين سيد ومدرسيها



يشتغل هذا الطالب في خراطة ترس على الطريقة الحديثة

ويتعود الطلبة حياة الابتكار ، فإذا دخلت قاعة الرسم شاهدت مشروعات كثيرة . فهذه لنادٍ يقترح الطلبة إنشاءه

وقد راعوا فيه أن يتناسب مع الغاية التي سينشأ من أجلها، ولذلك كان فيه قاعات كثيرة بعضها كبير والبعض الآخر صغير. وقد نجد اقتراحاً لتنظيم ميدان تتوافر فيه الأسباب الصحية مع جمال الذوق وإبراز سحر الطبيعة، فإن الطلبة يعدون الإعداد اللازم لأن يكونوا رجال عمل وأهل تفكير وابتكار وذوق حسن .

فوزى عبد الشتوى

التاريخ في سير أبطاله

أحمـــــد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وفى يناير من السنة التالية صدرت من ثلاثة من الضباط على رأسهم احمد عرابي حركة أخرى كانت هى الجريئة حقاً ، حركة جرت فى أعقابها حركات فكانت بمثابة الشرارة التى أوقدت النار

نمى إلى عرابى، وهو فى منزل أحد أصدقائه أن وزير الجهادية قد اعتزم عزله وزميله عبد العال بك حلمى ، وعلم عرابى أن عدداً من الضباط فى منزله ينتظرونه، فخف إليهم فوجدهم يعلمون ما يعلم فتشاوروا فى الأمر، واختار عبد العال بك وعلى فهمى بك عرابيا رئيساً لهما ولمن يتبعهما من الضباط فى حركتهم الوليدة التى دارت حول طلب عزل رفقى باشا من الجهادية ورفع المظالم عن رجال الجندية

ويذكر عرابى فى مذكراته أنه بين للضابطين خطورة الحركة ولكنهما أصرا عليها فطلب إليهما أن يقسما له أن يخلصا النية ، فأقسما . ولنا أن نتساءل هنا : لم اختير عرابى قائداً لهـذه الحركة دون غيره ، وقد كان فهمى على رأس حرس السراى وله صلات برجال الحاشية ، ولم يكن عبد العال دون عرابى مرتبة وخبرة ؟ إن اختيار رجل من الرجال دون غيره لقيادة حركة من الحركات أمر ينطوى لا ريب على معنى . وما ولدت الزعامات فى الغالب إلا بهذه الطريقة . ففى ذلك الرجل توجد صفات يتميز بها من سواه فتجتمع عليه القلوب والأهواء فى لحظة لا يكون للتنافس الشخصى فيها مجال . وهذا عندى خير مقياس للزعامة ، وبخاصة إذا كان هذا الرجل المختار معروفاً من قبل لمن يختارونه فلا يكون إقبالهم عليه إعجاباً وقتياً لا يلبث أن يتبين خطأهم فيه .

ولن يشذ عرابى عن هـذه القاعدة فإنما اختاره الضباط لما عرفوا فيه من صفات الجرأة والحماسة والإخلاص ، ولما جربوه عليه من الصدق وحسن الطوية . هذا إلى أنه كان يفوقهم من ناحية لا غنى عنها لزعيم من الزعماء ألا وهى فصاحة اللسان ، فلقد كان هذا الرجل الذى جعل الجهل فى مقدمة عيوبه أفصح الضباط لساناً . ولقد كانت الخطابة إحدى ملكاته حتى ليعد من أخطب رجال ذلك العهد لا فى الجيش فحسب بل بين المواطنين جميعاً

أعد الضباط عريضة بمطالبهم ووقع عليها عرابى وزميلاه وذهب ثلاثتهم فرفعوها إلى رياض باشا وإنهم ليعلمون ما كان ينطوى عليه مثل هذا العمل من جرأة فى ذلك الوقت، وكان عرابى هو الذى يتكلم باسم زميليه وباسم الضباط جميعاً كما كان سعد يتكلم حينما ذهب مع زميليه له فى مستهل الثورة الثانية إلى مقر المعتمد البريطانى يرفع مطالب المصريين عقب الهدنة

وكان رياض يكره سياسة تقديم العرائض مهما كان من عدالة المطالب ، وكان يلقى فى السجن أو يحكم بالنفى على من يخطون هذه الخطوات كما حدث للسيد حسن موسى العقاد فقد نفى إلى السودان

لأنه انتقد إلغاء قانون المقابلة على الصورة التي جاءت بها لجنة التصفية وكما حدث لكثير غيره ممن أخرجوا من مصر بسبب آرائهم الحرة

وقابل رياض الضباط مغيظاً محنقاً وخاطبهم في كبرياء وغلظة كما يقول عرابي في مذكراته فقال لهم : « إن أمر هذه العريضة مهلك وهو أشد خطراً من عريضة أحمد فني الذي أرسل إلى السودان »

وكان هذا الفتى قد نفي أيضاً لأنه طلب المساواة في المعاملة مع غيره من موظفي الديوان محتجاً على ما كان يجري من محسوبية ، ذلك الداء الوبيل الذي لا نعرف متى تتخلص هذه البلاد منه !

أما عن فحوى العريضة فإن عرابي يذكر أنه قد طالب بعودة مجلس شورى النواب إلى جانب المطالب العسكرية ، مع أن أكثر المؤرخين يذكرون أن هذا الطلب لم يأت ذكره إلا فيما بعد . ولكن عرابياً يصر على دعواه في كل ما كتب من تاريخ حياته

على أن الأمر الذي غضبت له الحكومة هو المطالبة بعزل عثمان رفقي فقد رأت في هذا الطلب نوعاً من التمرد فادخل الجيش في سياسة الحكومة ليطالب بعزل وزير ... وقد كانت الحكومة لا ريب محقة في هذا الغضب ، بيد أنها من جهة أخرى لم تسلك إزاء هذه الحركة ما كانت تقتضيه السياسة الرشيدة ، فكان عليها أن تبحث في مطالب الجيش فتجيب ما كان منها في جانب الحق ثم تقنعهم بعد ذلك بأن ليس من حقهم المطالبة بعزل رفقي

سكت رياض أسبوعين وهو يحاول إقناع الضباط لسحب العريضة وهم يصرون عليها . وغضب توفيق أشد الغضب وأشار عليه المحيطون به باتباع العنف مع الضباط ، ثم نمي إلى رياض أن سكوته قد يفسر بأنه ممالأة للجيش وعدم موالاة للخديو . ويقول مستر بلنت في مذكراته إن الخديو أراد أن ينتهز هذا الحادث للانتقام من رياض فيوقع بينه وبين رجال الجيش .

ولما فطن رياض إلى ما قد يفسر به سكوته وافق على محاكمة الضباط ، ووقع الخديو على أمر بمحاكمتهم ، ودعي وزير الجهادية الضباط الثلاثة إلى ديوان الجهادية بقصر النيل بحجة الاستعداد لحفلات زفاف إحدى الأميرات وهناك ألقي القبض عليهم ... وبذلك تفتتح لعرابي صفحة في سجل تاريخ مصر

وكان الضباط على علم بما دبر لهم . فلم يكن من العسير عليهم في مثل ذلك الموقف أن يدركوا ما عسى أن تبيته الحكومة لهم من كيد . ولقد قيل إن قنصل فرنسا كان على اتصال بهم فأخبرهم بما عقدت الحكومة النية عليه

واتفق ثلاثتهم مع فرقهم أن تذهب إليهم إذا تأخرت عودتهم عن ساعتين ؛ ثم ذهبوا إلى حيث طلب إليهم أن يحضروا ، فما كادوا يدخلون وزارة الجهادية حتى ألفوا أنفسهم بين صفوف مسلحة من الجركس فألقي القبض عليهم وسيقوا إلى السجن ثم إلى المحاكمة وقد انعقد لهم مجلس يحاكمهم برئاسة عثمان رفقي باشا .

ويحسن أن نورد هنا ما وصف به عرابي موقفهم ساعتئذ قال : « ولما أقفل علينا باب الغرفة تأوه رفيقي علي بك فهمي وقال : لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار . ثم اشتد جزعه حتى كاد يرمي بنفسه في النيل من نافذة الغرفة فشجعته متمثلاً بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وتمثل عرابي بأبيات أخرى نسبها إلى السيدة زينب رضي الله عنها إلى أن قال : « فلا والله ما كانت إلا هنيهة حتى جاءت أورطتان من آلاي الحرس الخديو وأحدق رجالهما بديوان الجهادية وأسرع بعض الضباط والعساكر فأخرجونا من السجن ، ففر ناظر الجهادية ورجال المجلس وغيرهم من المجتمعين وقصدوا جميعاً إلى سراي عابدين »

وإنما نورد ما ذكره عرابي لأنه من جهة يصور لنا جانباً من شخصيته وناحية من ثقافته ويرينا نزعة اتكاله على الله تلك النزعة التي سوف لا تتخلع عنه حتى بعد أن تتخلع عنه عزيمته في مأساة التل الكبير ؛ ثم لأنه من جهة أخرى متفق مع ما يقول الرواة فلا ضير أن نورد القصة على لسانه .

« يتبع » **الخفيف**

تعقيبات الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٨٩ — لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا

قال مالك بن أبي السمح : سألت ابن سريج عن قول الناس : فلان يصيب وفلان يخطئ ، وفلان يحسن وفلان يسيء ، فقال: المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألحان ، ويملأ الأنفاس ، ويعدل الأوزان ، ويفخم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الإعراب ، ويستوفي النغم الطوال ، ويحسن مقاطيع النغم القصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواقع النبرات ، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات

فعرضت ما قال على معبد[1] فقال : لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا

٣٩٠ — احمد الله فقد نقهت

ابن الجوزي : من غراب الناجين بسائل يقول : أنا عليل وأنا جائع !

فقال له : احمد الله فقد نقهت[2]

٣٩١ — يوم الأربعاء

ياقوت : لما ولي الحسن بن زيد المدينة منع عبد الله بن مسلم ابن جندب الهذلي أن يؤم بالناس في (مسجد الأحزاب) فقال له : أصلح الله الأمير ، لِمَ منعتني مقامي ومقام آبائي وأجدادي قبلي ؟

(١) قال اسحق الموصلي — وهو يذاكر ابراهيم بن المهدي —: هذا صوت تمعبد فيه سريج : فقال له ابراهيم : كيف يجوز ان تقول تمعبد ابن سريج ، وإنما معبد إذا أحسن قال : أصبحت سريجا

(٢) نقه من مرضه :— بفتح العين وكسرها — نقها ونقوها : صح وهو في عقيب علته فهو ناقه ج نقه كركع (التاج) والنقاهة من مصادر نقه الحديث أي فهمه لا من مصادر الفعل المتقدم

ومن مشبهات هذه الطرفة ما رواه (النفح) وهو : خرج الأديب النحوي هذيل الأشبيلي يوما من مجلسه فنظر الى سائل عاري الجسم وهو يرعد ويصيح : (الجوع والبرد) فأخذ بيده ونقله الى موضع بلغته الشمس وقال له : صح (الجوع) فقد كفاك الله مؤونة البرد ....

قال : ما منعك منه إلا يوم الأربعاء[1] يريد قوله :

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ... ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
إذ لا يزال غزال فيه يفتنني ... يأتي إلى (مسجد الأحزاب) منتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته ... وما أتى طالبا أجرا ومحتسبا
لو كان يطلب أجرا ما أتى ظهرا[2] ... مضمخا بفتيت المسك مختضبا

٣٩٢ — منى في القبور !!!

يحيى بن حكم البكري الجياني :

أرى أهل الثراء إذا توفوا ... بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وتيها ... على الفقراء حتى في القبور !

٣٩٣ — جهال الأطباء هم الوباء في العالم

في (الآداب الشرعية) لابن مفلح : ينبغي (للمرء) أن يستعين في كل شيء بأعلم أهله كما عليه نظر عقلاء الناس ؛ لأن الأعلم أقرب إلى الإصابة . ولمالك في الموطأ : « عن زيد بن أسلم أن رجلاً في زمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصابه جرح ، فاحتقن الجرحُ الدم ، وأن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظرا إليه ، فزعما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهما : أيكما أطب[3]؟ فقالا : أو في الطب خير يا رسول الله ؟ فزعم زيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء » فأما الجاهل فلا يستعين به . قال ابن عقيل في (الفنون) : جهال الأطباء هم الوباء[4] في العالم ، وتسليم المرضى إلى الطبيعة أحب إليّ من تسليمهم إلى جهال الطب

٣٩٤ — الأعميان الخبيثان . . .

ابن الجوزي : أخبرنا علي بن المحسن عن أبيه قال : أخبرني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها في طرف الجسر سائلان

(١) في (القاموس) : مثلثة ممدورة ، وفي (المصباح) بكسر الباء وبعض بني أسد يفتحها ، والضم لغة قلية فيه وفي (اللسان) : والتثنية أربعاوان ، والجمع أربعاوات وفي (القاموس وشرحه) أربعاءان وأربعاءات

(٢) ظهرا : حرك الظهر ضرورة.

(٣) قال الجاحظ: قال شيخ من الأطباء : الحمد لله افلان يزاحمنا في الطب ولم يختلف إلى البيمارستان تمام خمسين سنة

(٤) الوباء : الطاعون ، كل مرض عام ، بالقصر والمد ، وجمع الممدود أوبئة وجمع المقصور أوباء

أعميان ، أحدهما يتوسل بعلىّ والآخر بمعاوية ، ويتعصب لهما الناس ، ويجمعان القطع[1] ، فإذا انصرفا اقتسما القطع ، وكان يحتالان بذلك على الناس[2]

٣٩٥ — فينظر أيهدى له أم لا ؟

فى (كتاب الأم) للشافعى : استعمل النبى (صلى الله عليه وسلم) رجلاً من الأزد على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدى إلىّ . فقام النبى (صلى الله عليه وسلم) على المنبر فقال : ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول : هذا لكم وهذا أهدى إلىّ ؟ فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى له أم لا ؟

٩٣٦ — يا لون شعر الصبا

قال أبو بكر يحيى بن محمد الأنتقيرى : كنا مع العجوز الشاعرة المعروفة بـ (ابنة ابن السكان) المالقية فمر علينا غراب طائر فسألناها أن تصفه فقالت على البديهة :

(١) لم تبرح القطعة والقطع تستعملان فى هذا الزمان استعمالها فى القديم

(٢) وقف هذان الأعميان على نفسية الجمهور فلعبا بها . وقرأ قطعه ... ورؤساء القوم مثل الأعميين :
أنما هذه (المذاهب) أسباب (م) لجذب الدنيا الى الرؤساء

مر غراب بنا يمسح وجه الربى[1]
قلت له : مرحبا يا لون شعر الصبى !

٣٩٧ — أتتكم شهود الهوى تشهد

دخل أبو القاسم نصر بن احمد الخبزى على أبى الحسين بن المثنى فى آخر حريق كان فى سوق المربد ، فقال له أبو الحسين المثنى : يا أبا القاسم ، ما قلت فى حريق المربد ؟ قال : ما قلت شيئاً . فقال له : وهل يحسن بك وأنت شاعر البصرة — والمربد من أجل شوارعها وسوقه من أجل أسواقها — ولا تقول فيه شيئاً ؟ فقال : ما قلت ولكنى أقول وأرتجل هذه الأبيات :

أتتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم على أننى منكم مجهد
جرى نفسى صُعُداً نحوكم فمن أجله احترق المربد
وهاجت رياح حنينى لكم وظلت به ناركم توقد
ولولا دموعى جرت لم يكن حريقكم أبداً يخمد

(١) يجوز كتابة الألف الثالثة المنقلبة عن الواو من مضموم الفاء ومكسورها — بالياء .

الغرام الجـــديد

للدكتور زكي مبارك

أخى الأستاذ الزيات :

تفضلت فسألت مرة أو مرتين أو مرات عن سبب احتجابى عن قراء الرسالة ، وكانت حجتى فى الاعتذار أن كتاب « ليلى المريضة فى العراق » لم يُبق من قواى ما أصلح معه لمقابلة الناس فى جِدّ أو مزاح ، وقد تلطفت فقبلت عذر أخيك ، وصفحت عن تقصيره إلى حين

فما رأيك إذا حدثتك بأنى كنت فى نشوة شعرية لم أصح منها إلا اليوم ؟

كنت يا صديقى مشغولاً بنظم قصيدة « الغرام الجديد » وهى تقع فى مئة بيت ، وذلك الغرام هو يا صديقى نفحة من نفحات القاهرة فى مطلع الربيع . هو ثورة وجدانية تعتاد من يفيق من غفوة القلب حين يتنسم أرواح الأزاهير على ضفاف النيل

أعاذنى الله وإياك من غفوة العواطف ، وحمانى وإياك من الغفلة عن تنادى القلوب !

***

يا قلبُ هـــذا نعيمٌ من الصفاء وليـد
يا قلب هذا ســعيرٌ من الغرام جـــديد

لبقيتُـــه وفؤادى غافٍ قَريرُ السرائر
فعدتُ أحيـــا بروحٍ مشرَّد الأنس حائر

مَن مُخبرى عن نصيبى من ظلّ هذا النعيم ؟
من مخبرى عن مصيرى فى لفح هذا الجحيم ؟

كيف انتهينا ؟ أجبنى يا قلب كيف انتهينا ؟
ألنعـيم وصلنـــا ؟ أم فى الجحيم ثوينا ؟

وبالوصال اصطباحُكْ يا قلبُ أم بالصدود ؟
وبالسهـاد اغتبـاقك يا قلب أم بالهجود ؟

يا قلبُ طالت شكاتُكْ من الخـدود الأسيله
فكيف تُرجى نجاتُك من العيون الكحيله ؟

أُحبُّ نور الضــلال فى خافيات الضـمائر
ويزدهينى الجمــال فى غافيــات النواظر

رباهُ ماذا تريد من فتنتى بالعيون ؟
رباهُ ماذا تريد من محنتى بالشجون ؟

أأنتَ يا ربّ راضٍ عن حيرتى فى الهُيام
إنْ كان هذا فإنى إذا بىّ الغــرام

عصرت راح غرامى من زاهرات الخدود
وكان نُقــلُ مدامى من ناهدات النهــود

يطوف بالحسن روحى فى صبحه وامساء
فيجتنى من شــذاهُ وشوكه ما يشـــاء

عن أكؤسى ودموعى رَوَى رحيقُ الجلود
عن مهجتى وضلوعى رَوَى سعيرُ الوجود

عن شقوتى فى هيامى رَوَى ظلامُ الليالى
وعن صـــفاء زمانى رَوَى صـفاء اللآلى

أنا الشقىُّ الســعيد فى لوعتى وشجونى
أنا الغوىّ الرشـــيد فى صـبوتى وفتونى

مِن الهوى والأمانى ومن زهور الجنــان
ومِن فنون المعانى رسمتُ وجه الزمان

لولا غنــائى وشـعرى لبات رُوحُ الوجـود
لولا بيـــانى ونثرى لضاع سرُّ الخــلود

فى الثغر والصبح معنًى لمن أحبُّ شرحتُهْ
فى الحبر والليـل سرٌّ أظنـنى قد فضحتـهْ

السحرُ يأخــذ عنى عِلم اختداع النفوس
والخمر تنقـــل عنى عِلم انتهاب الرءوس

ما السـيف فى يد عاتٍ مضـلّل الرأى جانى
يوماً بأفتـــك منى إذا امتشقت بيـانى

الغيُّ لو شئتُ ركنٌ … من الرشاد ركينُ
والشكُّ لو شئتُ حصنٌ … من اليقين حصينُ

للعقل عندي فنون … وللجنون مذاهب
عندي بياض الصباح … عندي سواد الغياهب

إن كان في الناس قوم … رأوا هلال السماء
ففي سرائر قلبي … والروح ألف ذُكاء

ما عندكم ؟ حدثوني … يا إخوتي في الجنون
في غرام وشوق … إلى حديث الفُتون

من الذي طاف منكم … ليلاً بتلك المناسك
ومن هداه هواهُ … إلى ضلال الزمالك ؟

في ذلك الدوح غصنٌ … لولا العفافُ هَصرتُهُ
في ذلك الروضُ زهرٌ … لولا الحياء قطفتُه

أباحني في التداني … والبعد عزّ الفضيحه
وذاك لو يرتضيه … في الحبّ خيرُ نصيحه

لقيتُه ذات يوم … في العصر عند الجزيرة
والنيل سكرانُ صاحٍ … مثل العيون الكسيرة

لقيتُ من لو دعاني … إلى الفداء فديتُه
لقيتُ من لو دعاني … بعد الممات أجبتُه

لقيتُ فيه وجودي … وكان بالصحو زالْ
فعدتُ نشوانَ حيًّا … أعيش عيش الضلال

رأيتُ حين رأيتُه … ما سوف يجني الصفاء
فصاح روحيَ يهذي … ما الحبُّ إلاّ بلاء

أذاك نورٌ جديد … يلوح في قلب شاعر
أم ذاك روحٌ مريد … يصول في قلب ساحر

كأن الفؤاد استراح … من فاتكات الشجون
فمن إليه أتاح … كيد الهوى والفتون

أفي ظلال الجزيرة … وفي شعاب الزمالك
يهيم روحي ويشقى … ويلاهُ مما هنالك !

يا ليتني ما رأيتُك … يا أجمل الحافظين
يا ليتني ما عرفتُك … يا أقبح الغادرين

ما أنت والزاهرات … على خدود الملاح
يا لوعتي في المساء … وفتنتي في الصباح

أثرتني للصيال … يا أفعوان الرياض
وهجتني للقتال … يا أفعوان الغياض

أأنت ترمي وتمضي … إلى رحاب الخلاص
غرّتك نفسُك فاعلمْ … أن الجروحَ قصاص

في لحظ عينيك نبلٌ … وفي عيوني نبال
ونظرةُ الليث قيدٌ … لألفِ ألفِ غزال

حاول خلاصك واسلُكْ … إلى النجاة المذاهب
فلن يفوتك سهمي … ولو علوتَ الكواكب

الرأيُ ، الرأيُ عندي … إذا نشدتَ الأمان
أن تستحيل نسيماً … ونفحةً من حنان

عندي وفي ظل حبي … تحسُّ روح الوجود
وفي ضريم غرامي … ترى شعاع الخلود

أنا النجيُّ القريب … من القلوب الشوارد
أنا الظلوم الحبيب … إلى الصدور النواهد

رباهُ ما الصادحات … من ضاحكات الأماني
رباهُ ما النائحات … من شاديات الشاني

رباه ما الشارقات … من النجوم الثواقب
رباه ما الغاربات … من الظنون الكواذب

رباه كيف تراني … وكيف حاليَ عندك ؟
هل كنت في كل حال … إلاّ فتاك وعبدك ؟



الأشعة الكونية

للدكتور محمد محمود غالي

« تحجب ورقة رقيقة أشعة الشمس عن أعيننا ولا تحجب كتلة من الرصاص سمكها بضعة أمتار الأشعة الكونية التي تخترق أسقف منازلنا أينا وجدت وأجسامنا أينا تكون »

تحدثنا عن نملة افترضنا أنها تتأمل خرجت لأول مرة في حياتها من مكمنها ، فوجدت نفسها بطريق المصادفة في سرادق تكسو أرضه أبسطة وتعلوه أنوار ويؤمه كثير من الزائرين . انطفأت الحياة فيها قبل أن تتاح لها الفرصة لتعرف ما عسى أن يكون في الوجود غير ما يجول بداخل السرادق الفسيح ، وذكرنا أن الدنيا عند هذه النملة فضاء تضيئه أنوار وتحيط به أقمشة وتغطى أرضه أبسطة ، وفقيه يرتل آيات ، ونادل يتحرك بين الحاضرين

دخلت السرادق نملة أخرى ، ظلت تسير على الأبسطة وتحت الأنوار وتتابع السير في مأمن من النادل والفقيه ، وعوضاً عن أن تقفى نحبها اهتدت إلى كومة الرمل التي خرجت منها الأولى وصادفت داخل الكومة إحدى بنات جنسها تتأمل عالمها الذي تراه لأول مرة من ثقب السجاد ، هذا العالم الذي لا زال ينحصر عندها في سرادق وفقيه ونادل وأنوار وزائرين

تحدثت الزائرة إلى جارتها : لا تظنى أن الدنيا هي هذا السرادق المحدود ، فقد رأيت رأى العين قبل الدخول فيه قاطرة يتصاعد الدخان منها ، ورأيت فريقاً من بني الإنسان يجتمع في مركبات تجرها القاطرة ، وعند ظني أنهم اجتمعوا لغاية واحدة ، هي أن يصلوا جميعاً إلى مكان معلوم ، يغلب على ظني أنه بعيد جد البعد عنا ؛ فقد كانت القاطرة تنهب الأرض بسرعة تختلف كثيراً عن سرعة إخوانهم الراجلين

شد ما تختلف هذه المعلومات الجديدة لدى النملة التي تتأمل ، وشد ما تختلف هذه الصورة الجديدة للدنيا عندها ، فهذه القاطرة وهذه السرعة طفرة في معارفها ، لم تخطر لها على بال

***

في العلوم وثبات تحدث في فترات بعيدة من الوقت ، تعد للانسان كهذه المعارف بالنسبة للنملة

عند ما اكتشف رنتجن في سنة ١٨٩٥ الأشعة السينية (أشعة X) كانت هذه الأشعة وثبة في العلوم لم يسبق للناس عهد بها . وعند ما وفق D بكازل Becquerel وكيرى Curie لاكتشاف المواد المشعة كالراديوم ، ظن فريق من الناس أن طاقة هذه الأشعة الجديدة التي تزيد مئات وألوف المرات على كل ما نعهده من طاقة وإشعاع ، ستكون نهاية ما نعرفه من الغرائب ، ولكن عند ما اكتشف العلماء ، وفي مقدمتهم العالم هيس Hess الأشعة الكونية التي تزيد طاقتها آلاف المرات على طاقة إشعاع الراديوم ،

الكون ، ما الكون ؟ قل لي يا مُبدعَ الكائنات
هل كان إلا مَراحاً لأنفسٍ حائرات ؟

أريتَني في هواك ما يُوحش الصابرين
فهل أرى من نداك ما يؤنس الشاكرين ؟

رباه أنت الأمين على خفايا الغيوب
فهل تكون المُعين على مآسي القلوب

خاصمتُ فيك أناساً حجبتَهم عن جمالك
فأرجفوا بي وظنوا أني ضللت المسالك

قلبي وعقلي وروحي نسائمٌ من شذاك
فهل يكون ضلالي إلا بقايا هداك

« مصر الجديدة » زكى مبارك

أيقنا أننا لا زلنا في مهد الطفولة في العلوم بالنسبة لما يخبئه لنا القدر من معارف يتضاءل إزاءها كل ما بلغناه

هذه الأشعة الكونية التي تتصل بصميم العلوم الطبيعية الحديثة تنبئنا بأغرب ما نعرف من المعلومات عن الكون الذي نعيش فيه . وقد شغلت نفسي بموضوعها في السنين الماضية عندما كانت موضوع رسالتي الثانية ، للحصول على دكتوراه الدولة في العلوم من السوربون . وإنه ليسرني أن حاضرت عنها الأسبوع الماضي فريقاً من طلبة كلية الطب في جمعيتهم العلمية كما سأحاضر عنها جمعاً من زملائي في جمعية المهندسين الملكية في يوم الخميس ٤ مايو القادم . وها أنذا أحاول أن يقف قراء الرسالة في مصر والبلاد الشرقية على أغرب ما يعرفه العلماء اليوم ، فأحدثهم عن موضوع بات يشغل بال الكثيرين منهم ، وغايتي أن أعطي القارئ لمحة سريعة عن الحقائق المعروفة بصدد هذا الموضوع ، وعن التطورات التي تناولته ، فيلم بموضوع تزداد أهميته كل شهر عن سابقه ، ويهتم له كثير من الباحثين في كل أنحاء المعمورة ، نذكر منهم بلاكت P. M. S. Blackett في انجلترا وكومتون Compton ومليكان Millikan بأمريكا ، وروسي Rossi وتلميذه بيندتي Benedetti بإيطاليا ، وزميلي بيير أوجيه Pierre Auger ولبرانس رينجيه Leprince Ringuet بفرنسا ، وأخيراً العالم الإيطالي فرمي Fermi الحائز على جائزة نوبل للطبيعة في ديسمبر الماضي

***

ربما كان وصف هذه الأشعة بالكونية أقرب للواقع ، فسوف نرى أنها لا تمت إلى مجموعتنا الشمسية بشيء ، بل ربما لا تمت لعالم المجرة المكون من حوالي مائة ألف مليون نجم ، والتي شمسنا إحدى نجومه ، بأي صلة . وربما كان وصفها « بالأشعة النافذة » قريباً للواقع أيضاً ، لأنها تمتاز بقوة اختراقها العجيبة للأجسام ، فبينا نستطيع عند ما نتجول في الخلاء أن نحجب أشعة الشمس بقطعة رقيقة من الورق ، فإن أسقف بيوتنا لا تكفي لتمنع هذه الأشعة من اختراق منازلنا فحسب ، بل أجسامنا بعدها لا تكفي لذلك . وبينا لا تنفذ الأشعة السينية (أشعة X) إلا في بضعة مليمترات من المادة الصلبة ، كما لا تخترق أشعة الراديوم سوى بضعة سنتيمترات مثلاً منها ، فإن كتلة من الرصاص يبلغ سمكها متراً لا تحجب سوى نصف الأشعة الكونية . وإنه لا تكفي أحياناً كتلة من الرصاص سمكها حوالي عشرة أمتار لكي تحجب كل جسيمات هذه الأشعة . وسنرى كيف يسجل العلماء على الورق الحساس ، مسار جسيمات هذه الأشعة العجيبة بعد اختراقها كل هذه المادة ، وكيف ابتكروا جهازاً ينذر بسماع كل جسيم يمر من هذه الجسيمات النافذة والسريعة التي تمطرنا بها السماء والتي لا تمت لعالمنا بشيء

في محاضرة للعالم الشاب بيير أوجيه ألقاها في جماعة المعقلين في باريز سنة ١٩٣٤ عن الأشعة الكونية سمعت لانجفان (Paul Langevin) العالم المعروف باكتشافه للأيونات الكبيرة (Gros Ions) وباكتشافه طريقة لمعرفة أعماق البحار بواسطة الموجات الصوتية ، يقول مقدماً « أوجيه » :

« إن الأشعة الكونية موضوع الأسرار والعجائب فهي تخترق أجسامنا طراً ولا زلنا عاجزين عن أن نعرف مصدرها أو أثرها علينا »

هذا ما يجهر به « لانجفان » العالم الكبير ؛ وليس ما يجهر به لويس دي بروي (Louis de Broglie) (العالم الشاب المعدود اليوم من أكبر أساطين العلماء) في تقدمة كتاب زميلنا « لبرانس رنجيه » متكلماً عن الأشعة الكونية بأقل شأناً من ذلك . يقول دي بروي :

« أي ثروة عظيمة امتازت بها العلوم الطبيعية منذ بضعة سنوات ، وأي باب هام وجديد في العلوم لا زال يدخر لنا بلا شك مفاجآت أخرى عجيبة ونادرة »

ويكفي ، لمعرفة أهمية موضوع الأشعة الكونية ، أن يذكر القارئ أن المؤتمر الدولي للعلوم الطبيعية الذي انعقد في لوندرة سنة ١٩٣٣ ، حصر دراسته في ثلاث مسائل :

الأولى : الحالة الصلبة .

الثانية : الاكتشافات الحديثة في تهدم المادة وتحول العناصر بعضها إلى بعض .

الثالثة : الأشعة الكونية .

تختلف طاقة الأشعة الكونية أو النافذة كما قدمنا عن طاقة الأشعة الراديومية . فبينا لا تتجاوز طاقة أشعة الراديوم عشرة ملايين ألكترون فولت[1] . تبلغ طاقة الأشعة الكونية مئات

(١) قد يهم بعض القراء أن يعرف أن الألكترون فولت هو الطاقة التي يكتسبها الكترون اكتسب عجلة تحت فرق ضغط كهربائي قدره فولت . إن الألكترون فولت يساوي ١٫٦ × ١٠^-١٢ أرجا ويرمزون له بالأفرنجية بالحرف Ve كما يرمزون لكل مليون الكترون فولت بالحرف MVe ويسمونه ميجا فولت ألكترون (méga volt. électrons)

بل ألوف الملايين الألكترون فولت، وهذه الطاقة تجعلنا في الواقع إزاء ظواهر تختلف كثيراً عن الظواهر التي اعتدناها.

على أن ما يجعل الأبحاث الخاصة بهذه الأشعة تختلف عن كل ما عداها من الأبحاث العلمية : هو عدم الجزم بمعظم النظريات الخاصة بها حتى الآن. فمعلوماتنا ما زالت لا تجيز معرفة خواص إشعاع له مثل هذه الطاقة، حتى أنه لا يجوز لنا أن نعامل هذه الظواهر بالطرق المعروفة في الظواهر الطبيعية الأخرى، فمثلاً لا يجوز لنا أن نجزم بأن طاقة هذه الأشعة تتناسب مع قوة اختراقها للمواد. ومما يزيد في صعوبة دراسة هذه الأشعة العجيبة افتقارنا إلى نظريات معقولة بصددها؛ وليس الأمر أن لدينا من النظريات ما نفاضل بينها و نتخير الأوفق منها، بل إنه ليس لدينا نظريات معقولة إطلاقاً. حتى أن بعض العلماء يميل إلى اعتبار الأشعة الكونية حالة علمية جديدة، تختلف قوانينها عن حالة العالم، أو الكون الذي نعيش فيه اليوم؛ وإنه ليس من المحال أن تكون هذه الأشعة بقايا « أركيولوجية » ترجع إلى تاريخ بعيد جداً في الوجود، يقدر من السنين بالآلاف من الملايين، كانت الدنيا فيه أحدث عمراً، وكانت تختلف الطاقة والقوى والقوانين كل الاختلاف عن عهدنا بها اليوم

على أننا ندع مؤقتاً فكرة العلماء هذه، ونسير بالقارئ أولاً إلى التعرف عن الناحية الشيئية أو الفعلية Objectif عن هذه الأشعة.

ثلاثة أمور أدركها العلماء، وعرفوها في الظروف العادية، خاصة بهذه الأشعة :

الأمر الأول : تصل لنا جسيمات صغيرة مكهربة كأنها قذائف وتخترق أجسامنا بسرعة كبيرة، وقد دلت عليها مسارات مستقيمة هي أثر لعملية التأين[1] Ionisation الحادثة من مرور هذه الجسيمات

الأمر الثاني : عند ما تلتقي هذه الجسيمات السريعة بالمادة، وبالأحرى بكتلة هامة منها كقطعة سميكة من الرصاص، تظهر في المادة حزمات[2] Gerbes لجسيمات أخرى مثل نيترونات[3] Neutrons أو بوزيتونات[4] Positons أو ذرات ثقيلة، تقذف من المادة نفسها بعيدة عن مركزها الأصلي بسبب مرور جسيمات هذه الأشعة فيها.

الأمر الثالث : يحدث كل هذا، أي تصل هذه القذائف، ويقع هـذا التخريب في المادة، في أي زمان ومكان على سطح الأرض تقريباً بالنسبة ذاتها، فتراها معرضين لفعل القذف المستمر بمعدل مقذوف في كل دقيقة على كل سنتيمتر مربع في الوضع الأفقي من سطح الأرض؛ فمثلاً تستقبل راحة اليد (باعتبار مساحتها حوالي ٦٠ سم^{٢}) مقذوفاً في كل ثانيـة، ينفذ منها كما تنفذ الرصاصة من قطعة من الكارتون، وعلى حد تقدير رومي أستاذ بادو، تضرب الأرض بمعدل مقذوف واحد في كل ثانية لكل ديسيمتر مربع من سطحها.

يعترضنا بعد هذا الوصف الوجيز مسألتان :

الأولى : ما أثر هذه المقذوفات على المادة التي تقابلها؟

الثانية : ما هي طبيعة وأصل هذه القذائف؟

والمسألة الأولى تخص فزيقا النواة، والثانية تخص الفزيقا الأرضية، وكلاهما موضوعان حديثان لهما خطرهما في العلوم الطبيعية ويختلفان عن الموضوعات العادية، وذلك بصغر الظاهرة المراد قياسها ودقة التجارب الخاصة بهما، وخطورة الرحلات المتعلقة بهما، سواء ما كان منها في الجو أو على قمم الجبال أو في أعماق البحار؛ كذلك مهارة التحليل العلمي وعظمة الاستنتاج وقوة الاستقراء. كل هذه تجعل من الموضوع بالنسبة لنا موضوعاً يشبه موضوع القاطرة بالنسبة للنملة التي افترضنا أنها تتأمل : وهو ما أود أن يشعر به القارئ في مقالاتنا القادمة

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة

(١) الأيون هو ذرة (atome) أو جزئ (molecule) يحمل شحنة كهربائية (charge electrique)

(٢) جمع حزمة. وتسمى الحزمات بالانجليزية Showero

(٣) ، (٤) كل هذه مكونات للذرة في المواد المختلفة سنأتي على شرحها في مناسبة قريبة.

اكتشاف أشعة جديدة

اكتشف الأستاذ ألفريد توما مدير معهد الشرق — أشعة إيثيرية واصلة إلى أرضنا من مصدر الكون الأعلى وقد ألقى عنها محاضرة بالحفلة التي أقيمت بالدار الماسونية الكبرى مساء يوم الخميس ٣٠ مارس سنة ١٩٣٩ حيث تكلم عن حياتنا القادمة في العالم الأثيري وعن مصدر الأشعة الأثيرية التي اكتشفها وقد أثبت منافع اكتشافه للطب في مختلف الأمراض كالروماتزم ، والشلل الحديث ، والتهاب المفاصل ، والربو ، وكثير من الأمراض الصدرية ؛ فعرضت عليه في نفس الجلسة مرضى بحالات مستعصية ومزمنة فأتت في الحال بنتائج حسنة كانت موضع إعجاب ودهشة الحاضرين من الأطباء والخبراء وضباط البوليس وأساتذة المحفل الماسوني وغيرهم ، مما حمل الكثيرين للتوجه لإدارة معهده الكائن بشارع الخليج المصري ٧١٩ بنمرة لتحقيق بعض التجارب في حالاتهم المستعصية ، ومما يؤيد هذا توقيعات بعض الحاضرين من ذوي الحيثيات والشخصيات البارزة :

الدكتور إيفانوف ، الدكتور سليم ابراهيم ، اللواء علي باشا شوقي ، القطب الأعظم ، طه أفندي السيد (الضابط) ، الأستاذ نسيم فهمي ميخائيل (مدير كلية أكسفورد) ، الأستاذ عباس غالب (المدرس) ، الأستاذ نصيف ميخائيل (المحامي) ، محمد بك سعيد هيبه (مفتش عام مصلحة التلغرافات) ، الأستاذ سعيد بخيت (الخبير بالمحاكم الأهلية)

سعيد بخيت الخبير بالمحاكم الأهليه

Dr Selim Ibrahim 2 Midan El Azhar Cairo

Dr Ivfanoff 75 av. [illegible] Cairo

اللوا

٢٠/٣/١٩٣٩

ما هى الحياة وكيف ظهرت على الأرض؟

غريزة الخـــير والشر

وكيف نشأت فى الإنسان والحيوانات الاجتماعية؟

للأستاذ نصيف المنقبادي

تتبعت بإمعان المقالات الممتعة التى يتحف بها العالم الأخلاق المحقق الأستاذ محمد يوسف موسى قراء الرسالة. ولكنى رأيت فيها المفكرين والفلاسفة حيارى لا يدرون كيف يعللون قيام الأخلاق أو الغريزة الأخلاقية فى الإنسان تعليلاً صحيحاً ، وهم يتخبطون فى البحث عن مصدرها الحقيقى ، شأن كل تحقيق لا يستند إلى العلم ولا يدخل فى حسابه نواميس الطبيعة وفعل العوامل الطبيعية ولا يقوم على المشاهدة والاختبار. وقديماً كانت المذاهب التى لا تستند إليهما ، بل الفلسفة كلها (عدا الفلسفة اليونانية وفلسفة ابن رشد المأخوذة عنها) حجر عثرة فى سبيل تقدم العلم ، وهو — أى العلم — لم ينهض نهضته العظيمة الحاليـة إلا حينما تحرر من تلك المذاهب القديمة وأساليبها العقيمة البالية ووقف أمام الطبيعة يستقصى منها رأساً النواميس التى تدير الكون بأسره بما فيه كرتنا الأرضية المتواضعة ، وما عليها من ظواهر ومواد متنوعة ، منها الكائنات الحية والبشر وخواصها وتفاعلاتها وطبائعها منفردة ومجتمعة

لهذا رأيت أن أبين هنا رأى علم البيولوجيا فى الأخلاق باعتبارها ظاهرة طبيعية قائمة فى الإنسان وفى الحيوانات الاجتماعية الأخرى كالنمل وغيره

وفى الوقت نفسه سيأتى هذا البحث مكملاً لما جاء فى المقالات الأخيرة التى نشرناها على صفحات الرسالة عن وحدة الكائنات الحية (بما فيها الإنسان) والجمادات واشتقاق الأولى من الثانية وكيف أنه لا يدير الأحياء ولا يعمل فيها إلا النواميس الطبيعية ، وأن جميع ظواهر الحياة حتى التفكير والغرائز (ومنها الغريزة الأخلاقية التى سيأتى الكلام عليها) والقوى العقلية على العموم ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء أو بالأحرى الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء كما شرحنا ذلك كله بالتفصيل فى مقالاتنا الأخيرة .

الحياة الاجتماعية منشأ الغريزة الأخلاقية

كان أجدادنا البعيدون الذين تسلسلنا منهم يعيشون فرادى فى الغابات يتسلقون أشجارها ليقتاتوا ثمارها ، ثم فى المغاور والكهوف فى العصر الجليدى الذى دام نحو مائة ألف سنة ، فكان الواحد منهم عرضة لجميع أنواع المهالك كهجمات الحيوانات المفترسة لا يستطيع أن يردها بمفرده ، كما أنه كان يعجز عن القيام بالصعب من الأعمال فى سبيل الحصول على غذائه كصيد فريسة كبيرة مثلاً ، أو فى سبيل تهيئة مأوى صالح له

ولكنهم لحظوا ، مع مرور الزمن ، أنه كلما سار فريق منهم مجتمعاً سهل عليه التغلب على العدو الهاجم واستطاع القيام بالأعمال التى لا يقوى عليها الواحد منهم منفرداً

وهكذا دلتهم خبرتهم شيئاً فشيئاً مدة ألوف السنين على أن بقاءهم مجتمعين أجدى عليهم وأصلح. وهذا هو منشأ الحياة الاجتماعية وأول صورة من صورها

غير أن اجتماعاتهم هذه كانت فى بادئ الأمر قصيرة الأجل لأن الواحد كان يبطش بالآخر كلما سنحت له الفرصة ليستولى عنوة أو خلسة على إنائه أو ما يكون قد حصل عليه من فريسة أو غذاء أو مأوى أمين ، فلا تطيق الجماعة الحياة المشتركة ، ولا يلبث أفرادها حتى يتفرقوا تخلصاً من اعتداء بعضهم على بعض. وحينئذ يشعر كل منهم بضعفه وهو منفرد أمام الأخطار التى تهدد حياته فى كل حين وأمام الصعوبات التى يلاقيها فى سبيل الحصول على غذائه

وهنا تدعوهم الظروف الطارئة مرة أخرى إلى مقاومة عدو قوى أو زحزحة صخرة ضخمة ، أو مهاجمة فريسة كبيرة ، ثم يتشتتون ، ثم يجتمعون ، وهكذا . وفى كل مرة يزدادون اقتناعاً — أو بعبارة أصح — يزدادون شعوراً بفوائد الحياة الاجتماعية ومزاياها لكل واحد منهم

وأخيراً فطنوا إلى أنه لا بد لبقائهم مجتمعين من اتباع بعض قواعد كانت في أول الأمر على أبسط صورها مثل احترام حياة الغير وإنائه وملكيته . وهذا هو بدء ظهور الأخلاق بين أفراد النوع الإنساني ، وهي كما ترى وليدة المنفعة — منفعة الجماعة وبالتالي منفعة كل فرد منهم على حدة — فنفعة الجماعة أو الهيئة الاجتماعية هي أساس الأخلاق ، فهي التي دعت إليها وحملت الناس على اتباعها والتحلي بها ، لأن الحياة الاجتماعية التي اقتنع بنو الإنسان بفوائدها وجنوا ثمارها لا بدّ للمحافظة عليها من احترام حياة الغير وملكيته وغير ذلك من القواعد التي سُمِّيت بالأخلاق ، وإلا اضطر كل فرد أن يهرب من غيره فتضيع عليهم تلك المزايا ، مزايا الحياة جماعة

وعلى هذا النحو تكوّنت الجماعات القليلة العدد ثم العشائر ثم القبائل ثم الشعوب . وكلما زاد ارتباط الأفراد وعاشوا مجتمعين تقدمت الروح الاجتماعية أو روح التضامن وارتقت الأخلاق واتسعت قواعدها ورسخت أصولها في النفوس إلى أن أصبحت غريزية في الإنسان أو كادت . ذلك لأن كل صفة مكتسبة تصبح غريزة مع الاستعمال والاعتياد ومع انتقالها بالوراثة من جيل إلى جيل ومن نسل إلى نسل . وهذه هي ماهية الغريزة كما عرفها هربرت سبنسر وإدمون بريبه وغيرهما من علماء البسيكولوجيا والبيولوجيا . فإذا درّبنا مثلاً الكلاب العادية على الصيد وفعلنا هذا مع ما يتعاقب من نسلها فإن الأمر ينتهي بنا إلى أن نحصل على نسل من الكلاب يعرف بغريزته أساليب الصيد ومقتضياته بلا أي تدريب . وما كلاب الصيد المعروفة الآن بهذا الوصف إلا كلاب عادية تدرّب أجدادها على تلك الصفة إلى أن أصبحت غريزة فيها

ومن أهم العوامل التي قربت بين أفراد النوع الإنساني في بادئ الأمر ظرف طارئ طبيعي محض هو قيام العصر الجليدي الأمر الذي اضطر أفراد الإنسان أن تلجأ إلى المغاور والكهوف لتتقي البرد القارس الذي اشتد في ذلك العصر البعيد . ونظراً لأن عدد تلك الملاجئ كان محصوراً عاشت الناس فيها بطبيعة الحال جماعات جماعات . وإلى ذلك العصر يُعزى تعلم الناس تغطية أجسامهم بجلود الحيوانات الأخرى ليحموا أنفسهم من البرد الشديد . فترتب على ذلك من جهة قيامُ غريزة الحياء فيهم ، ومن جهة أخرى زوال معظم الشعر الذي كان يُغطي أجسامهم

وحين وصل النوع الإنساني إلى درجة تذكر من التفكير نشأت الأنظمة السياسية البسيطة والشرائع الأولية فزادت في تقريب الناس بعضهم من بعض ، وتوثيق عرى الروابط الاجتماعية بينهم ، ونظمت قواعد الأخلاق ورغّبت الناس فيها بما صورته لهم من العقاب لمن خالفها والثواب لمن اتبعها

ومن الأسباب التي ساعدت أيضاً على ربط الناس بعضهم ببعض التجارة والمعاملات وتبادل المحصولات والصناعات بين الأفراد والجماعات

ومن العوامل القوية في تحضير الجماعات البشرية وتمدينها ووضع حد لحالة البداوة والتنقل ، الزراعة وما تستوجبه من البقاء في الأرض لرعاية المزروعات وجني محصولاتها . ولا يفوتني أن أنوه هنا بفضل نهر النيل العظيم وفيضاناته السنوية وما يعقب كل فيضان من خصوبة في الأرض لا مثيل لها ، وأن بعض علماء الاجتماع يرى أنه هو الذي علم الناس الزراعة ، ولذلك كانت مصر منشأ المدنية وأصل الحضارة في العالم

ثم ارتقت الحياة الاجتماعية فنشأت فوق الغريزة الاجتماعية (التي بين مظاهرها القومية أو الوطنية) عاطفة جديدة في الأمم الراقية هي عاطفة الإنسانية أي حب مجموع البشر بلا تمييز بين الأجناس والملل ، كما وجدت فوق القواعد الأخلاقية الأصلية التي أصبحت غريزية أو كادت على الوجه المتقدم بيانه ، ما يسمونه بآداب السلوك وقواعد التربية وحسن المعاملة

وبالجملة فإن الأساس العلمي الصحيح للغريزة الأخلاقية أو غريزة الخير والشر إنما هو المصلحة — مصلحة المجموع قبل كل شيء — وعلى هذا يكون التعريف الطبيعي للفضيلة أنها كل ما يعود على المجتمع الإنساني بالخير ، والرذيلة كل ما يلحق به من الضرر . وفي مصلحة المجموع مصلحة كل فرد على وجهها الصحيح كما تقدم بيانه

على أن الغريزة الأخلاقية قد رسخت الآن في نفوس الأمم

المتمدينة وعلى الأخص فى شمال أوروبا ، وتجردت فى الظاهر من صفتها المصلحية أو النفعية إلى حد أن أصبحت تلك الشعوب تحب الفضيلة لذاتها وتمقت الرذيلة وتنفر منها لأنها رذيلة ليس إلا

وليس النوع الإنسانى هو النوع الاجتماعى الوحيد بين الحيوانات ، فإنه توجد أنواع أخرى أعرق منه فى الحياة الاجتماعية وأقدم مثل أنواع النمل التى تغلبت فيها الغريزة الاجتماعية وبالتالى الأخلاقية على الغريزة الفردية أو غريزة حب البقاء . فترى أفراد تلك الأنواع تقوم بأشق الأعمال مثل حفر السراديب تحت الأرض ، أو البحث عن الغذاء ، ونقله المسافات الطويلة وادخاره لمصلحة المجموع . وهى تفعل هذا فى نشاط ، وبمحض إرادتها دون أن يأخذها الكلل أو الملل ، ودون أن يكون عليها رقباء منها يدفعونها إليه . بل هى الغريزة الاجتماعية ، وما يتبعها من الغريزة الأخلاقية ، التى تحملها على ذلك . وكثيراً ما تضحى أفراد النمل بنفسها ، وتقدم حياتها عن طيب خاطر إذا ما دعت مصلحة الجماعة إلى ذلك ، وهى تتحلى بهذه الفضائل الجيدة بفطرتها الغريزية نتيجة حياتها مجتمعة مدة ملايين السنين منذ أوائل العصر الثانى من الأعصر الجيولوجية .

أما النوع الإنسانى فلم تتمكن فيه بعد الغريزة الاجتماعية والأخلاقية إلى هذا الحد ، لأنه حديث العهد بالحياة الاجتماعية حيث أنه لم يمض عليه إلا نحو مائتين وخمسين ألف سنة ، وهو على هذا الحال لأنه ظهر فى أواخر العصر الثالث .

وخلاصة القول أن الأخلاق ليست وليدة تعاليم خاصة ، ولا هى وقف على مذهب دون آخر أو طائفة دون غيرها ، وإنما هى ظاهرة طبيعية تطرأ على الحيوانات الاجتماعية مثل الإنسان والنمل نتيجة لازمة لحياة أفرادها جماعة ، وقد أصبحت غريزة متأصلة فى أنواع النمل ، وهى غريزة فى دور التكوين فى النوع الإنسانى

على أن الأخلاق سوف تتأصل فى الإنسان مع مرور الزمن الطويل ، وترتقى بارتقاء حياته الاجتماعية فيأتى يوم فى المستقبل يسود فيه التضامن التام بين الناس وتعم الروح الاجتماعية وتزول الشر من النفوس ، وتمتنع الجرائم والحروب وتنتشر الفضيلة ، ويصبح الإنسان مطبوعاً على الخير وحب المجموع بغريزته وتقفل المحاكم والسجون أبوابها .

وقد تزول الحكومات على ما يتوقع هربرت سبنسر ، وغيره من علماء الاجتماع ، ويخلص الناس من نير الأحزاب السياسية ومساوئها وغرور زعمائها وعبثهم بعقول الناس ، وتمجيد الجماهير البلهاء لهم ؛ ويكون العلم قد قهر الأمراض ، وعالج الشيخوخة ، وتغلب عليها (وما هى إلا مرض كسائر الأمراض الأخرى ، عبارة عن تسمم تدريجى نتيجة التغذية يضاعفه فعل كريات الدم البيضاء المفترسة) فتطول حياة الإنسان ، وقد يمتنع الموت وهو ليس بنتيجة لازمة للحياة بدليل الحيوانات والنباتات الخالدة ، وهى الأحياء الأولية ذات الخلية الواحدة ، مما سنشرحه فى مقال قادم . ويكون بنو الإنسان قد حلوا المشكلة الاجتماعية الكبرى الخاصة بتوزيع العمل وخيرات الطبيعة بينهم توزيعاً عادلاً ، فيعيش البشر فى سلام ونعيم دائمين ، ذلك النعيم الذى ظلوا العصور الطويلة يحلمون به ولن يحققه لهم إلا العلم

نصيف المنقبادى المحامى

دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)



دكتاتورية هتلر - للكاتب الألماني توماس مان *

قد يفاخر فاتح برختسجادن (هتلر) بأنه حمى الشعب الألماني، وأحرز فوزاً وانتصاراً عظيمين، دون أن يشهر سلاحاً أو يريق قطرة من دماء

فإذا كان هذا مبلغ فخاره، فيحق لي أن أسأل: في أي لحظة عرف أنه قد أمن عواقب عمله، وأنه نجا من حملة لا تخفى عواقبها على أحد؟ فإن الأمر كان يستدعي أن تهب فرنسا لمناصرة الأمة المحالفة لها، وهنا تقع الكارثة.

من المحتمل أن يكون قد عرف ذلك، ولكن بعد كل إنسان! فقد ظهر أخيراً أن تحذير جورنج وموسوليني له في الأيام الأخيرة من سبتمبر كان ضرورياً لمنعه من الانزلاق بأمته نحو الهاوية، فيدفعها إلى حرب لا يستطيع أن يصمد لها وهزيمة محققة، رأيا من الشفقة أن يحمياه شرها. ومما يقال على ما فيه من السخرية، إن بعض الفاشست من الإنجليز قد توسلوا إليه أن يتفضل بقبول النجاة التي تعرض عليه!

إن الحكام الانجليز لا يريدون أن يوقعوا كارثة بالفاشست ولا يودون ذلك على الإطلاق. إنهم لا يريدون الحرب، لأنهم يكرهون أن يحرزوا فوزاً تشاطرهم روسيا فيه؛ ولعلهم إلى السلام قد ظهروا أمام العالم الجزع بمظهر المخلصين المنقذين. وإلا فقد كان من المنتظر أن تحل الكارثة بإيطاليا وألمانيا في أربع وعشرين ساعة، ولكن الإنجليز هم الذين أبوا ذلك. لم يسمح لهتلر أن يحطم الفاشية. ومع ذلك فهو يزعم أنه نال كل شيء بغير عنف، وهو مهدد بالدمار لو استعمل شيئاً من ذلك

أيها المتصرون الباهون، أنتم لا شيء. إننا لا نعد أنفسنا قد انهزمنا وخرجنا من الميدان... إن العقل والروح قد اعتادا الاضطهاد في هذه الأرض منذ آلاف السنين، ولكنهما لم يهزما ويقتلا بمثل هذا الانتصار

لا تخف! إن الحق والفكر قد يخمدان لحظة قصيرة، ولكنهما قويان في أعماق نفوسنا

ومن قمم الفن الصادق تطارد الروح هذا الانتصار الكاذب. ولا يغرنك أنها في عزلة وانفراد، فهي في تحالف وألفة دائمين مع كل ما يفيد العالم الإنساني

إن الدكتاتورية تناقض نفسها بادعائها محو السيئة وتحرير الضمير الإنساني وتلقين البطولة، بينما تحط من قيمة الإنسان وتستعبده ولا تعتد بكرامته معتقدة أن هذا حظه في الحياة وليس له حظ سواه، وكل ما عداه لغو وهباء. فأي مخالفة للمنطق هذه؟

إن فهم البطولة يحتاج إلى فكر أعمق وفلسفة أدق من تلك الفلسفة التي تستند إلى القوة والتضليل، تلك الفلسفة التي تسوق وراءها الدهماء.

رقص الحياة - عن الافنتج كرونيكل

في الشعر والتصوير والنحت صورة معروفة يرمز إليها برقصة الفناء. يصورون فيها هادم اللذات، وهو يحصد نفوس البشر من كافة الأجناس

فيمثلون الموت يجذب النفوس من كل سنخ وجنس، في قسوة القاهر المستبد، وهي تدفعه عنها بكل ما رزقت من قوة، وتتشبث بالحياة في جزع ورهبة، والموت يقتادها إلى حيث يريد وهو مكتوب له النصر دائماً، فيرقص منتشياً بالفوز والظفر وهي مسوقة إلى مقرها الأخير، ومن هنا رمزوا إلى تلك الصورة « برقصة الفناء »

ولكن الكاتب المعروف « هافيلوك أليس » يخالف هذه الصورة، فيترك رقصة الفناء ويتكلم عن رقصة الحياة

(*) توماس مان في طليعة الكتاب الذين أخرجهم النازى من ديارهم وقد جرد من جنسيته الألمانية ونزعت عنه ألقابه الجامعية لمخالفته للنازى ومهاجمته القمصان الملونة. وهو من حائزى جائزة نوبل ويعيش الآن في الولايات المتحدة

فهو يقول إن الحياة فن . وكل شيء فيها وكل مخلوق يدب على أرضها فنان يصور حياته كما يصور الرسام لوحته ، أو المثال تمثاله ، ويدلل على أن التفكير فن والكتابة فن ؛ حتى الأديان والأخلاق فنون جميعها ، وأن الرقص أساس قوي في تلك الفنون ويتمثل التعبير الأسمى للحياة .

ونظرية « اليس » هذه تفتح أمامنا باباً واسعاً للتأمل والتفكير . فنحن نعرف منها كيف كان الرقص في كيان الإنسان وفي صميم كل مدنية ، وكيف يكون معبراً عن الحياة !

إن الحياة تعبر عن لحن جميل في الحقيقة ، والألحان ينبوع الرقص . ليست الحياة وحدها هي التي تعبر عن هذا اللحن بل الكون أجمع يشترك في هذا التعبير . وهذا يفسر قول الإنجيل : النجوم ترقص في الصباح . إنها بلا شك تخفق وتهتز على تلك النغمة التي تشمل الحياة

وكما كان الرقص مصوراً لحركاتنا الجسدية والنفسية ، فقد كان كذلك أول معبر عن الأديان ، وقد نشأ الرقص مع الإنسان

ويقول لفنجستون الرحالة المشهور إنه شاهد في أنحاء أفريقيا قبائل يحيي بعضهم بعضاً بقوله : أين ترقص . وذلك أن رقص الإنسان يدل على قبيلته ويميط عن أخلاقه الاجتماعية والدينية

ويقول فريزر : إن الإنسان الأول لم يكن يلهج بدينه بل كان برقصه . ويقول الكثير من علماء الشعوب : إن الأديان فيما مضى من الزمان كانت قائمة على الرقص ، وإن الإنسان الأول تعلم الرقص قبل أن يتعلم الدين »

ولعل في هذا البحث ما يبعث على التفكير في أساليب بعض رجال الطرق في مصر ، وفي غيرها من البلاد الشرقية

مدارس للاستعمار - عن لافرانس دي أوتر مير

في ألمانيا الآن مدرستان للاستعمار ، إحداهما في وتزنهوس ، ولها قسم للتعليم العملي في بترفيلد ، والأخرى في رندسبرج . فالأولى تعد رجالاً ذوي قدرة على الاستعمار والاستغلال ، والثانية تعد الزوجات الصالحات لهؤلاء الرجال .

وعلى مسيرة ساعة من المدينة يرى هؤلاء التلاميذ مكبين على أعمالهم في معزل عن العالم ، ليألفوا هذا النوع من الحياة ، التي لا تختلف عن حياة « روبنسن كروزو » ، وهم يقومون بتشييد المباني وتجديدها ، ويستخدمون في أعمالهم أبسط الآلات .

والمدرسة تقوم على تعليمهم النظريات العالية بطرق عملية بسيطة ، فإلى جانب العلوم التي يلقنونها داخل الفصول : في الزراعة والتاريخ والطب والصيدلة ونظام المكتبات ، واللغات الشرقية ، وإدارة المستعمرات يتدربون على الشئون العملية في الحياة تدريباً عجيباً ؛ فمن الصباح الباكر يستيقظون لحلب البقر وحمل لبنها إلى حيث يصنعون الجبن والزبد .

ويقوم تلاميذ هذه المدرسة بزراعة الحبوب ، ويتولون شأنها في جميع الأحوال من الحرث إلى الحصد ، ويقومون بطحنها ، وعجنها . وهم فوق ذلك يتعلمون الهندسة الكهربائية ، وهندسة الري والبناء والطرق والجسور ، وأعمال النسف والتدمير

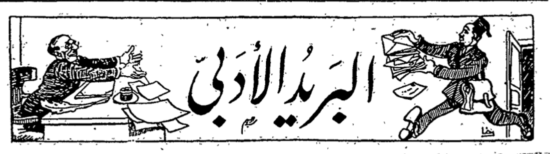
والمستعمر الألماني يتدرب على صناعة الطوب الذي يستعمله لبناء المساكن ، وعليه أن يتعلم النجارة ، وإصلاح الأخشاب وإعدادها ، وصناعة السفن وعمل السروج والحدادة على اختلافها . وأخيراً يجب عليه أن يتعلم فنون الحرب ويلم إلماماً تاماً بالتعاليم النازية . أما البنات فلا يختلف نظام تعليمهن عن هذا النظام من حيث الدقة والإحكام ، ويتفق معه من حيث الجمع بين التعليمين النظري والعملي

فهن يتعلمن لغة الزنوج ويتدربن على رعاية المرضى والأطفال ، ويتعلمن طهي الطعام على الطرق المعروفة في مختلف المستعمرات ، مما يختلف والطهي المعهود في ألمانيا كل الاختلاف

ويجب عليهن أن يتعلمن رتق الملابس ، ويتدربن على ركوب الخيل وقيادة السيارات وحمل السلاح

ويراعى في هؤلاء الزوجات أن يكن قادرات على تكوين الخلق المطلوب ، بحيث يكون لهم نصيب واف في بناء الدولة

فإذا استعادت ألمانيا مستعمراتها ، وجه إليها هذا الجيش من المستعمرين والمستعمرات فيقومون ببناء مساكنهم بأيديهم أو بمساعدة بعض الخدم ، ويحرثون الأرض ويحصدون الثمار . فإذا أتوا بنسل درج على هذه الصفات . فلا تمضي سنوات حتى يكون في تلك المستعمرات شعب ألماني قوي متين



تاريخ الآداب العربية لبروكلمن

قد سبق لي أن أخبرت قراء هذا الباب من الرسالة أن المجلد الثالث من « تكملة تاريخ الآداب العربية » للمستشرق الكبير بروكلمن قد أخذ في الظهور ؛ فوصفت الجزء الأول منه وقلت إن المجلد كله موقوف على الأدب العربي الحديث . وهذا الجزء الثاني يصلني وفيه مواصلة الحديث في الشعر المصري منذ هبوط الانجليز هذا القطر (ويقول بروكلمن : منذ احتلال الإنجليز له) ، ويجرى الحديث على حافظ ابراهيم ومصطفى صادق الرافعي وأحمد محرم والكاشف وأحمد نسيم وحسن القاياتي، وهم ممن نحوا نحو البارودي في النظم على الطريقة الاتباعية . ويجرى الحديث بعد هذا على البكري وعبد المطلب وهما من أصحاب تلك الطريقة مع بعض الإفراط . وينتقل الحديث إلى خليل مطران على أنه صاحب مذهب جديد في الأداء مع بقائه على المبنى القديم . وممن حذا حذوه أحمد زكي أبو شادي ؛ وممن يلتف حوله عبد الرحمن شكري . وقد أفاض صاحب الكتاب في تحليل شعر مطران ، ومما قاله إنه جاء بالملاحم وألف بين النظم الإفرنجي والأسلوب العربي ، وأفاض أيضاً في وصف شعر أبي شادي

ومن المراجع العربية التي عوّل عليها المؤلف أو ذكرها : « حياة حافظ » لمحمد كرد علي ، « حافظ وشوقي » لطه حسين ، « المختارات » للمنفلوطي ، « على السفود » للرافعي « ثورة الأدب » لمحمد حسين هيكل ، « الفصول » للعقاد . ومن المجلات العربية المذكورة في سياق البحث : المقتطف والهلال والرسالة ومجلة المجمع العلمي العربي ومجلة الأزهر

ب . ف

عبث الوليد

أشكر الأستاذ الجليل ابراهيم يسن القطان على مكارمه وفضله وأدبه وسعة اطلاعه . أما عن قول المعرى (عبث الوليد) فقد جاء في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة المعرى ما نصه :

« واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه (ذكرى حبيب) ، وديوان البحتري وسماه (عبث الوليد) ، وديوان المتنبي وسماه (معجز احمد) وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيهم ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن لخطئهم » فهذا التفصيل وهذه الإطالة في شرح محتويات هذه الكتب تدل على الاطلاع أو تفهم القارئ أن الكاتب واثق من قوله . فهو يقول اختصر كل ديوان من الدواوين الثلاثة ولم يقل إنه أخذ محاسن أبي تمام والمتنبي في كتابيه عنهما واكتفى بعيوب البحتري في كتابه عنه، بل قال إنه ذكر للثلاثة محاسن ومساوئ ، وذكر للثلاثة أخطاء وعيوباً ودل على ما امتاز كلٌّ به من المعاني الخ ، ومع ذلك ميَّز بينهم في عنوان كل كتاب، وهذا التميز هو الذي عنيته بنقدي. على أنه لو صح أن ابن خلكان أخطأ في شرح هذه الكتب وكان كتاب المعرى عن البحتري مقصوراً على العيوب والمساوئ ولم يقصر المعرى على مساوئ أبي تمام والمتنبي الكتابين الأخريين لكان هذا ظلماً من المعرى للبحتري ، إذ أن لأبي تمام والمتنبي مثل هذه الأشياء التي ذكرها الأستاذ الجليل القطان فلمْ نُرَجِّحْ إذاً أنه قصر الكتاب على عيوب البحتري لهذا السبب وأخذنا بوصف ابن خلكان محتويات الكتب والتميز في العنوان بالرغم من ذكر المعرى مساوئ شعر أبي تمام والمتنبي في كتابيه عنهما — وإذا لم يكن غير نسخة واحدة في مصر من كتاب عبث الوليد مأخوذة بالتصوير الشمسي فهذا سبب قلة استيفاء بحثها . ومما جعلنا نصدق قول ابن خلكان ومن قال مثل قوله علاوة على الأسباب المتقدمة أننا لم نستكثر على المعرى ألا يقدر صنعة البحتري قدره حكمة المتنبي في شعره الذي سماه

معجز احمد. ومما يدل على ذلك أيضاً أنه لم يمدح شيخ البيان أباتمام كثيراً في عنوان كتابه إذ جعله ذكرى، والذكرى لا تقارن بالمعجزة. وقد سُمع عن المعرى انتقاص للشعراء الذين يهتمون كل الاهتمام للصناعة والأساليب الخطابي، فقد روى أنه قال عن شعر محمد بن هانى الأندلسى: (إن شعره كطاحونة تطحن قروناً لإحداث قعقعة) وابن هانئ الأندلسى له شعر يقارب طريقة أبي تمام ومسلم بن الوليد التي احتذاها البحترى أيضاً ولم نستبعد أن يكون صاحب اللزوميات التي ملأها تفكيراً في معضلات الحياة قد صنع ما نسبه إليه ابن خلكان وغيره من مؤلفي السِّير وقدَّم التفكير على الصنعة في الشعر وجعل الصنعة عبثاً إذا قورنت بالحكمة وإن لم تكن عبثاً إذا لم تقارنها. ومما ينبغى أن نلاحظه أنه كان في نفس المعرى كما كان في نفس تولستوى الأديب الرومي صراع عنيف بين نشدان جمال الصنعة في الآداب والفنون وبين البحث عن الحقيقة الروحانية، وهذا الصراع قد يفسر اختلاف قوله في البحترى. وبعد كل ذلك نرجو الأستاذ القطان أن يرجع مرة ثانية إلى هذه النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى ليرى هل هى كاملة، وهل هي مقصورة على عيوب البحترى، فإذا كانت كاملة (لا ناقصة كما في بعض الكتب النادرة) وإذا كانت مع تمامها مقصورة على عيوب البحترى كان ابن خلكان مخطئاً في وصفه لمحتويات الكتاب، وكان المعرى ظالماً إذ اختص البحترى في كتابه عنه بالعيوب ولم يختص أبا تمام والتنبى، وهذا أمر مستبعد ولكنه لو صح لكان حجة لنا أيضاً.

عبد الرحمن شكرى

حول مقال المبتدأ الذى لا خبر له

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى جولات فى ميادين العلم والأدب خرج فى بعضها ظافراً أيما ظفر ...

وفى العدد الماضى من الرسالة إحدى جولات الأستاذ فى علم النحو أساجله فيها والله أعلم أيّنا يكون له الظفر؟

درس الأستاذ علم النحو فى هذا العام ودرج فيه - كما يقول - على عادته من إيثار تمحيص المسائل على ترديدها كما دوّنها المؤلفون. أى كما يفعل كثير من الناس! ونحن نحمد للأستاذ طريقته هذه لأننا نعتقد أنها الطريقة المثلى التى يعم نفعها وتجنى ثمرتها، ونأمل أن ينتهجها كل من يتصدى لدراسة المسائل العلمية.

وكان مما محّصه الأستاذ من مسائل النحو وخرج منه بنتيجة مسألة « المبتدأ الذى لا خبر له » وهو الوصف الذى له مرفوع يغنى عن الخبر فى مثل قول ابن مالك: أسارٍ ذانِ.

ومجمل بحث الأستاذ فى هذه المسألة أمران خرج منهما إلى نتيجة، ووضع قاعدة جديدة فى علم النحو.

الأمر الأول: مؤاخذة النحاة فى إعرابهم الوصف فى مثل هذا الموضع مبتدأ (لأن المبتدأ - فى الجملة الاسمية - هو المحكوم عليه، والوصف هنا فى مقام الفعل فليس محكوماً عليه وإنما هو محكوم به.) هذا تعليل الشيخ؛ وإن كنت لم أفهم معنى لتقييد المبتدأ بكونه — فى الجملة الاسمية —

فهو يرى أن المبتدأ لا يكون إلا محكوماً عليه والذى نعرفه من كلام النحاة فى تعريفهم للمبتدأ أنه يكون محكوماً عليه فى مثل: العلم نافع، ويكون غير محكوم عليه فى مثل ما نحن بصدده. وهذا هو تعريفهم للمبتدأ:

« المبتدأ هو الاسم العارى عن العوامل اللفظية: مخبراً عنه أو وصفاً رافعاً لمكتفى به »

والمعنى الذى أدركه الشيخ فى المثال (وهو أن الوصف قائم مقام الفعل فهو مسند لا مسند إليه ومحكوم به لا محكوم عليه) هذا المعنى الذى يبدو أن الشيخ قد انفرد به لم يهمله النحاة فقد قالوا فى شرح التعريف المتقدم ما خلاصته:

ليس معنى اكتفاء الوصف بالمرفوع عن الخبر أنه ذو خبر أغنى المرفوع عنه لأن الوصف هنا لا خبر له أصلاً لقيامه مقام الفعل والفعل لا خبر له

الأمر الثانى: قاعدة وضعها الأستاذ وهى أنه كلما كان هناك مبتدأ كان هناك خبر. ومن الواضح أن هذه القاعدة لم تنشأ إلا من حصر المبتدأ فى المحكوم عليه كما فعل الشيخ. وبالنظر فى التعريف المتقدم يعرف أن الصواب أن تكون القاعدة هكذا: كلما كان هناك مبتدأ كان هناك خبر أو فاعل يغنى عن الخبر. ومعنى أنه مبتدأ فى هذه الحالة أنه اسم مجرد من العوامل اللفظية:

الأمر الذى استبعده الأستاذ بحجة أنه لا نظير له لأن النحاة لم يسموا الشيء فاعلاً إلا إذا كان فاعلاً فى المعنى ، وهكذا

ونحن نقول له إن هذا مسلم . وهم كذلك لا يسمون الاسم مبتدأ إلا إذا كان مبتدأ فى المعنى أى إلا إذا كان اسماً مجرداً من العوامل اللفظية وهو إما مخبر عنه أو وصف رافع لما يغني عن الخبر وإنما يكون معدوم النظير إذا انحصر معنى المبتدأ فيما قال الشيخ

والنتيجة التى وصل إليها الأستاذ من تمحيصه لهذه المسألة أن مثل هذا الوصف لا يسمى مبتدأ ، بل يسميه الشيخ اسم فاعل أو اسم مفعول لتجرده من العوامل اللفظية . كما استثنوا اسم الفعل مع تجرده من هذه العوامل فلم يسموه مبتدأ . والمعروف أن اسم الفعل إنما استثنى مع تجرده من العوامل لأنه ليس واحداً من النوعين اللذين يكون منهما المبتدأ ، لأنه قائم مقام لفظ الفعل على الصحيح ؛ وأما على الرأى القائل بأنه قائم مقام معنى الفعل فهو مبتدأ مستغن بمرفوعه عن الخبر كاسم الفاعل فى مسألتنا

وبعد ، فهذا ما أردت أن أعقب به على كلام الشيخ وأرجو أن أكون قد وفقت فيه كما أرجو أن يتقبله الأستاذ بما يجب أن يكون عليه من يتصدى لتمحيص المسائل العلمية بغية الوصول إلى حقائقها .

والسلام على الأستاذ ورحمة الله

أبو حجاج
مدرس نحو

مشروع جديد لتنظيم مجمع فؤاد الأول للغة العربية

يعتزم صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف فى هذه الأيام تنفيذ مشروع جديد لتنظيم أعمال مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وكان معاليه قد سبق أن أدلى بكثير من آرائه فى تنظيم مهمة المجمع فى مقالات نشرها فى جريدة السياسية قبل أن يصبح وزيراً للمعارف . وقد رأى معاليه أن الوقت حان لتحقيق آماله فى هذا الإصلاح والتنظيم ، فأعاد مراجعة مقالاته السابقة كما ضم إليها كثيراً مما كتبه كبار الكتاب فى الصحف والمجلات فى هذا المعنى ، ووضع بعد دراسته لمختلف هذه الآراء النواة التى يرى أن يبنى عليها المشروع الجديد

ولكى نعرف ماهية الإصلاح المراد تهيئة أسبابه لهذه المؤسسة نقول إن عمل المجمع اتجه من إنشائه حتى اليوم إلى وضع معجم عام للغة ، ومعجم تاريخى لها ، ومصطلحات للعلوم والفنون ، ودراسة اللهجات القديمة والحديثة . والمشروع الجديد يتجه بالمجمع إلى ما يأتى :

أولاً : أن يواصل المجمع عمله فى وضع معجم اللغة ومعجمها التاريخى .

ثانياً : أن يترك وضع المصطلحات العلمية والفنية وغيرها إلى الهيئات والجماعات المختصة بها ، على أن يسجل منها فى معاجمه ما يستقر فى التداول منها ، وما تقره اللغة

ثالثاً : أن تترك دراسة اللهجات الحديثة للجامعة ، ويكتفى المجمع بدراسة اللهجات القديمة

رابعاً : أن يقوم المجمع بعمل إيجابى فى إحياء اللغة وذلك بتشجيع الإنتاج الفكرى الحديث ، وإقامة مسابقات أدبية ، وتقرير مكافآت للمنتجين ، مقتفياً فى ذلك أثر « المجمع الفرنسى »

هذا وينتظر أن تصدر وزارة المعارف قريباً قراراً بتأليف لجنة برياسة الوزير لوضع مشروع القانون بإعادة تنظيم المجتمع

ذكرى السير إقبال

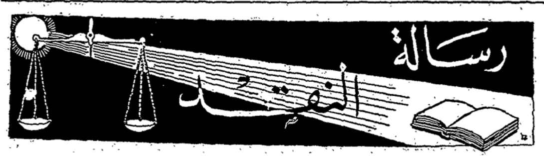
حفلت «قبة النورى» مساء الخميس الماضى بجمهرة من أبناء الأمم الإسلامية الذين تربط بينهم جماعة «الإخوة الإسلامية» ليحتفلوا بالذكرى السنوية لوفاة الشاعر الهندى الفيلسوف الإسلامى المرحوم السير محمد إقبال

وقد استهل الاحتفال بتلاوة آى من الذكر الحكيم ثم استمع المحتفلون إلى طائفة من الشباب ينشدون « نشيد إقبال » ثم ألقى الأستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة ممتعة تناول فيها بالتحليل مذهب الشاعر الهندى فى الفلسفة والتصوف ونظرته إلى الإسلام . ثم أعقبه السيد محمد حسن الأعظمى سكرتير الجماعة فألقى كلمة مستفيضة عن منزلة الشاعر إقبال بين شعراء الهند . وأعقبه الأستاذ أبو الحسنات البقالى فتحدث عن الشعر الغزلى الذى أنتجه السير إقبال ، ثم ألقى الأستاذ محمود جبر مرثية تناول بعدها الأديب الصينى الأستاذ بدر الدين إيوان الشاعر إقبال فأمتع وأبدع

وقد انصرف المحتفلون وهم يعرفون — من هذه الكلمات الشائقة — كثيراً من روائع الشاعر الهندى وآثاره الخالدات .

أبو تمام – الأستاذ عبد الرحمن شكرى

جاءتنا كلمة بهذا العنوان من الأستاذ الجليل (القارئ) بعد طبع هذا العدد فاضطررنا إلى إرجائها إلى العدد القادم



٤ – في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

في صفحة ٦٨ وردت في كلام الجاحظ حكمة أكثم بن صيفي وهي: المرء يعجز لا محالة. فعلق عليها الشارحان بقولهما: «أي لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز، والمحالة: الحيلة. ويروى المحالة كما في اللسان. ا. هـ»

ولهذه الحكمة كلام طويل عريض تناولناه في مثل هذه الأيام من العام الماضي في صحيفة البلاغ الغراء، وكنا نود أن يرجع الشارحان يوم ذاك إلى كلامنا في تحرير هذه الحكمة حتى لا يقعا فيما وقع فيه غيرهما من الإيمان بكل ما يقول السابقون من غير إجراء حكم العقل عليه.

نرى أن هذا الشرح الذي شرحه الميداني ونقله الشارحان خطأ ظاهر. لأننا إذا نظرنا إلى العبارة من وجهتها التركيبية رأينا أن هذا الشرح يستلزم أن تكون العبارة هكذا: (المرء يعجز لا محالة). ويكون المعنى كما شرح الميداني إن المرء هو الذي يعجز لا الحيلة.

وإذا نظرنا إلى المقام الذي وردت فيه العبارة رأينا أن أكثم كان ينصح لقومه فيقول لهم:

« أقلوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة. يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين. ورب عجلة تهب ريثاً ». فالرجل يثبط قومه عن القتال وينهه من نزعاتهم الجامحة إليه. فهو يقول لهم: إن العجز من شأن الإنسان، وأنه لا حيلة له في توقيه.

فنرى أن الأسلوب من ناحية والمقام الذي وردت فيه الحكمة من ناحية أخرى يوجبان أن يكون المعنى غير ما ورد في الميداني، وأورده الشارحان الفاضلان من غير مناقشة للرجل في رأيه مع أنه إنسان يخطئ ويصيب، فكيف بهما إذا علما أنه كان ناقلاً للمعنى عن آخر سبقه بالخطأ.

ذلك أن الميداني من أهل القرن السادس الهجري، وقد سبقه أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في كتابه جمهرة أمثال العرب، فروى المثل هكذا: (المرء يعجز لا المحالة)، وقال في شرحه: إن المرء يعجز عن طلب الحاجة فيتركها، ولو استمر على طلبها والاحتيال لها لأدركها. فإن الحيلة واسعة فهي ممكنة غير معجزة. ثم روى أبياتاً جعلها في مقام الاستشهاد على معناه الذي رآه، وهي قول الشاعر:

حاولت حين هجرتني والمرء يعجز لا المحالة
والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعالة

والذي نقوله إن الشعر لا يسعف العسكري بمراده لأن الشاعر يقول: إني حاولت يوم هجرتني أيتها المحبوبة أن أقنعك بالرضا وأن أردك إلى عادة الوفاء لي فلم أفلح، والمرء لا بد عاجز، فهو ضعيف يلعب به الدهر ما شاء، ويغير عليه من إرادته ما شاء. فإذا ما حاول أن يظفر بالدهر ويتغلب عليه راغ منه، وفر كما يروغ الثعلب ويفر من قانصه. فهل يرى القارئ الكريم في الشعر رائحة للتنديد بضعف الإنسان وقعوده عن المحاولة؟ أليس الشعر ناطقاً بأن المحاولة لم تجد صاحبها شيئاً، وأن العجز من شيمة المرء؟ فبان إذاً أن هذا الشعر الذي يستظهر به العسكري على معناه لا يسعفه بمراده. بل إنه يرد عليه زعمه، ويبالغ في تخطئته.

وقد نرى للعسكري مندوحة فيما قال. ذلك أنه لم ينسب الكلمة إلى أكثم، فلعل غيره قالها على هذا الوجه، كما أن شرحه مساوق للفظ الذي أورده (بتعريف المحالة) وكل خطئه إنما كان في دعواه أن الشعر يتمشى مع شرحه الذي رآه. فإذا بالشعر ينطق بغير ما يريد.

وليس في الشعر ما يساعده على رواية المحالة (بالتعريف) لأننا نستطيع حذف أداة التعريف من الكلمة ولا ينكسر الوزن

والخطأ ظاهر في صنيع الميداني لأنه لفق بين نص وشرح وارد لغير هذا النص .

وهنا الخطأ أظهر في صنيع الشارحين لأنهما نقلا كلام الميداني من غير تمحيص ، واستمرا بنقل صاحب اللسان ، وصاحب اللسان لم يخطئ في مهمته وهي النقل إذ لم يزد على قوله : ويروى لا المحالة . فهو لم يتعرض لتمحيص الرواية ، وليس ذلك من شأنه . ولكنه شأن الشارحين وهما لم يفعلا من ذلك قليلاً ولا كثيراً .

في ص ٧٥ : حكى الجاحظ أنه عاد يوماً في وقت القيلولة ، والشمس حامية شديدة الوقع على الرأس . ثم قال : أيقنت بالبرسام فيعلق الشارحان بقولهما نقلاً عن القاموس وشرحه : البرسام علة يهذى فيها ، وهو ورم حار يعرض للحجاب الذي بين الكبد والأمعاء ، وهو يتصل بالدماغ . ثم يقولان : ولكنا نظن أن المراد هنا هو الرعن كما هو ظاهر من سياق الكلام . فني القاموس رعنته الشمس : آلمت دماغه فاسترخى لذلك وغشى عليه .

وأمر الشارحين عجيب جداً في هذا المقام ، لأن الذي منعاه ليس بممتنع ، إذ البرسام كما نقلا علة تتصل بالدماغ . أليس اتصاله بالدماغ كافياً لافتراض نشوئه عن تعرض الدماغ للشمس ؟ ثم كيف ينيران على القائل قوله ويوجبان عليه أن يقول ما يريدان ؟ أليس القائل هو الجاحظ الذي يعرف اللغة ومدلولات ألفاظها ، ويعرف طب زمانه وحدود علله وأسبابها ؟ فكيف استساغا أن يقولا له : كان يجب عليك أن تقول فأيقنت بالرعن في موضع فأيقنت بالبرسام ؟ !

هذا والله أعجب ما رأينا من شأن الشارحين . فهما لم يكتفيا بأن يفرضا علينا آراءهما ويوجباها على طلاب المدارس ومدرسيها بعد أن دمغاها بالصبغة الرسمية التي حصلا عليها لشرحهما ، حتى أرادا أن تمتد سلطتهما على الجاحظ وزمنه .

لو أراد الشارحان أن ينيرا على الجاحظ رأيه في معاني الألفاظ وبينا أنه أخطأ المراد من لفظ البرسام لوجب عليهما أن يعودا إلى كتب الطب القديم ليستشيراها في معناه ، فإذا وجداه بعيداً عن المقام الذي يتكلم فيه الجاحظ فعند ذلك يقولان له أخطأت المراد وكان الواجب عليك أن تستعمل كلمة الرعن ، ولكنهما لم يفعلا شيئاً من ذلك ، وكل ما في الأمر أنهما عرفا معنى الرعن فشاءت لهما سلطتهما اللغوية التي عداها على طلاب المدارس ومدرسيها ، أن ينيرا على الجاحظ رأيه كأنما هما مفتشان أولان على الجاحظ أيضاً

في ص ٨٤ ورد ما يأتي :

« وقال لي هذا الرجل : أ كنا عنده يوماً وأبوه حاضر وبُني له يجي ويذهب فاختلف مراراً ، كل ذلك برانا نا كل » .

وقد ضبط الشارحان كلمة كل في عبارة « كل ذلك برانا نا كل » بالضم وعلقا على العبارة بما يأتي : « أي كل ذلك حاصل والصبي برانا نا كل . ويظهر لنا أن العبارة كانت هكذا : كل ذلك وهو برانا نا كل . فسقط من النسخ (وهو) » اهـ

ونقول إن التعسف في التقدير ظاهر جداً وما جر على الشارحين كل هذا إلا ضبطهما لكلمة « كل » بالضم . ولو أنهما أتيا الأمر من أيسر طرقه لضبطا الكلمة بالفتح فتعرب ظرف زمان لأن لفظ ذلك إشارة إلى الزمن المنقضي في المجئ والذهاب والاختلاف مراراً . والقاعدة التي يعرفها حضرتا المفتشين في كتاب (قواعد اللغة العربية) وغيره أن لفظي كل وبعض إذا أضيفا إلى الزمان أعربا اسمي زمان

في الصفحة عينها يقول الشارحان في السطر الذي قبل الأخير « المذار (بفتحتين) » . وما هكذا يفعل أهل اللغة لأن هذا الضبط لا يمنع أن تكون الذال مشددة مع الفتح ، فيكون ذلك خطأ في ضبط الكلمة . وإنما الذي يقال هو ما ذكره صاحب القاموس وهو قوله : المذار كسحاب

في ص ٨٧ في نصيحة خالد بن يزيد لابنه : « وقد دفعت إليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة ثم إن لم يكن لك معين من نفسك ما انتفعت بشيء من ذلك بل يعود ذلك النهي كله إغراء لك ، وذلك المنع تهجيناً لطاعتك »

فيعلق الشارحان على عبارة « وذلك المنع تهجيناً لطاعتك » بقولهما : يعني أنك لو أطعت في حال انصراف نفسك كان ذلك قبيحاً بطاعتك ، لأنها تكون إذاً مغتصبة وغير صريحة .

لا ، لا أيها الشارحان . إنما المراد : إنك تقف من نهي لك موقف الذي لا ينتهي عما نهاه عنه أبوه ، وتكون تلك سبة لك بأنك لم تطع والدك ، وهذا يشين خلق الطاعة فيك ، لأن أولى الطاعة طاعة الآباء

وإن كان من العجب أن يكون هذا رأي الشارحين في عبارة الكتاب ، فأعجب منه أن يكونا قد شرحا ما قبلها شرحاً لائقاً بالمقام فجمعا بذلك بين متناقضين في سياق واحد

فقد قالا في شرح العبارة التي قبلها : « يعني أن نفسك إذا لم تقبل على ما وجهتك إليه صار النهي لها بمنزلة الإغراء والحض على ارتكاب النهي عنه »

وهذا منهما حسن يوافق ما أراده القائل للعبارة ، فالعجب العاجب أن يعطفا على الجملة وهذا معناها في نفسهما جملة أخرى مناقضة لها على حسب ما شرحا ، إذ الأولى أثبتت أنه عصى أباه

فى نصحه ، والثانية أرادا منها أنه أطاعه ولكن بالكره لا بالرضا . فجمعا فى كلامهما بين العمل والترك أو بين الضد والضد ، فهل شرح كل واحد منهما جملة ثم ضما عملهما وصفا حروفهما من غير أن يستشير أحدهما الآخر فيا رأى ؟ هـذا هو الأشبه بعملهما .

وفى الصفحة عينها يقول الوالد لولده : « وقد بلغت فى البر منقطع التراب، وفى البحر أقصى مبلغ السفن، فلا عليك ألا ترى ذا القرنين »

ويعلق الشارحان على هذه العبارة بقولهما : ويشير بقوله : ألا ترى ذا القرنين ، إلى قصة ذى القرنين المذكورة فى القرآن الكريم ، يعنى أنا كاف عنه

ولم أر إدماجاً فى شرح مثل الذى أراه فى عمل الشارحين. إنهما لم يكلفا أنفسهما الاطلاع على قصة ذى القرنين واستخلاص المراد من الإشارة التى يقولان عنها . ولذلك أوردا كلامهما بهذا العموم

والذى أفهمه من كلام الأب لابنه أنه يقول له : إنى مجرب عرفتما فى الدنيا وجبت عامرها براً وبحراً فاستفدت تجارب كثيرة وزودتك بخلاصتها . فإذا عملت بهـا كنت كأنك شاهدت ما شاهدت ، وجربت ما جربت ، وإنى فى تطوافى بالأرض وجوبى لأقطارها بمنزلة ذى القرنين الذى بلغ مطلع الشمس ، فإذا فاتك أن تكون رأيت ذا القرنين فقد رأيت نظيره وهو أبوك

فى ص ٨٨ ما يأتى :

« دع عنك مذاهب ابن شرية فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر »

وقد علق الشارحان على « ابن شرية » بقولهما : لم نقف لهذا الرجل على خبر فى كتبنا ، ولم نفهم ما يقصد من مذاهبه ؛ وفى نسخة شرية اهـ

وبهذه المناسبة نقول إن الشارحين قد أعلنا عجزهما عن معرفة كثير من الأعلام التى وردت فى الكتاب ، ونحن نعذرهما فى كثير من ذلك لأن الجاحظ يتكلم عن خلطائه ، وليس كل هؤلاء قد رزقوا الشهرة حتى تدون أسماؤهم فى كتب الطبقات ، فهما فى بعض ذلك بمنجاة من اللوم ؛ ولكن ليس ينبغى أن يسرى هذا العجز إلى هذا العلم المشهور وهو « عبيد بن شرية » فهو رجل معاصر لمعاوية بن أبى سفيان وكان عالماً بالأخبار، وكان معاوية يستمع منه قصص الماضين وتدابير الملوك لينتفع بهـا فى ملكه . وقد ورد اسمه فى كتب كثيرة نذكر منها الآن من غير استقصاء : معجم الأدباء لياقوت ، وفهرست ابن النديم ، ومقدمة ابن خلدون وفى الحديث كتاب فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين

فقول الشارحين أنهما لم يقفا له على خبر لا يعفيهما من اللوم. ثم إن عدم وجوده فى كتبهما لا يكفى لنفى وجوده فى كتب غيرها؛ فلو أنهما اعتصما بالصبر فى البحث لوجدا على حبل الذراع تراجم كثيرة لهذا الأنبارى النابه الشأن . (للكلام بقايا) محمود مصطفى



مدير الفرقة القومية وسكرتيره وحكاية الأب لويس شيخو

لقيني أحد ممثلي الفرقة فقال وهو يبتسم ابتسامة تحمل الكثير من معاني الفرح والشماتة والانتقام، ويشير إلى مجلة مطوية في يده: ها هو ذا العدد الأخير من «الرسالة» أحمله إلى حضرة المدير. قلت: ما الداعي إلى اللهفة والمسألة بسيطة عادية؟ فأجاب: حقاً إن المسألة عادية ولكنها غير بسيطة في نظر المدير وسكرتيره المبجل كما أسميته أنت. قلت: أوضح، فقال:

اعتاد هذا السكرتير تقطيع مجلة الرسالة إرباً حتى لا يطلع حضرة المدير على ما ينشر فيها

قلت: ألا يطلع مديركم على كل ما تكتبه الصحافة في الفرقة؟

فقال: أحسب أن وفرة مشاغله المتنوعة لا تمكنه من ذلك، ولكن سكرتير الفرقة يطلعه من وقت إلى آخر على خلاصة بعض ما ينشر في الصحف

دعوت لهذا الممثل ولفرقته بالنجاح وانصرفت!

ولمناسبة هذا الحديث البسيط أروى القصة التالية:

ألف المرحوم الأب لويس شيخو الأديب العالم اليسوعي كتاباً أسماه «شعراء النصرانية» وطاب له لسبب من أسباب مهنته حشر طائفة من شعراء جاهليين وغير جاهليين قال إنهم نصارى؛ فانبرى له المرحوم الشيخ محمد الخياط أو خليل الخياط يفند مزاعمه ويعيد الفروع إلى أصولها ويصحح أغلاطاً عروضية ولغوية في الكتاب، ولم يأبه لصحيفة البشير لسان حال الجزويت التي لم تكن تتغاضى عن هنة ولو بسيطة تمس النصارى من قريب أو بعيد

ترقب الناس وقوع الواقعة بين البشير النصرانية وبين صحف المسلمين، وتوجس عقلاء الطائفتين من تطورات الحملة الأدبية وانقلابها إلى ضدها.

مضى الشيخ الأديب في نقده لا يصده عنه صاد، وهو يعلم أن للآباء اليسوعيين سلطة نافذة وطرائق ذات شعاب أخطبوطية فتاكة ولكنه لم يأبه لها لأنه كان ينافح عن حق لوجه الحق

صدرت جريدة البشير وتلتها مجلة المشرق في الصدور خاليتين من كلمة واحدة في الرد على الشيخ الناقد

شدد الناقد الحملة وزاد العيار... وأخيراً ذهب يدفع باب الجزويت يستطلع سر سكوتهم وكنه استلانتهم وهم الجبابرة الأشداء

رحب الآباء اليسوعيون بالزائر الناقد خير ترحاب، وأكرموه الإكرام اللائق بعلمه وأدبه، وأطلعوه على سرهم فقالوا إنهم ألفوا لجنة برئاسة الأب لويس معلوف لدراسة نقده وتصحيح أخطاء وقع فيها كبيرهم الأب شيخو، ولم يدعوا الشيخ ينصرف إلا بعد الاتفاق معهم على مواصلة حملته الصارمة عليهم لإظهار الأغلاط التاريخية والعروضية واللغوية في كتابهم

أرجو ألا تنسى أن كتاب شعراء النصرانية محدود الغرض يطالعه الخاصة من الأدباء في حين أن الفرقة القومية أوسع مدى وأفسح أفقاً من الكتاب وأنفذ إلى مشاعر الشعب وأحاسيسه وخلائقه منه، وأن للفرقة القومية رسالة فرضتها وزارة المعارف حين إنشائها قالت: «إن غايتها رفع مستوى التأليف والتعريب المسرحي وترقية الإخراج وترقية الموسيقى المسرحية والغناء المسرحي بحيث تكون صالحة للتمثيل العربي والأجنبي، وإعداد الممثلين والمخرجين إعداداً فنياً صحيحاً» فأين الفرق بين جماعة ألفوا لجنة من خيرة علمائهم لتصحيح أغلاط في كتاب، من سكوت الفرقة القومية عن كل ما يقال فيها؟

دع عنك العمل الصبياني الصادر من سكرتير الفرقة لأنه غير مستغرب وقوعه منه، فجهل النعامة التي تطمر رأسها في الرمال كيلا ترى الصياد يماثل تقطيع مجلة (الرسالة) لكيلا يقرأها مدير الفرقة

دع عنك أيضاً أن وزير المعارف ووكيله وآلافاً من الناس يقرأون الرسالة، فتقطيع عدد أو مائة عدد لا يصد الناس عن قراءة عيوب الفرقة وعلل إدارتها

حدثني صديق قال : إن مدير الفرقة يعزو حملة الرسالة على الفرقة بسبب قبض يده عن إمدادها بالإعلانات ، ولكنه دهش وتعجب حين قال له صديقي : إن الأساتذة تيمور ، وطليمات ، والحكيم ، ورمزي ، وناجي ، ورستم ، وفارس ، أجمعت أقلامهم على طلب إصلاح الفرقة ، وقد عددوا وسائل الإصلاح وأبانوا مواطن الضعف ، وقد فعلوا ذلك لا طمعاً في أجر ولا رغبة في انتقام . فأجاب : إنه لم يطلع على ما كتبه هؤلاء الأساتذة !!

***

نعود إلى موضوع أحاديث الأدباء فنجمل أجوبة الأستاذ بشر فارس، وقد سألناه : هل المسرح في تقدم؟ وهل الروايات المترجمة أنفع لنا أم المؤلفة ؟ وهل في المباراة ما يحفز المؤلف على التأليف ؟ فأجاب :

« إن المسرح عندنا لا يزال في جانب النشأة ، حتى جانب التكوين لم يبلغه ، فكيف لنا أن نتكلم عن تقدمه أو تأخره ؟ إنه يحق لنا أن نلقي مثل هذا السؤال : هل المسرح عندنا متجه في نشأته اتجاهاً مرضياً ؟ والجواب قريب ذلك أنه لا بد للمسرح أيام قيامه من عناصر معروفة ، منها المسرحيات المؤلفة والممثلون والممثلات والنظارة والمخرجون والناقدون . فإذا نظرنا إلى ما بين أيدينا في مصر وجدنا المسرحيات المؤلفة (ما عدا واحدة أو اثنتين « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم مثلاً) بعيدة عن طرائف الفن الخالص ، بل مجراة على أسلوب طفلي ، لأن المقدمين على التأليف المسرحي يجهلون مبادئ هذا الفن ويظنون أن اللغو والخطابة والنواح والتعريض والوعظ غاية الغايات . وإن كان لدينا ممثلون لهم دراية ، قلت أو كثرت ، بفن التمثيل فإن ممثلاتنا إلا أقلهن إنما يرين أن التمثيل إلقاء وهياج لقلة ثقافتهن وعجزهن عن الاتحاد بالنص . وأما النظارة فقد تعودوا مشاهدة لونين من المسرحيات : المهزلة التهريجية ، والمأساة المفرطة ، وكلتاهما من النوع الأسفل ، كما أنهم تعودوا الإخراج الواقعي ، فمن المتعذر عليهم أن يميلوا إلى المسرحيات الضاربة إلى التفكير أو الشعر أو الاختلاج الباطني أو إلى الإخراج الإيهامي . ثم إن للفرقة مخرجاً أجنبياً وكان لها فيما قبل مخرج مصري حاذق هو الأستاذ زكي طليمات ، ولكن الإخراج مرتبط بالمسرحية نفسها وبالممثلين وبالنظارة . وأما النقاد فلا أكاد أرى اثنين يحق لهم أن يعالجوا الكتابة في المسرح »

وقال رداً على السؤال الثاني : « الترجمة أولاً حتى يتهذب النظارة ويظفر المؤلفون بأمثلة يحتذونها بل يلتفتون إليها ، والتأليف لمن يصيب من نفسه قدرة على وضع مسرحية تمتاز بالطرافة والقوة والاتساق والفكرة الناهضة »

« أما الترجمة فالذي أراه أن الفرقة القومية ينبغي لها أن ترغب إلى الكتاب الذين يجيدون اللغات الأجنبية إلى جانب العربية أن ينقلوا المسرحيات النفيسة إلى لغتنا ؛ وأما التأليف فلا مباراة ولا رغبة إلى أحد من الناس ، وإنما المؤلفون الحقيقيون — أعني المنجذبين إلى التأليف المسرحي من ذات أنفسهم لا الطامعين في جائزة — ينشرون ما يؤلفون ، وللفرقة القومية أن تقبل عليه إذا رأت له شأناً »

وللدكتور فارس رأي طريف في النقد والناقد أوجل نشره لفرصة مواتية لاتصاله برأي طريف أيضاً من نوعه قاله عالم غير سربوني

ابن عساكر

7me Année No. 304

Lundi - 1 - 5 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق أول مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

على ذكر خطبة هتلر فى يوم الجمعة الماضى

هـــذا رجل !...

نعم هـذا رجل ! ولا يستطيع أن ينكر عليه هذه الصفة فى الدنيا صديق ولا عدو ولا محايد. هذا رجل كما نعتقد، لا رسول كما يدعى[1]؛ لأن الرجل لأمته والرسول للناس. وحسب الفوهرر أن يكون رجلاً، فإن الله تعالت حكمته لا يخلق الرجل إلا كل قرن. والأمم تنتظر فى امحلالها الرجل، كما تنتظر الخليقة فى ضلالها الرسول .

منذ أسبوعين انتظر العالم كله ماذا يقول هتلر ليبنى على قوله ما يفعل ، ويرتب على حكمه ما يرى . وفى خلال هذه الفترة القصيرة الطويلة أوشك نبض الحياة العادية أن يقف انتظاراً للاعى أن يكون مصير هذا الكوكب . فلما وقف المستشار على منصة الريخستاغ أصاخ لأمواج الأثير كل سمع فى الوجود العاقل . وأعلن الدكتاتور رأيه الصريح بالمنطق الموهوب والبلاغة القوية ، فملأ صوته الدنيا، وشغل قوله الناس . وقديماً قيلت هذه الكلمة فى المتنبي ؛ ولكن دنيا أبى الطيب كانت بمملكة الإسلام ؛

(١) يقول هتلر فى خطابه : « لو لم أرعد شعبى الألمانى فى النمسا إلى جامعة الشعب الألمانية الكبرى لابتعدت عن الرسالة التى تلقيتها من العناية الالهية »

وناسه كانوا أمة العرب . أما هتلر فهو أول رجل في تاريخ الخليقة سمع خطابه أو ترجمته في يوم واحد كل دولة في الأرض ، وكل مدينة في دولة ، وكل بيت في مدينة ، وكل راشد في بيت . ذلك لأن هذا الرجل العجيب استطاع في ست سنين ونصف أن يبني من الحديد والنار والسم والثأر والعزة والعصبية دولة كانت بعد صلح فرساي تتوارى من الخجل ، وتتفانى من الجوع ، وتتهالك من الدين ، وتضع أيديها على هيكلها فلا تجد إلا شلوا تبددت أعضاؤه في كل وجه ؛ فأصبحت بما نفخ فيها من روح الكفاح ، ووضع في أيديها من قوة السلاح ، تملك على الدول الحياة والموت ، وتقضي على الأمم بالسلام أو الحرب . كل ذلك فعله كما قال من غير ثورة ولا حرب ، فكان حريا أن يتبجح في آخر خطابه التاريخي بقوله : « ألست بعد هذا حقيقا بأن أطلب إلى التاريخ أن يعدني في الذين حققوا أعظم ما يسمح الإنصاف بطلبه من رجل ؟ »

***

في كل أمة ما شئت من القوى الحسية والمعنوية ؛ ولكنها تتفرق في أفرادها فتضعف ، ويغشاها الكسل في نفوسها فتخمد . فإذا ما قيض الله لها رجلا منها يجمع قواها في قوته ، ويوحد إرادتها في إرادته ، استطاع أن ينيلها نصيبها الكامل من الحياة ، وينهج لها طريقها القاصد إلى الغاية . ولكنك لا تجد هذا الرجل دائما في كل أمة ؛ فإن خصائص رجولته تكون أشبه بخصائص النبوة . والدنيا أبخل على الناس بمعدن هذه الخصائص لندرته . وهل في الدنيا أندر من عناصر الإيمان والبطولة والصدق والإيثار والنزاهة ؟ هل يدور بخلدك أن هتلر الذي تمثلت فيه دولة ، ونهض به جيل ، وقام عليه تاريخ ، تتعلق نفسه في لحظة من اللحظات برغبة حقيرة كظاهرة في حفل ، أو ثروة في بنك ، أو أبهة في ديوان ، أو قريب في وظيفة ، أو مدحة في صحيفة ؟ إن القادة الذين يهيئهم القدر لمداولة الأيام وخلق الشعوب يطهر الله نفوسهم من وساوس الهوى ودسائس الطمع ، فلا ينظرون في الأرض ، ولا يصغون إلى الفتنة ، ولا يستجيبون إلا للصوت السماوي البعيد الذي لا يفتأ داعيا إلى السمو أو إلى التقدم

***

هذه مصر مثلا ، فيها الثروة الموفورة ، والقوى المذخورة ، والعدد العديد ، والموقع الملائم ، والتاريخ الحي ، والمجد التالد ، والهوى المتحد ، والحس المشترك ؛ فتستطيع بهذه المزايا النادرة أن تكون دولة مطاعة لها في الثقافة لسان وفي الحضارة يد وفي السياسة رأي ؛ ولكن مزاياها لا تزال كامنة أو موزعة أو مشاعة ؛ فلم يتح لها الله إلى اليوم ذلك الرجل المصري الذي يجمع من نساءها اللينة إعصارا يدوي ، ومن رغباتها الشخصية طموحا يحلق ، ومن قواها المفرقة جيشا يرعب ، ومن قصائدها الفردية ملحمة قومية ينشدها الليل والنهار ويرويها سجل الأبد

عندنا رجال من صاغة الكلام ، وحفظة القانون ، ومحترفي السياسة ، أفلحوا في إثارة الصخب ، وتمزيق العلائق ، وتفريق القوى ، وإغراء المطامع بكراسي الحكم وأبهة الألقاب وأموال الدولة ، ولكنهم لم يفلحوا مجتمعين أن يعملوا في عشرين سنة ما عمله هتلر وحده في ست سنوات وستة أشهر .

لا تقل إنه الجهل أو العلم فلسنا أجهل من تركيا ، ولا ألمانيا أعلم من فرنسا ؛ ولكنها القوى الشعبية الطبيعية تتجمع وتتحد بالإرادة الصادقة والتوجيه النزيه فتفعل قلتها المجسمة في تركية وبولندا ، مالا تفعل كثرتها الموزعة في الهند والصين

***

معاذ الله أن يقع في ظنك يا قارئي العزيز أني أحب فردية الحكم لأني أحب أن يتولى قيادتنا رجل . فإن الرجل الزعيم الذي نرجوه ، نرجوه للقيادة لا للسيادة ، وللإشارة لا للإمارة ، وللجهاد والتضحية لا للاستبداد والأثرة . وإن الرجل الذي نرجوه لنا ولكل أمة حبيبة في الشرق لا يمكن أن يطغى لأنه مؤمن ، والإيمان من طبيعته كف السلطان وقتل الشهوة ؛ ولا يمكن أن يستبد لأنه مسلم ، والإسلام من شريعته حرية الإنسان وشورى الحكم .

احمد حسن الزيات

المرأة في حياة الأديب

« على ذكر مقال للأستاذ توفيق الحكيم »

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالاً فى مجلة الثقافة عن المرأة فى حياة الأدباء ، أو لا أدرى ماذا كان العنوان على وجه الدقة فقد غاب عنى عدد الثقافة تحت أكداس من الورق والكتب والمجلات . وفى هذا المقال يذكر (أو يقرر) أن كل أديب أو كل عظيم لا بد أن تكون فى حياته امرأة ؛ وهو يعنى بالمرأة (على ما يؤخذ من ظاهر المقال إلا إذا كان له معنى أعمق خفى على) امرأة معشوقة ، أى امرأة تكون علاقة الرجل بها جنسية ، شرعية كانت أو غير شرعية . وقد ذكر من أبناء الشرق السيدة خديجة ونبينا عليه الصلاة والسلام ، ثم طوى كل هذه القرون التى مضت ووثب إلى الدكتور طه حسين ثم إلى الأستاذ احمد أمين ثم إلى الأستاذ العقاد ، وعين المرأة التى يراها فى حياة كل منهم ؛ ثم قال عنى إن « الكذب » هبتى (يعنى الخيال والاختراع وإن كان التعبير « بالكذب » غير موفق) وقال إن الخيال يختلط بالحقيقة فى كتابتى حتى ليتعذر الاهتداء إلى المرأة التى كان لها تأثير فى حياتى ، ولكنه أعرب عن يقينه أن فى حياتى امرأة (ما فى هذا ريب عنده) . وقد اغتنمت فرصة كتاب جديد له (راقصة المعبد) تفضل فأهدى إلى نسخة منه فكتبت إليه كلمة وجيزة فى الموضوع على سبيل التصحيح ؛ ولكنى أرى هنا أن أتناول الموضوع من ناحية أعم

وأنا أولاً لا أرتاح إلى هذا التناول لحيوات الناس الخاصة . وليس كونهم أدباء أو مشهورين لسبب ما ، بمجيز فى رأيى أن نجعل من حياتهم الخاصة وأحوالهم الشخصية «معرضاً» ؛ وهذا عندى فضول أكرهه وأقل ما فيه أنه يُفقد المرء حريته واستقلاله . وإذا كنت أروى كثيراً مما أكتب على لسانى وأورده بضمير التكلم فليس معنى هذا أن ما أرويه وقع لى وإنما معناه أنى أرتاح إلى هذا الأسلوب فى القصة وأراه أعون لى على تمثل ما أحاول وصفه وتصوره . فليس فيما أروى شيء شخصي ، وكثيراً ما نبهت إلى هذا ، ولكنى أهمله أحياناً اعتماداً على فطنة القارئ

ثم إنى ثانياً لا أرى الأستاذ توفيق الحكيم موفقاً فى رأيه ، فليس من الضرورى أن يكون للرجل امرأة فى حياته أو للمرأة رجل فى حياتها ، أى أن تكون هذه المرأة المعينة هى التى وجهت حياته وجهتها وأثرت فيها تأثيراً جعلها كما هى . والقول بذلك لا يخرج فى الحقيقة عن أن يكون مظهر تقليد لبعض ما يكتبه الغربيون . وقد ذكر الأستاذ توفيق السيدة خديجة ونبينا عليه الصلاة والسلام على سبيل التمثيل ، وأراه فى هذا المثال مبالغاً . فما تزوج النبى السيدة خديجة لأنه عشقها ، بل الذى حدث هو أنه عمل لها فى مالها وتجارتها فأعجبت بأمانته وسرها حسن سيرته واستقامته فرغبت هى أن يكون زوجها . وجاءه رسول يدعوه إلى ذلك أو يقترحه عليه وكان هو يعرف لها فضائلها فقبل . وكانت له نعم الزوجة الحكيمة الوفية الرزينة المخلصة . ولكنه ليس هنالك عشق بالمعنى المعهود ، ولا يمكن أن يقال إنها وجهته أو أثرت فى حياته التأثير الذى يقصده الأستاذ توفيق حين يذكر المرأة فى حياة الرجل ، وإن كان غير منكور أنها كانت إلى حد ما عامل استقرار وأمن وراحة فى حياة النبى . وقد سألت الأستاذ توفيق فى كتابى الخاص إليه عن المرأة المعينة فى حياة المتنبى أو أبى العلاء أو الشريف الرضى ؛ ولا بأس من سؤاله أيضاً عن هذه المرأة المعينة فى حياة أبى نواس وبشار ومن إليهما . كلا . ليس من الضرورى أن تكون فى حياة الأديب امرأة معينة بالمعنى الجنسى وإن كانت حياة الرجل لا يمكن أن تخلو من المرأة على العموم . وفرق بين الأمرين . على أن كل شيء فى الحياة ليس عند الأديب أكثر من «مادة» وإن كان الأمر فى بعض الأحيان يبدو غير ذلك عند النظر السطحى أو السريع

وقد جعل الأستاذ توفيق مزيتى أو هبتى « الكذب » وأنا أشكر له أن رأى لى مزية أو هبة ، ولو كانت «الكذب» ؛ وإذا كنت أخلط الخيال بالحقيقة فإنى أحسب أن هذا لا مفر منه ، ولا أدب إلا به . وما أظن الأستاذ توفيق نفسه يفعل غير ذلك أو يشذ عنا معشر الأدباء « الكذابين » فما كان الأديب قط ولن يكون عدسة آلة تصوير . وإذا كان الأستاذ توفيق يظن أن الأستاذ العقاد لم يفعل فى رواية « سارة » أكثر من أن يروى حادثة كما وقعت فإنه يكون قد ركب من الوهم شر الحمُر ؛ فإن مزية

« سارة » الغوص في لجة النفس لا الحكاية بمجردها، والكشف عن أخفى خفاياها ، والتحليل الدقيق للخواطر والخوالج الخ .

ولا قيمة لكون القصة حقيقية أو غير حقيقية وإلا هبطنا بالأدب إلى الإعلانات التي يقول فيها أصحابها إن القصص التي ينشرونها في مجلاتهم وقعت فعلاً

وليس ما يمنع أن تكون في حياة الأديب أو سواه «امرأة» معينة ، ولكنه ليس من الحتم أن تكون هذه المرأة المعينة زوجة أو خليلة ، أي معشوقة على العموم ، ولا أن تكون العلاقة بها علاقة جنسية فقد تكون أمًّا أو أختاً أو صديقة أو بنتاً . وقد كانت في حياتي امرأة دلت الأستاذ توفيق عليها في رسالتي إليه وهي أمي ، فقد كانت أمي وأبي وصديقتي ، وليس هذا لأنه لم يكن لي أب ، فقد كان لي أب كغيري من الناس، ولكنه آثر أن يموت في حداثتي ، فصارت أمي هي الأب والأم، ثم صارت على الأيام هي الصديق والزوج اللهم . وقد استنفدت أمي عاطفتيّ الحب والإجلال ، فلم تبق لي حباً أستطيع أن أفيضه على إنسان آخر ، أو إجلالاً لسواها . ومثلي في ذلك كمثل من يمص عوداً من القصب ويعتصر كل مائه ، فلا يبقى من العود بعد ذلك إلا الحطب الذي لا يصلح إلا للوقود .

ومن هنا عجزي عن الحب بالمعنى الشائع ، نعم أستطيع أن أصادق وأصفو بالود ، ولكن العشق على مثال مجنون ليلى أو كما يصفه لنا الشعراء حال لا قبل لي بها ولا طاقة لي عليها لأن ذخيرتي من هذه العاطفة نفدت وليس في وسع نفسي أن تبذل هذا المجهود مرة أخرى

ومع ذلك أقول إني أرى في عاطفتي لأمي غير قليل من جهد الخيال وإرادة النفس ، وهي في الأصل ولا شك عاطفة صادقة وقوية ولكنه يخيل إليَّ أني غذيتها وقويتها بالإيحاء المستمر إلى النفس ، لأني كالخروف دائم الاجترار لما في جوفي . وأحسب أن العاطفة قد راقتني وفتنتني إلى حد ما ، أو أني وجدت فيها ريًّا لنفسي أنشده فأخطئه ، فتعلقت بها وضخمت أمرها ، وقويتها بالدؤوب في الإيحاء كما تقوى النار بالحطب حتى استغرقت نفسي كلها وعمرت صدري أجمعه وما أظن إلا أن هذا سبيل كل إنسان فإنه لا يفتأ

(البقية على صفحة ٨٦٨)

من البرج العاجي

قرأت لك في مقال أنك تساعد ناشئة الأدب . واشترطت لذلك شروطاً . وإني راض بها وإليك ما يزيدك معرفة بي : إني قراض تذاكر . أجرى ضئيل يبلغ ١٢٠ مليماً في اليوم . واطلاعي محدود . وذلك ناجم عن فقري . لا أقرأ غير الرسالة والرواية والثقافة . ولم أقرأ من الكتب غير بعض مؤلفات المنفلوطي وكتب أخرى . وكانت كتابتي جيدة في الموضوعات الخيالية فقط . ولكني منذ بدأت أتأثر بكم تغلبت طريقتكم علي . وأنا قوي الذاكرة وأميل إلى التفكير . وأستطيع أن أنفق في شراء الكتب الأدبية مايقرب من نصف الجنيه شهرياً كما أني أستطيع أن أختلس للأدب خمس ساعات يومياً . لعل في هذه الإيضاحات ما يهون عليكم أمر مساعدتي على السير في طريق الأدب الذي تصفونه بأنه وعر شائك . ولقد زاد إغرائي به ما نشرتموه في «الرسالة» من تحذير للشبان من الاشتغال به في هذا العصر . . . !

نشرت هذه الرسالة التي جاءتني ضمن عشرات الرسائل في هذا الموضوع لسبب واحد : هو عجبي وإعجابي بقارئ تلك حاله . يبذل عن طيب خاطر سدس مرتبه الشهري وقسطاً وافراً من وقته في سبيل الأدب . إنه ذكرني بقراء أوربا . أولئك الذين يخصصون جزءاً ثابتاً في ميزانياتهم للكتب ووقتاً منتظماً معلوماً للقراءة . مثل هؤلاء القراء هم الذين قامت على أكتافهم نهضات أوربا الأدبية . وهم الذين ظهر من بينهم أدباء أوربا العظام . فإن الأديب لا يتخرج في مدرسة . إنما ينبت في حقل الكتب والمطالعات الشخصية . وفي الأدب الفرنسي الحديث مثل صارخ لأديب من أصل بلقاني هو : « بانايت استراتي » لم يكن يعرف الفرنسية ولكنه غرق سنوات في المطالعة وضنّ بماله القليل على الطعام وأنفقه في شراء كتب جعل يلتهم صفحاتها التهاماً . وإذا هو في يوم من الأيام قد استطاع الكتابة بالفرنسية وإذا هو كاتب معروف يربح من كتبه الألوف . اعطوني إذن ألفين من طراز هذا القارئ وأنا أضمن لمصر نهضة أدبية رائعة وأدباء جدداً يسيرون في طريق المجد .

توفيق الحكيم

التفاؤل والتشاؤم في الشعر

للأستاذ عبد الرحمن شكري

إذا درس الإنسان في التاريخ اندثار الحضارات والأمم وتمكنت تلك الدراسة من نفسه لا يروعه زوال عمل عمره كما كان يروعه لو لم تتمكن ذكرى مشاهد ذلك الاندثار من نفسه، ومن أجل ذلك كنت قد طبت نفساً عما بذلت من جهد وعمل في الأدب وفي غير الأدب. لكن بعض الأفاضل لا يكتفون مني بذلك بل يريدون أن ينالوا في انتقاص ما قدمت من عمل، وبعضهم لا يكتفي بانتقاص عملي ويأبى إلا أن يتخطاه إليّ. وليسوا كلهم من هذا القبيل، فبعضهم أو أكثرهم يستهويه غيره فيتكلم أو يبدأ في منطقه وتفكيره من العام إلى الخاص فيضع رأياً نظرياً أولاً ثم يلتمس الشواهد ويقسر الأمور على أن تكون أدلة لرأيه، وكان الأليق به أن يتقصى معرفة الأمور أولاً ويستخلص من شواهدها الشاملة الكاملة رأياً. لكن حضرات الأفاضل النقاد كثيراً ما يخادعون أنفسهم ويظهرون النيرة على الرأي حباً في الرأي لا حباً للحق والصواب

والذي يريد أن يضع رأياً ثابتاً عاماً، إن كان في هذا الوجود أمر ثابت لا يتغير، ينبغي له أن يفني جزءاً كبيراً من عمره للتقصي والبحث والإلمام بكل ناحية من نواحي الموضوع حتى لا يكون حكمه مخطئاً. والأساتذة الأفاضل الشبان يحسبون أنهم قد قتلوا الموضوع بحثاً وأن إدراكهم له أكثر من إدراك الشيوخ؛ فهم إذا تكلموا عن التفاؤل والتشاؤم في قول ناثر أو شاعر لم يميزوا بين أثر الحالات العارضة الزائلة، وبين نظره إلى مستقبل الإنسانية؛ ولم يفرقوا بين التشاؤم الذي هو تثبيط وبين التشاؤم الذي هو استحثاث للهمم؛ ويحسبون أن كل وصف للشقاء تشاؤم كأنهم لا يعرفون أن الغفلة عنه والتفاؤل بها هو تشاؤم أحرُّ من التشاؤم، ويخلطون بين ما تظهره الدراسات النفسية السيكولوجية من حقائق مُرة وبين التشاؤم. كأنهم يريدون أن يبقى الناس على جهلهم بنفوسهم، وهذا هو التشاؤم حقاً؛ وإنما يكون التفاؤل أن تعرف النفس نفسها، وأن يكون لهذه الدراسة والمعرفة أثر في صلاحها ورقيها؛ وهم أيضاً لا يميزون بين ما قد يدعو إليه شعر العاطفة والدراسات النفسية من وصف حالات النفوس على اختلاف تلك الحالات من حسنة وكريهة، لا دعوة للتثبيط بل دعوة إلى أن يكون الشعر شعراً حيّاً لا أدباً ميتاً متكلفاً للتفاؤل ومكفناً به. ولا يميز هؤلاء الأفاضل بين يأس العجز والقنوط والتراخي، ولا بين يأس الاستبسال الذي هو قوة تفوق أمل أحلام المخدرات وأماني ذوات الخمار. والذي يدعو إلى التشاؤم حقاً هو أن تنشر في الرسالة قصيدة (العصر الذهبي) التي نظمت لتمجيد جهود الإنسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ومحاولتها تحقيق ذلك العصر الذهبي الذي تحلم به؛ وقصيدة (نحو الفجر) التي جُعل الفجر في آخرها رمزاً لفجر مستقبل للانسانية؛ وقصيدة: (شهداء الإنسانية) التي تدعو إلى نصرة من ضحوا بحياتهم وسعادتهم في خدمتها، وإنما يكون الانتصار لهم بالانتصار للمُثل العليا التي ضحوا بحياتهم وسعادتهم لتحقيقها؛ وقصيدة (الشباب) التي تعبر عن أمل الإنسانية في جهود الشباب وآماله وأحلامه؛ وقصيدة (الباحث) الذي خلده البحث والأمل، والذي ينشر للانسانية الحق والرزق؛ وقصيدة (إلى المجهول) التي تدعو إلى تقصّي أسرار الحياة والخليقة؛ أقول مما يدعو إلى التشاؤم حقاً أن يأتي إلى قراء الرسالة كاتب يقول: إني أدعو إلى التشاؤم بعد ما نشرت فيها. وليست هذه كل قصائد الأمل؛ فقد نُشر فيها أيضاً قصيدة: (الأمل) الطويلة في وصف آثار الأمل في الحياة. وقصيدة: (النجاح) و (فن الحياة) تقديساً لمسرات الفنون والحياة وجمالها فناً في جميع مظاهرها، وقصيدة (سر الحياة) وفي آخرها إظهار عبث الشكوى منها، وأن الشكوى ليست مؤسسة على حقيقة ثابتة، بل على حالة نفسية. ونُشر لي في الرسالة في وصف محاسن مشاهد الكون والحياة: (ليلة حوراء) و (بين الجمال والجلال) و (الفصول) و (سحر الطبيعة) و (على بحر مويس) و (الصحراء)... الخ. ومما يدعو إلى التشاؤم حقاً أن يكتب الأديب الفاضل في المقتطف لقراء المقتطف: أني أدعو إلى التشاؤم وقد نُشر لي فيها: (بين الحق والحسن) وهي وصف للصراع النفسي بين نشدان الجمال وطلب الحقيقة؛ وفي آخرها ذكر أن طلب الحقيقة في الحياة والحياة نفسها لا يدومان إلا مع نشدان

الجال فيها . ونشر لى فيها أيضاً قصيدة (قيد الماضى) وهى دعوة للإنسانية أن تأخذ من الماضى عظاته ، وألا تتقيد بطباع الأثرة والأحقاد التى خلفتها الدهور الطويلة .. ونشر لى فيها قصيدة : (النشوء والارتقاء) وهى دعوة لمساعدة هذه السُّنة فى الأمور النفسية والخلقية كما سرت وتسرى فى الأمور العقلية . ونشر لى فيها أيضاً قصيدة «أمنيتان للنفس» وفى الأمنية الثانية أى طلب القوة كل أمل ولذة فى الحياة . ونُشر فى المقطم قصيدة (الأبد فى ساعة) وهى دعوة إلى استرسال النفس فى مطالبها غير المحدودة . لقد كنت أفهم قول الدكتور أدهم لو نقد ما نشر لى قائلاً إنه دعوة إلى التفاؤل يولع فيها ويغولى بها ، وقديماً قد ميزت بين أمل وأمل ويأس ويأس ، فقلت فى الجزء الثانى : إن أمل الغفلة والأثرة وقلة الاهتمام بشؤون الإنسانية هو أمل مخضب بالدم :

هل ينقضى ذلك الـ   أمل المخضب بالدم
يدجو شـقاء الأبريا   ء ويثنى لم يكلم

وميزت بين يأس الكسل والعجز والخمول ويأس السخط والمساورة :

وفى اليأس يأس يبعث المرء بعثة   إلى الغاية القصوى من السعى والجد

وقلت إن الخير أغلب على الإنسان :

صرّح الخير والأذى   فيـه والخير أغلب
فإلى العجم نسبة   وإلى الله ينسب

وقلت إن الأمل والعمل من صفات العظمة :

أعاظم الناس فى اللأواء كم صبروا   إن العظيم عظيم السعى والأمل

وقلت إن الأمل هو حسن الحياة :

كأن حياة المرء حسناء أزمعت   إذا قيل ساءت حالها طاب حالها
لها شافع يدعو إلى الحزن حكمه   وآخر يخشى أن يزول جمالها

وقلت إن ألم النفس قد يكون حلية لها :

ألم تر أن القرط ليس بحلية   على الأذن حتى تؤلم الأذن بالثقب

وإن الآمال النبيلة هى دواء الشر والشقاء ومبعث إلى الرقى :

آمال تنسى الفتى شقاوته   وتُعدم الشر أى إعـدام
تسمو بنفس المحب عن دنس   فيهـا ولؤم جمّ وأوغام

وفى قصيدة أخرى :

يرقى الوجود بعيش الصالحين له   من ليس يدركهم عجز ولا كلل
إن الحياة جهاد لا خفاء به   فليس يفلح إلا الأغلب البطل

وفى أخرى :

وعش مع هذا الكون كوناً مصغراً   وكن فى قواه بين ناه وآمر

وفى أخرى :

فإنى رأيت النفس كالأفق بهوها   تسير بها الآمال سير الكواكب

وفى قصيدة (المجاهد الجريح) :

ولا أشتكى أنى جرعت مريرها   فياليت عمراً فى الحياة يعاد
فأجرع منه الحلو والمر إنما   مشارب من يهوى الحياة يراد
جهلنا فما ندرى على العيش ما الذى   يراد بعيش نحن فيه نقاد
سوى أن عيش المرء بالشك فاسد   وأن يقينا فى الحياة رشاد

وعلى ذكر (المجاهد الجريح) أقول إن أكثر عنوانات قصائدى يدل على الدعوة إلى الأمل كما يتضح من ذكر ما ذكرت من القصائد وما لم أذكر كالإيمان والقضاء والحياة والعمل والعظيم والبطل وقوة الفكر والكون[1] وعلالة العيش والمثل الأعلى وخلود التجارب والملأ الأعلى وزورة الملائكة

ففى قصيدة (الحياة والحق) :

لولا فروض العيش لم أعبأ له   جيشاً من الآراء والعزمات
إن التجارب كالأزاهر جمة   أو ما اغتفرت الشوك للزهرات
يا قلب لا ينسيك ذعرك للأسى   فالخوف أول مهبط المهواة

وفى (العيش والرجاء) :

لو أدرك الإنسان آماله   وصابه منها كقطر المطر
ولم يعد يعرف ما يبتغى   ولم يجد فى العيش ما ينتظر
لكان أشقى الناس فى عيشه   حتى تقول النفس أين المفر
لا عيش إلا بطلاب المنى   لولا المنى فى عيشه لانتحر

وفى قصيدة (مرحباً بالأقدار) :

أدر على كؤوس العيش قاطبة   سعد ونحس وأهوان وإكرام

إلى :

هذى مرارة كأس لذ شاربها   خمارها فهو عباس وبسام

(١) وهى أمل فى أن تخرج من الحياة حياة أرقى ومن العيش عيش أرقى وفيها :

خارجا منـه مثلما   تخرج الليلة الضحى

وفى خلود التجارب :

وما العيش إلا حكمة وتهادن ... فتخلط مجهولاً لديه بمعلوم
وتخلط حلواً فى الحياة بحنظل ... وتأخذ من عيش حميد ومذموم
وقد صح أن الجد يلهى عن الأسى ... وإن كان جداً لا يجى بمغنوم

وفى قصيدة المثل الأعلى :

والعيش إن لم تبتغيه لعظيمة ... فالعيش حلم طوارق الأعوام
والنفس إمّا شئت كانت عالماً ... يسع الدنى فى طوله المترامى

وفى قصيدة الملأ الأعلى :

مرحباً بالملأ الأعلى الذى ... شرفت دارى منه والفناء
أسعدونى أقتبس من نوركم ... بلغة النفس ورياً للظماء
طهرت نفسى فى أضوائكم ... مثلما تطهر أجسام بماء
وشممت الخلد من أنفاسكم ... نفس يشفى من الداء العياء
وأرى فى النفس رسماً منكم ... مثل رسم النجم فى متن النهاء[1]
وعبيراً كشذى الأزهار إن ... خلفت فى الأنف ذكرى كالدماء[2]

وفى الملك الثائر :

والشر والخير لا يرجى افتراقهما
فارفض إذا استطعت نعمائى ولذاتى
حتى العقول وحتى الفضل أجمعه ... ولذة النفس فى بذل المروءات

وحتى فى قصيدة الموت جعل الموت باعثاً للأمل :

وهيهات أن يسلو عن العيش جازع
من العيش حتى يصبح العيش ماضيا
وحتى يموت الحب والذكر والمنى
وتتلو نواعى الشائقات الناعيا
وحتى يموت الموت لولاه ما بكى ... حريص على دنياه يخشى المرازيا

وفى قصيدة (طيرة الفرخ) :

فسل قلب الشهيد عن البلايا ... يخبرك الشهيد عن الحبور

وفى قصيدة (الشجرة والغراب) :

إذا أنت ما ذقت من ضرها ... أتعرف ما الخير من شرها

(١) النهاء بالكسر جمع نهى وهو الغدير
(٢) الدماء بقية الروح

وفى الصبر صبر يريك الدنى ... كأنك رفعت عن أسرها

وفى قصيدة (إصبر) :

اصبر لعل النحس فى لونه ... إذا دجا ظل لدانى النعيم
لعل دمعا منك لم تحتسب ... ينبت زهرا فى اليباب العقيم
لعل دمع النحس در له ... يسلك فى عقد الرخاء النظيم
كم خيبة تعقد عزم الفتى ... للنهر لولا الصخر خطو السقيم

وفى (علالة العيش) :

وإن ضياء العيش يزهو رواؤه ... لأن حاطه بين الأنام ظلام

وأما وصف محاسن الكون والطبيعة ، ففيه قصائد كثيرة مثل (سحر الربيع) و(خميلة الحب) و(الفصول) و(ليلة حوراء) الخ . ولو أن الأستاذ الفاضل تقصى كل ما كتبت من نثر وشعر لعلم أن ثقافتى غير مقصورة على مذهب واحد ، ولا أحتذى احتذاء أعمى ، وإنه حتى القصائد التى بها وصف الشقاء أو مقابح النفس أو الموت أكثرها به أيضاً وصف محاسن الحياة . وإذا كنت قد أخطأت الذوق الفنى الصحيح فى دراسة نفسية فهذا من خطأ المبتدىء الغالى الذى أراد أن يقلب الأدب من صناعة فحسب إلى دراسات سيكولوجية ربما لا يعجب بها الأستاذ ؛ وربما كان من الخطأ عملها والأستاذ أوسع ثقافة من ألا يرى تعدد مذاهب الثقافة فى قولى حتى يقصره على مذهب واحد شأن الذى لم يطلع عليه . وإذا لم يكتف الناقد الفاضل بهذه الشواهد والقصائد العديدة ذكرنا له غيرها ، وليس أربنا تخليد قولنا ، فقد رضينا باندثاره لو رضى أمثال الناقد الفاضل . وقد كنا هجرنا الكتابة والنشر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٥ وما عدنا إلا بسبب التحرش من ناحية ، والتأنيب من ناحية أخرى .

عبد الرحمن شكرى

أعلام الأدب

بين أرستوفان ويوريبيدز وبين يوريبيدز والمرأة

للأستاذ دريني خشبة

كان يوريبيدز شذوذاً كبيراً في العصر الذي كان يعيش فيه ... لقد كان ثورة جامحة هدامة لا تدع شيئاً إلا أتت عليه، ولا ترى شيئاً يقدسه الناس إلا سخرت منه واستهزأت به وتهكمت عليه ... وكانت سخريته مع ذلك لاذعة ضارية لا يهمها أن تكون وحدها في جانب وكل أعدائها وهم جمهور الأثينيين أو كثرتهم الساحقة في جانب آخر

وكان الناس حزبين في يوريبيدز : كثرة محافظة من الرعاع ورجال السياسة والتجار يسوؤها أن تهان آلهتها وتستباح تقاليدها فهي ضده وهي تكرهه وهي تنقم عليه وتهزأ به وتسخر منه كما يسخر منها ، ولكن على طريقتها البورجوازية في السخرية والاستهزاء . . . وكانت مع ذلك تتخذه هزؤاً وتجري وراء أرستوفان كما يضحكها عليه ، ويؤلف لها المهازل في ثلبه والطعن عليه والتشهير به وتسفيهه ونهش عرضه وإرسال لسانه في أبيه وفي أمه على السواء ... وقلة مستنيرة مثقفة كانت تعرف ليوريبيدز حقه ، وكانت تؤمن بأنه صاحب رسالة عالية ستعود بالخير الجزيل على الإنسانية في كل زمان ومكان ، وستظل معيناً ثراً سائغاً يقبل عليه الظماء فيروون منه ويعالجون آلامهم ويلتذون فيه الأدب والفن والفكر والجمال والعبقرية

لكن هذه القلة كانت تخشى الرعاع الناقمين على يوريبيدز ، وحق لها أن تخشاهم لأنهم ليسوا رعاعاً جهلة مثل رعاعنا ، بل كانوا رعاعاً متعلمين ، لأنه لم يكن في أثينا في عصر يوريبيدز رجل واحد غير متعلم !

كانت هذه القلة إذن لا تستطيع أن تنفع يوريبيدز العظيم ، لأن الرعاع الذين يؤلفون كثرة الجمهور الأثيني وجدوا لهم شاعراً آخر لا يقل عبقرية عن يوريبيدز ، لكنه شاعر جامد مغلق التفكير محافظ أشد المحافظة على تراث السلف ، فكان يؤلف كوميدياته في الطعن على شاعر القلة المهذبة المستنيرة والنيل منه والإزراء بأدبه وتفكيره ، وكان يجد جمهوراً كثيراً ضخماً يصفق له ويقبل عليه ، ويستزيده من ذلك التضحيك المؤلم المرير الذي كان يعصف بنفس يوريبيدز ؛ وكان ذلك الجمهور يدفع مع كل هذا ثمن التضحيك والسخرية أموالاً جمة ضخمة، فإذا شهد التمثيل خرج نشوان بما سمع ، ثملاً بما رأى ، وراح يجادل في تمثيل يوريبيدز من غير هدى ولا برهان مبين ... إلا هذه النكات التي صنعها فيه أرستوفان ، وصنعها شائكة لاذعة حامية ، وإلا هذه المشاهد التي تظهر فيها الحمير على المسرح ويظهر فيها أقرباء يوريبيدز من الرجال المحترمين متنكرين في زي النساء الساقطات اللائي لا أخلاق لهن ، حتى إذا عرف الجمهور حقيقتهن أغرق في ضحك طويل مرير وانطلق يصفق ويصفر وهو يقبض على الكبود والقلوب من كثرة الضحك وشدته

وكانت النساء في أثينا من حزب أرستوفان على يوريبيدز ، لما كن ينقمن منه تناوله حياتهن الخاصة في دراماته تناولاً لم يكن سائغاً في ذلك العصر ، بل كان تمزيقاً للحجب الكثيفة التي كن يعشن وراءها قابعات في الخدور أو مقصورات في الخيام ، مما عددنه منه قلة أدب وقلة حياء وقلة ذوق ، بل قلة في كل مظهر من مظاهر الفضيلة والحفاظ ، وسنة السلف الصالح .

لقد كانت مسز جراندي التي هيمنت طوال العصر الفكتوري على المنزل الإنجليزي وعلى الفتاة الإنجليزية تهيمن بشدة وعنف على المنزل الأثيني والفتاة الأثينية . . . والمسز جراندي هي تلك العجوز الشمطاء المتزمتة التي كانت تكره للفتاة الإنجليزية كل تقدم وكل رقي ، وكل ثورة على العرف ، وخروج على التقاليد ، وكانت تفرض سلطانها على البيئة الإنجليزية فتحترم وتطاع احتراماً كاملاً وطاعة عمياء . وكان الوسط الإنجليزي يقدس أوامر مسز جراندي ويأخذ بها نفسه ، ومسز جراندي مع ذلك شخص خرافي لا وجود له ، لكنها كانت تمثل التقاليد الإنجليزية الموروثة بحيث لا تسمح لأحد بالثورة عليها . فإذا ظهر أديب مثل يوريبيدز لا يبالي سنة السلف صاحت برعاياها أن حذار ، ثم سلطت عليه السفهاء الجامدين من أمثال أرستوفان يشعبذون عليه ، ويسخرون به ،

لكنها شعبنة لم تكن قط تبلغ عشر معشار ما بلغت شعبذة مستر جراندى فى البيئة الأثينية ... وكأن يثير مستر جراندى الأثينية على يوربيدز ما كان يبديه هو من ثورة على التقاليد التى كانت تفرضها مستر جراندى على قومه ... فلقد كان يتناول فى دراماته العلاقات الشائكة بين المرأة والمرأة ، والعذراء والعذراء والمرأة والرجل ، بل غالى مغالاة مخيفة فتناول موضوع الميل الجنسى الشاذ عند الذكور فى درامته المفقودة (خريسيوس) ، وموضوع الصبوة الزوجية فى مثل مأساة امرأة عزيز مصر مع النبى يوسف فى مأساته هيبوليتوس — التى سنلخصها للقراء — والتى عالج فيها مشكلة الطلاق ، ومأساته المفقودة (ستينبويا) التى عالج فيها المشكلتين معاً .

وكان يوربيدز لا يستحيي فى معالجته هذه المشكلات أن يستشهد بتجاريبه هو ، وأن يطبقها تطبيقاً صريحاً ، ولكنه تطبيق علمى سيكلوجى . كان له الفضل فى ابتداعه ومحاربة الخجل الذى يخفى الحقائق بسلاحه ، ولذلك أطلقوا على يوربيدز (إبسن القديم) إشارة إلى المسرحى العظيم هنريك إبسن الذى نقل الرواية التمثيلية من عالمها الرومانتيكى إلى عالم الحقيقة والواقع فى عصرنا الحديث . . .

لقد كان يوربيدز شذوذاً كبيراً فى العصر الذى كان يعيش فيه ، ولقد كان كما قدمنا ثورة جامحة على تقاليد عصره ، ولن ينسى التاريخ يوم جال أرستوفان وصال ، وراح يستصرخ نساء أثينا عليه ، ويغرى بينه وبينهن العداوة والبغضاء ، ويهتف بهن أن يثأرن من يوربيدز لشرفهن وحفاظهن وتقاليدهن يوم استباحها جميعاً فى مأساته (ميديا) تلك المأساة التى كانت نجاحاً رائعاً ليوربيدز ؛ بل كانت تكفى وحدها لتخليد الاسم الذى يتشرف بأنه اسم مؤلفها . ومع ذلك فقد انتصر الجود عليها ، وظفرت الرجعية الذميمة بها ، فسقطت سقوطاً شنيعاً بعد العرض الأول

قال جيته : « لا أدرى إذا كان أى مسرحى فى أية أمة خليقاً أن يحمل نعلى يوربيدز فيقدمهما إليه ! ! »

كلمة ساخرة من جيته ! ! وقد أرسلها فى أعداء يوربيدز ، وناقدى دراماته وخص بها قبل كل شىء عدوه الأكبر أرستوفان لكن أرستوفان ، وإن يكن أديباً رجعياً شديد المحافظة على تراث السلف الصالح ، إلا أنه كان موضع إعزاز أفلاطون . وأفلاطون لا يجعل أحداً موضع إعزازه عبثاً . فقد كان يشهد لأرستوفان أنه وحده الذى عرف قيمة الحياة . فضحك ثم ضحك ثم ضحك . وجذب إليه الناس ليضحكهم عليها وعلى الحقيقة وعلى يوربيدز !

والآن ، ما هى ميديا هذه التى أحفظت نساء أثينا على يوربيدز والتى استغلها أرستوفان فى إعلان الحرب على الرجل الذى ألهمه فنه إذ هو طفل أو غلام فى السادسة عشرة حينما كان يذهب إلى المسرح فى حرقة وتشوف للتمتع بدرامات يوربيدز ؟ إنها مأساة دامية تذيب نياط القلوب بما حشده فيها يوربيدز من العواطف المتضادة المتنافرة ، وألوان القسوة التى لا تتورع المرأة من ارتكابها فى سبيل لذتها وحبها . إنها مأساة مشتقة من خرافة جاسون التى لخصناها للقراء منذ عامين . ثم هى حلقة مكملة لمأساة أخرى نظمها يوربيدز فى التاسعة والعشرين وسماها : بنات بلياس

وجاسون ابن ملك تساليا هو بطل الدرامتين ، وقد كان له عم يدعى بلياس طمع فى الملك واستعان على أخيه بجيش أجنبى فخلعه وتولى هو مكانه . ثم قبض على الملك وزوجه وأقام عليهما رقابة شديدة صارمة . وأرسل الملك المخلوع ولده الطفل جاسون إلى السنتور الخرافى شيرون ليعلمه الفروسية . حتى إذا شب ذكر له ما كان من عمه مع والديه ، وأهاب به أن يثأر لهما ولنفسه وأن يخلع عمه ويتربع هو على العرش لأنه به أحق . وعاد جاسون بعد إذ استوى عوده وزوده أستاذه بالنصائح الغالية ، وأوصاه بمكارم الأخلاق ، وأن يحترم كلمته ويبر بوعده . وقد فوجئ بلياس الظالم بحضور ابن أخيه ، وكانت نبوءة قد حذرته منه لأنه سيكون سبب قتله ، فلما طلب إليه جاسون أن يخلى له مكانه من الملك عمد بلياس إلى الحيلة ، فانتهز فرصة غناء المطربين ، وإنشاد المنشدين فى حفل كان قد أقامه لمقر القرابين للآلهة ، ولفت انتباه جاسون إلى قصة الفروة الذهبية التى يحتفظ بها الملك إيتيس — ملك البربر ووالد ميديا — وحرضه على الحصول عليها . واستثار فيه نخوة الشباب وخيلاءه ، فوعده جاسون بها . وبعد مجازفات وصعاب ومحن وصل جاسون إلى الملك إيتيس حيث لقيته ميديا فمالت إليه ؛ بل جنت به ، حتى إذا عرفت ما جاء له وعدته بالمساعدة ، وكانت تعرف من فنون السحر ما تتغلب به على كل محال . فأعدت له مخدراً

أدناه من التنين الهائل الذى كان يحرس الفروة الذهبية فاستغرق فى سبات عميق . وذبحه جاسون وحمل الفروة الذهبية وفر بها مصطحباً ميديا وأخاها الصغير أبستروس حتى إذا كانوا عند البحر ركبوا فى السفينة التى أعدها جاسون لهذا الغرض - وكان اسمها الآرجو - فأقلعت بهم تحت جنح الظلام

وفى الصباح اكتشف الملك إيتيس الأمر فجن جنونه لفرار ابنته ، ثم لأنها صحبت معها ولى عهده وولده الأوحد أبستروس ، ثم لضياع كنزه الثمين الذى لا يقدر بملء الأرض ذهباً ... فيعد سفينة عظيمة ويبحر فى نفر من صفوة بحارته وأجناده فى إثر الآرجو ... وتمضى بضعة أيام ، وتدنو سفينة الملك من الآرجو حتى تكاد تلحق بها ، فيشتد ذعر ميديا ، ولا تصغى إلى توسلات أبيها الذى تعتقد أنه معذبها أشد العذاب إذا وقعت فى يديه أو استسلمت إليه ... وهنا تذبح أخاها ولى العهد وتقطعه إرباً ثم تلقى فى اليم وراء الآرجو بالقطعة منه وراء القطعة ، فيضطر الملك البائس إلى انتشال أشلاء ولده باكياً متفجعاً ، فتبطئ سفينته وتغيب الآرجو عن الأبصار وتفلت ميديا وجاسون

لقد وعد جاسون ميديا أن يتزوجها إذا هى ساعدته فى الحصول على الفروة الذهبية ، وقد فعلت ، فلما آب إلى وطنه بنى بها وعاشا فى رغد وبلهنية ، ورزقا غلامين جميلين

هنا تبدأ الدرامة الأولى (بنات بلياس) .. يظل جاسون زماناً لا يستطيع الحصول على العرش ، ويضم إليه أبويه المحطمين الهرمين ، فترثى لهما ميديا ؛ وبصنعة جميلة من سحرها ترد عليهما شبابهما فيرتدان أجمل مما كانا فى شرخ صباهما ؛ ويتسامع الناس بما كان من ذلك ، وتعلم بنات بلياس اللائى كن قد أبدين السخرية بميديا وأشعرنها احتقارهن ، بما تم لعمهن وزوجته من ارتدادهما إلى الشباب بسحر ميديا ، فيأخذن فى ملاطفتها ، ثم يسألنها أن تعيد إلى أبيهن شبابه حتى تطول أيامه فى الملك ، وهنا تشير عليهن ميديا أن يذبحن الملك بعد أن ينام ثم يقطعنه إرباً حتى تحضر هى فترده إلى الحياة كما ترد إليه شبابه وتخلع عليه برد صباه ... ويطيعها بنات بلياس فيقتلن أباهن .. وبذلك يتخلص منه جاسون .. ويصبح البنات مجرمات فى نظر الشرع والقانون؛ لكن جاسون يستطار من شناعة ما تصنع ميديا ، فلقد ذبحت أخاها دون أن تأخذها فيه رأفة ودون أن يتحرك قلبها لتوسلاته وعبراته ، ثم راحت تمزق بدنه وتلقى بأشلائه فى اليم ... وهى اليوم تصنع مثل الذى صنعت بالأمس فتحرض بنات عمه على تلك الفعلة الشنعاء ...

لقد تبدلت نظرة جاسون ، ورفع عن بصره غطاؤه ... لقد كره ميديا !

ثم تبدأ الدرامة الثانية ، التى هى مفخرة يوريبيدز ، والتى سماها (ميديا) ، والتى أقامت نساء أثينا وأقعدتهن ، والتى ألف من أجلها أرستوفان ملهاته (محاكمة يوربيدز) أو Thesmo-phoria-zusæ

يفر جاسون مع زوجته وولديه إلى كورنثه حيث يحل ضيفاً على ملكها كريون العجوز الشيخ الذى لا نسل له إلا فتاة بارعة الجمال ... ويكرم الملك مثوى ضيفه الذى طبقت شهرة شجاعته الآفاق ثم يسر إليه أنه يرغب فى أن يتخذه ولداً ويزوجه ابنته على شرط أن يقطع ما بينه وبين زوجته ميديا الساحرة ابنة ملك البربر ... ويتردد جاسون ثم يقبل عرض الملك ، لكنه يبقى الأمر سراً بينهما حتى يدخل بزوجته الجديدة ، ثم يرسل الملك بعض جنوده للقبض على ميديا التى تكون قد عرفت كل شىء ، وقهرها على مغادرة كورنثه هى وولداها . وتحتال ميديا فيمهلها الملك يوماً واحداً حتى تأخذ أهبتها للسفر ، ثم تحتال فيلقاها جاسون حيث يفرغ كل ما فى سريرته للآخر ، ويكلمها جاسون فى برود وتكلف ، وتخاطبه ميديا فى ازدراء وخشونة وأسلوب كله برم ومن ... ثم يلقاها مرة أخرى فتبدو كأنها غفرت له كل شىء أو كأنها نسيت كل شىء ، ثم تسأله أن يذهب هو وولداها إلى زوجته الجديدة بهديتها التى يسعدها جداً أن تتقبلها من امرأة محطمة كسيرة القلب مهيضة الجناح ، فيهش جاسون ويذهب بالهدية وهى ثوب من دمقس وحرير مفتل فيقدمها لزوجته التى تفرح بها ... لكنها ما تكاد تلبس الثوب حتى تحس بإبر الموت تخزها وتنفذ بالآلام المبرحة إلى نخاعها .. أوه ! ..

إنه ثوب مسموم احتفظت به ميديا لمثل هذا اليوم ! ! لقد ثأرت ميديا لنفسها كما ثأرت لكبريائها .. لقد ماتت الزوجة التاعسة من برحاء الألم ! ... لكن ميديا لا تكتفى بهذا الثأر يقع على فتاة بريئة أو قد تكون بريئة ... إنها تذهب فى ثأرها إلى أبعد حدود القسوة البشرية وأشقها ... لقد قتلت أخاها أبستروس ومزقته إرباً ورمت بأشلائه فى البحر لتعرقل أباها من أجل جاسون وفى

سبيل حبه ... فلماذا لا تقتل ولديها نكاية فى أبيهما ، ومبالغة فى تمزيق قلبه ؟! ... يا للثأر ؟!

ويعلم جاسون بما انتوته فيسارع لإنقاذ الطفلين ... ولكن! وا أسفاه! لقد ذبحتهما الشقية! وها هو ذا جاسون يقف على جثتيهما باكياً محطوم القلب مشبوب الجوانح بالحزن الذى ليس مثله كمد ولا حزن

وفى هذه الثورة تبتسم ميديا ... وتزدرى جاسون ... ثم تركب تنينها السحرى فيطير بها فى الفضاء تاركة وراءها الزوج الشقى والجثتين الحبيبتين !

ثارت الأثينيات على يوريبيدز بعد هذه المأساة ثورة جامحة لأنه صرح فيها بأن ميديا صورة من بنات حواء جميعاً ، وأنه ليس فيهن من يفضلها قط ، وأن كل امرأة تصنع من أجل لذتها أسوأ مما صنعت ميديا التى خانت أباها فى كنزه ، وذبحت أخاها وولى عهده ، وفرت مع عدوه ، ثم مكرت ببنات بلياس فهيأت لهن قتل أبيهن ، ثم لم تتورع من أن تقتل طفليها غير آبهة ببكائهما الذى كان يفتت الصخر لا الكبود وذلك لتتم لها اللذة المجرمة الفتاكة ، لذة الانتقام ، كما تمت لها خلال الآلام والنكبات لذة الحب ...

وكان يوريبيدز بارعاً فى جميع دراماته التى شن بها حربه السيكلوجية على المرأة والتى سنعرضها فى الفصول التالية ، فأنت لا تقرأ له دراما من تلك الدرامات إلا وتنتهى منها إلى الرثاء للمرأة مهما تكن شريرة عاتية ، بل ربما أعجبت بهذه المرأة الشريرة العاتية وشعرت بالعطف عليها ، وتمنيت لو كانت خاتمتها خيراً لولا ذلك الأسلوب البارع الذى يسلسل فيه يوريبيدز حوادث مآسيه ، والذى يقتضى تلك الخواتيم التى لا يكون محيص منها ما دامت الحوادث تتسلسل هكذا !

لقد جعل أرستوفان من يوريبيدز موضوعاً لكثير من مهازله . وقد حفظ لنا الأثر ثلاثاً من هذه المهازل كلها عن يوريبيدز ، وقل أن تجد لأرستوفان مهزلة غير هذه الثلاث لم يتعرض فيها ليوريبيدز بنكتة أو غمزة أو سخرية ... وكان يوريبيدز يتألم أشد الألم وأبلغه لسخرية الشعب به ، وتهكمه على أفكاره ، حتى إذا طفح الكيل ، لم ير بداً من الهجرة إلى مقدونيا كما سيمر بك .

دريني خشبة

العـــالم

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضـــلة «الزهرة»

يسير الخير على هينته ، ويمشى على رُوَيد لطيته

ويغذ الشر فى سيره الحثيث على أوفاز ، ويهتك فى عَدْوه ، كيش الإزار ، فتتزلزل الأرض من وقع فيالقه الشهباء ، ونسمع الجلبة والقعقعة فيقال :

إن العالم يزداد انغماساً فى المعاصى والسيئات ، ويوغل فى ارتكاب كل محظور ومحرم ...

* * *

ولكن هذا ليس بصحيح ، لأن الفضيلة تتريث فى مسيرها وتتئد فى خطوها وتنثر بذرها بيد التمهل والترزن

فى حين ينفض الإثم أجواز الأمصار معلناً أوزاره التى تستفيض هيعتها المنكرة فى الأقطار ، ويطير ذكر سوءتها الفاضحة فى الآفاق ، فتنصت لها الأصداء ، وترجعها الأنحاء ...

* * *

وكما أنه ليس ثمت ريب فى أن الأرض تتحرك وتدور حول الشمس المضيئة

كذلك نعلم أنه لا بد أن يتم الله تعالى أمره الذى يقضى : بأن يُصلح شأن جميع الجنس البشرى

* * *

وعلى الرغم من جيشان أمواه الشر ، وارتفاع هديرها ، وغزارة طموها ، فإن حصيد الحق الذهبى ينضج بسرعة ، وتسطع أنوار حافره الباهرة ، وتكسف بسناها شموس الماضى فترتفع بأفكار الناس إلى كبد العلاء وتصيرها أرق مما كانت ...

* * *

إن الذى يسير موغلاً قد يقرأ هذه الحقيقة التى أرددها قائلة : اعلم أن الإثم يتجول راكباً عربة ترتفع لطبة عجلاتها الصاخبة فى الحزون والسهول

فى حين يذرع الصلاح فراسخ السماء ، ويعلو رونقه حين يطل من محرابه النقى على أرض الشقاء ، متألقاً تألق النجمة الزهراء فيتوقل العالم كل يوم فى معارج السمو والارتقاء؟

خواطر

للأستاذ فليكس فارس

لا أعلم ماذا عنى واضع تعبير الشعر المنثور ، ويخيل إليَّ أن هذا الترتيب المستحدث في اللغة العربية إنما ترجم حرفيًّا عن « فير ليبر » بالفرنسية ؛ غير أن المترجم التوى عليه المعنى لظنه أن كلمة « فير » تترجم بكلمة « شعر » في حين أنها لا تعني إلا المنظوم من الكلام بوزن وقافية . ولا أرى في العربية ما ينطبق على هذا التعبير الفرنسي إلا « النظم المتفرط » أو حل الشعر وإطلاقه من وزنه وقافيته لإرساله نثراً ، وذلك ما يكلفه التلامذة لتسهيل فهم الشعر عليهم ولتعويدهم سبك المعنى الواحد على صور متعددة .

أما « الفير ليبر » في الأدب الأوربي فليس إلا بدعة جاء بها المتأخرون كما جاءوا بأنواع الرسم المكعب والشعر المستغرق في الرمزية ، وما هي على ما أعتقد إلا ظاهرة لتقلص الأعصاب في المدنية المتعبة

وإنني لأعجب للأدباء في الغرب يضعون كلمة « فير ليبر » ولا يفطنون لما في مبناها من التناقض، فإن النظم مقيد إلزاماً، فإذا أطلق من أوزانه خرج عن صفته وأصبح نثراً

إن البيان من الفكر كلام، ومن العواطف نغمات؛ والنظم معلق بين الكلام والنغمات ، يتناول من الأول نتاج الفكر، ومن الثاني خطرات الهوى ؛ غير أنه أقرب إلى القلب منه إلى الدماغ ، لأنه لا يقوم على حجة ودليل ، بل يخاطب ما انطوى في السرائر، وما يطمح الناظم إلى وضع مقدمات لاستخراج ما يريد استهواءك إليه ؛ إذ حسبُه من بيانه أن ينفذ إلى ما استقر فيك من مقدمات إن خلت سريرتك منها انزلق عليك بيانه فإذا أنت ضاحك من بكائه ، مستهزئ بشجوه وتحنانه

ما النظم المنثور الذي يسمونه شعراً منثوراً إلا بيان حائر ، بل هو جنين تمخض به الخيال وضعف عن مده بالتكامل فلفظه مسخاً لا يصلح للحياة

إن للنثر أوزانه الخفية وبحوره التي لا ساحل لها ، وللنثر الناضج موسيقاه المطلقة كأمواج البحر تتتالى ولكل موجة شكلها وتماريجها، ذلك لأن خطرات الفكر نبضان لا يتكرر على وتيرة واحدة في الدماغ ، في حين أن النظم وهو صورة نبضان القلب لا يطلق موسيقاه إلا على نظام الوجبة في تكرار ضرباته

ولعلك إذا نظرت إلى هذه الأشرطة التي تطبع عليها كهرباء القلب صورة خفقانه يدهشك منها ما تمثله لديك من أبحر الشعر في أنواعها ، فمن القلوب ما تبسط على الرسم البحر (الطويل) في هدأتها ، ومنها ما تصور البحر (المتدارك) في ثورتها ، ومنها ما حلا لها كبعض أدباء هذا الزمان أن تمسخ نظمها نثراً فتراها تأتيك بالطويل والقصير والرجز والمتدارك متداخلة متراكبة ، ومثل هذه القلوب قد استنفدت كهرباءها وآذن اختلالها بقرب انصداعها

***

من غرائب التقليد في هذا الزمان أن يترجم لنا بعض أدبائنا قصائد أو مقطوعات من منظوم الفرنجة فيأتوا به صورة طبق الأصل في ترتيب السطور ؛ فهم يصلون الجملة حيث يجب قطعها ، ويقطعونها حيث يجب وصلها ، جرياً مع الناظم الذي حكم الوزن والقافية على ترتيبه ، وهم لا يفطنون إلى أنهم مطلقون في ترجمتهم من كل وزن وقافية

ما وقع نظري مرة على هذه المنظومات المترجمة وقد كتبت بشكل قصيدة وليس فيها من إلزامات القصائد شيء إلا وحسبتني أرى سابحاً يخرج من البحر ويستمر على دفع الهواء بيديه كأنه لا يزال يسبح على اليابسة ويخشى الغرق ورجلاه ثابتتان عليها...

وأغرب من هذا ، بل وأنكى ، أن تقرأ لبعض المجددين ... شعراً منثوراً ... تتوالى سطوره وفي كل سطر أربع إلى سبع كلمات نضدت على سلك لا وجود له إلا مخيلة الكاتب ؛ فهو مضطر ولا أدري لماذا ، أن يقطع جملته إذا بلغت الخمس أو السبع ليستطرد الكتابة في السطر الثاني ، وليس بوسعه أيضاً أن يقف بجملته حتى يتم معناها إذا كان لم يزل لديه متسع من القياس الذي انطبع في ذهنه من تلاوته قصيدة ترجمت على هذا الشكل عن أحد كبار الشعراء

وقى الله الأدب العربي من آفات التقليد والمقلدين !

« الاسكندرية » فليكس فارس

حياة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الاسلامية

للمستشرق الانجليزي توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوي ، محمد السوقي ، عبد العزيز عبد المجيد (١)

بهذا الحماس وذلك الجد تقدمت الدعوة الإسلامية حتى لم تمض على الإسلام سنة هناك (في المدينة) إلا وكانت كل أسرة عربية قد ساهمت بدخول بعض أفرادها في حوزته ، ماعدا شعبة واحدة من بني الأوس وهي التي استمرت منعزلة بعيدة عن الإسلام وذلك بتأثير أبي قيس بن الأسلت الشاعر

وفي السنة التالية حينما جاء موسم الحج وفدت إلى مكة طائفة من معتنقي الإسلام حديثاً ، وعددها ثلاثة وسبعون رجلاً ، وبصحبتهم جماعة من مواطنيهم كفار يثرب ، وقد عهد إلى هذه الطائفة أن تدعو محمداً (ص) إلى أن يلجأ إلى يثرب تجنباً من غضب أعدائه ، وأن يبايعوه على أنه رسولهم وقائدهم ، وفد إلى مكة لهذه المناسبة العظيمة كل معتنقي الإسلام الأولين الذين كانوا قد لاقوا الرسول من قبل في الموسمين السابقين ، ومعهم مصعب ابن عمير معلمهم ، فأسرع على أثر وصوله إلى الرسول ، وأخبره بالنجاح الذي لاقته بعثته . ويقال إن أمه لما سمعت بقدومه بعثت إليه رسولاً فقال له : « أيها الابن العاق ، أتدخل مدينة فيها أمك من غير أن تبدأ بزيارتها ؟ » فكان جوابه : « كلا ، إنني لا أزور منزل أحد قبل رسول الله » . ثم ذهب إلى أمه بعد أن فرغ من تحية الرسول (ص) والتحدث إليه ؛ فقالت له أمه زاجرة : « إخالك إذاً لا تزال خارجاً منشقاً » . فقال : « أتبع رسول الله ودين الإسلام الصحيح » . فردت عليه قائلة : « أقانع أنت بطريق الشقاء الذي انتهجته في الحبشة وفي يثرب ؟ » . أدرك حينئذ أن أمه تفكر في أسر سجنه فخاطبها متعجباً : « ما خطبك ؟ أتكرهين إنساناً على أن يغادر دينه ؟ إن كنت تدبرين أمر سجني فإنني سأقتل أول من يضع يده علي » . فقالت له : « أخرج إذاً من عندي » وأخذت تبكي . فتأثر مصعب لذلك وقال : « أماه . خذي مني نصيحة المخلص ! إشهدي أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » . ولكنها أجابته بقولها : « والنجوم اللامعة ، لن أكون قط حمقاء بدخول دينك . إنني أنفض يدي منك ومما أنت فيه ، وأعتصم بعقيدتي »

وكان قد ضرب موعد ليجتمع سراً بالعقبة من أسلموا في العام الماضي وذلك لكيلا يثيروا حولهم شبهات القرشيين أو عداوتهم ؛ وجاء محمد ومعه عمه العباس الذي كان لا يزال وثنياً حينئذ ولكن سمح له أن يحضر هذا الاجتماع السري . افتتح العباس هذا الاجتماع الجليل موصياً بابن أخيه ، ومشيراً إلى أنه ينتمي إلى أسرة من أشرف أسرات قبيلته التي وإن كانت لم تقبل تعاليمه إلا أنها ما زالت تحميه ؛ أما وقد أبى إلا الانحياز إلى أهل يثرب واللحاق بهم فإن عليهم أن يتدبروا الأمر بحكمة قبل أن يأخذوا العهد على أنفسهم ، وأن يصمموا ألا ينكثوا عهدهم متى قبلوا تحمل هذا الأمر الخطير ، فاحتج البراء بن معرور الخزرجي قائلاً : إنهم واثقون من عزمهم على حماية رسول الله ، وتوسل إلى العباس أن يذكر ما يريدهم أن يعاهدوا الرسول عليه

بدأ محمد يقرأ عليهم بعضاً من القرآن ، ويحثهم على أن يصدقوا في دينهم الذي اعتنقوه من وحدانية الله ونبوة محمد رسوله ، ثم سألهم بعد ذلك أن يمنعوه وأصحابه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : « نعم ! والذي بعثك بالحق لنمنعك كما نمنع أنفسنا ، ونعاهدك على طاعتك ، وأن تكون لنا هاديا . فنحن أبناء الحروب ، وأهل الحلْقة(١) ، ورثنا كابراً عن كابر » . وهكذا أخذ الجميع يد الرسول واحداً بعد آخر ، وبايعوه على الطاعة .

ولما علمت قريش بهذا الاتفاق السري عادت إلى اضطهاد المسلمين مرة أخرى ، فنصحهم الرسول أن يهاجروا من مكة ، وقال لهم : « اخرجوا إلى يثرب فإن الله قد جعل لكم إخواناً في تلك المدينة ، ودارا تأمنون بها » فخرجوا إلى يثرب أرسالاً ، حيث لاقوا إكراماً عظيما ، وكان إخوانهم في الدين من أهل يثرب

(١) أنظر العدد ٣٠١

(١) بفتح فسكون : السلاح أو الدرع فقط

يتنافسون فيما بينهم كل يريد أن يحظى بشرف الإكرام ، وليقدموا لهم ما يحتاجون . ولم يمض شهران حتى هاجر من مكة تقريباً كل المسلمين — وقد بلغ عددهم مائة وخمسين — اللهم إلا أولئك الذين قبض عليهم أو سجنوا ، وأولئك الذين لم يستطيعوا الخلاص من الأسر . وتحدثنا الأخبار عن أحد أولئك المسلمين — صهيب — الذى لقبه الرسول « بأول ثمرات اليونان » (ولقد كان عبداً إغريقياً أعتقه سيده فجمع ثروة عظيمة بطريق تجارته الرابحة) . وذلك أنه لما عزم صهيب على الهجرة من مكة استوقفه أهلها وقالوا له : « أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك » فقال لهم صهيب : « أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ » قالوا : « نعم » ، وهاجر هو تاركاً كل ثروته . ولما بلغ محمداً صلى الله عليه وسلم الخبر قال : « ربح صهيب ، ربح صهيب »

أخر محمد صلى الله عليه وسلم هجرته من مكة — قاصداً بذلك ولا ريب أن يصرف أنظار أعدائه عن أعوانه المخلصين — حتى تنبه إلى مؤامرة مدبرة ضده ، وأدرك أنه إن أبطأ فى الهجرة ربما قضى عليه ، فعمل على الهجرة بحيلة

وكان أول ما فعل بعد أن وصل إلى يثرب أو المدينة كما سميت بذلك منذ تلك[1] الحادثة (مدينة الرسول) أن بنى مسجداً ليكون مكاناً للعبادة ، وموضعاً لاجتماع أتباعه ، وكان المصلون أولا يولون وجوههم شطر بيت المقدس ، وربما كانت هذه سياسة اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم لاكتساب اليهود . وقد حاول محمد (ص) بطرق أخرى مختلفة أن يجتذب إليه اليهود ، فقد أمر باحترام كتابهم المقدس ، ومنحهم حرية العبادة ، والمساواة فى المعاملة ، وحاول أن يصافيهم ولكنهم قابلوا كل ذلك بالتحقير والتسفيه . ولما أصبح الأمل فى إدماجهم فى الإسلام عقيماً واتضح أن اليهود لن يعترفوا بمحمد (ص) رسولا لهم ، أمر محمد أتباعه أن يولوا وجوههم فى صلواتهم شطر الكعبة بمكة (قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون ، ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ؛ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين)

ولقد كان لتغيير القبلة فى الصلاة مغزى أسمى مما يظهر لأول وهلة ، فقد كان ولا شك مبدأ حياة جديدة فى الإسلام . إذ أصبحت الكعبة فى مكة المركز الدينى لكل المسلمين كما كانت منذ الأبد مكان الحج لكل قبائل جزيرة العرب . وهناك مغزى آخر شبيه بالسابق فى أهميته ، وذلك هو إدماج عادة العرب القديمة — الحج إلى مكة — ضمن ما افترضه الإسلام ، وذلك لأن الحج فرض على كل مسلم مرة واحدة على الأقل فى العمر

وفى القرآن آيات كثيرة تثير روح الشعور بالتكوين القوى وتحث العرب على أن يقدروا الميزة التى منحوها بإنزال الرسالة الإلهية بلغتهم وعلى لسان واحد منهم

« إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها ، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير » ، « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ، ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون ، وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ، فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً »

(يتبع)

(١) يعنى بالحادثة الهجرة

لما رأيته رأيت القدر

(مهداة إلى « علاء » الصغير)

للآنسة جميلة العلايلي

عند ما يبتسم يتكلم القدر من بين شفتيه، وعند ما ينظر ليتأمل تشيع الفلسفة من عينيه ، وعند ما يتحرك تعلن الحياة معانيها في أسلوب رمزي فاتن

هكذا كان طفلي الحبيب « علاء » عند ما شاهدته في « آلام فرتر » ، وقد رأيته على غير ميعاد وعرفته دون سابق معرفة ...

إنما فهمته كأنني جالسته الأعوام الطوال ، وعاشرت روحي روحه الأجيال ... جذبت روح الطفل بساحتها وحلاوتها روحي التي تشرئب دائماً إلى الصفاء الصرف والنقاء الأكيد ...

وهل يمكن أن يأخذ الصفاء مكانه إلا في معين ذلك الطفل النضير ؟ كنت أحاول أن أطالع فلسفة الحياة من عينيه ، فكان يولي وجهه ويسبل أجفانه . فهل كان يدري أن الحقائق الأكيدة المسجلة في أم الكتاب مرقومة واضحة في مقلتيه ؟ هل كان يدري أن معاني الخلود مرسومة على شفتيه ؟ هل كان يدري أن أسرار الوجود منقوشة كظلال من النور على جبينه ؟

هل كان يدري ذلك الطفل النضير ؟

كان يسأل والده الذي احتضنه بجوانحه ، وحباه بعواطفه ، كلما تراءت له عواطف الإنسانية في شبه صور متحركة : ما هذا؟ ولم هذا؟

وكان يجيبه الوالد في إيجاز عن الاسم والسبب

ويا للفارق الهائل بين فلسفة الصغير وفلسفة الكبير !

الصغير يعرف ويجهل ، والكبير يجهل ويعرف ! ...

ياحبيبي البريء، يضلك الوالد عند ما يقول لك: الحياة أمامك. مع أن الحياة فيك ...

لا تتكلم ياحبيبي ودعه يفهمك لتعرف أن الحياة تشوه العقل الفطري بأضاليلها ...

أنت الفيلسوف الحكيم ، وأنت العاطفة المثالية العليا ...

إنك تفهم أمك ، وتفهم والدك ، وتحسب أنهما مثلك لما براءتك وفلسفتك فتخاطبهما بأسلوبك الرمزي في إيجاز ...

ياحبيبي البريء ...

ما زلت تعيش في سماء الإنسانية وترقب الحياة على ضوء ذهنك الخلاب راجياً أن تسير عجلة الحياة بأمضى سرعتها لتكون رجلاً مثل من سعد بحظ أبوتك ، فهل تعرف ياصغيري ما يحمله عقل ذلك الرجل الذي دعوته في لطف وحلاوة باسم «الجدع» ؟ هل تعرف ياصغيري أنك بطفولتك النقية الملائكية أعظم منه رجولته المعقدة الآدمية ؟

هل تعرف أنك كلما زدت في أعوام عمرك عاماً نقصت من إدراك حقائق الوجود أعواماً مهما قالوا إنك غنمت ؟ ...

هل نعرف أنك بقلبك الصغير المليء بالحب العف الطهور ، أجل منك بقلبك الكبير المليء بالحب المادي الزاخر بأباطيل الوجود؟

هل تعرف أنك أحب إلى قلب أمك وأبيك من كل حبيب ؟

وغداً عند ما تكبر يحاسبك الوالد بميزان العقل ، ويراك نداً له ، فيحجبك إذا أوليته من نفسك قدر ما تطمع إليه عاطفته ، ويمقتك كأي شخص غريب إذا خالفته وخرجت عن تقاليده وأوضاعه ؛ والصلة الروحية الوثيقة التي يقبض على زمامها ملاك الأبوة في الصغر يتهاون في شدها رويداً رويداً لتشعر بأنك فرد لك حريتك وسلطتك وقلبك وعقلك ولا شأن لك بأمك أو أبيك ...

هذه هي مرحلة السعادة الأكيدة التي يقضيها الإنسان في حياته ...

سعادة الطفل بحب أبويه كاملاً

وسعادة الأهل باستسلام الصغير ...

اليوم لا يحب الطفل غير أبويه ، وغداً يحب ويحب ويحب ، وقد يكون الأهل أول ضحية تقدم على قربان الحب الذاتي

واليوم يحب الوالد طفله، وغداً يتلاشى الفارق بينهما وتؤدي المساواة رسالتها ، وقد يكون الابن أول من يحاربه الوالدان تحت تأثير مخدرات أباطيل الحياة ليقيم لنفسه وزناً في عالم لا وزن له ...

يا طفلي الحبيب ... تمنيت لو أحفظ لك طفولتك وأدفع الثمن من دمي ، لأحفظ للإنسانية روح الصدق والحب والطمأنينة والسلام ...

اليوم لن تفهم ذلك الأسلوب الذي تعارف عليه الناس وأسموه أدباً لأنك لا تؤمن بغير أسلوب روحك الرمزي النقي ... وغداً عند ما تضلك الحياة وتغريك أضواء الوجود ... تفهم وتدرك وسوف تقول : ليتني ظللت طفلاً لأتمتع بحب أبوي الشامل وأخرك الشاعر بأنفاسي العطرة ، وأسيِّر الأقلام بالهامي ... ليتني ... ليتني ...

ولكن هيهات ...

فبعد أعوام ... أسمع عنك وقد أراك ، فأجد الحياة المادية تسيرك ، وألمح روح الحياة العلوي ينسحب في بطء وحسرة ليتقمص كيان وليد جديد ...

أدام الله لك قلبك بعاطفته البريئة النقية ... ولتصرف الحياة في كل ما تملك ... عدا قلبك ... عدا قلبك ... لتكون كأبيك تحب لتخلد ...

لما سألت والدك : لم مات فرتر ؟ أجابك : لأنه أحب وأخفق . فابتسمت ابتسامة عميقة أعمق من فلسفة الوجود لو ارتسمت في شبه بسمة وقلت : « يعني لما الواحد يحب واحدة ولا تكونش مراته يموت » ، فضحك وقال : أجل

فهل علم الوالد أنك تفهم أكثر منه وأنك تضلله بسؤالك آه . . . لو قال لك : إنه مات لأنه جعل الحب غاية ، وكان يريد أن ينتصر في المعركة ، فلما انخزل وجد الموت مع الكرامة أشرف من الحياة مع المهانة ، لو قال ذلك . . . لارتسمت تلك الحروف في ذهنك مدى الأعوام ولصرت بطل جيلك . . .

يا صغيري الحبيب !

إنني أتوسم فيك سمات البطولة

وألمح في عينيك شعاع المجد المرتقب

وأرى حركاتك بشير الصراع الحيوي الشريف . . .

فعش لأبيك ذكرى خالدة ، ولوطنك شعلة الحب والحق والحرية . . .

جميل العلايلي

من تاريخنا النبوي

أستـــاذة الصحابة

للأستاذ سعيد الأفغاني

سلخت سنين في دراسة السيدة عائشة كنت فيها حيال معجزة لا يجد القلم إلى وصفها سبيلاً . وأخص ما يبهر فيها : علم زاخر كالبحر بعد غور ، وتلاطم أمواج ، وسعة آفاق ، واختلاف ألوان . فما شئت إذ ذاك من تمكن في فقه أو حديث أو تفسير أو علم بشريعة أو آداب أو شعر أو أخبار أو أنساب أو مفاخر أو طب أو تاريخ . . . فإنك واجد منه ما يروعك عند هذه السيدة ، ولن تقضي عجباً من اضطلاعها بكل أولئك وهي لا تتجاوز الثامنة عشرة

ولست بسبيل بيان ذلك الآن ، وإنما أخبرك أني وقعت وأنا أنقب في كنوز المكتبة الظاهرية بدمشق على مجموعة خطية في آخرها رسالة نفيسة للإمام بدر الدين الزركشي الشافعي المصري قصرها على موضوع واحد هو : استدراكات السيدة عائشة على الصحابة

* * *

من خصائص المرء ذي الطبيعة العلمية أن يكون طُلَعة كثير السؤال ، لا يهدأ له بال حتى يرضى طمأنينته ويجلو لنفسه كل خفي مما يحيط به . وكانت السيدة عائشة بهذه الصفة ، ساعدها على بلوغ ما بلغت من المعرفة أنها ربيت في حجر أبي بكر الصديق أعلم الناس بأنساب العرب وأخبار قبائلها وميزات بطونها ، فحازت من ذلك علماً كثيراً . ثم انتقلت إلى بيت الرسول ومهبط الوحي فكانت أقرب الناس من معين العلم ، فغرفت منه ما لم يتيسر لأحد غيرها لمكانها منه كزوجة ، ولما تفردت به من ذكاء نادر وفكر واسع . وكلما عظم حظ الإنسان من المعرفة كثر تطلعه إلى ما فوقه . أما الجاهل فليس بمعنيّ أن يبحث أو أن يسأل ، فإذا أصاب من المعرفة حظاً بطريق العرض كان أبعد الناس عن أن تطلب نفسه مزيداً أو تثير له شكوكاً أو تحدثه بسؤال يسأله

وقد أوردت السيدة على الرسول من الأسئلة فى كل ما مرَّ بها من موضوعات : فى الفقه والقرآن والأخبار والمغيبات وأمور الآخرة ، وفيما يعرض له من أحداث وخطوب ، وما يفد عليه من وفود

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من رسالة الاجابة ، وهى من أثمن ما فى قبة الملك الظاهر بدمشق لأنها مسودة المؤلف بخطه نفسه

وبعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم ، كان علم عائشة قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج فى كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه ...

ومع حمل الأصحاب إلى الأمصار طائفة صالحة من الأحاديث والأحكام حتى كانوا ثمة مرجع طلاب العلم ورواة الحديث ، بقيت المدينة — لأسباب أهمها وجود عائشة — دار الحديث ومنبع العلم . فحين يشكل على أهل الأمصار أمر من الأمور ، يكتبون إلى أصحاب رسول الله فى الحجاز يسألونهم عن حكم الله فيه ، فكان هؤلاء إذا فاتهم علم شىء رجعوا إلى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو وعروة وابن الزبير ... تروى عنهم الأحاديث وتنشر الأحكام حتى صاروا مقصد الرواد . ومقام السيدة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذه ، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كل ما تعلق بأحكام النساء أو بأحوال النبى البيتية ، لا يضارعها فى هذا الاختصاص أحد من الرجال ولا النساء

ويصل إلى مسمع السيدة عن أولئك العلماء روايات وأحكام على غير وجهها ، فتصحح لهم ما أخطؤوا فيه أو خفى عليهم ، حتى عرف ذلك عنها ، فصار من شك فى رواية أتى عائشة سائلاً ، وإن كان بعيداً كتب إليها يسألها . ومن هنا طار لها ذلك الصيت فى التمكن من العلم ، ورجع إلى قولها كبار الصحابة كأبيها أبى بكر وعمر وابنه وأبى هريرة وابن عباس وابن الزبير . . . وصار معاوية فى خلافته يكتب إليها سائلاً عن حكم أو حديث أو شىء من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يطمئن إلى يقين مما يسمع من غيرها حتى يرد عليه جوابها فيبرد صدره [1]

وستجد أن خطأ الصحابة كثيراً ما يرجع إلى أنهم حضروا آخر الحديث وفاتهم أوله ، وسترى فى كل ما تستدرك : صحة النظر وصواب النقد وحضور الذهن وجودة النقاش . وأغلب الأسباب فى تخبط الروايات أن الرواة يستنبطون الحكم من الجملة التى حضروها . وكثيراً ما يكون الرسول ذكرها فى معرض حكاية أو إنكار ، وترى ذلك فى مرويات أبى هريرة خاصة .

الحمد لله وكفى

الصفحة الأخيرة من رسالة الاجابة ، وفيها سماع ولده عليه وسائر أسرته

وكما استدركت على أبى هريرة ضياع أول الكلام عليه أو آخره ، استدركت على كثيرين فهمهم لحديث ، أو خطأ استنباط حكم من آية ، أو ضلالاً فى معرفة أسباب النزول ، أو اجتهاداً فيه مشقة على الناس ، وكان الناس يقعون منها فى كل ذلك على علم غزير وفهم حصيف ورأى صائب ، ولا غرو فقد

(1) انظر مسند أحمد ج ٦ ص ٨٧

العالم يتطلع الى حدودنا المصرية

أربعــــون يوما في الصحراء الغربية

للأستاذ عبد الله حبيب

— ١ —

في هذه الأيام يتجاوب البرق في أنحاء العالم بذكر حدود مصر الغربية وتتطلع الدول إلى ما يجرى في هذه الحدود من التحصين والاستعداد وتحرك الجيوش من الجانبين: المصرى والايطالى. وقد ارتحل المحرر إلى هذه الأنحاء النائية فقضى بها أربعين يوما، وهو في هذه المقالات يصف مشاهد الصحراء الطريفة ويتحدث إلى القراء بأهم المعلومات في أسلوب سهل موجز

سحر الصحراء

في مثل هذه الأيام من العام الماضي كان الربيع قد أطل على الوجود بوجهه المزدهر الباسم — وفي الربيع تتجاوب الذكريات — فذكرت فيما ذكرت رحلتي الأولى إلى الصحراء الشرقية، وتمثل في خاطرى سحر الصحراء، وما يلقى المرتحل إليها من عناء هو أحب إلى النفس من الراحة والدعة والاطمئنان

ذكرت رحلتي تلك إلى صحراء سيناء فتطلعت نفسي إلى رحلة ثانية أرتحلها إلى الصحراء الغربية

ومحافظ الصحراء الغربيـة صديق قديم، وهو من رجال السيف والقلم يمجد الأدب ويحب الأدباء... فلتكن رحلتي الثانية إليه. وفي رحابه ومعونته سأجوب الصحراء وأرتاد مجوعها وأنزل على قبائلها، وأشرف على هضابها، وأهبط إلى وديانها، وأقطع شعابها ومفاوزها

هتف بي سحر الصحراء ودعاني فلبيت...

ولقد كان للعرب من قبل — كالمقريزي والمسعودي واليعقوبي وأبي الفداء وغيرهم — شرف السبق في ارتياد الصحارى واجتياز مجاهلها مستهدفين لأخطارها في وقت لم يعرف عنها غيرهم إلا النذر اليسير، وكانت هذه الصحارى — ولا تزال — سراً مجهولاً مهما قال عنها العازفون.

وفي رمال الصحراء المنبسطة، وهدوئها الشامل، وعظمة جبالها الشامخة، وفي صفاء سمائها، وجلال نورها، وفي لياليها الساحرة؛ في هذا، وفي أروع من هذا ما يخلب لب روادها، ويجذبهم إلى ارتيادها، وفيه ما يغرى النفس بالتغلب على وعورة طبيعتها لتشعر بعد ذلك بلذة الانتصار والغلبة.

أما ساكنو هذه الصحارى من البدو، وما فطروا عليه من بساطة العيش فإنك تدرك حين تخالطهم سر عظمتهم وبعد نظرهم وبساطة حكمهم، وسلامة شرائعهم ومعرفتهم للنجوم، واتجاهاتها وهبوب الرياح وعلاماتها وأوقاتها، وتدرك على الجملة سر سيادتهم على هذه الصحارى وجعلهم أدلتها.

وفي هذا المقال سأتحدث إلى القراء في كلمات وجيزة عن المعلومات التي يجب على كل مصرى معرفتها في وقت يهتم العالم فيه بهذه البقاع التي تقع في داخل حدودنا المصرية.

لغة البدو وديانتهم ومعارفهم

يتكلم البدو بلهجة عربية تختلف عن اللهجة الفصيحة اختلافاً بسيطاً، ومن السهل أن يتفهمها سكان المدن. وهم يكثرون

كانت السيدة عائشة الملجأ الأخير الذي ترفع إليه مسائل الخلاف والروايات وأحكام الشريعة لتمحيصها والقضاء فيها القضاء الفصل

ومن هنا توقن أن حياة السيدة قد بنت مجداً باذخاً لتاريخ المرأة العلمي في الإسلام، بل إن عبقريتها وحدها كفيلة بملء تاريخ كامل، فلست أعلم في عبقريات الرجال والنساء ما يدانى مكانة السيدة. وما أجدر سيداتنا — ونحن في مطلع بعث ونهضة — أن يصلن حلقات هذا التاريخ الذي بدأته امرأة منهن في صدر الإسلام، فتتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حبر وعالم وفقيه وقارئ وراوية، وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك، وليس هذا بكثير على من غبرت نحواً من خمسين عاماً بعد وفاة الرسول تنشر سنته وتفتى وتحدث وتستدرك، حتى كونت لنفسها مدرسة من أقوى مدارس الحديث والفقه والتفسير وأوسعها[1]

«دمشق» سعيد الأفغاني

(١) من مقدمة (الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة) للإمام الزركشي، وستصدر أول الشهر القادم محققة حافلة بالتعاليق والفهارس. تطلب من المكتبة الهاشمية بدمشق ومكتبة البابي الحلبي بالقاهرة

فى كلامهم من ضرب الأمثال . أما ديانتهم فهى الإسلام . لكن القليل منهم من يعرف قواعده . وأكثرهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون، ولكنهم يعبرون عن العدد بأصابع اليد، ويعرفون فصول السنة والجهات الأربع ، ويجعلون مواعيدهم طلعة الهلال أو طلعة القمر .

لهم رشاقة القد ، وخفة الحركة ، وجمال العيون ، وذكاء النظرة ، وسمرة اللون ، وقلة شعر العارضين ، ودقة الأنف ، ولنسائهم ولع شديد بوشم الشفاه ، وهو عندهن آية الجمال

تقوم زراعتهم على الأمطار إلا فى بعض الواحات وحول الينابيع والآبار، وهم يزرعون الشعير والأذرة والبطيخ والقمح أحياناً، ويصنعون البيوت من شعر الإبل والغنم وكذلك يصنعون منها ملابسهم وخيامهم، ويعتنون بتربية الإبل والخيل والغنم ويستولدونها ويتجرون بها كما يتجرون بالبلح والعجوة وهو محصول النخيل

يسكن البدو خياماً من الشعر يحيكها نساؤهم ويقيمونها على شكل ظهر الثور جاعلين أبوابها نحو الشرق . ويلبس البدوى قميصاً قصيراً فوقه آخر أطول ثم يلبسون فوق ذلك عباءة ، وذلك لباس متوسطى الحال منهم ، أما الطعام فالشعير والأذرة والقمح والأرز والبلح وما يمزج من الحليب والسمن والدقيق ، وهم يحبون أكل اللحم حباً مفرطاً ، وقلما يأكلون الأسماك

اشتهر البدو بحب الفضيلة والضيافة والكرم والغزو والنجدة والأخذ بالثأر والشجاعة وعزة النفس والشورى ، لكن فقرهم يفقدهم كثيراً من هذه الأخلاق ، ويحمل أكثرهم السيوف وهى محدبة وتتحلى أغمادها بالفضة ، ويحمل بعضهم البنادق من الطراز القديم ، ويحمل رعاة الإبل « الدبوس » وهو عصا قصيرة فى رأسها كتلة ، أما حليهم فهى العقود من الخرز والفضة ويلبسون خواتم ضخمة من الفضة والقصدير

أما خرافاتهم فكثيرة ، وهم يعتقدون فى الإصابة بالعين ويعلقون الخرز فى رقابهم ورقاب حيواناتهم منعاً للحسد . وليس عندهم من آلات الموسيقى غير الربابة والصفارة والقرون « الزمارة » ؛ وهم يغنون الشعر ، وغناء الرقص عندهم يقال له « الدحية » والسامر ، أما الدحية فهى أن يقف الفتون صفاً واحداً وبينهم



(مع زعماء العشائر : المحرر فى ثياب البدو بين الأعراب)

شاعر يرتجل الغناء وأمامهم غادة ترقص بالسيف وهم يرقصون ويرددون ويهزون رؤوسهم يميناً وشمالاً بشكل منتظم . وأما السامر فهو تقريباً مثل الدحية فلا يختلف إلا فى أن يقف الرجال على صفين متقابلين وأمام كل صف حسناء ومعها سيف للرقص به .

أما القضاء عندهم فموكول إلى قضاة من خواص رجالهم يحكمون بينهم بالعرف والعادة على أوضاع عديدة ، وأما محاكمهم فعلى درجات ثلاث ، وأحكامهم وشرائعهم لا يمكن حصرها فى هذه السطور ، فلكل جريمة شريعة خاصة، وتسمى هذه الشرائع زوابط القبائل ومنها شريعة القتل وشريعة الجروح وشريعة النساء وشريعة الإبل

(يتبع) عبد الله

استطلاع صحفي

الأندية الأدبية في مصر

كازينو باب الخلق

لمندوب الرسالة

باب الخلق أو باب الخرق كما يسمى في الخطط القديمة، ميدان يقع من القاهرة في الصميم ، وكأن الحكومة رأت فيه هذا المعنى . فأقامت به دار المحافظة لتكون في الوسط لشكل مواقع المدينة يخترق شارع محمد علي ، وهو مجاز المواكب الرسمية والعسكرية بين القلعة والعتبة، والقلعة والعباسية، والقلعة وعابدين. ويمر به الطريق الواصل بين الحسين والسيدة والإمام ، فما تكاد تنقطع منه جموع القرويين الذين جاؤوا إلى مصر يوفون بالنذر لأهل البيت ، ويستعطفون الأسياد بالنظرة . وفيه تقوم دار الكتب المصرية وهي كعبة يحج إليها طلاب الثقافة والمعرفة من أبناء الأزهر ، وشباب الجامعة ، وتلاميذ المدارس ، ومن في نفسهم الرغبة في الأدب والعلم من مختلف الهيئات وشتى الجهات ...

وكأن وجود دار الكتب في هذا الحي هو الذي صبغه من قديم بالصبغة الأدبية ، وجعله مهوى كثير من الشعراء والأدباء والصحافيين ، وكم لهم في هذا الحي من سهرات عامرة ، ومجالس حافلة ، وذكريات كلها البهاء والرواء ، والأدب والشعر ، والضاحيك الحلوة الخالدة ، وناهيك بمضاحيك حافظ ونسيم وإمام العبد وصاحب « الصاعقة » ومنشئ « الجمارة » وإخوانهم من الذين ذهبوا في الذاهبين ، أو تخلفوا إلى حين !

في هذا الميدان الأدبي العامر ، وفي المثلث الحادث من تقاطع شارع محمد علي بدرب الجماميز وأمام جامع الجين الذي لا أعرف إلا اسمه ، يقع كازينو باب الخلق . ولهذا الكازينو تاريخ قديم ، وذكرى غابرة ، فلكل ما فيه من مظاهر الأبهة ، فهو طريف مستحدث ، قضى به العصر ، وتطور به الزمن ، عن أصل كان هو المظهر السائد في مصر القديمة !

كان هذا الكازينو من قبل يسمى « قهوة باب الخلق » وكانت هذه القهوة بين عبق القرن الغابر ، وغلس القرن الحاضر ، نديًا من أندية الأدب في مصر ، على ما يحكي الصحافي المجوز ، فكان يجلس فيها الشيخ أحمد مفتاح ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ الحلاوي ، ومحمود بك أبو النصر ، وحفني بك ناصف ، والشيخ محمد الخضري ، تحيط بهم نخبة من طلاب الأزهر ومدرسة المعلمين الناصرية — أي دار العلوم — فيأخذون في أمشاج من أحاديث الأدب واللغة والدين والسياسة في بعض الأحايين .



ثم فعلت الأيام ما فعلت وقامت دولة مكان دولة واحتل القهوة الشيخ محمود حسن زناتي، والشيخ طه حسين، والشيخ أحمد حسن الزيات، والشيخ ابرهيم مصطفى ، ومن على شاكلتهم من تلاميذ المرصفي والمهدي والشنقيطي ممن تمردوا على حواشي الأزهر ومتونه وهوامشه ، فلما شب عمرو عن الطوق انصرف كل إلى شأنه في الحياة وقد بقي في نفسه شيء من تلك الحياة . أما الدكتور طه فسخر بماضيه وتمرد على إخوانه وراح ينعتهم « بأدباء باب الخلق » زراية عليهم وغضاً من شأنهم . وأما صديقنا الشيخ محمود زناتي فما زال يذكر تلك الأيام بالخير ، وما زال يتشهى شطير الجبن والعجوة الذي طالما تناوله من يد عم أحمد — هو وصاحبه طه — في ذلك المكان . وأما أستاذنا الزيات فإذا ما سألته الخير في ذلك نظر إليك ساهماً وهو يقول : تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . صحيح صحيح ! لقد كان ما كان !

ثم كان بين الغابر والحاضر فترة من الزمن للتحول والتطور ، فقد وفد على مصر وافد الرقي والحضارة ، وقامت في رؤوس القوم النية في تنسيق القاهرة وتجميلها ، وكان لا بد لباب الخلق من

أن يتسع فناؤه ويعلو شراعه وأن يصير إلى نظام أنيق يلائم روح العصر ، وكان لا بد أيضاً لقهوة باب الخلق أن تتطور وتتحور وأن تلبس لباس الجديد ، فأصبح اسمها الكازينو بدل القهوة ، وصار بناؤها من الزجاج الشفاف وقد كان قبل من حجر المقطم ، وغدت وهي في عصمة شاب مصري ناهض من صميم الريف وقد كان يقوم عليها تركي من الذين ابتلى الله بهم مصر حيناً من الدهر

واليوم يقوم الكازينو في باب الخلق نادياً أدبياً يقصده كثير من الأدباء والشعراء ورجال الصحافة والفن ، فتجد السيد حسن القاياتي يهبط عليه في الفينة بعد الفينة ، وإذ يجلس السيد القاياتي فإنما يحفل مجلسه بالأدب والشعر والرواية والتاريخ والمواليا والزجل ، وما ينفض المجلس إلا وقد تحمل الشيخ لحسابه ما ينوء به جيب الأديب . ولكن الله قد بارك في جيب الشيخ

وبين الحين والحين يعرج على الكازينو صديقنا الأستاذ الشاعر أحمد الزين وهو عائد من عمله في دار الكتب ، فإذا وجد موضعاً للحديث تحدث كعادته حديثاً شاملاً يتناول كل الأدباء والشعراء في مصر ، وإلا أخذ فنجاناً من القهوة وانصرف في صمت رهيب !

وفي ركن من الكازينو يجلس الأستاذ إسماعيل صبري الشاعر ومؤلف الأغاني لشركتي أوديون وبيضافون ، فيظل في مجلسه طول النهار وبعضاً من الليل منفرداً كأنه يستوحي شيطانه ويستلهم وجدانه . وفي ركن مقابل يجلس صديقنا الشيخ رفعت فتح الله في جمع من إخوانه يحقق رأياً لسيبويه ، أو يحدثهم فيما كان بينه وبين الرافعي من مناظرة ، على كركرة النارجيلة ولعب الشطرنج

ولما مات الهراوي رحمه الله ، انفض سامره في الحلمية ، ولم يتحمل إخوانه الجلوس حيث كان يجلس ، فجاء بعضهم إلى الكازينو ، فتجد الأستاذ مرتضى الخطاط يجلس ساهماً شارداً كأنه في غمرة من ذكر صاحبه

ويستبد بصدر الكازينو طائفة من شباب الأدب وفتيان العصر الذين أصيبوا بدائه وانطبعوا على غراره ، وما داؤهم إلا كما وصف ألفرد ده موسيه في اعترافاته ، فهم ينطلقون على سجيتهم ، ويستقبلون الحياة بروح يقظة طليقة متمردة على كل القوانين والحواجز ، وبهذه الروح الحرة يشدون الأدب ، وينظمون الشعر ، ويأخذون في النقد ، وإنهم لفي ثورة دائمة على الأدباء في مصر وفي الأقطار العربية ، ولقد ينقلبون بالثورة على أنفسهم ، كالنار تأكل نفسها إذا لم تجد ما تأكله ، ولكنهم يخلصون من هذا كله بالمرح والضحك والمزاح الصريح

تجد في هذه الحلقة من الشباب ، شاعر الفنون والإذاعة أحمد فتحي ، وشاعر البؤس والشقاء المهدي مصطفى ، والشاعر البوهيمي طاهر أبو فاشا ، والشاعر النحوي الفقيه حسن جاد ؛ وشاعر البيت الأباظي أحمد عبد المجيد الغزالي ، والشاعر المقل أحمد مخيمر والأستاذ أحمد حمدي المحرر بالبلاغ والشيخ طه أفندي حراز محرر مجلتي الراديو والبعكوكة ، والرفيقان عبد العليم عيسى والسعيد علوش ؛ يجلس هؤلاء في حشد من إخوانهم وأضرابهم من طلاب كلية اللغة العربية والجامعة ودار العلوم ، فينفض كل منهم ما في جعبته ، ويتقدم بآخر ما أحدث في الأدب والشعر ، وما من يوم يمضي إلا ولهم حدث في الأدب والشعر ...

يعجبني في هؤلاء الفتيان ذوق دقيق ، وتقدير صحيح ، ونظر صائب في الحكم على الآثار الأدبية ، ووضع الأشخاص في مراتبهم اللائقة بهم ، فلا يجوز عليهم الزيف ، ولا تخدعهم الألقاب ، ولا تغرهم الأسماء ، بل إنهم لينظرون ، ويتدبرون ، فكثير من أعلام الأدب في مصر ليسوا في رأيهم بشيء ، ولكل فيما يحاول مذهب !

لهم شغف بالاطلاع ، فما يخرج كتاب من المطبعة حتى يكون في أيديهم ، يقرأونه ويقدرون له قيمته ، وما أعرف بحثاً أو قصيداً نشر في صحيفة أو مجلة قد فاتهم الاطلاع عليه ، والنظر فيه ، فإذا لم يعجبهم كان بينهم مادة للهزء والضحك والمعارضة بالمثل !

ولهم غرام بترتيب المقالب ، ولكنها المقالب الأدبية ، كأن ينحلوا واحداً منهم قصيدة على صفحات الجرائد ، أو يسرقوا أشعار بعضهم المطوية ثم ينشروها بأسماء غير معروفة ، أو يوقعوا بين أديب وأديب فينشروا لأحدهما نقداً صارماً للآخر ، ولهم في إبريل كثير من الأكاذيب ، ولكنها من الكذب الأدبي المقبول . ولقد كان كذبهم في هذا العام من النوع الطريف

العجيب ، علموا بأن فلاناً الأديب قد أهدى إليه الشاعر إلياس أبو شبكة نسخة من ديوانه ، وما رأى أحدهما الآخر قط ، فراح هذا الأديب يفضل أبا شبكة على سائر الشعراء ، فتخيروا واحداً منهم يجيد حكاية اللغة السورية ، واتصلوا بذلك الأديب في بيته ، وأخبروه بأن أبا شبكة قد حضر إلى مصر ، وأنه رغب في زيارته فحدد لهم الموعد على لهفة ، وذهبوا إليه وكان ما كان من الإجلال والإكبار والاحترام ، وخرج القوم على موعد بالنداء في يوم آخر .... ولكنهم وقفوا في المسخرة عند هذا الحد

حتى أساليبهم في الدعابة إنما هي أساليب أدبية ، كأن يقيموا لواحد منهم حفلة هجاء ، أو حفلة رثاء . وآخر ما حضرت لهم من ذلك « حفلة تكريم من غير مناسبة » للشاعر المهدى مصطفى . وقد اشترك فيها جميع إخوانه وأصدقائه ، وقام بتقديم الخطباء والشعراء الأديب الشاعر سيد قطب ، وقد استطاعوا أن يوفوا صاحبهم حقه من التكريم ، أو قل من التهليس . وقام هو أيضاً يرد صنيعهم بعطولة يقول فيها على طريقتهم :

يا قلب كالقبقاب حيرك الجما ... ل فتارة تدعى وأخرى تزجر
صبحاً برجل فهيمة ، وعشية ... في رجل سلمى والزمان مجرجر

إلى أن يقول لأصحابه :

أومكرمىَّ ؟ فشرتموا ا . الله يكـ (م) رمنى ... ويعرف قيمتي ويقدر
ليست قصائدكم بمغنية الأد (م) بـ عن الفلوس إذا الجيوب تصفر
فتعلموا صوغ القروش فإنها ... تذر الكثيف مفتحاً فتصوروا

***

لقد كان ابن أبي ربيعة قائماً بالحجر يصلي بعد أن نسك ، فمر به فتيان جيلان ، فلما فرغ من صلاته أدركهما ثم قال لهما : يا ابني أخي ، لقد كنت موكلاً بالجمال أتبعه ، وقد رأيتكما فراقني جمالكما ، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه .

فيا إخواني في باب الخلق : إن البقاء في هذه الدنيا قليل ، والدهر يعدل تارة ويميل ، فخذوا طريقكم ، وامضوا في سبيلكم ، واستمتعوا بشبابكم قبل أن تندموا عليه .

(م . ف . ع)

المرأة في حياة الأديب

(بقية المنشور على صفحة ٨٥٠)

يقوى عواطفه المختلفة من حب وبغض الخ بالإيحاء وإن كان هو لا يشعر بذلك ولا يفطن إليه

فإذا كان لا بد من امرأة في حياة الأديب فهذه امرأة ، أفلا تكفي الأستاذ الحكيم ؟ . ولست بعد هذا « عدواً للمرأة » كالأستاذ توفيق إذا صح هذا عنه ، ولم يكن أكثر من إعلان على الطريقة الأمريكية — معذرة يا صاحبي — وأنا أنشدها أبداً ولا أرى الحياة تطيب ، أو يكون لها معنى إلا بها ، ولكني لا أطمعها في الحب المستغرق الآخذ بالكليتين ، لأنه لا قدرة لي على ذلك ، ولأني أشد اعتزازاً بحريتي وحرصاً على استقلال شخصيتي من أن أسمح بأن تتسرب نفسي في نفس أخرى أو تفنى فيها أو تجعلها محور وجودها . ولكل امرىء ما طباعه وفطرته ، وأنا في طباعي هذا التمرد الساكن الذي ليس فيه ضجة ، وتغليق الأبواب التي تجيء منها الريح لأستريح . ثم إنه لا يعنيني أن تكون في حياتي امرأة أو سواها لأكون أديباً على ما يحب الأستاذ توفيق ، وأنا قانع بنفسي ، جداً . ولست بعد ذلك بأديب وإنما أنا رجل صناعته القلم ، وقد قلت مرات — وأكرر الآن — إني كالنجار الذي فتح دكاناً وعرض فيه بضاعة له مما صنع فذلك رزقه يكسبه بهذه الوسيلة ، وكهذا النجار تجد عندي الخشب الجيد المتين ، والصنعة الدقيقة والخشب الأبيض والقشرة والصقل المغني عن النفاسة حسب الطلب وتبعاً لحالة السوق ومبلغ استعداد الزبائن للبذل . فضعني بالله حيث أضع نفسي وأكفني شر هذه الفلسفات ، وإليك التحية وعليك السلام .

ابراهيم عبد القادر المازني

خـــلود الأمومة

« مهداة إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات »

للكاتبة الفاضلة « وفيقة »



لست أدرى لماذا أثرت فى نفسى أيما تأثير هذه الصورة التى فى أعلى هـذه الصفحة ! منذ رأيتها وأنا أحاول التناضى عن هذا التأثر الشديد بها؛ ولكنى لم أفلح. وكلما هممت بقراءة كتاب أو كتابة مقال ، شتت انتباهى ذلك المنظر ، وأخيراً لم أر بُداً من الكتابة عن الصورة ذاتها .

إن كل أمر مهما كان طفيفاً يؤثر تأثيراً عظيماً فى حيـاة البشر وأخلاقهم .

قال وست West المصور : « إن قبلة واحدة من أمى جعلتنى مصوراً » .

وكتب فول بكستن Buxton إلى أمه بعدأن نال منصباً عالياً يقول : « إننى أشـعر على الدوام بنتاج المبادئ التى غرستها فى عقلى » .

ووقفة جلالة الملكة نازلى فى هذه الصورة بين كبرى بناتها وصغراهن : صاحبة السمو الإمبراطورى الأميرة فوزية ، وسمو الأميرة فتحية ، وقفة الأم الرءوم العطوف .

أنظر إلى سمات الحنو الأموى على محياها ، وإلى التأثر البادى على قسماتها ! !

لعمرى أيتها الأم الكريمة ، ماذا يكون جواب سمو الأميرة فوزية لو سئلت عن أثر هذا الحنو الدافق من كفك إلى كفها فى أرهب لحظة تفارقان فيها أرض الوطن العزيز ، وعن مبلغ أمومتك الكريمة فى حياتها وتكوينها ؟ !

سيكون جوابها دون تردد كما قال لورد لنديل ، عندما فطن إلى قدوة أمه الصالحة : « إذا وضع العالم بأسره فى كفة ميزان وأمى فى الكفة الأخرى رجحت عليه رجحاناً عظيماً » .

إنها تستمد من جلالتك القوة والشجاعة التى تستعين بهما على حياتها المستقبلة... ولست بهذين ضنينة ولا متكلفة . فاغتبطى يا سمو الأميرة ، واهنئى بأمك الجليلة .

إن كل أم قوية كالطود ، صابرة كالزمن ، وادعة كالزهر ... إلا فيما يمس أولادها من قريب أو بعيد ، فهى إذن الرعد المدوّى ، والفزع الثائر ، والقدر الذى لا يرحم . فالأولاد ثمرتها فى الحياة ، وبهم خلود الحياة ؛ وهم رأس مال آمالها ، ومعين سعادتها ، ومعقد رجائها على الدوام .

بالله ! إنى لا أحتمل النظر إلى عينـاها التى تحوط الأميرة الصغيرة؛ ولاأستطيع أن أنظر إلى عينيها المسبلتين فراراً من مجابهة الواقع ... مبارحة وطن إلى حين ، ثم فراق ابنة عزيزة بعد حين ، تسلمها طائعة نزولاً على سنة الله ورسوله ، وانصياعاً لمـا هيأته الأقدار !

يا أيتها الأم العظيمة والملكة الكريمة ، إن صبر الملوك ملاك الصبر ، وإن حنوك حنو غامر فى رقة سجايا ودماثة خلق ؛ وإذن فرحة قلبك تفيض على عالم بأسره فيطمئن .

أيتها الأمهات ... أمام أعينكن نموذج الأم الصالحة المدبرة الشجاعة ، فاقتدين بجلالتها ، فإن مصر والشرق فى حاجة قصوى إلى الأمهات اليقظات الحكيمات .

والأم الصالحة المهذبة قوام الأسرة الكريمة الناجحة ، وما الوطن إلا مجموع أسرات، ونعم وطنا تكون هذه حال أسراته

(وفيقة)

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف

وذهب الضباط على رأس من أخرجوهم إلى الخديو يسمعونه شكواهم ، وكان بعض أعوان الخديو يشيرون عليه بأخذهم بالشدة ومعاملتهم معاملة الثائرين ولو أدى الأمر إلى إطلاق النار عليهم ، وقال البعض إن من العبث أن تلجأ الحكومة إلى البطش وليس لديها وسائله، فالفرق جميعاً تؤيد عرابياً ومن معه، والرأى أن يسلك الخديو معهم جانب اللين فيطفئ بذلك نار الفتنة

وتغلبت الحكمة على الطيش ووضع اللين فى موضع البطش ، فأوفد الخديو إلى الضباط الثلاثة ومن ظاهرهم من الجند تحت نوافذ قصره يخبرهم بإجابة مطلبهم الأول فقد عزل رفقى ، وطلب إليهم أن يختاروا من يحل محله حتى لا يعودوا إلى الشكوى ، فوقع اختيارهم على محمود باشا البارودى ؛ ووعد الخديو بالنظر فى بقية مطالبهم والعمل على إنصافهم . وطلب الضباط الإذن على الخديو فمثلوا بين يديه وأعربوا له عن امتنانهم وولائهم لشخصه وإخلاصهم لعرشه، ثم انصرفوا وانصرف الجند فرحين مستبشرين

وكان على الخديو أن يتدبر الأمر منذ بدايته وينظر ما إذا كان لديه قوة يقمع بها الحركة إن كان لا بد من وضع العنف موضع العدل ؛ فإن عدم القوة كان أمامه أن يلجأ إلى اللين غير مكره ولا مغلوب على أمره ... ولكنه تصرف فى الأمر على نحو ما رأينا فأفضى إلى نتائج خطيرة سوف تؤثر أثرها فى مجرى الحوادث ، فظفرُ الجند بمطالبهم فى عنف وعجز الحكومة عن مقاومتهم قد وضع الخديو وحكومته فى موضع الضعف وأحل عرابياً وحزبه محل التوثب والتطلع وجعلهم مناط الرجاء والأمل . هذا إلى ما تركه هذا الحادث من سخيمة فى نفس الخديو يصعب بعدها كل تفاهم ويلبس فيها كل حق بالباطل ؛ ثم من حذر وريبة فى نفوس الجند يلقيان على كل حركة من حركات الحكومة شبح الغدر ويلبسان كل عمل من أعمالها ثوب الرياء

على أن ما يعنينا فيما نحن بصدده أن هذا الحادث قد أدى إلى ذيوع صيت عرابي على نحو لم يسبق لفلاح غيره فى مصر ، فسرعان ما دار اسم ذلك الفلاح على كل لسان فى القاهرة وسمع بذلك الاسم الأجانب ومن لم يكن يعرفه من المصريين ؛ ولم يقف الأمر عند القاهرة بل لقد رن هذا الاسم فى القرى فأناق على رنينه الساحر أولئك الأعيان والمشايخ الذين تعودوا منذ القدم أن يخضعوا خضوعاً مطلقاً للترك والجركس، الذين كانوا ينظرون إلى الفلاحين نظرتهم إلى دوابهم

وعجب أولئك الفلاحون أن يجرؤ رجل منهم على تحدى الخديو والرؤساء الجراكسة، فتعلقوا بهذا الرجل ولم يروه، ورغب كثير منهم فى رؤيته ، فقدموا إلى القاهرة يحملون إليه الهدايا ويعربون له عن محبتهم وإخلاصهم وإعجابهم بمبادئه التى تدور حول إنصاف الفلاحين فى الجيش ، وراح هو يخطب فيهم شاكراً مطمئناً

وليت شعرى ماذا تكون الزعامة إذا لم تكن هذه زعامة ؟

ألسنا نرى الآن في عرابي شخصيتين : شخصية الضابط الذي يسير في مطالب الجيش على رأس الجند ، ثم شخصية الفلاح الزعيم الذي بدأ الفلاحون به يرفعون رؤوسهم وقد خفضوها من قبل أجيالاً طويلة ؟ إني لألمس في تلك الصحوة فجر عصر جديد للقومية المصرية ، كان عرابي أول مؤذن أذن به ، ألمس ذلك الفجر الذي سوف يسفر صباحه عما قريب على صيحة فلاح آخر سوف يبرز من القرى كما برز عرابي ، هو سعد بن مصر العظيم مفخرة أجيالها ورأس رجالها

ولئن كان جمال قد أيقظ النائمين في المدن ، لقد بعث عرابي بإقدامه أهل القرى من مراقدهم ، فإن عمله هذا أوحى إليهم أن من الممكن أن يخرج من بينهم من يشمخ برأسه على أولئك الجركس الذين طالما استذلوا في مصر الرقاب !

ويعنينا كذلك من حادث قصر النيل أمر آخر لا يقل عن ذلك أهمية ، ألا وهو التفات الوطنيين إلى عرابي ، فمنذ هذه النقطة التقت الحركتان الوطنية والعسكرية فتولدت من التقائهما الثورة العرابية في أصح مظاهرها وأصدقها

رأى الوطنيون ما أصاب رجال الجند من ظفر سريع ، بينما قد لحقهم هم الفشل ، واستطاع توفيق أو بالأحرى استطاع رياض أن يأخذ عليهم مسالك القول والعمل ، فسرعان ما اهتدوا إلى الطريق الذي يوصلهم إلى أغراضهم فتقربوا إلى عرابي ، فأخذ شريف يراسله ويعقد بينه وبينه أواصر المودة

وحذا حذو شريف زعماء حركة الإصلاح في الأزهر وزعماء النواب مثل سلطان باشا ذلك الذي كان يمثل الأعيان كذلك بحكم أنه منهم ، واتضح لهؤلاء أنه يجب عليهم أن يستعينوا بهذه القوة الجديدة لإقصاء رياض عن مركزه ، وبعث الدستور الموءود وتحقيق الإصلاح المنشود .

وأصبح منزل عرابي مقصد الكثيرين من الأحرار كما كان موئل رجال الجيش ؛ ولم يكن موقف عرابي في الحركة الوطنية موقف الأداة كما زين البغي لبعض المؤرخين أن يقولوا ، فلقد كان هو من جانبه من المتمسكين بمبدأ الشورى منذ نشأته ، وإنه ليؤكد في كل ما كتب أنه قد طالب في عريضته ، فوق ما طلب ، بإعادة مجلس شورى النواب ، ليكون فيه موئل للمظلومين من الوطنيين في الجيش وغير الجيش .

وكان البارودي وزير الجهادية الجديد ، من دعاة الدستور ، ومن حزب شريف ، ولذلك كان حلقة الصلة بين الجند وبين الوطنيين ، وكان كثير الاتصال سراً بعرابي بواسطة علي الروبي حتى لا تدعو كثرة الصلة به جهراً إلى ريبة رياض وحزب رياض ، وبهذه الوسيلة كان الجند على علم بكل ما تريده الحكومة بهم .

وهكذا أصبح عرابي ملتقى الآمال ، يحرص على الصلة به الوطنيون والجند والفلاحون ؛ ولقد بلغ من ذيوع صيته أن أصبح توفيق يغار منه حتى ما يستطيع أن يخفي تلك الغيرة .

ولو أن توفيقاً عرف يومئذ كيف يتخذ سبيله وسط هاتيك الأنواء لجنب البلاد ما كانت مقبلة عليه ولتغير تاريخ مصر الذي كان لا يزال مطوياً في حجب الغيب ، وما كان للخديو من سبيل يومئذ إلا أن ينضم إلى الحركة الوطنية فتكون البلاد كلها تحت لوائه نوابها وجيشها ، ووجوه البلاد وأهلوها ؛ وفي ذلك دون غيره سلامتها وأمنها

* * *

كانت سياسة توفيق إن كان ثمة له من سياسة عقب حادث قصر النيل أهم العوامل في تطور الحوادث بعده على النحو الذي سوف نراه؛ فلقد وقف موقفاً أشبه ما يكون بموقف لويس السادس عشر من مجلس طبقات الأمة حين أجاب نواب العامة فيه إلى ما طلبوا في مسألة التصويت على القوانين وفي نيته أن يغدر بهم متى حانت الفرصة

أدرك الضباط لا ريب أنه أجابهم إلى ما طلبوا إذ لم يكن له من ذلك بد ، ولذلك أحسوا أنه لا بد متربص بهم فتربصوا هم كذلك به

وكان توفيق من ناحية أخرى يكره رياضاً ويعمل على التخلص منه ؛ لذلك وضع نفسه في موضع عجيب حقاً ، فبينما هو يكره الضباط ويمقت حركتهم وينتوي المكر بهم إذا به يتخذ منهم أداة للكيد لوزيره بغية إقصائه عن منصبه .

وهكذا تشاء الظروف أن يكون رجل كتوفيق هو الذي يحرك دفة الأمور في مثل ذلك الزمن العاصف ؛ ولم يكن أمامه كما أسلفنا إلا أن يتخذ سبيله إلى الوطنيين فيتخذ من نواب الأمة سنداً له كما فعل أبوه في أواخر أيامه

ولو أنه فعل ذلك لضعف شأن الحزب العسكري إذ كان يحس الوطنيون أن لا حاجة بهم إلى معونة الضباط ، ثم كان الضباط أنفسهم يجدون في وزارة وطنية تحقق رغائبهم ما يطمئن نفوسهم ويكبح في الوقت نفسه جماحهم بطريقة غير مباشرة

ولكن توفيقاً لم يلجأ إلى ذلك الحل ، وما نشك أنه كان يفطن إليه ، ولكنه كان يقتضيه أن ينزل عن سلطانه إلى نواب الأمة وهو ما نشك كل الشك في أنه كان يستطيع أن يحمل نفسه عليه ، ومن هنا أحدقت به وبمصر الأخطار، هذا فضلاً عن دسائس الأجانب الذين أحكموا شباكهم من مدة لاقتناص الفريسة الغالية في هذه الأيام الكدرة !

وقع حادث قصر النيل في فبراير عام ١٨٨١ م ؛ وفي أعقاب الحادث مرت على مصر بضعة أشهر ما نظن أنه مر على البلاد فترة مثلها في كثرة ما حيك فيها من الدسائس على قصر أمدها

سمع الضباط أن أعوان الخديو يغرون بالمال والمناصب بعض رجال الآليات ليكونوا في الوقت الموعود إلى جانب الخديو ؛ ونمى إليهم أن رياضاً يفكر في طرق إجرامية للفتك بهم ، ومن ذلك ما علموه من أنه كان يدبر مشاجرة في أحد الشوارع يندس فيها من يقتل عرابياً أو من يحضر من زميليه .

ومما يذكره عرابي في مذكراته أن أحد الغلمان الجراكس في منزل عبد العال بك حلمي ، وهو ابن زوج حرمه التوفيق ، قد وضع له السم في اللبن بإيعاز غلام جركسي آخر من غلمان الخديو ، ولولا أن تنبهت الخادمة لراح عبد العال ضحية هذا الغدر الأثيم

وكذلك سمع الضباط أن الحكومة تنوى أن ترسل الآلاي السوداني بقيادة عبد العال بك إلى السودان ، بحجة أن القوة الموجودة فيه غير كافية لحفظ النظام . فأحس الضباط من ذلك أن النية متجهة إلى تشتيتهم للقضاء عليهم متفرقين

واتهم تسعة عشر ضابطاً أحد رؤسائهم بأمور نسبوها إليه أثبت التحقيق بطلانها ، فأبعدتهم الوزارة عن مناصبهم . فبادر الخديو بإعادتهم ، الأمر الذي حنق له زعماء الجيش . إذ رأوا فيه أن الخديو إنما يعضد حركة التمرد في صفوف صغار الضباط ويستميلهم إليه ضد رؤسائهم .

وتراءى إليهم أن الخديو يمرن حرسه في الاسكندرية على إطلاق النار ، وأنه يشهد ذلك بنفسه وينثر الذهب على الجند متظاهراً بمكافأة المجيدين في إصابة المرمى ؛ ولن يفسر مثل هذا العمل في ظروف كهذه إلا بأنه استعداد من جانب الخديو لما هو مقبل عليه من قمع وبطش .

هذا بينما أرادت الوزارة أن تسخر الجند في الآليات الأخرى في حفر الرياح التوفيقي ، وكان عليهم أن يسلموا أسلحتهم إلى مخازن الجهادية قبل ذهابهم إلى ذلك العمل ؛ ولقد رفض عرابي الموافقة على ذلك ، وأيده البارودي وزير الجهادية

وأرسل الخديو من الاسكندرية كما يقول عرابي في مذكراته على فهمي رئيس الحرس إلى زميليه في القاهرة ليقول لهما إن الخديو رغب في عزل البارودي لما رأى من ذبذبته وسوء سياسته ، وإن الخديو يعطف على مطالبهم « فهم ثلاثة وهو رابعهم » وإن سموه يطلب ألا يعلم أحد بإيفاد على بك إليهم .

وعزل البارودي فعلاً ، وكان رياض قد أمره أن يبعد عرابياً وعبد العال بفرقتيهما من القاهرة ، فأبى عليه ذلك

وجاء إلى البارودي ، وكان بالقاهرة ، أمر أن يسافر فوراً إلى عزبته .

ولقد كان البارودي على صلة برجال الجيش ينبئهم كما أسلفنا بكل ما تريد الحكومة بهم ، واتفق معهم أن يكون خروجه من الوزارة علامة اقتراب الخطر .

وحل محل البارودي داود يكن باشا صهر الخديو فما لبث أن لجأ إلى الصرامة في معاملة رجال الجيش ، فحظر عليهم الاجتماع بالمنازل أو ترك مراكزهم ليلاً أو نهاراً وأنذرهم بأشد العقاب إن خالفوا أوامره ؛ ومع أن عرابيا وأنصاره قد هنأوه بمنصبه ، وطلبوا إليه أن يعمل على إجابة مطالب الجيش التي كان البارودي يسعى في إجابتها ، فإنه اكتفى بالوعود ولم يفعل شيئاً .

وأحيط بيت عرابي وعبد العال بالجواسيس ، وجرت الشائعات بالنذر فملأ القاهرة نبأ عجيب وهو أن الخديو قد استصدر فتوى سرية من شيخ الإسلام بقتل عرابي ، وكانت الظروف يومئذ تساعد على تصديق هذا النبأ الكاذب أكبر المساعدة .

وطلب رجل مجهول الإذن على عرابي في منزله فلم يأذن له وشوهد أنه عاد إلى أحد مخافر البوليس ؛ وذهب عرابي إلى منزل زميله فعلم أنه حدث لهما مثل ما حدث له فأيقنوا أن حياتهم قد باتت في خطر ، وكان ذلك في ٨ سبتمبر سنة ١٨٨١ م .

لذلك كله عول الضباط على أن يخطوا خطوة حاسمة ، وكانوا على صلة دائمة في تلك الشهور التي أعقبت حادث قصر النيل برجال الحركة الوطنية « يتبع »

الخفيف

نقل الأديب

لأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٩٨ — كأنما له زغب الفراخ يقوتها

ابن فيروز البصير :

وروضة لهـو قد جنيت ثمـارها

بدير العذارى بين روض وأنهار(1)

تخال به وجه الدير وكأسه   هلالاً وشمساً بين أنجم نوّار

يطوف بأبريق مفدّى ، كرامة   علينا ، بأسماع كرام وأبصار

كأنا له زُغْبُ الفراخ يقوتها

بمثل مُذاب التبر من شطر منقار(2)

٣٩٩ — لا يسمع ذم صديقه

في (مرآة المروءات) للثعالبي : جلس أبو نواس إلى نفر من قريش ، فذكروا صديقاً له فعابوه ، فقام أبو نواس فاستجلسوه فقال : ليس من المروءة أن أجالس قوماً يذمون صديقاً لي ، وأنشأ يقول :

لا أعير الدهر سمعي   ليعيبوا لي حبيباً

احفَـظِ الإخوان كيما   يحفظوا منك المغيبا

٤٠٠ — شريكك

قال صلاح الدين الصفدي : رأيت الشيخ الإمام الفاضل ركن الدين محمد بن القريع غير مرة ينكر على من يضرب كلباً أو بهيمة ويقول له بحنق : لأي شيء تفعل به هذا وهو شريكك(3) في الحيوانية ؟ !

---

(1) دير العذارى بين سر من رأى وبغداد ، في موضع حسن ، فيه رواهب عذارى ، وكانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومنتزهات ، لا يعدم من دخله جواري حسان الوجوه والقدود والألحاظ والألفاظ (مسالك الأبصار) وهناك أديار أخر تسمى هذا الاسم راجع معجم البلدان

(2) الزغب : الفراخ . والزغب بالتحريك ما يعلو ريش الفرخ ، صغار الشعر والريش ولينه (اللسان) زغب القطا : فراخ القطا التي عليها الزغب وهو الشعر اللين (التبريزي شارح الحماسة)

(3) أبو العلاء :

فيا طائر ، أمي وياطي ، لا تخف   شـذاي فما بيني وبينكما فرق

٤٠١ — ولا تصحب الأردا فتردى مع الردى

وُجد على ظهر نسخة من (المفصل) بخط عتيق : سئل ابن ابن الأخضر بحضرة ابن الأبرش : علامَ انتصب قوله : (مقالة إن قد قلت سوف أناله؟). فقال : (ولا تصحب الأردا(1) فتردى مع الردى) . فقال السائل : سألتك عن إعراب كلمة فأجبتني بشطر بيت . فقال ابن الأبرش : قد أجابك لو كنت تفهم . وهذا الشطر من قول النابغة :

أتاني ـ أبيت اللعن ـ أنك لمتني   وتلك التي تستك منها المسامع(2)

مقالة إن قد قلت سوف أناله   وذلك من تلقاء مثلك رائع

روى (مقالة) بالرفع على أنه بدل من أنك لمتني الفاعل وبالفتح على ذلك إلا أنه بناه لما أضافه إلى مبني

٤٠٢ — فتوة

في (مفيد العلوم ومبيد الهموم) لجمال الدين الخوارزمي : كان رجل نيسابوري يدّعي الفتوة ، فاجتاز يوماً بمفرق(3) الطرق ، فرأى شاباً مريضاً يتأوه ويستغيث ، فتقدم إليه وقال : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي رؤية أمي والرجوع إلى وطني . قال : أين منزلك ؟ قال : ببلخ . فأخذ الرجل بمجامع لحيته ولطم نفسه (وكان اسمه أبا الحسن) ، فقال : يا أبا الحسن ، كنت أظن أنه يشتهي فُقاعاً(4) ، أو قصعة هريسة . ادعيت الفتوة فهات المعنى . فرجع إلى بيته وباع داره ، واكترى راوية(5) وحمولة(6) وآلات وحمل الرجل ، وأوصله إلى منزله .

---

(1) الأردأ بالهمز وخفف للوزن كمنه بالردئ ، والأردأ هنا الردئ فقط

(2) أبيت اللعن : تحية الملوك في الجاهلية أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن (الأساس) وفي (أنباء نجباء الأبناء) : وهذا عندي فيه بعد وأظن أنك أبيت أن تلعن قاصدك ووفدك أي تبعده . في (التاج) : قال شيخنا من أغرب ما قيل وأقبحه أن الهمزة فيه للنداء ، وهو غلط محض ، لأن المعنى ينقلب فيه من المدح إلى الذم

(3) مفرق : بفتح الراء وكسرها

(4) الفقاع : هذا الذي يشرب (الجوهري) شراب يتخذ من الشعير (اللسان)

(5) راوية : بفلا ، والراوية المزادة فيها الماء والبعير والحمار الذي يستقى عليه

(6) الحمولة : كل ما احتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه

٣٠٣ — الفتوة

فى (الذخائر) للأشبيلى : سمع بعض السلف بعض الفتيان يقول : الفتوة إنما هى الظرف والانهماك والمجون . فقال له : ويحك ! يا بنى ، حدت (والله) عن طريق الحق ، وجرت عن القصد . والله ما الفتوة[1] إلا مال مبذول ، وبشر مقبول ، وطعام موضوع ، وأذى مرفوع .

٤٠٤ — ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم

فى (الكشاف) : (ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم) : ليتكلفوا الفقاهة[2] فيه ، ويتجشموا المشاق فى أخذها وتحصيلها وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم فى التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة ، ويؤمونه من المقاصد الركيكة ، من التصدر والترؤس والتبسط[1] فى البلاد ، والتشبه بالظلمة فى ملابسهم ومراكبهم ، ومنافسة بعضهم بعضاً ، وفشو داء الضرائر بينهم[2] ، وانقلاب حماليق[3] أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه ، وتهالكه على أن يكون موطأ العقب[4] دون الناس كلهم

---

(١) فى (تاريخ بغداد) قال عبد الرحمن بن الحسن الصوفى : بلغنى أنه لما أراد أبو حفص النيسابورى الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والغلمان ، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم : دلنا على الفتوة ما هى ؟ فقال : الفتوة تؤخذ استعمالا ، معاملة لا نطقاً . فعجبوا من كلامه

(٢) فقه فقاهة : صار الفقه له سجية . والفقه : العلم ، الفهم ، الفطنة . نزل سلمان على نبطية بالعراق فقال : هل ههنا مكان نظيف أصلى فيه ؟ = فقالت : طهر قلبك وصل حيث شئت . فقال فقهت : فطنت وفهمت . وقد غلب على علم الدين

(١) التبسط التنزه مأخوذ من البساط (بالفتح) الأرض ذات الرياحين (اللسان)

(٢) بينهم داء الضرائر : جمع ضرة وهو جمع غريب ومثله كنة وكنائن ، يضرب للعداوة إذا رسخت بين قوم لأن العصبية بين الضرائر قائمة لا تكاد تسكن

(٣) الحماليق جمع الحملاق (بالكسر والضم) والحملوق وهو باطن الجفن . فى الأساس : (قلب المجنون عينه إذا غضب فانقلبت حماليقه)

(٤) موطأ العقب : كثير الأتباع (الأساس) والعقب مؤخر القدم

تقهقر نابليون عن روسيا

لفكتور هوجو

[مهداة إلى الدتشى بعد وضع الرمل مكان الثلج]

كانت السماء تُساقِطُ الثلج ؛ وكان الفاتح قد قهره فتحه ، والنسر لأول مرة تطامن رأسه

يا للأيام العوابس ! لقد تقهقر الإمبراطور وئيد الخطى تاركاً وراءه (موسكو) داخنة تحترق !



كانت السماء تساقط الثلج ؛ والشتاء القاسي يتدهدى قطعة فقطعة ، والبقاع البيض تتعاقب بقعة فبقعة ، والجيش قد وقع فى غمّاء فلا يُعرف له قائد ولا عَلَم ؛ وكان بالأمس أعظم الجيوش فأصبح اليومَ قطيعاً من النعم ؛ واضطرب الأمر وتشعث النظام فلا يتبين له جناحان ولا قلب

كانت السماء تساقط الثلج ، والجرحى يلوذون ببطون الخيل المبقورة ؛ ونافخو الأبواق على مداخل المعسكرات الليلية المحطمة قد جمّدهم الصقيع، وغشّاهم البَرَدُ ، فظلوا فى أماكنهم واقفين على العتبات ، أو صامتين على السُّرُج ، وأفواههم الحجرية قد التصقت بأبواقهم النحاسية ؛ والسماء تندف بالرصاص والقنابل مختلطة بكبب الثلج ؛ وجنود الحرس الإمبراطورى يفجأهم الروع فيمشون مفكرين وقد انعقد رُضابُ الجليد على شواربهم الغُبر

كانت السماء تساقط الثلج ، والريح الصرصر تهب ، والجنود يمشون حفاة على الطوى فى مجاهل الأرض، فلم يعودوا تلك القلوب التى كانت تنبض ، ولا تلك النفوس التى كانت تحارب ، وإنما أضحوا حلماً يهيم فى الضباب، وسراً يجول فى الظلام، وموكباً من الأشباح يضرب فى الأجواء القاتمة ؛ وكانت الوحدة الشاملة المروعة تبدو فى كل مكان صامتة منتقمة ، والسماء الساكنة تجعل من طباقها ومن ركام الثلج كفناً عظيماً لهذا الجيش العظيم . وكان كل جندى يحس فى نفسه دبيب الموت فى وحدة ووحشة

هل يتيح لهم القدر أن يخرجوا من هذه الأرض المشئومة ؟ لقد كانوا أمام عدوين: القيصر وريح الشمال ، والشمال كانت عليهم أشد . كانوا يلقون المدافع ويشعلون النار فى خشبها ليستدفئوا ؛ وكان كل من رقد منهم لا يصحو من رقاده ؛ وكانوا يفرون شراذم فى وجوه الضلال والهم فتتخطفهم المنايا وتبتلعهم الصحراء، فلو نظرت من صدعات الجليد لرأيت كتائبهم تحت أطباقه راقدة

يا لَسقطة هنيبال وعُقبى أتيلا ! لقد كان المهزومون والجرحى والموتى وصناديق الذخيرة وناقلات المرضى يتساحقون على الجسور ليعبروا الأنهر ؛ وكان الجند ينامون عشرة آلاف فيستيقظون مائة ؛ و (نى) الذى كان يتبعه جيش من قبل ، فر الآن بعد أن نازع ثلاثة من القوزاق ساعته



كانت الهتفات لا تنفك طول الليل تشق الآذان : من هذا ! هيا ! هجمة : حمه ويتناول هؤلاء الأشباح بنادقهم فيرون أن قد هجمت عليهم كتائب من الخيّالة القطاع ، وزوابع من الرّجّالة الشقر ، لهم صور كصور الهُوَل المفزعة ، وأصوات كأصوات البُزاة الصُّلع ! وهكذا باد فى غياهب الليل جيش بأسره !

وكان الامبراطور واقفاً هناك ينظر ! كان كالسنديانة العملاق تفرعت ذراها المصونة نكبةُ الدهر، وهى الحطاب المشئوم، ثم أخذ يهين عظمتها بفأسه ، والسنديانة الحية ترتجف أمام شبح الثأر الفاجع وتنظر إلى فروعها تتساقط من حولها فرعاً بعد فرع .

من دخان المجتمع !

« في ذكرى نائم أمين »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

جف الخميل ... فلا ظل ولا ثمر
ولا نشيد إليه يظمأ الوتر

إلا بقايا أغان هاهنا وهنا
مبرحات عليها الصمت يختصر

وقبلة من شفاه الطير ثاكلة
على الغصون، تهاوت حولها الذكر

وشاعر في يديه أدمع ودم
وجذوة من أسى تغلي وتستعر

ويشتكي فيقول الناس هز صدى
وقال شعرا. ضللتم ! إنه ضجر

طوى الربيع على أقداحه مزقا
من قلبه ، في هجير العمر تنفطر

ونغمة في مجاري النفس حائرة
ما في فمي نبأة عنها ولا خبر

دفنت فيها ، وذراني بحيرتها
إعصار يأس كليل الجن معتكر

ما يبتغي عاشق التغريد من نغمي
والكون حولي زند خانه الشرر

والأرض بر كأن آجال يكاد بها
لولا العناية في الآفاق ينفجر

والناس مثل الضواري لا خيال لهم
إلا المخالب والأنياب والظفر

وما بهم جائع عزته لقمته
ولا شريد تجافى جنبه المدر

فما لهم جيشوا الأرزاء واحتشدوا
للموت فانين لا هابوا ولا حذروا

وجندوا الغاز ... وازتجوا له فزعا
وتحتهم فغرت أشداقها الحفر

في كل يوم مرير ذاب صولجه
ودولة في رياء السلم تندثر

فإن تبرج فتاك ... وطل دم
فالنسر جوعان في الآجام ينتظر

وليذهب العصر مطعونا بخنجره
تبلي حضارته الأطماع والأشر !

فنمتم ... وعشاش الطير عارية
والأفرخ البيض والأطفال والزهر

حتى الربيع. وما ذنب الصباح به
والنهر يحلم والأنسام والشجر ؟

هزازل أبدع الطاعون فتنتها
ما هزني هاجس منها ولا أثر ...

كان الجيش يموت قادته وجنده. لكل امرئ رحيته وحينه. وكانت بقية السيوف من رجال الأمبراطور يحفون من حول خيمته في إجلال وحب، ويرون ظله على الأستار يذهب ويجيء، فيتهمون القدر بالعيب في ذاته، ولا يخامرهم الشك في يمن طالعه. ولكنه هو أدرك فداحة الخطب؛ واتجه رجل المجد إلى الله وهو من الهول الهائل في دهشة ورعشة وحيرة. وعلم نابوليون أن ما أصابه إنما هو تكفير عن شيء. فقال ووجهه الساهم ينم عن القلق، وكتائبه على الثلج منثورة أمامه:

— أهذا هو العقاب يا رب الجيوش ؟. فسمع من وراء الغيب منادياً يناديه باسمه ويقول له: « كلا »

(ابن عبد الملك)

أنا ابنُ مَنْ أعيتِ الدُّنيا حضارتُهُمْ
وَنَوَّرُوا وَظَلامُ الأرضِ مُعْتَكِرُ

وأنطقوا مُعجزاتِ الفنِّ قاهرةً
والدَّهرُ لجلجةُ الإعياءِ والحَصَرُ

قُمْ غَنِّني مِنْ دَمِ الأبطالِ أغنيةً
يحلو لشادِي العُلا في ظِلِّها السَّمَرُ

وهاتِ عن سيرةِ الأحرارِ في وطنٍ
ما أيقظتْ قلبَهُ الأحداثُ والغِيَرُ

وبينَ هذا وهذا ... أقبلتْ زُمَرٌ
ضلَّتْ سبيلَكَ . تتلو ركبَها زُمَرُ

هَوَى على كَفِّهِمْ نجمُ العفافِ ... فما
هزُّوا لمصرعِهِ جَفْنًا ولا شَعَرُوا

باسْمِ السُّفورِ أقاموا كلَّ مجزرةٍ
يكادُ يَلْطِمُ مِنْ أهوالِها القَدَرُ

عافُوا فضجَّ الحِمَى من رِجْسِ خطوتِهِمْ
وفزَّعتْ منهمُ الأخلاقُ والأُسَرُ

واهتفْ «بقاسمٍ»: قُمْ فانظرْ صحائفَهُ
تضيقُ عن وصفِها الأخبارُ والسِّيَرُ

شَهِدْتَ في الخُدورِ قيدَ الذُّلِّ مُحتدِمًا
قلبُ الخُدورِ على بلواهُ ينفطرُ

أزاهرُ النيلِ أفنى السجنُ بهجتَها
ومَسَّ أكمامَها مِنْ هولِهِ خَدَرُ

فرُحْتَ تزأرُ حولَ القيدِ عاصفةً
ما شلَّ فورتَها جُبْنٌ ولا حَذَرُ

وحولَكَ الرأيُ تحكي نارُ غضبتِهِ
أسنَّةً في قتامِ الحربِ تشتجرُ

فقائلٌ : مُصْلِحٌ أوفَى بِمِشْعَلِهِ
على الضِّفافِ كما يستشرفُ القمرُ

ألقى المبادئَ ما في روحِها ضَرَرٌ
مسَّ الحجابَ ، ولا في شرعِها خطرُ !

وقائلٌ : شِرْعةٌ قبلَ الأوانِ أتتْ
والعصرُ في وَهْدةِ الأخلاقِ منحدرُ !

وقائلٌ : زَنبقُ الوادي بربوتِهِ
تحتَ الخمائلِ عُذْرِيُّ الشَّذى نَضِرُ !

فإنْ تنقَّلَ ماتَ العطرُ ... وانتثرتْ
أكمامُهُ ، وطواهُ التُّرْبُ والوَضَرُ !

نعشُ الفضيلةِ يمشي في مواكبِهِمْ
فما يُحِسُّ بِهِ سَمْعٌ ولا بَصَرُ

قالوا: شأى الغربُ! قلتُ: الشرقُ سابقُهُ
وإنْ تبدَّلتِ الأشكالُ والصُّوَرُ

وما بعاداتِهِ نُعْلِي دعائمَنا
لكنْ بما تُلهِمُ الأحداثُ والعِبَرُ

وكيفَ يعلو جبينُ الدَّهرِ في بلدٍ
بكفِّ شُبَّانِهِ الأخلاقُ تنتحرُ ؟!

فقُمْ لَهُ « قاسمٌ » واهتفْ بساحتِهِ
يا علَّها بعدَ هذا الغيِّ يزدجرُ !

أوْ لا فنَمْ هانئًا في الخُلْدِ ، لا صَخَبٌ
يُضْني الحياةَ ولا هَمٌّ ولا ضَجَرُ ...

تجدَّدتْ ذِكراكَ علَّ اليومَ خافقةً
مِنْ أرْغُني بصداها النفسُ تعتبرُ

أنا الذي يُسْمِعُ الأبطالَ ذِكرَهُمُ
وإنْ تَزَوَّى بهمْ تحتَ الثرى حَجَرُ !

عزيفُ جنِّيَ فوقَ الشمسِ دارتُهُ
ويحتمي اللَّغْوُ والتهريجُ والهَذَرُ ...

«وزارة المعارف» محمود حسن إسماعيل


هذا هو المشروب
المفضل فى
فصل الصيف
الشاى
المثلج
مشروب منعش مرطب
طريقة عمله جهز شايا ثقيلا ثم اسكبه على
مبشور الثلج واضف اليه السكر
والليمون او اللبن حسبما
يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند
وسيلان وجاوه وسومطرا
اشربوا
الشاى المثلج



دراسات في الفن :

التمثيل تلخيص الحياة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

ينحو التمثيل في مصر نحوين :

أما النحو الأول فهو صناعة التمثيل، وزعيم مدرستها في مصر الأستاذ جورج أبيض . والواحد من أبناء هذه المدرسة يتلقف الدور الذي يعهد إليه بتمثيله ، فينكفئ على جمله وعباراته يدرسها جملة جملة وعبارة عبارة ، ويرى أي شيء يقصد إليه المؤلف من كتابة هذه الجملة أو هذه العبارة . فإذا كان المراد بها استفهاماً عرف الممثل الصناع هذا الغرض ، وأدرك أن هذه الجملة أو هذه العبارة يجب أن تلقى كما يلقى الإنسان سؤالا يُشعر بإلقائه سامعه بأنه ينتظر منه الجواب . فإذا كان المراد بالجملة أو العبارة إظهار الشكوى والتوجع أنّ وهو يلقيها وأرسل صوته متهدجاً متقطعاً . وإذا كان المراد بالجملة أو بالعبارة إعلان الثورة والغضب استلزم تمثيلها عند هذا الممثل أن يصرخ فيها وأن يزعق ، وأن يشير بيديه — إذا أحب — إشارات تتفق في معناها ومعنى الغضب والثورة الذي يعلنه بعبارته أو جملته

وهذا أسلوب في التمثيل كان الفرنسيون يصطنعونه حتى السنوات الأولى من هذا القرن وهي السنوات التي أدرك فيها الأستاذ جورج أبيض أستاذه « سيلفان » الذي تعلم التمثيل على يديه في البعثة التي أوفده فيها الخديو عباس ، وهذا الأسلوب فيه عيب هو أخطر العيوب التي ينكب بها فن من الفنون وهو التكلف ، ذلك أنك لا تستطيع أن تشاهد ممثلاً يمثل بهذه الطريقة وتستطيع أن تنسى أنك تشاهد تمثيلاً ، فأنت تلحظ — مهما تناوم حسك — أن كل كلمة مما يلقى أمامك قد درست حروفها حرفاً حرفاً ، فلا حرف من حروفها يخرج من بين شفتي ملقيها إلا بعناية مبذولة ، ولا جملة ترسل من فيه إلا بتنغيم وتلحين يصرخ في أذنيك بأنه لم يرد عبثاً وبأنه يراد به أن يحوز إعجابك ، إعجابك أنت أيها المتفرج ؛ وهذا شيء تزورُّ عنه الطبيعة ولا ترضاه. فليس في الدنيا ناس يكلم بعضهم بعضاً مثلما يكلم أفراد هذا الفريق من الممثلين بعضهم بعضاً وهم واقفون على خشبة المسرح . فهو تمثيل أجدر به أن يقضي الإنسان أمامه الساعات يشاهده « يتفرج عليه » ولكنه لا يساهم فيه بعواطفه وشعوره ، ولا يشارك فيه ممثليه بوجدانه وإحساسه .. وكيف يصدقهم وهم يذكرونه في كل كلمة من كلامهم بأنهم ممثلون ، وبأن هذا الكلام الذي يسمعه رواية تخيلها كاتب من الكتاب ، وأن هذا المقعد الذي يجلس عليه فوتيل ممتاز أجره في السواريه عشرون قرشاً يضاف إليها قرشان ضريبة على لهوه وعبثه !

وهذا هو ما حدا بي أن أسمي هذا النوع من التمثيل صناعة التمثيل ، وهو ضرب من التمثيل يستطيعه الموهوب كما يستطيعه غير الموهوب لأنه لا يحتاج في إتقانه إلا إلى تدريب صوتي تم بتمامه الصنعة ، ويقعد بعد تمامها الفن الصادق محزوناً محسوراً

أما النحو الآخر الذي نحصيه للتمثيل فهو هذا الضرب الذي لا يعبأ بالصنعة ، والذي لا يعبأ بالصوت ، والذي لا يهتم كثيراً بمخارج الحروف ، والذي لا هم له في هذه الناحية الصناعية إلا أن يكون الصوت واضحاً مسموعاً مفهوماً ؛ ولكنه يتطلب قبل هذا من الممثل أن يكون قد وهب نفسه وروحه وبصره وسمعه وإحساسه وكل قوة من قواه للتمثيل ، لا مختاراً ، فلا سبيل للاختيار في المواهب ، بل مفطوراً مطبوعاً . فإذا لم يكن الله

قد خلق الممثل ممثلاً فإنه لن يستطيع أن يبلغ من المجد الفني إلا مثلما بلغه الأستاذ الكبير جورج أبيض: دراسة وإلقاء

فالممثل الصحيح هو هذا الذي يشب وهو يراقب الناس فرداً فرداً ويدرس أشخاصهم كاملة لا ممزقة؛ فهو لا يعني بأصواتهم واهتزازاتها المختلفة في أصواتهم النفسية المختلفة من تساؤل وغضب وفرح وحزن، وإنما هو يتوغل في نفوسهم إلى ما هو أعمق من هذا؛ فهو ينفذ بروحه إلى حيث مكامن العواطف والانفعالات في نفوسهم، فيتعرف الأساليب التي تجري عليه نفوسهم في تفهم الأشياء وفي الإحساس بالمؤثرات المتباينة. ويجب أن يكون هو نفسه إلى جانب هذه الدراسة التي لا تتاح لكل إنسان صافي الروح سهل الوجه صريح الملامح والقسمات بحيث ينفعل وجهه وصوته عفواً بما ينتاب نفسه من المؤثرات. فإذا اكتمل له هذان العاملان أمكن في غير تحرج أن نقول إنه ممثل كامل. ويقف نجيب الريحاني في الصف الأول من هذا النوع من الممثلين المصريين الذين نذكر منهم مختار عثمان وبشارة واكيم

والواحد من هؤلاء الممثلين الموهوبين يتلقف دوره فيسدأ أولاً في تقليب ذاكرته والبحث فيها عمن مروا به في حياته من الناس الذين يشبهون صاحب هذا الدور الذي عهد إليه بتمثيله. فإذا عثر في ذاكرته على هذا الشبيه المطلوب فقد عثر على كنز. لأنه لن يحتاج في إخراج الدور الجديد إلا أن يتقمص روح هذا الشبيه، وأن يلاشي نفسه أثناء تمثيل الدور، وأن يحل محلها نفس ذلك الذي بحث عنه في ذاكرته واهتدى إليه. فإذا تم له هذا التقمص، فإنه سيكون على المسرح — أو أمام الكامرا — صورة هي أقرب الصور إلى هذه الصورة الأصلية الطبيعية. فإذا كان المؤلف قد أسعده بالتطابق التام بين الصورة المرسومة في الرواية والدور، وبين الصورة الأصلية الطبيعية، فإن الممثل الموهوب لن يبذل من الجهد أكثر من هذا التقمص الذي ذكرناه، وهو بعد ذلك يستولى عليه منذ أن يصطنعه إحساس يشابه تمام المشابهة الإحساس الذي ترتكز عليه الصورة الطبيعية الأصلية في كيانها. فهو يتكلم كما تتكلم ويشير كما تشير، ويمشي كما تمشي، ويجلس كما تجلس، ويغضب كما تغضب، ويسأل كما تسأل، ويحب كما تحب، ويعلن حبه كما تعلن حبها، ويكره كما تكره، ويعلن كراهيته كما تعلن كراهيتها ... فهو أولاً وأخيراً قد فني في هذه الصورة التي يمثلها، وهو لا يفيق منها إلا إذا غادر المسرح. بل إن من الممثلين الموهوبين من يتلاشون في أدوارهم تلاشياً فلا يستطيعون أن يستعيدوا طبيعتهم إلا بعد أن يفرغوا من تمثيل الدور الذي يستغرقون في تمثيله هذا الاستغراق. ولعل الهواة يلحظون أن علي الكسار قد استحال بربرياً من كثرة تمثيله لدور البربري. ولعل منهم من سمع «عزيز عيد» وهو يقول إنه عاش مدة طويلة من الزمن خليفة المسلمين أيام كان يمثل دور السلطان عبد الحميد

وهذه الصور الطبيعية، أو هذه النماذج الإنسانية الأصلية الصحيحة هي مراجع الممثل الفنان، وبها تحصى ثروته الفنية. فما دام قد شاهد منها صوراً كثيرة، وما دام قد تمكن من دراسة هذه الصور، وما دام قد درب نفسه على التبطل التام ليحل محلها صوراً من نفوسها بالتقمص والانصهار والتحول، فهو إذن ممثل غني قادر متمكن

وهذه الصور تستلزم وقتاً طويلاً من الحياة يبذله الممثل في معاشرة الناس وفي دراستهم، ولا يمكن لهذه الدراسة أن تتم إلا بهذه المعاشرة التي لا منطق فيها ولا إعداد لها. لذلك كان مما يشبه العبث أن يتعلم الشبان التمثيل في المعاهد التي لا تستطيع أن تعرض عليهم النماذج المتعددة من الصور النفسية الإنسانية، والتي تقعد عند تمرين الطلاب على الإلقاء وإحسان إخراج الحروف. أما التمثيل الصحيح فمعهده الدنيا كما أنها معهد لكل فن صحيح

وقد يسائلنا هنا سائل: ما الذي يستطيع الممثل أن يصنعه إذا عهد إليه بتمثيل دور تاريخي قد مات صاحبه وانطفأت شعلة روحه، فلا يستطيع الممثل أن يراقبه ولا أن يدرسه عن كثب ليتمكن بعد ذلك من أن يصهر نفسه ليصوغها بعد ذلك في القالب النفسي الذي كانت عليه نفس هذا الشخص التاريخي الذي يراد تمثيله !؟

ونحن نقول رداً على هذا السؤال: إن القراءة والدرس في مثل هذه الحالة يجبان وجوباً، وأنهما يعوضان جانباً كبيراً من الخسارة الفنية التي يخسرها الممثل بحرمانه الاتصال المباشر بالصورة الإنسانية التي يريد أن يمثلها. فبالقراءة والدراسة يستطيع

الممثل أن يقف على أسلوب هذا « الأصل » في الحياة ، ومهما يستطيع أن يتعرف أخلاقه وعاداته ، وما كان يفضل من ألوان اللهو ... وألوان اللهو مهمة جداً في نظر الممثل الفنان ، فهي الأعمال التي يمارسها الإنسان برغبته الخالصة والتي يستطيع الممثل أن يعرف بها ميول هذا الذي يريد أن يمثل دوره . ومتى استطاع أن يعرف هذه الميول وما ينبتها من المزاج الخاص استطاع بعد ذلك أن يرسم بالتمثيل صورة تطابق إلى أبعد الحدود الصورة الأصلية الطبيعية التي يريد أن يمثلها

وقد يحدث أن يمثل ممثلان نابغان ذاتاً واحدة — أو أصلاً واحداً — ولكنهما يختلفان في التمثيل فلا تتطابق الصورتان اللتان يظهر أن كلا منهما هي الأخرى كما حدث ذلك قريباً إذ خرج كل من الممثلين العالميين هاري بور وجون باريمور دور « راسبوتين » فقد خرج الذين شاهدوا جون باريمور في دوره بصورة عن راسبوتين تطابق هذه الصورة الشائعة التي صورته لنا بها المقالات التي كتبت عنه في الصحف ، والروايات التي ألفت عنه وروجتها دور الطبع والنشر ، والروايات الأخرى التي مثلتها عنه المسارح .. وقد كانت هذه جميعاً مقت راسبوتين وتراه شراً أخبث من الشر ، وتبخل عليه حتى بأخس صفة من الصفات الإنسانية تنسبها إليه؛ فهو عندها الجاهل الذي يدعى العلم ويلزم الناس إلزاماً بأن يروه عالماً ؛ وهو القرد الذي ما يكاد يرى أنثى حتى يسيل لعابه وتهيج فيه أحط الغرائز فيرسلها ثائرة ويطلقها جامحة لا يكبحها ولا يلوى عنانها ؛ وهو السكير الذي لا تكف أمعاؤه عن الصراخ في طلب الخمر والذي لا يستقر رأسه بين كتفيه على حال من أثر الشرب ، وهو الدجال في مسوح القديس ؛ وهو آخر الأمر الخائن الذي يبيع وطنه وأهله وذويه بالثمن البخس، فهو إذن الرجل أو الكوم من اللحم الذي لا إنسانية له ولا كرامة ولا عفة ولا شرف ولا قومية ولا دين ! ...

هذا بينما اتجه هاري بور في تصوير راسبوتين إلى اتجاه آخر، فقد أخذ على عاتقه ألا يسترسل في نقد راسبوتين هذا الاسترسال الذي يهدم إنسانيته هدماً ، فاستبقى هاري بور لصاحبه من شره مالم يستطع أن ينكره لإجماع المصادر التاريخية عليه فأظهره سكيراً محباً للنساء، ولكنه عدل بعد ذلك عن تلوينه بألوان الدجل والخيانة فأظهره صريحاً صادقاً يقول للناس إنه يعالج مريضاته المختبلات من الإناث بعلاج طبيعي هو عند الرجال جميعاً ولكن الناس لا يرضون أن يصدقوا هذا ويأبون إلا أن يسبلوا عليه مسوح القديس صاحب المعجزات فلا يملك إلا أن يسخر منهم وأن يتأنق في المسوح ، كما أظهره أيضاً مخلصاً لقيصره ووطنه إذ يلح بالنصيحة على القيصر ألا يزج بالروسيا في الحرب لعلمه بعجزها عن المضي فيها

وهكذا اختلفت صورتا « راسبوتين » اللتان عرضهما جون باريمور وهاري بور ، وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف دراسة كل منهما لراسبوتين ، وإلى مطاوعة كل منهما لمؤلفه ...

وأخيراً ، فقد يعهد إلى الممثل بتمثيل دور عادي طبيعي لا شذوذ فيه ولا أصل له متميزاً في الطبيعة . عندئذ يستطيع الممثل أن يسترجع نفسه هو ، ولا بد له إذن أن يكون قد راقب روحه ورأى كيف تستقبل الحوادث والفاجآت والمؤثرات وعليه في مثل هذه الأدوار أن يمثل نفسه في رداء الدور

عزيز أحمد فهمي



كيف كشفت الأشعة النافذة

للدكتور محمد محمود غالى

لمحة تاريخية — أعمال جوكل وهيس وكولمورستر — المناطيد المسجلة — صعود الأستاذ بيكار فى طبقة « الستراتوسفير »

إذا أردنا أن نسميها الأشعة الكونية ، أو أردنا أن نسميها الأشعة النافذة ، فإن الأسماء لا تغير الوقائع فى شىء ، فهى كونية لأننا لا نعرف مصدرها ، وهى نافذة لأنها تخترق ما يقابلها . ونعيد القول أنه بينما تحجب ورقة رفيعة أشعة الشمس على قوتها ، فإن كتلة من مادة الرصاص يبلغ سمكها متراً لا تحجب إلا نصف عدد الجسيمات المكونة للأشعة الكونية

لم يختلف الفضاء منذ آلاف السنين عن الفضاء الذى نعيش فيه ، ولم تختلف الظواهر الطبيعية والقوانين المرتبطة بها منذ عشرات آلاف الأعوام ؛ ومع ذلك فقد مضت المدنيتان المصرية والإغريقية كما مر عهد العرب دون أن يستمتع أحد منهم بالراديو كما نستمتع به اليوم ، ذلك لأنه كان لزاماً أن يتقدم العالم للحد الذى أمكن لمكسويل الإنجليزى أن يضع الأسس الرياضية لنظرياته الكهرومغناطيسية للموجه ، ولهرتز ليدلنا على أن سرعة الكهرباء هى سرعة الضوء ، ولماركونى الإيطالى وبرانلى الفرنسى ليضعا مع غيرها الأسس التجريبية التى تيسر لنا اليوم أن نحصل من التاجر على جهاز نسمع منه ، ونحن فى وسط الصحراء أو فوق جبل عتاقة ، بعيداً عن كل أثر للمدن أو الحياة ، موسيقيا من القاهرة أو خطيباً من باريس

كذلك الأشعة الكونية ، لم يختلف الفضاء الحامل لقذائفها منذ عهد بعيد ، بل لم تختلف درجة وصولها إلينا منذ أمد طويل . وفى ظنى أن أهرام الجيزة تصاب فى هذا العصر بالعدد الكبير الذى كانت تصاب به فى أقدم العهود ، هذا العدد أقدره بأكثر من مليون مليون قذيفة فى اليوم الواحد(1) تقع كلها على أحجار الأهرام وتتغلغل فيها لمسافات بعيدة تبلغ العشرات من الأمتار

وإذا كان برايش Preich وهام Hahm الألمانيان توصلا منذ بضعة أسابيع فقط إلى إيجاد عنصر التوريوم بينما كانا يقذفان عنصر الإيرانيوم بإشعاع تقل درجة اختراقه عن الأشعة الكونية ، فماذا جرى فى الأهرام منذ بنائها ؟ وماذا تكون فيها من ذرات جديدة لم تكن فى عداد ذرات أحجارها الأولى ؟

كانت الأشعة الكونية موجودة بلا شك منذ القدم ، وهى ما تزال تحدث أثرها فى كل زمان ومكان ، تحدث هذه الآثار فى الأهرام كما تحدثها على قمم الجبال أو على سطح البحيرات بعيداً فى أعالى النيل ، ومع ذلك لم تكن معروفة للانسان إلا منذ عهد قريب ، وقد تمضى سنون عديدة قبل أن نعرف شيئاً وافياً عن أثرها فى المادة التى تقابلها ، أو عن أثرها فى حياتنا . ولا شك أنه عندما نخطو هذه الخطوات تتغير معارفنا ، بل تتغير إلى حد أساليب استعمالنا الأشياء ، ويرى اللاحقون بنا جيلاً يختلف عن الجيل الذى نعيش فيه

* * *

تبدأ معارفنا الأولى عن الأشعة الكونية فى سنة ١٩٠٠ ،

---

(١) ذلك باعتبار المساحة المبنى عليها الهرم الأكبر وهى حوالى ١٣ فدانا وملاحظة أن الأشعة الكونية تصل بمعدل قذيفة واحده على كل سم٢ فى الثانية عند سطح الأرض وأن عدد هذه القذائف يزداد كلما ارتفعنا وهو ما تدل عليه التجارب العلمية

فمنذ ذلك الحين كانت الظاهرة المسماة « التأين[1] المتبقى » Ionisation residuelle معروفة لدى الطبيعيين ، وتبدأ الأعمال الخاصة بهذه الظاهرة بالعالمين الستر وجيتل Elster et Oeitel اللذين بينا بطريقة دقيقة كما بيّن العالم الكبير س . ت . ر . ولسون C. T. R. Wilson ، منعزلاً فى البحث عنهما ، أن الهواء الجاف المحصور فى وعاء مقفل ليس عازلاً كهربائياً تاماً ، بل إنه موصل كهربائى ، مهما كان ضعيفاً ، فإنه لا شك فى حالته الكهربائية ، ومعنى هذا أن لكل حجم معين من غاز مصون من جميع الأشعة كالأشعة السينية (أشعة X) ، قدرة على التأين أى على التوصيل الكهربائى ، وبعبارة أخرى تظهر فى الغاز شحنات كهربائية تمثل أو تدل على ظاهرة غير مفهومة . هذه المعلومات الأولى جعلت العالم س . ت . ر . ولسون يظن أن إيجاد اليونات Production d'ions فى الهواء الخالى من جميع المواد الملقة (كالأتربة الرفيعة) قد يعزى لإشعاع خارج عن الغلاف الهوائى المحيط بكرتنا الأرضية ، إشعاع شبيه بأشعة رنتجن أو الأشعة الكاثورية ولكن له قوة اختراق عجيبة

وقد شاءت الظروف أن ننتظر سنين طويلة ، ليكون هذا الإلهام أو الوحى الذى أوحى به هذا العالم حقيقة لا تقبل الجدل ، بل شاءت الظروف أن يمضى عشرة أعوام قبل أن تتحقق التجارب الأولى التى نفسر بمقتضاها هذه الظاهرة التى تحدث من تلقاء نفسها وبدون عوامل تتعلق بالأرض أو ما يحيط بها

وتنحصر التجارب الأولى فى قياس الوقت الذى يمر لتفريغ Decharge «الكتروسكوب» ذى ورقتين من أوراق الذهب ، فى حالة نضمن فيها بكل الوسائل عدم إمكان مرور الكهرباء خلال كل الأجسام العازلة المتصلة به . ومع معرفة أن وقت التفريغ يتناسب مع حجم وضغط الغاز ، وجد الباحثون أن عدد الأيونات الحادثة فى السم^3 فى الثانية فى درجة الحرارة والضغط العادى يساوى من ١٠ إلى ٢٠ أيوناً عند سطح البحر لالكتروسكوب معرض للجو فى حالته الطبيعية .

وقد أصبح معروفاً أننا لو حجبنا الالكتروسكوب من جميع الجهات بعنصر ثقيل مثل الرصاص ، فإن الرقم السالف ينخفض إلى ٢ أيون لكل سم^3 فى الثانية ، ويعللون هذا الانخفاض بامتصاص الرصاص لأشعة « جاما » الراديومية الصادرة من المواد الأرضية وغيرها من المواد المحيطة بالالكتروسكوب كالمبانى القريبة منه مثلاً .

ولكى نثق أن لعملية التأين مصدراً غير المواد الراديومية الموجودة فى الأرض ، حمل العلماء الالكتروسكوب على سطح بحيرات عميقة جداً ، كذلك فى مناطيد أرسلوها لارتفاعات كبيرة ، وكانت النتيجة أنهم أثبتوا أن عملية التأين موجودة دائماً ، وأنها تزداد كلما ارتفعنا فى طبقات الجو [1]

ولقد كان لجوكل Gockel و هيس Hess وكولهورستر Kolhorster بين سنة ١٩١١ و سنة ١٩١٣ ، الفضل فى القيام بتجارب فى الهواء بإرسال مناطيد إلى ارتفاعات مختلفة تحمل معها غرفة للتأين مصونة من أى إشعاع ، وقد بحث هؤلاء فى التغير الحادث فى عملية التأين فى الحيز الواقع بين سطح البحر ، وبين منسوب ٩٠٠٠ متر . وقد دلت التجارب كما قدمنا أن التأين يتزايد فى الطبقات المرتفعة من الجو . وهذا ما جعل الأفكار تتجه إلى أن سبب التأين أشعة متجهة من أعلى إلى أسفل فى طبقات جو الكرة الأرضية ، وليس أشعة تتجه من الأرض إلى الطبقات العليا

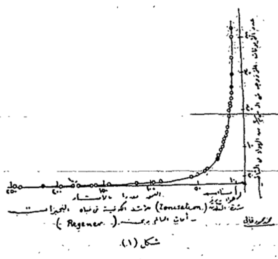
كذلك قام فريق من العلماء بتجارب عديدة تحت سطح الماء بأن حلوا الأوعية التى تحدث فيها عملية التأين ويسمونها : غرفة التأين Chambre d'ionisation فى أعماق البحيرات ، ووجدوا أن عملية التأين تقل كثيراً تحت سطح الماء . ولقد كان

(١) التأين : حدوث الأيونات جمع أيون (Ion) وقدمنا أن الأيون هو ذرة أو جزىء أو جسيم يحمل شحنة كهربائية . ونستطيع لسهولة النطق أن نسميه بالعربية يون ونجمعه يونات بدل أيون وأيونات

(١) حدثنا مسيو موران Charles Maurin عضو المجمع العلمى الفرنسى فى دروسه التى يلقيها كل عام عن الطبيعة الأرضية أن هذا التأين يقل فى البدء عند ما نرتفع عن الأرض ، حتى ظن أن مصدره المواد المشعة الموجودة بها ، ولكن ازدياده بعد ذلك فى الطبقات العليا من الجو بدرجة عظيمة يفسر أن الأرض لا يمكن أن تكون مصدره

(٢) وتسمى بالفرنسية (Physique du Globe) وبالانجليزية (Geophysics) وهى مادة نرى من المفيد تدريسها فى الجامعة المصرية ونرى ان يدرس فيها علاوة على شكل الارض وخواصها ، والزلازل ، والجو ، النيل والصحراء المصرية من الناحية الهيدروغرافية ، كذلك كل ما يخص دراسة باطن الأرض بالطرق الطبيعية الحديثة .

لكولهورستير وميليكان Millikan وكامرون Cameron فضل كبير فى هذه المباحث بتجاربهم التى قاموا بها فى البحيرات الجبلية المختلفة الارتفاع ، وأهم ما توصلوا إليه من نتائج ، هو أن درجة التأين . أو قوة الأشعة الكونية تختلف مع كمية المادة الموجودة فوق غرفة التأين سواء كانت المادة ماء أو هواء



شكل (١)

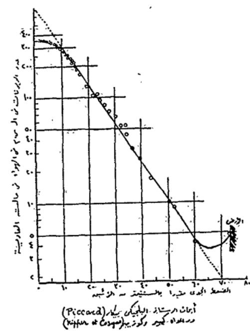
هذه الدراسات بلغت درجة كبرى من الدقة فى أعمال ريجنيه Regener الذى أدلى غرفة مسجلة للتأين فى مياه بحيرة كونستانس إلى عمق ٢٣٠ متراً . كذلك أرسل بغرفة أخرى فى منطاد بلغ فى صعوده ٢٥ كيلومتراً حيث يبلغ الضغط الجوى عند هذا الارتفاع ٢٢ مليمترا وحيث يتبقى من كتلة الهواء ٣٪ من كتلته الأصلية وترى نتائج (ريجنيه فى الشكل ١) حيث ترى كيف يتغير عدد الأيونات المزدوجة فى كل سم^3 من الهواء فى الثانية مع العمق ، وكيف يرتفع هذا العدد فى طبقات الجو العليا ؛ وكيف ينخفض جداً تحت سطح البحيرات . وقد دلت التجارب الأخرى أن الأشعة الكونية تصل مخترقة الماء لمسافات تزيد على ٥٠٠ متر

هذه المناطيد التى استعملها ريجنيه وغيره من النوع الذى يطلقونها بعد أن يضعوا فيها أجهزة طبيعية تسجل الأرصاد المختلفة التى تتبين للعلماء بعد العثور على هذه المناطيد التى ترد فى العادة من الأماكن البعيدة التى تقع فيها، وتسمى هذه المناطيد بالمناطيد الخاصة Ballons Sondes

وقد بلغت هذه المناطيد شأواً كبيراً من التقدم منذ استطاع أيدراك Idrac وبيروه Bureau فى سنة ١٩٢٧ أن يحصلا بطريقة لا سلكية على كل المعلومات التى تسجل داخل البالون ، وترسل باللاسلكى إليهما دون أن يكون داخل البالون الصغير شخص للقيام بهذه المهمة . وقد قدمت فى أعداد مضت من الرسالة أننى استطعت مع العالم بيروه المتقدم الذكر أن أضع طريقة[1] لتسجيل منسوب النيل أو كمية ما تحمله المياه من طمى دون أسلاك ومعرفة ذلك مهما بعدت المسافة

***

كل هذا لم يصرف بعض العلماء عن أن يقوموا بتنفيذ فكرة جريئة خطرت لهم وهى الصعود إلى هذه الطبقات العليا من الجو التى يطلقون عليها « ستراتوسفير »



(شكل ٢)

ولقد كان الأستاذ بيكار Piccard أول من فكر فى القيام بنفسه بهذا العمل الجرئ ، الذى كان يجوز أن يودى بحياته وحياة

(١) نشرت خلاصة أبحاثى هذه فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى فى مايو سنة ١٩٣٨

تلميذه كوزين Cosyns عندما صعد لأول مرة من ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٢[1] ومعهم كيبير Kipper إلى طبقة الأستراتوسفير[2] للقيام بدراسات طبيعية عديدة كانت الأشعة الكونية أهم الأغراض فيها ، وقد تبين لبيكار وزميليه كيف تتغير الأشعة الكونية مع الارتفاع ، والشكل (٢) يعطى النتائج العملية الهامة التي توصل إليها بيكار فهو يبين كيف يتغير عدد الأيونات في ١ س م٣ في الثانية مع الضغط الجوى أى مع الارتفاع

كل هذا يدل على أننا مغمورون بأشعة تصلنا من أعلى إلى أسفل ولها قوة اختراق عجيبة تزيد على الخمسة أمتار من الرصاص أو الـ ٥٠٠ مترا من الماء ، وهى إما أن يكون مصدرها الطبقات العليا من الجو ، أو أن يكون مصدرها خارجاً عن الغلاف الهوائى المحيط بالأرض .

على أننا سنرى أن تغيّر شدة هذه الأشعة مع خطوط العرض يحتم الرأى الثانى . وسنبين فى مقال قادم أن الشمس بدورها لا يمكن أن تكون مصدراً لها كما سنبين أثرها على المادة التي تخترقها ونتكلم عن الوسائل الدقيقة لقياسها ، وتسجيل مسارات جسيماتها وسماعها عند مرورها ، وهى وسائل تختلف عن غرفة التأين السابقة وتعد اليوم أقصى ما بلغه العلم التجريبي من القوة والتقدم .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

---

(١) نشرت خلاصة أبحاث بيكار الأولى فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى في سنة ١٩٣٢ ص ٦٠٤

(٢) يسمى العلماء ستراتوسفير الطبقات التى يزيد ارتفاعها على ١٤ كيلو متراً وقد صعد بيكار إلى علو ٢١ كيلو متراً

من هنا ومن هناك

كتاب جديد لهتلر – ملخصة عن «باريس ميدى»

يقال إن أحد رجال السياسة المدعوين أراد مقابلة هتلر في الساعة الرابعة بعد ظهر أحد الأيام ، فأجيب بأن الفوهرر لا يمكن مقابلته ما بين الثالثة والخامسة لاشتغاله بوضع كتاب .

فإن دكتاتور ألمانيا يشتغل إلى جانب أعماله السياسية بالأعمال الأدبية والفنية ويوليها جزءاً كبيراً من وقته .

وقد اتفقت وزارة الدعاية الألمانية أخيراً مع دار للنشر في أمريكا على طبع كتاب لهتلر . ويقال إن صاحب هذه الدار بعد أن قدمت إليه رسالة عن تاريخ حياة الدكتاتور استفسر عن اسم الكتاب، فأعلن بأنه كتاب ثان لكتاب « كفاحي » من المحتمل أن يصدر تحت عنوان : « كفاح ألمانيا » . ويليه كتاب ثالث باسم : « كفاح أوربا » .

وتقول بعض المصادر العليمة إن لهتلر كتاباً رابعاً سيصدر بعنوان : « بين الإرادة والطاعة » ، وهو كتاب يجمع آراءه الفلسفية والدينية .

إن هتلر بلا شك قد أخرج أروج كتاب ظهر في القرن العشرين ، فكتاب كفاحي بيع منه ٢٠ مليون نسخة في ألمانيا وحدها .

كيف يقوم هتلر بتأليف هذه الكتب ؟ إن كتاب كفاحي كتب في السجن ومن المعروف أنه قبل أن يكتب آراءه في هذا الكتاب ، عمد إلى بحثها مع كارل هائشوفر ، ورودلف حيس ، والفريد روزنبرج . ولكنه في كتابه الجديد لم يسترشد بأحد ، ولم يذكره لأحد .

ويملي هتلر آراءه على كاتبه فيلتقطها على الآلة الكاتبة في سرعة عجيبة ، ويشتغل على الدوام من الساعة الثالثة إلى الخامسة بعد الظهر – وإنما يفعل ذلك لأن مشاغله المتعددة لا تترك لديه مجالاً للاختيار . فإذا تعذر العمل في ذلك الوقت لظرف من الظروف أجل الإملاء إلى ما بعد ظهر اليوم التالي ، على ألا يكون ذلك قبل الساعة الثالثة ، ولا بعد الساعة الخامسة بعد الظهر . وهو يلتزم هذه القاعدة لأنه يحب أن يقيد نشاطه الأدبي بوقت معين

ويشاع أن نظرية الكتاب الجديد الذي يشتغل به هتلر ، مبنية على فكرة جديدة لحل مشاكل العالم جميعاً بالطرق السلمية .

فهل تحقق الأيام القريبة نظرية هذا الكتاب ؟ إنه الآن في مركز يحمله أكثر من غيره فطنة إلى ذلك .

المرأة في ظل الدكتاتورية – ملخصة عن (ذي هربرت جورنال)

الفاشية بطبيعتها لا تتفق وحرية الرأي . فهي في الحقيقة تقوم على حكم القوة . ومن ثم كان مركز المرأة فيها مركزاً ثانوياً ، تحت نفوذ الرجل الذي أعد للحرب والقتال

وعلى ما هو معروف عن الفاشية من المبادئ المتفرقة ، نجدها قد وضعت المرأة في مركز لا يبيح لها أن تكون أكثر من آلة صماء لخلق الرجل وخدمته في إبان الحروب

ويقول موسوليني في حديث له مع إميل لودفج : المرأة يجب أن تطيع . إنني لو صرحت للمرأة بالدخول في ميدان الانتخاب لأضحكت مني العالم ، إن النساء في حالة كحالتنا من الواجب ألا يحسب لهن حساب. وقد أضاف إلى ذلك أنه قد أعجب بشخص من أسلافه قتل زوجته لأنها لم تحتفظ بشرفه . هذا ما يفعله أهالي روما الذين انحدرت من أصلابهم . وقد أصدرت الحكومة الفاشية منذ نشأتها قانوناً يقضي بمنع المرأة من تعليم الطفل إذا بلغ الحادية عشرة أمراً ما قد يكون له تأثير في تكوينه الخلق ، وما زال هذا المبدأ يعمل به إلى الآن .

إن الذين يعرفون ما تقاسيه المرأة في ظل النظام الفاشي — خارج إيطاليا — قليلون .

لقد كانت السن الدنيا للزواج في إيطاليا للبنات خمس عشرة سنة ، وللرجال ثماني عشرة ، فنقص ذلك إلى أربع عشرة للبنات وست عشرة للذكور — في ظل النظام الفاشي —

وقد سن في قانون العقوبات الجديد في إيطاليا مبدأ لا يجعل الرجل مداناً في حالة الاعتداء على أسرته ، إلا إذا كان اعتداؤه هذا يترتب عليه عاهة يصعب علاجها ، وفي هذه الحالة يحكم عليه بالسجن ستة أشهر بدلاً من خمس سنوات في القانون القديم ، فإذا ماتت الفريسة ترتفع العقوبة إلى ثماني سنوات بدلاً من الإعدام . وعلى ذلك فللإيطالي أن يضرب زوجته وأولاده كيف يشاء ، ما دام هذا الضرب لا يسبب لهم كسراً في العظم ، أو فقداً لحاسة من الحواس . وكثيراً ما يشمله العفو في مثل هذه الظروف ، على أن الفريسة يندر أن ترفع أمره إلى القضاء .

فإذا هربت إحدى الفتيات من سوء المعاملة ، وقد تكون من هؤلاء اللائي لا يتجاوزن الرابعة عشرة ، فإن البوليس يطاردها ويقدمها للمحاكم حيث يحكم عليها بالسجن سنة كاملة ، أما الرجل فلا يسأل عن سوء معاملته لها .

أما نظام النازي فقل أن يختلف عن هذا النظام من حيث الاستهتار بحقوق المرأة ، فالمرأة الألمانية تستوي مع أختها الإيطالية في المعاملة التي تعامل بها في ظل الحكم الاستبدادي ، ولا تزال الشكوى ترتفع إلى العالم مما تلاقيه . وقد أشارت الفيننشيال تايمز الألمانية إلى أن المرأة لا تضايق الرجل بمشاركتها إياه في الحياة فقط ، بل بمنافستها له في كسب الخبز أيضاً .

وقد أرغمت المرأة الألمانية على التخلي عن حقوقها الانتخابية وحرمت الحق في التوظف في مصالح الحكومة والمجالس البلدية والمستشفيات ، وكذلك بعض المدارس إلا إذا كانت سنها تزيد على خمس وثلاثين سنة . على أنها تفصل من وظيفتها إذا تزوجت من رجل له وظيفة يكتسب منها أو كان من غير العنصر الآري . ويقضي قانون ١٩٣٣ بفصل المرأة من عملها إذا تزوجت وثبت للسلطات أن إيراد زوجها كاف للقيام بنفقاتها . وكذلك إذا كان لها والد أو أخوة يستطيعون القيام بأمرها فإنها تفصل من عملها ولو لم تكن متزوجة

وقد أخرج النازي آلافاً من النساء اللائي كن يقمن بأعمالهن دون أن تسمع لهن شكوى

ولا يصرح بدخول الجامعات في ألمانيا الآن إلا لعشر في المائة من الفتيات اللائي يحصلن على شهادة البكالوريا

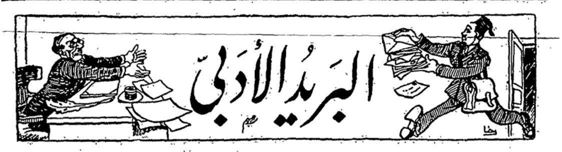
وقد سيق آلاف من النساء العاطلات إلى المعسكرات للاشتغال بأعمال الغسل والنظافة والطهي

لقد أنقذت المدنية المرأة منذ أجيال من الاشتغال بالأعمال الزراعية المرهقة ؛ ولكن النازية قد ساقت إلى الحقول الكثيرات من نساء ألمانيا الذكيات حيث قضى عليهن بأن يقمن بأشق الأعمال

ماذا تقول السيدة « م »

إن أملاح النس أنقذتني من الروماتزم والسمنة . كنت ضحية الروماتزم وأنفقت كثيراً للتخلص منه ولكن أملاح النس أعادت إلى الصحة الجيدة

كان وزني يتزايد حتى بلغت ٨٥ كيلو ولكن ما كدت انتهى من تعاطي الزجاجة الأولى حتى أخذ وزني في النقصان فبلغ ٦٢ كيلو . إن أملاح النس مركبة من ستة عناصر مستخلصة من ستة أنواع من المياه المعدنية الشهيرة فإنها تطهر المعدة من بقايا الأكل والاختمارات التي تتحول إلى سموم وتتوزع بواسطة الدورة الدموية إلى بقية أعضاء الجسم فتعرضه إلى أمراض مختلفة من ضمنها الروماتزم .



حماية نفائس دار الآثار العربية

قد سبق لهذا القلم أن عاتب وزارة المعارف في هذا الباب من الرسالة ، ولا سيما يوم عرض لدار الأوبرا الملكية ولمعهد الموسيقى العربية . ويحلو له اليوم أن يذيع أن وزارة المعارف حمت نفائس دار الآثار العربية إذ منعت خروجها من مصر . وهكذا تذكر الحسنات إلى جانب غيرها

والقصة أن جمعية « مصر — فرنسا » France - Égypte القائمة في باريس رغبت إلى المستشرق المسيو ڤييت مدير دار الآثار العربية في مصر (وذلك بعقد يجدد كل سنتين) أن يظفر بموافقة الحكومة المصرية على الإرسال بأجل القطع المحفوظة بالدار إلى باريس حتى تُعدّ معرض الفن الإسلامي المزمع إقامته هنالك . فاختار المسيو ڤييت نحو ثمانمائة تحفة وأوعز إلى معاونيه بجمعها وإعدادها للرحيل ؛ وإذا وزارة المعارف تقف في وجه الأستاذ ڤييت وترفض أن تقره على عمله

ولا شك أن في عمل المسيو ڤييت بعض الشطط . ذلك أن قانون دار الآثار العربية — فيما أعلم — يحظر خروج محفوظاتها منها . وإن قال قائل إن الدار سبق لها أن ترسل بتحف إلى معرض الفن الفارسي سنة ١٩٣١ وأخَر إلى معرض بروكسل سنة ١٩٣٧ ، فالذي في الواقع أن تلك التحف كانت معدودة . وأما هذه الدفعة فقد حاول الأستاذ ڤييت أن يخرج من الدار ثمانمائة تحفة كلها من النفائس التي لا مثيل لها في سائر البلدان والتي بها تفتخر دار الآثار العربية وتمتاز مصر . ولو اتفق لهذه التحف أن تنفذ إلى باريس فما يكون مصيرها لو وقعت حرب أو تحطمت أو تثلمت أو أثر فيها الجو ؟ من أين نجلب أشباهها ؟

والوجه أن الآثار لا تخرج من بلد إذا كانت فريدة لا أخوات لها ، ثم إنه يحسن أن تخرج نماذج لها بدلاً منها . وعلى هذا أقيم معرض النحت الفرنسي لهذه السنة في الجزيرة في مصر ، وعلى هذا أكثر المعارض الرفيعة

وبعد ، فالمأمول أن تعد وزارة المعارف نفسها معرضاً للفن الإسلامي تكل أمره إلى دار الآثار العربية ، لأن مصر أحق البلدان في إقامة مثل ذلك المعرض ، فنفائس دار الآثار لا تجاريها محفوظات المتاحف الأخرى ؛ فضلاً عن أن عددها يبلغ هذا الرقم الجليل : ١٤٣٥٠ بحسب الإحصاء الذي دونه الأستاذ ڤييت نفسه باللغة الفرنسية لشهر مضى في « الدليل الموجز لمعروضات دار الآثار العربية » على حين أن آثار الفن الإسلامي المحفوظة في باريس لا تكاد تتطلع إلى ذلك الرقم

بشر فارس

المبتدأ الذي لا خبر له

قرأت ما كتبه الأستاذ (أبو حجاج) في رد ما ذهبت إليه في إعراب المبتدأ الذي لا خبر له ، فوجدته أولاً لم يحاول رد إعرابي بشيء ، وهذا كسب عظيم لذلك الإعراب الجديد ، وكنت أحب للأستاذ أبي حجاج أن يبطل إعرابي هذا قبل أن يحاول تسويغ إعرابهم ، وإذا لم يكن إعرابي باطلاً — وهذا ما أرجوه إن شاء الله — فإني كنت أحب أيضاً أن يوازن بين الإعرابين ليرى كيف يستقيم أمر المبتدأ على إعرابي ، فيكون مسنداً إليه باطراد ، كما يستقيم ذلك في الفاعل ونائب الفاعل واسم كان واسم إن ، وكيف يضطرب أمره في إعرابهم ، فيجعل مسنداً إليه تارة ومسنداً تارة أخرى ؛ مع أن الأصل فيه أن يكون مسنداً إليه . وليس هناك ما يدعو إلى جعله مسنداً إلا ذلك الإعراب الذي يغني عنه إعرابي ، ولا شيء في أن يوضع هذان الإعرابان في ميزان واحد . وإن كان أحدهما متقدماً والآخر متأخراً ، لأن مثل هذا الاعتبار لم يعد له وزن في عصرنا ، وكم من متأخر رجح متقدماً

ووجدته ثانياً يحاول تسويغ إعرابهم بما أنكرته عليهم ، فهو يسلم ما قلته من أنهم لم يسموا الشيء فاعلاً إلا إذا كان في المعنى فاعلاً ، وهكذا ، ثم يقول إنهم كذلك لا يسمون الاسم مبتدأ إلا إذا كان مبتدأ في المعنى ، أي إلا إذا كان اسماً مجرداً عن العوامل اللفظية وهو إما مخبر عنه أو وصف رافع لما يغني عن الخبر . ولا يخفى أن هذا قياس مع الفارق كما يقولون ، لأن ما سلمه من ذلك معناه ظاهر ، وهو أن الشيء لا يسمى عندهم فاعلاً في الاصطلاح إلا إذا كان فاعلاً في الواقع ؛ أما الذي ذكره في المبتدأ فمعناه أنه سمي مبتدأ في الاصطلاح لأنه مبتدأ في الاصطلاح ، وهذا تهافت ظاهر ، ثم هو عين ما أنكرته عليهم ، لأنه اصطلاح يلزم عليه إخراج المبتدأ عن أصله ، وإدخال ما لا معنى لإدخاله فيه

والحق أن الوصف في مثل ذلك جار مجرى الفعل ؛ وكما لا يصلح أن يكون الفعل مبتدأ ، لا يصلح أن يكون ما جرى مجراه مبتدأ ، ولهذا لم يصلح اسم الفعل لأن يكون مبتدأ لأنه جار مجرى الفعل ، والفعل لا يصلح للابتداء به . فكذلك ما يجري مجراه ، وهذا هو الحق في اسم الفعل ولو قلنا إنه موضوع للدلالة على معنى الفعل ، لا على لفظ الفعل ، لأن الخلاف في ذلك يشبه أن يكون لفظياً ، ولأن الفعل لا يصلح لفظه ولا معناه للابتداء به ، وليس هذا الحكم قاصراً على لفظه فقط

وقد قال صاحب التصريح إن اسم الفعل يعرب مبتدأ على القول بأنه موضوع لمعنى الفعل ، وهو قول غير مسلم عندي ، وما أظن أن أحداً سبقه إليه ، لأن الفعل لا يصلح لفظه ولا معناه للابتداء به ، فكذلك ما يدل على معناه من اسم الفعل ونحوه ، ولأنهم قصروا المبتدأ الذي لا خبر له على الوصف المنوى ، وهو ما دل على ذات ومعنى قائم بها ، وقد أخرجوا منه المصدر لأجل هذا ، إلا أن يكون مؤولاً بالوصف ، ولا شك أن اسم الفعل مثل المصدر في أنه ليس وصفاً بذلك المعنى ، فلا يصح أن يكون مبتدأ مثله . وما أحري الأستاذ أبا حجاج أن يسلم لي مذهبي بعد هذا كله ، والسلام عليه ورحمة الله

عبد المتعال الصعيدي

نقابة جديدة للموسيقيين . . .

وأخيراً وبعد هذا الزمن الطويل الذي قطعه الموسيقيون في تنافر وتنابذ وشقاق استطاع بعض المصلحين المثقفين منهم أن يلموا الشمل وأن يمهدوا الفكرة التعاون الصادق والإخاء الذي لا ينفصم فاجتمعت الآنسة أم كلثوم بالأستاذ محمد عبد الوهاب، حتى إذا اتفقا وتصافيا ونسيا كل شيء إلا خير الموسيقى ورفعتها والأخذ بيد أبنائها انتقل هذا الاجتماع من (سان جيمس) إلى دار الاتحاد الموسيقي الذي يرأسه الأستاذ ابراهيم شفيق . وقد حضر الاجتماع الذي انعقد يوم السبت ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٩ بالدار من الموسيقيين والمطربات الأساتذة : الدكتور محمود أحمد الحفني مدير الموسيقى بالمعارف ، وصالح عبد الحي ، وابراهيم شفيق ، ومحمد بخيت ، ومحمد القصبجي ، وكامل ابراهيم ، والسيدة فتحية احمد . وقد استمر الاجتماع منعقداً أكثر من ثلاث ساعات ذلل فيها أكثر العقبات ورسم فيها أكثر الخطا . . . وقد انصرفوا على أن يجتمعوا بعد أسبوع لتكملة مشروعهم . ولعل الفرح الذي كانت تفيض به نفوس إخوانهم المنتظرين في أبهاء المعهد خير حافز لهم على التوفيق والنجاح . ولعل هذه الحركة المباركة هي المسمار الأخير الذي سيدق في نعش تلك الفوضى التي كانت تسود الجو الموسيقي والتي كانت تحرم الموسيقيين من نقابة ترعى حقوقهم وتسهر على مصالحهم ...

الموبلجي

الى شباب الجامعة والأزهر

عرض الأستاذ الكبير العقاد في مقاله القيم : «يهتمون به فهل يعرفونه» المنشور في عدد الرسالة (الممتاز) لبعض الخلط والتمويه الذي يتطرق له الكثير ممن يتصدون للكتابة عن العرب والإسلام من أبناء الغرب . وبين يدي كتاب عن : «لورنس في جزيرة العرب» لرحالة أمريكي يدعى لوول تماس رافق الكولونل لورنس ردحاً من الزمن في جزيرة العرب أثناء الثورة العربية ، حشاه بكثير من الأغاليط لا يعدو الباعث عليها أحد الأسباب التي أشار إليها الأستاذ الكبير في مقاله الآنف الذكر .

لو يتسع لي المجال لقدمت لقراء الرسالة طائفة من عجائب ذلك الكتاب، بيد أني سأقتصر على عجيبتين فقط

قال في ص ٥١ أثناء كلامه عن الحجاج : « ... وبعد أن يقوم الحجاج بتأدية الشعائر الدينية في مكة ، يعودون إلى أوطانهم فيخضبون لحاهم ويعرفون بعدها بالحجاج ، أو الرجال القدسين . وقبل مغادرتهم مكة تسلم لهم تذاكر تضمن دخولهم الجنة » .

واستطرد في ص ٢٢٣ إلى ذكر الوهابيين فقال: «وهؤلاء المدققون في أمور الدين ، يريدون إبطال الحج ، وإزالة كافة

الزارات : كالكنيسة المقدسة ، وقبة النبي في المدينة » .

وجل ما يكتب في الغرب عن العرب والإسلام على هذه الوتيرة. وأثر هذه الكتابات سيئ وخيم العاقبة . فمكتبة شبابنا المتعلمين اليوم هي المكتبة الغربية ، أصيلة في الغالب ، مترجمة في النادر . فحبذا لو تألفت لجنة من شباب جامعة فؤاد الأول ، والأزهر ، لنقد وتمحيص ما يكتب عنا ، لا ليعلم أبناء الغرب حقيقتنا نقية غير مشوبة فقط ، ولكن لنقي أبناءنا ما وسع الجهد من هـذا الوباء الفتاك أن يسمم عقولهم . وما عهد الحملة التي وجهت في مصر لكتاب : « حياة محمد » ببعيد . (البحرين) « ت »

مخرج ممتاز يفقد

من أخبار السينما المصرية أن شركة مصر للتمثيل والسينما رفضت تجديد عقد الأستاذ نيازي مصطفى المخرج المعروف وهذا أمر لا يفرح به من يهمه تقدم صناعة السينما المصرية ، ولا سيما بعد ما شهدنا ما بذله من جهد في إخراج روايات ضئيلة الموضوع . وهو ممن تعرف قدرته في ألمانيا ، بحسب اعتراف أساتذة فن الإخراج هنالك

حتام يستبعد أهل الكفاية في هـذا البلد ، إذا بدت منهم الدراية ؟ ب . ف

العلاقات الثقافية بين مصر والبلاد الشرقية

تعنى وزارة المعارف بالعمل على توثيق روابط الثقافة بين مصر والبلاد الشرقية ، وقد ألفت لجنة لهذا الغرض من رجال الخارجية والوزارة برياسة صاحب العزة الأستاذ الوكيل لبحث الموضوع ولكن الرأي اختلف فيه فطلبت وزارة المعارف إلى وزارة الخارجية أن توافيها بما تتضمنه الاتفاقات المعقودة بين الدول الأجنبية في هذا الشأن . فأرسلت إليها نص الاتفاق الذي عقد أخيراً بين فرنسا ورومانيا ، وهو يقوم على القواعد الآتية :

تأليف جمعيات تعنى بتشجيع حركة التعاون الثقافي بين البلدين وإلقاء المحاضرات وطبع الكتب وتبادل الأساتذة والطلاب بين معاهد البلدين . وإنشاء صناديق ادخار مشتركة لطلبة الشعبين . والأخذ بمبـدأ المساواة في الدرجات العلمية والتزاور بين الشخصيات الكبيرة المعروفة في عالم الفن والعلم والأدب . وتشجيع سفر الفرق الفنية والتمثيلية والموسيقية إلى البلدين . وإنشاء جمعيات واتحادات « فرنسية رومانية » للطلبة في فرنسا ورومانيا ، والدعاية لنشر الكتب والمؤلفات الموسيقية والأدبية والأفلام والاسطوانات التي تصدر في أحد البلدين بين سكان البلد الآخر ، وكذلك تشجيع السياحة وتنظيم الرحلات وتبادل الإذاعات اللاسلكية بين البلدين .

ومما يذكر أن مثل هذا الاتفاق عقد بين ألمانيا واليابان وبين هذه الأخيرة وإيطاليا ، وبلغ من اهتمام الحكومة الأمريكية بهذا الموضوع أنها أنشأت في وزارة الخارجية قسماً خاصاً لتنمية العلاقات الثقافية بينها وبين الدول الأخرى

التسليح الأدبي خير من التسليح المادي

روت المقطم أن ٨٠٠ محافظ ورئيس بلدية في مدن كندا وبلادها اجتمعوا وقرروا أن تضع حكومة كندا برنامجاً تعرضه على جلالة ملك الانكليز وملكتها عند زيارتهما لكندا مؤداه أن التسليح الأدبي خير من التسليح المادي في حفظ كيان الأمم وراحتها ورفاهتها

ومن أخبار بلاد أسوج في شمال القارة الأوربية أن ٢٠٠ أستاذ من أساتذة ٢٥ جامعة من جامعات أوربا وغيرها ، وعدداً كبيراً من تلامذتها اجتمعوا في جبال تلك البلاد ونظروا ملياً في الطريقة الواجب اتباعها في التعليم والتربية والتثقيف لتكون الجامعات بأساتذتها وتلامذتها في طليعة البانين للهيئة الاجتماعية الإنسانية على أسس العدل والحق وحب الإنسان لأخيه الإنسان وما إلى ذلك من الأسلحة الأدبية التي هي خير من الأسلحة المادية لحفظ كيان الأمم وراحتها ورفاهيتها — فنحول إلى ذلك أنظار جامعاتنا الشرقية في مصر وسوريا ولبنان وغيرها

أشباح القرية

تأليف الأستاذ كرم ملحم كرم

للسيدة وداد سكاكيني

الأستاذ كرم ملحم كرم من أكبر أدباء القصة في بلاد العرب ومن أكثرهم إنتاجاً وجهداً موزعاً بين فنون الأدب ، فهو موهوب في الفن القصصي ، نشر رواياته الثلاث : « المصدور » و « صرخة الألم » و « بونا أنطون » فكان لها دوى بعيد ، وكتب أقاصيص رائعة في مجلته « ألف ليلة وليلة » أبدعها قلم مرهف مطواع وتلقاها قراؤه بلهفة وإعجاب ، لا سيما ما كان منها يعبر عن أحداث رأوها رأى العين أو طرقت مسامعهم ، وكان لها مساس بحياتهم . وقد اتخذ الأستاذ كرم الصراحة ديدناً لأسلوبه فما يخشى بأساً إن عرض في قصصه لشخوص بخصائصهم ودخائلهم حتى أنه اكتسب من جراء قلمه الحر عداء وحسداً فوقف تجاههما كالرواسي الشامخات لا تحفل قصيف الرعد ولا تعبأ بهزيم الرياح . وإليه يرجع الفضل في نهضة القصة بلبنان لأنه أول من شق طريقها الجديد منذ أكثر من عشر سنوات فكانت قصصه خير قدوة ودعوة لمن سار على دربه

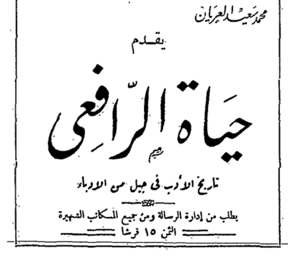
إذا شئت أن ترى القرية اللبنانية وتتعرف إلى حياتها الصحيحة وأهلها رجالاً ونساء فاقرأ كتاب كرم « أشباح القرية » . في هذه القصص ترى الحياة الخالية من كل تبرج وتصنع ، وكيف أن القرية على خلوها من كل زيف وزخرفة لا تسلم من مساوئ المدينة التي تنتقل إليها على أيدى بناتها وأبنائها الذين يهجرونها لتغذية مطامعهم الوثابة ، فما يتركون قريتهم حتى تتولاهم الحيرة والدهشة في طريق البلد الذي يبتغون ، حتى إذا حطوا رحالهم باتوا كالمخمورين ، وكلما تغلغلوا في حياتهم الجديدة امتدت آفاق العيش أمامهم دون أن تقف على حد . كل هذا بأوصافه الملونة ودقائقه المصورة تراه مثبتاً في «أشباح القرية» كأنك تتطلع على ألواح بارزة ورسوم ناطقة بكل ما في الجبل اللبناني من ألوان وظلال

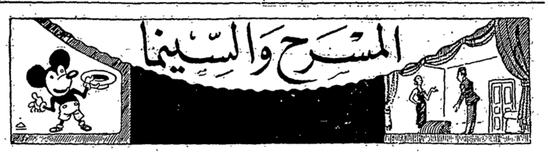
فني « جبور في بيروت » يصور سحر المدينة لابن القرية وإيثاره العمل الشائن فيها على خدمة الأرض التي عاش عليها آباؤه وأجداده بين الزراعة وجمع الحطب ورعاية الماشية فجوزى على جحوده وطمعه بارتكاب المنكر من فسق وميسر ومراهنة في سباق الخيل وقتل نفس حتى وقع في السجن ولحقته الشماتة والندامة فرجع إلى القرية مريضاً بعيداً عن الساخرين

وفي « رزوق عاد من أميركا » يمثل لك صاحب الأشباح طموح الفلاح والتماسه الرزق وراء البحار وكيف يعود رجلاً آخر يسخر من القرية وأهلها فيضيع ثروته في حياة المدنية ومستواها الذي لم يخلق له

إن في « أشباح القرية » لروعة في الوصف وإبداعاً في التمثيل ونكتة في السياق . غير أنها قد حملت في بعض رسومها ألواناً قاتمة ، ولعلها ندت في بعض أطرافها عن تصور الحقيقة ، كأن يصف روائي لبنان عجوزاً بأنها كتماء عوراء عرجاء ، فهذا الغلو في التعبير قد يخرج الصورة عن إطارها الذي يليق بها . ولعل لموهبته المولدة وبصيرته النفاذة وقلمه السيال يداً في هذه الهنات التي تنجم عن وفرة الإنتاج وجموح الخيال ؛ فالأستاذ كرم يخلع على قصصه ألواناً من إبداعه حتى تتسع أفياؤها ويلتبس على قارئها أهي واقعة من الحياة أم ابتدعتها مخيلته في الرواية ، ولكني أعتقد أن مذهبه في الفن القصصي مبني على الحقيقة والواقع ، مستمد روعته من مسارح الخيال بدليل أن « أشباح القرية » تمثل لك الأشخاص كأنك عشت بينهم ووعيت حياتهم وعرفت طبائعهم وميولهم . وصفوة القول أن الأستاذ كرم ملحم كرم من بناة النهضة الأدبية الحديثة في لبنان ، وكتابه « أشباح القرية » جدير بالطالعة والإعجاب لأسلوبه الجميل ولهجته السليمة وصبغته الخاصة على ندرة هذه الميزات في كتاب القصة .

وداد سكاكيني





في الفرقة القومية

عطيـــل
بين الاخراج والتمثيل

ما أظنك رأيت ناسكا من قطان الصحاري والكهوف الواردة أساطيرهم في الكتب يستيقظ في الفجر يسبح ربه ويقضي نهاره على وتيرة واحدة في الأكل والصلاة ثم يودع الشمس الغاربة بأدعية الحمد والتوسلات إلى الباري العظيم أن يدني اليوم العظيم يوم الخلاص من الحياة الدنيا . فإذا شاقك أن ترى شبيهاً لحياة البلادة والكسل وتزاحم أيام الأسبوع وتدافعها حتى ينقضي اليوم الأخير من الشهر، فانظر إلى الفرقة القومية وراقب أعمالها تر ذلك الناسك بعجره وبجره، لا فرق بينهما إلا في صيغة الدعاء والابتهال إلى الله العظيم أن يصرف أذهان نواب الأمة عن مناقشة ميزانية وزارة المعارف التي تمنح إعانة لنساك من الممثلين كهوفهم قهوات عماد الدين وكتبهم أوراق البوكر والكونكين

وإذا أردت مثلاً صارخاً لبلادة الناسك ومحافظته على الهدوء كالتمساح يهضم ما ابتلعه من فريسة على مهل فاذهب إلى دار الأوبرا واحضر تمثيل رواية عطيل، فأنت ترى نفس أبطال الممثلين والممثلات الذين لعبوا أدوار هذه الرواية بعينها سنة ١٩١٢ فلا فارق فيما كانوا عليه قبل سبع وعشرين سنة إلا ما سوف أذكره بالتفصيل، وفيما يجب عليهم إدخاله على فن التمثيل من محسنات وتصحيحات لمواقفهم السابقة. ولا شك في أنك تسائل نفسك ما معنى استقدام مخرج أوربي ليحل محل مخرجين مصريين أقصاهما مدير الفرقة ليتيسر له دفع راتب المخرج الأوربي الذي لم يستطع أن يغير حرفاً من الناموس القديم ؟

المخرج الأوربي على شيء من فهم فنه ولا شك ، وقد أقام البينة على ذلك ، ولكنه ويا للأسف تأقلم فسرت إليه عدوى الموظف الراكن إلى الراتب الفائت ، المكتفي بإرضاء عمل يرضي الرئيس ولا يغضب الممثلات والممثلين فصار يساير هذا ويجاري ذاك كأنه كتلة أصيلة من بيئة المسرح المصري

وعلى هذا القياس تم التجانس والانسجام بين رجل الإدارة ورجل الفن ورجل التمثيل، بدليل أنه لما طاب للفرقة إخراج آخر رواية ترجمها الأستاذ مطران لم يجد المخرج بداً من مسايرة السيدة دولت أبيض والسيد منسى فهمي، بإسناد دور ديدمونة إلى الأولى ودور ياجو إلى الثاني ، وبإبقاء دور عطيل مع الأستاذ جورج أبيض ، أي بإبقاء القديم على قدمه . فهل قام هؤلاء بتمثيل أدوارهم قياماً مقبولاً ؟ وهل أكسبتهم الأعوام اختبارات فنية أضافوها إلى صناعتهم في التمثيل ؟ وهل استطاع المخرج الأوربي تلقيحهم بمعلومات خاصة من عنده ؟

أزعم أن المخرج لم يكلف نفسه عناء تصحيح أي موقف لممثل من مواقف هذه الرواية الجبارة ، ولو فعل حقاً لكان اختار لدور ديدمونة غير الممثلة دولت أبيض ، لا لأنها لم تحسن فهم دورها ، ولا لأنها لم تجد إخراج مقاطع صوتها بحنان وعطف ، ولا لأنها لم تجهد نفسها لإظهار الحب البريء البكر بأطهر مظاهره، بل لأن تقاطيع وجهها ونظرات عينيها كانت كأنها من صنع رسام فاشل توحي إلى الناظر أكثر من معنى واحد، وتجعله يراها تبكي بينما هي تضحك، أو تضحك بينما هي تبكي . والمفروض في المخرج البارع ملاحظة هذه الحالة الفسيولوجية التي لا دخل لإرادة الممثل واجتهاده فيها ، بل والواجب عليه تفاديها ، وليس ثمة من سبيل إلى التفادي إلا باختيار ممثلة أخرى وهن في الفرقة كثيرات

وهناك تقصير من المخرج يستوجب اللوم من أجله، ولا أجد سبباً لوقوعه فيه سوى سبب المسايرة والمجاراة وإرضاء الجميع على حساب « الضمير الفني » فالممثل الذي لعب دور ياجو وسبق له أن لعبه مرات في خلال ربع القرن الماضي ، إنما كان فهمه له

خطأ ، وكان تدريب مبلميه له خطأ أيضاً ، وبذلك دلل على أنه صدى يردد ، وأنه لو كان التفت المخرج إلى هـذه الناحية الفوتوغرافية فيه لكان طبعه طبعة صحيحة تظهر نفسية ياجو على حقيقتها وعلى ما هي مفطورة عليه

قد يفهم المخرج الأوربي معانى « الكيد والتحدى والجريمة » وهي عناصر رئيسية في الحيوان الشرير الذي يدعى الإنسان ، وأن عوامل التهذيب والتثقيف تصقل هذه الخلائق أو تبرقعها ببراقع في علم السلوك والاجتماع ، وهي تنوص أو تطفو وفق الانفعالات والظروف . وقد يفهم أيضاً أن شخصية ياجو التي رسمها شكسبير العظيم إنما هي بعينها هذه الشخصية اللبقة المهذبة ، المربضة المثقفة ، وأن لا محيص لصاحبها أن يكون كيساً لبقاً لماحاً مرهف الحس ، لا فجاً كا مهرجاً كما فهمه الممثل منسى فهمى ، وبعبارة أصح كما تركه المسيو فلاندر يلعب دوره على هذا الأساس الخاطئ .

فهذا المخرج يستأهل اللوم ، لا لأنه أهمل فقط تدريب الممثل بل لأنه يستهين بثقافتنا وبنهضتنا الأدبيـة متوهماً أن محيطنا الأدبي وبيئتنا الثقافية تجللهما سحابة خانقة مكفهرة كالتي تشوب الجو المسرحي

لم تكن كل المواقف التي وقفها الأستاذ منسى فهمى خاطئة ، فإنه مثل ببراعة المرح البسام والسخرية المريرة إذ يجتمعان في النفس ومثل السخرية من المخلوقات التي تعميها حيوانية الغرائز ، ومن تحفزهم طبيعة الطمع ولاقتناص المال واستلابه من هؤلاء الذين جاءهم عفو الإرث من الآباء أو الأجداد ، ومرح الرجل العارف مبلغ قوته ومقدار معرفته طبائع الحياة وأخلاق الناس

قبيل الذهاب إلى الأوبرا أخذت أسأل نفسي : هل نضب الأستاذ أبيض أم ركد أم ما برحت حيويته وثابة تنتهز الفرص الحافزة وترتقب سنوحها بصبر ؟ ثم قلت إن رواية عطيل خير مسبار يبرز نوع معدن الرجل على حقيقته

جلست في مكاني أعير تمثيل الرجل كل انتباهي . فعلت ذلك لسببين الأول لأني شاهدت تمثيل هذه الرواية على مسارح فرنسية وإيطالية ، والثاني لأقول لبعض الأصدقاء من الناقدين إن النقد فضلاً عن أنه هبة فهو فهم ، وحس ، وسعة اطلاع ، ولا يطالب الناقد المسرحي زيارة عواصم العالم ومسارحه كلها ليكون ناقداً مسرحياً فالعبرة إذن ليست بالسياحات بل بما ذكرت من المواهب الطبيعية والاكتسابية

أعرت الأستاذ أبيض انتباهي ويقظة نفسي فألفيته يمثل دوره على نقيض ما مثله فيما مضى . وقد أعجبني منه تحوله عن اللهجة الخطابية وانصرافه عن مظاهر الحماسة إلى تمثيل انشغاله الذهني في شؤون وظيفته العسكرية واضطراب عاطفته المستثارة بلواذع الغيرة ، ولما كانت تمضه الآلام بأنيابها السامة كان يصرخ صرخة هي كومضة البرق في ليل ملبد بالسحب القاتمة ، ثم يعود إلى نفسه ليسكن لواعجها فيداهمه ياجو بمواد من سمومه القتالة . وهكذا مشى الممثل جورج أبيض يقبض على ناصية المسرح وبعبارة أصح يضم أذهان النظارة وأحاسيسهم في قبضة يده

إني وإن كنت أسجل بفخر للمسرح المصري وقفة الأستاذ أبيض فيجب ألا أنسى الآنسة فردوس حسن لأنها على قصر الدور الثانوي الذي مثلته أظهرت كفاية جديرة بالإعجاب والتقدير .

وبعد فأرجو أن يحتمل نقدي على محمل الإخلاص الصادق لفرقة يعز على كثيراً أن أقرأ الفاتحة على روح النشاط والجد والغيرة المفروضة فيها والمعدومة منها

ابن عساكر




محلات
داود عدس
وولده
معرض
الأزياء الحديثة
صيف ١٩٣٩

7me Année No. 305

Lundi - 8 - 5 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ٨ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

في وزارة المعارف

تدريس اللغة العربية

فى الغرفات الكبرى من وزارة المعارف ضجة منذ أسبوعين ما بين رجال الإدارة ورجال التعليم فى البحث عن أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية فى المدارس المصرية . والموضوع لخطره وقوة أثره يستحق هذه الضجة فى الوزارة ، ويستوجب هذه العناية من الوزير ، ويسمح لغير الرسميين من رجال القلم أن يصدعوا فيه بكلمة الحق التى لا توحيها رغبة رئيس ولا مجاملة مؤلف . فإن من القضايا المسلَّمة أن خيبة الوزارة فى تعليم الأدب العربي وقواعده كانت خيبة للنهضة الثقافية فى مصر الحديثة ، لأن الذين يبتغون العلم من العامة لا يملكون أن يقرأوا ، والذين يريدون التعليم من الخاصة لا يستطيعون أن يكتبوا ؛ فبقيت الأمة أمية فى عصر فرغت فيه الأمم من البحث فى الألف والباء ، والأفعال والأسماء ، لسبر أغوار المجهول من النفس والطبيعة

صحيح أن خيبة الوزارة عامة فى فروع الثقافة المختلفة ، ودرجاتها المتعددة ، لأنها إلى اليوم لم تستطع أن تخرج الإنسان المثقف الذى يعرف كيف يعيش ، ولا الرجل الموظف الذى يدرى كيف يعمل ؛ ولكنها لو كانت نجحت فى تعليم العربية لخلقت من تلاميذها قراء يكملون نقصهم بالدرس ، ويقومون ضعفهم

بالاطلاع ، ويتصلون من طريق القراءة بالفكر البشرى العام في مناحى تصوره وتطوره وإنتاجه . فأبى أومن بأن تعليم الشعب لغته هى أصل الأصول فى ثقافته العامة ؛ فإذا صلح محا الأمية ، وخلق القومية ، وكون الأخلاق ، ووحد الميول، وقوى المواهب، ونشر المعرفة ، وروّج الأدب ، ووسع النهضة ؛ وإذا فسد أصاب الأمة بنمط عجيب من الأمية المغرورة والجهالة السفيهة ، فيكثر العلماء ويقل العلم ، وينتشر الأدباء ويموت الأدب

***

منذ أن ذهبت ثورة الاستقلال بدنلوب وسياسة دنلوب حاول البانون على أثره أن يرفعوا البناء فلم يرتفع ، ثم جهدوا أن يدعموه بتقارير الخبراء ومناهج اللجان فلم يندعم . ذلك لأنهم لا يزالون يبنون على أسس دنلوب وقواعده ؛ وأسس دنلوب وقواعده هى أولئك الموظفون المخضرمون الذين نشأهم المستشار على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة، وأخذهم (بروتين) النظام حتى أصبح لهم فطرة . فإذا كان القيم على أمر الوزارة قويًّا انطوت هذه الفئة انطواء القنافذ، وتركوا النشاط للشباب ذوى العلم والخبرة، فغيّروا المناهج، وقوّموا الخطط، ورسموا الغاية، وبدّلوا الكتب، وبدأوا التجربة؛ وإذا كان ضعيفاً بسطت سلطانها على كل إرادة، ورجعيتها على كل تجديد ، فاحتبست الإرادات فى الرءوس ، واستقرت الأنظمة فى المكاتب ، وعاد الدولاب القديم يدور دورانه البطىء بالتأليف المريب لجواز الامتحان ، والتعليم الفج لبلوغ الوظيفة . لذلك لم يكن بد من قصور البنيان بين البناء والهدم ، وتذبذب الإصلاح بين الرأى والعزم ، وعجز المدرسة المصرية عن تنشئة الجيل الذى يكون له مع العلم خلق، ومع العمل ضمير ، ومع الشهادة إرادة . ومن أجل ذلك لا نبالغ فى تقويم الفوائد المرجوة من هذه اللجان ما دام الأمر لا يخرج عن جلسات تعقد ، ومقترحات تناقش ، وتقريرات تقدم ، وقرارات تصدر ، ثم لا تبقى إلا بقاء الوزير فى الوزارة

***

ليس من شأن المدرسة ولا فى مقدورها أن تخرج الطالب عالماً يبتكر ويخلق ؛ وإنما شأنها وجهدها أن تخرجه متعلماً يقرأ ويبحث ؛ فاذا لم تصنع القارئ فإنها لم تصنع شيئاً . والقارئ الطُّلَعة من صنع معلم اللغة ، لأن القراءة أداة اكتساب البلاغة، واللغة والأدب قبل كل شىء تقليد ومحاكاة ؛ فواجبه أن يشوق الطالب بروائع الفن، ويغريه ببراعة الذهن، ويأخذه بدوافع التكليف حتى ينطبع على القراءة بالمران والعادة . ومتى أخذ الرجل يقرأ فقل إنه أخذ يتعلم. فهل استطاع تدريس اللغة العربية فى مدى مائة عام خلت أن يجعل مصر أمة قارئة ؟ قد تجيب مصلحة الإحصاء بأنه علم الخط كذا رجلاً فى المائة ؛ ولكنها لا تحير جواباً إذا أردنا من القراءة التتبع والفهم والتحصيل . والقراءة بهذا المعنى هى الفارق بين شاب تعلم فى المدارس المصرية ، وبين آخر درس فى المعاهد الأجنبية

قضيت فى تعليم العربية وآدابها خمساً وعشرين سنة لا أفترى على الحق إذا قلت إنها كانت مثمرة. ولعلها آتت هذه الثمار لأنى على ما كان فى نفسى من حب الأدب لم أتقيد بطريقة كتاب ولا نصيحة مفتش ولا نص منهاج . وقد لخصت تجارب هذه الحقبة فى مقال نشرته بكتابى (فى أصول الأدب) أستطيع أن أجمله فى كلمتين : أن تكون طريقة العلم استنتاج القواعد من الأدب ودرس الأدب فى المطالعة ، وأن تكون غاية التعلم قراءة ما يكتب وكتابة ما يقرأ . وسبيل ذلك كتاب ومعلم ورابطة. فالكتاب شرطه أن يكون أدباً ليصقل الذوق وبربى الملكة ؛ والمعلم شرطه أن يكون أديباً ليملك ما يعطى ويحسن ما يختار ؛ والرابطة بينهما هى الضمير الفنى الذى يهدى إلى الحق ويغنى عن المفتش . فإذا كان أمل الأستاذ الوزير قد تعلق بإحياء اللغة العربية وإذكاء النهضة الأدبية ، فليسىء الظن بالسياسة التقليدية التى اتخذتها الوزارة إلى اليوم فى نظام التأليف وطريقة التفتيش واختيار المدرس ؛ وليبحث فى الديوان وفى خارج الديوان عن الخبير الذى ينهج ، والكتاب الذى يشوق ، والمفتش الذى يوجه ، والمعلم الذى يسلك ؛ وليطهر التعليم من المدرس الذى يضع القواعد فى أشجار وجداول، والمفتش الذى يعاقب على نسيان الهمزة وذكر الغزل، والمؤلف الذى يؤلف بيسر الجاه ونباهة الاسم؛ فإنه إن فعل ذلك جاز لنا أن نعتقد أن هذه اللجان هى غير تلك اللجان ، وأن حدثاً جديداً يوشك أن يقع فى الديوان .

احمد حسن الزيات

رســـالة الأديب

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى الرسالة التى صدرت (يوم ١٧ ابريل) كتب الأستاذ توفيق الحكيم من برجه العاجى يقول : « إن الدولة لا تنظر إلى الأدب بعين الجد بل إنه عندها شىء وهمى لا وجود له ولا حساب »

ثم يقول : « إن انعدام روح النظام بين الأدباء وتفرق شملهم وانصرافهم عن النظر فيما يربطهم جميعهم من مصالح وما يعنيهم جميعاً من مسائل قد فوّت عليهم النفع المادى والأدبى وجعلهم فئة لا خطر لها ولا وزن فى نظر الدولة »

وفى الثقافة التى صدرت (يوم ٢٥ ابريل) كتب الأستاذ توفيق فى هذا المعنى يسأل عن أدبائنا المعاصرين هل فهموا حقيقة رسالتهم ؟ ويذكر ما يصنعه أدباء أوربا « كلما هبت ريح الخطر على إحدى هذه القيم – وهى الحرية والفكر والعدالة والحق والجمال – وكيف يتجرد كل أديب من رداء جنسيته الزائل ليدخل معبد الفكر الخالد ويتكلم باسم تلك الهيئة الواحدة المتحدة التى تعيش للدفاع عن قيم البشرية العليا »

ثم يقول بعد أن وصف سوء حال الأدب فى مصر :

« أمام كل هذا وقف الأدب ذليلاً لا حول له ولا طول ، وضاعت هيبة الأدباء فى الدولة والمجتمع ، وأنكر الناس ورجال الحكم على الأديب استحقاقه للتقدير الرسمى والاحترام العام . فالعمدة البسيط تعترف به الدولة وتدعوه رسمياً إلى الحفلات باعتباره عمدة . أما الأديب فمهما شهره أدبه فهو مجهول فى نظر الرجال الرسميين ولن يخاطبوه (قط) ... على أنه أديب»

***

كلام الأستاذ الحكيم فى هذين المقالين هو الذى ابتعثنى إلى التعقيب عليه فيما يلى من خواطر شتى عن رسالة الأديب ، وشأن الأديب والدولة ، ومستقبل الأدب فى الديار المصرية أو فى الديار الشرقية على الإجمال

فهل من الحق أن الأدب محتاج إلى اعتراف من الدولة بحقوقه ؟

أما أنا فإنى لأستعيذ بالله من اليوم الذى يتوقف فيه شأن الأدب على اعتراف الدولة ومقاييس الدولة ورجال الدولة

لأن مقاييس هؤلاء الرجال ومقاييس الأدب نقيضان أو مفترقان لا يلتقيان على قياس واحد

فمقاييس الدولة هى مقاييس القيم الشائعة التى تتكرر وتطرد وتجرى على وتيرة واحدة

ومقاييس الأدب هى مقاييس القيم الخاصة التى تختلف وتتجدد وتسبق الأيام

مقاييس الدولة هى عنوان الحاضر المصطلح عليه

ومقاييس الأدب هى عنوان الحرية التى لا تتقيد باصطلاح مرسوم ، وقد تنزع إلى اصطلاح جديد ينزل مع الزمن فى منزلة الاصطلاح القديم

مقاييس الدولة هى مقاييس العرف المطروق ؛ ومقاييس الأدب هى مقاييس الابتكار المخلوق

مقاييس الدولة هى مقاييس الأشياء التى تنشئها الدولة أو تديرها الدولة أو ترفعها الدولة تارة وتنزل بها تارة أخرى

ومقاييس الأدب هى مقاييس الأشياء التى لا سلطان عليها للدول مجتمعات ولا متفرقات . فلو اتفقت دول الأرض جميعاً لما استطاعت أن ترتفع بالأديب فوق مقامه أو تهبط به دون مقامه ، ولا استطاعت أن تغير القيمة فى سطر واحد مما يكتب ، ولا فى خاطرة واحدة من الخواطر التى توحى إليه تلك الكتابة

ومن هنا كان ذلك العداء الخفى بين معظم رجال الدولة ومعظم رجال الأدب فى الزمن الحديث على التخصيص

لأن رجال الدول يحبون أن يشعروا بسلطانهم على الناس ويريدون أن يقبضوا بأيديهم على كل زمان ؛ فإذا بالأدب وله حكم غير حكمهم ، ومقياس غير مقياسهم ، وميدان غير ميدانهم ، وإذا بالعصر الحديث يفتح للأدباء باباً غير أبوابهم ، وقبلة غير قبلتهم التى توجه إليها الأدباء فيما غبر من العصور

ولو بلغنا إلى اليوم الذى تعترف فيه الدولة بالأدباء لما اعترفت بأفضلهم ولا بأقدرهم ولا بأصحاب المزية منهم ، ولكنها تعترف بمن يخضعون لها ويرضون كبرياءها ويهبطون أو يصعدون بغضبها أو رضاها

***

ولسنا في مصر بدعاً بين دول الغرب والشرق ، فما من دولة في العالم تعترف بأمثال برنارد شو وبرتراند رسل ورومان رولان كما تعترف بالحثالة من أواسط الكتاب

* * *

هذا عن الأديب وشأنه المعترف به بين رجال الدول ، فماذا عن التفرق والتجمع ، أو عن أثر هذا أو ذاك في تقويم أقدار الأدباء ؟

أصحيح أن الأدباء في حاجة إلى الاجتماع ؟

أنفع من هذا وأقرب إلى تبيين الصواب أن تسأل : هل صحيح أن شاعرين يشتركان في نظم قصيدة واحدة ؟ وهل صحيح أن مصورين يشتركان في رسم صورة واحدة ؟ وهل صحيح أن الأدب في لبابه عمل من أعمال التعاون والاشتراك ؟

الحقيقة أن الأدباء حين يخلقون أعمالهم فرديون متعزلون ، فلا حاجة بهم إلى محفل يسهل لهم الخلق والإبداع ، ولا فائدة لهم على الإطلاق من اتفاق أو اجتماع

والحقيقة أن التعاون إنما يكون في مسائل الحصص والسهوم والأجزاء ، ولا يكون في مسائل الخلق والتكوين والإحياء

لأن الفكرة الفنية كائن حي ووحدة قائمة ليس يشترك فيها ذهنان ، كما ليس يشترك في الولد الواحد أبوان

فإذا كان تعاون بين الأدباء ، فإنما يكون على مثال التعاون بين الآباء

إنما يكون تعاوناً على رعاية أبنائهم وحماية ذرياتهم ، وقلما يحتاج الآباء إلى مثل هذا التعاون إلا في نوادر الأوقات

فإذا اجتمع الأدباء فلن يرجع اجتماعهم إلا إلى حواشي الأدب أو « ظروف » الأدب كما يقولون دون الأدب في صميمه

وإذا اجتمع الأطباء فهناك طب واحد ، أو اجتمع المحامون فهناك قانون واحد وقضاء واحد ، أو اجتمع المهندسون فهناك هندسة واحدة وبناء واحد ، فكيف يجتمع الأدباء كما يجتمع الأطباء والمحامون والمهندسون وكل أديب منهم نموذج لا يتكرر ، ونمط لا يقبل المحاكاة ، وأدب تقابله آداب متفرقات

وإن محامياً قديراً ليغني عن محام قدير ، ولكن هل يغني أديب كبير عن أديب كبير ؟ وهل ينوب خالق في الفنون عن خالق آخر في الفنون ؟ كلا ... لن ينوب هذا عن ذاك ولن يختلط هذا بذاك ، كما أن الوجه الجميل لا ينوب عند عاشقه عن الوجه الجميل ولو اشتركا معاً في صفة الجمال

كل أديب نمط وحده ، وكل أديب في غنى عن سائر الأدباء إلا أن يتعاونوا كما أسلفنا في الحواشي والظروف دون الجوهر واللباب .

* * *

أللأديب رسالة ؟

نعم ، ليس بالأديب من ليست له في عالم الفكر رسالة ، ومن ليس له وحي وهداية

ولكن هل للأدب كله رسالة تتفق في غايتها مع اختلاف رسائل الأدباء وتعدد القرائح والآراء ؟

نعم . لهم جميعاً رسالة واحدة هي رسالة الحرية والجمال

عدو الأدب منهم من يخدم الاستبداد ، ومن يقيد طلاقة الفكر ، ومن يشوه محاسن الأشياء

وخائن للأمانة الأدبية من يدعو إلى عقيدة غير عقيدة الحرية

أفيدري الأستاذ توفيق ما هو — في رأيي — خطب الثقافة الإنسانية الذي يخشاه دوهامل ويشفق منه كتاب أوربا كافة على مصير الذوق والتفكير والفن والشعور المستقيم ؟

أفيدري الأستاذ توفيق ما هو — في رأيي — سر الفتنة الحسية التي غلبت على الطبائع والأذواق وتمثلت في ملاهي المجون أو ملاهي الأدب الرخيص ؟

سرها الأكبر هو وباء « الدكتاتورية » الذي فشا بين كثير من الأمم في العصر الأخير

لأن الدكتاتورية كائنة ما كانت ترجع إلى تغليب القوة العضلية على القوة الذهنية والقوة النفسية

ولأنها ترجع بالإنسان إلى حالة الآلة التي تطيع وتعمل بغير مشيئة وبغير تفكير

وأين تذهب المعاني والثقافات ، بين القوى العضلية والآلات ؟

وأين الأديب الذي يستحق أمانة الأدب وهو يبشر بدين الاستبداد ؟

لهذا بقيت عقول تكتب وقرائح تبدع في الشعوب الديمقراطية ، ولم يبق عقل ولا قريحة في بلد من بلاد الدكتاتورية

أعلام الأدب

نساء يوريبيدز

للأستاذ دريني خشبة

أكثر أبطال يوريبيدز وأقوامهم وأزخرهم بالحياة الصاخبة والعواطف المضطرمة المتضاربة هم من النساء . . . لقد كان ينظر إلى المرأة كما كان إبسن الأسكندناوي ينظر إليها . . . كان يرى أنها محور الحياة وقطب دائرتها ؛ وكان يرى إلى الرجل بجانبها كأنه لعبة ، فهي لا تفتأ تلهو به وتتخذ منه ميداناً لنشاطها وفريسة لأهوائها ، فإذا أرضاها فهو هالك ، وإذا أسخطها فهو هالك ، وهو هالك إذا لم يرضها أو لم يسخطها ، لأنها تقف منه دائماً موقف السبع الجائع الذي لا يعرف إلا السطو والنهش وإهراق الدماء لا حبًّا في هذا كله، ولكن لأن هذا كله مركب في طبيعته وجزء من جبلته

ولعل السبب في هذا ما لقى يوريبيدز من التعاسة في حياته الزوجية ، فلقد كان الشك يعرق قلبه من ناحية زوجته الأولى التي اتهمها التاريخ بأنها خانت زوجها ، كما يتهم زوجته الثانية بأنها لم تكن أخلص له ولا أوفى من سابقتها ... والمؤرخون المحققون على أن التهمتين باطلتان ، ولو أن فيهما ظلاً من الحق لما أهمله أرستوفان عدو يوريبيدز اللدود ومعاصره ومتسقط أنبائه

ومحصى عثراته ... إلا أن قسوة يوريبيدز على المرأة ونظرته الصارمة إليها وما دأب على تحليل أخلاقها به في أكثر دراماته ، كل ذلك دليل على ما كان يتردد في أعماقه من أصداء حياته الزوجية ، تلك الأصداء التي كانت تتجاوب في شدة وفي صرامة وعنف في ثنايا دراماته ... ولعل أقوى هذه الأصداء جلبة وأشدها ضوضاء ما صور به بطلته البربرية[1] ميديا التي شغفها جاسون حبًّا فلم تبال أن تخون أباها وتذبح أخاها في سبيل الفرار معه ؛ ثم لم تبال بعد ذلك أن تذبح ابنيها لكي تشب سعيراً من الألم في نفس حبيبها الذي هو أبوهما لأنه أبغضها لكثرة ما رأى فيها من الميل إلى الأذى والتوسل إلى مآربها بسفك الدماء، خصوصاً بعد إغرائها بنات بلياس بقتل أبيهن ... وكان عزاءها عن كل ما جنت يداها أن تقف على جاسون وهو يسفك روحه دموعاً بل دماً على ولديه فتشفى حَرّ نفسها ودَخَل قلبها لأنه لن يبتسم للحياة بعد ، ولن ينعم بلذائذها بعد أن تركته وحيداً فريداً لا أنيس له ولا مواسى فيواسيه

لقد كان يوريبيدز جباراً في ميديا سنة ٤٣١ بقدر ما كان جباراً حتى في أرق دراماته وأروع مآسيه (هيبّوليتيس) التي غزا بها ميدان الحب الباكي الحزين ، والتي نال بها أولى جوائزه الرسمية سنة ٤٢٨ أي بعد ميديا بثلاث سنوات . ومأساة هيبوليت هذه هي تلك المأساة الغرامية الأولى التي خلصت كلها للحب بعد إذ كان المسرح اليوناني لا يعرف هذا اللون من ألوان الدرام ... فكانت مفاجأة مربكة من يوريبيدز وثورة ، ولكن من النوع اللذيذ المحبب ، على تقاليد البيئة الجافية التي عرفت المسز جراندي قبل أن يعرفها العصر الفكتوري بثلاثة وعشرين قرناً ... فيدرا زوجة ثيذيوس الملك ، تحب ابنه هيبوليت الشاب الجميل اليافع ، لأنها هي أيضاً شابة جميلة يافعة ، ولأن زوجها رجل شيخ وإن كان بطل أبطال اليونان ! هذه هي المأساة ! ! فكيف يجرؤ يوريبيدز على تناول هذا الموضوع الغرامي الشائك في درامة تعرض على الجمهور الأثيني الذي كانت تسيطر عليه المسز جراندي الرجعية المحافظة الشديدة الحفاظ على آداب السلف الصالح ؟ وكيف يكون

(١) كان اليونانيون يطلقون على غيرهم من الأمم ولاسيما جيرانهم من أهل الشمال وسكان آسيا كلمة البربر، وهم في ذلك يشبهون العرب حينما كانوا يطلقون على غيرهم كلمة الأعاجم وسنتناول ذلك في نصنا (وطنيات يوريبيدز)

فإذا تعطلت الكتابة والإبداع بعض التعطيل في أمة ديمقراطية فإنما تتعطل من حالة فيها تشبه أحوال الاستبداد ، وهي انتشار الكثرة العددية بين جمهرة الشعراء ، والرجوع بالذوق إلى العدد الكثير دون المزية النادرة ، أي الرجوع به إلى « الثورة العضلية » لا إلى الحرية أو المزية الفردية

لكل أديب رسالة

ورسالة الأدباء كافة هي التبشير بدين الحرية والإنحاء على صولة المستبدين ، فما من عداوة للأدب ولا من خيانة لأمانة الأديب أشد من عداوة « القوة العضلية » وأخون من خيانة الاستبداد .

عباس محمود العقاد

أجرأ من سقراط الذى كان لا يرى أن تشارك المرأة فى الحياة العامة ، بل أن تظل نسياً منسياً . بل كيف يكون مقاماً أكثر من بركليس ممثل العصر ، وصاحب نهضته الفكرية ، ورمز مدنيته ؛ وبالرغم من هذا كان يوصى أن تظل الفتاة قابعة فى عقر دارها ، متجملة بسنن السلف وتقاليده ... لكن يوريبيدز كان سوفسطائياً قبل كل شىء ، والسوفسطائيون كانوا (صناع الحكمة) كما تدل عليه كلمة Sophia التى تعنى الحكمة أو Aretê أى الفضيلة ، والتى اشتق منها اسمهم Sophistes أى الناس الذين يتناولون البحث فى الحكمة . وليس صحيحاً أنهم كانوا ثرثارين كما اتهموا بذلك ظلماً ، ولكن الصحيح أنه كان منهم العظماء وغير العظماء ، وكان منهم الكبار ، وكان منهم الأحداث ، وكان منهم الأغنياء وغير الأغنياء ، وكان منهم كل صنف من صنوف الشعب ؛ لكنهم كانوا جميعاً ينشدون الحق ، ويهذبون الناس ، وينشرون النور ، ولا يبالون فى سبيل ذلك مصادرة ولا نفياً ولا تقتيلاً ... ويقولون إن يوريبيدز كان يتأثر بسقراط ولو لم يختلط به ، وكان تأثره بالفيلسوف العظيم ينعكس فى دراماته . كما قيل من أن شاكسبير كان يتأثر بيكون ، وإن يكن ما يقال عن هذين يعدو حدود التأثر إلى حدود التحَلّل . فالبالغون من مؤرخى الأدب الإنجليزى يدّعون أن أكثر درامات شاكسبير هى من تأليف بيكون ، وإنما نحلها شاكسبير نفسه ... ونحن ننفى أن يكون يوريبيدز قد تأثر بسقراط فى كثير أو قليل من أدبه . بل نرى أن عكس ذلك هو الذى وقع . فقد ذكرنا أن سقراط كان لا يذهب إلى المسرح إلا ليشاهد درامات يوريبيدز ، وأنه لم تكن تفوته إحداها قط ولو كلفه ذلك ما ليس يحتمله إلا الأشداء من جهد ومشقة . ثم أين نظرة يوريبيدز إلى المرأة وما كان يجنح إليه فى تحليل أخلاقها من عنف وصرامة ، من نظرة سقراط إليها ؟

لقد ألف يوريبيدز أكثر من تسعين دراما كانت البطولة فى أكثرها للمرأة. وقد ضاع من هذه الدرامات التسعين أكثرها بحيث لم يصلنا إلا تسع عشرة ، ومع ذلك فللمرأة البطولة الأولى فى معظم هذه الدرامات الباقية ... ويأتى الرجل فى المرتبة الثانية دائماً إلا فى عدد قليل منها ...

لقد كان يوريبيدز يقسو على المرأة فى غير هوادة كما قسا عليها فى ميديا وكما قسا على فيدرا كما سنرى فيما بعد ، فإذا لم يقبض عليها عرض لنواحى ضعفها الذى تسميه الأخلاق وفاء أو حناناً أو حفاظاً وتسميه السيكلوجية ضعفاً أو تلبية لنداء الطبيعة إذا كان هذا الضعف زناً أو مروقاً من ربقة الزوجية .

١ — ففى ميديا تذبح المرأة أخاها وتنثر أشلاءه من أجل لذتها ، ثم تغرى بنات بلياس بقتل أبيهن من أجل الملك الضائع من زوجها ، ثم تذبح ابنيها اشتفاء — أو تشفياً — من هذا الزوج بعد أن تقتل زوجته الجديدة بالسم حتى تضع حداً لسعادته بعدها .

٢ — وفى هيبُّوليت تعشق الزوجة ابن زوجها ، فإذا أبى واستعصم ضاقت بها الأرض وذهبت لتنتحر ، ولكنها تخشى أن يدافع عن نفسه عند أبيه فيفضحها فتزور خطاباً تتهم فيه هيبوليت بأنه راودها بل هم بها بالفعل ، ثم تشنق نفسها بعد ذلك .

٣ — وفى ألستيس Alcestis (٤٣٨ ق . م) يصور لنا أدميتوس الملك الأنانى الذى يعشق الحياة ، حتى إذا كان لا بد له من الموت تقدمت زوجته لتفديه فيقبل الفداء ، وبذا تموت هى عوضاً عنه ويمضى البطل هرقل بعد ذلك ليعود بالزوجة من الدار الآخرة هيدز . فليس وفاؤها هذا وفاء إنما هو ضعف سيكلوجى لأنه حصل من أجل رجل دنىء أثر أنانى

٤ — وفى هكيوبا (٤٢٤ ق . م) يعرض لك هذه المرأة العظيمة النبيلة زوجة بريام ملك طروادة بعد إذ حل بها ما حل من هوان وأسر ثم سبى ، وكيف تلقى كل ذلك بأجمل الصبر حتى إذا اشتد بها الضيق وذهبت لتعرض شكواها على أجاممنون عظيم الأغريق الذى آثر نفسه بابنتها كاسندرا ، تلك الفتاة النقية التقية التى احتفظت بعذريتها وتسامت بإنسانيتها حتى غدت نبية الطرواديين فيأبى الملك أجاممنون فيؤثر بها نفسه ورغمها على أن تكون (حظيته !) إشباعاً لشهواته الوضيعة . . . ومع كل ذلك فإن الأم هكيوبا تصبر لهذه المحن ، وتتذرع بكل ما فى طوقها من تجلد حتى إذا فاضت الكأس وسيقت ابنتها الشجاعة الصابرة بولكسينا إلى حيث يضحى بها فوق قبر أخيل كما طلب رعاع الجيش ثار ثائر هكيوبا ومسختها الآلام فصيرتها كلبة من وحوش جهنم الخرافية تتضور وتلهث ، فهى تسمل عينى بوليسمور وتذبح ابنيه لتثأر لآلامها .

٥ — وفى يون (٤٢٠ ق . م) يعرض لك يوربيدز مشكلة غرام وزنا بين كريزا Creusa بطلة الدرامة وأبوللو إله الشمس والموسيقى فقد أحبها الإله وفسق بها قبل أن تخطب على زوجها إجزوتوس فلما أجاءها المخاض خافت الفضيحة فطمأنها الإله الفاسق وأخذ طفلها يون إلى دلفى حيث خبأته وراء ستائر المذبح فى سفط به شالها وبضعة أشياء أخرى ... وبعد سبع عشرة سنة عاشها إجزوتوس وكريزا من غير ما ولد تمنى الرجل على أبوللو — فى دلفى — أن يرزقه وليا يرثه، فقال له : إن أول من تلقاه حينما تخرج من هنا هو ولدك ... فلما لقى الرجل الشاب يون احتضنه وفرح به، وعجب الشاب لهذا الرجل الذى يناديه كأنه ابنه؛ ثم تلقاه أمه كريزا فيكون بينهما من التشابه والحنان ما يحير الفتى؛ ثم ترى كريزا السفط فتعرفه وتذكر للفتى أنه سفطها وأنها هى التى أحضرته فيه إلى المعبد فيمتحنها الفتى بسؤالها عن محتويات السفط فتذكرها له جميعاً فيعانقها على أنها أمه، فإذا سألها عن أبيه ألهمها أبوللو الجواب الكاذب فتقول إنها كانت قد اتصلت بأجزوتوس فى أحد أعياد دلفى فحملت به ... وإذ هى تقول ذلك إذا بكاهنة المعبد تبرز فجأة وتقول الحق الصراح عن نشأة الغلام وأنه ابن زنا من أبوللو ... فتضيق الدنيا بالزوجة وتذهب لتنتحر لولا أن يلقاها أحد العبيد فيشير عليها بأن تقتل الغلام فترضى .. أما يون فإنه يثور ويجدف تجديفاً مضحكا ضد أبوللو . . وتنتهى الدرامة بأن تتدخل ميرفا فى الأمر فتصلح بين الجميع وتهدأ العاصفة ويرضى الكل بالأمر الواقع !

فانظر كيف سخر يوربيدز من المرأة وكيف استهزأ بالآلهة وفضح أبوللو ومعشوقته ثم أركس ميرفا رمز الحكمة فى بؤرة ذاك الضلال !

٦ — وفى النساء الطرواديات (٤١٥ ق . م) لم ينشئ مؤامرة ما ولم يحبك عقدة درامية ولكنه صور ضعف الأمهات الطرواديات إذ يذهبن إلى المعسكر الإغريقى يسألن القادة الظافرين أن يأمروا لهن بجثث أبنائهن ليدفنها بدل أن تترك بالعراء تنوشها الذئاب وجوارح الطير ومن غير أن تؤدى لها الفرائض الجنازية . وتنتهى الدرامة بأن يتدخل بعض القادة ممن تأثر بدموع الأمهات فيأمر بالأجساد فتحرق ويعطى التراب المتخلف عنها للأمهات ... درامة ضعيفة إلا أن يوربيدز قصد فيها إلى شيئين . . تصوير ضعف أولئك الأمهات وجبروت الظافرين من جهة، ثم ذم الحرب والدعوة إلى السلام من جهة أخرى، لأنه كان أول مبشر بالسلام عرفه التاريخ إذا استثنينا إخناتون المصرى) وسنعرض لذلك فى الفصول التالية إن شاء الله

٧ — أما فى إلكترا (٤١٣ ق . م) فيتناول يوربيدز المأساة المشهورة التى رأينا إسخيلوس يتناولها فيفسر الحوادث، ورأينا سوفوكليس يتناولها فيصور كيف كان ينبغى أن تكون الخاتمة لا كما تم من أمرها ... لكن يوربيدز يتناولها على طريقته الخاصة ... إنه يقصد الناحية السيكلوجية، ولذا فهو لا يبالغ فيصيب أورست بالجنون بعد قتل أمه كما فعل إسخيلوس ولا يبالغ فى تحميل العاطفة الإنسانية وإرهاقها بما لا تستطيع من ابتهاج بالقتل وفرح به وحض عليه كما فعل سوفوكليس ... لا ... إن يوربيدز صنع ما صنعه بعده دستوئفسكى الروسى فى قصته الجريمة والعقاب باثنين وعشرين قرناً من الزمان ... إنه جعل أورست يقتل أمه ويده ترتجف بحركة آلية لا إرادة فيها كما قتل روسكلنيكوف اليهودية المرابية العجوز ... حتى إذا تمت الجريمة عادت إلى نفس الفتى والفتاة مرارة عميقة لا هى من الندم ولا هى مما يشبهه، لكنها مرارة التحسر لكل ما حدث ... ومرارة التحسر مما اضطرهما إليه سياق الحوادث وتسلسلها

٨ — وفى هيلينا (٤١٢ ق . م) يبنى يوربيدز درامته على أساس فكرة المؤرخ ستاسيخورس الذى يزعم أن هيلين التى تسببت فى حرب طروادة لم تذهب قط مع باريس إلى هذه المدينة بل ظلت طوال سنى الحرب فى مصر تعبث بملكها وتلهو به حينما حاول أن يتزوجها رغماً عنها ويقتل جميع الإغريق الذين ينزلون فى أرضه ... وتنتهى حروب طروادة وتضل سفينة منالوس زوج هيلينا طريقها فى البحر حيث ترسو على الشاطئ المصرى ويلتقى الزوجان فيعرف أحدهما الآخر ويفران بمساعدة أخت الملك إلى اليونان . ويعيب المؤرخون هذه الدرامة بخروجها مما عودنا يوربيدز من أدب الواقع إلى أدب الخيال ؛ بيد أن فى الدرامة من تحليل أخلاق هيلينا، تلك المخلوقة الخلاسية (لأنها ابنة إله وامرأة) اللعوب التى لا تعرف من مبادئ الأخلاق أو الفضيلة عشر معشار ما تؤثر من الحب ومغامرات الهوى ؛ فى الدرامة من هذا ومن تحليل أخلاق ألكتر ما يغطى ذلك النقص الذى عابه المؤرخون

وكم كان ظريفاً من هيلينا أن تُعيِّر ألكترا حيناً غيرتها هذه بالعهر والالتواء الأخلاقى بأنها غير جميلة، ولو كانت كذلك وواتتها الفرص لما امتنعت من إتيان أضعاف ما أتته هيلينا ؟!

٩ — أما إلجنيا فى أوليس فهى درامة عجيبة لأنها من هذا النوع الشاكسبيرى الجميل الذى تمتزج فيه المأساة بالملهاة، والدموع الحرار بالضحك الكثير . . ويقال إن يوربيبدز ليس مؤلفها بل تركها غير كاملة فأتمها شاعر آخر قد يكون ابنه[1] الذى أشرنا إليه فى كلمتنا الأولى ... والحقيقة أن فى هذه الدرامة من الفن الجديد ما لم يعرفه يوربيبدز وما لم يعرفه المسرح إلا فى عصر شاكسبير ... وإلجنيا هى تلك الفتاة ابنة الملك أجاممنون قائد الحملة على طروادة والتى تنبأ الكاهن كالخاس بضرورة ذبحها قرباناً لآلهة الريح ليتحرك الأسطول ... يزوّر أجاممنون رسالة إلى زوجته كليتمنسترا كى ترسل ابنتها للاحتفال بعقد قرانها على البطل أخيل فتذهب الأم مع ابنتها وتلقى أخيلاً بما يليق فى مثل هذه الحال من الترحيب وتناديه بخطيب ابنتها فيدهش أخيل لأنه خالى الذهن من كل ما دبر ، وينقلب الموقف إلى التضحيك على أخيل فيثور، ثم يعرف الحقيقة ويأتى عبد فيخبر الملكة أن ابنتها ستذبح قرباناً لآلهة الريح فتحزن الأم وتبكى الفتاة ويقسم أخيل أن يحميها من هذه الفعلة ... ثم يعلم الجنود أن أخيلاً هو الذى يحول بين سفرهم وبين ذبح القربان فيثورون ويهجم رجال (الميرميدون) عليه يحصبونه حتى ليوشكوا أن يقتلوه ... وهنا تتقدم الفتاة فتحميه وتهب نفسها ضحية كريمة من أجل أخيل الذى تفضل روحه أرواح عشرة آلاف فتاة مثل إلجنيا[2] ولأنه خرج متنازياً فى سبيل هيلاس ... وتودع الفتاة أمها ثم تخرج بسامة راضية ... وهنا يدخل رسول فجأة حاملاً بشرى طيبة .. لقد أنقذت ديانا الفتاة إلجنيا وطارت بها إلى بلاد البربر ...

١٠ — أما إلجنيا فى توريس (٤١٣ ق . م) فهى بقية قصة إلجنيا؛ وفيها يعرض يوربيبدز لوناً صارماً من ألوان العراك الداخلى الذى يشب فى نفس الفتاة بين السخط على قومها الذين أوشكوا يقتلونها لغير ذنب وبغير جريرة ، وبين محبتها الطبيعية لوطنها هيلاس فخر الأوطان . لقد ذهبت بها ديانا (أرتميس) إلى ملك التوريين (غير الطورانيين) لتكون كاهنة لمبدها هناك ، وقد أكرم الملك مثواها ، وعهد إليها بإعداد الغرباء لتحريقهم بالنار (لأن هذا كان دأب الملك ، فكل غريب أو أجنبى يحل بأرضه وخصوصاً إذا كان إغريقياً) أحرقه بالنار . ثم يحدث أن يكون أول غريب يعهد إليها بإعداده للتحريق هو أخوها وشقيقها أورست الذى طارده قومه بعد قتله أمه ... لقاء هائل بعد سبعة عشر عاماً ... تتحرك العاطفة، وتترقرق الأحاسيس فى الدماء . يعرف كل منهما الآخر فيبكى ... يا للمشهد المؤثر الذى يرتفع فيه يوربيبدز إلى القمة ! !

ثم تطمئن الفتاة أخاها وتدبر له طريق الهرب إلى شاطئ البحر حيث القارب المعد لفرارها ، وحيث البحارة الأمناء !

* * *

هذه طائفة من نساء يوربيبدز عرضها فى دراماته عرضاً شائقاً يمتزج فيه الشعر بالأخلاق بالسيكلوجية ، بطريقة أهاجت عليه البيئة الأثينية عامة ، ونساءها خاصة ، لأنها بيئة محافظة لم تتعود أن تُشرّح أسرار نسائها على المسرح على هذا النحو الذى انتحاه يوربيبدز فأخجلها وأغراها به .

وكم كان بودنا لو خلصنا لكل من هذه الدرامات بفصل خاص حتى نتفادى تشويهها بهذا العرض السريع لولا ما نتوخاه من عدم الإملال ، وما نخشاه من فتور نشاط القراء .

دريني خشبة

(١) هذا رأينا نحن ولم يقل به أحد من المؤرخين الذين نعتمد عليهم فى هذه البحوث

(٢) ترجمة يوتر طبعة دانت

التفاؤل والتشاؤم أيضاً

للأستاذ عبد الرحمن شكري

إذا كان لقائل قولان: قول ينم عن تفاؤل، وآخر ينم عن تشاؤم، فليس من إخلاص الناقد للأدب أو للإنسانية أو للقائل أن يشير إلى اليأس في بعض قوله وألا يذيع الأمل في بعضه حتى ولو كان الأمل في الأقل من قوليه؛ فإذا كان الأمل في أكثر القولين أو إذا تعادلا كان إخلاص الناقد أقل. ومعاذ الله أن أقول إن الدكتور أدهم غير مخلص للأدب، وإنما يجيء البعد عن الإخلاص من الإسراع في النقد من غير تدبّر لهذه الحقائق أو من قلة التقصي والبحث التي هي صفة عامة في الناس تظهر في أحكامهم على أكثر الأمور. والناس في ذلك سواسية لا فرق بين عادل وظالم، ورفيق وغير رفيق، وعاقل وغير عاقل. وإني أحمل حكم الأديب الفاضل على هذه الصفة العامة في الإنسان وأقول إنه إذا كان لقائل قولان، وكان أحسن قوليه في التفاؤل فمن الواجب إذاعة هذا القول ولاسيما أنه ليس تفاؤله بالقليل النزور. ولا تحسب أن منصفاً يقول إن ما ذكرنا من الشواهد ليس من أحسن ما قلت؛ وسواء أكان في نفسه حسناً إذا قورن بقول غيري أم غير حسن، فهو إذا قورن بما وصفه الناقد بالتشاؤم في قولي أجود وأحسن وأليق بأن يذاع إذا كانت هناك ضرورة للاذاعة والنشر والنقد، ولم ير الناقد أن من الخير اندثاره كله بما فيه من جيد ورديء، ومن تفاؤل وتشاؤم. وفي قولي من الرديء ما أسفت لنشره.

ولم أذكر جميع الشواهد والقصائد التي تثبت ما فصلته في مقالي السابق، ففي قصيدة (مصارع النجباء) أيضاً أمل وتفاؤل وطموح ومنها:

إنّ الحياة جمالها وبهاءها هبةٌ من النجباء والشهداء
لولا طماح الحالمين وهمُّهم بقيَ الورى كالتربة الغبراء
الحالمون بكل مجد خالد سامي المنال كمنزل الجوزاء
الشائدون الهادمون ذوو النهى والعقل أعظم هادم بنّاء
الخالقون الهالكون الشارعو ن المرسلون بآية غرّاء

خيالهم وفعالهم ودماؤهم مثل الهدى وكواكب الإسراء

وأرجوزة (قوة الفكر) وقد نشرت في المقطم وفي الجزء الخامس تدعو إلى تقديس مظاهر الفكر في الحياة والتفاؤل حتى بالخطوب التي يسببها الفكر ومنها:

إنّ الخطوبَ سنّةُ التجدُّد فلا تُرَعْ من سهمها المسدّد
وأول الفكر الكبير خطبُ ثم يَظَلُّ خيره يُرَبُّ

وقصيدة (عبث الشكوى) في عنوانها ما يدل عليها. وقصيدة (أبناء الشمال) تدعو إلى السعي والعمل والأمل ومنها:

همْ لداعي السعي والآ مال عمّال عجّالُ
تعرف البيداء مسعا همْ وتنبيك الجبال

وقصيدة (صوت الله) تدعو إلى الاطمئنان إلى إرادة الله في الحياة وإلى الالتجاء إليه ومنها:

وإنما نفس الفتى معبد يضيئها الله بنور عميم

وقصيدة (جهاد المصلحين) تصف ما يعترض الناس عامة من ترك آمال الإصلاح ومساعيه وتدعو إلى التشبث بها ومنها:

ترى دنس الأشياء رؤية آلف ترى أن أحلام النفوس لغوب
يظن جهاد المرء في العيش ضلّة وأن مساعي المصلحين تخيب
يرى أن خير الكون ما هو كائن ووحي النفوس الساميات مريب
ويحسب أن الشر ضربة لازب وأن أساليب الحياة ضروب
ويصبح في مجرى الحوادث ريشة تجوب به الأيام حيث تجوب
ويطفئ نور النفس حتى كأنما دواعي النفوس الساميات عيوب
فلا تفجعن إن الشرور كثيرة ولكنّ يأس العاملين عجيب

وقصيدة (سنة العيش) تصف أمل المصلحين في أن تلطف طباع الحرص والشر في النفس وتصف كيف أن فشل المصلحين ينبغي ألا يعوق عن الأمل ومنها:

طَبْعٌ قديمٌ سينضو المرء خلعته
مثل الأديم نضته صِمّة الصِّمَم (١)
لا بد من فشلٍ من بعده فشلٌ
حتى يفيق سواد الناس من صَمَمِ
لا يسعد الناس سن الحرص سنتهم
حتى يُطَهِّرَ داءَ الحرص بالندمِ

(*) ذوات الخيار في المقال السابق صحته ذوي أي الذين أصابهم خيار الخير.

(١) الصمة الحية: أي يخلع المرء طابع الحرص كما تخلع الحية جلدها

وقصيدة (البطل المنتظر) تصف صلاح أمور الناس وتصف تفاؤلهم وأملهم وعملهم بعد الركود واليأس ومنها:

تمر دهور والحياة كآجن
أسن وقدماً كان وهو طهور
إلى أن يحل الغيث حبوة مائه
فيترع منه جدول وغدير
كذلك حال الناس فالناس آجن
مرير وماء النابغين نمير
وبارقة تجلو الظلام وصاعق
يشب لهيباً والأنام قشور
فيضطرم القلب الذي كان خامداً
ويصبح روض النفس وهو نضير
وتعظم نفس المرء حتى كأنها
عوالم فيها الكائنات تدور

وقصيدة (الإيمان والقضاء) تصف أثر الإيمان في بعث القوة والأمل في النفس ومنها:

كنف مانع وظل ظليل
وشراب يشفي أوام الظماء

وهناك مقطوعات كثيرة مثل:

كل ما في الوجود مما يريق الـ
دمع أو يستميح شجو الرحيم
كل شر مهما تعاظم لو قيـ
س بشأن الوجود غير عظيم

فليست للتفاؤل عقيدة أعظم مما في هذين البيتين. وقصيدة: (الحياة والفنون). كلها تفاؤل بجمال الفنون في الحياة ووصف لجمال كل فن من الفنون الجميلة والفنون النافعة وأولها:

جملك الله يا حياة كما
جمل وجه السماء بالشهب

والدعوة إلى بلوغ النفس غايتها بالطموح منتشرة في أكثر القصائد كما في قصيدة (غل السرائر). ومنها:

وإن رضاء النفس ما ينبغي لها
وليس رضاء النفس ما هو كائن

وفي قصيدة أخرى:

والنجب يحمل بين جنبيه الذي
روع الغريب وراحة المألوف
إن الذي درس الزمان وفعله
لأجل من حدث الزمان الموفى
ويشيم أسرار الحياة بحكمة
تعدي على المجهول والمعروف

وفي قصيدة (العظيم) وصف لاستنباط فضائل النفس من تجارب الحياة حتى تجارب الشر والشقاء. ومنها:

وفضائل ليست لغير مجرب
إن التجارب حجة الرجحان
وأجل خير النفس بعد بلائها
فالعيش حرب فضيلة الفعلان

وفي قصيدة (الشمطاء الفتية) وصف الرجاء الذي هو عبادة وللاعتقاد الذي تزيده الأرزاء:

نصب خالد وأعظم منه
اعتقاد تزيده الأرزاء

من برجنا العاجي

كلما ارتقى فكر أمة انصرفت إلى إتقان الصناعة وحذق الوسائل الفنية، وشعرت في الحال بافتقارها إلى المواد الأولية. فالصناعة غول فاغر فاه يريد أن يلقف أكبر مقدار من المادة ليحيلها إلى خلق جديد له وزن وثمن. أما الأمم العادية فهي مشغولة في أغلب الأحيان بإنتاج المادة الخام.

كذلك الحال في دولة الأدب والفن. فإن الأديب أو الفنان قبل أن يصل إلى مرحلة الانقطاع للفن والصناعة يكون شأنه شأن عامة الأفراد: يعيش الحياة المفعمة بشتى الحوادث، الزاخرة بألوان المادة الصالحة، حتى يدعوه الفن إلى سمائه. فإذا هو يرى أن حذق أساليب الفن وإتقان أسباب الصناعة أمر لا بد له من تكريس حياة بأكملها. فإذا هو قد انصرف عن حياة الناس العادية بما فيها من وقائع هامة وتافهة وأحداث هائلة أو حقيرة، وانعزل في شبه «معمل» فني أو مصنع فكري يجوّد فيه وسائله ليملك ناصية ملكاته، إلى أن يحس من نفسه أنه قد قطع في هذا السبيل شوطاً كبيراً وأنه قد غدا صاحب صناعة. فيلتفت فإذا أيامه التي قضاها في مصنع الفن قد فصلته عن الحياة الرحبة الصاخبة الزاخرة، وإذا حياته الآن فارغة إلا من جواهر الفكر ولباب التأمل وتجاريب الصناعة القلمية أو الفنية. وإذا هو محتاج لاستعمال فنه وصناعته إلى مواد أولية لا يدري من أين يأتي بها. فهو تارة يرجع إلى حوادث الماضي فينسج من ذكرياتها تلك الأثواب الجميلة التي تخرج عن مصنع فكره وفنه. لقد لحظ ذلك مرة شارلز ديكنز فقال وهو في سن الستين:

«إني دائماً أتغذى وأغذي قصصي ومؤلفاتي بذكريات الطفولة والصبا!».

ما الأديب ذو الصناعة إذن إلا دولة صناعية في حاجة دائمة إلى المواد الأولية.

توفيق الحكيم

وِرجاءٌ هو العبادة والإيـ ـمان درعٌ يرتد عنه الفناءُ

وقصيدة (العدل والكسب) تصف كيف أن الأمل والصبر أعظم حتى من العدل:

فطوبى لمظلوم رأى العدل معوزاً قضى أن فوق العدل صبر المحارب

وفى (حقوق الفرائض) تقديم للفروض على الحقوق، وبما تستلزمه الفروض من أمل وعمل:

لَنْ يبلغ المرء العُلَى بحقوقه إلاَّ إذا بلغ العلَى بحقوقها

وقصيدة (البطل) تصف ما يكون من أثر الأمل والعمل فى مجرى الحوادث والأقدار ومنها:

ترمى الحوادث بالظلال أمامها فترى خُطى الأمر الذى هو آتى

يا راكب الأيام تجرى تحته مأمونة الخطوات والمداوات

إنَّ المقادر تنتحيك لأنها ريضت لديك بحكمة وحصاة

كالخيل تعرف رائضاً ومُذلِّلاً عند اعتقاد السرج والصهوات

وهذه الشواهد كلها شواهد جديدة لم نشر إليها فى المقال السابق. ولو شاء الناقد الفاضل الزيادة زدناه ولكنا نختم هذا المقال بالأبيات الآتية أولاً فى وصف أمل النفس فى أن تتغلب جهود الشباب على طاغوت الحياة وهذا غاية التفاؤل:

ويُذِلُّ طاغوتَ الأمور فتنتدى شرْعَ الحياة شريعةُ الرحمن

وثانياً فى وصف تفاؤل النفس واعتقادها فجراً للانسانية مستقبلا:

وأملتُ للدنيا صباحاً مؤجَّلاً سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر

فكل صباح رمزه ومثاله ووعد به يحدو إلى الزمن النضر

نُسرُّ بنُعماه وإن لم تكنْ لنا وننشده فيما يكون من الدهر

وثالثاً فى وصف الاستبشار بقبول الشقاء لتحقق سعادة الإنسانية المقبلة:

أيفدح أن تقاسوا العيش نحساً ليُسْعدَ بعدكم صحباً وآلا

وكم من نعمة لولا شقاءٌ قديماً لم تكُنْ إلا وبالا

فكم خَبَرَ الأوائل من شقاء فنلنا من شقائهمُ نوالا

ورابعاً فى أن السعادة واللذة شعور لا يستقيم إلا إذا شعر المرء بالألم:

لا يعلم السعد الشَّهىَّ وشهده من لا تزود فؤادَه الآلام

وإذا أراد الأستاذ الفاضل زيادة من شعر التفاؤل فإنه يجده كما فى قصيدة (حياة جديدة) ومنها:

تلك قلوبٌ كأنهـا قبسٌ يضيء دجن القضاء والغيب

قد آمنت بالعلاء واعتقدت كما يقتنا الإلـه فى الحجب

وكما فى قصيدة الباحث:

عشت دهرى بالبحث والأمل الحا و ولولاه لم أرُحْ بالنجاء

من سهام المنون إن صروف الد دهر فينا كثيرة الإصماء

أنشد الحق بالتقلُّب فى العيـ ش وأبنى مسرة الأشياء

وقد قلنا قديماً إن فى النفس البشرية قوة تستطيع أن تحول التشاؤم إلى غرض من أغراض التفاؤل، وإلى قوة من قوى الاستبسال فى طلب الأمل (إنما اليأس سبيل المنى). ونعود فنقول إنه ليس من الإخلاص للأدب أو الأديب أو الإنسانية ترك أحسن ما فى قول القائل. وهذا قول لا ننعت به الناقد الفاضل

عبد الرحمن شكرى

هتـــــــلر

لأستاذ جليل

لو رام اليوم جرمانى مشغوف بهتلر أن ينشئ كتاباً كبيراً فى تقريظ إمامه وزعيمه جاهداً نفسه متنوقاً محتفلاً فى كلامه مستنجداً ببلاغة غوته — ما استطاع عندى أن يأتى فى كتاب بمثل الذى قاله أبو تمام فى بيت . وسأروى بيت حبيب وأبياتاً ثلاثة قبله ، والشاهد هو ، وتلكم مقدمات نفيسات. قال ابن أوس الغواص على المعانى :

قد علمنـا أن ليس إلا بشق النفس (م) صـار (العظيم) يدعى (عظيما) [1]

طلب المجد يورث المرء خبلا وهموماً تقضقض الحيزوما [2]

فتراه وهو الخلىّ شجيّا وتراه وهو الصحيح سقيما [3]

تيمته العلا فليس يَعُدالبؤس (م) بؤسـاً ولا النعـيم نعيما

وإن امرءاً ترك فى الدنيا هذا الدوى[4] وبلغ بنفسه الكبيرة ما بلغ « من الرَّفْش إلى العرش[5] » لعظيم حق عظيم ، كل العظيم[6]

عطست بأنف شامخ وتناولت يداى الثريا قاعداً غير قائم [7]

(١) شق : بالكسر والفتح ، وأكثر القراء على الكسر فى القول الكريم : لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس

(٢) تقضقض : تكسر . الحيزوم : الصدر

(٣) قالوا : شجاه يشجوه فهو مشجو وشجى ، وشجى هو — كرضى — فهو شج . وفى تشديد الياء وتخفيفها كلام كثير ، وقد ورد المشدد والمخفف

(٤) من قول المتنبي :

وتركك فى الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وقبله بيتان معلومان : ولا تحسبن ، وتضريب أعناق ...

(٥) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ، والرفش بالفتح والضم . فى اللسان : « يقال للرجل يشرف بعد خموله أو يعز بعد الذل : (من الرفش إلى العرش) أى قعد على العرش بعد ضربه بالرفش . وفى التهذيب : أى جلس على سرير الملك بعد ما كان يعمل بالرفش وهذا من أمثال العراق » والرفش المجرفة يرفش بها البراى القمح ، الحنطة

(٦) بعضهم يقول : عظيم بكل معنى الكلمة ، وهو كلام لا معنى له فى العربية عند التفتيش والتحقيق .

(٧) إسحق الموصلى .

وإذا تذكر الهر الفوهرر صيّور[1] غشمشمين[2] مخاطرين مثل نونابرته — كما يسميه الجبرتى — وغليوم نزيل هولاندة ، وتدبر قول المهلب بن أبى صفرة ، الجملة الأولى منه : « الإقدام على الهلكة تغرير ، والإحجام عن الفرصة جبن شديد » ونال بالتهويل وبالوعيد ، بالكلام لا بالمدفع والحسام أمانيّه ، وفارق الدنيا دون أن يحرقها ويحرق الإنكليز والفرنسيين وصَحْبه الطليان[3] ويحترق — فإذا تذكر وتدبر وقام اللسان مقام السنان كان فوق الرجل العظيم ، كان (والله) عجيبة ، كان نبى الجرمان ، على أنه اليوم نبى القوم

وإنى لأنوه به تنويهاً لبطولته وعظمته وإن شتم الشتامة[4] وقال فى أجناس الناس غير الحق . إنه من قادة الأمم العظماء ، لا من الباحثين الفاحصين العلماء ، وإن جهل ألمانى أو غير ألمانى أصوله الكريمة وأعراقه الدساسة ... فليرجع إلى كتاب الأنساب لغير السمعانى ، وليقرأ مؤلفات الأستاذ أرنست هيكل العالم الجرىء الجرمانى ، حتى يعرف متفطرس منتفخ من هو ، ومن جده وأبوه

إن هتلر من الزعماء لا من العلماء ، فقوله فى الأصل والفصل والجنس والنوع هراء بهرج ، المحقق لا يقوله

وإنه والله يا أخا العرب ، على العلات لعظيم أىُّ عظيم

ولقد ذكرتنى خلائق فى ابن هتلر : إخلاصُه وزهدُه وبطولته ، بأبطال كرام عظيمين من العربيين والمسلمين السابقين سادة الدنيا وهداة العالمين

محمد ! إبعث لنا واحداً من مثلهم ، واحداً من مثلهم !

(الاسكندرية) (***)

(١) صيوره : مآله ، عاقبته

(٢) الغشمشم : هو الذى يركب رأسه ، ولايثنيه شىء عما يريد ويهوى

(٣) يقولون فى الشرق : أحرقهم الله جميعا !

(٤) الشتامة : الأسد العابس ، والشتامة الكثير الشتم

صلوات فكر
في محاريب الطبيعة
للأستاذ عبد المنعم خلاف

٣ – الاستيعاب

أيدري ناظر في الطبيعة ماذا يحدث أمامه كل لحظة ؟

الطبيعة تعمل أعمالها العظيمة المتعددة في كل لحظة .. تدير الأجرام ، وتبني الأجسام وتسكب الشعاع ، وتسوق الريح ، وتوزع الدورات ، وتملأ جميع القوالب ، وتعطي الإذن والمشورة والرأى لكل شيء ...

لا اصطدام ولا تناقض ولا فطور ولا صدوع . تجيب كل حي بلسانه وتكلمه وتوصيه وتوجهه وتلد وتدفن وتضحك وتعول . لا تنام ، ولا تستريح . قلبها لا يقف عن الدوران والنبض . كل بذرة ، كل بويضة ، كل ورقة ، كل حشرة ، كل ذرة تحتاج إلى عنايتها وإرشادها ، وهي تعطي العناية والمشورة ولا تخطيء !

من يكذبني فليذهب إلى حديقة الحيوان بالقاهرة أو إلى أي حديقة مثلها ، حيث تجتمع فيها نماذج حياة الأرض ، ليرى ويسمع « الجوق » وهو يعزف « أوبرا » الحياة جميعها ...

إن حديقة الحيوان موضع عناية الله البارىء ! إنها عندي معبد أذهب إليه كثيراً بالجسم حين أكون في القاهرة ، وأذهب إليه الآن وأنا في العراق بالروح والفكر لأقف مع الأحياء جميعها أمام الله !

إنها معرض دائم للمنتوجات الحية المجموعة من كل مكان في الأرض . إنها حسنة من حسنات الإنسان لولا أنه فعلها غير مقصودة ، بل للهو والمتاع بدون فكر وروح ...

إن الملائكة يتفرجون بها أكثر مما يتفرج الناس ... ليروا فعل ربهم في غير عالمهم ... في عالم الطين ... إنهم يعجبون من تصنيف القلوب والشكول والعقول فيها ... وإن القلوب والطباع هناك أمرها عجيب . الأضداد والأعداء ينظر بعضها إلى بعض من خلال الأقفاص ويتعجب كل منها من هذا الوضع الشاذ في حياته . وترى تناقضاً بين ما في قلوبها وبين حياتها وهي مجموعة ينظر بعضها إلى بعض نظرات متدافعة من خلال القضبان ...

قف هناك طويلاً وانظر هيآت الأجسام والنفوس المتعددة ... أنظر نظرات العيون المختلفة وفكر : كم للدنيا من أشكال متعدده عدد كل نوع من أنواع ساكنيها ... أنظر نظرات العيون المختلفة واسمع أصوات الحناجر المختلفة واستحضر روح سليمان بن داود مفهم الطير والبهائم والمردة ...

امسح على الجلود والريش والشعر والقشر وشق البطون والجلود وانظر الآلات التي تدور بها هذه الأجسام ...

افقه شجاعة الأسد وجبن الفأر وحقد الثعبان ووداعة الحمل وشراهة الذئب ومكر الثعلب و .. قد خلق ربك كل هذا من طين يا أخي ! كل قلب من قلوبها يختص بصفة واحدة من الصفات التي جمعها في قلب الإنسان : خلاصة الحياة والأحياء والابن البكر للطبيعة ...

« حديقة الحيوان » تسمية أولى منها أن يقال « حديقة الحياة »

٤ – لمن هذا كله ؟

كل يوم تفرش الدنيا بالضياء أمام الإنسان ليسير ، وتسدل عليها أستار الظلام لينام ... وسواء أكان على الأرض قدم تسير أم لم تكن .. وسواء أكان على المهاد جسم ينام أم لم يكن ... فإن الآلات الإلهية تدور في دءوب عجيب وعدم اكتراث بالإنسان

فالصباح يشرق على العاهل والباهل والنابه والخامل ، والمساء يستر السهران والنائم المكدود ، والربيع والخريف والصيف والشتاء تتداول وجه الأرض ؛ يحيا الإنسان ويموت وهي عاملة ناصبة لا تبالي ...

فالدنيا تدور باطراد ويدور معها كل شيء لا فكر فيه ، ولا يتخلف إلا الإنسان فإنه قد يقف في مكانه حقباً تطول ، أو قد يدور دورة عكسية إلى الخلف ! لأن فيه قوة الاختيار ...

ويخيل للمتأمل أن الدنيا قد دارت « على الفاضي » كثيراً عند ما لم يعمل الإنسان عملاً يقدمه إلى الأمام ، وقد ضاعت قوى كثيرة من عمر الزمان سدى ... ضيعها جهل الإنسان وبطؤه في إدراك وجهة الحياة

فمن المنتفع بالحياة ؟ من الذي خلقت له الحياة ؟

هو الذى لا يضيع شعاع ضوء من أضواء النهار سدى ، ولا قطرة من ماء السماء سدى ، ولا بذرة من بذور الأرض سدى ، ويحتفل احتفالاً ليرى صنعة الله !

هذا الذى يأتى أمامه الإله المطايا فيلقطها فى يقظة لينتفع وينفع ...

هذا الذى عرف قيمة الحياة هبة الله العظمى ! وأحسها إحساساً عميقاً وفكر فيها فكراً ، وأقبل عليها فى شغف إقبال الأطفال على « السينما » ... فرأى كل شىء ، وقرأ كل شىء ، ووضع قلبه وفكره على كل شىء ...

هذا الذى يستعمل مواهبه من الله ليُريه أثر صنعته العجيبة فى الإنسان ... وليؤدى دوره كاملاً بين الكائنات كما تؤدى أدوارها بقية جنود الله ...

هذا الذى يفكر ويأكل ويغنى ويندب ويضحك ملء رئتيه ويبكى ملء عينيه ، ويلد ويدفن ويعمل بيده ويمشى برجله : أعنى لا يعطل شيئاً ولا يتمرد ...

هذا الذى لا يغلق حواسه عن جمال دنياه ... ولا يترك باباً من أبواب المعرفة إلا قرعه ودخل منه إلى سر من أسرار الله ...

هذا الذى تتمثل فيه مجموعات الأحياء وتنطوى فيه العالم الأكبر ...

كل شىء يؤدى خواص خلقته وتكوينه إلا الإنسان . فقد شغل عن خاصته التى له وحده وذهل عنها دهراً طويلاً إلا أفراداً قلائل ...

فتبشوا كم من الناس عاشوا كما يريد رب الحياة فى النوع ؟ مليون ؟ ثلاثة ؟ ألف مليون ؟

يا ضيعة الإنسان إن كانت نسبة « العارفين » منه فى جميع الأزمان كنسبة الذين نراهم الآن فى زماننا !

كلمة ! سوف لا يدخل إلى الله إلا الذين عرفوه وعرفوا سر صنعته هنا ... أما غيرهم فيذهبون إلى جحيم الحرمان والنسيان . « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ... »

٥ — صور من الأوهام فى الغمام

أمامى الآن فى السماء دنيا كاملة من الصور والأشكال ... نسقتها الصدفة وحبكتها الأوهام ... كلها من وهمى وليس فيها من الحقيقة شىء ... لو أرادت عبقرية أى مصور أن تخرج مثلها لعجزت ... إنها دنيا من همسات الظنون وخافيات الأحلام فى نفسى .. أنظر إليها ولا أمل كما ينظر الطفل إلى فقاقيع الصابون التى تكون وتنفجر فى لحظة ، وأجد راحة فى نفسى لا تنتهى ، ولا عمق لها

إنى أجد فى الأرض آثار النظام والإحكام والتحديدات والقوالب القاسية التى لا تسمح للخيال بالانطلاق وتكوين ما يريد . ولكنى أجد فى فوضى الغمام ومزج الصور فيه انطلاقاً وحرية فى تركيب الصور ، وفى ذلك ما يرضى ويشبع حاستى باللانهائية ويجعلنى غير خاضع لمنطق الصور الأرضية وأصول التجسيم

فعالم الأجسام والأحجام والصور الحقيقية فى الأرض هو عندى روايات تمثيلية يمثلها أناس وحيوانات حقيقية ، وعالم أشباح الغمام كعالم الصور المتحركة التى يمثلها « ميكى ماوس » وأضرابه ، مما يعطى كل جماد وكل حيوان ونبات روح فكر ورمز وحركة وحياة

ولو كنت مصوراً لأخذت من تهاويل الغمام فى ساعة واحدة آلافاً من « رءوس الأفكار » فى أوضاع الأجسام وإخراج البدائع . ولا شك أن هذا هو أصل التماثيل الخرافية الأسطورية التى لم يتقيد صانعوها بما هو كائن حقيقى ولا بالقوالب المعروفة للأجسام . بل ركبوا متناقضات وجمعوا مفارقات وأخرجوها ليرضوا بها نزعات الانطلاق فى النفس الإنسانية زمان طفولتها

فيا عالم الانطلاق ! أنا أنظر إليك سجيناً بأغلالى وأصفادى مربوطاً بالعقل الأرضى والمنطق الإنسانى ... لم يشبع خيالى تنوع الصور الأرضية ولم أقف عند حد . وإنما فى نفسى إدراك عميق تام أن الصور التى عند ربى لا تنتهى

فأطلق اللهم خيالى من العالم « المتبلور » إلى العالم المائع الذى لا أجسام فيه ولا أحجام ... أطلق خيالى ولا تضيعه ! أسعدنى به على القيود ما دمت قد حبوتنى هذا النزوع الحاد الدائم إلى الرحلة فى عجائب ما تصنع وما تستطيع أن تصنع ، ولا حد لاستطاعتك !

المدرســـة الابتدائية
وتعليم اللغة الأجنبية
للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

لا شك عندي في أن كل من تناول بالتفكير بعض المشاكل الاجتماعية ، لا بد يعلم أن أساس التفاهم الحق بين أبناء الأمة الواحدة هو التعليم الموحد . فلقد شهدنا ظروفاً لم يفرق فيها اختلاف التعليم ، واختلاف طرائقه وأساليبه بين لهجة ابن مصر العليا ، وابن مصر السفلى فحسب ، بل فرق فيها ذلك بين أبناء القرية الواحدة إن لم يكن بين أبناء الأسرة الواحدة الذين وقعت بهم الظروف في أحضان معاهد مختلفة بين : مصرية أو أجنبية مدنية أو دينية . وما نشأت تلك الفرقة التي كثيراً ما تؤدي إلى الجفاء إلا من اختلاف نوع الثقافة ، ذلك الاختلاف الذي يخلق عقلية خاصة يصحبها تفكير خاص ومزاج خاص . ثم إننا نجد على العكس من ذلك أن التعليم في المدرسة الواحدة يؤلف بين المتباغضين ، ويقرب بين المتباعدين ، ويوحد بين المتنافرين ، لأنه يجمع بينهما في أهم وسائل التفاهم : اللغة واللهجة وطرق التفكير ووحدة طرق التنشئة . فترى الآن الصعيدي والبحراوي متجاورين في دواوين الحكومة متفقين متفاهمين كاتبين كانا أو قاضيين ، مهندسين أو معلمين ، مديرين أو وزيرين ؛ حتى لا تكاد تعرف أيهما الصعيدي ، وأيهما البحراوي ، لأن المدرسة التي نشآ فيها كان لها الأثر الفعال في تنشئتهما تنشئة واحدة مهما كان نوعها .

فهل هناك إذن من سبيل إلى التوحيد والتفاهم غير المدرسة الموحدة التي سبق أن أثبتنا أنها السبيل الوحيد أيضاً إلى المساواة في الحقوق بين الجميع أو إلى الديمقراطية الصحيحة ؟ إنك لا تجد مطلقاً أن من السهل خلق جو من التفاهم الأكيد بين الأزهري والأفندي كما لا تجد من السهل إيجاد تفاهم تام بين : المعلم الإلزامي وخريج دار العلوم ، أو بين هذا وخريج معهد التربية . ولذلك تجد مشاكل وزارة المعارف لا تنتهي للخلافات المستمرة بين تشكيلة رجال التعليم الذين نشأوا في معاهد متعددة مختلفة الثقافة . ثم هل استطاعت وزارة العدل بما يملأ أرجاءها من العدل وبما تنشره من المساواة بين الناس جميعاً في الحقوق بحكم القانون أن تنشر جواً من التفاهم الصحيح بين القاضي الأهلي والقاضي الشرعي اللذين نشآ في مدرستين متباعدتي الثقافة ؛ ألم تشغل طويلاً وزارة العدل ولا زالت تشغل بالخلاف القائم بين القاضيين المتآخيين في الوطن المتباعدين في النشأة ؟ وهل انتهى حتى اليوم شيء من الخلاف القائم بين خريج الأزهر الشريف وخريج الجامعة المصرية وخريج دار العلوم ! وإذا كان وزراؤنا وكبراؤنا لا تقلقهم تلك المشاكل الطائفية التي تواجههم بسبب الاختلاف في الثقافة فإنهم على الأقل يضيعون الكثير من وقتهم ومجهوداتهم التي نحس أننا أحوج ما نكون إليها الآن في أمور تافهة أو ثانوية بالنسبة لما تحتاج إليه مصر من مجهودات في شتى النواحي العمرانية والاجتماعية . وما بال هذه الصيحات المتعددة بدعوة الزعماء والأحزاب والمتحزبين إلى المهادنة وضم الصفوف في الأوقات العصيبة التي تجتازها ، فهل وجدت إلا إعراضاً وإهمالاً وإمعاناً في الخصومة ؟ وإذا كان بعض المفكرين ينسبون ذلك إلى أخلاقنا فهلا يرى القارئ معي أن بعضه يرجع إلى الاختلاف الواقع في صفوفنا منذ نشأنا النشأة الأولى في معاهد مختلفة الثقافة بعضها فرنسي وبعضها إنجليزي وبعضها مصري مدني والبعض الآخر ديني الخ ! ألا إن تماسك الشعب المصري ووحدته المتمثلة في فلاحيه الجهلاء لتتناثر وتتفتت إلى قوى متنافرة متخاذلة في قادته وزعمائه المتعلمين الذين رضعوا لبان ثقافات مختلفة

إن عالم الجمال الأرضي لم يملأ عيني ونفسي ، ولم يزدني إلا تطلعاً إلى ما عندك مما خفي على قدرتي المحدودة . ولست طامعاً ، ولكني أدركت السر الذي خلقت من أجله ، فلن أنام عنه بعدُ ، ولن أصبر ، ولن أميت أشواقي وأطرابي إليه . وأقسم لك بجلال وجهك ! إني ما قصرت في السعي لإدراك أمرك ولن أقصر ... وكيف أخلق هكذا بصيراً ثم لا أسعى لأرى ؟ كيف أبصر النجم العالي ، والقرار الداني ، والعقل الإنساني ، ثم أقف عند حد وأتقيد بقيد ؟ إن سر أمرك دائماً في أفكاري وفي أحلامي ، ولا أملك غيرهما من معنى الحياة . أما نومي العميق الخالي من الأحلام فذلك ما لا أملك من أمري . . .

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم خفوف

فى معاهد مختلفة فتفاوتت عقلياتهم وتضاربت آراؤهم وأصبحوا أميل دائماً إلى الخصومة منهم إلى التعاون والألفة !

لقد أصبحنا فى أشد الحاجة إلى وضع حد لكل ذلك . ووضع هذا الحد لا يكون بالكلام والصياح ولكنه يكون بالعمل، والعمل على التوفيق بين مختلف الطوائف والأحزاب أمر يصعب تحقيقه للأسباب السالفة الذكر فى جيلنا الحاضر . فلنضع إذن الحجر الأساسى لبناء جيل جديد دعامته التعاون والاتحاد . وتنشئة هذا الجيل الجديد لا تكون إلا بإيجاد المدرسة الموحدة ، ولن تكون لنا مدرسة موحدة ما دامت اللغة الأجنبية تفرق بين أبناء المدرسة الابتدائية وأبناء المدرسة الإلزامية والأولية والدينية .

ورد فى مؤلفى « التعليم والمتعطلون فى مصر » تحت عنوان « خلق الطبقات » ص ١٩٥ ما يأتى :

« فهذه المدارس الشعبية الأولى المتعددة التى تتنازع أطفالنا (ويقصد بها الأولية والإلزامية والابتدائية والدينية الخ) تخلق أول تصدع فى بناء الأمة الواحدة لأنها تخلق نظام الطبقات المختلفة فى جسم هذه الأمة ذات الدين الواحد والعادات المتحدة واللغة الواحدة . وخلق الطبقات بين أمة هذا حالها لا يقره دين ولا نظام؛ فالديمقراطية تنفر منه كل النفور لأنه لا يمكن أن يؤدى إلى الاشتراك فى الميول والرغبات ، ولا يمكن أن يؤدى إلى الاتحاد فى الفهم العام الذى هو أساس التفاهم بين الأفراد ، فهو إذن ينزع إلى التفرقة الشاملة بين أفراد الأمة الواحدة . ولعل قيامه بهذا الشكل هو السر الأول فى هذه الفرقة التى نحسها فى ديارنا فى كل شىء . وطالما هو قائم فى هذه المدارس المتباينة التى نرى فى كل منها اختلافاً فى الطرائق والأساليب والمذاهب فلن تكون لنا وحدة متماسكة ولن نستطيع أن نخلق من أبناء النيل أمة متحدة فى الفهم والقصد ترمى إلى غرض واحد وتتعاون فى طريق واحد » . هذا ولقد دفعتنا العناية الكبيرة التى اضطررنا إلى توجيهها إلى التعليم الابتدائى فالثانوى تبعاً — إلى إهمال شأن التعليمين الإلزامى والأولى إهمالاً كبيراً تدل عليه تلك الإحصائية الواردة بصفحة ١٧٦ من مؤلفى السابق الذكر حيث ورد فيها أن تلميذ التعليم الابتدائى ينفق عليه ٢٤ جنيهاً فى العام وتلميذ روضة الأطفال ينفق عليه ٢٢ جنيهاً فى العام ، بينما تلميذ الإلزامى والأولى ينفق عليه جنيه واحد فى العام. وهذه تفرقة كبيرة جداً بل هى مؤلمة وليس لها من مبرر غير ذلك الهدف القديم الذى كنا نرمى إليه فى التعليمين الابتدائى والثانوى من حيث إعداد خريجيهما للوظائف والتوظف ، وهو هدف بدأ يزول من أدمغة القادة ولكنه مع الأسف لا يزال راسخاً فى أدمغة الطلبة وسواد الشعب، ويجب أن نعمل على نزعه من تلك الأدمغة سريعاً بإزالة الميزات التى تمتاز بها المدرسة الابتدائية عن باقى مدارس الأطفال وإدماج الجميع فى مدرسة شعبية موحدة تخرج لنا الوطنى المستنير ذا التفكير الموحد ، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بإزالة اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية . ولا ضير فى ذلك على اللغة الأجنبية لأنها ستعلم بعناية واهتمام وإتقان فى المدارس التى أبناؤها فى حاجة إليها وهى المدارس الثانوية ومدارس التجارة المتوسطة . أما طلاب المدارس الصناعية والزراعية المتوسطة فنى غير حاجة إليها ولا يصح إثقالهم بتعليمها، وهم فوق ذلك فى حاجة إلى صرف وقتها فيما هم أحوج إلى تعلمه من ضروب المسائل العلمية المختلفة

وإذا كان هذا البحث وما سبقه قد اقتضيا من الوجهتين القومية والاجتماعية زوال اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية ، بل زوال المدرسة الابتدائية نفسها وإدماجها مع أترابها من المدارس الشعبية المخصصة للأطفال فإنى أعتقد أن بحث هذا الموضوع نفسه من وجهاته التعليمية والبيداجوجية البحتة فيما بعد فى الأعداد التالية سيؤيد هذا الرأى كل التأييد

عبد الحميد فهمى مطر

من أدب الغرب

للأستاذ فليكس فارس

كنت أقلب رزماً من أوراقي القديمة فعثرت على صفحتين خطهما قلمي منذ عشرين سنة حين كانت الحرب العامة ترمي على الدنيا آخر رجومها وتطرح بالأوشحة السوداء على هامات الأرامل والأيتام

وها أنذا أنقل للرسالة ما ورد في هاتين الصفحتين ، ولعل السريرة الخفية قادت يدي إليهما لنشرهما في هذه الأيام ...

* * *

« هذه قصة كلها شعور وجمال قرأتها في إحدى الصحف التي ترد إلى غرفة الاستخبارات من المناطات الفرنسية المحتلة فوقفت عندها أنتصت منها إلى قلب الانسانية خافقاً على جبهات النار تحت وابل القنابل وهواطل الشرر

هذه صفحة كتبها إنسان برئ حساس تقوده العاصفة إلى المجزرة ليمسي قاتلا أو قتيلا

هذه قصة جندي على سيفه جريمة الحرب وعلى قلبه صرخة الانسانية أدرجها وأطرحها بين دفينات أوراقي »

حلب في غرة يناير ١٩١٨ ف . ف

وكان يوم عصيب في ناهور !

بذلنا كل ما في وسعنا من جهد في المعركة ونحن الآن نتوقع صدور الأوامر للعودة إلى النار

لم نتمتع بالراحة إلا يوماً واحداً فكفانا هذا التوقف عن العراك لنشعر بانحطاط قوانا وارتخاء أعصابنا

وصلنا إلى المعسكر فأشعلنا النار وقعدنا حولها ننشد بعض الأغاني العالقة بالذكر منذ الطفولة نخيل إلينا أننا نعود إلى أوطاننا على نغمات هذه الأناشيد

وكان أحدنا يعزف على الأرمونيكا فيسود أنينها ما حولنا من أجواء عافية تحشد عليها تذكاراتنا وآمالنا

وشعرت بيد ناعمة الملمس تمر على جبيني وسمعت صوتاً مرتجفاً حسبته في غمرات تذكاري صوت أمي الشيخة البليلة تناديني من بعيد قائلة :

— مسكين ، الولد الصغير

والتفت فرأيت ولداً لا يتجاوز الخامسة من عمره يلبس جلباباً واسعاً وقبعة صغيرة وكان يحدق بالنار وعيناه السوداوان تلتمعان وهو يكرر قوله :

— مسكين الولد الصغير !

فهتف الرفاق : آه ! هذا فرنسي صغير .

وتقدم جندي شيخ إلى الطفل فرفعه وأجلسه على ركبتيه ، وبدأ يلاطفه ويلاعبه فزالت سحابة الخوف عن سحنة الطفل فإذا هو يضحك ويلعب .

وجاء وقت تناول الطعام فقدم الجنود له شيئاً من البطاطس ، وجرعوه قليلاً من القهوة ، وكنت الفائز باكتساب ثقته إذ قدمت له قطعة من الحلوى ، وكلمته بلغته فقال لي : إن أباه ذهب إلى الحرب ، وإن أمه ماتت منذ شهور . وكنت أترجم للرفاق حديثه ، وهو يورده بلغته ، ويدس في كلامه بعض ألفاظ ألمانية علقت بذاكرته منذ احتل الألمان مقاطعته ؛ وقال إن اسمه إميل بوفيه فأسميناه كوكو الصغير .

ولما حان وقت انصرافنا إلى مضاجعنا تمسك الطفل بي طالباً أن ينام معنا فحملته وذهبت به إلى بيته .

وعند ما اجتمع الجنود في اليوم التالي رأيت الطفل يدخل في حلقتنا مفتشاً عني وهو يقول : كوكو الصغير .

وما كان وجود القائد بيننا ليمنع كوكو من القيام بحركاته ، وألعابه . وعند ما ذهبنا إلى ضاحية القرية لإجراء التمرينات العسكرية لحق بنا حتى آخر حدودها .

وكان كوكو يأتي كرنا كل يوم فيقف مسلماً برفع قبعته ثم يبادر إلي ويمسك بيدي ليتبعني ، وأنا أمشي مع الفرقة . وبعد العودة من التمرين كان الطفل يدخل معي إلى مرقد الجنود ويلتف بطرف دثاري مستسلماً للكرى . وهكذا أصبح هذا الطفل يلازمني ملازمة خيالي ؟ وما منعه تودد الجنود إليه من الاحتفاظ بتفضيله لي ، فكان يصافح رفاقي فرداً فرداً إلى أن ينتهي إلي فيطوقني بذراعيه الصغيرتين ويقبلني تكراراً ، أنا الغريب . . . أنا العدو ! ويطرح جسمه الناحل على صدري .

وجاء يوم السفر . انتهت أيام الراحة وحان وقت العودة إلى الجهاد ، فقلت للطفل وكان جالساً أمامي في الباحة الواسعة عند المساء : غداً سأسافر

قلت هذا متكلفاً السكون وفي قلبي ثورة وغصص ، فهب الطفل من مقعده مضطرباً هاتفاً :

— ولكنك ستعود

— لعلني أعود

— متى ؟ بعد غد ؟

— قد لا أعود أبداً

فصرخ الولد مذعوراً : أبداً ... لا . لا أريد ، فسوف تبقى وطوقني بذراعيه كأنه يريد تقييدى

وامتنع كوكو ذلك المساء عن الذهاب إلى بيته فرجوت مربيته الشيخة أن تسمح له بالبقاء عندى فرضيت وقالت :

— إن أمه قد انتحرت شنقاً هنا وراء هذا الباب بعد سفر أبيه إلى الحرب ، إذ لم يقو دماغها الضعيف على مقاومة هذه الصدمة

وأمضى كوكو ليلته مضطرباً فكان يتقلب ويهذى مردداً الاسم الذى لقبته به

وعند بزوغ الفجر نهضنا من الرقاد وبدأنا بإعداد لوازم السفر على نور الشموع المرتجف ، وكان كوكو جالساً يتبع حركاتى وسكناتى بلفتاته الواجفة

ولما هممنا بالخروج صرخ الطفل إلىّ قائلاً :

— ستعود

فأجبته متمالكاً روعى : أرجو أن أعود

وسحب يده الصغيرة من يدى وتولى . وبينما كنت سائراً مع رفاق فى الساحة كان الولد يتقدم نحو مسكنه يتوقف أحياناً دون أن يلتفت إلينا

وقطعنا القرية بخطواتنا العسكرية فكانت تفتح النوافذ وتلوح منها أوجه المتفرجين عليها مسحة الوسن وفى الأعين جمود وبرود وشعرت بغتة بوصول قادم لقربى وهو يلهث تعباً ويقول :

— كو ...

وما تمكن الطفل المسكين من التلفظ بالمقطع الأخير من اسمه

ومددت يدى إليه تخنقه العبرات واندفع مرتمياً على منحدر التلة وغلبه الأسى فأخذ يفرك عينيه براحتيه

وناديته : أى كوكو الصغير

ولكن صوتى لم يصل إلى مسمعه إذ ضاعت نبراته فى صرخة القائد :

— هيا إلى الأمام !

واندفعت الفرقة إلى المجهول

الوداع أيها الصديق الصغير ، أيتها النسمة الأخيرة من ثغر الحياة ...

وبينما كان وقع خطواتنا يرن فى أذنىَّ كنت أشعر بيد من حديد تربط على قلبى ، تلك يد الإشفاق على الطفل اليتيم وعلى الإنسانية وعلى نفسى !

هنريك أولكه
جندى من لاندشروم

* * *

من يعلم ما حل بهنريك أولكه منذ عشرين عاماً ؟ لعله قضى قتيلاً يوم كتب هذا المقال . ولعله لم يزل حيًّا فى العقد الخامس من عمره ، وقد يكون ابنه جنديًّا فى هذه الفيالق الجوية فيؤمر غداً بإسقاط القنابل والغازات على المدن الآمنة

والحق أن الإشفاق قد بلغ حدًّا بعيداً فى آفاق الروح الإنسانية

لقد كان الرجال يتنازلون الرجال حتى اليوم فتبقى النساء والأطفال فى مهامه الترمل واليتم . فعلى المدنية الراقية أن تحول دون هذه الجناية . عليها أن تخنق المرأة قبل أن تترمل والطفل قبل أن يتيتم ... !

فليكس فارس

الدعاية الإسلامية

للمستشرق الإنجليزي توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوي ، محمد الدسوقي ، عبد العزيز عبد المجيد

انتشار الإسلام في الأمم المسيحية في غرب آسيا

بعد وفاة محمد (ص) ، وجه أبو بكر الحملة التي قصد الرسول إرسالها قبل وفاته ، إلى بلاد الشام ، بالرغم من الاعتراض الذي أعلنه بعض المسلمين لأن أحوال الجزيرة كانت في اضطراب . ولقد أسكت أبو بكر كل معترض على ذلك بقوله : « لن أبطل أي أمر قرره الرسول . ولو كانت المدينة فريسة للوحوش الضارية فلا بد أن تنفذ الحملة رغبات محمد » . تلك كانت أولى الحملات المتتابعة العجيبة التي اكتسح بها المسلمون الشام ، وفارس ، وشمال أفريقيا ، محطمين أركان دولة الفرس القديمة ، ومكتسبين من امبراطورية الروم بعض أقطارها الخصيبة الغنية . وليس الغرض من هذا الكتاب أن نتتبع تاريخ هذه الحملات والوقائع المختلفة ، ولكن لما كانت غايتنا أن نشرح كيف انتشر الإسلام عقب الفتوحات العربية كان من المهم أن نميط اللثام عن الظروف والعوامل التي مكنت الإسلام من الانتشار .

ولقد ضمن أحد ثقات المؤرخين المسألة التي نحن بصددها الآن العبارة الآتية[1] : « أكان ذلك الحماس الديني الحقيقي نتيجة لتلك العقيدة القوية الطاهرة المترعرعة في بكورتها ، والتي جعلت جنود العرب ينتصرون في كل موقعة ، ويؤسسون في مدة قصيرة أكبر امبراطورية شهدها العالم ؟ إننا في حاجة إلى برهان لإثبات ذلك : لقد كان قليلاً جداً عدد أولئك الذين اتبعوا الرسول وتعاليمه طواعية ، وبإخلاص من أعماق قلوبهم . أما العدد الأكبر فهم أولئك الذين أدخلوا في صفوف المسلمين كرهاً أو رغبة في متاع الدنيا . وها هو ذا خالد — سيف سيوف الله — أوضح مثال لطريقة القوة الممتزجة بالإقناع التي اتبعت معه ومع كثير من القرشيين لكي يعتنقوا الإسلام . ولقد قال هو فيهم حينئذ : إن الله قد قبض عليهم من أفئدتهم وشعورهم وساقهم لاتباع الرسول .

ولقد كان أيضاً لروح الافتخار بالقومية العربية المشتركة أثر قوي . تلك الروح التي كانت أقوى عند العرب في ذلك الوقت منها في الغالب عند أية أمة أخرى ؛ وتلك الروح وحدها هي التي حدت بالآلاف منهم أن يؤثروا واحداً من بني جلدتهم ودينه على أي مصلح أجنبي عنهم . وأقوى من هذا وذاك مارغبهم فيه الرسول (ص) من غنى مؤكد باكتسابهم الغنائم الوافرة في الجهاد الدين الجديد ، ومن استبدال الأقاليم الخصيبة المثرية : كفارس والشام ومصر بصحرائهم المجدبة العارية التي تجود عليهم بالكفاف فقط

وفي الحقيقة لم تكن تلك الفتوحات الرائعة التي وضعت حجر الأساس للامبراطورية العربية نتيجة للجهاد والحروب الدينية التي أوقدت نيرانها لنشر الإسلام . ولكن تبع هذه الفتوحات ضعف عظيم في العقيدة الدينية المسيحية ، ذلك الضعف الذي ظن أنه الغاية المقصودة من هذه الفتوح . وهكذا اعتبر المؤرخون المسيحيون السيف الآلة التي اتخذها المسلمون للدعاية لدينهم . وغطى ذلك النجاح المعزو إلى السيف على الأدلة التي تشير إلى نشاط التبشير الإسلامي الصحيح بطريق سلمية . ولم تكن الروح التي خلقت الحماس في الجنود من العرب الذين اكتسحوا أطراف الامبراطورية البيزنطية ، والامبراطورية الإيرانية ، روح تبشير لإدخال الجاحدين في الإسلام . بل الأمر على عكس ذلك ، إذ يظهر أن المصلحة الدينية لم تتمثل إلا قليلاً في تفكير القادة للجيوش العربية[1] .

إن انتشار الجنس العربي ليتضح بحق في هجرة تلك القبائل القوية النشطة ، ساقها الجوع والعوز إلى ترك الصحراء المكزة ،

(١) Doellinger's Mohammed's Religion nach ihrer inneren Entwicklung und Einflusse auf das Leben der Voelher (Munich 1838) sS 5,6.

كتاب الدين المحمدي وفقا لنموه الداخلي ونفوذه في حياة العرب . للأستاذ دولنجر . طبعة ميونخ سنة ١٨٣٨ . صفحة ٥ ، ٦ .

(١) أنظر كتاب دراسات في التاريخ الشرقي لمؤلفه قيطاني (طبعة ميلانو سنة ١٩١١) صفحة ٣٦٥ وما بعدها .

والانتشار فى أقاليم أكثر خصوبة ، تلك الأقاليم التى يقطنها السعداء[1] .

وبعد ، فلقد كان تأسيس الحكومة الدينية فى المدينة العامل الذى خلق الوحدة فى تلك الحركة (حركة الفتح والتبشير) وكذلك كان عاملاً على الوحدة نظام الأمة الحديثة الذى بدأه أصحاب الرسول المخلصون ، والحجج الثقات الذين اضطلعوا بتعاليمه أولئك الذين حفظت متانة خلقهم وحماسهم الإسلام حياً ، ودينا رسمياً ، وذلك بالرغم من عدم اكتراث أولئك العرب الذين انتسبوا إلى الدين ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم[2]

وإذاً فلا يجب علينا أن نبحث عن الأسباب التى دعت إلى انتشار الدين الإسلامى بتلك السرعة ، فى حوادث الجنود الفاتحة ، ولكن الأولى أن نبحث عن هذه الأسباب فى الأحوال التى كانت عليها الشعوب المغلوبة .

إن ما امتازت به حركة الهجرة من كونها ذات جنسية عربية واحدة قد اجتذب إلى جيوش العرب الغزاة ، ممثلى القبائل العربية ورؤساءها ، تلك القبائل التى كانت تعيش فى أطراف الجزيرة ، والتى تمر بها طرق الجيوش الفاتحة . ولذلك فليس غريباً أن نجد كثيراً من أهل البدو المسيحيين قد اكتسحهم مد تلك الحركة القوية ، ونجد تلك القبائل العربية التى دانت بالمسيحية عدة قرون تهجرها حينذاك وتعتنق الدين الإسلامى . ومن هؤلاء قبيلة الغساسنة الذين كان لهم السلطان فى الصحراء الواقعة شرق فلسطين وجنوبى الشام ، والذين قيل عنهم إنهم « سادة فى الجاهلية ونجوم فى الإسلام[3] » وبعد موقعة القادسية سنة ١٤ هـ التى هزم فيها جيش الفرس بقيادة رستم أشد هزيمة جاء كثير من المسيحيين من قبائل العرب البدوية المقيمة على شاطئ الفرات ، إلى القائد العربى وقالوا له : « لقد كانت القبائل التى اعتنقت الإسلام فى باكورته أعقل منا ، أما الآن وقد قتل رستم فسندخل فى الدين الجديد[4] »

(١) لقد شرح قيطانى بإيضاح ودقة الفتوحات العربية ، وذكر أنها تعتبر تاريخيا آخر الرحلات السامية العظيمة . أنظر « تاريخ الحوادث الاسلامية » من صفحة ٨٣١ ــ ٨٦١ الجزء الثانى .

(٢) أنظر قيطانى الجزء الثانى صفحة ٤٠٥ ، والجزء الخامس صفحة ٥٢١ .

(٣) أنظر السمهودى الجزء الرابع صفحة ٢٣٨ .

(٤) انظر كتاب الخلافة للسير وليام موير (لندن سنة ١٨٩١) من صفحة ١٢١ إلى صفحة ١٢٢

وشبيه بهذا أيضاً ما حدث بعد فتح شمالى الشام فإن معظم أهل القبائل البدوية انضموا بعد تردد قليل ، إلى أتباع الرسول (ص[1])

إنه لمن الممكن أن نحكم أن القوة لم تكن العامل القاطع فى حوادث اعتناق الإسلام ، من العلاقات الطيبة التى كانت بين المسيحيين والمسلمين العرب . فقد عقد محمد (ص) نفسه تحالفاً مع بعض قبائل مسيحية ، واعداً أن يحميهم ، وكافلاً لهم الحرية الدينية ، ولرجال دينهم أن يتمتعوا بحقوقهم القديمة وسلطانهم من غير أى تدخل[2] . وقد ألفت مثل هذه العلاقات أيضاً بين أتباع الرسول وبين أفراد عشيرتهم من أصحاب الدين القديم (يعنى المسيحية) وقد تقدم كثير منهم طوعاً ليساعد المسلمين فى بعثاتهم الحربية ، مدفوعين بروح الطاعة للحكومة الجديدة . وتلك الروح نفسها قد أبقتهم منعزلين عن حركة الردة العظيمة التى رفع أصحابها راية العصيان فى جميع أنحاء الجزيرة العربية عقب موت الرسول (ص) مباشرة[3]

ويرى بعض المؤرخين أن العرب المسيحيين الذين كانوا يحمون حدود الامبراطورية البيزنطية من ناحية الصحراء قد غامروا بنصيب مع جيش المسلمين الفاتحين حينما رفض هرقل أن يدفع إليهم ما كان يجرى عليهم من العطايا ، مقابل خدماتهم الحربية كحراس لأطراف الامبراطورية[4]

وفى موقعة الجسر سنة ١٣ هـ لما بدت طلائع هزيمة قاضية ، وانحصر العرب — وقلوبهم خاوية — بين الفرات والجيش الفارسى ، تقدم رئيس مسيحى من قبيلة طى (كما تقدم من قبل سيوروس لأريوس لمساعدة هوريشس) إلى صف العرب لمساعدة المثنى قائد جيوش المسلمين ليحمى الجسر الذى كان عبارة عن مجموعة من الزوارق الصغيرة ، وكانت حينئذ الطريق الوحيد للتراجع المنتظم ، ولما أخذ المسلمون فى جمع الجنود ليستردوا مكانتهم ، وليمحوا ما لحقهم من عار كان من بين المدد الحربى الذى انصب عليهم من كل جانب وناحية قبيلة مسيحية تدعى بنى نمير ، وكانت تقطن داخل الحدود البيزنطية . وفى واقعة بويب

(١) انظر كتاب الحوادث الاسلامية لقيطانى الجزء الثالث صفحة ٨١٤

(٢) انظر قيطانى الجزء الثانى صفحات ٢٦٠ ، ٢٩٩ ، ٣٥١

(٣) قيطانى الجزء الثانى صفحات ٧٩٢ ، ٩٣ ، والجزء الثالث صفحة ٢٥٣

(٤) قيطانى الجزء الثالث صفحات ١٠١٠٢ ، ١١١٠٥

العالم يتطلع الى حدودنا الغربية

أربعـــون يوماً في الصحراء الغربية

للأستاذ عبد الله حبيب

— ٢ —

الحكام

كان من حسن حظ الصحراء الغربية أن قيض الله لها محافظاً هماماً من رجال الجيش البارزين هو صاحب العزة الأمير لاى عبد السميع بك عجرمة الذى تولى هذا المنصب خلفا لسلفه الإنجليزى فكان أول محافظ مصرى يتولى منصب الحاكم لهذه البقاع النائية.

وقد شعر سكان الصحراء الغربيـة منذ ذلك الحين بمصريتهم، واعتزوا بها أكثر من ذى قبل، وكان حاكمهم الجديد خير مصرى يشعر بآلام مواطنيه وحاجتهم إلى النهوض والإصلاح.

وخير عون لهذا المصرى الكفء فى هذه الأنحاء هم رجاله الضباط المصريون. وفى طليعة هؤلاء القاعقام محمد بك كامل، والصاغ رفعت الجوهرى. وهذا الأخير يعتبر بحق وجدارة أكفأ ضابط مصرى ملم بأحوال الصحراء، وطباع أهلها وطرقها. وقد نشر له نادى السيارات الملكى كتاباً قيما عن صحراء سينا، ثم وضع فى هذه الأيام كتاباً آخر عن الصحراء الغربية لا يزال بين يديه مهيأ للطبع. وقد طالعت أكثر فصوله واستعنت بكثير مما يحوى من المعلومات الطريفة على ما دونت فى رحلتى فلا بد من الاعتراف بفضل مؤلفه وشكره.

معلومات عامة

فى عهد « الفاروق » ملك مصر الصالح أسبغ الله على صحارى مصر نعمة الأمن والرخاء، وأعاد إليها عهدها الأول فى الحضارة والعمران. وكان عصر الفاروق من أزهى العصور التى مرت بهذه الصحارى والقفار، وأغدق عليها نعمه وعطاياه فهطلت الأمطار يوم تبوأ عرشه، وجادت هذه الأمطار بأطيب الثمرات بعد سبعة أعوام مرت بها قاحلة جرداء عجاف.

وقد أقبلت حكومة جلالته تنفق عن سعة على جميع ما يقوى الروابط بين الأهلين ويعزز وسائل الإصلاح والتعمير فارتبطت أجزاؤها بالسكك الحديدية والطرق الممهدة

وإنه ليثير الدهشة حقاً أن يرى المسافر ذلك التباين العجيب بين هذه المروج الناضرة المحيطة بوادى النيل وبين هذه الصحارى المقفرة القاحلة التى تحده من الجانبين. نعم إن هنالك صحارى مجهولة فى مختلف بقاع العالم كآسيا وأستراليا وغرب أمريكا. إلا أن هذه البقاع لا تعد شيئاً إذا قورنت بصحراء مصر الغربية ووحشتها وخلوها من الحيوان والنبات. ذلك لأن حالة الجدب فيها تثير الدهشة حقاً، ولست فى حاجة لأن تتوغل فى مفاوزها وشعابها لكى تتبين مقدار ما بها من الجدب، فإن مسير مسافة قصيرة يكفى لينقلك من مروج ناضرة وأرض خضراء يانعة غنية بطمى النيل السعيد إلى هضاب متسعة مقفرة تكتنفها الصخور والرمال إلى أبعد مدى يصل إليه النظر

الصحراء الغربية

يسمى القسم الشمالى « البحرى » من صحراء لوبيا بالصحراء الغربية أو محافظة الصحراء الغربية، وهى تشمل الجهات الواقعة غربى النيل من الإسكندرية ومديريات البحيرة والجيزة وبنى سويف

التى حدثت سنة ١٣ هـ، والتى كانت قبل الهجوم الأخير للعرب الذى كان الهجوم الفاصل الذى نالوا فيه الفوز. فى تلك الموقعة ركب المثنى إلى الرئيس المسيحى وقال له: « إنك من أبناء جلدتنا فتعال إذاً وحارب معى كما أحارب » وقد تراجع الفرس وتقهقروا أمام ما لاقوه من هجوم عنيف. وبذا أضاف المسلمون نصراً جديداً فى صفحة المجد إلى انتصاراتهم. وكان من أكثر مغامرات ذلك اليوم شجاعة ما قام به شاب من قبيلة مسيحية أخرى فى الصحراء وكان هذا الشاب قد قدم فى جماعة من أصحابه — وهم طائفة من البدو تجار الخيل — حينما كان الجيش العربى قد أخذ ينسجم فى صفوف المعركة. اندفع هؤلاء التجار البدو إلى ميدان القتال فى صف مواطنيهم، وبينما كان القتال فى أشد عنفوانه إذ هجم ذلك الشاب إلى قلب الجيش الفارسى: وقتل قائده، ثم قفز على جواده الموشى، وقفل راجعاً بين حماس المسلمين وإعجابهم به وثنائهم عليه وكان يصيح فى عودته منتصراً ويقول: « أنا من تغلب، أنا الذى قتلت قائدهم[1] »

« يتبع »

(١) أنظر كتاب الخلافة لسير وليام موير صفحات ٩٠ — ٩٤.

والمنيا إلى السلوم وحدود طرابلس غرباً . ثم من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى حدود الصحراء الجنوبية جنوباً وتتبعها واحات سيوة والبحرية والفرافرة

والجزء الأكبر من هذا الإقليم أرض قاحلة ، عدا المنطقة الغربية من ساحل البحر الأبيض التي تزرع على الأمطار وبعض الآبار القليلة الممتدة على الساحل أو القريبة منه أو التي توجد في الواحات المشار إليها

وتبلغ مساحة هذه الصحراء نحو ٢٤٠ ألفاً من الكيلومترات المربعة . وتنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية :

١ — القسم الشرقي : ومركزه مدينة العامرية ، وهو يشمل العامرية والحمام والواحات البحرية والفرافرة

٢ — وقسم مطروح : ومركزه مدينة مرسى مطروح ، وهو يشمل مطروح والضبعة

٣ — وقسم براني : ومركزه مدينة براني ، ويشمل سيدي براني والسلوم

٤ — وقسم سيوة : ومركزه سيوة ، ويشمل سيوة والواحات الغربية وواحة الجارة

ويبلغ سكان هذه الصحراء نحو ٥٥ ألف نسمة معظمهم من البدو الرحل من قبائل أولاد علي الأبيض وعلي الأحمر

الحالة العامة

ويمكن القول إجمالاً عن الصحراء الغربية — إذا استثنينا الشريط الأخضر الرفيع الذي يطوق شاطئ البحر الأبيض المتوسط — إنها عبارة عن إقليم لا مطر فيه ولا حياة . ويكاد يكون هبوب العواصف الرملية عليها من الأمور العادية التي لا تخلو منها في سنة من السنين

أما على الساحل فإن حالة السكان تتوقف دائماً على الزراعة ومقدار الحاصلات وما يتوفر من المراعي للإبل والغنم من هطول الأمطار . ومما يذكر أن السكان في هذا العام والذي قبله أسعد حالاً منهم في الأعوام الماضية التي توالى عليهم فيها الضيق من جراء جدب أراضيهم بسبب قلة الأمطار

ولكن الحاصلات الناجحة لا تكفي لسد الديون التي تراكمت على العربان في سبيل حصولهم على حاجيات المعيشة في السنوات الخمس العجاف الماضية

ولقد كان لزيادة المنشآت الجديدة واشتغال العربان في أعمال السكك الحديدية ومد الطرق وهطول الأمطار ومساعدة الحكومة بتوزيع البذور وهبة جلالة الملك لمناسبة قرانه السعيد وهبة صاحب السمو الأمير محمد علي لمناسبة شفائه ؛ كان لكل ذلك أثر واضح في تعميم الرخاء واليسر بين العربان ، فشعروا بنعمة الحياة ، وعاد أكثرهم إلى بلادهم بعد أن كانوا هاجروا منها ، وبدؤا يزرعون أراضيهم ويقومون بتربية مواشيهم

واحات الصحراء الغربية

وقد منّ الله على الجزء الجنوبي وعوضه خيراً من الأمطار بعدد من الواحات الخصبة الغزيرة المياه . وهذه الواحات يسكنها قوم من العرب وشعب آخر ليس من سلالة الأعراب وهم جميعاً يأخذون المياه من ينابيعها المتفجرة من عيون دائمة التدفق

ويقال إن لفظة « واحة » كلمة مصرية قديمة معناها « مكان الراحة » وهي بقعة من الأرض الخصبة في وسط الصحراء ، وكل واحة تعرف غالباً باسم العين أو البئر التي تمدها بالماء

وفي الصحراء الغربية عدة واحات :

« سيوة » وهي تشمل سيوه والزيتون وقوريشت والأرغوى وخميسة وأبو الشروق والليج والمراغى

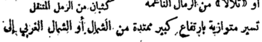
وفي شرقها مجموعة الواحات البحرية وتشمل البحرية والفرافرة

كثبان من الرمل تتنقل

تمتد على طول الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء كثبان عظيمة من الرمل تتنقل إلى مساحات واسعة وهذه الرمال تطغى على الأرض وتدفن تحت رمالها الناعمة الغزيرة مساحات شاسعة من الأرض قد تزيد على مئات الأميال ، وتتجمع هذه الرمال فتحدث كثباناً أو « تلالاً » من الرمال الناعمة تسير متوازية بارتفاع كبير ممتدة من الشمال أو الشمال الغربي إلى



كثبان من الرمل المتنقل



الجنوب أو الجنوب الشرقى فى نفس اتجاه سير الرياح التى تهب على الصحراء

وهذا التكوين يجعل اجتياز هذه المناطق فى اتجاهات عرضية من الغرب إلى الشرق أو بالعكس صعباً عسيراً إلا عند فتحات أو ممرات ضيقة معينة معروفة ، كما أن هذا التكوين جعل الكثبان تمد حاجزاً منيعاً للحدود المصرية . ويقال إن طغيان هذه الرمال أخذ فى الاتجاه نحو الجنوب بدليل أنها طغت على طريق للقوافل كانت ممتدة بين الواحات الداخلة وواحة الكفرة فاختفت هذه الطريق تماماً كما اختفى نحوها من قبل جيش قمبيز ملك الفرس سنة ٥٢٥ ق . م . وكان عدده ٥٠٫٠٠٠ من الغزاة ، وذلك عند ما أراد غزو واحة سيوه . ولم ينج من هذا العدد أحد ، على أن الواحات نفسها لم تسلم من هبوب عواصف الرمال فهى تطغى على الزرع وتحدث به أضراراً جسيمة .

وقد شهدنا بعض هذا الهبوب حين توغلنا فى جوف الصحراء إلى واحة سيوه فى رحلة بالسيارات قطعناها فى نحو تسع ساعات وبسرعة لا تقل عن ٦٠ كيلومتر فى الساعة وشهدنا فى منتصف هذا الطريق « الاستراحة » التى أقيمت به فى عهد الخديو السابق فأقمنا بها بعض الوقت وتناولنا فيها قليلاً من الزاد كنا حملناه معنا وهى غرف شيدت من الخشب أشبه بـ « فيلا » قائمة وسط الصحراء القاحلة يستريح فيها المحافظ والضباط خلال تجوالهم فى أنحائها .

« يتبع » عبد الله

ملحوظة : بعض هذه المعلومات الشاهدة أثناء الرحلة وما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهرى مأمور مرسى مطروح عن الصحراء الغربية

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



واتفق الضباط وحلفاؤهم أن يسير عرابى على رأس الجيش إلى عابدين فى اليوم التالى ليطالبوا الخديو بوضع حد لتلك الحال التى ضجت منها البلاد ؛ وأرسل عرابى خطاباً إلى الخديو فى صباح ذلك اليوم المشهود فى قصر الإسماعيلية ، وكان الخديو قد حضر فى شهر سبتمبر إلى القاهرة ، ينبئه فيه بما اعتزم أن يقوم به عصر ذلك اليوم !

يقول عرابى فى مذكراته : « ولما كثرت دسائس الحكومة وبان ختلها وعزمها على اغتيالنا ، أخذنا حذرنا منها ، وسهرنا على إحباط تلك الدسائس المنكرة ، وكان السير مالت قنصل انجلترا بمصر كثير التردد على الخديو ليلاً ونهاراً دون غيره من وكلاء الدول الأوربية ، فأوجسنا من ذلك خيفة على مصير بلادنا ، وخشينا من مطامع انجلترا التى كانت ترمى إلى التهام وادى النيل أسوة بما فعلته فرنسا بتونس حتى يتم التوازن التى تدعيه أوروبا ؛ فعرضنا مخاوفنا على جلالة أمير المؤمنين ليحيط علماً بما كان جارياً فى مصر ولكيلا يتورط فى تصديق ما قد يصل إليه من دسائس أعداء البلاد . وذيلنا العريضة المذكورة بإمضائى وإمضاءات إخوانى على بك فهمى وعبد العال بك حلمى واحمد بك عبد الغفار بالنيابة عن الجيش ، وأحمد بك أبو مصطفى وأحمد بك الصباحى وعثمان باشا فوزى وغيرهم من وجوه الأمة بالنيابة عن جميع المصريين ... »

***

وفى عصر ذلك اليوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ تحرك الجيش يقصد عابدين ؛ فخطت الثورة الوليدة أجرأ خطواتها وأبعدها أثراً فى تطور حوادث ذلك العهد .

وكان الخديو فى قصر الاسماعيلية . فأرسل يستدعى السير أوكلند كلفن . ولما حضر سأله ماذا عسى أن يفعل فى هذا الموقف. قال كلفن : « فنصحت إليه أن يقاوم ؛ فقد أخبرنى رياض باشا أن فى القاهرة فرقتين مواليتين ، لذلك أشرت على الخديو أن يدعوهما إلى عابدين مع ما يمكن الاعتماد عليه من الحرس الحربى ، وأن يضع نفسه على رأسهما . فإذا ما وصل عرابى قبض عليه بشخصه . فأجابنى أن لدى عرابى بك المدفعية والفرسان ، وربما أطلقوا النار فأجبت أنهم لن يجرؤوا على ذلك ؛ ومتى توفرت له الشجاعة للمقاومة ، وعرض نفسه شخصياً ، فأنه يتسنى له أن يقضى على المتمردين ، وإلا فأنه ضائع »[1] .

هذا ما أشار به كلفن، وما نراه فى ذلك يدفع بالتى هى أحسن، وما نراه يحمل — كما يقول كرومر — إلى الخديو : « قسطاً من تلك الروح التى تحيى جنسه الامبراطورى » وإنما نراه يلقى الزيت والحطب على النار حتى لا تبقى ولا تذر ، وبعدها تقتنص الفريسة بدعوى إنقاذ البلاد من نار الفتنة . وما أظن ذلك القول محتاجاً إلى دليل . فهذا الذى يدعو إليه كلفن لو وقع لن يكون

(١) Modern Egypt : Earl of Cromer. P. 144. M. & Co. 1911.

إلا حرباً أهلية شرها مستطير ، وأمرها خطير .

وتوجه الخديو إلى عابدين قبل حضور الفرق ، ومعه كلفن ورياض وستون باشا . فاستدعى على بك فهمي رئيس الحرس ، وأشار عليه بالدخول إلى القصر بفرقته والتحصن بالنوافذ العليا وقد نصح للجند بقوله : « أنتم أولادي وحرمي الخصوصي ، فلا تتبعوا التعصب الذميم ، ولا تقتدوا بأعمال الآلات الأخرى » فأطاع الجند وأخذوا يتأهبون .

وسار الخديو بعد ذلك إلى القلعة ، ولكنه لم يجد من فرقتها مثل ما ظهر له من ولاء الفرقة السالف ذكرها . فسار إلى العباسية حيث كانت فرقة عرابي ، ولكنه علم هناك أن عرابياً سار منذ ساعة على رأس جنده ، ومعهم الدافع بطريق الحسينية إلى عابدين فقفل أدراجه إليها ...

وتلاقى عرابي في ميدان عابدين بالفرق الأخرى بقيادة أحمد بك عبد الغفار وعبد العال بك حلمي وابراهيم بك فوزى وفوده أفندي حسن وغيرهم من أنصاره ، وأرسل عرابي يستدعي على بك فهمي فحضر من داخل القصر فعاتبه فرد بقوله : « إن السياسة خداع » ثم ذهب فعاد بفرقته ، وانضم إلى الجيش فأصبح القصر خلوا من كل عناصر المقاومة .

وتجمع وراء صفوف الجيش آلاف من أهل القاهرة الذين أخذتهم الدهشة لا ريب لهذا المنظر ؛ واشرأبت أعناق الشعب التي طالما ألفت الذل ، وتطلع من فوق أكتاف الجند ، ومن خلال صفوف الفرسان لينظر ماذا يكون في هذا الموقف الرهيب ؛ واسم عرابي يجرى على الألسن في حين تدور الأبصار باحثة عن موضعه ، وهو على ظهر جواده أمام جنده يتأهب لقدم الخديو ليسمعه كلمة مصر ، كلمة الشعب الذي ألبس جده العظيم بالأمس الكرك والقفطان دون رجوع إلى السلطان . وما أعظم هذه الكلمة ينطق بها فلاح من أعماق الوادي نبت ونما على ثراه !

ووصل الخديو إلى عابدين بعد أن فشلت سياسة طوافه على الآلايات ، تلك السياسة التي تدل في ذاتها على منتهى الضعف ، والتي لا يشفع له في اتباعها سوى أنها كانت آخر سهم في جعبته إن كان هذا شفيع . والحق أن الخديو قد لاقى في ذلك الطواف ما تنخلع له أفئدة أقوى من فؤاده . وحسبك أن فرقة القلعة قد ثارت في وجهه حينما أمسك بتلابيب قائدها مهدداً حتى لقد وضع العساكر الأسنة في بنادقهم بأمر من هذا القائد وتجمهروا حول الخديو حتى صاح بالقائد « أفسح لنا الطريق يا بكباشى » .

ودخل الخديو السراى من باب خلفي . ويقول مستر كلفن إنه قفز من عربته وأشار على الخديو أن يسيرا إلى الميدان ففعل توفيق ذلك ، وسار إلى حيث اجتمع الجند ، ووراءه ستون باشا وأربعة أو خمسة من الضباط الوطنيين ، وواحد أو اثنان من الضباط الأوربيين ؛ ويذكر عرابي أنه كان معه المستر كوكس قنصل انجلترة بالأسكندرية والجنرال جولد سمث مراقب الدائرة السنية

وتقدم الخديو ثابت الخطى ، فأشار عليه كلفن أن يأمر عرابياً بتسليم سيفه إذا ما دنا منه وأن يأمره بالانصراف ثم يطوف بعد ذلك على الفرق فيأمرها بمثل هذا الأمر

وسار عرابي على ظهر جواده حتى إذا اقترب من الخديو صاح به الخديو : « ترجل وأغمد سيفك » . ففعل عرابي دون إبطاء ، ومشى نحو الخديو ومن خلفه نحو ثلاثين ضابطاً فأدى التحية العسكرية

الموقف رهيب بالغ الرهبة ! في هذا الجانب إذا نظرنا إلى حقائق الأمور نرى مصر التي أيقظتها الإحن والفواجع تتمثل في هذا الجندي الفلاح تجرى على لسانه كلمتها في غير التواء أو تلعثم ؛ وفي الجانب الآخر صاحب السلطان والجاه الموروث ، تغضبه هذه اليقظة وتذهله ، مع أنه رآها منذ بدايتها ورأى أباه على جلالة قدره يوسع لها صدره ويخفض لها جناحه فيزداد بذلك رفعة ... هنا الحرية الوليدة ، والديمقراطية الجديدة ؛ وهناك التقاليد العتيدة ، والأوتوقراطية العنيدة ؛ ومن وراء ذلك كله الثعالب وبنات آوى تتمسكن لتتمكن ، وتتربص لتنقض !

والتاريخ شاهد يثبت للقومية المصرية موقفاً من أروع مواقفها ، ومظهراً من أجل مظاهرها ، ويضيف بذلك إلى صفحات الحرية في سجله صفحة جديدة لن تبلى الأيام جدتها ، أو تبخس أغراض المبطلين قيمتها

همس كلفن في أذن الخديو : « هذه هي ساعتك[1] » فأجاب

(١) Modern Egypt.

الخديو : « نحن بين أربع نيران » فقال كلفن : « كن شجاعاً » فتهامس الخديو وأحد الضباط الوطنيين ثم التفت إلى كلفن قائلاً : « ماذا عسى أن أصنع ؟ نحن بين أربع نيران ، إنهم يقتلوننا »

ويحسن أن نورد ما حدث بعد ذلك على لسان عرابي كما جاء في مذكراته (١) قال : « ثم صاح بعض خلق من الضباط : أن اغمدوا سيوفكم وعودوا إلى مكانكم . فلم يفعلوا وظلوا وقوفاً خلق ودم الوطنية يغلي في مراجل قلوبهم والغضب ملء جوارحهم . ولما وقفت بين يديه مشيراً بالسلام خاطبني بقوله : « ما هي أسباب حضورك بالجيش إلى هنا ؟ » فأجبته بقولي :

« جئنا يا مولاي لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة » . فقال : « وما هي هذه الطلبات ؟ » فقلت : « هي إسقاط الوزارة المستبدة ، وتشكيل مجلس نواب على النسق الأوربي ، وإبلاغ الجيش إلى العدد المبين في الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التي أمرتم بوضعها » . فقال : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي ، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا » . فقلت : « لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً ، فوالله الذي لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم »

فتلفت الخديو إلى كلفن قائلاً : « أسمعت ما يقول ؟ » فأشار عليه هذا بالعودة إلى القصر إذ لا يجمل أن تزيد الأمر بينه وبين عرابي عن هذا الحد . فانصرف الخديو وبقي الجيش في مكانه لا يتزحزح .

وأقبل مستر كوكسن يناقش عرابياً في غلظة . ويخيل إلى أن هذا الرجل كان ممن يحسبون دس أنوفهم في كل شيء ، وكان ذلك منه لناية كان يخفيها ! ومما وجهه إلى عرابي قوله : ألا حق له أن يطالب بالمجلس النيابي وإسقاط الوزارة فذلك من شأن الأمة ، أما عن زيادة الجيش فالية البلاد لا تساعد على ذلك .

ورد عرابي بقوله إن الأمة أنابت الجيش عنها . ثم وجه نظر محدثه إلى الجموع المتراصة خلف الجند قائلاً هـذه هي الأمة وما الجيش إلا جزء منها

فراح ذلك الإنجليزي يتهدد ويتوعد في فضول مخجل ، ورد عرابي على ذلك بأنه لن يسمح لأحد بالتدخل في شؤون مصر الداخلية . وهنا سأل كوكسن محدثه سؤالاً يتجلى فيه خبثه وقد ظن أنه به أحكم الرمية فقال : « وماذا تفعل إذا لم تجب إلى ما تطلب ؟ » فانظر إلى رد هذا الجندي في هذا الموقف الذي تخف فيـه أحلام الرجال والذي تزدهي القوة فيه القلوب فتسلب ذوي العقول اتزان عقولهم ! أنظر إلى عرابي في موقف الثورة يقول له : « إنها كلة لا أقولها إلا عند اليأس والقنوط »

وأخذ كوكسن يروح ويغدو بين عرابي والخديو حتى جاءه آخر مرة ينبئه بقبول الخديو إسقاط الوزارة القائمة وأن سموه سينظر في بقية الطلبات فلا بد في بعضها من مشاورة السلطان ؛ وقبل عرابي ذلك . فعرض الخديو على الجيش اسم حيدر باشا لرياسة الوزارة القادمة ولـكنهم رفضوه ؛ وجرى على الألسن اسم شريف ، فعاد كوكسن بعد حين يعلن إلى عرابي قبول الخديو تعيين شريف باشا فقوبل ذلك بالهتاف بحياة الخديو . والتمس عرابي الإذن على الخديو ، فلما وقف بين يديه أخذ يعبر له عن ولائه وولاء الجيش . وذكر له الخديو أنه وافق « على تلك الطلبات بنية صافية » ؛ ثم انصرف الجيش بعد ذلك في هدوء كل فرقة إلى مركزها

هذا هو يوم عابدين الذي اعتبره خصوم عرابي من أكبر سيئاته ، والذي نعتبره في غير مغالاة أكبر حسناته . وليت شعري كيف يغفل هؤلاء عما ينطوي عليه هذا الموقف من معان ؟ ألا إنهم ليتنافلون ليطمنوا الرجل في أجمل مواقفه وأعظم خطواته ، وهم إنما ينالون بذلك من أنفسهم دون أن ينالوا منه

طالب عرابي بالدستور فكان في طلبه هذا زعيم ثورة تقوم على أجل المبادئ التي شاعت في القرن التاسع عشر والتي اعتبرها المؤرخون والناس من أعظم خطوات البشرية وأجلها نحو الرقي والكمال . فكيف يكون مع ذلك داعية فوضى واضطراب ؟ ولقد كثرت في أوربا المواقف الشبيهة في معناها بهذا الموقف فسجلتها الشعوب في ثبت مفاخرها واعتبرتها من أيامها المشهودة التي سوف تمجد إلى الأبد ذكراها

« يتبع » الخفيف

(١) يذكر عرابي كوكسن بدل كلفن في هذا فيقول أشار عليه المستر كوكسن أن يطلق على غدارته ، ويذكر كلفن أن كوكسن لم يحضر إلا بعد ساعة أو نحوها

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٠٥ — أشيب

ابن سيِنسنْبَر الزوزني (علي بن أبي علي):

كفى الشيب عيباً أن صاحبه إذا | أردت له وصفا به قلت: أشيب
وكان قياس الأصل (إن قست) شائباً | ولكنه في جملة العيب يحسب[1]

٤٠٦ — لقد طال وجدي بعدها وحنيني

حكى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي أن أبا الحسن علي بن أحمد بن علي بن سَلَّك[2] الفالي[3] الأديب كانت له نسخة كتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر بستين ديناراً وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن الفالي وهي:

أنست بها عشرين حولاً وبعتها | لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها | ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية | صغار، عليهم تستهل شؤوني
فقلت — ولم أملك سوابق عبرة | مقالة مكوى الفؤاد حزين:
«وقد تخرج الحاجات يا أم مالك | كرائم من رب بهن ضنين»

٤٠٧ — وأخرى تداويت منها بها

في (العقد): قال هرون بن داود: شرب رجل عند خمار

(١) معنى تفرد به، يعني أن معايب خلق الانسان في كلام العرب يجيء أكثرها على أفعل (تتمة اليتيمة). شاب يشيب شيبا وهو أشيب على غير قياس لأن هذا النعت يكون من باب فعل (كفرح) يفعل (كيفرح) وشرطه الدلالة على العيوب أو الألوان. ولا فعلاء له: لا يقال امرأة شيباء، اكتفوا بالشمطاء عن الشيباء، وقد يقال شاب رأسها (اللسان، التاج)

(٢) سلك: بفتح السين وتشديد اللام وفتحها هكذا وجدته مقيداً ورأيت في موضع آخر بكسر السين وسكون اللام (ابن خلكان)

(٣) فالة بلدة من بلاد خورستان ينسب إليها أبو الحسن علي بن أحمد ابن علي بن سلك الفالي المؤدب سمع بالبصرة من القاضي أبي عمرو أحمد بن إسحق وحدث بشيء يسير (معجم البلدان)

نصراني فأصبح ميتاً، فاجتمع عليه الناس وقالوا للخمار: أنت قتلته

قال: لا والله، ولكن قتله استعماله قوله:

وأخرى تداويت منها بها[1]

٤٠٨ — أنا خير البرية

في (الصلة) لابن بَشْكُوال[2]: كان (القاضي) أبو عمران الفاسي بالقيروان، فقال رجل: أنا خير البرية! فَلُبِّبَ[3]، وهمت به العامة. فحمل إلى الشيخ أبي عمران، فسكّن العامة ثم قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه ما قال. فقال له: أأنت مؤمن؟

قال: نعم.

قال: تصوم وتصلي، وتفعل الخير؟

قال: نعم.

قال: اذهب بسلام، قال الله (تعالى):

(إن الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، أولئك هم خير البرية)[4]

فانفض الناس عنه.

٤٠٩ — حور الجنان على مثالك

أبو العتاهية:

إن المليك رآك أحسن (م) خلقه ورأى جمالك
فحذا بقدرة نفسه حور الجنان على مثالك

٤١٠ — الشيخ بعد سنك ابليس

قال مخارق بن يحيى: رأيت وأنا حدث كأن شيخاً جالساً على سرير في روضة حسنة فدعاني فقال لي: غنّني يا مخارق، فقلت: أصوتاً تقترحه أم ما حضر؟ فقال: ما حضر، فغنيته:

دعي القلب لا يزدد خبالا مع الذي | به منك أو داوي جواه المكتما
وليس بتزويق اللسان وصوغه | ولكنه قد خالط اللحم والدما

(١) الأعشى، وصدره: وكأس شربت على لذة

(٢) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال. كتاب (الصلة) طبع في الغرب منذ مدة بعيدة

(٣) لببه تلبيبا: جمع ثيابه التي عليه عند نحره وصدره ثم جره وكذلك إذا جعل في عنقه حبلا أو ثوبا وأمسكه به (اللسان، التاج)

(٤) البرى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل (الكشاف).

فقال لي : أحسنت يا مخارق ! ثم أخذ وتراً من أوتار العود فلفّه على المضراب ودفعه إليّ ، فجعل المضراب يطول ويغلظ ، والوتر ينتشر ويعرُض حتى صار المضراب كالرمح والوتر كالعذبة عليه ، وصار في يدي علماً ، ثم انتبهت فحدثت برؤياي[1] ابرهيم الموصلي فقال لي : الشيخ بلا شك إبليس ، وقد عقد لك لواء صنعتك ، فأنت ما حييت رئيس أهلها

٤١٠١ — ما فهمت غير مفردانه

في (الغيث المنسجم) : قال العلامة شمس الدين محمد بن إبرهيم ابن ساعد الأنصاري : حضر يوماً الشيخ كريم الدين عبد الكريم

(١) أبو الفرج : أظن أن الشاعر الذي مدح مخارقا إنما عني هذه الرؤيا بقوله :

لقد عقد الشيخ الذي غر آدما — وأخرجه من جنة وحدائق
لواءى فنون للقريض وللغنا — وأقسم لا يعطيهما غير حاذق

الأيكي شيخ خانقاه[1] (سعيد السعداء[2]) عند الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد[3] (رحمه الله) وأخذ يتكلم في طريقهم وأحوالهم ، ويتحدث على[4] العرفان زماناً والشيخ تقي الدين ساكت لا يفوه بكلمة . فلما قام من عندهم قال الشيخ تقي الدين للحاضرين : هل فيكم من فهم تراكيب كلامه ؟ فإني ما فهمت غير مفرداته ...

(١) في «التاج» : الخانقاه بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية والنون مفتوحة معرب خانه كاه . في «خطط المقريزي» : خانكاه فارسية معناه بيت ، وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك والخوانك حدثت في الاسلام في حدود الأربعمئة من سني الهجرة ، وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله .

(٢) في «الخطط» : هذه الخانكاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولا داراً تعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر ، ولقبه سعيد السعداء ، أحد الأستاذين المحنكين وخدام القصر عتيق الخليفة المستنصر .

(٣) في (طبقات السبكي) : شيخ الاسلام المجتهد المطلق ، إمام المتأخرين العالم المبعوث على رأس السبعمئة .

(٤) المعروف حدثه الحديث وبه كما في اللسان وغيره .



قالوا: سكتّ؟

للأستاذ أمجد الطرابلسي

قالوا: سكتّ عن الغناء؟ قلت: لا — في مسمع الأكوان رَجْعُ غنائي
غنّيتُ في أُذُن النهار سعادتي — وهمستُ في قلب الظلام شقائي
وَوَعَتْ أناشيدي الطيورُ وردّدتْ — همسَ الخفيّ كواكبُ الظلماء
فسلوا الجداولَ عن غناء مياهها — هل غيرُ ألحاني غناءُ الماء
وسلوا الخمائلَ عن ندى أزهارها — هل غيرُ دمعي لؤلؤُ الأنداء
والوردَ والشفقَ المخضّبَ والظِّلى — هل هُنّ إلا من وميض دمائي
والبحرَ هذا المائجَ الصخّابَ هل — أمواجُه إلا صدى أهوائي
والريحَ هل هبّاتها بعد الونى — إلا انبعاثي بعد موت رجائي
الليلُ والأرماسُ بعضُ كآبتي — والفجرُ والأعراسُ بعضُ هنائي
والعيدُ صورةُ فرحتي ومباهجي — والبيدُ صورة وحشتي وفنائي
والرعد يحكي ثورتي في قصفه — وزفيفُ أجنحة الطيور رضائي
ولقد ملأتُ من الفتون جوانحي — وطويت فوق فتونه أحنائي
وكرعتُ أكوابَ الجمال ولم أزل — أشكو له نَهَمي وحرَّ ظمائي
أحببتُ ما شاء الهُيام وشاء لي — قلبٌ غمرت بحبّه أعدائي

***

قالوا: سكتّ عن الغناء؟ فقلت: لا — ما في يد الينبوع حبسُ الماء
خَلَقَ الربيعُ مُصوِّراً في كفّه — قلمُ الأديب وريشةُ الوشاء
ما دغدغ الأغصانَ أو لمس الربى — إلا فحكيَ تضاحكَ العذراء
ورفلن في أفوافِ وَشْيِ بنانه — متبرّجاتٍ أو ذواتِ حياء
فسلوه: هل يسطيع إبداعَ الأسى — فعلَ الشتاء الواجم البكّاء؟
والزهر، هل يسطيع في ألق الصبا — ضنًّا بنفحٍ عاطرٍ وذكاء؟
والشمس هل تسطيع في رأد الضحى — ألا تجود بباهر الأضواء؟
لكنّ هزارَ الروض ليس يهيجه — للشدو صمتُ دجنّةٍ نكراء
ما حيلةُ الشادي الرفيقِ غناؤه — بمسامعٍ تلتذّ بالضوضاء؟!
يشدو فيعصر في اللحون فؤادَه — كيما يؤوبَ ببسمة استهزاء!...

***

قالوا: سكتّ عن الغناء؟ فقلت: بل — عن أن أريقَ على الجحود وفائي!
أمّا الغناء فقد جرت نغماته — تجري دمي الدفّاق في أعضائي
حسبي من الألحان قلبٌ لم يذق — بين الأضالع هدأةَ الإغفاء
غَرِدٌ كما هبّ النسيم وتارةً — كالزعزع المجنونة الهوجاء
رَحْبٌ تموج به اللحونُ كأنها — من كلّ أرضٍ جُمّعتْ وسماء
أبداً ترفّ به ملائكةُ الهوى — هذا بمزمارٍ وذاك بنــاء
ومواكبُ الجنّان تعصف وسْطه — وتضجّ تحتَ الراية الحمراء
ما ضرّني إن كنتُ عندي شاعراً — ألّا يعدّوني من الشعراء
لا كان قلبي إن طلبتُ بذوبه — من كفّ هذا الدهر بعضَ جزاء!
لا كان شعري إن رفعتُ لواءه — بين الأنام على رُفات إبائي!
يستعبدونيَ ويحهم! وأنا الذي — حطّمَ القيودَ تمرّدي ومضائي
حلّقتُ أرمقُ من بعيدٍ ساخراً — ذلَّ العبيد الراسفين ورائي
هم يصنعون قيودَهم بأكفّهم — وأنا أمدّ لجانحيّ جوائي
عشقوا القيودَ كأنما هي حِليةٌ — ذهبيةٌ في معصم الحسناء
واستعذبوا سوطَ القويّ يؤزّهم — في كلّ صبحٍ ناعمٍ ومساء
فتمرّغوا شغفاً على أقدامه — كي لا يضنّ بهذه النعماء
لولا غرامُ القيد لم تكنِ الدُّنا — هذي السجونَ تضيق بالسجناء
لولا التلذّذ بالأذى ما ألهبتْ — تلك السياطُ نواصيَ الضعفاء
يا من يريدُ تحرّراً من قدّه — هلّا بدأتَ بنفسك الشوهاء
هي بالقيود مؤودةٌ لكنّها — ما إن تحسّ لحرّها بعناء
إني نظرتُ إلى العبيد فلم أجد — رقّاً كرقّ النفس والآراء
فاشمخْ بأنفك رفعةً وتمرّداً — وذرِ النفاقَ ولا تدن برياء
واتركْ لصيحات الطبول فراغها — واسخر من العظماء والكبراء
فإذا قيودُك قد هوتْ من نفسها — عن ساعديك هشيمةَ الأشلاء

***

نجوى موسيقية (سيرانادة)

« تحت نافذة المرأة التي لم تخلق بعد »

للأستاذ صالح جودت

ما أنتِ إلا امرأة في الخيال   رأيتها بالقلب رؤيا المثال

لو قدرتْ ليلةً قدرٍ على   تأويلها ، لم أرضَ هذا المحال

مُناىَ أن تحيا بفكرى ولا   تخطر في الدنيا لغيرى ببال

وما أنانيٌّ أنا ، لكنما   أخشى عليها من قلوب الرجال

وهى التى صوّرها شاعرٌ   مبتكرٌ أبدع فيها المثال

من عُنصر الوهم اجتلى رسمها   والوهمُ فى الدنيا أعزُّ اللآل

آمنتُ بالله ، وما شِمْتُهُ   إلا بعينِ الوهم خلف الظلال

وثُرْتُ بالحب وعانيتُـهُ   فى امرأةٍ من غانيات الخيال

كنتُ أنا البارى الذى صاغها   فكيف أمسى أنا عبد الجمال ؟

كناجتِ «العزّى» إذا مارى   معبودُهُ ، ذلَّ لذات الجلال

فهل رأى العالمُ مخلوقةً   دانتْ على الخالق هذا الدلال ؟

وهو الذى بارَى بها ربَّهُ   واسترخص الهَدْىَ وأغلَى الضلال

وسار فى الناسِ بأوصافها   حتى أحبوها بغير اعتدال

وفتشوا فى الأرض عن وكرها   وفى السموات العَوالى العوالْ

تسوّلَ النـاسُ أحاديثها   والناس لا تسأم ذل السؤال

وقيل إنى الغيبُ قد لفّها   وإنّ حُجْبَ الغيب ليست تُذالْ

وقيلَ فى يمناى مفتاحها   وقيل يطوى قلبها فى الشمال

يا طيبَ ما لاقيتُ فى حبها   وطيب قيلٍ فى هواها وقالْ

صالح جودت

قالوا: سكتَّ عن الغناء؟ فقلت: لا   فى مسمع الأكوان رَجْعُ غنائى

قلبى لقد وسعَ الحياةَ جميعها   من شقوةٍ وسعادةٍ وهناء

والكونُ لحنٌ كلُّهُ رتّلْتُهُ   فى نشوةِ الإصباح والإمساء

ألّفتُهُ من آهتى وتبسُّمى   فاستنشدوه يُعِدْ لكم أصدائى

« باريس »   أمجد الطرابلسى



أقصى ما بلغه العلم التجريبي

يستدل العلماء على مرور الكترونات الأشعة الكونية بسماعها ويحصلون على صور مسارات هذه الألكترونات

للدكتور محمد محمود غالى

لو أن الساسة اليوم وجهوا عنايتهم إلى العلماء والعاملين على التجديد العلمي لما كان ثمة شك في الخطوات العجيبة التي يخطوها العلم إلى الأمام ، ذلك أن الميراث العلمي بلغ حداً يمكن الإفادة منه أكثر من أي عهد مضى .

ولو أن الأموال التي تنفقها الحكومات المتعددة على الاستعداد للحرب وعلى الإكثار من آلات التهلكة والدمار ، أخذت طريقاً آخر للخير العام ، فأنفقوا جانباً منها على المعامل العلمية ؛ ولو أن الساسة أحسنوا استغلال النتائج العلمية التي يتوصل إليها العلماء واستفادوا للخير لا للشر من انتصارات العلم الباهرة لاقتربنا من جيل يختلف كثيراً عن العهد الذي نعيش فيه ، ولشهد الإنسان حضارة أرقى كثيراً من الحضارة التي يستمتع بها الآن ، ذلك أن العلم التجريبي بلغ حداً تعجب له عند ما تقف على بعض تفاصيله الأخيرة

وإني أستعرض مع القارئ بطريقة مبسوطة مثالاً في البحث التجريبي وما أصبح له اليوم من قوة ، فأدله في هذا المثال على طريقة قياس الأشعة الكونية وتعيين مسارات جسيماتها السريعة التي لا يمكن للعين أن تراها

* * *

لو أني ذكرت للقارئ أن وزن الألكترون هو $\left(\frac{1.60}{10^{27}}\right)$ من الجرام وأن العلماء يستطيعون اليوم رسم صورة لمساره ويسمعون مروره لما تملكه العجب ، ذلك أن النظر إلى الأرقام لا يدل بطريقة واضحة وسريعة على ضآلة الشيء أو جسامته ، على صعوبته أو سهولته ، بقدر ما تدل على ذلك الأمثلة وما تنطوي عليه من مقارنة

ولو أني ذكرت للقارئ أن الألكترون هو من الضآلة والصغر بحيث أن النسبة بين كتلته وبين كتلة أحد أزرار البدلة التي يرتديها ، كالنسبة بين كتلة هذا الزر وكتلة الكرة الأرضية بأسرها ، لعجب القارئ كيف أمكن معرفة شخصية هذا الجسم المتناهي في الصغر ورسم مساره على الورق الحساس ، وكيف يمكن أن نسمع بمروره بيننا ، هذه أمور يحار لها العقل

هذا الألكترون (الوحدة السالبة للكهرباء) وشقيقه البوزتون (الوحدة الموجبة) يصل كل منهما بسرعة كبيرة وتتركب جسيمات الأشعة الكونية منهما . ولكل من هذه الجسيمات طاقة تفوق حد الوصف ، ومع ذلك فبرغم صغرها وسرعتها يتمكن العلماء اليوم من تسجيل مرور كل منها على حدة ومن رسم مساراتها وسماعها عند مرورها ، وهم يضعون لذلك وفي طريق هذه الجسيمات من شباك الصيد والأجهزة الدقيقة ما يساعدنا على سماع إنذار عند مرورها ، ومن رؤية آثارها في المادة ، وتسجيل الطريق التي مرت فيها

ولعل هذا يدعو القارئ إلى شيء من الدهشة يزيد على دهشته عند استماعه من الراديو حفلة غناء تدور حوادثها بعيدة عنه وهو واقف بسيارته في قلب الصحراء

هذا الألكترون ، الزائر العجيب ، كان هدف العلماء ؛ هذا الطائر السريع الآتي من عوالم بعيدة ما زلنا لا ندرك مصدرها ، كان ولا زال محل اهتمام العلماء لتحقيق شخصيته ، وقدرته على

اختراق المادة وإحداث التفتت الذرى فيها — هذا الجسيم الذى ربما بدأ رحلته حول الكون قبل بدء العصر الكمبرى ، وهو العصر الذى لم يترك لنا أى أثر من الكائنات الحية على الأرض ، لا زال محل بحث العامل قاطبة لمعرفة كنهه وأثره وطبيعته



جسيمات الأشعة الكونية تخترق لوحة من الرصاص وتحدث تهدماً في المادة
من أبحاث أندرسون وندر ماير
ش (١)

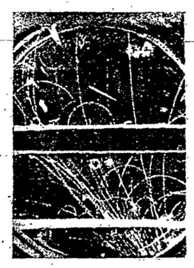
ومن يدرى : فقد يكون الوقت الذى استغرقته عملية نشوء الكائنات الحية وتطورها من أنفيبيا إلى أسماك ، ثم إلى زواحف وطيور وثديات وإنسان ، لا يعد إلا فترة بسيطة بالقياس إلى الزمن الذى قطع فيه هذا الجسيم رحلته الطويلة حول الكون المقفل على نفسه[١] ومع ذلك فقد وصل إلى مكان وُجد فيه إنسان مُفكِّر ، يستطيع أن يقف على شيء من دخائل هذا الجسيم الصغير ، أن يكشفه ، أن يرى مساره ، أن يستمع مروره ؛ بل يضع له شباكاً من ألواح الرصاص السميكة ويرى رأى العين كيف يخترقها طوراً ويتمثر فيها تارة ، بل يرى آثار التهدم الذى يحدثه هذا الزائر السريع فى ذرات المادة ، ويرى الانفجارات العديدة التى تقع بسبب مروره ويفعله وفعل طاقته العظيمة . وفى الشكل (١) يرى القارئ صورة

(١) سبق أن شرحنا فى أربعة أعداد من الرسالة هذا العام أن الكون فى مجموعه محدود وأنه مغلق أى مقفل على نفسه كما بينا أنه يتسع ويتمدد على نحو كرة من المطاط تنتفخ .

لجسيمات الأشعة الكونية وحزمة من الجسيمات الأخرى ويرى هذه الجسيمات الكونية تخترق لوحاً من الرصاص محدثاً بالخطين الأفقيين ، كما يرى شيئاً من التهدم الذى حدث فى هذه المادة . وفى الشكل (٢) يرى حزمة أخرى من هذه الجسيمات المتناهية فى الصغر ، وبالأحرى يرى مواضعها تظهر دفعة واحدة داخل جهاز ولسون الذى سنتكلم عنه فى مقال قادم ؛ وهذه الحزمات وهى جسيمات من المادة حدثت بسبب الأشعة الكونية التى لها هذه القوة العجيبة من اختراق ما يقابلها من مادة

* * *

ولتعرف شخصية جسيمات الأشعة الكونية ، ألكترونات كانت أم بوزيتونات ، وتسجيل مرورها ، طريقتان :



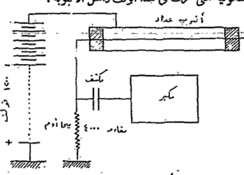
حزمة من الجسيمات تظهر دفعة واحدة داخل جهاز ولسون بسبب مرور ألكترونات الأشعة الكونية التى تخترق ما يقابلها
من أبحاث أندرسون (مكتشف الوحدة الكهربائية الموجبة) وندر ماير
ش (٢)

الطريقة الأولى تنحصر فى استعمال جهاز خاص لعد هذه الألكترونات ويسمونه « عداد الألكترونات » Compteur à Electron وفى هذه الطريقة لا يرسم مسار الألكترون وإنما يستطيع الجهاز أن يعد الجسيمات التى تمر فيه .

والطريقة الثانية تسمى طريقة « غرفة ولسون » Chambre de Wilson ، ويمكن بها رسم مسارات هـذه الألـكترونات أو البوزيتونات ، وتعيين أثرها على المادة التي تقابلها وسنشرح الطريقة الثانية في المقال القادم.

أما عـداد الألـكترونات فهو اليوم أبسط جهاز معروف في العلوم الطبيعية رغم صغر الظاهرة المراد قياسها ، ويتكون (شكل ٣) من أنبوبة معدنية داخلها سلك من النحاس التاكسد وبطرف الأنبوبة سدادتان حيث لا يجاوز ضغط الغاز داخل الأنبوبة بضعة سنتيمترات من الزئبق ، وحيث يتفاوت المجال الكهربائي بين السلك والأنبوبة من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ فولت .

ويتصل السلك الداخلي إما بالألـكترومتر ، وإما بمكبر ذي صمام[1] ، فعند ما يمر في الغاز داخل الأنبوبة أحد الألـكترونات المكونة للأشعة الكونية يحدث عدد من اليونات[2] ، وهـذه تحدث زيادة في الظاهرة الكهربائية ، وهذه الزيادة البسيطة يمكن بعد أثر المكبّر للتيار أن تحدث حركة آليّة من السهل أن تؤثر على جهاز آخر تسمع منه ضربة تدل على مرور أحد الجسيمات الكونية التي مرت في هذا الوقت داخل الأنبوبة .



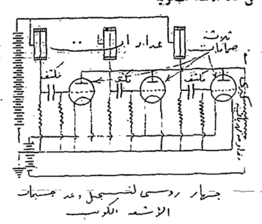
عداد الألكترونات لجيجر وميلر

ش (٣)

ومن تتح له زيارة معهد الراديوم في باريز في شارع « بيير كيري » ويصعد برج هـذا المعهد يجد جهازاً لعد هذه الجسيات الـكونية حيث تتملكه الدهشة عند سماعها

على أن مرور أي ألكترون سواء من الأشعة الـكونية أو من أي أشعة راديومية ، يكون مصدرها المواد المستعملة في الجهاز نفسه أو المباني المجاورة ، يحدث هذه اليونات داخل الغاز التي يتبعها هذه الضربات

ولـكي نميز بين الضربات الحادثة بسبب الأشـعة الـكونية من الضربات الحادثة بإشعاع آخر محلي ، فكر العلماء في وضع ثلاثة عدادات بينها ستائر تمنع مرور الجسيمات الأخرى التي تقل طاقتها عن طاقة الأشعة الـكونية



جهاز روسي لتسجيل وعد جسيمات الأشعة الكونية

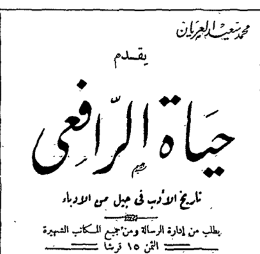
ش (٤)

وقد تم توصيل ثلاثة العدادات بحيث لا تسجل إلا مرور الجسيم الذي يستطيع اختراقها معاً ، وبعبارة أخرى ، لا تسجل إلا جسيات الأشعة الـكونية (شكل ٤)

وهذه الطريقة كان لروسي الفضل الأكبر في نجاحها وسنأتي على شرح طريقة ولسون في المقال القادم .

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



(١) الصمام هو لمبة خاصة كاللمبات المستعملة في أجهزة الراديو

(٢) هي الأيونات وأفضل كلمة يونات لسهولة النطق كما قدمت


محلات
داود عدس
وولده
معرض
الأزياء الحديثة
صيف ١٩٣٩



التذوق الفني في الشرق والغرب

للأستاذ محمد السيد المويلحي

أحسب أننا مهما تغالينا في التجني على الغرب باتهامه بالإباحية، وبالاندفاع وراء شهواته اندفاعاً لا يعرف حياء، ولا يقيم وزناً لما اصطلحت عليه الأخلاق من قيود وحدود، فلن نستطيع أن نقول إن هذا هو الواقع، وإننا نصور حالة صادقة لما هو عليه من عادات، ولما هو فيه من حرية فضفاضة سعى إليها سعياً متواصلاً حتى نالها . . .

صحيح أن عاداته تختلف عن عاداتنا، ونظرته إلى الحياة وإلى الأخلاق تتغير عن نظرتنا إليها، ولكن ليس بصحيح أنه أكثر منا اندفاعاً وحباً لشهواته ونزواته. لأنه — على الأقل — يمتاز عنا بأنه ينظم وقته تنظيماً دقيقاً: فيعطى لوطنه، ولبيته، ولعمله ما لا يعطيه لقلبه وملاهيه. ثم هو لا يعرف أبداً التسكع والتجول الذي يحملنا جملاً على أن يجلس الواحد منا طول يومه أو طول ليله على قهوة لا لعمل شيء يعود عليه بفائدة، بل للنظر إلى المجهول أو للعب النرد أو للتفرج على حركة المرور . . . !

***

بل هو يمتاز عنا بأكثر من هذا: يمتاز بتذوق فني رفيع لا دخل للشهوة فيه أبداً. فهو حينما يسمع يسمع بأذنه فقط لا بقلبه ولا بحبه ولا (بجسمه). كما هو الواقع عندنا!

لا يحكم على مطربة من مطرباته بأنها حلوة العينين، دقيقة الشفتين، مستقيمة الساقين، ممتلئة الجسم، رقيقة الأسم . . . الخ. بل يحكم عليها بأنها: قوية الصوت. لامعة النبرة. متمكنة من فنها، واسعة في ثقافتها، مجتهدة في عملها، لا تعتمد في معيشتها وحياتها إلا على صوتها، لا تمنعها دمامتها من احتلال المكانة التي يؤهلها لها صوتها، ولو كانت في الذروة!

ثم لا تستطيع مطربة هناك أن تثبت إلا (بفنها) فحسب مهما بلغ جمالها وحسنها، ومهما نضج جسمها واكتمل سحرها، ومهما سالت واستسلمت، وصادقت عظماء وطنها وحكامه فلن تكون أكثر من جميلة ساحرة ذات جسم! أما أن تفرض على شعبها كمطربة، فهذا هو المستحيل الذي لن يكون ولن يعترف به الشعب ولو تبدلت الأرض غير الأرض

ثم إن بناته ونساءه لا يحكمن على مطرب من مطربيهن بأنه صغير السن، جميل الشكل، أنيق، رشيق، بل يحكمن عليه بقدر ما يتمتع به من قوة الصوت وسلامته، وجمال الإلقاء، والقدرة على التوزيع والتنويع، والتوفيق في إلباس الكلمات والمعاني (الموسيقى) التي تلائمها وتترجمها وتبرزها في إطارها المضبوط الذي تجرى السلامة في أعطافه، ويشيع السحر منه!

ثم إن العواطف الشخصية والإعجاب بالكتفين العريضتين، وبالزراعين المفتولتين، وبالقوام السمهري، وبالوجه الصبوح؛ كل هذا لا يجعل من الرجل عندهن مطرباً، فإذا تمتع بعد هذا بمال أو بتقدير، فإن هذا لا يكون إلا بشكل فردي شخصي لا يغرم فيه الشعب مليماً واحداً . . . !

لقد كان (بيتهوفن) رجلاً أصم، و(فجنر) شخصاً دمياً. (وموزارت) مهملاً في زيه. فهل منع هذا عنهم التقدير والخلود؟ وهل وقفت عاهاتهم أمام فنهم القوى لتسد عليهم إعجاب الشعب بعملهم . . . ؟؟

(وآل جولسون) الأصلع، (ومستنجيت) العجوز الشمطاء، (وبول روبسون) الزنجي، هل ظلموا في هذا العصر، ولم

يقدروا لأنهم حزموا ما يبعث الحية فى الأجسام عند الغربيين ؟

أى شرقى أو مصرى بنوع خاص يشجع فناناً شرقياً أو مصرياً ذا عاهة ؟ ؟ وأى مصرى الآن يقبل على سماع مطربة (كفيفة) بقدر ما يقبل على سماع المبصرة ، ولو كانت الأولى أقوى صوتاً ، وأتقن صنعة ، وأعظم أداء ؟

قد يقال إن المصريين قبل نصف قرن كانوا يزنون الغربيين فى هـذا فكانوا لا يهتمون إلا بالفن وبالصوت بدليل أنهم رفعوا (عبده الحامولى) وزوجه (الماس) إلى ذروة التقدير والشهرة مع أنهما كانا من أشد الناس دمامة وقبحاً . . . وقد يقال إن العرب أنفسهم كانوا من أشد الناس تقديراً للفن وحده بدليل أنهم أفسحوا مكاناً محموداً (لابن مريج) الذى بلغ من قبحه ودمامته أنه كان يطرح على رأسه ووجهه غطاء حين الغناء ... حتى لا يفسده بشكله ...

وهذا صحيح لا ضرية فيه ، وهذا ما امتاز به العربى عن الغربى من قرون . إبان أن كان الموسيقار العربى يعيش معززاً مكرماً والموسيقار الغربى ممتهناً يعيش كما يعيش النبوذ المحروم من أبسط مظاهر الحياة وهى نعمة التمتع بالإنسانية وبالوجود . إبان أن كان يقتل كما يقتل الكلب فلا يكون جزاء قاتله إلا ضرب (ظله) بالسيف ... !

قد يقال هذا وأكثر منه ولكن بحث اليوم ومقارنة الساعة لا تنسحب على الماضى وإلا كان هذا أدعى إلى تمنيفنا إذ كيف يستسيغ الإنسان هذا التطور الأخلاقى السريع الذى لا يسير إلا منحدراً ... ؟؟

لقد كان آباؤنا وأجدادنا من خمسين سنة أسلم منا حكماً وأعدل تقديراً ، وأضبط عاطفة ، وأسمى غرضاً

كانوا لا يعيشون لشهواتهم وجسومهم كما نعيش نحن الآن مع أنهم لو فعلوا ما استطاع اللوم أن يصل إليهم فقد كانوا أوفر منا مالاً وأقل انشغالاً بتهيئة وسائل المعيشة . وكانوا أقرب إلى (الفطرة) منا إليها ، وكانت جميع المحرمات والممنوعات التى تستلب الإحساس وتمنع التقدير السليم موفورة لديهم ، ومع ذلك كله استطاعوا أن يقدروا الفن ويتساووا مع الغرب الآن ... أى أنهم كانوا يعيشون من نصف قرن كما يعيش الغرب الآن من حيث تفكيره وتقديره الموسيقى ... !

قد يكون للاحتلال نصيب ، وقد يكون للانحلال الأخلاقى الذى يتغلغل فى عظامنا ونفوسنا نصيب ، وقد يكون لتلك النفوس التى طبعت بطابع الذلة بعد الحرب وبعد الثورة المصرية نصيب

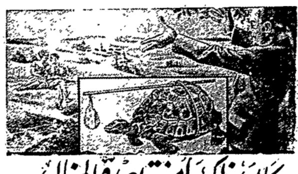
تلك النفوس التى استساغت هذا اللون المسترخى وهـذا التخنث الذى يطفح من كل أغنية ، ثم تدرجت بعد هذا إلى السيطرة على بقية النفوس حتى أصبحنا ونحن على هذا الحال البغيض

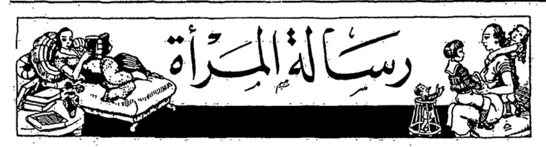
فالجمهور لا يشجع إلا الجميلة من المطربات أو الظريفة منهن أو كثيرة الأصدقاء ...

هبط معيار التقدير حتى أصبح منحصراً فى الجسم وفى كل ما يرضى الجسم . أما الروح . أما الفن بصرف النظر عن كل شيء فلا ... !

ولهذا أصبح جونا الموسيقى جو جسم بحت ، وأصبحت تربته لا تنبت ولا تصور إلا الشهوة . أما الصوت ، أما الفن ، فهذه أشياء تافهة فى عرف الذوق الشرقى عامة والذوق المصرى خاصة !

محمد السيد المويلحى





آداب انجليزية

مادبة العشـــاء الرسمى

للآنسة زينب الحكيم

ترتيب المائدة وما يترتب عليها

ولائم العشاء من أهم أشكال العزائم عند الانجليز . وإنه لمن الفخر فى العرف الانجليزى أن يدعى الإنسان لوليمة عشاء أكثر من أن يدعى لوليمة غداء، أولشاى بعد الظهر، أولسهرة بسيطة فى المساء، فإن وليمة العشاء غالية الثمن، لايدعى إليها إلا علية القوم، ولذلك فهى إكرام له قيمته وأهميته . وعلى ذلك لا ينتظر من الأفراد صغيرى الموارد ومتوسطى الحال أن يقوموا بولائم كهـذه . وليس معنى هذا أنهم لا يستطيعون عمل ذلك فى محيطهم الخاص وإنما نقصد إلى أن المفروض فى ولائم العشاء الرسمية أن تكون مستكملة اللوازم والمسرات والإكرام

الدعوة لوليمة العشاء

كيف ترسل الدعوى ؟

إنما تكتب على شكل مذكرة ، أو تطبع على بطاقة ، وعادة ترسل قبل الميعاد بعشرة أيام إلى ثلاثة أسابيع حسب أهميتها بالنسبة للغرض الذى تقام من أجله ، وبالنسبة للفصل من السنة

فتكون مهلة الدعوة أطول إذا كان الفصل فصل عمل ، فتراعى ظروف الأفراد، ويقدر أن كل واحد عنده مشاغل كثيرة.

وتكون المهلة أقصر فى الأوقات الأقل مشغولية (وبالطبع لكل قاعدة شواذ)

فإذا كان يتراوح عدد المدعوين بين ١٢ و ١٨ فمهلة أسبوعين أو ثلاثة كافية لأن تكون الدعوة بين أيدى المدعوين لكى يوجدوا لها وقتاً من بين أوقاتهم

وعشرة أيام إلى ثمانية عشر يوماً تكفى إذا كان عدد المدعوين ٨ — ١٢ شخصاً، وأسبوع أو ثمانية أيام كافية جداً لوليمة تقام لأصحاب قريبين من الجيران حيث الولائم قليلة . والأسرة التى ليس لها معارف يحسن بها أن تترك مهلة أطول لمدعويها خلاف الذين لهم معارف كثيرون وفى استطاعتهم اختيار مدعويهم من بينهم

وإذا كانت الوليمة صغيرة كأن كانت لستة أو ثمانية أشخاص فيمكن دعوتهم بالتلفون ، على أنه يحسن تأكيد دعوتهم ببطاقات أو خطابات

ويستطيع المدعو أن يحكم على نوع الوليمة كبراً وصغراً وأهمية من الزمن المتروك بين تاريخ إرسال الدعوة وميعاد الوليمة

الضيف الذى لا يبالى

الضيف الذى لا يبالى بعواقب الأمور هو الذى يهمل الرد على الدعوة الموجهة إليه ؛ فإن كانت بالإيجاب فليرسل رده تواً ، فليس من الحزم ولا من المروءة أن تترك المضيفة حائرة غير متأكدة من العدد الذى سيلبى دعوتها ممن دعتهم

وليكن معلوماً ومقدراً أنه لن يزيد من مقدار الشخص الذى توجه إليه دعوة لوليمة عشاء أن يرفضها برفق . فإن هذه الدعوات يجب أن تلبى إلا إذا وجدت ظروف قهرية حقاً تمنع من قبولها ، وهنا يصح أن يعتذر عنها بكل أدب وأناقة ممكنين

أما الأفراد الذين يتركون اعتذارهم أو قبولهم الدعوة للوليمة لآخر الوقت ، يقل توجيه الدعوات إليهم تدريجاً ، وبذلك ينسحبون من المجتمع على الرغم منهم

السيدات والرجال في الولائم

يلاحظ في الولائم المدعو لها سيدات ورجال ، أن يكون عدد الفريقين متساوياً بقدر الإمكان ، لأن من نظام ولائم العشاء الإنجليزية أن تحادث كل سيدة الرجل الذي صحبها إلى حجرة المائدة ويجلس عادة إلى يسارها ، وكذلك تتحادث إلى الرجل الذي عن يمينها — وبما أن هذا تقليد من التقاليد التي يجب أن تنفذ أثناء الجلوس حول المائدة فيتحتم أن يراعي الجميع آداب المحادثة ، وأن يكونوا جميعاً طيبي السمر والحديث . لهذا كان من أول واجبات صاحبة الدعوة أن تراعي تناسب أماكن الأفراد بعضهم إلى جانب بعض حول المائدة . وإذا لوحظ أن البعض لا يستحسن صحبة من جلس إلى جانبه فلينقل إلى محيط آخر بلباقة حتى يمضي وقتاً سعيداً . غير أن التوفيق بين الشخصيات ليس سهلاً وبذلك يتعقد الموقف قليلا أحياناً .

بقيت مسألة هامة ، تلك هي أن يراعى دعوة الزوج مع زوجه إلا إذا حالت ظروف طارئة دون ذلك . والمضيفة اللبقة هي التي تستطيع توجيه زوارها وزائراتها إلى الوجهة التي تؤدي إلى إنجاح وليمتها دون أن يشعر أحد بما ترمي إليه ، كأن تسوق الحديث إلى موضوعات نقاش وسمر تسر الجميع ، ولا تتعرض للشخصيات ولا للأحاديث غير المرغوب فيها ، كالتي تعطي فرصاً للبعض لإظهار دخائل نفوسهم بالمتاسبات

والفرد الذي يقبل الدعوة لوليمة عشاء ، يجب عليه أن يقدر مسئوليته بالنسبة لمضيفته ، ولهذا يجب أن يضبط نفسه ويؤدي واجباته نحو من كلف رعايتهن ولو لم يكن ممن كان لا يفضلهن لو ترك له الخيار في مجالستهن

مواعيد ولائم العشاء

تختلف من الساعة ٧٫٤٥ إلى الساعة ٨٫١٥ ويقدم العشاء في الثامنة والنصف في الحالة الثانية . أما الحالة الأولى ٧٫٤٥ فهي المحببة لدى (الفئة المحافظة)

وهذه المواعيد تتبع بدقة ، لهذا يتحتم على المدعوين أن يحافظوا عليها بدقة أيضاً . والتأخر عن ميعاد العشاء يعتبر من قلة الذوق ، كما لو وصل الزائر إلى بيت داعيه متقدماً أكثر من خمس أو ست دقائق قبل الميعاد المحدد .

استقبال الزوار والتعارف

يجب أن يكون المضيف والمضيفة على استعداد تام في حجرة الاستقبال قبل الموعد المحدد بعشر دقائق على الأقل . ويلزمهما التسليم باليد على ضيوفهما ، وعند وصول المدعو إلى المنزل المقصود لا يجب عليه أن يسأل إذا كانت ربة البيت موجودة فإن هـذه مسألة لاشك فيها . وعند دخول الزائرة بهو المنزل ، تخلع معطفها وتسلمه للخادمة الموجودة به إلا إذا دعيت للذهاب إلى الحجرة الخاصة بوضع أمتعة الزوار ، فيمكنها ترك معطفها أو أي شيء آخر .

وفي الولائم الكبيرة يقف رئيس الخدم بالمنزل على الدرج الصاعد إلى حجرة الاستقبال إذا كانت بالطابق العلوي ، أما إذا كانت بالطابق الأول فيقف بالصالة أو المدخل ، ويفتح الباب خادم آخر ، ويأخذ خادم ثالث أغطية الرأس والمعاطف من الرجال .

أما في حالة السيدات فالخادم في خدمتهن كما تقدم .

وعمل رئيس الخدم هو أن يسأل الزوار عن أسمائهم ، ويجب أن تعطى له واضحة صحيحة ، وعليه أن يفتح باب (الصالون) ويذكر اسم الزائر عند دخوله إليه .

وعادة يدخل الزوج والزوجة أحدهما إلى جانب الآخر ، أو متأبطي الذراعين ، وسواء دخلا متفرقين أو مجتمعين فإن الخادم يعلن اسميهما مقترنين فيقول مثلاً : السيد فلان والسيدة فلانة أو الآنسة فلانة .

وبعد أن يحيي أصحاب الدار زوارهم تجلس السيدات ؛ أما الرجال فيبقون وقوفاً يحادث بعضهم بعضاً ، أو يحادثون من يعرفونهم من السيدات . فإذا وجدت إحدى الزائرات أن لها من الحضور عدداً موفوراً تعرفه ، فلا يحسن بها أن تدور في الحجرة لتسلم عليهم جميعاً . بل تسلم على القريبات والقريبين منها ، وتكتفي بتحية الأخريات البعيدات بانحناء الرأس أو الابتسام ، وإذا كان لها معارف من الرجال فتحيتهم بالانحناء ، وإذا لم يكن يتحدث إلى أحد ، فعليه أن يذهب إليها ويحادثها .

التعريف

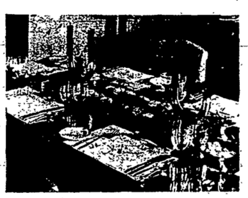
وإذا كانت الوليمة صغيرة فعلى المضيفة أن تقوم بتعريف الزوار بعضهم ببعض إذا لم يكن قد سبق لهم المقابلة ، أما في الولائم

الكبيرة فهذا العمل غير ممكن ، ولو أن ربة المنزل تقدم بعض زوارها لبعض قدر ما يسمح لها وقتها بالمناسبات وملاءمة الفرص .

ترتيب جلوس المدعوين حول المائدة

تجلس السيدة أكبر الحاضرات مقاماً إلى يمين رب الدار ، ويجلس الرجل الذى فى مستواها إلى يسار ربة الدار

ويبقى الضيف واقفاً فى مكانه على المائدة حتى يأخذ جميع المدعوين مقاعدهم ، وعليه أن يكون عالماً بالمكان الذى يجلس فيه كل شخص وأن يكون مكانه متناسباً وحالته ، وعلى رئيس الخدم أن يعلم ذلك أيضاً . أما فى الولائم الكبيرة فتوضع بطاقة باسم المدعو فى المكان المعد له على المائدة



مائدة عشاء

ويراعى فى جميع الولائم صغيرها وكبيرها أن تجلس السيدة إلى يمين الرجل الذى يصحبها إلى حجرة المائدة . وفى ولائم العشاء لا يقصر المدعو حديثه على من صحبها فقط ولا هى أيضاً وإنما يكون التحادث لكليهما مع من يجلسون بجوارهما من الجانبين.

متى يرحل الزائر

ينصرف الزائر نحو الساعة العاشرة والنصف أو الحادية عشرة إذا كان ميعاد الوليمة مبكراً إلا إذا أقيمت سهرة موسيقية أو تسلية أخرى مما يجرى فى العادات الإنجليزية (كالرقص أو اللعب بالورق) فيمكن إطالة المكث بحيث لا يتعدى الساعة الحادية عشرة والنصف إلى الثانية عشرة

عند الانصراف

فى حالة تناول زوجين عشاءهما فى غير منزلهما ، على السيدة أن تلاحظ الانصراف فى الوقت المناسب فتملى إرادتها بلطف ودقة على زوجها فينصرفان دون قطع محادثة طريفة ، أو حديث فى موضوع هام . وعلى كل زائر وزائرة أن يحيى المضيفة تحية الوداع ، ويسلم على باقى المدعوين إذا كانوا قريبين منها . ويكون السلام على أصحاب المنزل باليد ، ويمكن عمل ذلك مع المعارف إذا لم يترتب عليه إقلاق المجتمع وإلا فالتحية بالانحناء تكفى .

ولا بأس من أن يذكر لربة الدار بعض جمل الشكر والاستحسان على الوقت الجميل الذى أمضوه عندها ، ويراعى الأفراد ألا يشغلوا ربة الدار أكثر مما يجب ، فإن عليها أن تجامل كل مدعويها ومن واجب كل أن يساعدها على ذلك

وعلى رب الدار أن يودع الزوار حتى باب الصالون أو إلى الصالة إذا استطاع ترك باقى الزوار منفردين .

تحية الانصراف

من العادات الإنجليزية تقديم تحية الانصراف ، فتوضع منضدة صغيرة خارج حجرة الاستقبال أو فى مكان قريب منها ، ويكون عليها مشروبات باردة ، وسجاير تقدم وقت الانصراف

خلع القفازات

على كل سيدة تجلس إلى مائدة العشاء وهى لابسة قفازيها أن تخلعهما توا . فإذا كان خلع القفازين من يديها يستدعى بعض الوقت ، فعليها أن تضع فوطتها على حجرها حتى لا يقدم إليها الحساء وهى غير مستعدة

استخدام فوطة المائدة وآنية غسل الأصابع

على الزائر أن يبسط الفوطة ويضعها على حجره ، ولا تستعمل فوطة المائدة كمناشف للأيدى فالغرض منها حماية الملابس أثناء تناول الطعام ، وتلمس بها الشفتان عند الضرورة القصوى فقط . وقد تجفف بها الأصابع برفق بعد وضعها فى آنية غسل الأصابع بعد الفاكهة ولا تطبق الفوطة بعد تناول الطعام بل تترك على طرف المائدة

زينب الحكيم

من هنا ومن هناك

النازية فكرة مؤلف انجليزي – نقلا عن مجلة نيت بيفنس

يقول الفريد روزنبرج وهو من أخصاء الفوهرر ، أن أول من مهد الطريق أمام هتلر مؤسس ألمانيا الحديثة هو رجل انجليزي

والحقيقة أن أول من أوحى فكرة النازية هو رجل من هامفشير وليس جندياً من أوستريا كما يزعمون . لقد كان لهذا الرجل نفوذ عظيم فى ألمانيا ما زال يزداد وينمو سنة بعد أخرى

وقد كتب ثلاث تراجم ، ونشر عنه منذ توفى عام ١٩٢٧ ما لا يحصى من المقالات على صفحات الجرائد الألمانية بأقلام زعماء النازى المعروفين

من هو ذلك الإنجليزي العجيب ؟ ذلك هو هوستن ستورت تشمبرلن . وهو من الأسر الإنجليزية العريقة المعروفة فى انجلترا كما يتبين من اسمه . ومن المأثور عنه أنه كان يقول أول ما سكن ألمانيا (إن أبى انجليزي وأمى من اسكتلندة وجدتى من ويلز فيحق لى أن أقول إننى ابن حق لبريطانيا العظمى) وقد درس علم النبات والطب فى جامعة جنت وسمع أوبرا واجنر فى بيروت وقرأ جيتى وكانت فى ورسدن . وقد استولى عليه شغف جنونى بكل ما هو ألماني ، من أدب إلى موسيقى إلى علم إلى فلسفة إلى صناعات وآلات حربية تدهش العقول

وأتيح له أن يتقن اللغة الألمانية أيما إتقان ، حتى أصبح يفضل الكتابة بها على الكتابة بلغة بلاده ؛ ومن ثم كان يكتب بها كل مؤلفاته

وقد هداه البحث إلى كتابة تاريخ للعالم أسماه أصول القرن التاسع عشر برهن فيه على أن خير الطرق لفهم شعب من الشعوب هى أن تفهمه فى ظل تاريخ المدنية وأطوارها

ودلل على أن كل رقى أو نجاح فى أوربا الغربية ، كان منشأه الجنس الآرى الذى نزح إليها فى الأصل من شمال الهند ، وانحدرت منه السلالة التوتونية الموجودة الآن . وزاد على ذلك ، أن المدنية الغربية لا يمكن الأخذ بناصرها إلا إذا سادها قبيل شديد من الجنس الألمانى العريق

وقد نال هذا الكتاب رواجاً عظيماً فى ألمانيا بصفة خاصة . واشترى منه القيصر ولهلم الثانى ألفى نسخة ليجعلها هدايا لمن يريد وصار منذ ذلك الوقت صديقاً شخصياً لهوستن تشمبرلن

وفى سنة ١٩٠٨ أو سنة ١٩١٢ وقع هذا الكتاب فى يد شاب نكد ، لا عمل له فى فينا

وهنا ظهر الإنجيل الذى يبحث عنه أودلف هتلر الشاب !

فقد أوحت إليه نظرية هوستن تشمبرلن ، سر كل ما يحيط به من العار والشرور

متاعب ايطاليا فى الحبشة – ملخصة عن لوزنب نوفيل

نشرت صحيفة « كريتكا فاشستا » التى تصدر فى روما نبذة عن مركز القوة الإيطالية فى الحبشة نقلاً عن مراسلها الخاص جاء فيها : « لقد أصبحنا الآن فى حالة نستطيع فيها أن نصرح بأن مركز إيطاليا فى امبراطوريتها آخذ فى الانحدار . ويظهر هذا بجلاء فى أديس أبابا أكثر من غيرها يوماً بعد يوم . ويستطيع الإنسان أن يشعر بذلك فى أحاديث الناس وفيما تكتبه الصحافة نقلاً عن مراسليها وفيما ينقله إلينا أصدقاؤنا وزملاؤنا الذين يهتمون بشئون الحبشة »

ونحن لم يغب عن ذهننا بعد تلك الحملات التى وجهتها الحكومة الإيطالية إلى بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب الحبشية ، ولا تلك المزاعم الخرافية التى كانت تدعيها عن الكنوز والخيرات التى تنتظرها فى تلك البلاد ، مما جعلها تنجح فى تهيئة الرأى العام فى إيطاليا إلى استعمارها

فماذا وراء هذا التغير الملحوظ الذى طرأ بعد ثلاث سنوات من فتح الحبشة ؟

إن هناك تقارير لا تحصى عن المصاعب الحربية والاقتصادية التى تلاقيها إيطاليا فى بلاد النجاشى ، ونحن وإن كنا لا نستطيع

أن تنكر رسوخ أقدامها فى تلك البلاد ، إلا أن التقارير التى ترد عن المصادر الإيطالية نفسها تدل على أن الحرس الحربى ضرورى لإجراء أى عمل فيها ، وأن الحالة فى إيطالية بعيدة عن المألوف .

ويظهر أن الناحية الاقتصادية فى هـذه المسألة أشد بكثير مما يتصوره العقل . وقد كتب الجنرال تروزى السكرتير الثانى للادارة الإفريقية فى إيطاليا تقريراً على جانب كبير من الصراحة فى هـذا الموضوع ، وقد ظهرت مقالات شتى بهذا الصدد فى الصحف الإيطالية على اختلافها .

ويلاقى الإيطاليون مصاعب لاحد لها فى مجاراة الحالة الاقتصادية المألوفة لدى السكان .

ومن الغريب أنهم لم ينجحوا بعد فى إحلال الليرة الورقية محل العملة الفضية القديمة التى كان يصدرها النجاشى باسم ماريا تريزا ، حتى اضطروا إلى إصدار قطع فضية جديدة من هذا النوع كان لها تأثير كبير فى هبوط أسعار الليرة الإيطالية .

ولقد وضعت إيطاليا يدها على الشئون التجارية فى الحبشة ، كما وضعت يدها على مصادرها الطبيعية ، ولكن تروزى يقول فى تقريره : إن الأحباش لا يقبلون على شراء المصنوعات القطنية التى ترد من إيطاليا ، لأن القطن الذى تصنع منه ممزوج بأنسجة قصيرة تجعله أقل صلاحية من غيره ، ولقد سقطت هذه التجارة فى الحبشة إلى درجة شديدة .

أما ما كانت تنتظره إيطاليا من الأرباح فى تصدير البن ، فقد ظهر أن الأجر والتكاليف التى تدفع فيه تقضى على كل أمل فى ذلك ، وهكذا الشأن فى باقى المحصولات .

وقد يكون من المستطاع التغلب على مثل هذه الأحوال ، ولكن إيطاليا التى استنزفت فى الحرب الأسبانية ، وأنفقت الأموال الطائلة فى التسليح ، قد أعوزها المال والرجال لاستثمار تلك البلاد .

ومما يستحق الذكر أن العمال الإيطاليين الذين لم ينقص عددهم سنة ٩٣٧ عن ١١٥ ألفاً قد نقصوا إلى ٣٨ ألفاً فى مارس سنة ٩٣٨ و٢١ ألفاً فى شهر يوليه من العام المنصرم .

الحقيقة فى المشكلة الفلسطينية ملخصة عن « زى سان »

بدأت أسباب الثورة تظهر فى فلسطين منذ بدأت التجربة الصهيونية فيها ، ولكن تلك الأسباب قد أخذت فى الازدياد تحت تأثير الظروف الحاضرة ، وقد تزعزع النفوذ البريطانى نوعاً ما فى تلك البلاد ، بعد أن أظهرت إيطاليا عدم احترامها لقواعد عصبة الأمم ، وفهم العرب الذين لا يقدرون المثل العليا التى تعلن فى جنيف أن تلك السياسة السلمية تستند إلى القوى الحربية دائماً

ولقد أخذت علاقة العرب باليهود فى فلسطين تضعف باستمرار هجرتهم إليها ، وأعلنوا الثورة على القانون ليضطروا الحكومة البريطانية إلى تغيير سياستها نحوهم

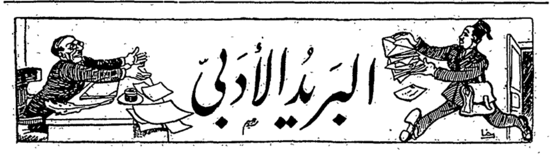
إن المرء ليتساءل عن الأسباب التى تدعو انجلترا إلى ذلك النظام الذى أنشئ لصالحة اليهود ، مع ما فى عملها هذا من إضعاف مركزها فى تلك البلاد التى نالت فيها مزايا عظيمة بعد ذلك الانتصار الذى أحرزه لورد اللنبى لها ؟ إن حكم هذه البلاد كان من أهم نتائج الحرب العظمى ، فلماذا تضع انجلترا مركزها فى تلك البلاد فى ذلك الموقف الشائك الذى سبب لها كثيراً من الارتباك ؟ مع أن هذا النظام لم يطلبه الرأى العام فى انجلترا ، ولم تناد به هيئة قوية فى مجلس الجيش !

إن الرأى الحقيقى فى هيئة الجيش لم يعلن بعد ، ولكن هذه الفكرة قد نبتت فى وقت عصيب كانت فيه جيوش الحلفاء فى أشد الحاجة إلى المساعدة المالية التى قدمها إليهم اليهود إذ كانت جيوشهم تحت ضغط عظيم . تلك الروح الطيبة التى ظهروا بها أمام العالم كان لها أبلغ الأثر فى تصريح بلفور الذى جاء فى نوفمبر سنة ١٩١٧

لقد كان بلفور سكرتيراً أجنبياً للحكومة الإنجليزية فى ذلك العهد ، ولكنه كان أكثر اهتماماً بالحركة الصهيونية من كل شخص فيها . وعلى الرغم من أن هذه الحركة قد طبعت بطابعه وظهرت تحت اسمه ، فقد أعلن أنها حملت رضا حكومة الحلفاء ، وظاهر أن الحركة الصهيونية تشمل ألمانيا والنمسا وغيرها من بلاد العالم

ولقد تضمن هذا التصريح إشارة من الحكومة الإنجليزية بأنها تنظر بعين الاعتبار إلى تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وأنها تبذل كل ما فى وسعها فى ألا يمس هـذا الحقوق المدنية والدينية للمقيمين فيها من غير اليهود

ولا نذيع سراً إذا قلنا إن أكثر الأعضاء الذين وافقوا على ذلك لم يكن لهم رغبة ملحة فى تلك التجربة ، ولكن بعض رجال



بين مصر وفرنسا

أصدرت جريدة « الطان » عدداً خاصاً عن مصر ، وهو عدد نفيس يقع فى عشرات الصفحات ، وفيه أبحاث طريفة عن وجوه النشاط الأدبى والاقتصادى ، وهو تحيــة يراد بها توكيد ما بين مصر وفرنسا من صلات

وهذا العدد مفتتح بكلمتين كريمتين :

أما الكلمة الأولى فهى رسالة وجهها حضرة صاحب الجلالة ملك مصر إلى فرنسا . وأما الكلمة الثانية فهى رسالة وجهها حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية إلى مصر . وافتتاح العدد بهاتين الرسالتين يمثل الاحتفاء بتجسيم عواطف المودة بين الشعب المصرى والشعب الفرنسى

وفى الرسالة الأولى يقول حضرة صاحب الجلالة ملك مصر :

« أريد أن أقول لفرنسا : إنى أعرفها وإنى أحبها

« أعرفها فى ثنايا تاريخها الطويل الشائق ، وفى مناحى آدابها وفنونها ...

« أحب علماءها وفلاحيها وصناعها . أحب أناقتها ، وأحب أيضاً بساطتها العائلية ، وأحب وطنيتها وكرمها

« أحبها فى أحيائها وفى أمواتها : أمثال شامبوليون ومريت ودى لسبس وسليمان باشا »

وفى الرسالة الثانية توجه فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية تحية طيبة إلى مصر وترجو أن تواصل جهودها فى طريق التقدم الخلقى والاقتصادى والسياسى برعاية مليكها الشاب الذى تحفظ له فرنسا أطيب الذكريات

ونجد بعد ذلك تحية ثانية موجهة إلى مصر من وزير الخارجية الفرنسية ، وتحية ثالثة من وزير فرنسا فى مصر ، ثم تحية موجهة إلى فرنسا من وزير مصر فى باريس

وبعد هذه التحيات الرسمية التى تبلغ النهاية فى الكياسة واللطف نجد كلمة للمسيو دى كومنين عن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ؛ وهى كلمة فى غاية من العذوبة صور بها شمائل الملك المحبوب أجمل تصوير ، وفيها تجلت عبقرية الوصف فى الأدب الفرنسى إذ يقول :

« نبيل عظيم ، أشقر بعيون زرق ، له ابتسامة الفتاة وضحكة الغلام ... » .

الجيش رأوا أن الشعب اليهودى على ما هو معروف عنه من الذكاء والرزق مشتت فى بلاد العالم ، دون وطن يلجأ إليه ، فتحمسوا للفكرة على سبيل العطف فى ذلك الحين

إن للمسألة الفلسطينية أهمية أكبر مما يتراءى . وليس الأمر فيها على إثبات حسن نية اليهود أو سوء نيتهم ، أو انتشار التجارة البريطانية أو كسادها ؛ ولكن الأمر أهم من ذلك بكثير إذ أنه يتعلق بمركز بريطانيا فى البحر الأبيض المتوسط

إن الانتصار الذى أحرزته إيطاليا فى الحبشة قد أصبح يهدد المواصلات البريطانية بلا شك ، فإذا لم تعمل معها اتفاقات متينة واسعة النطاق فى هذه الظروف فمن الواجب تقوية الأسطول الإنجليزى عدة سنين

فإذا كان الأمر كذلك فإن الأنظار لتتجه نحو فلسطين كقاعدة ذات أهمية لا يستهان بها للجيوش الإنجليزية

إن مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط قد أصبح مهدداً بعد انتصار موسولينى فى بلاد الحبشة .

فإذا كانت بريطانيا لا تستطيع أن تحكم فلسطين فإنها عند ذلك تكون أقل مقدرة من إيطاليا ، إذ تكون قد عجزت عن حكم بلاد أخذتها باعتراف عصبة الأمم

ثم نجد كلمة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا عن مصر الحديثة ؛ وكلمة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا عن مركز مصر الدولى ؛ وكلمة صاحب المعالى الدكتور أحمد ماهر عن مركز مصر المالى ؛ وكلمة صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا عن التربية والمدنية ؛ وكلمة صاحب المعالى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بك عن الاتجاهات الدينية في مصر الحديثة ؛ إلى آخر ما في هـذا العدد من شائق البحوث .

وقد وقفنا طويلاً عند الكلمة الشائقة التى كتبها سـعادة صدّيق بك عن : « مصر وطن الإنسانية » . وقد كتبها بروح شعرىّ جذاب ؛ ودعا إلى زيارتها عشاق المعانى من أصحاب الأذواق

***

قلت : إن هذا العدد نفيس ، وإنه يؤكد ما بين مصر وفرنسا من صلات

فلم يبق إلا أن أنظر إليه نظرة نقدية : فـما الذى فات من اهتموا بتنظيم هذا العدد من الطان ؟

كنت أحب ألا تغلب عليه هذه الصبغة الرسمية التى جعلت أكثر كتابه من الوزراء وأصحاب الشأن فى الميادين الاقتصادية والسياسية .

كنت أحب أن يكون فى هذا العـدد مكان ظاهر للحياة العلمية والأدبية والاجتماعية . كنت أحب أن يكون فيه فصل عن الصحافة والتأليف ، وفصل عن تطور الحياة التعليمية فى المعاهد العالية ، وفصل عن تأثير مصر فى توجيه الحياة الأدبية والعلمية بالشرق ...

وذلك كان يوجب على مراسل « الطان » فى مصر أن يستعين بجهود المشتغلين بالصحافة والتأليف والتعليم . ولو أنه فكر فى ذلك لوصل هذا العدد إلى الكمال المنشود .

وهذه النظرة النقدية لا تمنع من تكرير الاعتراف بأن هذا العدد قدَّم مصر إلى قراء « الطان » بروح مشبع بالحب والجاذبية . فإلى تلك الجريدة العظيمة نوجه أصدق الثناء .

زكى مبارك

أبو تمام — والأستاذ عبد الرحمن شكرى

لا أظن أن أديباً عربيًّا عُنى بأبى تمام كما عنيت به ، فقد بالغت فى مطالعة ديوانه أيما مبالغة ، وجمعت أمثاله وشرحتها شرحاً طويلاً ، نشرت منه أكثر من ستين صفحة فى إحدى المجلات ، واخترت طائفة من شعره سميتها (جوهر الجوهر من شعر الطائى الأكبر) نشرت فى مجلة ، وربما كان (البيت اليمى) مما جمعتُ واخترت . ولـما رجعت إلى الصفحة (٤٠٩) من طبعة الديوان التى أشار إليها الأديب الكبير (الأستاذ عبد الرحمن شكرى) — أدام الله نفع العربية بطول بقائه — وجدتنى قد خططت عند ذلك البيت خطًّا[1] علامة اختيار

وإذا ما شاء الله أن يضل العالم أو الأديب فى الأحايين فمن أين نظفر بهذه الثروة الأدبية اللغوية الضخمة الفخمة فى النقد ؟ وكيف تتجلى الحقائق التجلي الباهر التام ؟ وهل أغلاط نوادر أبى زياد الكلابى ، وأغلاط نوادر أبى عمرو الشيبانى ، وأغلاط النبات لأبى حنيفة الدينورى ، وأغلاط الغريب المصنف ، وأغلاط إصلاح المنطق ، وأغلاط الجمهرة ، وأغلاط المجاز لأبى عبيد ، وأغلاط كامل المبرد ، وكتاب التصحيف للحسن العسكرى ، وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى ، والتنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ، والفلك الدائر على المثل الثائر[2] . والجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق ، وأغلاط أكبر لغوى وأكبر أديب[3] فى هذا العصر التى لم تظهر بعد . فهل كل ذلك إلا من فضل ضلال العلماء ؟

وإن (وهماً) أفادنا تلك الفائدة ، وأدّى إلى ذلك التحقيق (الشكرى) الكريم المشكور — لخليق بما هو به خليق ...

***

جاء فى كلمة الأستاذ شكرى : « وأرجو أن يسامحنى الأستاذ الجليل فى هذا البيان » . أما بيان الأستاذ الكبير فهو مما يشكره مثلى كل الشكر عليه ، وأما سؤال (المسامحة) فى الجملة فإنى أسامح الأستاذ فيه هذه النوبة لإحسانه إلى العلم وإلىّ ببيانه

(القارئ)

---

(١) تفضل بزيارتى الأديب الفقيه الأستاذ داود حمدان الفلسطينى وخضنا فى خطب تلك الهفوة ، فأطلعته على هذا الخط عند البيت وعلى أمثاله فى الديوان ، وقد خططت ذلك منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، وشاعرنا أحمد شوقى يقول : « اختلاف النهار والليل ينسى »

(٢) لابن أبى الحديد وقد نشرت طائفة منه منذ حين فى مجلة الهلال

(٣) الشيخ اليازجى والأستاذ الرافعى وستظهر الأغلاط إن شاء الله فى وقت ، ولكل كتاب أجل.

فى ذكرى الهراوى

فى أواخر الأسبوع المنصرم — والرسالة تحت الطبع — أقام أصدقاء (الهراوى) وإخوانه حفلاً لتأبينه بمسرح حديقة الأزبكية ؛ فخطب الدكتور منصور فهمى بك ، وأنطون بك الجميل ، وعبد الله بك عفيفى ، والأستاذ عبد الوهاب خلاف ؛ وأنشد الأساتذة الأفاضل : أحمد الزين ، وحسين شفيق المصري ، وأحمد محرم ، والأسمر ، والماحى ، وناجى قصائد من الشعر

هذا خبر قد أذاعته الصحف اليومية ، ونشرت كل ما قيل فى الحفل من نثر وشعر . ولكنا نريد أن نشير هنا إلى معنى قد لحظناه من ذلك الحفل ؛ ذلك أن قيام مثل هذا التأبين إنما هو فى الواقع مظهر من مظاهر الوفاء والخلق الطيب عند الأحياء . ونحن إذ نسأل عن مدى هذا المظهر فى تأبين الهراوى وذكراه نجد الجواب لا يسر ؛ فإن الذين قاموا بتأبين الهراوى من إخوانه وأصدقائه الأوفياء قد توجهوا بالدعوة إلى رجال القلم والأدب فى مصر على اختلاف مذاهبهم وألوانهم ، ولكن دعوتهم مع الأسف لم تقع موقع القبول إلا عند الرجل النبيل معالى وزير الأوقاف، ومعالى وزير الحقانية ، والسيد البيلاوى، وصاحب الرسالة ، ونخبة من رجال الصحافة، وطلاب الأزهر والجامعة ودار العلوم إلى جانب أسرة الشاعر وإخوانه الذين حفلوا بتأبينه !

أما وزير المعارف الأديب ، وأما الأستاذ لطفى السيد الذى عمل معه الفقيد فترة من الزمن ، وأما رجال لجنة التأليف والترجمة والنشر وقد كان الهراوى عضواً بارزاً فى جماعتهم ، وأما الدكتور زكى مبارك صديق الهراوى على مر السنين ، وأما رجال الأدب الذين يتولون زعامته ، ويزعمون رعايته ، فكل هؤلاء كان تأبين الهراوى ، بل قل كان الأدب أهون عندهم من أن يلبوا نداءه ويؤدوا واجبه !

(م . ف . ع)

كتاب حياة الرافعى

أخى الأستاذ سعيد العريان

أشكر لك تفضلك بإهدائى كتابك « حياة الرافعى » ، وأهنئك مخلصاً على ما أصبت من توفيق يكاد يكون منقطع النظير .

لقد قرأت الكتاب فى ثلاثة أيام ، وما أعرف أنى استمتعت بكتاب ككتابك — وفى موضوعه — منذ أمد بعيد . نعم ، أذكر كتاب « أناتول فرانس فى مباذله » وأنه من خير ما قرأت فى هذا الموضوع ، ولكن كتاب فرانس مبعثر الفصول ، مقطع الأبواب ولكتابك مزايا كثيرة ليست فى ذلك .

إنك لم تجل حياة الرافعى فحسب ، بل جلوت الاتجاهات الأدبية ، والعوامل النفسية — الخفية — فى أدب جيل كامل من الأدباء .

لقد عشت فى مصر مدة من الزمن تبلغ قرابة سبع سنوات ، وكنت أقرأ ما أقرأ حول الرافعى — رحمه الله — وخصومه — عفا الله عنهم — ، وله ولهم ، ولكنى كنت كمن يعشو فى ظلماء موحشة ، لا أكاد أتبين سر ما أنا بسبيله من نقد وتأليف ، وخصومات ، إلى أن جاء كتابك فأنار السبل وأوضح المقاصد ، ورد على ماضى ما قرأت فى صورة نيرة مبينة .

لا أريد أن أطيل عليك ، ولكن فى نفسى إعجاباً ذا شعب ما أستطيع أن أحبسه فى نفسى .

لقد وفقت فى الأسلوب بقدر ما وفقت فى استقصاء المؤثرات النفسية واستكشاف العوامل الخفية فى أدب الرافعى . وبذلك أصبح كتابك جزءاً من كتب الرافعى لا بد لمن يقرأها من أن يقرأه . بل هو من أدبه كالفصل الرئيسى من الرواية لا يمكن أن تتم وتستبين بدونه

وما أكتمك أنى كنت ممن لا يستهويه أسلوب الرافعى ، ولكن كتابك أوضح أن الرافعى كان نسيج وحده فى أسلوبه وتفكيره وميوله . وبهذا دفعت عنه ما اتهم به ، وأغريت الناس بقراءته بعد أن مزجتهم بنفسه ؛ وكسبت له الإعجاب منتزعاً من أعماق القلوب

الحق يا أخى أنك وفقت ، فلك التهنئة الخالصة ، والشكر الجزيل والود الصادق من أخيك .

(القدس) اسحق موسى الحسينى

ذكرى الرافعى فى محطة الإذاعة المصرية

يذيع الأستاذ محمد سعيد العريان حديثاً عن المرحوم الرافعى فى الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة من مساء يوم الأربعاء ١٠ مايو من محطة القاهرة ، لمناسبة الذكرى الثانية لوفاة فقيد العربية الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى .

وموضوع الحديث : شخصية الرافعى فى أدبه .



كتابان

١ — آرائى ومشاعرى : للآنسة فلك طرزى

٢ — أشعة ملونة : للشاعر أحمد الصافى النجفى

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

— ١ —

منذ عام أو أكثر التقيت بالآنسة فلك طرزى فى دار الرسالة فتعارفنا ، وجلسنا نتحدث على طبيعة المجلس فى تلك الدار الحافلة فأخذنا فى كلام يتصل بالأدب والسياسة وبرجال الأدب والسياسة ، وامتد بنا الحديث إلى الأخلاق والتقاليد والقومية وما يتفشى فى شباب الشرق من داء العصر . وكانت الآنسة تتحدث وكنت أنا أستمع وأتأمل ، فظهر لى وراء ذلك الشخص الناحل ثورة جامحة ، ونفس طامحة ، وإحساس كبير مرهف ، واعتزاز بالقومية العربيـة ، والكرامة الوطنية ، تبديه الآنسة الفاضلة فى صرامة وعنف حتى لقد فارقتها وأنا أشفق عليها مما هى فيه !

ومنذ أيام جاءنى كتاب الآنسة — آرائى ومشاعرى — عن طريق الرسالة لأقدمه إلى القراء ، فما كدت أجيل النظر بين صفحاته حتى رأيت فيه روح الفتاة كما رأيته بالعيان ، وتبينت لى شخصيتها بين السطور كما تبينتها بالنظر من قبل ، شخصية صريحة واضحة ، وروح — كما قلت لك — ثائرة متمردة على الناس وعلى نفسها ، فهى لا تهدأ ولا تقر ، وهى تكشف لك عن هذا الجانب من شخصيتها فتقول : إن نفسى لا تكاد تريح ذاتها من بعض ما تنوء به من أعباء الفكر ، حتى تشعر أن ما خرج منها ليس إلا جزءاً من العبء الذى يزخر فيها فيعاودها القلق والاضطراب ، وكلما حاولت التخلص منهما رجعا إليها بصورة أشد وأقوى ، لهذا قلما تنعم نفسى بالراحة وتسعد بالاستقرار ، وإن هى بلغتهما فسعادتها بهما لا تتجاوز اللحظات ...

وماذا تكون آراء ومشاعر هذه النفس الثائرة وهذه الروح الشرود ؟

هى آراء صارمة تتخطى القيود والحواجز ، آراء تستمد الحجة من منطق القلب أكثر مما تستمده من منطق العقل ، وإنها لتشتد صرامة وعنفاً إذا ما انطلقت فى جانب الوطن والقومية العربية ، فأنت إذ تسمعها فى « يوم الأسكندرونة » وفى « موقف لبنان من الأقطار العربية » وفى تحيتها « إلى شباب النادى العربى » وفى حديثها عن « أثر المرأة فى النهضة القومية » نعم أنت إذ تسمعها فى هذه المواقف وأشباه هذه المواقف فأنما تسمع زئير الأسد الهائج لا بغام الظبية الشادية !

وهى مشاعر مرهفة تفيض بكثير من حر الجوانح والألم الممض ، فأنت إذ تنصت إليها وهى تتحدث عن « النفس الحيرى » و « الوفاء المفقود » و « الضحكة التى تخرج من أعماق النفس » وفى رسائلها « إلى مى » خلبك منها الشعور الدقيق الرقيق ، والأناقة الفنية ، والنعومة الرافهة ، كما يقول الأستاذ خليل مردم

وهذه الآراء وتلك المشاعر هى زفرات متقطعة صعدتها الآنسة المهذبة فى فترات مختلفة على صفحات الصحف المصرية والسورية فجاءت قطعة من نفسها وروحها تجرى فى أسلوب له رنين صوتها وجرسه ، وإن كان لا يخلو من هفوات فى اللغة والنحو . وإذا كان للآنسة من الآراء والمشاعر ما لا يوافقها عليه القارئ فأحسبها قد تحللت من هذه المؤاخذة إذ سمت كتابها « آرائى ومشاعرى » ، ولكل إنسان رأيه فى الحياة ، وليس من الإنصاف أن يتحكم إنسان فى شعور إنسان !

— ٢ —

قد يكون من الصعب على الباحث وخصوصاً فى الأدب العربى أن يتبين شخصية الشاعر واضحة صريحة فى قصائده ومطولاته التى يحفل لها بقوة الأسلوب، ومتانة القافية، ونباهة الموضوع. فكثيراً ما يضطر الشاعر فى مثل هذه المواقف إلى تملق العواطف فى الناس، أو مراعاة الرغبة عند حاكم مسلط، ولكنك قد تتبين شخصية هذا الشاعر على أجلى ما تكون فى مقطوعة يرسلها على هواه، أو أبيات صغيرة يقولها فيما بينه وبين نفسه!

وهذه الأشعة الملونة للشاعر أحمد الصافى النجفى هى نبرات متقطعة، وألحان قصيرة أرسلها فى لحظات متباينة؛ ونظمها فى ظروف مختلفة، وفى نواح متعددة من نواحى الحياة، وفى مكنونات النفس البشرية، ورسوم الأخلاق، وشواذ الكون، وغرائب البشر، وبالجملة فهى شعور الشاعر تجاه كل ما يحس وما يرى، وناهيك بإحساس الشاعر المرهف، ونظره الفاحص المستوعب، وكأن هذا هو الذى أطمع الشاعر فى أن يقول:

كل بشعرى واجد نفسه ... ففيه أسرار الورى المودعه

وقد يكون فى هذا إسراف من الشاعر فى جانب قرائه، ولكنه لا شك ليس بإسراف فى جانب شخصيته هو، فأنا لا أعتقد أن كل إنسان سيجد نفسه فى شعر الشاعر الصافى، وإن كنت أعتقد أنك ستجد نفس الصافى فى هذا الشعر شفافة مترقرقة، وحسب الشاعر الخالد هذا، وحسب الصافى أن يقول فى التكشف عن نفسه:

عندى عيوب بنفسى سوف أظهرها
لأن إخفاءها مكر وتدجيل

والعيب يجدر أن يبدو ليعرفه ... كل الأنام فلا يعروه تضليل

إنى وإن كنت فى جهل له صغرت ... نفسى فأجهل منى العصر والجيل

بعوضة أنا فى الدنيا وحين أرى ... بعض الورى فكأنى بينهم فيل

وأن يقول:

أنا طائر لا يرتضى الأرض مسكناً ... كأنى بين الجو أبحث عن عرش

ولكن دهرى قص جنحى وأرجلى
فيا حال طير لا يطير ولا يمشى؟

ويعجبنى من الصافى روح متمردة على التقليد بين قومه فيقول:

تقلد يا شرق غيرك دائباً
فتحسب موجوداً وما أنت موجود

لقد سلبك التقليد عقلك كله
فشخصك موجود ورشدك مفقود

تقلد فى أكل وشرب وملبس ... ويعروك للتقليد فى الليل تسهيد

تقلد حتى فى انتحار وميتة ... فعيشك تقليد وموتك تقليد

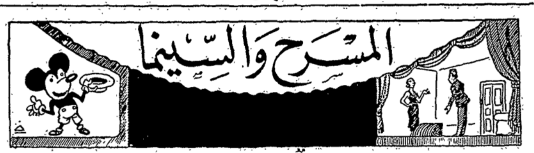
وإنه لينكر ذلك التقليد على نفسه فيقول:

كم سرت متبعاً غيرى لتهلكة ... وكم ندمت لدن أحسست بالألم

ندمت دهراً ولكن لم يفد ندمى ... وها أنا نادم دهراً على ندمى

وأحب أن أنبه الشاعر الصافى إلى العناية بالأسلوب، فإن قوة الأداء وروعته ضرورة لازمة للشاعر حتى يستطيع أن يؤثر، ولا شك أن اللفظ قوة تشد أزر المعنى وترفع من قيمته، ولكن الأستاذ يتهاون فى هذه الناحية حتى ليهمل حق اللغة فى بعض الأحيان، وحتى ليبدو أسلوبه مهلهلاً كالثوب الخلق. هذا وإنه ليحرص على أبيات تافهة فجاء ضوؤها فى الأشعة الملونة ضئيلاً باهتاً كما يقولون

محمد فهمى عبد اللطيف



قبل وداع الفرقة القومية

المال والبنون

حديثنا اليوم عن رواية (المال والبنون) وهى واحدة من الروايات التى فاز مؤلفها بجائزة فى المباراة التى أقامتها الفرقة ، ومن حظ هذا المؤلف ، وقد مثلت له الفرقة فى هذا الموسم أيضاً رواية أخرى اسمها طبيب المعجزات

الكلام عن الروايتين لازم واجب ، أما الحديث عن الحظ فقد يجرنا إلى التساؤل ، وإلى الحدس والتخمين ، وإلى نقل مايقوله الأدباء فى مجالسهم عن الحظ والمحظوظين ، وعن الوسائل التى توصل الأديب المغمور إلى الحصول على كلمة السر التى تجعل منكود الطالع سعيداً وإن كان جبل فى الأصل من طينة فيها جميع خصائص الشقاء وعناصر التعاسة . ولذلك سنضرب صفحاً عنه لأن غايتنا من نقد الفرقة كما قلنا هى تقويم اعوجاجها وذلك أمر مستطاع لا شك فيه . وإن رجال الفرقة فى زعمنا مهما تصامّوا عن سماع كلامنا ، وتغاضوا عن نقدنا ، وأسرفوا فى تأويل البواعث على متابعة الكتابة فى إظهار العيوب التى أوصلت الفرقة إلى المنحدر الخطر ، ومهما حاولوا المكابرة فى احتمال سهام الحقيقة الجارحة فإنهم ولا بد راجعون إلى أقوالنا وإلى نصائحنا ، وإن الغفوة التى تثقل أجفانهم سيعقبها ولا شك يقظة وانتباه . ورب دغدغة أو وخزة تنجى من خطر محقق ، وسيان أكان المدغدغ أو الواخز حبيباً أو عدواً ، فضلاً عن الناقد الذى لا يعرف الحب والبغض فى الأدب والفن

لن نتكلم إذن عن حظ المؤلف بل نقصر كلامنا على الروايتين ، فالرواية الأولى « طبيب المعجزات » لم تتحدث الصحف عنها بخير ولا بشر ، والإهمال أقصى عقوبة يجازى بها المؤلف الفاشل ، وقد انفردنا بتلخيصها للقراء ولم نشأ أن نعلق عليها مخافة أن نرى بحب الهدم الذى يضعضع الناشئين أمثال مؤلفها الشاب ، ولكيلا يقال إننا نتخذ أمثلة عليا من أدب المسرح الغربى نقيس بها أعمالنا وما برحنا فى دور التكوين بعد . وسألخص رواية « المال والبنون » أيضاً فأضعها نصب عين القارئ ، وليسأل هو عن الباعث على تمثيل روايتين هزيلتين فى موسم واحد لمؤلف واحد؟

والرواية حكاية شاب طبيب يدعو الناس بحرارة إلى اعتناق مبادئه التى يؤمن بها ، وهى تتلخص فى أن البنين آفة الزواج ، وأن كثرة الأولاد مسغبة وفقر ، وأن منع الحمل يساعد على الزواج المبكر ، وأن تربية النسل متعة يجب أن تقتصر على الأغنياء ، وأن تكرار الولادة خطر على صحة الأم ، وأن لا بد من تنظيم الحمل ، ومن إيجاد مراكز لرعاية الطفل ، ومن فرض ضريبة على العزاب

وهذا الطبيب صاحب هذه « التشكيلة » من المبادىء له أنصار من الفتيات اللواتى يستمعن إلى القائل لا إلى ما يقول ، وله معارضون ممن تعلموا فى مدرسة الزمن أن مثل أقواله هراء فى هراء ، والطبيب هذا يحب ابنة عمه ويرغب فى الزواج منها ؛ غير أن والدها يمانع فى هذا الزواج ويصرح باستحالته للطبيب ، وقد حضر ليطلب يدها من والدها ، لأنه قد اتفق مع عمه على تزويجه بابنته ، والفتاة تصغى إلى نصيحة أبيها ولا تلتفت إلى عواطف الشباب ونزواته وتقبل أن تتزوج من عم الدكتور وترفض الدكتور نفسه وتجابهه بهذا الرفض

وإذ يسمع الطبيب بانصياع الفتاة لأقوال أبيها ورضاها بالزواج من عمه الهرم يهرب من المدينة ويذهب إلى انجلترا فى بعثة يعود منها بعد خمس سنوات فيجد أن عمه قد مات وأن زوجة عمه رزقت غلاماً منه قد ورث كل ما تركه

استيقظ الحب الهاجع فى نفسه فعاد يطلب الزواج من أرملة

عمه على رغم أن لها ولداً ، ولما تزوج منها أحب ولدها وصار يتمنى أن يكون له ولد من صلبه

كاشف زوجته بالأمر فناقشته في آرائه ومبادئه فأعلن تنازله عنها ، واقتادها إلى طبيب إخصائي قال له إن زوجته عقيم لا تلد

قامت قيامة الطبيب يسائل من أين جاءت زوجته بابن عمه وهي عقيم ، وثارت ثورته عليها فيلعنها ويصارحها بأنها امرأة عقيم مرذولة وأنها رضيت بالزواج من عمه لتستولي على ماله وتحرمه إياه . ويظهر أخيراً أن الولد الذي يقال إنه ابن عمه إنما هو ابنه قد انبثق لديه من فتاة خادمة أغواها وقد جاءت به جدته إلى هذه العائلة لترعاه ، أما أمه فقد ماتت بعد الولادة

لقد أسميت مبادئ الدكتور بطل الرواية « تشكيلة » وقد افتن المؤلف حقاً في جعل وقائع الرواية تشكيلة تشبه « ألبوم » طوابع البريد فيه مجاميع مرتبة ، هذه للدولة الفلانية ، وتلك للجمهورية العلانية ؛ أما قيمة الألبوم فلا يقدرها إلا المهوسون العاطلون الذين ليس للوقت عندهم قيمة

أما لا أقول إن تقدير رجال الفرقة القومية لهذه الرواية ولأختها التي صنفها المؤلف ومثلتهما الفرقة في موسم واحد هو من نوع تقدير الهاوين لمجاميع طوابع البريد ؛ ولكني أسأل هل الإفلاس حفزهم إلى تمثيل روايتين ضعيفتين عرضاً وموضوعاً ، أم أنهم قدروا في مؤلفهما نبوغاً قصرت مداركنا المتواضعة عن فهمه ؟

تدل المسارح القومية الناس في فرنسا وفي غيرها على تطور الروح القومي ، وعلى معيار فهمه للحياة ، فهل مسرحنا القومي بمديره اللوذعي ، ورجال لجنة القراءة ، وأبطال التأليف ، وما مثلته الفرقة خلال أربع سنوات يدل من قريب أو بعيد على تطور الروح القومي المصري ، وعلى معيار فهمه للحياة ؟

اللهم كلا !

من المفهوم « أن حياة الأدب إن لم تتصل بنفس الأديب وروحه ، وإن لم يظهر وجهها في آثار حياته كان الأدب فاتراً ضعيفاً . وهذا عين ما لمسناه من فتور وضعف في روايتي المال والبنون وطبيب المعجزات اللتين طاب للفرقة القومية أن تتحف الناس بهما في موسم واحد

ومن المعروف أيضاً عند الأدباء أن خير ما يكفل وضوح ذاتية الأديب في أدبه أن يتصل ما يكتب بقلبه وعقله وكل حياته ، وليس ذلك بمستطاع إلا حينما نصف حياتنا وحياة آبائنا والبيئة التي أنبتتنا ، والوراثة الكامنة فينا ، فنصل بذلك حاضرنا بماضينا ، ونصور حياتنا ، وحياة قومنا ووطننا ، وكل ما توحي هذه الحياة للعقل ، والقلب ، والحس ، والشعور . فهل في هاتين الروايتين الموضوعتين ما يلمس هذه القواعد المعروفة عند كتاب الرواية ؟

المفروض أن الرواية إنما تصور الحياة تصويراً صادقاً تمليه العاطفة ، ويحلله العلم ، ولكن مؤلف رواية المال والبنون إنما ترك الحوادث للمصادفات ، ولم يلتفت ألبتة إلى تحليل هذه الحوادث ومراقبتها ، وتقدير احتمالاتها ، واستشعار المستهجن فيها والنابي عن الذوق ، والمتنافر مع الواقع ، والبعيد عن الحياة المصرية وبيئتها .

* * *

لم يبق مما تمثله الفرقة في موسمها الحالي سوى رواية واحدة . وأرى لزاماً علي ، خدمة للفرقة التي يحرص على بقائها كل أديب يتمنى الخير لأمته ويفاخر بنهضة هذه الأمة الفتية ، أن أواصل النصح في إظهار العيوب التي رآها الناس رأي العين وشعروا بها بارزة في أعمال هذه الفرقة التي أسموها قومية ، فإن أفلحت في إيقاظ ما هجع من همم رجالها فذلك حسبي ، وإن لم أفلح فسأدأب حتى تفوز الفرقة القومية بالنجاح والظفر والمجد

ابن عساكر

7me Année No. 306 — Lundi - 15 - 5 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــرس

بمناسبة الأربعين

حزن الملك الطفل



هذا اليوم هو الأربعون لمصرع الملك الشهيد غازى الأول . واليوم الأربعون هو فى عرف الناس أو الناسين آخر الخطوات فى تشييع الحى للميت ! فهل آن للجوانح الحرار أن تبرد على سلوان ابن فيصل ونسيان أبى فيصل ؟ ! كل حى إلى حين ؛ وكل ذكرى إلى نسيان ؛ وكل أثر إلى طموس ؛ ولكن أمثال غازى من ملوك الأرض وشباب الملوك وأزيان الشباب هم ملء السمع والبصر والقلب والتاريخ ، فلا يملك الدهر أن يمحو ما لهم فى صحيفة الخلود من ذكر وأثر . وإذا استحال على الزمن أن ينسى دولة العراق ، استحال على العراق أن ينسى أسرة فيصل ، لأن أسرة فيصل

هي الأساس المكين لبنيان العراق الحديث: قام على جهادها استقلاله، وورفت على ريّ دمائها ظلاله، وسارت على نور هداها نهضته

* * *

كان الملك فيصل الأول برد الله بالرحمة ثراه، مثال الرجولة العليا التي يتيحها القدر المديل لإحداث ثورة وإنشاء دولة وإقامة عرش. وكان هو وصحبه البهاليل من أبطال الثورة العربيـة رموز الحيوية الثائرة والخبرة القادرة والإرادة الحكيمة . جاهدوا حتى تحرر الوطن، ونادوا حتى استيقظ المجد، وأسسوا حتى بنى الشباب. ثم قضى وقضوا شهداء في سبيل العراق الخالد، ولا تزال أرواحهم الطاهرة تشرق في جوه، ودماؤهم الزكية تعبق في صعيده

وكان الملك غازي الأول سقى الله بالرضوان ضريحه ، قائد الجيل الذي نشأ معه على قوادم الصقر القرشي الجبار ؛ فكان من طبعه الموروث – مهما أبطأ نمو الريش أو أرعد عليه الأفق – أن يرتفع بشعبه الطموح الناهض . وكان بشبابه الفينان الواعد عنوان الأمل المعقود على فتوة العروبة في توثيق العقدة وتحقيق الوحدة . ثم كان بأريحيته العربية وسماحته الهاشمية نموذج الحكم الرضيّ الرفيق الذي تسود في عهده الشورى ، ويخصب في ظله الفكر، وتعزّ في كنفه الديمقراطية . فلما صرعه القدر هذه الصرعة القاسية ارفضّ لهولها صبر الشباب والكهول من العرب ، لأنه كان في رأي هؤلاء سر الماضي وذكرى يقظته ، وكان في نظر أولئك رجاء المستقبل وروح نهضته

نعم كان فيصل الرجل، وكان غازي الشباب! وما آلم الإخبارَ بالكون الناقص عن الكون التام! ولقد كان الظن بالأيام أن تُبقي على فرع الحسين النابت على دجلة حتى يستغيل ويتشعب؛ ولكن أعاصير الخطوب كانت أقوى من مُنى القلوب وأصدق من أحاديث الأنفس ؛ فلم يبق من أرومة فيصل الحرة إلا غُصنَةٌ غضّة النبات تميل حزينة على الجذع المحطم ، كما تهوّم الزهرة الوحيدة على القبر الموحش!

* * *

وا رحمتا للوليد المليك! كان له بالأمس صديق لا يخلق الله من نوعه غير واحد لكل واحد. وكان هذا الصديق يقبس نور عينه من نوره، وسرور قلبه من سروره، وغبطة حياته من غبطته؛ ثم لا يرى وجوده كاملاً إلا به، ولا عيشه سعيداً إلا معه. فهما متلازمان كطيفي الجمال والحب ، يتجولان يداً في يد بين رياض القصر، أو يتنزهان جنباً إلى جنب في أرباض المدينة ، ويوزعان هنا وهناك البسمات الحلوة والتحيات الطيبة على حواشي الطريق أو في مماشي الحديقة، ثم يعودان إلى الأسرة الملكية بالرخاء المطلق والأنس الشامل ، فتشرق غرفاتُ القصر السعيد بسناً باهر من جلال الملك ، وجمال الطفولة ، وعطف الأبوة ، وحنان الأمومة ، وأمان القدرة ، وضمان الغد بالسطوة والثروة والولد!

وارحمتا للمليك الطفل! أصبح اليوم وحيداً في القصر المظلم والعراق الحزين كأنه بصّة الأمل في القلب اليائس ، أو ومضة المنارة في البحر المضطرب! ينظر فلا يرى الوجه المتهلل الذي كان يهش له ، ويصغي فلا يسمع الصوت الحنون الذي كان يهتف به ، ويمشي فلا يجد اليد الرفيقة التي كانت تمسكه ، ويسأل فلا يجد اللسان الحلو الذي كان يجيبه ، ويجلس على المائدة فلا يرى الفم الباسم الذي كان ينادمه!

أين أبي يا أماه؟ لقد خرج في الصباح من غير أن يسلم على وليده، ولم يعُد في المساء ليقبّل وجنة وحيده!

أين ملكي يا خالاه؟ لقد اختفت السيارة والموكب ، وذهب الأمناء والحرس ، وغاب الوزراء والقادة ! مالي لا أرى الناس إلا من وراء السواد؟ وما لهم لا ينظرون إليّ إلا من خلال الدموع؟ فهل غيبة أبي هذه الفترة القصيرة تجعل الناس غير الناس ، والدنيا غير الدنيا؟

ثم وقف المليك الطفل ساهم الوجه حالم النظر، يسأل فلا يجاب، ويفكر فلا يدرك، ويبحث فلا يجد ، وينتظر فلا يأتي ، حتى أعياه الأمر فاستسلم لشواغل الطفولة ، واستنام لوعود الحاشية ، وراح ينشد أنسه الوقتي في صحبة خاله، ريثما يعود إليه أنسه الدائم بعودة أبيه!

ولكن أربعين صباحاً وأربعين مساء مضت ثقيلة الأطراف موحشة العشايا مظلمة البُكَر ، والصديق لما يعد إلى الصديق ، والوالد لما يسأل عن الولد ! واستيقظ فيصل الصغير الكبير من نومه القلق وحلمه المزعج ، فوجد ظهره يبهظه عبء فادح ، وجبينه يعلوه تاج ثقيل ؛ وأبصر حواليه فوجد مهده الذي كان ينام فيه قد عظم حتى عاد عرشاً ، وقصره الذي كان يلعب به قد اتسع حتى أصبح وطناً ، وأباه الذي كان ينتظره قد تعدد حتى صار أمّة!

أحمد حسن الزيات

ابن الشـــارع ...

للدكتور محمد البهى

بائع الصحف ...

وبائع « اليانصيب » ...

والذى يقفز إلى « الترام » أو إلى « الأوتوبيس » ليقدم لك بضاعته التى لا تساوى كذا ... مليما ...

والمتسول الملح فى سؤاله ...

وحامل صندوق « الورنيش » الذى يزعج المار والجالس بصوت فرجونه وترديد ندائه ...

وجامع أعقاب السجاير ...

و ... و ... أبناء الشارع

الشارع إذاً معرض لكثير من الحرف والمهن، وسوق لمدد وفير من العارضين بضاعتهم التى إذا قومت فلا تقوم إلا بثمن زهيد ، يعرضونها فى إلحاح ومذلة ، ولكن فى صبر وجلد

ما الذى حمل هؤلاء على أن يدفعوا بأنفسهم فى هـذا السبيل ؟ سؤال يلقيه على نفسه من يحضر لمصر للتنزه أو لدرس حالتها الاجتماعية ، ويلقيه كذلك المصرى دقيق الملاحظة . هل حملهم على اعتساف هذه الطريق الربح من غير تعب ؟ لا أظن ذلك ، إذ أن التعب شـديد والربح ضئيل ، وبعبارة اقتصادية العمل كثير شاق والإنتاج قليل الأثر . أى شىء إذاً ؟ الميل إلى « حفظ البقاء ؟ » وهو ـ كما يقول علماء النفس ـ أساس كل الميول الفطرية أو أساس لكل التصرفات النفسية غير الإرادية . ربما يكون ذلك باعثاً لهم على السعى لجلب القوت فحسب . ولكن لماذا تحتم أن يكون الشارع ميدان الكفاح ؟

هذه ظاهرة اجتماعية مزدوجة : تنم أولاً عن شدة الحاجة من جانب « ابن الشارع » واستباحته الطرق والميادين العامة ومركبات النقل وإزعاج الراجل والراكب كوسائل لسد هذه الحاجة ودفعها، وثانياً عن مقدار الرعاية من جانب الحكومة لأفراد الأمة، أو عن مقدار اتجاهها نحو المصلحة الشعبية وبعدها أو قربها من المنفعة الشخصية

كثير من الناس يلوم « ابن الشارع » ويزجره لأنه فى نظره قد انتهك حرمات الغير بإزعاجه ، وأساء استخدام المنافع العامة التى يجب أن تبقى مصونة من العبث

وكثير من الناس كذلك تدفعه العاطفة الإنسانية أو الرابطة الأخوية ، رابطة الدم والوطن ، إلى إجابة « السائل » أو مساعدة « جامع أعقاب السجاير » أو على الأقل إلى تأثره لحال « ابن الشارع » على العموم غير ناظر إلى ما يأتيه من أعمال لا تتناسب مع مظهر الجماعة المهذبة من البشر ، بل بالعكس هو لا يرى فيها جرماً اجتماعياً ولا خلقياً من جانب فاعلها لأنه مرغم على فعلها ، وليس من مرغم له — فى نظره — غير حكومته .

فليست غاية الحكومة ـ فى رأى هذا الأخير ـ فرض الضرائب وجمعها ، ثم توزيع ما جمع منها على جماعة من أفراد الأمة ، وهى طائفة من الموظفين كان المبدأ الحزبى أو العصبية والمحسوبية أساس اختيارها ؛ لأن هذا معناه استغلال فئة خاصة لثروة الشعب من طريق هو أميل إلى الخداع منه إلى تعويضه عن ذلك بعمل إيجابى. وإنما غاية كل حكومة رعاية المصلحة العامة وضمانها لكل فرد سبل العيش بتنظيمها ثروة الأمة ، وإنتاج الشعب ، ولها مقابل ذلك طاعته لما تفرضه عليه من قوانين أو التزامات ، وعلى مقدار تهذيبها للفرد وعنايتها به تكون درجة إنتاجه الذى هو جزء من الإنتاج الشعبى العام .

رأيان إذاً فى تكييف هذه الظاهرة الاجتماعية وشرحها ، وبينهما فرق كبير . فابن الشارع إما مذنب فى نظر العرف الاجتماعى أو على حسب مقياس أخلاق الجماعة ، وإما برىء لأنه بعمله هذا قد استخدم حقه الطبيعى ، وهو رعاية نفسه بنفسه حفظاً لبقائه بعد تحلله من رابطة الجماعة تحللاً نفسياً، لأنه شعر ووقر فى نفسه كذلك عدم فائدة تلك الرابطة له . فليس ما يأتيه إذاً من إزعاج الغير وتجاوز الغاية المعروفة من الطرقات والميادين العامة منكراً ؛ وإن جاز أن يعده قانون الجماعة منكراً ، ولكنه أصبح لا يعترف به .

قد يكون هذا شرحاً لتلك الظاهرة من الوجهة الخلقية . وهو أيضاً له أثره فى الناحيـة القانونية . فالذى يرى براءة ابن الشارع هذا لا يعترف نفسياً بعقوبة القانون الذى يحاكمه على مباشرته لعمله « الطبيعى » وإن كان يتقبلها على أنها ظلم حل به .

وعلى مر الأيام سيعتقد بما آمن به بعض قدماء الإغريق من أن « القانون الوضعي جعل لرعاية المصالح الذاتية ، مصالح الولاة والحكام ، مصالح الأقلية القوية الحاكمة ضد الرعية التي هي أكثرية ضعيفة » . وإذاً فعقاب « ابن الشارع » على ما يأتيه مما ظاهره منكر من جانب واحد وهو جانب العرف الاجتماعي اضطهاد لوجوده أو هو عمل على فنائه

ولكن هل هذا هو ما يشعر به حقاً ابن الشارع أو المتصر له الذي يعطف عليه ويشجعه بشرائه منه أو تصدقه عليه ؟ قد يكون ؟ ويغلب أن يكون ذلك لأنك لو سألت ابن الشارع لماذا لا تعمل عملاً منتجاً أكثر وأحسن من هذا لأجابك على الفور : أين ؟ وأي شيء هو ؟

وما دام يسيطر عليه مثل هذا الشعور فقلما يكون منه احترام للقانون العام الذي هو قانون الجماعة ، وقلما يعرف حرمة لملاقاته بغيره ، وقلما يميز بين « مشروع وغير مشروع » حتى تشعره الحكومة بالرعاية وتعترف بوجوده وتعبد له طرق الحياة الشريفة .

من برجنا العاجي

من المسئول عن فتور الحركة الأدبية الملحوظ في مصر ؟ لا ينبغي أولاً أن نعلل ذلك بالحوادث الدولية ، فإن الفتور كان دائماً موجوداً في جونا الأدبي قبل أن تنشأ هذه الظروف . ثم إن المشاكل السياسية وتأثيرها في النفوس والشعوب لم تحل في أوربا دون اهتمام الناس بشؤون الفكر وعناية الجمهور بالكتب والأدب . فما زالت الصحف الأدبية تتحدث هناك عن ظهور الكتب الجديدة والأدباء الجدد بعين الحماسة التي تتحدث بها في كل زمان . وما زالت المسابقات الأدبية والجوائز السنوية تهز الناس وتثير نشاط الكتاب كما تفعل في كل حين . فأحداث السياسة مهما عظم خطرها لا يمكن أن تشل في أي بلد متحضر حركة الفكر والفن فيها . فالأمة الراقية شأنها شأن الإنسان الحي مهما عرضت له من الحوادث فإن رأسه دائماً هو الرأس اليقظ الذي لا يني عن التفكير

إذن ما بال هذا الرأس في بلدنا نائماً ؟ وما بال الناس لا يشعرون أن في مصر أدباً يتحرك ويتطور ، وأن فيها أدباء يعملون وينتجون ؟ ما يكاد يمضي شهر حتى تخرج المطابع كتباً في الشعر والنثر . وما يكاد يمر يوم حتى يجيئني البريد بكتاب جديد أو بديوان شعر جديد . كم من الأدباء الجدد والكتاب الناشئين يخرجون عندنا في كل عام أعمالاً جديرة بالكلام ؛ بل كم من الأدباء الناضجين ينشرون آراء خليقة بالمناقشة ؛ ولكن كل شيء يمر في فتور كأنها نسمات في مدينة الأموات . ما العلة ؟ العلة بسيطة . ما من أحد في هذا البلد يبدو عليه التحمس الملتهب لشئون الفكر والأدب . إن علة الفتور هي الأدباء أنفسهم . إنهم في ميدان الأدب أقل نشاطاً منهم في ميدان السياسة مثلاً . إنهم يكتبون في الأدب وكأنهم ناعسون . إن أقلامهم لا تثير في جو الفكر حراكا . وهنا الفرق بين أدبائنا وأدباء أوربا . إنهم هناك في يقظة أدبية ، ومن كان في يقظة استطاع أن يوقظ الآخرين .

توفيق الحكيم

ولعل من يلوم ابن الشارع على عمله يلومه لأنه يرى أن حكومة الدولة لم تدخر وسعاً في تعميم تلك « الرعاية » فأنشأت الملاجئ للمعوزين ، والمستعمرات الزراعية للأطفال المتشردين ، ثم منعت التسول ، ثم نظم صاحب السعادة محافظ العاصمة الشاذلي باشا ، بائعي الصحف (واليانصيب) بتمييزهم بقمصان زرقاء أو صفراء . . الخ

والواقع أن التدابير التي تتخذها حكومتنا في معالجة المسائل الاجتماعية ليست مبنية على أساس ، لأن الذي يحملها على ذلك إما التقليد غير الموفق ، أو التأثر الوقتي لأمر ما ، وغالباً تكون الدعاية الحزبية . ولن تأتي « تدابير » رعاية ابن الشارع بثمرة ما دامت الحكومة لا تأخذ بمبدإ التدخل في تنظيم الاستغلال والإشراف على الإنتاج العام .

وسيظل ابن الشارع غير مجزم في نظر نفسه ؛ وسيظل تضرر الغير به ما دام يباشر عمله ؛ وسيستمر هو في مباشرته حتماً حفظاً لوجوده وتلبية لغريزة حفظ البقاء .

محمد البهي

دكتوراه في الفلسفة وعلم النفس من جامعات ألمانيا

طريق علاج المشكلة

وبعد ... يا أيها الأغنياء ؟!

للأستاذ علي الطنطاوي

ألم يأن لكم أن تخشع قلوبكم ، وتلين أفئدتكم ؟ أقددت من حجر ؟ إن آيات (الزنات) البينات تلين الحجر ، فما لقلوبكم ما رقت ولا لانت ؟ ألا تكلفون نفوسكم تحريك أجفانكم وفتح عيونكم لتروا صرعى البؤس ، وضحايا الفاقة ، ماثلين لكم في كل سبيل ، فتأخذكم بهم رحمة الإنسان ، وتمرو قلوبكم لهم رقة المؤمن ؟ إني لأحاول أن أفهم كيف تزينون لأنفسكم حالكم ، وتبررون إهمالكم ، فلا أستطيع ... لا أستطيع أن أتخيل كيف يهنأ صاحب القصر بطعامه وشرابه ، وكيف يدلل صبيته ويضاحك عياله ، وعلى عتبة قصره ، وتحت شبابيكه ، صبية مثلهم براء ما جنوا ذنباً ، أطهار ما كسبت أيديهم جريرة ، يبكون من الجوع ويشتهون قطعة من الرغيف الذي يلقيه الغني لكلبه السمين ، يتمنون ويتمنى آباؤهم قرشاً من الجنيه الذي يرميه الغني في الهاوية الخضراء التي يسمونها (مائدة القمار) أو يذيبه في كأس السم التي يدعونها (الشمبانيا) ثم يخرج جنيهاً غيره بعد لحظة ليتبعه الأول ، ويتبع به عشرات ... يتمنون هذا القرش الواحد ليعيشوا به يوماً ، ويملأوا به بطونهم خبزاً ، فكيف تضنون على الإنسان المسكين بالقرش ، وتنفقون الألوف على الشيطان ، وعلى خراب الأبدان والأوطان والأديان ؟

إننا نقرأ في الصحف من أنباء أوربة وأميركة أن لأغنياء القوم مآثر وعطايا ، ولهم في كل مكرمة السهم الراجح والقدح المعلى ، ونسمع أن فيهم من يعطي العطية وهو مستتر مستحٍ لا يحب أن يدعى باسمه ، وإنما يتسمى من التواضع والحياء بـ (فاعل الخير) ... فما لأغنيائنا الذين يقلدونهم في عيوبهم ومثالبهم ، لا يتشبهون بهم في مزاياهم وفعالهم ؟ وما لأغنيائنا دون أهل الأرض قد اختصوا (بفضيلة ...) الترفع عن الفقراء ، والتعالي على أبناء هذه الأمة التي منها انحدروا وبفضلها عاشوا ، وإنكارها إنكاراً ظنوا معه أنهم من طينة غير طينتها ، وأن الله صنعهم من الأسمنت حين صنع البشر من الطين ، وأنهم أبناء ماء السماء والناس بنو (ماء الأرض ... ؟) .

أكانت علة ذلك أنهم شرقيون ، وكان السبب هذا الشرق الظلوم ، المتهم بكل نقيصة ؟

قد يقول ذلك المفتونون بالغرب من ضعاف الأحلام ومرضى العقول ، في حين أن الكرم والإيثار بضاعة شرقية ، من الشرق قد صدرت ... ولقد بلغ بالعرب حب الكرم مبلغ الإفراط ، وزاد حتى كاد ينقلب لومة يؤخذون بها ، فكيف يستقيم في المنطق (مع هذا) أن يكون هؤلاء الأغنياء بخلاء لأنهم شرقيون ، أو لأنهم عرب ؟ وهذه عادات العرب ، وهذا دينهم هو القانون الأوحد الذي يحل مشكلة الغني والفقير ، والذي يرد عن العالم هذا الوحش الكاسر الذي جاء يحتويه بين فكيه اللذين هما الشيوعية والفردية ، ويدعه أثراً من الآثار ، فكيف تظهر مشكلة الغني والفقير في البلد الذي يدين أهله بهذا الدين ؟

***

لا . ليست الشرقية علة هذه المشكلة ، ولكن العلة كفر هؤلاء القوم بالشرقية ودينها وعاداتها كفراً لا يصلح معه تنبيه ولا بيان ، وإنما يصلحه أن ينشأ أبناء هؤلاء الأغنياء الأشحة على الخير ، الأسخياء على الشر ، نشأة أخرى ينقلبون معها ناساً آخرين ، ولا يكون ذلك إلا بالمدارس والأدب . ولقد كان عندي في إحدى مدارس دمشق فصل (صف) فيه أبناء أفقر الفقراء ، وأبناء أغنى الأغنياء ، وكانوا في الفصل منفصلين ... كأنهم في معسكرين ، وكان هؤلاء يأتون إلى المدرسة بالسيارات ويوصلهم إلى بابها الخدم يحملون كتبهم كيلا تتعب بها أيديهم الناعمة ، ويدخلون الفصل مزهوين بثيابهم الجديدة ، وأولئك ينظرون محسورين ملوعين . فما زلت (والله) بهم أبين لهم أن الفضل بالعلم والخلق والجد لا بالمال والثياب والمظاهر ، وأضرب لهم الأمثلة بعمر وعلي وابن عبد العزيز ولنكولن والشيخ طاهر ، وأنزل بالأغنياء لأعلمهم فضيلة التواضع ، وأرتفع بأولئك لألقنهم فضيلة العزة ، حتى صار بنو الأغنياء يستحيون أن يأتوا بالسيارات ويتوارون حياء وخجلاً إذا جاءتهم عند منصرف التلاميذ لتحملهم إلى دورهم وقد كانوا لا يستحيون ولا يخجلون . وكانت النتيجة أن المعسكرين قد انقلبا إخواناً متصافين وظهر في كليهما تلاميذ نابغون ما كانوا لينبغوا أبداً لولا أن ألقوا من نفوسهم مذلة الفقر وكبرياء الغنى واستبدلوها بعزة الكرامة وعظمة التواضع !

فيا ليت أن المدرسين ينتبهون جميعاً إلى هذا الأمر فيسدون إلى الأمة يداً ويكسبون من الله أجراً ، فإنه لا شيء أشد على نفس الفقير من أن يتحكم فيه أو يسمو عليه ابن الغني . وأنا (قد) أحل برأيي من صلف الغني وأوهم نفسي أنه قد كسب ماله بيده وجده فحق له أن يستمتع بثمرته ، أما أن أرى الصلف من ابنه فلا ... فيا أيها الأغنياء لا تحملوا أبناءكم على رقاب الناس ، فإنكم لا تدرون كم عدواً تكسبون لهم ، وماذا تفسدون من طباعهم حين تأبون إلا أن تدللوهم هذا الدلال ، وترفعوا بهم إلى حيث تبلغ أيديكم وأموالكم ، وحين تمكنونهم من أولئك الذين ساقهم الفقر إليكم ، واضطرهم فكانوا لكم خولاً أو أجراء ، فيشمخون عليهم بآنافهم الصغيرة ويذيقونهم ألوان الأذى ، والطفل (في الطبع) لا يعرف الرحمة ، ولا يدرى ما العقل فكيف وهو ابن الغني قد ورث القسوة وتطبع عليها وقلد فيها أباه ؟ وإنا لنرى نحن المدرسين من ذلك العجب ... هذا تلميذ يأخذ كل يوم من أبيه ما يقيم أود أسرة من هذه الأسر الجائعة فلا ينفقه إلا في الشر ، والمال يذهب من حيث أتى ... رأيته يضن على رفيق له فقير بقرش يقرضه إياه قرضاً ليشترى به رغيفاً يتغدى به ، ويشترى بسبعة عشر قرشاً فرنسية (كاتو) يطعمها على مرأى منه لكلب له صغير مدلل يسوقه معه إلى باب المدرسة ثم يعود به الخادم في السيارة . وأبوه الغني يسمع بهذا فلا ينكره ولا يأباه . كأن الله قد خلق الناس بقلوب ، وخلق هؤلاء بجيوب ، فأبدلهم بالعواطف المال ، فهم لا يحسون ولا يشعرون ولا يدركون أن الله ما نقص من مال الفقير إلا ليتخذ له في الآخرة إن صبر ذخراً ، ولا زاد في مال الغني إلا لينظر أأعطى وشكر ، أم بخل واستكبر ، ثم لا يكون الغني إلا خازناً لهذا المال يحاسب به يوم القيامة فيشدد عليه الحساب . أفرأيت خازناً في مصرف أو شركة يظن أن المال ماله ، فيخالف فيه أمر أصحابه ، ويمنعه عمن هو حق لهم ؟

المال أيها الأغنياء مال الله فإن زاد لم يمكن إنفاقه إلا على الخلق (عيال الله) ، فأروني كيف تأكلون الذهب ، وتلبسون (البنكنوت) ، وتسكنون صناديق الحديد ؟ إن هي إلا معدة تملأ بما يقذف فيها والجوع لها خير إدام ، وجسد يستقر بما يلقى عليه والنظافة له أحسن حلية ، وبيت يكن من الحر والقر ، ولذائذ محللة ميسورة ، وما وراء هذا إلا أكل يفسد الهضم ، أو زنا يهد الجسم ، وخمر تحرق الأحشاء ، وبلايا معها بلايا أخرى من عذاب الضمير والنفلة وضياع الإيمان ، أو مآثر تنفع الناس ، وترضي الله ، ويجد صاحبها مكافأتها الاطمئنان والمجد في الدنيا ، والثواب من الله في الآخرة ، وهذه حكمة واحدة من حكم الله في الغنى والفقر لو تدبرتموها لفتحت آذانكم فسمعتم كلمة الحق ، وكشفت الغشاوة عن عيونكم فقرأتم في خلق الله وفي كتابه آيات الهدى ، ولكن اللذاذات قد شغلتكم يا أيها الأغنياء الأغبياء !

***

على أنه ليس أشد على الفقراء من منع الغني المترف صاحب الأطيان والتاجر وبخله وصلفه وتبذيره ... إلا الموظف الكبير الذي ينال وهو قاعد على كرسيه لا عمل له إلا تشريف أوراق الدولة بتوقيعه الكريم فينال الثمرة التي يتعب فيها الفلاحون ، يجدون ويشتغلون في وقدة الضحى تحت الشمس المسعرة ، وفي زمهرير الليل تحت النجوم التي ترتجف أشعتها من البرد ، ليقدموا لهذا الموظف الكبير ثمن سيارته التي يسوقها ابنه خلال الحقول تياهاً مستكبراً ، وقصره الذي يلوح بين بيوت القرية كالجبار العابس الباسر ، وثمن كأسه المحرمة ولذته المنكرة ، ويذهبون فيأكلون خبز الشعير وينامون على الحصير . هذا الموظف الذي لا يكفيه وحده ما يدفعه أربعون من صنار (المكلفين) تباع فرشهم من تحتهم وقدورهم وثيابهم لتؤدى من تحتها الضريبة . هذا الموظف يستعلي ويستكبر ويقبض يده عن الإحسان ويبسطها في سبيل السوء ، ويتشبه بأولئك الأغنياء الأغبياء وقد يسبقهم في ذلك أشواطاً ، ومن كان في شك مما أقول فليذهب إلى القرى والدساكر ...

ولسنا والله شيوعيين ولا رأينا الله ندعو إلى هذه اللعنة (الحمراء) ولا نؤلب الناس بعضهم على بعض ، ولكنا ندعو إلى (الشعور) الذي لا يكون الإنسان إلا به إنساناً ، والإحسان هو شعبة من شعب الدين الإسلامي . . . فمن اختار من الأغنياء وأرباب المرتبات الضخام ألا يكون إنساناً ولا مسلماً فليفعل !

على أن ما قلنا ليس إلا صدى لمقالات الأستاذ الزيات التي تتجاوب اليوم أصداؤها في البلاد العربية ، وفي الذي يقول الزيات بلاغ وزيادة .

« بغداد — الأعظمية » علي الطنطاوي

الفلسفة العصرية للحياة

١ - كيف ينبغي أن نعمل ؟

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

ترجمة الأستاذ صلاح الدين المنجد

هذه أولى خمس محاضرات ألقاها لثلاثة شهور خلت ، الكاتب الاجتماعي الكبير « أندريه موروا » عضو المجمع العلمي الفرنسي ، جلا فيها على القراء فن العمل ، والتفكير والحب ، والزعامة ؛ وبين في إحدى المحاضرات كيف نشق سعداء ناعمي البال ، إذا خلا الشباب واشتعل الرأس شيبا
وقد نقلنا هذه المحاضرات إلى العربية لما لاقته من إعجاب ، ولما فيها من آراء ذات شأن (المنجد)



هل علينا من حرج إن ذكرنا ما يقوله المعجم عن « العمل » فناقشناه وبينا النقص الذي فيه ؟ ... فإن حديثنا هذا ربما ملك علينا أمرنا فدفعنا إلى الإفاضة فيه . يقول المعجم : « العمل هو إنفاق جهد متعب لإتمام شيء » . ولكن هذا التعريف ناقص غير واف ، فلم يكون الجهد متعباً ؟ ... لندع المعجم إلى أربابه ولنضرب الأمثال : هذا صانع جرار يمد إلى قطعة من صلصال فيسويها شكلاً يريده ويرضاه ؛ وهذا حارث يشق الأرض ويذللها للزرع ، فلا تلبث أن تهتز وتنبت الخيرات . وهذا كاتب قصصي يخلق كائنات يخلع عليها من عبقريته وخياله جمالاً ، ثم ينفخ فيها من روحه سحراً ... مستمداً عناصرها من البيئة التي تحيط به فتملأ سمعه وبصره ، فيأتي بأثر رائع لا يفنيه الحدثان

فالعمل - كما أعتقد - هو تسليط قليل من التبديل والتحوير على العناصر التي نأخذها عن الطبيعة ؛ مما يجعلها أكثر فائدة وأشد جمالاً . وهو كذلك دراسة القوانين التي يخضع لها ذلك التبديل ، وتبيان حدوده ومداه

ولقد عرّف « باكون » العمل عند ما عرّف الفن ، فهو يقول : الفن هو الطبيعة مضافة إلى الرجل ؛ أي هو ما نأخذه من الطبيعة ، وما نضيف إليه من أشياء ، يظهر فيها أثر تفكيرنا وعبقريتنا . والحق أن كل عمل يجب أن يكون فنّاً

وسأذكر بادئ الأمر القوانين التي لها صلة بكل عمل ، ثم أفصل أحكام عمل الصانع اليدوي ، وعمل المرأة في منزلها ، والطالب في مدرسته ، والفنان في مصنعه ، والكاتب في مكتبه .

* * *

وعلى الرغم من وفرة الأعمال وتعددها ، فإن هناك قوانين تصلح لها كلها . فاختيار العمل الذي نجد في أنفسنا قدرة عليه وحباً له ، هو أول ما يجب أن نفكر فيه . فإن قوة المرء وذكاءه محدودان لا يتسمان إلا إلى مدى . والمرء الذي يريد أن يقوم بكل عمل لا يتقن شيئاً . ألا تنظرون إلى أولئك الذين أوتوا مواهب شتى ؟ يقول أحدهم : لو أني عانيت الموسيقى لحذقتها . ولو أني عالجت السياسة لسار ذكري واستفاضت شهرتي . فكل عمل هيّن لديّ . إنهم يكونون من هواة الموسيقى لا من غواتها ... ومن المفلسين في التجارة لا الرابحين منها ... ومن الفاشلين في السياسة لا الناجحين . لقد كان يقول نابليون : إن فن الحرب يوجب أن يكون المرء قوياً كأشد ما تكون القوة ، في مضمار واحد . وأنا أقول إن فن العيش يوجب أن يستهدف المرء في هذه الدنيا أمراً ، فلا يزال يوجه إليه قواه ، ويسخر له مواهبه حتى يظفر به . ولذا كان خطأ أن ندع للأقدار دائماً مصير عملنا في الحياة . فالحياة جهاد ونضال ، ومن لم يعدّ نفسه لها فقد باء بفشل عظيم ... يجب أن يسائل الرجل نفسه فيقول لها :

ترى أي عمل أستطيع أن أكون له كفؤاً ؟ . أنظر إلى ميولك ومواهبك ، ثم فكر طويلاً ، في نفسك ، وفي أبنائك ؛ فإذا كان لديك ولد ذو بأس شديد وقوة ، فأرسله إلى الجيش ، ودرّبه على الطيران ، لأنه لا يصلح لأن يكون رئيس ديوان .

فإذا اختار المرء مهنة رضي عنها ... فإنه واجد فيها أموراً لابد من أن ينتخب منها أمراً واحداً ، يرضاه نفسه ، ويقبله هواه . فالكاتب لا يستطيع أن يبدع الأقاصيص والروايات كلها ، والسياسي لا يستطيع إدارة الوزارات جميعها . . . والمسافر يعجز عن اجتياز الأرض من شمالها إلى جنوبها . ولابد لنا من أن نكون في بعض الأحايين صماً لما تهمس به أهواؤنا في خاطرنا ... فتسيطر على إرادتنا وتدفعنا إلى تنفيذ شيء . فكر طويلاً ، وقدّر كثيراً ، فلديك الوقت المتسع ، ولديك التفكير ، وكن كقائد الجند الذي يقضي على كل شغب بكلمة واحدة يلفظ بها أمام جنوده . . فيستمعون إليه وينفذون أمره . نفذ أمر إرادتك كما ينفذ الجند أمر قائدهم ، وقل لنفسك : ما عسى أن أصنع في عامي هذا ؟ . أأصلح للامتحان ؟ أأطوف في البلاد . . ؟ أأعمل في مصنع ؟ . . فكر طويلاً ، وناقش آراءك نقاشاً هادئاً في زمن محدد ؛ واجعل لنقاشك نتيجة ترجع إليها ، وتمضي في سبيلها ، فإن التردد قاتل ، والهوى مخيف

فإذا اطمأن الرجل إلى عمله ... فليتأت له ، وليضع حيال ناظريه ما يستهدفه في سيره البعيد وهو واثق بأنه سيبلغ القمة يوماً ، وإن عظم الجهد ، أو طالت الطريق ، لأن أول كل صغير كبير ...

لقد جاء « ليوتي » إلى مراكش ، فوجد بلاداً عاث فيها الساسة ، لا رئيس ولا ذخيرة ولا مال . ولو أن من أتي إليها كان غير « ليوتي » لدب الرعب في قلبه ، وسيطر اليأس على نفسه . ولكنه كان ليوتي العظيم . لقد بدأ بالمدن فجمع كلمها ، ووحّد صفوفها ، وسخرها لما يشاء بما يشاء . ثم انتقل إلى البادية ، فما زال يؤلف كلمة كل قبيلة ، ويسيطر على كل نزعة ، حتى بلغ ما أراد ... بعد أن جهد طويلاً وتعب كثيراً . إن الحصّاد لا يحصد سنابل القمح ... في الحقل ... بنظرة ، ولكن عوداً بعد عود . وإن منظفة الثياب لا تنزع الأوساخ عنها بلحظة ، ولكن ثوباً بعد ثوب ...

والعامل الحق لا يهمه شيء ، ولا يعرف الخيبة أو الفشل .. ويعلم أنه سيبلغ ما يريد إذا اختار عمله ، ثم قسمه ، ثم مضى فيه . . . وويل للجبان .. ! يخاف كل عمل ... فلا يعمل . أما الشجاع فهو الذي يستحق الحياة .. !

* * *

وأنا لا أعجب لشيء كعجبي لأولئك الذين يرسلون الشكوى من هذه الحياة وطولها . أنا أسألهم : هل يعيشون ثماني ساعات في اليوم ؟ هل يعملون فيها عملاً حقاً ؟ فإن الكاتب مهما كان هزيل القريحة إذا سوّد كل يوم صفحة واحدة يجد في أيام شيخوخته تراثاً عظيماً يجمله بين النابغين ، كبلزاك وفولتير

ولكن هل يكفي أن نجلس إلى المنضدة ؟ ألا يجب أن نخضع لنظام في عملنا ؟ فلا ندع عملاً قبل أن نفرغ منه ، لأن اللذة بالعمل تتزايد تزايداً هندسياً إذا لم ننقطع عنه ، وهذا الأمر حق عند الكاتب الذي يطلب وقتاً ينسى فيه العالم الخارجي ويتفرغ إلى أفكاره وآرائه ، وهو أيضاً حق عند الصانع أو الرئيس لكي يتقن العمل وينجو من شر المحيط

وخليق بالعامل أن يبتعد عن البيئة الخارجية إذ ابتدأ العمل ، لأن هناك طفيليين لا يفهمون عنه ولا يشفقون عليه ، فهم يتكلمون ويثرثرون ، ولا يفكرون في أنهم لو تركوا من يتكلمون معه ، لاستطاع القيام بعمل ذي شأن . فهؤلاء لا يزيدون المرء إلا ضراً . إنهم يسخرون منه ، ويستهزئون به ثم يدعونه متحسراً على ما فات ضاحكين .

بوركت يا غوته ! لقد أدركت الحقيقة منذ سنين وسنين . لقد قال : « يجب ألا تضيع وقتك مع أناس يأتون إليك دون أن تعلم . إنهم يفيدون منك علماً ثم يدعونك . إن هذه الزورات لا تفيد شيئاً . إنها تفسد عليك آراءك ، وتنقلك إلى عالمك الخارجي الذي هربت منه ، بعد أن أصطفيت منه صوراً جئت لتخلع عليها مسحة من عقلك فتجعلها آية للناس . أنا غني عن أفكارهم فعندي ما يكفيني » وليحدد طرائق العمل ، فإذا نظر فيما اختطه لنفسه بعد سنوات لقي كل شيء هيناً ، فيثق آنئذ بقدرته ويرضى عن سعيه فلا يتقاعس ، ولا يخلد إلى الراحة والهدوء . على أنه يجب أن نعلم الأشياء التي تطلب عملاً مباشراً كي نقوم بها ثم نتكل على خطتنا

ونمسي وراءها بملء قلوبنا . وليكن قلبك وعقلك متجهين دائماً نحو الهدف . فإذا أصبته يوماً استطعت أن ترجع على خطاك . تتلمس الطريق على هدى وتنظر إلى العقبات التي اعترضتك فتستمد من ذكرى ظفرك بها قوة لعملك القادم وأملاً لعيشك الجديد

إن النوابغ يدأبون بشغف على العمل . فلا يدعونه حتى يفرغوا منه ، ولا ينكبون على عمل آخر قبل أن يتموا الأول ، وتكون عقولهم متجهة نحو طريق واحدة كما يقول المثل الأميركي. وربما كان ذلك باعثاً على الضجر مسبباً للملل ، ولكن ما أهنأها ساعة يتغلب المرء فيها على العقبات ، ويصل إلى هدفه ظافراً !

* * *

فإذا أخترت لنفسك عملاً ، فإنك تختاره حسب ما تستطيع أن تقوم به قواك ، وتوصلك إليه مواهبك . ومن الخطل اتباع أمر لا نجح لك فيه . والفشل يشل القوى ويفقد النشاط . كان « غوته » ينصح للشعراء الشباب أن ينظموا قصائد قصاراً عوضاً عن ملحمة واحدة كبرى، لكيلا يفشلوا فييأسوا على مافاتهم. وكان صموئيل بوتلر يقول : « إذا أكلتم العنب ، فابدأوا بما ينضج من حبه » وجدير بالمرء في عمل صعب متشابك أن يجزئه إلى أقسام ، ثم يعمد إلى كل قسم فيتمه . فإذا كانت أمامك طريق صعبة طويلة تود أن تسلكها فقسمها إلى مراحل لأن من الصعب أن تمضي فيها وتصل إلى منتهاها في لحظات ، ثم اقطع كل يوم مرحلة . . فلا تلبث إلا قليلاً حتى تجد نفسك في غايتك ، دون أن تلغب نفسك أو تجهد جسمك . كن كالمصعّد في الجبل الآمل في بلوغ القمة ؛ إنه لا ينظر إليها دائماً لأنه منهمك في الخطوة التي سيخطوها . . . أما القمة فإن بعدها سحيق . . . يخيفه ويشل قواه إذا حدّق فيه . . فليمض رويداً . . وعسى بالعامل الدائب أن يصل إلى مبتغاه .

إن تدوين تاريخ لأمة من الأمم منذ أيامها الخاليات إلى أيامها الحاضرات لعمل صعب يخافه الناس ... لأنه يبدو من أعمال الجبابرة الذين سما مقامهم وعظمت قدرتهم . ولكنك إذا قسّمته إلى عصور وبحثت في كل عصر فإذا فرغت منه انتقلت إلى آخر غيره ، لم تلبث أن تجد يوماً عملك الضخم بين يديك فتقف متعجباً دهشاً . ثم يثبت القلب بعد التجاريب ، وتدب الحماسة في النفس ، ويستولي عليها الاطمئنان ؛ فإن الكاتب الذي آلف كذا وكذا من الكتب لا يصعب عليه إتمام كتاب بدأه . إنه يجبر كاجسر « مارتان دوكارد » و « دوهامل » و « جول رومان » و « لاكروتيل » على وضع عدد عظيم مما لا أستطيع معه صبراً ... »

وقال أيضاً : « إن الذي يتوق إلى الخلود ويود إخراج آيات فنية رائعة لجدير به ألا يدع هواه يسيطر على نفسه »

يقول الطفيليون لك : أين أنت ؟ إننا لا نراك ! تعال غداً لنلهو أو لنصيب طعاماً معاً ...! فقل لهم ولا تخش شيئاً لست بحاجة إلى لهوكم وغذائكم ... فدعوني وحيداً ...

وكان « غوته » لا يجالس أحداً إذا انغمس في الكتابة أو النظم ... فإذا جاء إليه رجل على الرغم من خادمه العجوز أرسل يديه إلى ظهره ولاذ بالصمت وتكلم بحاجبيه وعينيه ، فيمل الزائر منه . . ويدفعه هذا الصمت القاتل إلى الهرب . أما رسائله فكان ينتزع منها ما فيه فائدة وعلم ، ويرمي بالتي يطلب أصحابها منه شيئاً إلى النار ويقول : « ويحكم يا شباب هذا العصر ، إنكم لا تعرفون للوقت ثمناً ... »

يقول نفر من الناس: هذا غرور بالنفس واحتقار للزائرين . فكم رجال عظماء كانوا يجيبون على الرسائل! وكم طفيليين هم جديرون بالرحمة والعطف . ويغالي هذا النفر ... فيصم غوته بأنه رجل غير إنساني . ولكني أسألهم : هل يستطيع رجل غير إنساني أن يبدع لنا « فوست » الخالدة أو يخلق « ولهم مستر » الرائعة ؟ إن من يهمل أمزه ... يأكله الناس . . فيمضي دون أن يترك لنا أثراً نفيد منه ... والرجل الذي يحب العمل ، ويجد فيه لذة ومتعة ، ويقبل عليه بشوق وحماسة ... لا يريد إلا رجالاً على شاكلته . هو يساعد الناس ... ولكنه يفر من الحديث السخيف ، والثرثرة المخيفة . ولذا كان « غوته » ينصح أيضاً للأديب أن يهمل حوادث يومه التافهة ، إذا لم يكن فيها ما يغذي خياله أو يهيج نفسه . فلشد ما نكون أغبياء ، عندما نقضي ساعة من يومنا في الاستماع إلى أخبار الحرب القادمة ، وساعة في نتائجها ... وأخرى في أسبابها ... ولم نتقلد بعد كرسي الوزارة ، أو نحمل عصا القيادة ، أو نمسك بقلم الصحافة ... إننا ننسى إلى بلادنا ...

لأننا ننفق الأوقات فيما يضرنا ولا ينفعنا ، فحياتنا قصيرة ... وبلادنا ترنو إلينا

على أن هذا النظام الذي اتبعه « غوته » في عمله وخضع له ، هو نظام الإحساس الرهيف . ونحن لا نستطيع أن ندع أحاسيسنا تسيطر على أنفسنا ، فتعجزها عن العمل . أنظروا إلى العامل البائس الذي غدا إلى عمله ، وترك ابنه في داره ، يعالج الحمى ... فالفكر التي تملأ رأسه تنشى على سمعه وبصره ، فيخلد إلى الأحلام ... وتحف به الطيوف السود والأشباح المرعبة . وربما أمسك بالقلم ليخط رسالة ... ولكنه يبقى صامتاً حيران ... أمام ورقته البيضاء ... تفر منه الكلمات ... ويلتاث عليه الكلام

(دمشق) صلاح الدين المنجد

أعلام الأدب

يوربيـــدز

لغتـــه . فنه . وطنيـــاته

للأستاذ دريني خشبة

أعظم الآثار الفنية في عالم الآداب هي تلك التي لم يستطع أحد إلى اليوم نقلها من لغة إلى لغة ... فالقرآن مثلاً لا تعرف قيمته الفنية إلا في اللسان الذي نزل به ، وقد فشل الكثيرون في ترجمته ترجمة فنية سائغة تحتفظ ولو بالقليل جداً مما اختص به أسلوبه القوي البارع المسبوك المتين من بلاغة واتزان وموسيقى وشدة أسر ... وكذلك الإلياذة والأوديسة والأنيد وفردوس ملتون ... إنه لا توجد لهـذه الآيات الأدبية الفنية البارعة ترجمات تعادلها فيما امتازت به من خصائص لغاتها التي ألفت بها ، فما تستطيع الترجمة إلا أن تشوه جمال الأصل وتمسخه مسخاً ... ومثل هذا يقال في درامات يوربيدز ، فإنه لم يستطع أحد ممن نقلوها إلى لغاتهم أن يحافظ على روح الشاعر العظيم وقوة بيانه . وهذا شلي أحد عباقرة الشعراء الإنجليز وأحد المعجبين بيوربيدز والمتمكنين في اللغة اليونانية القديمة ... لقد أحصى له النقاد أخطاء كثيرة في ترجمته درامة السيكلوبس . ثم غدوا له ضروباً من الشطط ابتعد بها عن الشاعر العظيم ... ولقد كان شلي معذوراً من غير شك ، فلقد بلغ يوربيدز الذروة بالبيان الأتيكي واللغة الأتيكية .

وقد كان مثل أبي الطيب في الشعر العربي ، ارتفع ثم ارتفع ، فلما مات لم يخلق الله له نداً يحلم برتبته في الشعر والحكمة . هـذا ولقد أوتي يوربيدز أضعاف ما أوتيه أبو الطيب من قوة الأسلوب وعمق التفكير ، لا في بيت ، أو مقطوعة ، أو قصيدة ، أو مرثية أو مدحة ، وإنما في درامة طويلة فيها حوار وفيها خطاب وفيها غناء وفيها بكاء وفيها تدبير وفيها تصوير لحادثة متشعبة ، هي كالكائن الحي ، يملأ المسرح ، ويملأ الآذان ، ويملأ الأبصار ، ويملأ القلوب

انتهت الدرامة بعد يوربيدز في تاريخ الأدب اليوناني . . هكذا يقول المؤرخون ... وهم يقصدون الدرامة العالية ذات الفن الرفيع ... وقد عاش يوربيدز يؤلف للمسرح قرابة خمسين سنة ، ومع ذلك فقد عاش غريباً في قومه ، بغيضاً إلى غالبيتهم المغيظة المحنقة لشدة ما ثار بتقاليدها وسخر من أفهامها ... فلما مات ... أخذ يعيش بأدبه العالي من جديد ، وأخذ يخلب القلوب ويسحر الألباب بدراماته التي نيفت على التسعين ، والتي ظلت تمثل بعد موته ستمائة سنة أو تزيد ، والتي ظلت تشغل النحويين واللغويين من علماء الأمم المختلفة في اليونان وفي رومة وفي بزنطة إلى ما قبل ألف سـنة من الزمان . . . فما نجد لغوياً من مؤلفي المعاجم إلا وهو يستشهد به في أكثر ما يستشهد على صحة كلمة أو سلامة تعبير على نحو ما يستشهد مؤلفو القواميس عندنا بأشعار الجاهلية والقرآن الكريم

ومع هذه المرتبة الرفيعة في اللغة فلم يستحدث يوربيدز شيئاً ذا بال من وجهة الفن المسرحي ، بل هو قد أخذ ما استحدثه سوفوكليس دون أن يغير منه شيئاً . ويبدو أن اشتغاله بالفكرة العميقة واستعراض الآراء السيكلوجية التي استحدثها في أكثر دراماته ، والتي لم يعرفها تاريخ المسرح قبله ، ثم استعراض الآراء الفلسفية التي طبعها فيه أساتذته ، وأصدقاؤه السفسطائيون ، ثم عنايته الشديدة بالصوغ الشعري ، وتجويد أغاني الخورس ، كل ذلك حال بينه وبين التجديد المسرحي الفني ، أو ما يعنون به (تكتيك) المسرح من وجهة الشكل لا من وجهة الموضوع .

على أن ليوربيدز مع ذلك خصائص ميزته من أقرانه ،

ومن أهمها تلك المقدمات الطويلة الطلية الاستهلالية التي يهيء بها الأذهان لمشكلته الدرامية والتي يقصها بلسان شبح كما في (هكيوبا) أو بلسان إله كما في (هيبوليتس) أو بلسان أحد أشخاص الدرامة كما في (هيلينا) ... الخ ...

وليس يعترض على ذلك بأنه لم يتبع تلك السبيل في (إفجنيا أوليس) لأنه لم يكمل هـذه الدرامة كما أسلفنا بل أكملها غيره، وربما بدلها غيره أيضاً.

ومن ذلك أنه كان يحل عقدته الدرامية في اللحظة الأخيرة بظهور شبح أو إله أو سر دنبوة، فيظهرها كان مطوياً عن الأفهام، وهو ما يسميه نقاد الآداب الكلاسيكية Deûs-ex-Mâchinâ أو (إله من الآلة) أو تسخير إله لغرض درامي كما تُسخَّر الآلة. وكان أرسطو يكره ذلك في درامات يوريبيدز، وإن كان سقراط من قبله لا يرى في ذلك ما يعاب به الشاعر — والحقيقة التي اتفق عليها نقاده، وفي مقدمتهم الدكتور فيرال[1] (Dr. Verrall) إن هذا هو أشق عيوب يوريبيدز بالإضافة إلى طول جواره الذي يجعله إلى الخطب الرنانة أقرب منه إلى الحوار المسرحي، فقد يطول ما يلقيه الممثل الواحد في القالة الواحـدة عن صفحتين أو ثلاث، وهذا ما كان يسخط أرسطو، وما يزال يسخط مترجمي يوريبيدز.

هذا، وينبغي ألا ننسى له براعة تنقله بالنظارة من المشهد إلى الآخر وما يثيره فيهم من الشغف والشوق والتشوف لما بعد... ثم ينبغي كذلك أن نذكر أن أجمل الأغاني — ولا سيما أغاني الحب — هي ما نظم يوريبيدز

أما ما يعيبه بعض النقاد على الكورس في دراماته وعدم قيامه بما جعل الخورس له في سائر الدرامات اليونانية من وصل للحوادث وتمهيد لما يجيء بعد ثم شرح لبعض الوقائع الطويلة التي لا يتيسر تشخيصها على المسرح، فهو قول مردود لأن الذي صنعه يوريبيدز وحصر به مهمة الخورس للموسيقى والغناء هو سمو منه بوظيفة الخورس، واختفاء ظلال خلابة من لذة الألم في المشاهد الشجية وجمال الانعاظ في مشاهد الغير، وتذوق الجمال في المشاهد المنتزعة من صميم الطبيعة .. وعلى هذا فقد قصر يوريبيدز خورسه على إلهاب الشعور وإذكاء الحس بالموسيقى التي تتفق وكل مشهد من الشاهد، والغناء الذي لا يجيء (نشازاً!) كما نشهد في بعض دراماتنا العصرية

وطنيات يوريبيدز

لم يتأثر شاعر يوناني بروح بركليس كما تأثر به يوريبيدز، ولم يبد هذا الروح واضحاً جلياً في أدب شاعر كما بدا واضحاً جلياً في كثير من دراماته .. لقد سمعه يخطب قبيل حرب البلوبونيز الأولى وهو يشيد بمناقب أثينا وما حملته من قسط عظيم في تاريخ اليونان حينما حررت شعوبها من ربقة الفرس وتعرضت وحدها للدمار والحريق حتى إذا ظفرت بعدوها وطهرت منه البر والبحر عادت تنشئ لجميع الشعوب الهيلانيـة حضارة رفيعة قوامها الديمقراطية والفن والأدب والفلسفة ... ثم قال بركليس كلمته الخالدة التي أوردها في تلك الخطبة: «لم لا تحدق الشعوب والقبائل اليونانية كعصبة من العشاق المناميد حول أثينا؟» ثم ذكر ما لأثينا من الفضل في التعريف بالفضيلة ونقلها من حيز النظريات إلى عالم الدولة ومعائش الشعب وسياسته العليا، وقد خاض يوريبيدز معظم حروب البلوبونيز (بين أثينا وأسبرطة) وكان حب الوطن يعمر فؤاده بالإيمان، وكان يحزن أشد الحزن لهذه المجازر التي تنشب لأسباب تافهة بين شعبين شقيقين وإن تكن الحرب في الحقيقة بين ديمقراطية أثينا وأتوقراطية أسبارطة ... وقد كان يوريبيدز من أنصار السلام آخر الأمر وإن يكن قد ظل جندياً من سن الثامنة عشرة حين اعتبر رسمياً (إفيبوس) أي شاباً لائقاً للجندية إلى أن بلغ الستين ... وقد أثار عليه ميله للسلام حفائظ مواطنيه، تلك الحفائظ التي منها ما عرفنا من ثورته على تقاليد السلف وما كان يتناول به النساء في دراماته من تحليل، ودفاعه السيكولوجي عن الزناة والقتلة وجنايات المأفوكين، وما سنعرفه عنه في هذا الفصل من سخريته بالآلهة وتجديفه في دين الإغريق ورمى أرباب الأولمب بأقبح التهم وأفتك سهام التجريح ... لكن يوريبيدز مع ذلك كان يحب أثينا لأنه كان لا ينسى إذ هو طفل والأثينيون ينقلون إلى سلاميس العجائز من الرجال والنساء والأطفال — وهو منهم إذ ذاك — والفرس البرابرة يحرقون القرى والمعابد على الشاطئ فتندلع ألسن النيران لتكتب في صفحة

(١) في كتابه النفذ Euripides The Rationalist

التاريخ وقائع هذه الحرب بحروف من نار ... لم يكن يوريبيدز ينسى هذا المنظر الفظيع، ولم يكن يبرح ذهنه بعد إذ شب أن أثينا الضعيفة الديمقراطية قد انتصرت على فارس القوية المستبدة، وأن الأثينيين القليلين الجياع قد انتصروا ذلك النصر لأنهم كانوا غير معتدين على أحد ولا طامعين في ملك أحد ... ولأنهم «أحرار أيها الملك، ولكنهم غير أحرار في عمل أي شيء، لأن لهم سيداً واحداً يخضع له الجميع يدعونه القانون!» كما قال أحد الأسبرطيين لعاهل الفرس أجزرسيس[1] وهو يسأله لماذا لا تفر هذه الحفنة القليلة من الناس أمام عسكره اللجب الكثير!

هكذا أحب يوريبيدز وطنه أثينا الذي أشاد به في كثير من دراماته. وهكذا أحب يوريبيدز الديمقراطية، لكنه سخط على الديمقراطية جميعاً حينما ثار وطنه عليه مع أنه من أعظم أسباب رفعته، وحينما رأى الديمقراطية ترفع الأوشاب وتكوّن منهم زعماء الشعب فيتحكمون في السادة الأخيار من رجال الذهن والخلاصة الصالحة من نجباء الأمة ثم يظل هؤلاء الأوشاب محترفي سياسة، وموضع تقديس الرعاع والدهماء، والويل كل الويل لمن يجرؤ أن يتقدم بكلمة ولو كانت كلمة الحق، أو أن يرسل فيهم لساناً ولو كان لسان الصدق ...

من وطنيات في ميديا

حينما لقي جاسون زوجته ميديا بعد إذ كشفت سره دار بينهما حديث طويل فيه مرارة وفيه ثورة وفيه جائحة من السباب والشتائم والتعيير صبتها ميديا على رأس جاسون الذي خدعها وغدر بها ولم يذكر ما صنعت في سبيله ولم يجزها جميلاً بجميل:

جاسون[2] : ... كيف تزعمين يا امرأة أنني لم أجزك على ما قدمت إليّ من جميل؟ لقد أخذت أضعاف أضعاف ما أعطيت! لقد نقلتك من أرض البربرية الخبيثة الحمئة إلى فراديس اليونان الفياحة، حيث عرفت لأول مرة جمال العدالة، وبهرك سلطان القانون فأقلعت إلى حين عن وسائلك الوحشية ... وها قد ذاعت حكمتك بين جميع الإغريق، ولو ثلبثت بين عشيرتك لما عرفك ولما أحس بوجودك أحد، بل لم يجر ذكرك على لسان!!

ومن هذه المقالة نفسها في ذم النساء:

« إنك لا تذلينني هذا الذل إلا لأن نفسك مقروحة من غريمك، ولكن هذا دأبكن جميعاً يا بنات حواء، إذا طابت أهواؤكن في أكناف أزواجكن فقد تمت نعماؤكن، فإن لفح مهاد الزوجية لافح من سوء حظكن فقد تبدلت الحال غير الحال وانقلب كل ما كان خيراً فأصبح شراً مستطيراً ... كم كان خيراً للإنسان أن يستطيع النسل بطريقة أخرى غير طريقة النساء!! ثم ما كان أجمل ألا يخلق جنسكن؟! إذن ما حاق بنا شر ولا عرف وجه الأرض موبقة من الموبقات!! »

ومن أغاني الخورس في تمجيد أثينا ص ٩٧ نقتطف هذه السطور:

«يا أبطال شعب إركتيوس! يا أنسال الآلهة .. يامن يطعمون ثمار الحكمة[1] الناضجة، وينشقون ألطف أنفاس النسيم، وينعمون أبداً بالسماء الصافية، ويضربون في تلك الدروب المأهولة حيث كانت عرائس بييريا ترطب أرواح الآباء بطهر المسرة وتلقن آلهة الألحان كيف تتغنى قصتها الأولى»

والسطران الأخيران من الفقرة الثانية من ذلك الخورس نفسه:

يخطر الحب في مهرجان الحكمة في ناديك، وتدل كل فضيلة وتختال حين تؤثرها آلهة الجمال برعايتها التي تنميها وتشيع فيها الجمال!»

أطفال هرقل

عند ما مات البطل العظيم هرقل (هركيولز) استبد ملك آرجوس بزوجه وأطفاله، وظل يسقيهم من الهوان ألواناً حتى اضطروا إلى الفرار مع راعيهم يولوس ... وقد رفضت جميع الممالك اليونانية إيواءهم خوفاً من بطش ملك آرجوس حتى ينتهي بهم المطاف إلى المدينة الحرة أثينا فيعطف عليهم ملكها الشجاع الذي يوبخ قائد الأرجيف الذي جاء يقص أثرهم ويعود بهم إلى آجوس... ويثور القائد ويهدد بإعلان الحرب على أثينا في الحال إن لم يسلم ملكها (ديموفون) الفارين من الأرجيف. لكن الملك يثبت كالصخر وينهر القائد، لأنه لا يخاف الحرب من أجل المحافظة على الكبرياء الوطنية، ولأن الذي يلوذ بأثينا فإنه آمن، لأنه يلوذ بالمدينة الحرة

(١) هيرودوتس — ٧ — ص ١٠٤

(٢) ترجمة المقتطفات وتلخيص الدرامات عن طبعة دانت وميديا من ترجمة وودهل ج ٢ ص ٨٦

(١) في الأصل اليوناني Sophia التي اشتق منها اسم السوفسطائيين وتعني الحكمة أو الفضيلة

القائد كريبوس : إذن يهرع الأشرار من كل مكان ليلوذوا بأثينا ؟

ديموفون : هذا الهيكل[1] حل لكل لاجيء !

القائد : سيرى أولو الأمر في مسينا غير ما ترى ؟

الملك : أولست ملك هذه البلاد إذن ؟

القائد : فلا تجر على رؤسهم الويل بسوء عملك !

الملك : أفأنت تعد ما أرفض من استباحة هيا كل الآلهة سوء عمل ؟

القائد : لست أحب لك أن تجازف بحرب ضد الأرجيف !

الملك : أنا قرينك فى محبتى للسلم وتعاقى به ، لكنى مع ذاك لن أخيب رجاء هؤلاء المساكين !

القائد : بيد أننى مكلف بالقبض على من هم منا !

الملك : إذن فلا تحسب أنك مستطيع العودة إلى آرجوس بسهولة ...

القائد : سأجرب لأعلم ما وراء التجربة !

الملك : إذا خيل لك أنك قادر عليهم فستندم على مجرد مَسّهم !

ويستمر الحوار على تلك الوتيرة ثم يمضى القائد ثائراً مرعداً وتعلن الحرب ! والدرامة تكبر من أساليب الديمقراطية فى الحكم وتسفه الوسائل الاستبدادية فيه

وفى درامة (نسوة متضرعات) التى تدور حوادثها على توسل نساء الأرجيف لدى قادة أتيكا فى رد جثث أبنائهن قتلى الحرب بين أثينا وآرجوس ، منظر وطنى رائع بين قائد طيبة وملك أثينا ... فإن القائد يدخل متقحما سائلاً : « من الحاكم بأمره[2] فى هذه البلاد ؟ » . فيصحح له الملك خطأه ويجيبه : « ليس هنا حاكم بأمره يا صاح ... إن هذه لمدينة حرة ... وإذا قلت مدينة حرة فإنى أعنى أن كلاً من أفراد الشعب يأخذ فى دَوْره بنصيب فى المُلك ، وليس للأغنياء عندنا من دون الفقراء امتيازات مّا ! »

وليوريبيدز درامات وطنية مفقودة نظمها قبيل حرب البلوبونيز الأولى أو عقبها يطول بنا البحث إذا تناولناها هنا فنكتفى بالإشارة إليها ، وبحسبنا أن نذكر منها درامات إيجيوس ، وثيذيوس ، ، وإرختيوس

دريني خشبة

(١) للنظر فى هيكل زيوس فى الفورم عند مراثون (دانت ـ وودهل ـ ج ٢ ص ٣٧١)

(٢) الكلمة تيرانوس ومعناها الملك المستبد

الحـــاجة

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضـــلة « الزهرة »

أيتها الحاجة التى طالما حسبتها عدوتى الكاشحة ، أنت أيتها السيدة الجافية ذات المحيا الشتيم المكفهر لقد أصبحتُ أعرفُ جيداً الآن وقد عزَّ اللقاء بيننا ، أنك كنت لى صديقة عزيزة ، بريئة مما رميتك به من اللائمة منزهة عما عرضته لك بالنكير . . .

حقّاً إن أفضل ما قمت به من الأعمال وأبرع جولات خيالى المجنّح ، قد كانت من فيض وَحْيك

وقد أهابَ بى صوتُك القوى الحازم ، إلى ركوب ظهور العوائق ، وتخطى رقاب الموانع ، كما أقدمَ بي تحضيضك ، على حسن السعىّ وشحذَ عزيمتى على الجدّ والكفاح

وأغرانى بأن أضرب للحياة جأشاً ، وأثبت للوجود عقداً

ولولا ما كنتِ تنفحينه فىّ من روحك لخمدتْ تلك الجذوة المحتدمة فى طين نفسى

ولولا مهمازك الحادّ الذى لم يدعنى ألوى عنانَ السير عن عقلة، أو أنكل لحظة عن خُطة، لما عرفتُ مدى قوتى وحددت جهد طاقتى

ولولا سيادتك القاصرة على حياتى وما ألجأتنى إليه مراراً من، حمل الأعباء ، والنهوض بالبزلاء ، والتسامى عن آفاق اليأس والقنوط لما اهتديتُ إلى منجم الكنوز الدفين فى غيابات نفسى

ولئن كانت قد تفرقتْ سبلنا ، وتشعبت طرقنا ، واختلفت متجهاتنا ، وبعدت نوانا ، وانشقت عصانا اليوم

ولئن لم يتح لى أن ألقاك ثانية ، إلى أن يقطع بى السبب ويضحو ظلى وتُطوى صحيفتى ، فإنى أريد أن أضفر لك من هذه الأزاهير الشذية إكليلاً أزين به مفرقك ، لكى تتعرف القلوبُ الأخرى إليك وتجد فيك أبرّ صديقة

الزهرة

عود إلى التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ عبد الرحمن شكري

قلت إن الشاعر أو الناثر لا يُحكمُ عليه ولا يقال إنه متفائل أو متشائم بما يقوله في حالات نفسه العارضة المتغيرة ، لأن كل نفس تفيض بالسرور والأمل تارة ، وتنقبض بالحزن تارة ، والنفس التي لا تستطيع إلا السرور في موطن الحزن إنما هي كالأبله الذي لا يستطيع إلا الضحك ، وحالة هذا ليست فضيلة ولا قوة. وقد يتاجر بعض تجار الأدب باسم التفاؤل ، وإنما تفاؤلهم سلعة مغشوشة وعملة زائفة يريدون أن يربحوا بها الحمد والثناء ، وأن يغروا بها الناس ؛ وهذا التفاؤل أيضاً ليس فضيلة في النفس ، بل هو نقيض الفضيلة ، وإنما يُحكمُ على القائل بما يقوله في وصف أمله في الحياة ، وحثه إلى المثل العليا ، وما يقوله في تمجيد جهود الناس فيها كما في قصيدة : (أبناء الشمال) أو (شهداء الإنسانية) أو (إلى المجهول) أو (الباحث) أو (قوة الفكر) أو (القصر الذهبي) أو (الحق والحسن) أو (النشوء والارتقاء).

ويُحكمُ عليه أيضاً حكماً صادقاً إذا نظر الناقد فيما قاله القائل في وصف محاسن الحياة والأرض والكون ؛ فإذا استطاع أن يُجمِّلَ الحياة بقدرة فنه على وصف آيات الكون والطبيعة ، لم يستطع الناقد أن يقول إن التشاؤم غالب عليه ، ولا أدري كيف يستطيع ناقد أن يقول هذا القول إذا قرأ لي وصف محاسن (الصحراء)... حتى الصحراء تجد فيها النفس ، وفي مظاهرها المختلفة محاسن . . . وقصيدة : (البحر). وقد نشرت في الرسالة أيضاً وفيها وصف تلون البحر وتغير مناظره ووصف جزره :

ومن جزر مثل الجنان مضيئة ... كأن جهلتها الصائلات الدوائر

ووصف (عيون الندى) :

فليس عيون الغيد أشملها الصبى ... بأحسن في لألائها حين تعطف

ووصف الربيع في قصيدة (الفصول) :

أهواكِ يا روح الربيع فهيّئي ... جسماً كجسم الغيد في لألائه

ووصف النهر المترقرق في قصيدة (على بحر موريس) :

عهدته في صيفه لؤلؤاً ... لو أنّ للؤلؤ سيلا يسيل

ووصف مناظر الغابة وأصواتها التي تحكي جميع شجون النفس في قصيدة : (الغابة) . أما وصف : (شريعة الغابة) من فتك في آخر القصيدة ، فهذا ليس من التشاؤم . بل هو تحليل لصفات النفوس يدل عليه تقاتل الآحاد والأمم في العالم ، ويعترف بصدقه كل إنسان ما عدا الإنسان الذي لا يستطيع إلا الضحك دائماً ، وما عدا الإنسان الذي يتخذ الباطل في وصف النفس تجارة ربح ويسميها التفاؤل . ووصف مظاهر الضوء ومباهجه ومحاسنه في قصيدة : (الضوء) دليل آخر على التفاؤل الصحيح غير المزيف :

أو مثل فجر الآمال إنّ لها ... فجراً وليلاً يُضاء بالذكر

كأنك أنتَ نسمٌ لعلا ... ء النفس تسمو لآية العُمر

تُخالُ من رقة المراسم مع ... نى لا يراه البصير بالبصر

والساخر الذي يستطيع بالرغم من سخره أن يقول كما قلت في قصيدة (سؤر العيش) :

والسخر مرآةُ إبليس التي نصبت ... إن تُبصر الحق فيها عاد كذّابا

فيجعل السخر مرآة الباطل ومرآة إبليس في بعض الأحايين لا يكون التشاؤم غالباً عليه ، والذي يستطيع أن يصف سحر : (ضحكات الأطفال) كما استطعت في قلبه نور الأمل لأن الأطفال هم أمل الحياة :

ضحكة منك صوتها صوت تغري ... د العصافير تستلين القلوبا

ضحكة ردت المشيب شبابا ... وأماتت من الوجوه الشحوبا

ضحكات كأنها كلمات الـ ... له تمحو مآثماً وذنوبا

إلى آخر القصيدة . وقد قلت في وصف أثر مظاهر الجمال في قصيدة (قبس الحسن) :

يا شمس حسن حياتنا ثمرٌ ... ينضج في ضوء حسنك الثمر

على أن الحسن في الأحياء والأشياء ذوق ورمز ومعنى واصطلاح تخلقه النفوس . ومن أجل ذلك كانت سعادة المرء في نفسه كما قلت في قصيدة : (طائر السعادة) :

ومن لم يجد في نفسه ذخر عيشه ... فليس له بين الأنام نصير

وكره الإنسان للعيش هو من حبه للعيش كما في هذه القصيدة أيضاً :

قلى العيش حب العيش قد شط رغده ... كما يُبغضُ المهجور وهو أسير

كمن يبغض الحسناء يقلي دلالها ... وفي الصدر منه لوعة وزفير

وقلت في وصف أثر النفس في النفس في قصيدة : (النعمان ويوم بؤسه) وكيف أن الوفاء في أحد الناس جعله يلغي يوم بؤسه ويقول:

ألا علّلاني يا خليليّ أنتما ... على العيش بالإحسان والصدق والندى

وأعترف حتى فى قصيدة : (ثورة النفس) بما فى النفس البشرية من حسن :

تريدين أن الجسم يغدو كأنما ... يضىء به منك الضياء المحجب

وفى جمال فجر النهار وفجر العمر من قصيدة (فجر الشباب) :

وكان للفجر قلب خافق أبداً ... من الحياة وجه كله لطف

وفى إضاءة الحياة بالجد والعمل والأمل فى قصيدة (العظيم فى قوله) :

رأيت حياة المرء فى نفع قومه ... ولا خير فى كنز إذا كان خافياً

وما نصيب المصباح إلا لضوئه ... وإن كان فى أحشائه الدهن فانياً

وفى حب الشعراء للحياة من قصيدة (الشاعر وجمال الحياة) :

نحن كالنحل لا نحب من الزهـ ... ـر سوى كل غضـة مطلولة

وفى وصف محاسن الأرض والطبيعة :

وكأنما نسج الإله جنانها ... شرك النهى وحبالة الأهواء

وفى أشد القصائد حزناً كما فى قصيدة (بين الحياة والموت) وهى من شعر الحالات العارضة أقول فى وصف العيش :

ولكنه كالخمر تحلو لشارب ... وإن سلبت منه النهى والسرائر

وفى النسيب اعتراف قصيدة بجمال الحياة بالرغم من مرارة تجاربها :

وأنت جميل كالحياة محبب ... وإن كنت مثل العيش مر التجارب

وفى قصيدة (حكمة التجارب) قلت فى عزاء التجارب :

خذ بنصحى فقد حييت كثيراً ... ولو أنى لم أمض عمراً طويلا

عشت فى كل ساعة أبد الدهـ ... ـر وعالجت نضرة وذبولا

ومنتى الحياة بالحلو والـ ... ـمر فطوراً رغداً وطوراً وبيلا

ورفعت الستار عن خدعة العيـ ... ـش وقهقهت وانتحبت عويلا

وصحبت الحياة فى حالتيها ... وخبرت القنوط والتأميلا

إلى أن قلت :

ورأينا الحياة من كل وجه ... وعشقنا كالهما المستحيلا

ورجعنا إلى الحقائق حتى ... لم نعد نطلب المحال بديلا

فهذا ليس من التشاؤم بل هو ما يناله المرء من حكمة الحياة وهو لم يمنع من وصف آمال الإنسانية كما فى القصائد التى ذكرت فى أول المقال . وقصيدة (الحسن مرآة الطبيعة) على ما بها من ذكر الموت فى آخرها جمعت مظاهر الحسن ومنها :

أنت مرآة ما يجىء به الكو ... ن من الحسن بكرة وأصيلا

فأرى فى الصباح منك ضياء ... وأرى فى المساء منك ذبولا

وأرى منك فى الخريف شبيهاً ... ثمراً يانعاً وزهراً جميلا

وما أذكر الموت فى آخرها إلا أنه يدعو إلى محاسن الحياة والتزود منها . وقد وصفت أثر تفاعل الكون والنفس فى قصيدة (الشعر والطبيعة) ومنها :

إذا غنت الأطيار فى الأيك صدحها ... تغنت لأشجان الفؤاد طيور

وللريح هبات وللنفس مثلها ... تغنى رخاء فيهما ودبور

ترى فى سماء النفس ما فى سمائنا ... ونبصر فيها البدر وهو منير

إذا كنت فى روض فقلبى طائر ... يغنى على أفنانه ويطير

وإن كنت فوق البحر فالقلب موجة ... تسرب فى أمواجه وتسير

وإن كنت فوق الشم فالقلب نسرها ... وللنسر فى شم الجبال وكور

وفى قصيدة (الشاعر المحتضر) يتعلل بأنه قبل موته جمّل الحياة بفنه :

وجمّلت الحياة بنظم شعر ... شبيه الضوء فى الأفق الأغر

وقد جعلنا مثل هذا القول علالة لأن بين الأدباء من يتعلل به وإن كنا لسنا فى حاجة إلى مثل هذه العلالة ولا نأبى لضياع عمل عمر بأكمله

وفى قصيدة (خواطر الحياة) أثناء التألم أستطيع أن أقول :

والسخط غربال جاهد قصد الـ ... ـسيل كأن الآتى مردود

أى أن حوادث الدهر لا تدفع بالسخط والحزن كما أن السيل لا يرد بغربال

وفى قصيدة (كعبة النفس) جعلت الرجاء من الإيمان والعبادة :

أيا كعبة الآمال ذات المحارم ... مكانك من قلبى كمحراب صائم

فلا تأخذونى بالرجاء فإنما ... رجائى إيمان النفوس الحوائم

وفى قصيدة (بيت اليأس) جعلت الحزن ترياقاً يقى من الحزن كما أن القليل من السم قد يقى من السم :

كشارب السم كى يصادى ... من علة سمه صريحاً

ووردت هذا المعنى فى قصيدة (عدوى الحياة) وذكرت أن معضل الجرائم وقاية منها :

كما يتداوى بمصل عليـ ... ـل وفى المصل من بعض ما تبرح(1)

وفى (عصير الحياة) جعلت لذتها وأنغام فنونها من آلام تجاربها :

أسى على ساعات عمرى واطئاً ... كالكرم يعصره الجناة فيخمر

وأحيلها نغماً يروق سماعه ... وأعيدها شعراً يلذ ويسكر

(1) تبرح : أهلكه

وقلت إن دجن السماء مثل حزن النفس قد يكون لذة وذلك فى قصيدة (يوم مطير) فانظر كيف تستخرج النفس اللذة والأمل من الحزن والسحاب :

ثقيل على القلب البهيج عبوسه   ولكنه قد يسحر القلب كاربُهْ
كذلك بعض الحزن للنفس شائقا   تعاقره فى نشوة وتقاربُهْ

وهل تفاؤل أعظم من تفاؤلى فى البيت الآتى من قصيدة (عجائب الحياة) :

وأبنى صلاح الكون والناس مثلما   مضى فى بناء عاملٌ وأجير

وقد جعلت حتى تعلل المتملل بذكر الموت مظهراً من مظاهر حب الحياة :

وما عَـلَّلَتْ نفس الفتى بمَنِيّةٍ   ستطوى هموم العيش طى الدساكر
سوى رغبةٍ فى العيش يرهب صرفه   فيعدو على البؤسى بذكرى النوابر

والتلذذ بوصف مظاهر الأمل وأحاسيسه فى قصيدة (السكون بعد النغم) يدل على التفاؤل ومنها فى وصف الاحساس بالسكون بعد النغم :

كسكوت اللهيب فوجىء بالبشـ   ـرى ويخشى من حسنها أن تخيبا
أوسكوت الشباب فى حُلُم الآ   مال من قبل أن تعانى المشيبا
أو سكوت الأم الرءوم حنانا   وابنها نائم وقته الخطوبا
حلمت حلمها بما سوف يسعى   فى مساعيه جيئة وذهوبا
من ثمار الحياة يختار أحلا   ها له نعمة وسعدا وطيبا

وقد جعلت الأمل بهجة العمران فى قصيدة (الأمل) :

أيا بهجة العمران لولاك لم يكن   فلا شيد البانى ولو كدّ كادحُ

وهى قصيدة طويلة كلها فى مباهج الأمل ولذاته ومحاسنه، وأحاسيسه وفى قصيدة (شهداء الإنسانية) جعلت النعمة فى الحياة مستخرجة من الشقاء

وكم من نعمة لولا شقاءٌ   قديماً لم تكن إلا وبالا
فكم خبر الأوائل من شقاء   فنلنا من شقائهمُ نوالا

وقد ذكرنا فى هذه المقالات وغيرها أسماء قصائد عديدة جداً لا هى من شعر التشاؤم، ولا من المذهب الطبيعى الإنجليزى، والشعر العربى ليس فى حاجة إلى مذاهب أو مسميات جديدة. وإذا لم يكتف حضرة الناقد الفاضل بهذه القصائد والشواهد ذكرنا له غيرها ونعتقد أنه حسن النية فى قوله، فعسى أن تكون عقيدتنا فيه صوابا. ونكرر للأستاذ الدكتور أننا طبنا نفساً عما قدمنا من عمل، ولا يهمنا أفنى أم بقى ، ولكن الذى يهمنا ألا يتخذ وسيلة للنيل منا حتى ولو كان ذلك عن حسن نية .

عبد الرحمن شكرى

من ذكريات لندن

دعاية ...

للأستاذ عمر الدسوقي

في العراق شباب ملء يومه ملء غده ، يتقد حماساً لوطنه وعروبته ، ويدأب ليل نهار في الدعاية لنفسه وقوميته ؛ عرفته فعرفت الثورة الملتهبة المتأججة ، والنفوس الطامحة المتوثبة ، نفض عنه غبار القرون ، واستيقظ فالتفتت الدنيا ليقظته ، ثم زأر فارتاعت الأفلاك من زأرته ؛ أينا حل فمعمعة ونضال ، أو ضجة وجدال .

وفد على مصر منذ عشرة أعوام أول بعث من فتية العراق ، ليطفئوا صدى نفوسهم من كوثر العلم ، وينشروا بين أبناء الكنانة فكرة جليلة سامية ، تشبعت بها نفوسهم ، وامتزجت دماؤهم ، وتراءت لهم في الحلم عزة وقوة ، وفي اليقظة عظمة وفتوة ؛ ولكن راعهم أنا بنهضتهم جاهلون ، وعن دعوتهم معرضون

دعوا للوحدة العربية ، فألفوا قلوباً غلفاً وآذاناً صماء وعقولاً سيطرت عليها فكرة الفرعونية ، وبلبلتها السياسة المصرية ؛ فلم ينكصوا على أعقابهم ، أو يقنطوا من نجاحهم ، بل طفقوا يبددون دياجير هذا الجهل ، ويعرفون أبناء النيل بلاد تعجب بهم ، وتعلم عنهم أكثر مما يعلمون عن أنفسهم ، ويرسلونها صيحة من فؤاد مؤمن بما يدعو إليه ، موقن بأن هناك من سيستجيب له : أن تعالوا إلى كلمة تجمع شملنا المبدد ، وتعيد إلى الحياة مجدنا الغابر ، وتحلنا بين الأمم مكاناً علياً ، يبث في قلوبهم الهيبة والرهبة ، ويبدو شجى في حلوق الطامعين ، وقذى في عيون المستعمرين ، ويحبط كيدهم ويبطل إفكهم ؛ فينشدون ودنا بدلاً من عدائنا ، وحلفنا عوضاً عن استعمارنا

لبى نداءهم من فطن إلى ما انطوت عليه جوانح المستبد الغاصب ورأى في تلك النزعات الإقليمية هوة سيتردى فيها أبناء العروبة وهم في غفلة ساهون ؛ فما البربرية ، والفرعونية ، والفينيقية ، والآشورية ، إلا شباك نصبها الطامع الشره ليحول بيننا وبين الوحدة المنشودة التي يخشى أن تزلزل الأرض تحت قدميه ، وتضع السيف والنار أمام عينيه ، إن عاد إلى ما ألف من عبثه بهذه الديار وذويها

أو لم يمزق أوصال الشام ، وقد مرت عليها العصور وهي لا تعرف من دواعي الفرقة شبحاً ، وهي تلك الصخرة الشماء من العزة والإباء ، تنحسر عنها أواذي الكائدين كليلة خائبة ؟

عز عليه وقد خرج من معمعان الحرب نشوان بحميا الظفر أن يرى ديار العروبة تتحفز للوثوب ، وتجمع للنهوض ؛ فعاجلها بضربة خالها قاضية ، وفرقها أيادي ، حتى لا تطمع في قوة أو تأمل في عزة ، وحتى لا تعيد على مسرح التاريخ تلك الأنفة والحمية والأيد والجلد والاستهتار بالموت ، في سبيل الكرامة والشرف والعقيدة ، أيام أن حشدت أوربا جموعها وشنتها حرباً شعواء على هذه الديار باسم الدين ، فأصبحت العراق في قبضته ، ومصر في حوزته ، والشام أشلاء ممزقة . فما فلسطين وسوريا ، ولبنان ، وجبل العلويين ، وجبل الدروز ، والأسكندرونه ، إلا أعضاء جسد واحد كان من قبل رمزاً للجد والنشاط والشهامة ؛ وأخذت طرابلس الغرب تسير وئيداً في سبيل الفناء ، وأحال تونس والجزائر بلاداً لا هي شرقية ولا غربية ، فسخت مسخاً ، وتبلبلت ألسنة بنيها برطانة لا هي فرنسية فتفهم ، ولا هي عربية فيفخروا بها ، وعمد إلى مراكش فكاد للاسلام والعروبة كيداً ، وحاول أن يهدم هذا الدين بعرف قد عفت عليه القرون لا يصلح لحضارة ولا يبعث رقياً

فطن من لبى نداء هؤلاء الفتية الأخيار إلى كل هذا ، وإلى أن ذلك التراث المجيد قد كان بالأمس منبعاً للنور والمجد والرحمة والإنسانية ، يفيض على الدنيا وقد جللتها سحب الجهل والظلم ، وإلى أن هذه البلاد على تباين أسمائها تلهج بلغة واحدة ، وتعتز بتاريخ واحد اشتركت فيه في البأساء والضراء ، وتشعر بشعور واحد ، وتنحدر من أصل واحد

وإذا لم تكن اللغة أداة التعبير ورمز التفكير ووسيلة تصوير الشعور والوجدان ، عاملاً من عوامل الوحدة وتأليف الأفئدة ، فماذا يكون ؟

وإذا لم يكن التاريخ والأدب والدم ، صلات وثيقة ، توحد بين الصفوف ، والأهداف والغايات ، فماذا يكون ؟ أسسوا جمعية صغيرة متواضعة تدعو إلى ذلك الغرض النبيل السامي ، وتعمل

في إخلاص على توثيق عرى المودة بين أبناء العروبة في مصر ، فانضوى تحت لوائها شباب طاهر برئ من نزعات الأحزاب القديمة وحزازاتها الشخصية

ولكن ما لبث أن سعى إليها الشيوخ يريدون أن يسخروها لأهوائهم ، وطفق هؤلاء يستهوونها بالمال ، وهؤلاء يمنونها بالتأييد ، وهي بين ذلك تلقى من السخرية والتهكم ما يضعضع العزائم الثاقبة ، ويثبط الهمم الصارمة .

يا طالما كنت أعتذر لهؤلاء الرفاق عما يبديه بنو جلدتي من جفوة وإعراض ، وأقول : إنهم متى فرغوا من صراع العدو الغاصب ، ونفضوا أيديهم من نزاله ، فسيمدون إليكم الأيدى طواعية ، وستتفتح قلوبهم لدعوتكم الرشيدة ، إن راموا عزاً ومجداً لهم ولبلادهم ؛ فلا تهنوا ولا تحزنوا ، وثابروا على جهادكم ، فإن جلائل الأمور لا تنجز بين طرفة عين وانتباهتها .

غادرت مصر ، ونزلت مدينة « إكستر » ، ووفد علينا جماعة من العراقيين يطلبون العلم بجامعتها فقلت : ها ... إن الميدان قد تحول من ضفاف النيل إلى ربوع انجلترا ، ولكن وا أسفاه ! ، قد استمرأ هؤلاء الفتية حياة اللهو والدعة ، فإذا دعوتهم إلى الجد وضعوا أصابعهم في آذانهم وأصروا واستكبروا استكباراً

ثم رحلت إلى لندن ، ووجدت فيها نخبة طيبة من أبناء العراق وفلسطين ، قد اتخذوا الجد قبلة يولون إليها وجوههم صباح مساء ، وحرصوا كل الحرص على أن يملأوا كنائنهم لا بسهام محطمة من الخزعبلات والدنايا ، ولكن بالثقافة العالية والدراسة المجدية ؛ حتى يكونوا في ساحة الجهاد أولى قوة وبأس شديد ، وحتى يحطموا عن شرقنا المسكين هذه الأغلال التي كبلته ، وعاقته عن النهوض والرقى زمناً طويلاً ؛ وحتى ينازلوا الجهل بالحكمة ، والأفن بالعقل ، والميول النابية والأحقاد المزمنة والأغراض الحقيرة ، بالصرامة الحازمة والعقيدة الجازمة

أجمعوا أمرهم على تأليف جمعية عربية في لندن ، تبث تلك الدعوة الصالحة بين شباب العرب ، وتقرب بين آمالهم وأهدافهم فإذا ما تشربتها قلوبهم ، واطمأنت إليها ألبابهم ، كانوا رسل الوحدة العربية في ديارهم ، وتعرف الإنجليز بنا ، وبحضارتنا ، ونهضتنا . ثم بدا لهم أن يكونوا كذلك لفلسطين جنوداً على ضفاف التاميز يهبونها من حرارة إيمانهم ، وثمار عقولهم ، ما شاء لهم حبهم الطاهر لبلادهم ، وقصدهم النبيل في إسعادها .

لليهود في انجلترا سطوة وقوة ، وتجارة واسعة عريضة نامية ، ودعاية سديدة منظمة ، ينفقون عليها الأموال الطائلة ؛ ولهم في دار النيابة خطباؤهم أمراء البيان ، يذودون عنهم بكل ما أوتوا من قوة وفصاحة [1] .

وأنى لنا ، ونحن شباب لا تظاهرنا حكومة ، أو يشجعنا ثرى ، أو تشد أزرنا سفارة ، بمباراتهم في الدعاية التي آمن بها الإنجليز عامتهم وخاصتهم لكثرة ترددها على أسماعهم ، اللهم إلا ذاك النفر القليل الذين ساحوا في البلاد العربية ، وفقهوا سر شكواها وكنه مصابها . ولقد وجدنا في هؤلاء نصيراً شد عضدنا ، وسدد خطانا ، وبذل في سبيل قضيتنا الوقت والمال عن سماحة وطيب نفس

أخذنا ندبج المقالات الضافية ، تنطق بالحقائق الناصعة ، ونذيعها تارة بالخطابة ، وأخرى بالكتابة ، على الرغم من إيصاد الصحف أبوابها دوننا . وقد مهد لنا السبيل لمناقشة فريق من أعضاء المجلس النيابي . فكان منهم من يرى رأينا ويشد أزرنا ، ومنهم من يشيح بعطفه ويزور جانباً

لم نقصر دعوتنا على طبقة دون أخرى من الناس ، بل جلنا جولات صادقات في كل مجتمع وندى ، وهتفنا باسم فلسطين العربية ما أتيحت لنا الفرصة

جاءت وفود العرب تترى لحضور حفلات التتويج ، يقدمهم أمراء العرب الأمجاد ، فقلنا : لن يجتمع في هذه البقاع من أبناء العروبة جمع مثل هذا يحميه ويؤيده ويزينه سلائل الملوك الصيد من أبناء عدنان وقحطان ... !

فلنصرخ صرخة مدوية تخترق شغاف هذه الأفئدة التي أغواها الصهيونيون ، ولتكن زأرة الأسد ريع حماه ، لحمتها الشمم ، وسداها الإباء ؛ لا عويل الذليل العاني يسترحم القلوب بالنحيب والبكاء . . .

---

(١) يقرب عدد اليهود في انجلترا من نصف مليون ، ولهم في البرلمان نحو عشرين نائباً ، ولهم نفوذ قوى على الصحف البريطانية ماعدا « التيمس » ويهيمنون على أكبر الشركات هناك كشركة « شل » ، وشركة الفنادق وغيرها ، ويحتلون أعظم المناصب في الجامعات ، ويحتكرون دور السينما والملاهي .

رغب صحبي في أن يقيموا حفلاً يجتمع فيه بأمرائنا الأخيار ، فنؤدي واجب التكريم والتبجيل ، ونعلن لهم عزم الشباب على الفناء في سبيل العروبة واتحاد القوى ؛ ورأوا أن ما بأيديهم من المال قليل ، فغضوا الطرف عن دعوة ذوي الرأي والجاه في إنجلترا ، وكنت أرى أن نمد الدعوة إلى رجال الصحافة وكبار القوم ، حتى يروا رأي العين جمعنا الباهر، واتحادنا المتين، وحتى تصل كلماتنا إلى قلوبهم لنلها تلين . وهبت زوبعة من الجدال والنقاش كادت تعوقنا عن بلوغ هذا الشرف الرفيع ، لولا أن شد أزري صديق كريم (١) وتعهدت وإياه أن نقوم بسداد ما يزيد من النفقات إذا لم تهز الأريحية أفئدة أمرائنا الغر الميامين ذوي السماحة والندى ، فيهبوا للحمية من نفحاتهم ما يعز مقامها، ويعلي منارتها . .

وكان حفلاً لم تشهد لندن نظيره من قبل روعة وبهاء وعظمة ورواء بل كان حفلاً فريداً قل أن يجود التاريخ بمثله . وكيف لا . . . وقد شرفه أمراء العرب ، وتلاقوا فيه لأول مرة جميعاً ملبين نداء الشباب ، ومنافحين عن فلسطين الشهيدة .

كبُتَ به من خال أن اتفاق العرب محال ، لشدة تنافرهم وتحاسدهم ، وتباين أهوائهم ومطامعهم ، بيد أن عزمات الشباب تذلل الصعاب وتحقق الرغاب

وقرعت دعوتنا أسماع من طالما صدفوا عنها ، وفتحت الصحف لنا أبوابها بعد أن أطنبت في وصف ذلك المشهد الفخم وهذه الظاهرة العربية الجليلة الوقورة

وقد حقق أمراؤنا الأبطال آمالنا ، فما إن سمعوا نداءنا حتى جاشت في قلوبهم حميًّا النخوة والكرامة ، ففاهوا بكلمات تفصح عن نفوس عامرة ، وأفئدة ملؤها النبل والإباء ، وقالوا : إن بلاد فلسطين ومحنتها تقض منا المضاجع ، وتحز القلوب حزناً ، وإن خروجها من المحنة سليمة مستقلة ظافرة لأمل نضعه نصب أعيننا وصلاة نرتلها صباح مساء ، فثقوا بنا وبجهادنا والله يرعانا ويرعاها

وغمرت عطاياهم جمعيتنا الفتية ، فأصبحت في الجهاد أثبت قدماً ، وأشد بأساً ، وأعلى صوتاً ، حتى ضاق بها الصهيونيون ذرعاً ، فما قام منهم خطيب ينفث في الناس سمومه وتخرصاته ، إلا وجدنا أمامه نبطل كيده وندحض باطله

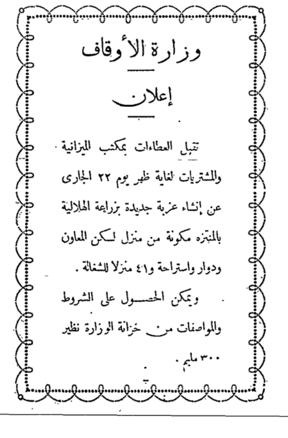
وعدت ذات مساء إلى داري ، فرأيت ربة الدار محزونة مكتئبة فسألتها : ما بالها ؟ فقالت :

— جاء اليوم فتيان من أبناء صهيون ، ينم حديثهما عن خبث طوية ولؤم حاد ، وطلبا إلي أن أسدي لك النصيحة بالحسنى عن لسانيهما ، وأناشدك الله وأهلك وغربتك إلا أقلعت وصحبك عن مناوأة جهادهم ، وإن أبيت إلا اللجاج والعناد ، فلهما معك يوم له ما بعده

ثم قالت : إني أخشى عليك هؤلاء القوم ، إذ لا تؤمن لهم غائلة ، ولا يتعففون عن دنيــة ؛ وما كان لي أن أزج بنفسي في خاصة أمورك لولا أنك نزيل داري ؛ وأنا لهؤلاء الصهيونيين مبغضة وعليهم حانقة

فقلت : شكراً لك ــ سيدتي ــ هذا العطف الجم ، والشعور الكريم ، ولا عليك من هؤلاء فلن يضيرني منهم شيء ، وسنرى .

عمر الدسوقي



وزارة الأوقاف

إعلان

تقبل العطاءات بمكتب الميزانية والمشتريات لغاية ظهر يوم ٢٢ الجاري عن إنشاء عزبة جديدة بزراعة الهلالية بالمنزه مكونة من منزل لسكن المعاون ودوار واستراحة و٤١ منزلا للشغالة .

ويمكن الحصــول على الشروط والمواصفات من خزانة الوزارة نظير ٣٠٠ مليم .

---

(١) هو الأستاذ طارق العسكري نجل المرحوم جعفر باشا العسكري، وأشهد أنه من خيرة شباب العراق وأشدهم وطنية وإخلاصاً

تأملات وتفكرات

شارلي شابلن العبقري

في الخمسين من عمره!

[مهداة إلى السيدة ا . ش]

للأستاذ زكي طليمات

سرعان ما تجرى الأيام وتمر السنون!

يرتقى شارلي شابلن علم الأعلام في دنيا السينما أول درجات العقد السادس بعد أن سلخ من عمره خمسين عاماً

بلغ شارلي هذه السن ونال كل ما تتوق إليه النفس من الجاه ونباهة الذكر وقلائد الذهب وأكاليل الغار، إلا أنه بقي محروماً من دفء الجنان وراحة العيش في ظل امرأة صالحة، لأن الحظ السعيد الذي واتاه في كل شيء أبى أن يواتيه في النساء

والنساء في حياة الفنان المرهف الحس القوي الطبع. عنصر لا غنى عنه في استكمال السعادة المنشودة

ومع هذا فإن شارلي قد تزوج ثلاث مرات إلا أن كل زواج منها كان ينتهي دائماً بالخيبة! —

تدخل المرأة في حياة شارلي فينطوي عليها وتغدو نصفه الثاني ويتفانى فيها كما تتفانى فيه وقتاً من الزمن، وينفخ العبقري الفنان في النصف الجديد أنفاساً من روحه الخلاق فتغدو شيئاً وينبه لها ذكر، ويعلو لها شأن، وتسود الألفة بينهما بما يستجلب عليهما حسد الحاسدين ثم ...

ثم يأخذ النفور بعد ذلك يدب بينهما فتخمد الجذوة المتقدة في قلب الزوجة المعجبة بزوجها، وتنتهب الزوج آلام الخيبة والجحود، وينتهي الأمر بينهما بالطلاق!

عجيب هذا الأمر، وأعجب منه وقوعه مع رجل دمث موفور الحظ من اللباقة والظرف، عرك الحياة، وعرف طباع الناس!

اختلفت الآراء في تفسير هذه الظاهرة، وانبرى الكتاب يفسرونها حسب أهوائهم، ولم يتورع بعضهم عن اتهام العبقري الممثل بشذوذ في الطبع وبخرق في الرأي وإن لم ينكروا عليه لطف المعاشرة ولين الجانب وبسط اليد

ألا إن المتأمل في حياة شارلي، الفاحص عن أمر طبعه ومنزعه بما يطالعه له من آثار وحيه على الشاشة البيضاء، يرى غير ذلك إذا توخى الإنصاف والدقة، وتعمق في استكناه ما وراء وحي هذا العبقري الممثل

إن شارلي عبقري فنان. والفنان الحق خلاق، والخلاق من طبعه البذل والتضحية والإسراف في الجهاد

تعود شارلي أن يصدر عن كل هذا في عمله، مؤلفاً كان أو ممثلاً أو زوجاً

ومن كان هذا شأنه فإنه يتطلب الكثير من الناس، ولا يقنع بالغذاء العادي الذي تقدمه المرأة من عطفها وحنانها. هذا والفنان الصادق أثر يحب نفسه وهو لا يشعر، فهو يميل إلى الاستئثار بكل ما يعمر قلب المرأة التي يهبها قلبه، وينزع إلى سوء الظن بما يلقاه من تقصير أو فتور غير متعمد، ويعده جحوداً ونكران جميل ...

وهكذا كان شارلي شابلن يتطلب من زوجاته أن يعطينه مثل ما يعطيهن.

هذه هي العلة، وهذه هي غلطة شارلي شابلن مع النساء. أو بالأحرى هي غلطة كل فنان خلاق كبير القلب دافق الروح، شاعراً كان أو ممثلاً، أو مصوراً، بل لعلها هي غلطة كل كريم نفس يسرف في بذل حبه وكريم عواطفه لإحدى بنات حواء.

ونخرج من هذه المأساة العاطفية بشيء واحد، وهو أنه واجب على الرجل ألا يؤمل كثيراً فيما عسى أن تمنحه المرأة إياه وأن يقنع منها بظرف المعاملة، ببسماتها الوردية، وبلمسات شعرها العطر، وبومضات جسدها الشاب المضيء. إن لم يفعل ذلك

– وواجب عليه أن يفعل – فإنه لا يجنى من حياته العاطفية سوى أشواك الجحود والخيبة .

أما ذو القلب الكبير والروح الخلاق ، الصادى الذى لا تروى غلته جرعات من الماء فخير له ألا يبحث عن السعادة فى ظل امرأة .

لم يكن غريباً بعد هذا أن نلمح فى ابتسامات شارلى أفواه الجروح ، وأن نسمع فى صدى ضحكاته أنات العويل . إن المسكين يضحك خشية أن يسترسل فى بكاء .

ولا عزاء للمسكين فى محنته هذه ، وفى عزلته . لقد تجاوز السن التى تجعله مرموق الحسان . إن ابن الخمسين لا يصلح إلا أن يكون ملجأ لمنكودات الحظ فى الحب أو فى الزواج أو طالبات العيش الهادئ فى كنف الرجل كان ما كانت سنه ، أو العوانس اللواتى يكابرن الدهر والدهر يتطاول عليهن ، أو النوانى من قانصات المال والجاه العريض ، وهـذا الصنف من المخادعات إذا قابلن رجلاً فى منحدر العمر ، همسن فى أذنه أنهن لا يحببن الشباب لنزقه وتيهه ، ولكنهن يعشقن الشيوخ لرجاحة عقولهم وفيض حنانهم

وشارلى العبقرى الفنان ، ابن الخمسين ، لا يجهل ذلك . ولهـذا فقد قدر عليه أن يعيش محاطاً بكل لذائذ الحياة ، من مال وجاه وفخار إلا لذة المجوع إلى صدر امرأة يخفق قلبها بحب خالص له . قدر عليه أن يكابد مرارة الحرمان الدائم ، وقسوة الوحدة ، وحمى الظمأ الذى لا يرويه ماء

وهذا كله فدية الروح الخلاق والطموح الذى لا يتطامن ، وهذا أيضاً فدية المجد الذى علقه شاباً ورجلاً وكهلاً .

زكى طليمات

العالم يتطلع إلى حدودنا المصرية

أربعون يوما في الصحراء الغربية

للأستاذ عبد الله حبيب

- ٣ -

تحدث المحرر في المقالين السابقين عن بعض مشاهداته في الصحراء الغربية فوصف سحر الصحراء، وأتى في كلمات وجيزة على ذكر كثير من عادات العرب وصفاتهم، وتحدث عن حكامها ودون عنها معلومات عامة طريفة. وهو في هذا المقال يتحدث إلى القراء عن ساحل الصحراء الغربية وهطول الأمطار وبموارد المياه على الساحل وسكة مريوط الحديدية وسكان الساحل وقبائل الصحراء الغربية حديثاً شائقاً طريفاً

ساحل الصحراء الغربية

يمتد القسم الساحلي من الصحراء الغربية — وليس له اسم معين معروف — من الشمال الغربي للدلتا من الإسكندرية شرقاً إلى السلوم غرباً؛ ويبلغ طوله نحو ٥٠٠ كيلو متر

وقد أطلق عليه القرطاجنيون اسم «ساحل ليبيا» وورد ذكره في كتابات هيرودوت عند وصف رحلات الفينيقيين والقرطاجنيين إذ وصف سكان هذا القسم بما لا يخرج عن حالتهم في الوقت الحاضر وطرق معيشتهم بعد الفتح الإسلامي. قال: إنهم يرتدون ملابس اللوبيين، وتضع النساء خلاخيل في أرجلهن ويرسلن شعورهن تنمو وتطول؛ ومن عاداتهم أن للزواج وقتاً معيناً، وهو عندهم عيد عظيم، إذ تحضر القبائل — عند افتتاح موسمه — أجمل الفتيات الراغبات في الزواج فيقفن أمام ملكهم ليختار لنفسه منهن زوجة جديدة قبل أي مخلوق آخر

ولكن هذا الشعب قد انقرض الآن واندمج في القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي، وأصبح سكان هذا الإقليم من العرب قبائل أولاد علي

والقسم الساحلي هو شريط رفيع من الأرض المتموجة الصالحة للزراعة. ويتراوح عرضه من الساحل جنوباً بين ٢٠ و ٥٠ كيلو متر، ويتسع من جهة الشرق — العامرية — ثم يأخذ في الضيق عند ما يتجه غرباً، وينتهي تقريباً عند السلوم حيث تقترب هضبة ليبيا الكبرى من الشاطئ وتدخل في مياه البحر



منظر لجانب من ساحل الصحراء الغربية بالقرب من الخزانات الرومانية

أما أسماء التلال ورؤوس الخلجان فلها تاريخ أثري قديم، ولا يزال العربان يعثرون على آثار ذات قيمة وخاصة من العصر الروماني. ونذكر من أسماء هذه التلال بعضها وهي: رأس الكنائس (وكانت تعرف برأس حروموم)؛ ومرسى مطروح وكانت تعرف برانيوم؛ وميناء النجيلة وكانت تعرف بجازيس، وميناء جرجوب وكانت تعرف بأبيس، والسلوم وكانت تعرف بيارانومس، ورأس الملح في طرابلس وكانت تعرف بأردينس، وميناء البردى وكانت تعرف بيترامجنا

هطول الأمطار

تعد مسألة هطول الأمطار في هذا الإقليم من المسائل العجيبة حقاً، فبينا يهطل المطر بغزارة في مكان ما، إذ تراه ينحبس عن مكان آخر قريب من الأول جداً؛ غير أنه يهطل بحالة دائمة في مناطق معلومة مبعثرة على الشاطئ يعرفها العرب أنفسهم؛ ويستمر من ثلاثة أشهر إلى أربعة في السنة؛ تبدأ من أكتوبر أو نوفبر وتنتهي في شهر إبريل؛ وفي بعض الأحيان يهطل المطر مرة واحدة وذلك في شهر مايو، ويسميه العرب «مطر البطيخ»

ويعد نزول الأمطار في الواحات كواحة سيوه مثلاً من الأمور النادرة؛ وإذا استمر سقوطها قليلاً سبب هدم منازل الواحة المصنوعة من «الجالوص» وقد حدث ذلك في سنة ١٩١٩ م؛ وكذلك في شهر إبريل سنة ١٩٣٧ م؛ واستمر هطول الأمطار

يومين كاملين ؛ فأوقع ضرراً بالمنازل وهدمها ، وبقى السكان هناك مدة بلا مأوى

موارد المياه على الساحل

تنتشر فى المنطقة الساحلية خزانات المياه الرومانية ، وهى محفورة فى الصخر بنظام هندسى عجيب يمنع تسرب المياه منها ، وتبقى فيها لمدة سنين ، وكان الرومان يستعملونها قديماً ولا يزال العربان يستعملونها إلى الآن ؛ وبعض هذه الخزانات كبير الحجم يتسع فى بعض الأحيان لآلاف من الأطنان تكفى لأعوام طويلة كالخزانات الموجودة فى العامرية ومطروح والسلوم ؛ وتهتم الحكومة بتنظيف هذه الخزانات وإصلاحها وطلائها بالأسمنت ؛ وتوجد المياه كذلك فى بعض آبار « جامات » على الشاطئ ويسميها العرب « بالثوانى » وهى أكثر ما توجد فى المناطق الرملية

وتوجد الدواوير والزوايا بكثرة حول المناطق الغنية بالمياه وخاصة ما كان منها قريباً إلى الشاطئ . ويزرع السكان حولها الزيتون والتين والعنب وبعض أصناف الخضر

سكة مريوط الحديدية

هى إحدى منشئات الخديو السابق ، وكانت تمتد قديماً إلى بلدة فوكه على بعد ١٢٠ كيلو من الإسكندرية . ثم نزعت قضبانها فى أثناء الحرب العظمى سنة ١٩١٦ لأغراض حربية وانتهت عند بلدة الضبعة على بعد ١٠٢ ميل من الإسكندرية

أما الآن فقد تم مدها إلى مرسى مطروح أى إلى مسافة ٣١٢ كيلو متراً من الإسكندرية ولهذه السكة تاريخ غريب : فقد كان الخديو السابق يزمع مدها إلى السلوم على حدود مصر ـ طرابلس ، أى نحو ٥١٤ كيلو متراً من الإسكندرية . وكان غرضه من ذلك أن تقرب السفر إلى أوربا يومين ، وكان يرمى إلى مد فرع آخر منها من مرسى مطروح إلى سيوة أى مسافة ٣٠٠ كيلو متراً أخرى وذلك لنقل محصول البلح والفواكه واستغلال أملاكه الكثيرة التى يملكها فى هذه الواحة . ويتضح لمن ينعم النظر فى هذا المشروع أنه لا يأتى بالفائدة المرجوة منه ولا يسد تكاليفه الباهظة . ولقد أدى ذلك إلى تدخل المعتمد البريطانى فى أمره وشرائه باسم الحكومة المصرية تفادياً من استخدامه لأغراض حربية

سكان الساحل

يقطن المنطقة الساحلية قبائل من العربان الرحل تعرف بقبائل أولاد على . وكلهم من البدو الذين يعيشون عيشة غير مستقرة فيزرعون الشعير والحنطة على الأمطار ويشتغلون فى وقت الجفاف بنقل حاصلات بلح الواحات إلى الساحل ويعودون بالحبوب والسكر والشاى وسائر الحاجيات إلى الواحات ثانية



نساء من العرب أولاد على

والبدوى بطبيعته يفضل السير فى الدروب المطروقة الظاهرة للوصول إلى مقصده ، وهو لا يفكر فى اختراق أرض مجهولة . ولكن إذا اتفق أن أمطرت السماء وغمرت بعض الأراضى ونبتت فيها المرعى فسرعان ما يتجه إليها البدو من كل الجهات لترعى مواشيهم ؛ ورعاية الماشية تتطلب السير فى مختلف أراضى المنطقة ، وبهذه الوسيلة يسير البدوى فيها فيتعرف على دقائقها جيداً . وللعربى خاصية حفظ الأشياء والمناظر الطبيعية والعلامات الأرضية فهى تنطبع فى ذهنه لأول وهلة . على أن هذه الخاصية لا تتوفر لجميع البدو ، بل هى تتوافر عند قليلين منهم يعرفون بالأدلاء . وللدليل البدوى مهارة عجيبة مدهشة فى تعرف الطرق وسهولة ارتيادها وتمييز الجبال والتلال والقدرة على السير ليلاً فى أشد الليالى حلكة وظلاماً

قبائل الصحراء الغربية

يسكن صحراء ليبيا من النيل إلى جالو والكفره فريقان من البدو : السعادي والمرابطون، وهم جميعاً من نسل «سعدى».
وهم ثلاثة فروع :

سعدي . وقد أنجبت جبريل وبرغوث وعقار . ومن ذرية جبريل : المواقير والبريئات والنبارية والجوازي . ومن ذرية برغوث : عبيد والفرفه والفوايد . ومن ذرية عقار : علي والجرابى والهنادى وبنى عونة والجميعات ، ومن ذرية علي : أولاد علي الأبيض وعلي الأحمر والسنتة . وأولاد علي الأبيض هم : أولاد والسناقره والعزايم والأفراد . وأولاد علي الأحمر هم : القنيشات والعشيبات والكميلات . والسنته هم : العزوة ، والقطيفة ، والمحافيظ ، والنجنة

ويسكن أولاد علي الصحراء الغربية .

أما «المرابطون» فهم أقدم من السعادى ولكنهم متفرقون وكل قبيلة منهم في حمى قبيلة من السعادى ، ولعل ذلك يرجع إلى أن السعادى جاءوا البلاد فاتحين ؟ ويعرف المرابطون أحياناً بالصدقان أو الأصدقاء . وأهم قبائلهم : زوى ، والمجابرة ، والمنفة ، والموالك ، والشواعر ، والجرارة ، والقطعان ، والحونة والجنابل ، والتراكى ، والشهيبات والفواخر ، وترهونه ، والعوامة والصوانقة الخ ...

وهؤلاء موزعون في الصحراء وفي حمى السعادى . وكل قبيلة منهم مسؤولة عن الدفاع عمن تحميهم من المرابطين .

ويقدر عربان هذه الصحراء بنحو ٥٥ ألفاً . وهم جميعاً معروفون بشدة الولاء والإخلاص لجلالة الملك وآل بيته الكريم لما لا قوه من عطف محمد علي باشا الكبير رأس الأسرة العلوية ، وما منحه إياهم من امتيازات لا يزالون يذكرونها ، ويفخرون بها ويتوارثونها جيلاً بعد جيل .. ؟

عبد الله حبيب

ملحوظة : أكثر ما ورد في هذا المقال والذي قبله من البيانات المفيدة مأخوذ مما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهري مأمور مرسى مطروح عن الصحراء الغربية .



التاريخ فى سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



أما عن ذهاب الجيش على تلك الصورة إلى عابدين فالمسئول عنه الخديو ووزراؤه ، فلقد كانوا يعلمون ما فى صفوف الجيش من تذمر وهياج ثم كانوا يعلمون مع ذلك مبلغ مقدرتهم على المقاومة فبدل أن يطفئوا النار زادوها بأساليبهم اشتعالاً ، هذا فضلاً عن ذلك الموقف المزدوج الذى وقفه الخديو تجاه الضباط وتجاه الوزارة

ولقد كان القصر أمام الجيش خلواً من أية قوة . فروعيت حرمته أحسن مراعاة ؛ وروعى كذلك مقام الخديو ، فلم يخرج أمامه ذلك الجندى الثائر عن طوره ، بل تمالك نفسه فترجل وأدى التحية لمولاه . ثم ذهب فأعرب له عن ولائه ، وشكره حينما أجيب إلى ما طلب باسم الأمة ... ألا إنا لنعجب بذلك ونفخر به إذ نكتبه ، وما نجد من الأدلة التى نسوقها على رجولة عرابى وشهامته وبعده عما رمته به خصومه أقوى من هذا الذى نشير إليه

فإذا أضفت إلى ذلك ما كان يدبر فى خبث من الدسائس فى ذلك الموقف الرهيب ، وذكرت كيف أحبطها عرابى بمزيج من البسالة والصبر يدعو إلى الإعجاب ، ازددت لا ريب إكباراً لموقفه فى ذلك اليوم . ولقد كانت أية كلة نابية أو أية إشارة يساء فهمها كفيلة بأن تسيل الدماء فى تلك الساحة . قال عرابى : « لو حاول الخديو قتلى لأطلقت النار عليه »[1] .

ولن يفوتنا أن نذكر أن عرابياً قبل ذلك كله قد اتصل بقناصل الدولة ، وأفهمهم قبل أن يتحرك نحو عابدين أنه يقصد بعمله هذا مظاهرة سلمية ، وأكد لهم بالغ حرصه على الأمن . كما أنه كتب إلى الخديو قبل أن يذهب . فكان بذلك كله حكيماً موفقاً لا يدع مسلكه غمزة ، أو يهيء سبباً للامة ...

نجحت حركة عرابى إذاً أتم نجاح وأجله وتهيأت البلاد لأن تستقبل عهداً يسود فيه الإصلاح والنظام ؛ فلقد كان قبول الخديو مطالب عرابى التى أشرنا إليها ينطوى على معنى عظيم ألا وهو موافقة حاكم البلاد على التخلص من الحكم الاستبدادى الرجعى ، والعودة إلى حكم الحرية الدستورية الذى سبق أن وافق عليه يوم تبوأ عرشه ثم عاد فتنكر له حين اطمأن فى مصر إلى كرسيه

ولقد عارض شريف باشا أول الأمر فى قبول الوزارة ، وكانت حجته فى ذلك أنه بقبوله الحكم دون قيد ولا شرط إنما يضع نفسه تحت سلطة الحزب العسكرى ، الأمر الذى لا يستطيع أن يحمل نفسه على قبوله ؛ ولذلك دارت بينه وبين رجال هذا الحزب مفاوضات استمرت بضعة أيام تحرجت الأمور فيها حتى أوشك أن يتنحى شريف عن قبول الوزارة نهائياً

ولكن لاحت بوارق الأمل عقب ذلك ، وكم كان جميلاً أن تلوح من جانب ذلك الذى لا يزال نفر من المصريين حتى وقتنا هذا يرمونه بالفوضى ويعودون بأسباب ما لحق مصر من ويلات إليه ، فيقيمون الدليل بذلك على أنفسهم أنهم إما ذووا أغراض أو أولو جهل معيب بحقائق الأمور

كان جميلاً أن يبرق الأمل من جانب عرابى ، فلقد دعا يومئذ أعضاء مجلس شورى النواب المعطل وعرض القضية عليهم وكان على رأسهم سلطان باشا ذلك الذى كان يعتبر فى تلك الأيام من أكبر زعماء الحركة الوطنية

(١) تاريخ عرابى الذى كتبه بقلمه لمستر بلنت سنة ١٩٠٣

وذهب إلى شريف وفد من هؤلاء يرجون منه قبول الحكم ، فعرفوا منه أنه يشترط ألا يتدخل الجند في شيء ، ويريد أن يرحل عرابي وعبد العال بفرقتيهما إلى مكانين يختاران لها ، وأن يترك قبل ذلك حراً في اختيار وزرائه لأن عرابي كان يطلب إليه إعادة البارودي وإدخال مصطفى باشا فهمي في الوزارة ، وكان شريف يرفض ذلك لأنهما لم يثبتا على عهدهما فدخلا وزارة رياض عقب إقالة وزارته

وتعهد هؤلاء الزعماء برياسة سلطان أنهم يضمنون لشريف خضوع الحزب العسكري ، وكان بين هؤلاء من ذوى المنزلة في البلاد سليمان أباظة والشريعي والنشاوي والمويلحي والشمسي والوكيل ، وهم أهل جاه وسلطان يعرف شريف قيمة انضمامهم إليه

وذهب عرابي بنفسه إلى شريف ، قال عرابي : « وفي يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ قابلته مرة أخرى وقلت إنه لا يمكن ترك البلاد بلا وزارة فأصر على الرفض فقلت له : إن لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك ولا تظن أن ليس بالبلاد سواك فيها بعون الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير ... فاغرورقت عيناه بالدموع ولم يحر جواباً ثم خرجنا من عنده وبعد قليل جاءنا الشيخ بدراوي عاشور (وكيل زراعته) وقال إن الباشا قبل ما عرضته عليه »

وألف شريف وزارته الثالثة وكانت هذه أولى ثمار الثورة ، وقد قبل الوزيرين اللذين أشار بهما عرابي ، كما قبل ما رجا منه قبوله رجال العسكرية وهو النظر في القوانين الخاصة بالجيش وذلك في نظير أن يخضعوا لحكمه ويبتعدوا عن كل تدخل

وراحت مصر تستقبل في تاريخها فترة من أسعد الفترات فلقد نالت أمانيها دون أن تراق نقطة دم ، وخرجت سالمة آمنة من ثورة جديرة بأن توضع إلى جانب أهم الثورات التي قصد بها الحرية في تاريخ الإنسانية ؛ ثورة جديرة بأن توضع إلى جانب ثورة سنة ١٦٨٨ في انجلترة وإلى جانب الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية الكبرى ؛ ولولا ما كتبه المغرضون المبطلون من الأجانب عنها ، وما ضرب به الاحتلال على الآذان والقلوب فحال بين المصريين وبين تاريخ قوميتهم الحقيقي لكان لتاريخ هذه الثورة شأن غير هذا الشأن في هذا البلد المسكين

ولقد كان المستر بلنت في مصر يومئذ فوصف تلك الأيام السعيدة بقوله[1] : « إن ثلاثة الشهور التي أعقبت هذا الحادث لهي من الوجهة السياسية أسعد الأيام التي شهدتها مصر ، ولقد أسعدني الحظ بمشاهدة ما جرى فيها بعيني رأسي فلم أتلق معلوماتي عنها بطريق السماع ولو كان ذلك لشككت في حقيقتها . إني لم أر في حياتي ما يشبه هذه الحوادث وأخشى ألا أرى مثلها في المستقبل إن كل الأحزاب الوطنية وكل أهالي القاهرة قد اتفقت كلمتهم هنيهة من الزمن على تحقيق هذه الغاية الوطنية الكبرى ، لا فرق في ذلك كما يظهر بين الخديو والأمة ، وسرت في مصر رنة فرح لم يسمع بمثلها على ضفاف النيل منذ قرون فكان الناس في شوارع القاهرة حتى الغرباء منهم يستوقف بعضهم البعض يتعانقون وهم جذلون مستبشرون بعهد الحرية العظيم الذي طلع عليهم على حين غفلة طلوع الفجر إثر ليلة مخيفة حالكة الظلام »

تقدم الزعماء والعلماء إلى شريف بالعرائض يطلبون إعادة تشكيل مجلس شورى النواب ؛ وما كان شريف في حاجة إلى مثل هذا الطلب إذ كان في مقدمة ما ينتويه تقرير مبدأ الشورى وتثبيت قواعد الدستور وليست هذه أولى محاولاته في هذا السبيل

ودعا وزير الحربية عرابياً ، فأفهمه رغبة الحكومة أن يسافر بفرقته إلى رأس الوادي ، وأن يسافر عبد العال إلى دمياط . فقبل عرابي ذلك ، ولكنه اشترط أن يصدر أمر الخديو بانتخاب النواب قبل السفر ، ولا ريب أن هذا الشرط من جانب عرابي خروج منه على ما أخذه على نفسه من عدم التدخل في شؤون الحكومة ؛ وهي نقطة لا يسعنا إلا أن نحسبها عليه . بل ونلومه عليها مهما كان ما ينطوي عليه طلبه من خير للبلاد ، ومهما كان في هذا الطلب من معاني حرصه على الدستور والحياة النيابية ، وبخاصة إذا كان على رأس الحكومة رجل مثل شريف .

أما عن امتثاله لأمر الحكومة بقبول السفر ، فهو أمر في ذاته — على الرغم مما أحيط به من اشتراط — يعد من محامد عرابي . إذ يدل على مرونة وكياسة ورغبة في التفاهم شتان بينها وبين ما يعزوه إليه خصومه وجاهلوه من الحماقة والنزق والعنف في كل ما يطوف بهم من سيرته . كما أنه يقدم بطاعته هذه دليلاً آخر على حسن طويته ونبالة غرضه فيما سعى إليه .

وفي اليوم الرابع من أكتوبر سنة ١٨٨١ رفع شريف إلى الخديو مذكرة يلتمس فيها موافقته على دعوة مجلس شورى النواب ، ولم يكن للخديو بد من إجابة رئيس وزرائه إلى ما طلب وما كان أغنى توفيقاً عن أن يعطل هذا المجلس لو أنه كان يحسن

(١) المسألة المصرية لروثستين : تعريب العبادي وبدران ، والعبارة المذكورة بقلم الأستاذين المعربين

النظر فى عواقب الأمور . إن البلاد اليوم لتحس أنها تصل إلى بغيتها نيلا لا سؤالاً ، ولسوف يكون لهذا الإحساس أثره فيما هى مقبلة عليه من الحوادث .

وخرج عرابى فى اليوم الثامن من ذلك الشهر بقصد السفر بفرقته إلى رأس الوادى ، وكان قد سبقه إلى السفر إلى دمياط عبد العال . وسار عرابى بطريق الحسينية حتى وصل إلى مسجد الحسين رضى الله عنه . « فوقف الآلاى مقابلاً للمسجد تعظيماً وإجلالاً لسبط الرسول عليه الصلاة والسلام » ؛ ودخل عرابى المقام الحسينى مع الضباط : « وأمر بيرق الآلاى على الضريح الشريف » . ثم سار بعد ذلك نحو المحطة . فما كاد يتوسط المدينة حتى ألفى الشوارع مكتظة بالناس ، وإنهم ليهتفون باسمه فى حماسة ويحيونه تحية الزعيم النقذ ، ويلقون فى طريقه الزهر والرياحين

وفى المحطة وجد عرابى جميع ضباط الجيش المصرى وجمهوراً من الأعيان وذوى الحيثية وعدداً هائلاً من عامة الناس فاحتفوا بمقدمه ، وكانت توزع الحلوى وتنثر الزهور فى فناء المحطة ؛ وكان يتسابق الخطباء والشعراء فى تمجيد ذلك الذى جرى اسمه على كل لسان فى مصر؛ ووقف عرابى فى هذا الجمع خطيباً فقال: « سادتى وإخوانى : بكم ولكم قمنا وطلبنا حرية البلاد وقطعنا غرس الاستبداد ، ولا نثنى عن عزمنا حتى تحيا البلاد وأهلها ، وما قصدنا بشيعنا إفساداً ولا تدميراً ، ولكن لما رأينا أننا بتنا فى إذلال واستعباد ولا يتمتع فى بلادنا إلا الغرباء حركتنا الغيرة الوطنية والحمية العربية إلى حفظ البلاد وتحريرها والمطالبة بحقوق الأمة ، وقد ساعدتنا العناية الإلهية ومنحنا مولانا وأميرنا الخديو ما طلبناه من سقوط وزارة المستبد علينا السائر بنا فى غير طريق الوطنية ، وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الأمة فى شؤونها وتعرف حقوقها كباقى الأمم المتمدنة فى العالم ، ومن قرأ التواريخ يعلم أن الدول الأوروبية ما تحصلت على الحرية إلا بالنهور وإراقة الدماء وهتك الأعراض وتدمير البلاد ، ونحن اكتسبناها فى ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم أو نخيف قلباً أو نضيع حقاً أو نخدش شرفاً ، وما أوصلنا إلى هذه الدرجة القصوى إلا الاتحاد والتضافر على حفظ شرف البلاد » . وهتف عرابى بحياة الخديو واهب الحرية ، وحياة الجيش ، وحياة الحرية ، ثم امتدح الوزارة ورئيسها ووصف البارودى بقوله: « رئيسنا الوطنى الحر القائم بخدمة الوطن وأهله » . وحذر إخوانه فى الجهادية من الوشاة والحساد ، وحثهم على الاتحاد قائلاً : « البلاد محتاجة إلينا وأمامنا عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات وإلا ضاعت مبادئنا ووقعنا فى شرك الاستبداد بعد التخلص منه » . ولنا فى هـذه الفقرة الأخيرة فى خطبته عودة كما أن لنا عودة إلى فقرة غيرها نكتفى الآن بالإشارة إليها وهى قوله : « وقد فتحنا باب الحرية فى الشرق ليقتدى بنا من يطلبها من إخواننا الشرقيين على شرط أن نلزم الهدوء والسكينة ونجانب حدوث ما يكدر صفو الراحة »

واستقبل عرابى بحفاوة كبيرة فى المحطات التى وقف بها القطار كما حدث فى الزقازيق حيث كان على رأس مستقبليه فيها أمين بك الشمسى ووقف عرابى يخطب الناس هناك فكان مما قاله « أما القوة فنحن رجالها ، ولا نثنى عن عزمنا وفى الجسم نفس ، وأما الفكر فهو منوط بأميرنا الأعظم ووزرائه الكرام . وأما العمل فهو منوط بكم فإن القوة والفكر يعطلان بفقد ثروة تربتنا الطيبة المباركة ، وقد طلبنا لكم مجلس الشورى لتكون الأمور منوطة بأهلها ، والحقوق محفوظة لذويها »

وقال عرابى فى خطبة أخرى بالزقازيق « وأنتم الآن مهيأون للانتخاب فلا تملككم الأهواء والأغراض لانتخاب ذوى الغايات بل عولوا على الأذكياء والنبهاء الذين يعرفون حقوقكم ويرفعون المظالم عنكم » ولم يسه فى هذه الخطبة عن امتداح الخديو ووزرائه وهتف فى ختامها قائلاً « يعيش الجناب الخديو »

وفى الزقازيق دعى لوضع أساس المدرسة الأميرية فذهب ووضع الحجر الأساسى باسم الخديو قال « وتلوت على الحاضرين خطبة ذكرت لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه وفضل العالم على الجاهل والبصير على الأعمى ، وحرضتهم على الاهتمام بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مستعدين لخدمة بلادهم فى المستقبل »

ثم سافر عرابى إلى رأس الوادى بعد أن أولمت له عدة ولائم فى دور بعض وجوه مديرية الشرقية مسقط رأسه ، وليس يخفى ما ينطوى عليه من معان تكريم هـذا الفلاح الذى نشأ فى بيت متواضع ، على أيدى هؤلاء السادة والكبراء ؛ ففى ذلك أول مظاهر الديموقراطية الوليدة فى هذا الوادى الذى خضع قبل ذلك زمانا طويلاً لمظاهر السيادة والأرستقراطية

« يتبع »

الخفيف

نقل الأديب

لأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤١٢ — والله لا أدري أنا

أمين الدين الحوباني الصوفي :

مت في عشقي ومعشوقي أنا ... فؤادي من فراق في عنا
غبت عني فمتى أجمعني ؟ ... أنا من وجدي مني في عنا !
أيها السامع تدري ما الذي ... قلته ؟ والله لا أدري أنا ...

٤١٣ — أراني وإياكم طرائق قددا

في (ثمار القلوب) : قال ابن عائشة : كان للحسن بن قيس ابن حصين ابن شيبي : وابنة حرورية[١] وامرأة معتزلة ، وأخت مرجئة[٢] ، وهو سني جماعي[٣] فقال لهم ذات يوم : أراني وإياكم طرائق قددا[٤]

٤١٤ — أول من قال (واي ويه ، واي ويه)

في (الأغاني) : لما قال ابن مناذر[٥] (في رثاء عبد المجيد الثقفي[٦]) :

ولئن كنت لم أمت من جوى الحزن (م) عليه لأبلغن مجهودي
لأقيمن مأتما كنجوم الليل (م) زهرا يلطمن حر الخدود
موجعات يبكين للكبد الحرى (م) عليه وللفؤاد العميد[٧]

قالت أم عبد المجيد : والله لأبرن قسمه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتما عليه ، وقامت تصيح عليه : (واي ويه ! واي ويه !) فيقال : إنها أول من فعل ذلك ، وقاله في الإسلام

٤١٥ — الجد

قال أبو حيان التوحيدي : قال أبو غسان البصري — وقد ذكر جاهلاً مجدوداً — إن الجد ينسخ حال الأخرق[١] ويستر عيب الأحمق ، ويذب عن عرض المتلطخ ، ويقرب الصواب بمنطقه ، والصحة برأيه ، والنجاح بسعيه . والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ، ويستعمل آراءهم وأفكارهم في مطالبه ، ولو عرفت خبط الناقل وتعسفه وسوء تأتيه[٢] وانقطاعه إذا فارقه الجد ، لعرفت أن الجاهل قد يصيب بجهله ما لا يصيب العالم بعلمه مع حرمانه

قال أبو حيان : فقلت له فما الجد ؟ وما هذا المعنى الذي علقت عليه هذه الأحكام كلها ؟

فقال : ليس لي عنه عبارة معينة ، ولكن لي به علم شاف استفدته بالاختبار والتجربة والسماع العريض من الصغير والكبير ، ولهذا سمع من امرأة من الأعراب ترقص ابناً لها وتقول : رزقك الله جداً يخدمك عليه ذوو العقول ، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوي الجدود

٤١٦ — البياض لباس حزن

قال بعضهم في لباس أهل الأندلس البياض في الحزن مع أن أهل الشرق يلبسون فيه السواد :

ألا يا أهل أندلس فطنتم ... بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم في مآتمكم بياضا ... فجئتم منه في زي عجيب
صدقتم فالبياض لباس حزن ... ولا حزن أشد من المشيب[٣]

٤١٧ — الفضيلة الجامعة والرذيلة المفرقة

في (الكلم الروحانية) : قال أفلاطون : الفضيلة تجمع أهلها على المحبة ، والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة : ألا ترى

---

(١) حرورية : خارجية ، في اللسان : حروراء موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية من الخوارج لأنه كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليا وهو من نادر معدول النسب إنما قياسه حروراوي
(٢) المرجئة تقول : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وتؤخر حكم صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار (الشهرستاني)
(٣) نسبة إلى الجماعة : جماعة أهل السنة
(٤) مفترقة مختلفة . في الكشاف : القدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق
(٥) في الكامل : لمحمد بن مناذر في شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه ، وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته
(٦) اعتبط عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي لعشرين سنة ، وكان من أجل الفتيان وآدبهم وأظرفهم (الكامل) مات عبطة إذا مات شابا صحيحا (الأساس)
(٧) من قصيدة جيدة روى (الكامل) جلها و (الأغاني) أبياتا منها

(١) الخرق : الحمق والجهل
(٢) تأتى لحاجته إذا ترفق لها وأتاها من وجهها ، وتأتيت لهذا الأمر تهيأت (اللسان ، الأساس)
(٣) ولابن شاطر السرقسطي :

قد كنت لا أدري لأية علة ... صار البياض لباس كل مصاب
حتى كساني الدهر سحق ملاءة ... بيضاء من شيبي لفقد شبابي
فبذا تبين لي إصابة من رأى ... لبس البياض على نوى الأحباب

أن الصادق يحب الصادق ، ويستنيم إليه[1] ، وكذلك الثقة مع الثقة ، والحسن الخلق مع الحسن الخلق ، وترى الكاذب يبغض الكاذب ، والسارق يخاف السارق ، وكل واحد منهما حذِرٌ من مجاورة صاحبه .

٤١٨ — دعوة مظلوم !

في (تاريخ بغداد) لابن الخطيب : قال جعفر لأبيه ابن خالد ابن برمك — وهم في القيود والحبس — : يا أبت ، بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس ؟! فقال له أبوه : يا بُني ، دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها . ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غدوا في نعمة زمنا والعيش ريّانٌ غدق[2]
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

٤١٩ — الإرشاد في خرق الأدب المعتاد

في (فتوحات محمد بن عربي[3]) : بتنا ليلة عند أبي الحسن بن أبي عمر ابن الطفيل بأشبيلية سنة (٥٩٢) وكان كثيراً ما يحتشمني[1] ويلتزم الأدب بحضوري ، وبات معنا أبو القاسم الخطيب وأبو بكر ابن وسام وأبو الحكم بن السراج وكلهم قد منعهم احترامُ جانبي الانبساطَ ، ولزموا الأدب والسكون فأردت أعمل الحيلة في مباسطتهم . فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا ، فوجدت طريقاً إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم فقلت : عليك من تصانيفنا بكتاب سميناه (الإرشاد ، في خرق الأدب المعتاد) فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله . فقال لي : أشتهي ذلك . فمددت رجلي في حجره ، وقلت له : كبِّسني ! ففهم عني ما قصدت ، وفهمت الجماعة فانبسطوا ، وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة ، وبتنا ليلة في مباسطة دينية

(١) من المجاز : استنام إليه : سكن سكون النائم (الأساس)

(٢) عيش غدق : مخصب واسع . قال الزجاج : الغدق (بالفتح) المصدر والغدق (بالكسر) اسم الفاعل . وقرئ بهما : لأسقيناهم ماء غدقا . والغدق الكثير (اللسان ، الكشاف)

في (تاريخ الطبري) : قال الأصمعي : سمعت يحيي بن خالد يقول : الدنيا دول ، والمال عارية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وفينا لمن بعدنا عبرة

(٣) في (القاموس المحيط) : ابن العربي أبو بكر المالكي وابن عربي محمد بن عبد الله الحاتمي الطائي . وفي (نفح الطيب) : كان بالمغرب يعرف بابن العربي بالألف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي

(١) احتشم منه وعنه ولا يقال احتشمه وأما قول القائل . لم يحتشم ذلك فإنه حذف من وأوصل الفعل (اللسان ، التاج) وفي الحشمة والاحتشام أقوال كثيرة للغويين ، والحشمة الغضب والاحتشام التغضب أيضاً

«النيل» نعسان ...

نفثة من لياليه الساهرة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذهبت له ... والأنجم البيض حوّم

على خدره كالطير تحسو وترشف

لها رعشة مسجورة في جنانه وهمس حديث في الحنايا مرفرف

صبته الرؤى فانساب نعسان مثلما

على راحة المحبوب هوّم مدنف ...

وتمّ كالجبار ميّله الكرى

وفي فمه ذكرى البطولات تهتف !

عتيّ يهاب الدهر حرمة ساحه

ويفزع إعصار الزمان المطوّف

فكيف تغشاه الكرى ؟! وسجا به

وسجّاه في الأحلام سرّ مغلّف ؟!

خشوع وتسبيح وطهر ... كأنه

بكف الليالي أو بكفّي مصحف !

وصمت على الشطآن أسمع خلفه صدى الأبد المخنوق للروح يعزف

وألمح أشباح الفراعين فوقه

رهابين تتلو اللوح والليل «أسقف»

ودنيا أغان في الضفاف نشدتها فعدت وأوتاري من اليأس تهرف

فيا «نيل» كاشفني السريرة واسقني

من الغيب سلواني إذا كنت تعرف

أتيتك مذبوح الخيال معذبا وكأسي من سم البليات تنزف

وفي صدري المهدود جرح وخنجر

ونار على خديه بالروح تعصف

وذكرى على شطيك حن لعهدها وجن عليها عاشق متلهف

فهل فيك للمحزون دمعة راحم

تراق على ذكرى الحبيب وتذرف ؟! ...

«وزارة المعارف» محمود حسن اسماعيل

ســوانح طائفة !

للأستاذ أحمد فتحي

قضيت بالشعر من دنياي أوطاري طوبى لدنياي أو طوبى لأشعاري

هذا البيان، وعندي تبر معدنه أدّى إلى المجد معياراً ، بمعيار

يا للروائع ، كم تجلو عوارفها ليل الحوادث عن صبح وأنوار

وددت أدرك من شعري وحكمته ماغاب عن فطنتي في غيب أستار

قلّبت فيه وجوه الرأي أجمعها

وطال في البحث تجوالي وتسياري

ثم انثنيت إلى نفسي أسائلها هل يكسون البيان الهيكل العاري

وما انتفاع أخي الأشعار عالية بصاغة الحمد، من حشد وسمّار

وليس كالهاتف المصغي، وإن خلقت

ديباجتاه ، ولا كالكاتب القاري !

ألست بالصائغ الشعر الذي هتفت به المواكب في ساح ومضمار

ماذا أفدت بأشعاري وروعتها سوى علالة تخليد لآثاري ؟!

وما الخلود بميسور لعارية ... غير الخسيسين من ترب وأحجار

ماذا أصاب امرؤ القيس الذي عرفوا

من عبقريته مأثور أخبار ؟!

غنت بآياته الأجيال واستبقت تزجي له الحمد في موروث أسفار

ولات حين ثناء ليس يسمعه إلا الذي صاغه من جود مكار!

فيم الثناء على الموتى، أتمنحهم در المدائح ، قنطاراً ، بقنطار ؟

وهل يرد عليهم طيب عيشهمو طيب الثناء ، إذا وافى بمقدار ؟

ياضيعة الشعر، إن لم تمتلئ يده بدرهم ، يكفل الدنيا ، ودينار

***

ياهاتف الوحي أقصر زدتنا شجنا

وهجت برح الجوى، من برح تذكار

ماحيلة الشعر في قوم إذا حشدوا في أهله كل طبال وزمار ؟!

حمى البيان استباحوه، وكان له محض التجلة في قدس وإكبار

قضوا ابذلته في الأرض وانبعثوا يستأثرون بغايات وأوطار

إني لأبصره هيمان مطرحا .. يشكو الجناية من إيذاء أغرار

مروعا تتراءى الكارثات به .. وتبتليه بزلزال وإعصار !

بضاعةٌ تهبطُ الأسواقَ كاسدةً ... لا بائعٌ رابحٌ فيها، ولا شارِ
وكان بالأمس أغلى ما يُعزُّ به ... مجدُ القبائلِ، في بيدٍ وأمصار
يُعلي ويُدني، كما شاءت رغائبُه ... رفعاً وخفضاً، لأقدارٍ، وأقدار
يَبني ويهدِمُ دنيا الخلقِ من عجبٍ ... كأنه قدرةٌ في كفِّ جبّار!
ويرزُقُ الناسَ دنيا من فواضلِه ... فيحاء، تُزهي بجنّاتٍ وأنهار
إذا تبسَّمَ فالأكوانُ باسمةٌ ... كأنها الروضُ في إشراقِ آذار
وإن تجهَّمَ فالأيامُ عابسةٌ ... نكراءُ تَزري بأكدارٍ وأوضار
فما لدولته دالت، ومال بها ... إلى الحضيضِ ملامُ الشانئِ الزاري
كأن قومي رأوا أفضلَ الجحودِ على ... أصحابه، فأثابونا بإنكارِ!
والشعرُ أولى بإعلاءٍ وتكرمةٍ ... لكن جُزينا على فضلٍ بأصغار!
أم هذه شِرعةُ الأيام، من سَفهٍ ... تختالُ ما بينَ إقبالٍ وإدبارِ
وقد تعزَّيتُ عن يومي بأمسِ، وفي ... غدي القريبِ رجاءٌ غيرُ مُنهار!

* * *

بني العروبةِ هذا صوتُ شاعرِكم ... كأنه نغمٌ من عزفِ أوتار
تلمَّسوا المثلَ الأعلى لديه، وكم ... يستلهمُ الحقُّ من آياتِ أشعار
ولا تضيقوا به إن يَرْمِ غدَيكم ... بموجعٍ من شديدِ القولِ هدّار
قد يبلغُ الشعبُ بالآداب ساميةً ... ما ليس يبلغُه بالسيف والنار
دعوكمو من قديم المجدِ، وانتبذوا ... ذاكَ الفخارَ، بتاريخٍ وآثار!
المجدُ يحظى به الساعي إليه وفي ... جنبيه قلبٌ جليدٌ غيرُ خوّار!

(القاهرة) أحمد فهمي

أمنيـــــة

[لما ابتسم الربيع ابتسمت]

للآنسة جميلة العلايلي

ياخالق الحسن هبني الحسن أجمعه ... على من الحسن أروي روح ظمآن
قد شفني الحسن ممنوعاً فأرقني ... صوت ملحٌّ وراء الأفق نوراني
روح تهادت وشاق الروح فتنتها ... إلى عوالم لم تخطر بحسبان
هبني الكمال وهبني صورة وضعت ... في الخلد ما بين أضواء وألحان
قلبي من الشوق أوصال ممزقة ... يرجو لقاء فؤاد حالم حان
روحاً أذوّب روحي في مناعمها ... كأنها لم تكن روحاً لإنسان

جميلة العلايلي



غرفة ولسون

اتجاهات حديثة في العلم التجريبي — هذه أنابيب النيون عيون خير من عيوننا — كيف كشف أندرسون البوزيتون — غرفة ولسون هي أقصى ما بلغه العلم التجريبي من العظمة والدقة

للدكتور محمد محمود غالي

دعوت ذات مرة العالم الكبير جييه A. Guillet أستاذ السوربون لمشاهدة بعض تجارب كنت أقوم بها خاصة بدراسة ميوعة السوائل ، فلبى دعوتي وشرفني بحضوره من السوربون إلى معهد باستير ، وظل ردحاً من الوقت يروح جيئة وذهاباً أمام الحوض الزجاجي الذي أعددته لإجراء هذه التجارب .

مضت أيام صعدت بعدها سلم السوربون واستأذنت في زيارة الأستاذ ، وعند ما دخلت معمله وجدته يقوم ببعض التجارب العلمية الخاصة بالميوعة أيضاً ، ولا أدري إن كانت زيارته السالفة هي التي جعلته يهتم بهذه الناحية التجريبية من البحث العلمي ، التي أعلم أنها عند الأستاذ أقل شأناً من غيرها ، ولا سيما في وقت كنت أعلم درجة اهتمامه بالخطوات التجريبية الخاصة بالمرناة[1] (التليفزيون) .

أما موضوع دراسة الميوعة الذي شغل الأستاذ جييه فهو خاص بالطيران ، ذلك أنهم يؤملون أن تتمكن الطائرات يوماً ما أن تطير في الطبقات العليا من الجو التي يسمونها « ستراتوسفير » ويزيد ارتفاعها عن ١٤ كيلو متراً ، وقد دلت التجارب على أن الطائرة في هذه الحالة تخترق طبقات من الجو تزيد درجة الحرارة فيها عن ٥٠ درجة ، وطبقات أخرى تنقص فيها درجة الحرارة عن الستين ، وهو ما حدث للعالم بيكار ، عند ما صعد في كرته التي صنعها من الألمونيوم .

ويتحتم مع هذا الاختلاف في درجة الحرارة دراسة خواص الزيوت المستعملة في الطائرات : أي دراسة ميوعتها مع درجة الحرارة ، والعوامل الطبيعية الأخرى ، وإلا صعب استعمال هذه الزيوت في محركات الطائرات .

وجدت الأستاذ أمام بندول بسيط من الخشب من صنعه أو صنع عامل في معمله ، وهذا البندول يوصّل تياراً كهربائياً ويقطعه في كل مرة يهتز فيها ، ورأيت أمام العالم أنبوبة صغيرة من أنابيب النيون التي شاع استعمالها الآن في الإعلانات ليلاً في الشوارع ، وكرة نحاسية معلقة بسلك يحمل في أحد أطرافه مؤشراً يدور دوران السلك فتدور معه الكرة في السائل المراد اختباره ، وكلما أكمل البندول هزة اتصل أحد أطرافه بحوض من الزئبق ، فيمر التيار الكهربائي وتتوهج الأنبوبة التي لا تلبث أن تنطفئ بمبارحة البندول للزئبق ، وهكذا كلما كان السائل مائعاً تأخرت الكرة قليلاً في دورانها عن السلك الحامل لها أي عن المؤشر ، وهذا المؤشر لا يظهر للعين إلا في الفترات القصيرة التي تتوهج فيها أنبوبة النيون[1]

التفت إلى الأستاذ وقال مشيراً إلى أنبوبة النيون : « هذه

(١) المرناة هو لفظ وضعه الأستاذ على الجارم بك تعريبا لكلمة « تليفزيون » وهي من الفعل رنا أي نظر .

(١) هذه الطريقة الستروبوسكوبية لدراسة ميوعة السوائل تنسب للأستاذ جييه وهي منشورة في محاضر المجمع العلمي الفرنسي المجلد ٢٠٠ بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٥ ص ١٠٣٢

عيون أحسن بكثير من عيوننا » ، وهو بهذا التعبير الصادق يلخص لنا الاتجاهات الحديثة فى العلم التجريبى ، الذى بات لا يعتمد على حواسنا كما كان الحال فى زمن قريب بقدر مايعتمد على الوسائط الطبيعية .

والواقع أن العين وهى أعظم ما نملكه من حواس هى جهاز متوسط لا يُعَدُّ شيئاً مذكوراً بجانب الوسائط العلمية الأخرى التى تفوقها حساسية وتعظمها دقة ، ولو أن الإنسان اعتمد فى كل ما يرجوه من تقدم فى أعماله التجريبية على حواسه ، لما تقدم العلم للحد الذى هو فيه اليوم ، ولما اختلف كثيراً العهد الذى نعيش فيه عن أقدم العهود

إنما ذكرت تجارب جيبه واستعماله غاز النيون والظاهرة المعروفة باسم « الستروبوسكوبى Stroboscope »[1] لأبين للقارئ الاتجاهات الحديثة فى العلم التجريبى ، فلا نُرْجِعَنَّ المسائل للمحسوسات وحدها ، وإلا عدنا لعصر الإغريق عندما كان الدليل الفلكى لا يزيد على بضع مئات من النجوم ، أو عصر العرب عندما كنا نقضى عشرة أيام لكى نسافر من القاهرة للأسكندرية ، حيث كنا مجبرين أن نتبع فوق ظهر الإبل حركتها الدورية أكثر من مائة ألف مرة ، وهى الحركات الناشئة عن خطوات الجمل الذى يحملنا بتثاقل لقطع مثل هذه المسافة البعيدة جداً فى العهد المنصرم والتى أصبحت على طرف الثمام فى العهد الذى نعيش فيه .

* * *

وهكذا فى معظم التجارب الطبيعية اليوم لا يأتى العين إلا فى المرحلة الأخيرة منها . ولعل أحسن ما أقدمه من مثال للقارئ هو أن أشرح له « غرفة ولسون » ، وهو جهاز يرسم لنا مسارات الأشعة الكونية ، وهى الأشعة التى قدمنا أنها آتية من عوالم بعيدة لا نعرف مصدرها ، وتخترق طبقات الجو وما يقابلها من مادة ، والتى قدمنا أنها مكونة من الكترونات وبوزيتونات سريعة ، وهى أصغر ما نعرفه من الجسيمات المكونة للذرة

هذه الغرفة يتضاءل مجهود العين بجانب ما يدور فيها من حوادث جسام ، لا تدركها العين إلا بعد أن تصبح لهذه الحوادث آثار تدل عليها ، وهو نوع من التحايل التجريبى ، وُفِّق إليه العلماء كل التوفيق

ويتكون الجهاز من وعاء بداخله مكبس يُغَيِّر ضغط ما بداخله من غاز أو بخار ، فعند مرور جسيم من جسيمات الأشعة الكونية يحدث عدد من الأيونات فى هذا الغاز وتساعد حركة المكبس فى نفس الوقت على تكاثف قطرات الماء الرفيعة على الأيونات الحادثة وذلك من تخفيف الضغط دفعة واحدة — وهذا التكاثف الذى يحدث عند مسار الجسيمات الكونية يمكننا من رسمها على اللوح الفوتوغرافى فترسم بهذا فى الواقع مسارات الجسيمات الكونية وتسمى هذه الطريقة بطريقة ولسون أو طريقة الضباب لولسون . ولا يفوتنا أن نذكر أن سكوبيلزين Skobelzin فى سنة ١٩٢٩ كان أول من قام برسم مسارات لجسيمات تفوق طاقتها طاقة جسيمات المواد الراديومية ، فكان أول من استعمل طريقة الضباب المتقدمة فى أبحاث خاصة بالأشعة الكونية ، وطريقة ولسون[1] هذه تسمح بمعرفة الطبيعة والطاقة التى عليها جسيمات الأشعة الكونية من درجة انحناء مساراتها واتجاه هذه المسارات ودرجة التأين الحادثة من هذه الجسيمات ، وذلك بتعريض الغرفة لمجال مغناطيسى قوى

* * *

وكم كان عظيما للعلم ورافعاً للعرفان أن تتقدم الأبحاث الخاصة بغرفة ولسون للحد الذى سمحت فيه للعالم الكبير أندرسون Anderson بكشف الذرة الموجبة للكهرباء التى نسميها بوزيتون Positon وقد منحه المجمع النيويدى من أجل هذا الكشف جائزة نوبل للطبيعة

(١) يطبقون اليوم هذه الظاهرة فى نواحى عملية عديدة فيدرسون بواسطتها مثلا الأثر الذى يحدث فى القطع المختلفة للآلات وهى فى حالة الحركة فنستطيع أن نرى قاطرة ثابتة أمام أعيننا لا تتحرك فى وقت تدير ها بسرعة تزيد عن مائة كيلو متر فى الساعة ، وتوجد محطة تجارب لقاطرات السكك الحديدية من هذا النوع فى « أيفرى » من ضواحى باريز ، حيث ترى رأى العين القطع المتحركة فى القاطرة ثابتة فى وقت تتم حركتها فيه الآلاف

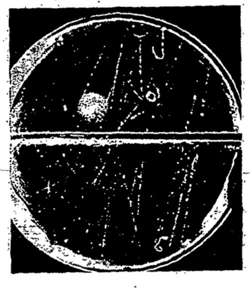
(١) نسبة إلى س . ت . و ولسون C. T. R. Wilson العالم الانجليزى المعروف وهو أول من استعمل طريقة تكاثف البخار عند تمدد الغاز الفجائى فى أبحاثه الطبيعية المعروفة

لقد أستعان أندرسون في بادئ الأمر في تجاربه التي قام بها في باسادينا ، وكينز Kunze في تجاربه التي قام بها في روستوك ، بمجال مغناطيسي قوي يبلغ ١٨ ألف جوس ، فوجدا أن مسارات جميع الجسيمات المكونة للأشعة تنحني في مثل هذا المجال القوي ، وبفرض أن كتلة هذه الجسيمات هي كتلة الألكترون فإن طاقتها تقع بين $\frac{٨}{١٠}$ ، $\frac{٩}{١٠}$ ألكترون فولت ، بل تبلغ طاقة بعضها $\frac{١٠}{١٠}$ الألكترون فولت ، وقد وجدا بادئ الأمر أنه بينما ينحني نصف هذه الجسيمات في اتجاه معين داخل غرفة ولسون ، ينحني النصف الثاني في الاتجاه الآخر ، مما يدل على أن شحنة نصف عدد هذه الجسيمات سالبة وشحنة النصف الآخر موجبة

على أن استمرار البحوث في دراسة المسارات المنحنية في اتجاه الجسيمات الموجبة الذي قام به أندرسون أدى إلى كشف غريب يعد من أهم اكتشافات العلوم الطبيعية الحديثة . في إحدى الفوتوغرافيات العديدة التي قام بها أندرسون ظهر بوضوح مسار لجسيم اخترق لوحة معدنية موضوعة داخل الغرفة ففقد هذا الجسيم باختراقه اللوحة جزءاً من طاقته لدرجة وضح فيها اتجاه الجسيم الذي دل باتجاهه على أن شحنته موجبة . ولقد كان مساره طويلاً للحد الذي لا يمكن اعتباره مع طول هذا المسار « بروتوناً » (نواة الهيدروجين) وكتلة هذا الأخير ، أي البروتون ، تساوي ١٨٥٠ مرة قدر كتلة الألكترون ، عندئذ اقترح أندرسون إمكان وجود جسيم موجب الشحنة قائم بذاته يختلف عن البروتون ، وهذا الجسيم الذي كشفه تقرب كتلته للألكترون عن البروتون وقد سمي فيما بعد « بوزيتون »

ولقد ثبت رأي أندرسون هذا بتجارب أخرى عديدة قام بها بلاكت Blackett وأوشياليني Occhialini اللذان توصلا لتحسين طريقة غرفة ولسون كما توصلا لإثبات ما عثر أندرسون عنه الستار .

وينحصر عمل بلاكت وزميله أوشياليني في أن تمكنا من أن يجعلا الجسيمات الكونية هي التي تقوم بنفسها بعمل الفوتوغرافيات لها في الوقت الذي تمر فيه ، وذلك بأن تمر أولاً هذه الجسيمات في عدادين من العدادات التي سبق أن شرحناها ، فينتج عن التأين الحادث في هذه العدادات زيادة في فرق الضغط الكهربائي وبالتالي حركة ميكانيكية ، هي التي تقوم بتحريك المكبس في غرفة ولسون ، بحيث أن الغرفة لا تعمل إلا عند مرور جسيم كوني



(شكل ١) حزمة تظهر في الجزء الأعلى لأنبوبة ولسون وحزمة أخرى تظهر في لوح الرصاص (المجال المغناطيسي ١٧ ألف جوس)

عندئذ بات من المؤكد ألا تحصل هذه الفوتوغرافيات إلا عند مرور الجسيمات الكونية . ومما يجدر بالذكر أنه قبل استعمال هذه الطريقة كان يلزم أن يقوم الباحث بعمل مئات الفوتوغرافيات ليحصل على واحدة أو اثنتين من الصور التي يرى عليها مسارات هذه الجسيمات الكونية ، لأنه عند ما يقوم الباحث بتحريك المكبس والجهاز الفوتوغرافي لا يعلم إذا كان يمر في نفس الوقت جسيم من الأشعة الكونية ، أما الآن فإنه في كل مائة صورة ترى حوالى ٧٥ صورة مرسوماً عليها مسارات هذه الجسيمات المتناهية في الصغر .

ويتلخص الوقف اليوم أنهم توصلوا لعمل أجهزة تسمى عدادات الألكترونات وتوصيلها بعضها ببعض ، بحيث لا تتأثر إلا بمرور جسيم كوني يخترق العدادات معاً ، وأنه يتأثر هذه

العداَدات يتحرك المكبس الموجود فى جهاز آخر ، يسمى جهاز ولسون ، كما يتحرك الجهاز الفوتوغرافى ، بحيث أن أصغر مكونات الكون وهو الألكترون عند مروره أو مرور شقيقه البوزيتون يسبب كل منهما حركة كل هذه الأجهزة ، فتسمعه أولاً ثم ترى مساره ثانياً ، بل ترى أثر ما أحدثه من تهدم وتفتت فى ذرات المادة التى اخترقها



(شكل ٢) زوجا ألكترون وبوزيتون يظهران فجأة فى غرفة ولسون من أبحاث شادويك (Chadwick) وبلاكت (Blackett) وأوشياليني (Occhialini) منشورة فى محاضر الجمعية الملكية الانجليزية المجلد ١٤٤ ص ٢٣٥ (١٩٣٤) ، (Nature) جزء ١٣١ ص ٤٧٨ (١٩٣٣)

وفى الشكل (١) ترى غرفة ولسون وترى حزمة من الجسيمات تظهر فى الجزء الأعلى من هذه الغرفة كما ترى حزمة من الجسيمات المطرودة من لوحة الرصاص الموضوعة داخل الغرفة . وفى الشكل (٢) يرى القارىء زوجين الكترون ، وشقيقه البوزيتون ، الجسيم المكتشف حديثاً ، يظهران فجأة فى غرفة ولسون ، وتعد غرفة ولسون ، وما يدور فيها من حوادث جسام أعظم ما توصل إليه العلماء فى البحث التجريبى .

وإلى اليوم الذى قد يتاح فيه القيام بتجارب أعظم أثراً من التجربة السابقة ، عند ما يتاح للعلماء أن ينتفعوا مثلاً بالطاقة والنشاط الموجودين فى المادة فى مرافق حياتنا المختلفة ، عند ما لا نعتمد فيما نحتاج إليه من طاقة إلى ما هو معروف من الفحم ، والوقود والكهرباء ، عند ما يصبح مصدر ما نحتاج إليه القليل من المادة والتافه من الأشياء ؛ فإن التجربة الخاصة بغرفة ولسون ستظل حتى هذا الوقت من أعظم وأدق التجارب العلمية التى تحققت فى وقتنا الحاضر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله
جهز شايا «ثقيلاً» واسكبه على مبشور الثلج ثم اضف
اليه السكر والليمون او اللبن حسبما يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند وسيلان وجاوه وسومطرا



دراسات في الفن

طابعنا المصري في فننا

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

منذ أحس المصريون حاجتهم إلى إيجاد كيان ذاتي خاص بهم يميزهم من غيرهم ، وأهلُ الفن منهم يجهدون أنفسهم سعياً وراء فن قوي يكون له طابعه المصري الخاص الذي إذا اتضح وتجلى ثبت للعالم كله أن مصر لها ذوق فني قائم بذاته ، وأنها بذلك الفن أمة جديرة بالاعتناء حقيقة بأن تمضي بين الشعوب الحية في هذا الزمان ؛ فإنه لا شيء يميز أمة من أمة إلا الفن ، لأنه النتاج النفسي المعبر عن إحساسهم والذي لا يحسه غيرهم ، ولا يمكن أن يحسه غيرهم إلا إذا عاش معهم في ثنايا مجتمعهم وعلى أرضهم وتحت كل المؤثرات المادية والمعنوية التي تؤثر فيهم . وهذا شيء يستلزمه الفن وحده ؛ وهو في هذا يختلف عن العلم الذي تستطيع كل العقول البشرية أن تساهم فيه وأن تتشابه . فأنت إذا ذكرت لأي إنسان الرقم « ٥ » لم يبعد أن يطوف بذهنه أن الخمسة مجموعة من الاثنين والثلاثة ، أو من الواحد والأربعة ، ولكنه لا يمكن أن يخطر على بال أحد من غير المصريين أن الرقم « ٥ » له معنى آخر وهو مقاومته للحسد ، ذلك أن هذا التحول بمعنى الرقم الأصلي إلى هذا المعنى العرفي الجديد شيء اصطلح عليه المصريون وحدهم وقد هيأتهم له عوامل ودوافع لم تتخلق في غير البيئة المصرية ، وهذا التحول الجديد اسمه عند أصحاب البلاغة كناية أو مجاز أو أي اسم آخر من هذه الأسماء التي تشير إلى أن الكلمة قد خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى جديد . . . ولا شيء يصنع هذا الصنيع بالكلمات إلا الفن

هـذا والمصري يتعلم الحساب كما يتعلمه الفرنسي ولكنه لا يعرف للرقم (٥) المعنى الذي نعرفه . إن الفرنسي يدرس الهندسة النظرية كما يدرسها الياباني ، ولكنه حين يطبقها وحين يخرج بها من العلم النظري إلى الفن المنفوث فيه من ذوقه وروحه كانت عمارته التي يجمع علمه بالهندسة لإنشائها مختلفة اختلافاً تاماً في مظهرها وتكوينها عن عمارة الياباني التي ينفث فيها هو أيضاً من ذوقه وروحه ما ربته اليابان في نفسه بمناخها ، وطبيعة أرضها وعادات أهلها ، ودينهم وأخلاقهم أيضاً .

فإذا اتفقنا على أن الفن وحده هو الذي يميز الشعوب بعضها من بعض — وهذا أمر أظن أنه قد أصبح ميسوراً أن نتفق عليه — رأينا أهل الفن المصريين الذين أحسوا وجوب ابتداع فن مصري حديث محقين منصفين وطمهم المسكين الذي طال شوقه إلى العزة الذاتية التي لم يعد لنا سبيل إلى تحقيقها إلا عن طريق الفن ما دمنا قد أدركنا أن الصناعات والعلوم إذا تشابهت في الأمم لم يكن هذا مما يمس كيانها الذاتي ، وما دمنا مؤمنين بأننا متخلفون في هذه الآفاق جميعاً عن غيرنا فلن نلحقهم فيها إلا بعد جهد .

نحن إذن لا نملك إلا أن نعجب بكل فنان مصري يعمل لإنشاء الفن المصري أو ينادي بإنشائه لأن في عمله هذا سعياً إلى تثبيت عزتنا القومية .

ونريد الآن أن نتعرف الطريق الذي يؤدي بنا إلى هذه الغاية النبيلة ، وقد يرى القارىء بعد الكشف عن هذا الطريق أن مصر لا تزال عذراء وهي المليحة الحسناء ، وأن الفنان المصري الظمآن إلى الجمال لا يزال بعيداً عنها كل البعد يبحث عن عروسه في الفضاء ، وفي الهواء ، وهي تكاد تتخاذل من الشوق إليه ، وتكاد تستخذي من كثرة ما تبرجت وازينت وخطرت أمام بصره.

وتهادت أمام بصيرته ، وهو يأبى إلا أن يغمض دونها عينيه ، وأن يغلف دونها نفسه كأنما هو يتقيها اتقاء وكأن بينه وبينها ثأراً .

وقد يحسن قبل أن نزف هذه العروس إلى هذا المتعشق الحيران أن نحدثه عنها قليلاً

فما هي مصر ؟

هي أولاً هذه الأرض التي تعرفها والتي تتشكل الطبيعة فيها بثلاثة أشكال بارزة قد ترادفها أشكال أخرى . أما هذه الأشكال البارزة فهي هذه البيئات الجغرافية الثلاث : بيئة الصحراء ، وبيئة الريف ، وبيئة السواحل . وأما البيئات الأخرى فنذكر منها بيئات المدن ، والواحات ، والبحيرات . ومصر هذه يشقها من الجنوب إلى الشمال نهر النيل ، وتتناثر في شمالها وشرقها البحيرات ، ويجاورها من الجنوب السودان فيلون أهل جنوبها ببعض لونه الذي يتصف من بيئته الجغرافية . وتكاد مصر بعد ذلك تنعزل عن أراضي جيرانها

أما سماء مصر فصافية مكشوفة لا تتلبد إلا عند السواحل فقط ، وأما مناخها فمعتدل هادئ أميل إلى الحرارة لا يصطخب ولا يبرد إلا عند السواحل أيضاً .

هذه هي بيئة مصر الجغرافية وهي كما ترى بيئة سهلة لا تعقيد فيها ، وقد طبعت هذه البيئة السهلة أهلها بهذه السهولة ، فالمصريون فيهم من الطفولة البشرية ما في أرضهم وجوهم من الطفولة والسلاسة ، وهذه الطفولة نفسها هي أخصب مجال للفن إذا اتفقنا على أن الفن الصادق هو ما كان منبعه الحس لا التفكير . والشعب المصري يشهد بهذه الحقيقة ؛ فما من مصري إلا وله اتجاه فني خاص ؛ وأغلب المصريين يتجهون إلى الغناء والنكتة ، والغناء فن ، والنكتة فن . هذا إلى جانب ما يشيع في المصريين على مر الزمن من إدمانهم لفن « التدين » الذي آثروه على بقية الفنون فتيسر لهم من ألوانه ما تتابع عليهم وعلى حياتهم منذ ألّهوا فراعينهم إلى هذا الزمن الذي وحدوا فيه الله توحيداً صريحاً ، ولكنهم مع هذا التوحيد أبوا إلا أن يتزلفوا بالتقديس إلى أرباب القباب من الموتى ، وأهل الزعامة من الأحياء

فالشعب المصري إذن شعب فنان لأن أرضه تبث الفن بما لها من السهولة والنقاء

فإذا فرغنا من دراسة مصر جغرافياً وجب علينا أن ندرسها بعد ذلك اجتماعياً . وقد لا يجهدنا هذا الدرس إذا سلكنا إليه أقرب السبل فقلنا : إن المصريين سكان هذه الأرض المتشكلين بأشكالها ، هم إما صحراويون طبعتهم الصحراء بطبعها ، وإما ريفيون شكلهم الريف بشكله ، وإما ساحليون لونهم البحر بلونه ... ولعلنا نعرف أن كل بيئة من هذه البيئات الجغرافية تؤثر في طباع أهلها تأثيراً خاصاً ، فأبرز ما يميز أهل الصحراء الشمم لدوام حريتهم وإبائهم الضيم ؛ وأبرز ما يميز أهل الريف الصبر لخضوعهم الإجباري لنظام الزراعة ومواقيتها ؛ وأبرز ما يميز أهل السواحل روح المغامرة التي يبعثها في نفوسهم التجول في البحر . وإلى جانب هذه الصفات البارزة في أهل كل بيئة من هذه البيئات الجغرافية صفات أخرى لابد أن يحسها الفنان، وقد يستطيع الباحث المتفهم أن يستطلعها

فرغنا الآن من مصر المعاصرة فألمنا بها أرضاً ومجتمعاً . ولكن مصر المعاصرة هذه ليست مصر كلها ، فإن لمصر تاريخاً ماضياً ، وإن لها آمالاً في المستقبل ، وإن لها في الحاضر نفسه صلات بغيرها من الشعوب ؛ وتاريخ مصر الماضي يتمم كيانها الحاضر ، ويساهم في رسم طريق المستقبل وتعبيده ، وإن آمالها التي ترجوها في المستقبل تحيا في حاضرها وتوقظ من ماضيها ماتستلزمه وما تريد أن تعتمد عليه ، وإن صلاتها الحاضرة بغيرها من الشعوب والأمم تعمل هي أيضاً في تبلور كيانها ، ولعل هذه الصلات هي أشد العوامل تأثيراً في الذات المصرية الناشئة ، ولعلها أشدها خطراً على استقلال هذه الذات ، فهي إذا دبت إلى العلم والصناعة ارتقت بالمصريين ، ولكنها إذا تمكنت من الفن المصري مضغت مصر وقذفتها إلى المحتكين بها لقمة سائغة

وقد يكون من الخير للانسانية كلها أن تندمج وأن يتوحد ذوقها وحسها ، ولكن يظهر أن هذه أمنية يصعب تحقيقها ، ويظهر أيضاً أن تحقيقها لن يتم إلا إذا سرى قانون بقاء الأصلح ، فإذا كان هذا حقاً فإنه يتعين علينا أن نجاهد كي نكون من الصالحين حتى لا تلتهمنا الإنسانية إذا كانت ماضية إلى التوحد . وإنها لماضية إليه . وكل الدلائل تدل على هذا المضي وإن كنا نظن أن الفن وحده هو الذي سيبقى مميزاً لأصحاب الأوطان المختلفة بعضهم

من بعض ، وإن كان هذا التميز سيتقلص كثيراً حتى ينحصر في شكل الفن وأسلوبه وبعض روحه إلى أن يشاء الله غير ماشاء منذ جعل الناس شعوباً وأمماً ليتعارفوا

وعلى أي حال فنحن لا نزال في حاجة إلى فن مصري قوي . وها نحن أولاء رأينا أن الشعب المصري مفطور على الفن بطبعه : خلقته فيه بيئته وأرضه؛ فهل استطاع المتصدون لإبداع الفن في مصر هذه الأيام أن يشبعوا هذا الشعب فناً مصرياً ؟

هل يقرأ المصريون من أهل البيئات المصرية المختلفة ما يكتبه أدباؤنا المصريون؛ وهل يفهمه ويحسه الأميون منهم إذا قرىء عليهم؟

وهل يستطيع المصريون أن يستمتعوا بالصور التي رسمها رساموهم ؟

وهل يتغنى المصريون بهذه الأغاني التي يرتلها المغنون اليوم؟

وهل ينشد المصريون هذا الشعر الذي يكتبه شعراؤهم وهل يعطفون عليه ويحبونه ؟

هل يقرر الواقع شيئاً من هذا ؟ كلا ؟ فالواقع يقرر أن أهل الفن عندنا في واد وأن الشعب المصري في واد . ويظهر أن ذلك راجع إلى أن نهضة الفن عندنا صاحبت نهضة الثقافة فخرج الفنانون المصريون من بين المثقفين ، والثقافة المصرية الحديثة كما هو واضح ثقافة مترجمة منقولة؛ وليتها كانت مترجمة عن أصل واحد قريب من طبعنا ، وإنما هي أمشاج من ثقافات شعوب مختلفة لكل منها ذوق ولكل منها طبع . ولقد كان هذا الاضطراب سبباً في اضطراب العقل المصري المثقف ، واضطراب النفس المصرية المثقفة . فالفنان المصري المثقف يخرج فناً قد عبثت به الثقافة المضطربة هذه فهو كالخليط المتباعد الأخلاط ، وليس كالمزيج الذي اندمجت عناصره فأصبح بهذا الاندماج عنصراً جديداً له ذات جديدة وكيان جديد

لهذا يستوحش المصريون هذه الفنون المثقفة ، ولهذا يحب المصريون فنونهم الساذجة البلهاء التي ينتجها فنانون لا يعرفهم المثقفون وقد لا يعرفهم الشعب نفسه وإن كان يتعشق فنونهم

لهذا كان علينا إذا أردنا أن ننشىء الفن القوي أن نسلك سبيلاً من سبيلين : فإما أن نصبر على هؤلاء الفنانين المصريين من غير المثقفين حتى يرقوا وينضجوا فيحتلوا مكانتهم التي تؤهلهم الطبيعة لاحتلالها ويكون هذا أمراً طبيعياً لا يعترضه معترض ، وإما أن نحز نفوس المثقفين من أهل الفن عندنا ليتيقظوا من ثقافتهم وليعودوا إلى الطبع المصري ، وأظن أنه ليس من العسير على الإنسان أن يسترد نفسه ، وأن يسترجع أصله ، وأن يستعيد طبعه وأن يغسل نفسه مما لصق بها من الزيف.

ها هي ذي مصر أمام الرسام ، وها هي ذي بيئاتها المختلفة ماثلة أمام عينيه بما فيها من ناس وحيوان ونبات وجماد ، وها هي ذي أخلاق أهلها وعاداتهم تناوش نفسه ما دام يعايش أهلها ويعاشرهم . أفلا يستطيع الرسام المصري إذن أن يقف وقفات كثيرة عند مظاهر كثيرة ومعان كثيرة من مظاهر الجمال ومعانيه في هذه البيئات المصرية المختلفة ؟! إنه يستطيع لو أنه فتح عينيه واستقبل الصور التي تتلقيانها بنفس مصرية . ولا ريب أن القارئ قد لحظ أن عقائد المصريين — مثلاً — لا تزال بعيدة عن التصوير المصري . فمن من المصريين رسم صوراً لقصة السيد البدوي ! وللسيد البدوي عند المصريين أقاصيص فيها مواقف تستحق الرسم والتصوير ؟ ومن من المصورين المصريين صور الحاوي المصري ؟ ومن منهم صور « شيخ الطريقة » ومن منهم صور « بطولة أدهم » ومن منهم صور « غزوة السودان » و « أهل الكهف » و « زفة العروسة » و « رقصة البدو » و « صيد الترسة » و « معركة في الأسكندرية » و « البحث عن أم الخلول » و « صانع القلل » و « عامل المحلة » و « نكتة رشيد » وما إلى ذلك من الموضوعات المصرية البحتة التي لو أخرجت في ألوانها المصرية الطبيعية الصحيحة لأرضت كل إحساس وكل فكر .

وها هي ذي مصر عند سمع الموسيقي : لماذا لا يغني أهل الصعيد هذه الألحان التي تصاغ في القاهرة ؟ ألأن لهم لهجة في الكلام غير لهجة القاهريين؟ كلا، فلهجات الكلام لم تكن يوماً حجاباً دون النغم . فها هي ذي الأوبرات الإيطالية تستبقي ألحانها وأنغامها كما صاغها ملحنوها ويستبدل بنظمها نظم انجليزي في انجلترا وفرنسي في فرنسا وألماني في ألمانيا فلا ينفر الانجليز ولا الفرنسيون ولا الألمان من الموسيقى الإيطالية في هذه الأوبرات مثلما ينفر أهل الصعيد من الموسيقى القاهرية ... فهل يدل هذا على شيء

أكثر من أن اعوجاجاً أصاب الذوق الفني في القاهرة فخرج به على الطبع المصري إذ أراد التجديد ؟ أولا يدل هذا على أن أصحاب التجديد قد انخدعوا في تجديدهم إذ أرادوا أن يلاحقوا به تجديد سيد درويش وهم لا يذكرون أن موسيقاه كانت رجعة إلى الطبيعة الإنسانية وصحوة ارتجفت بها الروح المصرية . والدليل على ذلك أن ألحانه التي صور بها بيئات المصريين كانت تعبيراً صحيحاً صادقاً عن النفس المصرية فراجت بين المصريين رواجاً رائعاً ، ومنها ما لا يزال يطن في الأذن إلى اليوم مثل « طلعت يا ما احلى نورها الشمس الشموسة » و « مليحة جوى القلل الجناوى » و « يا ولد عمى يا بوى » و « يا صلاة أم اسماعيل في وسط عيالها » ...

ويحق علينا ما دمنا نرى إلى إحقاق الحق أن ننصف الموسيقيين المصريين فنقرر أن الأصوات الطبيعية التي يمكن أن تنقل عن البيئة المصرية الطبيعية قليلة ، فليس في مصر زوابع ولا أعاصير ولا أمطار ولا رياح ولا غابات تصفر فيها الريح وتزأر فيها الأسود ، ولا شيء من هذا الذي تنعم به البيئات الأخرى ، ولكن ليس معنى هذا أن بيئتنا المصرية مجدبة مما يوحي الموسيقى ، فإن في هدوئها وتخافت أصواتها ورهبتها وجمالها وخفتها وجلالها ، وما في مجتمعها وتاريخها وآمالها ما يصلح لتأليف أنصع الموضوعات الموسيقية المنشودة . ولا يتوقف ذلك إلا على شعور الموسيقيين المصريين ببيئتهم المصرية وما فيها .

ونحن الآن مع الأدباء أمام الحياة المصرية . وللأدب في مصر مشكلتان لا مشكلة واحدة : أولاهما مشكلة «الموضوع» التي تعرضنا لها في الرسم والموسيقى ، وأخراهما مشكلة «اللغة» فنحن في مصر نتكلم لغة ونكتب أخرى . ولغتانا على تقاربهما الشديد مختلفتان لا يمكن أن ينكر اختلافهما إنسان . وعلى أساس ما قررناه كان أقرب الأدب إلى طبع المصري هو أقربه إلى لهجته وكلامه إذا عالج موضوعات من حياته كما يفعل الأديب المصري الصادق محمود بيرم التونسي ، فأدبه مستخلص من الحياة المصرية ، ومؤدى باللسان المصري .

على أننا نستطيع أن نتصور اللغة العربية الفصحى ، وقد راجت بين المصريين إذا تعلموا القراءة والكتابة ، ومع هذا فإننا لن نستطيع أن نتصور أن هذا سيمحو ضرورة اتصال الأدب المصري بالحياة المصرية . فالتساهل في أمر اللغة لا يؤثر في روح الأدب . وإن للمصريين ذوقاً وطبعاً إذا لم يظهرا في الأدب المصري كان أدباً عربياً أو غير عربي ، ولكنه على أي حال لن يكون أدباً مصرياً . وقد يحس القراء مني أن في شعر الشاعر الفذ محمود حسن اسماعيل تحقيقاً لهذا الذي نرجوه . فهو وإن كان يكتب باللغة العربية الفصحى فإنه لا يطرق إلا موضوعات مصرية صحيحة ، ولا يؤديها إلا أداء مصرياً سليماً يلحظ فيه الذوق المصري وإن لم يتقيد فيه باللفظ المصري .

فإذا تركنا هذه الناحية الناعمة من الذوق المصري وعرجنا على الادب في جوهره رأينا الأقلية من الكتاب والأدباء هم الذين يعالجون الموضوعات المصرية ، ورأينا هؤلاء الذين يبسطون للناس أدباً مصريًّا صحيحاً متهمين بأنهم أدباء «شعبيون» بعد تحويل الوصف الشعبي من معنى المدح إلى معنى الذم

عزيز أحمد فهمي



من هنا ومن هناك

الدعاية في ألمانيا

نشرت مجلة ذي انترنشنال نازي التي تصدر في لندن مقالاً طريفاً عن الدعاية الألمانية رأينا أن نلخصه لقراء الرسالة ليلموا بنوع جديد من أنظمة النازي يشمل سائر بلاد العالم

في ألمانيا نظام للدعاية واسع النطاق كثير الشعب والأنحاء حتى ليُعجز عن الوصف ..

ولا يقف هذا النظام على وكالة واحدة تقوم بهذا الغرض ؛ ولكن الدعاية في ألمانيا لها أقسام وإدارات مختلفة متصلة جميعها بوزارات الحكومة وإداراتها. وقد تمتد مراكزها إلى أقصى جهات المعمورة وتجتمع جميعها في مركز واحد يدير شئونها ويشرف عليها

ووزارة الدعاية في ألمانيا يشرف عليها دكتور جوبلز ، ولها جيش من مراسلي الصحف في جميع أنحاء العالم يدخلون في عداد موظفي الحكومة ، وهي تشرف على ما لا يقل عن ثلثمائة جريدة في مختلف الممالك . ولها مخبرون أكفاء يغذون تلك الصحف في بلاد كجنوب أمريكا والشرق الأقصى . وقد أنشئت محطات عديدة للاسلكي لنقل الأخبار إليها من الجهات النائية كجزائر الهند الشرقية . وهي تسخر لأغراضها وكالات السياحة الألمانية وبواخر الريخ وتسيطر على جميع وسائل الدعاية

ويراقب قسم الدعاية الصحف الأجنبية في مختلف بلاد العالم حتى إذا كتبت صحيفة في أية جهة شيئاً لا يتفق وروح الدعاية الألمانية يصل إليها علمه في الحال . وتُذاع التعليمات السرية على الصحف يومياً؛ وكل مخالفة لهذه التعليمات تعد خيانة

وأهم وكالة للدعاية العامة هي الوكالة الأجنبية للحزب الاشتراكي الوطني وتتصل بالجمعيات الألمانية في جميع أنحاء العالم ولا يقل عددها عن ثلاثين ألفاً ويشرف عليها أرنست بوهل الذي قضى أيام طفولته في جنوب أفريقيا ، ولم يدخل ألمانيا إلا سنة ١٩٢٠ وهو في السادسة عشرة من عمره

والألمان الذين يعيشون في الخارج يجب أن يكونوا تحت تصرف القنصلية الألمانية في البلاد التي يعيشون فيها ، ويتصلون بجمعيات النازي المحلية على الدوام ، وبذلك يكونون تحت تصرف الحكومة . وكل مخالفة لأوامر النازي قد تعرض الشخص للحرمان من الجنسية الألمانية ، وإلغاء تصريح السفر الذي منح له ، كما أنها تعرض أسرته للضغط والاضطهاد داخل ألمانيا

وهناك نظام خاص لتعليم هؤلاء الذين يقومون بالدعاية في الجهات الأجنبية ، ففي ألمانيا مدرسة تحت إشراف دكتور روزنبرج، وأكاديمية في ميونيخ يديرها كارل هوشوفر

وكل أستاذ ألماني أو معلم يقبل الخدمة في الخارج ، لا بد أن يقضي وقتاً في الدراسة بهذه الأكاديمية . والطلبة الذين يسافرون إلى مناطق بعيدة عن ألمانيا يجب أن يلتحقوا بجماعة « الطلبة الألمان » في تلك الجهات

وتوضع رقابة شديدة في الموانئ على المؤلفات التي تصدر إلى البلاد الأجنبية أو التي ترد منها ، فلا يخرج منها كتاب يخالف مبادئ النازي في شيء من الأشياء ، ولا تبيح للأدب المخالف للنازي الدخول إليها . وهذه الرقابة تشمل المسافرين على المراكب الألمانية كيفما كانت جنسيتهم

ولم تكتف الدعاية الألمانية بمراقبة القراء الألمان واتصالهم بالرأي العام في الخارج ، فقد أصرت على سحب النسخة التي طبعت في فرنسا من كتاب « كفاحي » لبعض كلمات علق بها على معاملة هتلر لفرنسا

وترتكب حوادث القتل والخطف في سبيل الدعاية تحت إشراف الحكومة وبمعاونتها ؛ ومن أشهر تلك الحوادث خطف الصحفي اليهودي برتولد جاكوب ، ومقتل دكتور دولفوس

هل نحن مسوقون الى الهمجية ؟

تتضارب الأفكار في العصر الحديث ، فهو عصر تطورت فيه شئون العالم ، واختلفت فيه المبادئ المقررة إلى درجة لم يمهد لها مثيل ! كل ما فيه جديد يدعو إلى إطالة التفكير ، فهل نحن مسوقون مع هذا إلى تحقيق آمال الإنسانية في التقدم والرقي ، أم نحن مسوقون إلى الهمجية ؟

والمقال التالى ملخص عن «ذى أنديان ريفيو» التي تصدر فى مدراس بقلم أستاذ بجامعة الهند، وهو يبين وجهة من وجهات النظر فى هذا الموضوع: «إذا كان معنى المدنية تقدم العالم ورفاهته، وتضحية الفرد فى سبيل مصلحة المجموع؛ وإذا كان معنى المدنية ضبط النفس وكبح جماحها، فيجب علينا أن نقول إننا منذ الحرب العظمى نسير بخطى واسعة نحو الهمجية

فى مدى القرن التاسع عشر كانت آمالنا تمتد وتتسع، حتى أصبحنا نعتقد أننا لسنا ببعيدين عن عصر ذهبى عظيم! فالعلوم تسير بخطى كبيرة نحو التقدم، تاركة للانسان السيطرة على قوى الطبيعة المختلفة؛ والديمقراطية تنشر لواءها على سائر بلاد العالم المتمدن؛ والرأى العام يحترم فى كل مكان؛ والمثل العليا تقود الإنسان نحو التقدم فى سائر أنحاء الحياة.

ولقد جاءت الحرب العظمى بعد ذلك بقواها المدمرة، فشتتت العائلات، وأزالت عن المرأة قناع العفة والحياء، ولم يكن أحد ليفكر فى هذه الحال إذ ذاك، لانصراف الأمم جميعها إلى أمر واحد وهو كسب الحرب.

فبعد أن وضعت الحرب أوزارها أنشئت عصبة الأمم، فطرب لها العالم وظن الناس أن العصر الذهبى المرموق قد ظهرت بشائره تحمل معها الأمن والإخلاص، حيث يحل حكم العقل والعدالة فى كل مكان، وينصرف الخوف والجزع عن الأمم الضعيفة، فتصبح فى مأمن من اعتداء جاراتها القوية

ولكن تلك الأمانى لم تلبث أن تقشعت، وحل محلها ذلك التفكك فى عرى الروابط العائلية والوشائج الوطنية. وحلت الأباحية محل العفة وضبط النفس، وذهب الإخلاص والطهر من الرجل كما ذهبا عن المرأة، وحل محلهما الطمع وإشباع الشهوات واختفت الرغبة فى الزواج فراراً من تحمل أعباء الزوجية

إن هذا الانقياد للشرور وعدم الخضوع لقانون العقل والعرف يدلان على أن الهمجية تهددنا وتقترب منا يوماً عن يوم

ولقد ظهرت هذه الميول الوحشية فى شؤوننا السياسية. لقد كانت الأمة تخجل أن تهاجم أمة أخرى قبل أن تمهد لذلك بأعذار يقبلها العقل، وكان الرأى العام يحسب له حساب

ولكن القاعدة المتبعة الآن تخالف ذلك كل المخالفة، فيكفى أن تكون الأمة راغبة فى التوسع والرقى وتبوىء مكانها تحت الشمس، كما يقولون، لتعتدى على استقلال جاراتها

لقد جاء زمن كان الواجب يقضى فيه على الأمة المحاربة أن تعلن الأمة الأخرى بأن تستعد لمحاربتها، ولكن قد بطل كل ذلك فى ضمير الأمم الآن. والرأى أن تأخذ عدوك على غرة وتسلط الهزيمة مباشرة عليه

ولم يعد فى عرف الأمم الحاضرة ضرورة لحماية الأطفال والنساء من خطر الطيارات. وقد بطل العمل بالقوانين التى تمنع الاعتداء على المستشفيات وأماكن التعليم والعبادة. وأملت الوحشية على تلك القلوب المتحجرة أن الخسائر التى تحملها الطيارات بالنفوس البشرية عمل من أعمال الإنسانية حيث تقضى عليها فى أمد قصير!

ولا يباح الآن للأمة الصغيرة أن تضع سياستها بنفسها، ولكن الأمم القوية هى التى تضع لها السياسة التى تسير عليها. فإذا رفضت أن تعمل تحت إمرتها كان رفضها كافياً لتدميرها. ولقد فقدت ثقة كل أمة بمقاصد جاراتها فلا ثقة اليوم إلا بالتسليح

إن ما انتهت إليه حال عصبة الأمم، وما كان يوضع فيها من الآمال والمبادئ السامية التى أصبحت أثراً بعد عين، لما يدعو إلى الأسف الشديد.

ولقد رأينا كيف يقضى على حقوق الفرد ويعتدى على حرية الرأى حتى أصبحت أسماء لا مسمى لها فى بلاد كألمانيا وروسيا وإيطاليا، وأصبح كل نقد يوجه إلى هذه الحال يقابل بمنتهى الشك

وهكذا حيثما وجهنا النظر وجدنا المدنية تتدهور يوماً بعد يوم والعالم المضطرب يسير وسط هذه الزعازع كسفينة بغير سكان، يقودها ملاحون مخبولون نحو الهاوية التى ستدفعها إلى القاع.



١ — على هامش محاضرة حافظ عفيفي باشا

كلام حق ومنطق سديد ؛ وآراء فى التربية والتعليم يندر أن تسمعها فى هذا البلد ، لأن الجرأة فيه متقاعدة والصوت المخالف يرق لجأة حين يجب الصراخ

سرد حافظ عفيفي باشا فى محاضرته (الجامعة الأمريكية ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٩) عيوب التعليم فى مصر ، فأخذ فيما أخذ على الشباب انصرافهم إلى السياسة عن التحصيل ، وقعودهم عن مواصلة الدرس والاطلاع بعد نيل الشهادة ، وشغفهم بالتوظف وقلة « ثقافتهم المعنوية » . وفى رأى المحاضر أنه لا بد من إصلاح نظم التعليم . وفى رأيه أيضاً أن أساس الإصلاح إنما هو إعداد المدرس الصالح

وما أظن أحداً من أهل الفطنة والدراية يخالف حافظ عفيفي باشا فى تلك الآراء ، بل أعرف نفراً من المفكرين المصريين رونها ؛ إلا أن قصة المدرس الصالح والمربى العارف لا تتم على الوجه المرضىّ ما دام أمر التدريس والتربية فى أيدى « أولئك الموظفين المخضرمين الذين نشأهم المستشار دنلوب على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة ، وأخذهم بـ (روتين) (أى بجمود) النظام حتى أصبح لهم فطرة ... » كما قال الأستاذ أحمد حسن الزيات فى العدد السابق من الرسالة .

أطلبوا الشباب وانظروا إلى الدول الناشطة : إلى ألمانية وإيطالية وأمريكة الشمالية . أما سئمتم الخدَر والنعاس ؟ !

٢ — حماية نفائس دار الآثار العربية

فى الرسالة رقم ٣٠٤ أخبرتك بأن المسيو فيت ، وهو مدير دار الآثار العربية فى مصر أقبل على الإرسال بثمانمائة قطعة من نفائس الدار إلى باريس لتمد معرض الفن الإسلامى المزمع إقامته هنالك ، وزدت أن وزارة المعارف وقفت دون ذلك .

ومما اتصل بى أن المسيو فيت لا يزال يسعى فى إخراج تلك النفائس من الدار . وقد بينت فى المقال السابق الأسباب التى من أجلها يمتنع خروجها امتناعاً . وحسب وزارة المعارف أن تتمسك بقانون دار الآثار . وحسبها أن تسأل المتحف المصرى هل يأذن فى خروج محفوظاته كلما قام معرض فى بلد من البلدان . ولا أحب أن أعود إلى التبيين والتدليل ، لعلمى أن أصحاب الأمر فى وزارة المعارف يغضبون لخروج تلك النفائس غضبى لذلك ، وأنهم يغارون عليها وبها يعتزون . أعلم هذا ، ولذلك أسألهم أن يأمروا بإعادة القطع إلى الحيطان ؛ إذ بعضها لا يزال فى الصناديق المجهزة للرحيل ، وبعضها مطروح على الأرض ينتظر أن يُفصل فى أمره . رحم الله الفن ... !

هذا وما فاتنى أن أذكره لك فى المقال السابق أن طائفة من نفائس دار الآثار العربية ليست مما تملكه الدار . بل هى مودعة لديها من جانب وزارة الأوقاف . وإنى أعلم أيضاً أن على رأس وزارة الأوقاف من يكره أن يتجوز فى مثل هذا .

٣ — الاعتراف بجهل الفلسفة العربية

فى المجلة الفرنسية الرفيعة Les Cahiers du Sud الخارجة فى مرسيلية (عدد فبراير سنة ١٩٣٩ ص ١٨٥ — ١٨٩) أن الأب هكتور تيرى Hector Théry من أساتذة المعهد الكاثوليكي فى باريس ألقى محاضرات فى الفلسفة العربية واليهودية للعصور الوسطى ؛ ومما قاله :

« إن العرب فى ذلك العهد يسبقون اللاتين بمئات من السنين ؛ ومذاهبهم تنشأ وتتحول على خلاف المذهب المسيحى . بل لنا أن نتحدث عن غلبات الإسلام المنوية للفكر اللاتينى . فإن العرب الأرسطوطاليين فتحوا الأذهان فتحاً بالرغم من الجروب

الصليبية (يعني ما ورثاها من الكراهية والبغض) فانبثت كتبهم فيما يلي ديارهم ، فهزءوا بذلك من عقولنا الراكدة وفرضوا الفكر اليوناني على اللاتين بعد أن صفوه وذهبوا به حتى الشطط ، وهكذا ترى أرسطو العرب أو قل العرب الأرسطوطاليين يعينون على تفسير العقيدة المسيحية ... وإنه ينبغي لنا أن نصحح نظراتنا التاريخية (يعني الاعتراف بتأثير العرب في التفكير المسيحي)

« وما أقرب الفلسفة العربية من الإنساني ! والدليل أن أصولها تجاوز مبادئ الإسلام والمسيحية لتصير إلى الفلسفة بمعناها الأعم . وفي هذه الفلسفة من الجلال Grandeur ما جعل شراح العقيدة المسيحية يقمون تحت سلطانها .. إنما العرب أساتذة المدرسة الكبرى للفلسفة ! »

٤ – والمخرج الأكبر ؟

في الرسالة رقم ٣٠٥ عجبت كيف رفضت شركة مصر للتمثيل والسينما تجديد عقد الأستاذ نيازى مصطفى المخرج الحاذق . وقد فطن صاحب الأمر الأعلى لتلك الشركة أن استبعاد الأستاذ نيازى ليس من الحكمة في شيء ، فما أبطأ أن أمر بتجديد العقد

وإذا الشيء بالشيء ذكر فهل نسأل من بأيديهم أمر الفرقة القومية : متى يُيسَّر للأستاذ زكى طليمات أن يسترد عمله ، وهو المخرج المصرى ، بل المخرج الوافر الخبرة الكثير الفن ؟

حتّام يستبعد أهل الكفاية في هذا البلد إذا بدت منهم الدراية ؟

بشر فارس

إحياء ذكرى عبده الحامولي

عقد معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف اجتماعاً للنظر في وضع برنامج للاحتفال بذكرى الفنان المرحوم « عبده الحامولي » . وقد شهد هذا الاجتماع معالي مصطفى عبد الرازق بك ومعالي جعفر والي باشا وخليل مطران بك ومصطفى بك رضا والأستاذ محمد عبد الوهاب والأستاذ زكريا أحمد وغيرهم من رجال الفن والأدب

وقد بدأ معالي الوزير الاجتماع بإشارته إلى ما في إحياء ذكرى العظماء من تربية الشعب على الطموح ، وتذوق نواحي العظمة في النابهين من رجاله ، فضلاً عما في ذلك من توجيه القلوب إلى تقدير الفن ومحبته

وقد استقر الرأي على تأليف لجنتين فرعيتين إحداهما من الأدباء، والثانية من الموسيقيين ، لدراسة النواحي الأدبية والفنية في حياة «عبده الحامولي» وعصره ثم وضع برنامج للاحتفال بذكراه

ثم ختم معالي الوزير الاجتماع بقوله : إن وزارة المعارف ستقوم في مناسبات مختلفة بإحياء ذكرى العظماء الذين مروا في تاريخ مصر في مائة السنة الأخيرة

المكتب الفني في وزارة المعارف

تفكر وزارة المعارف في إنشاء مكتب فني يضم طائفة ممتازة من أدباء المدرسين ، ليكون صلة بين وزارة المعارف والأدب الحر ، ويكون له الرأي في الكتب العربية التي تختار الوزارة أن تكون في أيدي تلاميذ المدارس . وهي فكرة نافعة تحقق كثيراً مما دعت إليه الرسالة في مناسبات عدة . على أن نجاح هذا المشروع مشروط بحسن اختيار الوزارة لأعضاء هذا المكتب ، بحيث لا يضم إلا الممتازين حقاً من المدرسين الأدباء ؛ وإنهم لكثيرون في وزارة المعارف ، ينقصهم حسن الرعاية ليكونوا من عوامل الإصلاح في الأدب الجديد

كتاب منتقى الأخبار

جاء في كتاب الفصل في تاريخ الأدب العربي للأساتذة المحترمين : أحمد الأسكندري . أحمد أمين . علي الجارم . عبد العزيز البشري . أحمد ضيف . في الصفحة ٢٥٨ من الجزء الثاني « ترجمة ابن تيمية هو أحمد بن عبد الحليم ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير ... إلى أن قالوا وبلغت مصنفاته ثلثمائة مجلد أكثرها في التفسير والفقه والأصول والرد على الفلاسفة والمبتدعة وأشهر هذه الكتب منتقى الأخبار الخ »

وكتاب منتقى الأخبار مشهور متداول معروف بين الناس وهو في أحاديث الأحكام ونسبته لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية المشهور بتقي الدين شيخ الإسلام خطأ عظيم ولا سيما من مثل رجال هم من أعلام العلم والأدب في هذا العصر . وإني مع احترامي لمقامهم لا أرضى لهم هذا، ولو أنه صدر عن أناس لا شأن لهم لما

نبهت عليه ولما أنبهت له ، وكتاب الفصل متداول بين الطلبة وغيرهم فلا يصح أن تبقى غلطة كهذه شائعة فيه بدون تنبيه

أما صاحب منتقى الأخبار فهو الشيخ مجد الدين عبد السلام ابن تيمية وهو جد أحمد بن تيمية المشهور المترجم له فى كتاب الفصل ، وقد شرح كتاب منتقى الأخبار الشوكانى وأسماه نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار وطبع عدة مرات وكذلك منتقى الأخبار طبع منفرداً

ونبه الشوكانى فى أول شرحه على الفرق بين مجد الدين عبد السلام بن تيمية صاحب منتقى الأخبار وبين أحمد بن تيمية الشهور بشيخ الإسلام ، فقال فى أول كتابه : « وسميت هذا الشرح بنيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ... إلى أن قال : وقبل الشروع فى شرح كلام المصنف نذكر ترجمته على سبيل الاختصار فنقول : هو الشيخ الإمام علامة عصره المجتهد المطلق أبو البركات مجد الدين عبد السلام المعروف بابن تيمية قال الذهبى فى النبلاء ولد سنة تسعين وخمسمائة تقريباً ... قال : وقد يلتبس على من لا معرفة له بأحوال الناس صاحب الترجمة بحفيده شيخ الإسلام تقى الدين احمد بن عبد الحليم شيخ ابن القيم الذى له المقالات التى طال بينه وبين أهل عصره فيها الخصام وأخرج من مصر . وليس الأمر كذلك . . الخ »

هذا كلام العلامة الشوكانى وهو جلى ظاهر لا يحتاج إلى تعليق

وقال صاحب كشف الظنون : « المنتقى فى الأحكام لمجد الدين ابن تيمية شرحه السراج عمر بن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ ولم يكمله ... الخ »

ابراهيم يس القطان

هل تتكرر ما لنفى النفى ؟

ذكر ابن عقيل فى شرح ألفية ابن مالك أنه يشترط فى عمل ما عمل ليس ألا تكون مكررة. فإن تكررت بطل عملها، نحو ـ ما ما زيد قائم ـ فالأولى نافية ، والثانية نفت النفى ، فصار الكلام إثباتاً .

وكان على ابن عقيل قبل أن يشترط ذلك الشرط الذى انفرد به أن ينظر : هل تجيز العربية هذا الأسلوب أو لا تجيزه ؟ وإنى لا أذكر أنه مر على فى كلام العرب منظومه ومنثوره مثل ذلك الاستعمال ، وإنما يتكرر حرف النفى فيها للتأكيد ، مثل قول الشاعر فى تكرار ما :

لا يُنسك الأسى تأسياً فما   ما من حمام أحدٌ معتصما

ومثل قول الآخر فى تكرار لا :

لا لا أبوح بحب بثنة إنها   أخذت علىّ مواثقاً وعهودا

ولست أدرى لم تقول العرب فى الإثبات — ما ما زيد قائم — ولا تقول من أول الأمر — زيد قائم — وقد قامت لغتهم على مراعاة الدقة فى الأسلوب ، بحيث لا يزيدون فيها ولا ينقصون إلا لسبب من الأسباب .

قال بعض طلابى فى الدرس : إنه يجوز أن يكون أصل ذلك الأسلوب أن شخصاً قال (ما زيد قائم) فترد عليه قوله بقولك له (ما ما زيد قائم)

فقلت له : إنى إذا رددت عليه بذلك أكون مخطئاً ، لأنه حينئذ يكون منكراً لقيام زيد ، فيجب أن أرد عليه بكلام مثبت مؤكد ، فأقول له (إن زيداً قائم) ولا يصح أن أرد عليه بذلك النفى المتكرر غير المؤكد ، وهذا أمر معروف فى علم المعانى

وقال بعض الشيوخ: إن ذلك الأسلوب لم يرد مثله عن العرب، ولكنه يصح لنا أن نقوله، وهذا يكفى فى تسويغ كلام ابن عقيل

فقلت له : إن مثل هذا قد مضى زمنه ، ولا يمكن أن يقبله الآن أحد منا ، لأن النحو موضوع لكلام العرب لا لكلامنا

وقد ورد أسلوب نفى النفى فى لغة العرب على نحو آخر مقبول يدخل فيه الاستفهام الإنكارى على النفى لأجل نفيه ، لأن الاستفهام الإنكارى يفيد النفى ، ونفى النفى إثبات ، وهذا كما فى قوله تعالى : (أليس الله بكاف عبده) فهو بمعنى قولنا: — الله كاف عبده — ولكنه يفيد ذلك على أبلغ وجه وأحسن أسلوب. وقد قام الإنكار فيه مقام التأكيد اللازم فى الرد على إنكارهم، بل هو أقوى من التأكيد فى اقتلاع الإنكار من أنفسهم. ومن ذلك الأسلوب أيضاً قول الشاعر:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

وقد قيل إنه من أجل هذا كان أمدح بيت قالته العرب ، ولا شك أن الفرق كبير بينه وبين ذلك الأسلوب الذى أجازه ابن عقيل ، ومع هذا نحب أن نشرك قراء الرسالة فى أمره ، فلعل بعضهم يحفظ عن العرب شاهداً له

عبد المتعال الصعيدى

وفاة السيد عبد الرحمن الإمامي

فجع المغرب الأقصى في الأيام الأخيرة بفجيعة كان لها وقع كبير في نفوس الشعب المغربي ألا وهي موت أحد علمائه الكبار السيد عبد الرحمن بن القرشي الإمامي في العشرين من المحرم؛ فكانت المصيبة التي ذهل الكل لها. وقد كان الفقيد رحمه الله من الساهرين على المصلحة العامة والناضلين عنها مضحياً في ذلك بكل نفيس .

تقلب الفقيد في وظائف شتى فكان قاضياً مثال العدل والنزاهة ثم كان وزيراً لم يشهد المغرب قط مثله وزيراً صارماً

وقد قنع الفقيد رحمة الله عليه بما في يديه فانقطع لعبادة الله ونشر العلم تاركاً الدنيا ولم يخلف فيها ديناراً ولا درهماً

وتقديراً لهذه الحياة العامرة بجلائل الأعمال قامت نخبة ممتازة من شباب جامعة القرويين وأسست لجنة دعت الناس إلى حفلة تأبين الفقيد في اليوم الأربعين من وفاته ، فكان الحفل رائعاً ، ووافق يوم الأربعين يوم الخميس ٢٩ صفر سنة ١٣٥٨ وكان يوماً مشهوداً تجلت فيه العواطف المغربية حزينة كئيبة . وقد اختارت اللجنة أن يكون محل التأبين الدار التي كان يقطنها الفقيد آخر حياته

وقد افتتح الأستاذ احمد الشبيهي الحفلة مرحباً بالحضور ، ثم أعقب ذلك آيات من الذكر الحكيم فسكوت مقدار قراءة الفاتحة على روح الفقيد ، فمقال الأستاذ الرئيس أتى فيه على حياة الفقيد بإسهاب ، فمقال لوزير المعارف الأستاذ محمد الحجوي ، فقصيدة لقاضي مدينة سكات احمد سكيرج . فقصيدة لقائد قبائل أولاد جامع محمد بوعشرين ، فقصيدة لعيبة سمو الخليفة السلطاني بفاس الأستاذ محمد غريط ، فمقال للأستاذ بجامعة القرويين العباس المراني ، فمقال لمفتي سلا أبي بكر زنيبر ، فمقال للكاتب بالبلاط السلطاني العربي ابن سودة ، فمقال لعالم مدينة مراكش محمد بن الموقت . فخطب وقصائد كثيرة للنخبة الممتازة من طلبة الجامعة

« فاس » اللجنة القروية

حول تشبيه

سأل سائل من كرام العراقيين في الموصل عن وجه الشبه في تشبيه هجرة الأميرة فوزية إلى طهران بهجرة الرسول الكريم إلى المدينة في الصفحة الثالثة من عددنا الهجري الممتاز . وجوابنا أن هجرة الرسول كانت عاقبتها قوة الإسلام وعزة المسلمين ووحدة العرب ، وهجرة الأميرة نعتقد أنها قبل كل شيء في سبيل الله وستكون عقباها المؤاخاة بين دولتين من أقوى دول الإسلام فرق بينهما بعد الدار واختلاف اللغة والمذهب ؛ وفي هذه المؤاخاة ضمان لحسن الجوار بين إيران والعراق ، وتوثيق لصلات التعاون بين المسلمين والعرب . والتشبيه بعد ذلك كله كما يقول البيانيون إلحاق ناقص بكامل . فلا بد أن يكون وجه الشبه في المشبه به أقوى منه في المشبه ولو ادعاء ، وإلا عدل عن التشبيه إلى المشابهة ا . ع

تصويب

وقع في المقال الأخير للأستاذ الكبير العقاد خطآن مطبعيان نصححهما معتذرين :

في صفحة ٨٨٩ سطر ٢٢ جمهرة الشعراء والصواب: جمهرة القراء

وفي صفحة ٨٩٧ سطر ٢٦ يقبضون على كل زمان والصواب : على كل زمام

ذكرى صديق

دار الفلك دورتين منذ أن ضرب القدر بينك وبيننا يا رافعي بحجاب لا نستطيع أن نظهره ولا تستطيع أنت . . . دار الفلك دورتين، والحياة ما تنفك هي الحياة، والناس من حولها فراش يتهافت على بريق من شعاعها يخطف الأبصار ، ويصرف القلوب إلا عن نوازع العيش وحب البقاء ، وأنا على حيد الطريق أتشوف ، وآسى على قلوب رانت عليها ظلماء الحياة فما تبصر ، غير قلبي . . غير قلبي وهو قد ضُمّ على هوى لك فيه ، هو به ضنين ، فلا يكاد ينسى أنك أنت يا رافعي . . .

يا عجباً! هذه الدار على قسوتها لذة يهفو نحوها كل قلب؛ وهذه الدنيا على ما فيها من بلاء جميلة تصبو إليها كل نفس؛ وهذه الحياة على ما تجد فيها من عناء جذابة يبسم لها كل إنسان؛ تلك سنة الخلق

لقد تواريت عنا ليقول فيك التاريخ كلمته ، وخلصت إلى نفسك علَّ القلوب تنتزع عنها سخائمها ؛ ولكن ماذا كان ؟

إنه لا يحزنني ألا أجد المنصف البريء ، فما الخلد مرتبة تؤخذ عن شفاه الناس ؛ وليس يؤلمني أن أرى طائفة من الناس تضطغن عليك وتذهب تريد أن تنال منك ميتاً بعض ما عجزت عنه وأنت حي ، فالتاريخ من ورائهم له لسان صدق

ما الإيمان ، وما العقيدة ، وما الصبر ، وما الدأب ، وما النشاط وما الحزم ، وما الجد ، وما السمو ، وما الكرم ، وما الوفاء ، وما ... وما ... ؟ أشياء كنت تعرفها وتدين بها وترى فيها الغاية العظمى والمثل الأعلى . فرحمة الله عليك

كامل محمود حبيب



حيـــاة الرافعي

تقرير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

كتاب « حياة الرافعي » للأستاذ محمد سعيد العريان من أجدر الكتب الحديثة باحتفاء الأدباء ، وأحقها بأن يتناولها القارئ تناول تمعن ودرس ، وأن يقول الناقد فيه كلة تضعه موضعه بين كتب العربية . « حياة الرافعي » كتاب فريد في المكتبة العربية ليس له فيها شبيه ولم يُنسج على منوال سابق . وذلك لأن فن التراجم لم يستقم لأى من كتاب العربية حتى الآن . نعم إن في العربية كتباً فيها تراجم لشعراء وأدباء طالت أو قصرت لكنها ليست من ذلك في شيء ، إن هي إلا ذكر بعض أخبار الشاعر ونوادره أو بعض ما اتفق له مما يكون بين الإنسان وبين معاصريه . وقد تكون غالبية هذه الأخبار ملفقة مزورة صنعها الرواة إثباتاً لأمر يريدون إثباته أو تعالماً على غيرهم بأخبار الشعراء؛ أما الترجمة التي يقصد بها إلى تصوير المؤثرات التي خلقت أدب الأديب ووجهت شعر الشاعر ولونت فلسفة الفيلسوف ، فليس لها وجود في العربية قبل « حياة الرافعي » . ومن هنا وجب أن يحتفي الأدباء بهذا الكتاب إذ كثيراً ما تموت فنون من الأدب لأنها وجدت فلم يلتفت إليها أحد . فإذا كان أدب الرافعي فصلاً منقطع النظير في الأدب العربي ، فكتاب سعيد العريان عن الرافعي كذلك فصل منقطع النظير .

والكتاب حقيق بأن يُحتفى به أيضاً لأنه عن الرافعي الذي أضاف إلى العربية ثروة ضخمة من المعاني والأساليب والبيان والفن ، ثم عقه أدباء عصره فما كان أحد منهم ينظر إليه أو إلى أثر من آثاره إلا بعين مطروفة . ذلك في حياته ، أما بعد وفاته فرحم الله أهل الوفاء . ولقد كتب أحدهم أخيراً مقالة عن أثر المرأة في أدباء العصر ، فذكر من شاء إلا الرافعي ، مع أن رسالة حزن أو سحابة حمراء أو ورقة ورد واحدة كافية لأن يضعه الإنصاف المزعوم في مقدمة من ذكر

وثمة ميزة أخرى لهذا الكتاب ، وهي أنه تاريخ حافل صحيح للأدب العربي في أحدث أطواره . يكشف بجلاء عن كثير من الحوادث التي أثرت فيه ووجهته ، ويوضح حوادث أدبية هامة مرت على أعين قراء العربية دون أن يتبينوا حقيقة دواعيها ، ولم يأخذوها على وجهها الصحيح . ثم هو تفسير لا بد منه لأدب الرافعي عامة ولعيون كتبه خاصة لا بد لفهمها من قراءة فصوله

ولقد قرأت « حياة الرافعي » منجمة على صفحات الرسالة ، ثم قرأتها مجموعة في الكتاب ، فكان لي فيها بعض الرأى ، أحببت أن أبديه في هذه الكلمة وفاء للرافعي ، وتقديراً لعمل أحد أولئك الشبان الذين يحسنون ويجيدون ثم يضيع إحسانهم وإجادتهم وسط دوى الأسماء الضخمة في هذا البلد

ولقد بينت فيما سبق قيمة الكتاب من حيث هو كتاب . على أن فيه حسنات أخرى كثيرة لو ذهب القارئ المتمعن يحصيها لاستغرقت مقالة على حدة. ففي الكتاب تمحيص للحوادث دقيق، وفيه اتزان ونزاهة في الحكم ، وفيه لطف في العرض ، وفيه أسلوب مشرق لا يستغرب من أحد أصحاب الإمام الرافعي ، وفيه ما يضطر القارئ الدارس إلى الالتفات والوقوف

على أن في الكتاب بعض ما كان ينبغي أن يسلم منه ، وهذا ما نحب أن ننبه إليه ، فإن جودة العمل محسوبة عليه في ميزان النقد ، والجمال المفرط يظهر أبسط القبح ، وأشد ما تكون الذبابة إيلاماً أن تقف على وجه حسن

ففي الكتاب بعض هنات في الترتيب والتبويب ، أتت من أن المؤلف النابه كتب مادة كتابه مقالات في أول الأمر، ثم لما

عنّ له أن يجمع تاريخه مسلسلاً في كتاب تقيد بترتيبها في المقالات فكان في بعض فصول الكتاب ما هو قلق في موضعه يحتاج إلى تقديم أو تأخير. فما موضع فصل « بين أهله » بين فصلى « شعراء عصره » و « من الشعر إلى الكتابة » ؟ أليس موضعه الطبيعي بعد « في الوظيفة » حتى تتساوق فصول الرافعي الأديب ؟ والحديث عن الرافعي الشاعر موزع بين فصول عديدة متفرقة ولو جمعت كلها بعضها إلى بعض لكان أجدي على وحدة الكتاب. وفصل « شعراء عصره » هو أشبه بفصل « في النقد » وقد نبه المؤلف إلى ذلك، فأشار إليه عند ما بدأ يتحدث عن الرافعي الناقد، وفصل « في النقد » جزأ غير متتابع لأنه نشر في الكتاب كما كان في المقالات ولم يدمج بعضه في بعض، وفي أوائل الفصول كثير من وصل ما انقطع كان ضرورياً في المقالات المتباعدة وهو في الكتاب المتلاحق تعطيل للقارئ ومضايقة له، وأشد ما يظهر ذلك في فصل « في النقد »، وفي الكتاب بعض تعبيرات لا تتفق مع أسلوب كتاب كأن يقال : « وهذا له موضع غير هـذا المقال » مع أن الكتاب لا يكون فيه مقالات وإنما يكون فيه فصول، ولو لم يتقيد المؤلف بمقالاته في الرسالة ذلك التقيد الشديد لقال : « وهذا له موضع في غير هذا المقام » أو في « غير هذا الفصل ».

وفي الكتاب بعض الآراء والحقائق تستوقف نظر القارئ المتمعن، نشير إليها على حسب ترتيب ورودها في الكتاب

ففي ص ١٣ إشارة إلى حارة سيدي سالم قال عنها المؤلف إنها « حارة ضيقة أوى إليها السيد البدوي أول ما هبط إلى طنطا منذ ألف سنة ». وقد كان قدوم السيد إلى طنطا في سنة ٦٣٤ للهجرة أي منذ ٧٢٤ سنة فقط. وليس هذا من صلب الكتاب ولكنه مما يحسن تصحيحه

وفي ص ١٩ يقول المؤلف إن الرافعي « كان بلثته ولهجته كأنه لم يقدم من سورية إلا منذ قريب » وهو قول لا أظن الأستاذ يعني به ما يفهمه القارئ منه، فإن لهجة الرافعي — كما سمعناه يتحدث — لم يكن فيها أي أثر لهجة السورية. وكل ما يستغرب منها هي تلك النغمة الحادة التي تشبه الصراخ، والتي أشار المؤلف إلى أنها من آثار ذلك المرض الذي أصابه في شبابه، فيا حبذا لو أعاد الأستاذ تحقيق هذه النقطة بالرجوع إلى تصوره وهو أعلم بها على كل حال.

وأسند المؤلف النابه فكرة الحب عند الرافعي إلى ما قرأ من أشعار العذريين من شباب العرب. فهل لم يقرأ الرافعي غير أشعار العذريين مع كثرة ما تناول من دواوين الشعراء. ولماذا لم يتأثر بشعراء « الأغاني » وقد قرر الأستاذ أنه كان دائم النظر في هذا الكتاب وفيه من الشعر والأخبار ما فيه. أليس الأجدر أن يسند ذلك إلى نشأته الدينية التي أشار إليها المؤلف (ص٢٢) وإلى تقاليد أسرته وإلى أنه نشأ تبعاً لكل ذلك «عفيف النظر والشفة واللسان»

ثم ألا يرى المؤلف معي أن عدم شهرة الرافعي بين عامة القراء ليست راجعة إلى أناته وشدة تأنقه فيما يكتب وما ترتب على ذلك من عدم إكثاره من النشر في الصحف، بقدر ما ترجع إلى بعده عن تملق الجمهور واحتفاظه بارستقراطية أدبه، وأنه فضل لقرائه ولنفسه أن يرتفعوا هم إليه على أن ينزل هو إليهم، كما أظن أني قرأت له في بعض أحاديثه من زمن بعيد.

(البقية في العدد القادم) أبو الفتوح رضوان

الغدد والحياة

7me Année No. 307

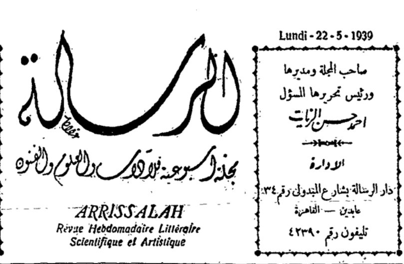
Lundi - 22 - 5 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

العــــدد ٣٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

مصر العظمى تستعد !

فى يوم وليـــــلة ...

فى يوم وليلة رأينا مصر المبعوثةَ من مرقد الخلد تدخل فى عهدها الجديد الجدّى فتنهض بما توجبه الحياة الحرة من تكاليف الاستقلال وتبعات السيادة !

كان ذلك اليومُ يومَ الخميس الماضى ، وكانت تلك الليلة ليلة الثلاثاء قبله ! ففى هذا اليوم كان عرض القاهرة لجيشها الفتىّ فى آلته الحديثة وعدته الكاملة ؛ تخرج من عرائنه الشُّم والصباح الضاحى يتنفس بأريج مايو الجميل ، وسار فى الشوارع الحاشدة يعرض على الأنظار الدَّهِشة قوى الدفاع وأسلحة الأمن وما لا بد منه لمن يعيش فى زمن استذأب وضرِى حتى أنكر حق الحياة على نوع الحمل

لم تكن المدافع القصيرة والطويلة، ولا الدبابات الخفيفة والثقيلة، هى التى ملكت الألباب وأثارت الإعجاب وفجرت الحماسة ؛ فإن منظر آلات الدمار والموت أصبح لطول ما أَلِفه الحس لا غرابة فيه ولا عجب منه ؛ وإنما الذى ملك الألباب حتى أذهل ، وأثار الإعجاب حتى أدهش، وفجّر الحماسة حتى أطغى، هو منظر جنود مصر بشبابهم القاهر، وخَلْقهم السوىّ ، وملامحهم الدالة ، ومظهرهم

الأخاذ، ونظامهم الرائع؟ فكأنما هم جنود ابراهيم لم يلقوا السلاح منذ ارتد قائدهم عن الأستانة. فأين كان مكمن هذه الروح الحربية القوية مدى حقبة من الرخاوة والكسل لو ضربت على الضوارى لطمست فى وجوهها معارف الجرأة، وأماتت فى نفوسها معانى الافتراس؟ لقد كان لنا قبل سبتمبر الماضى جيش من الأرقام متواضع العدد والعدة، يعيش فى أكناف الشعب عيش الأمان والغفلة، لا يعرف الحدود إلا على الورق، ولا يشهد الحروب إلا فى السينما، ولا يدرك معنى الدفاع عن النفس فى وجود انجلترا إلا كما تدركه الزوجة المرفهة فى وجود زوجها، والولد المدلل فى حضرة أبيه. فكيف انقلب هذا الجيش الصغير الغرير فى سبعة أشهر جيشاً من المردة العتاة يقيم المعاقل على البحر، ويبحث الخنادق فى الصخر، ويروض أوعار الأرض لإقدامه، ويذلل أخطار السماء لقوادمه، ويضع الخطة فلا تخطئ، ويسدد الرمية فلا تطيش، ويقف جنباً إلى جنب مع الجيش الذى قهر نابليون وهزم غليوم وغنم الدنيا، فلا يفوقه فى نظام، ولا يفوته فى سبق، ولا يبذه فى مناورة؟ ألسر فى معدن هذه الأرض التى جعلت للزمان تاريخاً وللانسان مدنية؟ والسحر فى طبيعة هـذا الفلاح الذى طبع آثاره على جباه القرون وسلطانه على قلوب الأمم. وفرخ النسر لا يعلَّم كيف يصيد، وشبل الأسد لا يدرَّب كيف يفترس!

***

وفى تلك الليلة كانت تجربة الدفاع الجوى عن القاهرة. ففى عتمة الليل والناس لاهون صاحت الأبواق المنذرة بالغارة فى كل حىّ، فأطفئت الأنوار وأسدلت الأستار وخشعت الأصوات وسكنت الحركات، وأقفرت الشوارع إلا من رجال الشرطة والمطافئ والإسعاف، وجثم على صدر العاصمة كابوس من الرهبة والقلق، فامتدت العيون خلسة من وراء السجوف ومن خلال النوافذ فلم تر إلا الظلام يموج، والنجوم تضطرب، والرقابة تحت الحنايا الآمنة تتهامس، والمدافع فوق العمائر العالية ترتقب. ثم أقبلت من الحدود الغربية النسور المغيرة فرنّقت فى جو المحروسة على علو لا يُرى ولا يسمع؛ ولكن آلات الرصد نبهت الكشافة فأرسلت على أطباق الجو الحالك أفواجاً من الأشعة الخاطفة، تتطاول وتتعارض، وتتعانق وتتشابك، حتى لم تدع طائراً يطير إلا صوّرته فى عدسة مدفع. وفى آخر الهزيع الأول من الليل أعلنت الأبواق بأصواتها المتصلة انقطاع الغارة، فأشرقت المدينة، واستأنف الناس حياة اللهو والأنس وهم يشعرون أنهم أصبحوا خلقاً كسائر الخلق لهم قوة لا تُزدرى، وكرامة لا تمتهن، وحمى لا يستباح.

فى هذه الليلة وفى ذلك اليوم أدركنا أن مصر الناهضة قد بلغت سن التكليف وجاوزت حد العبث؛ فهى تستعد للحرب والسلام، وتبنى بالفعل لا بالكلام، وتتقدم إلى ساحة الدفاع القدس شيوخ دينها وشباب دنياها، وهى راضية بهـذا البذل فخورة بهذه التضحية. والفضل كله للأحداث التى تذيب الغش وتفضح الزيف وتمحص الكفاية.

***

لا جرم أنا كسبنا مغانم الحرب وإن لم تكن حرب. لأننا بما عملنا أوجدنا شيئاً لا بد من إيجاده، وبما بذلنا سددنا عوزاً لا مناص من سداده. أما الدول الأخرى فدفاعها مكين الأساس مرفوع القواعد منيف الذرى، فكل ما تنفقه عليه يضطرها الخوف إليه لتأمن الفشل وتضمن العاقبة.

ماذا كنا قبل أن ينتشر الجراد الروى المسلح على حدودنا المهملة؟ كنا قوماً من سادة الماشية وعبيد الأرض تركوا أزمتهم للقدر وثروتهم للغريب وحمايتهم للحليف، ثم أقبل بعضهم على بعض يتنافسون فى الهزل من غير غرض، ويتراشقون بالتهم من غير بينة، ويتسابقون إلى الحكم من غير غاية. فلما أينع الحصاد وأزّ فى الأفق الجراد وزأر بالوعيد الطغاة، تيقظت مصر الصادقة الحرة على ضفاف النهر وأحقاف الرمل ورياض الريف، ثم وقفت فى شكتها الكاملة موقف الواثق الحذر وهى تنظر إلى الشفق الدامى فى وجه الغرب، وتقول للطامع الساعى لإثارة الحرب: حذار! فإن على عرشىّ الفاروق خليفة الله، لا كليوبطرة صديقة قيصر!

احمد حسن الزيات

لقاح العقول أو لقاح الأنساب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أسرته الأصيلة من الفلمنك

وانتقل جد من جدوده إلى النمسا فأقام في الأقاليم البوهيمية واتصل هو وأبناؤه من بعده بخدمة آل هابسبرج

وبنى جده لأبيه يونانية من جزيرة أقريطش ، وبنى أبوه بيابانية من أذكى نساء اليابان

ذلك هو مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده ، واسمه الكونت « ريتشارد كودينهوف كاليرجي »

أما اسم الكتاب فهو « حكومة الاستبداد حيال الإنسان »

The Totalitarian State Against Man

* * *

قرأت هذا الكتاب فقرأت عجباً من تآلف الأفكار الغريبة ، وتقارب الأقطار البعيدة ، واختلاط الأساليب التي انعزلت مع الماضي مئات القرون

هنا شيء من اليابان لا شك فيه ، وشيء من اليونان لا شك فيه ، وشيء من تعبد الفلمنكيين ، وشيء من جماح البوهيميين ، وشيء من أدب البلاط ، وشيء من مساواة الحرية ، ولكنك لا تستطيع أن تفرزها ولا أن تستخرج كل خيط من خيوطها مستقلاً عن سائر شباكها

وكل ما تستطيعه أنك تحس لكل جنس من هذه الأجناس أثراً في مزج الأفكار وصياغة الألفاظ وتنسيق الحلية الكتابية .

وقد تجزم الجزم الأكيد أن الياباني وحده لن يصنف الكتاب على هذا الأسلوب ، وكذلك اليوناني والبوهيمي والفلمنكي ورجل البلاط وجوّاب الآفاق، ولكنهم إذا اتصلوا بالأنساب والثقافات كما اتصلوا في ذهن هذا المصنف نتج من تلاقح أذهانهم وثقافاتهم مثل هذا الكتاب

* * *

خذ مثلاً هذه الكلمات :

« الإنسان من صنع الله ،

والحكومة من صنع الإنسان .

الإنسان غاية وليس بوسيلة ،

والحكومة وسيلة وليست بغاية :

قيمة الحكومة هي قيمة ما تؤديه من الخدمة لمن فيها من الخلائق الإنسانية . فكلما خدمت الإنسان وعاونته على التمام والكمال فهي حسنة ، وحيثما بدر منها التعطيل لتمامه وكماله فهنالك الشر والسوء

الحكومة ليست شيئاً حياً ولا جسداً حياً ولا عضواً حياً ؛ ولكنها آلة أو أداة مجعولة لخدمة الإنسان في صراعه للفوضى والاختلال

الإنسان مخلوق حي ، والحكومة أداته للخير أو للشر ، وللنفع أو للإضرار إذ ليست الحكومة كائناً إنسانياً ولكنها مع هذا تريد أن تكون أكثر من إنسان

ليست هي إلهاً فهي إذن تصبح صنماً

يصنعها الناس وتطلب منهم العبادة

وهذه المصنوعة الإنسانية تعدو طورها فتتخذ لنفسها مكان الوساطة بين الله والإنسان !

هذه الآلة المصطنعة تحسب نفسها مخلوقة عضوية حية ... وهذه الخادمة التابعة تتخايل أمام بني الإنسان في زهو السيادة !

إننا لنعيش اليوم في أخطر عصور الانقلاب التي مرت بها الدنيا ؛ لأنه عصر انقلاب الحكومة على نوع بني الإنسان !

إننا لنعيش في أسوأ ما عهدنا من عصور عبادة الأصنام ؛ لأنه عصر تأليه الحكومات »

* * *

ومثل آخر من خواطر هذا الكتاب النفيس ما جاء منه في مستهل الكلام على الديمقراطية والنظم النيابية حيث يقول :

« الحرية مثل أعلى وغاية منشودة

الديمقراطية مبدأ وقاعدة

النظام البرلماني هو وسيلة أو طريق

والخلط بين هذه المعاني يؤدي إلى تشويش مربك

فانجلترا حرة ولها نظام برلماني ؛ ولكن دستورها يعتمد

على الديمقراطية بمعض الإعتماد لا كل الاعتماد ؛ لأن المجلس الأعلى والتقاليد الوراثية ليست من الديمقراطية بلا خلاف

وروسيا وألمانيا وإيطاليا ليست بحرة وإن كان لكل منها دستور قائم على سيادة الأمة وعلى مبدأ الكثرة في ولاية الحكومة كما تقضي أصول الديمقراطية

والولايات المتحدة وسويسرة حرتان وديمقراطيتان ولكنهما على غير الوضع النيابي مذ كانت الحكومة فيهما لا تسقط بانتزاع الثقة البرلمانية منها

واليابان لها نظام برلماني ولكنها ليست بالديمقراطية ، لأن دستورها لم يؤسس على سلطان الأمة بل على سلطان الامبراطور . وهو — أي الامبراطور — يقبل باختياره أن يشرك معه الحكومة البرلمانية

ومن المحتمل جداً أن تتصور حكومة حرة تحترم حقوق الأفراد على أيدي قلة متسامحة ، كما تتصور حكومة متعسفة تقيد الحريات جميعاً على أيدي كثرة تدين بعقائد الاستبداد

فالروح الموحية أهم وأقوم من نصوص الدساتير . وحيثما بطل اليقين بالإنسان والاعتداد بحقوق الأفراد لم يكن عجيباً أن يفضي بنا الانتخاب العام إلى الاستبداد ؛ لأن المستبد والشعوذ السياسي ليسا بالنقيضين ، ولكنهما قرينان متماثلان »

* * *

وكل فصل من فصول الكتاب حافل بهذه الدقائق وهذه القضايا وهذه التعريفات

هنا ولا شك أناقة الياباني في التنسيق وخفة الياباني في الحركة

وهنا ولا شك نفاذ اليوناني إلى بواطن المعاني الفلسفية والحدود المنطقية

وهنا ولا شك جنوح الفلمنكي إلى صبغ الحقائق بصبغة العبادة والأسرار

وهنا ولا شك طلاقة البوهيمي ، وكياسة الرجل البلاطي ، وثقافة الإنسان الحديث

إنك لا تشك في خصلة من هذه الخصال كما لا تشك في اختلاف المنهج والأداء لو كان الكاتب يابانياً أو يونانياً أو فلمنكياً أو بوهيمياً غير مختلط بما عدا سلالته وثقافته من السلالات والثقافات

ولكن أين هذا وأين ذاك ؟

أين يبتدئ هذا التفكير وأين ينتهي ذلك التفكير ؟

وما وسيلتك إلى منع عنصر من تلك العناصر أن يظهر في منهج الكتاب وأدائه إن كانت بك حاجة إلى امتناعه ؟

وما وسيلتك إلى زيادة عنصر من تلك العناصر إن كانت بك حاجة إلى ازدياده ؟

لقد شغلني التوجه إلى هذا المعنى أثناء القراءة حتى خيل إليّ أنني في معمل من معامل الطبيعة أرقب فيه براعتها في الخلط والمزج والجمع والتفريق

أو خيل إلى أنني أمام مسرح التاريخ الكبير يتناول اللاعب القدير على خشباته نسيج الأحقاب والأعقاب منذ ألوف السنين فيداخل بينها ويواشج بين خيوطها على نمط من السرعة لا تضبطه بعينك في مكان واحد ، ولكنك تضبطه كله حين ينتهي إلى النتيجة فإذا هو هناك حيث لا تدري من أين اتصاله ومن أين انفصاله في مجال النسيج

ورب كلمة من كلمات الكتاب لها اتصال بجزائر اليابان ، وكلمة أخرى لها اتصال بشعاب البوهيميين ، وكلمة مجاورة لها قد جاءت من أقصى المغرب أو من أقصى الشمال

إن النظر إلى هذا لأمتع من النظر في حقائق الكتاب ، وإن كانت حقائقه من المتعة بمكان

* * *

ثم يجول في الذهن خاطر آخر هو فضل هذا اللقاح العجيب في تحسين العقول أو في تحسين الطباع .

هل تستفيد « الإنسانية » بامتزاج كهذا الامتزاج يعم جميع الأجناس في الشرق والمغرب ، ويعم جميع الثقافات وجميع المذاهب والآراء ؟

أو هل هي قيمة واحدة من القيم الكثيرة نحتفظ بها ونحتفظ معها بصفاء الأصول وافتراق السلالات ، وما في كل سلالة من مزية ورثتها واستقلت بها بعد تحضير طويل في معمل التاريخ ؟

يحضرني في هذا الصدد ما يصنعه مولدو الأزهار من مختلف الأحجام والألوان والأصول

روقهم أن ينبتوا الوردة السوداء فيستفيد عالم النبات فائدة

دراسات في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الشعر والنثر

قدمنا أن الأدب ينقسم إلى الأدب الإنشائي والأدب الوصفي . فالآن نبين أن الأدب الإنشائي ينقسم قسمين : شعراً ونثراً [1]

فالشعر أو القريض ، كلام موزون مقفّى

الوزن أن يكون للكلام مقادير محدودة من الحركات والسكنات متتابعة على نسق خاص . فينشأ من هذا التتابع نغمة وتختل هذه النغمة إذا زادت الحركات والسكنات أو نقصت ، أو اختلف تأليفها .

والتقفية أن تكون أبيات القصيدة الواحدة متشابهة في أواخرها ولا سيما الحرف الأخير . ففي قول المتنبي :

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

نجد البيتين على وزن واحد تتوالى الحركات والسكنات فيهما على نسق متفق . وينتهيان بكلمتين متشابهتين في الوزن وفي الحرف الأخير . وهما نائم وباسم . وسيأتي تفصيل هذا في باب الشعر

أما النثر فكلام لا يلتزم فيه وزن ولا قافية

وتعريف الشعر والنثر بهذين التعريفين فيه نظر إلى الألفاظ لا إلى المعاني

وأما تعريفهما من جهة المعنى فالشعر كلام تنشئه عاطفة قوية أو خيال والنثر كلام مطلق يكون أحياناً مبنيًّا على الفكر المرتب ، وأحياناً ناشئاً من العاطفة والخيال كالشعر . فالنثر من جهة المعنى أعم من الشعر

والتعريف المأثور عن أدباء العرب هو التعريف الأول — التعريف اللفظي

وقد نظر قدماء اليونان إلى معنى الشعر دون لفظه فقالوا إنه الكلام المبني على الخيال المؤثر في النفس بالترغيب أو التنفير [1]

والحق أن العرب حين نظروا إلى صورة الشعر فعرفوه التعريف السابق لم يهملوا جانب المعنى فيعدّوا كل منظوم شعراً . بل كان الشعر عندهم من جهة معانيه كالشعر عند اليونان . قال قدامة في نقد النثر : وإنما سُمِّي شاعراً لأنه يشعر من معاني القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره . وإذا كان إنما يستحق اسم الشعر بما ذكرنا فكل من كان خارجاً عن هذا الوصف فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى [2]

وإنما نظروا إلى الجانب اللفظي لأنه الجانب المحسوس الواضح الذي لا يشارك الشعر فيه النثر . وربما كان أول من عرّف الشعر العربي رجال العروض الذين ينظرون إلى ألفاظ الشعر دون معانيه وكذلك اليونان حين عرفوا الشعر من جهة المعنى لم يكن

(1) يرى علماء الأدب واللغة أن الشعر مأخوذ من شعر بمعنى فطن . أكبر العرب هذا الضرب من الكلام فخصوه باسم الشعر وسموا قائله شاعراً . وعدوه ملهماً مداراً بشعور ومعرفة

ويجوز أن يكون الشعر مأخوذاً من شعر بمعنى غنى . ويقرب هذا أن كلة شير في العبرية معناها الغناء ، وأن العرب يقولون أنشد شعراً والانشاد رفع الصوت

والنثر مأخوذ من نثر الحب نثراً أو نثاراً إذا فرقه وقد روى عن ابن مسعود وحذيفة في قراءة القرآن : « هذاً كهذ الشعر ونثراً كنثر الدقل » أي كما يتساقط الرطب اليابس من النخلة إذا هزت — لما سمى الشعر نظما تشبيها بالعقد المنظوم ونحوه سمى الكلام غير الموزون نثراً كما ينثر العقد

(1) ونجد في الكتب العربية هذا التعريف بألفاظ مختلفة : عرف الجرجاني الشعر بأنه قياس مؤلف من المخيلات . والغرض منه انفعال النفس بالترغيب أو التنفير

وفي كتب المنطق : الشعر هو القياس المركب من مقدمات يحصل للنفس منها القبض والبسط

(2) نقد النثر ص ٦٦

لا شك فيها إذا أضيف ذلك اللون إلى ألوان الورود

ولكنه يجني على الورد وعلى عالم النبات لا مراء إذا تمادى في تجاريبه حتى يزول الورد الأحمر والورد الأبيض والورد الذي يولد على ألوان مختلفات بغير تخليط وتهجين

وخير لبني الإنسان أن يتعلموا التآلف وهم مختلفو العناصر متعددو المزايا جامعون بين فضائل العنصر القح والعنصر الهجين من أن يتآلفوا وهم لون واحد فقير المزايا قليل الاختلاف

على أنني أحمد هذا اللقاح وأتمنى لو يظفر الفكر الإنساني بأنماط شتى من غير هذا القبيل كما ظفرنا بذلك النمط من ذلك القبيل

عباس محمود العقاد

شعرهم خالياً من الوزن والقافية ولكنهم نظروا إلى ناحية دون أخرى

والشعر والنثر مشتركان في قواعد البلاغة وقوانين الكلام وإن كان الشعر في جملته أميل إلى المجازات والاستعارات من النثر. قال قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر:

« وقد ذكرنا المعاني التي يصير بها الشعر حسناً وبالجودة موصوفاً، والمعاني التي يصير بها قبيحاً مرذولاً. وقلنا إن الشعر كلام مؤلَّف، فما حسن فيه فهو في الكلام حسن، وما قبح فيه فهو في الكلام قبيح. فكل ما ذكرناه هناك من أوصاف حد الشعر فاستعمله في الخطابة والترسل، وكل ما قلناه عن معايبه فتجنَّبه هنا[1] ».

ولكن يختلف الفنان فيما يعالجان من الموضوعات وفي طريقة البيان إجمالاً. فالأصل في الشعر أن يتناول الأمور التي هي أدخل في العاطفة والخيال، وأن يتأنق في التصوير والتجوّز. والأصل في النثر أن يتناول الموضوعات الطويلة التي تحتاج إلى تفكير وتوضيح وأن يبين إبانة طبيعية، وربما يشارك النثر الشعر في موضوعاته فقد كتب الكتاب منذ القرن الرابع في الفخر والهجاء والمدح والعتاب والغزل الخ وربما يشاركه في عباراته وأساليبه كذلك.

ولكن يبقى بعد هذا أن الشعر والنثر في أصلهما مختلفان في الموضوع وطريقة البيان، ولولا اختلاف الشعر والنثر في الموضوع والتصوير لكان الكاتب المجيد شاعراً مجيداً إذا استطاع أن ينظم، ولكان الشاعر المجيد أجود في كتابته حين يتحلل من قيود النظم، ولكن الإجادة في الاثنين معاً لا تتفق لأكثر الناس. وقد سئل أبو إسحاق الصابي عن الفرق بين الكتابة والشعر فقال:

« إن طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه؛ لأن الترسل هو ما وضح معناه وأعطاك سماعُه في أول وهلة ما تضمنته ألفاظه، وأفخم الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة » ثم علل الصابي قوله هذا بفسحة النثر وضيق النظم

وكلام الصابي ليس صحيحاً على هذه الصورة لأن الغموض لا يحسن في النثر ولا في الشعر وكأنه أراد أن يقول: إن الشعر

(١) نقد النثر ص ٨٣

من برجنا العاجي

« ... لم يتيسر لي قراءة كل كتبك. إنما الذي قرأته لك هو مقالات وقصص ومساجلات في الصحف والمجلات ومع أن كل آرائك حرة وجريئة إلا أن رأياً واحداً هو الذي ملك شعوري وكياني: (إن من ملك قلباً حاراً ولساناً حراً فهو الذي يستطيع أن يسود العالم). سيدي: إن قلبي لحار وإن لساني لحر وبهاتين الوسيلتين يعظم أملي في المستقبل. إني أعشق الجمال وأحب الأدب الرفيع ولكنهم يريدونني أن أكون معلماً بإحدى المدارس الأولية. إن جو القرية يكاد يخنقني. أريد أن أؤدي رسالتي في الحياة، وهي رسالة الكاتب الموهوب، لا أن أعيش على هامش الحياة! إنه ليسرني أني استطعت إسماعك صوتي. فإن رأيت يا سيدي أن هذه النواة أهل للحياة فتعهدها بالغرس والري. لي من حسن الأمل فيك ما يجعلني أطمئن إلى أنك لن ترى برسالتي في سلة المهملات ... »

قبل كل شيء أحب أن أقول لصاحب هذه الرسالة أن يحسن ظنه بحياته. فلئن كان هنالك إنسان يعيش على هامش الحياة فهو أنا صاحب هذا البرج القصي. إن جو القرية لا يمكن أن يكون خانقاً للقلب الشاعر. وإن مهنة التعليم والعمل على تكوين نفوس نبيلة، ونفخ روح الجمال في نشء ساذج، وإيقاظ عيون صغيرة على حسن الطبيعة؛ كل هذا خلق فني في ذاته. ولكننا لا نريد أن نرى الخلق إلا في مقال يكتب، ولا المجد إلا في هراء ينشر. هنالك شعراء عظام ما فارقوا قراهم قط وما تركوا صناعاتهم الصغيرة قط. إن القلب الحار يسبغ الخير والجمال على ما حوله. ولو كان لصاحب هذه الرسالة قلب حار حقيقة لظهر لهذا أثر في قريته ومدرسته أولاً ثم في مادة نفسه ثانياً. فالقلب الحار يحتاج إلى وقود ليشع ولا يخمد وأيسر الوقود الكتب. وصاحب الرسالة لا يقرأ كتباً ولكنه يطالع مطالعات سطحية سريعة ناقصة. كم من الأعوام وكم من أكداس الكتب تلزم للقلب وقوداً حتى يقال إنه « قلب حار »!

توفيق الحكيم

خواطر

للأستاذ فليكس فارس

— ١ —

« لم يكد صانع الأحذية السيد فيكاني السوري العربي يصنع أحذية عقيلة الرئيس روزفلت حتى اهتمت البلاد كلها باختراعه فأصبح الرجل الفاشل المعدم بالأمس « رجل الساعة في الصناعة » تنهال الطلبات عليه من كل صوب، ويحوّل مصنعه لتصليح الأحذية العتيقة معملاً كبيراً يجتذب ملايين الزبائن. وهكذا حقق « الصغير الفيكاني » في الولايات المتحدة ما حلم به في قريته منذ ثلاث وأربعين سنة في وطنه الثاني » (اسبانيا رايرس)

هذه كلمة من إحدى كبريات جرائد الولايات المتحدة موقعة بإمضاء كاتب من أشهر الكتاب في العالمين الجديد والقديم

وقد وقعنا على مقال في مجلة (المناهل) التي تصدر في مدينة بونس إيرس عن قصة الفيكاني فاخترنا تلخيصها :

« قدم السيد الفيكاني من سوريا وقد ضاقت بوجهه سبل الارتزاق من حرفته. فنزل في بلدة « كربندال » حيث اتخذ له دكاناً لترقيع أحذية الفقراء فكان دخله يكاد لا يفي لتأمين معيشته. ولكنه لم يستنم للضيم وأخذ يفكر ويجرب على نور اختباراته في صنعته حتى وفق أخيراً إلى اختراع قالب لحذاء يتمتع منتعله بالراحة التامة مهما كان شكل قدميه ومهما تجشم من مشقة السير أو الوقوف، وسجل اختراعه. وما عتم حتى أقبل أهل القرية على استعمال أحذيته ؛ فابتسم له الحظ، إلا أنه بقي يزاول عمله بيديه لعدم وجود رأس مال كاف يستعين به على بناء مصنع كامل العدة إلى أن وقع نظره يوماً على صورة للسيدة إليونور عقيلة الرئيس روزفلت فتأكد من ملامح وجهها أن حذاءها يؤلم رجليها، فقصد العاصمة. وهناك بدأ من جهة يتسقط المعلومات اللازمة لتهيئة الحذاء الذي سيفتح له باب الشهرة والثروة، ومن جهة أخرى راجع ذوي الشأن للحصول على مقابلة السيدة الأولى حتى بلغ القصد بعد انتظار دام تسعة أشهر. وما مثل لديها وعرض الحذاء المبتكر حتى انتعلته وسارت تتخطر في القاعة جذلة راضية وهي تردد عبارات الثناء؛ ثم أوصته بصنع أزواج عديدة فكان هذا الطلب فاتحة شهرة الرجل وباب ثروته »

* * *

ليتسم من يشاء لهذه القصة من الشبيبة المثقفة الحالمة بتربع دسوت الوزارات والتهافت على باطل الأمجاد وكاذبات الأماني، المحتقرة لكل عمل لا تدور به عناصر التحكم بالناس والترفع عن كل حرفة ؛ فإن من هذه الشبيبة فئة علمتها عثرات الآمال أن تعتمد على نفسها وتنطلق في ميادين الأعمال الحرة من أي نوع كانت، وهذه الفئة تباهي بالإسكاف الوضيع الذي عرف أن يجعل السيدة الأولى في أعظم الأمم ثروة وعدداً وجهداً تشهد بفضله وتثني عليه لأنه ابتكر طريقة تريح الناس من عناء تحملوه عبثاً حتى كشف سره وهو لا يحمل شهادة الفلسفة بل لعله أميّ لا يعرف من العلم شيئاً

ليس من عمل حقير في العالم إلا العمل الذي تديره يد متواكلة بتفكير حقير ...

إن في حرفة الكناسة مجالاً للعبقرية، كما أن في مهمة إدارة الأمم مجالاً للحماقة والغرور. ولو أن كل فرد في هذه الأمة اتجه إلى إتقان عمله باذلاً فيه كل جهده لبدت طلائع الرقي بين الطبقات الوضيعة قبل أن تبدو بين الطبقات العليا

إن حياة الأمم تبدأ بانتباهة الفرد ونشوء فكرة التضامن

أقرب إلى الإجمال في بيانه. وقيوده تحول دون الإيضاح الذي يملكه الناثر

فطبيعة النظم تبيح للشاعر شيئاً من الغموض والتقديم والتأخير لا يباح في النثر، ولكن الغموض ليس مستحسناً في منظوم ولا منثور

وقال ابن خلدون في الفرق بين الشعر والنثر :

واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد المختص بالخطابة، والدعاء المختص بالخطابات وأمثال ذلك

وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام القافية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض، وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا في الوزن » عبد الوهاب عزام

بين جماعاته الصغرى . فلو عملت الفئة الناهضة المثقفة فى هذه البلاد على إثارة هاتين القوتين فى المزارع والقرى الصغيرة لقضت على التواكل والخمول ولرأينا بدلاً من الشعب الذى يتوقع من حكومته كل شيء، شعباً واثقاً من نفسه يقيم كل شيء على سواعده

أما يكفى الأمة لتحيا أن يكون حاكموها منها ولها وأن يعدل القضاء بين أفرادها ؟

— ٢ —

كلمة قد تجيء ثقيلة على بعض الأسماع، وقد يتلقاها من توجه إليهم بالصمت والتبرم ولكنها كلمة حق الجهر بها علينا لأننا اعتقدناها حقاً

لقد كثر عدد الكتاب والشعراء الذين يملكون البيان الصحيح ولكن قل بينهم من ينطق بهذا البيان بلهجة العربية الأصيلة محررة من كل لكنة دخيلة أو رطانة أجنبية

وإن نحن أردنا تصنيف اللهجات التى تصدها فصاحة اللغة وتتملل منها مقاطعها وحروفها وحركاتها وسكناتها أمكننا أن نردها إلى أصلين : اللهجات التى أدخلتها العامية على الفصحى، فمنها ما حولت الجيم إلى جيم أفرنجية تتنافر وسائر الحروف الحلقية، والألف إلى ألف فارسية تخرج مفخمة من الخياشيم كأن عليها « أكسانسير كونفلكس » مزدوجة[1]، ومنها ما حسبه بعض المتحذلقين نهاية الإبداع بالاحتفاظ بالحركات النحوية فى أواخر الكلمات وبخاصة عند الوقف فتأتى الحركة نافرة كأنها الشجى فى حلق المتكلم أو كالقرار الموسيقى الافرنجى المقطوع على بقية كذب كلب الراعى

أما الأصل الثانى فرطانة جميع لغات الدنيا نازلة منزلة الضيف غير المحتشم على مخارج حروفنا وموسيقى مقاطعنا

إن الفرنسى عندما يتكلم بلغة أجنبية لا يكاد يتلفظ بجملة واحدة حتى تسمع لغة أمه نافرة بغنتها من فمه مشوهة اللغة الأجنبية، وهكذا الإنجليزى والألمانى والإيطالى الخ ..

أما نحن أصلح الله عيب التقليد فينا ، فاننا نتكلم لغات العالم محتفظين لكل منها بفصاحتها، وبيننا من يبز الانكليز والفرنسيين بنقاء لهجته ، غير أن الكثيرين ممن تلقوا العلم فى المدارس الأجنبية أو تسنى لهم أن يمضوا ولو مدة صيف واحد فى أوربا تشل عضلات أحناكهم أو تتشنج أعصابها فيأتون السامعين بعجائب الفصاحة وغرائبها حتى ليقصب عليك لأول ما يطلق الخطيب أو الشاعر صوته فى الراديو أو على المنبر أن تميز اللغة العربية فيما يقول ، ولكم من عربى ابن عربى بيننا نحسبه أحد الآباء القادمين من فرنسا أو أحد المرسلين من انكلترا ...

* * *

دخلت امرأة أجنبية إلى مخزن لتشترى قماشاً فطلبت من المستخدم أن يريها بضاعة شرحت أوصافها على قدر ما تسمح لها معرفتها بالعربية فأوردت ضمير المخاطب بدل ضمير الغائب وقلبت المذكر مؤنثاً والمؤنث مذكراً ، واستبدلت بالفاء والعين والقاف حروفاً من لغتها فإذا بالمستخدم العربى يتقدم مدلياً ببيان طويل عما لديه من الأصناف باللغة التى خوطب بها دون ارتكاب خطأ واحد فوقفت السيدة تتفرسه قائلة :

— أجيب هو انتى من مملكت بتاع أنا ...

وإذ أجاب المستخدم نفياً أطلقت لسانها بالسباب والشتم وخرجت من المخزن معتقدة أن حضرته يهزأ بها ويقلدها ليحتقرها

مسكين هذا المستخدم، إنه سار الأجنبية تملقاً بقصد تصريف بضاعته ، فأية بضاعة يريد تصريفها بعض المقلدين بيننا حتى من رجال الأدب ، وأى معنى لهذه المسايرة السخيفة التى تضحك الأجانب أنفسهم .

بقيت كلمة لن أدعها عالقة بقلمى ، وإن كنت أعلم أنها ستغضب كل من سطت العادة على ذوقه سواء أكان سليماً أم غير سليم .

من أية لغة اقتبس حرف « أ » فى كلمة « أب » ؟ وليس فى لغات العالم ما يشبه هذا الصوت الذى تحسبه قرعة دف فلا يمكن كتابته إلا إذا خلقت ألفاً جديدة تتركب من سائل القاف ومسحوق الضاد وشيء من صيحة الاستنفار ثم أتيت بالباء مشددة بأربع شدات، وقد لا نصل بهذا الإملاء إلى تمثيل خشونة هذه الكلمة وثقلها مع أنها من ألطف ألفاظ العربية ومن أروعها تمثيلاً لعطفة الطفل على والده .

وأخيراً أتمنى لو عمل هؤلاء المصابون بداء الرطانة والحذلقة على الاستشفاء بإصغائهم إلى فصحاء هذا الجيل كالأستاذ الأكبر المراغى والأستاذ أمين الخولى مثلاً فى النثر ، وكالأستاذ الجارم والأستاذ أحمد رامى فى الشعر ، فإن تصحيح اللغة على الألسن ليس بأقل أهمية من تصحيحها فى الجرائد والكتب

(الاسكندرية) فليكس فارس

(١) ومنها التاء المربوطة تلفظ تاء ساكنة عند الوقف بدلا من التلفظ بها هاء

أعلام الأدب

هجـــــرة يوريبيدز

للأستاذ دريني خشبة

ساءت حالة أثينا والأثينيين بعد موت بركليس (٤٢٩ ق. م)، وأخذت المصائب تترى عليها في الداخل والخارج ... في الداخل على أيدي تلك الطغمة الشقية من زعماء الشعب وقادته الذين نبتوا فجأة فورثوا الزعامة كما ورثها ألسبيادس النزق الطياش عن بركليس العظيم، أو تملقوا الجماهير الغافلة التي لا إرادة لها. فأسلست لهم قيادها فأوردوها المهالك بعد ما ضللوا بها تضليلاً كبيراً متخذين من فساد الديمقراطية بعد موت بركليس سلاحاً يشهرونه في وجوه العقلاء والمفكرين.

أما في الخارج فقد تتابعت الهزائم على جيوش أثينا، وأحرق الأسبرطيون حقول أتيكا وقراها ودسا كرها كما صنع الفرس من قبل، ثم حطموا قوة أثينا البحرية التي كانت تلقي الرعب في قلوب الدويلات الهيلانية.

كان يوريبيدز يرى ما حل ببلاده الأثير المحبوب وهو جالس كالقديس في كهفه الجميل الفريد في صخرة سلاميس فيأخذه الوجد، ويحزن أبلغ الحزن على ما آلت إليه الحال في أثينا من انحطاط مستوى الشعب الخلقي، وتضليل الزعماء بالناس، واقتتالهم على جاه الرياسة الزائف في حين قد أصبحت حرمات الوطن حلاً لكل والغ، ففي كل يوم غزو، وفي كل يوم قهر لعزة الوطن، والإسبرطيون في كل فج يذلون العزة القومية، وينشرون الفقر، والأقوات منقوصة في أثينا، والأمراض تفتك بالأهلين، والأهلون لاهون عن كل ذلك بالجدل السياسي العقيم، وبإلقاء التهم جزافاً على رأس كل وطني مخلص. فيوريبيدز كان يدعو للسلم لأنه كان يتمنى الهزيمة لبني وطنه ... فليُنبَذ يوريبيدز إذن ... وليذكر ماضيه الزاخر بعداوته المرأة وإلحاده بالآلهة، واستهتاره بتقاليد السلف الصالح، والفت بدعوته للسلم في أعضاء الجند ... ثم هو يسخر بالديمقراطية فهو من شيعة الاستبداد ... ثم هو تلميذ السوفسطائيين الملاحدة وصديقهم، وأحد المبشرين بآرائهم ... فليؤخذ أخذاً شديداً لا هوادة فيه ولا مرحمة .. ولتشرك زوجته في خلق المتاعب المنزلية له فتصبح حياته جحيماً في المنزل، وجحيماً في المجتمع، وجحيماً في أثينا كلها ... ولماذا يبالي الشعب الضال، والزعماء الأوشاب من طعن يوريبيدز في شرفه ؟! أليس قد اشتهر أن زوجته الأولى قد خانته؟ فلماذا يتورعون من إرسال التهمة نفسها عن زوجته الثانية ! ثم لماذا لايدسون إليه من يحدثه بذلك ! أليست هي فضيحة والسلام؟ أليس المقصود هو وخز هذه الروح العالية الكريمة المتأبية؟ فإذا ينفع في وخزها إلا صغارهذه الشائعات ؟ ألا لا أفلح شعب لايحرص زعماؤه على الأخلاق، ولا أفلحت أمة يبلغ بها الهوان أن تعبد أمثال أولئك الزعماء !

كان يوريبيدز معتزلاً جميع الناس في كهفه المنفرد، وهذه الضائقة الأخلاقية تفتك بمواطنيه، وكانت أنباء الأزمة تبلغه فيبتسم ساخراً، ثم يعبس عبوسة عميقة مريرة ظهرت آثارها في درامته التي كان ينظمها في ذلك الحين (أورست ٤٠٨ ق. م) والتي حلل فيها أخلاق رجل ملتاث أو به مس لأنه قتل أمه، وكيف أعدى هذا الرجل جميع من حوله بجنونه وخصوصاً أخته ألكترا وصديقه بيليدز، وكيف انتهى أعوانه إلى حرق القصر الملكي في آرجوس ليكون أول مشهد من نوعه يعرفه المسرح اليوناني ...

وبالرغم من روعة أورست وأنها من أقوى مانظم الشاعر فقد سقطت لأنها من نظم عدو الشعب، الرجل الغني البخيل الذي طالما بخل بأمواله على بلاده في أشد أوقات محنتها ... هذه تهمة جديدة حاكها الرعاع حول يوريبيدز، لأنه كان يقتني مكتبة من أحفل مكتبات أثينا بالكتب بل من أحفل المكتبات الشخصية في العالم في ذلك العصر الذي كانت تبلغ فيه قيمة الكتاب الواحد مالا قبل للفقير به

إذن فليهاجر يوريبيدز !

وليُلب دعوة أهل مجنزياله[1]، ليحل عليهم ضيفاً حيناً من الزمان، فإن بينه وبينهم صداقة قديمة ومحبة كانت تجعل لهم

(١) إحدى مدائن وادي ميانيدر بالقرب من إفسوس

منه في أثينا سفيراً يسهر على صوالحهم وييسر حوائجهم ... وليتلبث عندهم أياماً ثم فليلب دعوة ملك مقدونيا العظيم الملك آرخيلوس، الذى كان يجمع حوله بلاطاً زاهياً زاهراً من أعظم رجال الفكر والفن في العالم، والذى كان يعتقد أن انتهاء أثينا على هذا النحو المزرى لا يعنى انتهاء المجد اليونانى، بل يعنى هجرة هذا المجد، وما دام أعظم رجال الفكر والفن اليونانيين قد هاجروا، واختاروا بلاط مقدونيا مُهاجراً لهم، فسترث مقدونيا هـذا المجد الأثينى الباهر العظيم، وستنهض مقدونيا فى عالمى الفكر والحرب. وسيكون من ملوكها الملك فيليب وابنه الإسكندر ومن أضيافها العظماء الفيلسوف آرسطو المعلم الأول!

كان آرخيلوس ملك مقدونيا وواضع اللبنة الأولى فى بناء نهضتها يطمع من قديم فى اجتذاب الشاعر يوريبيدز إلى بلاطه لشدة إعجابه به، وكان يعرف ما يلقى يوريبيدز من قومه من الهون وسوء التقدير، فدعاه مرة وأطمعه فى حياة هادئة هانئة لا يعكر عليه فيها صفاءه معكر، لكن يوريبيدز شكر واعتذر، فلما هاجر إلى مجنزيا وعرف الملك ذلك جدد دعوته وشدد فلبى يوريبيدز وأجاب، وشد الرحال إلى البلاط المقدونى المتلألىء حيث وجد من رجال الفن تريكسيز أعظم مصورى عصره، وحيث وجد الشاعر التراجيدى العظيم أجاثون، والموسيقى الخالد تيموتيوس الذى كان يوريبيدز قد أنقذه من الانتحار كما مر بك ... ومما يؤثر فى قليل من الشك أنه لقى ثمة المؤرخ العظيم تيوسيدز

أقام يوريبيدز فى هذا البلاط الزاهر فكافأه الحظ السعيد لأول مرة فى حياته مكافأة معنوية عالية لم يكافئ بها الزمان أحداً من الأدباء قط ... لقد وردت الأنباء من سيرا كوزه حاضرة صقلية بأن أسرى الحملة اليونانية التى أرسلها ألسبيادس لغزو الجزيرة والذين بلغ عددهم سبعة آلاف أسير قد اشترط الصقليون لإطلاق سراحهم أن يلقوا مقطوعات من شعر يوريبيدز، فمن استطاع منهم ترتيل شيء من هـذا الشعر ولو كان بيتاً واحداً فقد أطلق سراحه وصار حراً، ومن لم يستطع فقد حل للصقليين استرقاقه! أى مكافأة هذه يجود بها الزمان على شاعر؟! وأية منزلة بلغها يوريبيدز فى الأوساط المثقفة المستنيرة فى الزمن الذى كان يعيش فيه! ولكن ماذا كان أثر هذا الجيل فى أثينا والأثينيين؟! لقد كان أثراً بالغاً من غير شك، لقد شعروا بالخزى لأن أمماً أخرى غير أثينا قد أخذت تستيقظ وتتنبه، ثم تسمو نحو المجد الأدبى حتى لقد عرفت من أدب يوريبيدز الأثينى ما لم يعرفه الأثينيون!

لم يسكن يوريبيدز إلى الدعة فى مقدونيا، ولم يزهه إعجاب البلاط به فيستنيم إلى نشوة الخيلاء، بل لعل الفضل الأكبر يرجع إلى هذه النشوة فى نظمه أعظم دراماته جميعاً (الباخوسية)[1] أو سكارى[2] باخوس

وتشبه الباخوسية من حيث الفكرة العميقة وجمال الموضوع بروميثيوث المصفد لأسخيلوس، وقد نسى فيها يوريبيدز أدب الواقع قليلاً، ثم تغلغل فى صميم الأساطير القديمة وغرق فى الأدب التقليدى الذى كان هو زعيم الثورة عليه ... ولا ندرى لم يمر المؤرخون هذه الرجعة من يوريبيدز اهتماماً، فلم يملوها ولم يعرضوا لبحث أسبابها ... على أن مما لا ريب فيه أن أكبر أسباب هذا التحول هو البلاط المقدونى نفسه والبيئة المقدونية التى كان الشاعر يعيش فيها ... فأحلام رجال البلاط بالرغم من الأفراد الممتازين الذين جذبهم الملك إليه كانت أحلاماً بدائية مما يزدهيها أدب الملاحم والأساطير ولا يروقها الأدب التحليلى الذى ابتكره يوريبيدز ونظم فيه أروع آثاره... أما البيئة فقد ترددت أصداؤها فى الباخوسية بهذه القطع الخالدة التى صور فيها الشاعر كثيراً من مناظر الطبيعة فى مقدونيا تصويراً حياً رائعاً لا يكاد يدانيه شيء فى جميع ما نظم

والعجيب أن تكون الباخوسية مع ذلك أروع درامات يوريبيدز بالرغم من أنها نكسة فى مذهبه، وربما كان العنصر الإلهى الذى امتازت به هو الذى جعل لها هذه المرتبة بين دراماته .. وهو العنصر نفسه الذى ارتفع بروائع الأدب الأخرى وأكسبها الخلود مثل كوميدية دانتى وفردوس ملتون ورسالة الغفران لأبى العلاء وفاوست لجيته

---

(١) اختلف مؤرخو الكلاسيك فى اسم هذه الدرامة فأثبته موراى كما جاء فى اليونانية Bacchae وسماها يورا The Bacchants ومعناها كهنة باخوس، أو المرحون، أو السكارى. أما ملمان، أحد مترجمى يوريبيدز (مجموعة دانت حـ ١) فقد سماها The Bacchanals ومعناها عباد باخوس أو مرابيد باخوس

(٢) المقصود جمع المؤنث من سكرى بفتح السين

والباخوسية تفيض بروح لاذعة من السخرية ، وفيها مناظر تضحيكية مرة تقف بالإنسان ليتساءل : ترى هل بين هذه المناظر وما جاء مثلها في درامة إفجنيا في أوليس التي لم يكملها يوريبيدز ، صلة ؟ ! هل من الحق أن المناظر التضحيكية التي تفيض بها إفجنيا ليست من صنع يوريبيدز ؟ وهل الفن الذي نشهده في إفجنيا هذه هو فن غريب عن يوريبيدز لأنه لم يرد في دراماته أيضاً ؟ فلم إذن حشد يوريبيدز هذه المناظر التضحيكية في الباخوسية التي نظمها في مقدونيا كما نظم أختها إفجنيا هناك ؟ !

هذه أسئلة ترغم الإنسان على إعادة النظر في كل ما قيل عن فن يوريبيدز ! ! لقد رأينا كيف تأثر سوفوكليس الشيخ بيوريبيدز الفتى في أخريات حياته ، أفلا يكون يوريبيدز هو الآخر قد تأثر بعدوه أرستوفان ؟

***

يقدم إله الخمر باخوس - أو ديونيزوس - متنكراً في رهط من نسائه السكارى المتوحشات إلى طيبة فيذوده ملكها بنثيوس عن القصر الملكي ، ويغلو هو ونساء الحاشية الملكية في انتهاره والإزراء به ، والتهكم عليه . ثم يأمر الملك بتكبيله بالقيود والأصفاد ثم بإلقائه في غيابة السجن ذليلاً محسوراً ... وهنا تتجلى القدرة الإلهية العجيبة ، فإن ديونيزوس الذي يصبر لهذا الهوان من أحد رافضي عبادته يرسل طائفاً من الجنون يجتاح سيدات القصر الملكي كله بما فيهن أجاف أم الملك فينطلقن مهرولات مولولات لينخرطن في صفوف ديونيزوس ، وليعكفن على عبادته . وينصح أشياخ الشعب الطيبي الملك أن يحد من غلوائه ضد الإله وأن يشرب قلبه محبته عسى أن ينفر له ، لكن الملك لا يزداد إلا شموساً ، فلا ييأس ناصحوه من النصح له حتى يقبل آخر الأمر أن يستخفي في زي امرأة ثم ينطلق إلى جبل كيثارون حيث يختبئ في بعض الأدغال القريبة ليشهد كيف يقبل نساؤه الملكيات على عبادة الإله وليقف بنفسه على مدى خشوعهن له ... وما يلبث الملك المستخفي أن يفتضح أمره فيضبطه نساؤه في مخبئه ، وتهجم عليه أمه وهي نفيا هي فيه من طائف الجنون القدس فتقتله ثم تمزقه إرباً ، وتنثر في الهواء أشلاءه ، وتنطلق برأسه نشوانة بخمر النصر وهي تحسب أنها قد قتلت أسداً ، وأن الرأس الذي تحمله هو رأس ذلك الأسد !

فإذا انتهت إلى القصر ، وراحت تفتخر بفعلتها التي فعلت ، لقيها أبوها قدموس الذي آب هو أيضاً من جبل كيثارون حاملاً أشلاء حفيده ، فيقول لها وتقول له ، وقد فاءت قليلاً من طائف الجنون القدس :

أجاف — ماذا ؟ ما الذي تنكرون ؟ فيم أسفكم أيها الأهل ؟[1]

قدموس — دوري بعينيك قبل كل شيء في الهواء الذي حولك !

أجاف — أدور بعيني ؟ ولماذا أفعل يا أبتاه ؟

قدموس — ألم يتبدل الأمر غير الأمر ؟ ألم يحدث أي تغير !

أجاف — لله ما أجمل وما أبهى ! أبداً ما رأيت مثل هذا أبداً ؟ !

قدموس — أما تزال خيلاؤك تهيمن على روحك !

أجاف — لست أدري ماذا تقصد ! إني أفيق قليلاً ... إن عقلي المضطرب يصحو ...

قدموس — ألا تستطيعين أن تنتبهي وتجيبي على ما أسألك ؟

أجاف — لقد نسيتُ يا أبتاه كل ما قلت !

قدموس — أتذكرين إلى من زففناك عروساً يا بُنيّة ؟

أجاف — إلى إخيون الذي يدعونه ابن التنين !

قدموس — وتذكرين ابنه الذي حملت في أحشائك ؟

أجاف — بنثيوس ، الوشيجة المقدسة التي تربط قلبينا !

قدموس — إذن رأس من هذا الذي تحملين في كلتا يديك ؟

أجاف — رأس أسد ! هكذا قال رفاق الصيد !

قدموس — أنظري إليه إذن فلن يكلفك النظر إليه عناء !

أجاف — ماذا أرى ؟ ما هذا الذي أحمل في يدي ؟

قدموس — أنظري إليه مرة ثانية .. إنك توشكين أن تعرفي !

أجاف — إني أرى الفزع الأكبر الذي ما رأيت مثله أبداً !

قدموس — هل هذا يشبه الأسد ؟

أجاف — كلا ! واتعساه ! إنه رأس ولدي بنثيوس !

قدموس — ومع ذاك فلم تذرف عليه عيناك عبرة واحدة قبل الآن !

أجاف — من قتله ؟ وكيف انتقل رأسه إلى يدي ؟ !

قدموس — أيتها الحقيقة المرة ! لقد أتيت في غير الأوان !

أجاف — تكلم ! إن قلبي يخفق حتى ليكاد يثب من بين أضالعي !

(١) الترجمة عن ملمان مجموعة دانت ح ٢ ص ٣٤ وما بعدها .

قدموس — أنتِ يا ابنتى التى ذبحته . . . أنت وأخواتك !

أجاف — وأين؟ هنا؟ أم فى أى مكان ؟!

قدموس — هناك . . . حيث انقضت عليه كلاب أكتيون فمزقته إرباً !

أجاف — ولم ذهب إلى كيثارون ولدى التيمس ؟

قدموس — ذهب ليستهزئ بالإله ! وليسخر بالسكارى من عابديه !

أجاف — ولكن كيف وفيم ذهابنا نحن إلى هناك ؟

قدموس — لقد أصابك طائف من الجنون ، وقد جنت المدينة كلها معك !

أجاف — وا أسفاه ! لقد أهلكنا ديونيزوس ؟ آ لآن عرفت ذلك ! !

قدموس — هذا جزاء ماسخرتم به ... لقد نسيتم أنه إله !!

أجاف — وأين جسمان ابنى يا أبتاه ! !

قدموس — ها هو ذاك ... لقد لقيت العناء فى جمعه !

أجاف — وهل كل أشلائه سليمة ... و ... هل أصابه ما كان قد أصابنى ؟

***

ثم تبكى الأم ولدها ويبكى قدموس حفيده ، ويشتد فى بكائه إياه لأنه سيظل بلا عقب ولا وارث للملك ولن تكون له ذرية من الرجال ... ثم يبدو الإله ديونيزوس فجأة فيصمت الجميع ، ويأخذ رب الخمر فى إصدار أحكامه وإبرام إرادته فينذر قدموس أنه سيمسخه فيكون تنيناً ، وستكون زوجته هولة شائهة الوجه . أما أجاف فستكون هولة أيضاً وستنفى من طيبة إلى أقصى الأرض . . . فإذا تضرعت إليه أن يترفق بها ذكرها بما كان من استهزائها به وتهكمها عليه . . . ثم تودع أباها ووطنها وداعاً مؤثراً وتنطلق من فورها إلى منفاها السحيق

أما الإله فإنه يسمو صعداً فى الهواء ليلحق بدولة الأولمب ! !

فهل رأيت سخرية كهذه السخرية ؟ ! لقد حشد يوريبيدز طائفة كبيرة من الطعن فى أهل البربر فى الباخوسية ، كما لجأ كعادته إلى الإشادة بذكر الميلانيين ... وقد أقام فى مقدونيا عاماً ونصف عام كان فيهما صفى الملك وحبيبه وصديقه . . . ثم مات يوريبيدز متأثراً بجراحه التى يزعمون أن كلاب الملك وكلاب المقدونيين أحدثتها به حينما انطلقت عليه تعقره وتعضه وتمزق جسمه[1] ؟ ! ... فهل هى رواية صادقة ؟ ! وهل بين هذه الرواية وبين ما طعن به على البربر علاقة ما ؟ وهل المقدونيون من البربر ؟ أم أن استخلاص الملك له وإيثاره إياه أثار فى قلوب رجال الحاشية حسدهم له وموجدتهم عليه فأغروا كلابهم به ؟ !

لقد زعموا أن الملك وجد على يوريبيدز وجداً شديداً ... وأنه رفض إرسال جثمانه إلى أثينا ليدفن هناك وقد ألح الأثينيون فى طلبه وتوسلوا إلى ملك مقدونيا بشتى الوسائل ، لكن الملك آثر أن يدفن صديقه بالقرب منه فى بيللا Pélla (سنة ٤٠٦)

دريني خشبة

(١) يروى أن الملك خرج للصيد يوماً وكان يوريبيدز يحب العزلة على ما تعود فكان يخلو إلى نفسه فى غابة قريبة هى التى خرج الملك للصيد فيها فانقضت الكلاب على يوريبيدز فعقرته ... وهى رواية مفندة



رجعة إلى البحترى

للأستاذ عبد الرحمن شكري

أبدى لنا بعض الأدباء الأفاضل شكا فى وصفنا للبحترى من حيث غلبة الصناعة على العاطفة فى شعره واختلاط الحقيقة بالخيال فى تلك الصنعة مما جعل بعض القراء يفترون بها ويحسبونها عاطفة . ولم نكن نريد انتقاص البحترى إذ عددناه ممثلاً فى صناعته، يمثل العواطف المختلفة تمثيلاً متقناً، ولم نرجح صحة رواية كتاب الأغاني عن طريقة إنشاده وعن طلبه الاستحسان من الحاضرين وزجرهم إذا لم يظهروا الإعجاب ، إلا لأن ذلك يفسر تناقض ما يمثل من العواطف والأحاسيس فى شعره ، كما سنوضح ، ويتفق وطريقة الصناعة اللفظية التى ينتشى فيها الصانع بما يقول ، وقد أغفلنا الإشارة إلى ما يروى عن بخله إذ لا دخل لذلك بفنه ، وكذلك أغفلنا ما روى عن قلة اكتراثه بثيابه ونظافته ... الخ .

والحقيقة أننا نعجب بصناعة البحترى إعجاباً كبيراً ، لكن الإعجاب لا يمنع من الوصف والدراسة النفسية والسيكولوجية . وربما أخذ علينا بعض حضرات الأفاضل قولنا إن رثاءه للمتوكل كان صنعة وإننا نشك فى قوله : (أدافع عنه باليدين ... الخ) . وقد رفضنا ما قرأنا فى بعض الكتب من رواية لعلها رواية عدو أو رواية مازح أراد أن يداعب قوله : (أدافع عنه باليدين الخ) . فقد قيل إنه اختبأ أثناء مقتل المتوكل . ويكفى أن نقول إن الفتح ابن خاقان هو الذى حاول أن يدافع عن المتوكل بيديه وبجسمه فقتله الفاتكون وهو من زعماء الترك مثلهم ، فما كانوا يتعففون إذا عن قتل البحترى إذا صح أنه دافع عنه باليدين إن لم يكن لغضب منه فلكى يصلوا إلى المتوكل . ولم نشأ أن نذكر أنه مدح المنتصر بعد أن هجاه فى رثاء المتوكل ، ومدح زعماء الفاتكين وعرّض بهجاء المتوكل فى مدحه للمنتصر كما سنوضح ، ومدح المستعين الذى خلف المنتصر والذى كان منافساً للمعتز بن المتوكل الذى مدحه البحترى فى رثائه للمتوكل ورجاه للخلافة ، ومدح ابن المستعين ورجاه للملك أيضاً ، كل ذلك والمعتز أسير حبيس ، ثم بعد أن ثار الجند الترك على المستعين الخليفة واضطروه أن يخلع نفسه وفتكوا به هجاه البحترى بقوله :

وما كانت ثياب الملك تخشى جريرة بائل فيهن ... رى

وكان الغدر والخيانة والانتقاض أموراً شائعة فى ذلك العهد، وفى رثاء المتوكل يهجو المنتصر فيقول : (إذا الأخرق العجلان خيفت بوادره) ويقول :

ولا وأل (المشكوك فيه) ولا نجا
من السيف ناضى السيف غدراً وشاهره

وهذا يشمل المتهم بالتحريض غدراً وهو المنتصر ويشمل الذين شهروا السيف وقتلوا المتوكل وهم الذين مدحهم البحترى بعد ذلك . ورب قائل يقول : إن الشاعر لا دخل له بالسياسة فهو يمدح الحكومة القائمة . ولكن البحترى لم يكتف بمدح كل حكومة كانت قائمة بل كان يهجو الحكومة التى قضى عليها . وقد رأينا هجاءه للمنتصر فى رثائه للمتوكل فانظر كيف يمدحه ويقول :

سروا موجفين لسعى الصفا ورمى الجمار ومسح الحجر
حججنا البنية شكراً لما حبانا به الله فى المنتصر

أى إنه حج كى يشكر الله على أن المنتصر تولى الخلافة وهو الذى يصفه فى المرثية بالأخرق العجلان ويرجو ألا ينجو من أن يقتل بالسيف لأنه متهم بالتحريض على قتل أبيه ، ولم يكتف بالحج شكراً بل وصف المنتصر بالحلم بعد وصفه بالخرق فقال :

من الحلم عند انتقاض الحلو م والحزم عند انتقاض المرر
تطول بالعدل لما قضى وأجمل فى العفو لما قدر
ودام على خلق واحد عظيم الغناء جليل الخطر

ويقول :

ولكن مصفى كماء الغما م طابت أوائله والأخر
تلافى البرية من فتنة أظلهم ليلها المعتكر
رددت المظالم واسترجعت يداك الحقوق لمن قد قهر
وآل أبى طالب بعد ما أذيع بسربهم فابذعر
وصلت شوابك أرحامهم وقد أوشك الحبل أن ينبتر

وهذا المدح طويل جيد ، ولا يقل صناعة عن مدحه للمتوكل بل إن فيه تعريضاً بحكومة المتوكل وهجاء له ، إذ أن المتوكل هو الخليفة الذى غالى فى اضطهاد آل أبى طالب . وقوله (رددت المظالم) هجاء صريح للحكومة السابقة ، وقال :

بقيت إمام الهدى للهدى تُجدِّدُ من نهجه ما دثر

فإذا كان الهدى قد دثر وجدده المنتصر فمعنى ذلك أن المتوكل هو الذي كان الهدى في عهدي مندثراً .

وفي مدح العباس بن المستعين يقول :

توكلته القلوب وبايعته بإخلاص النصيحة والوداد

هو الملك الذي جُمعت عليه على قدر محبات العباد

بعد أن كان لا يرضى بعد المتوكل خليفة إلا بالمعتز ابنه ، وقد قال في ذلك (وإني لأرجو أن تُردَّ أموركم الخ)

وفي مدح المستعين يقول :

تلو رسول الله في هديه وابن النجوم الزهر من آله

وهذا ليس مدحاً شكلياً لكل حكومة قائمة بل هو يمثل عاطفة الولاء الشديد والاقتناع بالصلاح وإلا ما قال (تلو رسول الله)

وبعد أن جعل المستعين مثل رسول الله عاد بعد تعذيب الجنود له وقتله فقال: (وما كانت ثياب الملك تخشى الخ) وقال أيضاً فيمن شبهه قبل ذلك برسول الله :

ثقيل على جنب الثريد مراقب لشخص الخوان يبتدى فيواثبه

إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يبل

أضاء شهاب الملك أو كل ثاقبه

تخطّى إلى الأمر الذي ليس أهله فطوراً يناديه وطوراً يشاغبه

وبعد قتل المعتز مدح أيضاً الحزب المناوئ له وخليفة ذلك الحزب وكان في مدح كل خليفة يذكر مدحاً يصح أن يحمل على محمل التعريض بالخليفة السابق الذي كان قد رفعه البحتري إلى السماء كما فعل مع المستعين[1]

وهذه الخطة لم تكن خطته نحو الخلفاء والوزراء فحسب ، بل إنه أيضاً صنع النسيب والتشبيب في علوة الحلبية حتى ظن بعض النقاد أنه من أصدق النسيب وهو ليس كذلك ، فهو في القصيدة الواحدة يصفها بالصيانة والتبذل فقال :

بيضاء رود الشباب قد غمست في خجل دائم يعصفرها

لا تبعث العود تستعين به ولا تبيت الأوتار تخفرها

وبعد هذا الوصف بالتصون يقول في القصيدة نفسها :

وليلة الشك وهو ثالثنا كانت هنات والله (يغفرها)

(١) تولى المعتز ثم قتله الجند أيضاً ثم ولوا المهتدي ثم فتكوا به أيضاً وولوا المعتمد في زمن قصير فتكوا بالمتوكل والمستعين والمعتز والمهتدي ويقال إن المتصرمات مسموماً .

وعلى فرض صحة حدوث ما يستوجب (الغفران) أيليق ذكر ذلك في النسيب الذي يصفها فيه بالتصون ؟ وأدهى من ذلك أنه عاد وهجاها أفحش هجاء بقول لا يتفق وما وصفها به من التصون وهو قول لا يمكن الاستشهاد به (صفحة ١٠٩ من طبعة الجوائب) وفيه أنكر عليها التصون والعفة والجمال والأنوثة . وقصته مع نسيم غلامه معروفة إذ كان يبيعه ويقبض ثمنه ثم يعود فيهدد الذي اشتراه حتى يرده إليه هدية كي يكسب المال . ونسيبه فيه نسيب ظاهره الرقة وباطنه فساد الذوق الذي يكون عند ما تنعدم العاطفة وتدعى تمثيلاً قال فيه :

فقل لنسيم الورد عنّي فإنني أعاديك إجلالاً لوجه (نسيم)

ولو كانت عنده عاطفة لقال :

فقل لنسيم الورد أقبل فإنني أحبك من حبي لوجه نسيم

أو من حبي لطيب نسيم ، أو ما شابه ذلك إذ لا يعقل أنه يكره الرائحة الزكية لأن نسيم الورد اسمه مثل اسم نسيم . ما بقي إلا أن يتغزل في الرائحة الكريهة إجلالاً لوجه نسيم كما يقول .

وقال أيضاً فيه :

لم تجد مثل ما وجدت وما أنـ ـصفت إن أنت لم تجد مثل وجدي

كيف يكون من الذوق والصدق أن يطلب من ذلك المملوك الصغير أن يعشقه ويحس بوجد مثل وجده به والبحتري شيخ كبير والمملوك غلام صغير ؟ أظن أن هذه الشواهد كلها تزكي وصفنا للبحتري وكنا لا نريد الإطالة — وهو وصف على أي حال لا يطعن في علو صنعته .

فقد وصفنا في مقالة (صيانة العقيدة من احتيال النفوس) أن النفس البشرية تستطيع أن تخفي عن نفسها قبح رذائلها وأن تزكيها بأن تلبسها لباس الفضيلة والدين

ومن نظراته الصادقة أيضاً قوله :

وما القرب في بعض المواطن للذي

يرى الحزم إلا أن يشط ويبعدا

فقد يكون في البعد من الإبقاء على المودة ما لا يكون في القرب . وهذه النظرات الصادقة ليست قليلة في شعره بالرغم من فساد نظرته أحياناً . وأختم قولي عن البحتري بأن أعيد بيتاً له أعجب به وهو قوله:

ما أضعف الإنسان لولا همة في نبله أو قوة في لبه

إذ يعجبني منه اختصاصه النبل بالهمة واللب بالقوة وجعل قوة الإنسان في همة نبله كما جعلها في قوة لبه

والغريب فى أمر البحترى أنه قد يخطئ فى المعنى إذا كان نسيباً ويصيب فيه إذا كان مدحاً كأن الرُّغْبَ فى قلبه أشد من الحب . أنظر كيف فسد ذوقه فى قوله فى النسيب وقوله فى مملوكه نسيم :

فقل (لنسيم الوَرْدِ) عنى فإننى أُعادِيك إجلالاً لوجه نسيم

ثم إلى قوله فى المدح :

إنى لأضمر (للربيع) محبة إذ كنتُ أَعْتَدُّ الربيع أخاكا

وإصابته فى البيت الثانى كانت خليقة أن تجعله يقول فى البيت الأول إنه يحب نسيم الورد لمشابهة الورد للنسيم ، كما أحب الربيع لمشابهته للممدوح ، ولكن له سقطات فى وصف الأحاسيس وما تقتضيه من القول شأن القائل بالصنعة لا بالعاطفة وإنْ كان أميراً لها . وأدهى مما ذكرنا أن عظيما من بنى حميد ماتت ابنته فحزن لموتها فنظم البحترى قصيدة يعزيه فيها فقال إن العاقل ينبغى ألا يحزن لموت أنثى أيّة كانت لأنها قد تجلب العار :

واستذلّ الشيطانُ آدم فى الجـ نة لَّما أغرى به حَوّاء

والفتى مَنْ يرى القبور لَما طا ف به من بناته الأكفاء

نعم إنه يُعرّض بمعنى العار ولا يصرح ولكنه تعريض كتصريح ، ففى القصيدة يقول : إن أعاظم العرب ما كانوا يئدون بناتهن فقراً (بل حَمِيّةً وإباء) وذكر احتمال العار كى يعزى به أباً حزيناً على فقد ابنته ، والمُعزَّى من أعاظم الناس والفتاة التى ماتت من كريمات النساء . فساد فى ذوق الصانع حتى مع احتمال حدوث العار لو عاشت إذ يكون من فجاءات الحياة التى لا تتفق وكرم محتد التى يرثيها . هذا هو خطأ ذكاء الصنعة ، أما إذا أسلم نفسه لذكاء الطبع والبصيرة النفسية (السيكولوجية) أتى بنظرات صادقة فى النفوس والحياة مثل قوله :

إذا أحرجت ذا كرم تخطَّى إليك ببعض أخلاق اللئيم

واختياره كلمة اللئيم للكريم المُحْرَج ليس فيه مبالغة كما يعرف المفكر فى أخلاق الناس ، كما أنه ليس من المبالغة قوله فى البخل أو اللؤم أو ما شابه ذلك :

وتماحكوا فى البخل حتى خلته ديناً يدان به الإله ويُعبَدُ

عبد الرحمن شكرى

في الأدب العربي الحديث

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

عني الباحثون في الآداب العربية من الإفرنج في العصور الأخيرة باتجاهات الأدب العربي الحديث من سبل التحقيق العلمي ووسائل الدرس الفنية ، وسرعان ما ظهرت عناية هؤلاء الباحثين في الدراسات والمباحث التي قاموا بنشرها في السنين الأخيرة في مختلف اللغات الأوربية عن الأدب العربي الحديث . وخير هذه الدراسات الفصول القيمة التي يكتبها المستشرق الألماني الكبير « كارل بروكلمان » في « ملحق تاريخ الآداب العربية » وقد صدر منها أخيراً جزآن عن الشعر المصري في العصر الحديث .

غير أن ساحة الآداب العربية الحديثة (رغم هذه الدراسات) لا تزال غير مطروقة في جميع نواحيها بالبحث ، والنواحي التي طرقت منها لم تتعد دائرة رسم الاتجاهات العامة والخطوط الأساسية . لهذا كانت الحاجة ماسة لدراسات مستفيضة عن الأدب العربي الحديث من طرق التحليل العلمي وسبل التحقيق الذي درج عليه الباحثون في تاريخ الآداب ووسائل الدرس الفنية

وتحت تأثير هذه الحاجة ومعرفتنا للغة العربية التي حصلنا عليها لظروف عائلية بين تركيا ومصر اندفعنا إلى دراسة الأدب العربي الحديث في اتجاهاته وأعلامه في دراسات مفصلة ، ظهرت آثارها فيما نشرناه منذ عام ١٩٣٦ في اللغات الألمانية والروسية والتركية والإنجليزية والعربية . وكان أن رغب إليّ بعض الزملاء من أدباء العربية أن أنشر دراساتي في اللغة العربية لفائدة الناطقين بها من جهة، ولإمكان استفادة كل الباحثين من المستعربين الإفرنج في آداب العرب من جهة أخرى ، مما لا يتحقق فائدته على نفس الوجه في الكتابة في لغة من اللغات الإفرنجية التي يجري قلمنا بها

وتحت تأثير رغبة هؤلاء الزملاء وتشويقهم ، خصصت جانباً من دراستي التحليلية التي كتبتها في الألمانية عن « شاعر العراق الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي » ونشرتها بالعربية كما ترجمت بحثي عن الأستاذ الدكتور « طه حسين » ومضيت أضع دراسة عن الأديب الكبير « توفيق الحكيم » صدرت في الشهر الفائت ثم انثنيت أدرس الأديب الشاعر « خليل مطران » وأضع دراسة مفصلة عنه ، تكفلت بنشرها متتابعة مجلة « المقتطف » شيخة المجلات العربية . وحدث أن عرضت في الفصل الثالث من دراستي للطريقة التي استحدثها خليل مطران في نظم الشعر، وتناولت بالكلام العام الأثر الذي تركه مطران بمحاولته التجديدية في جيل من الأدباء الذين نشأوا في عصره وقلت في معرض الكلام ما نصه:

« على أن الأثر — أعني الأثر الذي استحدثه مطران — توضح واستبان في العقد الثاني من قرننا هذا ؛ إذ ظهر في مصر شاعران كبيران هما : أبو شادي وشكري . ثم ظهر في أواخر الحرب خليل شيبوب الذي ينفرد من بين كل المتأثرين باتجاهات مطران بأنه لا يزال إلى يومنا هذا أميناً للعناصر التي يقوم عليها مذهب الخليل في نظم الشعر . وهو في ذلك عكس زميليه أبي شادي وشكري اللذين استقلا بمذهب لهما في قول الشعر مع الزمن ، وإن كان مذهبهما يقوم على أساس من مذهب الخليل، فعبد الرحمن شكري كان ذهابه لانجلترة سبباً لوقوعه تحت تأثير المذهب الطبيعي الإنجليزي ، وكان أن تغلبت عليه نزعة من التشاؤم نتيجة لعوامل تتصل بنفسه . فاستقل بمذهب في الشعر يقوم على أساس التأمل والتفكير الخصب الذي يماشي الشعور العميق الذي يشوبه مسحة من الكآبة ... »(1)

غير أن هذه السطور رغم ما تنطق من عظيم التقدير لأدب الشاعر الجليل « عبد الرحمن شكري » فإنها لم ترضه . فكتب في المقتطف وفي الرسالة ، وعاود الكتابة فيها يناقش مطالعاتنا مقرراً براءة شعره من أثر مطران مبدياً التذمر من نسبتنا نزعة التشاؤم له ، محملاً رأينا أنه وقع تحت تأثير المذهب الطبيعي الانجليزي أكثر مما يحتمل !

وكان بودي أن أصحح الموقف عقب الكلمات الأولى التي كتبها الأديب الفاضل شكري ، ولكني لست أملك من وقتي وصحتي ما يملكه هو حتى أبادر إلى التصحيح في حينه ، فليعذرني لهذا وهو خير من يتفهم الأعذار

(1) المقتطف م ٩٤ ج ٣ ص ٣٠٦ — ٣٠٧

وقبل كل شيء يستحسن أن أحدد نقطة الخلاف الأساسية . فأنا أقول إن خليل مطران استحدث في الأدب العربي أسلوباً جديداً في النظم يقوم على أساس قول الشعر باعتبار وحدة الشعور وإطراد الخواطر وتسلسل الشاعر واتساق المعنى . وأظن أن الشاعر الفاضل عبد الرحمن شكري لا يختلف معي في هذه القضية . ثم إني أقول إن مطران أثر فيمن جاءوا بعده من الشعراء ، وأقرر أن هذا التأثير بدا بصورة قوية عقب ظهور ديوانه عام ١٩٠٨ ، وهذا التأثير يعترف به على شعره الدكتور أبو شادي والدكتور ابراهيم ناجي كما يعترف بذلك الشاعر الفاضل خليل شيبوب . وهناك روايات مستفيضة ترددت نحو ثلاثين سنة في المجلات والصحف الأدبية في مصر وسوريا ولبنان والمهجر ناطقة بأثر مطران التوجيهي فيمن أتوا بعده من الشعراء المجددين فضلاً عن أثره في بعض معاصريه من شعراء العربية الأعلام ، وهذه الروايات تحمل في تضاعيفها فكرة تأثر شكري بمطران ، وهي حين تتكلم عن هذا الأثر لا تتكلم عن تأثر شكري بأخيلة مطران وعبارته ، وإنما تتحدث عن تأثره بطريقة مطران في النظم : وحدة في الشعور واطراد في الخواطر وتسلسل في الشاعر واتساق في المعاني ترسل بضبط وتتمشى بإحكام في مختلف أجزاء القصيدة أو المنظومة

وإذاً يكون كل تفسير من شاعرنا الجليل يخرج الكلام عن حقيقته وإنكار للواقع لا نرضاه من أديب مثله .

هذا وأنا بصفتي مستعرباً — ويلاحظ هذا أديبنا الفضال جيداً — مهتم بدراسة الأدب العربي في اتجاهاته وتطوراته ، ومناحيه ، وفي أعلامه ، أتخذ طريقة من البحث منهجية ، أمزج فيه التحقيق بالافتراض ، والاستقراء بالتخيل ، فأتناول بعض الأشياء تناولاً حدسياً Intuitive — أو قل أولياً a priori لأن التحقيق في كل نوع غير مستطاع . لهذا أقف في بعض النقط من دراساتي عند مجمل الشيء دون أن أنزل إلى تفاصيله تاركاً التفصيل والتحقيق لمواقف أخرى . ومن المعروف في الأساليب المنهجية أن طريقة الحدس في الدرس ترجع إلى مراجعة سريعة للمبادىء والانتقال دفعة واحدة منها إلى النتائج دون وقوف طويل ولا تحقيق مستفيض في الحلقات الوسطى . وأنا لم أخرج في بحثي عن تأثر شكري بمطران عن حكم هذا النهج ؛ فكل المراجع تقرر أن شكري من المجددين كأقرانه تأثر بمطران وليس في استطاعتي مخالفتها إلا بتحقيق ، لأن البحث عن مطران والتحقيق غير مستطاع . لهذا أخذت كلام المراجع قضية أولية في مثل هذا الموضوع الفرعي الذي لا يمكنني أن أستقصيه إلا وأنزل لدقائقه وتفاصيله ، والبحث لا يستلزم مني كل هذا ، ولكن للتثبت من صحة هذه القضية الأولية اكتفيت أن أنتقل إلى نتائجها الأخيرة ، أتحقق من وحدة الطريقة عند مطران وشكري ؛ ومراجعة سريعة لديوان مطران ودواوين شكري لا تضع مجالاً للشك في هذه الحقيقة . والفروق الممكن رؤيتها ترجع إلى الاختلاف في الشخصية والأصل الثابت في طبيعة كل منهما كفردين تقوم كل منهما بشخصية أصيلة . وعند هذا الحد وقفت على أن أعود إلى الموضوع أحققه في تفاصيله ووقائعه فيما كنت أريد أن أكتبه عن شكري من دراسة .

على هذا الوجه تتضح المقدمات الأولية في بحثنا التي حملتنا نقدر تأثر شكري بمطران . ويستبين من ذلك أنه ليس هنا لك في فكرنا ما يتوهمه الشاعر الفاضل شكري من تقليل من شأنه ، وأنه لم يدر بخلدنا أن ننتقص من أمره في كلامنا ؛ وأن بحثنا مستقيم من مناهج البحث القويمة ، لا ضعف في التخرج ولا تهافت في الرأي ولا قصور في النظر إلى جوانب الموضوع كما راح يغمزنا ويغمز دراستنا الأديب الفاضل

***

بقيت مسألة تتفرع من فكرة تأثير مطران في جيل من الأدباء الذين عاصروه أو جاءوا بعده . وهذه المسألة تقوم على أساس تفهم وجه التأثر ؛ فقد يكون التأثر بشعر مطران ، وقد يكون بالأثر الذي تركه مطران في المحيط الأدبي . أما عن الوجه الأول فذلك يكون إما باحتذاء مطران في طريقته كما هو الحال عند شيبوب ، أو التأثر بالطلاقة الفنية عند مطران كما هو الحال عند أبي شادي ، أو التأثر بجو شعر مطران وأخيلته كما هو الحال مع إبراهيم ناجي . وهذه الحالات كلها وإن تباينت فيما بينها ، إلا أنه يجمعها شيء واحد هو التأثر المباشر بشعر مطران . أما عن الوجه الثاني فبيان ذلك في مجاراة النسق الجديد الذي أتى به مطران ؛ نزولاً على أحكام الجو الأدبي والبيئة الفنية التي تطعمت بمحاولات الخليل

التجديدية . ومثل هذا واضح في محاولات أحمد شوقي في إقامة طرز جديد من الشعر في الفترة التي جاءت عقب الحرب العظمى . ولا يعترض علينا بأن الحاجة كانت ماسة لهذه الضروب من الشعر نزولاً على أوضاع الحياة الجديدة التي دلف إليها المجتمع الشرقي . لأن روح التردد والإحجام عن استحداث مثل هذا الحدث كان يسود الجميع . فضلاً عن أن الشخصية التي تتقوّم بأوضاع الحياة الجديدة على وجهها الجديد، وتماشي حاجة العصر لم تكن وجدت ، لأن الجميع كانوا تحت تأثير سريان الشعر القديم .

ولا شك أن العصر من حيث أدرك نفسه في شخص مطران الرائد الأول لحركة التجديد في ميدان الشعر في الأدب العربي ، حمّل الجو الأدبي لوناً وجعله يتطعم بصورة جديدة : تلك التي تطالعنا من حركة الجديد اليوم

ولا شك عندي في أن حذق الخليل وتحايله على جمود عصره هو الذي مكن أقدام الشعر الجديد ، عناية مطران بأن يكسو شعره ديباجة عربية خالصة ، واتخاذه الأغراض الاجتماعية التي تدور عليها الحياة في عصره ، هي التي جعلت الناس تتشرب الجديد ولا ترى غضاضة في تذوق أخيلته ومعانيه المستحدثة .

والحق يجب أن يقال إنه لولا مطران لما كان لنا أن نرى اليوم تلك المحاولات التي قام بها الشعراء المجددون من شعراء الثقافة الحديثة في مصر

وعلى هذا لنا أن نفهم مناحي تأثير مطران في جيل من الأدباء الذين عاصروه والذين أتوا من بعده ولحقوه . وعلينا لكي ننصف التاريخ الأدبي أن نقدر كل ذلك ، وفي ضوئه نصدر أحكامنا وندلي بمطالعاتنا عن الأدب العربي الحديث

وقد حاول الشاعر الفاضل عبد الرحمن شكري في مقاله بالمقتطف أن يخرج بالموضوع عن دائرته الحقيقية إلى بحث في العوامل التي أثرت في نفسه فقومت شخصيته على النمط الذي يظهر من مطالعة شعره . ولست براغب في نقاشه في المسائل التي ذكرها، لأنها من أمس الأشياء بذاته وبشخصه ، والإخلاص الأدبي يضطرنا إلى تصديقه فيها . ولكن كل الذي أرغب أن أقدره هنا أنه كشف بما كتب عن العوامل التي أثرت في نفسه فجعلته يميل لقرض الشعر ؛ إلا أنها لا تبين الأدوار التي مر بها حتى قومته على النمط الجديد الذي يظهر من مطالعة شعره في الدواوين الأخيرة، وفي بعض الأجزاء من روايته الأولى ، ولا شك أن شاعرنا لا يعتقد أن شخصيته الأدبية وضحت واستقامت من الأدب القديم بدون أن يكون للجديد أثر عليه . فصحيح أن الأستاذ شكري تأثر بشعراء الصنعة العباسية وبشعر العرب القديم وبشعر البارودي في الطور الأول من حياته الأدبية ، وذلك على الوجه الذي أشار إليه في مقاله الأخير بالمقتطف؛ على أن ما استقامت به شخصيته من نمط جديد لا أظنه ينكره ، وهذا النمط هو الذي يعنيني ويعني كل باحث في تصرف شاعريته

ونحن نعتقد أن في إمكانه أن يخرج المسألة تخريجاً يوافق دعواه التي يدّعيها ، ويقول إن ما ظهر به من نمط جديد إنما يرجع لارتيائه في دواوين الشعر الأوربي ، ولكن لكي نصحح هذه القضية يجب على شاعرنا أن يثبت عدم تأثره بمطران في الوجهين المباشر وغير المباشر . وهو يستطيع أن يزعم أنه لم يقرأ مطران وأنه لم يتأثره ؛ ولكن لا أظن أن في إمكانه أن ينفي عن نفسه تأثره بالجو الذي استحدثه الخليل في الحياة الأدبية

في إمكان شاعرنا الفاضل أن ينفي بصيغة البات ، ولكنه لا يقنع بذلك أحداً من الذين تقومت لهم شخصية في دراسات التاريخ الأدبي

وأظن أنني بهذا المقال أوضحت الموقف وأجليت الفكرة دون نكران للواقع أو انتقاص لمكانة شاعرنا الجليل عبد الرحمن شكري في عالم الأدب الحديث . وليطمئن الأستاذ فإني في طليعة المعجبين بشعره والعناصر الأدبية والفنية الطيبة التي يتميز بها شعره ، وعبارتي في المقتطف عنه ناطقة بهذا الإعجاب : « شعر يقوم على أساس التأمل العميق والتفكير الخصب الذي يماشي الشعور العميق » . أما حديث التفاؤل والتشاؤم فله مقال آخر

(أبو قير) **اسماعيل أحمد أدهم**

المدرسة الابتدائية
وتعليم اللغة الأجنبية
للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

ورد في تقرير اللجنة التي شكلت بوزارة المعارف برياسة سعادة الوكيل المساعد لدراسة هذا الموضوع ما يأتي :

« تكاد تجمع نظم التعليم بالبلاد الأجنبية على أن ليس من المصلحة أن يبدأ الطفل تعلم لغة أجنبية قبل أن يلم إلماماً كافياً بلغته القومية وقبل أن تتسع مداركه لاستيعاب تلك اللغة الأجنبية

ويرجع هذا الإجماع إلى أن المسئولين عن تربية الطفل يرون أن في التبكير بتعليمه لغة أجنبية إرهاقاً له وإضعافاً للغته الأصلية، وأن تعليمه اللغتين في وقت واحد يؤدي إلى عدم تمكنه من إحداها. وهذا إن وافق دولة ما فالأحرى به أن يكون أكثر موافقة لمصر التي يختلف فيها تعلم اللغة الأصلية عن غيرها من الدول، وذلك لأن لغة الكتابة هنا غير لغة الكلام مما يجعل العبء أثقل على كاهل التلميذ المصري »

وورد في تقرير المستر مان الخبير الفني الذي رفعه إلى وزارة المعارف منذ أكثر من عشر سنوات بصفحة ٩٤ ما يأتي :

« إن العبء الثقيل الذي تضمه هذه الحالة اللغوية الغريبة على كاهل الصبي المصري تتجلى لنا شدة وطأته بوجه خاص إذا راعينا ما بين نشوء الفكر في الذهن والتعبير عنه بالكلام من الاتصال الوثيق، لأن من الصعب كما لا يخفى إدراك ما إذا كان في الإمكان أن يوجد أحد هذين الأمرين مستقلاً عن الآخر . وعلى أية حال فإن من المؤكد أن توقيف تيار الفكر في الصبي بتكليفه التعبير عنه بوساطة لغة أجنبية لا بد من أن يعوق نمو ملكة التفكير فيه . وهناك ما يجعلني أعتقد أن الوسط الذي تنشر فيه لغتان من شأنه أن يؤخر نمو القوى المدركة في الأفراد الذين يعيشون فيها حتى ولو كانت هاتان اللغتان حيتين وشائعتي الاستعمال ، وعلى ذلك فإن بيئة الصبي المصري الدراسية التي تتغالب فيها لغتان إحداهما ميتة لا بد من أن يكون أكثر تعويقاً لنمو مداركه من الوسط آنف الذكر . فبدلاً من أن تكون المراحل الأولى من تعليمه أطوار نمو طبيعية يكاد لا يشعر بها فإنه يراها شاقة إذ أنه لا يقضيها أحياناً إلا في الكدح في تحصيل قواعد كلامية »

وقال هنري سويت في كتابه : « دراسة اللغات العملية » ما يأتي :

« بما أن اللغات ليست عقلية إلا في بعض عناصرها فإن تحصيلها لا بد أن يكون إلى حد كبير بطريقة آلية ، والدراسة الآلية لا تحتاج إلى عقل مبتكر ولا إلى ملكة ممحصة ناقدة »

ومنذ سنوات طويلة نبهنا الخبيران الفنيان : مان وكلاباريد إلى النقص المخيف في تكوين شبابنا وتنمية عقولهم في نواح متعددة أهمها في ملكات الابتكار والنقد والتفكير . وجاء في هذا العام مكتب تخديم الشبان بوزارة المالية فأثبت لنا ذلك النقص عن طريق الشركات التجارية والصناعية التي أقدمت على استخدام بعضهم فظهر لها عجزهم في كثير من الأمور . ولست أشك لحظة في أن سبباً هاماً من أسباب هذا النقص يرجع إلى دراسة اللغات الآلية التي نركز فيها همنا وهم الطفل منذ أول اتصاله بالمدرسة من غير أن نفسح مجالاً ما لظهور تلك الملكات الضرورية وإنمائها ! ويكفي أن ندلل على ذلك بأن الطفل بمجرد التحاقه بالمدرسة الابتدائية يصطدم بتخصيص ٢١ درساً من ٣٨ درساً أسبوعيًّا لدراسة اللغتين العربية والإنجليزية أي بمعدل ٤٦ في المائة تقريباً من وقته الدراسي ، وهذا الوقت موزع بمعدل ٩ دروس للغة الانجليزية و ١٢ للغة العربية ؛ أي بنسبة ٢٤ في المائة للغة الانجليزية و ٣٢ في المائة للغة العربية . فأين تجد المدرسة وقتاً (بعد صرف هذا الوقت كله) للبحث عن ملكات التلميذ الضرورية وتشجيعها وإنمائها والعمل على تكوينه التكوين الصحيح الملائم؟

فإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية إذن يرفع عن كاهل الطفل المصري المبتدىء في التعليم عبئاً ثقيلاً ينوء به ، شهد بوجوده العلماء والخبراء وأحس بثقله الكثيرون من رجال التربية والتعليم في مصر ، وأقرت بقيامه اللجنة الرسمية التي درست هذا الموضوع . وإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية يمكن المدرسة من إصلاح حالها في مواطن متعددة لأنه يعطيها فرصة

واسعة للعمل مع زيادة تثقيف أبنائها في شتى النواحي القومية والخلقية، كما أنه يساعدها على اتباع أصول التربية وقواعدها المهملة إلى اليوم بين جدرانها . إذ المدرسة في جميع بلاد العالم لا تقف عند واجب التعليم فقط كما هو الحال عندنا ، ولكنها تتعدى ذلك إلى أمور تتصل بحياة الطفل وبمستقبله اتصالاً وثيقاً وتؤثر في نفسيته وتكوينه تأثيراً عميقاً يجعل المدرسة الحديثة تنكر نفسها إذا هي أهملتها أو أنقصت من أهميتها . فلقد أصبحت دراسة ميول كل تلميذ على حدة وتوجيهه وتشجيع مختلف الملكات فيه بمجرد ظهورها والعمل الدائم على إنمائها – أموراً لا يمكن للمدرسة الحديثة أن تحيا بغيرها ! والمدرسة المصرية الحالية مع الأسف العميق لا تعنى بشيء منها ! ولا يمكن أن تعنى بشيء منها مادام ٥٦ في المائة من وقتها ضائعا في الدراسة النظرية استعداداً للامتحانات !

هذا ولا يذهبن الظن ببعضنا إلى أن إلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية يضعف حالة هذه اللغة في المدارس الثانوية أو يقلل من أهميتها ، فالأدلة المحسوسة كثيرة على أن هذا العمل يرفع من قيمة هذه اللغة ويقوى مركزها في التعليم الثانوي والمتوسط التجاري بصفة خاصة ويجعل الاهتمام بها أكبر وأعظم لأن التلميذ الذي انتهى من التعليم الابتدائي حيث تكون تكويناً ملائماً يأتي إلى المرحلة التالية مليئاً بالحيوية والنشاط متجها اتجاهاً جديداً تدفعه جدته إلى الحماس في الأخذ به . ثم إن القوة في دراسة لغة من اللغات لا تتوقف فقط على طول المدة التي يقضيها الطالب في دراستها لأن هذه المدة عامل ثانوي بجانب الطريقة نفسها التي تتبع في تدريسها وبجانب حماس المعلم وقدرته . وهي أمور إذا أحسنت واستكملت أسبابها دفعت بالطالب دفعاً إلى الاطلاع والقراءة وهي الغاية القصوى التي يجب أن يسمى إليها المعلم والمدرسة معاً . ولا نستدل على ذلك بأكثر مما تراه رأى العين في مدارسنا اليوم إذ نرى مستوى طلاب البكالوريا في اللغة الفرنسية لا يقل كثيراً عن مستواهم في اللغة الإنجليزية بل قد يزيد أحياناً مع أنهم أنفقوا طوال أربع سنوات بالمدارس الابتدائية في دراسة اللغة الإنجليزية من غير أن يدرسوا كلمة واحدة في اللغة الفرنسية ، ثم أخذوا يدرسون اللغة الإنجليزية طوال مدة التعليم الثانوي بمعدل تسعة أو ثمانية دروس في الأسبوع في نفس الوقت الذي لا يدرسون اللغة الفرنسية إلا بمعدل أربعة دروس في الأسبوع فقط في مرحلة التعليم الثانوي وحدها . فماذا يقول أنصار إعطاء مدد طويلة لتعليم اللغات بعد هذا الدليل المادي القوي ؟ فإذا رجعنا ببصرنا بعد ذلك إلى الماضي وجدنا عجباً ، وجدنا أن معظم وزرائنا ومستشارينا وقضاتنا الذين تعلموا على النظام القديم ولم يدرسوا اللغة الفرنسية إلا في السنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي استطاعوا بعدها أن يدرسوا مواد العلوم المختلفة في مدرسة الحقوق باللغة الفرنسية وأن ينبغ الكثيرون منهم فيها

فهل يصح بعد كل هذا أن نخشى على اللغة الإنجليزية إذا نحن أخرنا البدء بدراستها إلى ما بعد مرحلة التعليم الابتدائي ؟ لا شك في أنه لا خوف عليها مطلقاً إذا ألغيناها من التعليم الابتدائي كما إنه لا خوف على اللغة الفرنسية إذا أجلنا البدء بتعلمها إلى ما بعد سنتين من مرحلة التعليم الثانوي

وفوق هذا وذاك فإنا نعلم أن الطريقة المتبعة في تعليم اللغة الإنجليزية بالمدرسة الابتدائية الآن هي نفس الطريقة المتبعة في تعليمها بالمدرسة الثانوية وهي طريقة West ولم يقف الأمر عند ذلك بل نجد أن الكتب التي يدرسها التلميذ في المدرسة الابتدائية يعيد دراستها هي نفسها في المراحل الأولى من المدرسة الثانوية ، وفي هذا اعتراف رسمي عملي بعدم أهمية دراسة اللغة الإنجليزيه بالمرحلة الأولى وبأن الطالب إنما يبدأ بتعلمها فعلاً بمرحلة التعليم الثانوي

أما ما نستفيده عملياً من تعليم اللغة الأجنبية في المدرسة الابتدائية فيتبين بصحفة ٢٣٨ ، من مؤلفي «التعليم والمتعطلون في مصر» إذ قد ورد فيه «أما النتيجة العملية التي يستفيدها الطلاب ، وتستفيدها البلاد من تعليم اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية فتتبين من الإحصائية التي تتنقل بناجحي الشهادة الابتدائية إلى البكالوريا حيث ينتظر أن يفيدوا أو يستفيدوا من تعلم اللغة الأجنبية . وهنا أوردنا إحصائية يتبين منها النسبة المئوية لناجحي البكالوريا إلى ناجحي الابتدائية في عدة سنين تقع بين ١٧ و٢٦ في المائة . ثم قلنا : » فإذا علمنا أن نحو ثلثي الناجحين في الابتدائية يقفون عند هذا الحد من التعلم وأن ناجحي البكالوريا

على هامش الفلسفة

طريقة الأخلاق أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

رأينا عدم غناء الطريقة الاستنتاجية في الوصول إلى مُثُل عليا مرضية من الجميع ؛ وهذا ما دفع فريقاً من الفلاسفة للتوجه وجهة أخرى في تعرف الخير والشر والحسن والقبيح ؛ هذه الوجهة هي الحاسة الأخلاقية أو الملهمة ، حاسة المعرفة المباشرة التي لا تحتاج لنظر واستدلال ، بل يكفي أن نلجأ إليها لتهدينا سواء السبيل

هذه رسالة كل فلاسفة أخلاق العاطفة تقريباً كرجال المدرسة الإنجليزية والأيكوسية في القرن الثامن عشر أمثال : شافتسبري (١) ، وهتشسون (٢) ، وآدم سميث (٣) . ثم جان جاك روسو الفيلسوف والكاتب الفرنسي المعروف ، وشارل جوستاف جاكوبي العالم الرياضي الألماني الذي عاش في القرن التاسع عشر

« هتشسون » مثلاً يرى أن هذه الحاسة تميز الخير من الشر كما تميز العين الألوان ، ويحمل المرء بحس مسرات وآلاماً معنوية خاصة هي نتيجة ما يعمل من خير وشر . و « روسو » يرى فيها ، وبعبارة أخرى يرى في الضمير لأنهما اسمان لمسمى واحد ، القوة التي تلهمنا القانون الأخلاقي . تراه يناجيه مناجاة خالدة يقول فيها : « أيها الضمير ، أيتها القوة الفطرية الخالدة ، أيها الصوت السماوي ، أيها القائد الأمين للانسان الجاهل المحدود ـ وإن كان ذكياً ـ حراً في إرادته ، أيها القاضي الذي لا يضل في تمييز الخير من الشر ... إنه أنت أشرف جزء في طبيعته ، وإنك الفضيلة من أعماله . بدونك لا أشعر بما يرفعني عن الحيوانات ما عدا الميزة التي تجعلني أضل في ميدان الأخطاء ، وهي أداة الفهم التي لا قاعدة لها ، والعقل بدون مبادئ يسير عليها » (٤) . أما « جاكوبي » فيقول : « ما هو الخير ؟ كل امرئ يملك في قلبه إلهاماً مباشراً به وقوة إلهامية تبينه له » (٥)

هذا الفهم ؛ هذه الطريقة في تعرف القانون الأخلاقي يستحق ما وجه له من نقد شديد من كبار المفكرين وخاصة الأستاذ العلامة « ليفي برهل Lévy Bruhl » في مؤلفه القيم « الأخلاق وعلم العادات » حين يقول : « هذا المذهب يفترض أن الطبيعة الإنسانية هي واحدة في نفسها لا يعتورها التغير في جميع الأزمان والبيئات ، وأن محتوى الضمير الأخلاقي يكون مجموعاً منسجماً منظماً ، ولكنا علمنا سابقاً كيف كان اختلاف الأفكار الأخلاقية شديداً حسب العصور المتعاقبة ، وكيف اختلفت وتختلف

(١) فيلسوف انجليزي في الأخلاق (١٦٧١ — ١٧١٣) كان يرى أن الخير في توازن غريزتي حب النفس والغير

(٢) من العلماء الانجليز في الأخلاق واللاهوت (١٦٩٤—١٧٤٦)

(٣) أحد علماء الاقتصاد الأيكوسيين (١٧٢٣ — ١٧٩٠)

(٤) P. Janet: Eléments de philosophie scien. et phi. Morale.

(٥) Challaiy: La philosophie scien. et phi. morale.

لا يتمكنون جميعاً من الالتحاق بالجامعة ، وأن الكثيرين منهم يرسبون بعد ذلك خلال مرحلة التعليم الجامعي ، وإذا علمنا أن الطالب كان يتعلم اللغة الإنجليزية إما للوصول إلى التعليم العالي أو التفاهم بها مع الموظفين الانجليز العديدين الذين كانوا يملأون دواوين الحكومة عند توظفه . وقد زال هذا السبب الآن واقتصر في تعلم اللغة على الغرض الأول وهو البحث العلمي والاتصال بالآراء الحديثة ، عرفنا مقدار التضحيات الجسام التي تضحي بها مصر الآن من مجهودات أبنائها ومن أموالها علاوة على إرهاق الطلبة في سبيل توصيل عدد ضئيل من أولئك الأبناء إلى التعليم الجامعي للانتفاع بتلك اللغة »

بعد هذا كله لا نرى أمامنا غير طريق واحد للسير بالتعليم قدماً نحو الديمقراطية الحقة ونحو النظم التعليمية والاجتماعية السليمة ونحو مصلحة مصر وشعبها وذلك بإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية إلغاء تاماً وإدماجها مع غيرها من مدارس الأطفال في مدارس شعبية موحدة

عبد الحميد فهمي مطر

أيضاً الآراء الأخلاقية باختلاف الأمم والشعوب[1] كيف كان من الممكن إذاً — لو أن هذا المذهب صحيح — أن توحى هذه الحاسة التي لا تضل كما يقولون هذه المبادئ المختلفة أشد الاختلاف بل المتناقضة في بعض الحالات؟ ثم إننا نحس أحياناً كثيرة تنازعاً وخصومة مؤلمة حادة في ضمائرنا حتى ليكون أسهل على المرء أن يعمل واجبه متى تبين له من أن يعرفه بوساطة هذه الحاسة

إنه من المستحيل أن يحدّ المرء نفسه بكتابة الأخلاق تحت إملاء الضمير، وإذاً فلننتقل إلى بحث الطريقة الأخيرة لمعرفة المثل الأعلى الأخلاقي، وهي طريقة الاستقراء، علّنا نصل إلى تحديده على نحو مقنع مرض للجميع

يرى فلاسفة مذهب اللذة الشخصية أمثال «أريستيب Aristippe القيريني و«أبيقور Epicure» اللذين عاشا في القرن الرابع قبل الميلاد، أن الناس جميعاً يتطلبون اللذة في كل ما يعملون كما يفرون من الألم دائماً، على اختلاف بينهم فيما يعنون باللذة وفي تطبيق هذه القاعدة التي هداهم إليها استقراء ما فطر عليه الناس من طباع. كذلك نرى بعض فلاسفة الأخلاق المحدثين يصدرون عن هذا المذهب. هاهو ذا «جرى بنتام» الفيلسوف الانجليزي المعروف في القرن الثامن عشر يؤكد بعد استقراء طويل أن جميع الناس تبعثهم المنفعة أو السعادة على أعمالهم حتى في الحالة التي يضحون فيها ببعض المنافع أو يقبلون شيئاً من الآلام، لأن ذلك معناه تطلب منفعة أكبر وأفضل. إلا أنه يضيف إلى هذا تأكيداً آخر هو أن اللذة تكبر وتتسع حتى تشمل أكبر عدد ممكن من الناس، وأن سعادة كل امرئ لا تنفصل عن سعادة الجميع. من أجل هذا يجب على الإنسان باسم سعادته أو منفعته الخاصة أن يبحث في أعماله عن «أكبر مقدار من السعادة لأكبر عدد ممكن». وفي القرن التاسع عشر نجد «ستيوارت ميل» يبدأ بحثه بأن جميع الناس يبحثون عن السعادة، فيرى لهذا أن تكون الغاية الإنسانية والمثل الأعلى الأخلاقي هي «السعادة النبيلة التي تأتي من اللذائذ العالية، مثل لذة التضحية في سبيل إسعاد الغير والإنسانية»

حقاً هذا كله مقنع مرض في نتائجه إلى حدّ ما، وحقائق نفسية لاشك فيها. ولكن بأي طريق وصلوا إليها؟ ها نحن أولاء نقبل مؤقتاً فكرة أن جميع الناس يبحثون ويجرون وراء لذاتهم أو منافعهم أو سعاداتهم، غير أننا إن وقفنا عند هذا التحقق الاستقرائي بقينا دون مستوى الأخلاق التي تبحث فيما يجب أن يكون لا فيما هو كائن بالفعل. وإن أردنا من المرء أن يوازن ويختار بين هذه اللذائذ الخاصة أو العامة أو بين هذه الوسائل والأعمال التي تؤدي إليها، تدخل حقيقة في مملكة الأخلاق ولكن في الحين نفسه تترك مملكة التجارب والاستقراء!

فضلاً عن هذا فأخلاق المنفعة العامة تصطدم بهذا الاعتراض الذي لا محيص منه وهو أننا في عديد من الحالات نجد تعارضاً بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة؛ فمنفعتي أن يقتتل الناس للدفاع عن حقوقي ووطني وألا أخاطر بنفسي بالدفاع عنهم، وصالحي الخاص أن يكون مال الغير على حبل الذراع حتى أنتفع به كما أريد، وأن أقبض يدي وأحفظ مالي فلا أساعد به سواي. وإذاً في مثل هذه المنازعات بين المنفعتين أرى أن أخلاق «ميل» التي تدعو للايثار تدعوني لجعل منفعتي تابعة للمصلحة العامة والتضحية تلك في سبيل هذه متى تطلب الأمر التضحية. ولكن كيف يمكن قبول هذه التضحية أي تضحية المنفعة الخاصة في سبيل العامة مع ما سبق أن قرروه من أن جميع الناس يجرون وراء لذاتهم ومنافعهم الخاصة! أليس من التحايل المفضوح أن نضع تحت عنوان أخلاق المنفعة الخاصة أخلاقاً هي الإيثار الصريح؟

إن من التعسف بل من المستحيل أن نأخذ من التأكيد الذي سبق تقريره وهو أن الناس يبحثون وراء لذاتهم أو سعاداتهم أنهم يجب أن يختاروا بين مختلف هذه اللذائذ والسعادات وأن يضحوا باللذات الدون التي مرجعها إرضاء عاطفة الأثرة في سبيل الحصول على لذة من نوع أسمى وأعلى يحسها المرء من التضحية في سبيل سعادة الآخرين! ذلك التأكيد الاستقرائي وهذا الاختيار الواجب أخلاقياً طرفان لا يلتقيان على رأي «باسكال»

وأخيراً فكل المذاهب الأخلاقية التي تدخل فيها تجارب الحياة واستقراء ما فيها من البواعث والغايات تتحطم أمام هذه

(1) يرجع إلى العدد ٢٩١ من الرسالة

الحقيقة، وهى أن الاستقراء يعرفنا ما كان، بينما تقول لنا الأخلاق ما يجب أن يكون...

هناك بعض الاجتماعيين الأقرب عهداً من سابقيهم عرضوا ضرباً آخر من الأخلاق الاستقرائية ، هو أن الأخلاق ترجع أولاً إلى علم العادات الذى مرجعه استقراء التاريخ وملاحظة الحاضر ، يتداخل فيها فن عقلى ينظر فى الظواهر الاجتماعية والأخلاقية لتعديل ما يجب تعديله منها . هـذا هو المذهب الذى عرضه الأستاذ البحاثة « ليفى برهل » فى كتابه الآنف الذكر : « الأخلاق وعلم العادات » . الأخلاق أعنى مجموع الواجبات التى تفرض على الضمير ، لا تستند إلى مبادىء نظرية قامت عليها . إنها عمل ، إنها حقيقة ؛ عمل اجتماعى ، وحقيقة اجتماعية كذلك . « إننا لا نعمل أخلاق شعب أو أخلاق تمدن لأنها عملت سابقاً »

إنه بلا شك قد يحصل أن يعارض المرء الحقيقة الأخلاقية بمثل أخلاقى أعلى وصل إليه بالنظر. ولكن هذا البحاثة يجيب عن هذا بقوله : « فى الواقع ليس هذا المثل إلا ظهوراً فى غير آنه مع بعض التغيير لحقيقة اجتماعية فى ماض بعيد أو مستقبل ليس أقل منه بعداً ؛ وهذا يكون بالدقة بعض الشىء من هذه الحقيقة التى يجعلونه معارضاً لها » .

هذا ملخص ما إزاءه هذا العالم.

فما الرأى فيه ؟ موعدنا فى بيان ذلك الكلمة الآتية وهى تمام هذه البحوث إن شاء الله تعالى .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

التاريخ في سير أبطاله

أحمـــــد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولندع الآن عرابياً في رأس الوادي ولننظر ما ذا كان من أمر شريف ووزارة شريف . وهنا أبادر إلى القول إن هذه المرحلة من تاريخ مصر كانت أهم المراحل الماضية جميعاً منذ الحملة الفرنسية وأدقها وأبعدها أثراً فيما هي مقبلة عليه بعدها من مراحل

ظن الناس أن قد انجلت الغاشية على نحو ما صور الستر بلنت ولكنهم لم يكونوا يعلمون أو لم يكن يعلم إلا الأقلون منهم أن وراء هذا الصفو كدراً ، وأن سماء السياسة كانت يومئذ كسماء الطبيعة صفت هنيهة لتتلبد بعدها بالسحب المركومة ، ولتتلاق في جوانبها غرابيب سود من الغربان الناعبة فتكون حلكتها وطيوفها بعد هذا الصفو أقبح ما تكون منظراً وأشد ما تكون إيلاماً للنفوس وإزعاجاً للخواطر

وكيف كان يرجى دوام الصفاء وقد كانت الشباك منصوبة وقد أخذ الصائدون يدفعون الفريسة إليها دفعاً بعد أن أعياهم الأمر فلم يستطيعوا أن يأخذوها بالحيلة أو أن يعصبوا عينيها كما كانوا من قبل يفعلون ؟

كيف كان يرجى الصفاء وقد كان الخديو يضمر عكس ما يظهر كأن لم يكفه بما أصاب البلاد من جراء سياسته وتنكره للحركة الوطنية وإنجاده بما فعل الثغرة التي كان ينفذ منها الدخلاء والمتربصون بمصر إلى صميم حركتها وقلب نهضتها ؟

وما أشبه توفيقاً في ذلك الموقف ، بل وفي معظم مواقفه كما أسلفنا بلويس السادس عشر ، ذلك الملك الطيب القلب الذي كان يدفع الثورة في بلاده بمسلكه دفعاً ، والذي يعزى إلى سياسته الملتوية المذبذبة أن تنكبت تلك الثورة منهاجها السلمي العاقل واندفعت في طريق جرت فيها الدماء وتطايرت على جانبيها الأشلاء

ظهر ذلك الملك للنواب أول الأمر في جلد الأسد ، ثم استخذى بعد وثبة ميرابو ، ولكن الشائعات طافت بأهل باريس أن الملك أخذ يستعد ويجمع حوله الجند ، فما لبثت أن جرت الدماء في باريس ودك الناس الباستيل رمز العبودية والجبروت ؛ ثم رأى أهل باريس بين الدهشة من الملك والزراية عليه والتهزي به أنه ركب في جماعة من النواب كان في مقدمتهم ميرابو فيزور باريس ويطوف بأنحائها ويمر بخرائب الباستيل مظهراً عطفه على الثورة والثوار ، ولكنه يعود بعد ذلك فيأتي من معاني التحدي والنزق ما يجعل الشعب يذهب فيقتحم عليه غرف قصره في فرساي ويعود به إلى باريس ليكون رهينة فيها ، ويتم الدستور فيرفع إليه فيوافق عليه ولكن ريثما يعد العدة للحرب ، ثم يضبط الملكين وقد أوشك أن يجتاز الحدود فيقضي هذا العمل عليه وتمضي الثورة في طريقها مجنونة لا تلوي على شيء حتى تأكل آخر الأمر نفسها

ولقد كان توفيق يسلك تجاه الثورة العرابية مسلك لويس تجاه الثورة الفرنسية مع فارق واحد وهو أن الخديو كان من ورائه الإنجليز فلما لجأ إليهم توفيق كما هرب لويس لم يقض هذا العمل عليه وإنما قضى على البلاد

تخلص توفيق من رياض وقد كان يسعى إلى التخلص منه ،

فكيف أراد أن يسلك شريف مسلك رياض ولقد كان الفرق بين الرجلين هو الفرق بين الاستبداد والديمقراطية ؟

لقد عادت الظروف من جديد تبين للخديو بأجلى وضوح أن الطريق الوحيـدة هى الانضمام إلى الحركة الوطنية ومشايعتها فى صدق وإخلاص ، ففى ذلك منجاته من تطرف هذه الحركة وجوحها ، وفى ذلك منجاة البلاد من تدخل الأجانب باسم المحافظة على عرش الخديو، ثم من احتلال البلاد باسم القضاء على الفتن والقلاقل

ولكن الخديو تنكب هذه الطريق فدفع تيار الثورة بمسلكه هذا كما كان لويس يدفع تيار الثورة فى بلاده . ولقد رأينا كيف آنس الثوار فى أنفسهم القوة منذ انضم العساكر إلى الحركة ، وكيف فهم الزعماء أنهم حصلوا على ما حصلوا عليه عن طريق الارهاب والقوة، بعد أن عجزوا عن ذلك عن طريق المسالمة والرجاء

ومن عجيب الأمور أنه لما انتهت الثورة إلى ما انتهت إليه حمل زعماؤها كل أوزارها وخرج عرابى المسكين بالنصيب الأوفى من هذه الأوزار ؛ مع أن الحوادث تثبت عكس ذلك ، وهى لو درست على حقيقتها وردت فيها الأمور إلى أصولها لرد ما يعزى إلى عرابى أو أكثره إلى الخديو دون أن يكون فى ذلك أقل تجن على هذا ولا أدنى تحيز لذاك

سار شريف على نهج حكيم فأرضى الأجانب بقبوله المراقبة الثنائية، وأرضى الوطنيين بتحقيق الآمال الوطنية، ولكنه ما لبث أن أحس أن هؤلاء الأجانب لا يدعون وسيلة لضم الخديو إليهم حتى لقد ترك شريف بعد مدة وجيزة يعمل وحده ، وكأنما وضع الخديو نفسه بنفسه فى عزلة

ولو أنها كانت عزلة عن الوطنيين دون اتصال بالأجانب وعلى الأخص بالإنجليز لهان أمرها ؛ ولكن توفيقاً قد سبب بعزلته أول الأمر ريبة ومخاوف فى قلوب العسكريين ؛ ثم تطورت الحال إلى كراهة وأدت الكراهة إلى المقاومة من جديد . ولقد كان أمام توفيق فى الواقع هيئتان : الوطنيون برياسة شريف ، والعسكريون بزعامة عرابى . وكان يستطيع بشىء من الكياسة والمهارة أن يرضى الوطنيين حتى لا يدع مجالاً لتدخل العسكريين من جديد، ولقد رأى بنفسه ما كان من أمر هذا التدخل بالأمس القريب

افتتح مجلس شورى النواب فى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ وجاء فى خطاب توفيق فى حفلة الافتتاح ما يأتى : « أبدى لحضرات النواب مسروريتى من اجتماعهم لأجل أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهم بالنفع ، وفى علم الجميع أنى من وقت ما استلمت زمام الحكومة عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للآن بسبب المشكلات التى كانت محيطة بالحكومة ، فأما الآن فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشكلات المالية بمساعدة الدول المتحابة ومن تخفيف أحمال الأهالى على قدر الإمكان، فلم يبق مانع من المبادرة إلى ما أنا متشوق لحصوله وهو مجلس النواب الذى أنا فاتحه فى هذا اليوم باجتماعكم »

هذا هو كلام الخديو فهل كانت هذه نياته ؟ تلك هى المسألة ونرى أن خير ما نجيب به هو أن نعرض الحوادث التى تلت ذلك ومنها يستبين إلى أى حد كان الخديو ينوى ما يقول

دأب الذين كانوا يعملون من وراء ستار على تخويف الخديو من ناحيتين : ناحية الحركة الوطنية وناحية تركيا موحين إليه فى الأولى أن حكم الدستور معناه ضياع سلطة الخديو، وفى الثانية أن تركيا لا ترتاح إلى توفيق وأنها تبيت له ما لا يحب . وغرض هؤلاء الذين كانوا يعملون فى الظلام واضح وهو أن يركن الخديو إليهم ليخلص من هذا كله

أما عن حكم الدستور فكان ذلك يقتضى حقاً أن يتنازل الخديو عن جانب كبير من السلطان المطلق إلى نواب البلاد وتلك هى المشكلة، وما كانت مشكلة فى مصر وحدها ، بل لقد كان لها مثيلات فى جميع الحركات الدستورية التى شهدها العالم، فما قام الخلاف بين الملكية والشعب فى فرنسا إبان ثورتها إلا من هذه الناحية. وما استمرت القلاقل قروناً بين الملكية والشعب فى إنجلترة إلا بسبب ذلك . وما استقرت الأمور فى الدولتين إلا حينما أثبت الشعبان قوتهما . وإذاً فكان لابد أن يتفاقم الخلاف بين الشعب والخديو فى مصر حتى يثبت الشعب قوته أو يتنازل الخديو عن مبدإ الحكم المطلق، ومن هذا الخلاف كانت تتاح الفرص للأجانب ليسيطروا على الخديو

وأما عن تركيا فقد كان توفيق يستريب ويخاف من سياستها . فكر السلطان أولاً أن يرسل جيش احتلال إلى مصر ليعيد فيها نفوذ الخلافة سيرته الأولى قبل عهد محمد على ؛ ولكن انجلترة وفرنسا ما زالتا به حتى استطاعتا بالسياسة حيناً وبالتهديد من بعد حيناً آخر حتى أقلع عن هذه الفكرة . ولقد أفادتا من ذلك فائدتين: بقاء مركز مصر على ما هو عليه بحيث يسمح لهما بالتدخل فى شؤونها ؛ والتأثير على الخديو بهذا أنهما هما الملاذ والسند

ولقد كان الأمير عبد الحليم بن محمد على فى الآستانة يدس الدسائس ويسعى سعياً متواصلاً لخلع توفيق وتولى حكم مصر بدلاً منه، وكانت سيرة ذلك النشاط تزعج توفيقاً وتقلق مضجعه

وأخيراً أوفد السلطان وفداً إلى مصر برياسة على نظامى باشا ، وقد فعل السلطان ذلك دون علم الدول الأوربية ، ولم تعلم بذلك حتى الحكومة المصرية نفسها إلا عند ما وصل الوفد .

وكان عرابى قد كتب إلى السلطان قبل يوم عابدين كما أشرنا . ولعل السلطان أوجس خيفة من الحركة القائمة فى مصر ، وظن أنها تنطوى على عناصر استقلالية ترمى إلى خلع سيادة الأتراك . وقد كان عبد الحميد يومئذ يقاوم الحركات الحرة فى بلاده ويبطش بالداعين إليها . ولكن الوفد كتب تقريراً عن الحال فى مصر جاء فيه على لسان الخديو أن البلاد هادئة ليس فيها ما يخيف . وجاء على لسان رئيس الوفد أن رجال العسكرية والزعماء جميعاً يؤكدون ولاءهم للسلطان ، وإنه لذلك يثنى عليهم ولا يخالجه شك فى حركتهم . ولقد قامت الدولتان بمظاهرة بحرية فى مياه الأسكندرية ؛ فلما سألتهما الحكومة المصرية عن سبب ذلك أجابتا أن سفنهما تغادر الأسكندرية فى اليوم الذى يسافر فيه الوفد العثمانى عائداً إلى الآستانة ؛ وقد تم ذلك فعلا حينما غادر الوفد البلاد ، ومعنى ذلك أن الحكومتين لن تسمحا للسلطان صاحب الحق الشرعى فى البلاد حتى بمجرد النظر فى أحوالها ، ومعنى ذلك أيضاً أن يزداد تأثيرهما فى قلب الخديو فيلجأ إليهما إذا لزم الحال حتى ضد السلطان نفسه !

ورب قائل يقول إن فى مسلك تركيا ودسائس عبد الحليم ما يدع للخديو العذر فى الاعتماد على الدولتين ، ولكن هذا زعم باطل ؛ فرجال مصر جميعاً لم يكونوا فى تلك الأيام يفكرون مطلقاً فى الخروج عن سيادة تركيا ، كما أنهم كانوا لا يسمحون للسلطان أن يزيد حقوقه فى مصر عن القدر المقرر فى الفرمانات . ولنفرض جدلاً أن للخديو الحق فى أن يخاف جانب السلطان أفلا يكون بالتجائه إلى الدولتين كالمستجير من الرمضاء بالنار ، كما يقول المثل العربى ؟ وهل كانت الدولتان تحميانه إلا لغرض ؟ وهل كان هذا الغرض إلا رغبة كل منهما أن تحل فى مصر محل السلطان ؟

إن الحوادث كلها كانت تشير للخديو إلى الطريق الوحيدة التى كان عليه أن يسلكها ، ولكنه كما ذكرنا اختار الانحياز إلى جانب انجلترة منذ حادث عابدين مع تظاهره دائماً أنه يعطف على أمانى البلاد ، وفى ذلك الخطر كل الخطر وفيه من أجل ذلك مسؤولية الخديو عن اتجاه الحوادث بعد ذلك إلى تلك السبيل التى أفضت بالبلاد إلى كارثة الاحتلال

ونعود إلى عرابى فنقول : إن الحكومة قد استدعته من مقره فى رأس الوادى وأسندت إليه منصب وكيل وزارة الحربية ؛ وهو يعزو هذا العمل إلى ما بلغ الحكومة على لسان جواسيسها أنه يجول فى بلاد مديرية الشرقية فيتصل بالوجوه ومشايخ العرب محرضاً داعياً إلى نشر مبادئه وأغراضه . ويذكر عرابى أنه أنعم عليه وقتئذ برتبة اللواء (باشا) ولكنه رفضها مخافة أن يتهم أنه يعمل لشخصه . ولئن صح هذا وهو ما لا نستبعده ، لكان لنا فى مغزاه حسنة نضيفها إلى حسنات هذا الرجل ؛ حسنة نعتبرها من كبرى الحسنات فإن التهافت على الرتب والألقاب لم يزل حتى اليوم فى بلادنا المسكينة داء عياء يتغلغل فى نفوس سادتنا وكبرائنا !

ونقول لئن صح ذلك لأن الخبر من جانب عرابى فهو فى مرتبة الدعوى ؛ ونقول إنا لا نستبعده مستندين فى ذلك إلى شاهد قوى ، فهذا الرجل كان بطل الانقلاب يومئذ وعلى يده وصلت مصر إلى ما وصلت إليه ؛ فلم يفد من وراء ذلك أية فائدة شخصية . ولو كانت فى نفسه يومئذ أطماع من هذا القبيل لرأيناه يصل على الأقل إلى مرتبة الوزير ، ونقول على الأقل لأنه كان فى موقف تحكم فيه فى الخديو وفرض عليه الشخص الذى يؤلف الوزارة ، وهو موقف يوحى إلى الأنفس الغرور ، فلو خالج نفس عرابى يومئذ طمع فى جاه أو منصب لما وقف دونه إلى ما يبتغى حائل

ولقد اتصل بعرابى فى منصبه الجديد المستر بلنت وطلب صداقته فأجابه عرابى فى سرور إلى ما طلب وتصافحا . ولسوف تتمكن بينهما الصداقة وتتوثق عرى المودة سنين طويلة بعد ذلك

وجرى بين عرابى وبلنت فى هذا اللقاء حديث أثبته كل منهما فى مذكراته وفيه أشار عرابى إلى ارتياحه إلى تخلص مصر من مساوئ حكم اسماعيل ومن دسائس الجراكسة ، ولكنه أبدى مخاوفه من سياسة انجلترة وفرنسا نحو مصر ، وعبر عن أمله فى أن تعطف انجلترة على حركة الحرية فى مصر وهى الدولة التى تقدر الحرية ، وكان عرابى يتوقع العطف من انجلترة أكثر مما يتوقعه من فرنسا ولا سيما من جانب المستر غلادستون الذى اشتهر بعطفه على الحرية فى كل مكان

وليت شعرى ماذا يطلب الذين يرمون عرابياً بالطمع والجهل والنزق ، أكثر من هذه البراهين التى نسوقها على أنه كان بريئاً من هذا كله ؟ ألم يأن لهؤلاء أن يقرأوا سيرة هذا الرجل فى غير تحامل عليه حتى يعرفوا لهذا المصرى المجاهد قدره وأثره فى نهضتهم القومية ؟ وهل يوجد فى المعايب القومية عيب هو أشد قبحاً من جهل قوم برجالهم فى الوقت الذى يرون غيرهم يمجدون ذكرى رجالهم فيوحون

نفح الأزهار

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٢٠ — والجروح قصاص

كان فتى يجلس إلى أبي الحسين الجرانى ، وكان يشرب الخمر فسكر ذات يوم فسقط على زجاجة فشج وجهه ، فاختفى إلى أن برى ثم عاد إلى مجالسة الشيخ فلما رآه أنشد :

أجريح كاسات أرقت نجيعها   طلب التِّرات يعزّ منه خلاص[1]

لا تسفكن دم الزجاجة بعدها   إن الجروح (كما علمت) قصاص[2]

ففهمها الشاب فتاب

٤٢١ — فلا تعلمني وهو لك ...

في (الحيوان) للجاحظ : قال صاحب الأهواز[3] : ما رأينا قوماً أعجب من العرب . أتيت الأحنف بن قيس فكلمته في حاجة إلى ابن زياد ، وكنت قد ظلمت في الخراج ، فكلمه فأحسن إليّ وحط عني . فأهديت إليه هدايا كثيرة فغضب وقال : إنا لا نأخذ على معونتنا أجراً . فلما كنت في بعض الطريق سقطت من ردائي دجاجة فلحقني رجل منهم فقال : هذه سقطت من ردائك . فأمرت له بدرهم ، ثم لحقني بالأُبُلة[4] فقال : أنا صاحب الدجاجة ثم لحقني بالأهواز فقال: أنا صاحب الدجاجة. فقلت له : إن رأيت زادي بعد هذا كله قد سقط فلا تعلمني وهو لك ...

(١) النجيع : دم الجوف في الأصل (الترة.) الثأر ، الذحل

(٢) يسفك : بكسر عين الفعل وقد تضم وقرئ بها . في الآية : والجروح قصاص أي ذات قصاص والقصاص والتقاص في الجراحات شيء بشيء

(٣) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس

(٤) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة (معجم البلدان)

٤٢٢ — ... والريح في فمي فاعزم وتوكل

قال زنام[1] الزامر : قال لي المتوكل : تأهب معي إلى الشام فقلت : يا أمير المؤمنين ، الناي في يدي ، والريح في فمي[2] فاعزم وتوكل

٤٢٣ — وقت شرابها نار العذاب

قال الثعالبي : بلغني أن ديوان شعر ابن مطران[3] حمل إلى حضرة الصاحب فأعجب به فقال : ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله ، ومر له في الشراب المطبوخ :

وراحٍ عذبتها النـــار حتى   وقت شُرّابها نارَ العــذاب

يذيب الهمَّ قبــل الحسو لونٌ   لها ، في مثـل ياقوت مذاب

ويمنحها المزاج لهيب خــد   تشرّب ماؤه ماء الشباب

فتعجب من حسن البيت الأول وتحفظه ، وكان كثيراً ما ينشده كأنه مقلوب قول السريّ في الخمر :

هات التي هي يوم الحشر أوزار   كالنار في الحسن عقبى شربها النار

٤٢٤ — مغن ...

الثعالبي في (خاص الخاص) سمعت أبا بكر الخوارزمي غير مرة يقول :

أنا أحفظ في هجاء المغنين ما يقارب ألف بيت ، وليس أبلغ وأوجز وأطرب من قول أبي الفتح كشاجم[4] :

ومغن بارد النغـــمة مختل اليــدين

ما رآه أحـــد في   دار قوم مرتين[5]

(١) الشريشي : زنام الزامر هو الذي أحدث الناى ، وهو الزمار الذي تدعوه عامة بالمغرب الزلامى فصحفوه بإبدال نونه لاما وإنما هو زنامى

(٢) فلأمر لا يحتاج إلى تأهب ...

(٣) أبو محمد الحسن بن علي بن مطران ، كان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس وأدب الانس فيطرب بنثره كما يطرب بشعره ، ويؤنس بهزله كما يؤنس بجده ، وكان مضطرب الخلقة (اليتيمة)

(٤) قال أبو إسحق الحصري : كشاجم هذا اسمه محمود بن الحسن . كان كامل آلات الظرف . وقد ذكروا أنه سمى نفسه (كشاجم) لما يعلمه : فالكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجم ، والميم من مغن . (قلت في (أعلام الأستاذ الزركلي) اسمه محمود ابن محمد بن الحسين

(٥) في ديوانه ونهاية الأرب بعده :

قربه أقطع للـذات من سطوة بين

إلى الأجيال القادمة معاني الرجولة بما يقدمون لهم من الأمثلة ؟

لقد أعجب بلنت بعرابي ووقعت عباراته من نفسه موقعاً حسناً.

يقول بلنت في ذلك : « وكان لهذا اللقاء الأول من حسن الأثر على رأيي في الضابط الفلاح ما حملني على الذهاب في الحال لصديق الشيخ محمد عبده لأفضي إليه بحقيقة هذا التأثير[1] »

ولقد بلغ من تأثر بلنت أن اقترح وضع تقرير عما أخبره عرابي به ليرسله إلى المستر غلادستون ، ثم اشترك مع الشيخ محمد عبده في كتابة برنامج الحزب الوطني وأطلعا البارودي عليه فوافقهما ثم أطلعا عرابياً عليه أيضاً فأقره وتولى بلنت رفعه إلى غلادستون .   « يتبع »

الخفيف

(١) مذكرات بلنت ترجمة البلاغ

٤٢٥ — في فساد الأحوال لله سر!

صوفى :

في فساد الأحوال لله سرّ والتباس في غاية الإيضاح !
فتقول الجهال قد فسد الأمر وذاك الفساد عين الصلاح !

٤٢٦ — كان ماذا ؟

في (طراز المجالس) : سمع عن العرب كان ماذا[1] ، ووقع في شعر ابن الرجل فأنكره ابن أبي الربيع ، فصنف في الرد عليه مصنفاً ، وأنشد فيه لنفسه :

عاب قوم (كان ماذا) ليت شعرى لم هـذا ؟
وإذا عابوه جهـلاً دون علم كان ماذا ؟

٤٢٧ — عاشق مفلس ...

مرت جارية للقاسم بن الرشيد جميلة ، وفي كفها نرجس ، فجمشها[1] أبو نواس ، فلم تكلمه ، فقال : ما أقبح الهجر بك ياسيدتى . فقالت : أقبح من هجرى إفلاسك . فأنشأ يقول :

قلت لها يوماً ومرت بنـا رُعبوبة في كفها نرجس:[2]
ما أقبح الهجر ! فقالت لنا : أقبح منـه عاشق مفلس

(١) ابن مالك : إن (ما) الاستفهامية إذا ركبت مع (ذا) تفارق وجوب الصدارة فيعمل فيها ما قبلها رفعا ونصبا فالرفع كقولهم : (كان ماذا) والنصب كقول أم المؤمنين أقول (ماذا) وفي شرح للفتاح الشريفي يجوز تأخير أدوات الاستفهام عن العامل لعدم بقاء معنى الاستفهام. ونظيره ما ورد : أدخل من أى أبواب الجنة شئت ، وفي الأمالى لقالى : قال أبو السمراء : ألقيت على جارية هذا البيت :

بعيد وصل قريب صد جعلته منه لى ملاذا

فقالت في سرعة :

وعاتبوه فذاب عشـقا ومات وجداً فكان ماذا ؟

وفي (الكامل) في خبر : أكنت قائلة ماذا ، وفي (الأغانى) : قال معاوية فتريد ماذا (الجزء ١٣ الصفحة ١٥٢)

(١) الجمش والتجميش : المغازلة

(٢) جارية رعبوبة : شطبة تارة ، أو بيضاء ، أو طويلة (اللسان) شطبة تارة : في بدنها نزارة وهي امتلاؤه من اللحم ورى العظم (الأساس) (قلت لها) : لا يحذف الضمير هنا مراعاة للمعنى ، وهو يحذف عند النحاة في مثل هذه القاعدة في (التنازع) : أكرمت وأكرمني زيد ، ومررت ومر بى زيد ، وابن عقيل يقول : قد جاء في الشعر :

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب جهاراً ، فكن في الغيب أحفظ للعهد
وألغ أحاديث الوشاة فقلما يحاول واش غير هجران ذى ود

شبح الحرب

للأستاذ محمود غنيم

هو الموت أن قامت على ساقها الحرب
وإلا فحسب الناس ما يفعل الرعب
يلوح لهم فى النوم والصحو طيفها
ودون انتظار الخطب أن يقع الخطب
فزعنا فلا جفن من الخوف مطبق   ولا مستقر فى مضاجعه جنب
ولا أنف إلا عالق بكمامة   ولا دار إلا شق فى جوفها جب
وما اكتوت الأيدى ولا احترق الحشا
بجمر بجمر لا يشب ولا يخبو
فيأيها الليث المكشر للورى   حنانيك إما الانصراف أو الوثب

* * *

مطامع غر الغرب ومض سرابها
فأصبح يصلى نارها الشرق والغرب
كأنى بها قامت وشب أوارها
وقد جفت الأقلام وانطوت الكتب
سفين بلج البحر يرميه مثله   وسرب بأعلى الجو يقذفه سرب
وبينهما تمشى المنايا كأنها   طيور وأرواح الأنام لها حب
وغى لا الدروع السابغات موانع
أذاها ولا مجد بها الصارم العضب
تثلم حد السيف وانقصف القنا   وأصبح لا طعن هناك ولا ضرب
كأنى بها ترمى مدافعها فلا   يطيش لها سهم ولا مضرب ينبو
تدمر ما تأتى عليه لو انها   تصوب نحو الألب دك بها الألب
هى البرق خطافاً هى الرعد قاصفاً
هى الشهب إذ تهوى من الفلك الشهب
فمن كان يصطاد الحمام بنبله   فأن لنا نبلاً يصاد به القطب
كأنى بها والطائرات بغازها   تجود كما جادت بوابلها السحب
يمد إلى الأرواح كفيه خلسة
فلا الرأس مقطوع ولا الدم منصب
رقيق الحواشى لا تكاد تحسه   وألين منه الصخر والمعدن الصلب
له قطرات لا يبل بها صدى   ولا يابس تبقى عليه ولا رطب
إذا انتشرت فى الأفق لم ترع حرمة
لأنثى ولا شيخ علا رأسه الشيب
إذا انتشرت فى الأفق تصرع كاعبا
وتخنق أمّا خلفها طفلها يحبو
لقد شيب بالسم الهواء فهل ترى   يشاب من الأنهار سائلها العذب

* * *

أرى الغرب يدنو كالفراش من اللظى
ألِلقوم فى إحراق أنفسهم إرب ؟
ويارب حرب منذ عشرين حجة   بكل فؤاد من جراحتها ندب
أضرت بحزبيها وإن تم نصرها   لحزب وقاسى ذل خذلانها حزب
إذا ما ذكرناها اقشعرت جلودنا   إذ الناس كالأنعام قوتهم العشب
وإذ هم بأكناف الخنادق ما لهم   مضاجع غير الترب لو نفع الترب
يقاسون حراً ما الضب يحمله   يدان وبرداً ليس يحمله دب
وحشو أنوف القوم غاز مسمم   وللنار فى أجسامهم مرتع خصب
فيا الحروب لا تجف دماؤها   ويا للشعوب كلما نهضت تكبو
أجدكمو يا قوم طال بنا السرى   ولم يسترح جيناً من السفر الركب
لقد سار نحو المجد قوم فأدلجوا   ولم يعلموا أين انتهى بهم الدرب
ولو أنفقوا فى الخير ما ينفقونه
على الحرب عم الخصب وانقطع الجدب
ولم يبق طاو ليس يملك قوته   ولم يبق عار ليس يستره ثوب

* * *

شعوب بعصر النور يفتك بعضها   ببعض كما يعدو على الحمل الذئب
يمثّل بالإنسان فى الغرب بينما   يعيش قرير العين فى ظله الكلب
إذا قنص الليث الغزالة ساغباً   فما ذنب شعب بات يقنصه شعب
ذنوب الضعاف العاجزين كثيرة   وما لقوى إذ تحاسبه ذنب
كأن ليس بين العالمين شرائع   ولا خلفهم حشر ولا فوقهم رب
ولا فى قوانين البرية رحمة   ولا شىء فى الدنيا يقال له الحب
ولم يبق معبوداً سوى القوت وحده
فكل فؤاد مستهام به صب
عزاء لنا أن الحضارة أفلست   فرونقها زيف ومنطقها كذب
إذا ما تمثلت الحضارة خلتها   لباة لها جوف وليس لها قلب
سل العلماء الفاخرين بعلمهم   أجاءوا بنور العلم أم ناره شبوا
تقدم فن الموت أى تقدم   وسار بطيئاً عاثر القدم الطب

الملك الطفل فيصل الثاني

للآنسة زينب الحكيم

صورة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني تدل على شخصية طامحة للعظمة ... رجل صغير في الثالثة من عمره ، يمتاز بسمات النجابة ، والنظرة اليقظة ، والرجولة البادية آثارها في يديه المعقودتين وراء ظهره ، ولباس الضابط الذي يحتوي هذه الشخصية الكبيرة الوثابة على الرغم من حداثة السن ومن الطفولة البريئة ، إنما يشير إلى النفع والمساعدة والتضحية . ويكمن في قسماته غموض عميق

لقد كان لي شرف مقابلة جلالة والده المغفور له الملك غازي الأول ، وكان ذا شخصية كريمة ، وسجايا عربية سمحة ، وهمة بدوية نافذة مع تقلب الظروف حوله

إنصرفت من حضرته ، وقد أثر في نفسي طلاوة حديثه ، وإيمانه بالاعتماد على نفسه بعد الله في الأخذ بيد شعبه إلى مراقي السمو والفلاح ؛ مستمداً من شعبه الكريم الهمة والشجاعة

إن في سيرة فيصل الأول وابنه الراحل بسبب الحادث المشئوم ، ما يظهر للناس كيفية البلوغ إلى العظمة ؛ ولهذا فكانا ملكين من أحكم الملوك وأعظمهم

إني قوية الأمل شديدة الرجاء في أن يهيئ قادة الرأي في العراق أجمل الفرص للمليك العزيز فيصل الثاني ، لأن يتصفح تاريخ أبيه وجده ، فهو سفر ذو صفحات زاخرة ، فيها إصلاح وتجديد ، وفيها حكم وعبر ، وفيها قدوة حسنة

* * *

لعمري ماذا تكون رسالتك « يا غازي » رحمة الله عليك وأنت في عالم الأبدية إلى الأحياء ؟ لسوف تتكلم من عالم الحقيقة ولسوف تسمع كلماتك ويطاع أمرك بحماس وينفذ بقوة

إني أستمع موسيقى رسالتك بين طبقات الأثير ، ولا تلبث الرسالة أن تصل إلى إدراك الأحياء . وأشعر أن أول رسالة منك هي لابنك العزيز وستكون نفسه أسرع لالتقاطها ، وكنت الأب العطوف عليه وهو شديد التعلق بك . إن رسالتك إليه رسالة معنوية صامتة ، تدركه فترحمه من انزعاجه لفقدك ، وتقوى من عزيمته لتكوين مستقبله الذي سيكون زاهراً بإذن الله

أما الرسالة الثانية : فهي إلى الزوجة الثكلى ؛ وهي رسالة من شهيد ينعم برضاء ربه ، رسالة زوج تحرر من قيود الملك وعناء الشكليات ، ولذلك فهي رسالة عطف غامر طاهر ، ترد عليك بعض لهفتك يا والدة فيصل الثاني وتقوى من احتمالك للمصيبة ، وتستنهض همتك لإدراك روح غازي في ابن غازي « فيصل طفل اليوم » ، وبفضلك وجزم رعايتك يكون رجل الغد المأمول

من أهم ما لفت نظري وأنا أتتبع تاريخ حياة الملكة فكتوريا الطريقة التي اتبعتها في تربية أولادها . روي عنها أنها كلما أرادت اختيار مربية لأولادها ، كانت تكلف بعض خلصائها أن يبعثوا إليها ببعض من يثقون بهن من المربيات ، وكانت لا تقابلهن في بادئ الأمر ، وإنما تأمر بأن تقدم المربية إلى الأطفال مباشرة وهي تراقبها معهم من وراء ستار . وكان يتوقف قبولها أو رفضها للمربية على تلك المقابلة الأولى مع أطفالها . سئلت مرة عن السر في قبولها إحدى المربيات وقد أثنت عليها دون تحفظ ، وودت لو كان جميع المربيات مثلها فقالت : لقد رأيت فيها حنو الأم الطبيعي وتضحيتها الصادقة في معاملة الأطفال مما دعاني إلى الظهور لها من وراء السجف لأشكرها وأشعرها برضائي عنها

وهكذا كان لها رأي خاص بالنسبة لاختيار المربين من الرجال ، وكانت تختار من تتوسم في معاملاته للأطفال الأمراء

فظائع لم يحلم أوائلنا بها

فيا ليت شعري ما الذي يضمر الغيب ؟

فسحقاً لعصر النور سحقاً لأهله ... فكل بني حواء دأبهم السلب

كذلك شأن الناس من عهد آدم ... تباينت الأشكال واتحد اللب

وحسب بني حواء عيباً حروبهم ... إذا لم يكن غير الحروب لهم عيب

محمود غنيم

(مدرسة الأورمان)



دراسات في الفن

الغناء بين الارتجال والربط

بمناسبة ذكرى عبده الحامولي

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

أشير على وزارة المعارف أن تفكر في إحياء ذكرى عبده الحامولي فحدث أن استجابت للاشارة وفكرت. وجمعت وزارة المعارف — كعادة الوزارات كلها حين تعتزم التفكير في جلائل الأمور — حزمة من الرؤوس المفكرة كانت درتها المتألقة رأس معالي وزير المعارف الأديب الفنان. وطرحت مسألة الذكرى أمام هذه الرؤوس المفكرة ففكرت فيها وفكرت، ساعة أو ساعتين، فكرت ثم خرجت بتفكيرها أو خرجت من تفكيرها بأن هذه المسألة عقدة معقدة، وإنها ليست من المسائل التي يحلو التفكير فيها للرؤوس المفكرة بحيث تطيق أن تستوعبها وأن تلم بأطرافها أو تمتصرها في جلسة واحدة فأفسحت للتفكير فيها من وقتها خمسة شهور تبدأ في مايو هذا وتنتهي في أكتوبر المقبل تنفرط فيها حزمة الرؤوس المفكرة لتملك كل منها التفكير فيها، وهي على حدة في مسألة ذكرى الحامولي المعقدة ثم تجتمع بعدها ليقول كل رأس منها لإخوته: أي حل يسّره، أو أي تيسير قدّره

وأخشى ما نخشاه هو أن تعود حزمة الرؤوس المفكرة بعد هذا الاجتماع فتنفرط، ثم تعود فتجتمع، ويطول بها الانفراط والاجتماع حتى تصبح ذكرى الحامولي من مشكلات الدولة المستعصية كما استعصت على الدولة قبلها مشكلة الأوقاف الأهلية، ومشكلة مياه الشرب في القرى، ومشكلة تعليم اللغة العربية وغير ذلك من المشاكل الملعونة الجاحدة التي طالما أجهدت — في غير رحمة ولا استحياء — حزماً من الرؤوس المفكرة

على أننا لا نزال مستبشرين خيراً، فإنه لا يبعد على الله، ولا يكثر على الله، أن يسأل رأس من هذه الرؤوس المفكرة نفسه في بحر هذه الشهور الخمسة عن عبده الحمولي: من هو؟ فعندئذ لا بد أن يجيب هذا الرأس نفسه بأن عبده الحامولي كان مغنياً. وقد يحدث بعد أن يطرب هذا الرأس المتسائل لتوفيق الله الذي مكنه من إصابة هذه الحقيقة البعيدة الثانية أن يذكر أن عبده الحامولي كان مغنياً من نوع كاد ينقرض من بين أهل الحرفة اليوم، لا لأن أهل الحرفة قد سمن إحساسهم؟ وإنما لأن الحياة نفسها استدعت هذا الانقراض، وهي لا تزال تستدعيه.

فقد كان المغنون في الجيل الماضي يغنون في اجتماعات عامة من حيث إقبال الناس عليها، ولكنها كانت خاصة من حيث الإنفاق عليها والدعوة إليها، وكانت الأفراح هي الفرص المتلاحقة التي كان يدعى فيها المغنون إلى الغناء، وكان صاحب «الفرح» هو الذي يختار المغني الذي يدعوه، وكان يرهق نفسه في إكرامه إرهاقاً كانت تستلزمه روح التفاخر التي كانت شائعة في ذلك

في غير وجودها سمات الأبوة الرصينة.

والسيدات العراقيات على ما خبرت من أحوالهن، أمهات صالحات بارات مضحيات، وسيدة البلاد الأولى ... أم فيصل الثاني ... تبزهن جميعاً في يقظة الانتباه، وصدق النظرة، وقوة الطموح

نرجو للعراق وأهل العراق السلامة من كل مكروه، وأن يسلم رجاله العاملون، بفناء الخصومات، واندثار الشرور التي تعكر صفو النفوس وتهد أركان الوطن المفدى.

رحم الله سيد البلاد الراحل وعزى أهله وشعبه أجمل العزاء.

زينب الحكيم

الحين بين المطربين أغنياء وفقراء ، وكان يبذل له النطاء كما كان يتأنق في إعداد الندة له ولأفراد فرقته ؛ فكان يطعمهم طعاماً شهياً خفيفاً حتى يكتفوا ، وكان يسقيهم خمراً سائغة مشعشعة حتى ينتشوا ؛ وكان يصبر عليهم لا يطالبهم بعزف ولا غناء حتى يستخفهم الطرب، فيعمد منهم صاحب القانون إلى قانونه، وصاحب العود إلى عوده، وصاحب الدف إلى دفه؛ والمغني لا تزال روحه تترنح من الشرب والطرب والبهجة والفرح حتى يطيب له أن ينطلق فينطلق

وكان المغني يصيح وهو يعلم أن بين مستمعيه مغنين ومطربين جفوا إليه ليتموا أنفسهم بحلاوة ترتيله وبهاء نشوته . والذين حضروا أمثال هذه الحفلات يروون لنا أن محمد عثمان كان يجري وراء عبده الحامولي ليسمعه ، وأن عبده الحامولي كان يلاحق محمد عثمان ليسترد منه الدين متعة وطرباً ، وهم يقولون أيضاً إن محمد عثمان كان يسمع من الحامولي الدور فلا يتحرج من الاستيلاء على نظمه وكلامه فيلحنه تلحيناً جديداً ويغنيه غناء يجبر الحامولي على أن يترك له الدور مسلماً فيه أمره لله ولصناعة محمد عثمان المنظمة المنسقة ..

وقد كان محمد عثمان يختلف عن الحامولي اختلافاً بيناً . فقد كان الحامولي أقرب إلى الطبيعة من صاحبه ، فكان أكثر غنائه ارتجالاً لا يعده ولا يهيئه ، وكان صوته الممتاز الحلو النقي ، ونفسه الطويل المشبع ، وروحه الصافية المرفرفة ... كان هذا كله يمكنه من السيطرة على نفوس سامعيه والتحكم فيها والخروج بها من حال إلى حال بما لم يتح بعده إلا لسيد درويش الذي أغناه صدقه وعوضته قوة روحه عن حلاوة الصوت وعذوبته

أما محمد عثمان فكان يربط ألحانه قبل إنشادها، وكان لا ينطلق ولا يتحرر مما ربطه إلا في فترات من ليلته ثم يعود بعد ذلك إلى ما ربطه وقيده . وانقسم المغنون والمطربون في ذلك الحين إلى مدرستين : مدرسة الارتجال التي كان يتزعمها عبده الحامولي وكان من أساطينها محمد سالم العجوز ؛ ومدرسة الربط التي كان يتزعمها محمد عثمان وكان من أساطينها يوسف المنيلاوي ثم سيد الصفطي . على أن الربط في ذلك الحين لم يكن مقيداً مكتوفاً كل الكتف وإنما كان – كما تقدم – يفسح للمغني مجال التصرف والتخليق، متى أتيح له التصرف والتخليق

والذي نريد أن نصل إليه من تقرير هذه الحقائق كلها هو أن مجالات الطرب في الجيل الماضي كانت تعني بتهيئة جو الغناء للمطرب ، فكانت تتملقه بالأجر المغري ، وتتزلف إليه بالكأس والطاس ، وتحفزه بالتشجيع من جانب المستمعين ، والتحدي من جانب المطربين ، وهذا كله كان يلهب المغني إلهاباً ويشعل روحه إشعالاً وينقل روحه إلى حال من حالين : فإما نشوة ورضى، وإما ركوداً وغماً . فإذا ما أصابه التوفيق بالنشوة والرضى فقد غنت روحه ورقصت ؛ وإذا ما ركد وتخاذل فإنه كثيراً ما كان يعتذر عن الغناء ويتهرب منه . ولا تزال هواة الطرب من المخضرمين يذكرون لنا أن عبده الحامولي كان يفسح في تخته مجالاً لمحمد عثمان ويدعوه إلى الغناء في بعض لياليه ، كما أنهم يذكرون لنا أن عبدالحي حلمي كان يضرب الثلاظ من مستمعيه أحياناً بطربوشه ويبكي ويصر على إبعادهم عنه وإلا يروغ من « الفرح »

هذا يدل دلالة قاطعة على أن المغنين في الجيل الماضي كانوا يغنون لأنفسهم كما كانوا يغنون للناس، أو إنهم في الحق كانوا يغنون لأنفسهم في مناسبات يهيئها لهم الناس ويدعونهم إليها

ولعله لم يبق في هذا الجيل الذي نعيش فيه من أهل هذا المزاج إلا فئة القرئين فهم وحدهم الذين يرتجلون الترتيل ، وهم وحدهم الذين « يتفاعلون » مع جمهورهم أثناء إنشادهم وقراءتهم. أما المغنون فكلهم كما نعلم يسترجعون في حفلاتهم ما علمهم إياه الملحنون ، وأما الملحنون فكلهم يعدون ألحانهم إعداداً تاماً قبل غنائها أمام الجمهور إذا ما دعوا للغناء أمامه. وليس يشذ عن هذه القاعدة من ملحني اليوم إلا زكريا أحمد ومحمود صبح . فهما وحدهما اللذان ينطلقان في الغناء بما توحيه إليهما نفساهما . أما زكريا فتنساب نفسه في غنائه بأسلوب مصري رقيق ، وأما محمود صبح فتجمح روحه في غنائه بأسلوب تركي متعجرف مكنته منه دراسته التي صرفته عن طبيعته المصرية فأصبح وله لون خاص به في غنائه ، ليته كان مصرياً قريباً من نفسه ونفوسنا

ونعود الآن إلى غناء الماضي لنلحظ فيه ملحوظة تعزز ما ذهبنا إليه ، ذلك أنه كان غناء شراب وفرح وبهجة؛ وقد نجهد أنفسنا في البحث إجهاداً كبيراً إذا حاولنا أن نعثر فيه على شيء غير الشراب والفرح والبهجة التي كانت تبعثها مناسبات الغناء في نفوس المغنين . وقد كان المغنون في الجيل الماضي يعيشون في أفراح متواصلة متتابعة ولعل القارئ يعجب حين يعلم أن موسراً من الموسرين أراد أن يحيي له ليلة فرحه المطرب الشيخ سيد الصفطي ؛ فلما قابله أخبره الشيخ الصفطي بأنه مقيد بتسعين ليلة

مقبلة لا يمكنه أن يتحلل من إحداها ، فاضطر الموسر أن يؤجل فرحه ثلاثة شهور متتالية . فإذا كان هذا هو حال الشيخ الصفطى الذى لم يكن ملحناً ولم يكن أستاذاً لمدرسة فى الغناء فكيف كانت حال عبده الحامولى ، ومحمد عثمان ؟ إنهما لم يكونا يملكان إلا أن يعيشا فى أفراح بعد أفراح . ولقد نضحت أغانيهما بهذه الأفراح حتى ما كان منها يجنح نظمه إلى الشكوى والألم ، فقد كانا يغنيان فى فرح وفى مرح تستبينهما الناسية وإن كان الفن والمغنى يزورّان عنهما

ولكن هذا ليس معناه أنهما كانا يغنيان على وتيرة واحدة هى نمط البهجة ، وإنما كانت روحاهما تنتفضان أحياناً بالأنين والألم . وقد سجل التاريخ لعبده الحامولى وقفة خالدة من وقفات الفن الرائعة إذ جاءه نعى وحيده فى ليلة زفافه وكان عبده هو الذى يحييها بغنائه ، فغنى عبده ليلتئذ غناء أسال قلوب سامعيه دموعاً ، وعصر نفوسهم دماً ، وطبع أرواحهم بطابع أسود خدرهم وهم فى مقاعدهم ولم يخطر ببال أحدهم أن يسائل عن سره أو منشئه ، حتى إذا طلعت الشمس شاع بينهم الخبر فلزموا مجالسهم حتى جهزت الجنازة فخرجوا بها مشيعين العروس الذى خفوا ليشاطروه الفرح

هذه هى حال الغناء فى الجيل الماضى ، وهذه هى حال إمامه عبده الحامولى ، وهى كما ترى أقرب الأحوال إلى الغناء الطبيعى الذى يصدر عن النفس الصادقة فى لون صادق من ألوان العواطف هو الفرح . فإذا قلنا إن الغناء يكاد ينقرض فإنما نقصد بذلك هذا اللون الطبيعى أو الأقرب من الطبيعة .

فكيف إذن يمكن أن يُحيا غناء كهذا ، أو كيف يمكن أن نحيى بنوع من الغناء ذكرى مغن كعبده الحامولى ؟

خطر لحزمة الرؤوس المفكرة التى اجتمعت فى وزارة المعارف أن يغنى مغن فى حفلة الذكرى شيئاً من أغانى عبده الحامولى ؛ فأشبه هذا الخاطر خاطر الذيذاً مر برأس صاحب لنا كان صوته يشبه صوت سعد زغلول ، فرأى أن يلقى إحدى خطب سعد زغلول فى حفلة من حفلات ذكراه ، ولم يمنعه من تنفيذ فكرته هذه إلا أنه عجز عن الاتصال بأصحاب الأمر والنهى فى هذه الحفلات . ولعله لو كان قد وصل إلى أصحاب الأمر والنهى هؤلاء لكان قد استطاع أن يقدم للمحتفلين بذكرى الخطيب العظيم الراحل هذه « الثمرة الكوميك » . فيدخل على نفوسهم شيئاً من الراحة قد يشعرون بالحاجة إليه خلال ذلك الألم الذى ينتاب نفوسهم حين يذكرون الفقيد .

فهل تريد وزارة المعارف أن تكون لذيذة كصاحبنا هذا حين تريد أن تكرم رجلاً من أساطين الفنانين المصريين ؟

إن عبده الحامولى لا يمكن أن يستعاد ولا يمكن أن يسترجع ، وليس كل عظيم يستطاع أن يكرم ذكره بتكريم من نوع موهبته وفنه . فالأمريكان إذا أحبوا أن يذكروا إديسون فى حفلة فإنهم لا يستطيعون أن يعرضوا فى هذه الحفلة مخترعاً يخترع أمام الجمهور اختراعات إديسون !

إنما هناك وسائل أخرى لتكريم أمثال هؤلاء الذين تتصل كرامتهم بأشخاصهم وذواتهم ، فلأمثال هؤلاء يمكن أن تقام التماثيل ، وبأسماء هؤلاء يمكن أن تتوج المسارح القومية ومعاهد الفنون . وأما ترجيع فنهم نفسه فمحال إلا إذا كان الفن مربوطاً مقيداً مثل فن سيد درويش فهو الذى تستطيع وزارة المعارف أن تحمل الفرقة القومية على تمثيل رواياته الخالدة

أما إذا أصرت وزارة المعارف على أن تحيى ذكرى عبده الحامولى بغناء وألحان من المحفوظ عنه فإننا نرجوها أن تتريث كل التريث قبل أن تختار المغنين الذين ستعهد إليهم بإحياء هذه الذكرى الجليلة ، وعليها أن تعرف أن عبده الحامولى كان مغنياً صاحب صوت قوى جميل كامل لا يمكن أن يجود الزمن بمثله إلا بين دهر ودهر ، وأنه كان يسلط روحه الصافية على صوته هذا وحده فيتسلط به على سمع الزمن ، فهل بين المطربين المصريين اليوم من أتيحت له هذه القوة ؟ .

قد يكون الشيخ على محمود وحده أشبه الأحياء به . . . فلو أنه راجع مع المخضرمين من المطربين أغانى الحامولى فقد يتاح له أن يوفق إلى صورة من الغناء هى أقرب الصور إلى غناء الفقيد الكريم . أما أصدق الصور وأشدها أمانة فهى لا ريب هذه الصور التى طبعها الفقيد بصوته على « الاسطوانات » القليلة التى عبأها ، فأين هى ؟ . .

عزيز أحمد فهمى



فروض

للدكتور محمد محمود غالى

تخترقنا جميعاً الأشعة الكونية أو الأشعة النافذة كما يسمونها ، أحياء كنا أم أمواتاً ، شباباً كنا أم شيوخاً ، تنفذ فينا جميعاً بقدر واحد . تُرى هل يُعد هذا التفتت الدائم فى أجسامنا الذى يلازمنا من المولد حتى الممات ملائماً لوجودنا ومساعداً على بقائنا ؟ أو هو على النقيض من ذلك . أميل إلى الاعتقاد بأنها مُبيدة لنا مهلكة لحياتنا . ومتى كان الهدم من عوامل البقاء ، والتفتت مدعاة للحياة لا للفناء ؟

إلى المتحف المصرى وإلى الطابق الثالث منه نقلوا حديثاً من المنزل الذى أقام فيه مسيو لاكو المدير السابق لمصلحة الآثار، عشرين مومياء لفراعنة مصر الأقدمين ، يمثلون ثلاثين قرناً أو يزيد من أزهى العصور فى تاريخ البشر . ويكفى لتعريف هذه الفترة السعيدة التى خلت أن نذكر ، أنها الفترة التى كوّن الإنسان فيها معارفه الأولى وعلومه البدائية التى كانت سنداً وأساساً لمعظم ما نملكه اليوم من معارف وعلوم . فالحلقة متصلة إذ كان لهؤلاء الملوك الأولين والمؤتمرين بأوامرهم والآخذين بنظمهم الفضل الأول فى كثير مما نعرفه اليوم .

هذه المومياء الهامدة ظلت مستريحة قروناً عديدة ، لا يحميها ما حولها من لفافات عديدة ، أو ما يُحيط بها من صناديق محلاة بالذهب والنقوش ، من التهدّم الذرى والتّفتّت الداخلى الحادثين حتماً من اختراق جسيمات الأشعة الكونية لها ، بقدر ما تحميها طبقات الرمال والصخور التى تملو الأماكن التى وجدت فيها ، فإن هذه الطبقات المفصولة عن سطح الأرض بعشرات الأمتار تمتص هذه الأشعة أو الجزء الأكبر منها .

قليل من التأمل وعود إلى الحساب البسيط يجعلنا ندرك العدد الكبير من هذه الجسيمات التى تخترق هذه المومياء التى لا يحميها الآن من هذا التهدم سوى سقوف المتحف المصرى ، فهذه القذائف الكونية الدائمة تخترق المومياء الخالدة بمعدل قذيفة على كل سنتيمتر مربع فى كل دقيقة ، أى أن خمسة آلاف من هذه القذائف الفاتكة تخترق فى كل دقيقة كل واحدة من المومياء الممدودة ؛ بينما كان لا يخترقها فى مثل هذه الفترة وهى فى وضعها الأول ، مصونة بالرمال والصخور ، سوى قذيفتين أو ثلاث ؛ وقد لا يخترقها واحدة من هذه القذائف . وفى ظنى أن الذين قاموا بنقلها من مكامنها الأولى وأزعجوها من راحتها الأبدية ، لم يعيروا هذه القذائف الدائمة أية التفاتة ، فهم لا يعرفونها . ومن يدرى ؟ فقد تكون هذه القذائف مدمرة لها على طول الزمن ومتلفة لعناصر وجودها . أو يصح لنا إذن أن نعتقد أنه كان لخوفو منشئ الهرم الأكبر نوع من الغريزة جعلته يشعر بضرورة بناء ضريح فى ضخامة الهرم لحماية رفاته من كل عوامل التبديد ؟

* * *

لا شك أن خوفو وأمثاله كانوا يجهلون الأشعة الكونية ؛ وكأنهم عمدوا إلى الاحتياط من تلك الأشعة التى نلخص فى هذا المقال موضوعها ، والتى تعد من أعجب ما نعرفه فى مراحل العلم الحديث بقوة طاقتها التى تفوق آلاف المرات طاقة أشعة الراديوم وقوة اختراقها للأشياء ، فتخترق ما يبلغ سمكه بضعة أمتار من الرصاص . وقد شرحنا كيف يستطيع العلماء تسجيل صور مسارات جسيماتها بعد اختراقها كتلة كبيرة من المادة ، وشرحنا كيف يسمعون إنذاراً بمرور قذائفها التى لها أقوى الأثر على المادة التى تخترقها

ونتكلم اليوم عن الفكرة في مصدر أو أصل هذه الأشعة الخارقة لما اعتدناه من إشعاع . ويجمل قبل ذلك أن نذكر كلمة أخيرة عن بعض النتائج الهامة في دراسة هذه الأشعة. وهذه النتائج هي مادة لموضوعات مختلفة نكتفي هنا بالإيماء إليها :

الموضوع الأول هو تقسيم العلماء هذه الأشعة إلى نوعين :

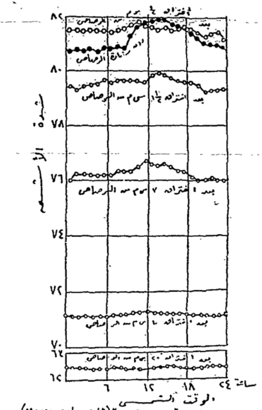
النوع الأول جسيمات رخوة Corpuscules du groupe mou وهذه نتجت عن الأشعة الكونية وليست هي الأشعة ذاتها .

والنوع الثاني جسيمات صلبة Corpuscules du groupe dur وهي جزء من الأشعة الكونية نفسها قبل اختراقها طبقات الهواء أو الأرض

وهذا التقسيم إنما جرى تبعاً لمقدار المادة التي تستطيع الأشعة النفاذ فيها. والعالم روسي[1] تجارب تدعو للإعجاب في وضع ستائر من الرصاص يعرف بواسطتها أولاً اتجاه الأشعة، وثانياً درجة نفاذها في المادة التي تصادفها وأثرها عليها . وفي ذلك يستعمل روسي عدادات الألكترونات وغرفة ولسون مجتمعة في تجربة واحدة.

الموضوع الثاني هو دراسة تغير هذه الأشعة تبعاً لخطوط العرض؛ ولهذا أثر هام في معرفة ما إذا كان منشأ الأشعة خارجاً عن نطاق المحيط الأرضي . وقد أدت هذه الدراسة إلى أن هذه الأشعة تنقص بمقدار حوالي ١٤ ٪ عند ما تقترب من خط الاستواء . وهذا ناتج من أثر المجال المغناطيسي الأرضي واختلاف شدته من منطقة إلى أخرى . وقد بيّن ذلك كلاي في أبحاثه التي تبعتها دراسة دولية تولاها العالم كونتون في سنة ١٩٣٠ إذ قامت ٦٩ محطة مختلفة في المعمورة بدراسة الأشعة. وهذه المحطات منتشرة بين خطي عرض ٧٨ شمالاً و٤٦ جنوباً . وفي سبتمبر سنة ١٩٣٣ قام زميلانا بيير أوجيه M. P. auger ولبرانس رينجيه Leprince Ringuet بأبحاث هامة[2] بين الهافر وبونس إيرس ذهاباً وإياباً حيث سجلا ١٧٠ ألف مسار للأشعة الكونية. وفي الـ ١٧٠ ألف شعاع التي سجلها هذان الباحثان نرى أن الأشعة الكونية تنقص بمقدار ١٦ ٪ عند خط الاستواء

الموضوع الثالث دراسة تغيّر شدة الأشعة تبعاً لنظام تعاقب الليل والنهار أي مع الوقت الشمسي . ولهذا أثره في معرفة ما إذا كانت الشمس مصدراً لهذه الأشعة. وقد دلت هذه الدراسة على أن الأشعة لا تتغير مع تغير الليل والنهار . وفي هذا الشكل نرى كيف تتغير شدة الأشعة مع ساعات اليوم



فالإحداثي الرأسي ويسمى محور الصادات يبين مقدار شدة الأشعة ، والإحداثي الأفقي ويسمى محور السينات يبين الوقت . وفي المنحنى (١) نرى كيف تتغيّر شدة الأشعة مع مرور اليوم دون أن تخترق الأشعة مادة على الإطلاق

وفي المنحنى (٢) نرى تغيُّر شدة الأشعة بعد أن تكون قد اخترقت ½ س م من الرصاص. وفي الحالتين نرى حوالي الساعة ١٢ ازدياداً طفيفاً في الأشعة ، وهذه الزيادة نرى أثرها مرة أخرى في المنحنيين (٣) و (٤) اللذين يمثلان تغيُّر الأشعة بعد اختراقها ٥ر١ س م من الرصاص و ٣ س م منه . أما المنحنيان (٥) و (٦)

---

(١) روسي أستاذ جامعة بادو وقد طبع كتابا عن الأشعة الكونية باللغة الفرنسية . الطابع هرمان باريز سنة ١٩٣٥

(٢) هذه الأبحاث منشورة في محاضر المجمع العلمي الفرنسي بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٣ ص ١٢٤٢

فيمثلان شدة الأشعة وتغيرها مع الزمن بعد اختراق ١٠ س م من الرصاص و ٢٠ س م منه ، ولا نرى فيهما أثراً لأى تغيُّر فى شدة الأشعة بل نرى ثباتها على مرور الساعات ، وهذا يثبت أن الجزء الصلب من الأشعة الكونية أى الأشعة الكونية الأولى قبل اختراقها الجو غير مرتبط بالشمس بأى حال من الأحوال

والموضوع الرابع هو دراسة الأشعة مع المجال المغناطيسى الأرضى ، وهو دراسة رياضية وطبيعية عويصة قام بها علماء كثيرون نذكر منهم ستورمر Stormer، ونرى ألا نتعرض له فى هذه السطور لصعوبته وعدم فائدته للقارئ

على أن استعراض هذه المسائل ولو على هذا النحو المختصر يفيدنا الآن فى مناقشة أصل الأشعة الكونية وسرد كل الفروض التى يعتقدها العلماء فى مصدرها

***

فى نشرات العالم الكبير س . ت . ر . ولسون [١] (C. T. R. Wilson) بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٩ يفرض أن يكون منشأ الأشعة النافذة هو المجال الكهربائى الحادث من العواصف الجوية (Orages) ، وقد بين أن الألكترونات تقذف فى هذا المجال بقدر مجموع الطاقة الحادثة من فرق الضغط الكهربائى بين الغيوم المشبعة بالكهرباء، وتبلغ هذه الطاقة آلاف الملايين من الفولتات. على أن اختراق بعض جسيمات الأشعة الكونية أعماقاً من المياه تزيد فى بعض الأحيان عن الـ ٥٠٠ متر يتطلب طاقة أكبر بكثير من الطاقة المذكورة . ومن السهل أن نرى أيضاً أنه لا يمكن باتباع الرأى المتقدم أن نفسر التغيير الحادث فى شدة الأشعة مع خطوط العرض وهو التغيير الذى سبق أن شرحناه. وعلى وفق آراء ولسون تقذف الألكترونات فى العواصف لأعلى السحب المحملة بالكهرباء ثم تنحنى مساراتها بوجود المجال المغناطيسى الأرضى حتى تصل إلى سطح الأرض . ومع ملاحظة أن نصف قطر الانحناء لألكترون له هذه الطاقة المتقدمة لا يتجاوز ٧٠٠ كيلو متر وملاحظة أن هذا جزء يسير بالنسبة إلى نصف قطر الأرض، فإنه من السهل أن ندرك أنه لا يمكن لهذه الألكترونات أن تكون موزعة بالتساوى حول سطح الكرة الأرضية ، وحيث أن توزيع العواصف نفسها ليس توزيعاً متساوياً فوق سطح الأرض فإنه من الصعب تعليل ثبات الجزء الرئيسى من الأشعة الكونية ثباتاً لا يزيد التغيير فيه عن $\frac{١}{١٠٠٠}$

وما يقال عن الألكترونات الحادثة عن العواصف يقال عن الألكترونات الحادثة عن السحب العادية . فهذه وإن كانت أكثر انتظاماً فى توزيعها حول الأرض إلا أن الطاقة الحادثة عنها لا يمكن أن تُسبب الطاقة العظيمة الموجودة فى الكترونات الأشعة الكونية . كل هذا لا يمنع أن السحب المصحوبة بعواصف شديدة يمكن أن تكون قسماً من الجزء الرخو فى الأشعة الكونية ، وقد بين ذلك شونلاند وفيلجوان[١] Schonland et Viljoen

على أن من الصعب جداً أن نتخيل علة أرضية أخرى تكون منشأ الأشعة الكونية. فمثلاً يستحيل مهما كانت الحالة الكهربائية للطبقات العليا من الجو أن نتصور مجالاً كهربائياً عمودياً على الأرض يكون عظيما بحيث يكون مستمراً وتكون له مثل هذه الطاقة

ولو أننا واقتنعنا على أن يكون منشأ الأشعة الكونية خارجاً عن نطاق الكرة الأرضية فإن ثبات شدتها المتناهى ثباتاً فى الزمن يضطرنا إلى أن نفترض أن لها الخواص ذاتها فى الحيز المكون المكون فى مجموعه

فالشمس لا يمكن إذن أن تكون مصدراً لهذه الأشعة . كذلك النجوم المكونة للمجرة ، لأن هذه النجوم غير موزعة توزيعاً منتظما حول الأرض . فلو كانت الشمس مصدرها لاختلفت شدتها مع الوقت الشمسى . ولو كانت المجرة منشأها لاختلفت شدتها مع الوقت النجمى . وهذا الاختلاف أو ذاك لا وجود له بالمرة ، وبخاصة فى الجسيمات الصلبة أو القوية من هذه الأشعة

وما يُقال عن المجرة يُقال عن العوالم الأخرى التى ليست موزعة توزيعاً منتظما حول الكون المغلق

على أنه لا يمكن أن يكون مصدر الأشعة المكونات الداخلية للنجوم ، لأن طاقة الأشعة فى هذه الحالة تصبح ضعيفة لاختراقها كل مادة النجم

(١) س. ت. ر. ولسون مجموعة جمعية كيمبردج الفلسفية ٢٠٢ ص ٥٢٤ (١٩٢٤) ومجموعة الجمعية الطبيعية لندرة ٣٧ ص ٣٢ (١٩٢٥) وجريدة معهد فرانكلين ٢٠٨ ص ١٠ (١٩٢٥)

ملحوظة : اتبعنا فى كتابة المراجع الطريقة الأفرنجية وتتلخص فى ذكر اسم المرجع فنمرة المجلد أو الجزء ثم الصحيفة ثم السنة وهي طريقة مختصرة، حبذا لو اتبعها كتاب العربية

(١) محاضر الجمعية الملكية الانجليزية ١٤٠ ص ٣١٤ (١٩٣٣)

ومهما يكن من الأمر فإن مصدر الأشعة الكونية يجب أن يسمح كما قدمنا بتفسير خواص إشعاع طبيعته وقوته واحدة في جميع الجهات حول الأرض . وقد وضع ريجنيه Regner [1] فرضاً يجيز تولد هذه الأشعة في وقت ابتداء تطور العالم ، بحيث أصبحت خواصها الطبيعية مع مرور الزمن واحدة في جميع الاتجاهات Isotrope ، وذلك بسبب رحلتها المستمرة داخل الكون المغلق

وقد وضّح ليتر [2] Lemaître هذه النظرية الأركيولوجية بفكرته في أن الكون في مجموعه لا يكون سوى ذرة كبيرة جداً تشع هذا الإشعاع على طريقة هي فوق طريقة النشاط الراديومي Super-radioactif

أما عند مليكان [3] فإنه يغلب على ظنه أن بعض الحوادث الطبيعية الحادثة باستمرار في المواد الواقعة بين الأجرام السماوية ربما تعطي هذه الدرجة من إشعاع له نفس الخواص حول الأرض

أما فرض انعدام المادة (Annihilation) فهو لا يكفي أيضاً لتفسير إشعاع له مثل هذه الطاقة . ومن المعروف أن الطاقة الحادثة عن انعدام كتلة البروتون تساوي حوالي الألف مليون ألكترون فولت ، وهي طاقة أقل من التي نعهدها في الأشعة الكونية

كذلك ليس من المحتمل أن يكون سبب الأشعة تحول نواة معقدة وثقيلة بانعدامها وانتقال طاقتها إلى الألكترونات أو الفوتونات ، كما أنه ليس من المحتمل أن يكون السبب في الطاقة الحادثة من تكون نواة معقدة من ذرات أبسط منها ، فإن مثل هذه الطاقة تقل أيضاً عما نعهده في الأشعة الكونية

ويتساءل أدنجتون لماذا لا تكون هذه الأشعة بقايا تهدم حدث قديماً في المادة وشاءت الأقدار أن تصلنا أخبار هذا التهدم الآن

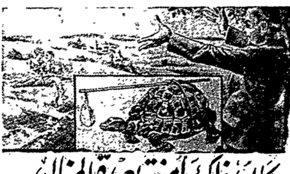
ويمكن القول أن كل الفروض التي تقدم بها الباحثون حتى الآن لتفسير منشأ وسبب الأشعة الكونية غير ممكنة في ناحية وإن جاز إمكانها في ناحية أخرى على أن نظرية العواصف هي النظرية الوحيدة التي ترجع بالأشعة الكونية لتسبب مصدره الكرة الأرضية ، فإذا لم يمكن الدفاع عن هذه النظرية ، وهو الأمر الواقع ، فإن مسألة أصل الإشعاع الكوني ترتبط رأساً بنشأة الكون

وقد بين ليتر أن الطاقة الكلية للأشعة الكونية مع فرض توزيعها توزيعاً منتظماً في الحيز تبلغ $\frac{1}{1000}$ من مجموع الطاقة لكل ما في الكون من نجوم وأجرام ومادة بينها .

وعلى كل حال فدراسة منشأ ومصدر هذه الأشعة يبدو حتى يومنا هذا خفياً على الأذهان ، وإذا اتضح كما تظهر التجارب الحديثة أن نصف الجسيمات أو أغلبها المكونة لهذه الأشعة العجيبة هي « بوزيتونات » ، فإن من المحتمل جداً أن البوزيتون النادر على الأرض هو مكون هام للكون خارجاً عنها .

ومهما يكن من أصل الأشعة الكونية ، فإنه عندما نعلم ذلك نكون قد خطونا خطوة كبرى في المعرفة وفي حل موضوع يتصل بمنشأ الكون وسر الخليقة وعظمة التطور .

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



(١) نشرات الجمعية الملكية الانجليزية ١٣٢ ص ٣٣٥ (١٩٣١)
(٢) مجلة الطبيعة (Nature) ١٢٨ ص ٧٠٤ (١٩٣١)
(٣) المجلة الطبيعية (Phys. Rev.) ٣٦ ص ١٥٩٥ (١٩٣٠)

من هنا ومن هناك

كفاح الدكتاتوريين لأجل المعادن — عن «ذي سينشري ريفيو»

تقاس قوة الأمم في هذه الأيام بمقدار ما لديها من الصناعات؛ فالصناعة هي أساس المدنية الحديثة، تستطيع الأمة بها أن تتوفر على المصادر الأساسية التي يتوقف عليها كيانها وهي إحراز الثروة المالية، والمحافظة على الحدود، وزيادة السلاح ... والصناعة هي السند الوحيد الذي يمكن أن يعول عليه لتحمل أعباء الإدارة الحديثة، وإحراز المال الوفير لتدبير شئونها. ومما لا شك فيه أن الأمم التي لها شهرة في عالم الصناعة تحرص دائماً على الاحتفاظ بكيانها الصناعي، ولا يتيسر ذلك إلا بوجود الخامات الجيدة التي تتوقف عليها الصناعات

فإذا أتيح لنا أن تفحص الآلة الميكانيكية لإحدى الطائرات وجدناها تتركب من معادن كثيرة قد لا تقل أنواعها المختلفة عن عشرين نوعاً. ولا يمكن أن يضحى بمادة واحدة من المواد التي تتركب منها دون أن نضحى بشيء من قيمتها

قد يقال عن تغيير الخامات واستبدال مواد صناعية بها، ولكن هذا إذا صح فإلى حد محدود، إذ أن الخامات المعدنية لها قوى وخصائص لا تغنى إحداها عن الأخرى كل الغناء

وتستخرج المعادن من المناجم الخاصة بها، فإذا أعوز وجودها لا يمكن الحصول على ما يقوم مقامها في الصناعة. فإذا لم توفق الدولة إلى الحصول على معدن لصناعة من الصناعات، فإن الخسارة لا تقف عند ضياع هذه الصناعة فيها، ولكنها تقع على نظام المملكة على وجه العموم

فالأمم التي تريد التوسع والنفوذ، يجب أن تستحوذ على أكبر مقدار من الخامات لصناعاتها. فإذا كان الأمر كذلك، تبينت لنا تلك الصلة التي تربط بين النشاط السياسي والحصول على الخامات

فإذا دققنا النظر في مركز إيطاليا مثلاً، وجدنا أن هذه الأمة لا تملك مورداً واحداً لنوع من المواد المدنية. وليس في مقدور موسوليني أن يخلق من إيطاليا أمة قوية إذا اتكل على الزراعة وحدها، فهو يلجأ إلى استمداد الفحم والزيت والحديد والنيكل والفنسيوم والصفيح وهي المواد الأولية للصناعات، من بلاد غير بلاده

ولم تكن بلاد الحبشة قد عرفت جيولجيا قبل الفتح الإيطالي، ولكن قد تبين أخيراً أن هذه البلاد تحتوي على أكبر مناجم للبلاتين والذهب والفضة والنحاس والحديد والبوتاس والرصاص والفحم والزيت (وهو أهم ما تصبو إليه إيطاليا) وهذه مواد ذات قيمة لا تقدر، وهي ولا شك تستحق ما بذل لأجلها من المشقات. فلا يصح أن يقال إن التوسع الإيطالي في تلك البلاد كان يقتضيه ازدياد عدد السكان في إيطاليا مع ما هو معروف من رداءة الجو في تلك البلاد، وعدم ملاءمته للإيطاليين بحال من الأحوال

أما ألمانيا فهي تحصل على ما يكفيها من الفحم، إلا أن صناع الألزاس واللورين جعلها تتكل على بلاد أخرى في الحصول على الحديد والذهب. وقد استوردت منها في العام الماضي ٢٠ مليون طن. ولا شك أن ألمانيا يهمها أن تطمئن على توريد هذه المواد إبان الحرب، ولا يمكن ذلك إلا إذا وضعت البلاد التي توردها تحت إشرافها (يقصد تشيكوسلوفاكيا)

أما اسبانيا فماذا تقدم للأمم التي تهتم بها سياسياً؟ مما لا شك فيه أن الثروة المدنية لتلك البلاد لا يستهان بها، فهي تحتوي على موارد عظيمة للحديد الممتاز والصلب والنحاس وغيرها من المعادن التي تستوردها ألمانيا من الخارج ...

وهكذا حيثما وجهنا النظر وجدنا المواد الصناعية هي المحرك لتلك الأمم والحافز لها على التطاحن والحرب

الحب والخوف — عن مجلة «جون أولندن»

لكي نتخلص من مخاوفنا في الحياة، يجب علينا أن نكون على وفاق معها. قال أحد الحكماء: «إن الحب الخالص يزيل الخوف، إذ أن الخوف يناقض الحب. ولا يوجد قول أصدق من هذا القول». فنحن حين نكون على وفاق مع الحياة، معارفها وتجاربها وكل خليقة فيها فلا شيء نخافه. إذ أننا في هذه الحالة نعيش مع كون صديق ... وكما يقول ادوارد كاربنتر في شعره

المنثور : تسرع كل القوى العلوية إلى تحقيق مسراتنا الأبدية .

فإذا دب الحب إلى قلب الإنسان ، واتصلت وشائجه بشأن من الشئون ، أصبح هذا الشأن قريباً من نفسه كل القرب ، فهو لا يخيفه ولكنه يسره ويؤدي به إلى السعادة .

ليس من العسير أن نوثق عرى الألفة مع الكون حتى ترتبط نفوسنا بكل ذرة فيه . وعند ذلك نرى أن كل شيء يعمل لأجلنا — بدل أن يعمل ضدنا — ويبحث عن سرور دائم يشملنا فلا نخاف شيئاً تبتلينا به الحياة ، لأننا نعلم أن الحياة التي توالينا ستوصلنا إلى ما نريد ، وتقودنا إلى سعادة أكبر مما كنا نظن .

إن كل شيء يعمل لسعادة هؤلاء الذين يعملون مع الله ! يجب أن نكون أصدقاء للكون، أصدقاء للحياة وتجاربها، أصدقاء لكل خير ، أصدقاء لكل نظام واتساق لنكون في وحدة تامة مع الحياة

إن الحياة لحن عظيم يوقعه الحب ، فلو عرفنا أن نؤدي دورنا في هذا اللحن ، وسرنا على توقيع نغماته الصحيحة ، كانت حياتنا جزءاً من لحن الحياة المظيم ، فتفارقنا المخاوف جميعها إذ ماذا عسى أن تفعل بنا الحياة سوى أن تزيد من سعادتنا وتمدنا بالسرور الأبدي؟

إن الانسجام الأبدي والنظام يشملان الكون على الدوام ، فعلينا أن نضع أنفسنا وفق إرادتهما ونسايرها . فنظام الحياة لا يمكن أن يتبدل ليسرنا بشيء أو يضيرنا به، وليس من الضروري أن يكون كذلك . ولكن الواجب أن نساير نحن الحياة ، عند ذلك نجد أن لا شيء يخيفنا فيها ، لأننا نكون قد دخلنا في وحدة الكون الذي ارتبطنا وإياه بالحب والوئام .

حول مشكلة العاطلين في أمريكا — عن ذي لسنر الانجليزية

يظن الكثيرون أن أمريكا أمة غنية لا يعرف الفقر إلى أهلها سبيلاً . ويعتقد الكثيرون أن مستوى المعيشة في هذه البلاد يمتاز عن غيره في سائر بلاد العالم ؛ ولكن قل أن يعرف هؤلاء أن في هذه الأمة التي يبلغ عدد سكانها مائة وثلاثين مليوناً من الأنفس، عدداً غير قليل من أبنائها يعانون أشد أنواع الفاقة والفقر

وأستطيع أن أقول إن نسبة هؤلاء البائسين الذين يعيشون في فقر مدقع في بلاد أمريكا أكثر منها في بريطانيا العظمى . إذ أن عدد العمال العاطلين في أمريكا تزيد كثيراً على عددهم في بريطانيا . وإذا كان هؤلاء العمال لا يعرف عددهم بالضبط إلى الآن ، فهم لا يقلون على أي حال عن عشرة ملايين من سكان تلك البلاد . ولا شك أن للنظام الإداري والاجتماعي في أمريكا أثراً كبيراً في هذا البؤس الذي يشمل عدداً غير قليل من الأهلين، وعلى الأخص نظام المدن والولايات الثماني والأربعين ، فإن هذا النظام المحلي في أمريكا لا يزال على جانب عظيم من الجمود

وقد كان الرئيس روزفلت أول من فكر جديا في إصلاح هذه الحال . ولا غرابة فهذا الرجل معروف بمشروعاته العظيمة وخططه الناجحة في إصلاح تلك البلاد . وقد انتخب رئيساً للولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ في أشد الأوقات وأحرجها بالنسبة لحالة البلاد التجارية . فقلب وجوه النظر لإصلاح هذه الحال ، وقد كان أهم المشروعات التي وضعها في هذا الصدد ، هو مشروع (مساعدة الضرورة) الذي شمل أنحاء البلاد ، وانتفع به ملايين من العمال العاطلين لمدة سنتين

وقد كلف الحكومة هذا المشروع ١٥٠ مليون من الجنيهات ، وهو مبلغ ليس بالكثير لإحياء أمة . ولم يكتف روزفلت بهذه التجربة التي استفاد بها عدد كبير من السكان ، فأوقف قانون الضرورة وأحل محله نظاماً دائماً للعمال العاطلين . وقد بذل في هذا الشأن أعظم مجهود رآه العالم في مثل هذه الأحوال . . . فأعلن أن حكومة الولايات المتحدة لا تتحمل كل هذه الحاجة، ولا تستطيع أن تقوم بأود كل بائس أو مسكين، ولكنها ستأخذ بيد العمال القادرين الذين لا يجدون لهم عملاً ، لا بأمدادهم بالمال ولكن بإيجاد عمل دائم لهم

إن نظام إعانة العمال العاطلين في انجلترا لم يرق روزفلت ، فأعلن أن أمريكا لا توافق على نظام الإعانات المالية بحال من الأحوال ، لاعتقاده أن إعطاء المال بدون عمل مفسدة للأخلاق

وإذا كان لا بد من المعونة فهي تعطى في حالات المرض ، ويعد بها العجائز والأمهات ذوات الأطفال

وقد أبدى روزفلت شجاعة عظيمة في تنفيذ هذا الرأي ، فاستدعى صديقه مستر هاري هوبكن وهو رجل ذكي قضى حياته في ممارسة الأعمال ، وعينه وزيراً وكلفه بإيجاد سلسلة من الأعمال العامة في البلاد ، لتشغيل العمال العاطلين من ألسكا إلى بنا ، ولم يقيده بقيود كثيرة، ولم يشترط عليه شروطاً ثقيلة، ولكنه حتم عليه أن يجعل سائر الأعمال التي يقوم بها هؤلاء العمال نافعة للدولة

وقد قام مستر هوبكن بهذا العمل بكفاية وجدارة وأوجد في الحال أعمالاً دائمة لثلاثة ملايين من العمال العاطلين . ونستطيع أن نؤكد أن هذه الأعمال على جانب كبير من الفائدة للبلاد



١ — « مناوأة الخدر والنعاس » ـ وضع الشيء موضعه

فى العدد السابق من الرسالة ختمت التعليق على محاضرة حافظ عفيفى باشا بهذه الجملة : « أما سئمتم الخدر والنعاس ؟ » . وكان غرضى التعريض بقناعة من بأيديهم أمر الثقافة فى هذا البلد بـ « الموظفين المخضرمين » مع إهمالهم الشباب القادرين المستنيرين

وأما « وضع الشيء موضعه » فيدخل تحته كلامى على دار الآثار العربية وعلى استبعاد أهل الكفاية عندنا

وعلى هذا المحورين سيدور بعض ما أنا كاتب فى هذا الباب من الرسالة ؛ وذلك بعد استئذان صاحبها وهو ممن يقصد وجه الإصلاح . ولن أطلب فيما أكتب غير الحق فلا أوثر هوًى ولا أخشى غضباً

٢ — فتور الحركة الأدبية فى مصر

من غريب الاتفاق أن يصرح الأستاذ توفيق الحكيم فى العدد السابق بنعاس الأدباء إذ يقول : « كل شيء (يعنى الكتب والتأليف) يمر فى فتور . . . العلة بسيطة ، ما من أحد فى هذا البلد يبدو عليه التحمس الملتهب لشئون الفكر والأدب . إن علة الفتور هي الأدباء أنفسهم . . . إنهم يكتبون فى الأدب وكأنهم ناعسون . إن أقلامهم لا تثير فى جو الفكر حراكاً . وهنا الفرق بين أدبائنا وأدباء أوربا »

أن يكتب الأدباء « كأنهم ناعسون » ذلك لا يقع موقع العلة ، بل ذلك مظهر من مظاهر الفتور أو قل مظهره الأسطع . إنما العلة تذهب إلى ما وراء هذا . العلة فى انطواء كل واحد من الأدباء على نفسه وتشبثه بأسلوب واحد وتهاونه بالقارئ

ترى الأديب المصرى لا يعنى بما يجرى حوله كأنه المؤلف الفرد . على أن الأديب سجلّ عصره إذ يدون مجرى التأليف ، وينبه الأذهان إلى كتاب أو منحى أو مذهب أو ظاهرة اجتماعية أو ضيق معنوى . ولربما فطن أديب إلى ذلك فإذا به فى غالب الأمر وأكثر الحال ينوه بصديق أو يقع فى عدو أو يهمل كتاباً من الكتب جهلاً بفنه أو إنكاراً لنفاسته أو اتقاء لصاحبه أو تسامياً . أما التسامى فيدل على ذهاب بعضهم بأنفسهم على كل أحد وذلك من باب الغرور ، وقصة الغرور معروفة . وأما الاتقاء فيدل على ضيق الصدر بالنقد ، ومردّ هذا إلى الحداثة فى إقبال أمّةٍ على صناعة التأليف . وأما إنكار النفاسة فرجعه إلى خفّة الثقة بالنفس وما ينشأ عن ذلك من خشية المنافسين . وأما الجهل بفن الكتاب فلتشبث الأدباء بأسلوب واحد

وتشبث الأدباء بأسلوب واحد أن ينجذبوا إلى طريقة من التأليف أو يهيموا بأدب من الآداب، فيقفوا عندهما ظناً منهم أن ما يليهما أو يخرج عنهما لا وزن له

وأما تهاون الأديب بالقارئ فلمسه فى تلك الكتب التى تخرج للناس وإن هى إلا طائفة من « المسترسلات » Essays أعنى مجموعة من المقالات اللاحقة بفن الإنشاء (بمعناه المدرسى) فلن يزال الأدب عندنا قاعداً حتى يدرك الأديب أن المقالات الإنشائية لا تسوّى كتاباً : المقالات للجمهور الضخم ، وفيه الأستاذ والبقال وفراش الوزارة ، والكتاب للقراء . ثم إن المقالات

ومن أهم هذه الأعمال وأكثرها طرافة تسخير الكتبة الذين لا عمل لهم فى عمل مراجع لجميع الأعمال الفنية فى أمريكا ، وتسخير النساء فى عمل ملابس للعمال العاطلين ، وإنشاء مسارح للممثلين والفنانين العاطلين . هذا عدا الأعمال الزراعية والمنشآت والمؤسسات التى تتطلبها البلاد . وقد أنفقت الحكومة الأمريكية مبالغ طائلة فى تنفيذ هذا المشروع ، وهى وإن كانت ترى أن إيجاد أعمال لهؤلاء يكلفها أموالاً أكثر من التى تتكلفها لو اكتفت بإعطاء المعونة المالية لهم إلا أنها تعتقد أن فى عملها هذا محافظة على كرامتهم ورعاية لأخلاقهم

تهبط بذوق القراء إذا كانوا من الناقلين وتفتُّ في نشاطهم إذا كانوا من العارفين ... الكتاب ينشر ليبقى فيما أعلم ، والمقالات لتذهب ، على الغالب . وكل ما تعده للبقاء يستلزم الروية والاجتهاد والمراجعة بل الخلق ، والخلق لا يواتيك كل يوم

إني أكره أن أوافق غيري على أن القراء المصريين لا يقبلون سوى أدب التسلية والإنشاء التعليمي . فإني — وإن عرفت جناية منهج دنلوب وأعوانه على نشاطهم الذهني — لأعتقد أن فيهم من يرغب عن الشعر الذي لا تهب فيه عاصفة ، ولا يصفق موج ، وعن النقد الآخذ بالظواهر دون البواطن ، وعن القصة المسرودة سرداً ، وعن المسرحية الباكية أو المهذّبة ، وعن المقالة العابرة كما يقال اليوم ، وإن قلتَ : أيحرمني سائرُ القراء ؟ قلت : لك ما تشاء ، ولكن الأدب لا يحيا على أيدي قارئ يفتح الكتاب ليستعين به على ركوب قطار السكة الحديدية أو على إغماض الجفن إذا كان ممن يشكون الأرق .

هذا ومن مساوئ العلة الأولى — وهي انطواء الأديب على نفسه — أن أدباءنا يعوزهم التماسك المعنوي . فهذان حادثان كريهان وقعا هذه السنة لأديبين ؛ فلم يعضد الأول إلا واحد ، وأما الثاني فمن نصره ؟ أين الغضب للفكر الحر ؟ ألا عنى أن يذكر أدباؤنا أن الفرد مستضعف .

كل ذلك يعلل فتور الحركة الأدبيــة . وجمل القول أن الكتاب لا يحدث حدثاً إلا في الندرة ، إما لإغفال حملة الأقلام له أم لدقة شأنه ؛ وأن القارئ الجد لا يكاد يصيب أدباً رفيعاً يلهج به ، وأن جمهرة الأدباء لا يضمون أصـواتهم بعضها إلى بعض حتى يحس الناس أنهم مستيقظون .

بشر فارس

حفلة تأبين الملك غازي الكبرى في بغداد

كان يوم الأحد ١٤ مايو من أيام بغداد الغر . وما أكثر الأيام الغر في بغداد ! وكانت حافلة بوفود العربية من كافة أقطارها . وكان الناس في كل ندي وقهوة ومنزل مصغين إلى صناديق الإذاعة التي لم تنقطع منذ الغداة الباكرة إلى ثلث الليل عن بث الخطب والكلمات والقصائد والمقطوعات تتخللها آيات الذكر الحكيم يتلوها الشيخة من قراء بغداد ، وعلى رأسهم القارئان الأشهران الحاج محمود عبد الوهاب والملا مهدي

أما الحفلة الكبرى التي شدت إليها الرحال ، فقد أقيمت في (بهو الأمانة) في منتصف الساعة الرابعة فافتتحها الملا مهدي بتلاوة آيات « وما محمد إلا رسول » وكان موفقاً في اختيارها ، ثم أعلن عريف الحفلة الأستاذ السامرائي مدير الدعاية والنشر أن الكلام لفخامة نوري السعيد باشا الذي رحب بالضيوف ، وتكلم عن العرب في الجاهلية ووصف ما كانوا عليه من تأخر وجهل وما صاروا إليه بعد اتباعهم محمداً من التقدم والعلم ، وعرض لوفود العراق على النبي صلى الله عليه وسلم ووصف هذه الوفادة بأنها ابتداء الصلة بين العراق والأسرة الهاشمية ، ثم تكلم عن أثر العراق في نشر الإسلام وصلتهم على الأيام بهذه الأسرة الماجدة ، وخلص إلى الكلام على الملك حسين وما قام به من أعمال وعلى ابنه وحفيده عليهم رحمة الله . ثم صرح بأن العراق سيواصل العمل في سبيل القضية العربية ، وختم كلمته برفع الشكر إلى الأمة العربية الممثلة في وفودها .

ثم قدم العريف دولة لطفي الحفار بك رئيس الوزارة الشامية السابقة الذي ألقى كلمة طيبة بيّن فيها عظم الفاجعة بغازي ، وأثر الحسين وأسرته في تاريخ العرب ، وذكر بالشكر موقف الملك غازي من الشام شماله وجنوبه ؛ وأعلن أن الشام وأهله سيبقون ذاكرين له شاكرين ، وصرح بوحدة المشاعر والأماني بين البلدين

ثم قدم سعادة حمد الباسل باشا فألقى كلمة افتتحها بذكر الاتفاق في الموضوع والفكر في الخطب كلها ، وأن ذلك يدل على اتفاق العواطف والشعور ، ثم تكلم عن ثورة الحسين وعن أسرته إلى أن انتهى إلى غازي وفيصل الثاني (الصغير بنفسه الكبير بأمته) . وأثنى على حسن اختيار الوصي وعزى العراق باسم مصر ورجا له التقدم والمجد

ثم تكلم جمال بك الحسيني مندوب اللجنة العربية باسم فلسطين فبيّن أن الكوارث تنشئ القوة وأن امتحان العراق بالنكبات لم يكسبه إلا قوة وصبراً . ووصف روعة المصاب بغازي وآلام البلاد العربيــة ولا سيما فلسطين وعمـل غازي في سبيلها ، وأعلن أنها لن تنسى عمله ولن تحيد عن مبدأ جده الأعظم الرسول المصطفى

ثم ألقى الأستاذ علي الجارم مندوب وزارة المعارف المصرية قصيدة دالية افتتحها بالبكاء على النضار الحر (فما أغنى البكاء ولا أجدى) ، وعلى النبات الذي ذوى ، وجذوة النار التي انطفأت ووصف (لوعة مكلوم الفؤاد) وذكر أنه الدهر (هو الدهر ما بضّت بخير عينه ، يجمعنا سهواً (؟) ويثرنا عمداً) وأنه لا يفرق

بين ملك وعبد ، ووصف المصاب أوصافاً عامة تنطبق على كل مصاب ، وتصلح لكل ميت ، فهدّ (على عادته في كل رثاء) هدّ العلياء ، وأطفأ نور الشمس ، وفرق الأنفس ، وأبكى الترك والمتدا (ولا تنس أن القافية دالية) . أما ما يخص به الراحل الكريم ويصفه به ، فهو أنا فقدناه ريان الشباب ، وأن شمائله تفيض مسكاً وآثاره ندا ، وأنه كان حساماً بيد الله فصارت الأرض له غمداً ، وذكر اسمه بعد فقال :

يقودهم الغازي إلى خير غاية
فأكرم به ملكاً وأكرم بهم جندا
كأن غبار السيف في لهواتهم
سلاف من الفردوس مازجت الشهدا

وجاء في القصيدة أبيات حلوة جيدة ، ولكنها على حواشي الموضوع كقوله :

لهم في سجل المجد أول صفحة كفاتحة القرآن قد ملئت حمدا
ومن كتب المجد المبين بسيفه على جبهة الدنيا فقد كتب الخلدا

ثم خاطب (حمامة وادي الرافدين) وسألها الترقق ودعاها إلى الصبر ، وتكلم عن دجلة والنيل وجاء بأبيات حلوة ثم أحس بأنه لم يقل إلى الآن شيئاً عن الملك غازي بالذات فعاد يصفه ...

مضى الهاشمي السمح زين شبابهم وأعرقهم خالاً وأكرمهم جدا
فتى تنبت الآمال من غيث كفه ! !

واكتفى بذلك ، فانتقل إلى وصف سفره إلى بغداد والقلب واجف ، وسلوكه الصحراء ، وعده الساعات وسأمه ، وأنه جاء يقضي للعروبة حقها . ثم ختم قصيدته بالسلام على غازي وعلى الذي من بعده (كما كان يقول المتقدمون ...) وقد كان إلقاؤه مؤثراً . وأسلوب القصيدة حلو سلس ، وإن كانت في غير الموضوع ، وكان في الإمكان رد معانيها إلى مواضعها من الدواوين المطبوعة ...

ثم قرأ الأستاذ بهجة الأثري المفتش في وزارة المعارف كلمة معالي الدكتور هيكل باشا الذي أعلن أسفه على حرمانه من حضور الحفلة ، ووصف أثر الأسى في جمع القلوب ، وبين أن العرب كلهم أسرة واحدة كان الفقيد من أقطابها وإن الفاجعة فيه عظيمة ، إذ فقده شعبه ملكاً ، وفقد ابنه أباً براً . وتكلم عن اتجاه العراق إلى الوحدة العربية ، واستشهد بحديث له مع فخامة نوري السعيد باشا ، ثم بين رجاء العرب في العراق ومليكه الجديد ، ومشاركة مصر إياه في آماله وآلامه

ثم قرأ طالب مشتاق بك طائفة من البرقيات الواردة من رفعة النحاس باشا من مصر ، وسعادة الدكتور شهبندر من دمشق ، والمشهاوي بك ، وخليل ثابت بك ، والأستاذ خليل مطران من مصر ، وعصبة العمل القومي من دمشق ، والأستاذ صبري العسلي ، ومعالي شكري بك القوتلي .

ثم ألقى الأستاذ الشيخ يوسف الخازن كلمة لبنان ، فبين أن روابط الجهاد تؤلف بينه وبين العراق ، وذكر فضل البيت الهاشمي على العرب ، وأن قد (تحدث به الركبان في الحل والحرم !) ووصف شباب غازي وضمن كلامه أبياتاً في الشباب ، ووصف جماله وذكر أن الله جميل يحب الجمال ... وبين موقفه من الفتنة الأثورية بكلام كله استعارات ومجازات وتضمينات شعرية ... وشبه غازي بهنري الرابع الذي وصفه شاعر بأنه أخذ الملك بالارث وبالفتح معاً ؛ وشبه فيصل الصغير بلويس الرابع عشر الذي ولي الملك صبياً ورجا له مثل أيام لويس ، وكانت كلمته حافلة بالمعاني ، وفيها وصف للفقيد .

ثم ألقى السيد بهاء الدين طوقان قصيدة الشاعر الشيخ فؤاد باشا الخطيب وهي لامية أولها (الذكر باق والعروش تزول) وصف فيها نشأة غازي في أرض الحرم ، ونخوته ونفسه الأبية ، ووصف حياته بأنها حلم أعقبه حيرة وذهول ، ووصف حزنه على الفقيد ، وتمنى أن يكون له مزامير داود ليرثيه ولكنه عاجز ، ووصف عيه وعجزه وتمدح بأنه الطليق الحر ، ولكنه غدا اليوم مقيداً . والقصيدة قصيرة أشبه بمقطوعة من شعر الخطيب منها بقصائده الطوال .

ثم ألقى مندوب الأزهر كلمته فافتتحها باسم الله ، وانفرد بهذا الافتتاح المبارك دون سائر خطباء الحفلة ، وبين أن للحياة مراحل أربعاً كل واحدة أوسع من التي قبلها وأطول مدة ، وهن حياة الجنين وحياة الدنيا وحياة البرزخ وحياة الخلد في النعيم أو الجحيم . وتكلم عن الوحدة الإسلامية وأنها في وسائل السلام العام ، وبين مبلغ الفجيعة بغازي والأمل في فيصل ، ودعا إلى القوة ونفي اليأس . وكانت كلمة طيبة ولكنها كانت أشبه في مفتتحها ببحث علمي منها بخطبة تأبينية

ثم ألقى الأستاذ أكرم زعيتر من فلسطين كلمة حماسية قوية وصف فيها جهاد فلسطين ، وتكلم عن اهتمام المليك الراحل بقضيتها ، وعرض صورة خيالية مؤثرة لليالي المليك التي أحياها

مفكراً في فلسطين وتوهم حديثاً بينه وبين أهله ، واستنجد العراق باسم فلسطين ، وطلب لها انتداب العراق وحمايته[1] ؛ وذكر أن الأمل في فيصل الصغير ، ومدح حكومة العراق وشعبه .

ثم ألقى الأستاذ سليمان الأحمد (بدوى الجبل) قصيدة دالية بدأها بعبور خيالية ، وصف فيها مصرع الشمس ، وجعل حمرة الفجر مقتبسة من دم غازي . ووصف عرس الجنان ، وسدرة المنتهى . ثم وصف كيف ضمت الأم فتاها الشهيد وصور روعتها وحنانها ، ووصف بغداد (دنيا الرشيد ، تفنى الحضارات ، وتبقى كالدهر دنيا الرشيد) ، وكيف لاحت فهتف الهاتفون فجنت السيوف ، وانتخت في الغمود) ، وانتقل إلى ذكر غازي :

وتجلى غازى فكبرت الدنيا وقال الجلال هل من مزيد

ويمناه راية الوحدة الكبرى فيدي يا راية الله ميدي

ووصف عيد المليك ، وصوّر المهرجان في دمشق ، وما أعدت له من زهر النوطة وعطورها . ثم ذكر كيف كان ذلك كله خلناً وانطوى (فمن رأى النسر بادرته المنايا ، فهوى وهو ممعن في الصعود) . وبين روعة الشام للجلال الحادث :

أشفقوا أيها النعاة على الشام ولا تجهروا بنجوى البريد

فربما كان كذباً ، ربما كان اختلاقاً . ثم تحقق الخبر ، ولم يبق من شك فسألهم أن (أذيعوه يرجف البر والبحر ، واحملوه إلى ابن حمدان، وألموا بخالد وأمية وغسان ... ثم انتقل إلى ذكر الملك الطفل فجعل له :

تاج بغداد والشآم ولبنان وبحر للروم طاغ عنيد

أيها البحر بعض تيهك لست للروم (أنت للملك نضار بتاجه المعقود)

أيها البحر أنت مهما افترقنا ملك آبائنا وملك الجدود

وبين أنه : (هاشمي الهوى أحب فا داري ، وعادي على هواهم وعودي) — وكانت القصيدة على الجملة أحسن ما ألقى في الشعر في هذه الحفلة ، وإن كانت في أسلوبها دون الجارمية وقد اختتمها بذكر الوحدة :

ليس بين العراق الشام حد هدم الله ما بنوا من حدود

ووصف جيش العراق الذي يغزو قبة الفلك ... وتسجد له الدنيا . . . وجعل الشام في ذمة الوصي على عرش العراق وذمة العراق . . .

ثم ألقى الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة الجامعة المصرية فوصف كيف شجاها الخطب ، وبين التعاون بين القطرين على بناء المجد ، وذكر روعة الخطب وعظمة ، ولكننا أعظم منة لأننا بنو الشدائد ، وعرض إلى عبرة الخطوب وثمراتها في جمع الكلمة والوحدة، وأعلن أن هذا المصاب مصاب المسلمين كلهم ، وختم كلته بمقطوعة شعرية جيدة ، بين فيها أن الرخاء بعد الشدة، وأن البدر يبزغ من بين الغيوم ، وأن ضحك الأرض من بكاء السحب، وبعد غيض الماء فيض دجلة ، وأن في كل خطب للفراتين دعوة إلى المجد والقوة والحياة . وكانت كلمة طيبة بالقاء أطيب .

ثم ألقى الأستاذ الشريقي قصيدته فافتتحها بوصف حزنه ، ونضوب دمعه ، وأثر الحزن في دجلة :

وما الحزن إلا ما ألم بدجلة ففاضت دموعاً فهي تندب غازيا

وجعل غناء الأطيار مراثياً ، والأقمار تبكي مؤملاً : أطل على الدنيا هدى وأمانيا . ووصف غازى وصفاً مجملاً :

فلله من أدى الأمانة حقها ووهّج للضوء الذي كان خابياً

وأنه تمرس بالأخطار ، وأنه فتى الأمل المزهو ، وأنه خير من قاد العتاق المذاكيا ، وأنه هو الفجر إشراقاً ، وله الهمة القعساء ، وطلب لقبره سقيا الغيث :

ويا لشهيد المجد حياه هاطل من الغيث لم يبرح على القبر هاميا

في أوصاف هذا سبيلها ، ثم عرض للأمل ببغداد وأنها :

تواثب دهر العرب حتى ترده وقد كشفت عنه الأذى والعواديا

والقصيدة من باب الجارمية وإن كانت لا تحمل مثل أسلوبها وليس لها سلاستها وحلاوة ألفاظها

ثم ألقى الشاعر اللبناني الأستاذ شبلى الملاط قصيدة وصف فيها الفاجعة بغازى أحسن وصف ، ولكنه لم يملك ناصية الأسلوب ولم يستطع أن يجعل ألفاظه كمانيه فهو على الضد من الجارم ، وانتقل من وصف الفاجعة التي حدد تاريخها وصور دقائقها إلى الكلام على فيصل :

بدر العروبة وابن عم محمد نسباً وأعرق دوحة ميلادا

وأعاد أيام الرشيد وتاجه واستصرخ المجد القديم فعادا

(1) مع أن مما يجب أن يعلم أن الحماية والانتداب والوصاية ألفاظ مترادفات معناهن الظلم (وظلم ذوى القربى أشد مضاضة) ، وأن الوحدة العربية المنشودة ليست وحدة الفتح وسيطرة قطر عربي على آخر ، ولا هي انضمام حكومة من الحكومات العربية القائمة اليوم إلى أخرى وتبعيتها لها وإنما هي اتحاد أو وحدة على أساس المساواة والأخوة . أما الانتداب والحماية والوصاية فشر كلها وشر منها أن تأتى من الأخ القريب ، وهذا معنى يحتاج إلى زيادة بيان في فصل مستقل بنفسه

ثم انتقل إلى غازي ووصف أخلاقه وأنه يلين عند اللين ويشتد عند الشدة:

وتثور ثورة نفسه إن حاولت أيدي الغريب لقومه استعبادا

ثم وصف فلسطين وأطال ثم خلص إلى الكلام على نصرة غازي إياها، وعرض لذكر فيصل الصغير وندائه أباه، وتفتيشه عنه في سريره، وذكر عبد الإله والعراق ولم ينس أن يتحدث عن نفسه وأن يتشبه بـ ... هوميروس!

ثم ألقى الأستاذ اليعقوبي قصيدة طويلة جداً ليس في مبناها ولا معناها ولا إلقائها ما يذكر بالجودة. يقول فيها:

أبا فيصل أحبب بها لك كنية ورب رجال لا تحب كناها

وجاء فيها (وأسفرن ربات الحجال) على لغة (أكلوه البراغيث)، وجاء فيها: (ولا مرحباً في نهضة أو قضية إذا كنتم لا تحملون لواها)، وكان خيراً لو ختمت الحفلة بشبلي الملاط. ثم ختم الحفلة فخامة رئيس الوزارة العراقية بالشكر والدعاء

« بغداد » (ع. ط)

جمع الباسل

قال فاضل مشهور في قصيدة في هذه الأيام:

طرحنا رداء اليأس عنا بواسلاً وإن هزنا يوم العراق وإن أدّا

لجمع (باسلاً) على (بواسل) والبواسل للباسلة، لا للباسل، ولهذا البُسْل — كالبُزْل — والبسلاء[1]، وفي الصحيح الباسلون. قال (الكتاب): « وإذا لحقت الهاء فاعلاً للتأنيث كسر على فواعل، وكذلك إن كان صفة للمؤنث ولم تكن فيه هاء التأنيث وإن كان فاعل لغير الآدميين كسر على فواعل وإن كان لمذكر أيضاً[2] وقد اضطر فقال في الرجال وهو الفرزدق:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار »

وقد شذت شاذات ذكرها الصحاح والتاج. قال الأول: « أما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه — أي على فواعل — إلا فوارس وهوالك ونواكس، فأما فوارس فلأنه شيء لا يكون في المؤنث[1] فلم يخف فيه اللبس، وأما هوالك فإنما جاء في المثل تجري على الأصل لأنه قد يجيء في الأمثال ما لا يجيء في غيرها، وأما نواكس فقد جاء في ضرورة الشعر » وقال الثاني: « قد جاء أيضاً غائب وغوائب، وشاهد وشواهد، وفارط وفوارط، وخالف وخوالف »

وإن قال أدباء بسلاء: (إن بواسل كفوارس شيء لا يكون في المؤنث فلم يخف فيه اللبس) فجواب هذا القول عند (الغريبات المصريات) البواسل . . .

***

(1) في المخصص: « قال أبو زيد: الباسل الشجاع كأنه بسل على قرنه أي حرم والبسل الحرام، والجمع بسلاء وبسل » وذكر اللسان والتاج الجمين، ولم يورد الصحاح إلا البسل وبسيل مثل الباسل يا أبنا العرب

(2) لأنه لا يجوز فيه ما جاز في الآدميين من الواو والنون فضارع المؤنث ولم يقو قوة الآدميين (سيبويه)

(1) في اللسان. قال ابن سيدة: لم نسمع امرأة فارسة

محاضرة هامة في جمعية المهندسين الملكية

ألقى الأستاذ الدكتور محمد محمود غالي من مصلحة الطبيعيات محاضرة عن الأشعة الكونية حضرها كثير من المهندسين والعلماء يتقدمهم صاحب المعالي محمد شفيق باشا وزير الأشغال السابق ورئيس الجمعية الذي اهتم بموضوع الأشعة منذ العام الماضي عند ما طرح الدكتور غالي بدار الجمعية أبحاثه القيمة عن طمي النيل، فطلب منه أن يحاضر زملاءه المهندسين عن أحدث ما يعرفه في العلم التجريبي

والدكتور غالي محاضر ممتاز بتبسيط المواضيع العويصة وبمهارة التحليل العلمي وقوة الاستنتاج وعظمة الاستقراء.

والرسالة تقدم لأحد أفراد أسرتها التهنئة لما يصادفه في جميع محاضراته من نجاح



٥ـ في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

كان يصح أن أجعل موضوع حديثي اليوم ما أفضى به إلىّ طالبٍ بالسنة التوجيهية بإحدى مدارس وزارة المعارف بالقاهرة، فقد جلس الطالب إلى جانبي في بعض مراكب « الترام » وجعل يشكو إلىّ (على غير علم بأني ناقد كتاب البخلاء) من أنه قد يعرض للطلبة توقف في فهم بعض أغراض الشارحين للكتاب فيبدو لهم أن يناقشوا أستاذهم في ذلك، فيوصد باب التفاهم معهم بقوله: إذا قال الجارم بك وجب الإذعان. وهكذا يميت الأستاذ في نفوس طلابه حب البحث ومعالجة الحقيقة بكلمة لعله يرجو أن تصل إلى صاحبها فتكون شفيعاً له. ولكن ما أدناها من شفاعة إذا كان الأستاذ يعلم صواب ما يريد طلابه مناقشته فيه فيحتجنه عنهم ابتغاء مرضاة رئيسه.

ولكنا نعود إلى عملنا في نقد الكتاب راجين من حضرات المدرسين بالسنة التوجيهية، وهم الذين يدرسون للطلاب هذا الكتاب ويعدونهم للامتحان فيه بمناقشة معانيه وتوجيه مراميه راجين منهم أن يزنوا كلامنا حتى إذا آمنوا بصدقه عادوا إلى طلابهم فصححوا ما كانوا قد مروا به من سقطات الكتاب ليؤدوا بذلك أمانة العلم كاملة إلى طلاب لا لوم عليهم إذا قبلوا حقائق تقول وزارة المعارف إنها محصتها فارتضتها غذاء لعقولهم.

ص ٩١ يقول خالويه المكدي لابنه:

« ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين، ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالآباء، لأني لم أبالغ في محبتك »

هكذا أورد الشارحان كلمة « محبتك » وعلقا على الجملة بقولهما: (ولست أرضاك) أي لسري وثقتي. (وإن كنت فوق البنين) أي فوق أبنائي منزلة. (ولاحقا بالآباء) أي لأنك كبير السن. (لأني لم أبالغ في محبتك) لأني لم أجاوز الحد في تقدير محبتي إياك

وهذا التفسير خطأ في ذاته ينقض آخره أوله؛ إذ كيف يجعله أولاً فوق البنين ثم لا يكون مبالغاً في محبته! وهل فوق محبة البنين محبة؟!

كان يكفي هذا التناقض لعدول الشارحين عن شرحهما وبحثهما عن تصحيف أو تحريف لعله يكون قد وقع في الجملة، ولكنهما لم يفعلا وقبلا هذا التناقض في سطرين متوالين من شرحهما

والذي أراه أن كلمة « محبتك » مصحفة عن كلمة « محنتك »، والمحنة الاختبار. فيكون الذي منع الوالد من أن يجعل ابنه موضع سره ليس نقص محبته ولكن نقص تجربته له

أما كون الأب لم يجرب ابنه فذلك معقول، جائز خصوصاً إذا كان الأب كخالويه هذا قضى حياته موكلاً بفضاء الأرض يذرعه

وفي الصفحة عينها يقول خالويه هذا متحدثاً عن ماله:

« ولم أحمد نفسي على جمعه كما حمدتها على حفظه لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس »

والمعنى في ذلك واضح، فهو يقول إن بعض هذا المال صار إليّ من غير تعب أو محاولة في جمعه، كأن صار إليه من هبة أو ميراث، فلا يكون له فضل في الحصول عليه. ولكن الشارحين يقولان في معنى الجملة الأخيرة: « لأني لم أسلك في جمع بعضه طريق الحكمة والحزم.

وهذه عبارة ناطقة بأنه سلك في جمع هذا البعض طريقاً غير طريق الحكمة والحزم

في ص ١٠٦ يصف الجاحظ رجلاً بأنه عضب اللسان عارف بالغامض من الأمور فاهم للدقيق من المحاسن لا يسكت على عيب

في الناس إلا ندّد به وشهّر ، ثم يقول عنه بعد ذلك :

« وإن ثريدته لبلقاء إلا أن بياضها ناصع ، ولونها الآخر أصهب . ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين »

فيقول الشارحان بعد أن فسرا البلقة بأنها بياض وسواد أو بياض وحمرة : ويظهر أن هذا التلون في الثريدة يكون من قلة الدسم أو رداءة المرق وقلته ، حتى ليكون بعض الثريدة مشبعاً به وبعضها ليس كذلك . اهـ

والظاهرة العجيبة في هذا الشرح أن الشارحين يذكران فيه شيئاً غير معقول لأحد، حتى لهما أنفسهما، ذلك أنهما ينسبان هذا التلون في الثريدة إلى قلة الدسم ، فكيف يتصوران هذا ؟ لا شك أنهما فرضا هذا الدسم صبغاً كصبغ الحيطان أو صبغ البيض في شم النسيم ! حين ذاك حقيقة تكون قلة الدسم كافية لأن يظهر بعض الثريدة بلون الخبز الأصلي وهو البياض ، وبعضها وهو الذي ناله الصبغ يكون من نصيبه تلك الصهبة ، كذلك تعليلهما هذا التلون بقلة المرق أو رداءته . وما ندري كيف جاز هذا في رأيهما ولم يقل به طاه ولا طاهية ؟

إن الذي يصح أن يفهم من اختلاف لون الثريدة أن الرجل كان يقدمها إلى ضيفانه وقد كسى بعضها باللحم وترك جانب منها لا لحم عليه ، فظهر هذا أبيض ناصعاً بلون الخبز ، وذلك أصهب بلون اللحم . ويكون ذلك عيباً كبيراً ومسبة شنيعة في كرم الرجل لأنه لم يجر على عادة الناس من تغطية جميع الثريدة باللحم . فإذا كان قد زاد على ذلك أنه جعل ما يليه من الثريدة هو المغطى باللحم يكون قد ارتكب إلى جانب البخل رذيلة أخرى هي رذيلة الأثرة على من يجب نحوهم الإيثار

ويؤنسك بهذا المعنى قول الجاحظ تلو هذا الكلام: « وكنت قد هممت قبل ذلك أن أعاتبه على الشيء يستأثر به ويختص به ... فلما رأيت البلقة هان على التحجيل والغرة »

يريد أنه كان يرى من هذا الرجل استئثاراً بالشيء دون جلسائه ، ولكن ذلك يكون خفي الموضع ليس في شناعة تمييزه لنفسه على الخوان بجعل الثريدة التي يأكل منها على حال غير التي يجعلها أمام الناس من مضار مائدته ، فلما رأى منه ذلك لم ير وجهاً لنصحه لأنه لا يقدم على هذا إلا مصر غير مبال بذم الناس ونقدهم

ص ١٠٩ يقول الجاحظ للحزامي وقد اتهمه بالإسراف وتضييع الحزم حين رآه يلبس من ملابس الشتاء قبل إبانه :

« وأي شيء أنكرتَ منا منذ اليوم ». فيعلق الشارحان على قوله « أنكرت » بقولهما : أي جحدت واستقبحت من أمرنا

وقد جمعا في التفسير بين معنيين متضاربين فإن الجحود ادعاء جهل الشيء مع علمه وهو لا يلتقي مع الاستقباح ، إذ هو إعلان الرأي بقبح الشيء

والواقع أن الإنكار يفسر بالمعنيين ، ولكن ليس يلزم من هذا أن يفسر بهما معاً في مقام واحد . فالمراد هنا هو المعنى الثاني فقط وهو الاستقباح ، فأما الجحود فلا محل له كما هو واضح من مقام الكلام

وقد وقع الشارحان في هذه الغلطة نفسها في ص ١٢٩ حين أورد الجاحظ وصف الجارود لطعام عبد الله بن أبي عثمان فقال : « يُعرَفُ ويُنكَر » . فقال الشارحان في التعليق على ذلك : ينكر من الإنكار وهو الجحود والمراد يُحَبُّ ويُكرَه . فجمعا في التفسير اللغوي وبيان المراد بين المعنيين وهما الجحود والاستقباح لأن مقصودهما من قولهما « يُكرَه » إنما هو أنه مستقبح . فبان من ذلك استساغة الشارحين للمعنيين معاً وجمعهما في تفسير كلمة الإنكار حيث وجدت ، مع أنها إذا فسرت بأحدهما امتنع تفسيرها بالآخر في نفس المقام . وهذا ظاهر

ص ١١٤ يحكي الجاحظ عن الحزامي :

« كان يقول : أشتهي اللحم قد تهرأ وأشتهي أيضاً الذي فيه بعض الصلابة

وقلت له مرة : ما أشبهك بالذي قال أشتهي لحم دجاجتين »

فيعلق الشارحان على قوله : « وقلت له مرة » بقولهما : أي لما قال أشتهي اللحم .. وكان مقتضى الظاهر أن يقول فقلت له. اهـ

يتعب الشارحان أنفسهما في محاولة ربط الكلام بعضه ببعض ولكنهما في سبيل ذلك يعدلان عن صواب إلى خطأ ويحملان اللفظ ما لا يحتمله من المعاني ، ويتقولان على القائل ما لم يقل ، أو يستظهران ما لا داعي إلى استظهاره . ومن ذلك قولهما هنا : كان مقتضى الظاهر أن يقول فقلت له (أي بدل وقلت)

ونرى أنه لا داعي لهذا فإن عبارة الحزامي « أشتهي اللحم الذي قد تهرأ » كانت محيّرا ، ومن لوازمه المأثورة عنه فقال له الجاحظ في مرة من المرات التي كان يرددها فيها : ما أشبهك الخ .



حياة الرافعي

تقرير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وفي ص ٥٧ نكتة من الأسلوب أظنها تريد أن تلقي في ذهن القارئ أن الرافعي ترك الشعر إلى النثر لأنه عجز عن الصياغة الشعرية . يقول المؤلف : « فما أراه كان يقول ذلك — يعني قيود الشعر — إلا تعبيراً عن معنى تأبي كبرياؤه الأدبية أن يصرح به ، وفي رأيي أن الرافعي لم يقصر في مضمار الصياغة الشعرية وإنما كان ترك الشعر نتيجة لما تصدى له من فنون الأدب . فالشعر لا يتسع لأكثر من الخواطر السريعة والخلجات النفسية القصيرة ، على حين قصد الرافعي إلى الفلسفة والتطرق إلى بواطن المشاعر والوجدانات ، ولو أنه نظم فلسفته في الجمال والحب لما استساغ ذلك إنسان ، وفي رسائل الأحزان وأوراق الورد شعر جيد قد لا يتفق لغيره ممن اشتهروا بالشعر دونه . فأداة الرافعي في الشعر لم تكن عاجزة ولا قاصرة . ولكن تدفق عاطفته وغزارة خواطره وعمق فلسفته هي المسئولة عن هجره الشعر . ثم ألم يكن من الخير للعربية أن يتجه الرافعي إلى النثر ؟

ويرد المؤلف (ص ٦٧) تقديم شوقي لنشيده بعد أن طلبه إليه ذلك وإحجام حافظ ، إلى إباء في طبع هذا وحرص في طبع ذاك على أن يقال في كل مناسبة قال شوقي . ولو كان الأمر كذلك لقدم شوقي نشيده من أول الأمر . والحق أنه استكبر أن يتقدم في مسابقة مع صغار الشعراء ، وأنف من أن يضع شعره موضع الامتحان ؛ فلما وعد بأن نشيده هو الفائز تقدم به ، أما حافظ فكان عضواً في اللجنة ، وعلى ذلك فهو يعرف اتجاهها

والدليل على ذلك قول الجاحظ : « وكان يقول » ولو كان قد قالها مرة واحدة كما ظن الشارحان لقال : « وقال مرة » فتكون ملاحظتهما جائزة .

فبان أن الخروج عن مقتضى الظاهر لم يكن من الجاحظ وإنما كان من الشارحين

ص ١١٥ يروي الجاحظ قصته فيقول :

« وكنا عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس فقسمها بيننا ، فكل ما أخذ منها الحزامي أعطى غيره » . فيضبط الشارحان كلمة كل بالضم ويعلقان على الجملة بقولهما : « أي جميع الذي أخذه الحزامي من هذه الزقاق فرقه على أصدقائه . فمفعول أعطى الثاني محذوف »

وهذا الضبط خطأ ويتبعه خطأ الإعراب أيضاً ، والواجب ضبط الكلمة بالفتح فتكون مفعولاً ثانياً مقدماً لأعطى . والقاعدة أن الفعل إذا كان يطلب مفعولاً فما دام في حيزه ولا مانع من وصوله إليه لم يجز منعه عن العمل فيه . وعلى هذا يكون تقدير الجملة أعطى الحزامي غيره كل ما أخذ من الزقاق

(ملاحظة) : سنراعي جانب الإيجاز البالغ فيما بقي من المآخذ على الكتاب . وربما انتهينا من ذلك في مقال أو اثنين لأننا نعتقد أن على الرسالة حقاً لقرائها في تنويع القول وتلك هي سنتها معهم

محمود مصطفى

نحو نشيد شوقي فلم يتقدم حفظاً لكرامته

وخرج المؤلف من فصل « شيوخه في الأدب » بالنتيجة الصحيحة التي لا يتطرق إليها الباطل ، من أنه ليس للرافعي في الأدب شيوخ ، وإنما هو فريد في فنه وفي أسلوبه ، وإنه في ذلك مبتكر لم ينسج على منوال أحد . ولكن ما دام الأستاذ قد حاول أن يصل إلى بعض من أثروا في أسلوبه ، ألا يجد شيئاً من ذلك في حبيبته « فلانة » . ثم ألا يجد الأستاذ بعض الدليل على ذلك بالموازنة بين أسلوبه وبين أسلوبها في كتابها الذي نشر قبل رسائل الأحزان بقليل ؟ ثم ألا يكون ميلها إلى المعاني البكر والديباجة المشرقة بعض ما وجهه في فنه البياني هذا الاتجاه ؟

في ص ١٤١ يقول المؤلف إنه لما غضب الابراشي باشا من الرافعي نشر قصيدته في مدح جلالة الملك فؤاد جنباً إلى جنب مع قصيدة « الأستاذ عبد الله عفيفي المحرر العربي بديوان جلالة الملك » . والصواب أن الأستاذ عبد الله عفيفي لم يلحق بمعية جلالة الملك إلا بعد هذا التاريخ، وإنما كان حينئذ يشتغل بالتدريس. وظل يشتغل به إلى ما بعد نشر مقالات على السفود في نقد قصائده

وحاول المؤلف عند الكلام عن نسخة الرافعي الخاصة من كتاب « كليلة ودمنة » أن يعدد ما كتبه الرافعي من هذه الفصول. فعد ثمانية فصول في كتاب « تحت راية القرآن » . ثم قال إنه أهمل هذه النسخة الخاصة من كليلة ودمنة إلى سنة ١٩٣٣ عندما دارت المعركة حول «وحي الأربعين» . فنشر الفصل التاسع وهو « الثور والجزار والسكين » . والصواب أن الرافعي عاد إلى تلك النسخة قبل ذلك بكثير ، فقد نقل عنها فصلين على ما أذكر في « على السفود » . وقد كتبت هذه المقالات في سنة ١٩٢٩ . وجاء فيها حكاية (حبة القمح وحجر الطاحون) ، وحكاية البعوضة والنطاط (زبلن) ، وعلى ذلك فهما الفصلان التاسع والعاشر من كليلة ودمنة الرافعي . ثم عاد الرافعي إلى هذه النسخة ثانية عند ما كتب « أوراق الورد » الذي تم طبعه في ١٩٣١ ، ففي ص ٢٢٩ و ٢٣٠ من هذا الكتاب حكاية « الغزال والأسد » وهي الفصل الحادي عشر من نسخة الرافعي من كليلة ودمنة ، وهي حكاية طريفة أدارها على بعض ما كان بينه وبين حبيبته فلانة ، وأشار في هامش الكتاب إلى أنها فصل من كليلة ودمنة ووعد بإتمام فصول الكتاب . وعلى ذلك تكون حكاية « الثور والجزار والسكين » هي الفصل الثاني عشر لا التاسع من كليلة ودمنة الجديد

هذه ملاحظات عنت لي في أثناء قراءة الكتاب ، وهي لا تنقص شيئاً من قيمته التي قدمت من خبرها في صدر المقال .

ولا أختم كلمتي قبل أن أهنئ الأستاذ سعيداً على توفيقه في هذا الكتاب الفذ . وقبل أن أنوه بتلك الفصول القيمة التي كتبها عن « رسائل الأحزان » و « السحاب الأحمر » و « أوراق الورد » ، وهي فصول لم يكتب على منوالها في التعريف بالكتب .

وأظن القارئ في حاجة إلى أن يعيد قراءة هذه الكتب على ضوء تحليل الأستاذ سعيد مهما كان قد أطال فيها النظر والدرس قبل ذلك

أبو الفتوح رضوان

7me Année No. 308

Lundi - 29 - 5 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٠٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٩ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

البلاغة من لوازم القوة

من سنن الله فى الناس أن البلاغة تلازم القوة فلا تنفك عنها إلا فى النُّدرة. والمراد بالقوة قوة الروح لا قوة العضل؛ فإن قوة العضل مظهرها قوة الحركة؛ أما قوة الروح فمظهرها قوة الكلمة. فكلما قويت الروحية فى المرء قويت الفكرة؛ وكلما بلغت الإنسانية فيه بلغ البيان. وليس من السهل تعليل سطوع النفس وإشعاع الروح بالمنطق البيِّن، فإن ذلك لا يزال فوق الفهم ووراء المعرفة. وحسب المدارك المحدودة أن تقف لدى الظواهر والآثار فتحكم بالاستقراء وتبنى على الواقع. والواقع أن قوىّ الرجولة بليغ الكلام ما فى ذلك شك. كأنما قوة الحيوية فى الرجل تستلزم قوة الشاعرية فيه. ومتى أشرق المعنى فى الذهن النفاذ، وتمثل الخيال فى الخاطر المجلو، أوجبت الطبيعة بروزها فى المعرض الرائع من وثاقة التركيب وأناقة اللفظ وبراعة الإيجاز.

أولئك على والحجاج وطارق؛ وهؤلاء الإسكندر وقيصر ونابوليون؛ وأولاء هتلر وموسوليني ومصطفى كمال! كلهم كانوا مُثُلاً عالية فى شجاعة القلب واللسان، ومضاء السيف والقلم، ونفاذ الرأى والعزيمة، وسمو الفكرة والعبارة. أجادوا القول فى الخطبة كما أجادوا الفعل فى المعركة، وحذقوا السياسة فى السلم كما حذقوا القيادة فى الحرب، وأحسنوا مناجزة العدو بشدة البأس

الفهـــرس

كما أحسنوا مناغاة الحبيب برقة الغزل؛ فلا تدرى أتجعلهم فيمن جرى على أيديهم أدب الموت، أم فيمن جرى على ألسنتهم أدب الحياة. والرجل القوى يغلب عليه من الألقاب والصفات ما تغلّبه طبيعة عمله. فهو قائد أو سياسى أو مصلح أو كاتب أو شاعر على حسب ما تتجه إليه قواه وميوله من الحرب أو الحكم أو الخير أو الجمال. فخالد ونابوليون، ومعاوية وبسمرك، والجاحظ وفلتير، والمتنبى وهوجو، لا يختلفون فى عبقرية الرجولة وإن اختلفوا فى دلالة اللقب. والنبوغ فى هؤلاء جميعاً لا يكاد يتفاوت فى قيمته ودرجته؛ وإنما يتفاوت فى شهرته ونفوذه تبعاً لاتصاله بالعامة كالزعيم، أو اعتماده على القوة كالقائد

* * *

قد تقول إن النابغ ممتاز فى أكثر صفاته لأنه منتخب الطبيعة ومختار القدرة؛ ولكنى أقول لك إن البلاغة تلازم القوة حتى فى الأوزاع والهمج. فالرجل الماضى القوى الروح الكبير النفس الصارم الإرادة تجده قويم الفكرة، بليغ الجملة، قوى الجدل؛ ومثل هذا فى المدينة أو فى القرية يكون دائماً موضع المشورة فى الأزمة، ومقطع الحكم فى النزاع

وازن بين عصر وعصر فى الأدب، أو بين أديب وأديب فى الأسلوب، تر الفرق بينهما إذا حللته لا يخرج عن قوة الرجولة فى هذا وضعفها فى ذاك. فعصر الجاهلية عند العرب واليونان، وعصر الفتوح عند المسلمين والرومان، وعهد الفروسية عند الفرنسيين والطليان، كانت أزهى عصور البلاغة، لأن الرجولة كانت فيها بفضل النزاع والصراع فى سبيل الحياة والغلبة والمجد والمرأة أشد ما تكون تماماً واضطراماً وقوة. فلما قتل الترف الرجولة، وأذل العجز النفوس، زهقت روح الفن وذهبت بلاغة الأسلوب، وأصبح أدب الأديب سخفاً وزيفاً وثرثرة

لماذا يقوى الأدب فى الثورات والحروب؟ لأنها أثر ليقظة الشعور، ومظهر لحياة الرجولة!

لماذا قلّ الأدب فى العبيد وضعف فى النساء؟ لأن الروح الشاعرة ماتت فى إرادة العبد، والنفس المريدة فنيت فى شعور المرأة!

* * *

أرجو ألا تفهم أنى عنيت بقوة الأدب ما كان موضوعه شديداً كالحرب، وبضعفه ما كان موضوعه ليناً كالحب؛ فإن ذلك معنى لا يتجه إليه الذهن الباحث. وأى فرق تراه بين سفر أيوب الباكى، ونشيد الأناشيد الغزل، وإلياذة هوميروس الحماسة، فى قوة الروح وفحولة الفن؟ إن القوة الروحية الشاعرة التى تخرج الأنشودة للجندى هى نفسها التى تخرج الأغنية للعاشق والمرثية للحزين. ولا يجوز أن تفرق بين هذه القطوعات الثلاث إلا على الوجه الذى تفرق به بين آية من القرآن فى وصف النار وبين آية أخرى فى وصف الجنة. إنما عنيت بالأدب القوى ما صدر عن قوة الروح وصدق الشعور وسمو الإلهام وألمعية الذهن فدق معناه وصدق لفظه واتسق أسلوبه؛ وبالأدب الضعيف ما انقطع فيه وحى الذات عن آلة الفن، واحتجبت فيه صور الحياة عن مرآة الذهن، فهو تقليد قرد، أو ترديد صدًى، أو شعوذة مهرج!

* * *

إن الأدب البليغ كامنٌ فى البطل على أى صورة كان. فهو إن أنتجه برّز فيه، وإن لم ينتجه شجع عليه. لذلك ازدهر الأدب فى ظلال أغسطس وبركليس والرشيد وسيف الدولة. وما دام كبراؤنا لم يخلقهم الله من الأبطال ولا من عباقرة الرجال فهيهات أن ينتجوا الأدب أو يفهموه أو يحبوه أو يعضدوه أو يقدموا أهله. وسيظل هذا النور الضئيل من الأدب القوى الحر محصوراً فى ظلام العمى والجهل حتى تقوى الأمة فينتشر، وينبغ فيها القادة فيزدهر. وسيعيش رجاله القلال المخلصون معتكفين فى المكاتب اعتكاف النساك فى الصوامع، يتلونه على بصر الطبيعة، وينشدونه على سمع الزمن، حتى تقوى دولة الحق والجمال فيجلسوا فى الصدر ويعشوا فى المقدمة!

احمد حسن الزيات

في أربعين الملك الشهيد غازي

بني قومنـــا !

للدكتور عبد الوهاب عزام

ممثل جامعة فؤاد الأول في حفلة التأبين التي أقيمت ببغداد

أيها السادة!

أقوم بينكم مبلّغاً رسالة الجامعة المصرية مديرها وأساتذتها وطلابها المصريين والعراقيين وغيرهم. هذه الجامعة التي شجاها ما شجا معاهد العلم بالعراق من هذا الخطب الجلل والرزء العمم.

تشارك جامعة فؤاد الأول معاهد العلم العراقيــة أحزانها، وتحتمل معها آلامها، وتناشدها أن تعزى معها الأمة العربية كلها وتثبتها في مصابها؛ فإن العلم الذي يهدى الأمم طريقها وينير لها في ظلماتها، حرىّ أن يثبتها في خطوبها، ويعصمها في محنها.

يا إخوتنا لا أبغى إثارة الشجن فما أيسر إثارة الأشجان والمصيبة فادحة، والقلوب دامية؛ ولا أريد استدرار الدمع فما أهون استدرار الدمع والرزء جليل والنفوس باكية، ولكن أريد أن أعرب لكم باسم الجامعة المصرية أننا معكم في السراء والضراء، شركاؤكم في الشدة والرخاء، وأننا وإياكم متعاونون على العمل للمجد وعلى احتمال النوائب.

إن هذا الخطب لم يخصكم، ولا نزل بساحتكم وحدكم، ولكنه خطب العرب على اختلاف ديارهم ومذاهبهم من شرقىّ دجلة إلى بحر الظلمات، وخطب المسلمين على اختلاف أجناسهم وأقطارهم. إنه رزء العرب، وقد استقاموا على طريقتهم وأقسموا ليبلغن غايتهم، ورفعوا الراية ومضوا إلى الغاية – رزؤهم في أحد قادتهم – في ملك عربي شاب طموح استوى على عرش المنصور مبشراً بعهد الرشيد والمأمون. إنه رزء العرب والمسلمين في ملك هاشمي من أبناء فاطمة قامت لمصرعه القيامة في مكة والمدينة، وفي بغداد دار العباسيين، ودمشق دار الأمويين، والقاهرة دار الفاطميين، وبلاد العرب والمسلمين جميعاً.

إنه لخطب عظيم؛ ولكنه ليس أعظمَ من عزائم هذه الأمة، ولا أكبر من كبريائها ولا أشد من أخلاقها؛ ونحن بنو الشدائد ألفتنا وألفناها، وعركتنا وعركناها.

يا بني قومنا: إن للأمم في معترك الحياة نعمى وبؤسى وفرحاً وترحاً ورخاء وشدة. والزمان قُلّب تدور غيره بالخير والشر. والأمم العظيمة الحازمة تأخذ عدتها من مسراتها وأحزانها، ولا تفيت فرصة من لذة أو ألم وفرح أو غم، ولا تمر بحادثة إلا تدبرت في أمرها وأخذت لحاضرها وتزودت لمستقبلها وتأهبت لأحداث الزمان وتقلب الحدثان. بل الأمم في أحزانها أقرب إلى الوقار والجد وأدنى إلى التآخي والإيثار والتفدية، وأجدر بإدراك الحقائق والاعتبار بالوقائع وجمع الكلمة وإرهاف العزيمة، فإن الأحزان تجلو النفوس وتنبهها من الغفلة، وترقق الأكباد، وتذهب بالأحقاد.

يا بني أبينا وأمنا: كانت وفاة الغازي رحمة الله عليه قدراً لا حيلة فيه ورزءاً لا قدرة عليه، ولو كانت نائبة تجدى فيها النجدة وتُغنى الهمة وتنفع الشجاعة والتفدية لوجد أبو فيصل منا جميعاً نفوساً تفديه، وقلوباً تستميت دونه، وعزائم تردّ الخطب صاغراً، وجلاداً يرجع الموت خزيان ناظراً، ولكنه قدر من وراء الأسماع والأبصار والجنود والأنصار

فلتفزع الأمة العربية إلى عقلها وخلقها وإيمانها وصبرها وثباتها وجلدها، ولتنظر إلى تاريخها تستمد منه الصبر على المصيبة، والاستكبار على الجزع، والإباء على كل خطب، والثبات لكل هول

ليكن من اجتماعنا على مصيبة الغازي اجتماع كلمتنا واستحكام أخوتنا. لتكن من هذه المصيبة الجامعة أخوة جامعة وكلمة جامعة.

***

أيها الإخوان: مضى فيصل الأول بعد أن أدى أمانته، ولحق به غازي وهو يسير لمجد سيرته، وقد أورث الله فيصلاً الثاني جهاد جده وطموح أبيه؛ وإن لنا فيه لعزاء، وإن لنا فيه لخلفاً. فلتحطه النفوس ولترعه الأفئدة، ولتجتمع حوله الأفكار والآمال، والعزائم والأعمال، وكل ما في العراق وما في العرب من ود ووفاء وإخلاص وبر وكرم، حتى يترعرع ملكاً كريماً في رعاية الله وحضانة أمته ووفائها وإخلاصها، ترجو فيه العراق والعرب جميعاً كوكباً تأوى إليه كواكبه، وسيداً قؤولاً فعولاً لما سن السادة الكرام من آبائه

في سبيل الإصلاح

الأدباء الرسميون

للأستاذ علي الطنطاوي

ما كان لي أن أعرض إلى هذا الموضوع بعد ما تكلم فيه الأستاذان الكبيران العقاد والزيات ، لولا أن في النفس منه أشياء . وإن آراء العامة فيه يعمها الضلال البين ، ويعوزها التقويم ؛ وإن من الناس من يدعي الأدب ثم يزن أهله بميزان الحكومة ، فيضع قيمتهم الأدبية في كفة ، ويضع في الكفة الأخرى درجتهم في (الوظيفة) ومبلغ ما يقبضون من مرتب . فالشاعر الذي يعلم في مدرسة ابتدائية ، لا يساوي بالشاعر المدرس في الثانوية ؛ والأديب الذي يعمل في تفتيش اللغة العربية أكبر من الأديب الذي يشتغل بالتدريس . أما الشاعر الذي جعلته الوزارة أو أصارته الأيام أول المفتشين ، فواجب وجوباً أن يكون شاعر الشرق كله، أو شاعر العرب على الأقل الأدنى .. ويدللون على هذا المنطق السقيم بأن الحكومة لو لم تجده أعلم العلماء وأبرع الأدباء ما أحلته هذه المنزلة ؛ فالطعن في تقدمه طعن في الحكومة ونفي لحسن التقدير عنها ... وامتد هذا الجهل إلى الصحف ، فصارت تقدم من الأدباء من قدمته الحكومة ، وتكتب في رأس المقالة كما يكتب صاحبها في ذنبها ، ودرجة الوظيفة الحكومية التي يقوم بها ، كأنها هي الشهادة له بتمكنه في الأدب وعلو كعبه فيه ، وغدا من المستحيل أن يقدم شاعر مجوّد محسن ولكنه مدرس عادي، على شاعر مفتش أو رئيس ديوان ولو كان دونه إحساناً وتجويداً ، كأن شعر الوزير في الشعر كشخص الوزير في الناس ، يتقدمهم ويعلوهم ولا يوزنون به ولا يتقدمون عليه . ومشى هذا المنطق السقيم وهذا الجهل البيّن في الناس ، حتى صار هو القاعدة المقررة والأصل الثابت ، وصار غيره هو الفرع الذي يحتاج إلى دليل ...

وما من أحد يدرك هذه العلة إدراك الأديب الموهوب الذي اضطرته الحاجة إلى (الوظيفة) وأجبره الكدح للعيش على أن يفكر برؤوس رؤسائه الفارغة لا برأسه هو، فلا يكتب إلا ما يشتهون، ولا يقول إلا ما يريدون ، وعلى أن يضع أدبه وذكاءه ومواهبه بين يدي مفتش قد يكون جاهلاً أو يكون مخطئاً أو يكون لئيماً ينتقم لغباوته وجهله من الأذكياء العلماء . والمدرس على ذلك كله ملزم باتباع رأيه والصدور عن مشورته . وإذا كتب ينقده في صحيفة أو يسمّع به في مجلس ، قامت عليه القيامة ونفي إلى أقصى الأرض ، أو أخرج من الوظيفة إخراجاً ، ثم لا ينصره عليه أحد لأن الناس قد استقر في أفهامهم أن المفتش أعلم وأبرع من المدرس ، ولا سيما إن كان دكتوراً أو كان أستاذاً في جامعة ، فإن مثله لا يأتيه الخطأ من بين يديه ولا من خلفه ، ولا عن يمينه ولا عن شماله ، ولا من فوقه ولا من تحته ... والمدرس يركبه الخطأ من جهاته الست لا لشيء إلا لأن مرتبه أقل ، ووظيفته أصغر ... ثم إن عندك الموظفين الجاهلين المتزلفين الذين يتقربون إلى المفتش الشاعر أو الرئيس الأديب بإذاعة فضله ،

وإن في حكمة أهل العراق ووفائهم، وإن في هممهم وعزائمهم لضماناً للمستقبل الوضاء والمجد الباسم بعد هذه الخطوب المكفهرة والوقائع العابسة

بني قومنا تقسو الخطوب وتربدُّ … ويُشرق في أعقابها الصبر والجد
وإن ظلام الليل يُعقب صبحه … وبعد غروب النجم إشراقه يبدو
وبعد محاق البدر يبدو هلاله … وبعد طلوع النحس يرتقب السعد
وبين ظلام النقع نصر منوّر … لمن صابر الأهوال والبأس محتد
وعند اسوداد الغيم غيث ورحمة … يقهقه في حافاتها البرق والرعد
وبعد بكاء السحب خصب ونضرة … تضاحك من أزهارها الغور والنجد
ومن بعد غيض الماء فيض لدجلة … ومن بعد جزر الشط ينتظر المد
وفي كل خطب للفراتين دعوة … إلى المجد في أعقابها النصر والمجد
فلا تحزنوا وازموا الخطوب بعزمة … يذل لها الخطب العصيّ ويرتد
وسيروا إلى العليا من حول فيصل … وأنتم له حصن وأنتم له جند

عبد الوهاب عزام

والثناء عليه ، ومنحه الألقاب جزافاً ، ويستمرون على ذلك ما استمر قاعداً على كرسيه لأنهم عباد صاحب الكرسي ... فتؤثر هذه (الدعاية) - على بطلانها - في نفوس الأخلياء ، وينال هذا المفتش الشاعر شهرة ومنزلة لم تقم على أدبه وإنتاجه ، وإنما قامت على أرجل كرسيه الأربع وألسنة أتباعه التي تشبه أرجل الكرسي ... وربما خدع التاريخ بهذه الشهرة - والتاريخ يخدع أحياناً - فانطمس الحق وعمت البلية ...

فما هو سبيل الخلاص من هؤلاء (الأدباء الرسميين) الذين يستغلون هذه الشهرة الزائفة وهذه المنزلة الكاذبة فيقيمون أنفسهم أو تقيمهم الحكومة مقام الأئمة من أهل الأدب ، فيرسمون للناشئين خططه ويضعون مناهجه ويملكون تحويله من وجهة إلى وجهة ، ويستطيعون أن يؤثروا في مستقبل الأدب بما أوتوا من السلطان ، وأن المدارس في أيديهم ، وأموال الدولة تحت إمرتهم ، تأثيراً لا يقدر على بعضه الأدباء غير الرسميين الذين لا يملكون إلا أقلامهم وعقولهم بل إن الأدباء الرسميين قد يستطيعون والحكومة من ورائهم أن يسخروا بعض الصحف لغاياتهم ومقاصدهم . ولو كان هؤلاء (الأدباء الرسميون) الذين تعتمدهم الحكومة وتثق بهم يختارون دائماً من ذوى المنزلة الرفيعة في الأدب وممن لهم فيه تمكن ورسوخ لهان الخطب ؛ ولكنهم قد يكونون على الضد مما قلت ؛ بل قد يسيّر الأدب في وزارات المعارف من ليس بينه وبين الأدب رحم ولا قرابة ... فإلى أين يسير الأدب في حالة مثل هذه ؟ وكيف ندفع عن الأدب ذلك المصير المحزن ؟

* * *

لقد أشار الأستاذ الكبير الزيات في فاتحة الرسالة (٣٠٥) إلى هذه المشكلة وإلى دوائها ؛ فرأى أن دواءها العدول عن (السياسة التقليدية التي اتخذتها الوزارة إلى اليوم في نظام التأليف وطريقة التفتيش واختيار المدرس) وتطهير التعليم (من المفتش الذي يعاقب على نسيان الهمزة وذكر الغزل ، والمؤلف الذي يؤلف بسر الجاه ونباهة الاسم) . ثم إنه لابد بعد ذلك من تصحيح

من البرج العاجي

الرأى الصريح الحر قوة ينبغى ألا تخلو منها أمة من الأمم الآخذة بأسباب الحضارة . ووجود هذا الرأي ألزم من وجود البرلمانات في ضمان العدالة والحد من طغيان السلطات ؛ لأن هذا الرأى لا يتطرق إليه عادة ذلك الفساد الذى يشوب أعمال النظم السياسية والاجتماعية ، فهو صادر عن قلب حار نبيل قد ارتفع عن دنيا الأغراض والمجاملات

على أن المشكلة هي دائماً : كيف نعثر على هذا الرأى ؟ قد نستطيع أن نعثر على العنقاء ، ولكننا لن نستطع أن نظفر في كل زمان بصاحب الرأى الحر الصريح . لماذا ؟ لأن هذا المخلوق ينبغى أن يكون مركباً تركيباً مخالفاً لتركيب أغلب البشر . فلا بد أن يكون قد عرف كيف يستغنى عن الناس ، وأن يكون قد وطن نفسه على أن يمضي في طريقه دون أن يعبأ بسهام الناس التى أصابت جسده . وألا يكون له عند أحد حاجة ولا مطمع . وأن يكون محباً للوحدة معتاداً العزلة ، قانعاً من الدنيا بأبسط متاع وأقل مؤونة . ذلك أن أول خطوة في هذا الطريق الوعر يصادفها صاحب الرأى الحر ، هي فقد الأصدقاء والأعوان . ثم يلى ذلك تألب الجميع عليه ، لأنه لم يرض أحداً ولم يمالئ فريقاً ولم يعتصم بجاه جهة من الجهات ، ولم يستظل بقوة من القوى . إنه وحدة منبع كل شيء . وهو بمفرده الواقف في وجه جميع القوى متضافرة . إنه قد ينهزم وقد يتحطم وينهدم تحت ضربات الجميع ، ولكن راية الرأى الحر تبقى خفاقة في الهواء عالية مرفوعة في يده الميتة

حبذا لو كان لى هذا المصير العظيم ! لقد أتاحت لى الظروف أن أطلق رأيي ذات يوم حراً في بعض الأمور فأحسست في الحال أنى فقدت كل سند من كل جهة من الجهات ، ولم يعد لى صديق . ولم يبق حولى سوى عيون نارية تنتظر ساعة الانقضاض علىّ والفتك بى . غير أن كل هذا لم يزعجنى . فلقد شعرت في عين الوقت أن في يدى شيئاً يخفق عالياً ، أدركت أنه هو وحده الباقى .

توفيق الحكيم

مقاييس الناس وإفهامهم أن قيمة الأديب بإنتاجه ومواهبه ، لا بوظيفته ومرتبه، وأن الأدب لا يقاس بهذه المقاييس الجامدة، ولا بد من التفريق بين شخصية المفتش والوزير الرسمية ، وبين شخصيته الأدبية ؛ فأنا أرعى للوزير حق مكانته ، وأعطيه كل ما ينص القانون على أنه حق له من الطاعة والاحترام . أما الوزير الأديب ، والمفتش الشاعر ، فإنهما عاطلان من هذه الحصانة ، معرضان للنقد ، أستطيع أن أدرس أدبهما وشعرهما كما أدرس أدب أي أديب وشعر أي شاعر، وأستطيع أن أحكم لهما أو عليهما، ولا يدخل في حساب النقد وظيفة عالية ولا مرتب ضخم . وإذا اقترح الوزير اقتراحاً في تعديل خطط التعليم ، أو رأى رأياً يتبعه أذى للأدب أو خوف على مستقبله ، فإنني أستطيع أن أناقشه وأرد عليه . وبغير ذلك لا تنمو المواهب ولا تثمر ثمرها ، ولا يزدهر الأدب ولا يعطي أكله . بقي أمر واحد وهو حماية هذا الموظف الأديب الذي ينقد ويبحث ، ويقوم بحق الأدب من غير أن يقعد عن حق الوظيفة ، حمايته من انتقام الرئيس ، وتشفي المفتش، ولا يكون ذلك إلا بقانون ينظم علاقة الرئيس بالمرءوس، ويوضح لكل منهما ماله (بالضبط) وما عليه ، أما إذا بقي أمر المدرس بيد المفتش والرئيس ، وترفيعه وتنزيله تابع لرأيهما و (تقريرهما) ، فلا حرية في البحث ، ولا ازدهار في الأدب ، ولا استثمار للمواهب ، لأن المدرس لا يستطيع أن يضحي بوظيفة وهي سبيل حياته ومورد رزقه من أجل بحث أو فصل أدبي ، فيسكت على مضض ، ويتوالى سكوته ، فتموت قريحته ، وتذهب ملكته ، ولا يبقى فيه بقية لإنتاج . وإذا ذكرنا أن وضعنا الاجتماعي الشاذ ساق أكثر الشباب طوعاً أو كرهاً إلى وظائف الحكومة قدرنا مبلغ الخسارة الأدبية التي يمنى بها الأدب ، ويبلغ الأذى الذي يصيبه به (الأدباء الرسميون) الذين يعملون عمداً وبغير قصد على تقييد حرية الأدباء ، وقتل المواهب ، وسد الطريق على الناشئين المتأدبين ...

هذا وإن الأديب لا ينتج ولا يعمل إلا معتداً بنفسه واثقاً بها ، وهذه العزة وهذه الكبرياء الأدبية هما عدة الأديب ، فإذا خسرهما لم يصلح بعدهما لشيء . ومن نظر في حياة الموظف الصغير نظر مدقق ناقد ، رأى أنه لا يستطيع أن يجمع بين إرضاء رؤسائه وبين الشعور بهذه العزة الأدبية ، وما له في فقد أحدهما بد ، وهو يؤثر (على الغالب) أن يفقد عزته الأدبية على أن يخسر وظيفته . وكم من موظف أديب نابغ معتد بنفسه ، رأى ألوان الإيذاء ، واتهم بالشذوذ والعناد ، وعاداه صحبه ورؤساؤه ، لأنه لم يبع كرامة نفسه وعزتها بهذا المرتب القليل؛ وربما كان هذا الموظف المغضوب عليه ، المنسي المهمل ، من خير الموظفين علماً وكفاية وقياماً بعمله ، وحرصاً على الواجب عليه ... ولكنهم الرؤساء ، أولئك (الأدباء الرسميون) ...

بغداد (الأعظمية) **علي الطنطاوي**

***

حاشية : (تصويب) — جاء في الفقرة الأولى من مقالتي (يا غازي عليك رحمة الله) كلمة (طواها كف الموت) وواضح أن ذلك خطأ صوابه (طوتها كف الموت) فيرجى تصحيحها

أعلام الأدب

أرستوفان والكوميديا اليونانية

للأستاذ دريني خشبة

يجمع المؤرخون على أن الكوميديا — أو الملهاة — القديمة قد نشأت في سيراقوزا حاضرة جزيرة صقلية قبل أن تنشأ في أثينا حاضرة أتيكا اليونانية ، فقد ثبت أن الشاعر الكوميدي إبيخارموس قد ألف للمسرح الصقلي سنة ٤٨٠ ق . م، أي قبل أرستوفان ، أو قبل أن يولد أرستوفان بثلاثين سنة ؛ وقد كان له في صقلية قرناء أجلاء منهم صوفرون العظيم الذي كان يتناول في كوميدياته العلاقات بين المرأة والرجل بطريقة فلسفية . ومما يدعو إلى شديد الأسف أن كل كوميديات شعراء سيراكوزا قد فقدت كما فقدت جميع الكوميديات اليونانية إلا إحدى عشر لأرستوفان — من أربع وخمسين ! — ولم يصلنا من كل ما فقد إلا نتف هينة ومقطوعات قليلة هي على قلتها ثروة هائلة تدل على الخسارة التي لحقت بالإنسانية في ميراثها الثقافي

أما الكوميديا اليونانية فقد أخذت تنتعش منذ سنة ٤٦٠ ق . م ثم ازدهرت في عصر بركليس على يد الشاعر كراتينوس(١) الذي كان يتخذ من سيد العصر — بركليس نفسه — هزؤاً لجميع كوميدياته ، فكان يصوره تصويراً كاريكاتورياً (هزلياً) ، فيدعوه : « الإله الأعظم أبو رأس بصلة ! » ، استهزاء برأس بركليس الذي كان يواريه دائماً لاستطالته بخوذة ... ويدعوه أيضاً : « طفل كرونوس وابن القدر ! . الخ »

وكانت لكراتينوس منزلة رفيعة بين شعراء الكوميديا ، ويعده النقاد أرفع مرتبة من أرستوفان وأعنف منه في تجريح شخصيات عصره . وقد قال فيه أرستوفان : « إنه كسيل يتحدر من فوق جبل فهو يكتسح كل من اعترض سبيله من بشر أو شجر أو حجر ... » ومن أبرع الشخصيات التي كان يصورها فيفتن في تصورها شخصيات السكارى ، وكان يؤديها له في كوميدياته الممثل الكاتب الكبير كراتس ... وقد فاز كراتينوس مرات كثيرة بالجائزة الأولى؛ ولما فاز بها للمرة الأخيرة جاء أرستوفان في آخر قائمة المتبارين . هذا وقد توفي كراتينوس غريقاً سنة ٤٢١ ق . م

وممن نبغ في النظم الكوميدي قبل أرستوفان الشاعر فركراتس ، والنتف الباقية من كوميدياته تدل على علو كعبه في فنه، وعلى أنه كان يسمو كثيراً على جميع الشعراء الكوميديين حتى أرستوفان . وقد نال أولى جوائزه سنة ٤٣٧ ق . م . وكانت كوميدياته تمتاز على غيرها بتنوعها وتناولها المشكلات الاجتماعية الشائكة نحو مسألة الرقيق والبغاء وما إليهما ، وهو ضريب أرستوفان في تخيل الطوبويات وجنات النعيم ... فمن ذلك ملهاته الضائعة (المنجمون) أي عمال المناجم لا رجال التنجيم ، وملهاته الضائعة الأخرى (الرجال النمل !) ، وقد نسج على منوالها الأديب الحديث ويلز في إحدى طوبيوتاته

وكما كان كراتينوس يتخذ من بركليس هزؤاً لكوميدياته فكذلك كان فراكراتس يتخذ السياسي العظيم المعروف ألسبيادس لمثل ذلك الغرض، وإن يكن لم يعنف عليه كما عنف على تيموتيوس

أما يوبوليس فقد كان أعظم الشعراء الكوميديين المعاصرين لأرستوفان ... وكان نداً قوياً له، وقد اتهم كل منهما أخاه بأنه سرق منه ملهاته (الفرسان) ... وكان على العكس من كراتينوس يحب بركليس ويتمدح مزاياه في حين كان يبغض رئيس الوزراء كليون ويمزقه في كوميدياته تمزيقاً لا رحمة ولا هوادة فيه . وكان أرستوفان لا يجرؤ على التهكم على سراة الأثينيين وأغنيائهم ، أو هو كان لا يحب ذلك ، لأنه كان غنياً مثلهم كما سيمر بك ، لكن يوبوليس كان لا يبالي أحداً منهم فقد فضحهم وأضحك الدنيا عليهم في ملهاته الضائعة (الداهنون)، وكان مثل فراكراتس يبغض السياسي ألسبيادس ويتخذه سخرياً في ملاهيه . ويختلف المؤرخون في سبب ضياع كوميديات يوبوليس كلها مع أن كثيراً منها كان أروع وأفخم من كثير من كوميديات أرستوفان ...

---

(١) عاش قبل زمن كراتينوس شعراء كوميديون آخرون لما يصلنا إلا قليل جداً من آثارهم ولذا أضربنا صفحاً عن ذكرهم، فمنهم : خيونيدز ومنهم إكفانتيدز ومنهم ماجنز

وقد علل الأستاذ موراي ذلك فذكر[1] أنه كان من معتنقي ديانة خاصة بالآلهة كوتيتو، وكانت طقوس هذه الديانة تمارس في السر وفي خفية من الناس، وكان العوام من أهل أثينا لا يبغضون شيئاً مثل ما يبغضون هذه العبادات التي تؤدى في الظلام فلعلهم ثاروا بالشاعر وأبادوا آثاره بعد موته.

ومن الشعراء الكوميديين فرينيخوس وأفلاطون - وهو غير أفلاطون الفيلسوف - وقد نقلا الكوميديا نقلة شاسعة نحو الأغراض الأخلاقية الخالصة؛ ولذا سقطت ملاهيهما لأنها سبقت الزمن ولم يكن الأثينيون قد استعدوا لتذوق ما فيها من جمال كما حدث لمآسي يوريبيدز

***

نشأت الكوميديا اليونانية كما نشأت المأساة من الاحتفالات الشعبية الكثيرة والأعياد الدينية المتعلقة بالإله باخوس (ديونوس) إله الخمر والنماء والحصاد. تلك الأعياد التي كان اليونانيون يمارسون فيها ألواناً عجيبة من (المساخر) تشمل الرقص والغناء والإنشاد والموسيقى والتضحيك وإرسال النكات واتخاذ الملابس التنكرية التي تمثل الطير والحيوان، ووحوش البر والبحر وتمسخ الخلق، وتبعث على العربدة والتضحيك. وكانت ألوان عجيبة من المجون والفحش لا يسيغهما ذوقنا الجديث تمارس في حفلات هذه الأعياد، وكان المشعبذ الناجح هو عادة ذلك الذي يجيد النكتة البارعة التي لا يحتشم في إرسالها عارية مكشوفة، فلا يبالي أن تتناول العورات المستورة، ولا يبالي أن يضيب بها من يصيب لأن كل همه أن يثير عاصفة من الضحك ويطلق الأكف بالتصفيق حماسة واهتزازاً.

وقد احتضنت الديمقراطية التي نماها بركليس الكوميديا اليونانية فلم يكن الكوميديون يهابون اقتحام ميادين السياسة والأدب والتعليم والاجتماع، وكانوا يبالغون في ذلك مبالغة تشمئز منها الأخلاق والتقاليد الحديثة، فإذا انتقد أحدهم واحداً من رجال السياسة فليس في القانون الأثيني ما كان يؤخذ به بسبب ذلك إلا إذا أهان الشرف الوطني أو فضح كرامة الدولة في نظر الغرباء. فقد روى أن أرستوفان نفسه حوكم من أجل ذلك، وحكم عليه بغرامة فادحة في عهد كليون - وقد كانت هذه الديمقراطية المطلقة سبباً في سقوط أثينا، ولذلك شن عليها أرستوفان حرباً عواناً في كثير من كوميدياته. ولما كانت الكوميديات تستبيح جميع صنوف العربدة وتناول العورات وقذف الأعراض وتجريح الكرامات بأقذع ما يتصور الإنسان من أساليب الفحش، وعبارات النكر فقد منع النساء والأطفال من شهودها[1] لما كانت تفيض به من ضروب الفسق ويرد فيها من الشناعات

والكوميديا اليونانية من أجل هذا تستند إلى هذه الدعامة الوضيعة من الطعن على رجال الدولة والتشهير بهم على نحو ما تفيض به مجلاتنا الأخبارية اليوم من مثالب وما تتناول به شخصياتنا البارزة من تعريض وكاريكاتور.

وهي تستند كذلك إلى الأساطير المحلية والخرافات التي لا يلجأ الكوميدي إليها إلا إذا ضاقت به ميادين السياسة والاجتماع

ولا يمكن - أو قد يكون من الصعب العسير - أن تمثل الكوميديات اليونانية اليوم في مسارحنا؛ أولاً لأن أذواقنا تستنكر أسلوب هذه الكوميديات الفاضح الذي يخرج في الغالب عن آداب مجتمعنا؛ وثانياً لأنها جميعاً كوميديات محلية تدور حول طقوس دينية لا نعرفها وتتناول عادات سحيقة في القدم لا نلم بها، وثالثاً لأن نكاتها إن احتفظت بقليل من الاحتشام - وهذا في النادر - إلا أننا لا نفهمها في سهولة ويسر ... ورابعاً، لأن المسرح اليوناني كان أليق لعرض هذه الكوميديات من مسرحنا الحديث، لأن المسرح اليوناني كان أشبه بالسيارك الجوالة التي نراها اليوم والتي تصلح لعرض الحمير والضفادع والقرود والتنانين وما إلى ذلك مما تفيض به الكوميديات اليونانية. وخامساً، لأن طريقة الأداء التي كانت تعرض بها الكوميديا اليونانية، أو طريقة تأليفها بقول أصح، هي غير الطريقة التي تؤلف بها كوميدياتنا الحديثة

فالكوميدية اليونانية تتركب من أربعة أجزاء قد لا نسيغها نحن اليوم. فالجزء الأول هو عرض عام لموضوع الملهاة وتفسير للأشكال التنكرية التي يتخذها الخورس أو بعض الممثلين، ويلي ذلك (خطاب الشاعر) الذي نظم الرواية ويلقيه الخورس، ويتضمن أهم العناصر الهزلية في الكوميديا ويسمى هذا الجزء باليونانية Parabasis، وتتبع هذا الجزء سلسلة غير مترابطة من

(١) أدب اليونان القديمة طبعة أبلتون ص ٢٧٩

(١) ج - ك ستوبارت في كتابه الرائع (مجد اليونان) ص ١٨٤

المشاهد التضحيكية لوصل ما انقطع من حديث الجزء الأول المتعلق بالغرض العام ، ثم يأتى بعد هـذا الـ (Cômos) أو البسط والتمريح[1] أى إشاعة الانبساط والمزح فى نفوس النظارة ، وفيه يستمر الممثلون فى الأداء والتطريب والتضحيك حتى تنتهى الكوميدية

وقد ارتبط أرستوفان بهذا الترتيب فى كثير من كوميدياته . وهو وإن لم يخلص من كل الشوائب التى تعيب الكوميدية اليونانية ، إلا أنه سما بها شيئاً ما وترفع قليلاً عن إيراد مشاهد الفسق والفجور . ولم يكن كالشعراء الآخرين فى طريقة مهاجمة خصومه وإن شذ فى معاملة خصمه وأستاذه الأكبر يوربيدز ، فقد يعتبر المسرح الهزلى طريقاً إلى النقد الإصلاحى فيما يعرض له من مسائل السياسة والاجتماع والتعليم وسائر شئون الحياة العامة ، فهو كان يقوم عن طريق المسرح بما تقوم به الصحافة اليوم ولكن بطريقته الفنية التى تفرد بها .. والمحقق أن أرستوفان كان يحفظ درامات يوربيدز عن ظهر قلب ، ولم يكن يكتفى بحفظها فقط ، ولكنه كان يعيها وعى الحافظ الدارس الواقف على دقائقها الخبير بأسرارها ؛ وقد ترك ذلك كله أثره فى نفسه وفى أدبه وفى مُثُله وفى مراميه ، فهو كان يسخط على الساسة الأثينيين كما كان يسخط يوربيدز ، وكان يبغض هذه الديمقراطية المطلقة الذميمة التى تنتهى بمقاليد الحكم إلى طائفة من الأوشاب ، أو تترك للأوشاب الهيمنة على تكييف شكل الحكومة باختيارهم أفراداً بأعينهم لا يمكن أن يختاروا سواهم مهما صنعوا بأثينا من الموبقات .. وكان ملحداً بالآلهة أو أشد إلحاداً من يوربيدز ، وطالما استهزأ بمعبودات اليونان وأضحك عليها نظارته بأسلوبه التهكمى اللاذع حتى لم يترك فى أتيكا كلها مؤمناً واحداً بأيّمَا من أرباب الأولب !

وكان كذلك يدعو إلى السلم كما كان يصنع يوربيدز ، وكان يسوؤه أن يرى إلى هذه المجازر الدامية التى ذهبت بخيرة الرجال وزهرات الشباب فى حروب البلوبونيز ، وقد تغنى فى إحدى كوميدياته بهدنة الثلاثين سنة ، وبالغ فى ذكر ما يعود على جميع طبقات الشعب من الخير بسببها

إذن لماذا خاصم يوربيدز ؟ ! هذا سؤال له جوابه فيما يلى :

ولد أرستوفان سنة ٤٥٠ ق.م فى قرية (كيد أثيناون !) ، ومات سنة ٣٨٥ ق . م ، أى أنه عاش خمساً وستين سنة أعطى منها للمسرح وللأدب أكثر من خمس وأربعين ، لأنه بدأ نظم كوميدياته وهو فتى حَدَثُ السن ، فهم يذكرون أن رائعته الأولى (رجال جزلتون) ، والتى هاجم فيها التعليم العالى وادعى فيها أنه يتنافى ومكارم الأخلاق ! ! قد مثلت فى المسرح سنة ٤٢٧ ، أى أنه كان فى الثالثة والعشرين حينذاك ، ويذكرون أيضاً أنه لم يكن يشترك فى رواياته الأولى لا فى التمثيل ولا فى الإخراج ، بل كان يترك ذلك كله إلى صديقه كالستراتوس ، وسبب ذلك فيما يروون صغر سنه وعدم إلمامه بأصول الإخراج وعدم استطاعته تمرين أفراد الخورس

والعجيب أنه لم يقتصر على إسناد الإخراج والتمثيل إلى صديقه هذا ، بل كان يبيح له أن ينتحل الرواية لنفسه ويدعى أنها من تأليفه ! ! وقد صنع بطائفة خالدة من كوميدياته — منها الزنابير والضفدع — مثل هذا الصنع ، فقد ترك مهمة الإخراج والتمثيل وحق انتحال التأليف فيها جميعاً لصديق آخر يسمى فيلونيدز ... وكان الصديقان يهشان لذلك ويبشان لفوزهما بالشهرة الكاذبة ، ثم لتناولهما أجر الإخراج من الحكومة وهو أجر يقولون إنه كان عظيما يسمن ويغنى من جوع

هذا ولم يكن أحد فى أثينا يشك فى أن أرستوفان هو المؤلف الحقيقى لكوميدياته ، وقد يسأل سائل : لماذا ترك لغيره حق الانتفاع بثمرة جهوده خصوصاً بعد أن شب ؟ ذلك أن أباه فيلبّوس كان من الأغنياء المثرين ، وكان قد أورثه ضيعة واسعة ذات غلة كبيرة فى قرية إيجينا ، فكان لهذا السبب يعف عن أجور الإخراج ، بل كان يترك الجوائز المالية — وما أكثر ما نالها — لجماعة المنشدين والممثلين ... هذا ولا تحسبن أنه كان جواداً سخى اليد لصنيعه ذاك ... لا ... لقد كان أرستوفان يكره الفقر ويبغض الفقراء

دريني خشبة



(١) لم يرد التمريح بهذا المعنى فى المعاجم العربية ولكنا اضطررنا لاستعماله هكذا لاعتقادنا أن اللغة العربية يجب ألا تضيق بهذا الاستعمال ما دامت الكلمة موجودة وإن لم تستعمل فى هذا المعنى ولم ترد — أو لم نعرف — كلمة تقوم مقامها

الواشي والوشاية

للأستاذ عبد الرحمن شكري

أيهما أعظم أثراً ونصيباً في إذاعة الوشايات ؟ ميل النفس إلى أن تشي بغيرها، أم ميلها إلى أن تقبل الوشاية في حق غيرها؟ هذه مسألة لا يحسب أنه من المستطاع توضيحها على قاعدة واحدة تصدق في كل النفوس على السواء على اختلاف صفاتها من مكر وسذاجة ومن فطنة وغباء ومن خير وشر. على أن الميلين يتصلان في النفس ويتشعبان من شعبة واحدة وهي الأثرة، وماتثير من رغبة في منفعة أو خوف من مضرة،وإن كانت الرغبة في المنفعة ألصق بالواشي، وكان الخوف من المضرة ألصق بقابل الوشاية . على أن هناك أمراً لاشك فيه وهو أن تنوع أساليب الواشي في الوشاية وتهيئتها تهيئة خاصة كي تكون مقبولة في النفوس المختلفة مما يجعل رد الوشاية ورفضها من أشق الأمور . ولا بد من التأثر بها إما قليلاً وإما كثيراً حتى في حالة رفضها وحتى في حالة كره الواشي وقلة الثقة به، وحتى في حالة معرفة كذبه. وإذا استطاع المرء أن يقاوم أثر الوشاية ألف مرة فهو قد لا يستطيع مقاومته مرة بعد الألف. ومن أجل ذلك ترى الرجل العادل الذي كف نفسه عن الشر يندفع إلى الشر بسبب وشاية واش بعد طول العصمة ويأخذ بالوشاية بعد رفض أمثالها مراراً فيتعجب الرائي المفكر من فجاءات الحياة والنفوس في أمثال هذه الأحوال الغريبة الباغتة . وإذا كان هذا شأن العادل المتحرج من عمل الشر ومن قبول القول من غير بينة أو دليل، فما ظنك بأكثر الناس وهم يقبلون القول قبل الإطلاع على البينة، وقبل فحص الدليل والتأكد من صحته ، ومنهم من يلتقط القول التقاطاً من فم قائله وكأنما ينتزع الوشاية انتزاعاً من بين ثناياه، وكأنما يخشون ألا يخرج القول كله من فمه فيسعفوه بالمسهلات والمقيئات. وأكثر من هذا وذاك أنهم يأخذون بالظنة من غير حاجة إلى وشاية ونميمة ؛ فقد يحيي إنسان إنساناً آخر ولا يرد الثاني التحية لخطأ البصر أو بطئه في تبين الأشخاص، أو لانشغال ذهنه أو عينيه، أو لسرعة انتقال الأول وفوات الفرصة لرد التحية، فيحسب الإنسان الأول أن الثاني تعمد الإساءة إليه مع عرفانه بسابق إعزازه له ومودته وإكرامه ، وقد زاد أبو تمام في هذا المعنى ووضحه فقال :

يظل عليك أصفحهم حقوداً   لرؤيا إن رآها في المنام

وللواشي فطنة بما يؤثر في كل نفس فتراه في بعض الأحايين يتخذ أسلوب التلميح لا التصريح ، ويكتفي بالإشارة عن العبارة ، لا لرفقه واقتصاده في الشر ، بل ليكون قوله أبلغ في الشر، إذ أنه يفطن إلى أن السامع من الذين يفهمون في التلميح أكثر مما كان يبسطه الواشي بالتصريح ، ويرون في الإشارة أكثر مما كانت تستفيض به العبارة. ثم إن الواشي يرى في هذا الأسلوب من التلميح احتراساً فيستطيع إذا أحرج أن ينكر بعض ما فهم السامع أو كله ما دام قوله يحتمل التأويل والتفسير . وفي حالة أخرى يرى الواشي أن الإشارة لا تشغل ذهن السامع ولا تحرك نفسه فيعمد إلى الإطالة والإفاضة والتفصيل والتهويل حتى يكاد السامع يصيبه جنون الخوف أو الغضب من أجل عداء مزعوم أو انتقاص أو تدبير شر أطلعه عليه الواشي فيندفع إلى الشر ، وقد يندفع إلى الجرم العظيم، ثم قد يندم أشد الندم ولات ساعة مندم. وتارة يقرن الواشي إلى وشايته وعداً خفياً بمكافأة يجزي بها السامع إذا قبل وشايته ؛ ولا نعني مكافأة مالية، وإنما نعني أنه يعده وعداً من وعود المودة والمعاونة والتقديم والإكرام والانتصار له على أعدائه؛ وتارة يدخل في ثنايا وشايته وعيداً خفياً يوعد به السامع إذا رفض وشايته ، وتهديداً بالعداء إذا عده كاذباً في وشايته وإنذاراً بأنه بعد ذلك الرفض ينصر أعداء السامع عليه أو أنه يخفي عنه كل ما يدبر له من الشر والكيد فيخشى السامع أن ينقلب الواشي عدواً يناصر أعداءه إذا لم يصدقه أو يخشى أن يصيبه شر من كيد مدبر يمتنع الواشي من نقل خبره إليه إذا كذبه ولو مرة واحدة فيسرع السامع إلى تصديق الواشي وإكرامه .

ومن أساليب الواشي أنه قد يلاطف السامع ويتحبب إليه ، ويكرمه ويعده بنفع ، ويطيل في الثناء عليه ، ويظهر الحدب عليه ، والحزن والخوف من وقوع الشر به حتى يثق به سامعه . ولا شيء تكتسب به ثقة السامع أبلغ من الثناء عليه وذم أعدائه . وإتقان المدح فن قد يعد من الفنون الجميلة التي تتطلب صناعة حلوة ، وبعد إتقان الواشي مدح السامع ترى ذلك السامع حريصاً على تصديقه كأنه يقول في نفسه هو صادق كل الصدق فيما مدحني به ، فلا بد أن يكون أيضاً صادقاً كل الصدق فيما نقله إلي من الوشايات؛ ولا يعدها وشايات بل كرامات وهذا هو منطق النفوس البشرية . وإذا أطال الواشي في مدح السامع فقل على

الغائب الذى يشى به السلام. فإن كُرْهَ سامع الوشاية لذلك الغائب ورغبته فى أذاه وحقده عليه أمور تتمكن من نفسه كلما أجاد وأطال الواشى فى مدحه وانتقاص ذلك الغائب . وكيف لا يعد السامع الممدوح الوشايات كرامات وهو يرى مظاهر إخلاص الواشى له وخوفه على جاهه أو سمعته أو حياته أو مكانته ويرى رغبته فى صرف الأذى عنه وفى رد كيد أعدائه؟ وقد يصعب فى بعض الحالات على الناقل المخلص حقاً الذى إنما يريد بالنقل دفع الشر عن صديقه أن يثبت صدق قوله فيختلط الحابل بالنابل ويضطر السامع أن يقبل من هذا وذاك . على أن الوشاية قد تترك أثراً وخيماً حتى فى حالة بمعرفة السامع كذبها، فإن النفوس البشرية فى بعض حالاتها تشك بالرغم من معرفتها ببطلان الشك، وتسىء الظن بالرغم من معرفتها كذب الظن . وهل هذه الحالة أغرب من حالة أشعب الثقفى النفسية، وهو الذى كان يصرف الأطفال عنه فيدعى أن احتفالاً بزواج فى حارة مجاورة تُنثَرُ فيه النقود على الناس فرحاً وابتهاجاً فيسرعُ الأطفال إلى تلك الحارة كى يلتقطوا بعض النقود، وتنخدع نفس أشعب بالقصة التى اخترعها فيعدو خلف الأطفال كى يلتقط أيضاً بعض تلك النقود التى لا وجود لها . على أنه حتى فى حالة رفض السامع للوشاية ورفض كل شك فى كذبها تراه مهموماً بسبب ما نُقل إليه من الذم أو الرغبة فى الأذى لأنه يعد ما نقل إليه قد أنقص من نفسه لدى نفسه وأنقص من اطمئنانه إلى الحياة عامة وإلى النفوس البشرية فيحس امتعاضاً وتضايقاً من الغائب الذى نقل الواشى عنه ما لم يقل أو ما لم يفعل لأنه كان سبب ذلك النقل الباطل والوشاية الكاذبة التى آلمته حتى وإن كان سبباً غافلاً عما سببه فى نفس الناقل الكاذب ولكن سامع الوشاية المتألم منها بالرغم من تكذيبه لها فى سريرة نفسه قد ينقم على ذلك الغائب المكذوب عليه سواء أكان الواشى الكاذب معذوراً أم غير معذور فى بغضه له الذى دعاه إلى أن يكذب عليه فى وشايته . وهذا أيضاً من منطق النفوس البشرية . ومما يزيد فى حنق سامع الوشاية أنها قد تكون مما لا يستطيع ذلك السامع فحصه أو مخاطبة المنقول عنه؛ ولا سيما إذا كان سامع الوشاية عظيماً أو رئيساً فيخشى على رياسته وعظمته أن تبتذل عند التفصيل فى كشف الوشاية وفحصها وتحقيقها ، ولا سيما إذا كان الغائب المنقول عنه مرءوساً ليس فى منزلته؛ فيرى من الانتقاص لنفسه أن يطلعه على ما نقل الواشى إليه لأنه يضطر أن يحدِّثه بالقول المر الذى قيل عن شخصه ، أى شخص العظيم، وهذا فيه إحراج لعظمته فيفضل أن ينتقم من غير بحث ومن غير ظهور بينات أو أدلة على صدق الواشى ، وتتلمس نفسه لنفسه الأعذار عند ما تحوّل الشبهات إلى بيِّنات تخلصاً من إحراج عظمته بالتفوه بما قيل فى حقه . وإذا كان هذا شأن من توجب عليه منزلته السير بالعدل فما ظنك بالكثير من الناس الذين يرى كل لنفسه عظمة مثل تلك العظمة، وإن لم تكن له تلك المنزلة التى تفرض عليه ما تفرض منزلة الأولى . والذين يقرأون كل يوم ويسمعون عما يسمى بالطريقة الأمريكية فى الاحتيال، فلا تمنعهم قراءتهم عنها من الوقوع فى شرك المحتالين، ووسائل تلك الطريقة الأمريكية فى الاحتيال أسهل من وسائل الوشاة . فالنفس البشرية تنقاد بالخيال والإحساس وبالرهبة والرغبة أكثر من انقيادها بالعقل والمنطق الصحيح والعدل .

ومما يزيد الوشاية تمكناً من النفوس أن النفوس طبعت على الخوف ، فكل نفس تقبل الوشاية لا لأنها اقتنعت بصدقها بل لدرء الشر واتقاء الضر المحتمل، وهى قد تسرع بالإساءة إلى الغائب المنقول عنه إذا وجدت أن إساءتها إليه أسهل من ملاطفته وملاينته ، وإنما تريد تعجيزه عن الشر بالإساءة إليه قبل أن يسىء إليها . وهى تُزكِّى إساءتها إليه قبل التأكد من صدق الوشاية بأن تعد تلك الإساءة من ضرورات الحياة ومكارهها التى لا مناص منها ، والتى تدعو إلى المبادرة بالشر حيطة وحذراً؛ إذ أن البدء بالهجوم والمفاجأة به نصف الظفر والانتصار كما يقولون. وهذا أيضاً من منطق النفوس البشرية وأعنى المنطق الخفى لا الذى يدرس فى الكتب .

أضف إلى كل هذه الأسباب ما يدعو إلى قبول الوشاية من الرغبة فى الأذى ، وهى قد تكون رغبة مُلِحَّة وشهوة قاهرة فى كثير من النفوس ولا سبب لها إلا التمتع بارتكاب القسوة وعمل الشر وإيلام غيرها وهذه الرغبة فى الأذى والمتعة فى القسوة لا تعجز عن خلق الأعذار والأسباب والشواهد والأدلة والبينات كى تُزكِّى نفسها فى التمتع بالقسوة وفى ارتكاب الشر ، وصاحب هذه المتعـة النفسية فى إيلام غيره يُرحِّبُ بالواشى النمَّام كما يرحب العاشق بحبيبه الذى طالت غيبته لأن ذلك الواشى يساعده على خلق الأعذار التى تُزكِّى بها رغبته فى عمل الشر

عبد الرحمن شكرى

الموت ...

حجة اللائحة الملزمة

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضلة «الزهرة»

سيدى الأستاذ الجليل الزيات

هل كنت أريد مهادنة لوعتى التى أهاج مداءها مقالكم المؤثر البليغ بمناسبة الأربعين «فى حزن الملك الطفل» حين لجأت إلى ديوان نفيس، لشاعرتى العزيزة أيلا هويلر ولككس، ساعة أن انتهى إلى العدد الأخير النفيس من «رسالتكم» الغالية!! وهل كانت المصادفة الرحيمة هى التى طالعتنى لأول ما فتحت الديوان بهذه القصيدة وأجرت القلم بترجمتها فى الحال، رجاء مغالبة تلك الحسرات المصية التى ما برحت تغلب الجلد وتنفى الجزع، حتى كادت تسد سبيل الصبر، وتصرف عن مواطن الرشد، وتذهل عن سنة الله فى خلقه، والدهر فى أهله، مذ مضى الملك الشهيد «غازى الأول» فرع الأرومة الزكية، والقائم من منصب السؤدد فى الذروة العلية، ذلك الذى غادر قلب العروبة ينعى مهجته، وجعل أمل الحامد يبكى بهجته. وكيف يعزى المصاب من لم يدع لهم المصرع الأليم والخسارة الفادحة فؤاداً يتجلد فى وجه الشجون، لندرة الرجال فى هذا الشرق الجديب المحزون؟!

أقول هل كانت المصادفة العجيبة، مدداً رحيماً أتماسك عن عزم فى النفس لا عن يأس، بل تذكرة نافعة تلجئ إلى الاقتناع بأن الأسوة فى بعض الأمور قد تكون سلماً إلى التأسى... إذا عجز العزاء وأعيا المعزى... على أنه سبحانه المسؤول أن يكتب لآلاف القلوب المكلومة عزاء جميلا، وأجراً على التصبر جزيلا، وأن يعزى بطول بقائكم دولة الفضل والكمال، ويسكب على الفقيد الشاب العظيم سحائب الرحمة والرضوان بمنه وكرمه.

«الزهرة»

يقول الموت:

لِمَ ترتاع من إيذان قدومى، وتنقبض من ارتقاب زورتى أيها الإنسان؟ ولِمَ تهطع مستطيراً مروّعاً حين آتى لأقبضك إلى رحمة الله وأنتقل بك إلى دار القرار؟ لِمَ تفرّ من أمامى مشيحاً مستهلكاً، وتتشبث بأذيال الحياة مزاحمتى الأفاكة المرجفة، ورصيفتى البرّاجة المزّاجة!

ألستُ أفيئك ظلال السكون العميق وأقلبك بين أعطاف الدعة، إذ أريحك من المشاق وأعفيك من الشقاء فلا تشغل ذرعك بمهمة، ولا تنقل قدمك إلى دَرَك!

فلماذا تحاول أن تحاجزنى عن ذاتك، وتقيم بينى وبينك السدود؟ لماذا تهضمنى وتطلق لسانك فى حرمتى وتعبث بكرامتى! لماذا تسلط علىّ بأس لعناتك، وتنزل بى أنكى نقماتك؟!

وأنا — مذ خلقنى الله قانوناً طبيعياً لا يدفعه دافع فى هذا العالم وجعلنى سنّة الخلق التى لا تبديل لها ولا تغيير لم أجرِ على أحد مضرّة ولم أمسّه بأذى، بل أسَوْتُ كل جرح ونششته بالبلسم الشافى، وضمدت كل قرح وأنضجته بالسخن الوافى.

وظللتُ هذه الدنيا بستر راحتى الأبدية، إذ ضربت لها خيمة الطمأنينة الدائمة، وأوجدت لها ملجأ الغبطة القائمة، لكى تأوى إليهما بما يندلع عليها باستمرار من نيران خطوبها اللافحة، ومصائبها اللاذعة، وهمومها الجائحة، وأطماعها الهائجة، ووساوسها اللائجة، وألاعيبها المفترسة، وغوائلها المترامية، وزخارفها المتراصفة، وأحوالها المتقاذفة.

وتلك التضرعات العارضة التى طالما خرجت من أفواه ظماًى تلتمس الرحمة للنفس والعزاء فما ابتلّت لهاتها بنائل، ولا حليت بتافه.. بل تلك الاستعطافات التى طالما صعدتها قلوب جياشة باستغاثات تنفطر لها المرائر، ولكنها لم تصب منها رغبة، لأن الحياة ولتها من قلبها جانباً صلباً، وأولتها من إعراضها تنكيراً وكرباً.

لقد سوّغتها أنا واستجبتها وألقيت عليها رُحمتى، ومددت لها أكناف مرحمتى...

فهلاً علمت أن عديلتى القاسية وقسيمتى الجافية هى التى تقلبك فى ردغة الخبال وحمأة النكال، وتقصم ظهرك بوقر العقاب، وتسوقك كل يوم بسوط العذاب، وتخدعك بعقد يسبقه الانحلال والنصب، وتحطمك بزوال لا تتوقعه عن حِجْر النعمة، وصراع يأخذ عليك سبل الهناء، وكفاح يدفعك عن مناهل الرجاء، وإعنات للنفس بما تعلم أن غايتك فيه اللغو والفشل، وحملها على الجهد فى مطالب لا يصحب جهدك فيها أمل.

هلاً علمتَ أن شوكتى هى أعظم شوكة فى الوجود، لأنى آخر أعمال الحياة فى الوجود. فعلام تتمسك بعروتها، وإلام تسكن إليها، ولِمَ تصارمنى إذاً وتقلب لى ظهر المجن؟

«الزهرة»

الدعاية الإســـلامية

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأســـاتذة

عبد الفتاح السرنجاوى ، عمر الدسوقى ، عبد العزيز عبد المجيد

انتشار الإسلام فى غربى آسيا

أما القبيلة التى افتخر ذلك الشاب بانتسابه إليها فهى إحدى تلك القبائل التى اختارت أن تظل على المسيحية ، بينما دخل فى الإسلام غيرها من القبائل التى كانت تقطن ما بين النهرين كقبيلة بنى نمير وبنى قضاعة ، وكانت قبيلة بنى تغلب قد أرسلت من قبل وفداً إلى النبى (ص) فى سنة ٩ هـ ، فأسلم مشركو هذا الوفد وعقد الرسول (ص) تحالفاً مع المسيحيين منهم الذين استبقى لهم عقيدتهم القديمة على ألا يُعَمِّدوا أطفالهم بعد ذلك . وقد حدا هذا الشرط الذى يخالف تماماً ما عهد عن محمد (ص) من صفات التسامح مع العرب المسيحيين الذين سمح لهم أن يختاروا إما الدخول فى الإسلام وإما دفع الجزية ، ولم يكرهوا مطلقاً على ترك عقيدتهم ، قد حدا هذا الشرط إلى الظن بأنه شرط اقترحته العشائر المسيحية نفسها من بنى تغلب بسبب عوامل اقتصادية[1] . غير أن بقاء المسيحية مدة طويلة فى هذه القبيلة دليل على أن هذا الشرط لم يعمل به . وقد نهى الخليفة عمر ابن الخطاب عن استعمال أى ضغط عليهم أو إكراههم على الإسلام حينما ظهر أنهم غير راغبين فى هجر دينهم القديم ، وأمر أن يتركوا فى أمن ليزاولوا شعائره على ألا يعارضوا فى دخول أى فرد من أفراد قبيلتهم حظيرة الإسلام، وألا ينصّروا أطفال أولئك الذين أسلموا . وقد طلب إليهم أن يدفعوا الجزية[2] ، أعنى ما فرض على غير المسلمين من الرعية ؛ غير أنهم شعروا أن دفع هذه الجزية شائن لفخرهم القَبَلى ، لأن هذه الجزية قد فرضت نظير حماية الأرواح والأموال ، ورجوا الخليفة أن يسمح لهم بأن يدفعوا من الأموال كما يدفع المسلمون ، ولهـذا دفعوا بدل الجزية كفلاً من الزكاة — أو الصدقة — التى هى مال فرض للفقراء من عقـار المسلمين ومواشيهم . نعم تضجر المسلمون حقاً أن تبقى قبيلة عربية محافظة على العقيدة المسيحية . وقد أسلم أغلب بنى تنوخ فى سنة ١٢ هـ حينما خضعوا لخالد بن الوليد[1] مع قبائل أخرى مسيحية من العرب . غير أنه يظهر أن بعضهم ظل محافظاً على العقيدة القديمة نحواً من قرن ونصف ، فلقد روى أن الخليفة المهدى (١٥٨ — ١٦٩) رأى عدداً منهم يسكن قريباً من حلب ، فلما علم أنهم مسيحيون غضب وأمر بهم أن يسلموا ، وقد أجاب ذلك منهم نحو خمسة آلاف شخص . وقد آثر أحدهم أن يقتل على أن يعتنق الإسلام[2] . وهنا تعوزنا — لتحقيق معظم هذه الروايات — التفاصيل التاريخية التى تشرح لنا زوال المسيحية من بين قبائل العرب المسيحيين الذين عاشوا فى شمال الجزيرة . ومن الممكن أن يكونوا قد اندمجوا فى العشائر الإسلامية المجاورة ، وفى الغالب بطريق التسلل السلمى خفية ، وإلا فلو أن المسلمين حاولوا إكراههم على الإسلام بالقوة حينما أصبحوا تحت سلطانهم لما كان من الممكن أن تظل المسيحية حية بينهم إلى عصر الخلفاء العباسيين[3]

وهناك أهل الحيرة أيضاً فقد قاوموا كل الجهود التى قام بها خالد بن الوليد ليحملهم على قبول الإسلام . وقد كانت هذه المدينة (الحيرة) إحدى المدن الشهيرة فى حوادث الجزيرة العربية ، وقد حسب ذلك البطل الإسلامى المغوار أن التوسل إلى أهل الحيرة بصلة النسب العربية كاف لحملهم على أن ينضموا إلى أتباع الرسول العربى . ولـما بعث سكان المدينة المحاصرة وفداً منهم إلى القائد المسلم ليتفقوا معه على شروط التسليم ويصالحوه سألهم خالد : «من أنتم؟ أعرب؟ فما تنقمون من العرب، أم عجم فما تنقمون من الإنصاف والعدل ؟ » . فقال له عدى، وكان نقيب القوم : « بل عرب عاربة وأخرى مستعربة » فقال خالد : « لو كنتم كما تقولون

(١) أنظر كتاب حوادث الاسلام الجزء الثانى ص ٢٩٩ لقيطانى . كذلك انظر كتاب مختصر التاريخ الاسلامى الجزء الرابع ص ١٠٦ لولهوسن

(٢) عالج قيطانى فى الجزء الرابع ص ٣١٩ وما بعدها موضوع الجزية بتفصيل ودقة

(١) أنظر قيطانى الجزء الثانى ص ١١٨٠

(٢) أنظر كتاب مختصر الدول لابن العبرى طبعة ليزج صفحة ١٢٤ ، صفحة ١٣٠

(٣) أنظر الجزء الثانى من كتاب قيطانى صفحة ٨٢٨

فلم تحادونا وتكرهوا أمرنا». فقال له عدي: «ليدلك على مانقول أنه ليس لنا لسان إلا العربية». فقال: «صدقت»، وقال: «اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا؛ إن نهضتم وهاجرتم أو أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة، فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة». فقال عدي: «بل نعطيك الجزية». فقال خالد: «تباً لكم، ويحكم، إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان: أحدهما عربي فتركه واستدل الأعجمي»[١]

ولقد اتخذت كل الوسائل اللازمة لوعظ أولئك الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً وإرشادهم وتعليمهم، لأنه كان من الضروري – وقد أخذت القبائل تدخل في دين الله بهذه السرعة – أن يؤخذ الحذر حتى لا يخطئوا في العقيدة أو العبادات والشعائر، كما يخشى هذا طبعاً إذا كان إرشاد حديثي الإسلام غير صحيح. ولهذا بعث الخليفة عمر بالمعلمين لكل الأقاليم. وقد كانت وظيفة هؤلاء المعلمين أن يعلموا الناس القرآن، وأن يرشدوهم إلى كيفية القيام بشعائر الدين الجديد. وكان على حكام الأقاليم، شباناً كانوا أو شيوخاً، أن يحافظوا على حضور صلاة الجماعة، وبخاصة صلاة الجمعة، وفي شهر رمضان. ويمكننا أن نحكم على مقدار العناية التي وجهت إلى تعليم من دخلوا الإسلام حديثاً وإرشادهم من هذه الحقيقة؛ وهي أن وظيفة التعليم والإرشاد هذه لم توكل إلى شخص أقل خطراً ومقداراً من خازن بيت المال نفسه[٢]

ومن تلك الأمثلة السابقة التي تدل على تسامح المسلمين الظافرين مع العرب المسيحيين في القرن الأول الهجري، ذلك التسامح الذي ظل خلال القرون التالية. نستطيع أن نستنبط واثقين أن تلك القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك باختيارها وطوع إرادتها. والدليل الواضح على ذلك التسامح هو بقاء العرب المسيحيين حتى اليوم في وسط الجماعات الإسلامية[١]

ويحدثنا «لايارد» أنه مر بعشيرة من العرب المسيحيين في ناحية الكرك، شرق البحر الميت، وأن هؤلاء لا يختلفون عن العرب المسلمين لا في لباسهم ولا في عاداتهم[٢]. ولقد ذكر رهبان جبل طورسينا لبوركهارد أن بضعة بيوت من البدو المسيحيين ظلت حتى القرن الثامن عشر على دينها، وأن آخرهم امرأة عجوز توفيت سنة ١٧٥٠ ودفنت في حديقة الدير[٣]

وكذلك لا يزال على المسيحية كثير من العرب من قبيلة بني غسان الشهيرة، وهم عرب خلص، وقد اعتنقوا المسيحية حوالي أواخر القرن الرابع الميلادي. وهم يستعملون اللغة العربية في صلواتهم الدينية منذ أن خضعوا للكنيسة الرومانية في القرن السابع عشر «يتبع»

(١) راجع الجزء الرابع من تاريخ الطبري صفحة ٢٠٤١ طبعة ليدن سنة ١٨٨٥.

(٢) أنظر كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي الجزء الرابع صفحة ٢٥٦ طبعة باريس ١٨٦١ ؛ عبارة المسعودي تفيد أن عمر بن الخطاب بعث بعبد الله بن مسعود سنة ٢١ هـ إلى الكوفة، ووكل إليه أمر بيت المال، وأمره أن يعلم الناس القرآن، ويفقههم في الدين نظير ربع شاة وسواقطها كل يوم؟ المترجم

(١) أنظر كتاب قيطاني الجزء الخامس الصفحة الرابعة.

(٢) أنظر كتاب السير هنري لايارد المسمى: مغامرات في إيران وبابل الجزء الأول صفحة ١٠٠ طبعة لندن سنة ١٨٨٧.

(٣) أنظر كتاب بوركهارد المسمى: رحلات في سوريا، والأراضي المقدسة صفحة ٥٦٤ طبعة سنة ١٨٢٢.

الغدد والهرمونات

إن من الواجب المقدس على الرجل بعد الثلاثين أن يهتم بغدده وأن يحافظ عليها لكي تقوم بوظيفتها. ووظيفة الغدد هي إفراز هرمونات في الجسم تملأه قوة وحيوية ونشاطاً. فإذا كانت غددنا لا تفرز الهرمونات بانتظام فعلينا أن نعالجها بمقويات طبية مضمونة لتعود إلى نشاطها وعملها فنشعر حالاً بفرق هائل في قوانا الجنسية والحيوية

لقد توصلت معامل إلن وهنبريس الشهيرة في لندن إلى تحضير أقراص ڤيدا – جلاند التي تعيد إلى الغدد قوتها ونشاطها ونظام عملها. وهي ضامن أكيد لإنعاش الغدد لتفرز الهرمونات وتعيد إلى الجسم قواه الجسدية والتناسلية والحيوية

لا تترك غددك ضعيفة خائنة ناشفة. أعطها مقوياً يعيد لها الحياة والقوة. خذ أقراص ڤيدا – جلاند. هي خلاصة غدد طازجة ومفعولها مضمون

التاريخ فى سير أبطاله

أحمــــد عرابى

أما آن التاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولست أدرى كيف كان يطمع بلنت فى أن يقنع غلادستون بالعطف على قضية الأحرار فى مصر ، وقد كان رجال السياسة فى انجلترة يسعون ما وسعهم السعى إلى الاستيلاء على مصر منذ أن التقى البحران ، وهو انجليزى لا تخفى عليه نيات الإنجليز وأساليبهم تجاه الشعوب الشرقية ؟

إنى أفهم أن تجوز ألاعيب السياسة الإنجليزية على أولئك الأغفال من أهل الشرق الذين أذهلهم ما هدهم من ضعف عن الحقائق فصدقوا الباطل وهم يجهلون ، أو الذين غرتهم بأوطانهم زخارف العيش ووساوس النفس فانغمسوا فى الباطل وهم يعلمون ؛ أما أن تجوز الأباطيل على انجليزى عليم بالسياسة وأوضاعها فهذا ما لا أفهمه ، ولذلك فلولا ما تأكد لدى من إخلاص مستر بلنت لقضية الوطنيين حتى قضى الاحتلال فيها قضاءه لارتبت فى نياته كما أرتاب فى نيات الساسة من أهل بلاده أبداً .

وكأن القدر يأبى إلا أن يظهر بين حين وآخر من الإنجليز أنفسهم من لا تطغى على ضمائرهم خدع السياسة، أو يشوه الجانب الإنسانى من نفوسهم أوضار العيش ، فيكون من هؤلاء حجة على المرائين الماكرين من بنى قومهم ، ويكونون بينهم شهوداً من أهلهم عليهم تنبعث أصواتهم مجلجلة فتملأ أسماع أولئك الساسة الذين يوصدون أسماعهم دون أصوات الشعوب المغلوبة على أمرها مهما بلغ من قوة انبعاثها ؛ ومن هؤلاء الأحرار روثستين وبلنت ومن حذا حذوهما .

قدر على شريف أن يلاقى عنتاً شديداً من مسلك الخديو من أول الأمر ! وأخذت وزارته تشق طريقها فى حذر شديد بين تلك السحاب القائمة ، وكان أعظمها دسائس الأجانب وتوثبهم فى ذلك الوقت ، ولقد هال هؤلاء الأجانب انبعاث الروح الوطنية إذ رأوا فيها بوادر القضاء على ما يعنون به أنفسهم فى مصر .

وسارت سفينة الحكم بين هذه التيارات المختلفة ، تنكر الخديو لقضية الحرية ونشاط المدافعين عن هذه القضية ، وتربص الدولتين بالحركة جميعاً .

كان طبيعياً أن تفيق البلاد على صيحة عرابى ، وأن تنطلق النفوس من عقالها ، فلقد أتيح للناس قدر من الحرية وهم إليها عطاش تتحرق نفوسهم ؛ فبدأ الوطنيون يعبرون عما احتبس فى صدورهم منذ عزل إسماعيل ، وعادت الصحف تعبر عن مساوئ التدخل الأوروبى وتندد بأساليب الدخلاء فى مصر الذين سلبوها أقواتها بالحيلة وحالوا بينها وبين أمانيها زمناً بالأرهاب والبطش ؛ والذين كان يحتل الكثيرون منهم الوظائف المصرية الخطيرة ويؤجرون على أعمالهم فيها إن كان ثمت لهم فيها من أعمال أجوراً غالية من خزانة مصر الفقيرة .

وأخذت جريدة الطيف، وكان يصدرها عبدالله نديم ، تقاوم البهرج الزائف الذى بدأ يلتمع فى مصر فيخطف سرابه أبصار الجاهلين ، والذى سماه الأوروبيون مدنية ليكون لهم منه سلاح من طراز آخر يضيفونه إلى أسلحة الدس والكيد التى سلطوها على البلاد ؛ وحمل الكرام الكاتبون على المراقص وحانات الخمور ودور المجون ومواخير الدعارة وغيرها من مباءات الفسوق التى كان يذيعها فى مصر أولئك الذين جعلوا من مبررات تدخلهم فى شئون البلاد رغبتهم فى هداية أهلها إلى المدنية !

(*) صورة زيتية أخذها أحد الفنانين الأجانب لعرابى سنة الثورة وقد أهداها إلى المستر برودلى محاميه وعليها امضاءه

وكان بيت عرابي قبل أن يعين في منصبه الجديد مقصد الناس من جميع الطبقات والهيئات الوطنيون والأجانب في ذلك سواء؛ وكانت شهرة عرابي تطغى على شهرة جميع الرجال من حوله حتى البارودي وشريف وكان لهما الحكم والجاه؛ والحق لقد اتجهت الأنظار إلى عرابي منذ يوم عابدين وأصبح من المستحيل أن يعتزل السياسة أو تعتزله السياسة ، وقد خطا في سبيلها تلك الخطوة الجريئة التي كان النجاح حليفها

أخذنا على عرابي أنه حينما طلب إليه أن يخرج من القاهرة بفرقته اشترط أن يكون ذلك بعد صدور أمر الخديو بدعوة مجلس شورى النواب ، ونعود فنأخذ عليه أنه تدخل في الأساس الذي يجتمع عليه المجلس . فكان شريف يرى أن يكون ذلك وفق لائحة عام ١٨٦٦ ، أي أول لائحة للمجلس على أن يقوم المجلس بالتعاون مع مجلس الوزراء بوضع لائحة جديدة تجعل منه مجلساً نيابياً يلائم حال البلاد؛ وبعد معارضة شديدة وافق عرابي على ذلك

ثم تدخل عرابي في مسألة أخرى وهي الميزانية المخصصة لإبلاغ الجيش ثمانية عشر ألفاً من الجند فلقد أبدت المراقبة المالية عدم موافقتها على المبلغ اللازم كله ، وبعد أخذ ورد وافق عرابي على ما تيسر دفعه من هذا المبلغ على أن يقوم بتوفير الباقي من وجوه أخرى .

لقد قطع عرابي على نفسه عهداً كما أسلفنا ألا يتدخل في شؤون الحكومة القائمة وعلى هذا الأساس قبل شريف رياسة الوزارة؛ لذلك نرى أن تدخل عرابي في الأمور التي ذكرناها يوجب ملامته ولن يشفع له أنه كان يطلب الخير ولن يخفف من اللوم عليه أنه رضي آخر الأمر ولم يسبب للحكومة عنتاً ، فهذه الأمور من اختصاص الحكومة وهي لن تمس كما نرى جوهر قضية البلاد

لم ير أعداء هذه الحركة الوليدة عن مناوءتها في مصر وخارج مصر؛ وإلى هذه المناوءة يرجع سبب جموح هذه الحركة والتوائها على شريف ثم خروجها آخر الأمر من يده ، ولو أنه قدر لمصر في تلك الأيام العصيبة أن آزر الخديو كبير وزرائه ضد الدسائس التي كانت تحاك للبلاد لأمكن شريف أن يسير بالسفينة إلى شاطئ السلامة ، ولكن الخديو وأشياعه لم يكتف بعدم المؤازرة بل لقد التجأ إلى الأجانب فكان هذا العمل من جانبه أقوى مساعد على نجاح سياستهم ...

وكان أوكلند كلفن العضو الإنجليزي في لجنة المراقبة المالية ، وإدوارد مالت قنصل انجلترة في مصر هما اللذان يحكمان الشباك حول الخديو ، ولقد كانت لهما سياسة ماهرة غادرة تدور على أسس أحكم وضعها أولهما وفق ما تعلم في الهند ؛ فهما يظهران الولاء للخديو فيدسان له بذلك السم في الملق، ثم هما يخوفانه أبداً من تركيا والعرابيين حيناً فيذران قلبه هواءاً ، وهما بعد ذلك يضللان الرأي العام في بلادهما ويرسلان التقارير السرية بما يجب أن يتبع إلى وزير الخارجية .

وكانت وسيلتهما في تضليل ذلك الرأي العام؛ السيطرة على الصحف بالسيطرة على مراسليها ، وكان كلفن نفسه مراسلاً لإحدى الصحف الهامة ، وكان مراسل التيمس يعتمد عليه في استقاء المعلومات ، أما شركتا روتر وهافاس، فقد كان يعطى لكل منهما ألف جنيه في العام من خزانة مصر ! وقل أن نصادف في تاريخ السياسة عملاً أشد فجوراً من أن تحارب قضية شعب بنقود من خزانته !

وكانت الحركة الوطنية تلاقي أبلغ الكيد خارج مصر من جانب الصحافة أول الأمر ، إلى أن منيت بعد ذلك بالتدخل الرسمي الفاجر ، الذي لم يدع في تاريخ العالم عرفاً إلا خرج عليه ، ولا قاعدة إلا سخر منها وحطمها تحطيماً .

أخذ محررو الصحف في انجلترة وفرنسا يتندرون بثورة مصر ويسخرون من نهضة مصر ، ولو أنهم كانوا يحترمون أنفسهم حقاً ، أو يحترمون المبادئ التي نادت بها بلادهم لمنعهم ذلك عما فعلوه ...

وما ذا جنت مصر يومئذ حتى تستقبل أوربا حركتها بأسوأ ما تستقبل به الحركات ؟ ألم تجر في أوربا الدماء في سبيل تلك المبادئ التي كان ينادي بها المصريون ؟ وكيف تكون نغماتها عذبة مشتهاة إذا تغنى بها أهل تلك الشعوب ، ثم تكون ممجوجة مملولة إذا هتف بها الشرقيون ؟

هذا شعب ينفض عنه غبار القرون ، ويخطو نحو الحرية كما خطت أوربا ، ثم هو يذب الأجانب عن قوميته ، وقد ثقلوا عليها بامتيازاتهم الأثيمة الظالمة ثقل الحشرات والهوام ، فاذا كانت ترى أوربا في هذا من معاني الفوضى والهمجية ولم يصحب حركة المصريين عدوان على أولئك الأجانب على ما كانوا يلاقونه منهم من عنت وإفساد ؟ ألا إنها السياسة تقلب عرف الناس نكراً ، وتجعل المبادئ التي ينادي بها دعاة الإنسانية في نظر

الساسة أحلاماً لا تجد لها مستقراً إلا فى رؤوس الحمقى من الفلاسفة ورؤوس الأغرار من مصدقيهم .

أما السياسة فقد كانوا لا يتوانون عن الكيد ، ولا يفتر لهم سعى فى تلمس السبيل التى يستولون بها على الفريسة ، وكان موقف انجلترة وفرنسا من مصر ينطوى على كثير من المعانى التى تبعث على الألم والضحك معاً ، وكم من المآسى ما تضحك منه النفوس ولكنه ضحك المرارة التى لن يبلغ الدمع مبلغها

كان موقف الدولتين كموقف رجلين يطمعان فى استلاب شيء وكل منهما يريده لنفسه دون الآخر ولكنه يموه على صاحبه ، وكل من الرجلين يفهم حق الفهم أن الآخر يدرك حقيقة موقفه منه ، ولكنهما على الرغم من ذلك يتغابيان ويضللان !

هذا هو موقف الدولتين على مسرح السياسة فى تلك الأيام ، ولكم شهد المتفرجون يومئذ من الأساليب الميكيافيلية وأوضاعها ، ولكم شهدوا من أساليب غيرها لو قرنت بها الأولى لكانت منها كالحسنات ، ثم يسدل الستار والمتفرجون من أهل مصر لا يملكون أن ينطقوا بكلمة استهجان لما رأوا ، بل لقد فرض عليهم أن ينظموا عقود المدح وإلا عد سكوتهم جحوداً وعناداً ، وأى شيء أوجع وأنكى من أن يرغم شعب على تقبيل الأيدى التى استلبته حقوقه والأغلال التى دارت حول عنقه

ويظهر أول شاهد على السياسة الإنجليزية فى تقرير كتبه كلفن بعد الثورة بعشرة أيام جاء فيه : « أرى أن ليست الحال الحاضرة بطبيعتها إلا هدنة، وأن ما وصلنا إليه من التسوية ليعطينا مهلة نستجم فيها ونلم فيهـا بالقوى التى تعمل حولنا ونسعى فى الاستفادة منها أو القضاء عليها »[1]

وليس فى هذه العبارة أول شاهد على السياسة الإنجليزية فحسب ، بل إن فيها ملخص تلك السياسة ؛ فستتربص انجلترة للحركة حتى يحين الوقت وحتى تستطيع أن تعمل بمفردها دون فرنسا ...

وكان شريف يقظاً يفطن إلى دقة الموقف ويدرك مرامى السياسة الإنجليزية وأساليبها ؛ ولذلك كان لا يفتأ يحض أنصار الحركة الوطنية على اتباع الحكمة ومجانبة الشطط حتى لا يكون من أعمالهم أو أقوالهم ما تسيء أوروبا فهمه فتسوء بذلك العاقبة وأخذ العقلاء من رجال الحركة الوطنية يعاونون شريفاً على تثبيت قواعد سياسته ، وكان من أثر ذلك أن تنازل عرابى عن رأيه فى الموقفين السالف ذكرهما ، وكان من أثره أيضاً أن خففت الصحف من لهجتها وكفكفت من غلوائها ؛ ولقد كان للامام محمد عبده فضل كبير فى توجيه العناصر الوطنية نحو هذا المسلك الحكيم ...

ولكن الأفق ما لبث أن تجمعت فى حواشيه الغيوم وأحست السفينة بوادر عاصفة قوية ما عتمت أن هبت شديدة عاتية نفد لها صبر الربان أو كاد ، وتلك هى أزمة الميزانية الشهيرة .

فرغ شريف من إعداد اللائحة الجديدة للمجلس النيابى ثم عرضها على النواب ؛ وشد ما كانت دهشتهم أن رأوا شريف يقرر فيها ألا يكون من اختصاص المجلس عند النظر فى الميزانية البحث فى جزية الباب العالى والدين العام ، وكل ما فرضه قانون التصفية على الخزانة من نفقات .

وهال النواب وأغضبهم أن يكون ذلك باتفاق شريف مع المراقبين ، فرفضوا ذلك وأصروا على أن ينظروا الميزانية كاملة ، واعتبروا ذلك من الحقوق التى لا تقبل مساومة مهما يكن من الأمر

وأخذ شريف المسألة من الناحية العملية ، فلم يشايع النواب فى نظرياتهم ، وأخذ يطلب إليهم الأناة والحذر ويريهم عاقبة التطرف والتعجل ، ولكنهم لم يلتفتوا إليه ، وظهرت فى الوزارة نفسها بوادر التفكك . فلقد كان البارودى يطمع فى الحكم بعد شريف فكان لذلك يشجع الوطنيين فى موقفهم سراً .

وكان سلطان باشا رئيس المجلس ينقم على شريف أن لم يسلكه فى سلك وزارته فوجد فى الخلاف القائم فرصة ينال بها من شريف فسرعان ما أتهم شريف بالاعتدال ، ثم حمل اعتداله على الجبن والضعف ... ثم بلغ الأمر إلى إتهامه بالخيانة

ووقف الربان يواجه العاصفة فى صبر وجلد ، وهو يؤمل أن يجنح النواب إلى السلام والاعتدال ، ونشط الشيخ محمد عبده فى معاونة شريف، ومما ذكره فى هذا الصدد قوله: « لقد ظللنا ننتظر حريتنا مئات السنين ، أفيصعب علينا أن ننتظرها بضعة شهور أخرى ؟ »

ثم بدي على الأفق بعد حين ما يشير بقرب انكشاف الغمة ! فلقد أخذ النواب يتدبرون عاقبة هذا التشدد ، وبدأ العقل يتغلب شيئاً فشيئاً على العاطفة .

« يتبع » الخفيف

(١) المسألة المصرية لروثستين تعريب البادى وبدران

مأتم غازى

للسيدة وداد سكاكينى

أين غاب اللحن من شدو الطيور — أين غاب
كيف صار الزهر من (قصر الزهور) — فى التراب
شعلة للمجد من نار ونور — كالشهاب
سطعت ثم اختفت بين القبور — كالسراب
أين غازى سيد العرب الفخور — بالغلاب
كان رمزاً فوق هامات العصور — للشباب

* * *

التحيات الطيبات لقبر غازى الندى الريان الجاثم على ضفاف دجلة الجميل، فى ظلال النخيل، حيث يرقد قائد العرب فيصل العظيم فى مضاجع الخلود. هناك فى الحلل السود تحت خفق البنود رفرفت أرواح الأسى والأحزان، من كل الجيران والإخوان؛ وفى هذا اليوم العصيب عادت نساء الشام تسفح الدمع الصبيب، على المليك الحبيب.

إن فى كبد الشام زفرات لاهبات، إذ كادت تجدد بيعة فيصل لشبله غازى وتمد إليه الأيدى على الولاء والوئام، ففقدت بموته أملها الباسم وعرشها الحالم، ولكنها عاهدت النفس أن يعيش من بعده أهلوها الأباة إما أعزة أحراراً أو يموتوا كراماً. هذا يوم له ذكراه الأليمة فى قلوب العرب. النساء يشاركن العراق فى الاتراح بعد أن شاطرنه الأفراح فى عهد أشبال الحسين الصناديد من هاشم وعبد شمس، المناجيد فى غوث العروبة اللهيفة التى قبل أبناؤها الغطارفة الصيد على أيديهم الشريفة صفحات السيوف ومسحوا عنها الدماء فاستراحوا فى ظلهم الرطيب من غدر الزمان وظلم الإنسان

لهفى عليك يا غازى يا عبقرى الشباب لم تمتع بالشباب؟! لقد تركت قافلة العرب فى حومة الصحراء، ظامئ إلى الماء، وكأنما أطبقت الجفون الوسنى على أحلامها فيك وهى تسرى على الرمال فتخطفتك المنون من بين العيون، فروعت القافلة، وتهاوت أمانيها العذاب، فتاهت فى أسراب الرمال، وغابت منها الأشباح والظلال، تنادى الآمال وتنشد الرجال

يا حسرتاه على النسر الطيار كيف هيض جناحاه، وكان فى الثريا فهوى إلى الثرى، وثنى رأسه الأشم بعد أن علا بجبينه الوضاح وروحه الفاحة، فزاحم النجوم وحوم فى آفاق الجو والجمال حتى حلق فى أمجاد العرب، فضجت له البيداء والفيحاء بالتأييد والتمجيد، وأشرقت من تلك السارب والمحاريب بأنوار الخير والسلام

مَن كان يحسب من العرب أن ذلك فورة العمر ووثبة الموت وهبّة الضوء قبل الانطفاء؟ لم يكن مأتم غازى فى دنيا العروبة واحداً، وإنما كان حسرات موزعة فى حبات القلوب، وحسرات منهلة من الصميم. على أن القلوب التى أحبك بها الناس فضموك فى شغافها كانت لك فى حياتك مهداً، هى التى احتوتك اليوم يا غازى بالذكرى فصارت لك لحداً. نساء دمشق يمجدن الساعة هذه الذكرى الخالدة التى تلاقت فيها مروءة الحسين وبطولة فيصل وشباب غازى وعروبة الهاشميين الميامين

لقد حملت يا غازى أمانة جدك ورسالة أبيك وأنت طرى العود غض الإهاب، فكتبت فى سجل العرب الحديث صفحات نيرات، وأعدت المجد التليد، إلى دار الرشيد، ولم تضيع رعاية فيصل للمرأة العربية وعنايته بنهضتها، فكنت على رأيه السديد: لا يقوم بناء قوم إلا بالرجل والمرأة؛ فسرت يا غازى على نهجه ومهدت للإصلاح والفلاح من بعده، فعززت ثقافة الإناث وحدبت على نهضة المرأة فى العراق. فيا ليت القدر لم يعجل باختطافك حتى تتم رسالتك وترى عبقريتك ممتدة فى أرض الرافدين وحيثما ترفع راية القرآن ...

« دمشق » — وداد سكاكينى

العالم يتطلع إلى حدودنا المصرية

أربعـــون يوما في الصـــحراء الغربيـــة

للأستاذ عبد الله حبيب

— ٤ —

تحدث المحرر في المقالات السابقة عن بعض مشاهداته في الصحراء الغربية فوصف بعض عادات العرب وصفاتهم وحكايتهم وساحل الصحراء وهطول الأمطار وموارد المياه وسكان الساحل وقبائل الصحراء وسكة حديد مريوط . وهو في هذا المقال يحدث القراء عن الطريق إلى مرسى مطروح

الطريق إلى مرسى مطروح

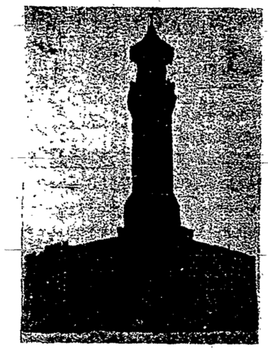
لعل أهم ما يفيد القارئ ويلذه هو حديث اليوم عن الطريق إلى مرسى مطروح . وسأوجز القول إيجازاً كي لا يمل القارئ حديث الصحراء، وسأعتمد في تدوين ما أحدث به القراء على ما شاهدته خلال الرحلة وما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهري في كتابه المهيأ للطبع عن الصحراء الغربية

يمكن القول إجمالاً أن الطريق الساحلية من الأسكندرية إلى مرسى مطروح صالحة للسير وقطعها بالسيارات سهل ميسور، وهي عامرة بالبلاد وترتبط أجزاؤها بالمواصلات التليفونية، وتتوفر فيها وسائل إمداد السيارات من بنزين ووقود، كما يمكن الحصول على الماء على طول الطريق بسهولة

ويبلغ طول المسافة من الأسكندرية إلى مفرق العامرية ٢١ كيلو متراً كلها مرصوفة بالأسفلت ، ثم تمتد الطريق بحالة شبه صحراوية إلى مسافة مائتي كيلومتر تقريباً حتى ناحية فوكه، ومن هذه إلى مرسى مطروح ، والمسافة بينهما تبلغ ١٥ كيلو متراً كلها مرصوفة بالأسفلت

من الإسكندرية إلى العامرية

تبتدئ الطريق في الاسكندرية من ناحية المكس ثم ببوابة خفر السواحل ، ومنها تجتاز جسراً خشبياً حتى لوكاندة المكس المعروفة ، وعندها تعبر شريط السكة الحديد ثم تمتد معبدة إلى الدخيلة ، وبعد ذلك بنحو ٢ كيلو متراً تتجه الطريق يسرة فتصعد تلاً ثم تأخذ في الهبوط ، وبعد نحو كيلو مترين آخرين تسير يمنة ثم يسرة وتمر ببوابة من الحجر خاصة بمصلحة الحدود وذلك للاطلاع على رخص المرور



جامع سيدي العوام بمرسى مطروح

يعترض الطريق بعد ذلك جسر طوله أربعة كيلو مترات يقطع بحيرة مريوط التي تنبسط إلى مدى ما يصل إليه البصر ، وليس بها إلا بعض زوارق الصيد الصغيرة تروح وتغدو في مياهها المترامية ، وتتجه الطريق بعد قطع هذا الجسر إلى تلال تحوط البحيرة من جهة الجنوب إلى أن تتفرع — بعد كيلو ونصف — إلى طريقين : الأولى وهي الطريق الرئيسية تتجه غرباً ؛ والأخرى تتجه جنوباً فتقطع سكة مريوط الحديدية بعد كيلو مترين من المفرق إلى أن تصل إلى مركز العامرية على بعد ثلاثة كيلو مترات من محطة السكة الحديدية . ومن العامرية تتجه الطريق جنوباً إلى وادي النطرون فالقاهرة عن طريق الصحراء

العامرية

أما العامرية فهي بلدة صغيرة ، ومركز القسم الشرقي التابع لمصلحة الحدود وبها سراي لخاصة جلالة الملك ، ومزارع عظيمة لجلالته ، وحدائق واسعة للعنب والزيتون ، وتقوم بها صناعات عربية حديثة لعمل السجاجيد ، وتنبت بها زهور النرجس الأبيض الطبيعي بكثرة .

وعلى بعد أربعة كيلو مترات منها توجد بئر المكادرة التي يبلغ عمقها ١٢ متراً ، ومياهها حلوة . وعلى مسيرة ستة كيلو مترات من هذه البئر في اتجاه الشمال الشرقي يوجد تل مرتفع يستطيع الواقف عليه أن يشرف على منظر بديع جداً لبحيرة مريوط ، ومن ورائها يرى الإسكندرية .

من العامرية إلى بهيج

تبتدىء الطريق الرئيسية الموصلة إلى الغرب ، ومن المفرق (العامرية - بهيج) الذي يقع إلى شمال محطة السكة الحديدية بنحو كيلو مترين ، ومنه إلى الجنوب الغربي موازية لشاطىء بحيرة مريوط ، وتفصل بينهما سلسلة صغيرة من التلال ، وبعد اثنى عشر كيلو مترا من المفرق تمر الطريق ببئر « سينة » وبعدة آبار أخرى

ولكي نختصر الوصف نكتفي بذكر البلدان التي تقع على طول الطريق بعد ذلك إلى مرسى مطروح مكتفين بذكر البلدان التي لها قيمة تاريخية ، وتتصل بها معلومات طريفة :

بهيج

هي مركز لقسم من هجانة الحدود ، وبها منازل « للأكلة » اليدوية ، وهي معروفة لدى المشتغلين بالآثار إذ تقع على بعد أحد عشر كيلو متراً تقريباً منها بلدة أبومينا وهي سانت ميناس القديمة

ويرجع تاريخ هذه البلدة إلى القرن الرابع الميلادي ، وقد توفي فيها القديس سانت ميناس سنة ٢٩٦ ميلادية ، وتحتوي على كنيسة مبنية على الطراز الروماني وكنيستين أخريين صغيرتين وبعض مبان أثرية أخرى .

قصة غريبة

والقديس سانت ميناس قصة غريبة إذ يقال إنه كان أحد الجنود الرومانيين الذين اعتنقوا المسيحية في زمن الإمبراطور دقلديانوس الذي أمر بذبح جميع المسيحيين إن لم يرتدوا عن دينهم . أما ميناس فقد أوقعوا به صنوف العذاب ثم قطعت رأسه سنة ٢٩٦ ميلادية . لكنه كان قد أوصى قبل وفاته بأن يدفن في مصر ، فلما نقلت الفرقة التي كان يعمل بها في لوبيا أحضرت معها رفاته تنفيذاً لوصيته . وسارت الفرقة في طريقها حتى إذا وصلت إلى الساحل الإفريقي نقلت الجثة على جمل فمشى بها في الصحراء حتى إذا بلغ هذه النقطة برك ورفض القيام . وكان ذلك بجوار بئر مياه ، فاعتبروا ذلك معجزة ، وتقرر دفنه في المكان نفسه وسمي باسمه ، وبعد ذلك شيدت الكنيسة فوق المكان وعلى مقربة من العين



الكاتب عند البئر الرومانية بمرسى مطروح مع إحدى السائحات

أبو صير الأثرية

هي مدينة كبيرة تقوم على المكان الذي كانت تقوم عليه مدينة « تبازيرليس ماجنا » القديمة وهي إحدى المدن الثلاث الشهيرة الواقعة بين الإسكندرية والسلوم . وهناك على ربوة صغيرة في أحد أطراف البحيرة عند اتصالها بالبحر يقوم بناء فخم قديم على الطراز المصري طوله ٢٩٥ قدماً ، وربما كان أحد معابد الآلهة «أوزيريس» ؛ ولم يبق من هذا البناء إلا مدخله وبعض الحجارة المنقوشة ، وتوجد على مقربة من المعبد آثار بعض الغرف والمدافن المحفورة في الصخر

منار فاروس الرومانية

على بعد بضع مئات من الأمتار من هذا المعبد كانت تقع المنارة الرومانية القديمة الشهيرة بفاروس ، ولم يبق منها سوى قاعدتها وبعض آثارها

أما المنطقة التي حول بهيج وبرج العرب فتكتسي في فصل الشتاء حوالى شهر فبراير بحلة جميلة من الزهور الزكية الرائحة تنبت طبيعية في الصحراء كما أن أرضها صالحة للزراعة ، وأهم حاصلاتها الشعير ، وتسكنها قبائل أولاد على ومنهم عدد كبير من الفرسان ، وتمتد من برج العرب جنوباً طريق توصل إلى البحرية

الحمام

هي بلدة تعد مركزاً تجارياً عظيما للأغنام ، والمياه فيها متوفرة وهي مشهورة بطواحين الهواء المنتشرة في جميع أرجائها ، ولهذه البلدة تاريخ قديم ، وكانت تعرف فيا خلا باسم « مانو كامينوس »

جامع سيدي عبد الرحمن

سميت باسمه محطة السكة الحديدية ، ويقال إنها كانت قديماً مركزاً من مراكز السنوسية الشهيرة ، ويحج إليها أعراب المنطقة ، والجامع مبني على ربوة يشرف الواقف عليها على مناظر عظيمة للمنطقة المحيطة به

الضبعة

وهي مركز تجاري كبير للبدو ، وكانت تدعى قديماً « زيفر يوم » ، وبها مبان لخاصة جلالة الملك ومركز للبوليس ، ومبان حكومية وجامع . وتشاهد خيام العرب المسماة « بالخيوش » هناك بكثرة وبعضها مقام بحالة منظمة . ومن المناظر الطريفة مشاهدة الأعراب وهم يحرثون الأرض بمحراث يجره جمل بجواره حمار ، أو جمل وحصان ، والمحراث المستعمل هناك من الأنواع الخفيفة التي يحملها رجل واحد على كتفه

ويصل المسافر إلى مرسى مطروح وهي عاصمة الصحراء الغربية وبها دار المحافظة . وسنتكلم عنها في المقال الآتي وهو الأخير

عبد الله حبيب

في ذكرى أربعين غازي في باريس

مصرع الصقر

للأستاذ أمجد الطرابلسي

أقبل الليل من وراء الدهور   يتهادى تهادي المخمور

دغدغ الغاب فاستكان إليه   وسرت فيه رعشة المقرور

ونجا تحت جنحه يعبث النو   م بأجفانه كطفل غرير

مثلما نام أزغب تحت جنح الأ   م في ظل عشه المضفور

أقبل الليل مثل أجنحة العقبان   أو وجه بائس مقهور

يسحب الخطو متعبا ويجر الذ   يل جرا على بقايا النور

وغفا الغاب لا زئير سباع   يتعالى ولا هتاف طيور

ليس إلا النسيم يخطر هونا   خضل العطف مثقلا بالعبير

يتثنى وسط السكون مطيفا   بمشاش هنية ووكور

كطيوف الأحلام تسري خفافا   حول عذراء في المهاد الوثير

يمسح الأعين النيام رفيقا   ببلال الندى ونشر الزهور

ويهز الغصون حينا فلا تسـ   ـمع في الجو غير خفق السفير

رقد الغاب في حمى الليل عيا   ن يعب الكرى بطرف قرير

وتلاقى الألاف فيه على الصفـ   ـو وناموا عن كامن المقدور

رقد الغاب كله غير عينين   تشعان في الدجى المنشور

شرد النوم عنهما في الدياجي   فهما للسهاد والتفكير

تستشفان مخبآت الليالي   وتضيئان حالكات الستور

يا فتى الصقور! أي مرام   يتصباك يا فتى الصقور!

لف هذا الظلام أتراب الصيـ   ـد يرد من غبطة وسرور

أسلموا الأعين القريرة للحلـ   ـم وناموا عن كامن المقدور

وسهرت الظلام في ذروة الدو   ح تدير الأحداق في الديجور

ترمق الغاب تارة فتراه   غارقا في سكونه والعطور

وتناجي السماء حينا فتسبيـ   ـك الدراري بالحديث المثير

***

جرد الصقر حوله من بياض الثلج   جنحين في ائتلاق الثغور

وانبرى في الفضاء يخترق الليـ   ـل بسيفيه كالشهاب المنير

زف كالبرق وامحى بعده الغا   ب وراء المدى وخلف البحور

ومضى في السماء يسمو إلى النجـ   ـم بعزم وسط الظلام منير

أين تسمو يا صقر في حلكة الليـ   ـل، وماذا يغريك بالتشمير؟

ما الذي نفر الرقاد وأذكى النـ   ـار حرى في صدرك المصهور؟

النهايات، يا ربيب السموا   ت، تطوت لجنحك المغرور

وتوارت عنك الدنى، وتواريـ   ـت بعيدا عن طرفها المحسور

فإلى أين تنطح الجو يا صقـ   ـر وقد آذن السنا بسفور

وصفا الكون ليس تسمع فيه   غير همس النجوم وسط الخدور

رانيات إليك يرمقن جنحيـ   ـك الطليقين في الفضاء السحير

يا مغيرا على السحاب ترفق   بجناحيك والشباب الطرير

وبوكر تركته في حمى الغا   ب مشوق لعطفك المبرور

رقدت زغبه ووليت عنه   نحو حلم ضافي الظلال نضير

أين تمضي كالسهم في ثبج الأو   ج وترقى في المهمه المهجور

لم تدع في العلاء بعد نخارا   لصقور تسمو ولا لنسور

***

يا فتى الصقور قد هبت الريح   فهلا سمعت صوت النذير

أعولت توقظ السحاب فتزجيه   على لؤلؤ الدجى المنثور

أي حلم يغريك يا صقر حتى   تتخطى إليه كل خطير؟

تركب الليل نحوه راعب الوجسـ   ـه وتغضي عن شره المستطير!

يا كبير المنى! أما كل جنحا   ك الفتيان في غلاب الأثير؟!

هل لمسراك يا بعيد الأماني   في الدجى من معرس أو مصير؟

اسم يا ابن الطموح! ما كل صقر   يطلب العز فوق هام البدور

ليس كل الشباب يفرح بالمجـ   ـد ويعتز بالطموح الكبير

اسم حتى يرضى غرورك يا صقـ   ـر بما نال... عاش رب الغرور!

الشباب العظيم لا عاش يا صقـ   ـر قنوعا يرضى بكل حقير!

الشباب الكبير لا كان إما   ضم عطفيه فوق قلب صغير!

***

جنت العاصفات واضطرب الليـ   ـل ودوى فيه نذير الثبور

وتبارت فيه الأعاصير غضبى   معولات تهزه بالزئير

تستحث الغيوم من كل فج   كهضاب موارة وصخور

وترجى رحب الفضاء فما فيـ   ـه شعاع لمدلج مستنير

وأفاقت عيون كل الفجاءا   ت وماجت أرواح كل الشرور

وانبرى البرق يصدع الدجية العميـ   ـاء صدعا بلمحه المذعور

راسما باللظى على صفحة الأفـ   ـق وعيد القدر المسطور

والرعود الغضاب زلزلت الكو   ن بصيحات ثائر موتور

قهقهت في السماء تضحك للهو   ل وترغي كالشامت المحبور
لحظة ثم فجر السيل دفا   قا يجوب الدجى رهيب الهدير
تتلوى حباله بيد الريح   وتهمي بلا ونى أو فتور
يا لهول الفضاء خلف الدياجي   والأعاجيب صرفه المستور !...
ساعة كالوجود في طولها المر   (م) ودنيا المعذب المأسور
مزق الفجر هولها فتجلت   عن صفاء السنا وحسن البكور
وإذا الغاب أدمع ومناحا   ت على صقره أمير الصقور
حطمت جنحه الأعاصير في الليـ   ـل فيا روعة الجناح الكسير
ثم ألقت به الرياح إلى الغا   ب فيا لوعة الحمى المغدور ..

***

يا ابنة المجد والمآثر يا بغـ   ـداد ! يا مفخر الخلود الفخور
وسدي صقرك الصريع ضريحاً   من جراحات صدرك المفطور
واغمري بالزهور والغار نضراً   قبر من عاش عمره كالزهور
واجعلي رمسه منار البطولا   ت ورمز الهدى وكنز الشعور
فلقد كان حلمنا العذب نرنو   لسنا وجهه الضحوك البشير
ولقد كان قرة للمآقي   ولقد كان خفقة في الصدور
تتغنى به القلوب تسابيح   ويهفو إليـه كل ضمير

***

إيه بغداد ! أين مني قبر   ضم أشلاء حلمنا المذرور ؟!
أنا أبكي له غريباً فمن ذا   يبلغ القبر مدمعي وزفيري
في بلاد ، لا القوم فيها بقومي   فأعزي ، ولا القصور قصوري
ولو أني هناك حيث فؤادي   هائم وحده وراء البحور
في بلادي وملعبي وظلالي   عند أهلي وجيرتي وعشيري
لنثرت الزهور من صدري الدا   مي على قبره الذكي الطهور !

***

يا مليكي ! يا سيد الشام إرثاً   عن أبيه المظفر المنصور
لو رأيت الشآم أذهلها الخطب   ومادت لنعيك المستثير
أمسكت قلبها الطعين بكفيها   وصاحت كالصارخ المستجير
نسيت جرحها البليغ الدمي   وشكايات صدرها المصهور
ونيوب الدخيل تفتك فيها   فتكة الذئب بالقنيص الأسير
وتلوت محلولة الشعر تبكي   في مناحات حلمها المقبور
طالما جمعت لك الزهر النضـ   ـر وهامت على ضفاف الغدير
وقضت ليلها تصوغ لك التا   ج وتمشي في قيدها المجرور

لم تكن وهي تنسج التاج تدري   أن منى آمالها في البكور !
لهف نفسي يا شام يا ملعب الأبـ   ـطال ، يا مسرح الحسان الحور !
يا نشيدي في غربتي ولحوني !   يا حديثي في وحدتي وسميري !
أي أشباحي الدوامي أناغي   في الليالي وفي رقادي النفور
تضحك الأرض والعوالم حولي   وأنا في مواجعي وسعيري
كم أتت بي إليك أخيلتي الهو   ج سراعاً في زحفها والكرور
تتخطى المدى فلا الموج يعتا   ق سراها ، ولا لهيب الهجير
بجناحين من هواي وإشفا   ق شديدين في اختراق الأثير
يا بلادي موجي على نغم الهو   ل وغني وسط الدم المهدور
واضحكي للمصاب يقتحم الغا   ب عسيراً على المصاب العسير
أنا أبكيك إذ أهدهد بغدا   د وأرثي لجنحك المكسور
أنتما في الصفاء والدمع أختا   ن ربيبا تمائم وحجور
ضم شمليكما طموح وآلا   م وأمجاد أعصر ودهور

***

يا فقيداً بكى لمصرعه العر   ب بدمع ملء الجفون غزير
وحدة العرب كم سهرت تناجـ   ـيها مشوقاً لفجرها المنظور !
كم أقضت جراحة العرب جنبيـ   ـك على مهدك الهني الوثير
وشهدت الوعيد في أعين الذئـ   ـب وكنت النصير خير نصير
نم قريراً فوحدة العرب سارت   بسناها النجوم كل مسير
وحدة العرب قد تضوع في الجو   شذاها مثل الخميل النضير
وحدة العرب مزقت حجب الليـ   ـل وشعت ملء الفضاء المنير
ملأت شمسها النهار فمن ذا   ينكر الشمس غير كل ضرير ؟
يا لهزل المستعبدين ! أأمّا   ن بأن ينظروا بعين بصير
عبثوا والزمان جد وهاموا   في مهاوي حلم لهم مغرور
وأقاموا الحدود بين الأشقا   ء ، فيا حكمة العقول القور ..!
أيها الساهرون للكيد في دهـ   ـم الليالي ... يا خيبة التدبير !
قلبوا الرأي كيف شئتم خداعاً   واشتروا كل خائن مأجور
وابذلوا الوعد كاذباً ، واقتلوا الحـ   ـق ، وغشوا الضحى بليل الزور
لن تنالوا المنى ولو قد أقمتم   ألف سور وراءها ألف سور !

***

أيها العرب حيث كنتم من الأر   ض ، ومن كل مربض وعشير
جمعتنا الدموع في مأتم الصقـ   ـر ، وكم وحد الأسى من شعور
وبكينا حيناً ولا خير في الدمـ   ـع إذا لم يثر شكاة الصدور

فدعوني أصرخ فيسمع قوم أنكروا قولة النصيح المشير
واستقادوا لكل أملس روا غ وهاموا بصاغة التزوير
غصبت الكأس بالمظالم حتى أنفد الظلم صبر كل صبور
فليكونوا أحلافنا مخلص الود (م) لهم في الشقاء أو في السرور
وليكونوا أعداءنا تتلقف طعنهم في صدورنا لا الظهور
لا نحب الخداع في حومة العز (م) ونأبى ميثاق كل غدور
عرب نحن ما نذل لباغ مستبيح ولا ندين بنير
مشعل النور ما يزال بأيدينا مشعا رغم انطفاء العصور
وحدتنا مواجع القيد حينا فارقبوا اليوم وحدة التحرير!

« باريس » أمجد الطرابلسي

ذكرى

« إلى روح الشاعر م . ع . الهمشري »

للأستاذ صالح جودت

قال لي صاحبي، وقد جنت الشمـ س فألقت بجسمها في الماء
ألنا أن نسير حتى نرى الصبـ ح فنقضي له بسر المساء ؟
قم بنا ننتهي إلى ضفة النيـ ل وعشب « الجزيرة » الفيحاء
خطوات النهار للناس، لكن خطوات الظلام للشعراء
نحن من غلاء العقول ضياء ما بنا حاجة لنور ذكاء

* * *

وانتهينا إلى الجزيرة ، مغنى الـ طير والزهر والربى الغناء
لفها النيل في ذراعيه وانسا ب يغني لها نشيد الولاء
ورمى الموج تحت أقدامها السمـ ر دعابا ، فأطرقت من حياء
وتعرت رضية في يديه وتراخت تراخي الغيناء
ثم لما خاف الظنون عليها لفها في ملاءة خضراء!

* * *

جنة الحب يا جزيرة شطآ نك، مثلهي القلوب والأهواء
جنة الخلد ، غير أن رباها أمنت آدما على حواء
أنها شاعر من الخلد يروى بالأغاني صدى القلوب الظماء
وأطل الهلال حينا فألقى كوكبا في الضفاف حلو الضياء
وأطل الزمان حينا فألقى أجلا في الشباب جم الرجاء
وأطلت عين الخلود فقالت : إن هذا مكانه في السماء !

* * *

يا رفيق الصبا ، وهيهات نسيا ن الليالي المخلدات الصفاء
يوم كان الزمان كالزهر في الفجـ ر ، وكنا عليه كالأنداء
يوم كنا نموج الماء ضحكا في ضفاف (المنصورة) الحسناء
لم تكن تعرف التواريخ إلا من وعود الحسان عند الوفاء
لم تكن نعرف العشيات إلا من غناء الكروان عند المساء

* * *

ثم مرت من الزمان صروف وهبطنا مدينة الضوضاء
وبدأنا الكفاح في عالم العيـ ش ودنيا منازعات البقاء
فجعلنا لقاءنا فترات ينفد الصبر من خطاها البطاء
كم حثثنا تسيارها، وجهلنا أنها تنتهي لغير لقاء !

* * *

أين هذا الشباب والأمل الضا حك بين الخطوب والأرزاء
وأحاديثك المليئة بالأحـ لام في عالم قليل الرجاء
كنت ألقاك ، والحياة تجافيـ ني وإعصارها يهد بنائي
فإذا ما سمعت ضحكتك العذ بة ، أحببت بعدها أعدائي
وتمشى السلام في جو نفسي وتطهرت من طويل عنائي
وقرأت الحياة فيك كتابا شاعري الآمال والآلاء
وشبابا هو الربيع الموشى برقيق الظلال والأضواء
حين تبدو وعروة الصدر في ثو بك تزهو بالوردة الحمراء
واحمرار الحياة يشمل خديـ ك ، ونور الشباب في لألاء
تطأ اليأس باعتداد الأماني وتذل الزمان بالكبرياء
وتغني ، وتنهب العيش نهبا شأن من ألهم اقتراب الفناء !

* * *

ها أنا عدت للجزيرة وحدي أتملاك خلف تلك المرائي
ومضت قبضتي تصافح يمنا ك ، فصافحت قبضة من هواء!
وتلفت باحثا عن أمانيـ ك ، فلم تهدني سوى الأشلاء!
غير أني أراك في شعرك الخا لد روحا تهيم بالإسراء
وأرى طيفك المغرد بين الـ زهر والطير والربى والماء
فأقول الخلود لله ، والله يريد الخلود للشعراء !

صالح جودت



حبيبات المادة والكهرباء والضوء

للدكتور محمد محمود غالى

عندما نعمد فى المساء إلى ترتيب ثيابنا ، وفى الصباح إلى إخراج كتاب يُلازمنا طيلة اليوم ، فالثياب أو الكتب مكونة مما نسميه مادة ، كذلك الخزانة أو المكتبة اللذان يحتويانهما مكون كل منها من مادة هى الخشب أو الكروم الذى تعمل منه الحلية فى وقتنا الحاضر .

وتزيّن حجرة استقبالنا بستائر مزدوجة من النسيج الشفاف وتحلى حوائط الحجرة ببعض الصور الفنية ، فهذه الستائر وهذه الصور مظهر آخر من مظاهر المادة

وتصلنا فى الأعياد هدية من صديق حميم — تحفة جميلة أو كتاب قيم — هذه آنية من صنع سيفر ، وهذا سِفرٌ هو آخر نتاج « دى روى » أو « برجسون » وموقع عليـه بإمضائه . فالآنية والكتاب والتوقيع مظاهر مختلفة من المادة لكل منها وزنها الخاص وكتلتها المعينة ، وهى بهذا مرتبطة بعلاقة معروفة مع الأرض التى نعيش عليها ، فهى تجذبها بدرجات مختلفة تتناسب على قدر ما تحويه كل منها من مادة

ونشعر فى القيظ بمسيس الحاجة إلى كوب من الشراب البارد لنطفئ ظمأنا ، فإن ما نجرعه من مياه ، وما يحويه الماء من عصير الفاكهة ، كله مظاهر للمادة ، كانت لازمة لبقاء نشاطنا فى هذه الفترة من العمل

ونسوق عربة من طراز جـديد هى قطعة رائعة من بدائع ماوصلت إليه مصانع أمريكا النائية ، نقلتها إلى بلادنا بواخر ضخمة حملتها أمواج متلاطمة ، فالسيارة والباخرة والمياه مظاهر متباينة للمادة

وتجلس آنسة فتانة أمام المرآة تتزين « ببدرة » ناعمة ، لعبيرها على النفس أحلى الأثر ، وتتحلى بخضاب أحمر وكحل أسود ، لهما على العين فتنة للنظر ، هذه « البدرة » وهذه الألوان مظاهر أخرى للمادة

ونلج حديقة المنزل فنتجول بين الزهور فى أصفى أيام الربيع ونتنسم عبيرها المتطاير : هذه الزهور الساحرة ، وهذا العبير الشجى الذى يخف لحاسة الشم فينا متواصلاً ، هما مظهران من مظاهر المادة .

ونبتاع علبة من لفائف الدخان (السجاير) ونشعل واحدة منها ، فيتصاعد الدخان على شكل كرات نرى بالعين مجموعاتها متراصة ومتتابعة ، ونرى بالميكرسكوب جزئياتها أكثر تفصيلاً ووضوحاً ، فهذه العلبة وما فيها من لفائف ، وهـذه اللايين من الكريات المتصاعدة مظهران من المظاهر المختلفة للمادة .

وترزق مولودا سعيداً يحمل اسمك وتهبه مجهوداتك ، وتوليه محبتك ، ويرث خصائصك وعلمك وتؤول إليه ثروتك : هذا المولود أيضاً من أعجب مظاهر المادة .

***

هذه المظاهر المتفاوتة فى المادة وغيرها نصادفها فى كل لحظة من لحظات حياتنا ، وكذلك نصادف مظاهر الكهرباء أو الضوء فى حياتنا اليومية ، بل إن أجسامنا هى مجموعة لهذه المظاهر مجتمعة

فهذه مركبة الترام تقلنا من المنزل إلى حيث العمل ، فما يجرى فى الأسلاك الممتدة على طول الطريق خلال انتقالنا هو مظهر من مظاهر الكهرباء .

ونعود فى المساء إلى المنزل فنستمع لبرنامج الإذاعة ، ونتتبع أخبار العالم ، هذه محاضرة شائقة وهذا لحن جميل ، ونحن فى هذا وذاك إزاء تردد كهربائى ، تحول فى داخل الجهاز ، وفى اللحظة الأخيرة إلى تردد صوتى ؛ فهو قبل كل شيء ظاهرة من ظواهر

الـكهرباء ، وانتشار الأمواج الـكهرومغناطيسية.

وتضغط زراً فتسطع الأنوار في الغرفة ، هذه هي الظاهرة الضوئية في المصابيح هي ظاهرة كهربائية في فتيلاتها ، ويتطاير في الثانية الواحدة من فتيلة المصباح من الألـكترونات ملايين المرات عدد ما في أرجاء المعمورة من بشر .

***

وترى وأنت تخترق بسيارتك الصحراء في طريق السويس مثلاً السراب بوضوح تام فتظنه ماء وما هو بماء ؛ هذه ظاهرة ضوئية ناتجة من انكسار الضوء على طبقات الجو المختلفة ، هذا الانكسار الناشئ من اختلاف كثافة هذه الطبقات تبعاً لاختلاف درجات الحرارة . فهذا السراب وهذا الماء المزعوم ظاهرة ضوئية هذه « فوتونات » تصل إلى مقلة العين بسرعة الضوء

وترى وأنت مطل من نافذتك تتأمل السماء في وقت منذر بالمطر قوس قزح عريضاً في السماء يمثل نصف دائرة كاملة ، هذا القوس ظاهرة ضوئية ناتجة من انكسار الأشعة على قطرات الماء الرقيقة المحمولة في الهواء التي تمثل في هذه الحالة دور المنشور في عمليات الضوء المعروفة عند ما يتحلل الضوء إلى ألوانه العديدة المعروفة ، هذه أيضاً « فوتونات » تصل إلى العين ، لـكل لون من الألوان عدد من الذبذبات يؤثر في العين البشرية بتأثيرات مختلفة تجعلنا نفرق ونميز بين كل لون وآخر ، هذا القوس وهذا التأثير على العين ظاهرة أخرى ضوئية .

***

هذه أمثلة مما نقابله كل يوم من مظاهر المادة والكهرباء والضوء ، ويتراءى لنا أن كل مكونات الـكون والخليقة يمكن إرجاعها إلى ظواهر مادية أو كهربائية (كذلك مغناطيسية) أو ضوئية ، أو إلى ظواهر هي خليط من هذه الظواهر الثلاث

كل هـذه الظواهر يمكن الحصول عليها بمقادير متناهية في الصغر ، هي التي نريد أن نتأملها ونستعرضها ، وهي التي باتت تلعب دوراً فيما نالته العلوم الحديثة من طفرة وتقدم

على أن أبسط هذه الظواهر هي المتعلقة بالمادة وتقسيمها إلى جزيئات وذرات صغيرة

إن إرجاع جميع الأجسام مهما كانت صلدة ومهما كانت سطوحها ناعمة ، إلى جسيمات صغيرة جداً مركبة تركيباً حبيبياً فارغة من الداخل هي أول الأفكار التي تطرأ على الذهن . هذه الفكرة ترجع فيما يخص المادة إلى أقدم العهود ، وقد تقدمت عن فلاسفة الإغريق ، وعمرت على مر العصور ، وبقيت خلال كل التطورات العلمية المختلفة حتى توطدت في أوائل القرن التاسع عشر مستندة على براهين جديدة دعمتها وحققتها بطريقة لا تقبل الشك

على أن الأفكار التي أدت إلى الفكرة الذرية للمادة مؤسسة في الواقع على ظواهر أولية تفهم بالبداهة ومن دون عناء .

فثمَّ مجموعتان من الظواهر تؤديان إلى الفكرة الذرية للمادة:

المجموعة الأولى تنحصر فيما يمكن أن يطرأ على المادة من تعديل في شكلها الظاهري ، وذلك بما لها من خواص المرونة كضغطها وانحنائها والتوائها، هذا التعديل الذي يصل في السوائل والغازات إلى أقصاه بما لها من سيولة كاملة تأخذ المادة في هذه الحالة شكل الحيز الذي تحل فيه ، هذا النوع من الظواهر هو تعديل طبيعي في المادة أي أنه تعديل في مظهرها الخارجي .

أما المجموعة الثانية من الظواهر فتخص التغييرات الداخلية وهذه من موضوعات الـكيمياء مثل التغيير الحادث بين العناصر لتكوين مركباتها؛ فالهيدروجين والأكسوجين يتحدان ليكونا الماء

وكلتا المجموعتين تثبت فكرة واحدة هي أن الأجسام مكونة من جسيمات صغيرة صلبة، وقد أطلقوا على هذه الجسيمات الـكلمة الإغريقية القديمة «أتوم»، أي الذرة ومعناها ما لا يمكن تجزئته.

ومع ذلك فقد برهن التقدم العلمي الحديث على وجوب التفريق بين التعديلات الطبيعية الظاهرة والتغييرات الـكيميائية ، ففي الحالة الأولى لا دخل للذرات في هذه التعديلات الحادثة ، وإنما الجسيمات المركبة منها هي التي تدخل في هذه التعديلات ، وتسمى هذه الجسيمات بالجزيئات Molecules ، وبذلك احتفظ بكلمة ذرة للجسيمات التي تتدخل في التغييـرات الـكيميائية . فالذرة Atome جزء صغير من الجزيئ .

على أن العلوم الحديثة أدت إلى أن الذرة قابلة للتجزئة فأصبحت كلمة أتوم أي « غير قابل للتجزئة » لا تؤدي المعنى المراد منها ،

وعلى ذلك فإننا نتساءل عما إذا كانت هناك حدود للتقسيم المادى والكهربائى والضوئى يمكن عندها أن نقف عاجزين عن الوصول إلى تجزئتها إلى وحدات أصغر من التى نصل إليها .

***

إن كل معارفنا للعالم الخارجى تتطرق إلى أعماق نفوسنا عن طريق حواسنا ، وكل تعريف لأى شىء أو ظاهرة فى الوجود ، مهما كان دقيقاً ، لا يتعدى حدود قوة هذه الحواس على الإدراك والتمييز بين الأشياء ، حتى خيالنا وكل ما يعرض فى مخيلتنا لا بد وأن يأخذ أشكالاً حسية مختلفة . فهو بهذا معرَّضٌ لنفس القانون الذى يحكم معارفنا للعالم الخارجى عنا .

إننا لا نستطيع أن نتخيل صورة فى الكون لا يمكن إرجاع عناصرها المختلفة وأجزائها المتباينة إلى مسائل وأشياء اعتادتها حواسنا . على أن الرجوع بكل الفروض العلمية إلى حواسنا وقدرتها على التمييز والتفرقة بين الأشياء لا يمنع من أن نفرض أحياناً على الذهن صوراً لأشياء لا يمكن استيعابها بسهولة بهذه الحواس ذاتها ، وهذا النوع من الصور تثبت صحته لا عن طريق الحواس وإنما عن طريق إثبات النتائج المترتبة على فرض هذه الصور ، بمعنى أنه إذا اتفقت النتائج مع الظواهر الطبيعية المعروفة لدينا كانت هـذه الصور التى افترضناها صحيحة .

بمثل هذه الطريقة توصل العلماء إلى الشكل الحبيبى أو الذرى للمادة وتجزئتها إلى وحدات أولى يسمونها الجزئيات وتجزئة هذه إلى وحدات ثانية يسمونها الذرات ، دون أن تكون بحاجة لوضع إحدى هذه الذرات على كفة الميزان .

وبطريقة مماثلة توصل العلماء إلى التجزئة الكهربائية بل إلى قياس وإثبات شحنة الألكترون كما توصلوا إلى التجزئة الضوئية ، ومعرفة الفوتون .

وسنتابع فى المقالات القادمة نشر العوامل التى أدت إلى الكشف عن هذه الحبيبات ، والمكونات الأولى للخليقة فنستعرض بذلك صوراً رائعة مما توصل إليه العلم الحديث .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسة

الأجـــرام السماوية

ذوات الأذناب

للأستاذ قدري حافظ طوقان

أبو تمام والمذنبات

كان الناس في القرون الوسطى يخافون من أكثر الظواهر الطبيعية ولا سيما المذنبات ؛ وكان الملوك والأمراء وذوو النفوذ يأخذون برأي المنجمين قبل الشروع في أي عمل من أعمالهم . ويروى أن المنجمين كانوا حذروا الخليفة المعتصم بالله من فتح عمورية عند ما عزم على الاستيلاء عليها ، وقالوا له : إنا نجد في الكتب أنها لا تفتح في وقت نضج التين والعنب !

ولكن الخليفة الحازم العاقل لم يسمع لأقوالهم وسار بجيشه وفتح عمورية وكان انتصاره مبيناً . وهنا يأتي دور أبي تمام حبيب ابن أوس فيمدح الخليفة المنتصر ويذكر له فتح عمورية في قصيدة خالدة يحمل فيها على المنجمين ويكذبهم في تنبؤاتهم واختلاقاتهم ويقول لهم : إن العلم الحق إنما هو في السيوف وليس في النجوم ، وإن أحاديثهم كذب لا أصل لها :

والعلم في شهب الأرماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

أين الرواية ، بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

ويظهر أن المنجمين كانوا خوفوا الناس عند ظهور المذنب سنة ٨٣٧ م — ٢٢٢ هـ أي قبل فتح عمورية بسنة واحدة فتراه يقول في ذلك :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

وهذا المذنب هو مذنب (هالي) ، وقد قال عنه ابن الاثير :

« ... وفي هذه السنة ظهر عن يسار القبلة كوكب ، فبقي يرى نحواً من أربعين ليلة وله شبه الذنب ، وكان طويلاً جداً فهال الناس ذلك وعظم عليهم ... »

وبينما نرى أبا تمام لا يعبأ بالمذنبات ولا يعتقد بما نسج المنجمون حولها من خرافات وتنبؤات ويضرب بأقوالهم عرض الحائط نجد أن ملك فرنسا لويس الأول ابن شارلمان قد استولى عليه الخوف من ظهور المذنب الذي ظهر أيام المعتصم ، وقلق لذلك أشد القلق ، وبلغ به الفزع درجة جعلته يدعو المنجمين ليقولوا شيئاً عن هذا النجم (في رأيه) ولينبئوه عن خبره . فقالوا له إن النجم المشار إليه نذير من الله ينذر باقتراب أيام السوء لكثرة المعاصي التي يقترفها الإنسان . ويقال إن الملك منذ ذلك الحين أصلح حاله ورجع إلى الله فبنى الكنائس وشجع الأديرة . كل ذلك تسكيناً لغضبه تعالى .

وقد ظهر أيضاً مذنب (هالي) سنة ١٤٥٦ م ومر على مقربة من الأرض وامتد ذيله كالسيف المسلول ، وكان ظهوره بعد فتح القسطنطينية وإيغال السلطان محمد الفاتح في أوربا .

ولقد تشاءم منه أهل أوربا ، واتخذوا من ظهوره علامة سماوية على غضب الله تعالى ؛ فلقد دخل العثمانيون القسطنطينية ، وفر أهلها منها وامتد الفتح العثماني إلى البلاد الأوربية — فنسبوا كل ذلك إلى المذنبات كما نسبوا إليها كل ما يصيبهم من رزايا وفتن وقتل وخسف وغير ذلك .

المذنبات وأقسامها

والآن . نأتي إلى هذه الظواهر التي تظهر في أوقات مختلفة وفترات متباعدة .

في الفضاء أجرام في أفلاك اهليليجية حول الشمس فتقترب منها ثم تبتعد عنها كثيراً ، وهذه الأفلاك غير ثابتة بل تتغير من وقت لآخر . وهناك عوامل عديدة تؤثر في سيرها وفي موقعها ولعل جذب السيارات لها من أهم تلك العوامل .

ولهذه الأجرام ذنب طويل هو السبب في تسميتها (بالمذنبات) أو (ذوات الأذناب) يتكون من مادة لطيفة جداً لا تحجب رؤية النجوم الصغيرة التي وراءها (ولا يسري هذا القول على النواة) وهي ألطف من الهواء المحيط بالأرض ألف مرة . وتتألف أجسام المذنبات من رأس ونواة وذنب . فالرأس يختلف بحسب الذنب ، فقد يكون صغيراً جداً حتى يرى كالنجم وقد يكون كبيراً جداً حتى يرى كالقمر . أما النواة فلا ترى دائماً في المذنبات ويرجح أنها مؤلفة من أجسام نيزكية صغيرة وقد تكون (كما في بعض المذنبات) لامعة جداً تضاهي لمعان الزهرة . وأما الذنب فهو مادة لطيفة على هيئة مروحة كبيرة تتجه نحو الجهة المقابلة للشمس ، ويختلف طوله فقد يملأ الشقة بين الشمس والأرض . ويقول بعض علماء الفلك أن الذنب هو مجموع أجرام نيزكية يحيط

بها وبتخللها جو غازى يجعلها منيرة وظاهرة (للعين) بسبب الجارى الكهربائية

ويرجح بعض الباحثين أن نواة الذنب تتألف من أجسام نيزكية صغيرة ؛ فإذا دنت من الشمس ارتفعت حرارتها كثيراً وخرجت منها غازات تدفعها أشعة الشمس بما فيها من قوة الدفع فتظهر وراء النواة مثل ذنب لها وتكون منيرة بنور الشمس ؛ ويقول آخرون إن أذناب المذنبات تتولد من كهربائية تتكهرب بها دقائق المادة المنتشرة في الفضاء وتظهر كأذناب من نور وراء المذنبات . وهناك رأى ثالث يقول بأن هذه الأذناب ليست إلا ظواهر بصرية أى أن نور الشمس يخترق رأس المذنب ويظهر وراءه كذنب من نور

ومن الطبيعى أن يكون لهذه المذنبات وزن ولكنه صغير جداً بالنسبة إلى الأرض أو السيارات إذ لا يزيد على جزء من مليون جزء من وزن أحدها

أشهر المذنبات

تظهر المذنبات فى أوقات مختلفة رصد العلماء منها حتى الآن أكثر من خمسمائة كلها تابعة للنظام الشمسى . وقد ظهر مذنب كبير فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد قيل إن طول ذنبه كان كبيراً جداً . وكذلك فى سنة ١٣٣٧ م ظهر مذنب كبير ، ومذنب سنة ١٦٧٩ م أفزع العالم وبقى ظاهراً أكثر من خمسة شهور وكان قريباً من الأرض . ويقال إنه فى سنة ١٧٧٠ م ظهر مذنب شديد اللمعان اقترب من الأرض وكان له ذنب طويل جداً امتد فى عرض السماء لمسافة ٣٦٥ مليوناً من الأميال . وظهر فى أوائل القرن التاسع عشر للميلاد مذنب عظيم جداً حسب (هرشل) الفلكى الشهير طول ذنبه فوجده أكثر من (١٠٠) مليون ميل وعرضه أكثر من (١٥) مليوناً من الأميال . وكذلك مذنب (أنكى) من أشهر المذنبات وهو يدور فى فلكه كل ثلاث سنوات وثلث سنة . وقيل إنه فى سنة ١٨٢٦ م كشف ضابط نمسوى مذنباً أطلقوا عليه اسم (مذنب بيلا) وقد فزع منه الناس واهتموا له . ووُجد أنه يدور دورة كل ست سنوات و (٣٨) أسبوعاً وقد ظهر عدة مرات بعد كشفه . وفى سنة ١٦٨٢ م شهد (أدموند هالى) ظهور مذنب كبير وقد سماه العلماء (مذنب هالى) نظراً لاعتناء (هالى) بدراسته ، وقد استنتج من حساباته أن هذا الذنب يظهر كل ٧٥ سنة وتنبأ بظهوره سنة ١٧٥٧ م وقد حدث فعلاً ما تنبأ به . وفى سنة ١٨٥٨ م ظهر مذنب كشفه العالم (دوناتى) الإيطالى ودرس حركاته وطبائعه وكان شديد اللمعان وقد قيس ذيله فوجد أن طوله بلغ (٤٠) مليوناً من الأميال وكان على وشك الاصطدام بالزهرة

وظهر سنة ١٨٦١ م مذنب هائل كشفه (تبوت) فى سدنى بأستراليا وقاس قطر نواته فكان (٤٠٠) ميل وذنبه مستعرض على غير نظام بلغت سرعته (١٠) ملايين من الأميال فى اليوم . ويقال إنه فى يونيو تلك السنة مرت الأرض فى طرف ذنبه وشعر الناس بأشعة فصفورية . وهـذا الذنب هو الذى أحدث خوفاً وجزعاً فى لبنان فكانت العجائز يضرعن إلى الله ويسألنه العفو والمغفرة ويتوسلن إليه أن يرفع عن الناس مقته وغضبه

الاصطدام بالأرض

قد يقترب مذنب من أحد السيارات وقد ينتج عن هـذا انحراف فى فلك الذنب . ولكن لحد الآن لم يثبت أى تأثير للمذنبات على السيارات أو على الأرض . ولا عجب فى ذلك فكتلة الذنب إذا قورنت بكتلة أى كوكب كانت صغيرة جداً . ولقد سبق ومرت الأرض فى ذنب مذنب سنة ١٨١٩ م وذنب مذنب سنة ١٨٦١ م ولم يقع عليها ما يؤثر على حركتها أو يزعج سكانها حتى إنهم لم يشعروا بهما . فلولا الحسابات الرياضية والفلكية لما عرفنا شيئاً عن مرورها واصطدامهما بكرتنا . وإذا اتفق واصطدمت الأرض بنواة إحدى المذنبات العظيمة كنواة المذنب الذى ظهر سنة ١٨٥٨ م فقد تحترق الأرض من جراء ذلك . ولكن هذا بعيد الوقوع لأسباب ليس هنا محل ذكرها أو شرحها

واستولى على الناس خوف عظيم فى سنة ١٩١٠ م عندما اقترب مذنب (هالى) من الأرض وكان من المحتمل جداً أن يصطدم بها وذهب بعض الفلكيين إلى أن هذا الاصطدام قد يكون بلاء على الأرض ليس من ناحية تأثيره على حركتها بل من الغاز السام (السيانوجين) الموجود بكثرة فى المذنبات . ولكنه بحمد الله مرّ الذنب ولم يحدث للأرض ما يفسد هواءها أو يسمم جوها

وثبت من الرصد أن المذنبات التى كشفها الفلكيون ووقفوا على بعض تفصيلات تتعلق بحركاتها وأفلاكها وأقسامها — تابعة للنظام الشمسى متحركة فى أفلاك حول الشمس . وكذلك وجدوا أن بعضها لا تستطيع التماسك بل تتحطم وتتناثر إلى قطع كثيرة ومن ذلك تتكون طوائف تسير حول الشمس فى اتجاه الذنب

تابلس قدرى حافظ طوقان



دراسات في الفن

الصـــدق في الفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

في هذا الكون ظواهر غامضة يحاول الناس أن يتفهموها بعقولهم، فيعرجوا إليها بعكازات من هذه العقول البطيئة المتثاقلة، بينما يقفز بعض الناس إلى حقائق هذه الظواهر الغامضة بإحساسهم لا بعقولهم فيوفقوا إلى قوانينها توفيقاً من حيث لا يتكلفون ولا يتعمدون. ولعل أبرز ما تصدى له هذا الفريق من أهل الحس فبلغوا غايته، ثم لحقهم العلم بعد أجيال فقرر ما أحسوه، هو هذه النفس الإنسانية التي أحبها الكتاب والروائيون منـذ آلاف السنين، ففرضوها في قصصهم وساروا بها في مناهجها الصحيحة؛ ثم خلفوها للعلم الذي أخذ يحاول في القرن الماضي فقط أن يتعرفها على أساس يطمئن إليه هذا العقل الشكاك الذي ينكر الحس.

وإذا كان أهل العلم يعرفون الفن بأنه التطبيق العملي للنظريات العلمية التي تحوم حول موضوع واحد، أو التي تدور حول مسألة واحدة، فإنا نري في تعريفهم هـذا ما يعزز الذي نذهب إليه. ذلك أننا نلحظ ونشاهد أن فنون الناس سبقت علومهم، فقد طار الإنسان على بساط الريح في قصص ألف ليلة وليلة قبل أن يركب متن الهواء في الطائرات والمناطيد بألف سنة على الأقل. وقد حول الإنسان الرصاص والنحاس إلى ذهب في خرافات الأقدمين قبل أن يحول العامل (السلاؤون) الأحمر إلى ذهب في العصر الحديث. وقد استطاع الإنسان الغيب في كرة البلور المتنبئة ما شاء من الغيب قبل أن تنتهي الدراسة الجديدة إلى (التنويم المغناطيسي) بقرون وقرون. وقد مسخ الإنسان قرداً عقاباً له على الشر في قصص القدماء قبل أن يعلن داروين نظرية التطور بدهور ودهور

فكيف اهتدى هؤلاء (المخرفون) القدماء إلى هذه الحقائق التي لم يثبت أنها حقائق إلا بعد أن تغيرت الأرض ومن عليها؟ هل كانوا يطبقون نظريات علمية تدور حول موضوعات متفرقة فدار كل منهم بنظرياته حول موضوع؟ هل يمكن أن يكون هذا قد حدث مع تسليمنا بأن النظريات العلمية لم تتكشف إلا أخيراً؟

نعم! هذا هو الذي حدث، ولم يحدث شيء غيره، وإنما كل ما كان هو أنهم لم يعرجوا إلى هذه الحقائق بعكازات من عقولهم، وإنما طاروا إليها على أجنحة من إحساسهم. هم أحسوا هذه الحقائق، وبلغوها صادقين، وأعلنوها، وإن كانوا قد عجزوا عن إثباتها لمن لا يريدون أن يفهموا إلا بالمعقول!

ومن هذا نرى أن صدق الإحساس يكشف للإنسان ما يستره المستقبل. فهذا الكاتب الذي طير الإنسان على بساط الريح في قصص ألف ليلة وليلة كان يحس أن الإنسان يستطيع أن يطير، هذا إذا لم نقل إنه كان مؤمناً بأن الإنسان سيطير. وهذا «المخرف» الذي حول الرصاص والنحاس إلى ذهب كان مؤمناً بأن هـذه المعادن التي يشاهدها ليست إلا مظاهر مختلفة لشيء واحد يمكن إذا عدلت المؤثرات التي تؤثر فيه أن تتعدل الأشكال التي يتشكل بها. كان مؤمناً بهذا وإن لم يكن يعرف أن المادة ذرات، وأن الذرات كهارب، وأن الكهارب ألكترونات إلى آخر هذه الزحمة التي تشغل عقول العلماء. وهذا الهندي الذي اختلق في قصصه كرة من البلور ينظر فيها الإنسان فيعلم الغيب كان يحس أن في الإنسان هـذه القوة التي تمكنه من الوقوف على ما يغيب عنه وهو في حالته العادية، ولم يكن يدري أن الإنسان سينوم أخاه تنويماً مغناطيسياً فيسأله عن بعض المحجوب عن عقله، وأنه يستطيع أيضاً أن ينوم نفسه ليصل إلى ما يريد. وهـذا «المخرف» الآخر الذي رد الناس في خرافاته قردة كان يحس أن هناك عقداً تنتظم فيه الخلائق متتابعة متسلسلة من حلقة إلى حلقة كل حلقة أرقى من أختها وأشد تعقيداً ... وإن لم يكن قد قرأ كتب داروين

كل هذه حقائق اهتدى إليها الكتاب بإحساسهم لا بعقولهم فنحن نعلم أن العقل لا يطمئن إلا إلى ما يثبت ثبوتاً صريحاً للعين والأذن والأنف وبقية الحواس المادية

فإذا سايرنا أهل العلم وقلنا إن عمل العقل هو جمع هذه المدركات الحسية والنفاذ بها بعد تأليفها إلى الحقائق الصحيحة، رأينا أهل الفن والحس المرهف أسبق من غيرهم في الوصول إلى هذه الحقائق الصحيحة؛ فنفوسهم تدرك من المحسوسات والمعنويات ما هو قابل لأن ينتظم في سلك واحد بأسرع مما تدرك النفوس المتعقلة المتشككة هذه المدركات نفسها. ولعل هذا هو ما يسميه المتصوفون «العلم اللدني» أي الذي يأتي من لدن الله فيهدي الإنسان إلى الصواب

أما المتصوفون فيقولون إنهم يستطيعون أن يفسروا علمهم هذا، وأما أهل الفنون فهم غالباً يحتاجون إلى نقاد يصفون فنونهم ويفصلون ما فيها من الحق والبلاغة والجمال، فالفنان إذا أضيف إليه ناقده وشارحه كان مجموعهما إنساناً متصوفاً يهتدي إلى الحق بإحساس الفنان، ويضيء السبيل إلى الحق بدراسة الناقد وشرحه

وقد أشعر بعد هذا التفصيل أن هذه المسألة قد وضحت بحيث أستطيع أن أتركها مطمئناً إلى ناحية أخرى من نواحي الصدق في الفن، فليس كل الصدق الفني متصلاً بالمستقبل، بل إن هذا الصدق المتصل بالمستقبل هو أندر ما يطالعنا به الفن من الصدق، وإنما يتجلى الصدق في الفنون جميعاً إذ تتصدى للحاضر. فهذا الرسام الذي يسجل الخصائص النفسية للشخص الذي يرسمه حين لا يخط بريشته على الورق إلا خطوطاً رآها في وجه الشخص المرسوم فأحس أنها تخفي هذه المعاني التي يعبر عنها بهذه الخطوط ... وقد يكون عقله في هذا الطواف كله نائماً لا يدرك الصلة بين الخطوط التي يراها على الوجه والتجاعيد الصاعدة والهابطة فيه، وبين هذه الأحاسيس التي يحسها من يرى الرسم وبين هذه الخطوط التي قيدها على القرطاس ... هذا الرسام من غير شك صادق الحس، صادق التعبير. وهو موفق في فنه ما دام صادقاً في إحساسه صادقاً في تعبيره، فإذا التوى على نفسه وحاول أن يدرس عقله في فنه لم يصب من هذا الدرس غير التعقيد يشوب الفن، والبعد ينحرف به عن الحق

وهكذا الصدق في الفنون جميعاً — كما رأيناه في الأدب والرسم — فهو دائماً عمدتها في الإحساس بالحياة كما أنه عمدتها في التعبير، وبمقدار ما في الفن من صدق يبلغ الفن شأوه الذي يحسده العلوم عليه، فهو الذي يوجه الإنسانية، وهو الذي يحصي لها خيرها ويحصي عليها شرها، هو ضميرها وروحها

فإذا أراد القارئ أن أضرب له المثل بالموسيقى فناً يلزمه الصدق أيضاً — فقد تكون صلتها بالصدق متسترة — ذكرته بلحن المارسيليز الذي حرر فرنسا، فهو ليس سوى إحساس صادق بالحرية عربد في أنغام اختلقت في نفوس المستعبدين حب الحرية الصادق فعربدوا كما عربد النغم، وتحرروا كما تحررت روح منشده، وقد كان كل فرنسي منشده وراء مبدعه

والآن فإني أظن القارئ الكريم قد بدأ يستسيغ هذا الذي عرضته عليه. وكم أحب أن يستعيد القارئ التفكير في هذه المسائل حتى تسري من عقله إلى روحه. ثم كم أحب بعد ذلك أن يبحث القارئ في ذاكرته عمن يعرفهم من الفنانين وأن يبحث بفراسته في أحوالهم، وأن يرى مدى الصدق في أعمالهم وأقوالهم، وأن يقيس هذا الصدق بما يصيبونه من التوفيق في فنونهم. ولست أريد بالتوفيق النجاح التجاري الذي يؤدي إلى الغنى المادي، وإنما أقصد به الإصابة الفنية التي يعتز بها الإنسان أمام ربه إذ تحسب في حسناته وإن لم تكن صلاة ولا صوماً لأنها أثر من آثار الصدق ومظهر من مظاهره، والصدق في النية، والأعمال بالنيات

بالمشاهدة والتجربة يتضح أن أبلغ الفنانين فناً هم أصدقهم فعلا وقولاً كما أنهم أصدقهم حساً

وهذا الصدق كما أنه حس، فإنه خلق، وإذا كان لا بد لنا أن نلجأ إلى أسلوب العلماء لنثبت الحق في قولنا فإننا لا نكره أن نردد ما يقوله العلماء من أن كل خلق ينمو في نفس الإنسان بالتدريب والتمرين، والفنان الأمين على فنه المؤمن به الآمن له يوالي هذا التدريب ليل نهار، سواء فيما هو متعلق بفنه من الأعمال والأقوال وفيما لا علاقة له بالفن: ذلك لأن الفنان يكون دائماً من المؤمنين بأنفسهم، لأن نفسه ترزقه الحق وتلهمه إياه والحق من الله، ولو لم يدرك بعقله هذا الإيمان وسره. وهو لذلك يطلق روحه حرة صادقة في كل أعماله وأقواله لا يتكلف ولا يتمحل كما يتكلف ويتمحل بقية الناس، ولا يتلون ولا يتشكل في النهار مرات وفي الليل مرات كما يتلونون ويتشكلون، وإنما هو يتشكل ويتلون تبعاً لأحاسيسه الصادقة لا تبعاً لحكمة العقل المكذوب!

وأحسبني لست في حاجة إلى أن أثبت أن الناس كذابون،

الموسيقى المصرية القديمة

للأستاذ محمد السيد المويلحى

إننا حين نكتب عن هذه المدنية الموسيقية المصرية القديمة التى ترجع بالقارئ إلى ثمانية آلاف عام قبل الميلاد لا نقول ما قاله مندل (Mendel) البحاثة الألمانى من أن هذا البحث من أظلم البحوث فى التاريخ، ولا ما قاله العلامة الفرنسى فيلوتو (Villoteau) من أنه بحث غير مثمر يضيع السعى فيه هباء، والكد فيه عبثاً؛ وإنما نقول ما قاله الدكتور محمود أحمد الحفنى شرق نال الدكتوراه فى التاريخ الموسيقى (إنه بحث قائم على حقيقة ثابتة يؤيدها العلم والتاريخ وتنطق بصحتها الصور والنقوش)

وهذا حق فإنه لم يدفع مندل وفيلوتو إلى هذا القول اليائس إلا جهلهما وجهل عصرهما بعلم الآثار المصرية فكانا يبحثان ويفحصان دون جدوى لأنهما لم يتوصلا إلى حل تلك الرموز حتى وافاهما أجلهما فلما حلت الرموز وكشفت المقابر عثر أثناء الحفر المتوالى على آلات قديمة كاملة أو قريبة من الكمال وعلى نقوش موسيقية دلت على حضارة بالغة ومدنية موسيقية ناضجة وصلت إلى درجة تشعرنا أنها كانت مصدر الثقافة الموسيقية فى العالم القديم فكانت إماماً للأشوريين واليونانيين والرومانيين والإيرانيين. وإذا علمنا أن ثقافة أوربا الموسيقية كانت أثراً من آثار الحضارة التليدة أمكننا أن نفخر بأن مصر — وحدها — هى التى تولت إذاعة هذه الحضارة والثقافة الفنية الموسيقية!



(ش ١) ابن آوى يعزف بالناى الطويل ذى الثقوب



(ش ٢) آلة الجنك أو الصنج (الهارب)

ولعل القارئ يعجب حينما يرى فيما سيراه من (الصور) تلك الصورة التى تظهر فيها فرقة كاملة بها عازف بالناى، ومغنٍّ، وعازف بالصنج، وعازف بالزمارة المزدوجة... فى الوقت الذى كانت أوربا فيه خالية من كل ثقافة علمية أو موسيقية. ولعل مما يؤيدنا فى هذا أن الثقافة اليونانية القديمة التى ندين لها بالشيء الكثير حتى الآن كانت صدى للثقافة المصرية القديمة نقلها أرفيوس وأفلاطون وفيثاغورث ممن تتلمذوا على المصريين وأخذوا عنهم ثقافتهم الموسيقية. ولعل القارئ يعجب أكثر عندما يعلم أن أفلاطون كان يؤثر الموسيقى المصرية على الموسيقى اليونانية (موسيقى بلاده) وكان يصفها بأنها أسمى ما عرفه العالم من فن جميل هو جماع ما فى الدنيا من صدق وتأثير وجمال وتصوير... حتى أن الأغانى المصرية كانت تنشد فى اليونان فى كل مكان وعلى كل لسان...

لو نظر القارئ إلى الصورة رقم (١) لرأى ابن آوى يعزف بالناى الطويل ذى الثقوب العديدة. والناى المصرى القديم خشبة طويلة مجوفة بها ثقوب جانبية تصوّت إذا نفخ فيها. ولا يظن القارئ أن المصريين توصلوا إليها طفرة واحدة فقد قطعوا مئات السنين حتى توصلوا إليها وهى قديمة عثر عليها من نقوش سبقت تاريخ الأسر



(ش ٣) فرقة كاملة فيها المغنى والضارب بالجنك والعازف بالناى

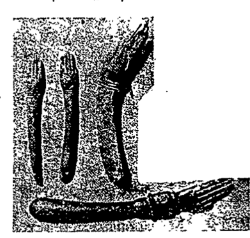
أما الصورة رقم (٢) فهى لآلة الجنك أو الصنج (الهارب) وهى عبارة عن صندوق مصوت من الخشب ثبتت أوتاره الكثيرة بأوتاد «تقابل المفاتيح فى الآلات الوترية الحديثة» وقد قضت

والناس كما نعرف عقلاء أو هم عقلاء كما يقولون، وهم الذين يتوهمون بعقولهم أن تصرفات الفنانين فى حياتهم الخاصة والعامة تصرفات «شاذة» غير معقولة، وهى فى الحق شاذة وغير معقولة عند عقل الخداع والغش، وإن كانت طبيعية ومنطقية أمام حكمة الحق.

والآن ما رأى القارئ فى الرجل يوالى الصدق ويواصل التدريب عليه؟ ألا ينمو الصدق فى نفسه حتى يملأها؟ وما رأى القارئ فى الرجل امتلأ صدقاً؟ أليس هو رجل الجنة؟ وإنه رجل الفن!

عزيز أحمد فهمى

هذه الآلة أيضاً زمناً طويلاً حتى تطورت واستقرت كما ترى فى شكلها كاملة ناضجة ، وإذا علمنا أنها آلة وترية وأن الآلات الوترية هى أحدث أنواع الآلات الموسيقية أمكننا أن نلمس إعجاز قدماء المصريين وجبروت عبقريتهم وعظيم حضارتهم ...



(ش ٤) الأذرع المصفقة

والصورة رقم ٣ وهى التى قلنا عنها إنها تمثل فرقة كاملة فيها المغنى والضارب بالجنك أو الصنج والعازف بالناى والعازف بالزمارة المزدوجة . وقد يتكرر أحد أفراد هذه الفرقة فترى أكثر من عازف للصنج أو الناى فى الصورة الواحدة كما هو الواقع فى شكل رقم (٣)



(ش ٥) الأرجل المصفقة

إن الناظر إلى المغنى فى الشكل المذكور ليلفاه ملوحاً بيده فى الهواء . ولا يظن أن هذا هراء فقد كان المطرب يستعين بهذه الحركة ليرتب الإيقاع وينتقل باللحن من نغم إلى نغم ، ويقود عازف الناى أو ضارب الصنك ... وكان لهذه الحركة أثر عظيم فى الموسيقى المصرية القديمة حتى أن الغناء باللغة الهيروغليفية كان يسمى (حِسيْت) أم (جِرِتْ) ومعناه الحرفى (الموسيقى بواسطة اليد[1])



(ش ٦) الرؤوس المصفقة

وترجع أوربا أصل التدوين الموسيقى (النوتة) إلى حركة اليد وتسميها لغة اليد Cheironomie وتقول إن طريقة Neumen الموسيقية التى ظهرت بعد أربعة آلاف سنة من هذا التاريخ هى الطريقة المصرية تماماً مع فارق بسيط . فمصر رسمت فى الهواء باليد ، وأوربا رسمت فى الورق باليد ! ...

بل إنها لا تزال إلى هذا العصر تستعملها ، وقد استعملها فى مصر لتعليم الأطفال الدكتور الحفنى فخلد لكل نغمة من النغمات السبع الأساسية التى يتكون منها السلم الموسيقى حركة خاصة تعرف بها وتدل عليها اليد وعممها فى جميع مدارس رياض الأطفال ...

وقد كان المطرب المصرى القديم إذا غنى وضع يده اليسرى تجاه أذنه وخده ليتمكن من التحكم فى صوته فيتلاعب به كيف يشاء — كما هو الحال فى البلاد الشرقية إلى الآن — وكما هو الحال مع المقرئين المبصرين والمكفوفين !

قلنا إن الآلات الوترية هى أحدث أنواع الآلات الثلاثة، فأقدمها هى آلات النقر ومنها القضبان المصفقة، والأذرع المصفقة، والأرجل المصفقة، والألواح المصفقة، والرؤوس المصفقة والأجراس والجلاجل، والشخاليل، والطبول، والسستروم المنحنى والناقوس. وتلى آلات النقر أو الآلات الإيقاعية آلات النفخ كالناى والزمار والنفير والقليدت الخ ...



(ش ٧) الأجراس البرنزية

أما الآلات الوترية فمنها العود، والقانون، والكمان، والبيانو

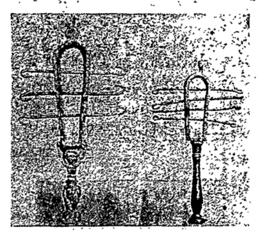
(١) موسيقى قدماء المصريين للحفنى

وقد استعاضت به أوربا في القرن السابع عشر عن العود لموافقته لموسيقاها وتلاحينها ...

فإذن كان طبيعياً ألا نرى في النقوش القديمة التي عثرنا عليها إلا الآلات الإيقاعية وآلات النفخ وآلة وترية وحيدة هي الصنج؛ وليس معنى هذا أنه لم يعثر على آلات وترية غير الجنك وإنما المسألة مسألة زمنية طبيعية ...

فالإنسان القديم لم يستعمل إلا تلك الآلات التي خلقها الله له في جسمه فاستعمل فمه في الغناء، ويده في التصفيق ورجله في الضرب على الأرض (ولا الآن تستعمل الرجل لضبط الوحدة) ثم تدرج شيئاً فشيئاً حتى وفق إلى صنع القضبان والأذرع والأرجل والألواح المصفقة وكان يصنعها من الخشب أو العظم أو العاج كما يتضح من الأشكال (٤، ٥، ٦). أما الأجراس فكان يصنعها من البرنز على شكل البيضة، والشخاليل كان يصنعها من الخيرزان المجدول على شكل الكمثرى (شكل ٧، ٨)

(ش ٨) شخليلة من الخيرزان المجدول



(ش ٩) السستروم

أما السستروم بأنواعه فهو نوع من الأجراس كان يستعمل للعبادة، وهو عبارة عن قضيب منحن تخترقه أسلاك تلتوي من نهايتها في اتجاه عكسي سهلة الحركة تصطدم نهايات أسلاكها بجبران القصب كلما حركه الإنسان (ش ٩، ١٠) وكان استعماله مقصوراً على النساء (كهنة هاتور) وبعض الملوك

وقد وصفنا من آلات النفخ القديمة (الناى). أما الزمارة المزدوجة (ش ١١) فهي عبارة عن قصبة من الخشب تستعمل دائماً مزدوجة، وتعزف بها السبابة والوسطى؛ أما الخنصر والبنصر فتسندان الآلة من الخلف، والإبهام تسندها من الأمام. ولا تزال هذه الآلة تستعمل في ريف مصر إلى الآن

أما الآلة الوترية الوحيدة التي عثر عليها قبل تاريخ الأسر فهي الجنك أو الصنج، وكانت من النوع المنحني، وقد وصفناها قبلاً



(ش ١٠) سستروم كهنة هاتور وبعض الملوك

من هذا ومن الرسوم التي عثرنا عليها قبل تاريخ الأسر وبعده يتضح لنا إلى أي مدى وصلت حضارة المصريين في هذا الفن الجميل الذي فرض نفسه فرضاً على جميع المدنيات القديمة حتى رأينا كما قلنا كيف أن فلاسفة اليونان الذين ثقفوا ثقافة مصرية فضلوا الموسيقى المصرية، وعملوا جاهدين مخلصين — على شيوعها وإذاعتها في بلادهم — فكان لهم ما أرادوا فلم يبق ثمة بيت ولا إنسان إلا ودخل طائعاً مختاراً تحت راية الاستعمار المصري (الفني) ..!

بل رأينا إلى أي حد بلغت عبقرية المصريين وقدرتهم الخارقة على الخلق والابتكار والوصول إلى صنع آلات إيقاعية ووترية ونفخ في وقت كان العالم كله يسير في ظلمات بعضها فوق بعض حتى هدته مصر بنورها وثقافتها، وبعبقرية أبنائها الذين بسطوا نفوذهم وسلطانهم وملكهم على الأرض ومن عليها.



(ش ١١) الزمارة المزدوجة

هذا كان من ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد ... أما الآن وقد تدرجت الدنيا في معارج المدنية وسارت الأرض في مسالك النور



أقصوصة من «أدرسن» القصصي الدانمركي

الأمـــير الراعي ...!

للأستاذ صلاح الدين المنجد

عرف عزّ الملك وهو في رفاغة شبابه ونعومة إهابه ، وأشرق نور النعيم في وجهه ، وهو يتقلب على مفارش الحرير ونضائد الديباج ، وضاحك الحسان النواعم بين ضمائم العشب ولفائف الأزهار ، وخلب قلوب الفتيات ، فخلن به كلما طفن في الغدو والرواح بهذا القصر الهادئ حيث يرتع الحب ويرف السعد ويتوهج النضار

على أنه لم ينعم والأسفاه طويلاً بالحب والجاه ، ولم يذق هنيئاً طعم اللذاذات ... فقد مات الأب الكهل ، فتولى المال على مهل وأصابته جفوة الزمان ، فعزف عنه الإخوان ... وأضحى وحيداً في قصره الخالي الكئيب ...

وكان يعلم أن على بعد مائة فرسخ من قصره أميرة رائعة الجمال فحن صبابة إلى لقياها، وأراد أن تكون معينة له على بؤسه، وشريكة له في عيشه . فأرسل إليها ذات يوم وردة نبتت على قبر أبيه تتفتح مرة في العام فتنتشر شذاها فيتضوع في الأجواء ثمانية أيام ، يغنم الناس خلالها فينسى الكئيب شجوه والمحزون بلواه ... !

وكان في روضة الأمير عندليب يردد النشيد المهود في الأسحار فينبه النوّم ويوقظ الوسنان . فأرسل به إلى الأميرة ليشفع له ، فيحظى بالعطف وينال الرضى

فلما وصلت الصناديق إلى الأميرة ، وقد طلي ظاهرها بالذهب وفوّف باطنها بالخز ، أصابتها هزة الفرح فتمايلت طرباً وقالت لوصائفها :

— لئن حسنت الهدية فوالله لأتزوجن المهدى ... !

وفتح الصندوق الأول ففاح العبير وسكرت الوصائف وقلن للأميرة : « ما هذا أيتها الأميرة من عبير الورد في الأرض ... إن هو إلا من عبير الجنان ... ! »

فقالت لهن الأميرة :

— أهي من ورد الطبيعة ؟

فقالت وصيفة منهن :

— نعم يا أميرتي .!

فأطرقت الأميرة . ثم قالت :

— أواه ..! يا تعس حظي ... ستذبل أوراقها عند المساء ، فتطأها الأقدام عند الصباح .. خذوها، فما أطيق رؤية الجمال يذبل

وفتح الصندوق الثاني ...

فقد أصبحنا وكأننا كنا نسير طوال هذا الزمن سيراً عكسياً متخلفين عن كل حركة إصلاح وحياة .. فثقافتنا أصبحت محاكاة، وموسيقانا أصبحت ترديداً للموسيقى الأوربيـة التي لا توافق ميولنا ، ولا تتفق وخوالجنا ، وقد وصل عجزنا في هذا إلى درجة أصبح فيها كل من يخلط ويمزج الموسيقى المصريه بالموسيقى الأوربية يسمى مجدداً

أصبح كل من يضرب الرومبا ، والتانجو ، والكاريوكا ، والفالس ... الخ يعتقد أنه أتى بما لم تأت به الأوائل والأواخر

أصبحنا لا نملك إلا الذكريات ، ولا نفخر إلا بالذكريات ، ولا نعمل ولا نتقدم ولا نسمى إلا اعتماداً على الذكريات ... وويل لشعب لا يعيش إلا على الذكريات !

محمد السيد المويلحي

جميع الصور منقولة عن كتاب موسيقى قدماء المصريين تاليف الدكتور محمود أحمد الحفني

وصدح العندليب بأغرودة أذهلت السامعين ، وتهامست الوصائف ، وقالت الأميرة :

— ما هذا ؟ ... صوت مسكر ... ساحر ... غريب ... ! أرأيتن يا صواحبي ... مثل هذا الطير قبل هذا اليوم ... ؟

فأجبنها : كلا ...

وقال شيخ من رجال القصر :

— لشد ما يذكرني هذا العندليب يا أميرتي ، بعزف الملكة السحري الذي كان بالقصر في ماضيات أيامي .. فله رنين صوته ، ورخامة نغمه ...!

فانهلت العيون تذرف الدمع لذكرى الملكة الراحلة ... ثم قالت الأميرة :

— ترى أهو حي ... أم ميت ... ضموه في الحديد ... ؟

فأجابتها وصيفة معربة :

— كلا يا أميرتي ... إن الحياة تسمع من صوته الجميل ... أنظري إليه يا أميرتي ...

فأطرقت الأميرة وقالت :

— دعوه يطير بين الزهر والشجر ... وينتقل بين الأهاضيب والرياض ... فما أريد أن أنصت إلى أنغامه تتلاشى ... غداً إذا مات ... أما الأمير الذي أرسل الهدية ... فاطردوه !

***

وغرض الأمير إلى رؤية الأميرة ... ففكر وقدر ، وإذا به يترك قصره ذات يوم ، وقد خلع ما فخر من الثياب ، وارتدى ما سخف منها ... ويذهب إلى قصر الأميرة ، وبيده ناي ... يطلب أن يكون راعياً لشاء الملك .

وأدخله الملك في خدمه ، ومنحه قليدة من ذهب كتب عليها : « راعي القصر الملكي »

وكان يسوق الشاء إلى المراعي التي تحف بالقصر ... فإذا مج الكلأ بطونها ... عاد بها ، وهو ينظر إلى نافذة الأميرة . علّه يرى وجهها الصبيح ...

واستيقظ أهل القصر ذات يوم ... وإذا بأنغام رخيمة تتعالى من كوخ الراعي . فطربت الأميرة لها ... وأرسلت الوصائف ليفتشن عن مصدر النغمات ... فإذا بهن يجدن الراعي في كوخه الصغير ... أمام قدر علق في غطائها أجراساً صغيرة ، وملأها ماء ، ثم سلط عليها النار . فإذا بالماء يغلي ... فيدفع بالغطاء إلى أعلى ... وإذا بالجلاجل تتذبذب فترسل الأنغام ... !

وأخبرت الوصائف الأميرة بما رأينه وسمعنه ... وزين هذه القدر للأميرة ، فأتت إلى الكوخ ، تتبعها الوصائف ... لترى القدر المسحورة ... !

وما كادت تسمع النغم ... حتى صفق قلبها له ... وقالت :

— ما أشبه هذا النغم بالنغم الذي عزفته بالأمس على البيان . إذهبي يا لينورا ، وسليه أن يبيعنا هذه القدر وتلك الجلاجل ...

وأتت الوصيفة إلى الراعي فقالت له :

— هل تبيع هذه القدر أيها الراعي ... ؟

قال لها وقد ضحك :

— نعم ... أبيعها ...

فقالت له :

— حسن ... وكم تريد ثمناً لها ... ؟

— عشر قبلات ... من الأميرة ... !

— ويل لك ... ماذا تقول ... أمجنون أنت ؟ ... أم ...

— القدر قدري ... والجلاجل جلاجلي ... وهذا ما أريد ... !

وعادت الوصيفة إلى الأميرة خائبة ... قالت لها :

— ماذا طلب منك ؟ ...

— ... ...

— تكلمي يا لينورا ... تكلمي ...

— لا أجرؤ يا أميرتي ... إنه مجنون

— وماذا قال لك ... ؟

وعادت القدر إلى إرسال النغمات فطربت الأميرة مرة أخرى وقالت :

— هيا ... تكلمي ... تعالي واهمسي في أذني ...

— قال إنه يريد عشر قبلات من مولاتي الأميرة ثمناً للقدر.

فصاحت الأميرة :

— يا للوقح ... يا للسافل ... !

وغضبت ، وأخذت تقطع الحديقة جيئة وذهوباً ، ولكن .. ماذا تفعل ؟ ها هي ذي القدر تعود إلى إرسال النغمات ، وها هو ذا قلبها يعود فيضطرب ويثور

ووقفت هنيهة ... ثم قالت لوصيفتها :

— إذهبي إليه ... وسليه إن كان يقبل أخذ الثمن منكن

وذهبت الوصيفة إليه ثم عادت خائبة ...

عندئذ قالت الأميرة :

— لا بد مما ليس منه بد ... أحضروه ... وحطن بي لكيلا يراني أحد ...

وحفت الوصائف بالأميرة ... وأقبل الراعي .. فقبلها عشر قبلات .. فيها الخمر والعسل المصفى .. وأعطاها القدر والجلاجل

يا فرحتها آنئذ ... لقد قضت يومها أمام القدر كلما نضب ماؤها .. ملأنها والوصائف حولها يرقصن ويضربن الأكف بالأكف ...

وأقبل الليل . وانصرفت الوصائف ... وقالت لهن الأميرة :

— إياكن أن تخبرن أحداً ... بما دفعته ثمناً للقدر ... !

وقال الأمير الراعي لنفسه وهو ينصت إلى صلاة الليل :

— لقد حطمت كبرياءها يا نفس ... وعرفت ما يغريها ... فلن تجزعي بعد اليوم ... ! »

***

وتجرمت أيام وليال ... وإذا بالراعي يبدع معزفاً ما طلبت نغماً إلا سمعته فيه . ومرت الأميرة بالحديقة ذات يوم ، فقالت لوصائفها :

— لنعدلن إلى هذا الراعي ، فلن نخلو من أعجوبة لديه ...

وما كادت تقرب الكوخ حتى سمعت نغمات مشجية وسمعت الراعي يغني فنادت وصائفها وقالت لهن :

— إذهبن إليه وسلنه عما يريده ثمناً لمعزفه ... ولكن ... إحذرن ... فلا قبلات ولا عناق ... !

وانطلقت إحداهن إليه فسألته ، ثم عادت كاسفة الوجه ، مضطربة الشعور ... فسألتها الأميرة :

— ماذا طلب منك ؟

— إنه مجنون يا مولاتي ... إنه يريد مائة قبلة ... !

— آه ! ... ويله ... ! وقح ... !

وفكرت الأميرة ثم قالت :

— لا بأس ... عشر قبلات مني ... وما بقي فمنكن

ولكن الراعي أصر ولم يقبل ... عندئذ قالت : « احضروه ... فلن يراني أحد »

مسكينة أيتها الأميرة ... فها هو ذا الملك يحدق فيك ... فإذا رأى ما رأى أقبل إلى الحديقة كالمجنون ... فيطرد الوصائف... ويضرب الراعي ... ويقول لابنته :

— هيا .. خذيه واذهبي ... فلن ابقيكما في قصري بعد اليوم

وانطلق الراعي يمشي مع الأميرة على غير هدى ... في أرض لا تموج بالنبات ، ولا ترف بالندى ... يؤذيهما السحاب الهتون ، وتفزعهما الريح العصوف

وتبكي الأميرة ذات يوم ، وهي في واد أغبر تستجم ، وتقول للراعي : « لشد ما أنا بائسة ... لو أني قبلت الأمير زوجاً ... لكنت الآن في قصره ... ولكنه كان غير ... »

ولم يسمع ما قالته ... بل أسرع واختفى تحت الغصون ... فخلع ثوبه الممزق وارتدى ثوباً فاخراً كان معه ... وجاء إليها فقال :

— هأنذا أميرك الذي طلبت ... ولكني لن أخفض لك جناحي اليوم ... ولن أهب لك قلبي ... فإن نفسي تشمئز منك ... لم تقبلي الزوج الشريف ليكون شريكاً لك في حياتك ... هه ... لقد علوت يومئذ واستكبرت ، واحتقرت الوردة والعندليب . . ولكنك انحططت وقبلت راعياً من أجل قدر ... !

وداعاً ... ! وداعاً ... فلن أراك بعد اليوم

وانطلق الأمير إلى قصره وحيداً

لقد لحقت به الأميرة ... وطرقت أبواب القصر ... ونادته ... ولكنه كان في شغل عنها ، كان يقول لنفسه : « لماذا أطلب الثناء ... ؟ لماذا أطلب الكبرياء ... ؟ ألا سحقاً لها ... شرف وفقر خير من مال وكبر ... أيها الحارس كن أصم ... أيتها الجدران كوني عمياء ... أيتها الأميرة حطمي كبرياءك وتعالي »

« دمشق » صلاح الدين المنجد

مؤلفات الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

٥ ق البلاغة العالية في ١ علم المنطق ٤

أسلوب جديد في تدريس هذا العلم

٥ ق زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد

موازنة جديدة بينهما

٢ ق الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية

ينشر شرحاً مفصلاً لهذه المواريث وموازنات دقيقة بينها

تطلب هذه الكتب من إدارة مجلة الرسالة بأثمانها مع إضافة أجرة البريد إليها ومن عموم المكاتب

من هنا ومن هناك

لماذا نضحك - عن « يورر بيف » الأميركية

إذا رأينا طفلاً صغيراً يسقط في الطريق فهذا ولا شك لا يثير فينا شيئاً من الضحك .

ولكننا نضحك أو نتكلم الضحك ، إذا رأينا رجلاً من ذوى المكانة يسقط على الأرض ، وتجرى قبعته الحريرية أدراج الرياح .

فإذا كنا نحمل شيئاً من الكراهية لذلك الشخص، فإن ضحكنا ولا شك يكون أشد وأكثر ، إذ أنه في هذه الحالة يكون صادراً من أعماق القلوب .

لماذا لا تضحك إذا سقط طفل أو حصان أو امرأة عجوز ؟ أنت لا تضحك لأنك لا يمكنك أن تتخيلهم منافسين لك أو متفوقين عليك . ولكن الرجل من ذوى المكانة والوقار ، يبرز شخصيته على حسابك ، ويدل عليك بمقامه في الهيئة الاجتماعية والشخص الذى تمقته لا تستطيع أن تنسى منافسته لك ، وإن كنت لم تفكر في ذلك .

وخلاصة القول أنك تضحك لأنك تشعر برضائك عن نفسك . تشعر بانتصارك ، وكأنك تقول في ضحكتك ما أشد سروري وغبطتي !

هذه حقيقة ليس فيها ما يضحك ، ولكنك ستحس قوى حانقة تتحفز للدفاع عما يسمونه « طبيعة التفكه » .

فإذا كان الأمر كذلك فلا بأس من تناول الموضوع من الناحيتين : الضحك كما يقول هوس (هو تجلى النفس وصفاؤها) أما طبيعة التفكه فليست بالشيء البرئ الذى يجلب السرور . فهى تحمل بذور شر لا شك فيه .

الضحك هو طريقك للتعبير عن زهو التفوق للعالم وللناس وزهو التفوق من الكلمات التى استعملها الفيلسوف الإنجليزى أنتونى لدوفيسى في بحوثه العميقة حول نظرية الضحك في كتابه أسرار الضحك، وقد أودعه مناحى كثيرة وآراء عديدة في هذا الموضوع لا نستطيع أن نستوعبها في مقال .

ويشرح زهو التفوق بقصة الضفدعة والكركى : وهى أن ضفدعة دعت كركيا لتناول الغداء ، فلما أقبل على الطعام ، وجد الضفدعة قد وضعته في إناء مسطح ، فلم يستطع الكركى أن يتذوق منه شيئاً ، وأقبلت الضفدعة فتناولت منه ما تريد ، فعاد الكركى بدوره فأولم وليمة للضفدعة، فلما دنت لتناول الطعام وجدت أن الكركى قد وضعه في وعاء ضيق العنق ، فلم تستطع أن تنال منه شيئاً ، وأقبل الكركى فتناول كل ما فيه . ففى المثل الأول يتبين زهو التفوق في الضفدعة ، وفى المثل الثانى يتبين في الكركى. قد تضحك لأسباب كثيرة تخرج عن زهو التفوق، ولكننا إذا دققنا النظر أمكننا ردها جميعاً إلى هذه الناحية . من ذلك ضحك الطفل حين نطارده ، ويرتمى في حجر أمه . إنه ولا شك لا يتفوق عنا ، ولكنه يشعر بأنه على مطاردتنا وتملق بصدر أمه ، فهو في هذه الحالة يضحك لأنه قد شعر بالغلبة والتفوق

أما في القصص والروايات الهزلية فنحن نضحك لشعورنا بزهو التفوق مع شخصيات الرواية ، إذا كانت لهم هذه الصفة . أما إذا كانوا على نقيضها فإن هذا النقص من شأنه أن يضحكنا لأنه يشعرنا كذلك بزهو التفوق .

لا تتزوج من حسناء ! - عن « سنز ويكلى »

إياك أن تتزوج من حسناء . هكذا يقول القصصى الذائع الصيت هـ . ج . ويلز . فالمرأة البسيطة كما يقول هى وحدها التى تستطيع أن تقوم بوظيفة الزوجية

المرأة البسيطة هى التى تستطيع أن تحبوك بما تصبو إليه نفسك من عيشة هادئة وحياة مطمئنة . إذا لم تكن ممن قدر لهم

أن يرتطموا فى حب قديم يساودهم خفية بالآلام الممضة إلى الأبد

المرأة الجميلة تكون شغلاً شاغلاً لبعلها ، فهو مسخر على الدوام لرغباتها ونزواتها ، وهو عرضة من أجلها لحسد الحاسدين وحقد الحاقدين . ولو أنه لا تمضى عليه برهة من الزمن وهو على هذه الحال، حتى يعود فيحسد نفسه على أمسه الذى أفلت من يديه وذلك حين يظهر لعينيه ما كان مخبأ عنه من النقائص

ويختلف الأمر عن هذا مع المرأة البسيطة ، المرأة البسيطة بكل معانى الكلمة ، فقد لا يمضى وقت طويل على بنائك بها حتى تظهر لك فيها محاسن كانت مغنية عن عينيك : ابتسامة يحفها الخجل والبراءة تظهر من آن لآخر ومحتجب . نظرة ساذجة توحى إليك الدعة وترسل إلى قلبك السكينة . وحسب المرأة التى على هذا الطراز جمالاً أنها كلها لزوجها وأنها له كنز أمين

فإذا كانت لى نصيحة كرجل حنكته التجارب ، وكانت نصيحتى تستحق العناية فى هذه الأيام التى كثر فيها لغط الشباب ، فنصيحتى لك أن تتزوج من امرأة تفوقك فى السن ، إذا كان لا بد لك من الزواج . وأستطيع أن أقول فى هذه المناسبة بعد تجاربى فى الحياة وقد عشت فيها طويلاً : إنك قد تكون أكثر سعادة إذا تزوجت من أرملة . ويقول ويلز بعد تجارب السنين الطوال : يجب أن تكون المرأة التى تختارها لزواجك بسيطة بقدر الإمكان ، ويجب أن تكون فى سنك أو أكبر من سنك ، عارية عن كل ما يسمونه المواهب الاجتماعية أو الثقافية مجردة من الأناقة المصطنعة ، فقيرة إذا أردت أن تحتفظ بكرامتك

ولويلز كثير من الآراء فى المسألة الجنسية يذكرها فى شجاعة وجرأة وقد صور فى كتابه الذى ترجم فيه حياته صوراً وفصولاً صريحة عن تجاربه فى هذه المسألة تتناول حياته الخاصة وملاحظاته الشخصية على الناحية الجنسية فى العصر الحديث

فيقول عن أول حادث وجدانى وقع له وهو فى العشرين من عمره إذ قبلته خادمة : إننى شعرت بلذة لم أشعر بمثلها فى ذلك الوقت ، وابتدأت أحس الحرمان الذى أعيش فيه ويعيش فيه الكثيرون من أمثالى

ويرى ويلز أن المشكلة الجنسية لا تختلف عن المشكلة الاقتصادية ، فعلة كل منهما الامتلاك ، ويرى أن تكون الروابط العائلية روابط جسدية فحسب ، أما الشئون الاقتصادية والثقافية ورعاية الأطفال ، فيوكل أمرها إلى الحكومات

نظام الجاسوسية فى العصر الحديث – عن مجلة التيمس الأمريكية

تقوم الدول بتجارب عديدة لقواها الحربية من آن لآخر تنفق فيها أموالاً طائلة ، وتستعد لها استعداداً عظيماً ، وتعمل هذه التجارب فى الجهات المجاورة لها عادة

وهى فى هذه الحالة لا بد أن تكون على علم باستعدادها الحربى قوة رجالها وأسلحتها والموارد التى تعتمد عليها . فيتصل الجواسيس بالقوات الحربية والبحرية للدول المختلفة ، ويتصلون أحياناً بإدارات المباحث السرية لتلك الدول ، ويتتبعون حركة الصحافة والتأليف ليستخلصوا منها ما يفيدهم فى هذا الصدد

وقد أصبح عمل الجاسوسية من الأعمال الأساسية التى لا يستغنى عنها فى جميع الدول، وعلى الرغم من العقوبات الصارمة التى جوزى بها بعض الجواسيس فإن الإقبال على هذه المهنة لا زال كبيراً

وقد توجد الجاسوسية بين دولتين ليس بينهما شىء من العداء على الإطلاق ولا ينتظر أن يكون فى المستقبل . فى هذه الحالة يكون العمل موزعاً بين الرقابة العامة ، وتكتفى بالتقارير الحربية التى ترد إليها من سفاراتها ومصادرها الخاصة ، وبين الجواسيس المحترفين الذين لهم قوة الكلاب فى شم أخبار الحوادث المحلية التى تقع فى تلك البلاد ، ومعرفة الفرص التى يمكن أن تستفاد بسببها

ويقوم الجواسيس بأعمال هامة فى البلاد التى يدخلونها ، ولا يقتصر عملهم على تسقط الأخبار فحسب، فهم يعملون على إثارة الفتن والاضطرابات ، وتشجيع روح الامتعاض والثورة والاعتداء على الأنفس والأموال

والجواسيس المحترفون من الظواهر العجيبة فى المدنية الحديثة فهم يستفيدون من وطنية الغير لأنهم خلو من الوطنية . وهم فى الغالب أناس ليس لهم وطن ولا تعرف لهم بلاد ، وذلك أنهم من عناصر مختلفة حتى إنهم لا يعرفون شيئاً عن أنفسهم أولغتهم

ويقومون بهذا العمل بادئ الأمر بإغراء المال وبدافع الحاجة، ولكن سرعان ما ينقلب الأمر إلى ميل طبيعى للمخاطرة والتهييج ، وكراهية للشرف والكرامة ، ورغبة شخصية فى إضرار البلاد لأنهم لا بلد لهم

لا صداقة للإسلام مع الاستعمار : عن جريدة الوحدة المغربية

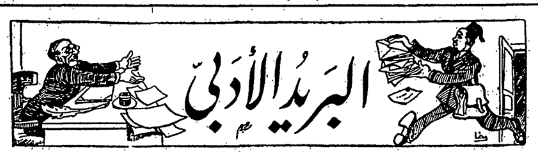
الاستعمار ينتزع الحرية من المولودين أحراراً ، وينتزع الملك من المالكين الأولين ، ويمسخ الإنسانية إلى حيوانية سفلى فيجعل من المغلوبين مادة جامدة صماء بكماء عمياء ، ويحصر همهم فى التدحرج على فتات الموائد الذى يفضل عن الأسياد الغالبين .
وقد أصيبت به أمم الإسلام فكرهته ومقتته مقتاً عظيماً ، وأخذت تعمل للتحرر منه ومن الدول التى تمثله مثل فرنسا وانكلترا .
وجاءت ألمانيا وإيطاليا متأخرتين إلى هذا الميدان ، وأخذتا تنشران الدعاية ضد الاستعمارين الإنكليزى والفرنسى ، ففهم الناس لأول وهلة أنهما ستساعدان الشعوب الضعيفة على التحرر ، ودخل فى روع المغرورين أن إيطاليا ستترك المسلمين الذين أوقعهم سوء الحظ تحت يدها أحراراً مستقلين . فإذا بالزمن يدور دورته ، وإذا بألمانيا تطالب بالمستعمرات ، وتضع لاستعمارها أسساً « نازية » قوامها احتقار السلالات الملونة ، ومنع تعليمها ، وعدم السماح بالاختلاط معها ؛ وإذا بإيطاليا تنقض على الأمم الضعيفة الأخرى هنا وهناك ، وإذا بتاج الحبشة وتاج ألبانيا يوضعان على رأس « الأمبراطور الجديد » محيي مجد روما البائدة

لقد كان من الممكن أيها الإيطاليون والألمانيون أن تحتلوا قلوب المسلمين لو لم تسيروا سيرة الفرنسيين والانكليز والأميركان؛ أما وقد سرتم سيرتهم فلا مناص للعالم الإسلامى أن يناصب استعماركم العداء كما ناصب العداء استعمار غيركم من الدول الأخرى وثقوا جميعاً أنه « لا صداقة للاسلام مع الاستعمار »

***

أكثرت مذاييع السلطات الغربية فى بلادها ، وفى بلاد الإسلام المبتلاة بها من الدعايات المتعارضة لقصد التأثير على المسلمين. وقد أخذ كل منها يذكر عيوب الآخر ، وينشر محاسن نفسه . فمذياع إيطاليا يذكر عيوب فرنسا ويستدل عليها بمقالات الوطنيين المغاربة ؛ ومذاييع فرنسا تذكر عيوب إيطاليا وتستدل عليها بمقالات المسلمين المدافعين عن حقوق الطرابلسيين والألبانيين والأحباش ؛ ومذاييع انكلترا تذكر عيوب خصومها ، وكذلك مذاييع ألمانيا ، والغريب أن كبار الساسة — تحت ضغط القلق الدولى — فقدوا التوازن فى أعصابهم ، وأصبحوا يشجعون كثيراً من الأعمال الصبيانية التى لا نتيجة لها مطلقاً . ذلك أن المسلمين قد استيقظوا أو أفاقوا ، وأصبحوا يعرفون من الغربيين المسيطرين ما لا يعرفونه هم عن أنفسهم . وإذا كانوا ينصتون إلى هذه المذاييع فليس ذلك ليتأثروا بدعاية خاصة ، ويصبحوا فى صف خاص ، وإنما ليتمموا معلوماتهم عن الاستعمار الغربى بمختلف ألوانه وأشكاله . فلا إيطاليا بالغت فيما تدعيه على فرنسا ، ولا فرنسا كذبت فيما تدعيه على إيطاليا مثلاً ؛ وإنما الجميع سواسية فى الإساءة إلى الإسلام واستعباد المسلمين ، وجميع المذاييع الغربية المتعارضة تعتبر صادقة فى نظر العالم الإسلامى اليوم

وإذا كانت الدول الكبرى تتناطح على استرضاء المسلمين ليكونوا فى صفها يوم الكريهة المنتظر فإنما ذلك لأنهم فى حقيقة الأمر قوة دولية كبرى يجب أن يحسب لها حسابها فى مستقبل البشرية وتحديد مصيرها القريب ، والواجب يقضى عليهم أن يعرفوا قيمتهم الحقيقية ويقدروها تمام التقدير ، وأن يعملوا متى أتيحت لهم الفرصة لحسابهم الخاص حساب العزة والحرية والمجد ، لا أن يعملوا لحساب الغير فينتقلوا من يد إلى يد ، ويستبدلوا غالباً بغالب ! « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .



الأدب المصري في اللغة الفرنسية

يسرنا أن نذيع أن قصة « الأطلال » التي نشرها الأستاذ محمود بك تيمور باللغة العربية لبضع سنوات خلت قد نقلت إلى اللغة الفرنسية مع أقاصيص أخر للمؤلف نفسه، وظهرت أخيراً في باريس تحت عنوان Les Amours de Smie . وهذا مما يدل على قدر فن الأستاذ تيمور ، وهو الكاتب المصري الذي عرف كيف يجيد السياقة ويحسن التصوير ويحكم الخاتمة فيما يبتدع من القصص على الطريقة الواقعية حتى إنه أصبح في مقدمة المهرة في فن القصة ، وله أتباعه وله مقلدوه

والترجمة الفرنسية صحيحة الأداء سليمة العبارة على غير تكلف ولا استكراه

كتاب نفيس بنشره الأب أنستاس الكرملي

هو « نُخب الذخائر في أحوال الجواهر » لمحمد بن إبراهيم ابن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الاكفاني (المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة) . ومزيته أنه يجمع كثيراً من العوائد الخاصة بالجواهر من لغوية واصطلاحية وطبية وعمرانية مما ذكره أكابر كتاب العرب مثل الكندي والجوهري والبيروني والنافقي إلى ما أتى به المؤلف نفسه

وقد نشر الأستاذ الأب الكرملي هذا الكتاب بالدقة والتحقيق اللذين عودنا إياها ، إذ تعقب متن الكتاب فقرة فقرة فعلق عليها بإسهاب متمكناً ثم أقام أحد عشر مسرداً (فهرساً) للموضوعات والأسماء على اختلافها والأوضاع اللغوية والحجارة والمعادن والأمراض التي تعالج بالحجارة الكريمة . هذا واعتماد الأب الكرملي في نشر الكتاب على نسخة قديمة سليمة رأى الأب العلامة الاستغناء بها عن غيرها مما هو محفوظ في خزائن الكتب لأسباب قوية (ص ١١٠) إلا أن مثل هذا الرأي مع تلك الأسباب — موضع مراجعة عند بعض العلماء

نشأة الصحافة المصرية اليومية وتطورها

ذلك عنوان الرسالة العلمية التي نال بها الدكتور كمال الدين جلال ، الصحافي المصري القدير ، شهادة الدكتوراه من جامعة برلين . والرسالة ظهرت أخيراً في اللغة الألمانية ، وهي مستفيضة جامعة تلم أشتات الصحافة المصرية — أخبارها ، وحوادثها ، وصحفها ، ورجالها ، وعهودها — منذ الحملة الفرنسية حتى اليوم. وتمتاز الرسالة بأن مؤلفها ذهب وراء العرض والوصف وثبت المصادر ، إذ جعل يملل الواقعات والمظاهر بالنظر في شؤون السياسة وأحوال الاقتصاد وقضايا العمران . فالرسالة بهذا تتصل بفن الفلسفة التاريخية اللاحقة بالحضارة الفكرية

ولعل الرسالة تنقل إلى اللغة العربية لحاجة قرائنا إلى ما فيها من الفوائد والحقائق ، وعسى أن يضع المؤلف إذن مسردين يدرج فيهما أسماء الأعلام وأسامي الصحف ، لأجل تقريب الفائدة

كتاب جرىء

أخرج النائب المحترم الأستاذ حسن الجداوي كتاباً عنوانه « عيوب الحكم في مصر » . ولا تعنى السياسة مجلة كالرسالة مقصدها الأدب ؛ بيد أننا نسجل إقدام الأستاذ الجداوي على الكتابة المنطلقة من كل قيد رغبةً في تدارك العيب الواضح . هذا وإن الأستاذ الجداوي يناوئ أموراً تناولتها الرسالة . من ذلك : « روتين » المصالح الحكومية وجود نفر من أصحاب الأمر فيها ، وقيام نظام « المحسوبية » ، ثم إهمال أهل الكفايات واستبعاد الشباب ، ثم التفرد والازواء عن المصلحة العامة ... بنا حاجة إلى أمثال الأستاذ الجداوي

وليت الأستاذ الجداوي صرف إلى شئون الثقافة من همه أكثر مما صرف ؛ فإن الذين يتعهدون الثقافة الحق في البرلمان المصري معدودون . ولا بد من تآزر الصحافة والنواب في هذا الجانب حتى نستقبل عهداً تستقيم فيه أسباب الحياة الفكرية

جلال الفلسفة العربية

ذكرت لك من قبل (عدد ٣٠٦) كيف اعترف الأب هكتور تيري، من أساتذة المعهد الكاثوليكي في باريس بجلال الفلسفة العربية . ننقل الآن قول العالم اليسوعي الأب بويج Bouyges ناشر كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي، وتهافت التهافت لابن رشد، وتلخيص كتاب المقولات له، والجزء الأول من تفسير ما بعد الطبيعة له . قال الأب بويج في مؤتمر المستشرقين السابع عشر في مدينة أكسفرد (سنة ١٩٢٨) : من الأمور التي جلبت إلى العالم العربي الفخر الأسمى ، والتي أعانت على تسوية الثقافة الأوربية الرفيعة بحيث لا يستطيع المؤرخون إغفالها أن أمثال ابن سينا وابن رشد نقلت تآليفهم إلى اللاتينية منذ المائة الثانية والثالثة فانبثت في مدارس النصارى حيث حللت ونسخت فاحتج بها هذا ودفعها ذاك من الأعلام مثل (دنس سكوت) و (ألبير الكبير) والقديس توما وغيرهم كثير (راجع ظهر غلاف « تفسير ما بعد الطبيعة » بيروت ١٩٣٨) . (ب . ف)

لورنس والقضية العربية

نشر في الأسبوع الماضي في لندن كتاب بعنوان « الندوة الشرقية » يحتوي على كتابات مختلفة من المرحوم الكولونل لورنس الذي اشترك في ثورة العرب في الحرب العالمية . ومن هذه الكتابات فصل كان قد أعده ليكون الأول في كتابه الشهير « أعمدة الحكمة » ولكنه عاد قبل الطبع فحذفه منه وألقاه عملاً بإشارة الكاتب المعروف برنارد شو

وفي هذا الفصل يندد لورنس تنديداً مراً بالوزارة البريطانية لأجل بذلها وعوداً للعرب وله معهم كي يشتركوا في الثورة فكتب لورنس ما ترجمته :

« كان واضحاً منذ البداية أننا لو ربحنا الحرب لصارت هذه الوعود قصاصات ورق بلا قيمة . ولو كنت أنا مشيراً نزيهاً للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم وعدم المخاطرة بأرواحهم في القتال من أجل هذه الأوراق . لكنني عللت نفسي بأمل آخر وهو أني أقود هؤلاء العرب بحماستهم الجنونية إلى النصر النهائي . وهناك أجعلهم والسلاح في أيديهم في مركز أمين مضمون إن لم يكن متسلطاً ، فتجد الدول الكبرى من الحكمة والملاءمة أن يلبوا مطالبهم بمقتضى الإنصاف » .

وكتب لورنس أيضاً : « لم يكن لي ظل من الحق في استخدام هؤلاء العرب في هذه المخاطرة دون أن يعلموا نتيجتها الصحيحة في ما يتعلق بقضيتهم . لكني جازفت بالغش اقتناعاً بأن معونة العرب ضرورية لنا كي نفوز بنصر سريع ورخيص الثمن في الشرق وأنه خير لنا أن ننتصر ونخيس بوعدنا من أن ننكسر ونحن نزهاء »

وأوضح ناشر الكتاب أن هذا الشعور من لورنس كان وقتياً وعاد فرضي بقرارات مؤتمر القاهرة عندما عالج المستر تشرشل المسألة وقرر الوفاء بالعهود البريطانية .

ولقد صرح المستر برنارد شو بأنه أشار فعلاً على لورنس بإهمال هذا الفصل الأول لأنه استهلال غير حسن لأسباب غير سياسية

وزاد المستر شو على ذلك : « أما في شأن العرب فكان لورنس يحسب في أول الأمر أنهم لا يلقون معاملة حسنة ، ولكنه شعر بعد ذلك أنهم ينالون أكثر مما تمكنهم إدارته وسلك أخيراً سلوك من يعتقد أن لا أهمية للوجهين . والحقيقة أن لورنس لم يكن يفهم السياسة قط ، فهو إنما كان صبياً كبيراً لم يتم نموه يوماً »

نزاع على قصيدة

يا حلوة الوعد ما نساك ميعادي	عز الهوى أم كلام الشامت العادي
كيف انخدعت بحسادي وما نقلوا	أنت التي خلقت عيناك حسادي
طرفي وطرفك كانا في الهوى سببا	عند اللقاء ولكن طرفك البادي

ثلاثة أبيات من قصيدة للمرحوم شوقي بك تبلغ سبعة عشر بيتاً نشرت الرسالة منها في سنتها الأولى اثنى عشر بيتاً تحت عنوان (شوقية لم تنشر تغنيها إحدى القيان) . ولم تشر المجلة وقتئذ إلى اسم المغنية لأنها كانت قد تزوجت وانقطعت صلتها بالجو الفني .. وهذه المغنية هي السيدة (ملك) وقد صنع لها شوقي بك هذه القصيدة قبل وفاته بعامين لتغنيها وكان ذلك في مصيفها بالإسكندرية ، حيث كان يختلف إليها أمير الشعراء والأساتذة فكري أباظه ومحجوب ثابت ومحمد عبد الوهاب . وقد أعجب الأستاذ محمد عبد الوهاب يومئذ بمعنى القصيدة وتلحينها ، فلما توفي المرحوم شوقي بك تحدث الأستاذ عبد الوهاب بأن آخر ما نظمه شوقي له كان هذه القصيدة . فردت عليه السيدة ملك في جريدة البلاغ تنكر عليه ذلك وتستشهد بمن ذكرت وبنسخة القصيدة مكتوبة بخط شوقي إليها . ووقف الأمر يومئذ عند هذا

ولكن الأستاذ عبد الوهاب عاد فلحن هذه القصيدة في هذه الأيام لروايته الجديدة التي يزمع إخراجها في الشتاء القادم . فلما علمت السيدة ملك بهذا تجدد بينهما نزاع لطيف توسط فيه أصدقاؤهما حتى وعد عبد الوهاب بأنه (سيحاول) أن يستغني

عن هذه القصيدة. ويظهر أن هذا الوعد لم يطمئن السيدة (ملك) فنشطت حركة استشارة المحامين ونشطت معها تلك الضجة الطريفة التي لا نعلم كيف تنتهي وعلى أي وجه من الوجوه ستحل. والظريف في الأمر أن أشد الجميع غضباً هو الدكتور محجوب ثابت! فهو يعجب من جرأة الأستاذ عبد الوهاب وعدم استئذانه إياه باعتباره (الشامت العادي) الذي عناه شوقي رحمه الله

المريخي

معرض رابطة الفنانين المصريين

افتتحت رابطة الفنانين المصريين معرضها هذا الأسبوع، وهو معرض حر لم يتقيد فيه العارضون بموضوع خاص فكان هذا مما ساعد العارضين على أن يطلقوا أرواحهم وأفكارهم نحو ما يطيب لهم من موضوعات الرسم والنحت والزخرفة. فماذا عادوا لنا من سماء الفن؟

قد يكون من الشح أن ننكر عليهم ما أصابوه من التوفيق، ولكننا أيضاً قد نسرف في المجاملة إسرافاً لا نحبه إذا قلنا إنهم وفقوا إلى الفن الناضج الذي نطلبه

فقليل جداً من المعروضات الذي أسعده الطابع المصري الصادق؛ وقليل منها ما قصد به العارضون إلى التعبير عن عاطفة من العواطف الإنسانية، أو إظهار فكرة لها معنى. وعلى هذا كان المعرض أشبه بمعارض التصوير الشمسي المنقول بالفوتوغرافية منه بمعارض الفنون التي ينتجها فنانون لكل منهم شخصية لها روح ولها عقل

وقد حاول بعض العارضين أن يظهروا للجمهور وكأن لهم شخصيات مستقلة بهم وكأن لهم أسلوباً خاصاً بهم في فنهم فعمد منهم «منصور فرج» إلى أشكال الناس في لوحة البناء» فنحتها نحتاً عجيباً ضخم فيه عضلاتهم وأعضاءهم. فكانوا كالقردة أو «السيد قشطة» كما عمد «يوذانت» إلى صبغ لوحة «قرية مصرية» باللون الأحمر صباغة لا توزيع فيها ولا تظليل فكانت كأنها «قرية الجن».

ولعل هذين العارضين معذوران فيما فعلا لأنهما قد سمعا كثيراً عن الفنانين الأوروبيين الذين يؤثر كل منهم لوناً خاصاً أو شكلاً خاصاً من أشكال الآدميين فحسبوا أن كل فنان حر في هذا الإيثار، بينما الواقع أن الفنان الذي يكثر من لون ما في صوره ورسومه إنما يفعل ذلك غير مختار، لأن الطبيعة تزيف على عينيه الألوان ولأنه مصاب بمرض نظري لا أكثر ولا أقل

وإذا كان لنا أن نختار من بين المعروضات في هذا المعرض ما نعتقد أنه خير ما فيه فإننا نفضل من غير شك وبلا ترتيب

١ – «رأس أسواني» تمثال ميزته الأمانة والصدق
٢ – «فتوة» تمثال كان يجدر بصاحبه أن يسميه «بلدي قيافة»
٣ – «الفداء» تمثال على النهج الفرعوني فيه جلال
٤ – «مصرية» تمثال مصري حديث تجسدت فيه الأنوثة
٥ – «حي قوي» صورة مصرية صادقة
٦ – «مليحة» تمثال مصري حديث جميل خفيف الروح
٧ – «ابن البلد» صورة كان يصح أن يكون اسمها «الصعيدي»
٨ – «العودة من السوق» رسم زخرفي بسيط جميل دقيق
٩ – «في الشتاء» تمثال على النهج الفرعوني فيه هدوء وحلاوة
١٠ – «موقعة نصيبين» صورة قوية.
١١ – «إدريس» صورة رائعة.
١٢ – «القيسرية القديمة» صورة مصرية فيها غموض ورهبة.
١٣ – «فتوات البلد» صورة كويدك حقيقة جداً.
١٤ – «المخطوبة» صورة عذراء مليحة حالمة.
١٥ – «فتاة» تمثال لفتاة عصرية فيه الأنوثة والأناقة

ونحن نهنئ أصحاب هذه التماثيل والصور كما نهنئ غيرهم من العارضين على أن يشحذوا الهمم ويغذونا بما نحتاج إليه الآن من فن مليء الروح والفكر.

جريدة الوفاق في عامها الثاني عشر

دخلت زميلتنا الوفاق في عامها الثاني عشر، وهي أصدق ما تكون إيماناً ولساناً في خدمة الأخلاق والأدب. والوفاق جريدة إقليمية أسبوعية تصدر عن بلقاس ويحررها الأستاذ البيلي علي الزيني، وقد سلخت في جهادها الأدبي المحمود أحد عشر عاماً لم تفتر لها في خلالها همة، ولم يتخلف لها عن الظهور عدد، ولم يعقها عن اطراد التقدم عائق، على الرغم مما تعانيه الصحافة الجدية من جهل القراء وضيق المعونة. والرسالة تهنئ الوفاق بعامها الجديد وتسأل الله لها دوام ما عودها إياه من حسن التوفيق في خدمة الدين والخلق والثقافة.



«مباحث عربية»

تأليف الدكتور بشر فارس

نقد للدكتور مراد كامل

حركتني الرغبة في استطلاع ما ينطوي عليه ذلك العنوان ، فقرأت الكتاب فأعجبت به وكان إعجابي من جهة الشكل ومن جهة الموضوع

أما الشكل ، فهذا كتاب يقوم مقام صورة صحيحة لطريقة علمية مستقيمة بما هو عليه من تقسيم وترتيب وتبويب «ولحق» و«مسارد» و«مضاف» و«فائت» . ثم إن كتاباً يخرج على هذا الشكل من الدقة والعناية وفيه ما فيه من المصاعب الفنية في إحكام الإخراج ليدل على مقدرة الصانع المصري في فن الطباعة

أما من جهة الموضوع ، فلن أقف عند أسلوب هذا الكتاب الفذ ولا تراكيبه البارعة ولا ألفاظه المتخيرة، لأني أريد أن أصل بكلمتي هذه إلى ما هو أجل شأناً من الأسلوب . ذلك أن الأسلوب يختلف الناس في النظر إليه وفي تذوقه، وإنما أنا أقصد إلى التنبيه على ما في هذا الكتاب من مستحدث في الفكرة والتعبير

أما الفكرة فقد اختار المؤلف موضوعات شتى جديدة : فبحثه عن المسلمين في فنلندا لم يسبقه إليه أحد بل هو كشف أضاف المؤلف به فصلاً علمياً طريفاً إلى معرفة أحوال المسلمين في العالم

وقد طرق المؤلف بعد هذا في مباحثه الخاصة بعلم الاجتماع وعلم اللغة مسائل هابها البحاث من قبل أو استثقلوها ، فأقدم على درسها الدرس الأتم وعرضها مبسوطة واضحة . ولا غرو في ذلك فللمؤلف باللغة الفرنسية كتاب «العرض عند عرب الجاهلية» وهذا الكتاب مما حدا دائرة المعارف الإسلامية الصادرة في هولندا على أن تسند إلى المؤلف كتابة طائفة من المباحث فيها ، ومن هذه المباحث : «الهجاء» و «الفتوة» و «العرض»

والآن أعرض لك مسائل الكتاب في علم الاجتماع وعلم اللغة

بحث الدكتور بشر فارس تعبير «مكارم الأخلاق» مستقصياً كل الاستقصاء؛ إذ استخرج وروده من بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة ثم شرح التعبير من الناحية اللغوية وفحص عنه في كتب الحديث والتآليف الدينية ، ثم دل على أن من يكتب في مكارم الأخلاق إنما يجري إلى إكبار الفضائل الإسلامية وإغراء الناس بالإقبال عليها اقتداء بالرسول . وذكر آراء المتكلمين في مكارم الأخلاق ، وعرض لآراء المصنفين من كتاب العرب المستقلين عن الطرائق الكلامية والمذاهب الدينية . ثم آراء المنشئين فالمتصوفة . وقد عقد المؤلف فصلاً في علاقة مكارم الأخلاق بالفتوة والمروءة ثم اتصال مكارم الأخلاق بالجاهلية ، وخرج من مبحثه بأن مكارم الأخلاق تعبير — في أول أمره على الأقل — أجنبي عن علم الأخلاق المنحدر من الحكمة اليونانية وعن علم السلوك النظري

ومبحث آخر عن المروءة يدلك على استقامة الدراسة بالتدقيق العلمي . في هذا المبحث يبين المؤلف أن المروءة مدلول للفظ قالت فيه العلماء بالتقريب والاحتمال . ثم ذهب إلى أن في تعريفات المروءة جانبين متضادين كلاهما معقود بالآخر : الأول حسي ينحدر من زمن الجاهلية ، والثاني معنوي مصدره الإسلام . ثم تتبع معنى المروءة في الجاهلية ومطلع الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية ، ثم طلبها عند أهل اللغة حتى في اللهجة الأندلسية وفي لغة العامة لهذا العهد . وانتهى المؤلف إلى أن المروءة أفلتت من المادة لتصير من الكلم الروائج . وقد جاء كلامه في هذا

مناقضاً لآراء المستشرقين بأدلة فلسفية ولغوية مستقيمة

أما مبحثه فى التفرد والتماسك عند العرب، ومبحثه فى البناء الاجتماعى عند عرب الجاهلية؛ فكلاهما دراسة اجتماعية على أساس صحيح . وقد دفع فى الأول أقوال المستشرقين عن التفرد إذ أثبت من طريق الاستشهاد بالشعر والأخبار المتواترة أن العرب كانوا قوماً متماسكين . وبين فى الثانى تضارب الألفاظ الدالة على بناء العرب الاجتماعى بحيث يتعذر الفصل فى كيفية تكون الجماعة وانتظام الأسرة، وإن تميزت هذه من تلك

وأما مباحثه فى اللغة فقد دل كيف يكون التنقيب عن معانى الألفاظ ، بتعقبها فى أطوارها المختلفة . من ذلك تعقبه لدلولات لفظة الشرف وردها إلى أصولها بالاستناد إلى النصوص الجلية . ومما أظهره أن لفظة الشرف خرجت فى الجاهلية من الحسيات إلى المعنويات حتى إذا طلع الإسلام أدرج فيها قيماً خاصة به

أما اصطلاحات الموسيقى التى أفرد لها المؤلف باباً خاصاً فقد أخرج لنا من بطون الكتب تعبيرات وألفاظاً عارضها بما ينظر إليها فى اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية . ومن ذلك لفظة المساوقة والإزاحة . ونحن نقيد له فضل السبق فى هذا الكشف

وهنالك اصطلاحات فى الفلسفة ، مثل لفظى التفرد والتماسك بدلاً من الفردية والتضامن الشائعتين عندنا . وقد وضعها المؤلف فيما وضع ، ومعه حجج قاطعة من ناحية اللغة ومن ناحية الفلسفة، سالكاً فى ذلك طريقاً جديداً مما يدل على مرونة فى التفكير وسعة فى الأطلاع .

أما الفصل الذى عقده المؤلف لبعض المخطوطات العربية التى درسها فى دور الكتب المختلفة ؛ فنأمل أن يتنبه المجمع اللغوى إلى الاستفادة بها لما فيها من الفائدة الجليلة لوضع اصطلاحات فى علوم كثيرة .

* * *

هذا ما يتعلق بالفكرة . وأما التعبير فقد أخذتنى جرأة المؤلف فى التدقيق لوضع ألفاظ واصطلاحات لمدلولات شتى ثم فى تخيرها؛ الأمر الذى نحن فى أشد الحاجة إليه حتى تؤدى بكلمة واحدة معنى نحتاج إلى التعبير عنه بجملة أو جمل . أعجبنى منه وضع كلمة

استطلاع: وهى تفيد البحث العلمى لا الصحفى عن أمر مجهول أو حقيقة مستورة

الإمداد: البحث العلمى الذى يلقى فى محافل العلماء كالمؤتمرات .

الرأى القَبلى : الرأى القائم فى الذهن قبل شهادة التجربة ، ويقابله الرأى البَعدى .

البناء الاجتماعى : كيفية تكون الجماعة من حيث الصلات المتبادلة فيها ومن حيث اتساعها .

التفرد بدلاً من كلة الفردية ، والتماسك بدلاً من التضامن .

كلة رمز : أى كلة متى وقعت فى مسمعك نشرت فى خاطرك مجموعة من القيم المجردة . وهى من باب الصفة بالمصدر .

المشتَمل : وهو مضمون الكتاب .

السرد : لجداول الألفاظ والأسماء وما إليها Index

وقد خرج المؤلف على استعمال لفظة الفهرس الشائعة اليوم بإفادتها مدلولات مختلفة ؛ بأن استعمل هذه اللفظة للدلالة على الكتاب الجامع للكتب فقط ثم جعل المشتمل لمضمون الكتاب وموضوعاته والسرد لجداول الألفاظ والأسماء .

* * *

أما تلك الرموز التى سبقنا إليها الأوربيون ؛ فقد تصرف المؤلف فى وضعها ، ثم زاد عليها الكثير من عنده فوضع علامة لاسم الكتاب حتى نفرق بينه وبين سائر الكلام لنقص الحرف المائل فى طباعتنا ، وهو المستعمل فى مثل هذا الموضع فى اللغات الإفرنجية . ثم وضع رمز شاهد (على شكل هرمى) بدلاً من الصليب الذى يضعه الإفرنج للدلالة على الوفاة . ثم ى = وما يلى ذلك ، كك = الكتاب المذكور قبل للمؤلف ، ن = المؤلف نفسه ، ذ = الكتاب ذاته . وإنى لا أريد القول بأن ما وضعه المؤلف يجب أن يؤخذ به أخذاً، بل أرى أن يلتفت إلى ما وضعه فينظر فيه إن كان يحتاج إلى مراجعة حتى نبنى عليه للمستقبل . على أنى أسأل المؤلف أن يدون الرموز فى الطبعة الثانية على ترتيب ما ، نحو الترتيب الأبجدى ؛ وأملى أن يتم وضع الرموز والعلامات اللازمة للتأليف العلمى حتى نظفر بدستور يلجأ إليه الباحث والعالم

* * *

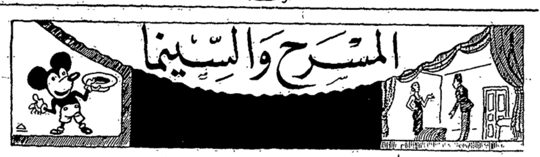
هذا وقد سلك المؤلف فى كتابه مسلكاً علمياً صحيحاً وسار على المنهج الذى وضعه لنفسه ، وهذا المنهج على قوله فى تصدير الكتاب « الاعتماد على المشاهدة دون الفرض ، والتحقيق دون التخيل ، والموضوعية دون الذاتية ، وإقامة الدليل دون القناعة

بالمقبولات والمسلّمات ، ثم الذهاب من المركب إلى البسيط ، ومن الخاص إلى العام ؛ مع تسليط النقد النافذ — من جانبيه الخارجي والباطني — على الواقعات ، من حيث إنها أشياء طبيعية مبذولة للحس ، لا أمثال عالية ولا معانٍ منتزعة من المحسوسات مجردة في الذهن أموراً كلية عامة ؛ ومع نبذ التشيّع للآراء من مرتجلة وقبلية ، فلا إيثار هوًى ولا تعصب لأحد على أحد ؛ ومع ردّ تلك الواقعات إلى مصادرها من طريق الوصف المباشر أو الاستشهاد بالنصوص الصريحة حتى لا يرسل الكلام فيضيع حظه من التثبت ؛ ومع التحري في البحث سعياً في الدنو من الحقيقة بفضل النطق ذي العرض البيّن والتسلك المتصل والاستدلال القويم والنظر الصادق على غير استكراه ولا تحكم ولا مكابرة ؛ ومع إثبات ما أتى به العلماء العاملون من قبلُ بالاستناد إليهم أو الاعتراف بجهدهم خروجاً من ظِنّة التلصص والسطو »

وبكل ما تقدم يبذل لك المؤلف دراسة فلسفية اجتماعية بذهن مجرد عن التشيع للآراء المرتجلة والمعاني المتوهمة مما يجدر بطلبة التعليم العالي أن يلتفتوا إليه . ويبذل لك أيضاً مباحث في اللغة وتاريخ الألفاظ واستخراج الاصطلاحات مما يهم المشتغلين باللغة وفي مقدمتهم المجمع اللغوي .

وهكذا خرج الكتاب مبشراً بانبثاث الروح العلمي الخالص الذي أهدى إليه المؤلف كتابه .

فراد كامل
مدرس اللغات السامية
بكلية الآداب



رواية « الموءودة »
ما هى الرواية ؟

اقتصرت فى مقالى السابق على إلقاء نظرة إجمالية على رواية « المال والبنون » لمصنفها الأديب فهيم حبشى ، لأنها لا تستحق أكثر من ذلك ، وما عدت إلى ذكرها ثانية إلا لأقول كلة إجمالية فى جميع الروايات الموضوعة وذلك بمناسبة رواية « الموءودة » التى بعث بها إلىّ مؤلفها الفاضل يسألنى رأيى فيها وقد وأدتها لجنة التحكيم فى مباراة التأليف المسرحى

يحسن بى قبل الإجابة أن أسأل : « ما هى الرواية ؟ »

يقول أعلام النقد إن الرواية تبسيط حادث خيالى ؛ وأن حاجتنا إلى تبسيط الحادث الخيالى المفرغ فى قالب رواية ضرورة لازمة ، لأن حياتنا الاجتماعية تمضى فى عالم فوضى لا ارتباط فيه ولا تناسب ولا انسجام ، وأن الروائى البارع هو الذى يتخيل ويتمنى ويعمل على إخضاع عالمنا لشرائع العقل ويجعله منظماً نفهمه بحسّنا لا بقوته الخفية المظلمة ولا بكائناته المشوشة المختلطة .

فالرواية كما ترى نجدة نستنجد بها لتمكننا من مقاسمة الانفعالات الاجتماعية دون أن تجعلنا نتعرض لعواقب هذه الانفعالات ، وخيال الروائى الذى استنبط حادثة ما (سواء كانت ذاتية أو موضوعية) إنما هى تصور حالة فى نفسى أنا ، أو فى نفسك أنت واقعة فعلاً ، أو هى محتملة الوقوع ، استعان بها على إبراز خياله بخلق أشخاص مدركين يقدرون تقديراً قياسياً و يبون وعياً نفسياً اضطرابات الإنسان وقلقه وخلجات عواطفه وضوابط نفسه وأحكام عقله

ولأجل أن يكون الحادث الخيالى الذى ابتكره ذهن الروائى البارع كاملاً ، وتكون الرواية تامة لا بد لها من عنصرين عنصر الحياة ببساطتها ، وعنصر القدرة على تبسيط البسيط من صور الحياة . ولا محيص لها أيضاً من الاعتماد على عنصر ثالث يقوم عليه البناء العقلى وفق النظام وفى حيز الطبيعة البسيطة وصورها وألوانها

هذه الرواية هى التى تعيدنا إلى ذواتنا فتجعلنا نسمع ونرى فيها هواتف الضمير ، وهمهمات الانفعالات ، والصور الكامنة فى النفس مجلوة واضحة مسوقة على ألسنة ممثلين وممثلات خلقهم الروائى ودربهم على تحويل صور الخيال إلى حقائق بسيطة سهلة ترتسم فى الذهن وتنطبع فيه وتقسره على إطالة النظر وإعمال الروية

فى وسعى أن أقول عقب ذلك بدون تردد إن جميع الروايات الموضوعة التى مثلتها الفرقة القومية منذ تكونها إلى يومنا هذا تنقصها العناصر الأساسية للحياة ، والفن ، والأدب ، وأن حضرات مؤلفيها الأفاضل يشبهون فى محاولاتهم « نبيّن زن » يطرحون ودعاتهم فى الأرض ويرتجلون ، وفق وضعية كل ودعة ، كلاما هو عصارة الذهن الكليل بله الهرف والتخريف .

أجل كلهم عرّاف أعطاك ما جاد به خاطره من كلام مفكك الأوصال أسماه « الحوار » ومن جمل خطابية رنانة فى الدين أو الأخلاق وأمثال ذلك مما تسميه العامة «لبن سمك تمر هندى» .

فى حين أن الرواية هى كقطعة موسيقية تعزفها جوقة من النافخين فى الأبواق ومن النافرين على الأوتار والضاربين الطبول والصنوج ، وأنت إن أرهفت سمعك وكنت من أصحاب الوعى والذوق والشعور ، تحس بنغمة هادئة ناعمة تبدو كالهمسة الرقيقة تربط الأصوات النابرة فى هذه الآلات وتوحد فيما بينها

توحيداً بارعاً يجعلها كالروح الشائعة في الجسد. فهذه الوحدة في القطعة الموسيقية هي التي تتمرك بفيض من النشوة تجعلك ترتفع إلى مقام الغبطة بغيبوبة الفرح، وهكذا الرواية لا بد لمصنفها من خلق وحدة فكرية تدور حولها الوقائع والأشخاص

وأنت يا صاحبي مؤلف رواية « الموءودة » التي افتتحتها بآية من الكتاب الكريم: (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) أنت واحد من هؤلاء الذين طرحوا ودعاتهم أمام لجنة التحكيم، فكان من دواعي الصدف العمياء أن حكمت بردها، فأبيت إلا التمرد على هذا الحكم فطبعت الرواية أي أنك سجلت على نفسك واقعة أدبية غير موفقة

أزعم أن الذي شجعك على اتهام لجنة التحكيم وأغراك بطبع الرواية هو أن الفرقة القومية قبلت ومثلت روايات من نوع أردأ من « الموءودة » نذكر منها على سبيل المثال رواية « اليتيمة » غير أن سبيل النجاح يا صاحبي ليس في الانحدار إلى الوضاعة ومحاكاتها بل في التطلع إلى الكمال

***

حدثني أديب كان قد توفر لكتابة القصة والرواية وانقطع لها قال: أتمنى لو تكلف مدير الفرقة كبار الأدباء بتأليف روايات للمسرح وأن يغريهم بالأجر المناسب، فمبلغ ثلاثمائة جنيه للرواية الموضوعة يرضى الأديب ويجعله ينقطع طول السنة إلى كتابة روايته. والرواية التي يكتبها الكاتب الكبير تحمل على كل حال الشيء الغزير من أدبه الخاص واطلاعه العام، والمران على كتابة الرواية يبعثه مرة بعد مرة على الإجادة والإبداع. وقد ذكر لي حادثة أدبية من هذا النوع حدثت في فرنسا قام بها مدير « الكوميدي فرانسيز » مع الكاتب المعروف أندريه مورياك وقال مستدركا: صحيح أن الخصائص الفنية الأساسية لم تتوفر كلها في رواية مورياك التجريبية ولكنها ستتوفر كلها في الرواية التالية ولا شك. وقال أيضاً: يجب ألا يحول مثل هذا التكليف دون إغراء الشباب الناشئ على محاولة كتابة الرواية واشترط لذلك إيجاد العزيمة عند مدير الفرقة وأن يكون حسن الظن بالكاتب المصري وبالشباب المصري أيضاً

الرأي وجيه سديد، ولكن لا بد أولاً من تطهير الفرقة من النكبات المحيقة بها، وغسل السخائم المتأكسدة في أذهان القائمين على إدارتها، وتفهيمهما أن المؤلف هو روح الفرقة، وأن البلد بأديبه وأدبائه في ألف خير، وأن إنفاق ثلاثمائة جنيه أو أربعمائة على المؤلف المصري من ميزانية قدرها خمسة عشر ألفاً ليس كثيراً على من صدقت نيته في إنهاض المسرح المصري على قواعد قوية من التأليف والتمثيل

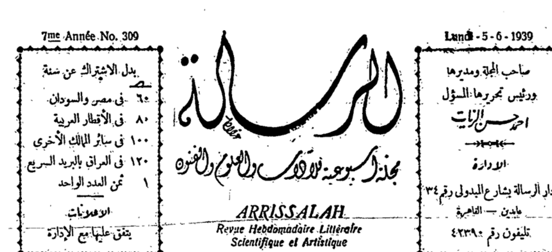
ابن عساكر

عاصفة فوق مصر

أخرج الأستاذ عصام الدين حفني ناصف هذه القصة الاجتماعية، وهي الأولى من نوعها في اللغة العربية، فليس موضوعها من المواضيع التي ألفنا قراءتها في مؤلفات كتابنا، بل هو موضوع خطير يتناول صميم الحياة المصرية وصميم الحياة الإنسانية عموما. هو موضوع العلاقة بين الفلاح الأجير والمالك صاحب الأرض. وهو يكشف في هذه القصة عن الطرق التي تلجأ إليها الدوائر الزراعية لحرمان الفلاحين حقوقهم ويبرز في جلاء ووضوح فضائل الفلاح المصري ويذود عنه التهم التي يرميه بها الآخرون

وهي مطبوعة طبعاً متقناً في ١٣٠ صفحة وثمنها ٢٠ مليما فقط، فنتمنى لها الرواج

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين)



العـــدد ٣٠٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٥ يونيه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

حول نظام الطبقات

فلاحـــون وأمراء ! ...

جلست كعادتي في عصر كل سبت أفكر في موضوعي الأسبوعي للرسالة، فتردد على خاطري المكدود معانٍ شتى من وحي الساعة وحديث الناس وحوازّ القلوب، كمأساة حلحول في فلسطين، وصلة الجديد بالقديم في الأدب، فكنت أذودها بالفتور والإهمال، لأن معنى من المعاني القوية كان قد استبد بذهني منذ الصباح فهو يراوده ويعاوده ويلح عليه حتى لم يكن من الكتابة فيه بُد. ذلك بيان النبيل عمرو ابراهيم رئيس نادي الفروسية الذي بعث به إلى الأهرام وطلب إليها أن تنشره (كاملاً) في عدد اليوم. والذي استفزني من هذا البيان لهجته الأميرية المتنفخة في الرد على رئيس الوزراء، والطعن في بعض الكبراء، والدفاع الظنين عن نظام الطبقات، والتفسير المجازف لكلمتي الفلاح والديمقراطية، والتلميح المختزل إلى السامية والطورانية؛ فإن هذه مسائل دقيقة ما كان ينبغي للنبيل أن يعرض لها بهذا الاستكبار، في بيان دفاعيّ لا يجوز أن يخرج فيه عن التنصل أو الاعتذار!

لسنا والحمد لله من طبقة أولئك النادين إلى هذه (الكُلْبَات) التي تتضاءل فيها الديمقراطية بين أرستقراطية الدم أو المال

الفهـــرس

أو المنصب، فلا أزعم أني سمعت الأشداق اللوية تأمر، ورأيت الأنوف الوارمة تمتعض؛ ولكني قرأت كما قرأ الناس ثورة رئيس الشيوخ وزارة[1] رئيس الحكومة، فعلمت والأسى يحز في الصدر أن بعض الذين جعلناهم أمراء ونبلاء لا يزالون على عقلية ذلك التركي الفقير الذي كان يقرع الأبواب مستجديا فإذا أجابه المجيب الفزع قال له في عنف وصلف وأنفة: «هات صدقة لسيدك محمد أغا». ولا أدري ما الذي سوغ لهم أن يعتقدوا أن الله خلقهم من المسك للمسك، وخلقنا من الطين للطين؛ وجعلهم للثروة والسيادة، وجعلنا للخدمة والعبادة؟ إن كانوا مسلمين فالإسلام قد محا الفروق بين الطبقات إلا البر والتقوى؛ فالعرب والعجم سواء، وقريش وباهلة أكفاء. وإن كانوا وطنيين فالوطن لا يعرف التفاضل بين أبنائه إلا بأثرهم في تقويته وترقيته وخدمته؛ فالفلاحون على درجته العليا لأنهم عماد ثروته وعدة دفاعه وقوة سلطانه؛ والأمراء على درجته السفلى لأنهم فيه معنى السرف الذي يفقر، والترف الذي يوهن، والبطالة التي تميت! وبين هاتين الدرجتين تتفاوت مواقف الوزراء والزعماء والكبراء على حسب ما لكل منهم عليه من فضل.

* * *

لا يا سيدي النبيل! ليس نظام الطبقات هو القائم في مصر وأوربا كما تقول؛ فإن جعلك نفسك ونظراءك طبقة متميزة لها حدودها الأربعة وجهاتها الست لا يجعل نظام الطبقات حقيقة واقعة. إن مصر كلها من أعلى شلالها إلى أسفل دالها طبقة واحدة فيها الغني والفقير والمالك والأجير والصحيح والمريض والعالم والجاهل، فهل تجعل كل حال من هذه الحالات طبقة؟ وهل تستطيع أن تعين لي الفرق بين طبقتك المرفوعة وطبقتنا الموضوعة إذا كان الدستور الذي تخضع له الطبقتان يستطيع أن يجعل ابن الخادم الذي ينظف لك الحذاء جليسك ورئيسك؟ لقد كان امتياز طبقتك على طبقتنا أنك تمسك (الكرباج) ونحن نمسك الفأس، وتأكل الذهب ونحن نأكل التراب، وتعبد الشيطان ونحن نعبد الله، وتتكلم التركية ونحن نتكلم العربية. فلما قيض الله لمصر العظيمة فؤادا العظيم فتزوج منا وحكم بنا وسمى لنا ونشأ على خلائقه المصرية المحض شبله الموموق فاروق، شعرنا بأن العرش يستقر على كواهلنا، والعلم يخفق على معاقلنا، والسلام يتردد في شعورنا، والحكومة تقوم بأمرنا، والنيل يجري بخيرنا؛ ورأينا كم حين أخذكم - رضوان الله عليه - بأدب الإسلام والشرق لذتم بأطراف الغربة، وقبعتم في زوايا العزلة، وكنتم من مصر وثروتها مكان البالوعة تطفح بعرق الفلاح ودمه لتصب في مناقع البلدان الغريبة!

* * *

لا يا سيدي النبيل! ليس المصريون في الجنسية والوطنية بمنزلة سواء؛ فإن منهم من تمصر بالقانون لا بالأصالة، وتوطن للمنفعة لا للعاطفة. وكيف يستوي في ميزان الوطنية من يقف على مصر يده وقلبه وكسبه ودمه، ومن لا يعرفها إلا معرفة الغرماء، ولا يعيش فيها إلا شهور الشتاء، ولا يعنيه من أمورها إلا أجرة العامل وسعر القطن؟

كذلك ليس من خالص الحق قولك: «إن حق الشخص في الانتساب إلى أمة إنما يناله بما يؤديه إلى وطنه من الخدمات سواء أكان ذلك بنفسه أو بأفراد أسرته من آبائه وأعمامه وأبناء أعمامه وأجداده وأجداد أجداده» فإن أموال أبيك لك، ولكن أمجاده له. والوطني الصميم هو الذي يرفع ما بنى أبوه، ويتمم ما بدأ جده. ولا ينفع المرء عند الوطن أن أباه وطني وهو خائن، ولا عند الله أن أباه مسلم وهو ملحد!

* * *

أيها الأمراء والنبلاء! إن لكم في سيدكم الفاروق أسوة حسنة. تخذوا إخذه الجيل في سيرته ومصريته وشيمته ودينه؛ فإن ذلك يكفل لكم رضا الشعب في الدنيا ورضا الله في الآخرة!

احمد حسن الزيات

(١) قال الرئيس النبيل بالحق محمد محمود باشا وقد علم أن «نادي الفروسية» يتعاظم على سراة المصريين ويتصاون من عضويتهم فيه لأنهم (فلاحون): «إن حكومة جلالة الملك لا يمكن أن تسمح بإعادة نظام الطبقات. نحن هنا في بلد ديمقراطي، وكل المصريين سواء؛ وجلالة الملك يضرب كل يوم أعظم الأمثال في ديمقراطيته ومصريته. أنا فلاح وابن فلاح، وأفخر بأن أكون كذلك. والفلاح هو عماد هذه البلاد وفخرها. وإذا كان بين أعضاء «نادي الفروسية» من لا يعجبه هذا الكلام فليرحل عن بلاد الفلاحين!»

ولا ترابه!

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلت فيما كتبت منذ أسبوعين عن رسالة الأديب أنني أستعيذ بالله من اليوم الذي يتوقف فيه أقدار الأدباء على مقاييس الدولة، لأن سيطرة الدولة على أقدار الأدباء معناها إخضاع الفكر الإنساني للعرف الشائع مضافاً إليه إجحاف الهوى والمحاباة، وليس من وراء هذا الإخضاع خير للفكر ولا للأديب

إن تقويم أعمال الموظفين من أخص أعمال الدولة، لأن الوظائف تجرى على قياس معلوم في نطاق محدود، وليس فيها مجال للتعمق ولا للإغراق ولا لاختلاف المذاهب والشروح

ومع هذا تبحث عن الإنصاف في محاسبة الموظفين فترى عشرين مثلاً للإجحاف والإهمال والنسيان وسوء التقدير إلى جانب مثل واحد من أمثلة الجزاء الحق والقسطاس المستقيم

فكيف تكون الحال في تقويم الأدب والأدباء؟ وكيف تكون الحال في الجديد من المقاييس الأدبية، ولا خير في المقاييس الأدبية إن لم يحسب فيها حساب التجديد والإبداع؟ وكيف تكون الحال في الرأي المستقل والخلق المستقل والعمل المستقل، ولا خير في الأدباء إن لم يكن لهم استقلال في الآراء والأخلاق والأعمال؟

أحسب أنني تحدثت بالبداهة يوم استعذت بالله من تسليط الدولة على مقاييس التفكير وأقدار المفكرين.

ولكننا في البلد الذي « من فاته الميري فيه وجب عليه أن يتمرغ بترابه ... »، فلا عجب أن يثقل ذلك المقال على كثير من أصحاب الأطماع والآمال، وأن يأبى بعض الذين كتبوا في الصحف وبعض الذين كتبوا إليّ إلا أن يكونوا كتاباً « أميريين » ... فإن لم يكونوا أميريين فلا أقل من التراب وما شابه التراب.

ويكتب إليّ من يقول إن مقاييس الدولة في مصر لن تدوم على ما أصابها من قبل أو يصيبها الآن من العيوب، فهي في الغد كفيلة بحسن التقويم، ومتى حسن التقويم فلماذا هذا الحذر من الجور القديم؟

وتشاء المصادفة أن أقرأ هذا وأقرأ معه فصلاً مسهباً عن « الأربعين الخالدين » في فرنسا منقولاً في المجلة الإنجليزية « العصر الحي » Living Age عن الكاتب الفرنسي هنري بلامي Henry Bellamy يتناول فيه مجمع فرنسا المشهور وأساليب اختيار الأربعين الخالدين من أعضائه، فإذا هي حال لا نتمنى تكرارها في بلادنا على فرط الحاجة فيها إلى التشجيع والإغضاء عن بعض العيوب.

وحسبك من تلخيص هذه الحالة أن تعرف أسماء الذين استثناهم المجمع من زمرة الأدباء النابهين وبينهم أمثال: موليير، وروسو، وديدرو، وميرابو، وأندريه شنييه، وستندال، وفلوبير، وجوتييه، وبودلير، وميشليه، وفرلين، وملارميه

وفي وسعنا أن نضيف إليهم ديكارت، ومالبرانش، وباسكال وبومارشيه، وهلباخ، وزولا، وموباسان وغيرهم من أدباء هذه الطبقة الذين عرفهم العالم بأسره ولم يعرفهم المجمع الأدبي في بلادهم!

حسبك من تلخيص تلك الحالة أن تعرف أسماء هؤلاء وأشباه هؤلاء، بعد أن مضت ثلاثة قرون على نشأة ذلك المجمع في عهد الكاردينال ريشيليه، فماذا أغنى وجود المجمع واعتراف الدولة به في إنصاف ذوي العقول والقرائح والأقلام؟

نعم إن أصحابنا الخالدين قد اعترفوا بأقدار فولتير، ولافونتين ورينان، وأناتول فرانس، وأناس من طرازهم تفتخر بهم الآداب الفرنسية والآداب العالمية . . .

ولكن متى اعترفوا بأقدار أولئك الأقطاب الأفذاذ؟ إنهم لم يعترفوا بهم إلا بعد أن اعترف بهم « رجل الشارع » كما يقولون، وشاع ذكرهم في الأقطار الغربية والشرقية، فلم يكن للخالدين فضل على غير الخالدين في تقويم القيم وتصحيح الموازين

فإذا كانت مجامع الدولة على منوال الأكاديميه فرانسيز تجهل من جهلت وتنسى من نسيت وتنكر من أنكرت، ثم تنظر إلى من شهدت لهم بالفضل فإذا هم مشهود لهم بفضلهم قبل أن يصلوا إلى عتباتها، فما أغنى بني الإنسان وأغنى أصحاب القرائح والأذهان

عن ذلك القياس وذلك الميزان ! وما أولانا أن نرجع إلى « الأصل » وأن نكتفي به دون ما عداه، إذا كان الأصل هو رأى القراء والتتبع اللاحق به هو رأى الخالدين من أولئك الأعضاء الأجلاء !

***

قد يقال إن الكتاب والشعراء يستفيدون الجوائز التي توزعها الدولة على أصحاب الآثار الجديدة والطرائف البازغة في كل عام.

فإن قيل هذا فلنعلم أن الأعضاء الخالدين لا يقرأون الجديد. وقد قيل إن الأديب المشهور الفريد دى ڤينى زار « الخالد » رويبه كولار ليطلب منه التزكية والشهادة فسمع منه رأياً لم يعجبه، فسأله : كيف تحكم على كاتب لم تقرأ سطراً واحداً من كتبه ! فأجابه الخالد وهو راض عن جوابه : يا صاحبي ! إنني لم أقرأ شيئاً قط منذ ثلاثين سنة . وحسب من كان في عمري أن يعود إلى مراجعة الأقدمين حيناً بعد حين »

قال دى ڤينى : « إذن كيف تبدى رأيك في المجمع يا سيدي؟ »

قال الخالد متعجباً : « كيف أبدى رأيي ؟ هذا من شأني . إنني أذهب إلى هناك ولا يعنيني أن أخبرك عن طريقتي في إبداء رأيي ، ولكنني أبديه ... »

وقال كاتب المقال الذي أشرنا إليه والعهدة عليه : إن الشاعرة لويس كوليه التي عاشت في عهد الامبراطورية الثالثة وأنعمت بالسعادة على كثير من الكتاب والشعراء تذكرت يوماً أنها لم تحضر قصيدتها لجائزة المجمع ولم تشأ أن تضيع عليها تلك الجائزة، فما هو إلا أن دخل إليها فلوبير وبوبليه زائرين حتى أفضت إليهما بهمها، فما زاد الخبيثان على أن فتحا دواوين لامرتين ونقلا منها نبذات السطور من هنا وهناك ووصلا بينها على ما يقتضيه حسن الحبك والصياغة ، وأرسلا القصيدة إلى المحكمين فظفرت بالجزاء والثناء وتهنئة الأعضاء !

ثم تحسب مقادير هذه الجوائز التي توزع بهذا المعيار وتحسب الأموال التي تودع المصارف لاستغلالها باسم المجمع الموقر ، فإذا هي جدول صغير من ذلك الخضم الغزير على عهدة ذلك الكاتب الأديب ، والعهدة كلها فيما نرويه هنا عليه !

أما أعمال المجمع التي تصدى لها منذ إنشائه فمعجم لا يعد من خيرة المعاجم يسهل الاستغناء عنه ويبدو نقصه كلما فرغ من طبعه فيعاد تنقيحه وتأليفه ، وإلى جانبه كتاب أجرومية مزيته الأولى أنه مشحون بالأخطاء النحوية والصرفية ، بدأوا به في القرن السابع عشر ولم يفرغوا منه إلا منذ بضع سنوات (١٩٣٢)

وقد عهد إلى المجمع يوم إنشائه في إصدار « قاموس تاريخي » فصدر الجزء الأول منه سنة ١٨٦٥ منتهياً بكلمة Actualité ، وصدر الجزء الثاني بعد ثلاثين سنة ، وسيتمه المجمع على هذا القياس حوالى سنة ٤٨٥٥ بعد الميلاد

ولعل القارئ يذكر ما يجرى في الشركات والجماعات الخيرية والحكومية التي ينتدب لها « كاتب سر » أو « وكيل عام » . فإن الشأن الغالب عليها أن يستبد بها كاتب السر أو الوكيل العام بعد حين فلا يقع في ملكه إلا ما يشاء

فهذه العادة الغالبة هي بعينها التي تغلب على الأربعين الخالدين فلا يبرمون ولا ينقضون إلا بمشيئة من كاتبهم المختار ... حتى قال سان بيف : إن هذا الكاتب « يحكم ويلى » في وقت واحد خلافاً للملوك الدستوريين !

***

كل هذه المهازل يعلمها الأعضاء الخالدون ويعلمون أنها شائعة على ألسنة الكثيرين ، ولكنهم يجيبون هازلين بلسان فونتينل : « نحن سخرية الساخرين حين نكون أربعين ، ولكننا معبودون مقدسون كلما أصبحنا تسعة وثلاثين !.. »

يريد الشاعر أن المرشحين يتملقونهم ويثنون عليهم كلما مات واحد منهم ، فأصبحوا تسعة وثلاثين وراح الطامعون يتزاحمون على الكرسي الفارغ ، ولكنهم بعد هذا سخرية الساخرين كلما بلغوا تمام العدد المقدور ، ولا ندري لماذا يقف الخلود والخالدون عند الرقم أربعين !!

***

فالمجامع « الرسمية » جميعها على هذا النمط أو على نمط قريب منه بعد حذف المبالغة الفكاهية التي لا تقوى على تبديل الحقائق التاريخية !

وفحوى هذا أنها إذا أريدت لعرفان الأقدار في إبان نبوغها فهي لا تجدى ولا تنصف ولا تزال متخلفة وراء الصفوف بعد أن يفرغ القارئون من الإعجاب ويفرغ المعجبون من التنويه

تعليق وتذييل حول

مناوأة الخدر والنعاس في الأدب المصري

للأستاذ زكي طليمات

أثار صديقاي الأستاذ الكبير توفيق الحكيم والدكتور بشر فارس مسألة الكساد الذي يعانيه النتاج الأدبي في مصر . وهذه هي مسألة الساعة على ما أعتقد ، وهي شغل الخاطر منذ أن راعنا كساد سوق الأدب والأديب في هذه السنوات الأخيرة ، وهي سنوات مليئة بالأحداث تغيرت معها بعض أوضاع المجتمع المصري في السياسة وفي نظام الحكم ، وهي سنوات تتصف بالنشاط والحركة ، وبمحاولة التخلص من جمود ران على الذهنية المصرية القومية منذ أمد بعيد ؛ وكان من أبين مظاهر هذا الجمود ركود الأدب وانكماش ملكات الابتكار والتوليد فيه بما يتفق وروح العصر ...

والذي أراه في هذا الصدد ويعن لي أن أبديه في هذا المقام هو أن من الحرج أن نرد أسباب هذا الكساد الذي يشمل عالم الأدب في مصر إلى الأديب وحده ، وأن نتهم الكاتب الناشئ وحده بالخدر والنعاس ، لأن الواقع المشهود يخالف هذا . وآية ذلك أن المطابع تطلع علينا كل يوم بالمؤلفات أو التراجم في صنوف الأدب والفن ، ولا أعلم أن النتاج الأدبي في مصر بلغ من الكثرة مثل ما بلغه اليوم

فإذا كان هذا النتاج لا يقابل من الجمهور بالحماس الواجب ، فلأن الفتور مفروض على كل شيء يجري في مصر ، ولأن عدم الاكتراث صفة - ويا للأسف - من صفات الأكثرية الغالبة من الجمهور المصري ولا سيما فيما له علاقة بالأدب والفن . ومرد ذلك - على ما أعتقد - إلى الطبع المصري الذي لم يستكمل بعد عناصر يقظته ، ولم يستخلص له ذوقاً أدبياً صريح الطابع متماسك الأطراف متقارب النزعات يشمله التناسق والتوازن

ومن ثم كان اضطراب المزاج في استيعاب الأدب وصنوفه ، فإذا هو مزاج يعج بالبدوات ويخرج على شرعة الانسجام بميوله المتباينة ونزعاته الملتوية . وجمهور القراء في مصر خاضع لهذا الاضطراب ؛ فنهم من يعيش بميول القرون الوسطى أو بما قبلها ، ومنهم من يفزع من قراءة كل جديد في الفكر والرأي ، ومنهم من هو ثائر على كل قديم ، ومنهم من لا يرتاح إلى القديم أو الجديد ولا يعرف ما يريد ! ! هذا والسواد الأعظم من هذا الجمهور في صنوفه المتباينة التي ذكرت ، على ثقافة مرتجلة أو هزيلة لافتقارها إلى الغذاء السليم . هذا ولا أتحدث عن الأمية التي ما برحت متفشية بيننا ، ولا عن التعليم البسيط الذي لا يتجاوز مدى الكتابة والقراءة ، وهو حظ الأكثرية الغالبة من جمهور القراء ، أو المتأدبين ، إذا صح أن نطلق عليهم هذا الاسم باعتبار أنهم قراء أوفياء للمجلات الهزلية وروايات الجيب وما شاكلها

بعد هذا يصح أن نقول إن الأدب في مصر لم يصبح بعد لدى أكثرية الجمهور غذاء لابد منه وحاجة لا غنى عنها ، وإنما هو لدى البعض زخرف وزينة ، ولدى البعض الآخر ضرب من ضروب التسلية التي لا يستطاب الإقبال عليها في كل وقت

وما دام الأمر كذلك فقد قدر علينا أن نرى محنة الأدب قائمة بيننا تغير وجوهاً ولا تتغير ، تخف وطأتها بمقدار نصيبنا من انتشار التعليم ورفعة المستوى الثقافي العام . وملاك الأمر في هذا راجع

وإذا أريدت لإغاثة المفتقرين إلى المدد والمعونة فهي لا تغيث المستحق ولا تتورع عن استغلال الأموال وتثميرها كما يثمرها التجار وأصحاب الأقساط والسهوم

وإذا أريدت لإنجاز عمل من أعمال اللغة والأدب فهي لا تنجزه على الوجه المطلوب ولا في الوقت المعقول

ويبقى بعد ذلك أنها تضير ولا تنفع بما توليه الصغار من أقدار الكبار ، وما تجنيه على أقدار الكبار من الغضاضة والإنكار

* * *

يفتح الله يا عشاق « الميرى » وترابه . . . فلا الميرى أفضل من المجمع الفرنسي ولا من جمهرة القراء في إنصاف الأدباء ، ولا ترابه أفضل من التراب ، عند أولي الألباب !

عباس محمود العقاد

إلى جهودنا وإلى شرعة التطور والارتقاء ، التي هي كلمة الزمان وإرادته .

وإذا كان الصديقان الكبيران توفيق وبشر لا يريان بما أذهب إليه أو يريانه بعين الواعية الباطنة ثم هما لا يجرؤان على الإفاضة فيه والتنبيه إليه التنبيه الواجب ، بل يعرضان له لمحاً ويعبران به عبراً ، فذلك لأن الصديقين أديبان أصيلان مشبوبان ، أخذت هوية الأدب بشغاف قلبيهما ، فهما يحذران لمس العلة الكبرى التي يشكو الأدب منها في مصر أكثر من أي شيء آخر ، وإذا هما لمساها بإيحاء خاطر يطلع عليهما من وراء الوعي ، فإنهما لا يطيقان التمعن فيها ، وسرعان ما يفزعان إلى أشياء أخرى يتعللان بها ويموهان بها على نفسيهما

كذلك كان شأني إذ كنت أعمل في المسرح المصرى راكباً رأسي شاحذاً عزمي ، لا هم لي إلا أن أفرض فن التمثيل على الجمهور ، فقد كنت أعتقد أن أسباب كساد فن التمثيل ترجع إلى افتقار المسرح المصرى إلى الممثل القادر والمخرج الحاذق والمؤلف النابه

كنت أعتقد هذا وأرفع صوتى به وأعمل على تلافى هذه الأسباب . ولكن كان يقع لى أحياناً أن يهجس بى هاجس خفيت الصوت نافذه يهمس فى أعماق نفسى أن العلة الأولى والأخيرة فى كساد المسرح إنما هو الجمهور ...

ماذا كنت أعمل ؟

كنت أغالط نفسى ، وهذه المغالطة — على ما أظن — مظهر من مظاهر كبرياء الفنان ومن حبه الكبير لنفسه ولفنه !

هذا عن جمهور المسرح ، وموقفه من فن التمثيل كموقف جمهور القراء من الأدب .

وجمهور القراء واحد من ثلاثة عناصر رئيسية يقوم عليها عالم الأدب فى كل زمان ومكان .

* * *

أما الكاتب المنشىء فموقفه من محنة الأدب فى جمهور قرائه أنه لا يجيد العمل على تخفيف هذه المحنة بما يمتلكه من الوسائل .

إذا أحس الكاتب فى مصر بأنه يجيد الكتابة فى أسلوب طلى وبيان رائع ، وأن النفس يطول به إلى تسويد الصفحات المتوالية

من حياتى الفنية

فى حياتى الفنية جانب مجهول أردت ألا أعترف به ورأيت أن أقصيه وأن أسدل عليه الستار ، لأنه فى نظرى اليوم لا يتصل بأدبى ولا يجوز أن يدخل فى عداد عملى . ذلك هو عهد اشتغالى بكتابة القصص التمثيلى لفرقة « عكاشة » حوالى عام ١٩٢٣ . غير أن المصادفة شاءت أخيراً أن ألتقى بمن يذكرنى بهذا العهد ، ويعرض علىّ طرفاً مما كنا نعمل فى ذلك الحين . ذلك رواتى اشترك معى فى قطعة موسيقية قام بتلحينها المرحوم كامل الخلعى . ثم انقطع عن الفن منذ ذلك الوقت وشغلته شئون الحياة . ثم اختلينا نجعل ينشد لى بعض أغانى رواياتنا القديمة وأنا فى ذهول ! شد ما تغيرت أنا وتغيرت نظرتى للفن مرات ومرات خلال تلك السنوات ! ولكنه هو باقٍ كما كان على احترام تلك القواعد والمثل التى كانت هدفنا ومرمى أبصارنا فى الكتابة المسرحية . إنه فيما خيل إلىّ لم يقرأ شيئاً مما أكتب وأنشر اليوم . فهو لا يعترف بعملى الآن. وهو إذ يحادثنى فى شئون الفن لا يبدى اهتماماً ولا إعجاباً إلا بما كنت أصنع قبل خمسة عشر عاماً . أما اليوم فأنا فى نظره غير موجود . إنه يذكرنى بأشخاص رواياتنا النابرة كمن يذكر بأناس من أهل الحسب والنسب والكرم والشهامة لن يجود بمثلهم الزمان ، فهو يترحم عليهم ويقول: « مضى كل شىء ! ولن نرى مثيلهم أبداً على خشبة مسرح من مسارح اليوم ! » . هذا صحيح . وجعلت أتأمل قوله لحظة تخامرنى شك فى أمرى اليوم وقلت فى نفسى : « ألا يكون هو على حق ؟ وأكون أنا قد ضللت وانحرفت عن طريق الفن الحق ! إن فن المسرح فن مرجعه السليقة السليمة لا الثقافة الواسعة . إنه شىء والأدب شىء آخر . أترانى محتاجاً إلى خمسة عشر عاماً أخرى لأكر عائداً إلى ذلك النبع الذى بدأت منه ونأيت عنه ؟ » .

توفيق الحكيم

فقد نصب نفسه أديباً لا يشق له غبار ، وينسى الأديب البطل المنواز - أو هو يتناسى - أن العبرة فى الإنتاج الصالح . ليست بالكمية ، وإنما بالجودة . وجودة الأدب أن يكون نباضاً بالحياة، مما يشغل أذهان الناس ، ويدخل على قلوبهم ويحرك رواكدهم ، وينفخ فيهم نفساً من الحياة الدافقة التي ينطوى عليها .

وإذا صح هذا فإنه يصح أيضاً - وهو الأمر الذى ترقى إليه الظنون - أن تنفى عن الأديب المصرى تهمة النعاس والتكسل ؛ لأنه يعمل ويعمل كثيراً بدليل ما يطالعنا به كل يوم من المؤلفات والتراجم فى مختلف نواحى الأدب، وهذا جل ما أفدناه من أخذنا بأسباب تطورنا الأخير .

إلا إن هذا العمل الكبير يعوزه التوجيه الصائب والاستشعار الكامل بمهمة الأدب ، ولهذا فإنه ينصب فى غير غاية مقصودة اللهم إلا غاية الكتابة والتعبير فحسب .

وتوجيه الأدب أمر لا يتم بمجرد الطلب والتمنى . واستشعار مهمة الأديب قد لا تحول كاتباً عن طريق اختطه لنفسه ولا تخرجه عن أسلوبه المختار مالم تعاونها ظروف خاصة أبينها نصيب المجتمع الذى يعيش فيه الأديب من يقظة الروح المعنوى ، وتفتح الذهنية النامة على الآفاق النائية ، وقدرة البصيرة على تمييز الأشياء المختلطة ثم اختيار ما تريده منها ؛ ثم قسط هذا المجتمع من صدق العاطفة ومن الصراحة ومن الإخلاص .

ولا أريد أن أحدد نصيب مجتمعنا وقسطه مما ذهبت إليه الآن. وحسبى أن أقول إن ما نراه من انحراف أدباء مصر - ما عدا القليل منهم - عن معالجة الأمور الهامة التى يخفق بها قلب مجتمعهم إنما مرجعه إلى أن أكثرية هؤلاء الأدباء ليسوا على حس مرهف تنطبع عليه كل التيارات التى تنبعث من واعية المجتمع ومن وراء واعيته ، وإن هذه الأكثرية تعيش بعين الماضى لا بعين الحاضر ، أو أنها لا تحيا إلا فى أجواء الكتب التى نطالعها ، أو أنها تعبث لاهية مزهوة بالآراء الواردة علينا من أوربا مع واردات الأزياء ، وأخبار نجوم السينما .

والأديب إذا لم يكن على هذا الحس المرهف لم يستطع أن يلتقط الهمسات التائهة التى ترتفع من وراء واعية مجتمعة ، هذه الهمسات التى هى رغبات مكبوتة ، وآمال مقنعة منشودة لا تقوى الجماهير على المصارحة بها ، وتترك أمر الإبانة عنها وترديدها فى جلجلة الرعد القاصف إلى قلم الأديب .

أوجب واجبات الأديب نحو نفسه ونحو قومه ونحو فنه أن يستخرج هذه الهمسات من الضوضاء التى تحيطها ، وأن يستلها من معاقلها ليحولها إلى صيحات صريحة تدوّى فى الفضاء . فإذا لم يفعل ذلك فقد قضى على نتاجه بالعزلة عن الناس ، وقطع ما بينه وبين الينبوع الذى منه يخرج ما يثير اهتمام الناس ويهز الركود الذى يرين على الأدب . إذا لم يفعل ذلك قضى على نفسه أن يعيش على هامش الحياة ، فى حين أن الجمهور يعيش فى صميم الحياة ، كما يقضى على أدبه ألا يتجاوز أمر المرآة التى لا ينطبع عليها من آثار الأرض سوى أعالى الشجر ورءوس التلال

***

هذا هو حال الأدباء فى مصر وهذا هو موقفهم من محنة الأدب ، وإن كان من بينهم من سبقوا عصرهم وأدوا شيئاً من رسالة الأدب الحقة

أما حال الناقد ، وهو العنصر الثالث الذى يقوم عليه الأدب، فلا أجد ما أصفه به أبلغ مما جاء فى مقال الدكتور بشر فارس : « فإنه فى غالب الأمر وأكثر الحال ينوه بصديق، أو يقع فى عدو، أو يهمل كتاباً جهلاً بقته أو إنكاراً لنفاسته أو اتقاء لصاحبه أو تسامياً ، أما التسامى فيدل على ذهاب بعضهم بأنفسهم على كل أحد وذلك من باب الغرور ، وقصة الغرور معروفة ... »

وإذا كان هذا هو شأن الناقد أيضاً ، والناقد الحق هو بوق الكاتب المنشئ ، ومذيع أعماله ، ومقيم الميزان الذى لا يحيف ولا يخطئ لنتاج الأقلام ، بل هو الحركة الدائبة التى تدفع البطئ وتهز الركود ؛ فليس عجيباً بعد ذلك أن يرين الخدر والنعاس على الأدب فى مصر

فهل حان الوقت الذى نراجع فيه أعمالنا ، وننشر الحساب على ضمائرنا لنتطهر ونفيق ونستقبل ضوء صباح جديد بعد نوم ثقيل طال ؟

زكى طليمات



صلوات فكر
في محاريب الطبيعة
للأستاذ عبد المنعم خلاف

٦ — الأعشاش

الأشجار تتوجها الأعشاش المعمورة بالحب والرحمة والحنين... عليها أجنحة كاسرة، وفيها جوانح مشبوبة، ويطعم الحبُّ فيها منقاراً بمنقار

فيها دنيا من عالم القلوب ... قلوب الطير ذوات الأطواق والسراويل والريش الملون والعيون الصافية التي استمدت صفاءها من إدامة النظر للسماء

أعشاش مبنية من الأعواد وأوراق الشجر ... تعبت في بنائها الأمهات والآباء لأداء الأمانة التي في صدورها للحياة ... بناها هؤلاء بالمناقير التي تزق بعضها بعضاً بها حين الحب ...

في كل عش فرخان يعين أحدهما الآخر على النزلة والنظر إلى الآفاق البعيدة ...

خرجا من بيضتين متجاورتين، يحركان رأسيهما مغمضين أجردين من الريش معرضين لعوامل قاتلة من البرد والحر وأفواه الشر

من البيضتين انبثق حب دائم ربط بين قلبين صغيرين منسوجين من الهواء والضوء والصفو ... هو حب أخوة وحب اجتماع في ظروف واحدة، وحب خوف من عالم النور والظلام، وحب زوجية. حديثهما حول هذا الطائر الكبير الذي ينهض من الشرق في الصباح ويملأ الدنيا وقلبيهما بالحرارة والدفء، وعيونهما بالنور الذي يكشف لها عن الأغصان والأفنان ...

ألم تروا مرة أم فراخ بين أفراخها في عشها؟ ألا ترون الصبر والجد والصرامة واللهفة واليقظة لكل نأمة حول العش؟

تصيح الصغار صياحاً ساذجاً بحناجر جديدة الانشقاق رطبة الأوتار. وحين تصيح الكبار تجد الجد والوقار والشعور بالمسئولية وعبء التربية. لو اقترب الأسد من عش الطير لاعتراه خوف وخشية ... فإن القبّرة تهاجمه هجوم الثائر عن وعيه الحفيظ على أمانة الحياة في صدره ... لا تبالي الموت ولا تحفل أذواه.

إن غضب الطير المأوى شيء مقدس جليل رائع. إنه ينفش ريشها ويجعلها تنفث أنفاساً من نار، ويدفع بمنقارها في صدر الهاجم.

ليت بعض الخونة لأوطانهم ومآواهم يفهمون تلك الأسرار المقدسة في صدور العباد فيعملوا لها ولو بجهد الطيور الضعيفة

٧ — زهر نحلة

كنت جالساً على الأعشاب أكتب وأمامي محبرة، فجاءت نحلة تبحث عن رحيق الأزهار فحطت على فم المحبرة ووقفت لحظة تنظر إلى تلك اللجة السوداء المسحورة، ثم فرت وتركتني في دوار

أتراها أدركت عمق هذه اللجة حين وقفت على شاطئها؟ أتراها أدركت بعينها الصغيرة ما ندركه نحن حين نقف على هذه البئر المسحورة؟

أتراها أدركت أن هذا الإناء دن كبير طالما سقط الناس صرعى سكرهم بخمره الأسود؟

لقد سكرنا به عن كل شيء ... ومضينا في دنيانا نرى الحياة من خلاله كما يرى السكير الدنيا من خلال حبب الكئوس سُكْرٌ وسُكْرٌ يصرعان ألباب ذوي الألباب، والمدمنون على الخمر يتهمون المدمنين على الحبر بالغفلة والعمى عن اللذة ... وكذلك المدمنون على السكر بالحبر يبادلونهم نفس النعوت والألقاب، « وكل حزب بما لديهم فرحون »

لا بد للأفكار أن تتسلل في هذا الإناء يا نحلة، قبل أن تخرج إلى الوجود ... إن ماءه يجسد المعاني ويطلسم أفكار البشر

المخ والمداد .. هذا البياض وهذا السواد يتلاقيان فيلدان أشرق وأبقى ما في الدنيا: عالم الفكر!

نعم إن في لجج بعض المحابر ماء زائفاً وضلالات وتعقيدات وغروراً وتجديفاً وسموماً، ولكن على الأقلام الحساسة أن تتيقظ وأن ترِدَ الصفو وتتجنب الأخلاط كما تيقظت النحلة فلم تذق ما لم تخلق له ...

طيري أيتها النحلة في رحاب الدنيا غائبة عن عيني وانشدي « ن، والقلم وما يسطرون ... » وما عليك أن تُغني، فقد صرت كلمة خالدة على قلمي ...

٨ — منطق كلب

كنت جالساً بين الأزهار الطاهرة الجليلة أتطهر وأتأمل، فمر كلب وجاء إلى شجيرة ورد فيها ورفع رجله وبال عليها ...

خيل إلى أن الشيطان تقمصه ، وأراد أن يسخر مني ويريني كيف يحتقر هو وجنوده ما أقدسه وأستغرق فيه …

وأقول الحق : إنه زلزلني ونال مني ، فوضعت القلم ونهضت إلى الحياة خاضعاً لمنطق الشيطان على الأقل في تلك الساعة …

لم يَرُق الكلبَ لون زهرة ولا عطرها ولا حريرها كما تروقه وتجتبه القاذورات …

ومما تعجبت له أنه رفع رجله خوف البلل ؛ ثم مد فاه إلى القاذورات … تناقض عجيب ! وكذلك نرى بعض الناس يتجسون أقدس ما فيهم وأحقه بالطهارة ، ويطهرون مالو تنجس لم يضرهم شيئاً …

إنهم كلاب في أفواههم وأحشائهم … ولكنهم يتطهرون في أذنابهم وأرجلهم . . . لن يرفعهم شيئاً أن أقدامهم طاهرة ، ما دامت رؤوسهم نجسة دنسة …

٩ — غضب البلابل

رأيت بلبلين في عراك على أنثى … وكانا في غضبهما عنيفين يخرجان صوتاً أجشّ خشناً ، ولا تبدو عليهما تلك الشاعرية التي تكون وقت الإنشاد والتغريد … ويل للفنان من غضبه !

ويظهر لي أن أحدهما مسكين فريد يريد أن يأخذ أنثى الآخر ، فهو يلحقها ويغريها باللحاق به . لقد جاء الغروب ، ولم يسمع صوتاً يناديه إلى العش ويغبث بمنقاره في طوقه … هو يريد أن يسكب في أذنها تغريده الضائع ، ويسمعها غزل قلبه حين يرى فتنة الأزهار

والأنثى واقفة تشهد الصراع بدون اشتراك فيه . لماذا لا تهجم على الواغل في حياتها الزوجية فتضع حداً للطمع والإغراء ؟ يظهر أنها مبلبلة الخاطر زائغة العين …

الأنثى دائماً هي كبرى مشاكل الطبيعة عند كل فنان .

١٠ — غزل الضفادع

أسمع في الليل زمراً من الضفادع في الغدران والسواقي تبدى كل فنها وقدرتها في إخراج أصواتها . سكون مطلق يصدعه ضجيج منكر . في كل مكان فيه ماء حنجرة تصرخ في زفير وشهيق منكرين . مقطع صوتي واحد يتردد دائماً في الظلام . علمت صوتاً واحداً ففرحت به وجعلت تغني به دائماً كما يغني الإنسان صاحب البيان للمرأة والدينار …

لذات خفية في ضمائر الخلائق ! لماذا كل هذا الجهد يا بنات الماء ؟ أكل هذا غزل وقصائد حب في مطارح عشق تحت الظلام ؟

نعم ، فهذه لغة أبناء الحياة من البعوضة للبعير ، ومن الثعبان للفيل

هي لذة البلبل حين يمسح خديه بجمرة أوراق الورد لا يبالي أن يفقأ شوكه عينيه . . . وهي لذة الغراب حين يُنفض رأسه ويلوى عنقه ويخرج نعيقه في شناعة وإزعاج . . . وهي لذة الحمار حين يثور همه وحبه في صدره ، فيخرجه صوتاً عميقاً خليطاً من البكاء والضحك … وهو عنده نشيد فيه فن وغزل وإغراء .

وهكذا يملأ الغزل سمع الحياة من كل حي ، والجميع في غفلة عن الغاية ، إلا الذين ندّوا عن حبال الشبكة المحبوكة الأطراف ووقفوا يدورون على أنفسهم وعلى الحياة وأبنائها .

(بغداد — الرستمية) عبد المنعم خلاف

أعلام الأدب

أرستوفان والديمقراطية (*)

للأستاذ دريني خشبة

كان أرستوفان رجعياً إلى درجة السخف في رجعيته ، لكنه كان على شيء غير قليل من الحق في تلك الرجعية التي حارب بها سيد شعراء الدرام يوريبيدز ، وأبا الفلاسفة سقراط ، والتي جعلها حرباً غير راحمة على الديمقراطية

يذكرون أن أولى كوميدياته (رجال من جزلتون Daitalês) التي تقدم بها للمباراة في الشعر الهزلي سنة ٤٢٧ ق . م كانت تدور كلها حول التعليم العالي والحط من قيمته ونسبة كل شر حاق بأثينا وأفسد أخلاق شبابها إليه ... والكوميديا وإن تكن مفقودة إلا أن النتف الباقية منها تعرفنا بموضوعها الذي يقوم بدور البطولة فيه، والد مسكين حائر بين ولديه ... فأحدهما شاب تقي محافظ مستمسك بعروة السلف الصالح وتقاليده الوثقى ، والآخر فتى متمرد فاسد يسخر بالماضي وسُننه العتيقة وآدابه البالية ، فما يزال يتهكم بأسلوب الحياة التي يحياها والده ، ويُسفِّه تقوى أخيه ، ويتبجح بالموبقات التي يأتيها هو في غير تورع ولا استحياء ، لأنها في زعمه من مقومات المدنية التي لا يفهمها إلا على أنها فسوق وخروج على المألوف

وفي سنة ٤٢٣ تقدم بملهاته الخالدة (السحاب) التي ندد فيها ما شاء له لسانه السليط بسقراط وفلسفة سقراط ، والتي يضع فيها رجلاً طاعناً في السن أمام سوفسطائي ، فهو يسأله عن أبرع الطرق التي يأكل بها ديون الناس عليه (! !) ، ثم يصنع حواراً شائقاً بين العلة العادلة والعلة غير العادلة (! !) وينتهي بإحراق منزل سقراط ! وسنعود إلى ذلك في فرصة أخرى لما (للسحاب) من مكانة فريدة بين كوميديات أرستوفان

وقد كان لرجعيته يعزو ما أصاب أثينا من تدهور وانحلال إلى أدب يوريبيدز ، وسنفرد لذلك فصلاً خاصاً نتناول فيه كوميدياته الثلاث الكوامل التي خصه بها ، وإن تكن لا تكاد إحدى كوميدياته تخلو من ذكر يوريبيدز والتنديد بيوريبيدز ، وإن يكن يوريبيدز مع ذلك أستاذه وملهمه

وبعد ، فإذا كان بين أرستوفان وبين الديمقراطية ؟ ولماذا كان يبغضها ذلك البغض الشديد الذي تجلى في معظم كوميدياته ؟ لقد تناولنا في الفصل السابق بعض الإجابة عن هذا وذلك ، ونحن نضع بين يدي القارئ في هذا الفصل خلاصة لكوميدية أرستوفان الضحكة (الفرسان The Knights) التي تقدم بها للمباراة سنة ٤٢٤ ونال بها الجائزة الأولى من الهيئة الرسمية التي كانت تهيمن عليها حكومة كليون Cleon ، وقواد الجيش والشعب من أمثال نسياس وديموستين الخطيب المفوه المظيم

لم يبال أرستوفان أن يسخر بأبرز شخصيات الحكم في أثينا في ملهاته هذه ، فصورهم تصويراً كاريكاتورياً مضحكا ، مستعيناً في ذلك بعيوبهم الخاصة ووقائع حياتهم اليومية . ولعله أول رجل في التاريخ عمد إلى اختراع الشخصية الفكهة التي تمثل دولة بأكلها. فنحن نعرف أن شخصية جون بول تمثل في العصر الحديث دولة بريطانيا العظمى ، كما تمثل شخصية العم سام الممالك المتحدة الأمريكية ، وكما تمثل شخصية (المصري أفندي !) مصر الحديثة. وقد سبقنا أرستوفان إلى خلق هذه الشخصية المضحكة المحببة فابتكر لكوميديته شخصية (ديموس) ذلك الرجل الكهل الأناني الطاغية فجعله رمزاً لأثينا الهرمة المضطربة ، وللأثينيين الديمقراطيين الذين ذهبت دولتهم وشاع الفساد في أخلاقهم ، واضطرب حبل حكومتهم ، وذلك لما نشره فيهم السوفسطائيون وعلى رأسهم سقراط من فلسفة ، وما بثه فيهم يوريبيدز من جرأة واستهتار بالتقاليد ، وما أفسد به المرأة من تمثيل الغراميات المحرمة أمامها في المسرح ، ولما صنع بهم الإفراط في الديمقراطية بعد بركليس من استباحة الحرمات وضياع القيم وجرأة الأوشاب على السراة وأهل الرأي باسم الحرية وفقدان الحدود بين الطبقات

ثم سلط أرستوفان على ديموس هذا رجلاً مختالاً خداعاً هو زعيم الرعاع في أثينا «الديما جوج كليون» الدبّاغ (!!) وبائع جلود الحيوانات القذر(!) فجعل إرادة ديموس تتلاشى في إرادته، وجعله لا يبرم صغيرة ولا كبيرة إلا بإذنه ، ولا يحكم على أحد بخير أو شر إلا إذا حكم عليه كليون بالخير أو الشر ، فكان إلى جنبه

(*) تحمل هذه الكلمة معنى (النبلاء) وقد ترجمها ج . هوكام فريريها وفه تلخيصها

أمة لا قيمة له ولا رجاء فيه ، يوجهه حيث يشاء ، ويسخره لما يريد ... وسماه كليون « البافلاجونى » أى التفتاف[1] الذى يرسل الزبد في وجوه محدثيه حينما يكلمهم ! ثم نعته بالعجرفة والصلف والقحة إذا كان أمام معارضيه ، وبالتذلل والضراعة ولبس مسوح الرهبان إذا كان تلقاء مولاه ؛ وجعل زملاءه العبيد يكرهونه وينفرون منه لأنه يستأثر بمولاه من دونهم ، فيفرض عليه ما يرى هو ، لا ما يرى جماعة العبيد

أما من هو كليون هذا فهو نفسه ذلك الرجل الهائل صاحب الأمر والنهى فى أثينا فى ذلك العصر . . . الرجل الذى رفعه الرعاع ورفعته الديمقراطية المطلقة إلى ذروة الحكم ، وألقت إليه بزمام السلطة يصرفها كيفما يشاء ما دام فى حرز حريز من رضى الغوغاء ، وما دام متمتعاً بحبهم الجاهلة الخرقاء

كان كليون إذن عبداً لمولاه ديموس بالدهاء والختل ، لكنه كان سيد أثينا ودكتاتورها المطلق عن طريق هذا « الطنبو ! » ديموس نفسه ؛ فماذا يصنع أرستوفان لخضد شوكته وتحقيره كما يحقر هو أحلام أمة بأسرها ؟

لقد جعل له ندين من العبيد الأرقاء على شاكلته ، هما نسياس وديموستين ... ونسياس وديموستين هما أعظم رجال الحربية الأثينية فى ذلك العصر . وقد أورد أرستوفان اسميهما صريحين كما أورد اسم كليون ، ثم جعلهما من عبيد ديموس (أوجون بول أثينا !) ، وجعلهما يحقدان أشد الحقد وأمره على كليون لأنه استبد بالسلطان من دونهما فراحا يتمنيان له الشر ويتلمسان له البلاء المبين .. وقد كان نسياس رجلاً فطرياً ساذجاً محافظاً على القديم ، يعتقد اعتقاداً جازماً بالخرافات . أما ديموستين فقد جعله أرستوفان رجلاً مرحاً فى برود وعدم مبالاة ، إذا اعتزم شيئاً لم يتردد فى تنفيذه ولو خرط من دونه القتاد ، وكان يقبل على الخمر ويشغف بها شغفاً شديداً ، فكانت تضاعف من جرأته وتزيد فى إقدامه

وقد غيظ نسياس وديموستين من كليون لأنهما أقدم منه فى خدمة مولاهما ديموس ، فقد اشتراه بعدهما بزمن طويل ، ومع ذلك فقد تقدم عليهما عنده بدهائه وطول حيلته ، ولذلك فكرا طويلاً فى عزله من منصبه فى خدمة مولاه ، فذهبا ليستوحيا كهنة باكيس، فقيل لهما إن الذى يخلف كليون فى منصبه فى خدمة ديموس هو شخص من صميم الشعب الديمقراطى ! ! هو بائع الأكارع (والسجق !!) أجورا كريتوس ... « من أجورا حيث ألتمس الرزق لى ولعيالى ! » أى أن اسمه مشتق من أجورا الذى هو سوق الحوايا (الكرشة والأكارع والأمعاء والفشة وما إلى ذلك ... من أسواق أثينا ! !) ...

وقد تحققت نبوءة باكيس . وأقدم كريتوس (فى آخر الملهاة) حيث استطاع أن ينفذ إلى الصميم من قلب ديموس ، وأن يحل فيه محل كليون الذى لم يستطع أن يبارى (بائع السجق) فى ميدان الهاترة والوقاحة والبورجوازية ! وبذا تربع كريتوس فى كرسى الوزارة - كرسى النبل والشرف ! - مكان الغريم المهزوم .

وهكذا كان منطق أرستوفان فى تحليله للديمقراطية ... فمن يستطيع أن يجرد هذا المنطق العجيب من الحق - أو من بعض الحق - فيما يتعلق بمآل الديمقراطية إذا منحت بلا قيد ولا شرط لشعب أخذت عوامل الانحلال تدب فيه مثل الشعب الأثينى ؟ ومن يمنع بائع السجق من أن يصل إلى كرسى الوزارة ليتحكم فى أعناق السراة من النبلاء وأساتذة الجامعة ومسرح الأكروبوليس فيتصرف فيهم كأنهم عبيد أبيه أو قطعان الماشية يسيمها حيث يشاء !

هذا وينبغى أن نرجع إلى الوراء قليلاً لنعرف ماذا نشب من المعارك بين أرستوفان وبين كليون قبل نظمه الفرسان سنة ٤٢٤ ق . م ؛ فإن تاريخ العداوة بين الرجلين يرتد إلى ما قبل ذلك ، حينما تقدم أرستوفان بملهاته (البابليون) - وهى ما تزال ضائعة إلى اليوم - للمباراة العامة فى الشعر الكوميدى فى عيد باخوس الصيفى (الديونيزيا) سنة ٤٢٦ ، وهو العيد الذى كان يحضره أحلاف أثينا من كل صوب ليشاركوا الأثينيين أفراحهم ، فكانت هذه الملهاة مما شاهدوا ، وفيها صور أرستوفان أحلاف أثينا عصبة من العبيد الأرقاء يجرون طاحوناً ثقيلاً لديموس (جون بول أثينا!) وكان صارماً إلى آخر حدود الصرامة فى حملته على النظام الديمقراطى السائد الذى كانت تهيمن بوساطته عصبة بعينها من الزعماء على مقاليد الحكم فلا تريم عنها ولا تستطيع فئة أخرى أن تحل فيه محلها ما دامت الأكثرية - والأكثرية دائماً هم الغوغاء - مؤيدة للفئة الأولى .

كان أرستوفان عنيفاً إلى غاية حدود العنف فى هذه الملهاة

(١) لم ترد التفتاف بهذا المعنى فى معاجمنا ولكن وردت بمعنى ناقل أحاديث النساء ، وقد استعملناها نحن على هذا النحو لتكون ترجمة حرفية لكلمة Paphlagonian المشتقة من Paphlozo أى يمتق أو يزبد

المفقودة ، وقد استطاع أن يفضح كليون وزبانيته فضيحة تهقه لها الأحلاف من وراء أشداقهم ، وإن صورهم في هذه الصورة المزرية الشائنة التي خفف من مرارتها في نفوسهم ما شاهدوا من تصويره لرجال الحكم وعلى رأسهم كليون الماثل ... فلما عاد الأحلاف بعد انتهاء حفلات الديونيزيا ، أمر كليون فقبض على أرستوفان وحوكم من أجل ملهاته تلك بتهمة الخيانة العظمى ، لأنه فضح الدولة وأهان أحلافها ، وصنع ذلك في غير تورع ولا احتشام في عيد ديني قومي !

ولسنا ندري ماذا كان الحكم الذي أصدره القضاة على أرستوفان . ويبدو أنه لم يتعد الغرامة أو التوبيخ ، ونستنتج ذلك مما صنع أرستوفان في العام التالي حينما تقدم إلى المباراة الكوميدية في عيد الربيع الـ(لينايا) سنة ٤٢٥ — أي بعد محاكمته بتسعة أو ثمانية أشهر تقريباً — بملهاته الـ أخارنيين Acharnians — وهي أقدم ما حفظت لنا يد العفاء من كوميديات أرستوفان — وفيها يعتذر للجمهور عما وقع فيه من إهانة الحكومة وتحقير الحكام في ملهاته السالفة ... ولو أنه كان قد حكم عليه بحكم شديد أو يتعدى الغرامة أو التوبيخ لما استطاع في مثل هذه السرعة أن ينظم ملهاته الجديدة ، ويحتفظ فيها بثباته وبراعة نكتته ، ولما تناول فيها شخصية كليون أيضاً بشيء من التهكم اللاذع ، وإن يكن هذه المرة قد بدا رفيقاً بالطاغية الجبار ، فكان يسخر منه حينما يفعل ذلك في حيطة وحذر وحساب شديد

وكأنما ضايق أرستوفان أن يقف مكتوفاً هكذا لأن كليون يخيفه ، ففرج عن نفسه بمهاجمة شخص آخر هو لاماخوس ، ثم شخص ثالث هو خصمه الأكبر يوريبيدز الذي يسلقه هنا بلسان حديد ، ويعزو إليه إتلاف روح أثينا ! وقد عجب الشاعر الكوميدي المعاصر لهذا التحرش المستمر من أرستوفان بيوريبيدز ، وكان مما لاحظه أن أرستوفان ينسج على منوال خصمه ولكن في ميدان الكوميديا ، فكأنما كوميدياته هي معارضات لدرامات يوريبيدز . ومن أجل هــذا اخترع كراتينوس اللفظة : Euripidaristoaphnize التي نحتها من اسمي الشاعرين للإشارة إلى تقليد أرستوفان لخصمه ، وهي كما ننحت نحن في العربية بعض الكلمات التي تدل على عبارة من نحو يحوقل أي يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ويحيعل من قوله حي على الصلاة الخ.

وملهــاة الآخارنيين هي ملهاة نظمها أرستوفان من أجل الدعوة إلى السلام خلال حروب البلوبونيز (الورة) ، وبطلها دسيوبوليس هو مواطن أتيكي ساذج لكنه مقاحم ذكي ثاقب الفكر ، وقد اضطر أمام جيوش الغزاة الأسبرطيين الذين اقتحموا قرى أتيكا إلى الفرار إلى أثينا ليلوذ بأسوارها ... وهنا تثور ذكريات الريف الجميل المادي القطري بخلد الرجل ، فيأسف على العيش الساكن البسيط ، وأويقات الصفاء في حقول أتيكا فيتمنى على أرباب الأولمب أن تنشر ألوية السلام على ربوع الوطن لتعود مياه الحياة إلى مجاريها ... وتتسلسل وقائع الكوميديا فينعقد مجلس الدولة ويشتد الجدل ، ويشتط الزعماء فيقسمون ألا يكون سلام حتى ولو نزل إله من السموات يأمرهم به ! ... على أن الأمر ينتهي بعقد الهدنة لمدة ثلاثين سنة فيعود دسيوبوليس جذلان فرحاً إلى ريفه الجميل ، ويتمتع الناس بسلم طويل يفيقون فيه من أهوال الحرب التي جرتها الديمقراطية — أو جرها زعماء الديمقراطية المستبدون — على الوطن الحزين المسكين .

ولما كان أرستوفان يحس ما يلقاه الأتيكيون من أهوال حرب المورة ، فقد استمر يدعو إلى السلام في كثير من كوميدياته ففي سنة ٤٢١ تقدم بملهاته (السلام) التي جاءت آية من آياته ... وهي ملهاة خيالية يصور فيها رحلة فلاح أثيني على ظهر خنفساء (!) إلى السماء ينشد السلم ثمة ، لأنه سئم الحرب وضج من أهوالها ! ولشدة حيرة الفلاح يجد أن الآلهة قد ذهبت في السماء صعداً لأنها هي الأخرى قد نفرت من الناس واشمأزت مما تقترفه أيديهم من قتل بعضهم لبعض ومن سفكهم الدماء بغير الحق ، ويجد الفلاح أن الآلهة قد أظهرت شبح الحرب على شعاف الأولمب في حين أنها قد خبأت طيف السلام في كهف هنالك سحيق ، فيجره ويعود به إلى الأرض ، وفي ركابه طيف العيد وطيف المحصول وهما عروسان جميلتان ، فيتزوج عروس المحصول ويدخل بها على نغم عروس العيد وغنائها .

دريني خشبة

في بلاط الخلفاء

بين الشعبي وعبد الملك

للأستاذ علي الجندي

قضى عبد الملك بن مروان شطراً من خلافته في رتق الفتوق وسد الثلم والقضاء على منافسيه والخوارج عليه ، فبلغ من ذلك ما أراد بعد أن خاض أهوالاً تشيب لها ناصية الطفل ، واضطلع بأعباء تنوء بها الجبال ، فعدّ بحق رجل الأمويين ، ومربي ملكهم ومؤثل دولتهم . ولم يَعْد الصواب من وازن بينه وبين معاوية فقال : معاوية أحلم ، وعبد الملك أحزم . ولم يَغْل عبد الملك في وصف نفسه من خطبة له : أيها الناس ، والله ما أنا بالخليفة المستضعف (عثمان) ، ولا بالخليفة الداهن (معاوية) ، ولا بالخليفة المأفون (يزيد) ؛ فمن قال برأسه كذا ، قلنا بسيفنا كذا !

والآن تحتويه دمشق الفيحاء ، وقد اتسق له الأمر ، وصافحه الإقبال ، ونفض عن كاهله غبار الحروب ، وتكفل له طاغية ثقيف وجبار العرب بقمع أهل الفساد والشغب ، والضرب على يد الأسود والأحمر على السواء ! فكيف يقضي أوقات الفراغ التي انفسحت أمامه ؟ وبأى الوسائل يروّح نفسه ، ويدخل عليها البهجة والمسرة ؟

لم يكن عبد الملك مُعَنّى بالنساء ، ولا منهوماً بالشراب ، ولا مستهتراً بالسماع ، ولا موكلا بالصيد والقنص ، حتى يلتمس المتعة في ذلك ؛ ولكنه كان خليفة جادًّا زَمِيتاً وقوراً . وكان قبل الخلافة أزهد شباب قريش وأورعهم حتى لقب بحمامة المسجد ، كما كان يُقرن في الفقه بسعيد بن المسيب . أما روايته للأخبار وحفظه للشعر ، وبصره بالنقد وذرابة لسانه وسحر منطقه ، وثقوب ذهنه ، ووثاقة عقله ، فقد أربى من ذلك على الغاية ، ولعل التاريخ الأدبي لم يعن بالتحدث عن خليفة في الإسلام عنايته بعبد الملك والرشيد

فمن ثَمّ واحد من اللذات إذن يمكن أن يستهوى هذا الخليفة العالم الأديب ، ويساوق طبيعته السامية . فمن لا يقدرة قدره إلا أصحاب المواهب المصقولة ، والحس المرهف ، والعقل المثقف ، والذوق السليم ، وهو محادثة الرجال ذوى العقول ومجاذبتهم طرائف الأخبار وبدائع الأسمار

وقد نوه الحكماء بهذه المتعة العقلية الرفيعة ، فقالوا : محادثة الرجال[1] تلقيح لألبابها . وأشاد بها ابن الرومي في شعره حيث يقول :

ولقد سئمت مآربي فكأن أطيبها خبيث

إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبداً حديث

وفي الحق أن عبد الملك ليس أول من طلب هذه اللذة ولا آخر من رغب فيها ، فقد قال قبله معاوية : أصبت[2] من النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط ، وأكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه ، وشربت الأشربة حتى رجعت إلى الماء ، وركبت المطايا حتى اخترت نعلي ، ولبثت الثياب حتى اخترت البياض ، فما بقي من اللذات ما تتوق إليه نفسي إلا محادثة أخ كريم

وقال بعده سليمان بن عبد الملك : قد ركبت[3] الفاره ، وتبطنت الحسناء ، ولبست اللين حتى استخشنته ، وأكلت الطيب حتى أجمته ، فما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليس يضع عني مئونة التحفظ . إلى غير ذلك من الأقوال التي ملئت بها كتب التاريخ والأدب

لم يكد عبد الملك تهيج في نفسه هذه الرغبة حتى دعا بدواة وقرطاس ، وكتب إلى عامله الحجاج بالعراقين : إنه لم يبق[4] لي من الدنيا لذة إلا مناقلة الإخوان الأحاديث ، وقبلك عامر الشعبي فابعث به إلى يحدثني . وفي بعض الروايات أنه كتب[5] إليه : أن ابعث لي رجلاً يصلح للدين والدنيا أتخذه سميراً وجليساً . فقال الحجاج : ماله إلا الشعبي

وسواء أكان الاختيار وقع على الشعبي من عبد الملك أم من الحجاج ، فإنه لم يقع اعتباطاً ولا جاء مصادفة . فقد كان الشعبي نادرة الدنيا وفقيه العراق .

يقول الشعبي عن نفسه : دخلت إلى الحجاج حين قدم

(١) زهر الآداب ج ــ ١
(٢) المستطرف ج ــ ١
(٣) البيان والتبيين ج ــ ٢
(٤) أمالي المرتضى ج ــ ٣
(٥) العقد ج ــ ١

الكوفة، فسألني عن اسمي فأخبرته . ثم قال لي : ياشعبي كيف علمك بكتاب الله ؟ قلت : عني يؤخذ ! قال : كيف علمك بالفرائض ؟ قلت : إلي فيها المنتهى ! قال : كيف علمك بأنساب الناس ؟ قلت : أنا الفيصل فيها ! قال : كيف علمك بالشعر ؟ قلت : أنا ديوانه ! قال : لله أبوك ! وفرض لي أموالاً وسودني على قومي . فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان ، وخرجت وأنا سيدهم .

وقد بلغ من سعة معارفه أنه كان يقول : ما حدثت بحديث مرتين إنساناً بعينه ! ومع أن الشعر أقل بضاعتي فإني أستطيع أن أنشد شهراً كاملاً لا أفرغ منه .

وكان ظريف اللسان ، بديع المنطق ، ساحر الحديث ، بارع المفاوضة ، إذا تكلم لا يكاد يسمع غيره[1] لحلاوة قوله وعذوبته !

وكان خفيف الروح ، رقيق الحاشية ، سلس الطبع ، لطيف المزاح ، فاشي الدعابة ، سريع الجواب ، حاضر البديهة . سئل مرة[2] عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف ! وسئل أخرى عن اسم امرأة إبليس . فقال : هذا زواج ما شهدناه ! وقال له رجل : ما تقول في الذباب ؟ فقال : إن اشتهيته فكله !

ورآه مصعب بن الزبير زوجه عائشة بنت طلحة ملكة الجمال في عصرها ، وبصله ببدرة ، وتخت ثياب ، وقارورة غالية ، فيقول له الناس : يا شعبي ، كيف الحال ؟ فيقول : وكيف حال من صدر عن الأمير ببدرة وثياب وغالية ، وبنظرة من وجه عائشة ! إلى غير ذلك من الملح والطرائف والأجوبة الحسان التي تكشف عن ظرف الرجل وسجاحة خلقه ورقة شمائله

ولكن هذه السمات إن وجدت في الشعبي ، فلن تعدم في غيره ، فما السر في اختياره بالذات ؟ السر عندي أن الشعبي كان يمثل في عصره ما يصح أن نسميه (الدبلوماسية الدينية) ، فقد كان هذا الإمام — على فقهه وورعه وتقاه — لين الجسة ، مرن التفكير ، رحب الأفق ، طبّاً بأسرار التشريع ، يتحامى التعسير والتنفير ، ويأوي إلى الجانب الظليل من الحنيفية السمحة البيضاء . كان يتساهل في السماع ، ويتشدد فيه ابن سيرين ؛ وكان يرى التقية والتورية ، ولا يراها سعيد بن جبير ، فنجا الشعبي من سيف الحجاج وقتل به سعيد ! وكان يجنح في إفتائه إلى الأرفق الأهون على الولاة ، ويأخذهم الحسن البصري بالعسر والشدة . فهرب الحسن من وجه الحجاج ، وقر الشعبي آمناً مطمئناً

هذه (الدبلوماسية) هي التي جعلت الشعبي أثيراً لدى خلفاء هذا العصر وأمرائه وولاته — على اختلاف منازعهم الدينية والسياسية — من مصعب بن الزبير ، إلى ابن الأشعث ، إلى الحجاج ، إلى عبد الملك بن مروان ؛ وهي التي رشحته أخيراً لأن يكون سميراً للخليفة ، وبعبارة أدق خلعت عليه وصف (الجليس المتع) .

ولم يقصر أهل الظرف في تعريف هذا الجليس فقالوا : أمتع الإخوان مجلساً ، وأكرمهم عشرة ، وأشدهم حذقاً ، وأنبههم نفساً ، من لم يكن بالشاطر المتفتك ، ولا الزاهد المتنسك ، ولا الماجن المتظرف ، ولا العابد المتقشف ، ولكن كما قال الشاعر:

يا هند هل لك في شيخ فتى أبداً ... وهل يكون شباب غير فتيان

وها أنت ترى أن هذا التعريف ينطبق على الشعبي كل الانطباق

دعا الحجاج بالشعبي وأفضى إليه برغبة أمير المؤمنين ، فوقع منه ذلك بموقع ، فبالغ في شكر الأمير وأطال الدعاء للخليفة

وقد جهزه الحجاج بجهاز حسن ، وأنفذ معه كتاباً إلى عبد الملك يثني عليه فيه . وسار الشعبي حتى بلغ دمشق ، ووقف بسدة الأذن ، وقال للحاجب : استأذن لي في الدخول على أمير المؤمنين . وكأن الحاجب اقتحمته عينه لنحوله وقماءته ، فقال: ومن تكون أنت؟ فقال : عامر الشعبي . فقال الحاجب : حياك الله يا فقيه العراق ! ووثب عن كرسيه وأجلسه عليه ، ودخل مسرعاً إلى الخليفة ، ولم يلبث أن خرج ودعاه إلى الدخول في رفق وأدب

دخل الشعبي حتى إذا واجه عبد الملك سلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام وهش له وبش به ! وأومأ إليه بقضيب في يده أن اجلس . فجلس على يساره

وعبرت فترة أطرق فيها عبد الملك عابساً متجهماً ! ومن الآداب السلطانية المأثورة أن الملك[1] إذا حضره سماره ومحدثوه لا يحرك أحد منهم شفتيه مبتدئاً . ولم يكن الشعبي يجهل ذلك ، بل لا يجهل أن عبد الملك[2] أول خليفة منع الناس من الكلام ، وتقدم فيه وتوعد عليه . ولكن اعتداد الشعبي بنفسه ، وإدلاله

(١) ديوان المعاني ج — ٢ (٢) عيون الأخبار ج — ١

(١) التاج (٢) البيان والتبيين ج ٢

بمنزلته من الخليفة ، وتعجله إدخال السرور عليه دعاه أن يسأل غير محتشم : ما بال أمير المؤمنين ؟ فرفع عبد الملك رأسه إليه - متجاوزاً عن هفوته - وقال ذكرت يا شعبي قول زهير :

كأني وقد جاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يُرمى وليس براي
ولو أنني أُرمى بنبل رميتها ... ولكنني أُرمى بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي

وبهذا الكلام وجد الشعبي مجاله الذي يصول فيه ويجول ، فهز رأسه قائلاً : ليس الشأن كما قال زهير يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد :

كأني وقد جاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عن منكبيَّ ردائيا

ولما بلغ سبعاً وسبعين قال :

باتت تشكّى إليَّ النفس مُوهنة ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تُزادي ثلاثاً تبلغي أملا ... وفي الثلاث وفاء للثمانينا

وللما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

ولما بلغ عشراً ومائة سنة قال :

أليس ورائي إن تراخت منيّتي ... لزوم العصا تُحنى عليها الأضالع
أخبّر أخبار القرون التي مضت ... أنوء كأني كلّما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة سنة وحضرته الوفاة قال :

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذي تعلمانه ... ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه ... أضاع ، ولا خان الخليل ولا غدر
إلى سنة ثم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فشاع السرور في وجه عبد الملك رجاء أن يبلغ من العمر ما بلغ لبيد .

[البقية في العدد القادم]

علي الجندي

صورة وصفية

صديقي بشر...

للأستاذ محمود تيمور بك

تلقيت يوماً دعوة من إحدى الهيئات العلمية، ولا أدري متى جرى ذلك على وجه التحقيق. وكانت الدعوة لسماع محاضرة لغوية لبحّاثة معروف، سمعت به، ولكني لم أره بعد...

فذهبت، وقد تخيلت لهذا المحاضر صورة تتفق مع موضوع محاضرته ... رجلاً أشرف على الخمسين، بشارب مهدّل، وعينين مجهودتين، وصوت متآكل. فما كدت أستقر في مكاني من القاعة وأرفع بصري إلى المحاضر، وقد اعتلى منصة الخطابة، وبدأ يلقي محاضرته، حتى طالعتني صورة أدهشتني جد الدهشة. رأيتني أمام فتى كله شباب وحيوية، بعينين تلمعان ذكاء؛ له وجه صبيح، بشارب طرير مشذّب على الطريقة الفرنسية، وقوام إغريقي يذكّرنا بتماثيل « براكسيتيل »!

فتشككت في الأمر؛ وحسبت أنه قد جد تغيير في المحاضرة والمحاضر، وانحنيت على زميل بجوارى أتبين منه حقيقة الحال. فما كد لى أن المتكلم هو الدكتور بشر فارس نفسه!...

ورحت أستمع، فإذا بالمحاضر يلقي بحثه بصوت جهير النبرات، في لهجة فصيحة، تتوضح فيها دقة في الأداء، وحسن اختيار لمواقف الجمل، وحرص على سلامة مخارج الحروف. كل ذلك في اتساق وانسجام كاتساق النغمات وانسجامها في اللحن الفني البارع!

واتسمت مسالك البحث وتشعبت، بيد أن المحاضر كان قابضاً على زمام موضوعه قبضة جبار، يديره في حنكة، إدارة الربان الماهر لباخرته وسط العباب الصاخب ... حتى انتهى به أخيراً إلى شاطئ السلام!

***

منذ ذلك اليوم عرفت الدكتور بشر، وما أسرع أن توثقت صلاتي به!.. فتجلت لي فيه شخصية أخرى غير شخصية ذلك العالم المحقق – تلك شخصية الصديق الودود المرح. فالابتسامة اللطيفة التي طالما انقلبت إلى ضحكة عابثة لا تفارق ثغره، والنكتة المصرية اللبقة تظل محلقة في سماء مجلسه. وقد يمضي في حديثه الطريف، فلا يكاد يروي لك أخباره عن باريس، ما شاهده في دور العلم بها، وما لقيه في مغاني عبثها ولهوها، حتى ينتقل بك إلى قهوة « الفيشاوى »، ومطعم « الحاوجى »، فيحدثك عن الشاى الأخضر، وصحاف « الطعمية » الفاخرة تحيط بها أصناف الشهيات... ومن ثمّ يختفي أمامك العالم الجهبذ، ليحل مكانه « ابن البلد » الوجيه العريق في المصرية، فلا يعوزه إلا (اللاثة) يديرها على رأسه، فينطلق في مسارح « سيدنا الحسين » يلوح في يمينه بعصا الفتوّة!!

والحق أن جلسة واحدة مع الدكتور بشر تريح الأعصاب، وتملأ القلب من إيناس، وتحوّل نظر المرء إلى الناحية الرفافة الجميلة في الحياة...

***

صاحبنا الدكتور بشر وقتاً، ثم طلبناه حيناً فلم نجده، فكأنه « فص ملح وداب » كما يقولون .. ثم عاد إلى الظهور، ولكن في فترات متقطعة نادرة. كنا نراه اتفاقاً في الطريق مهرولاً لا يقر له قرار، وهو محاط بشرذمة من النجارين والحدادين والطلائين. فإذا ما استوقفناه، فسألناه عن سبب غيبته، أشار إلى مرافقيه، وقال وهو يتأفف في لهفة المكدود: ألا ترون أني مشغول؟! ويتابع سيره في عجلة واهتمام، وقد اشتبك مع صنّاعه في مناقشة حادّة... فلا نشك لحظة في أنه ودّع العلم والأدب والتحق بزمرة المقاولين!

وبينما كنا في مجلس نذكر صديقنا بشراً بالخير، ونأسف

لتوديعه الأدب ؛ إذا به يفاجئنا بدعوة ظريفة إلى مسكنه الجديد في « جاردن ستى » . فقمنا من ساعتنا إليه ، فوجدنا أنفسنا في متحف فني ، كل ما فيه يشف عن ذوق سليم غاية في السمو

وجعل صاحب الدار يمر بنا في مقاصير المسكن وقاعاته المنشأة على أحسن طراز ، ويقف بنا أمام تحفه واحدة بعد أخرى ، وهو يشرح لنا تاريخها وقيمتها شرح خبير . فهنا صورة طريفة محلاة بإمضاء فنان ؛ وهنالك تحفة من الفن الصيني الثمين يرجع تاريخ صنعها إلى عهود غابرة ، ترى بجوارها مقعداً لطيفاً على شكل رحل من رحال الجمال . . . وفي ركن من أركان الغرفة يقوم ذلك الرف الساذج البديع ، يحتضن « تاييس » و « مدام بوفارى » و « أفروديت » وهن في أثوابهن الغالية الفاتنة !

فقطنا بعد لأى إلى سر غيبة صديقنا ، وطفقنا نطوف معه ذلك « المزار » المبتكر ... حيث يعبق في جوه عطر الفن ، وتشمله روح الجمال !

طابع الفن والجمال يسم حياة الدكتور بشر بأكملها ، يسم شخصه ومسكنه وتآليفه وكل أسباب عيشه . فإذا ما قرأت له مقالاً رأيته ألبس الفكرة العميقة والرأى الناضج ألفاظاً ينتقيها في حكمة ، وينسقها في صبر وجلد ، ثم ينضدها تنضيد العقد على صدر الحسناء !

فإذا لقيت شخصه ، ألفيت أمامك شاباً أنيقاً يحسن كيف يلائم بين لون رباط الرقبة والقميص والحلة ، ليخرج منها صورة فنية طريفة ...

***

ولصديقى بشر شخصيتان : شخصية الأديب ، وشخصية العالم ، تتنازعانه على الدوام . . . ولا ندرى أيهما يقدر لها الفوز على الأخرى ؟ فقد أصدر في العام الماضي مسرحيته الرمزية : «مفرق الطريق» ، فتلألأت نجماً جديداً في سماء الأدب الرفيع . وظهر له منذ أيام كتابه : « مباحث عربية » ، فإذا هو سفر قد لا نغالى إذا قلنا إنه في طليعة الآثار العلمية التى تمخض عنها العصر الحديث ، من حيث دقة البحث ، واستيعاب الموضوع ، وحسن الصياغة ، والبراعة في التنسيق والتنميق . كل ذلك على أحدث نهج علمى خطه علماء الاستشراق ؟

ونحن اليوم نتتبع خطوات بشر فارس وهو يروح ويغدو ، ينحت الصخر آناً في مفاوز العلم ، وينظم الزهر آناً في خمائل الأدب ، ونتساءل في حيرة : إلى أى مدى يستطيع الصديق أن يحتفظ بشخصيتيه المستقلتين ؟ وهل في الإمكان أن يجمع المرء بين الأدب والعلم ، ولا يستشعر في دخيلة نفسه ذلك التنافر القائم بين هذين العنصرين النفيسين اللذين لا يهدأ لهما حال إلا إذا أخضع أحدهما زميله واستعبده ؟!

***

وللدكتور بشر نواح خفية ، لا يعرفها إلا أصدقاؤه الخلصاء . وإنى لمذيع بعضها ، وأمرى إلى الله ! فقد يحاسبني على إفشائها حساباً عسيراً !

إن صديقي بشراً - ولنخفض أصواتنا قليلاً - رجل ذواقة في المآكل ، واسع الاطلاع على ألوان الطعام ، عظيم الخبرة في كل ما تزدان به الموائد ... وإنها لمتعة حقاً حين تسمعه يحدثك عن صحاف الأطعمة المختلفة واحدة بعد أخرى ؛ يروى لك وعيناه تلمعان لمان المرق الشهى كيف يشترى بنفسه الزبد الطازج ، وينتقى عند الجزار أطايب اللحم ، وكيف يقف أمام الفرن يجهز الصنف الذى يحب ، ثم لا يلبث أن يأتى عليه ولما يتم نضجه على النار ، مقتفياً أثر المثل الصالح : خير البر عاجله !

ولصديقنا بشر جولات موفقة في مطاعم المدينة ، فهو إذا دخل أحدها لا يطلب القائمة ، ولا يعنى بمكانه من المائدة ؛ بل يطلب أن يدلوه فوراً على المطبخ ... وثم يكشف عن القدور يتفحصها تفحص عارف ، ثم يشير أخيراً إلى واحدة منها ، فيحضرونها له بأكلها ... ويشمر الدكتور عن ساعد الجوع غير معنى وتتئذ بأناقته ، وينكب على القدر فيأتي - في لحظة خاطفة - على ما تعب الطاهى في صنعه ساعات طويلة !

وإنى أنصح - نصيحة مجرب ! - لمن أصيب في معدته ، ورغب في دواء ناجع لإصلاحها أن يأتى بالدكتور بشر عن يمينه وزكى طليمات عن يساره ، ثم يراقبهما هنيهة وهما يتناضلان في معركة القدور كراً وفراً ... فإنه لا يعتم أن يشعر بمعدته تتصايح في ثورة جامحة ، وإذا به ينطلق هو أيضاً في صحاف الطعام يفتك بما فيها فتك مغوار !

محمود تيمور

من مذكرات بلنت

صفحات مجهولة من حياة الامام محمد عبده

« مقتطفات من يوميات نشرها فى انجلترا أخيراً ورثة مستر ويلفريد بلنت ، صديق مصر وعامى زعماء الثورة العرابية ، عن حوادث جرت فى مصر والشرق العربى بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩١٤ » .

« وقد خص صديقه الحميم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية بالشىء الكثير من هذه المذكرات ، ودون فيها ما كان يدور بينهما من الأحاديث والمناقشات حول السياسة والعلم والدين » .

« وهذه المذكرات تلقى الضوء ساطعاً على جانب من أفكار الشيخ محمد عبده وحياته الخاصة وعلاقته بالخديو وصداقته للفيلسوف هربرت سبنسر » .

مارس سنة ١٨٩١ :

حضر عندى صباحاً الأستاذ المفتى الشيخ محمد عبده ، وجلس معى ساعتين تقريباً ، تحدثنا فيهما شتى الأحاديث . وكان قد بعث إلىّ بالنسخة التى أهديت إليه من كتاب بتلر : « فتح العرب لمصر » فشرحت له محتويات الكتاب لأنه لا يعرف اللغة الإنجليزية . ثم تناقشنا فى المسألة الخاصة بنظرية المؤلف من أن المقوقس هو «سيرس» بطريق الاسكندرية . فذكر الشيخ عبده أن هذه النظرية خطأ . وعنده أن (المقوقس) قبطى ، وأنه حاكم منفيس ، وأن جماعة القبط فى ذلك الوقت رحبوا بالفاتحين العرب ليخلصوهم من ظلم الرومان . وإلا فكيف أتيح للقبط أن ينالوا من عمرو بن العاص ما نالوه من امتيازات وعهود طيبة وحكم ذاتى تمتعوا به عصوراً متتالية ؟ وفى رأيه أن الحروب الصليبية ، وبالأخص هجوم الصليبيين على مصر هو الذى جعل القبط موضع الاضطهاد بسبب أنهم أعلنوا هواهم فى جانب الصليبيين .

ودار الحديث على ما يجرى الآن من الأمور السياسية فى الآستانة ، فذكر الشيخ عبده أن الخديو عباس حلمى على علاقات سيئة مع السلطان ، وأنه قوبل فى الآستانة هذا الصيف مقابلة فاترة ، وأن السلطان عبد الحميد امتنع أولاً عن مقابلته إلى أن أخذوا عليه تعهداً بألا يفاتحه فى مشكلة جزيرة طشيوز . والمسألة هى أن الجزيرة ملك للخديو بالميراث ، ولكنها من أملاك الدولة العلية . وأن الخديو لما فرض على سكانها الضرائب بعثوا بشكايتهم إلى الحضرة السلطانية ، فأرسلت الحضرة الجنود ليقيموا فيها استناداً إلى تلك الشكايات . أما الخديو فهو يريد أن تخلى الجزيرة من الحامية العسكرية ، ولكن رجال المابين لم يصغوا إلى نظريته

وذكر أيضاً أن الخديو الآن تحت تأثير سيدة مجرية هى حظيته. وقد كانت معه فى حادث العربة التى وقعت لهما أخيراً وهما عائدان من « الدار البيضاء » فى طريق السويس إذ نشبت عجلات العربة فى الرمال . وكان جزاء الخفراء الذين توانوا عن تقديم المساعدة المحاكمة والحبس مع الشغل مدة أسبوع. وقد رفع ذلك الحادث إلى دار الوكالة البريطانية ، وقامت بسببه مشاحنات حادة بين العميد وبين الخديو .

ثم تكلمنا — والحديث ذو شجون — عن مدحت باشا، وفترة حكم السلطان عبد العزيز . ومن رأى الشيخ عبده أن وفاة السلطان عبد العزيز لم تخرج عن كونها حادث انتحار ، وهو ما أخبرنى به الدكتور ديكوتس فى غضون عام ١٨٨٤ .

أما مدحت باشا فأسر إلىّ كيفية معاملته فى « الطائف » ؛ وأنهم يحرمونه من الغذاء الكافى ، ويقدمون إليه الخبز الجاف الخشن حتى كسرت أسنانه ، ولا يسمح له بقضاء حاجته إلا فى غرفته إلى أن مات من سوء المعاملة . ثم قطعت رأسه وأرسلت إلى الآستانة .

وينعت الشيخ عبده السلطان عبد الحميد بأنه (أكبر مجرم سفاك فى هذا العصر) .

وإنها لكلمة قاسية يذكرها عالم دينى كبير عن خليفته .

مارس ١٨٩١

رفعت تقريراً إلى اللورد كرومر عن الإدارة المصرية وسوء حال الدولاب الحكومى، وشفعته باقتراح يتضمن تأليف وزارة من

المصريين ، هذه أسماؤهم بعد استشارة الشيخ عبده والمويلحي :

حسن باشا الشريعي ، بليغ بك ، أمين بك فكري ، سعد أفندي زغلول ، أحمد أفندي محمود ، إبراهيم أفندي الوكيل ، محمود بك شكري ، أحمد بك حشمت ، يوسف بك شوقي ، الشيخ محمد عبده .

فبراير ١٨٩٣

إن الشيخ عبده في جانب رياض باشا رئيس الحكومة . وفي اعتقاده أن رياض باشا برغم كونه مستبداً رجل شريف ، وأنه أفضل من نجران وبطرس وأرتين ، لأن هؤلاء كلهم مسيحيون لا يريدون خيراً بنشر روح التعليم الإسلامي . ومدح الشيخ عبده في أخلاق بعض الوظفين الإنجليز ، ولكنه عاد فذم الطبقة الجديدة منهم ، واستحسن تقربي من الخديو حتى أستطيع التأثير عليه . فيستمين رياض وبطبقة من الشبان المسلمين المتعلمين ، ويقصى عنه الأرمن والمسيحيين . وذكر الشيخ عبده أخيراً : نحن لا يهمنا أن يبقى الإنجليز سنة أو اثنتين أو خمسة ما داموا ينشرون كوننا في الأمن ؛ إلى أن يقوى حزب الفلاحين ؛ ولكن إذا كانت هناك فكرة مبيتة بضم مصر ، فإننا نقبل الاستبداد التركي الضعيف على ذلك الخسران المبين . فإن قمتم بالجلاء غداً فثق أننا جميعاً نفرح ونغتبط .

والواقع أن الشيخ عبده الآن أكثر المصريين ميلاً إلى الإنجليز .

ديسمبر ١٨٩٣

تغدى اليوم معنا الشيخ عبده . وذكر ضمن حديثه أن الشيخ حسونة النواوي هو الوحيد بين هيئة العلماء الذي يصلح لأن يكون شيخاً للأزهر على أساس حر شريف .

نوفمبر ١٨٩٤

تغدى معنا وحدثنا عن مقابلته الأخيرة للخديو واستمالته إياه نحو الأزهر . ثم عرض خلال الحديث إلى حادث قتل إسماعيل باشا المفتش وخنقه في إحدى السفن النهرية أمام جسر قصر النيل . وكذلك جرنا الحديث إلى ما وقع لعلي باشا شريف وابتياعه بعض الجواري والعبيد . وتناولنا نوبار باشا ، وكيف يستعين بمركزه في الوزارة ، ونفوذه ليشتغل بالأعمال المالية ويستفيد منها .

نوفمبر ١٨٩٥

قابلت كرومر اليوم وتحدثنا في شؤون مختلفة ، فأخبرني الشيخ عبده أن قد يصدر الأمر بتعيينه مديراً للأوقاف ، فاستحسنت ذلك التعيين بكل جوارحي .

مارس ١٨٩٨

زارني الشيخ عبده وأقام عندي فترة طويلة ، ودعني فيها بمناسبة أوبتي إلى انجلترا . والواقع أنني أغادر هذا البلد الطيب وأنا مريض ، وقد مللت الحياة ، وكنت على وشك أن أعتنق الإسلام ، ولكنني أنظر إلى الإسلام بنفس العين التي أنظر بها إلى المسيحية .

٥ ديسمبر ١٨٩٩

ليس بين جميع الشرقيين ، بل بين جميع الرجال صديق أعظم لي من الشيخ عبده : وها هو يعود بعد أن سجن لإرادته الحرة وأفكاره الجريئة ؛ وبعد أن نفي عام ١٨٨٢ فيعترف لي بقضيته . والحق أنه أقدر رجال مصر وأشرفهم وأنبلهم ، وهو يشغل الآن منصب مفتي الديار المصرية . وقد أهديت إليه منذ سنوات قطعة من أرضي في عين شمس تبلغ مساحتها فداناً ، فبنى عليه داراً قروية ، وصار أقرب جار لنا .

يناير ١٩٠٠

تحادثنا ملياً عما فعله كتشنر برأس المهدي في السودان ، واتفقنا على أن الله هو وحده المنتقم الجبار من هذه الأفعال الإجرامية التي سوف تعجل بالإمبراطورية إلى الانهيار الذي وصلت إليه غيرها من الأمم

۲۸ يناير ۱۹۰۰

كان حديثنا الليلة يتناول الإنسانية ومعاملة القوى للضعيف، فألفيته من المتشائمين مثلى. فقال: إنه كان يتلو التوراة من أيام فرأى أن الفظائع والوحشية التى جاءت على يد المسيحية جاءتها من صلتها باليهودية. وذكر أحاديث نبوية كثيرة عن معاملة الحيوان الأعجم بالرأفة والمحبة، وأن قتل العجماوات هو ضد عقيدة المسلم وشعوره، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للمسيحية. وهو لا يؤمل خيراً فى مستقبل البشرية. وإنى لأخشى أن يكون ضعيف الإيمان بأثر الإسلام برغم أنه المفتى الأكبر، مثل ما عندى من ضعف الإيمان بأثر الكنيسة الكاثوليكية.

أكتوبر ۱۹۰۱

أثناء حديث الصباح جاء ذكر (عرابي) بمناسبة رجوعه من المنفى إلى وطنه. فأخذ عليه الشيخ عبده الحديث الذى صرح به لمكاتبى الصحف قبل أن يقف على حقائق الأمور، وبالأخص تصريحه أن كل شيء عمله الإنجليز فى مصر هو طيب.

٢٤ أكتوبر ١٩٠١

كانت اليوم أول مقابلة جرت بين عرابي وعلى فهمى وبين الشيخ عبده فتعانقوا عناقاً حاراً وتناول حديثهم ذكريات العصر الماضى ومواقف رجال العصر.

[البقية فى العدد القادم]

محمد أمين حسونة

أسرار حياة بلاد العرب السعيدة

LA VITA SEGRETA DELL'ARABIA FELICE

تأليف الكاتب الإيطالي سلفاتوري آبونتي

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

يقسم الجغرافيون القدامى البلاد العربية من حيث التكوين الطبيعي وخصوبة الأرض إلى شطرين عظيمين : يمثل أولهما بلاد العرب الصحراوية وأطلقوا عليه Arabia deserta وهو الجزء الشمالي من الجزيرة . والآخر بلاد العرب السعيدة وأسموه Arabia felixa وعنوا به الجزء الجنوبي من الجزيرة بما يعرف اليوم باليمن وحضرموت ، وما ناوحها من السكور والمخاليف

وهذا التقسيم ليس من مستحدثات هذا العصر ، ولكنه يرتفع إلى عصر سحيق جداً ؛ فمؤرخو الإغريق والرومان هم أقدم من كتب عن هذا القطر الخصيب ، وأول من ابتدع هذا التعريف تفريقاً بين الإقليمين من حيث قوة الإنتاج وكرم الأرض وجمال التربة

وأصبحت « بلاد العرب السعيدة » علماً مشهوراً على بلاد اليمن ، وبقى هذا المفهوم بهذا الوضع اللفظي واحداً في سائر اللغات الأوربية مع تحريف بسيط في المقطع الثاني من الكلمة الأخيرة

وترجع شهرة هذا القطر الكريم من بلاد العرب إلى عصور متلاحقة في القدم خيناً خط أولئك اليمانون على أمواج الدهور حضارات ومدنيات بلغت النهاية القصوى من الإبداع والازدهار والحيرة ما زالت أسرارها بعيدة متفرقة في خفايا الدهور ، ورمال الصحراء ! وبالرغم من كثرة الرواد الذين اقتحموا هذه البلاد ، وتغلغلوا في آفاق بعيدة مهمة منها ، وأماطوا اللثام عن بعض أسرارها وخفاياها ، فبلاد اليمن أو الجزء الجنوبي من بلاد العرب ما زال لغزاً من الألغاز ، وسراً استغلق فهمه على الأجيال ، وسيبقى هكذا إلى أن يبدل الله أرضاً بأرض وأقواماً بأقوام !

هذا الجزء الخصيب من الجزيرة العربية يؤلف منذ أقدم العصور حتى أيامنا هذه سلسلة متلاحقة الحلقات ، قامة بنفسها لجماعات من الرواد الذين رادوا هذه البلاد فجاسوا خلال ديارها ونقبوا عن أطلالها ، فكتبوا عنها تقارير ضافية ، مبنية على صدق الملاحظة والاستنتاج الشخصي القائم على الخبرة والبصر

فأقدم من أرخ عن هذه البلاد وبقيت أخباره حتى أيامنا هذه مصدراً يعول عليه هو استرابو ، ذلك العالم الإغريقي الذي عاش قبل الميلاد ، فقد صور هذه البلاد « السعيدة » من جغرافيته في عبارات مشرقة لماحة الرواء رائعة التاريخ كبسمة من بسمات الدهر لهذه البلاد العريقة في القدم . التي رماها الزمن بسهام صائبات في سكانها وحكامها ، وقفنا على ما بلغته تلك البلاد من الشأو البعيد في مجتلى الحضارة ، وبلهنية العيش حتى « إنهم ليحرقون الأعواد العطرية الفواحة في الوقود بدلاً من الأحطاب[1] »

وجاءت القرون الوسطى وعصر النهضة ، فتوا كبت على البلاد العربية أفواج المستكشفين ، مستهدفين لأخطارها ، همهم الوحيد ارتياد صحاريها واستكشاف مجاهلها والوقوف على مواطن اللبان والمر والبخور وسائر الأطياب التي تفهق بها منحدرات جبال اليمن وشعاب حضرموت العميقة فوقفوا إلى أقصى حد

وإذا كان للانجليز والألمان والفرنسيس مغامرون إلى هذه البلاد فالإيطاليون لا يقل حظهم عن هؤلاء في هذا المجال . وترجع صلتهم باليمن — الصلة العلمية البحتة — إلى العهد الذي قام فيه الرحالة الإيطالي المشهور (لودفيكيو دى فرثمة) الذي يعتبر أول من راد بلاد اليمن من الفرنجة ، وفتح لغيره باب المغامرات وذلك عام ١٥٠٣ م ، وقد طبعت رحلته خمس مرات في روما والبندقية ثم انعكست الآية ، وظهر في اليمن قبل الحرب العامة إيطالي خطير يدعى (لويجي كابرتي) كان الجرثومة الأولى للفكرة الاستعمارية ؛ وصفه إدوار غلازر بأنه « أحد أولئك الرجال الذين بنوا مجداً لأوطانهم » و « أول من فتح بلاد العرب للتجارة الإيطالية » . وقد ظل في اليمن يعمل على بث فكرته حتى قضى نحبه في صنعاء ودفن بمقبرتها ، وما زال قبره هناك يعرف بصليب عليه !

وخلفه في مسعاه أخ له يدعى يوسف ، يعرفه اليمانيون لليوم « بسيدى يوسف الطلياني ! » فكان ضغثاً على إبالة ...

أما في هذه السنين الأخيرة التي تحركت الأطماع المتوثبة في صدر إيطاليا الفاشستية فقد حفلت المكتبة الإيطالية اليمنية في هذه السنين بكتب نفيسة ، وأسفار ما كتب الأخباريون مثلها حتى أصبحت بلاد اليمن وحياً لأقلام الإيطاليين دون غيرهم . ولقد كتبت في السنين التالية كتب ومقالات وتقارير عجزت عن مثلها قرون مضت ! ولولا الأنفاس الاستعمارية التي ترشح في هذه الكتب لكان الإيطاليون من أكثر الشعوب الأوربية التي أسدت فضلاً عظيماً ومجهوداً جليلاً في خدمة التاريخ اليمني والتنويه بذكره في المؤلفات التي نشرها كل من الأسوف عليهما العلامة

(١) Strabo: the geography

نللينو والسنيور غبرّيفيني مندوب الأمبروسيانا (١) في ميلانو وغيرهم من الذين أفنوا أعمارهم وأحرقوا أدمغتهم في سبيل الثقافة العربية والتاريخ الإنساني العام. وكما وُجد منهم الخيّرون، وُجد منهم للفاشستية أنصار اتخذوا من العلم سلاحاً يحققون به أغراضاً معينة، ويخدمون أطماعاً متوثبة نحو البلاد التي تشتى بوطأتهم . ومن هؤلاء السنيور سلفاتوري آبونتي صاحب هذا الكتاب الذي لا يمكن بحال من الأحوال ـ ونحن نعرض لكتابه هذا ـ أن نغمط حقه أو ننكر فضله ، وما أضفاه من الأثواب الزاهية على تاريخ اليمن ونشره في أرجاء الغرب ؛ كما ننكر عليه ذلك الأسلوب الاستعماري الصارخ الذي أسقط هذا الكتاب كمؤلف علمي بحت

هذا الكتاب

هذا السفر الجليل الضخم طبعته ونشرته دار «موندا دوري» بميلانو في قرابة المائتي صفحة ؛ محلى باثنتين وسبعين صورة تعد من أبدع الصور ، منتزعة من صميم الحياة في سهل اليمن ، تمثل الزعماء ، والمدن ، والقصور ، والمعاقل ، والجبال المغطاة بأشجار البن ...

تبتدئ نقطة الرحيل والانطلاق إلى داخلية اليمن من ثغر عدن . ويحدثنا السنيور آبونتي بقصة طريفة قبل أن يبتدئ في مسيره ، وذلك أنه عمد إلى صرة فملأها بنوع من العملة الفضية التي لا تروج إلا في بلاد اليمن والحبشة : هذه العملة هي «ريال ماريا تريزا» أو (أبو طيرة) ، وهو عبارة عن ريال ضخم حالك المنظر ، قليل القيمة ، محدود المنفعة ؛ والإمام يحيى وشعبه لا يعرفون إلا هذا النوع من النقد ولا تروج عندهم الأوراق المالية مطلقاً !

ويبارح المؤلف أسوار عدن ويتجه نحو الشمال ، فتصافحه « أرض العبدلي » سلطنة لحج ، فيراها غارقة في بحر من النخيل تحف بها بساتين العنب وأشجار الموز ؛ وتبدو الحوطة عاصمة هذه السلطنة في منظر ساحر جذاب ، ويزداد المرء إعجاباً بهذه الواحة الواسعة ذلك القصر العجيب المصبوب من المرمر الفاخر الناصع وقد فرشت على واجهته الأمامية فوطة صفراء مكتوباً عليها بالحرف العريض ـ خوف الالتباس ـ هذه العبارة : « قصر السلطان عبد الكريم فضل بن علي محسن العبدلي ! »

ويحدثنا المؤلف أن « العبدلي » يعيش في بلهنية من العيش وسمو في الحياة ؛ يرجع إلى المرتب الضخم الذي يتقاضاه من الخزانة البريطانية إذ لا يهمه شيء في الحياة إلا العناية بقصوره وزخرفتها بضروب الزينات ثم الشغف العظيم بزرع المزروعات ونمو النباتات وإعطائها قسطاً عظيماً من عنايته واهتمامه ، والإنكليز يعلمون منه هذا الميل فيتركونه يفعل ما يريد ، لأن سلطنته تكون أهم جزء من المحميات علاوة على أنها موقع مهم يمكّن الإنكليز من بسط نفوذهم إلى أعلى النجود اليمنية .

وينحدر المؤلف من سلطنة لحج ، فيزهاه سهل « المخا » وقبل أن يضرب على أبواب المدينة « العالية ! » تعترضه مدينة « تعز » وضواحيها ، وهي عبارة عن تفاريق من الفراديس المصطنعة ؛ مكّنت في سهل اليمن . ولها منزلة خاصة في قلوب اليمنيين ؛ فحوالي هذه المدينة ينبت أعظم « كيف » تترنح له أعطاف اليمنيين وتهفو له نفوسهم . هذا « الكيف » هو شجرة « القات » التي لعبت وما زالت تلعب دوراً خطراً في الحياة الاجتماعية اليمنية . ويحسن بنا أن نذكر العبارة البليغة التي وصف بها السنيور آبونتي هذه الشجرة الملعونة (ولا مؤاخذة أيها المواطنون !) فقد حللها تحليلاً كيماوياً استهلها بقوله :



شجرة القات

« منذ قرون خلت وسكان هذا الجزء السعيد من بلاد العرب يمضغ أوراق القات . وأول ما عرف من أمره أن أحد الرعاة لاحظ أن إبله تمددت على وجه الأرض بعد أن أكلت من هذه الأوراق ، وقد غمرتها نشوة من الراحة والانبساط ، وسرت في مفاصلها تيارات خفية أخمدت من حركتها ، وشلت من

(١) من المكاتب الشهيرة بأوربا ، وهي مستعمرة إيطالية في الكتب اليمنية

عملها فأخذ يضربها ضرباً مبرحاً لتنهض وإذا بأتنابه تذهب سدى ، والجمال أصبحت لا تحس بألم الضرب . فبهت من هذا الأمر الغريب ووقف ذاهلاً متحيراً لايدرى ماذا يصنع ؛ وأخيراً بدا له أن يطعم هذه الورقة ، فقطف منها شيئاً وصار يتناولها كل يوم وعند كل فراغ . ومن ذلك اليوم أقصيت الجمال « المسكينة » عن هذه الشجرة ووجدت لها مجالاً واسعاً إلى قلوب اليمنيين ، فكان متعة نفوسهم فى الأفراح والأتراح !

وليس فى استطاعتنا تحديد طعم هذه الأغصان ، ولكن يمكننا أن نعتبر طعمها حرّيفاً مراً يشبه شراب الكحول المشوب بالأفاويه Licore ، وقد عبده اليمانيون عبادة مدهشة وتفانوا فى محبته حتى أنهم ليصرفون فى سبيله مالا يصرفون فى غذائهم الضرورى . وهم يمضغونه كل يوم فى ساعات مختلفة من النهار ؛ ولهم فى طريقة جمعه حماسة غريبة ؛ وتتخرم فى أثناء مضغه أمواج من الفرح والأنس ، يرون الدنيا به واسعة تشعُّ فيها ألوان موردة زاهية !

ويشعر الماضغ مبدئياً بنشوة مؤقتة ، ولكن سرعان ما يعقبها ارتخاء فى الأعضاء ، وانحطاط فى القوى ، وهمود فى العواطف يشبه التخدير . والإفراط فيه يسبب انقباضاً وميلاً دائماً إلى النوم . وآثاره لاتقف عند هذا الحد فقط ، بل إنه يخمد الغريزة الجنسية ، ويتسرب ماء الحياة من الرجل مختلطاً ببوله ! وإذا بلغ الرجل دور الكهولة فقد فقد كل حيويه وانقطعت بينه وبين زوجه أسباب الاتصال !

ومع كل هذه الأضرار فاليمانيون لا يستطيعون أن يعيشوا فى الوجود بدون قطف هذه الأوراق العجيبة ! ومن الطبيعى أن هذا النبت الذى تنتجه اليمن لا يمكن أن يكون كله فى مستوى واحد من القيمة والجودة . فالأغصان التى تنمو على منحدرات جبل صبر [1] هى أفضلها وأجودها وقد كان لها فى يوم ما ازدهار عظيم وسوق رائجة ...

(يتبع) محمد عبد الله العمودى

(١) جبل مطل على تعز

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وخيل لشريف باشا أن الأزمة فى طريقها إلى الحل ، ولو أنه أطلع على الغيب لعلم أنها كانت تتضاعف ويشتد خطرها لتتخذ فى النهاية وضعها الذى سوف يغير تاريخ هذه البلاد !

لج الصائدون فى هذه الباصفة الفرصة المرتقبة ! وهيهات أن يضيع هؤلاء فرصة طال بهم انتظارها ؛ الخلاف قائم بين الوزارة والمجلس فليعملوا على زيادة هذا الخلاف وليدفعوا بالخديو ليخطو أول خطوة بعد يوم عابدين ضد الحركة الوطنية فيخسر بذلك الوطنيين والعسكريين جميعاً ، ويفقدوا هم الثقة فيه نهائياً ، بينما هو يقرب بذلك من الأجانب أو على الأصح يزداد قرباً منهم .

ولن يعدم الإنجليز وحلفاؤهم أن يخلقوا ألف مبرر لما يفعلون ؛ ومن أيسر الأمور عليهم أن يعلنوا أن البلاد تشيع فيها الفوضى ، وأن الأجانب ومصالحهم تكتنفهم الأخطار من كل صوب ، وأن الخديو بات يخشى على عرشه ولا مخرج له مما هو فيه ، بل ولا مخرج لمصر مما هى فيه من خلل وارتباك إلا أن يضرب على أيدى الثائرين المفسدين فى الأرض

ومن غريب أمر هؤلاء الإنجليز أنهم بينهم وبين أنفسهم غيرهم بينهم وبين الشعوب الشرقية ؛ فهم لا يقبلون من هذه الشعوب ما يعدونه عندهم من مفاخر الإنسانية ، وأنهم ليرمون أهل هذه الشعوب بأشنع التهم وأقساها ؛ فالتألم من المظالم التى تنصب على رؤوسهم تمرد ، والسعى إلى الحرية فوضى وهمجية ، والدفاع عن البلاد وذب الدخيل عنها وحشية وإجرام ! على أن هذه هى سنة الحياة بين القوى والضعيف منذ كان الإنسان يتخذ سلاحه من الحجر وينحت مأواه فى الجبل ...

ولقد كانت الدولتان تعملان على الكيد للحركة الوطنية فى مصر قبل انعقاد المجلس ، وكانت بينهما مراسلات فى هذا الصدد ؛ فكانت فرنسا هى المحرضة هذه المرة . فرنسا التى كانت سياستها منذ فشل الحملة الفرنسية تدور على مناوأة النفوذ الإنجليزى فى مصر !

ولى المسيو ليون غمبتا أمر وزارة الخارجية فى فرنسا فى شهر ديسمبر عام ١٨٨١ ، فسرعان ما اتصل بوزير خارجية انجلترة اللورد جرانفيل محدثاً إياه فى شأن مصر مبيناً له وجوب تضامن الدولتين فى العمل إزاء ما يجرى هناك من أمور

وحار جرانفيل أول الأمر ماذا يجيب به على هذه الدعوة ، فهو إن قبلها أصبح مقيداً بالعمل مع فرنسا ، وإن رفضها قطع على دولته الطريق وجعل لفرنسا المكان الأول فى شؤون مصر

وتلقى جرانفيل من مصر أنباء فاجرة مالت به إلى الطريق التى اختارها . كانت مشكلة ميزانية الجيش لا تزال قائمة بين عرابى والمراقبين ؛ فأرجف المرجفون أن عرابياً يعتزم القيام بثورة جديدة لقلب وزارة شريف وتنصيب البارودى مكانه

وكتب السير إدوارد مالت وهو رجل مسؤول إلى اللورد جرانفيل يشكو من تدخل عرابى ويتساءل فى لهجة ساخطة برمة : كيف يستطيع شريف أن يرأس الحكومة مع وجود

عرابي صاحب النفوذ الفعلي في البلاد ؟ وهكذا يسمح هذا الرجل لنفسه أن يكذب فيرمى عرابياً بما هو برىء منه ، ولا يتورع بعد ذلك أن يكتب إلى رئيسه ينبئه بخضوع عرابي لرأى المراقبين، ولكن جرانفيل كان قد خطا نحو فرنسا بناء على الأخبار الأولى خطوة لا يمكنه النكول بعدها

وكتب كلفن كذلك إلى جرانفيل يقول : « والحقيقة أن الإدارة المصرية شركة ثلاثية ، فإذا لم تكن الدول على استعداد لتعديل نصيبها فعليها أن تحافظ عليه وتقويه في هذا الوقت الذى أصبح فيه المصريون في حال تطور وانتقال[1] ». هذا عدا ما ذكره في تقريره عما يتوقعه من خطر إذا زيدت سلطة المجلس، وثبتت قواعد الدستور المصرى

وكان مستر بلنت قد أرسل برنامج الحركة الوطنية إلى جريدة التيمس، وفيه أقوى حجة على براءة هذه الحركة من عناصر الثورة أو المساس بحقوق الأجانب المالية ؛ وكان يأمل بلنت وأصدقاؤه من الوطنيين أن يكون لنشر هذا البرنامج أثره الحسن في نفس جرانفيل ، ولكنه نشر في أول يناير سنة ١٨٨٢ بعد أن نفذ السهم ، فلقد وافقت انجلترة على وجهة نظر فرنسا في يوم ٣١ ديسمبر أى عقب اجتماع المجلس بخمسة أيام

وخطا شريف باشا في تلك الأثناء خطوة حكيمة فأعلن بياناً[2] يشير فيه إلى منهاج حكومته، فذكر أنها تقوم على أساس الاعتراف بحقوق السلطان والامتيازات التى حصلت عليها مصر والاعتراف بالخديو كحاكم دستورى ، والتسليم بقاعدة المراقبة الثنائية ثم إنكار كل اتجاه ثورى ، ومنح الحرية الدينية والسياسية لجميع سكان البلاد والسير على قاعدة الحكومة المسؤولة أمام مجلس نيابي

ولن يكون في الإمكان يومئذ السير على منهاج خير من هذا المنهاج الحكيم الذى كان خليقاً أن يبعث الطمأنينة في نفوس الساسة من الدولتين ؛ وكذلك لم يكن هناك برهان على حسن نيات الوطنيين أقوى مما نشرته التيمس لمستر بلنت وهو شاهد عدل من الإنجليز على المصريين

ولكن المسألة لم تكن مسألة اقتناع وإنما كانت نية مبيتة، وهيهات أن تجرى الأمور في السياسة على الإقناع والاقتناع ، فدوافع الأقوياء إلى العمل في ذلك المضمار أطماعهم وبرهانهم أسلحتهم ، وما يكون الكلام إلا تعلة الضعيف . وما أشبه كلام الضعفاء في مثل هذه المواقف بصراخ الفريسة قبل تمزيقها

ويذكر مستر بلنت في كتابه سبباً لانحياز انجلترة إلى فرنسا؛ فيقول إن انجلترة كانت تسعى إلى عقد معاهدة تجارية مع فرنسا فيها فائدة كبيرة للتجارة البريطانية ؛ ومن أجل ذلك هاودت انجلترة فرنسا وطاوعتها فيما تقترح في شؤون مصر فباعت انجلترة بذلك مصر إلى فرنسا

وما نظن انجلترة كانت من الغفلة بحيث تتنازل عن أغراضها في مصر من أجل مثل هاتيك المعاهدة التجارية ، وإنما الذى نفهمه أن انجلترة كانت تراوغ فرنسا لتفوز بهذه المعاهدة ثم تقف من فرنسا بعد ذلك فيما يتعلق بمصر موقف الاتفاق في الظاهر ، بينما هى في الباطن تعمل وفق ما تمليه عليها أطماعها . ومما يؤيد ذلك التحفظ الذى أبدته انجلترة وأقرته فرنسا ومؤداه: «أن الحكومة الإنجليزية يجب ألا تعد بسبب هذه المذكرة مقيدة بسلوك خطة عمل خاصة إذا ما بدا لها أن العمل ضرورى » ، ولسوف نرى من سياسة انجلترة في مصر ما يؤيد ما نقول

تم الاتفاق بين الدولتين ، وكان المجلس في مصر كما تقدم يخالف الوزارة في مسألة الميزانية ، وكان العقلاء من الوطنيين يعملون على الخروج من المأزق بالحسنى ، ولاحت في أفق السياسة بوادر انكشاف الغمة

وما أشد ما نحسه من ألم وغيظ أن نذكر بعد ذلك أن البلاد ما لبثت أن تلقت من الدولتين في يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٢ تلك الصيحة المشؤومة التى سميت بالمذكرة المشتركة، والتى قل أن نجد في التاريخ السياسى لا ولا في الخرافات التى تحكى للأطفال على مثال أوضح منها لتحكم القوى في الضعيف واستهتاره به في غير حياء أو تحرج ، وحسبك أن تقرأ مثل هذا الكلام الذى بعثت به انجلترة وفرنسا زعيمتا الحرية والديمقراطية ! جاء في المذكرة[1] : « أن الحكومتين الإنجليزية والفرنسية تريان أن بقاء سمو الخديو على العرش بالشروط التى قررتها الفرمانات السلطانية واعترفت بها الحكومتان رسمياً هو الضمانة الوحيدة في الحاضر والمستقبل

(١) المسألة المصرية تعريب العبادى وبدران

(٢) The Transit of Egypt by P. G. Elgood

(١) المسألة المصرية

لاستتباب النظام فى مصر واطراد رخائها ، وهما الأمران اللذان تهتم بهما فرنسا وبريطانيا العظمى . وأن الحكومتين اللتين اتفقتا اتفاقاً تاماً فى عزمهما على أن تمنعا كل أسباب الارتباك الداخلية والخارجية التى يمكن أن تهدد النظام القائم بمصر ، لا يداخلهما ريب فى أن جهرهما بما عزمتا عليه رسمياً فى هذا الأمر سيحول دون الأخطار التى قد تتعرض لها حكومة الخديو والتى لا بد أن تقاومها فرنسا وانجلترة معاً ، وأن الحكومتين لتثقان بأن سمو الخديو سيستمد من هذا التأكيد ما يحتاج إليه من الثقة والقوة لتدبير شؤون بلده وشعبه »

وأى كلام يمكن أن يعبر عما تنطوى عليه هذه المذكرة من لؤم وفجور ؟ ما معنى الإشارة إلى بقاء سمو الخديو على العرش ؟ وما شأن الدولتين حتى تهتمان بهذا الأمر ؟ وبأى حق تضطلعان بمنع أسباب الارتباكات الداخلية والخارجية ؟ وعلى أى أساس يقوم ادعاؤهما وجود هذه الارتباكات ؟ وكيف يجوز أن يعتمد الخديو عليهما ويستمد الثقة منهما ؟

هذه هى المذكرة المشتركة التى أشار إليها بلنت بقوله[1]: « هذه المذكرة المشؤومة التى يرجع إليها كل ما حدث من المتاعب فى خلال ذلك العام والتى أفقدت مصر حريتها كما أفقدت غلادستون شرفه وأفقدت فرنسا نفوذها على جانبى النيل »

ولا تسل عما أحدثته هذه المذكرة الحمقاء من سوء الأثر فى مصر لقد بلغ من إثارتها الشعور وإحراجها الصدور أن تم عليها ما ليت وكلفن وتمنيا لو لم تكن ؛ وقد كانا يريدان ألا تكون بمثل هذه الصراحة الطائشة

وكانت النتيجة الطبيعية أن انضم المعتدلون من رجال الحركة الوطنية إلى العسكريين ، وهو عكس ما كانت تنتظره الدولتان فى غباء مضحك ، ورأى العنصران شبح الرجعية المسلحة ، بل رأوا الغدر الأثيم يتهدد قضيتهم . وانبعثت الصيحات من كل مكان أن انجلترة قد ألقت بنفسها فى أحضان فرنسا ، وأن فرنسا تريد أن تصنع بمصر ما صنعته بتونس ، ولذلك يجب الاتجاه إلى السلطان والمناداة بمبدأ الجامعة الإسلامية لمقاومة هذه الحركة الأثيمة

وضاع كل أمل فى تهدئة الخواطر ، فأصر مجلس شورى النواب على موقفه فى وجوب نظر الميزانية ، ورأى شريف فى المجلس إجماعاً ضده وحماسة ما رأى مثلها من قبل . ولقد رغب جرانفل فى ملاينة الأعضاء فى هذه النقطة كأنما أراد أن يعالج بعض خطئه ، ولكن غمبتا رفض ذلك بحجة أنه يسقط من هيبة الحكومتين أمام الوطنيين . وما أعجب أمر هذا الرجل الذى يظن أن الهيبة تكتسب بالحماقة ! على أن جرانفل ما لبث إن شايع غمبتا فى حماقته ، فلقد كتب إليه مالت يقول[2]: « إن المجلس باق وسيظل باقياً ما لم يحل بالقوة ؛ وهذا أمر لا يكون إلا بالتدخل الذى هو آخر سهم فى كنانتنا والذى لا يسوغه أبداً ما قد يكون من خرق قانون التصفية ... إنى أعترف إنى أفضل أن يعطى المجلس ما يطلبه من الحق ، وألا نتدخل حتى يسىء استعمال هذا الحق . ويجب ألا ننسى أن الأمة المصرية قد أخذت تسلك طريق الحكم النيابى خيراً كان ذلك أو شراً ، وأن قانون المجلس الأساسى هو صك حريتها » ..

هذا ما ذكره ماليت نفسه ولكن جرانفل لم يعبأ به وأرسل إلى غمبتا ينبئه بموافقة الحكومة الإنجليزية على آرائه . ونسى جرانفل أو تناسى أنه كتب إلى مالت قبل ذلك بنحو شهرين يقول له مشيراً إلى حرية المصريين الوليدة: « إن الحكومة الإنجليزية إذا ما رغبت فى نقص تلك الحرية أو العبث بتلك النظم التى يرجع وجودها إليها فقد اتبعت سنة تخالف أجل تقاليد تاريخها الوطنى ... ليس من شىء يحملنا على سلوك خطة أخرى غير قيام حالة فوضوية فى مصر » .

فليت شعرى ما الذى حدث فى مصر حتى تخالف انجلترة على هذه الصورة أجل تقاليد تاريخها الوطنى ؟ وحاول شريف أن يحصل من الدولتين على مذكرة تفسيرية يستعين بها على تسكين الخواطر ، فرفض غمبتا حتى هذه المذكرة وعاد جرانفل فشايعه فى هذا مشايعة عمياء على الرغم من نصح الناصحين من الإنجليز والوطنيين !

لست أدرى كيف كانت ضمائر هؤلاء الساسة تطاوعهم مع هذا على أن يمنتوا رجال مصر بالفوضى وأن يصوروهم أطفالاً فى السياسة لا يدرون ما يأخذون مما يدعون ؟ ولكن مالى أذكر الضمائر والحديث حديث السياسة وجشع السياسة ؟

وضاقت بشريف السبل فلم يدر ماذا يفعل ، ووقفت السفينة لا تستطيع حراكا ، والريح تدوى من حولها وليس فى الجو بارقة أمل ، والنواب لا يفتر إصرارهم ولا تنقطع زمجرتهم

وعاد مالت يحذر جرانفل فقال فى صراحة : « إن التدخل

(١) التاريخ السرى — تعريب البلاغ

(٢) المسألة المصرية

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٢٨ — الكهربية بين النفوس

قال علي بن محمد الحلواني : حدثني خير قال : كنت جالساً يوماً في بيتي فخطر لي خاطر أن أبا القاسم الجنيد بالباب اخرج إليه ، فنفيت ذلك عن قلبي وقلت : وسوسة ، فوقع لي خاطر ثان فنفيته ، فوقع خاطر ثالث ، فعلمت أنه حق وليس بوسوسة ، ففتحت الباب. فإذا أنا بالجنيد قائم ، فسلّم عليّ وقال : يا خير، ألا خرجت مع الخاطر الأول ؟

٤٢٩ — وتفست علينا أن نتكلم

في (البيان والتبيين) : كان نافع بن علقمة خال مروان والياً على مكة والمدينة ، وكان شاهراً سيفه لا يغمده(1) . وبلغه أن فتى من بني سهم يذكره بكل قبيح ، فلما أُتي به وأمر بضرب عنقه، قال له الفتى : لا تعجل عليّ ، ودعني أتكلم . قال : أوَ بك كلام ؟ قال : نعم وأزيد . يا نافع ، وليت الحرمين تحكم في دمائنا وأموالنا وعندك أربع عقائل من العرب ، وبنيت ياقوتة بين الصفا والمروة (يعني داره) ، وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث أحسن الناس وجهاً وأكرمهم حسباً ، وليس لنا من ذلك إلا التراب ، فلم نحسدك على شيء ، ولم ننفسه عليك ، ونفست علينا أن نتكلم !

فقال : تكلمْ حتى ينفكَّ فكاك .

٤٣٠ — امنع من حصونك

كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن فإنه أمنع من حصونك .

٤٣١ — مالك من إله إلا الله

(مفاتيح الغيب) للرازي : جاء في كتاب (ديانات العرب) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لعمران بن حصين : كم لك من إلـه ؟

قال : عشرة

قال : فمن لغمّك وكربك ودفع الأمر العظيم إذا نزل بك من جلتهم ؟

قال : الله

قال عليه السلام : ما لك من إلـه إلا الله

٤٣٢ — وحور عين . . .

في (روض الأخيار) : الأصمعي : رأيت دكاناً فيه أنواعُ الطيور المشوية ، وأنواعُ الفواكه ، وامرأة في غاية الجمال فقلت : « وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » :

فقالت بالفور : « جزاء بما كانوا يعملون »

٤٣٣ — هذه القلعة بنت لأولادك

في (صبح الأعشى) : من غريب ما يحكى أن السلطان

(1) محمد وأغمد : وسيف مغمود ومغمد .

السلاح سيصبح أمراً محتوماً إذا ما تشبثنا بمنع المجلس من التصويت على الميزانية ، ومع ذلك فجميع الحكومات تهتم بمنع ما يوجب هذا التدخل الذي إذا أقدمت عليه الدولتان وحدهما أدى إلى سوء المنقلب في هذا البلد »

وعلى الرغم من ذلك كله أبلغت الحكومة المصرية رسمياً يوم ٢٠ يناير سنة ١٨٨٢ أن المجلس لن ينظر في الميزانية إلا إذا أخل بالأوامر العالية التي أنشئت بمقتضاها المراقبة الثنائية

ولما وجد النواب شريفاً يميل إلى موافقة الدولتين ، سار وفد منهم إلى الخديو فطلبوا عزله ، وتعيين رئيس للوزارة يستطيع أن يسير مع نواب البلاد في سياستهم

وسقطت وزارة شريف ، وحلت محلها وزارة البارودي في يوم ٥ فبراير سنة ١٨٨٢ ، وهي الوزارة التي سوف تعرف باسم وزارة الثورة (يتبع) الخفيف

صلاح الدين (رحمه الله) طلع إلى القلعة[1] ومعه أخوه العادل أبو بكر فقال السلطان لأخيه العادل: هذه القلعة بنيت لأولادك فثقل ذلك على العادل، وعرف السلطان صلاح الدين ذلك منه فقال: لم تفهم عني، إنما أردت أني نجيب فلا يكون لي أولاد نجباء، وأنت غير نجيب فيكون أولادك نجباء، فسرّي عنه. وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام، فاستناب ولده الملك الكامل محمداً في الديار المصرية، فسكنها.

٤٣٤ — وأرى نساء الحي غير نسائها

أبو الحسن علي بن أحمد الفالي:

لما تبدلت المنازل أوجها ... غير الذين عهدت من علمائها

ورأيتها محفوفة بسوى الأُلى ... كانوا ولاة صدورها وفنائها[2]

أنشدت بيتاً سائراً متقدماً ... والعين قد شرقت بجاري مائها:

«أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها»

٤٣٥ — في أي مدينة؟

في (منهاج السنة): يوسف بن غز أوغلي (صاحب التاريخ المسمى مرآة الزمان) — يذكر في مصنفاته أنواعاً من الغث والسمين، ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة؛ وكان يصنف بحسب مقاصد الناس: يصنف لهؤلاء ما يناسبهم ليعوضوه بذلك، ويصنف على مذهب فلان لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه، فكانت طريقته طريقة الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟

قال: في أي مدينة؟

(١) قلعة الجبل، بناها بهاء الدين قراقوش للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة. وأول من سكنها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب انتقل إليها من قصر الفاطميين سنة (٦٠٤) واستقرت بعده سكنا للسلاطين إلى الآن. ولم يسكنها السلطان صلاح الدين. ويقال: إن ابنه الملك العزيز سكنها مدة في حياة أبيه ثم انتقل منها إلى دار الوزارة (الصبح).

(٢) (الأُلى) الذين. قالوا: لاتزاد الواو فيها وتزاد في أولى أي أصحاب

٤٣٦ — خير ما في الدنيا

معاذ بن جبل: ليس في الدنيا خير من اثنين: رغيف تشبع به كبداً[1] جائعاً، وكلمة تفرج بها عن ملهوف

٤٣٧ — حضرنا إملاك الوالدة...

في (الغرر الواضحة) لإبرهيم بن يحيي الوطواط: قال أبو هريرة الشاعر المصري: خرجت يوماً إلى (بركة الحبش) بمصر متنزهاً في أيام الربيع حين أخذت الأرض زخرفها وازّينت، ومعي آنية شراب وكتاب، وكانت تلك عادتي في كل سنة، فجعلت أشرب وأنادم كتابي طول يومي. فلما كادت الشمس تغرب، وتُلمح في أجنحة الطير أخذت في الانصراف إلى منزلي وأنا ثمل. فبينما أنا أمشي إذ خرج فارس من مصر متلثماً لا يبين من وجهه غير عينيه، فسلم وقال: من أين أقبل الشيوخ؟

فقلت في نفسي: أجنّ الرجل؟ ومن يرى معي؟ فالتفتُّ فإذا خلفي قطيعٌ من التيوس. فقلت: حضرنا ملاك[2] الوالدة أصلحك الله! فضحك وانصرف.

ولما كان بعد أيام دخلت إلى الأمير (تكين) في حاجة فقضاها لي، وأمر لي بألف درهم وقال: هذا حقّ حضورك ذلك الملاك. فعلمت أنه هو الذي لقيني، فأخذتها وانصرفت

***

بركة الحبش هي التي يقول فيها أمية بن أبي الصلت:

لله يومٌ ببركة الحبش ... والأفق بين الضياء والغبش!

والنيل تحت الرياح مضطربٌ ... كصارمٍ في يمين مرتعش!

ونحن في روضة مُفوَّفة ... دبج بالنور عطفها وَوُشي!

وأثقلُ الناس كلهم رجلٌ ... دعاه داعي الصبا فلم يطش

فاسقني بالكبار مترعةً ... فهنّ أشفى لشدة العطش[3]

(١) الفراء: الكبد تذكر وتؤنث ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الباء.

(٢) الأملاك والملاك بفتح الميم وكسرها التزويج وعقد النكاح (النهاية)

(٣) سقاه وسقّاه بالتشديد وأسقاه بمعنى واحد (التاج) أسقيته بالألف لغة

الرجع البعيد

للأستاذ محمود الخفيف

إيه قيثارتي تغني ... أعيدي   لحن ماضيّ واشتكي من جديد
جددت جدة الزمان هيامي   وأثار الربيع ذكرى عهودي

* * *

رددي في الغناء أحلام أمسي   عل في الذكريات روحاً لنفسي
جددي اللحن كم خدعت فؤادي   بسراب من المنى والتأسي

* * *

هدهدي موجعاً تجافى الضلوع   وهفا اليوم بعد طول الهجوع
راح يستاف في الربوع نسيماً   في شذاه عهود تلك الربوع!

* * *

أتسلى يا ويلتا بغنائي   ومن الداء أستمد دوائي!
لذت بالوهم والتجمل حيناً   لم أصب فيهما أقل شفاء

* * *

ما الهذي الملاعب الخضر توحي   خطرات أغرقن في الهم روحي
كن بالأمس والمنى نضرات   مبعث السحر والهوى والطموح

* * *

ضقت بالروض أنقل الخطو وحدي   بين زهر به وضاحك ورد
صور في الضحى يزدن عذابي   ومعان يثرن كامن وجدي!

* * *

خيلت جنتي لقلبي الشريد   وحشة البيد في القفار المديد
وغدا لحني المردد فيها   بعد موت المنى كرجع بعيد!

* * *

يا بنات الهديل رددن لحني   وخذي الشوق والتفجع عني
أنا أشجى بكاً وأصدق وجداً   وأفوق الهديل روعة فن

* * *

يا صحابي لا تنكروا اليوم سجي   أتمنى لو كان قلبي طوعي
سأمري عن مهجتي يا رفاقي   ساعة الشوق ثم أحبس دمعي

* * *

ساعة الشوق؟ فيم يا نفس شوقي؟   تعب القلب بين يأس وخفق
حسبك اليوم من زمانك ذكرى   قبضة الدهر غيرها ليس تبقي

* * *

أين من كنت لا أرى لوجودي   أملاً دونها وأين عهودي؟
أين أيامي التي ذقت فيها   فوق هذا الثرى نعيم الخلود؟

* * *

هجرت أيكها الحمامة تجلى   فذوى الأيك والربيع تولى
أوحش الروض واستحالت قتاداً   زهرات عدمن في الهجر طلا

* * *

زهرات نجيع قلبي كساها   روعة السحر والوفاء سقاها
نبتت وهي طفلة فرعتها   وشببنا فأودعتها شذاها

* * *

صوحت وهي غضة زهراتي   قبل أن ينطوي ربيع الحياة
كم يغيظ الفؤاد قول معاد   كل حسن مصيره للممات!

* * *

الصباح الندي يوحي البكاء   والأصيل الرخي يحكي الفناء
ولريح المساء حولي نوح   لم يطق مسمعي له إصغاء!

* * *

الربيع الضحوك عيد لغيري   أبطلت فيه وحشتي كل سحر!
لا ولا الأغاني به أغاني ربيعي   لا ولا العطر فيه سالف عطري

* * *

كل حسن به يلذع قلبي   وهو بالأمس كان فتنة لبي
أرأيت اليتيم في يوم عيد   حائر الدمع بين حبس وسكب؟

* * *

فرحة العيد في وجوه الصحاب   حوله كم تذيقه من عذاب
يتأذى، فإن تغابى لديهم   ليس الذل كله في التغابي!

* * *

عرف اليتم وهو غر جفاني   ودهاني من يتمه ما دهاني
وتغابى، يا ليته ما تغابى   ثم ناداه أمسه فعصاني!

الخفيف

نزانيم ونسابيح

من وادي الشمس ! (١)

[إلى نورها الباسم الحزين]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

تعالَيْ يا ابنتى ... ويا فرحة أيامى !
تعالَيْ نملأ الأقدا ح من بشرى وأنغامى !
ونسقى الزهر والأطيا ر من سحرى وإلهامى ...
فزهر الروض نشوان
وموج النهر سكران
وشدو الطير فرحان ...
وأنت الفرحة الكبرى لتغريدى وأحلامى
فهيا نسبق النور لهذا الملعب النامى !

***

تعالَيْ وانظرى مثوى وأسمارى مع الوادى
وعرس الشمس فى الدنيا على محراب أجدادى
وسحر النيل والموج عليه رائح غادِ ...
فوادى الشمس فتان
وشادى الحسن لهفان
وهذا القلب ظمآن ...
وأنت الكأس والخمر لروح البلبل الشادى
فهيا أسعدى الكون بأعراسى وأعيادى !

محمود حسن إسماعيل

(١) حق تلحينها وغنائها لمحطة الإذاعة اللاسلكية الحكومية المصرية

راعيـــة الغنم

[مهداة إلى رأى الراعية]

للآنسة جميلة العلايلى



يا رمز جبريل فى الدنيا وعائشة بين الأنام بقلب ملؤه جبر
ودعت دنياك كالنساك راغبة عن الوجود وعيش كله شر !
ودعت أحلامها فى غيرما أسف ماذا دهاك ؟ ألا أمر له سر ؟
كيف ارتضيت حياة القفر هانئة ؟ وكيف أغراك ذاك المهمه الوعر ؟
على المراعى التى طابت مغارسها سعى إليك بها الإيناس والبشر ؟
أتسمعين ثغاء فى جوانبها أم تسمعين غناء بعضه سحر ؟
ومن عجائب ما شاهدت راعية تقسو عليها الليالى ، وهى تفتر !
أتلك راعية فى القفر ضاربة ؟ أم روضة رف فيها الزهر والنور
قد لفها النور فى أبهى غلائله وزانها المفريان النبل والطهر !

***

يا ربة الغنمات البيض طالعة بين المروج كما قد يطلع الفجر
دنياك ، دنياك ما أندى مخاصرها وما أحب رباها إنها شعر !
كأنما أنت إذ تبدين عاطرة روض تنفس فى أنحائه الزهر

***

يا ربة الغنمات البيض تكلؤها عين السماء ويزكو عندها البر
قفر حياتك لكن حين ألمسها يكاد ينشق روضاً ذلك القفر
وحيدة أنت فى دنياك راضية بما يجئ به الأقدار والدهر
يا حبذا القفر دهراً لا تى سئمت كل الأباطيل ممن ودهم غدر !

(المنصورة) جميلة العلايلى



كيف ظهرت الحياة على الارض ؟

للأستاذ نصيف المنقبادى

أثبتنا فى مقالاتنا السابقة أن الحياة ظاهرة مثل باقى ظواهر الطبيعة ، وأن تقسيم ما فى الطبيعة إلى كائنات حية وإلى جمادات إنما هو تقسيم اصطناعى سطحى لا يستند إلى الواقع ، وتنفيه نواميس الطبيعة الأساسية المقررة فى علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء، إذ لا يوجد فرق جوهرى بين الأحياء وبين الجمادات. فجميع ظواهر الحياة أو ما كانوا يسمونه بمميزات الأحياء Les caractères des êtres vivants مثل الشكل النوعى والتركيب الكيميائى والتغذى والتنفس والنمو والتأثر والتحرك الذاتى الخ ، كل هذه موجودة بلا استثناء ولكن مبعثرة ومشتتة فى الجمادات ، وكل ما فى الأمر أنها إذا اجتمعت فى جسم واحد قيل عنه إنه كائن حى

وقد بينا بالأدلة والمشاهدات العديدة أن الأحياء خاضعة فى أمورها وأحوالها وجميع ظواهرها لنواميس الطبيعة وفى مقدمتها ناموسا عدم تلاشى المادة وعدم تلاشى الطاقة ، وأثبتنا بالاختبارات والأرقام أن جميع مظاهر الحياة ووظائف الأعضاء وحتى التفكير والقوى العقلية ، ليس لهما إلا مصدر واحد وهو الغذاء أو بالأحرى الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء ، وما عهد القراء ببعيد بالتجارب والاختبارات الحاسمة التى قام بها أتووتر وبنيدكت وغيرهما من الفسيولوجيين بواسطة ذلك الكالوريمتر الكبير الذى شرحناه فى إحدى المقالات السابقة ، فلا حاجة إلى التكرار ، وكذلك الأجهزة الدقيقة التى تدل على ازدياد حجم المخ قليلاً مدة التفكير بورود كمية من الدم إليه ، كما تدل من جهة أخرى على ارتفاع درجة حرارته مما يقطع بأن القوى العقلية تستهلك كمية من الطاقة الغذائية ، وأنه ليس لها أيضاً إلا مصدر واحد وهو هذه الطاقة وليس شىء آخر سواها

وما دام الأمر كذلك فيمكننا أن نقول مقدماً إن أصلها وكيفية ظهورها على الأرض لا بدّ أن يرجع إلى أسباب طبيعية، فهى ظهرت كما ظهرت أجسام أخرى كالمواد المتبلورة وغيرها وكما نشأت الجبال والبحار وتكونت طبقات الأرض المختلفة وما تحتويه من مناجم الفحم والمعادن المتنوعة كل ذلك بفعل العوامل والنواميس الطبيعية

غير أن العلماء كانوا فيما مضى ، قبل قيام الاكتشافات العظيمة الحالية فى البيولوجيا والفسيولوجيا وباقى علوم التاريخ الطبيعى ، حيارى لا يدرون كيف يعللون كيفية ظهور الحياة على الأرض والتفسير العلمى الصحيح

فقال فريق منهم فى أواخر القرن الثامن عشر وفى أوائل القرن التاسع عشر ، منهم بوفون ومحررو دائرة المعارف إذ ذاك ، ومنهم لامارك السابق لداروين فى تأسيس مذهب التطور والتسلسل . قال هؤلاء إن الكائنات الحية الأولية تولدت ذاتياً من الجمادات ، وهو مذهب التولد الذاتى المشهور ، بل إن بعضهم بالغ فى ذلك إلى الزعم بأن الأحياء السفلى الحالية ما زالت تتولد الآن من الجمادات ، كما يعتقد العوام خطأ بأن كثيراً من الديدان والحشرات تتولد ذاتياً من تلقاء نفسها فى المواد القذرة والعفنة والمتخمرة . وقد أساءت هذه المبالغة وهذا الخطأ إلى المذهب المذكور على ما هو عليه من الوجاهة وكانت السبب فى سقوطه فى بادىء الأمر

وقد جاءت أبحاث باستور واكتشافاته الجديدة التي قام بها في ذلك العهد تنق — في الظاهر — أذلك المذهب وتثبت استحالة تولد الكائنات الحية الآن من الجمادات، بمعنى أن كل كائن حي مهما سفل نوعه لابد أن يتولد الآن من كائن مماثل له. وكانت في الوقت نفسه قد فشلت في ذلك الحين المحاولات التي قام بها بعض الكيميائيين البيولوجيين لتركيب المواد الزلالية ولو البسيطة منها اصطناعياً. فاتخذ خصوم ذلك المذهب — مذهب التولد الذاتي — من هذا كله أسلحة لمحاربته وقتلوه في مهده

لهذا فكر بعض العلماء أن يأتوا — بمحض خيالهم — ببذور الحياة من عوالم أخرى ففرضوا أنها تنتقل في صورة ذرات صغيرة جداً في الفضاء الكوني من بعض الكواكب إلى البعض، ومتى سقطت على كوكب صالح للحياة تنمو وتتولد منها الكائنات الحية البسيطة ثم المركبة. وبالغ أحدهم وقال إن تلك الجراثيم الكونية لا تؤثر فيها الحرارة — حرارة الكواكب الملتهبة وحرارة الشهب والنيازك التي تحملها أحياناً وتسقط بها على الكواكب والسيارات مثل الأرض وغيرها — وقد سماها Pyrozoaires أي الأحياء النارية.

ولكن هذه الفروض التخمينية فضلاً عن أنها خيالية محضة لا تستند إلى أي دليل علمي؛ فإنها لا تحل الأشكال بل تبعد حله بأن تنقله من أرضنا إلى عوالم أخرى. إذ لنا أن نتساءل: وكيف وجدت الحياة في تلك العوالم الأخرى التي انتقلت إلينا منها الجراثيم الحية؟ ويبقى علينا أن نبحث في أسباب وظروف تكوين تلك الجراثيم في باقي الكواكب والسيارات.

وفوق هذا فإن تلك الفروض التخمينية مخالفة لروح البحث العلمي؛ لأنه إذا كان الكربون والآزوت والهيدروجين والأكسوجين وبعض المعادن الأخرى التي تتركب منها المواد الحية قد امتزجت طبيعياً وكونت تلك المواد في العوالم الأخرى فلماذا - وهي موجودة جميعها على الأرض - لا تمتزج هنا أيضاً وتولد المادة الحية كما فعلت في غير الأرض؟ أليس أساس كل علم أن نفس الأسباب تنتج نفس النتائج؟ Les mêmes causes produisent les mêmes effets

لهذا كله وجب علينا أن نواجه الحقائق العلمية في حد ذاتها على ضوء الأبحاث والاكتشافات الحديثة وغير متأثرين بالآراء والمذاهب القديمة الموروثة، وأن نرجع إلى الحالة التي كانت عليها الأرض وقت ظهور الحياة لنستخلص من ذلك مصدرها — أي مصدر الحياة — وكيفية نشوئها وأسباب ذلك. وهذا ما أخذه العلماء على عاتقهم في الخمسين سنة الأخيرة.

قلنا إنه ما دامت الحياة ظاهرة طبيعية فلا بد أن تكون ظهرت على الأرض بفعل العوامل الطبيعية وهذا هو الواقع.

الواقع أن مواد الأجسام الحية النباتية والحيوانية تشتق رأساً الآن من الجمادات، وتتكون منها مباشرة في كل لحظة أمامنا وعلى مرأى منا. فمن أين جاءت المواد الحية التي تبنى بها أجسامنا منذ تكوينها من بويضة صغيرة جداً لا ترى إلا بالميكرسكوب؟ لاشك في أنها تكونت من الغذاء. وقد بينا في المقالات السابقة أن المواد الغذائية تشتق من الجمادات وتتكون منها، فالحيوانات آكلة اللحوم تتغذى بالحيوانات النباتية وهذه تتغذى من النباتات، والنباتات تركب أنسجتها وتحصل على غذائها من الجمادات، فمادتها الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بطاقة الشمس الإشعاعية وتحلل غاز حمض الكربونيك المنتشر في الجو، وتنتزع منه الكربون وتمزجه بالماء فتؤلف منه السكر والنشا ثم الأحماض والقلويات العضوية والمواد الدهنية. وفي الوقت نفسه تمتص جذورها التراكيب الآزوتية من الأرض ذائبة في الماء وتمزجها بالمواد الكربونية المذكورة بفعل قوة الشمس أيضاً فتنتج المواد الزلالية الموصوفة بالحية. وهكذا تتركب الآن باستمرار أجسام الكائنات الحية من الجمادات المنتشرة في الجو وعلى الأرض بفعل قوة الشمس وبواسطة الكلوروفيل.

وقد توصل الكيمائيون إلى تركيب الكثير من المواد العضوية النباتية والحيوانية من الجماد رأساً كما تفعل الطبيعة، فنجحوا مثلاً في الحصول اصطناعيًا على المواد السكرية والنشوية المختلفة وعلى معظم المواد الدهنية وعلى كثير من المواد العضوية الأخرى كالقلويات التي تستعمل في الطب، والعطور المختلفة.. والأهم من هذا أنهم ركبوا كيميائيًا من مواد معدنية محضة حامض التمليك الذي يدخل فيه الآزوت وهو النواة الكيميائية للمواد الزلالية، ثم ركبوا بعضاً من هذه المواد مثل زلال اللبن (مادة الجبن) ومثل البروتين الناتجة من هضم المواد الزلالية في الحيوانات والنباتات،

ومثل الكبراتين التي تدخل في تركيب أظافر الإنسان والحيوانات الفقرية الأخرى . وهذا النجاح يبشر بقرب الوصول إلى تركيب المواد الزلالية العليا الموصوفة بالحية كما بينا كل هذا في المقالات السابقة ...

ومن الغريب الذي يدعو إلى الإعجاب أن بعض الكيميائيين مثل دانيال برتولو وجوديشون سلكوا في تركيب السكر والحمض النمليك الآزوتي المتقدم ذكره نفس الطريق الذي تتبعه الطبيعة بأن سلطوا الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من بخار الزئبق على خليط من الماء والحامض الكربونيك وبعض تراكيب الآزوت المعدنية البسيطة

فما تصنعه الطبيعة الآن تحت نظرنا وأمام أعيننا من انشاء المادة الحية رأساً بفعل طاقة الشمس ولكن بالواسطة — أي بواسطة المادة النباتية الخضراء (الكلوروفيل) — بل ما يصنعه الإنسان في معامله إلى حد ما، ألم تستطعه الطبيعة رأساً بلا واسطة في الزمن البعيد حيث كانت ظروف الشمس والأرض أكثر ملاءمة من الآن ؟

فقد كانت الشمس في ذلك الماضي البعيد جداً الذي لا يقل عن خمسمائة مليون سنة من الكواكب الزرقاء أو البيضاء من الدرجة الأولى ، تزيد حرارتها عما هي عليه الآن بمراحل ، وكانت على الأخص تشتمل على الكثير من الأشعة فوق البنفسجية، وهي كما لا يخفى توجد وتنشط التفاعلات الكيميائية على اختلاف صورها ...

وكانت الأرض من جهتها مرتفعة الحرارة لقرب عهد انفصالها من الشمس . وفوق هذا فإنها - أي الأرض - كانت في ذلك الحين مسرحاً لكثير من إشعاع الراديوم والأجسام المماثلة له التي كانت توجد كميات وافرة منها على سطحها . وكانت تنبعث من هذه الأجسام الأشعاعية الكثير من غازات الهيدروجين والهليوم الجديدة ، ومن المقرر في علم الكيمياء أن الغازات المستجدة تكون أكثر قابلية للامتزاج بغيرها من المواد الأخرى .

فنتج من كل هذه العوامل مجتمعة أن نشطت التفاعلات الكيميائية على الأرض وفي الماء وامتزجت المواد المختلفة بعضها بالبعض ، وعلى الأخص الكربون والآزوت والهيدروجين والأوكسجين وبعض المواد المعدنية الأخرى على صور شتى عديدة، فتولدت على هذا النحو ما يسمونه بالمواد العضوية البسيطة ، أي بعض تراكيب الكربون، ثم المواد العضوية الأكثر تركيباً ومنها الأحماض الآزوتية مثل حامض النمليك وغيره . وهذه امتزج بعضها ببعض وبالأحماض الفوسفورية فأدت إلى المواد الزلالية البسيطة ثم العليا الموصوفة بالحية . وكان هذا أول مظهر للحياة وأبسط صورة من صورها

وتطورت هذه المواد الزلالية بفعل العوامل الطبيعية وتحول بعضها إلى الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، وبعضها إلى النباتات الأولية ، وثالثة إلى النباتات الفطرية وهي الحلقة المتوسطة بين الحيوانات والنباتات كما بينا ذلك في مقالنا الأول

وتسلسلت من هذه الأحياء الأولية البسيطة الحيوانات والنباتات السفلى ثم العليا في مختلف العصور الجيولوجية التي دام كل منها عشرات الملايين من السنين مما سنشرحه في مقالات قادمة ونبين أسبابه ونأتي على الأدلة والمشاهدات والاختبارات المؤيدة له

غير أن حرارة الشمس أخذت تنقص بالتدريج في مئات الملايين من السنين ، كما نقصت أشعتها فوق البنفسجية فأصبحت عاجزة عن تركيب المواد الحية من المواد الجامدة أو المعدنية من تلقاء نفسها كما كانت تفعل في بادئ الأمر ، فاستعانت على ذلك بالكلوروفيل كالرجل المتقدم في السن يستعين على رؤية الأشياء بالنظارات . ذلك لأن النباتات كانت قد ظهرت على الأرض على الوجه المتقدم بيانه منذ ذلك الحين

فضعف الشمس الآن هو السبب في استحالة التولد الذاتي في الظروف الطبيعية الحالية، وهذا ما يفسر مدلول أبحاث باستور وتجاربه المشار إليها فيما تقدم . فإن هذه الأبحاث والتجارب لا تدل إلا على استحالة التولد الذاتي في عصرنا الحاضر ولكنها لا تنفي إمكان ذلك في بدء ظروف الطبيعة على الأرض

***

كان الناس في بدء نشوء النوع الإنساني قبل اكتشاف الكبريت والفوسفور ، وقبل أن يستنبطوا أحداث الشرر من احتكاك بعض الأحجار الخاصة بالبعض — يعتقدون أن النار سر من وراء الطبيعة لا يستطيع البشر أن يخلقوها ، وأن كل نار لا بد أن تولد من نار أخرى سابقة لها ، كما يعتقد جمهور الناس الآن في الحياة والكائنات الحية

فكانوا فى ذلك الماضى البعيد إذا شاهدوا حريقاً نشأ مثلاً بفعل العوامل الطبيعية كانقضاض صاعقة على شجيرة يابسة أو على كمية من الحطب أو الحشائش الجافة ، يوقدون منه ناراً دائمة فى مغاورهم ومساكنهم يتخذونها كخميرة يولدون منها النار كلما أرادوا إحداثها لحاجاتهم الشخصية ، وهذا هو منشأ عقيدة عبادة النار التى تسلسلت منها عادة المحافظة على مصابيح أو شموع صغيرة تضاء فى المعابد والمساكن لأغراض دينية .

ومع أن الإنسان اكتشف بعد ذلك الوسائل الاصطناعية لإحداث النار كلما شاء إلا أن تلك العادة مازالت باقية إلى الآن ، شأن كل فعل أو صفة مكتسبة يجرى العمل عليها الزمن الطويل فإنها تتأصل وتصبح آلية ، وعلى هذا النحو نشأت الغرائز فى الحيوانات والإنسان كما شرحنا ذلك فى مقالنا الأخير عند الكلام على نشوء الغريزة الاجتماعية والأخلاقية فى الإنسان والحيوانات الاجتماعية الأخرى كالقرود العليا والنمل

وهكذا الحال بالنسبة للحياة ؛ فإنه نظراً لعجزنا الحالى المؤقت عن تكوين المادة الحية اصطناعياً ، نظن أنها سر من وراء الطبيعة ، وأنها تختلف عن باقى ظواهر الكون وأنها لم تظهر على الأرض بفعل العوامل الطبيعية ، بل هى من عالم آخر كما يتوهمون . فنحن الآن بالنسبة للحياة على ما كان عليه أجدادنا البعيدون بالنسبة للنار قبل اكتشاف وسائل إحداثها اصطناعياً .

على أن كل هـذا الوهم سوف ينقشع ويتلاشى فى المستقبل حين يتوصل العلماء نهائياً إلى تركيب المادة الحية فى معاملهم . وقد بينا فيما تقدم وفى المقالات السابقة أنهم أوشكوا أن يصلوا إلى هذه النتيجة الهامة حيث خطوا خطوات تذكر فى هذا السبيل فقد صنعوا كيميائياً بعض المواد الزلالية سالفة الذكر وهم فى طريق صنع المواد الزلالية العليا المسماة « بالمواد الحية » . ومتى وصل العلم إلى ذلك الحد تصبح الحياة ظاهرة طبيعية فى نظر جمهور الناس ينظرون إليها كما ننظر إلى النار الآن بعد اكتشاف الوسائل التى تجعلنا نحدثها كلما شئنا .

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

قصـــة الحـــرير

بقلم أحمد على الشحات

دلف نوح عليه السلام إلى الصين يسمى بعد الطوفان ، وله فى الاشتغال فى هذا البلد بالحرير ذكر ، إذ يقول بعض المؤرخين إنه هو أول من اهتدى إلى الحصول عليه . وسواء لدينا أكان هو أم كان غيره — ما دمنا لم نتثبت من ذلك بعد — إلا أن الذى لا ريب فيه أن (الصين) هى أول بلد اشتغل بالحرير ؛ بل واسم بلاد الصين ذاته معناه بالصينية « الحرير » .

ويعزو التاريخ الفضل الأكبر فى انتشار الحرير بالصين إلى زوج الإمبراطور الصينى (فوهانج عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد) ؛ ويسند التاريخ إليها أيضاً اختراع (المنوال) ونسج الحرير .

ومنذ القدم والحرير يقدر بقيمة عالية . فلقد كانت الممالك : كالهند وإيران واليونان وروما تدفع فيه للصين عن طيب خاطر ما يزيد على وزنه من الذهب .

وكانت الصين تسعى جهـدها ألا تتمكن مملكة أخرى من الاهتداء إلى طريقة الحصول عليه . ومن الطريف أنه إذا استعلم الأجانب منهم عن ذلك مكروا بهم وأجابوهم بأن الحرير هو من (وبر الغنم) خلطت به ألياف رفيعة ووضع فى المـاء تحت أشعة الشمس فى فصول معينة من السنة . حتى إذا ما سويت هذه الخيوط بعد ذلك إذا بهم يحصلون على الحرير .

ومما يثير الدهشة أن تمكن الصينيون من كتم هذا السر عن العالم لحقب طويلة إلى أن كان القرن الثالث بعد ميلاد المسيح . وكانت اليابان بطبيعة موقعها وجوارها للصين ترى تلك التجارة العظيمة فى الحرير التى تدر على الصين الخير كله ، فصح عزمها على اكتشاف هذا السر بالغاً ما بلغ الجهد منها ، وكانت على اعتقاد جازم بأن الصين تمكر بالعالم إذ تذيع تلك القصة السالفة التى ابتكرها خيالهم بأن الحرير أصله وبر غنم . أوفدت جواسيس لهـا إلى الصين أسروا بنات أربعا يشتغلن بالحرير ، واختلسوا ما تمكنوا من الاهتداء إليه من دود الحرير . وعادوا بالأسيرات

إلى اليابان ، وهناك علمتهم أن الحرير إفراز خيطى من ديدان الحرير فى أحد أطوار حياتها ، وعلمتهم أيضاً كيفية استغلاله .

ومن ذاك اليوم والسر عن نطاق الصين قد خرج والاتجار بالحرير فى اليابان ينمو ويزدهر ، ولعل اليابان اليوم أقوى أمم الأرض فى التجارة بالحرير .

كيف انتشرت الى الهند ؟

أما وكيف كان ذلك فيروى أن أميرة صينية اقترنت بأمير هندى فى ذات التاريخ الذى عرفت فيه اليابان سر الحرير (القرن الثالث) ؛ وحملت هذه الأميرة بعض دود الحرير إلى حيث مقامها مع بعلها ، وهناك ألقت إلى النـاس بالسر الذى تكتمت عليه مملكتها أشد التكتم ؛ ثم ازدهرت تجارته بعد ذلك بالهند .

دور القسطنطينية

فى القرن السادس دخل راهبان كانا قد قضيا حقبة من العمر فى الصين خبرا خلالها الحرير ، بزنطة (القسطنطينية) وأفضيا إلى امبراطورها (جستنيان) بما يعلمان عن الحرير . فطلب إليهما أن يشدا رحالهما ثانية إلى الصين ، ويحملا إليه بعد ذلك ما اتصل بما أسراه إليه عن الحرير مجزلاً لهما العطاء مسرفاً فى الوعود والمنح . فامتثلا وقفلا راجعين إلى الصين وهناك تمكنا من تخبئة كميـة من بيض دود الحرير فى عصا مجوفة ، وارتدا إلى الإمبراطور .

ولو قد استشفا بصيرتهما الحجب ، وعلما ما كمن فى سطور الغيب لرأيا أن هذه العصا التى يحملانها ستكون سبباً فى سعود نجم تجار كثيرين ، وأن العالم الأوربى الآن وقد مضى على حمل هذه العصا أربعة عشر قرناً تأسست تجارته فى الحرير على محتويات هذه العصا .

وانتعش الحرير فى فرنسا كثيراً واتخذته العائلات المالكة هواية لها وكذلك الأشراف، بل وكانت الألقاب السامية تمنح لمن أفلح فى إنتاج الحرير حتى إذا ما وافى القرن الســابع عشر كانت فرنسا عن بكرة أبيها قد أجادته تماماً

ولقد كانت انجلترا على النقيض من ذلك لم تلق بالاً إلى الحرير على رغم أن جوها يصلح لتربية الدود ويصلح لشجر التوت ، بل وملكها جيمس الأول يحث الناس ويشجعهم على العمل فى إنتاجه والاتجار به . ولكن الناس كانوا عن أمر الحرير غافلين وفضلوا أن يستمروا فى تربية الخنازير والعمل على تسمينها واستخراج البيرة

ولكن كان لانجلترا فى الهند خير عزاء إذ أن الحرير بالهند والظروف المهيئة لنمو الدود هناك والشجر ليتغذى عليه قد بلغ ذلك كله مبلغاً جعل الهند فى مصاف الأمم الأخرى التى أفلحت فيه، بل ولقد برزت هى فى ذلك

واختلفت أمزجة الشعوب فى النقش على الحرير، فبينما الصين كانت تكثر من رسم الأزهار كانت الأمم المسيحية ومن بينها بزنطة (القسطنطينية) ترسم زخرفة بسيطة بها صليب. وكانت الهند تكثر من رسم الإنسان والوحوش والطيور ومناظر صيدها، وكانت العرب تكثر من الكتابات المتعلقة بسلاطينهم كقولهم العز والنصر والإقبال للسلطان والمتعلقة بالتوحيد كقولهم لا إله إلا الله .

احمد على الشحات
كيميائى بالسكة الحديد


داود عدس
وولده
يقدم
ابتداء من يوم
الخميس
أول يونيو
والايام التالية
فرصة عظيمة
للبيع
تنزيل هائل
فى جميع الاقسام



دراسات في الفن

المـــرأة والابداع الفني

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

قبل أن أقول كلمة في هذا الموضوع أحني الرأس طويلاً بين يدي حواء ، فمهما تكن فإنها أمي ، والأم لا تنكر إذ قد ينكر الأب ، وإنها بعد ذلك أختي ، والأخت لا تنكر إذ قد ينكر الأخ ، وإنها منذ كنت سكني ... رحماك يا رب !

***

وبعد فإنه يخيل إليّ أني قد استطعت – بعون الله – في حديثي السابق أن أغري القارئ بالتفكير معي في أمر الصدق ولزومه للفن ، وإني أرجح أن تفكيره لم يعد يرى بأساً في أن نجمل ما بين الصدق والفن من الصلة أساساً للنظر في صلة الفن بالناس . فالصدق لا يقوم بذاته إلا في الوجود المجرد ، ولكنه يحتاج إلى من يتجسده في الكون المحسوس كما يحتاج إلى من يعلنه فيه . والإنسان بعض ما يتجسده ، وهو وحده الذي يعلنه بهذا الأسلوب المفهوم المعقول . والإنسان كما هو ظاهر رجل وامرأة ، فأيهما كان أقرب من الصدق كان أقرب من الفن . وأيهما كان أقرب من الفن كان أقرب من الصدق .

أما الذي يسجله التاريخ القديم والحديث فهو أن عدد الرجال الذين أبدعوا في فنون الحس والعقل على الإطلاق أكثر من عدد النساء اللواتي أبدعن في هذه الفنون . فإذا نحن سايرنا منطق الحساب فإننا سنشهد مجبرين بأن الرجل أقرب إلى الصدق من المرأة .

ولكن الذي تعودناه من مجاملة حواء لا يجيز لنا أن نمسك بهذه الدعوى وأن نتعلق بها وأن نقف عندها متبلطين لا نتزحزح عنها ولا نتجلى ، وإنما يأنف الذوق من هذا ويأبى إلا أن نخف عن هذه الدعوى إلى شيء مما يتلوها ، فنقول : لعل طبيعة المرأة في الأصل كانت تكاد تشبه طبيعة الرجل ، ولكنها الحياة التي تمردت على الطبيعة بهذه الحضارة هي التي عصفت بالمرأة دون الرجل وللمرأة عندئذ عذرها إلا إذا أنكرت تكوينها ، ولها فيه من القوة ما حرمه الرجل . كما أن لها فيه من الضعف ما برئ منه الرجل.

قد يتعاشق رجل وامرأة . أما الرجل فهو إلى محبوبته ، وأما هي فيكون في نفسها أن تطير إليه ولكنها تتمنع ، فلا يرى الرجل بداً من أن يخطو هو الخطوة الأولى . فإذا أحست المرأة إشفاقه من هذه الخطوة وتردده عنها أغرته بها ودفعته إليها وشجعته عليها ، ولكنها لا تسمح لنفسها بأن تخطوها لأنها لا تعرف الصلة بينها وبينه إلا على وجه واحد ، وهو أن تلقي عليه أعباءها . وهي مع رغبتها هذه تأبى إلا أن تسجل عليه خطوته الأولى ، وإن كانت هذه الخطوة بإغرائها وتشجيعها ، وهي تفعل هذا كله لتبرر فيما بينه وبينها بهذه الحركات الظاهرة دلالها عليه وتحكمها فيه بعد أن ملكت منه رغبته إليها أولاً ، وخطوته إليها ثانياً . فكأنها التي تفضلت بانقيادها ، وكأنما كانت تريد أن تعيش على بعد من الرجل

صحيح أن من الرجال من يستطيع أن يتماسك أمام المرأة ، وأن يمضي معها في صراع المغازلة إلى أقصى ما تريد من فنون المغازلة، ولكن صحيحاً أيضاً أن كثيرين من الرجال لا يلبثون أمام المرأة إلا ريثما ترتجف أرواحهم فإذا هم يتطايرون عبيراً وشذى، وإذا هم فنون من الأنغام والصور والشعر والحكمة : في هـذه الفنون أودعوا اللهفة والشوق ، وبها ازينوا وتبرجوا كما يفعل بعض إخوانهم ممن يخادعون المرأة بقوة أبدانهم ، وممن يستهوونها بجاههم وأموالهم

والرجل صريح في كل ضرب من ضروب الغزل هذه ...
ولكن المرأة — لا نقل كاذبة — وإنما نقول متحفظة
والتحفظ إيهام ولو ستر وراءه الصدق

وما لنا نتجشم الدخول إلى نفس المرأة ، وهذه مظاهرها أمامنا واضحة ؟ !

أما ترى المرأة تعنى بشئون بدنها أكثر من عنايتها بشئون روحها ؟ بل إنها إذا صفت روحها سخرت هذا الصفاء لنعمة جسدها ، وخبيئه في أسباب أناقتها كأنه زي من أزيائها ... فكثيرات هن الفنيات والراقصات والممثلات اللواتي يعزلن فنونهن شباكا يقتنصن بها الأغنياء والشبان الوارثين ، وغيرهم ممن يشترون الجمال بالمال بينما لا يفعل مثل هذا من الرجال الفنانين إلا قلة نادرة شاذة .

ثم إن هذا التجمل الذي تدمنه المرأة لا يخرج عن أنه تكلف وأنه شيء يشبه الكذب . فهذا المسحوق الأبيض الذي تذره المرأة على وجهها لتقول به إن بشرتها بيضاء ناعمة ليس فيه من بياض بشرتها ولا من نعومتها شيء وإنما الأبيض الناعم هو .

وهذا الدهان الأحمر الذي « تلطفه » على وجنتيها لتقول به إنها حمراء الخدين ليس فيه من حمرة خديها شيء وإنما الأحمر هو ...
وهذا الطلاء القرمزي الذي تسكه على شفتيها لتقول به إنها قرمزية الشفتين ليس فيه من شفتيها شيء وإنما القرمزي هو ...
وهذا الشد الذي تربط به خصرها لتقول به إنها نحيلة الخصر إذا انفك ارتاح خصرها فإذا هي كما خلقها الله لا كما تقول بشدها .
وهذا « الكعب » العالي الذي تركبه وتمشي به كما يمشي « البهلوان » على الحبل لتقول إنها سمهرية القد تخلقه في وحدتها فإذا الأرض تبلع منها مقدار ما كانت « تتطاول » بكعبها العالي ...

والرجل لا يفعل شيئاً من هذا ، ولكن المرأة تفعله — ولا نقل إن المرأة به كاذبة — وإنما تقول إنها متأنقة
والتأنق تمويه ولو ستر وراءه الصدق

فهل لا تصلح المرأة للفن إذن وهي غارقة في تحفظها وتأنقها هذين ؟ الواقع أن كلا من التحفظ والتأنق يخنق الفن

أما التحفظ فإنه يخنق الفن لأن الفن دائماً يبدأ في نفس الفنان ، فليس هناك مغن تغنى بمواطف الناس قبل أن يتغنى بمواطفه هو ، وليس هناك أديب كتب عن الناس قبل أن يكتب عن نفسه ، فإذا لم يكن قد كتب عن نفسه فلا بد أن يكون قد فكر فيها قبل أن يفكر في غيرها من النفوس لأنها أقرب النفوس إليه كما أنه لا بد أن ينساب منه حين يكتب عن الآخرين ما يدل عليه وما يستطيع القارىء أن يحكم به على ما يحب وما يكره . ولا ريب أن الوصول إلى ما يحبه المرء وما يكرهه لا تتلوه إلا خطوة قصيرة يقف بعدها المستطلع أمام نفس هذا المرء وجهاً لوجه . وليس هناك رسام ينشر في الناس صورة إلا وهو يضمن هذه الصور جميعاً ما ينجذب إليه من الألوان والأشكال ؛ فهو يدل بذلك على ذوقه ونواحي الراحة التي تطمئن إليها روحه ما دام يرسم مختاراً غير مجبر

وهكذا الفنون جميعاً تعلن بصراحة ووضوح عن نفوس أصحابها . زد على ذلك أن الفنون الفذة العبقرية تحتاج إلى جهاد يمارسه — في أغلب الأحيان — أولئك الذين تتملكهم رسالاتهم الفنية فيشعرون أن الإنسانية قد استدارت حولهم فجعلتهم نواة لحلقة جديدة في سلسلة الرقي الحسي والفكري الذي ترقاه . وهذا الجهاد وما يصاحبه من ألوان الكفاح وصنوف الحرمان والتعذيب الروحانيين أو البدنيين يستلزمان من الصبر والعزيمة والقوة والمجالدة والإعراض عن مباهج الدنيا ما لا تطيق المرأة الخفيفة الرقيقة أن تحمله .

فهي بين التحفظ الذي نشأ عندها من الضعف ، وبين هذا الضعف الجديد إزاء الحالة العبقرية الطارئة في ضعفين يثقل معهما التكليف بالفن أو يكاد يتعذر ، فلا هي قادرة أن تكشف عن روحها فإذا فعلت فإنها عاجزة عن المضي في حياتها وهي روح عادية .

فإذا لحظنا أنه قد شاعت بين النساء أزياء تكشف عما لزمت المرأة تحجيبه عن الأعين دهوراً من الخجل والخفر ، وإذا لحظنا إلى جانب هذا أنه لما تدع بين النساء الصراحة حتى اليوم ولما يرج بينهن الصدق ، وأنهن ما زلن يفضلن من يزوق لهن القول ومن يزيف عليهن الحق حتى يملهن ؛ إذا لحظنا هذا وذاك أدركنا أن المرأة تعتقد بإيمان كامن في نفسها أن جسمها خير من روحها ، وأنها لو أظهرت من جسمها ما أظهرت فإنها لن تصيب الأعين بالقذى ، على العكس من روحها التي تدثرها بالغموض والتحفظ خشية أن تحسب عليها خلجات نفسها

فلماذا تفعل المرأة هذا ؟

أفى نفسها شر مرعب مخيف تتقى أن ينفضح ؟ !

لا أحسب هذا ، وقد يكون كل ما فى الأمر أن المرأة متحفظة وأنها تحب ألا تعلن إلا ما يسر الرجل ، ولما كانت تربط حياتها بحياة رجل واحد إما أن يكون فى الغيب فهى لا تدرى ما الذى يعجبه وما الذى يغضبه، وهى لهذا تئد النزوع الفنى فى نفسها حتى لا ينفر منها أحد ، وحتى يقبل عليها كل من يريد أن يتعرف بها فعندئذ تريه ما يرضيه هو لا ما يرضيها هى ، وإما أن يكون تحت سمعها وبصرها، فهى تسقيه من خمرها ما طاب له لا ما اعتصرته من نفسها

هذه هى حال المرأة الضعيفة المتحفظة

ويشبه هذا حالها فى تأنقها واصطناعها الزينة وفنون التجمل فهذا التأنق ينساب من بدنها إلى روحها ، والتأنق لا يخلو من التعمل والتكلف ، وهما يباعدان ما بينها وبين الفن الصادق الصحيح إذا أحبت أن تدنو من الفن . والأناقة – كما هو معلوم – لها أزياء تتشكل وتتطور على مر الزمن ، وهى تخضع فى تشكلها وتطورها للذوق العام الذى تدنيه بين الناس مؤثرات معقدة متعددة يخضع لها المتأنقون خضوعاً لا يرضاه الفنان ولا يستطيع أن يأخذ به لأنه يحب دائماً ألا يفعل إلا ما يقتنع به هو نفسه وهو يستقى سر إقناعه من نظرته للأشياء ومن تجربته الخاصة ، ومن مقدار الراحة واللذة اللتين يوفق إليهما ... والمثل الذى يردده المتأنقون هو قولهم : « كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس » بينما الفنان – ما دام قادراً – لا يأكل إلا ما يعجبه ، ولا يلبس إلا ما يعجبه أيضاً جرياً على نهج الحرية والصدق الذى يسلكه فى حياته

فإذا فرضنا أن المرأة استقامت إلى الفن فإنها فى أغلب الأحيان لا تفهم نفسها وفاء لهذه الاستقامة ، وإنما هى تبعثر من إخلاصها فى حقل التأنق مثلما تبعثر منه فى حقل الفن ، فهى إذن موزعة الجهد مشتتة الروح ، وفنها إذن لا يعدو أن يكون صورة أنيقة لزى من أزياء الفنون الرائجة التى يتحدث الناس بجمالها أو التى اتفقت كثرة من الناس على استحسانها ، وهذا هو السبب فى أنه لم يكد يحدث أن خطت امرأة خطاً جديداً فى لوحة الفن لا لشىء إلا لأن المرأة متأنقة ، والأناقة لها قاعدة تبيح للمتأنق أن يبتلع ما يعجبه ، ولكنها لا تبيح له أن يظهر أو أن يتظاهر إلا بما يعجب الناس

وقد يرد علىّ نصير من أنصار المرأة فيقول إن من النساء الفنانات من لهن أسلوب فنى خاص بهن كممثلات السينما المعدودات فى الصف الأول بين الممثلات – والسينما اليوم هى المجال الفنى الذى تزاحم فيه المرأة الرجل – وقد يضرب لى نصير المرأة هذا المثل بجريتا جاربو التى يعتبرونها ممثلة السينما الأولى فى العالم ، فإن لها من غير جدال أسلوباً خاصاً بها فى تمثيلها ، كما أن لكل واحدة من الممثلات البرزات أسلوباً خاصاً وإلا ما احتسبت بين الممثلات البرزات

قد يقال هذا ، ولكن الرد عليه قريب . وهو لا يكلفنا أكثر من أن ننفى عن جريتا جاربو تمكنها من الإبداع الفنى الذى يسر لها أسلوبها الخاص بها فى التمثيل ، فنحن إذا راجعنا تاريخها لفتنا فيه ذكر ذلك المخرج السويدى الذى لقفت عنده جريتا فأحبها واستدرجها إليه بسطوته الفنية ، ثم فجأ العالم بها ولها هذا الأسلوب الناعس الجديد فى التمثيل

قد تكون جريتا ناعسة فى نفسها ولكنها لم تجرؤ على الظهور فى زيها النفسى الصادق إلا برعاية رجل وبمعاونته وتشجيعه ، ولا ريب أن هذا الظهور قد خدش فى نفس جريتا جاربو تحفظ الأنوثة وتأنقها ؛ ولا ريب أن هذا الخدش هو الذى يحملها دائماً إلى التهرب من المجتمعات وإلى حياة العزلة والغموض التى عرف عنها أنها تميل إليها ، وأنها تشتريها بالمال الكثير ، فهى إذن قد جزعت من الناس عند ما ظهرت لهم على حقيقتها لأنها كانت تحب أن تخفى هذه الحقيقة ، ولأنها كن تؤمن بأن التأنق على ما فيه من التكلف خير من الصدق والحق

ولهذا أيضاً اضطربت حياة جريتا الغرامية ، فهى قد أصبحت تعتقد أن الرجال قد وقفوا على حقيقة نفسها، وعلى مسالك عواطفها، فهى لذلك تشك فيمن يتقرب إليها بالهوى وإن أقبلت على واحد منهم قريباً تشعر أنه قد تملك من نفسها عندئذ تفيق ولا ترضى

أن تؤمن بأن عاشقها هذا يحبها حباً صادقاً ، وإنما تحسبه كالنساء التمس إلى روحها مدخلاً هو ناحية الضعف في نفسها

كل هذه الحيرة ، وكل هذا الشك ، وكل هذا القلق ، لم يعتور نفس جريتا إلا لأنها جزعة نادمة على ما كشفت من نفسها ، فهي تسمح للمرحوم جون جلبرت بأن يتقدم نحو روحها حتى يتسلط عليها فتشك فيه وتنتفض من حبه وتهجره ، ثم لا تلبث أن تمثل مع رامون نوفارو فتحبه وتحس أنه يحبها ، فما تحس هذا حتى تفر منه وتهجره

خبل ما بعده خبل ... أحدثه في نفس المرأة الصدق ، وكان حق الصدق أن يفيض بها طمأنينة ودعة

فهل يمكن أن يقال بعد هذا إلا أن الصدق غريب على طبع المرأة ؟!

وما دمت قد ذكرت جريتا جاربو ، وذكرت بها السينما ، والسينما — كما قدمت — هي المجال الفني الذي تزاحم فيه المرأة الرجل ، فإني أرى نفسي ميالاً إلى الوقوف عند مشاهدة لا ريب أنها تؤيد ما أذهب إليه من تباعد المرأة عن روح الفن الصادقة ... تلك هي أنه لم يحدث أن تصدت للإخراج في السينما ولا في المسرح حتى اليوم امرأة . وإن كان ذلك قد حدث فإنه لا بد أن يكون قد حدث في حالة واحدة أو حالتين أو — على الأكثر — حالات لا يمكن أن تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة ...

والإخراج في التمثيل — كما يحتاج إلى إلمام ميكانيكي بقواعد الفن ، فإنه يحتاج إلى أبلغ النفاذ إلى روح الفن ومعانيه ومراميه ، وهو لا يقوم إلا بذوق مستقل خاص يتجلى في الطابع الفني الذي يتميز به المخرج ؛ هذا زيادة على ما هو لازم للمخرج من صدق الخبرة بالنفوس والحياة ، وصدق الحكم على الفن والفنانين ، لأنه يهبه الجرأة الصادقة ، وبهذا الحكم الصادق وحدها يستطيع أن يبرز رواية ، وأن يوزع الأدوار فيها ، وأن يضمن خروجها وهي أقرب ما يكون العرض الفني من الحياة الطبيعية ، وأصدق ما يكون من التعبير عما أراده مؤلف الرواية ، وأبلغ ما يكون من تصوير عواطفه وأحاسيسه ، وأوضح ما يكون من تحديد أفكاره ومراميه ...

هذا العمل الفني الجليل المعقد المتشعب لم تجرؤ النساء على الاقتراب منه حتى اليوم ، ولا ريب أن الذي يحول بينهن وبينه هو شيء في طباعهن ، فإنهن أنفسهن لا يستطعن أن يدعين أن الرجل — وعلى الخصوص في ميدان السينما الحر الطلق — يعوق سبيلهن أو يحد من مطامحهن .

وأخيراً ... فلعل القارئ قد لفته مثلما لفتني ، أن العبقريات من النساء اللواتي شذذن على هذه القاعدة التي رسمناها اليوم فيهن من الرجولة ملامح منها ما هو ظاهر في أبدانهن ، ومنها ما هو كامن في أرواحهن ، ولست أريد أن أذكر من أعرفهن بالأسماء فقد يكرهن هذا لبقية باقية من الأنوثة في نفوسهن ، وإن كنت لا أحب أن أدع حواء قبل أن أعود فأحني الرأس طويلاً بين يديها متوسلاً إليها أن تجرب — إذا استطاعت — الصدق .

عزيز أحمد فهمي



من هنا ومن هناك

الوجوه ودلالتها على الأخلاق

[ملخصة عن كتاب « وجوه وملامح جديدة » للدكتور ماكسويل مولتز]

يرى الكثيرون أن ملامح الوجه تدل على الأخلاق. فيرون في قصر الذقن دلالة على الحماقة وفي اعتدالها ما يدل على الحزم، ويرون في انحدار الجبهة أو طول الآذان دلالة على البلادة، وفي شيب الشعر وتجاعيد الوجه علامة على كبر السن، وفي غلظ الشفة دلالة على الشهوة

وفهم الأخلاق على هذا الوجه لا قيمة له من الوجهة العملية

لقد كانت الملامح في الأزمان الغابرة هي الدليل الوحيد لمعرفة أخلاق الإنسان، إذ لم يكن معروفاً أثر الظواهر الطبيعية في تكوينه. فكانوا يحكمون على نوايا الرجل لمجرد النظر إلى وجهه فيعرفون إن كان من أصدقائهم أو من أعدائهم، وكم أزهقت نفوس بريئة للالتباس في أمرها!

إن الحكم على الطبيعة الإنسانية له أهمية كبيرة في حياتنا الاجتماعية، ولكننا مع ذلك لا نزال نتوسل إليه بالطرق العقيمة التي كان يلجأ إليها آباؤنا الأقدمون في فهم الأخلاق والخبايا

يقول البروفسير « كليتون » إن أصدقاءنا أكثر قابلية للحكم علينا من الأجنبيين، إذ أن الأخيرين يتأثرون في كثير من الأحوال بالمظاهر المألوفة عند أصدقائنا

ويقول «جاسترو» إن الحكم على الإنسان بسلوكه وتعبيره وحركاته وأحواله وكلامه ونبرات صوته أصدق وأولى من الحكم عليه بمظهره

إننا لا نستطيع أن نقول عن إنسان أن له آذاناً طويلة لأنه على جانب عظيم من البلادة، فلماذا نقول عن شخص إنه على جانب عظيم من البلادة لأن له آذاناً طويلة؟ إن العقل لا يقر هذا ولا يقر ذاك، ولكن من المعقول أن نقول إن الطفل الذي له آذان تزيد في طولها عن المعهود، يلاقي بعض المشقات في حياته لخروجه عن المألوف. فيرى من سخرية أصدقائه ما يجعله يؤثر العزلة والانزواء في غالب الأحيان وفي ذلك ما فيه من التأثير على حياته وأعماله، ولكننا لا نستطيع مع ذلك أن نجعل الوجه دليلاً على شخصية الرجل، فيكفي لنفي ذلك أن نعرف التأثرات التي تعترض الطفل وهو يقضي تسعة أشهر في بطن أمه مما لا شك فيه أن قبح الوجه له تأثير في حياة الإنسان، قد يؤدي إلى إفساد معيشته وتعكير صفو سعادته، ولكن الجراحة في هذه الأيام قد تقدمت إلى الدرجة التي تجعلها تتغلب على ذلك، فتيسر للانسان التخلص من هذا الشذوذ، فيتغير تغيراً تاماً يختفي على أثره الشعور بالاحتقار والسخرية ويحل محله الثقة بالنفس مضافة إلى حسن المظهر

كتب لا تقرأها – عن « جون أولندن »

إذا تتبعنا تاريخ الأدب منذ أقدم العهود لا نلبث أن نرى بين فترة وأخرى صورة من تسلط القوة على الآراء وحجرها على حرية الفكر. فنعلم أن كثيراً من المؤلفات الثمينة والمذكرات ذات الأثر الفعال في إظهار الحقائق التاريخية والاجتماعية قد قضى عليها بعدم الظهور.

ولعل أول حادث من هذا النوع كان في سنة ألفين قبل الميلاد إذ أمر الامبراطور « شي هيانج تي » بإحراق مؤلفات كنفشيوس الأدبية لحنقه عليها وتفضيله غيرها من المؤلفات المبنية على الحقائق العملية: كالكيمياء والزراعة والطب..

ولقد صودرت منذ ذلك الحين كتب نفيسة لهوميروكانت وابش وبودلير وروسو وجاك لندن و د. ه لورنس وابتون سنكلير وغيرهم من الكتاب الذين ذاعت شهرتهم في العالم.

وإذا كان لك الحظ في زيارة المتحف الإنجليزي أمكنك أن ترى مجموعة كبيرة من الكتب القيمة والمذكرات الهامة محفوظة في قسم خاص، حيث يقوم بالمحافظة عليها موظفون وأمناء ومساعدون. فتجد في هذا القسم مذكرات خاصة لبعض رجال السياسة، وخطابات وتراجم لكثير من عظماء الرجال، وكتب ورسائل في كل فن وصي على بها جميعاً بأن تحتجب عن الأنظار.

من ذلك مذكرات لسير هنرى كامبل الذى كان رئيساً للوزارة الإنجليزية وزعيما لحزب الأحرار ، وقد مضت سنين عديدة وهى فى مكانها من ذلك التحف تحت مراقبة إدارة حفظ المطبوعات

لقد كان كامبل من رجال السياسة المعروفين بكرم الأخلاق والنزاهة ، وهو فوق ذلك يعد من السياسيين الأفذاذ . فماذا كتب فى تلك المذكرات ؟ قد يظهر ذلك فى المستقبل القريب . وإلى أن يحين ذلك الوقت ستظل محجوبة عن الأنظار المتعطشة تحت إشراف إدارة حفظ المطبوعات هى وعشرات غيرها من المذكرات والمستندات والخطابات التى لم تظهر للعالم .

ولم يغرب عن البال قصة الخطابات التى خلفها القصصى المشهور شارلز دكنز ، فقد أرسلت مسز بيروجينى ابنة الكاتب الكبير إلى برنارد شو تستشيره فى أمر هذه الخطابات التى عانت أمها كثيراً فى سبيل المحافظة عليها وبقائها بغير تلف . فأجابها شو بضرورة إرسالها إلى إدارة حفظ المطبوعات فى المتحف البريطانى ، لعل أحداً من الكتاب يحتاج إلى شىء منها للكتابة عن أبيها ، وقد استمعت مسز بيروجينى لهذه النصيحة، ولكن هذه الخطابات بقيت فى مكانها من المتحف دون أن تمسها يد أو يطلع عليها إنسان إلى أن مات آخر أبناء دكنز

ويسرى قانون حفظ المطبوعات على المؤلف فى انجلترا طول حياته ، ويستمر إلى ما بعد وفاته خمسين عاماً . إلا أن مذكرات رجال السياسة والأوراق الرسمية التى لا تسرى عليها القوانين العامة قد تبقى أربعة أجيال أو خمسة بعد وفاة أصحابها إذا قدر لها الظهور فى يوم من الأيام

أما الكتب والروايات المألوفة التى يشتبه فيها لسبب من الأسباب ، فلها قسم آخر وبعضها منع ظهوره للجمهور والبعض الآخر حذفت منه الأجزاء التى لم يسمح بها مثل كتاب قوس قزح وليدي شاترلى لد . ه لورنس ودراسات فى سيكولوجية الجنس لهفيلوك إليس ، ومن الأعماق لأوسكار وايلد

وقد أخذت النسخة الأصلية من الكتاب الأخير لعرضها على المحكمة فى ظروف قضائية معروفة، ولكنها لم تظهر بعد للجمهور، أما النسخة المتداولة من هذا الكتاب فقد حذف منها الشىء الكثير

سياسة المحور فى أمريكا الجنوبية — عن فورتنايتلى

لم تكن سياسة المحور فى أمريكا الجنوبية بالشىء المجهول ، فللألمانيا وإيطاليا صلة قديمة بهذه البلاد ، إلا أن المحاولات الاقتصادية والسياسية التى ظهرت أخيراً ، لم تعرف لبريطانيا العظمى إلا فى هذه الأيام .

فمع الحملات التى تقوم بها ألمانيا وإيطاليا ضد الاشتراكية ، تراها تعمل لتقليل الثقة بديمقراطية بريطانيا وتحاربها فى الأسواق التجارية حرباً لا هوادة فيها .

وقد تكون ألمانيا أكثر الدولتين تحمساً لضم أمريكا الجنوبية إلى سياسة المحور ، وعلى الأخص تلك الجهات التى لها علاقات قديمة ببرلين كالارجنتين وبها مائة ألف ألمانى ، والبرازيل ، وفيها عشرة أمثال هذا العدد. وتقام الاحتفالات النازية فى بونس إيرس كما تقام فى ألمانيا ، وقد اتخذت الاحتياطات الشديدة فى الأنحاء الألمانية فى الأرجنتين لتطهيرها من الجنس الغير الآرى .

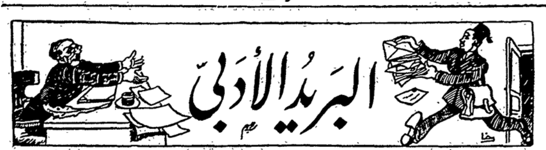
ويخالط الألمان الأمير كيين اللاتينيين فى الأعمال والمجتمعات بحالة لا يصل إليها البريطانيون وسكان أمريكا الشمالية ؛ فإذا أضفنا إلى ذلك الكراهية التى يحملها الأرجنتين للاشتراكية عرفنا كيف يتحمس الأهالى للألمان .

فالجيش فى تلك البلاد مأخوذ فى نظامه بالأساليب الألمانية ، ويتلقى الكثير من ضباطه دروسهم الحربية فى بوتسدام . أما الأسواق التجارية فقد اختفت منها البيوت المالية الإنجليزية ، وأخذت المحلات التى تروج التجارة الإنجليزية تقل شيئاً فشيئا .

لقد كان فى البرازيل ألمان منذ سنة ١٨٤٣ ولكن عددهم لم يكن محسوساً ، أما الآن فلا يقل عدد الألمان فى تلك البلاد عن مليون نفس ، وفى جنوب هذه الجمهورية وعلى الأخص سنتا كاترينا وبرانا وريوجراند دوسيل ينحدر أكثر السكان من أصل ألمانى ، ويقوم حكام وبوليس من الألمان فى كثير من البلدان ، وقد قامت البرازيل بحركة شديدة لمقاومة الدعاية النازية، وعلى الرغم من ذلك فقد حلت ألمانيا محل الولايات المتحدة فى المعاملات التجارية ، وأصبحت الآن أعظم الدول التى تستورد القطن من تلك البلاد وهى فوق ذلك تستورد النيكل والزيت بمقادير هائلة منها

ويتسع نفوذ الألمان كذلك فى شيلى ، ولا شك أن وجود خمسة وعشرين ألف ألمانى فى هذه المملكة يجعل لها تأثيراً كبيراً من الناحيتين السياسية والتجارية

وقد أصبح أكثر ضباط الجيش فى بوليفيا من الألمان، وقد أرسلت ألمانيا إلى بوتسدام ثلاثة من الضباط للتمرن على الأعمال الحربية الحديثة بها



التحرر الأدبي ووزارة المعارف المصرية

ليست هذه الكلمة مناقشة للأستاذ أحمد أمين فى رأيه التحرر من سلطان الأدب الجاهلى ، وإنما هى تعليق على مقالته الثانية فى الثقافة وقوله فيها : « أناشد الأدباء والشعراء أن يستمدوا تشبيهاتهم واستعاراتهم مما بين أيدينا من مخترعات، وألا يستعملوا ما لا يحسون ولا يعلمون من تشبيه ، وأناشد المعلمين أن يعلموا بالخط الأحمر على الاستعمالات التى يستعملها الطلاب الخ . . . »

كيف يستطيع المدرسون ذلك وإمامهم الأكبر ومن تجب عليهم طاعته يذهب من مصر إلى العراق ليرثى ملكا عصرياً توفى من أربعين يوماً ، فلا يجد من التشبيهات والاستعارات إلا ما كان يستعمله الشعراء من ألف سنة ، فالقدر له سهم (ولن يستطيع العالمون له رداً) والمصاب له سهم آخر أصاب الماشية (بعد ثلاثة أبيات) ، فهل يقاتل الجيش المصرى اليوم بالسهام ؟ فما قيمة هذا التشبيه إذن فى رأى أستاذنا الجليل أحمد أمين ؟ وما قوله إذا كان هذا السهم (العجيب) قد هدّ من العلياء أركانها هدًّا ، (فلم يبق للعراق بعده ركن فى العلياء قائم . أليس هذا هجاء لأمة فى رثاء رجل ؟) وإذا كان قد أطفأ نور الشمس وأضرم الجدا ، هل شاهد الأستاذ الجارم الشمس منطفئة فاستعمل ما يحسّ ويعلم من تشبيه ؟ وهل رأى هذا (الند) الذى يذكره مع المسك أم كل ما يعرف عنه أنه شيء ذكره المتقدمون ؟ وذكرُه السيف وسيوف الليالى ، أهو من وحى هذا العصر عصر النار والغاز والبارود أم هو التقليد ؟ وهؤلاء الذين يبطشون أسداً ، أعن حسّ وعلم بالأسد وصفهم الجارم ، أم هو قد أخذ المثال النحوى (كرّ على أسداً) من بحث الحال فى كتاب النحو الذى ألفه ؟ ويسأل السيف عن جند العراق كيف صال بكفهم ، وهو يرى جند العراق يتنكبون البنادق ويحاربون بالبارود ، أفمن تقليد قال ما قال ، أم عن مشاهدة وعيان ؟ والسلاف تمزج فى حانات مصر بالشهد ، وتخلط الشمبانيا فى خمارات عماد الدين بالعسل ، أم الأستاذ يقلد ؟ وأياً ما كان الأمر فما هو وجه الشبه بين غبار النصر وهذه السلاف ؟

وقوله فى غازى رحمه الله : (فتى تنبت الآمال من غيث كفه) أليس إعادة لأقوال المتقدمين يوم كانوا يتمدحون بالكرم ويوم كان الغيث حياتهم فى الجزيرة ، وتتمة البيت (فلله ما أولى وما أسدى) أليس كلاماً فارغاً ، وتشبيه تلال الصحراء بالجمال أعن حس كان وعلم ؟ أفى رحبة وزارة المعارف حيث يقيم الأستاذ ، أم فى شوارع القاهرة رأى هذه الجمال (التى لا تساق ولا تحدى) أى ولا يحدى بها . . . وكيف رأى فى ثنايا وجه فيصل الصغير

أما الفاشيست فقد أخذوا يزاحمون البضائع الانجليزية فى الأرجنتين بعد أن كانت بغير مزاحم ، وفى شيلى تلاقى الآلات والمدد الإيطالية رواجاً عظيما

أما بيرو فهى أكثر المناطق الأمريكية اتصالاً بإيطاليا ، ويقدر ما يسخر فيها من الأموال الإيطالية بأكثر من عشرين مليون جنيه ؟ وفى أكيادور يقوم على تعليم الطيران فريق من الإيطاليين . وفى فنزويلا تقوم فرقة من الدفعية الطليان بإصلاح الجيش. وقد أصبحت هذه الحالة مقلقة لبريطانيا والولايات المتحدة، لا لأن ألمانيا وإيطاليا تستعمران هذه البلاد ، فإن ذلك ليس فى الحسبان ، إذ أنه فى الحقيقة غير مستطاع ، ولكن ألمانيا وإيطاليا تستفيدان من تلك البلاد المواد الضرورية لها إبان الحروب، فإن لم يكن ذلك فهى تستطيع على الأقل أن تعمل عملاً لمنع تلك المواد عن بريطانيا والولايات المتحدة

الوديع (الأسد الوردا) مع أنه لم يشاهد في حياته أسداً إلا محبوساً في قفص الحديقة؟ وقوله في الختام : (سلام على غازى سلام على الندى، إذا ما بكي من بعده الترب والندا) ، أيعد له في باب التقليد والجود شيء؟ أي ندى وأي ندّ يا سيدى البك ؟

فمن أين يستطيع الدرسون اتباع رأى الأستاذ أحمد أمين وإمامهم الجارم بك هذه حاله وهذا مقاله . وأني لوزارة المعارف أن تجرد الأدب وتعلو به في مدارج العلاء وهؤلاء الشاذة يمسكون بتلابيبها أن تتزحزح أو تريم ؟!

(بغداد) ع . ط

تاريخ البيمارستانات في الإسلام

هذا عنوان الكتاب الذى أخرجه العالم المصرى أحمد عيسى بك ، وقد نشرته جمعية التمدن الإسلامى بدمشق ووقفت « ريعه على المشاريع الخيرية » . والكتاب غزير المادة يعرض نشأة البيمارستانات (أي المستشفيات) ونظامها وأطبائها وأرزاقها ، وما تحت ذلك من شئون الطب والصيدلة مما يتصل بالتخصيل والمعالجة ومراقبة أهل الصناعة . ويلي ذلك إثبات البيمارستانات في البلاد الإسلامية المختلفة على وجه التفصيل منذ العهد الأول حتى العصر الحاضر ، أي حتى إنشاء مستشفى أبي زعبل بضاحية القاهرة سنة ١٨٢٥

وفي الكتاب أخبار وفوائد لم تدوّن في المؤلفات السابقة ، إذ أخرجها المؤلف من الكتب التى لا تزال مخطوطة نحو تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، وكتاب قطف الأزهار في الخطط والآثار لأبي سرور البكرى .

وفي الكتاب مسرد للبيمارستانات ؛ وكان يحسن بالمؤلف العالم أن يقيم مسرداً آخر للأطباء

المسيو أميل فابر ومقدرته المسرحية

استقدمت وزارة المعارف المصرية من زمن غير بعيد المسيو فابر E. Fabre ليرى رأياً في الفرقة القومية وينظر في المسرحيات التي تترجها أو تؤلفها . ومن الظريف أن المسيو فابر ألف أول هذا الشتاء مسرحية مثلتها فرقة مسرح الأوديون في باريس ، واسمها Paris - Babel . وقد سقطت هذه المسرحية سقوطاً مزرياً وعابها النقاد بشدة ، وذلك لشحوب الفكرة التي تقوم عليها ، ولمشاهدها الملفقة ، ولأشخاصها المملة . هذه مسرحية لا تعرف الفن ولا التفكير ؛ إنها من مناقص المسرح الفرنسي (راجع مثلاً « المجلة الفرنسية الجديدة » باريس أبريل سنة ١٩٣٩ ص ٦٨٠)

ب . ف

مباريات جديدة للإنتاج الفكرى للفنانين والمصورين

أقامت وزارة المعارف في السنة الماضية مباريات للإنتاج الفكرى اشترك فيها مدرسو المدارس الأميرية والحرة وكليات الجامعة

وعند بحث الرسائل التي قدمت ظهر أنها لا تستحق الجائزة المقررة لكل منها وقدرها مائة جنيه فمنحت أصحابها ٥٠ جنيهاً .

ورأت الوزارة أن تضع نظاماً جديداً لهذه المباريات وإنشاء مباريات أخرى يشترك فيها المدرسون وغير المدرسين والفنانون والرسامون .

ويقضى النظام الجديد بأن تقسم تلك المباريات هذا العام إلى ثلاث وهى :

أولاً : مباريات يشترك فيها المدرسون في المدارس الأميرية والحرة وكليات الجامعة ، وعدد موادها ست مواد ولها جائزتان أولى وثانية .

والرسالة التي تنال الجائزة تعتبر ملكاً للوزارة ، ولها أن تطبع منها ما تراه جديراً بالطبع وأن تعطى المؤلف ٢٥ في المائة منها

ثانياً : مباريات للثقافة العامة يشترك فيها جميع رجال الأدب والمدرسون ولها جائزتان أولى وثانية .

ولا تعتبر الرسالة التي تنال الجائزة ملكاً للوزارة ولكن لها الحق في أن تشترى حق التأليف إذا رأت ذلك .

ثالثاً : مباريات للفنانين والرسامين ولها جائزتان أولى وثانية . على ألا تعتبر الجائزة التي تمنح بمثابة شراء للوحة التي تنال الجائزة ، وللوزارة الحق في أن تشتريها إذا رأت ذلك .

وللوزارة الحق كذلك في ألا تمنح جائزة عن كل أو بعض الرسائل ، ويجوز لها أن تقسم الجائزة الواحدة على أكثر من رسالة

وزارة المعارف العراقية تشجع حركة التأليف

ذكرت البلاد البغدادية أنه بناء على المبالغ التي رصدتها وزارة المعارف في ميزانيتها لهذه السنة لإنفاقها على تشجيع المؤلفين والكتاب ليضعوا الكتب والمؤلفات المفيدة القيمة عزمت على تأليف لجنة من كبار الأدباء والشعراء من وطنيين وغيرهم من البلاد العربية لتعرض عليها كافة الكتب التي ستقدم إليها لتقدير قيمتها الأدبية وما يستحقه أصحابها من المنح والهدايا

وعسى أن يجيء اختيار وزارة المعارف لهذه اللجنة على غير الطريقة التي درجت عليها في تأليف بعض لجانها من الرجال المتصلين بها في الوظائف والمدارس فقط

معلقة الأرز لنعمة قازان

جثمت المادة على الروح في هذا العصر حتى كادت تزهقها، ولم يقنع شيطان الشر بكتم أنفاس الفضيلة والخير في نفوس الناس وإنما مد يده إلى أسمى الفنون وأرفعها يريد أن يقبض على أعناقها وأن يلوى بها إلى الحضيض ليهشمها فيرتاح بعدها من هذه النزعة التي تنزعها الحياة إلى الله إذا صحت وانتبهت في غفلة منه إلى الحق والجمال والطلاقة

ولكن هذه الفنون مازالت هي البقية الباقية من شذى الإنسانية المتمردة على المادة الساخرة من حياة الأرض

هذه هي الفنون الحارة التي يشعلها الله في بعض النفوس لتنير الظلمات أمام أعين تحب النور؛ ومن هذه الفنون الشعر، وأقدمها ما حام حول الجمال والحق، وأبهاها ما تحرر من كل قيد أراد العقل الأرضي أن يغلل به رقصات الروح، وأسماها وأقواها ما استطاع أن ينتشل العقل من وهدته وأن يخطفه فيطير به في معارج الصفاء حيث لا حقد ولا ضغينة ولا غل ولا كراهية، وحيث يشيع الحب ويملأ الفضاء بأعذب أنفاس التسبيح

ومعلقة الأرز للشاعر التقي نعمة قازان من هذا الشعر الذي يلهمه الله ولا تصيده العقول

هي شعر لا يوصف ولا يحلل؛ وإنما تقرأه فإذا هيأ الله روحك لإستساغته وجدت نفسك تنشده أو تنشد ما يماثله ... فإن لم تفعل فهي الألفاظ التي تتدلل عليك

عزيز أحمد فهمي

الطفل ووالدته في العالم

صدر أخيراً كتاب باللغة الفرنسية عن «الطفل ووالدته في العالم» تولت الإشراف على إصداره وطبعه مدام هومفرى دونفروا واشتركت في تحريره ٩١ سيدة من الكاتبات يمثلن ٥٥ بلداً من بلدان العالم

وقد جاء هذا الكتاب تحفة نادرة في بابه. ونحن إذ نسجل ثمرة هذا المجهود الجبار الذي استغرق قرابة ثمانمائة صفحة يسرنا أن ننوه بما لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول من الفضل في صدوره، إذ تكرمت جلالته فشمل القائمات بأمر هذا السفر النفيس بعطفه الغالي، ومنحهن من المساعدة المادية ما شجعهن على المضي في مشروعهن العظيم تحت رعاية جلالته السامية، وقد نوهت مدام هومفرى دونفروا في مقدمة الكتاب بهذا العطف الملكي الكريم وأشارت إلى أنها وجدت في هذه المساعدة المادية أكبر مشجع أدبي لها

وقد حلى صدر الكتاب بصورة رائعة لصاحب الجلالة الملك ووضع مقدمته الكاتب الكبير جوزيف دى بسكيدو، وتتوالى الأبواب بعد ذلك عن الطفل وأمه في البلدان المختلفة في قارات العالم الخمس، وإذا كانت العادات والتقاليد الخاصة بنشأة الطفل وتربيته تختلف بين بلد وآخر فإنها تلتقي كلها في تلك العاطفة النبيلة التي تربط الأم بطفلها والتي تقوم بفضلها أركان الأسرة «لمجد الله وعظمة الوطن»

وقد تولت الكتابة عن «الطفل وأمه» في مصر السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى فأشارت إلى ما يشيعه مولد الطفل من السرور والامل في جميع الأسر، ولا سيما إذا كان المولود ذكراً، وذكرت الآية الحكيمة: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا».

اكتشاف علمي خطير – توليد قوة من الذرات

في جميع مختبرات العلوم الطبيعية في العالم يعالج العلماء نهاراً وليلاً الذرات طمعاً في أن يستخرجوا منها القوة التي قال عنها العلامة بول بانليفه : « حينما يتحقق ذلك الأمر تستطيع القوة الكامنة فيها أن تدمر أسطولاً متيناً كالأسطول الإنكليزي ». وكان بانليفه يقصد بقوله هذا أن يبين حقيقة القوة المخبوءة في مادة يزعم الناس أنها جامدة . على أن الأستاذ شارل تيبو المدرس بكلية العلوم بجامعة ليون وفق إلى تحليل ذرات الأورانيوم المعدود أثقل العناصر الكيميائية المعروفة ، فنشأ عن ذلك قوة تزيد على مائة مليون « فولت » . وقد قال الأستاذ تيبو في هذا الصدد : « بقي الآن حصر تلك القوة واستخدامها من الوجهة العملية ، وهذا الأمر كفيل به الزمان والجهود التي يبذلها علماء الطبيعة . أما نحن فقد عالجنا الأورانيوم معالجة جدية ، وتمكنا من تحليل ذراته وتأليف عناصر كيميائية منها تختلف عن الجسم المفكك ، وأن القوة المنتجة منه تفوق أي قوة يستطاع الحصول عليها بحيث لا يهمنا في المستقبل نفاد الفحم في مناجمه ، فالذرات تعطينا قوة لا حد لها ، والمسألة الوحيدة التي تبقى لدينا هي أن نعرف طريقة استعمال هذه القوة الجديدة »

ويستنتج من بحوث أساتذة جامعة ليون أن كل مختبر يستعين بأجهزة جديدة ، وأنه يجب تفاهم أولئك العلماء وتوحيد جهودهم لإدراك الضالة التي ينشدونها . فالأورانيوم المفككة ذراته ينشئ عنصرين جديدين من الذرات يساوي ثقلهما نصف ثقل الأورانيوم ، وهم يبتغون معالجة تفكيكهما أيضاً ، وحينئذ يتمكنون من إيجاد مادة أساسية لا يندر وجودها كالأورانيوم نفسه ليتسنى لهم مواصلة التجارب على غير النمط الذي يسيرون عليه في المختبر

مؤتمر التربية الحديثة

يعقد المركز العام لرابطة التربية الحديثة مؤتمراً أوربياً في الفترة القائمة بين ٢ و ١٠ أغسطس القادم للبحث في الوسائل المؤدية إلى المثل الأعلى للديمقراطية . وسيرأس الاجتماع المسيو بول لنجفين أستاذ التربية ، وسيشهده كثيرون من رجالات التربية في فرنسا وانجلترا

ويتناول المؤتمر عدا الموضوع السابق بحث المشاكل التي يجب أن يحلها المربون باشتراكهم في الحياة العامة ، والخطة العملية التي يمكن تنفيذها في المستقبل على ضوء الإعداد المهني والاجتماعي للمعلمين وجعل الطفل مواطناً صالحاً . وقد أخطر المركز الرئيسي للرابطة الفرع المصري برؤوس هذه الأبحاث

في اللغة ... « جاءته كتابي »

جاء في الجمهرة لابن دريد (ج ١ . ص ٣١٩) ما نصه : « ورجل لغب : ضعيف بين اللغابة واللغوبة ... وأخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابياً يمانياً يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت : تقول جاءته كتابي ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ فقلت له : ما اللغوب ؟ فقال : الأحمق » .

وجاء في اللسان مادة « كتب » : « حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول : وذكر إنساناً : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت له : أتقول جاءته كتابي ؟ فقال : نعم . أليس بصحيفة ؟ فقلت له : ما اللغوب ؟ فقال : الأحمق

وقد يحسن أن أذكر هنا ما رأيته في الجمهرة أيضاً (ج ٢ : ٧٠) . وهو « ويقولون : ما كان هذا مذ دجت الإسلام . قال : أبو حاتم : قلت للأصمعي : لم أنثوا الإسلام ؟ قال : أرادوا الملة أو الحنيفية » .

قلت : ومنه الحديث : « ما رؤى مثل هذا منذ دجا الإسلام » وورد في رواية أخرى : « منذ دجت الإسلام » . فأنث على معنى الملة والشريعة ... ومما يناسب أن أذكره هنا أيضاً ما رأيته في الكامل للمبرد (ج ٣ : ٢٨٦) لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب:

إني أتتني لسان لا أسر بها   من علو لا عجب منها ولا سخر

وقد فسره المبرد فقال : « وأراد باللسان ها هنا الرسالة » .

عبد العليم عيسى
كلية اللغة



٦ - في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

هذا هو المقال السادس في نقد عمل الأستاذين الكريمين العوامري بك والجارم بك في شرحهما لكتاب البخلاء للجاحظ. وما ندري هل بلغنا رضاها في هذا العمل، وقد خدمنا به الكتاب خدمة إذا أضافاها إلى خدمتهما له خرج الكتاب تاماً مرجو الفائدة؟

قد كان الرضا منهما هو الأشبه بخلقهما، والأولى بحرصهما على الحقيقة، ولكني لا أسمع إلا حكاية امتعاض ولوم، وما أظن إلا أن القارئ طالب فائدة؛ فليس يهمه أن ننث عتابنا ونكثر اعتذارنا بين يديه، فلنمض فيما نحن فيه مستعينين الله أن ننتهي من نقدنا في هذا المقال إن استطعنا حتى نريح ونستريح.

في ص ١١٥ يقول الجاحظ في تصوير جشع الخزامي: « إنه لو أعطى أفاعي سجستان، وثعابين مصر، وحيات الأهواز لأخذها »

ويعلق الشارحان على الحيات والأفاعي والثعابين تعليقاً ينطق بأن الحيات هي الثعابين أو الأفاعي، وأن الثعابين هي الحيات أو الأفاعي، وأن الأفاعي هي الثعابين أو الحيات. وللشارحين بعض العذر في ذلك، فإن كتب اللغة يكثر فيها ذلك النوع من الإحالة في التعاريف، ولكنه عيب يجب ألا نقره نحن الذين سيكون على يدنا إصلاح كتب اللغة وتلافي عيوبها.

إن الذي يحاول أن يتخلص من ذلك العيب يجد في كتب اللغة نفسها المخلص منه. ففي المقام نفسه الذي يقول فيه صاحب القاموس: الحية «م» أي معروف نجد كتباً أخرى ومواضع من القاموس نفسه يمكن أن نستخلص من ثناياها فروقاً تجزئنا أو تنجينا من التهافت

ذلك أننا نرى في القاموس المحيط: الثعبان: الحية الطويلة الضخمة، وفي المصباح: الأفعى: الحية الرقشاء الدقيقة العنق العريضة الرأس التي لا تزال مستديرة على نفسها لا ينفع منها ترياق.

فهذه تفرقة إذا كان الشارحان قد اتجها إليها في شرحهما بانت قيمة كلام الجاحظ، وأنه إنما كان يعني أن هذا النوع في مصر مشهور بالضخامة والطول وأنه في سجستان على الصورة التي مثلها صاحب المصباح. وهكذا

على أنه لو لم تكن بين هذه الأنواع تلك الفروق التي ميزناها بها لصار في كلام الجاحظ فضول يجب علينا أن نلتمس له العذر فيه؛ إذ كيف يعطف هذه المترادفات ومعناها واحد لا يزيد ولا ينقص. إنه إذ ذاك يكون كلامه بمثابة قولنا ثعابين مصر وثعابين الأهواز وثعابين سجستان. فهل يرضى أحد منا للجاحظ بمثل هذا التهافت والتكرار المزري، إنني إزاء هذا أرى أنه كان من الواجب (لو لم أجد للجاحظ هذا المخرج من كتب اللغة) أن أقول إنه إنما كرر هذه الألفاظ ليدل على العرف الجاري في هذه البلاد، فهذا النوع في مصر يسمى بالثعابين وفي سجستان بالأفاعي وفي الأهواز بالحيات. حينذاك يستريح القارئ وتبقى لبلاغة الجاحظ صورتها الجميلة التي له في نفوسنا والتي يجب أن نحرص على بقائها كذلك

ص ١٢٩ ورد في وصف الجارود وأبي الحارث جمّين أنهما يمتحنان ما عند الناس بالكُلَف الشِّداد .

فيقول الشارحان في ذلك ويمتحنان الخ أى ينزلان المحن بما عند الناس من المال بسبب هذه الكلف الصعبة . وأقول إن تفسير الامتحان بما فسراه به تكلف شديد جداً . وعندى أن الامتحان هو بمعناه المتبادر الذى يملأ عقول الطلبة والمعلمين خصوصاً فى هذه الأيام وهو الاختبار ، والمراد بامتحان ما عند الناس اختبار أخلاقهم ومعرفة مدى كرم نفوسهم

ص ١٣١ يقول الجاحظ : سئل جمّين عن جود محمد بن يحيى فقيل له : كيف سخاؤه على الخبز خاصة ؟ قال : « والله لو ألقى إليه من الطعام بقدر ما إذا حَبَس نَزْفَ السحابِ ما تجافى عن رغيف »

ثم يقول الشارحان فى معنى ذلك : أى لو أعطى من الطعام مقداراً لو جعل كومة واحدة فارتفعت حتى وصلت إلى السحاب فمنعت ماءه من أن يصل إلى الأرض ما تجافى الخ ، ثم يقولان بعد كلام : ووضع « إذا » فى العبارة غريب ا ه . والواقع أن وضعها على حسب شرحهما ليس غريباً إذ قد وقعت موقعها وتوافر فى العبارة شرطها وجوابها ، فكيف يكون وضعها غريباً إذا تم لها ذلك وقد جرى الشارحان فى شرحهما على اعتبار إصالتها بدليل أنهما استعاضا عنها فى الشرح بلو ...

ونحن نعترض على ضبط العبارة وشرحها ، فأما الضبط فنرى أنه كان ينبغى أن يكون هكذا :

« ... إذا حُبِسَ نَزْفَ السحابَ » . وأما المعنى فهو : لو قدم إليه من الطعام مقدار إذا جمع بعضه فوق بعض وصل إلى السحاب فاحتك به وتشرب ماءه ، ما تسامح فى رغيف منه مع هذه الكثرة وقد نتكلف تصور ارتفاعه إلى السحاب . بل يكفى فى تمثيل كثرته أنه لو سقط عليه ماء السحاب لتشربه ، وعلى هذا يكون قوله : « ما تجافى رغيف » جواباً للو ، لا لإذا

(ص ١٥٢) فى الحديث عن مغرم أصحاب الدور يورد الشارحان عبارة الأصل هكذا :

« فإذا قسمنا الغرم عند انهدامها بإعادتها ، وبعد ابتنائها ، وغرم ما بين ذلك من مرمتها وإصلاحها ، ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها وارتفقنا به من كرائها خرج على المسكن من الخسران بقدر ما حصل للساكن من الربح »

ويشرحان هذه العبارة المضطربة شرحاً يأتى مثلها مضطرباً . ولسنا بحاجة إلى بيان اضطراب الشرح وإنما نكتفى ببيان اضطراب الأصل فنقول : إن كلمة قسمنا لا موضع لها فى الكلام إذ القسمة تقتضى شيئاً يقسم ، ولسنا نرى هنا أقساماً فصلها القائل فى كلامه وإنما صواب الكلمة قسنا ، والقياس هو التقدير والحساب . وهنا قاس المتكلم غرم صاحب المنزل فى بنائه أولاً ثم إعادته بعد تهدمه ، بما حصل عليه من كرائه فخرج القياس بخسران المالك وربح الساكن . كذلك نرى أن الواو فى عبارة « وبعد ابتنائها » مقحمة تفسد المعنى والصواب حذفها فكان ينبغى أن تكون الجملة هكذا

« فإذا قسنا الغرم عند انهدامها بإعادتها بعد ابتنائها ، وغرم ما بين ذلك من مرمتها وإصلاحها ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها وارتفقنا به من كرائها ، خرج على المسكن من الخسران بقدر ما حصل للساكن من الربح »

(بقية المقال للعدد القادم) محمود مصطفى

7me Année No. 310

Lundi - 12 - 6 - 1939



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٢ يونيه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

بمناسبة تبرع اللورد نفيلد نسأل :

هل لأغنيائنا وطن ؟!

من أنباء البرق الأخيرة أن اللورد نفيلد صاحبَ مصانع سيارات (موريس) الإنجليزية قد تبرع للدفاع الوطنى البريطانى بمليون ونصف من الجنيهات، ووضع مصانعه الكبرى تحت تصرف وزارة الدفاع، فبلغت بذلك جملة هباته للوطن فى مدى عشر سنوات خمسة عشر مليوناً ونصفاً من الجنيهات على رواية الصنداى إكسبرس ! فإذا قرأت هذا وتذكرت ما تبرع به زخاروف وأفيروف وكوتسيكا وأنطونيادس للجيش اليونانى وهم من رجال الأموال والأعمال فى مصر، لا يسعك إلا أن تسأل كما أسأل : هل لأغنيائنا وطن ؟

الواقع الذى لا مراء فيه أنْ ليس لأغنيائنا وطن . إنما لهم قصور لإتلاف النعمة، ومزارع لمصر الفلاح، وبِرَك لصيد البط، وميادين لسباق الخيل، وأندية لقتل الوقت، ومنازه لإظهار الأُبهة . وما عدا ذلك من أرض الوطن ومعنى الوطن فهم لا يعرفونه ولا يفقهونه !

هل سمعت أن غنياً من الأغنياء أو أميراً من الأمراء قال إن له وطناً فتبرع له بطائرة فى الجيش، أو بجائزة فى المعارف، أو بكرسى فى الجامعة، أو بمستشفى فى الصحة، أو بملجأ فى الأوقاف ؟

لا تقل في تعليل هذه الفردية الشحيحة: إن أغنياءنا جهلاء العقل، وأمراءنا غرباء العاطفة؛ فإن الوطنية عصبية طبيعية تقتضيها سنة الحياة؛ فتكون في رجل الفطرة تعصباً للأسرة، وفي رجل البداوة تعصباً للقبيلة، وفي رجل الحضارة تعصباً للأمة؛ وفي رجل الإنسانية تعصباً للعالم

ولئن سألتني عن تعليل ضعف الوطنية في هؤلاء الناس لأقولن لك إني عنه عاجز؛ فإنهم لا يزالون يشعرون بها شعور الفطرة الضيقة المحدودة. ومن الصعب على العقل أن يتصور أن أصحاب السمو وأصحاب المجد وأصحاب السعادة لا يجدون في أنفسهم من الحب لمصر الحبيبة الخصيبة، ما يجده الإنسان الفطري للغابة السلبية والبادية الجدبية!

***

يكاد النيل يعتقد أن أكثر الأجانب الذين يعيشون فيه، هم خير له من أكثر الأغنياء الذين يعيشون عليه! لأن أولئك يعاملونه معاملة الراعي الذي يحلب ويرعى، وهؤلاء يعاملونه معاملة العلق الذي يمتص ويهمل. فأينما رأى التجارة والعمارة والإنتاج رأى ضيوفه، وحيثما رأى الإسراف والإتلاف والتبطل رأى أهله!

ليتني أدرى ماذا يقول الغني الأصيل إذا نافره الأجنبي الدخيل أمام قدس الوطن؟ أيقول له: هذه رءوس أموالي تنشئ الشركات وتقيم المصانع وتنمي الثروة؟ أم يقول له: هذه (مشروعات) أعمالي تقر الأمن وتحيي البلاد وتقتل البطالة؟ أم يقول له: هذه ثمار إفضالي تعزز الدفاع وتشجع الإبداع وتنشر الثقافة؟ الله أعلم يومئذ أيهما يقول ذلك وغير ذلك؛ وأيهما يقف ناكس الرأس خاشع الطرف عيي اللسان، لا يجري على باله إلا أنماط الثياب وسلائل الكلاب وفصائل الخيل وطرز السيارات وأندية القمار وحسان هوليود!

يظهر أن التفدية والتضحية والخدمة العامة إنما تكون أثراً لقوة الروح وصحة الخلق، فإن أول من تطوع للجهاد شباب الأمة، وأول من تبرع للدفاع رجال الدين. فالحيلة في أغنيائنا إذن هي حيلة الله. هو وحده الذي يملك أن يحيل في النفوس عبادة المال عبادة للوطن، ويجعل في القلوب محبة النفس محبة للناس

***

يا أغنياءنا، إنا نريد أن نحبكم فساعدونا على خلق هذا الحب. إن ديننا ينهانا أن ننفس عليكم نعمة الله، وإن وطننا يمنعنا أن نضن عليكم بأخوة الوطن؛ ولكن العقيدة والوطنية اللتين تحببانكم إلينا، هما كذلك اللتان تبغضانكم علينا! لأن الأمة تريد أن تقوى وفي نفوسكم قوتها، وتبغي أن تعز وفي رءوسكم نخوتها، وتحاول أن تدافع وفي أيديكم ثروتها، فحرمتموها كل ذلك ووضعتموه في غير موضعه، وأضعتموه في غير سبيله؛ ثم مكنتم للجهل والفقر والمرض أن تدهمها من كل جانب، فقعد القوي لجهله عن السعي، وفتر العالم لفقره عن البحث، وعجز الضعيف لمرضه عن الإنتاج

***

يا أغنياءنا — والناس أجمعون يعرفون من أعني — لقد جربتم بذل المال في اللهو، وقتل العمر في العبث، وفقد الصحة في المجون، فهل كسبتم من وراء ذلك مجداً أو وجدتم في عواقبه سعادة؟ جربوا ولو مرة واحدة على سبيل التسلية أن تمسحوا دمعة على خد حزين، أو تنفسوا كربة عن قلب بائس، أو تسهلوا طلب العلم لفقير، أو تمهدوا سبيل العمل لمتبطل، أو تشاركوا أبناء الشعب في منفعة عامة؛ ثم انظروا بعد ذلك كيف يشيع في صدوركم الرضاء، ويرتفع بقلوبكم الإخاء، وتنعم نفوسكم في الحياتين بين عاجل المجد وآجل الخلود. ثم وازنوا بين متعة الجسم ولذة الروح، تجدوا أن الأولى تنقضي بالملل والعلل والجريمة، والأخرى تدوم بدوام الروح في الأرض وتخلد بخلودها في السماء

***

يا أغنياءنا — والله هو الغني الحميد — لقد بح الصوت وحفي القلم وأنتم في نشوة البطر وغفوة النعيم لا تسمعون ولا تقرأون! فهل تظنون أننا بما نقول ونكتب نريد أن نخرجكم عن متاعكم، أو نحولكم عن طباعكم؟ لا يا سادتنا! إن ذلك عمل الله وحده؛ أما عملنا فأن نذكركم كلما نسيتم أن لكم مواهب تهملونها والوطن في استغلالها نصيب، وأن لديكم أموالاً تبذرونها ولله في ريعها حق؛ وأن ننبهكم كلما غفلتم إلى أن هزل الحياة لا ينفع في جد الموت، وأن ملك الدنيا لا يغني عن ملك الآخرة!

احمد حسن الزيات

بقية من حديث الإيمان (*)

النبوة – الوحي – المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كتب إليّ كاتب فاضل من بيروت ، لم يتكرم بذكر اسمه كاملاً ، يستعديني على مقال لدكتور فاضل نشر بمجلة « الأمالي » عنوانه « المعجزة » فسرها فيه تفسير الرافضين الاعتراف بالنبوة بمعناها عند المؤمنين .

وأنا لا أحب الجدل العلني في الصحف ، ولا أرتاح إلى نتائجه على النفس والحق وخصوصاً في المسائل الشائكة التي يجب أن تمحص في خفاء وهدوء وحيان عدم التعصب للرأي ، وحب الغلبة أمام الجمهور . ولذلك لم أرد أن أناقش ذلك المقال مناقشة حرفية لأن الألفاظ عالم فظيع غير مضبوط الحدود . وإنما أردت أن ألقي خواطري حول هذا الموضوع الخطير ، وفيها يستبين رأيي ورد الضمني على ما ورد بالمقال . وأرجو أن يكون فيما كتبت إرضاء « للعقل المؤمن والقلب العاقل » الذي كاتبني من بيروت .

***

هل يقنع ناظر باحث في حياة الإنسان العقلية والروحية الأولى أنه يجوز أن يترك الله الإنسان من غير أن يتصل به ويرشده ، ويبين له بعض ما خفي عليه وخصوصاً إذا كان هذا الخفاء حول أهم غاية في الحياة العقلية والروحية ؟

هل يجوز أن يستمر الكون كله صامتاً أمام الإنسان لا يكلمه فيه أحد بكلمة غير إنسانية ؟

أيمر كل الناس هكذا على الدنيا سائرين إلى القبور وأبواب الغاية المجهولة من غير أن يسمعوا حديثاً إلهياً عما وراء الحياة ؟

هل يجوز عقلياً ووجدانياً أن يحتجب ربنا عنا من أول رجل فينا إلى آخر رجل هذا الاحتجاب القاتل ؟!

أيمكن أن يكون هذا من إله نرى رحمته وسعت كل شيء ؟

أيكون أوجدنا لنثبته بمنطق عقولنا فيقتلنا هو بشوق قلوبنا إليه شوقاً لا أمل وراءه ؟

أكان من الممكن أن يستقل عقل الإنسان في طفولته المنحطة بالاهتداء إلى الحق الفاصل في قضايا الوجود وما بعد الطبيعة ؟

ماذا يغني العقل وحده وماذا يرشد إزاء هذه الألغاز والمعميات التي رآها الإنسان في دور طفولته ؟ إنه لا يزال غير مغن ولا نافع عند كثير من الناس حتى في زمن العلم والسيطرة على الطبيعة فكيف يغني في زمن الكهوف والأحراج والغابات ؟

كيف يغني في زمن الجهل المطلق بالنفس وبالطبيعة وفي زمن عبادة الأحجار والأبقار والثعابين والجعلان والخنفسان ؟

وماذا كان العقل في تلك الأزمان ؟ إنه لم يكن سوى انطباعات بسيطة من تجارب الحياة المحدودة التي كان يحياها الإنسان ، فكيف يقدر أن يستقل بأمر البت في أمر الإلهية وصفاتها وكمالاتها ؟

إن الطفل لا يدرك في أول أمره من أمه غير ثديها وهي تلقمه إياه ... ثم ينكشف له جسمها ومعناها عضواً عضواً وشأناً شأناً حتى يدركها كاملة ... ولو تركته منذ ولادته لمات جوعاً ولذهب وجوده ولم يدركها . وكذلك الإلهية مع الإنسان ، ولله المثل الأعلى .

هل يمكن أن ينشأ طفل كامل من غير أم أو من في معناها تقول له قولها المعروف وترعاه حتى يصل إلى سن الرشد فيستطيع أن يستقل بأمره بنفسه ؟

أنا لا أستطيع أن أتصور الإنسان الذي هو أكرم ما في الأرض يعيش هكذا وحده وخصوصاً في عصور طفولته من غير أن يقول له قائل من وراء الغيب كلمة التوجيه والتسديد

ولو كنا نرى نوعاً آخر محترماً يعمر الأرض ويتولى الخلافة عليها ويسخرها لقلنا : لعل هذا هو المقصود بالخلق ونحن نعيش على الهامش ... ولكننا لم نر سوانا خليفة يصح أن يكون مقصوداً بالخلق ... فكيف يقصد وجودنا الخالق ثم يتركنا من البدء للنهاية من غير كلمة !

كلا ! لن يثبت العقل على رأي ثابت في « الله » إلا إذا سمع صوتاً منه ... وإلا فمن الحكم بين العقول المختلفة ؟

كلا ! لن يؤمن الإنسان بأنه شيء ذو خطر في الوجود إلا إذا قيل له ذلك من غير عالمه العقلي المستقل ...

كلا ! لن يصبر الإنسان على احتمال الحياة بلذاتها وآلامها من غير أن يسمع من يقول له : إحيَ ، واعمل ، واصبر ...

الإنسان ! ما الإنسان ؟ إنه كل شيء في الأرض أمام نفسه

(*) أنظر الأعداد ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ من الرسالة

وأمام الوجود الظاهر، فكيف يهمل ويترك سدى من غير نداء خفي بعيد؟

إن الإنسان نفسه كبير الرحمة في بعض أفراده الذين لا يستطيعون سماع استغاثة حي ذي كبد رطبة دون أن يبكوا رحمة له، ويقولوا له: لبيك لبيك ... فما بال الرحمن الذي ثبتت رحمته ثبوتاً محسوساً تنظر إليه عقول عباده وقلوب الباكين الدائمي البكاء له الناثرين في ظلام الحياة وآلامها، اليقظين لكل فكر وحس وحركة في الوجود، الحاملين آلامهم على ظهورهم وأرواحهم على كفوفهم، الحائرين بين مذاهب الأفكار واتجاهات الطباع واختلافات الميول يقولون له: «رب الحياة! قل لنا كلمة واحدة: ما هو الحق؟ قل لنا بصوت منك أو بلمحة أو بحجة قاطعة حتى نجزم به جزم الحس مع جزم العقل ...

إن جزم العقل وحده في هذه المسألة الكبرى لا يدخل الطمأنينة الكاملة التي لا بد منها في حياة الإيمان يا مولانا! فاكشف لنا الحجاب، واهتك الأستار، وأرنا ما وراء هذه الكثافات والأجرام والأجسام والأحجام ...» أقول ما بال الرحمن لا يسمع دعاء ممثلي الإنسانية الحائرة المقتولة بالشوق والشك المصروفة بالإفك، فيقول لها بين فترة وأخرى كلمة فاصلة يشير لها بها إلى الطريق ما دامت هي القطيع المقصود، وما دام الاهتداء إلى الله هو المعنى الذي يصح أن يكون غاية الله من خلق الإنسان؟

هكذا وقف قلب كل نبي نشأ في حيرة من ضلال قومه قبل أن تتصل به شرارة الوحي، لا يرى نوراً ولا يسمع شيئاً يقول له: «من هنا الطريق ...».

هكذا وقف كل نبي في الظلمات وبكى ... بكى لكل شيء ... بكى للسماء والأرض والحجر والنجم والحي والميت وكل شيء ... وكل شيء ...

فإذا كان منطق الإنسان الكامل ورحمته يحتمان أن مثل هذا الباحث الحائر الباكي يجب أن يرحم ويخاطب ويغاث من لهفته وخصوصاً إذا احتاجت الظروف لحركة تطهير الأرض من ضلال وفساد، فأظن ظناً يقرب جداً من العلم أن هذا المنطق وتلك الرحمة يقولان: «لا بد لله أن يتكلم!» أجل يحتمان على رب الوجود أن يكلم ذلك الرجل الحائر الباكي من عدم الاهتداء إلى حقيقة نفسه وحقيقة الوجود ... ولن يحمل إنسان عبء النبوة والرسالة الفادح إلا إذا سمع هذه الكلمة ... ولن يتحدث باسم رب الوجود ويقول: «أُوحيَ إليَّ» إلا إذا سمع حديث الله له ... وإلا كان أكبر مجرم ظالم كاذب والكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً كما يقول «كارليل» فلا يستطيع أن يبني أمة ... «ومَنْ أظلمُ ممن افترى على الله كذباً، أو قال: أوحي إليّ ولم يوحَ إليه شيء ...»

***

تلك هي النبوة أوقن بها كما أوقن بسنن الطبيعة المطردة وأنتزع حججها من صميم النفس الإنسانية منطقها ووجدانها وأحاسيسها. فكما أومن بأن الشمس يجب أن تظهر للنبات والحيوان لكي تمطيهما وجودها الجسماني أومن بأن الله أظهر للإنسان جانباً من نوره حتى يأخذ وجوده الروحي، وذلك كان في أول النشأة ودور الطفولة البشرية

إننا الآن نرضى بصمت الطبيعة المطبق اتكالاً على أن الله كلم بعض أفراد النوع في الزمان القديم. وأنا شخصياً أظن أنني ما كنت لأومن بفكرة ثابتة عن الله لو لم أوقن بأن الله كلم محمداً ومن حكى عنهم محمد من الأنبياء ... وكأني أحس أن الله كلني شخصياً حين كلم بعض أفراد نوعي ...

أجل! كيف أثبت على الإيمان به دائماً ما دام هو لم يأبه لي ولا لنوعي؟ أمن المعقول أن ينظر الإنسان إلى الله دائماً ولا يبالي هو به؟

إن الله رحمة ... إن الله محبة ... إن الله كرم ... إن الله جمال ... كما تثبت ذلك صناعته في الخليقة فلا يجوز أن يكون قاسياً متكبراً على الإنسان خليفة الأرض إلى هذا الحد!

إننا الآن في زمن رشد عقلي يلوح لنا أننا نستطيع أن نستقل بعقولنا في الاهتداء إلى الله وإلى الخير. ولكن يجب أن نتذكر حالة النشأة والطفولة التي كنا عليها ... حين كنا نعيش بالأوهام والأحلام ونرى الكون أمامنا كتلة مبهمة ومجموعة ألغاز ومعميات وأحاج ... حين كنا نعبد الحجر والبقر والجملان والخنفسان ... حين كان العالم مملوءاً أمامنا بالأشباح التي تملأ الهواء والنار والسحاب والبحار. فهل كانت غاية خلق الإنسان متحققة في تلك الدهور والأحقاب بالعقل الإنساني على بساطته؟ وما دامت غاية خلق الإنسان كما يحتمها العقل هي معرفة الخالق وعبادته فلا بد أن تتحقق دائماً وقصور عقل الإنسان في الماضي ما كان يسمح بتحققها فلا بد أن يتولى الله إرشاده عن طريق الاتصال ببعض أفراده

إن الحركة العقلية المنيفة التي كانت في بلاد الإغريق لم تنقذهم من الوثنية المنحطة. فالعقل وحده لا يؤمن بما يصل إليه ويصنعه هو إلى درجة الطمأنينة التي لا بد منها في منطقة الإيمان، والطبيعة الآرية صارت تبحث عن الله بالعقل المادي وحده فما اهتدت إليه إلا أفراداً قلائل. ومن قرأ صور الإله في أفكار كثير من فلاسفة اليونان من البدء إلى الماء إلى العقول السبعة إلى النار إلى آخر الفروض يرى أن العقل وحده حتى في بلاد اليونان لم يقدم الصورة الكاملة للإله كما قدمتها الروح السامية فقد بحثت عن الله في نفسها ووقفت تبكي له بقلوب أنبيائها وصهرتها الآلام وأضناها الإخلاص له إخلاص الطفل حين يبحث عن أمه ويبكي، فظهر لها فأيقنت بالحق والخير

وقد نجحت الروح السامية في إنقاذ البشرية من الوثنية وفي إعلاء شأن الإنسان وفي تعميم صورة الكمال الإلهي وفي سيادة الأرض. فلا يمكن بعد ذلك كله أن نقول إن تلك السيادة السامية المبنية على النبوة كانت عفواً وصدفة، ولا يمكن أن تكون حركة العقليين موازية لتلك الحركة الروحية، وخصوصاً أيام كانت حركة العقل ضئيلة لا تستطيع أن تقيم قوانين وأخلاقاً. فلا بد أن يكون وراء الروح السامية سند من عالم الغيب

لا يمكن أن يستأنف الإنسان عبادة الأحجار والأشجار وغيرها بعد أن وصل إلى التسلط على كثير من قوى الطبيعة وبعد أن زال خوفه من قواها أيام كان يجهل أسرار تركيبها

ولذلك ختم الله الرسالة بمحمد وأعطى الإنسان الطبيعة يسخرها ويتصرف فيها بالتدريج كما يعطي الأب ابنه ماله بعد الرشد يتصرف فيه بعلمه وسلطته

تماماً هو قانون الأبوة مع البنوة فهو اطراد في سنن الكون. والطبيعة كلها متشابهة. النشأة العقلية النامية في الإنسان كالنشأة الجسمانية فيه

لقد استخلص الله خلاصة الحق من تجارب الحياة الإنسانية في جميع الأمم وأسلمها للإنسان ووصاه وصيته الأخيرة وقال له: بلغت الرشد فأمامك الطبيعة، وإلى اللقاء في الدار الثانية التي يحكم بها عقلك وعلمك، فاستعد لتقدم إلى الحساب عما تفعله في النفس والمادة وقواها

أليس هذا هو قانون الطبيعة مع أفراد الحيوان والإنسان ومع أسرها؟ بلى، وإنه هو نفسه يتشكل أوسع بين الله والمجموع الإنساني.

قد يقول قائل: إن الوثنية لا تزال دين عدد هائل جداً من الناس؛ ولا يزال سكان أفريقية الوسطى وجزر المحيط والصين والهند واليابان يدينون بالقوى السحرية وعبادة الحيوان. فأين رشد الإنسان المزعوم؟

ولكن مع تسليمنا بذلك نقول إن التبعة ملقاة على عاتق الأمم المتعبدة بالروح السامية، وإنه لتقصير فظيع منها أن تترك بعض أفراد الأسرة الإنسانية هكذا ضائعين من الحياة. ولو كان الاستعمار يحمل غاية روحية سامية لجعل همه الأول هدم الوثنية وتعميم فكرة الوحدة الإلهية. وقد وكل الله الشعب الأصغر القاصر إلى الشعب الأكبر الراشد، كما يحدث من توكيل الأب للابن البكر في الأسرة الواحدة ... فإذا لم يراع الأكبر حسن الرعاية والإرشاد كان اللوم كله منصباً عليه. وستعلم الشعوب المتحكمة العاشقة للمادة وحدها كم ستكون تبعتها ثقيلة باهظة، وجنايتها كبيرة غليظة، بتركها نفوس الزنوج وسكان الجزر النائية في المحيطات وكل الأمم الوثنية من غير حمل لها بالقوة على ترك عبادة الأوثان وعلى سمو الحياة الروحية

لقد صارت الأرض كقطر واحد بفضل الكشوف الجغرافية وأدوات الاتصال العلمية وسرعة الانتقال، فكان من الواجب أن يتلاقى البشر على معان قريبة في الدين، ولكن المادية الحالية هي الحائل وهي الشاغل ... وعلى أية حال لن تعمر الوثنية طويلاً بعد الآن

كانت الأمة من الأمم السابقة تحتاج إلى رسول معين يرشدها في حياتها الروحية نظراً للقصور العام، ولكن ميراث الرسل المتروك والملخص في رسالة محمد يستطيع أن يخرج رسلاً عديدين ينقذون الخاضعين للسحر الأسود والوثنية الصفراء وغيرها ... ولعلها رسالة مدخرة لأبناء محمد حين يتم نضجهم وكمالهم بعد يقظتهم الثانية هذه. فإنه ليس هناك كتاب دين حارب الوثنية وأبغضها وخطمها وناقشها من جميع وجوهها كما فعل القرآن. وليس هناك أمة أفهمها كتابها أنها منتدبة لحماية عقائد البشر من الوثنية وغوائل الروح كالأمة الإسلامية «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»

ويمكن لأي فرد الآن أن يعلم من حقائق الدين وحقائق الطبيعة ما كان يختص بعلمه الكهنة والأوصياء في الزمان القديم، ويخيل إلى أن مجهود النبوات كلها كان موجها إلى تفهيم الإنسان

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

— ١ —

لصديقنا الأستاذ أحمد أمين مؤلفات جيدة قامت على أساس المنطق والعقل ، وهو من كبار الباحثين في العصر الحديث .

ولكنه على أدبه وفضله لا يجيد إلا حين يصطحب الروية ويطيل الطواف بالموضوع الواحد عاماً أو عامين ، وذلك سر تفوقه فيما نشر من البحوث والتصانيف

ولسنا نظلم هذا الصديق الفضال حين نحكم بأنه لا يصلح لتقييد الخواطر العابرة التي تطوف بالذهن من حين إلى حين ، لأن ذلك لا يتيسر إلا لمن رُزق موهبة أدبية تقيِّد شوارد المعاني بلا تعب ولا عناء ، وتضيف المألوف إلى صف الطريف بعذوبة التعبير وقوة الروح.

أحمد أمين باحث كبير بلا جدال ، ولكنه ليس بكاتب ولا أديب ، وإن كان من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية !

ولم يستطع الأستاذ أحمد أمين على كثرة ما كتب وصنَّف أن ينقل القارئ من ضلال إلى هدى ، أو من هدى إلى ضلال ، وإنما كانت مؤلفاته وبحوثه ضرباً من « التقرير » الذي يخاطب الأذهان ويعجز عن مخاطبة العقول والقلوب

وحياة الأستاذ أحمد أمين تؤيد ما نقول : فهو رجل لا يعرف الخلوة إلى الفكر والقلم ، ولا يتسع وقته لدرس ما في الوجود وما في الأخلاق من مشكلات ومعضلات ، وإنما يقرأ ويسمع ، ويعلق على ما يقرأ ويسمع ، بدون أن يتغلغل إلى أسرار المجتمع أو سرائر القلوب

وهيام الأستاذ أحمد أمين بالظواهر قد عاد عليه بأجزل النفع من الوجهة الشكلية : فهو رئيس لجنة النشر والترجمة والتأليف ، وهو أستاذ بالجامعة المصرية ، وهو عضو في كل لجنة تؤلفها وزارة المعارف ، وهو مشرف على بيت المغرب ، وهو مؤلف كتب وناشر مقالات ، وهو صاحب ثروة يدبرها ويشقى في سبيلها أعنف الشقاء .

وهذا كله مقبول ، ولكن الخطر كل الخطر في ألا يقنع هذا الرجل بما وُفِّق إليه في حياته الرسمية والمعاشية

الخطر كل الخطر في أن ينصب هذا الرجل نفسه حاكماً بأمره في تقرير مصير الآداب العربية ، وهو لم يستطع إلى اليوم أن يقيم الدليل على أنه يتذوق المعاني والأساليب

الخطر كل الخطر في أن يتوهم الأستاذ أحمد أمين أنه قادر على زعزعة ما أقامته الأيام من الحقائق الأدبية ، الحقائق التي ساد بها العرب في أزمان طوال ، وكان لها سلطان مهيب في أقطار الشرق وأقطار الغرب

ولكن ما الذي نقل ذلك الرجل الفاضل من حال إلى أحوال ، وحوَّله من الروية إلى الارتجال ؟

ما الذي قضى بأن يثور أحمد أمين على ما خُلق له فيطالع الجمهور بآرائه من يوم إلى يوم وكان يلقاه من عام إلى عام ؟

لقد أصبح الرجل صحفيًّا ، وكان أستاذاً ؛ ولكنه لم يراع أدب الصحافة ، لأن الصحافة تقف عند المشاهدات وهو يهيم بأودية الفروض

ابتدأ هذا الرجل مقالاته في مجلة الثقافة بتلخيص بعض الكتب الأدبية فكان من الصحفيين الأدباء ، ثم رأيناه يتحول فجأة فيلخص الأدب العربي في جميع عصوره تلخيصاً يقوم على أساس الخطأ والاعتساف ، ويعوزه تحرير الحجة وتصحيح الدليل

قيمة الطبيعة وإلى شغل عقله بالبحث فيها حتى يهتدي إلى مفاتيح تسخيرها ويبرأ من عبادة ظواهرها وقواها ويعبد بارئها فقط .

وقد نجحت النبوات نجاحاً باهراً في ذلك وأنقذت الإنسان الذي يسكن الجزء الأهم في الأرض وجعلته هو صاحب السيادة والسيطرة فيها ، وجعلت الأمم الوثنية خاضعة له ، أو ناظرة إليه وتابعة لخطواته . فلم يعد هناك حاجة إلى بعث رسل مؤيدين متكلمين من السماء لأن مجال الدين صار واضحاً وصار التدين مقرراً بالعلم لأن العلم كشف في القلب الإنساني منطقة لا غنى لها عن الدين . والخلاف الآن على الطقوس المختلفة في الديانات فقط .

وسيكون أقرب هذه الأديان إلى الفطرة والسبيل العلمية هو دين الإنسانية القربية الموجدة [الحديث بقية]

(بغداد — الرستمية) عبد المنعم خلوف

فهل يظن أنه سينجو من عواقب ما يصنع ؟

هل يتوهم أن التجنى على الأدب العربى سيمر بلا اعتراض ولا تعقيب ؟

إن لهذا الرجل صداقات مع كثير من الأدباء والناقدين ، وهو لذلك يرجو أن يصول ويجول بلا رقيب ولا حسيب

فما رأيه إذا أقنعناه بأن للأدب العربى أنصاراً يغارون عليه أشد الغيرة ، ويقفون لخصومه بالرصاد ؟

ما رأيه إذا سددنا فى وجهه جميع المسالك وقهرناه على الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية ؟

ما رأيه إذا فرضنا عليه أن يعود رجلاً يؤذيه أن يجانب المنطق والعقل ؟

« الحديث شجون » زكى مبارك

أعلام الأدب

بين أرستوفان ويوريبيدز

للأستاذ دريني خشبة

ظل أرستوفان يدعو قومه إلى السلم وينفرهم من الحرب ، وظل يسخر من القادة المغرورين ويستهزئ بشكل الحكومة وديمقراطية الغوغاء ، فلم يزدد قومه إلا عناداً ، ولم تزدد جيوشهم إلا هزيمة ، ولم تزدد أثينا إلا فساداً وانحلالاً . فلما بُح صوته من دعوة السلام والتنديد بنظام الحكم انصرف عنهما آيساً ، وفرغ لأستاذه وعدوه يوريبيدز ، يقصر عليه نشاطه الأدبى ، ويصب عليه جام نقمته ، وما أورثه فشله فى دعوة السلام من مرارة وغيظ

وقبل أن نخوض مع أرستوفان فى هذه المعركة على نخر المسرح اليونانى لا نرى بدأ من التمهل قليلاً لنلخص ملهاتين عظيمتين ألفهما الشاعر الساخر قبل الانقضاض على يوريبيدز ... أما إحداهما فمن أمتع ما نظم أرستوفان ، وأما الأخرى فهى أمتع وأعظم ما ألف طول حياته ، إلا إذا كان فيما ضاع من كوميدياته ما هو أعظم منها

فنى سنة ٤١١ ق . م أخرج أرستوفان ملهاته لِيسِسْتراتا ، وقد نظمها تنفيراً لقومه من الحرب ، وصيحة مضحكة فى سبيل السلام . . . ولا بد أن الأثينيين كانوا أمة من المجانين حين حاول أرستوفان أن يصرفهم عن آلامهم وما تترك الحرب فى كل بيت من بيوتهم من مناحة تمزق القلوب وتفتت الكبود وتفجر المدامع ، ليضحكوا ملء أشداقهم من كوميديات مواطنهم المهرج العظيم !!

لله كم كنا نتمنى لو لم يفقد ذلك الجزء الثمين من كتاب الشعر (Poetics) لأرسطو الذى تناول فيه فلسفة الكوميديا لنعرف رأيه فى علة ازدهار الأدب الكوميدى فى فترة حروب البلبونيز خاصة حتى بلغ أوجه بين أنين الجرحى وعبرات الثكالى وأحزان الموجوعين

يصور أرستوفان فى ملهاته لسسترا بطلةً حازمة تدعو إلى نبذ الحرب ونشر لواء السلم ، فما تزال بصويحباتها (نساء أثينا) تحضهن على ذلك وتكون منهن حزباً قوياً تنتهى إليه الغلبة فى أثينا الديمقراطية ، فإذا احتج الرجال وأخذوا يناوئون حركة النســاء اقترحت الزعيمة على توابعها حرمان الرجال من ممارسة (المسألة الزوجية !!) حتى يفيئوا إلى الحق ويرجعوا عن هذه المجزرة التى تودى بأبنائهم وبأنفسهم فى غير طائل . . وقد تعمدنا هنا أن نعكس ما أثبته أرستوفان فى ملهاته ، فقد قصد أن تكون النساء نساء أسبرطة وهو فى الحقيقة لم يعن غير نساء أثينا . . . ثم تنتهى الكوميديا بخضوع رجال أسبرطة ومجيئهم طائعين مختارين يطلبون الصلح من الأثينيين فتضع الحرب أوزارها ويكون السلام على الأرض (!!) وقد كان أرستوفان ماهراً فى تلطيف عقدة ملهاته الفاجرة التى لا نحسب أنها كانت تخطر لأديب ببال فى سبيل وقف حرب المورة ، تلك الحرب التى استمرت تهلك الحرث والنسل ثلاثين عاماً طوالاً فكادت تكون بسوساً يونانية بل هى كانت شراً من بسوس العرب ... فأى سلاح هو أمضى لوقف الحرب من إضراب النساء عن منح الرجال حق المباشرة الجنسية ! أليست الفكرة فكرة جريئة وإن تكن فاجرة داعرة ؟ لقد كان المسرح اليوناني الكوميدى يجيز ما هو أشنع من اللسستراتا أضعافاً مضاعفة ، وقد كان أرستوفان عَفّاً فى ملهاته هذه إذا قيس بزميليه أمفيس وألكزيس اللذين كانا يحشدان فى ملاهيهما ما لا يسمح قانوننا ولا عرفنا ولا أخلاقنا بعرض صورة منه ولا الخوض اليسير فيه ... ومع ذلك فقد كان أرستوفان لبقاً فى التضحيك على نسائه وإن كان دائماً فى جانبهن ضد الرجال ، وقد زاد فى إشاعة الروح الكوميدى فيهن بجعلهن عربيدات لا يعقدن مؤتمراتهن إلا حين تعبث الخمر بهن وتروى مشاشهن جميعاً

أما أبرع كوميدياته وأمتعها على الإطلاق فهي بلا شك (الطير)، وقد ألفها سنة ٤١٤ أي قبل لسستراتا بثلاث سنوات فكانت آية آياته كلها حيث ارتفع بها إلى ذروة الفن الكوميدي وأشاع فيها المرح وخالف بينها وبين الواقع، وبناها على الكذبة الكبرى التي هي أساس الكوميدي اليوناني. وقد قلد فيها سوفوكليس من حيث سرعة العرض ونشاط الأداء والتنقل من مشهد إلى مشهد في خفة وتشوف، كما قلد فيها الشاعر الغنائي الخالد أرفيوس من حيث روعة الأغاني وجمالها وانسجامها وعلوها عن مستوى الغناء الكوميدي الذي كان يقصد به إلى الشعبذة والتهريج لا إلى الفن الخالص الرفيع

استطاع اثنان من أهالي أثينا هما پثتيروس وإيوليپدز، أن يكتشفا حقيقة عجيبة لم تكن لتدور في روع أحد ولا تخطر يوماً في قلب بشر ... استطاعا أن يعرفا ما عرفه الشاعر سوفوكليس من قبل، وهو أن ملك الطير إيبويس هو نفسه الملك تيريوس ملك تراقيا[1] الذي كان يحكمها في سالف العصر والأوان قبل أن يُسحر إلى هدهد وقبل أن يتربع على عرش الطير مزهواً بتاجه الجميل ومنقاره الطويل وألوانه المتلألئة الحسناء ... ولما كان پثتيروس مواطناً منبوذاً من قومه الأثينيين فقد اعتزم الرحلة إلى مملكة الطير ليجرب فيها حظه غير مستعين بأحد إلا بنفسه وزميله المغفل الطواع إيوليپدز ... هذا وقد كان پثتيروس رجلاً مقداماً مقاحماً قوي الجدل حاضر البرهان نافذ الحجة لا يعييه أن يقنع محدثه بالشيء وضده في وقت معاً. وكان يرى الرأي فيصيب به الحقيقة دائماً ولذلك كان قلما يرضيه تصرف الآخرين خصوصاً في شئون الحكم

أما إيبويس الهدهد ملك الطير، أو تيريوس ملك تراقيا في سالف العصر والأوان، فذلك عادل محبوب من رعيته المخلصة له، وهي رعية بدائية ما تزال تحبو في أول مدارج المدنية، ولذلك فهو دائب على النهوض بها وإصلاح حالها؛ ولذلك أيضاً يرحب دائماً بكل من يرد عليه من رعايا الدول المتمدينة الأخرى ... وقد أكرم مثوى پثتيروس لهذا السبب، واستطاع پثتيروس

[1] هكذا في مجموعة كوميديات أرستوفان طبعة دانت ج ١ لمترجمها ج هوكهام فرير وقد خالفه ستوبارت وموراى ص ٢٨٦ إذ يذكران أنه كان ملك أثينا لا تراقيا ونحن نلخص من فرير



كان إبسن يقول: «الرجل القوي هو الفرد المعتزل»

كان إيماني شديداً بهذه الكلمة. وما رحت أرى فيها دستوري الذي لا ينبغي أن أحيد عنه. فأنا كلما انطويت على نفسي واعتصمت ببرجها أعطتني كل ما أريد من قوة ومنعة. وكلما التمست ذلك عند الناس أو عند أصحاب الجاه والسلطان شعرت أنهم أضعف من أن يستطيعوا لمثلي خيراً أو شراً. فليست قوتي المنشودة في ألقابهم ولا في ثرائهم، إنما هي في شيء ليس في مقدور أحد أن يمنحنيه غير نفسي. فالدولة لم تستطع ولن تستطيع أن تنقص أو تزيد في قوة قلمي أو رأيي، ولم تستطع ولن تستطيع أن تخفض أو ترفع من قدري وقيمتي في نظر الزمن والتاريخ. وهنا كل متعتي. فأنا إذن لا أحتاج إلى الدولة في شيء، لأنها لا تستطيع أن تمنعني أو تمنحني شيئاً ذا أثر في كياني الحقيقي

هذا رأي الأستاذ العقاد أيضاً في كتاباته عن «الدولة والأديب». وقد أشار إليّ فيها بما يفيد أني مخالف لرأيه. وهذا غير صحيح. فأنا يوم ذكرت الدولة في مقام الأدب لم أرد منها تشريف الأدب بحمايتها؛ فالأدب شريف بدونها وهي لا تستطيع له تشريفاً؛ إنما هو الذي يستطيع إذا أراد أن يشرفها وبنوه بها. إنما أردت من الدولة أن تنظم بوسائلها المادية أسواق الأدب المادية كما تنظم بقية المرافق الحيوية الأخرى حتى يتطهر من السماسرة والمستغلين. إني أردت من الدولة أن تصون نتاجنا من جشع الطامعين كما تصون مال الأفراد من عدوان اللصوص. فلقد كان كل عجبي أن الدولة لا تعترف بمصالح الأدباء اعترافها بمصالح الأفراد، فهي تتركهم نهباً للناهبين حيث تقوم وتقعد إذا استبد تاجر بسوق الغلال، أو استولى مراب على بعض المال!

توفيق الحكيم

أن يقنعه بوجهة نظره فى تكوين دولة تحت سيطرته بحيث ينضوى تحت لوائها البشر ، وما كادت رعية الطير تسمع بهذا حتى ثارت ثائرتها وهددت الملك بالتمرد وإضرام نار الفتنة، للضغينة القديمة بينها وبين بنى آدم ولعدم ثقتها فيهم من قديم الزمان . وقد همت الطير بالفتنة فعلاً ، لكن بيثيروس ألقى فيهن خطبة طنانة رنانة ساد بها الموقف وأنقذ بها مشروعه من الفشل

وأنشئت الدولة برياسة ملك الطير ، وأقامت الرعية المتاريس على الطريق إلى مملكة السماء ، فانقطعت السبل بين الآلهة وبين الأرض ، ولم تقو أرباب الأولمب على إخضاع الطير فاضطرت أن ترسل سفارة من نبتيون إله البحار وهرقل الحديدى إله الرياضة وتريبول الإله البربرى الجاهل التمتام التفتاف (!) وقد اضطرت الآلهة إلى إرسال هـذه السفارة بعد قبض الطير على إيريس (قوس قزح) مبعوثة حيرا وجاسوستها حين اجتازت بغير حق المتراس الفاصل بين مملكة الطير وطريق الآلهة إلى السماء ... وقبل أن يصل أعضاء السفارة تنزل الإله بروميثيوس — حامى البشرية ونصير الإنسان — مختالاً تحت مظلة كبيرة بين سمع زيوس كبير الآلهة وبصره ، ليؤيد بيثيروس بحجته وليمنحه البركة والتوفيق فى مجادلته سفراء السماء ... وقد استطاع بيثيروس أن أن يخدع هرقل بأكلة شهية أعدها له فضمه إلى جانبه ، وكان هرقل يسيطر على صاحبه تريبول الجاهل البربرى التفتاف، وبذلك أصبحت الأغلبية فى جانب بيثيروس ، وغلب نبتيون على أمره ، وعقدت معاهدة بين الفريقين فاز فيها بيثيروس بأقصى ما كان يصبو إليه من تفوق وسيطرة ، فقد رضى سيد الأولمب — زيوس الكبير المتعال ! — أن ينزل طائعاً مختاراً عن صولجان ملك الدنيا (الأرض) إلى الأبد لأيوبس الهدهد ملك الطير كما قبل أن يزوج ابنته الخالدة الفتانة (باسيليا [1]) لبيثيروس

وفى الكوميديا شخصيات مضحكة أخرى لا يتسع هذا للملخص السريع لعرضها . وأهم ما يلفت النظر تعقيباً على ملهاة الطير هو روح الإلحاد والسخرية بالآلهة الشائعين فيها ، وهو روح عجيب يدلنا على ما بلغته أثينا من الحرية الفكرية والتحلل من ربقة دينها الأسطورى بحيث لم يتحرج أرستوفان من الشعبذة على أرباب الأولمب إلى هذا الحد المضحك

ثم فرغ أرستوفان لفخر شعراء التوأم ، بل لفخر أثينا القديمة ، يوريبيدز العظيم ، فنال منه ما لم ينل منه شيء آخر ، وشعبذ عليه شعبذات أضحكت خصومه حيث ألف فيه ملهاته الفاجرة الشنيعة الـ (Thesmophoriazusae) ، أو محاكمة يوريبيدز كما يسميها المتأخرون والاسم مشتق من Thesmophoria (ثسموفوريا) وهو عيد من أعياد اليونان القديمة كانت السيدات يقمنه فى أكتوبر من كل سنة تقديساً لربة الزراعة والمدنية سيرس (أودمتير) ، ولم يكن يسمح للرجال ولا للذكور بوجه عام فى حضوره ... وقد ألفها سنة ٤١١ أي فى نفس السنة التى ألف فيها الليسيستراتا ، ولذلك جاء فيها أثر من سابقتها ...

نمى إلى يوريبيدز أن الأثينيات المحتفلات بعيد سيرس فى الـ(ثسموفوريا) سيثرن قضيته معهن لطول ما شن عليهن الغارة فى دراماته ولجرأته على الجنس اللطيف بإبرازه على المسرح ، وتناول ما لم يكن ينبغى تناوله من أسراره أمام الناس . وخوضه فى شئون الحب والعشق والغرام المحرم من غير ما تورع ولا استحياء ولا مراعاة للعرف ، ولا إبقاء على سنن السلف الصالح . وبلغه أيضاً أنهن سيصدرن عليه حكماً صارماً عسى أن يكون له فيه مرتدع ... خاف يوريبيدز واشتدت خشيته ووقع فى حيص بيص (!!) ، ولم يدر ماذا يصنع ؛ ثم بدا له أن يستعين بشاعر مخنث (!!) جميل الطلعة مشرق المحيا يمكن أن يتنكر فى زى النساء ، ويذهب إلى ال (ثسموفوريا) ويختلط بالنساء حتى إذا شرعن فى فحص قضية يوريبيدز تولى هو الدفاع عنه بكل ما أوتى من ذلاقة ورشاقة وبيان ... لكن الشاعر أجاثون رفض ما يعرضه عليه يوريبيدز من وجوه الإغراء والإغواء فيضرب يوريبيدز أخماساً لأسداس ، ثم يبدو له فجأة أن يذهب إلى والد زوجته (حميه) — منسيلوخوس — فيرجوه أن يتنكر هو فى زى امرأة ثم ينطلق إلى مكان الاحتفال فيتولى الدفاع عن زوج ابنته وإلا وقعت الواقعة وحاقت به البلايا ... ويقبل حموه ، ثم يذهب إلى الـ (ثسموفوريا) وما يكاد يتكلم حتى يشك النساء فى أمره ، حتى إذا تضاعف ريبهن هجمن عليه واكتشفن أنه رجل وأنه حمو يوريبيدز ... ويسقط فى يد الرجل ، ويهرب منهن لائذاً بالذبح ، حتى إذا ضيقن عليه الخناق وأوشكن يبطشن به انقض على أحد أطفالهن فاحتمله بكلتا يديه وراح يهددهن بقتل الغلام إذا مسسنه بسوء ... ويختلط حابل النساء بنابلهن ، ثم يكتشفن أن الذى يحمله الرجل ليس غلاماً ،

(1) تمثل باسيليا المملكة أو الملك

بل هو دن خمر يغطى بثوب ، فيثرن من جديد ويوشكن أن يؤمن به ... وهنا يظهر يوريبيدز نفسه ولكن متنكراً في أشكال شتى ، فتارة يبدو كأنه منالوس حينما يكتشف أمر زوجته هيلين في مصر ؟ ثم يبدو في صورة الفتاة إيخو (الصدى) وهي تساعد الفتاة أندروميدا المصفدة في حَيْد الجبل ... ويبدو مرة ثالثة في شكل برسيوس وهو يفك أصفاد أندروميدا ... ثم يفلح يوريبيدز آخر الأمر في إطلاق سراح حميه بعد أن نجح النساء في تصفيده في قفص المجرمين ، وذلك باتخاذه صورة قوادة (هكذا !!) وذهابه مباشرة إلى الضابط الذي عهد إليه بالرجل ليحرسه ... وتأخذ القوادة في الرقص وهز الردف والأداء والابتسامات الخليعة الفاجرة حتى تزلزل فؤاد الضابط وتنويه فيطلق سراح منسيلوخوس(1)

هذه هي الكوميديا الشائنة التي طعن بها أرستوفان خصمه العظيم يوريبيدز ، وقد حاول فيها استعمال طرائق شاعر الدرام الكبير ووسائله في التعبير والأداء . وقد استطاع بها أن يثير حنق يوريبيدز وأن يحيل بقاءه في أثينا إلى مرارة وتلدد وبرم بالناس وبالحياة ... وقد ألف أرستوفان في خصمه غير هذه الملهاة شيئاً كثيراً ضاع أكثره لحسن حظ الأدب — أو لسوئه ، لاندرى ! — فلما مات يوريبيدز سنة ٤٠٦ ق . م ، ألف أرستوفان ملهاته الخالدة (الضفدع) سنة ٤٠٥ التي تسمو إلى أفق (الطير) والتي عرض فيها ألواناً جديدة من الخيال وجمال التصور ، وأطلق (لتفنّنه !) عنانه ، فاستحق التخليد برغم رجعيته وجهله أحياناً . . . وقد سبق أرستوفان في هذه الملهاة إلى ابتكار النقد الأدبي المبنى على القواعد والقوانين ، بل هو قد وضع الكثير من قواعد النقد في موازنته بين إسخيلوس ويوريبيدز في حوارها الشائق اللذيذ الذي اشترك فيه الإله باخوس

حزن الإله باخوس حزناً شديداً حين افتقد شعراء الدرام بعد سوفوكليس ويوريبيدز اللذين ماتا في عام واحد فلم يجد من يسد فراغهما ، ولذلك اعتزم الرحلة إلى الدار الآخرة (هيدز) كما صنع هرقل من قبل عسى أن يرد منها يوريبيدز كما رد هرقل ألستيس ؟ ويبدو باخوس في جلد أسد وقد تزيى بزى هرقل وحمل عصا غليظة مثل عصاه ، وإن يكن مع ذلك يبدو في صورة مخنثة كدأبه دائماً — ثم يكون إلى جانبه عبده — أو خادمه — إكسانثياس — وقد علا صهوة جحش وحمل على كتفه عكازة طويلة (شمروخاً !) علق فيها (مخلاته) وحقائبه وكل ما يلزم في مثل هذه الرحلة الطويلة الشاقة من زاد وماء ونحوهما ... وقد علق هذه الأشياء في طرف العكازة حتى (تحفظ الموازنة) معه ... ففي المشهد الأول الذي يشك المؤرخون في أن يكون كذلك (أي في أن يكون هو المشهد الأول لأن الملهاة غير مرتبة وقد ضاعت بعض جذاذات منها) نسمع أصواتاً من التنادر (التنبيط !) يتقاذف بها شعراء — أو شويعرون — يجتهد كل منهم أن ينال رضا النظارة بإتقان التهريج وإجادة (التنكيت !) وقد وقف بينهم باخوس — بوصفه حامي مسرح الدرام ! — كالصنم لا يحير .. ثم ينتهي المشهد بنقاش سوفسطائي بين باخوس وخادمه ... ويهبطان إلى هيدز ، ويفتن أرستوفان في إنهاض الموتى لتكلم الزائرين ، ثم يأتي أروع مشاهد الملهاة وهو هذا الحوار الأدبي الرائع بين إسخيلوس ويوريبيدز من حيث منهاج كل منهما في الشعر ووجهة نظره في الأدب — وهنا لا يستطيع أرستوفان إخفاء غله على يوريبيدز ، بل يختم المشهد بنصرة إسخيلوس (الذي كان يمثل الفضيلة الأثينية والرجولة اليونانية ، والشجاعة والإقدام ... لا هذا الأحمق يوريبيدز الذي هو سبب فساد روح العصر ، وأصل خراب الأخلاق !) ... ثم تنتهي الملهاة بطرد يوريبيدز ليستقر في مثواه السحيق من هيدز وقد رهقت وجهه قترة !

والمدهش في هـذه الملهاة العجيبة هو قيامها على النقد الأدبي البحت ، وهو وإن يكن نقداً بدائياً إلا أن المعارضات التي أتحفنا بها أرستوفان تجعلنا نعجب كيف كان الجمهور الأثيني في هذا العصر يستسيغ مثل هذا الحوار الذي هو فوق أفهامه ، بل يضحك له ويغرق في الضحك! ثم كيف يحدث هذا ، وقد كانت أثينا على شفا الهاوية؟ ألم تدخلها جيوش اسبرطة بعد هذه الملهاة بسنة واحدة ؟ !

إن ضحك الأثينيين هكذا على نخر شعرائهم يوريبيدز هو آية انحلالهم وانقضاء دولتهم ... وقد حصل !

دريني خشبة

(١) التلخيص عن ترجمة وم جيمس هيكي مجموعة ذات رقم ٥١٦

صفحة من حياة شاعر

عاشق ومجنون!...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كان اسمه جيرار دى نرفال ، وكان مولده فى باريس حيث الغيوم البواكى وحيث الجو المكفهر. أما أبوه فكان طبيباً فى الجيش، وأما أمه فكانت بنت بائع فقير . فنشأ فى قرية أودعه فيها أبوه ، بعد أن قضت أمه ، وأرسل إلى القتال . فنبت بين الحقول الواسعة، والسهول المتوثبة نحو الأفق البعيد . وطابت له الحيـاة فى هذه القرية التى لا تُسمع فيها الأصوات النابية تتعالى على جنبات السين ، ولا يُرى فيها فوران الناس بين الأحياء والشوارع ، وإنما تسمع فيها أصوات العجائز الخافتة ، وهن يتحدثن عن طرائف السحرة والجان ، ويرى فيها أسراب الغنم تقودها الفتيات والرعيان . وأحب الحياة فى القرية ، فأثر ذلك فى حياته . ثم خلّف القرية إلى باريس ليشدو فيها العلم . وما كاد يبلغ الثانية والعشرين حتى أخرج للناس طائفة من أشعاره . ثم قرأ « غوته » فكلف بكتبه ، وعزم على نقل « فوست » إلى الفرنسية . وسرعان ما نفذ ما عزم عليه ، فجاءت آية رائعة أعجب الناس بها كثيراً . فقدروا صاحبها ورمقوه . ودفعه هذا الظفر الذى سعى إليه مذ سلك طريق الأدب إلى انتخاب قطع من شعر « رونسار » وأخرى من أشعار « غوته » و« شيلر » ليقدمها إلى الناس . ثم انكب على الشعر يقرأه وينظمه ووجد أن حياة الأديب ، وما فيها من كسل وما فيها من أحلام ، قد صادفت من نفسه هوى، فهو لا يصلح بعد اليوم إلا لها. فقد كان له مزاج الأديب وإحساس الشاعر . وكان كما يقولون عنه دقيق الفكر رهيف الحس واسع الخيال ، يسكن إلى الأحلام ، ويقضى ساعات من نهاره وساعات يفتش عن حلم يرضى عنه . ويظهر لنا من أشعاره أنه كان يجد فى الأوهام راحة لنفسه . . . فهو لا ينفك يتوهم ويتوهم . فهو يصف لنا ، كيف يستشف أشباح الجان من وراء الغيوم ... فيصيخ بسمعه إلى عزيفهم المبهم تارة والمخيف طوراً ... يراسلونه مع زفيف الريح الثائرة . ويراهم مختبئين بين طيات السحاب ... فيناديهم ، فيأتون سراعاً يحيطون به ... يكلمونه قليلاً ويحدثهم قليلاً . ثم إنه ليتمثل نفسه طائراً ... يقفوه نفر من الجن ، يسرح معهم فى الفضاء حتى يصل إلى السماء، فينظر إلى الأرض الخاضعة تحت قدميه ، أو يتمثل نفسـه حيناً آخر هابطاً إلى سيف البحار ليستجم قليلاً ، ثم ليهبط إلى قرارة البحار فيرى الحيتان والأسماك ، ويزور أميرات الجن فى قصورهن المتلألئة فى قاع البحار

وكان لا بد له وهو فى مثل هـذا الحس الرهيف والخيال العميق والسن الباكرة أن يحب ويعشق . ولقد أحب ؛ ولـكن حبه كان لوناً من الحب لم يكن للناس به عهد من قبل . فإن فيه كثيراً من الطرافة التى تعجب ، والفكاهة التى تُطرب . فهو لم يعشق فتاة رآها فى الشارع أو الطريق ، ولا لقيها فى الحقل أو عند النبع ، وإنما عشق فتاة رآها فى حُلُمه . فلقد مسّ الكرى أجفانه ذات ليلة مساً رقيقاً أنساه نفسه ودنياه : « هأنذا فى قصر « مورتو فونتين » أرتع بين رياضه ، والقمر الساجى يرسل أشعته فتهوى فاترة كليلة ... تضىء القصر ذا الجبهة الحمراء ثم تختفى بين أزهار الزيزفون . وفجاءة تبدو فتيات حسان ... يرقصن على النغم ، ويغنين الأغاريد؛ وكنت وحيداً فحدقت فيهن ورأيت فتاة شقراء ناعمة الشباب غضـة الجمال قد اكتنفنها وأخذن يتمايلن معها . سمعتهن يناديها : تعالى يا أدريان ! فملكت علىّ فؤادى ؛ وأقبلن نحوى فرقصن . ها هى ذى بين ذراعىّ ... أرقص معها . لقد سمعت من يهمس فى أذنى أنْ قبلها ولا تخف فهى لك . فضممتها إلىّ وقبلتها ، ثم جلسنا حولها لتغنى لنا . فغنت بصوتها العذب الحلو أغرودة من أغاريد الأقدمين تفيض بالحزن ، وتفيض بالسحر ، فيها قصة تلك الأميرة التى أودعوها البرج الشاهق .. لأنها أحبّت فتى غرانقاً

« وكانت الفتاة الشقراء تغنى فتنحنى الأشجار ، وتأتى أشعة القمر ترقص حواليها فتحفها بنور يبهر الأبصار ويعشيها . وغفلنا عن الليل ، وحسبنا أننا فى جنة عدن ، فقمت إلى غصن من الغار لأضعه على رأسها ، ولـكنها قامت تتثنى وتلهو ... ثم اختفت بين الخمائل عن أبصارنا ... وتلاشى صوتها ... ونأى طيفها ، ولـكن صورتها ما تزال فى نفسى لا تغادرها بعد أن تغلبت على كل صورة[١] »

(١) من قطعة له اسمها « أدريان »

تلك قصة حبه ، ولقد كان وفياً لهذا الطيف الذى قبله وراءه واعتقد أنه راجع إليه لا محالة ... فسماه « زهرة الليل التى تفتحت تحت أشعة القمر الشاحب » وسماه « الطيف الوردى الأشقر الذى اختفى بين الأعشاب ، والتف بالسحاب » .

وفكر شاعرنا طويلاً فى زهرة الليل ، فانكب على السحر وما يمت إليه بسبب يدرسه ويقرأ أصوله كأنما أراد أن يسخره لإحضار أدريان . وكان يسمع عن الشرق أقاصيص حلوة طربت لها نفسه ورضى عنها هواه ، فتمنى لو زار تلك البلاد التى هبطت إليها الأحلام ، ورتعت بين جنباتها الأوهام ، فيدرك ما فيها من أمور يحيط بها الغموض والخفاء . وخيل إليه أن أدريان هى بلقيس صاحبة العرش العظيم ، أتت إلى القصر الأحمر لتهمس فى أذنه أسرار الدنيا وتدله على طريق الخلود

ويذكر لنا من كتب عنه أنه كان يعتقد فى تقمص الأرواح ، وأن نظرته إلى أدريان كانت نتيجة لذلك الرأى . ولقد أصبح هذا الرأى لديه يقيناً عندما قضى بين دروز سورية ردحاً من الزمن غير قصير . على أننا لا ننكر أن للمخدرات التى كان يقتل بها جسمه ويفنى نفسه أثراً فى إخلاده إلى ما أخلد إليه . والعجيب أن يعتقد بأن تلك الأوهام حقائق ، على حين يعتقد الناس أن الحقائق أوهام . وكان من خبره بعد ذلك أنه التقى ذات ليلة براقصة فى حانة بباريس لحسبها أدريان الحبيبة ، وبعث الهوى الأول وهاج الشوق القديم ، فقال فى نجواه لنفسه : لقد عادت إلى بعد أن اختفت بين الرياض . ولازم المقهى لا يغادره إلا لحاجة ليملى بصره من جمال هذه الراقصة التى تقمصتها روح أدريان . وكان يغمرها بأزاهيره التى كان يرسلها وعليها اسمه ... ملتمساً بذلك لنفسه وصلاً عندها ، قانعاً بالنظر دون الكلام . ولكنها ازورت عنه بعد أن رأت جنونه وعلقت فتى كان يغنى فتزوجت به

وزاد جنون شاعرنا عند ما تخطى الثلاثين ، فقد رأى فى إحدى الأماسى نجماً يضطرب فى السماء ، فضحك له وظن أنه بلقيس تناديه لتذهب به إلى الشرق . فأخذ يقهقه ويغنى ويقفز ويبكى ، وينزع أثوابه ويمد يديه نحو النجم المتلألئ منادياً تارة ومغرداً أخرى حتى مر به بعض من عرفه ، فأشفقوا عليه ورثوا لحاله وقادوه إلى الطبيب

وذهب ما ألم به بعد ثمانية شهور قضاها فى مصح للطبيب « بلانش » فعزم على الرحيل إلى الشرق . فترك باريس سنة ١٨٤٣ وكان له من العمر خمس وثلاثون سنة قاصداً جزيرة مالطة ، ثم رحل عنها إلى الاسكندرية فالقاهرة . فراعه منها آثار مدنيتها القديمة وعزها الخالى ، وأعجبه زى المصريين فتزيا به ، وحاول أن يتعلم العربية فلم يفلح . ثم ترك مصر قاصداً سورية ومعه جارية سوداء اسمها زينب

وجد شاعرنا فى سورية ضالة نفسه . فقد درس ما فيها من ديانات ، فأعجبته منها الدرزية . وزاد يقينه بالتقمص واعتقد أن بلقيس لا بد آتية إليه بعد أن فرت أدريان وأعرضت عنه جون[1] . ألم يجتمع ببلقيس فوق ثبج البحر على سفينة صنعت من الذهب ، ورصعت بالدر ، وحفت بها الجان ، فضمها إلى صدره وروى فمها الظمآن من قبلاته ؟

وعاد عقله إلى الاختلاط فترك بيروت إلى القسطنطينية فأقام بها زمناً ، يقول : « بلغت البوسفور ... فالتفت نحو مصر الجميلة فإذا هى وراء الأفق البعيد » .

« لقد ذكرت وطنى الذى تركته منذ شهور ، عند ما وطئت قدماى هذه الأرض الأوربية التى استولى عليها المسلمون . والتفت حوالى ... فإذا أنا أمام حلاق أرمنى يقص اللحى ... ويقدم القهوة . ورأيت جماً من الكلاب النائمة على الطريق . ولقيت شيخاً وقوراً يحمل عمته الكبيرة مستلقياً على العشب ... نائماً ملء عينيه ، يحلم بالجنة التى وعد الله عباده الصالحين » .

وعاد جيرار إلى باريس فكتب « مشاهد من الحياة الشرقية » أخرجها للناس بعد أربع سنوات . وما زال يتنقل بين السجون لجنونه والبلاد المجاورة ، برماً ببلده ومحيطه ، سائلاً ربه «ألا يبدل من حوادث الكون شيئاً ، وإنما يبدل ما يحيط به من الأشياء ليعيش وحيداً فى عالمه الجديد » مخرجاً للناس « ذكريات ونزهات » و « بنات النار » و « قصور بوهيميا الصغرى » حتى لقى مصرعه الذى كان يمشى نحوه ببطء منذ زمن طويل .

لقد ألحت عليه الأوهام واشتدت فى الإلحاح فأذعن لها ،

(١) كان اسم الراقصة التى أحبها : « جون كولون »

من العوائد المغربية الممتازة

سلطان الطلبـــة

بمناسبة تتويجه فى ربيع هذا العام

للأستاذ إدريس الكتانى

سيبدو هذا العنوان غريباً عن إخواننا فى الشرق . وليس عجيباً هذا ، فالمغرب نفسه — لا تاريخه فحسب — غريب فى نظر بعض الشرقيين عن الشرق . أما نحن هنا فليس منا من لا يعد المغرب قطعة من الشرق العربى ، وجزءاً لا يتجزأ من الجامعة الإسلامية الكبرى . فعسى أن يعمل إخواننا الشرقيون على هذا الاعتبار ، ويقلعوا عن تجاهلنا وتناسينا فى وقت نجعل نحن فيه الشرق — ومصر فى الطليعة — محط أنظارنا وكعبة معارفنا ؛ ونتطلع إليه كالمنحط فى أسفل الوادى يروم معرفة ما فوق الروابى التى تعلوه

عفا الله عنا وعنكم يا إخواننا المصريين ! كلانا مقصر نحو أخيه، ولكن ما عذركم أنتم — وقد أتيح لكم أكثر من ذى قبل — أن تقولوا وتعملوا عملاً صالحاً ، وأن تمدوا يد الإسعاف لهذا الشرق العانى فتوقظوه من غفوته ؟ إن اليد الضعيفة مع أختها يد قوية ، وهى مع أخواتها الضعيفات أشد وأقوى . قد والله نعقل كثيراً ولكننا لا نعمل إلا ونحن جهلاء ... عفا الله عنا ...

فى تاريخ الحياة العلمية بالمغرب الأقصى ما يجعل المغاربة دائماً يفخرون بأمجاد الأجداد ، ويعتزون بما خلفه ملوك العرب وأمراء الإسلام من المآثر الحميدة بهذه البلاد العربية الإسلامية . وفى الحق أن الدول التى تعاقبت على المغرب لا يخلو تاريخها من حسنات شتى فى مصالح البلاد العامة . وكم نجد لهم فى خصوص النواحى العلمية من اهتمام خاص بالعلم والعلماء والأدب والأدباء ؛ ولكن الذى يؤسف له حقاً أن الكتب التاريخية لا تزال حتى الآن موضوعة على الرفوف أو مدونة فى الخزائن تلعب بها الأيدى



جانب من موكب (سلطان الطلبة) وعلى الصورة إهداؤه إلى الرسالة بخطه

الجاهلة إذ تتركها غذاء للأرضة ، وملعباً للخنافس والعناكب

وليس يهمنا الآن أن نلم بجميع ما لتلك الدول من المفاخر الخاصة بنشر التعليم وتشجيع طلابه ، فهذا ما يملأ كتباً عدة ، وحسبنا من ذلك أن نأتى بوصف أحد تلك المظاهر (الممتازة) فهذه وحدها دليل ساطع على الشعور الكامن من قديم فى نفوس ملوكنا نحو بعث التعليم ونهضة الحياة العلمية . ويلاحظ على الخصوص فى هذه الظاهرة مبلغ تعمق ملوكنا فى فهم نفسية رعاياهم، وكيف ينفذون إلى قلوبهم فيملكون إحساسها بعبقريتهم الفذة ...

فى ربيع كل عام من بدء ثلاثة قرون مضت يقيم طلاب العلم بفاس ومراكش « سلطنة » رسمية لها أبهة السلطان وجلال الملك ، تدوم سبعة أيام ؛ ثم فى اليوم الثامن تتقوض وتنهار ويعود سلطان الطلبة بعد سلطنة أسبوع طالباً عادياً كما كان قبل أسبوع فقط !

واشتط فى الإذعان؛ وخيل إليه ذات ليلة أنه سياقى بلقيس، فكتب إلى صديق له : « لا تنتظرنى هذا المساء ؛ فإن الليل سيكون أسود أبيض » ثم هام على وجهه فى طرقات باريس ذاهلاً حتى انتهى به المسير إلى مكان فيه أقذار وأوساخ فطاب له الجلوس عنده . فلما وهن الليل سمع غراباً ينعق ... فحسب أنه رسول بلقيس الحبيبة إليه ، فناداه وحدثه . ثم قام إلى نافذة فربط بها حبلاً علقه فى عنقه ونادى : « هأنذا قادم إليك» وما هى إلا ساعات حتى فاضت روحه وانتهت مأساته بعد أن قضى سبعة وأربعين عاماً يقظان خالماً . . . وخلف لنا آثاراً مملوءة بالحسن من الوصف والفريد من المعانى .

صلاح الدين المنجد

هذه أدوار فكاهية طريفة تقوم بها الحكومة المغربية رسمياً في أواخر فصل الربيع من كل سنة، وهي عادة يلذ للسائح الأجنبي أن يشاهدها ويسجل شتى مظاهرها، وقد تسلسل العمل بها منذ القرن الحادي عشر دون أن يحدث ما يمنع سيرها المعتاد

والحديث عن هذه السلطنة تجره إلى أفواه الطلبة طلائع أيام نيسان التي تتفتح فيها الطبيعة عن أكمامها، وتبتسم الأغصان عن أزهارها، وتحلو الحياة لأبنائها

فإذا هجم نيسان نشوان طروباً يجر أثوابه الخضراء اليانعة، هب طلبة القرويين بفاس وطلبة الكلية اليوسفية بمراكش يطلبون من جلالة الملك الإذن لهم في إقامة سلطنتهم السنوية. وعند الترخيص لهم بذلك يجتمعون على انفراد بإحدى مدارسهم التي يسكنونها، ثم يقوم « مقدم » المدرسة منادياً ببيع « سلطنة الطلبة » بالمزاد العلني، ولكل طالب الحق في أن يبتاعها لنفسه ما دام يستطيع أن يزيد في ثمنها على غيره، فإذا انتهت فيها الرغائب ووقف ثمنها على طالب ما، سجل العدليان الشرعيان اللذان يحضران هذا المزاد هذا البيع على الطالب المشترى، ثم ينفض جمع الطلاب معلنين سلطانهم. أما ثمن هذه « السلطنة » فيتراوح غالباً بين ١٠٠٠٠ و ٥٠٠٠ فرنك. ويلاحظ أن شراءها خاص بالطلبة الغرباء عن البلد محظور على غيرهم. ولعل هذا الامتياز قصد إليه لترغيب أهالي البادية والحواضر النائية في ورود منهل العلم من كليتي القرويين وابن يوسف، وتشجيعهم عليه بإدخال أسباب الغبطة والانشراح إلى صدورهم

أما مهمة هذه « السلطنة » فهي قيام (سلطان الطلبة) على رأس رعاياه في موكب رسمي حافل، بنزهة على شط وادي الجواهر بضواحي فاس[1] وهذا الموكب في هيئته المؤلف منها صورة مصغرة لموكب صاحب الجلالة ملك المغرب مولاي محمد الخامس أيده الله

ويقوم « سلطان الطلبة » على أثر تعيينه بتأليف هيئة حكومته من نخبة أصدقائه الطلاب ومن بينهم وزير للمالية ومحتسب بارع في الهزل والنكات الفكاهية

وفي أول جمعة تلي ذلك ترسل الحكومة المغربية لسلطان الطلبة كسوة فاخرة وتقوم بتنظيم موكبه الرسمي. وعند الساعة الحادية عشرة يتحرك هذا الموكب من المدرسة التي يتفق أن سلطان الطلبة ساكن بها، فيركب هو جواداً مطهماً وترفع المظلة الملكية « الشمسية » فوق رأسه ومن حوله الحراب تحملها الشرطة، وتتقدمه موسيقى عسكرية ثم قواد (المشور) فرساناً حاملين السيوف، وتتلوه حاشيته وجمهور غفير من رعاياه الطلبة مشاة على الأرجل، ثم أصحاب الطبول والمزامير، ويحيط بالجميع من اليمين إلى الشمال سلسلتان من الشرطة والعسس ومقدمي الحارات، ويخترق الموكب الأزقة والشوارع سائراً بين أمواج صاخبة من الأهالي إلى أن يصل إلى جامع الأندلس فيؤدي السلطان به صلاة الجمعة. ثم يتابع الموكب سيره لزيارة ضريح السلطان الأعظم مؤسس عرش الدولة العلوية الشريفة المولى الرشيد سنة (١٠٤٠ — ١٠٨٣ هـ) بداخل قبة الشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم بمقبرة الغرباء خارج باب الفتوح، وهذا السلطان هو الذي سن للطلبة هذه « السلطنة » وحباهم بعطفه الكبير فهم يزورون ضريحه أولاً قياماً بواجب شكره وتذكاراً لعهده اللامع. وعند المساء بعد صلاة العصر يعود موكب « سلطان الطلبة » من حيث أتى بينا الوجوه تطفح بشراً، والنساء يملأن السطوح بزغاريدهن المازحة العابثة

وفي عشية اليوم التالي يخرج « سلطان الطلبة » في موكبه الرسمي كهيئته الأولى قاصداً إحدى ضواحي المدينة حيث ضربت خيام « دولة الطلبة » بسهول خضراء على ضفاف وادي الجواهر يتوسطها سرادق كبير لسلطان الطلبة وحاشيته. وتقدر هذه الخيام بنحو المائة غالباً خمسون منها للحكومة، وهذه خاصة بالطلبة تضم كل منها جماعة من بينهم، وباقي الخيام للأهالي الذين يلذ لهم أن يقضوا نزهتهم الربيعية بجوار « دولة الطلبة » التي تعيش أسبوعاً واحداً، وقد يرخص لها بزيادة أسبوع آخر.

وتقوم واردات الميزانية العامة لهذه « الدولة » المحدودة بالزمان والمكان من:

١ — ثمن « السلطنة » الذي يدفعه « سلطان الطلبة »

---

(١) ومثل هذا يكون بمدينة مراكش

على أن تتعهد له الحكومة فى مقابل ذلك بإجابة طلب يتقدم به إليها كإطلاق سراح مسجون له ، أو جعله موظفاً فى بعض الإدرات ونحو هذا .

٢ — الهدايا التى يقدمها جلالة الملك إلى الطلبة باسم سلطانهم ، وتتكون هـذه عادة من الأكباش وأكياس الحنطة وأكياس من السكر وغيرها ، ومن المال أيضاً .

٣ — الهدايا التى يتقدم بها الأهلون إليهم عن طيب نفس .

٤ — الضرائب التى يجبيها « سلطان الطلبة » من وجوه البلاد وتجارها بواسطة (ظهائر) موقعة بإمضائه والتى يؤديها هؤلاء بكل سرور .

٥ — (الذعائر) التى تجمع بواسطة «محتسب» سلطنتهم الماجن الذى يرتدى حلة فى شكل مضحك ، ويحمل فى عنقه سبحة من التين يلتهم منها الواحدة بعد الأخرى من حين إلى آخر ، ثم يتجول فى شوارع المدينة راكباً بغلة ، وواضعاً فى حجره صندوقاً مغلقاً يظل يملؤه — من ثقب فيه — بالفرنكات والريالات (كذعيرة) يفرضها على التجار والبقالين بزعم أنه وجـد فى مبيعاتهم غشاً يعاقب على ارتكابه

وفى خلال أسبوع هذه « السلطنة » ينصرف الطلاب جميعاً للمرح واللهو بقلوبهم وعقولهم معاً ، ويقبلون على حياة بعيدة عن حياة الجامعة فيها متعة النفس وصفاء الحديث وطرب القلب .

فإذا مضت ستة أيام وأقبل يوم الأربعاء ، تهيأت «أمة الطلبة» حكومة وشعباً لاستقبال جلالة الملك أو خليفته — إن لم يكن هو فى البلد — الذى يشرف مملكتهم الصغيرة فى موكب عظيم ليقدم لهم هداياه الخاصة ، وفى العشية ينتظر « سلطان الطلبة » مع هيئة حكومته سلطان المغرب الفدى؛ حتى إذا لاح موكبه عن قرب ترجل الأول عن فرســه . وتقدم إلى السلطان الأعظم مطأطئاً رأسه، فيقبل يده الكريمة ، ويرفع إليه الكتاب المتضمن طلبه الخاص الذى يؤمل من جلالته الأمر بتنفيذه ، ثم يرجع إلى الوراء فيركب فرسه ، ويتقدم إلى أن يقف قريباً منه

وهنا تتمثل لنا الديمقراطية الحق فى ملوكنا الذين ورثوها كابراً عن كابر . ففى هـذه الساعة يتنازل « سلطان المملكة الشريفة » فيتحدث إلى « سلطان الطلبة » بكل تواضع حديثاً تمليه العاطفة ، وتوحيه الرغبة الصادقة فى بعث النهضة العلمية .

وفوق ذلك يتنازل لسماع حديث دعابة ومزاح ممتع من محتسب سلطان الطلبة الحاذق فى الفكاهة والمجون .. فإن هذا يتقدم من جلالة الملك ويخاطبه بصوت جهورى أمام ألوف من الناس بنحو قوله : كيف استطعت وأنت ملك كسائر الملوك العاديين أن تقف بجانب أكبر ملك فى الدنيا تخضع لأوامره ملايين من القمـل والذباب والضفادع والبراغيث وغيرها من الهوام والحشرات ؟ فيرد عليه جلالة الملك بنكتة رقيقة تمثل سمو الهزل عند الملوك ، ويسارع سلطان الطلبة فيعرب عن قبوله لجلالته ضيفاً فى مملكته ويرحب به باسم أمته أكبر الترحيب . ثم يقوم المحتسب الماجن فيلقى أمام السلطانين ورعاياها خطبتين ضاحكتين عابثتين فى الإشادة « بالزردة » والتنويه بالأطعمة الفاخرة

وعند الفراغ من هذه المظاهرة الرائعة يستأذن جلالة الملك من سلطان الطلبة فى الرجوع فيأذن له بعد أداء الاحترام الواجب ويعود جلالته فى موكبه الفخم إلى قصره العامر

وفى الجمعة التالية يقوم سلطان الطلبة فى موكبه بأداء صلاة الجمعة فى جامع أبي الجنود ، ثم يرجع لمقر دولته التى لا يبقى على انهيارها إلا يوم واحد. ففى مساء اليوم التالى يكون الطلبة على أهبة الرجوع لمدارسهم حيث تستأنف الدراسة بالكلية صباح يوم الأحد

ويدهشك بل يغريك بالضحك الذى لا تملك معه نفسك أن تجد الطلاب صباح يوم السبت يبحثون عن سلطانهم فلا يجدونه. لقد فرَّ ليلة هذا اليوم مختفياً بين غضون ظلامها القاتم خوف أن يصبح على أبواب ثورة عامة من رعيته التى يلذ لها أن تنقض عليه يوم انتهاء سلطنته حتى لا يدخل إلى نفسه شيطانها فيوهمها أنه حقاً « سلطان الطلبة » وأن واجباً عليهم أن يخضعوا له ويقروا بسلطانه عليهم

هذه هى الرواية التمثيلية التى ألفها السلطان « مولاى الرشيد » لطلبة العلم وبثهم على تمثيلها بأنفسهم كل سنة على مسرح الحياة لكى يعطيهم درساً عملياً فى التدريب والتمرن على أن يكونوا

رجالاً أكفاء مقتدرين لهم ما للناس في الحياة من حق

وفى ظنى أنه لو كان معروفاً لدى حكومتنا الماضية نظام الكشافة الحديث ، لما جعلوا غير الفرق الكشفية مع موسيقاها العذبة جنداً وحراساً لموكب « سلطان الطلبة » حرصاً على أن يكون المظهر طالبياً بحتاً ، يمثل أمة فى الطلبة بسلطانها ، وجندها وموسيقاها ، وفى هذا وحده من الروعة والمظهر الجذاب ما يشوق الأبناء إلى التعلم ويبعث الآباء على تشجيعهم عليه بالبذل والسخاء . أما الآن ، فالمستقبل كفيل بأن يكون هذا وأكثر من هذا . وعسى أن ينتبه الطلبة من الآن إلى هذه النقطة الدقيقة فيؤلفوا من بينهم فرقاً كشفية تقوم بهذه المهمة ، فوق أنها تكون عضواً عاملاً فى النهضة المغربية الحديثة .

هذه رواية ناطقة أتينا على وصفها معتمدين على ما شاهدناه ، وسمعناه ، لا على ما قرأناه . فإن تاريخ نشوء هذه « السلطنة » والأسباب التى دعت إليها ووصف مناظرها ومظاهرها المتنوعة ، كل هذا طواه الزمن فى مهملات التاريخ. وما أكثر ما أهمله التاريخ وليت شعرى ما الذى حدا بالمؤرخين المغاربة إلى عدم الاكتراث بهذه المنقبة الخالدة ؟ أكبر الظن عندى أن هؤلاء اطمأنوا إلى بقائها وخلودها مشاهدة أكثر من اطمئنانهم إلى بقاء مؤلفاتهم التاريخية فاعتمدوا على ذلك ولم يكتبوا ومن يدرى؟ فلعلهم كتبوا وأضعنا نحن فجهلنا ، وأيّاً كان الأمر فإن اطمئنانهم إلى بقاء « سلطانة الطلبة » قد صدق وسيبقى صادقاً إلى الأبد. ولا أنكر فهنالك فى بعض الكتب لمحة برقية وعلى الأفواه أسطورة تاريخية وعندى أطروفة فكاهية، فإذا سنحت الفرصة فسأقص خرافتى وإلى اللقاء يا قرائى وقارئاتى فى الشرق الحبيب

« فاس — المغرب » إدريس الكتانى

في بلاط الخلفاء

بين الشعبي وعبد الملك

للأستاذ علي الجندي

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

أقبل الخليفة على رجل جالس بين يديه يرتدي جبة[1] خز قد ابيض شعر رأسه ولحيته، وتدلى من عنقه صليب ذهب، ورائحة الخمر تنفح من عارضيه! فقال له: ويحك! من أشعر الناس؟ فأجاب الرجل — وفي صوته رنة الزهو والخيلة والثقة بالنفس — أنا يا أمير المؤمنين

ولم يكد الشعبي يسمع هذه الكلمة حتى تمعّر وجهه ودارت به الأرض، فذهل للمرة الثانية عن آداب السلوك في حضرة الملوك، فصاح بصوت يقطر غيظاً: من هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس؟

ما كان أغنى الشعبي عن هذا السؤال لو أنه روّى في الأمر قليلاً! ترى من يكون هذا الجالس بين يدي الخليفة جلسة الصديق المدلّ بمكانته غير أمدح مدّاح الإسلام، وأدب أدباء النصرانية، ولسان تغلب ابنة وائل ومدره ربيعة، والمنافح عن البيت الأموي وشاعر أمير المؤمنين أبو مالك الأخطل؟

لم يستطع عبد الملك أن يكتم استحبابه من عجلة الشعبي بالسؤال وجهله بشاعره الفذ وجرأته عليه! ولكنه تكلف الحلم ورمى الشعبي بنظرة نفذت إلى أعماقه قائلاً: يا شعبي، هذا شاعرنا الأخطل

وكان ما حدث كافياً أن يرد الشعبي إلى صوابه ويفثأ من غضبه على الأخطل، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، فولى وجهه شطره — زاوياً ما بين عينيه — وهتف: يا أخطل، أشعر منك الذي يقول:

هذا غلام[2] حسنٌ وجهُه مُقتبل الخير سريع التمام

للحارث الأكبر والحارث الأصـ ـغر، والحارثُ خير الأنام

ثم هند آباؤهم ما هم، هُمُو خير من يشرب صوب الغمام

وكان عبد الملك أعجبته هذه الأبيات فسرّي عنه وقال: ردّدها عليّ. فردّدها الشعبي عليه حتى حفظها

نال هذا التحدّي من الأخطل وشعر بالصغار والضعة، فسح بيده على جبينه الندي وقال في غمغمة الضجير: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال عبد الملك على أحد جانبيه قائلاً: هذا الشعبي فقيه العراق. فزمّ الأخطل بأنفه وأرسل نفساً عميقاً وقال: أمير المؤمنين — حفظه الله — إنما سألني عن أشعر أهل زمانه، ولو قد سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت

وهمّ الشعبي أن يتكلم فقاطعه عبد الملك بالسؤال عن حاله — وقد شغل بالحوار عن ذلك — فقال: إني بخير يا أمير المؤمنين ومضى يتأتى في صوغ المعاذير عما كان من خلافه على الحجاج وخروجه مع ابن الأشعث

وكان عبد الملك نبيلاً حقاً فابتدر قائلاً: مهْ يا شعبي فإنا لا نحتاج إلى هذا المنطق، ولست تراه منا في قول ولا فعل حتى نفترق! وأراد أن يزيد في طمأنينته فغير وجهة الحديث قائلاً: ما تقول في النابغة؟ فقال الشعبي: إن عمر بن الخطاب قد حكم له بالسبق في غير موطن على الشعراء. وذلك أنه خرج يوماً — وببابه وفد غطفان — فقال: يا معشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا: النابغة. قال: فأيكم الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا: النابغة. قال: فأيكم الذي يقول:

إلى ابن محرّق[1] أعملت رحلي وراحلتي وقد هدت العيون

أتيتك عارياً، خلقاً ثيابي على خوف تظنّ بي الظنون

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة قال هذا أشعر شعرائكم

(١) تراجم الأخطل في الأغاني وغيرها

(٢) الأبيات للنابغة الذبياني

(١) عدح النعمان بن المنذر

ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال : أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعرَ أحد من العرب ، أو تحب أنك قلته؟ قال : لا ، والله ، إلا أني قد وددت أني قلت أبياتاً قالها رجل منا ، كان والله مُغْدِف(١) القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ! قال عبد الملك : وماذا قاله ؟ فأنشده الأخطل القصيدة :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

حتى وصل إلى قوله :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقبل أن يسمع الشعبي رأى عبد الملك فى الشعر ، هتف بالأخطل فى لهجة المتهكم الساخر : تالله لقد قال القطامى أحسن من هذا ! فأدنى عبد الملك تفاحة إلى أنفه فشمها ، ثم قال : وماذا قال القطامى؟ فأنشده الشعبي :

طرقتْ جَنُوبُ(٢) رحالنا من مطرق

ما كنت أحسبه قريب المعنق

ومر فى القصيدة إلى قوله :

وإذا يصيبك — والحوادث جمة —

حدثٌ ، حداك إلى أخيك الأوثق

ليت الهموم عن الفؤاد تفرقت وخلا التكلم للسان المطلق

فترنح عبد الملك طرباً إلى الشعر وإعجاباً به ! وصاح : ثكلت القطامى(٣) أمه ! هذا — والله — الشعر !

ونظر عبد الملك إلى الأخطل ، فإذا هو كالمغشى عليه من الموت فأخذته الحمية لشاعره ، وداخلته الشفقة عليه ، فقال ينعش نفسه ويشد منها : ما أشعرك يا أخطل حين تقول فى وصف الخمر

وتظل تنصفنا(٤) بها قروية إبريقها برقاعه ملثوم

فإذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم

لم يخف على الأخطل ما أراده الخليفة ، فألقى على وجهه نظرة ملؤها الغبطة والرضاء ، ثم عطف على الشعبي — والزهو يعبث بعطفيه — فقال : أسمعت بمثل هذا يا فقيه العراق؟ !

فتربع الشعبي فى مجلسه ، وتنحنح ، وأمر يده على لحيته إمراراً خفيفاً ، ثم صاح فى وجه الأخطل : بعض مجبك ! فأشعر منك والله الذى يقول :

وأدكن(١) عاتق جحل ربحل

صبحت براحه شرباً كراما

من اللائى حملن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما

فقال الأخطل : ويحك ! ومن يقول هذا ؟ قال الشعبي : يقوله شيخك أعشى قيس . فصاح الأخطل كمن أصابه مس : قدوس ، قدوس ! !

ولم يسع عبد الملك إلا أن يحكم للأعشى على الأخطل : إذ هناك بون بعيد بين خمر يشمها المزكوم ، وخمر تستل منه الزكام ! وهنا يشعر الأخطل بالخطر المحدق به ، ويرى أن ريحه قد لاقت إعصاراً ! وأنه رمى من هذا العراقى الدخيل بالداهية النكراء ! لقد استطاع أن يسدد إليه سهاماً قاتلة فى جلسة واحدة ! فما الظن به إذا تطاولت المدة وتراخت الأيام ؟ ! إنه لا محالة سيغلبه على مكانته من الخليفة ، وسيسحب عليه ذيل الخمول ! فتنبهت فى نفسه غريزة المقاومة التى أرهفها طول النضال بينه وبين جرير وغيره فى ميدان المهارة ! فورم أنفه وانتفخت أوداجه ، وانتفشت لحيته ، ودارت عيناه فى رأسه كأنهما جذوتان ساعرتان ! وفغرفاه يدير فيه لساناً كأنه لسان ثور ! واتجه إلى الشعبي هاتفاً بصوت فيه مشابه من هدير البعير المغتلم : إسمع يا شعبي ، إن لك فنوناً فى الحديث وشجوناً فى المحاضرة ، وإن لنا طريقاً واحداً لا نحسن غيره ، ولست إخالك غير ثانٍ من عنانك حتى تحملنى على أكتاف قومك فأدعهم حرضاً ! !

فعلت هذه الكلمات النارية أفاعيلها فى الشعبي ! فمثله لا ينكر صولة هذا التغلبى الذى لم يتورع عن هجاء الأنصار ! ويعرف أن أبياتاً من هجائه الممض الخبيث قد ترمى بقومه من حالق وتجللهم عار الأبد ! فيكون أشأم همدانى على همدان !

ولم يكد يتمثل الشعبي سوء هذه المغبة حتى ذابت حماسته فقبع فى مكانه كالقنفذ المتخشب ! وساورته الرعدة من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ! فالتفت إلى الأخطل ضارعاً يقول : أقلنى

(١) مظلم (٢) اسم امرأة (٣) يقصد التعجب منه لا الدعاء عليه (٤) تخدمنا وتسقينا

(١) يصف زقاً من زقاق الخمر بالدكنة والاتساع والعظم

هذه المرة يا أبا مالك ! ولك عليّ عهد الله وميثاقه ألا أعود لمثلها أبداً !

وأحسّ الأخطل نشوة الظفر ! فقال (ماطّاً صوته) : ومن يضمن لى ذلك أيها الشيخ ؟ فرفع الشعبي إلى عبد الملك عينين منكسرتين متوسّلتين قائلاً : أميرُ المؤمنين

فضحك عبد الملك حتى بدت له سِنّ سوداء كان يسترها ! وقال : أنا ضامن يا أخطل ألاّ يعرض لك بشيء بعد هذا !

فقال الأخطل : وأنا قد صفحت عنه يا أمير المؤمنين !

وأراد عبد الملك أن يصل ما انقطع من الحديث فقال : ياشعبي أى شعراء الجاهلية أشعر من النساء ؟ فقال الشعبي : الخنساء . قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قال : لقولها فى أخيها صخر :

وقائلةٍ (والنعشُ قد فات خطوَها
لتدركه) : يا لهف نفسي على صخرِ
ألا ثكلت أمُّ الذين غدوا به
إلى القبر ! ماذا يحملون إلى القبر ؟ !

فقال عبد الملك : أشعر منها — والله — ليلى الأخيلية حيث تقول فى توبة :

مهفهف الكَشْحِ والسربال مُنْخرق
عنه القميصُ لسير الليل مُحتقِر
لا يأمن الناس مُمْساه ومُصْبحه
فى كل حيّ (وإن لم يَغْزُ) يُنتظر

كان لكلام عبد الملك أثر عميق فى نفس الشعبي ، فانخزل انخزالاً شديداً وكَسَف باله ! لقد انتصر على شاعر الخليفة ولكنّ الخليفة لم يُعتّم أن أخذ له بالثأر المُنيم ! وقرأ عبد الملك فى وجه الشعبي ما يعتلج فى صدره من ألم بَرِّح ! فقال : ياشعبي لعله قد شقّ عليك ما سمعت ! فقال : إى والله أشدّ المشقّة ! إننى لم أُفِدْك إلا أبيات النابغة (هذا غلام حسن وجهه . . .) وقد أفدتنى أفضل منها

فقال عبد الملك : ياشعبي ، إنما أعلمناك هذا ، لأنه بلغنى أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق منهم !

ثم جعل عبد الملك يردد على الشعبي أبيات ليلى حتى حفظها ، فألقى المخصرة من يده — وهى إمارة[١] الإذن بالانصراف — فنهض الشعبي مودعاً

وخطر لعبد الملك أن ينتفع (بدبلوماسية) الشعبي ، فأوفده[٢] إلى ملك الروم . قال الشعبي : فلما دخلت عليه جعل لا يسألنى عن شيء إلا أجبته ، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة فأمسكنى عنده أياماً . فحين أردت الانصراف قال لى : أمن بيت المملكة أنت ؟ قلت : لا ، ولكنني رجل من العرب ... فدفع إلىّ رقعة خاصة وقال : إذا أدّيت الرسائل إلى صاحبك فسلمها إليه . فلما رجعت إلى عبد الملك ، دفعت إليه الرسائل ونسيت الرقعة ، ثم تذكرت بعد خروجي من الباب فكررت راجعاً ودفعتها إليه . فقال لى : هل قال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك ؟ قلت : نعم ، سألنى : أمن بيت المملكة أنت ؟ فقلت : لا، ولكنني من العرب . ثم خرجت فما وصلت الباب حتى ردنى إليه فقال : أتدرى ما فى الرقعة ؟ قلت : لا . فنبذها إلىّ وقال : اقرأها . فقرأتها ؛ فإذا فيها : عجبت لقوم فيهم مثل هذا كيف ملّكوا غيره ؟ ! فاحتدمت غيظاً ، وصحت محرجاً : يا أمير المؤمنين ، والله لو علمت ما فيها ما حملتها ! وإنما قال هذا ، لأنه لم يرَ أمير المؤمنين ! فضحك عبد الملك وقال : أتدرى لم كتبها ؟ قلت : لا . قال : حسدنى عليك فأراد أن يغرينى بقتلك ! ولكن خاب فأله ! فاذهب لا بأس عليك !

وقد نبل الشعبي فى عين عبد الملك وجلت مكانته ، فبالغ فى إكرامه وتقريبه منه ، حتى كان أول من يدخل إليه وآخر من يفارقه ! وصفوة القول : أن الشعبي فى دولة عبد الملك هو الأصمعي فى دولة الرشيد .

على الجندى

(١) التاج (٢) ثمرات الأوراق ج — ١

رأيي في الرجـــال

للكاتبة الإنجليزية « أرسولا بلوم »
بقلم الآنسة الفاضلة « الزهرة »

إني أميــل إلى الرجال وأختصهم بمودتي ، فوق ما أختص السيدات ، لأني – بعد استثناء حالات فردية قليلة – أجد أنهم يمتازون عنهن بالحصافة وبُعْد مراد الفكر ، وصدق النزعة . كما أنهم أرحب منهن صدوراً ، وأبسط خليقة ، وأسمح عطفاً ، وأسرعها فيئة ، وأقدر على رد مُغرام النصب ، واحتمال الإساءة .

وفي إمكانك أن تتشاجر مع رجل وتصارحه بما تراه فيه حقاً وتلمصه وتموّج فلك عليه ، وبعد مضى عشر دقائق تعودان إلى مألوفكما من المصافاة والموالاة . ولكنك لا تستطيع شيئاً من ذلك مع سيدة ، لأنها تذكر على الدوام اللوم الذي كالحتها به مرة ، وقد يندمل جرحها منه ويلتئم في الظاهر ، إلا أنه يلتحم على نَغَل ويلترق على غُبْرة ، ولأقل لمسة ينزف ويعجّ دماً .

والرجل يقول ما يقصد ويتمسك به . أما المرأة فلا تعرف على الدوام ما تقصد ، ولذلك لا تستطيع التزامه ، أو التمسك به . فقد تقول الأم لطفلها الملحاح : « لا يا حبيبي يجب ألا تمتطى غارب تلك الأرجوحة المعلقة فيما بعيــد » . ولكنها لا تجد مفراً من الانصياع له ، والنزول على رغبته تحت ضغط تماديه في اللجاجة . فترافقه إلى الأرجوحة مرة أخرى . أما الأب فيقول : « إسمع ! دعنا من هذه الأرجوحة وتعال بنا نعود إلى البيت » .

وإنك لتعرف المسلك النهج الذي ترده ، والشرع الواضح الذي تقصده مع الرجل ، ولكنك لا تعرف متوجهك مع المرأة ، لأنها هي نفسها ، لا تعرف لها متجهاً ظاهر المنار . وإنك لتجد في الرجل رفيقاً صالحاً ، وصفياً ودوداً ، وخدينا مخالصاً . . .

وإذا كنت في حاجة إلى مناصحته ، فإنك تلقى فيه مشيراً صادق الضمير ، يتحرى لك وجوه النصح ، وينصّب لك ما يهديك إلى عواقب أمرك ، ويبصرك مواقع رشدك ، ولا يشير عليك بما تعتقد أنه رأي الصواب الذي طوعته لك نفسك ، وحدثتك بالإقدام على فعله . أما المرأة فتدلس عليك الرأي مجاراة لك ، وإشباعاً لرغبتك في إنفاذه ، وإغراء لعزيمتك باتباعه . ولا يخطر لها أن تشير عليك بما تعتقد أنه أحمد لك في العقبى ، وألزم للأحوط من أمورك . وقد أرتدى قبعة جديدة ، وأتطلب رأي إحدى صويحباتي فتتكره أن تزهدني فيها ، وتميلني عنها ، بعد أن شريتها . فتقول : « إنك تبدين فيها يا عزيزتي مدهشة فتانة ! » . وأسأل الرجل فيقول : « ما هذه القبعة ؟ أهي صندوق فحم مقلوب ... ! » .

ومن الغريب أنه لا يريد أن يجدح بسوء حين يجهر بهذا القول . وإني لشديدة الإعجاب بصدقه وإخلاصه في صراحته . لأني أعتقد يقيناً أنه بفطرته محمود اللابسة ، شجي المجاملة ، لا يعرف كيف يداهن أو يدامج !

وليس من شأن الرجل أن يغتاظ بمثل السهولة التي تنال من المرأة ، وتثير احتدامها ، فقد تستاء وتتكدر بل تستشيط غضباً إذا اعتقدت أن إحدى صويحباتها قد قلدت رسم ثوبها الجديد وسبقتها إلى الظهور به ، أو أنها قد استمالت خادمتها القديمة النافعة ، أو أنها قد أخبرت صاحبتها فلانة أنك تتهم سلامة ذوقها في الأزهار التي يطالعك بها فناء حديقتها ! أما الرجل فلا يحفل شيئاً من هذا ، ولا يزعجه تنديدك بنظام مغروساته وأزهاره ، ما دام هو يحبها ويتعهدها بما يلزمها من السقيا والري .

بيد أني أعتقد أن السيد « آدم » مزهو بذاته ، وأعرف أنني إذا كنت أبتغي النجح لمطلب أقصده ، فليس علىّ إلا أن أثني على مهارته ثناء جماً ، وأمتدح اجتهاده وشهامته ، وأتغنى بمواهبه وحكمته ... وأعرف أن معدته هي نقطة الضعف فيه ... وأنه قل أن يوجد في الرجال مَن لا يستخفه طبق شهي مصنوع من « مايونيز الخبياري ، وجراد البحر (الجمبري) ... » .

وإنك لا تجد للرجل ضريباً في صدق صداقته ، وهذا سبب من أعظم الأسباب التي تحفزني على أن أمحض الرجل صافي ولائي

وأعتقد كذلك أن الرجال في غضون عشر السنوات الأخيرة قد كيفوا ذواتهم تكييفاً معجباً ، وفاق ما استلزمته التغييرات والتطورات الحديثة . فقد مضوا إلى ميادين القتال ، وقارعوا في سبيلنا ، وجاهدوا جهاد الأبطال للذود عن أوطاننا ، ولاقوا الأهوال ، وأفنوا زهرة العمر في الخنادق الضيقة الملوثة بالجرائيم والأوبئة ، وواجهوا الموت في المغاور والمخابئ الصماء . ثم عادوا وماذا وجدوا ؟ وجدوا عالماً غريباً أفرغ في قالب لا عهد لهم به من قبل . بل وجدوا عالماً جديداً ، احتلت فيه المرأة مقام السؤدد

ووجدوا أننا قد سلبناهم أعمالهم ووظائفهم ، إذ أطلقنا عقال

التقاليد ، وعدنا غير ذلك الجنس اللطيف الضعيف ؛ وأصبحنا الجنس القوي ، الآخذ عليهم المهلة والأنف . ولو أن الأمر كان على العكس ، فكانت المرأة هي التي عادت من الحرب ، ووجدت كل هذا التطور ، لما تأخرت لحظة عن اغتصاب السلطة من الرجل ، ومحاربته ومناجزته ، بذلك الأسلوب الجبار القاسي العنيف الذي تتوخاه في جميع منافخاتها ومقارعاتها ...

ولكن الرجل لم يفعل أيّ شيء من ذلك . بل جلس ساكناً وأخذ ينظر ويراقب سير الأمور . ولعله عرف أننا سنملّ هذا التغيير الجديد على توالي الوقت ؛ ولعله كان حكيماً في ألمه وعنائه ، وبما قاساه من خشونة العيش وضيقه في تلك الخنادق الوبيلة الضيقة فأبى أن يناوش ويداحل ، واعتقد أنه وقف موقفاً نبيلاً تجاه جميع تلك التصرفات .

وإني لأجزم بأن الرجال مدهشون بوجه الإجمال : فهم أصدقاء خلصاء ، ومحبّون كرماء ، ومنافسون شرفاء ، وهم السواعد اليمنى القوية التي تتمنى أن تتكئ عليها في أحايين ، أوفر السيدات استحواذاً على الحرية ، وأوفاهن استمتاعاً بنيل حقوق الأمة . وإنني لأوثر الجنس النشيط الخشن على الجنس اللطيف في جميع هذه الأحوال ، لأننا لا نستطيع أن نكون من نظرائه وعدلائه في نبل شعوره ومناقبه العالية وصفاته النادرة التي تتجلى في ميادين المباريات والمنافسات . ولقد كشف لي ابني الحدث هذه الحقيقة الرائعة إذ كنت أتلهى معه بالمصارعة ، وكان له الغلب عليّ في جميع الحلقات ، من بدائها إلى نهائيها ؛ وإذ كنت سجينة بين ذراعيه لم أفتر عن منازلته . وإني لآسف أن أقول : إن غريزة نسوية وحشية قد طغت على إحساسي بقواعد الشرف المتفق عليها في المباريات والمصارعات ، وجعلتني أنقض عليه في تلك اللحظة جلسة ، وأعضّه في حافذة وتيقظ ... فراح ذراعه وتفرّس في وجهي مؤنباً وقال : « أوّاه منك يا امرأة ! » . وإن خير ما أعتقده في صفات الرجل ومميزاته هو هذا الذي بدر من ابني ... والذي يحملني على المجاهرة في غير مَنّ ، ولا تصدق بأن الرجل يحمل النزاهة رائده على الدوام في النزال والمصاولة ...

« الزهرة »



من مذكرات بلنت

صفحات مجهولة من حياة الامام محمد عبده

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣

كان الشيخ عبده قد نقل كتاب الفيلسوف هربرت سبنسر عن « التربية » من الفرنسية إلى العربية بلغة جزلة صحيحة ورأى بهذه المناسبة أن أقدمه إلى مؤلف الكتاب

فذهبت مع الشيخ عبده اليوم إلى بريتون لنزور سبنسر، وكنت قد كتبت إلى سبنسر فى ذلك الشأن وأنبأته بأمر هذه الزيارة ، فأرسل عربته وسكرتيره مستر تروتون ليقابلنا فى محطة بريتون. ولما وصلنا إلى المنزل ألفينا الفيلسوف الشيخ طريح الفراش من شهر ابريل الماضى . ولم يكن المرض الذى انتابه قد أثر فى عقله بتاتاً ، بل ظل ذهنه صافياً وصوته قوياً ، ولكن يده كانت ناحلة نحول يد الهيكل العظمى . وقد استقبلنا وتناقصيراً قبل الغداء، ثم عاد فاستقبلنا فى الساعة الثالثة ، وحاول فى بادئ الأمر أن يتكلم الفرنسية فتكلم ببطء وصعوبة . ثم عاد إلى الانجليزية ، ورحت بدورى أترجم للشيخ عبده

نعى سبنسر على السياسة الحديثة اختفاء « الحق » منها ، وتكلم عن حرب الترنسفال فنعتها بأنها وصمة فى جبين الإنسانية وقال : لا شك أننا مقبلون على عصر « قوة » عصر تثار فيه الحروب من أجل السيطرة وتباح فيها جميع ضروب الوحشية

وتناول فى جلسة الساعة الثالثة ظهراً حديث الفلسفة ، وسأل المفتى عما إذا كان الفكر يتطور حقا فى الشرق إلى ناحية الغرب . فقال الشيخ عبده : الواقع أن الشرق يأخذ عن الغرب أسوأ ما فيه وإن كانا ما زالا مشتركين فى خير الأفكار وأرقاها .

وهنا قال سبنسر : لنذهب توا إلى صميم الموضوع . إننى أعتقد أن الفكرة عن القوة المحركة للوجود ، هى ما تسميه « الله » وما نطلق عليه نحن « الرب » وهى متقاربة عندنا وعندكم . فأجاب المفتى بنظرية وجد سبنسر أنها جديدة طريفة . فقال الشيخ عبده : إننا نؤمن بأن الله « موجود » غير مشخص . فسر سبنسر من ذلك غير أنه لم يلبث أن أجاب : إن الفكرة صعبة الفهم ، وزاد على ذلك : إنه من الواضح على كل حال أنكم من المتعمقين فى التفكير تعمقنا نحن معاشر الأوربيين

ومع الأسف لم يكن فى وسعنا أن نتمادى فى هذه الأبحاث الطريفة ، فإن سبنسر لم يكن يسمح له بإطالة الحديث بالنسبة لمرضه . غير أنى فى أثناء عودتنا إلى المحطة سألت المفتى سؤالاً دقيقاً : أتعتقد أن الله يعلم أنك موجود وأنى موجود، أو لا تعتقد أن هذا العلم هو شخصيته ؟

— إنه يعلم

— أو لا تعتقد أنه يعلم بالطيب والخبيث؟

— إنه يعلم

— وأنه يسر بالطيب ويستاء من الخبيث ؟

— أجل

ومن سوء الحظ أن الوقت لم يتسع لنناقش سبنسر ونقف على رأيه فى هذا الأمر وإن أمكن أن نلمح بريقاً خاطفاً من تفكيره فى الموضوع

أما النساء اللواتى عرفتهن فى صحبته ، فما زلن يلازمنه من سنوات أربع . وقد وقفت منهن على معلومات طريفة عن حياته الخاصة ، وأكثرهن علاقة به امرأة صماء . وليس لديه صديق ، ولم يزره أحد من شهر ابريل الماضى سوى ثلاثة أو أربعة أصدقاء ، ولكن صحته بدأت تتحسن ، وشرع يستعيد بعض نشاطه ، وأمكنه أن يقضى الصيف قرب « تل ليف » وأن يخرج برفقتهن إلى نزهات خلوية ، وكان يجد سروراً مضاعفاً من رؤية الزهور والطيور ، وهو الآن يجالسهن ويلاعبهن الشطرنج والضامة .

وتعميماً للفائدة نثبت هنا ما كتبه الشيخ رشيد رضا فى تاريخه عن الإمام محمد عبده ومقابلته للفيلسوف سبنسر ليمكن المقارنة بين ما سجله بلنت وبين ما دونه رشيد رضا :

« قلنا إنه فى سفره الأخير إلى إنجلترا عام ١٩٠٣ زار الفيلسوف سبنسر ، وكان ذلك فى ١٠ أغسطس . وكان الفيلسوف مصطافاً فى برايتون من جنوب إنجلترا وقد نهاه الأطباء عن كثرة مقابلة الناس ، وعن الحديث مع أحد أكثر من عشر دقائق لمرضه مع شيخوخته ، ولكنه سر من حديث الأستاذ الإمام ، ودعاه إلى

الفداء معـه ، وأطال الحديث إليه فى فلسفة الدين والأخلاق والأفكار والمادية وسياسة أوربا

وإننى أذكر ملخص ما حدثنا به أستاذنا من ذلك وأرمز إلى سبنسر بحرف « ف » المقتطعة من « فيلسوف » وإلى شيخنا بحرف « م » المقتطفة من كلة « إمام » :

ف — هل زرت إنجلترا قبل هذه المرة ؟

م — نعم زرتها منذ عشرين سنة

ف — كيف وجدت الفرق بين الإنجليز اليوم والإنجليز منذ عشرين سنة ؟

م — إننى زرت هذه البلاد فى المرة الأولى لغرض سياسي خاص هو البحث مع رجال السياسة فى مسألة مصر والسودان عقب الاحتلال البريطانى وأقمت أياماً قلائل لم يتعد عملى فيهـا ما جئت لأجله . وقد ألممت بها الآن منذ أيام فلم أدرس حالة الناس ، وإنما يجب أن آخذ عنكم ذلك

ف — إن الإنجليز يرجعون القهقرى فهم الآن دون ما كانوا عليه منذ عشرين سنة

م — فيم هذه القهقرى وما سببها ؟

ف — يرجعون القهقرى فى الأخلاق والفضيلة ، وبين تقدم الأفكار المادية التى أفسدت أخلاق اللاتين قبلنا ، ثم سرت إلينا عدواها ، فهى تفسد أخلاق قومنا وهكذا سائر شعوب أوربا

م — الرجاء فى حكمة أمثالكم من الحكماء واجتهادهم أن ينصروا الحق والفضيلة على الأخلاق المادية

ف — إنه لا أمل لى فى ذلك لأن هذا التيار المادى لا بد أن يأخذ مداه وغاية حده فى أوربا . إن الحق عند أهل أوربا هو الآن للقوة

م — هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هى التى حملت الشرقيين على تقليد الأوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق فى معرفة منابعها .

ف — محى الحق من عقول أهل أوربا بالمرة ، وسترى الأمم يختبط بعضها ببعض ليتبين أيها الأقوى ليسود العالم أو يكون سلطان العالم

ثم انتقلا إلى الكلام فى الفلسفة الإلهية

ف — ما يقول علماء الإسلام فى الخالق ، هل هو داخل العالم أو خارجه ؟

م — إن علماء الأثر يقولون إن الله تعالى فوق كل شىء بائن من العالم ، والمتكلمين يقولون : إنه لا داخل العالم ولا خارجه ، والصوفية القائلين بوحدة الوجود يقولون : إن كل شىء فى العالم مظهر من مظاهر وجوده ، وذكر له ملخص مذهبهم .

نوفمبر ١٩٠٣

انتهز الشيخ عبده فرصة قدومه إلى انجلترا فزار جامعة اكسفورد واستقبل استقبالاً حافلاً من أساتذتها خصوصاً المستشرق براون الذى أقام له حفلة تكريم شهدها أساتذة الكلية. ولدى تفقد الشيخ عبده القسم الشرقى من مكتبة الجامعة عثر على مخطوطات عربية نادرة ، أكثرها معروف بالاسم فقط لدى رجال الأزهر؛ واهتم اهتماماً زائداً بمخطوط لأحد فلاسفة العرب « السباعى El Sebaïn » ، فيه رسائل إلى فردريك الكبير، وقد ذكر الشيخ عبده أنه سوف يكلف إدارة الأوقاف بنسخ المخطوط

وتناول الشيخ عبده فى حديثه معى زيارته لتونس والجزائر وشرح سوء حالهما بالقارنة بينهما وبين مصر ، ووصف تلك المقارنة بأنها كالفرق بين الظلام والنور . ثم عرجنا فى الحديث على موقف الخديو فقال الشيخ عبده : إن الخديو جشع يعمل كل شىء فى سبيل جمع المال، وإنه يريد أن يستبدل ببعض ما يملك أطياناً وعقاراً كلها وقف . ثم إن الخديو ينم ظاهره عن صداقته ، ولكنه يعمل فى الباطن لإقصائه عن وظيفة الافتاء

١٧ يناير سنة ١٩٠٤

أفضى إلىّ المفتى بأنه كان فى الأسكندرية وقابل الخديو ، وهو كعادته معه ، له مقابلة حسنة ، ومقابلة سيئة . ظاهره ضحك وباطنه دسائس وانتقام . ويقول إن الخديو متضايق منه بسبب الفتاوى الثلاث التى أجاب بها عن أسئلة مسلمى الترنسفال وهى :

١ — هل للمسلم المقيم فى بلاد أجنبية أن يأكل لحماً لم يذبح على الطريقة الإسلامية ؟

٢ — هل للمسلم المقيم فى بلاد أوربية أن يلبس القبعة ؟

٣ — هل للشافعى أن يقف فى صف واحد مع الحنفى فى الصلاة ؟

وقد أجاب المفتى بما يرضى ضميره . ولكن الخديو اعتبر ذلك كفراً . مع أنه هو نفسه يأكل ويلبس القبعة ، ولا يقيم الصلاة فى البلاد الأجنبية . على أن كرومر فى جانب المفتى ، وذلك ما يوجب الدهشة !

٢٢ يناير سنة ١٩٠٤

تغدي المفتي معنا في الحديقة ، تحت شجر القاب الإفرنجي ، وهو متألم لوفاة عالم من علماء الأزهر وخصوصاً أن الخديو مصمم على أن يحدث متاعب لخلفه . وعند ما تكلم على الخديو ينعته بقوله : « رجلنا الصغير » !

ومن أحاديثه : أن الخديو منهمك الآن في الأعمال المالية ، والتجارية ، إلى حد أن كرومر خيره بين أن يظل خديوياً محترماً وبين أن يكون تاجراً محترفاً . وهذا حق ، وخصوصاً أن بعض أفراد أسرة محمد على يحبون المال حباً جماً .

١٣ ابريل سنة ١٩٠٥

في حديث اليوم مع الشيخ عبده تفضل وأخبرنا بقصة طريفة لا بأس من إيرادها : ففي أثناء نفيه إلى بيروت عام ١٨٨٣ ، حدث أن كان قسيس مقيماً في انجلترا اسمه اسحق تيلور يقوم بدعاية واسعة النطاق الغرض منها توحيد الإسلام والنصرانية على أساس فكرة التوحيد الموجودة في الإسلام والشائعة عند الكنيسة الإنجليكية . وكان هناك شخص إيراني من أتباعه اسمه ميرزا بكر يشايعه في فكرته . وقد تمكن من التأثير في الشيخ عبده ، وفي طائفة من علماء دمشق ، فكتبوا إلى القس تيلور في الموضوع . وما إن وصل الكتاب إلى القس حتى فرح به ونشره مستعيناً به على صحة دعواه ، إلا أن السلطان عبد الحميد كلف سفيره في لندن أن يستقصى حقيقة الموضوع ويقف على أسماء موقعي الكتاب ، فقابل القس وحصل منه على هذه الأسماء ؛ وقد أحاق بهؤلاء العلماء فيما بعد عذاب أليم وقرر السلطان إبعادهم عن الديار السورية . . . ويقول الشيخ عبده إن السر في غضب السلطان أنه خشي أن يعتنق الإنجليز الإسلام ، ثم يطلبوا أن يكونوا أصحاب الدولة في الإسلام وتكون الملكة فيكتوريا ملكة المسلمين . . . ويذهب السلطان من السلطان . . . وسبحان مدبر العقول

١٩ فبراير ١٩٠٥

عاد الشيخ عبده من السودان وأطلعني على تفاصيل زيارته وأنه مغتبط بما رآه وشاهده ، فالحكومة هناك أحسن إدارة منها في مصر ، والأهالي قانعون حتى عن مسألة النخاسة ، والدراسة في كلية غردون على أساس معقول موافق

وعنده أن قانون العقوبات السوداني أسهل وأحسن من القانون المصري ، وأن السردار يحكم بالعدل ويسود بالحكمة واللين ، وأن هناك شعوراً حسناً متبادلاً بين الإنجليز والسودانيين

١٧ مارس ١٩٠٥

ودعت الشيخ عبده هذا الصباح . ويلوح لي أن هذا السفر إلى الأبد فلا عودة منه . على أن المكان ــ عين شمس ــ حبيب إلى نفسي لشمسه المتألقة وسمائه الصافية وما يكتنفه من خضرة وطير . فيا إلهي ! من ذا الذي يرعى ذلك كله إذا ما ذهبت ؟

وحضر الشيخ عبده إلى المحطة يودعني وبقينا نتحدث طول الوقت إلى آخر لحظة تحرك فيها القطار . وكان وداعاً مؤثراً حزيناً لأن شعوري أوحى إليّ بأني سوف لا أراه بعد ذلك

٨ يوليه ١٩٠٥

إن الحادث الذي هز عواطفي هو حادث وفاة الشيخ عبده . فإن ذلك من أفدح النكبات التي صادفتها في حياتي كذلك موته خسارة جسيمة للعالم الإسلامي . وإنه ليداخلني الريب في كيفية موته ، فربما كان موتاً غير طبيعي ، وإن له خصوماً سياسيين كثيرين

١٥ يوليه ١٩٠٦

قدم مصطفى كامل باشا إلى لندن وجرت بيننا مقابلة طويلة استعرضنا فيها موقف الخديو والأحوال الدولية وسياسة الاحتلال البريطاني والنازي مختار . . . ثم انتقلنا إلى الحديث عن المرحوم الشيخ عبده فذكره مصطفى كامل بتحفظ وأخذ عليه تمسكه بمنصبه الرسمي على رغم تحقير الخديو له . وهو لو احتفظ بكرامته وترك المنصب لجعلناه إمامنا في الحرية والوطنية ، ثم تناول حادث وفاته وقال إنه كان بداء السرطان كما أخبره طبيبه قبل موت الشيخ بثلاثة شهور

محمد أمين حسونة

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ذكرنا أنه كان من نتائج تلك المذكرة المشؤومة اتحاد الوطنيين والعسكريين ، ونذكر الآن أن عرابياً ما لبث يومها أن عاد في نظر الجميع الرجل الذي يجب أن يحرصوا على معونته ، وتأهب عرابي ليأخذ دور الزعيم من جديد وقد كانت الزعامة تتزايل في نظر الناس عن شريف

ولقد أحس مالت بما كان للمذكرة من أثر في عودة عرابي إلى طليعة الصفوف فأوفد إليه في مكتبه بوزارة الحربية صديقه بلنت ، وكان عرابي قد عين وكيلاً لهذه الوزارة كما بينا ؛ وكان مالت يطمع في أن يكسب عرابياً إلى جانبه، أو على الأقل كان يتمنى أن يهدئ خاطره لعلمه بما يكون لمثل هذا العمل من عظيم الأثر في ذلك الموقف العصيب الذي سببته رعونة غمبتا وصاحبه

يقول بلنت : وقد ذهبت إلى ثكنة قصر النيل في ظهر يوم ٩ وكانت المذكرة قد وصلت في يوم ٨ فوجدت عرابياً وحده في مكتبه، وهذه هي المرة الأولى والأخيرة التي رأيته فيها غاضباً، وكان وجهه كسحابة الرعد ، وكان في عينه بريق خاص ؛ وكان قد رأى نص المذكرة وإن كان لم ينشر بعد ، وقد سألته كيف فهمها فقال : أخبرني كيف تفهمها أنت ؟ وحينئذ أديت رسالتي فقال : لاشك في أن السير إدوارد ماليت يحسبنا أطفالاً لا نفهم معنى الكلمات . هذه لغة تحد وتهديد وليس في هذه الإدارة كاتب يستخدم هذه الألفاظ لغير هذا المعنى . ثم أشار إلى الفقرة الأولى التي ذكر فيها الأعيان وقال : هذا تحد لحريتنا وليس لإعلان اتحاد فرنسا وانجلترة معنى إلا أن انجلترة ستغزو مصر كما غزت فرنسا تونس ... ثم قال : دعهم يأتون فكل رجل وطفل في مصر سيقاتلهم . ليس من مبادئنا أن نضرب الضربة الأولى ولكنا سنعرف كيف نردها . ثم قال فيما يختص بالمحافظة على عرش توفيق : « إن السلطان هو الذي يحافظ على عرش توفيق فليس في حاجة إلى ضمان أجنبي . ولك أن تخبرني بما تشاء ولكني أعرف معنى الكلمات أحسن مما يعرف ماليت...

والواقع أن تفسير مالت كان هراء في هراء ، وقد شعرت لما صرت أمام عرابي بعقلي ، وخجلت من حملي إليه مثل هذا الهراء ، ولكني أكدت له أني أديت الرسالة كما ألقاها إلى السير ادوارد ثم قلت : وهو يرجوك أن تصدقها وأنا كذلك » .

هذا هو كلام بلنت ، ومنه نتبين مبلغ غضب عرابي لهذه المذكرة كما نفهم جانباً مما كان يجيش في نفس هذا الزعيم الثائر ، فهو لن يجبن ولكنه لن يبدأ بالعدوان ، وهو بعد ذلك يلمح نيات انجلترة من هذه المذكرة كما يفعل السياسي البعيد النظر إذ يقرأ بين السطور كما يقولون . وما كان عرابي مبالغاً في تصور نيات الإنجليز فلسوف نرى أن جرانفيل كان في ذلك الوقت قد وطد العزم على التدخل بالقوة !

عاد عرابي إلى الميدان . وفي الناس من تبلغ بهم الغفلة إلى حد أن يأخذوا عليه هذه العودة ؛ وفيهم من يذهب بهم اتباع الهوى إلى أن يجعلوا ذلك من أكبر خطيئاته قائلين في مثل منطق البلهاء إن كان ثمت للبلهاء من منطق ، إنه بعودته هذه قد ساق البلاد إلى ما سيقت إليه من دمار .

وبين المؤلم المثير حقاً أن يقول هؤلاء الناس هذا الكلام دون أن ينظروا فى موقف الخديو وموقف الإنجليز على نحو ما بينا ، وهم لا يفهمون من المسألة كلها إلا ما شاع من أن عرابياً كان رجلاً ذا أطماع لا يدرى ماذا يفعل ؛ فكانت إذا هدأت البلاد لا يفتأ يعمل بنزقه على إثارتها ليصل إلى تحقيق أطماعه .

وأحسب الآن بعد الذى رأينا من موقف أعدائه أن هذا الكلام قد أصبح خليقاً بأن يخجل منه قائلوه . وإنا لنكاد نقطع منذ الآن أنهم — بعد أن نفرغ من سيرة هذا الرجل المظلوم على النحو الذى نسير عليه — لن يعودوا إلى مثل هذا الكلام أبداً ، وسبيلنا فى إقناعهم الحجة التى تستخلصها من الحوادث فى عدالة يوجبها الحق ، وفى عطف يتطلبه الإنصاف .

تعهد عرابى ألا يتدخل فى شؤون الحكومة ، فكان إذعانه لهذا الطلب أمراً لا بد منه . ولو أنه رفضه لكان فى ذلك مخطئاً أشد الخطأ ، ولكن عرابياً لم يتعهد أن يدع وطنه وشأنه لا تهزه بعد يوم عابدين نحوه عاطفة أو يحركه النجدة ما عساه أن يلم بقضيته من الأحداث . ولم يكن ليستطيع عرابى أن يتعهد بمثل هذا التعهد ولن يستطيع ذلك غير عرابى من الناس ، ولو أنه فعل ذلك لأجرم فى حق هذا الوطن جريمة ما كان ليغفرها له التاريخ ... وكيف يفعل ذلك عرابى أو أى رجل غيره ولا يكون بذلك مجرماً مفرطاً فى جنب وطنه ؟ وأى فرق بين مثل هذا التعهد وبين المروق والخيانة والجحود فى أوضح صورها وأقبحها ؟

ألا إنه الحق كل الحق أن يطلب إلى بنى الوطن ألا يتدخلوا فى أعمال الحكومة ، ولكن على شرط ألا يكون من تلك الأعمال نفسها ما يحفز الناس إلى التدخل أو يوجبه عليهم . أما أن تفرط الحكومات فى حق الوطن، وأما أن توضع العقبات فى سبيل قضيته ثم يطلب إلى الناس بعد ذلك أن يدعوا الحكومة وشأنها فهذا هو الباطل بأجلى معانيه وأشدها فجوراً ، ومن أطاع ذلك من الناس فقد أجرم فى حق بلاده وضل ضلالاً بعيداً

لن يكون لقيام الحكومات من مبرر إلا العمل لخير المحكومين وصلاح أمرهم. على هذا الأساس ولدت الديمقراطية، وبهذا المبدأ اقترنت الحرية ؛ ولكم نادى بذلك القادة ودعاة الإنسانية فى الغرب منذ هدموا صروح الظلم وحطموا أغلال الماضى وفصموا سلاسل الرجعية . وما لنا نستشهد بالغرب وهذه الحكومة الاسلامية الأولى التى قامت فى الصحراء قد جعلت تلك المبادئ أساس قيامها ، فما أروع وأجل أن يقول الخليفة الأول للناس : « أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن حرفت فقومونى » وأن يقول لهم الخليفة الثانى : « من رأى منكم فى اعوجاجاً فليقومه » فيرد عليه أعرابى من أوزاع الناس بقوله : «لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا» وما أملى على أبى بكر وعمر هذه المعانى السامية وما أمدهما بتلك السياسة العالية إلا ما ألهماه من روح تلك الشريعة السمحة ، شريعة دينهما التى تقدم بهذا أحد براهينها على أنها شريعة الفطرة ، فما كانت الحرية فى شتى مظاهرها إلا بنت الفطرة ... وأبلغ وأروع من قول أبى بكر وعمر قول الرسول الكريم : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده »

قبل عرابى أن يدع الحكومة وشأنها على أن تجرى الأمور وفق ما وضعته الثورة من مبادئ ، فكيف لعمر الحق كان يستطيع أن يحمل على السكوت نفسه وقد رأى من الدسائس الآثمة التى تحاك حول تلك الحرية الوليدة ما أغضب أكثر الناس اعتدالاً وأقلهم علاقة بالسياسة وشؤونها ؟

إذاً فالفرق كبير بين أن يتدخل عرابى فى شؤون الحكومة وبين أن يغضب لما حل بقضية وطنه ، وفى هذا الغضب دليل وطنيته ووطنية كل غاضب معه . ولقد كان من أصعب الأمور على هذا الرجل أن يدع هذه القضية وشأنها ، بل لقد كان ذلك مستحيلاً عليه ؛ وإنى لأرجو من الذين خاصموا هذا الرجل فى غير حق بعد أن أصبح فى ذمة التاريخ أن يستمعوا إلى هذا الرأى الذى أسوقه عنه ، ألا وهو أن الحرية كانت من طبعه لم يتكلفها يوماً ولم توجهه إليها الحوادث وهو يجهل كنهها كما يقول الذين أرادوا ألا يدعوا له محمدة إلا جعلوها بالباطل مذمة

كانت الحرية من طبع ذلك الجاويش الذى نقم على الجراكسة فى الجيش استبدادهم فأكثر من الشغب عليهم . وكانت الحرية من طبع ذلك الضابط الذى اختاره زملاؤه ليحمل عريضتهم إلى رياض .. وكانت الحرية هى التى دفعت هذا الرجل إلى أن يقف

ذلك الموقف الفذ عصر ذلك اليوم المشهود فى ساحة عابدين ، ولسوف تكون الحرية هى الحافز له إلى وثبات أخرى ...

ولقد استوثق مستر بلنت من ذلك عند ما سعى إلى عرابى يطلب مودته قال : « وكانت غرفته الخارجية بل كان الشارع الموصل إلى المنزل يمتلىء كل يوم بجماعة الشاكين . وكان قد اتصل به نبأ عطفى على الحركة ورغبتى فى مساعدة الفلاح فاستقبلنى بأسمى مظاهر المودة لهذا السبب ، وللصلة التى تربط أسرتى باللورد بيرون الذى كان عرابى وإن لم يعرف شيئاً من شعره يمجده لدفاعه عن حرية اليونانيين »

وكيف كان يمجد هذا الفلاح اللورد بيرون نصير الحرية إلا أن يكون هذا تجاوباً بين نفس حرة وأختها ؟ ولقد كان بيرون يدافع عن اليونانيين لا عن المصريين ، فلم يكن حب عرابى إياه إذاً مشوباً بعاطفة غير عاطفة حب الحرية أينما كانت وكيفما كانت جنسية الداعين إليها وكيفما كان دينهم

ولنعد إلى خطبته التى ألقاها فى محطة مصر . لقد أفصح فيها وهو يرتجلها عن كثير مما تنطوى عليه نفسه . والخطيب فى مثل ذلك الموقف الحماسى ينسى نفسه فلا يملك التكلف والتصنع لأنه ليس به حاجة إلى ذلك ، بل لقد يكشف الخطيب عما يريد أن يغطيه إذا نسى نفسه فى رهبة الموقف وحماسته دون أن يملك لذلك دفعاً . قال عرابى : « البلاد محتاجة إلينا وأمامنا عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات وإلا ضاعت مبادئنا ووقعنا فى شرك الاستبداد بعد التخلص منه » وقال : « وقد فتحنا باب الحرية فى الشرق ليقتدى بنا من يطلبها من إخواننا الشرقيين على شرط أن يلزم الهدوء والسكينة ... »

وإنا لنرى فى ذلك الكلام من الأدلة على أن عرابياً كان يتحرك بدافع من حبه للحرية مالا تجدى معه مكابرة ؛ وعلى ذلك نتساءل : ألم يأن للناس أن ينصفوا هذا الرجل وقد قضى عليه أعداؤه ثم قضوا بعد ذلك على تاريخه الحق ؟

ألم يأن لأبناء هذا الوطن وقد فرغوا من قضية استقلاله وحريته أن ينظروا إلى هذا الرجل نظرتهم إلى زعيم جاهد فى الوطن حق جهاده ، وأن يكفوا عن تلك النظرة الظالمة التى تصوره رئيس عصابة من الأوزاع والهمج يسيرون على غير نهج ولا يبتغون من وراء سيرهم غاية ؟

ألم يأن لأبناء هذا الوطن أن يفطنوا إلى أن الاحتلال هو الذى صور عرابياً هذه الصورة المنكرة ليبرر بذلك فعلته ، وأنهم بمجاراتهم الاحتلال وصنائعه إلى يومنا هذا فيما ادعوا إنما يثبتون على أنفسهم الغفلة ويسيئون إلى رجل ما فكر يوماً فى الإساءة إلى وطنه ؟ رجل إن كثرت أخطاؤه فقد حسنت نياته ، وإن فاته النجاح فقد عظم فى سبيل النجاح بلاؤه . ولقد قل فى المحنة نصراؤه، وتعدد غداة الروع أعداؤه

لا جناح على عرابى أن يعود إلى ميدان النضال فى سبيل المبادئ التى اعتنقها المصريون ووطدوا العزم على تحقيقها. ولو أنه وقف فى جهاده عند وثبته الجريئة يوم عابدين لحق عليه ما نسبه إليه خصومه من النزق والسير على غير هدى ، ولكن هؤلاء الخصوم يلومونه على عودته إلى العمل قائلين لقد أجيبت مطالب الجند على نحو ما كان يرجو عرابى نفسه ، وهم فى هذا ما يجهلون حقيقة الثورة العرابية وآمال الرجل الذى نسبت إليه تلك الثورة وأغراضه، وإنما يعلمون ذلك ولكنهم يمارون فيما يعلمون، ولكنهم فى الحالين ملومون فلن يقبل منهم جهلهم ولن يقرهم أحد على ممارآتهم ومكرهم

وسيعود عرابى إلى الجهاد فيقف فى وجه الدولتين الطامعتين. وسيسير زعيم الثورة على رأس جيش من أبناء هذا الوادى ليذود عنه فى بسالة جريئة وحفاظ مر وفق ما توجبه الوطنية والرجولة. وهذا فى الحق هو كل ما يطلب منه فى مثل تلك الظروف؛ أما الفوز فأمر قد يخرج عن تصريفه ، وسبيله إليه محدود بحدود طبيعته ومقدرته . ولقد يتوافر للقائد من أسباب الفوز ما يكاد يعتقد أنه قبل وقوعه حقيقة لا سبيل إلى الريبة فيها ، ثم ينظر فإذا تلك الحقيقة خيال أو دون الخيال . ولئن أخطأ قائد فلن تحمل أخطاؤه على معنى آخر ، كما حملت أخطاء عرابى ظلماً وعدواناً على معانى الخيانة والمطامع الشخصية

« يتبع »

الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٣٨ — بلع الأمانة فهي في حلقومه

قال أبو الحسن البغدادي الفكيك في نقيب بغداد وكانت في عنقه غدة[1]:

بلع الأمانة فهي في حُلقومه لا ترتقي صُعداً ولا تتنزّلُ

٤٣٩ — هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن

في الأغاني: المدائني: شهد رجل عند قاض بشهادة. فقيل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عتيق. فبعث إليه يسأله عنه. فقال: عدل رضى. فقيل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا. ولكني سمعته ينشد:

إن الذين غدوا بلبّك غادروا وشلا بعينك لا يزال مَعينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا[2]

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن فشهدت له بالعدالة

٤٤٠ — ما أعظم الله!

في (طبقات الشافعية) منع الشيخ أبو حيان أن يقال: ما أعظم الله، وما أحلم الله، ونحو ذلك. ونقل هذا عن أبي الحسن ابن عصفور احتجاجاً بأن معناه شيء عظمه أو حلمه، وجوزه الإمام الوالد (تقي الدين السبكي) محتجاً بقوله تعالى (أبصر به وأسمع) والضمير في به عائد على الله، أي ما أبصره وأسمعه، فدل على جواز التعجب في ذلك. وفي شرح ألفية ابن معطي لمحمد بن الياس النحوي: سأل الزجاج المبرد فقال: كيف تقول ما أحلم الله وما أعظم الله؟ فقال: كما قلت. فقال الزجاج: وهل يكون شيء حلّم الله أو عظّمه؟ فقال المبرد: إن هذا الكلام يقال عندما يظهر من اتصافه (تعالى) بالحلم والعظمة، وعند الشيء يصادف من فضله، والمتعجب هو الذاكر له بالحلم عند رؤيته إياها (أي الصفة) عياناً. وذكر الوالد أنه يعني بالشيء نفسه أي أنه عظم نفسه، أو أنه عظيم بنفسه لا شيء جعله عظيماً.

٤٤١ — خير لعمرك منه خص عامر

الحسن بن علي الأسواني:

فدع التمدح بالقديم فكم عفا في هذه الآكام قصرٌ داثر[1]
إيوان كسرى اليوم عند خرابه خير (لعمرك) منه خصٌّ عامر

٤٤٢ — تحاسد الأكفاء

قيل لبعضهم: ما الذي أذهب ملككم؟
قال: تحاسد الأكفاء، وانقطاع الأخبار!!

٤٤٣ — هذه والله مكارم الأخلاق

في (الآداب الشرعية والمنح المرعية): كان بين سعيد بن العاص وقوم من أهل المدينة منازعة، فلما ولاه معاوية المدينة ترك المنازعة، وقال: لا أنتصر لنفسي وأنا وال عليهم.
قال ابن عقيل في (الفنون): هذه (والله) مكارم الأخلاق

٤٤٤ — كأنها طبخت بنار شوقي إليك

في (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) للثعالبي: نار الشوق مذكورة على الاستعارة، وكذلك نار الوجد، ونار اللوعة، ونار الغرام؛ وما أشبهها. وقد أكثر الناس فيها نظماً ونثراً. قال أحمد بن طاهر يهجو المبرّد:

ويوم كنار الشوق في قلب عاشق على أنه منها أحرّ وأوقدُ
ظللت به عند المبرّد قائظاً فما زلت في ألفاظه أتبردُ[2]

وقال لي السيد أبو جعفر الموسوي يوماً وأنا معه على المائدة — وقد قدّم لي لون في غاية الحرارة —: كأنها طبخت بنار شوقي إليك.

(١) الغدة والغدة: كل عقدة في جسد الانسان أطاف بها شحم، والغدة طاعون الابل وقلما تسلم منه (اللسان). وقد أغد البعير فهو مغد ومغتار فيقال: أغد الرجل إذا انتفخ من الغضب (الأساس).

(٢) قال عبد المطلب بن عبد العزيز: أنشدت أبا السائب قول جرير (غيضن) . فقال: يا ابن أخي، أتدري ما التغيض؟ قلت: لا. قال: هكذا وأشار بإصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه

(١) الأكمة: التل

(٢) من قول شيخ شيوخ حماة في التورية:

وبلاه من نوى القسرد وآه من شمسلي البسدد
يا (كامل) الحسن ليس يطفي ناري سوى ريقك (المبرد)

٤٤٥ — بعث داعياً لا جابياً . . .

في (الطبقات) لابن سعد : إن حيان بن شريح عامل عمر ابن عبد العزيز على مصر كتب إليه : إن أهل الذمة قد أسرعوا في الإسلام ، وكسروا الجزية .

فكتب إليه عمر : « ... أما بعد ، فإن الله بعث محمداً داعياً ، ولم يبعثه جابياً . فإذا أتاك كتابي هذا ، فإن كان أهل الذمة أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية — فاطو كتابك ، وأقبل .

٤٤٦ — . . . فاعلم أنه طلل

في (إعجاز القرآن) للباقلاني: سمعت الصاحب بن عباد يقول : أنشد بعض الشعراء — من أهل زنجان[1] — هلالَ بن زيد قصيدة على وزن قصيدة الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟

وكان وصف فيها الطلل ، فقال هلال بديها :

إذا سمعت فتى يبكي على طلل من أهل زنجان فاعلم أنه طلل ...

٤٤٧ — شطحات . . .

في (ميزان الاعتدال) : نقل عن أبي زيد البسطامي :

سبحاني ...

ما في الجنة إلا الله ...

ما النار ؟ لأستندنّ إليها غداً . وأقول : اجعلني لأهلها فداء أو لأبلعنّها ...

ما الجنة ؟ لعبة صبيان ...

هب لي هؤلاء اليهود . ما هؤلاء حتى تعذبهم ...

٤٤٨ — يلام الصديق إذا ما احتفل

ابن القبطرنة :

دعاك خليلك واليوم طلّ وعارض وجه الثرى قد بقل[2] !

(١) زنجان مدينة في أذربيجان (القاموس) والعجم يقولون زنكان بالكاف (معجم البلدان)

(٢) يوم طل : رطب طيب (الأساس) (العارض) صفحة الخد ، والعارضان للانسان صفحتا خديه (بقل) بقل وجه الغلام خرج شعره : أي طلع نبت الأرض

لقدرين فاخا وشمّامة وإبريق راح ونعم المحل[1] !

ولو شاء زاد ولكنه يلام الصديق إذا ما احتفل[2]

٤٤٩ — قتيلنا لا يودى وأسيرنا لا يفدى

في (العقد) قال مسلم بن عبدالله بن جندب : دخلت أنا وزبان السواق العقيق ، فلقينا نسوة نازلات من العقيق ، لهن جمال وشارة ، وفيهن جارية خضابية العينين . فلما رآها زبان قال لي : يا ابن الكرام ، دمُ أبيك (والله) في ثيابها ، فلا تطلب أثراً بعد عين ، وأنشد قول أبي مسلم بن جندب :

ألا يا عبادَ الله ، هذا أخوكمُ قتيلٌ ، فهل منكم له اليوم ثائر

خذوا بدمي إن متّ كلَّ مليحة مريضة جفن العين والطرف ساحر

قال مسلم : فقالت لي الجارية : أنت ابن جندب؟ قلت : نعم .

قالت : فاغتنمْ نفسك ، واحتسب[3] أباك ، فإن قتيلنا لا يودى[4] ، وأسيرنا لا يُفدى[5] .

(١) (الشمامة) واحدة الشمام : ضرب من البطيخ (الابريق) إناء مثل الكوز أو هو الكوز وفي (الكتاب) : يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق . وقال عدى بن زيد :

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق

(المحل وطل) في البيت الأول ، في هذا المقام تسكن لامهما ولا تشدد لأن التشديد مخل بالوزن .

(٢) (احتفل) : اجتهد ، وبالغ . وفي الأساس : احتفل في الأمر إذا احتشد واجتهد .

(٣) احتسبه أي اعتد مصيبته به في جملة البلايا التي يثاب بالصبر عليها (النهاية)

(٤) لا يودى : لا تؤدى ديته : يذهب دمه هدراً . . .

(٥) مروان بن أبي حفصة :

إن الغواني طالما قتلتنا بعيونهن ولا يدين قتيلا

إلا أكن ممن قتلن فانني ممن تركن فؤاده مخبولا



هذا هو المشروب
المفضل فى
فصل الصيف
الشاى
المثلج
مشروب منعش مرطب
طريقة عمله حضر شايا ثقيلا ثم اسكبه على
مبشور الثلج واضف اليه السكر
والليمون او اللبن حسبما
يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند
وسيلان وجاوه وسومطرا
اشربوا
الشاى المثلج



حول مقال

ما هي الحيـــاة ؟

للأستاذ عبد الله عشرى الصديق

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة :

قرأت فى العدد ٣٠٠ من « الرسالة » الغراء مقالاً للأستاذ نصيف المنقبادى فى موضوع « ما هى الحياة » قابل فيه الكاتب الفاضل بين أظهر خواص الكائنات الحيّة وما يماثلها فى عالم الجماد ، وخرج من تلك المقابلة « بأنه لا يوجد فرق جوهرى بين هذين العالمين » والحقيقة التى لا تقبل الشك هى أن هذا الفرق (الجوهرى) بين الأجسام الحية وبين الجمادات موجود بصورة واضحة فى كل واحدة من تلك الخواص التى أوردها الأستاذ فى مقاله . وثمة فرق جوهرى آخر يعلق عليه علماء البيلوجيا أهمية كبرى فى تفهم ما هية الحياة . وسنعمد فى هذه العجالة إلى إثبات وجود هذه الفروق متوخين فى ذلك الفائدة العامة وخدمة الحقيقة والعلم

الشكل النوعى

يفهم مما جاء فى مقال الأستاذ تحت هذا الباب أنه إنما يعنى «بالشكل النوعى» الصورة الخارجية للجسم حيًّا كان أو جماداً ؛ فهو يحدثنا عن أشكال البلورات الهندسية وكيف أن هذه ثابتة فى النوع الواحد تماماً كما هو الحال مع الحيوان حيث « تقترب أشكالها باقتراب أنواعها » وكل هذا صحيح لا غبار عليه إذا كان المقصود بالشكل النوعى هو الصورة الخارجية دون ما اعتبار للحجم . والذى نعرفه ويقره العلم الحديث هو أن الشكل النوعى يشمل زيادة على الصورة الخارجية الصفة الأخيرة التى ذكرناها وفيها تختلف الكائنات الحية عن الجمادات اختلافاً ظاهراً .

فالمعروف لدى كل إنسان هو أن للأحياء (المعاصرة على الأقل) أحجاماً ثابتة تختلف باختلاف أنواعها إلى حد ما . فالنملة مثلاً لا يمكن أن تكبر حتى تصبح فى حجم الفيل ؛ ولا يمكن لشجيرة القطن أن تنمو حتى تبلغ حجم شجرة السرو أو السنديانة، كما أننا لم نسمع قط بآدمى بلغ طوله ثلاثة أمتار[1] . أما الجمادات فإننا لا نعرف لها أحجاماً ثابتة؛ فبلورة ملح الطعام قد تكون فى حجم الجزيئة وقد تكبر حتى يزيد حجمها على حجم الكرة أو أكثر من ذلك فهى ليست ذات حجم ثابت خاص

صحيح أن أشكال الكائنات الحية فى تغيّر وتحول مستمرين بحكم ناموس التطور، وهذه الحقيقة عينها هى أنصع دليل على وجود الفرق بين تلك الكائنات وبين الجمادات . والذى نعرفه ويعرفه معنا الأستاذ هو أن شكل الفرس بل وحجمه أيضاً قد تغيرا كثيراً عما كانا عليه قبل ملايين السنين . ومثل الفرس الفيل وغيره من أنواع الحيوان ، ولكن العلم لم يحدثنا بأن بلورة الملح قد تغير حجمها أو شكلها منذ أن وجد الملح على هذا الكوكب. وأما القول بأن البلورات المعدنيـة الصرفة (تستطيع) إذا « غطّست » فى سائل مشبع من مادتها أو فوق المشبع أن تنمو فتعيد الجزء المصاب إلى حالته الطبيعية فهو دليل آخر على وجود الفرق بين الأحياء والجمادات ، وإلا فأى معنى يبقى للفظة غطستْ إذا لم يكن كل معناها هو تضمن قوة خارجة عن البلورة تقرب بين ذراتها فتتصل بعضها بمجرد فعل الألفة الكيميائية ؟ والفرق واضح بين ما يجرى فى هذه الحالة وبين اندمال الجرح أو نمو العضو المقطوع بنمو خلايا الجسم الحى من الداخل وبدون استعانة بقوة خارجية ظاهرة

تغذى الأحياء والجمادات

والفرق واضح أيضاً بين تغذى الأحياء وتغذى الجمادات؛ فبينما

(١) فى الحالات الطبيعية

تتغذى الأولى بتحويل المواد الأولية إلى مادتها العضوية تكتفي كية الهواء بزيادة جزيئات حامض الكربنيك في حالتها الطبيعية إلى جزيئاتها، وليس لها في هذه العملية نصيب ظاهر ولا فائدة محسوسة. والذي يدعو إلى العجب حقاً أن يكون خير مثال عند الأستاذ لتغذي الجادات « بالمعنى الحقيقي التام » هو ما يحصل من احتراق الوقود في الآلات الميكانيكية فإن هذه كما هو الحال مع كية الهواء لا تستطيع تحويل مادة الوقود إلى حديد أو غيره من نوع العنصر الذي تتركب منه أجزاؤها، وأما أن يكون التفكير والقوى العقلية وما إليها من مصدر واحد فقط هو الطاقة الكيميائية الكامنة في مادة الغذاء فهو غلو لا تقر عليه أحداً

التنفس في الأحياء والجمادات

أما التنفس أو استعمال الأكسيجين الموجود في الهواء بواسطة الأجسام الحية فهو الفرق الجوهري الذي ذكرناه في أول هذا المقال وقلنا: إن العلماء يعلقون عليه أهمية كبرى في تفهم ماهية الحياة. وقد مرّ الأستاذ بهذه الخاصية بالذات مرّ الكرام وكان الأجدر به أن يقصر كل مقاله على بحثها ودرسها. ولأهميتها الكبرى سنبقيها إلى آخر كلمتنا هذه لنوفيها بعض الحق ونوضح ما ذهبنا إليه من أن فيها فقط يمكننا أن نعثر على الفرق الجوهري بين الأحياء والجمادات

تحرك الأحياء وتحرك الجمادات

يختلف تحرك الأحياء عن تحرك الجمادات في أن تحرك الأولى يكون بمحض إرادتها إلى درجة ما تختلف باختلاف مستوى الحيوان في سلم النشوء. أما تحرك الثانية فهو نتيجة لفعل القوى الخارجية كالرياح أو القوى الجاذبة أو الدافعة وغيرها من العناصر وليست حركة براونية Brovnian Movement إلا مثالاً للنوع الأخير[1] كما أنه بعيد جداً عن الصواب أن تكون حركة الأجسام « تحت تأثير الجاذبية أو الألفة الكيميائية » حركة اختيارية؛ فمجرد تسلط هاتين القوتين عليها يخرج بها عن دائرة الاختيار. ولكي نوضح ذلك نضرب مثلاً بحركة أناملي وأنا أحبر هذا المقال؛ فما أعظم الفرق بين هذه وتلك؛ ونعني حركة ذرات الأملاح في محلولاتها. أما حركات الحيوانات ذات الخلية الواحدة وهي كثيرة الشبه بحركة ذرات الأملاح فإنها تختلف عن هذه

(١) Charles R. Plunkett, Oullines of modern Biology, N. J., Henery Holt & Co., 1930 P. 62

في أنها لا تكون إلا لدفع أذى أو الحصول على قوت، ومعنى ذلك أنها تكون لفائدة تعود على الجسم الحي. وتختلف عنها حركة الآلات الميكانيكية في أن هذه الأخيرة تفقد فقداناً وقتياً متى نفد الوقود بينما يموت الجسم الحي إذا فقد الغذاء وليس الموت معروفاً بين الجادات

التأثر في الأحياء والجمادات

يخطئ الذي يقول بأن تأثر الأحياء كتأثر الجادات. فالمواد المفرقعة التي « تغضب » وتنفجر لا تستطيع أن تجمع نفسها « وتهدأ » أو تخفي غضبها كما يفعل الأحياء. وتأثر مواد التصوير الشمسي بالضوء لا يجلب لهذه المواد فائدة ما بخلاف الحال مع الأحياء التي تتلون بلون المحيط لتتقي شراً قد أحدق بها، أو على الأقل لمثل هذه الغاية تتلون وهي تسترد حالتها الطبيعية متى زال الخطر أو انتشلناها من المحيط الذي كانت فيه.

ثم إنه ليس صحيحاً أن الوتر في الآلة الموسيقية يهتز اهتزازاً (ذاتياً) عندما يدق الإنسان على وتر مقابل. والذي يحصل تماماً هو أن اهتزاز الوتر الأول يهز ذرات الهواء الموجودة في محيطه، ويحدث هذا الاهتزاز أمواجاً تسبح في فضاء الكون بأسره. ولما كانت هذه الذرات قريبة من أخواتها فإنها تحدث بواسطة الأمواج الآنفة الذكر اهتزازاً تنقله هذه بدورها إلى الوتر المقابل؛ وبهذه الطريقة نفسها ينتقل الصوت من أقاصي الأرض إلينا عندما نجلس إلى الراديو[1].

التفاعل مع البيئة

وهناك اختلاف آخر بين الأحياء وبين الجادات: هو تبادل التأثر بينها وبين المحيط، وهذا يختلف في الأولى عنه في الثانية. فبينما لا يكون التأثر عند الأحياء إلا بقصد الحصول على فائدة ما أو الخلاص من خطر داهم إذا به ليس كذلك عند الجادات. ونحن لا نستطيع أن نفهم الجسم الحي مستقلاً عن محيطه، فهو ناقص بدونه بخلاف الجادات التي لا أثر للمحيط فيها إلا بقدر ما يكون بينها وبينه من تفاعل كيميائي لا يتم إلا بتدخل عناصر غريبة عنها. فهذه الورقة التي أكتب عليها لا تتأثر مطلقاً بانعدام الأكسيجين في الغرفة، وكل إنسان يعرف ما يقع للكاتب عندما

(١) راجع كتاب Oscar M. Stewart, Physics, Ginn & Co., recired edition part III wave morion & Sons.

يحصل ذلك لا سمح الله . والدور الذى يلعبه الأكسيجين فى عالم الأحياء هو الفرق الجوهرى بينها وبين الجادات .

نظرية « نوموغرام » الدم للبروفسور هندرسن (١)

كلنا يعرف ضرورة غاز الأكسيجين للكائنات الحية ، والواقع أنه لا يمكن تحديد الحياة بدون اعتبار أمرين فى غاية الأهمية ؛ هما : كيمياء الغازات وعلى الخصوص غاز الأوكسجين ، والصفة التى يمتاز بها الجسم الحى من أنه يكون ومحيطه وحدة كاملة حتى ليفقد صفة الحياة فى غير ذلك الوضع . وهـذا بخلاف الحال مع الجادات التى كل تأثرها ليس إلا من قبيل التفاعل السلبى مما لا يمكنها التسلط عليه بحال من الأحوال (٢) . والمفهوم أيضاً أن العلم الحديث لم يستطع بعد أن يتوصل إلى معرفة جميع المواد الكيميائية التى يتركب منها البروتوبلازم (٣) وكل ما توصل إليه فى هذا المضمار لم يتعد إثبات نقطة واحدة تحقق أنها ذات أهمية كبرى هى أن المواد التى تتركب منها الأجسام الحية من التعقيد بحيث أنه لا يمكن معرفتها معرفة صحيحة تامة . وقد جاءت نظرية العلامة هندرسن بما يؤكد هذه النتيجة . وسنحاول أن نشرح قدر الاستطاعة هذه النظرية الفريدة ؛ فبها فقط يمكننا أن ندرك الفرق الجوهرى بين الأحياء والجادات

كانت النظرية القديمة الخاصة بصلة الدم بغاز الأكسيجين وأهمية هذا فى التنفس والتغذية وإزالة الفضلات فى الجسم فى غاية البساطة ، فهى تتخلص فى أن هناك مادة فى الدم تعرف بالهيموجلوبن Hœmoglobin تتحد بالأكسجين الموجود فى الهواء وفق المعادلة :

$$Hb + O_2 = HbO_2$$

ولا شك أن لهذا الاتحاد أهمية كبرى فى تفهم ماهية الحياة . غير أنه قد ثبت بالبحث أن ثمة نقصاً فى هذه المعادلة ؛ فقد قرر العلامة باركروفت Barcroft (٤) أنه زيادة على الصلة الموجودة بين كمية الأكسجين التى يمتصها الدم من الهواء فإن هناك صلة أخرى بين هذه الكمية وكمية ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الخلايا الحية . ولهذا الاكتشاف قيمته من حيث إنه قد أرشدنا إلى تغير قدرة الدم على امتصاص الأكسجين بتغير كمية ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الألياف التى يتركب منها الجسم الحى وهنا لزم تعديل المعادلة الأولى على الصورة الآتية :

٥ = (CO_3 و O_2 و HbO_2) ٤

ومعنى هذا أنه متى عرفنا مقدار أى اثنتين من هذه المواد غير الثابتة التركيب أمكننا معرفة المادة الثالثة بمجرد النظر إلى المعادلة . غير أن العلماء الثلاثة ج . س . هالدين ، وكرسينانوس ، ودوجلاس (١) قد استطاعوا إثبات وجود صلة أخرى مشابهة للتى ذكرناها بين ثانى أكسيد الكربون ، والكربونات (٢) ، والأكسجين إذ وجدوا أن كمية الكربونات تقل بزيادة كمية الأكسجين ؛ وهكذا تعدلت المعادلة الثانية فصارت :

٥ = (O_2 و CO_2 و $BHCO_3$) ٤

وبمتابعة هذه الطريقة فى التحليل استطاع العلامة هندرسن أن يثبت وجود معادلة رابعة :

٥ = ((H^{*}) $B\ HCO_3$ و Co_2) ٤

ثم خامسة : ٥ = (BCl و O_2 و Co_2) ٤

ومن هـذا يفهم أننا لا زلنا فى المرحلة الأولى فى محاولتنا الوصول إلى معرفة كيمياء الدم ، إلا أن ما عرفه العلماء حتى الآن قد أوجد مجالاً للتفكير أدى إلى إجراء تجارب عديدة أثبت بها العلامة هندرسن أن الدم فى تفاعله مع المحيطين الداخلى (٣) والخارجى إنما يمثل توازياً Equilibium ذا عشرين ضلعاً تدخل فى تكوينه ست مواد يربط بعضها ببعض عشرون معادلة .

هنا يجدر بنا أن نذكر بعض خواص هذا التوازن ، ففى هذه وحدها يكون الفرق الجوهرى بين الكائنات الحية وبين الجادات . وأهم هذه الخواص هى اشتراك الأكسيجين فى ذلك التوازن بل إنه (أى التوازن) لا يتم مطلقاً بدون الأكسجين ؛ فأهمية الأكسجين للجسم الحى أكبر من أهمية أى مادة من المواد التى يتركب منها بل هى كما أثبت البحث فوق ذلك بكثير وهذا ما نعنيه

(١) L. J. Hendersons Nomogram of The Blood.

(٢) F. S. C. Northrop, Science and First Principles, N. Y., Macmillan Co., 1931 pp. 175-173 Seba Eldridge, The Orgnization of Life, N. Y. Thomas Y. Crowell Co. 1925 pp. 12,13

(٣) F. S. C. Northrop, Science and First Principles, p. 164

(٤) J. Barcroft, The Respiratory Function of The Blood, p.p. 16 & 65 ff. Cambridge Press.

(١) J. S. Haldane, Respiration. Ch. XIV, p. 88. Yale Press

(٢) Combined Carbon dioxide or carbonate

(٣) داخل الجسم وهو فسيولوجى



دراسات في الفن

الحب والمرأة والفن

للأستاذ عزيز احمد فهمي

جانب كبير جداً من الفنون يدور حول الحب

ولا عجب في هذا ، فالحب عاطفة تشترك في تخليقها عدة غرائز من أقوى الغرائز التي يقوم بها كيان النفس الإنسانية وهي مبعث العواطف . ومن هذه الغرائز التي تخلق الحب في النفس : غريزة حفظ النوع ، وغريزة السيطرة ، و « غريزة العشرة » وهي أخص وأعنف من غريزة الاجتماع ، و « غريزة الوثنية » التي تنزع بالإنسان إلى تجسيد ما يصبو إليه وتحديده والتي تخرج به من إبهام التجرد إلى وضوح الملموس ، وهي غريزة لم تضعف إلا عند الذين يدمن إحساسهم التدريب على الاتجاه نحو معان يحبونها ويدهش لهم العالم ويتساءل : كيف يحبونها ؟

وهذه الغرائز التي تخلق عاطفة الحب كل منها قوي عنيف . ونفس الفنان بطبعها أكثر طواعية للتأثر من غيرها لأنها أشد حساسية من غيرها . وإذا كانت نفس الفنان تلبي مسرعة نداء المؤثرات الخارجة عنها فأجدر بها أن تستجيب للهتاف الدوي في جنباتها . فلا غرابة إذن أن يزدهر الحب بين أهل الفن أكثر مما يزدهر بين غيرهم ، ولا غرابة بعد ذلك إذا دار جانب كبير جداً من الفنون جميعاً حول الحب ، فليست نفس أخرى أقرب إلى نفس الفنان من نفسه ، وليس أحب إليه منها ، وليس أجدر منها بالالتفات الذهني والحسي ، وليس أشد منها وضوحاً لديه ، وليس شيء أبعث منها على التسجيل

ولكن الذي نلحظه هو أن جانباً كبيراً جداً من فنون الحب يئن بالشكوى من هذا الحب ، ويرضخ بالذل له ، ويستعطفه متشفعاً إليه بالفن ذاته ، كما أننا نرى في هذه الفنون المكلومة كثيراً مما يشبه علامات اليأس ، وقد نرى منها قليلاً مما يشبه علامات التمرد الذي يعقب اليأس ، إذ ينكر بعض الفنانين الحب إنكاراً ، وإذ يسخر بعضهم من المرأة سخرية شاذة لا أصل لها في الطبيعة ولا شبيه لها في حياة الحيوان

وهذا يشهد بأن الفنانين فاشلون في حبهم ، أو هو يشهد على الأقل بأن كثيرين جداً من الفنانين يفشلون في حبهم . فما الذي يدعو إلى هـذا ؟ أهو قصور في رجولة هؤلاء الفنانين ؟ أم هو التواء حاد بنفوسهم عن المسلك الطبيعي الصحيح الذي يجب أن يسلكه الذكر مع الأنثى ليقنعها بنفسه ؟ أم هو انحراف عن أساليب الأرض إلى أسلوب جديد بعيد تسمى الحياة إلى اصطناعه وستأخذ به يوماً ولكن بعد أن يكون هؤلاء الفنانون قد ركلوا الأرض إلى عالم يرتاحون فيه ولا يشقون ؟ أم هو هذا كله مزيجاً مركزاً ؟ -

---

عندما نقول إن الجسم الحي هو عبارة عن توازن فيزيقي – كيميائي [1] ذي قوة حيوية يحصل بين المواد الموجودة في داخل الجسم ، وبين أخواتها في الخارج . ويفهم من كل هذا أن الهواء الذي تستنشقه بل كل الطبقة الهوائية المنتشرة على سطح الأرض والتي يتوقف عليها مقدار كثافة الأكسجين هي جزء لازم لكيان الأجسام الحية لزوم العظام واللحم الذي يكسوها ، وهو ليس كذلك للجمادات . إذاً فالفرق بين هذه ، وبين الكائنات الحية موجود ، وهو التوازن الوقتي الذي تقيمه الطبيعة بفعل قواها في المواد الأولية – ذلك التوازن الذي لا يوجد له شبيه في عالم الجمادات .

« بيروت – الجامعة الأمريكية » عبد الله عشري الصديق

(١) Physico-chemical

الطبيعة وحدها هى التى تهدينا إلى سر هـذه المشكلة . وإذا كانت حياة الإنسان قد تشابكت من نواح ، وتحللت من نواح ، وعقدت الحضارة أغلب أطرافها وأوساطها بحيث لم يعد من الميسور لكل عين أن تميز الأصيل فى أفعال البشر من الدخيل عليهـا ، فإن لنا فى حياة الحيوان ما يدلنا بوضوح وجلاء على طريقة التهافت الطبيعية التى تجذب الذكر نحو الأنثى ، والتى تجذب الأنثى نحو الذكر . فإذا ما تعلمنا من الحيوان هذه الطريقة عدنا إلى الإنسان الفنان ونظرنا : هل هو يماشى الطبيعة فى غرامه أو هو يحيد عنها مترفعاً أو متدلياً أو هائماً على وجهه يتخبط ذات اليمين وذات الشمال ؟

وقبل أن نخطو هـذه الخطوة يجب أن نجيب عن سؤالين قد يخيل لبعض الذين يصحبوننى فى جولتى هذه أنهما يعرقلان المضى فى مذهبنا ، أو أنهما على الأقل يشوهان هذا المذهب . أما السؤال الأول فناعم خفيف يقول لنا بصوت خافت رقيق : هبكم رأيتم الفنان قد حاد عن طريق الطبيعة التى تزعمون فلماذا تخصونه بالحساب والعتاب من بين الناس وأكثرهم حائد عن هذا الطريق ؟ وإذا كان هو يئن بالشكوى من حبه ، فكثيرون غيره يئنون؛ غير أنه يذيع أنته وهم لا يذيعون ؟! ونحن نجيب عن هذا السؤال فنقول : إن الفنان هو رائدنا إلى الطبيعة؛ وليس يبرر بعده عنها إلا أن يكون هذا البعد قفزة إلى مرحلة من مراحل الرقى الإنسانى يسبق بها البشر ليكون فيهم بشيراً بما سينتهون إليه بعد حين . وليس مما يريح ضمير الإنسانية أن ترى الفنان وهو هاديها إلى الحق ومواطن الراحة مضطرباً فى حياته الخاصة ، وفى أعز جانب من حياته الخاصة هذه دون أن تعرف علة هذا الاضطراب لعلها تستطيع أن تنقذه منه

وأما السؤال الثانى فيصرخ فينا بعنف ويقول : كيف قررتم أن الحب عند الإنسان يشبه الحب عند الحيوان ، ولم تروا أنه أرق وأشرف ؟ ونحن نرد هـذا السؤال بقولنا : إن الحب لا يمكن أن يخرج على حال من حالين : فإما نزوع روحانى لا يصحبه النزوع البدنى وهذا شىء لا يعوقه عائق ، ولا تصده عقبة ، ولا يمكن أن يشكو فيه شاك من بعد أو حرمان أو لوعة أو صبابة أو هجر أو غدر أو غير ذلك مما يشكوه العشاق ، ومما تدور حوله فنون المتبرمين من الفنانين العاشقين ، فالروح متى رضيت عن روح لم تعد تعبأ بما يفرق بينهما من بعد المكان ، أو بعد الزمان ، ولم تعد تهتم باختلاف الجنس بينهما أو توحده

إما هذا ، وإما أن يصحب هذا النزوع الروحانى نزوع جسدى وفى هذا تظهر الشكوى ، ويظهر الأنين ، وتظهر فنونهما فلا بد إذن أن يكون النزوع الجسدى هو الذى يسببهما إذا لم يصب التوفيق ، وهـذا النزوع البدنى موجود عند الحيوان ، ولكنه يصيب التوفيق دائماً ، ولا يفشل مطلقاً إلا عند العدوان حين يندس بين الذكر وأنثاه ذكر جديد قوى غلاب ، وعلى هذا كان من غير الطبيعى فى حياة الإنسان أن يفشل الرجل فى حبه ما لم يصرعه رجل أقوى منه فى الناحية التى تعترف بها الأنثى ، وتنقاد لها.

هذان هما الحالان اللذان يتشكل بهما الحب فى حياة الإنسان على الإطلاق . وأرى من العفة أن أربأ بصورة الحب الإنسانى عن الحالة الثالثة التى يتفرد فيها النزوع البدنى وحده . لا لأنى أريد أن أمجد الإنسان ، ولكن لأنى أرى فى بعض الحيوان ما يعف عن هذا الحب ويتسامى عليه ، ويجمله بالألفة والمعاشرة ، والحنان والتعاطف . والمسلم به أن الإنسان أرقى من الحيوان .

وبعد ، فإنى أحسب أن الطريق قد عبد أمامنا ، وأننا نستطيع أن نخطو فيه خطوتنا الأولى نحو الحب عند الحيوان .

والذى نلحظه هو أن للحيوان غزلاً يشبه الغزل عند الإنسان من حيث إنه دليل الرغبة فى إقامة الصلة بين الذكر والأنثى ، ومن حيث إنه الباب الوحيد الذى يؤدى إلى الحب . والمشاهد أن هذا الغزل يتخذ عند الحيوان عادة شكل الصراع ، ومن الحيوان ما يترفق فيه فيكون صراعه كاللعب والمداعبة ، ومنه ما يشتد فيه ويقسو فيكون صراعه صراعاً حقيقياً تهشم فيه العظام ، وتسيل فيه الدماء . وهذا النوع الأخير من الصراع يقيم الدليل المحسوس عند الأنثى على أن الذكر الذى ينازلها قوى غلاب ، وعلى أنه يأخذ حقه منها قوة واقتداراً ، وأنه لا تثنيه مقاومتها إياه عن الوصول إلى ما يريده من فرض سلطانه عليها ، والأنثى فى هـذا الصراع العنيف تبذل أقصى قوتها لتحول بين الذكر وبين التسلط عليها ، لا لأنها تكره أن يتسلط عليها ، ولكن لأنها لا ترضى أن تذل لضعيف قد يعجز عن حمايتها وحماية نسلها إذا اعتدى عليها معتد ، هذا إذا كانا من الحيوان الذى يأتلف ذكره بأنثاه ، أما إذا لم يكونا من هذا الحيوان فهى تكره أن تستسلم للضعيف خشية أن ينتقل ضعفه إلى نسلها الذى تحب أن يكون قوياً غير ضعيف بما ركب فى نفسها من غريزة حفظ النوع سليماً صالحاً .

أما النوع الآخر من الصراع وهو الذى يشبه اللعب والمداعبة فهو أقرب أنواع اللعب والمداعبة إلى المصارعة الإنسانية المصطنعة

التي يقيم الناس لها الملاعب في هذا العصر والتي يكتفي فيها الغالب في التدليل على قوته بإظهار تمكنه من تهشيم خصمه دون أن يهشمه. وهذا الأسلوب تصطنعه الحيوانات الرقيقة، والحيوانات المستأنسة. ومهما خلا هذا الأسلوب من التحطيم والتهشيم والتجريح، فإنه لا يخلو من معانيها، وإن فيه ما يدل دلالة تامة على احترام القوة والاعتراف بلزوم الغلبة والقهر يقيم عليهما الذكر صلته بأنثاه.

فإذا أضفنا إلى هذا ما نراه من تجميل الطبيعة للذكر دون الأنثى: كالديك ازدان بالعرف دون الدجاجة، والأسد تحلى بالمعرفة دون اللبؤة، والكبش ازدهى بالقرنين دون النعجة، والطاووس تبرج بذيله الملون الطويل دون الطاووسة ... إذا أضفنا هذا إلى ما تقدم رأينا أن الطبيعة توجه الذكر إلى «مكايدة الأنثى»: قهراً بالقوة، أو اعتزازاً بالجمال، أو قهراً واعتزازاً بالقوة والجمال معاً. ومن هذا يمكن أن ندرك أن الطبيعة قد وضعت ناموساً تقوم عليه الصلة بين الذكر والأنثى، وأن هذا الناموس يستلزم أول ما يستلزم أن يذل الذكر أنثاه، وأن يذكرها دائماً بأنه أقوى منها، أو أنه أقوى وأجمل منها.

والطبيعة توفر في هذه السوق التي يتداول الذكر والأنثى فيها نواحي القوة والضعف، ونواحي الزينة والعطل وبقية تلك الزوائد والنواقص فيهما شرطاً لا بد أن يتوفر في هذه السوق: وهو أن تقتنع الأنثى مؤمنة صادقة مجبرة بفضل الذكر عليها فيما يمتاز به، وإلا فالصلة بينهما زائفة، وهو آخذ منها ما يرضيه ويقنعه إذ لا يعطيها ما يرضيها ويقنعها كما يحدث للحيوانات المسجونة التي تنسل نسلاً ضعيفاً

اتفقنا في هذا. فلنعرج إذن على الحب عند البشر، ولكن القبائل التي تعيش على الفطرة أول من نشارف من البشر. وهذه القبائل لا يزال الرجال فيها يمثلون ما يشبه الدور الذي يمثله الذكر الحيوان مع أنثاه. فالقوقاز لا يسلمون العروس لعروسها، وإنما يدبر العروس حملة على محلة عروسه فيهجم عليها في جمع من أهله وأصدقائه، ويختطف عروسه من بين أحضان أهلها بالقوة والعنف ليشهدها وليشهد أهلها على أنه قوي جدير بها، وليسجل عليها هذه الشهادة يذلها بها طول عمرها معه إذا حاولت أن تتمرد عليه أو أن تطاوله. وبعض قبائل الزنوج تحتفل بزفاف فتياتها احتفالاً أعجب من احتفال القوقاز وأشد افتخاراً بالقوة والجلد والصبر. وإن لم يكن فيه من الشجاعة والفروسية شيء: ذلك أنهم يتداولون على العروس السعيد بالضرب المبرح الوجيع، فقدر ما احتمل الضرب وكتم التوجع عز عند صاحبته وزاد احترامها إياه ورأته حقيقاً بالحب: لها بل عليها أن تفاخر به معجبة راضية ... ولا يزال من أهل النوبة المصريين من يفعلون ما يشبه هذا. فالعروس يطلب من صاحبته أن تحضر له جمرة من النار ليشعل بها لفافته، فتحضرها إليه. فيمسك الجمرة بيده، ويضع الجمرة على حجره تأكل جلده ولحمه ريثما يتأنى في لف التبغ في الورق ليشعل بعد ذلك لفافته ويعيد الجمرة إلى مكانها، وبقدر ما يطول احتراق جسده ويشتد يعز عند صاحبته ويعلو قدره

والمرأة القوقازية تحب من يخطفها لأن بيئة القوقاز بيئة رعي ومهاجرة ومحاربة تكثر فيها الثارات، ويكثر فيها الكر والفر ولا يستطيع أن يخطف المرأة فيها إلا البطل. والمرأة الزنجية تحب من يحتمل الضرب الوجيع في سبيلها لأن بيئة الزنوج بيئة قاسية تضرب الناس بالحر والبرد والمطر والريح والمرض والسم، فالأشد صبراً من غيره في هذه البيئة هو البطل. والمرأة النوبية تحب الذي يحترق في سبيلها بالنار لأن بيئة النوبة يموت فيها الضعاف من وهج الحر والقيظ وشدتهما، فالذي يحتمل الحرارة عندهم هو البطل

هذه بيئات إنسانية قريبة من الطبيعة والرجل فيها لا يزال يلوح للمرأة بقوته، والحياة فيها لا تزال مستقيمة بين الرجل والمرأة

أما جمال الرجولة الخشن فقد ظل الرجال يحرصون عليه زماناً طويلاً كانوا يرسلون فيه شواربهم ولحاهم التي زينتهم بها الطبيعة ولكنهم اليوم لم يعودوا يحافظون عليه، واكتفى فريق من أهل المدنية فيهم بممارسة الألعاب الرياضية لتنمية عضلاتهم وتقويتها كما كان يفعل اليونان القدماء في وقت يذكر التاريخ أن المرأة فيه كانت متبرمة بالرجل لأنه اكتسب من رياضته تناسقاً وامتشاقاً انشغل به عن النظر إلى جمال الأنثى

ولعل هذه الألعاب الرياضية هي البقية الباقية من معالم الرجولة القوية التي تحتفظ بها الحضارة اليوم، ولكنها شيء إذا كسا البدن رجولة أو ما يشبه الرجولة فإنه لا ينفذ إلى الروح والنفس، ولذلك يستعين الرجل المتحضر اليوم على قهر المرأة بالمال أو الجاه أو النفوذ أو المنصب أو الشهرة أو غير ذلك مما يتنافس فيه الرجال المتحضرون. ونحن إذا أنعمنا النظر في هذه المميزات المدنية كلها رأينا أنها لا تتاح إلا للذين يتكالبون على العمل في سبيل الوصول إليها أو للذين يصيبونها عفواً بالوراثة أو بالواسطة؛ أما الذين يفوزون بها عن جدارة فأولئك الذين في حسابنا، وهم

ينفقون في سبيلها من رجولتهم ما كانت المرأة تحب أن يستبقوه لها، فهي لا تستطيع أن تستغني عن حياة المناوشة والمصارعة وهي تكره أن تبيع نفسها بالمال، وإن كانت تبيع نفسها بالمال؛ وهي لا تقنع من الرجل بجاهه وإن كانت ترتمي على أصحاب الجاه؛ وهي لا ترضى بمنصب الرجل وشهرته وإن كانت تتهافت على أصحاب المناصب الكبيرة والمشاهير، فهي تنحرف عن طبيعتها مجاهدة مستعيضة بهذه البهارج عما كانت تتوق إليه من قوة الرجل ورجولته. ولعل حوادث الخيانة الزوجية التي تتمدد وتتكاثر في المدنيات دليل قاطع على أن الزوجات ساخطات على الأزواج، وأنهن لا يزلن يبحثن عن الرجولة الضائعة في هذه الحضارة

وإذا كانت المرأة تكره المال والجاه والنفوذ والمناصب العالية وما فيها من أبهة ولا تقبل عليها إلا على سبيل البدل عن مطلبها الطبيعي، وإذا كانت لا تزال تحب أن ترضى طبيعتها بين يدى من يذلها برجولته ومن يتقن فنون المنازلة والمصارعة على ألوانها فماذا هي صانعة عند الفنان أو ماذا هو صانع بها؟

الفنان تسيطر عليه الغرائز التي تسيطر على بقية الناس فهو إنسان مثلهم. ولكن هذه الغرائز لا تشتد به — حين تشتد — كما تشتد ببقية الناس، ولا ترفق به — عند ما ترفق — كما ترفق ببقية الناس، فهو وإن كان يحب أن يحفظ النوع البشرى كما يحب الناس أن يحفظوه فإنه يسمى إلى ما هو أشرف من حفظ النوع وهو ترقية النوع، والفنان يؤدى لهذا النوع بفنه ما يجاهد النوع دهوراً في سبيل الوصول إليه. وهو وإن كان يحب السيطرة كما يحبها بقية النـاس فإنه يتمتع من السيطرة بما لا يتمتع به أحد، ففنه يلوى عنده الأعناق ويخفض بين يديه الرؤوس؛ فإذا لم يوفق إلى هذا في حياته فهو على إيمانه بفنه مؤمن بأن البشرية التي غفلت عن تقديره وهو فيها ستتال جزاءها إذ تنضباع يوماً إلى قبره لتطوف بالتقديس حول عظامه ولو بعد أن ينخرها السوس! وإنه ليرى ذلك وهو في ظل العرش. وهو وإن كان يحب المعشرة كما يحبها بقية الناس فهو يتأنق في اختيار عشرائه من المعاني والأخيلة والأفكار التي يرصد لها انتباهه وإحساسه ويتعقبها ويتبختر عندها مترنحاً منتشياً كراهبة ترقص في خلوتها على نغم الذكر عابدة لا فاجرة، خالصة غير مشوبة

هذه هي الغرائز التي كان حقها أن تشترك في تخليق الحب في نفس الفنان كما تخلقه في نفوس بقية الناس، ولكننا قد رأيناها جميعاً تعدل عن الحب إلى الفن

وبقيت بعد ذلك « غريزة الوثنية » التي ذكرتها في بدء هذا الحديث، وأحسبنى قلت إنها لم تضعف إلا عند الذين بهد من إحساسهم التدريب على الاتجاه نحو معان يحبونها هم، ويدهش لهم العالم ويتساءل: كيف يحبونها؟ ومن يكون هؤلاء غير الفنانين؟

إذن فالفنانون على هذا الأساس لا يحبون! وعلة انصرافهم عن الحب بعيدة كل البعد عن الأسباب التي توقعناها في أول حديثنا، فقد خيل إلينا أن عجزهم عن الحب قد يرجع إلى قصور في رجولتهم، أو التواء حاد بنفوسهم عن مسلك الحب الطبيعي الصحيح، أو انحراف عن أساليب الأرض إلى أسلوبهم الجديد

ولكننا رأيناهم في أول حديثنا يحبون. وقد سجلنا عليهم فشلهم في الحب من بعد تسجيلهم إياه على أنفسهم في فنونهم... فهل هم يحبون أو هم لا يحبون؟... أحبهم الله!

الواقع أنهم يحبون ولا يحبون. فالفنان إنسان حائر بين حلقتين من حلقات التطور البشرى. أولاهما الحلقة التي يعيش فيها، والأخرى الحلقة التي ينتقل إليها بروحه ويستنبطها فنه ثم يعود بعد ذلك إلى ناسه. وهذه الحلقة التي يُسرى به إليها ستتحقق يوماً ما في الأرض سواء أكان هذا اليوم قريباً أم بعيداً وسيعيشها الناس وكلهم في مستوى ذلك الفنان الذي يبهر جيله وسيكون من بينهم فنانون يبهرونهم بما يستنبطونه من حلقات أخرى لا يسرى به إليها غيرهم. وقد ينكر هؤلاء وقد يعترف بهم... أمرهم وأمر الحق إلى الله

هذا هو مسلك التطور الروحانى للانسانية فهو (كالداروينية) الجسدية ولكنه أشد غلياناً وإبهاماً

والفنان يتذبذب بين الأرض وسمائه يتلون بلونين ويتشكل بشكلين: شكل يلائم حياة الأرض بقدر ما تسمح ذمته الفنية أن يتسامح في أمانته، وشكل آخر لا يلائم إلا الذين يستطيعون أن يطيروا معه إلى سمائه ولو أتباعاً مسترشدين به. والفنان السعيد الذى يرضى الله عنه هو الذى يوفق إلى غرام واحدة من بنات السماء. والفنان المنكوب الذى أرجو له الرحمة هو الذى يتعلق به غرام واحدة من بنات الأرض: تثقل به وتمرغه عن قفزاته فإن أشفقت عليه وسمحت له بهجرته إلى السماء كلما شاء لم يجد عندها حين يهبط إليها إلا ما اختص به الله بنات الأرض. فهو شقى معها كشقاء القيد الذى يلهب طاغية ظهره بالسياط ليجرى في سباق مع صبيان خفاف شياطين... وإن كان الثلاثان متما كسين

من هنا ومن هناك

دعاوى إيطاليا فى قناة السويس - لمحرر الوبرلدو يجست

نقلنا فى هذه الصفحة من العدد ٣٠٢ مقالاً للكاتب الايطالى ف . بازتو عن دعاوى إيطاليا فى قناة السويس ، وقد نسب الكاتب الفضل فى وضع تصميم القناة وتأسيسها إلى مهندسين إيطاليين ذكر من بينهم : نجرللى وبترمو وجوايا ، وزعم أن إيطاليا هى الدولة الثانية من بين الدول التى تمر فى هذه القناة ... إلى آخر ما جاء فى ذلك المقال ، والمقال التالى رد على ذلك المقال نلخصه للقراء ليطلعوا على وجهتى النظر فى المقالين .

منذ سنين عديدة كتب أوسكار وايلد مقالاً قيماً عن اضمحلال رذيلة الكذب . فلو عاش فى عصرنا هذا الذى انتشرت فيه وسائل الدعاية بين الدول الحديثة ، فما لاشك فيه أننا كنا نقرأ له فصولاً ممتعة عن نهضة الكذب .

إن الدعاوى المريضة التى يدعيها الإيطاليون فى قناة السويس فى هذه الأيام ، مما يجعل النفس تشمئز ويعروها الأسف الممض لهذه الهوة التى انحدرت إليها الصحافة فى العصر الذى نعيش فيه

ونحن وإن كنا لا نبرئ الصحافة فى عصر من العصور من الانحراف عن الجادة فى بعض الأحيان ، إلا أننا نعتقد أن هذا الانحراف لم يكن يعدو الأمور الصغيرة التافهة التى لا تؤثر بحال من الأحوال فى الشئون العامة التى لها أكبر الأثر فى حياة العالم

ولكن إيطاليا وألمانيا تذهبان إلى آفاق بعيدة المدى فى الكذب فى شئون لها الأهمية الكبرى فى الحياة ، ولعل أسوأ الأمثلة لهذا الكذب الصراح ، هو ما تنشره الصحافة الإيطالية عن قناة السويس ، لا فى إيطاليا وحدها ، ولكن فى تونس والأمريكتين مما ينافى الحقيقة من جميع الوجوه . .

ولقد استطعت بعد الاطلاع على هذه المزاعم أن أتوفر على هذا الموضوع وأبحثه بحثاً جديداً فتبين لى أن هؤلاء القوم يلجئون إلى بعض المخلفات القديمة ، ليستخرجوا منها أسماء لها

وينتبه الفنان إلى علة إخفاقه فى حبه ، فإما أن يرضى من محبوبته بما طاب له فيها من الجمال الروحى والبدنى ، وإما أن يحاول صقل نفسها وتهذيبها ليجعلها تشبه ما يجب أن تكون عليه ، فإذا وفق فى هذا فإنه يرضى أغلب الرضى ، أما إذا فشل فيه فهو الشاكى المتبرم الساخط على الحب اليائس منه المتخاذل أمامه أو المتمرد عليه

وقليلاً جداً ما يفرغ الفنان من وقته لمصارعة المرأة ومناوشتها لأنه يتعلم من جولاته فى السماء أن هذه المصارعة من أساليب العنف التى يصبح الاستغناء عنها بإدراك نتائجها ، فيحاول أن يتشفع إلى المرأة بفنه ، وهو على كثرة ما يتدلل بفنه يخضع نفسه ويخضع فنه للمرأة ويسعى إليها فى هذا الخضوع خاشعاً متوسلاً مستجدياً عطفها ، فإذا به ينقلب أمام المرأة شيئاً آخر أكثر رحمة بها من الرجل ، وأشد حناناً منه ، وأكثر بذلاً وعطاء وتضحية فى سبيلها ولكنه على أى حال ليس ذلك الرجل الذى تريد أن تراه قوياً ، والذى يجب أن يقسو عليها قسوة تصهر أنوثتها وتسيلها . فهذه الرقة وهذه الرحمة وهذا الخنوع وهذه المسالة التى يتقرب بها الفنان من محبوبته كلها من علامات الأنوثة — عندها — لا من علامات الرجولة وهى من مظاهر الضعف — فى نظرها — لا من مظاهر القوة ، وهى تبعث فى نفس المرأة الاستهانة بها والشك فى أمر صاحبها إذ لا تضمن المرأة أن يتخذها الفنان وسيلة من وسائل الاستدراج يسلطها على كل من تعجبه من النساء مادام الأمر لا يكلفه أكثر من كلمات رقيقة أو ألحان عذبة أو صور جميلة

والفنان متى وصل به الحال إلى هذا الموقف كان عليه أن يختار واحدة من ثلاث : فإما أن يخصص نفسه لفنه ، وإما أن يخصص نفسه لحبه ، وإما أن يتذبذب بين الفن والحب وهذا ما يفعله الفنانون الشاكون ، فليس يتاح لكل فنان أن يتسامى حتى على الحب فلا يذكره ولا يذكر المرأة إلا كما ذكرها السيح

عزيز أحمد فهمى

علاقة ما بهذا المشروع الجليل ، فيخلعون على أصحابها حلل الفخار والشرف التي ارتداها رجال لم شهرتهم وعظمتهم بين العالم ، بعد أن طواهم الثرى في بطونه

فهذه الأكاذيب من النوع الذي يقول عنه (تنيسون) : الكذب الذي هو نصف حق ، شر من الكذب الصراح

فهم يقولون إن إيطاليا تعد في المرتبة الثانية من الدول التي تمر في قناة السويس . فمن أين جاءوا بالبيانات التي يستندون إليها في هذا الزعم ؟ من الإحصاءات المبنية على ذلك الظرف الاستثنائي الذي دعاهم إلى نقل آلاف من جنودهم البسلاء مجهزين بالمدافع والطيارات والأسلحة المختلفة لمحاربة الحبشة العزلاء عام ١٩٣٦ — ١٩٣٧ ، وعلى هذه الطريقة في الكذب تجرى سائر الدعاوى والمزاعم التي يطلعون بها على العالم

إن قناة السويس التي نشأت فكرتها منذ قدماء المصريين ، وفكر فيها نابليون بعد حملته على مصر ، تم مشروعها على يد رجل واحد هو المهندس الفرنسي فردينالد دى لسبس .

لقد كان الخطأ الذي حال بين نابليون وبين تنفيذ هذا المشروع هو خطأ المهندس لابير الذي رأى أن هناك فرقاً بين مستوى الماء في البحرين يحول دون ذلك ، وقد أصلح هذا الخطأ بتأثير دى لسبس وحده ، إذ رفع مذكرة إلى محمد سعيد باشا حاكم مصر مؤرخة في ١٥ من نوفبر سنة ١٨٥٤ ينفي فيها وجود الفارق المزعوم ، مستنداً إلى تقارير قدمت إليه من مهندسين من الإنجليز لهم خبرة عظيمة ومهارة فائقة في هذه الشئون ، فقاموا بقياس مستوى البحرين وكان لهم الشرف العظيم في نفي هذه الخرافة ، والتوكيد بأن لا فارق بين مستوى البحرين

ومما يدعو إلى الضحك أن ينسبوا تأسيس القناة إلى مهندس إيطالي يدعى (نجرللى) ، فتأمل عمل الدعاية في الانتفاع بهذا الاسم ؟ مما لا شك فيه أن هناك شخصاً يحمل هـذا الاسم كان ضمن الذين يعملون في هذا المشروع ، ولكنه من أوستريا لا من إيطاليا ، وقد كان يشغل وظيفة مهندس عموم السكك الحديدية بها ، فعين في بعض الأعمال مع مهندس إنجليزي يدعى استيفنسن فنسبته الدعاية إلى إيطاليا لأن اسمه نجرللى لا أكثر ولا أقل . وقس على ذلك سائر الدعاوى والأكاذيب

إن قناة السويس لم تنتفع بإيطاليا في حال من الأحوال ، ولكن إيطاليا هي التي انتفعت بها في فتح الحبشة

هل في استطاعة ألمانيا أن تحارب — عن لا ليبر بلجيك

منذ سنتين — وإذا أردت التحديد ففي ١٢ مارس ١٩٣٧ كتبت مجلة ألمانيـة تقول : إن أهم العناصر التي سنحتاجها في الحرب هو الذهب

وهذا القول يفسر مبدأ معترفاً به في تاريخ الحروب بما فيها الحرب الأخيرة ، إذ وجدت ألمانيا نفسها عاجزة عن تموين جيشها لحاجتها إلى المال . ويتبين من هذا دقة الموقف الذي تقفه ألمانيا وإيطاليا الآن

مما لا شك فيه أن ألمانيا في عجز عن إيجاد الذهب الضروري لحاجتها ، والذهب هو القوة التي يمكن الحصول بوساطتها على المئونة ، وألمانيا في حاجة إلى الشعير والسكر ، وفي حاجة إلى المعادن اللازمة لعمل الأسلحة وتجديدها

ومن المعلوم أن ألمانيـا في حاجة ملحة إلى الحديد والنحاس والألومنيوم والمنسيوم والرصاص ، وهي في حاجة فوق ذلك إلى البترول وهو الروح الأساسية للآلات والمصنوعات الحربية على وجه العموم

وهي تعتمد على عبقريتها الصناعية للحصول على هذه المواد ، حتى لا تعول على الدول الأخرى في استيرادها ، تلك العبقرية التي تحول الخشب إلى قطن ، ولبن الأبقار إلى صوف

وعلى هذا النحو تصنع الملابس لجنود الجيش ، ويصنع البترول والمطاط ويصنعونه من الجير ، والصابون ويصنع من الفحم ، والزبدة وتصنع من الزيت ، وتعيش الأمة جميعها على هـذه المصنوعات . وهنا تحضرنا الفكاهة القديمة وهي عجز ألمانيا في المعادن ، وقلة ثقتها بإخلاص الحليفة ؛ وتحت هذا التأثير ولا شك يتفكك محور رومه برلين

فإذا قامت الحرب فستكون ألمانيا عاجزة كل العجز عن إعداد المال الكافي إذ أنها ستشترى مئونتها ومعادنها من الخارج .

هذه هي الحقيقة التي لا جدال فيها . فقد أصبحت ألـمانيا تستورد ٢٠٪ من مواد الأطعمة من الخارج فضلاً عن الأجور العالية التي يتقاضاها المزارعون فيها . ونحن نرجع في هذا الموضوع إلى ما قاله الكاتب الألماني فرتز استرنبرج في كتاب « قوة ألمانيا الحربية » . فقد أورد كثيراً من المعلومات والإحصاءات الهامة التي تدل على عجز ألمانيا عن التموين ، واضطرارها إلى زيادة نسبة الوارد إليها من مواد الأطعمة ، وتلجأ ألمانيا إلى طريقة المقايضة

في كل ما تريد من الدول . فتقول : أعطني بترولك وأنا أعطيك عقاقيري. وكل هذه الوسائل المفتعلة لا قيمة لها إبان الحرب. فإذا أطلقت رصاصة واحدة لا يمكن بعد ذلك أن يعطي : البترول أو الحديد أو النحاس أو الشعير نظير حبوب الصحة وآلات الموسيقى

نحن مسوقون في تفكيرنا هذا وراء رائد التاريخ ، ونعتقد أن زعيم الانقلاب في ألمانيا سيتراجع عن فكرة الحرب ، إذ أن مسئوليته كبيرة في أمر هو حياة أو موت لأمته ، ونود لو يذكر لأجل الإنسانية والمدنية قول شكسبير :

« إن في السماء والأرض أموراً غير التي تحلم بها في فلسفتك يا هوراتيو ! »

القرد وحياة الإنسان — عن مقال للدكتور هوفمان

الدكتور منريت يعد من رجال الطب المشهورين ، وقد أجرى في هذه الأيام تجربة نفسية لم يسبق لها مثيل .

فمنذ عشر سنوات عاد من سياحة له في أواسط افريقيا ، يصطحب قرداً صغيراً من نوع الشمبانزي يبلغ من العمر سنتين

وقد بذل كل ما في وسعه هو وزوجته وأولاده ، لإبراز هذا القرد الذي أسموه — فاتو — في مظهر الإنسان العاقل بحيث ينسى منشأه الحيواني ويعيش معيشة الآدميين — دون أن يعملوا أي عمل لتدريبه كالمعتاد . وهذا عمل بلا شك له أهمية عظيمة ، إذ أنه يجعل الحيوان الأعجم يحيا حياة الإنسان .

وكان أول مرة خرج فيها فاتو في مجمع من الناس ، في حفلة غداء أقيمت في منزل منريت حديثاً دعا إليها لفيفاً من الأطباء والعلماء المختصين بدراسة نفسية الحيوان ورجال الأدب والصحافة. فدخل عليهم فاتو منتصب القامة يسير على ساقيه الخلفيتين كالإنسان. وأغلق الباب من ورائه في خفة ولطف . وبدأ يحيي الضيوف ويصافحهم واحداً بعد واحد في أدب ورقة، وصاحبه يقدمه إليهم كما يقدم الصديق العزيز ، ثم أخذ مكانه في مؤخر المائدة ، وساهم في الطعام معهم ، ولم يبد على تصرفاته أي مأخذ .

وكان الطعام الذي قدم إليه من نفس الطعام الذي تناوله المدعوون وهو حساء وسمك ولحم وخضراوات وحلوى وفاكهة .

وكان فاتو يتناول الطبق من جاره ويملأه لنفسه بنفسه ويأكل بأدب ونظام . وكل ما لوحظ عليه في تناول الطعام أنه يكثر من أكل الخضراوات والفاكهة ويتناول منها أكثر من غيرها . وكان يحتسي كأس النبيذ فيمسكها بيده فيرتشف منها الجرعة بعد الجرعة في اعتدال وهدوء . فلما انتهى من الطعام قام فوضع ذراعه على كتف مدام منريت وأشار إلى زجاجة من نبيذ بردو عرفها لمجرد النظر إليها ، وكان يخاطبها باسم ماما فقدمت إليه شيئاً منها

وفي أثناء تناول القهوة دعاهم الدكتور للتدخين ، فقام فاتو دون أن يشير إليه أحد بذلك فقدم إليهم لفافات التبغ . ولم ينس أن يوقد لكل منهم لفافته ثم تناول لفافة فأوقدها وجلس يدخنها بلذة واستمتاع

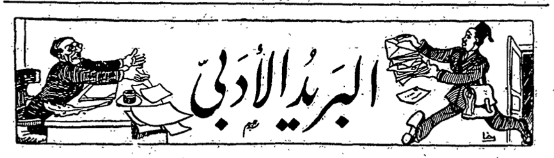
وكان فاتو يرتدي قميصاً فسيحاً وسروالاً خفيفاً وينتعل حذاء من الخيش . وقد أعد له الدكتور حجرة خاصة تحتوي على منضدة وكرسي وسرير ومشجب وبها حمام خاص يستعمله بنفسه وهو يتنقل في حجر المنزل بحرية تامة

وقد شرح الدكتور منريت طريقته في تربية هذا الحيوان فقال : إنه لم يدربه على شيء كما يفعل أصحاب السيرك ، وإنه ألف هذه الحياة من تلقاء نفسه ولم يعلمه أحد من الأسرة أي شيء .

وقال إن تربيته تختلف عن تربية الأطفال ، فقد تعلم من تلقاء نفسه كيف يفتح الباب أو يغلقه ، وكيف يفتح النور وكيف يستعمل الشوكة والملعقة والسكين عند تناول الطعام ، وهو ينطق كلمة « ماما » أحسن من أي كلمة أخرى وقد حفظها عن أطفاله .

ومن رأى الدكتور منريت أن هذه الكلمة هي أول كلمة نطقها الإنسان بدليل وجودها في جميع اللغات وينطقها القرد آليا بمجرد فتح الفم وإغلاقه مرتين


داود
عدس
وولده
يقدم
ابتداء من يوم
الخميس
أول يونيو
والايام التالية
فرصة عظيمة
للبيع
تنزيل هائل
فى جميع الاقسام



١ — مناوأة الحزن والنعاس

في العدد السابق من الرسالة كتب الصديق الفنان الأستاذ زكي طليمات « تعليقاً وتذييلاً » لقصة الفتور في الأدب المصري فراجع بعض ما رآه الأستاذ توفيق الحكيم وبعض ما أذهب إليه فجاءت كتابته جياشة بالمعاني؛ ولعل القراء وقفوا عند ما قال فيهم وتدبروه، قال: « فإذا كان النتاج الأدبي في مصر لا يقابل من الجمهور بالحماس الواجب، فلأن الفتور مفروض على كل شيء يجري في مصر، ولأن عدم الاكتراث صفة — ويا للأسف — من صفات الأكثرية الغالبة من الجمهور المصري ولا سيما فيما له علاقة بالأدب والفن » . غير إني لا أرى كل هذا الرأي، فالذي عندي ما كتبته في هذا الباب من الرسالة لعددين مضيا، ومجمله أن الجمهور المهذب من القراء يرغب عن أدب التسلية والإنشاء التعليمي ويقدر ما يستحق التقدير؛ إلا أنه قليل

٢ — ديوان يظهر في قلب الصيف

ستخرج مطبعة مصرية ديوان شعر بعد شهر وبعض شهر، والديوان مهيأ للطبع منذ ثلاثة أشهر، وإن أنت عجبت للأمر فقلت: كيف يخرج ديوان في العهد الذي فيه يُقعد الحرُّ الناس ويصرفهم عن القراءة ويسيّرهم إلى الشواطئ والمصايف القريبة والنائية، فاعلم أن بهذا الديوان غنى عن جمهور القراء، إذ أن مؤلفه من أصحاب الحظوة العالية في وزارة المعارف، وحسبه ما تقتنيه الوزارة من النسخ .. قصة معروفة: إن المال الموقوف على تشجيع التأليف في وزارة المعارف محبوس — إلا أقله — على إعانة رجالها وأصدقائهم!

٣ — في النقد الأدبي

يُعنى الدكتور اسماعيل أحمد أدهم بكتابة فصول في الأدب العربي الحديث. فأخرج مبحثاً في الدكتور طه حسين بك وآخر في الأستاذ توفيق الحكيم (في مجلة الحديث الحلبية) وهو يواصل نشر مبحث في الأستاذ خليل مطران في مجلة المقتطف. ومزية كتابة الدكتور أدهم أنها منصرفة إلى النقد القائم على الوجهة الموضوعية لا الذاتية، كما تقول اليوم. والحق أن النقد عندنا أكثره يجري على الطريقة التأثرية. وهكذا ترى الدكتور أدهم يميل مع ناقدين أو ثلاثة من أهل مصر ولبنان إلى جحج التأثر Impressionnisme وتجديده ومراقبته حتى تتغلب المعرفة على الإحساس. إلا أني أرى فيما يكتب الدكتور أدهم موضعين للنظر: الأول اعتماده على الآراء القَبلية a priori والمسلّمات والمقبولات. وترى ذلك في الفصل الأول والثاني اللذين كتبهما في خليل مطران، ومثل هذا الأسلوب أجنبي عن طريقة النقد الموضوعية؛ لأن هذه الطريقة تذهب من الواقعات إلى النظر ومن الخاص إلى العام: فلا يتكلم الناقد مثلاً على لون من ألوان الشعر ليدل بعد ذلك على أن شاعراً من الشعراء ينظم على ذلك اللون، بل يجري على عكس ذلك. ومن هذا أيضاً أن الدكتور أدهم يقرر القضية من باب الارتجال فيستخلص منها ما يستخلص: من ذلك قوله في مطران (المقتطف يونيو ١٩٣٩ ص ٨٧): « وقد خلص الخليل من هذه السنين (سنين الطفولة) بطبيعته الاجتماعية التي تميل إلى خلق جملة صلة اجتماعية une somme de rapports sociaux مع الناس». فإني لا أفهم هذا النحو من التفكير «الموضوعي» وكأني بالدكتور

أدهم اقتبس منى (انظر « مباحث عربية » ص ٧٦) هذا التعبير: « جلة صلة اجتماعية » مع ما ينظر إليه باللغة الفرنسية ، من دون أن يحسن استعماله فى مجرى حديثه ، على ما يبدو.

وأما الموضع الثانى فإهمال الدكتور أدهم لاستقصاء المصادر . من ذلك ما فاته من مراجع فن توفيق الحكيم . فقد كان يحسن به أن يلتفت إلى ما كتبته فى هذا الباب فى مجلة الشباب (٩ مارس سنة ١٩٣٦) ومجمله: أن كلام توفيق الحكيم فى مسرحياته الأولى على أن « الكائنات ظواهر لا حقائق » ، وما يترتب على ذلك من صراع بين الواقع والحلم ، وبين الزمان والتاريخ ، وبين الشهوة والرغبة ، إنما هو أصلاً لكاتب مسرحى فرنسى يدعى لينورمان H.-R. Lenormand ، ومن تآليف هذا الرجل « إنما الزمان حلم » (سنة ١٩١٩) و « آكل الأحلام » (سنة ١٩٢٢) و « الرجل وأشباحه » (سنة ١٩٢٤) . ثم إن فى قصص توفيق الحكيم مظهراً آخر مستمداً من الأول وبيانه: أن الإنسان يسيّره ما لا يعرفه وما لا يقدر على مقاومته. وهذا الرأى الآخر يرجع إلى كاتب بلجيكى يدعى موريس ميترلنك (وإلى إبسن Ibsen قبله) . بق أن الأستاذ توفيق الحكيم ينحو نحو ميترلنك فى إنشاء ما يقال له فى فن المسرح « الجو » ، وجو القصة المسرحية قائم على بث الأنوار ، وتوزيع الأثاث وإجلاس الممثلين، إلى غير ذلك . وجو المسرحية عند الحكيم كجو المسرحية عند ميترلنك من حيث الميل إلى بسط الإبهام على الناظر وإثارة الأوهام فى نفس الناظر .

وليس معنى هذا أن توفيق الحكيم لم يأت بشىء من عنده . فقد كتبت قبل اليوم أنه « يحكم سرد الرواية ويحكم الحوار ويحكم تهيئة البيئة ؛ فهو صاحب فن حقاً » ، وقد استشهد الدكتور أدهم فيما كتبه بهذه الجملة (ص ٣٥٧)

وبعد ، فإنى أدعو من يعنى بالفصل الذى كتبه أدهم فى الحكيم — وهو فصل حقيق بالعناية — أن يرجع إلى نقد الأستاذ صديق شيبوب لذلك الفصل فى صحيفة البصير (١٢ مايو ١٩٣٩) ، فإنه جم الفائدة .

بشر فارس

الأتراك والحرف العربى

كنت نشرت فى الجزء (٢٢٦) من السنة الخامسة للرسالة الغراء — مقالة عنوانها (الحرف العربى والإفرنجى) نعيت فيها على هؤلاء الترك استبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وقلت فيها : « وأما ذلك التجديد فليس لليوم أن يقضى فيه قضاءه ، وللغد الحكم فننظر أأحسن القوم أم أساءوا » وبينت أن الحرف الإفرنجى هو الحرف العربى نفسه ، وأصل الحرفين معلوم ، غير أن الزمن قد حسن الثانى أى العربى وهذبه

وإن ما صنع الترك هو أنهم انقلبوا يسطرون أو يخربشون من الشمال مبذرين مضاعفين الكلمة ، وكانوا يكتبون من اليمين موفرين الوقت الثمين والكاغد

وقد قرأنا اليوم فى الصحف هذا الخبر من أنقرة :

« أنقرة — أخذت الأوساط التركية تفكر باستعمال الحروف العربية بعد أن قامت عدة صعوبات فى استعمال الحروف اللاتينية ، ويقال إن حكومة الجمهورية قد تفكر فى إلغاء القرار القاضى بمنع استعمال تلك الحروف »

فإذا صدق هذا الإعلام — ولا أستبعد صدقه — فقد عقل القوم من بعد السفه ، وصحوا من سكرهم ، وأحسنوا إلى أنفسهم وأدبهم وتاريخهم وآثارهم — على ضئولة قدرها — وإلا فإصرار البطل على الضلالة والباطل لا يدل على أنه محق

الاسكندرية ***

على فراش الموت

أصدرت دار الهلال أخيراً كتاباً عنوانه «على فراش الموت» من تأليف الأستاذ طاهر الطناحى. وهو كتاب محكم الوضع طريف الموضوع مختلف الجنى بين اللذة والفائدة والعبرة ، وقد أهداه إلى الأستاذ أمين الخولى فكتب إليه هذا الكتاب :

إلى الأديب الكبير الأستاذ طاهر الطناحى ...

تحية وسلام . وبعد فقد تلقيت كتابكم عن اللحظات الأخيرة

وأثر في تناولكم الدقيق لتلك اللحظات من اليقظة التي تتكشف فيها النفس عن جوهرها السماوي، وتستقبل الحياة الثانية بصفاء كدرته طوال تلك الحياة الدنيا أوهامها وأخاديعها.

نظرت فيما دونت من حال العظماء في تلك الدقائق الرهيبة، آخر عهدهم بالدنيا وأول عهدهم بالآخرة، فتجسم لي قول من سلف: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. وشعرت أن من كمال الترجمة لعظماء العالم أن تعرض لنا حياتهم في تلك الأوقات الختامية؛ وكأنما «فراش الموت» بساط ساحر لا ينتهي مداه، فهل أقول لك: ابسط منه ما استطعت وحدث الناس في أجزاء أخرى عن تلك اللحظات على باب الأبدية، وعتبة الحياة الثانية، واكشف من نفوس المعدودين ما لا ينكشف إلا في تلك البرهة الدقيقة الجليلة؟

إن الموضوع رائع رهيب؛ وقد بدت تلك الروعة والرهبة في تناوله. وفي لمحات قصيرة نظرت فيها إلى هذا المؤلف غمرتني تلك الروعة والرهبة، وشعرت بما شعرت به حين كتبت فصلك عن «الحب والموت» على ما أظن ... مزيج من الخشية والتسامي إلى عوالم اللانهاية

أشكرك وأحييك، وأبعث إليك مع سلامي أطيب تمنياتي

أمين الخولي

اصطلاح جديد

سيدي الأستاذ الزيات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فلقد قرأت مقال أستاذنا الفاضل أحمد أمين «أدب الروح وأدب المعدة» فألفيت مطلعه هكذا: «هذا اصطلاح جديد أضعه لنوعين من الأدب يتميزان كل التميز، ويختلفان كل الاختلاف، لعل في وضعه فائدة في تقويم الأدب وصحة تقديره». وما بي من عزم على أن أعرض لما جاء في ثنايا الموضوع من آراء، فأنا أحترم رأي الأستاذ وإن بَعُد ما بيني وبينه، ولكني أريد أن أقول: إن هذا النوع من المقابلة – وهو طريف – لم يكن ابن الساعة، فلطالما سمعته يجري على لسان أستاذنا المرحوم الرافعي في صور،

وهو جرى على قلمه أيضاً في صور أخرى. ففي وحي القلم الجزء الأول ص ٨٤ س ١ جاء ما نصه: «... لستُ المدبرَ بما في نفس أحد، ولا بمعدته وبطنه ...» وفي ص ١٣٥ س ١٢ من نفس الجزء جاء: «أفيؤرَّخ الإنسانُ يومئذ بتاريخ معدته وما حولها، أم بتاريخ نفسه وما فيها؟» وفي ص ٢١٢ س ٤ من الجزء الثاني جاء: «... ويتعامل الناس في الشرق على أصول من المعدة لا من الروح ...». ولو ذهبت أتقصى هذا التعبير فيما كتب الرافعي – رحمه الله – لكلفت نفسي شططاً؛ وحسبي هذا برهاناً على ما رأيت، والسلام

كامل محمود حبيب

كيفية ظهور الحياة على الأرض

سيدي رئيس تحرير الرسالة:

سلاماً وتحية. أما بعد فقد قرأت مقالة الأستاذ النقبادي في عدد الرسالة الأخير (٣٠٩) عن كيفية ظهور الحياة على الأرض. فوجدت فيها كثيراً من الخطأ أبين وجهه وصوابه فيما يلي:

فالأستاذ يبني كلامه على حقيقة لم يقل العلم فيها إلى الآن كلمة (الفصل): فهو يقول إن الكائنات الحية خاضعة لنواميس الطبيعة. ولكن الواقع أن كثيراً من ظواهر الأحياء كالحركة والتفكير والتزاوج – لا زالت تحير العلماء – ولما يجدوا لها تفسيراً مقبولاً. ولا زال علماء الحياة يعتبرون أن هناك قوة اسمها الحياة لا يدركون كنهها، ولكنهم يرون أثرها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأستاذ يستنتج من هذه الآراء نتائج غير صائبة. فيقول: إن السبب الطبيعي لنشوء الحياة هو حرارة الشمس، والأشعة البنفسجية التي كانت تبعثها في فجر الحياة. فلو سلمنا أن حرارة الشمس كانت حينئذ أشد منها الآن بمراحل – كما يقول الأستاذ – فإن هذا يدحض رأيه. فالحرارة الشديدة لا تساعد على نشأة الحياة وازدهارها، وإن كانت تساعد التفاعل الكيميائي. وذلك لأن البروتوبلازم (المادة الحية) يصاب بالضرر إذا اشتدت الحرارة كما هو معروف لكل من درس علم الأحياء ... والواقع أن الشمس لم تتغير كثيراً منذ نشأة

الكواكب السيارة ، ومنذ ظهور الحياة على الأرض . فإن ثلاثة الآلاف من ملايين السنين ليست إلا يوماً في حياة الشمس » : (النجوم في مسالكها تأليف السير جيمس جينز وترجمة الدكتور الكرداني)

ولو سلمنا برأى الأستاذ لتحتم أن توجد الحياة في بعض الكواكب السيارة الأخرى التي وقعت تحت نفس الظروف التي وقعت تحتها الأرض كالمريخ مثلاً . ولكن « يظهر أن احتمال وجود الحياة على المريخ أو على أي كوكب سيار آخر في المجموعة الشمسية لا يمكن أن يسمى احتمالاً قوياً » (النجوم في مسالكها السالف الذكر)

ويخبرنا علم الجيولوجيا أن الحياة لم تظهر غالباً إلا بعد مدة طويلة من نشوء الأرض . وأقدم الحفريات (وهي بقايا الكائنات الحية الموجودة ضمن الصخور) يقل عمرها عن نصف عمر الأرض ، أي إن الحياة لم تظهر غالباً إلا بعد انقضاء نصف الزمن الجيولوجي . وهذا يخالف ما يذهب إليه الأستاذ من أن الحياة نشأت حينما نشأت الأرض

وقصارى القول أن منشأ الحياة لا يقدر أحد أن يجزم بزمانه أو كيفيته . ولعل تقدم العلم — المبني على التجارب والحساب لا على الخيال — ينير لنا هذه المسائل . والسلام .

منير أمين مليطي

توحيد المصطلحات الطبية في العربية

وافق مجلس الوزراء على مذكرة لوزارة الخارجية قالت فيها : إن الجمعية الطبية المصرية طرحت موضوع (توحيد المصطلحات الطبية في اللغة العربية) على مؤتمرها الأخير الذي عقدته في أوائل سنة ١٩٣٨ في بغداد فأصدر قراراً اقترح فيه مقترحاً فصلت الجمعية الطبية قواعده فيما يلي :

أن تتصل الحكومة المصرية بحكومات الأقطار العربية في الشرق الأدنى للاتفاق على ما يأتي بصفة رسمية :

أولاً : أن تؤلف كل منها في بلادها لجنة من الأطباء واللغويين للنظر في موضوع توحيد المصطلحات العربية للعلوم الطبية أي اختيار أفضل تلك المصطلحات للاستعمال ، ويراعى في اختيار هذه اللجان أن تمثل فيها الجمعيات الطبية المختلفة

ثانياً : أن تنتدب كل من تلك الحكومات من أعضاء اللجان المشار إليها عضوين للاشتراك في لجنة دائمة تجتمع بالقاهرة شهراً في كل سنة على نفقة تلك الحكومات لبحث المصطلحات العربية المقترحة بواسطة اللجان المشار إليها أو الواردة في المعاجم الطبية العربية والبحوث اللغوية الطبية في مختلف البلاد واختيار أصلحها للاستعمال

ثالثاً : أن تكون قرارات اللجنة الدائمة المشار إليها معترفاً بها للاتباع في جميع المعاهد التعليمية والطبية في الدول المشتركة بحيث تتوحد المصطلحات الطبية العربية في جميع معاهدها وبالتالي في جميع مؤلفاتها ومجلاتها وعلى ألسن أطبائها

رابعاً : أن يكون انعقاد اللجنة الدائمة في كلية الطب أو مجمع فؤاد الأول اللغوي بالقاهرة ، وتتولى الجمعية الطبية المصرية الإشراف على سكرتيرية اللجنة ، وتتحمل وزارة المعارف المصرية النفقات الخاصة بالسكرتيرية والمراسلات والمطبوعات التي تصدرها اللجنة

جائزة « أمير ونجن »

تلقت قنصلية الأرجنتين في الإسكندرية من جمعية مكافحة السرطان الفرنسية أنها منحت الأستاذ الدكتور انجل روفو مدير معهد الأبحاث الطبية في (بونس إيرس) عاصمة الأرجنتين جائزة « أمير ونجن » ومقدارها ١٠٠ ألف فرنك ، وذلك لتقديمه إلى الجمعية أفضل الأبحاث الطبية الدولية عن « تأثير الطعام في إنماء السرطان » وقد سلمت الجمعية قيمة الجائزة إلى الدكتور كركانو وزير الأرجنتين المفوض في فرنسا ، لإبلاغها إلى الفائز بها

وقد قرر الدكتور روفو الاكتفاء بالشهادة الممنوحة له من الجمعية ، أما الجائزة المالية فقد تبرع بها لحكومته لتنفقها في الأبحاث الطبية ، على أن ينتدب لهذا الغرض طبيب أرجنتيني يسافر إلى فرنسا لمدة سنة لإجراء أبحاثه هناك ، وطبيب آخر فرنسي يقدم إلى الأرجنتين لعمل مثل هذه الأبحاث

الشعبة المصرية لمعهد التعاون الفكري

من القرارات التي اتخذتها الشعبة المصرية لمعهد التعاون الفكري ، تحديد قيمة الاشتراك السنوي الذي تدفعه مصر للمعهد وجعلها خمسمائة جنيه في العام

ودرست الشعبة مشروع مرسوم بتنظيم أعمالها ومشروع لائحتها الداخلية وبحثت مسألة اختيار أعضائها ، واستقر الرأي على أن يكون بعضهم ممثلاً لهيئات علمية وأن يختار البعض الآخر بصفتهم الشخصية

واقترح سكرتير الشعبة الأستاذ محمد العشماوي بك وكيل المعارف أن تمثل الشعبة في المؤتمر المزمع عقده في مصر لتوحيد الثقافة بين البلدان العربية ، فوافق المجتمعون على هذا الرأي على أن يمثل الشعبة في الأعمال التمهيدية للمؤتمر : الدكتور منصور



تاريخ التعليم في عصر محمد على

تأليف الأستاذ أحمد عزت عبد الكريم

للأستاذ على ابرهيم حسن

ألف حضرة الأستاذ أحمد عزت عبد الكريم مدرس التاريخ الحديث المساعد بكلية الآداب كتاباً عن « تاريخ التعليم في عصر محمد على » . وقد درست هذا الكتاب أو بالحرى هذا المجلد الضخم الذي تزيد صفحاته على ثمانمائة صفحة فوجدته درساً دقيقاً وإحاطة شاملة وبحثاً مستفيضاً لتاريخ التعليم في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وهى الحقبة الهامة التي شاهدت تكوّن امبراطورية محمد على وتحوّل مصر إلى دولة عسكرية فتية آخذة بأسباب الحضارة الحديثة .

وقد نحا المؤلف نحو العلماء الباحثين في بحثه ، فسرد الوقائع وأردفها برأيه الشخصي ، وعلق على الحوادث بآرائه التي تدل على الفطنة ودقة الحكم والتمييز . وقد استند المؤلف في بحثه إلى مراجع كثيرة ما بين عربية وافرنجية وتركية . كما استند إلى وثائق ومخطوطات بقسم المحفوظات التاريخية بديوان جلالة الملك .

ولسنا نستطيع في هذه العجالة أن نفيض في الحديث عن كل فصول هذا الكتاب الضخم ، وحسب القارئ أن يرجع إلى الفهرس التحليلي الذي أورده المؤلف في صدر كتابه .

فهمى بك مدير دار الكتب ، والأستاذ أحمد أمين رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

ووافق الأعضاء على تأليف مكتب مؤقت يضم سعادة لطفى السيد باشا رئيس الشعبة ، والدكتور على ابراهيم باشا وكيلها ومحمد الشباوى بك سكرتيرها العام ، والدكتور طه حسين بك والدكتور احمد عبد السلام الكردانى بك

وعرضت على اللجنة مذكرة مقدمة من الأستاذ محمد قاسم بك عميد دار العلوم ومندوب الحكومة المصرية في المؤتمر الدولى الثامن للعلوم التاريخية الذى عقد في أغسطس الماضى بمدينة زوريخ بسويسرا . وقد تضمنت المذكرة طائفة من المقترحات خاصة بوضع فهرس عام يجمع شتات المصادر المطبوعة للتاريخ المصرى ، ووضع قاموس للتراجم المصرية ، ووضع مصور تاريخى يبين أهم تطورات التاريخ المصرى إلى غير ذلك . وقد عهدت الشعبة إلى لجنة مؤلفة من مقدم المذكرة ، والأستاذ محمد شفيق غربال عميد كلية الآداب ومسيو دريوتون مدير مصلحة الآثار ، ومسيو فييت مدير الآثار العربية — درس هذه الاقتراحات

جمعية الفنانين المصرية

ستقام مباراة في فن الخط العربي للفنانين المصريين والأجانب يدور موضوعها حول كتابة اسم الجمعية . وللمتسابق الحرية في انتقاء نوع الخط وحجمه على أن يذيل النماذج بإمضائه واسمه وعنوانه ، ويرسلها إلى مقر الجمعية رقم ٦ شارع فؤاد الأول مصر ، في موعد لا يتجاوز يوم ٢٧ يونيو عام ١٩٣٩ .

وقد تقرر لها جائزة مبلغ جنيه مصرى . وللمتسابق الحق في أن يتقدم بأكثر من مخطوط

ع . روفائيل

قسم المؤلف فصول كتابه تقسيماً منطقياً إلى ستة كتب وثلاثة وعشرين فصلاً ، فتكلم أولاً عن التعليم قبل محمد على وهو التعليم الدينى فى الأزهر والكتاتيب والتربية التى كان يأخذ بها الأمراء مماليكهم ، والتأثير الفكرى الذى استحدثته الثورة الفرنسية فى الثقافة المصرية . وانتقل المؤلف من هذا إلى فصل ألم فيه إلماماً عاماً بسياسة محمد على فى التعليم فعرض لنا فصولاً شائقة فى جهوده الهائل الكبير فى إنشاء المدارس وبث البعوث وترجمة الكتب ونشرها والأغراض التى كان يتوخاها من النهضة التعليمية . ثم عرض المؤلف مسائل هذه السياسة عرضاً تمهيدياً مبيناً ما بينها وبين وسائل التربية الفرنسية من شبه ومن خلاف ، والأثر الغربى فى النظام التعليمى الحديث فى مصر . ثم أخذ المؤلف فى شرح تطور هذا النظام التعليمى فى عصر محمد على ، فتحدث عن نشأة التعليم الحديث فى مصر من ١٨١١ إلى ١٨٣٣ ثم عن إنشاء شورى وديوان المدارس وقد حقق تاريخ إنشاء هذا الديوان واختصاصاته وكبار موظفيه تحقيقاً قال عنه أستاذنا شفيق غربال إنه « يصح أن يكون مثالاً لكيفية استخراج الحقائق التاريخية من الوثائق الرسمية »

ثم انتقل المؤلف إلى حركة التعليم فى سنة ١٨٤١ والنهضة التعليمية التى جدت فى السنوات الأخيرة من عصر محمد على والتى كانت ترمى إلى تجديد الأساليب التعليمية وإلى نشر التعليم بين الأهالى . وفى الكتاب الثالث فصل المؤلف الكلام على معاهد الدراسة الابتدائية والتجهيزية والخصوصية ومناهج التعليم فى مراحله الثلاث وخططه ، وأتى بإحصاءات دقيقة لهذه المعاهد وعدد تلاميذها وكتب الدراسة بها طوال عصر محمد على

وقد عنى المؤلف بالحديث عن البعوث العلمية فنقد نظامها وتحدث عن أوجه انتفاع البلاد بأعضائها ، ثم سرد إحصاءات طريفة عن البعوث المختلفة فى عصر محمد على . وقد خصص المؤلف فصولاً ممتعة فى الحياة المدرسية وكل ما تعلق بها . ثم أعاد بحث المسائل التى ابتدأ بها مستعيناً فى نقده بما أورده فى الكتب السابقة من التفصيل ، فتحدث — فى الكتاب الأخير — عن العلاقة بين التعليم القديم والتعليم الحديث ومدى تأثير كل منهما فى الآخر وعلاقة الدولة والمجتمع بكل من التعليمين . وفى الفصل الثانى من هذا الكتاب نقد المؤلف النظام التعليمى الحديث فى عصر محمد على مبيناً ما به من أوجه الضعف وأخصها إهمال التعليم الأولى وضعف الصلة بين مراحل التعليم والمركزية فى إدارة التعليم وضعف مناهج الدراسة . ثم انتقل المؤلف إلى بيان الصلة التى نشأت بين المدرسة المصرية والمجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

ولم يختم المؤلف كتابه إلا بعد أن عقد فصلاً ختامياً تحدث فيه عن مدى نجاح النظام التعليمى الذى أنشأه محمد على فى مصر من حيث توجيه البلاد إلى التعليم الحديث واتصالها بالحضارة الأوربية وتوطيد زعامة مصر فى الشرق العربى ونهضة اللغة العربية .

وختم المؤلف كتابه بفصول إضافية فى تاريخ المعاهد الخارجة عن النظام القومى كمدارس الجاليات الأجنبية والطوائف الدينية غير الإسلامية ، وبصور عن بعض الوثائق الهامة كلوائح الدراسة وتقارير الامتحانات والتفتيش ، وبنقد المراجع التى رجع إليها ، وبيان مفصل لسجلات الوثائق الرسمية التى استمد منها مادة البحث وخاصة السجلات التركية والعربية لديوان المدارس فى عصر محمد على ، وفى نهاية الكتاب يرى القارئ « لوحات » طريفة لنماذج من الوثائق التركية والعربية والفرنسية يرجع عهدها إلى عصر محمد على ، قصد بها المؤلف — كما قال فى مقدمته — : « نقل بعض الوثائق ذات الأهمية التاريخية العظيمة وبيان أسلوب ذلك العصر فى تقييد أوامر الوالى ومكاتبات الدواوين وطريقة العمل فى الدفاتر التركية والعربية لديوان المدارس ، وتقييد نتائج الطلبة المبعوثين لطلب العلم فى فرنسا » . نذكر من بين هذه اللوحات — على سبيل المثال — الوثيقة الأصلية لأمر محمد على بإنشاء ديوان المدارس وأختام ديوان المدارس التى كانت تبصم بها قراراته وسجلاته ، ومضبطة أول جلسة عقدها شورى المدارس ، والجلسة التى أعلن فيها إنشاء الديوان ، وصورة التقرير الذى كتب بالفرنسية عن امتحان الخديو اسماعيل عند الالتحاق بمدرسة سان سير بفرنسا

فى أكتوبر سنة ١٨٤٨ وفيه بيان أسئلة الامتحان والدرجات التى نالها فى كل منها الخ ...

وقد صدر الكتاب بتقديم تاريخى نفيس فى أربع عشرة صفحة بقلم أستاذنا المؤرخ الجليل « محمد شفيق غربال » عميد كلية الآداب وأستاذ التاريخ الحديث بجامعة فؤاد الأول وصاحب الفضل فى تخريج عدد كبير من الشبان الباحثين فى التاريخ . تحدث أستاذنا فى مقدمته عن الوثائق التاريخية (وحق المؤرخ) فيها وجهود المغفور له الملك فؤاد – طيب الله ثراه – فى حفظها وتشجيع الباحثين على الاستفادة منها ، ثم تحدث عن اتجاه « المؤرخين الشبان » نحو دراسة « الإصلاح المحمدى العلوى » وذكر منهم مؤلف الكتاب الذى نتحدث عنه اليوم فأظهر النواحى التى أهلته للكتابة فى تاريخ التعليم فى مصر . ثم انتقل استاذنا العلامة إلى الحديث عن محمد على والتعليم فعرض لنا صورة بديعة « لمنظر الرجل الذى لم يتزود من تعليم المدارس يستحث رعيته على طلب العلم ، وينفق النفس والنفيس فى تهيئة وسائله لهم » ودرس خطة محمد على فى التعليم وأهميتها « لأهل الجيل الحاضر فى مواجهتنا مستقبل الثقافة فى مصر » .

و« التعليم » عند المؤلف يمثل ناحية هامة من نواحى النشاط السياسى والاجتماعى لمصر الحديثة . وعلى هذه الفكرة بنى المؤلف بحثه حتى جاء كتابه بحثاً تاريخياً بيداجوجياً يجد فيه المؤرخون بحوثاً واسعة فى تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر ، كما يجد فيه رجال التربية والتعليم بحوثاً أخرى فى نظم التربية وتطورها فى مصر فى ذلك العصر ، ونظريات بيداجوجية عن تعليم الطفل والبالغ وعلاقة المدرسة بالمجتمع ومدى تأثير كل منهما فى الآخر .

ولذلك فهو مجموعة لا غنى عنه لطلبة « التاريخ » بكلية الآداب ، وطلبة المعاهد والمدارس التى تدرس التربية كدار العلوم ومعهدى التربية للبنين والبنات ومدارس المعلمين والمعلمات والمهتمين بدراسة التاريخ السياسى والاجتماعى لمصر الحديثة والمشتغلين بالتربية والتعليم .

علی ابراهیم حسن

مدرس التاريخ بالمدرسة الخديوية

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 311

Lundi - 19 - 6 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبتدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١١ « القاهرة في يوم الاثنين أول جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٩ يونيه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

من صور الماضي ...

كان الفلاح في القرن الماضي يكابد صنفاً من الخلق صورهم الله على مثال عجيب من خفة الصقور وفتكة النمور وهيئة الناس ليكونوا مذكرين بجبروته ومنذرين بعذابه! كانوا من الأرناءود أو الجركس؛ وكان عملهم جباية الضرائب على كل شيء، ومن كل شخص، وفي كل وقت، وبكل صورة؛ أو اقتحام الدور للبحث عن المحظور أو المحكور من الملح والصابون إذا اقتناها أحد من غير طريق الحكومة. وكان سبيلهم إلى ذلك سبيل الإرهاب والعنف؛ فمتى دخل أحدهم قرية من القرى دخلها الفزع والروع فلا يملك السائر أن يتقدم، ولا الواقف أن يتكلم، ولا الداخل أن يخرج؛ ثم تخشع في القرية الحياة فلا تسمع حساً ولا حركة إلا هرير الكلاب وقوقأة الدجاج وصراخ الصبية! فإذا خرج منها (الجندي) كما كانوا يسمونه انطلقت من ورائه ضجة شديدة في البلد من بكاء المضروب وصراخ المنهوب ودعاء المضطرب!

فلما انتظمت أداة الحكومة بعد الثورة العرابية انكمش هذا النوع حتى انحصر رهبوته في ضياع الأمراء و « جفالك » السادة. وكانت قريتنا وسبع قرى أخرى متجاورة قطائع لعلي باشا شريف في أواخر القرن الماضي؛ وكانت الإمارة والإدارة فيها لهؤلاء الأرناءود أو (الأرنطة) كما كنا نقول؛ ففرضوا

عليها نظاماً في العيش أخذوه عن حياة الحيوان وعيشة العبد .
فكان الناس، كما يحدثنا الباقون منهم، لا يملكون مالاً ولا حرية ولا حياة ؛ وإنما كانوا يعملون بالتعذيب ويُخيفُون بالكره، كما تعمل الماشية بلسعات السوط وهي صابرة ، وتُثيل الأرض بضربات الفأس وهي صامتة . وكان لفظ (المأمور) معناه الموت الذي لا عاصم منه ولا مهرب . ذلك أنه كان يخرج كل يوم على جواده إلى الحقول، شاكي السلاح، كاشر الوجه، منفوخ اللغاديد، مفتول الشارب، متوقد النظر، كأنه تمثال الرعب أو صورة الغُولة! ثم يسير متلفتاً ذات اليمين وذات الشمال لا ليتفقد العمال ويتعهد الزروع ، ولكن ليبحث عن إنسان يعذبه أو حيوان يضربه .
والناس قد تعودوا منه ذلك فهم لا ينفكون طول النهار يرقبون ناحيته ويرصدون طريقه؛ حتى إذا أبصروه من بعيد غابوا في مخابئ الأرض كأنهم لم يكونوا ! فإذا عاد من طوافه خائب السوط جلس أمام الدوار وأمر أن ترش الأرض وأن يأتي في وحلها من جاءه في طلب حاجة أو رفع مظلمة! ثم يصيح بالجلاد أن ينهال عليه بالكرباج ، وهو في خلال ذلك يعيد من الغضب ويبرر من الغيظ حتى تهدأ ثورته وترضى كبرياؤه بعد لأى ! وكان العمد والمشايخ منوطين به ، فلا يسمعون الأمر والنهي إلا منه ، ولا يرفعون مشاكل القرى وقضاياها إلا إليه . لذلك ظل أهلوها يجهلون أن لهم خديوياً غير على شريف ، و (نظاراً) غير نظار الزراعة ، و (مأموراً) غير مأمور التفتيش . وكان هذا (الحاكم) كسائر بني جنسه مغلق الذهن مطبق الجهالة ؛ يجهل الزراعة ولكنه يأمر، ولا يعلم القضية ولكنه يحكم ، والجاني المحكوم عليه هو الذي يجرؤ على أن ينقّب أو يعارض . وكان سادته لا يفوقونه في الذكاء ولا في الرحمة ؛ فكانوا إذا زاروا هذه القرى — وقليلاً ما كانوا يزورون — تنكبوا بنادقهم وخرجوا يقتلون الوز في البرك ، والحمام في الأجران ، والكلاب على التلول ، والغربان على الشجر . ويراهم الناس فيرنون إليهم دهشين من طرابيشهم الحمر على وجوههم البيض ، ويظنون أن وراء هذا الرواء جمال القلب وكرم النفس ؛ فإذا دنوا منهم يسألونهم الإحسان والعدل زموا بأنوفهم ومضوا مستكبرين لا ينظرون ولا يجيبون !

أذكر وأنا صبي دون اليفاعة أن الناس كانوا يتحدثون عن جبار من هذا الطراز اسمه (زينل) . كانوا يتحدثون عنه كما يتحدثون عن البلاء ، ويؤرخون بعهده كما يؤرخون بالوباء ، لأنه أذلّ الفلاحين بالخوف والجوع ، وأضاع شبابهم بين التربة والغربة . ولا تزال الألسنة هنا وهناك تتناقل هذه المأساة من مآسيه :

يقولون إنه كان في قرية من هذه القرى شاب لم تلد نساؤها أجمل منه وجهاً ولا أشجع قلباً ولا أرق عاطفة. وكان هذا الشاب بحكم شبابه وجماله وكرمه حبيباً لكل فتاة وصديقاً لكل فتى، ولكنه كان كلفاً ببنت عمه، فهي وحدها حافز عمله وغاية أمله وروح حياته

وفي ذات عشية من عشايا الصيف كان علي وليلى عائدين من الحقل وهما ينسيان بالحب الخالص ، ويبسمان للغد المرجو ، فغلبت على العاشق نشوة الطرب من جلال الطبيعة وجمال الفتاة ، فقال وهو يقدم إليها آخر قطعة بقيت في يده من الحلاوة :

— ألا تشتهين شيئاً في الدنيا غير هذه الحلاوة يا ليلى ؟

فقالت له ليلى بعد لحظة من الصمت الحالم :

— لا أشتهي بعد قربك يا علي إلا عنقوداً من العنب !

عنقود من العنب ؟ إن الثريا أقرب إلى يديه من هذا العنقود ! وهل رأى في دنياه العنب إلا في حديقة (التفتيش) ؟ وماذا يصنع والدنو من سياجها هلاك محقق ؟ ولكن الحب لا يدرك البعيد ولا يعرف المستحيل. فكمن عليٌّ بعد رجوعه من الغيطق كومة من دريس (الوسية) حتى جنه الليل فقام يتسلق السور من جانبه المظلم، فلما بلغ أعلاه سقط في الحديقة فكانت سقطته في يد الحارس!

وبات علي في سجن الدوار . وأصبح الصباح فجلس المأمور والمعاونون والنظار، ورشت الأرض، وطُرح الجاني، وتعاقبت على جسده المعرّى عذبات الكرابيج ، والناس من حوله يضجون بالبكاء، ويضرعون بالرجاء؛ و (الأغوات) يتلذذون برؤية الدماء المنزوفة والدموع المذروفة ، ويطربون لسماع الأنات الضارعة والصرخات المتصلة، حتى كلت يد الضارب وخفت صوت المضروب فحملوه إلى السجن . وشفع العمدة لأهله أن يأخذوه . فلما دخلوا عليه لم يجدوا فيه وا أسفاه إلا حشاشة نفّس لفظها على صدر حبيبته أثناء الطريق !

احمد حسن الزيات

كتاب فرويد عن موسى

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشارت الأنباء البرقية منذ أسابيع إلى كتاب العلامة فرويد عن أصل موسى الكليم عليه السلام وكان يومئذ على وشك الصدور باللغة الإنجليزية

والعلامة فرويد كما هو معروف أستاذ الأساتذة العالميين في علم التحليل النفسي، بدأ بالكتابة فيه عند أوائل القرن الحاضر ثم تفرعت على مذهبه فيه مذاهب أتباعه ومريديه ومعارضيه تارة بالتوسع والتأييد، وتارة بالتعديل والتنقيح، وتارة بالمناقضة والتفنيد

ونحن على مخالفتنا إياه في الرجوع بكل خليقة من الخلائق وكل عارضة من عوارض النفس إلى الغريزة الجنسية، وعلى إيثارنا لآراء بعض مريديه ممن يضيفون إلى الغريزة الجنسية النزوع إلى امتداد الشخصية، وعلى ما في نظرته إلى الفنون والآداب من الضيق والجفاف، نعتقد أن الرجل قد أضاف إلى معارف الإنسان ذخيرة قيمة من التحقيقات والتوجيهات التي لا تضيع سدى، ولا تزال موضعاً للتصحيح والإتقان على تعاقب الأيام

وقد صدر كتابه عن موسى الكليم بالإنجليزية فإذا هو أعجوبة الفروض والاحتمالات، أو باعترافه هو أعجوبة التلفيقات والتخمينات؛ إذ كان من المتعذر عليه أن يرجع إلى حقائق التاريخ أو أساليب العلم في الاستقصاء، فاعتمد على الفروض وقال بصريح العبارة إنه لا يعتمد على شيء غير الفروض

وربما كان العجب الأعجب في الكتاب أن مؤلفه من بني إسرائيل وهو يحاول ما يحاول للرجوع بنسب موسى عليه السلام إلى مصر لا إلى إسرائيل

ولهذا استهدف الرجل للغضب من أبناء قومه قبل الغضب من الأجانب عنه وممن يخالفونه في الرأي والاعتقاد

***

ظنه الأول قائم على الاسم ومنشأه من اللغتين العبرية والمصرية القديمة

فبعض العبريين يزعمون أن موسى مأخوذة من «موشى» العبرية بمعنى المنتشل أو المرفوع، ويقولون إن بنت فرعون انتشلته من النيل فسمته لذلك بهذا الاسم الذي يدل عليه

وفرويد يشكك في تصريف الكلمة، ويشكك في سبب التسمية، ويقول إنه على فرض صحة المعنى المنسوب إليها بالعبرية فليس من المعقول أن ابنة فرعون كانت تعرف لغة إسرائيل معرفة الفقهاء والنحاة المتعمقين في النحت والتصريف

أما الرأي الذي يؤثره فرويد فهو أن الكلمة مصرية عريقة معناها الطفل أو الابن، وأصلها البسيط «موس» باللغة المصرية القديمة، ولم يتغير معناها بعد ذلك في عصر من العصور

وقد كان المصريون يسمون أبناءهم تحوت موس أي طفل تحوت أو توت الإله المعروف

ويسمون أبناءهم بتاحوس أو أحوس ومعناها طفل بتاح

ويسمونهم «راعموس» أي طفل راع وهو الاسم المشهور رعمسيس أو رمسيس

ثم كانت هذه الأسماء تختصر مع السرعة والترخيم والتدليل فيكتفى منها بالمقطع الأخير وهو «موس» أو موسى

وذلك على مثال الاكتفاء باسم «عبده» في نداء عبد الله وعبد الحميد وعبد الكريم، وعلى مثال جونسون وروبنصون وستيفنسون وموريسون واختصارها أحياناً بحذف مقطع منها في المناداة بين الأعزاء والأخصاء

فموسى على هذا هو اختصار اسم من هذه الأسماء، وهو لفظ عريق في لغة المصريين

***

والظن الثاني الذي يدعو فرويد إلى تخمينه هو فريضة الختان التي أخذها بنو إسرائيل من المصريين ولم تكن معروفة بينهم قبل هجرتهم من وادي النيل

فإذا كان بنو إسرائيل قد خرجوا من مصر ناقمين عليها وعلى أهلها فكيف يتشبهون بهم وهم خارجون منها أو خارجون عليها؟

إنما التأويل المعقول في رأي فرويد هو أن موسى كان أميراً مصرياً حانقاً على بني وطنه فهجره مع أبناء إسرائيل المتمردين

ثم فرض عليهم عادات مصر وشعائرها فأطاعوه حيناً ومجاملة واضطراراً ثم نكسوا في وادي التيه ومزجوا بعقيدته عقائد البادية فيما بين سيناء وفلسطين.

ويعرض فرويد هنا كثيراً من الفروض والتخمينات ثم يرجح منها لأسباب يطول شرحها فرضاً يراه لتلك الأسباب قريب الاحتمال

ذلك الفرض هو أن موسى عليه السلام كان أميراً من أمراء البيت المالك على أيام الملك الموحد الداعي إلى الإله الفرد الصمد « أخناتون »

وإن أخناتون خلع من الملك واستبد خلفاؤه بأصحاب الأديان المخالفة لهم ، فضاقت سبل البلاد بموسى وهو على عقيدة التوحيد ولم يجد أمامه أحداً يثور به ويطاوعه في تأسيس دينه ودولته غير هؤلاء الغرباء من الإسرائيليين وهم مثله يشكون ويتململون ، فوثبهم وهاجر بهم إلى الحدود المصرية في انتظار الفرصة السانحة أو في طلب الملك والعقيدة الصالحة بمعزل عن كهان الوثنيين

والذي يعزز هذا الاحتمال أن اللاويين من بني إسرائيل كانوا يتسمون بأسماء فرعونية لا علاقة لها باللغة العبرية ، وما كان هؤلاء اللاويون إذن إلا حاشية الأمير وذوي قرباه ، إذ كان من المستبعد جداً أن يهجر وطنه منفرداً بغير ولي ولا قريب

قلنا : بل هنالك احتمال آخر كان أولى بفرويد أن يرجحه على ذلك الاحتمال

فلماذا لا يقول مثلاً إن موسى كان إسرائيلياً من أسرة الرؤساء في بني إسرائيل قرباه فرعون مصر على سنة الملوك في تربية أبناء الرؤساء الذين يدينون لهم بالطاعة ويعترفون لهم بالرعاية ؟

أليس هذا الرأي أقرب إلى التوفيق بين النقيضين من عادات مصر وعادات إسرائيل ؟ ألسنا قادرين بهذا الفرض أن نفهم اقتباس موسى للعادات التي درج عليها وغيرته على أبناء جنسه في آن ؟

***

وقد عرض فرويد لنشوء التوحيد في مصر وهو أمر ثابت لا جدال فيه ولا اعتراض عليه

وقال فرويد : إن بوادر التوحيد ظهرت بين المصريين قبل ظهور أخناتون الذي أتم هذه العقيدة وأفرغها في قالبها المحفوظ

وعلة ذلك عند فرويد أن اتساع الامبراطورية المصرية قد استدعى توحيد الإيمان بإله واحد كما استدعى توحيد الطاعة للملك واحد

فإن فرعون مصر ما كان ليطيق العبادات الكثيرة والأرباب المتعددة التي لا تجتمع إلى وحدة موصولة ولا تزال سبباً متجدداً من أسباب الفتنة والتفرق والعصيان ، فجعل للإمبراطورية كلها داخلها وخارجها رباً واحداً تشترك فيه وتثوب إليه ، وكان هذا مبعث التوحيد الأول على صورته الساذجة التي أصلحها أخناتون ثم تعاقب الرسل بإصلاحها بعد ذلك

***

تخمينات !

ولكنها تخمينات علماء مخلصين ، وهي لهذا حقيقة بالنظر والاعتبار

عباس محمود العقاد

جنــــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

– ٢ –

تعود الناس أن يسألوا : « ما الذى بين فلان وفلان ؟ » حين يرون غبار المعارك الأدبية ؛ وقلَّ فى الناس من يتصور أن تقوم معركة أدبية فى سبيل الحق بين صديقين متصافيين كالذى أصنع اليوم فى الهجوم على الأستاذ أحمد أمين

والواقع أن ذلك الفهم لأسباب المعارك الأدبية هو صورة بشعة من ضعف الأخلاق عند من يتوهمون أن الأدباء لا يهجم بعضهم على بعض إلا طلباً لشفاء المكتوم من أمراض الحقـد والبغضاء ...

فما الذى بينى وبين الأستاذ أحمد أمين حتى يصح أن أهجم عليه هذا الهجوم العنيف ؟

أنا لا أذكر أبداً أن هذا الرجل وجَّه إلىّ إساءة فى محضَر أو مغيب ، وإنما أذكر أنه كان مثال الصديق الوفىّ الأمين فى مواطن يستظهر فيها الصديق بالصديق ، وتنفع فيها كلمة الإنصاف عند طغيان الأغراض

والواقع أيضاً أن الأستاذ أحمد أمين لم يعان متاعب الحيرة إلا فيما يقع بينه وبينى ، فهو يقرأ ما أهجم به عليه من وقت إلى وقت فيضجر ويمتعض ، ثم يرانى بغتة فيقرأ فى وجهى آيات من المودة لا يشوبها خداع ولا رياء ، فتأخذه الحيرة والاندهاش

فما معنى ذلك ؟

ألا يكون معناه أن لى مبادئ وعقائد أدفع عنها السوء ولو وقع من أعز الأصدقاء ؟

ولكن ما هى المبادئ والعقائد التى أجاهد من أجلها فى هذه الأيام ... ؟

أنا أومن بأن الأدب العربى أدب أصيل ، وأعتقد أن من الواجب أن ندعو جميع أبناء العروبة إلى الاعتزاز بذلك الأدب الأصيل ، لأنه يستحق ذلك لقيمته الذاتية ، ولأن الإيمان بأصالته يزيد فى قوتنا المعنوية ، ويرفع أنفسنا حين ننظر فنرى أن أسلافنا كانوا من المبتكرين فى عالم الفكر والبيان

وقد درج الأستاذ أحمد أمين فى الأيام الأخيرة على الغض من قيمة الأدب العربى ، وكان من السهل أن نتركه يقول ما يشاء لو كان من عامة الأدباء ، ولكنه اليوم رجل مسئول : لأنه من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية ، ولأغلاطه سيناد من تلك الأستاذية ، فهو يقدر على زعزعة الثقة الأدبية فى أنفس طلبة الجامعة حين يريد ، وذلك خطر لا نسكت عليه رعاية لما بيننا وبينه من أواصر الوداد

فإن بدا لهذا الصديق أن يغضب من هجومنا عليه فأمامه طريق الخلاص : وهو الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية إلى أن يعرف أن الأدب لا يؤرَّخ على طريقة الارتجال

ولعل هذا الصديق يرجع إلى نفسه فى بعض لحظات الصفاء فيذكر أنه لم يُخلق ليكون أديباً ، وأنه لم يفكر فى دراسة الأدب دراسة جدية إلا بعد أن جاوز الأربعين

لو رجع هذا الصديق إلى نفسه لعرف أنه لا يجيد إلا حين يشغل وقته بتلخيص المذاهب الفقهية والكلامية

ولو شئت لكررت ما قلت فى الكلمة الماضية من أن موقفه فى جميع أبحاثه موقف «المقرِّر» ولم يستطع مرة واحدة أن يكون من المبتكرين فى الدراسات الفقهية والكلامية

وإذا كان هذا حاله فى الفقه والتوحيد ، فكيف يكون حاله فى الأدب ، والأدب يرتكز على الحاسة الفنيـة ، وهى حاسة لم توهب لهذا الرجل قبل اليوم ، ولن توهب له بعد اليوم ، لأنها من الهبات التى لا تنال بالدرس والتحصيل ؟

أحمد أمين ليس بكاتب ولا أديب وإن سوّد الملايين من الصفحات

فليس من الإسراف ولا التجنى أن ندعوه إلى الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية . وسيرى كيف نقفه حيث وقفه الله فلا يزعزع الثقة بماضى الأدب العربى لتصح كلمة المفترين فى ذلك الماضى المجيد

أيُحكم على العصر العباسى بالفقر والخمود من أجل قالة خاطئة يتنفس بها أحمد أمين ؟

أيهدم ماضينا الأدبي بمحاولة رجل محروم من الذوق الأدبي؟

إن ذلك لا يقع إلا يوم يصح أن المصريين تنكروا لماضي اللغة العربية مرضاة لمواطن عزيز يسره أن يتطاول على الأدب وهو غير أديب

وأغلب الظن أن المصريين يؤذيهم أن يقع ذلك وهم ينفقون الملايين من الدنانير كل عام في سبيل إعزاز الأدب العربي

والجامعة المصرية أمرها عجب!

في الجامعة المصرية تدرس الآداب الإنجليزية والفرنسية والفارسية والعبرانية واللاتينية واليونانية، ولتلك الآداب أساتذة يهمهم قبل كل شيء أن يوحوا إلى الشبان أنها آداب جديرة بالخلود. ولو رأت الجامعة المصرية أن تدرس اللغة الزنجية لوجدت أستاذاً يقول بأن لغة الزنوج أحسن اللغات فكيف تفردت اللغة العربية بالضيم والهوان في أنفس أساتذة الجامعة المصرية؟

وبأي حق يرضى أحد الأساتذة أن يقضي العمر في تدريس الأدب العربي وهو يراه «ينحدر مع التاريخ شيئاً فشيئاً ليكون أدب معدة»؟

***

ومن هذه النقطة نمسك بخناق الأستاذ أحمد أمين

هذا الرجل ينظر إلى الأدب وإلى الوجود نظرة عاميّة، فهو يقسم الأدب إلى قسمين: أدب معدة وأدب روح

والسخرية من المعدة لا تقع إلا من رجل يفكر كما يفكر الأطفال. فالمعدة التي يحتقرها هذا الرجل العاميّ هي سرّ الوجود. وعن قوة المعدة تنشأ قوة الروح. والأدباء الكبار كانوا أصحاب معدات كبار. وسرّ العظمة عند ڤيكتور هوجو يرجع إلى معدته العظيمة، وما ضعف الغزالي في أحكامه الأخلاقية إلا لأنه ألف كتاب الإحياء وهو ممعود

والظاهر أن معدة أحمد أمين معدة ضعيفة، لأنه يواجه الوجود بعزائم الضعفاء؛ وإلا فكيف اتفق له أن يؤلف في الأخلاق بدون أن يستطيع الثورة على موروث الأخلاق؟

إن المباعدة بين المعدة والروح عقيدة هندية الأصل، وتلك المباعدة هي التي قضت بأن يعيش الهنود فقراء. ولو احترم الهندي معدته كما يحترم الإنجليزي معدته لما استطاع الإنجليز أن يكونوا سادة الهنود؟

أنا أعرف أن أحمد أمين يتخلق بأخلاق الأسماك. وآية ذلك أنه لم يُغضب الجمهور مرة واحدة. وهل اتفق للسمك أن يقاوم التيار مرة واحدة؟

وهيام أحمد أمين بتحقير المعدة نشأ من رغبته في مجاراة الرأي التام في الأخلاق السلبية، الرأي السخيف الذي يجعل الدراويش والرهبان أعظم أخلاقاً من تشمبرلن وهتلر وموسوليني، والذي يجعل زهديات أبي العتاهية أشرف من غراميات الشريف الرضي

وهذه العامية في التفكير هي التي فرضت على أحمد أمين رضي الله عنه أن يرى الغزل الفاجر أدب معدة، على حين يرى وصف الطبيعة أدب روح.

وهذا كلام ضعيف إلى أبشع حدود الضعف.

فالغزل القوي هو من شواهد الحيوية الدافقة في الرجال.

أما وصف الطبيعة فهو إحساس دقيق يأنس إليه من حُرموا الأنس بالجمال الحساس الذي يملك التعبير عن العواطف والشهوات

ولو شئتُ لاستشهدتُ بقول مؤلف (مدامع العشاق) إذ يقول:

«وماذا أصنع بالأشجار، والأزهار، والثمار والأنهار، والكواكب، والنجوم، والسهول، والحزون، والطيور الصوادح، والظباء السوانح؟

ماذا أصنع بكل أولئك إذا لم يكن معي إنسان أطارحه القول وأساجله الحديث، وأساقيه صهباء هذا الوجود؟

وما قيمة الليل إن لم تظللني في الحب ظلماؤه؟ وما قيمة البدر إن لم يذكرني بالثغر لألاؤه؟ وما جمال الأغصان إن لم تهزني إلى ضم القدود؟ وما حسن الأزهار إن لم تشقني إلى لثم الخدود؟ وكيف أميل إلى الظباء لولم تُشبه بعيونها وأجيادها ما للحسان من أعناق وعيون؟ وكيف أصبو إلى غُنّة الغزال لولا تلك النبرات العذاب التي يسمونها السحر الحلال»؟

ذلك أيها الأستاذ رأي مؤلف «مدامع العشاق» وهو رجل له

معدة وله روح ، ولا ينكر ذلك إلا من حُرموا قوة المعدة ، وقوة الروح .

***

وقد أراد أحمد أمين — على طريقته فى التودد إلى الجماهير — أن يزجّ بالقرآن فى مجال التفرقة بين أدب المعدة وأدب الروح ، مع أنه يعرف أن القرآن لا يقيم وزناً لأمثال هذا الاصطلاح . ولو أنه تأمل قليلاً لعرف أن القرآن يفيض بالأفكار التى توجب الاهتمام بالمطالب الجسدية . وعقيدة الإسلام تقوم على أساس الاعتراف بأن الإنسان مكونٌ من جسد وروح . والمؤمنون فى نظر القرآن سيصيرون حين يرضى الله عنهم « على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلَّدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدَّعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون، وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون »

ويحدثنا القرآن بأن أصحاب اليمين سيكونون « فى سدْر مخضود ، وطلح منضود ، وظلٍّ ممدود، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة »

أيكون هذا أدب معدة لتصح سخرية أحمد أمين من المحسوسات؟

الحق أن القرآن أُقحِمَ بلا موجب فى كلمة أحمد أمين .. والمزية الأساسية فى القرآن هى تخليص العقلية الإنسانية من أوهام الأحبار والرهبان ، ودعوة المسلمين إلى اغتنام المنافع الدنيوية والأخروية . وأظهر الأدلة على ذلك هو النص على ما فى الحج من شهود المنافع ، وهو نص صريح فى أن مطالب المعدة تساوى فى نظر الشرع مطالب الروح .

وهل يجدّ أحمد أمين حين يحتقر المعدة ؟

هل يجدّ أحمد أمين حين يحكم بأن مقالات « الكاتب » التى باعثها الأول الاستيلاء على الأجرة أدب معدة ؟

أشهد أنه احتاط حين قيد هذه الحالة بقيود ، ولكن تلك القيود جعلت فرضه من المستحيلات

فما هو الباعث الأول لأعمال أحمد أمين فى كل ما يباشر من الشؤون ؟

هل يرضى أن يعمل فى الجامعة المصرية بالمجان ؟

هل يرضى أن يشترك فى تأليف الكتب المدرسية بالمجان ؟

هل يرضى عن نشر إعلان بالمجان فى مجلة الثقافة لطبعة من طبعات المصحف الشريف ؟

هل يقبل الخروج من ثروته لإطعام الفقراء والمساكين ؟

فإن لم يفعل — ولن يفعل — فلأية غاية ينشر هذه الآراء بين الناس ؟

وهل يحقّ للمعلم أن ينشر من الآراء ما لا يستطيع التمذهب به فى أي وقت ؟

إن السر فى نجاح أحمد أمين يرجع إلى أنه يحترم الواقع فى مذاهبه الأدبية والماشية . وهو فى سلوكه الشخصىّ نموذج للرجل الحصيف ، لأنه لا يُقبل على عمل إلا حين يعتقد أنه عمل ينفع

والخطأ الذى وقع فيه هذه المرة خطأ مقصود ، وهو نافع فى حكم المعدة ، وإن كان ضاراً فى حكم الروح

وإنما كان هذا الخطأ نافعاً فى حكم المعدة لأنه يصور صاحبه بصورة الراهب المتبتل ، وتلك غاية قد تنتفع بها الأمعاء

إن من الخسارة الجسيمة أن يصبح مثل هذا الرجل الفاضل من الذين يزخرفون المقالات فى شؤون تضر المجتمع وتعود عليه وحده بالنفع « وتعليل ذلك واضح بقليل من إعمال الفكر » كما يحلو له أن يقول

***

قامت نظرية أحمد أمين على غير أساس

وما كانت نظرية ، وإنما كانت حيلة « باعثها الأول ملء أعمدة من الصحف والمجلات » وقد وصل إلى ما يريد وأضيف إلى حسابه مبلغ صغير أو كبير من المال

ولولا أنى أحترم المال لكرهت النص على أن هذا الصديق يعمل للمال

وهل يحتقر المال إلا من كُتب عليهم أن يعيشوا أذلاء ؟

نحن جميعاً نعمل للمال والمعدة ، وما فى ذلك من عيب ، ولكن العيب هو فى تنفير الجمهور من المال طلباً لحسن السمعة بين من ورثوا السخرية من المال بفضل ما وصل إلى عقولهم

المريضة من أقوال الدراويش والرهبان

وليس معنى ذلك أنى أنكر مطالب الروح ، فلولا مطالب الروح لما استبحت أن أخلق لنفسى عداوة رجل يضر وينفع مثل أحمد أمين

لقد فكرت كثيراً قبل أن أقدم على هذه الحملة الأدبية ، وصح عندى بعد الروية أن الغض من قيمة الأدب العربى هو عدوان على كرامة الأمة العربية ، فأنا أستهدف لعداوة هذا الرجل وعداوة أصدقائه فى سبيل المبدأ والعقيدة ، فليضف هذه المقالات العنيفة إلى أدب الروح ، إن كان من الصادقين !

***

أشرت من قبل إلى مركز هذا الرجل فى الجامعة المصرية وقدرته على تلوين آراء الطلاب حين يشاء ، فهل يكون من الشطط أن نقول له حين يخطئ : قف مكانك !

لو كان أحمد أمين أديباً لقلنا إن من حقه أن يبتدع من الصور الأدبية ما يريد ، ولكنه ليس بأديب ، وإنما هو مؤرخ أدب ، ولأحكامه الخاطئة فى تاريخ الأدب تأثير سيئ لا يدرك خطره إلا من عرفوا أنه رجل محترم يقبل الشبان آراءه بلا مراجعة ولا تعقيب

ونسارع فنقرر أن ضمير أحمد أمين سليم من الوجهة الأخلاقية ، فهو يكتب ما يكتب ويقول ما يقول عن اقتناع ، وإنما يصل إليه الخطأ من طريقين : الأول عدم تمكنه من تاريخ الأدب العربى ؛ والثانى عدم تعمقه فى درس السرائر النفسية والوجدانية . ومن هنا كثرت أغلاطه فى فهم أصول الأدب وأصول الأخلاق

والهجوم على هذا الرجل قد ينفعه أجزل النفع فينقله من حال إلى أحوال ، ويحبب إليه التروى والتثبت ، ويصرفه عن التحامل البغيض على الأدب العربى ، ويقنعه بأن أدب الفطرة أفضل من أدب الافتعال

***

وأحدد الغرض من هذه الحملة فأقول :

تورط أحمد أمين فى أحكام جائرة وهو يلخص تاريخ الأدب بطريقة صحفية

وقد دلتنا تلك الأحكام على أن هـذا الرجل صرفته السرعة عن مراعاة المنطق والنقل ؛ فما الذى سنصنع فى محاكمة هذا الصديق الذى نضيّعه آسفين فى سبيل الحق ؟ سنقدم إليه من البينات ما يقنعه بأنه يجنى على الأدب العربى أشنع الجنايات . وسنريه أن جنايته على نفسه أبشع وأفظع . وسنروضه على الاعتصام بحبل الصبر الجميل ، فليس من سيف الحق خلاص ولا مناص

ويعز علىّ أن أوجه إليه هذه السهام وهو يتهيأ لقضاء الصيف فى الاسكندرية . ولكن يعزينى أن أعرف أن نسمات الأصيل فى الاسكندرية فيها الشفاء من كل داء . .

فى الاسكندرية متاع العيون والقلوب والأذواق ، وفى الاسكندرية « صبايا الخلد تَسبَح فى الرحيق » وفى الاسكندرية مراتع ظباء ومرابض أسود

فاذكرنى بالشر يا صديقى أحمد أمين وأنت تواجه الفتن المائجة بين الشواطئ . واذكرنى بالشر حين ترى البحر وحين تخطر بشارع الكرنيش . واذكرنى بالشر حين تذكر « أدب المعدة » وأنت تأكل طيبات الأسماك بالمكس ، وحين تذكر «أدب الروح» وأنت تتفكر فى ملكوت السابحين والسابحات ،

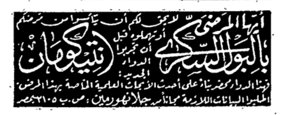
فبى ظمأ شديد إلى أن أذكر بالشر فى ذلك المصيف الجميل !

آه ثم آه ! أمثلى يؤذى روحاً يصطاف بالاسكندرية وطن الشعر والخيال ؟

***

انتظر يا صديقى ، فسترانى حيث تحب فى المقال المقبل ، وإنه لأقرب إليك من رجعة الموج الفاتن إلى الموج المفتون . والحديث ذو شجون

(مصر الجديدة) زكى مبارك



الانتـــــداب الفرنسى في بلاد الشرق*

للأســــتاذ بيير فينو

بيير فينو Pierre Vienot نائب فى البرلمـان الفرنسى ووزير سابق لعب دوراً هاماً فى عقد المعاهدة الفرنسية السورية سنة ١٩٣٦ . وقد اطلعنا فى العدد الأخير من مجلة (السياسة الخارجية) على محاضرة ألقاها عن بلاد الشرق الأدنى آثرنا أن نلخصها فى هـذه الظروف التى تضطرب فيها سوريا فى جحيم من القلق السياسى

لم أختر المعاهدة الفرنسية السورية عنواناً لمحاضرة اليوم ، ذلك لأن هذه المعاهدة ليست فى ذاتها إلا جزءاً من القضية الكبرى التى تتناول صلتنا بالشرق الأدنى ، ونفوذنا فيه ، وسياستنا معه ، وردود الفعل التى تنبعث عن هذه السياسة فى بلاد شمال أفريقية

الانتداب والمعاهدة

لماذا كانت المعاهدة الفرنسية السورية مفاجأة للرأى العام ؟

يتجه الرأى العام الفرنسى إلى الاعتقاد بأن فرنسا (تملك) سوريا ، ولكنها لا تعاملها كما تعامل المستعمرات . بل إن واجبها أن تقوم على إرشادها ، والدفاع عنها ، ورعاية المصالح الفرنسية فيها

والواقع أنه لا يمكن تطبيق أى لون من ألوان النظم الاستعمارية فى بلاد الشرق الأدنى . ولذلك لن أبسط الحديث عن عقم الاستعمار فى سوريا[1] ، ولا عن ضعف العلاقات الاقتصادية بيننا وبين بلاد الانتداب .

والناحية الجوهرية التى يجب أن ننبه إليها هى أن الاستعمار يوافق الشعوب المتأخرة التى لا تستطيع أن تقوم على إدارة نفسها .

فما هو مدى الرقى فى بلاد الشرق الأدنى ؟

إن نسبة الأميين فى لبنان تبلغ ١٦٪ ، وقد ترتفع النسبة فى سوريا إلى أكثر من ذلك فتبلغ[1] ٥٠٪ ، وإلى جانب هذه الطبقة المتعلمة نجد نخبة مختارة أصابت قسطاً وافراً من المعرفة والذكاء والعلم . وامتاز كثيرون منها بالقيام بأعباء الإدارة فى الدولة التركية .

إن فكرة الانتداب (ا)[2] التى نصت عليها معاهدات ١٩١٩ للبلاد المقتطعة من جسم الدولة العثمانية ليست وهماً ، ولكنها تطابق حقيقة اجتماعية واقتصادية وسياسية خاصة بالبلاد المذكورة ، وهذه الفكرة تختلف كل الاختلاف عن الحماية ، ونستطيع أن نجمل مميزاتها الأساسية بالتعريف الآتى :

« إن السلطة المنتدبة هى التى تمارس الحكم لتأمين تطور البلاد تحت الانتداب وتوجيهها نحو الاستقلال »

فالسلطة المنتدبة تشرع وتحكم ، ولكن كل غايتها تهذيب الشعب وإرشاده[3] . ومهمة المنتدب أشبه بمهمة الوصي ، لأن سلطته محدودة لا تتسع ، زائلة لا تدوم

قد لا يرضى تعريف الانتداب على هذا الشكل بعض الناس . وقد تكون ثمة اعتبارات نظرية أخرى ، ولكن هذه الاعتبارات تقتصر على وجهة النظر الفرنسية . أما الشعوب الشرقية فإنها ترفض هذه الاعتبارات فى إباء وقوة ، وتنظر إلى الانتداب على أنه عرض زائل ومهمة مؤقتة تنتهى مع بلوغ سن الرشد

والانتداب يتضمن فى ثناياه وعداً بالاستقلال ، وقد أثار هذا الوعد انتباه السكان فى البلاد ، وكان عاملاً فى نماء الفكرة الاستقلالية ، كما أن الخلاف بين الترك والعرب كان عاملاً آخر من العوامل المهمة فى هذا النماء

(*) من واجبنا أن ننبه القراء إلى أن هذا التفريق الذى نلحظه فى ثنايا المحاضرة بين سوريا ولبنان ليس إلا أثراً من آثار السياسة الزائفة التى تتبعها فرنسا فى تقسيم البلاد شيعاً وأدياناً وحكومات ؟ فلبنان وسوريا وفلسطين حلقة واحدة من حلقات الوحدة السياسية الكبرى بين الدول العربية ، غضب (الفينيقيون) أم رضوا ... (المترجم)

(١) لا يجاوز عدد الفرنسيين في سوريا — إذا استثنينا الجنود والموظفين — أربعة آلاف فرنسى

(١) يدل الاحصاء الأخير أن نسبة الأميين فى سوريا ٣٨٪ فقط

(٢) الذين وضعوا نظام الانتداب أرادوا به لونا من ألوان الاستعمار باسم جديد ، وأغرقوا فى التمويه فقسموه إلى انتداب من حرف (A) ، وانتداب آخر من حرف (B) ، وانتداب ثالث من حرف (C) ... وما إلى ذلك من أسماء سموها باطلا وخداعا

(٣) هذا من ناحية حقوقية . أما الواقع فان التعاسة التى تظلل أطراف البلاد السورية تشهد على مدى رعاية بعض الموظفين المستعمرين لهذا المبدأ ! (المترجم)

وفى معرض التدليل على نهضة هذه البلاد يجب أن نذكر الاضطرابات السياسية التى كانت تطلق على سوريا قبل الحرب ... وألا ننسى أن الشعوب العربية قد حاربت فى صفوفنا ضد الأتراك وأن قادة الحركة العربية رفضوا نظام الانتداب منذ ١٩١٩ لأنهم إنما جاهدوا فى سبيل الاستقلال والوحدة .... ويكفى أن نعرض لذكر المليك « فيصل » فقد وجد نفسه بعيداً عن العرش السورى حين حاول أن يقنع القادة بقبول أسس الاتفاق الذى ارتضيناه منه[1]

لعلّ من الإنصاف ألا نغفل أثر الوطنية المصرية فى بلاد الشرق ، فقد ولّد انتشار المقاومة السلبية فى مصر صعوبات كثيرة اصطدمت بها إدارتنا فى سوريا

وقد اتجهت سياسة فرنسا بعد الثورة السورية الكبرى اتجاهاً شديداً، ونستطيع أن نذكر هنا مجموعة من الوعود التى صدرت عن الحكومة الفرنسية حول هذا الموضوع

ففى سنة ١٩٢٧ أكد مسيو بريان Briand رغبة فرنسا فى أن تبقى أمينة على انتدابها . وفى عهد المفوض السامى مسيو بونسو Ponsot كانت أولى المحاولات فى سبيل عقد معاهدة بين فرنسا وسوريا . وقد تمخضت هذه المحاولات عن معاهدة سنة ٣٣ التى وقعها مسيو دومارتل M. de Martel ، وفى نفس الوقت صدرت تصريحات فلاندان Flandin بقرب انتهاء الانتداب ، كما نشر خطاب « هنرى بيرانجيه » الذى رحّب فيه بدخول العراق فى عصبة الأمم ، فى شيء كثير من الحماس ، وأشار إلى أن فرنسا ستنهج فى سوريا نفس السياسة التى انتهجتها انكلترا فى العراق

وفى سنة ٩٣٣ عرض مسيو دلاديه Daladier فى مجلس النواب لمفاوضات مسيو بونسو وأظهر اغتباطه بعقد المعاهدة بين سوريا وفرنسا[2]

على أن بيان العميد السامى المسيو دومارتل كان أقوى هذه التصريحات كلها . ففى أول مارس سنة ١٩٣٦ صدر

(١) هذه قضية تاريخية هامة لا يكفى فيها أن يقذف الكلام من غير تدقيق وروية

(٢) إن دلاديه نفسه يمارض اليوم ، وهو فى منصب رآسة الوزارة ، ما كان يحبذه ويدعو إليه فما أشد ما تفعل هذه الكراسى « المسحورة » ! (المترجم)

هذا البيان بموافقة مسيو فلاندان وزير الخارجية ، وتضمن وعداً صريحاً بعقد معاهدة سورية فرنسية على مثال المعاهدة العراقية الإنكليزية .

أما فيما يتعلق بالانتداب الفرنسى فى بلاد الشرق فنحن نواجه وضعاً خاصاً يجب أن ننظر إليه بعين الاعتبار إذا نحن أردنا أن ندرك المعنى التام لنظام هذه المسألة المعقدة

إن الانتداب الفرنسى واحد فى الشرق ، ولكن ثمة دولتين مختلفتين هما سوريا ولبنان تحتاجان إلى نظام خاص يربط علاقاتهما فى المستقبل . ومن الخير لفرنسا أن يكون هناك معاهدتان مختلفتان لكل من هذين البلدين تأميناً للمصالح الفرنسية وحرصاً على سلامتها

ويرجع الانتداب فى سوريا إلى عهد قريب ... فقد نشأ بعد ثورة العرب ضد الترك ، ولكن الانتداب على لبنان يرجع إلى مدى أبعد ، ويتصل بأيام حماية مسيحيى الشرق ولا سيما المارونيين فى لبنان

ولقد كان هذا الانتداب فى لبنان مستساغاً مقبولاً ، وكانت اللغة الفرنسية شائعة ، وهذا يصادف دون ما شك هوى فى نفوسنا لأن لبنان يهمنا بوجه خاص كقاعدة منيعة فرنسية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط

وإذن فنحن مضطرون إلى عقد معاهدتين مختلفتين ... وقد أشار إلى ذلك « لوسيان هوبرت » فى تقريره عن المعاهدة فى لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس الشيوخ ، ولاحظ كيف قوبلت هذه المعاهدة فى سوريا بشيء من الحيطة والحذر ، بينما وجدت فى لبنان رواجاً وارتياحاً عظيمين

« ولكن الواقع أن التعاقد مع سوريا شرط أساسى للتعاقد مع لبنان ، ومصالح فرنسا وفائدتها من الانتداب يجب أن ترجى فى لبنان لا فى سوريا »

تلخيص

شكرى فيصل

[البقية فى العدد القادم]

أسرار حياة بلاد العرب السعيدة

LA VITA SEGRETA DELL'ARABIA FELICE

تأليف الكاتب الإيطالي سلفانوري آبونتي

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

[بقية المنشور في العدد ٣٠٩]

انتهى ما أردنا نقله من كتاب السنيور آبونتي ص ٢٤ وما بعدها . والأستاذ الريحاني صاحب « ملوك العرب » له كلمة بصدد القات قال في ص ٩١ من المجلد الأول : « إن في القات على ما يظهر خاصية الحشيش الأولى ، أي الكيف ، وشيئاً من خاصة الأفيون المخدرة ، وبعض ما في المسكرات مما ينبه الفكر . وبكلمة أخرى هو يطرب النفس ، ويخدر الحواس ، ويشحذ الذهن . وأهل اليمن يعتقدون كذلك بأنه يبعث فيهم النشاط ويقويهم على السهر والعمل في الليل . وقد تحققت بنفسي أنه يؤرق ويحدث في المعدة يبوسة وانقباضاً وفي الفم جفافاً وعفوصة مثل البلوط ، فيطلب صاحبه الماء كثيراً . ولكني لم أحس بشيء من الكيف ، أي خفة النفس ، ولم ينبه الفكر إلى غير الأوهام التي تستحوذ على الناس فتفعل بحكم التأثير الطويل المتوارث فعل الحقائق المحسوسة . وقد يكون هذا وهماً لأن تأثيره فيمن يستعمله مرة غير تأثيره فيمن يستعملونه دائماً ويفضلونه على خبز يومهم ؛ وكل الناس في اليمن : من رجال ونساء وأولاد وأغنياء وفقراء يأكلون القات . . .

« ولا شك أن القات مضر بالصحة والنسل : فهو يفقد المرء شهوة الأكل ، ويفسد أسباب الهضم ، ويحدث أمثل الأفيون ، شللاً في مجاري البول ، ولا يقوى الباه بل يضعفه ! » .

ومواطنونا اليمانيون لهم قصائد من عيون الشعر في هـذا الحشيش . وقد كان الإمام يحيى من الذين (يخزنون) وله حماسة غريبة في الدفاع عنه . يحدثنا الريحاني في كتابه ص ١٦٥ أن رفيقه في الرحلة ثار وهجا القات ، فانبرى له الإمام يحيى وعارضه بقصيدة من فيض الخاطر فذكر عشراً من مزايا القات منها :

فللعيون جــــلاء للضعف منـه ذهاب
وللثغـور صــبـاغ زمردي يـــذاب
أحسن بثغـر مليح له الـذاب رضاب !
يا ما أحيـلاه طَلَما تحتـفي به الأحباب
وللنفــوس مريح وللنشاط انجـذاب
ويشحذ الفكر حتى يخاف منـه التهاب
ويطرد النوم عمن له الجليس كتـاب

وفي هجاء القات يقول شاعر عدني :

عزمت على ترك التناول للقات صيانة عرضي أن يضيع وأوقاتي
وقد كنت للقات المضر مدافعاً زماناً طويلاً رافعاً فيه أصواتي
فلما تبينت المضرة وانجلت حقيقته بادرته بالمساواة
فقيمة شاري القات في أهل سوقه كقيمة ما يدفعه في ثمن القات

***

ثم يغادر السنيور آبونتي مدينة تعز فينطلق في رحاب سهل المخا ، فتبدو له المروج الخضراء ، والبساتين الواسعة ، فلا تحرك عواطفه ، ولا تثير اهتمامه . إذ كانت نفسه تواقة متحفزة لرؤية المخا المدينة العالمية ، مدينة البن الرفيع . فتصدمه الحقيقة ، ويقف أمام الأمر الواقع ؛ وإذا به يرى هذه المدينة التي يدين لها العالم قد أخنى عليها الدهر فقضى على مجدها وسلب شهرتها ، فأصبحت يباباً وأطلالاً خراباً ، انفض عنها سكانها فلم تبق بها إلا أكواخ حقيرة ، وقوارب ملقاة على الشاطئ ، يأوي إليها السكان . . . أما مجدها فقد ألقى رحاله على الحديدة وعدن ، فأصبحتا قبلة العالم في ارتقاب البن اليمني !

وخلص من المخا واندفع في تهامة حتى بلغ الحديدة — ميناء اليمن — فمكث بها أياماً . وبعد ذلك تابع مسيره ووجهته عاصمة حِمْيَر ؛ وكان المؤلف في أثناء سيره يعجب من هـذه الجبال الشجراء ، وتلك الوديان التي تتدفق مياهاً ونباتاً . فقد كانت من أعظم المرفهات عن نفسه من وعثاء السفر ... وساءته جداً حالة السكان وما هم عليه من شظف الحياة والبؤس الصارخ في جميع المرافق . كأن هذه الأكواخ الحقيرة والعشش المهدمة التي تسيء إلى روعة هذه المناظر الطبيعية تبعدها من بلاد العرب السعيدة ، وتجعلها جزءاً من أفريقيا (ص ٥٤) .

ودخل صنعاء — مقر الملوك السيارة — فأطلق لخياله العنان ووصفها بما هي خليقة به : « هذه قصور شامخة تصافح السحاب ، وهذه القباب تتألق ناصعة في رائعة النهار ، وهذه منائرها ناخرة جوف الفضاء فيرتد عنها الطرف ... هذه صنعاء المدينة العجيبة ،

مدينة الخرافة والأساطير . أليست صورة صادقة من ألف ليلة وليلة ؟ » ص ٦٢ .

ويقف البنيور آبونتي على ناصية شارع من شوارع صنعاء فيرى بطرفه على الأقوام التي تسيل بهـا عاصمة اليمن ، فتختدم فى نفسه صور وأحاسيس ، وتتحرك فيه الشاعرية ، فيبرز لنا وصف صورة حية ناطقة كأنا نحسها ونشاهدها . قال (ص ٦٢) :

«... ها هم أولاء يعبرون سراعاً ممتطين صهوات خيولهم المطهمة ومن ورائهم الحشم ، متدثرين بالثياب البيضاء ، وعلى أكتافهم تسيل العصائب من حمراء وخضراء . وها هن أولاء النساء يسرن محجبات ؛ وهؤلاء هم البدو وقد تهدلت شعورهم الكثة الرهيبة على الأكتاف ، وانكشفت صدورهم المسيلة عليها مسادر(١) الجلود . ثم هؤلاء ذوو المناصب وأهل المقامات يحف بهم الإجلال ، وعلى رؤوسهم العمائم البيض ، يتبعهم بعض الخدم حاملين الرُّشب البراقة ... ثم ها هم أولاء رجال القبائل ، وقد لفحتهم الشمس فبدت ألوانهم زيتونية ، مسلحين بالجنابي المعقوفة المزمنة فى خواصرهم بسيور من الجلد ... وها هم أولاء العبرانيون فى قاماتهم الضامرة وقد استشزرت غدائرهم من الأصداغ تميزاً لهم ... وهذه هى الجمال تمشى وئيداً ، وتلك الأغنام تمثل الفوضى ، وقد سالت بها الشوارع ... »

« ثم يا للعجب من هذه العمارات الذهلة ! متى شيِّدت ؟ أبالأمس ؟ أم من آلاف السنين ؟ ! »

« إنه ليحق لليمنيين أن يفخروا بهذه العاصمة الفتانة ، وليس عليهم بغريب أن يسموها : « عرش اليمن » و « أم الدنيا » . ألم يؤسسها قحطان أبو يعرب العظيم الذى أخذ منه العرب اسمهم ولغتهم ؟ »

ويخرج المؤلف الإيطالى من هذه الصور الشائقة إلى ما هو أبدع منها وأغرب فقد حدثنا عن ظهور الإمام وجلوسه على عرش التبابعة ... وعن كنوزه التى تذكرنا بكنوز ملكة سبأ . فقد تحدث السائح فى ص ٧٦ عن مخابئ الإمام يحيى فى جوف الأرض وأحشاء الجبال . تلك المخابئ التى تفيض ذهباً وفضة ، والتى يقوم على حراستها رجال مخلصون !

وأبدع ما فى هذا الكتاب ، وما يهم العالم العربى الاطلاع عليه : هى شخصية الإمام يحيى تلك الشخصية العجيبة التى تناولها المؤلف فى صفحات عديدة من كتابه . فهمنا جداً أن الجيل معه الشذرات ، وطرح ما لا يليق نشره ، لأن الإمام شخصية شهيرة يحوطها الغموض ، ويجهلها كثير من الناس وهو إلى كل هذا ملك يمثل نوعاً من الحكم المطلق ما زالت آثاره فى أقاص بعيدة من الأرض . قال المؤلف فى ص ٩٠ وما بعدها :

« الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ، المتوكل على الله ، وأمير المؤمنين شخصية من تلك الشخصيات المهمة المدهشة التى تعيش على وجه الأرض . هو رجل وعالم ... فهو رئيس الحكومة اليمنية التى تعيش ضمن حدودها ، وهو إلى ذلك عالم دينى كبير ، وزعيم لمذهب يعد أتباعه من أشد المتحمسين والمتطرفين هو واحد من أولئك الحكام أهل النفوذ المطلق ، والحكم الذى لا يقابل إلا بالتسليم . يقرُّ الزيود بأنه رئيسهم الدينى والمدنى ، فهم يطيعونه طاعة عمياء ، ويحترمونه الاحترام العميق . ويدفعون له المغارم الثقيلة ؛ وإشارة منه كافية لإشعال حرب . ويفعلون هذا ، لأن الله أراد ذلك : « إذ فوّض إليه أن يحكم بلادهم ، ويتسلط على أرواحهم » . فشؤون الدولة اليمنية جميعها فى قبضة يده وبمجتلى بصره ؛ وإذا كان له وزراء فإنهم صوريون يخضعون لأوامره ويخلصون له الإخلاص التام ، ولا ينفذون أمراً من الأمور إلا بعد عرضه على أنظاره وموافقته عليه . ومن المسلم به أن هذا النظام من الحكم المطلق سيكلف السياسة اليمنية متاعب خطيرة ...

« إن الإمام يحيى شخصية مقدسة لدى كثير من اليمنيين ؛ تفد إليه من أقصى « بلاد الرحل » جماعات كثيرة من البدو ، يدقون القاع ، ويقطعون شاسع البقاع ، وقد برحت بهم الأمراض وعجز أطباؤهم عن شفائهم ، فلم يبق إلا دواء الإمام ، وكرامة الإمام ، فتهل هذه الوفود على صنعاء ، وتشخص نحو « المقام » فيمر الإمام يحيى يده على رؤوسهم وأكتافهم فيزول الشر ، وتحل العافية كما كان يفعل فى انكلترا وفرنسا منذ قرون مضت :

« Le Roi te touche, Dieu te guérit »

« يعتقد العالم الأوربى أن الإمام يحيى شخصية غامضة ذات أسرار عجيبة ولكن هذه نظرية خاطئة نحن مسؤولون عنها ، فالإمام يحيى يختلف جد الاختلاف عن أئمة اليمن السابقين ذوى العجائب والغرائب !

كان أولئك الأئمة ، فى وقت من الأوقات ، يعيشون فى أبراج من العاج بعيدة عن أنظار الجمهور ؛ فى وحشة صامتة ! وهذه

(١) السادر ج مسدرة : وهى « الجاكتة » وتعرف هناك بهذا الاسم لما فيها من الانسدار على البدن .

الخرافة ومنهم من أعماق التاريخ القديم[1] ؛ ذلك أن ملوك سبأ كما تقول الخرافة ، لا يستطيعون أن يغادروا قصورهم الفخمة فيتعرضوا لأنظار الجمهور فيقذفهم هذا بالحجارة !

ووالد الإمام الحالي قد حافظ على هذه العادة العجيبة ، وذلك بعكس الإمام يحيى الذي كثيراً ما يتصل بشعبه ، ويميل إلى الظهور في المجتمعات

هناك في فصل الصيف ، في ساحة من ساحات « المقام » وتحت شجرة عظيمة وارفة الظلال يتربع الإمام يحيى وحوله ثلة من الجند ، فيستمع إلى شكاوى الناس ، فينصف المظلوم ، ويأخذ الحق من القوى !

وقد تفد إليه من أقصى بلاد الشرق : من أرض سبأ جماعات من البدو يرجون إنصافاً ، فيهدفون على المقام فينحرون الذبائح على الأعتاب جرياً على عادات قديمة

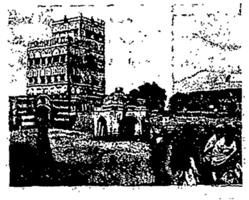
الإمام يحيى رجل عالم ومثقف ، يملك مكتبة واسعة زاخرة بشتى أنواع المخطوطات العربية القيمة ! وهو ميال على وجه أخص إلى علم الفلك وعلم السحر ؛ كما أنه مغرم جداً بمسائل التجارة وإجادة القريض وإنشاد القصيد !

يلبس من الثياب الأبيض . وهو ذو وجه أسمر تحوطه لحية ناصعة البياض وعينين سوداوين جميلتين جذابتين . تشع منهما دلائل الذكاء والفطنة والحذر : وهو اليوم في الخامسة والستين »

هذه بلاد اليمن وعاهلها مصورة بقلم السنيور آبونتي صاحب « أسرار الحياة في اليمن » أما نصيب هذه البلاد من التقدم وحظها من الحضارة فالأمر مشكل ومحزن ، فهذه البلاد التي لها ماض مجيد تعيش في القرن العشرين عيشة عجيبة بعيدة عن أنظار العالم ؛ بعيدة عن الحياة التي تتمشى اليوم بحرارة في أعراق الأمم ؛ متنبذة مكاناً قصياً ظانة أن الحياة في الوحدة ؛ وما درت أنها تمد نفسها لأن تكون لقمة سائغة لكلاب الاستعمار !

إن أبسط مظاهر الحضارة الحديثة ما زالت اليمن تتنكر لها ، وتتحرج من تتبع آثارها . فالسيارة ، وقد عرفها سكان الربع ! ما زال ينظر إليها في اليمن نظرة ريبة وامتعاض . حدثنا المؤلف في ص ٩٣ أن سيارة أهديت إلى الإمام فأراد تجربتها إلى أحد المساجد فما ظهرت لدى باب المقام حتى التف خلق كثير لرؤية « عمل الشيطان » وما كاد الإمام يظهر ليعتليها حتى انسل من بين الجمهور أحد أنجال الإمام يتبعه جماعة من المتصلبة في الدين ووقف أمام والده في رباطة جأش ، وعيناه تقدحان بالشرر وصاح قائلاً : وحتى أنت يا إمام الزيدية تجرؤ على اعتلاء هذه الآلة الجهنمية ؟ ؟

ولكن الإمام رده رداً لطيفاً وأخذ طريقه نحو المسجد على قدميه !



نموذج من البناء اليمني

وتوجد في اليمن كلها محطة راديو ؛ وعدة كهرباء ؛ يأخذان موضعهما من « مقام » الإمام فقط ؛ يحدثنا السنيور آبونتي في ص ٩٢ عنهما فيقول :

« هناك في زاوية قصوى من حديقة المقام توجد بناية ضخمة عليها محطة راديو وهي الأداة الوحيدة التي تصل اليمن بالعالم الخارجي

« يمر أمامها رجال القبائل فيحولون أنظارهم عنها من دون أن يفهموا شيئاً عن أسباب تأسيسها ! وإذا جن المساء تألقت الأنوار على مقام الإمام فيأخذهم العجب ؛ ويتألمون لهذا الحدث الجديد ؛ ولكنهم يتمتمون في سرهم اعتقاداً أن هذا من عمل « الجن » الذين يهيمن عليهم « المتوكل على الله » أيضاً ...

وأخيراً يأتي دور النفوذ الإيطالي في بلاد اليمن ، فقد لمسنا أنفاس الاستعمار تتمشى في صفحات عديدة من هذا الكتاب . ولم يستطع الكاتب الإيطالي أن يضبط نفسه ويكبح قلمه ؛ فهو يقول لنا في صراحة متناهية : إنهم يعدون أنفسهم للاستفادة من أية فرصة شرعية قانونية قد تحين ؛ فينتهزونها لجعل نفوذهم ملموساً في اليمن ؛ وهو في أثناء هذا يشيد بأعمال إيطاليا في اليمن وما أسدته إليها من الخدمات الجلي ؛ فهناك مستشفى لهم في صنعاء على مقربة من قصر الإمام ؛ وجميع ما يحوي قصر الإمام من أثاث

(١) هذه العجيبة لم ينقلها المؤلف وحده بل جاءت من طريق أسترابو المؤرخ الاغريقي الذي عاش قبل الميلاد في كلامه من « العربية السعيدة »

ومحطات راديو ، وغيد كهرباء؛ وسيارات ؛ ومصاعد للقصور كلها من عمل ... « الطليان » بل وهناك في صنعاء شارع يسمى شارع الطليان !

هذه « المكارم » الإيطالية ستؤتى أكلها ولو بعد حين ...

ومكائد الاستعمار كثيرة منها ما يأتى عن طريق الشركات ، وبذل الامتيازات ، وغير ذلك ؛ والسادة الإيطاليون اليوم في بلاد اليمن لهم وجود محسوس ؛ ومشاريعهم هناك كثيرة ، أهمها أن لهم اليوم مستشفى في صنعاء وأربعة أطباء : اثنان في صنعاء وواحد في الحديدة وآخر في تعز . وبالتأكيد أن هؤلاء لا يقومون بالخدمة الإنسانية ولكنهم ذئاب كاسرة في صورة ملائكة ، وأعين خطيرة لوزارة المستعمرات الإيطالية ؛ واليمانيون يعرفون هذا ؛ والإمام يحيى يدرك أكثر من هذا . وإذا سألتهم : هل لهذا الليل من آخر ؟ أجابوك : « الإيمان يمان ؛ والحكمة يمانية ! » وحياتنا في الوحدة « والوحدة عبادة ! »

ولا يفوتنا بعد هذا كله أن نشير إلى أن المؤلف كان في مواضع كثيرة من كتابه هذا يشيد في أسلوب استعماري صارخ بما في اليمن من ثروة طبيعية هائلة أهمها الذهب والفضة والنحاس والحديد والأحجار الكريمة والنفط والكوارتز والميكا وغير ذلك .

وخلاصة القول أن الفكرة الاستعمارية واضحة لا شية عليها ؛ وهي على أشدها في ص ١٥٧ وما بعدها .

فليحذر الإمام يحيى ، فإنه المسئول أمام الله والتاريخ عن مصير هذه البلاد .

هذه أسرار من (أسرار الحياة في اليمن) وهناك أسرار نجتنب ذكرها حرصاً على سمعة بلادنا ، وكرامة مواطنينا ، ولكن للأسف ستكون معلومة لدى الاستعمار ؛ بل هي الجسر الذي يتوصل به إلى تحقيق أغراضه ومطامعه ؛ ومن أنذر فقد أعذر .

« القاهرة » محمد عبد الله العمودي

دبلوم دار العلوم



الحب العذري في الإسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

- ١ -

بنو عذرة بطن من قضاعة ، وقضاعة من القبائل اليمنية التي نزحت من اليمن بعد سيل العرم ، فنزلت بشمال الجزيرة العربية إلى بلاد الشام

وقد اختص بنو عذرة من بين قبائل العرب بكثرة عشاقهم ، وامتاز عشاقهم على غيرهم بأنهم كانوا يلحون في الحب إلى حد الاستهانة بالموت فيه ، وأن الواحد منهم كان يخلص إلى من يعشقها ، ويهبها نفسه وحبه وكل شيء يعزه في هذه الدنيا ، وفي ذلك يقول جميل بثينة :

أصلّي فأبكي في الصلاة لذكرها ... ليَ الويلُ مما يكتب الملكانِ
ضمنتُ لها ألاَّ أهيم بغيرها ... وقد وثقتْ مني بغير ضمانِ

ويقول المجنون ، وقد كان من بني عامر :

ولمَّا أبى إلا جماحاً فؤادُهُ ... ولم يَسْلُ عن ليلى بمالٍ ولا أهلِ
تسلَّى بأخرى غيرها فإذا التي ... تسلى بها تغرى بليلى ولا تُسلي

وكان بنو عذرة يفتخرون بعشاقهم افتخار غيرهم بفرسانهم أو أجوادهم ، ويرون عشقهم مزية شرف ونبل ، ودليلاً على رقة القلب وصفاء النفس . وقد أخرج التنوخي عن عروة بن الزبير أنه قال: قلت لعذري: إنكم أرق الناس قلوباً - يريد أصبأهم إلى الحب ، فقال : نعم ، لقد تركت ثلاثين شاباً خامرهم السُّلُّ ، ما بهم داء إلا الحب

ولقد كان لجمال نساء بني عذرة أعظم الأثر في امتيازها بكثرة الحب ، لأن الحب في الغالب يجري وراء الجمال ، كما أن الجمال يورث القلب رقة ، والنفس صفاء ، فتستهويهما النظرة وتسترقهما الابتسامة . ومما ورد في جمال نساء هذه القبيلة ما روى أن فزارياً قال يوماً لعذري : أتعدون موتكم في الحب مزية وهو من ضعف البنية ، ووهن العُقدة ، وضيق الرئة ؟ فقال : أما والله لو رأيتم المحاجر البُلْج ، ترشق بالعيون الدُّعج ، تحت الحواجب الزُّج ، والشفاه السُّمْر تبسم عن الثنايا الغر ، كأنها شذر الدر لجعلتموها اللاتَ والعُزَّى وتركتم الإسلام وراء ظهوركم

وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : استنطقت أعرابياً عند الكعبة واستنسبته فإذا هو فصيح عذري ، فسألته : هل علقه الحب ، فأنبأ عن شدة ولوع ، فسألته ما قال في ذلك فقال :

تتبَّعْنَ مَرْمَى الوحش حتى رمَيْنَنا ... من النَّبْلِ لا بالطائشات المخاطفِ
ضعائفُ يقتلن الرجال بلا دَمٍ ... فيا عجباً للقاتلات الضعائفِ
وللعين مَلْهًى في البلاد ولم يُفِدْ ... هوى النفس شيء كاقتياد الطرائفِ

وبالجملة فليس حي أصدق في الحب من بني عذرة ، ولا تضرب الأمثال فيه إلا بهم ، كما قال في ذلك صاحب البردة :

يا لائمي في الهوى العُذْريِّ معذرةً ... مني إليكَ ولو أنصفتَ لم تَلُمِ

وكما اشتهروا بالحب إلى ذلك الحد اشتهروا بالعفة فيه أيضاً وقد روى عن سعيد بن عقبة الهمذاني أنه قال لأعرابي حضر مجلسه : ممن الرجل ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا . فقال : عذري ورب الكعبة . ثم سأله عن علة ذلك فقال : لأن في نسائنا صباحة ، وفي فتياننا عفة

ويحكى من عفة عشاقهم أن جارية وشت بجميل وبثينة إلى أبيها وأنه الليلة عندها ، فأتى وأخوها مشتملين معتمدين سيفيهما لقتله ، فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها : هل لك في طَفْء ما بي بما يفعل المتحابَّان ؟ فقالت : قد كنت عندي بعيداً من هذا ، ولو عدت إليه لن ترى وجهي أبداً ! فضحك ثم قال : والله ما قلته إلا اختباراً ، ولو أجبت إليه لضربتك بسيفي هذا إن استطعت وإلا هجرتك ، أما سمعت قولي :

وإني لأرضى من بُثيْنةَ بالذي ... لو ابصره الواشي لقرَّتْ بلابله
بلا وبألاَّ أستطيع وبالمُنَى ... وبالأمل المرجوِّ قد خاب آمله
وبالنظرة العَجْلَى وبالحول ينقضي ... أواخره لا نلتقي وأوائله

فقالا : لا ينبغي إيذاء من هذه حالته ، ولا منع زيارته لها ، وانصرفا

وقد فتن كثير من الناس بهذا الحب العذري ، ونظروا إلى أصحابه نظرة العطف والحنان ، وأشادوا بذكرهم في الكتب ، وأعجبوا بصدقهم وعفتهم في ذلك الحب ، وحاولوا أن يجعلوا من الشهداء من يموت بسببه ، ورووا في ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من عشق فعف فمات دخل الجنة . وفي رواية من عشق فعف فظفر مات شهيداً . وفي أخرى وكتم ، وقد صحح هذا الحديث بسائر طرقه مغلطاي ، وأعله البيهقي والجرجاني والحاكم في التاريخ .

ولم يكد الشعراء يعرفون ذلك الحديث حتى أولعوا به وعملوا على إذاعته في أشعارهم ، وتضمينها إسناده ومعناه . ومن ألطف ما جاء في ذلك ما حكاه التاج السبكي عن أبي نواس أنه قال : مضيت إلى باب أزهر والمحدثون ينتظرون خروجه ، فما كان إلا أن خرج وجعل يعظم واحداً بعد واحد ، حتى التفت إليّ فقال : ما حاجتك ؟ فقلت :

ولقد كنتم رويتم ... عن سعيد عن قتادة
عن سعيد بن المسيب ... أن سعد بن عبادة
قال من مات محباً ... فله أجر شهادة

فقال أزهر : نعم ، وذكر الحديث

ولأبي نواس في تضمينه أيضاً :

حدثنا الخفاف عن وائل ... وخالد الحذاء عن جابر
ومسعر عن بعض أصحابه ... يرفعه الشيخ إلى عامر
وابن جريج عن سعيد وعن ... قتادة الماضي وعن غابر
قالوا جميعاً أيما طفلة ... علقها ذو خلق طاهر
فواصلته ثم دامت له ... على وصال الحافظ الذاكر
كانت لها الجنة مبذولة ... تمرح في مرتعها الزاهر
وأيّ معشوق جفا عاشقاً ... بعد وصال ناعم ناضر
ففي عذاب الله مثوى له ... بعداً له من ظالم غادر

ولابن المبارك الإمام في تضمينه :

حدثنا سفيان عن جابر ... عن خالد عن سهل الساعدي
رفعه من مات عشقاً فقد ... استوجب الأجر من الساجد

وكان كثير من العظماء والعلماء يعطف على أولئك العشاق ، ولهم في ذلك آثار ونوادر لا تحصى ، ومنها ما روى عن المهدي أنه قال : أشتهي أن أصلي على جنازة عاشق مات في الحب

ومنها ما روى أن ابن الليث قاضي مصر كان يكتب في فتيا ، فسمع جارية تقول :

ترى (؟) الحكومة يا سيدي ... على من تعشق أن يقتلا

فرمى القلم من يده وهو يقول : لا

وقد أخرج الخطيب البغدادي عن النزى أنه قال : رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من أول الليل إلى الغداة ، ثم قاما إلى الصلاة ، وقد قال في ذلك بعض الشعراء :

لله وقفة عاشقين تلاقيا ... من بعد طول نوى وبعد مزار
يتعاطيان من الغرام مدامة ... زادتهما بعداً من الأوزار
صدق الغرام فلم يحل طرف إلى ... فحش ولا كف تحل إزار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما ... لم يخش مطعن عائب أوزار

وهذا كل شأن الحب العذري على ما يقرأه الناس في كتب الأدب ، وهي تأخذ الأشياء باللطف ، ولا تدقق في أمرها كما يدقق غيرها ، وقد كنت أقرؤها كما يقرؤها سائر الناس ، فلا ألتفت فيها إلا إلى ما يلتفتون إليه ، ويصرفني التأثر بأحاديث ذلك الحب عن التدقيق في أمره ، إلى أن قرأت مرة قصة وفود جرير وابن أبي ربيعة وجميل وكثير والأحوص والفرزدق والأخطل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وقد طلبوا الإذن بالدخول عليه ؛ فكان يذكر لمن يطلب الإذن لهم بعضاً مما قاله كل واحد منهم في الغزل ، ثم يأبى أن يأذن له بسببه ، ولم يأذن إلا لجرير من بينهم . وقد سوى في ذلك المنع بين ابن أبي ربيعة والأحوص والفرزدق والأخطل وهم من فساق الشعراء ، وبين جميل وكثير وهما من أصحاب ذلك الحب العذري ؛ فكانت هذه المفارقة سبباً في لفت نظري إلى التدقيق في ذلك الشأن ، وبحثه من جهة الدين بحثاً صحيحاً ، لا إفراط فيه ولا تفريط ، ولا تشديد ولا تساهل ، لأن دين الله وسط بين ذلك .

ولا بد لي قبل هذا من ذكر قصة وفود أولئك الشعراء على عمر بن عبد العزيز ليرى القارىء تشديده في أمر أصحاب ذلك الحب العذري ، بعد أن رأى تساهل غيره فيه .

عبد المتعال الصعيدي

جولة في عرصات القيامة

للأديب محمد محمد مصطفى

حدث سهيل بن النعمان قال :

... ونفخ في الصور فلفظتنا القبور حفاة عراة سواء منا ملك وصعلوك وعذراء حصان[1] وبغي هلوك ، لا تستطيع امرأة أن ترنو إلى رجل يجتبيه ، وما يستطيع رجل أن يرنو إلى امرأة تدانيه ، فكل ذاهل اللب له شأن يغنيه

ورف ملاك فوق رؤوسنا وبيده إبريق، يصب منه ماء لفريق منا دون فريق ، فقلت : اسقني يا هـذا إني لفي صدى[2] شديد وضيق . قال : أفأعطيت في حياتك لابن سبيل ثمداً[3] من غدقك[4] ؟ قلت : قد كنت في حياتي نضو إملاق . قال : إن نبيك مات ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير . فما كانت صناعتك في الدنيا ؟ قلت : شرطي . قال : أفحررت عبداً من رقه ، أو كبت مجرماً وكفيت الناس شره ؟ قلت : لم يكن في زمني رق ولا رقيق . فرمقني وقال : يلوح لي أنك أتيت في دنياك حوباً[5] كبيراً ، وهذا الماء لمن وقى شريداً أو أطعم فقيراً . فسفحت[6] دمعي عله يرق لي ... لكنه تركني وانصرف

* * *

ووضع الكتاب في عرصات القيامة ، وأذن في الناس إبراهيم[7] ، وجيء بالمنعمين في الدنيا فعرضوا على جهنم فسمعنا لها شهيقاً وهي تفور ، وصاح صائح : إنا أعتدناها لهؤلاء نزلاً ، وسيرون الآن فيها العذاب قبلا

ورأيت قوماً تجذبهم الملائكة وتقف بهم بين يدي الله ، وينادي المنادي بأعلى صوت : هؤلاء هم الشرطيون الذين كانوا في حياتهم يرتشون، والذين كانوا لا يتركون بائعاً جوالاً إلا وهم من بضاعته آكلون ؛ تقوم الدنيا إلى جانبهم وهم بباعة العرقسوس لاهون !

وسئل أولهم عما كان يحشو به منديله المحلاوي من لب وفشار، وبطاطا وخيار ، وما كان يرشى به من درهم ودينار . فنظرت إليه فإذا هو ناكس رأسه حزناً وألماً يقول :

قد رأيت يا رب قلة راتبي وكثرة أطفالي ، وإن أحدهم كانت تهصر نضارته الحمى وأمه قائمة إلى جانبه يرفض[1] كبدها لصوت أنينه، فلم أملك رفض الدراهم التي كانت تقدم إلي لأدفعها للطبيب ثمن الحياة لطفلي ، إذ لم يكن ينتفع في الدنيا بطب الطبيب سوى الأغنياء . ولم أسمع أن أحداً منهم خصص يوماً للفقراء ، وكان زمني كله شرور فذوو السعة يغلون أيديهم لا يبسطونها إلا لشهوة أو نزوة أو لوليمة تقام للأمراء والأغنياء ، ولم أر موسراً دعى إلى مأدبة فقراء

وكان في زمني مبنى يسمى (متحف الآثار) ، كانت تكدس به تماثيل وقطع من الأحجار ، يهرع لرؤيتها الأغنياء من الأقطار والأمصار ، وكان يكفي ثمن القطعة منه لبناء أكبر دار تضم بين جدرانها العرايا والمشردين من الأطفال الصغار ، الذين كانوا يفترشون الأرصفة فتهطل على أجسادهم الرقيقة الأمطار ، على أن أحداً لم يحفل ببيع ما تماثل أو تشابه من هذه الآثار ، ليدفعوا ببعض ثمنها عني وعن أولئك الأطفال الدمار ، بحجة أن في بيعها لمصر عاراً . مع أن تركيا فعلت ذلك واشترت بثمن آثارها أسطولاً في الجو وآخر يمخر البحار ، ولم نسمع في زمننا أن أحداً أشار إليها بعار أو شنار ... وكنت أقف النهار يلوحني الهجير، وأسهر الليل يقضقض عظامي الزمهرير ، ولا يدفع لي عن ذلك إلا أجر يسير؛ فقيل له : ألك شاهد بذلك؟ قال : رسل باشا . فهتف مناد : يا رسل يا ابن حواء ! فأشخص إلى المولى ومثل فوافق على ما قاله رجاله ، فدخلوا بشهادته الجنة آمنين ...

ومر مثل عمري في الدنيا حتى حان دوري في الحساب فشدهت من هول الموقف وفرقاً من هيبة الله وجعلت أسبح وأستعيذ

(١) حصان : عفيفة (٢) صدى : ظمأ (٣) الثمد: المال القليل
(٤) الغدق: الكثير (٥) حوبا : إثما (٦) أي أرسلت
(٧) عن الأمام محمد الرازي أنه أول مؤذن في الدنيا قالوا : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قال سبحانه : وأذن في الناس بالحج . قال : يا رب وما يبلغ صوتي ؟ قال : عليك الآذان وعلي البلاغ . فصعد إبراهيم عليه السلام الصفا وقال : كيف أقول ؟ قال جبريل عليه السلام : قل لبيك اللهم لبيك . فسمعه ما بين السماء والأرض فما بقي شيء سمع صوته إلا أقبل يقول : لبيك اللهم لبيك !

(١) يرفض : يتناثر

والملائك يغذ بي السير حتى مثلت بين يدى الله فغشى بصرى من نوره ، وثقلت سيئاتي ، فسئلت : لم فسقت عن أمر ربك ؟ فألجمني الفزع الأكبر . فهتف هاتف : عذبوه . فانطلق بي الزبانية وإذا بي من جهنم على شفير ، فريع قلبي وصرخت صرخة رجعت أصداءها أطباق الجحيم وجأرت بالشكوى إلى الله أن يكشف عنى الضر « إنني من أمة حبيبك محمد الأمين » ... فرأيت خاتم الرسل يطوى إلىّ رحب السماء على البراق وهو يهتف بي : « لا تثريب عليك فقد غفر الله لك » ... ووكل بي حورية هيفاء حلتني وانطلقت بي إلى جنة الخلد التي وعد الله بها المتقين

* * *

وأخذت أخبط في جنبات البساتين فإذا بقصور من در تتغلغل في رياض الجنة وورودها لتفيء إلى عزلة سعيدة ، فسألت حوراء من حور الجنان : لمن يكون هذا الحي فقالت : إنه لصرعى الغرام . قلت هل تدلينني على « قيس بن الملوح » إنه مات وجداً بليلاه . قالت : أنا بك إليه

ودلفت وراءها إلى فناء قصر تتوسطه بركة ملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ، وإذا فتى إلى جانبها يتدفق الشباب في بردتيه ويلتهب بحمرة الورد خداه قد أجلس على ركبتيه فتاة في مثل تهاويل الزهر قد أسبغت عليها الجنة جمال أنوثة الدنيا وبهاء الملائكة ، ينظر إليها وترنو إليه ... وبدا لي أنهما لم ينتبها لي كأن بيني وبينهما آفاقاً بعيدة ، فصحت مسلماً فنهضا وسلما . . . فقلت إن شعرك يا قيس ظل يتلى حتى قامت الساعة وأنا أعرفك من شعرك . فرحب بي وسهل ، واقترحت ليلى أن توصلنا السابحات إلى عين السلسبيل ، وقال قيس : سيكون العشاق لك ندامى وسترقص لك وتغني حور عين . وعلى شاطئ النهر دارت بنا كؤوس من زبرجد أخضر نعب منه خمراً لذة للشاربين ، وأفعمت حورية أفئدتنا بصوتها السماوي الساحر ، ولعبت الراقصة بقلوبنا برقصها المائس الباهر . وتلبثت وقتاً بينهم في بلهنية وخمر . ولما تعالم العشاق إزماعي الرحيل عن حيهم ألجأوا إلى فرساً من نور طفت بها أحياء الجنة والملائكة حولى تهتف : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

محمد محمد مصطفى

بادارة مدرسة البوليس

من الأدب التركي الحديث

الجزيرة الكبرى في الليل (*)

للكاتبة التركية الآنسة معزز أونكان

. . . في ليلة جميلة من ليالي آذار :

« نسمات الربيع تتلألأ حتى تذوب على سطح البحر البراق المشتعل باللمعات الفضية التي قبسها من سنا الأزهار ... والنجوم المنثورة على السماء الزرقاء تخفق قلوبها ابتهاجاً وسروراً لقدوم الربيع . . . والبحر في هذه الليلة متقبع بملابسه الخضراء . . . وظلام النجوم تغسل أبد الدهر بمياه هذا البحر ... والقمر في عليائه كأنه تاج فضى على رأس الليل . . . أو زهرة ناضرة على صدر الكون . . . » .

خلال هذا المنظر الفاتن ترى الجزيرة الكبرى من بعد كأنها إحدى بلاد الجان في عزلتها وهدوئها وجاذبيتها ، وجمالها وسحرها ... وفي وسط تلك الجزيرة وبين أشجار الأرز الكثيفة في نقطة مرتفعة أضواء مشعشعة كبيرة ، يخيل إلى الناظر إليها من بعد أن نجمة كبيرة هبطت من السماء على تلك البقعة . أو أن تلك الأضواء التي تغمر الأرز باحمرار رهيب هي نار حريق اندلعت ألسنته هنالك . . .

أجمل قصور الجزيرة مغمور بالكهرباء ، كأنما خرج ليبارى أضواء النجوم والقمر ؛ وأزهار هذا القصر الفخم وأشجاره قد تعودت كأهله هذه الحفلات ... فهي سكرى تمايل على هدأة الليل .

وحينما ترفع أجمل النغمات العذاب إلى علياء السماء تنصت الريح إجلالاً وإكباراً ، والبحر يضم هذه النغمات إلى صدره كما يضم الطفل الحالم أغنية أمه إلى صدره الصغير . والعنادل تردد أجمل ألحانها على أغصان الأرز ثم تصمت حزينة آيسة ، حينما تسمع هذه النغمات الشجية الرائعة — نغمات الليل — وحينما تدرك عجزها عن أن تأتي بمثلها . والقمر الذي يطل من كل مساء من فرج الأشجار المرتفعة ، والنجوم التي تطل من السماء بغبطة وحسد . كل هؤلاء كان يعرف أن هذه الجزيرة محل الأنس والطرب ، لا يمكن للشقاء والبؤس أن يعيشا فيها . الحياة هنالك سعادة دائمة ، وهناء متواصل .

« بغداد » نجدة فتحي صفوة

(*) وهي كبرى الجزائر الثلاث القائمة خارج البوسفور في الآستانة

صلاح الدين موسى

المعروف بقاضي زاده الرومي

للأستاذ قدري حافظ طوقان

من الغريب أن نجد في تاريخ الرياضيات لسميث في الجزء الأول ص ٢٨٩ أن غياث الدين يعرف بقاضي زاده الرومي وأيضاً بعلي القوشجي، وهذا خطأ، فغياث الدين لم يعرف بأحد هذين الاسمين بل إن غياث الدين وقاضي زادة وعلي القوشجي هم ثلاثة أشخاص اشتهروا باهتمامهم في العلوم الرياضية والفلكية، وقد يكون الخطأ الذي وقع فيه سميث ناتجاً عن كون الثلاثة اشتغلوا في مرصد سمرقند وعاونوا ألغي بك صاحب الرصد وأمير تركستان وما وراء النهر في إجراء الإرصاد وعمل الأزياج

إن قاضي زادة الرومي هو صلاح الدين بن محمد بن محمود من علماء الرياضيات والهيئة الذين اشتهروا في القرن التاسع للهجرة، ولد في بروسة في النصف الأخير من القرن الثامن للهجرة وتوفي في سمرقند بين ٨٣٠ هـ و ٨٤٠ هـ. درس مبادئ العلوم على علماء زمانه ثم لازم على شمس الدين منلا فناري ودرس عليه الهندسة وقد مدح له علماء خراسان وما وراء النهر وذكر له الشيء الكثير عن تفوقهم في الهيئة والرياضيات مما أوجد رغبة عند صاحب الترجمة في الذهاب إلى تلك البلاد للاجتماع بعلمائها والاغتراف من فيض علمهم ونبوغهم

ولقد شعر قاضي زادة أن أهله سيمانعون في سفره، ولذلك عوّل على تنفيذ عزمه مهما كلفه الأمر. ويقال إن إحدى شقيقاته شعرت بذلك وخافت أن يقع أخوها تحت غوائل الحاجة والفاقة في بلاد الغربة فوضعت بعض مجوهراتها بين كتبه التي ستصحبه في السفر. وفي أواخر القرن الثامن للهجرة اختفى قاضي زاده بغتة وإذا هو في طريقه إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر حيث درس على علمائها العلوم الرياضية وقد وصل فيها إلى درجة يحسده عليها معاصروه من فحول العلماء وكبار الحكماء.

اشتهر في سمرقند وذاع صيته، واستدعاه ألغي بك وقربه وأغدق عليه العطايا وعيّنه أستاذاً له. ولا شك أن الفضل فيما نجده في ألغي بك من رغبة في مواصلة الدرس والبحث يرجع إلى قاضي زاده الرومي

ولقد دفعته هذه الرغبة إلى تأسيس مدرسة عالية وعهد إلى قاضي زاده بإدارتها. وقد بنيت المدرسة على شكل مربع في كل ضلع من أضلاعه قاعة للدرس عُيّن لها مدرس خاص. وكان قاضي زاده يدرس للطلاب ومدرسي القاعات ويحاضرهم مجتمعين. ومما يُؤثر عنه أنه كان شديد المحافظة على كرامة العلماء والأساتذة لا يرضى بالتعدي على استقلالهم ويقف دون أية محاولة للضغط عليهم، كما كان من القلائل الذين يحملون روحاً علمياً صحيحاً، اشتغل للعلم لا لغيره، لم يبغ منه مكسباً أو جاهاً

عزل ألغي بك أحد المدرسين في المدرسة المذكورة فاحتج قاضي زاده على ذلك وانقطع عن التدريس وإلقاء المحاضرات. ويظهر أن ألغي بك شعر بخطأه فذهب بنفسه لزيارته وسأله عن أسباب الانقطاع، فأجابه: كنا نظن أن مناصب التدريس من المناصب التي تحيطها هالة من التقديس لا يصيبها العزل وأنها فوق متناول الأشخاص. ولما رأينا أن منصب التدريس تحت رحمة أصحاب السلطة وأولي الأمر وجدنا أن الكرامة تقضي علينا بالانقطاع احتجاجاً على انتهاك حرمات العلم والعبث بقداسته.

إزاء ذلك لم يسع ألغي بك إلا الاعتذار وإعادة المدرس المعزول وإعطاء وعد قاطع بعدم مساس حرية الأساتذة والعلمين

قد يمر كثيرون بهذا الحادث ولا يعيرونه اهتماماً؛ ولكن إذا نظرنا إلى حاجة قاضي زاده إلى الوظيفة ومعاشها وإلى سطوة الأمراء في تلك الأزمان وإلى الجرأة النادرة التي ظهر بها، نجد أنه لا يقدم على ما أقدم عليه إلا من أنعم الله عليه بروح علمي صحيح وبثقة في النفس عظيمة لولاهما لما وصل قاضي زاده

إلى ما وصل إليه من مكانة رفيعة ومقام كبير عند العلماء وأصحاب الثقافة العالية.

امتاز قاضي زاده على معاصريه بعدم اعتقاده بالتنجيم أو الأخذ به؛ وكان لا يرى فيه علماً يستحق الاعتناء أو الدرس بعكس ألغ بك الذي يعتقد به ويسيّر أموره بموجب أحكامه . وقد أدّى هذا الاعتقاد إلى وقوعه في مشاكل وصعاب انتهت بالقضاء عليه كما يتبين لنا من ترجمة حياته

رغب ألغ بك في علم الفلك ورأى فيه لذة ومتاعاً وأحب أن يتحقق من بعض الأرصاد التي قام بها فلكيو اليونان والعرب وأن يتقدم به خطوات ، لهذا بنى مرصداً في سمرقند كان إحدى عجائب زمانه . زوده بالأدوات الكبيرة والآلات الدقيقة وطلب من غياث الدين جمشيد وقاضي زاده أن يعاوناه في إجراء الرصد وتتبع البحوث الفلكية . وقد توفي غياث الدين قبل بدء الرصد كما توفي الثاني قبل إتمامه ، فعُهد إلى علي القوشجي بأعمال الرصد ليكملها

ومما لا شك فيه أن الأرصاد التي أجراها قاضي زاده مما تزيد في قيمة الأزياج التي وضعت على أساسها . فقاضي زاده لم يكن من علماء الهيئة فحسب ، بل كان أيضاً من أكبر علماء الرياضيات في الشرق والغرب . درس عليه كثيرون ، وبرز بعض تلامذته في ميادين المعرفة ، وإلى هؤلاء يرجع الفضل في نشر العلم والعرفان في بعض الممالك العثمانية . يقول صالح زكي : « ... إن هناك كثيرين أخذوا عن قاضي زاده وقد انتشر بعضهم في الممالك العثمانية ، ففتح الله الشيرواني الذي درس العلوم الشرعية على الشريف الجرجاني والعلوم الرياضية على قاضي زاده ، ذهب إلى قسطموني حيث اشتغل بالتدريس وكان ذلك في حكم مراد خان الثاني ، وكذلك علي القوشجي الذي دعي إلى زيارة استامبول ، وبقي فيها مدة يعمل على نشر العلم وكان ذلك في عصر محمد الثاني ... »

ولقاضي زاده رسائل نفيسة ومؤلفات قيمة منها :

رسالة عربية في الحساب ، وقد ألفها في بروسه سنة ٧٨٤هـ قبل ذهابه إلى بلاد ما وراء النهر ولها شرحان .

وكتاب (شرح ملخص في الهيئة) وهو شرح لكتاب (الملخص في الهيئة) لمحمود بن محمود بن محمد بن عمر الخوارزمي وضعه بناء على طلب ألغ بك[(١)]

ورسالة في الجيب[(٢)] وهي رسالة ذات قيمة علمية تبحث في حساب جيب قوس ذي درجة واحدة .

وكذلك له شرح « كتاب ملخص في الهندسة » تأليف محمود بن محمود الخوارزمي ، وقد عمل الشرح بناء على رغبة ألغ بك[(٣)]

وشرح كتاب أشكال التأسيس في الهندسة تأليف العلامة شمس الدين بن محمد بن أشرف السمرقندي — وهذا الكتاب خمسة وثلاثون شكلاً من كتاب أقليدس[(٤)]

« نابلس » قدري حافظ طوقان

(١) صالح زكي — آثار باقية — ج ١ ص ١٩٠
(٢) حاجي خليفة — كشف الظنون — ج ١ ص ٥٤٨
(٣) حاجي خليفة — كشف الظنون — ج ٣ ص ٥١٦
(٤) حاجي خليفة — كشف الظنون — ج ١ ص ١١٠

العالم يتطلع إلى حدودنا المصرية

أربعون يوماً في الصحراء الغربية

للأستاذ عبد الله حبيب

— ٥ —

تحدث المحرر في مقالاته السابقة عن طريف مشاهداته في الصحراء الغربية ووصف بعض صفات الأعراب وأخلاقهم وطرق معيشتهم . وهو في هذا المقال يتحدث إلى القراء عن « مرسى مطروح » عاصمة الصحراء الغربية حديثاً طريفاً

مرسى مطروح

هي ميناء صغيرة تحمي مدخلها من أمواج البحر الأبيض صخور طبيعية في وسطها مدخل صغير يسمح بمرور البواخر العادية الحجم . ومن الصعب على البواخر دخول الميناء في أوقات العواصف والأنواء . وحول الميناء عدد من البحيرات يفصل بينها حاجز رملي بسيط لا يلبث أن يطغى عليه البحر فيملأ هذه البحيرات بمياهه . وهناك على رابية مرتفعة شرقي الميناء تقع طابية أثرية قديمة يغلب أنها من العهد الروماني . ثم حولها الأتراك إلى طابية تركية وجعلت أخيراً حصناً منيعاً للدفاع عن الميناء ، وكان ذلك في سنة ١٩٢٦

ومرسى مطروح بلدة قديمة كان للتجارة فيها شأن عظيم وازدهرت في عهد الرومان وكانت تشتهر بتصدير الشعير والإسفنج والبلح والأغنام ، وقد شيدت الملكة كليوبطرة قصراً فخماً بها . وكانت تقيم فيه مع القيصر أنطونيوس . ومنه كانت تدير حركة جيوشها في مصلحة الأخير ضد أغسطس الذي أقام بها بعد موقعة أكتيوم .

كذلك كانت لمرسى مطروح شهرة ذائعة في عهد اليونان أيام حكم اسكندر الأكبر المقدوني ؛ وكانت تسمى في ذلك الحين (برتنيوم) كما كان بعض القدماء يسمونها (أمونية) ويغلب أنهم أطلقوا عليها هذا الاسم نظراً إلى أنها كانت بداية الطريق الموصلة إلى سيوة حيث يوجد معبد الإله أمون ويسمى « جوبتره أمون » ويقال إن الإسكندر حين قام برحلته الشهيرة لزيارة هذا المعبد في سيوة والتبرك به ابتدأ من هذه المدينة

وفي الأيام الأخيرة قرر الامبراطور « جوستنيان » تحصينها وجعلها نقطة أمامية في خط الدفاع عن القطر المصري إذا هوجم من الجهة الغربية . على أنه يغلب أن يكون الحصن القائم بها والسابق ذكره يرجع إلى عهد هذا الامبراطور . ويظهر أن التاريخ يعيد نفسه ، فقد كانت أيضاً نقطة دفاع مهمة في السنة الماضية وفي هذه السنة ضد الهجوم الإيطالي المتوقع من الجهة الغربية

وليست هناك في الواقع آثار يمكن الاستدلال منها على مركز مرسى مطروح قديماً وما كان لها من الأهمية في العصور السابقة . والظاهر أن البحيرة الممتدة غرب الميناء الحالي هي التي كانت مستعملة قديماً كميناء للرومان واليونان وهي بحيرة منيعة . ولا تزال بها آثار رصيف حجري يقع على مقربة من طرفها الشرقي



عند حمام كليوبطرة : مع إحدى السائحات

وبالقرب من موقع جامع البلدة الجديدة توجد آثار بناء قديم به بعض النقوش . ولهذا البناء ممر « نفق » تحت الأرض يصل إلى شاطئ البحر ، ويسمى هذا البناء « ڤيلا كليوبطرة » وأحياناً « حمام كليوبطرة »

أما البحيرات الشرقية من الميناء فيوجد بها بعض درجات

صخرية قديمة توصل من الشاطئ إلى شرفة من الصخور المطلة على البحيرة ، ولا يعرف تاريخها بالضبط ، وفي نهاية هذه البحيرة من الجهة الشرقية أقام بنك مصر ملاحة كبيرة معطلة للآن عن العمل . وفي جنوب البلدة سلسلة من التلال المرتفعة بها عدد من الكهوف الصخرية يظهر أنها كانت مستعملة كمقابر وعلى مقربة منها برج مرتفع يشرف على البلدة جميعها وبجواره سلسلة مواقع حربية حصينة .

البلدة الحديثة

أما البلدة الحديثة فشيدة بنظام هندسي بديع على أرض مستوية يقع أمامها البحر ، وسلسلة صخور . وإلى الخلف سلسلة من المرتفعات الحصينة الصخرية وبها محافظة الصحراء الغربية ، وهي مركز تجاري عظيم للقوافل بينها وبين سيوة ، وبها سنترال عام للمواصلات الخارجية ، وهي آخر محطة في الخط الحديدي الواصل من الإسكندرية . وبها فنادق حديثة. ويعتبر فندق «الليدو» من فنادق الدرجة الأولى إذ أن كل غرفة فيه مجهزة

من برجنا العاجي

« هتلر » ذلك الرجل الذي يعيش وحيداً قوياً لا يعرف المرأة ولا يذوق اللحم ولا الخمر ولا يفكر إلا في السيطرة على العالم وقيادة البشر ، ذلك الرجل الذي لو خرجت من بين شفتيه كلمة رقيقة على مائدة السياسة الخضراء لتغير وجه التاريخ . قد شاء القدر أن يجلس أخيراً إلى مائدة غداء في مونيخ ، منفرداً مع كوكب لامع من كواكب الغناء ، وقد خرجت من بين شفتيه هذه الكلمات :

— إن صوتك لصافٍ صفاء البلور النقي !

فقالت المغنية الجميلة في ابتسامة ساحرة :

— شكراً

فقال المستشار :

— أنا الذي ينبغي له أن يشكرك

فقالت الثانية في شيء من العجب :

— على ماذا ؟

— على مجرد وجودك في الدنيا ، لا أكثر ولا أقل !

***

قرأت خبر ما تقدم في إحدى المجلات الأوربية . وقد ختمت المجلة الخبر بقولها : « وقد سافرت المغنية بعد ذلك إلى باريس، فأراد هتلر أن يضع طائرته تحت تصرفها. أتراه قد وقع في الغرام ؟ أي خلاص للبشرية إذا قنع هتلر منذ الآن بمكان رحب بالقرب من المرأة ! »

وأحب أن أعلق أنا على هذا الخبر بقولي : أترى المرأة تنتقم دائماً من ذلك العظيم الذي قضى حياته في البعد عنها وكرس جهوده لغير التفكير فيها ؟ أو ترى الرجل العظيم الذي طرح المرأة من حسابه وأخرجها من حياته يعيش إلى آخر أيامه قانعاً ناعماً أم أنه يشعر فجأة في لحظة من اللحظات أن امتلاك العالم بأسره لا يعدل أحياناً امتلاك قلب امرأة ؟! .

توفيق الحكيم

بحمام للمياه الساخنة والباردة . وأما شاطئ البحر الرملي اللامع فيعد من أحسن شواطئ العالم جمالاً وهدوءاً، بل إنه يضارع شاطئ الريفيرا نفسه . وقد أصبحت البلدة الآن محطة عظيمة للطائرات المحلية والأجنبية ، وهي من أحسن الأمكنة لقضاء صيف هادئ جميل

وسكانها من العرب والمهاجرين من الطرابلسيين واليونان ، ومنازلها مبنية كلها بالحجر على نظام حديث

المياه العذبة

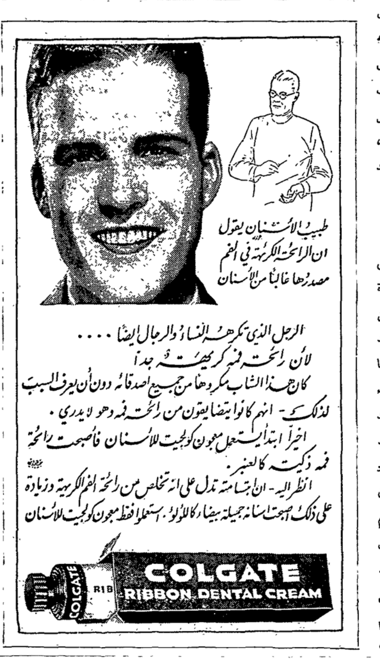
ومشكلة المياه العذبة في مرسى مطروح من المشاكل الدقيقة . وكان الرومان يحفرون خزانات صخرية عند منحدرات التلال تمتلأ بمياه الأمطار في وقت الشتاء . وتوجد بالبلدة عدة آبار ، ولكنها غير عذبة تماماً ؛ ويشرب منها الأهلون والحيوانات . على أنه يمكن الحصول على المياه العذبة إذا حفر الإنسان قليلاً بالقرب من الشاطئ . ويزرع الأهلون بعض الحدائق من مياه هذه الآبار وترسل المياه النيلية من الاسكندرية على بواخر مصلحة السواحل

أما الآبار الرومانية الشهيرة فتقع على بعد ١٢ كيلو متراً تقريباً من البلدة ، وهى آبار عجيبة جداً ، إذ هى عبارة عن نفق صخرى طويل تسير فيه المياه وطوله عظيم ويمكن للانسان أن يسير فيه مسافات طويلة تحت الأرض ، وله فتحات محفورة فى الصخور لإدخال النور وتسهيل تنظيفه . والمياه فيه وفيرة ، وقد استغلها الجيش البريطانى فى الحركة الأخيرة عام ١٩٣٦ فركب عليها آلات خاصة ومواسير تصل بها المياه إلى مرسى مطروح ، ولا تزال بها حتى الآن ، ومنها تمد البلدة بالمياه بسهولة جداً

صيد الاسفنج

صناعة صيد الإسفنج فى مرسى مطروح قديمة يرجع تاريخها إلى عدة قرون ويمتير إسفنجها من أحسن الأنواع فى العالم . ويبدأ فصل الصيد من شهر مايو إلى اكتوبر سنويًّا حيث تزدحم مياه البحيرات فى الميناء بأسطول عظيم من مراكب الصيد كلها من اليونان . أما طريقة الصيد هناك فغريبة وخطرة إذ يغطس الصياد بثقل من الأحجار ويذهب كثيرون منهم فى بعض الأحيان ضحية لهجوم وحوش البحر . ويقدر محصول الإسفنج سنويًّا بآلاف الجنيهات . أما الصيادون أنفسهم فأكثرهم من سكان الجزائر اليونانية ، وهم قوم أتقياء جداً وقد بنوا كنيسة بالبلدة ، ولهم قساوسة . وأظن أن هذه الكنيسة هى الوحيدة فى الصحراء الغربية .

عبد الله حبيب



الدين الصناعي

للدكتور محمد البهي
الأستاذ بكلية أصول الدين

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أحمد أمين في مجلة الثقافة رقم ٢٢ بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — ٣٠ مايو سنة ١٩٣٩ يشرح الدين الصناعي ويحدده

وقد تناوله من ناحيتين : من ناحية ماهيته ومن ناحية أخرى وهي مظهره العملي أو ناحية التدين به

فأما من الناحية الأولى فقد وصفه بأنه « كصناعة النجارة والحياكة يمهر فيها الماهر بالحذق والمران

... ويحمل صاحبه على أن يحيا به ويتاجر به ويحتال به

... ويحمله على أن يلوي الدين (الدين الحق !!!) ليخدم السلطان ويخدم السياسة »

أما مظهره العملي في نظره فهو : « ... عمامة كبيرة وقباء يلمع وفرجية واسعة الأكمام

... هو نحو وصرف وإعراب وكلام وتأويل

و « الشهادة » فيه إعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح وتوجيه حاشية وتصحيح قول مؤلف ورد الاعتراض عليه

وأخيراً هو ... تحسين علاقة صاحبه بالإنسان لاستدرار رزق أو كسب جاه أو تحصيل مغنم أو دفع مغرم »

وعهدي بكتابة الأستاذ أحمد أمين أن تكون لغاية إيجابية تقصد ، وعهدي بأسلوبه في التفكير أن يكون ضرب الفكر يصل بالقارئ إلى تلك الغاية بدون مشقة أو تكلف

قرأت مقال « الدين الصناعي » مرة ثم كررت القراءة لأقف على الغاية العلمية التي يبغيها الأستاذ الكبير ، لأن اتجاهه العلمي في أبحاثه هو الذي حملني على أن أطلب هذه الناحية أولاً فلم أخرج منه بالعناصر التي تكون الطابع العلمي للبحث والتي من بينها بل وأخصها « الاعتبار التام »

فما ذكره على أنه مظهر « الدين الصناعي » ليس له صفة العموم في كل بلد تدين بالإسلام أو تدين أكثريته به . فما (العمامة الكبيرة والقباء الذي يلمع والفرجية الواسعة الأكمام) ليست من مظاهر التدين الحقيقي أو الصناعي بين مسلمي الهند أو مسلمي شرقي أوربا مثلاً في عصرنا الحاضر . ولم أعرف أن (النحو والصرف وإعراب الكلام والتأويل) رمز العمل الذي يتناوله محترف الدين أو صاحب الدين الصناعي في أي بلد إسلامي ، في مصر أو في غيرها من البلدان الأخرى ، كما لم أعرف أن « الشهادة » عنده هي (إعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح وتوجيه حاشية وتصحيح قول مؤلف ورد الاعتراض عليه) .

نعم قد يتناول الباحث اللغوي مثل هذا العمل ، كأي راغب آخر في بحث موضوع بعينه قد يتناوله ويعالجه من جهات لا تلذ لبعض القراء أو يقل ميل السامع إلى الإصغاء إليها ، ولكن ذلك لا يدل على تفاهة البحث في ذاته فضلاً عن دلالته إذا ما تناوله رجل ينتسب إلى الدين على أنه مظهر تدينه أو عنوان احترافه بالدين

الأستاذ أحمد أمين ، كثيراً ما كتب أيضاً في بعض النواحي الاجتماعية والخلقية في مصر ، وكثيراً ما حاول في كتابته علاج تلك النواحي بعد الدقة في وصفها وتشخيصها . لهذا عمدت بعد عجزي عن محاولة جمع العناصر التي تكوّن الطابع العلمي من مقاله «الدين الصناعي» ، إلى التفتيش عن الظاهرة الاجتماعية التي يريد الأستاذ علاجها أو عن المعنى الخلقي الشائع الذي يبغي شرحه ليوقف قراءه على شيء جديد لا يستطيع الرجل العادي أن يهتدي إليه

عرضت أمام نظري ، مستعيناً بالمشاهدات ، المظاهر الاجتماعية المألوفة في مصر التي يبدو فيها النقص والتي قد تؤخذ على أمة تطلب الكمال في معاني المدنية ، وعرضت كذلك كثيراً من الصفات السلبية للخلق السائد فينا

حقاً وجدت « تحايلاً » وكفاحاً حاداً من طبقات مختلفة حول هذا التحايل . وجدت تحايلاً باسم « البحث العلمي » وتحايلاً باسم « حرية الفكر » وتحايلاً باسم « الديمقراطية » وتحايلاً باسم «الدين» . كل طائفة تبغي قضاء رغباتها الخاصة ، وكل تسلك هذه

الطريق ، طريق « التحايل » ، مستغلة سذاجة الشعب وجهله .

فكما يسند « التحايل » و « الاحتراف » « والاتجار » إلى الدين فينشأ بهذا الإسناد ما عنون له الأستاذ با « الدين الصناعي » يجوز أن تسند كذلك إلى نظائر الدين مما يحترف به في مصر ويتحايل ويتجر به فيها من البحث العلمي ، وحرية الفكر ، والديمقراطية ... الخ ويصح أن ينشأ أيضاً عن هذه النسبة ما يسمى بالبحث العلمي الصناعي ، وحرية الفكر الصناعية ، والديمقراطية الصناعية ... الخ

فليس إذاً « التحايل » الذي جعله الأستاذ مقوم الدين الصناعي ومكوناً لأهم جزء من ماهيته خاصاً (بالدين الصناعي) ولا يتحتم أن يكون مصدره صاحب العمامة الكبيرة والقباء اللامع والفرجية الواسعة الأكمام ، ولا من يتناول الأبحاث اللغوية أو يشرح التآليف، بل يصح أيضاً أن يكون صاحب البحث العلمي الحر أو من يهيم بأدب الإغريق وفلسفتهم أو خطيب المحافل السياسية

وإذاً فالدين الصناعي ليس هو الظاهرة الاجتماعية التي يجب أن تعالج ، ولا صاحب العمامة الكبيرة هو الملوم في إحداث هذه الظاهرة، وإنما الذي يجب أن يداوى هو «التحايل والاحتراف» بأي موضوع من موضوعات الثقافة : الدين أو العلم أو السياسة الخ . والملوم في ذلك هو جهل الأمة ، وعدم استطاعتها وضع مقاييس صحيحة للقيم الرفيعة .

ولما لم أتبين الظاهرة الاجتماعية التي ، ربما ، أراد الأستاذ علاجها في « الدين الصناعي » وحده كما لم أنجح في تكوين طابع علمي لمقاله هذا، غلب على ظني أن الأستاذ ربما أراد أن يمتع قراءه بقطعة أدبية ، وأن يهيء لهم لذة نفسية من وراء جمالها الرائع، وكثيراً ما يكون ذلك مقصد الأديب في الشرق .

والأستاذ أحمد أمين فوق ماله من الأبحاث العلمية والاجتماعية أديب فنان !

محمد البهي
دكتوراه في الفلسفة وعلم النفس
من جامعات ألمانيا

من أدب العمد

لغـــة الادارة ...

للشيخ حسن عبد العزيز الدالي

وقع في يدي صباح الأمس خطاب لأحد عساكر البوليس كان قد أرسله إلى أبي رحمه الله في سنة ١٩١٥ وهو يومئذ عمدة البلد يخبره فيه أن نزاعاً حدث بين أخته وزوجها ويطلب إليه أن يفصل في هذا النزاع ، وفي آخر الخطاب يقول : « والحذر من التأخير » !

لا أعلم ماذا كان وقع هذه الجملة على مسمع العمدة ؛ والغالب أنه حملها باسماً على محمل السذاجة والجهل ؛ ولكني أعلم أن هذه الجملة لا توجد إلا في قاموس الإدارة فأين وقع عليها هذا الجندي المسكين ؟ لقد كان يعمل في أقسام القاهرة ، وكان يلاحظ أن هذه الجملة البليغة لازمة رسمية تختم بها الرسائل والطلبات الصادرة من المأمور إلى الجمهور ، فرسخ في ذهنه من طريق القدوة الحسنة أن هذا هو الأصل في التحرير لكل صغير وكبير !

هل تظن يا سيدي القارئ أن هذه العبارة ، سقطت من لغة الإدارة، بعد أن انتشر التعليم ، في العواصم والأقاليم، وشاع الذوق الكتابي والخطابي بين كل الناس ، من حامل القلم إلى حامل الفاس ؟ لقد رجعت إلى دفتر الإشارات التليفونية الصادرة إليّ عن المركز في شهر مايو الماضي فوجدتها سبعين إشارة، ثلاثة أرباعها ينتهي بهذه الجملة التقليدية : « والحذر من التأخير » والربع الباقي ينتهي بعبارات مختلفة ، منها : « وإلا فالمسئولية شديدة » ، « فلا تلوموا (كذا) إلا أنفسكم » ، « ومن يهمل سننظر في أمره بشدة » ... الخ الخ . فقلت في نفسي : عجيب ! أيمر على خطاب (الجاويش مرسي) ربع قرن ولم يتول الكتابة في خلاله للمأمورين والمعاونين كاتب من حملة البكالوريا يعلّم سادتنا (الكتّاب) ، آداب الخطاب ، ويفهمهم أن هذه اللهجة وإن صلحت للخفير فلا تصلح للعمدة ، لأن العمدة يمثل الحكومة في بلده ، كما يمثلها المأمور في مركزه ، وإذا كان بينهما فرق فهو أن المأمور يعمل مأجوراً مشكوراً، والعمدة يعمل متطوعاً ومتبرعاً. فهل يجوز أن يكافأ على ما يتحمله من المسئولية والمشغولية والغرامة، بحرمانه من الأجر والشكر والكرامة ؟!

حسن عبد العزيز الدالي
عمدة كفر ديرب القديم

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



حل البارودي محل شريف وفي البلاد ما فيها من أثر تلك المذكرة التي جاءت في تلك الظروف التي بينا دليلاً على سوء تدبير واضعيها وعلى قصر نظرهم ورعونتهم . ولكن ما لنا نشير إلى قصر نظر الدولتين فيما فعلتا ونحن لا يتداخلنا شك في أنهما كانتا تريان عاقبة فعلتهما، وأنهما إنما أرادتا إثارة الخواطر وزيادة أسباب الخلاف بين الخديو وزعماء البلاد المدنيين منهم والعسكريين، فبهذا يتيسر لهما الوصول إلى الغرض المرسوم .

وكان طبيعياً أن يسير البارودي على نهج غير الذي سار عليه شريف، فهو بحكم مركزه بين الزعماء العسكريين، وبحكم الظروف التي أدت إلى استقالة شريف، لم يكن ليستطيع أن يحمل نفسه على المهوادة والملاينة، وإلا ففيم كان إحراج شريف ثم إخراجه من الحكم ؟

ومن ذلك يتبين لنا أن السياسة التي جرى عليها البارودي في وزارته لم يكن له منتدح عنها، وأن مردها في الواقع إلى مسلك الدولتين، وعلى ذلك فمن الظلم أن نرجع باللوم كله على تلك الوزارة فيما ارتكبت من أخطاء، فإن جانباً كبيراً من اللوم بل لعل اللوم كله يقع على الذين دفعوا الوزارة بقبيح تدبيرهم وسوء نيتهم في تلك الطريق التي ما لبثت أن رأت نفسها فيه تخرج من أزمة لتدخل في أزمة غيرها

وهكذا تدفع الدولتان البلاد في طريق العنف والثورة دفعاً ثم تتهمانها مع ذلك بالفوضى وتجعلان من مبررات تدخلهما القضاء على الفتن والقلاقل الداخلية وإنها لمن صنعهما ؛ ولن يكون في صور الظلم أبلغ وأوجع من أن يضرب مضموف على رأسه فإذا نفر من الضرب وتأوه عد نفوره جموحاً واعتبر تأوهه ثورة ... !

وكان عرابي وزير الجهادية في وزارة البارودي، وأنعم عليه برتبة الباشوية؛ وهو يقول إنه قبلها هذه المرة كارهاً، فلولا أنه رأى أن المنصب يقتضي قبول الرتبة ما قبلها . وأنا أميل إلى تصديقه فيما يقول فليس في الأمر ما يحمل على الريبة في قوله، وهو لا يسوق هذا القول مساق الفخر وإنما يسوقه بين براهينه على أنه لم يكن يوماً كما يدعي خصومه تحركه الأطماع الشخصية

وأما عن قبوله المنصب فما نظن أنه كان يستطيع أن يبقى بمعزل عن الوزارة وقد صار له في سياسة البلاد هذا الشأن بعد حادث عابدين . وإنا لنعجب أشد العجب للذين يعيرون رجلاً لقبوله منصباً من المناصب ويتخذون ذلك القبول دليلاً على أنه يطلب الخير لنفسه فحسب ، فهل كانت المناصب عند الناس جميعاً وسيلة إلى إشباع المطامع وجلب المنافع الذاتية ؟ وأي شيء يجعل هذا لازمة حتمية للمنصب ؟ وأي شيء يمنع من أن يكون المنصب عند بعض الناس وسيلة إلى غاية جليلة شريفة هي العمل للصالح العام ؟ وأي قرينة تمنع من أن نسلك عرابياً في سلك هؤلاء الداعين إلى الخير العام والذين يتخذون من المناصب أداة لخدمة المجتمع ؟ إن أبسط قواعد العدالة تضع المتهم على قدم المساواة مع البريء حتى تثبت إدانته، فأية إدانة يلصقها بعرابي أولئك الذين عابوا عليه دخول الوزارة ؟

إنهم إذ يتهمونه بالسعي إلى صالحه هو لا يعدون بذلك حدود

التهمة، فله على أسوأ الفروض موضع البرىء من العدالة حتى تثبت إدانته، وما أيسر أن تكال التهم لأى فرد من الناس فى غير حساب، وما أصعب البينة على الذين يفترون الكذب وهم يعلمون ...

إن الذين يرون فى الحكم مغنماً لهم إنما هم أولئك المفرطون فى حقوق أوطانهم المائلون للدخلاء فيها، والمستضعفون من الرجال، والذين فى قلوبهم مرض، والمغترون بالحياة وأوهامها، والمالئون بطونهم كما تأكل الأنعام؛ أما أولو النخوة والعزة من الرجال فلن تلهيهم عن دوافع نفوسهم الأبية الحياة الدنيا وزينتها، ولن تطغى الحمية فى قلوبهم ما يحلى به الأغرار صدورهم من أوسمة، أو تزدهى أنفسهم الكبيرة الرتب والألقاب، أو يزيغ أبصارهم بريق الذهب، لأن هذه جميعاً عندهم مظاهر، وهم يحتقرون كل مظهر، لأنهم يطلبون الجوهر. ومن كان فى هذه الدنيا كبيراً بنفسه فما به حاجة إلى أن يتكبر، ومن تكبر وهو بنفسه صغير فما زاد على أن أضاف إلى حقارة نفسه ما هو أحقر

ولقد كان عرابى كبير النفس كبير الآمال فكان المنصب عنده باباً من أبواب الجهاد ووسيلة من وسائله، فما يعنيه أن يدخل الحكم وإنما يعنيه أن يعرض عن الحكم وعلى الأخص فى مثل تلك الشدة التى ساق الطامعون إليها البلاد على غير إرادتها ...

على أن الناس ما كانوا ينظرون إلى عرابى نظرتهم إلى وزير من الوزراء فحسب، بل كانوا ينظرون إليه نظرتهم إلى الرجل الذى تعلق عليه الآمال فيما كانت البلاد مقبلة عليه، وإنما كانت تقوم نظرتهم على ما بلوا بأنفسهم من إخلاصه، وما شهدوا من بسالته وحميته، وعلى ذلك فما زاده المنصب فى أعين الناس مثل ما يطلبه غيره ليزداد به من جاه أو شرف، وأى شرف يطمع فيه الرجل هو أعظم من أن يكون فى بنى قومه معقد الرجاء وموضع الثقة ؟

ولقد كان عرابى فى الوزارة إذا أردنا الحق أكثر من وزير فكانت الكلمة كلمته وكان الرأى رأيه، أراد ذلك أو لم يرده، ونقول أراده أو لم يرده لأنه بات فى الزعماء رجلاً ليس للزعماء مثل ماله فى قلوب الناس من مكانة ومن سحر. وهل كان سعد زغلول فى كرسى الرياسة كسواه من رؤساء الوزارات، ليس لشخصه من تأثير فى قلوب الناس إلا ما تبعثه هيبة المنصب ورهبته ؟ أم كان سعد فى الناس رجلاً غير ما ألفوا تحف به هالة من أمجاده فتخلق له شخصية وسطاً بين الملائكة والناس ؟ وهل ازداد سعد بالمنصب شيئاً فى أعين الناس أم أن المنصب هو الذى ازداد به علواً ومهابة ؟

على هذا القياس صور لنفسك شخصية عرابى بين قومه يومئذ مع تذكر الفرق بين جيل عرابى وجيل سعد ومواهب عرابى

كان على وزارة البارودى بادئ الأمر أن تواجه أزمة الميزانية؛ وكان عنصرا هذه الأزمة الدولتين المتجنيتين على البلاد ونواب الشعب الغاضبين لكرامة بلادهم المتمسكين بحقهم أمام باطل أعدائهم، وكان من الطبيعى أن تعمل وزارة البارودى أحد الزعماء العسكريين، والتى كان عرابى نفسه أحد وزرائها، على تحقيق آمال البلاد، بل لقد كان أمراً حتمياً على تلك الوزارة أن تفعل هذا فعلى هذا الأساس كان قيامها بالحكم

قامت وزارة البارودى على إرادة الأمة ما فى ذلك ريب؛ فإن النواب حينما أظهروا أسفهم لشريف أن يكون المجيب لمطالبهم رجلاً غيره، وحينما ذهبوا إلى الخديو يشكون إليه أمرهم كانوا معبرين فى ذلك عن مشيئة الأمة، وآية ذلك أن الخديو لما سألهم بأى حق يطلبون إقالة شريف كان جوابهم « هذه إرادة الأمة »

ولم يسع الخديو إلا أن يذعن — ولكن على طريقته — لإرادة الأمة هذه، فدعا شريفاً والقنصلين الأجنبيين وعرض عليهما الأمر فلم يكن أمام شريف غير الاستقالة. ثم إن الخديو دعا إليه زعماء النواب وسألهم كما أسلفنا عمن يرضون لرياسة الوزارة، فبعد أن بينوا له أن ذلك من حقه اختاروا البارودى واشترطوا أن يكون قيام وزارته على أساس إجابة مطالب النواب[1]

ولقد أضاف الخديو إلى أخطائه خطأ جديداً بقبوله هذا الأساس فمن حقه وحده اختيار رئيس وزرائه، ولكنه خطا حتى هذه الخطوة بإشارة القنصلين، فلقد أوهماه أن فى هذا خيراً له، فيه يخلو من التبعة ويلقيها على عاتق النواب والزعماء ... ولكنهما فى الحقيقة كانا يريدان أن يوسعا مدى الخلف بين الخديو والبلاد؛ ومن السهل عليهما أن يوحيا إليه على لسان أعوانهما بعد ذلك أنه أصبح وليس له من الأمر شىء

على أن مالت وكلفن وأشياعهما ما لبثوا أن أذاعوا فى مصر وفى أوربا عن الوزارة كل سوء ورموها بكل باطل من الاتهام،

(1) مقدمة كتاب التاريخ السرى بقلم الأستاذ عبد القادر حمزة

فهي وزارة عسكرية محضة لا تعرف سياسة أو تنظر في عاقبة أمر من الأمور وإنما قوام أعمالها العنف والثورة ؛ وهي وزارة لا تحسب لأى سلطة غيرها حساباً فليس للخديو وجود فعلى أمامها ، وليس للأجانب على ما لهم في مصر من ديون أى حق أو شبه حق ... إلى غير ذلك من اللغو والإفك

أما عن عرابى نفسه فقد خرج بأوفر نصيب من التهم الباطلة ، ومن هذه التهم ما عزى إليه على لسان جريدة التيمس أنه هدد شريفاً وأنه شهر سيفه في وجه سلطان باشا رئيس المجلس وهدده بتيتيم أطفاله . ولقد بلغ من رواج هذه الإشاعة أن أثبتها ماليت في يومياته ، بل لقد أثبت ما هو أشد خطراً منها ألا وهو أن الخديو ما قبل استقالة شريف إلا تحت تأثير تهديد لا يقل عن هذا

ولقد استاء سلطان من هذه الفرية وحاول جهده تكذيبها . يقول مستر بلنت في مذكراته[1] : « وقد ذهبت إلى منزل سلطان باشا فوجدت فيه طائفة كبيرة من النواب وكثيرين من ذوى الحيثيات والمكانة في مصر وهم : الشيخ العباسى وعبد السلام باشا المويلحى وأحمد بك السيوفى وهمام أفندى حمادى وشديد بطرس أحد كبار النواب الأقباط وغيرهم . وقد أنكر هؤلاء جميعاً هم وسلطان باشا أنهم عملوا تحت تأثير أى تهديد ، وتكلم سلطان باشا بلهجة شديدة مستنكراً القصة التي اخترعت عنه وقال : إن أحمد عرابى إنما هو بمثابة ابن لى ، وهو يعرف حقي وواجبه ، فمكانه في وزارة الحرب ، ومكانى في البرلمان ، وهو ينتصح لرأيي وليس يعتدى على حقوق . أما من حيث استلاله السيف أمامى فهو لا يفعل ذلك إلا إذا رأى أعداء يهاجموننى ، وهذه حكايات لا يصدقها رجل يعرفنا نحن الاثنين وهى حكايات كاذبة لا أساس لها من الصحة ، ولك أن تثق أن أصغر نائب هنا يمثل الناس يحسن الحكم على ما يحتاجه أولئك الناس أفضل من أعظم جندى . ونحن نحترم أحمد عرابى لأننا نعرف أنه صادق الوطنية عظيم المواهب السياسية وليس لأنه جندى » ...

ثم يستطرد بلنت قائلاً : « وقد نقلت كلمات سلطان باشا هذه عن مذكرة لى أثبتها فيها يومئذ ، وقد أنحى الشيخ على ماليت لنشره مختلف الأباطيل وطلب مني أن أنقل إليه الحقائق وأن أبلغها لغلادستون وأنشرها في الصحف ، وقد أرسلت الحكاية بالتفصيل إلى التيمس ، ولكنها لسبب لا أعرفه لم تنشرها ، وأرسلت تلغرافاً بالمعنى نفسه للمستر غلادستون ثم أرسلت خطاباً مستفيضاً ضمنته رأيي في الموقف كله »

هذا هو كلام بلنت عن هذه الفرية ، وما أجمل ما وصف به سلطان عرابياً فهو لا يحترمه لأنه جندي ولكنه معجب بوطنيته مقدر لمواهبه السياسية ، ومثل هذا الكلام لا يصدر عن مثل سلطان عن خوف أو تملق ، فقد كان أكبر من أن يخاف وأعظم من أن يتملق ؛ وهو بطبعه شديد الكبر كثير المباهاة بجاهه والاعتزاز بثروته ؛ بل إن صدور هذا الكلام عن رجل هذه هى صفاته إنما يزيد في قيمته ويجعله منه وثيقة خطيرة ندعو الذين يجهلون حقيقة عرابى إلى قراءتها في روية وحسن طوية

ويذكر بلنت أن التيمس لم تنشر تكذيبه لسبب لا يعرفه ، والأمر في ذلك ظاهر لا يحتاج إلى طويل شرح ، فالتيمس وأضرابها من الصحف الإنجليزية تخدم قضية الاستعمار أبداً ، وهى خير من يدرك نيات الساسة في بلدها وأول من يطلع على حقائق الأمور ، فلم تكن تجهل يومئذ ما تبيته انجلترة لقضية الأحرار في مصر ، بل وما تنتويه السياسة الإنجليزية العليا من الاستيلاء على مصر قبل أن تستولى عليها فرنسا ، ولذلك فهى ما كانت لتنشر رأياً مثل هذا الرأى يأتى على لسان رجل مثل بلنت فيكون به من الإنجليز شاهداً من أهلهم عليهم

(يتبع) **الخفيف**

(1) ترجمة البلاغ

تراتيم ونسابيح

تمثال العذاب

وحى الطيف والعزلة والسلوه

[إلى نورها فى ظلمات القيد !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظمِئَتْ رُوحى فلا كأ   سٌ ولا نجوى سَرابِ
غيرُ طيفٍ فى حمَى العزْ   لةِ مجنونِ التَّصابى
رُحتُ أجثو بين كفَّيْ   هِ فحيَّـاني تُرابى
وامَّحتْ ذاتى وأصبحْ   تُ كصمتٍ فى خَرابِ
وانتهى حِسِّى فأطرقْ   تُ كتمثالِ العَذابِ

مرّتِ الأحلامُ بى حَيْرَى فمالَتْ
وَجَثَتْ حِيناً وَرِيعَتْ فتوارَتْ
وهْىَ تبكى غمغمَتْ حوْلى وقالتْ :

يا نَبيَّ الصمتِ ! يا نعْ   شَ الهوَى ! يا ابنَ التُّرابِ !
أتْرِعِ الأقداحَ واشربْ   نَغَمَ الحُلْمِ المُذابِ
قلتُ : ماتَ الصَّفوُ ! يا أحْ   لامِ خلِّينى وما بى . . .

* * *

يا ابْنةَ الفتْنةِ والتَّقْ   ديس يا فجْرَ الأمانى
يا ابْنةَ الحَيرةِ والأهْ   والِ يا جُرْحَ زمانى
يا صدًى فى قلبِيَ الثَّا   ئرِ مَفْطورِ الحنانِ
يا غراماً هُوَ قُدْسُ   م اللهِ يجرى فى كِيانى
مَلَّتْ العُزلَةُ شكوا   يَ ومَلَّتْنى الأغانى

فَطَرحْتُ النَّايَ عنِّى وصَمَتُّ
ودَعَوتُ الطَّيفَ مِنِّى وانتظرْتُ
فنأى عنِّى سَناهُ فبكَيْتُ

وأذبتُ الشِّعرَ من دمْ   عى وشجْوى وهَوانى
فإذا مرَّ يُغَنِّيهِ   علَى دُنياكِ فانٍ
فاخشَعى فهْوَ عِبادا   تُ الهوَى، نُسْكُ الجَنانِ

« وزارة المعارف »   محمود حسن اسماعيل

رد التحيـــة

إلى شقيقى أكرم . . . وهى زهرة طوى عليها إحدى رسائله إلى ليشعرنى بربيع دمشق

للأستاذ أمجد الطرابلسى

بعثتِ هوايَ لو أن الهوى   خَوَتْ فى فؤادىَ أنوارُهُ
وأذكيتِ فى الصدر نارَ الحنين   لو أنَّ الحنينَ خبتْ نارُهُ
وهجتِ به ذكرياتِ الصِّبا   لو أن الصبا مات تذكارُهُ
وأذكرتنى الأمسَ لو عاقنى   عن الأمسِ يومى وأعذارُه
وأهلى ... ولكنَّ أهلى هُمُ   أحاديثُ قلبى وأخبارُه
وصحبى .. وكيف وهم سامرى   إذا مَلَّ ليلى وسُمَّارُه
ولكننى كنت أعصى القريض   إذا ضجَّ فى الصدر زخَّاره
أُهَدْهِدُهُ بكذوبِ المُنى   فيُغضى وقد ماج موَّاره
فأيقظتِه بعد طول السُّباتِ   يُجَنُّ بكفَّيْهِ أوتاره
وفجَّرْتِهِ جدولاً ناعماً   تَغَنَّى رُباه وأطيارُهُ

* * *

أيا زهرةَ الشوق لا صوَّحتْ   مغانى حماى وأدْوارُه
ودامتْ على الدهرِ جنَّاته   تَمُدُّ لها الخيرَ أنهارُه
لقيتُ بكِ الأهلَ بعد الفراقِ   فَبُثَّ الهُيامُ وأسرارُه
رأيتُكِ فانجابَ هذا المدى   وزالتْ دُجاهُ وأستاره
فذا منزلى فى حواشى الحِمى   تلوحُ لعَيْنَيَّ أشجاره
تُناغى بأُذْنى عصافيرُهُ   وتلمعُ فى النُّور أثمارُهُ
ونافورةُ الماءِ فى ساحِهِ   لها نغمٌ لَذَّ تكراره
تروم السحابَ فيلوى بها   نسيمٌ تمايلَ خطَّارُهُ
يحطُّ على حوضها طائرٌ   ويمضى وما بُلَّ منقارُهُ
ومِنْ حولها إخوتى ضمَّهم   صفاءُ الإخاءِ وإيثارُهُ
إذا مرَّ حوافى ربيع الشبابِ   تولَّى الوقارُ وأخطارُهُ
وإن ضحكوا ضحكتْ حولهم   طيورُ الغناءِ وأزهارُهُ

* * *

أمُشعِرتى بالربيع الضحوك   تَلَذُّ ضحاه وأسحاره
ومُنسيتى وحشتى والنوى   وبيننا تطاولَ إمرارُهُ
شكرتُكِ زائرةً برَّةً   لِلَهفانَ شاقته زُوَّارُهُ
شَقَقْتِ إلى فؤادِ النَّوى   وليلاً تلاحظُ أقدارُهُ

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)



الشيخ سيد الصفتي

لفظ أنفاسه الأخيرة صبيحة الأحد الماضي
وترك فنه وديعة غالية بين يدي التاريخ

للأستاذ محمد السيد المويلحي

لعل الفنان الحق هو أقرب الناس إلى قلب الطبيعة وروحها، ولعله أقدرهم على معرفة أسرارها وأخبارها فهو وحده الذي يترجم لها أسرارها وكلامها، وهو وحده الذي يصور حسنها وجمالها التصوير الرائع الصادق الذي يحملنا على العجب والإعجاب.

ولعل هذا الفنان هو أقرب الناس إلى الشذوذ والخروج على تلك الأوضاع البشرية التي وضعت للحد من الطباع والغرائز والرغبات. فله دستوره وحده ... وله طباعه وتصرفاته التي يفرضها على الناس فرضاً. ثم هو بعد هذا أو قبله ... الإنسان المرهف الحس، العظيم النفس، الممتلئ نبلاً ورجولة وكرماً

وسيد الصفتي من هؤلاء الذين أضفت عليهم الطبيعة كل ما فيها من فن وجمال وإقبال وشذوذ حتى خط لنفسه في كتاب الحياة وسجل الخلود صفحة نيرة مشرقة سوف يتلوها الزمن على سمع الأجيال المقبلة

كان قصير القامة يلتهب نشاطاً ويمتلئ قوة، وجبروتاً ... يزين رأسه (عمامة) صغيرة تمتاز برشاقتها وأناقتها، (وشالها) الحريري المفتول الذي يعطيك صورة واضحة لأناقة صاحبه وحرصه الدائم على أن يظهر في أجمل المناظر

ابتدأ حياته قارئاً يجيد تلاوة القرآن فعُرف وسعى الناس إليه، ولكنه رأى أن يكون كالشيخ إسماعيل سكر قارئ مولد ومادحاً للبيت الشريف وصاحبه (ص)؛ فخرج على الناس سنة ١٩٠٢ بهذا اللون الجديد الذي قربه أكثر من ذي قبل إلى نفوس المصريين، وما مضت سنة حتى زاحم الشيخ إسماعيل نفسه ... وتفوق عليه تفوقاً محسوساً. وفي سنة ١٩٠٤ انضم إلى بطانته الشيخ ابراهيم المغربي الموسيقي المعروف الذي لحن له كثيراً من الموشحات الجديدة التي كانت السبب فيما ناله الشيخ سيد من شهرة طائرة، ومن ارتفاع سريع لم يكتف به وقد ذاق حلاوة الشهرة والإقبال، فكان يقرأ أول الليل قرآناً ثم يثني بالقصائد النبوية، حتى إذا كان الهزيع الأخير من الليل غنى أدوار الحمولي ومحمد عثمان وغيرهما بمصاحبة العود ...

أتراه قد اكتفى بهذا التجديد الغريب ... لا ... ولعله رأى أن هذا الخلط ينفر الناس فترك القرآن والقصائد

وتيهاً ترامت مفازاته ... وموجاً تواثب هدّاره
لجئت عليك شحوب الطريق ... وفيك من الجهد آثاره
لحيتُ فيك الرسول الأمين ... تشق على الصبر أسفاره
وقبّلتُ فيك الوفاء الجميل ... إذا نسيَ العهدَ غدّاره

***

أيا زهرتي جاد زهر الحمي ... كريم السحاب ودرّاره
بلغتِ فمن مبلغ جيرتي ... سلاماً تضوّع معطاره
نأيتُ عن الدار لا عن قِلًى ... فأحلى مغاني الفتى داره
ولكنني سِرتُ يحتثني ... طموح الشباب وأوطاره
تخيّرتُ بعدي ولو أنني ... هديتُ لما كنت أختاره!

«باريس» أنور الطرابلسي

تصويب: في المقطع الأول من قصيدة «مصرع الصقر» المنشورة في العدد ٣٠٨ بيت جاء كما يلي:

أسلموا الأمين القريرة للحلسم ونامو عن كامن المقدور

وصوابه:

أسلموا الأمين القريرة للحلسم وهاموا في قصره المسحور

النبوية وظهرعام ١٩٠٥ على تخته الموسيقى القوى يرسل على الناس سحر صوته وقوة فنه حتى تحكم فى سوق الغناء وفى مسامع الشعب ، فكان يشتغل تباعاً طول أيام السنة. ولكى نعطى القارئ صورة قريبة عن شهرة هذا الرجل العجيب فى صدر شبابه نقول إنه استمر خمس سنوات كوامل يغنى دون أن ينقطع ليلة واحدة ... ومثل هذا فى الشام!

كان صوته مركباً من خمسة عشر مقاما تقريباً (١٢) بريتون (٣) باص ، وكان يمتاز بسلامة تامة وبأداء بارع لم يعرف (النشوز) طول حياته. ولعله من الأصوات النادرة التى كافت (تفرش) فى غنائها حتى لتسمعها الآلاف بوضوح وجلاء .

كان أول موسيقى شرقى اعتنى (بالبروفات) اعتناءعظيماً ، فكان يشتغل طول نهاره فيها دون أن يتعب أو يمل أو يشكو ألماً وتوعكاً ، ولعل سحر الذهب والإقبال والمجد هو الذى كان يمد هذا الرجل بالقوة الخارقة التى لا يكاد العقل يصدقها ، وإلا فهل يصدق العقل أن بشراً يشتغل أغلب يومه وأكثر ليله دون أن يستريح إلا ساعة أو ساعتين .... ؟!

غنى فى حياته أكثر من أربعة آلاف (اسطوانة) وهو رقم تاريخى لم يصل إليه مطرب ولا مطربة فى الشرق والغرب . وقد اكتسب منها الآلاف ، ولكن إسرافه أضاع كل شئ إلا ذكره ومروءته وكرمه ...

نعم باع ماله وأضاع آلافه ليشترى بها مجده وخلوده . وما بالك برجل كانت اسطواناته توزع فى الشرق والغرب كأنها الغذاء الذى لا يستغنى عنه حتى ظن (الشآم) أن الصفتى هذا لا بد أن يكون مارداً لا تقع العين على نهايته . فلما سافر هناك ورأوه بحجمه الضئيل النحيل خابت ظنونهم واعتزموا ألا يسمعوه إلا فى حفلة أو حفلتين من قبيل (الفرجة والاستطلاع) . وكان الشيخ رحمه الله قد علم بهذا ، فأعد العدة لحفلة الافتتاح ، ثم راح يشدو ويرسل سحره وقوة فنه فى عقد سحرية على هؤلاء الذين يظنون أن القوة فى (العرض والطول) فانجوا وهاجوا وتقلبوا وصرخوا والشيخ يضحك ، حتى إذا تأكد من النصر أراد أن ينتقم فأسكت التخت وسكت ، ثم نزل وصرح للمتعهد بأنه رغب فى السفر والعودة إلى مصر بعد (يومين) لأنه قصير لا يحسن الغناء . ولا تسل عما حصل من الشفاعات والتوسلات

ولكن الشيخ رحمه الله كان ظريفاً خفيف الظل وقد أراد أن يلهو ويضحك فكلف المتعهد أن يأمر السامعين بكتابة (يفط) بهذا الشكل حرفياً (الشيخ سيد الصفتى طويل ··· الإمضاء) فنفذ الأمر فى الصباح واجتمعت لدى الصفتى كل وسائل البهجة والسرور ، فاستمر خمس سنوات لا يستريح فيها ليلة واحدة اكتسب فيها الآلاف . فلما رجع إلى مصر لم يرجع (بمليم واحد منها) . كان فى أخريات أيامه يعيش عيشة فلسفية زاهدة فى كل شىء فلم يكترث « كثيرا » لأن محطة الإذاعة تناسته وأهملته، بل كان يحيا حياة الأسرة الهادئة : حياة الرجل الذى شبع وشبع حتى مل كل ما يتهافت الناس عليه

لقد فنى سيد كما فنى غيره، ولكن فنه سيبقى لأنه من الخلود نشأ، وإلى الخلود انتهى ...

محمد السيد المويلحى

حاشية : فكرت وبعض إخوانى الموسيقيين فى إقامة حفلة تأبين له لا مساعدة لأهله فهم بحمد الله فى بحبوحة من العيش، ولكن لترد لهذا الموسيقار الخالد بعض منته على هذا الفن الجليل. فكل من يود الاشتراك معنا فى هذا العمل النبيل من الموسيقيين والأدباء والقراء أرجو أن يتفضل بالكتابة إلى على عنوان الرسالة .

كامـــل الخلعي
وناحية الشذوذ في حياته

بمناسبة ذكراه الأولى

للأستاذ محمد يوسف دخيل

ينقضي العام الأول على مغادرته الدنيا، ومع ذلك فهو لا يزال مجهولاً، وسيبقى مجهولاً إلى الأمد البعيد؛ لا لأنه كان شخصية تافهة ضئيلة الأثر في نفوس الجماهير، ولا لأنه كان غامضاً يعز على أفهام الناس كشف حقيقته، بل لأنه ظهر في عصر من الغموض والركود، بحيث لا يعني الجماهير بغير مظاهر الحياة وأشباحها البارزة للأبصار المجردة. ولو كانت الحياة الفكرية ذات وضع يمكن أن يحسه الناس في مصر لما مرت عليهم صورة من صور الأحداث الشاذة دون أن يتفهموها ويستكشفوا غامض الشذوذ فيها. وإذن لحفلوا بحياة «كامل الخلعي» لا من الجانب الموسيقى، فحسب، بل من جانب لم يعن به القوم في حياة هذا الفنان: وهو الجانب الفلسفي.

لقد كان «كامل الخلعي» صاحب رسالة خاصة في الفلسفة، لا أدري أكانت في كنهها فوق متناول العقلية المعاصرة، أم أن الناس لم يحفلوا بها عامدين لانصرافهم إلى حياة المادة الهينة بعيدة عن الفكر، وما يحيط الفلسفة من غموض، وما يستلزمه بحثها من تكاليف.

وسواء جهلت الجماهير شخصية «كامل الخلعي» عن عمد أو امتنع عليهم فهم رسالته في الفلسفة، فهو قد غادر الدنيا تشيعه أسراب من سحائب الغموض وثوى في مرقده بين صبابات من عاملات الأقلام جافة الدموع

كان «الغموض» هو شعار الفلسفة التي انطبعت بها حياة «كامل الخلعي» ولذلك ظل الناس يجهلون حقيقته حتى أقرب الناس إلى نفسه. وقد كان مسرفاً في الحرص على أن تفيض روحه الفلسفية على كل مجهول: وفي هذا المنحى الدقيق تلمس الإيمان الصحيح في عقيدة (كامل) وتحس تمكن الدين من نفسه لأنه رغب عن متاع الدنيا واستطاب أن يجوع ليختفي عن سمعه صوت الجياع حتى لا يثير عواطفه توجع البنين وآلامه. فيكون من الأمور العادية عنده أن يدفع بكل ما في جيبه لمستجد شعر هو بمرارة حاجته. ثم يعود إلى بيته ماشياً على قدميه، وليس عند أولاده طعام اليوم، وكلما نازعه الإحساس بالندم أمام عسرته لتفريطه في قوت أولاده، تدرع بقوله تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»



استطاع «كامل الخلعي» أن يفهم الدنيا فهماً صحيحاً في دقة وإمعان، واستطاع أن يستوعب المجتمع ويتفهم نواحي التقارب والتباعد من حياة الأفراد في بيئاتهم المختلفة، وأن يندمج في الجماعات اندماجاً كاملاً. ومع ذلك لم تستأثر به بيئة دون أخرى، لأن العقلية الشاذة التي تهيأت لهذا الفنان العبقري كفلت له أن يهتضم البيئات دون أن تجتذبه إلى صميمها واحدة منها، ولهذا كان له عديد من الشخصيات التي لو وجد صاحبها في غير مصر لانصرف لدراستها علماء النفس والفلاسفة

إذا أثيرت في مجلس ذكرى «كامل الخلعي» انطلق المتحدثون في تناول ذكراه بشتى أنواع الحديث وليس فيهم من يضع أصبعه على نقطة الصواب من أحاديث المجلس... وأغلب

ما يجتمع عنده حديثهم أن الرجل كان مخبول العقل ! وهى كلة طالما ترامت إلى سمع « كامل » وهو حى يرزق ، فكان يبتسم لها فى اطمئنان غير مبال بما يذهب إليه الناس فى شأنه من مذاهب . ذلك لأنهم ما كانوا يجدون لأنفسهم مخرجاً من التفكير فى عقلية « كامل الخلعى » إلا أنه مخبول ذلك الذى يطوف الحارات والأزقة باحثاً عن الكلاب الضالة والقطط المشردة ليدفع إليها من الطعام ما يباعد بينها وبين الجوع

استقبل كامل الدنيا طفلاً لعوباً كما يستقبلها أترابه من أبناء الذوات والمترفين . ولكنه لم يلبث أن اصطدم بأول حادث هز عواطفه البكر فى مستهل حياته . لم يكن قد تجاوز الخامسة حين بدت نذر الثورة العرابية ، وكان والده يومئذ من ضباط الجيش المقيمين بالإسكندرية . ففى ساعة واحدة صدرت الأوامر بتأهب الجيش ، ولم يجد الضابط الباسل فرصة لتوديع ولده الطفل واكتفى بأن بعث إلى منزله « بكوم الشقافة » من نقل زوجه وطفلها الصبى سريعاً إلى دمنهور مستقر العائلة . والطفل البكر فى نمو العقل يستطيع أن يحس هذا الموقف كما أحسه « كامل » إذ أدرك أن والده الضابط قد لا يعود إليه لأن القتال قد بلغ حماسته بين المصريين والإنجليز . ولم يشك كامل فى أن والده قد لقى مصرعه فى خط النار عند كفر الدوار ، ولكن مفاجأة أخرى اصطدمت بها أعصابه الغضة بعد انتقال ميدان القتال إلى التل الكبير وبعد عام كامل فإذا بالضابط يعود إلى أسرته حياً بعد أن أدى فى سبيل الوطن واجبه ، وإن انتهت الحرب على غير ما يبغى الأحرار

وبالرغم من أن « كاملاً » قد استعاد الحياة فى كنف والده بعد يأس من لقائه ، إلا أن هذا الحادث لم يغادر ذاكرته ولم تزايل الأثر أعصابه ، بل بقيت ذكرى هذا الألم متغلغلة فى نفسه وصدره فحولته إلى مخلوق كثير الدموع دقيق الإحساس رقيق الشعور بكل ما يحيط به من ألم أو سرور ، يبكى لبكاء الباكين ويفرح لسرور الفرحين

وفى القاهرة بدأت المرحلة الأولى لشخصية « كامل » إذ كانت المدرسة أول تجربة أظهرت النزوع المتركز فى عقليته ، وهو عصيانه لكل نظام يحد من الحرية وإن أوجبت هذا النظام طبيعة الوجود . وقد جنت هذه النزعة على « كامل » فى حياته ومستقبله إذ قطعت عليه طريق الدراسة التى يلتمس من ورائها المستقبل المادى فى الحياة ، فما انتهى من دراسته الابتدائية حتى تمرد على هذا النوع من التعليم المحدود فى نطاق البرامج

وصادفته صدمة أخرى أكرهته على التشرد بعيداً عن حضانة الوالدين ، إذ تفرق ما بين هذين الوالدين من رباط . فانطلق كامل يضرب فى الأرض أفاقاً يلتمس الحرية والتعزى عن فجيعته فى حضانة والديه . وعبثاً حاول والده أن يخضعه لطاعته التماساً لدفعه إلى المدرسة يستكمل دراسته . واستقر الفتى بعد ذلك على اختلاس التردد على مكتبة والده فى ساعات متقطعة استطاع من ثناياها فى مدى عامين أن يقرأ كتاب « العقد الفريد والأغانى » وتاريخ ابن الأثير والجبرتى وطائفة من دواوين شعراء العرب ؛ وهو لما يجاوز الخامسة عشرة .

فى هذه الفترة كان « كامل الخلعى » يتهيأ لأن يستمع إليه الخاصة مطرباً يحيى موات النفوس ويراه الناس خطاطاً ورساماً قد دق إحساسه بروح الفن . وهو فى هذا المجال من الصبا ينطلق بين الجماعات المختلفة : فتارة تراه فى مجلس العلماء وأعلام الأدب من طراز « السيد توفيق البكرى » نقيب الأشراف يومئذ وقد اصطنع « كاملاً » لنفسه ، أميناً لمكتبته ؛ وتارة تراه يدارس أساتذة الموسيقى فى عصره ويستلهمهم أسرار الفن وأصوله وقواعده

وفى هذا السياق من التخبط فى الحياة ، انتقل والده إلى ربه بعد أن ضعف بصره ووهنت قواه . فلم يتريث « كامل » فى طريقه بل واصل حياته جاداً مستهيناً بكل ما اعترضه فى جهاده ؛ واستطاع بعقله الخصب أن يصل إلى قمة الشهرة عن جدارة ، فكان الأديب واللغوى والفقيه والشاعر والخطاط والرسام بل الموسيقى الذى استهوى القلوب ، وتزاحم الأعيان وخاصة العلماء والأدباء على التماس الاستئثار به فى مجالسهم يحادثهم فى الأدب ويطربهم بسحر أغانيه العذاب

لقد نضج « كامل الخلعى » قبل الأوان ، وشارك أساتذته فى ثروتهم من الأدب وعلم الموسيقى ، فلم يكن كثيراً على نبوغه البكر أن يفاجئ الناس وهو فى سن السادسة والعشرين بكتابه « الموسيقى الشرقية » فيأخذ به بين علماء الموسيقى فى مصر والشرق مكانة (العالم المتمكن) ولكنه ابن السادسة والعشرين

واستطاع « كامل » أن يتعلم من اللغات التركية والفارسية والإيطالية وأن يجيد الفرنسية إجادة الرسوخ . وهو بعد أن تطاول كتابه « الموسيقى الشرقية » إلى أقطار العالم ترامى إليه

رسائل المعجبين من كل صوب ، مما أوجد فى نفسه الرغبة إلى اقتحام مخاطر الرحلات ، فزار الشام وتركيا وإيطاليا وفرنسا وتونس ، وقضى فى كل منها عدة من السنين اتصل فيها بعلماء الموسيقى وأعلام الأدب حتى اندمجت شهرته بشهرتهم وتبادل معهم كل جديد من الرأى فى الموسيقى العربية والإفرنجية

ثم هو يستقر بعد ذلك فى مصر أستاذاً كاملاً فى علم الموسيقى يرجع إليه المشتغلون بها فى كل ما استشكل عليهم من غامض الفن . وهو فى نفس الوقت يهيأ لأن يفاجئ المصريين بنوع لم يتعرفوا إليه فى الموسيقى من قبل هو نوع الأوبرا والأوبريت التى أبرز فيها شخصية السيدة منيرة المهدية على المسرح الغنائى لأول مرة فى التاريخ سنة ١٩١٦ تركز بعدها كيان الأوبرا الغنائية فى فن التمثيل

وواصل « كامل » بعد ذلك جهاده الفنى بين المسرح و(جوقات الطرب) بما قدم لفن الغناء من تلاميذه النوابغ الذين علا نجمهم وإن تنكروا له بعد ذلك فى محنته . ولكنهم اليوم أصحاب السمعة والصيت دون أستاذهم المجهول الذى ساهم فى وضع أساس الفن ومهد له سبيل الحياة . ثم مات عن خصاصة وعاش تلاميذه فى رخاء من تركة أستاذهم الفنية ، وهى ليست من القلة بحيث تفقد وجودها وسط هذه الفوضى العابثة من الألحان والأغانى التى يخرج علينا بها مطربو هذه الأيام . فقد تجاوزت تركة « كامل الخلعى » من الألحان الأربعين رواية بين الأوبرا والأوبريت موزعة بين فرقة السيدة منيرة المهدية وشركة ترقية التمثيل العربى (شركة مصر للتمثيل والسينما اليوم) وفرقة الكسار . بل من إنتاج « كامل الخلعى » تزودت أشهر المطربات فى مصر فسمون بأغانيه إلى مرتقى بجذهن الذى من عليائه تكونت لبعضهن ثروة تغنى مئات من طراز الخلعى الذى مات فقيراً معدماً ، بعد أن مهد لتلاميذه الطريق إلى الشهرة والثراء . وكان من أشد ما لاقاه « كامل » فى أخريات أيامه من مرارة وألم أن مغنية كبيرة ممن لحن لهن « كامل » بلغ بها الشح إلى اغتياله فى حق له عندها من ثمن قطعة لحنها لها ربحت منها مئات الجنيهات ضنت عليه بعدها بأجره ، وكان من حقه عليها أن تكفيه شر ما لاقى من فقر ومسغبة .

فبقدر ما أسرف « كامل » فى العطف على الفقراء والمكدودين وبسط لذى الحاجات كفيه ، جحد الناس فضله ونسوا أياديه على الفن وتنكروا لأولاده من بعده .. وهو لم يكن يجهل هذا المصير الذى آذنه عند تدهور قواه وسقوطه على فراش الموت ، لأنه خبر المجتمع ودرس حياة الجماعات وأمعن فى فهم الأخلاق التى تسود القوم من تنكر وجحود وأثرة

كان « كامل الخلعى » مخلوقاً غريب الأطوار فى حياته وعقليته . لم يضع كيانه فى بيئة خاصة ولم يلتزم جماعة معينة فى المجتمع . فبينا تراه نديم العظماء فى سهراتهم الخاصة وسمرهم الطروب ، إذا بك تشهد له فى نفس اليوم مجلساً متواضعاً بين جوقة من (أولاد البلد) فى حى (المشهاوى) أو غيره من الأحياء الوطنية فى القاهرة ، يلقنهم أغانيه الشعبية المرحة التى احتكرها جماعة (الصهبجية) وجوقات الطرب فى الأفراح الشعبية . وفى نفس الوقت تكون إحدى درره الفنية ساطعة الضوء على مسرح من مسارح التمثيل الغنائى تجتذب بروعتها لب الجماهير . وقد يلزمه فنه الوحى من روح الطبيعة بمجالسة إحدى الطبقات من الشعب لتطبيق أغانيهم على لحن صادفه فى رواية مسرحية جديدة ، فقد عهدت إليه (شركة ترقية التمثيل العربى) يوماً بتلحين رواية « طيف الخيال » وفى الرواية مشهد من مشاهد (الحواة) فدفعه إخلاصه لفنه إلى أن يجوب أحياء القاهرة باحثاً عن أحد الحواة ليشركه معه فى وضع اللحن الملائم لهذا المشهد . فكان حظه من التوفيق مطابقاً لما سبق له من نجاح دائم فى ألحانه المسرحية

وإذا كانت حياة « كامل الخلعى » الموسيقية قد طغت على قيمته العلمية فحجبت عن الجماهير شخصيته كأديب وعالم خصب ، فإنه من غير شك كان ينحو فى الحياة منحى فلسفياً أفرد له شخصية شاذة ذهب الناس فى تكييفها مذاهب شتى . فلم يوفق باحث من كتاب الاجتماع إلى إبراز شخصية من حيز الغموض والمجهول .

ولقد تناول حديثى عن « كامل الخلعى » مرة مع صديق الأستاذ أحمد خيرى سعيد ناحية شاذة فى ميول الرجل ونزعاته الإنسانية ، فذكرت لصديقى أنني مرة كنت أرافق « كاملاً » فى حى (باب الخلق) وصادفنا صاحب عربة (من عربات النقل) أثقل على حصانه العبء فما كان من « كامل » إلا أن اندفع على الرجل فى حالة عصبية ثائرة وأبى إلا اقتياده إلى قسم البوليس ! أى جريرة ارتكبها الرجل ؟ لقد استعمل القسوة مع الحيوان المسكين



جزيئات المـــادة

حركة الجزيئات سبب للعمليات الحرارية

للدكتور محمد محمود غالى

فى مشاهداتنا اليومية دليل على التقسيم الجزيئى للمادة — حركة «الهابوش» حول المصباح — كيف انتصرت النظرية السينيتكية فى القرن الماضى — قوانين الضغط والحجم والحرارة تجد تفسيرها فى الحركة الداخلية لجزيئات المادة — الحرارة عامل أساسى فى حركة الجزيئات — الحرارة هى الحركة ذاتها

عند ما تُطالع مقالاً فى صحيفة أو تقرأ موضوعاً فى كتاب فيحدثك الكاتب فى هذا أو ذاك عن الجزىء Molecule وعن الذرة Atome فإنك تنظر لهذه الموضوعات كأنها فروض علمية أكثر من نظرك إليها كمسائل عملية وحقائق ثابتة يعترف بها العلم التجريبي . ولكنك إذا أنعمت النظر فيما يعرض لك فى حياتك اليومية من أحداث فإنك لست فى حاجة إلى اللجوء إلى تجارب العلماء الدقيقة لإثبات الفكرة الذرية ، بل إن شيئاً من الملاحظة والتأمل حقيق بأن يُثبت لك بأدلة محسوسة أن المادة مكونة من جزيئات متناهية فى الصغر تمثل فى الواقع وسطاً منفصلة أجزاؤه وحالته غير مستمرة

موضوع يعجب له القارئ كيف يتسنى له أن يدرك النظرية الذرية من التأمل فى بعض المظاهر التى يصادفها ؟ وكيف تحمل هذه بين طياتها أكبر الأدلة على ثبوت بعض القضايا العلمية الدقيقة ؟ لذلك نسرد للقارئ طرفاً منها

من العادات الشرقية أن نطلب فى بيوتنا من الخادم كوباً من الماء البارد ، ونطلب منه فى الوقت ذاته أن يضيف إليه نقطة أو بضع نقط من ماء الورد ، ليكون للماء ونحن نشربه عبير نرتاح إليه . شىء من التأمل يدفعنا إلى فهم فكرة الجزيئات ، إذ نعرف ونحن نتجرع ما فى الكوب من شراب أن هذه النقطة من ماء الورد التى يعد حجمها ضئيلاً بالنسبة إلى حجم ما فى الكوب من ماء ، انتشرت قبل تذوقنا إياه فى كل أنحائه ، ولم يستأثر جزء من مياه الكوب بها دون الجزء الآخر

هذه الظاهرة من امتزاج نوعين من السائل : الماء النقى المتدفق من الثلاجة ، وماء الورد المحفوظ فى الزجاجة ، لا يمكن أن تحدث إلا على حساب انتشار جزيئات صغيرة من ماء الورد بين جزيئات الماء الصافى ، لأنه على صغر حجم نقطة الورد أصبحت موجودة فى كل مكان بين جزيئات الماء

خاطر آخر : ليس ثمة ما يمنع أن نصب ما فى الكوب فى حوض كبير مملوء بالماء ، إننا عندئذ لنشعر بعبير الورد فى كل أجزائه ولو بدرجة طفيفة ، هـذه القطرة الأولى امتزجت فى الحوض

وصديقى هذا هو الإنسان الوحيد فيمن أعرفهم الذى وضع الجواب الصحيح لتصور « كامل الخلعى » فى هذا الموقف الشاذ ، إذ قرر أن الرجل من غير شك له عقلية فيلسوف ولكن من نوع لا يعيش فى هذا الجيل !

* * *

هذا هو « كامل الخلعى » الذى كسب من فنه آلاف الجنيهات ومات معدماً إلا عن تركة من الألحان يتناهبها جيل جديد من الملحنين كل مجهودهم أنهم يجيدون نقل ألحان « كامل الخلعى » وأغانيه من رواياته القديمة إلى مقطوعات جديدة ، ثم هى بعد ذلك ألحان وأغان يكتسب بها ناقلوها ومغنوها أقواتهم ويجمعون ثرواتهم ، وأصحاب التركة من أولاد « كامل الخلعى » فى عزلة عن الناس وعن الوجود

محمد يوسف دهبل

الكبير الذي نعرف فيه أثرها بسيرها والذي بات مسرحاً للجزيئات العديدة للنقطة من الورد، تكمن هذه الجزيئات تارة وتنتقل أخرى في أرجائه المترامية

ولو أن هذه النقط كانت من الحبر بدل ماء الورد لحدث ثم تعديل طفيف في لون الماء داخل هذا الحوض لا شك يعم كل أجزائه التي تميل عندئذ إلى الزرقة بانتشار الجسيمات الصلبة الصغيرة للحبر في كل أرجاء الحوض الفسيح

كذلك نرى نوعين من الزجاج الملون، كلاهما أحمر اللون ولكنهما يختلفان في درجة الاحمرار، هذا الاختلاف الشديد في ألوان الزجاج أو أقمشة الملابس هو نتيجة لاختلاف نسبة جسيمات المادة الملونة بالنسبة للمادة المراد تلوينها

كذلك من السهل معرفة مخلوط من البروم والكلوروفورم من رائحة الأخير، وإذا كان العلماء يستطيعون بعد ما سردناه من أمثلة أن يميزوا نسبة الأكسيجين والأزوت في الهواء بكل تفاصيلهما بدراسة أطيافهما، ابتداء من الأشعة تحت الحمراء إلى الأشعة فوق البنفسجية، فإن لهم في هذا طريقة في التحليل الطيفي ليست من عمل الرجل العادي، ومع ذلك فهم يصلون إلى النتيجة ذاتها التي تتلخص في أن الأكسيجين والأزوت مادتان مركبة كل منهما من جزيئات كما الشلجة وماء الورد، بحيث إذا اعتبرنا قدراً صغيراً من الهواء الذي نستنشقه نجد فيه دائماً هذين المخلوطين بنسبة معينة هي التي يعرفها العلماء من التحليل الطيفي، كما أن الورد أو الحبر امتزجا مع الماء بنسبة معينة، هي التي تميزها حاسة الشم أو النظر التي تقوم في هذه العملية بما تقوم به الأجهزة الدقيقة في تجارب العلماء المتقدمة

***

ومع ذلك فإنه من غير المعقول أن مادتين مستقلتين تندمجان أو تختلطان أو يتداخل بعضها في البعض إلا إذا فرضنا وجود جزيئات صغيرة لكل منهما وأن هذه الجزيئات تتحرك فتنتشر بعضها بجوار البعض

في مشاهداتنا اليومية عند ما يقرع الجرس في إحدى المدارس يخرج طلبة جميع الفرق إلى فناء المدرسة، ويختلط جميعهم بحيث يصبح في كل لحظة أن ترى طالباً من فرقة معينة محاطاً بطلبة من جميع السنين الأخرى، بحيث أن في كل بقعة من فناء المدرسة يوجد طلبة من جميع الفرق تتحدث وتجري وتلعب، كل منهم مستقل بذاتيته، ولا يمنع هذا أن دقة أخرى من الجرس واتفاقاً كان نتيجة التدريب والتهذيب، يجعلان هذه الشخصيات المستقلة والجزيئات المبعثرة تتجمع مرة أخرى في صفوف منتظمة بحيث نرى بعد مرور فترة من الوقت هذه الأفراد تدخل فصولها كل على مقعده الذي كان عليه منذ أمد قصير

كذلك لا بد من أن هناك عملية طبيعية تجعلنا نفصل مرة أخرى ماء الورد من الماء وجسيمات الحبر من ماء الحوض ونزيل عن الأقمشة ألوانها ونفصل الكلوروفورم من البروم، كما أن ثمة عملية أخرى تفصل الأكسيجين من الأزوت بحيث تصبح جزيئات الأكسيجين بمفردها منفصلة في وعاء معين وجزيئات الأزوت في آخر، كما يجتمع طلبة فرقة معينة في ردهة معينة وطلبة الفرقة الأخرى في الردهة المجاورة

إنما سردت للقارئ ما تقدم ليدرك أن في مشاهداته اليومية وعملياته العادية يجد منطقاً للفكرة الذرية، بحيث أن فكرة الجزيء ووحدته هي في الواقع نتيجة فعلية أكثر من أن تكون عملاً من قبيل الفروض

على أننا سنرى فيما نتابعه أن هذا الجزيء مكون مما يسمونه الذرات، وقد كان للكيمياء الدور الأكبر في معرفتها. وسنرى أن كل ما نعرفه في الكون محصور في عناصر مختلفة لا يزيد عددها عن ٩٢ عنصراً، وأنها تبدأ من الهيدروجين أخف هذه العناصر وتنتهي بالاورانيوم أثقلها، وأن الاختلاف بينها راجع إلى التركيب الذري. وسنرى بعد ذلك أن العلماء توصلوا إلى حسر الستار عن حقيقة هذه الذرات، وأنهم استطاعوا أن يضغطوها تارة (أعمال كوتون Cotton) ويهدموها تارة أخرى (أعمال رذرفورد وموريس دي بروي وجوليو وفرمي وأخيراً برايش)، وأنهم في ذلك أعلنوا على المادة حرباً ضروساً لا نعرف مداها، ولا نعرف إلى أي حد يبلغ أثرها، وهم في ذلك كمن أعلن علينا حرباً شعواء مدمرة عبثت بنا نتيجة لطمع الطامعين، حرباً جالبة للأسى وقمت في أثنائها قنبلة تطايرت شظاياها في فناء المدرسة السابقة، فدكتها دكاً ومزقت الأطفال فتطايرت أشلاؤهم ظلماً وعدواناً، واختلط

الأمر وعم الذعر والخراب ، فلا جرس يعيد القوم إلى فصولهم ولا شخص واحد منهم تستطيع التعرف عليه . هذا التهدم المدرسي شبيه بالتهدم الذرى الحادث في ذرات الجزيئات وهو يشغل بال العلماء اليوم ، وسيكون موضوع أحاديث لنا في الرسالة لخطورته وأهميته. ولئن كان التهدم في مثال المدرسة نتيجة الجبروت، دليلاً على الفناء، فهو في جزيئات المـادة وذراتها انتصار للعلم ومفخرة للعلماء ، حتى إن فريقاً منهم يفكر جدياً فيما قد يكمن وراء هذا التهدم Désintégration من أسباب تمكننا من تسخير المادة تسخيراً يختلف عن تسخيرنا لها اليوم واستخدامها بطرق تختلف عن كل ما ذهبنا إليه

ونعود للجزىء الشخصية الكاملة التي تحوى قطرة واحدة من ماء الورد ملايين اللايين منه فنقول إن جزيئات الورد هذه وتلك التي هي من الماء مستقلة في ذاتها استقلالاً تاماً وإن ما يظهر لنا من أن مزيج الماء والورد أو البروم والكلوروفورم أو الأكسيجين والأزوت مندمجة جزيئاته في الآخر هو مظهر لفعل حواسنا التي لها قوة محدودة في تميز الأشياء ، وإن وجود ماء الورد في كل نقطة من الحوض الكبير أول دليل على تركيبه الجبلي وأنه مكون من جزيئات عديدة هي التي انتشرت بين جزيئات المـاء الصافي في أرجاء الحوض كما ينتشر الطلبة في أرجاء المدرسة

* * *

هذه الأمثلة ومثال المرونة في الأجسام الذى قدمناه في مقالنا السابق ترجح الفكرة الذرية للمادة ، ولكن لا تقيم عليها الدليل القاطع ، وهكذا وبالرغم من كل ما ذكرناه ظل العلماء في حاجة قصوى إلى حجة أخرى تكون مستقاة من مصدر آخر .

إن نجاحاً كبيراً أحرزته العلوم الطبيعية للفكرة الذرية الحديثة أتى عن طريق ظاهرة أخرى . فقد تكونت بجوار الظواهر التي ذكرناها مجموعة أخرى من الظواهر تفسر الذرية وتنتصر لها ؛ وهذه المجموعة تتجلى في الظواهر الخاصة بالتغييرات الحرارية ، وبذلك قدمت ظاهرة الحرارة في الأجسام حجة جديدة لم يفكر فيها الذريون الأقدمون، وعلى أكتاف التقدم الحرارى بالطريقة التي تمت في القرن الماضي وضع الطبيعيون للذرية أساسها الحقيقي

ولكي نفسر العـلاقة بين الحرارة والذرية ، نذكر للقارئ الفكرة الأساسية لهذه العلاقة : وهي أن الجسيمات المادية صلبة كانت أم سائلة أم غازية في حالة هياج دائم وحركة مستمرة ، وأن ثمة علاقة بين هذه الحركة وما نسميه حرارة الجسم . فكلما كانت حرارة الجسم مرتفعة كانت جسيماته أكثر حركة ونشاطاً . هذه النظرية التي كانت من أكبر الانتصارات العلمية للقرن الماضي يسمونها « النظرية السينيتيكية » Theorie Cinétique صفة من الحركة ، وهي تقرر أنه في حالة الغازات تتحرك جزيئاتها حرة حركة غير منتظمة في جميع الجهات ، وفي حالة السوائل تتحرك الجسيمات حرة أيضاً في جميع الجهات ، ولكنها لا تتركه ، وفي حالة الأجسام الصلبة تتذبذب هذه الجزيئات في مكانها دون أن تنتقل فيه .

* * *

مثال نقدمه للقارئ ليفهم النظرية السنيتيكية : في القاهرة بجوار النيل والحدائق والمياه يكثر في فترة معينة من السنة نوع من البعوض الصغير يطلقون عليه « الهاموش » يغدو حراً طليقاً في الفضاء، وتتصادم هذه الكائنات الصغيرة المتحركة في كل اتجاه مع كل ما تقابله ، وطالما تضايق الانسان لدنوها من الوجه أو العين، وهي على هذا النحو تشبه جزيئات الغازات في حركتها الدائمة غير المنتظمة .

على أن هذه الحرية المطلقة تصبح محدودة إذا وجدت هذه الكائنات قريباً من طريقها الأعمى نور مصباح ؛ فهي في هذه الحالة تتجمع بالمئات والألوف تدور حول المصباح وترتظم به .

هذه الاجتماعات الليلية تختلف عن الاجتماعات الاختيارية التي تحدث لنا نحن معاشر الإنسان عند ما نتوجه للاجتماع في قاعة للمحاضرات أو ناد أو حفلة ؛ فإن هـذه المخلوقات المسكينة لا تذهب مختـارة إلى حيث يسطع الضوء القوى ، ويتألق المصباح ، بل إن ثم « تأثيرات فوتوكيميائية » Effets Photo-chemiques وإفرازات معقدة تحدث داخل أجسامها نتيجة للضوء، تأثيرات تجد تفسيرها اليوم في الكيمياء الطبيعية . هـذه التغييرات الكيميائية الطبيعية التي سببها الضوء تحرك عضلاتها حركة إجبارية وتوجه هذه المخلوقات التعسة أرادت هي أم لم ترد نحو مصدر الإضاءة . هـذه الألوف من الكائنات

تدور وتعلو وتهبط ويصطدم بعضها ببعض وبالمصباح ويستمر هذا فترة طويلة ، وهى فى هذا تمثل عندى جزيئات السائل التى تتحرك بداخله فى جميع الاتجاهات كما يصطدم بعضها ببعض ، وكما أن هذه المخلوقات عاجزة عن أن تترك المصباح ، كذلك جزيئات السائل داخل الكوب عاجزة عن أن تتركها ، وليس خروج أحد هذه المخلوقات بعيداً عن منبع الضوء إلا حادثاً نادراً يحدث تحت تأثير عوامل خارجية مثل هبوب الهواء شديداً فى اتجاه معين بحيث يكون سبباً لبقائها حية فترة أخرى من الزمن ، وهى فى نجاتها من المصباح ، بعامل الهواء ، تشبه الذرات المائية التى تخرج من السائل تحت عامل التبخر

وتمر الساعات ويطول الليل ويتكرر اصطدامها بالمصباح الساخن وتفقد نشاطها فى المقاومة فيلتصق الكثير من هذه الكائنات بالمصباح الكهربائى أو السقف الحامل له ، وتقترب ساعتها الأخيرة فترى طبقة كثيفة مكونة من آلاف الآلاف قبل موتها متلاصقة فى مكانها تتذبذب يميناً ويساراً قبل أن تفقد كل أمل فى أى حركة وقبل أن تصبح فى عداد الأموات . هذه المخلوقات المتلاصقة المتمايلة طوراً إلى اليمين وتارة إلى اليسار تشبه عندى جزيئات الأجسام الصلبة التى لا تستطيع أن تتنقل فى مكانها ولكنها تستطيع أن تتذبذب فيه

وهكذا فى هذه المخلوقات التى نطلق عليها « الهابوش » نرى صورة صادقة لما يحدث فى المادة على أشكالها الثلاثة المعروفة الصلبة والسائلة والغازية

***

هذه الحركة الداخلية بين جزيئات المادة الواحدة ومعرفتنا إياها كانت انتصاراً للنظرية السينيتيكية ، وقد نشأ عن ذلك فى بادئ الأمر أن وجد العلماء تفسيراً لضغط السائل أو الغاز على جدران الأوعية التى تحتويها ، ذلك أن تصادم جزىء واحد لا يحدث أثراً واضحاً أو ضغطاً محسوساً ، ولكن العدد الكبير من المصادمات الفردية الحادثة فى الثانية الواحدة يسبب ضغطاً موزعاً بالتساوى وناتجاً من مجموع الضغوط الفردية

على أن تحديد مقدرتنا بالإحساس هى التى تجعلنا بدل أن نشعر بمصادمات عديدة منفردة نشعر بضغط موزع توزيعاً منتظماً . هذه القدرة المحدودة فى الإحساس هى التى تجعلنا نخطئ طبيعة وعمل هذه المجموعات للجزيئات فنشعر فى العادة بضغط منتظم لجسم متصل

هذه المصادمات الفردية التى تسبب الضغط تفسر رأساً القانون الأساسى الذى يربط الضغط بالحجم فى الغازات والذى تعلمناه جميعاً فى المدارس وهو القانون القائل : إنه عند ما تقلل حجم غاز إلى النصف مثلاً فإن ضغطه يزيد بمقدار الضعف . والواقع أنه عند ما نضغط الغاز إلى نصف حجمه الأصلى فإنه لا يكون لجزيئاته فراغاً لحركتها سوى نصف المقدار الأول ، وعلى ذلك فإنها تضرب فى الثانية الواحدة السطح الجانبى للاناء الحامل للغاز ضعف عدد المرات الأولى قبل تقليل حجمه . هذا التضعيف فى عدد المصادمات يسبب نفس الزيادة فى الضغط ، وهى ظاهرة ممكن قياسها بطريقة مباشرة

على أن النظرية السينيتيكية للغازات تأخذ فى محل الاعتبار أيضاً العامل الحرارى ، وبهذا انتهى العلماء إلى قانون أعم من القانون السابق ، بحيث إذا رفعنا درجة الحرارة لغاز معين فإن سرعة جزيئاته تزيد ، وتزيد بهذا الأثر الذى تحدثه هذه المصادمات وينتج عن ذلك زيادة فى الضغط ، فزيادة الضغط بتسخين الغاز مع حفظ حجمه ثابتاً تنشأ عن زيادة القوة الحادثة من كل مصادمة فردية

هذه الفكرة وغيرها أمكن وضعها فى الوضع الرياضى حتى أصبحت النظرية السينيتيكية لا تفسر المظاهر المختلفة بشكل نوعى فحسب . بل أصبحت تفسر كل التغييرات الكمية الحادثة فى كل هذه الظواهر . وهكذا انتصرت النظرية السينيتيكية وأخذت مكاناً ممتازاً فى العلوم الطبيعية ، حتى أننا لا نعرف اليوم طبيعياً يطعن بها أو يضعها بشكل جدى محل الشك

ولم تقف الدراسة الكمية عند الحد الذى ذكرناه من تفسير قوانين الحجم والضغط والحرارة بل إن سباق الجزيئات الذى لا نظام له والذى يتبع خطوطاً منكسرة ، هى نتيجة لتصادمها المستمر ، أمكن دراسته من الناحية الكمية دراسة أدت إلى حساب عددى للاحتكاك الداخلى للسوائل والغازات الذى يعد العقبة فى هذه الحركة بالتصادم المستمر

على أن سرعة هذه الجزيئات كبيرة لدرجة عظيمة ففى درجة

من هنا ومن هناك

الديمقراطية والإذاعة – عن «تلسكوب كوبنهاجن»

الاستماع بمعناه الحق فن عظيم ليس من السهل إدراكه . وكثير من الناس يتعذر عليهم الإصغاء عن أي شيء آخر ؛ وقد عملت تجارب نفسية للبحث فيما إذا كان الإنسان يفهم ويذكر ما يسمع أو ما يقرأ . وهل الكلمة المسموعة أكثر تأثيراً في النفس أو الكلمة المكتوبة . ولم يهتد إلى حل مرض في هذا الموضوع ؛ ولكن انتشار المذياع ألقى ضوءاً جديداً على هذه المسألة .

فالصلة الشخصية بين المتكلم والسامع لا وجود لها في الإذاعة ، إذ أن السامع لا يستفيد برؤية المذيع ، والرؤية لها تأثير لا شك فيه . فأنت محتاج حين تسمع إلى تركيز ذهنك إلى حد لا تحتاجه حين ترى المتكلم وجهاً لوجه . لذلك يتحتم أن تكون الإذاعة قصيرة ، ويجب أن يكون لها نظام خاص وأسلوب معين .

نحن نعيش في أزمة عظيمة لم يشهد مثلها العالم من قبل ، إذ تصطدم المثل والأساليب بقوة ووحشية لم يسبق لها مثيل . فمن الواجب والحالة هكذا أن تتحرر الإذاعة من هذه الحالة : يجب أن تعطينا صورة صادقة عن الأحوال والشؤون التي تشغل العالم ، وتبين الأسباب الحقيقية لها ، بصفة موضوعية بقدر المستطاع ، بعيدة عن طرق الإبهام والإغراء .

على أن المذياع إذا حل محل الكتاب في التأثير على الذهنية ، فلغة المذياع لا تستطيع أن تجاري لغة الكتاب . وقد أوضح ذلك البروفسور لويد جيمس فقال : إن الصحافة الإنجليزية وطدت طريقتها في الأسلوب ووسائل الإيضاح منذ مئات السنين ، بينما المذياع حديث لم يتجاوز استعماله ثماني عشرة سنة . وهناك فرق كبير بين الكلمة التي تنطق والكلمة التي تقرأ . فالكلام الذي يبحث ويشرح بالكتابة على الوجه الأكمل لا يمكن أن يذاع .

ويقول لويد جيمس: من الخطأ أن نظن أن أساتذة الكتابة ورجال الصحافة هم أصلح الناس للإذاعة .

ويقول: إننا نتلقى كل معارفنا على التقريب عن طريق العين، وأن ٩٠٪ من معلوماتنا مأخوذ عن الكلمة المكتوبة ، وقد ظهرت فجأة آلة المذياع وهي تعتمد على الأذن وحدها، وهذا تطور

الحرارة العادية تبلغ سرعة جزيئات الهواء داخل غرفتنا حوالي كيلو متر في الثانية ، أي ستة أضعاف أكبر سرعة نعرفها للطائرات الحربية الحديثة ، وهي بهذا تزيد سرعتها عن كل ما نعرفه من المركبات الأرضية

***

لقد اكتفينا حتى الآن بأن نقرر أن رفع الحرارة يزيد في سرعة الجسيمات ، وأن ثمة علاقة بين الحرارة والتهيج الجزيئي ، ولكننا نريد أن نقدم للقارئ أمراً جديداً ، نريد أن نقول إن هاتين الظاهرتين أمر واحد

هنا تستوقفنا أزمة جدية في التفكير الطبيعي الحديث . ونكرر القول بأنه ليس هناك حالة خاصة بالحرارة وحالة أخرى خاصة بالحركة بمعنى أن الحركة ليست نتيجة للحالة الحرارية بل إنها هي الحالة نفسها .

هذا النوع الجديد على معارفنا والذي أدخله ليبنتز Leibniz أصبح أمراً عادياً في العلوم الطبيعية لدرجة أن الطبيعيين يطبقون هذه المعارف الجديدة دون أن يعيروها أي التفات ، ومع ذلك فإنه مما لا شك فيه أن ما نذكره هنا مدعاة للاستغراب للشخص العادي الذي يميل إلى أن يعتقد أن الحرارة تسبب زيادة في الحركة ، أكثر من أن يميل إلى الاعتقاد بأن الحرارة هي الحركة بذاتها ، وليس لنا أن نطالب القارئ بتصديق ذلك قبل أن نحدثه في المقال القادم عن انتصارات روبير ماير Robert mayer وبولتزمان Boltzmann التي أحدثت انقلاباً عظيماً في التفكير الحديث

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

لا شك فيه فى طرق تربيتنا وتعليمنا ، ومن الواجب أن تعد له الأساليب والتعبيرات التى تلائمه إذ أنها تختلف كل الاختلاف عما عداها .

ولم تعرف بعد طرق التعبير التى تجعل من المذياع آلة صالحة لنشر الثقافة والتعليم ، ولكن من الممكن أن يقال إذا كان التعليم العام والخاص والثقافة هى الطرق المؤدية إلى الديمقراطية ، ولا نقول الديمقراطية المعروفة فحسب ، ولكن الديمقراطية التى يتطلع إليها العالم فى المستقبل : فمن المستطاع أن يكون للمذياع أكبر فضل فى بناء صرحها وإعلاء كلمتها .

إن الدكتاتورية تعتمد على نشر الدعاية بين الجماهير ، والديمقراطية تعتمد على ذكاء الفرد ومقدرته الخاصة على فهم الأمور والحكم عليها . والمذياع هو ذلك الصوت الذى يرتفع من جانب الحجرة ، لا ليجبره على اعتناق فكرة دون الأخرى ، ولكن ليفتح ذهنه لمختلف الآراء ، ليحكم عليها بنفسه ، ويختار ما يلائمه منها .

الخرافة وأثرها فى حياة العالم – عن محاضرة للورد بونسونبى

كل إنسان فى هذه الحياة عرضة للخرافات والأوهام تلعب دورها معه . ولا غرابة فى ذلك فمنذ خرج من عالم الحيوان نظر إلى ما حوله فنسب كل ما لا يستطيع فهمه إلى قوة خفية خارقة . ويقال إن الإنسان ما زال على فطرته الأولى فهو يتعلق بالخيالات ويتعشق الأوهام

ويبدو هذا صحيحاً إذا اعتبرنا ما يسود العالم من الخرافات الآن . وقد اعتمدت الدعاية فى العصر الحديث على خداع الإنسان بمختلف الوسائل ، ولم يخطئها النجاح إذ أن الإنسان بطبيعته ميال عن الحق

وما زلنا نرى بين الناس من يعتقدون بالحسد ومن يعتقدون بفكرة الجن والعفاريت . وقد رأيت فى الفلاحين من يتشاءمون من زراعة بعض النباتات . ويتشاءم كثير من الناس بكسر المرآة أو بالمشى تحت السلم أو بجلوس ثلاثة عشر على المائدة . وقد أصيب طفلى مرة بسعال ديكى مما يعترى الأطفال عادة ، وقد حاولت عجوز أن تشفيه من هذا المرض ، فأحضرت ثلاث شعرات من ذيل أتان وخاطتها فى كيس ثم ربطتها فى عنق الطفل ومن حسن الحظ أنه شفى بعد ذلك

أما مسألة الحظوظ فلها دور كبير فى حياتنا . ويلجأ المقامرون إلى طرق غريبة لطاردة الحظ السيء . ويتشاءم الكثيرون لبعثرة الملح ، ولا يزول الحظ السيء الذى يترتب على ذلك إلا إذا رميت قليلاً من الملح من وراء كتفيك . وإذا ولد طفل يجب أن يصعد به إلى أعلى السلم فى الحال حتى يسير قدماً فى الحياة ويرتقى معارج الرقى والفلاح

وقد عرفنا فى التاريخ كيف كان القساوسة ورجال الطب يستغلون عقائد الإنسان التى من هذا القبيل ، لاكتساب النفوذ والقوة . وإذا كان سلطانهم قد ضعف فى هذه الأيام ، فرجع ذلك إلى انتشار العلم . على أن الإنسان ما زال ميالاً إلى أن يخدع ويغرر به على الدوام

ولم يكن حظنا فى بلاد الغرب فى التخلص من تلك الخرافات بأكثر من حظ الشرقيين، وقد ظهرت عقائد كثيرة فى الولايات المتحدة . وما زالت الأفكار الروحانية تلاقى نجاحاً فى بلادنا . على الرغم من الاضطراب والحيرة اللذين يسودان العالم

وقد اعترف لى طبيب فرنسى بأنه كان يعطى مرضاه حبوباً مصنوعة من مادة الخبز وكانوا ينالون الشفاء باستعمالها لمجرد الاعتقاد. ويقول بعض الأطباء إن بعض القرويين يتأثرون لغياب الدواء عنهم فيعطيهم الطبيب ماء ملوناً ، فيقبلون عليه فى غالب الأحيان ولو أنه لا يجديهم شيئاً

وقد انتشرت الميول الروحية بعد الحرب العظمى لما نال العالم من الأشجان والآلام بسببها فهى تتجر بعواطف الإنسان ومخاوفه والأحزان التى تخامر فؤاده على من فقد من الأهل والخلان

إننى أتنبأ بما سيكون للمذياع من الأثر فى إخضاع الأمم فإذا ظهرت أزمة سياسية فسوف تقهر على سماع ناحية واحدة من نواحى الموضوع . وأنت موقن بأنه لا يوجد شر محض كما لا يوجد خير محض ؛ ولكن رجال السياسة يمزجون الحق بالباطل لينالوا قوة الإقناع . وهم لا يحتاجون إلى كثير من العناء ، ليحرزوا الفوز فى ذلك الميدان الذى تعبد وتوطد مع التاريخ ، فيسيرون قدماً فى طريقهم لإقناعنا بأشياء لا قاعدة ولا أصل لها . ولا جرم فقوتهم مستمدة من الضعف الكامن فى نفوسنا

إنّ مثل هذه الأمور لا تدرك بازدياد الثقافة، ولكنها تفهم بنمو الذكاء

نابليون والتاريخ الحديث – عن «ذى نشنال ريفيو»

كتب مؤرخ بلجيكي نظرية جديدة يثبت فيها فرار نابليون من جزيرة سنت هيلانا . فإذا صحت هذه النظرية وجب أن تجمع كتب التاريخ ويعاد كتابتها من جديد . والحقيقة أن بقاء نابليون في تلك الجزيرة لم يكن متوقعاً ، وقد كان الكثيرون منذ اللحظة الأولى لنفيه لا يستطيعون أن يسلموا بأن النسر سيظل قابعاً فوق هذه الصخرة حتى الممات . وعلى الرغم من هزيمة نابليون فقد ظل سلطانه باقياً في نفوس غالبية الشعب ، وكان من الطبيعي أن يفكروا في إعادته

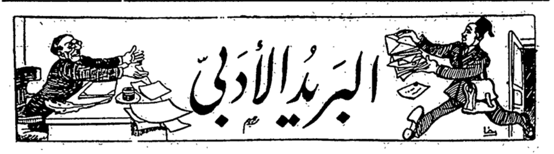
كان نابليون يسير على الطريقة التي يسير عليها هتلر الآن ، فهو يعد شخصاً مشابهاً له في الخلقة كل المشابهة ليحله محله في ظروف معينة . وقد وصف ليدرو في مذكراته المطبوعة في لينبج عام ١٨٤٠ كيف رأى فرنسوا يوجين روبو المولود في باليكورت عام ١٧٧١ وهو يشابه إمبراطور فرنسا كل الشبه ، وقد قبل نابليون قيامه بهذه الوظيفة

ويقول ليدرو إن روبو عاد إلى تلك القرية بعد موقعة واترلو ، ولم تمض أشهر معدودات حتى أعلن عمدة باليكورت إلى البوليس غياب شبيه نابليون . وقد أثيرت ضجة عظيمة بهذه المناسبة ، ولكنها لم تلبث أن خفتت وذهبت إلى عالم النسيان

فهل حل روبو مكان الإمبراطور ؟ إن لدينا من الوقائع ما يغرى بتصديق هذا ، وقد أثبت في سجل الوفيات في باليكورت هذه العبارة : « توفى في جزيرة سنت هيلانة فرنسوا يوجين روبو المولود في هذه القرية في . . . » وقد محى التاريخ لماذا ؟ ألا يكون ٥ مايو سنة ١٨٢١ ، يوم وفاة الإمبراطور ؟ ويكون روبو هو الشخص الذى استقرت عظامه تحت قبة « الأنفاليد » ؟ وليس من المعقول أن يموت روبو في جزيرة سنت هيلانة وهو لم يحل بها في يوم من الأيام كما هو ثابت في السجلات البريطانية

ومما يقوى هذا الرأى ويسنده مذكرات مس مود ريشو . وقد زارت نابليون في سنت هيلانة فأدهشها التغير الذى رأته ، ولم تصدق أنه الرجل الذى تعرفه في باريس ، وقد كتبت تقول : « لقد وجدت من العسير على أن أصدق أن المرض يغير الرجل كل هذا التغيير »

وفي سنة ١٨٢٨ حينما اشتعلت نيران الحرب بين تركيا وروسيا قدم رجل أجنبي وعرض خدماته على السلطان وقد وصل إلى تلك البلاد في مركب أمريكي . وقد قاد هذا الأجنبي جيش تركيا في إرا كشا تحت اسم حسين باشا ، ويقال إن حسين باشا هذا هو نابليون ، ويستند أصحاب هذا القول على فذلكة مكتوبة في ليبزج . فهل لهذه القضية سند من الحقيقة ؟ إنها بعيدة عن التصديق ، ولكن جنود روسيا في إرا كشا يؤكدون أنهم رأوا الرجل القصير في ثياب الأتراك



حول مناوأة الجرذ والنعاس في الأدب المصري

كتب الصديق البحاثة الدكتور بشر فارس في بريد العدد الماضي من الرسالة بما يقطع في أمر أسباب الكساد الذي يرين على السوق الأدبية في مصر بأنه لا يرى كل الرأي فيما سبق أن ذهبت إليه في مقالي السابق من أن انصراف الجمهور عن الإقبال على النتاج الأدبي في مصر إنما مرده إلى ما قلت: «إذا كان النتاج الأدبي لا يقابل من الجمهور بالحماس الواجب، فلأن الفتور مفروض على كل شيء يجري في مصر، ولأن عدم الاكتراث صفة — ويا للأسف — من صفات الأكثرية الغالبة من الجمهور المصري ولا سيما فيما له علاقة بالأدب والفن» وعاد الصديق الدكتور إلى ترديد ما سبق أن صرح به في هذا الصدد، ومجمله: «إن الجمهور المهذب من القراء يرغب عن أدب التسلية والإنشاء التعليمي ويقدر ما يستحق التقدير»

وشد ما أرغب في الأخذ بهذا الرأي، وشد ما أود أن أحسن الظن بالجمهور الكبير وبالجمهور المهذب حتى أبرئ من نفسي كذا أمنى، ولكن ما الحيلة وقد دل الإحصاء الأخير على أن متوسط ما يباع من المؤلف الأدبي الواحد في السوق المصرية لا يتجاوز خمسين نسخة في العام الواحد!

ومعنى هذا أنه لولا وجود أسواق للأدب المصري في الأقطار الشرقية الأخرى لكان مقضياً على هذه المؤلفات الأدبية بأن تصبح غذاء مستساغاً للسوس والجرذان ...

ومعنى هذا أيضاً أن هذا (الجمهور المهذب) صفوة قليلة العدد لا يؤبه لأثرها في تصريف المؤلفات الأدبية التي تكتظ بها المكتبات المصرية، حتى ولو كانت مؤلفات من الأدب الرفيع

وإذا جارينا الدكتور بشر فيما يذهب إليه، وهو أن الجمهور المهذب إنما يقبل على ما هو أسمى من أدب التسلية والإنشاء التعليمي فهل للدكتور الصديق أن يدلي لنا بعدد النسخ التي باعتها المكتبات المصرية من مؤلفيه (مفرق الطريق) و (مباحث عربية)، وهما مؤلفان ينفردان بطابع جديد في النتاج الأدبي الرفيع، وليس فيهما من أدب التسلية قمحة ولا من التعليم الإنشائي قطرة؟

بماذا يفسر الدكتور بشر فتور هذا (الجمهور المهذب) إزاء هذين المؤلفين القيمين، وأمام سواهما من الآثار الأدبية الرفيعة؟

وأين (التقدير) الذي يكنه هذا (الجمهور المهذب) للأعمال الأدبية الرفيعة؟

ومتى يتحرك هذا (التقدير) ليوفي مؤلفيه السابقي الذكر حقهما من الذكر والرواج؟

أخشى بعد هذا كله أن أقول إن صديقي إنما يصدر فيما نحن بصدده عن وحي إحساسه الخالص، وهو إحساس أديب أصيل مشبوب الهوية بالأدب، مشغوف بأن يرى للأدب دولة في مصر قوامها جمهور القراء قبل أي شيء آخر، وهذا من مزالق التفكير الذي يشوبه الإحساس الطاغي.

زكي طليمات

في النقد الأدبي

حضرة الأستاذ الفاضل محرر «الرسالة»:

تحية وسلاماً. وبعد. فقد قرأت في العدد ٣١٠ من «الرسالة» الغراء ما كتبه الدكتور بشر فارس عن الفصول التي أكتبها عن الأدب العربي الحديث؛ فحمدت له غايته من النقد. غير أنني لاحظت بعض أشياء على قوله:

١ — إن كتاباتي وإن كانت منصرفة إلى النقد القائم على الوجهة الموضوعية — كما لاحظ الدكتور بشر فارس في كلمة في «الرسالة» — والأستاذ صديق شيبوب في مقاله في البصير (١٢ مايو سنة ١٩٣٩)؛ والأستاذ خليل شيبوب في مقاله

فى « الأهرام » : (٢٩ مايو سنة ١٩٣٩) — إلا أن منحى الموضوعية فيها مستنزل من الطريقة : « التركيبية ، التحليلية » التى تذهب من النظر إلى الواقعات عيناً ، ومن الواقعات إلى النظر عيناً آخر ؛ والتى هى نتيجة ثقافتنا الرياضية .

٢ — إن هذه الطريقة من صميم الأساليب العلمية ، والطرائق الموضوعية ، لأن الطريقة العلمية تذهب : إما من النظر إلى الواقعات وإما من الواقعات إلى النظر . والمذهب الأول أكثر ما يتظاهر فى الأساليب الخاضعة للنهج الرياضى بعكس المذهب الثانى ، فإن أساليبه أكثر ما تتمثل فى منهج البحث الاجتماعى .

٣ — إن الدكتور بشر فارس وثقافته اجتماعية صرفة قد نظر إلى بحثى من الطرائق الاجتماعية التى اتصل بها — أثناء تلقيه العلم فى السربون — فدارت عقليته منها ، وكان أقل ما يجب عليه أن يوسع نظرته وينظر إلى منهجى فى البحث فى النطاق العام للأسلوب العلمى .

٤ — كان فى إمكان الدكتور بشر فارس أن يتعرف الدافع الذى دفعنا فى دراستنا عن مطران إلى الكتابة عن : « الشعر والشعراء » فى البحث الأول ، وعن « الشعر العربى » فى البحث الثانى . وذلك لأنه ليس من المستطاع — ومطران رأس حركة جديدة فى الأدب العربى — فهم حقيقة مذهبه واتجاهاته دون مراجعة الشعر العربى وخصائصه حتى يمكن عن طريق المقابلة معرفة الأثر الذى استحدثه مطران فى الشعر العربى ومدى التجديد الذى قام به .

٥ — كان فى مستطاع الكاتب أن يستنبط من البحث الثالث والبحوث التالية له فى المقتطف خطتنا فى الدلالة على معنى شاعرية مطران من شعره ، تلك الخطة التى تقوم على إرجاء المقدمات — التى انتهت بنا إلى الأحكام التى أصدرناها عن منحى الشاعرية عند الخليل — إلى موضعها الطبيعى من الدراسة .

٦ — رأى الكاتب أننا استعرنا اصطلاح « خلق جملة صلات اجتماعية » من كتابه « مباحث عربية » والواقع عكس ذلك . فإن هذا الاصطلاح قد دار على قلمنا من قبل صدور كتابه هذا : تجده فى دراستنا عن إسماعيل مظهر حين تكلمنا عن آرائه الاجتماعية (التقدمة العربية لدراستنا عن مظهر فى Z.R.O.J. م ٣٦ ص ٤١١) هذا فضلاً عن أن هذا الاصطلاح من جملة ما يجرى على أقلام كتاب عصرنا هذا ، وإذن فلا يمكن القول بأنه من الاصطلاحات التى استحدثها الكاتب .

٧ — ارتأى الكاتب أن الجملة التى أوردنا فيها هذا الاصطلاح مرتجلة بحيث أنها لا تتسق ومنحى البحث الموضوعى الذى أخذنا أنفسنا به . والواقع عكس ما رأى . بيان ذلك أننا ارتأينا فى بحثنا المذكور أن المجتمع الشرقى — عادة — ينعزل أفراده بعضهم عن بعض بحيث ينقبض كل على نفسه . وقد كان ظهور خليل مطران بطبيعة مغايرة لطبيعة هذا المجتمع الذى نشأ فيه ما استوقف نظرنا . وقد رجعنا فى بحثنا بهذا الأصل الثابت من نفسيته إلى طفولته التى ترك فيها حداً يتعامل مع أقرانه من الأطفال تخلص من ذلك بطبيعته الاجتماعية التى تجعله ينسحب على الجماعة ويشتبك مع أفرادها فى « جملة صلات اجتماعية » . وواضح إذن أن هذا من باب التحقيق لا الارتجال ، ومن ثم فاستعمالنا لهذا الاصطلاح استعمال له فى موضعه الطبيعى من الكلام لا فى موضع غير متسق مع مجرى الكلام كما رأى !

٨ — أخذ علينا الدكتور بشر فارس إهمالنا لاستقصاء المصادر فى دراستنا عن توفيق الحكيم ، ودليله على ذلك أننا لم نلتفت إلى ما كتبه فى مجلة الشباب عن توفيق الحكيم كما ينجلى فى مسرحيته « أهل الكهف » وأظن أن الدكتور بشر فارس لا ينكر علينا أننا أكثر الكاتبين فى العربية استقصاء للمصادر بدليل أن بحثنا عن توفيق الحكيم قد رجعنا فيه إلى نيف ومائة مرجع . ويظهر هذا من مراجعة سريعة لبحثنا . أما عدم التفاتنا إلى بعض ما كتبه المعاصرون عن آثار الحكيم فهذا يرجع إلى أنه ليس فى مستطاع كاتب بالعربية استقصاء كل ما يتصل بمادة معينة فى الأدب العربى الحديث . ولا وجه للاعتراض علينا بأن الباحثين الغربيين يظهر فى بحوثهم استقصاء تام لجميع ما كتب عن مادة موضوع بحثهم لأن هؤلاء يجدون من مهيئات البحث عندهم فى لغاتهم فهارس شاملة تجمع كل ما يتصل بمادة معينة فيسهل من ذلك الاستقصاء عندهم

٩ — أرجع الدكتور بشر فارس فى مقالة مجلة الشباب (٩ مارس سنة ٩٣٦) فن توفيق الحكيم المسرحى فى آثاره الأولى إلى فكرة الكاتب المسرحى H. R. Lenormand من حيث يتفق الكاتبان المسرحيان فى اعتبار الكائنات « ظواهر لا حقائق » والواقع أن الكاتبين فى هذه الفكرة متأثران بالنظرية الاعتبارية التى بثها فى مؤلفاته الرياضى الفرنسى الشهير هنرى بوانكاريه . وقد أشرت

إلى هذا الأصل بالنسبة لتوفيق الحكيم في دراساتي عنه (ص ٦٩ من الطبعة الخاصة وص ٣٦١ من طبعة عيد مجلة الحديث) فلا معنى إذن لقول الدكتور بشر فارس من أن توفيق الحكيم تأثر بزميله الكاتب المسرحي الفرنسي خصوصاً وأن توفيق الحكيم من الذين قرأوا هنري بوانكاريه وتعمقوا في دراسة آثاره (أنظر قطفة برجنا العاجي لتوفيق الحكيم عدد ٢٤٥ ص ٤٠٤ – ١٤ مارس سنة ١٩٣٨ من مجلة الرسالة)

١٠ – يقول الدكتور بشر فارس بأن الأصل في مسرحيات توفيق الحكيم اعتبار «الكائنات ظواهر لا حقائق» ويترتب على ذلك – عنده – صراع بين العقل والحلم، وبين الزمان والتاريخ (؟!...) وبين الشهوة والرغبة (؟!...) فإن صح معنا أن فكرة كون الكائنات ظواهر appearances لا حقائق realites تسوق إلى فكرة الصراع بين الواقع Fact والحلم dream فإننا لا نرى صلة بين هذا وما يحاول أن يظهره الكاتب من صراع بين الزمان والتاريخ، وبين الشهوة والرغبة. ذلك لأننا نعرف أن التاريخ منبسط الزمان والشهوة متفرعة من الرغبة (قوة النزوع عند فلاسفة العرب) وليس في هذا أي معنى يحتمل إثارة الصراع

١١ – يرى الدكتور بشر فارس أن جو المسرحية عند توفيق الحكيم متأثر بجو مسرحيات ماترلنك من حيث الميل إلى بسط الإبهام على الناظر وإثارة الأوهام في نفس الناظر. وهذا صحيح إلى حد، وقد أشرنا إليه؛ ويمكن أن نزيد على ذلك فنقول بأن جو المسرحية عند توفيق الحكيم منبثق من طبيعته الفنية التي دارت حول الكتابات الرمزية نتيجة إعيائه عن معرفة حقيقة النفس ولوامعها ونوادرها والتي تأثرت بمبادئ علم النفس الحديث وعلى وجه خاص تجارب شاركو في التنويم والإيهام، وريبو في الأمراض العصبية، وفرويد في أحوال اللاواعية، وبرجسون في تقليب المنطوى في النفس على الظاهر منها (ص ٦٩ من دراستنا من الطبعة الخاصة و ص ٣٦١ من الطبعة العامة)

وبعد فإني شاكر للدكتور بشر فارس عنايته بالإشارة إلى دراستنا كما أني شاكر له عنايته بالنقد. وهو إن أخطأ النظر فيما كتب فله حسن القصد والغرض

اسماعيل أحمد أدهم

كتبنا وتآليفنا: محاضرة للأستاذ كرد علي

ألقى الأستاذ الكبير محمد كرد علي محاضرة عن «كتبنا وتآليفنا» في أحد نوادي دمشق، استمع إليها نفر من أدباء الشام ورجالاتها وطلابها، بينهم الأستاذ عبد الحميد الحراكي بك مدير المعارف العام، والأستاذ خليل مردم بك، والأمير مصطفى الشهابي، والأستاذ فارس الخوري، والأستاذ زكي الخطيب وغيرهم

وكانت محاضرة الأستاذ موجزة تقريباً، بدأها بذكر معنى التأليف والتصنيف لغة، ثم حدد الوقت الذي بدأ فيه التأليف عند العرب بتدوين القرآن والسنة والشعر ... ثم تخطى الأستاذ القرون مسرعاً، حتى أدرك العصر العباسي، حيث التأليف المزدهر المثمر. فلما كانت المائة الثالثة للهجرة، بدأ الضعف يدب في التأليف، لضعف الدول والممالك، فلم يلق التأليف آنئذ ملكاً يحميه أو سلطاناً يغذيه. وأتت بعد ذلك كارثة بغداد وهمجية جنكيزخان، فخلت مدينة السلام، وبخارى، وسمرقند، وخوارزم، وطوس، من العلماء وضاع منها كثير من المؤلفات

وجاء الترك، فسعت إلى القضاء على العرب قضاء لا حياة بعده، فرقد العرب، حتى هبت مصر فأيقظتهم بعد سبات طويل

ويصف الأستاذ كرد على حالة مصر في أوائل عصر النهضة فيقول إن أدباءها وعلماءها كانوا ما يزالون متأثرين بمؤلفات عصور الانحطاط. أما الأزهر فكان شبحاً بلا روح واسماً بلا مسمى، فلما جاء الشيخ محمد عبده سعى في إحياء التأليف، وأخرج الكتاب من الركيك إلى النثر الذي كان في القرنين الأول والثاني. ثم ذكر أثر الأستاذ الإمام في إصلاح الأزهر، وأثر الجامعة المصرية القديمة في نشر العلم بوساطة المحاضرات التي كانت تلقى فيها، حتى إذا اطلع الشرقيون على مؤلفات الغربيين، سعوا إلى تقليدها، فبدأت الفواصل في الكتابة، وعنى بأمر المسارد بأنواعها من تاريخية ولغوية وغيرها

أما أثر الصحافة في تشجيع التأليف فكان ظاهراً لما كان للنقد – على سخفه – من أثر بالغ في نفوس المؤلفين

وقايس الأستاذ بين الشيخ بخيت المحافظ والشيخ احمد ابراهيم المجدد، وذكر كيف قاوم الأزهريون الشيخ النجار

ثم انتقل الأستاذ إلى التأليف في وقتنا هذا بمصر، فقال إن التأليف الحديث ناجم عن اضطرار لا عن رغبة، لأن معظم المؤلفين في مصر، إنما يؤلفون بحكم الوظيفة والنصب. وقال إن هناك مؤلفات لها شأنها، ولو أننا اتبعنا الطرق التي اتبعها «حافظ باشا عفيفي» في كتابه «على هامش السياسة» وحاولنا أن نحرر أفكارنا كما فعل «قاسم أمين» فيما ألفه و «عبد الرحمن الكواكبي» في كتابه

« طبائع الاستبداد » ليلغ التأليف عندنا درجة رفيعة

وانتقل الأستاذ بعد ذلك إلى الكلام عن الشام ، فذكر احمد فارس وأثره فى التأليف واهتمام المسيحيين به ، ولا سيما آل اليازجى وآل البستانى

أما فى العراق وتونس فلم يبدأ التأليف إلا عقب الحرب العظمى. وساعدت جامعتا بيروت الكاثوليكية والبروتستانتية على ازدياد التأليف ، كما ساعد على ذلك فى دمشق الجامعة العربية والمجمع العلمي

ثم ذكر الأستاذ حاجتنا إلى التأليف وقايس بين مؤلفينا الذين يقتمون بكتاب أو كتابين ومؤلفى الغرب الذين لا يفتأون يخرجون للناس كتباً ، وقال إن التأليف يجب أن يزداد وأن يرمى إلى نزع الحواجز بين الخاصة والعامة

وختم الأستاذ محاضرته بقوله إن التأليف هو رمز الحضارة وعنوان المجد ، فلنسع لإظهار هذا المجد وإبراز تلك الحضارة

والمحاضرة بالجملة موجزة ، سهلة اللغة مرسلتها ، ولكنها لا تظهر ما للأستاذ من علم واسع واطلاع شامل

ونحن نشكر للأستاذ جهوده ، ونتمنى لو أنه يترك من حين إلى حين برجه الذى بنى من الكتب ، والذى يتزوى فيه ويطل على الناس يريهم آياته ويسمعهم نتائج قرائحه

« دمشق » ص . م

الشعر والشعراء فى سورية محاضرة للأستاذ صلاح الدين المنجد

سيلقى الأستاذ صلاح الدين المنجد فى راديو الشرق (بيروت) سلسلة من المحاضرات عن الشعر والشعراء فى سورية . وسيبدأ إلقاءها فى النصف من يونية الحاضر ، فيقايس بين حالة الشعر قبل ثلاثين عاماً وحالته اليوم ، ويبين خصائص الشعراء السوريين التى امتازوا بها وقصر دونها شعراء مصر والعراق . وسيعالج الأستاذ أمر تأثير الغرب فى شعراء سورية ونتائجه ومداه .

أما الشعراء الذين سيدرسهم، فهم: الزركلى، البزم، الخطيب، جبرى ، مردم بك، بدوى الجبل ، أبو ريشة ، العطار ، الطرابلسى وسيعقب الأستاذ المنجد هذه المحاضرات بمحاضرات أخرى الشعر فى مصر ، ثم عن الشعر فى العراق

فرعون الصغير

إن الأستاذ محمود تيمور من أوفر أدبائنا إنتاجاً ، ودليل ذلك تلك القصص التى يذيعها فى الناس من حين إلى آخر . وها هو ذا يخرج اليوم مجموعة جديدة من الأقاصيص عنوانها : « فرعون الصغير وقصص أخرى » . وبهذه المجموعة يدل الأستاذ تيمور على أن فنه قد بلغ الاستواء الأوفى من جهة السرد ولم الفكرة والخروج من الحوادث بالعبرة التى لا تجرى إلى غاية محسوسة، ولكنها تقصد إلى إيحاء شعور ما . وهذه القصص تتنازعها طرائق مختلفة : منها « الرومانسية » (أى التخيلية) من ذلك قصة « فرعون الصغير » ، والواقعية ، من ذلك «زمان الهنا» ، والواقعية الملونة بالباطنية ، من ذلك « المخ المجالى »

هذا وللمجموعة تصدير عنوانه : « المصادر التى ألهمتنى الكتابة » . وهو جم الفائدة من حيث أنه يبسط كيف أقبل المؤلف على التأليف القصصى وبأى أنواع التأليف تأثر وعلى أى أسلوب جرى فيه

ثم إن المؤلف رأى أن يستعمل الشكل كلما جاءت كلمة متخيرة أو مشتركة فى النطق أو داعية إلى اللبس . وهكذا نفع التلميذ والقارئ الناشئ . وعسى أن يظفر « فرعون الصغير » بما يستحقه من النجاح لطرافته ونفاسته ثم شكله اللطيف وطبعه الأنيق

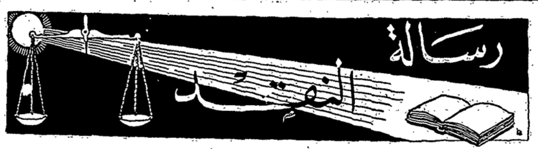
مجلة أدبية فى دمشق

علمنا بأن الأستاذ محمد كرد على بك قد عزم على إصدار مجلة أدبية فى دمشق، بالاشتراك مع الأستاذ خليل مردم بك، والدكتور محسن البرازى ، والدكتور جميل صليبا ، والأستاذ سعيد الأفغانى، وبعض المتأدبين الناشئين كالأساتذة : جمال الفرا ، يوسف العش، خلدون كنانى

ونحن نشكر للأستاذ صنيعه ، ونرجو أن تكون هذه المجلة مظهراً جيداً من مظاهر النهضة الأدبية فى سورية « م ... »

كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

تعد دار الكتب الظاهرية أحفل مكتبات العالم بمخطوطات الحديث الشريف فإن فيها من النفائس النادرة ما لا نظير له فى الدنيا ،



مباحث عربية

تأليف الدكتور بشر فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

هذه مجموعة مباحث فى شئون « عربية ، إسلامية » تجمع بين التدقيق الاجتماعى والتحقيق اللغوى — فى مسائل اجتماعية وأخرى لغوية — وفى مستهل المجموعة استطلاع لشئون جماعة مسلمة فى أقصى الشمال جهة « فنلنده » . وقد نشر بعض هذه المباحث بالعربية هنا فى مصر كما نشر البعض الآخر بالفرنسية هناك فى باريس أو روما . غير أن كاتبها الباحث المحقق الدكتور بشر فارس جمعها فى هذا الكتاب بعد أن أجرى فيها قسطاً من التهذيب ثم الحذف والزيادة . لأنه وجد فى نشر هذه المباحث بين دفتى كتاب ما يجعلها أدل منها وهى متفرقة ، وأبين منها وهى مشتتة . هـذا وقد رجا صاحبها بإصدارها أن يوطئ من حيث المنهج والأسلوب الأذهان لرسالته القيمة : « العرض عند عرب الجاهلية » التى نال عليها إجازة الدكتوراه من باريس ، ونشرها بالفرنسية لأعوام خلت ، وهو اليوم يستعد لإخراجها فى اللغة العربية .

وهذه المبـاحث من جهة المنهاج متأثرة بأساليب البحث الاجتماعى التى لا تعرف مجالاً للافتراض ، فهى من هنا أقرب إلى أساليب البحث العلمى الوضعى منها إلى أساليب العلم البحت .

ومن جملة مخطوطاتها القيمة هذه الرسالة التى لا ثانى لها ، فهى مسودة المؤلف بخطه الذى « قل من يحسن استخراجه » وعليها خطوط لكبار الأئمة مثل ابن طولون الصالحى والرملى ...

وقد أخرجها الأستاذ سعيد الأفغانى على خير نسق تحيا عليه الرسائل العلمية القيمة ، ولم يدخر وسعاً فى بذل الجهد ليكون إخراجاً علمياً كاملاً ، فجاء آية فى الترتيب والدقة والصحة والجمال .

صنفها المؤلف أبواباً ثلاثة :

الباب الأول — فى خصائص السيدة عائشة وشىء من سيرتها

الباب الثانى — فى استدراكاتها على أكثر من عشرين من أعلام الصحابة الأجلاء مثل أبى بكر وعمر وعلى وابن عمر وابن عباس

الباب الثالث — فى استدراكات عامة

ويتجلى فى هذه الرسالة ذكاء المرأة ونقدها وفطنتها ومواهبها العلمية ومدى ثقافتها الواسعة التى نعمت بها بفضل الإسلام ، وهو كتاب ضرورى لكل من درس شيئاً عن الإسلام من شرقى وغربى وفقيه وعالم ومحدث وأديب واجتماعى وكل مثقف

وقد صدر فى ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير .

بواسل

يعتمد الكثير من الأدباء فى التحقيق اللغوى على المعجمات العربية ، ويضربون صفحاً عن التنقيب فى النصوص الأدبية القديمة التى تعتبر أصلاً لهذه المعجمات

ولقد كتب أديب فاضل فى عدد ٣٠٧ من مجلة الرسالة يخطئ جمع باسل على بواسل ، معتمداً على ما انتهى إليه استقراء القواعد النحوية وما أحصته المعجمات اللغوية . وذكر أن الجمع الصحيح الذى ورد لهذه الكلمة هو « بسل وبسلاء وباسلون »

ولقد أسعدت المصادفة فالتقيت بالجارم بك وسألته فيما جاء بالرسالة خاصاً بهذا الجمع فأنشد :

وكتيبة سُفع الوجوه (بواسل) كالأسد حين تذب عن أشبالها
قد قُدتُ أول عنفوان رعيلها فلففتها بكتيبة أمثالها

فقلت : ولمن هذان البيتان ؟ فقال : هما من قصيدة « لباعث ابن صريم اليشكرى » من شعراء الجاهلية فى ديوان الحماسة فرجعت إلى القصيدة فوجدتها ص ١٤٩ من طبعة الرافعى

حسن فاروق

ومثل هذا النهج من حيث أنه يعتمد على تسليط النقد على الواقعات مع ردّها إلى مصادرها من طريق الوصف المباشر والاستشهاد بالنصوص الصريحة مقدمة لا بد منها للبحث العلمي البحت . أما عن النهج : فهو التحقيق في الأصول والتدقيق في الفروع قدر ما يسمح به الموضوع ، والرجوع إلى المصادر والإشارة إليها في الحواشي التي تجمع إلى المراجع والمصادر إضافات وتهذيبات شتى يستخدم في سردها نظام الرموز والإشارات ؛ ومن هنا يمكن أن يقال إن منحى نهج الكتاب الطريقة الجامعية في التأليف ، وأسلوب الباحث على يمتاز بالوضوح والإشراق والتدقيق في اختيار الكلم مع شيء كثير من الصقل للعبارات . والكاتب بذلك يصون لغته من الأساليب المبتذلة التي جرت العادة أن تدور على أقلام الكتاب في هذا العصر من أدباء العصر

غير أنه وإن كان من مظاهر التدقيق في التعبير ، التدقيق في اختيار الكلم ، والتدقيق في وضع المصطلحات العربية للألفاظ الفنية الإفرنجية ، فإن هذا التدقيق الذي ينتهي به الكاتب - عادة - إلى نتائج قيمة من أسلوب واضح دقيق ، ووضع كلمات عربية تجري مجرى الاصطلاح الإفرنجي يخونه التوفيق بعض المرات ، وله بعد ذلك جانب السعي المشكور . من تلك الحالات التي خانه فيها التدقيق في التعبير واختيار الكلم قوله « وتسليط النقد النافذ من جهتيه — الخارجي والباطني — » ص ١٢ و ٤٢ من الكتاب . ومن المعروف أن كلمة داخل تقابلها من الجهة الأخرى خارج ، كما أن لفظة باطن تقابلها لفظة ظاهر ؛ فيكون تعبيره وإن دل على المعنى ، ضعيفاً من وجهة السياقة اللغوية العربية الخالصة . وقد استعمل بعضهم هنا في مصر ومنهم الأستاذ أحمد أمين اصطلاح النقد الداخلي والنقد الخارجي - ضحى الإسلام ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١ - وقد جاراه في ذلك الأستاذ أمين الخولي - أنظر تعليقه على مادة أصول من الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية ، م ٢ ص ٢٨٠ - وكان في إمكان الباحث أن يجري الكلام على هذا الوجه ، فذلك أدل على المعنى من جهة وأقوم من الوجهة التعبيرية العربية الخالصة من جهة أخرى فضلاً عن أنها جرت على الأقلام ، ومن هنا اكتسبت قيمة المصطلح الفني .

كذلك قوله : « الاعتماد على المشاهدة دون الفرض ، والتحقيق دون التخيل » فهو لو قال : « الاعتماد على المشاهدة دون التخيل والتحقيق دون الفرض » لاستقام معه المعنى والتعبير . ولقد جرى قلم الباحث بلفظة « أسلوب » في بعض مواضع من أبحاثه محملاً اللفظة أكثر مما تحتمل من حيث تدل على الطريقة أو النهج في الكتابة أو التفكير . فكان من ذلك أن قال : « وإذا بدا لك بعد هذا أن تعدل عن النقد الخارجي critique externe وهو النظر في الأسانيد إلى النقد الباطني critique interne وهو النظر في الأسلوب » ص ٤٢ ؛ ومن المعلوم أن النقد الداخلي ينظر في المتن ، والمتن ينقسم إلى معنى وعبارة ، أو مادة وشكل ، أو فكرة وأسلوب ، فالعبارة أو الشكل أو الأسلوب شق يعرض له النقد الداخلي ، وليس بكل ما يعرض له (انظر لفظة أسلوب في لسان العرب) ومن هنا يبدو قصور تعبير الباحث عن أن يعد المعنى الذي في ذهنه ظله على ما يلبسه من معنى

ولقد جرى قلم المؤلف بلفظ سلوك تارة (ص ٥٦) وبلفظ أخلاقيات تارة أخرى (٣٦ ، ٥٦) مقابلاً لاصطلاح morale فرنسياً ، والسلوك من حيث يفيد النهج يقابل bchaicour افرنجياً . أما اصطلاح morale فيفيد الآداب ؛ أما الأخلاق عربياً فتقابل ethique . واستعمال لفظ السلوك لأحد مشتقات المصدر morale تارة ولفظ أخلاق لمشتق آخر لنفس المصدر ، يوقع في اللبس والاختلاط (راجع ص ٥٦ من الكتاب) . كذلك يعتبر الباحث كلمة « البصيرة » مقابلاً لـ intuition (ص ٥٧) ونحن نرجح لفظة « الحدس » لأنها فلسفياً كما جرت على أقلام فلاسفة العرب كابن سينا والفارابي تفيد معنى الانتقال دفعة واحدة من المبادئ إلى النتائج ، وهذا ما تفيده معنى اللفظة intuition اصطلاحياً ولغوياً كما يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية

وثم عندك قول الكاتب : « إن للفظة الشرف مفادات متجاورة تارة ، متباينة أخرى » . ففي هذا التعبير لفظة التجاور تفيد أفرنجياً معنى synonyme أفرنجياً والقصور واضح في التعبير العربي . فضلاً عن أن التعبير غير مستقيم من جهة البناء اللغوي العربي . ولكي تتسق مفادات العبارة لا بد من إبدال لفظة « المتجاورة » من الجملة بالمتشابهة ، لأنها أدل على المعنى وأكثر اتساقاً في الجملة .

وقد كان بودى أن أمر بكل هذا الذى ذكرته — لأنه ملاحظات شكلية لا يخلو من أمثالها كاتب — ولكن تدقيق المؤلف وعنايته الظاهرة بالشكل ، هى التي دفعتني لمجاراته في التدقيق . وبعد ففي موضوع الباحث مسائل تقف النظر ، وموضوعات تستحق وقفة للتدبر ، ففي البحث الأول وهو عن « المسلمين في فِنْلَنْدَة » وهى رسالة نشرت فى الأصل بالفرنسية فى مجلة الدراسات الإسلامية بباريس (١٣ ص ١/٨/١٩٣٤) نجد الباحث يقول إن هؤلاء المسلمين من « الترك — التتر » الضاربين فيما وراء جبال أورال ، وقد هجروها إلى الشمال ، وحلوا بفنلندة عقب الانقلاب السوفيتي فى روسيا . وهو فى قوله هذا يعتمد على ما رووه له ، وما تحدثوا به إليه ، دون أن يتعداه إلى سبل التحقيق للتأكد من صحة أقوالهم . فنحن نعرف أن المصادر التركية تتحدث عن رحلة جموع من « الأتراك — المسلمين » إلى الشمال فى القرن السادس عشر للميلاد ، وأنهم نزلوا بلاد « الفنوا » — أنظر خير الله أفندى فى دولت علية عثمانية تاريخى ج ٦ ص ١٣٨ — ١٤٥ — فهل تحقق الباحث من أن مسلمى فنلندة الذين شاهدهم عن كثب ليسوا من نسل هؤلاء ؟ وأن قولهم بأنهم أتوا فنلندة عقب الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا حقيقة تخلو من الريب ؟ هذه أسئلة خطرت بالذهن حين تلونا للباحث كلامه فى صدد أصل هؤلاء .

ومسألة أخرى فى هذا البحث ، فالباحث يذكر أن جموع هؤلاء المسلمين الأتراك تنزل العاصمة ثم بمدينتى « تمبرى » و « توركو » وهو لم يذكر لنا شيئاً عن المدينة الثانية وهل هناك صلة بين اسمها ولفظة « تورك » خصوصاً أنهم على ما يروى من « الترك — التتر » . ولا شك أنه فى فترة خمسة عشر عاماً ليس فى مستطاع هذه الجموع « التركية — التترية » أن تخلع على المدينة اسماً مشتقاً من أصول جماعتها ، خصوصاً وهم أقلية ؛ وإذن فللموضوع شأن أعمق من القول بأن هؤلاء من الذين نزلوا « فِنْلَنْدَة » بعد الثورة البلشفية فى روسيا

على أنه يظهر أن الباحث أخذ بجدة الموضوع فلم يتعمق فى البحث ، آية ذلك أنه يقول : « إن لغة التعليم عندهم هى التركية وحروف هجائهم هى الحروف « اللاتينية — التركية » التى وضعت وشاعت بأمر أتاتورك » — ص ٢٤ — وهو بهذا يستدل على أنهم صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية (؟) إلى أنقرة — ص ٢٣ — ولكن لتصح له الدعوى حتى يصح له الاستنتاج ، والدعوى لا بد لصحتها من التثبت من أن أحرف الهجاء التى يتخذونها هى الحروف « التركية — اللاتينية » التى أخذ بها الأتراك فى تركيا الكمالية ، وليست الحروف « التركية — اللاتينية » التى توافق عليها أتراك آسيا الوسطى والقوقاز والأورال فى مؤتمر تفليس عام ١٩٢٥ : (أنظر Soviet Commonism فى Sidny of Beatrice Webb — باب التعليم الوطنى —). ذلك أن هنالك بعض الفروق الطفيفة بين أحرف الهجاء اللاتينية ، كما هى عند أتراك الجمهورية التركية وأتراك الاتحاد السوفيتى ، وهذا الفرق يظهر واضحاً فى بعض الحروف التى تدل على حركات معينة ، وفى إمكان الباحث بمراجعة هذه الفروق أن يدلى برأى نهائى فى الموضوع .

على أنه بعد ذلك فى هذا الفصل استطلاعات اجتماعية قيمة تسبغ على البحث أهمية لا تنال منها هذه الملاحظات

والبحث الثانى عن « مكارم الأخلاق » وهى محاضرة فى الأصل ألقاها الدكتور بشر فارس عام ١٩٣٥ فى مؤتمر المستشرقين بروما باللغة الفرنسية ونشرها بمجلة الأكاديمية الوطنية للعلوم فى روما . وقد قام بترجمتها والتوسع فيها بعض الشىء فى الأصل العربى ، والبحث فى العموم دقيق فى أصوله ، ضارب إلى التثبت العلمى فى تفاصيله ، وكان بودنا أن نناقش الباحث آراءه التى أتى بها فى الموضوع ولكن المصادر أعوزتنا . لهذا صرفنا النظر عن مناقشتها . على أنه يظهر أن الباحث وفى الموضوع حقه من التحقيق والفحص العلمى .

(البقية فى العدد القادم)

اسماعيل أحمد أدهم

7me Année No. 312

Lundi - 26 - 6 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣١٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٦ يونيه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

على ذكر الضرائب الجديدة

تكاليف الاســــتقلال

وهل تكاليف الاستقلال ، إلا ضرائب الدماء والأموال ؟

لقد كنا قبل أن نبلغ رشدنا الدولي نعيش في كنف الحكومة وحمى الاحتلال، كما يعيش النَّشْأ الأغرار في ظلال الأبوين ورعاية الأسرة ! تنفق علينا الحكومة ولا نعلم من أين تكسب ، وتدفع عنا الخليفة ولا ندري بماذا تضرب . وكنا نسمع بما تجود به الأمم لأوطانها من الأموال والأثمار والأنفس، ونرى ما نحن فيه من البال الفارغ والعيش الأبله ، فنحسب أن حياتنا هي الحياة ، وغبطتنا هي الغبطة . ولكننا كنا نرى من الجهات الأخرى أن عزتنا وقوتنا لا تقاس على عزات هذه الأمم وقواها ؛ فهي في أوطانها حرة الإرادة مطلقة السيادة ، وفي العالم مرفوعة الرأس مسموعة الكلمة ؛ ونحن في وطننا قطيع يُسام ويسمَّن ، وفي العالم سلعة تُساوَم وتؤمَّن ، فلا نشعر هنا كما يشعر الناس هناك أننا نحن الوطن والثروة ، والحكومة والسطوة ، والدولة والسلطان .

فلما بلغنا التكليف وأدركنا الاستقلال وملكنا زمام الأمر، أصبحنا فإذا أخطار المجد تحوم على كل نفس ، وأثقال الدفاع تنحط على كل كاهل : فالضرائب تُجبى من المال ، والكتائب تجمع من الدم ،

والتضامن الدولى العام يقتضينا المساهمة فى حفظ السلام وإقرار العدل بالمعاهدات الدفاعية والمواثيق الاقتصادية ؛ وفى سبيل ذلك تستعد كل نفس للموت، ويتهيأ كل شيء للبذل؛ ومن أجل ذلك يجب أن يكون صوتنا هو الأرفع فى السياسة ، ورأينا هو الأعلى فى الحكم

نحن الذين ننفق فلا بد أن يكون لنا الحساب ؛ ونحن الذين نموت فيجب أن يكون فى أيدينا الأمر ! !

***

ما كنا قبل اليوم نشعر هذا الشعور ونفهم هــذا الفهم . والفضل فى هذا الوعى وفى هذه اليقظة يكاد يرجع إلى ضريبة الدمغة من دون الضرائب . فإن ضرائب العقار والدخل والإنتاج إنما هى ضرائب خاصة، تُجبى من قوم دون قوم، وفى وقت بعد وقت؛ فالشعور بوجودها محدود، والتفكير فى أمرها مؤقت . أما ضريبة الدمغة فهى ضريبة عامة ، تُجبى من أى إنسان فى أى زمان ما دام له عمل أو حاجة . فهى لذلك لا تنفك تشعرك وتشعرنى أننا ننفق على الحكومة ؛ فرؤساؤها وكلاؤنا ، وموظفوها أجراؤنا ، وأموالها أموالنا ؛ فنحن حقيقون أن نراقب الوكيل ، ونحاسب الموظف ، ونرعى الخزانة ؛ ونحن خليقون أن نقول للوزير : إن جهدك للدولة فلا تبذله على هوالك الفرد ، وللموظف : إن وقتك للأمة فلا تشغله بعملك الخاص ، وللنائب : إن رأيك للناس فلا تصرفه إلى متاعك الباطل

***

لقد كنا ندرك معنى الوطن إدراك الشيوع والإبهام والغفلة، فلا نكاد ندرى ما يقدم إلينا وما نقدم إليه. فالترع تشق، والطرق تُنهج ، والجسور تنصب ، والعمارة تمتد ، والثقافة تنتشر، والأمن يستقر، والحضارة تزدهر، ونحن نستمتع بذلك كله استمتاع الغريب لا نجد فيه ريح الفخر ولا روح المجد، كأن غيرنا هو الذى قام به وأنفق عليه! ولو أن عابثاً عبث به ، أو عائثاً عاث فيه، لما ألقينا بالنا إلا لخبر السرقة أو الخيانة أو المحاباة، نرويه كما نروى أخبار البرق للتفريج والتفكهة فى حديث القهوة أو فى سمر البيت. وتلك حال كانت أشبه بحال الأمير أو الغنى الذى أوتى الملك عفواً من غير حيلة، واستولى على ريعه صفواً من غير كلفة ؛ فشعوره به شعور بأثره لا بعينه ، وحرصه عليه حرص على ثمره لا على شجره . أما لذة الملك فى ذاته فلا يستشعرها إلا المالك الذى اشتراه بجهده ، والفلاح الذى استغله بعرقه

***

كذلك كنا نفهم معنى الوطن قبل أن نفهم معانى الاستقلال والسيادة والعزة. فلما فهمناها وفهمنا لوازمها من الإخلاص والإيثار والتضحية، أصبحنا نعتقد أن كل قوة هى من قوات الوطن العامة، وكل ثروة هى من ثرواته المشتركة . فالقادر لا ينبغى أن يعطل قوته لأنه حر ، والغنى لا يجوز أن يبدد ثروته لأنه مالك

إن للوطن حقاً معلوماً فى أملاك المواطن وملكاته ، وإن للمواطن حقاً مشاعاً فى أمجاد الوطن وخيراته . فأنا من حقى أن أقول للأمير الذى يهلك ثروتنا وسمعتنا على الفتون والمجون ، وللغنى الذى يُخمد نهضتنا وحيويتنا بالكزازة واللؤم ، وللأديب الذى يزيف أدبنا وتاريخنا باللغو والباطل ، وللوزير الذى يوزع المناصب بالهوى ويقسم الأرزاق بالمحاباة ، وللموظف الذى يتصرف فى أشياء الدولة تصرف المالك، فسيارتها فى (جراجه) وسعاتها على بابه، وأموالها فى جيبه ، وللعضو البرلمانى الذى لا يدخل أحد المجلسين إلا ليقبض مكافأته أو يلقى أصحابه أو يتاقى بريده ؛ من حقى وحقك أن نقول لهؤلاء جميعاً على التوالى : إنكم عَلَق تعيشون على دماء الناس، وأنكاد تتلذذون بكفران النعم، وأقدام تتطفلون على موائد العلم ، وأوغاد تدلسون الحكم على الوطن، ولصوص تعيث أيديكم فى مال الأمة ، وعيال تبهظ أثقالكم عاتق الفقير ؛ فحياتكم على الأرض غرور ولهو ، ونسبتكم إلى الوطن زور وباطل

***

ذلك ما يحق لكل مصرى أن يكرر قوله ؛ وذلك ما يجب على كل مصرى أن يتقى سماعه. ولا خوف علينا بعد اليوم من غفوة العيون وغفلة البصائر ، فإن كل طابع نشتريه من طوابع الدمغة منبه عنيف الحركة فى اليد ، شديد الصوت فى الأذن . وإنما الخوف كل الخوف على زعيم الأمة إذا ضل، وعلى أمين الخزانة إذا أسرف !

احمد حسن الزيات

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

– ٣ –

تطايرت الأخبار بانزعاج الأستاذ أحمد أمين ، وكثر المتحدثون عن الوفاء والأوفياء . فليت شعري كيف يكون العزم على تصحيح أغلاطه ضرباً من العقوق ، ولا يكون إلحاحه في الغض من قيمة الأدب العربي ضرباً من العقوق ؟

إن هذا الصديق حدثنا ألف مرة أنه لا يغضب من النقد إذا كان فيه تقويم للأفكار والآراء

ونحن سنضع شجاعة الأستاذ أحمد أمين في الميزان ، وسنختبر صبره على كلمة الحق ، وسنرى كيف يجزينا على ما نقدم إليه من جميل

إن هذا الرجل يحكم على الأدب العربي أحكاماً تشهد بأن طريقته في فهم الأدب والحياة طريقة عامية ، فكيف يكون حاله إذا صححنا بعض ما وقع فيه من أغلاط ؟

أيرجع إلى الحق ؟

أيوجِّه إلينا كلمة ثناء ؟

هنا تُعرف قيمة الأخلاق في نفس الرجل الذي ألّف أول ما ألّف في الأخلاق

وأقسم أني أهجم على هذا الرجل وأنا كارهٌ لما أصنع ، فأحمد أمين رجل محترم ، وقد وصل بكفاحه إلى منزلة عالية في الحياة الأدبية ، وأنا قد ضيعت جميع أصدقائي بفضل جرائر النقد الأدبي ، وكنت أحب أن أداوي ما جرح قلبي لأنجو من الدسائس التي تعترضني في جميع الميادين

ولكن كيف أسامح رجلاً يحاول أن يلطخ ماضينا الأدبي بالسواد ؟

إن هذا الرجل يؤرخ الأدب بالجامعة المصرية ، وهو بذلك قدير على تلوين الاتجاهات الأدبية عند شبان هذا الجيل ، فتصحيح أغلاطه لا ينفعه وحده ، وإنما ينفع معه ألوفاً من الشبان الذين يدرسون في كلية الآداب من مصر ومن أقطار الشرق

يرى هذا الرجل أن « المديح والهجاء » هما أظهر الفنون في الأدب العربي ، وبذلك يكون الأدب العربي في أغلب أحواله أدب معدة لا أدب روح

ولو كان هذا الرجل يدقق لعرف أن المديح والهجاء هما السجلّ الصحيح للأخلاق العربية ، فمن المديح نعرف كيف كان العرب يتمثلون المناقب ، ومن الهجاء نعرف كيف كانوا يتصورون المثالب ، ومن المحاسن والعيوب يعرف الباحث صور المجتمع في الحياة العربية والإسلامية

ولو ضاعت قصائد المديح والهجاء لضاع بضياعها أعظم ثروة يستعين بها علماء النفس لفهم تطورات الأفكار والأذواق فيما سلف من عهود التاريخ

فمؤرخ الأدب لا يؤذيه ان تكثر قصائد المدح والهجاء إلا حين يزهد في فهم المشارب والميول ، وتعقّب المنازع والأهواء ، كأن يكون رجلاً يؤرخ الأدب وهو غير أديب

يضاف إلى ذلك أن المادحين والهاجين لم يكونوا جميعاً طلاّب أرزاق ، وإنما كان أكثرهم أصحاب مبادئ وعقائد ، وكانوا يؤدون في خدمة الدولة ما تؤديه الصحافة في هذه الأيام ، وهي تؤرخ الصراع بين أحزاب اليسار وأحزاب اليمين

وقصائد المديح والهجاء كان لها تأثير نافع في تقويم الأخلاق. ولو أن أحمد أمين كان من المطلعين لعرف أن تلك القصائد كان لها تأثير في أكثر ما غنم العرب من الحروب

لو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن شيوع المديح والهجاء في البيئات العربية يدل على خُلق عظيم من أخلاق العرب وهو «النخوة» ، فالعربي يسره أن يُذكَر بالجميل ويؤذيه أن يُذكَر بالقبيح ، ومن هنا كانت المدائح والأهاجي لا توجّه في الأغلب إلا إلى عظماء الرجال

وما رأي أحمد أمين في حسان بن ثابت ؟

ما رأيه إذا حدثناه أن الرسول كان يرى المدح والهجاء باباً من أبواب الجهاد ؟

ما رأيه إذا حدثناه أن الرسول كان يرى حسان بن ثابت جندياً نافعاً لأنه كان يخوّف خصوم النبوّة بأشعاره في الهجاء ؟

أتكون أشعار حسان في الهجاء من أدب المعدة ؟ قل بذلك يا أحمد أمين ، إن استطعت ، ولن تستطيع !

وما رأى أحمد أمين في مدائح الكميت وأهاجيه ؟

ما رأيه في قصائد الفرزدق وقصائد دعبل في الثناء على أهل البيت ؟

ما رأيه في الشعراء الذين أوقدوا نار الحرب بين بني أمية وبني العباس ؟

ما رأيه في قصائد مسلم بن الوليد في الثناء على بعض الأبطال؟

ما رأيه في قصيدة أبي تمام يوم فتح عمورية ؟

ما رأيه في مدائح البحتري وهي تسجيل للشمائل العربية ؟

أيكون عيب أولئك الشعراء أنهم كانوا يعيشون في ظلال الأمراء والخلفاء ؟

وما العيب في ذلك ؟

ألم يكن شعراء الشرق والغرب يعيشون في ظلال الأمراء والملوك ؟

وكيف يعاب على أمثال البحتري والمتنبي ما استباحه أمثال فولتير ولافونتين ؟

إن أولئك الشعراء كانوا يؤدون لدولهم خدمات اجتماعية وسياسية ، ومن حقهم أن يعيشوا بفضل تلك الخدمات ، لأنهم لم يخلقوا بلا معدة كما خلق الأستاذ أحمد أمين الذي يخدم الأمة المصرية بالمجان ، لأنه لا يتناول من الجامعة في كل شهر غير مبلغ ضئيل لا يتجاوز الستين ديناراً ، ولا يتناول من أعماله الأدبية في كل شهر غير دنانير لا تعدّ بغير العشرات !

ما الذي يعيب الشاعر والأديب حين ينتفع من الشعر والأدب؟

ما الذي يعيبه وهو من جنود المطامع الاجتماعية والسياسية ؟

ما الذي يعيبه حين يطمع في أموال الملوك والخلفاء ، وكان شعره السناد لدول الملوك والخلفاء ؟

وهل يعاب جوبلز لأنه يعيش بفضل الدعاية للسيطرة الألمانية؟

هل يعاب الصحفيون الذين يعيشون بفضل الدفاع عن الحكومات والأحزاب ؟

إن الشاعر القديم هو نموذج للصحفي الحديث ، وكلاهما يؤدي مهمة اجتماعية وسياسية

لو كان الأستاذ أحمد أمين يدقق لعرف أن رجال الأخبار يؤدون مهمة خطيرة، فهم في حكم الواقع رجال شرفاء، وإن احتقرهم المجتمع عن جهل وسخف ، فكيف نهين الشعراء والصحفيين وهم يرشدون الدول عن طريق العلانية ، ويوجهون أممهم إلى سبيل المجد والاستعلاء ؟

ولولا بناة الشعر في الناس ما درى
بناة الندي من أين تبتى المكارم

أيرضي أن يكون شعراء العرب شحاذين ومتسولين لتصح أغلاط أحمد أمين ؟

أيكون أسلافنا من الأدباء والشعراء مرتزقة لأنهم لم ينسوا حظوظهم من أموال الملوك والخلفاء ، وبفضل مدائحهم وأهاجيهم عاش الملوك والخلفاء ؟

إن الأمم العربية والإسلامية لم تضعف حيويتها إلا حين عدمت الأريحية وزهدت في مدائح الأدباء والشعراء

وهل تستطيع حكومة في هذه الأيام أن تعيش بلا سناد من تشجيع الكتاب والخطباء والصحفيين ؟

وهل قامت حكومة أو سقطت حكومة إلا بفضل أسنة الأقلام؟

إن الأقلام تصنع في مصير العالم ما لا تصنع جيوش البر والبحر والهواء

وكلمة « مأجور » كلمة ابتدعها أحمد أمين ، وما كان « الأجر » عيباً إلا في نظر هذا الناسك المتبتل ، فقد كان « الأجر » من قبله كلمة شريفة أقرها القرآن المجيد

ومن الله ألتمس « الأجر » على تصحيح ما وقع فيه هذا الصديق من أغلاط

وما رأى صاحبنا في هتلر وموسوليني وهما يرهبان العالم بالأقوال قبل الأفعال ؟

ما رأيه إذا علم أن هتلر يهمه أن يكون لأقواله ومؤلفاته قيمة مادية ؟

بل ما رأيه إذا علم أن العراك حول مشيخة الأزهر له أسباب دنيوية ؟

ما رأيه إذا علم أن « البابا » يجتذب مريديه بثمرات التخييل والأعتاب ؟

ما رأيه إذا علم أن الغض من قيمة المعدة ليس إلا رهبانية نهى عنها الإسلام ؟

ما رأيه إذا عرف أن من يحتقرون الأسماء كانوا كتبوا مرة

أو مرتين في تأثير « الهضم » على العقول ؟

نحن لا نريد مؤرخاً للأدب يفهم الدنيا بالقلوب ، وإنما نريد مؤرخاً يفهم أن الأدب صورة الحياة ، ويعرف أن شعر ابن الرومي في وصف « الرقاق » لا يقل شرفاً عن شعر ابن المعتز في وصف « مداهن الطّيب » لأن الشاعر لا يطالب بغير إجادة الوصف لما تراه العيون ، وما تحسه القلوب

نريد مؤرخاً للأدب يدرك أن من حق الأديب أن يصف ما يرى ويسمع .

نريد مؤرخاً للأدب يدرك الفروق بين الأشياء ، ويتأثر بجميع المناظر ، ويطرب لجميع ما في الوجود ، ويتابع النبرات الموسيقية في نقيق الضفادع ، على نحو ما يصنع وهو يتسمع لأسجاع الحمائم . وذلك يوجب أن يكون رجلاً له ذوق وإحساس

نريد مؤرخاً للأدب يعلل أسباب الحسن وأسباب القبح مع العطف على جميع مظاهر الوجود

نريد مؤرخاً للأدب يرى السخرية من العيوب ويرى مكر الثعلب لا يقل جمالاً عن بلاهة النزال

* * *

قد يسأل القارئ : وما محصول هذا التصحيح ؟

ونجيب بأن له أهمية عظيمة لأنه يضع تاريخ العرب في نصابه من حيث الأخلاق ، فأتباع الأمراء والوزراء والملوك والخلفاء من أهل الشعر والأدب لم يكونوا في جميع أحوالهم صعاليك كما يريد الأستاذ أحمد أمين؛ وإنما كانوا قوماً يؤدون خدمات سياسية واجتماعية وأدبية ، وكانوا يؤلفون جماعات منظمة تنشط الروح المنوى في الدولة وتشيد بمكارم الأخلاق . وكان الطائشون منهم يمثلون ما في أرواح بعض الجماهير من عناصر الزيغ والارتياب . فهم الصورة الصحيحة لما كان عند العرب والمسلمين من عناصر الشك واليقين

وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إنهم خلقوا العصبيات القومية ، وأمدوا التاريخ بروح الحياة . فهذه مصر مرَّ بها كثير من الحول في مطلع حياتها الإسلامية ، ولم يبق من ولاتها وحكامها من هو أسير ذكراً من كافور والخصيب بفضل مدائح المتنبي وأبي نواس

ولو شئت لقلت إن المداحين والهجائين كانوا يقيمون بقصائدهم مدارس لتعليم الأخلاق ، وكانوا يقيمون بقصائدهم معاهد لتعليم اللغة والأدب والتاريخ . وقد كانوا بالفعل معلمين ، لأنهم كانوا أساتذة الأدب في تلك الأزمان ، وبفضل صوابهم وخطئهم كان يعيش النحاة واللغويون

والأستاذ أحمد أمين الذي يجعل وصف الطبيعة من أدب الروح ينسى أن الإنسان هو خير ما في الطبيعة . وهل يكون مدح الغصن المزهر أشرف من مدح الملك الفضل إلا في ذهن من ينظر إلى حقائق الأشياء نظرة عامية ؟

أقول هذا وأنا أزهد الناس في هذا اللون من الحياة ، لأن الاتصال بالملوك يتطلب ألواناً من التلطف والترفق لا يحسنها رجل مثلي ، في شمائل تغلب عليها الشراسة والجفوة وتثقلها بداوة الطبع .

ولكن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن الشعراء الذين اتصلوا بالملوك وتفيأوا ظلالهم لم يكونوا في كل حال من ضعفاء النفوس ، وإنما كانوا في الأغلب ناساً عقلاء يعرفون روح الزمان

والمرتزقون منهم كانوا انساقوا إلى تلك المزالق بفضل القالة الحسنة التي جعلت الشعر من أطيب ما يشتهي الملوك والخلفاء ، فقد مرت أزمان كانت فيها الهبات الرسمية باباً من الشرف قبل أن تكون باباً من المعاش

* * *

قد يسهل على الأستاذ أحمد أمين أن يخرج من هذا المأزق بأن يلوذ بما اصطلح الناس عليه في العصر الحديث من الانصراف عن مدح الملوك ، ولكنه ، إن فعل ، سيصطدم بصخرة قاسية ، لأن الحكم الأخلاق مرجعه إلى تصور الدواعي والأسباب ، فما نتحرج منه اليوم لم يكن يتحرج منه القدماء ، وما قد نعده عيباً كان الأسلاف يعدونه من التشريف

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد أن أنزه تاريخ العرب عن وصمة المعدة ، والمعدة ليست وصمة إلا في ذهن الأستاذ أحمد أمين ، أمدني الله وإياه بالمعدة القوية لنستطيع مواصلة الجهاد !

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

* * *

أترى القارئ أني استطعت إفحام هذا الباحث المفضال ؟

لن أفحمه حتى يشرب صُبابة الكأس : « وكل صُبابة في الكأس صابُ » . كما قال شوقي

أحمد أمين يقول :

« نرى في العصر العباسي طغيان أدب المدة على أدب الروح . هذا البارودي (رحمه الله) اختار لثلاثين شاعراً من خيرة شعراء الدولة العباسية ... وكانت مختاراته في أربعة أجزاء كبار . فكان ما اختاره من المديح ٢٤١٨٥ بيتاً ، ومن الأدب ١٦٩٧ بيتاً ، ومن الغزل ٤٦١٦ بيتاً ، ومن الهجاء ١٢٢٩ بيتاً ، ومن الوصف ٣٩٩٣ ، ومن الزهد ٤٧٣ بيتاً . ونظرة واحدة إلى هذا الإحصاء تدهشنا أشد الدهش : إذ يتبين لنا طغيان أدب المدة — وهو المديح والهجاء — على أدب الروح ، طغياناً كبيراً » .

ذلك هو أحمد أمين بقَضّه وقضيضه كما كانوا يعبّرون . ذلك هو أحمد أمين الذي يدرس الأدب بالإحصاء ، والذي يقيس الدواوين الشعرية بالمتر والباع والذراع .

لقد كنت أحفظ أكثر مختارات البارودي ولم يخطر ببالي أن أعدّها . فهل أستطيع اليوم أن أقول للأستاذ أحمد أمين : « أفادك الله ! » .

هل بلغت المدائح في مختارات البارودي ٢٤١٨٥ بيتاً ؟

ذلك (إحصاء) أحمد أمين ، ولا موجب لمراجعته لأنه من النوابغ في الإحصاء ! ! !

ولكن هل فكر هذا الرجل في « إحصاء » الأغراض المبثوثة في تلك المدائح ؟ هل يظنها جميعاً من قبيل : « أنت شمسٌ أنت بدرٌ ؟ » .

ألم يكن أكثرها تسجيلاً لوقائع حربية ، ومواسم تشريف ؟

هل خطر بباله أن « يحصى » ما في تلك المدائح من الأوصاف والحكم والأمثال ؟

هل خطر بباله أن يلتفت إلى القصائد التي استوجبت عناية النحاة واللغويين فأمدت اللغة العربية بفيض من الحيوية لا ينضب ولا يغيض ؟

أحمد أمين يرى أن محصول المدائح في العصر العباسي أكبر محصول ، ويرى محصول الزهد أصغر محصول !

فهل استطاع هذا الرجل أن يستخلص العِبرة من الموازنة بين النسبتين ؟

لو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن طغيان المديح على الزهد كان من علائم الحيوية في العصر العباسي . فهو الشاهد على أن العرب كانت حياتهم تزدحم بالأخطار الدنيوية .. وهو الشاهد على أنهم كانوا أهل نخوة وأريحية . وهو الدليل على أنهم كانوا يحيَوْن حياة تفيض بمعاني الأفراح والأحزان ، وتتسم بملائم القوة والكفاح .

وما كانت الأهاجي أقل قيمة من المدائح في الدلالة على هذه الشؤون .

فالأهاجي كانت في الأغلب تمثل صوت المعارضة السياسية ، وكان لها تأثير شديد في كبح الطغيان ، وبفضل الأهاجي قُلّمت أظفار الاستبداد ، وخشي الطغاة بأس القلم واللسان .

وهل تفرّد العرب بالهجاء ؟

ألم يكن الهجاء فناً ظاهراً في جميع الآداب الشرقية والغربية ؟

وهل خلت الكتب المقدسة من الهجاء حتى نعدّه من السيئات ؟

وما هو الهجاء حتى نحكم عليه ذلك الحكم الجائر ؟

ألم يكن صورة للنفوس التي تغضب وتثور على ما تنكر من ألوان الضمائر والأعمال ؟

وكيف نعيش إذا نجونا من ثورة الحب والبغض ؟

كيف نكون إذا لم نقل للمحسن أحسنت ، ولم نقل للمسيء أسأت ؟

إن الملائكة يرضون ويغضبون ، ويفرحون ويحزنون . وكل ما في الوجود من طبائع وأرواح يدرك معاني الرضا والغضب والابتهاج والابتئاس . فكيف يعاب علينا أن نكون صبحاً يتنفس وليلاً يتمرد ، من حين إلى حين .

« مصر الجديدة » زكي مبارك

الانتـــداب الفرنسي
في بلاد الشرق
للأستاذ بيير فينو

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

ما هي الظروف التي أحاطت بمفاوضات المعاهدة ؟

ولنتساءل الآن : ما هي الظروف التي أحاطت بمفاوضات المعاهدة السورية الفرنسية ؟

ليست البلاد السورية بلاداً منعزلة في محيط بعيد ، ولكنها على النقيض من ذلك تقع في قلب العالم وتخضع لتيارات من التأثيرات العميقة : أهمها سياسة انكلترا في البلاد العربية المجاورة كمصر والعراق

ومهما يكن شأن تلك السياسة فنحن لا نستطيع أن ننكر أنها ساعدت في مختلف مراحلها على إثارة الشعور العام في البلاد التي تخضع لانتدابنا

وأول ذلك أن انكلترا وعدت الشريف حسين سنة ١٩١٤ بالمساعدة على تأليف الامبراطورية العربية ، ثم إنها اتخذت بعد الحرب سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياستنا نحن ، فقد عقدت سنة ١٩٣٠ معاهدة مع العراق كانت نهاية للانتداب البريطاني وفاتحة لانتظام العراق في سلك جامعة الأمم . وفي سنة ١٩٣٥ بدأت مفاوضاتها مع مصر لعقد معاهدة صداقة وتحالف ... وما من شك في أنه كان لهذه السياسة أثر كبير في سوريا التي كانت ترقب مجرى الحادثات في غليان وقلق

وقد أثبت ذلك سلسلة الوقائع المتأخرة ، ففي ١٠ يناير ١٩٣٦ قرر الحزب الوطني (١) اتباع سياسة سلبية مطلقة وإعلان الإضراب العام إلى أن تجاب مطالب سوريا في الوحدة والاستقلال . وضم الإضراب سلسلة من المآسي وأسفر عن ٦٠ قتيلاً ومئات من الجرحى ، واضطر مندوبنا في سوريا مسيو (دومارتل) أن يستشير وزارة الخارجية ، وكان على رأسها المسيو فلاندان فأشار بفتح باب المفاوضات مع وطنيي سوريا

وقد انبثق عن هذه المفاوضات بين زعماء الحركة الوطنية وبين المفوض السامي تصريح أول مارس سنة ١٩٣٦ الذي نص على وجوب عقد معاهدة في باريس بين وزارة الخارجية ووفد مفاوض تنتخبه البلاد ، على ألا تقل هذه المعاهدة عن معاهدة انكلترا والعراق

ولا شك أن هذا التصريح كان يحمل طابع الضعف ، لأنه صدر إثر تهديد شعبي قوي لم تتمكن الإدارة الفرنسية من أن تصمد له ، ولكنه مع ذلك ضروري لازب ، لأنه كان على فرنسا أن تختار بين العناد والمقاومة وبين الاتفاق والمسالمة — كما أبرق بذلك المندوب السامي في فبراير ١٩٣٦ — وطبيعي جداً ألا تزج فرنسا بنفسها في مغامرة جديدة بعد تجربة الثورة السورية الكبرى فضلاً عن أنها ترغب في أن تفي بوعودها المتقدمة

ولقد وجهت بعض الاعتراضات على انتخاب أعضاء الوفد المفاوض ، ولكن الواقع يضطرني إلى أن أقول إن هؤلاء الوطنيين المفاوضين هم الذين ناضلوا في سبيل بلادهم ، وإنهم كانوا مصـدر الصعوبات التي وجدناها في سوريا ، وإن فشل معاهدة سنة ١٩٣٣ أظهر في كثير من الجلاء ضرورة التعاون مع الجماعات الوطنية للوصول إلى تعاقد مُرضٍ حاسم

يقولون إن رجال الوفد المفاوض ليسوا أصدقاءنا — ولكنه قول خاطئ — لأن خصومة الانتداب لا تعني بالضرورة خصومة فرنسا

ولنسلم جدلاً أن ذلك صحيح ، أو ليست السياسة أن يسالم الرجل أعداءه لا أصدقاءه ؟

المعاهدة

لقـد كان الغرض الرئيسي من التعاقد استبدال الانتداب الفرنسي بمعاهدتين مع سوريا ولبنان . وابتـدأت المفاوضات في منتصف شهر مارس ، وكانت تقتضي منا أن نوجه انتباهنا إلى كل ما يجري حولنا ... ففلسطين كانت تخوض غمرات ثورة حمراء كنا نخشى أن يمتد لهيبها إلى سوريا ، وفي المغرب تماوج

(١) يقصد فينو من «الحزب الوطني» الكتلة الوطنية التي كانت إلى أمد قريب من أكبر الأحزاب القائمة ثم تصدعت أركانها وانفرط عقدها في الأشهر الأخيرة (المترجم)

الاضطرابات العنيفة ضد فرنسا عند كل بلبلة في الشرق الأدنى ، ولهذا لم يكن في وسعنا أن نقف في المفاوضات موقف الآمر الناهي ؛ وإنما كنا نستمع إلى جلسائنا ونناقشهم ونجادلهم وسأبدؤكم بالحديث عن المعاهدة السورية :

لقد كان تصريح أول مارس مؤكداً لاستقلال سوريا ، أما المعاهدة فتصرح أن هذا الاستقلال يتحقق في انتساب سوريا إلى جامعة الأمم كما تشترط فترة انتقال تمتد ثلاث سنوات تمتحن فيها مقدرة السوريين على الإدارة والحكم .

على أن أطرف المشكلات التي اعترضت المفاوضات مشكلة العلاقات السورية اللبنانية ؛ وبهمنا كفرنسيين أن يبقى لبنان في نجوة من طغيان الوحدة السورية .

ومع هذا فيجب أن نقرر أن الوطنية السورية تجد في لبنان عناصر مؤيدة فعالة ؛ وذلك أن عدد سكان لبنان ٨٥٠٠٠٠ أكثرهم من المسيحيين[1] ، ولكن بعض المدن مثل طرابلس التي تنتهي فيها أنابيب بترول الموصل مسلمة كلها . وقد أثبتت التجارب أن من الصعب أثناء الاضطرابات والقلاقل السياسية أن تحول السلطات دون ظهور الشعور الفعال في الأطراف الأخرى ...

ولقد عرفنا ذلك ١٩٢٠ — ١٩٢١ في لبنان الجنوبي ومنطقة العلويين ؛ وفي سنة ٢٦ كان اتحاد الدروز مع وطنيي دمشق مثلاً رائعاً لهذه الألفة . وفي يناير ١٩٣٦ خضعت طرابلس المدينة اللبنانية إلى حركات الوطنيين في دمشق فشاركت في الإضراب العام . ومن هنا ظهرت لنا ضرورة العناية باستقلال لبنان وانفصاله لما له من أهمية رئيسية بالنسبة إلى فرنسا

ولقد كانت المفاوضات في هذه الناحية — ناحية العلاقات بين سوريا ولبنان — صعبة عسيرة ، ولكنها انتهت أخيراً إلى عزلة كل من البلدين عزلة كاملة ؛ لأننا عارضنا بقوة وشدة كل محاولات طغيان سياسي أو اقتصادي سوري على لبنان

أما مستقبل العلاقات بين فرنسا وسوريا ، فقد كانت مدة التعاقد التي نصت عليها المعاهدة خمسة وعشرين عاماً تقوم سوريا خلالها باستشارة فرنسا في الأمور المشتركة بين البلدين

وأما الناحية العسكرية فقد سويت في ملحق خاص واعترضها بعض العقبات الكثيرة التي استطعنا أن نتغلب عليها بفضل مهارة المفاوض السوري ومرونة خلقه السياسي

ويختلف الملحق العسكري في المعاهدة السورية عن الملحق العسكري في المعاهدة العراقية — الإنكليزية ، التي تنص على بقاء قاعدتين جويتين لسلاح الطيران الإنكليزي ، وعلى تحديد مناطق النفوذ البريطاني ، بينما يمتاز الملحق العسكري للمعاهدة السورية بأنه يدع مناطق النفوذ من غير تحديد ويترك لفرنسا حق الاحتفاظ بمركزين لجيوشها في مقاطعتي العلويين وجبل الدروز

أما حماية الحقوق والمصالح الفرنسية فمن الطبيعي أن نقول إن المعاهدة صانت هذه الحقوق في نصوص واضحة ، ولا سيما ما يتعلق بالمصالح الاقتصادية والحقوق المكتسبة للأشخاص الماليين والفنيين ، وتعهدت بالإبقاء على نظم المؤسسات العلمية الحاضرة وبعثات الحفريات ومعاهد الدراسة الأجنبية ؛ ونصت كذلك على استخدام ثمانين مستشاراً فرنسياً في نواحي الإدارة . وقد كان هذا كله ضرورياً من أجل البلاد التي انتشرت فيها ثقافتنا بفضل البعثات التبشيرية واللادينية «Laïques»

هذا فيما يتعلق بالمعاهدة السورية ، أما عن المعاهدة اللبنانية فأستطيع أن أقول إنها نسخة ثانية من المعاهدة السورية ، ولكنها تمتاز بأن مدة التحالف التي حددت بـ ٢٥ سنة في المعاهدة السورية يمكن تجديدها ثانية في المعاهدة اللبنانية لمدة مساوية ؛ وأن القواعد العسكرية لا تخضع لحدود معينة في التمركز والتنقل والمناورات .

وأخيراً قد استطعنا بواسطة هذا النظام الجديد أن نوطد مقامنا في لبنان وأن نثبت أركانه .

تلخيص

شكري فيصل

(١) من الأوهام الشائعة أن أكثرية لبنان مسيحية على حين أن الاحصاء الأخير يثبت أن لبنان موزع مناصفة بين المسلمين والمسيحيين على السواء (المترجم)

في بلاط الخلفاء

بين المازني والواثق والمتوكل

للأستاذ علي الجندي

لم تر البصرة بعد سيبويه من كان أعلم بالنحو وأحسن استنباطاً لمسائله ، وتخريجاً لمسائله من أبي عثمان بكر بن محمد المازني نسباً أو ولاء على الخلاف في ذلك

ولم يشأ المازني أن يقصر همه على قواعد النحو الجافة ، شأن كثير من رجالات البصرة ، بل أراد أن يكون وسطاً بين سيبويه والأصمعي ، فاتجه إلى تحصيل اللغة والأدب برغبة صادقة ، فأخذ عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأخفش والأصمعي ، حتى صار إمام عصره ، وحتى كان من تلاميذه المبرد وعبد الله بن سعد الوراق وغيرهم من كواكب العربية الساطعة

وكان - إلى تمكنه في النحو واللغة والأدب - على حظ عظيم من قوة اللسن ، وخلابة المنطق ، وبراعة الاحتجاج ، فما تعرض لمناظرته أحد إلا افتضح ، لدقة مسلكه في الجدل ، وامتلاكه مذاهب القول ، وتصرفه في ألوان البيان

وقد ناظر أحد شيوخه الأخفش في مسائل عدة ، فقطعه وتركه ساقطاً مغلَّباً !

ولم ينس المازني نصيبه من الشعر فنظمه على قلة . ولشعره حلاوة ، وعليه ماء ورونق ، وإن لم يخرج في جملته عن نطاق شعر النحاة والفقهاء والمعلمين الذين يعتمدون على حسن الرصف وإبداع الصياغة أكثر من اعتمادهم على الخيال الموشى والتصوير البارع

فمن أبياته السائرة قوله في الحِكَم :

ثنتان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأيُ النساء وإمرة الصبيان
أما النساء فإنهن نواشز[1] ... وأخو الصبا يجري بكل عِنان

(١) وضعنا هذه الكلمة موضع كلمة أخرى نابية رأينا فيها تحاملا على الجنس اللطيف . وشجعنا على ذلك أن الرواة كثيرا ما كانوا يصلحون الشعر وبخاصة إذا كانوا من الشعراء

وله تعزية حسنة لبعض الهاشميين تفيض سلوى وتأساء على الكبد المقروحة والقلب الصديع ، لما انطوت عليه من الذكرى النافعة ، والحكمة البالغة التي تقود النفوس طيّعة إلى التسليم بقضاء الله وقدره . قال :

إني أعزيك ، لا إني على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
ليس المعزَّى بباق بعد ميِّته ... ولا المعزِّي وإن عاشا إلى حين

وكان المازني يمنح نفسه حرية التشريع في فهم المسائل وإدراكها على الوجه الذي يسوغ في الذوق والعقل دون التعبد بآراء السلف . ومن أثر ذلك : تفسيره للحديث المشهور « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » بأن المراد منه : إذا كان الفعل الذي تريد إتيانه لا يستحيا من مثله فاصنع منه ما شئت . وهو رأي حسن لم يسبق إليه

ولهذا الاستقلال الفكري الذي عرف به ، كان المبرد يقول : ما رأيت نحوياً أشبه بفقيه من المازني !

والمازني رأي غريب في جماعة المشتغلين بالعلوم يحسن أن نورده لطرافته ولدلالته على شغف الرجل بدراسة أخلاق الناس ، ودقة فطنته إلى ما يتمايزون به من صفات . يقول : - وقد سئل عنهم - أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف ، وأصحاب الحديث فيهم حشو ورقاعة ، والشعراء[1] فيهم هوج ، وأصحاب النحو فيهم ثقل ، وفي رواية الأخبار : الظرف كله . والعلم : هو الفقه

وقد يكون المازني جانب الصواب في بعض هذه الأحكام ، ولكنه قد صدق على الأقل في حكمه على النحويين !

ومن نوادره السائرة قوله : مررت ببني عقيل فإذا رجل أسود قصير أعور أبرص أكشف[2] قائم على تل سماد وهو يملأ جواليق منه ، ويتغنى بأعلى صوته :

فإن تصرمي حبلي وتستكرهي وصلي
فمثلك موجود ولن تجدي مثلي

فقلت له : صدقت . ومتى تجد - ويحك - مثلك ؟ ! فقال : بارك الله عليك ! واسمع أخيراً . ثم اندفع يغني :

يا ربة المطرف والخلخال ... ما أنت من همي ولا أشغالي
مثلك موجود ومثلي غالي

(١) سامحك الله يا مازني (٢) به انقلاب في قصاص شعر الناصية

ويمتاز المازني بسمة واضحة عُرف بها شيخ شيوخه الخليل بن أحمد ، وهي القناعة بالكفاف ، والميل إلى العزلة والانفراد ، والأنفة من التكسب بالعلم ، وإيثار البعد عن الخلفاء وحاشيتهم والزهد في اختجان جوائزهم وصلاتهم ما لم يتقدموا بإشخاصه إليهم رغبة في الاستفادة منه ، فيصدر عنهم معززاً مكرّماً .

ومع أنه من المتعارف لدى الناس أنه قلّما يكون النحوي[1] ديِّناً . فقد كان المازني ثقة في دينه صدوقاً ، كثير التزمت والورع ، وإن كان منحرفاً عن أهل السنة إلى المعتزلة ، ولهذا كان يلقى جفوة من أستاذه الأصمعي السنيّ المتشدد فقلّت روايته عنه .

وقد بلغ من زهده أن يهودياً بذل له مئة دينار ليُقرِئه كتاب سيبويه ، فامتنع من ذلك ! فقال له تلميذه المبرد : جُعلت فداك ! أتردّ هـذه النفعة مع فاقتك وشدة إضاقتك ؟ فكان جوابه : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آيةً من كتاب الله عزّ وجل ، ولست أرى أن أمكّن منها يهوديًّا غيرةً على كتاب الله وحميّةً له .

ونرجو أن يُثاب المازني على حسن نيته ، وإن كنا لا نقره على هذه العصبية . ومهما يكن من شيء فإنه لم تمض غير برهة قصيرة حتى أرسل الخليفة الواثق في طلبه ونفحه بالأعطيات السنية ، فعدّ الناس ذلك إكراماً من الله له وإخلافاً عليه .

أما سبب طلب الواثق له فقد حدث أن مخارقاً[2] غناه في شعر الحارث[3] بن خالد المخزومي .

أظلوم[4] إن مصابكم رجلاً   أهدى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

فذهب بعض الحاضرين إلى نصب (رجل) ، ورأى آخرون رفعه ، واشتد اللجاج في ذلك ، فسأل الواثق عمن بقي من رؤساء النحويين فذكروا له المازني ، فتقدم بحمله وإزاحة علله وإحسان تجهيزه ليفصل في هذا الخلاف .

وقد يتساءل بعض القراء : ما شأن الواثق بالنحو ، وما قيمة رفع (رجل) أو نصبه حتى يزعج المازني من البصرة ، ويعقد لذلك مجلساً من القضاة والمحكّمين ؟! والجواب : أن الواثق كان من أجلّ الخلفاء وأكثرهم اشتغالاً بالعلم والأدب وأطبعهم على قول الشعر الرقيق ، وأبصرهم بالنقد ، وأشدهم تمحيصاً للرواية وأميلهم للغناء . ولولا خشية الإطالة لجلونا ناحية من نواحيه الأدبية المشرقة ليعرف الناس كيف كان خلفاء هذا الزمان !

بلغ المازني دار السلام فأدخل إلى الواثق . فقال له : ممن الرجل ؟ قال : من مازن . قال : من مازن تميم ، أم مازن قيس ، أم مازن ربيعة ، أم مازن اليمن ؟ قال : من مازن ربيعة .

وكانت اللغة الفاشية في مازن ربيعة قلب الميم باء والباء ميماً . فقال الواثق يخاطبه بلغته بسطاً لنفسه وإدخالاً للأنسة عليها : باسمُك ؟ يريد : ما اسمك ؟ !

وهنا تتجلى لباقة المازني وسلامة ذوقه ورفاهة حسه وحسن تأتيه في مخاطبة الخلفاء ؛ وأحسبه لو كان نحوياً فقط لارتطم في الهوّة ، ولكن ذوقه المكتسب من معاناة الأدب فتق له عن وجه الحيلة في الخروج سالماً من ورطة دفعته إليها دُعابة الواثق من غير قصد .

لقد عرفنا أن اسم المازني (بكر) والجرى على مقتضى القياس في القلب أن يقول : اسمي (مكر) ولكن كيف يرضى المازني الأديب أن يقذف في وجه الخليفة بهذه الكلمة الكزّة الجاسية ؟

رفع المازني رأسه إلى الخليفة قائلاً : اسمي بكر ، يا أمير المؤمنين رفّت هذه الكلمة رفيفاً نديًّا على كبد الواثق ، واستنار منها وجهه واستضحك لها ! وعرف أن هذا الذي يقف بين يديه رجل فيه كَيْس ودراية ، وله طبع مهذب مصقول . فقال (مستمراً في مفاكهته) : اجلس فاطبئن . أي فاطمئن

ويجب ألا ننسى بهذه المناسبة أننا في العصر العباسي ، حيث ورّفت ظلال الحضارة ولان العيش وفشا النعيم واستفاض الظرف ورقت حواشي الأخلاق ، وارتفعت مقاييس الأذواق ، فكلمة ناعمة منضورة أمام خليفة أو وزير قد تنبّه من شأن

---

(١) أورد هذه الكلمة ياقوت في ترجمة بعض النحاة ، والعهدة عليه

(٢) كان إمام عصره في الغناء وقد بلغ إكرام الرشيد له في بعض مجالسه أن رفع الستارة بينهما وأقعده معه على سريره وأعطاه ثلاثين ألف درهم .

(٣) هو ابن عم عمر بن أبي ربيعة وشاعر قريش بعده ومنافسه في صوغ الشعر الغزلي الرقيق

(٤) جاءت في معجم الأدباء : ظليم ، تخرجنا على المشهور .

قائلها وتحلّه منازل السعادة ! ورب كلمة حوشية جافية تهوى به إلى أسفل سافلين !

خذ لذلك مثلاً ما حدثوا به من أن مؤدب الرشيد كان عند والده المهدى (وهو يستاك) فقال له : كيف الأمر من السواك ؟ فقال : استك يا أمير المؤمنين . فقال المهدى : إنا لله وإنا إليه راجعون ! التمسوا لنا من هو أفهم من هذا . فقالوا له : رجل يقال له على بن حمزة الكسائى من أهل الكوفة قدم من البادية قريباً . فكتب بإحضاره ، فساعة مثل بين يديه قال له : يا على بن حمزة ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : كيف تأمر من السواك ؟ قال : سُك . قال : أحسنت وأصبت وأمر له بعشرة آلاف درهم !

وقد حرم الأصمعى التوفيق فى بعض مواقفه مع الرشيد على علمه وفضله فقد سأله عن مسألة ، فأجاب : على الخبير بها سقطت ! فقرعه الوزير يحيى بن خالد ونسبه إلى السوقة والأغتام !

على حين فطن لها أبو أحمد العسكرى — وقد سأله الصاحب ابن عباد ، فقال : الخبير صادفت . فقال الصاحب : يا أبا أحمد تُغرب فى كل شىء حتى فى المثل السائر ! فقال : تشاءمت من السقوط بحضرة مولانا ، وإنما كلام العرب : على الخبير بها سقطت

لهذا نَبُل المازنى فى نفس الواثق وحَلىَ فى عينه ، لأنه توسم فيه سجاحة الخلق وسلاسة الحاشية ودقة الفطنة . وما زال الناس يستدلون بحديث المرء على دخيلة نفسه وصحيفة لبه ومبلغ تهذيبه وثقافته

ولنعد إلى ما انقطع من الحديث ، فنقول : إن الواثق سأله عن البيت المتقدم فقال : الوجه النصب ، لأن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم . فأخذ اليزيدى النحوى يعارضه . فقال المازنى : هو بمنزلة : إن ضربك زيدا ظلم . فالرجل مفعول مصابكم ، والدليل عليه : أن الكلام معلق إلى أن نقول : ظلم ، فيتم الفائدة

فأعجب الواثق بهذا الفقه الدقيق . فقال : صدقت . ثم أردف قائلاً : ألك ولد ؟ قال : بنت لا غير . قال : فما قالت لك حين ودعتها ؟ قال : أنشدتنى قول الأعشى :

تقول ابنتى حين جدّ الرحيل أرانا بسواء كمن قد يتم[1]

أبانا فلا رِمْتَ من عندنا فإنا بخير إذا لم ترم[2]

فقال الواثق : كأنى بك وقد أنشدتها قول الأعشى أيضاً :

تقول بنتى وقد قرّبتُ مرتحلا[3]

يا رب جنّب أبي الأوصابَ والوجعا

عليك مثل الذى صليت فاعتصمى

يوماً ، فإن لجنب المرء مضطجعا

ولا ندرى أقال المازنى لابنته هذا الشعر أم لم يقله ؟ ولكن ذوقه الذى كشفنا جانباً منه أبي إلا أن يصدق ظن الخليفة . فقال : صدق أمير المؤمنين . قلت لها ذلك وزدتها عليه قول جرير :

ثقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال الواثق : ثق بالنجاح إن شاء الله .

وخطر للواثق أن يكل إليه امتحان معلمى أولاده فقال له : إن ههنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم ، فمن كان عالماً أزمناه إياهم ، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناه عنهم . وقد امتحنهم المازنى فلم يجد فيهم طائلاً . فجزع الملعون المساكين ، وأيقنوا بالشر . ولكن المازنى كان له دين يعصمه من قطع أرزاق الناس ، فقال لهم : لا تُراعوا . ثم مضى إلى الخليفة . فقال له : كيف رأيت ؟ فأجاب بجواب أبرأ به ذمته وخلص منه إلى غرضه . قال : رأيتهم يفضل بعضهم بعضاً فى أمور ، ويفضل الباقون فى غيرها ، وكلٌّ يحتاج إليه . فقال الواثق : إنى خاطبت منهم رجلاً فكان غايةً فى الجهل خطاباً ونظراً ! فقال المازنى : يا أمير المؤمنين أكثر من تقدّم من المعلمين[4] بهذه الصفة ! وقد قلت فيهم :

إن المعلم لا يزال مضعفاً ولو ابتنى فوق السماء بناء

من علم الصبيان أضنوا عقله مما يلاقى بُكرة وعشاء

فاهتز الواثق طرباً وقال : كيف لى بقربك ؟ فقال المازنى : يا أمير المؤمنين ، إن الغنم لى قربك والنظر إليك ، والأمن والفوز

(١) صار يتيما (٢) لم تفارق (٣) صفة لمحذوف : أى جملا مرتحلا

(٤) أنظر رد الجاحظ على من زعم ذلك فى البيان والتبين ج ١ — ٢٠٩

لديك ، ولكنى ألِفتِ الوحدة ، وأنِست بالانفراد ، ولى أهل يوحشني البعد عنهم ، ويَضُرُّ بهم ذلك ، ومطالبةُ العادة أشدّ من مطالبة الطباع . فقال الواثق : فلا تقطعنا وإن لم نطلبك . فقال : السمع والطاعة :

وقد أمر له الخليفة بألف دينار ، وأجرى عليه فى كل شهر مئة ، فانصرف إلى البصرة موطنه ، وظلت تجرى عليه الوظيفة حتى مات الواثق فقطعت عنه .

وقد ذُكر المازنى للمتوكل فاستدعاه ، فدخل إليه وقد جلس وزيره وصفيه الفتح بن خاقان بين يديه ، وحفّت به كوكبة من فتيان الأتراك مدججين بالسلاح فهاله ما رأى من روعة الحضرة وأبهة البلاط ، وكثرة العَدد والعُدد ، فطارت نفسه شعاعاً ، وانتشر عليه فكره ، وخشى أن يسأل فلا يسعفه الجواب لما داخله من الهيبة . فحين سلّم على الخليفة ، ابتدر قائلاً : يا أمير المؤمنين أقول كما قال الأعرابى :

لا تَقْلُوَاها[1] وادْلُواها دلوا إن مع اليوم أخاه غَدْوا

ولم يكن المتوكل كالواثق فى ثقافته العربية فلم يفهم ما أراد المازنى ، فاستبرد وأخرج . ولكن المتوكل لم يستغن عنه ، فعاد فاستدعاه وقال له : أنشدني أحسن مرثية قالتها العرب :

فقال المازنى قول أبي ذؤيب الهزلى :

أمن المنون وريبها تتوجع

وقول كعب الغنوى :

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا

وقول متمم بن نويرة :

لعمرى وما دهرى بتأبين هالك

وقول محمد بن مناذر :

كل حى لاقى الحمام فودى

وهذه القصائد من الشُّرَّد السائرات فى الشعر العربى ، وبخاصة قصيدة مُتَمّمٍ[2] فى أخيه مالك التى كان يسميها الأصمعى أم المراثى ! ولكن

(١) القلو : رفع السير . والدلو : الادئاه . والمراد لاتحملاها على السرعة فتعطب ولكن أرفقا بها فى السير

(٢) العقد الفريد ج ٢٠ — ١٧١

المتوكل لم يطرب إلى واحدة منها ، فكان كلما سمع قصيدة قال ليست بشيء !

ثم قال المتوكل : من شاعركم اليوم بالبصرة ؟ قال المازنى : عبد الصمد بن المعذّل . قال : فأنشدنى له

ولم يشأ المازنى أن يُثْقِل عليه بالشعر الجزل الرصين ، فأنشده أبياتاً قالها ابن المعذل فى قاضي البصرة ابن رَباح :

أيا قاضية البصرة (م) قومى فارقصى قَطْره
ومرّى برَوْنيسيجٍ[1] فهذا البرد والفتره
أراك قد تثيرين عجاج القصف يا حرّه
بتجذيفك[2] خديك وتجعيدك للطره

وهذا الشعر من السخف والغثاثة والثقل بمكان ! والمتوكل شاعره البحترى أولى من استحق لقب شاعر على الإطلاق ، فكان من المظنون ألا يطرب لهذا الشعر البارد المخشوب ، ولكن من العجب أنه استطير له ومالت به النشوة كل مميل فوصل المازنى بجائزة سنية !

وعرف المازنى من ذلك أن المتوكل يستروح إلى الشعر المهلهل النسج ، القريب الغور ، من مثل المقطعات الرقيقة فى الأهاجى والمجون والدعابات والإخوانيات ، فكان يتكلف أن يحفظ له من ذلك الشيء الكثير ، فينشده إياه إذا استدعاه ، فيغمره بالخلع ، ويملأ يديه بالصفراء والبيضاء ! والسلطان سوق يحمل إليه ما ينفق عنده . وقد توفى المازنى سنة ثمان وأربعين أو تسع وأربعين بعد المائتين عن ثروة ثمينة من التآليف الحسان فى عدة فنون . نضر الله وجهه وأجزل مثوبته !

على الجندى

(١) العتبة

(٢) التجذيف : التسوية الحسنة للشعر وغيره

دراسات إسلامية

الزندقة في الاسلام

للأستاذ عبد الرحمن بدوي

للزندقة في الإسلام تاريخ شائق ، عني المستشرقون بدراسته عناية شديدة ، فكتبوا فيه الرسائل القصيرة أو المقالات الطويلة المستفيضة التي تظهر باستمرار وأغلب ما فيها جديد طريف . ولكنهم لم يبلغوا من هذا كله شأواً بعيداً ، ولم يستطيعوا حتى اليوم أن يلقوا ضوءاً قوياً ساطعاً على أغلب نواحيه

عنوا بدراسة هذا التاريخ لأنه بدون إيضاحه وتعمقه لن نستطيع أن نفهم كيف نشأت بعض النظريات في علم الكلام بل بعض المذاهب الكلامية التي ازدهرت خصوصاً في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، إذ أن الكثير من نظريات مذهب كمذهب المعتزلة لا يمكن أن يفهم بدون معرفة هذه الخصومات الكثيرة العنيفة التي كانت تقوم بين كبار المعتزلة وبين الزنادقة ، والتي كان يثيرها هؤلاء الأخيرون فيضطر أصحاب الاعتزال إلى أن يتخذوا موقفاً بإزائها خاصاً . حتى أنه لو أتيح لنا أن نبحث في تكوين النظريات المختلفة التي يشتمل عليها مذهب المعتزلة بحثاً دقيقاً ، يتابع تطوره ويرسم المنحنى الذي عليه سار ، إذن لوجدنا للزندقة أكبر الأثر وأعظم الخطر في هذا التكوين

كما لا نستطيع أن نفهم أيضاً تلك الحركة السياسة الحضارية الخطيرة التي ظهرت خصوصاً في أوائل حكم العباسيين ، وأعني بها حركة الشعوبية . ودون أن نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور طه حسين في كتاب « حديث الأربعاء » من إرجاع حركة الزندقة كلها أو معظمها إلى حركة الشعوبية ، نستطيع أن نؤكد على أقل تقدير أن بين كلتا الحركتين صلة قوية شديدة ، حتى كان بعض أنصار العربية ضد الشعوبية يتخذون من الشعوبية وسيلة للدلالة على الزندقة كما سنرى بعد حين

وإلى جانب هذا كله لا يمكن أن ندرك التطور الروحي في بلاد الإسلام والحياة العقلية عامة على حقيقتهما ، إلا إذا نظرنا إلى حركة الزندقة باعتبارها عاملاً من أخطر العوامل التي لعبت دوراً في ذلك التطور وهذه الحياة ، فسيرت الأول في اتجاه معين وحددت له خطوطاً رئيسية مشى فيها ؛ وكيفت الثانية تكييفاً معيناً وصبغتها بصبغة خاصة لم تبهت على مر الزمان

فلهذه الأسباب كلها ولغيرها من الأسباب وجه المستشرقون عنايتهم إلى هذه الدراسة ؛ ولكن دراستهم هذه لا تزال حتى اليوم ناقصة، فيها الكثير من التشويه واللبس. وذلك راجع إلى أن تاريخ الزندقة في الإسلام موضوع غامض كل الغموض ، مضطرب كأشد ما يكون الاضطراب ، يشق علينا كثيراً – الآن على أقل تقدير – أن نتبينه في وضوح وأن نتمثله في جلاء

فلفظ « زنديق » لفظ غامض مشترك قد أطلق على معان عدة ، مختلفة فيما بينها على الرغم مما قد يجمع بينها من تشابه . فكان يطلق على من يؤمن بالمانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم : هما النور والظلمة . ثم اتسع المعنى من بعد اتساعاً كبيراً ، حتى أطلق على كل صاحب بدعة وكل ملحد . بل انتهى به الأمر أخيراً أن يطلق أيضاً على من يكون مذهبه مخالفاً لمذهب أهل السنة ، أو حتى من كان يحيا حياة المجون من الشعراء والكتاب ومن إليهم. وقد كتب الأستاذ هانز هينرش شيدر فصلاً ممتعاً عن أصل هذا اللفظ واستعماله عند الكتاب غير الإسلاميين[1] وجمع الأستاذ ماسينيون معاني اللفظ كما استعمله الكتاب الإسلاميون في البحث الذي كتبه في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة « زنديق » وفي كتابه عن « عذاب الحلاج[2] » . ويظهر من هذين البحثين أن اللفظ قد اتسع معناه إلى حد لا يسمح بتحديده تحديداً دقيقاً مما يحملنا على الحذر والانتباه الشديد للمعنى المقصود به في السياق الذي نجده فيه

ثم إن المصادر التي تحدثنا عن الزندقة والزنادقة قليلة غير مأمونة . وهذه القلة إما لأن كتب الزنادقة قد فقدت كلها تقريباً ، ولم يعد بين أيدينا منها إلا شذرات ضئيلة نعثر عليها بعد عناء طويل في كتب الردود ، مثل هذه الشذرات التي عثر عليها الأستاذ كراوس في كتاب « المجالس المؤيدية » وهي شذرات لابن الراوندي مأخوذة من كتابه « الزمرذ » قد رد عليها داعي الدعاة مؤيد الدين الشيرازي في هذه المجالس الموسومة باسمه ؛ أو لأن بعض المصادر التي تحدثنا عن الزندقة والزنادقة لا تزال مخطوطة حتى اليوم

(١) H. H. Schüder, Landiq-Lindiq, in Jranische Beiträge, I, 76-93.

(٢) L. Massignen, La Passion d'al-Hallāg, h. 186-188

فليست في متناول يد الباحثين . وأهم المصادر من هذا النوع كتب الشيعة مثل كتاب « الاحتجاج » للطبرسي .

كما أنها غير مأمونة من ناحيتين : الأولى أن الروايات المكتوبة في بعضها لم يتحر أصحابها الدقة في إيرادها، فجاءت في الغالب مهوشة ناقصة . والثانية أن البعض الآخر من هذه المصادر ، وهو أغلبها ، قد كتبه الخصوم وأوردوا فيها آراء الزنادقة بعد أن أدخلوا عليها شيئاً غير قليل من التبديل والتغيير ، بما توافق أغراضهم في الخصومة والحجاج ، وبما يتلاءم مع الإلزامات التي يريدون أن يستخلصوها منها . ولهذا يصعب على الباحث أن يتبين أقوال الزنادقة الحقيقية وأن يعرف كيف كانوا يوردونها .

ومن أجل هذه الصعوبات مجتمعة كان الباحثون من المستشرقين يقتصرون على دراسة ناحية صغيرة من نواحي الزندقة ، أو واحد من كبار الزنادقة الذين يستطيعون أن يجدوا منهم في المصادر شيئاً . ولم يستطع واحد منهم حتى هذه الأيام الأخيرة أن يكتب بحثاً شاملاً لهذه الحركة يتناولها من جميع نواحيها .

فعن صالح بن عبد القدوس ألقى جولد تسيهر بحثاً قيماً في المؤتمر الدولي التاسع للمستشرقين سنة ١٨٩٣(١) . ثم من بعده كتب ا. كريمسكي رسالة صغيرة (في ٦٥ صفحة) بالروسية عن أبان ابن عبد الحميد اللاحقي طبعت في موسكو سنة ١٩١٣ . وكان ابن المقفع خصوصاً موضوعاً لدراسات عدة أشهرها ما كتبه عباس إقبال في كتابه « شرح حال عبد الله بن المقفع ، فارسي » وهو مكتوب بالفارسية؛ ثم فرنشسكو جبريلي في مقاله المنشور «بمجلة الدراسات الشرقية » سنة ١٩٣٢ بعنوان « مؤلفات ابن المقفع » وهو أحسن بحث كتب عن ابن المقفع حتى الآن . وقد أثار بحثين آخرين كتب أولهما كارلو ألفونسو نلينو في المجلة نفسها بعنوان « تعليقات على ابن المقفع وابنه » وكتب الثاني الأستاذ بول كراوس في المجلة عينها سنة ١٩٣٣ تحت عنوان « حول ابن المقفع » وقد ترجمنا هذه البحوث الثلاثة وربما أتيحت لنا فرصة قريبة لنشرها أو للتحدث عنها . وبعد أن كتب جبريلي مقاله ظهر بحث عن ابن المقفع كتبه رشتر(١) وكانت أفكاره فيه أجرأ وأصرح من أفكار جبريلي في مقاله .

ونحن قد أشرنا من قبل إلى المقال الذي كتبه الأستاذ كراوس عن ابن الراوندي(٢) بمناسبة الفقرات التي عثر عليها في « المجالس المؤيدية » مأخوذة من كتاب « الزمرذ » لابن الراوندي . وهو مقال طويل (في ثمانين صفحة) مملوء بالمعلومات ؛ وهو حتى الآن أحسن بحث كتب عن ابن الراوندي ، وقد ترجمناه أيضاً .

وأخيراً كتب الأستاذ فرنشسكو جبريلي : « تعليقات على بشار بن برد » ظهرت في مضبطة مدرسة الدراسات الشرقية(٣) سنة ١٩٣٧ .

وكل هؤلاء الباحثين لم يحاول واحد منهم حتى الآن أن يكتب عن حركة الزندقة كلها كما ظهرت في الإسلام . ولكن بين يدي الآن فصل ممتع كتبه الأستاذ جورج فيدا سنة ١٩٣٥ ولم ينشر إلا في سنة ١٩٣٧ في « مجلة الدراسات الشرقية(٤) » أراد فيه أن يدرس تاريخ الزندقة الظاهري — إن صح هذا التعبير — دون التعرض للمناظرات التي قامت ضد الثنوية والمانوية ولما عسى أن يكون هناك من أثر للمانوية في الحياة الفكرية في ذلك العصر (أوائل العصر العباسي) ، معتمداً في ذلك على المصادر التاريخية الخاصة باضطهاد الزنادقة ، وبأشهر الزنادقة في خلافة العباسيين الأول . وأول هذه المصادر وأهمها كتاب « الفهرست » ويليه كتاب « الأغاني » . ثم كتب التاريخ الكبرى مثل : « تاريخ الطبري » و « مروج الذهب » .

بدأ الأستاذ فيدا بحثه بأن أورد في القسم الأول منه الفقرات الموجودة في كتاب « الفهرست » لابن النديم ، وبعضها خاص بتاريخ المانوية في بلاد الإسلام واختلافهم حول الإمام بعد ماني ، واضطهاد كسرى لهم وتشتتهم في البلاد وأسماء رؤسائهم . والبعض الآخر من هذه الفقرات يتعلق بالمتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ، وبأسماء الرؤساء والأمراء الذين اتهموا بالزندقة في أيام العباسيين .

(١) I. Goldziher, Sâlih b. 'Abd al-Koddûs und das Zindîkthum während der Regierung des Chalifen al-Mahdî. (Transactives of the 9th. International Congress of Orientalistes), London 1893, vol. II, ph.104-129

(١) M. O. Richler, Studien zur Geschichte der älteren arabischen Fürstenspiegel Leipsig, 1932

(٢) Paul Kraus, Beiträge zur islamischen Ketzergeschichte, RSO, XVI 1934, 93-129

(٣) BSOS, 1937, p. 151-163

(٤) G. Vajqa, Les zindiqus en pays d'Islam au début de la période abbâside, RSO, XVI 1937, ph. 173-229

وفى القسم الثانى تحدث صاحب المقال عن اضطهاد الزنادقة اضطهاداً رسمياً فى أيام الخلفاء العباسيين الأول . فقال : إن المصادر لا تسمح لنا بتتبع هذا الاضطهاد إلا فى الفترة القليلة التى مضت بين سنة ١٦٣ هـ إلى سنة ١٧٠ هـ أى فى السنوات الأخيرة من خلافة المهدى وإبان خلافة الهادى القصيرة الأجل .

ففى سنة ١٦٣ بدأت حملة المهدى المنيفة على الزنادقة بأن أمر عبد الجبار المحتسب ، والذى يلقبه صاحب الأغانى بلقب « صاحب الزنادقة » بالقبض على كل الزنادقة الموجودين فى داخل البلاد . فقبض على من استطاعوا القبض عليه، وأتوا به إلى الخليفة الذى كان حينئذ فى دابق ؛ فأمر بقتل بعضهم ، وتمزيق كتبهم . واستمر الخليفة فى هذا الاضطهاد فى السنوات التالية ، حتى بلغ الاضطهاد غايته فى الفترة ما بين سنة ١٦٦ هـ و سنة ١٧٠ هـ . وكان يقوم على أمر هذا الاضطهاد قضاة مخصوصون ، أشهرهم : عبد الجبار الذى ذكرناه آنفاً ، وعمر الكلوزى الذى عين فى سنة ١٦٧ ، ثم محمد بن عيسى حمدويه الذى خلف عمر .

وكان الزنادقة يقبض عليهم لأقل شبهة ويأتون أمام القاضى فيطلب إليهم أن يرجعوا عن الزندقة إن اعترفوا بها ويطلق سراحهم إن رجعوا عنها ويقتلون إذا استمروا عليها ورفضوا الخروج عنها. ولكى يتأكدوا من أنهم رجعوا عن الزندقة حقاً كان الخلفاء يستخدمون وسائل شتى أشهرها تلك التى يروون عن القضاة فى عصر المأمون أنهم كانوا يستخدمونها ، فهم يذكرون عنهم أنهم كانوا يطلبون إلى الزنديق أن يبصق على صورة مانى ، وأن يذبح طائراً بحرياً اسمه التزرج . أما البصق على صورة مانى فالمقصود به تحقير صاحب مذهب المانوية وهو مانى، وهذا دليل على أن الزنديق قد رجع عن هذا المذهب ؛ أما الحكمة فى ذبح هذا الطائر فلا تكشف عنها المصادر التى بأيدينا . ولكن مؤلف المقال الذى نحن بصدده يقول بأن المقصود بذلك هو أن يفرض على الزنديق أن يذبح كائناً حياً ، وذبح الحيوانات تحرمه المانوية . ولا بد لنا من قبول هذا التفسير لأن كل المصادر التى تحدثنا عن المانوية لا تذكر مطلقاً أن المانوية كانوا يقدسون طائراً بعينه ، سواء أكان هذا الطائر التزرج أو كان غيره . وقد حدث مثل هذا فى أيام محاكم التفتيش سنة ١٢٣٩ مع طائفة الكاثار Cathares التوسكانيين فقد طلب إليهم بحضور البابا جورج الرابع أن يبرهنوا على إخلاصهم فى الارتداد بأن يأكلوا اللحم أمام جمع من الأساقفة (١) .

ولم يكن كل هؤلاء الذين يتهمون بالزندقة زنادقة حقاً ؛ وإنما كان منهم من يتهم بالزندقة لأسباب سياسية . فقد اتخذ الخلفاء من هذا الاتهام وسيلة للقضاء على خصومهم من الهاشميين . وعلى هذا النحو اتهم ابن من أبناء داود بن على ثم يعقوب بن الفضل وأتى بهما إلى الخليفة المهدى . ولما كان الخليفة المهدى قد ارتبط من قبل بعهد ألا يقتلهما ، فانه لم يستطع أن يأمر هو بقتلهما ، وإنما حبسهما وأشار إلى ابنه الهادى أن يقتلهما حينما يتولى الخلافة ، ولكن الهادى لم يستطع أن يقتل غير يعقوب ، لأن ابن داود بن على مات فى سجنه قبل أن يشغل الهادى مركز الخلافة .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق ماذا كان يوجه إلى الهاشميين من تهم . وكل ما ترويه لنا المصادر هو ما يرويه لنا الطبرى (أخبار سنة ١٦٩ جـ ٣ ص ٥٤٩) وما لخصه عنه ابن العبرى فى كتابه « تاريخ مختصر الدول » (ص ٢٢١) من أن ابنة يعقوب بن الفضل قد اعترفت أثناء محاكمتها بأنها حبلى من أبيها ! والمانوية تحلل زواج الآباء بالبنات فى الروايات الإسلامية .

ولم يقتصر الأمر على الخلفاء فى اتهامهم الخصوم بالزندقة لأغراض سياسية ، بل كان هناك من الوزراء من يتخذون الاتهام — الباطل غالباً — بالزندقة سبيلاً للكيد والوقيعة بنظرائهم أو خصومهم الذين يحقدون عليهم . ومن هنا نستطيع أن نفهم تلك الرواية التى ذكرها الطبرى (ج ٣ ص ٤٩٠) ثم الجهشيارى فى « كتاب الوزراء والكتاب » (ص ٨٩ — ص ٩٠) ، ثم صاحب الأغانى وغيرهم ، عن اتهام أبناء أبى عبيد الله الوزير بالزندقة . فقد اتهم الربيع صاحب الخليفة المهدى ومنافس أبى عبيد الله الوزير أبناء هذا الأخير ، أو واحداً من أبنائه — كما فى بعض الروايات — بأنهم زنادقة . وقد أفلح الربيع فى هذا الدس عند الخليفة الذى أمر بأن يقتل عبد الله بن أبى عبيد الله الوزير . وكان ذلك سبباً فى توتر العلاقات بين المهدى وبين أبى عبيد الله ، حتى أن الخليفة

(١) H. Ch. Lea, Histoire de l'inquisition au moyen âge, trad. S. Reinach, Paris 1900, I, 110;
J. Guiraud, Hist. de l'inquisition au moyen âge, Paris 1935, ph. 88-89.

عزله من منصب الوزارة[١] ، وولى يعقوب بن داود بدلاً منه[٢]

والطبرى[٣] يذكر صراحة أن اتهام ابن أبي عبيد الله بالزندقة كان يقصد به زعزعة مركز أبيه عند الخليفة المهدى . وقد كان أبو عبيد الله موضوعاً للدسائس موالى المهدى . ويذهب صاحب الأغانى إلى أبعد من هذا فيقول إن المهدى أدرك من بعد السبب الحقيقى الذى من أجله أبلغه الربيع أخباراً عن زندقة ابن الوزير (الأغانى ج ٢١ ص ١٢٢)

والآن ، وبعد هذا العرض الموجز للاضطهادات التى عاناها الزنادقة ، أو من اتهموا بالزندقه ، فى الفترة ما بين سنة ١٦٣ وسنة ١٧٠ ، نسائل أنفسنا : ما هى هذه الزندقة التى اتهم بها هؤلاء ، وبأى معنى يجب أن تفهم ؟

يرى صاحب المقال أن الزندقة التى حاربها المهدى والهادى فى شخص هؤلاء الزنادقة هى المانوية ، أولاً وبالذات . ودليله على ذلك ما ذكرناه من قبل من الوسائل التى كان يمتحن بها القضاء قيمة رجوع الزنادقة عن الزندقة ، وإنكارهم لها ، حينما يقدمون إليهم . ويؤيد هذا الرأى أيضاً تلك الرواية التى ذكرها الطبرى[٤] والتى يمكن اعتبارها صادقة وهى التى تقول بأن أحد الزنادقة قدم إلى الخليفة المهدى فطلب إليه الخليفة أن يتبرأ من الزندقة ولكنه رفض فأمر بقتله ، والتفت من بعد إلى ابنه موسى ، وقال له كلاماً يحثه فيه على محاربة هذه العصبة من الزنادقة . ووصف له مبادئ هذه العصبة وصفاً يكاد ينطبق كله على مذهب المانوية ؛ مما يدل على أن المقصود بالزندقة كان حينئذ مذهب المانوية

ومع هذا كله فإن هـذا اللفظ قد اتسع معناه فى هذه الفترة ذاتها اتساعاً كبيراً كما سنرى فى مقالنا التالى عن أشهر الزنادقة فى أيام الخلفاء العباسيين الأول .

عبد الرحمن بدوى

(١) مروج الذهب ج ٦ ص ٢٣٢

(٢) ابن خلكان فستنفلد ج ٣ ص ٨٤٠

(٣) الطبرى ج ٣ ٤٨٧ وما بعدها

(٤) الكتاب السابق ج ٣ ص ٥٨٨

ألفريد دى موسيه

بين العبقرية والحب ! ...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

سلك ألفريد دى موسيه فى شعره طريقاً ما سلكه أحد قبله . فلقد أذاب أناته عبرات فى قصائده وأخرجها للناس ، فإذا فيها معان رائعة لا تنفد : تبسم بالذكرى ، وتموج بالزفرات ، وتنسم بوقد الجوى ساعة ، وعطر الهوى ساعات ...

وإنك لتجد فى حياته الخاصة أطاريف كثيرة تتجلى فى حبه اللاهب وصباه الفاجر وطفولته اللاهية . فقد كان فتى غرانقاً خلب نساء ، ذا شعور من ذهب استرسلت إلى كتفيه . وكان أنيقاً فى لباسه، رقيقاً فى طباعه ، رفيقاً بأصدقائه . حفلت طفولته بالترف والنعيم ؛ فقد كان أبوه ذا يسار وسعة ، فنشأه تنشئة فيها إدلال وتعومة ؛ يلهو فى النهار مع ابنة عمه بين الزهر ، ويصغى فى المساء إلى أحاديث عمه عن نابليون — الذى كان آنئذ قد ملأ الدنيا وشغل الناس — وأقاصيص جده عن الأيام الخوالى ، وأعاجيب «ألف ليلة وليلة» و «دون كيشوت» ، وغيرها ؛ فكان يشعر بلذة عميقة فى تخيل تلك العوالم التى تفيض بالحب، وترف بالبطولة، وتسجو بين السعود والنحوس .

ألفريد دى موسيه

وعشق شاعرنا ابنة عمه، ولما يبلغ الرابعة من عمره ؛ وقد كانت تقص عليه تحت الشجر وبين الزهر أحلى الأقاصيص فسألها الزواج ذات يوم ، وهو لا يدرى من أمره شيئاً . فضحكت منه . وتضطر بعد شهور إلى الرحيل عنه ، فيبكى لفراقها، ويحزن لبعدها ؛ وتكون هذه الدموع أول ما ذرف الشاعر فى سبيل الحب ...

وكان لهوه وترفه يدفعانه إلى أعمال فيها عبث الطفولة الساخر الذى لا يخشى شيئاً ، أو يخاف أحداً ؛ فلقد ألقى بكرة البليارد يوماً على مرآة فى البهو فحطمها ، وعمد إلى نجف الصالة فى يوم آخر فرقها ؛ فلم يسأل عما فعل خشية أن يثور حسه الرهيف فيجهد جسمه النحيف .

ولما التحق شاعرنا بكلية هنرى الرابع لقى من رفقائه أذى كثيراً : كانوا يسخرون منه ويهزأون به ويسمونه « بالآنسة » لشعره الأشقر الجعد ، ولربطة عنقه الزاهية . فكان يصبر صبراً جميلاً ، ويدعهم يلعبون ويمرحون ؛ حتى إذا ما أتى الامتحان أراهم الجد كيف يكون، والجوائز كيف تنال !

وما كاد ينهى درس الفلسفة حتى ظهر ميله للأدب، ولكنه كان يريد أن يبرع فيه. كتب ذات مرة إلى صديقه «بول فوشيه» يقول له :

« أنا لا أريد أن أكتب الآن ، فإذا كتبت فيجب أن أكون شكسبير أو شيلر .»

جورج صاند

ودرس شاعرنا الحقوق وقليلاً من الطب ، وعنى بالرسم والأدب والموسيقى . وتركته أسرته يفعل ما يشاء ، فلم يكن بحاجة إلى العمل الذى يدر المال ، وكان الزمان أنيقاً والعيش رقيقاً وأهله كما قلنا من ذوى اليسار

واستطاع صديقه « فوشيه » أن يعقد أواصر الصداقة بينه وبين هوغو ، وأن يدخله فى مجمع الأدبى فتعرف هناك على «دفينى» و « دوماس » والنقادة « سانت بوف » .

وكان هـذا النفر يقضى أمساء الآحاد عند القصصى الكبير

«شارل نودييه» مع «لامرتين» و«بلزاك» و«جيرار دي نرفال[1]» العاشق المجنون و«غوتييه» و«دي لا كروا»؛ فكانوا يستمعون إلى أقاصيص «نودييه» ويتناشدون الشعر على حين تجلس ابنة صاحب الدار ماري إلى البيان «ورأسها الجميل الأشقر يلمع كالشقيقة بين سنابل القمح كما يقول موسيه، وأناملها الناعمة تتنقل هنا وهناك، ونحن نستمع إلى الشعر، أو نجد في الرقص»

وكان موسيه إذ ذاك وضيء الطلعة متلألئ الوجه يخلب الفتيات.. حتى ليصفه «بانفيل» بأنه كان «كالإله الشاب الجميل لتجعد شعره المسترسل إلى كتفيه كأنه الموج الزاعش تحت أشعة الشمس»؛ فأخذ يغشى المجالس ويتنقل بين الفتيات، وينظم الأشعار ويكتب أقاصيص أسبانيا وإيطاليا. فردد الناس اسمه، ثم جذبه المسرح نحوه، فإذا بصاحب «الأوديون» يطلب منه مسرحية شديدة الحماسة: فكتب الشاعر «ليلة البندقية» فمثلت «بين الصفير والضجيج» وباءت بفشل عظيم.

على أن هذا الفشل لم يبعد شاعرنا عن المسرح، فلقد كتب بعد ذلك مسرحيات كثيرة أخفق بعضها ونجح بعضها، واستطاع بفضل ذلك أن يصبح محرراً أدبياً لمجلة «باريس» و«الطان». ثم نشر أشعاره في مجلة «العالمين». وفي هذه الفترة مات أبوه.

عندئذ عاش فتى مغامراً يرتاد الملاهي، ويضاحك الحسان، ويعاقر الخندريس. والتقى ذات يوم بجورج صاند، وكانت قد نبه ذكرها، واشتهرت بأقاصيصها ومغامراتها، وصرمت حبال «ساندو» عشيقها ... فأعجبته وأعجبها، ثم دعته بعد أيام إلى دارها وهناك تعاهدا على أن يبقيا صديقين ويعيشا معاً

وبدأ الحب يشب وينمو، فعاش معها في عالم زاخر بالأماني مائج بالرؤى، فظللته بعطفها ووصلها، وأذاقته طعم الوجد والهوى، وأسمعته أغاني الحب فسكر وانتشى، وعاش معها في غيبوبة رف النعيم في جنباتها، وضحكت على حفافيها المنى: قصف، جنون، لهو، شباب، لذة، سكر. تلك كانت حياتهما؛ على أنهما لم يمتعا بهذا كله طويلاً وأتت رحلتهما إلى إيطاليا ليذهب كل شيء... وليودعا آمالها الضاحكات، ويعود الشاعر إلى وطنه ليمعن في البكاء

فلقد أرادت جورج أن تذهب إلى (البندقية) مدينة الحب والشعر؛ فلم ترض أمه عن هذه الرحلة خوفاً على ابنها. فأقسمت لها جورج لتمنحن به العناية كلها. وسافر العاشقان إلى البندقية فوصلا إليها في يونية من عام ١٨٤٣

وكانا لا يزالان في نشوة الحب وفوران الأحلام. فعاشا فيها أياماً لذة كانت آخر أيام الهوى؛ فقد أصابت جورج حمى منذ مرت على البندقية في جيئتها، فعني بها الشاعر؛ ثم مرض ألفريد بعد شهور، فأحضرت له طبيباً اسمه «باجيلو» أعجبها... فتركت موسيه في غرفته مريضاً وتبعت الطبيب. فتخاصم الشاعر وحبيبته وانكب على الخمر يعاقرها لينسى الفاجعة التي أصابت حبه وقلبه، ثم ترك جورج مع الطبيب وعاد إلى باريس وحيداً

لم ينس موسيه في باريس جورج. فكان يمر على مغاني حبهما، ينظر إليها فيذكر ليالي الوصل، فتشجيه الذكرى ويعود إلى نفسه يذرف الدموع، وينظم «الليالي» ويتسلى بالرسائل التي كانت ترسلها إليه وتنصح له أن يحب غيرها، وأن يتذوق اللذات كلها. «ليرتشف قلبك لذات الحياة جميعها ... ولكن ليؤد رسالته جيداً لتستطيع أن تردد يوماً إذا نظرت إلى الماضي فتقول: لقد تألمت كثيراً وخدعت أحياناً، ولكني ارتشفت وأحببت... لقد عشت أنا بنفسي... لم أكن شخصاً خلقته كبريائي وأوجده وهمي...»

وانكب شاعرنا يكتب ويؤلف، ثم عمد إلى اللذات يرتشفها وإلى الخمور يعاقرها، وهو يتألم ويبكي ويقول:

«دع هـذا الجرح المقدس ... دعه يتسع»

«فلا شيء يجعلنا عظماء... كالألم الشديد..!»

وفي سنة ١٨٤٨ قبل الشاعر في المجمع العلمي الفرنسي عضواً، وهو في إحدى الحانات ... على أنه لم ينتفع بالعيش بعد جورج أبداً: فقضى حياة بائسة، وخبت تلك العبقرية الوهاجة وانطفأ ذلك الذكاء المشع، وغاض الجمال الخلاب ومات وله من العمر سبعة وأربعون عاماً وهو يقول:

«وأخيراً ... أريد أن أنام ... !»

«دمشق» صلاح الدين المنجد

(١) أنظر مقالنا عنه في العدد ٣١٠ من «الرسالة»

على هامش الفلسفة

مرجع الأخـــلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

تتمـة البحث

رأينا في الكلمة الأخيرة أن الأستاذ العلامة ليفي بُرُهْل Levy-Bruhl يرى في كتابه « الأخلاق وعلم العادات La morale et la science des mœurs » أن الأخلاق ترجع أولاً إلى علم العادات الذي مرجعه استقراء التاريخ وملاحظة الحاضر، ثم يتداخل فيها النظر العقلي لتعديل ما يجب تعديله من الظواهر الأخلاقية والاجتماعية . هذا هو ملخص ما يدعو إليه . فما الرأي فيه ؟

لا ريب أن هناك فائدة كبيرة من علم العادات الذي يشير باستيحائه . لأن النظريات والأفكار الأخلاقية التي تعاقبت على الزمن هي وليدة المجتمعات ، وإذاً ليكن من الواجب دراستها أولاً بالعقل العملي الدقيق . ولكن لا ينبغي أن نستنتج من هذا أن علم العادات يختلط من الناحية العميقة بالأخلاق بحال من الأحوال

يقفنا التاريخ على أن كثيراً من أرباب الضمائر العالية عورضوا في أيامهم بآراء أخلاقية تقليدية كانت ضد مثلهم العليا ، إلا أن المستقبل كان يحكم دائماً لهم ، وإذاً تكون ضمائرهم الشخصية سبقت الضمير الاجتماعي المستقبل وأعدته لما أرادوا له ، وإذاً يكون من الممكن والواقع أن الخلقية تقوم على قتال النظريات الأخلاقية والعادات الاجتماعية التي توجد في زمنها . ها هي ذي أخلاق « بوذا » لم تكن متفقة مع عادات الهند البرهمية في القرن السادس قبل الميلاد ، كما لا تتفق الأخلاق التي جاء بها أنبياء بني إسرائيل وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام مع عادات الأمم والشعوب التي بعثوا فيها ولها .

لا يقول لنا علم العادات كيف نختار عند ما تتعارض المثل العليا للثورات الأخلاقية مع الآراء والحقائق الاجتماعية التي توجد معها ! لننظر مثلاً للحرب ؛ نجدها تكشف حقيقة اجتماعية لا شك فيها ؛ هي تسيطر العواطف والمشاعر الحربية على جميع الشعوب ،

ومع ذلك لا يرضى أحد أن يرفض مثالاً أعلى هو السلام العالمي متى وجد لذلك سبيلاً . وبعبارة أخرى إن تحقق أية حقيقة ولو اجتماعية لا يلزم المرء بالانحناء أمامها واعتبارها مبدأ أخلاقياً جديراً بالتقدير

وبعد فعلم الاجتماع وعلم العادات من العلوم التي لها قيمتها وجدواها ، ولكنهما لا يحلان محل الأخلاق التي تقدر الأعمال وتضع لها قواعد للسير عليها . الاستقراء المطبق على تجارب التاريخ يعلمنا حقيقة ما كان في الماضي وما هو كائن الآن لا ما يجب أن يكون . ذلك أن دراسة ماضي مسألة من المسائل من الوجهة التاريخية كمركز المرأة وحقوقها مثلاً معناه الوقوف على ما كان خاصاً بذلك من نظريات مما يجعل الدارس أكثر صلاحية من غيره لمعرفة ما إذا كان من الخير الاحتفاظ بالحالة الراهنة فيهـا أو تناولها بالتعديل قليلاً أو كثيراً ؛ لكن هذه المعلومات التاريخية والاجتماعية التي أمدّنا بها البحث لا تكتفي وحدها لفرض حلّ حازم سواء أكان حلا محافظاً أم معدلاً أم ثائراً . هذا حق لا شبهة فيه ؛ إذ كيف يمكن تاريخياً معرفة ما يمكن أن يكون في المستقبل ! أكبر دروس الماضي أنه مضى لطيته ، وأن الحاضر يجب أن يتبعه أيضاً . والأخلاق لا يكفيها هذا بل تسمى كما قلنا لمعرفة ما يجب أن يكون .

وأخيراً ، إذا كنا لم نرتض نظرية من النظريات السابقة التي تواردت بشأن الطريقة التي تتبع لتعرف القانون والمثل الأعلى الأخلاقي ، فما هو إذاً الحل الذي نرضاه ؟ هـذا الحل هو ختام هذا البحث الذي قد طال وقوفنا عنده

التجربة الأخلاقية(١)

ليست الحياة الأخلاقية إلا مجموع أعمال نفسية واجتماعية خاصة ، فمن الممكن أن نقول بتطبيق الطريقة الاستقرائية عليها ، ولكن على نحو آخر غير الذي رآه الأستاذ « ليفي برُهْل » . والعقل العلمي لا يتطلب منا أن نلتزم في كل موضوعات البحث طريقة واحدة ، إذ يتطلب فقط أن يلائم المرء بين موضوع البحث وطريقته ، وأن يمنى الأخلاق بأن يقارب بالقدر الممكن بين

(١) من المراجع الهامة في هذا :

١ — التجربة الأخلاقية Rauh : L'Expériencs morale

٢ — دراسات الأخلاق Etudes de morale

الطريقة التي ينتهجها في الأخلاق والطريقة التي يستخدمها العالم في العلوم التجريبية ؛ أي أن يصدر عن تجارب واسعة وصدر رحب وروح غير متحجرة لا تدع للخطأ سبيلاً. هكذا عالج العلامة «روه Rauh» موضوع طريقة الأخلاق في مؤلفيه القيمين ، وهما : « التجربة الأخلاقية » ودراسات الأخلاق »

يرى هذا البحاثة أن العالم يقبل كمبدأ لبحثه اكتشافات أسلافه وآراءهم كفروض على الأقل يأخذ في بحثها وتمحيصها بكل ما يملك من وسائل . كذلك الأخلاقي يجب أن يبدأ بحثه من التقاليد فيمحصها ويزنها بما تمده به تجاربه الخاصة والحقائق الدينية التي لا ريب فيها والضمير القادر على الحكم الصحيح . بعض هذه الأفكار التقليدية توسع من قلوبنا وعقولنا ، وتبث فينا يقيناً شريفاً وسعادة نبيلة ، ونحن بعد تمحيصها لا يسعنا أن نضعها موضع الشك ، كما لا يشك العالم في فروض محصها وظهر له صحتها

حقاً يجب النسير مما اتفق عليه الأديان ثم من التقاليد ؛ فالحياة تولد من الحياة ، حياتنا الأخلاقية لم نبتدعها بل جاءتنا



أبصرت اليوم من نافذة برجي « شهر يوليو » مقبلاً يخطو سريعة وهو متدثر برداء أحمر كأنه قطع اللهب ، وقد تصبب من جبينه العرق ، وهو يقرع باب برجي ويصيح :

— أيها الغافل عن جسمه ، القابع بين جدران سجنه . انطلق قليلاً إلى نسيم البحار وهواء الجبال ، وأرح نفسك واسترح من نفسك !

فسمع الجواب من أعماق نفسي :

— وكيف يستريح من هذه النفس وهي تمتطي وجوده امتطاء ؟

— أو تذعن لهذا الفارس القاسي حتى يسحق المطية سحقاً ؟ !

فقالت النفس «لشهر يوليو» :

— أهي رحمة منك بالمطية أم أنك تريد أن تأخذها مني لنفسك أيها الشهر اللعين !

— إنها ستجد عندي الراحة والنعيم . وسأقدم لها « علفاً » من فاكهة الجبال الغضة وزهر الغابات الجميل ونسيم صيفي العليل . . . أما أنت فماذا تجد عندك ؟ إنك لن تقدمي إلى هذه المطية النحيلة غير « علف » من الحبر والورق والسهاد المضني والعمل المرهق والتفكير الطويل !

— سأعطيها النور الذي يضيء لها السبيل !

— لا تخدعيها بهذه الكلمات . ومع ذلك فإن عينيها في حاجة كذلك إلى الراحة والبعد عن النور . أقصي عن وجهها شهراً واحداً ذلك المصباح الذي لزمها طول الشهور !

— إنها لا تستطيع السير خطوة بغير ذلك المصباح

— أقسم لك أن الزيت قد نفد من هذا المصباح . دعيني أذهب بها إلى حيث تملؤه من جديد زيتاً خالصاً نقياً ، يرسل الضوء وهاجاً قوياً ، لها ولآخرين من القراء والمريدين ، طول عامها القادم . . . آمين !

توفيق الحكيم

من حياة أسلافنا الأخلاقية إلى حد ما ، فمن الادعاء والعبث الذي لا معنى له أن يهمل باحث كل تجارب الإنسانية الأخلاقية . ومن الغباء أن يزعم أحد قدرته وحده على أن ينشيء أخلاقاً ، كما ليس في مكنة أحد أن يبني وحده علم الهندسة أو الطبيعة مثلاً .

لكن حذار أن نقتصر على تقاليد البيئة الأسرية أو القومية الخاصة . يجب أن يعني الباحث الأخلاقي بتقاليد الأمة كلها فيجتهد في تعرف أصولها في زوايا الماضي البعيد والقريب وآثارها في الحاضر ؛ ومن ثم يكون لعلم التاريخ فائدته وخطره وخاصة تاريخ الفلسفة والأديان . على أنه ليس للمرء أن يحد نفسه باستشارة الكاتب ؛ عليه أن يخالط — مصغياً مستطلعاً باحثاً — المساجد والكنائس وسائر دور الدين بلا تمييز ، وألا ينسى المجتمعات المختلفة للأوساط الاجتماعية ، بعد هذا يجب أن يبحث ويقارن ويحقق ما جمعه بهذه الوسائل من الآراء والنظريات الأخلاقية المختلفة وأن يستخلص منها ما يكون متماثلاً ومشتركاً ، ويختار من بينها الأصلح حينما تتعارض حسب تجاربه وضميره وفكره المنزه عن الهوى .

بعد هذا أيضاً يجب ألا يكتفى بتقاليد أمته وجنسه ، بل يكون واسع الأفق عالي البحث حتى يصل إلى مبادىء يمكن الحكم بصلاحيتها للجميع . والسياحة بما تهيء لنا من فرصة تعرف تقاليد الأمم والشعوب المختلفة الدينية والاجتماعية في مواطنها الخاصة يمكن أن تمدنا بهذا البحث الأخلاقى الواسع الدقيق بمبادىء أخلاقية عامة لها قيمتها وخطرها . من أجل هذا يقول أحد الكتاب الإنجليز — بعد ما ساح كثيراً بين أوربا وأمريكا وأقام أخيراً باليابان — مادمنا معاشر الأوربيين لم نعش إلا في نصف الكرة ، فليس لنا إلا أنصاف أفكار وآراء[1] » .

وإذاً لكي نصل إلى مبادىء وأحكام صحيحة ، يجب أن نسائل هذا وذاك، لا نخص بحثنا بأمة دون أمة ولا بجنس دون جنس ، ولا بعصر دون عصر . يجب أن نجمع شهادات كل الضمائر التى لها قيمتها ، وأن نبحث لنفهم نفسية الأفاضل والأبطال والحكماء ثم نعمل التحقيق غير المتميز في كل هذا المجموع من الآراء الأخلاقية لنعد بذلك العقيدة الأخلاقية غير المفرضة على طريقة « المروحة » حسب تعبير « روه ــ Rauh » نفسه ، وإذاً يكون القانون والمثال الأعلى الأخلاقى هو نقطة الانتهاء لطرق متعددة متنوعة .

هذه هى الطريقة الحية المنتجة التى أرى أنه باتباعها نصل إلى تقرير حقائق أخلاقية صالحة لكل العقول ، وإلى تعرف المثل الأعلى الأخلاقى الذى يقبل من كل الضمائر المستقيمة والإرادات الطيبة فى كل البيئات والعصور .

إلى هنا انتهيت مما أردت بحثه ، ولم يبق إلا أن أتوجه بالشكر لله تعالى ، وإلى حضرة الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة » ، وحضرات القراء الذين تفضلوا بتشجيعي على جهد المقل برسائلهم وكلماتهم الطيبة . وأخص حضرة الباحث الجليل الأستاذ نصيف المنقبادى الذى لا أجدنى أهلاً للثناء الذى وجهه إلى بعدد «الرسالة» الغراء رقم ٣٠٣ فى ابتداء الكلمة القيمة التى بحث فيها غريزة الخير والشر من الناحية البيولوجية أى من ناحية أصلها ونشأتها وتطورها وذلك غير الناحية التى حاولت بحثها .

وإلى اللقاء بعد العودة من فرنسا إن شاء الله تعالى في أول العام الدراسي الآتى..

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

---

(١) Challaye: Philosophie scientifique et phi. morale
شالي : الفلسفة العلمية والفلسفة الأخلاقية

د . ه . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدى

مقدمة

أمل ويأس : فى هاتين الكلمتين يتلخص تاريخ القرن التاسع عشر والجزء الأول من القرن العشرين . كانت تقوم الحركة تلو الحركة ، وفى كل مرة ينبعث الأمل ويظن الناس أن الحياة قد بعثت من جديد وأنهم صاروا قاب قوسين أو أدني من السعادة الإنسانية ، ولكن سرعان ما تذوى الحركة وتموت . فيتحول الأمل يأساً ، وينقلب النعيم بؤساً ، وتحل الحسرة محل السرور ، ويأخذ الألم مكان اللذة ، وبذلك تقتم الحياة وتظلم أكثر من ذى قبل حتى لا تبشر بعد ذلك بخير

ففى مستهل القرن التاسع عشر قامت الحركة الصناعية ، فهلل الناس وكبروا استفاقوا كأنهم من كابوس مريع . ولكن لم تلبث هذه الحركة أن خلفت أضعاف ما كان موجوداً من بؤس وشقاء ، فازدحمت المدن حتى ضاقت بسكانها وتوزعت الثروة ولكن توزيعاً غير عادل ؛ فكان من جراء ذلك أن مال الناس عن هذه الحركة وتعلقوا بأهداب حركة أخرى ناشئة هى الحركة العلمية التى قامت نتيجة للمستكشفات العلمية والمخترعات الحديثة ؛ فأمل الناس فيها واستبشروا بها حتى صدمتهم الحقيقة المرة وتبينوا أن العلم قد يعطى الإنسان قوة فوق قوة ولكنه لا يهبه السعادة ولا الهناء

وعلى أثر يأس الناس من هذه الحركة ناصروا الحركة السياسية التى قامت تحت زعامة جلادستون أملاً فى أن الدعوة إلى الحرية وإلغاء الفوارق بين الطبقات والتخلص من امتيازات الطبقة العليا هى سبيل السعادة المنشودة . ولكن ما كاد عميد الحركة يقضى حتى قضت الحركة إلى جواره ، ثم أتت هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية فكانت ضغثاً على إبالة وكانت الضربة القاضية للحركة لأن فرنسا كانت نصيرة الحرية ورمزاً لها فى ذلك الوقت

وبهذه الطريقة بلى الإنسان باليأس المرة بعد المرة حتى نضب معين أمله ، وزال عنه تفاؤله ، وصار لا ينظر إلى الحياة إلا بمنظار أسود ، بعد أن تبين له أنه إنما يحارب عدواً لا قبل له به ، وأنه قد كتبت عليه الهزيمة مهما قاتل ومهما استبسل . لذلك رأى

أن لا مفر له من اجتناب هـذه الحياة والابتعاد عنها ، فكانت الفنون خير مكان يلجأ إليه ... فهناك في دنيا الخيال يسبح الإنسان في عالم من صنع يده ، عالم هو مبدعه وخالقه ، بعيداً عن صخب الحياة وضجيجها . ولكن ما كاد يبزغ فجر القرن الجديد حتى تبين للناس أن الفنون ما عادت تصلح لأن تكون ملجأ الإنسان إلى الأبد ، وزاد إيمانهم بهذا عند نشوب حرب جنوب أفريقيا واستعداد ألمانيا للحرب بشكل لم يسبق له مثيل من قبل . عند ذلك أدرك الناس أن الوقت قد حان كي يتركوا عالم الخيال جانباً ويعودوا إلى الحياة ومواجهتها

وقامت في ذلك الوقت مدارس عديدة تدعو إلى مبادئ متباينة . فقامت مدرسة ريارد كبلنج ، ومدرسة برنارد شو ، و هـ . ج . ويلز ، ثم مدرسة ج . ك . تشسترتون . وكان هم كل واحدة منها نقد مبادئ المدرستين الأخريين ودعوة الناس إلى اعتناق مبادئها هي ، حتى قامت الحرب العظمى التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الأفكار والمبادئ التي كانت تسيطر على عقول البشر في ذلك الوقت خاطئة تحتاج إلى التعديل أو التغيير ، وعلى هذا الأساس قامت مدارس أخرى ، وعلى رأس هـذه المدارس قامت مدرسة لورنس

ورغم أن لورنس في نظر بعض ضيق العقول لا يعدو كونه كاتباً مفحشاً أو رساماً لا خلاق له ، إلا أنه يعتبر في رأي أئمة المفكرين نابغة عصره . فقد بذ معاصريه الكتاب في عالم الروايات الطويلة والقصص القصيرة والروايات المسرحية ، كما فاق غيره من الرسامين بلوحاته الفنية ، وظهر على الموسيقيين بمقطوعاته التي وضعها بنفسه . وكان يحدوه في ذلك كله أمل واحد وغرض واحد : هو القضاء على هذه الحياة التي غلبها التكلف وساد فيها التصنع حتى صارت حياة ملق ورياء ، فكان همه أن يهدم هذه الحياة من أساسها ليقيم على أنقاضها حياة جديدة

ولما كان هذا هو غرضه وجب عليه أن يكون صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، وأن يتوخى الصدق في كل ما يقوله ، لا يهمه في ذلك نوع الموضوع الذي يعالجه ولا رأي الناس فيما يقوله ، فلا يجد فارقاً بين أن يكتب في موضوع العلاقة الجنسية وبين أن يكتب في موضوع مناجم الفحم أو ما إلى ذلك من الموضوعات العادية . وهم يعيبون على لورنس صراحته وصدقه وأنه لا يحاول أن يخدع نفسه ويخدع الناس كما يفعل غيره من الكتاب . يعيبون عليه لغته وجرأته في التعبير وهم يعلمون أنهم يستعملون نفس اللغة في أحاديثهم في منتدياتهم الخاصة ، ويعيبون عليه الموضوعات التي يعالجها وهي لم تخرج عما يفعله الإنسان منذ الخليقة حتى يومنا هذا

ولما كان لورنس صريحاً لا يعرف للنذالة معنى فقد حذر الناس من تيار المدنية الحديثة الذي يجرفهم إلى هاوية الدمار وهم لا يشعرون . فهذه المدنية الحديثة وليدة العقل والتفكير قد قامت على حساب كبت الغرائز الإنسانية . فبعد أن كان الإنسان وحدة كاملة بعقله وجسمه انفصل الاثنان ، ثم تغلب العقل حتى أصبح الجسم مسجوناً لا يستطيع التنفيس عن رغباته ؛ فيرى لورنس من كتاباته أن يفك قيود الجسم ويطلق سراحه كي يستعيد الفرد كليته الأولى . ولما كانت العلاقة الجنسية وتنظيمها هي التي تكفل للانسان الوصول إلى هذا الغرض فقد اهتم بها لورنس وعالجها في معظم كتبه

ولورنس من ذلك الصنف من الكتاب الذي يخلق في قرائه الذوق الذي يعينهم على فهم كتبه واستساغتها ، وهذا في حد ذاته يحتاج إلى وقت ليس بالقصير . ونلاحظ على كتب لورنس أنها سهلة القراءة صعبة الفهم ، وهـذا سر خلودها . فلورنس يعتقد أن الكتاب خالد ما دام يصعب غوره أحد . وكثيراً ما يقرن اسم لورنس باسم جيمس جويس أو فيرجينيا ولف أو بروست أو غيرهم من رواد المدارس الحديثة في الأدب . والحقيقة أن لورنس يختلف عنهم اختلافاً بيناً ، فكتب هؤلاء صعبة القراءة في أول الأمر سهلة الفهم بعد ذلك ، لأن صعوبتها هي في لغتها الجديدة وتعبيراتها غير المألوفة في حين أن موضوعاتها لم تخرج عن المطروق المألوف. وأما لورنس فعلى العكس من ذلك ، فهو يكتب في لغة مفهومة مألوفة ، ولكن شخصيات رواياته وحوادثها وموضوعاتها أبعد ما تكون عن المألوف ، وكلها ترمي إلى غرض واحد هو شق طريق جديد في الحياة

وكان من يجرؤ على قول الصـدق بين قوم ألفوا الكذب وتعودوه يحاكم محاكمة صورية تنتهي بحرقه أو بزجه في أعماق السجون . أما في عصرنا هذا عصر المدنية الحديثة و«حرية القول» فتقوم الصحافة مقام محاكم التفتيش القديمة ؛ فإذا لم يعجبها كاتب بأن كان صريحاً أو مخلصاً فيما يقول قامت تشوه اسمه وتسيء إلى سمعته حتى تنفر الناس منه وتبغضه إليهم . وهذا ما فعلته الصحف المغرضة بكاتبنا ، وساعدها على ذلك ميل الناس في عصرنا هذا إلى تصديق كل ما يقال دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة بحث

هذه الآراء وتمحيصها . ولهذا نرى عدداً كثيراً من الناس لا يعرفون عن لورنس أكثر من أنه وضع كتاباً اسمه « عشيق لادى تشاترلى » صادرته الحكومة وأمرت بحرقه . وهم يعرفون كذلك أن رجال البوليس داهموا معرضاً لصوره فى لندن وحطموا كل ما وصلت إليه أيديهم ، ثم بعد ذلك لا يعرفون عنه شيئاً . وكان الأولى بهم أن يقرأوا كتبه بعد أن يدرسوا المؤثرات التى دفعته إلى كتابة ما كتب ، وبعد ذلك يصدرون عن الكاتب حكمهم .

وبرغم كل هذه الظروف المناكسة ورقة حال الكاتب ومرضه الذى لازمه طول حياته حتى قضى عليه وهو لا يزال فى زهرة شبابه، وبرغم عدم فهم الناس لكتبه وبعدهم عن تقدير صاحبها، وبرغم تنكر أصدقائه له وانفضاضهم من حوله كان لورنس كاتباً مكثاراً ما ولج باباً إلا نبغ فيه . فرواياته الطويلة كثيرة ، وقصصه الصغيرة ممتعة وشعره رائع، وكتبه فى الفلسفةوعلم النفس هدمت النظريات القديمة ، ومجموعة رسائله كنز أدبى لا يفنى

عبد الحميد حمدى

مدرس بمدرسة شبرا الثانوية

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٤٥٠ — والله ما شعرت بذلك

فى (معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان) : كان (الإمام) محمد بن سحنون ذات يوم يؤلف إلى أن حضر العشاء . فجاءته جاريته أم مدام بالعشاء . فقال لها : يا أمّ مدام ، أنا مشغول عن العشاء بما أنا فيه . فلما طال انتظارها أخذت تلقمه وهو على حاله يؤلف حتى أتت على جميعه . وما زال كذلك حتى أذّن المؤذن لصلاة الصبح ، فطوى كتابه وقال : يا أم مدام ، هات ما معك من العشاء !

فقالت : يا سيدى ، إنى أطعمتُك إياه !

فقال : والله ما شعرتُ بذلك !

٤٥١ — لو كان من كلام النظام لكان كبيرا

فى (الأغانى) : عتب المأمون على عريب (المغنية) فهجرها أياماً . ثم اعتلت فعادها . فقال لها : كيف وجدتِ طعم الهجر ؟

فقالت : يا أمير المؤمنين لولا مرارةُ الهجر ما عُرفتْ حلاوةُ الوصل ، ومن ذمّ بدءَ الغضب حمِد عاقبةَ الرضا .

فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدّثهم بالقصة . ثم قال : أترى هذا لو كان من كلام النظام[1] ألم يكن كبيراً ؟ !

٤٥٢ — . . . فيستثنون فتبطل أيمانهم

(وفيات الأعيان) : قال الربيع صاحب المنصور : يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك : كان عبدالله بن عباس يقول : إذا حلف على اليمين ثم استثنى بيوم أو بيومين جاز الاستثناء . وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين . فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أن ليس لك فى رقاب جندك بيعة . قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم . فضحك المنصور وقال : ياربيع لا تتعرض لأبى حنيفة . فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت أن تشيط بدمى[2] . قال : لا . ولكنك أردت أن تشيط بدى فخلصتك وخلصت نفسى .

٤٥٣ — . . . أن يجلسوا على حائط

(روح المعانى) للآلوسى : عن ابن سيرين أنه سئل عمن يسمع القرآن فيصعق ،فقال : ميعادُ ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره ، فإن صعقوا فهو كما قالوا

٤٥٤ — وكريم أنظر له

فى (الإيجاز والإعجاز) للثعالبى : سمعت مأمون بن مأمون خوارزم شاه يقول : همتى كتاب أنظر فيه ، وحبيب أنظر إليه ، وكريم أنظر له .

---

(١) ابرهيم بن سيار : من كبار المعتزلة وأئمتهم متقدم فى العلوم ، شديد الغوص على المعانى ، وكان من صغره يتوقد ذكاء ، ويتدفق فصاحة ، وكان الجاحظ من أكبر تلامذته : « سرح العيون » .

(٢) أشاط دمه وبدمه : أذهبه ، وقيل أشاط بدمه : عمل فى هلاكه (اللسان)

٤٥٥ — الجلهكية

في (الملل والنحل ونهاية الأرب) : الجلهكية أي عُبّاد الماء في الهند ، يزعمون أن الماء ملك ، ومعه ملائكة ، وأنه أصل كل شيء ، وبه كل ولادة ونمو ونشوء وبقاء وطهارة وعمارة . وما من عمل في الدنيا إلا وهو يحتاج إلى الماء . فإذا أراد الرجل منهم عبادته تجرد وستر عورته . ثم دخل الماء حتى يصل إلى حلقه (أو وسطه) فيقيم ساعة أو ساعتين أو أكثر . ويأخذ ما أمكنه من الرياحين ، فيقطعها صغاراً ، ويلقي في الماء بعضها بعد بعض ، وهو يسبّح ويقرأ . فإذا أراد الانصراف حرّك الماء بيده ، ثم أخذ منه فنقط على رأسه ووجهه وسائر جسده خارجاً ، ثم سجد وانصرف .

٤٥٦ — من عدم الناس عاشر القردة

في (تتمة اليتيمة) : كان أبو سهيل الحراني ينادم قردة له ، فقيل له في ذلك ، فقال :

ملت إلى قردة أنادمهـا ... فأنكرت ذاك زمرة الحسده
فقلت : يا بُلْهُ لا عقول لكم ... من عدم الناس عاشر القرده

٤٥٧ — التمثالاد في تدمر

في (معجم البلدان) : كان من جملة التصاوير التي بتدمر صورة جاريتين من حجارة من بقية صور كانت هناك ، فمر بها أوس بن ثعلبة التيمي صاحب قصر أوس في البصرة ، فنظر إلى الصورتين فاستحسنهما فقال :

فتاتَيْ أهل تدمرَ خبّراني ... ألمّا تسأما طولَ القيام
قيامُكما على غير الحشايا ... على جبل أصمَّ من الرُّخام
فكم قد مرّ من عدد الليالي ... لعصركما وعامٍ بعد عام
وإنكما على مرّ الليالي ... لأبقى من فروع ابنَيْ شمام[1]

قال المدائني : فقدم أوسُ بن ثعلبة على يزيد بن معاوية ، فأنشده هذه الأبيات ، فقال يزيد : لله درّ أهل العراق ! هاتان الصورتان فيكم يا أهل الشام ، لم يذكرهما أحد منكم ، فمرّ بهما هذا العراقيّ مرة فقال ما قال

(١) شمام جبل بالعالية له رأسان يسميان ابني شمام . قال لبيد :
فهل نبئت عن أخوين داما ... على الأحداث إلا ابني شمام
(العالية) : ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة .

٤٥٨ — مفرق . . .

في (مروج الذهب ، والكنز المدفون) : بلغ خالد بن عبد الله القسري ، وكان عاملاً لعبد الملك بن مروان على مكة قول الشاعر :

يا حبّذا الموسمُ من موفد ... وحبذا الكعبة من مشهد[1] !
وحبذا اللائي يُزاحمننا ... عند استلام الحجر الأسود[2]

فقال خالد : أمَا هن فلا يزاحمنك بعدها . فأمر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف . فهو أول من فرّق بين الرجال والنساء في الطواف . فاستمر ذلك إلى اليوم ، وكان يُجلس لهن حرساً عند كل ركن ، معهم السياط ، يفرقون بينهم .

٤٥٩ — ثم اطووه الى يوم القيامة

في (زهر الآداب) : شرب كوران المغني عند الشريف الرضي فافتقد رداءه وزعم أنه سُرق . فقال له الشريف : ويحك ! من تتهم ؟ أما علمت أن النبيذ بساط يطوى بما عليه . . . ؟

قال : انشروا هذا البساط حتى آخذ ردائي ثم اطووه إلى يوم القيامة . . .

(١) من موفد : في رواية : من موقف
(٢) استلام الحجر افتعال في التقدير ، مأخوذ من السلام (بكسر السين) وهي الحجارة ، تقول استلمت الحجر اذا لمسته من السلام كما تقول اكتحلت من الكحل ، قال الأزهري : والذي عندي أنه افتعال من السلام وهو التحية واستلامه لمسه باليد تحريا لقبول السلام منه تبركا به ، ويدل على صحة هذا القول أن أهل اليمن يسمون الركن الأسود المحيا ، معناه أن الناس يحيونه بالسلام (اللسان) .

موت كريزيس

للأستاذ زكي المحاسني

«ضعني على قلبك كالبسم فالحب مثل الموت للمغرم»

سمعت هذا البيت من قول «مارلين ديتريش» ليلة رأيتها في الصور المتحركة وقد باتت عند عمتها؛ فلما تهيأت للنوم أخذت بكلتا يديها كتاب العهد القديم ثم وضعته على صدرها وفتحته ثم تلت نشيد الأناشيد بصوت ملائكي خافت قالت في آخره:

«ضعني كالخاتم الواسم على قلبك فالحب كالموت»

صار بها هذا النشيد إلى الموت فماتت في روايتها حرفاً ولقيت جزاء قلبها. تفننت في كلام الحب وفنيت في صبابته حتى هشمت بمطرقة كبيرة تمثالها الذي صنعه عاشقها النحات، لتدخل في أغوار العدم

هكذا فكرت في غادة نشيد الأناشيد حين مرت في خاطري «كريزيس» في الإسكندرية القديمة وقد اغتسلت ذات مساء بالعطور ونادت جاريتها الهندية «دجالان» فقالت لها: نشفيني وألبسيني وزينيني ثم ضمخيني بالطيوب

خرجت كريزيس تشق رواق المساء بنور وجهها الساطع وتخطر في مشيتها حتى بلغت شاطئ البحر. وكان هناك على متكأ الشاطئ النحات «ديمتريوس» الذي صنع تمثال «أفروديت» ملكة الإسكندرية. وقف على الشاطئ وفي سمعه أنغام الزامرتين وقد ابتعدتا عنه وغابتا في تضاعيف الظلام. وقف ينظر إلى البحر فيرى نفسه في موجه الصاخب ويحس تلك الثورات الخفية التي يثور فيها روحه ثم يصطدم في حدود جسمه فيعود مستكيناً حبيساً

فكر في الملكة التي تعشقه وفكر في آلاف الرعابيب اللواتي ارتمين على قدميه وما حظين منهما بالتقبيل. وإنه لكذلك سادر في تأمله إذ مرت به كريزيس فتيمته حبا. فلحقها فعزت عليه وتجنت. ثم اشترطت للموادة غوالي الشروط وأشدها هولاً. فسرق من أجلها وهو الشريف. وقتل من أجلها وهو البريء. وهزئ بالآلهة جرّاها وهو الحكيم الرزين. ثم أنقذ نفسه فجأة من مهاوي العدم وبؤرة العار؛ فصدف عنها واجتواها، وكان كرهه لها حبا، واجتواؤه إياها هياماً. ولما صارت إلى السجن قدم إليها السجان كأس الشوكران وقال اشربي

مدت يدها وأخذت الكأس فرفعتها إلى فمها وشربت نصفها، ومدتها بالنصف الباقي إلى ديمتريوس، وقد جاء ليشهد مصرعها، فنحى عنه كأسها. فاستردتها إلى فيها وشربت السم حتى الثمالة ...

سألت كريزيس السجان: ماذا أفعل؟ فقال لها سيري جيئة وذهاباً. ففعلت حتى عمل فيها السم، وارتمت كما يرتمي غزال قد صيد ... وماتت

عاد إليها ديمتريوس وهي في لفائف الموت قد سُجِّيت على سرير. فجلس حيالها يناجيها بصمته، ويستودعها روحه. وبدت له على سرير الموت أروع جمالاً وأشع نوراً مما كانت في الحياة

جلب معه عجين التراب الذي يصنعه للتماثيل، وأقبل على السرير فنضا الثياب عن الضحية، ثم أقعدها في وضع فني رائع ثم أخذ منقاشه وظل من الصباح حتى سد عليه المساء نافذة السجن، فانتهى من صنع تمثال «كريزيس الخالدة» حين دفنتها صديقتاها «روديس وميرتو» قطعتا من شعريهما خصلة دفنتاها معها ثم بكتا على قبرها أحر البكاء ...

فكرت في نهاية «كريزيس» التي قص قصتها العبقري بيير لوئيس، فاستطعت بسبب فاجعتها أن أفهم نشيد الأناشيد في كتاب العهد القديم.

زكي المحاسني

ترانيم ونسابيح

أنشودة الصباح ...

« إلهامات من سحر الحب وجمال الطبيعة فى ضفاف الجزيرة »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سَبقتِ إلى النيل خطوَ الصباح … فتيَّمتِهِ بالصِّبا والفُتونْ
وخمرُ إلهيّة فى يديكِ … وكأسٌ من الحبِّ ملأى جنون
وثغرُكِ تغريدةٌ ما وعى … ترانيمها غيرُ قلبي الحزينْ
عشِقتُ صداها فغنّيتُها … ولقّنتُها لشفاهِ السنينْ

وما كُنتُ أدرِي الهوى والحياهْ
ولا السّحرَ في أغنياتِ الشّفاهْ
ولا كُنتُ أعلَمُ سِرَّ الإلهْ

سِوَى بعدَما لُحتِ لي فتنةً … وأقبلتِ لي مرّةً تبسمينْ!

* * *

وعيناكِ علّمتاني السُّجودَ … وكيفَ أخِرُّ معَ العابِدينْ
لهم دِينُهم في زِحامِ الصّلاةِ … وديني الضّياءُ الذي تنشرينْ
عبدْتُ بكِ الله ... مافى دمى … ولا فى فمي غيرُ هذا الرّنينْ
فيا ولهاً ناعِساً فى الجفونْ … ويا سجدتانِ بِدَيْرِ الجبينْ

ويا قُبلتانِ بخدِّ الصّباحْ
ويا بسمتانِ بثغرِ الأقاحْ
طفَتْ بين جنبيَّ نارُ الجِراحْ

غرِّدي لِبلواي سحرَ المُنى … وبُثّي حديثَ الهوى ياعيونْ!

* * *

وإيقاعُ صوتِك فوقَ الضّفافِ … أهازيجُ رفّافةٌ بالحنينْ
سمِعتُ لُغاهُنّ تحتَ الظّلالِ … أناجيلُ تُتلَى على الرّاهبينْ
وأنغامَ رقصٍ بعيدِ المدى … حلمتُ به فى سماءِ الظّنونْ
محا شجنَ الطّيرِ إغرادُهُ … وتيّمَ فى عُشّهِنّ السكونْ

فهلّلن بين نخيلٍ وأيكِ
وهفهفنَ مِثلي حنانًا إليكِ
وكِدْنَ يقبّلن طُهرًا يديْكِ

ويَسجدْنَ حولكِ فوقَ الرُّبى … وتخشعُ للحبِّ هامُ الغصون!

* * *

وقلتِ: هنا النهرُ؟ قلتُ: اصمُتي … هُنا الله يَرعى هوانا الأمينْ
هنا قدَرٌ فى الضّحى نائمٌ … أساريرُهُ طلْسمتْها القرونْ
يسمونه «النيل»! وهْوَ الذى … يُنيلُ ويشفى صدى الظّامئينْ
سقَى الدهرَ من جامِه فارتَوى … وروّى بخمرتِهِ المُلهَمينْ

فغنّى بأسرارِهِ الشّاعِرُ
وكبّر فى شطّهِ الكافرُ
وخرَّ لهُ السحرُ والساحرُ

ولمّا تهادَتْ عليهِ الصِّبا … تصابَى تحيّا خطا العاشقين!

* * *

أتيناهُ والصُّبحُ طِفلٌ غريرٌ … تُهدهِدُهُ سكرةُ الحالمين
طهورُ المسارِبِ ما لوّثتْ … خطا شمسِهِ قدمُ العابِرينْ
سِوَى بائسينَ إلى قوتِهم … تنادوا: سلامٌ على البائسين
أفاقوا معَ الفجرِ فوقَ الثّرى … حيارى على أرضهم متعبينْ

وصيّادُ رزقٍ على الشاطِئَيْنْ
مِنَ اليأسِ قلّبَ نارَ اليدَيْنْ
وفى وجهِهِ مِنْ كلالٍ وأيْنْ

بقايا مِنَ الليلِ يمشي بها … إلى كوخِهِ فى شِعابِ الأنين!

* * *

ونجوى بعامِيّةٍ فى المشاشِ … تحجّبُ إلاّ عنِ المغرَمينْ
فهِمنا لُغاها وأسرارَها … فهِمنا بها فى الضّحى حائرين
وفى ظِلّنا للهوى رِعشةٌ … وقفتِ على طيفها تسألينْ
وصدْرُكِ يهتزُّ تحتَ السّنا … كأنشودةٍ فى أكفِّ الحنينْ

شجاها التّغنّي فهزّتْ لنا
تحايا مِنَ الله طافتْ بِنا
ونجوى مِنَ الله رفّتْ هنا

وقالتْ: سلامُ الهوى والعفافِ … على قُبلَةٍ فى فمِ الخائفينْ ...

(وزارة المعارف) — محمود حسن اسماعيل

الشاعر والأمة

للأستاذ إيليا أبو ماضي

خير ما يكتبه ذو مرقم ... قصة فيها لقوم تذكره

***

كان في ماضي الليالي أمة ... خلع العز عليها حبره
يجد النازل في أكنافها ... أوجهاً ضاحكة مستبشره
ويسير الطرف من أربابها ... في مغان حاليات نضره
لم يقس شعب إلى أمجادها ... مجدها الباذخ إلا استصغره
همها في العلم تعلي شأنه ... بينها، والجهل تمحو أثره
ما تغيب الشمس إلا أطلعت ... للورى محمدة أو مأثره
فتمنى الصبح تغدو شمسه ... وتمنى الليل تغدو قمره
ومشى الدهر إليها طائعاً ... فمشت تائهة مفتخره

***

كان فيها ملك ذو فطنة ... حازم يصفح عند المقدره
يمشق الأمر الذي تعشقه ... فإذا ما استنكرته استنكره
بلغت في عهده مرتبة ... لم تنلها أمة أو جمهره
فإذا أعطت ضعيفاً موثقاً ... أشفقت أعداؤه أن تخفره
وإذا حاربها طاغية ... كانت الظافرة المنتصره
مات عنها فأقامت ملكاً ... طائش الرأي كثير الثرثره
حوله عصبة سوء كلما ... جاء إدًّا أقبلت معتذره
حسّنت في عينه آثامه ... وإليه نفسه المستكبره
وتمادى القوم في غفلتهم ... فتمادى في الملاهي المنكره
زحزح الأمة عن مركزها ... وطوى رايتها المنتشره
ورأت فيها الليالي مقتلاً ... فرمتها فأصابت مدبره
فهوت عن عرشها مصروعة ... مثلما ترمى بسهم قبّره

***

كان فيها شاعر مشتهر ... ذو قواف بينها مشتهره
كلما هزت يداه وتراً ... هز من كل فؤاد وتره
تعس الحظ وهل أتعس من ... شاعر في أمة محتضره؟
يقرأ الناظر في مقلته ... ثورة ظاهرة مستتره
ما رآه الناس إلا واقفاً ... في مغاني قومه المندثره
حائراً كالريح في أطلالها ... باكياً كالسحب المنهمره
وهي في أهوائها لاهية ... وكذاك الأمة المستهتره
ما رأت مهجته المنفطره ... لا ولا أدمعه المنحدره
فشكاه الشعر مما سامه ... وشكاه الليل مما سهره
ثم لما عبث الناس به ... مزق الطرس وشق المحبره

***

مر يوماً فرأى أشياخها ... جلسوا يبكون عند المقبره
قال: ما بالكم ما خطبكم ... أي كنز في الثرى أو جوهره؟
ومن الثاوي الذي تبكونه ... قيصر أم تبّع أم عنتره؟
قال شيخ منهم محدودب ... ودموع اليأس تغشى بصره:
إن من نبكيه لو أبصره ... قيصر أبصر فيه قيصره
كيف يا جاهل لا تعرفه ... وحداة العيس تروي خبره
هو ملك كان فينا ومضى ... فمضت أيامنا المزدهره
ولبثنا بعده في ظلم ... داجيات فوقنا معتكره
والذي كان بنا «معرفة» ... لصروف الدهر أمسى نكره
فانتهى التاج إلى معتسف ... لم يزل بالتاج حتى نثره
كل ما تصبو إليه نفسه ... مُعْصِر أو خمرة معتصره
مستهين بالليالي وبنا ... مستعين بالطغام الفجره
كلما جاء إليه خائن ... واشياً قرّبه واستوزره
فإذا جاء إليه ناصح ... شك في نياته فانتهره
مستبد باذل في لحظة ... ما ادّخرناه له وادخره
يهب المرء وما يملكه ... وعلى الموهوب أن يستغفره
هزأ الشاعر منهم قائلاً: ... بلغ السوس أصول الشجره
رحمة الله على أسلافكم ... إنهم كانوا تقاة بره
رحمة الله عليهم إنهم ... لم يكونوا أمة منشطره
إن من تبكونه يا سادتي ... كالذي تشكون فيكم بطره
إنما بأس الألى قد سلفوا ... قتل النهمة فيه والشره
فاحبسوا الأدمع في آماقكم ... واتركوا هذي العظام النخره
لو فعلتم فعل أجدادكم ... ما قضى الظالم منكم وطره
مالكم تشكون من محنتكم ... رضتم ألسنكم أن تشكره
وجعلتم منكم عسكره ... وحلفتم أن تطيعوا عسكره
كيف لا يبغي ويطغى آمر ... يتقي أشجعكم أن ينظره
ما استحال المرء ليثاً إنما ... أسد الآجام صارت هرره
وإذا الليث وهت أظفاره ... أنشب السنور فيه ظفره

«الولايات المتحدة» ... إيليا أبو ماضي



الباب المقفل

للأستاذ محمود تيمور بك

ذَهَبَتْ إليه ، وسألته أن يعطيها الكتاب الذى وعدها به

فوقف هنيهة يفكر : أين وضعه ؟ ... ثم تمتم :

لعله فى حجرة البيان !

وتقدمها إلى الحجرة ، فدخلاها . إلا أنها تنبهت إلى شأن غير عادىّ بدر منه ، لقد أقفل الباب بالمفتاح !... فتسارعت دقات قلبها ، واختلست إليه النظر ، فوجدته قد اتجه إلى الخزانة ، واندفع يقلب محتوياتها ...

كيف اجترأ أن يقفل الباب بالمفتاح وهى معه ؟!. من يظنها ؟!

ورمته بنظرة حادة ...

وأبصرت خصلة من شعره الذهبى قد تهدلت على جبهته ...

يا لله ! لم تره على هذه الفتنة قبل الآن ... قامة مبسوطة ، ومنكبان عريضان ، ووجه صبيح عليه طابع الرجولة الحق !

لم تره قبلُ فى هـذه الفتنة ، على أنها نشأت وإياه فى منزل واحد ، وكان يكبرها بعشر سنين ، فهو ينظر دائماً إليها نظرات الأخ الكبير إلى أخته الصغرى ...

ووقع بصرها على خيالها فى المرآة ، فتذكرت معابثته إياها إذ كان يلقبها أحياناً بالضفدع ، لقصر قامتها !

ورفعت عينيها إليه ثانية

ها قد حبسها معه فى حجرة واحدة ، هـذا الفتى المبسوط القامة ، العريض المنكبين ... !

إنه يتظاهر بالبحث عن كتاب ، ويطيل التقليب فيما بين يديه ، وقد يكون الكتاب المقصود على قيد أنملة منه !

ما أجهله بعقول الفتيات !... إنه ما برح يتوهمها طفلة ، على حين أنها استقبلت منذ أيام عامها السادس عشر !

ولكن أية مفاجأة تلك التى يفكر فيها ؟

أهجوم مصحوب بقبلة حرّى ؟

إن يدها على استعداد لدفع هذا الهجوم !

صفعة قوية تثيب إليه رشده ...

وجعلت ترنو إليه ، وهو منهمك يبحث عن الكتاب ، وكان مرتدياً منامة حريرية تتموج على جوانب جسمه الرياضى البديع ، الذى يحسده عليه أجمل كواكب « السينما » ...

وأطالت النظر إلى ساعديه القويين ، فاختلج جسمها بهزة كهربية ...

لقد أنها أخيراً لأمور تتعلق بسلوكها ... أتكون الغيرة قد بدأت تتسلل إلى قلبه ؟!

هو قليل التحدث معها ، ولكنه كثير التفكير والسهوم . وهل تنسى يوم سارقها النظر ، فتضرج وجهها ، فغضب لافتضاح أمره ، ونهرها بشدة ؟!

ما أشد كبرياءه ! ولكنها ستهزم اليوم هـذه الكبرياء هزيمة ساحقة ...

سيجثو تحت قدميها ، ويقول لها : « كم أحبك ... كم أحبك يا عصفورتى الصغيرة !.. فتجيبه ، وهى مهتاجة : « دعنى أخرج !.. افتح لى الباب ... » ثم يمسك بيديها ، ويغمرها بقبلاته وهو يكرر: « ارحمينى ! ... ارحمينى ! ... »

وأخيراً رفع رأسه عن كومة الكتب ، ثم التفت إليها ،

فرآها تبتسم له ، فأجابها بابتسامة سانحة !

تلك هي العاصفة توشك أن تهب ، فلتستعد لها ...

إنها لم تره على هذه الوسامة قط ...

أتراه يفكر في حملها بين ذراعيه ، ثم يقفز بها من النافذة إلى الحديقة ، ثم يظل يعدو بها .. قد يعقد الذعر لسانها ، فلا تستغيث ولا تتحرك . . . فلا يفتأ يجري ويجري . . . فإذا ما امتلكت نفسها ، واستعادت شجاعتها ، وأرادت أن تصيح ، أسكتها بقبلة طويلة !

لم يعد يبحث عن الكتاب ، إنه في تفكير شارد مضطرب . يُعد برنامج الهجوم ... أفلا تتقدم إليه من فورها ، وتباغته بقولها :

لقد كشفت عن خططك ...

سأفسدها عليك . . . افتح الباب ، ودعني أخرج ... » ؟ !

والتفت إليها في هذه اللحظة ، ثم رأته يدنو منها ...

يا لله ! ما أشد خفقان قلبها ! ...

إنها تسبل جفنيها ... !

وسمعته يقول :

هذا هو الكتاب .

فرفعت إليه بصرها ، فإذا به يمد إليها يده بالكتاب الذي كان وعدها به . وقد زوى ما بين حاجبيه ... فأخذته منه في صمت !

وأبصرته يفتح الباب بالمفتاح ، وينفذ منه ، وهو يصيح بالخادم قائلاً :

ألم آمرك غير مرة بإصلاح هذا الباب ؟ إن المرء ليضطر لاستعمال المفتاح كلما دخل أو خرج تفاديا من هذا التيار الشديد ! ...

ثم اختفى عجلاً .

ولبثت الفتاة طويلاً تحدق في الجهة التي اختفى منها ... ثم وقع بصرها عفواً على الكتاب في يدها فاندفعت إلى النافذة ، وقذفت به !

ثم ارتمت على المتكأ ، وانكبت على منديلها تمزقه بأسنانها ...

محمود تيمور



دراسات فى الفن

الفن شعور

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يأبى بعض علماء النفس إلا أن يسرفوا كل الإسراف فى التقيد بالتجارب المادية فلا يرضون أن يقرروا الحقائق النفسية إلا بعد أن يقيسوها ويزنوها بمقاييس وموازين مادية من الأجهزة البارعة التى استحدثوها . وليت أدرى كيف غاب عن هؤلاء العلماء الأجلاء أن المادة لا تستطيع أن تقيس وأن تزن إلا المادة وهم — على ما يعترفون بجهلهم المطبق بالنفس ذاتها — لا يجرؤ أحدهم على القول بأنها مادة . فإذا قال قائل : إن هناك طريقاً غير سراديب المعامل وأقبيتها قد تؤدى إلى بعض العلم بالنفس كان من حسن المجاملة التى يجب على علماء النفس اصطناعها أن يسكتوا عنه — إذا تكبروا عن متابعته — كما سكت عنهم وتركهم يقيسون ويزنون بما يستحدثون ويصنعون مالا يعرفون ولا يعلمون ويقولون مع هذا إنهم علماء ، وإنهم يتهجون فى علمهم النهج القويم الوحيد .

فإذا أرادوا أن يدافعوا عن أنفسهم وقالوا إنهم لم يستحدثوا حدثاً ، ولم يبتدعوا بدعة وإنهم لم ينهجوا فى علم النفس إلا النهج الذى ينهجه العلماء فى بقية العلوم ، وإنهم لا يطلبون شططاً من الناس ولا يحملونهم فوق ما يطيقون حين يسألونهم الإيمان بعلمهم كما يؤمنون بأمور الكهرباء التى يذيعها علماء الطبيعة فيقبلها الناس ويستغلها المخترعون من غير أن يطالبوا علماء الطبيعة بإدراك كنه الكهرباء .... إذا قالوا هذا قلنا لهم : وعلماء الطبيعة مثلكم أيضاً يكتشفون ويخترعون ولكنهم لا يعلمون ، وهم إذا جاز لهم أن يقعدوا عن فهم أسرار الطبيعة الصماء وقنعوا باستغلال قواها مستفيدين آكلين شاربين ، فإن لهم عذرهم فى هذا ما داموا يرون الطبيعة التى يقيسونها ويزنونها بأجهزتهم شيئاً خارجاً عن أنفسهم بعيداً عنهم ، أما أنتم يا علماء النفس فتستطيعون أن تجولوا فى أنفسكم بأنفسكم ولكنكم تزدرون أنفسكم زراية ما بعدها زراية حين تأبون إلا أن تسألوا عنها أجهزتكم ، وأجهزتكم وحدها كالبصر المفتوح العينين الذى يسير فى وضح النهار ويأبى إلا أن يتحسس الأرض بعكازة لها وحدها الأمر فى خطواته ، وهى وحدها التى تأذن له بالتقدم ، وتشير عليه بالتريث ، وتميد به ذات الشمال وتميل به ذات اليمين

ولعل واحداً من علماء النفس الطبيعيين يتواضع ويسألنا عما يمكن أن يسلكه علم النفس من السبل التى قد تصل به إلى العلم الصحيح والتى لا تقف به عند الباب موقف التجسس المريب . هذا ندعوه إلينا ، أو نتطفل عليه فنأتم به ونرجوه أن يقودنا بعلمه وأجهزته ونحن من ورائه تابعون ، ولكن متيقظون

سنسأله أول ما نسأله : أين هى النفس ؟ فإننا لا نستطيع أن نتجه إلى شىء من غير أن نعرف مكانه

وهو عندئذ سيقول : النفس فى الإنسان وفى الحيوان

... فهو رجل طيب متواضع يعترف للحيوان بالنفس بينما غيره من العلماء يجهده هذا الاعتراف ، ولا شك أن حظنا السعيد هو الذى هدانا إلى هذا العالم الطيب المتواضع ، فعلينا إذن أن نشكره كل الشكر لأنه لم يترفع بجنسه على الحيوان ، ثم إن علينا بعد ذلك أن نمضى فى البحث عن العلم فنوجه إليه السؤال الجديد

— أليس هناك فرق بين نفس الإنسان ونفس الحيوان ؟

وهنا سيطرق أستاذنا قليلاً ثم يقول :

— إن هناك فرقاً من غير شك . فالإنسان عاقل والحيوان غير عاقل ... ونحن نفرح بالحق ، فلا نملك إلا أن نعترف لأستاذنا بأن ما يقوله صحيح ، ولكننا ملحون نريد أن نمضي في الطريق ما دمنا نستطيع أن نمضي فيه ، فنخطو وراء أستاذنا خطوة جديدة لنقف به أمام سؤال جديد فنقول له :

— إن الطبيعة حين تودع كائناً ما قوة من القوى فإنها تقصد من هذا أن ينتفع هذا الكائن بهذه القوة ، والذي لا شك فيه هو أن الإنسان انتفع في حياته بعقله ، ولكننا لا نشك أيضاً في أن هذا العقل يلتوى على الإنسان في كثير من الأحوال فيضره بل إنه يبسط أذاه على الآخرين ، كما أنه يحار أحياناً في تصريف أمور صاحبه فيرتبك ويضطرب ويصيب أحياناً ويفشل أحياناً ، بينما نرى الحيوان يقضي طول حياته لا يؤذى نفسه ، ولا يلحق الضرر بفصيلته ، ولا يعجز عن حفظ حياته ، ولا يضطرب ولا يرتبك إلا عند ما يدهمه ظرف خاص غريب على الطبيعة فلا بد إذن أن يكون في الحيوان شيء آخر غير العقل هو الذي يصونه هذه الصيانة ، ويحفظه هذا الحفظ ويقوده إلى السلامة ، ولا بد أن يكون هذا الشيء أنفع من العقل ... فهل هو موجود عند الإنسان أو مفقود ؟ فإذا كان موجوداً فلماذا يغفله الإنسان ولا ينتفع به ؟

ويهتز أستاذنا حينئذ طرباً لأنه تمكن من مغمز في كلامنا فهو يأخذ بخناقنا ويقول : إن الإنسان أيضاً لا يرتبك ولا يضطرب ولا يعجز عن صيانة نفسه وحفظها إلا إذا دهمه طارئ غريب على الطبيعة

فنبتسم نحن في دورنا ونسلم له بهذا جدلاً مع أنه كلام مبتور ولكننا نسأله :

— ما بال الإنسان إذن يكثر من صناعة العجائب والغرائب بعقله ، وما باله يتعمد الحيدة عن الطبيعة ، وفي هذه الحيدة الأذى والضرر ... لا بد أن يكون العقل إذن هو الجنون

ويزور أستاذنا عن هذه النتيجة فيعبث بلحيته قليلاً ثم يسعل سعلتين ، ومع أنه رجل طيب متواضع إلا أنه عالم يعتمد في علمه على العقل ، وعلى العقل وحده ، فإذا آمن معنا بأن العقل جنون كان عليه أن يغيب عنا ساعة يمزق فيها كتبه ، ويحطم فيها أجهزته ثم يعود إلينا نحن الجهلاء ليجلس إلى جانبنا معتمداً رأسه بكفه ينتظر الفيض من الكريم ... عز على أستاذنا الطيب المتواضع أن يغيب عنا هذه الساعة لأنه فيما يظهر أحبنا ولم يعد يطيق البعد عنا ... ونحن قوم نستجدى الله عطف المحبين

انتصب الرجل ، وتحجرت عضلاته — فتحجرت نفسه — ووضع يديه في وسطه وهز لنا رأسه وقد ركبته كبرياء العلم وزجرنا متسائلاً ، أو سألنا زاجراً :

— والآن ماذا تريدون ؟

نخفضنا الأرؤس ذلاً ورجاء ، وزفرناها جميعاً قائلين :

— اللهم إنا لا نطلب إلا الهدى فاجعلنا من المهتدين

فسألنا ساخراً :

— ومن يهديكم غير عقولكم ؟

فقلنا : — قد رأينا العقلاء مجانين

فقال : — وكيف إذن تهتدون ؟!

فقلنا : — لا بأس في أن نتعلم من غير العاقلين ، هذا هو الحيوان يجوع فيسعى إلى الطعام ، ويظمأ فيطلب الماء ، ويحن إلى الأنثى فيدلونه إليها ، وتزيد نشاطه فيلعب ، ويتعب فينام ، ويطمئن فيهدأ ، ويخاف فيتقي ما يخاف ، ويستطيب فيألف ، ويستنكر فينفر ، ويصح فيعتدل ، ويعتدل فيصح ، فإن مرض عالج نفسه بنفسه ، وهو لا يمرض إلا إذا ألم به ما هو غريب على الطبيعة ، وحياة الحيوان بهذا كحياة الإنسان فيها كل مظاهر الحياة ، وفيها كل معاني الحياة ، وليست تنقص عن حياة الإنسان إلا هذه العقد التي أنشأها العقل . فهي لا يمكن أن تعاب بهذا النقص لأن فيه سلامتها ؛ فما الذي يدبر هذه السلامة لها ... هذا يا أستاذنا هو السؤال الذي نحب أن نبدأ به جدلنا ...

... وأصاب أستاذنا الرد سريعاً فأجاب : إنها الغرائز ، أي نعم الغرائز . فالحيوان ينقاد لغرائزه في حياته فيسلم ما دامت حياته طبيعية لا تمتد إليها المؤثرات المصطنعة ...

... وهذا كلام طيب لا نستطيع نحن الجهلاء أن ندفعه . فعلماء النفس عندهم مقاييس وموازين وأجهزة أثبتوا بها أن الحيوان

يعيش بالغرائز ، ويحفظ نفسه طول حياته بالغرائز ؛ ثم يموت أيضاً بالغرائز . . . ولكننا نرى في حياة الحيوان أعاجيب تشهد بأن الحيوان يدرك من أسرار الطبيعة ما لا يدركه العقلاء بعقولهم ، ولما كان علماء النفس لا يقولون إن غرائز الحيوان تزيد على غرائز الإنسان شيئاً لم نر بداً من أن نسأل أستاذنا سؤالاً رأيناه يرتمش قبل أن نسوقه إلى مقام الأستاذ ، ولكننا سقناه فسألناه : هل في غرائز الحيوان ما يدعى «غريزة الغيب» ؟!

فأسرع أستاذنا ولطمنا معترضاً : وهل ترون الحيوان يدرك الغيب ؟

فقلنا والخجل يكاد يخنقنا : نعم . فالحيوان يبدر منه أحياناً ما يدل على أنه يدرك ما يشبه الغيب ، أو أنه يشبه أن يدرك الغيب

عندئذ نفخ أستاذنا وقال : مثال ذلك ؟

فحمدنا الله لأنه لم يتعجل فينكر علينا دعوانا قبل أن نحاول إثباتها ، فقد تعودنا من كثيرين من العلماء الذين يشغفون بالمقاييس والموازين والأجهزة أن ينكروا كل ما يعتصم على مقاييسهم وموازينهم وأجهزتهم ... استبشرنا وتوقعنا الخير ، وقلنا عساه يريد أن ينزل عن علمه وأن يسلك معنا طريق الفن أو طريق الجهل ، وأسرعنا فضربنا له المثل قائلين :

— يحدث في ليلة العيد الكبير في مدن المسلمين أن يرتفع ثغاء الأضاحي أكثر من ارتفاعه في الليالي السابقة ، وأكثر بيوت المسلمين تختزن أضاحيها قبل ليلة العيد بليال عدة ليلعب الأطفال معها قبل أن يأكلوا منها ... فلماذا يتزايد ثغاء الأضاحي ليلة العيد ، ولماذا تلمس فيه الأذن الحساسة معاني الاستغاثة والشكوى والفزع واليأس ؟

... وطاب هذا السؤال لأستاذنا نكتة فراح يضحك ويقهقه ويقول :

— وماذا أيضاً ؟!

... وجدنا نحن سنداً لملحوظتنا هذه في ملحوظة أخرى فرضناها هي أيضاً عساها ترد سخريته واستهزاءه فقلنا :

— ويحدث أن يموء القط وأن يعوى الكلب في بيت المحتضر قبيل الوفاة بزمن قليل . فلماذا يموء القط وقتئذ ، ولماذا تلمس الأذن الحساسة معاني الموت والإنذار ، في مواء القط وفي عواء الكلب ؟

... فلما رأى أستاذنا أننا مصرون على المضي في سبيلنا عدل عن التهكم بالضحك إلى التهكم بالكلام فقال :

— كأني بكم كأولئك المخرفين الذين يلصقون ببعض الحيوان الشؤم ، فيتطيرون منه جرياً وراء الذي روجه القدماء الجهلاء عن هذا الحيوان من حديث الشؤم والنبوء .

... ولم نر نحن في هذا عيباً ، فنحن لا نشك في أن حضارتنا زادت على حضارة القدماء ، ولكننا نرى في هذه الحضارة تنائياً عن الطبيعة ، فالمتحضرون لا يمارسون الاحتكاك بالطبيعة والتفاعل معها مثلما يفعل الهمج والبدو ، وهذه المسألة التي نحن بصددها من مسائل الطبيعة المحضة لا من مسائل الحضارة ، فلا يبعد أن يكون الأقدمون الأقربون من الطبيعة قد اهتدوا إلى سرها بينما ابتعدنا نحن عن هذا السر بحضارتنا التي أضرمت الغرور في عقولنا فلم نعد نكلف أنفسنا مؤونة البحث في علوم القدماء وقنعنا باتهامهم بالتخريف لأننا رأيناهم تخبطوا أمام بعض الحقائق وعجزوا عن الوصول إليها بينما أتيح لنا نحن أن نكشفها ، فساقنا هذا إلى أن نتهم علومهم جميعاً بهذا التخريف مع أننا عاجزون إلى اليوم عن إدراك بعض ما اهتدى إليه الأقدمون

أما نحن الجهلاء فإننا لا نزدري الأقدمين كما أننا لا نزدري المحدثين ، وإنما نطلب الحكمة عند هؤلاء كما نطلبها عند هؤلاء ، ونكتفي بالتحنيط الفرعوني شاهداً على اهتداء الأقدمين لتخفض الرؤوس أمامهم بالاحترام والتقدير .

فقلنا لأستاذنا : فلندع هؤلاء المخرفين وغرباانهم تنعق فوق رؤوسهم أو فوق رؤوسنا حيثما طاب لها النعيق ، ولنحاول تعليل هذا الذي نراه في أضاحي العيد ، وهو شيء لا يمكن أن ينكر ، ولنحاول معه تعليل هذا الذي نراه من القط والكلب في بيت المحتضر قبيل وفاته ... هل في علمكم هذا التعليل ؟ وهل هي أيضاً غريزة تنذر الحيوان بالغيب ، أو ماذا تقولون ؟!

فلم يهن على أستاذنا أن يكف عن القول ... قال :

— إن الأضاحي تثغو ليلة العيد ، ويزيد ثغاؤها مصادفة ،

وبالمصادفة أيضاً يموء القط ، ويعوى الكلب فى بيت المحتضر قبيل الوفاة .

... وهكذا العلماء . كلما حيرتهم ظاهرة من الظواهر عللوها بالمصادفة ، ولم يفكر واحد منهم أن يبحث للمصادفات عن قانون ! ولماذا لا يكون للمصادفات قانون ، ولكل شيء فى هذا الوجود قانون ؟ . اللهم هديك ! على أننا مؤمنون بأن الظاهرتين اللتين أوردناها لسيدنا العالم ليستا مما يخضع لقانون المصادفات ، فليس الذى يتكرر فى ملابساته تكراراً متواصلاً مستمراً بالذى يدخل فى حساب المصادفات مهما أصر سيدنا الأستاذ على ما يقول ...

ومع هذا فقد أمسكنا عن مناقشته فيه نحن لا نستطيع أن نقنع المكابر بأن البيضة من الدجاجة وأن الدجاجة من البيضة إذا أصر على أن يقول إنها المصادفة وحدها هى التى تخرج إحداها من الأخرى، فانتقلنا به من هذا إلى ما ذكرناه من تعبير ثغاء الأضاحى الهاتفة مصادفة فقط ليلة العيد بالاستغاثة والفزع والشكوى وغير ذلك من المعانى التى يمكن أن تضطرب فى نفس المسوق إلى الموت، سألناه عن هذه المعانى : ألا يستشعرها ؟ فضحك وقال :

— وهل تشعرون أنتم بها ؟

فقلنا : نعم والحمد لله ، وإنك أيضاً تستطيع يا أستاذنا الجليل أن تستشعرها إذا أردت ، وإن كنت تأبى أن تشعر إلا بمقاييس وموازين وأجهزة فإنك تستطيع أن تكتب ما شئت من ثغاء هذه الأضاحى بالنوتة الموسيقية ، وتستطيع أن تطلب من عازف فنان أن يعيدها على سمعك بآلة يشبه صوتها صوت الخراف ، ولعل الفيلونسيل هو أقرب الآلات الموسيقية إلى تقليد هذه الأصوات ، فإذا لم يشعرك الفيلونسيل بهذه المعانى التى تحدثك عنها ، فإنه عجز المادة عن قياس النفس ووزنها ، ولا بد لك إذن من الاستعانة بجهاز يشبه الحيوان من حيث وجود النفس فيه ، ولكن هذا الجهاز إنساناً مغنياً ؛ أو إنساناً ممثلاً تطلب منه أن يقلد لك أصوات الخراف ليلة العيد تقليداً أميناً فيه الصوت وفيه ما يبعث الصوت من الشعور .

... وهنا تعجل أستاذنا وقطع علينا الطريق متسائلاً :

— فإذا لم أشعر بما تشعرون ؟

فقذفنا بها عندئذ مجبرين وقلناها محرجين :

— لا يمكن أن يكون هذا إلا إذا كان فى الناس فريق يشعرون وفريق لا يشعرون وإن كانوا يعقلون .

... وعادت إلى الأستاذ طيبته ، وعاد إليه تواضعه فسألنا كمن يريد أن يعرف :

وهل فى الناس حقاً من يشعرون ؟

ولم ندهش لهذا السؤال ، فقد صدر من عالم ، فقلنا له : نعم يا سيدنا الأستاذ . نقسم لك بالله أن فى الناس من يشعرون بأضاحى العيد . بل إن فيهم من يشعر كأضاحى العيد .

.. فذعر الأستاذ لهذا ، وضاق عقله عنه ، وسال من فمه سؤال أبله معتوه وقال : إذا كان هذا حقاً ... فكيف يحدث ... هل تعرفون ؟ !

فتبادلنا فيما بيننا النظرات لأننا كنا نظن أن العلماء مهما جمدوا بعقولهم دون الحق فإنهم يستطيعون أن يستنبطوا أسباب الظاهر التى يلمسونها ما دامت ظاهرة لهم ، وما داموا يلمسونها ، وما دامت لهم عقول ، وما داموا يقولون إن عقولهم تكفيهم وتهديهم وتلبى مطالبهم وحاجاتهم ... وكنا نظن هذا لأننا نسينا أن سادتنا العلماء ينفضون أيديهم من العلم ما انفلتوا من معاملهم وما نفضوا أيديهم من مقاييسهم وموازينهم وأجهزتهم ... وجل من لا ينسى ... ولكننا عدنا فذكرناه وقلنا لسيدنا الذى هجر الشعر رأسه إلى لحيته :

— أنتم صدقتم داروين حين قال لكم إن بدن الإنسان تطور من بدن الحيوان ، ثم صدقتم علماء آخرين قالوا لكم إن جنين الإنسان يمر فى بطن أمه بالأدوار التى مرت بها الإنسانية فى سلسلة رقيها ، فهو يبدأ خلية ثم دودة ثم زاحفة حتى يتم تكونه الإنسانى فينقذف إلى الحياة إنساناً ولكنه يمشى على أربع ، إنساناً ولكنه أبكم ، إنساناً ولكنه بلا عقل . فلماذا لا تتأملون هذا الإنسان العجيب ، ولماذا ترضون أن يكون الجنين تلخيصاً للرقى البدنى البشرى ، ولا يخطر فى بالكم أن حياة الطفولة تلخيص هى أيضاً للرقى الروحى البشرى ، وأن الطفل فيها يتخلص من بعض الخصائص ويستكمل خصائص أخرى غيرها ، ولماذا لا تدرسون المرحلة الأولى التى يتجلى فيها العقل عند الطفل وترون على حساب



نحو فلسفة جديدة

للدكتور محمد محمود غالى

الحركة « البراونية » — عمل كوتون وموتون — مشاهدات بيران — المجهودات الأولى لأينشتاين — توحيد الظواهر الطبيعية — غاية العلوم

حدثنا القارئ عن فلسفة ليبنز Liebnez بأن الحرارة عنده هي الحركة، وذكرنا أن جزيئات جميع الأجسام في حركة مستمرة وهي الظاهرة المعروفة بالحركة « البراونية » نسبة إلى العالم « براون »، وعند ظني أن الذين يبحثون عن الحركة الدائمة يجدونها في جزيئات أية مادة تقع عليها العين، فهي في حركة دائمة لا تعرف للسكون سبيلاً، وهذه الحركة تحدث فينا شعوراً نسميه الحرارة، هو حركة جزيئات الجسم لا أكثر ولا أقل،

وكما أنه لا يوجد جسم دون أن يكون له حرارة معينة كذلك لا يوجد جسم لا تتحرك جزيئاته بسرعة معينة، وعند ما نصف أى جسم بالبرودة الشديدة فإنه على درجة من الحرارة مهما انخفضت عن الصفر الحرارى العادى فإنها تفوق الصفر المطلق

وهكذا عند ما تحقق للعالم المعروف « دى باى » فى السنين الأخيرة الحصول على درجة — ٢٧١° ، أى درجتين فوق الصفر المطلق فإنه بقى لجزيئات المادة عند هذه الدرجة الخفيضة نوع من الذبذبة لازمها دائماً على ضعف مقداره

قد يقسو علينا الشتاء وتبرد الكائنات وتحرمنا الشمس الجزء الأكبر من حرارتها لبعدنا عنها فى هذه اللحظة المعينة من السنة، وقد يتجمد معظم حاجاتنا ... أجل أذكر فى شتاء سنة ١٩٢٩ وكنت أقطن ضاحية « مونت روج » من ضواحى باريس — أن تجمد كل ما نحتاج إليه مما يباع عند البدال، فاللبن والزيت وكل ما يباع سائلاً تجمد وأضحى فى عداد الأجسام الصلبة

أى شىء يتجلى هذا العقل، وما الذى يستره من نفس الطفل كلما ازدهى وازدهر وساير الحياة العاقلة؟ ولماذا لا تتابعون فى الطفل ائتلافه بالطبيعة لتروا كيف يضمحل هذا الائتلاف عن بعض الأطفال وكيف ينمو عن الآخرين؟ ولماذا لا تحاولون أن تفسروا ما يتاح لبعض الناس من القوة على إدراك أسرار الطبيعة بشعورهم بينما لا تتاح هذه القوة لغيرهم؟

أليس هذا كله مما يصلح للدرس؟!..

ثم ألا تلحظون أن الأطفال يهجمون على حقائق الحياة الطبيعية غير محاذرين ولا مشفقين لا لشىء إلا لأنهم لا يعقلون، وأنهم يقيسون الأشياء ويزنون الناس بشعورهم « لا بعقولهم » فيصدق قياسهم ويصدق حكمهم أكثر مما يصدق قياس الكبار العقلاء وحكمهم. لا لشىء إلا أن الكبار يزحمون أنفسهم بمعايير مصطنعة يقدرون بها الحقائق ويزنون بها الأشياء، وكثرة هذه المعايير واضطرابها هما اللذان يورثان أحكامهم وتصرفاتهم الغلط والشطط

لماذا لا تفكرون فى هذا يا سادتنا العلماء؟ ولماذا تغفلون شعوركم وشعور الناس؟!

فأطرق الأستاذ مرة أخرى. ولكن إطراقته طالت هذه المرة ما شاء علمه وتفكيره أن تطول... ثم رفع رأسه وقال:

— وهل هناك من يجول فى ميادين الشعور؟

فقلنا غير مفاخرين:

— نعم إنهم أهل الفنون وهم الذين يرق شعورهم كما يرق عقلهم فيحتفظون بتوازنهم الإنسانى ولا يعطلون بإرادتهم ولا بالجشع المادى قوة روحها تحفظ حياة الحيوان وتصونه وتهديه، فما بالك لو صاحبها العقل والتفكير السليم...

عزيز أحمد فهمى

حتى مياه المنزل داخل المواسير ومياه نهر السين تحولت وباتت جسما صلباً لا يتحرك ، ولكن جزيئات هذه الأجسام على برودتها الشديدة التي بلغت فى بعض الأيام عشرين درجة تحت الصفر احتفظت بنوع من الذبذبة هو دليل حرارتها مهما كانت منخفضة

هذه الحركة الدائمة فى الغازات والسوائل والذبذبة المستمرة فى الأجسام الصلبة أصبحت من الأمور التى لا تقبل الجدل ، وقد سألنى بعض القراء الذين تابعوا مقالاتى هل توصل العلماء إلى رؤية حركة الجزيئات داخل الأجسام أو أنهم اعتبروا هذه الحركة موجودة لأنها حققت الكثير من الظواهر الطبيعية ؟ وبعبارة أخرى ، هل هذه الحركة مجرد فروض علمية أو هى حقيقة واقعة يمكن أن ترى أثرها العين ؟ هل من سبيل أن نرى مثلاً حركة الجزيئات فى نقطة من الماء ؟

وجوابى أن هذه الحركة بين الجزيئات حقيقية يمكن أن نرى أثرها ، وأنه من الأمور العادية أن تقوم داخل المخبر ببعض التجارب التى ترى خلالها أثر حركة الجزيئات داخل السوائل وتصادمها مع غيرها ، وهكذا عند ما ذكرنا فى مقال سابق نقطة الماء على ورقة من الشجر داخل حديقة ساكنة ، وقلنا إن هذه النقطة بعيدة جد البعد عن السكون وأنها مكونة من ملايين العوالم وأن كل عالم منها فى حركة دائمة ، كنا رأينا كغيرنا الحركة الناتجة من اصطدام هذه العوالم بعضها بالبعض ، وما على الذين يريدون أن يستمتعوا برؤية أثر هذه الحركة الداخلية بين الجزيئات إلا أن يمزجوا بهذه النقطة من الماء نقطة من سائل كولويدى أى مكون من الجسيمات الصغيرة المعلقة كمحلول البرمنجانات أو الحبر ويفحصوا المخلوط الجديد تحت الألترامكروسكوب .

إن هذه الجسيمات الغريبة من البرمنجانات أو الحبر تقع بين ملايين العوالم المكونة لنقطة الماء ، تلك العوالم التى تتحرك دائماً حركة لا يؤثر عليها سكون الحديقة ولا يغير فيها تعاقب الليل والنهار ، وهى بهذا تصطدم مع الجسيمات الداخلة بينها والتى نرى حركتها بشكل واضح

أذكر يوماً تقدمت فيه للأستاذ كوتون رئيس المجمع العلمى الفرنسى لأقوم بأبحاث طبيعية فى مخبره بالسوربون . قدمنى الأستاذ الكبير لزميله موتون واقترحا على فى ذلك الحين أن أشتغل قليلاً ببعض العمليات الألترامكروسكوبية ، وهكذا ظللت أعمل بضعة أيام بذلك الألترامكروسكوب التاريخى الذى كان من اكتشافهما.

كل من يطالع اليوم التاريخ المجيد الذى حازته العلوم الطبيعية فى القرن الحالى يعلم أن فى أوائل هذا القرن نشر الشابان كوتون وموتون طريقتهما الجديدة فى رؤية الأشياء الصغيرة التى لا يراها الميكروسكوب العادى وأن لهما فى ذلك أبحاثاً هامة[١]

إن العين تتأثر بأشعة الضوء عند ما تقع طول موجاته بين حدود معينة هى من $\frac{٤}{١٠٠٠٠}$ إلى $\frac{٨}{١٠٠٠٠}$ من الليمتر ، بحيث أنه يمكن للعين أن ترى الجسيمات الصغيرة بواسطة الميكروسكوب ما دامت لا تصغر هذه الجسيمات عن حد معين مرتبط بطول موجة الضوء المرئى ، ولكن كثيراً من الجسيمات التى نصادفها تقل عن هذا الحد من الصغر ، لهذا وقف فى بادئ الأمر التقدم الطبيعى عند هذه الحدود

إن جسيما يقل فى العادة عن $\frac{١}{١٠}$ أو $\frac{١}{٢٠}$ من الميكرون (الميكرون $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الليمتر) لا يعطينا بالميكروسكوب صورة واضحة للجسيم ، ولا يمكن بمجرد النظر فصل أجزائه المختلفة ، ولكن كوتون وموتون فهما أننا لا نرى فى السماء الكواكب بذاتها وإنما نرى مواضعها ، وهكذا استطاعا بإنارة معينة أن يريا فى مجال الميكروسكوب الجسيمات المتناهية فى الصغر ، وأدركا أن هذا الجسيم الذى لا نراه بالميكرسكوب إذا أضيء إضاءة جانبية مماسة يرسل فى كل الجهات أشعة مبعثرة Diffractés ، بحيث يظهر فى الميكروسكوب بقعة مضيئة لا تشبه الجسيم ، ولكن تدل على وجوده .

وتتلخص تجربتهما فى أنهما وضعا نقطة من السائل المراد فحصه ، والحامل للجسيمات الكولويدية على كتلة من الزجاج ووضعا عليها شقفة[٢] رفيعة من الزجاج ، وقد استعملا لإنارة السائل قوساً كهربائياً من الفحم[٣] بحيث كونا صورة طرفى الفحم المضيء داخل نقطة السائل المراد فحصها ، والموضوعة على كتلة الزجاج ، وتحت الشقفة فى محور الميكروسكوب .

على أن الجزء الهام فى تجارب كوتون وموتون هو أن الأشعة

(١) يرى القارئ طريقة كوتون وموتون فى كل المراجع العلمية كما يراها مشروحة شرحا وافيا فى كتاب الألترامكروسكوب والأشياء المكروسكوبية لكوتون وموتون . الطابع ماسون باريز سنة ١٩٠٦

(٢) نقصد بالشقفة اللوحة الزجاجية الرفيعة المستعملة لحمل العينات الألترامكروسكوبية وتسمى بالانجليزية Slide وبالفرنسية Lamelle

(٣) كل شخص يستطيع أن يصنع بنفسه قوسا كهربائيا (المستعمل فى الفانوس السحرى) بأن يضع عمودين من الفحم من نوع خاص متقاربين ويمرر بينهما تيارا كهربائيا فيتكون فى طرفيهما شرارة قوية مستمرة

مائلة للدرجة التي يحدث فيها الانعكاس الكلي Réflexion totale على السطح الفاصل بين الهواء والشقفة الزجاجية بحيث لا يصل إلى الميكروسكوب إلا الضوء المنبعث من الجسيمات الألترامیکروسکوبية التي نراها في هذه الحالة كما نرى النجوم ، ويعتقد زيجموندى Zeigmondi أنه استطاع أن يعرف وجود جسيمات من الذهب يبلغ قطرها ـــــ من الميكرون أي أصغر بكثير من واحد على مليون من الليمتر

إنه لمشهد رائع أن ترى هذه النجوم تروح وتجيء وترتفع وتهبط ويطول سيرها طوراً ويقصر تارة أخرى وهى بهذا تذكرنا بالناورات الليلية البديعة التي يقوم بها سلاح الطيران المصرى خاصة بالكشف عن الطائرات ، فهذه النقط المضيئة في السائل تشبه الطائرات المرتفعة ليلاً في كبد السماء عند ما يقع على إحداها أنوار الكشافات من كل صوب ، فاننا نرى جسماً ساطعاً في السماء يتحرك جيئة وذهاباً وهى تسطع كالنجوم في الليل الدامس

وهكذا عند ما صعدت إلى تلك الغرفة أول مرة لأقوم فيها ببعض التجارب على هـذا الجهاز التاريخي رأيت في نقطة من المحلول الكولويدى السماء كأنها ترتسم أمامى ... رأيت في النقطة الصغيرة الجسيمات كالنجوم الساطعة في ليلة حالكة مع هذا الفارق وهو أن الأجرام الصغيرة داخل النقطة في حركة دائمة شاءتها أسباب طبيعية كما شاءت أسباب فوتوكيميائية «للمابوش» المسكين أن يجتمع مجبراً ويدور قسراً ويتصادم عفواً طول الليل حول المصباح المتألق

على أن ما يجعل لهذه التجارب أثراً في نفسى أنني لم أقم بها على الألترامیکروسکوب التاريخي فحسب ، بل في ذات الحجرة المتواضعة التي أجرى فيها « جان بيران » تجاربه الخالدة ، تلك التجارب الخاصة بالحركة البراونية ، والتي استعمل فيها الجهاز الألترامیکروسکوبي المتقدم الذكر ، ففى هذه الحجرة المتواضعة الواقعة في الطابق الثالث من السوربون ، والتي تطل على مكتب ريد الحي اللاتيني في شارع كيجا ، استطاع جان بيران أن يبين بطريقة تدعو للإعجاب شحنة الألكترون ، وهى الطريقة التي سنشرحها للقارئ عند ما ننتهي من الكلام عن الجزيء والذرة وتشريح الألكترون

وقد تتبع بيران حركة الجزيئات أياماً طويلة واستطاع بالاستعانة بقوانين وضعها العالم الكبير أينشتاين ، قوانين كانت باكورة أعماله في سنة ١٩٠٦ ، أن يعطي أهم النتائج التي نعرفها عن الحركة البراونية أو الداخلية للأجسام ، تلك الحركة التي اكتشف فيها توزيعاً لوغاريتمياً يشبه التوزيع الذي اكتشفه لابلاس لجزيئات الهواء ، وهذه التجارب الأخيرة جزء من الأعمال التي أتمها بيران في سنة ١٩٠٩ والتي منحه من أجلها المجمع السويدى جائزة نوبل للطبيعة لعشرين عاماً بعد ذلك التاريخ

وهكذا يستطيع اليوم أي طبيب بعيد عن المختبرات أن يعيد تجارب كوتون وموتون بأن يكوّن داخل النقطة المراد فحصها صورة مصباح على طريقتهما ، ويتأمل الحركة الأبدية داخل أصغر نقطة من رذاذ الماء

وهكذا نجحت طريقة كوتون وموتون اللذين فهما من أول لحظة أنه لا بد في فكرة إنارة الجسيمات من وجود طريقة لرؤيتها ، وهكذا يتعلق النجاح في الأعمال على درجة فهم الإنسان لأصول الأشياء ودرجة إدراكه للحقائق ، وعند ظنى أن شيلز وشيل وودجود[1] الذين مهدوا لاكتشاف جهاز التصوير الشمسى بأبحاثهم الخاصة بأثر الضوء على نترات الفضة ، أدركوا قبل كل شيء أن في أشعة الشمس أسراراً تمكننا من أن نرى الأشياء مرة أخرى[2] بل أن ليبان Lippmanni أستاذ السوربون لم يكتشف فيما بعد التصوير الشمسى بالألوان إلا لأنه فهم بدرجة دقيقة فكرة التداخل الموجى للضوء Intérférence

* * *

نعود الآن بالقارئ إلى فكرة ليبنز Leibniz من أن الحركة بين جزيئات السائل التي ذكرت للقارئ إمكان رؤيتها عملياً ، لا تسبب الحرارة بل إنها هى الحرارة نفسها ، فنقرر أن اختلاف إحساسنا للحرارة عن إحساسنا للحركة لا يدل على أن الظاهرتين مختلفتان ، والواقع أن بين أعصابنا ما يجعل شعورنا يختلف إزاء الحركة أو الذبذبة المستمرة للجزيئات ، فلا نسجلها كشعور للضغط ولكن كشعور لكمية جديدة نسميها الحرارة

هذا الجمع بين الظاهرتين في ظاهرة واحدة يعد تقدماً كبيراً للعلوم وللانسان وريث هذه العلوم ، ولا شك أن النجاح العلمى معقود اليوم على ربط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض وإرجاعها ما أمكن إلى أصل واحد ، وعند ظنى أن ليبنز وبيران وغيرهما

(١) قام شيلز J. H. Chulze بتجاربه في سنة ١٧٢٧ وشيل K. Chule بتجاربه في سنة ١٧٧٧ وودجود T. Wedgood في سنة ١٨٠٢

(٢) مما هو جدير بالذكر أن جهاز التصوير الشمسى يستند في أسسه على فكرة قديمة للخازن أو ابن الهيثم في سنة ١١٠٠

يقدمون بهذا النوع من التوحيد في الظواهر الطبيعية من الخدمات للإنسان أكثر من هؤلاء الذين اخترعوا لنا القاطرة أو الطائرة

أن تترك على جريدة موضوعة على منضدة كوباً من الماء فيهب النسيم بشدة على هذه الجريدة فيرفعها بعنف ويرفع معها الكوب فيقع على الأرض ويتدفق منه الماء — أمر لا يدهش . ولكن أن نعرف حركة ما بداخل الكوب من جزيئات ونعرف أن هذه الحركة هي ظاهرة الحرارة — أمر يعتبر في صميم تقدم معارف البشر

كذلك أن نرفعنا قطعة من الألومنيوم ، رتبنا فيها مقاعد للجلوس ، من الأرض إلى طبقات الهواء ، وأن نجعل الظروف الطبيعية التي وقعت على الجريدة والكوب من رفع الهواء لها ظروفاً مستمرة بالنسبة لقطعة الألومنيوم فنسافر على هذه القطعة من القاهرة إلى الإسكندرية أو من القاهرة إلى لوندرة وذلك بالسيطرة على عاملين: العامل الأول دائرة كارنو واحتراق البنزين، والعامل الثاني دوران المروحة Helice لدفع الهواء — مسائل يجب ألا تدهشنا ولا نعتبر أنها ذهبت بنا بعيداً في التقدم — وأما أن نعرف ما يدعونا إليه ليبنز وأمثاله ، وأما أن نعرف طبائع المسائل ونرجع بالظواهر إلى صورها الحقيقية، وأما أن نحاول توحيداً في ظواهر الكون، فإن هذه خطوات جريئة إلى الأمام .

***

وعند ظني أنه في اليوم الذي يُرجع فيه العلماء كل مظاهر الكون إلى قليل من الظواهر ، وكل جزيئاته إلى قليل من العوامل والمكونات الأولى، نكون قد صعدنا أرفع الدرجات في سلم المعرفة

أجل : إن في اليوم الذي نُرجع فيه كل ما في الكون من مادة حية وأخرى عديمة الحياة من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، من كل مظاهر الضوء والمادة والكهرباء بل والقوى ، إلى حوادث زمنية مكانية Spaço - temporel يلعب على مسرحها عدد قليل من المكونات التي يغلب على ظني أنها لا تتعدى الألكترون والبوزيتون والفوتون والنيترون نكون قد سرنا بالعلوم إلى أقصى الدرجات وبالفلسفة إلى أعلى المراتب بحيث يصبح كل ما نراه ونسمعه ونشعر به، وكل ما يخطر على بالنا ويجول بأنفسنا يجد تفسيراً مادياً في اختلاف موضعي وزمني لهذه المكونات وما يتفرع منها

عندئذ نكون قد فهمنا من الكون أكثر مما نفهمه اليوم . ولو أننا وُفقنا بعد ذلك إلى التغلغل في معرفة حقيقة الزمن والحيز فإن التقدم عند ذلك يفوق كل قدر

لا شك أن ليبنز وبيران وغيرهما خطوا بنا في هذا السبيل . لقد أردت أن أتحدث إلى القارئ عن نتائج فلسفة ليبنز فأحدثه عن عمل « ماير » و « بولتزمان » ولكن تجارب كوتون وموتون الإيجابية وأسئلة القراء التي تكرموا بتوجيهها إلينا والرد عليها بذكر تلك التجارب التي تعد آية في العلم التجريبي طغت على كل تفكير ، لذلك آخذ العدة لما فاتني في مقال آخر .

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

من هنا ومن هناك

نابليون العرب – عن مجلة «فى VU» الباريسية

ابن السعود، وهو يحكم منطقة تتناول المناطق المجاورة له جميعاً، ويملك جيشاً كبيراً مجهزاً بالأسلحة الحديثة، ويستمتع بشهرة عظيمة بين الممالك الإسلامية بقدرته على حماية الأماكن المقدسة، سيكون له تأثير كبير ونفوذ دائم على الشرق الأدنى

لذلك يلجأ إليه كل من تحدثه نفسه بالشئون السياسية فى تلك البلاد

وهو رجل قوى رزين لا يطلع أحداً على أسراره، حتى أخص أصدقائه ومعاونيه أمثال عبد الله الفادى وحافظ وهبة

وابن السعود مسلم محافظ يحكم بقواعد القرآن وتعاليمه. وهو لا يشرب الخمر ولا يدخن، ويؤدى فروضه الدينية خمس مرات فى اليوم. ويزيد طوله قدماً على المستوى المألوف فى الرجال. جميل الطلعة ذو لحية وأنف طويل، وفم عريض يدل على القوة والمرح

وقد مرض مرضاً طويلاً أصاب إحدى عينيه، حتى لا يكاد يبصر بها. أما فيما عدا هذا فهو قوى صحيح لم يؤثر فيه الكفاح بحال من الأحوال

وهو رجل ثابت كالطود يطيل التفكير فيما يعرض عليه، ويتكتم أموره عن كل إنسان حتى ليتساءل الناس ماذا عسى أن تكون نياته فى مشكلة فلسطين

ومن المعروف عنه قوله: «إننى مسلم أولاً وعربى ثانياً»

وحياة ابن السعود جهاد مستمر فى توجيه قوى العرب نحو المصلحة العامة. وهو يعمل بجد لإزالة العراقيل التى يضعها الشيوخ فى سبيل تنفيذ مبدأ ضم الدول الصغيرة فى الشرق الأدنى

ويبلغ الملك ابن السعود الآن الثامنة والخمسين من عمره، وينحدر من سلالة سعود العظيم الذى أحرز ملك العرب فى أواخر القرن الثامن عشر. وقد تبع والده فى منفاه بالكويت حين أمر بنفيه ابن رشيد حاكم الكويت

وما كاد يبلغ ابن سعود العشرين حتى ترأس فريقاً من البدو وهاجم الرياض واحتل حصونها. وبضربة واحدة استطاع أن يضع نصف نجد تحت إمرته.. وقد كان هذا فى أوائل القرن العشرين!

وما زال ابن سعود ينال انتصاراً يتلوه انتصار فى ميادين الحرب والسياسة حتى تغلب على منافسيه وأنداده وأصبح أمير العرب

وقد نجح فى تطهير بلاد العرب من اللصوص والقتلة، وأصلح الحالة المالية وألف فى بلاده أقوى جيش عرف فى الشرق الأدنى

ولابن سعود كل الخصائص التى تجعله يقود أمة عظيمة؛ فهو على ما هو عليه من المهابة يجمع بين قوة القائد العربى والرجل السياسى. ومع أنه رجل محافظ متدين لا يأبى أن يفكر فى الواقع ويساير المدنية بقدر الإمكان

وقد استحدث فى بلاده العربات الضخمة والسيارات الحربية التى تطوى الأرض من نجد إلى الحجاز. وأنشأ محطة للإذاعة بالرياض ووضع خطوط التليفون التى تصله بجميع أنحاء العالم. واستنبط الآبار الارتوازية تتفرع منها الجداول والغدران لرى الأرض. ويقال إن ابن السعود أمر بقتل أحد ضباطه لارتكابه جرماً يخالف الدين، وإنه عرض حياته للخطر لإنقاذ طفل صغير

هل تستطيع إيطاليا أن تهاجم تونس – عن الديلى تلغراف

تسعة أعشار سكان تونس من العرب المسلمين لا ينظرون إلى إيطاليا بعد تلك الكارثة التى أوقعتها بألبانيا بعين الراحة والاطمئنان

وقد استطاعت فرنسا أن تهيمن عليها، وتخمد كل حركة من شأنها أن تفل من يدها، أو تقلل من نفوذها. وقد كان فتح إيطاليا لألبانيا من أقوى المحرضات للعرب وعددهم ٢٢٥٠٠٠٠ نفس على كراهية الحكم الإيطالى. وقد بدأت الدعايات تبث فى تونس ضد الحكم الإيطالى، والألسنة تلهج بشرح مبادئ حامى الإسلام!

وقد تحمل هذه الدعايات كثيراً من المبالغة فى شرح وحشية الإيطاليين . فقصة رمى الناس من الطائرات قد تكون من اختراع الخيال ؛ إلا أن مثل هذه السير تنتشر فى تونس ولها أثر غير قليل فى تسوىء سمعة الإيطاليين

وتؤلف الآن فى تونس بعض الفرق من الجنود غير النظاميين ، بقيادة بعض الضباط الفرنسيين ، ومهما أن تهاجم طرابلس فى وقت من الأوقات

أما باقى السكان وقدرهم مليونان فهم يميلون إلى الفرنسيين ويفضلونهم كثيراً على الايطاليين الذين يسكنون تلك البلاد . فالإيطاليون يزاحمون السكان فى شئون الحياة والمعيشة وينافسونهم فى الأعمال الصغيرة مما لا يقبله الفرنسيون

ومن الإحصاءات الفرنسية لسنة ١٩٣٦ المعدلة فى ١٩٣٩ أن عدد السكان الفرنسيين فى تونس يبلغ ١٠٨٠٠٠ فرنسى وعدد الإيطاليين ٩٨٠٠٠ إيطالى وقد تجنس بالجنسية الفرنسية من السكان الإيطاليين ١٦٠٠٠ نفس

وقد اتخذت فرنسا تدابير قوية ضد الأعمال السرية التى تقوم بها إيطالية ، فوضعت الحراسة الحربية على الطرق والكبارى والمرافق العمومية ، وقد قامت بعدة تجارب لصد أية محاولة من قبيل محاولة إيطاليا فى صقلية وفى ألبانيا أخيراً ، وقد زرع خليج تونس بارجال والمعدات الحربية على طول الطريق ووضعت مضادات الطيارات فى جميع الأنحاء

وبدأت فرنسا تحصى عدد العمال الإيطاليين فى تونس وتراقبهم . وقد استبدل بالإيطاليين الذين كانوا يشغلون مراكز كبيرة غيرهم من الفرنسيين . إذ أن الإدارة الفرنسية تعتقد أن عشرين ألفاً من الإيطاليين أى ٢٠ ٪ منهم فاشست عاملون . أما الباقى فينتسبون إلى صقلية ويعيشون فى تونس منذ أربعة أو خمسة أجيال ولم يحدث منهم ما يكدر السلام؛ وهؤلاء سيبقون مدة الحرب على ماهم عليه

وما زالت فرنسا تزيد فى استعدادها ، وقد أنشأت خطاً حديدياً يمر من الجزائر إلى تونس وهى على استعداد وتأهب لمقابلة الحرب فى أى وقت

فمهاجمة تونس على هذه الحالة تعد نوعاً من المجازفة والجنون

بحث فى مشكلة المستعمرات

[عن « ذى جورنال أوف رويال سوسايتى أوف أورتس »]

مسألة المستعمرات من المسائل التى تتعارض فيها رغبات الأمم الديمقراطية : إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة، مع رغبات الدول الثلاث المتحدة : ألمانيا وإيطاليا واليابان . وحجة هؤلاء هى أن دول الديمقراطية تملك من المستعمرات ما يكفيها ويفيض عن حاجتها ، بينما هى لا تملك ما يسد عوزها

فالمشكلة فى هذا الموضوع هى المشكلة الأبدية بين الذين يملكون والذين لا يملكون ، مشكلة الراضين المكتفين والمحتاجين المتبرمين

فماذا يجب أن تفعل الدول ذوات المستعمرات العظيمة الشاسعة؟ لقد مضى الوقت الذى كان يتمتع فيه أصحاب الثراء ولا يجدون من ينازعهم هذه النعمة ويحقدها عليهم

إن ضريبة الثراء موجودة منذ أقدم العصور . ولعل مما زيدها ويضاعف أثرها نظرة إلى المال الذى يكتسبه أصحابه بالجد والعمل المضنى ، والمال الذى يئول إلى أربابه دون أن يبذلوا فى سبيله أى جهد ، فإما أن يكون قد آل عليهم عن طريق الاغتصاب والظلم أو عن طريق الميراث

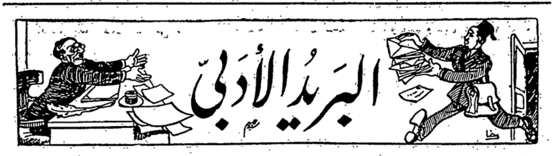
ولقد أخذ الناس يفكرون فى أصحاب الثروات الكبيرة ، ويفرضون رقابتهم عليهم حتى يتحققوا من أن هذه الثروات لا تنفق فى سبيل الملذات والأهواء الشخصية ، دون أن يكون للمواطنين نصيب من الانتفاع بها . وقد تقدم هذا المذهب فأصبح يشمل الدول كما يشمل الأفراد . وليس لهذا المذهب من سلطة غير قوة الرأى العام التى تفرض إرادتها على الأفراد .

ونحن الآن نرى حركة جديدة بين الأمم ، لإلزام كل أمة مراعاة ذلك . وهذه الحركة ترمى إلى مطالبة الأمم التى تملك المستعمرات بأن تكون وفية أمينة لأبناء تلك المستعمرات من ناحية ، وأن تراعى المصلحة العامة فى استغلالها .

يقال إن الاستعمار طريقة لتخفيف ازدحام السكان ، والواقع خلاف ذلك؛ فعدد الأوربيين فى أواسط أفريقيا يدل على أن الدول الأوربية لا تستفيد من هذه الناحية . فمن الواجب ملاحظة الجو فى تلك المستعمرات ، وإعداد رأس المال لإصلاح تلك البلاد ، وملاحظة حقوق الأهلين .

مما لا شك فيه أن لكل أمة تقاليدها وأحوالها الاقتصادية؛ ومعنى هذا بالبداهة أن الأمم التى لا تستطيع أن تعيش على غير الصناعة ، يجب أن تستولى على أرض تستخرج منها المواد التى تتطلبها .

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)



١ — المرأة القارئة

في الأعداد السابقة من (الرسالة) دارت بيني وبين الصديق الأستاذ زكي طليمات، مناظرة محدودة الأطراف، على جمهور القراء. والمتحصل مما أذهب إليه أن اعتقادي أن في مصر طائفة من المهذبين الذين يميلون إلى الأدب الرفيع والإنشاء الجد . ولا شك أن الجانب الأكبر من تلك الطائفة من الرجال . وإذا أنت وازنت بين جمهور قرائنا وجمهور قراء البلدان الأوربية الراقية تبين لك أن النساء هنالك يقرأن بقدر ما يقرأ الرجال . ولقد رأيت في ألمانية نساء يسرن في الطرق ويجلسن في القهوات والكتاب رفيقهن . وعرفت في فرنسة نساء يرشدن أزواجهن وأصدقاءهن إلى نفاسة الكتب الخارجة . وكثير من نساء الفرنجة يقبلن على قراءة ما يقال له في مصر : « الأدب الدسم » (كأننا نعني الأدب الذي يكلف القارئ مشقة حتى إنه ينفره . والغريب أن الطعام المصري — في غالب الأمر — ذو دسم شديد. فلم نخشى على أذهاننا ولا نخشى على بطوننا ؟!)

إن جمهور القراء لن يزالوا على حالهم من الخدر والنعاس حتى ترغب المرأة عن القراءة المسلية : عن روايات الجيب، والمجلة المشحونة بالصور، والكتاب الذي يكثر فيه البكاء ورسائل الغرام الشاحب ؛ وحتى تكشف للرجل عما وراء الحس المباشر من خلجات وبدوات ولوامع هي أقدر منه على الشعور بها والانتفاض لها

المرأة هي المهذبة الأولى والقارئة الوفية

٢ — تاريخ الأدب العربي

وصلني الجزء الثالث من المجلد الثالث لتكملة « تاريخ الأدب العربي » لصاحبه المستشرق العلامة كارل بروكلمن الألماني . وقد سبق لي أن خبّرت قراء هذا الباب من « الرسالة » بمجمل ما في الجزء الأول والثاني .

أما هذا الجزء ففيه الكلام على الشعر في مصر لهذا العهد ؛ ومن الشعراء الذين نظر المؤلف في شعرهم : أحمد رامي ، والهراوي ، وعماد ، وعثمان حلمي ، وخليل شيبوب ، وابرهيم ناجي ، والعقاد ، والمازني ، وحسن كامل الصيرفي ، وعلي محمود طه ، وصالح جودت ، والهمشري ، وعلي الجارم ، ومحمود حسن إسماعيل ، وسيد قطب ، ومختار الوكيل ، وبشر فارس . على أن العقاد والمازني شغلا ما يقرب من ربع الجزء (وهو يقع في ثلاث وستين صفحة).

ومما حاوله المؤلف الفحص عن مصادر الأخذ والاستلهام . فجاءت المصادر على نوعين : عربي وإفرنجي . أما العربي فالشعر الاتباعي القديم ؛ ثم شعر شوقي وصبري ؛ ثم شعر خليل مطران ؛ ثم شعر مدرسة أبوللو ، وعلى رأسها أبو شادي ؛ ثم شعر العقاد . وأما الإفرنجي فالابتداعيون الفرنسيون ، وطائفة من الشعراء الإنجليز ؛ ثم فرلين وبودلير .

وجاء الكلام بعد هذا على الشواعر ، فذكر المؤلف عائشة التيمورية وأمينة نجيب وجميلة العلايلي ومنيرة طلعت .

إن الطبيعة قد حرمت الأمم كافة من أن يكون لديها الأرض التي تغلها جميع المواد التي تحتاجها . فالولايات المتحدة تعتمد على المصادر الخارجية لاستكمال ما تحتاجه من المواد؛ وكذلك بريطانيا وألمانيا واليابان . ولا توجد أمة واحدة تملك الأرض التي تغلها كل ما تريد إلا إذا كانت تملك العالم أجمع

فيجب والحالة هكذا أن يكون الموقف متعادلاً بين الذين يملكون والذين لا يملكون . ولا يكون ذلك بالتنازل عن المستعمرات ، ولكن بمراعاة مصالح الدول المحرومة منها وإيجاد الطرق الودية التي تكفل لها الراحة والسلام

وختم المؤلف الكلام على الشعر بفصل فى الزجل ، فذكر خليل نظير ومحمد عبد النبى وعزت صقر ومحمود رمزى نظيم . ثم انتقل إلى الشعر فى السودان

هذا وإن المؤلف أجرى الكلام على غير الشعر إذا كان الشاعر ممن يعالج صناعة النثر . من ذلك فصوله فى كتب العقاد والمازنى وبشر فارس

وأما مراجع المؤلف فالدواوين والمؤلفات المطبوعة ثم المقتطف والهلال والرسالة وأبوللو والحديث . بقى أن هـذا الجزء يستهل فى آخره باباً جديداً موقوفاً على القصص والاسترسال Essay فى مصر أيضاً ، وفيه تناول المؤلف بالبحث المتصل : جيل نخلة المدوّر وجرجى زيدان وأحمد حافظ عوض وفرح أنطون

وبعد ، فلى فيما ذهب إليه الأستاذ بروكلمن من الفحص عن مصادر الأخذ والاستلهام نظر سأبسطه يوم يخرج المجلد الثالث كاملاً

٣ — فى اقتباس الكتاب

كتب الدكتور اسماعيل أحمد أدهم رداً طويلاً فى العدد الماضى من الرسالة على كلمتى فى بحث له . وإنى أكره أن أطلق قلمى فى مناظرة تنحرف فيها القضايا وتجتلب الحجج وينبو القلم

إلاّ أنّ هنالك أمراً محسوساً لا أستطيع إهماله . وقصة ذلك أنى قلت فى كلمتى (الرسـالة رقم ٣١٠ ص ١١٧٦) « ... وكأنى بالدكتور أدهم اقتبس منى (انظر « مباحث عربية » ص ٧٦) هذا التعبير : « جملة صلات اجتماعية » مع ما ينظر إليه باللغة الفرنسية أى une somme de rapports sociaux ...»

وفى رد الدكتور أدهم : « رأى الكاتب (يعنينى) أننا استعرنا اصطلاح « خلق جملة صلات اجتماعية » من كتابه « مباحث عربية » والواقع عكس ذلك . إن هذا الاصطلاح قد دار على قلمنا من قبل صدور كتابه هذا وتجده فى دراستنا عن اسماعيل مظهر حين تكلمنا عن آرائه الاجتماعية فى Z. R. G. I. م ٣٦ ص ٤١١ هذا فضلاً عن أن هذا الاصطلاح من جملة ما يجرى على أقلام كتاب عصرنا هذا ، وإذن فلا يمكن القول بأنه من الاصطلاحات التى استحدثها الكاتب »

على أن الدكتور أدهم لم يثبت الجملة التى ورد فيها ذلك التعبير فى دراسته لاسماعيل مظهر ، ولم يستشهد بما « يجرى على أقلام الكتاب » ، حتى أتبيّن على أى وجه ورد التعبير . ثم إن المجلة التى نشر فيها دراسته لإسماعيل مظهر لا أعرف كيف يكون الاهتداء إليها حتى أراجعها (وأرجو منه أن يبعث بها إلىّ) .

وسواء أستعمل الدكتور أدهم ذلك التعبير قبل ظهور كتابى أم لم يستعمله ، فالمهمّ أن يقول لى هل كتب إزاءه التعبير الفرنسى : une somme de rapports sociaux كما صنعت فى كتابى ؟ وأنا أدرى من باب التجربة العملية أن علم الدكتور أدهم باللغة الفرنسية لا ييسر له ذلك .

وبعد فإن الدكتور أدهم قد اقتبس مما جرى به قلمى غير هذا التعبير . وحسبك الموازنة بين ما جاء فى بحثه فى توفيق الحكيم ، ابريل ١٩٣٩ (ص ٣٦١ س ٦ و ٧ ؛ ص ٣٦٨ س ١٩ — ٢١) وما جاء فى صدر توطئة « مفرق الطريق » (مارس ١٩٣٨) وفى تقدى لكتاب شهر زاد (المقتطف يونيه ١٩٣٤ ص ٧٣٣)

هذا وكأن الدكتور أدهم شاء أن يبذل لنا الدليل على ذلك ، إذ كتب فى بحثه فى توفيق الحكيم ص ٣٦١ ما حرفه (وازن أيضاً بين هذا الفصل وما جاء فى ردّ الدكتور أدهم فى العدد الأخير من الرسالة ص ١٢٢٦) : « وكان كلف توفيق الحكيم باستنباط ما وراء الحس من المحسوس وإبراز المضمر أن اضطرب عقله (؟) ... ومن هنا جاءت اليقظات الرمزية فى فنه ... ولقد قوى من الاتجاه الرمزى فى فنه أنه نتيجة لإعيائه عن معرفة حقيقة النفس ولوامعها وبوادرها (كذا) جعلته يلتفت لعلم النفس الحديث ويخلص من دراسة تجارب (شاركو) فى التنويم والإبهام و (ريبو) فى الأمراض النفسية و (فرويد) فى أحوال اللاواعية و (برجسون) فى تغليب المضمر الذى فى النفس على البارز ... »

والآن خذ ما سطّره قلمى فى الرسالة رقم ٢٥١ ص ٧١٢ (٢٥ إبريل ١٩٣٨) : « إن المسرح الحديث وإن سماه أهل الفن : المسرح الرمزى ، من باب الاصطلاح ، لينهض على عناصر تزيد على التى عرفتها الرمزية الأولى : ينهض على نتائج علم النفس الحديثة (تجارب شاركو فى التنويم والإبهام ، وريبو فى أمراض الذاكرة والإرادة الشخصية ، وفرويد فى أحوال العقل الباطن ،

ويرجسون في تغلب المضمر الذي في النفس على البارز ....»

هل رأيت كيف يكون النقل مع استبدال لفظة مكان أخرى أحياناً: (هنا: «العقل الباطن»، وهناك: «اللاواعية»؛ ثم هنا: «أمراض الذاكرة والإرادة الشخصية»؛ وهناك: «الأمراض النفسية»)؟

أما هذان التركيبان: «استنباط ماوراء الحس من المحسوس وإبراز المضمر» فمأخوذان أخذاً من مسرحيتي «مفرق الطريق» (ص ٦ س ٧، ٨) حيث يجرى الكلام على عرض طريقتي الرمزية، وكذلك هذا التركيب: «لوامع النفس وبوادرها»؛ إلا أن الدكتور أدهم قرأ: «بوادر»، وفي الأصل «بواده»، وهو الوجه هنا. واللوامع والبواده من اصطلاحات الصوفية، وقد شرحهما القشيري في رسالته، وعلى الدكتور أدهم التفتيش

وبعد: فهذه كلمة كتبتها مكرهاً لأني غير ميال إلى مثل هذا اللون من «وضع الشيء موضعه». فني شؤوننا الثقافية ما هو أجل شأناً، غير أن القلم ربما حركنا لا يرضيه. وعلى عهد أني غير عائد إلى مثل هذه الكلمة مهما كتب الدكتور أدهم

بشر فارس

التبادل الثقافي بين مصر والسودان

عقدت في وزارة المعارف لجنة لدراسة المقترحات التي قدمت في موضوع التبادل الثقافي بين مصر والسودان.

وقد اتخذت هذه اللجنة قرارات علمنا أن من بينها ما يأتي:

إيفاد خبير تعليمي إلى السودان، وإسناد هذا المنصب إلى ناظر مدرسة الخرطوم الثانوية المزمع انشاؤها في العام القادم على أن يكون متصلاً بخبير مصر الاقتصادي في السودان.

وضع سياسة لتبادل البعثات العلمية، فتبعد إلى مصر بعوث الأساتذة والتلاميذ السودانيين في الأجازات الدراسية، وتزور السودان مثل هذه البعوث. وأن يكون تبادل الرحلات العلمية بين البلدين في نطاق أوسع، وإن تنشأ مكتبة تلحق بمكتب الخبير الاقتصادي. وذلك رغبة في نشر الثقافة المصرية في السودان، على أن تهيئ مصر للسودان نظاماً يقف المصريون به على الإنتاج الفكري لإخوانهم السودانيين.

وهناك اقتراح بتبادل الأفلام السينمائية الثقافية بين البلدين ومعاونة النادي المصري في السودان على التوسع في الغايات التي قام من أجلها. وكذلك اقترح توفير العناية بالثقافة الدينية، والعمل على إنشاء فرق لحفظ القرآن الكريم، أسوة بما هو متبع في مصر.

وقد درست اللجنة مسألة تنظيم قبول التلاميذ السودانيين في المدارس المصرية، وخاصة بعد إنشاء المدرسة الثانوية الجديدة في الخرطوم، وانتظار زيادة المتخرجين فيها، ورغبتهم في الالتحاق بكليات جامعة فؤاد الأول في مصر.

إلى ناقد تصحيح البخلاء ومنه

حضرة الفاضل المحترم الأستاذ محمود مصطفى

جاء في تقدكم لتصحيح كتاب البخلاء المنشور في العدد ٣٠٩ من الرسالة في الصفحة الأخيرة ما يلي:

(ونحن نعترض على ضبط العبارة وشرحها. فأما الضبط فنرى أنه ينبغي أن يكون هكذا:

«إذا حُبسَ زَفَّ السحابَ». وأما المعنى فهو: لو قدم إليه من الطعام مقداراً إذا جمع بعضه فوق بعض ....الخ»

وأنا أعترض عليكم جميعاً، فإن في العبارة تصحيفاً، وصحة العبارة هكذا:

(.. إذا حيس) بالياء المثناة من تحت لا بالباء الموحدة. أي خلط وعجن. والمعنى: لو قدم إليه من الطعام مقدار إذا عجن زف السحاب

وهذا خير من تفسيركم حبس بجمع بعضه فوق بعض، فإنه تفسير بعيد

أرجو أن تدفعوا هذا للرسالة لتنشره ما دام الغرض تصحيح الكتاب، ولا يهمكم بعد ذلك أن تعرفوني، ويكفي أن تعرفوا أني من المعجبين بنقدكم وجرأتكم، وسداد رأيكم (؟)

***

حضرة الأديب الجليل الأستاذ الزيات صاحب «الرسالة»:

ورد لي هذا الخطاب من مرسله الفاضل الذي ضن بذكر اسمه، وله رأيه في ذلك. وقبل أن أعلق على كلامه أشكره أجزل شكر على حسن ظنه بي، وأستكثر على نفسي وصفه لي بالجرأة و... فليس ما قمنا به إلا زكاة يجب على من ملك نصابها أن يؤديها خالصة لوجه الأدب براً به واعترافاً بحقه على خدامه.

أما رأى الأستاذ فى أن تكون كلة جبس (بالباء) محرفة عن جيس (بالياء) وتفسيرها بمعنى عجن ، فهو رأى لا بأس به ، وإن اتجه إليه النقد أيضاً ، لأننا فى سبيل الأخذ به سنتكلف أن نحمل الجيس معنى العجن مع أن أصل معناه الخلط . ثم إذا راعينا الدقة اللغوية كان خلطاً خاصاً ، لأنه كما ذكروا خلط الأقط بالسمن والتمر ، والعجن ، كما نعلم ، إنما يكون عادة للدقيق والماء . ويساعدنا على هذا أننا لم نر (فى حقيقة ولا مجاز) من قال جيس الدقيق أو الخبز .

محمود مصطفى

الاعتماد على المصريين فى علم الاستشراق

دعت اللجنة القائمة على نشر « الكنز العبرى » الدكتور مراد كامل إلى معاونتها على إخراج ذلك المعجم الضخم للغة العبرية وهو الأول من نوعه . وهذه اللجنة أعضاؤها من كبار المستشرقين وعلماء العبرية . ولا شك أن الذى حملهم على دعوة الدكتور مراد كامل إلى معاونتهم ما ألفه الدكتور فى اللغات السامية المختلفة . ومن أعماله العلمية نشرة « تاريخ اليهود » ليوسف بن كريون باللغة الحبشية مع موازنته بالنص العبرى والنص العربى

واشتراك عالم مصرى فى ذلك المعجم الجليل إيذان برفعة قدر الاستشراق عندنا

أبو تمام والرمزية (تأخرت سهواً)

جرى قلم الأستاذ الكبير عبد الرحمن شكرى فى رمزية أبى تمام حين عالج البحث فيه بالرسالة فتنكر لهذه الرمزية ورمى بها من حالق غير متلبث ولا وان . وقال فيما قال : (وأستطيع أن أفهم سبب عد أبى تمام من شعراء الرمزية وإن لم يكن كذلك فإنه يكثر من استخدام التشبيه والاستعارة والمجاز ، والاستعارة رمز والكناية رمز ، ولكن شعراء الرمزية فى أوربا تخطوا منزلة الاستعارات والكنايات وصاروا يرمزون إلى حالات نفسية بأشياء مادية وبألفاظ أو جمل ويقطنون الصلة بين الرموز التى يرمز لها بها اعتماداً على خيال القارئ وإحساسه وأحلامه وهواجس نفسه الناهضة الخ ...) ولعمرى لو طلبنا من أبى تمام أن يستخدم تلك الرمزية الأخيرة لأقلقنا ترابه الصامت فى برزخه إذ تلك الرمزية التى عناها الأستاذ الكبير إنما هى الرمزية الناضجة التى استحصدت قواها فى أواخر القرن التاسع عشر فى أوربا وبالأخص فى فرنسا وقامت على أسس لم تعرفها الرمزية فى عهدها الأول ومن تلك الأسس التجاريب النفسية كأحوال النقل الباطن والتنويم وسوى ذلك ، وقد برز فى هـذه الرمزية أبطال منهم بريستلى ، وهنرى باتاى ، وطاغور شاعر الهند الأكبر ، وجبران خليل جبران . فليس من الإنصاف أن تقاس رمزية أبى تمام على رمزية هؤلاء المتأخرين وإلا تبخرت الأولى بلا مراء ، إذ لا بد أن تقام المفارقات التاريخية على أصول يمضها الزمان والمكان ؛ وأبو تمام عربى تنبسط أمامه الصحراء وتنسدل حوله آفاق السماء فلا يمكن بحال أن تطلب نفسه الرمزية بهذا اللون وتؤدى بها إلى الحد الذى أدت بهم إليه ، وأما فى عهدها الأول فهى بلا ريب تبسط أجنحتها على أبى تمام لتضمه إلى أعلامها . وما الرمزية إلا اتجاه نفسى يسلك للتعبير عما فى متاهات النفس من الأشباح المصبية المتلثلة فى الإبهام والغموض فتبدو مرموزاً إليها فقط كى يدل الرمز على المعنى المقصود من قريب أو بعيد ، وفى ذلك جهد الشاعر . وإذا ما بسطنا بين أيدينا ديوان أبى تمام وجدناه حالياً بكثير من الشواهد الرمزية على هذه الطريقة وأسوق منها طاقة صغيرة فيما يلى :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها ... تنال إلا على جسر من التعب

بخديه دقائق لو تراها ... إذاً لسألت عنها فى المعانى

وقديماً ما استنبطت طاعة الخا ... لق إلا من طاعة المخلوق

لى عبرة فى الخد سا ... ئرة وبيت سائر

وبوجنتيه بدائع ... للجلنار ضرائر

نقشت كف الملاحة فى ... وجنتيه أظرف النقش

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقى اللحاء

تفاحة جرحت بالدر من فيها ... أشهى إلىّ من الدنيا وما فيها

حمراء فى صفرة علت بغالية ... كأنها قطفت من خد مهديها

وفى الديوان انتزاعات نفسـية وألوان حسان تؤيد ذلك وبالأخص فى قصاره التى دبجها فى الغزل والنسيب .

احمد عبد الرحمن عيسى

كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

أرسل إلينا الأستاذ الجليل (القارئ) مقالاً عن هذا الكتاب قبل أن يصدر العدد (٣١١) بيومين ، وقد ضاق عنه هذا العدد أيضاً ؛ فنعتذر للأستاذ من هذا التأخير ، وسننشره شاكرين فى العدد التالى .



مباحث عربية

تأليف الدكتور بشر فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أما البحث الثالث ففى « المروءة » وقد نشر فى الأصل بالفرنسية مختصراً فى « تكملة دائرة المعارف الإسلامية » . وفى هذا البحث يبرز الباحث رجلاً مدققاً عرض للموضوع فى إحاطة عجيبة . ولكن الحقيقة رغم كل هذا جانبته . ذلك أن الباحث دخل الموضوع وهو يعتقد أن لفظ المروءة من الألفاظ التى ذهبت معانيها بذهاب العصر الجاهلى . والحقيقة أن استعمالات اللفظة فى أوضاع متباينة هى التى خلعت على اللفظة معانى متباينة وألقت شيئاً من اللبس على أصلها . على أننا نلاحظ أن اللفظة فى الأصل تفيد معنى الفرد الإنسانى (الهوامش ١٠ ، ١١ ، ١٢ من البحث) واتسع معناها من الفرد إلى أن حملت معنى الإنسان الاجتماعى . وشاهد هذا استعمال اللفظة فى هذا المعنى فى بعض مواضع القرآن وفى بعض ما تنوقل عن العصر الجاهلى من الشعر (Barthold فى أعمال معهد الدراسات الإسلامية بموسكو : م ٣١ ج ١٠ ص ٩١٤ — ٩١٦) ومن هنا أصبحت اللفظة تشتمل على معنى الفضائل الاجتماعية ، وأصبحت تدل على معنى الإنسانية فى عصرنا الراهن . ونزول المروءة منزلة الفضيلة vertus هو الذى جعلها جامعة كل الفضائل والأخلاق الكريمة . ومن هنا دارت عليها الآداب الجاهلية (Goldziher فى Muh. Stud م ١ ص ١ — ٤٠)

فإذا أخذنا هذا موضعاً للنظر لم نجد معنى للإشكالات التى يثيرها الباحث والتى إن أورثت بعض الحيرة فهى لا تقنع الإنسان بوجهة نظر ، ولا تحمله رفض الأصل الذى ذهب إليه « جولدزيهر » . ومن الاشكالات التى تصادفنا فى هذا البحث ما ينقله الباحث عن العقد الفريد من تساؤل معاوية عن معنى المروءة — ج ١ ص ٢٢١ — وهو يستدل بذلك على التباس معنى اللفظة . غير أنه من الملاحظ أن مثل هذه الأسئلة التى ترد فى كتب الأدب وفى كتب اللغة منحولة لأغراض واضحة ظاهرة منها ، وإذن يكون الاستدلال بهذه الروايات فى حدود دائرتها الحقيقية ، لا تحميلها وجهاً لا تدل هى عليه . ثم عندك الروايات التى يأتى بها الباحث محملاً كل رواية دلالة خاصة للفظة « المروءة » التى ترد فيها ، وهو بهذا يريد أن يقرر أن معنى المروءة كان ملتبساً على الناس . على أنه لو لاحظنا التفسير الذى قدمناه والذى يسير عليه أعلام الاستشراق فى أوربا فإن كل هذه الروايات تتسق معانيها وتتوضح من أصل جامع للفضائل التى تقوم على الصلات بين الفرد والجماعة، والتى يتقوم بمفهوم فضائلها لفظ السيد. وإذا كان الباحث لا يجد غير قول واحد ينزع فيه معنى المروءة إلى السيادة فى العربية ، فلا أظنه جمع شوارد العربية وأوابدها واستعمالات ألفاظها فى كل النصوص التى انتهت إلينا حتى يحكم بهذه الدعوى . هذا ولو لاحظنا أن دعوى الباحث تستند إلى أن ابن قتيبة لم يثبت فى باب «المروءة» غير وجه واحد تنزع فيه اللفظة لمعنى السيد، فإننا نجد استنتاج الباحث أكثر مما يساعد عليه النص. ومما يحسن بى الإشارة إليه أن كلمة «المروءة» وردت فى اللغة العبرية وهى من أخوات اللغة العربية نازعة فيها لمعنى السيادة (دانيال ١٤ — ١٩ ومراد فرج فى ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١)

والبحث الرابع وقف على « التفرد والتماسك عند العرب » وهو فى عمومه مراجعة — فيها نظر — لأقوال المستشرقين . وفى هذا البحث ينكر الدكتور بشر فارس نظرية التفرد المنسوبة للعرب ، ويرى للعربى صلات اجتماعية فى حدود الحى والقبيلة . وفكرة الباحث وجيهة ، ولكن ما رأيه فى كون التحاق العربى بقبيلته أو حيه مظهر من الأصل الطوطمى — totemism — عند العرب القدماء ، والطوطمية مصدرها فردية صرفة ؟ (أنظر عن طوطمية العرب Rob. Smith فى Kinship and Marriage in

Sarly Arabia ص ٢٣ وما كلينان فى Primitive Marriage ص ٥٣ — ٥٦ ولنا علم الأنساب العربية ص ١٢)

ولنا أن نتساءل هنا: هل يرى الباحث أن صلات العربي تتجاوز جماعته ممثلة فى الحى أو القبيلة؟ وإذا كان لا يرى ذلك كما يستفاد من مضمون كلامه، فلماذا؟ وإذا كان يرى سبب ذلك - كما يبدو من كلامه - العصبية، فما منشأ العصبية عند العربى؟ سيعود بها الباحث إلى الأسرة، ولكن لماذا تدفع الأسرة العربى للعصبية؟ أليس فى ذلك شعور بالانعزال يقوى رأى الذين ينسبون التفرد للعربى؟ . . .

والبحث الخامس يتكلم فيه عن « البناء الاجتماعى عند عرب الجاهلية » وهو بحث قيم مستخلص من كتاب الباحث (العرض عند عرب الجاهلية) » ومما نلاحظه على هذا البحث أن الكاتب يقول: « ولا شك أن القبيلة بنو أب واحد من حيث تحتمل تجمع أسر أرومتها واحدة — ص ٨٥ — وهو فى هذا الكلام يستند إلى المخصص لابن سيده . ولكنا على الرغم من ذلك نلاحظ جواز أن تكون القبيلة منشؤها اجتماع عدة بطون وأفخاذ من قبائل مختلفة (ابن حزم نقلاً عن الفهرست لابن النديم ج ٣ ص ١٨٧) والمراجع العربية تروى أن قبائل تنوخ وغسان والعتق تكونت من شتيت البطون التى تناثرت فى الصحراء من القبائل العربية التى تفرقت بعد تركها مواطنها فى الجنوب (الفهرست ج ٣ ص ١٨٧ وكذا لنا علم الأنساب العربية ص ١٣ — ١٤)

أما البحث السادس فوقف على « تاريخ لفظة شرف » ومطالعات الباحث فى هذا المبحث جديرة بالنظر فيها والتأمل فى مواطنها لقيمتها . والبحث السابع والأخير فمن تحقيق فى (بعض) الاصطلاحات) وملاحظاته فى هذا المبحث قيمة

هذا هو كتاب « مباحث عربية » . وهو كتاب فريد فى موضوعه وفى نهج بحثه وفى منحى تحقيقه؛ يدل على أن صاحبه صاحب ذهنية علمية متزنة يتصدى للموضوعات على أساس من التقصى للأصول والفروع مع دراية تامة بأساليب البحث . والمآخذ التى أخذناها على أهميتها لا تنال من قيمة البحوث ولا من الجهد العلمى المبذول فيه . والواقع أن الدكتور بشر فارس حمل اللغة العربية بكتابه هذا بحثاً جديداً فى مسائل اجتماعية وأخرى لغوية على أساس من التحقيق العلمى ومن الطريقة العلمية الصحيحة . وتنظيم الكتاب يدل على ذوق فنى وعلى تمكن من أساليب التنظيم العلمى والأخذ بسبل التبويب الصحيحة، ولا شك أن الدكتور بشر فارس بكتابه هذا شق الطريق للبحث العلمى الجدى ولو لم يكن له غير هذا الجهد لكفى ذلك للتقدير

اسماعيل أحمد أدهم

فى سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

[تتمة]

ص ١٥٨ عند الكلام على أن تثمير المال فى بناء البيوت يعود على أصحابها بالضرر بسبب مماطلة السكان وتقطيع الأجرة عند الدفع قال:

« فصارت لذلك غلات الدور - وإن كانت أكثر ثمناً ودخلاً - أقل ثمناً وأخبث أصلاً من سائر الغلات »

وإن نظرة عارضة إلى العبارة توجب علينا مراعاة المقابلة التى أراد أن يعقدها القائل للعبارة فإنه يقول إنها وإن كانت فى الأصل أكثر ثمناً ودخلاً صارت الآن بمعاملة السكان لأصحابها أقل ثمناً وأخبث دخلاً » ومن هنا ظهر خطأ الشارحين فى إثبات كلمة أصلاً بدل دخلاً ، ومحاولتهما ما لا يستقيم من الشرح على هذا الاعتبار حتى اضطرا أن يقولا: « فى العبارة شىء من التجوز يظهر للمتأمل » والواقع أن الذى يظهر للمتأمل هو تحريفهما أو قبولها لتحريف كلمة دخل إلى أصل

فى ص ١٦٠ يرد فى الحديث عن إساءة السكان إلى صاحب المنزل « إن عفا عفا على كظم ولا يوجه ذلك منه إلا إلى العجز ، وإن رام المكافأة تعرض لأكثر مما أنكره » فيعلق الشارحان بقولهما: « وإن أراد أن يكافأ بالمعروف على معروفه وبالإحسان على إحسانه كان عرضة لأن يلحق به من الأذى أكثر مما أنكر هو منه واستفظعه . ولاشك فى أن الشارحين لا يفهمان المكافأة إلا على أنها المقابلة الحسنة ، وهو المعنى الذى يفهمه منها صغار التلاميذ حين يسمعون من معلميهم أسماء المكافآت ومنحها عقب الامتحان أو القيام بعرض ألعابهم فى حفلات آخر العام .

فأما المكافأة بمعنى المقابلة مطلقاً أو المجازاة بخير أو شر فهى فى كتب اللغة فحسب ، لم تخرج بعد إلى خير الموجود ولم يسمح لها بطروق آذان الشارحين ؟ !

وغريب جداً من أمر الشارحين أن يدورا فى كلامهما ويتجنبا الوقوع فى هذا المعنى كأنما هو منكر لا يريدان أن يقعا فيه مع أن استقامة الكلام تستلزمه ولكنهما يحيدان عنه عملاً بالأمانة

اللغوية التي في عنقهما لمنى المكافأة !

في ص ١٦٥ وردت هذه العبارة : قدحتم من جمع صنوف الخطأ وذممتم من جمع صنوف الصواب . فاحذروهم كل الحذر ولا تأمنوهم على حال

وفي الشرح يقول الأستاذان الفاضلان : (من جمع صنوف الصواب) أي وهو من سميتم (بخيلاً) و (من جمع صنوف الخطأ) أي وهو من سميتم (جواداً) ثم يعلقان على عبارة (فاحذروهم) بقولهما الضمير يرجع إلى الذين تسمونهم أجواداً وهو التفات من صيغة المفرد إلى الجمع .

ومعنى ذلك في رأى الشارحين أن القائل للعبارة استعمل اللفظ مفرداً ثم أعاد عليه الضمير جمعاً لأن لفظ (من) في نظرهما مفرد بدليل تفسيرهما له بقولهما (أي وهو من سميتم بخيلاً) فقوله بعد ذلك فاحذروهم يكون خروجاً عن مقتضى الظاهر إذ الظاهر في رأيهما أن يقول فاحذروه ما دام الضمير عائداً على (من)

وفي هذا الكلام خطآن ظاهران : أما أولهما فبلاغي وهو اعتبار مثل هذا الخروج عن الأصل (إن كان) التفاتاً ، والالتفات لم يعهد إلا في العدول عن الخطاب إلى الغيبة أو عكس ذلك أو ما أشبهه مما لا نطيل به ، فأما إرجاع الضمير جمعاً إلى لفظ مفرد فلم يدخل في حساب البلغاء أن يعقدوا له هذه التسمية أو غيرها

وأما الخطأ الثاني فهو عدم تنبه الشارحين إلى أن لفظ (من) من الألفاظ التي يصح اعتبارها مفرداً وغير مفرد فيعاد عليها الضمير على حسب ذلك الاعتبار وهنا اعتبرها القائل جمعاً فأعاد إليها الضمير كذلك . ونرى أن هذا الكلام من الوضوح بحيث نعد أنفسنا مسرفين إذا توسعنا فيه أكثر من ذلك

في ص ١٧٨ في الحديث عن آداب السلف على الطعام وأنهم كانوا لا يعدون أيديهم إلى الجدى الذي يقدم آخر الطعام لعرفانهم أنه إنما يقدم ليجعل علامة الختام والفراغ ، حتى قال أبو الحارث جمين حين رآه لا يمس (هذا المدفوع عنه) ويعلق الشارحان على هذه العبارة الأخيرة من كلام جمين بقولهما : أي هذا الذي لا تناله الأيدي بالأذى . والمراد التعجب

والذي نقوله : إنه لا تعجب ولا شبه تعجب ، بل هو إخبار بالواقع لأنه لما رآه لا تمد إليه الأيدي لأنه جاء بعد الشبع وصفه بهذا الوصف فأين التعجب الذي في كلام الرجل ؟

في ص ١٨٣ يحكي الجاحظ حال ابن أبي المؤمل في معاملة ضيفانه وذيادهم عن طعامه ، فإنه كان إذا قدم عليه زائر ابتدره قبل أن يستقر في مجلسه وقبل أن تذهب عنه وحشة المكان بقوله لخادمه هات يا خادم شيئاً لفلان ينال منه . فإذا قال الضيف قد فعلت سجل عليه تلك الكلمة ثم يقول الجاحظ :

فإذا استوثق منه رباطا وتركه لا يستطيع أن يترمرم لم يرض بذلك حتى يقول في حديث له : كنا عند فلان فدخل عليه فلان فدعاه إلى غدائه فامتنع ثم بدا له فقال: في طعامكم بقيلة أنتم تجيدونها

وهنا يضع الشارحان علامة الاستفهام بعد كلمة تجيدونها ووضع الاستفهام هنا خطأ لأن الجملة خبرية والمعنى أن الضيف بدا له أن يعدل عن الاعتذار من الأكل فأحب أن يتطرق إليه بقوله إنكم تجيدون عمل هذه البقيلة التي أراها على المائدة أي فهو يقدم لقيامه إلى المائدة بهذه المقدمة ، وابن أبي المؤمل إنما يحكي لضيفه هذه الحكاية ليأخذ عليه طريق هذه الحيلة فالكلام خبر على وجهه ولا رائحة للاستفهام فيه

وفي ص ١٨٥ يرد في كلام ابن أبي المؤمل :

«ومن لم يشرب على الريق فهو نكس في الفتوة دعيّ في أصحاب النبيذ وإنما يخاف على كبده من سورة الشراب »

فيذكر الشارحان في معنى النكس أنه المقصر عن غاية المجد والكرم وأنه الرجل الضعيف ثم يقولان يعني أن من لم يشرب على الريق فهو ضعيف الكرم مقصر فيه ، وهذا خطأ وإنما المراد أن من لم يشرب على الريق فهو ضعيف في فتوته ناقص الصلابة في جسمه بدليل قوله بعد ذلك وإنما يخاف على كبده من سورة الشراب . ولا ندرى السبب الذى من أجله حشد الشارحان في شرحهما معاني النكس من غير أن يكونا بحاجة إلا إلى معنى واحد منها على حسب ما رأيا في شرحهما . وما نرى ذلك إلا تضليلاً للقارئ وتردداً من الشارح . وإنما الواجب تلمس ما يناسب المقام ثم المضاء في القصد إليه وحده . فأما هذا الاستكثار من أقوال أصحاب المعاجم فليس فيه كبير فائدة لمن أسلم ذهنه إلى شارح وثق به واعتمد عليه في هدايته إلى الصواب

قد انتهينا وما انتهينا من التعليق على شرح أستاذينا الفاضلين، ذلك أننا تركنا كثيراً من القول رأينا أن فيه تطويلاً ، وأنه لا يتضح فيه الصواب إلا ببسط كثير وتعليل واسع ، ولكنا نكتفي بما أثبتنا معتقدين أننا أدينا الخدمة خالصة لكتاب الجاحظ ولقرائه ولشارحيه ، والسلام

محمود مصطفى

فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة السابعة

(ن)

فهرس الكتاب للمجلد الأول من السنة السابعة

(ف)

(ق)

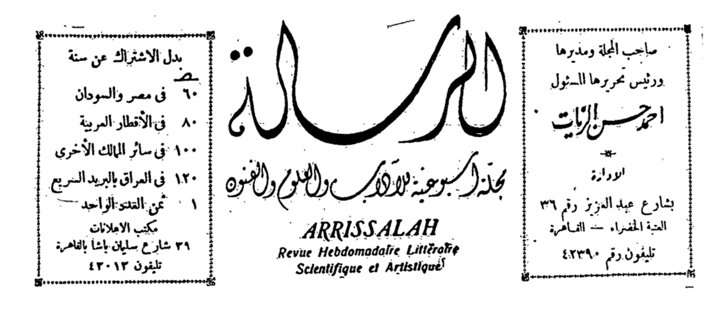
(ك)

(م)

FIN

DU

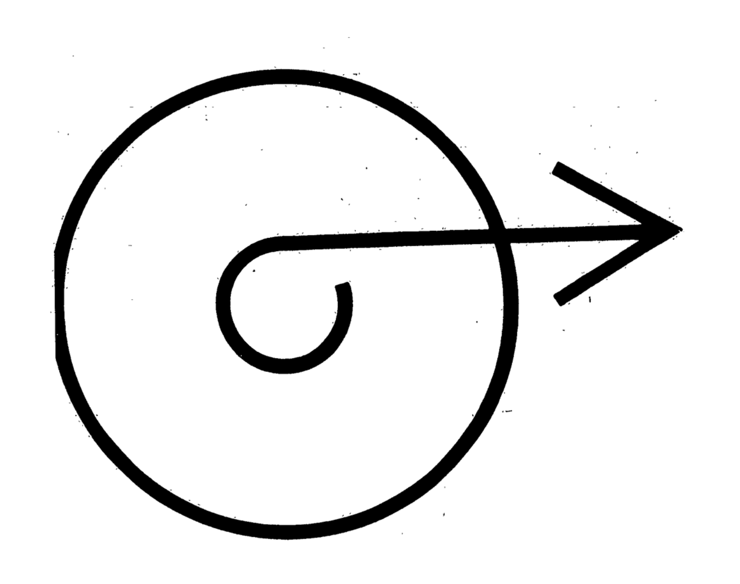
DOCUMENT



1939

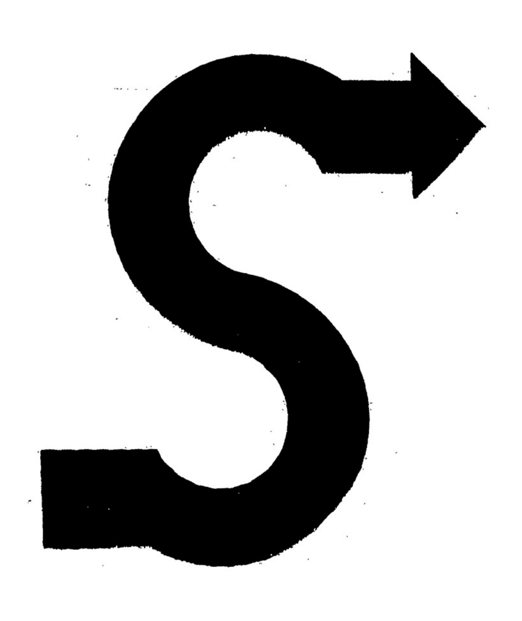
2 janvier - 26 juin

(n° 287-312)



Fin de bobine

NF Z 43 120 3



Suite sur une autre bobine

NF Z 43-120-6